العربي

شعبان ١٣٨١
فبراير
(شباط) ١٩٦٢

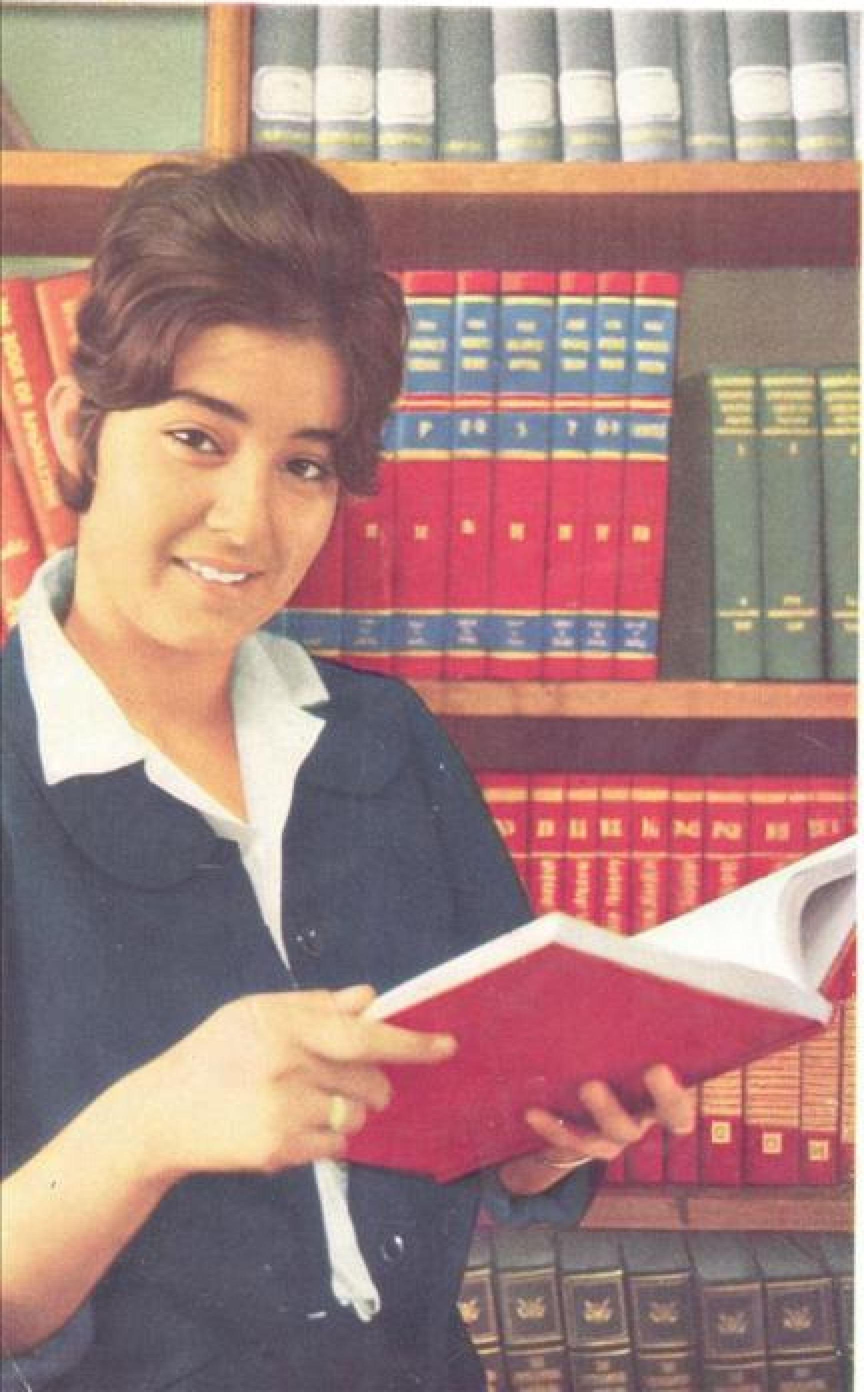

مع هذا العدد

هدية ثمينة
+
العربى الصغير

جوائز

١٢٠٠
دينار سنويا

بية .. من الكويت

الثمن

كويت	١١٠	فلوس
خليج العربى	٢	روبية
سعودية	٢	ريال
ن	٥ر٢	شلن
ال	١٢٠	فلسا
ن	١٠٠	قرش
ن	١٠٠	فلس
رية	١٠٠	قرش
ع.م.	١٠	قروش
سودان	١٠	قروش
يا	١٥	قرشا
س	٢٠٠	فرنك

لم ينفعها السـلام وراءها نسر خاطف

عزيزي القارىء :

● تسألنا ، ويسأل سواك ، لماذا نغفل فى ما ننشره عن الوطن العربى من استطلاعات ، بعض نواحى النشاط فى هذا القطر او ذاك ،كنهضة المرأة ، والتعليم ، أو الصناعة ، او الزراعة ، او غيرها ... ؟

وجوابنا أن « العربى » يرسل رجاله لاستطلاع احوال الأقطار العربية ، فيعودون بالصور والمعلومات الكثيرة. ونحن لو نشرنا كل هذا عن القطر الواحد ، فى العدد الواحد من « العربى » ، لاستغرق الكثير جدا من صفحاته . لهذا نقسم الاستطلاع ، وننشره على فترات . فان وجدت نقصا فى استطلاع عن بلد ، فاعلم أن تتمة سوف تتبع .

● كنا ننشر قصص أبطال العرب الأحدثين دون أن نتقيد فى ذلك بموعد، وقد رأينا من هذا العدد أن لا ننشر هذه القصص الا فى مناسبة ذكرى وفاة البطل السنوية. وفى هذا العدد ننشر قصة الزعيم الوطنى مصطفى كامل، وكانت وفاته فى ١٠ فبراير عام ١٩٠٨ .

« المحرر »

العربى

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

سياسة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

تربية وعلم نفس :

لغـة :

طب وعلوم :

العربى

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والأنباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٥١٨١ ــ تلغرافيا « العربى »

العنوان ببيروت : ص . ب ٦٧٦٩ ــ العنوان بالقاهرة : ص . ب ٢٧٢

الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● اخذت الفتاة الكويتية قسطها من التعليم على قدم المساواة مع الفتى فى جميع المراحل . وهى تقبل على التعليم والمطالعة كاية فتاة فى سائر البلاد العربية المتقدمة . وفى هذه الصورة طالبة كويتية فى المرحلة الثانوية تنهل العلم والمعرفة من بطون الكتب . (اقرأ الاستطلاع ابتداء من صفحة ٨٣ من هذا العدد ..)

اجتماع وفن حياة :

شعر :

ركن المرأة :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

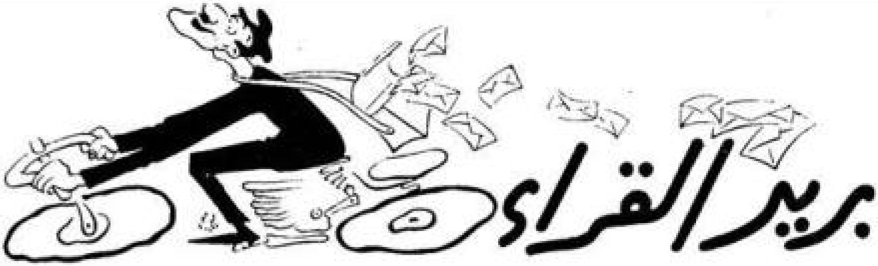

نحن العرب .. وعصر الذرة والفضاء

● قرات باهتمام مقال الاستاذ الكبير رئيس تحرير «العربى» عن « الذرة » وكيف حررت امما من بعد استعمار ، ودفعت الى الامام بحقوق الانسان . ولم أكد أفرغ من قراءته حتى سألت نفسى : أترانا حقا ، نحن العرب ، قد انتقلنا كغيرنا ، من الكهرباء الى عصر الذرة والفضاء .

ان الظروف التى تجتازها الأمة العربية هذه الأيام تجعل الكثيرين من شيوخها وشبابها ينظرون الى المستقبل خلال منظار قاتم السواد ،فيبدو أمامهم مظلما يحفل بالمصائب والخطوب .

فبعد أن كان العرب هم رواد النهضة وحملة مشاعل العلم والعرفان ، نراهم قد تخلفوا عن ركب الحضارة قرونا ، وبعدوا عن مسالك العلم الصحيح الذى تسلح به أعداؤهم وتوغلوا فى طرقه ، بينما لبث العرب فى ظلمات الجهالة يتخبطون .

واليوم ، ونحن نجتاز مرحلة حرجة من مراحل البناء بعد أن تحرر الكثير من بلادنا من ربقة الاستعمار ،واصبحت القومية العربية حقيقة واقعة، فان علينا واجبا مقدسا يعتبر التقصير فيه جريمة نكراء فى حق الوطن ، وحق العروبة، وحق التاريخ.

واذا كنا قد وقفنا مكتوفى الايدى ازاء تطورين خطيرين اجتازتهما الانسانية بنجاح ، هما عصر البخار ثم عصر الكهرباء ، فانه لا يجوز أن نقف نفس الموقف أمام عصر الذرة ...

ان هذا التطور الجديد الذى يمر به العالم اليوم ، هو أخطر بكثير جدا مما نتصوره، خصوصا بعد أن أصبح سلاح الذرة فى حوزة الدول الاستعمارية ، التى لا تفكر فى استخدامه الا فى اغراضها الحربية العدوانية الآثمة ..

انى لأسمع من بعيد نواقيس الخطر تدق منذرة بالمستقبل الرهيب الذى لا يرحم . ولن تكون للقومية العربية آية قيمة ، ما لم نعمل نحن العرب على المحافظة على وجودنا وكياننا ، بالسير فى ركب العلم والتوغل فيه .. وليكن فى علم كل فرد منا أن العمل المثمر والمعرفة الصحيحة هما أعظم مفاتيح النجاح ، وان علينا جميعا تحطيم نطاق الجمود والخمول ، والخروج الى حياة كريمة فاضلة ، شعارها التقدم والعمل ، ودثارها الصبر والأمل ، والا داستنا عجلة الايام ، واصبحنا من جديد أضيع من الايتام على مادبة اللئام .

مصطفى رجب ـ حصين البحر ـ طرطوس

الانتحار .. فى الدانيمارك !

● ارجو ان يتسع صدر « العربى » لهذه الكلمة من العدد السابع والثلاثين عن الانتحار فى بلدى الدانيمارك .. حقا ان ناقل الكفر ليس بكافر ، الا اننى أجل « العربى » عن نقل المعلومات الخاطئة .. ان الانتحار صفة من صفات عصرنا المضطرب القلق ، ولكن قد تكون الدانيمارك من اقل البلدان نسبة فى الانتحار فى العالم ، وليست أعلاها !

ان التامينات الاجتماعية الممتازة فى بلدى لا يمكن ان تكون سببا فى الانتحار . بل العكس هو الصحيح .. وهذا ما يمليه المنطق السليم

نحن يا سيدى شعب مرتبط بالارض التى تضطر غالبيتنا الى العمل اكثر من اثنتى عشرة ساعة فى اليوم ، لنحافظ على المستوى الحياتى الرفيع الذى تمكنا من الوصول اليه بفضل العرق والجهد والتامينات الاجتماعية ...

ان الفقر هو أهم اسباب الانتحار كما تعلمون ، وكما تقول الاحصائيات .. ولا يعقل ان يقتل الانسان نفسه لانه يشعر بانه فى امان من الفقر ..

دانيمرك اريك كرستينسون

« العربى » : العبارة التى يعلق عليها السيد كريستنسون نشرناها نقلا عن جريدة « ميلووكى جورنال » كما هو ظاهر فى ختامها .. وناقل الكفر ، كما يقول الكاتب ، ليس بكافر ...

القول الفصل فى « فوائد » البنوك وصناديق التوفير

(هذا هو نص فتوى الامام محمد عبده)

● قرات جوابكم المفحم ، وردكم الصائب الحكيم ، على من يريدون أن يدخلوا أرباح البنوك وصناديق التوفير فى الربا المحرم .. واتماما للفائدة ، ولتطمئن قلوب المدخرين من المؤمنين ، وهم ولا ريب كثيرون ، احب ان أسهم بهذه الكلمة التى ارجو ان تكون حاسمة فى الموضوع .

فالربا لمصلحة الافراد محرم فى جميع الأديان السماوية ، ولا سيما الاسلام ، بل حرمته التعاليم الفلسفية والأخلاقية من قديم الزمان ، حيث اعتبره «ارسطو» فى كتاب «السياسة» مضادا للفطرة الانسانية . ولما جاء الاسلام وجد هذا النوع من الربا الاستغلالى ، هو الربا السائد بين العرب ، فحرمه بآيات كثيرة حسبنا منها « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة » ، وصادره بقول الرسول : « ألا ان ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا اضعه هو ربا عمى العباس بن عبد المطلب » .

اما ما عدا « ربا الجاهلية » كما سماه الرسول (ص)» و« الربا الجلى » كما سماه « ابن القيم » فى كتابه « اعلام الموقعين » و « الربا الحقيقى » كما سماه العلامة الدهلوى فى كتابه « حجة الله البالغة » ، فلا باس به شرعا ، ومن ذلك ربح صناديق التوفير الذى سئل عنه الاستاذ الامام محمد عبده ، فأجاب فى فتواه المشهورة ، المنشورة بالمجلد السادس من مجلة « المنار » لصاحبها العالم الشهير الشيخ محمد رشيد رضا ، عام ١٩٠٣ ، فى تفسير المنار ص ٣٢٢ ، بما انقل منه الكفاية بالحرف الواحد . قال رحمه الله :

« ولا يدخل فى الربا المحرم ، الذى لا يشك فيه ، من يعطى آخر مالا يستغله ، ويجعل له من كسبه حظا معينا ، قل الربح او كثر . لا يدخل ذلك فى الربا الجلى المركب المخرب للبيوت ، لأن هذه المعاملة نافعة للعامل وصاحب المال معا ، وذلك الربا ضار بواحد بلا ذنب غير الاضطرار ، ونافع لآخر بلا عمل سوى القسوة والطمع ، فلا يمكن أن يكون حكمهما فى عدل الله واحدا » ـ ذلك نص ما قاله الأستاذ الامام . وكلام الامام . امام الكلام ، وخير معبر من سماحة الاسلام ..

الغزالى حرب من العلماء
ودبلوم الدراسات العليا

ثنائية اللغة هل تحققها « الاسبرانتو »

● اسمحوا لى لمناسبة ما جاء بحديث الشهر من عدد ديسمبر الماضى عن ثنائية اللغة ، وتشديدكم على وجوب هذه الثنائية ، أن ابدى رأيا فى تحديدكم احدى اللغات الوطنية كالانجليزية او الفرنسية او الالمانية أو حتى الروسية . فانتم لا شك تدركون ما يعنى تعلم احدى هذه اللغات أو لغة اخرى من اللغات الوطنية ، وكلها بدون استثناء تعج بالشواذ فى قواعدها ، وهذا يضاعف المجهود فى تعلمها ،والوقت اللازم حتى لمجرد معرفتها معرفة سطحية .

ولكن فى عام ١٨٤٩ ظهر فى عالمنا رسول برسالة انسانية،اذ فكر فى وضع أسس لغة دولية لا بد انكم سمعتم بها ، وقد سبقه الى التفكير فى هذا الشان كثير من العلماء ، ولكن «الاسبرانتو» ولدت كاملة. وحتى يومنا هذا لم تستطع اى لغة قومية او مخترعة ان تتحدى بساطة لغة الاسبرانتو وسهولتها الاعجازية . فان قواعد هذه اللغة يمكن للشخص العادى الذكاء ان يتقنها فى ربع ساعة لا اكثر ـ بعدها يسهل اتقان اللغة فى اقل من عشر الوقت اللازم لاتقان اى لغة قومية ـ ولو ادركنا ان قواعد اللغات القومية هي اصعب ما فيها لعرفنا لأول وهلة مبلغ ما ستوفره لغة الاسبرانتو من الجهود.

الا ترون معي ان تشجيع لغة كهذه والعمل على

(البقية على صفحة ١٤٢)

رئيس التحرير يتحدث عن :

الديمقراطية

حكم الناس بالناس

الديمقراطية في موطنها الأول :

ازدهرت
ثم صوحت
ثم ماتت ودفنت
وظلت في قبرها ١٥ قرنا
ثم بعثت في العصور الحديثة خلقا جديدا

هذا رجل يسير فى الناس ، عليه مهابة ، وتعلوه أبهة ، وحوله الجند ، ومع الجند السلاح . وهو يطرق المدن ، ويجوس البرارى . ويقف له القاعدون ، ويطاطىء له الجباه الواقفون ، واذا اقترب احد منه للسلام اقترب على حذر ، واذا قال ، قال على خشية . وهذا الواقف ، وهذا المطاطىء الراس ، وهذا المقترب على خشية للسلام ، انما هم بعض الرعية .

حكم الفرد أو الأوتقراطية

هذا الرجل هو الحاكم الفرد . مشيئته حكم ، ورأيه قانون ، وكل ما يصنع على الجد واللهو ، وعلى السكر والصحو ، عدل .

والرعية هذه تكون بضع عشرات من الألوف ، أو بضع مئات ، أو هى قطر كبير ، تقسم فكان فيه لهذا الراعى مثله ، ونيابة عنه ، رعاة .

وتفرض المكوس على الأرض فرضا ، وهى حق هذا الرجل الحاكم الفرد . وكانت له أسماء عدة والقاب ولكنى لست مسميه أكثر من «الحاكم الفرد» .

وهو قد يمر فيفتنه وجه جميل ، أو يقع من نفسه قوام لدن كفرع الشجرة غض ، فهو يميل . فهذه الفتاة له ، هى فى ملكه ، فهى بعض أشيائه .

فهذا هو وصف قصير لحكم الفرد الذى كان قبل ان تهل على الانسان شعاعات الديمقراطية الأولى .

هكذا كان حكم السومريين ، وحكم

كان التقليد فى أثينا ، فى عصرها الذهبى ، انه اذا بلغ التنافس بين زعيمين مبلغا خطرا ، وجب نفى أحدهما ، بالاقتراع العام . وهذا فلاح أثينى يطلب من هذا الأثينى المثقف ان يكتب له صوته ليدلى به عند التصويت ،وذلك بنفى «ارستيدس» احد الزعيمين المتنافسين . وسأله الرجل : ماذا صنع ارستيدس بك ؟ قال : لا شىء . وانما كرهت أن اسمع مرارا وتكرارا انه العادل العادل العادل . وكان الرجل المثقف هو « ارستيدس » العظيم نفسه .

الحاكم الفرد عجز عن استيعاب أمور الف ، هى صوالح الشعب . وينتدب لها . وما ينتدب الفرد المستبد الا فردا مستبدا ، فيكثر الاستبداد ، وينتشر ويتوزع ويتنوع .

حكم الأليجَرْشيَّة

ثم تنطوى هذه العهود القديمة ، عهود الرجل الفرد المستبد،المنتشرة فى الأرض. ويسارع الناس ، فى كل ركن ، الى اصلاح الحال ، باحلال حكم الجماعة محل حكم الواحد . وما الجماعات فى تلك العصور القديمة البالية الا القبائل ، والا الأسر . فتطوّر الحكم الى حكم رؤساء قبائل ورؤساء اسر،ومن وراء كلٌ رجاله. وقد يحسون ان الزمام لا بد أن يكون فى يد واحدة،خشيةَ أن تتعدد الأزمّة ،فتتعدّد الاتجاهات ، وتتبعثر العربة ، أو هى لا تتحرك فتقف مكانها الى الابد . وعندئذ يرتضون أكبر الرؤساء فيهم ملكا ، ملكا لا يحكم حكم الفرد المستبد ، ولكن يحكم وعنده راى القبائل ، او راى الأسر .

فهذا نوع من الحكم،متأخر على النوع الاول ، نوع الحاكم الفرد المستبد الذى كان شائعا فى أمم الأرض والتاريخ ضباب، وحتى من بعد ما انقشع الضباب وعرفنا من احوال الامم اكثر ما عرفنا .

وتسبقُ الأمم الى هذا النمط من الحكم ، وبعضٌ يتأخر .

واسموا هذا الحكم « بالأليجَرْشيَّة

البابليين والأشوريين . وحكم قدماء المصريين .

وقالوا انه فى مصر كان حكم الفراعنة، ولم يكن فى الارض كلها الا فراعنة ،فراعنة صغيرة ، وفراعنة كبيرة .

وسمى المؤرخون المتأخرون ، هذا الحكم الذى كان فى المتقدمين ، بالحكم الأوتقراطى ، اى حكم الواحد ، حكم الفرد . واصطلاحا هو عند مؤرخى الغرب « الأتوقراطية » . والأوتو معناه الواحد .

وليس معنى هذا أن حكم الفرد كان دائما حكم الطاغية . كان فى القليل الأقل حكما صالحا ، نوعا ما ، وكان فى الكثير الأكثر حكم الطغاة . انه الاستبداد فى الرأى ، والراى المستبد ، ان جنح الى الخير مرة واحدة ، جنح الى الشر مرارا الفا . فهذه طبيعة البشر : أنانية بالفرد ، وسكر بالخمر ، خمر السلطان ، وهى عند

Oligarchy » ، ومعناها حكم القِلَّة. فهو حكم القلة من الناس ، للكثرة من الناس . وعنوا بالقلة هنا رؤساء القبائل والأسر . وعنوا بهم الرؤساء ذوى المال ، لا سيما الذى جاء ارثا .

وهذا النوع من الحكم كان اكثر شعبيّة من النوع الفردى ، لاتساع قاعدة الحكم ، فبعد أن كان قائما على قاعدة من رجل واحد ـ حوله انصار ـ اصبح قائما على قاعدة هي بعض الشعب .

وهو حكم صلح حينا ، وفسد حينا . وكان على كل حال دورا من ادوار التطور .

الديمقــراطية

وقضى التطور بأن لا تظل الحال على هذا المنوال . كان لا بد لهذه القاعدة أن تتسع . ولقد اتسعت احيانا حتى كان الشعب كله هو هذه القاعدة . فهذه اسموها الديمقراطية ، اى حكم الناس بالناس. الديمقراطية كما عرفها القدماء. كما عرفها الاقدمون لا كما عرفها الأحدثون .

الفاظ اعجمية

ولقد ذكرنا الأوتقراطية، والألجرشية والديمقراطية .

ولابد انك ادركت ان هذه جميعا الفاظٌ اعجمية .

انها الفاظ اغريقية . الفاظ يونانية اصطنعها الاغريق الذين يسمون اليوم باليونان ، منذ أكثر من الفين من السنين، ومع هذا بقيت معنا ، حية فى لغاتنا ،الى اليوم .

ذلك لأن الاغريق هم أول من عرفنا من قبيل الناس الذين عَنُوا أول ما عنوا بأمر الحكم ، ونظمه . ثم هم جرّبوه ، ثم هم حينا نجحوا فيه وحينا أخفقوا فيه . ثم كان لهم من أهل الفكر من استطاعوا ان يفكروا ، ويدبروا ويختبروا فى شئون الناس ، خبرةً من بعد خبرة ، حَفِظَ الدهر ما كان فيها ، فنزلتْ الينا عَبْرَ القرون ، منها الكلام المخطوب ، ومنها المكتوب ، ومنها المروىُّ جيلا عن جيل .

مدائن ، ولكنها دول

كانت بلاد اليونان ، فى تلك العصور الخوالى ، البعيدة ، تتالف من مدائن، وكانت كل مدينة دولة، لها السلطة وحدها على نفسها ولها استقلال . مدينة حولها من الريف ما يُطعم ويكسى ، ويمدُّها بخامات الحياة ، ويعين فى حرب ان كانت حرب ومن اجل هذا عرفت المدائن بالدول المدائنية . كانت المدينة وما حولها من ريف دولة كاملة السلطان .

وكان من أكبرها ، وامثلها ، واكثرها سطوعا فى التاريخ ، واكثرها ذكرا عليه الى اليوم ، بما نزل الينا من آثارها ، ومذخور افكارها : اثينا .

واثينا القديمة هي البلد الذى جرَّب الحكم الاوتقراطى ، فالحكم الألجرشى ، فالحكم الديمقراطي ، هكذا على التوالى ، تقريبا ، وهي هى التى اصطنعت لصنوف الحكم هذه الأسماء .

وما صار من حكم ، ونظم حكم ، آخر الأمر ، فى أوروبا ، وفى امريكا ، فى قروننا هذه الحديثة ، انما نبتت جذوره الأولى فى تربة اثينا ، وتربة اسْبَرطَة ومسِّينا، والبضع عشرة من الدول المدائن التى كانت احتوتها أرض اليونان على ما نعرفها اليوم ، وتلك المدن الاغريقية الأخرى ، الواقعة على سواحل آسيا الصغرى ، فى الجانب الآخر من بحر ايجه .

وطنٌ اغريقى واحد ، امتد شرقا ، وامتد غربا . لغة واحدة، وعادات واحدة ، ومع هذا ظل ممزّقا طوال السنين ، دولا مدائن ، ثم فاض عليها الزمان فأغرقها آخر الدهر ، ثم انكشف الفيض عن أمة واحدة جديدة وشكل من الحكم جديد .

وما كان « آخر الدهر » . كان آخر دهرهم هم . اما هو فهو لنا ، أول الدهر، ذلك أننا نتحدث عن بلاد اليونان ، تلك التى اسماها العرب بلاد الروم ، فى تلك البضعة من القرون التى سبقت ميلاد المسيح ،والتى سبقت الاسلام ، فوق

خريطة بلاد اليونان فيما قبل الميلاد . وهى تبين تقسمها الى « بلاد مدائن » ، من اشهرها أثينـا ، واسبرطـة ، ومسينا . وبهـا كذلك المدن الاغريقيـة التى نشأت على سـواحل ما نسميه اليوم آسـية الصغرى .

الذى سبقت به المسيحية ، بستة قرون أخرى .

لم يكن عندهم وحى يَهدى

ولم يكن عندهم دين كالذى عرفنا من معانى الاديان . كان عندهم عدة من اساطير . ولم يكـن عندهم اله واحد ، وانما عدة من آلهة ، سكنت « الأولمب » . وتهبط الى الارض لتمشى بين الناس احيانا ، لتنصر العدل أحيانا ، وتسىء اليه أحيانا . وكان لها ما للناس من كراهة وحب ، وحلم وغضب. وكان من هذه الآلهة من يرعى الجمال ، ومنها من يرعى الفن ، ومنها من يرعى الزرع ، ومنها مـن يرعى العدل ، ومنها من يرعى الظلم ، وتمثل فيهم الخير والشر جميعا ، وتمثلت الأهواء .

ولم يتنزّل على الأغارقة من هذه الآلهة وحىٌ يَهدى ، فكان عليهم أن يعتمدوا على الفكر ، وعلى الفكر وحده ، فى تصريف الأمور ، وتدبير السبيل ، وابتداع أسلوب الحياة الذى هو بهم أقمن، وبالذى منحتهم اياه الطبيعة أوفق .

جبابرة الفكر

ونشأ فيهم من أهـل الفـكر أقوامٌ يُعدُّون الى اليوم فى عالم الفكر جبابرة . نشأ فيهم سقراط ، ونشأ أفلاطـون ، ونشأ أرسطو ، وكفى بالثلاثة اعلاما ثلاثة لا يزالون يعيشون بيننا بما كتبوا ، وبما سطّروا ، وبما فكروا .

ومن أروع ما انتج الفكر الحر ، فى تلك الأيام الخوالى ، نُظُم الحكم التى كانت بدعا فى تاريخ الانسان ، من ديمقراطية ، الى جمهورية ، الى شيوعية . أسـماء نحسبها جديدة فينا ، وهى قديمة قدم الاغريق وفلاسفة الاغريق .

وليس عليهم ان تكون أخفقت ، وليس لهم أن تكون قد نجحت . انما هى أشكال من نظم مرّ فيها عيش الانسان على هذه الارض . وهى محاولات من محـاولات كثيرة أخرى طلب بهـا الانسان العيش الرغد ، فى ظل السلام ، وظل العدل ، ولا يزال يطلب .

أثينا ، فى عهد الديمقراطية

واذا قلنا عهد أثينا الديمقراطى ، فقد قلنا عهدها الذهبى .

كانت أثينا فى نحو العام ٥٠٠ قبـل الميلاد قد تخلصت كل التخلص من عهودها

الأوتقراطية، وعهودها الالجرشية ،وصار الحكم كله بيد الشعب كله .

كانت أثينا الدولة المدينة ، تتألف من احرار ، ومن عبيد ، ومن فئة ثالثة ،لو أننا اردنا ان نسميها باسم المثيل العربي لها ، لقلنا الموالي . انهم العبيد من بعد اعتاق . ولم يكن يعدّ أثينيا الا الاحرار، وقيل انهم كانوا الثلث من السكان،وقيل غير ذلك . كانوا قلة على كل حال .

وكان للاحرار وحدهم الثقافة والفكر، وكان عليهم وحدهم الحرب . وكان لهم الفراغ . وكانوا هم وحدهم الناس في معنى الديمقراطية،حكم الناس بالناس.

« بركليس » ، رائد أثينا في عصرها الذهبي الديمقراطي . وقد انتخبه الاثينيون سنويا ثلاثين مرة اى مدى ٣٠ عاما . واعلنت اسْبَرْطَة وحلفاؤها الحرب على أثينا ، فحشد بركليس كل الاثينيين في المدينة، فانتشر بينهم الطاعون . فعزله الاثينيون ، في نزوة خرقاء . ولكنهم كفّروا عن ذلك بإعادته الى زعامته اقوى ما كان. ولكنه مات بالطاعون عقب ذلك .

اما سائر الخلق بالمدينة فكانوا بمعزل عن كل شيء.في أيديهم الحرف، ومن طاقة عضلاتهم يخرج الانتاج . اما الحكم ، واما القانون والعدل،فلم يكن من شأنهم، واما تسيير امور الدولة فلم يدخل شيء منه الى حظيرتهم .

كانت ديمقراطية اذن محدودة. كانت ديمقراطية الأثينيين وحدهم ،ديمقراطية الأحرار .

وكان الرق فيهم شيئا عاديا طبيعيا ، كطلوع الشمس وغروبها.حتى الفلاسفة، كارسطو ، لم يجدوا فيه موضعا لنقد .

كانت ديمقراطية محدودة من حيث انها في الأحرار دون العبيد والموالي ، ولكنها كانت غير محدودة ، بل منتشرة اكبر انتشار بين الأحرار حتى تضمّنتهم جميعا . لا بد لكل فرد منهم نصيب فيها، نصيب مباشر ، ولو ان يكون عضوا محلّفا بين محلّفين ، في محكمة للقضاء ، يدلي بصوت في قضية . ولكي يكون لكل نصيب ، حتى في هذا الأمر الصغير جعلوا المحلفين يختارون بالدور ، طائفة بعد طائفة . ولم يكن من الضروري ان يكون لهم بالقانون خبرة فيما يحكمون . كانوا يحكمون حكم الطبع (راع ان نظام المحلفين هذا باق في بعض الأمم ، كانجلترا ، الى اليوم) .

وكانت لهم مجالس ، اكبرها الجمعية العامة . وهي تجمع كل الأحرار !! وفيها يخطبون ، وفيها يناقشون كل قانون ، وكل تدبير ، وهل تكون حرب او سلام .

كانوا يكرهون ان ينفرد بالأمر واحد ، او تنفرد طائفة ، خشية السيطرة . اليست الديمقراطية حكم الناس بالناس؟ فها نحن الناس نحضر جميعا ، وندلي بالراي جميعا ، ونحكم جميعا !!

وحذرت الجمعية العامة اكبر الحذر من ان يطول لرجل ، يمسك بزمام من ازمة الحكم ، زمانه . سنة واحدة ، ثم هي تبدله . وتختار لبعض المناصب من تختار ، بالتصويت لها . فان كانت مناصب عشرة ، اختارت لها بالتصويت عشرين رجلا . ثم تقوم القرعة ، لتختار العشرة من العشرين . فمن يدري ،فلعل الفساد دخل الى هذه الأصوات ، عن تخطيط ، او دخل بتأثير خفي والناس لا يدرون .

والجيش،لم يجعلوا له رئيسا واحدا ، بل جعلوا له من « القواد » عشرة ، حتى يتوزع السلطان . وتقسم بينهم السلطات ، اقساما متساوية ، فلا رئيس بينهم ولا مرؤوس ، خشية ان ينفرد واحد فيستبد .

بركليس

ومع هذا فهم ان وثقوا برجل اختاروه

عاما من بعد عام . فكذلك هم فعلوا فى الرجل العظيم ، بركليس Pericles اختاروه ثلاثين مرة، لثلاثين عاما . وثقوا به ، ولكنهم لم يعطوه ابدا ، حتى من بعد تجربة ، الحكم مدى الحياة .

ومع هذا فهو كان واحدا ، «جنرالا» من بين عشرة ، ساس امورهم فى الداخل، وساسها فى الخارج ، وحملهم فى عهدهم الذهبى ، الديمقراطى ، فى القرن الخامس قبل الميلاد ، الى قمة هذا العهد .

اعطوه الثقة ، فأعطاهم الخير كله ، من جهد ، ومن نفس ، ومن قلب .

وعَنِي أول ما عنى بالرجل الفقير ، وكان هو الغنى ، وكان هو الثرى ، وكان من الأسَر الأثينيّة فى اعرق اسرة .

اعطى الاثينىّ الفقير الكفاية من طعام ، والكفاية من لباس ، والكفاية من عدل .

واعطاه الفن ، فهو الذى رعى الجبل الأثينى المشهور بالأكروبول Acropolis فأقام عليه اجمل المعابد وزانها بأجمل التماثيل ، وجعلها من الجمال والبهاء فوق ما كان عند أثرياء اثينا واغنيائهم،فى بيوتهم ، من جمال وبهاء . وفتح ابوابها جميعا للفقراء . وفتح لهم دور التمثيل ودور الموسيقى ، واعطاهم التذاكر بالمجان . ليدخلوا ، لتتزود ارواحهم بالغذاء الروحى ، كما تزودت أجسامهم بالطعام المادى . وشغلهم الكسب عن حضورها، فدفع لهم الأجور حتى يفرغوا فيحضروها .

وفى رعايته أنتج المثال الشهير،فدياس Phidias ما أنتج ، وفى رعايته اخرج كاتب الدراما العظيم،سوفكليس Sophocles من روائع القصص التمثيلى ما أخرج .

واتهمه من اتهم بالسرف ، فقال : ان كان سرفا ، فقد انفقته فى سبيل خير الفرد ، وفى رفع اثينا الى المجد .

كل هذا صنعه هذا الراعى ، الديمقراطى ، الذى كانت تنتخبه كل عام رعيته الديمقراطية .

صورة زيتية لأثينا فى عصرها الذهبى الديمقراطى. انظر الى جبل الاكروبول الشهير فى الجزء الخلفى من الصورة ، وعليه البرثينون وسائر المعابد . وفى المقدمة أم تمشى على الطريق المبلط بالحجر ، ومع صغرى بناتها عروس اشترتها من البائع القاعد على الطريق . انظر كذلك الى الماء ينصب من النافورة لطالبيه .

وجعل لأثينا فى قلوب هذه الرعية الحب الأول . وما كان يبلغ حب فرد لأمته اكثر من حب الأثينىّ لها ، لان هذه الديمقراطية جعلت الفرد يحس بأنها له ، وانه لها . الم يشترك فى صنع قوانينها ؟ الم يشترك فى اختيار قضاتها؟ الم يحضر بنفسه ذلك المجتمع الحر الذى كان يناقش فيه امرها ويدلى ببعض رأى فيه وفيها .

وتألب على أثينا آخر الأمر من كان حولها من دول مدائن،اغريقية . وتزعّمت اسبرطة ، الحرب تشنها عليها وسقطت الضحايا . وقام بركليس الخطيب على الضحايا يرثيهم ، ويمجّدهم . ويمجد

حبيبة الكل اثينا . قال فى خطبته الجنائزية الشهيرة :

« بين كل المدائن ، تفردت أثينة" بالمجد . وحقيقتها ارتفعت فوق سمعتها وشهرتها . وهى ليست بحاجة الى شاعر يغنّى بمدحها . ففى كل ارض ، وفى كل بحر ، أثر" من محمود آثارها . وهى لا تسعى لفضح أعدائها عند النصر ، واهلها يفخرون كل الفخر بأنهم منها ، وهم يقبلون حكمها طائعين » .

وعن الموتى فى الحرب قال :

« والذين يموتون ، حبا بأثينا ، لا يموتون عبثا . وموتهم حادث لا يذكر اذا ذكرت الكاره والشرور» .

عهد ذهبى لم يدم طويلا

فهذه ديمقراطية اثينا . وهذا عهدها الذهبى . عهد قصير . طال قرنا أوبعض قرن . ولكل اجل كتاب .

لقد ايقظ مجدها حسد اعدائها . وتكاثروا عليها ، فكان فى هذا على الديمقراطية القضاء . حاصرها الأعداء من خارج الأسوار ، وحشر بركليس كل اهلها حشرا داخل الأسوار ، فنشأ فيهم الطاعون ، ولم يرحم .

وبالطاعون مات بركليس .

صفحة انطوت من صفحات تجارب الانسان ، بغية تحقيق العدالة مع الرفاهية ، فى جو من الفكر الطليق والحرية .

وهى صفحة تضمنت النوع الأول من الديمقراطية ، والصنف الأقدم .

وهى ديمقراطية ، ككل الأشياء والأشكال الفانية ، تضمنت أسباب فنائها ، غيرَ حسد الاعداء وغير الاعتداء يجيئها من خارجها .

وكان من اسباب فنائها انها لم تعمّ . ثلث السكان احرار ، وسائرهم عبيد او موال او اجانب .

وكان من أسبابها انها خشيت استبداد الفرد بها خشية غلبت على صوالح الدولة . حتى القرعة ادخلوها فى اختيار الصالحين .

وكان من اسبابها انها ديمقراطية مباشرة ، لا بالواسطة . ديمقراطية لم تعرف التمثيل ولا الانتخاب ولا النواب . كل الامة نواب . لم تعرف ان تختار الرجال ليتفرغوا لسياسة أمورها ،وتدع السواد لاجراء العيش وكسب الحياة .

وكان من جراء ذلك أن التخصص لم يكن هدفها . فكل من هبّ محلّف . وكل من هَبّ قاض . وكل من وثقوا بها رجلا مخلصا طيبا فهو حاكم ، ولو لم يدر من الحكم قليلا أو كثيرا .

وجاء على هذه الديمقراطية ، من بعد الحروب اليونانية ، جيش عرمرم من بلاد مقدون . واجتاح فيلبس Philips المقدونى اثينا وسائر اليونان . وجاء من بعده ولده الاسكندر الاكبر فاجتاح من بعد اليونان الدنيا .

دُفنت الديمقراطية ، ثم بُعثت ، خلقا جديدا

ودفنت الديمقراطية ، الديمقراطية الأولى ، مع المدينة الاثينية . وظلا فى هذا القبر معا قرونا طويلة ، تعاقبت فيها على الأرض الأمم ، وتبدلت وتغيرت المذاهب والنحل . ثم جاءت العصور الأحدث فقام اهلها الى هذا القبر ينبشون . فاخرجوا اثينا . اخرجوها قصة تروَى . واخرجوا معها الديمقراطية . وكان للديمقراطية ، فى انجلترا فى القرن الثالث عشر فما بعده ، شأن ، وكان لفرنسا بالثورة الفرنسية وللولايات المتحدة فى حرب استقلالها شأن ، وذلك فى القرن الثامن عشر . ثم فى سائر امم اوروبا ، وكان للديمقراطية ، حكم الناس بالناس ، حياة جديدة ، بعث جديد ، فى شكل واشكال جديدة .

تغيرت ملامحَ عند البعث .

وكان اكبر ما تغير فيها ان هذه الديمقراطية الجديدة كانت ديمقراطية بالتمثيل والانتخاب ، فلم يكن بمستطاع ان تجتمع كل هذه الأمم الكبيرة ، وهى ملايين ، فى جمعية عامة ، كجمعية اثينا ، المدينة الدولة ، لتباشر الحكم بنفسها ، اجمالا وتفصيلا .

ويمضى الزمان فتتولد فى القرن

الديمقراطية فى الكويت : خطت الكويت احدث خطواتها فى تطورها السريع : فبعد قفزات باهرة فى العمران ونشر التعليم وانشاء المستشفيات ، وبعد اعلان استقلالها دولة ذات سيادة ، بعد هذا طرقت باب الديمقراطية لتنظيم هذه السيادة ، فكان ان قررت انشاء جمعية تاسيسية تصنع دستور البلاد . وجرى الانتخاب لاعضاء هذه الجمعية عند مطلع هذا العام الميلادى . وهذه صورة ناخب يضع صوته فى الصندوق، ننشرها تسجيلا لهذا الحدث الكبير .

العشرين ، قرننا هذا الحاضر ، صنوف من الحكم ، يناقض بعضها بعضا ، وكلٌ يسمى ما عنده بالديمقراطية ، حكم الناس بالناس .

وكلٌ يدّعى حباً لليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكَ

ويقف الناس من كل هذه الاسماء حيارى .

صارت الديمقراطية عباءة كبيرة جميلة ، واقية ، رضيها اليوم حكام الارض لباسا ، من احمر المزاج الى ازرقه .

ويقف الرجل ، ذو الفكر الحر ، من بعيد ، الرجل الذى ليس له فى الثور او الطحين ،يقف يسائل نفسه : ليت شعرى ما الصحيح ؟

على ان الخبرة الانسانيةلاتزال جارية وقد اختلفت فى بقاع من الارض كثيرة . وبصرف النظر عن الوسائل ، نحن نحمد الغاية ماكانت اسداء الخير الى كل الناس، فرصا للعمل واحسانه متساوية، واقساما من ثمرات العيش متقاربة ، ان اختلفت فعلى قدر الجهد المبذول والعرق المصبوب الا ان يكون عجز ، او يكون مرض ، او تكون شيخوخة ، فهذه تكفلها الدولة بحسبانها اما راعية ، تدفع عن ابنائها جميعا ، نكبات الزمان .

احمد زكى

تجربة الحرية .. في :

طبيعة التقدم الثوري في بناء الأمم قد تتطلب الحد من بعض الحريات

لكنه حد موقوت لابد أن ينتهي يوما ببلوغ الأمم أهدافها وتحقيق مالها من غايات

بقلم : الدكتور منيف الرزاز

■ الحرية التي نعني في هذا الحديث هي الحرية السياسية ، تلك التي اتخذت في عصرنا هذا شكلين محددين من اشكال التعبير ، اولهما حرية الفكر كما تبدو في حرية ابداء الراي ، خطابة وصحافة واذاعة ، وتكتلا وعملا ، في المنظمات الشعبية بجميع اشكالها . وثانيهما نظام الحكم الديموقراطي كما يبدو في مجالس نيابية وبلدية تنتخب انتخابا مباشرا حرا من الشعب وتكون سلطات الدولة مسؤولة امامها .

ولا ريب في ان الحرية بهذا المعنى تواجه في كل بلدان آسيا وافريقيا ازمة جادة عنيفة هي بالنسبة لها ازمة وجود وازمة قيمة . وان جميع بلدان هاتين القارتين تواجه هذه الأزمة سواء منها تلك التي استقلت حديثا بعد نضال مع الاستعمار طال او قصر – وهي التي سيقتصر حديثنا عليها – وتلك التي لم يطأ الاستعمار ارضها مباشرة ، وانما اقتصر على ان يفرض عليها نفوذه القوي . واقول جميع هذه البلدان وانا ادرك ان بعضها يواجه هذه الأزمة أكثر من بعضها الآخر ، وان بعضها قد فقد مظاهر الحرية فقدانا تاما او يكاد ، بينما ما يزال بعضها الآخر يبذل جهده للابقاء عليها ما امكنه ذلك . ولكنني ادرك كذلك ان هذه الأزمة وان اختلفت حدة بين قطر وقطر فانها ازمة قائمة بالفعل في كل مكان من القارتين قياما حادا لا بد من مواجهته ، ومن دراسة اسبابه وعلاقاته ، وتوقع نتائجه ، وايجاد الحلول المناسبة له .

بلدان متخلفة مستقلة

واذا كانت المشكلة عامة بهذا الشكل فلا يجوز ان نرجع اسبابها الى عوامل محلية تختص بقطر دون قطر ، او ان نحمل مسؤوليتها لشخص دون شخص ، او ان نربط بينها وبين احداث عابرة قد تؤثر على قطر ولا تؤثر على آخر .

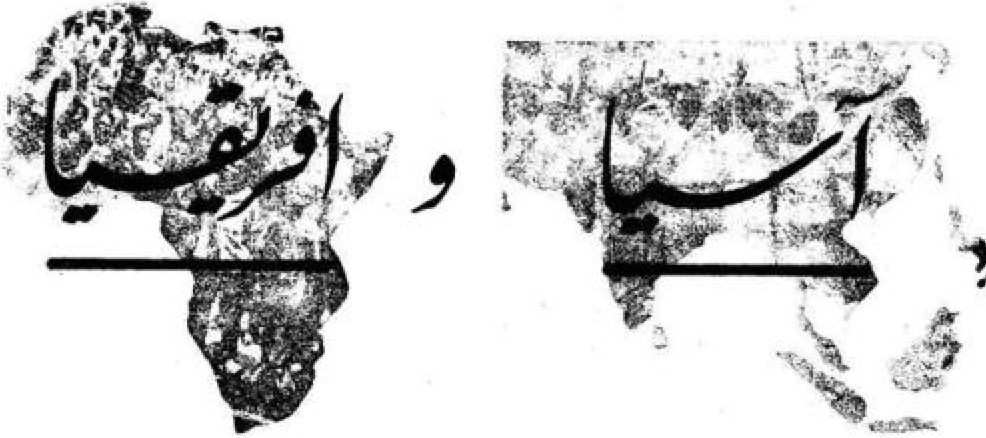

بل ان شمول المشكلة لهذه الأقطار المترامية الأطراف لا بد ان تكون أسبابه فى عوامل تشترك فيها هذه الأقطار جميعا فى كثير او قليل ، والا لما انتهت الى أن تلتقى فى تيار تاريخى واحد لا يمكن ان يكون نتيجة صدفة عابرة .

ولعل أخص ما تشترك به هذه الأقطار خاصتان اساسيتان :

اولاهما انها قد تخلصت من الاستعمار حديثا وحصلت على استقلالها منذ امد ليس بالبعيد ، وانها ناضلت فى سبيل الحصول على هذا الاستقلال نضالا شاقا وعميقا وجماهيريا ، وانها ما تزال ، على رغم استقلالها ، مطمح هدف او نفوذ او قاعدة عسكرية او امتياز اقتصادى من هذه الدول التى جلت عنها .

وثانيتهما انها جميعا ما تزال بلادا متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وعلميا . وان دخولها مرحلة الاستقلال انما تم وهي تنوء تحت تراث ضخم من الجهل والفقر وسوء التوزيع والاستغلال والرجعية ووسائل الانتاج البدائية ، التى ورثتها جميعا ، اما من عهد الاستعمار نفسه،واما من عصور أقدم منه. وانها كان عليها ان تواجه ركب الحضارة الحديث وان تواكبه وتنضم اليه بالرغم من هذا التراث الذي يعيقها أشد اعاقة .

فهل ثمة ما يتصل بهاتين الخاصتين مما له أثر فى نشوء هذه الأزمة وشمولها لكل هذه الأقطار ؟

تبرير

اما المعلقون الذين يكتفون بالنظرة العابرة ولا يريدون ان ينفذوا الى اكثر من السطح فيبررون وجود هذه الأزمة بأن شعوب هذه الأقطار انما تخلت عن الحرية بعد الاستقلال بسهولة تامة ، لأن هذه الشعوب قد رضخت للحكم المطلق أزمانا طويلة حتى تعودت عليه وأصبح جزءا من حياتها وتقاليدها ، ولم تعد الحرية ، كما يفهمها الغرب الديموقراطى ، مطلبا من مطالب شعب لم يمارسها ولم يعش فى ظلها ويتمتع بخيراتها .

ولقد كان من الممكن أن يكون هذا التفسير أو التبرير صحيحا لو ان هذه الشعوب لم تخض معارك النضال المرير ضد الاستعمار وضد كل ما يوافق الاستعمار من سلطة مطلقة وطغيان وكبت للحريات ، ولم تجعل من المطالبة بالدستور وبالحريات وبالانتخابات الشعبية عنوان حركتها المرادف والمساوى فى الأهمية لمطالبتها بالاستقلال ذاته ، حتى أصبح النضال من أجل

الحرية صنو النضال من أجل الاستقلال بل كانا في الواقع نضالا واحدا .

أو ليست المطالبة بالدستور الشعبي والانتخابات الشعبية شعار الحركات الاستقلالية القائمة الآن فعلا في بلدان افريقيا التي لم تحصل على استقلالها بعد ؟

ان هذا الارتباط الكامل بين حركات النضال من أجل «التحرر» او الاستقلال وبين حركات النضال من أجل «الحرية» قد خلق في هذه الشعوب اندفاعا نحو الحرية وتمسكا بها كان لا بد أن يعوض عن انعدام التراث التاريخي العميق الجذور للحرية الديمقراطية ، وأن يحل عامل النضال الثوري في هذا المجال محل عامل الارث التاريخي .

مثل هذا التفسير قد يصح في بلاد لم يطأ ارضها الاستعمار المباشر ، أو هو مر عليها مرورا عابرا فلم يتح لأهلها النضال الطويل ، فبقيت على استقلالها الرجعي الاقطاعي البدائي .

ان الشعوب التي رزحت تحت نظام الاقطاع قرونا طويلة حتى تعود عليها وتعودت عليه ، لم تعد تقبل ان تستمر في الرضوخ لأنظمة هذا الاستغلال الجائر بعد أن عبأ قواها الثورية النضال ضد الاستعمار . ولم تحل عبوديتها الطويلة لهذا النوع من الاستغلال دون ثورتها عليه حين اطلق الكفاح قواها الثورية الكامنة .

فالعبودية الطويلة للحكم المطلق لا يمكن أن تكون السبب في هذه الأزمة التي نشاهدها في طول هذه البلاد وعرضها . بل لا بد ان يكون ثمة أسباب اكثر عمقا من ذلك . ويمكننا في رأيي أن نرجع أسباب هذه الأزمة الى اصول ثلاثة :

تناقض في أوجه الحياة

واول هذه الأصول ان تجربة الحرية السياسية كما بدت في الحكم النيابي في بدء عهود الاستقلال كانت تجربة فاشلة في معظم هذه الأقطار . وسبب فشلها يرجع الى ان واقع الحرية السياسية ، التي ضمنها الدستور وحقق مظاهرها، لم يكن ينسجم مع واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية السائدة . فبينما تمثل الحياة النيابية أعلى مراتب الحرية السياسية ، يمثل الاقطاع والزعامات المتصلة به ادنى مراتب الرجعية الاجتماعية ووسائل الانتاج البدائية والعبودية الاقتصادية .

فطبيعة النضال القومي أيام الاستعمار ، ولا سيما في ظل الاستعمار المباشر ، تجمع جميع طبقات الشعب في الحركة القومية الوطنية . ولا يبقى خارجها الا نفر ضئيل ممن ربطوا مصائرهم بمصير الاستعمار نفسه . وطبيعة هذا النضال الجامع ، في بلاد يسودها الاقطاع والزعامات العائلية والطائفية والعشائرية ، أن يتولى زعامته ، زعامة هذا النضال ، زعماء البلاد التقليديون أنفسهم ، من حكام الاقطاع ، وأصحاب العائلات ، وزعماء الطوائف ، ثم ان يتولوا هم أنفسهم ، مقاليد الحكم بعد الحصول على الاستقلال .

ولكن طبيعة حتمية التقدم الثوري السريع في بناء الأمة ، في شعب متأخر اقتصاديا واجتماعيا ، بعد الاستقلال ، ولا سيما حين تنطلق قواه الثورية انطلاقا اصيلا بفعل النضال ، تقضي بالبدء في القضاء على نظم الاقطاع وسائر

النظم العشائرية والطائفية الملحقة به ، وعلى طرق الانتاج البدائية التى هى من صلب هذه النظم وكيانها ، لانها جميعا عقبات أساسية فى طريق هذا التقدم .

فلا مفر اذن فى أول العهد بالاستقلال من أن ينشأ ثمة تناقض كبير بين متطلبات التقدم ، الذى فرض نفسه فرضا على البلاد ، فى جو الاستقلال الجديد ، وبين مصالح زعماء حركة الاستقلال الذين ، هم هم ، القائمون على الحكم الوطنى المستحدث . فاذا كان دور هؤلاء الزعماء الاقطاعيين ، فى عهد النضال القومى من أجل الاستقلال ، يقضى بتزعمهم الحركات القومية ، فان دورهم فى عهد الاستقلال يقضى باقامة العثرات المتواصلة أمام تيار التقدم الجديد الذى تتطلبه قوى الشعب المنطلقة والذى يهدد أول ما يهدد المصالح الموروثة لهؤلاء الاقطاعيين وامتيازاتهم الخاصة التى تقف حجر عثرة فى سبيل هذا التيار البناء التقدمى الجديد .

هذا التناقض يبدأ يسيرا أول الأمر ، ثم ما يفتأ يشتد ، ويضطر الزعماء الى استعمال الرشوة والمحسوبية ، والى افساد الحكم ، ثم الى تزوير الانتخابات، والى توزيع المنافع الاقتصادية على الانصار ، ثم الى الضغط على الحرية نفسها ، بل والى استعمال القوى المسلحة فى سبيل المحافظة على مصالحهم والحيلولة دون انطلاق القوى الشعبية التى تهدد هذه المصالح . وتمضى فترة، واذا بالبرلمان الذي هو ناطق باسم الشعب يتحول ليكون السلطة الفاسدة التى تتحكم بالشعب . واذا بالحرية ، متمثلة بالنظام البرلمانى ، تتحول لتصبح ثوبا قشيبا من مظاهر الحرية فحسب ، بستر دكتاتورية مصالح الاقطاع والزعامات التقليدية ، وتصبح الثورة على هذا الوضع احدى مستلزمات حركة المطالبة بالحرية نفسها .

وواضح ان هذا السخط الشعبى الناتج عن مثل هذا التناقض ليس سخطا على الحرية . والثورة على هذا الوضع الاقطاعى الدكتاتورى المتخذ لباس الحكم النيابى ليس ثورة على الحكم النيابى ، وانما هو سخط على تزوير الحرية ، وثورة من اجل تحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى الى جانب الحرية السياسية، لتكون هذه اصدق تعبيرا عن مطالب الطبقات الشعبية واهدافها ، واكثر اتصالا بضرورات التقدم الحيوى من جميع نواحيه .

مؤثرات خارجية

واما السبب الثانى فمتصل اشد الاتصال بموقف الدول الكبرى من هذه الأمم الناشئة ، وبالحرب الباردة الساخنة الدائرة بينها على اقتسام مناطق النفوذ فى العالم ، وبمحاولتها استغلال هذا التناقض الداخلى المحض الذى ذكرناه الى جانبها ، وتحويله الى مصالحها .

فالاستعمار الذى اضطر فى معظم الأحيان الى منح هذه الاقطار استقلالها اضطرارا قسريا لا ارادة له فيه ، لم ينفض يده من هذه الاقطار نفضا تاما . وهو حين جلا عن البلاد ، ترك لنفسه فيها مصالح اقتصادية او عسكرية او سياسية لا يعدم اختراع الوسائل لمحاولة الاحتفاظ بها اطول مدة ممكنة . وهو يعلم ان بقاء

هذه المصالح رهن ببقاء الأوضاع كما تركها حين انسحابه ، وان عليه ان يقف ضد كل حركة تقدمية ترمى الى الانتقاض منها سيما وهى ، بطبيعتها ، عقبات رئيسية أمام كل تقدم . وهو من اجل ذلك ما ينى يستعمل كل الوسائل الممكنة للحفاظ على هذه المصالح ابتداء من الاحتجاج، ومرورا بالتهديد والرشوة والدعاية ، وتدبير المؤامرات ، وابدال حكومات بحكومات ، وانتهاء بالحرب المسلحة الحقيقية اذا اقتضى الأمر ذلك.

وفى الطرف الآخر من الحرب الباردة تقف قوة اخرى ذات عقيدة تريد ان تنشرها فى انحاء العالم ، بكل الوسائل الممكنة ايضا ، وذات مصالح تريد ان تفتح لها ابوابا كان الاستعمار قد اغلقها عليها اغلاقا محكما .

وفي غمرة هذا الصراع الداخلي بين دعاة التقدم الاقتصادى والاجتماعي وبين دعاة الرجعية والمحافظة،لايعدم الاستعمار ان يجد لنفسه حلفاء ، ولا تعدم الشيوعية الدولية ان تجد لنفسها حلفاء . واذا بهذه المعركة المحلية ، التي كانت محصورة بين ابناء الشعب الواحد ، تتحول لتصبح جزءا من الحرب الدولية الباردة ، واذا بدول العالم الكبرى تغذى هذا الصراع الطبيعي مستعملة كل الوسائل الممكنة لتحافظ على مصالحها ، او لتخلق لنفسها مصالح لم تكن لها ، مستغلة جو الحرية التي يجرى في ظلها هذا الصراع . وما يلبث ان تنتهي هذه الحرب الداخلية الخارجية بالقضاء على الحرية ، اما انتصارا لمصالح الاستعمار ، واما انتصارا لمصالح الشيوعية الدولية ، واما انقاذا للشعب من مؤامرات كليهما .

ضرورات التقدم الاقتصادى

على ان ثمة سببا ثالثا لازمة الحرية هذه لعله اعمق واصدق من السببين المذكورين ، واكثر تفسيرا للدكتاتورية فى كل انحاء العالم ، لا في اقطار آسيا وافريقيا فحسب . ذلك هو ضرورات التقدم الاقتصادى من مرحلة التخلف الى مرحلة الانطلاق . وفي رأى الفيلسوف الاقتصادي الكبير «روستوف» ان قدرا من الدكتاتورية لازمة من لوازم التقدم الاقتصادى السريع من مرحلة التخلف الى مرحلة الانطلاق ، وان لا سبيل الى قفزة اقتصادية جبارة سريعة الا بلون او بآخر من الدكتاتورية . وهو يعتقد ان دكتاتورية رجال البنوك في اوائل القرن العشرين في الولايات المتحدة، ودكتاتورية رجال الاقطاع التقدميين فى اليابان في اواخر القرن التاسع عشر ، ودكتاتورية التجار في بريطانيا فى القرن الثامن عشر ، ودكتاتورية بسمارك في المانيا ، ودكتاتورية قوميسيرى الشعب فى الاتحاد السوفييتي ، تهدف جميعا الى غاية واحدة هي تركيز قوى الانتاج واعطاؤها فرص النمو .

فالتقدم الاقتصادى في جميع انحاء العالم يسير بسرعة متسارعة . ولكن نقطة البداية في هذا التقدم مختلفة اشد الاختلاف ، كما ان سرعة التقدم متباينة كذلك اشد التباين . وكما ان نقطة البداية في البلدان المتقدمة ، متقدمة عن البلدان المتخلفة تقدما كبيرا ، فكذلك سرعتها متقدمة ، ويكاد اللحاق بها يكون مستحيلا ، الا اذا ركز المجتمع قوى الانتاج كلها تركيزا كبيرا واستفاد من كل امكانية متاحة ، ومنع كل بعثرة للجهد

فى غير الأوجه التى تؤدى الى هذا التركيز وبذلك وحده يتمكن من ان يعطي لنفسه القوة الدافعةالتي تمكنه من زيادةتسارعه زيادة تفوق تسارع الدول المتقدمة . والا فهو عاجز عن اللحاق بها عجزا تاما .

وتركيز الجهد في الانتاج يتطلب تسلطا على قوى الانتاج والاستهلاك ، يتطلب تخطيطا ، ويتطلب استقرارا ، وهذه المتطلبات الثلاثة لا تتحقق الا بنوع من الضغط على الحرية يزيد او ينقص ، ولكنه ضغط على اي حال لا بد ان يُعبّد الطريق للأزمة .

ولما كانت الحكومات التي تلت عهد الاستقلال مباشرة قد عجزت عن انتقوم بهذا التركيز وبهذا التخطيط ، انشغالا منها بتامين مصالح اعضائها وانصارها ، ثم لما نجحت حكومات اتت بعدها على غير اساس من الحرية السياسية في ان تضع خططا للتنمية الاقتصادية ، كان هذا النجاح هو تبريرها للاغضاء عن الحرية السياسية والقضاء على اوجهها المختلفة ، وهو بالتالي تبريرها لوجودها.

حبس الحرية حرمان موقوت

كل امة لا سيما الامم الافريقية والاسيوية الحديثة الاستقلال ، لا بد ان تواجه في تاريخها ازمات تقتضي منها الحد من الحرية المتاحة للمواطنين . وكثيرا ما كان هذا الحد من الحرية وسيلة من وسائل المحافظة على الحرية حين تتعرض للتهديد ، او المحافظة على الوجود نفسه . ولكنها وسيلة مرة المذاق . **وهي من اجل ذلك وسيلة مؤقتة، مرحلية، محدودة بزمن ومحدودة بظروف** . ويجب ان تكون كذلك ، دون ان تصبح فلسفة للدولة ، أو سياسة ثابتة لها، لان الحرية ليست ترفا سطحيا ولا غاية عابرة ، ولا مجرد نظام من نظم . وانما هي قيمة اساسية ، لا كرامة لمواطن ، ولا لشعب ، بدونها . ■■

منيف الرزاز

رجل الشرطة فى نظر الحجاج

● قال الحجاج بن يوسف : دلونى على رجل للشرطة .

فقيل : اى رجل تريد ؟

فقال : اريد رجلا دائم العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الأمانة، اعجف الخيانة ، يهون عليه سباب الشريف فى الشفاعة !

فقالوا : عليك بعبد الرحمن التميمى .

فأرسل اليه يستعمله .

فقال : لست اعمل لك عملا الا ان تكفينى ولدك ، واهل بيتك وعمالك ، وحاشيتك .

فقال : يا غلام ناد : من طلب اليه حاجة منهم فقد برئت منه الذمة .

مسابقة العربي

٧ عباقرة عرب

وجوائز ١٠٠٠ دينار

■ لم يكن العرب القدامى مجرد نقلة تراث أو مستنبطي ثقافة ، كما يزعم بعض المؤرخين الأجانب ، بل كان منهم مبتكرون فى الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وغير ذلك من العلوم ، وكانت كتبهم مرجعا عند الغربيين الى عهد غير بعيد ، ومنها ما لا يزال محتفظا بقيمته العلمية حتى الآن .. وقد اخترنا من بين مئات العباقرة العرب الذين حفل التاريخ بأمجادهم ، سبع شخصيات ، اذا عرفت منها خمسا فقد تفوز باحدى الجوائز :

١ ـ من هو الفيلسوف الطبيب ، والحساب الاديب، الذى تألق نجمه فى القرن الحادى عشر للميلاد ، وترجمت كتبه الى اللاتينية ، وخاصة « القانون » ، وظلت تدرس فى المدارس الطبية الاوربية حتى أوائل القرن السابع عشر ، والذى من رائع شعره القصيدة التى مطلعها :

هبطت اليـك من المحـل الأرفـع ورقـاء ذات تعـزز وتمنـع
محجوبة عـن كل مقلـة عـارف وهـى التى سفرت ولـم تتبرقـع

٢ ـ من هو الفيلسوف العربى الذى كان من أعظم من عرف العالم من عباقرة الفكر ، حتى لقد وضع اسس علم جديد لم يفكر فيه أحد من فلاسفة اليونان فى العصور القديمة ، ولم يهتد اليه أحد من مفكرى أوربا قبل القرن التاسع عشر ، وكان أول من وضع اسس علم الاجتماع ؟

٣ ـ من هو الطبيب العربى الذى اشتهر بعلاج « الكتراكت » (الماء الازرق الذى يصيب العين) وكان اول من ميز تمييزا علميا بين « الحصباء » فى رسالة لم تزل لها قيمتها العلمية حتى الآن ، وقد ترجمت كتبه الى اللاتينية وظلت تدرس فى جامعات اوربا الطبية ، وخاصة فى مونبلييه بفرنسا وسيلارنو بايطاليا ، وكان الغربيون يلقبونه بـ « جالينوس العرب » ؟

٤ ـ من هو عالم البصريات الذى كان أول من قال ان البصر حين يقع على مادة ما ، لا يخرج شيء من العين كما كان شائعا فى ذلك العصر ، بل تنعكس أشعة النور من المادة المرئية الى العين ، فتنطبع الصورة فى الذهن ويفسرها العقل ؟

٥ ـ من هو الطبيب العربى الذى مارس الطب فى القاهرة فى القرن الثالث عشر ، ودحض أقوال جالينوس فى الدورة الدموية ، وكان أول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى ؟

٦ ـ من هو العالم الفيلسوف الذى برع فى الفلك والكيمياء والطبيعة ، بقدر ما برع فى الشعر والموسيقى وصياغة الالحان والغناء .. واشتهر بأنه قام بمحاولة للطيران فى الجو ، ما تزال حديث التاريخ حتى الآن ؟

٧ ـ من هو الطبيب ابن الطبيب الذى نجح فى الطب حتى فاق نجاح ابيه ، وكان أكبر اكلينيكى عربى بعد الرازى ، وكان أول من كشف الحشرة التى تسبب الجرب ، فكان أول عالم اهتم بالطفيليات . ثم انجب ولدا عرف بالحفيد ، وجمع بين الطب والشعر ، وكان من خير ما نظم الموشح الخالد الذى مطلعه:

ايها الساقى اليك المشتكى ـــــ قد دعوناك وان لم تسمع

● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ●

شروط المسابقة

١ ـ اذكر اسماء خمس من هذه الشخصيات،وضع امام كل شخصية الرقم الذى تحمله فى المسابقة.

٢ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٦ .

٣ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى » ـ العدد ٣٩

● آخر موعد لوصول الاجابات الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر مارس (آذار) ١٩٦٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ..١ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز : قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

حُرقوص بن زُهَير

رأسُ الخوارج

عارض النبي (ص)
وخاصم عثمان
واختار عليًّا ثم خلعه
وقُتِل شهيد المبدأ ، اعتنقه صُلبًا لا يلين للأحداث

بقلم : الدكتورة سهير القلماوى

استاذة الأدب فى جامعة القاهرة

■ رجل عجيب لم ينل من التاريخ حقه ، يذكره المؤرخون ضمن كلامهم عن نشأة الخوارج ، وكأنه رجل عادى لا يساوى ان يفردَ له فصلٌ لربط حوادث حياته ، واخراج كلُّ منتظم لسيرة تستحق الوقوف عندها والتأمل فى تفصيلاتها .

ذلك هو حرقوص بن زهَير السعدى التميمى ، الذى يقال عنه انه راس فرقة من اخطر فرق المسلمين ، فرقة الخوارج التى لعبت دوراً حربيا هاما فى دولة الأمويين منذ قيامهم ، كما لعبت دورا سياسيا اخطر ايام العباسيين ، ومازالت الى اليوم تلعب دورا فكريا ، اذ ان لها فى شتى انحاء البلاد الاسلامية فروعا كفرع الأباضيّة المعروف .

وكتب التاريخ تروى اخبار حرقوص ابن زهير مفرّقة مبعثرة وكانما ليس للرجل عقيدة ولا مذهب اثر آثارا واضحة فى الاسلام وتاريخه . حتى فى نشأة الأمويين ، وحتى فى حروب « علي » على الخوارج ، وقد قتل حرقوص فيها ، لا نكاد نظفر به الا مطمورا بين اشلاء القتلى فى معركة « النهروان » ، يبحث

علي عنه ، ان صحت الروايات ، لا لانقاذه ، ولا من اجله هو ، وانما هو يبحث عن رجل ، اى رجل ، تتحقق به نبوءة رويت على لسان النبى (ص) تحدد علامة لرجل يكون هو راس الخوارج ، علامة ذى الثدية لتضخم احدى ثدييه ، او لنتوء فى يده يشبه الثدي . وقد وجد علي هذا الرجل بتلك العلامة وسط الاشلاء ، فاذا به حرقوص بن زهير . حرقوص الذى يهتم الناس فى شأنه دائما بشىء آخر غير شخصه .

اغفل المؤرخون حرقوصا ، وماكادوا

واني لأتأمل الأخبار القليلة المروية عن حرقوص فلا املك الا ابتسامة ساخرة . لقد عامله المؤرخون بمبدئه ـ مبدأ فصل الفكرة والعقيدة عن صاحبهما ، والايمان المجرد عن الأشخاص . لقد آمن المؤرخون يا حرقوص بما آمنت به ، وعاملوك كما عاملت الأئمة فى زمانك ، وجعلوا العمل والعقيدة فوق الأشخاص فى شأنك ، فاهتموا بمبدأ الخوارج وبحروبهم وبآثارهم ، واغفلوك كما اغفلوا الكثيرين من ابناء فرقتك . ولكن المؤرخ الحق يطل من بين ثنايا هذه الابتسامة ليقول مهلا ، ان المؤرخين لم يغفلوا حرقوصا ولكن بعضهم هو الذى فعل . أولم يكتب تاريخ تلك الفترة شيعة ، او متحمسون للشيعة ، او علماء عاشوا فى كنف العباسيين ؟ . وهل كان فى الامكان ان يخرج تاريخ الخوارج فى اطاره الحق ، وبكل ما فيه من مثل جبارة لروعة الايمان والتشبث بالعقيدة ، وهم قد قتلوا عليا ، ومكنوا دون قصد لبنى امية ليفوزوا عليه ، بما شغلوه به من حروب ، ثم ناوأوا الأمويين وأرقوا ليلهم

واستمروا فى حروبهم العارمة يقتلون المسلمين ممن لا يوالونهم على عقيدتهم ، وقد وصلوا حتى الى تأمين المشركين اثناء قتلهم المسلمين ، لأن الله أوصى بأن يؤمّن المشرك اذا استجار بالمؤمن حتى يبلغ مأمنه !

فى الخوارج قوة ايمان وحب فداء وفيهم اسراف وتعصب وتحجّر

والتاريخ على حق . ولكن حرقوصا ايضا على حق . والأهم ان النتيجة كانت ان يُهمل الرجل فى خضمّ ما حَدث من احداث جسام ، وعنفوان ثورة ارادها الخوارج لتعود بالدين الى أصوله الأولى قبل الصراع على من يخلف المسلمين . ولم يشفع لعقيدة الخوارج قوة الايمان ، ولا حب الفداء ، ولا التضحية ، ولا التفانى فى الاخلاص ، وفيهم عيب الاسراف والتعصّب والتحجّر والتقيّد بحرفية نصوص القرآن الكريم . فبمقدار ما تعجَب بشجاعة الخوارج وبسالتهم وسمو مبادئهم ومثاليّة تصرفاتهم ، نرى انفسنا مضطرين لأن نَعجب من ضيق أفقهم وتشددهم وعدم تسامحهم . ولكن أليست جَمهرتهم من القراء الذين قرّحتْ جباههم الصلاة فعُرفوا بـ « ذوى الجباه السود » ، فكيف اذن لا يَعنفون فى ايمانهم ؟ أوَ ليسوا هم الذين اندفعوا فى القتال فى النهروان حتى أبيد آخر رجل من جيشهم دون أن يترددوا او يسلّموا لأنهم يقاتلون فى بسالة نادرة ؟ . بسالة لا تظهر فى التاريخ الا فى أزمنة وضّاءة وَوَمضات براقة خاطفة من وَمَضات انطلاق الانسان من ضَعفه نحو آفاق خارقة عليا من العالم الآخر ، محطمًا فى قوة انطلاقه قوانين الطبيعة المتحكمة فى جسده الفانى الضعيف ؟!

حرقوص يرفع صوته اعدلْ يا رسول الله

اول ما نسمع عن هذا الرجل عند ذكر حديث قاله الرسول (ص) ، عند منطلقه من الجعرانة بعد غزوة « حنين » ، وقد تألف قلوبَ الذين اسلموا حديثا بما اغدق عليهم من غنائم ، قيل انها غنائم حنين ، وقيل انها غنائم بعث بها علىّ من اليمن . ونظر المسلمون ، وفيهم من له سابقة فى الاسلام ، ومن له شرف الهجرة او شرف المناصرة يوم خذل الناس . نظر الصحابةْ والمهاجرون والانصارْ ، بل الانصار خاصة ، وفاض بهم الألم واحتجوا . وراضاهم الرسول (ص) فى خطبته المعروفة فى هذه المناسبة التى بلغت ذروة البلاغة بما عبرت عنه من عواطف جياشة واحساسات سامية نبيلة .

وهذا حرقوص ينظر ويسمع ويرى : هل عدل الرسول (ص) فى قسمة هذه الغنائم ؟ لا . واذن فهو يرفع صوت الحق المطلق : « اعدلْ يا رسول الله ! » ويلتفت الرسول الانسان البشر قائلا : « ويحك ! ومن يعدل اذا لم أعدل ؟ » ثم يرتفع الرسول الانسان فوق مستوى البشر . انه لا يملك أن يتصرف وفق هواه . انه يتصرف امام عيون المخلصين من الاتباع ، عيون ترقب وتستخلص من كل لفتة او حركة او قولة آيةً تنير لها السبيل إلى حياة افضل . وبهم عمر

بقتل الرجل . ويقول الرسول (ص) : « دعه ! انه يخرج من ضئضىء هذا قومٌ يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ! » . ويقال انه اضاف « فان له اصحابا يَحتقر احدُكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم » .

هذه هى الصفحة الأولى التى يقف عندها الرواة فى كلامهم عن حرقوص . رجل يتمسك بالحق ، لا يخضع لظرف مهما يكن انسانيا ، بل مهما يكن ضروريا محتما ، فان تاليف القلوب «خطوة قوية» فى سبيل تدعيم الدعوة وانتشارها فى كل زمان ومكان .

حرقوص فى حرب الهرمزان

ونودع الرجل الجرىء الصارم الذى اتسع صدر الرسول السمح لضيق أفق ايمانه فعدَّه ظاهرةً طبيعيةتظهر اثرَ كل دعوة قوية ، ظاهرة التمسك المطلق القوى بحرفية العقيدة ، نودع الرجل لنقابله مرة أخرى فى حرب الهرمزان وقد بعث « عتبة بن غزوان » ، والى عمر ، يستنجد الخليفة بمدد فى هذه الحرب ، فيرسل عمر اليه حرقوص بن زهير هذا . فيبلى ، فيما رُوِىَ ، بلاء ممتازا ويتولى سوق الاهواز ويضع عليها الجزية .

ترُى ماذا كان هذا الرجل منذ اعتراضه على غنائم الجعرانة الى يوم حرب الهرمزان . اين كان ؟ وماذا كان ؟ لا بد انه كان بارزا فى قومه ، متصلا بعملٍ من اعمال الدولة ، والا ما فكر عمر فى ان يرسل به مددا للوالي فى حرب هامة كحرب الهرمزان . ولكن التاريخ صامت بالنسبة لهذا الرجل ، فهو لا يَعنىَ الا بأعماله ، كما كان هو لا يعنى الا بأعمال الناس دون شخصياتهم .

حرقوص وفتنة عثمان

ويموت الخليفة عمر ويتولى امر المسلمين عثمان ،ويسوس الدولة سياسة قوية اول الأمر ، ثم ما يلبث ان يَضعف فيدب التفكك فى الدولة ، دولة ما كادت ترُى دعائمها ترفع منذ بضعة اعوام . وتثور الأمصار على عثمان ، وتتأرجح مبادىء العدل الاجتماعى والمساواة الاسلامية . واذا بهذا الرجل ، وكأنما الظرف يناديه ، اذا به يحاول مخلصا أن يعيد الأمور الى نصابها . ويأتى حرقوص بن زهير السعدى التميمى على رأس وفد من البصرة الى المدينة . والبصرة أهم الامصار جميعا فى تلك الثورة ، والبصرة تحتل الصدارة فى تكييف حوادث فتنة عثمان حتى بعد وفاته ، فقد كانت هى مسرح وقعة الجمل المعروفة .

ولكن الأحداث تكتظ وتتلاحق واذا ثورة ، ما كان احد يريدها ، تقع . فاذا بزمام الأمر يَنفَكّ فجاة . ممن ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ امور ما يزال التاريخ يطوى عقدها ولا يطمئن المؤرخ فيها الى حل صريح . ومالنا نطمع من التاريخ فى تلك الحقب الخوالي ، رغم ضعف الوسائل ، ان يكون اقدر على مالا يستطيعه التاريخ اليوم . دلوني على من يستطيع أن يؤرخ ثورة شعب حقَّ تأريخها . قد نجد من يكتب عنها ، قد نكتب عن قواد وعن

احداث بارزة ، اما الدوافع ، اما عامة الثائرين ، اما قواد المبادىء ، فكيف تراهم وسط خضم من احداث ، وسط مطامع ونزوات تتصارع صراع البشرية الأزلي ، صراع الروح مع مطالب الجسد، صراع المبادىء مع النزوات الانانية ؟!

ولما جاءت عائشة الى البصرة مطالبة بدم عثمان او بقاتليه ، يذكر التاريخ ان حرقوصا اعتصم منها فى قوة من ستة آلاف جندى . ولما اعتزل الاحنف بن قيس القتال يوم الجمل اعتزله ايضا حرقوص وقومه . معركة بين اشخاص . معركة بين من لهما فى نفوس المسلمين منزلة الاجلال والحب . معركة لم تتضح فيها مبادىء ، ولم يكن فيهما للحياة اهداف . ما شأن رجل كحرقوص فى كل هذا ؟

حرقوص فى حرب صفين بين علي ومعاوية

وتمر بضعة اعوام واذا حرب صفين التى كتبت نتائجها فى تاريخ الاسلام آثارا لا يمكن ان نبالغ فى ضخامتها . اذا هذه الحرب تنادى الرجل مرة اخرى . انه قائد القوم وزعيمهم الذى يشارك فى القتال تناديه الحرب ليرد على هذا السؤال المحير : من ذا أحق بخلافة الرسول على امور المسلمين . ايجب ان تكون فى الخليفة شروط اخرى غير التقوى ؟ ايكون من عشيرة الرسول ، من آل بيته ، أم من قبيلته ؟ ايكون من قريش ؟ ايكون من امية ؟

حرقوص يختار عليا لبلائه فى الاسلام

اما حرقوص فانه ممن يؤمنون بأنه «لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى»، ذلك ان امام المسلمين يحكم دائما بدستور صريح ، هو القرآن الكريم . وما دام الامام مسلما فهو مؤمن بالدستور ملتزم امام قومه بتطبيق احكامه . وما دامت الاحكام واضحة والحدود مرسومة ، فولاية الأمر تكليف ضخم لا تشريف كما يقال اليوم فى العصر الحديث . اذن فليتلها من هو اقدر عليها ، والله يعينه ويوفقه ، والمسلمون يرقبون ويحاسبون ، ويخلعون من يخطىء ولا يتوب .

ويأتى حرقوص الى صفين مؤمنا بان عليا ، لبلائه فى الاسلام ولشخصيته ؛ لا لقرابته من رسول الله فحسب ، اليق بولاية المسلمين .

الخوارج تعتزل عليا على مراحل ثلاث

وتتعاقب الأحداث على ضفتى بئر الماء فى صفين . احداث فيها من التضارب والتشابك والفجوات ما يخفى معالم الطريق . واذا النهاية المؤسية ! يعتزل الخوارج عليا ، ويواجه علي جيشين ، جيشَ معاوية ، وجيشَ الخوارج فى آن . وكان انعزال الخوارج على ثلاث مراحل :

اما المرحلة الاولى فقد كانت بسبب قبول علي مبدأ التحكيم اصلا . وحجتهم « فيم كان قتلانا ؟ » لقد حكم الفريقان القرآن قبل البدء فى اى قتال . ثم قاتلوا بعد الياس من الوصول بالحجة والبرهان الى نتيجة . فيم اذن العودة الى ما بداوا به بعد استشهاد من استشهدوا ؟! وبلوروا منطقهم السليم فى قولهم « فيم كان قتلانا ؟! » .

اما المرحلة الثانية فقد جاءت عندما اختار علي ابا موسى الأشعرى تحت ضغط الظروف ، وبحيل من يتصيدون الصيد فى الماء العكر فى مثل هذه الظروف فى كل آن ومكان . قالوا « لا يحكم فينا مضريان حتى الساعة ، اما وقد اختاروا مضريا (يعنون عمرا بن العاص) فاختر يمنيا » . ولعبت العصبية القبلية دورها البغيض ، وتكاتفت الظروف على اتاحة الجو لهذه العصبية ان تلعب مثل هذا هذا الدور .

واما المرحلة الأخيرة فقد جاءت بعد التحكيم . بعد اعلان النتيجة ملخصة او كاملة . والتاريخ يروى رواية شعبية لا يمكن أن تقوم لها قائمة امام البحث العلمى الدقيق ، وهى التى تقص كيف خَدَعَ عمرو بن العاص ابا موسى الأشعرى ليخلع الاثنين معا ، ثم يأتى هو ليثبت معاوية بحركة مسرحية . ولكن التاريخ يروى روايات اخرى اكثر دقة واقرب الى منطق الاحداث . وهى ان صحيفة كتبت بالفعل ، وانها خلعت الاثنين معا بعد اختيار دقيق لمن يكتب ولكل جملة كتبت فيها . ثم اعلنت الصحيفة بعد كتابتها . وخلع الاثنين فى الواقع ضار بعليٍّ ، وقد كاد أن ينتصر ، باكثر مما يضر بمعاوية ، وقد كان النصر منه بعيدا كل البعد . ولنترك التحكيم وموضوعه فهو حرى بدرس وتحقيق مستقلين حتى لا ننسى من نسيه التاريخ، فى خضم حديثنا عن محنة من محن الايمان .

حرقوص يطلب التوبة من عليٍّ

اين كان حرقوص فى صفين ؟ انه كان الى جوار علي . عليٌّ كما رآه بشخصه . عليٌّ دون هالات ، يحميه سلوك سبيل الحق ولا شيء سواه . لذلك نراه يدخل على عليٍّ اثر اختيار الحكم وقد تلاحقت الأحداث فى حمى منذ رفع جيش معاوية المصاحف على الأسنة مطالبين بالتحكيم . ويقول حرقوص ، بصوت الحق الذى يريد أن يبطل الباطل : « يا علي » .. لا حكم الا لله . تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك ، واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا » .

ويرى عليٌّ الحق فيما قال الرجل . ولكن الأحداث اقوى منه ، فيقول محاولا اقناعه « لقد اشترطت معهم شروطا يا حرقوص » ولكن الأمر عند حرقوص لا يحمل ظلالا ولا انصاف حلول . فيقولها صراحة وفى قوة قوله لرسول الله (ص) : « اعدل يا رسول الله » يقول لعلي : « ذلك ذنب ينبغى أن تتوب منه .. تب ونحن نتبعك » .

اكان فى وسع علي أن يتوب كما قال حرقوص؟ اكان فى وسع علي أن يستشف الغيب ليرى جسامة النتائج التى كانت جنينا مستكنا فى بطن التاريخ لا يعلم من امره آنذاك الا انه سيولد . ان الجو كان مشحونا بطاقة مدمرة تدفع الى السرعة، واخيرا وليس آخرا ، الم يكن علي موقنا بالنصر ؟ وكيف يمكن ان نجعله غير موقن بالنصر لان التاريخ كتب له ، فيما بعد ، الا ينتصر ؟ اذن فليمض فيما بداه .

حرقوص ينفضُّ عن عليٍّ ويطالب قومه بالسير فى الحرب

اما حرقوص فهذا هو فى حروراء معتزل عليا مع قومه يخطب فيهم فى

ضرورة التمسك بالعقيدة والسير في الحرب الى النهاية . اما علي فلقد اذنب ولم يتب ، واذن فلقد وجب خلعه . وبسأله المؤمنون بالحق المطلق ان يلي امرهم .. ان يكون اماما لهم .. ويتأمل حرقوص الأمر مليا . ماله وللامامة ، انه لا يرى له واجبا الا ان يقوى ايمان القوم فى هذه المحنة ، اما النصر فى الحرب فبيد الله . والجهاد حق على القائد والجندى العادى سواء بسواء . وثوابه عند الله ، لا على الأرض ، وبمقدار البلاء لا برتبة المحاربين . واذن فهو يستجيب الى طلبهم بقوله : « واما امامة الصلاة ، فبها ، واما غيرها فلا اريدها ، فالتمسوا لها سواى » .

جيش على يفنى جيش الخوارج ومن بينهم حرقوص

وتسرع الأحداث مرة اخيرة واذا نحن بعيد حرب النهروان . لقد قتل جيش علي من الخوارج اكثر من ثلاثة آلاف ، هم كل الجيش الذى صمد للقتال ، وافنوهم عن آخرهم . كان الجيش اثنى عشر الفا فلما جد الجد خرج ثلاثة ارباع الجيش فيما يقال ، بين مرتد وراغب فى ان يراجع نفسه . أما الثلاثة الآلاف الذين ثبتوا فقد فنوا عن آخرهم . ومن هؤلاء كان حرقوص بن زهير السعدى التميمى .

علي بعد المعركة

ومرة اخيرة تطالعنا صورة علي يجوب ميدان القتال بين اشلاء القتلى ، والأسى ملء قلبه الكبير . ولكنه يبحث بين القتلى عن هذا الذى يقال ان الرسول (ص) قد اشار اليه ، حين نبَّهَ الى هؤلاء المسرفين فى ايمانهم « الذين سيمرُقون من الدين كما يمرق السهمُ من الرمية » . وآيتهم رجل احدى ثديبه أو يديه كثدى المراة . ومن بين الأشلاء ترى الآية . نعم انه هذا الرجل . وهذا وجهه ، وتلك ملامحه ، فمن يكون ؟ انه حرقوص بن زهير . انه آيتهم وعنوان عقيدتهم وخلاصة مذهبهم، وقائدهم يوم عثمان ، ورسولهم الى علي يوم صفين ، وامامهم وقائدهم فى معركة الشهداء .

ولما مات حرقوص كان الخوارج قد توفرت لهم كل العوامل ليصبحوا قوة قوية لها مبادئها وانصارها وتاريخها ومواقفها . والأهم من كل ذلك ، كان لها شهداؤها فى اول معركة بين المسلمين ، بعض وبعض ، على المبادىء والأسس ، شهداء فى صفين وشهداء فى النهروان . ولذلك انطلق الخوارج من بعدُ فى التاريخ يؤدون دورهم ، دور الفريق الذى يؤمن بالمبادىء مجرَّدةً قوية ، دور صيانة المبادىء كلما ظللها الأشخاص بظلالهم فتعرضت لخطر الانحراف .

ترى هل استطاعوا هم ان يَخلصوا الى مبادئهم بعد ان مضت عليهم اعاصير الاحداث والتاريخ ؟!

كلا . ولكن نبتهم لم يقتلع . وعرف تاريخُ المسلمين فى كل عصر منادين بمبادئهم ، ومناصرين لموقفهم ، وان اختلفت الأسماء وتغايرت الظروف .

انهم ظاهرة طبيعية حتمية كما اراد الرسول (ص) أن يَفهم القوم يوم صاح حرقوصُ « اعدلْ يا رسول الله » ! ■■

سهير القلماوى

نتيجة مسابقة العدد السابع والثلاثين

الفائز الأول يتبرع بجائزته لجبهة التحرير الجزائرية
رسالة ذات مغزى من قارئ دانمركي .. بالعربية الفصحى !

■ تحية من « العربي » ، ومن كل عربي ، الى السيد « فاروق مولوى » بمكتب الجامعة العربية في شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية ، لتلك الروح النبيلة التي أملت عليه أن يطلب تحويل قيمة الجائزة التي يفوز بها في مسابقة « العربي » الى جبهة التحرير الجزائرية .. وسنعمل على تحقيق رغبته شاكرين ..

وتحية اخرى نوجهها الى القارىء الدانمركي السيد « اريك كريستنسون » الذى اشرنا في العدد السابع والثلاثين الى رغبته في أن تكون جائزته ، في حالة فوزه باحدى الجوائز ، جائزة عربية ، لا نقودا ، لكي يتمكن من الاحتفاظ بها كتذكار يعتز به طيلة حياته .. فقد تلقينا منه هذه المرة رسالة أخرى ، باللغة العربية الفصحى ، وبخط جميل ، ننشرها بنصها شاكرين ، لما تضمنته من عبرة بالغة ومغزى كريم ...

كتب السيد كريستنسون يقول :

« لقد أثلج صدرى أن تبعث مجلة « العربي » الغراء بتحياتها الىّ ، وان تشرك في ذلك قراءها الاعزاء ، باعتبارى اديبا يقرأ « العربي » ويجيد لغة العرب .. واذا كان الحظ لم يسعدني بنيل احدى الجوائز ، الا انني اعتبر تحية « العربي » جائزة أدبية ، هي والله عندى أغلى قيمة وأعظم شأنا من الجائزة المادية ..

« ولئن حق للعرب أن يرفعوا رؤوسهم بين الامم مفاخرين بما شيدوه للحضارة من صروح تشهد على عظمتهم ، وعلى انهم شعب خلاق بلغ اوج التقدم الحضارى ، في زمن كان العالم يرسف فيه في قيود الجهل والتخلف ، فان للعرب اليوم ان يفخروا بمجلة « العربي » ذات المستوى الرفيع والموضوعات القيمة ..

« ان « العربي » - وأقول هذا غير محاب أو مخادع - تأتي في مصاف ارقى المجلات العالمية ، واستطيع ان اقرر أنها من اوسع مجلات العرب انتشارا ..

« وقبل أن استرسل ، اريد أن أسأل : لماذا لا تكون « العربي » أكثر فعالية بالنسبة للدعوة الى وحدة العرب ونبذ خلافاتهم التي تستغلها القوى المعادية لهم في جميع انحاء المعمورة ؟!

« لقد استطاع العرب ، حينما توحدوا ، أن يخرجوا الى الدنيا كلها بحضارة ما زالت آثارها ماثلة لكل ذى عين بصيرة وفؤاد لا تأكله نار التعصب الاعمى ، ولا تضلله الدعاية البغيضة . هؤلاء العرب لو اتحدوا اليوم وتناسوا خلافاتهم ، لأصبح لزاما على المخلصين في العالم أن يعيدوا كتابة التاريخ بعد أن يعيد العرب حضارة لهم سبقوا الامم الى نشرها ..

« انني اعتقد ان على « العربي » أن تكون أكثر فعالية في نشر الوعي الوحدوى بين العرب . علما بأنني لا انكر عليها أنها نشرت في أكثر من عدد ، بعض المقالات العربية الوحدوية . ولكن ذلك دون المطلوب .

« هذه واحدة .. أما الثانية فانى أقترح الغاء صفحة « اضحك تضحك الدنيا معك .. الخ » وان تستبدلوا بها صفحة بعنوان « من تراثنا العربي » مثلا ، تنشرون فيها على الدنيا بعض المؤلفات العربية المشهورة ، كمقدمة «ابن خلدون» والاغاني وغيرهما من روائع الفكر العربي الخالدة ..

« واخيرا يسعدنى مرة أخرى أن اشارك في

مسابقة « العربى » الجديدة ، راجيا ، اذا ما اسعدنى الحظ بالفوز باحدى الجوائز ، أن تكون الجائزة شيئا عربيا ، بدلا من القيمة المادية ، كى احتفظ به كتذكار اعتز به لبلادكم الجميلة .

« والسلام عليكم » .

اريك كريستنسون
فلستروب الجنوبية : الدنمارك

نتيجة المسابقة

اخطأ أكثر من ثلث عدد المشتركين فى معرفة اسم الشخصية الثالثة من شخصيات المسابقة ، فقال بعضهم ان القائد الروسى المقصود هو « تيموشنكو » وقال آخرون انه « بولجانين » ، وقال غيرهم انه « فورشيلوف » ، وذكر آخرون اسماء « خروشوف » و« سيمولنسكى » و « مالينوفسكى » وغيرهم ، مع أن القائد الذى تنطبق عليه الاوصاف الواردة فى المسابقة هو المارشال زوكوف ..

وأرسل بعض المتسابقين أكثر من اجابة واحدة، وبين هؤلاء السيدة سعاد محمود عزى المدرسة بالاسكندرية ، التى ارسلت ثلاث اجابات ، احداها

صحيحة ، الا ان الحظ تخلى عنها عند الاقتراع على الجوائز .

وكانت اجابة السيد جمال الدين الطيب بن عمار ــ احد الفائزين ــ رسما فنيا نشرناه اسفل هذه الصفحة

والقواد الأربعة الذين كانوا موضوع المسابقة هم بالترتيب الآتى : (١) ايزنهاور (٢) مونتجومرى (٣) زوكوف (٤) روميل .

أسماء الفائزين بالجوائز

وقد اسفرت عملية الاقتراع بين الاجابات الصحيحة على الجوائز عن النتيجة الآتية :

الجائزة الاولى وقدرها ٣٠ دينارا فاز بها السيد/ فاروق مولوى بمكتب الجامعة العربية فى شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية ، وقد طلب تحويل قيمة الجائزة الى جبهة تحرير الجزائر .

الجائزة الثانية وقدرها ٢٠ دينارا فاز بها السيد / اريك كريستنسون ، فلستروب الجنوبية ــ جنوب جيلاند ــ الدانيمارك .

الجائزة الثالثة وقدرها ١٠ دنانير فاز بها الرئيس الركن على خليل ــ ص.ب ١٤٢٥ ــ الكويت.

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من السادة :

ــ الدكتور احمد الطاهر : ش السينما القديمة، عمارة الفتيانى ــ نابلس ــ الاردن .

ــ حسن عبد السلام محمد السبروت :المدرس بالمعهد الدينى ــ ملوى ــ الجمهورية العربية المتحدة.

ــ الرقيب الاول محمد عادل طاهر الذيل : الجيش العربى السورى ــ ب.ع ٥٧ من ٤٤٣ .

ــ جمال الدين بن الطيب بن عمار بن الناصر : نهج مصطفى خزنه دار ٦٤ ــ النجاح ــ تونس .

ــ عبد الله السرايرى : ٩ شارع زلاغ ــ الرباط ــ المغرب .

ــ محمد عبد الله غامدى : المجلس التاديبى ــ وزارة الدفاع والطيران ــ الرياض ــ السعودية ــ

ــ سجين رقم ١٢٣ : السجن المركزى ــ الدوحة ــ قطر .

ــ عبد الكريم لطفى : طالب ليبى بكلية الطب ، استانبول ــ تركيا .

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■

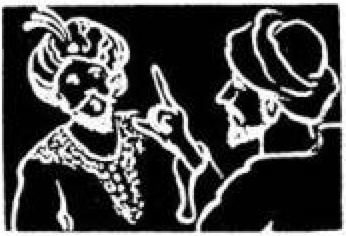

مواقف مذكورة ومشكورة وقفها:

قضاة العرب

بقلم : شهير ارسلان

■ من المعلوم ان أول واجب للدولة هو اقامة العدل بالمحافظة على حرية المواطن وماله وشرفه وعرضه . ولا يكون ذلك الا عن طريق القاضي . لذلك كان القاضي هو وجه الدولة بالنسبة للمواطن فيما يتعلق بحقوقه .

والمواطن لايشعر بسلطان الدولة وعدالة السلطان الا عندما تعود له حقوقه ذات الصلة المباشرة به اى بماله وحريته وعرضه .

لذلك كانت السلطة القضائية هي ذات الصلة المباشرة بالشعب والافراد ، اما السلطة التشريعية فلا رابطة بينها وبين الفرد بصورة مباشرة .

ولهذا اهتمت الدول المتقدمة ودساتيرها بالسلطة القضائية واعطتها كل ما يلزم من حصانة وحماية وتقدير ، لتقوم بواجبها في المحافظة على شرف المواطنين وحرياتهم واموالهم وحياتهم .

قال ارسطو : بالعدل قوام العالم .

وقال مونتسكيو :

« لا حرية الا اذا فصلت السلطة القضائية من السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية »

ولقد قال رئيس جمهورية فرنسا السابق (فانسان اوريول) في تقريره الذى وضعه عن حالة فرنسا بعد انتهاء رئاسته عام ١٩٥٥ :

« يوم يفقد المواطنون ثقتهم بالعدالة ، تتعرض الدولة ، كما يتعرض نظام الحكم لاشد الاخطار »

وهذا ما حصل فعلا في فرنسا بعد سنتين ، حيث انقلب نظام الحكم وزالت الجمهورية الخامسة واستولى ديغول على الحكم بالطريق الثورى .

وفي تاريخنا العربي امثلة لا تكاد تحصى من العدالة المثلى ، ضربها قضاة رفعوا راية العدل ، وحكام حمَوا هذه الراية ودعموها بالقوة والسلطان حتى ولو كانت عليهم او على غير ما يريدون ويشتهون .

لما ولي عمر الخلافة

ولا شك ان من اهم الاسباب التى سمت بنفوس هؤلاء الولاة والقضاة الى هذا المقام في العدالة والمساواة ، هو ما يتمتع به الخلفاء والأمة من

ورائهم ، من خلق قويم وايمان متين ، حتى كانوا قدوة صالحة لقضاتهم وعمالهم .

وقد قال عمر بن الخطاب حين ولي الخلافة :

ـ لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتم في خيرا فأعينوني ، وان رأيتم فيّ شرا فقوموني .

فاجابه رجل : والله لو رأينا فيك اعوجاجا ، لقومناه بحد سيوفنا .

فقال عمر : الحمد لله الذي جعل في امة محمد من يقوم اعوجاج عمر .

وان امة هذا شأنها ، لا تقهر ولا تغلب .

بين علي بن ابي طالب وذمّي

شكا ذمي الى عمر بن الخطاب عليا بن ابي طالب ، فقال عمر : قم يا ابا الحسن الى جانب خصمك ، فقام مغاضبا ، وقضى عمر بينهما ثم قال: اساءك يا ابا الحسن ان ادعوك الى جانب خصمك وانت مكذوب عليك ؟ فقال علي : كلا وانما ساءني ان تدعوني بأبي الحسن وتدعوه باسمه فيداخله شيء من الرهبة .

وفي عهد الراشدين دخل علي بن ابي طالب مع خصم له ذمّي على القاضي شُرَيْح ، فقام شريح احتراما لعلي ، فقال علي : هذا اول جورك .

اي ان قيام القاضي لاحد الخصمين جور .

ولقد بلغت العدالة لدى الامام علي بن ابي طالب ، انه بعد ان طعنه (ابن ملجم) طعنته القاتلة، واصبح على اهبة الموت ، بقي حريصا على اقامة العدل حتى في قاتله ، فقال لاولاده واقربائه :

ـ يا بني عبد المطلب ، لا الفينكم تخوضون في دماء المسلمين خوضا ، تقولون قُتِل امير المؤمنين فلنقتل بدمه الكثير . الا لا تَقْتُلنّ بي الا قاتلي ، انظروا اذا انا مت من ضَرْبَتِهِ هذه ، فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يُمَثّل بالرجل ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فإياكم والمُثْلَة ولو بالكلب العقور

وهكذا حرص عليّ على اقامة العدل ، على قاتله وبعد موته .

« وماذا تنفع الاسوار »

وجميل في هذا الصدد ، ما ورد في عدد نيسان (ابريل) الماضي من « العربي » صفحة ١١٢ من ان احد الولاة كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يطلب منه مالا على بناء سور حول عاصمة الولاية .

فأجابه عمر : « ماذا تنفع الاسوار ؟ حصنها بالعدل ، ونَقِّ طريقها من الظلم » .

بين الفقيه ابي يوسف والرشيد

وكان الفقيه الكبير ابو يوسف قاضيا في زمن الرشيد ، فشهد عنده الفضل بن الربيع وزير الخليفة الرشيد ، فرد ابو يوسف شهادته ولم يقبل بها . فعاتبه الرشيد في ذلك ، قال :

ـ لم رددت شهادة الفضل ؟

فقال : « سمعته يقول لك انا عبدك ، فان كان صادقا فلا شهادة للعبد وان كان كاذبا فكذلك ..

اي لا شهادة لكذوب . »

(عن ابن خلكان)

بين ابي جعفر المنصور وزوجته ام المهدي

وفي العهد العباسي وقع نزاع بين ابي جعفر المنصور وزوجته ام المهدي بنت يزيد الحميرية ، وكان على قضاء مصر قاض يدعى الغَوْث ابن سليمان الحضرمي . فاستقدمه المنصور وقال له :

يا غوث انّ صاحبتكم الحميرية ، خاصمتني اليك في شروطها .

فقال الغوث : ايرضى امير المؤمنين ان يحكمني عليه .

قال نعم .

فقال الغوث : فليأمر اميرُ المؤمنين ان توكل وكيلا ، وتشهد على وكالته شاهدَيْن حرَّين يعدلهما امير المؤمنين على نفسه .

ففعل المنصور . ووكّلتْ خادما عنها وبعثتْ معه كِتاب صَدَاقها ، اي عقد زواجها .

فقال القاضي : انّ رأى اميرُ المؤمنين ان يساوي الخصمَ في المجلس .

فانحط المنصور عن فرشه وجلس الى جانب وكيل زوجته.. فاخذ الغوث كتاب الصداق وقرأه

على المنصور وقال : « هل يقرأ امير المؤمنين بما فيه ؟ »

قال : نعم .

فقال القاضي : أرى في الكتاب شروطا بها تم النكاح بينكما ، ارايت يا امير المؤمنين ، لو خطبت اليهم فتاتهم ، ولم تشترط لهم هذا الشرط ، اكانوا يزوجونك ؟

قال : لا

فقال الغوث : بهذا الشرط تم النكاح وانت احق من وَفىّ لها بشرطها .

فخضع المنصور للحكم ووَفىّ الشرط والتزم به.

(من كتاب : اخبار قضاة مصر)

وفي الاندلس

وفي الاندلس طلب الامير عبد الرحمن بن معاوية من القاضي نصر بن ظريف الا يتعجل في الحكم على رجل يدعى حبيب القرشي بشأن قرية له . فحكم القاضي لتوه على الرجل .

فغضب الامير واستحضره وقال له : « من امرك على ان تنفذ حكما وقد امرتك بتاخيره والاناة به؟! »

فقال القاضي : « تقدّمني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانما بعثه الله بالحق ليقضي به على القريب والبعيد ، والشريف والدنيء ، وانت أيها الأمير ما الذي حملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض ، وانت تجد مندوحة بأن ترضى مِن مالك من تُعنىَ بـه وتَجِدُ الحـقَّ لاجله »

فاتعظ الامير وقال : « جزاك الله خيرا يا ابن ظريف »

(عن تاريخ قضاة الاندلس للنباهي)

ذكاء القاضي وسعة علمه

ولا بد للقاضي الذي اعطاه القانون هـذه الحصانة والحماية والتقدير من ان يكون ذكيا فطنا عالما ، ذا عقل راجح واطلاع واسع ، ليستطيع التوصل الى الحق رغم محاولات الخصوم .

عديُّ ابن ارطاة وزوجته

وفي التاريخ العربي قضاة ، كانوا آية في الذكاء والفطنة ، وكان منهم الاديب والشاعر والمحدث .

وقد كان عديُّ بن ارطاة واليا على العراق في عهد عمر بن عبد العزيز ، فتزوج امرأة وشرط لها الدار التي اسكنها فيها .

ولما اراد العودة الى الشام ، دخل على القاضي شريح وقال اني رجل من الشام .

فقال القاضي : من مكان سحيق ؟

فقال : وتزوجت عندكم .

قال : بالرفاه والبنين .

قال : وأردت ان ارحل .

قال : الرجل أحق باهله .

قال : وشرطت لها دارها .

قال : الشرط املك .

قال : فاحكم بيننا .

قال : قد حكمت .

وهكذا حكم شريح على والي العراق اثناء عرض القصة بهذا الادب الجميل والايجاز البديع .

القاضي الاديب والفتى السكران

ومن طرائف تذوق القضاة للأدب والشعر . ان قاضي مدينة (البيرة) في الاندلس واسمه محمد ابن عبد الله بن ابي عيسى كان ذواقة للادب . وقد ركب مرة في مركب حافل مع وجوه البلد اذ خرج من بعض الازقة فتى متادب يتمايل سكرا ، فلما رأى القاضي هابه واراد الفرار ،فخانته رجلاه، فاستند الى الحائط فلما قرب منه القاضي انشا يقول :

الا ايها القاضي الذي عمَّ عدله
فأضحى به في العالمين فريدا

فان شئت ان تجلد فدونك مَنْكبا
صَبُورا على ريب الخطوب جليدا

وان شئت ان تعفو تكن لك مِنَّةٌ
تروح بها في العالمين حميدا

وان كنت تختار الحدود فان لي
لسانا على هجو الرجال حديدا

(عن تاريخ قضاة الاندلس للنباهي)

■■

محمد شهير ارسلان ــ حلب

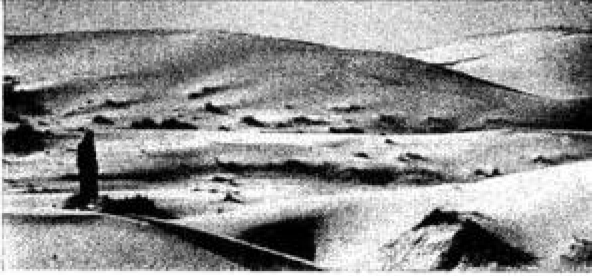

تقـع البريمى عـلى حـدود صحـراء الربـع الخـالى المجدبة ذات التـلال الرمليـة

الى أسفل : القنوات ـ ويسمونها « الافلاج » ـ التى توصل مياه العين الى قرى البريمى .. ان الماء ق

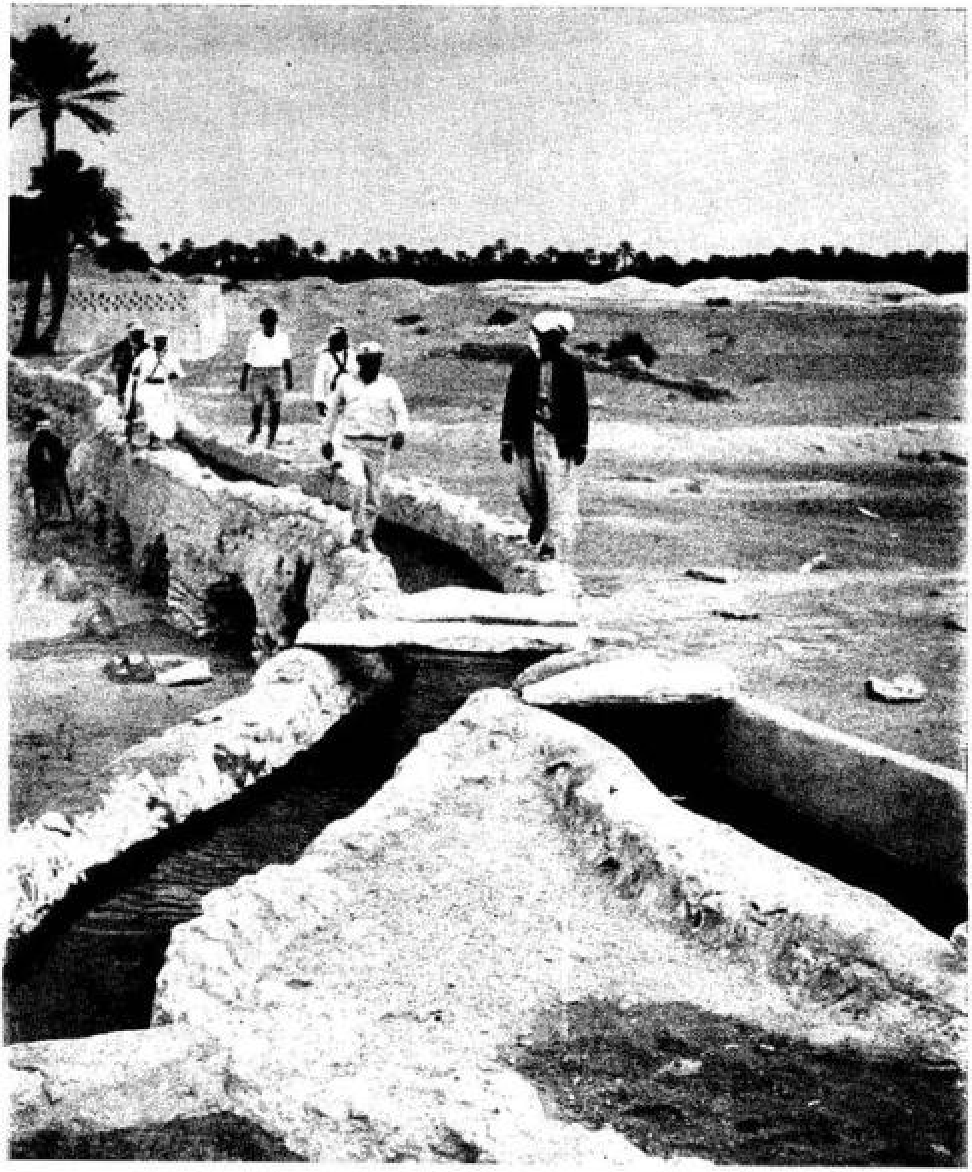

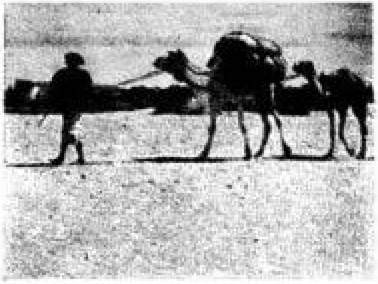

المتماوجة ، التي تخترقها قوافل الجمال من كل مكان ، فى طريقها الى الواحة الخضراء اليانعة

هذه المنطقة الرملية المحرقة أعز من البترول

اعرف وطنك ايها العربي

البُريمي

● جزيرة من الماء .. وسط بحر من الرمال!

● أشهر الواحات العربية .. واكثرها غموضا..

قام بهذا الاستطلاع : سليم زبال
وصوره : « اوسكار »

■ لأول مرة فى العالم ، تنشر « العربى » أول استطلاع مصور عن اشهر الواحات العربية واكثرها غموضا .. ! تلك الواحة البعيدة المعزولة ، التى يصعب العثور عليها ، حتى على الخارطة الجغرافية ! فاقرب مكان مأهول يبعد عنها ١٢٠ كيلومترا ..

انها **البريمى** .. الواحة الخضراء اليانعة ، على اطراف صحراء الربع الخالى الرملية المجدبة .

ان « العربى » اذ تنقلك اليوم ، الى هذه الواحة النائية فانها تتابع رسالتها ، فى تعريفك بالأجزاء النائية من وطننا الكبير ، تلك الاجزاء التى ترتسم لها فى مخيلتنا صور باهتة تخالف الواقع الجميل .

ان الوصول الى واحة البريمى صعب كثير المشقة:

من مطار الكويت ركبنا الطائرة الكبيرة حتى مطار المحرّق فى البحرين ، حيث استبدلنا بها طائرة اخرى صغيرة انزلتنا بمطار ابو ظبى الرملى ، وعندما بدأت رحلتنا بسيارات اللاندرُوفَر ـ التى حلت فى عصرنا هذا ، محل جمل الصحراء ـ متجهة جنوبا على طريق غريب متنوع ، من مستنقع ملىء برشح مياه البحر ، الى خط رفيع من ارض طينية ، تحدها رمال ناعمة خطرة على الجانبين ، الى سهل رملى منبسط ، تنمو فيه اعشاب الهَرَم التى يتناولها البدو ، لعلاج اوجاع المعدة .

وكلما تقدمنا فى المسير كانت الكثبان الرملية الصفراء تتحول الى رمال حمراء ، لا اثر فيها لانسان او حيوان !

وبعد قليل بدأت الاعشاب فى الظهور مع بعض اشجار السَمَر ، انها بمثابة اعلان بأننا قد وصلنا الى البريمى بعد رحلة استغرقت ثمانى ساعات ، داخل عربة صغيرة تتأرجح على التلال والكثبان ..

تَوّام والبريمى

ان موقع البريمى المنعزل بعيدا عن الساحل خلف سلسلة جبال عمان ، يجعلها المكان الوحيد المأهول فى دائرة قطرها مائة كيلومتر تقريبا .

وعلى الخارطة احصينا خمسة طرق للقوافل تتجه اليها : من تَرْوَى ، وداخليه عمان ، وابو ظبى ، وقطر ، والسعودية .. كلها تتجه نحو هذه الواحة التى كانت تحمل اسم « تَوّام » قبل أن تسمى البريمى . وقد

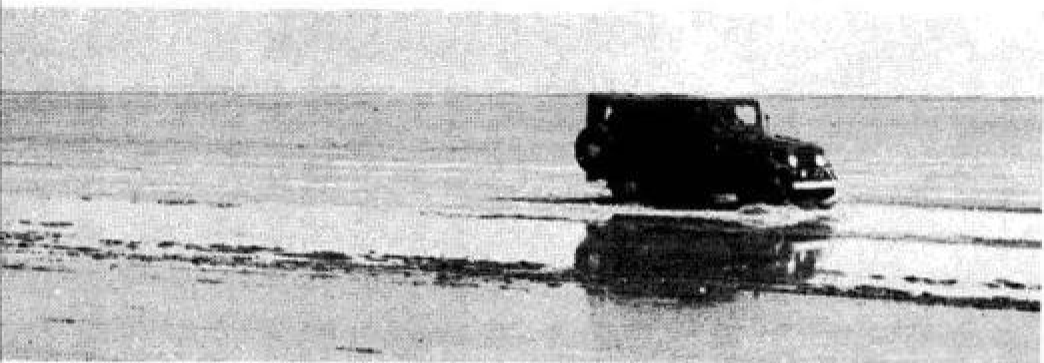

الطريق الى البريمى : لا يوجد اى طريق معبد الى الواحة ، او حتى فى داخلها ، والسيارة الوحيدة التى تستطيع الصمود امام مستنقعات رشح مياه البحر وتلال الرمال ، هى اللاندروفر ، التى حلت محل الجمل فى العصر الحديث

الخريطة السفلى توضح موقع البريمي بالنسبة لبقية البلاد .. بينما تبين الخريطة اليمنى القرى التسع ، التى تتألف منها هذه الواحة ،وطرق القوافل المتجهة اليها ..

سميت بالبريمي نسبة لتاجر كان يقيم فيها ويدعى « بريمي » ، كان رجال القوافل يقصدونه فيقايضون ما عندهم بما عنده .. ومع الزمان غلب اسمه على اسم تؤام الذى نسيه الناس

تسع قرى

ويتخيل الكثيرون ان البريمي واحة واحدة ، ولكن الواقع انها تسع قرى ، يحمل كل منها اسما مختلفا ، تتجمع على هيئة مثلث متطاول ، قاعدته ٦ كيلو مترات وارتفاعه عشرة كيلومترات . وقد اعطى لمجموع هذه القرى اسم : البريمي ، لأن اكبر قرية فيها كان اسمها البريمي .

اما أسماء الثماني قرى الأخرى فهى :

العين ـ حَمَاسة ـ هيلى ـ الجيمي ـ القَطَارة ـ صَعَرا ـ المعترِض ـ المُويجعي .

وهى ليست قرى بالمعنى المفهوم ، بَل مزارع متفرقة،منازلها مبنية بالطين،تفصل بينها كثبان رملية عامرة باشجار النخيل واشجار السَمُر الصحراوى، والقلاع القديمة المهجورة التى تشهد بالصراع الذى كان على هذا المركز التموينى الاستراتيجى الهام .

لقد ظلت قريتا : البريمي وحماسة اهم قرى الواحة حتى عام ١٩٥٣ ، حيث بدأتا تفقدان هذا المركز وتتركانه لقرية « العين » التى اصبحت اليوم القرية الاولى بين مجموعة قرى الواحة ، اذ تجمعت فيها جميع مظاهر التجارة والزراعة والحياة ..

سمك مجفف .. وبلاليط !

ويتجه الرجل البدوى الى قرية العين على رأس قافلة من الجمال ، تحمل أكواما من الأعشاب الجافة التى جمعها من الصحراء .

وما تكاد قافلته تظهر عند مشارف القرية حتى يتسارع اليه الرجال ، كل منهم يريد شراء حمولة قافلته ، وفى النهاية يبيعها بسعر لا يتجاوز ٤٢ روبية لحمولة العشرة الجمال .. (٢ر١٢ روبية = جنيه استرلينى) .

تعتبر التمور من أهم حاصلات البريمي وتكاد تكون البريمي مشتقة من اسم نوع من النخيل يزرع في اسبع البريمي .. وبجانب النخيل تغرس اشجار من ويصدر الاهالي كل انتاجهم من الحمضيات الى خارج

وجوه معبرة لفحتها شمس الصحراء المحرقة ، وجعدتها الحياة المرهقة .. ان باليوم القريب الذي سوف تتفجر فيه الثروات المكنوزة تحت سطح أرضهم الرملية

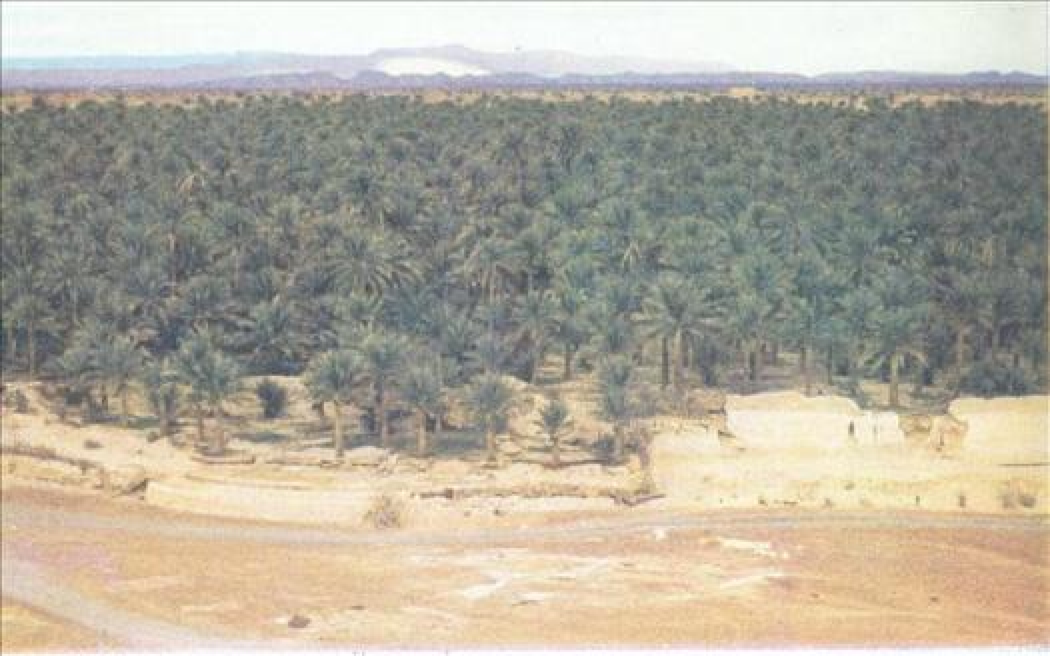

المورد الوحيد للسكان هناك ، ويقدرون عدد النخيل بنحو ٣/٤ مليون نخلة .. ويقول البعض ان كلمة البصرة وقد نقلت فسائل منه قديما الى هذه المنطقة التي عرفت باسمه ، ومع الايام حرف الاسم حتى مثل : الليمون والسفرجل واليوسفى ويسمونه (ترنك) والحامض الحلو ، والمانجو ويسمونها (هامبا) والموز .. الواحة

الضحك ، أو حتى الابتسام ، لا يعرفان طريقهما اليها .. انهم ينتظرون ويحلمون الفاحلة فتبدل شقاءهم سعادة ، وفقرهم غنى ، وعبوسهم بسمات ؟

ويأخذ البدوي هذه الروبيات الهندية ، وهي العملة المتداولة هناك،ويتجه ناحية السوق تحت اشجار الجرَط والسّدرة ، فيشتري نصف سمكة مجففة ، واردة من شاطىء عمان ، بروبية واحدة .. ورطلا من اللحم بروبيتين ونصف .

ثم يتجه الى السوق المبني بالطين ، والمسقوف بسعف النخيل ، فيتقابل مع زميل له ايسر حالا منه ، جاء مع حمار محمل بخمسين ربطة من التتن ، وهو التباق ، فيسيران معا يعرضان البضاعة على اكثر من تاجر ، حتى يبيعا الربطات الخمسين ، بخمسين روبية .. فيشتري هذا الزميل « الثري » الشاي والقهوة والتمر والارز ، ودهن الياسمين (عطر محلي) ، والبلاليط (وهي المكرونة الشعر) وعلب صلصة الطماطم ، ونعلا من الجلد لسيدة الاسرة .. ثم يتجهان الى بائع الصواني الخشبية الملونة الواردة من الهند ، والاقمشة الملونة فيشتريان قطعتين من القماش لزوجتيهما .

سوق الجمال

وعند بائع البرتقال تبدأ مجادلة حول السعر ، ولكن البائع يتمسك بسعره ويرفض ان يبيعهما باقل من روبية لكل ثلاث برتقالات .. فيتركانه وينضمان الى حلقة كبيرة من الاعراب ملتفين حول مجموعة من الجمال المعروضة للبيع بالمزاد ، فيجلسان يستمعان الى « الدلال » وهو يعدد مزايا الجمل المعروض ، ثم يبدأ المزاد ، فترتفع الاصوات .. هذا بخمسين روبية ، وذاك بستين ، واخيرا يرسو المزاد على احدهم بتسعين روبية ..

وليس هذا السعر هو ثمن كل جمل ، فقد بيع احد الجمال الاصيلة بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة روبية أي ٢٦٢ جنيها استرلينيا . هكذا قالوا لنا !

والأصالة في الجمل تحتم انحداره من سلالة معروفة يحفظ البدوي اسماءها المتعددة: مَصيمان، عَرّجان .. ولا بد ان يكون انثى ، اي ناقة ، خفيفة الحركة ، سريعة العدو ، صدرها متسعا ، وفخذها ملآنا ، ورقبتها طويلة ، ورأسها متوسط الحجم ، واسنانها سدّسا (اي عمرها ٦ سنوات) ، وخصرها ضيقا ضامرا ..

كعب الاحبار

وبعد انتهاء المزاد في سوق الجمال ، توجه الاعرابيان الى اطراف قرية العين لقراءة الفاتحة على ضريح متواضع ، يعتقد الاهالي ان رفات « كعب الاحبار » مدفونة فيه ، لقد تقرر اقامة ضريح كبير في هذا المكان يضم غرفتين للزوار ، الذين يأتون لتقديم النذور ، ونحر الذبائح ، حتى تنفك عقدة المرأة العاقر ..

جزيرة من الماء !

وبجوار هذا الضريح ، تمت عملية مد اول شبكة انابيب مياه حديثة في البريمي .

وقصة الماء في البريمي ، هي قصة هذه الواحة الخصبة،فلولا الماءما كانت..وهميشبهونها بجزيرة من الماء معزولة وسط بحر من الرمال !

ويبدي اهل البريمي براعة فائقة في استغلال كل قطرة من المياه لصالحهم .

وقد تندهش اذا علمت ان عين الماء تبعد ١٣ كيلو مترا عن ما يسمى بواحة البريمي !

فمياه الأمطار المتساقطة على جبل حَفيط ، في الجزء الجنوبي من الواحة ، تتجمع على عمق ٥٠ مترا تحت ارض صخرية صلبة .. فيتجمع الماء عند هذا العمق السحيق ومنه على نفس العمق ، تتفرع افلاج (قنوات محفورة) في الصخور تمتد

يستعمل اهالي البريمي سعف النخيل لاقامة منازلهم ، مما يسـ

صوان من الهند ، ومنسوجات من ايران ، وسجاير من امريكا . كل هذا تجده معروضا قرب سوق قرية العين

للهواء بالمرور عبر الجدران فيرطب جو الحجرات

افقيا مسافة ١٢ كيلو مترا تحت الارض ، حتى تصل الى المزارع والبساتين ، فى قرى البريمى التسع ..

من الذى حفر القنوات ؟

واول سؤال يخطر على البال : من الذى حفر هذه القنوات الغريبة التى تكاد تكون اعجازا ، فى هذه المنطقة النائية عن مظاهر الحضارة الحديثة ؟

والاقوال عن الذين حفروا هذه القنوات كثيرة ومتعددة . منها ما يزعم انها حفرت فى عهد سليمان ابن داود ، الذى سيطر على الجان ، وسخرها لحفر هذه القنوات ! ومنها ما يقول انها من صنع الطبيعة .. ولكن هذه القنوات ترتفع من الداخل ارتفاعا مساويا لقامة الانسان وهذا يوحى بانها

اصيب هذا الصقر بجرح في ساقه ، فهرع به صاحبه الى المستشفى يعرضه على الدكتور كندي الامريكي ، الذي تولى علاج الصقر وتضميد ساقه !!

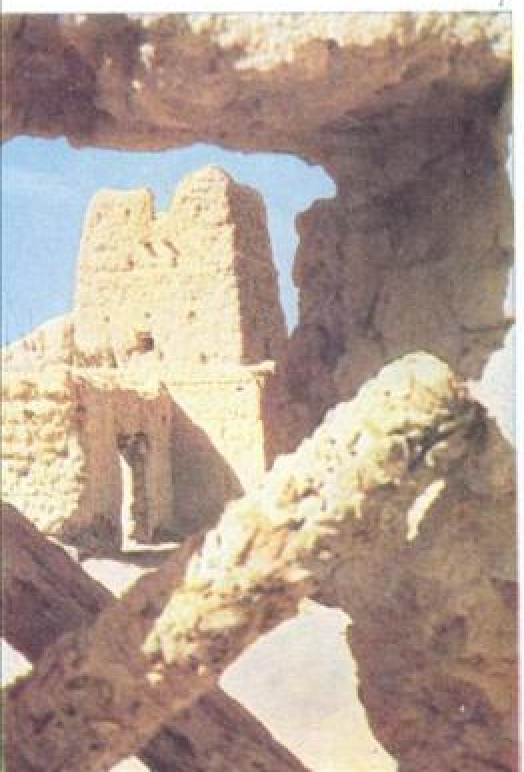

تستقبل المسجلة بالمستشفى نساء الواحة وتحولهن الى الطبيبة المختصة .. ونراها هنا مع اثنين منهن .. ومما يذكر أن متوسط المترددات على المستشفى يتراوح بين ٢٥ و ٣٥ حالة يوميا ..

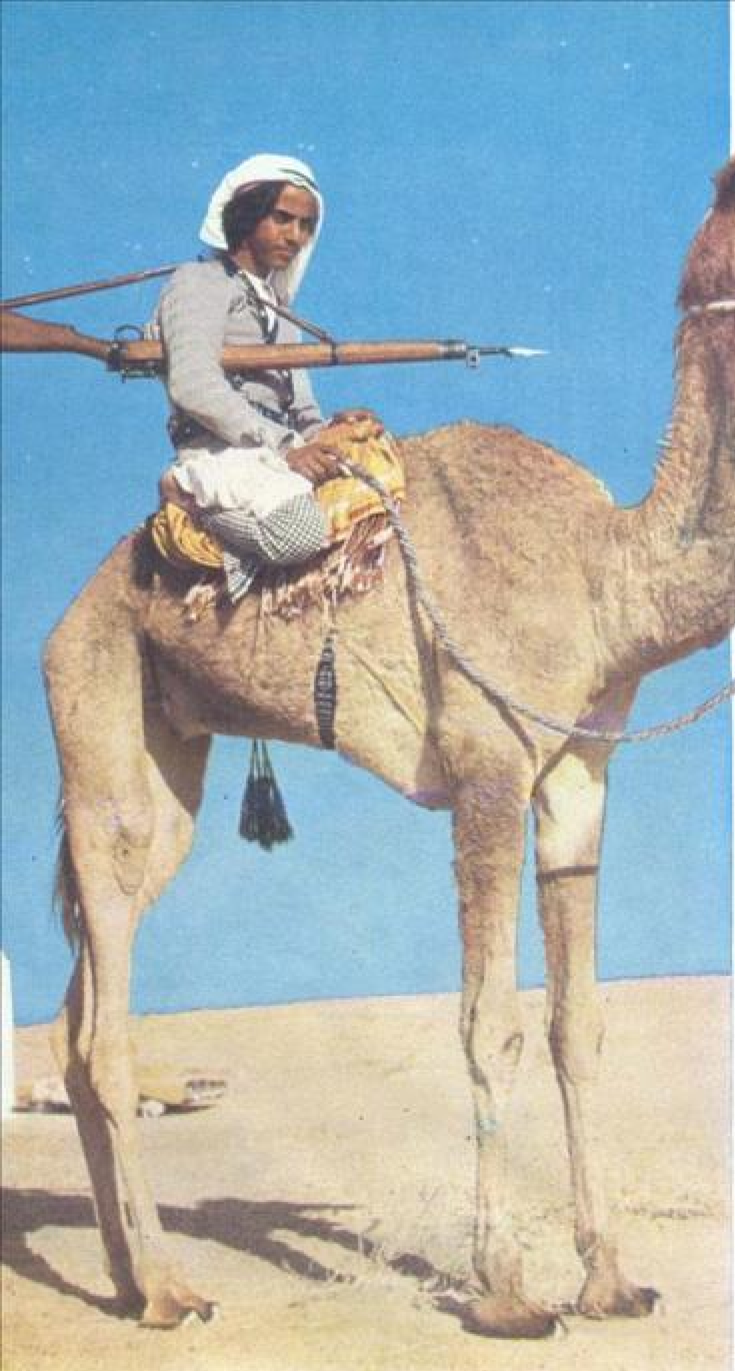

ما زال الجمل ، حتى اليوم ، من اهم وسائل المواصلات والانتقال في الواحة ، ونرى هنا احد الجمال الاصيلة واسمه « غزالة » يمتطيه احد ابناء البريمي وقد علق بندقيته على كتفه .. وجلس فوق ظهر الجمل على طريقتهم في ركوب الجمال

الى اسفل : ابراج وقصور طينية مهدمة لا اثر فيها للحياة ، تجدها متناثرة في كل قرية بالواحة ..

من صنع الانسان .. عدا آثار حفر وجدناها على جدران هذه القنوات

ظلت هذه الأسئلة حائرة حتى بداية عام ١٩٥٦ عندما بدأ افراد قبيلة العوامر بحفر سبع آبار جديدة اوصلوا مياهها فى قنوات شقوها على نفس العمق الذى عليه القنوات الاولى ، الى العين الرئيسية القديمة !

واستغرقت عملية الحفر هذه ثلاث سنوات ونصف سنة ، استعمل فيها العوامر ادوات بدائية ، مثل التى استعملها اجدادهم ..

وقد بين هذا العمل أن القنوات القديمة ليست من صنع الجن ، بل من صنع الانس ، وعلى التحديد من قبيلة العوامر .. الذين تقاضوا ١٥٠ الف روبية مكافأة عن عملهم الاخير ..

لن تجف مياه البريمى ..

ان حفر هذه الآبار السبع الحديثة ، كان واحدا من التدبيرين اللذين اتخذا للقضاء على ما كان يقال ، من ان مياه الواحة سوف تجف بعد عشرين عاما ... !

اما التدبير الثانى فكان تغطية القنوات المعرضة الشمس ، التى كانت تسير فيها المياه عند اقترابها من القرى ، لمنع تبخر المياه ..

وبعد هذا بدأت عملية مد خطوط أنابيب جديدة لرى الأرض الصحراوية الصالحة للزراعة فى الواحة .. وقد ادى هذا العمل الى مضاعفة مساحة المنطقة المزروعة التى لم تكن تتعدى ٢٠٪ من مساحة الاراضى الصالحة للزراعة فى الواحة ...

وقد اشترك فى بناء هذه الشبكة الجديدة من الانابيب اكثر من الفى عامل ، اتموا حتى الآن ما يزيد طوله عن ٨٦ الف قدم من هذه الانابيب التى سوف توصل كل قطرة من مياه العيون الى مزارع النخيل الهائلة (انظر الصورة ص ٤٠) والخضر والفواكه ،

اقيمت فى انحاء كثيرة من البريمى عدة آبار ارتوازية ، هذه احداها وقد حفرت منذ سبع سنوات فى قرية الجيمى ، لتسقى مزرعة تنتج مختلف انواع الخضر من بطاطا ، وملفوف ، وباذنجان ، وبصل ، وجتّ (برسيم) ، وفلفل

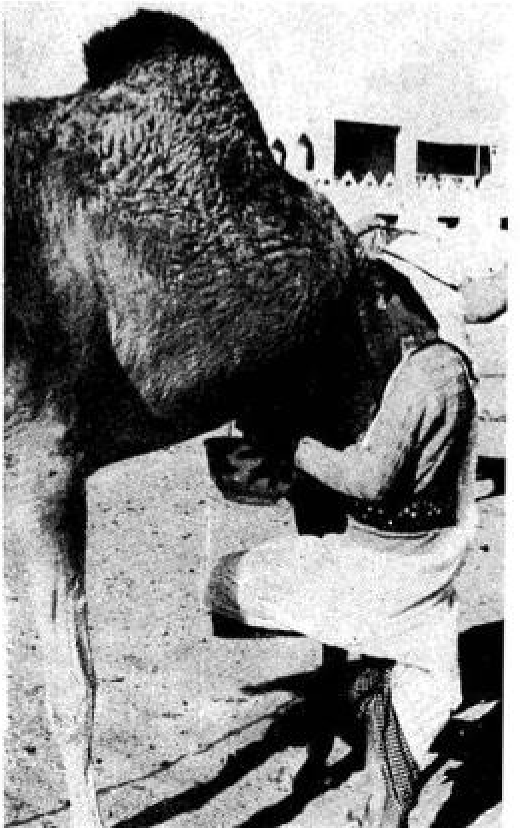

الى اليمين : حليب الناقة يشربه الاهالى لعلاج الام المعدة ←

اكثر من الفى عامل اشتركوا فى مد ٨٦ الف قدم من قنوات الماء الجديدة ، التى سوف تضاعف مساحة المنطقة المزروعة فى الواحة .

بحيث لا يتبخر منها شيء اثناء الطريق الطويل .

كما اصبح بالامكان سقى كل بستان فى الواحة ، مرة كل يومين ، بدلا من مرة كل سبعة ايام .

وقديما كان عدد الافلاج (القنوات) فى البريمي يزيد عن ١٠٠ فلج ، الا ان المنهزمين من المتحاربين على الواحة ، كانوا يردمون الكثير منها عند انسحابهم للتخريب .

وتعتمد كل قرية من القرى التسع على فلج او اكثر ، يمدها بالماء العذب الصالح للشرب والرى . واحيانا تشترك قريتان فى فلج واحد ، مثل قريتى البريمى وحَمَاسا ، بينما ان قرية العين لها وحدها ثلاثة افلاج تمدها بالماء .

البريمي الحديثة

ان نظام اقنية الرى القديمة العميقة قد حافظ على البريمى ، ومنعها من الاندثار تحت رمال عواصف الصحراء الهوجاء ..

اما اليوم فالعمل يجرى لتحويل البريمى الى بلدة حديثة ، وقد تم حفر الآبار الارتوازية فى القرى نفسها ، حتى اصبح الكثير من المزارع يعتمد اعتمادا كليا على مياه هذه الآبار .. وكذلك انتهت دراسة مشروع اقامة خزان لحفظ الماء فى قرية المويجعى .. كما تقرر تمهيد الطرق المؤدية للواحة لتصبح مصطافا لأهل البلاد المجاورة ، فبساتين الفاكهة تلطف الجو وتجعله معتدلا فى اوقات القيظ .

مطلوب سيارة !

وبجانب اعمال الرى والطرق فتحت لأول مرة مدرسة ومستشفى فى الواحة .

الاولى تحمل اسم مدرسة « عثمان الابتدائية » ، وقد فتحت ابوابها فى اليوم الاول من شهر نوفمبر عام ١٩٦٠ لتستقبل ٦٠ تلميذا ..

وفى كل صباح يهرع هؤلاء التلامذة ، بملابسهم

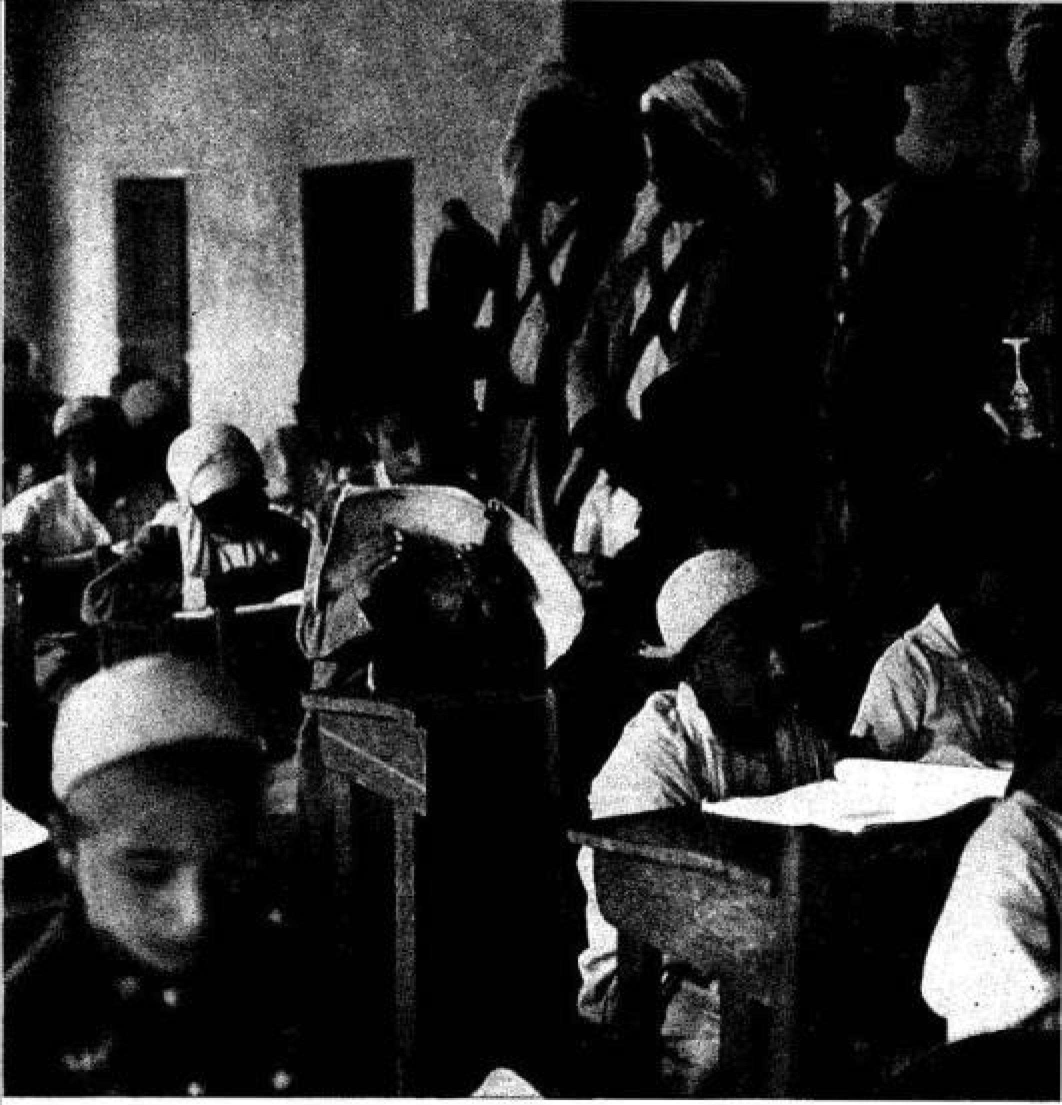

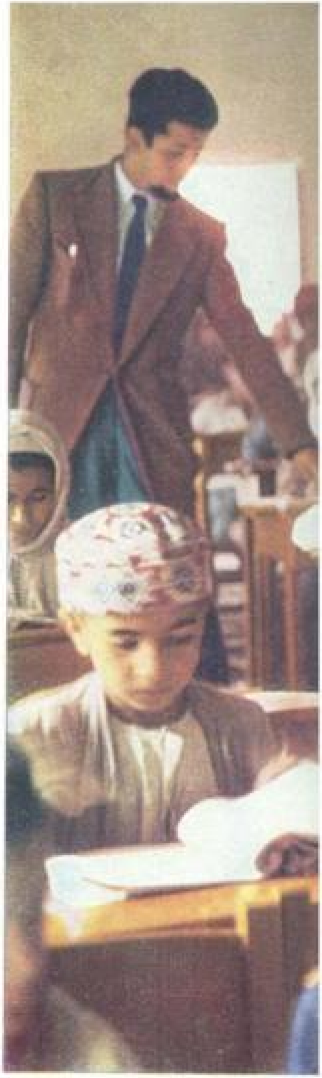

التعليم .. شيء جديد لم يدخل الواحة الا منذ ١٢ شهرا فقط ، ومع ذلك فالاطفال يقرأون ويكتبون ، ويرتلون هذا النشيد كل صباح :

بلاد العرب اوطاني وكل العرب اخواني
انا لا ارتضي عيشا على ذلٍّ وعدوانِ

ويتجمع الآباء — الذين فاتهم الدور في التعليم — حول ابنائهم يستمعون اليهم وهم يقرأون في الحصص ، ويشاهدونهم في الصباح وهم يمارسون بعض الالعاب الرياضية ، كما يعير الآباء ابناءهم خناجرهم العربية المرصعة ليشتركوا بها في المسرحيات المدرسية .. كما ترى في الصور المنشورة على هاتين الصفحتين . هذا ومن المنتظر أن يبدأ تعليم الفتاة قريبا في الواحة

البيضاء النظيفة ، الى الساحة الواسعة امام المدرسة ، فيؤدون تمريناتهم الرياضية اليومية ، تحت انظار ذويهم ، الذين يلتفون حولهم ، حاملين صقور الصيد على اذرعتهم . ولايكتفي بعض الآباء بمجرد مشاهدة اولادهم في الساحة بل يتوجهون الى داخل الفصول ويستمعون مع ابنائهم الى الدروس التي يلقيها الاساتذة .. (انظر الصورة ص ٤٨) .

ولا يخفى هؤلاء الاساتذة دهشتهم من الذكاء الخارق لاطفال الواحة ، ويعزون ذلك الى ان مفاسد المدنية الحديثة لم تفسد تفكيرهم بعد ..

وهكذا يستوعب العقل الصغير « الخام » كل ما يلقى اليه ، من الاساتذة صُبْحى محمد السلع ومحمود احمد دغيمات ، ورمضان الكيالي ، وزهير نقال ، اولئك الاربعة الذين يعملون بهمة واخلاص لتنشئة جيل عربي جديد ، في هذه الانحاء النائية من قلب الصحراء .

والمنتظر أن يقفز عدد التلامذة في هذا العام الى ثلثمائة اذا خصصت سيارة لجمع ونقل الاطفال من القرى التسع .. فالمدرسة تقع في قرية العين ، وحضور التلاميذ سيرا على الاقدام من القرى المجاورة ، ضرب من المستحيل .

صقر وجمل في المستشفى !

وبجوار المدرسة يقوم اول مستشفى في المنطقة ، فتح ابوابه بعد افتتاح المدرسة بعشرين يوما ، واستقبل نحو الف زائر خلال شهرين ، والاستشارات والعلاج في هذا المستشفى بالمجان ولا يتاخر اهل المنطقة عن جلب حيواناتهم للعلاج . فمرة الجمل ، ومرة الصقر (انظر الصورة ص ٤٤)

والطبيب الاول في هذا المستشفى هو الدكتور الامريكي كِنِدي تساعده زوجته ـ وهي الاخرى طبيبة ـ تتولى علاج السيدات وتوليدهن ... ويعاون الطبيبين اثنان من المساعدين ومسجلة ، عرفنا من سجلاتها أن اكثر الامراض انتشارا في هذه البقعة هي : الملاريا ، الدوسنطاريا ، وفقر الدم ، وذات الرئة .

سينما في الهواء الطلق

ويقدر عدد سكان القرى التسع مع المناطق المحيطة بهم نحو ٣٥ الف نسمة ، كما يقولون ، اذ لم يجر حتى اليوم اي احصاء عام للسكان ، الذين يتجمع عدد كبير منهم مساء كل يوم خميس في الساحة الكبيرة بقرية العين لمشاهدة فيلم سينمائي مجاني يعرض عليهم في الهواء الطلق (انظر الصورة ص ٥١) . يرقصون بعده رقصة « العرضة » على ضوء النيران المشتعلة في الاحطاب ، ويهزجون بالاهازيج ، بينما النسوة في ركن خلفي يشهدن الفيلم من خلف البوشية السوداء التي تغطي وجوههن .

متى يتحقق الحلم ؟ !

قد يظن البعض ان كنز البريمي الوحيد هو الماء العذب . والواقع ان هذه الرمال الحمراء ، والمزارع الخضراء ، واشجار السَمُر والنخيل الهيفاء ، تخفى تحتها بحيرة خيالية من البترول .

ان الاشاعات المتضاربة عن وجود « الذهب الاسود » في هذه المنطقة اصبحت حقيقة لا ريب فيها ، في اعتقاد سكان المنطقة على الأقل ، وزادهم تأكيدا خبر صغير يقولون ان جريدة التايمس اللندنية ، قد نشرته في عددها

الاساتذة الاربعة في اول مدرسة بالواحة : تقع عليهم مسئولية تعليم الجيل الجديد ..

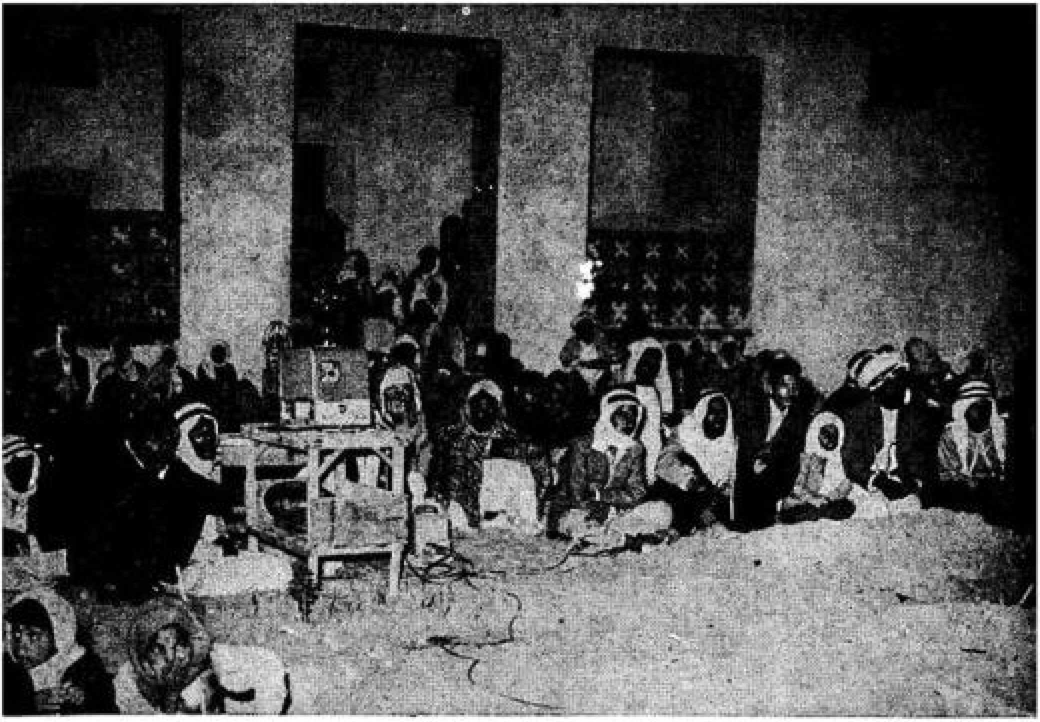

سينما فى الهواء الطلق .. مساء كل خميس

الصادر بتاريخ ١٠ فبراير عام ١٩٥٦ تقول فيه : « ... لقد ثبت وجود النفط فى هذه الواحات ... » .

ومع هذا فشركات النفط تصر على انكار وجوده وتوقف اعمال البحث فى المنطقة التى تبلغ مساحتها ٩٨٠ كيلومترا مربعا .

ان اهالى البريمى اليوم ، ينامون وهم يحلمون بأن محطات القوافل عندهم ستتحول الى محطات للبنزين فى القريب العاجل ..

وان صديقهم الودود ــ الجمل ــ سوف يترك مكانه للشاحنات والرافعات الضخمة ، التى سوف تجلب الذهب الاسود الى سطح الرمال ، فتحيلها الى اسطورة اخرى من اساطير البترول تسلب العقول بتطورها السريع ..

انهم يشاهدون الطائرات تمر من فوقهم ، تنقل ادوات الحفر الى جبل فهود ، القريب منهم ناحية الجنوب ، ويترقبون الساعة التى سوف تهبط فيها عندهم ...

لقد نسيهم التاريخ حقبة طويلة .. حتى اصبحت ابسط مظاهر الحياة اليومية تعتبر بالنسبة لهم من الاشياء النادرة الثمينة ...

ولم تخل هذه الحياة الصعبة من التعليق فكتب احدهم يقول :

« ان الوجود فى هذه المنطقة ليس مشكلة ، بل الاستمرار فى الحياة هو المشكلة » .

فان كان حلمهم اليوم هو : البترول ــ ولا شيء غير البترول ــ فهذا من حقهم .. لأن البترول يعنى الثروة .. والثروة تعنى حياة كريمة رغيدة ..

ان اهل البريمى ينامون اليوم ، وايديهم على اسلحتهم خوفا على بترولهم ، الذى لم يستغل بعد !! ■■

طرائف عربيّة

حكمة عمر بن الخطاب

● قال اعرابي لعمر بن الخطاب ذات مرة :

ــ اتق الله يا امير المؤمنين !

فهالت هذه الجملة رجلا كان حاضرا، فقال للأعرابي :

ــ اتقول لأمير المؤمنين ((اتق الله)) ؟!

فقال عمر :

ــ نِعْمَ ما قال ، وتقوا انه لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم تقبلها .

كلمات مأثورة

● لا بد من شكوى اذا لم يكن صبر .

● لا يجهل ماضيه الا فقير اغتنى ، او وضيع ارتفع .

● من أحبّك نهاك ، ومن أبغضك اغواك .

● اقوى الناس من قاوم الهوى .

● لا يُدرَك النعيمُ الا بالبؤس .

السيف القصير

● ناولتْ اعرابيةٌ ولدها سيفا ، فرآه قصيرا ، فقال : ((**انه سيف قصير**)) .

فقالت : ((**تقدمْ خطوةً ، فيطول !))** .

ثلاثةٌ وثلاثة

● ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة :شريف من دنيء ، وبَرٌّ من فاجر ، وحليم من احمق .

(ابن قيس)

ذو القرنين

● دخل راهب على هشام بن عبد الملك ، فقال للراهب :

ــ ارايت ذا القرنين ؟ اكان نبيا ؟

فقال الراهب :

ــ لا ، ولكنه انما أعطي ما اعطي بأربع خصال كنّ فيه : كان اذا قدَر عفا ، واذا وعد أوفى ، واذا حدّث صدق ، ولا يجمع شغل اليوم الى غد .

معــاوية

● كان لمعاوية بن ابى سفيان عَيْنٌ بالمدينة يكتب اليه بما يكون من أمور الناس وقريش ، فكتب اليه : ان الحسين بن على أعتق جارية له وتزوجها . فكتب معاوية الى الحسين : من امير المؤمنين معاوية الى الحسين بن على . اما بعد فانه بلغني انك تزوجت جاريتك ، وتركت اكفاءك من قريش ، ممن تستحسنه للولد ، وتمجد به فى الصهر ، فلا لنفسك نظرت ، ولا لولدك انتقيت !

فكتب اليه الحسين بن علي : اما بعد فقد

.

البر والاثم

● اذا تعبت فى البرّ فان التعب يزول والبر يبقى ، واذا وجدت لذة فى الاثم فان اللذة تزول والاثم يبقى.

(حكيم)

صرخة قومية

يا لَهْفَ نفسيَ ، إن كانت أمورُكُمُ ... شتّى ، وأُحكِمَ أمرُ الناسِ فاجتمعا
ألا تخافون قوماً ، لا أبا لَكُمُ ، ... أمسوا إليكم كأمثال الدَّبَى (١) سَرَعَا
في كلِّ يوم يسنّون الحرابَ لَكُمْ ... لا يهجعون ، إذا ما غافلٌ هجعا
وتلبسون ثيابَ الأمنِ ضاحيةً ... لا تفزعونَ ، وهذا الليثُ قد جَمَعَا
لقد بذلتُ لكم نُصْحى بلا دَخَلٍ (٢) ... فاستَيْقِظُوا ، إنَّ خيرَ العلمِ ما نَفَعَا

(لقيط الايادى)

(١) الدَّبى : الجراد الصغير واحدته دباة . وسرعا أى سرعة ـ (٢) دخل : غش وخديعة .

تعلموا العلم

● قال عبد الملك بن مروان لبنيه :

ـ يا بنى ، تعلموا العلم ، فان كنتم سادة فقتم ، وان كنتم وسطا سدتم ، وان كنتم سوقة عشتم .

مَنِ الخليفة ؟

● قال طلحة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه :

ـ والله ما ادرى انت الخليفة أم عمر؟

فقال : بل عمر ، لكنه أنا .

حكمتان باقيتان

● نعم الدواء الأمل ، وبئس الدواء الأجل .

● خير من الحياة ما لا تطيب الحياة الا به ، وشرٌ من الموت ما يتمنى الموت له .

والحسين

بلغنى كتابك وتعييرك اياى بانى تزوجت مولاتى وتركت أكفائى من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى شرف ، ولا غاية فى نسب ، وانما كانت ملك يمينى ، خرجت عن يدى بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة ، ووضع عنا به النقيصة ، فلا لوم على امرىء مسلم الا فى أمر مأثم وانما اللوم لوم الجاهلية !

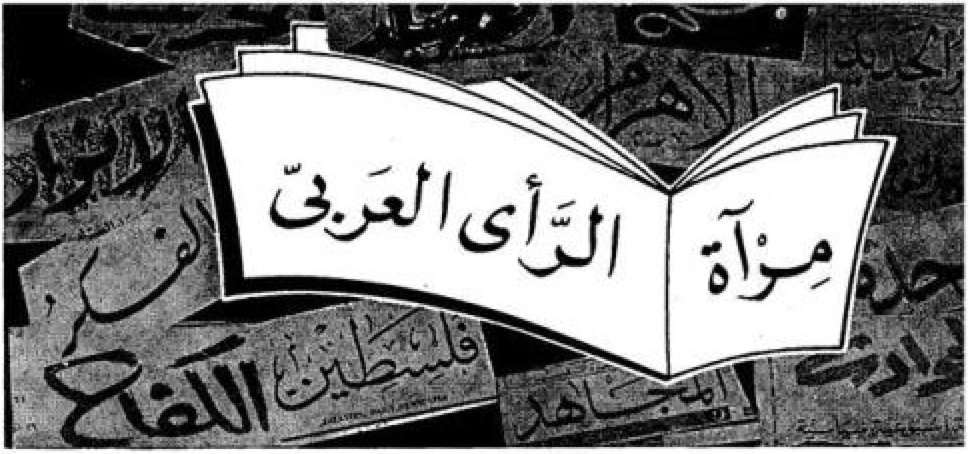

جرائم فرنسا

● تعود العالم على الفظائع والجرائم التى يرتكبها الاستعمار الفرنسى فى افريقيا .

واليوم يكتشف الرأى العام العالمى أن الجرح العفن البغيض الذى ينزف فى جسم العنصرية المجرمة قد استقر فى فرنسا نفسها بما يحمله من جرائم كانت ترتكب فى القرون الوسطى من حرق الاحياء والتمثيل بجثثهم تقربا لآلهة الاستبداد ، وهذا ماتريد العنصرية الاستعمارية ان تفعله بمناضلينا المستوطنين فى فرنسا ومن بينهم المعتقلون الذين يرسفون فى السجون والمحتشدات المنتشرة فى الجهات الأربع من فرنسا .

ففى باريس تقوم الشرطة الفرنسية باعتقال العمال الجزائريين من الاحياء التى خصصت لهم لترمى بهم فى نهر السين أو لشنقهم فى الغابات المظلمة المحيطة بمدينة « النور » الفرنسية ، وابناء شمال افريقيا العزل يقتلون فى الشوارع أو يلقى عليهم القبض لتعذيبهم والقائهم فى المحتشدات وابقائهم دون غذاء أو عناية طيلة أيام طويلة .

انه يكفى للمرء أن يلقى نظرة على التحقيقات الصحفية التى تنشرها الجرائد الفرنسية ، ليدرك انه لا يوجد فرنسى واحد يستطيع الزعم بانه يجهل الجرائم الرهيبة التى ترتكب باسمه وفى بلاده وفى عاصمة وطنه .

جريدة « المجاهد » ـ تونس
لسان جبهة التحرير الجزائرية

انتاجنا الفلسفى

● من صفات انتاجنا الفلسفى الحديث تقصيره عن مشارفة الانتاج الفلسفى فى اوروبا وامريكا ، فهو لا يزال حتى الآن فى سني حداثته لم يطرق باب الابتكار الا قليلا ، واكثر الذين طرقوا باب الابتكار لم يطرقوه الا على عجل فظل ابتكارهم مقصورا على تحقيق فكرة جزئية او حل شبهة معينة او تصور نظرية وضعوا اسسها دون ان يبنوا عليها مذهبا فلسفيا كاملا . دع ان بعضهم موزع الفكر بين موضوعات مختلفة لا تلبث أن تولد فى ذهنه حتى يؤلف فيها كتابا . وربما كان ذلك ناشئا عن طبيعة المجتمع الذى نعيش فيه ، فهو لم يهيىء لنا بعد أسباب التخصص العميق ، ولم يعودنا التفرغ للبحث العلمي الهادىء الرصين . واكثر أساتذة جامعاتنا مصروفون عن الانتاج المبتكر الى التاليف المدرسي ومدفوعون عن الحياة التاملية الى الحياة العملية يكسبون فيها رزقهم . وهم لم يتوفر لهم جميعا ما توفر لعلماء الغرب من طمانينة فكرية وضمان اجتماعي .

الدكتور جميل صليبا
فى مجلة « العلوم » ـ بيروت

برلين .. واسرائيل

● الهروب من برلين ، عند دول الغرب واقطابها ، نعمة كبرى يجب أن تبقى حتى ولو بالحرب ...

ولكن الهروب من اسرائيل الى أى بلد عربى ، جريمة يستحق صاحبها أن يسقط بالرصاص ولا يجد صوتا واحدا يدافع عنه ...

الهروب هناك دعاية للراسمالية ، ومعرض للازدهار المفتعل ، ودعوة للرفاهية المصطنعة ... ولكن الهروب هنا ، لانه حقيقى وصادق وامين ، يدفع صاحبه الى الموت !

ماذا نقول للرئيس كنيدى وهو ينادى بأن السلام العالمى .. كل السلام العالمى يتعرض للتهديد بالنسبة لحرية برلين ؟!

ترى ، أليس فى قاموس السياسة الأمريكية ، سوى حرية واحدة ، لعملية هروب واحدة من بلد معين واحد ، الى بلد معين واحد ..

يا للخزى ويا للفضيحة ..

اذ بينما كنيدى يتحدث أمام دول العالم من حرية الهروب من برلين .. الى برلين ، تقوم الدولة التى عاشت بحراب أمريكا فى معاقبة كل من يمارس نفس هذا النوع من الحرية فى التخلص من جحيمها .. بالموت !

جريدة « الجمهورية » ـ القاهرة

تصارع العملاقين يهدد العالم بالفناء

● ترى متى يقدر لهذا العالم أن يشهد فترة هدوء تنصرف فيها الدول الى التعاون فى سبيل رخاء الانسانية ورفاهيتها على أساس من التعايش السلمى ؟

يبدو أن العملاقين الكبيرين يأبيان ذلك على العالم فهما يتسابقان الى ابداء قوتيهما ، ويصرفان جهودهما فى ابراز ايهما اقوى من الآخر ، والعالم المسكين يشهد هذا الصراع الذى لا تعود نتائجه على العملاقين فحسب بل على الانسانية جمعاء .. يشهد كلا من الفريقين يستعرض عضلاته ويهدد بقوته بأساليب تبعث على الاسى والضحك معا .

ويعيش العالم فى هذا الجو الرهيب ، يسوده القلق ويتحمل النتائج لهذا السباق من اشعاعات ذرية تتزايد يوما بعد يوم ويتفاقم خطرها ساعة بعد ساعة .

ان العالم كما قال الرئيس كنيدى فى احدى المناسبات يعيش أحلك فترات حياته .. ولكن من المسؤول عن ذلك ؟ أليس هذا التسابق من جانب العملاقين على استعراض القوة وعلى جمع الاسلحة الفتاكة ؟!

واذا كان تقدم العلم قد اتاح للعملاقين ان يوجهاه هذه الوجهة الخطيرة التى تحمل فى طياتها هدم الحضارة والمدنية والقضاء على الجنس البشرى ، أو عيشة فى ظل الخوف والقلق والآثار الفظيعة التى تتركها التجارب الذرية .. فانه تقدم نحو النهاية بخطى واسعة ، تقدم خير منه التأخر والتوقف :

ان كان عهد العلم هذا شأنه فينا ، فعهد الجاهلية أرفق

جريدة « العمل » تونس

أبطال من بلادنا

مُصْطفى كامِل

مُوقِظ الوطنيّة على ضِفاف النيل

(لمناسبة ذكرى وفاته فى العاشر من فبراير)

• فى ظلمة الحياة بالقاهرة سطع شعاعٌ من نور
• سطع كالشهاب، ثم خبا، ومات قبل بلوغ الأربعين

بقلم : قدرى قلعجى

■ كان كالشهاب الخاطف يبهر العيون بنوره ،ولكن سرعان ما ينطفىء تاركا فى النفوس كثيرا من الشوق والحسرة والأسف العميق ..

وكأنه كان يشعر بأن الزمن لن يمهله ، فكان يحث خطاه ، ويسرع فى عمله ، ويحمل نفسه فوق طاقتها من الجهد والنشاط ، ومن النضال الذى لا يعرف هوادة ولا لينا ، حتى قيل ان حماسته أشبه بحرارة الحمى ، وأن فى وطنيته سعارا وجنونا ..

حكم الطاغية مصر دهرا

وكانت مصر قد عراها الذهول بعد اخفاق الثورة العرابية ، واحتلال الجيش البريطانى اياها ، وتشتتت الشخصيات الوطنية المناضلة ، وانطوى بعضها فى عزلة تامة ، بينما خضع بعضها للسلطة الأجنبية واستسلم لها استسلاما مهينا . وتفرد اللورد « كرومر » واعوانه بالحكم ، لا ينازعون عليه ولا يقاومون فيه ، فنشروا الظلم والطغيان ، واستبدوا بأقدار الناس ، وهزأوا بالقيم الرفيعة والمثل العليا ، حتى سادت البلاد موجة كثيفة من الظلام ، ورانت على النفوس روح الهزيمة والقنوط ..

وفى الظلمة سطع شعاع من نور

فى تلك الظلمة التى غشيت مصر ، وفى ذلك الركود الذى عراها ، نهض شاب وسيم الوجه ، براق العينين ، قوى العزيمة ، سديد الرأى ، شديد فى الحق ، مع وداعة ورقة وحلم ، وأخذ يدعو قومه الى المقاومة ، ويحثهم على النضال ، فافاقت مصر على صوته . وقابل الكثيرون رسالته بدهشة واعراض . انهم لم يصدقوا ان من الممكن أن تقوم فى بلادهم حركة وطنية لانتزاع الاستقلال من براثن الدولة المسيطرة وهى أقوى دول الأرض عند ذاك ..

ولكن هذا الشاب الوسيم الوديع الجرىء مافتىء يكافح ويناضل ويرسل النداء تلو النداء ، حتى أعاد الأمل الى اليائسين ، وحرك الضمائر الراقدة، وادهش الناس بشبابه وايمانه ، وتحولت دعوته الى عقيدة راسخة ظلت تلهم المصريين وتسيرهم عشرات السنين التى جاءت من بعده ..

لقد أعطى مصطفى كامل نفسه كلها ، لهذه الدعوة الوطنية التى دعا اليها وبشر بها ، فهى حياته بأسرها لا مرحلة منها ، وهى كيانه كله لا جزء منه . قال مرة : « سأبقى حتى الممات

فى القرن العشرين

حاملا لواء الاستقلال ، اذ أجد حياتى فى هـذه العقيدة وبغير هذه الشعلة الوطنية لا أستطيع أن احيا .. » .

مولد مصطفى ونشأته

ولد مصطفى بالقاهرة فى الرابع عشر مـن آب (أغسطس) سنة ١٨٧٤ وكان أبوه علي محمد ضابطا مهندسا معروفا بطيب خلقه ونبل قلبه ، وكانت أمه حفيظة فهمي امرأة تقية اشتهرت بصفاء النفس وحب الخير والصبر عـلى احتمال متاعب الحيـاة ، فانشأته نشأة صالحة وربته تربية قويمة ، فشب على الأخلاق الفاضلة الكريمة ، التى كانت منبع عظمته ، وعدة جهاده ، وسبيله الى الفوز فى مهامه الجسيمة .

وكان كل شيء مبكرا فى حياة الفتى ، فقد بدت عليه وهو يتلقى علومه الابتدائية فى مدرسة « والدة عباس الأول » شدة النباهة ودقة الملاحظة وقـوة الذاكرة ، وامتاز فى المدرسة « الخديوية » الثانوية بدرب الجماميز بالقاهرة بشجاعة الرأى واستقلال الفكر واتقاد الذكاء ، وقد عرفه فى ذلك الحين وزير معارف مصر الشهير ، علي مبارك ، فأعجب به ودعاه الى منزله ، وقدمه على حداثة سنه الى جلسائـه من العلمـاء والكبراء ، فكان يناقشهم ويجادلهم فى الشؤون السياسية والاجتماعية .

فى دراسة الحقوق

وكان مصطفى يؤلف الجمعيات وهو لا يزال على مقعد الدراسة ، ويخطب على المنابر ، ويراسل الصحف ، ويتحدث عن تحرير الوطن وجلاء المحتل، انتسب الى كلية الحقوق لأنها مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد والأمم ، لا بوصفها مدرسة تعده لمهنة يحترفها ويتكسب بها .. ثم التحق بكلية الحقوق الفرنسية ليستزيد من دراسة اللغة الفرنسية فيجيد الكتابة والخطابة بهـــا ويدافع عن قضية بلاده أمام الرأى العام الأوروبى .. والواقع ان قضية مصر كانت القضية الوحيدة التى ترافع فيها ووقف عليها حياته ، ولم يُعرف ابدا انه ترافع فى قضية شخصية ..

اتصاله بزعماء الصحافة

وتعرف خلال ذلك بعدد من الكتاب والشخصيات البارزة منهـم الشيـخ علـي يوسـف صاحب « المؤيد » وبشارة تقلا صـاحب « الاهـرام » فاعجبا به وشجعاه على نشر المقالات فى صحيفتيهما فنشر فيهما عددا من الرسائل الوطنية .. ثم أصدر مجلة سماها « المدرسة » هى اول مجلة مدرسية أصدرها طالب مصرى ، وصدر العـدد الأول منها فى ١٨ شباط (فبراير) سنة ١٨٩٣ وهو فى التـاسعة عشرة من عمره ، وقد كتب الى اخيه علي فهمي كامل : « ابعث اليك بمجلة « المدرسة » التى انشأتها لخدمة الناشئين لا للربح والشهرة » .

واتصل بخطيب الثورة العرابية واستمع لـه طويلا

واتصلت حياة مصطفى كامل في هذه المرحلة من سيرته بالشيخ عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية وأحد زعمائها ، وقد عاد فى تلك الايام من منفاه بعد ان قضى فيه عشر سنوات ، فأعجب به واخذ يغشى مجلسه ويصغي الى أحاديثه عن الثورة العرابية وخفاياها ، والاسباب التى ادت الى اخفاقها ، وانتهت بالكارثة القومية التي حلت بالبلاد ، فكانت هذه الاحاديث مصدرا جديدا من المصادر التي الهمته شجاعة الرأى وصلابة العقيدة والعزم الاكيد على النضال حتى النهاية فى سبيل وطنه وشعبه .

رحلاته الى فرنسا

ومن العوامل التي تركت أثرا قويا فى حياته وفى توجيه ثقافته ، رحلاته المتتابعة الى فرنسا لاداء فحوص الحقوق فيها .. وقد ادى فى صيف سنة ١٨٩٢ فحص السنة الاولى بنجاح ، وادى فى صيف ١٨٩٤ فحص السنة الثانية ، وفى خريف هذه السنة نفسها عاد الى باريس ليؤدى فحص السنة الثالثة فرفضت كلية باريس قبوله فى عداد الطلاب المتخرجين ، اذ كان نظامها لا يقرّ ان يؤدى الطالب امتحانين فى سنة واحدة ، ولكن أساتذته ساعدوه على قبول طلبه فى كلية « تولوز » بفرنسا فدخل الامتحان ، ونجح فيه ، ونال شهادة الحقوق فى تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٨٩٤ وهو فى العشرين من عمره .

مصطفى يدخل ميدان الكفاح

وانتقل مصطفى كامل الى ميدان الكفاح .. وعكف على مطالعة كل ما وضع عن مصر من ابحاث وكتب ودراسات ، فاقترن الايمان الذى يزخر فى صدره بالمعرفة التى تعززه وتقويه .

التقاؤه بأخ اللورد كرومر على ظهر باخرة

وبدأ نضاله فور عودته من أوربا فى أوائل سنة ١٨٩٥ بنشر حديث له مع الكولونيل بارنج شقيق اللورد كرومر جرى بينهما على ظهر الباخرة التى اقلته الى مصر ، وكان هذا الحديث يتضمن وجهتي نظر متناقضتين ، فالكولونيل يرى الاحتلال ضرورة لا بد منها ، والشاب المصرى المؤمن يعتقد ان الجلاء حق لمصر وواجب على انكلترا .. وكان مما سأله اياه الكولونيل ساخرا : « مَن للمصريين من الانصار أو السفراء فى أوروبا يعتمدون عليهم فى قرب تحقيق الجلاء ؟ » فاجابه : « لنا اوروبا بأسرها التي تناديها مصالحها العديدة بأن تنصرنا لنصرة تلك المصالح التى سعيتم من يوم احتلالكم البلاد فى تقويض أركانها ، على أنها اذا لم تنصرنا فان لنا من حقنا واتحادنا ، بوصف اننا امة عظيمة ذات حضارة قائمة مأثورة ، ما نبلغ بهما الى ما نصبو من حرية واستقلال » .

يؤمن بالدعاية للقضية فى اوروبا

ولكن هذا السؤال الساخر ظل يلح على مصطفى كامل حتى قام فى يقينه ان من أهم الدعائم التى يجب الاعتماد عليها فى مكافحة الاستعمار البريطانى ، الدعاية للقضية المصرية فى البلاد الأجنبية ، والظفر بتأييد الأوساط السياسية فيها، لان المسألة المصرية مجهولة لدى الرأى العام الاوروبى ، ولا تفتأ الدعاية البريطانية تنشر عن مصر الأكاذيب والافتراءات ، وتزعم للعالم انها قانعة بالاحتلال راضية عنه ..

واتفق ان زار مصر النائب الفرنسى دلونكل المعروف بعدائه للسياسة البريطانية ، وكان مصطفى كامل قد تعرف به فى باريس ، فاستقبله فى الاسكندرية ، ورافقه طوال اقامته فى مصر ، وعرفه بالشخصيات السياسية والشباب الوطنى ، وخطب فى الحفلات التى حضرها شاكرا له انتصاره لوطنه .. وما لبث ان لحق به الى فرنسا فى ايار « مايو » سنة ١٨٩٥ .

« مصر ترسف فى القيود »

وماكاد يستقر فى باريس حتى قام بعمل جرىء كان له صدًى بعيد فى أوروبا كلها ، اذ طبع صورة

رمزية تمثل مصر وهي ترسف في القيود وقدمها الى رئيس المجلس النيابي الفرنسي ، وارسل منها الاف النسخ الى النواب والسياسيين والى الصحف في جميع انحاء العالم ..

وقد تحدثت الصحف والمجالس السياسية في اوروبا باهتمام ، عن هذه البادرة الوطنية التي اظهرت للعالم ان الصمت الذي كان يسود مصر لم يكن دليلا على اذعانها لمشيئة الاستعمار ، بل كان نتيجة ما تعانيه من اضطهاد وجور .. واكبر المجتمع جراة مصطفى كامل ووطنيته الصادقة ، ونشرت جريدة « الجورنال » الفرنسية حديثا له عن مصر والمسالة المصرية علقت عليه بقولها : « من المؤكد انه سيكون لمصطفى كامل دور" مهم في المسالة المصرية لأن أسلوبه السياسي قائم على الصراحة والحق ، فهو يذكر بشجاعة وجلاء تلك المظالم التي يعانيها المصريون من جراء الاحتلال الانكليزي الذي تتجسم فيه ألوان الاعتداء على حقوق الناس » .

غلادستون
رئيس وزراء بريطانيا ، يرد على مصطفى

ولم يفتر خلال هذه الرحلة والرحلات الأخرى التي قام بها الى فرنسا في سني ١٨٩٦ و١٨٩٧ و١٨٩٨ عن كتابة المقالات والقاء الخطب ونشر الرسائل في الاماني المصرية وما تقاسيه مصر من جور الاحتلال ، ومن ذلك رسالته الى المستر غلادستون رئيس حزب الأحرار في انكلترا مذكرا اياه بتصريحاته قبل اعتزاله الوزارة بان على انكلترا الا تنقض وعدها لمصر بالجلاء ، وقد اجابه غلادستون بكتاب مشجع يعد وثيقة مهمة من وثائق القضية المصرية .

جولييت آدم ، الأم الروحية لمصطفى

الا ان تعرّف مصطفى كامل بالسيدة جولييت آدم كان من اهم الأحداث التي أثرت في مجرى حياته وكان لها أثرها في نصرة المطالب المصرية ..

وكانت السيدة آدم يومئذاك من أكبر الشخصيات الأدبية والسياسية في فرنسا ، ومن اقواها تأثيرا في الرأى العام الفرنسي .. وقد كتب اليها مصطفى كامل يطلب معونتها في رسالة رقيقة،فدعته الى زيارتها،وماكادت تتعرف به وتصغى الى حديثه، وتتابع حججه وبراهينه ، حتى غدت من أكبر انصار القضية المصرية ، وغدا مصطفى ابنا روحيًا لها ، وكان له من تأييدها وعطفها دعامة قوية يلجأ اليها لانهاض معنوياته وتقوية عزيمته كلما اظلم الجو امامه وتراكمت في طريقه المتاعب والعقبات ..

فاشودة

وبينما كان جهاد مصطفى كامل يؤتي ثماره في ايقاظ المصريين واستئصال عوامل الياس والتخاذل من نفوسهم ، ودفعهم الى ساحة النضال من أجل حريتهم واستقلالهم ، وقعت حادثة فاشودة التي دلت الثائر الشاب على حقيقة النوايا العدائية التي تنطوى عليها الدول الاستعمارية مهما تظاهرت بالعطف على الشعوب المستضعفة والانتصار لها ..

ذلك ان فرنسا كانت تنفس على انكلترا توغلها في افريقيا ، وتتمنى لو تستطيع انتزاع اقدامها من مصر وصد نفوذها عن الامتداد الى بقاع افريقية جديدة . وقد عهدت الى الكابتن مرشان احد قادتها العسكريين في السنغال باحتلال مركز مصرى (!) هام في اعالي النيل هو مركز فاشودة ، واختارت هذه النقطة نظرا لاهميتها الحربية والجغرافية ، وكان هدفها ان تعتصم بهذه الأرض ولا تجلو عنها الا اذا جلت القوى البريطانية عن مصر كلها ..

وقد بدا للمصريين قبس من الأمل في تحقيق امانيهم ، بفضل هذا التنافس بين الدولتين القويتين ، الا أن انكلترا لم تلبث ان احتجت على احتلال الضابط الفرنسي لمنطقة مصرية ، ورفعه العلم الفرنسي على أملاك سمو الخديو (!)، وابلغته ان عمله يعد انتهاكا لحقوق مصر (!) ، وجردت حملة قوية من الجيش المصرى لطرد الغزاة المحتلين ورفع العلم المصرى على فاشودة ... في حين لم يكن لمصر ، وانجلترا تحتلها ، وتجثم حجرا

ثقيلا على صدرها ، قول تقوله فى شأن من شئونها ، ولا أمر ونهى فى جيشها .

وتراجعت فرنسا أمام عزيمة انكلترا وأمام التسوية التى طمعت بها ، فسحبت جنودها من فاشودة ، وانهارت بذلك الآمال التى عقدها المصريون ، على تأييدها لمطلبهم فى الجلاء ، وايقن الجميع بأن انكلترا قد خرجت من هذه التجربة وهي اقوى نفوذا وارسخ قدما فى الأرض المصرية ، وكان لذلك أثره فى موقف الساسة المصريين وفى طليعتهم الخديو عباس الذى اخذ يتودد لبريطانيا وقام بزيارته الودية الى لندن .

كشف الخديو عباس عن قناعه فاتجـه مصطفى الى الشعب

وكان مصطفى كامل يعتمد فى نضاله على مقاومة الخديو للنفوذ البريطانى ، فلما كشف الخديو القناع عن وجهه الماليء للاستعمار ، بدأ مصطفى يتجه بدعوته نحو الشعب المصرى وحده ، وكتب الى السيدة جولييت آدم يقول بمرارة : « ابعث اليك مع هذا بمقالة تفصح لك عن شعورى والشعور الأهلى نحو رحلة الخديو فى لندن تلك الرحلة التى آلمتنا كثيرا ، وما ذلك والأسفاه الا نتيجة فاشودة » .

بطرس باشا يوقع اتفاقية السودان

وتلت ذلك صدمة جديدة هي توقيع اتفاقية السودان من قبل بطرس باشا غالي وهي الاتفاقية التى منحت انكلترا رسميا حق الاشتراك فى ادارة شؤون الحكم فى السودان ، ورفع العلم الانكليزى بجانب العلم المصرى فى ارجائه كافة ، وكان ذلك معناه سلخ السودان عن مصر واستئثار بريطانيا بادارته ، وفى هذا نقض لحجتها فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمنطقة الفاشودة ، واعترافها بأن هذه المنطقة مصرية حكما وشرعا (!) .

ولكن اليأس لا يعرف سبيلا الى قلب مصطفى كامل ، وها هو يندد بروح التخاذل والاستسلام وايثار المصالح الشخصية قائلا : انـه لا معنى للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة ، داعيا كل مصرى الى القيام بواجباته نحو شعبه ووطنه ، مناديا بنشر التعليم القومى فى ارجاء البلاد لتقوية العقيدة الوطنية فى نفوس الجيل الجديد واعداده للجهاد ..

مدرسة مصطفى

وقد دعت الحماسة بعض الشبان الى تأسيس مدرسة وطنية اطلقوا عليها اسم مصطفى كامل فرحب بها وعني بأمرها ثم تولاها بنفسه واضطلع بمسؤولية العمل فيها وتوجيهها،الى جانب التبعات القومية الكبرى التى كان يضطلع بها .. فكانت مدرسة توجيهية ذات برامج قوية تعنى بتربية الطلاب تربية قومية وتمدهم اعدادا قويا للقيام بواجبهم المقدس ..

جريدة اللواء

وما لبث الزعيم الشاب أن اسس مدرسة اخرى هى جريدة « اللواء » فكانت من أبرز اعماله ومن اقواها اثرا فى الشعب المصرى وفى الحركة الوطنية، وقد صدرت « اللواء » يومية فى أربع صفحات ثم فى ثمانى صفحات . وساهم فى تحريرها كبار الشعراء والكتاب ، وكانت صوتا عاليا يبث روح الوطنية والاخلاق الكريمة ، ويهاجم مساوىء الاحتلال ويفضح جرائمه ويستحث المواطنين على الجهاد فى سبيل الحرية والاستقلال .

الحزب الوطنى

وعمد بعد ذلك الى عمل تنظيمى فى الحقل السياسى ، فكوّن من رفاقه الذين التفوا حوله وآمنوا بفكرته ، حزبا سياسيا باسم « الحزب الوطنى » ، فكان هذا الحزب مدرسة قومية ثالثة يشرف عليها ويوجهها نحو خدمة البلاد ونشر الوعى القومي فيها وايقاظ النائمين والمتخاذلين .

ولكن القدر لم يمهله لاتمام رسالته العظيمة ، فمات سنة ١٩٠٨ فى سن الرابعة والثلاثين .. وهو لا يزال فى زهرة العمر ومجد الحياة . ■■

قدرى قلعجى

صورة مصطفى كامل وهو على فراش الموت . والى جواره محمد فريد

رَجلٌ ماتَ فأيقظ بموتِهِ أُمّة

بقلم شاهد عيان

كُنّا صبية فى المدارس ، نقرأ الصحف فما نكاد نفهمها ، والسياسة ، فتتساوى عندنا فصيحها واعجمها . وذات يوم قيل مات مصطفى كامل . وسألنا من مصطفى كامل . قيل الزعيم الذى قال بطرد الأعداء من البلاد . وقالوا الاضراب . وقلنا ما الاضراب ؟ قالوا الخروج من الفصول غضبا والمشى فى الجنازة . كانت كلمات جديدة هذه ، لمعان جديدة ، لم يسبق لها مثيل ، على ما أدركنا فى عام ١٩٠٨ . وخرجنا من المدرسة اقتحاما . وكان اقتحاما سهلا ، فما تعودت مدارس أن تقتحم أبوابها فى ذلك الحين . وخرجنا ، وسألنا اين تكون الجنازة . قالوا تبدا من عند « نظارة المالية » ، عند بيت الفقيد . وما كنا فى حاجة الى من يهدى . كل الأقدام فى الشوارع كانت تتجه الى هناك . وفى باحة وزارة المالية ، من وراء ، تجمعت الوفود أفواجا كبيرة . ولأول مرة راينا الأعلام شتى ، وكلها مجلل بالسواد . وفى كل ركن صائح ، وبكل

زاوية خطيب . ويقترب موعد الجنازة فتمتلىء الشوارع امتلاء ، وتتوقف مواصلات القاهرة توقفا تاما .

وتبدأ الجنازة . لا صفوفا ، رُباعَ رُباعَ ، أو خُماسَ خُماس ، ولكن صفوفا بعرض الطريق . وتمر الجنازة بشارع لاظوغلي ، فقصر النيل ، فالأوبرا ، فالعتبة الخضراء ، فشارع محمد علي ، ويبلغ رأسها جامع الرفاعي عند القلعة ، وذيلها لم يكد يغادر بيت الفقيد .

ولم نكن عرفنا معنى الهرج والمرج . كانت الجنازة السياسية خبرةً جديدة ، وكانت للجنازات حرمة باقية ، فمشى الناس يملؤون الشوارع اكتظاظا ، ولا تكاد تسمع فيها همسا . كانت الساعة الثالثة بعد الظهر ، فتحسبها للسكون المخيّم على الطريق كأنها الثالثة صباحا . الأصوات مُجلجلا واحدا . يصيح دقيقةً ويسكت دقيقة . ويطول الصوت ، فكأنما يَتَشبّر الجنازةَ شبرا . صوت مجلجل يصيح عند النعش المحمول على الأعناق : وحّدوه !!

وعند القبر قام الشعراء بالمراثي حتى دخل الظلام وخيّم الليل .

وممن رثاه شوقي رحمه الله ، ورحم من رثى . ورحم الراثين له هو لما مات . رثاه بقصيدته الشهيرة التي أولها :

المشرقان عليك ينتحبان ... قاصيهما في مأتمٍ والدّاني

وفيها يقول :

ولقد نظرتُكَ والرّدى بك مُحدِقٌ ... والداء مِلءُ معالم الجُثمان

فهششتَ لي ، حتى كأنك عائدي ... وأنا الذي هدّ السّقام كياني

وفيها يقول :

يتساءلون ، أبالسُّلال قضيتَ ، أم ... بالقلب ، أم هل متّ بالسرطان

الله يشهد أن موتك بالحِجى ... والجِد والإقدام والعِرفان

وفيها يقول :

وجعلت تسألني الرثاء فهاكَهُ ... من أدمعي وسرائري وجَناني

ورثاه حافظ ابراهيم في قصيدته التي أولها :

نثروا عليك نوادي الأزهار ... وأتيتُ أنثر بينهم أشعاري

زينَ الشباب ، وزينَ طُلّاب العلا ... هل أنت بالمُهج الحزينة ، داري

غادرتَنا والحادثاتُ بمرصَد ... والعيشُ عيشُ مَذلّةٍ وإسارِ

ما كان أحوجنا إليك إذا عدا ... عادٍ وصاح الصائحون : بدارِ

أينَ الخطيبُ وأين خلّاب النُّهى ، ... طالَ انتظارُ السمع والأبصار

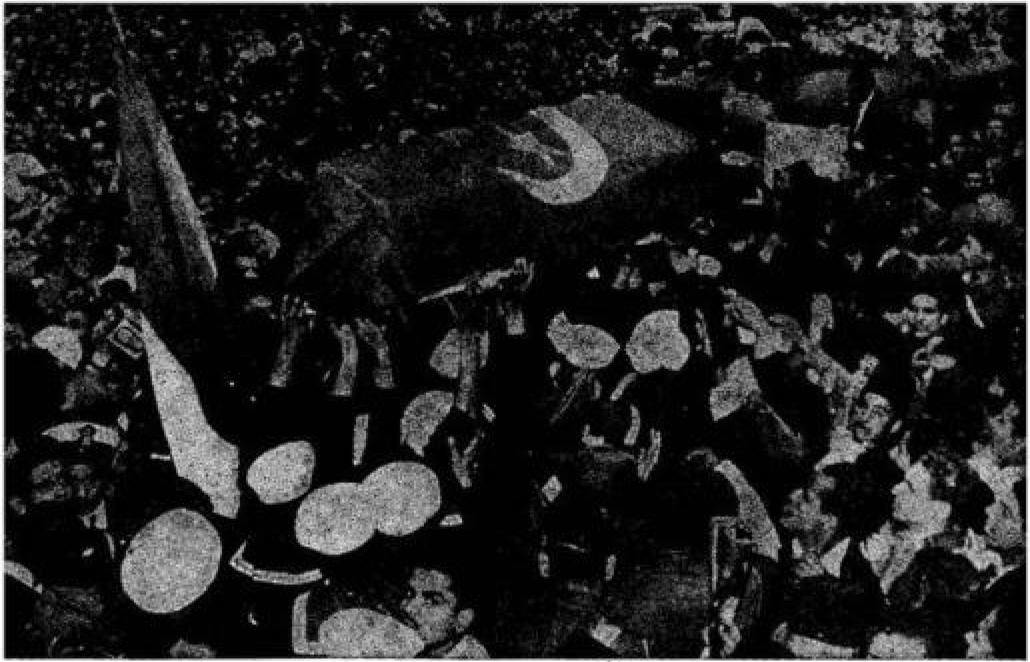

مصر تشيع جنازة الزعيم الوطني مصطفى كامل

شاهدتُ يومَ الحشر يومَ وفاته وعلمتُ منه مراتبَ الأقدار
تسعُون ألفـاً حول نَعشك خُشّعٌ يمشون تحت (لوائك) السيار
خطُّوا بأدمعهم على وجه الثرى للحزن أسطارا على أسطار
وتخالهم آنا لفرط خشُوعهم عند المُصلّى يُنصتون لقارى

فهذا هو الرجل الذى مات فقام الرجال يبكونه ، والنادبات يندبنه ، فاستيقظت على بكائهم وصراخهن أمة .

من ذلك اليوم لم تسدل هذه الأمةعلى عينها جفنا .

وجاء من بعد هذا الرجل رجال . خليفتُه محمد فريد ، رجل الثراء الذى مات فى منفاه ، يقتات مما يجود به عليه الأهل والاصدقاء، ويمرض فلا يكاد يجد ثمن الدواء ! والتقى أنا بنعشه فى شوارع القاهرة وهو داخل الى مصر ، وأنا خارج منها ، لسنين . وتشيّعه مصرُ والاحتلال على كاهلها راقدٌ رابض . ومن بعد فريد جاء موكب بالرجال عامر . ان ذكرنا منهم عشرة ، فقد تخلل صفوفهم عشراتٌ ومئات وألوف . وان لم تبلغ بهم أعمالهم مأثور الذكر ، فقد بلغت بهم عند الله عظيمَ الأجر ، وما كلُّ مأجور من الله مذكور .

والناس تعطى على قدر النجح ، والله يعطى على قدر البذل منْ عقل وقلب ودم ونفس . البذل غاية جهد العامل ، والتوفيق من الله . ■■

داب السُّلوك

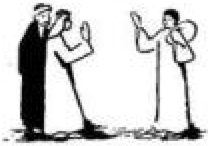

● **هل تقرىء السلام ، لمن تلقى ، حتى لمن لا تعرف ؟ وهل ...**

ـ توجد ظروف فى الحياة يقرىء الرجل فيها السلام من لا يعرف . مثال ذلك : لو انك قابلت رجلا فى الريف ، أو فى طريق بعيد عن المدينة هادىء ، كطريق فى الصحراء ، فى هذه الحالة يجب السلام : السلام عليكم . صبّحكم الله بالخير ، او مسّاكم ...

ومن امثلة ذلك دخولك على قوم فى قطار لتأخذ مكانك بينهم ، وهم سكوت ، وقد اخذوا يحدجونك بانظارهم وانت داخل . لسان الحال هنا يقول سلّم ، وليس عليك ان يرد الجميع على سلامك او أن يردّ بعضهم . انك ستقضي بينهم ساعة أو ساعتين أو ثلاثا ، وجها فى وجوه . ولا يمكن قضاء كل هذا المدة على الصمت . والسلام فاتحة ، تتحدث بعدها ان شئت ، او تصمت ان شئت . والسلام مع الصمت اقل الأدب .

ولا حاجة فى مثل هذه المواقف للمصافحة ، بل هى لا تجوز . لأن هذا اللقاء،سواء فى طريق ريفى أو صحراوى، أو فى قطار ، لقاءٌ عابر .

اما ما ذكرتَ من لقاء جماعة ، بعضهم تعرف ، وبعض لا تعرف ، فالذى يحسن هنا السلام على الجميع ، من عرفت ومن لم تعرف . لا سيما اذا هم توقفوا جميعا للقائك . وما دمت قد صافحت بعضا وجبت مصافحة الجميع . والمصافحة على كل حال تفضُل من المصافح . وهى زيادة فى الألفة ، والذى لا يمدُّ يداً ليدٍ ممدودة انسانٌ نافر .

كل هذه المواقف يحكمها الذوق ويحكمها العرف ، وانا احدثك بما انا فاعله فى هذه المواقف التى تذكر .

● **ويقولون ان المصافحة تنقل العدوى ...؟**

ـ نعم ، لقد قيل هذا . قيل ان وضع اليد فى اليد ينقل العدوى . وافهم أن يكون هذا فى المستشفيات ، ولكن ان يتعرّف انسان بانسان ، فلا يتصافحا ، شىء غير مألوف ، فى كل الامم على ما اعلم . من عربى الى المانى الى هندى . المصافحة باليد ، فى هذا الموقف موقف التعارف ، ضرورة ، وتركها شذوذ .

اما فى غير التعارف ، فتتوقف على قرب الناس بعضهم من بعض ، وألفتهم بعضهم بعضا ، ولقاؤهم قليلا ولقاؤهم كثيرا . فكلما زادت الألفة وزادت المعرفة ، والتقوا كل يوم فى عمل مثلا ، قلّت الحاجة الى المصافحة .

والزوج لا يصافح زوجته اذا خرج من البيت ، ولا يصافحها اذا عاد اليه .

ولكن الغيبة اذا طالت بين المعارف ، ثم التقوا ، وجبت المصافحة . ان المصافحة توثيق للروابط ، وما دامت الروابط قائمة وثيقة ، قريبة ومتقاربة ، قلّت الحاجة الى المصافحة . وتسقط

المصافحة دائما اذا هى ادت الى حرج ، او احداث ارتباك . فقوم مدعوون الى اجتماع مجلس لشركة او جامعة ، او غير ذلك يجلسون فى اماكنهم على التو ، وتكفى للسلام اشارة ولو من بعيد .

نسيت ان اقول لك فى امر العدوى ان اليد الجافة لا تكاد تنقل العدوى ، فالمكروب على الجفاف يموت . والذين تصافحهم هم لا شك مثلك ، غسلوا ايديهم ، عند كل حاجة كما غسلتَ . وعدا هذا فالعدوى لها طرق كثيرة غير طريق اليد ، اهونها بين المتمدنين ، هذا الطريق .

● ... واما آن الاوان للعرب ان يخلعوا عادات لهم قديمة ، وان يلاحقوا الزمن فيتخذوا من عاداته الجديدة ، واساليب العيش ، ما هو احق باتباع . مثال ذلك : هل يجوز الى اليوم ان نظل ناكل بايدينا ، واهل المدنيّة جميعا ياكلون بالشوكة والسكين ... ؟

ــ ان اكثر من نصف سكان الأرض لا يعرفون الشوكة والسكين ، واهل الشرق جميعا ، والعرب جميعا ، شعوبا وقبائل ، منذ قرن ، لم يكونوا يعرفون الشوكة والسكين . كانت ايديهم هى الشوكات والسكاكين . ونحن نشأنا صبية ، على استخدام اليد ، نحمل بها الطعام الى أفواهنا ، الا ان يكون سائلا ، فكان له الملعقة ، واظنها قديمة قدم الدهر . فالمسألة يا صاحبي ليست مسألة انحطاط وارتقاء ، كما تذكر ، انما هى التطور .

ان الشوكة والسكين ، الآت ، وما كان لعصر الآلات والصناعات والمكنات أن يبقي على فطرته الأولى ، على الآت من صنع الطبيعة ، من لحم وعظم ، هى الايدى وما حملت من أصابع . ان تجربتي أن الاصابع أملكُ للطعام وبه أحسُّ ، وهو منها ألذُّ . وقد عرفتُ قوما من الاجانب ، اهل الشوكة والسكين ، اذا خلوا الى أنفسهم فى المطابخ ارتدوا الى الفطرة الاولى .

ولكن بعد كل هذا يجب مواجهة الواقع . فاستخدام الشوكة والسكين أنظف لليد ، واقتسام الطعام فى الاطباق ، لكل طبقهُ ، ومعه الشوكة والسكين انظمُ واقلُّ بعثرةً للطعام ، وتبقى منه بقية لم تمسّها يد . وفى الاكل باليد تكتسى الاصابع سمنا . وتحتاج أنت أثناء ذلك أن تقطع بالسكين فتكتسى يد السكين بدسم اللحم من يدك، كذا تكتسى يد الملعقة . وهكذا يعمُّ الدسم ايديا وسكاكين وملاعق . وتريد أن تنتقل من لون الى لون ، لاسيما ان كان من مالح الى حلو ، فهنا تتأزم الامور . وعندئذ لا بد من القيام لغسل الايدى قبل أن تمس تفاحة ، مثلا .

وليس كل أنواع الطعام تأتلف مع استخدام الأيدى ، لا سيما الأطعمة الأفرنجية ، واليها تتحول الآن الدنيا .

ومع هذا فلا تنس أن من الأطعمة ، حتى الأفرنجية ، ما لا يمكن أكله الا بالأيدى . على كل حال ، ان شئت ان تستخدم يدك فافعل، واستمتع بطعامك، واستمتع بمتعة الحنين التى يجدها الانسان فى المحافظة على كل مألوف . ولكن الى جانب هذا استخدم الشوكة والسكين ايضا ، فنحن فى دنيا هى الآن ذات روحين .. ذات اسلوبين ، فاجمع بينهما تحمد الغاية .

ولا تنس أن العادات تتغير فى كل الأمم . فالعادة يحن اليها قرن ، غير العادة التى يحن اليها قرن سبق ، غير العادة التى يحن اليها قرن يلحق .

وان استطعت فاجمع عادات أهل الأرض جميعا ، ثم « أرضهم ما دمتَ فى أرضهم » ، جميعا . ■■

دردشة

الصبر سر النجاح

● **سال شاب رجل اعمال ناجحا عن السبب فى نجاحه . فقال له :** الصبر هو سر نجاحى ، ان اى شىء فى الدنيا يمكن عمله اذا تذرع المرء بالصبر .

فقال الشاب : ولكن هناك شىء واحد لا يمكن عمله مهما كان الانسان صبورا ، وهو نقل الماء بواسطة المنخل .

فرد عليه رجل الأعمال فى الحال : حتى هذا يمكن عمله ، اذا انتظر الانسان حتى يجمد الماء .

الزهور الاصطناعية ممنوع وضعها على القبور

● منِع وضع الزهور الاصطناعية فى مقابر مدينة بورتموث بانجلترة ... وسيحاكم كل من يخالف ، ويضع هذه الزهور على القبور . وقد اتخذ المجلس البلدى فى المدينة هذا القرار ، ووضع حدا زمنيا لازالة هذه الزهور الموجودة حاليا . وكذلك يمنع القرار وضع باقات الزهور وهى ملفوفة بالورق الشفاف لان الرياح والامطار تذروها فى انحاء المقبرة حتى تبدو كانها مكان لطرح القمامة، وليست مقبرة .

ويفسر المشرف على المقابر هذا المنع بقوله : ان معظم هذه الزهور الاصطناعية هو البشاعة بعينها. ان الناس ليس لديهم اعتبار وتقدير للمواسم ، اذ انهم يضعون الزهور التى تنمو صيفا فى عيد الميلاد ، ويضعون زهور الشتاء فى منتصف الصيف. كما ان كثيرا من الناس يستعملون هذه الزهور لتجنب زيارة قبور موتاهم بانتظام .

حيرة ... !

● اذا كان الانسان يسعى وراء المال يقال عنه انه **مجنون مال** ، واذا احتفظ بالمال فانه **راسمالى** ، واذا انفقه يقال عنه انه **سفيه** ، واذا لم يحصل عليه يقال عنه انه **نحس** ، واذا لم يحاول الحصول عليه يقال عنه انه ينقصه **الطموح**، واذا حصل عليه دون عناء يقال له **طفيلى** ، واذا حصل عليه بعد كفاح مرير وقضى عمره فى تحصيله يقال عنه انه **مجنون لم يحصل من الحياة على شىء !**

قالوا ...

* هناك شىء عن الفن الحديث افهمه ، وهو ان الاشياء لا يمكن رسمها بشكل اسوا مما رُسمت عليه .

« جيم هارجت »

* المتشائم هو الشخص الذى يشكو من الضجة حينما تقرع الفرصة بابه .

« ماريا فون اكمن »

* كثيرا ما يشعر الناس بالوحدة بسبب الجدران التى يبنونها بدلا من الجسور .

« مسز مرجريت ارنوت »

مطاردة بريدية

● فى هيدلبرج ، بالمانيا ، استرعى انتباه موظف البريد الشاب فتاة اعتادت أن تأتى كل يوم وفى ساعة معينة الى مكتب البريد ، لم تسأله ، ووجهها يتضرج خجلا ، عن رسالة باسم الآنسة « هوش » .

وينهض الموظف لينظر فى الصندوق الذى يحمل الحرف « هـ » .. ليجد فيه دائما خطابا واحدا .

وفى يوم من الايام لم يطق الموظف صبرا ، فجلس وكتب خطابا غراميا الى الآنسة (هوش) . ووضع خطابه الى جانب الخطاب الاول ، وكتب فى خطابه ما يلى:

« اننى ادرك انه لا امل لى .. ولكن لا بد لى من ان اقول باننى لم ار فى حياتى مثل هذا الجمال .. اننى اعرف انك تحبين شخصا آخر .. أرجو أن تغفرى لي هذه الجرأة » .

وفى اليوم التالى جاءت الآنسة « هوش » واستلمت الخطابين .

وفى الايام التالية لم تصل خطابات باسم الآنسة . فسألها الموظف : ترى لماذا انقطعت خطاباتك !!

فردت قائلة : لن تكون هناك خطابات بعد الآن ،

فاستغرب الموظف ، وسأل : وماذا عن الرجل الآخر ؟

فاجابته : ليس هناك رجل آخر .. اننى كنت أكتب ذلك الخطاب كل يوم .. اذ لم تكن هناك طريقة اخرى للتعرف بك !

وجهات نظر فى المرأة

● ان الحرب الوحيدة التى رضيتُ منهـا فى وقت ما كانت حرب طروادة ، لقد وقعت تلك الحرب من أجل امرأة ، وكان الرجال يعرفون ما كانوا يحاربون من اجله .

« وليام ليونز فيليس »

● المرأة هى الطف هدية منحها الله للرجل .

« كايـرد »

● يسألون ما هى المدنية ؟ وجوابى : انها نفوذ المرأة الفاضلة .

« امرسون »

● يجب ان يكـون لكل امرأة زوج يشاركها افراحها ، واتراحهـا ، وكذلك أسرار صديقتها؛

« دان ميكس »

● النساء كالنقـود ينبغى عليك ان تبقيهن مشـغولات والا فانهـن يفقدن فائدتهن .

« نانسى ميريمان »

البركان الخامد

● حينما وصـــل الكاتب الروائى سـُمَرْسـِتْ موم الى اليابان؛فى رحلة عاطفية ،لزيارة البلاد التى كان قد زارها قبل عشرات السنين ، علّق قائلا : «اننى لم أعد كاتبا . . بل بركان خامد » .

● هناك فترتـان فى حياة الرجل لايفهم فيهما النساء : فترة ما قبل الزواج وما بعده !!

« تشارلز ماكسويل »

● ان مشكلات بعض النساء هى انهن يفضلن اصلاح طبائعك علـى اصلاح جواربك .

«مجلة كنساس ستتزال»

- الحلفاء تسابقوا فى سرقة العلماء الألمان من مختبراتهم
- الرئيس كنيدى يرسم برنامج حكومته فى جامعة

■ بين النصف الثانى من القرن الثالث ، والنصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، عاش المعلم الثاني ، محمد بن محمد ابو النصر الفارابى ، الفيلسوف الطبيب الموسيقى ، الذى ملأ دنيا العرب من آثار عقله ، ونتاج فكره .

وقد تمنى هذا الفيلسوف العربي قبل اكثر من عشرة قرون ان يرى الحكماء حكاما للأرض ، فالف كتابه الشهير (آراء اهل المدينة الفاضلة) . والفارابى حين يستعمل لفظ (الحكماء) ، فانما يعني الفلاسفة ، ولفظ الفلسفة منحوت فى اليونانية القديمة من جزئين هما Philo وتعني : المحبة ، و Sophie وتعني الحكمة ، والفلسفة تعنى : محبة الحكمة .

خصال الرئيس فى المدينة الفاضلة

ومن الطريف حقا أن تستمع الى الفارابي فى هذا الكتاب ، وهو يعدد شرائط الحاكم ، ويسميه « رئيس المدينة الفاضلة » فيقول : « فهذا هو الرئيس الذى لا يرؤسه انسان آخر اصلا ، وهو الامام ، وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ، وهو رئيس الأمة الفاضلة ، ورئيس المعمورة من الأرض كلها (حكومة عالمية ؟!!) ، ولا يمكن أن تصير هذه الحال الا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها . . . . . »

اذا لم تجتمع هذه الخصال

وبعد أن يعدد هذه الخصال ، يفترض عدم امكان اجتماعها فى شخص واحد فيقول : « فاذا لم يوجد انسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط ، ولكن وجد اثنان ، احدهما حكيم ، والثاني فيه الشرائط الباقية ، كانا هما راسين فى هذه المدينة . . . . » . وينتهي بعدئذ الى هذا القول الرائع : « فمتى اتفق فى وقت ما ان لم تكن الحكمة جزء الرئاسة ، وكانت فيها سائر الشرائط ، بقيت

المدينة

بقلم : ظافر القاسمى

المدينة الفاضلة بلا ملك ، وكان الرئيس القائم بامر هذه المدينة ليس بملك ، وكانت المدينة تعرض للهلاك . فان لم يتفق ان يوجد حكيم تضاف اليه ، لم تلبث المدينة بعد مدة ان تهلك » .

بهذا الاسلوب الرائع ، وبهذا التفكير العميق الصافى ، اراد الفارابى أن يعرض للناس صورة الحاكم ، الذى يسوس المدينة الفاضلة ، ويرى ان الهلاك مصير من يتنكب هذه الطريق .

فلسفة الأمس علم اليوم

ولعل الفارابي لم يعد الحق فيما اراد ، لاننا نرى مصداق آرائه فى هذا العصر الذى نعيش فيه . فالحكيم أو

الفيلسوف فى نظر الاقدمين ، لم يكن انسانا يقتصر ابحاثه وعمله على ما وراء الطبيعة واللاهوت والنفس والجسد وعلم النفس وغير ذلك مما ألفته الفلسفة الحديثة ، وانما كان الحكيم عالما بالطبيعة والرياضة والفلك والطب والتاريخ واللغة وعلوم الشريعة وغير ذلك ، ولا يصل الى مرتبة الفلاسفة الا من احاط – او الم على الاقل – بعلوم عصره كلها .

فاذا شئت ان تترجم كلام الفارابي

العالمة

الى لغة العصر ، استبدلت كلمة الحكمة بالعلم ، واستبدلت كلمة الحكيم بالعالم .

خطورة العلم فى الأمم المتمدنة اليوم

وفى يقينى ان المسؤولين عن حكم الشعوب فى الأمم المتمدنة ، قد تنبهوا الى هذه الحقيقة بشكل واضح ، فى اوائل قرننا هذا الذى نعيش فيه ، وعملوا على تطبيقه تطبيقا ، اسفر عن أن يصافحوا وجه القمر ، وأن ينظموا لجنة دولية للاتصال بين الكواكب ، وأن تقوم حياتهم الداخلية كذلك على أسس من العلم الخالص .

ولست استقصي ما فعلت الدول المتمدنة فى هذا السبيل ، وانما أبعث من ذاكرتي ما وعته من مطالعاتها خلال سنين طويلة ، لأذكرها على سبيل المثال ، لما فيها من نهج سليم ، واسلوب مستقيم :

العلم فى فرنسا

خلال الحرب العالمية الأولى ، ادركت فرنسا ما يقدم العلماء من خدمات جلّى الى الدولة ، فى سبيل ارتقاء آلات الحرب ، وتقريب يوم النصر ، فالفت عام ١٩١٧ مؤسسة سمتها « مركز الأبحاث العلمية Centre De Recherches Scientifiques ربطته بخمس وزارات ، تشرف عليه وتغذيه » .

ولقد كان العلماء فى فرنسا قبل هذا التاريخ يعتمدون على معونات الأفراد والجمعيات والشركات والجامعات وغيرها ، ويلقون رَهَقا اىَّ رَهَق فى سبيل الحصول على حاجاتهم من المال والمواد الأولية والآلات والادوات ، ومكان العمل ، فلما

يسرت لهم الدولة كل هذا ، وغير هذا ، اصبحوا قادرين على العمل المربح ، دون أن يشغل بالهم عسر" أو حرج .

ولما وضعت الحرب أوزارها ، وجدت الحكومة الفرنسية ان الخدمات التي يؤديها هذا المركز ايام السلم ، أجلّ من الخدمات التى اداها أيام الحرب ، فزادت ميزانيته ، ووسعت جهازه ، واصبح مرتبطا بسبع عشرة وزارة ، بعد أن كان مرتبطا بخمس وزارات .

واليهود ...

ومما يدعو الى ايقاظ أذهان العرب ، فى جميع الاقطار والأمصار ، ان اليهود فى فلسطين المحتلة، قد أوفدوا عام ١٩٥٤

لجنة من علمائهم الى باريس ، للاطلاع على ترتيب هذا المركز من كتب ، وللافادة من خبرة الفرنسيين في هذا الموضوع الخطير .

وفي روسيا

واخرى تدعو الى الاقتباس والتقليد ، ليست في دولة من دول الغرب ، وانما هي في قلب العالم الشيوعي ، وليست حديثة العهد ، وانما تعود الى عام ١٩٤٤ ، يوم كانت لظى الحرب ما زالت تلهب المدائن والمزارع والقرى والدساكر ، تلك هي ان مجلس السوفييت الأعلى ، تلقى مذكرة من المجمع العلمي السوفييتي يقول فيها ما معناه ، لقد ثبت لدى علماء الحياة ان الانسان يرث مساوىء أبيه ، ولما كنا نبحث عن العدالة المطلقة ، فليس من هذه العدالة في شيء ان تورث الطبيعةُ الانسانَ المساوىء ، وان يحرمه الانسانُ المحاسنَ . ولذلك فان المجمع العلمي السوفييتي يقترح تعديل الدستور الروسي الذي يحرم الارث تحريما مطلقا ، ويدعو الى الاخذ بجواز الارث .

ولقد عدل الدستور الروسي فعلا في تلك السنة ، بين السنة اللهب ، وبين الدموع والدماء .

سرقوا العلماء من مختبراتهم

وثالثة ما اظن ان احداً من الذين تتبعوا حوادث الحرب الثانية في أواخر ايامها ، إلا يذكرها : تلك هي أن تسابق الروس والحلفاء ، يوم احتلوا المانيا من شرقها وغربها ، لم يكن تسابقا في سبيل الكشف من معامل السلاح أو مستودعاته ، وانما كان تسابقا على سرقة العلماء من مختبراتهم . وما زلت أذكر ان الطابع المميز للبرقيات العالمية في تلك الفترة كان « سرقة العلماء الألمان » .

والرئيس كندي يرسم له برنامج حكومته في جامعة

ورابعة حديثة العهد ، تدعو الى كثير من التفكير والتامل ، والى كثير من الاعجاب والتعجب .

ماذا فعل الرئيس كندى غداة انتخابه رئيسا للجمهورية ؟

اسمعْ ما يقوله كاتب فرنسي اسمه فيليب ديول Phillipp Diole

« ان الرئيس كندى قد استقى من منبعين: جامعة هرْفرد، والمؤسسة الفنية Massachusetts Institute Of Technology ولقد عهد الرئيس كندى الى الاستاذ ساموبلسون A. Samuelson احد مشاهير هذه المؤسسة ، بان يقود فريقا من الاساتذة ، مكلفا بان يهيىء له برنامجه. وخلال جلسة عقدت في نادى جامعة هرفرد بمدينة بسطن رُسمت سياسة الحكومة الأميركية المقبلة ، كما أوحى بها ارشيبالدكوكس Archibald Cox نجم جامعة هرفرد .

سياسة الدولة ترسم في الجامعات ، لا في مجلس الوزراء ، ولا في الكونغرس !

ومثل هذا جرى في الدول المتمدنة

هذا بعض ما وعته الذاكرة ، عما فعلت بعض الأمم المتمدنة ، وما تفعل ، في سبيل الاستفادة من العلم والعلماء ، لخدمة الدولة واغراضها ، ولخدمة الحضارة والمدنية .

ولست اشك في ان الدول الاخرى كبريطانيا وبلجيكا وهولندا واسكنديناڤيا واليابان وغيرها ، قد سارت في النهج نفسه ، فاتخذت من علمائها أئمة بهم تقتدى ، وبهديهم تهتدى ، فلا تتيه ولا تضلّ .

فى مدرج الجامعة السورية

ولعل القارىء العربي يتساءل بعد هذا : ماذا فعلت الدول العربية فى هذا المضمار ؟

اذكر ان الدكتورة سلوى نصار ، رئيسة قسم الفيزياء فى جامعة بيروت الأمريكية ، حضرت الى دمشق عام ١٩٥٤ ، وحاضرت الناس فى مدرج الجامعة السورية فى موضوع التفجير النووي . واذكر انها هيأت يومئذ بيتا من الكرتون ورُقاقات الخشب . وبعد ان شرحت نظرية التفجير ، ارادت ان تطلع الجمهور على تطبيقها العملي ، فقامت بتجربة أودت بهذا البيت الكرتوني وتناثرت اجزاؤه فى ارجاء القاعة ، فادهشت الحاضرين،واغتصبت انتباههم وتفكيرهم،فى هذا الموضوع العلمي الجاف. ودلفت الدكتورة نصار بعد ذلك بأسلوب خطابي رائع مؤثر توجه الحديث الى المسؤولين — وكان بعضهم حاضرا فى القاعة — تتوسل اليهم ان يعملوا على استخدام الافران الذرية ، فان اليهود قد طلبوا واحدا منها فى ذلك العام . واكدت المحاضرة اننا اذا وفقنا الى الحصول على الفرن، فى هذا اليوم ، فلن يكون فى وسعنا استخدامه قبل اربع سنوات على الأقل ، من قبل عماله العرب ، لما يتطلب ذلك من خبرة ومران ، وتدرب على الاستعمال !

كان هذا فى عام ١٩٥٤ ، ونحن اليوم فى عام ١٩٦١ !

لا بد من ان تسلس الدول العربية قيادها للعلماء

وبعد فيقيني انه لا يمكن ان ينهض العرب النهضة التى تصبو اليها نفوسهم، ما لم يكن للعلم فى دولهم المكان المقدس ، وما لم يكن لعلمائهم الرأى المسموع والكلمة النافذة ، وما لم تصبح بلادهم « مدينة عالمة » .

ولا بد للدول العربية من ان تسلس قيادَها للعلماء اذا كانت ترجو لشعوبها المستقبل الذى يرنو اليه الجيل العربي بكثير من الأمل والرجاء .

وليسمح لي استاذنا الجليل الدكتور احمد زكي بان استعير بعض كلامه فى هذا الموضوع الخطير ، الذى يتوقف عليه بناء الأمة العربية فىحاضرها ومستقبلها.

« انها الثقة . فى رجال العلم . وتلك الحرية التى يتمتع بها رجال العلم فى بقاع الأرض ، حرية الاثبات ، وحرية الرفض ، وحرية النقد ، بناء ونقضا . وحرية النشر والساعه ... » (مع الله فى السماء ص ٣٩) .

ان العلماء ينتهون الى نتائج ، من واجب الدولة أن تأخذ بها . لماذا ؟ لأن « النتائج العلمية انما تكون تتويجا لحقائق ، ركِبَتْها حقائق أخرى . ان الهرم ينتهى الى قمة ، وهى قمة صلدة ثابتة ، لا تهتز ، لأنها بنيت على حجر صلد ثابت يحمل بعضه بعضا . وكذلك العلم ، ونتائجه . بعضه يحمل بعضا . وقمته دليل على أساسه ، وآخره دليل على أوله » .

هذا هو العلم ، وهؤلاء هم العلماء ، عليهم تقوم الدنيا فى عصر الذرة، يتساوى فى ذلك فيزيائيهم وكيمائيهم ، ومؤرخهم، واقتصاديهم ، وحقوقيهم ، ولغويهم ، وما شئت من فنون العلم والمعرفة . فهل لدنيا العرب ان تعمل على سَنَن الذين يحاولون فتح الكواكب ، وغزو الفضاء ، وان تحل علماءها محل القيادة ، لتصل الى غاياتها آمنة عثار الخطأ ، وآملة طريق الهداية والسداد ؟

■■

دمشق — ظافر القاسمي

عيناكِ سوداوان

أريد أن أُطلّ في عينيك، أنْ أحدّقا
أن ألمس الأعماق فيهما وأنْ أحلّقا
وأطلق الجناح في مسرّى الرؤى .. مُغرورقا
فإنْ أتى الصباح .. مفتونا بنا .. وصفّقا
وقال : شاعرٌ على مدى العيون أغرقا
تلفّتت لك الدُنَا، وماد كونٌ واستقى

***

عيناك .. أجزل العطاء فيهما .. وأغدقا
اللهُ ... فنّانُ الوجود ... فيهما ... كم نمّقا
أراق لونا ها هنا، وها هنا قد انتقى
وصفّف الأهداب ريشةً وريشةً وزوّقا
مظلّة .. مدّت على شواطئ المساء جوسقا

***

تفكري ؟ .. من أي يُنبوعٍ غريب دفّقا ؟
وأيّ قدرة أتى ؟ وأي ذِروة رقى ؟
اللهُ .. فنّه الرفيع .. فيهما ... تألّقا

***

مسحورتان .. نام سرٌّ فيهما، واستغرقا
نافذتان .. لو نُطلّ .. نُبصرُ الوجودَ مُطلقا
نرى الحياة قبل أن تكوّنها، ونُخلقا

***

عيناك سوداوان .. أهدتا دُرُوبي رونقا
أنا .. على ذرى الضياع .. أستلذُّ الأرقا
ألُمُّ نجما من هنا، ومن هناك زِنبقا
وأمنح الرياحَ ذاتي، والمدى المُطلقا

***

عيناك ... ما مداهما سالتُ ظنّي ... أرهقا

انس داود ـ القاهرة

من واقع الحيـاة :

الحاج حسن

بقلم : الدكتور احمد زكى

■ ما زلت الى اليوم أذكر الحـاج حسن ، ولو انه انقضى على رؤيتى اياه ربع قرن أو يزيد .

لم يكن الحاج حسن رجلا فى البلاد نابها . ولم يكن طبيبا ولا مهندسا ولا قاضيا . ولم يكن بلغ من التعليم حـدا يذكر . ولم يكن ثريا . فلم يكن له أرض ولا عقار . وكان لباسه البذلة الصفراء : البذلة الكاكى. واختصارا كان كمسارىَّ ترام . ولعل فى الكشف عن عمله هـذا ما يغنى عن الوصف الكثير .

ومهما قلت لك من أوصافه فلن تؤدى بك هذه الأوصاف الى أن تفهم أن الحاج حسن رجل سعيد جدا . قد يخطـر لك انه غير سعيد . وقد يخطر لك على الأقل انه ليس بشقى . وقد يخطر لك انه على الأكثر راض بنصيبه من الحياة. والرضا أول خطوات السعادة . ولكن الحقيقة التى تراءت لى عند ذلك ، فى تلك الأيام البعيدة الخالية ، أن الحـاج حسن ليس سعيداً فحسب ، بل هـو فوق ما كنت اجد بين الخلق من سعداء.

كان دائما بشوشا . وكان باسـما حينا ، وضاحكا أكثر الأحيان . وما أذكر مرة انى وجدت وجهه كاشرا ، كأنمـا الرجل ما عرف كيف يكشِر كارها أو غاضبا .

ويغنى لكل تذكرة تقطع

وكان من سمات سعادته الغنـاء ، والغناء ظاهرة تنبىء عن حـالة القلب الدفين . كان يغنى لكل تذكرة يقطع ، أو على الأصح كانت له أغنية مفضَّـلة فيها مقطعٌ لكل تذكرة يقطع . وعـرفه الركاب فكانت تبتسم ثغورهم عـلى الأغنية تصلُ اليهم أطرافها من بعيد . وينظر بعضهم الى بعض يتغامزون. وكان من لم يكن عرفه من تكرار الركوب معه يحسب ان به خبلا . وكل ما شذ عن العادة عند الناس فهو خَبال .

وكان عند الحاج حسن كلمة طيبـة لكل راكب . ويقف الترام ويتزاحم الناس ◄

على ركوبه فيصيح بهم : « **السيدات ، السيدات .. اولا يا سادة** » . وقد تحمل الأم طفلا ، وتتعثر به فى الركوب ، فيحمله عنها ، ويحركه ويدغدغه حتى يضحك ، ثم يعطيه لأمه الجالسة .

وكان يقرض الشعر

وينظر امام ، وينظر الى خلف، ويزمر . ويصيح بالسائق : «**يا سائق الركب سر فالركب قدركبوا**». وهو يغنى بها، ويَمُدّ فيها ، ولا يمنعه فيكفّ عن التغنى بها ، بشطرة الشعر هذه،ان الترام قد سار !

قلت له يوما : « ان شعرك هذا فيه شىء من التعقيد : يا سائق الركب ان الركب قد ركبوا » .

قال : « ما هذا تعقيد . انه جناس » .

قلت ضاحكا : « وما الجناس ، رحمك الله » .

قال : « الم تقرأ البديع ؟ » .

قلت : « أى بديع ؟ »

قال : « بديع الزمان الهمذانى » !

ويسقط صبى من الترام فيرميه بحجر

ويقف الترام عند محطاته ، فيصيح بِقَمَّاشٍ على اليمين او فكهانىٍ على الشمال ، يقول : « كيف حالك يا عم محمود ؟ » .

فيقول : « بخير » .

فيقول : « والعيال ، وعكتهم انصرفت ان شاء الله ؟ » .

فيقول الفكهانى : « انشالت الغُمَّة وربك كشّاف الغموم » .

ويقذف الى الحاج حسن ببرتقانة . فيلتقفها الحاج حسن وقد كادت تقع على كرة مثلها ، على راس راكب !ويحمل الكمسارى البرتقانة يعرضها على الأنظار ضاحكا ، وهو بها فخور . ويسير الترام، فيتعلق به صبى هربا من دفع الأجر . ويحسب الصبى أن الكمسارى قادم نحوه ، فتزل قدمه فيسقط . ويخفف من بطحته على الارض أن الترام كان هدأ ابذانا بالوقوف فى محطة ثانية . ويرى الحاج حسن هذا المنظر ، فيصيح بالصبى،يتصنع له اللعنة من بعد اللعنة. ثم هو يرميه بالبرتقانة كانما يرميه بحجر. وينبّهُه أحد الركاب بأن الذى قذف به برتقانة لا حجرا ، فيغمز بعينه ويقول :

« ان المسكين محتاج لشىء يبل به ريقه ، بعد هذه الوقعة » .

وذات ليلة يتكشف لى من الرجل كل خبىء

ثم يحدث انى تأخرت فى المدينة الى منتصف الليل . وركبت الترام . ولفراغه من الناس اخترت أقصى مجلس فيه الى خلف . وسطع النور الكهربائى فوق ماخلتُ انه يسطع فى سائر الليالى. وجاء الحاج حسن يقطع التذكرة . وشاء له التعب أن يجلس فجلس بحيث استطيع ان احادثه ويحادث . وخلت انى رايت لأول مرة ظلا من غمامة سوداء تمر بوجهه ، وما علمت انه عرف الحزن قط . قلت : « مالك الليلة عابسا وقد عرفناك ضاحكا ؟ » .

فسكت مليًّا ، ثم قال : « الدنيا جميلة ، بس يا خسارة ؟ » .

قلت : « حدثنى عن هذه الخسارة ، فحديثٌ عن مثل هذا من مثلك عظيم » .

قال : « ولدى مَرِضَ وسعل طويلا، وارسلناه للطبيب فوجد فى صدره بقعة سوداء » .

قلت مؤاسيا : « الراحة والهـــواء يصنمان العجب » . وسألته عن الاولاد كم له منهم .

قال:« دفنت اربعة، وهذا الخامس» .

قلت افتحُ له باب الأمل : « أن الأم الشابة لا تقف عند الخامس » .

قال : « انه داء من ادواء النســـاء يقتل ابناءها ،وهى اليوم طريحة الفراش عقيم » .

فلم ادر ما أقول بعد أن تكشف لى كل هذا عن الرجل الذى حسبته ، وحسبه الناس معى ، أسعدَ أهل الأرض طرًّا ؟ .

واخرجنى من حيرتى ابتسامةٌ له .

قلت : « انك تبتسم !» .

قال : « ولم لا ؟ . انا احزن لو كان هذا من صنعى ، ولكنها ارادة الله . ولأمر لا اعلمه رمانى بهذا ، ورمى جارى بالصحة والعافية ، فى نفسه وفى أولاده . فهل هو اسعد منى ؟ لا ابدا . انا أسعد . انا ربنا اختارنى لهذه المحنة ، واختياره شرف عظيم . وحججت ، وقلت عنـــد البيت الكريم : يا رب ، ان كان هذا من الشيطان فارفعه عنى ، وان كان منك ، ومن قضائك ، فزدنى ! » .

خدمة الناس شىء عظيم

قلت : « غريبة يا حاج حسن .الناس تظن انك سعيد ، تضاحكهم ،وتمازحهم، وتحمل عنهم ! » .

قال الحاج حسن : « ولقد صدقوا . انا سعيد. سعيد بهم .اضحك فيضحكون وليس يَفرح الحياةَ كالوجوه الضاحكة. والخدمة ، خدمة الناس ، يا سلام ! سعادة عظيمة ..» . ■■

احمد زكى

اقــوال

● ثمرة التفريط الندامة .. وثمرة الحزم السلامة

● رب عالم قد قتله جَهلُهُ وعلمُهُ معه ، لم ينفعه

● اضاعة الفُرصة غصّة

● من استقبل وجوه الآراء عرَفَ مواقع الخطا

● اذا كنت فى ادبار،والموت فى اقبال ، فما أسرع الملتقى

● لا تستح من اعطاءِ القليل ، فان الحرمان اقلُّ منه .

● اذا ارذَلَ الله عبْدا حظرَ عليه العِلْمَ

● من اطال الأملَ اساءَ العَملَ .

١ المقعد
٢ حامل الشنطة
٣ المحفظة
٤ عاكس النور
٥ حابس الوحل
٦ ترس ذو ٣ سرعات
٧ ترس السرعة
٨ الأطار
٩ السلسلة
١٠ الدواسة
١١ ذراع التحريك
١٢ العجلة المترسة
١٣ حافظ العجلة المترسة

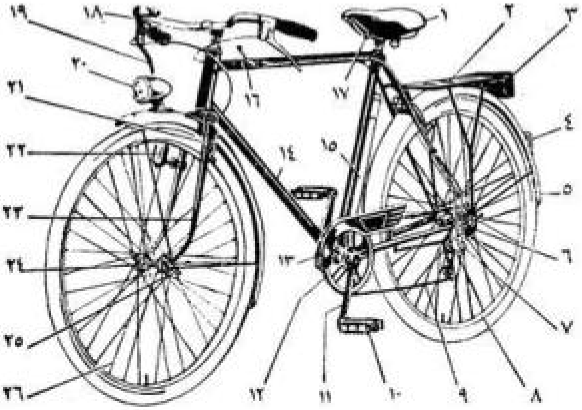

١٤ قصب الدراجة
١٥ المضخة
١٦ ناقل السرعة
١٧ سيقة الكرسي
١٨ يد الدراجة
١٩ يد الكابحة
٢٠ المصباح
٢١ الكابحة
٢٢ المولد الكهربائي
٢٣ إحدى الشعبتين
٢٤ بطيخة العجلة
٢٥ صامولة
٢٦ سلك العجلة

الدرّاجة وأسماء أجزائها

كما يجب أن تظهر في المعاجم العربية الحديثة

المقصود الاقناع بالفكرة ، لا الاقناع بما صنعنا من الفاظ

■ اللغة العربية ، على اتساعها ، وتشعب فنونها ، وقدرتها على الوفاء بحاجات العيش وحاجات النفس والقلب ، نشأت في عهود كانت الآلات فيها بسيطة غاية في البساطة ، قليلة غاية في القلة ، وكان هذا شأن جميع لغات الأرض . ثم جاء عصر الآلات . وسبقت اللغات الغربية الى اسمائها ، وأسماء أجزائها ، فماشت ألسنتهم وماشت قواميسهم خطوات الزمان في تقدمه . فلما جئنا نحن العرب نستخدم آلاتهم ، شاعت فينا أسماء لهذه الآلات وأجزائها هم صنعوها . ففي الدراجة مثلا نقول الجادون ، ونقول البيدال ولا ندرى معانى هذه الألفاظ في لغتها الأصلية ، التي هي الفرنسية هنا . وما هي الا ألفاظ شائعة في هذه اللغة قبل وجود الدراجة ، ثم نقلت اليها . فالجادون هو الموجّه ، لسيارة أو غير سيارة . والبيدال هو ما تضع عليه قدمك ، فهو المداس .

فكان لا بد لنا من الفاظ عربية ، شائعة في لغتنا لمعان أخرى ، ننقلها كما نقلوا هم الفاظهم الى الدراجة وكل آلة من الآلات الألوف التى ابتدعوها .

وقد رسمنا هنا دراجة ، وعليها أسماؤها لتدل على الأسلوب الذى يجب ان تحتذيه المعاجم العربية في شرح هذه الآلات وتسمية أجزائها . انه اسلوب الصور في عهد أغنت الصور فيه عن كثير من الكلام .

فهذه صورة الدراجة ، وهذه أسماء أجزائها ، تجمعها عيناك في نظرة ، وتقرأها في دقيقة ، وان اردت امعانا ففى دقائق . ولو ان قاموسا عربيا حاول ان يضع هذه الأسماء أو يشرحها في غيبة الصورة لجاء بكلام كثير لم يخرج منه القارىء بطائل كبير .

ان المعجم العربى الحديث ، الذى يتصدى لشرح الات المدنية الجديثة وأدواتها ، لن يصيب من ذلك ، في غيبة الصور ، غايته .

مع الصورة يختصر الكلام ، ويكون وافيا .

■■

طبيب الأسرة

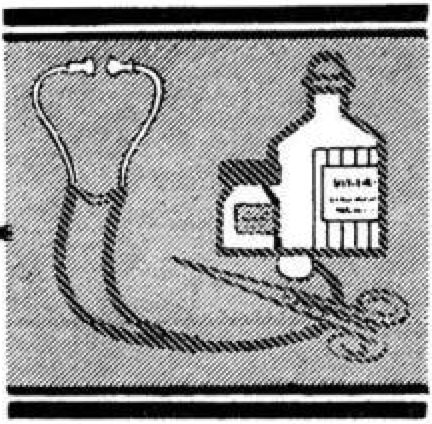

خلع الأسنان ، ومرض صمامات القلب

● انا فى حاجة الى خلع اسنانى ،ولكن قلبى به مرض فى الصمامات. والخلع فى حاجة الى مخدّر . فاى المخدرات يستخدم فى هذه الحالة، وهل من ذلك خطر ؟

ـ ان بذلك خطرا قليلا ، وكل شىء مثل هذا لايخلو من خطر . ولكنّ خطرٌ أكبر أن تحتفظ باسنانك المريضة ، ان صح انها مريضة حقا ،وانه يجب خلعها .

اما المخدّر الذى يستخدم فهو غاز ، وهو يُعطى استنشاقا . وكذلك الكوكائين يُعطى مخدّرا موضعيا ليذهب بالالم . وهناك مخدرات تعطى فى الوريد . والتنويم يستخدم ويقال ان نتائجه طيبة .

ويستطيع طبيب الاسنان ان يعطيك مبيدا حيويا كالبنسلين لمنع العدوى التى قد تخرج من السن عند خلعها وتجرى فى الدم فتصل الى القلب فتسىء اليه .

وعلى كل حال ، دعْ كل هذا لطبيب اسنانك . ولكن قل له ان عندك مرضا فى صمامات القلب ، وهو يتخذ الاحتياط اللازم ،ويختار المخدّر الاوفق.

تنظيف الأذن بدبوس شعر

● علمتُ بانه وقع حادث غريب ، ملخصه ان فتاة ماتت بسبب محاولتها تنظيف اذنها بدبوس شعر . فهل تنظيف الاذن بدبوس يُعدُ خطرا . واذنْ فما هى اسلم طريقة لتنظيف الآذان ؟

ـ نعم خطر واى خطر . ان ادخال اى شىء مدبّب الى الاذن قد يخرق طبلة الاذن ، وبهذا قد تدخل العدوى الى الاذن الوسطى ، وقد ينتج عن ذلك نتائج وبيلة . ان الأذن السليمة لا تحتاج الا الى الغسل اليومى . فان كان لابد لمسح شىء يخرج من الأذن ، فعود كبريت يلف على راسه خيط من قطن ليشرب ما يخرج من الاذن من قيض .

طنين فى الأذن

● كان عندى منذ سنوات طنين فى الأذن ، ينتابنى ، ابقى من أجله فى الم لا سيما عند النوم . كان كالصفارة تصفر ولا تسكت . ثم وقف كل هذا بضع سنين . ثم كأنى احس بانه قد عاد الىّ . فهل من علاج لهذا ؟

ـ على طبيب الأذن ان يمتحن اذنك ، فان كان ما بها من سوء له علاج عالجه . اما ان كان الطنين مصدره الأذن الداخلة ، فامره يصبح عسيرا . والحق ان الطبيب لا يستطيع له علاجا ، الا ان يصف المسكن من العقاقير التى تخفف من وقعه .

تنفّط الرّجل عند المشي

● كثيرا ما امشي فتتولّد في رجلي تنفطة او نفطات تؤلمني، سواء ابقيتُ ماءها فيها، او ثقبتها بدبوس ليخرج منها الماء. فهل من سبيل لمنع حدوث هذه النفطات او على الأقل تقليله؟

ــ ان السبب الاكثر في تنفط الاقدام هو الاحتكاك الذي يقع بين جلد القدم والحذاء او الجورب الذي تلبسه القدم. وهذا يحدث اذا كان الحذاء ضيقا جدا، واذا كان واسعا جدا. فاول واجب عليك ان لا تلبس الا الحذاء الذي يلبس قدمك تماما فلا يضيق عليها ولا يتسع. ومع هذا فقد تتنفط قدمك من بعد هذه الحيطة اذا مشيت طويلا.

والسبب في هذا ان الجلد يعرق، فيبتل، ثم هو يحتك بالحذاء او الجورب، فيحركانه حركة جانبية خفيفة الى الامام او الى الخلف، وبذلك تنزلق ظهارة الجلد Epidermis على بطانته Dermis فيحدث ان تتنفط القدم من ذلك. والخير عندئذ في لبس الجوارب الصوفية التي بها السمك الكافي. وذلك لان الصوف يقلل من الاحتكاك، وهو يهوّي الجلد فلا يتجمع عليه العرق، وهو يمتص العرق اذا تكون. وفوق هذا فعند الطبيب محاليل ينصح بها، يدهن بها جلد القدم فتجعل ظهارته اكثر مقاومة.

الفرق بين الشنق والخنق

● ما الفرق بين الشنق والخنق، وكيف يميز رجال الشرطة بين الجريمة في هذا والانتحار؟

ــ احسنُ الشنق واتمه واسرعه هو ذلك الذي يمارسه رجال الشرطة من بعد حكم من المحاكم بالشنق. وسرعته في ان الجسم يسقط في الهوة، وتتحول العقدة التي تدور حول الرقبة دون سقوط الراس معه. فيحدث من ذلك تحطم فقرات الظهر بالرقبة، وما تحتويه من نخاع شوكي، وبهذا تنسد مجاري التنفس وموارد الدم فلا يصل الى المخ. والموت يقع في هذه الحالة عادة في دقيقتين او ثلاث. اما الانتحار بالشنق، فلقلة خبرة المنتحر، كثيرا ما تختلف نتائجه باختلاف درجة اتقان المنتحر نصب الجهاز. وكثيرا يأتيه اسعاف عاجل ويفيق من بعد فعلته ويعود الى الحياة.

اما الفرق بين الشنق تقوم به الشرطة او يقوم منتحر، والخنق، يكون عن فعل مجرم، انْ يكن كلاهما بحبل، فالحبل يترك في العنق حزًا، يكون مستواه افقيا في حالة الخنق، ومائلا في حالة الشنق. وفي الشنق يثقل الجسم، وليس في الخنق ما يثقل به.

والمخنوق يقاوم بالطبع، والمقاومة يبقى منها آثار في الحجرة وفي الجسم.

وقانا الله شرور دنيانا.

امساك يطول

● يقولون لي ان المسهلات مضرة، لا سيما اذا هي صارت عادة. وحاولتُ ان اقطع هذه العادة ولكن جاء الامساك فظل عندي خمسة ايام واحيانا ستة، لا يخرج من امعائي شيء كثير. فهل هذه صحة؟ واليس لي بعد ذلك الحق في تعاطي المسهل، كان من نتيجة ذلك ما كان؟

ــ ان الرجل يفرغ امعاءه عادة مرة كل ٢٤ ساعة. ومن الرجال من يفرغون مرة كل يومين. ويكون هذا طبيعيا عندهم. ومنهم من تزيد ايامه على هذا الحد. اما ان يقف الافراغ خمسة ايام او ستة فشيء كثير.

والرجل يجب ان يلاحظ حال نفسه وهو على الصحة، ليعلم مدة العادة عنده. فاذا هي اختلفت عرف ذلك من نفسه، وقام يصححها. والتصحيح لا يكون بالمسهل، بل بالمليّن، لان في الاسهال عنفا شديدا.

على ان هناك اعتبارات لو راعاها ذو الامساك

الدمل والخراج والقرحة

● قال الطبيب لزوجي ان عنده قرحة في المعدة . فهل معنى هذا انعند زوجي خراجاو دمل . وما الفرق بين الدمل والقرحة والخراج ، أم هي اسماء مختلفة لأشياء واحدة أو متشابهة ؟

ـ ان هذه الأسماء كلها يجمعها شيء واحد ، ذلك التهاب في الأنسجة .

اما الدمل Boil ، اصطلاحا ، فهو التهاب في مساحة من الجلد صغيرة . وهو يبدا عادة عند جذر الشعر في الجلد ، ويكون بسبب فعل البكتير المعروف بالبلور العنبية Staphylococcus وعندما ينمو البكتير يقوم صراع بينه وبين الأنسجة وما بها من كرات دم بيضاء ، فيتمدد الجلد ، وينحبس الخبث تحته . ثم يكون للدمل راس ينفجر وتخرج منه المدة وامّ القيح ، وهي تتألف من المكروب والأنسجة التيتلفتوماتت. ويحدث هذا عادة في اليوم السادس او السابع من تكون الدمل .

واما الخراج Abscess فهو التهاب يكون في مواضع من الجسم عدة ، وسببه البكتير الذي يسبب الدمامل ، أي البلور العنبية. ولكن اشد منه فعلا البكتير المعروف بالبلور السبحية . وهي تدخل عادة من جروح في الجسم، ظاهرة او باطنة. والحقنة غير الطاهرة تحدث الخراريج .

ويساعد على احداث الخراريج ضعف الجسم عن مقاومة المكروب . وتصحب الخراريج عادة حرارة ويقوم العراك المعتاد بين المكروب وكرات الدم البيضاء . فاذا تجمعت مادة الخراج ، وفتح خرج منه كل الخبث ، وهبطت درجة الحرارة وارتاح المريض .

اما القرحة Ulcer فهي كالخراج ، سببها التهاب ، سببه مكروب ، الا ان الخراج له مركز يشع منه السوء في كل ناحية ، وينحبس الخبث فيه حتى يفتح منه بالشرط . اما القرحة فهي تصيب ظاهر الجلد فتكشفه ، فتكون فيه مساحة مكشوفة يخرج منها الخبث عندما يتكون ، فلا ينحبس.ولكون لهذه المساحة المكشوفة حدود عند حوافيها ، منها يبدأ الشفاء اذا شاء القرح ان يندمل . واذا قلنا الجلد فقد عنينا كل سطوح الجسم ، من ظاهرة وباطنة . فللمعدة سطح ، ولو داخلي ، وللامعاء كذلك . ■■

اظافر هشة

● اظافري ظهرت فيها عروق ، واخذت تتلوى ، وصارت هشة جدا ، فهل من سبب لذلك . اني امراة في الخامسة والخمسين ؟

ـ قد يكون ظهور اخاديد في اظافرك ، وهشاشتها ، بسبب نقص في اصول الأغذية التي تتعاطين ، واخصّ الحديد . وقد يكون بك فقر" في الدم فارجو اخذ راي طبيبك في هذا . فان كان فقر" في الدم ، عالجه ، وعندئذ قد تصح الاظافر .

فقد يتحسن حاله كثيرا .

فاولا لا بد من احتواء الطعام على الخضر والفواكه كما سبق ان ذكرنا وكررنا : الكرنب ، القرنبيط ، الخس ، الجزر ، السبانخ ، الفواكه ، صابحة ومجففة ، والسلطة ، والحبوب . ان هذه الاشياء بها مادة اصيلة تعرف بالسليولوز ، وهي من مادة القطن او القطن من مادتها ، وهي لا تهضم، وانما تظل في مجرى القناة الهضمية ذاتَ جرم يلمؤ الامعاء فيحفّزها على العمل .

وبالطبع لا بد من مقدار طيب من الماء والسوائل يشرب .

والترواض ، كالمشي والألعاب ، له اثره في تحريك الاحشاء . وهي تقوّي عضلات البطن ، والمتمسك في حاجة الى ذلك .

فان لزم المليّن بعد ذلك ، فهناك عند الصيدليّ اشياء كثيرة تؤخذ ، تعمل بان يزيد حجمها فيالامعاء فتملأ الامعاء ، مثل النرماكول ، وايسوجل ، والآجار آجار .

وزيت البرافين يزلق الامعاء ، ويمكن اخذه مدة طويلة .

ثم التعود على زيارة بيت الخلاء مرة في اليوم ، في موعد لا يختلف .

مَنْعُ الحَمْل

اعتماداً على وفاء الدورة الشهرية بمواعيدها

خطأ شائع صححه العلم أخيراً

■ الدورة الشهرية تبدأ ببدء الحيض ، ونزول الدم من المراة ، وتنتهى عند بدء الدورة من جديد ، ببدء حيض جديد .

فبين هذا البدء والنهاية تتم عملية الاخصاب ، عملية الخلق ، التى كنت انا وانت من نتائجها .

والاخصاب يتم بالتقاء بويضة من المراة ، بحيوان منوى من الذكر ، وذلك عند اتصال الرجل بالمراة . وهذا شيء معروف مشهور .

بيضة المراة

● وبيضة المراة تنشا فى احد مبيضيها . ففى المبيض خلايا تناسلية متهيئة لان تنضج حيث هى من المبيض ، ثم هى تخرج لتلقى حيوان الرجل . ويتهيأ الكثير من هذه الخلايا ، فى مبيضى المراة للنضوج والخروج لهذا اللقاء ، ولكن قضت حكمة الخلق بان لا تنضج ، فتتم نضجا ، وتخرج للقاء الحيوان المنوى للرجل ، غير خلية واحدة . وفى القليل خليتان ليكون من ذلك التوائم .

وتسمى مثل هذه الخلية الناضجة ببويضة المراة ، وتسمى عملية النضوج فالخروج بعملية التبويض .

الحيوان المنوى

● والحيوان المنوى للرجل يحمله منيُّ الرجل عند الامناء ، وهو يتحمل بالملايين . ولكن لا يصل من هذه الملايين ، الى حيث تكون البيضة الواحدة فى داخل المراة ، فيُخصبها ، غيرُ حيوان منوى واحد .

التقاء البويضة بالحيوان المنوى

● والتقاء الحيوان المنوى ، ببويضة الأنثى ،

يكون غالبا فى قناة البيض (او قناة فالبْيوس) او بالأصح فى احدى القناتين . ولا بد لوصوله الى هذه القناة من المرور بمِهْبَل المرأة ، فالدخول الى الرحم ، فالخروج منه الى قناة البيض ، فهى على اتصال بالرحم (أنظر الشكل) .

اما البويضة فتخرج من المبيض الى فجوة فى الجسم عند فم قناة البيض . ثم هى تدخل هذه الفوهة لتجرى فى القناة لتلتقى بالحيوان المنوى فيهـا .

وهنا لا بد من وقفة لنسأل سؤالا بسيطا : كيف عرفت البويضة ان هذا هو الطريق الذى لا بد هى سالكته . بل كيف عرف الحيوان المنوى ان هذا هو الطريق للقائها ؟

ويلتقيان فيحدث الاخصاب . ونظل البويضة متجهة نحو الرحم لتستقر فيه ، ولتلتحم بأحـد جدرانه .

ثم يأخذ الجنين ينتشأ .

وقلنا الدورة تبدأ بأول الحيض ، وتنتهى بأول حيض جديد . وتستغرق الدورة لتكتمل ٢٨ يوما على العموم .

منتصف الدورة أكثر أيامها احتمالا لحمل

● ولخروج البويضـة من المبيض ، ناضجـة مكتملة النضوج ، موعد مضروب ، هو اليوم الرابع عشر او الخامس عشر من الدورة ، أى هى تتهيأ للاخصاب فى أوسط الدورة .

فلا بد للحمل اذن من حيوان منوى يلقاها فى هذا الموعد ، والا فلا اخصاب ولا حمل ولا ولادة .

والمنطق البسيط يقول : فمن لا يريد حملا من الأزواج عليه أن لا يتصل بالزوجة فى هذا الموعد أو حواليه ، اى فى أوسط الدورة الشهرية .

وهذا عكس ما كان يشيع بين الناس قديما . كانوا يقولون انه على من لا يريد الحمل ان لا يتصل بالزوجة فى أوائل الدورة ، أو أواخرها ، ولكن فى اواسطها . ونحن اليوم نقول انه على من لا يريد

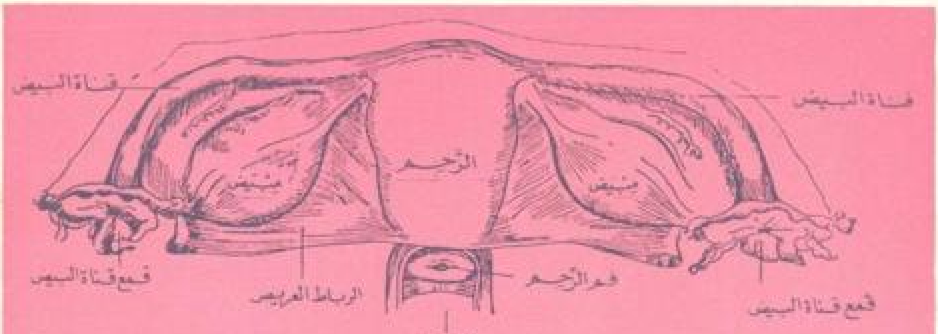

الجهاز التناسلى للمرأة : الرَّحِم وهو فى الأوسط ، والى جانبيه المبيضان وهما لا ينفتحان فيه ، والى جانب المبيضين تنحنا قناتى البيض ، وشكلهما كالقمع ، وهما يلتقطان البويضة الناضجة عندما تخرج من المبيض الذى بجانب كل منهما . وبدخول البويضة الى هذا القمع تسير فى قناته حتى تدخل الرحم . اما الحيوان المنوى فيدخل من طريق المِهْبل ، ثم الى فتحة الرحم فيدخل اليه ، ثم الى قناة البيض يبحث عن البيضة ليلقحها . فاذا لقحها عادا جميعا الى الرحم فسكنا جداره وبدأ تكوين الجنين .

اما « الرباط العريض » فهو الذى يحمل كل هذه الأجزاء من الجهاز التناسلى ، وهو يمتد ليربط مع جدار الحوض فى المرأة . انه الحائط الذى به يتعلق كل هذا الجهاز .

الحمل ان يتصل بالزوجة في اوائل الدورة او اواخرها ولكن لا في اواسطها .

والبويضة ، والحيوان المنوي ، لا تبقى حيويتهما قائمة الا يوما او يومين . وهذا يجعل التقاء الاثنين اعسر . ويجعل التخطيط لمنع الحمل أيسر . فالفترة التي يحتمل فيها الاخصاب هي نحو من ثلاثة ايام .

الأمر اذن سهل جدا ، لمن يريد حملا ، ولمن لا يريد حملا ، فوسيلة ذلك التقيد بالمواعيد ، بمواعيد الدورة .

ولكـــن ..

ولكن هل مواعيد الدورة ثابتة هـذا الثبوت الجميل الذي وصفناه ؟

بالطبع لا . قلنا ان الدورة طولها ٢٨ يوما ، اي أربعة أسابيع ، ولكنها ليست هكذا عند كل النساء . وعند المرأة الواحدة قد يتغير طولها من شهر لشهر . اذن لا بد من تسجيل طولها ، عند المرأة الواحدة ، من شهر لشهر . وتخرج من هذا التسجيل لأشهر عديدة فكرة من الموعد الذي تنتهي فيه الدورة . وهو أهم من الموعد الذي تبدأ فيه . ذلك لأن التبويض يحدث عادة قبل انتهاء الدورة بنحو ١٤ يوما.أما بُعده عن ابتداء الدورة فغير ثابت دائما . فاذا عيّن الانسان هذا اليوم ، صار هو واليومان او الثلاثة التي تتبع ، يمثلان قمة الاخصاب . وفيها يحدث الاتصال لمن يريد حملا . او في غيرهما يحصل الاتصال لمن لا يريد حملا . مع التوسع في الاحتياط لمن لا يريد حملا منعا لخطأ التقدير ، كأن يمتنع عن الاتصال قبل اليوم الرابع عشر بقليل من أيام ، وبعده بقليل من الأيام .

ارتفاع الحرارة من علامات التجهّز للحمـل

● عنـد التبويض ، اي اكتمال البويضة في المبيض وانفصالها ، وتهيئها للاخصاب ، ترتفع درجة حرارة المرأة . انها تتارجح قبل التبويض بين ٣ر٣٦° درجة مئوية وبين ٨ر٣٦° درجة مئوية مثلا . فاذا حدث التبويض ارتفعت الدرجة الى ٣٧° درجة او الى ٣ر٣٧° درجة وفي هـذا بعض الهدى لمن يريد الحمل ولمن لا يريد .

ما الحيض ؟

بقي سؤال : ما الحيض ، وكيف ومتى يقـع ؟

ليس احد لا يعرف معنى الحيض . انه الدم الذي يخرج من المرأة كل شهر تقريبا . واليوم الأول الذي يخرج فيه الدم نجعله اصطلاحا اول الدورة .

والإدماء يستمر عادة أربعة أيام ، وقد يزيد عند بعض النساء الى سبعة . وعند انتهائه تبدأ عمليتان ، واحدة في المبيض ، وأخرى في الرحم .

المبيض يتجهز للتبويض ... لانتاج البويضـة الناتجة التي ستطلب الحيوان المنوي لتتلقـح . وهذه يتم تكوينها ونضجها حول منتصف الدورة .

والرحم كذلك يتجهز للقاء البيضة الملقحـة ، وذلك بتكاثر بطانته ، وتضخمها ، وحدوث تغيرات فيها تتعلق بالغدد التي بها ، وبأوعية دمائها . حتى اذا هبطت البيضة الملقحة ، انغرست في هذه البطانة ، ثم بدأ يتشكل الجنين . وهذا يحدث في بطانة الرحم في النصف الأول من الدورة . ويستمر في النصف الثاني منها .

ولكن اذا فشل التلقيح ، فلم تلتق بويضة الانثى بحيوان الذكر ، لم يعد هنالك حاجة الى هـذه البطانة . انها أصبحت غير ذات موضوع . فلا تنتهي الدورة حتى تكون البطانة قـد انضمرت واستعدت لتنسلخ عن الرحم ، وعندئذ يخرج الدم، فيكون الحيض .

وبعد تمام الحيض يبـدأ الرحم يكون بطانـة جديدة لبويضة جديدة ، لعل وعسى أن تتلقح فيكون حمل ، وتكون ولادة .

ولمنع الحمل طرق أخرى ، لها موعد آخر ان شاء الله . ■■

الفتاة الكويتية في التعليم الثانوى

ساحة المدرسة الثانوية للبنات بالكويت وقد اكتظت بالطالبات أثناء فرص الاستراحة بين الدروس .

زاد عدد الطالبات ٦٠ ضعفا فى ١٠ سنوات

قبل بضع عشرة سنة ، طالب الدكتور طه حسين ، فى سلسلة محاضرات له عن العلم القاها فى قاعة ايوارث التذكارية بالجامعة الاميركية فى القاهرة ، بوجوب توفير العلم لكل مواطن . وقال سيادته ان حق المواطن فى العلم كحقه فى الهواء والماء ، انه ينبغى ان لا ننتظر

حتى تتوفر المباني والمقاعد التي يأوى اليها الطلبة او يجلسون عليها ، وانما يتعلم المواطن فى الهواء الطلق وعلى الحصير كما كان يفعل الطالب قديما فى الكتاتيب واروقة الجوامع ان لم يتوفر له المبنى والمقعد .

هذا ما ذهب اليه قائد من قادة الفكر . فكيف يكون الحال لو توفر المبنى والمقعد .. والملبس والكتب والطعام .. والنقل والتعليم .. بالمجان ؟ لا شك أن مجتمعا تتوفر فيه هذه التسهيلات والخدمات يعتبر مجتمعا مثاليا . ولكن هل يتصور القارىء وجود مثل هذا المجتمع الذى ترفرف عليه الرفاهية ؟ واجيب على هذا السؤال « بنعم » ... انه موجود فى دولة الكويت الفتية « لؤلؤة الخليج العربى » .

ولشمول موضوع التعليم فى الكويت نكتفى فى هذا الاستطلاع بمعالجة مرحلة واحدة منه تلك هى المرحلة الثانوية لتعليم البنات .

بداية ككل بداية

وجد التعليم سبيله الى المجتمع الكويتى بحافز من الحاجة ، ودافع من الرغبة فى التطور والمعرفة ، واللحاق بالبلدان المتقدمة ، فنشأ فى كتاتيب المطاوعة (جمع مطوّع) للصبيان ، كما نشأ فى كتاتيب المطوّعات للبنات . وكان مقصورا على الكتابة والقراءة والدين وشىء من الحساب . ولم يبدأ التعليم الحديث بمناهجه ونظامه الا عام ١٩٣٦ وكان على مرحلتين : الابتدائية والثانوية . وكانت مدة المرحلة الاولى ست سنوات ، ومدة

فى المختبر .. تقوم طالبات الثانوية باجراء التجارب وتراهن فى الصورة وامامهن انابيب الاختبار والحوامض والقوارير .

المرحلة الثانية خمس سنوات . على أنّ المرحلة الثانوية لم تكتمل سنوات الدراسة فيها الا في عام ١٩٤٩ . أما ثانوية البنات فلم تنشأ الا بعد هذا التاريخ . وقد كان التعليم الثانوي للبنات مقصورا أول الأمر على فصول ثانوية ألحقت بالمدرستين القبلية والشرقية الابتدائيتين للبنات ابتداء من العام الدراسي ١٩٥١/١٩٥٢ . وظل الحال كذلك حتى سبتمبر ١٩٥٤ . ففي هذا الشهر استقلت المدرسة الثانوية للبنات بمبنى خاص بها بحي القبلة ، ثم انتقلت من خمسة أعوام الى مبناها الحالي بحي المرقاب . وهناك مشروع لبناء مدرسة ثانوية جديدة للبنات في بنيد القار ، ويؤمّل أن تكون معدّة في مدة سنتين .

٦٠ مرة

تدل أول احصائية للتعليم الثانوي للبنات أن عدد الطالبات في العام الدراسي ١٩٥١/١٩٥٢ لم يكن يزيد عن ١٢ طالبة يضمهن فصل واحد .وتدل آخر احصائية في العام الدراسي ١٩٦١/١٩٦٢ على أن عدد الطالبات في ثانوية البنات ٧٣٩ ، وعدد الفصول ٢٦ فصلا . وبعبارة أخرى يمكن القول ان عدد الطالبات في المرحلة الثانوية قد تضاعف ستين مرة خلال سنوات عشر .

هذا علاوة على ثلاثة فصول للفرقة الاولى الثانوية ملحقة بمدرسة الجزائر الابتدائية للبنات وتضم حوالي ٧٥ طالبة .

والاحصائية التالية تبين للقارىء كيف تضخم عدد الطالبات في المرحلة الثانوية خلال المدة المذكورة .

يلاحظ أن عدد الطالبات الكويتيات يساوي نصف مجموع الطالبات الكلي.فممن يتألف النصف الآخر ؟ انه يتألف من بنات الوافدين الى الكويت من أبناء الدول العربية سعيا وراء العمل.ويحضر هؤلاء معهم في العادة أولادهم وبناتهم ، وتفتح لهم مدارس الكويت أبوابها على مصاريعها . وتنتمي هؤلاء الطالبات الى جنسيات مختلفة ، هي ـ بترتيب نسبتهن العددية : الاردنية والفلسطينية والعراقية والسورية والعربية المتحدة واللبنانية والسعودية وامارات الخليج العربي .

وطالبات المرحلة الثانوية يشكلن ما يقرب من ٢٪ من مجموع الطلاب والطالبات في مختلف مراحل التعليم في دولة الكويت .

معهد المعلمات

وتضم ثانوية البنات معهدا للمعلمات . بدأت مدرسة المعلمات في العام الدراسي ٥٣ ــ ٥٤ بفصل ملحق بالمدرسة القبلية الابتدائية للبنات ، ثم

نسبة عدد الطالبات والفصول الدراسية			
العام الدراسي	عدد الفصول	عدد الطالبات	عدد الكويتيات منهن
١٩٥١ ـ ١٩٥٢	١	١٢	١٢
١٩٥٣ ـ ١٩٥٤	٥	٦٥	٤٧
١٩٥٥ ـ ١٩٥٦	٧	١٣٠	٨٢
١٩٥٧ ـ ١٩٥٨	٨	١٦٥	٩٤
١٩٥٩ ـ ١٩٦٠	١٥	٢٩٣	٢١٤
١٩٦١ ـ ١٩٦٢	٢٦	٧٣٩	٣٥٨

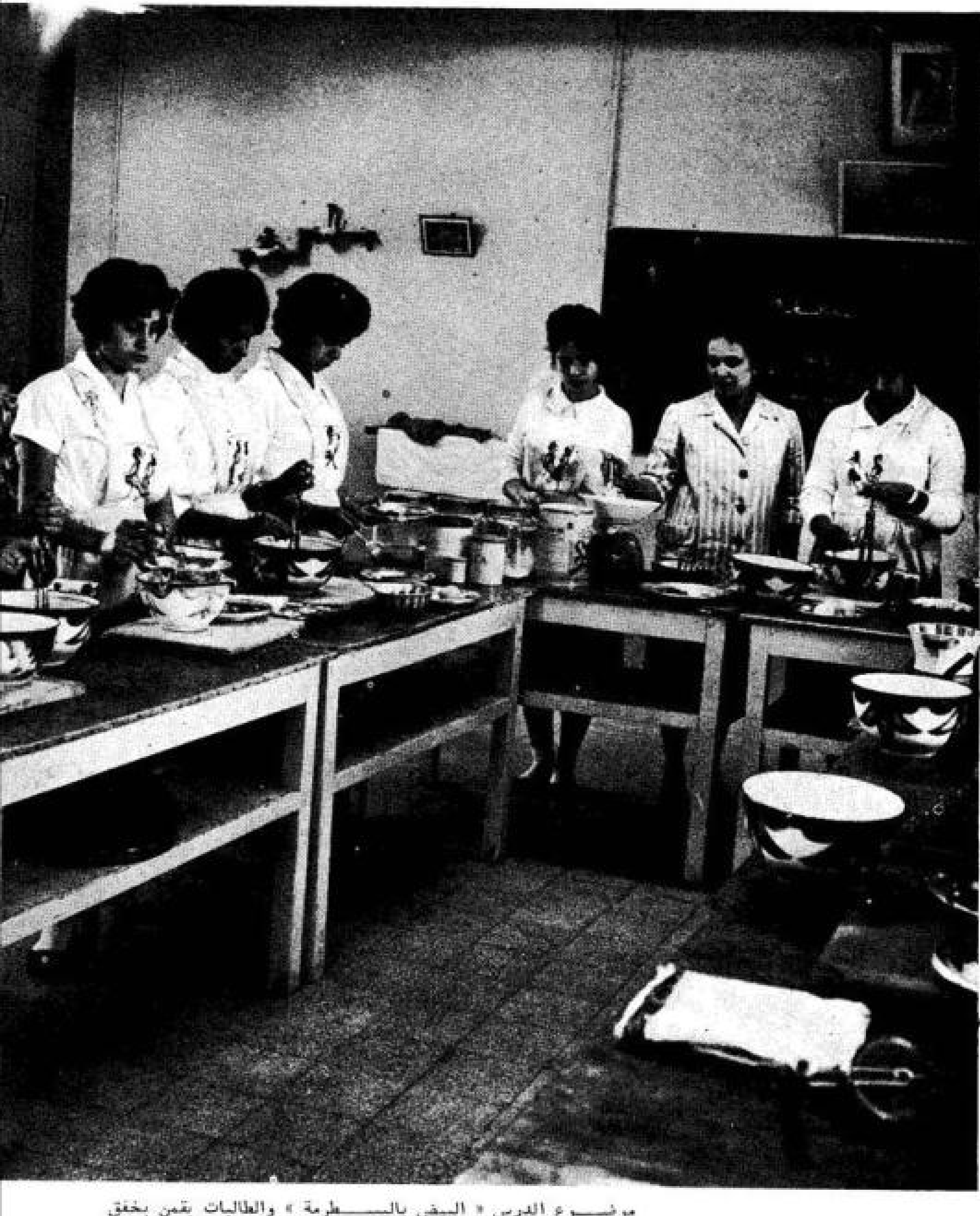

موضوع الدرس « البيض بالبسطرمة » والطالبات يقمن بخفق البيض تمهيدا لعمل أطباق شهية من « البيض بالبسطرمة » .

الطالبات فى مختبر الاحياء ، وأمام كل واحدة
منهن مجهر ا ميكروسكوب ، ودفتر ملاحظات تدون
فيه مشاهداتها وترى المدرسة تتنقل بين الطالبات
لتوجيههن وارشادهن .

الفرقة الموسيقية في المدرسة أثناء العمل ـ
وترى في الصورة العازفات على الاكسيليفون
والاكورديون ، والضاربات على الآلات الإيقاعية من
صنج وطبول ، وتقوم الفرقة بالعزف في الحفلات المدرسية

انتقل القسم مع الثانوى الى المدرسة الثانوية للبنات فى العام الدراسى ١٩٥٥/١٩٥٤ وكان عبارة عن فرقتين الاولى والثانية بهما ١٥ تلميذة منهن ٩ كويتيات .

وقد راى العام الدراسى ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ اول دفعة من خريجات مدرسة المعلمات وكان عددها ١٧ تلميذة منهن ٨ كويتيات يقمن بالتدريس الآن فى مدارس المرحلة الاولى

والجدول الآتى يبين تدرج الزيادة فى مدرسة المعلمات :

السنة الدراسية	عدد التلميذات
٥٤/٥٣	١٣
٥٦/٥٥	٣١
٥٨/٥٧	٤٧
٦٠/٥٩	٦٦
٦٢/٦١	١٠٧

وكان يشترط لدخول مدرسة المعلمات فى البداية الحصول على الشهادة الابتدائية واستمر الحال كذلك حتى عام ١٩٥٥ حيث اصبح شرط الالتحاق بها هو الحصول على الشهادة المتوسطة وقد عدل منهج الدراسة فى العام الدراسى ١٩٥٨/١٩٥٧ وروعي فى المنهج الجديد ان تكون الدراسة عامة لا تخصص فيها ، وتهيىء الفرص لتخريج معلمة مؤهلة للتدريس بمدارس المرحلة الاولى ومدة الدراسة بها ٣ سنوات تدرس التلميذة فيها التربية وعلم النفس والطرق الخاصة وتخرج الطالبة للتمرن فى رياض الاطفال ومدارس المرحلة الاولى من السنة الثانية وفى العام الدراسى ٦١/٦٠ عدل المنهج مرة اخرى فأصبحت الموسيقى من المواد الاساسية وتتفق

طالبة كويتية ترتدى زى المدرسة وتقبل على التعليم برغبة اكيدة صادقة تظهر جلية فى الابتسامة التى ارتسمت على وجهها .

الخطة الجديدة مع نظام مدرسة الصف حتى يتسنى للطالبة اثناء التمرين ان تقوم بتدريس كل المواد للفصل الواحد.

جهاز التعليم والادارة في ثانوية البنات

يتالف جهاز التدريس في ثانوية البنات – التي تضم دارا للمعلمات – من ٦٢ مدرسة منهن ٥٦ مدرسة من الجمهورية العربية المتحدة ، وثلاث مدرسات كويتيات ، وثلاث مدرسات فلسطينيات. وكلهن من حاملات الدرجات الجامعية والتربوية .

اما الناحية الادارية فالمسؤولة عنها هي الناظرة، تساعدها وكيلة لها ، وجهاز اداري من سكرتيرة وامينة مخازن ومساعدة امينة مكتبة وأمينة معامل ومشرفة اجتماعية .

ولا تزيد حصص المدرسة في الاسبوع على ٢١ حصة ، وبعملية حسابية بسيطة نرى أن هناك مدرسة لكل اثنتي عشرة طالبة ، والغاية من ذلك هي تحقيق أكبر فائدة للطالبات .

أمسكت هذه الطالبة بالكرة ونظرت الى السنة نظرة عزم وتصميم لاصابة الهدف ...

منهاج التعليم

رأت وزارة التربية والتعليم بالكويت تمشيا مع التطور الحديث في نظم التعليم وأساليب التربية ،أن تسير على المناهج الجديدة التي وضعتها وزارة التربية والتعليم بالقاهرة ابتداء من العام الدراسي ١٩٥٥/١٩٥٦ . وتتطور هذه المناهج وتعدّل كلما دعت الحاجة الى ذلك كي تساير روح العصر الذي يعيش فيه العالم،عصر الذرة والصواريخ والفضاء.

وقد اهتمت خطة الدراسة بابراز الناحية القومية العربية في دروس التاريخ ، وابراز ان احداث التاريخ العربي ما هي الا حلقات يكمّل بعضها بعضا ليستقر في ذهن الطالبة الكويتية ، ان الرقعة الفسيحة التي تعيش فيها الأمة العربية هي وطن واحد لا يتجزأ، وتاريخها لا يتجزأ كذلك.

وتولي المدرسة اهتماما كبيرا بالنواحي العلمية التي تدرّس للقسم العلمي . وتضم المدرسة مختبرين للكيمياء ، ومختبرين آخرين للطبيعة ، وكذلك مختبرين لعلم الاحياء ، كما يوجد بها مدرّجات ومعمل" للميكانيكا يحتوي على أحدث الأجهزة .

ويشمل علم" الاحياء الذي يدرّس لطالبات السنة الرابعة الثانوية-القسم العلمي -الطفيليات المسبّبة لبعض الأمراض،وبعض" الحشرات الضارة بالانسان ، والضفدعة (مع التشريح) ، والتغذية

درس عملي ونظري في معمل الطبيعة بمدرسة البنات الثانوية ، ان اهتمام الطلبة بالمواضيع العلمية لا يقل عن اهتمام زميلها الطالب بهذه المواضيع .

قاعة المكتبة ، وفيها الكتب القيمة التي تجد فيها الطالبات ما يشبع ميولهن في المطالعة المختلفة ويزيد في معرفتهن ، ولذا فان الطالبات يقبلن على المكتبة اقبالا كبيرا .

فى النبات ، ونظرية النشوء والارتقاء .. هذا فى القسم العام . أما قسم التخصص فيشمل دراسة الوراثة ـ قوانين مندل Mendel الوراثية والنباتات المائية والصحراوية ودراسة أسماك الكويت المختلفة والعائلات الزهرية . أما السنة الثالثة علمى ـ قسم عام ـ فتدرس تشريح جسم الانسان وفحص أجهزته المختلفة (الجهاز الهضمى ـ الدورى ـ التنفسى .. الخ) وتشريح النباتات والتغذية .

أما التدبير المنزلى فيدرس فى السنتين الاولى والثانية الثانويتين لكل الطالبات ، وهو بالنسبة للسنتين الثالثة والرابعة يدرس للراغبات فيه فقط . ومنهاج الدراسة يشمل طهى الطعام وطريقة اعداد المائدة والغسل والكى وتنظيف المنزل . وتحقيقا لهذه الغاية جهزت ثلاث حجرات كبيرة بمطابخ على أحدث طراز أمريكى .

وهناك أيضا حصص للخياطة ، وتشمل التفصيل والخياطة وكذلك التطريز .

النشاط المدرسى العام

يهتم برنامج المدرسة بالناحية العلمية الى جانب اهتمامه بالنواحى العملية والنظرية ، وقد طبقت الناحية العملية بشكل واضح فى دروس الهوايات العملية وجمعيات النشاط المدرسى . ومن بين

فى أثناء الفرص بين الدروس تجلس الطالبات على الارض فى حديقة المدرسة على شكل حلقات يتداولن فى أمور الدروس وغيرها من نواحى النشاط المدرسى .

الهوايات التى تقبل عليها الطالبات الموسيقى والرسم والتصوير والمطالعة وفى المدرسة جمعية للخطابة ـ وجمعية الاذاعة المدرسية ـ والصحافة (مجلة الحائط) ـ والجمعية الدينية ـ وجمعيات العلوم والرياضيات ، والمواد الاجتماعية ، والتربية الفنية ، والتمثيل (عربى وانجليزى) ، وجمعية الموسيقى .

وتشترك الطالبة الكويتية فى المهرجانات الرياضية،ويقتصر اشتراك طالبات المرحلة الثانوية فى العرض الرياضى الذى تشاهده السيدات وحدهن. اما طالبات الابتدائى والمتوسط فيشتركن جنبا الى جنب مع الطلاب فى المهرجان العام الذى يشاهده الرجال والسيدات معا .

الحفلات والاشراف الاجتماعى

تُعد المدرسة يوما للامهات ـ كل يوم أحد ـ تدعىّ فيه أمهات كل فصل مع مدرساته وطالباته، ويجتمعن فى نادى المدرسة فى جلسة عائلية ،الهدف منها حلّ مشاكل الطالبات وتعرّف المدرسات على الاهالى . والاتصال بين المدرسة وأولياء أمور الطالبات وثيق ، ويتقبل أولياء الأمور برحابة صدر نصائح المدرسات .

وفى المدرسة ، كما سبق أن ذكرنا ، مشرفة

قاعة العرض حيث تعرض الافلام السينمائية التعليمية

حصة فى الخياطة .. وترى الطالبات يعملن باهتمام حتى يأتى عملهن متقنا وجميلا .

النموذج الذى سيجرى التفصيل بموجبه وقد رسم على السبورة واخذت احدى الطالبات تضبط مقاسات زميلتها .

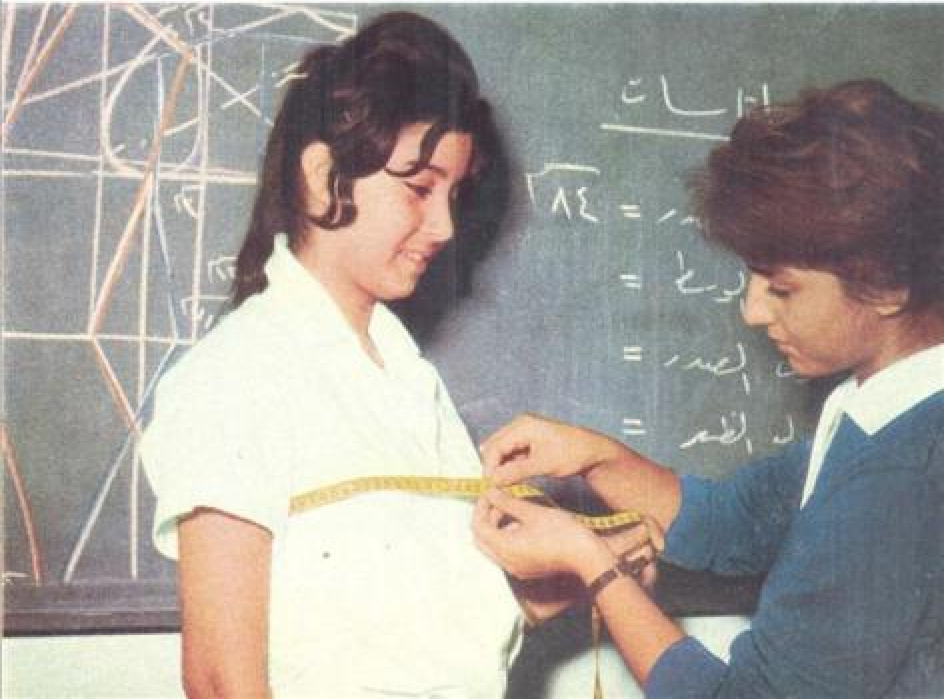

▲ كيّ الملابس تتعلمه الفتاة أيضا في المدرسة ،
كي تصبح ربة منزل مثالية في المستقبل

▼ طعام شهي .. تعده الطالبات في حصة
التدبير المنزلي في المطبخ العصري بالمدرسة .

اجتماعية وظيفتها الاشراف على مشاكل الطالبات وبحث حالاتهن داخل وخارج المدرسة،وزيارة بيوت الطالبات ، والاشراف على النادى المدرسى .

مصير المتخرّجات

شعرت الفتاة الكويتية بالمسئولية ، واصبحت تقبل على العلم بشكل واضح ملموس ، وشقت طريقها الى الجامعات العربية،والى الوظائف فى دوائر الحكومة.

كانت باكورة المتخرجات ٧ طالبات كويتيات ، تخرجن فى العام الدراسي ١٩٥٦/١٩٥٥ ، والتحقن بالتعليم العالى والجامعى فى القاهرة .

أما فى العام الدراسى الحالى فالسنة النهائية تضم ٤٢ طالبة فى القسم العلمى و٥٢ فى القسم الادبى . والطالبات الكويتيات الحاصلات على الشهادة الثانوية العامة يُرسلن جميعا فى بعثات دراسية فى الخارج اذا رغبن فى ذلك ، وقد افادت ادارة المدرسة أن حوالى ٧٥٪ منهن قد ابدين هذه الرغبة ... ويتوقف تحقيقها على نجاحهن فى الامتحانات التى ستبدأ يوم ٥ يونية ١٩٦٢ .

سليم بسيسو

درس فى الطبيعة.. وقفت المدرسة تشرح وتطبق ما تشرحه عمليا والطالبات يصغين الى الشرح باهتمام .

طالبة فنانة افترشت الارض وأخذت ترسم فى الهواء الطلق .. انها تنقل الفنون الشعبية بريشتها على أطباق الورق البيضاء ..

مِنْ رَوائِعِ الشِّعْرِ

يصف ابو صخر حبه ، وشقوته فيه . ومع هذا هو يتمسك به ، لا يبالي هجرا ، ولا يطلب سلوة . ويعتزم قطيعتها ، فاذا لقيها بغتة تبخر اعتزامه . لقد نسيه . هل كان اعتزم هجرتها حقا ؟ ابدا. هو لم يفعل . وهو لا يشفيه هجر،ولا يشفيه قرب . والناس ، نعم الناس ، ما دامت حية فيهم . فان هى ماتت ، فياحبذا الأموات وياحبذا القبور .

قال ابو صخر الهذلي :

أما والذى أبكى وأضحك ، والذى ... أمات وأحيا ، والذى أمرُه الأمرُ
لقد كنتُ آتيها ، وفي النفس هجرُها ... بتاتاً لأُخرَى الدهرِ ما طلع الفجر (١)
فما هو إلا أن أراها فُجَاءةً ... فأبهتَ ، لاعُرْفٌ لدىَّ ولانُكْرُ (٢)
وأنسَى الذى قد كنتُ فيه هجرتُها ... كما قد تُنسّى لبَّ شاربها الخمرُ
وقد تركتْنى أغبط الوحشَ أن أرى ... أليفَيْن منها لايَرُوعهما الذعرُ
وما تركتْ لى من شدا أهتدى به ... ولاضِلَعٍ إلاّ وفي عظمها وقر (٣)
عجبتُ لسعيِ الدهر بينى وبينها ... فلما انقضَى ما بيننا سكَنَ الدهر
فيا هجرَ ليلى قد بلغتَ بى المدَى ... وزدتَ على ماليس يبلغه الهجرُ
ويا حُبَّها زدْنى جوًى كلَّ ليلة ... ويا سَلْوةَ الأيام موعدُك الحشر
هجرتُك حتى قلتِ : لايعرف الهوى ... وزُرتك حتى قُلْتِ : ليس له صبر
صدقتِ ، أنا الصبُّ المصاب الذى به ... تباريحُ حب خامر القلبَ أو سحرُ (٤)
وإنى لتعرونى لذكراك هِزَّةٌ ... كما انتفض العصفور بلّله القَطْر
فيا حبذا الأحياءُ مادُمتِ فيهم ... ويا حبذا الأمواتُ ما ضَمك القبرُ

(١) بتاتا قطعا واعتزاما لا رجعة فيه
(٢) ابهت ادهش واسكت حائرا
(٣) الشدا طرف من شيء او بقية شيء . والمقصود هنا العقل . والضلع لغة فى الضلع والوقر فى الحجر والعظم الصدع والكسر
(٤) الصب العاشق الشديد الولع . والتباريح المشقات والشدات . وخامر خالط

الذَّكاءُ

- أَهُوَ هِبَةٌ مَوْرُوثَة.. أَمْ قُدْرَةٌ مُكْتَسَبَة؟

- الرَّجُل أذكى في المجرَّدات.. والمرأة في الحسِّيات؟

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ علم النفس بجامعة دمشق

هل الذى يحفظ بسرعة ذكي ؟

وهل الذى يتذكر ما يحفظ بعد فترة من الزمن ذكي ؟

وهل الذى يفهم بسرعة اذكى من بطيء الفهم ؟

وهل المهتم بالرياضيات اذكى من المهتم بالادب ؟

وهل صاحب الراس الكبير اذكى من صاحب الراس الصغير ؟

وهل الرجل اذكى من المراة ؟

وهل الذكاء مقصور على الانسان ؟

وهل يولد الانسان بقدر محدود من الذكاء لا يستطيع له زيادة ؟

وهل .. ؟ وهل ... ؟

هذه وسواها اسئلة تدور على افواه الناس وسنحاول فيما يلي الاجابة عنها جميعا من خلال حديثنا البسيط عن الذكاء .

ما الذكاء ؟

عرّف العلماء الذكاء تعاريف مختلفة،فقال بعضهم انه القدرة على الفهم ، وقال آخرون بل هو القدرة على حل المشاكل والمسائل ، وقالت فئة ثالثة انه القدرة على التكيف مع الظروف الطارئة ، وقالت فئة رابعة انه القدرة على التجريد (تجريد المفاهيم من المحسوسات) ، وقالت فئة خامسة انه القدرة على التفكير ، وقالت فئة سادسة انه القدرة على الربط ..

وفي جميع هذه الاقوال شيء من الصحة ولكنها ناقصة غير شاملة ولذلك فنحن نقترح تعريف الذكاء بانه

« القدرة على التفكير في العلاقات تفكيرا بنائيا موجها نحو هدف » .

وفي هذا التعريف ثلاثة عناصر نحب ان نلفت اليها النظر :

اولها : ان الذكاء في جوهره قدرة تفكيرية تتناول علاقات الاشياء والامور بعضها ببعض .

وثانيها : ان هذا التفكير بنائي يربط بين الظروف الراهنة والمعارف السابقة .

وثالثها : انه يتجه لغاية ويستهدف هدفا ، وبذلك يختلف عن مجرد سروح الذهن وتداعي الافكار تداعيا لا هدف له ولا طائل تحته .

ومعنى تعريفنا هو ان الذكي انسان لا يكاد يواجه مشكلة او مسألة ، حتى يحاول تبين ظروفها واحوالها وملابساتها ، ثم يستدعي الى ذهنه معارف ومعلومات سابقة ذات صلة مفيدة بظروف المشكلة

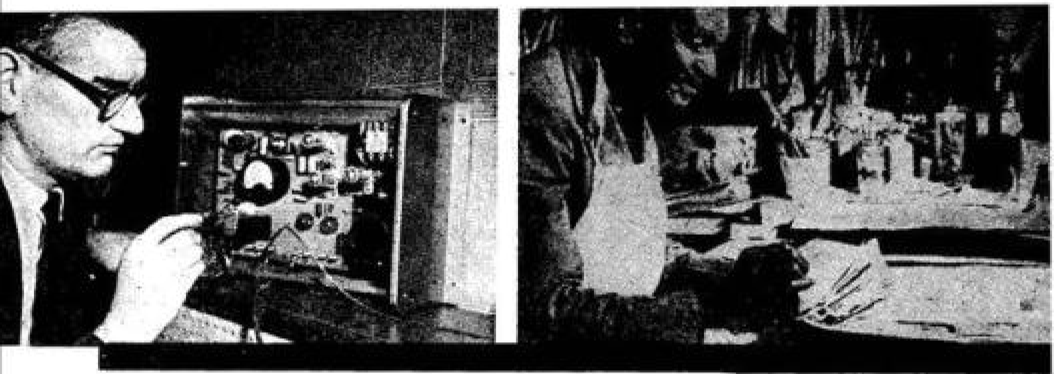

سيان فى الذكاء الرجل الاسود والرجل الابيض لو اتيحت لهما الفرص الواحدة

الراهنة ، ثم يخلص عن طريق الربط بين الظروف الحاضرة والمعارف السابقة الى حل يوصله الى هدفه .

ولنضرب على ذلك مثلا : انسانا يطلب اليه أن يحل مسألة رياضية : انه يبدأ بتفهم المسألة المطروحة امامه متبينا معاليمها ومجاهيلها ، ثم يربط ما بين هذه المسألة وبين معلوماته السابقة ذات الصلة بالمسألة ويخرج من ذلك الى ايجاد المجاهيل المطلوبة منه مستعينا بمعاليم المسألة من جهة ومعلوماته السابقة من جهة اخرى .

والامر نفسه صحيح عن الذى يواجه مشكلة عملية . لنفرض انك كنت تسوق سيارتك فتوقفت، ان هدفك الواضح هو تسيير السيارة ، ولكن عليك ــ فى سبيل ذلك ــ ان تحدد سبب التوقف وان تجد له العلاج الناجع ، ولذلك فانت تبدأ بالبحث عن ذلك السبب فتتساءل هل نفد الوقود ؟ ام انسد مجراه ؟ أم فرغت شحنة البطارية أم ..؟ ام ...؟ وبديهى ان مجرد خطور هذه الاسئلة فى ذهنك يقتضى معرفة سابقة بالسيارة وآلة سيرها ، ثم ان الخروج من هذا المازق الى حل عملى يحقق هدفك يستوجب منك معرفة تعينك على تحديد مشكلتك من جهة والقيام بالاعمال التى تؤدى الى حلها من جهة اخرى .

وقل الشىء نفسه عن كل انواع المشاكل التى تواجهك (اجتماعية ، اقتصادية ، سياسية ، اخلاقية) والتى لا بد من الذكاء لحلها .

الذكاء قدرات

انك اذا لاحظت طلاب صف (فصل) من الصفوف وجدت فيهم الذكى ومتوسط الذكاء والغبى ، وانت اذا انتبهت الى موظفى دائرة حكومية رأيت فيهم مفرط الذكاء ومتوسطه وقليله . ولكنك بعد ذلك تلاحظ ان فى طلاب الصف الواحد النابغ فى الرياضيات ، والمبرّز فى الادب ، والمجلّى فى الموسيقى ، والبارع فى الرسم ، كما انك تلاحظ ان فى موظفى الدائرة الواحدة من يحسن استخدام يديه كما ان فيهم من يعجز عن ذلك ، وان فيهم من يُعنى باللغة ويتفوق فيها ، كما ان فيهم من يهتم بالعلوم النظرية ولا يعنى بتطبيقاتها الى غير ذلك من الفروض ، فما تعليل ذلك ؟

يقول سبيرمان Spearman. العالم الانجليزى ويوافقه بقية العلماء ان الذكاء مكون من صنوف من القدرة مختلفة وهى انواع ثلاثة :

١ ــ القدرة العامة .

٢ ــ القدرة الطائفية وهى صنوف

٣ ــ القدرة الخاصة وهى صنوف

اول قل" اذا شئت ان الذكاء عام وطائفى وخاص، اما العام فواضح لا نرى لزوما لشرحه ، واما الطائفى فالمقصود به طائفة من صنوف القدرة تنتمى الى عائلة واحدة (كالقدرات اللغوية : مفردات ، نحو ، صرف ، شعر ، نثر .. الخ) واما الخاص فواحد من افراد هذه الطوائف : العزف على البيانو ، التاليف الموسيقى .. الخ .. وكلها تنتمى الى القدرة الموسيقية .

ويقول العلماء اخيرا ان العلاقة وثيقة بين الذكاء العام والطائفى والخاص ، بمعنى ان الذكى حقا يكون عادة ذكيا فى كل شىء ، ولو اتيحت له فرصة الاطلاع والتدرب على المعارف المختلفة لاستطاع ان يبرّز فيها الى حد ، وان كان هذا لا يعنى ــ بالضبط ــ انكل ذكىقادر على أن يكون موسيقيا او شاعرا او رياضيا ، والا لما كان معنى لقولنا بوجود القدرات الطائفية والخاصة . انه يعنى

ـ اذا شئت ـ ان الموسيقار الموهوب يحتاج الى ذكاء عام لا يقل عن الذكاء العام الذى يحتاجه العالم النحرير أو الأديب اللامع ، كما يعنى أن الادب الرفيع والعلم العميق والموسيقى العظيمة تحتاج جميعا الى قدرات مشتركة الى حد كبير من مثل التفكير المنطقى ، والقدرة على الفهم والقدرة على الربط ، وغير ذلك من القدرات ، التى ان توفرت لشخص استطاع أن ينبغ فى حقله الخاص، كما استطاع ان يبرز فى كل حقل يوجه اليه انتباهه ويصرف اليه جهده ، وهذا هو تعليل جمع بعض العظماء بين العلم والادب أو العلم والفلسفة او الموسيقى والفلسفة او غير ذلك . وامثال هؤلاء كثيرون بين عظماء العالم من مثل الفارابى وابن سينا والتوحيدى وباسكال وديكارت وغيرهم من كبار رجال العلم والادب والسياسة والفكر والاجتماع .

هل الذكاء هبة موروثة ام قدرة مكتسبة ؟

لا شك فى ان الإنسان يرث ذكاءه ، انه يرثه عن ابويه وجدوده وأسلافه وفقا لمبادىء كنا قد أشرنا اليها حين تحدثنا فى هذه المجلة الغراء عن الوراثة والبيئة .

ولا شك بعد ذلك فى أن المحيط قادر على ابراز المواهب واظهار القدرات بل وزيادتها كما انه قادر على قتل المواهب ووأد القدرات .

ولقد كان العلماء ـ الى عهد قريب ـ يقولون ان الذكاء ينمو ـ اذا نما ـ حتى مطلع الشباب ثم يتوقف نموه لتزداد المعارف دون ان يزداد الذكاء ، كما كانوا يقولون ان هذا النمو ليس زيادة فى مقدار الذكاء ولكنه تغير فى نوعيته . ومعنى هذا انهم كانوا يعتقدون ان الانسان يولد بقدر محدود من الذكاء لا يزيد ـ اذا زاد ـ الا قليلا وفى حدود ضيقة ولأسباب مادية .

اما اليوم فيبدو ان العلماء يقولون بطبيعة ديناميكية متحولة للذكاء اكثر منها (ستاتيكية) سكونية . ومعنى هذا أن البيئة الجيدة قادرة ليس فقط على تفتيح الذكاء وابرازه وانما هى قادرة على زيادته ، كما أن المحيط السيىء ليس قادرا على طمس الذكاء فحسب ولكنه قادر على انقاصه .

قياس الذكاء

وللذكاء مقاييس ، يصل العلماء اليها باختبارات تعرف باختبارات الذكاء .

ولقياس الذكاء قصة :

فقد راع سلطات باريس التعليمية أن تجد بعض الطلاب يلزمون فرقتهم (صفهم) سنين طوالا لا يتحولون ، فتساءلت عما اذا كان هؤلاء الطلاب اقل ذكاء من اترابهم ، وكلفت العالم الافرنسى (بينه Binet) ان يدرس المسألة وان يجد مقياسا او مقاييس تحدد ذكاء الطفل المعين فى العمر المعين.

فانكب بينه يساعده عالم آخر اسمه سيمون Simon. على العمل حتى وضع مقياسه المشهور باسمه والذى شاع امره فى كل انحاء العالم ، ولا سيما فى البلاد الغربية ، والذى نقحه علماء آخرون وعدلوه بحيث يصلح للبيئات الجديدة . واشهر تنقيح له هو تنقيح ستانفورد Stanford. ـ باسم جامعة ستانفورد الامريكية ـ وقد تم على يد العالم الامريكى تيرمان Terman. ومساعده ميريل Merill ، وهو مقياس اصبح مشهورا وقد تبنته ، بعد تعديل ، بلاد كثيرة فى انحاء العالم.

اختبارات الذكاء

وتقوم فكرة قياس الذكاء على وضع مجموعة من الاسئلة المحدودة للاعمار التى تتراوح بين ستة اشهر وعشرين سنة . ومن المألوف فى السنين الخمس الاولى ان تخصص مجموعة لكل ستة اشهر، ثم مجموعة لكل سنة فيما بعد .

اما طريقة وضع الاسئلة لكل عمر فامر علمى بحت لا نحب ان ندخل فيه الآن ، غير انه من المفيد ان نشير الى ان هذه الاسئلة يضعها خبراء وتتناول مختلف القدرات العقلية : ملاحظة ، محاكمة ، لغة ، حساب ، اعمال يدوية ، الخ ... كما ان من المفيد ان نذكر انها تجرب على عينات من الطلاب ذوى العمر المعين تمثل مختلف فئاتهم وتجيب عنها اكثريتهم .

واذا اردنا قياس ذكاء طفل عرضنا عليه الاسئلة المحددة للعمر الذى يسبق عمره ، فاذا اجاب عنها كاملة انتقلنا الى اسئلة العمر التالي ، والا هبطنا الى العمر السابق ، وما نزال نهبط حتى نصل الى مستوى عمرى يجيب الطفل فيه عن كامل مجموعة الاسئلة ، ومن ثم نرتفع عن هذا المستوى

مسجلين عدد الاسئلة التى يجيب عنها الطفل ، وما نزال نرتفع حتى نصل مستوى يعجز فيه الطفل المسؤول عن الاجابة عن اى سؤال فيه . وحينئذ تحدد عمر الطالب العقلى بحساب قيمة الاسئلة التى اجاب عنها فيما بين المستويين (المستوىً الذى اجاب عن كل اسئلته والمستوى الذى عجز عن الاجابة على اى سؤال من اسئلته) وبذلك تحصل على عمره العقلى .

لنضرب على ذلك مثلا : طفلا اجاب على الاسئلة الستة للسنة السادسة كاملة كما أجاب على خمسة من الاسئلة الستة للسنة السابعة ، وعلى ثلاثة من التى هى للسنة الثامنة ، وواحد من التى هى للسنة التاسعة ، ولم يجب عن شىء من اسئلة السنة العاشرة ، ان العمر العقلى لهذا الطفل يكون سبع سنوات ونصف سنة .

فاذا كان عمره الفعلى سبع سنوات امكننا حساب حاصل ذكائه بالمعادلة الرياضية التالية :

حاصل الذكاء =

$$\frac{\text{العمر العقلى}}{\text{العمر الزمنى}} = \frac{\text{٧و٥}}{\text{٧}} = \text{١و٠٧}$$

ومن المألوف ان يضرب الناتج بمائة فيكون حاصل ذكاء هذا الطفل ١٠٧ ومعنى ذلك انه فوق المتوسط بقليل ، وذلك على اعتبار ان المتوسط مائة ، وهو حاصل الذكاء الذى يحصل عليه الطفل الذى يكون عمره العقلى مساويا لعمره الزمنى .

الذكاء الفطري والمكتسب

على ان السؤال الذى يطرأ على الذهن فى هذا الصدد هو عما اذا كانت هذه المقاييس تقيس فعلا الذكاء الفطرى ام انها تقيس الذكاء المكتسب اى المعلومات والمهارات ؟

المفروض أن تقيس هذه المقاييس الذكاء الفطرى، ولكن الكثيرين من العلماء ـ ولا سيما المحدثين منهم ـ يشكون فى ذلك ويعتقدون انه من المستحيل التفريق بين الذكاء الفطرى والذكاء المكتسب ، كما يعتقدون أن الذكاء الفطرى أمر افتراضىّ أكثر منه حقيقة واقعة ، ولهم على ذلك براهين لا مجال لذكرها هنا .

حذار من مقاييس الذكاء

هذا ومن الواضح ان الغاية من مقاييس الذكاء هذه اعطاء المربين ، ابا واما ومعلما ، فكرة عن قدرات الطفل . وهى بهذا المعنى مفيدة ولكنها خطرة . انها خطرة اذا لم تكن دقيقة مضبوطة ، وهى خطرة اذا اعتبرت امرا نهائيا وحكما مبرما ، ذلك بانك اذا حكمت ـ نتيجة لتطبيق هذه المقاييس ـ على طفل بانه غبى ، ثم رحت تعامله بهذا الوصف، فانك تكون قد دمغته بصفة قد تكون انت المخطىء باطلاقها عليه ، وحينئذ تكون خطيئتك فادحة وقد تؤدى الى كارثة تدمر حياة هذا الطفل . ومن هنا كانت توصية العلماء الغربيين بوجوب الحذر فى اطلاق الاحكام نتيجة لتطبيق هذه الاختبارات ، ووجوب الحرص على الدقة المتناهية فى تطبيقها ، واعتبارها ـ بعد هذا وذاك ـ مجرد دليل يستهدى به لا اكثر ولا أقل . ومن هنا ايضا كان تنكر علماء الشرق لهذه المقاييس امرا خطرا لا يصح اللجوء اليه اطلاقا .

توزع الذكاء

كيف يتوزع الذكاء بين البشر ؟

انه يتوزع بينهم توزع كل صفاتهم ، بمعنى أن معظم الناس متوسطو الذكاء، وان قلتهم هى الغبية، وكذلك قلتهم هى النابغة . ولو رسمت خطا بيانيا لتوزع الذكاء بين فئة غير منتقاة من السكان ـ كسكان مدينة مثلا ـ لوجدت أن اكثريتهم فى الوسط ، وان عددهم يقل كلما تقدمت نحو احدى النهايتين : غاية الذكاء أو غاية الغباء . والذكاء فى هذا يشبه الطول أو السمنة أو غير ذلك من صفات الناس .

بيد أن ثمة توزعا آخر للذكاء يجدر بنا الا نغفل عنه ، فتوسط معظم الناس فى الذكاء معناه توسطهم فى مختلف القدرات ، وانحراف قلتهم نحو زيادة المهارة فى القدرة المعينة أو نحو التخلف فى هذه المهارة . والمقصود بذلك أن معظم الناس لديهم قدرة يدوية متوسطة ، وان قلة منهم تملك مزيدا من هذه القدرة أو نقصا فى هذه القدرة ، وقل الشىء نفسه عن الموسيقى فمعظم الناس يتذوقونها وقلة منهم تنبغ فيها وقلة ايضا لاتستطيع حتى تذوقها . وقل الشىء نفسه عن باقى القدرات .

اختلاف الذكاء فى الرجل والمرأة

هل ثمة فروق فى الذكاء بين الرجل والمرأة ؟ لا ونعم .

لا بمعنى اننا لا نستطيع القول بأن الرجل أذكى من المرأة ، وانما نقول ان زيدا أذكى من ليلى،

وهدى اذكى من عمرو .

ونعم لأن نوعية ذكاء المرأة تختلف ـ بعض الشيء ـ عن نوعية ذكاء الرجل . فالرجل بصورة عامة اذكى في المجردات في حين أن المرأة اذكى في الحسيات وهكذا ...

اختلاف الذكاء بين البيض والسود

وهل ثمة فروق في الذكاء بين الأبيض والأسود أو بينه وبين الاصفر ؟ ومرة أخرى نعم ولا .

نعم ، بمعنى أن مجموع الاميركان البيض مثلا يسجلون قياسات أعلى بمقاييس الذكاء من الاميركان السود . ولا ، بمعنى انه لو أتيحت للاميركان السود نفس الفرص المتاحة للاميركان البيض لسجلوا نفس القياسات التي يسجلها البيض .وفي هذا دليل على أن السود ـ بوصفهم سودا ـ ليسوا اقل ذكاء من البيض ـ بوصفهم بيضا ـ ولكنهم أحط ذكاء ـ بالنسبة لمقاييس الذكاء ـ بسبب من دناءة الفرص المتاحة لهم .

اختلاف الذكاء بين أرباب المهن

وهل ثمة فرق في الذكاء بين ارباب المهن المختلفة؟ هل الأطباء أذكى من الحلاقين مثلا ؟ والجواب:نعم، ذلك بأن العلماء يقسمون المهن الى أقسام رئيسية ثلاثة : المهن العليا ومثلها الطب والهندسة والتعليم العالي وغير ذلك ، والمهن المتوسطة ومثلها الوظائف الكتابية والعمل الحاذق ، والمهن الدنيا ومثلها العمل غير الحاذق . وهم يرون أن المهن العليا تتطلب ممارستها قدرا من الذكاء أكبر مما تقتضيه المهن المتوسطة أو الدنيا ، كما تتطلب المهن المتوسطة قدرا من الذكاء اكبر من المهن الدنيا ، ولذلك فان ارباب المهن العليا يكونون ـ بصورة عامة ـ اذكى من أرباب المهن المتوسطة وهؤلاء يكونون بدورهم اذكى من أرباب المهن الدنيا .

على أن ذلك لا يعني ابدا أن كل طبيب اذكى من كل حلاق وان كل موظف اذكى من كل خباز ، وان كل عامل ميكانيكي اذكى من كل عامل بناء .والواقع أن في الأطباء من هو أغبى من حلاق ،وان في الحلاقين من هو اذكى من كثير من الاطباء ، وهكذا ..

الذكاء والذاكرة

ولنعد الى السؤال الذي افتتحنا به مقالنا : هل الذي يحفظ بسرعة ذكي ؟ وهل الذي يتذكر ما يحفظ بعد فترة من الزمن ذكي ؟ والجواب على هذين السؤالين يتلخص في أن ثمة علاقة وثيقة بين الذكاء والذاكرة ، ولكنهما ـ رغم ذلك ـ قدرتان مختلفتان ، فالحفظ بسرعة يدل ـ فيما يدل عليه ـ على ذكاء ، ولكن الحافظة غير الذكاء . وكذلك الذي يتذكر أكثر من سواه قد يكون اذكى منه ، ولكن التذكر شيء والذكاء شيء آخر ، وان كانا على صلة .

ذكاء الحيوان

كان القدامى يعتقدون أن العقل صفة مقصورة على الانسان ، اما المحدثون فيرون ان الانسان والحيوان من نوع واحد وأن الفرق بينهما فرق درجة . ومعنى ذلك أن لدى الحيوانات ـ كل الحيوانات ـ شيئا من الذكاء وان مقدار ما تملكه يتناسب طردا مع مرتبتها في التطور ، وهكذا فالقردة مثلا اذكى من الكلاب وهذه أذكى من الفيران ..

الذكاء والدماغ

يحسب الكثيرون أن كبر الرأس او الدماغ دليل على زيادة الذكاء ، ولكن العلماء لا يقرون بذلك ، وانما يرون أن العلاقة قد تكون بين الذكاء وطبقة المخ العليا ، بمعنى أن كثرة التلافيف والتعاريج المخية قد تكون دليلا على زيادة الذكاء ـ وان كانت البراهين العلمية على ذلك غير موفورة ، والامر لا يتعدى مجرد الحدس والاستنتاج ـ وذلك بسبب اعتقادهم أن كثرة التلافيف دليل على مزيد من الخلايا العصبية التي هي بدورها على صلة وثيقة بالعمليات العقلية الذكائية .

والخلاصة

ما تقدم ذكره يوضح للقارىء أن النظرة الحديثة للذكاء تبشر بامكان زيادته لدى الفرد ولدى المجموع عن طريق التربية الجيدة والبيئة الصالحة والفرص المتاحة ، ومن هنا كانت اهمية البيت الصالح ، والمدرسة الصالحة ، لا في رفع ذكاء الفرد فقط ، وانما في رفع مستوى ذكاء الأمة كذلك . .ومن هنا ايضا كانت الاشارة الى قدرة الفرد نفسه على الارتفاع بذكائه عن طريق التعلم والتثقف والاطلاع .

■■

فاخر عاقل

محصول عام ١٩٦١

من كشوف العلم

قطرات من بحر، ومختارات على سبيل المثال

(ومحصول الطب فى العدد القادم)

ظهر الانسان على سطح هذه الأرض منذ ١٧٥٠٠٠٠ عام

● العناصر الكيماوية المشعة تفقد اشعاعها على السنين ، والعلم يستطيع تقدير ما فقد العنصر من اشعاعه ، وعلى كم من السنين . وبفحص بقاياالانسان ، وبقايا ما صنع الانسان القديم وأنتج من أشياء ، يستطيع العلم أن يقدر الزمن الذى عاش فيه الانسان القديم ، والزمن الذى أنتج فيه ما أنتج من أشياء .

وبفحص بقايا الانسان المعثور عليه ، والمسمى بـZinj — Anthropus Boisei، استدل العلماء على ان هذا المخلوق القديم الذي هو أشبهما يكون بالانسان عاش منذ نحو ١٧٥٠٠٠٠ عام .

ومما وجد العلماء فى مغارة قديمة فى العراق ،ومن بعد فحص ، استدلوا على أن الانسان كان يعيش هناك منذ ١٠٠٠٠٠ عام .

والعلماء يقدرون ان الانسان بدأ أولا صيّاد حيوان بريّ ، وجمّاع نبات ، غذاءً وسكنى ، ثم انتقل من هذه الحال الى حال استقرار ، اذ اشتغل بالزراعة . والعلماء من دراسة ما وجدوا فى ايران استدلوا على ان الفترة ما بين الحالين ، صيد وزراعة ، وقعت فى القديم ما بين ١٥٠٠٠ عام مضت و ٨٠٠٠ عام .

ومن بقايا ما خلف الانسان القديم فى المغارة العراقية المذكورة آنفا استدل العلماء أيضا على ان انتقال الانسان من حال الصيد ، والجمع واللم من ثمر الأرض ، الى حال الاستقرار الزراعى ، وقع منذ ١٠٥٠٠ عام مضت .

نجم أعلى صوتا من صوت الشمس !

● نعم ، للنجوم أصوات : اشعاعات لاسلكية تأتينا من الشمس ، ومن النجوم ، ومن الكون الفسيح .

وقد وجدوا نجما يرسل الينا من الاشعاع اللاسلكي أشعة أقوى ١٠ مليون مرة من أشعة تأتينا من الشمس .

الحيوان المنوى يطول عمرا

● صار التلقيح الصناعى امرا شائعا . فالثور المختار لا ينتقل الى الابقار ، وانما ينقل منيه ، وتلقح به الابقار تلقيحا صناعيا .

وكان يحفظ هذا المنى ، او ما يخرج منه من حيوانات منوية ، بالتبريد . والتبريد عند النقل البعيد ليس متيسرا دائما . وقد وجدوا مركبا كيماويا يقوم فى حفظ هذه الحيوانات واطالة اعمارها مقام التبريد . وقد سهل هذا انتاج المواشي من سلالات جيدة فى اقطار كثيرة بعيدة ، فزاد هذا فى الدخل زيادة كبيرة .

ذكور تنقلب اناثا

● ليس فى الانسان ، ولكن فى البعوض. وذلك انهم عرضوا ذكورا من ذكور البعوض ، قبل بلوغها ، الى حرارة كبيرة ، فانقلبت الى اناث من اناثه .

ازهـار مبكر

● لكل نبات ميعاد للازهار معلوم . وقد استخرج العلماء من بعض النباتات هرمونات ، عالجوا بها نباتات اخرى ، فبادرت بالازهار قبل الأوان . وقد فعلوا هذا بنجاح ، فى ٧٠ نوعا من النباتات . ومعنى هذا عظيم ، اذ انه يعطي الانسان القدرة على تحديد موعد الازهار ، فالاثمار ، على ما يشاء هو ، لا كما يشاء النبات ، وذلك وفقا لحاجة الانسان ، وحاجة الاسواق . وتسمى هذه الهرمونات ب « الانثوجينات » Anthogers

حياة فى السماء !

● تصلنا من السماء شهب ، بعضها يحترق فى جونا قبل الوصول الينا ، وبعض يصل .

وقد وجدوا فى بعض الذى يصل مكروبا ، اشبه شىء بالبكتيى . وقد زرعوه فنما ، واستدلوا من ذلك على امكان وجود حياة فى السماء .

فهرس للنباتات

● عند العلماء أسماء (لاتينية) لنحو ١٧٠٠٠٠ صنف من النباتات . وقد بدأ العلماء فعلا فى عمل فهرس لها سيكون اكبر مرجع اذ يتألف من ٥٠ مجلدا كبيرا .

السر فى صلابة اللحم ؟!

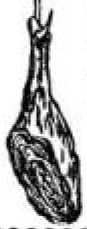

● الناس تعزو صلابة هذا اللحم الذى ياكلونه الى سوء غذاء الماشية . وقد دلت التجربة والملاحظة على ان اكبر عامل لتطرية اللحم ، ليس الغذاء وحده ، ولكن الاصطفاء . يختار المربون الحيوان ذا اللحم الطرى ، ليولدوا منه سلالة ذات لحم طرى . اى ان المسالة مسالة انحدار سلالة طرية من سلالات طرية ، وصلبة من سلالات صلبة .

انه الميراث يورث الطيب الطيب ، ويورث الخبيث الخبيث . حتى فى اللحم .

خرق فى الأرض

● لقد علمنا ان هناك مشروعا يعرف بموهول Mohole الفرض منه ثقب الأرض بحيث يصل الانسان الى العباءة الصخرية النارية لسطح الأرض . وقد هبطوا بالثقب الى عمق لم يبلغه الانسان من قبل . وهذا فى قاع المحيط حيث عمق القاع عن سطح الماء يبلغ وحده ١٢٣٠٠ قدم ، وهم من هذا القاع بدأوا حفرا .

وقد دل الحفر الجارى فى نطاق هذا المشروع عند ساحل المكسيك على ان الطبقة اللينة فى قاع الماء هناك اقل سمكا مما قدّر الانسان . واكتشفوا فيها بقايا من احياء بحرية كثيرة دلت على كثرة ما كان فى تلك البقاع من احياء ، وذلك من ٢٥ مليون سنة مضت !!

٦٠٠ مليون عام من تاريخ الأرض !

● ان من العناصر ما لا يبقى بناؤه ثابتا الى الأبد ، فهو دائما فى تحول ، ومن هذا جاءت النظائر .

وهذا التحول يحدث بسرعة منتظمة لا تتغير ، وبمقادير ، وفقا لزمانها الجارى . فهذه العناصر المتحولة هى ادق ساعات عرفت .

وقد اتخذ العلماء من هذه العناصر ، لا سيما عنصر الروبديوم Robidium والبوتسيوم ، ساعات يؤرخون بها للأحداث القديمة للأرض ، سطحها والطبقات واحياء كانت فيها ، تأريخا غاية فى الدقة ، امتد الى الوراء ٦٠٠ مليون عام .

قشرة الأرض

● انه مشروع دولى جديد ، هدفه دراسة قشرة الأرض ، فى مواقع عدة منها ، الى عمق بضعة الاف من الأقدام . وذلك بغية ان تكون للعلماء بذلك صورة واضحة كاملة عن هذه القشرة التى لا نرى منها عادة غير بضع أقدام حيث تحرث للزرع .

حشرات على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم

● نعم وجدوها على هذا الارتفاع ، بأحد الجبال ، وهذا اقصى ارتفاع كشفوه ، عنده تستطيع الحشرات أن تعيش .

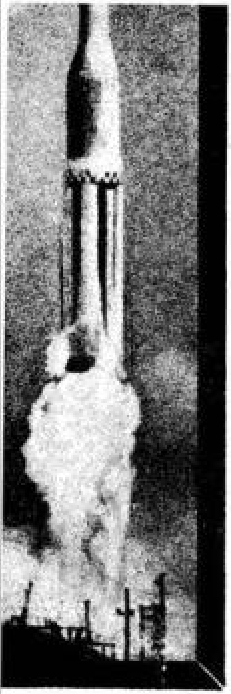

اربعة أعوام فى ارتياد فضاء

● مضى على اختراق الانسان الفضاء اربعة أعوام . والمقارنة بين ما صنع الروس وما صنع الأمريكان فى هذا السبيل تدل ، فى مجموعها ، على سباق فى هذا الميدان حثيث ، يرجحُ فيه الروس الأمريكان فى أشياء ، ويرجح الأمريكان الروس فى أشياء .

مثال ذلك : ان الأمريكان ارسلوا الى الفضاء من التوابع الاصطناعية ومسابير السماء اكثر من ثلاثة اضعاف ما ارسل الروس . وقد كان للامريكان فى خريف العام هذا الماضى ٣٠ قمرا تطوف حول الأرض ، بينا لم يكن للروس غير واحد . وكان ١٢ منها لا تزال ترسل بالمعلومات الى الأرض ، بينا لم يرسل تابع الروس شيئا .

يقابل هذا ان توابع الروس كانت أثقل واكبر حجما .

وفى هذا العام استخدمت التوابع لتصوير أجواء الأرض والذى بها من سحب .

أقوى صاروخ يخترق الفضاء

● كان اختراق الفضاء فى عام ١٩٦١ من اظهر ما انتج العلم والتكنيكية . وهى نتائج بالطبع ثانوية للاهداف الكبرى الخبيثة وراءها ، تلك الحرب العالمية المخوفة التى ينتظرها الجميع .

وقد ارسل الروس رجلين دارا حول الأرض . وأرسل الأمريكان رجلين صعدا فى السماء ثم عادا سالمين .

وكان أقوى صاروخ فى العالم الصاروخ المسمى زحل Saturn ، وهو الذى صنعته الولايات المتحدة تمهيدا لارساله الى الزهرة أو المريخ فى عام ١٩٦٢ . وبلغت قوة دفعه ١٣٠٠٠٠٠ رطل .

التجارب الذرية

● ونقض الروس حظر التجارب الذريـة ،وقاموا بتفجير قنابل ادروجينية،قالوا انها زادت على قوة مائة مليون طن من المفجر الكلاسيكى ت.ن.ت. وقدرها الأمريكان فرأوا ان قوتها تقع ما بين ٥٥ و ٦٠ مليون طن .

واجاب الأمريكان على هذا بتفجير فى بطن الأرض لا فى الجو .

ويعترف الأمريكان بأن القنابل الادروجينية التى فجرها الروس كان سقاطها أقل شوائب تضر بالناس مما كان ينتظر . ويعزون هذا الى طريقة جديدة فى تفجير الادروجين .

عندما تهدأ الشمس عام ١٩٦٤

● نعم ان الشمس تهدأ وتثور ، ثم تهدأ وتثور . وستقع هدأتها التالية ما بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٥ ، وسينتهز العلماء فرصة ذلك العام ليتموا ما لم يتموه من بحوث السنة الأرضية الفزيائية الفائتة ، لا سيما فيما يتعلق بدراسة اعالى الجو، والظواهر التى يؤثر فيها اهتياج الشمس عندما تثور .

أشد الأعوام أعاصير

● كان عام ١٩٦١ من أشد الأعوام أعاصير فى الأرض . وقد ذهب ضحية موسمه الذى كان ٤٠٠ نفس . وبلغ ما اتلف من متاع ٤٠٠ مليون دولار .

والاعصار الذى أصاب هندوراس بلغت سرعة الريح فيه ١٥٠ ميلا فى الساعة . باستمرار . وجاءت لوافح باغتة بلغت سرعتها ٢٠٠ ميل فى الساعة . وكان من ذلك ، فى ذلك البلد ، الخراب الذى كان.

الشمس تبعد ٩٣ مليون ميل عن الأرض

● انه آخر تقدير لهذا البعد ، واصحه ، بناء على دراسة اجراها العلماء وتجارب ارسلوا فيها اشعة لاسلكية الى الكوكب الزهرة ، وهو يدور حول الشمس . وارتدت هذه الأشعة منعكسة على سطح الزهرة الى الأرض .

ومن هذه الدراسة حسبوا بُعد الشمس عن الأرض فكان ٩٢٩٦٦٠٨٠٠ ميل تزيد أو تنقص نحو ١٠٠٠ ميل .

كذلك وجدوا من هذه الدراسة ان هذا الكوكب ، الزهرة ، المسمى احيانا بتوام الارض ، يدور حول قطبه فيتم الدورة الواحدة في ٢٢٥ يوما من أيامنا هذه .

فاليوم ، فوق هذا الكوكب ، والسنة فوقه ، سيّان في الطول . أى ان سنته يوم ، بينا سنتنا نحن أكبر من يومنا نحوا من ٣٦٥ مرة ، هي أيام العام .

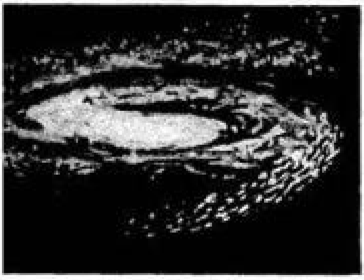

ثلاث أذرع للمجرّة !

● وهي تلك المجموعة من النجوم ، وهي ملايين ، حيث تستقر الشمس ، وتستقر معها الأرض ، ونستقر نحن فوق الأرض . وفي السماء مثلها من المجرات ملايين .

فهذه المجرة لها شكل الرحى ، على ما هو معروف ، وهي تدور على نفسها .. وقد وجدوا لها ثلاث أذرع . ووجدوا ان شمسنا ، والأرض ونحن ، انما نستقر جميعا في احدى هذه الأذرع الثلاث .

سطح القمر ثلاث طبقات !

● رصدوا القمر أثناء خسوف ، ووسيلتهم في ذلك ، لا التلسكوب البصرية ، وانما التلسكوب اللاسلكية .

ومن نتائج هذا الرصد استدلوا على ان سطح القمر ثلاث طبقات : الطبقة الأولى الظاهرة من رمل . والطبقة الثانية التي تحتها موصلة للكهرباء . والطبقة الثالثة التي تحت هذه من صخر أصم .

تحقيق علمي في شيء يبعد هذا البعد الكبير ، عن سطح الأرض ، وعنا .

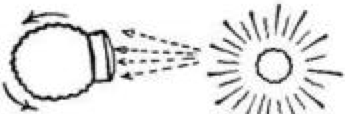

كهرباء من الشمس !

● انه مولد شمسي ، فيه تنقلب الطاقة الشمسية الى كهرباء ، مباشرة . قد صنعوه بحيث يستطيع ادارة محرك كهربائي ، يمكنه ان يدير مضخة ترفع الماء من الأرض ، للسقيا أو للزرع .

وهذا يفتح بابا نافعا جدا للبلاد المتخلفة .

السموم الذرية في اللبن

● ان أخشى ما يخشاه الناس من سقاط التجارب الذرية الذى يهبط على الأرض آخر الأمر انما هو العنصر المشع المعروف بالاسترنتيوم رقم ٩٠ . فهذا ينزل الى الأرض ، فيمتصه العشب ، فتاكل منه الأبقار ، فيدخل الى لبنها ، ومنه تطعم الأطفال ، فيصيبها بالأذى الكثير .

وقد اكتشف العلماء طريقة يخلصون بها اللبن من نحو من ٩٨ من شوائبه الضارة هذه ، وذلك بتصفيته من مرشحات مصنوعة من نوع خاص من أنواع الراتنج .

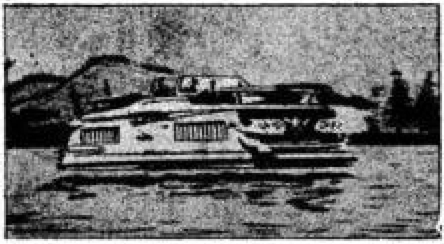
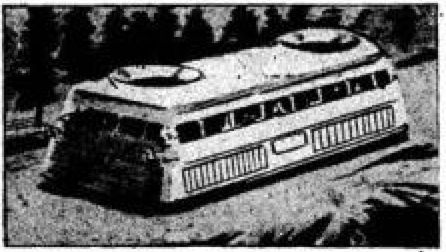

السيارة الطائرة

● انها طائرة تطير يمكن أن تنقلب الى سيارة فى زمن قصير فيما بين ٥ و ١٠ دقائق ، ومن سيارة الى طائرة فى مثل ذلك الوقت .

الخشبين ، مادة الخشب

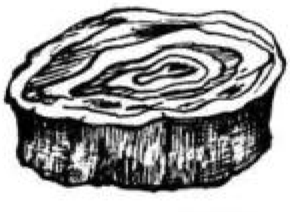

● الخشب يحتوى على شيئين ، السليلوز وهو مادة القطن ، والخشبين . أما السليلوز فمادة تجعله صالحا لصناعة الورق ، ورق الصحف . والخشبين اخذوه مادة يضيفونها الى المطاط بنسبة بين ١٠ الى ٤٠ فى المائة . ومنه صنعوا اطارات السيارات صناعة ناجحة ، وبهذا اقتصدوا هذاالمقدار من المطاط الخام .

ان العلماء تجتهد دائما فى ايجاد منفعة لكل بقيةمن صناعة لا نفع فيها . وما من بقية الا ولها نفع ما .

حتى قمامة المنازل لهم فيها بصر ، ولهم فيهامآرب .

العنصر الثالث بعد المائة

● انها عناصر يخلقها الانسان تخليقا ، لهاحياة تقصر أو تطول . فان قصرت ، فذلك لأن بناءها ليس به استقرار واتزان .

واسموا هذا العنصر الثالث بعد المائة ب « اللورنسيوم » نسبة الى العالم الشهير لورنس Laurence او نسبة الى المختبر الذى خلقوا فيه هذا العنصر ، وهو مختبر اسموه باسم هذا العالم .

وهذا العنصر الجديد « نصف عمره » نحو من ٨ ثوان .

ومعنى هذا بالطبع ان العناصر عددها ١٠٣ ، بين ثابت البناء ، مستقر الحال ، كالكربون والأوكسجين والحديد ، وبين غير مستقر ، وذلك على الأخص فى العناصر ذات الوزن الثقيل ، تلك التى آخرها عنصرنا هذا .

مقاييس للحرارة

تقيس مليون جزء من درجة واحدة

● انها ترمومترات صغيرة ، استخدموها فى بحوث كيمياء الأعصاب والعضلات ، تكشف عن تغيرات فى الحرارة تبلغ من الصغر أجزاء من الف الف من الدرجة الواحدة !!

اشياء تبلغ من الصغر حدا ، يصفه الانسان ، ولا يتصوره ، ومع هذا تسجله له الآلات .

أغلال صغيرة

قصة بقلم : فاضل السباعى

■ دخلتْ حديقة المدرسة مسرعة . وما كاد يُفضى بها الدرْب المزْهر الى مطلع الدرَج ، حتى جعلت ترقى درجاته وثبا ، وقد بدا لها ـ بدخول الاطفال الى حجراتهم ـ السكون مخيما على المدرسة لولا ما يترامى الى سمعها من اصوات شغب صغيرة تنبعث من بعض الحجرات ، فتدل على ضيق الصغار بيوم دراسى جديد ، يبدأ مع باكر الصباح ولا ينتهى الا والشمس تميل الى غياب .

وصادفته فى الصالة !

كان يقف أمام باب « الادارة » عابس الوجه مقطّب الجبين . وسُرعان ما بَصُر بها ، فرماها بنظرة حامية . فحدثت نفسها قائلة : « ماذا يريد منى ؟ الدروس لم تبدأ بعد ، دخلوا الصفوف حالا ! » .

وسمعته يصيح بها فى غلظته المألوفة :

ـ رجاء ! لماذا تأخرت ؟

آن لها أن تتمرد ، ان تحقق اعتزامها الذى بيتت فى ليلتها الماضية . فازورّت عنه ممعنة فى سيرها، حتى دلفت الى حجرتها ، واغلقت خلفها الباب ، وانكفأت على الصغار لتعطيهم درسهم الصباحى الاول : نشيد وغناء !

ما أحلاه ! ما اروع يومها الماضى ! لتمتْ زميلاتها غيظا وغيرة عمياء !

اما هذا الوجه العابس والجبين المقطب .. فياله من فظ ، غليظ الطبع ، جشع ، مصاص دماء ! .. انها لا تقسو ولا تتجنى . انها تصفه بما يستحق من اوصاف لم تخف على احد ، حتى على زميلاتها ، ولكنهن يمتن منه خوفا ورعبا ، لأنهن ـ كما يحلو لها أن تسميهن بينها وبين نفسها ـ ارانب !

خمس سنين سفحت فيها ماء صباها فى روضته، تعلّم له الصغار فى اخلاص ، فتتهافت عليه « الأقساط » يحملونها اليه أول كل شهر ، فلا ينالها وزميلاتها منها سوى .. الفتات ، اقل من نصف ما يقرره القانون لهن من اجور! فاذا حدّثت يوما زميلاتها قائلة لهن:«لماذا لا نجيب»بالصراحة ، على اسئلة « موظفى العمل » ، فنخبرهم بأن رواتبنا التى يعطينا اياها دون « الحد الادنى » ؟ ان ذلك سيحملهم على تنظيم مخالفة بحقه ومجازاته ، ولكنه يعود علينا بالنفع تأكيدا . سوف يحكمون عليه برفع الراتب الى الحد القانونى ! ... اذا هى حدثت زميلاتها بذلك ، رأت الذعر ينتابهن ، ويلتوين عنها خائفات .. ثم هى لا تعلم بعد ذلك الا والحديث قد تناهى الى علم المدير ، فيستدعيها ، ليتهددها بالفصل والتسريح ، ويقول لها مقرعا :

« رجاء .. اذا أنت اعطيت دائرة العمل معلومات غير ما أريد ، ما ترددت فى القائك الى الشارع ! هل تعين حقيقة ما أقول ! الى الشارع ، لتصبحى عالة على أهلك ، فلا تجدين من يسعفك بثمن فستان أو جورب أو « ميل حمرة » ! لن تقولى لموظفى العمل الا ما تقول زميلاتك وما يرضينى : صاحب المدرسة يعطينا الحد الأدنى للاجور مائة ليرة بالتمام ! » .

فتقول ترد عليه فى جرأة :

« ولكن يا استاذ .. كيف نصرح بالمائة ، ونحن لا نقبض سوى الأربعين ؟! »

هنا يضرب بقبضته على المنضدة ، ويصيح فى ثورة :

« اذن ، فأنت تفضلين الشارع حقيقة . ان صرحت بغير ما اريد ، لفظتك المدرسة الى الشارع

دون رحمة . ولن ترى فى البلد كلها روضة اطفال واحدة ترضى باستخدامك . لا أرباح عندنا . نحن فى خسارة وعجز مستمر . ألا تصدقين ؟ من أين نعطيكن المائة كاملة ؟ يكفى اننا ندفع «للتامينات» نصيبكن القدر . لن تصرحى أمام موظفى العمل الا بالمائة .. بالمائة .. واحد أمامه صفران ، فهمت؟ والا فقدت عملك الى الأبد ، يا رجاء ! » .

فلا يكون أمامها .. الا أن تتخاذل .. وتنقلب ارنبا مذعورا !

انها تحتاج الى هذا الراتب ، على ضآلته ، فهو يقضى لها عشرين حاجة من حاجاتها . يكفى انه يمكنها من شراء الفساتين والاحذية وسائر لوازمها، كما يقول المدير ، فيغنيها عن مد يد الطلب الى ابيها ، وهو الذى يرعى ثمانية أولاد يصغرونها بالسن جميعا . وهى ، على كل حال ، تقضى فى المدرسة نهارها تتسلى مع التلامذة الصغار ،وتزجى الأيام والشهور،فى اعقابها السنين .. خمس سنين، وهى فى المدرسة،تنتظر أن ينتشلها من هذه الحياة الكئيبة .. ابن الحلال !

وصَحَت من خواطرها .

رأت الصغار يتحادثون ، وقد ارتفع ضجيجهم فى انتظار أن تبدأ لهم الدرس .

ـ يا الله ، يا أولاد .. غنوا ..

اية اغنية تبدأ بها الصباح ؟

ـ غنوا : « نطى نطى يا قطة » !

وارتفعت الأصوات مغنية. بدأت متنافرة ناشزة، ثم انتظمت فى نسق موحد . تراها ـ هذا الصباح ـ ذات وقع فى النفس رائق مستحب . ما أحلى الأطفال ! ولكن ، يا خسارة ، ستتركهم . جاءها من أمضت السنين فى انتظار لقياه . ما أحلاه ! طرق الباب هكذا دون موعد ، وتراءى لها وهو ينادى : « من فى الدار يا جيران ؟ أنا هنا جاركم، معلم المدرسة ، أريد بنتكم رجاء ! » .

هكذا تريد أن تتصور دخلته الى الدار ، أو دخلة أمه واخته ، اليهم عصر البارحة . كانت فى المدرسة تجتر كآبتها وشعورها بالاضطهاد الذى زرعه فى نفسها مديرها الفظ القاسى . ولما عادت الى البيت مساء ، زفت امها اليها خبر الجار وما طلبته المرأتان من أهله .

انها تعرفه . كثيرا ما صادفته صباحا فى خروجها وخروجه الى المدرسة ، كل الى مدرسته . يروق لها طوله ، وعيناه ، وشارباه الأسودان . هو اسمر ، ولكن ذلك لا يهم ، ذلك أدعى للاحساس بالرجولة . وقد طالما تصورت ـ فى غمرة اعجابها به وتفكرها فيه ـ ان حياة زوجية قد جمعتها واياه تحت سقف واحد ، وانها تمحضه الحب والود والاخلاص ، وتتفانى فى توفير اسباب السعادة له. واما مدرستها التى تعلّم فيها فسوف تتركها ، وتنال كامل « مكافاة الخدمة » بسبب الزواج ..

افكار عذبة وتخيلات وتصورات تعيشها بلذة كلما التقت فى الطريق بشاب وسيم الطلعة ، وتكرر التلاقى ، فاختارته عريس الهناء . تحيا معه اياما واسابيع ، الى أن تلتقى سواه . لديها من هؤلاء مجموعة لا تحصيها ذاكرة ! على أن أحب الجميع الى قلبها وأكثرهم صحبة لخيالها ، معلم المدرسة الجار .

يسلم لها ، يغيرها ، ما أحلاه !

حمل البارحة قلبه مختارا،ودق الباب فى الليل. كانت امها قد أعلمتها بأن المرأتين، من أهله، ستعودان فى الليل لطلب يدها ، وسوف يرافقهما هو ، فانه حريص على أن يجالس «خطيبته» المنتظرة ويتسمع الى حديثها . وعن كثب ، بدا لها أكثر طولا مما عرفت ، ووسامة ، ورجولة . وجدته قوى الشخصية ، نافذ النظرة ، هادىء النبرة .سألها عما اذا هى مرتاحة فى عملها فى تعليم الصغار ؟ فاجابت فى خجل شديد :

« لا بأس ، ماشى الحال » .

ثم لمحت بسمة تبين من تحت شاربيه الأسودين.

« حسن . لسوف تتركين العمل فى الروضة ».

وتحدث مع أبيها ، وتحدثت المرأتان طويلا حين كانت هى فى المطبخ تعد القهوة ، خافقة الفؤاد ، مشفقة ـ من فرط سعادتها ـ على سعادتها أن تمر فى سماء حياتها مرورا عابرا فلا تحط أو تستقر !

وارتدت الى نفسها .

ضجيج الصغار يعلو . لقد فرغوا من أغنيتهم . ان تركتهم صامتين ، عرف المدير توا ، فظن بها الاهمال ، ثم .. هى لن تلبث أن تراه يطل عليها بعبوسه من وراء الزجاج !!

ـ غنوا يا صغارى : « يا طير الطاير هدىّ على بيتنا ! » غنوها مرتين !

واندفعت الأصوات المتحفزة تغنى .

تحس الآن بتجاوب كبير نحو الأغنية : لحنها ، حرارة الأصوات التى تغنيها ، كلماتها ! « الطير الطاير » .. ومن يكون ، بالنسبة اليها ، غير الأسمر الطويل الوسيم ؟ قلبه الذى طار ،وحلق

.. سألها عما اذا هى مرتاحة فى تعليم الصغار؟ فأجابت « لا بأس ماشى الحال » .

فى السماء ، وحوم فوق بيتها ، ثم هدأ جناحاه على السطح واستقرا !

عندما دخلت عليه بصينية القهوة ، لمحته من جانب عينيها وهو يحدجها بنظرات ظامئة لا ترتوى، فعادت منها تتعثر استحياء . وفى تقديمها اليه فنجان القهوة ، رأت من خباثته ومكره ما رأت : مد يمناه ليتناول منها الفنجان ، ولكن كفه اليسرى كانت قد سبقت ، وحطت على كفها الممسكة به . احست بالاضطراب . هذا الماكر ، ما أمكره ! ارسلت اليه ناظريْن لهيفين ، فوجدته يبتسم ، ويقول هامسا دون أن يسمعه احد :

« ما تعودت أن أشرب القهوة الا (سكر قليل).. ولكن هذا الفنجان، بكل ما فيه من « حلاوة » ، سيكون الذ فنجان شربته فى حياتى ! » .

وفرت من امامه خجلى . ما اشد جرأته وابعد مكره ! قوى قادر . لن تقدر عليه . سوف تستسلم امامه . وما أحيلى الاستسلام ! رجلها. ما اسعدها به ! لتمت زميلاتها كمدا . لسوف تخبرهن ، فى هذه الفرصة الآتية ، بالخبر . ستحدثهن طويلا عن الخطيب الاسمر الوسيم . وستجيل عينيها فى وجوههن ، وهى تروى لهن حكاية فنجان القهوة ـ الذ فنجان شربه فى حياته ـ لتقرأ ما تفيض به عيونهن من معانى الغيرة والغيظ والقهر ، فلا يستطعن لها كتمانا !

لسوف تودع المدرسة قريبا ، والصغار ، والمعلمات ، والوجه العابس .. لتحيا ، فى ذلك العش الزوجى الهنىء ، عصفورة تحت جناحى عصفور !

ترى ، أين هو الآن ؟

ليست تشك فى أنه ـ الساعة ـ فى « سوق الصاغة » ، يبحث مع أمه عن « الخاتم » و« السوار» و« العقد » ! الليلة « تلبيس الخاتم » وقراءة الفاتحة ، تتمنى أن تدعو زميلاتها . ولكن أمها منعتها ، فلن تضم الحفلة سوى أقرب الاقارب . لقد ضيعت عليها أمها فرصة الاستمتاع بقراءة ما تشى به العيون !

دنت من النافذة ، ترنو الى شجيرات الحديقة.

ما أجمل أنسام الصباح ! انه اجمل صباح تشهده . بل هو طليعة الاصباح الرائعة . صباح غد مثلا ، حيث تكون قد طوقتها الاغلال : حلقة في البنصر ، وقيد في المعصم ، وطوق في العنق . اغلال صغيرة ذهبية ساحرة ، اغلال حب طالما تشوقت الى العيش في أسرها !

واستيقظت على الهدوء الذى خيّم . فرغوا من الأغنية !

ــ لم لم تغنوها مرة ثانية ؟

اجاب الصغار في أصوات حلوة فوضوية :

ــ غنيناها مرتين .. مرتين .. آنسة معلمة .. معلمة !!

وضحكت ملء قلبها .

اذن ، فهي لم تلحظ أنهم اعادوا الأغنية . التصورات السعيدة ، خلابة تنسي . هؤلاء الصغار يكشفون لها عن ذهولها وغيابها وسعادتها. انها لتحس اليوم بمحبتهم أكثر من أى يوم مضى. ستفارقهم قريبا الى غير لقاء . وعندما ترى احدهم في الطريق يوما ، ستربّت خده ملاطفة وتسأله : « في أى صف صرت يا سمير ؟ يا عدنان؟ ياوليد ؟ » ولسوف يكون لها ـ هي ـ أطفال ، فِلْذات تقدّها من كبدها وكبد ذلك الاسمر الطويل !

وصحت من غيبوبتها .

اصوات الصغار علت من جديد في ضوضاء صغيرة .

ــ غنوا يا الله يا أولاد:« جنينتنا مليانة زهور»!

وذابت الأصوات في صوت غنائي واحد .

جنينة من تلك التى امتلأت زهورا ؟ جنينتها هي . لقد جاس دروبها أمير الجنائن والبساتين ، فامرعها وردا أو فلا" وياسمينا !

وسمعت طرقا على الباب .

فتطلعت . فاذا هو الوجه العابس يطل من وراء الزجاج ! ماذا يريد ؟

. اوما لها . فسارت اليه متباطئة في غير اهتمام. فاغلق الباب على الصغار بحدة ، وانتصب في الصالة أمامها يقول مغضبا :

ــ آنسة رجاء ، لم أفهم .. درسك درس غناء؟ أم درس ضجيج ؟!

اجابت في معاكسة :

ــ كما ترى !!

ــ أرى أنك غائبة عن الدرس ! غائبة عن وعيك ! وفي الصباح ، أسألك عن تأخرك ، فتمضين أمامى دون رد ! ما حكايتك اليوم ؟

وقبل أن تتمكن من الاجابة ، كان هدير سيارة قد سكت أمام باب المدرسة . وسرعان ما رئي الآذن يدلف الى الصالة ، عجلان ، ليعلن أن :

ــ دائرة العمل .. وصلت !!

فتولى عنها ، ليستقبل الموظف الوافد ، وقد رسم على وجهه هيئة البشاشة والسرور !

وفي الحجرة ، كان الصغار قد أتوا على آخر الأغنية . وجعلوا يتطلعون اليها في دخولها ، وكأن عيونهم تستجدى اغنية جديدة .

قالت في سعادة :

ــ غنوا يا أولاد : « ماما رجاء منحبها كثير » !

أجل ، انها لتستحق منهم اليوم هذه الأغنية، فان محبتها لهم الساعة تفوق كل ساعة مضت .

في غرفة الادارة ، كان الموظف الشاب يخاطب المدير ، ويده تعبث « بسجل الرواتب » الذى قدمه اليه المدير برهانا على تقيد الروضة بتطبيق القانون ، فيقول :

ــ .. وبخصوص« الساعات الاضافية » ، أعتقد ان المعلمات لديك لا يعملن خارج أوقات الدوام اليس كذلك ؟

فهز المدير رأسه في موافقة . وتابع الموظف الشاب قوله :

ــ وأما « الاجازة السنوية » ، فانهن يتمتعن بها أيام الاجازات الرسمية التى تعطل فيها المدارس كافة . حسن حسن . هذا أمر واضح بالنسبة لدور التعليم . على أن ما يهمنى بوجه خاص ، « الحد الأدنى للاجور » . عفوا أستاذ (والقى نظرة الى السجل تحت يده) لا أعتقد أن التوقيعات هنا دليل كاف على كل شىء . فقد عرفنا خلال جولاتنا التفتيشية ، أن كثيرا من أصحاب روضات الأطفال ينتزعون ، تحت الضغط والتهديد ، التوقيع من المعلمات على أنهن يتقاضين الراتب القانونى كاملا ، في حين انهم لا يدفعون لهن في الحقيقة الا القليل البخس ! وأرجو الا يكون في سجلك شىء من هذا .

وازدرد المدير ريقه . هذا الموظف الجديد اقوى من أن يستطيع النفاذ الى قناعته . أجابه في هدوء :

ـ نحن نطبق القوانين بحذافيرها ، يا حضرة الموظف .

ـ طيب طيب ، هذا مدعاة لسرورنا ، هل استطيع مقابلة الآنسات المعلمات ، لضبط « افاداتهن » ؟

ـ بكل سرور .

ودخلت المعلمات ، واحدة اثر الاخرى .

اقبلت سلوى ، ففاطمة ، فجورجيت ، فندى ، واخيرا حنان .

بدا المدير نافد الصبر مستوفز الاعصاب ، والموظف الشاب يسأل كلا منهن ، بعيدا عن سمع المدير ، عن مبلغ ما تتقاضاه من راتب ، واعدا اياهن بأن يظل تصريحها طيء الكتمان ما دامت ترغب فى ذلك . ولكن الجواب ما كان ليأتيه الا طبقا للتوصيات : مائة ليرة .. والا فالشارع ينتظر !!

قال الموظف اخيرا ، وهو يتجه صوب لوحة على الحائط سجلت عليها أسماء المعلمات فى « مناوبتهن » اليومية :

ـ اذن فقد فرغنا من سؤال المعلمات . هل استطيع مقابلة « الاذنات » ؟

وقرأ فى اللوحة اسما :

ـ هل ثمة معلمة سادسة ؟ اقرأ اسما جديدا !

اجاب المدير كاظما غيظه :

ـ نعم .. هناك الآنسة رجاء !

ـ ادعها من فضلك .

واقبلت رجاء .. دخلت مرفوعة الهامة . وقد بدا فى عينيها تصميم . انها عازمة على انفاذ تصميمها : لن تكتم عن موظف العمل أمرا !

سألها الموظف عن راتبها الذى تقبضه حقيقة ، لا ذاك المسطور فى السجل . فأجابت بملء صوتها :

ـ اربعون ليرة !

وفدحها الوجه العابس بنظرة وعيد . فاضافت غير هيابة :

ـ اربعون ، يا حضرة الموظف ، لا تزيد . وكل معلمة تقبض اربعين . ويأبى الا ان يأخذ توقيعنا على المائة . ومن تعترض يهددها بالفصل والتشريد فى الشوارع ! انى أقول الحقيقة يا حضرة الموظف . سجل ذلك عنى . وانى مستعدة لتحمل كل مسئولية !

★★★

ـ إذن ، فأنت تفضلين الشارع حقا ؟!

ـ مثلى لا تذهب الى الشارع !

ـ اردت احراجى امام موظف العمل؟انا لا اخاف احدا ! انت مفصولة من العمل !

ـ تلك رغبتى من زمان . لقد ضقت باغلالك ذرعا !

ـ اغربى عن وجهى ، لا اطيق رؤيتك !

ـ وانا ... طوال السنوات الخمس ، لم أكن اطيق حتى النظر اليك !

ـ لن تلقى روضة ، فى البلد،ترضى باستخدامك!

ـ بعد اليوم ... لن أعمل فى روضاتكم . باتت عندى « روضة » ليس مثلها بين الرياض . ستظللنى جنة ورضوانها !!

فى خروجها ، مرت بالمعلمات فى الصالة . رأتهن، وقد ترامى اليهن الصراخ ، ارانب أصابها الذعر!

قالت تخاطبهن :

ـ آسفة ، صديقاتى ! أنا مضطرة لمغادرة الروضة نهائيا . الحكاية .. (وتراءى لها أن تبتسم) انى خطبت .. وخطيبى لا يرضى لى العمل .. قال لى الليلة الماضية : « لسوف تتركين العمل فى الروضة يا رجاء » . وماذا بوسعى أن أفعل ؟ على الفتاة أن تطيع خطيبها وتستجيب لرغباته ! والليلة « ليلة المليك » ، سيملكنى ، ويلبسنى الخاتم والسوار والعقد . كنت اتمنى ان ادعوكن الى الحفلة،فانتن صديقاتى العزيزات ، وكم كنا أثناء العمل على وفاق ! ولكن امى رغبت أن تقتصر الحفلة على أهله وأهلى .. والآن ، عقبى لكن ، عزيزاتى .. وداعا !

وانطلقت ، عبر الحديقة ، الى الطريق .

وتنشقت ريحا طيبة .. هى عبير الحرية والنور .

الغل الكبير ، لقد حطمته !

وفيما هى ممعنة فى سيرها فى الطريق الواسع الفسيح ، كانت تستذكر ، ملتذة ، صورة الارانب المذعورات ، وهن يتلقين منها الخبر ، وقد تصاعدت من قلوبهن شتات من العواطف احتارت على أية صورة ترتسم فى الأحداق !

ثم عادت تحلم بأغلالها الصغيرة ... الصغيرة !

■■

فاضل السباعى
حلب

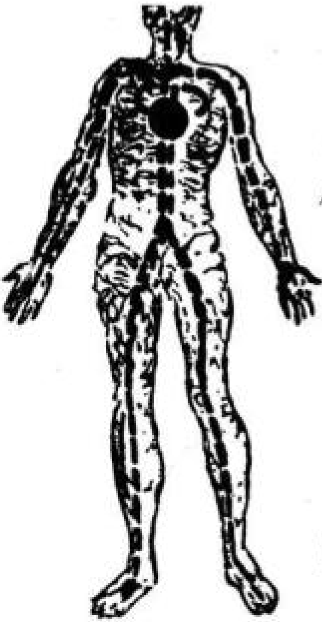

الدورة الدموية

كشفها عدة علماء

منهم الطبيب العربي ابن النفيس

بقلم : عبد العزيز يوسف مصطفى

■ اعتاد بعض الكتاب أن ينسبوا اكتشاف الحقائق العلمية الى عالم واحد . فيرفعوا من شانه اكثر مما يجب ويطمسوا حق العلماء الآخرين الذين سبقوه فى هذا المضمار فمهدوا له الطريق ، او الذين عاصروه فعاونوه على الاكتشاف او الذين لحقوا به فاكملوا اكتشافه حتى أصبح كما هو عليه اليوم .

ومن بين هذه الحقائق العلمية التى يعترى تاريخها نوع من الالتباس ، الدورة الدموية فى جسم الانسان . فقد زعموا ان العالم الانجليزى وليام هارفى (١٥٧٨ ـ ١٦٥٧م) اكتشف هذه الحقيقة العلمية بأسرها .

تاريخ الدورتين

وانى هنا ذاكر طرفا من تاريخ الدورتين الدمويتين ، الكبرى والصغرى ، بايجاز ، مشيرا الى آثار أهم العلماء الذين قاموا باكتشاف هاتين الحقيقتين . فاكتشاف « الدورة الدموية » كسائر الاكتشافات العلمية الهامة لم يكن وليد يوم ، وهى لم تخرج بكاملها من عقل انسان واحد ، فقد فكر الانسان منذ القدم فى حركة الدم وتتبع جريانه ، وقد ناقش هذا الموضوع كل من البابليين والمصريين القدماء .

وساد فى العصر القديم والعصر الوسيط راى « ارسطوطاليس » الفيلسوف الاغريقى (القرن الرابع قبل الميلاد) ، ثم طغى عليه راى جالينوس (القرن الثانى بعد الميلاد) .

اما ارسطو طاليس فمع انه من اعظم الفلاسفة وواضع علم المنطق ومؤسس علم الأحياء ، الا ان رايه كان بعيدا عن السداد عندما تكلم عن القلب واعتبر وظيفته وظيفة المخ (أى الجهاز العصبى) ، وأما المخ ـ فى نظره ـ فوظيفته تبريد الدم عندما تزداد حرارته .

اما آراء جالينوس فقد كانت اعظم شأنا وأبعد أثرا . فقد كانت معتمدة على الآراء الاغريقية القديمة . فقطد كان راى الاغريق ان هناك ثلاثة انواع من الكائنات الحية ، النبات والحيوان والانسان ، وتشترك هذه الكائنات كلها فى ظاهرة النمو ، ويمتاز الحيوان بالقدرة على الانتقال من مكان الى آخر ، وينفرد الانسان بالقدرة على التفكير . ولذا فقد اعتقدوا ان هناك ثلاثة أنواع من الأرواح .

اولا : الروح الطبيعية Natural Spirit
وهى التى تعطى الكائن الحي خاصية النمو والتطور .

ثانيا : الروح الحيوية Vital Spirit
وهى التى تكسب الكائن الحى القدرة على الانتقال من محل الى آخر .

ثالثا : الروح الحيوانية Animal Spirit
وبها يستطيع الانسان أن يفكر ويتعقل المحسوسات .

ولذا فقد وضع جالينوس آراءه عن حركة الدم مطابقة لهذه المعتقدات ، نوجزها بما يأتى : ـ
« الدم يصنع بالكبد ، حيث يتشبع بالروح

الطبيعية ، ويتوزع الى جميع اجزاء الجسم بواسطة الأوردة ، ويذهب قسم من هذا الدم الى القسم الأيمن من القلب (البطين الأيمن) ، وينفذ منه الى القسم الأيسر من القلب (البطين الأيسر) خلال الحاجز الذى يفصل البطينين (والذى ليس فيه اى منافذ تشير الى ذلك) . وعندما يصل الدم الى البطين الأيسر يلتقى هناك بالهواء الآتى من الرئة ويتشبع حينئذ بالروح الحيوية ، ثم تنقله الشرايين الى جميع اجزاء الجسم . ويذهب قسم من هذا الدم الى المخ حيث يلتقى بالروح الحيوانية ويتشبع بها ثم يوزع الى جميع أجزاء الجسم .

ونظرية محكمة مثل هذه لا يستطيع المرء الا ان يقبلها على علاتها او يرفضها بالمرة . ولهذا فقد ظل راى جالينوس مهيمنا على عقول الأطباء اكثر من عشرة قرون،ولم يتجرا احد على التنديد بآرائه.

الطبيب العربى ابن النفيس

وظل الوضع هكذا حتى جاء فى القرن الثالث عشر الطبيب العربى على بن حزم القرشى المعروف بابن النفيس ، كبير أطباء مصر (١٢١٠ - ١٢٨٨) ونفـذ ببصيـرته وصبره الـى معضـلة في راى جالينوس ، وهى كيف يمكن أن ينتقل الدم من البطين الأيمن الى الأيسر خلال حاجز ليس فيه منافذ . ولهذا دحض ابن النفيس أقوال جالينوس واخرج للعالم لأول مرة الدورة الدموية الصغرى ، اذ انه قال فى أحد كتبه : ان الدم لا يمكن أن ينتقل من البطين الأيمن الى الأيسر مباشرة (خلال الحاجز) وانما يسير من البطين الأيمن الى الرئة ومن الرئة الىالبطينالأيسر وهذه هى الدورة الدمويةالصغرى.

ويجب ان لا تحصر قيمة ابن النفيس فى اكتشاف الدورة فحسب . ان آراءه صدمت آراء جالينوس وكانت مبشرة بهـدمهـا ، كمـا ان اكتشـاف الدورة الدموية الصغرى أدى الى اكتشاف الدورة الدمويـة الكبرى . ولكـن - وبـا للاسف - لم تلق آراء ابن النفيس صدى عند اطباء العرب فى ذلك الوقت ، فظلت أفكاره مختبئة فى كتابه . وقد ترجمت بعض كتبه الى اللاتينية فى عصر النهضة .

فى جامعة بادوا

ثم جاء عصر النهضة الأوروبية وحملت جامعة بادوا Padua فى ايطاليا مشعل العلم . ولا يفوتنا أن نذكر ان وبليام هارفى قد تخرج من هـذه الجامعة التى تعد معقل علم الطب فى ذلك العصر .

ونبغ من جامعة بادوا عدة اطباء اكدوا فيها اقوال ابن النفيس ، ومنهم «سرفيتو Miguel Serveto اللذى نشر كتابه سـنة ١٥٥٣ وكولبو Colombo سنة ١٥٥٩ م .

شيزلبينو وفبرشيوس

اما الخطوة الثانية فى اكتشاف الدورة الدموية ، فكانت على يد العالم الايطالى شيزلبينو Cesalpino (١٥١٩ - ١٦٠٣ م) والذى يعتبره الايطاليون المتعصبون مكتشف الدورة ، والحقيقة ان آراءه كانت غامضة ومتأثرة الى حد كبير بآراء جالينوس، ولكن مهما كان الأمر فهى خطوة اولى الى الأمام .

وفى نفس العصر خطا العالم الايطالى فبرشيوس Fabricius (١٥٣٧ - ١٦١٩ م) خطوة اخرى الى الأمام اذ وصف صمامات بعض الأوردة التى تشير الى ان الدم يسير فى الوريد فى جهة واحدة وهى الجهة المؤدية الى القلب . ولكن فبرشيوس لم يدرك كنه اكتشافه فاخطأ المرمى ، اذ اعتقد ان هذه الصمامات وظيفتها التحكم فى سرعة سريان الدم وليس التحكم فى توجيه الدم اتجاها واحدا .

وليم هـارفى

ثم جاء دور وبليام هارفى William Harvey (١٥٧٨ - ١٦٥٧ م) وكان الطريق ممهدا ، فابن النفيس اكتشف الدورة الصغرى ، وفبرشـيوس وصف الصمامات كما يجب . فقام عندئذ وليم هارفى بتجاربه الكثيرة واكتشف الدورة الدموية الكبرى ، أى ان الدم يخرج من القلب بواسطـة الشرايين الى جميع أجزاء الجسم ، ويرجع ثانية عن طريق الأوردة للقلب . ولكن يحسن بنا ان نقول ان هارفى نفسه لم يستطع أن يفسر كيفية انتقال الدم من الشرايين الى الأوردة .

العالم الايطالى مليبجى

ولما كانت آراءه مناقضة لآراء جالينوس ، قام عليه كثير من الأطباء ونددوا بآرائه وظلت معتقداته موضع الشك لمدة نصف قرن حتى اكدها العالم الايطالى مليبجى Malpighi (١٦٢٨ - ١٦٩٤م) فقد اكتشف باستعمال المجهر ان كلا من الأوردة والشرايين تنقسم الى شعيرات وريدية وشريانية متصل بعضها ببعض . ■■

عبد العزيز يوسف مصطفى : الكويت

القنابل والباليه

● مما يدعو الى التامل انه بينما يلوح الرئيسان كيندى وخروشوف بالقنابل ، يحط راقصو الباليه الروس رحالهم فى نيويورك . ويتوجه راقصو الباليه الامريكان الى موسكو ، تنفيذا لبرنامج التبادل الثقافى والفنى . وسيقوم باليه لينتفراد الشهير باحياء حفلات على مسرح المتروبوليتان لمدة ثلاثة أسابيع وسيقوم بعدها بجولة فى انحاء القارة الامريكية .

لقد اصبحت الفرق الفنية الروسية تزور الولايات المتحدة سنويا تقريبا فى السنوات الأخيرة ، كما تقوم الفرق الأمريكية برحلات مماثلة الى الاتحاد السوفيتى . والاعتقاد السائد أن التبادل المستمر لهذه الزيارات يساعد على التقريب بين الشعوب وازالة الخلافات .

ان الانسان حيوان راق معقد متناقض ، فهو قادر على صنع الكمان ، والمدفع الرشاش معا . وهو يتمتع بالخيال الذى يصور له العالم كمدينة فاضلة ، او صحراء قاحلة . ولكن اى النزعتين ستنتصر ؟ سؤال يغدو اكثر ازعاجا واقلاقا كلما مرت الأيام .. ولا يمكن حتى لرشاقة راقصات باليه لينتفراد أن تمحو هذا التساؤل كليا من ذهن الناس .

نيويورك هيرالد تريبيون

ضعوا حدا لهذا القانون

● تنص القوانين التى نشرتها وزارة الخارجية مؤخرا على انه :

« اذا اصبح موظف فى وزارة الخارجية طرفا فى قضية زواج من شأنها أن تعيبه فيجوز لوزير الخارجية أن يطلب من ذلك الموظف أن يستقيل » .

ويلاحظ أن هذا البند لا يجرى ذكرا لاجراء محاكمة عادلة قبل طرد الموظف ، بل يقصر الحكم على الموظف على رأى رجل واحد هو وزير الخارجية . وهذا مجاف للعدالة فى بلاد تفخر بمستوى قضاتها ، وبشيوع العدالة بين مواطنيها . هذا من الناحية القانونية .

أما من الناحية المنطقية ، فنحن نتساءل : ترى هل يصبح الموظف فى الخارجية غير اهل للاستمرار فى العمل حقا ، اذا كان طرفا فى قضية طلاق ؟ وهل سيفشى الأسرار التى بين يديه لانه طلق زوجته او طلقته زوجته ؟

لا نريد الجواب من وزير الخارجية ، بل من مجلس العموم ، فهذه هى فرصته . نريد منه أن يتحرك ويعمل على الغاء هذا القانون الذى يثير السخرية والهزء ، فوق انه تدخل شائن فى حياة المواطنين الخاصة التى هى ملك لهم .

جريدة « اوبزرفر » — لندن

الابن المفقود

● لا بد أن هناك كثيرين من الرجال قد حسدوا، في وقت ما، المستر نلسون روكفلر ، حاكم نيويورك، على ثرائه .

لقد بدا روكفلر للناس وكأنه يملك كل شيء يمكن ان تجود به الدنيا : فهو وسيم ، ويملك الملايين الكثيرة من الدولارات ، ومن الممكن ان يصبح الرئيس الجمهوري للولايات المتحدة الامريكية في المستقبل .

لقد بهرت هذه المزايا البراقة الناس فنسوا الى حين انه ايضا انسان مثلنا ، يمكن أن يتألم ويستبد به القلق والحزن ، فلا تغني عنه ملايينه. ويذهب يبحث يائسا في غابات غينيا الجديدة النائية عن ابنه المفقود فلا يرده اليه حتى جبروت المال .

ربما كنت أنت أيضا والدا لابن تعرف أنه حي وفي أمان .

اذا كنت كذلك ، فان الصباح سيطلع عليك ، وأنت رجل أغنى من نلسون روكفلر ، صاحب الملايين .

وكم في الدنيا من عبر ، ولكن ترى من يعتبر ؟

جريدة « صنداي اكسبريس » ــ لندن

في تيار الاتجاهات ...

● الى أي فرض أنت تستند ؟

.. تلك هي منذ الآن كلمة السر في السياسة الفرنسية كلها . وفي البداية لم يكن ثمة سوى فرضين بسيطين هما :

ــ ان يرسى ديجول دعائم السلم في الجزائر .

ــ ان لا يرسى ديجول دعائم السلم في الجزائر. وانطلاقا منهما ظهر عدد لا بأس به من الفروض الفرعية :

فهل ، ان تابع ديجول الحرب ، سيتقوى حكمه ام يهزل ؟

وهل سيتعاظم نفوذه الشخصي لو فشل السلم، ام انه ، على العكس من ذلك ، سيتضاءل نفوذه حتى يفقد هو سبب بقائه ؟ ومع ذلك ، فقد بقيت هذه الظنون غير ذات قيمة حتى اضيفت اليها فروض اخرى أهم وأخطر ، منذ المحاولة الفاشلة لاغتيال ديجول في شهر سبتمبر الماضي ، وتفاقم نشاط حركة المنظمة المسلحة السرية الفرنسية :

ماذا سيحدث لو قتل ديجول فعلا ؟

وماذا سيحدث لو وقعت مجزرة في مدينة الجزائر أو وهران ؟

وماذا سيحدث لو تمكنت تلك المنظمة السرية المسلحة من اقامة دولة فرنسية في الجزائر ، أو حاولت فوق ذلك ، انقلابا في فرنسا نفسها ، ثم نجح انقلاب كهذا أو فشل، مع أو بدون عون شعبي؟

وماذا سيحدث لو أدى ــ على العكس من هذا ــ اعلان اتفاق ما بين ديجول وجبهة التحرير الوطني الجزائري ، الى ضعضعة مركز جزء كبير من المستوطنين الاوروبيين في الجزائر ؟

وماذا سيحدث لو أن الجمعية الوطنية الفرنسية حلّت ، وان انتخابات جديدة أجريت ؟

وامام رقعة « الشطرنج » المتخيلة هذه يقف كل واحد ليقدم بيادقه أو يؤخرها حسبما توحي الحوادث اليه من معتقدات ...

جيل مارتينيه
في مجلة « فرانس اوبسرفاتور » ــ باريس

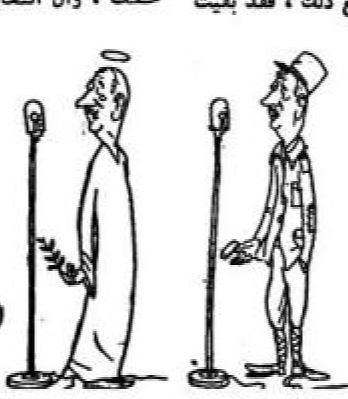

نقد كتاب الشهر

غرة العرب
يزيد بن مزيد الشيباني
للدكتور عبد الجبار الجومرد

بقلم : الدكتور محمود السمره

هــذه قصة من قصص البطولة العربية استخرجها من بطون الكتب القديمة وجلاها لنا فى حلة بهيــة ، عربى شديد الايمــان والاعتزاز بعروبته ، هو الدكتور عبد الجبار الجومرد . وقد عرفت الدكتور الجومرد ، اول ما عرفته ، فى دراسته القيمة عن « هرون الرشيد » ، واشتهر بعدها بانه مؤلف « هرون الرشيد » . والصيف الماضى طلع علينا بدراسة عن « يزيد بن مزيد الشيبانى » ، القائد الأعلى لجيوش هرون الرشيد ، فكان البادرة عربية تبعث على الاعتزاز بالماضى ، وتشحذ الهمم نحو مستقبل افضل . وقد نال هذا الكتــاب فى تشرين الثانى (نوفمبر) الماضى « جائزة جمعية اصدقاء الكتاب » لأحسن كتاب لمؤلف من الأقطار العربية نشر فى لبنان باللغة العربية .

وهذا الكتاب فوق أنه يسلط الأضواء على يزيد بن مزيد ويجعله المحور الذى تدور حوله الأحداث، يعرض علينا باسلوب أخاذ الصراع بين العرب والشعوبيين، ويتناول شخصياته بتحليل يغرى الدارس المهتم بان يتناولها بالبحث ، ويجعل القارىء الواعــى يتمنى لو أتيح للدكتور الجومرد أن يفرد لكل منها دراســة مستقلة . انه كتاب ملىء بالبـطولات العربية الفذة من شيبان من أمثال : هانىء بن مسعود ، والمثنى بن حارثة، ومعن بن زائدة ، واسد ابن يزيد ، وخالد بن يزيد ..... ، وملىء أيضا ببطولات عربية ، وان اختلفت مذهبا ، من أمثال : الوليد بن طريف ، وليلى بنت طريف ، والفضل ابن الربيع ، وأحمد بن ابى دؤاد ..

وهذا الكتاب فى واقعه دراسة للصراع الذى قام بين العرب والفرس منذ أواخر العصر الأموى الى ان قضى الرشيد على آل برمك ، ولقد كان يزيد ابن مزيد ، فى هذا المعترك ، قائد الحزب العربى . ولست أجد فى تقديم هذا الكتاب خيرا من أن اعرض لمحات من صور هذه البطولة العربية كما جلاها لنا مؤلفها .

قبيلة شيبان

تعود قبيلة شيبان فى نسبها الى معد بن عدنان، وكان موطنها فى الجاهلية ، البحرين وكاظمة ، ثم امتدت رقعتها حتى أرض اليمامة وهضبات نجد . وتاريخ شيبان فى الجاهليةغنى بالحروب والغزوات، وهى حروب اتصفت بطابع التحرر والثورة عــلى الظلم ، والنفوذ الأجنبى . ومن أشهر هذه المعارك « واقعة ذى قار » ، وكان الاسلام فى فجره يومذاك، فقد وقعت فى الفترة بين غزوتى بدر وأحد . وقدكان لهذه المعركة أثر أدبى على مستقبل العرب، اذ لاول مرة ينتصر فيها العرب على أكاسرة الفرس، ولم يكن يخطر ببال ان عددا قليلا من عشائر العرب يمكن أن يهزم جيشا فارسيا كبيرا . وقد عمت

البهجة القبائل العربية قاصيها ودانيها بسبب هذا النصر ، وجاء في الأخبار ان الرسول (ص) قال عندما سمع باخبار هذا النصر « هذا يوم انتصف فيه العرب من العجم » ، وكانت شيبان لم تسلم بعد .

واسلمت قبيلة شيبان، وخطت لنفسها في الجهاد سجلا رائعا ، وقدمت للقيادة العربية الاسلامية ابطالا مغاوير على رأسهم المثنى بن حارثة الذى عرفه التاريخ العربي «سيدا وجيها ، وفارسا معلما وقائدا من الطراز الأول » ، ولم يمت شهيدا في حربه ضد الفرس الا بعد أن ترك سجلا خالدا من البطولات .

بيت زائدة

وبرز في البطولة الشيبانية بيت من بيوتاتها هو بيت زائدة ، واشتهر من هذا البيت في العصر الأموى معن بن زائدة ، عم صاحبنا يزيد . وتاريخ معن حافل ، وحديثه طويل ، قاد جيوش بني أمية وعاش حتى أزال الجفوة بينه وبين الخليفة العباسى ابي جعفر المنصور ، ثم ليكون بعد ذلك ركنا مكينا من أركان دولته ، بعد ان تخلص من سيطرة الفرس ممثلين في ابي مسلم الخراساني (١٣٧ هـ) . وتاريخ العصر العباسى الاول ليس الا تاريخ الصراع بين الحزب العربي والحزب الفارسي على السلطان، وكان معن على رأس الحزب العربي .

يزيد بن مزيد

ولد يزيد في الكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك بين عامي ١١٥ و ١٢٠ هـ .وقضى طفولته وصباه في البادية حتى نيف على العشرين ، فشب اعرابيا في مظهره ومخبره . وكان قد فقد امه في طفولته واباه في صباه ، فنشأ في كنف عمه الفارس العربي، قائد جيش المنصور . وصحب عمه في غزواته ، واظهر فنونا من البطولات في المعارك ، ضد الخوارج في سجستان . ولكن هذه الفئة المهزومة ما لبثت أن قتلت معنا غيلة في بيته ، وهو بدون سلاح ، فهب يزيد المفجوع ، وقد هزه الحادث ، فاعمل في الخوارج تقتيلا . وقام بينه وبينهم ثأر لا تخمد ناره .

وسمع المنصور بقتل معن ، فهزه النبأ ، وولى مكانه ابن اخيه يزيد واليا على سجستان ، وهو بعد فتى في العقد الثالث من عمره. ولكن هذا الفتى العربي الذى آلِفَ ركوب الخيل وخوض المعارك ، لم يكن بعدُ خبيرا بما يدور في بلاط الخلفاء من دس ومكائد ، فلم يلبث ان وشى به الناقمون على آل زائدة ، لدى ابي جعفر المنصور ، فكاد يقتله لولا وساطة جماعة من سادة العرب . وكانت هذه صدمة عنيفة للفارس الشاب ، جعلته يترك مقر الخلافة ناقما .

وادرك الأجل المنصور عام (١٥٨هـ) في طريقه الى مكة حاجا ، فخلفه المهدى ، الذى استدعى الى بغداد يزيد من جديد .

في خلافة المهدى

نشأ المهدى ضعيف الشعور العربي لارتباطه بصداقات وطيدة مع عائلات شعوبية متعصبة لقوميتها ، فكان من نتائج هذا ان دخل بلاطه كثير من الحاقدين على العرب وعلى رأسهم آل برمك ، وكان الجانب العربي يرقب تقوى النفوذ الفارسي .. بحذر ، وعلى رأسهم يزيد بن مزيد .

وقد مرت بيزيد في خلافة المهدى احداث جعلته البطل المعلم في نظر العرب ، والذائد عن الخلافة في الأزمات ، كما جعلت منه انتصاراته بطلا شعبيا تتردد اخباره على الألسنة: فهو بطل معركة الجسر، ومخضع جبار الخوارج « يوسف البرم » ، وهو قاهر القسطنطينية التى وقعت تحت سنابك فرسانه من العرب ، ورضيت بدفع مائتى الف دينار ذهبا جزية سنوية ، مع اطلاق سراح جميع الأسرى من المسلمين .

وعاد يزيد من القسطنطينية وهو في منتصف العقد الرابع من عمره ، بعد ان اصبح البطل المرموق ، ولكن هذا المجد كله لم يغير من طبيعته الأصيلة : فبقى محبا للبساطة ، كارها للبهارج الزائفة ، وكل مظاهر الوجاهة التى اغرم بها البلاط العباسى . وكان هذا البلاط يغص بالمتزلفين ، والمتنافسين ، ولكن يزيد بقى محافظا على خلقه العربي الأصيل لا يساوم على كرامته ، فتحاشاه حتى الخلفاء أنفسهم ، وكان يربأ بنفسه عن زجها في معترك التزاحم على المناصب،والتملق والمداهنة. وكان يعزف عن مجالس اللهو والمجون ومجالسة القيان والظرفاء ، وهي عادة كانت قد استحكمت بين الأمراء والحكام والموسرين . ان هذا الخلق هو الذى جعل الخليفة المهدى يطلق عليه لقب « الاعرابى » ، وبه عرف .

والى جانب هذا كان يزيد سخيا بالمال لا يبقى

عليه ، متواضعا للصغير من الناس والفقير منهم ، وقد جذبت صفاته هذه اليه الشعراء ، لا ينقطعون عن بابه ، حتى قال فيه ابن خلكان : « ان محاسن يزيد بن مزيد كثيرة لا تحصى » .

وفوق هذا كله كان يزيد متعصبا لعروبته ضد النزعات العنصرية الأخرى : فهو عربى صميم فى منبته ومنشئه ، فقد أدرك الدولة الأموية بعصبيتها العربية ، وتربى فى ظل عمه معن ليشهد تحت رايته الصراع بين العرب والشعوبيين على السيادة ،فتعلم منه كيف يثور على كل حركة تهدف الى ثلم كرامة العرب .

فى خلافة الهادى

وخلف الهادى والده المهدى بعد ان فشلت كل مؤامرات البرامكة فى أن تقدم هرون الرشيد على الهادى . وخلافة الهادى تعنى انتصار الحـــزب العربى على الحزب الفارسى الذى كان يناصر هرون الرشيد . وكان الحزب الفارسى فى خلافة المهدى قد استطاع ابعاد يزيد بن مزيد الى قمم طبرستان ليحارب عصابات تكبد الجيش العربى خسائر ، دون أن يكون من وراء النصر عليها فائدة تذكر ، ولكن هذا الابعاد قرب بينه وبين الهـــادى ولى العهد ، عندما ولى على جرجان .

وفى شهر ربيع الأول (١٧٠ هـ) قتل الخليفة الهادى خنقا فى فراشه،بمؤامرة دبرتها أمه الخيزران المؤثرة لابنها الثانى هرون ، ومن ورائها يحيى البرمكى ، والحزب الفارسى .

فى خلافة الرشيد

واستهل الرشيد حكمه بأن فوض أمر الدولة ليحيى البرمكى ، قائلا له:« يا أبتى أنت اجلستنى هذا المجلس ... فاحكم بما ترى ... » ولم يكن من السهل عليه وهو ابن العشرين ، أن يدرك أخطار ما صنع .

وانكمش الحزب العربى على نفسه ، وعلى رأسه يزيد ، ثم الفضل بن الربيع . ولم يستطع يزيد بعد المؤامرة التى أودت بالهادى الا أن يقدم على الرشيد مبايعا ، ثم يعود الى بيته فيقعد مراقبا سير الأمور . ولا شك أن يحيى البرمكى كان يتمنى لو كان باستطاعته أن يتخلص منه ، ولكنه كان أضعف من ذلك ، لأن يزيد سيد العرب وفارسهم، يعتز به حتى الجالسون على الحكم من بنى العباس.

وحكم البرامكة تسع سنوات كاملة ، وبرز جعفر بعد أن شاخ أبوه يحيى وهرم ، وبلغ من نفوذه أن أجلسه الرشيد على سرير الملك بجانبه ، وضرب اسمه مع اسمه على الدراهم والدنانير ، حتى سماه الناس « السلطان جعفر » ، وكان باجماع المؤرخين شعوبيا يكره كل ما هو عربى .

وبلغ غرور البرامكة حد أن ألفوا لهم فى خراسان جيشا من خمسمائة ألف فارس يدفعون مرتبات جنوده من بيت المال ، ثم أخذوا يتلكأون فى اخماد الثورات التى نشبت ضد الخلافة ، حتى كانت ثورة الوليد بن طريف الشارى الذى اكتسح البلاد وتوجه لاحتلال بغداد . وكانت خطة البرامكة ترمى الى اثبات عجز جيش الخلافة عن حماية العاصمة، ليجبروا الخليفة على استدعاء الجيش الفارسى الذى ألفوه فى خراسان ، وبهذا يصبح الخليفة وعاصمته تحت سيطرتهم .

واخيرا ادرك الرشيد خطتهم ، فاقام حولهم الجواسيس الذين نقلوا له ما يدبر آل برمك ضده وضد العرب . وهنا ، ولأول مرة ، أمسك هرون بزمام المبادرة ، فاستدعى يزيد لاخضاع حـركة الوليد بن طريف ، وانتقل من بغداد ليقيم فى الرقة، وليحيط نفسه بالعرب ، وولى على خراسان قوادا عربا مع جنودهم وأوعز لهم بالتخلص من الجيش الفارسى ، وما أمر الخليفة بمنع صرف رواتب جنوده حتى تفرقوا .

وأخذ هرون ينتظر الفرصة المواتية حتى يوقع بالبرامكة . وقد أحس البرامكة بدورهم بأن شيئا ما ينتظرهم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يدركوا شيئا من الرشيد الذى عركته الأيام ، وجعلته سياسيا محنكا لا يدرى بما يجول فى خاطره سوى أقـرب المقربين اليه ، من أمثال يزيد .

وفى هذه الفترة قام يزيد باخضاع ثورات شبت فى أنحاء الامبراطورية ، كان من أخطرها حركة خاقان الخزر . وخشية أن تقوم حركات مناوئة للخلافة فى أنحاء فارس بعد التخلص من البرامكة ، عين الرشيد يزيد بن مزيد على أقاليم ارمينيــة واذربيجان واران ، ليكون على مقربة من كل خطر يمكن أن يحدث فى الجانبين الشرقى والشمالى فى الدولة ، وقد تم هذا بالاتفاق مع يزيد وزعماء الجانب العربى .

وتوجه يزيد الى هناك (١٨٤ هـ) فجعل عاصمته مدينة برذعه ، ولكنه بقى على صلة مستمرة بالخليفة والفضل بن الربيع . وقبل أن تحل ساعة الصفر للفتك بالبرامكة ، حدث ما لم يكن بالحسبان ، فقد داهم الموت يزيد بن مزيد فى فراشه فى ليلة شاتية من ليالى عام ١٨٥ هـ ، فكانت خاتمة حياته ، كصنوه خالد بن الوليد : بطلان ما عرفا الكلال، ولا الهزيمة ، يفجأهما الموت على الفراش .

ووقع الخبر على الرشيد وقع الصاعقة « وبكى واتسع بالبكاء» . ولكنه تجلد ، وولى ابنه أسدا مكانه ، فكان خير ابن لخير أب . وبكته شيبان ، والقبائل العربية، ورثاه الشعراء وتنافسوا فى رثائه. وفى شهر محرم (١٨٧ هـ) أوقع الرشيد بالبرامكة، وبذلك قضى على النفوذ الفارسى فى بلاطه ، وأعادها دولة عربية خالصة .

رحم الله يزيد بن مزيد فقد كان رجلا وكان عظيما « وقد انطوت بموته صحيفة فتى من فتيان العرب .. لم يبطره الغنى ، ولم تفسده الحضارة الزائفة ، ولم ينحن أمام سلطان ، ولم ينحرف عن رسالته من أجل مغنم » .. ونرجو أن ينتفع الشباب بسيرته ، وتاريخه المجلوين فى هذا السفر القيم . وهو سفر يصدق عليه ما قاله ابن خلكان فى يزيد : « محاسنه كثيرة لا تحصى » . ■■

محمود السمرة

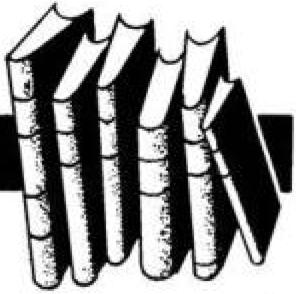

من الكتب التي وصلتنا

قاموس الصناعات الشامية

جزءان : حققه وقدم له ظافر القاسمى

● الجزء الأول من تأليف محمد سعيد القاسمى ، والثانى استدراك وتتمة للأول من تأليف جمال الدين القاسمى وخليل العظم ، وقد بدأ به عام ١٩١٣ . وهو مرتب حسب الحروف الأبجدية .

مدخل الى تاريخ المغرب

لعبد الله كنون ـ تطوان

● كتاب يستعرض فيه مؤلفه تاريخ المغرب منذ أقدم العصور حتى الاستقلال .

العلوم السياسية

جزءان : تأليف رايموند كارفيلد كيتيل

ترجمة الدكتور فاضل زكى حمد ـ بغداد

● تحليل لمفهوم الدولة والاتجاهات السياسية ودراسة لمختلف النظم والأساليب التى قامت عليها الحكومات ، وتبدلت خلال التاريخ .

جمالك سيدتى

للدكتور صبرى القبانى ـ دمشق

● الجمال المقصود هنا هو غير التبرج ، وهذا الكتاب يدل السيدة على الطريقة التى بها تحصل على حقها المشروع من الجمال .

عالم شتاينبك الرحيب

لبيتر ليسكا ، ترجمة عبد اللطيف شرارة ، مكتبة المعارف ـ بيروت

● كتاب يتناول بالتحليل كل رواية أو قصة للكاتب الامريكى الشهير باحثا فى مضمونها وتقنيتها بحيث يشكل التحليل الخاص بكل مؤلف حلقة من تاريخ تنامى شتاينبك الفنى .

حول مائدة المعرفة

الجزء الثانى ، ترجمة الدكتور كامل عطا ـ مصر

● الجزء الثانى من سلسلة تهدف الى تفسير وتقريب الكتب المأثورة . فى هذا الكتاب : أوليفرتويست لديكنز ، علم الأخلاق لسبينوزا ، مغامرات هكلبرى فن لتوين، ذكرى الماضى لبروست، الجريمة والعقاب لدستيفسكى .

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

النبي والسحر ... وكتب التفسير والحديث

● في العدد ٣٤ أعجبت بجوابكم عن « هاروت وماروت » وبإهابتكم بالازهر والهيئات الدينة لتنقية التفسير والحديث من الاسرائيليات التي دسها المنافقون اليهود لايجاد ثغرات في الاسلام لكي يهاجموه من خلالها ، ولكني صدمت بقولكم في الصفحة المقابلة عن السحر : « وكذلك حدث للنبي (ص) حينما سحره لبيد بن الاعصم وهو يهودي من زريق ، فكان يخيل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى لقد كان ينكر بصره » ، مع ان هذه الرواية المزعومة أخطر ثغرة حاول أعداء الاسلام فتحها فيه لكي يهاجموه من خلالها فيقولوا متسائلين : « وما يدرينا أن الرسول وهو على تلك الحالة من السحر ، قد أُوحِيَ اليه بشيء لم يُبلّغه ظانا انه بلّغه ؟ ، أو بلّغ شيئا ظانا انه من الوحي وهو ليس من الوحي ؟ » ومعنى مسحور كما هو موضح في التفسير « اختل عقله » ، أو ذهب عقله بسبب السحر ، والفئة الواعية من المفسرين تنفي اصابة المعصوم (ص) بالسحر نفيا قاطعا ، لانه يؤيد بهتان الكافرين : « وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا » ، فقد وصفهم جل شأنه بالظالمين .

افبعد هذا يجوز لمسلم ان يقول بأن خاتم الانبياء والمرسلين (ص) سُحِرَ ؟ وهل يقبل العقل أن يكون ليهودي سلطان على صفوة البشر ؟!

اما كيف نقل الرواة هذه الروايات ، فربما تكون قد دست في مؤلفاتهم ..

« عبد الله »

نبي بني عبس

● هل صحيح انه كان في قبيلة بني عبس نبي؟ وان كان ، فما اسمه وما هي رسالته ؟

سالم الاخرس

مدرسة صلاح الدين – الكويت

« العربي » : بين من ذُكِرتْ بعض كتب التاريخ من « انبياء الفترة » خالـــد بن سنان بن غيث العبسي . وتذكر له هذه الكتب قصة العنقاء ، دعا عليها فانقطع نسلها ! وجاء عنه في بعض كتب الحديث : « ذاك نبي اضاعه قومه » .

وفي كتاب « مروج الذهب » للمسعودي فصل او اكثر في هذا الوضوع تستطيع ان ترجع اليه ان اردت .

السحر علم وصناعة .. وليس شيئا خارقا للعادة

● .. ولقد تمنيتم على الهيئات الدينية الاسلامية تنقية كتب التفسير والحديث من الخرافات والخزعبلات .. وتلك لعمري امنيته غالية ، لو كانت ممكنة ، وحبذا لو كان هناك من يستطيع تحقيقها في هذه الايام ..

اما ما جاء في جوابكم عن السحر ورأي بعض العلماء فيه ، فالثابت في نصوص الآيات القرآنية التي تحدثت عن السحر انه علم من العلوم وصناعة من الصناعات،يتعلمه من لديه الاستعداد له ويتمرن عليه حتى يصير عالما به او ساحرا . وكل ما يمكن تحصيله بطريق التعلم يمتنع اعتباره خارقا للعادة، لان خرق العادة لا يكون الا شذوذا عن السنن التي

وضعها الله للكون لا تختلف الا بأمره ، وخروجا عن التنظيم الذى وضعه الله للأسباب والمسببات، وذلك حكم المعجزات التى كانت تجرى على ايدى الانبياء بوحى من الله واذن منه ..

اما مسألة سحر الرسول (ص) التى اشرتم اليها فقد وردت فى حديث رواه البخارى ومسلم ، ولكن الكلام على هذا الحديث يقتضينا ان نناقشه على ضوء القرآن ، ثم على ضوء العلم الحديث .. فاما القرآن فقد انكر سحر الرسول فى سورة الاسراء ثم فى سورة الفرقان ، فى صراحة وجلاء .

واذا كان القرآن ينكر سحر الرسول ، افلا يجب علينا نحن أن نتوقف عن رواية هذا الحديث، الى ان يحقق الله أمنية تجريد كتب التفسير والحديث من امثال هذه المشكلات ؟

وأما من الناحية العلمية ، فلو كان للسحرة ما يزعم الزاعمون واذا كان لبيد بن الاعصم استطاع وحده ان يسحر الرسول لقام يهود المدينة كتلة واحدة ، ولأجمعوا امرهم على سحر الرسول ،حينما نكل بهم ، وأجلى منهم من أجلى وقتل من قتل ، جزاء نقضهم العهود وتآمرهم مع أعدائه المشركين عليه .

لقد بلغ اطباء اليهود فى المانيا ــ قبل الحرب العالمية الثانية ــ اعلى منزلة فى علم الطب ، فلو كان لعلم السحر الذى يعرفه لبيد بن الاعصم ، وجود فى الكون ، لماجهله هؤلاء اليهود الذين نكل بهم هتلر زعيم المانيا ، ولكانوا سحروه قبل ان يمزقهم كل ممزق !

وصفوة القول ان السحر عبارة عن شعوذة وتمويه وخداع واحتيال ، وليس فيه ما هو خارق لسنن هذا الكون الثابتة ، وليس لدى القائلين بالعكس سوى اساطير وخرافات لا قيمة لهـا فى ميادين الاستدلال واقامة البراهين .

صبحى القوتلى

رئيس محكمة التمييز سابقا ومقيم بالصالحية

« العربى » : قصة سحر يهود بنى زريق للرسول الكريم وردت فى جامع البيان لابن جرير الطبرى ، كما وردت فى الفخر الرازى والنيسابورى وابن كثير وابن مسعود وغيرها من كتب التفسير . وحديث السحر رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى واحمد وابن سعد وغيرهم من رواة الحديث .. بعضهم عن عائشة ، وبعضهم عن ابن المسيّب او عروة بن الزبير ، وفيه روايات عدة ، اختلفت اسانيدها اتفقت كلها على وقوع السحر .

اما ما ينكره الكاتب أو يستنكره من صحة هذه القصة بعد ورودها فى كل تلك المراجع والمصادر ، فليس فيه جديد .. قال الحافظ فى « الفتح » : قال المازرى : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا انه يحط من قدر النبوة ويشكك فيها ويمنع الثقة بالشرع ، وهذا كله مردود ، لأن الدليل قام على صدق النبى (ص) فيما يبلغه عن ربه ، وعلى عصمته فى التبليغ . وأما يتعلق بالأمور الدنيوية التى لم يبعث من اجلها ولا علاقة لها بالرسالة ، كالأمراض مثلا ، فهو فى ذلك عرضة لما يتعرض له البشر .

وقد افاض الحافظ فى هذا البحث ، كما افاض فيه القاضى عياض فى كتاب « الشفاء » .

ما هى النرجسية

● نقرأ أحيانا ان فلانا مصاب بالنرجسية ، وقد بحثت عن هذا المرض بين أسماء الأمراض المعروفة فلم أجده .. هل هو مرض جديد لم يرد اسمه فى الكتب .

س. بازرعة

« العربى » : النرجسية ليست مرضا عضويا، وانما هى حالة نفسانية،يحب الانسان فيها نفسه. وقد جاء اسمها فى اسطورة يونانية:نرجس اسم فتى ، قضت عليه الالهة افروديت أن يحب حورية جميلة ، ولكنه رفضها وازدراها.فحكمت عليه الالهة افروديت بأن يظل ينظر الى خياله هو فى بركة رائقة الماء ، ليلا ونهارا . فظل ينظر حتى انتحل جسمه ومات . وعطفت عليه الالهة بعد ذلك بان قلبته الى زهرة جميلة تميل برأسها دائما الى الماء حيث يوجد . فكانت الزهرة المعروفة بالنرجس . واتخذ علماء النفس من هذه الاسطورة اسم الحالة النفسية المذكورة .

خير الأمور الوسط

● لي أخت متزوجة من خمس سنوات ، ولهـا من الأطفال اثنان ، وهي تعيش في مجتمع محافظ مثل مجتمع أسرتنا،ولكن العادات والتقاليد الغربية تطغى علينا ، فنحن لا نظهر الا متبهرجات ، غير محجبات ، وعلى آخر زي .. ! هذا مع أن الايمان الذي في قلوبنا يعذبنا أي تعذيب !

وقد كانت أختي أقوى ارادة مني ، فقررت أن تترك كل شيء لتتبع الدين بحذافيره ، فامتنعت عن التزين ، حتى لزوجها ، ورفضت أن تخرج معه ليقضيا سهراتهما عند الأهل والأقرباء . وقررت أن تضع الحجاب الشرعي لكي يتم تطبيقها للدين ،مما جعل الناس يتحدثون عنها في سهراتهم ، ويدعونها « المسلوبة » !

وقد بدأ زوجها يخرج بمفرده في مختلف الزيارات التي كان ينبغي أن ترافقه فيها . فهو يريد أن يكون له في المجتمع مكان مرموق .. وهذا ما يجعل أختي في حيرة : أتطيع زوجها ؟ أم تطيع ضميرها ؟ علما بأنها مثقفة ، وفي الخامسة والعشرين ، وزوجها في الثلاثين ، مما يخشى معه ـ ان استمرت في سياستها هذه أن تختطفه منها احدى الفاتنات التي يلتقي بهن في السهرات والحفلات .. فبماذا تنصحون ؟

حلب : ع . ب

« العربي » : كيف يمكن التوفيق بين حديثك عن المجتمع المحافظ الذي تعيشين فيه أنت واختك، والايمان الذي يعمر قلبيكما ويعذبكما ، وبين قولك « ونحن لا نظهر الا مبهرجات ، وعلى آخر زي»؟! فأي مجتمع محافظ ذاك ، وأي ايمان ؟!

ثم من الذي قال لك ولأختك ان الدين يمنع المرأة من أن تتزين لزوجها أو تخرج معه لزيارة أهله وأهلها ؟

ان المرأة الفاضلة ، العاقلة ، تستطيع بغير أدنى مشقة أن توفق بين مقتضيات الحياة الاجتماعية في كل زمان ومكان ، وبين ما يحض عليه الدين من الاحتشام ، في غير بهرجة أو تبذل ، ودون ارتداء الأزياء التي تكشف عن الصدور والظهور والأذرع والسيقان ، وتبرز ـ لفرط ضيقها ـ ما ينبغي أن يظل مكنونا من مفاتن الأجسام ..

لا للبحتري .. ولا لأبي تمام

● قرأت في بعض الكتب أن « ديوان الحماسة » من تأليف الشاعر أبي تمام . ثم قرأت في كتب أخرى انه من تأليف الشاعر « البحتري » . فأي القولين أصح ؟

آنسة سلوى ـ بيروت

« العربي » : ليس « ديوان الحماسة » من تأليف أبي تمام ولا من تأليف البحتري . انما هو مجموعة من أشعار العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، والقليل منها لشعراء الدولة الأموية والنادر لشعراء الدولة العباسية ، اختارها « أبو تمام » وقسمها الى الأبواب التي كانت متداولة كالحرب والأدب والغزل والمديح والهجاء .. ثم اقترح « الفتح بن خاقان » على البحتري وضع مجموعة تماثل مجموعة أستاذه « أبي تمام » وتعارضها ، فوضع مجموعة واسعة أسماها « الحماسة » اقتفاء بخطوات أستاذه ، ضمنها مختارات من شعراء أبي تمام وزاد عليهم ، وامتازت بتقسيمها الى ١٧٤ بابا ، نظر فيها الى الخلجات النفسية فجاءت أقرب ما تكون الى التحليل النفسي ، مما يشهد بأن البحتري كان أعمق من أستاذه في الاختيار ، بقدر ما أحسن الى العربية بمجهوده الذي اتسم بالتجديد والابتكار .

التلفاز .. والعجائب السبع

● ما معنى كلمة « تلفاز » التي ترد أحيانا في مجلة «العربي» ؟

ـ كيف يمكنني الحصول على كتاب « مع الله في السماء » وكم ثمنه ؟

ـ لماذا لا تنشرون مقالا مصورا عن عجائب الدنيا السبع التي ذكرتموها في العدد الماضي ؟

محمد أحمد البقشي
مكتبة الاحساء الاهلية : الهفوف

« العربى : » : «التلفاز» هو تخفيف لفظ التلفزيون الذى لا يسوغ على السنة الناس لانه افرنجي الصيغة والجرس ، ولا نستطيع أن نشتق منه . أما التلفاز فتسوغه الالسنة وله الجرس العربى ، ومنه نشتق تلفز ويتلفز الخ .

ـ يمكنك الحصول عليه من « دار الهلال » بالقاهرة . ومن المكتبات المعروفة هناك .

ـ نفعل ان شاء الله .

تعلم الانجليزية بلا معلم

● انني فتاة لم تتح لها الفرصة ، لاكمال تعليمها ، ولم ادرس من اللغة الانجليزية الا اقل القليل ولى رغبة شديدة فى تعلمها واتقانها . فهل تتفضلون بارشادى الى طريقة استطيع ان اتعلم بها الانجليزية بلا معلم ؟ وما احسن كتاب يمكن ان يفيدنى فى ذلك ، وهل استطيع الحصول عليه من الكويت ؟!

السالمية — آنسة سميرة علي

« العربى » : هناك كتاب عنوانه بالانجليزية : Call All Beginers وملحق به ١٢ اسطوانة لتعليم الانجليزية بلا معلم . ويمكن الحصول عليه من محلات «جشنمال» بساحة الصفاة او بالمكتبات الكبيرة . وثمنه مع الاسطوانات حوالي ١٢ دينارا كويتيا .

انا قبيح الوجه

● انا شاب فى الثانية والعشرين من عمرى ، اصبت منذ ثلاث سنوات بمرض نفسى نتيجة شعورى بأنى قبيح الوجه .. وقد سبب لى هذا الشعور كثيرا من القلق والمتاعب النفسية التى تلازمنى ليل نهار طيلة هذه السنوات ، والتى اصبحت بسببها لا استطيع أن اواجه الناس واتكلم معهم ، كما أصبحت لا استطيع القيام بعملى كما يجب نتيجة للتفكير الذى يلازمنى فى كل لحظة .

(البقية على صفحة ١٣٩)

مصرع ثائر

للشاعر : أبو سلمى

جناح النسر حطمه الصعودُ ... وأعيته العواصف والرعودُ
على الجبل الأشم هوى صريعا ... ففاض الدمع والدم والقصيد
بكى جبلُ الخليلِ على فتاهُ ... فرددت النداءاتِ النجودُ
وأجهشت الميادين اللواتى ... تتيه به وأعولت البنود
وساحات الجهاد معطلات ... وأردان العذارى البيضِ سود
وغاب ولم تُشيعه السرايا ... وراح ولم تودعه الحشود

* * *

أتانى نعيه فلممتُ قلبى ... ولكن .. بيننا وقفت حدود
أهم على ندى الترب حتى ... أقبله فتمنعنى القيود
وطيفُ الدار خلف دموع عينى ... ودون عناقه بيدٌ وبيد
أمد يدى لألمسه فينأى ... قريبا كنت .. لكنى بعيد
أتنكرنا وما اختلفت وجوه ... معفرة ولا اختلف الصعيد
ولا اختلف اللسان ولا الأمانى ... ولا القيد المخضب والحديد

* * *

بكيتك والحروف مفجعات ... ثكالى ليس تبدأ أو تُعيد
تهاوى عند نعشك كل سجن ... وأقصر عن عطائك من يجود
عذابك أنت كان عذاب شعب ... وإنك – مثل أهلينا – وقود
جراحك قد أضاءت كل قلب ... كذاك يضىء من دمه الشهيد
ومن كلماتك اخضرت صحارى ... ومن عرق الجبين نمت ورود
فهل لك في التراب الحر لحدٌ ... فإن الأهل ليس لهم لحود
أم انتشرت على السفح الشظايا ... فإن النسر موطنه الجرود

تمـــر مواكب لا روح فيهـــا … وأعيـــاد وليس هناك عيـــد
وأجنـــاد تمـوج ولا انتصـــار … وأحـــرار وكلهم عبيـــد
وأبواق ولـيس لهـــا رنـين … وأسماء وليس لهـــا وجـود
أرانب أن تعـرّضَ أجنـبيٌّ … وهمْ أبـدا على أهلي أسـود
هُمُ جحـدوا نضـال الشعب حتى … كأن الشعـب خصمهم اللـدود

* * *

تُلعلِـع في جوانـب كل أفـق … بياناتٌ وليس بهـا جـديد
وأهـلي تائهـون بكـل فـج … وشعـبي – أينما كان – الشـريد
يريـد الظالمـون فَناء شعـبي … وهل تفـنى الشعوب وهل تبيـد ؟
بكيتـك والقـوافي داميـات … على آثـار نـكبتنـا شهـود
وكنـا في روابي القـدس نحيـا … وملء إهـابنـا العيشُ الرغيد
لنـا وطـن يغـار الخلـدُ منـه … وفوق أديمـه درج الخـلود
نُدلُّ بـه على الدنيـا ونزهو … على أعطافنـا منـه البـرود
وتاريخ .. سـلوا التاريخ عنـه … جهـادٌ حوله الشرف التليـد
وفي صفحـاته عبِقـتْ طُيـوب … وبين سطوره ازدهـرت عهـود
وأصبحنـا بـلا وطـن وصرنا … رعايـا : مالهـا إلا السجـود

* * *

ومـاذا يَرتجـى الأصحـاب منا … إذا عصفـتْ بأضلعنـا الحقـود ؟
تشوّقت الـدروب إلى خُطـانا … ولم تَهـوِ الحواجـز والسـدود
ونسـألُ كل غـاد عن حمـانا … وكيف غدًا ، فيُذهلنـا الجمود
ويمشي اللاجئـون على لَظاه … وكلهمُ يقـول : متى أعـود ؟

* * *

إذا لم يرفـع الرايـات أهلي … فمن يحمى البـلاد ومن يـذود ؟
ومـا أرض العـروبة لي بأرض … إذا سلبـتْ فلسطينَ اليهـودُ

■ هل تعلم انه يباع فى بلد واحد باوروبا ما لا يقل عن خمسة ملايين كتشينة (شدّة) ورق لعب فى العام ، وخاصة فى فترة عيد الميلاد؟ ان هذه الأعداد الضخمة تثير فينا الفضول لمعرفة تاريخ ورق اللعب .

ان تاريخ ورق اللعب ، يحوطه الغموض : فبعض المؤرخين يردون نشأته واصله الى الشرق ، وهناك فئة من الناس تريح نفسها فتقول انه عمل من اعمال الشيطان . .

وفى الأساطير التى تدور حول ورق اللعب انه قد صمم للترفيه عن نساء امبراطور الصين فى القرن الثانى عشر الميلادى .

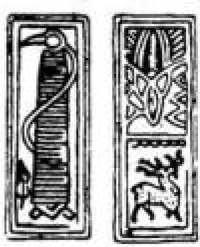
اوراق لعب صينية

وهناك اسطورة هندية تقول ان ورق اللعب انما ابتكرته زوجة مهراج فى الهند لتشغل زوجها وتلهيه عن نتف شعر لحيته . وبهذه المناسبة نقول ان ورق اللعب الهندى دائرى الشكل .

ومن المحقق الثابت ان ورق اللعب كان معروفا فى ايطاليا قبل عام ١٣٠٠ للميلاد .

وكان ورق اللعب الايطالى هذا يضم اربعة انواع من الرموز هى : الكؤوس والسيوف والنقود والهراوات . وكان كل رمز يضم ١٤ ورقة وهى الأرقام من ١ ـ ١٠ و ٤ ورقات اخرى مصورة هى الملك والملكة والفارس وخادمه ، وهى التى كانت تعرف بورق البلاط ، ومازالت هذه الرموز والرسوم تظهر على أوراق اللعب الايطالية والاسبانية .

اما ورق اللعب الألمانى فقد كانت المجموعة الكاملة منه لا تضم الا ٣٢ ورقة .

طواحين بخارية . وكما يقول المثل عندنا « كل ما هو جديد له جماله » ، فقد أخذ الناس يرسلون قمحهم الى هذه الطواحين البخارية . ولفترة من الوقت حاولت طواحيننا الهوائية أن تقاوم . ولكن البخار كان أقوى . واستسلمت كل واحدة منها بعد الأخرى . وآأسفاه . واضطرت جميعها الى أن تغلق أبوابها .

لم نعد نرى الحمير الصغيرة .

وباعت زوجات الطحانين الجميلات صلبانهن الذهبية ..

ولم يعد هناك نبيذ « موسكات » ..

ولم تعد هناك رقصة « الفراندول » ..

وعبثا كانت تهب رياح الشمال ..

وأصبحت الاجنحة جامدة لا تتحرك ..

وفي أحد الايام هدمت القرية كل هذه الطواحين وزرعت مكانها أشجار العنب والزيتون .

ومع ذلك ، وفي وسط هذه الكارثة ، ظلت طاحونة معينة تقاوم . وواصلت الحياة بشجاعة فوق التل المقامة عليه متحدية طواحين البخار .

كانت طاحونة السيد كورني ، ذلك الرجل الذي كنا اعتدنا السهر في منزله في ذلك الوقت . كان السيد كورني طحانا قديما يعمل منذ ستين عاما في صناعة طحن القمح ، وقد أصابه سُعار بسبب ما حدث . فقد أحالته اقامة الطواحين البخارية الى شبه مجنون ، وامضى ثمانية أيام وهو يقطع شوارع القرية مهرولا ، مثيرا الناس حوله ، صارخا فيهم بأعلى صوته انهم يريدون تسميم الاقليم ، اقليم « بروفانس » ، بدقيق الطواحين البخارية . كان يقول :

ــ لا تذهبوا الى هناك ، ان هؤلاء اللصوص ، كي يصنعوا الخبز ، يستخدمون البخار ، وهو اختراع الشيطان. اما أنا فاعمل بمعاونة ريح الشمال وهي من أنفاس الله .

وهكذا كانت تنهمر من فمه كلمات رائعات تشيد بطواحين الهواء ، بيد أن أحدا لم يصغ اليه . واخيرا اضطر العجوز الى أن يسجن نفسه في طاحونته ، وعاش وحيدا كأنه وحش بري . وكان لا يريد أن يحتفظ الى جانبه بحفيدته «فيفيت» ، وهي فتاة في الخامسة عشرة من عمرها ، لم يعد لديها في الدنيا بعد وفاة أبويها سوى جدها .

واضطرت الصغيرة المسكينة أن تعمل لتكسب قوتها ، فاشتغلت في كل مكان تقريبا ، في المزارع أيام الحصاد ، وفي تربية دود الحرير ، وفي استخراج زيت الزيتون .

ومع ذلك كان جدها يحبها .. وكثيرا ما كان يقطع اربعة فراسخ على قدميه تحت الشمس المحرقة كي يذهب ليراها في المزارع التي تعمل بها ، وعندما يقترب منها ، كان يقضي ساعات طويلة في النظر اليها وهو يبكي .

وفي البلد ، كان الناس يظنون أن الطحان العجوز قد تخلص من «فيفيت» بدافع من البخل ، انه ليس مما يشرفه أن يترك صغيرته تتنقل هكذا ما بين مزرعة واخرى . كما كان الناس ينظرون أيضا باشمئزاز الى رجل له شهرة السيد كورني ، الذي كان لا يزال يتمتع باحترامهم ، وهو يسير في الطرقات عاري القدمين ، بأسمال بالية ، وقبعة تتخللها الثقوب .

وفى أيام الآحاد ، عندما كنا نراه يدخل لحضور القداس ، كنا نحن المسنين نشعر بالخجل منه ، وكان كورنى يحس بذلك الشعور الى درجة انه كان لا يجرؤ على الجلوس على المقاعد ،وكان يظل واقفا باستمرار فى آخر الكنيسة ، الى جانب وعاء الماء المقدس برفقة الفقراء .

كان فى حياة السيد كورنى شىء غير واضح . فمنذ وقت طويل لم يحمل اليه أحد من القرية قمحه ، ومع ذلك كانت اجنحة طاحونته تدور باستمرار كما كان يحدث قبلا ..

وفى المساء كان الناس يلتقون فى الطرقات بالطحان العجوز وهو يدفع أمامه حماره وهو محمل باجولة ضخمة من الدقيق . وهنا كان الفلاحون يصيحون به :

ـ كل شىء على ما يرام يا سيد كورنى .. هل حال الطاحونة على ما يرام دائما ؟

ويجيب العجوز بصوت مبتهج :

ـ دائما يا أولادى .. شكرا لله .. ان العمل متوفر .

وعندما يسأله أحد الناس من أين تنهمر عليه هذه الأعمال ، يضع اصبعه فوق شفتيه ويجيب برزانة :

ـ الصمت .. انني أعمل للتصدير .

ولم يكن فى استطاعة احد أن ينتزع منه أكثر من ذلك .

اما عندما يريد أحدهم ان يدس أنفه فيما يجرى فى طاحونته ، فانه يحاول المستحيل . حتى الصغيرة فيفيت نفسها لم تكن تستطيع أن تدخلها . وعندما يمر الانسان من امامها يشاهد بابها مغلقا دائما ، بينما تدور اجنحتها الضخمة باستمرار ، وحماره العجوز يرعى الحشائش امامها فوق الرصيف ، وقط ضخم نحيل يتشمس فوق حافة النافذة وينظر اليك نظرات شريرة .

كل ذلك كان يوحى بالغموض ويجعل الناس يتكهنون كثيرا وكل منهم يشرح بطريقته سر السيد كورنى . بيد أن الشائعة العامة كانت تردد ان هذه الطاحونة تحوى جوالات من النقود أكثر مما تحوى من جوالات الدقيق .

وفى نهاية الأمر اكتشف كل شىء .

وكان ذلك على الوجه الآتى :

كان الشباب يرقص على نغمات مزمارى . ولاحظت يوما ان أكبر ابنائى والصغيرة فيفيت قد جمعهما الحب . وفى حقيقة الأمر ، لم اغضب لذلك ، لأن اسم أسرة كورنى كان موضع تقدير عندنا رغم كل ما حدث . والى جانب ذلك،كان يروقنى أن أرى هذه الصغيرة الجميلة فيفيت وهى تتهادى فى منزلى . وكل ما كان يهمنى هو ان اسوى الأمر فى الحال،فتوجهت الى الطاحونة لأنتزع كلمتين من الجد .. آه ! العجوز الملعون !

كان يجب أن تروا بأعينكم الطريقة التى استقبلنى بها . كان من المستحيل على أن اجعله يفتح لى بابه . وقد شرحت له الأسباب التى تدعونى الى ذلك بجميع الطرق من خلال فتحة المزلاج . وطيلة الوقت الذى تحدثت فيه معه كان القط الضخم الهزيل يموء كشيطان فوق رأسى. ولم يعطنى العجوز فرصة كى أنهى حديثى . وصاح بى فى غضب وشراسة أن أعود الى عزف مزمارى ، وانه اذا كنت متعجلا فى تزويج ابنى ، ففى استطاعتى أن أذهب للبحث عن فتيات له فى الطاحونة البخارية . وغلى الدم فى عروقى لسماعى هذه الاقوال البذيئة ولكننى تذرعت بالحكمة كى أملك زمام نفسى ، وتركت هذا العجوز المجنون فى طاحونته وعدت لأخبر الشابين بفشلى .

ولم يستطع هذان الحَمَلان المسكينان ان يصدقا ما قلته ، وطلبا منى أن أسمح لهما بالذهاب معا الى الطاحونة ليحدثا الجد ، ولم تواتنى الشجاعة لأرفض طلبهما ، وذهب الحبيبان . وما كادا يصلان الى هناك حتى كان السيد كورنى قد غادر الطاحونة وكان الباب مغلقا . ولكن الرجل العجوز كان قد نسى عند رحيله سلما فى الخارج . ونبتت فى الحال لدى الشابين فكرة الدخول من النافذة ليلقيا نظرة على ما يجرى فى هذه الطاحونة الشهيرة .

كان منظرا فريدا !

غرفة الطاحونة فارغة ..

لا يوجد جوال واحد ..

لا توجد حبة قمح ..

لا توجد حفنة من الدقيق ..

لا على الجدران ولا على خيوط العنكبوت ..

بل لم تكن هناك هذه الرائحة الساخنة الطيبة، رائحة القمح المقشور التى تعطر الطواحين ..

كان الفراش مغطى بالتراب ، والقط الكبير الهزيل ينام فوقه ..

وكانت الغرفة السفلى تحمل نفس طابع البؤس والهجران .. سرير قذر .. قطعة من الخبز فوق احدى درجات السلم .. وفى ركن قبعت ثلاثة أو اربعة جوالات مثقوبة يسيل منها .. تراب أبيض ! هذا هو .. سر السيد كورنى .

كان هذا التراب الابيض هو الذى يحمله ليلا فى الطرق كى ينقذ شرف الطاحونة .. وكى يدخل فى روع الناس انه يطحن فيها الدقيق .

الطاحونة المسكينة !

وكورنى البائس !

منذ زمن بعيد قضت عليهما الطواحين البخارية. ومع ذلك كانت الأجنحة تدور حول نفسها دائما . كانت الطاحونة تدور .. بالهواء .. فى الهواء !

وعاد الشابان مبللين بالدموع يقصان ما شاهداه وتمزق قلبى لسماعهما . ودون أن انتظر دقيقة واحدة هرعت الى الجيران واخبرتهم بما حدث فى كلمتين . واقتنعنا انه يجب علينا فى الحال ان نحمل الى طاحونة كورنى ما عندنا من قمح فى بيوتنا .. وما كدنا نصل الى هذا القرار حتى نفذناه ..

وتوجهت كل القرية الى الطاحونة ، ووصلنا هناك فى موكب من الحمير المحملة بالقمح ..القمح الحقيقى .

كانت الطاحونة مفتوحة على مصراعيها ..وأمام الباب جلس السيد كورنى فوق جوال من التراب الابيض يبكى وقد وضع رأسه بين يديه . انه عندما عاد أدرك أن هناك من دخل فى غيبته الى منزله واطلع على سره الحزين .

وكان يقول :

ــ مسكين انا .. لم يعد لى الآن الا ان اموت.. لقد تلطخ شرف الطاحونة !

وكانت شهقاته تمزق القلوب ، وكان ينوح على طاحونته ويناديها بجميع أنواع الأسماء ..ويحدثها كأنه يحدث شخصا حقيقيا .

وفى هذه اللحظة وصلت الحمير الى الرصيف ، واخذنا كلنا نصيح بنفس الصوت القوى الذى كنا نصيح به فى الأيام الخوالى .

ــ هيه أيتها الطاحونة .. هيه يا سيد كورنى.

وتكدست الأجولة امام الباب وتناثر الحب الجميل على الارض من جميع الجوانب .

وحملق السيد كورنى بعينين واسعتين . واخذ حفنة من القمح فى راحة يده العجوز وقال وهو يضحك ويبكى فى نفس الوقت :

ــ انه قمح .. يا الهى .. قمح طيب ..دعونى انظر اليه ..

ثم استدار نحونا وقال :

ــ آه .. كنت اعرف جيدا انكم سوف تعودون الى .

واردنا أن نحمله على أعناقنا ونطوف به القرية علامة على الانتصار ولكنه قال :

ــ لا .. لا يا أولادى .. يجب ان أذهب لاطعم طاحونتى . فكروا ... انها منذ مدة طويلة لم تضع شيئا فى فمها .

واغرورقت عيوننا جميعا بالدموع عندما رأينا هذا العجوز المسكين يتنقل يمينا ويسارا وهو يفتح الأجولة ويرقب طاحونته بينما الحب ينسحق وتراب القمح الطيب يتطاير حتى السقف .

كنا قد حققنا العدالة . ومنذ ذلك اليوم لم ندع الطحان العجوز دون عمل فى يوم من الأيام .

وفى صباح احد الأيام مات السيد كورنى ،وتوقفت عن الدوران أجنحة الطاحونة الأخيرة عندنا ، توقفت للأبد فى هذه المرة .. لقد مات كورنى ولم يواصل أحد رسالته .

ماذا تريد يا صديقى .. كل شىء له نهايته فى هذا العالم .. ويجب أن نؤمن بأن عصر طواحين الهواء قد ولى مثلما ولى عصر القوارب التى تجرها الخيول فوق صفحة مياه نهر الرون .. وكما ولى عصر السترات التى تطل من عرواتها الزهور الكبيرة . ■■

عادل شريف ــ القاهرة

اضحك

تضحك الدنيا معك !
ابك .. تبك وحدك

يستعمل من الظاهر !!

● كانت سيدة تقف فى الصف أمام مخبز ، وسُرّت كثيرا من ابنة صاحب المحل ، وقالت لها : انك طفلة مهذبة جدا لأنك لا تمدين يدك الى الحلويات ولا تأكلينها .

فردت عليها الطفلة قائلة: لقد أمرنى والدى أن لا آكل شيئاً ولهذا فاننى اكتفى بلعق الحلوى .

المرة الوحيدة !

● يقول الزوج ان المرة الوحيدة التى كسب فيها مناقشة مع زوجته ، حدثت قبل سنوات ، حينما كانا يعلقان سجادة صغيرة على الحائط ، وكان فم الزوجة محشوا بالمسامير .

سـذاجة !

● كان الرجل العجوز يعيش فى مزرعة نائيةولم يكن قد ركب سيارة فى حياته . وفى يوم من الايام اقنعه احد أصدقائه بأن يسافر معه فى سيارته الى المدينة .

كانت السيارة من طراز قديم، وكان على السائق أن يمد ذراعه من نافذة السيارة ليعطى اشارة للانحراف عند المنعطفات . وقد تضايق المزارع من صديقه خشية أن يؤثر هذا فى قيادة السيارة فقال لصديقه السائق : ان كان لا بد من معرفة ان كانت السماء تمطر أو لا ، فاتركنى أنا أمد ذراعى نيابة عنك .

ممنوع .. شـفويا !

● البائع لسائق السيارة : هل التدخين مسموح به داخل هذه الحافلة ؟

السائق : كلا .

البائع : غريب .. اننى أرى أعقاب سجاير منتشرة فى أرضها فمن أين جاءت ؟

السائق : لقد رماها الأشخاص الذين لا يوجهون الىّ أية أسئلة .

ذكاء امرأة !

● خاطت الزوجة قميصا لزوجها الذى يعمل فى بلد بعيد .. وارسلته اليه بالبريد ، وارفقت به ورقة كتبت عليها :

لقد قطعت الأزرار ووضعتها فى الجيب اليمنى لان اجور النقل بالبريد الجوى مرتفعة جدا .

شقة مزعجة !

● انتقل الزوجان الى شقة جديدة فى الدور الثانى ، وأقاما حفلة صاخبة ، وفجأة قرع جرس الهاتف ، فردت عليه الزوجة . وبعد أن وضعت السماعة مكانها قالت لزوجها فى سذاجة نادرة :

ـ الحمد لله اننا لم نستأجر الشقة التى تحت شقتنا مباشرة لأن ساكنها يقول انها مزعجة لكثرة الضجة !

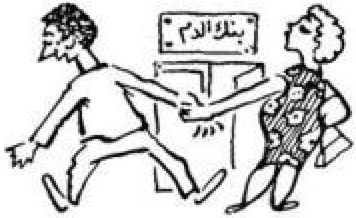

تبرعات سخية !

● فى اجتماع نسوى للتبرع بالدم ، لبنك الدم، تبرعت ثمانى نسوة بالدم للأشخاص الذين هم بحاجة الى عمليات نقل دم . وبعد أن انفض الاجتماع تبيّن أنهن لم يتبرعن بدمائهن، بل بدماء ... أزواجهن !

سرعة قياسية

● **مدير المعهد** : اننا نهتم اهتماما كبيرا بالدقة فى تعليمنا الاختزال والكتابة على الآلة الكاتبة .

الطالبة : وماذا عن السرعة ؟

مدير المعهد : لا تهمنى هذه الناحية فمن بين الطالبات خريجات العام الماضى تزوجت ست عشرة خريجة من رؤساء الاعمال فى أقل من ثلاثة أشهر .

طبيب نفساني !

● **دخل قائد الفرقة مكتبه حانقا** ، وأمسك بسماعة التلفون وخاطب ضابط مستشفى المعسكر وقال : **لقد مررت الآن بأحد الضباط الأطباء ، فلم يحينى ، ولما أوقفته لأنبهه الى ضرورة تأدية التحية وأذكره بالنظام** فوجئت بأن حذاءه لم يكن ممسوحا ، وبذلته الرسمية بدون كى ، وشاراته لم تلمع . وعلاوة على ذلك فانه لم يحلق ذقنه وشعر رأسه طويل ، ولا بد أنه أصابه خبل ، وأريدك أن ترسله فورا لرؤية طبيب الأمراض النفسية فى الفرقة .

فقال ضابط المستشفى : انه يا سيدى طبيب الأمراض النفسية ذاته .

طباخة .. وخبيرة خطوط !

● **أعلنت ربة بيت عن حاجتها الى طباخة** ، فوصلتها عدة ردود بالبريد ، واختارت من بينها طلبا تقدمت به احداهن ، وهى تقيم فى بلد بعيد . فأرسلت اليها ربة البيت تدعوها الى الحضور لاستلام العمل .

وبعد أيام جاءها الرد من الطباخة وفيه تقول :

ـ آسف يا سيدتى لأن ارفض عرضك . أن هوايتى هى تحليل الخطوط ومن تحليل خطك تبين لى اننى لا أستطيع أن أعيش معك !

لتنفيذ الوصية !

● **المريض للطبيب** : لقد عرفنا بعضنا لمدة طويلة ، وأشعر انك ستعتبر عرضى الفلوس عليك ، مقابل معالجتك لى ، اهانة .

ولكن عند خروج المريض من باب غرفة الطبيب، التفت اليه وقال مبتسما : ولكننى ـ على كل حال ـ لم أنسك فى وصيتى .

الطبيب : هذا لطف منك ، ولكن قبل أن تخرج أرجو أن أرى الروشتة التى أعطيتك اياها لأغيّر فيها تغييرا بسيطا .

حتى لقد استقر في نفسي ان حياتي لا قيمة لها ما دمت بهذه الحالة .

م.ح.ع ـ السودان

« العربي » : ليس مطلوبا في الرجل ان يكون جميلا . وليس هناك ما يمنع ان يكون وراء الدمامة في الخلق جمالا في الخلق . فلماذا ترهق نفسك بهذا التفكير الخاطىء ؟ اما اذا كنت مصرا على اجراء عملية تجميل، ففي القاهرة ـ كما في غيرها ـ معاهد وعيادات لجراحة التجميل .

الى الطبيب النفساني

● لي ابن اخ دخلت واياه المدرسة في عام واحد ، وعمره الآن ١٨ سنة ، ومع ذلك لا يزال في الفصل الذي دخلناه سويا منذ عشر سنوات ، مما يجعلنا نعتقد انه مصاب بفقدان الذاكرة ، لانه كثير النسيان ، رغم انه يقبل على المدرسة بكل دافع من نفسه ، ولكنه احيانا يضرب بعض الصبيان، واذا اثاره احد خرج عن طوره وشتم امه باقذع الالفاظ ، واذا رأى اباه سكت ولم ينبس ببنت شفة .. فبماذا تنصحون ؟

محمد الشمري

الرياض ـ السعودية

« العربي » : هذه الحالة يجب عرضها على طبيب نفساني ، يمتحنه في عدة جلسات .

استغاثة !

● على جراحي النازفة اتحامل لافضي اليكم بمأساتي .. تلك المأساة التي بدأت قبل عشرين شهرا ، عندما قصدت الى الكويت بحثا عن عمل .. لقد طرقت جميع الابواب فاذا كلها موصدة في وجهي : لا امل ! والآن بلغ بي اليأس اوجه ، فلم يبق امامي الآن الا ان الجأ الى ركن « انت تسأل ونحن نجيب » ، لعلي اجد عن طريقه من ينتشلني من محنتي .

اني احمل « شهادة الدراسة الثانوية بتفوق ، واجيد اجادة تامة العمل على الآلة الكاتبة والاستانسل» .. ولا اطلب اكثر من حقي في الحياة، بالعمل .

انسان

ى. غ

« العربي » : لسنا نملك اكثر من ان ننشر رسالتك ، لعلها تصل الى من يستطيع تفريج كربتك .

محاضرات الموسم الثقافي

● سبق لدائرة معارف الكويت ان نظمت موسما ثقافيا اشترك فيه كثير من الكتاب والمفكرين العرب بمحاضرات جمعت وطبعت مسلسلة باسم محاضرات الموسم الثقافي . وقد بحثت عن هذه المحاضرات في مكتبات السعودية والعراق دون جدوى . فطلبت من صديق لي يقيم في الكويت بأن يبحث عنها في مكتبات الكويت فلم يجدها .

ارجو افادتي عن كيفية الحصول عليها وعدد اجزائها ومقدار ثمنها ولكم اجزل الشكر .

خالد عبد اللطيف البلالي

الخبر ـ السعودية

« العربي » هذه المحاضرات موجودة في دائرة المعارف بالكويت ، فاكتب اليها اذا اردت .

يريد أن يتزوج

● لي مشكلة صعب عليّ حلها فجئت اليكم لتعينوني برأيكم .. فانا شاب في الثامنة عشرة من عمري ، أحببت فتاة جميلة شريفة ، كما هي أحبتني ، وانني اعمل في المعارف ، وانا اعرف انها من عائلة شريفة طيبة الاصل ، ثم انني ادرى انها في السابعة عشرة من عمرها ، وانني اود ان اتزوجها ومع الاسف الشديد ان اهلها لا يعرفونني، فما هي الطريقة الصالحة للزواج منها، ارشدوني.

الكويت

ع. س. ح

« العربي » تقدم لخطبة فتاتك وفق التقاليد المرعية . ولا بأس أن تسبق ذلك تزكية من صديق للاسرتين لدى أسرتها ، والله يوفقك .

قرطاجة وقرطاجنة

● فى مسابقة العدد ٣٤ من « العربى » كان السؤال الاول عن المدينة التى اسمها قرطاجنة والتى أنجبت القائد القديم هانيبال : أين تقع أطلالها . وقد جاء فى الاجابة المنشورة بالعدد ٣٦ أن قرطاجنة هذه فى تونس ، مع انه جاء فى معجم « لاروس » باللغة الفرنسية أن هذه المدينة الأثرية قائمة اليوم فى اسبانيا على الساحل المشرف على البحر الابيض ، وقد بناها القرطاجنيون عام ٢٢٦ ق.م، وأن هناك مدينة أخرى بهذا الاسم فى ولاية كولومبيا بأمريكا .

فأى العبارتين أصح ؟ وما هو سبب هذا الخلاف.

محمد على الحاج
سلمية ـ سوريا

« العربى » : **المدينة التى أنجبت هانيبال ، وعاصمة الفينيقيين ، اسمها بالفينيقية Carthage ومعناها « المدينة الجديدة » . وترجع الى القرن التاسع قبل الميلاد . ويسمونها بالعربية قرطاجة او قرطاجنة . اما التى فى اسبانيا فمرفأ على البحر الابيض أسسه أهل قرطاجة عام ٢٢٣ق.م وأسموها قرطاجنة Cartagena باللغة الاسبانية.**

وهناك اربع مدن ـ لا مدينة واحدة ـ فى امريكا تحمل هذا الاسم ، نسبة الى مدينة الفينيقيين .

« القرعة » لا تحابى !

● انا تلميذة فى السنة العاشرة من عمرى ، نقرأ انا واخوتى مجلة « العربى » ، باستمرار وقد أرسلتانا احيانا واخوتى أمين وغسان وعبداللطيف فى أحيان أخرى ، أجوبة عدة مسابقات فى «العربى» كما أرسلت اخيرا جوابى على مسابقة العدد ٣٦ وهى مسابقة عن خمس نساء .

ولكن القرعة التى تقومون بها قد اغفلت اسمى واسم اخوتى فى المسابقات الماضية .. وباستمرار .. وأملى بالله الا تغفل اسمى هذه المرة ..

دلال فيصل النابلسى

« العربى » : **الفوز بجوائز المسابقات يكون دائما بطريق الاقتراع ، والقرعة لا تحابى ولا تجامل .. ومن يدرى .. فقد يحالفك الحظ أو احد اخوتك فى المستقبل .**

الى طبيب المسالك البولية

● انا شاب ابلغ العشرين من عمرى ، شعرت منذ شهرين بألم خفيف فى المثانة ، يصحب افراز البول ويتكرر هذا الألم يوميا . وانا اليوم اعيش حياة كلها وهم وقلق واصبحت لدى شكوك بأن هذا مقدمة ما يسمى (بمرض حصر البول) واذا كان هذا الاعتقاد صحيحا ، فهل الزيادة الملموسة فى افراز البول احد أعراض هذا المرض ؟ وما هى أعراضه الأخرى ان وجدت ؟

ن . س . عابد
الكويت

« العربى » : **ننصحك باستشارة الطبيب ، طبيب المسالك البولية ، فلعل مع الألم طفحا أو جرحا لا تدركه .**

ردود خاصة :

● **محمد محمود سرياني** : كلية الآداب ـ جامعة دمشق :

ـ اسم المجلة الجغرافية هو The National Geographic Magazine .

ـ وعنوانها : WASHINGTON 6. D. C.

● **عثمان محمود بخيت** : جدة :

ـ لا علاقة بين الآباء اليسوعيين وقبيلة منسع بالحبشة أو اريتريا .

● **عبد الله حسن القرق** : سكرتير البلدية سلفيت :

ـ صحة البيت الذى تشير اليه رسالتك :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما احنو عليك وتنهل

وهو لأمية بن ابى الصلت .

● **حسن حسين حسان** : الاردن :

ـ الغشاوة التى أصابت عينيك ، والحول الذى طرأ عليهما ، قلما تجد فى المستشفيات العامة العناية اللازمة لعلاجهما . يحسن أن تلجأ لطبيب من ذوى الخبرة والتخصص ليشرف على علاجك . فان لم تجد ضالتك فى الاردن فانت لا بد واجدها فى القاهرة او بيروت .

● **عيسى بن شفيق البورتو** : الطائف السعودية:

ـ البيت الذى تسأل عنه ليس للمعرى ولا للمتنبى .

● **الحائرة س. ص** : القدس :

ـ ليس هناك ما يطيل الجزء المقصوص من شعرك ليكون فى مستوى ما لم يقص . تستطيعين تغطية ذلك الجزء بالكوفية حتى يطول .

● **الحائرة م. م** : الكويت :

ـ الاعراض التى تذكرينها فى خطابك ليست نتيجة اثارة جنسية كما تتوهمين . انها أعراض اضطراب فى الجهاز التناسلي . عجلى باستشارة طبيب أو طبيبة، من المتخصصين فى أمراض النساء.

● **ع. ص** : الهفوف :

ـ لا تصدق من يقول لك ان الكى بالنار يشفى من حمى التيفويد . ■■

بريد القـراء

بقية المنشور على صفحة ٦

نشرها بشرقنا العربي خير من تعلم لغات قومية ؟

نسيف اسحق ـ الدوحة قطر
مندوب الهيئة الدولية للاسبرانتو
بالشرق الاوسط

«العربي» : لا . لا نشجع ، لأسباب : السبب الأول ان اللغـة الاسبرانتو لم تنتشر انتشارا مذكورا ، ولن ينتفع بها فيما يحتاج اليه طالب عرفان ، من أي نوع ، ولا حتى سائح . ومـن المستحيل ترجمة مذخورات العرفان اليها من كل لغة ، من ادب وعلم وفن وصناعة ، الى آخـر ما هناك . وهذا سبب هو وحده كاف لرفضها وعدم اضاعة الوقت في تعليمها . والسبب الثاني انهـا لغة مستمدة من لغات غرب أوروبا، فلا نفع منها الا لاهل هـذا الغرب وهم نسبة ضـئيلة من سـكان الارض . ثم أين شـرق اوروبا : روسيا ، والأمم السلافية ، واليوغسلافية ؟ وأين الوطن العربي ؟ وأين الهند ؟ وأين الصين ؟ وأين افريقيا ؟ أم يـراد لهـذه الامم أن تتعلم اللغات الأوروبية اللاتينية لتكون بابا الى تعلم اللغـة الاسبرانتية .

ان الاسبرانتو امل" اقرب منه كثيرا صعود الناس، الوفا مؤلفة ، الى القمر ، والى الكواكب !

الزهراوي ... وابن زهر

● لمناسبة المقال القيم الذى كتبـه الدكتور العلامة ، رئيس تحرير مجلة «العربي» القراء عن « ابن زهر » رأيت ان اشير الى ان لدى مجلدا ضخما مكتوبا بخط اليد ، يحتوى على جزئين ، السادس والسابع ، من كتاب اسمه « التصريف لمن عجز عن التاليف » ، تـم نسخه سنة ١١٩٦ لفائدة احد حكام صفاقس فى ذلك العصر ، وقـد جاء فى أول الجزء السادس انه من « تاليف الطبيب الماهر الحكيم ابى القاسم خلف بن عباس بن زهر ، الشهير بالزهراوى » ، كما جـاء فى اول الجزء السابع ما ترجم به أحمد بن خلكان للمؤلف بقوله: « كان طبيبا واديبا وشاعرا » ، وأثبت له قطعا من شعره ، وقال بعد ترجمة طويلة انه توفى بطليطلة بالاندلس عام ٤٢٢ وهو ابن ٨٦ عاماً .

وقد ورد ذكر هـذا الكتاب ومؤلفه فى كتاب العلامة احمد تيمور « التصوير عند العرب » وذكر انـه مشهور « بالزهراوي » ، لخلف بن عباس الزهراوى المتوفى عام ٥٠٠ هـ ، وبه صور كثيرة لآلات الجراحة ، وطبع فى الهند علىالحجر .

كما جاء في كتاب «الاعلام» للزركلي : « خلف بن عباس الزهراوى ابو القاسم المولود سنة ٤٠٣ والمتوفى سنة ٥١١ هـ ، أشهر من الف في الجراحة من العرب ، له كتاب « التصريف » في نحو عشرين جزءا ، وهو اول من استعمل ربط الشرايين لمنع النزيف ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية » .

هذا واذكر ايضا ان الجامعة الطبية بالمانيا احتفلت بمرور الف عام على وفاة هذا العالم ، اعنى « ابن زهر » كما اذكر ان الجزءين اللذين عندى من كتابه يحتويان على ما يقرب من ١٤٠ صورة للآلات الجراحية عند العرب ، وفي ثانيهما خاصة شرح المفردات الطبية .

هذا ما رايت ان ابعث به الى « العربي » عسى ان يكون من قرائه من يرشدنا ان كان صاحب هذا الكتاب من افراد الأسرة « ابن زهر » التى تحدث عنها السيد رئيس التحرير ، أم انه شخص آخر لا ينتمى الى هذه الأسرة ؟

ابراهيم بو رقعة المحامى
صفاقس — تونس

زنوبيا بين كاتبين

● في مقال الدكتور محمود زايد عن « زنوبيا ملكة تدمر » الوقائع الآتية :

١ — ان الحظ لم يحالف زنوبيا في معركتها الاولى قرب انطاكية فارتدت الى حمص .

٢ — ان اورليان كتب الى زنوبيا يدعوها للاستسلام وذلك عند وصوله الى تدمر ورؤيته مناعة المدينة واستعدادها .

٣ — ان زنوبيا كانت ترجو ان تتلقى المساعدات من الفرس والعرب والارمن ، فلما رأت ان لا نجدة هناك صممت ان تذهب بنفسها الى الفرس وتسللت ليلا لعبور الفرات .

٤ — ان زنوبيا توفيت نتيجة امتناعها عن تناول الطعام .

واحب ان أشير هنا الى أن المؤرخ الفرنسي « البير سانفرو » قد أورد هذه الوقائع بصورة تختلف تماما عما اورده الدكتور محمود زايد .

فقال عن النقطة الأولى انه على أثر بعض المناوشات بين جيش الملكة زنوبيا وجيش الامبراطور

اورليان ، انسحب هـذا بجيشه متراجعا فعادت زنوبيا مع جيشها مطمئنة الى انطاكية ، واقيمت فيها الحفلات وأعياد النصر ، وفاجأ اورليان انطاكية وهي في نشوة أعيادها وقـد اهملت حراستها ، فاحتلها بهجوم مفاجيء وهربت الملكة مع فصائل جيشها الذي جمعته نحو حمص ، وبالرغم من ان سكان انطاكية قد حالفوا الملكـة زنوبيـا الا ان امبراطور الرومان عاملهم بالسياسة واصدر عفوا عاما فاعلنوا له الولاء .

ويقول عن الواقعـة الثانية : ان الامبراطور الروماني قـد حاصر تدمر وطال الحصار وكان التدمريون مطمئنين الى المستقبل ولهم من الغذاء والمؤن ما يكفيهم لمدة ثلاث سنوات ، وكان ان قام الامبراطور بهجوم اخير كلفه كثيرا من الدماء دون طائل ، وخوفا من أن يفاجئه فصل الشتاء كتب لها يقول : « من اورليان امبراطور روما الى زنوبيـا ملكة تدمر . ان هذه الحرب قد طالت فوفري على مدينتك قساوة المنتصر . استسلمي فحياتـك مصانة . شرط أن تقبلي الاقامة التي اعينها لك بعـد ان استشير مجلس شيوخ روما . ستبقى لتدمر المدينة ادارتها واقتصادها كما في الماضي . أما اموالك وأموال خاصتك وعائلتك فستودع في خزينة روما » .

ويقول عن الواقعة الثالثة : ونتيجة للحصـار الطويل تململت طبقة رجال المال والتجار فاخذوا يميلون للاستسلام للرومان . ولما قويت الفكرة لديهم وتسربت لنفوس القـواد ، اضطرت زنوبيا لترك المدينة سرا والاتجـاه شمالا نحو الفرات لطلب نجدة الفرس ، وفيما كانت تهم باجتياز النهر اذ بكوكبة من الخيالة تحيط بها من كـل جانب ، واذا هي أسيرة الرومان .

ويقول عن الواقعة الرابعة : ان زنوبيا اتفقت مع بعض شيوخ روما اثناء مقامهـا في قصر التيفولي الذي خصصه لها اورليان ، على مؤامرة ضـد اورليان . فلما علم بالخطة اعـدم الجميع ، الا زنوبيا ، التي تركت في السجن فريسة للجوع حتى جاءها أحد العبيد فخنقها . أما جسدها فقد ترك في الفلاة ، فريسة لجوارح الطير والوحوش .

أوفر الاورفلي ـ حلب

« العربى » فى الدنيمارك

● أراسل فتاة دنيماركية من « نايبورغ » وفى احدى رسائلها طلبت منى أن ابعث اليها احسن مجلة عربية فارسلت اليها مجلتكم الغراء «العربى» والذى ادهشنى انها طلبت منى أن ارسلها لها كل شهر . فلقد قالت لى فى رسالتها : « لست أدرى يا صديقى كيف أعبر لك عن مدى اعجابى بمجلتكم! انها كنز يحتوى على كل ما يريده الطالب . ففى تصميمها ابداع ، وفى اخراجها قوة ، وفى مواضيعها حيوية .. فاشكرك يا أخى كما اشكر اصحاب المجلة » .

وها أنا بدورى كذلك امد يدى مصافحا ومهنئا على نجاحكم الكبير .. لقد قمتم بعمل جبار لخدمة الأمة العربية . والحمد لله على أن أصبحت لنا العربى سفيرا فى الدنيمارك ، يعبر عن آرائنا وافكارنا واهدافنا السامية . وأظن أن صديقتى هى الثانية بعد «اريك كريستنسون»واسم صديقتى Hanne Madsen وعلى سبيل الذكرى ، فانا اعلمها منذ مدة طويلة اللغة العربية بالمراسلة والكتب فاصبحت تتكلمها بطلاقة . وقد أصبحت رسائلها لى بالعربية . وهى بدورها أرسلت لى كتبا باللغة الدنيمركية ولكنى ما زلت ضعيفا فى التكلم بها .

وفقكم الله والسلام .

غازى حسين الشمالى
صيدا ـ لبنان ـ مارديتى

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان : ....
....
....

من شعر القراء :

اللقـاء الدامي

● رأى الشاعر بعض اخواننا العرب المقيمين في المنطقة المحتلة من فلسطين الحبيبة ، أثناء عبورهم بوابة « مندلبوم » الى القدس العربية ، في عيد الميلاد المجيد ، فأوحى اليه المشهد بهذه الأبيات الباكية الثائرة :

عشـرات من الخـلائق تصـبو
للقـاء علـى ثـرى (بـوابه)
منظـر يمـلأ القلـوب كآبـه
صوَر الشوق فيه .. كم تتشابه !

كلٌ مشتـاقٍ الى اللقـاء يغنّي
هي في العيـد فرحـة وانتشـاء
هـي في العيـد نظـرة لقـريب
هـي في العيـد نقمـة تتلظـى
... نقمة في غـدرٍ تحطّم قيـدا
لِمَ في العـام « مرةً » يلتقي النـا
هـذه « فكرة » أتت من عقـول
هـو لن ينسـى ، يا لئـام ، فلسـ
فاخسـأوا ، انّ للعروبـة سيفا
هـي في « القـدس » ثورة في لقاء
ليس من جاء زائرا للزويـه
... راضيا بالـذي يشاء دخيلٌ
بل هو الحـر .. والحـوادث تترى
.. هـاتفا من قلبـه : يا عـدوى
فانتظِـرْ ثورتي عليـك سـعيرا

كل ذي خـافق يناجي صحـابه
وصـلاةٌ علـى الشفاه مذابـه
من قـريبٍ مفـارقٍ احبـابه !
في الخفـايا .. الى الوغى وثّابـة
بيـدِ حـرةٍ ، وتلقي الرقـابه
زح بالأهـل ؟ هل ليَنسـى ايـابه ؟
مظلمـات ! ومن ضمير الغـابه
طين ، ولن ينسـى سهله وترابـه
باتـرا يَصـرَعُ العِدى بصلابه
عابر ينشـر الأسـى والكآبه
والتنـائي محطّـمٌ أعصـابه
عابثٌ .. مجرمٌ .. يسلّط نابه !
مسـتعد بهمـة غـلابه
أنت لا تسـتطيع قتـل ذبابـه
يسحق الظلم .. ليَستشيفَ ضبابه

احمد عبد احمد بيت لحم ــ الاردن

العربي

العدد ٤٠
رمضان ١٣٨١
مارس
(آذار) ١٩٦٢

مع هذا العدد

هدية ثمينة
+
العربي الصغير

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

عربية من المغرب

الثمن

ويت	١١٠	فلوس
خليج العربي	٢	روبية
سعودية	٢	ريال
يمن	٥ر٣	شلن
عراق	١٢٠	فلسا
نان	١٠٠	قرش
ردن	١٠٠	فلس
سوريه	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
سودان	١٠	قروش
يا	١٥	قرشا
نس	٢٠٠	فرنك

اذكروا الأمهات فى عيد الأم ــ ٢١ مارس (آذار)

عزيزى القارىء :

نحن نكتب
وانت تقرأ
فهل سالت نفسك مرة كم انت تنتفع من قراءة العربى ؟

العربى تعطيك : ثقافة عــامة
ثقافة خاصة
تهديك فى جسمك
تهديك فى نفسك
تهديك فى وطنك
وتروح عنك احيانا

فاسال نفسك بعد قراءة كل مقال ، كم استفدت من المقال . وكم اضعت فى قراءته من زمنك الثمين . ان كنت استفدت بمقدار ما من زمن بذلت ، فما قرات حقيق بالقراءة . والا فاكتب لنا ونحن ننظر . .

وهذا عيد الفطر قريب ، فالى كل مسلم وكــل عربى ، وللانسانية جميعا دعوتنا الخالصة ، ان يمن الله علينا جميعا بنعمة السلام والخــير العميم ان شاء الله .

وكل عام وانتم بخير

المحــرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٥١٨١ ـ تلغرافيا « العربي »

العنوان ببيروت : ص . ب ٤٦٧٩ ـ العنوان بالقاهرة : ص . ب ٢٧٢

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● قفزت الفتاة المغربية قفزات كبيرة فى ميدان العلم . وهذه صورة الآنسة رُقَيّة كريمة المجاهدين المعروفين ، المذكورين بالخير فى تاريخ المغرب الحديث : الأستاذ محمد الفاسى مدير الجامعة المغربية وعقيلته السيدة مالكة الفاسى .. وقد ذهبت الآنسة الى باريس للتخصص فى علم النفس بعد ان أتمت دراسة الآداب .

(انظر استطلاعات الرباط ابتداء من صفحة ٦٨)

اجتماع وفن حياة :

ركن المرأة :

شعر وشعراء :

قصص :

كتب :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ر٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الأردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

وعد بلفور المشئوم

● تحية خالصة وبعد : فقد قرأت فى كتاب « التاريخ الحديث والمعاصر » تاليف الأستاذين محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم ، وهو كتاب يدرس فى المدارس الثانوية صفحة ٣٢٦ ط. ١٩٦١ ما نصه : « كانت الحكومة البريطانية قد أصدرت فى أكتوبر سنة ١٩١٧ على لسان وزير خارجيتها مستر بلفور تصريحا بالتزامها انشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين ... الخ » .

والذى أذكره وأظنه – وبعض الظن اثم – ان ما سمي بوعد بلفور جاء فى رسالة بعث بها لورد آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا الى روتشيلد الذى كان يهوديا روسيا من سكان مانشستر فى اليوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ هذا نصها الحرفي : –

« عزيزى لورد روتشيلد » :

يسرنى ان ابعث اليكم باسم حكومة جلالة الملك هـذا التصريح المشوب بالعطف على الأمانى الصهيونية ، والذى عرض على الحكومة ووافقت عليه .

« تعتزم الحكومة البريطانية اقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل كل ما لديها من جهد فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، هذا ، مع العلم بأن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوى على أى مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ولا بحقوق اليهود الذين يعيشون فى دول أجنبية أو نظم أحوالهم الشخصية .

« وأكون لك شاكرا لو تكرمت بابلاغ هـذا التصريح الى اتحاد الهيئات الصهيونى » .

امضاء

(آرثر جيمس بلفور)

فاى التاريخين الصحيح ؟ أهو ما جاء فى كتاب الأستاذين الفاضلين ويدرس للطلبة ؟ أم ما تواتر عليه الناس وأذكره أنا ؟ أرجو الجواب ولكم الأجر والصواب ... مع أطيب التمنيات والسلام .

عطية حسن القاضي

مهندس رى الدلنجـات – ج . ع . م

« العربى » : فى الحادى والثلاثين من (أكتوبر) سنة ١٩١٧ وضعت الصيغة النهائية لوعد بلفور ، بعد ان مرت بمراحل أربع سابقة هي : الصيغة الصهيونية (يونيه ١٩١٧) ، وصيغة بلفور (أغسطس ١٩١٧) ، وصيغة ميلنر (أغسطس أيضا) ، وصيغة ميلنر – أمري (٤ أكتوبر ١٩١٧) ، وفى كل صيغة يجري تعديل حتى استقرت على صورتها المعروفة .

وفى ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) صدر هذا الوعد على شكل رسالة موجهة من وزير الخارجية ، بلفور ، الى اللورد روتشيلد ، على نحو ما ذكرتم .

جائزة تنتظر صاحبها

● كان السيد عيسى بوضياف الجزائرى هو الفائز بالجائزة الأولى فى مسابقة العدد الرابع والثلاثين من « العربى » وقدرها (٣٠) دينارا . وقد ارسلت اليه قيمة الجائزة بصك (شيك) رقم ٣١٩ مسحوب على بنك باركليز بلندن بمبلغ (٣٠) جنيها استرلينيا تاريخه ١٩٦١/١١/٢٣ ، بخطاب موصى عليه بعنوانه ص . ب (٧٦١) اكدال – الرباط – المغرب ، فرد الشيك والخطاب لعدم وجوده .

مطلوب منه أن يوافينا بعنوانه الصحيح لارسال المبلغ اليه من جديد .

الانسان الأول : أين عاش ؟

● لقد قرأت في العدد ٣٦ من « العربي » ركن أنباء الطب والعلم والاختراع صفحة ١١٢ ما نشرتموه عن اكتشاف جمجمة صبي عاش منذ ٤٠ الف سنة في سروالد بجزيرة بورنيو في الجنوب الشرقي من آسيا عند اندونيسيا ، وجاء في الخبر « ان هذه هي اقدم رفات عرفت للانسان حتى اليوم ... » مع اني قرأت من قبل ان اقدم بقايا عظمية عرفت حتى الآن ، حسب ما قرر علماء الدراسات الانثربولوجية وعصور ما قبل التاريخ ، هي بقايا انسان بيكين ويعرف باسم Sinourthropus Pekinensis وبقايا انسان جاوة ويعرف باسم Pithecanthropus Erectus وترجع هذه البقايا الى نصف مليون سنة على الأقل .

عبد الحق المربني
الحمدية ــ المغرب

« **العربي** » : ان انسان بيكين الذى سميته Sinourthropus ، وصحته Sinathrapus ، وانسان جاوه Pithecanthrapus ، كلاهما ليس بالانسان الذى يشبه انسان اليوم ، اذا ما قورن رأسه والمخلفات من عظامه بمقاييس رؤوس الانسان الحاضر وعظامه ، وكلاهما مما يطلق عليه علماء البشر Pithecanthrapus ، أى الانسان القرد Ape-Man ، ولو انك عرفت اللغة اليونانية لادركت ان لفظ Pithec معناه القرد . وكلا النوعين عاش من نحو نصف مليون سنة ، وهما غير الذى كشف عنه الحافرون حديثا ، والذى نشرنا خبره في « العربي » ، فتلك الجمجمة التى ذكرنا تشبه جماجم انسان اليوم ، ولذلك عدوها اقدم رفات لانسان ، لا لانسان قرد .

اقتراح باصدار اعداد خاصة

● تصفحت العدد الممتاز لشهر كانون الثاني ١٩٦٢ فوجدته آية في الابداع بما حواه من مقالات أدبية وعلمية وثقافية واقتصادية وغيرها ، واني انتهز هذه الفرصة السعيدة بأن اقدم لكم اسمى التهاني . وياحبذا لو تصدرون اعدادا خاصة من المجلة عن كل قطر من الاقطار العربية تبحثون فيه من كل الوجوه أحوال الاقطار العربية ولكم جزيل الشكر ،

مجد الدين أديب ــ اللاذقية سوريا

هذا رقم الشيك وتاريخه

● كنت أحد الفائزين في مسابقة العدد ٣٥ بجائزة قدرها ٥ دنانير ، كما هو منشور بالعدد السابع والثلاثين ، ولكن لم تصلنى قيمة الجائزة بعد .

حميد عبيد

« **العربي** » : قيمة الجائزة ارسلت بشيك بتاريخ ١٩٦١/١٢/٢٧ ورقمه ٧٧٩/٧٢ مسحوب على البنك البريطاني في دبي .

هذا هو عنوانه

● قرأت في العددين الأخيرين رسالتى الدنمركي السيد اريك كريستنسيون الذى يطلب ان تكون جائزته شيئا عربيا يحتفظ به كتذكار للبلاد العربية . لذا ساكون شاكرا لكم اذا تكرمتم وارسلتم لي عنوان ذلك السيد الدنمركي لكي أتمكن من مراسلته وارسال هدية عربية له ، تقوية للروابط الودية بين الشعب الدنمركي وشعوب الأمة العربية .

موسى صنوبر
الزرقاء ــ الأردن .

« العربي » : نشكر لك هذه الأريحية ، ونفيدك بان عنوان السيد كرستنسيون هو :

ERIK CHRISTENSEN
Sdr Viestrup
Sdr Jylland
DANMARK

أمومة

- الأمومة أصل من الأبوة ، في الحيوان والانسان
- حيرة الأم بين واجبات الزوجة والأم
- الأم اليوم خادمة غير مأجورة ، ولا مشكورة

- هل آن أن يكون للأمهات عند التقاعد معاش ؟

■ قالوا هذا عيد الأم . .

قلت انعم به عيدا كريما في الأعياد . .

قال فاذكره ، واذكر فيه الأم بالخير . .

قلت الأم مذكورة بالخير دائما ، في كل العصور والآباد . .

اعياد واعياد

ان اعياد بني الناس بدات اعيادا دينية، فيما قبل المسيح ، وفيما بعد المسيح . والى اليوم يسمى الانجليز ، ومن اتخذ لغتهم لسانا ، يسمون اعيادهم « هولي ديز » Holidays ، اى الأيام المقدسة . واقتدى اهل حقبة من الزمان بمن سبقوهم فى الحقبة الأخرى . والاعياد الوثنية صارت اعيادا مسيحية . وعيد المسيحيين الاكبر ، عيد الميلاد ، لم يبدأ مع المسيحية . وانما هم اصطنعوه بعد فوات قرون . والمولد النبوى ما كان

يعرفه المسلمون الأولون . انها بدعة ابتدعها الفاطميون . افكانت اقتباسا مما سبق به المسيحيون ؟

وصار للرجال النابهين فى الأمم اعياد : اعيادُ ميلاد . وقلّت الأعياد ، أعياد الميلاد ، فزادوها اعياد وفاة . وسمّوها يومَ ذكرى .

وحتى الرجل الفرد ، صار له كل سنة مولد يُحييه . وصار للمراة ، الى حين تنبهم فى تصوُّر المراة السنون ، ثم تتضح من جديد عندما يأخذ الشعرُ فى ابيضاض ، وتضيع نعومة الوجوه . .

واتسمت الأعياد القومية بذكرى اشخاص ، نعم ، ولكن كان من وراء هؤلاء الاشخاص معانٍ يُراد تمجيدها . فذكرى الأنبياء انما كانت لتمجيد الرسالات . وذكرى الأبطال انما كانت لتمجيدِ ما نبع عنهم من بطولات . وذكرى الكتّاب والشعراء انما كانت ذكرياتٍ لتمجيد محاصيل العقول ، ومحاصيلِ القلوب ، فى بنى الناس . كاللفظ نؤكّده ،ونكتبه ، ولو بماء الذهب، وما قصدنا من ورائه الا المعنى .

الأمومة أشمل المعانى التى تنال التمجيد

ولم اجد اشمل فى المعانى التى ينالها التمجيد من معنى الأمومة . ذلك لأنها تتصل بالأمومة فى كل الأمهات ، من عهد آدم الى ساعة تقوم الساعة .

وهي أمومة فى الانسان ، وأمومة فى الحيوان ، وأمومة حتى فى الحشر . وأمومة حتى فى الشجر .

وقالوا : فما بال الأبوة . .

وابتدعوا يوما للأبوة فما أصاخ له ، ولا رضي به ، الا القليل .

والأبوة فى الحياة ضرورة لازمة لتبدأ الحياة ، فى شتى مظاهرها فى الأرض ، ثم لا يكون لها ، عندما تتنشأ الحياة بعد ذلك ، نصيب كبير مذكور .

الأمومة ، لا الأبوة ، فى النبات

ان النبات يزهر . ويلقّح الذكر الأنثى ، فى لقاء ثانية ، ثم ينفضُ . وتتلقّف الأنثى بذرة الحياة الأولى . تجعل منها جنينا ، ثم ثمرا ، تضمّنه من البذور ما يؤمّن الحياة . وهي تقضى فى ذلك الشهر من بعد الشهر . ولا يدرى اللقاح الذكرُ مما يجرى شيئا . ولا تدرى الأنثى ، لو قد دَرَتْ ، من أين هو قد جاءها .

الأمومة ، لا الأبوة ، فى الحيوان

وفى الحيوان : نقطة ينقطها الكلب فى وعاء الحياة من الأنثى ، ثم ينقطع شأنه انقطاعا حاسما . وتظل الأنثى هى الحاملة، وهى المغذية ، وهي المنمّية . ويخرج الوليد فيكون فى رعاية امه أشهرا ، ترضعه وتحدبُ عليه ، وتدفع عنه ، وتعلّمه من

خبرة الحياة الكثير . وتخرج الأجراء لا تعرف ابا ، ولكنها تعرف أمّاً . والأم تلاعبها ، وتشاكسها ، وتساقطها ،وترمى بها ، لتعلمها الدفاعَ فى الحياة .

وكالكلاب القطط . وكالقطط والكلاب، فى الخلق ، بنو الناس .

ولد الانسان ، أعجز الولدان بين الخلائق

ان الرجل يقطرها قطرة ، وتبقى الأم تعانيها تسعة أشهر طوالا .

فيخرج الوليد وهو اعجز الولائد جميعا، واقلها استعدادا للحياة . لو ترك ساعات دون عناية فقد يموت . وتقوم الأم بمطالب هذه العناية جميعا ، وما أكثرها ، وما اعقدها . وما أكثر متاعب الأم نهارا ، وما اكثر سهرها وقلقها ليلا . وتسهر وينام رَجلها .

دنيا الوليد ، دنيا أمه لخمس سنوات

خمس سنوات لا يعرف الطفل من دنياه غير دنيا أمه .

خمس سنوات يتعلق فيها بالأم ، وتعلق الأم به ، وتبعا لهذه العلاقة تكون صحة تكوين الصبى الناشيء او فساده .

ان الأم لا تغذى فحسب . ولا تلبس الطفل وتنظف فحسب . انها تصنع جسمه وتصنع نفسه معا . وكما يطيب الصبى الناشيء جسما ، او يسوء ، يطيب كذلك أو يسوء ، نفسا .

وحتي فى الحيوانات لا يكون تعلق الوليد بأمه تعلق طعام ، فحسب ، ولا شراب ، فحسب . ولا قضاء حاجات للجسم فحسب ، ولكن لحاجات اخرى ، لا يفهمها الوليد ، وانما يدفع اليها الطبع وتدفع الفريزة . ومن هذه الحاجات تأمينه فى دنياه الجديدة من خوف .

ان فرخ البط ، تنفقس عنه البيضة ، اقدرَ ما يكون على التقاط غذائه بنفسه، بقليل لا يكاد يذكر من العون من أمه ،

طفلة من قرد ريسوس ، فقدت امها ، فصنعوا لها أمّاً من قطن، كانت ترقد فى حجرها كلما فرغت من طعام ، بحكم الغريزة الهادية حين لا يهدى العقل .

ومع هذا هو يتبعها حيثما سارت .. لماذا ؟ طلبا للأمان من خوف ..

فرخ الدجاج

وفرخ الدجاج ، ينفقس من البيض فى المفارخ ، لم ير قطُّ اما ، ولم يحس بدفء أمٍّ ، يحرّك امامه الشيءُ اللامع ، فيتبعه كما يتبع الأم تماما . انه يحسب انه الأم ، بحكم الغريزة ، فهو يتبع ، لأن فى اتباعه اياها حمايةً من التهلكة . هكذا تقول الغريزة لو سئلت، ولا يقول الفرخ .

والقرد يفزع الى أمه ، وهى من قطن

والقرد ، المعروف بقرد رِيسوس ، ربّوه من بعد ولادة ، عند أمٍّ صنعوا هيكلها من السلك ، ولفوه بالقطن ، وجعلوا لها راسا ، زودوه بعينين تشبهان عين الأم . ويطعمون الوليد الصغير بمعزل عنها ، ثم اذا به يأتى الى الأم ،

صورتان :

الصورة الأولى لطفلة من قرود ريســـوس ، لا ام لها ، وسكنت فى حجر أمها المصنوعة من قطن . واخذت تنظر الى دب من حشو ، مما يلعب به الأطفال ، يقترب منها .

شخصية الرجل تشكلها أمُّه فى الطفل الذى سيكون رجلا

ان الطفل ، كل طفل ، كالرجل البالغ، والمرأة البالغة، له عقل يعمل منذ ولادته. وتمضى الأيام والأشهر فيقوى وعيه . والوعى ظاهر وباطن . ووعى الطفـل كوعى الرجل البالغ ، تدخله التجـارب منظورةً مسموعة ، ثم هى تدخل خزائنها فى الوعى الباطن فتستقر هناك سـنين طوالا . وسنوات الطفل الاولى سنوات حاسمة فى تشكيل شخصية الطفل التى سـوف تكون، بما ستتضمنه هذه الخزائن فى الوعى الباطن . والعامل الأول فى تعيين هذه الخزائن ، ما تكون ، وكيف تكون ، هى الأم ، صاحبة الطفل الأولى صُحبةً تكاد ان تكون دائما متصلة .

والصورة الثانية لنفس الطفلة القردة ، وقد وقع فى نفسها الخوف من الدب الذى يقتـرب فلما تمكن منها الخوف قامت تفزع الى صدر امها ، تلك المصنوعة من قطن ، تماما كما لـو كانت امها من لحم وعظم .

هذه الجامدة ، فيستقر عند حجرها ، تماما كان يفعل لو انها كانت ذات حياة (انظر الصورة) .

ويُخرجون الى هذا الوليد ، القـرد ، دبًا من قماش ، فيبدا ينظر فى ريبـــة (الصورة الأولى) ثم يخاف أكبر الخوف، ويصرخ ، ويجرى نحو هذه الأم ، وهى من قطن ، ويفزع اليها يطلب الحماية ، كما قـد كان فعـل لو انها أمٌ حية (الصورة الثانية) .

وكل هذا سقناه لنقول ان علاقـــة الوليد من بنى الناس ليست علاقة طعام وشراب ، وحاجات جسم ، ووظـائف أعضاء فحسب ، وانما هى لعلاقـــات تتصل بحاجات أخرى من حوائج الحياة، منها الحاضر ومنها المستقبل .

وهى متصلة بحكم غريزة الأم التي لا تصبر على ترك ولدها . وهى متصلة بحكم غريزة الطفل الذي يصرخ عند ترك أمه أياه ، خشية الفراق فالضياع .

ان علماء النفس يرون أن الكثير من عقد الشباب، انما تنعقد فى دور الطفولة فى هذه السنوات الخمس الأولى .

الأمومة دراسة ليست بالهيئة

الأمومة فى الحياة عامة ، اذن ، ليست بالواجب الخفيف . ان الأمومة اصل الكون ، واصل الحياة المركبة فى شتى درجاتها على سطح هذه الأرض .

ولكن اشق الأمهات عنتا انما هي أم الانسان .

والأم فى البادية شىء .

والأم فى الحضارة شىء .

البادية مطبوعة . والحضارة مصنوعة . لهذا لا يكفي فى الحضارة

الحيوانات كالانسان ، تحتضن الأمهات فيها البنين والبنات ، ويجد هؤلاء فى احجار امهاتهم الدفء والطمأنينة . والصورة لقردة من نوع ريسوس ، وطفلتها .

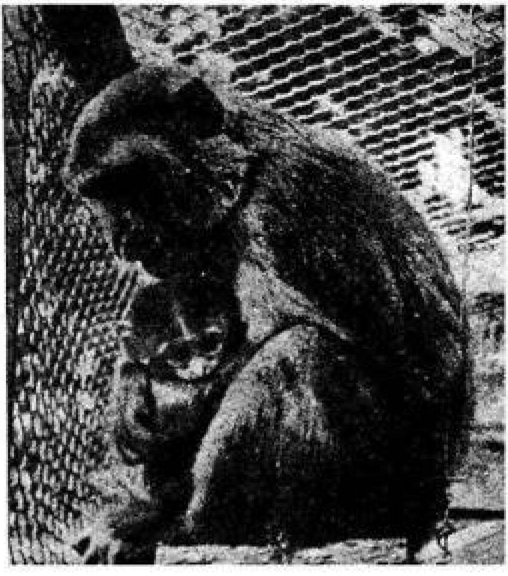

المصنوعة ما عند الأمهات ، على الفطرة ، من اساليب على الفطرة مطبوعة .

الأم فى المدينة واجبها اكبر . ان عليها فى هذه المدينة المصنوعة أن تصنع من الأولاد ما يتفق وهذه المدينة ، وفقا لما اخرجه علماؤها ويخرجونه كل عام ، من كشوف تتصل بنشأة الأطفال .

الامومة اذن دراسة .

الأم ليست اذن وعاء حمل فحسب ، ولا مرضعة فحسب ، ومغذية وكاسية ، ولاعبة مع طفلها فحسب . انها تشكل الرجل ، تشكل جهازه النفسى ، هذا الصغير ، الذي سوف ينمو ويكبر ويكون ذاك الجهازَ النفسى الكبير .

والعلم كشف من هذه الشئون الشىء الكثير . وكثر فيها ، فى لغات الغرب الكثير المنشور .

الأم ، ام وزوجة ، فى آن

واجبات الأمومة ذكرتها ، ذكرت بعضا منها . وما يجب ان تنسينا هذه واجبات الزوجة .

الأم تفنى فى العمل لطفلها ، وتنسى ، فتهمل زوجها ، فيغار بعضُ الرجال . يغار الرجل حتى من طفله . هكذا يقول النفسانيون ، ويقول الخبيرون . وانا اؤمن بالذى يقولون . اؤمن بجواز هذه الغيرة أن تكون، ذلك لأن احساس الرجل بالأبوة ، اضعف كثيرا جدا من احساس المرأة بالأمومة . وكذا احساس الطفل بالبنوة لأبيه . ان علاقة الطفل بأبيه تنمو بالمران . والطفل يألف زوج أمه ، من بعد ابيه الذى مات ، تماما كما كان يألف أباه لو انه عاش ، وبذلك المقدار .

وواجبات الأمومة ، وواجبات الأزواج، شيئان متعارضان . والأمومة والزوجية، نقصٌ فى هذه زيادة فى تلك ، وزيادة فى هذه نقص فى تلك، وتوزِّع المرأةُ واجباتها بينهما بالقسطاس

وكم ساءت علائق الأسر بسبب عناية الأم أكبر العناية بالولد ، وبسبب عنايتها اقل العناية بالزوج . والزوج ، حتى على الولد ، يحب أن يرى زوجته كما رآهـا اول مـرة ، وهي عـذراء ، فاتنـة . وهيهات ..

انها ادوار حياة يجب ان يتأقلم لهـا الرجـل . وعلى المـرأة أن لا تبالغ فى النسيان .

جهاز الأمومة له طاقة محدودة

والمرأة غير الأم .

المرأة لا تسمّى أمّاً الا اذا هى أنتجت ولـداً .

وجهاز الأمومة ، ذلك الذى يصنع الولد ، له طاقة محدودة . انه ليس من فولاذ . انه من لحم ودم ، واعصاب . يُصنَع الولد الواحد فيه فى العام الواحد، ثم هو لا بد ان يستريح لأعوام .

ان الحمـل والوضع تجربة شاقة . شكت لي أمٌ زوجا لهـا يريد الكثرة ، قالت : ما كان أجدر بالرجال أن يحملوا مرة ، اذن ما غالوا فى طلب الأولاد .

ورجل قال مدافعا : انهـا الطبيعـة تتخذ مجراها ، وهى التى تقبل صنع الولد من بعد ولد . وكان رجلٌ ممن يرون القلّة حاضرا . قال لو اننا اتبعنا الطبيعة لمشى الرجال والنساء فى الارض عرايا ، فاللباس مصنوع لا مطبـوع . واذن لتركنا الشعور والاظافر تطول ، وكذا الشوارب واللحى . والمكروب تأتي به الطبيـعة ولكنـا ندفعـه بالعقار المصنوع .

قلت سائلا إياه : كم ولدا ترضى ؟ .

قال : اثنين يملآن الفراغ الذى نترك عندما نموت ، وثالث نحتاط به اذا غدر الزمان .

احترام الامومة ، طبع لا يضعف ابدا فى الانسان

قال آخر : انا لا ارضى الا بعشرة، ومع العشرة الفخر .

فسأل الاول : والنفقة ؟

قال : انا انتج والله يرزق ، والكبير يحمل عبء الصغير .

قال الاول : انه اذن جيل يورِّث الفقرَ جيلا يأتى بعده . وللام الضعف والمرض، واستهلاك شـباب قبـل ان تستهلك السنون والاعمار . والمرأة عندكم أمُّ ولد. وتذبل المرأة فما اسرع ان تستبدَل .

قلت : حسبك يا هذا ، حسبك . ان كل اختلاف رحمة . فلولا الأسود ما بان الأبيض ، ولولا الطرفان ما بان ما بينهما من الوان .

الأم عمـاد الأسرة

اني كلما فكـرت فى المجتـمـع ، اى مجتمع ، وجدت ان المجتمع لا يكون الا بالأسرة . والأسرة لا تكون الا بالزوجة . والزوجة لن تشبع مطالبَ الأنوثة الا بالأمومة .

وانظـر ما صنعت الايام بالأسرة . فبالأمومة ، فأجد الأم قـد صنعت العجب . فعلت ما فوق الطاقة ، عـن رضى او غصبا .

الرجل الكاسب ، لا شك فى هذا .

وللمراة ادارة كل ما كسب . وتربية كـل ما أنجب . فهي كعمـاد الخيمـة الأوسط ، ذلك الذى يقيمها . اذا انهدَّ ، سقط سقفها على الأرض . ويريـد الرجل أن يقيمه ، فـلا تقيمه الا امراة اخـرى . المـراة اذن هـي البيت ، فى الاصباح والامساء .

وانا لا اتحدث عن المراة فى القصور .

وانا لا اتحدث عن المراة فى الأكواخ .

وانما اتحدث عن المراة الام فى البيت العصرى ، فى مدينة او ريف : حجراتٌ محدودة ، وكسبٌ محدود ، فى زحـام المدينة ، أو خلخلة الريف .

لا خدَم ولا حشم . ذهبت البيوت التى كان بها الخدم . والبيوت التى بها الحشم سبقت فى الذهاب . وربة البيت، فى اكبر عواصم الأرض ، تقوم اليوم بكل شيء من حاجاته : غسل . طبخ . صناعة ثوب . ترقيع خِرق . والموائد ترفعها ، وتغسل الصحون . ويضاف الى هذا كله واجبات الأمومة ، ومع واجبات الأمومة واجبات الزوجة .

ما أكثر ما تغير الزمان

تغير الزمان وتبدل عند الكثرة الكُبرى من سكان الأرض ، اهل المدينة ، فى شرقها والغرب .

وحملت المراة ، ولا سيما الأم ، عاقبة كل هذا التبدل والتغير . والذى لم يصبه هذا بعد ، فما أسرع ما سوف يلحقـه السيل .

ليس عـلى الأرض بنـاج ، ما ظلت الأرض تدور ، وما طلعت الشمس .

والأمومة شاقة فى ذاتها ، على الثراء ، فكيف ، بها على الدخل المحدود . وكيف بهـا على الدخل الـذى يزداد كل يوم تحدُّدا . ولست أوجه الخطاب الى من اعفاهم الزمان من هذا ، بعض حـين ، يقصر أو يطول .

لا بد من تخطيط ومن اعادة تنظيم واستنباط وتدبير

الأمومة اذن لا بد لها من تخطيط ، ومع التخطيط ، لا بد لواجبات البيت من توزيع . بل لا بد لها من تدبير جماعى ، يأتلف وهـذا العصر الصناعي ، يخفف واجبات الأم فى الداخل . ويخرج بالكثير من واجباتها عن البيت .

ان الخبز كان يصنع فى البيت ، يُعجَن ويخبز . وتقدم الزمن فخرج عن البيت الى دور عامة تصنعه . حتى لقد سألتني امراة غربية ، فى بلد لا تزرع القمح ، عن هذا القمح ، ما شكله ؟

وكالخبز الكـثير من أعمـال البيت ، لا بد لها من تصنيع يتفق وهذه المدنية الحاضرة ، ويخفف عن الأمومة بمقـدار ذي بال .

وتحدثوا عن مشاركة الرجل لزوجته الأم فى غسل الأطباق من بعض طعام . وظن الكثير من أهل الشرق ان الأمر أمر دعاية تقوم بها الصحف . وما علموا ان هذه المشاركة قائمة فعلا فى الكثـير من بيوت الغرب .. والشرق بدرجة ..

معـاش للأمهات

ولقد قام قوم ، فى زحمة الواجبات التى تقوم بها الأمهات فى المنازل ، يطالبون

للمراة بمعاش للتقاعد . وفى راى هؤلاء الناس ان المراة الأم خادم بلا اجر . وكانت الخادم تطعَم وتكسَى . ولها فى البيت سقف . ثم قامت المراة ، الزوجة الأم ، مقامها . فان لم يكن لها كذلك أجرُ الخادم ، فلا أقلَّ من معاش للتقاعدُ ، حينما تنفض من امومة ، ولا يكون لها حتى واجبات الزوجة .

طالب نساء بذلك ، وضحك الرجال. وما أكثر ما يبدأ الجد بالضحك .

ان الذى يؤمّن حياة المراة ، من بعد فراغ من امومة ، عطفُ الأولاد . واريد ان اقول عطف الزوج ، فيحبس قلمي امثلةٌ اعرفها لم يكن فيها من رجال الا التنكر للجميل ، والا الأنانية . ومع هذا فقد ظل أكثر الرجال بخير . حملهم على الخير الطبع ، وحملهم ان السنين فعلت بهم ما فعلت بالأمهات . ثم حاجة الى الصحبة لا يجدهـا الرجـل الا فى الآلفة والذكريات الماضيات .

ومع هذا يبقى هذا المطلب قائما ، ان يكون للأمهات معاش تقاعـد ، وهـو فى قيـامه ، ولو بغير تنفيذ ، يذكر اهـلَ الغدر بأى قدر من الحقوق هم يغدرون.

أكثر الرجال ، الصالحون .

ان أكثر الرجال الصالحون ، واقلهم الغادرون . والسبب ؟ انهم آباء ، ثم ان نساءهم امهات ، والأمومة كما يتفتح لها قلب المراة ، ويَعتصره البلاءُ الذى ينزل بولدها عصرا ، فكذلك الأبوة لها فى ذلك المكانُ القريب الثانى .

والأم تصرخ ، والأب يكظم ، واحيانا ينفجر ويَغيض . وهـو أكثر انفجـارا وفيضا عندما تهلك الزوجة الأم ، عندئذ يدرك قيمة ما أضاع . وكثيرا ما لاتعرَف القيم الا عند الضياع .

ولقد سجل هـذا الفيض ، اروعَ تسجيل ، الشاعرُ القديم ، ابن الزيات . ماتت زوجته ، وخلفت له عُمَر ، فكتب يقـول :

الا من راى الطفـلَ المفارقَ أمّه
بعيدَ الكَرى عينـاه تسكبان
راى كلّ أمٍ وابنها ، غيرَ أمه
يبيتـان تحت الليـل ، ينتجيان
وبـات وحيدا فى الفراش تجيبُه
بلابـلُ شـوق دائمِ الخَفقـان
فـلا تلحياني انْ بكيتُ فانمـا
اداوى بهذا الدمع ما تريـان
فهذى عزمتُ الصبر عنهـا لاننى
جليـدٌ ، فمن بالصبر لابن ثمان
ضعيف القوى، لا يطلب الأجر حِسْبةً
ولا يأتسـى بالنـاس فى الحَدَثـان
فلم أر كالأقـدار كيف تصيبُنني
ولا مثـلَ هذا الدهر كيف رمـانى

وبذكر ابن الزيات ، اذكر فى هـذا الصدد شعرا لعله أوقـع ، ولعله آلم ، ولعله أكثر شجا . ذلك شعر كثيرٌ قاله عزيز أباظة ، الشاعر القاهرى ، فى رثاء زوجته ، الأم ، عندما ماتت ، وخلّفت له الاناث . قراته ونسيته ، ومع هذا خلّف عندى رايا : ذاك انْ لعل عزيزا فى رثـاء أمّ ولده بلغ من المجد فى التعبير والتأثير حدًا لم يبلغه هو فى شيء سواه بعـد ذلك . ولعل هذا لأن الحزن فى النفوس افعل ، ولدموع العين اسكب .

ونحن الرجال ، نذكر الآبـاء الماضين والأمهات الماضيات ، فنحنُ ونأسَى . وان يكن لا بـد فى الحنين والأسى من درجات ، فنحن على الأمهات احنى ، وعليهن آسى ، تلك الأوعية التى سكنّاها اشهرا ، قبل أن نرى النور ، ومع النور راينا وجوه الآباء . ■■

احمد زكـي

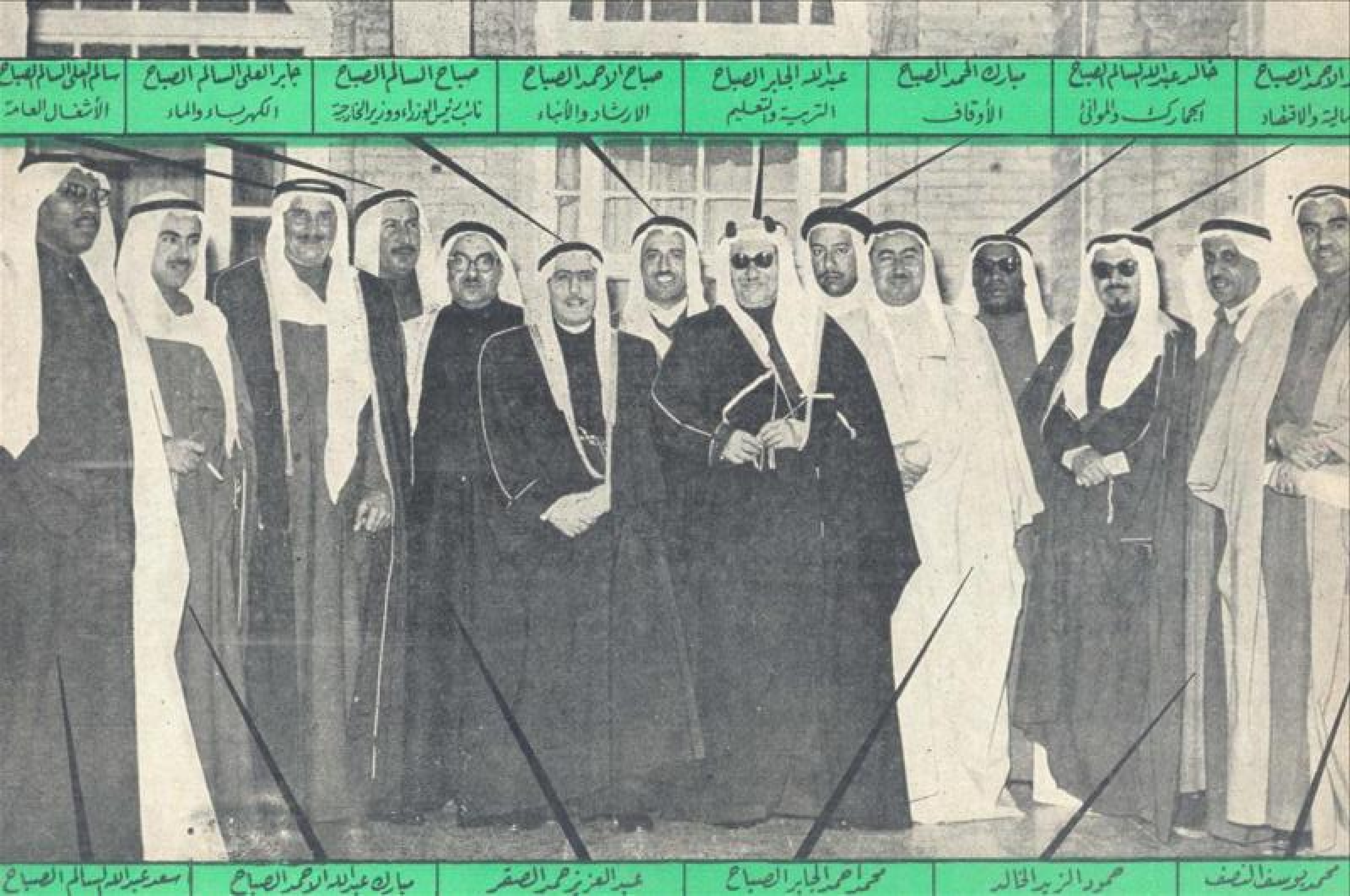

لأحمد الصباح
الية والاقتصاد
خالد عبدالله السالم الصباح
الجمارك والموانئ
مبارك الحمد الصباح
الأوقاف
عبدالله الجابر الصباح
التربية والتعليم
صباح الأحمد الصباح
الإرشاد والأنباء
صباح السالم الصباح
نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية
جابر العلي السالم الصباح
الكهرباء والماء
سالم العلي السالم الصباح
الأشغال العامة
محمد يوسف النصف
حمود الزيد الخالد
محمد أحمد الجابر الصباح
عبدالعزيز حمد الصقر
مبارك عبدالله الأحمد الصباح
سعد عبدالله السالم الصباح

شكيل اول وزارة فى الكويت
وانتخاب مجلس تأسيسى لوضع الدستور

وافق الخامس والعشرون من شهر فبراير (شباط) ذكرى تولى سمو امير دولة الكويت
يخ عبد الله السالم الصباح ازمة الحكم فى البلاد . وان مجلة « العربى » اذ تقدم لسموه
نئة الخالصة بهذه الذكرى السعيدة ، لتدعو الله ان يمد فى عمره ، وان يزيد فى الخير
ى ما فتىء يسديه الى شعبه ..
ولقد كان من اكبر ما اهداه الى اهل الكويت من خير ، ما اقترن بهذه الذكرى من تطوير
لاد للسير على سنن الديمقراطيات الحديثة ففى يوم ٢٠ يناير (كانون ثان) عقد المجلس

التأسيسى المنتخب لوضع الدستور اولى جلساته . وترى فى الصورة اليمنى اعضاءه يتقدمهم الوزراء ، وفى الصورة العليا الى اليسار ترى سمو امير دولة الكويت يفتتح الجلسة الأولى للمجلس بخطاب ابوى ناصح حكيم . كما ترى فى الصورة الثالثة اول مجلس للوزراء بعد تشكيله .

دولة عربية صغيرة العدد ، كبيرة الخطر ، عون للعروبة فى الأزمات ، بدأت عهدا جديدا ، يرجو لها كل عربى مزيدا من التوفيق ان شاء الله .

مسابقة العربي

املأ المربعات الخالية بالأسماء المطلوبة
١١ جائزة مجموعها ١٠٠ دينار

■ في الشكل المنشور على الصفحة المقابلة ، اثنا عشر مربعا تتألف منها أضلاعه الاربعة ، في كل منها رسم لشيء أو أكثر من الاشياء المعروفة ، رمزنا له بالحرف الأول من اسمه ووضعناه الى جواره .. ويتوسط هذه المربعات الاثنى عشر جدول من ٤٩ مربعا صغيرا ، منها ١٣ مربعا مطموسا ، و١٨ مربعا في كل منها احد الحروف الهجائية ، و ١٨ مربعا خاليا . والمطلوب منك الآن هو أن تملأ هذه المربعات الخالية بحروف من عندك تستلهمها من الرسوم المحيطة بالجدول ، كي يتألف عندك في النهاية أسماء الاشياء الظاهرة في تلك الرسوم .

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٤ . ويكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي – العدد ٤٠ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٢ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي : الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .. الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .. ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

نتيجة مسابقة العدد ٣٨

هذه هي التواريخ العشرون
وهؤلاء هم الفائزون بالجوائز

■ كان موضوع هذه المسابقة معرفة تواريخ عشرة من الاحداث العشرين التي تضمنتها . وننشر فيما يلي تواريخ تلك الاحداث بترتيب ارقامها في المسابقة .

١٧٧٦/٧/٤ – ١٧٨٩/٧/١٤ – ١٩١٤/٨/٤ – ١٩١٧/١١/٢ – ١٩١٧/١٠/١٧ – ١٩١٨/١١/١١ ١٩٢٠/١/١٠ – ١٩٣٩/٩/١ – ١٩٤٥/٤/٢٥ – ١٩٤٥/٣/٢٢ – ١٩٤٥/٨/٦ – ١٩٤٨/٥/١٥ – ١٩٤٥/٩/١ – ١٩٥٢/٧/٢٣ – ١٩٥٤/١١/١ – ١٩٥٦/٧/٢٦ – ١٩٥٦/١٠/٢٩ – ١٩٥٥/٤/١٧ – ١٩٥٨/٧/١٤ – ١٩٦١/٤/١٢ .

وقد اكتفى بعض المشتركين في المسابقة بذكر الشهر والعام دون اليوم . واكتفى آخرون بذكر العام فقط . وهؤلاء واولئك قد استبعدت اجاباتهم ولم تشترك في القرعة .

وقد ذكر كثير من المشتركين تواريخ الاحداث العشرين ، وكان هناك رأى بأن يكون الاقتراع على الجوائز مقصورا على هؤلاء دون بقية المشتركين . ولكن غلب الرأى القائل بأن تجرى القرعة بين جميع الاجابات الصحيحة حتى ولو اقتصر أصحابها على ذكر تواريخ عشرة احداث فقط ، وهو العدد الذى حددته المسابقة .

وعند الاقتراع فاز من أصحاب الاجابات العشرين: السيد/محمد عبد الجواد محمود الذى تكونت اجابته من ١٢ صفحة فولسكاب ، اذ اورد نبذة تاريخية ضافية عن كل من الاحداث التى تضمنتها المسابقة .. وقد فاز عند الاقتراع الثانى بالجائزة الثانية .. ثم السيد القوادر صالح بن على وقد فاز بالجائزة الثالثة .

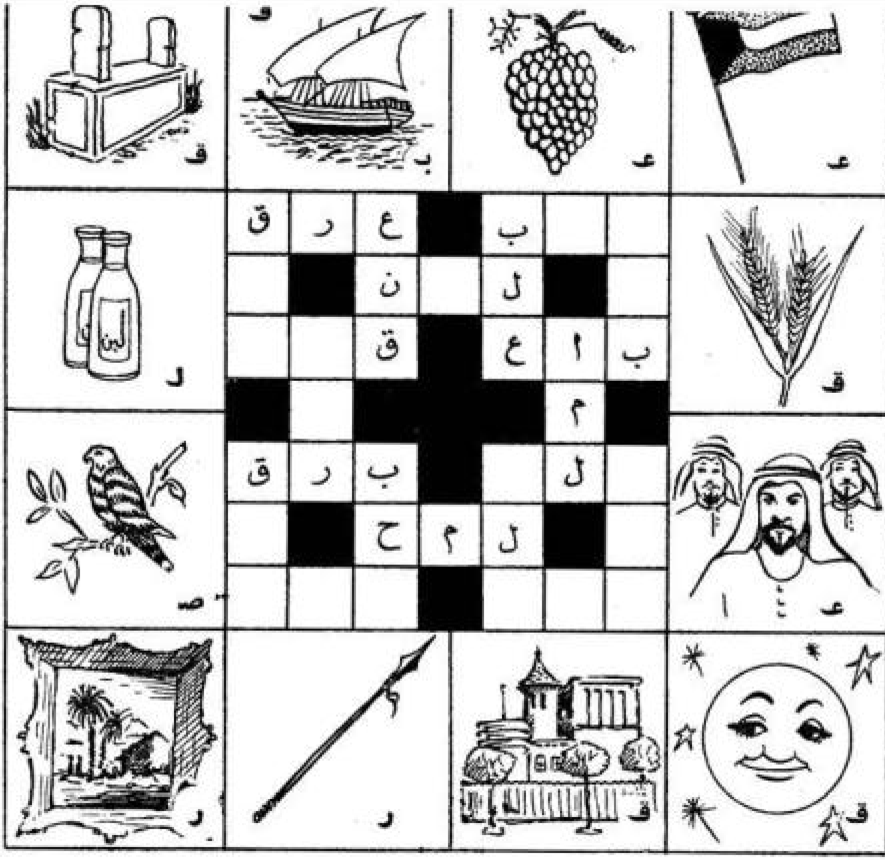

وكان بين الفائزين موظفة امريكية بقسم الابحاث بمكتب الجامعة العربية في نيويورك تدعى « ماري دونا » ماهر . . .

وفيما يلي أسماء جميع الفائزين بالجوائز .

الجائزةالاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها السيد/ عمر على العمر . وزارة الجمارك والموانىء منطقة رقم ٢ الشويخ ـ الكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها السيد/ محمد عبد الجواد محمود رئيس ادارة المناقصات بالمراقبة العامة لحسابات وزارة الاوقاف ـ القاهرة

الجائزةالثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها السيد/ القوادر صالح بن على ـ نهج الشهداء . قصر قفصة ـ الجمهورية التونسية .

٨ جوائز قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من حضرات :

١ ـ القارئة الأمريكية : ماري دونا ماهر الموظفة بمكتب الاستعلامات التابع لجامعة الدول العربية ـ نيويورك .

٢ ـ عيد محمود أحمد ابو حسين: دكان ابراهيم ابو شنب الترزى ـ معسكر الشاطىء ـ غزة ـ فلسطين .

٣ ـ عبد الله عمورة : رئيس شعبة التدقيق ـ شركة المرفأ ـ اللاذقية ـ الجمهورية العربية السورية .

٤ ـ الآنسة نجوى مصطفى النجار ـ مدرسة الفرندز للبنات ـ رام الله ـ الاردن .

٥ ـ حسن عبد الغنى ـ وزارة الاشغال ـ قسم كسلا ـ السودان .

٦ ـ مكى سالم ـ دكان احمد صادق ـ باب الرحمة ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية .

٧ ـ عبد الله صخر ـ المدرسة السعيدية ـ مسقط ـ عمان .

٨ ـ سعاد حسين الكاف ـ تريم ـ حضرموت ـ عدن .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها .

حطان بن المعلى

أكبادنا تمشي على الأرض

أنزلني الدهر على حُكْمِهِ
مِن شامخٍ عالٍ إلى خَفضِ

وغالني الدهرُ بوفر الغِنى
فليس لي مالٌ سوى عِرضي

أبكاني الدهرُ، ويا ربّما
أضحكني الدهر بما يُرضي

لولا بُنَيّاتٌ، كزُغب القَطا (١)
رُدِدْنَ من بعض إلى بعض

لكان لي مضطَربٌ واسع
في الأرض ذاتِ الطول والعرض

وإنّما أولادنا بيننَا
أكبادُنا تمشي على الأرضِ

لو هبّت الريحُ على بعضِهم
لامتنعتْ عيني عن الغَمض

(١) القطا طائر في حجم الحمام، والزغب أول ماينبت من ريش الطير

تجربة الحرية في آسيا وافريقيا (٢)

الثورة من أجل الحرية

ثورة على الاستعمار والتخلف

ولكنها كادت أن تقضي على الحرية ذاتها !

بقلم : الدكتور منيف الرزاز

■ الحريــة هدف انسانى خالد وتاريخ الانسانية ليس الا تاريخ صراع الانسان من اجل الحرية . وهذا الصراع لا ينتهى ما وجد الانسان على وجــه الأرض . لأن الحرية ككل قيمة انسانية خالدة ، تتحقق فى التاريخ بأوجه عملية مختلفة ، تؤمّن بعض جوانبها ، ولكنها تظل ابدا بعيدة عن أن تتحقق تحقيقــا كاملا فى مجتمع انسانى معقد .

واكثر من هذا ، فالمجتمع كلما ارتقى وازدادت علائقه تعقيدا وترابطــا ، وازدادت مشاكله عمقا ، ازدادت قيوده على حرية الانسان المطلقة ، ووضع على هذه الحرية حدودا لا تتخطاها سمّاها النظام . ولكن هذا النظام نفسه ، وهذه القيود نفسها ، تصبح فى مجتمع صالح منطلقا جديدا للحرية ودافعا للبحث عن مستوى أعلى لها تتحقق فيــه امكانيات للفرد وللمجتمع لم يكن يتهيأ لهــا ان تتحقق الا فى ظل هذه القيود وهـــذا النظام .

أهو تناقض ؟ وكيف تكون الحيــاة حياة الا بتناقض عواملها المختلفة ؟

الحرية نضال مستمر

ولن يتخلى الانسان عن سعيه مــن اجل الحرية ابدا ، ان سعيه هذا قــد يتخــذ صورا مختلفة . فقــد يكون محصورا فى طلب تحرير الرق حين يسود فى المجتمع نظام الرقيق . وقد يتخــذ شكل النضال من أجل التخلص مــن الاستعمار حين يسيطر على مقدّرات

الأمة . وقد يتخذ صورة النضال من اجل حياة ديموقراطية حين يستبد الطغيان . ولكنه ، فى كل صوره ، سيظل يسعى من أجل الحرية ، حرية أوسع واعمق ، لا يتخلى عن نضاله أبدا .

ان ظروفا معينة طارئة قد تلهيه عن مطلب الحرية بصورة معينة ، لتضع أمامه صورة أخرى اشد الحاحا واهمية . فشعب يرزح فى ظل استعمار اجنبي ، لن ينشغل بمطلب تحرر من اقطاع داخلى . ولكنه حين يتحرر من الاستعمار الاجنبي ، ويحس بوطأة حكم الاقطاع ، فسيكون التحرر من الاقطاع ، مثلا ، مطلبه التالى .

فكلما حقق الانسان صورة من صور الحرية انتقل الى الصورة التالية يطلب تحقيقها . واذا تخلى جيل من الناس عن طلب الحرية لسبب او لآخر ، فان نزوع الانسان الى الحرية سيدفع الجيل الذى بعده لخوض غمار المعركة من أجل تحقيق الهدف الانسانى الخالد .

الحرية تراث عالمى

من اجل ذلك كانت ازمة الحرية فى آسيا وافريقيا ، تلك التى تحدثنا عن أسبابها فى مقالنا بالعدد السابق ، ازمة تستدعى النظر ، لأنها تبدو وكأن شعوب هذه الاقطار قد تخلت عن هدف انسانى خالد لا يمكن للانسانية أن تتخلى عنه .

ولا يمكن القول بان هذه الشعوب لا تطلب الحرية السياسية ، بدعوى ان الحرية السياسية التى جاءتها من الغرب ، متخذة شكل النظام النيابى ، هى حرية بعيدة عن تقاليدها واعرافها . فالديمقراطية ، ككل تراث انسانى ، نظام قد يكون نبع فى الغرب ، ولكنه حين تحقق ، حقق رغبة انسانية عامة، وكان تراثا لبنى الانسان اجمعين لا تختص به امة دون امة ، او قارة دون قارة .

وكلما تحقق للانسان ، فى اى جزء من اجزاء الارض مغنم ، ولا سيما فى هذه العصور التى جعلت المواصلات فيها من العالم كله عالما واحدا ، كان هذا المغنم نفسه هدفا من اهداف الانسانية فى كل انحاء الارض .

ثورة من اجل الحرية

ان هذه الشعوب ، شعوب آسيا وافريقيا ، لن تتخلى عن مطلب الحرية هذا ولا يمكن ان تتخلى عنه . ومع ذلك فمقالنا السابق تحدث عن ازمة فى الحرية تصيب هذه الشعوب وتمنع عنها الحرية السياسية . هذه الأزمة ما شانها وما موضعها فى تاريخ هذه الشعوب ؟ اهى حتم محتم لا يمكن الا ان نواجهه ، وباسترخاء الاستسلام للقدر ؟

ان اول ما يسترعى النظر فى هذه الأزمة انها طرات اثر تجربة فاشلة للنظام النيابى اثبتت ان هذا النظام كما قد يكون تعبيرا عن ارادة الشعب فى ظروف معينة ، ومظهرا من مظاهر حريته ، قد ينحرف ليكون فى ظروف أخرى تزويرا لارادة الشعب ومظهرا من مظاهر الطغيان عليه .

هذه الأزمة فى صورتها المبدئية لم تبدأ اذن ثورة على الحرية ، بل ثورة من اجلها ، من أجل حرية اصدق واعمق . كانت ثورة على تزوير الحرية وثورة من أجل تصحيحها ، وازالة الاسباب التى سهلت عملية التزوير هذه ، وعلى راسها قيامها فى ظل نظام طبقى استغلالى .

ولو ان الأمور سارت فى هذه الطريق لما كان ثمة ازمة . ولكن الأزمة نشأت حين تحولت هذه الثورة التى نشأت اول ما نشأت للقضاء على التزوير فى الحرية فاذا بها تقضى على الحرية نفسها . وبينما كان الهدف منها مزيدا من الحرية ، اذا بها تعدم الحرية . لقد كان القضاء على النظام النيابى الفاسد فى معظم هذه الأقطار « مؤقتا » ، ريثما يحل محله نظام نيابى أصدق واعمق . ولكن سرعان ما تحولت الاهداف واذا بكثير من هذه الأقطار تجعل من هدم النظام النيابى المعروف ، والحريات

السياسية المعروفة ، جزءا من فلسفة وجودها ، واذا بالعدو ليس فساد النظام النيابى السابق ، وانمـــا هو النظام النيابى نفسه ، والحريات السياسية نفسها .

ولقد تملكت معظم هذه الثورات التى خلّفت الأنظمة النيابية بالاصلاح الاجتماعى والتحرير من العبودية الاقتصادية واحلتهما محل الحريـــة السياسية . والتحرر الاقتصادى غاية لا بد منها ، وهدف اساسى من اهداف النضال ، وهو بالاضافة الى ذلك يكمل معنى الحرية السياسية ويعمقها ، ولكنه لا يمكن ان يحل محلها .

الحرية سلاح ضد المؤامرات

ان الذى لا شك فيه ان مؤامرات الدول الكبرى، وتدخلها الزمن فى شؤون هذه الأقطار ، وتعريضها للمؤثرات الخارجيـــة والداخلية على السواء ، واستغلالها للخلاف الداخلى الذى هو من طبيعة النظام السياسى القائم على الحرية ، قـد كان لهـا اثر كبير فى اتخـاذ هـذا الموقف من الحرية السياسية . ولكن أصحيح أن الشعب حين يفقد حرياته السياسية ، ولا سيما حين يفقدها لأمـد طويل،يصبح اقدر على مواجهة المؤامرات الخارجية والداخلية ، منه حين يتمتع بهذه الحرية ؟

ان شعبا هذا شانه ليس شعبا على الاطـلاق . ولكن شعوب هاتين القارتين شعوب وعت لأنهـــا ناضلت فى ظروف اشد قسوة حين ناضلت ضـد الاستعمار المباشر نفسه وهو يحتـــل أراضيها . افتعجز حقا عن مواجهة المؤامرات حين يصبـح منطلقها بعيدا عنها ؟ انها لن تعجز الا حين تفقد ارادتها . وهى لا تفقد ارادتها الا حين تفقـــد حريتها .

لقد كان فى كل شعب من هذه الشعوب دائما ، أيام النضال ضد الاستعمار ، قلة تتعـــاون مـع الاستعمار ، ولكن هذه القلة لم تتمكن من الصمود أمام اندفاعات الشعوب حين تقرر نيل حريتها . فهل هى اقدر على التآمر على مصير الشعوب حين تتمتع هذه الشعوب بحريتها وحين تستعمـــل ارادتها ، منها فى ظل الاستعمار الذى كان يحميها ويغذيها ؟

الحرية والبناء الاقتصادى

وقد يكون التخطيط الاقتصادى وبناء التسارع الانتاجى فى ظل الأنظمة الدكتاتورية ، أو شـبه الدكتاتورية ، أســرع واسهل منـالا منه فى ظل الأنظمة الديمقراطية كما يمكن ان يشاهد فى كثير من بلدان العالم المتقدمة . ولكن شعوب آسيـــا وافريقيا بالذات ، فى غمار فرحتها بالتقـــدم الاقتصادى ، وهو اساس من أسس الخلاص من التخلف ، يجب ان تذكر ان تخلفهـــا ، وان كان مظهره الاقتصادى صارخا وناطقا بالأرقام ويمكن حسابه بالدينار ، ليس تخلفا اقتصاديا فحسب ، وانما هو تخلف سياسى واجتماعى وفكرى ، وان انعدام الحرية ، ان كان يدفع الأمة لتصارع وجها من أوجه تخلفها ، فانه يمنع عليها ان تتقدم فى اى وجه آخر .

ومع ذلك ، وعلى رغم ان التاريخ ملىء بالشواهد على ان التسارع الاقتصادى قد يكون أضمن فى ظل نظام تتقدم فيه الحرية السياسية ، فهو ملىء كذلك بالشواهد على ان الأنظمة الدكتاتورية قد تكون عائقا امام اى تقدم اقتصادى . وهل بعيد علينا ان نشير الى اسبانيـــا والبرتغال ، تينك الدولتين اللتين تعيشان فى ظل نظام دكتاتورى قاس منذ اكثر من ربع قرن ، وهما عاجزتان عجزا تاما عن ان تبدآ تسارعا اقتصاديا يتناسب مع مركزهما الجغرافى والتاريخى ؟

ان التاريخ ملىء بالشواهد على ان التسارع الاقتصادى يمكن أن يتولد فى ظل أنظمة تنعـــم بالحرية السياسية .

ان شكل النظام السياسى القائم ، وان كان لــه اثر فى التنمية الاقتصادية ، فانه ليس المؤثر الأول فيها . وانما المؤثـر فعلا هو ان تكون ثمة قوة دافعة لهذه التنمية وهذا التطور . هذه القـــوة الدافعة قد تتمثل فى ارباح الرأسماليين كما كان

الحال في الدول الغربية وامريكا الشمالية ، وقد تتمثل في دكتاتورية حزب واحد كما هو الحال في الاتحاد السوفياتي ، ولكنها قد تتمثل ايضا في ارادة القوى الشعبية المنطلقة من نضال سياسي حاد طويل الامد ، وهذا هو شأن شعوب آسيا وافريقيا.

على اننا ، ونحن في حديث الارتباط بين انعدام الحرية وبين البناء الاقتصادي ، لا بد ان نذكر نقطة مهمة اخرى . فالبناء الاقتصادي يحتاج الى قاعدة متعلمة مفكرة ذات خبرة . ولذلك كان التوسع في التعليم اساسا من اسس اي بناء اقتصادي سليم . والمتعلمون ، بشكل خاص ، هم احرص الناس على أن يتمتعوا بحريتهم الفكرية والسياسية لانها سبيل انتاجهم . واذا كان هؤلاء المتعلمون في عهود التخلف الشديد قلة لا تؤثر كثيرا في مجرى الأحداث ، فهم بعد الانطلاقة الأولى كثرة لا يسهل الهاؤها عن حرياتها وصرفها عنها . وهل ثمة من مصير بعد ذلك الا مصير واحد هو ان يمنح الشعب حرياته الاساسية أو ان يهب هو للحصول عليها ؟

والبناء الاقتصادي يحتاج الى شعوربالمسؤولية، ووعي المهمات الملقاة على المواطن . وليس ثمة سبيل لبناء هذا الشعور الا في ظل الحرية وفي ظل النضال من أجلها . وحين تنعدم الحرية فالشعور بالمسؤولية صفة خطرة لانها تهدد طمأنينة المواطن .

اخطار انعدام الحرية

قد يكون للحدّ منميدانالحرية السياسية حدا شديدا بعض الفوائد فعلا ، ولا سيما في بعض الظروف الخاصة كالتعرض لتهديد خارجي أو داخلي ، أو لتحقيق مرحلة اصلاح معينة لا يتاتى تحقيقها بسهولة عن طريق النظام النيابي ، ولا سيما اذا كان هذا النظام نفسه مشوبا بشوائب كثيرة . ولكن الذي لا شك فيه ان انعدام الحرية محفوف كذلك باخطار كثيرة لا بد للدولة ان تفكر فيها وفي نتائجها قبل الاقدام على الحدّ من الحرية.

أول الاخطار : القضاء على الاندفاع الذاتي في الامة

ولعل اول هذه الاخطار واهمها ، ولا سيما في اقطار مثل اقطار آسيا وافريقيا متخلفة ، خارجة حديثا من نضال سياسي جبار ، ومحتاجة لخوض نضال جديد من أجل استبدال تخلفها بتقدم متعدد النواحي ، هو القضاء على الاندفاع الذاتي في الأمة الذي كان سلاحها الفعال في معركة النضال ضد الاستعمار . هذا الاندفاع الذاتي في الأمة وهو في الأمم المتخلفة رأسمالها الوحيد ، لا يمكن ان يتاح له ان يتحقق الا في ظل الحرية أو في ظل النضال من اجلها ، وهو التعبير العملي عن الشعور بالمسؤولية . وهو الضمان الوحيد لوحدة الأمة وارادة التقدم فيها . لانه اندفاع مسؤول وواع ومخلص وعفوي ، فيه اصالة ، وليس فيه افتعال ولا رياء وتمثيل .

ثاني الاخطار : القضاء على الوعي في الأمة النامية

وثاني هذه الأخطار القضاء على الوعي . والامة النامية في حاجة الى وعي ، وعي مفكر خلاق ، يحل محل ذلك الوعي الفطري الذي خاض معركة النضال ضد الاستعمار . وهذا الوعي لا ياتي صدفة ولا ياتي بمجرد نشر التعليم ولا ياتي عن طريق الايحاء المستمر من أجهزة الدولة الدعائية . وانما ياتي عن طريق ممارسة المسؤولية ممارسة فعلية في أجهزة القوى الشعبية مهنية وسياسية وفكرية واجتماعية يصل

الى اليسار : خروشوفوهو يمثل دكتاتورية الشعب الواحد في الاتحاد السوفييتي ، وسالازار طاغية البرتغال ثم فرانكو دكتاتور اسبانيا .

اثرها الى كل مواطن فى ناحية من نواحي حياته المتشعبة .

ولا خشية فى الواقع من الاختلاف الذى ينشأ بين هذه الاجهزة فى ظل الحرية . فهذا الاختلاف نفسه صورة صادقة من صور الحياة ومن تناقضاتها . ومن قال ان الحياة ليس فيها تناقضات ؟ وهل يمكن لتناقضات الحياة أن تزول من الوجود لمجرد أن الدولة ارادت لها أن تخفى لتحل محلها وحدة مصطنعة مفروضة بحكم السلطة ؟

ان السلطة ، حين تعدم الحرية ، تعدم هذه المنظمات وتحولها ، ان بقيت ، الى اجهزة فى الدولة عاجزة عن ان تقوم بنفسها وان تحمل مسؤولياتها ، عاجزة بالتالى عن اداء رسالة التوعية التى هى ذروة رسالتها الحقيقية .

وقد تستعمل الدولة حين تعدم الحرية كل وسائل الدعوة من اذاعة وصحافة فى سبيل القيام بمهمة التوعية هذه . ولكن الوعى الناشىء عن هذه السبيل وعى " سطحى " مسيّر غير مسؤول ، لم تتح له " التجربة " والخبرة ان يحتك وأن يصطدم وان يخطىء وان يتحمل المسؤولية . فهو لذلك سرعان ما ينهار وما ينقلب اذا تغيرت ظروفه .

ثالث الاخطار : قيام جهاز يذهب بالثقة بين المواطنين

وثالث هذه الاخطار أن الحد من الحرية قد يبدأ فى رفق ولين ، وقد يستهدف مصلحة عامة . ولكنه سرعان ما يشتد ويعنف حتى ينتهى الى انعدام الثقة بين حاكم وبين محكوم . فالحد من الحرية يحتاج الى مراقبة . والمراقبة تحتاج الى جهاز . والجهاز لا يعتمد فقط على أولى الأمر الكبار الذين قرروا الحد من الحرية لمصلحة عامة ، وانما يعتمد على رجال ومنفذين مهمتهم الأولى ان يتشككوا فى كل مواطن ، وفى كل حركة ، حتى يصبح الشك عندهم أساسا . ويبدأ المواطن فى تجنب مواطن الزلل ، ولكن مواطن الزلل ما تلبث ان تكثر من حوله حتى ليوشك كل مواطن ان يشك بأخيه المواطن . وتنعدم الثقة بين الناس .

وكيف يمكن أن يتأتى اصلاح فى قطر انعدمت الثقة فيه بين افراد الشعب كما انعدمت بين الراعى والرعية ؟

الحرية أساس

الحرية ليست هى الفوضى . كما ان النظام ليس هو الطغيان . والحرية حاجة ماسة من حاجات الانسان . لا يقلل من شأنها ان ثمة حاجات اخرى فى الحياة غير الحرية تحتاج الى تلبية . والحرية ان كانت ضرورية فى شعب متقدم ، فهى أكثر ضرورة فى شعب محتاج لأن يتقدم .

وشعوب آسيا وافريقيا تواجه ازمة فى الحرية فرضتها ظروف معينة . فلئن ادركت دول هذه الشعوب أن " الحد " من الحرية يجب أن يبقى فى اضيق نطاق ممكن ، وان أدركت ان هذا الحد من الحرية شىء موقوت وأنه لا يجوز أن يبقى الا لأقصر مدة ممكنة ، وان أدركت أنها تقوم بعمل استثنائى ، وان الأصل ان تتاح الحرية للجميع ، فقد اجتازت الشعوب هذه الأزمة بسلام .

اما اذا تحول التضييق على الحرية بحيث أصبح " فلسفة " للدولة ، واصبحت الحرية فى مفهومها مرادفة للفوضى ، وأصبح الفكر الحر يعنى تخريبا وهدما ، فان تقدم هذه الشعوب معرض لخطر ولخطر كبير . ■■

منيف الرزاز

الكوافير!!

السِشْوار!!

الأكْسِسْوار!!

اللُّغَـة! .. اللُّغَـة! يامجامِع اللُّغَـة!

■ قامت مجلة أسبوعية كبيرة شهيرة، فى آخر شهر من عام ١٩٦١ ، باستطلاع رائع مصور ، موضوعه :

سيدة فلاحة ، تظهر أول الأمر فى ثياب غير انيقة ، ليست بالرخيصة ، ثم تأخذها المجلة تدور بها على مصلحى الأيدى، تعالج خشونتها وتطرّيها . ثم على مزيّن الشعر ليزين شعرها . ثم جلست ومُجَفّفة الشعر على راسها تجففه . وفى هذه الأثناء كانت مزينة الأصابع والأظافر تقوم بتزيينها .

وذهبوا بها بعد ذلك الى دكان للملابس الجاهزة لتختار منها لباسا انيقا .

ثم الى دكان الأحذية ، فحقائب اليد ، فدكان العقود والجواهر .

وكل هذا تكلّف من المال شيئا زهيدا .

هدف المجلة ظاهر . وهو بالصور جميل . والغاية التجمّل بأرخص الأثمان .

فأين اذن اهتمام مجامع اللغة بكل هذا ؟

موضعه فى الالفاظ الاعجمية التى استخدمها كاتب الاستطلاع . وهى الفاظ ، لولا علمى بها بالافرنجية ، وأنا الرجل ، ما فهمت معانيها : الكوافير . السِشْوار . المانيكور . الجونلّة . البِلُوزة . الاكسِسْوار .

اما الكوافير : فهى اللفظة الفرنسية Coiffeur وهو الرجل الذى يقص الشعر واللحية . هكذا تقول القواميس الافرنسية . واذا لم تكن لحية فهو المزين عامة . والمزين كلمة شائعة فى البلاد العربية.

اما السشوار : فهى اللفظة الفرنسية Sechoir ومعناها الحرفى « المجفف » . وهى فى القاموس الفرنسى جهاز مُجفِّف . وهو يطلق كذلك على

مجفف الثياب ، ومجفف اى شيء . و Seche صفة الشيء الجاف . اقول ذلك لمن لا يعرف الفرنسية .

اما الجونلة : فهي ما تلفه المرأة ظاهرا حول نصفها الأدنى .

اما المانيكور : فهي اللفظة الفرنسية Manucure وهي تطلق على الفتاة التى تعالج اليد وتصلحها .

اما البلوزة : فهي Blouse بالفرنسية ، ومثلها بالانجليزية ، وهي قميص المرأة الذى تلبسه ظاهرا حول ظهرها وصدرها .

اما الاكسسوار : فهي اللفظة الفرنسية Accessoire وهي شيء ثانوى يضاف الى الشيء الأصيل . وعنى بها الكاتب كل اضافة تضيفها الفتاة بعد استكمال ما سبق ، من عقد حول العنق، وسوار حول المعصم ونحو ذلك .

هذه الكلمات كلها اجنبية ، فاذا كان من اهدافنا القومية أن تنتهى لغتنا العربية بان تكون كما يقولون « عربو فرنسية » فليس لنا اعتراض على استخدام هذه الكلمات ، بل ونطلب المزيد .

اما اذا كان من اهدافنا القومية أن تظل لغتنا عربية ، فقد آن للدول العربية اجمع أن تتدخل فى هذا .

ان مجلة كالمجلة التى تذكر ، هي من الشيوع بحيث تفرض الالفاظ على قارئيها وقارئاتها . وتأتى المجامع بعد ذلك تريد أن تصلح،فيكون الزمن قد سبقها . فلا تستطيع شيئا .

نحن لا نلوم المجلات ، ولا نلوم المجامع ، ولكن نلوم واقع الحال ، ذلك الربط بين الاثنين ، واصلاح الحال .

ان اول العروبة صفاء لغتها . ولا بأس عندى حتى بالالفاظ الأعجمية لو كان لها الجرس العربى. ولكن كيف بالكوافير ، والشوار ، والاكسسوار .

ان العروبة ليست سياسة فقط ، بل هى لغة ، وهى أدب ، وهى تربية ، وهى كل شيء يصنع الدول الحديثة ويكون بعض قوامها . ولكن اللغة أول .

التبعة اذن هي تبعةرجال الدولة:الموازنة بين حاجة الصحف الى الكلمات الحديثة ، ومصانع انتاج هذه الكلمات عند اللغويين . ولقد اقترح ، ان كان لا بد ، أن يكون هناك مجمع لغوى من الصحفيين . انهم رجال الحاجة ، رجال التنفيذ ، ورجال السرعة . ويزوّدون بزاد من رجالات المجامع ، على طريقة بوليس النجدة . وهم من بعد ذلك لا شك سوف يكونون من حيث الحرص على اللغة كسائر المواطنين .

★★★

ثم همسة : هذه الكلمات الفرنسية ، هل يفهمها اليوم من العرب جماهير القارئين والقارئات ؟ أم هو دفع لهم ليفهموها من الصور ، فهو تجديد ؟! ان الذى يفهمها اليوم هن النساء«الارستقراطيات» اللاتى تعلمن فى المدارس الفرنسية . فهل تفرض هذه الكلمات على سائر نساء الدول العربية ، فى عهد الديمقراطية ؟

هل تستطيع فلاحة متعلمة ــ وما اكثرهن قريبا ان شاء الله ــ ان تنطق بهذه الكلمات ، حتى بعد الترويج لها ؟

★★★

وهمسة اخرى : وهى تتعلق بعلم النفس . اليست تنطوى انفس الكتّاب الذين يستخدمون هذه الكلمات على معنى خبيء قد لا يدركونه : ذلك ان هذه الكلمات ، وهى عند اهل الغرب من الالفاظ العادية اليومية ، يراد بها عند العرب من اهل الشرق ، أن تكون عُجمتها ، سرّ رفعتها ، والباسها شيئا من العظمة والفخامة والوقار . واليست هذه عبودية الشرق ، التى لا تزال فى الدم ، لأهل الغرب ، ولو لم تكن الا عبودية ذهنية. واليست العبودية الذهنية اسوأ من العبودية السياسية والعبودية الاقتصادية لأن الذهن مصدر الأعمال جميعا ؟

■■

هذا العلم العجيب

حافزه الفضول .. وأداته الحدس والخيال وهو خليط من المنطق القاسي وومضات الوجدان

بقلم الدكتور
محمد عبد الرحمن مرحبا

■ لا تقدم بلا علم ، ولا علم بلا خلق ، فالخلق أساس كل تقدم .

وللخلق عوامل عدة يصعب التحكم فيها واخضاعها جميعا لمقاييس المنطق واحكام العقل ، ولكن يمكن تعهدها لمن توفرت فيه بذورها والتمعت فيه بروقها .

غريزتان : الفضول وحب الاستطلاع

ومن ابرز هذه العوامل عامل الفضول وحب الاستطلاع ، وهما غريزتان فى الانسان ، فلا يخلو منهما احد من الناس ، ولكنهما يختلفان باختلاف الأفراد . فالطفل فضولى بالطبع ، فكل شىء فى العالم الذى يحيط به يدهشه ويثير عجبه . انه يريد أن يفهم ، فما أن تؤاتيه قوة النطق حتى يأخذ يطرح الأسئلة على أبويه ويلح فى طلب الاجابة عليها . ان هذا الاندفاع فى تفهم العالم ، وهذه الشهوة الطاغية للحصول على المعرفة ، تنموان فيه نموا يزداد فيه عنصر الوعى يوما بعد يوم ويعمق حتى سن المراهقة ، وبعد ذلك يضعف ويخبو لدى أكثر الناس الا قليلا منهم ، وهذا يؤدى الى تضييق الآفاق التى تتفتح أمامنا كلما ابتعدنا عن شرخ الشباب .

الفضول وحب الاستطلاع

والعلم الحديث مدين لهذا العامل بأكبر نصيب . فالتعجب والفضول هما المعين الذى يمده بالطاقة وينفث فيه الحياة ويبعث فيه دما جديدا . ان كل اكتشاف يدفعنا فى طريق جديد ويفتح أمامنا آفاقا جديدة لكننا عندما نتلمس هذا الطريق ونتأمل تلك الآفاق سرعان ما نستشعر تعجبا جديدا ويعرونا فضول جديد . ولما كان المجهول يتسع أمامنا باستمرار ويظل يتسع ويتسع الى غير نهاية ، فلن يقف هذا الاندفاع المتصل فى سير التقدم بل ستزداد سرعته بازدياد

المجاهل الجديدة التى نرودها. ولا يدرى احد الى اين سوف ينتهى بنا المسير، ان صح لهذا المسير انتهاء ؟ !

هواية اللعب عند الانسان

وكما ان الطفل يريد ان يفهم فكذلك هو يحب ان يلعب . ولا يجوز الظن بأن اللعب هو بالنسبة اليه عبث ضائع او جهد باطل، بل هو رياضة للنفس وشحذ للذهن وتنشيط للعقل وتربية للقريحة. ان حب اللعب موغل فى النفس الانسانية، ولذلك فان اللعب ليس وقفا على الطفولة ومرحلة الشباب الأولى ، فلا رجل بلغ سن النضج ـ مهما غلب عليه الجد ـ يخلو من حب اللعب فى اعماق نفسه . ان اللعب يعلم التفكير والروية والتبصر فى الأمور والتغلب على الصعوبات والمكر بها . فلا لعبة ـ مهما تكن ساذجة ـ الا ولها خططها واساليبها. فليت شعرى! اليس هناك العاب (كلعب الشطرنج مثلا) تتطلب كثيرا من الانتباه والتفكير والتأمل؟ اليس حل لغز من الالغاز والعثور على كلمة مطلوبة فى احجية من الأحاجى فى العاب الصبية ، محاولة لاكتشاف سر مكنون لا تدركه الأبصار بل تدركه العقول اللوذعية ؟ اوليس فى هذا نوع من الجهد شبيه بالبحث العلمى الأصيل؟ واذن افلا يحق لنا ان نقول بأن حب اللعب الذى هو نزعة فطرية فى الطفل ، ولكنه مع ذلك ليس شيئا صبيانيا ، ساهم هو ايضا ، كما ساهم الفضول ، فى تقدم العلم ودفع عجلته الى الأمام ؟

ألغاز العلم ، هى ألغاز الأحاجى

لقد طالما فكرت فى التشابه القائم بين المشاكل التى تعرض للباحث من قبل الطبيعة ، وتلك التى يطلب منا حلها فى الغاز الكلمات المتقاطعة . فالمعلوم ان عقلا كعقلنا هو الذى رتب وضع المربعات وجعل توزيعها بحيث يمكن اكتشاف الكلمات المطلوبة باتباع بعض التعليمات المعقولة . وهكذا الغاز الطبيعة . فعندما يحاول الباحث فهم طائفة من الظواهر الطبيعية فانه يسلم منذ البداية بأن هذه الظواهر تخضع لقوانين ، كتلك التى تسيطر على توزيع المربعات، يمكن الوصول اليها باتباع بعض التعليمات المعقولة ، وما ذلك الا لأن هذه القوانين معقولة بالنسبة الينا ، كما ان قوانين توزيع المربعات معقولة ، سواء بسواء . ومعنى هذا وجوب قبول معقولية العالم الفيزيائى فينا . واذا قبلنا هذه الفرضية التى نطلقها دون أن نشعر بمدى ما فيها من جراءة ، فاننا نحاول ايجاد العلاقات العقلية التى يجب تبعا لها أن تقوم بين الظواهر المحسوسة . وعلى هذا النحو يسعى الباحث الى ملء مربعات الكلمات المتقاطعة للطبيعة ، فيؤلف كلمات ذات معنى بالنسبة الى عقله . ولا نود ان نناقش هنا ما هى الدلالة الحقيقية لهذا الاتفاق ـ الجزئى على الأقل ـ بين العقل والأشياء ، وهو الاتفاق الذى تشير اليه على سبيل التصوير ، مقارنة البحث العلمى بحل الغاز الكلمات المتقاطعة . ولكن ما يجدر ملاحظته أن هذه المقارنة تظهر لنا بوضوح مدى التشابه بين البحث العلمى والالعاب بوجه عام . ففى كلا الحالين يستخفنا ما فى اللغز من جاذبية ، وما فى صعوبة حله من شعور بالتحدى ، ويستهوينا ما يعقب اكتشاف الحل من نشوة الانتصار . وعلى كل حال، ان الكلمات المتقاطعة لعب ذو طابع عقلى، وان جميع الألعاب ـ حتى ابسطها ـ تنطوى ، بما تثير من مشاكل ، على عناصر مشتركة بينها وبين نشاط رجل

العلم وهو يجرى ابحاثه . ولما كان الناس فى مختلف اعمارهم يستهويهم اللعب ويجدون متعة فيما يتعرض له من تقلبات وما ينتظره من مخاطر وتصاريف، فقد انقطع بعضهم الى البحث العلمى ووجدوا فيما يثير من معارك سبيلا الى اللعب ومعينا لا ينضب من اللذة والسرور. وهكذا نرى كيف ان حب اللعب عنصر لا يستهان به فى تقدم العلم .

نظريات العلم تتبدل وتتطور

يعتقد عامة الناس ان العلماء يسيرون فى ابحاثهم بخطى ثابتة لا يتطرق اليها مظنة الخلل وانهم يبنون نظرياتهم على وقائع لا يرقى اليها الشك وعلى محاكمات عقلية لا يمكن رفضها بحال من الأحوال. فالعلم فى حكمهم يفيد اليقين المطلق الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع العقل لتقدير ذلك . ومع هذا فان من يمعن النظر فى العلم الحديث يصاب بما يشبه خيبة الأمل . فلا يقتصر الأمر فيه على أن كل باحث له تصوراته الشخصية وطريقته الخاصة فى مواجهة المشاكل التى تعرض له ، بل علاوة على ذلك ان قيمة الوقائع المشاهدة وتفسيرها كثيرا ما يتشعب فيهما الراى ويثيران الجدل والمناقشة . فالنظريات تتبدل وتتطور باستمرار ولا تثبت على حال واحدة ، بل لقد تتغير جذريا ، شأنها فى ذلك شأن ازياء الثياب تبطل ويظهر غيرها على ترتيب مخصوص. فكيف كان يتأتى ذلك لو كانت عناصر العلم عناصر عقلية فقط ولو كان بناؤه لا يقوم الا على المنطق والتفكير ؟ وهذا برهان واضح على أن التقدم العلمى تتدخل فيه عوامل أخرى غير المشاهدات الثابتة أو الاستنتاجات الدقيقة الصارمة. ويسرى هذا الحكم حتى على العلوم التى تبدو انها تنقاد اكثر من غيرها للمخططات المجردة والاستدلالات الرياضية كالميكانيكا والفيزياء اللتين تمتازان بالضبط ويشيع فيهما بساطة ظاهرة .

عناصر غير عقلية بحتة ،لها شأنها

فان جميع النظريات العلمية التى تحاول ان تقدم لنا صورة او طريقة للتنبؤ بالظواهر الطبيعية انما تقوم على معان ومفاهيم تكون حسية تارة ومجردة تارة أخرى ، وترى كل باحث يشعر بازائها بقدر من التجاوب والعطف يتفاوت قوة وضعفا ، ويتكيف معها تكيفا يختلف اقبالا وادبارا . وتظهر لنا هذه الملاحظة جيدا ، كيف تتدخل العناصر الشخصية فى البحث العلمى بالضرورة ، وهى عناصر ليست عقلية بحتة ، ومع ذلك فلها شأن كبير فى تقدم العلوم . وتتجلى هذه العناصر اكثر ما تتجلى فى ملكتين شخصيتين جدا وتختلفان من فرد الى آخر اختلافا كبيرا ، واعنى بهما الخيال والحدس .

الخيال والحدس عند العلماء

فالخيال الذى يراود صاحبه من آن لآخر ويتيح له ان يتمثل كلمح البصر رقعة من الطبيعة الفيزيائية تمثلا تظهر فيه بعض معالمها ، والحدس الذى يشرق فى نفسه ويجعله يتكهن فجأة ـ بنوع من التجلى الباطن الذى لا شبه له بالقياس العقلى ـ بجانب عميق من جوانب الكون ، هما موهبتان تنتميان فى خاصة شأنهما الى الروح الانسانى الأصيل الخلاق، وقد لعبتا ـ وما تزالان ـ

دورا اساسيا فى اقامة صرح العلم وتثبيت دعائمه . نحن لا ننكر أن الباحث اذا افسح مجالا كبيرا من مجهوداته العلمية للخيال والحدس واطلق لهما العنان ، ضل الطريق وافضى به الحال الى التخلى عن فكره معقولية الكون التى هي من أبرز مسلمات العلم الحديث ، ثم نكص شيئا فشيئا الى التفسيرات الأسطورية التى طبعت التفكير الانسانى فى مرحلة ما قبل العلم . ومع ذلك فان الخيال والحدس اذا احسن استخدامهما واستعملا بمقدار، كانا عضدين كبيرين لرجل العلم واخذا بيده فى سيره الى الأمام .

ومضات من الوجدان

ان الكون الفيزيائى على جانب عظيم من التعقيد والتشابك ولا يمكن الاحاطة به احاطة شاملة . فنحن لا نعرف سوى جزء طفيف جدا من الظواهر الطبيعية ، ومن هذا الجزء نريد الوقوف على سائر الأجزاء . لذلك مست الحاجة الى قفزات من الخيال والحدس نقوم بها من حين الى آخر ليست من موحيات العقل والمنطق،بل من ومضات الوجدان والحس المرهف نعوض بها وجوه النقص فى معرفتنا المليئة بالثغرات . لكن هذه القفزات لا تخلو من المخاطرة.كالطيار يركب متن الهواء ويغامر بالوثوب من قمة جبل الى آخر ، لأنه يعلم أن الطريق سيرا على الأقدام طويل شاق ، وان كان من حيث المبدأ اكثر امنا واقل خطرا . ولكن لما كانت انتفاضات الخيال والحدس مسألة شخصية تختلف من فرد الى آخر ، فان النتيجة الحتمية لذلك ان البحاث تتشعب بهم السبل ولا يتبعون طريقا واحدا .وهذا ما يفسر لنا تلك المجادلات الحادة والمناقشات الصاخبة بين رجال الاختصاص،أو قل تلك التقلبات فى التفكير العلمى التى تثير دهشة اولئك الذين لا خبرة لهم بفلسفة العلوم والذين يشهدون هذه المناقشات والمجادلات من الخارج اذا صح التعبير ، فيحكمون على الأشياء حكما سطحيا وينادون بالويل والثبور لأنهم كانوا يتوقعون أن يجدوا فى العلم اجماعا فى الرأى واتفاقا فى وجهات النظر واحكاما لا اختلاف فيها .

تناقض ؟!

يا للتناقض العجيب ! فالعلم الانسانى وهو فى مبدئه وفى مناهجه ، علم عقلى لا يؤمن الا بالعقل ولا يصيخ الا لنداء المنطق ، ما باله فى كثير من الأحيان يخرج عن جادة الطريق ، فلا تنفتح له الفتوح ولا تؤاتيه قوة الخلق الا بوثبات مفاجئة خطرة ، يتحرر فيها من ربقة العقل واساليب المنطق ، ويعود الى معين الوجدان الثرى الصاف ! فليت شعرى ، الا يعنى هذا أن العلم مزاج من المعقول واللامعقول،ومشيج من المنطق والوجدان فى احدى لحظات العبقرية ، فيلتمع عقله وتنثال عليه المعانى ، ثم يقف السيل العرم . فيعاود رجل العلم الملهم تحليله ويستأنف استنتاجاته حلقة حلقة ، وما يزال يمضى فى هذا الطريق حتى يثب وثبة اخرى . فتقدح فى ذهنه معالم عالم جديد ويستشرف آفاقا لم تكن بالحسبان .

البحث العلمى مغامرة كبرى

لكن كل مجهود يبذله الباحث فى احدى هذه الوثبات ينطوى على مخاطر جمة بمقدار ما هو خلاّق . فان صاحبه اذ ينطلق من قيود الاستنتاج العقلى ويتخفف من تزمت الضبط المنطقى ، لا يعرف اين يحط رحاله . ومن يدرى ؟ فقد يضل الطريق ويسلك مآزق لامخرج منها . وهنا يكمن الخطر . ولهذا يصح القول بأن البحث العلمى وان كان لا يخلو من التفكير يقوده ، ومن العقل يسدد خطاه، الا انه فى ذاته مغامرة واى مغامرة!

■■

محمد عبد الرحمن مرحبا
طرابلس ـ لبنان

طرائف عربية

اصلحك الله

● جاء رجل فقير الى رجل من الاثرياء فقال :

ــ انا جارك ، وقد مات اخى فلان فمر لي بكفن له .

فقال الثرى :

ــ لا والله ، ما عندى اليوم شيء ، ولكن عد الى بعد ايام فسيكون الذى تحب .

فقال الرجل :

ــ أصلحك الله ! هل نملحه الى ان يتيسّر عندك شيء ؟ !

قــالوا

● لا تجادل بليغا ولا سفيها : فالبليغ يغلبك ، والسفيه يؤذيك .

(ابن عباس)

● والله لو اننى قتلت ، ثم احييت ، ثم قتلت ، يفعل بي ذلك الف مرة ، لما تحولت عن عقيدتى .

(زهير بن القيس البجلي)

● اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق فانها لا تفنى ، واذا ادبرت فانفق فانها لاتبقى!

(بزرجمهر)

أقوى الناس واضعفهم

● « اضعف الناس من ضعف عن كتمان سره ، واقواهم من قوى على غضبه ، واصبرهم من ستر فاقته ،واغناهم من قنع بما تيسر له » .

يسرنى أن تكون أمى

● كان غلام يستمع للفرزدق وهو ينشد قصيدة على جمع كبير ، فكان هذا الغلام يصفق طربا . فلما انتهى من انشاده استدناه ، وقال :

ــ اعجبك شعرى ؟

قال الغلام :

ــ لم اسمع مثله فى الجودة ، والرصانة ، والمعنى .

فداخل الفرزدق الزهو ، وقال للغلام :

ــ أيسرك ان اكون اباك ؟

فقال الغلام :

ــ اما ابى فلا ابتغى به بدلا ، ولكن يسرنى ان تكون أمى !

الحلم والغضب

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليس الشديد بالصُرَعَة ، انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

● وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رجلا قال :

ــ يا رسول الله ، مرنى بعمل واقلل .

قال :

ــ لا تغضب . ثم اعاد عليه فقال : لا تغضب .

روحوا القلوب

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فان القلوب اذا كلتْ عَمِيت » .

ذات الخمار الاسود

● قدم الى المدينة تاجر من اهل الكوفة ، ومعه خُمُر ، فباعها كلها ، وبقيت السود منها فلم تبع ، وكان صديقا للدارمي الشاعر ، فشكا ذلك اليه . وكان الدارمي قد نسك ، وترك الغناء وقول الشعر ، فقال له :

ــ لا تهتم بذلك ، فاني سأنفقها لك حتى تبيعها اجمع .

ثم وضع شعرا للغناء :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعتِ براهب متعبِّد ؟!
قد كان شمَّر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع غناؤه بين الناس ، ولم تبق فى المدينة ظريفة الا وابتاعت خمارا اسود ، حتى نفد ما كان مع الكوفى منها .

المعدة والعقل

● قال لقمان لابنه :
« يا بني ! اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

مرض الحبيب

ماذا يريد السَّقامُ من قمر
كلُّ جمال لوجهه تبع ؟
مايبتغي ؟ جار في محاسنها
أماله في القباح متَّسع ؟
غيَّر من لونها وصفَّرها
فزيد فيه الجمال والبدع
لو كان يبغي الفداء ، قلت له :
ها أنا دون الحبيب ياوجع

(سحيم عبد بني الحسحاس)

الاحسان والاساءة

● وقع بين ابى مسلم وبين قائد له كلام ، فأربى عليه القائد الى ان قال له : يا لقيط !

فاطرق ابو مسلم ، فلما سكتت عن القائد فورة الغضب ندم وعلم انه قد اخطأ ، وقال لابى مسلم :

ــ ايها الأمير ! اغفر لى .

قال : قد فعلت .

قال : انى احب أن استوثق لنفسى بانك غفرت .

فقال ابو مسلم : سبحان الله ! كنتَ تسيء وأحسن ، فلما احسنتَ أسيء !

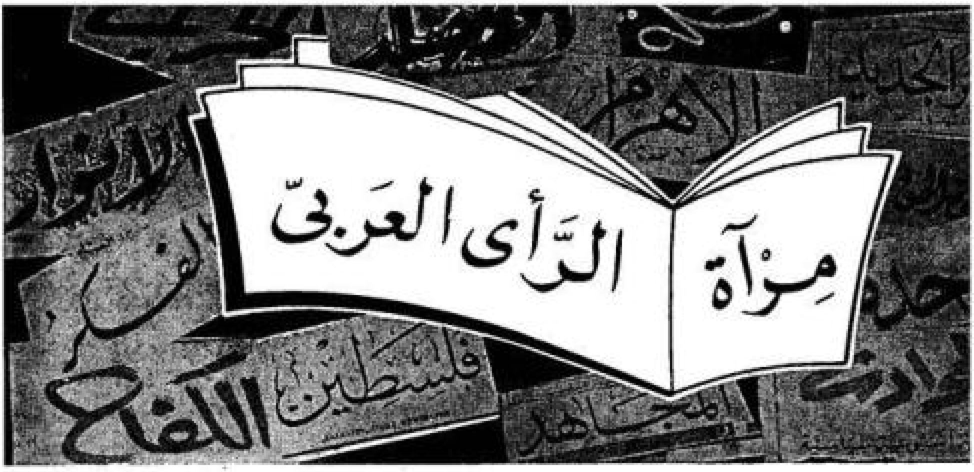

متى يفقد الاحسان معناه ؟

● فى بعض الدول الغربية مؤسسات وهيئات لاقراض المحتاجين ومتوسطى الحال فى مواسم الأعياد وحالات المرض أموالا بدون فوائد ، على ان يقوم هذا المحتاج بسداد المبلغ متى تحسنت أحواله.

وتتلقى هذه الهيئات مساعدات مالية من الحكومة ومن الكنائس ورجال الصناعة والمال .

قرات هذا النبا وتساءلت :

ـ لماذا لا تكون عندنا مثل هذه المؤسسات ؟ انها تختلف كليا عن الجمعيات الخيرية عندنا .

فجمعياتنا تخنق لدى المحتاجين روح العمل .

فالمحتاج عندما ينال احسانا من جمعية خيرية ينام ملء جفنيه على سرير من التواكل ... فما دامت الجمعيات الخيرية تمده بالمعونة .. فلماذا يفكر بالعمل ؟

بينما وجود مثل المؤسسات الغربية لاقراض المحتاجين ومتوسطى الحال ما يحتاجونه من مال ـ دون فائدة ـ بشرط رد المبلغ لدى تحسن احوالهم ، تبعث فيهم روح العمل لسد المبلغ ..

الاحسان واجب .. انسانى واجتماعى ، ولكنه يفقد معناه النبيل ، اذا ولد فى المحتاج روح التواكل ..

خازن عبود
فى جريدة « الكفاح » ـ بيروت

لمن الولاء ؟

● عندما يقول ناحوم غولدمان ان يهود امريكا يشعرون بالولاء لاسرائيل لا يكون قد جاء بجديد ، ذلك لان الصهيونية جعلت لجميع يهود العالم ولاء مزدوجا ، اولهما وهو الحقيقى . لاسرائيل ، والآخر وهو الزائف للبلد الذى يقيمون فيه !

والولاء المزدوج مشكلة لم يشعر بها العالم الابعد ظهور الصهيونية حركة سياسية تعتمد الدين اساسا لعملها ، وبهذه الطريقة تجعل اليهود فى أى بلد يعيشون فيه طابورا خامسا لاسرائيل ،يتجسس لها ، ويعمل لصالحها ضد البلد الذى آواه عشرات ومئات ـ بل وآلوف السنين .

وبالنسبة للولايات المتحدة استطاعت الصهيونية ان تجند اليهود الأمريكين لخدمة اسرائيل ، وظهرت هذه الخدمة فى أبشع صورها بالتأثير المطلق على الذين يرسمون السياسة الخارجية لدولة الولايات المتحدة ، فجعلت هذه السياسة تخدم اهداف اسرائيل لا المصالح الحقيقية للشعب الأمريكي المرتبطة ارتباطا وثيقا بالشرق العربى .

ولقد كنا نحن نعرف حقيقة هذا الولاء المزدوج ليهود امريكا ، ونشعر بتاثيره على السياسة الأمريكية لصالح اسرائيل ، وكنا دائما نامل ان يصحو الشعب الأمريكي على هذه الحقيقة فيرغم حكامه على التطلع الى مصلحة بلدهم لا مصلحة اسرائيل ، وتخيير اليهود الأمريكين بين الولاء لامريكا والولاء لاسرائيل !

ولا نزال على هذا الأمل

ابراهيم سكجها
فى جريدة « فلسطين » القدس

جامعة القاهرة

جامعة الخرطوم

١١٤ كلية يتلقى العلم فيها

الدراسى المنصرم ١٩٦٠ – ١٩٦١ . ويتبين من هذه الاحصاءات ان مجموع طلابها كان ١٤٤٠٩١ .

غير انى لم احصل على احصاءات جديدة عن جامعة الجزائر وعن الاقسام العالية من جامعتي القرويين وابن يوسف . ولكني لا اشك فى ان مجموع طلاب الجامعات الثلاث لا يزيد كثيرا على الستة الآلاف .

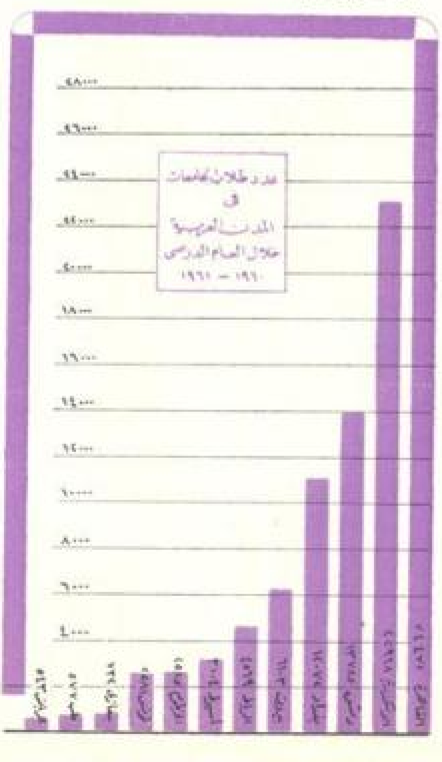

فاذا اضفنا هذا الرقم التخميني الى الارقام الرسمية التى اشرنا اليها آنفا ، نستطيع أن نجزم ان مجموع طلاب الجامعات القائمة فى البلاد العربية يزيد على (١٥٠٠٠٠) .

هذا ، ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المضمار : انه يوجد فى البلاد العربية عدة « مدارس عالية » غير تابعة الى جامعة من الجامعات . ان طلاب تلك المدارس العالية لم يدخلوا فى هذا الاحصاء . لأن هذه المقالة مخصصة لبحث « الجامعات وطلاب الجامعات » ، فقط .

توزع الطلاب على المدن

ان الجدول التالى يبين مجموع الطلاب الجامعيين فى كل مدينة من المدن التى ذكرناها آنفا ،بترتيب كثرته :

القاهرة	٧٤٤٧٢
الاسكندرية	٢٢٩٦٨
دمشق	١٣٧٨٥
بغداد	١٢٠٧٢
بيروت	٦١٠٣
الرباط	٤٥٦٩
اسيوط	٣١٠٤
الخرطوم	٢٥٨٥
تونس	٢٥٨١
بنغازى	٧٣٢
حلب	٥٧٧
الرياض	٥٤٣

والرسم البياني (رقم ١) الملحق بهذه المقالة يظهر نسب هذه الأرقام الى العيان ، بوضوح تام.

الكليات التابعة الى الجامعات

ان أوسع الجامعات العربية تضم ١٢ كلية ، واما أصغرها وأحدثها فتتألف من كليتين ، كما يتبين من التفاصيل التالية :

جامعة القاهرة تضم كليات الآداب ، والحقوق ، والتجارة ، والعلوم ، والطب ، وطب الاسنان ، الصيدلة ، والهندسة،والزراعة ، والطب‌البيطرى، ودار العلوم ، والاقتصاد والعلوم السياسية .

وجامعة الاسكندرية تضم كليات الآداب والحقوق والتجارة والعلوم والطب وطب الأسنان والصيدلة والهندسة والزراعة .

جامعة عين شمس بالقاهرة ، تضم كليات الآداب، والحقوق ، والتجارة ، والعلوم، والطب، والهندسة، والزراعة .

جامعة دمشق تضم كليات الآداب ، والحقوق ، والتجارة ، والعلوم ، والطب ، وطب الاسنان ، والتربية ، والشريعة .

وجامعة بغداد تضم كليات الآداب ، والحقوق ، والتجارة والاقتصاد ، والعلوم ، والهندسة ، والزراعة ، والطب ، والصيدلة ، وطب الاسنان ، والطب البيطرى ، والتربية ، والتحرير (وهى دار المعلمات العالية) .

وجامعة الخرطوم تضم كليات الآداب ،والحقوق، والطب ، والهندسة، والعلوم ، والبيطرة ،والزراعة، والدراسات الاقتصادية والاجتماعية .

والجامعة اللبنانية تضم كليات الآداب،والحقوق، والعلوم ، والمعلمين العالية .

وجامعة بيروت الأمريكية تضم كليات الآداب والعلوم ، والطب ، والصيدلة ، والهندسة ، والزراعة .

وجامعة القديس يوسف اليسوعية فى بيروت تضم كليات اللاهوت ، والطب ، والصيدلة ، والهندسة ، والآداب الشرقية .

الجامعة التونسية تضم كليات العلوم،والآداب ، والعلوم الانسانية ، والحقوق ، والعلوم الاقتصادية والسياسية ، والزيتونة (الشرعية) ، ومدرسة المعلمين العالية .

جامعة أسيوط تضم كليات الهندسة ، والعلوم والزراعة ، والطب .

وجامعة الملك سعود فى الرياض تتألف من‌كليات الآداب ، .والعلوم ، والتجارة .

والجامعة الليبية تتألف من‌كليات‌الآداب‌والتربية، والتجارة والاقتصاد ، والعلوم .

فرع جامعة القاهرة فى الخرطوم يتألف من كليات الآداب ، والحقوق ، والتجارة .

الجامعة الأزهرية فى‌القاهرة تضم كليات الشريعة، واصول الدين ، واللغة العربية .

جامعة حلب تتألف ــ الآن ــ من كليتى الهندسة والزراعة .

جامعة بيروت العربية أيضا تتألف من كليتى الآداب والحقوق .

لم أحصل على معلومات وافية عن تشكيلات بقية الجامعات .

ويتبين مما سبق : أن عدد كليات الآداب القائمة فى البلاد العربية١٥ ،وعدد كل من كليات الحقوق وكليات العلوم ١١ ، وعدد كل‌من كليات الطب والهندسة والتجارة ٩ ، وعدد كليات الزراعة ٨ وكليات التربية ٦ ، وكليات الشريعة ٥ ، وكليات الصيدلة ٤ ، وكليات البيطرة٣.

طلاب الكليات

الجدول التالى يبين كيفية توزع الطلاب على كل نوع من أنواع الكليات المذكورة آنفا :

مجموع الطلاب فى :

كليات الآداب	٢٩٦٦٤
كليات الحقوق	٢٩٢٢٢
كليات التجارة	٢٥٢٩٧
كليات الهندسة	١٤١٦٨
كليات الطب	١١١٠٥
كليات العلوم	٨٤٧٥
كليات الزراعة	٨٢٣٧
كليات الشريعة	٧٢١٧
كليات التربية	٤٢٨٠
كليات الصيدلة	١٩١٤
كليات البيطرة	١٣٢٦
كليات طب الاسنان	١١١٤
كليات الاجتماع والسياسة	٧١٢

لم احصل على المعلومات اللازمة عن كليات الجامعة التونسية .

ان الرسم البيانى (رقم ٢) الملحق بهذه المقالة يظهر نسب هذه الارقام الى العيان بكل وضوح وجلاء .

الطالبات فى الجامعة

ان الارقام المدرجة فى الجداول السابقة تعود الى مجموع الطلاب من ذكور واناث .

وجميع الجامعات تضم عددا من الطالبات ، باستثناء جامعة الملك سعود فى الرياض .

ومجموع الطالبات فى الجامعات القائمة فى البلاد العربية يبلغ ٢١٢٩٨ .

والجدول التالى يبين توزع الطالبات الجامعيات على المدن .

مجموع الطالبات الجامعيات فى مدينة :

القاهرة	١١٨٤٣
الاسكندرية	٢٦٧٠
بغداد	٢٥٦٤
دمشق	٢٤٣٩
بيروت	٧٣٤
رباط	٦٦٧
اسيوط	٢٨٩
الخرطوم	١٣٤
حلب	٣٥
بنغازى	٢٣

واما كيفية توزع الطالبات الجامعيات على الكليات ، فيتبين من الجدول التالى :

كليات الآداب	٧٤٢٠
كليات التجارة	٢٩٥١
كليات الحقوق	٢٩٤٩
كليات التربية	٢٧٢١
كليات الطب	١٨٢٢
كليات العلوم	١٣١٢
كليات الزراعة	٧٣٠
كليات الهندسة	٦٤٥
كليات الصيدلة	٤٣١
كليات طب الاسنان	٢٠٨
كليات السياسة والاجتماع	٩١
كليات البيطرة	٧٥
كليات الشريعة	٤٢

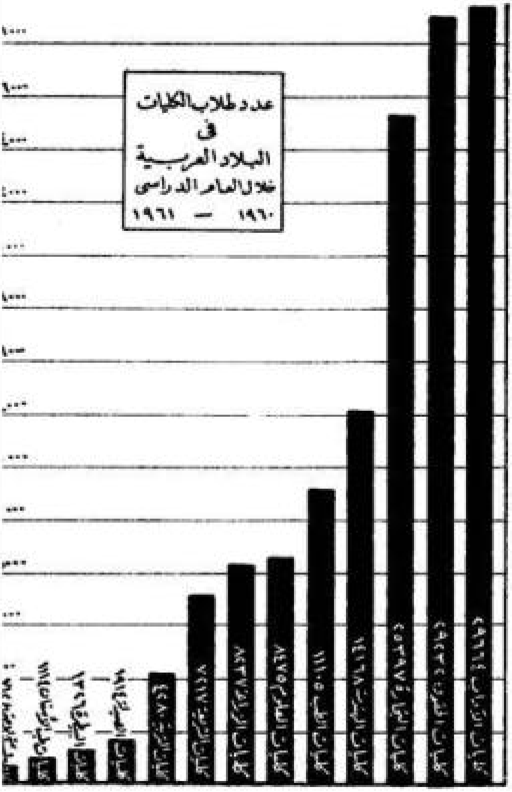

اعتقد ان دلالة هذه الأرقام جلية لا تحتاج الى ايضاح .

اقسام الدكتوراه

يوجد فى خمس من الجامعات القائمة فى البلاد العربية ، اقسام دراسات خاصة بالدكتوراه ، هذه الجامعات هى: جامعة القاهرة ، جامعة عين شمس بالقاهرة ، جامعة الاسكندرية ، وجامعة اسيوط ، والجامعة الازهرية فى القاهرة. ■■

ابو خلدون
ساطع الحصرى

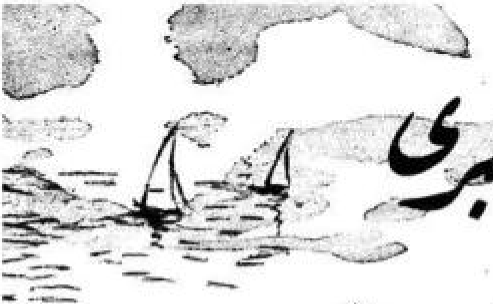

ابن جرير الطبري

شيخ المفسرين وكبير المؤرخين
عاش على ثلاثة دراهم ، لم يجد بها ملك ولا حاكم !

بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

■ ثلاثة من اهل العلم جمعتهم الرحلة الى مصر، واصابتهم الام الغربة فافتقروا الى القوت ولم يجدوا ما يمونهم ، واضرت بهم الحال ، والحت بهم المخمصة ، فاجتمعوا في مكان آووا اليه ، ولم يجدوا حيلة الا أن يسألوا الناس ، أعطوهم أو منعوهم . ولكن ايخرج ثلاثة علماء اعلام يتكففون الناس ، ويندى ماء جبينهم جميعا ، ام يغنى احدهم عن سائرهم؟ فانتهوا الى ذلك، واستهموا بالقرعة فيمن يكون ذلك الذى كتب عليه الذل فى هذه المخمصة ، فخرجت القرعة على احدهم . فعلم أنه متقدم على محنة النفس يتقى بها محنة الجوع ، فقال امهلونى حتى أتوضأ واصلى . فاندفع يصلى ما شاء أن يصلى ، وكأنه يستطعم الله بدل أن يستطعم الناس ، ويقدم وجهه لله بدل ان يقدمه للناس . وما أن هم بأن ينهى صلاته ، ويتوجه الى الناس ، حتى جاءتهم هدايا السلطان، وبدر الأموال ، وكأنها المطر يجيء عند الجدب ، والغوث يجيء عند الاستغاثة بالرحمن !

هؤلاء الثلاثة الأتقياء الاعلام كان بينهم ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، شيخ المؤرخين ، وامام المفسرين ، والفقيه والأديب والكاتب وعالم اللغة المستبحر .

مولده ونشأته

ولد فى آخر سنة اربع وعشرين ومائتين ٢٢٤ من هجرة الرسول ، وقيل فى اول سنة خمس وعشرين ومائتين ٢٢٥ ، وقد سئل شيخ المؤرخين كيف وقع الشك فى وقت ولادته ، فقال : لأن اهل بلدنا يؤرخون بالاحداث ، ومرت السنون ، فأرخ مولدى بحدث كان فى البلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث ، فاختلف المخبرون لى ، فقال بعضهم كان فى آخر سنة اربع ، وقال آخرون بل كان فى أول سنة خمس .

وكانت وفاته سنة عشر وثلاثمائة ٣١٠ لاربع من شوال ، فقد مات فى نحو السادسة والثمانين ، وقد كانت ولادته فى « آمل » قصبة اقليم طبرستان فى ذلك الزمان .

وقد نشأ نشأة علمية اتجه فيها الى طلب العلم، وكان ابوه حريصا على توجيهه لطلب العلم ، وذلك لرؤية رآها فيما يرى النائم ، فقد روى أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه، وبجواره ابنه ، ومعه مخلاة مملوءة حجارة يرمى بها بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسأل عن تأويل هذه الرؤيا ، فقيل له : ان ابنك هذا ان كبر نصح فى دينه ، وذب عن شريعته .

استحفظ القرآن الكريم وجوده فى صدر حياته، ثم اتجه من القرآن الى الحديث فطلبه ببلده ، حتى اذا حصل خير ما فيها اتجه الى الرى عش علماء خراسان ، والتى خرجت للاسلام جهابذة من العلماء ، وأخذ يطلب الحديث بالرواية عند علمائها ، وأخصهم محمد بن حميد الرازى . وكان مع هذا يرحل الى قرية بجوار الرى

- يسمع الى احمد بن حماد الدولابى . وكان لشغفه هو وصحبٌ له بطلب العلم يحضرون درس ابن حميد وابن حماد فى اليوم الواحد ، ولنتركه يقص علينا ذلك فهو يقول : كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازى ، فيخرج الينا فى الليل مرات ، ويسألنا عما كتبناه ، وكنا نمضى الى احمد بن حماد الدولابى ، وكان من قرية من قرى الرى بينها وبين الرى قطعة ، ثم نعدو كالمجانين حتى نصير الى ابن حميد فنلحق مجلسه » .

وقد اخذ وهو بالرىّ عن سلمة بن المفضل عن محمد بن اسحق المغازى ، كما اخذ عن احمد بن حماد كتاب المبتدأ ، وقد كان ما اخذه عن هذين العالمين نواة تاريخه الذى شرق به اسمه وغرّب .

الى بغداد

لقد ترامى اليه اسم ابى عبد الله احمد بن حنبل الذى ادركه زمانه ، وكان ابو جعفر فى صباه ، وابو عبد الله فى شيخوخته ، ومع ذلك اتجهت نفسه اليه مع بعد الشقة وعظم المشقة ، فسار طالبا لقاءه ، والاستماع اليه ، ولكن امام دار السلام مات قبل أن يصل اليها امام المؤرخين الشاب .

واكتفى حينئذ بالسماع من المحدثين بها ، وكتب عن شيوخها واكثر من الكتابة ، ثم اخذ يشد الرحال الى البصرة التى كانت موطن علوم اللسان ، بجوار من بها من المحدثين والرواة للوقائع والمغازى . ثم ركب متن الفياق فانتقل الى الكوفة ، ومرّ بواسطٍ فى طريقه ، وتلقى عن شيوخها . وفى اقامته بالكوفة اخذ عن كل رواتها وكان من كبار شيوخها عالم اسمه ابو كريب فيه شراسة وعنف وضيق عطن ، مع علم غزير ، فاخذ ابو جعفر يستميله اليه بحفظه وسماحة خلقه ، حتى نال اطمئنانه وثقته فسمع منه الكثير من الرواية .

فى الشام ومصر

وبعد أن جاب آفاق العراق راويا منقبا غرب

الى الشام ، ثم الى مصر . وفى الشام التقى بكثير ممن كانوا يقيمون بالسواحل والثغور ، فاخذ ما عندهم من علم بالوقائع ، واخبارها ، والأمراء واحوالهم ، وقد أتم رحلته ، والقى عصا التسيار فى الفسطاط مدينة العلم الثانية بعد بغداد ، والتى آوى اليها الشافعي واستقر به المقام فيها. وقد وصل اليها سنة ثلاث وخمسين ومائتين٢٥٣، فكان قد زاد على الثلاثين ، وقد تمرس بالتجارب وبالرحلة المستمرة ، والالتقاء بالشيوخ فى مشارق الارض ومغاربها ، وقد اختلفت مناهجهم وعلومهم. وعندما دخل مصر كان قد تزود من علم الرواية والوقائع باكبر زاد ، كما تزود بعلوم اللغة وعلوم القرآن .

وفى مصر كانت بقية" من تلاميذ الشافعي ، وتلاميذ ابن وهب وعبد الرحمن بن القاسم ومحمد ابن عبد الحكم ، وهؤلاء من تلاميذ مالك ، فاخذ عن تلاميذ الشافعي وتلاميذ مالك فقه هذين الامامين ، كما اخذ فى الكوفة وبغداد فقه أبى حنيفة ومسائل احمد بن حنبل وسنده ، وكما أخذ فى الشام فقه الاوزاعي عن تلاميذه، أو تلاميذ تلاميذه.

وبذلك التقى الفقه بكل مناهجه مع الرواية والأدب والعلوم العربية .

وفى مصر ابتدأ يظهر مكنون ما جمع ، ويذاكر العلماء ، فقد التقى فيها بأبى الحسن بن على بن سراج المصرى ، وكان فاضلا فى شخصه ، عالما بالادب وفنون الشعر ، فلما لقيه ابو جعفر تذاكرا العلم ، فتفتحت عيون العلوم فى ابن جرير ، فتكلم بكلام المستمكن المحقق فى القرآن والفقه والحديث واللغة والشعر ، وقد سأل أبا جعفر عن شعر الطرماح ولم يكن له راوية فى مصر،فتبين أنه يحفظه واخذ يمليه حفظا من ذاكرته على من اراد .

وفى أثناء رحلته التقى بالمزنى صاحب الشافعي ، واحد حاملى فقهه الى الأجيال ، وقد روى عنه الفقه برواية الكتب البغدادية التى دونها الزعفرانى كما روى الكتب المصرية التى دونها ربيع ابن سليمان المرادى .

وبذلك اجتمع فيه العلم بالفقه كله ، اطلع على ما عند فقهاء العراق جميعا ، وما عند فقهاء الشام، وما عند فقهاء مصر من فقه الشافعي ومالك رضى الله عنهما ، وفوق ذلك ما عند الشيعة من علم ، حتى انه اتهم بالتشيع عند الحنابلة ، ولكنه كان فوق العصبية أيا كانت .

علمه

آتى الله ابا جعفر علما غزيرا شهد له به اهل عصره جميعا ، بل شهدت به آثاره التى خلفها عبر القرون . وقد قال فيه بعض العلماء : « كان أبو جعفر قد نظر فى العلوم كلها ، فقد نظر فى المنطق والحساب وفى الطب والجبر والمقابلة ... وكان عازفا عن الدنيا تاركا لها ولأهلها ، يرفع نفسه عن التماسها . وكان كالقارىء الذى لا يعرف الا القرآن ، وكالفقيه الذى لا يعرف الا النحو ، وكالحاسب الذى لا يعرف الا الحساب . واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره ، وجدت لكتبه فضلا على غيرها .

وقد كتب كتبا ليس لها نظير فى بابها ، وهى أول ما بدىء به فى نوعها ، منها كتابه « جامع البيان عن تاويل القرآن » ، وهو كتاب التفسير المشهور ، وكتاب « تاريخ الرسل والملوك واخبارهم » ، وهو كتاب التاريخ المشهور ، وكتابه فى القراءات المتواترة كلها ، ومنها كتابه « ذيل الذيل » وهو يشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او التابعين على ترتيب الأقرب فالأقرب من قريش ، ومنها كتابه المسمى « اختلاف علماء الامصار فى احكام شرائع الاسلام » ، ومنها كتابه « لطيف القول فى شرائع الاسلام » ، وفيه مجموع مذهبه الذى يعول عليه. وله كتب أخرى كثيرة فى فروع من مسائل الفقه ، وله فى الفقه ايضا كتاب «الشروط» ، وقد ضم الى اللطيف فيما اشتمل عليه ، وقد اختصر كتاب اللطيف فى كتاب سماه «الخفيف» . وله فى الفقه واصوله ايضا كتاب جليل سماه « بسيط القول فى احكام شرائع الاسلام » . وله كتاب « آداب القضاة » ، وله كتاب «التهذيب» ، وله فى الآداب والأخلاق كتاب سماه « أدب النفوس » ..

وهكذا تنوعت كتبه وكثرت ، وله مساجلات ادبية وفقهية بين العلماء .

وقد استمر دائبا على التحصيل والتاليف لا ينى عن الرحلة والتلقى والكتابة حتى وافاه الأجل سنة ٣١٠ لاربع بقين من شوال كما ذكرنا ، ومات فى حيويته وقوته لأنه لم يغلب الشيب فى رأسه ولحيته ، بل كان يغلب فيهما السواد ، ولم يغير من شيبه قط ، وما كان فى حاجة الى التغيير أو التلوين ، وكان موته ببلده بطبرستان ، عاد اليه بعد ان طوف فى الآفاق ما شاء أن يطوف

ويظهر من مجرى حياته انه كان حصورا لم يتزوج ، وقد قال في وصف حاله ، عندما حل مصر ونزل عند الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي : « لا ولد لي ، وما حللت سراويلي على حرام ، ولا حلال قط » .

ولذلك انصرف للعلم بكليته دائبا ، لم يشغله مال ولا ولد ، فقد كان يعيش على بقية من المال يتجر فيها . ولما أرسل في مصر واصابته الخصاصة ، كان يكتفي بدرهمين وثلثي درهم تجرى عليه كل يوم ، من أهل العلم ، لا من سلطان ولا من ذى جاه .

صفاته

كان امام المفسرين ، وشيخ المؤرخين ، يتصف بصفات جعلته في الذروة من رجالات العلم في العالم كله ، فاذا كان هيرودت يلقبه العلماءُ بأنه أبو التاريخ القديم ، فأبو جعفر الطبرى أبو التاريخ الاسلامي ، ويحق لنا أن نلقبه أيضا بأنه أبو التفسير الأثرى .

واول هذه الصفات العالية الجلد والدأب والاجتهاد ، وتحمل المشاق في سبيل الحصول على علم الرجال من أفواههم . فهو كان رجل علم في الرواية والدراية معا ، وعالم الرواية تجب عليه الرحلة ، ليستمع من أفواه من يَروى عنهم ما داموا احياء ، كما كان يفعل الامام احمد بن حنبل ، وكما فعل في عصره البخارى ومسلم من أئمة الحديث .

ولهذا الجَلَد والدأب كان يركب متن الأسفار ، لينتقل من طَبَرستان الى العراق ، وينتقل في امصاره دارسا فاحصا راويا ، وينتقل من بعد ذلك الى مواطن العلم في الشامات ومصر ، يأخذ ويفحص ويدون .

والصفة الثانية التى اتصف بها ذلك العالم الجليل العزوف عن أغراض الدنيا ، ومواطن الذل . اصابته المخمصة في مصر ، فانتظر حتى فرج الله كربه . ولما أتته بِدَرُ المال لم يأخذ منها الا حاجته . وكان يرضى أن يعيش في فقر ، كريما زاهدا ، من أن يعيش في بحبوحة من العيش ذليلا خانعا طالبا مرضاة أمير ، أو مستظلا بظل سلطان كبير . واذا كان المؤرخون من بعده كانوا يعيشون في ظلال الملوك، ويكلفون الكتابةَ عنهم بقلم المحاباة ، فان شيخ المؤرخين لم يكن في كتاباته شيء من هذا ، لأنه كان يكتب لله وللحق ، ولنفسه التى لم يملكها حاكم بعطاء . لم يكتب تاريخ ملك لينافق ، كما كلَّفَ بعضَ كُتّاب بني بويه ان يكتب تاريخهم . فلما سئل ، وهو يحبر ويكتب ، ماذا تصنع : قال : أكاذيب انمقها ، وأباطيل الفقها .

والصفة الثالثة من الصفات التى رفعته الى الذروة الذاكرة الواعية ، فقد كان يحفظ ما يسمع، ثم يدون ويرتب ، ولا يمكن لمثل من تحمَّلَ مثلَ ما حمتل به نفسه الا أن يكون ذكورا واعيا ، وان التأليف الجيد يحتاج الى ذاكرة تحفظ ، وتعي ، وتقدم ثمرات حفظها ووعيها .

والصفة الرابعة ، التى اتصف بها ذلك العالم العظيم حضور البديهة ، وقد بدت هذه البديهة الحاضرة في مناظراته ، فهو يساجل المزَنى صاحب الشافعي في أصول الفقه الشافعي ، ويفلج عليه في المناقشة ، ويجمع المعلومات من رواياته . وهو يعلم موضع كل رواية مما دوَّن .

والصفة الخامسة الاخلاص في طلب الحقيقة ، لا يميل الى هوى فيما ينقل ، ولا يندفع الى غرض غير خدمة الاسلام ورجاله في تفسيره وتاريخه وفقهه ، واذا كان قد جاء في تفسيره بعض هَنَات ، فمن انخداعه بالرواية لا من قصد تحريف الكلم عن مواضعه .

والصفة السادسة : الشجاعة الأدبية الرائعة ، ومما يذكر في ذلك انه جاء الى بغداد ولأحمد بن حنبل منزلة عظيمة له بعد مماته كما كانت له في حياته ، وقد رأى بعد الدراسة العميقة ان أحمد ابن حنبل محدِّث" وليس بفقيه ، وانه عند الاجماع لا تمنع مخالفته انعقاد الاجماع ، وفوق ذلك يرى تأويل استواء الله على العرش في قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى بأن ذلك معناه الاستيلاء ، وليس الجلوس من غير كيف ، اذ لا يليق بذاته العلية ، وهذا خلاف ما كان عليه الحنابلة .

وقد ذهب الى الجامع ليصلى الجمعة ، فأحاط به الحنابلة يسألونه عن رأيه في الامام أحمد ، وعن رأيه في قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى « فجابههم من غير مواراة ، وقال رضي الله عنه : « اما احمد بن حنبل فلا يُعدُّ خِلافه » » ، فقالوا له « لقد ذكره العلماء في الاختلاف » » ، فقال : « ما رأيته رُوِيَ عنه (أى مسائل فقهية) ولا رأيت له أصحابا يعول عليهم ، وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ، ثم أنشد :

سبحان من ليس له أنيس
وليس له في عرشه جليس

فلما سمع الحنابلة ذلك ، وأصحابُ الحديث

معهم ، وثبوا عليه ورموه بمحابرهم ، وكانوا الوفا ، فقام ودخل داره ، فرموها بالحجارة ، وصار على بابه مثل التل العظيم من الحجارة . ولا يتحمل مثل هذا الا من يكون مخلصا شجاع القلب ، مؤمنا بما يقول .

تفسيره

اتجه ابن جرير الى علم الرواية والأدب ، وقد كان كلا العلمين واضحا في تفسيره كل الوضوح ، فهو ينقل الروايات المختلفة ليصل سندها الى التابعين ، واحيانا يصلها الى الصحابة ، ويختار بعد سرد الروايات ما يراه أقرب الى معنى الآية . من هذا يتجه الى لب النص بعد ان يزيل من حوله كل ما يحول بينه وبين ادراكه على وجهه الصحيح ، ولعله في هذا قد بلغ الذروة .

وقد أتم كتاب التفسير سنة سبعين ومائتين ٢٧٠ اى وهو في الخامسة والاربعين من عمره أو السادسة والاربعين على اختلاف الروايات في مولده.

وقد تلقى علماء الأمصار تفسيره بالقبول ، وكان فيهم أئمة اللغة في هذا العصر ، فكان في هذا العصر ثعلب عالم اللغة ، والمبرد صاحب كتاب « الكامل » والزجاج وغيرهم من النحويين وفرسان هذا اللسان ، وحمل هذا الكتاب مشرقا ومغربا ، وقراه كل من كان في وقته من العلماء،وكل قدمه وفضله.

والكتاب جزل العبارة بيّن ،وان في بعض تعبيراته ما يصل الى اعلى درجات النثر الفني من غير تكلف للصناعة .

وقد ابتدا في كتابه بمقدمة تحوى الكثير من العلوم التى تتعلق بالقرآن ، بين اعجازه في بلاغته وقراءاته ورواياته ، وبين انه جاء بلسان عربي مبين ، وليس فيه غير عربي ، وتكلم في ناسخه ومنسوخه ، وهكذا استرسل في مقدمة كانت بابا للدخول فيمعانيه القدسية .

وجل من لا يخطىء ، وكل انسان يخطىء ويصيب الا صاحب الروضة . ولا شك انه أخذ على التفسير بعض الروايات التى اشتمل عليها . ذلك ان الاسرائيليات سرت الى المسلمين في عصر الصحابة ، حتى ان ابن تيمية يقول في رسالة التفسير ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك ، وهي المعركة الفاصلة بين المسلمين والرومان ــ أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فسرت معلوماتهما الى التابعين وبعض الصحابة ، ولذلك شحنت بعض الكتب بالاسرائيليات . وكان بعضها في ذلك التفسير الكبير الذى كتبه ذلك العالم العظيم .

ولعل من أبرز ما كان في التفسير من اسرائيليات قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، فقد ذكر ان النبى رآها فوقعت في قلبه ، فأراد الزواج منها واستحيا من الاعلان في ذلك .

وهذا خطأ لا يتفق مع صريح النص ، فالله تعالى يقول ، « وتخفى في نفسك ما الله مبديه » . والله لم يبد عشقا ، بل الذى ابداه أمر الله له بأن يطلق زيد زوجته ، وما كان ذلك لعشق ، بل ليشجع المسلمين على ان يتزوجوا من نساء من يتبنونهم تأكيدا لمنع التبني ، ولذلك قال تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا » .

ومن الغريب ان أكثر المفسرين اتبعوا ابن جرير في هذا الخطأ ، حتى جاء الحافظ ابن كثير ، وقال ان ابن جرير خبط في هذا خبطا كثيرا ، ولم تصح فيه رواية قط ، بل كلها اسرائيليات من اعداء الاسلام .

تاريخه

قد نترك الكلام في فقه ابن جرير ، فقد كان عالما فقيها مجتهدا لا يقل عن معاصريه من الفقهاء ، وكان له مذهب ولذلك موضع تفصيل .

ولكنا لا نترك تاريخه ، فقد شرق وغرب ، لقد اتم تاريخه في ما بعد سنة ثلاثمائة ٣٠١ ، وقد ابتدا تاريخه بذكر قصة الخليقة فذكر خلق آدم وابليس ، وما كان من نزول آدم الى هذه الأرض المتنازعة المتناحرة ، وتتبع بعد ذلك أخبار النبيين نبيا نبيا مستعينا بالقرآن الكريم ، وقد يفصل ذلك ببعض الاسرائيليات من غير خروج على الجادة، واستمر على ذلك مختصرا القول ، حتى جاء الى نبينا صلى الله عليه وسلم ، ففصل القول فيه ، وذكر اخبار الراشدين وأخبار بنى أمية وبنى العباس واستمر في تاريخه الى آن أتمه الى حين موته ، فجاء حجة في التاريخ الاسلامى ، لا حجة فوقه ، وقد كتبه بعبارة جزلة قوية واضحة ، وكان يسند الرواية فيما يتعلق بالوقائع الكثيرة .

هذا هو ابن جرير الطبرى الفقيه والمفسر والأديب ، والمؤرخ ، وقد وصل الى القمة في كل ما كتب ، فرحمه الله ورضي عنه . ■■

محمد أبو زهرة

من واقع الحياة

القَرْيَةُ الحَنُون

بقلم : الدكتور احمد زكي

■ اى قرية هى ؟

هى قرية من القرى الملايين التى يتبقّع بها سطح الأرض ، واختلفت فيها بين الناس حظوظ العيش ، كاختلاف اوجهٍ فيهم وأبدان .

ومن اى لون فى الالوان اهلها ، ومن اى لسان ؟

لون اهلها أحد الالوان الخمسة او الستة التى اصطبغت بها جلود اهل الأرض . أما اللسان فككل لسان : عضلة ، أُودعت فماً ، يخرج من ورائها الهواء خروجه من مِنفاخ ، وتلعب بهوائها الشفاه ويلعب اللسان ، وتخرج من كل ذلك أصوات مختلفات نسمّيها الكلمات ، وتتجمع الكلمات فنسميها لغات ، تَطرق عَبْرَ الهواء أسماعا ، يتم عندها تفاهم افراد من جنس من الحيوان ، من سكان هذه الأرض ، تسمّيهم بشرا .

فهذه هى القرية التى عنها اليوم نحكى .

انه حدث بسيط جرى بها . وهو ليس مما يأبه الناس له كثيرا ، ولايتوقفون عنده طويلا .

فى المساء الباكر كانت امراة تجرى فى طريق القرية فوق دراجة . فاذا الدراجة تتحطم تحت سيارة ، واذا

راكبتها تقع من فوق الدراجة فيتقطع جسمها على الأرض أشلاء . واجتمع الناس في غبش المساء وأكثر همهم علم من هذه الضحية .

ويتعرف عليها نساء القرية،ويتعرف رجالها .

انها فلانة التي طالما راوها تجري على دراجتها الى طرف القرية صباحا ، وراوها تعود الى بيتها على الدراجة مساء ، في مواعيد لا تكاد تختلف .

وعرفوا انها لم تكن بعد قد بلغت الاربعين .

وعرفوها اما لأطفال ستة .

وخرجت للعمل تكسب لأطفالها الستة مثل ما يكسب الناس،تعين زوجا ضاقت به النفقة ، وحاق به الدين ، وعاق المرض .

ولم تكن تعمل عملا يتسامع به الناس فيجلونه . انها كانت تعمل عونا في النهار لسيدة عجوز في أطراف القرية . ومما تكسب تعين في شراء طعام لأطفالها الستة وكساء .

انها لا تراهم بالطبع كل الوقت .انها تجهزهم صباحا ، وتعنى بهم مساء . وكبرى بناتها ، وعمرها اثنا عشر عاما ، تعنى بالأطفال من بعد مدرستها ومدرستهم .

تدبير كان لا بد منه للأسرة ، فيه ضيق ، نعم . وفيه قسوة على قلب الأم ، نعم . ولكنه تدبير اغنى عما هو أشد منه قسوة : الحاجة والعوز .

ومع هذا ، فهل تركت لها المقادير هذا التدبير قائما ؟

لقد حطمته المقادير في ثوان معدودة : عجلات سيارة، فوق عجلتي دراجة،ومن تحتهما العظم واللحم قد تكسر وتهرى . والمقادير ، كالطبيعة ، لا تدري من تبعات الحياة شيئا . والمقادير كالطبيعة، جامدة ، الخير والشر عندها سواء ، والحياة والموت سواء . أليست هي تحيي ثم تفني ، ولا نأخذ عليها احياء ولا افناء .

★★★

ويأتي الخبر اللعين الى بيت الفقيدة . ويذهل الاطفال . بعض فهم ، وبعض لم يفهم . ولكنهم جميعا احسوا بأن شيئا عزيزا ، كان قائما فيهم ، قد اختفى، كما تختفي الشمس من بعد نهار . الا أن الشمس تختفي لتعود،أما هذه فاختفت ولن تعود . ويسأل الطفل الصغير لم لم تعد أمه . وتجيب كبرى البنات والدمع يغلبها : ان امنا ذهبت في سفر بعيد .

ويتسامع بالخبر أهل القرية الصغيرة الطيبة . ان الناس في القرية الصغيرة تتعارف بالوجه قبل ان تتعارف بالأسماء .

ويهز الحادث قلوب أهل القرية.ليس اكثر همهم الآن في الأم التي ترحلت ولكن في الصغار الذين تركت .

وسارعوا يتقاسمون الاطفال . هذا يضم الكبرى لأسرته . وهذا يأخذ الصغرى . وفي الاطفال ولدان توأمان ، فهذان للسيد فلان . ان التوائم لايحسن التفريق بينها .

وسمع بهذا رجل شيخ ، كان بالأمس القريب لأهل القرية الصغيرة وليا . فثار ..

لم ثار يا ترى ؟

امن أجل نهوض أهل القرية لهذه النجدة ؟

لا .. لم يثر لهذا . ثار لان أسرة ، من أطفال صغار ستة ، جمعها سقف واحد ، يراد بها ان تتمزق وتتفرق . وذكر ما ناله هو من التفريق في صباه ، حين فقد بعد عطف الأم ، عطف الأخوة ، وجو الأسرة ، الدافئ الحبيب .

لا .. لا .. لن تتفرق هذه الأسرة ، ولن تتقسم اشلاء ، ولن تتحطم . وكفاهم ما جرى لأمهم تحت عجلات السيارة الكبيرة الثقيلة من تحطم .

ويطلق الشيخ ، ولي القرية السابق ، صوته

فى الناس ، ويكتب النشرة ، ثم يديرها على منازل القرية ، وعلى تجارها ، وفى معبدها الواحد .

وينهال على الرجل الشيخ ، الذى تطوع فتحدث باسم الأسرة ، التى فقدت من يتحدث باسمها ، ينهال عليه المال من كل صوب . لم تكن مبالغ كبيرة ، ولكن كانت مبالغ كثيرة . ومن الصغير الكثير ، يتجمع الكبير .

والبيت الصغير ، انهالت عليه الهدايا ، والأطعمة مجففة ومعلبة ، حتى لقد جاءتهم منها صناديق كاملة .

★★★

وذات ليلة ، ذهب الرجل الشيخ يطرق باب البيت الصغير . ودخل . وابتسم . واغتبط . انهم الاطفال جميعا حول المائدة يأكلون . لم يصبهم الجوع بعد . ولن يصيبهم باذن الله . وقامت كبرى البنات ، فى الثانية عشرة ، مقام الأم التى لم تجلس كعادتها هذه الليلة ، الى هذه المائدة .

وخرج الرجل الشيخ من نور البيت ، الى ظلام الطريق ، وهو يحدث نفسه : ان القرية ضمنت لهذه الأسرة التعسة ، حياة عام ..

ولكن ، ماذا يكون بعد هذا العام ..

★★★

واترك هذه القرية لأهلها لأقول :

ولكن ، هذه نكبة فى القرية الواحدة ، والنكبات لا تكون فرادى ، فما بال سائر النكبات .

ماذا يحدث لو وقعت فى القرية نكبة كل اسبوع ، أو نكبة كل يوم . والنكبات لا تكون دائما تحت سيارة . ان النكبات صنوف وأنواع .

وان تعددت النكبات ، أيظل الناس على تراحمهم لكل نكبة ؟

ومن النكبات الصارخ .

ولكن الفقر الدائم نكبة . والعجز الدائم نكبة دائمة . والمرض والشيخوخة . كل هذه نكبات مزمنة ، ليس فيها عنصر المفاجأة ، الذى يثير الرحمة لتوّه ، ومع هذا فهى الشقاء ، وهى البلاء الذى لايخلو منه مجتمع انسانى ابدا .

ومن اجل هذا جاء معنى **التكافل** الحديث .

كل رجل فى القرية ، وكل امرأة ، وكل أسرة ، معرضون جميعا للنكبات ، حادّة ومُزمنة ، والفوتُ لا يمكن أن يترك دائما للرحمة . فالرحمة عاطفة ، والعواطف قد تحتر أحيانا ، ولكنها كذلك تبرد .

التكافل اذن لا بد منه . واترك لكل قارىء ان يتصور هذا التكافل كيف يكون . لا فى القرية الواحدة ، بل فى كل القرى ، وفى كل المدن ، وفى الشعب جميعه .

ولكن **التكافل** لا يكون فى قرية فقيرة . ان الفقر لا يكفل فقرا .

وحتى لو كان فى القرية ثراء ، واخذنا من الجيب الملىء للجيب الفارغ ، فكم يدوم هذا . ؟ انه استهلاك مخزون ، وكل مخزون الى فراغ .

لا بد من الرجوع الى مصدر الثروة الاول ، الذى لا يفرغ : ذلك العمل .

العمل المدروس ، العمل المخطّط ، الذى له للقرَى خرائط ، وللمدن ، وللشعب كله . العمل الذى يجعل لكل فرد فى الأمة خانة ، بين الف الف خانة ، يستقر فيها الفرد ، ليعمل ، فى حدود المخطّط ، ولكن وفق هواه كذلك ، فى بحبوحة يتنفس فيها ويتروح .

انه التعاون على الحرية . التعاون الذى لا يصبح قيدا ، على الحرية التى لا تصبح فوضَى . والعبقرية الانسانية جديرة برفع عاتق الميزان ، بحيث تتزن الكفتان ، فلا تشيل كفة يجب أن تثقل ولا تثقل كفة وجب ان تشيل .

وهيهات ...

■■

احمد زكى

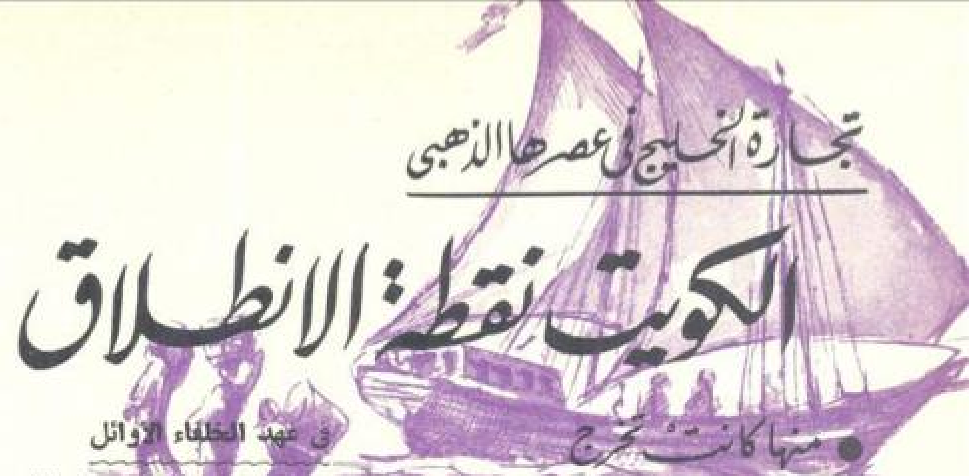

تجارة الخليج في عصرها الذهبي

الكويت نقطة الانطلاق

● منها كانت تخرج أساطيل السفن الى الهند وقوافل الجمال الى حلب عبر الصحراء

بقلم الدكتور
احمد ابو حاكمة
جامعة الخرطوم

■ منذ ان عرف الانسان الحضارة ، ومنذ أن تعلم ركوب البحر ، اكتسبت بعض البحار اهمية تجارية خاصة ، نظرا لتوسط موقعها بين اجزاء العالم المتمدين . ولعل من أبرز الامثلة على تلك البحار : الخليج العربي . فقد كان الخليج العربي واسطة العقد في نقل التجارة بين جزئين هامين من العالم المتحضر هما الهند وبلدان العالم العربي المحيطة بالخليج ، وكلما ازداد علم الناس بالبحار ، طالت رحلاتهم البحرية فوصلت الى شواطيء بعيدة عنهم ، ولذا ما لبث تجار الخليج العربي أن وصلوا الى شواطيء الصين الشرقية .

ولعله من الجدير بالذكر أن نسجل ان بحارة الخليج العربي كانوا دوما عربا سواء من نزل منهم بالعراق او بالساحل الايراني من الخليج العربي ، أو من بقي منهم على الساحل العربي في شرقي جزيرة العرب .

في عهد الخلفاء الاوائل

ولما كنا نهدف من مقالنا اليوم الى اطلاع القاريء الكريم على نشاط العرب التجاري في القرون الحديثة ، فلا بأس من ان نجمل نشاطهم قبل ذلك . كان عهد الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية من بعدهم هو عهد تكوين الامبراطورية العربية ، وكان عهد بني العباس هو عهد الاستقرار لتلك الامبراطورية وتطوير النشاط الامبراطوري في شتى الميادين ، من فكرية وتجارية وصناعية وغيرها . والمعروف ان عاصمة العباسيين كانت بغداد ، ومنفذ بغداد البحري الى العالم هو نهر دجلة ، فشط العرب ، فالخليج العربي . وقد عمل خلفاء بني العباس على تشجيع التجارة على هذا الطريق البحري الهام ، وكان عمر بن الخطاب قد أنشأ البصرة أبان خلافته ، وصار لها صيت ذائع كمركز تجاري هام على الخليج العربي ، وازدهرت كذلك في العصر العباسي مدينة سيراف ، وكانت تقع على الساحل الفارسي من الخليج العربي .

الى الهند والصين وكوريا

اما الجاليات التجارية العربية فقد تعدت في العصر العباسي حدود بلاد الهند وبلغت الصين وكوريا . ومنذ القرن الثاني الهجري ـ الثامن الميلادي ـ عرف أهالي ميناء خانفو الصيني ، جنوب شنغهاي الحالية ، عرف هؤلاء العرب كتجار مسلمين اذ اقامت هناك جالية كبيرة منهم كان لهم قاض مسلم يحكم بينهم ، وفيها كانوا يتبادلون التجارة مع الصينيين . ولا ريب ان تجار العرب كانوا يقيمون في جزيرة سيلان جنوبي الهند قبل عام ٨٠٠هـ .

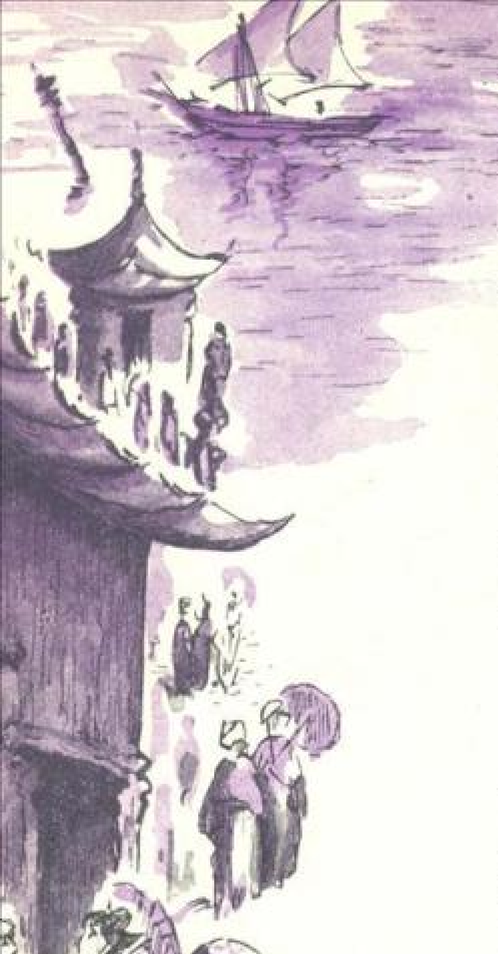

وربما سأل سائل عن البضائع التي كان يتجر فيها أجدادنا العرب في تلك الأصقاع أي في بلاد الهند وبلاد الصين وبلاد الملايو ، فنقول : انها البضائع التقليدية التي استمرت تجارتها مزدهرة في العصور الحديثة . فمن الهند الصينية جلب التجار العرب الكافور والقرنفل وخشب العود والصندل وجوز الهند وجوز الطيب والقصدير ، ومن الصين العود والمسك والسروج والدار صيني ، ومن الهند التوابل والكافور والعود والقرنفل والنارجيل والثياب القطنية والفيلة ، ومن جزيرة سيلان (سرنديب) الياقوت والماس واللآلىء . وفي مقابل ذلك كانت الدولة العربية تصدر الشعير والحنطة والأرز والفاكهة وزهور مازندران المشهورة والسكر والزجاج والحرير والاقمشة الصوفية والكتانية والحريرية والزيت والعطور ، كماء الورد والزعفران وماء السوسن وشراب العنب وزيت البنفسج وغيرها .

ابن ماجد و« دي جاما »

ظلت تجارة الهند والصين والملايو بيد التجار العرب طوال عهد الدولة العباسية ، ثم لما تسلط الأتراك على الحكم ، بقي التجار العرب يمارسون نشاطهم التجاري كالسابق ، وبقيت التجارة العربية في الخليج مزدهرة ، غير ان نكسة ما لبثت ان اصابتها ، وذلك عندما عرف الأوروبيون طريق

الهند ، بعد ان قاد الملاح العربى ، « احمد بن ماجد » ، السفن البرتغالية من مالندى على ساحل افريقيا الشرقى الى الهند ، وكان ذلك فى شهر ابريل (نيسان)عام ١٤٩٨م. على ما هو معروف من امر ابن ماجد مع « فاسكو دي جاما » .

(راجع المقال المنشور فى العربى عن ابن ماجد فى العدد رقم ٢٩)

عصر النكسة

ان قدوم البرتغاليين الى الهند ، يعتبر بحق نقطة التحول فى تاريخ تجارة الهند والصين والملايو بالنسبة للعرب ، ذلك ان البرتغاليين بأساطيلهم البحرية ، التجارية والحربية ، وبما عرف عنهم من شراسة استعمارية وجشع كانوا ينهجون سياسة قائمة على البطش والفتك بسفن غيرهم من التجار، ولا سيما سفن العرب المسلمين ، ولم يكتفوا بمطاردتهم فى البحر بل نزلوا موانئهم واحتلوها ودمروها وانشأوا فيها القلاع ، منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادى . ولا يكاد اى ميناء بحرى عربى يطل على الخليج العربى يخلو حتى يومنا هذا من بقايا القلاع البرتغالية ، ومدافعهم النحاسية التى نصبوها فى تلك القلاع . ونذكر على سبيل المثال مسقط بعمان والمنامة بالبحرين والقطيف فى الاحساء بشرقى جزيرة العرب ، والبصرة بالعراق .

العمانيون سادة البحار

ولقد اختلفت مدة بقاء البرتغاليين فى تلك الموانىء ولم يكسر شوكتهم غير أسطول مسقط العربى ، ذلك ان العمانيين ، وكانوا سادة البحار عند مقدم البرتغاليين ، قد تعلموا صناعة السفن على الطريقة الأوروبية ، أى بتثبيت الواح الخشب بمسامير حديدية قوية بعد ان كانوا ـ حتى قدوم البرتغاليين ـ يخيطون أخشابها ، وكانت السفن العربية والحالة هذه لا تستطيع الصمود امام اية قنبلة قد تصيبها من مدافع الأعداء ، ثم كذلك بعد ان تسلحوا بمدافع من طراز مدافع البرتغال النحاسية ، وهى اما مدافع غنموها فى قتال او سكبوها بأنفسهم . وهكذا شهدت بداية القرن السابع عشر هزائم متعددة للبرتغال حتى اضطروا اخيرا الى الجلاء عن الخليج العربى نهائيا .

مستعمر يمضي ومستعمر يجيء !

غير ان اندحار البرتغاليين لم يعن بحال من الاحوال زوال الخطر الأوروبى على تجارة الخليج ، وبالتالى سيطرة العرب عليها من جديد ، ذلك ان الهولنديين كانوا قد أسهموا بدور فعال فى القضاء على نفوذ البرتغاليين فى مياه الخليج ، وبالفعل ازداد نفوذ الهولنديين التجارى فى الخليج طوال القرن السابع عشر الميلادى وانتشرت وكالاتهم التجارية فى أرجائه ، ولم يزعزعهم من مكانتهم سوى قوة اوروبية اخرى تتمثل فى شركة الهند الشرقية الانجليزية . ولا بد لنا كذلك من أن نشير الى أن الفرنسيين كانوا قد ظهروا فى مياه المحيط الهندى والخليج العربى فى هذه الفترة ، غير ان علاقاتهم بالخليج وتجارته لم تكن كعلاقات الهولنديين والانجليز. ولقد بقيت الوكالات التجارية الهولندية والانجليزية تعمل فى موانىء الخليج العربى جنبا الى جنب حتى عام ١٧٦٥ حين طرد الهولنديون من جزيرة «خارج» الواقعة فى طرف الخليج العربى الشمالى الشرقى ، وكان فيها آخر وكالاتهم التجارية . لقد عرفت تلك الشركات الأوروبية الاحتكارية بشركات الهند الشرقية الهولندية والفرنسية والانجليزية على التوالى .

أوج التجارة العربية

ولعل القرن الثامن عشر هو المقصود بمقال اليوم من حيث أوج التجارة العربية فى الخليج فى العصور الحديثة ، ذلك ان مدنا عربية بدأت تظهر لأول مرة على مسرح تجارة الخليج وسياسته ، ونذكر منها الكويت و«الزبارة» ، اما الكويت فهى عاصمة امارة الكويت الحالية ، واما « الزبارة » فقد قامت فى شبه جزيرة قطر فى مواجهة جزيرة البحرين ، ولم يبق من تلك المدينة اليوم سوى اطلال وان قد كانت ذات يوم سيدة موانىء الخليج العربى وسيجرى ذكرها بعد حين .

وقبل التطرق الى تلك الفترة المزدهرة فى حياة الخليج العربى ، نقف برهة لننظر فى أحوال هذا البحر السياسية فى القرن الثامن عشر .. فقد كانت القوى النازلة باطراف الخليج هى الفرس فى ايران ، والأتراك فى العراق ، والقبائل العربية على الساحل العربى والفارسى من الخليج ، لم

اطلال ميناء الزبارة الذى كان فى يوم ما سيد موانىء الخليج العربى

السفن الأوروبية فى مياهه ، وكانت ترتكز الى قواها النازلة بالهند وجنوب شرقي آسيا .

اما الفرس والأتراك ، فكان القرن الثامن عشر الميلادى من أسوأ قرون الصراع بينهم ، ذلك الصراع الذى ظل يتنقل بين الأراضى الايرانية والعراقية طوال القرن ، وبهذا ظلت السيطرة فى مياه الخليج تنحصر فى احدى قوتين : عرب الخليج ، والأساطيل الأوروبية .

اما الأساطيل الأوروبية ، فبعد أن كانت تسيطر على مياه الخليج فى القرن السادس عشر فى أوج النفوذ البرتغالى ، وفى القرن السابع عشر تحت رايات الهولنديين والأنجليز .. تغير الوضع فى القرن الثامن عشر ، وانتقلت تلك السيادة على مياه الخليج العربى الى عرب الخليج . ولسنا نقول هذا مغالين او مندفعين بحماسة عنصرية عربية ، بل اننا نستقي معلوماتنا التاريخية من وثائق شركة الهند الشرقية الانجليزية ، وما كتبه مبعوثوها فى منطقة الخليج العربى ، وكذلك مما دونه الرحالة الأوروبيون فى ديار الخليج ..

اما السر فى تدهور سلطان الأوروبيين التجارى على الخليج فى القرن الثامن عشر ، فمرده أمران أولهما : افلاس الهولنديين فى المنطقة فى مطلع ذلك القرن وخروجهم نهائيا كتجار من الخليج عام ١٧٦٥ ، والثانى انهماك الانجليز فى حرب استعمارية مع الفرنسيين ، ليس فى الهند فحسب ، بل وفى أمريكا الشمالية . ان هذه الحرب الاستعمارية فى قارتى آسيا وأمريكا ، والتى خرجت منها انجلترا بنصيب الأسد اثر صلح باريس سنة ١٧٦٣ ، لم تترك للانجليز فرصة للاستمرار فى محاولة احتكار تجارة الخليج العربى ، وهى محاولة بدأوها منذ مطلع القرن الثامن عشر .

نابليون .. والهند

اما اثر حروب المستعمرات هذه على الانجليز ، فكان بعيدا . ذلك انه على الرغم من انتصارهم على فرنسا فى الهند ، فان أساطيلهم كانت تتعرض دوما لخطر الأساطيل الفرنسية ، التى بقيت تجوب مياه المحيط الهندى طوال القرن الثامن عشر ، وبقيت على عدائها لكل ما هو انجليزى فى الهند وفى بحارها . ولا ريب ان الفرنسيين فى فرنسا كانوا يدركون ان لا سبيل الى التغلب على النفوذ الانجليزى فى أوروبا والعالم اجمع الا باقتطاع الهند من الامبراطورية الانجليزية ، وهو بالفعل ما حاول نابليون القيام به فى نهاية القرن الثامن عشر ، يوم ان نزل بمصر واحتلها ، وتقدمت جيوشه لتحتل بلاد الشام ، ليقطع الانجليز عن الاتصال بالهند عن طريق البحر الأحمر والخليج العربى ، ثم ليقوم بمحاولة التقدم برا الى الهند عن طريق ساحل الخليج العربى . صحيح ان نابليون لم يقم بارسال الحملة على الهند ، ولكن أهدافه كانت ترمى الى ذلك بكل وضوح ، ولو تمكن نابليون من الانتصار على الأتراك والانجليز فى معركة عكا بفلسطين فى آخر سني القرن الثامن عشر لتغير وجه تاريخ العالم دون ريب ، اذ ان فشله هو الذى دعا انجلترا أن تدرك الخطر الذى سوف يظل يتهددها اذا هى لم تؤمن شرايين مواصلاتها الامبراطورية الى الهند . ولا ريب فى ان هذا هو

السبب الذى جعل السياسة البريطانية فى الخليج تتخذ مظهرا اقوى فى مطلع القرن التاسع عشر ، وتركز نفوذها فى هذه المنطقة بأن تبدأ فى سلسلة حملات عسكرية برمائية على القوى قوى الخليج البحرية آنذاك ، المثلة فى عرب رأس الخيمة ، وكان ذلك عام ١٨٠٦ ـ ١٨٠٧ ثم عام ١٨١٩ .

الأساطيل العربية فى عصرها الذهبى

لندع جانبا تأسيس النفوذ البريطانى فى الخليج فى القرن التاسع عشر ، وما انطوى عليه من احتكار كلي شامل لتجارة الخليج طوال القرن ، وما اعقبه من احتلال مباشر أو غير مباشر لبعض ارجائه خلال ذلك القرن ومطلع القرن العشرين ، لندع كل ذلك عائدين الى القرن الثامن عشر ، وهو قرن اوج تجارة الخليج العربية . ان الأتراك العثمانيين اذ اصطرعوا مع الفرس ، والانجليز اذ اصطرعوا مع الفرنسيين قد تركوا بدورهم امور الخليج لأبناء الخليج . ففى جزيرة العرب ذاتها تأسست الدولة الوهابية السعودية عام ١٧٤٦ ، وامتد نفوذها حتى عم معظم أجزاء الجزيرة العربية قبيل نهاية القرن الثامن عشر . وظاهرة قيام الدولة السعودية تهمنا هنا من ناحية أساسية هامة لازمة للتقدم التجاري فى المنطقة ، وهى ظاهرة الأمن الذى عم ربوع الجزيرة العربية كلها فى ظل الحكم السعودى ، فقد ترك الأعراب نهب القوافل التجارية العابرة الصحراء ، وشهدت الجزيرة نهضة تجارية ممثلة فى القوافل المختلفة التى أخذت تعبر الصحراء من موانىء الخليج العربى فى البحرين والقطيف والعقير والزبارة والكويت ومسقط متجهة الى قلب الجزيرة العربية وحاملة تجارة الهند والصين الى أهل الجزيرة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ادى اختفاء الأساطيل التجارية الأوروبية من مياه الخليج الى تشجيع اهل سواحله العرب على بناء السفن لنقل التجارة فى مياهه ، بل ومن خارج مياهه اليه والعكس . ان السرعة التى تم بها بناء تلك الأساطيل العربية تذهل كل من يطالع تاريخ البحرية العربية فى هذه الفترة .

احتكار التجارة العربية

لقد سبق وان أشرنا فى مطلع مقالنا هذا الى ان عرب مسقط تعلموا صناعة وتسليح سفنهم على الطريقة الأوروبية منذ مطلع القرن السابع عشر ، ونفس القول ينطبق على عرب آخرين برزوا الى عالم الوجود السياسى كدولة فى هذا القرن وهم العتوب ، العرب النازلون بالكويت فى مطلع القرن الثامن عشر والذين امتد سلطانهم خلاله حتى قطر جنوبا فاسسوا مدينة الزبارة ، ووثبوا منها على البحرين فى يوليه عام ١٧٨٢ ، وخلصوها من عرب المطاريش العمانيين النازلين فى ابى شهر ، على الساحل الفارسى للخليج والفاربين نفوذهم على البحرين منذ أمد ليس بالقصير . عمل اسطول العتوب ، جنبا الى جنب مع اسطول مسقط ، على نقل التجارة من والى الخليج العربى ، وكانت هذه هى تجارة الهند مع الخليج والتى اعتادت أن تنقلها الأساطيل الأوروبية قبل القرن الثامن عشر ، على ما سبق القول . وقد جاء وقت على هذه الأساطيل العربية تمكنت فيه من احتكار تجارة الخليج مع الهند وجنوب شرقي آسيا احتكارا كاملا ، فقد بعث المستر مانستي Manesty وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية بالبصرة عام ١٧٨٩ الى رؤسائه فى بومبى بالهند ولندن يقول : « تجارتنا تكاد تكون لا وجود لها فى الخليج العربى ، فان أساطيل الكويت والبحرين والزبارة (العتوب) ومسقط التجارية تحتكر تجارة الخليج احتكارا كليا ، والأفضل ان نغلق وكالتنا بالبصرة لأنه لم يعد لها أية فائدة تجارية البتة » .

ولكن هل اغلقت تلك الوكالة ؟ بالطبع لا ، وذلك لأنها كانت تحقق للانجليز مكاسب سياسية في المنطقة ، وكان على الشركة الانجليزية أن تستمر فى فتح تلك الوكالة وان تسد العجز الضخم في ميزان مصروفاتها .

بضائع آدمية .. وجواسيس !

يبقى علينا ان نشير الى البضائع التى كانت تحملها هذه السفن العربية ، ثم الى مراكز التفريغ والشحن فى الخليج العربي . اما البضائع فكانت هى البضائع التقليدية التى أشرنا اليها فى صدر هذا المقال ، وبالاضافة اليها نشطت حركة نقل اللآلىء والتمور والحنطة والأرز من منطقة الخليج الى الهند ، وكانت السفن العربية تحمل شيئا لا يقل اهمية عن هذه البضائع بل يفوقها وهو الذهب والعملات الأوروبية التى كانت تنقل من

اوروبا الى ميناء البصرة ومنه عبر الخليج العربى الى الهند . هذا غير البضائع الادمية التى كان يدفع الانجليز والفرنسيون أثمانا باهظة فى مقابلها ، ونعنى بذلك المبعوثين أو الجواسيس من انجليز وفرنسيين الذين كانوا يغادرون أوروبا فى طريقهم الى الهند حاملين معهم رسائل غاية فى الأهمية الى ابناء جلدتهم بالهند وبلدان جنوب شرقى آسيا . وقد سبق أن اشرنا فى عدد مايو الماضى ، من مجلة « العربى » القراء ، الى ضبط جاسوس فرنسى فى الكويت عام ١٧٧٨ . اما السبب الذى كان يحمل الانجليز والفرنسيين على اختيار السفن العربية لتلك المهمة ، فكان أولا الامعان فى التخفى ، ثم محاولة تجنب أسطول العدو ، ويمكننا أن نضيف كذلك عامل الاطمئنان على سلامة وصول تلك البضاعة الادمية ، لأن السفن العربية كانت لا تقل فى تسلحها فى كثير من الأحيان عن السفن الأوروبية .

القوافل البرية والبريد الصحراوى

ولعلنا فى هذا المقام لا نغفل ذكر شريان حيوى آخر للتجارة العربية فى هذا القرن ، وهو القوافل التجارية التى كانت تقطع الجزيرة من نقط ارتكاز مختلفة متجهة الى بغداد بالعراق ، أو حلب بسوريا . وهذه المراكز كانت مسقط فى الجنوب العربى ثم الزبارة فى قطر والكويت والبصرة . ويحكي الرحالة آيفز Ives الانجليزى انه فى سنة ١٧٥٨ كان يستعد لعبور الصحراء من الكويت الى حلب مع قافلة تتألف من خمسة آلاف جمل معظمها يحمل البضائع ، والقليل منها يحمل المسافرين . وقد قدر رحالة آخر قيمة المنقولات على قافلة تتألف من ثلاثمائة جمل بنصف مليون جنيه استرلينى وكانت القافلة آتية من حلب وقاصدة الكويت ومعظم حمولتها نقد أوروبى .

لم يقتصر النقل الصحراوى على التجارة فقد عرف القرن الثامن عشر بريدا صحراويا منظما بين حلب والبصرة أو الكويت ، هو البريد الصحراوى السريع . وكان القصد منه نقل الرسائل والطرود ذات الأهمية الخطيرة بأسرع طريق الى الهند وهذه طرود ورسائل كانت تتعلق بشركة الهند الشرقية الانجليزية . وان المتتبع لبعض تلك الرسائل ليدهش من السرعة البالغة التى كانت تعبر بها الصحراء . لقد كانت المدة العادية التى تستغرقها القافلة بين الكويت أو البصرة وحلب تتراوح بين سبعين وخمسة وسبعين يوما ، أما بريد الصحراء السريع الذى كانت تقله النياق السريعة ، فكان يقطع نفس المسافة فى مدة اقصاها عشرة أيام واقلها ستة .

لقد كان حملة التجارة وناقلو البريد الصحراوى هم عرب شرقى الجزيرة ، ولقد أدى ازدهار التجارة العربية وبلوغها الذروة فى القرن الثامن عشر ، الى نمو وازدهار مدن ما كانت لتبرز الى حيز الوجود ويعمها الرخاء لولاها . وفى مقدمة هذه المدن الكويت ، عاصمة امارة الكويت ، والزبارة ، المدينة المخربة اليوم بقطر والتى كان يؤمها علماء وأئمة شعراء الخليج فى القرن الثامن عشر . ولئن كان النفط او البترول هو السلعة التجارية الأولى بالخليج فى قرننا العشرين هذا ، فان السلع التى سبق ادراجها فى هذا المقال ، كانت هى التى اكسبت الخليج العربى أهميته التجارية الفائقة فى وقت مضى ، بل هى التى ابرزت الى حيز الوجود بعض مدنه . ■■

احمد ابو حاكمة

عندما تسمع خبرا .. :

اعقلُوا الخبر إذا سمعتُمُوه عَقْلَ رِعَايةٍ لا عَقْلَ روايةٍ ،

فإن رُواة العلمِ كثيرٌ ، ورعاته قليل

« نهج البلاغة »

دردشة

وجهات نظر

■ ليس الضلال فى كثير من الاحيان الا صوابا جاء فى غير اوانه .

■ من السهل على الرجل الكسول ان يكون طيبا ، لان الرجل الشرير يحتاج الى طاقة كبيرة لكي يصبح شريرا .

■ اذا كانت معاملة الناس لك ليست على ما يرام ، فلا تلمهم ، ولكن ابحث عن الاسباب ، فقد تكون راجعة الى معاملتك لهم .

■ أركان السعادة ثلاثة : ان نجد شيئا نعمله ، وشيئا نحبه ، واملا نرجو تحقيقه .

■ مراعاة قواعد اللياقة من اهم الوسائل الى اكتساب التوقير ، وحسن التقدير ممن تتعامل معهم .

الكتب المستعارة

● عندما زار وليم دين هويلز الكاتب مارك توين لأول مرة ، ابدى ملاحظة على كثرة الكتب الموجودة عنده ، وقلة الأماكن المعدة لوضعها فيها .

فقال له مارك توين : هذا صحيح ، ولكن من الصعب ان تجد اصدقاء يعيرونك ارففا . !!

قالوا ..

* لم تخلق النساء لكي يتهمن ازواجهن ويحكمن عليهم ، وانما لكي يصفحن عنهم ويغفرن لهم : فالصفح والغفران هما رسالتهن فى الحياة .

(اوسكار وايلد)

* من الحقائق العجيبة التى اكتشفتها ، وتأكدت منها ، ان الرجل خجول فى حين ان المرأة لا تعرف الخجل .

(الممثلة روزالين رسل)

* ليس حبا ذلك الذى كل هدفه الامتلاك ، ولكن الحب هو المشاركة فى الميول والرغبات ، والاحساس بأن ذات من تحبه لا تقل اهمية عن ذاتك .

(برتراند رسل)

مزارعان لا ينامان

● خرج (فلنتين مدينا بوفس) العامل فى احد المزارع ، من احد مستشفيات مدريد مؤخرا ، وبيده شهادة طبية موقعة من ثلاثة اطباء تشهد بأن صحته جيدة تماما .

و (بوفس) هذا لم يعرف طعم النوم ابدا منذ ان كانت سنه ٣ سنوات ، وهو الآن فى الرابعة والستين من العمر . والمهم انه لا يشعر بحاجة ابدا الى النوم . فاذا احس بالتعب ، اكتفى بالاستلقاء . وهو يقول انه اكثر انسان حي حظا ، لانه يبقى يقظا فى الوقت الذى ينام فيه الناس يكون قد عاش ٨٥ عاما بدلا من ٦٤ ، اذا كان الانسان يقضى ثلث وقته فى النوم . وهو يتناول ثلاث وجبات فى اليوم ، ولكنه يأكل فى الوجبة الواحدة ثلاثة أضعاف ما يأكله الفرد العادى .

وفى ((ليستر شاير)) مزارع آخر اسمه ((بوستاس بيزنت)) ، عمره ٨٢ سنة ، ولكنه لم ينم فى الخمسين سنة الماضية سوى سبع ساعات نامها فى الشهر الماضى . وهو لا يشكو ابدا من الصداع ، ولم يصب قط بالزكام .

صورة الموناليزا

الموناليزا واعداؤهـــا

● حتى الموناليزا التى خلد ابتسامتها الشعراء والفنانون ، لم تسلم من الاعداء الحاقدين ، الذين جرحوها بانتقاداتهم . ومما قالوا : ـ

ـ ان الموناليزا واحدة من اكثر الصور الآثمة التي رسمت . وهي تجسيم لجميع الآثام والشرور التي استطاع الفنان ان يفكر فيها . (محاضر بجامعة لندن)

ـ ان تعبير الوجه فى الموناليزا هو لشخص يشكو من التهاب فى الحلق .

(طبيب امريكي)

ـ ليست الموناليزا سوى رجل متنكر بزى امرأة ، ولعلها الصورة التى تخيلها دافنشي لافلاطون . (الناقد الفني الفرنسي جورج أزالو)

ـ ان الموناليزا ليست الا رجلا فى ثياب امرأة ، وهذا لان دافنشي كان ، فى رأيي ، منحرفا جنسيا . (سيجموند فرويد)

ولكن الموناليزا لا تأبه لهذه الاقوال ، وترد عليها بابتسامتها التى أشهرتها ، وجعلتها اشهر ابتسامة فى عالم الفن .

عُرْيـــان لا يخجل

● قـال التفـوق : غطوني بورق التين .
وقالت النذالة : زينوني بالاوسمـة .
وقـال الشـر : البسوني ملابس الخير والصلاح .
وقالت الرذيلة : زينوني برداء الفضيلة .
وقـال الخـداع : ضعوا تاج الامانة على هامي .
وقالت الكراهيـة : البسوني ملابس الحب .
وقـال الظـلم : اعطوني صولجان التسامح .
وقال الاستبداد : البسوني رداء الحرية .
وقال الاهمـال : جملوني بثوب الواجب .
وقالت الكبرياء : البسوني رداء التواضع .
وعند ذلك قال الحق : اتركوني عريانا فانا لا اخجل !
(الشاعر الانجليزى روبنسون)

رجل يتبرع بأكثـر من ٣٠ مليون جنيـــه

● تبرع اللورد نفيلد ، وهو فى الرابعة والثمانين من العمر اليوم ، بأكثر من ٣٠ مليونا من الجنيهات للمؤسسات الخيرية ، فى مدة خمس وثلاثين سنة . وقد بدأ اللورد نفيلد حياته عاملا فى ورشة لاصلاح الدراجات بخمسة شلنات فى الاسبوع ، وتدرج حتى أصبح احد كبار رجال الصناعة فى بريطانيا . ورغم غناه فانه ما زال يحتفظ بالكثير من بساطته الاولى .

ملاحظـة ذكيـة

● دخل رجل احد المكاتب وطلب من السكرتيرة أن يقابل المدير ، فافهمته ان المدير خارج المكتب . فظل ينتظر ساعة ، ثم ساعتين ، وأخيرا ضاقت بوجوده . فدخلت غرفة المدير ، ورجعت لتسمح للرجل بالدخول .

ولما وقف أمام المدير سأله هذا : كيف عرفت انني هنا ، مع ان السكرتيرة أخبرتك بانني خارج المكتب؟
فرد الرجل : لقد لاحظت ان السكرتيرة لم تتوقف لحظة عن العمل ، طوال مدة انتظارى ، ولو كنت خارج المكتب لما اكترثت للعمل !!

القاضي إياس

شرلوك هولمز العرب !

• كان ينظر إلى الرجل فيعرف بلده، ومهنته وضالته!

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

■ قبل اثنى عشر قرنا من ابتكار السير آرثر كونان دويل لشخصية شرلوك هولمز ، كانت تعيش في مدينة البصرة ، شخصية عربية فذة ، يمكن ان تعد بحق الانموذج الأصيل ، لهذه الشخصية الروائية ، التى طبقت شهرتها الآفاق ، وحظيت سيرتها باعجاب اللايين من عشاق القصص البوليسي، حتى عز على الكثير منهم التصديق بأنها من صنع الخيال .

انه القاضي اياس بن معاوية ، الذى اشتهر بفراسته ، وكشفه لحيل المحتالين ، وتناقل الرواة كثيرا من القصص التى تدور حول ذكائه ، وحدة حواسه ، وحضور بديهته .

نجابة مبكرة

وقد اشتهر اياس بالنجابة ، منذ الصغر . اذ مما يروى عنه ، انه تحاكم مع شيخ ــ وهو غلام ــ عند قاضي دمشق . فصار يسبق الشيخ في الحديث ويرده . فقال له القاضي : « اسكت يا غلام » .

قال : « ومن ينطق بحجتي اذا سكت ؟ »

فقال له القاضي : « ما اراك تقول حقا » .

فقال اياس على الفور : « لا اله الا الله .. احق هذا أم باطل ؟ »

حدث يتقدم شيوخا !

وقدم على عبد الملك بن مروان وهو في السابعة عشرة من عمره ، وخلفه اربعة من شيوخ قومه . فنظر اليهم عبد الملك متبرما وهو يقول : « اف لهؤلاء القوم ، اما فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ؟ » .

ثم التفت الى اياس وساله : كم سنك ؟

فقال اياس : « سنى ــ أطال الله بقاء الامير ــ مثل سن أسامة بن زيد بن حارثة ، حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيه ابو بكر وعمر » .

فسر عبد الملك لاجابته ، وبش في وجهه ، وقال له : تقدم بارك الله فيك .

المشط هو الحكم !

وعندما ولى عمر بن عبد العزيز اياسا قضاء البصرة ، ابدى من الفراسة وسعة الحيلة ،وابتكر من فنون التحقيق واساليبه ، ما يستحق تقدير المحققين المعاصرين واجلالهم .

ومما يروى عنه في هذا المقام ، ان رجلين اختصما اليه في قطيفتين ، احداهما حمراء والأخرى خضراء . فقال احدهما :

• كان يسمع نباح الكلب من بعيد فيعرف أنه غريب !

ـ دخلت الحوض لاغتسل ، ووضعت قطيفتى ثم جاء هذا ووضع قطيفته بجانبها ، ثم دخل واغتسل ، فخرج قبلى ، واخذ قطيفتى ، فتبعته، فزعم انها قطيفته .

فسأله اياس : الك بَيِّنَة ؟

قال : لا .

فقال اياس : ائتونى بمشط .

فلما جيء اليه به ، مشط راسيهما ، فخرج من احداهما صوف احمر ، ومن الثانية صوف اخضر، فقضى بتسليم القطيفة الحمراء للاول ،والخضراء للثانى .

اياس .. والفطائرى !

ويحكى ان رجلين اختصما اليه فى دراهم فادعى كلاهما انها له . وكان احدهما فطائرى ، فاخذ اياس الدراهم ، وراح يسقط كل درهم منها فى ماء دافىء نظيف ، ويحقق فيه النظر ، فلما وجد الدسم يتصاعد منها الى سطح الماء ، حكم بتسليمها الى الفطائرى .

بين الدراهم .. والدنانير !

وشكا رجل اليه آخر كان قد اودعه قبل سفره فى رحلة طويلة ، دنانير فى كيس عليه خاتمه . فلما طالت غيبته فض الرجل الكيس بحذق واخرج

الدنانير ، ووضع عوضها دراهم ، ثم اعاد الكيس الى حاله ، دون أن يمس خاتم صاحبه . ولما عاد صاحب المال ، وطلب ماله ، دفع اليه الكيس بخاتمه ، فلما فضه لم يقبله ، وقال : هذه دراهم وقد أودعتك دنانير .

فقال : مالك عندي غير هذا الكيس . وهذا خاتمك عليه ، لم يزل كما تركته .

فلما احتد بينهما الخلاف ، وانتهى امرهما الى اياس ، التفت الى المشكو يسأله :

ـ منذ كم أودعك هذا الكيس ؟

قال : منذ عشرة أعوام .

فنظر اياس الى اعوانه قائلا : فضوا الكيس .

ففضوه ، ونثروا الدراهم امامه ، فراح يقلبها بين يديه ، وهو يتفحصها درهما بعد الآخر ،حتى وجد بينها دراهم لم تضرب الا من خمس او ست سنين . فالتفت الى المشكو بحدة ، وقال له :

ـ لقد اقررت أن هذا الكيس أودع عندك منذ عشرة أعوام ، وفي هذا الكيس دراهم ضربت منذ عهد قريب . فماذا تقول في ذلك ؟

وتحت نظرات اياس ، لم يملك المشكو الا ان يطاطىء رأسه ، مقرا بفعلته ، ولم ينصرف الشاكي الا وقد استرد وديعته .

اعتزاز وثقة

واشتهر اياس بعجلته في الحكم . فقد كان سريعا في استخلاص الحقائق ، سريعا في استنباط النتائج ،سريعا في التمييز بين المشتبهات من الامور. وقد عاب عليه جماعة تلك العجلة ، وناشدوه التروي ، فما كان منه الا أن بسط لهم اصابع يده قائلا :

ـ كم هذه ؟

فقالوا على الفور : خمسة .

قال : اعجلتم بالجواب ، ولم تعدوها أصبعا أصبعا .

فقالوا : كيف نعد ما نعلم حق العلم .

فقال لهم في اعتزاز وثقة : وكيف أؤخر أنا حكم ما أعلم حق العلم .

امثلة اخرى لفراسته

ومما يروى عن فراسته ايضا ، انه نظر يوما الى رجل في الطريق ، لم يره من قبل ، وتفرس فيه قليلا ، ثم قال لرفاقه :

ـ هذا رجل غريب ، من أهل واسط ، وهو معلم صبية ، وقد هرب له غلام أسود .

فدهشوا لاستنباطه كل هذا ، من نظرة عابرة الى رجل لا يعرفه وتوجه بعضهم الى الرجل وسألوه عن حاله . فاجابهم بمثل ما ذكره لهم اياس . فلما عادوا اليه سألوه عن سر استنباطه لتلك الحقائق ، فقال :

ـ رأيته يمشي ويتلفت ، فعلمت انه غريب . ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسط ، فعلمت انه من اهلها . ورأيته يمر بالصبية ويسلم عليهم ، ولا يسلم على الرجال ، فعلمت انه معلم صبية . ورأيته اذا مر بذي هيئة لم يلتفت اليه ، واذا مر بأسود ذي اسمال تأمله ، فعلمت انه يبحث عن اسود هارب !

نجار المزامير !

واتى المدينة ذات يوم ، فصلى في مسجد رسول الله ، فتفرس فيه بعض رواد المسجد ، وانقسموا فريقين ، فريق يزعم انه معلم ، وفريق يزعم انه قاض ، ، ثم وجهوا اليه رجلا ، فاخبره بخبرهم ، فقال اياس :

ـ أصاب الذين ذكروا اني قاض ، ولا بد أن اخبرك أنا عن القوم .

ثم راح يشير الى رفاق الرجل ، واحدا بعد الآخر ، ويخبره عن صنعته،حتى اشار الى احدهم قائلا : أما ذاك الرجل ، فانه نجار .

فقال الرجل : صدقت فراستك فيهم جميعا والله ، الا في الشيخ الذي ذكرت انه نجار .

ثم قام الرجل الى اصحابه فقال : قد جئتكم من افرس الناس . والله ما منكم احد الا وقد اخبرني بصناعته . الا هذا ، فقد زعم انه نجار .

فقال الرجل : صدق والله ، اني لأنجر لجواري في البيت عيدان مزاميرهن .

البعير الأعور

ونظر ذات مرة الى موضع فيه علف لبعير ، ثم قال :

ـ هذا العلف لبعير اعور .

فلما نظروا الى البعير ، وجدوه كما قال ، فلما خوطب فى ذلك قال :

ــ لقد وجدت أثر اعتلاف البعير من جهة واحدة ، فعلمت انه أعور .

حـدة حواسه

وكانت حدة حواسه من عوامل صدق فراسته. فكان يبصر ويسمع ما قد لا يبصره أو يسمعه غيره من الناس .

ومما يروى عن حدة بصره ، انه خرج مع جماعة منهم انس بن مالك ، لرؤية هلال رمضان ، فقال انس ــ وكان قد قارب المائة من عمره ــ قد رايته . هو ذاك .

وجعل يشير اليه فلا يرونه . فنظر اياس اليه ، فاذا شعرة من حاجبه قد انثنت على عينه فرآها هلالا . فمد اياس يده فمسحها وسواها بحاجبه ثم قال له :

ــ يا أبا حمزة ، أرنا الآن موضع الهلال .

فجعل يدقق النظر ويقول لم اعده اراه .

هناك كلب غريب !

ومر يوما بمكان ما ، ثم وقف قليلا يرهف السمع، وقال :

ــ انى أسمع صوت كلب غريب .

فقيل له : كيف عرفت ذلك ؟

فقال : بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب .

فلما توجهوا الى مصدر الصوت ، وجدوا كلبا غريبا ، مربوطا ، والكلاب تنبحه .

كلب على رأس بئر !

وخرج ذات يوم الى البادية ، مع جماعة من الناس ، فاعوزهم الماء ، وبينما هم فى حيرتهم ، اذا بنباح كلب يترامى من بعيد الى أسماعهم ، فقال اياس :

ــ هذا كلب ينبح على رأس بئر . فهيا بنا اليه .

فلما اتجهوا نحو النباح ، وجدوه كما قال . فشكروا له صنيعه ، واخذوا حاجتهم من الماء ، ولما سألوه عن سر توصله الى هذه الحقيقة قال :

ــ سمعت نباح الكلب كأنما يخرج من أعماق البئر ، فأدركت ان هنالك كلبا ينبح على راسه .

ما غلبني الا هذا !

ومن الأمثلة على سمو خلقه ، وسماحة نفسه ، انه اعترف بواقعة غلبه فيها رجل من عامة الناس ، وافحمه . ويقول اياس فى ذلك :

« ما غلبنى أحد قط سوى رجل واحد . وذلك انى كنت فى مجلس القضاء بالبصرة ، فدخل على رجل يشهد عندى أن البستان الفلانى ملك لفلان. فقلت له لأتبين مدى علمه بما يشهد :

ــ كم عدد الشجر فى ذلك البستان .

فقال : منذ كم يحكم سيدى القاضى فى هذا المجلس .

فقلت له مندهشا : منذ كذا .

فقال : كم عدد خشب سقفه ؟

فأدركت مغزى سؤاله ، وقلت له : الحق معك. واجزت شهادته » .

ثم ذهب مثلا !

وقد توفى اياس على ارجح ما قيل سنة ١٢٢ هجرية ، اى فى زمن هشام بن عبد الملك ، بعد ان ادرك من العمر ستا وسبعين سنة ، وهو نفس العمر الذى ادركه ابوه . وقيل انه توفى فى السادسة والتسعين من عمره .

وقد بلغ من كثرة ما روى عن ذكائه وفراسته ، ان ضربت به الأمثال ، فقيل « اذكى من اياس » و « ازكن من اياس » اى افرس منه . وجاء فى المقامة السابعة من مقامات الحريرى (فاذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس ، وفراستى فراسة « اياس »).

وعناه ابو تمام بقوله :

اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم احنف فى ذكاء اياس

وقد جمع المدائنى سيرته فى كتاب لا يعرف الآن مصيره ، كما تناثرت اخباره الطلية ، فى كتب شتى ، حبذا لو شغل بجمعها ، مع ترجمة وافية لصاحبها ، ودراسة مستفيضة للفراسة عند العرب ، أحد الغيورين على تراثنا الأدبى . ■■

ابراهيم محمد الفحام ــ القاهرة

الجذور الصامدة

الى صديقى الشاعر الجزائرى : مالك حداد صاحب ديوان « الشقاء في خطر »

في لهـاة النسر غُصّــــه
خلّهـــا ترشحْ دمـا
الدُّنى يُبدعها من يبدعون الألما
يَخلُقُــون القمَمَـــا
يزرعـــون الأنجمــا
ويموتون على الجوع نسـورا
أطعمت أكبادَها الحمْرَ الصخورا
فمضى التاريخ خُطوهْ
وسرت في الأرض نشـوه
نحن يا «مـالكُ» قصـه ..
ألفُ جـرح ، ألفُ غصّــه
قصة الأرض التي عشنا يتامى
فوقهـا .. عشـنا يتامى ..
وتحسَّسْنا الظـلاما
ورفضنا القبر أحياء ، وغمغمنا :
إلامَ ؟! ....

★★★

وبحلـم الأنبيـــاء ..
وجنـون الأبريـــاء ..
وقفت من جيلك المطعون قبضهْ
من قلوب كشعاع الفجر ، غضّهْ ..
يتحدون جدار الموت في أقصى الشمال
يشعلون الأفق الأسود صيحات نضال :
لـى ســماواتى ، وأرضـــى .
وسفوحي وجبالى
هكذا دوّت بوجه الموت غضبه :
ليس بعـد اليوم غُربــه ..
ربما اكتظ بقتلانا الطريق
رُبمـا غـاض البريـق ..
في العيـون الجامـدة
والقلـــوب الخامـــده ..
نحن في وجه جدار الموت غضبهْ
ليس بعد اليوم غُربه .
الجذورُ الصامـــدة ..
نحـن أرض واحـــدة .

حلب ــ سليمان العيسى

نِسَاءُ مِنْ بِلادى

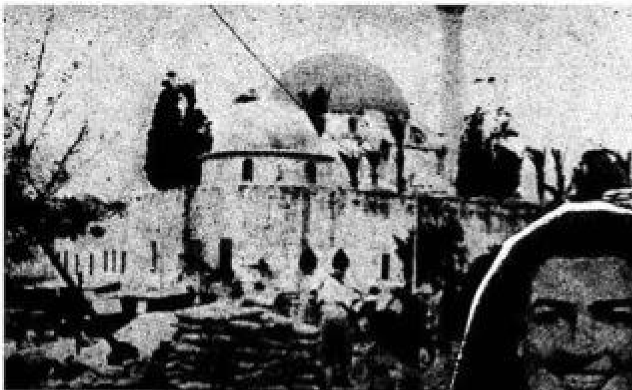

صورة من التاريخ :المتاريس تسد الشوارع المحيطة بجامع الجزار فى مدينة عكا الباسلة

حيـاة بلابنى : سقطت شهيدة فى دير ياسين ...

أُمٌّ تُزغرد ساعَة استِشْهاد ولدهَا

بقلم : أسمى طوبى

■ فى مواكب الخالدات مررن ..

لم تكن احداهن كليوباطرة ولا مدام بومبادور Pompadour ولا موناليزا Monalisa .. كلا . لم يخلـّدهن جمال باهر وفتنة لا تقاوم .. ولا كان فيهن من السحر ما حرك ريشات العباقرة من اهل الفن .. ولكنها الوطنية الملتهبـة والاخلاص والتفانى فى سبيل موطن لا اغلى منه ولا اقدس .. ارخصت كلّها الحيـاة فى نظرهن فجـُدن بها وكان الاستشهاد المقدس .

ترى بأيهن ابدا .. ؟ ها هن يقفـن امامى بعيونهن البراقة.. شابات صغيرات حلوات .. وكهلات وشيخات .. رجاء ابو عمّاشة .. فاطمة خليل غزالة .. جوليا زكّا .. حياة بلابنى .. حلوة .. وغيرهن كثيرات .. كلهن مرفوعات الرؤوس ثائرات .

ام الشهيد

ولكننى سابدأ اولا بأم الشهيد ... امراة لها علىّ فضل اشعال روح الوطنية والعودة بى الى الايمان بالمرأة العـربية .. وبأن ما سجله لها التاريخ لـم يكن مجرد اساطير .. لقد عـادت بى الى الايمان بالأمة العربية ما دام فيها أمهات كأم هذا الشهيد فؤاد حجازى .

كان ذلك أول عهدى بالظلم واحابيل السياسة،فقد كنّا يومئذ فتيات يافعات قلما نقرا صحيفة .. فاذا ما قـرأنا مررنا بالعناوين مرورا عابرا ، ثم الى ما يختص بنجوم السينما والحفلات وما الى ذلك .

وكنا نعيش فى عكـا ، المدينة التـى خلدها فاتح مغامر فشل امام اسوارها ولم يكن عرف الفشل قبل ذلك .. وهكذا دخلت المدينة العريقة التاريخ كقـاهرة نابليون ..

القلعة القديمة

وكانت القلعة القديمة التى تتشامخ على اسوار المدينة قد تحولت الى سجن لا نوافذ له ، ككل قلاع العالم ، وقررت الدولة الحاكمة أن يضم هذا السجن المجرمين وان يشنقوا بين جدرانه ... فلما ثارت البلاد على السياسة الجائرة التى فتحت الابواب ليهود العالم .. ولما ثرنا نحن الحفنة من الناس على الظلم ، على تقديم بلادنا هدية للآخرين .. ولما وقفنا وحدنا فى مقدمة الصفوف لندفع عن العالم العربى ما لم يكن قد فتح عينيه عليه بعد .. اصبحت القلعـة أو السجن المظلم تعج بالمجرمين السياسيين .. واصبح يوم الثلاثاء هو يوم الاعـدام ترفع فيه على القلعة راية سوداء لتعلن لنا أن شابا من شبابنا الثائر قد اعدم .

الحكم بالاعدام على ثلاثة من الثائرين

وكانت قاهرة نابليون مضطربة فى ذلك الاسبوع اضطرابا لم تعرفه من قبل ، فقد تقرر أن يشنق فى سجنها ثلاثة من الثائرين دفعة واحدة وهم فؤاد حجازى ومحمد جمجوم واحمد الزير .

وكان حكم الاعدام قد تقرر .. والاستئناف قد رد .. واليوم والساعة قد عينا .. ولكن المراجع المسؤولة كانت تزرع الامل فى النفوس فتقـول « هناك مجلس الملك الخاص ولقد يعفو جلالته ولو فى الدقائق الأخيرة »

وأمطرت لندن ببرقيات الاحتجاج والاسترحام .. وقدر دخل دائرة البرق والبريد فى ذلك الاسبوع بآلاف الجنيهات ، بينما كان مصير تلك البرقيات سلة المهملات ، اما فى فلسطين واما فى لندن .. ذلك لأن البطش بنا كان سياسة مرسومة كما اظهرت الايام بعد ذلك .

وكنا نحن الشابات اليافعات قـد ابتدانا نستيقظ ونفهم .. فنحن نعيش المأساة وكل ما حولنا يحدثنا بوضـوح عنها .. فالأسواق مقفلة .. والمقـاهى لا مذياع فيها ، والجالسون على المقاعد كأنهم تماثيل للأسى ، بعضهم يتحدث همسا ، وبعضهم يخرج ليسير فى الشارع العريض المعتاد ، الى البحر ، فالسجن المطوق بالحرس ، ثم يعود ، وهكذا .. وجوم واضطراب وبارقة امل بعفو ، قد يصل من لندن .

عن مرجع صديق !

وبغتة قيل لنا هنالك مرجع صـديق هو سيدة بريطانية وعليكم أن تذهبـوا اليها لعل وعسى ..ومضينا . وكانت وجهتنا المزرعة التى تبعد عن المدينـة دقائق .. وفى قصر فيها يسكن الجنرال كاكنيل وزوجته التى اظهرت ودا للعرب وصداقة حتى استبدلت باسمها اسم « الست عزيزة » .. وكان علينا كما قال لنا الرجال أن نشرح للست عـزيزة وجهة نظرنا ونطلب مساعدتها .. فقضيتنا عادلة .. وسلاحنا فى الثورة كان العصى والحجارة ، بينما كان اليهود مسلحين بغير هذا السلاح .. وقد قتل منـا بالنسبة لعددنا اكثر مما قتل منهم .. ولم يحكم بالاعدام الا على واحد منهم اسمه خانكين ، ثم استبدل بالاعـدام السجن المؤبد ، بينما يعدم منا ثلاثة فى يوم واحد .

ووصلنا .. وحول المزرعة نطاق من

الجنود البريطانيين .. واقتربوا من السيارة وفتشوها بحثا عن اسلحة ، ثم قال احدهم بانكليزية تخرج من انفه .. « لا امهات » .. وفهمنا أن السيدة صديقة العرب لا تريد رؤية امهات المحكوم عليهم بالاعدام .

واستقبلتنا فى حديقة القصر ،فالفصل حار واليوم هو ١٦ حزيران .. وتكلمنا طويلا وشرحنا ظلامتنا كأنما نشرحها لمن لا يعرفها . كل هذا والسيدة تهز راسها بحزن ولا تملك جوابا ..

وبغتة رأينا من بين سياج الحديقة وكله من الأشجار .. رأينا الأمهات .. وارتعدت مضيفتنا ونهضت تسرع الى الداخل ، بينما مضينا نحن نحاول أن نبث الأمل فى النفوس اليائسة .

عند طلوع الفجر

وطلع الفجر على قاهرة نابليون وقد فصلت عن العالم كله .. طوقت بآلاف الجنود ومنع اى مخلوق من الدخول اليها . حتى باعة الخضار من القرى المجاورة ارجعوا مع دوابهم الى قراهم .

وكنا على الشرفة نراقب السجن القريب ونعد الدقائق لنسمع زغردات الأمل اثر ورود العفو . ومرت الدقائق بطيئة كأنما تحمل فى أقدامها حديدا مثلجا .. ودوت الزغاريد ولكنها دوت مع ارتفاع الراية السوداء .

كانت الأم .. ام الشهيد فؤاد حجازى تزغرد ساعة استشهاده . اية قشعريرة ما تزال تنال جلدى كلما تذكرت .. لقد سمعت بعد ذلك عن بطولات عدة ، ولسوف اسمع كذلك عن بطولات اكثر ما دامت دنيا العرب قد استيقظت واسترخصت الضحايا فى سبيل الحرية ، ولكننى لن أسمع ما حييت اما تزغرد ساعة شنق ولدها وهى تقول بصوت مجلجل :

المشنقة تاجك والقيد لك خلخال
وموتك عن بلادك عز يا زينة الرجال

تلك أول امرأة ايقظت روحى وجعلت من قلمى اداة تغمس فى النيران فتنفث النيران .

ومضينا فى المساء نعزى النساء ... الأم التى زغردت ، والتى طلب ولدها قبل ساعة من اعدامه أن يرى غرفة الاعدام فولجها وقاس الحبل على عنقه ثم خرج وهو ينشد .. « ان نمت نحن فلتحى اوطاننا » . والزوجة التى طلب زوجها ان يعدم قبل رفيقه فاستجيب طلبه ، ثم اراد أن يفكوا قيوده فرفضوا ، فاذا به يشد زنديه القويين فيحطم القيود ويدخل غرفة الاعدام حرا .. والزوجة التى خضب زوجها يديه بالحناء عشية اعدامه كأنه ذاهب الى عرس ثم سار الى المشنقة ضاحكا ..

دخلنا لنعزى النسوة فاذا بهن يعزيننا واذا بالفخر والاعتزاز بشرف الاستشهاد لأجل الوطن يتخلل احاديثهن .

وفاطمة خليل غزال بقرية عزون

ويتوالى مرور المواكب أمامي .. فاطمة خليل غزال ، من قرية عزون ، فى قطاع القدس .. كانت مع رفيقات ينقلن الزاد والماء الى المناضلين فى الجبال ، ويهزجن خلفهن ، ويزغردن مع لعلعة الرصاص مشجعات .. ونشبت معركة كبيرة فى وادى عزون ، واشترك فى المعركة التى وقعت صباح ٢٦ حزيران عام ١٩٣٦ ٣٠٠ جندى بريطانى تصحبهم ثلاث مصفحات بمدافعها وثلاث طائرات بقنابلها .. ودامت المعركة ساعتين ونصف ساعة واسقط الثوار طائرة .. كل

هذا والنسوة بين رجال المعركة يزغردن للثائرين لا يهربن كأنما هن لبؤآت انتفى من صدورهن أي معنى للخوف .

في ذلك اليوم سقطت في المعركة فاطمة خليل غزال من قرية عزون .. وسارت نساء البلد المقدس في كل مدينة متظاهرات حاملات الاعلام تنشد الخطيبات منهن ببسالة المراة ونضالها .

وحياة بلابسي بدير ياسين

وحياة بلابسي .. كانت تعلم في مدرسة دير ياسين عندما حلت النكبة بدير ياسين .. ولم تتوار الفتاة الباسلة بل خرجت الى الشارع تسعف المصابين كأنها ملك كريم .. وسقط امامها شاب اعزل برصاصة غادرة ، فما هربت ،وما توارت ، بل حملته على كتفها ومضت تسير به خطوات تحت وابل الرصاص .. واردتها واحدة فاذا بها والجريح كومة كلها عظمة وفداء وكلها ظلم صارخ ..

وحلوة

وحلوة التي كانت تسير في وادي الرباب بجوار القدس ، ودارت المعركة بقربها بغتة،فانتضت بندقيتها وتمترست وراء صخور قريبة .. وظلت تطلق الرصاص ، وتسقط عدوا بعد آخر حتى اسقطت ستة رجال ، ثم اصابتها رصاصة فسقطت ..

وخرجت الصحف في اليوم التالي تشيد ببطولتها وتقترح ان يسمي الوادي باسمها فيصبح وادي حلوة بعد ان كان وادي رباب ، ولست اعلم من هي رباب التي استطاعت حلوة ان تنتزع الفخر منها الا ان تكون واياها صنوين في العظمة .

وصبحة جلاد

وصبحة جلاد من طولكرم .. لقد كان القانون ينص بأن كل من وجد في حوزته سلاح يسجن .. وكل هذه تعني العرب بالطبع .. ووجدت في حوزة صبحة جلاد بندقية .. لم تكن لزوجها أو ولدها ، فقد وجدت معها هي بالذات، وحكم عليها بالسجن خمس سنوات .

والممرضة العذراء

وجوليا زكا الممرضة العذراء التي سقطت في المعركة بحيفا في الرابع والعشرين من نيسان ١٩٤٨ .

وصدر قرار التقسيم

هل انسى كيف قامت البلاد قومة واحدة اثر صدور قرار التقسيم ؟كيف استبق الشعب زعماءه فاعلن الاضراب وعمت التظاهرات البلاد . وخرج طلاب المدارس الحكومية فيها صغارا وكبارا ليسيروا في الشوارع منشدين .. وحتى الاطفال فيهم كانوا يبكون وهم يرددون « بلادي بلادي فداك دمي » .. ؟

لم يكونوا وبعضهم دون الخامسة يفهمون ما يقولون .. ولكنهم كانوا يشعرون بأن في الجو مأساة .. شيئا اسود يحيط بهم ويكاد يحل ببلادهم .

يومئذ تقدمت الشابات الصغيرات يطلبن تشكيل فرق اسعاف .. ومضينا نستجيب طلبهن ونختار الاكبر سنا منهن .. اللواتي تجاوزن السادسة عشرة ليأخذن دروسا في الاسعاف ..

واذكر احتجاج الصغيرات اللواتي رفضن .. واذكر موقفي بينهن وبين الطبيب المسؤول.. هن يلححن ويؤكدن لي ان قلوبهن كالصخر ، وانهن لا يخفن رؤية الدماء ، الى آخر ما في الشباب

من اندفاع وثورة .. والطبيب يعيدهن الى رافضا أن يشركهن بالعمل .

وفى كل ليلة كان الرصاص يلعلع .. فالمستعمرات والقرى متجاورة والاحياء فى المدن متشابكة .. والنفوس على أشد ما يكون التوتر .. فريق لا يرضى بالتقسيم ويفضل الموت عليه ويصيح مع شاعره : الذرة الصغرى من الوطن الحبيب بألف روح .

وفريق اخذته عزة النصر بقرار التقسيم ، وبالدول القوية التى تسنده ، وكانما تقول له :

ـ يا حبيبى لك ما شئت واكثر

وهكذا كانت الاشتباكات تتوالى وكان على الشابات أن يخرجن حالا بملابسهن البيضاء وبشارات الهلال والصليب متعانقين على اذرعهن ، وبحقائب الاسعاف المعدة دائما فى ايديهن .. يخرجن الى مكان اطلاق الرصاص ليسعفن .

★★★

فى يوم من تلك الايام ، فى ٢٤ نيسان سنة ١٩٤٨ .. يوم تخلت انكلترة عن انتدابها قبل الوقت الذى عينته ، ووقفت تتفرج على صنع يديها ، من فريق ملأت به البلاد وظلت تسلحه سرا عشرات الاعوام .. وفريق حرمت عليه بندقية صيد وسجنته لأجلها خمسة أعوام ..

وقفت انكلترة تتفرج على اليهود المتمركزين فى اعلى نقاط فى مدينة حيفا ، يمطرون كل من فيها بالمدافع الرشاشة .

فى ذلك اليوم خرجت الممرضة جولنيا زكا من منزلها لتؤدى واجبها وتسعف الجرحى ولم تعد .. ثم وجدت بعد ذلك متكئة على جثة جريح ..

وعمن اتحدث ايضا .. بل عمن لا اتحدث ؟ أعن الجمعيات النسائية فى كل مدينة تخلع المرأة فيها حليها لتقدمه للثوار على الجبال .. ؟

اعن ايتام الشهداء بالمئات وكيف ساهمت المراة أنبل مساهمة فى تعليمهم ؟ ام عن الكثير مما يملأ كتابا لا عجالة خاطفة كهذه .. ؟

ولكن هل اختم دون ان اذكر رجاء .. ؟

كان اسمها رجاء ابو عماشة .. وعمرها سبعة عشر عاما .. اما يوم استشهد والدها فى يافا فقد كان عمرها ١٠ سنوات ، وحملتها أمها اثر النكبة الى اريحا .

لكم يخطىء من يظن ان الاعوام تنسى .. ولكم يتجنى على امهاتنا من لا يحسبهن على اكبر قسط من البسالة .

لقد استشهدت « رجاء » فى احدى المظاهرات يوم خرجت فى مقدمة المتظاهرين الثائرين فى القدس ، لا يخيفها ما اصاب والدها ، بل لعل ذلك المصير كان قد انضجها وبث كره المستعمرين فى نفسها .

.. ولما حملت لتدفن بجوار منزل امها ، فى اريحا ، سار فى جنازتها ١٥ الف شخص . هكذا قدرت الصحف .

ايه نسوة بلادى ، ارقدن بسلام ، فما ذهبت دماؤكن الطاهرة جزافا .

الا تباركت ضحاياكن الغاليات ... وتباركت النكبة ، كم انتجت من خير .

ان النكبة التى خلقت كل هذا الوعى بين شعوب بلادى لم تعد نكبة .. والغد قادم . ■■

اسمى طوبى

عقبات فى طريق المفاوضات

● « لا شك فى أن ديجول يفاوض جبهة التحرير الجزائرية . فهو ، مثلا ، يقول لها : « تعالى .. فانى أود أن أبيعك بقرتى » . فتبادر الجبهة الى القول : « حسنا ، ساشترى بقرتك » . ولكن المؤلم هو ان ديجول لا يملك البقرة .. كما ان الجبهة لا تملك ثمنها ! ... »

تلك هى آخر قصة متناقلة فى حى القصبة بمدينة الجزائر .. وهى تدل على انعدام التفاؤل بنجاح المفاوضات السرية ، السارية منذ أكثر من شهرين بين فرنسا وجبهة التحرير .

وفى باريس كذلك ، لا يتردد كثير من الشخصيات المسؤولة فى اظهار شديد التشاؤم حيال مستقبل المفاوضات السرية الدائرة — أما بسبب جهلهم تقلبات سير المفاوضة ، واعتقادهم تبعا لهذا بان للجبهة المصلحة التامة فى اطالة الحرب بضعة أشهر اخرى لكسب امتيازات جديدة من الحكومة الفرنسية .. واما لعلمهم — نظرا لاطلاعهم عن كثب على الحادثات الجارية — بعمق الهوة التى لا تزال تفصل بين وجهات النظر القائمة .

مجلة « فرانس اوبسرفاتور » — باريس

هل صدق «ملتس»

● تنبأ الدكتور « ملتس » المتشائم قبل أكثر من قرن ونصف قرن ، بان السكان لابد وان يفوقوا موارد الغذاء ، وانه ، بسبب ذلك ، لن يكون ممكنا — فى المدى البعيد — تحسين أحوال البشرية . واذا نظرنا فى أحوال المجتمع البشرى اليوم لنرى مدى صدق قول ملتس ، وجدنا ان المشكلة ليست هى نقص الغذاء فى العالم بل سوء توزيعه . ونحن نؤمن ان الكثير من شقاء البشرية الحالى يمكن تخفيفه عن طريق توزيع الفائض الضخم من الغذاء الموجود فى البلاد المتقدمة ، توزيعا مناسبا .

وقد نمى الينا ان منظمة الأغذية والزراعة التابعة لهيئة الامم المتحدة تنوى ان تضع قاعدة اجتماعية واقتصادية ، سليمة ، لتطور العالم باجمعه تطورا سلميا منظما .

ونحن نقول ان الكلمات والنوايا الطيبة ليست كافية ، اذ لا بد من ايجاد وسيلة فعالة لتوزيع منتجات الاغذية فى العالم بحيث لا يبقى جائع محتاج ، وهذا ممكن ، فالفائض كثير .

ونحن نؤمن أنه لا يمكن ان يحدث اى توسع صناعى فى الأقطار المتخلفة اقتصاديا ما دامت القوى العاملة تشكو من نقص التغذية .

« نيويورك هيرالد تريبيون »

مدير عام مؤسسة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة يصل الى الكويت

الحرية وحقوق الانسان

● احتفل العالم بيوم حقوق الانسان فى جو فقد فيه كثير من الناس هذه الحقوق ، كما يواجه كثيرون غيرهم مستقبلا يتصف بالخضوع الأعمى الى حكام دكتاتوريين متهورين .

ومنذ سبع سنوات خلت حدد ونستون تشرشل الخطيب المفوه معنى الحرية وحقوق الانسان ، ومما جاء فيه :

« لقد قيل ان ثمن الحرية هو السهر الأزلى على حمايتها . وهنا يبرز هذا السؤال : ما هي الحرية ؟ .. وفى رأيي ان هناك اختبارات عملية فى غاية البساطة يمكن بواسطتها معرفة الحرية ، وهل هى موجودة فى عالمنا اليوم . وهذه الاختبارات هي :

ـ هل يتمتع المواطن بالحرية فى الاعراب عن رايه ، ومعارضته أو نقده للحكومة القائمة ؟

ـ وهل للشعب الحق فى ان ينحى حكومة لا يوافق عليها ؟ وهل هناك وسائل دستورية يمكن بواسطتها التعبير عن هذه الرغبة وتحقيقها ؟

ـ هل المحاكم بمناى عن ضغط السلطة التنفيذية ؟ وهل هى غير مرتبطة باحزاب سياسية معينة ؟

ـ وهل تطبق هذه المحاكم قوانين البلاد التى ترتبط فى ذهن المواطن بمبادىء اللياقة والعدالة العامة ؟

ـ وهل تحقق العدالة للغنى والفقير ، للضعيف والقوى على قدم المساواة ؟

ـ هل تمجد الدولة حقوق المواطن وتؤكدها وتحافظ عليها مقابل قيامه بواجباته تجاه الدولة ؟

ـ هل يشعر الفلاح أو العامل الذى يكسب عيشه بعرق جبينه بالأمن والطمانينة ، ولا يشعر بالخوف من أن تقوم بعض المنظمات البوليسية التى يسيطر عليها حزب واحد بسوقه بدون محاكمة عادلة علنية الى السجن حيث الرق والمعاملة السيئة ؟»

على الناس حيثما كانوا فى هذه الدنيا ان يتريثوا فى الاجابة من أسئلة تشرشل هذه ، لم يجيبوا عليها بصدق وأمانة .

فاذا كان المرء يستطيع أن يجيب عنها جميعها بـ « نعم » فانه يكون عندها يعيش فى بلد حر حقا ، وهو على هذا يكون متمتعا « بحقوق الانسان » ، ويحق له ان يحتفل به .

جريدة « الأوبزرفر »

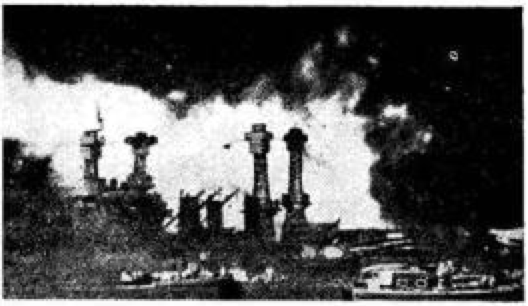

عبرة من التاريخ القريب

● لا يمكن ابدا لهذا الجيل ان ينسى ما حدث فى بيرل هاربر يوم ٧ ديسمبر ١٩٤١ ، يوم ترنحت السفن الجبارة وسط الدخان وابتلعها البحر ، نتيجة للهجوم الذى وجه اليها ، بينما كانت مفاوضات السلام مع اليابان جارية فى واشنطن .

فى صباح يوم الأحد ذاك ، قبل عشرين سنة ، كان يصعب علينا أن نصدق ان أولئك الذين كانوا أعداءنا يمكن ان يصبحوا أصدقاءنا .

ان البحارة الذين قتلوا وما زالوا راقدين فى قاع بيرل هاربر ، وكذا الرجال الذين قتلوا فى الميادين الأخرى ، كانوا جميعا ضحايا التاريخ .

لقد زالت الحزازات القديمة ، ولا نجنى الاالقليل من الحزازات الجديدة . وعلينا ان نؤمن انه ليس للكراهية اية قيمة . ان ما يجب علينا ان نكرهه ـ على حد تعبير الرئيس روزفلت ـ هو الكره نفسه . يجب ـ ونحن نلقى أكاليل الزهورفى البحر فى بيرل هاربر ، أو ونحن نضعها على قبور المحاربين فى جميع انحاء العالم ـ أن يستسلم الكره والبغض للاحزان وللأمل .

بهذه الروح ... دعنا نمد يد الأخوة الى جميع الشعوب ، عبر آلاف الأميال من البحار .

« نيويورك تايمز »

الى اسفل : الرباط .. او رباط الفتح سميت بهذا الاسم لانها كانت مربطا لخيل الجيوش الاسلامية المتوجهة الى الاندلس . وما زال منظر هذه الخيول المربوطة يتكرر قبل صلاة الجمعة ، في القصر الملكي .

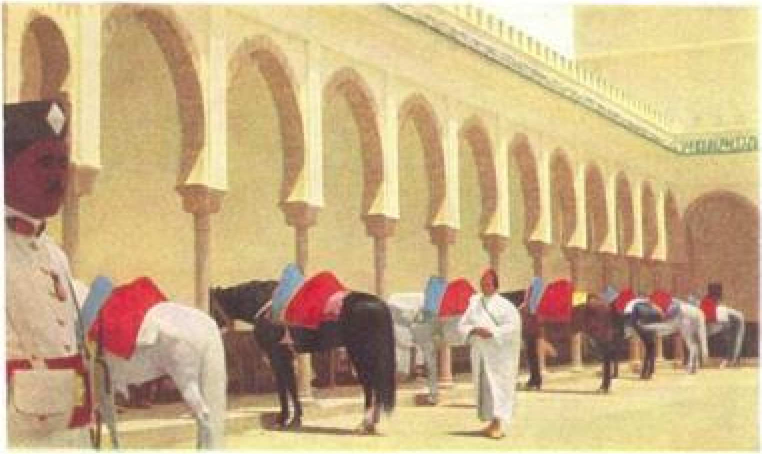

اعرف وطنك ايها العربي

الرباط

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال
وصوره «أوسكار»

الى اليمين : حديقة الوداية ، اجمل حدائق الرباط واقدمها ، يقصدها اهل العاصمة للنزهة والتمتع بجمال اشجارها وازهارها ، المنسقة على نمط الحدائق العربية القديمة في غرناطة واشبيلية .. وهي تشرف على المحيط الاطلسي ، وعلى مصب نهر ابي رقراق ، الذي يفصل بين الرباط ومدينة سلا القديمة ، ويرى جزء منها في اعلى الطرف الايمن للصورة .

■ **«يا رب.. لولا هذا البحر المحيط، لمضيت فى البلاد الى ملك ذى القرنين، مدافعا عن دينك، ومقاتلا من كفر بك وعبد غيرك ...».**

قول مأثور قاله القائد العربى عقبة ابن نافع عندما وصل الى سواحل المحيط الأطلسى، فى بلاد المغرب..

وبالقرب من نفس المكان الذى وقف فيه القائد العربى منذ ١٣ قرنا تقوم اليوم: الرِّباط.. رباط الفتح الأندلسى، ومركز الجهاد الاسلامى، ومدفن الآباء والأجداد، وعاصمة المغرب العربى التى قال فيها الشاعر:

اذا افتخرت مِكناس بالماء والهوى
وفاس" بواديها وبالعلم والمجد
ومرّاكِش" بالجد والجود والجدا
فان رِباط الفتح واسطة العقد

مدينة الحدائق

ان وصف الرِّباط ليس بالأمر الهين:
اهى مدينة الحدائق والأشجار...؟
ام مدينة الأسوار والبوابات؟.. أم مدينة الموظفين والوزراء؟..

ولكن الذى لا شك فيه هو ان اكثر مباهج الرباط يكمن فى حدائقها العديدة، ذات الخضرة الدائمة بفضل الرياح المشبعة ببخار الماء والتى تهب من المحيط الأطلسى.

وتأتى حديقة الوداية، فى مقدمة حدائق الرباط، وهى أقدمها، اذ تقع على نفس المكان الذى كانت ترابط فيه جيوش السلطان عبد المنعم الموحّدى بخيولها، منذ ٨٠٠ سنة، قبل توجهها للأندلس.

وحديقة الوداية منسقة على الطريقة الأندلسية القديمة (أنظر الصورة ص ٦٨) فطرقاتها متقاطعة بزوايا قائمة، واسوارها وجدرانها مكسوة بالاشجار المتسلقة، وورودها وزهورها مفروسة على المدرجات..

وفى كل عام، من شهر فبراير الى يوليو تحط طيور «البجع» على اسوارها، هربا من برودة اوربا، فتبنى أعشاشها على بواباتها التاريخية التى اقامها يعقوب المنصور (١١٨٥ الى ١١٩٩) عندما زاد مساحة رباط الجند الدائم الى ١٨٤ هكتارا واحاطه بسور كبير، وجعله عاصمة ملكه.

بائع الزهور: تجده فى أغلب شوارع العاصمة، بالرغم من ان امتداد البنيان الحديث قد قضى على أغلب حدائق الرباط القديمة وبساتينها.

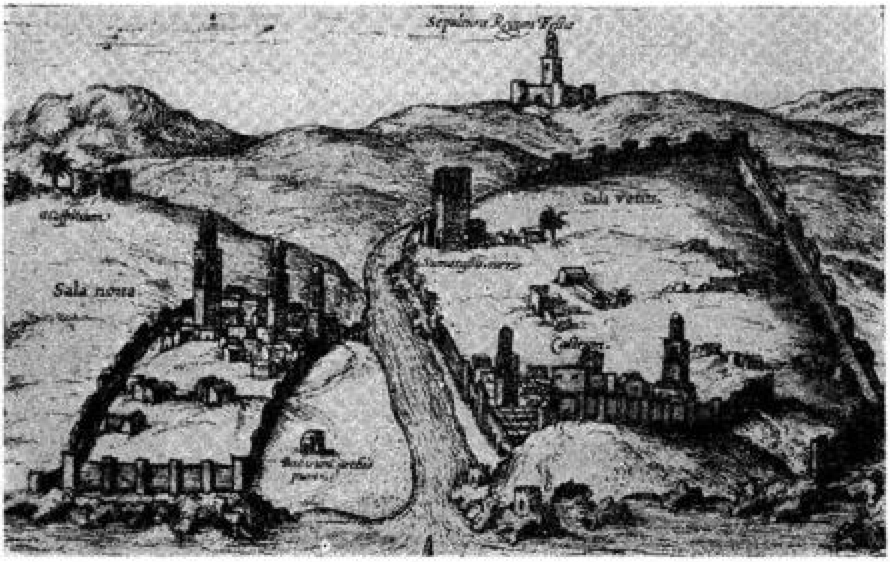

صورة تاريخية من القرن السادس عشر ، لنهر أبى رقراق يفصل بين مدينتى الرباط وسلا ، المحاطتين بالأسوار العالية التى بناها الموحدون وأهل الأندلس ، وفتحوا فيها أبوابا ضخمة متعددة ، بلغ عددها فى سور الرباط وحده ١٧ بابا ، ما زال بعضها قائما حتى اليوم يشهد بعظمة الفن المغربى العربى القديم .. ومما يذكر أن مدينة سلا مبنية على ساحل رملى ، بينما الرباط مبنية على أرض صخرية مرتفعة عن سطح المحيط بنحو ٤٠ مترا .

تبدل جذرى

ولكن حال العاصمة الصغيرة تبدل اليوم .. فالحجرات الضخمة التى شهدت أخطر الاجتماعات فى مختلف العصور ، تحولت الى متحف يحوى بدائع الفنون المغربية القديمة ..

والشرفة التى كان يطل منها السلطان فيرى مراكبه المحملة بالنفائس والأسرى الأوروبيين تدخل الى مصب نهر ابى رقراق ، تتبعها سفن ملوك فرنسا ،وهى تبحث عنها ، هذه الصورة قد انمحت تماما .. فالشرفة أصبحت مقهى يقصده السياح لشرب الشاى بالنعناع ، واكل حلوى « قرون الغزال » المغربية ..

اما مصب نهر أبى رقراق الذى كان ملتقى السفن ، فقد تراكمت عنده الرمال حتى أصبح فى استطاعة المرء اليوم أن يعبره سائرا على قدميه ، من قلعة « الوداية » الى شواطىء « سلا » ..

لقد جرت محاولات عدة حتى يظل نهر ابى رقراق صالحا للملاحة ، ويظل ميناء الرباط مستعدا لاستقبال السفن ... الا ان جميع هذه المحاولات كان مصيرها الفشل ، لعدة أسباب ، أولها : الرمال الكثيرة التى يجلبها معه نهر ابى رقراق الذى ينبع من جبال أطلس . وثانيها شدة منافسة ميناء الدار البيضاء ..

لقد ظلت الرباط تتمتع بمينائها حتى عام ١٩٣٩ وبعده لم تعد أى سفينة كبيرة تستطيع الوصول الى ارصفته الثلاثة القديمة، التى اصبحت مقصورة على رسو المراكب الشراعية لصيادى السردين القاطنين فى مدينة « سلا » .

الى اسفل: رجال الحرس الملكي بملابسهم الجميلة البيضاء ، يتقدمون الموكب الملكي .
ويصطف المئات من السياح والآلاف من أبناء الشعب لرؤيته كل يوم جمعة .

الى اليمين : موكب صلاة الجمعة : الملك يخرج من القصر الابيض ذي القباب الخضراء ، راكبا عربة حمراء مذهبة ، جدرانها من الزجاج ، ومنقوش على بابها النجمة الخضراء والشعار الملكي والآية الكريمة : « ان تنصروا الله ينصركم » ومن خلف العربة كبار رجال الدولة والمدعوين ، يقطعون الساحة المسماة « المشوار » ، مشاة في طريقهم الى جامع أهل فاس

الى اسفل : بعد انتهاء الصلاة ، الملك الحسن يمتطي صهوة جواد أبيض ، وحوله الخدم وقد أمسك أحدهم بشمسية كبيرة .. ان التقاليد تقضي بحضور الملك الى الجامع داخل العربة الحمراء ، وعودته بعد انتهاء الصلاة على ظهر جواد أبيض ..

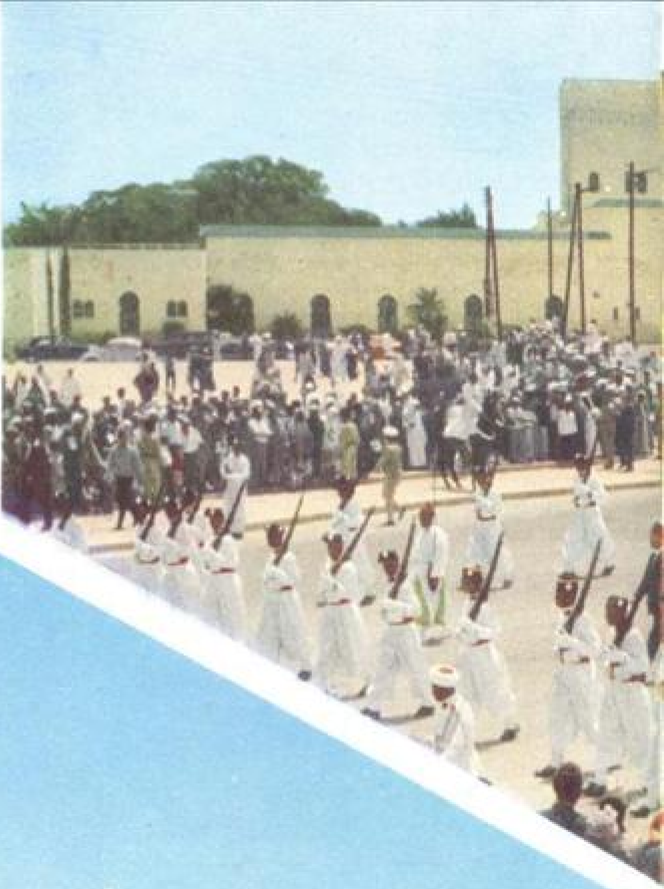

مدينة الأضرحة !

ولا يمكن الحديث عن الرباط دون التعريف بشقيقتها التوام : **سلا** .. التى تعيش اليوم هادئة خاملة ، لا يسمع لها صوت ، أو يعرف عنها احد شيئا، بالرغم من كونها اقدم من الرباط عهدا . اذ بنيت فى القرن الحادى عشر . ولكن بريق الحضارة الحديثة لم يبهرها ويبدلها كما فعل فى الرباط . . فالعادات ، والتقاليد واضرحة الأولياء، ما زالت تحتفظ برونقها ومكانتها القديمة . . والأعياد، والاحتفالات بموالد الأولياء، تكسب «مدينة الأضرحة» حركة ونشاطا . . فالناس تأتيها من كل فج ، وخاصة فى عيدى سيدى عبد الله ابن حسون، ولى المدينة المفضل، وسيدى موسى ، حيث يسهر الناس طول الليل

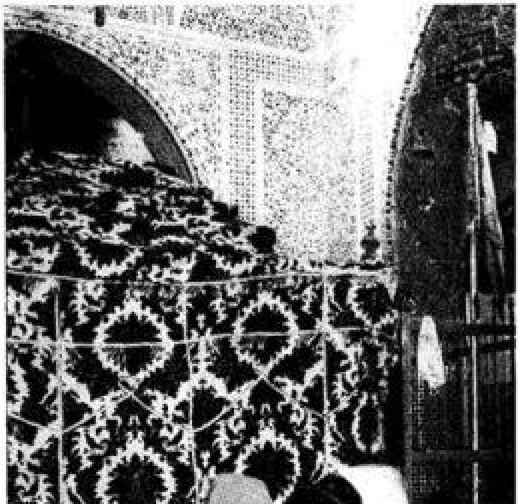

تكثر الأضرحة فى مدينة سلا ، واشهر اولياء المدينة هم : سيدى عبد الله بن حسون ، وسيدى بن عاشر وسيدى موسى .

عند ضريحيهما، ويحمل صيادو السردين مصابيح الشمع ويطوفون فى الشوارع المكتظة بالأهالى والزوار تتقدمهم فرق الموسيقى الوطنية . .

المنافسة بالشعر .. !

وقديما كانت سلا مدينة مستقلة عن مدينة الرباط الحالية ، التى كانت تسمى سلا الجديدة تمييزا لها عن سلا القديمة.

وقد قامت بين أهل المدينتين حروب ومنازعات ومنافسات كثيرة ، سجلها شعراء المدينتين فى مناسبات عدة . .

ولكن هذه النعرة اختفت تماما اليوم، واصبحت البلدتان تكونان مدينة واحدة هى العاصمة . .

ان سلا بالنسبة للرباط كالجيزة للقاهرة .. والكرخ لبغداد . .

وبالرغم من أن نهر ابى رقراق يفصل بين المدينتين ، الا ان اتصالهما مؤمن بواسطة جسرين : احدهما حديث ، والآخر قديم .. وبينهما مراكب صغيرة تقوم بعمل « المعدية » . .

الصورة تتكرر

وفى عام ١٩١٢ ـ اى منذ خمسين عاما تماما ـ اصبحت الرباط العاصمة الرسمية للمغرب الأقصى .. وفى ذلك العام (١٩١٢) تكررت نفس القصة التى وقعت منذ ٣٥٠ سنة، عندما نزح عشرات الالوف من المسلمين المقيمين فى الاندلس الى الرباط ، حتى ضاقت بهم المدينة الصغيرة ، فعمروها وبنوا الأحياء الجديدة والأسواق والأسوار .. تكررت هذه القصة مع تغيير أشخاصها ، اذ كانوا فى هذه المرة من الفرنسيين الذين احتلوا البلاد وأقاموا فيها .. وسرعان ما اتضح لهم أن الاربعمائة والثمانية عشر هكتار!

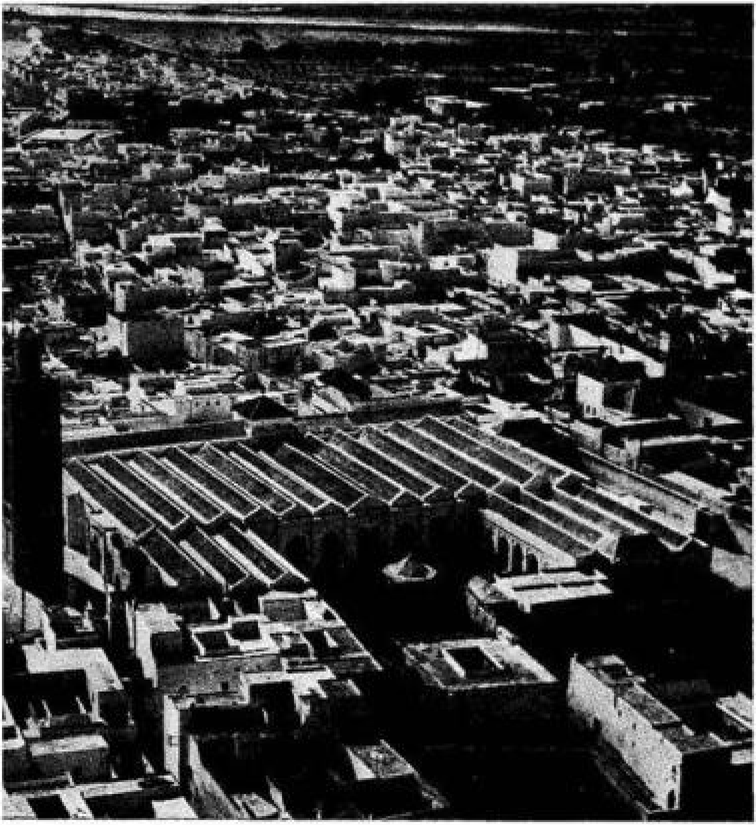

هذه هي « سلا » ، الشقيقة التوأم للرباط، وصفها أبو القاسم الزياني المؤرخ القديم فقال : « أول بناء بناه البربر لما دخلوا المغرب، مدينة سلا . وقيل ان الاسكندرلما دخل المغرب هو بانيها ، وبنى مدينة شالة المقابلة لها .وقيل ان بانيها هو افريقش الحميرى ، أول ملك بربرى ، فعندما وصل الى هذا المكان صهل فرسه ، وكان ، قبل هذا ، لم يصهل طول رحلته من افريقيا الى أن نزل محل سلا،فقال: سلا الحصان فأمر ببناء حصن أسماه سلا ..!!»

« مساحة مدينة الرباط القديمة »لايمكن أن تتسع لهم مع أهل البلد ، فبدأوا فى البناء خارج حدود الأسوار ، وامتدت المدينة على طول ساحل المحيط الأطلسى والى الداخل ، فظهر الكثير من الضواحى الحديثة ، التى ما زالت تمتد وتتسع حتى يومنا هذا،مثل ضواحى :الأورانجيه (البرتقال) والاكدال ، والطيران ، والسويسى ..

كانت كلها من الأطراف المترامية للعاصمة ، أما اليوم فقد امتد العمران فى كل اتجاه بحيث أصبحت من أحياء الرباط الداخلية العامرة بالفيلات وسط حدائق النخيل ، والبرتقال ، والليمون ، والورود،والأشجار المتسلقة على اختلاف انواعها .

محور المدينة

وتقطع الشوارع الفسيحة هذه الاحياء الجميلة فى كل اتجاه . وأكبرها شارع صومعة حسان،وشارع الجزائر ،وشارع شالة ، وشارع جوفر ، وشارع محمد الخامس الذى كان الى عهد قريب مقسما الى ثلاثة شوارع : شارع ليوتى (اسم اول مقيم فرنسى فى المغرب) وشارع المخزن، وشارع الطوارحا . فاصبح اليوم شارعا واحداً ، هو محور المدينة تتركز فيه الحركة التجارية والحياة الحديثة ، ويقوم فى وسطه صفان من النخيل غرست عام ١٩٢٤ وعلى الجانبين تقوم عشرات المتاجر والعمارات العالية ، ومبنى قصر العدل ، والخزانة العامة ، والبريد والتلفراف ، وعدد من الفنادق ، ومحطة

كانت السفن تخرج من ميناء الرباط ، محملة بأكداس من البضائع والمصنوعات الوطنية في طريقها الى الاندلس واوربا ومصر والشرق العربي . وأما اليوم فقد كادت هذه الصناعات الوطنية ان تندثر من الرباط ، التي اصبحت تعتمد على استيراد هذه الانواع الوطنية ، من فاس ومكناس ومراكش . وفي الصورة العليا بائع يعرض بضاعته النحاسية قرب باب الحد .. والى اسفل بعض العمال يصنعون السلال من الخوص الذى اشتهرت به مدينة سلا

قضت المنتوجات الاوربية الحديثة على صناعة حياكة الصوف ، ودبغ الجلود ، وصنع الفخار في الرباط ، وأصبحت بالمدينة وكأنها قطعة من متاجر عواصم اوروبا . بل ان بعضها هو فرع للمتاجر الكبيرة في أوروبا ، كما ترى في الصورة العليا ..

السكة الحديد ، وبنك الدولة المشيد على الطراز الحديث الذى يجمع بين الفن الأندلسي والفن الاسباني ..

مدينة شعبية

كل هذه الشوارع والضواحي ،اقيمت للقادمين الجدد ، الذين تضيق بهم المدينة القديمة ، بعد أن ضاقت بأهلها الاصليين انفسهم .. ولقد عمدت الحكومة الى تامين السكن لأبناء الشعب فبدات فى عام ١٩٣٦ بتحويل أحياء العشش والاكواخ الصفيح الى مدينة شعبية تتسع لأكثر من عشرين الف مواطن ، أسمتها مدينة يعقوب المنصور .

أبناء الاندلس

وآخر احصاء لسكان المغرب اجرى عام ١٩٦١ ، وكان عدد سكان العاصمة

حديقة المثلث : تقع فى وسط المدينة الحديثة ، وسميت بالمثلث ، لأن ثلاثة شوارع تحدها .

٣٠٣٢٤٤ نسمة ، منهم ٢٢٧٤٤٥ فى الرباط و ٧٥٧٩٩ فى سلا .

واغلب أهالى سلا من احفاد المهاجرين الاندلسيين القدامى ، الذين أورثوا احفادهم القابا وأسماء غريبة تولدت من احتكاك العرب بالاسبان ، وبعض هذه الأسماء يحمل الطابع العربى الأصيل ، وبعضها يحمل العربى المزوج مثل : فلوريش ، بركاش ، بلافريج ، القرطبي ، فيفور ، القساطلى ، بلانيو ، البيرو ، زيدون ، عبدون ، بدرون ، ابن خلدون .

والواو والنون فى آخر الأسماء من خصائص الألقاب فى الاندلس ، لافادة القوة والشدة والتفخيم .

المشوار

وعند ظهر الجمعة من كل اسبوع يتجه اهل العاصمة الى ساحة « المشوار » الفسيحة فى حى القصور الملكية ليشاهدوا اجمل العادات القديمة التى ما زالت مرعية حتى اليوم : موكب صلاة الجمعة الذى يترأسه الملك .

يبدأ الاحتفال فى الساعة الحادية عشرة والنصف داخل ثكنات الحرس الملكى حيث يقوم افراده باستعراض خاص كبير مع فرقة الخمسة والخمسين (اطلق عليها هذا الاسم لاجادتها عزف ٥٥ نغما مختلفا) وبعد انتهاء الاستعراض يخرج الحرس الى الساحة العامة ، التى تكون غاصة بالجماهير ، فيصطف على جانبى طريق الموكب ، الذى يبدأ عندما ينزل الملك الحسن الثانى من قصره الأبيض ذى الشبابيك والقباب الخضراء ، فيركب العربة الزجاجية الحمراء (انظر الصورة ص ٧٢) وتجلس معه فى أغلب الأحيان الأميرة آمنة شقيقته ، التى ولدت

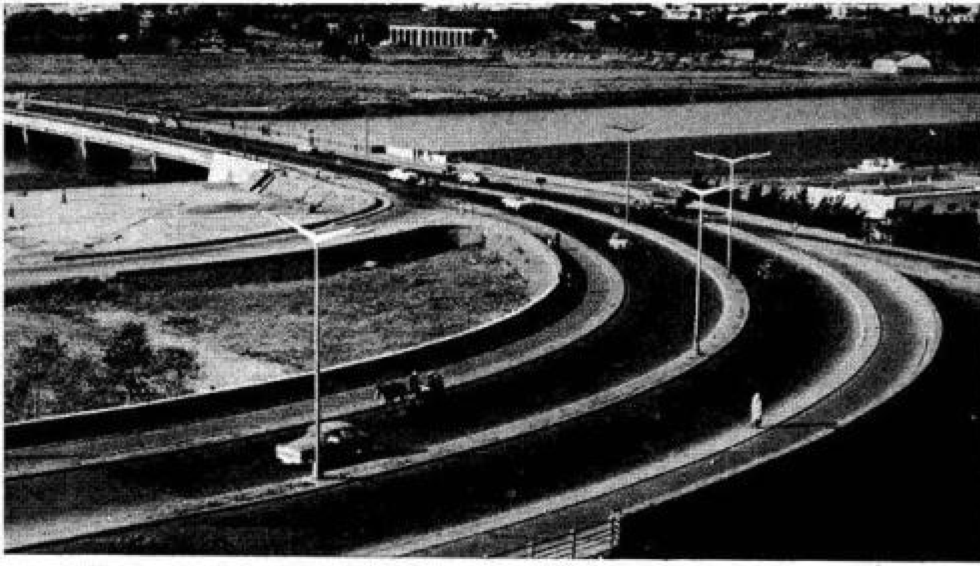

كانت هناك قنطرة خشبية مقامة على ثلاثة وعشرين معدية (مركب) فوق مياه نهر ابى رقراق ، كانت هى الطريق الوحيد الذى يربط بين « سلا » والرباط . أما اليوم فالاتصال بين المدينتين مؤمن بواسطة عدة جسور ، احدثها جسر مولاى الحسن ، الذى تراه فوق هذا الكلام .

فى جزيرة مدغشقر ، عندما كان والدها المرحوم الملك محمد الخامس منفيا هناك، ويتجه الموكب الى الساحة الفسيحة ، فتستقبله النسوة بالزغاريد ، والرجال بالتصفيق، والسياح بعدسات التصوير.

وما يكاد الملك يدخل مسجد أهل فاس لتادية فريضة الصلاة ، حتى تعود الأميرة آمنة شقيقته الى القصر ..

وبعد انتهاء الصلاة ، يخرج الملك فيمتطى جوادا ابيض ، يحيط به الحرس والخدم بزيهم التقليدى : شاشية حمراء بزر اسود وحزام أصفر فى الوسط ،وبلغة صفراء فى القدم .. ويتجه الموكب عائدا الى القصر .. وكثيرا ما يندفع من بين صفوف الشعب ، أحد المتظلمين ، محاولا تقديم تظلمه الى الملك ، فيهرع رجال الحرس الى اخذها منه ، وابعاده عن طريق الموكب ..

ويمكث السياح ، فى بعض الأحيان ، مدة ساعتين ، فى انتظار الموكب ، تحت اشعة الشمس ، او فى البرد ، لا يتبرمون، لأن موكب « المشوار » على أعظم جانب من الروعة ويستحق أن يشهده كل من يزور الرباط ..

الرباط القديمة

والسياحة فى المغرب مزدهرة،اذ يقصده الوف السياح من أوروبا وأمريكا كل عام، ومن أكثر الأماكن التى تستهويهم وتجتذبهم مدينة الرباط القديمة،التى هى فى الواقع صورة مكبرة لأى بلد عربى قديم :شوارع ضيقة لا تنفذ اليها الشمس او السيارات! .. ومجار مكشوفة وسط الأزقة لتصريف المياه الزائدة .. وحنفيات عامة يأخذ منها الأهالى حاجتهم من الماء .. واسوار عالية تخنق المدينة وتمنعها من التنفس .. وقبور فى الغرب والشرق يزاحم فيها الأموات الأحياء على أجمل مواقع البلد .. واضرحة لأولياءمجهولين عند كل منعطف وناصية .. وأخيرا ، شارع تقليدى طويل يقسم المدينةالقديمة،

الى أعلى : منظر عام للرباط القديمة ، التي ما زالت مخنوقة داخل الأسوار ، فمن الشمال أسوار قصبة الوداية والوف المقابر التي تحجب عنها زرقة المحيط.. ومن الجنوب السور الاندلسي ، وهو ظاهر في الصورة ، وقد اقامه النازحون من الاندلس في القرن السابع عشر ، وبعد هذا السور تبدأ المدينة الحديثة بشوارعها الكبيرة الفسيحة المشجرة ، التي ما زال اغلبها يحمل اسماء « فرنسية » مثل الشارع الظاهر في الصورة العليا الذي يسمى شارع جوفر

ثلاث صور للرباط الحديثة ، بمبانيها العالية وشوارعها الفسيحة ، المزدانة بالاشجار ..

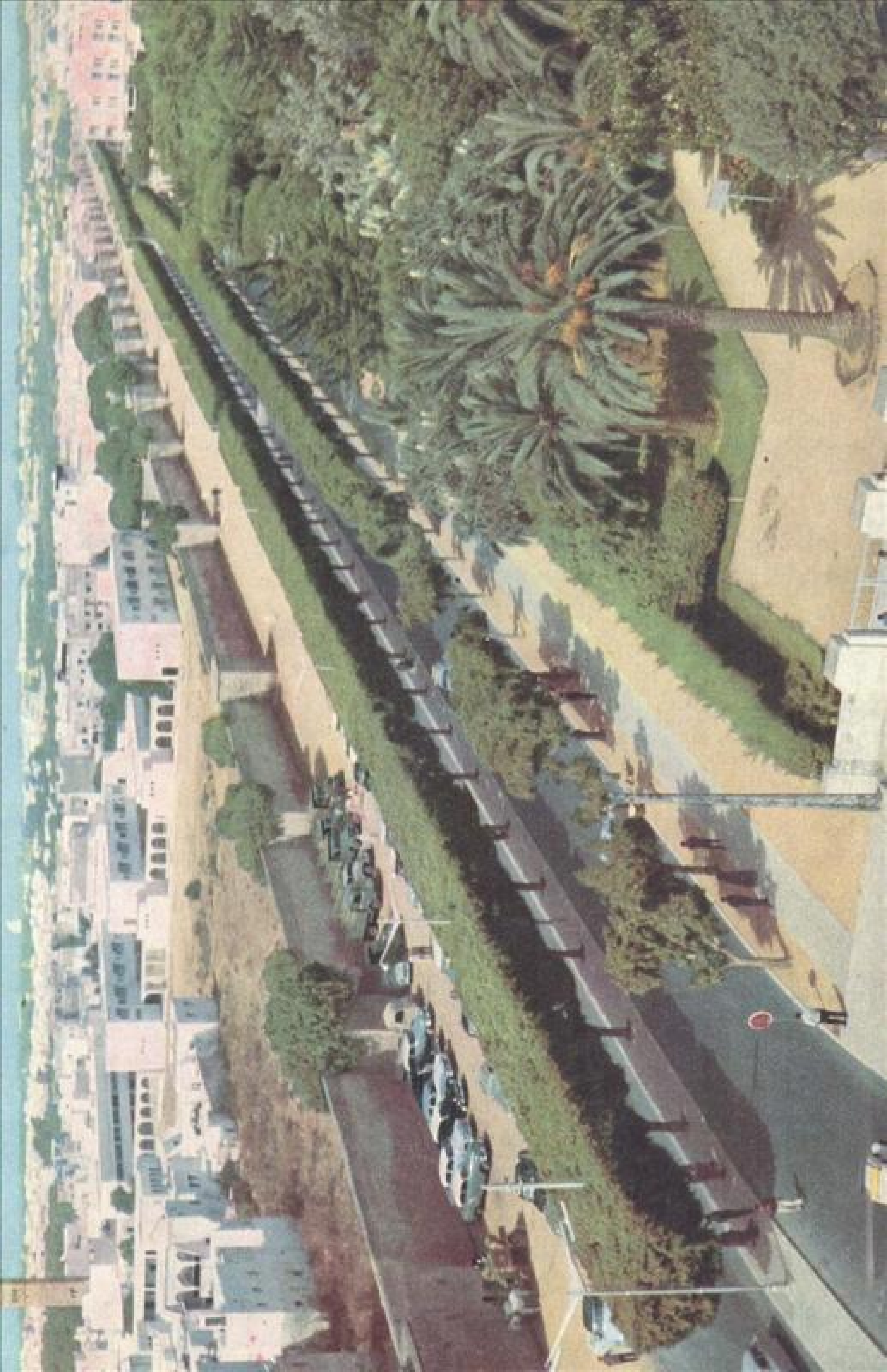

ويضم متاجر وطنية تعرض بضائع مشابهة لبضائع أسواق تونس، والقاهرة، ودمشق، وبيروت ، وكل عاصمة عربية اخرى .

النعناع والكبدة المحمرة

ومن هذا الشارع « الرئيسي » ــ شارع السويقة ــ تتفرع أسواق الغزل، والفحم والصباغين ، والدباغين ، والخياطين ، ومتاجر المصنوعات الجلدية والنحاسية والفخارية .. وبجانب هؤلاء واولئك يقبع بائع النعناع وأمامه كمية هائلة من النعناع الأخضر الذى يمزجه الأهالى مع الشاى ...

والى جوار بائع النعناع، ينهمك الجزار، فى تصفيف الكوارع ورؤوس الخراف وبرزها فى مقدمة معروضاته .. بينما ترتفع من مطعم مجاور ، رائحة السمك المشوى ، والكبدة المحمرة ، فتمتزج برائحة النعناع، وشحم الخراف، والزيت المقلى ! ..

وأمام كل متجر تقف النسوة لالقاء نظرة على معروضاته من فوق مناديلهن الملونة التى تخفى أنوفهن وأفواههن .. وفى نفس الوقت يتدفق موكب من البشر: رجال بجلابيبهم البيضاء او المخططة ، يتجادلون ويتناقشون .. وبائع الماء يحمل ماءه فى زق من جلد الماعز ويعلن عن نفسه برنين منتظم، يوقعه على أطباقه النحاسية ، بينما تسمع من ركن بعيد صوتا مرتفعا لصبى صغير ينبه المارة بقوله : « .. بالك .. بالك .. » ليفسحوا مكانا له ولحماره ..

ومن خلف النوافذ الحديدية المطروقة

قصر الملك ، وأمامه ساحة المشوار ، وفيها جامع أهل فاس ، حيث تقام صلاة الجمعة

صـورة جوية لقصـبة «الوداية» وقلعتها ، وكانت تسمى قصبة الرباط ، ثم سميت بقصـبة الودايـة عندما سكنها جيش الوداية .. وتقع على هضـبة صخرية عند مصب نهـر « أبى رقراق » فى المحيط الأطلسى . وظهر فى الصورة الحاجزان الحجريان اللذان بنيا لحماية ميناء الربـاط من الأمواج ، الا أن كثـرة الرمال ، التى يجلبها نهـر ابى رقراق ، اقفلت الميناء وجعلته غير صالح لرسـو السفن .. !

على الطريقة الاندلسية القديمة ،تتبادل ربات البيوت مع بعضهن آخر وصفات الاكل واخبار الجارات والصديقات !

وتتميز مبانى الرباط القديمة بلونها الأبيض الناصع ، ما عدا مبانى حى قديم واحد كلها زرقاء وصفراء ، انه حى الملاح، او حى اليهود القدامى ..

بين المقابر

وفى الأعياد والمواسم ، وخاصة يوم عاشوراء ، تبدو الأحياء الوطنية فى حلة قشيبة من الزينة ، ويهرع الأهالى الى سوق كبير يقام وسط المقابر يسمى سوق « الموالة » ، فيجتمعون للترحم على الموتى ، بينما ينسل الأطفال والسيدات الى عربات الباعة المتراصين فى صفوف طويلة ، فيتفرجون ويشترون الججلا (سمسمية بالعسل) والجابن باللوز (سكر ابيض باللوز) والكوكو (الفول السودانى) والجرجع (الجوز) والجاوى (البخور) والاحجار السوداء الواردة من مراكش لغسل الشعر(نفس مفعول « الشامبو ») .. وبينما يشترى الصبى دربكة (طبلة ملونة) تشترى أمه مختلف المنتوجات المصنوعة من النايلون واللدائن (البلاستيك) .

الى أعلى : تجرى كل عام مسابقة دولية للقفز فوق الحواجز على ظهور الجياد ،تشترك فيها مجموعات من مختلف البلاد الاوروبية والعربية .

الى أسفل : بالرغم من وجود شواطىء للاستحمام على طول شاطىء المحيط ، فهناك احواض خاصة للسباحة ، يقصدها أهالى الرباط في عطلة نهاية الاسبوع ...

فندق صومعة حسان : أقدم فنادق الرباط وأكثرها هدوءا .. وارستقراطية ، ويقدم الطعام لنزلائه فى قاعة مغربية رائعة ، مزخرفة على النمط الاسلامى ، والطراز المغربى فى البناء (الصورة العليا) ، وعند أسفل مدخل الفندق (الصورة اليسرى) باب يؤدى الى ملهى ليلى . وفنادق الرباط غرفها محجوزة على مدار السنة ، بالرغم من ارتفاع أسعارها!

مصيف لسكان « الداخل »

ويكتفى البعض بالجلوس بجوار الأضرحة على الصخور البارزة ، وهذه الصخور ظاهرة فى كل مكان ، لأن الرباط مبنية على الصخور البحرية عند مصب نهر ابى رقراق فى المحيط الاطلسى ، وبناؤها لم يكن له شكل منتظم ، فليست هى مثلثة او مربعة ، انما بنيت حسب الهندسة الطبيعية التى تقتضيها صخور هذه المنطقة المرتفعة عن مياه المحيط بنحو ٤٠ مترا ..

يخضع انتاج الزرابى (السجاد) المغربية ، الى هنا عملية مراقبة الانتاج ودمغه لاثبات جودته ، وقد الأخضر والأحمر المزركش برسوم مغربية قديمة ، الى مسجد الصخرة المشرفة بالقدس ، وكان هذا

وهذا الارتفاع البسيط ،بالاضافة الى وقوع المدينة على شاطىء المحيط ،يكسبان الرباط مناخا معتدلا ، متوسط الحرارة فيه ١٢ درجة شتاء و ٢٣ درجة صيفا، مما يجعلها مصيفا بالنسبة لسكان « الداخل » فى المغرب ، فيقصدونها بالسيارات من كل مكان .

شواطىء ولكن !

وعند الرباط تلتقى شبكة خطوط الطرق البرية فى المغرب ، وهى من أعظم شبكات الطرق فى الوطن العربى كله ..

ويتميز الطريق الممتد بمحاذاة المحيط الأطلسى ، بين الرباط والدار البيضاء ،

صناعة « البلغ » ، وهى الاحذية الوطنية لأهل المغرب .. قامت منافسة قوية بين بلغة الرباط وبلغة فاس انتصرت فيها الأخيرة ! .. ومع هذا فما زالت هناك بعض المحلات فى الرباط تصنع البلغة للرجال والنساء ، مع زخرفة هذه الأخيرة بخيوط من الذهب والفضة والالوان .

رقابة دقيقة للحفاظ على جودة هذا الصنف . وترى قام احد مصانع سلا بصنع ١٢٠ قطعة من السجاد لحساب الحكومة ، الذى ارسلته هدية من المغرب السجاد من النوع الفاخر السميك .

بشواطىء الاستحمام العديدة المتناثرة عليه . واشهرها واجملها، شاطىء تمارا، الذى يقع على بعد ٢٥ كيلو مترا من الرباط ، وبه فندق غريب ، لا يقدم لرواده الطعام ، انما به ١٠٠ غرفة للنوم فقط !

وشواطىء الاستحمام فى الرباط غير منظمة بعكس شواطىء مدينة الدار البيضاء ..

التلفزيون .. والاذاعة

والمنافسة بين الرباط والدار البيضاء شديدة وحامية ..

وتتفوق الدار البيضاء على الرباط فى كثير من المجالات : أولها من ناحية عدد السكان ، فبالرغم من أن الرباط هى العاصمة الا ان عدد سكانها يقل عن نصف عدد سكان الدار البيضاء ، الذين يشاهدون التلفزيون من محطة الارسال الموجودة فى مدينتهم ، بينما تكتفى الرباط بمحطة اذاعة محلية صغيرة قوتها ٥٠ كيلوات يصل صوتها ضعيفا الى بعض الاقطار العربية . ومع هذا فعندها فرقة موسيقية مكونة من ٣٠٠ موسيقى ، تعزف مختلف الالحان المغربية والاوربية

تكثر فى الرباط أصناف المأكولات الأندلسية الشهية وخاصة الحلوى ، وهذا المنظر التقط فى شارع بالمدينة القديمة لأحد باعة الحلوى ... ويلاحظ أن الصبى الجالس بجواره يبيع النعناع الأخضر ، الذى يستعملونه هناك مع الشاى

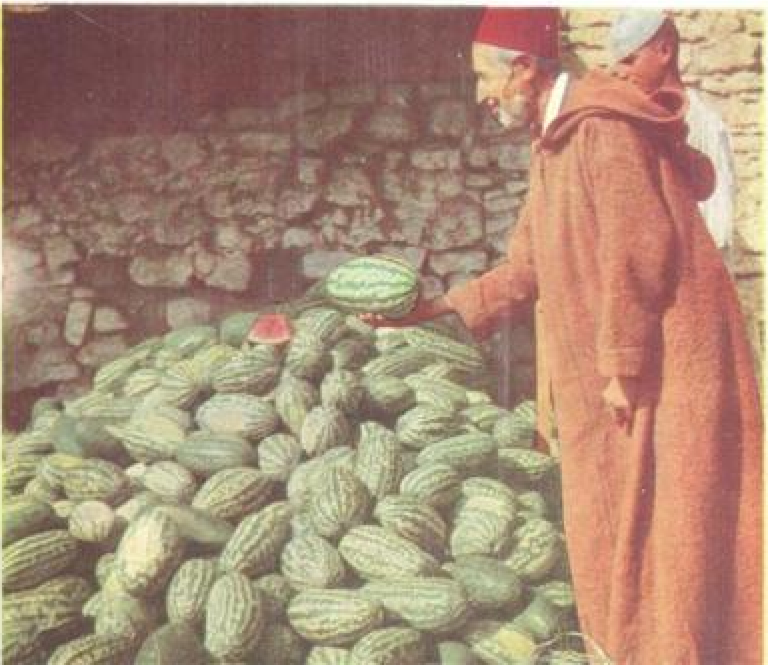

تعتبر تربة الرباط غنية خصبة ، تنمو فيها الأشجار والمزروعات والفواكه على اختلافها، وفى الصورة العليا مدخل حديقة المثلث التى غرست عام ١٩٢٠ وبها قسم خاص للاطفال، ومحطة لتجربة زراعة الخضراوات ... والى اليمين كمية من « الدلاع » (كما يسمون الرجى أو البطيخ) معروضة للبيع بجوار سور سلا .

المكتبة العامة : ويسمونها **« الخزانة العامة »** ، أنشئت عام ١٩١٩ ، كان أغلب كتبها باللغة الفرنسية ، وتجرى لها اليوم عملية تعريب كبيرة حتى زاد عدد الكتب العربية ٨٠ ضعفا فى السنين الأخيرة ، ويتقبل الشباب على قراءة كتب الآداب والتاريخ والفلسفة فى قاعة المكتبة المزدانة بخريطة كبيرة للمغرب **(الصورة السفلى)** وفى الشتاء يتضاعف عدد المترددين على المكتبة عن عددهم فى الصيف ، **والى يسار هذا الكلام** محافظ المكتبة الأستاذ عبد الله الرجراجى يراجع أحد الكتب القديمة مع أديبين من المغرب .

كما تذيع باللغات العربية والفرنسية والانجليزية . وهناك برنامج يومى موجه الى موريتانيا يستغرق ساعة .

العاصمة الأنيقة

والحركة التجارية فى الرباط متأخرة، وتقل عنها فى الدار البيضاء .. حتى ان الاطباء المتخصصين فى الدار البيضاء اكثر منهم فى الرباط،التى تكتفى اليوم بمركزها كعاصمة انيقة للمملكة المغربية .

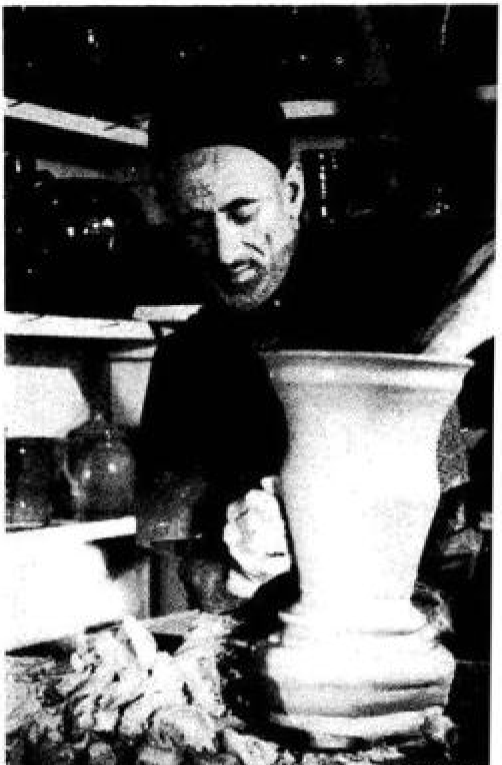

صناعة الآجر الملون ، المعروف بالزليج الرباطى ، من الصناعات التى كانت مزدهرة قديما. اما اليوم فقد انتقلت هذه الصناعة الى مدينة سلا ، وترى هنا أحد العمال يوشك على الانتهاء من صنع الفخار ، قبل وضع الورنيش عليه

مدينة يعقوب المنصور

ومن فوق صومعة حسان ، اشهر آثار المغرب ، التى سوف نعود اليها فى استطلاع مستقل قريب، يمكنك مشاهدة اجمل منظر للرباط القديمة والحديثة ومدينة سلا بمبانيها البيضاء الناصعة .

وعلى مرمى البصر تتدفق مياه « أبى رقراق » ، فتنصب بتكاسل ظاهر فى مياه المحيط الاطلسى الزرقاء ..

ان الرباط ، بحسب ما تنم عنه الحفريات الأخيرة ، كانت موجودة عند عصور ما قبل التاريخ ، ولكن تاريخها الحقيقى لم يبدا الا مع اسرة الموحدين .. والآثار التى تركوها ، تذكر السائح دوما انه بالرغم من جميع مظاهر التقدم الحديث المحيط به ، فهو ما يزال يعيش فى : مدينة يعقوب المنصور .. ■■

ضاقت الصفحات المخصصة للرباط ، عن استيعاب جميع اوجه الحياة والنشاط فى العاصمة المغربية : من تعليم ، وآثار ، ونهضة نسوية وغيرها. مما سوف نعود اليه فى فرصة اخرى قادمة ان شاء الله.

آدابُ السُّلوك

في الحفلات

كُنْ إيجابيًّا ولاتكن سلبيًّا !

سؤال

« .. ولقد دعيت الى وليمة شاى مرة ، عند من اعرف ، فلما ذهبت،ضقت بالناس، وعاد يدعوني مرة اخرى ، فاعتذرت بان عندى موعدا آخر في نفس الوقت ، فهل هذا الكذب حلال . ثم لماذا يكون الاجتماع ببعض الناس على شاى او نحوه ثقيلا ، واجتماع آخر خفيف الظل مرغوبا فيه .؟ »

م. ع. محجوب

الجواب

ابدا بمسألة الكذب هذا ، حرام هو او حلال .

للحكم على حله او حرمته ، اسألك انا بدوري ماذا قد كان الصدق في مثل هذا الحال ؟ الصدق كان ان تقول له ، يا اخي ، ان من تدعو من الناس ثقال الظل، واجتماعي بهم في المرة الماضية كان كريها لدرجة تجعلني ارفض دعوتك .

هذا هو الصدق بعينه . واذن فماذا تكون النتيجة ، وكم ؟

الكذب ، ابيضه واسوده

ان واقع الحياة اليوم دفع الناس الى تقسيم الكذب الى ابيض ، واسود . فالاسود ما يكون فيه الضرر بالغير . والابيض ما يكون فيه نفع الناس.

ومن نفع الناس تجنيبهم ما قد يجر الصدق من اضرار .

هذا راي ، لو انك فرضته على بعض المتحذلقين المتزمتين في الاخلاق ،لاستعاذ بالله منه . ومع هذا هو يفعله اول فاعل. وقد آن في شئون الاخلاق ان نتصارح ، وندع النفاق .

على ان هناك مندوحة ومندوحة حتى من هذا الكذب الابيض. دعاك الى الشاى، وانت لا تريد ان تذهب ، فقل له : شكرا فان عندى ما يمنعني من المجيء .

فهذا عن الكذب والصدق في امر قبول الدعوة او رفضها .

واجب الداعي ، دعوة المؤتلفين

اما عن ثقل الاجتماع على شاى او نحوه ، وخفته ، فيرجع الى المجتمعين انفسهم ، ثم الى الداعي .

اما عن الداعي فواجبه الاول ان لا يدعو الى الاجتماع الا مؤتلفين غير متنافرين . فلا يجمع بين الازرق والاحمر ، ولا بين المتقدم جدا في الحياة والمتأخر . ولا بين ذى الراى الرفيع جدا والراى الوضيع او من لا راى له . ولا بين المؤمن والكافر ، في اى امر من امور الحياة ، لا سيما الفلاة في رفضهم والقبول . ذلك لان الاجتماع

على شاي او نحوه هدفه الأول الأنس والترويح ، وكسر مجرى الحياة الراتب.

كسب الجديد من الأصدقاء

وليس معنى هذا ان لا يدعو الداعي الا الأصدقاء الحميمين المؤتلفين . ان من الأغراب المتشابهين . وانه ، حتى بين مختلفي المنازع،يوجد شيء من التواصل الاجتماعي اذا اجتمعا ، ونفع كثير ، اذا هم كان عندهم قسط من الحسّ بالفكاهة غير قليل .

والداعي لا يدعو من يركب راسه في جدل ابدا ، ويتجهم حتى تسود الجهمة على المجتمعين .

ان من أهداف الدعوات المنزلية الخاصة التعارف بين غير المتعارفين ، وتوثيق الصداقة بين المتعارفين. فلا بد في الدعوة من صديق جديد . ان الحياة لا تسهل الا بالأصدقاء ، ولا انس فيها الا بالأصدقاء ، والدعوات سبيل كسب الصداقات وتوثيق ما سبق منها .

الشراب والطعام لهما الموضع الثاني

ومن خطأ الداعي ان يجعل الطعام والشراب أولا . يثقله او يعدّده حتى يملأ الصورة،فيخال انه الغرض الواحد. وما الشراب والطعام الا تعلّة ، قضى بها العرف أن تكون . مشغلة . اما المشغلة الأولى فهي الحديث يكون بين الناس . ان الدعوة سبيل الى المحادثة، والمحادثة طريق الصداقة،ففيها تتكشف العقول وتتعرّى القلوب ، وتتماس جميعا وتتمازج .

والطعام والشراب الذي يجعل للحديث الموضع الثاني خطأ في التدبير ، وصرف للناس عن الهدف الأول:التعارف والتصادق ، واستعراض ، معا ، صور الحياة الجارية .

فهذا خطأ الداعي .

وللمدعوين اخطاء .

المدعوون ، بين السلب والايجاب

ان الذي يدعى الى السنما ، أو الى المسرح ، غير الذي يدعى الى حفل خاص ببيت . ان المدعو الى السنما أو المسرح يأخذ ولا يعطي. يسمع ولا يتكلم . او هو كجهاز التلفاز،يستقبل ولا يبعث. او هو،باستعمال لغة السياسة ،المستقاة من العلم ، سالب لا موجب . أما المدعو الى الحفل الخاص ، فهو آخذ معط ، سامع متكلم ، مستقبل باعث ، سالب وموجب معا .

الداعي يهيىء المسرح ، وعلى الضيوف اللعب

ان الداعي لا يمكن ان يحيي الحفلة وحده . انه يهيئ الاجتماع ، يهيىء المسرح ، وعلى المجتمعين ، وان شئت فاللاعبين ، ان يأخذ كل بنصيبه في هذا الاحياء . يدلي بالخبر . يدلي بالراى. يساهم في النقاش . يشارك في اسباب المرح . يساهم في الحديث الذي هو الغاية الأولى من الاجتماع ، ولا يترك الكرة المتدحرجة تقف عن التدحرج ابدا.

الأحاديث ملاقفة"

والضيف المثالي يقول بمقدار ما يسمع . ولكن من الضيوف من يقول قليلا او لا يقول شيئا ، ويود أن يسمع ويكتفي بذلك .

وشر من هذا ، الضيف الذي يقول كل شيء ، ولا يسمع شيئا . انه الثقل ، وانها الرتابة القاتلة .

ان كل مجتمع لا يخف الا على الملاقفة: ألقف ، وتلقف .

وهذا هو فرق ما بين الاجتماع الثقيل والاجتماع الخفيف الذي تسأل عنه يا صاحبي .

الصامتون

ثم ما هذا الصمت الذي يقتل روح الابتهاج ؟ ما اسبابه ؟

اول سبب له على ما أرى الحياء . والحياء مردود الى خشية الرجل الحيي أن يقول شيئا لا يرضى . ومن الناس من يرى في الحياء غاية الأدب والتأدب . والحياء وصمة في جبين التربية في الشرق . والأصل في الحياء أن يستحى

الانسان مما يشين ويعيب ، ثم امتد الى معان للخذلان والخضوع وارتياد الأركان القصية ، والبعد عن كل مظهر من مظاهر الحياة بارز . وليس سبب للاخفاق في الحياة كهذا .

ومثل هذا الرجل يجب تحريكه في المجتمعات الخاصة . يدلى بشيء من الحديث ، ثم هو يسأل عما صادفه في الحياة من مثله . او يدلى برأى ، ثم هو يسأل عن رأيه فيه .

والداعي هو الرقيب على توزيع اقساط الحديث هكذا على المجتمعين .

والنساء

واكثر المجتمعات صمتاً عن حديث تلك التي تجمع بين الرجال والنساء .

هنا يكون الحياء أشد ، فالنساء أشد حياء من الرجال .

والنساء يتحدثن فيما بينهن ، على ما يقول الرواة ، حديثا منطلقا لا يتوقف . فاذا اجتمعن بالرجال ، في حفل ، كاد الصمت أن يكون فيهن خرسا . حتى النساء اللاتي سفرن ، لم يستطعن أن يتخلصن من حجاب : حجاب يحجب اللسان عن الكلام ، وحجاب يمنع العين أن تنظر ، ويحجب حتى الفكر عن أن يفكر فيما يفكر الرجال فيه ، ولا بالحرية التي بها يتفكرون .

ومن أجل هذا هن يتحلقن حلقات من أنثيات ، يتحدثن فيها حديث المنزل وحديث الاطفال ، وحديث التربية والمدرسة والأسواق .

ان المرأة حقلها ، في الشرق ، لا يزال غير حقل الرجل . بعيدة عن الحياة واخبارها واحداثها الا أن تكون «حرب» . أما حديث في ارسطو أو نيوتن أو هيجل ، فحديث يشق على الجاري من الرجال ، فكيف بالجاريات من النساء .

ان خير حقل للمرأة ، وانشطه ، واخفه ، حقل يجمع النساء دون الرجال . أو يجمعهما معا ، ولكن هؤلاء في حلقة ، وأولاء في حلقة أخرى .

وعلى كل حال هكذا هم ، وهن ، ونحن من أدوار الحياة في الدور الذي نحن فيه الآن . أما الغد فعلمه عند الله .

عند دعوة الكثيرين

واستطرادا أقول : « ان الدعوة تكون لخمسة ، أو عشرة ، وفقَ ما تتسع له دار الداعي . ولكن من الدعوات ما لا بد ان يدعى اليه الكثيرون . وعندئذ تضيق الدار بهذه الكثرة ، لا بمعنى ان مساحات الأرض تضيق ، ولكن عدد المقاعد لا يكفي .

وهنا يفترق شرق عن غرب .

ان الرجل الغربي قد يدعو الى بيته ، عشرين او ثلاثين ، ولا يكون في بيته هذا العدد من المقاعد . ويجتمعون ، ويظلون جميعا واقفين . يشربون مما يقدم اليهم ، ويأكلون . ويتحدثون اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، واربعة اربعة . وتنفضُّ الربطة ، من ثلاثة أو اربعة ، لتتألف من افرادها روابط اخرى . فلا ينتهي أجل الدعوة حتى يكون الفرد المدعو قد غنم الحديث ، لا مع واحد او اثنين او ثلاثة ، ولكن مع عشرة أو عشرين . فأكد بهذا معرفةً قديمة ، وكَسَبَ معرفةً جديدة . واطلع على أكثر من رأى . وهذا غنم كبير . وهذه هي غاية الاجتماع الكبرى .

اما الرجل الشرقي الداعي فلا بد له أن يهيئ عددا من المقاعد بمقدار عدد المدعوين . ويحضر المدعو ، وهو يطلب على الفور مقعدا ومجلسا . ويظل في مجلسه ، بين العدد الكثير ، لا يبادل حديثه الا مع اثنين أو ثلاثة ، أولئك الذين كانوا بمحض الصدفة عن يمينه أو عن يساره .

لقد كان الغربي ، كالشرقي تماما في مثل هذا ، ولكنه تطوّر . وقد اخذ الكثير من اهل الشرق ، على هذا النحو ، يتطورون .. وليس معنى هذا ان يظل الشيخ واقفا ، ويظل العاجز . ان بالدار دائما مقاعد لمن يتعبهم طول وقوف .

وشيء آخر تتميز به الدعوة الكبيرة الواقفة ، عن الدعوة الكبيرة الجالسة ، ذلك ان في الجلوس لا بد من مراعاة الاقدار . هذا كبير فله الصدر . وهذا صغير ، فله الطرف . ثم كبيران يتنازعان الصدارة . ولذا تكون الحفلة الواقفة خيرا .

ولكم حضرتُ دعوات اصطف مدعووها على كراسي ، امتدت صفوفا الى حوائط . والكل صموت . كانت أشبه بمآتم ، ينقصه صوت يرتل القرآن ، يملأ به هذا الفراغ الجاثم على الصدور .

■■

بداية

قصة بقلم : محمود

حدثني صاحبي فقال :

ما أكثر ما يختلط علىّ الأمر ، فلا أكاد افرق بين شخوص قصص قرأتهـا ، وشخوص ـ من لحم ودم ـ عرفتهم فى الحياة ، واتصلت بينى وبينهم الأسباب . أو بين صورة رأيتها فى مكان ما ، وانسان يغدو ويروح فى رحاب هذه الدنيا الواسعة ولا يخطر له على بال انه فى ذهن كاتب القصة صورة من الصور ...

كنت جالسا منذ أيام على كرسى الحلاق .وكان هو يثرثر ، ويتحدث فى كل موضوع . وما خطر لى يوما ان أمنع حلاقا عن الكلام . وقد يضايقنى ان يمسك عما يخوض فيه من حديث ، فاصحو

عندئذ واحسّ من حولى خواء ، وفى ذهنى فراغا ، واكاد ارجو الحلاق أن يمضى فى حديثه الذى لااول له ولا آخر ، لكى افرغ لنفسى واستطيع ان افكر فى كل شىء الا فى حديثه .. وحسبى منه انه يُعمل مِقصه فى شعرى ، وان يظل لسانه دائرا فى فمه ، فما يعنيه أن افهم ما يقول ما دام هو يشبع هذا النهم فى نفسه الى الكلام ويتركنى اخلو الى هواجسى وهواتف الرؤى والأخيلة فى صدرى .

وابتسم محدثى الصديق ، واخرج سيجارة اشعلها وارسل دخانها من انفه وفمه جميعا ثم مضى يقول : « ونظرت الى الصور الكثيرة التى يزين بها الحلاق صدر دكانه . وقد استوقفت نظرى صورة واحدة، صورة لامرأة تنطق بالانكسار واللوعة والرضا بالحظ المقسوم لها فى الدنيا . لا شىء فى ملامحها ينمّ عن ثورة أو تمرده أو تتطلع الى ما هو افضل واحسن ، ولا فى نظرتها ما يمكن أن يوحى بغير الاستكانة والرضا عن المصير.امرأة مستسلمة لقدرها ، وكأنها قانعة بانكسارها وضناها ولوعتها ...

وساءلت نفسى:« اين رأيتها ؟ » انها لم تعد مجرد صورة فى ذهنى ، لقد راحت تأخذ لبوسها فى ازياء الحياة ، وكأنها شرعت تخرج من اطارها ، وخيل الىّ انها تتحرك ، وسرعان ما تستدير نحوى، وقد تمد الىّ يدها الواهنة مصافحة وعلى شفتيها ابتسامة حزينة ، كأننا اصدقاء منذ زمن طويل .. واكاد ، أنا ، أهمّ بان اكلمها ، وأسرّى عنها همها الذى اجهله ولا اعرف بواعثه ، واوشك ان اوسع لها مكانا بجانبى وادعوها الى الجلوس فيه ، واطلب منها أن تقص علىّ حكايتها أو قصة حياتها، فما كان هذا الذى اراه من شحوب وجهها ، وذبول عينيها ، وانكسار نظرتها الا من أثر همها الذى تحمله على كتفيها ولا تحدث به أحدا ، كأنها ضنينة

ونهاية

سيف الدين الايرانى

بالسر الذى يعذبها ويعتصر روحها ويمتص دم الحياة من محياها الرقيق ... وقد تكون خيانة زوج هى التى فعلت بها هذا كله .. وقد يكون الفقر أو الحرمان أو موت ولد هو فلذة كبدها .. فما لقدر الأيام آخر ، ولا للؤمها نهاية ..

وانتهى الحلاق من عمله وقال : « تفضل » . وعدت على صوته ـ الى الدنيا التى حولى ، وأنا أكاد أسأله : « أين هى .. ولماذا تراها ذهبت ولم تستجب لرجائى ؟ » ولكنى أمسكت ، وخفت أن تذهب به الظنون فى صحة عقلى ، وانصرفت وأنا أهز رأسى أسفا .

وأمس كنت فى غرفة جلوس بعض الأصدقاء ، وكانت ثمة فتاة جميلة تجلس على أريكة ، وقد فتر الحديث ، وانصرف كل منا الى نفسه يتأملها أو يناجيها ، أو لا يفعل شيئا سوى أن يظل مفتوح العينين ، معطل الفكر . وألقيت نظرة الى الفتاة . وبدا لي أنها من دقة الصنع حتى ليُخشى أن تمسها يد من خوف أن ينكسر فيها شيء ...

وتطلعت الى عينيها ، فاذا هى ساهمة ، مستغرقة النظر الى يدها الممتدة على الأريكة الواسعة ، تتأمل خضابها وأظفارها المستطيلة . وكانت يدها فى حالة استرخاء حلو ، وكانت هى كأنها تغازل يدها تلك ، وتبتسم لها فى سرها وتكاد من شدة الومق أن تقبلها ... كانت كلها اشتياقا لهذه اليد ، وحبا لها ، وافتتانا بجمالها ودقتها .. كانت الفتاة كأنها تعبد ذاتها .. وقلت فى نفسى أنها صورة معبرة عن هذه المعانى جميعا ، صورة ينقصها الاطار الذى توضع فيه والجدار الذى تعلق عليه ....

وشغلتنى خواطرى ، وذهلت عمن حولى ، وبدا لى أنى أرى الفتاة وقد أقبلت على الحياة مزهوة بحسنها ، مفتونة بسحر عينيها السوداوين المتألقتين مستطارة اللب بقدها الذى بلغ حد الكمال رقة مجس ولين أعطاف ، ودقة صنع !

وشاهدتها فى رحبة خيالى ، تحب الزهر والعطر ، وتقبل ثغور الورد ، ويروق لها أن تقف قبالة مرآتها ، ويمر الوقت فلا تحس به ، وتظل تتأمل شفتيها ، وملامحها وشعرها المجدول وقد استدار حول رأسها كأنه اكليل مضفور ، وترفع يدها فتمس نحرها برفق ، وتمر براحتها هنا وهناك ، فوق شعرها ، ثم تستدير وتديم النظر الى قدها

من هذا الجانب مرة ومن ذاك مرة ، وتروح كفها تتحسس بشغف بعض مفاتنها ، وتبتسم فى المرآة ، ثم يعن لها خاطر فتنفلت خفيفة ، رشيقة ، وتخطر فى أرجاء غرفتها وكأنها ترقص أو تطير ....

ولاح لى أنها كالفراشة الجميلة النادرة المثال . ألم تر تلك الفراشة المزهوة بألوانها لا يند فيها لون عن لون على كثرة الألوان والأصابيغ ؟ ألم تر خفتها ورفيف جناحيها الذهبيين وشغفها بالنور ، ولقد

تكون حياتها يوما او بعض يوم ، ثم تحترق ، يحرقها الضياء الذى تعشقه ؟ اجل . هكذا كانت هى فيما احس . تحب جمالها وتعبد نفسها ، وتشتهى ان تنهل من كل رحيق وتشرب من كل كأس وقد استقر في روعها انها كوكب ساطع يملأ الأرجاء بنعمة ضيائه ....

وتوهمت أن شابا وسيما قد اقبل من حيث لا ادرى ، فأعجب بها ، وقال في نفسه : « ستكون هذه ... زوجتى .... » واتصلت اسبابه بأسبابها وراقصها ، وكانت هى تختال زهوا ، وتلهو ، وتخطر كاميرة ، وتحس بأن العيون توشك أن تلتهم حسنها .. وتامل الشاب وفكر ، وحزم امره ، وتقدم الى اهلها وطلب يدها . وقال لها ابوها : « انه يريدك زوجا له ، فماذا ترين ؟ واحسبه شابا طيب القلب ، صادق العزم والسريرة ... »

وقالت هى وقد قلبت شفتها : « لا أتزوجه ، فهو قصير ، واحب أن يكون زوجي مديد القامة ، موفور الرزق ... »

ومرت الأيام ، ونسيها الفتى ، واقبل غيره ، فقالت ان فيه بدانة لا تحبها ، وعبوسا لا يرضيها .. وجاء ثالث ، وكان مهندسا بارعا ، مرموق المنزلة ، فتضاحكت وقالت : « انما أريد زوجي طبيبا انيقا ، وهذا المهندس يهمل هندامه ، وما اكثر ما أراه مغبرا ، متشعث الشعر ، شديد الانهماك في عمله ، كثير الانصراف الى عمائره التى اشرف عليها ... »

واكتمل نضجها ، وتفتحت زهرة جمالها عن آخرها ، والاعناق لا تنفك تلتوى خلفها كلما مرت او خطرت في شارع او متنزه ، فازدادت تيها ودلالا ، وتعاظم شعورها بفتنة حسنها ، وتقدم الطبيب الذى كانت تحلم به أن يكون زوجها ، ومنّى نفسه بها ، وقالت هى : « انى أراه فلا يهش له قلبى ، ثم انه فوق الثلاثين من عمره ، كلا . لا أريده .... » .

كانوا جميعا يمرون في حياتها كالاشباح ، الواحد تلو الآخر ، لا يحظون منها بغير النظرة الفاحصة ، والابتسامة الخفيفة الساخرة ، والجواب السريع المقتضب : « أوه ! لا ليس هذا الذى أريده ... » .

وتهامس الناس : « لا ريب في ان في الأمر سرا ... »

وعلمت هى بما قيل فهزت كتفيها ولم تهتم ، وقلبت شفتها السفلى ولم تكترث .

وقال البعض : « لو كانت طاهرة الذيل لما تمنعت وتابت ... »

وسمعت بما رموها به ، فضجت ضاحكة وقالت وهى تتوائب : « هذا من غيظهم .. »

ومرت الأيام لا تتمهل ولا ترحم . وكانت هى لا تنفك تلهو ، وترقص ، وتسهر ، وتؤوب الى مخدعها فلا يكاد يغمض لها جفن . بدات تحس انها سعيدة ، وغير شقية ... حال من القلق وحسب .. وكانت تسائل نفسها « ما الذى حدث ؟ » .

وفي صباح أحد الأيام طالعتها مرآتها بما حدث : لقد رأت شيئا روّعها . وكان هذا الشيء خطا دقيقا جدا فوق جبهتها .. وكان هذا الشيء ذبولا في عينيها ، وفتورا في بدنها .. واندفعت يدها الى حقّ على نضد الزينة ، فغمست أصبعها فيه ثم جعلت تدهن بالمعجون جبهتها كلها ، وتدلكها برفق وصبر ، وخيل اليها ان الخط الدقيق قد توارى ولم يعد له وجود ، فانتعشت ونشطت ، وارتدت ثيابها بسرعة ، وخرجت تضرب في زحمة الشوارع ، وتقف عند واجهات المتاجر التى تعرض حريرا وأزياء ، والتى تعرض ذهبا مصوغا شكولا وانماطا ، ومالت الى صالون تريزا « للحلاقة » ، فأمضت فيه ساعة من زمن ، وشربت كوبا من الليمون المثلوج ، ولاح لها انها هدأت واستقرت ، ولكنها ما ان عادت الى البيت ودخلت غرفتها واغلقت من دونها الباب ، حتى عاد ذلك القلق الممض ، المبهم ، يملأ صدرها ، ومرة اخرى ساءلت نفسها : « ماذا حدث ؟ »

وكان قلقها حيرة بادية ، اذا عادت الى البيت احست انها يجب ان تفر منه ، واذا غادرته سرعان ما تعود اليه ... وكانت تضحك لغير سبب ، وتعبس وتتجهم لغير داع .. وكانت تمر هنا وهناك وتغشى المراقص ، وتجهد أن تمرح مع الصديقات والأصدقاء ... وكان جمالها لا يزال يثير الفتنة والاعجاب .... ولكن ما من احد عاد يفكر أن تكون زوجته ... حتى الكهول غدوا يخشون أن تردهم خائبين .·.

وكان الزمن لا ينى يتصرم ، ويده الدائبة لا تفتأ تمتد فى الخفاء الى جمالها فتذبل منه شيئا ، والى عينيها فتطفىء من آلقهما ، والى قدها فتوهنه ، والى شعرها فتثبت فيه شعره بيضاء هناه واخرى هناك .. وانتهى بها القلق الى الياس والأسى ، فعرفت الحب السريع الذى لا يدوم أكثر من يوم وليلة وتنقلت من ذراعى رجل الى ذراعى آخر ، وفى وحدتها كانت تتامل حالها ، ويتراءى لها كأنها كانت فى يوم من الأيام أميرة من أميرات الأحلام ، وانها كانت تطل من قمة الوهم على دنيا الناس فتراهم صغارا عجافا ، مهازيل ، وها هى قد انحدرت ، انحدرت كثيرا ، وتوشك أن تشارف الحضيض ، واذا الرجال كبار ، ضخام ، عراض ، ليس فيهم القصير والطويل ، والبدين والهزيل ، ولا فيهم الجميل والدميم ، وانما فيهم ذئاب واندال ، واخساء وجبناء ، يثيرون الرعب فى قلبها وفيهم طيبون وذوو كرامة ومروءة ، وفيهم ازواج سعداء لهم نساء وابناء ، واعمال يغدون اليها خفافا مع مطلع كل شمس .

ويا لحسرتها ! بالأمس فقط انتهرها احدهم ، وقهقه آخر وهو يترنح من السكر ، واطلق يده تعبث فى صدرها وهو يقول : « فات .. فات الأوان .. يا رمان ... »

وكانت امها قد قضت نحبها منذ طويل وحسرتها على ابنتها تنهش احشاءها ، وابوها اقعده الشيخوخة واعماه الهم ...

ايه ! .. هكذا هى الدنيا ... وانها لأحد شخوص قصتها الطويلة .. وستمثل دورها كاملا وتمضى ... والنهاية واحدة للجميع ...

وعلى حين غرة أدرت عيني فى غرفة الجلوس وراعني أن الفتاة الحسناء لا تزال جالسة على اريكتها ، وانها ما برحت تبدو من دقة الصنع حتى ليخشى أن تمسها يد" من خوف أن ينكسر فيها شيء .. ولا تنفك تتامل يدها المسترخية كأنها تغازلها ، وتبتسم لها فى سرها ، وخيل الىّ ثانية أن الفتاة تعبد ذاتها ... ورحت أردد فى نفسى مرة اخرى : انها صورة ينقصها الاطار الذى توضع فيه ، والجدار الذى تعلق عليه. وتذكرت الصورة الاخرى التى رايتها فى دكان الحلاق ... صورة المراة التى تنطق بالانكسار ، واللوعة ، والاستسلام ، وتوحى نظرتها بالحظ المقسوم لها فى هذه الدنيا ...

ولا ادرى لماذا تراءى لى ان هذه الصورة أخت تلك ، وان احداهما هى البداية والاخرى هى نهاية الشوط ... وان تلك المراة الوهنانة التى شحب وجهها وذبلت عيناها وانطوت على همها الدفين ؛ كانت هى نفسها تلك الجالسة على اريكتها ، وقد خرجت من اطارها وحدثتنى حديثها وابتسامتها الحزينة على شفتيها ، وافضت لى بسرها وما آلت اليه من امرها ...

ودخل صاحب الدار يحمل القهوة لضيوفه ، ويضحك مرحبا بهم كعادته ، فافقت من ذهولي وكدت اهتف : « ولكن اين الصورة .. لقد كانت هنا ... وكنت مستغرقا فى تاملها ... » الا انى امسكت ، ورحت أضحك مع الضاحكين . ■■

محمود سيف الدين الايرانى

أمريكي ينزل ضيفاً على بني صخر ويحكي عن :

عادات في البدو أصيلة كريمة

قام الكاتب الأمريكي سيبروك بسياحة فى بلاد العرب زار خلالها لبنان وسوريا وشرق الاردن والعراق ثم نشر كتابا بعنوان « مغامرات فى بلاد العرب » تحدث فيه عن مشاهداته فى هذه الرحلة والاختبارات التى مربها اثناء معايشته للدروز والعلويين واليزيديين . ولكن اطرف ما جاء فى كتابه هو تلك الفصول التى يتحدث فيها عن عادات القبائل البدوية ، بعد ان قضى بضعة اشهر فى ضيافة قبيلة (بنى صخر) التى تعيش فى البلقاء ، وتعتبر من اقوى قبائل الاردن .

واحب ان اقتصر فيما انقله عن الكتاب ، على حديث المؤلف عن بعض عادات البدو والقصص التى سمعها فى مضاربهم . قال :

فى ضيافة شيخ مشايخ بنى صخر

كنت قد قرأت مؤخرا كتاب دوتى الخالد : « الصحراء العربية » . ولذلك كانت رغبتى منصرفة الى التعرف على البدو وقبائلهم . وعندما بلغت بيروت انا وزوجتى لم يكن لى هم الا فى الرحيل الى البادية والجبال . وقد مهد لنا الأمير امين ارسلان جميع السبل اللازمة للتجول فى جبل الدروز وفى البلقاء بشرقى الاردن .

حللت فى ضيافة « مثقال الفايز » شيخ مشايخ بنى صخر ، وقضيت فى صيوانه مدة من الزمن ارتديت خلالها ملابس البدو وعشت حياتهم ، اطعم مما يَطعمون ، وأشرب من حليب نياقهم ، وأسهر فى الأمسيات المقمرة احتسى فناجين القهوة العربية وادخن من نارجيلاتهم . حتى أحببتهم واعجبت بهم .

لا يسألون ضيوفهم عن شيء من أمرهم

ومن القواعد الذهبية عند البدو انهم لا يسألون ضيفهم عن شؤونه الشخصية . ولم يبدر منهم اى فضول لسؤالى عما اذا كنت فى بلادى غنيا او فقيرا، متزوجا او عازبا ، وعما تكون طبيعة عملى . وهناك قصة عن شخص نمساوى حل ضيفا ذات يوم عند قبيلة العنزة ، وبدلا من ان يقيم فى ضيافتهم يوما او اسبوعا ، طاب له العيش فقضى العمر كله بينهم. وبعد ثلاثين عاما من قدومه اليهم سأل ابن شيخ العشيرة ، وهو صبى فى الثانية عشرة من عمره ، اباه . قال : ـ

ـ ان وجه هذا الرجل العجوز وشعره وصوته لا يشبه وجوهنا وشعورنا وأصواتنا ، رغم انه يلبس كما نلبس ويتكلم كما نتكلم ، فمن هو وماذا يفعل بيننا ؟

واجاب الشيخ : يا بنى ، لقد جاء هذا الرجل ضيفا الى خيمة جدى ، وبقى فى ضيافته حتى مات . ثم بقى فى ضيافة ابى حتى لحق بأبيه دون ان يسأله من أين جاء ، وانا ايضا لا يدفعنى

الفضول لتوجيه سؤال غير مهذب كهذا السؤال . وانه لمن العيب عليك أن تسأل عن أمر لا يعنيني ولا يعنيك .

وهكذا لو قدر لي ان انزل في ضيافة « متقال » اشهرا او سنوات لما ازعجني احد بالسؤال عن شؤوني الشخصية او معتقداتي .

زوجة تطالب زوجها بزوجة اخرى

ومن اعجب ما شهدت في خيمة متقال ، شكوى قدمتها زوجة شابة تدعى ثريّا تطالب فيها زوجها (جريد) ان يَبنى بامرأة اخرى تشاركها في انجاب الاولاد والقيام بمهام بيت زوجها الكثيرة . وقد قضى متقال بان يتخذ « جريد » زوجة اخرى في فصل الربيع .

قوام كنصل السيف

ولا مشاحة في أن نساء البدو يفقدن نضارتهن وعنفوان شبابهن في سن مبكرة ، ولكنهن يحتفظن برشاقة قوامهن حتى الكهولة ، فتبقى الواحدة منهن كنصل السيف لا تشوبها البدانة التي تعترى النساء في المدن .

شهرزاد الصحراء

وذات يوم ذهبت مع متقال لزيارة فتاة من عشيرةبني حسن اشتهرت بجمالها واسمها (فرجة)، ولها شهرة كشهرة شهرزاد في رواية القصص والحكايات ، وقد رفضت الزواج من عدة شيوخ تقدموا لطلب يدها . وفي ضيافة هذه الرعبوبة البدوية حللنا وتبادلنا الاحاديث المؤنسة ، ثم غنت لنا قصيدة مع الحان ربابتها تروى قصة البدوية الحسناء ، قطنة،بنتالشيخ (الكنج) زعيم السردية . والقصيدة تتحدثعن معركة بين السردية والعنزة يوم اعتلت هي وثلاث فتيات من حسناوات قومها – الهوادج على ظهور الجمال ، واخذن يشجعن الرجال على خوض غمرات المعمعة . وبينما المعركة على أشدها بدا لقطنة أن قومها يتراجعون فلكزت جملها الى الامام ، الى قلب صفوف العدو ، وهي تصرخ صرخات القتال النارية ، حتى دبت في رجال عشيرتها روح جديدة منالحماسةوكروا على اعدائهم والحقوا بهمالهزيمة.

يربون فتيانهم على احتمال الشدائد

ويربي الرؤ ّلة فتيانهم تربية اسبرطية لتدربهم على النظام واحتمال الشدائد . وقد حللت ذات يوم في ضيافتهم مع الامير امين ارسلان وتاجر دمشقي ، فجاءوا عند العشاء بجفنة نحاسية هائلة لا يقل محيطها عن تسعة أقدام ويحملها اثنا عشر رجلا بكل صعوبة ، وهي تحتوي على جمل طبخ بكامله ، ودعانا المضيف لنطعم وحدنا ولم يشاركنا احد من افراد القبيلة . وبعد ان فرغنا من الاكل نهض الشيخ وعدد من زعماء القبيلة وأحاطوا بالجفنة الكبيرة ، وهنا طلب الامير امين مني أن انتبه جيدا ،فلاحظت ان الشيخ تناول قطعة صغيرة من الكبد واكلها ، ثم تناول بيده شيئا من الارز والمرق ، ولكنه بدلا من أن يضع اللقمة في فمه ، قبّلها بشفتيه ورمى بها الى الأرض ، ولم يذق بعدها طعاما . وفعل بقية الرجال فعل الشيخ ، ثم نهضوا وهم يتظاهرون بانهم نعموا باكلة شهية. ودعا الشيخ بعد ذلكجميعالرجال الباقينللاشتراك في المأدبة ولكنهم جميعا اعتذروا رغم انى واثق من ان بعضهم لم يذق في يومه طعاما . وبعد نصف ساعة حملت الجفنة الى خارج الصيوان حيث احاط بها حوالي مئة وخمسين صبيا واخذوا يملأون بطونهم الخاوية وكانت هناك مجموعة اخرى من الصبيان لم تقترب من الطعام ، وفهمت من الأمير ان الصبيان الذين احاطوا بالجفنة هم من ابناء قبيلة اخرى تنزل في جوار الرؤلة ، وان الرؤ ّلة يمرنون صبيانهم على السيطرة على ارادتهم وهم يفاخرون باعمال كهذه .

قصة كرم

ذهبت ذات يوم مع متقال لزيارة « حديثه » شيخ عشيرة (الخريشه) احدى عشائر قبيلة بني صخر . وقد اشتهر (حديثه) بكرمه الفائق ، ذلك الكرم الذي جلب عليه وعلى عشيرته الفقر . وفي صيوان الشيخ حديثه جرى ذكر الكرم وقيام البدو بواجبات الضيافة . فروى لنا الشيخ القصة التالية :

« قبل سنتين ذهبت ورجالي لنغزو في العراق ، ولكننا لم نوفق وعدنا خاسرين . كنا ثلاثمائة فارس وقد مرت علينا ست وتسعون ساعة دون أن نذوق

طعاما او نشرب ماء عدا كمية قليلة من الماء لخيولنا التي لا تستطيع احتمال الظما كالانسان او الجمل، وبينما نحن في هذه الحال وصلنا الى مضارب الشيخ « صخر الشراه » . ولم يكن عدد خيامه يزيد عن عدد أصابع اليد ، ولم يكن الشيخ صخر غنيا . كانت كل ثروته تتالف من خمسة عشر راسا من الماعز وجملين . وكان يعرف اسمي ، ولكن لم يسبق له ان راى وجهي ، واعطاني ماء اروى به ظمئي في خيمته بينما مضى رجالي الى البئر التي يستقى هو من مياهها ، ولم يلبث ان نادى احد رجاله ليصنع لنا قهوة ، وغادر الخيمة.

« وبعد لحظات سمعت على مبعدة اصوات ثغاء كثيرة متلاحقة .. لقد مضى صخر الشراه مع اولاده الى رؤوس الماعز التي يملكها وكسر ساقا لكل واحدة منها » .

وسكت « حديثه » كان القصة انتهت ... وتصاعدت عبارات الاعجاب من جميع الحاضرين . وقال مثقال : « والله هذه قصة لا تنسى » .

كان صخر يقدر انه لو بدأ يذبح العز واحدة بعد أخرى لعرف « حديثه » من صراخها ، وجاء يحول بينه وبين المضى في عمله قبل ان يذبح اثنتين او ثلاثا منها ، ولكنه كسر سيقانها كلها لان الماعز التي تكسر ساقها لا يمكن ان تعيش . وهكذا كانت الوليمة وافرة كافية « لحديثه » ورجاله الجائعين .

قصة كرم اخرى

وروى درداح القصة التالية :

توفى شيخ احدى القبائل دون ان يُعقب اولادا ، وبعد مدة من الزمن غدت ارملته فقيرة . واخذت تنتقل مع القبيلة حيثما اتجهت ، الا انها كانت تنصب خيمتها الصغيرة على بُعد من مجموعة خيام القبيلة حتى تتفادى نزول الضيوف في خيمتها ، وهي لا تملك شيئا للقيام بواجبات الضيافة ، وكانت تعيش على حليب ناقة وحيدة بقيت لها وتنتقل على ظهرها عندما ينتقلون .

وفى احدى ليالى الشتاء الماطرة اقبل رجل على مضارب القبيلة ، واختار أن يحل ضيفا فى الخيمة الصغيرة المنفردة . كان الرجل تاجرا يود أن يبتاع عددا من الجمال . ولاحظ من هيئة السيدة انها ليست من غمار الناس ، فسالها عما اذا كانت تود أن تبيع بعض جمالها ، فقالت :

ــ كلا . لا يوجد عندى هنا سوى ناقة واحدة ! اما جمالى الاخر فهى بعيدة فى المراعى .

لم يكن عند المراة قهوة فقدمت له حليب ناقتها. وبعد هنيهة قال الضيف : لقد قطعت اليوم مسافة طويلة ، وانا اشعر بالتعب الشديد . حبذا لو كانت هناك خيمة اخرى أهجع فيها منذ الآن .

وقالت السيدة : هناك خيمة اخرى وسأذهب اليها انا ، اما انت فيمكنك ان تبيت فى هذه الخيمة.

وغادرت المراة الخيمة وعادت بعد ساعتين وهى تحمل وعاء كبيرا ممتلئا بقطع اللحم والمرق .وتناول الرجل وجبة جيدة ، ثم عاد الى نومه .

لم يكن لها خيمة ثانية كما ادعت . وقضت ليلتها تلك فى العراء لا يحميها من البرد القارس والمطر سوى رحمة الله .

وعجب التاجر فى الصباح عندما شاهد ثيابها المبتلة ، وسالها عن ذلك فقالت : ان خيمتها الاخرى تقع قريبا من خيام اقاربها وراء «التلة» ، وان زخة من المطر صادفتها أثناء مجيئها فابتلت ثيابها .

ولاحظ الرجل فقرها عندما تطلع حواليه فى الصباح ، فقال انه يود أن يقدم اليها كمية من القمح كهدية اذا كانت تستطيع أن تبعث بجملها اليه . وكان جوابها : يا للاسف ، لقد مات جملى فى الليلة الفائتة ..

كانت المراة قد ذبحت ناقتها الوحيدة لتقدم عشاء للضيف ، محافظة منها على سمعة زوجها وبيتها .

قصة شهامة فى البدو خارقة

اما « حديثه » فقد سمعت عنه القصة التالية:

كان لحديثه مهرة بيضاء يحبها ويعنى بها عناية كبيرة ، وقد اعجب شيخ احدى العشائر واسمه (غورين) بالمهرة واراد أن يشتريها.وسعى غورين لدى « حديثه » وغالى فى ثمن المهرة حتى رفعه الى ثلاثمائة جنيه ، ولكن حديثه استمر فى

اصراره على عدم بيعها ، وعندئذ عرض غورين على حديثه ان يزوجه بنتا له اشتهرت بجمالها على ان يعطيه المهرة مهرا لها . ولكن حديثه رفض التخلى عن مهرته . وذات يوم جاء غورين الى خيمة حديثه وقال له : ان عدم وجود عداوة بيننا يضطرنى الى انذارك بانني ساستعمل جميع الوسائل لكي احصل على مهرتك ، حتى ولو ادى الأمر الى ان اسرقها ، فخذ حذرك . واعلن حديثه انه سياخذ حذره على المهرة منذ ذلك اليوم .

ومضت مدة في قصيرة كادت تجاوز العام . وذات يوم سمع غورين ان حديثه ينوى السفر الى دمشق الشام ليتفق مع احد التجار على بيع عدد من الجمال .

وكان غورين هذه الفترة يتجنب مواجهة حديثه ، فاطال شعر ذقنه وصبغ وجهه بالحناء ، وفى اليوم الذى بدأ فيه حديثه سفرته جاء غورين بخنجر واصاب رجله اليمنى بجرح عميق ، ثم ربط رجله بخرقة بالية لم تلبث ان ابتلت بدمه القانى ، وبعد هذا ارتدى ملابس قديمة مهترئة واخذ عصا يتوكأ عليها كي يظهر بهيئة الشحاذين.

سار غورين فى الدروب التى سيمر منها حديثه يوم سفره ، وهو يعرج فى مشيته بسبب الجرح ، حتى انهك جسمه السير وابتل جسمه بالعرق وبدا عليه اثر الاجهاد . أراد غورين أن يبدو فى حالة بائسة حقا ، وهو يعلم أن عيون البدو النفاذة تستطيع أن تكشف امره لو اراد أن يتظاهر بالتعب خداعا .

وبعد شوط طويل مرهق جاء (حديثه) خلفه يقطع الدرب على صهوة مهرته البيضاء ، ولم يلبث ان لحق بغورين الذى كان قد بلغ الحد الاقصى من الاعياء فسقط على جانب الطريق فى حالة يرثى لها . ولاحظ حديثه دم الرجل البائس ينزف من رجله وما هو فيه من الاعياء والارهاق ، ولم يستطع التعرف على شخصه بسبب التغيير الذى طرأ عليه ، فنزل عن مهرته ليقدم له المعونة.

وغمغم غورين بانفاس متقطعة انه ينوى السفر الى دمشق ، وان الجرح الذى اصيب به انهك قواه.وفعل «حديثه» ما يمكن ان يفعله اى شيخ بدوى فى ظرف مماثل ، فاعان غورين على ركوب المهرة وسار الى جانبه ماشيا . وبقى غورين صامتا مدة نصف ساعة حتى يسترد شيئا من قواه ، ثم قال : ايها الشيخ الكريم ان بندقيتك ثقيلة على كتفك ، فلم لا تعلقها على السرج ؟ ولما كانت حرارة الشمس والسير على القدمين قد ارهقا حديثه نوعا ما ، فانه فعل ما اقترحه عليه الشحاذ المزعوم . وبعد بضع دقائق لكز غورين جانب المهرة بعنف فنفرت به ولم تلبث ان ابتعدت عن حديثه ، وهنا اوقفها غورين بعد ان امسك بالبندقية والتفت الى حديثه قائلا : لا تعتب عليّ يا حديثه فلقد انذرتك سابقا.

وعندئذ عرف حديثه هوية محدثه ، فاجاب والدهشة تعقد لسانه : « اجل يا غورين ، لقد انذرتنى » .

وبينما كان غورين يستدير للمضى فى طريق اخرى صاح به حديثه فجاة يناديه ، فارتد غورين الى الخلف وعاد اليه . وقال له حديثه : ان المهرة اصبحت لك ، ولن احاول استرجاعها منك سواء بالقوة او الحيلة اذا انت وعدتنى بتنفيذ ما ساطلبه منك .

واجاب غورين : أعد بذلك .

ـ اطلب اليك أن تقسم باسم النبى وان اقسم انا كذلك باننا لن نحدث انسانا قط عن الكيفية التى حصلت بها على المهرة .

وهتف غورين : اننى اعدك بذلك يا شيخ حديثه، ولكن ما السبب ؟

واجاب حديثه : لان هذه القصة اذا اذيعت بين البدو ستحول فى المستقبل بين كثيرين من البؤساء الحقيقيين وبين الحصول على مساعدة احد فى مثل هذه الظروف . وسيكون ذلك عارا على البدو واشد خطرا من ضياع الف مهرة بيضاء .

وتامل غورين مليا فى هذا القول ، ثم نزل عن المهرة وسلم مقودها الى حديثه قائلا : اننى لا استطيع ان اسرق مهرة رجل مثلك !

وسار الرجلان سويا الى دمشق ، وغورين على ظهر المهرة معظم الطريق ـ بسبب جرحه ـ ونشأت بينهما صداقة متينة منذ تلك الحادثة .

■■

تلخيص سليمان موسى
عمان ـ الاردن

مَنْعُ الحَمْل بالأَقْرَاص

تتعاطاها المرأة بالفم

■ فى « العربى » الماضى ، لأول فبراير عام ١٩٦٢ ، وصفنا الدورة الشهرية للمرأة وصفا به من التفصيل ما يكفى . وذكرنا فيه أن الدورة الشهرية تبدأ باليوم الأول الذى ينزل فيه دم الحيض ، ثم يقف نزول الدم عادةفى اليوم الخامس، ثم تعود الدورة فتبدأ من جديد بعد نحو ٢٨ يوما، فيظهر دم الحيض من جديد .

وقلنا ان المِبْيَض به بويضات كثيرة ، لا تصلح للاخصاب الا بعد انضاجها ، وهى بعد انضاج تخرج من حويصلتها بالمِبْيَض ، وتسقط حيث تلتقطها فتحة قناة مجرى البيض ، ولها شكل القمع، ثم هى تسير فى هذا المجرى متجهة نحو الرحم . وفى الطريق تلتقى بالحيوان المنوى الذى جاء من الرجل ، اذ هو سائر نحوها يطلبها . وبذا يتم الاخصاب . وتظل البويضة المخصبة تسير فى اتجاهها حتى تصل الى الرحم ، ثم هى تستقر فى حائطه ، ثم يبدأ التجهز لنمو الجنين .

كل هذا قلناه وشرحناه فى العدد الماضى شرحا وافيا . ونحن هنا تكرر نشر الصورة الايضاحية لجهاز المرأة التناسلى حتى يكون الوصف أوضح واقرب الى الفهم .

بقى أن ندخل فى كيمياء الجسم قليلا، وفى غير غموض .

هرمونات

ان الكيمياء تتحكم فى الجسم كله . فى هضمه ، ودمه ، وعصبه ، وفى الحياة وفى الموت . وهى تتحكم فى الاخصاب .

قلنا ان البويضة تنضج أولا فى مبيض المرأة قبل أن تخرج منه . فما الذى ينضجها ؟ انه مركب كيماوى يصنعه الجسم ، من تلك المركبات التى تسمى بالهرمونات ، والغدد هى التى تصنع الهرمونات . والغدة التى تصنع هذا الهرمون لا توجد فى المِبْيَض كما قد يتبادر الى الأذهان . انها غدة تقع من الجسم بعيدة جدا عن المبيض . انها الغدة النخامية الصغيرة التى توجد بالرأس تحت الدماغ . وتفرز هذهالغدة هذا الهرمون فيجرى فى الدم ، فاذا وصل الى المبيض انضج البويضة المطلوبة كل شهر .

واسم هذا الهرمون غريب علىاللسان العربى .

انه الفولِكْيُولين . Folliculin

ولنسمه لغرضنا الحاضر «بالهرمون منضج البويضة » .

ثم لا تلبث هذه البويضة من بعـــد اخصاب ، ان تستقر فى جدار الرحم ، حتى تكف الغدة النخامية عن فرز هذا الهرمون . ان عمله قد انتهى .

ويظهر فى الدم هرمون آخر .

واسم هذا الهرمون غريب على اللسان العربى كذلك .

انه البروجسترون . Progestrone

وهذا الهرمون يقف انضاج البويضات فى المبيض ، ما دام قد حصل اخصاب . ما دام قد حصل تلقيح . اذ ما فـائدة بويضة اخرى تلحق بالاولى .. ؟

ولنسم هذا الهرمون « واقف انضاج البويضة » .

هما هرمونان اذن : واحد فاعـــل ، والآخر مانع فعله .

القرص الذى يمنع الحمل

كان من الطبيعى جدا أن يتجـــه البحاث ، لمنع الحمل ، الى الهرمون الذى يمنع البويضة من ان تنضج فى المبيض ، اى أن يتجهوا الى البروجسترون .

وقد فعلوا .

خلقوا فى المعمل مادة كيماوية تشبه البروجسترون . اقراصا تتعاطاها المرأة بلعا فيقف الحمل .

التجـــربة

انهما رجلان عملا فى هذا الحقل ، وانتجا ما انتجا .

اولهما الدكتور Dr. Gregory Pinsus, بمدينة ورستر Worcester, بالولايـــات المتحدة .

وثانيهما الدكتور جون رك John Rock بمدينة بسطن ، بالولايات المتحدة ايضا .

عملا فى هذا الحقل منذ عام ١٩٥٦ الى اليوم .

وجربوا هذه الاقراص فى ٨٥٠ مـــن النساء ، فى كل من برتوريكو Porto Rico. وهاييتى Haiti. ولم يحدث ان احداهن حملت قط . ولما توقف تعاطى الأقراص، عاد الحمل الى ما كان عليه .

ولقد اقر الطبيبان الباحثان انهما لقيا متاعب فى أول الأمر فى الاشهر الاولى من التجربة : ميل للقيء . آلام فى المعـدة . عدم انتظام فى مواعيد العادة الشهرية . ولكن هذه الأعراض ما لبثت ان اختفت .

الأقراص فى الأسواق

وتبـــاع هذه الأقراص عند الصيادلة فى الولايات المتحدة .

(نعيد نشر هذا الرسم تسهيلا للفهم)

الجهاز التناسلى للمرأة : الرّحِم وهو فى الاوسط ، والى جانبيه المبيضان وهما لا ينفتحان فيه . والى جانب المبيضين فتحتا قناتى البيض ، وشكلهما كالقمع ، وهما يلتقطان البويضة الناضجة عندما تخرج من المبيض الذى بجانب كل منهما ، وبدخول البويضة الى هذا القمع تسير فى قناته حتى تدخل الرحم . اما الحيوان المنوى فيدخل من طريق المهبِل ، ثم الى فتحة الرحم فيدخل اليه ، ثم الى قناة البيض يبحث عن البيضة ليلقحها . فاذا لقحها عادا جميعا الى الرحم فسكنا جداره وبدأ تكوين الجنين .

اما « الرباط العريض » فهو الذى يحمل كل هذه الاجزاء من الجهاز التناسلى ، وهو يمتد ليرتبط مع جدار الحوض فى المرأة . انه الحائط الذى به يتعلق كل هذا الجهاز .

وهي صنفان :
الصنف الأول يسمى انوفيد .Enovid وتصنعه معامل .Searle & Parke
والصنف الثاني ويسمى نورلوتين .Norlutin وتصنعه معامل دافيز .Davis
وصنف ثالث يصنع في انجلترا ، تصنعه .The British Drug House

طريقة تعاطي هذه الاقراص

تبدأ الزوجة ببلع قرص في اليوم الخامس من الدورة ، وقرص في السادس ، وهلم جرا ، الى ان يبلغ ما بلعت ٢٠ قرصا . وآخر قرص يبلع في اليوم الرابع والعشرين .
وترى من ذلك ان هذه الاقراص تغطي الزمن الذي يمكن ان يكون فيه تبويض وتلقيح (راجع ما قلناه في العدد الماضي عن زمن اخصاب المرأة ، وانه يقع في اوسط الدورة ، لا في اطرافها) .

موقف الحكومات من هذه الأقراص

اباحت حكومة الولايات المتحدة بيعها للجمهور . واباحت الحكومة البريطانية بيعها للجمهور ، ثم جعلتها من العقاقير التي يصفها الطبيب فيما يصف من العقاقير تحت نظام التأمين الصحي . وبذلك لا تدفع المرأة فيها أكثر من شلنين في الشهر الواحد ، بينا ثمنها خارج نظام التأمين ١٧ شلنا .
فلا بد اذن من وصفة طبيب .
وعندما اباح وزير الصحة في بريطانيا وصف الأطباء لهذه الأقراص ، تحت نظام التأمين الصحي ، قال انها توصف « لحاجات طبية » ، وترك للطبيب ان يحدد هذه الحاجات الطبية .
سأل طبيب : هل من الحاجات الطبية ان امرأة تأتي ، وعندها من الذرية ستة اطفال ، وتطلب وقف الحمل ، فتكون هذه حاجة طبية ؟ أم هي حاجة اجتماعية ؟ أم هي مزيج من الاثنتين :
وتساءل آخر : كيف نعطي هذه الأقراص ونحن لا ندري مايكون من أثرها في المرأة بعد سنين من تعاطيها ؟ انه لا بد من الزمن الطويل لمعرفة أثرها الطويل ، فلعل فيه ضرا .
وأجابه آخر : ولكن هذا لا يظهر الا مع التجريب ، وأنت تمنع التجريب . والحق ان التجارب التي حدثت الى الآن لم يظهر منها سوء .

طبيب يخطب في ٨٠٠ من اعضاء رابطة التخطيط العائلي

كان هذا في انجلترا .
اما الطبيب فهو الدكتور سواير .Gerald Sweyer ، وهو احد اعضاء اللجنة التي تشكلت لبحث شئون الاخصاب والتحكم فيه في انجلترا .
وخطب في هذا الجمع فقال ان الدلائل التي جاءتنا من بقاع من الأرض متفرقة دلت على ان هذه الأقراص لمنع الحمل لا ضرر منها قط ، وانه لم تظهر فيمن جرَّبنها شواهد تشير ، ولو من بعيد ، على احتمال الاصابة بالسرطان أو بغيره من الامراض . وكذلك لم يكن هناك ما يدل على ان اخصاب المرأة من بعد استخدام هذه الأقراص يقل . ان النتيجة عكس ذلك ، فان هذه الأقراص عندما يتوقف استخدامها تزداد خصوبة المرأة عما كانت أولا .

معارضة الكنيسة

والكنيسة الكاثوليكية تقف من استخدام هذه الأقراص موقف المعارضة ، لا لأن المسيح ، صلوات الله عليه ، صدع في هذا الأمر برأي أو وحي ، ولكن لان رجال الكهنوت يرون أن كل تدخل في الطبيعة تدخل في ارادة الله . فهم لا يرتضون غير منع الحمل المؤسس على تاريخ الدورة ، وامتناع الرجل عن المعاشرة في أوسطها ، على ما شرحناه في العدد السابق .
وغير ذلك موقف الكنيسة البروتستانتية .
وحتى بعض رجال الكنيسة الكاثوليكية احنوا رؤوسهم اخيرا لواقع الحياة ، فأجازوا ما حرَّم غيرهم .

■■

نحن نسأل
وأنت تجيب

١ ــ الجمهورية الصومالية ، جمهورية فتية ، هل تعرف من اي الاقطار هي مكونة ؟ وما هو اسم عاصمتها . .

٢ ــ اين يقع جامع القرويين ؟ وفى اى سنة تم بناؤه ؟

٣ ــ قفز انتاج البترول فى العالم الى ١١١٩ مليون طن خلال عام ١٩٦١ وهذا رقم قياسى فى عالم النفط لم يسجل قبل الآن . . فهل تعرف ما هي اكبر الدول المنتجة للنفط فى العالم وكم مقدار انتاجها ؟

٤ ــ كيف بدات هذه الخرافات : (١) التفاؤل بحدوة الحصان توضع فوق الأبواب، (٢) التشاؤم من تحطيم المرايا ؟

٥ ــ ما معنى كلمة « فيتو » ، ومن الذى يتمتع بحق القائها فى مجلس الأمن الدولى ؟

٦ ــ من هو الفيلسوف اليونانى الذى شوهد يوما يسير حاملا مشعلا فى الطريق فى وضح النهار ؟ وماذا قال حين سئل عن السبب ؟

● ان الاجابة على هذه الأسئلة موجودة فى هذا العدد . لكن لا تتسرع فى الاطلاع عليها قبل ان تحاول ايجاد الجواب بنفسك . .

الكحول

بقلم : سليمان ابوغوش

وسيكولوجية الادمان

● "الخمر أدق تجربة لمعرفة الفروق بين أخلاق الأفراد المتغلغلة في نفوسهم"
أفلاطون

● مدمن الخمر ينشد فيها النسيان والسلوان والشعور بالأمان .. ولكن عبثا !

▣ ينبع شقاء المرء من عدم تمكنه من الانتفاع بما يقدمه له المحيط ، أو من عدم تمكن المحيط من تقديم ما يحتاج هو اليه ، أو من كليهما معا . والانسان الذى يجد فى الكحول مدفنا لشقائه ، ومبعثا لسعادته وتخفيف آلامه ، انما يحمل فى قرارات نفسه ، على وعى منه أو على غير وعى ، عوامل استياء وامتعاض من مجتمع غير صديق .

الخمر فى التاريخ

ان صناعة الخمور من أقدم الصناعات التى عرفها الانسان ، فالصينيون قطروا النبيذ فى الشرق قبل ان يعرف فى العالم الغربى . وتقول الأساطير ان (باخوس) الملك الآشورى الذى أصبح فيما بعد اله الخمر عند اليونان هو الذى اكتشف النبيذ وقدمه لاسعاد الناس . وقد جاء ذكر الخمر فى الكتب السماوية وآداب جميع الشعوب . كما ورد عن الفيلسوف ارسطوطاليس ان للنبيذ عندما يحرق بخارا يشفى الجروح . وقد اقترن اسم الخمر باسم الشاعر اليونانى هوميروس . ونلمح ملاحظة علمية فى تعليق افلاطون على الخمر حيث يقول: « ان روح الرجل اذا شرب الخمر، انقلبت الى ما كانت عليه عندما كان طفلا » ، ثم يقول « ليس هناك تجربة ادق ولا اقل كلفة ولا أكثر فائدة فى معرفة الفروق بين أخلاق الافراد المتغلغلة فى اعماقهم ، وفى الاهتداء الى خير السبل لاصلاحهم، من ملاحظة السكارى » .

وعرف المصريون الخمر فقد جاء فى بعض أوراق البردى من عهد سيتى الأول أحد فراعنة مصر حوالى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد انه (حكم على رجل وجد سكرانا لتعاطيه كثيرا من الخمور) .

وللدلالة على اهمية الخمر عند الرومان نذكر

قضية اغناتيوس ميسنيوس وذلك فى سنة ٦٥٠ قبل الميلاد . فقد اتهم هذا الرجل بضرب زوجته حتى الموت . وقد اعترف الرجل بفعلته وقال مدافعا عن نفسه وتبريرا لهذه الفعلة بأن زوجته كانت تشرب له نبيذه الذى كان يجمعه لنفسه . وقد براه القضاء .

ويرى شكسبير في الكحول يقظة للشهوة مع ضعف في القدرة . فقد جاء في راواية مكبث ما يلي :

Macduff : What three things does drink especially provoke ?

Porter : Marry, sir, nose- painting, sleep and urine .

Lechery, sir, it provokes and it unprovokes; it provokes the desire, but it takes away the performance .

ولا نحب أن نتطرق الى ما جاء فى الأدب العربى والشرقى من وصف الخمور،فنكتفى باحالة القارىء الى ما جاء فى خمريات ابى نواس ورباعيات الخيام.

المظاهر العامة

عند استعمال الكحول للمرة الأولى يشعر المرء بغثيان وتقزز . وعند الاكثار منه يصاب بشحوب وعرق ، وحكة جلدية مع ثقل فى الجفون وسرعة فى الرمش ، ثم القىء .

وبعد التعود عليه يختلف السلوك باختلاف الناس . فمنهم من يكثر من الكلام أثناء وقوعه تحت تأثير الكحول التخديرى ، ومنهم من يزيد مرحه وخفة روحه ، والبعض يصبح سريع التهيج محبا للشجار عربيدا ، والبعض الآخر يكون سلبيا محبا للوحدة . وهناك آخرون يشعرون بتبكيت الضمير وقد تصيبهم نوبة بكاء . .

درجات التأثير بالنسبة الى كمية الكحول فى الدم

السكر هو حالة تخدير أو شلل جزئى للاعصاب. والعامل الذى يقرر درجة هذا الركود العصبى هو نسبة كمية الكحول فى الدم . والنتائج كما يلي : وحدة فى العشرة الاف :

اقل من ٥ لا يظهر أى تأثير تخديرى مطلقا الا بواسطة اختبارات علمية نفسية دقيقة .

من ٥ الى ١٠ يظهر أثر التخدير عند بعض الافراد ، كبطء فى الاستجابة للمؤثرات .

من ١٠ الى ١٥ يظهر أثر التخدير فى اغلب الأفراد مع عدم المقدرة على السيطرة على حركات العضلات ، مع ضيق فى القوة البصرية .

من ١٥ الى ٢٢ جميع الافراد يقعون تحت تأثير الكحول .

من ١٨ الى ٣٢ التباس عقلى ، وعدم تمييز للجهات ، ترنح فى المشى ، مضغ الكلام . وهذه الدرجة هى التى نصف صاحبها بأنه ثمل .

من ٢٧ الى ٤٤ ذهول،خبل ، ركود مخى ،سبات.

من ٣٦ الى ٥٥ اغماء .

من ٤٥ فما فوق تحطيم فى الاعصاب وشلل دائم لا يرجى البرء منه .. موت .

وقد لوحظ ان تأثير الكحول على الانسان يزداد

في الاجواء المرتفعة ، او الاجواء التي يقل فيها الاكسجين .

ومن جهة اخرى فتنفس الاكسجين النقي يسبب الصحو اسرع مما يسببه التنفس بالهواء العادي وبه ٢١٪ اكسجين تقريبا .

تأثير الكحول في البدن

قد يرجع سبب الضرر البدني الذي يلحق بالمدمن ، بصورة غير مباشرة ، الى نقصان العناصر الغذائية الهامة في طعام المدمن ، فالكحول له قيمة حرارية عالية ، والمدمن لا يأكل ما فيه الكفاية من انواع الغذاء الأخرى التي تزوده بالفيتامينات وخصوصا فيتامين (ب) . وتوجد بعض الأدلة الطبية على أن نقصان فيتامين (ب) الناتج عن تعاطي الكحول هو نفسه أحد الدوافع التي تدفع الى طلب المزيد من تعاطي الكحول . وقد دلت بعض التجارب على أن اضافة المواد التي تحتوي على الفيتامينات الضرورية الى قائمة طعام المدمن ، ربما خففت من حدة الرغبة في السعي وراء الكحول .

قد يكون النقص الشديد في الفيتامينات عند بعض الاشخاص ، نتيجة للفروق الكيماوية عند الأفراد ، هو احد الدوافع المؤدية الى الادمان ،ولكن يظهر ان الادمان ــ في أغلب حالاته ــ كان نتيجة للتعلم ، لا للفروق الكيماوية عند الأفراد .

ان من مظاهر الصحة البدنية قدرة وظائف الاعضاء على التوازن ، حتى في حالة وجود مؤثرات خارجية تهدد هذا التوازن.والمحافظة على هذا التوازن لا تعني جمود وظائف الأعضاء امام المؤثرات الخارجية ، بل تعني المقدرة على التكيف مع هذه المؤثرات بحيث لا يختل هذا التوازن .

والمدمن عادة يكون اختلال توازنه في بعض وظائف الاعضاء واضحا . فهناك تقلب في كمية السكر في الدم قلة وكثرة ، واختلاف درجات ضغط الدم صعودا وهبوطا ، وكذلك اضطراب في مواعيد اخلاء المعدة والامعاء من الفضلات . ويعود هذا الاضطراب في توازن وظائف الأعضاء الى ضعف تحمل التوتر عند المدمن ، وقدرته المحدودة على تحمل الالام البدنية والنفسية لدى عجزه عن اشباع أي رغبة .

تأثير الكحول في النفس

تشير نتائج بحوث المختبرات بأن الكحول من المواد المخدرة قطعا ، وانها تقلل من نشاط جميع الوظائف السيكولوجية . وقد ظهرت هذه النتائج في الاشخاص الذين اجريت عليهم التجارب في المختبرات السيكولوجية ، حيث أعطوا جرعات قليلة من الكحول ، مع العناية الخاصة باخفاء طعم الكحول ورائحتها لايهام اولئك الاشخاص لئلا تؤثر معرفتهم بما يشربونه في انتاجهم . ثم درست الفروق في الانتاج العقلي قبل شربهم للكحول وبعده .

وتأخر الانتاج العقلي بتأثير التخدير الكحولي ربما اخفاه عنا في حياتنا اليومية ، الشعور بالقدرة والكفاءة . فاننا نرى في الواقع أن الانسان يصبح اقدر على الغناء او القاء المحاضرات أو التحدث الى جمع من الناس وهو في حالة تخدير بسيط منه وهو في حالته العادية . فالشعور بالكفاءة شيء والكفاءة الحقيقية شيء آخر . فالشخص المذكور في مثلنا هذا ، انما تغلب في تخديره البسيط على تأثير التوتر والانفعال أو الخجل ، وقد عمل قطعا بمستوى أقل من امكانيته الطبيعية . ولو لم يكن تحت هذا التأثير ، أعني الانفعال او الخجل، لكان انتاجه في حالته العادية احسن . ويظهر ذلك جليا عند اختبار نفس الشخص في اي عمل عقلي لا يتطلب منه أن يكون في موقف قد يدعو الى التوتر النفسي .

ان الثقة بالنفس الناتجة عن التخدير قد تزداد مع الأسف ، بل هي تزداد فعلا ، أثناء انحطاط المقدرة بتأثير المخدر . ومما يدعو الى الأسف ايضا ان الانسان اذا ثمل اضحى شعوره ورأيه عن حالته لا يتناسب مع الواقع في ان كفاءته العقلية اقل مما كانت عليه وهو في حالته العادية .

اسباب الادمان

١ ــ مصادقة المدمنين والاختلاط بهم .

٢ ــ حب الاستطلاع والتورط في التجربة .

٣ ــ وصفة طبية غير ناجحة بقصد العلاج او تخفيف الألم .

٤ ــ مشاكل خطرة ، حقيقية كانت أم تخيلية.

٥ ــ المعاناة من شعور عميق بالقصور ، أو عدم الكفاية أو الضعف الجنسي ، أو الخيبة والفشل.

ونظرا لتأثير الكحول التخديري ، وقدرته على تخفيف مؤقت للالم النفسي والجسمي ، فقد يرجع اليه المرء مرات ومرات مما قد يؤدي الى التعود على تعاطيه .

غير أن هذه الأسباب ، منفردة أو مجتمعة ، لا تستطيع تكوين عادة الادمان . ما لم يكن عند الفرد نفسه استعداد للاستجابة الى هذا التأثير الكحولى .

الاستعداد للادمان

ان الادمان على الكحول نتيجته نمو غير متوازن فى الوظائف السيكولوجية،فصفات الرجولة فى شخصية المدمن تمشى جنبا الى جنب مع صفات الطفولة . ونظرا للتعاون التام القائم بين وظائف العقل المختلفة ، فالوظائف العقلية التى لم تتم النمو الطبيعى وبقيت فى مستواها الطفولى ، تؤثر فى الوظائف العقلية التى كان نموها طبيعيا . أما العوامل المسؤولة عن عدم التطور والنمو الطبيعيين لبعض الوظائف العقلية فتعود فى الغالب الأعم الى طريقة نمو وتطور العلاقة بين المرء ومحيطه منذ الولادة . وعلم تكوّن الاخلاق يؤكد نظرية تأثير المجتمع بالفرد . وللنظرية ما يدعمها من البراهين القوية على علاقة مشاكل الطفولة ومشاكل الرجولة فى تكوين الادمان . غير ان مشاكل الطفولة اقوى تأثيرا من مشاكل الرجولة فى هذا الشأن .وشاهدنا على ذلك ما نراه من الادمان عند كثير من الرجال الذين يعيشون حياة تخلو ، نسبيا، من المشاكل . وحتى هؤلاء لو درسنا تاريخ حياتهم لوجدنا جذور مشاكل عصبية كامنة منذ طفولتهم .

صحيح ان الادمان كان فى حالات نادرة نتيجة لصدمات عنيفة أصابت بعض الأشخاص وهم كبار وكانت طفولتهم سليمة . غير ان التحقيق أثبت أن كثيرا من هذه الحالات كانت فيها أثناء فترةالطفولة مشاكل بقيت من غير حل فى شكل لم يكن يؤثر آنذاك على صحة الطفل العقلية . والصدمات النفسية أثناء الرجولة انما كانت عاملا قويا فى تفجير تلك المشاكل الكامنة .

ان شعلة النار من عود كبريت نشعل به سيجارتنا بغير ضرر يحدث ، هى نفسها التى تفجر اصبعا للديناميت تهدم فيه عمارة كبيرة . وما ذاك الا لأن فى الديناميت قوة مخزونة ليست فى السيجارة . فالصدمات النفسية لا يقاس تأثيرها بقوتها أو بضعفها ، انما يقاس بنسبة ما فى نفوسنا من طاقات لمشاكل عقلية مخزونة قابلة للتفجير . لهذا نرى بعض الناس تنهار أعصابهم نتيجة لصدمة نفسية يخرج منها آخرون باسمين لم تلحق بهم أي ضرر .

وأهمية الرواسب الطفولية فى تكوين اخلاق الكبار أثبتتها التجارب العلميةفىالمختبراتالنفسية. حتى قيل — ان الرجل هو ابن الطفل — ويقصد بذلك كون شخصية الرجل هى الى حد كبير وليدة الرواسب الطفولية .

ومن هذه التجارب العلمية اصبحت مفاهيمنا عن الادمان تجعلنا نعتقد أن الدور الذى يلعبه عهد ما قبل الادمان فى المرء أكثر اهمية من الدور الذى يلعبه تأثير الكحول كمخدر فى تكوين تلك العادة عنده . والنوعية التى يتصف بها عامل الادمان هو (الاستعداد) للتجاوب مع تأثير الكحول بحيث يجد المرء فى الكحول ما يشبع ويرضى حاجاته اللاشعورية حتى ولو كان هذا الاشباع جزئيا ومؤقتا .

الرواسب الطفولية

لقد اشرنا الى أن العوامل النفسية الأساسية فى تكوين شخصية المرء تعود فى الغالب ، كما نعتقده الى خبرات سابقة من عهد الطفولة . فالتركيز Fixation والنكوص Regression الناتجان عن الخبرات اثناء الطفولة هما اللذان ، الى حد كبير ، يقرران سلوك الفرد . ولشرح ما نقصده بالتركيز والنكوص نقول :

ان اهم واخطر فترة فى حياة الفرد هى فترة الطفولة . ففيها خبرات سارة . وفيها خبرات مؤلمة . وكمية معتدلة من هذه أو تلك أو من كليهما ينتج عنها رجل متزن معقول . أما الشدة المتناهية فى أى منهما (السار او المؤلم) وخصوصا اذا تكررت فقد تمسك بالفرد عند هذه النقطة من تطور عواطفه وانفعالاته . فخبرة الطفل للسرور الشديد المتناهى بالنسبة الى ناحية معينة ، قد تجعله يتمسك لاشعوريا وهو كبير بما كان مبعث سروره صغيرا . وفى خبرته وهو صغير بما كان يسبب له آلاما شديدة ، نفسية كانت أم بدنية ، ما يجعله دائب البحث كبيرا ، وعلى مستوى غير مشعور به ، عما يجنبه المواقف التى تشبه ما كان يسببه له الالم ، وعما يعطيه ما كان قد حرمه وهو صغير ، وهذا ما نقصده بالتركيز ، أى ان تطوره العاطفى قد تركز فى نقاط معينة أثناءالطفولة فتوقف عندها .

والذى لا يستطيع التخلص من التصاقه بنقطة معينة تركزت عنده من عهد الطفولة كثيرا ما نجده عند الشدائد يحاول فى حل مشاكله المشابهة

الرجوع الى الطريق التي كان يحل بها مشاكله وهو صغير ، وهذا ما نعنيه بالنكوص اى الرجوع الى الطرق الطفولية في حل المشاكل .

السلوك الطفولي عند المدمن

ان مدمن الكحول ، بالرغم من وصوله الى سن النضوج الزمني يبقى طفلا في كثير من تصرفاته ، سواء في الدوافع او في طريق استجابته لتلك الدوافع.

وكذلك يلاحظ التشابه بين المدمن والطفل في بعض نواحي السلوك ، في المبالغة في العداوة والصداقة ، وفي اعادة الجمل والمعاني ، وفي عدم وجود حد فاصل بين الالم واللذة فاى تغيير ينقلهما من حالة الى حالة اخرى ، وكذلك في عدم التمكن من التوقف عما هما منغمسان فيه ، الطفل في اللعب والمدمن في الشرب ، الا بعد التعب والاعياء الشديدين او بقوة خارجية مانعة .

فالمدمن هو رجل يجد صعوبة كبرى في مقاومة دوافعه الغريزية ، ودوافعه التي لا تقاوم تسيطر دائما على سلوكه النفسي والبدني . وتصرفاته التي نجدها غريبة لانها تصدر عن كبير هي نفسها التي نراها طبيعية عادية في الطفل .

اللذة البدنية واللذة النفسية مندمجتان عند الرضيع ، فالغذاء والحب مرتبطان عنده ، ومفهومهما واحد اذ انه يمارسهما معا عندما تحنو عليه الأم عند ارضاعه .

والمدمن لا يزال مقيدا بهذا المفهوم ، اى الاتحاد بين الحاجة النفسية والحاجة البدنية . فعندما يقاسي شدة ما ، شعورية كانت أو لا شعورية ، يبحث عن دفء بدني ، ولذة بدنية ، ويحن الى عطف أم ، والى سائل يدخل في معدته ، وهذا كله للمدمن معناه الشعور بالامان ، ونسيان وسلوان عام ، تماما كما يشعر الطفل عند رضاعه باللذة القصوى مع الشعور بالامان .

ومن المؤسف أن الكحول ، كوسيلة ، تقوم بمهمتها خير قيام لتاثيرها المباشر على وظائف الأعضاء وخصوصا الجهاز العصبي المركزي وتأثير ذلك على تضخيم حاجة المدمن الطفولية .

وهذا التاثير ، مع قصر مدته ، يعطي المدمن قدرة مؤقتة على النظر الى محيطه بمنظار فيه اكتفاء ، وفيه اشباع ، وان كان هذا الاكتفاء وذاك الاشباع سرابا لا يمت الى الواقع بأى صلة . ولعل في كون التأثير مؤقتا وقصيرا وغير كاف يجعل المدمن يعيد محاولته للاكتفاء ، ولكن بدون نجاح .

وهكذا ، فحياة المدمن تسيطر عليها دائرة مغلقة: فشل يغطيه شعور خادع بالنجاح ، ثم شعور بالفشل ، ثم بالشعور الخادع بالنجاح .. وهكذا.

واذا لم تقطع هذه الدائرة ، فنتيجتها الحتمية تتابع ظاهرتين: اطالة مدة الاكتفاء المؤقت المصحوب بركود وذهول ، يعقبها تقصير مدة الوعي بالواقع الذي يحيط به . واذا تقدم الادمان خطوة أخرى، تقارب تتابع هاتين الظاهرتين الى الظاهرة المعروفة عند الطفل الرضيع : يقظة جوع قصيرة يعقبها نوم طويل . وقد تطول فترة النوم هذه عند المدمن ثم .. تنتهي بالموت .

العلاج

ان الجمعية الطبية الأمريكية ، ومجلس البحوث الوطني ، ولجنة الأمم المتحدة للعقاقير المخدرة ، وغيرها من الهيئات المختصة بالادمان ، تجمع على ان العلاج المتنقل غير مرض .

والمدمن يحتاج الى ان يلتحق بمستشفى اعد خصيصا لهذا الغرض لمدة تتراوح بين اربعة وستة شهور على الأقل، حيث يتم الكف التدريجي في أسرع وقت وبالطف الطرق الانسانية الممكنة وحيث يكون هناك تفاهم تام بين المريض والطبيب المختص.

ففي المستشفى يلقى المريض العلاج البدني والنفسي المناسبين ، ويهيأ له ما يشغل وقت فراغه بما يعود عليه بالتسلية والنفع . كما توجد عادة في المستشفيات الكبرى المختصة بمعالجة الادمان اقسام تشرف على اخبار أحوال من يخرجون من المستشفى بعد الشفاء خشية الانتكاس .

مشكلة اجتماعية

ان الادمان على الكحول مشكلة اجتماعية خطيرة. فالثمل لا يستطيع أن يفهم نفسه والواقع المحيط به بوضوح . والغموض هذا اقرب الى ارضائه من الواقع الواضح . فالدوافع الغريزية البدائية يشعر بها داخليا بشكل اقوى ، ويعبر عنها خارجيا بشكل اجرأ . وهكذا يختل التوازن تماما بين المدمن والمجتمع . فاذا كانت المدنية تعنى تهذيب الناحية الحيوانية في الانسان ، فالكحول تعمل على العكس ، تعمل على ايقاظ الناحية الحيوانية وفك قيودها ، ولهذا فهي ظاهرة مَرضيَّة تحتاج من المجتمع الى تفهم اوسع ودراسة اعمق . ■■

سليمان ابوغوش
ماجستير في علم النفس

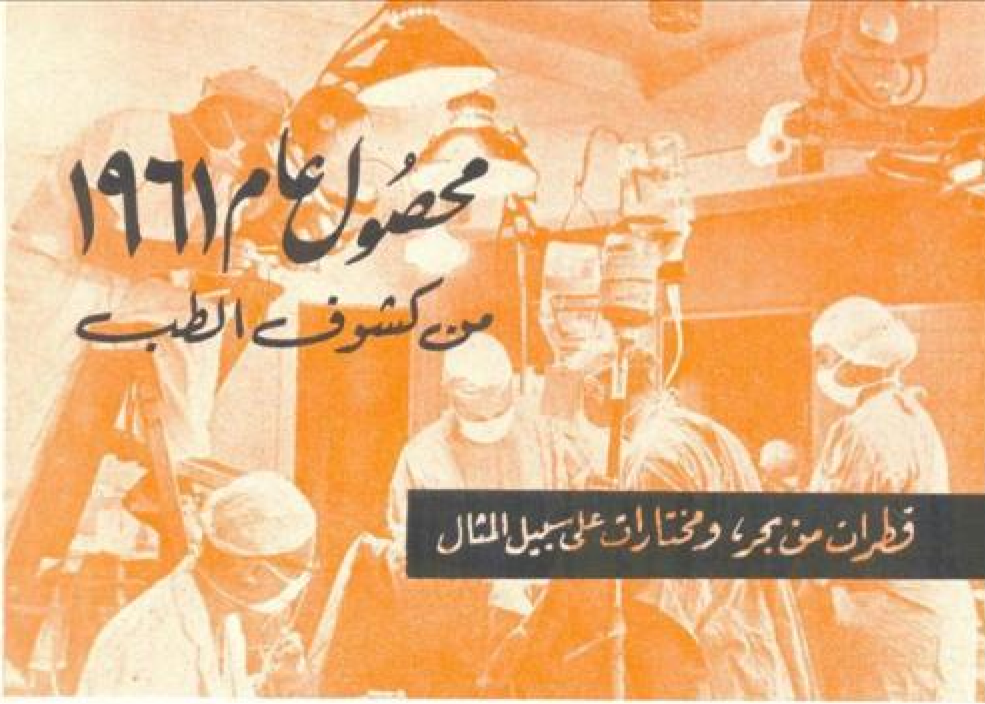

محصول عام ١٩٦١ من كشوف الطب

قطرات من بحر، ومختارات على سبيل المثال

لقاح للحصبة . . .

● اجتمع مؤتمر دولي للنظر فى الوقاية من المرض الشهير بالحصبة، وجرثومته صنف من الفيروس . وقد اوصى المؤتمر من بعد دراسة ، وبناء على تجارب العلماء ، اوصى بصناعة لقاح يقى من هذا المرض ، وهذه خطوة عظيمة يستبشر بها الصبْية وامهاتهم والآباء .

. . ولقاح لمرض التهاب الكبد

وهو مرض انتشر فى هذه السنوات الأربع الأخيرة فوق عادته، وسببه فيروس. فهذا استطاعوا ان يزرعوا فيروسه ليتكاثر . واذن فقد انفتح الباب لعمل لقاح له يحمي منه ان شاء الله .

أمل للمرأة العاقر

● وهو امل يصحب عقارا جديدا ، يسمونه MRL/41 ، اعطى لزوجات عاقرات ، امتنعت عليهن العادة الشهرية ، فاذا به يأتيهن بها . وكن ٣٥ امرأة ، عادت العادة الى ٢٨ منهن . وحمل اربع من هؤلاء . امل على كل حال .

السرطان

● لا يزال البحث جاريا ، فى اعظم حرب علمية طبية عرفت الى اليوم ، فى كشف حقيقة هذه الامراض المتعددة التى يجمعها لفظ السرطان .

وكان المعتقد ان هذا المرض لا تؤثر فيه العقاقير والكيماويات . ثم حدث اخيرا ان عقارا اسمه 5-Fluoro-Uracil كان له أثر واضح فى علاج سرطان الامعاء الغلاظ ، فهو يخفف وطأته او يزيله بالمرة ويشفى المريض .

لقاح لشلل الأطفال

● اذنت الحكومة البريطانية بصناعة لقاح شلل الأطفال الذي يعطى بالفم ، أى لقاح « سابين » . وهذا دليل على ما انتهى اليه أمر هـذا اللقاح من النجاح ، فبريطانيا محافظة ، وهي آخر من يرضى .

×××××××××××××

.. وعقار جديد

● واسمه بوريفاكس Purivax . وهو عبارة عن لقاح جديد نقى مركز لفيروس المرض المقتول . قيل انه يحقن فى المرضى فينجح فى الشفاء ٩٨ فى المائة منهم .

★★★

الصَّرَع

● من الصرع مالا تنفع فيه العقاقير ولا تنفع الاقراص . فهذا النوع قد وجدوا له علاجا بالجراحة ، تجرى فى المخ ، يمنع النوبات ان تعود .

جراحة فى المخ من غير سلاح

● نعم . لا يُستخدَم فى هذه الجراحة مشرط . انما يستخدم شعاع من بروتونات . والبروتون هو الجسم الذى تتألف منه نواة ذرة الادروجين . فهذا يصوب الى داخل المخ فيفعل فيه مايفعل السلاح .

الربــو

● كان من بعض عـلاج الربو استخدام العقـارات الكرتيزونيـة Cortiso-Steroids وكانت تستخدم ايضا فى معالجة العيون من بعض ما تصيبها بها امراض الحساسية من أسواء . ولكن كان لهذه العقاقير آثار جانبية متعبة . وقد ابتدعوا استيرودا Steroid جديدا اسمه Celestone قيل انه يؤدى الغرض . وان له آثارا جانبية اقل من سوابقه .

الأمراض التي تورث

● مادام ان الامراض تورث فقد اتجه الفكر الى اصول الوراثة الاولى ، تلك التى تتالـف منها البويضـة فى الام ، والحيوان المنوى فى الذكر ، أعنى الصبغيـات (الكروموسومات) التى تنضم ، من البويضة ومن الحيوان المنوى ، بعضها الى بعض ، فتؤلف الجنين الناتج الذى يصبح ولدا أو بنتا .

وقد وجدوا ان هذا المرض الذى يورث ، هذا الخلل ، يصحبه خلل فى الصبغيات ، هو تفسيره ، وهو اصله والدليل عليه . وقد وقعوا على هذا الصبغى الغريب الشكل لدى الاخ والاخت يصابان بالوراثة بالشلل المخى او باظلام عدسة العين .

سرعة الدم فى الجسم

● كثيرا ما يحتاج الباحث الطبى الى معرفة سرعة الدم فى حيث يجرى فى الاوعية الدموية فى الجسم ، وكم يجرى منه فى الثانية مثلا . وقد ابتدعوا لتقدير ذلك طريقة كهربائية مغناطيسية تخرج للباحث ما يريد من ذلك دون ان يفتح مجرى من مجارى الدم واحدا .

★★★

حَصَى الكلية والمثانة

● يَشَلُّ نصفُ الجسم السفلى بسبب اصابة فى الحبل الشوكى او مرض فيه . ثم يصاب الرجل بعد ذلك بحصى يتكون فى كليتيه او مثانته يؤدى الى الموت .

وقد ابتدعوا عقارا اسمه Renacidin من شأنه ان يذيب هذا الحصو فيحفظ الحياة على المريض .

تعسر الولادة

● تعسر الولادة فيستخدم الطبيب عندئذ الكلاليب لاخراج الوليد . وقد ابتدعوا جهازا ، بافراغه من الهواء ، يدفع الوليد اليه بالشفط . وقد اجاز الروس صناعة هذا الجهاز لاستخدامه .

الجلطة الدموية

● هى عبارة عن تخثر الدم فانسداد مجاريه بسبب الخثرة او الجلطة ، التى تتكون .

وقد نجحوا فى احداث مثل هذه الجلطة فى بعض الحيوانات ، تماما كما يحدث فى الانسان .

وبذلك سوف يتهيأ للبحاث من الاطباء اجراء تجارب يعرفون منها كيف يزيلون هذه الجلطة فى الحيوانات .

ومن الحيوانات بعد ذلك الى الانسان .

مخدر جديد

● الاثير هو المخدر الكلاسيكى القديم الحديث المعروف فى التخدير . وقد اكتشفوا مخدرا احسن منه ، ذلك هو الميثكسى فلوران Methoxyflurane ومن ميزته انه غير قابل للانفجار .

مخدر عام

● انه مخدر جديد عرفوه ب G29 ، ابتدعوه فى سويسرة ، واستخدموه فى الولايات المتحدة . وهو يحقن فى الوريد فيخدر الجسم تخديرا عاما فى ١٥ ثانية .

★★★

سقوط الطفل قبل تمام الحمل

● حدث معروف حاولوا منعه بعقاقير من شأنها تقليل توتر العضلات . وآخر عقار جربوه اسمه Isoxsuprine وقد جُرِّب فى وقف السقط لدى ١٥٦ امراة ، فنجح بنسبة ٤٣ فى المائة .

مرض منيير
Miniere

● وهو مرض يصيب الأذن ، فيحدث الدوخة عند المريض ، ويفقده اتزانه عند المشى ، ويحس كأنه فى بحر هائج . وينتهى بفقدان السمع . ولم يكن له دواء الى اليوم غير تخريب الجزء من الاذن الذى هو مقر الداء . وزاد فى خطورته انه من الادواء التى خفيت اسبابها .

وتأتى الاخبار الطبية فى عام ١٩٦١ باستخدام الامواج الصوتية العالية ، الفوق السمعية Supersonic ، فى علاج هذا المرض ، وينجح هذا العلاج دون ان يمس السمع بتلف .

لحفظ البشرية من آثار القنابل الذرية

● يؤثر السقاط الذرى (ما يسقط من القنابل الذرية عند تفجيرها) فى الاحياء جميعا من حيوان وانسان . ومن آثار ذلك افساد الأنسال الناتجة ، فيخرج الطفل غير الذى عرفنا من اطفال . وقد اقترحوا لهذا ان يكون هناك بنك للحيوان المنوى الانسانى ، كما هناك بنك للدم ، وان يحفظ ما يجمع من هذا الحيوان المنوى فى اعماق الارض ، بعيدا عن السقاط الذرى ، لا سيما من بعد حرب . فاذا هدأت ، استخدمت هذه الحيوانات المنوية ، بالتلقيح الصناعى ، فى انتاج خلف من بنى الناس لم يفسد السقاط الذرى خلقته !

ضغط الدم العالى

● دلت التقارير على ان عقارا جديدا ، اسمه Guanethidine نجح فى علاج ضغط الدم العالى ، علاجا يظهر اثره بطول المدة .

سرطان المعدة

● امكن البحاث الكشف على السرطان بالمعدة وذلك باخذ صور فوتغرافية داخل المعدة تكشف بنجاح عما بها .

احياء القلب من بعد توقف

● انها مكنة ابتدعوها ، واسموها منشط القلب Cardioactivator وقد استخدموها فى حالة رجل ، له من العمر ٦٧ عاما ، توقف قلبه فاعادوا اليه ضرباته بهذه الآلة . وتكرر هذا ٥ مرات فى بحر ساعتين ، ومع هذا عادت الى القلب ضرباته .

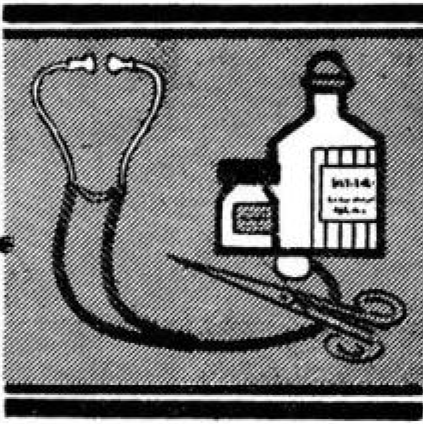

طبيب الأُسرَة

حساسية فى الجلد

● انا كلما لبست لباسا يمس جلدى من النيلون اهاج جلدى ، وظهر على ظهرى طفح يمتد الى وركى . وانزع هذا اللباس فيزول الطفح ، ولكن بعد اسبوعين . وقد رآنى الطبيب واعطانى اقراصا تزيل هذا الطفح ، ولكن الذى اريد أن اعرفه هو هل لهذه الحساسية دواء حاسم ؟

ـ حساسية الجلد عند بعض الناس ظاهرة ليست بالنادرة ، وانتِ لست واحدة فى هذا . حتى الصوف له من النساء ومن الرجال من تهتاج جلودهم منه عند لبسه . ومن الناس من تهتاج جلودهم حتى من الزيت ، وحتى من ابدال الصابون الجديدة المنتشرة هذه الأيام . ولكثرة المواد التى تصنع منها الثياب هذه الايام ، انت تستطيعين أن تجرّبى حتى تجدى المادة الأصلح . والقطن قلما يحدث اهتياجا فى الجلد ، فعليك به . ومن فوقه ان شئت البسى ما تشائين مما قد يهيج الجلد عند مسه . أما الدواء الحاسم للحساسية فهو اليوم غير ميسور ، الا أدوية تخفف من شدتها .

ذات الصدر

● ما المقصود بالنيومونيا وهل هى التى تسمى احيانا ذات الرئة، وهل تصيب الرئتين معا ؟

ـ النيومون لفظ اغريقى يستخدم فى الطب عندما يقصد الانسان التعبير عن الرئة .والنيومونيا هى التهاب الرئة . وتسمى كذلك ذات الرئة . وهى قد تصيب الرئة الواحدة ، وقد تصيب الرئتين معا وعندئذ تسمى بالمزدوجة . وهى قد تصيب شُعَب الرئة وحدها . صنوف كثيرة تقى منها اليوم الأدوية الحديثة قبل أن تتفاقم وتمتد آثارها فى الصدر .

وفى أكثر الاحيان يحس المصاب بها بألم كالوخز عندما يتنفس أو يسعل ، وذلك لأن الغشاء البلورى ذلك الذى يغلف الرئتين ويقع بينهما وبين قفص الصدر ، يتأثر بالمرض .

قُرحة المُصْران

● أنا مصاب بالقرحة فى المصران الاثنى عشرى ، وعجزتْ الأشعة عن كشفه . وانا أحس بالألم وبالضيق ، وبالقلق عند النوم . وقد وصفوا لى دواء اسمه دينول . فما رايكم فى هذا الدواء ؟

ـ الأدوية التى توصف كثيرة ، والكثير منها يخرج الى الأسواق على انه علاج « خارق » . ثم يمضى الزمن فينسَى الدواء وينسى صاحبه . والكثير من هذه الأدوية وراءه الحافز التجارى أكثر من الحافز العلمى .

والعقار المسمى Dee - Nol غالي الثمن ،وهو في السوق يباع منذ سنين ، ولكن ليس هنـاك احصاء" كاف نافع يدل على نفعه .

ولا يزال علاج قرحة الاثنى عشرى تتضمن اكلات قليلة ، مرات كثيرة ، ثم الراحة ، والمسكنـات الخفيفة ، والاقلال من التدخين ، وتناول ما تعالج به «أحماض المعدة» وتعادلها .

وقد نلخص فنقول : ان علاج قرحة الاثنى عشرى هو شبيه بعلاج القرحة المعدية .

القرحة المعدية

● خوفوني من وجود قرحةفي معدتي ، فهل تتكرمونبذكر ما هي هذه القرحة،وكيفتتكون فيالمعدة، وما اعراضها وعلاجها ؟

ـ ان القرحة المعدية كثيرة التكوّن في امعـدة الناس ، وهي كثيرا ما تكون من الخطورة بمكان . وهي تحدث اكثر مما يتصور الناس . وقد دلت فحوص على كثير من الاموات أن الناس يصاب واحد من كل عشرة منهم بالقرحة في فترة مـن فترات حياته وهو لا يدرى .

اما اسبابها فليست واضحة كل الوضـوح ، ولكن الاجماع يكاد يكون على أن سببها تدهور يصيب الغشاء المخاطى بالمعدة فتصبح ولا قـدرة لها على احتمال فعل العصارة الهضمية ، وعندئذ تتكون القرحة .

والغريب انه اذا أصيب النساء بالقرحة مـرة أصيب بها الرجال ثلاث مرات .

والقرحة تزيد احتمالا كلما تقدم سن الرجل .

والقرحة تكون عادة صغيرة ، تبلغ نحوا من ٦ الى ٢٤ مليمترا ، وتكون دائرية او بيضوية ، ثم هي تتقدم وتزيد ، لا مساحة ، وانما عمقا لتخرق حائط المعدة ، وعندئذ تكون التهلكة .

ولكن كثيرا ما تشفى القرحة ولا تكاد تترك مكانها شيئا يدل عليها .

اما اعراضها فالالم ، ويوجد كل الوقت تقـريبا، ولكنه يزيد من بعد طعام . وموضع الالم يكـون البطن في الامام ، عند الأطـراف السفلى لعظمـة الصدر (عظم القص) ، او في الظهر في نحـو اوسطه . وأكثر هذا الالم يأتي من تقبض المعدة وبها الغذاء . وقد يصحب الألمَ قيء ، وعندئذ يخف الالم بعض الشيء ، ويحس المريض بهذا قيود ان يزيد قيئا . وقد يصحب القيءَ الدمُ ، وهذا عامل في التشخيص كبير ، ولكن يجب الحذر ،فما كل قيء يصحبه دم يدل على وجود قرحة .

ويصحب القرحة سوء صحة مع ضعف ونحـافة واصفرار وجه . والأشعة السينيةلا تكشف القرحة دائما ، الا انها تكشف عن تهيج قرب باب المعدة الذى منه يخرج الطعام ، حيث توجد القرحةعادة.

ومع ان القرحة مرض لا بد من اعتباره خطيرا ، الا انه ينتهي في اغلب الأحيان بالشفاء .

اما العلاج فيطول وصفه ، وهو عند الطبيب ، وعليه اولا أن يتأكد من وجود القرحة . والعـلاج يعتمد على الاكثر على تصنيف الطعام وترتيبه . فاذا لم يفد ذلك ، وساءت الحال، وانذرتبانخراق المعدة او اذا هي انخرقت ، فعلاج ذلك الجراحة العاجلة .

رائحة فمي كريهة

● مما يضايقني أشد المضايقة في الحياة سوء رائحـة فمي . تضايقني في علاقاتي مـع زوجي واهلي وأصدقائي .

وادهيما فيها اني انا لا احسها، ولكن يحسها الآخرون . فمـا اسباب هذه الرائحة ، وما علاجها؟

ـ اما ان رائحة الفم ، اذا ساءت ، أضرت بصاحبها من حيث علاقاته في المجتمع ، فشيء معروف مشهور . وصحيح ما تقولين ، ان صاحب الرائحة الكريهة كثيرا ما لا يحس بها هو ،ويحس الآخرون .

اما اسبابها فكثيرة ، اشهرها :

١ ـ اسنان عَفِنة .
٢ ـ لثة" متقيّحة .
٣ ـ التهاب في اللوزتين مزمن .
٤ ـ عفن" في الانف يصحبه تقشر .
٥ ـ سوء في الهضم .

وهناك غير هذه أمراض عامة يصحبها سـوء رائحة الفم .

مثال ذلك داء السكر وتصحبه أنفاس لها رائحة حلوة ولكنها منفرة .

ومثال ذلك السرطان الذى يصيب الصدر ،قد

تصحبه رائحة تخرج من الفم لا تحتمل .

وكل هذا لا حيلة لانسان فيه يا سيدتي . انه الطبيب المعالج صاحب الحيلة .

ومع هذا فمن الاسباب التي ذكرنا أسباب تقع في اختصاصك العام من حيث انك انسانة متمدنة تطلب الصحة وتلتزم بواجباتها .

فمن ذلك الاسنان ، فعليك تنظيفها اذا لــزم الحال بعد كل أكلة .

واللثة كيف تترك تتقيح ، سواء ادّت الى سوء رائحة فم أو لم تؤد .

واللوزّ أسباب لعلل كثيرة حتى أن كثيرا من الامم جعل انتزاعهما من الحلق شيئا روتينيا يجرى في الصبية .

ومع هذا ، فالى أن تهتدى الى سبب الرائحة وعلاجها ، تستطيعين أن تستخدمي معاجين اسنان من شأنها الذهاب بهذه الرائحة ، أو سوائل لغسل الفم ، تخفف من حدّتها .

ثم هناك طريقة الاخفاء ، طريقة الستر ، بان تضعي في فمك زيتا عطِرا ، كزيت القرنفل ، أو تمصين كثيرا من الحلوى الجيلاتينية ، المعطرة .

ثم نصيحة" منى هامسة" ، لكل فتاة ولكل سيدة ، وكذلك لكل رجل : اذا كنت من احباب البصل أو الثوم ، غير المطبوخ ، فكلْ من ايهما ما شئت ، ولكن في اليوم الذى سوف لا تلقى فيه احدا ولا تتحدث الى أحد ، فاذا وقعتِ الواقعة من بعد أكل أيهما ، واضطررت الى لقاء ، فعليك باقراص النعناع ، فهو يكسف الرائحة غير العطرة كسف القمر الشمس .

عيناه تدمعان

● أن عيني" تدمعان كلما أكلت ، لا سيما اذا كان الاكل لذيذا ، ومن الصنف الذى أحبــه . فهل تستطيعون تعليل هذه الدموع ، ثم مـا السبيل الى ايقافها ؟ ثم ما الغرض من هذه الدموع ؟

ــ هذه حالة كانت غريبة على الطب حتى بداية هذا القرن . فقد اكتشِف أن سبب ذلك اضطراب أو ضرر أصاب أعصـــاب الغدّة الدمعية ، وهى الغدة الواقعة حول العين من فوق ، بين الجفن والعظم الذى فوقه . وعليك بطبيب الاعصاب ليمتحن عينيك ويقدر لك العلاج .

ولست ادرى ماذا تعنى « ما الغرض من هذه الدموع » ؟

لعلك تقصد الدموع في العين السليمة . الا فاعلم أن الدموع دائمة الانفراز ،تفرزها الغدة الدمعية ، نقطة نقطة ، وهى من ماء رائق قليل الملوحة ، ثم هو يجرى من عدة قنوات رفيعة فيصب في العين ، بين الجفن الاعلى وكُرةِ العين . وهنا هو ينتشر على العين فيغسلها مما قد يصيبها مــن تراب ونحوه . ويجف الماء بعد ذلك ، أو هو يتجمع عند الجفن الاسفل من العين فيكون دمعا . ثم هو يفيض ، ومنه مايسلك سبيله الى الأنف .

الكلِرة" وباء شنيع

● الكلِرة" ، الا تزال توجــد في الدنيا ... ؟

ــ نعم لا تزال . والمناطق التى تشجع عـلى انتشارها ، توجد خاصة عند دلتا الأنهار حيث يزدحم الناس بالسكان ، وحيث الفقر ، وحيث الوقاية الصحية بدائية . وحيث يشرب الماء دون سابق تطهير . وفي المناطق الرطبة الحارة كثيرة المطر ، كما في كلكتا والبنغال في الهند .

وينتشر وباؤها الشنيع بواسطة الطعام الوبيء والماء الوبيء ، وبالذباب .

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، وعلى الرغم من الجهات الكثيرة التى مسّتها هذه الحرب ، وسكان الارض الكثيرين الذين دهمتهم ، لم تنتشر الكلرة انتشارا وبيئا واسع المدى ، وذلك بسبب الاحتياطات الصحية الكثيرة التى اتخذتها الأمم .

ومع كل هذا فلا تزال الهند ، والبنغال خاصة ، تمتحن امتحانا مرًّا بهذا الوباء . ومصر اجتاحها في خريف عام ١٩٤٧ من هذا الداء وباء جارف ، الا انه حورب حربا شديدة اختزلت" مدته كثيرا ، فكان قصير الأجل . ومع هذا فالذين أصيبوا بــه بلغوا عشرين الفا مات منهم نحو النصف ، اى عشرة آلاف . ■■

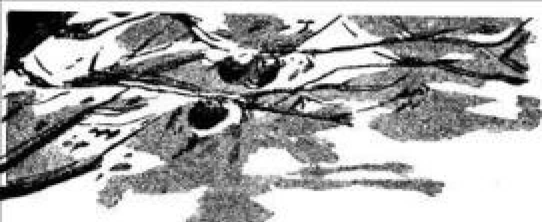

قصة للكاتب الامريكى

وليم ساروريان

العَوْدَة إلى البَيْت

■ كان يحدث نفسه قائلا : ان هذا الوادى ، كل هذه الارض المترامية بين الجبال ، هى أرضى، هى موطنى ، هى المكان الذى حلمت به كل صباح وكل مساء ... لم يتغير فيه شىء مطلقا . حتى نوافير الماء ترش أمواهها فى دوائر متعاقبة فوق مروج العشب كما عهدتها .. تلك هى هى بلدتى العجوز ، ذات الطيبة، وذات البساطة .

وبينما هو يدب على طول شارع الفين ، كانت الغبطة تغمر جوانحه لعودته الى البيت . كان كل شىء رائعا ، عاديا وطيبا . رائحة الأرض ، عبير طبيخ العشاء ، الدخان والهواء الصيفى الثرى للوادى الذى يعج بالنباتات النامية ، العناقيد المتعرشة ، الخوخ الناضج ، أدغال الدفلى المانحة بالفتنة . وتنفس عميقا ، يستنشق رائحة البيت استنشاقا عميقا ، يملأ رئتيه وكان الجو حارا . ان نقاء الهواء ليرهف فى تلك اللحظة أحاسيسه بحيث يشعر ، وهو يلقى بخطواته بعضها اثر بعض ، بأبهة الوجود ، وبروعة مجرد كونه حيا على وجه هذه البسيطة .

قال فى لطف :

ـ نعمت مساء . اتاذن لي أن أشرب ؟

فاستدار العجوز فى بطء ، وخياله يرتسم عظيما على جدار بيته ، ورمى نظرة الى وجه الفتى مدهوشا باسما .

واجاب :

طبعا ، خذ اشرب .

ووضع الخرطوم بين يدى الفتى .

واردف العجوز قائلا :

ـ انها مياه وافرة رائعة ، هذه المياه المتدفقة الينا من وادى القديس يواكيم . وانها لأفضل مياه على ما اظن . ان المياه هنالك فى فريسكو ، تمرضنى . فهى لا طعم لها على الاطلاق . وهنالك فى لوس انجلوس تحس للمياه طعم زيت الخروع. وانا لا استطيع أن أفهم كيف يستطيع الناس ، هنالك ، أن يعيشوا عاما بعد عام .

وبينما العجوز يدردر بالحديث ، كان الفتى يرهف اذنيه الى المياه وهى تتساقط من الخرطوم على الأرض ، وتثب متثاقلة ، نظيفة ، ثم تغرق بسرعة فى طيات الثرى . والتفت الى العجوز وقال له :

ـ انت مصيب فيما ترى . فالمياه عندنا الطف مياه على وجه الارض .

وحنى رأسه فوق المياه المتدفقة ، وانثال يشرب . اذهله طعم المياه الحلو الثرى ، فراح يثرثر فى فكره وهو يعب منها :

ـ يا لله ، انها رائعة !

وكان يحس المياه الباردة تندفع فى كينونته ، فتجدد فيه ببرودتها الحياة . واذ فقد تنفسه فقد رفع رأسه ، وخاطب العجوز قائلا :

اننا محظوظون ، نحن سكان هذا الوادي .

وحنى رأسه فوق الماء مرة ثانية ، وراح من جديد يجرع السائل المتدفق ، يستشعر السعادة فى جوانحه . وبدا كانه لم يستطع أن يصب فى جوفه منه كفاية . كان طعم الماء يزداد كلما زاد منه عبثا .

وشده الرجل العجوز ، فقال :

ـ لقد شربت نحو لترين .

وكان يستمع الى العجوز وهو يتكلم ، ولكن لا يبرح يبتلع المياه . ثم رفع رأسه وهو يقول :

ـ ان طعمه لرائع ، وربتى .

... وبينما العجوز يدور بالحديث ، كان الفتى يرهف أذنيه الى المياه وهي تتساقط من الخرطوم

ومسح فمه بمنديله ، ولما يزل ممسكا بالخرطوم في يده ، ولما يزل يبغي أن يشرب مزيدا . لقد كان الوادي بأسره ، في هذا الماء ، الصفاء كله ، والنقاء بكامله،والطيبة والبساطة والحقيقة كافة .

قال العجوز :

ـ بالله . لقد كنت ظمآنا حقا . منذ متى شربت آخر مرة ؟

فرد الفتى :

ـ منذ سنتين . لقد مضى سنتان منذ أن شربت من هذه المياه . لقد كنت بعيدا ، أضرب في بقاع الأرض . ولقد رجعت لتوي . كان هنا مسقط راسي ، في شارع ج ، في البلدة الروسية . ولقد تغربت سنتين، ورجعت لتوي .واسمح لي ان اقول لك أن العودة الى البيت لمن الروعة بمكان عظيم ايضا . اني احب هذا المكان . واني عازم على الحصول على عمل ، ومن ثمة استقر هنا .

وضع راسه فوق خرطوم الماء من جديد ، وجرع عدة جرعات أخرى ، ثم ناول الخرطوم الى الرجل العجوز .

قال العجوز :

ـ لقد كنت ظمآنا حقا . أنا لم أر مخلوقا قط يشرب مثل هذا القدر من الماء دفعة واحدة . ومن الممتع حقا أن ينظر المرء اليك وأنت تشرب هذا الماء كله .

وتابع الفتى مسيره عبر شارع الفين ، يتحدث الى نفسه ، والعجوز يتتبعه نظره من بعيد .

حادث الفتى نفسه قائلا :

ـ ما أروع أن يعود الانسان الى وطنه ! ومع هذا فعودتي هكذا هي أكبر خطيئة ارتكبتها .

ان كل ما فعله حتى الآن قد كان خطأ ، وهذه واحدة من الخطيئات الكبرى . لقد قدم من سان فرنسيسكو الى الجنوب دون ان يفكر مطلقا في العودة الى البيت . لقد فكر في الانطلاق متوغلا جنوبا حتى يصل ميرسد ، فيتوقف فيها فترة ، ومن ثمة يعود .. لكنه لم يكد يوجد في المنطقة حتى لم يعد في مقدوره المقاومة .

واجتاز المدن الصغرى ، الواحدة تلو الأخرى . وهذا هو يعب عبر الشوارع في بلدته الأم ، في السابعة مساء .

انه ليس بعيدا عن بلدته الآن ، وان في مقدوره أن يرى واحدة أو اثنتين من البنايات الأكثر علواء عمارة الباسفيك للغاز والكهرباء ، وقد أضيئت بكاملها بالأنوار الملونة ، وعمارة أخرى ، تفوقها ارتفاعا ، لم يرها من قبل قط . وقال في نفسه : انها بناء حديث شيئد أثناء غيابي . لا ريب أن الأمور هنا جرت بسرعة فائقة .

واستدار حول شارع فولتون ، وبدأ يسير داخل

البلدة ذاتها . لقد كانت تبدو له عظيمة وهو بعيد عنها ، رائعة وصغيرة ، نقية تماما ، بلدة صغيرة حقيقية هادئة ، المكان حيث تلذ فيه الاقامة ، والاستقرار ، والزواج ، وبناء البيت ، وانجاب الاطفال . وايجاد عمل ، وكل ما يتبع ذلك من امور . ثم ، صفاء الحياة في الوادي ، وبساطة السكان المنتشرين فيه .

وفي البلدة ، كان كل شيء كما كان : اسماء المخازن ، والناس السائرون في الشوارع ،وحركة مرور السيارات البطيئة ، هذه الأمور هي هي ، ليس ثمة شيء قد تبدل .

وشاهد وجوها كان قد عرفها وهو صبي ، واناسا لا يعرف اسماءهم ومن ثم وقع بصره على توني روكا ، صديقه القديم ، يخطو في الشارع في اتجاهه ، ولقد تبين له أن توني عرفه . فتوقف عن السير وانتظر أن يتقدم توني منه . لقد كان ذلك اشبه بلقاء في حلم ، غريبا ، يكاد لا يصدق . لقد حلم كيف كان كلاهما يفر من المدرسة كي يسبح ، او يذهب الى سوق المقاطعة ، او يتسلل الى مسرح للسنما . وها هو ذا الآن من جديد ، فتى كبير يخطو على مهل وكسل، ويضحك ضحكة ايطالية لطيفة . لقد كان هذا من محاسن العودة ، وكان مسرورا من أنه اقترف تلك الخطيئة ورجع ادراجه الى البيت .

وتوقف عن السير ، وانتظر أن يتقدم توني منه، هاشا له ، عاجزا عن الكلام . وتصافح الصبيان ، ثم راح كل منهما يضرب على كتف الآخر في ود ، وهما يضحكان بصوت عال ، ويتبادلان الشتائم البريئة .

قال توني :

ـ انت ، أيها الحيوان العجوز ، اين كنت هذه الأيام كلها ، بحق الجحيم ؟

وضرب صديقه على معدته ، ضاحكا بصوت مجلجل .

ورد الآخر :

ـ أيها العجوز الطيب توني ! يا لله ، ما أروع ان اراك ! لقد خطر لي اني قد لا اراك الا قبرا . ماذا كنت تفعل هذه الأيام كلها ، بحق الجحيم ؟

وتملص من لطمة أخرى ، وضرب صديقه في صدره . وشتم صديقه توني بالايطالية ، مستعملا كلمات كان توني قد علمه اياها قبل سنوات ، فردّ توني عليه يشتمه بالروسية .

قال أخيرا :

ـ يجب ان اذهب الى البيت . ان العائلة لا تعرف اني هنا . يجب ان اذهب لرؤيتهم . اني اموت شوقا الى رؤية شقيقي بول .

وتابع طريقه يهبط الشارع ، مبتسما للقاء توني . لسوف يستمتعان باوقات سعيدة مديدة من جديد ، ولربما يذهبان الى السباحة منجديد مثلما كانا يفعلان في طفولتهما . ما أروع العودة !

وخطر له ، وهو يجتاز المخازن أن يشتري هدية صغيرة لأمه . ان هدية صغيرة تبعث الغبطة في قلب السيدة العجوز . ولكنه ليس معه الا القليل من المال ،والأشياء المناسبة كلها مرتفعة الثمن . وهمس لنفسه : سابتاع شيئا اخر فيما بعد .

واستدار ناحية الغرب في شارع تولار ، وانتهى الى شارع ج ، ثم استدار جنوبا . لن تمضي ثوان معدودات حتى يكون عند باب البيت الصغير العتيق ، والسيدة العجوز ، والشيخ ، والاخوات الثلاث ، والاخ الصغير،جميعهم في البيت ، يعيشون حياة بسيطة .

وشاهد البيت وهو على رمية حجر ، فراح قلبه يتواثب بين جنبيه . واحسّ ، على غير انتظار بالضيق والخوف، احسّ شيئا ما قد نسيه عن ذلك المكان ، عن تلك الحياة التي حفظ لها البغض والكراهية دائما ، شيئا بشعا وضيعا . ولكنه تابع السير ، بباطء من خطواته كلما اقترب من البيت . لقد تساقط السور ولم يقمه احد. وبدا البيت فجاة قبيحا جدا ، فتساءل لماذا لم ينتقل الشيخ الى بيت افضل منه في جوار افضل ايضا . واذ وقع بصره على البيت مرة ثانية ، احسّ بوافعيته العتيقة كلها ، وتملكه من جديد حقده عليه ، وبدا يشعر مرة اخرى بالابتعاد عنه والهرب منه الى حيث لا يستطيع رؤيته ابدا . وبدا يحس ، كما كان يحس وهو صبي ، حقده العميق الأخرس تجاه البلدة كلها ، تجاه كذبها ، ووضاعتها ، وغباوة سكانها ، وفراغ عقولهم ، وصوّر له انه لن يقوى ابدا على العودة الى مثل هذا المكان . المياه ، اجل ، لقد كانت طيبة لقد كانت رائعة ، لكن ثمة اشياء اخرى .

وتمشى على مهل أمام البيت ، ينظر اليه كانه شخص غريب ، يشعر بالغربة والبعد عنه ، ومع ذلك يشعر انه البيت ، المكان الذي حلم به ، المكان الذي عذبته ذكراه لما غاب عنه . وكان يخشى ان يخرج احد من البيت فيراه ، لانه يعرف

انهم اذا ما شاهدوه ، فقد يجد نفسه يولى الادبار . ومع ذلك ، فهو يريد أن يراهم ، أن يراهم جميعا ، ويحس الوجود الكامل لاجسادهم ، بل ان يشمهم ، يشم تلك الرائحة الروسية القوية القديمة . لكن كان هذا فوق طاقته . وبدا يشعر بالكراهية حيال كل شيء في البلدة فتابع سيره ، متجها الى زاوية الشارع . وهنالك وقف تحت مصباح الشارع ، مرتبكا متضايقا ، يريد ان يرى شقيقه بول،وان يتحدث الى الصبي وان يكتشف مايجول في مفكره ، وكيف يقضي أيامه، في مثل ذلك المكان ومثل تلك الظروف القاسية من الحياة ، كان يعرف ماهية تلك الحياة يوم كان في عمر شقيقه ، وكان يامل أن يستطيع اعطاء اخيه نصيحة صغيرة ، كيف يتجنب الاحساس بالرتابة والبشاعة عن طريق القراءة .

وخطر في باله انه لم يأكل شيئا منذ افطاره ، وانه كان يحلم طيلة شهور بأن يصيب شيئا من طعام امه ، جالسا الى المائدة العتيقة في المطهى ، يمدُّ بصَره اليها ، ضخمةً الجثة حمراء الوجه ، رزينة غضبى عليه ، محبة له ، ولكنه فقد شهيته ... وخطر له انه يستطيع الانتظار في تلك الزاوية لعل أخاه يخرج من البيت كي يتنزه فيشاهد الصبي ويتحدث اليه . ولسوف يقول له : يا بول، ولسوف يخاطبه بالروسية .

وبدات سكينة الوادي تثقلعليه، فاقدة روعتها، مجرد وجه من رتابة الوادى ليس غير .

ومع ذلك ، فهو لم يستطع الابتعاد عن البيت. كان يستطيع رؤيته من الزاوية ، وكان يعرف انه يريد أن يدخل اليه ويكون بين أهله ، جزءا من حياتهم . كان يعرف أن ذلك ماكان يشتهي ان يفعله طيلة شهور : أن يقرع الباب ، ويعانق أمه واخواته ، ويخطو على أرض البيت ، ويجلس على المقاعد العتيقة ، وينام في سريره ، ويتحدث مع ابيه الشيخ ، وياكل على المائدة .

اما الآن فان شيئا كان قد نسيه خلال غربته ، شيئا حقيقيا لكن بشعا في تلك الحياة ، قد استيقظ بسرعة في ذهنه ، مبدلا كل شيء ، مغيرا مظهر البيت ومعناه ، والمدينة ، والوادى باسره ، جاعلا ذلك كله كريها غير حقيقي ، جاعلا اياه يتمنى أن يهرب ولا يعود ابدا . انه لن يستطيع العودة بتاتا . انه لن يستطيع ابدا أن يدخل البيت من جديد ويبدأ حياته من حيث تركها .

والفى نفسه فجاة في الممر يتسلق السور ، ويخطو عبر الساحة . لقد زرعت امه البندورة ، والفلفل وكانت رائحة النباتات النامية ثقيلة حادة وكئيبة بالنسبة له . وكان ثمة نور في المطهى ، فاندفع في اتجاهه في هدوء ، آملا أن تقع عيناه على بعضهم دون أن يراه احد . اقترب من البيت ، والتصق بنافذة المطهى ، ومدَّ بصره فوقع علىأخته الصغيرة مارثا تغسل الصحون . ورأى الطاولة العتيقة ، والمدفاة القديمة،ومارثا،وقد أدارت ظهرها له ، وتراءت له هذه الأشياء كلها حزينة جدا مؤثرة جدا ، بحيث تغرغرت الدموع في عينيه ، وبدا يحسُّ الحاجة الى لفافة من التبغ . وأشعل عود ثقاب في هدوء على بطن حذائه واستنشق الدخان ، وهو ينظر الى أخته الصغيرة في البيت العتيق ، جزءا من الرتابة . وبدا كل شيء جامدا تماما واضحا الوضوح كله،حزينا بشكل مخيفولكنه رجا ان تدْلف امه الى المطهى.كان يريد ان يلقى عليها نظرة اخرى . كان يودُّ أن يرى ما اذا كان غيابه قد غيرها كثيرا ، وكيف ستبدو لناظريه ؟ افلا تنى تحمل تلك النظرة الفارغة العجوز ؟ واحس بالغضب على نفسه لأنه لم يكن ابنا طيبا ، ولانه لم يحاول أن يسعد امه ، ولكنه كان يدرى ان ذلك كان أمرا مستحيلا .

ورأى اخاه بول يدخل المطهى يطلب جرعة من الماء ، فودَّ طيلة لحظة أن يصيح باسم الصبي ، وقد اندفع كل شيء طيب فيه حيٌ فيه ، الى وجه الصبي وطلعته . ولكنه تمالك نفسه ، وهو يستنشق الدخان بعمق ، ويضغط على شفتيه، فيطبقهما . وفي المطهى، كان الصبي يبدو خائفا ، مرتبكا ، سجينا . وفيما هو ينظر الى اخيه راح يبكي في هدوء قائلا :

يا الله يا الله يا الله .

وتلاشت رغبته في رؤية امه . ومشى على مهل في الساحة ، وقفز من فوق السور ، وانطلق الى الممر . وراح يحث الخطا مبتعدا ، وكآبته تفيض من فؤاده . ولما أصبح على بعد كاف بحيث لايمكن ان يسمعه أحد ، انخرط يبكي ، محبًا اياهم بقوة وحنان ، مبغضا بشاعة حياتهم ورتابتها . واحس بنفسه يهرع مبتعدا عن البيت وعن ذويه ، باكيا بمرارة وحرارة في ظلمة الليل الصاق ، باكيا لانه ليس ثمة شيء يستطيع أن يفعله . ■■

ترجمة ــ سهيل أيوب

بورسودان

منظر عـــام لجزء من ميناء بورسودان ، وظهر فى الوسط مبنى حوض السباحة،ومن حوله الحدائق والمسطحات الخضراء .

أكبـــر موانىء البحـــر الأحمر عمرهُ ٥٢ عـامـاً .. !

■ « يجب ازالة مدينة بورسودان باكملها مع كافة ضواحيها ، اذا اريد البدء فى تخطيط جديد لها ! » .

هذا ما قالـه خبـراء التخطيط العالميون ، الذين عهـدت اليهم بلـدية بورسودان بمهمة اعادة تخطيط المدينة وتجميلها،بمناسبة مرور خمسين عاما على انشاء مينائها البحرى الكبير ، الذى يعتبر اليوم أكبر موانىء البحر الأحمـر ..

ولم يرق قـرار خبراء التخطيط ، لأعضاء المجلس البلدى فرفضوه ، وقالوا انهم لا يمكن ان يوافقوا على هدم عشرات المبانـى الحديثـة الضخمة .. ولكنهم يوافقون على هدم ضواحي المدينة او « الديوم » كما يسمونها ..

وهـذه « الديوم » التى تحيط بالمدينة وتتداخل فيها ـ حتى اصبحت

بورسودان نفسها جزءا منها ـ تحمل أسماء مختلفة ، ويعيش فيها أقوام مختلفون ..

واشهرها ديم ابوحشيش، وفيه مركز السوق التجاري الرئيسي ، ومحطة انطلاق الحافلات التعاونية التي تربط بين أجزاء المدينة .

أما بقية « الديوم » ، وعددها يزيد عن العشرة ، فيأتي في مقدمتها :

ديم التيجاني ويسكنه عمال الميناء ، وديم فلاتة وسكانه من نيجيريا وغرب افريقيا ، وديم سلاجونة وهو أحدث الديوم التي شيدت أخيرا ، وديم سواكن ويسكنه أفراد قبيلة « الخاسا » العربية ، الذين كانوا يتنقلون بين جبال البحر الأحمر ثم استقروا هناك ، وديم المدينة ، ومنازله كلها خشبية ، وديم عمال السكة الحديد وفيه مكان تحرق فيه جثث الموتى من الهنود ، وديم المنطقة الصناعية ، حيث الورش والجراجات والمصانع ، مثل مصنع الزراير ، والحلوى ، والثلج والمياه الغازية ، وديم البوليس ، وديم الشاطيء ، وديم الحبش ، ثم « ديم العرب » ، ويسكنه أفراد من قبائل كثيرة مختلفة .

ميناء منعزل

ان مجموع أهالي بورسودان يقرب من ٧٠ الف نسمة ، وهذا رقم تقريبي ، اذ لم يجر احصاء منذ عام ١٩٤٥ حيث كان عدد سكان المدينة ٤٧٤٠٠ نسمة فقط ، يعيشون في ميناء شبه منعزل عن بقية السودان ، اذ لا يوجد أي طريق بري يربطه ببقية المدن ، انما يقبع في الصحراء مطار صغير تهبط فيه الطائرات السودانية والاثيوبية .. وخط حديدي واحد ، ضيق ومتعب للغاية ، يربط بين الخرطوم وبورسودان طوله ٤٩٢ ميلا ويمر بعطبرة ، وينساب كالحية على رمال الصحراء

سفينة تحمل ١٠٩٥ راسا من خراف الضأن في طريقها الى ميناء جدة السعودي ، وتستغرق الرحلة ٢٤ ساعة يموت خلالها نحو ١٥ راسا من الغنم ، ومتوسط سعر الراس الواحد في بورسودان ٤ جنيهات ، وفي جدة ١١ جنيها

الى اليمين : شارع المجلس البلدي : وتمتاز شوارع بورسودان بهدوئها الزائد ، فالسيارات قليلة جدا.

١٢٧١ سفينة دخلت ميناء بورسودان فى عام واحد ، وهذا رقم قياسى سجله هذا الميناء الكبير الذى افتتحه الخديو عباس حلمى الثانى فى أول ابريل عام ١٩٠٩ كما تبين اللوحة البرنزية المثبتة بجوار الرصيف . وتجرى الآن عمليات لتجميل وتوسيع وتعميق لهذا الميناء ، فأرصفته يزداد طولها ويتضاعف عددها ، وجميع الرافعات القديمة استبدلت بها أخرى حديثة ، كما يقوم عدد من الطلبة السودانيين بالتدرب فى الخارج ليصبحوا مرشدين للسفن التى تدخل الميناء .

وبين وديان جبال البحر الأحمر .. وقد أقيم هذا الخط عام ١٩٠٦ .

البحث عن ميناء

وقبل انشاء هذا الخط بعامين ، أى فى عام ١٩٠٤ كان جماعة من الخبراء الفنيين ، يقطعون شاطىء السودان ، المطل على البحر الاحمر ، جيئة وذهابا ، عشرات المرات بحثا عن بقعة عميقة تصلح لتكون ميناء جديدا ، بدلا من ميناء سواكن الذى افسدته شعاب المرجان المتكاثرة ، وجعلته خطرا على الملاحة . وأخيرا وجد الخبراء ضالتهم على بعد ٣٩ ميلا من سواكن ، عند مرسى صغير يدعى مرسى «الشيخ برغوث» ، الذى يزعم بعض الاهالى ان جثته ظلت طافيةعلىسطح البحر الأحمر سنتين كاملتين ثم لفظته الأمواج فى هذا المكان ، فاذا هى سليمة من كل سوء وعليها كمية كبيرة من البراغيث، فاخذها الاهالى وشيدوا لها ضريحا اسموه «ضريح الشيخ برغوث»لجهلهم باسم صاحبها ...

وقرر الخبراء الفنيون ان هذا المكان هو أصلح نقطة لاقامة ميناء جديد للسودان يحل محل ميناء سواكن ، شريطة ان تشق قناة طولية تقطع سلسلة شعاب المرجان الموازية للساحل ، لتفتح الطريق أمام السفن الى أرصفة الميناء الجديد .

الغاية تبرر الواسطة

ان تحويل هذه «الفكرة» الى حقيقة واقعة تطلب مجهودات جبارة للتغلب على الصعاب ، واولها : مشكلة جلب السكان الى هذه المنطقة القفر النائية، التى لم يكن يتردد عليها احد الا بعض أفراد قبائل الهدندوة والبشارية ... ؟

وهنا أقدمت ادارة حكومة السودان ، فى ذلك الوقت ، على عملية خطيرة فقررت اخلاء سواكن ونقل أهلها لتعمير الميناء الجديد ! وتحقيقا لهذه الغاية بدأت فى الحال حملة واسعة بين أهالى سواكن تدعوهم وتغريهم بترك مدينتهم . وهى فى سبيل ذلك اعطت كل من يترك بلده قطعة أرض بالمجان فى منطقة «مرسى الشيخ برغوث» ! (راجع استطلاعنا عن سواكن فى العدد رقم ٣٤ من « العربى ») . ورغم جميع المرغبات ، كان اقبال الأهالى ضعيفا ، وترددهم كبيرا ..

وفى مطلع عام ١٩٠٥ بدأ العمل الجدى لتحويل مرسى الشيخ برغوث الى ميناء كبير ، اطلق عليه اسم : بورسودان Port Sudan أى ميناء السودان .. وبعد ثلاث سنوات استقبلت أرصفة الميناء أول سفينة تجارية كبيرة .. وعندئذ بدأ اهالى سواكن ينزحون عن مدينتهم أفواجا كبيرة الى الميناء الجديد .. وشاركتهم سفن بريطانيا وايطاليا والمانيا،فهجرت هى الأخرى ، ميناء سواكن واتجهت

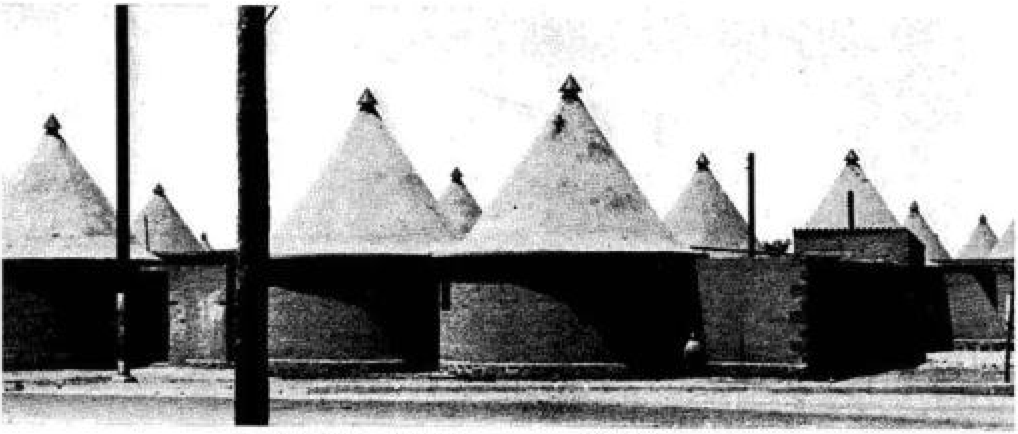

« ديم » السكة الحديد يتميز بمنازله ذات الشكل المخروطى

احتفال دينى فى بورسودان : لاحظ العمامة ، والجلباب الابيض ، وهو الزى الشائع هناك لانه انسب الازياء للحرارة والرطوبة .

الى بورسودان ، التى تبعد ٧٠٠ ميل بحرى جنوب ميناء السويس و٢٩٥ ميلا عن مدينة عطبرة الواقعة على نهر النيل ..

واردات .. وصادرات

ويتسع ميناء بورسودان حاليا لرسو ٢٦ سفينة تجارية مرة واحدة على ارصفته العديدة ، التى أصبح مجموع أطوالها ٢٨٨٠ قدما ، بعد ان انتهى العمل من زيادة طول الرصيف الرئيسى بقدر ١٥٠٠ قدم .

ومن هذا الميناء يتم اليوم تصدير، واعادة تصدير واستيراد اغلب حاجيات جمهورية السودان .

ويأتى فى مقدمة الاصناف المصدرة : الماشية : والجمال ، والأغنام ، والقطن ، والصمغ العربى ، وبذرة القطن، والعاج، والجلود ، والملح ،والسمسم، والذرة ، وغيرها من الحبوب .

اما الواردات فاهمها : السكر ، والشاى ، والمكنات ، والأدوات الزراعية ، والأخشاب والسيارات ، والقاطرات ..

مختلف الجنسيات

ان حركة البواخر فى الميناء متصلة ليلا ونهارا، والأهالى يعملون هناك بالتناوب . وتبعا لطبيعة عمل الميناء اختلفت جنسيات الساكنين فى بورسودان المدينة ، تلك التى تقع فى المنطقة الجنوبية الغربية من الميناء . وهى مدينة هادئة نظيفة ، يخترقها من الشمال الى الجنوب ، شارع عثمان دقنه ، وينتهى قرب محطة السكة الحديد ..

ولا يزيد طول هذا الشارع عن الكيلومترين ، وعرضه عن اثنى عشر مترا ، تضيئه فى الليل المصابيح الزئبقية المتفلورة .

ومن هذا الشارع تتفرع عدة طرق وشوارع ، منها شارع الجلاء ، وآخر يمر بشرق مبانى المستشفى ، وثالث يؤدى الى مخازن ادارة مشروع الجزيرة ، ورابع يؤدى الى منطقة الحدائق ..وكلها شوارع لم يكن قد اطلق عليها اسماء بعد ،انتظارا لنتيجة دراسة مؤسسة « دوكسيادس » العالمية للتخطيط ..

وكان اغلب مبانى المدينة مكونا من دورين .وفى عام ١٩٥٧ – ١٩٥٨ بدأ بناء العمارات الضخمة الكبيرة (انظر الصورة ص ١٣٠) .

اللدائن تنافس الصدف

واكثر ما يضايق الأهالى هو المناخ المتقلب ،ففى

جامع الشيخ ستّ : اجمل مساجد بورسودان ، قامت الحكومة ببنائه حديثا . . .

الى اسفل : مبنى بلدية بورسودان ، ومنه تخرج جميع مشاريع النهوض بالمدينة ، ومن أهم المشروعات التى أوشك العمل فيها على الانتهاء ، مشروع مد طريق معبد يربط بورسودان بالخرطوم عن طريق كسلا ، طوله ٥٥٠ ميلا وتكاليفه نحو خمسة ملايين جنيه .

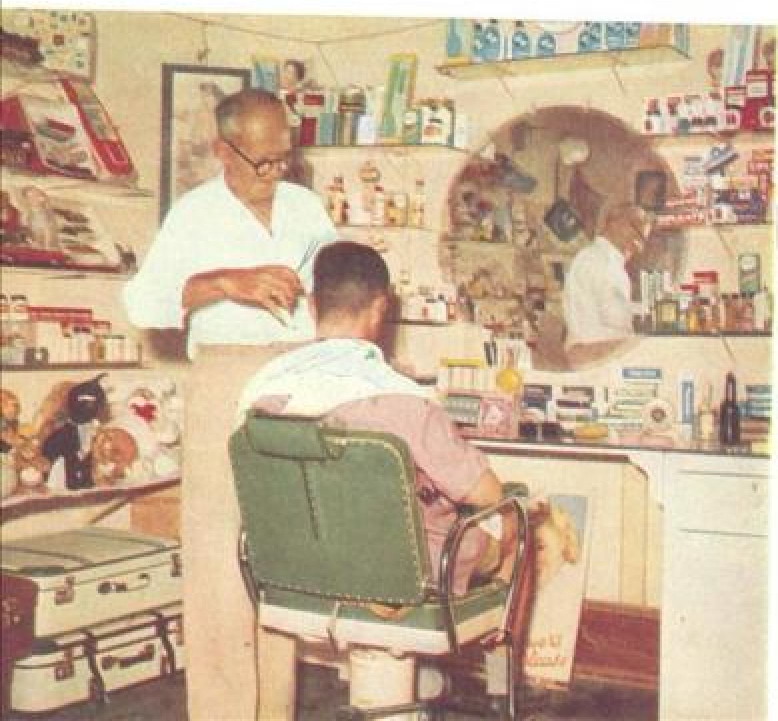

الى أعلى : جنينة الاسكندر ، وجنينة معتاها حديقة ، وهي مفتوحة للجمهور ومع ذلك فتزرع فيها فاكهة « الجريب فروت » ، والبرتقال ، والليمون ، والجوافة ..

الى اليسار : ٥١ عاما مضت على وجود نيقولا باسميس وهو يعمل حلاقا في بورسودان، حصل خلالها على الجنسية السودانية .. انه يروى لكل «زبون» كيف كانت الحياة في بورسودان صعبة في الماضي أما اليوم فبورسودان أصبحت **«قطعة من باريس»** في نظره على الاقل .. !

خلال شهور يونيو ويوليو واغسطس ترتفع الحرارة الى ١١٧° ف فيهرع الأهالي الى (مرسى انقياى) أو خليج فلمنجو الطبيعي الجميل ، الذى يبعد ربع ساعة بالسيارة عن المدينة ، فيستحمون هناك، بجوار تجار الصدف ، الذين يجمعونه من على شاطىء الخليج ، ويعقدون سوقا عامة مرتين في الاسبوع ، يبيعون فيها محصولهم بالمزاد العلنى للتجار الذين يصدرونه الىالخارج ، حيث يستعمل فى زخرفة شتى انواع الخزف والحُلىّ الصدفية .

وتعتبر هذه السوق من أهم معالم بورسودان ، وكذلك من أهم أسواق الصدف على شاطىء البحر الأحمر .. وتجرى اليوم محاولات كثيرة لانعاشها بعد التدهور الكبير الذى أصابها بسبب منافسة اللدائن (البلاستيكات) للصدف فى عالم الصناعة، ومن ناحية أخرى بسبب منافسة سوق ميناء جدة السعودى لها ..

لقد كان ايراد بلدية بورسودان من هذه السوق عشرة آلاف جنيه سودانى ، نقصت اليوم الى ستة آلاف جنيه فقط ..

ملح وحديد ..

ومن أهم معالم بورسودان الأخرى،اربع ملاحات، تنتج ٥٥ الف طن ملح سنويا ، يستهلك منها السودان ٣٠ الف طن والباقى يصدر الى اليابان .. وكانت هذه الملاحات فى السابق ملكا لشركة بريطانية باعتها لشركة سودانية تديرها اليوم بنجاح كبير ..

وما دمنا بصدد الحديث عن الثروات المحيطة ببورسودان ، فلا يمكن أن نغفل الثروات الهائلة المكنوزة تحت أحجار جبالالبحر الأحمر. وتقومحاليا بعثة يوغوسلافية ، بتقدير كمية الحديد الخام الموجود فى الجبال ، ويقال انها قدرت الموجود منه فى جبل واحد بالقرب من بورسودان بنحو الف مليون متر مكعب !

وذهب ومنجنيز ونفط !

وبجانب الحديد يوجد الذهب ، والمنجنيز الذى يستغل حاليا ، أما النفط ، أو الذهب الاسود ، فقد أعطى حق التنقيب عنه لشركة الايطالية منذ شهر أغسطس من عام ١٩٥٩ ، وتشمل منطقة ابحاثها ما مساحته ٨٥٠٠ كيلو متر مربع على الساحل وداخل مياه البحر الاحمر ، ومدة الاتفاق اربع سنوات .. وحتى الآن لم يعثر على النفط بكميات تجارية ، وكانت الشركة قد قررت ترك السودان ولكنها عدلت عن رأيها وقررت الاستمرار فى البحث بعد أن لاح لها أمل جديد .

٢٧٠ قرشا للنوم والاكل

وفى كل مساء تمتلىء شرفة فندق البحر الأحمر ـ الفندق الرئيسى فى المدينة ـ بالأهالى والنزلاء ورجال البترول الايطاليين الذين يجلسون لتناول المرطبات من عصير الليمون الحامض والبرتقال ، فى أكواب كبيرة ضخمة للتغلب على الحرارة الشديدة .

وتمتلك هذا الفندق شركة سكة حديد حكومة السودان،التى تتبعها كذلك ادارة ميناء بورسودان كله .

ويحتوى الفندق على ٣٢ غرفة،وأسعاره معتدلة، اذ يتقاضى خمسة جنيهات سودانية نظير النوم فى غرفة بحمام مع الأكل ثلاث مرات فى اليوم لشخصين

العمارات المالية الحديثة .. طلحها سبب فى انتشار الذباب ! !

فتمر من تحت جسر « خور موج » المقام على طرف شارع عثمان دقنه ، وبه خمس فتحات لتصريف المياه أثناء جريانها . ومن المشاريع التى هي قيد الدرس ، مشروع اقامة سد فى فى هذا المكان لتجميع المياه التى تضيع هباء فى البحر الاحمر .

بذرة القطن : هي السبب

وتتعرض بورسودان ، خلال ثلاثة اشهر فى السنة، هى نوفمبر وديسمبر ويناير ، الى هجوم عنيف من الذباب والبعوض .. والعامل الرئيسى فى توالد هذه الحشرات هو مياه الأمطار المتساقطة على الكميات الهائلة من بذرة القطن ، التى يخزنها مجلس ادارة مشروع الجزيرة ، فى العراء داخل الميناء ، فعندما تبتل البذرة تتخمر ، فيتوالد الذباب وينتشر حولها .

والمصدر الثاني لتوالد هذه الحشرات ، يكمن فى « زرائب » الماشية المنتشرة خلف ديم العرب ، والتى يصيبها ما يصيب بذرة القطن عند سقوط الأمطار .

.. والعمارات كذلك !

وفى عام ١٩٥٨ استجد مصدر آخر لتوالد هذه الآفات ، فالعمارات الكبيرة العالية التى تزايدت فى السنوات الأخيرة تسببت فى سرعة امتلاء أحواض النفايات وطفحها ، وهذه الأحواض تستعمل بدلا من المجارى التى لم توجد بعد ، ونتيجة لهذا الطفح تتسرب الغازات والقاذورات من فوهات الأحواض فيتوالد الذباب والناموس بكميات كبيرة هائلة ، رغم جهود البلدية ، ورغم انفاقها ربع ميزانيتها السنوية ، أى نحو ٦٠ ألف جنيه لمكافحته ، وتخصيصها ٣٥٤ من موظفيها وعمالها للعمل فى القسم الصحى .

قتل ٢٢٩٠ قطا !

ومن هؤلاء العمال ١٢ عاملا يقومون بمهمة مستديمة غريبة هى قتل كل قط ، وكل فار يشاهدونه فى الميناء أو المدينة !!

ان عددا كبيرا من الدول يستورد القطط للقضاء

من هنا تشرب بورسودان : عيون الماء بين جبال البحر الأحمر ، فى « خور اربعات »

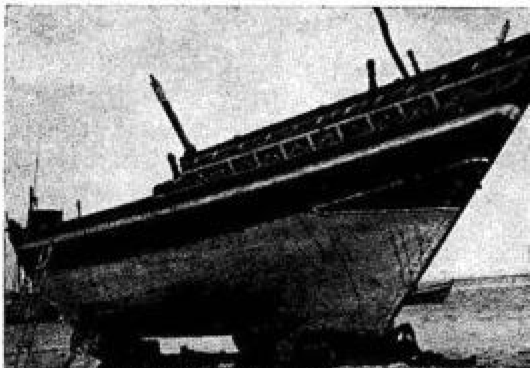

مراكب تجار الصدف راسية فى مرسى «انقياى» ، (خليج فلمنجو) على البحر الاحمر

.. كما يتقاضى ٢٧٠ قرشا سودانيا عن الشخص بمفرده ..

استيراد الخضراوات

وتقيم الحكومة والاهالى حفلاتهم واستقبالاتهم فى ردهات هذا الفندق ، وفى هذا توفير كبير لهم ، الا ان تكاليف المعيشة مرتفعة فى المدينة . فالخضر مثلا ترد كلها معلبة من الخارج ، ما عدا كمية صغيرة تزرع على بعد ٦٠ كيلو مترا،فى منطقة تعرف باسم « خور اربعات » ، حيث عيون الماء ، التى تمد السكان بحاجتهم من مياه الشرب عن طريق أنابيب تتصل بخزانات ، ومنها الى المنازل .

وفى شهر سبتمبر تهطل الأمطار على هيئة سيول،

على الفئران،أما في بورسودان فانهم يقتلون القطط قبل الفئران خوفا من مرض الطاعون ! اذ تأتي بعض السفن من اقطار الشرق الأقصى الموبوءة ، فتتسلل منها القطط والفئران حاملة معها البراغيث التي تنقل هذا المرض اللعين ..

وقد تم في خلال عام واحد اعدام وقتل ٢٣٩٠ قطا و ٤٦٤٨ فارا !!

الاعضاء يحصلون المتاخرات !

ويعمل أهل بورسودان ، كل ما في وسعهم :

مدرسة للبنات ، وتتميز فتيات قبائل البشارية بشعرهن الذي يتركنه ينمو حتى يكبر ، ويتدلى خلفهن ، ثم يضفرنه .

لنشر الحدائق في المدينة ، حتى لتجدها متناثرة في كل مكان : حول الميناء وفي الضواحي والدبوم .. وتنفق البلدية سنويا خمسة الاف جنيه لهذا الغرض ، حتى تخفف من حدة الرطوبة التي تزيد عن ٧٥٪ في بعض الاحيان ، مما يسبب ضيقا ومتاعب جمة للسكان ..

وتعتبر بلدية بورسودان من أغنى البلديات في جمهورية السودان ، اذ يقدر ايرادها بنحو ٢٠٠ الف جنيه سنويا .

ويرجع السبب في هذا الايراد الضخم ، فيما يرجع، الى تنظيم طريقة تحصيل الضرائب والعوائد حتى انه عندما يتاخر احد المواطنين في دفع ما عليه من نقود ، يذهب اليه أحد اعضاء المجلس البلدى ويقنعه وديا بضرورة الدفع .

مدارس للصغار والكبار

وتعيد البلدية للمواطنين ما يدفعونه ، على هيئة خدمات عامة ، اهمها التعليم .. فقد فتحت اخيرا خمس مدارس لتعليم الفتيات بعد اقبالهن الزائد على التعليم ، هذا بالاضافة الى العديد من المدارس الأولية والابتدائية التي تخضع لها . ويدرس فيها ٢٥٠٠ تلميذ ، و١١٠٠ تلميذة .

وفي الليل تفتح مدارس خاصة لمحو الأمية لتعليم النساء والرجال ، الذين فاتهم سن التعليم .. ويتخرج منها سنويا ٢٥٠ رجلا و١٥٠ امرأة .

وبجانب هذه المدارس ، يوجد الكثير من المدارس الأخرى الخاصة بالطوائف المختلفة التي تقيم في المدينة من هندية ويونانية ، ومصرية ، ورومانية كاثوليكية .

المستقبل هنا ..

ان بورسودان ، الميناء الهادىء المتطور بخطوات وئيدة ثابتة ، سوف يصبح في المستقبل القريب من أهم موانىء البلاد العربية ، بعد أن يبدأ استغلال الثروات الهائلة المكنوزة في جبال البحر الأحمر المحيطة به ..

نقد كتاب الشهر

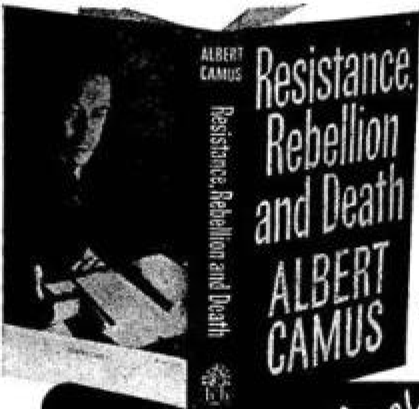

المقاومة والتمرد والموت

لألبير كامو

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ فى الرابع من يناير (كانون الثانى) ١٩٦٠. توفى الكاتب الانسانى البير كامو ، عندما اصطدمت سيارته بشجرة ، وهو فى طريقه الى باريس ، وبهذا صمت الى الأبد الصوت الذى عبر عن قلق عصره اصدق تعبير .

ويبدو لي ان (كامو) هو واحد من أولئك المفكرين من أمثال (تين) و (هربرت سبنسر) ، الذين خلقوا لعصرهم ، ومثل هؤلاء المفكرين عادة هم أكثر المفكرين تأثيرا فى مجتمعاتهم . وهذا هو السبب فى أن كتابات « كامو »تركت دويا ، واستحقت تقديرا ، لأنها عكست روح العصر ، وعبرت عنه . حتى ليذهب النقاد الى انه أكثر كاتب ، بعد « مالرو » ، يقبل الفرنسيون على كتاباته . وهذا هو السبب أيضا فى أن الجدل الذى دار حول انتاج كامو ، والنقد الذى كتب حوله ، يفوق ما كتب عن أى كاتب معاصر ، حتى ليفوق ما كتب عن (ت.س.اليوت) .

لقد كان (كامو) متدينا دون دين ، وسياسيا دون حزب (فقد ترك الشيوعية) وفيلسوفا دون فلسفة موضوعة (فقد انفصل عن الوجودية) ، وكان مؤمنا عميق الايمان بالانسان الفرد وبالانسانية ، وبضرورة الكفاح من أجل العدالة والحرية . وكان مؤمنا منذ كتابه الأول بأن مهمته فى الحياة هي الا يعيش فى الخداع ، وأن يجعل من نفسه الصوت الناطق باسم الانسان المضطهد المظلوم . وأول خطوة يجب أن يخطوها الانسان لتحقيق هذه المثل ، فى رأيه ، هى أن يبدأ بنفسه ، فيقول :

« ان أكبر معركة يجب أن يخوضها الانسان هي معركته مع نفسه .. معركة ينتصر فيها حب العدالة على شهوة الحقد ، وتستسلم فيها الكراهية والعنف ، والتعصب الأعمى ، لكل ما هو نبيل فى الانسان » .

من اجل هذه الدعوة ، ومن أجل الانتاج الأدبى الرائع الذى صاغ فيه هذه المعانى ودعا اليها بحرارة ، نال جائزة نوبل للآداب . ونجد هذه المعانى كلها فى انتاجه وكتابه الذى نقدمه .

وكامو الانسان جم التواضع ، قوى الحجة ، عذب الحديث ، خال من المرارة التى نجدها عند الوجوديين ، وهو الى هذا شديد التمسك بما يؤمن به من مبادىء ، وقد أثار حتى اعجاب من لا يشاطرونه الرأى ، وذلك باخلاصه وتفانيه وصدقه وجرأته .

فى دروب الحياة

ولد كامو فى الجزائر عام ١٩١٣ من ابوين من مزيج من الدم الفرنسى والاسبانى، وتوفي الأب والبير ما زال طفلا ، فنشأ فى فقر مدقع . والتحق بالمدرسة فعرف فيه مدرسوه النجابة والذكاء ، وحبه للعبة كرة القدم ، ونال منحة دراسية لدخول

دار المعلمين ، وكان من الممكن أن يعمل فى التعليم بعد تخرجه ، لو لم يداهمه مرض السل ، وهو ما زال فى سن السابعة عشرة .

وشفى كامو بعض الشفاء من مرضه ، وتنقل بين اعمال متعددة بسيطة قبل أن يتفرغ للكتابة ، وعشق المسرح فاسس فى الجزائر فرقة من هواة المسرح اسماها « مسرح العمل » والتحق بـ « فرقة راديو الجزائر المسرحية » ثم أسس « الفرقة المسرحية » ليقدم التمثيليات لعامة الشعب . وقد مكنته خبرته هذه من اتقان الفن المسرحي .وساح فى اوروبا كثيرا ، ولم يستقر فى فرنسا الا عام ١٩٤٠، حيث عمل فى جريدة « بارى سوار » . ولكن الجزائر بقيت هى وطنه الذى يحن اليه .

★★★

ونجد فى كتابات « كامو » التى نشرها قبل اندلاع نار الحرب العالمية الثانية ، مثل مجموعة مقالاته « الأفراح » (١٩٣٨) ، احساسا عميقا بجمال البيئة الجزائرية من جبال وشمس وبحر ، ممزوجا أيضا بالاحساس بقسوة الفقر ، وآلام البشر . ولم يكن كامو قادرا على أن يخمد صوت هذا الالم عن طريق الايمان بالدين ، بل لم يكن حتى مستعدا لأن يخدع نفسه عنواقع هذا الانسان وهو الذى جعل مهمته الا يعيش فى الخداع .

واشتعلت الحرب الاهلية الاسبانية ، ثم تبعتها الحرب العالمية الثانية،لتؤكدا لشقاء هذا الانسان. وقد أصبح هذا الانسان المعذب ، من كل جنس ولون ، هو المحور الذى تدور حوله كتاباته .

وفى عام ١٩٣٨ أيضا كتب مسرحية « كليغولا » وهى عمل أدبى رائع من ابن خمس وعشرين سنة ، وفيها جعل (كامو) الامبراطور الرومانى رمزا « للانسان الاحمق » ولكنه مع هذا جعله يدرك ، بما له من بقية عقل ، مدى حماقة هذا الوجود .

★★★

وقد زاد آراءه توضيحا أثناء الحرب باصداره كتابين جلبا له الشهرة ، هما : « الغريب » و« اسطورة سيزيف » . والكتاب الأول قصة مكتوبة بصيغة المفرد المتكلم ، بطلها قاتل سفاك . والكتاب الثانى بحث فى الانتحار. فالفكرة المسيطرة عليهما كليهما هى مشكلة الموت ، ولعل انشغاله بهذا الموضوع يعود الى ما شاهد بعينيه من مآسى الحرب ، كما يعود أيضا الى ما كان يعانى فى جسمه من مرض . لقد تلفت (كامو) حوله ليرى أن مشكلة الوجود هى الموت ، ولكن لم يبلغ به التشاؤم حد ان يرى رأى (ريلكه) الذى قال : « ان أهم شىء فى الحياة يمكن أن يقوم به الانسان هو أن يسلب نفسه الحياة » ، أى ينتحر . لقد رأى (كامو) غير هذا : رأى أن الانسان المعاصر شبيه بسيزيف فى الأسطورة اليونانية ، الذى عاقبته الآلهة بالشقاء الدائم بأن ينقل صخرة من قعر الجبل الى قمته ، فاذا وصل الى القمة بعد انهاك ، عادت فتدحرجت فعاد اليها يرفعها ..عملية من الشقاء لا تنتهى . هكذا بدت الحياة لعينى كامو : شقاء مستمر ، وعبث لا طائل تحته ، ولكن مع هذا علينا ان نتحملها بتجلد ، لا أن نفر منها . هذا الصراع بين الموت والحياة ، والياس والأمل ، هو المحور الذى تدور حوله كتابات (كامو) . وقد عبر عن هذا التناقض الازدواجى خير تعبير فى كتابه « الانسان المتمرد » وفيه يقول : « ان كل الثورات التى حدثت فى العالم ادت الى الطغيان والوحشية» والذى يريده هو أن يكون هناك تمرد على الظلم ، على ألا يقود الى ظلم مثله .

ولما هزمت فرنسا امام قوات النازية ، عمل فى الخفاء محررا فى جريدة « كومبا » اليسارية لسان حال حركة المقاومة السرية ضد القوات المحتلة ، وكتب فى هذه الفترة الحرجة الكثير ، فما جلت قوات الاحتلال الالمانى عن فرنسا ، حتى كان اسمه يتقدم اسماء كثير من معاصريه من مشاهير الكتاب.

★★★

وبعد انتهاء الحرب وجلاء القوات النازية عن فرنسا ، اقترن اسمه باسم (جان بول سارتر) فقد تصادقا وكانا المفكرين اللذين حددا للفكر الفرنسى خط سيره ، بعد ارهاصات الاحتلال الالمانى . وعمل (كامو) مع (سارتر) و (سيمون دى بوفوار) ، بعد تحرير فرنسا ، على الاستمرار فى اصدار جريدة « كومبا » اليسارية . وبعد ثلاث سنوات هجر اليسار والسياسة ، ولم ينس له اليساريون هذا العمل ، واعتبروه خيانة منه . وقد برر كامو هجره للسياسة بقوله:« ان السياسة تقود الى العنف والثورة ، والثورة تؤدى دائما الى الطغيان » .

وقد خيل لكامو حينا انه قد يكون فى اليسار انقاذ لهذا الانسان ، ولهذا انضم لهذه الحركة ، ولكنه لم يلبث أن انفصل عنها فهاجمه « سارتر » ولم ينل من انضمامه لهذه الحركة غير اكتسابه لعداوة صديق . وهنا تبدو الحقيقة لعينى (كامو)

فهو كاتب اولا وآخرا ، وهو وان ساهم في الشؤون السياسية احيانا ، الا انه يصعب عليه ان يقولب نفسه ضمن اطار عقائدي .

★★★

لقد خلف (كامو) السياسة وراءه وتفرغ للادب ، وفي عام ١٩٤٧ صدرت له قصة «الطاعون» وهي اول قصة جلبت له شهرة عالية . والقصة في معناها الظاهري قصة طبيب في مدينة وهران ،وقد اصابها الطاعون عام ١٩٤٠، ولكنها في معناها البعيد ترمز بالطاعون الى مأساة الانسان الحديث بتصويره ذلك العبء من الظلم والالم والموت الذي يثقل كاهله .

وعاد (كامو) يكتب للمسرح فمثلت له في باريس مسرحية « العادلون » في ١٥ ديسمبر ١٩٤٩ . والعادلون عند (كامو) هم اولئك الذين لا يرضون بعالم اصبحت فيه الحرية امتيازا لشعب دون آخر ، لان الحرية في رأيه حق كل فرد في كل شعب، « والحرية نفسها تصبح سجنا ما دام على وجه الأرض انسان مستعبد » . وقد نجحت هذه المسرحية نجاحا ملحوظا ، ولعل السبب في هذا النجاح يعود الى تمكن (كامو) من فن المسرح ، والى اسلوبه المتميز باللفظة الموحية ، والمعاني الواضحة، هذا بالاضافة الى أن شخصياته التي تعاني من الصراع الداخلي والقلق هي شخصيات يمكن تجسيمها على المسرح .

وبعد « العادلون » صدر لكامو ما يمكن أن يعد اخلد انتاج له ، وهو « الانسان المتمرد »(١٩٥٢). وصدرت له قصة « السقوط » بعد ذلك (١٩٥٦)، وهي قصة لم يستحسنها حتى المعجبون به ، ثم لتتلوها بعد ذلك مجموعة اقاصيص .

لقد رفع مجموع هذا الانتاج (كامو) الى مرتبة الادباء العالميين المرموقين ، فمنح من أجل هذا جائزة نوبل للآداب عام (١٩٥٧) وكان من قبل (١٩٤٧) قد منح جائزة النقاد الفرنسيين على كتابه « الطاعون » .

هـذا الكتاب

وهذا الكتاب الذي نقدمه هو مجموعة مقالات ومحاضرات ، كتبت والقيت بين عامي١٩٤٢و١٩٥٨، وقد اختارها المؤلف بنفسه قبل وفاته ، ولم يضف اليها الناشر سوى الكلمة التي القاها كامو عند تسلمه جائزة نوبل للآداب .وقد صدرت في ترجمتها الانجليزية في لندن في العام الماضي . وهذا العام اختيرت أحسن عشرة كتب صدرت باللغة الانجليزية في عام ١٩٦١ فكان هذا أحدها . وهي تبدأ بمقالاته الشهيرة « رسائل الى صديق الماني » ، ثم مقالات اهمها : تحرير باريس ، والطغيان، ودفاع عن الحرية، واسبانيا ، والجزائر ، وهنغاريا ، وعقوبة الاعدام. وأهم ما تتسم به هذه المقالات هو : نفاذ البصيرة ، والصدق ، ومحاولة ايجاد حلول بناءة للمشاكل التي يتناولها .

وقد نشرت « رسائل الى صديق الماني » لأول مرة بين عامي ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، وذلك ردا على قول صديق الماني له قبل الحرب العالمية الثانية : « ان عظمة بلادي يهون في سبيلها أي ثمن . وكل وسيلة تؤدي الى هذه العظمة محبوبة عندي مستساغة » . وخلاصة رد كامو عليه : ان كلمة « بلاد » و « وطن » في مثل هذه الحالة يصبح معناهما العصبية العمياء المتعطشة للسفك والتدمير، والانسان الشريف لا يمكن أن يرضى ان يكون مواطنا في مثل هذا الوطن . ومن أجل هذا كان كامو يكره الفاشية .

وفي مقاله « الملحد والمسيحيون » يهاجم رجال الدين الذين يباركون حكم الاعدام فيقول : « عندما يبارك الأسقف حكم الاعدام ، يكون في رأيي قد خرج عن دينه ، وحتى عن انسانيته » . ومقاله « آراء في عقوبة الاعدام » من خير ما كتب كامو من مقالات ، فهو يبدأ بوصف ما يعانيه المحكوم عليه قبل تنفيذ الحكم ، ثم يتهم المجتمع بأنه هو المسؤول عن كون المجرم قد أجرم . وهذا المقال هو اطول مقال في الكتاب ، وهو مشحون بالعاطفة والفكر ، ولعله خير ما كتب حول هذا الموضوع فهو يتفوق فيه على ما كتبه « آرثر كويستلر » في هذا .

ومقال « آراء في حكم الاعدام » يذكرنا بقصة « الغريب » : ففي كليهما نجد شبح الانسان المحكوم عليه بالاعدام يحتل تفكيره . وكامو يجد فرقا كبيرا بين الانتحار والحكم بالاعدام ، فيقول في قصته « اسطورة سيزيف » : ان الانتحار مناقض للاعدام : ففي الانتحار يتخلى الانسان عن حريته ، وفي الاعدام يُسْلَبُ هذا الانسان حريته ، وليس هناك اشد تعلقا بالحياة من الانسان المحكوم عليه بالاعدام . ونحن جميعا في الواقع محكوم علينا بالموت ، ونحن في صراع معه ، ولهذا فان علينا أن

تكاتف لتقف في وجهه ، وهذا هو أول وأهم مجالات التكاتف الانساني ، وعلى هذا فان الانتحار والاعدام يجب مقاومتهما .

ومقالاته أو محاضراته عن القضية الجزائرية تحتل ٣٢ صفحة من الكتاب ، وهو يتهم فرنسا فيقول : « ان نفوس الفرنسيين مليئة بالحقد ، وهو حقد أسود أرفض أن أشارك فيه ... لقد كلفتنا القضية كثيرا ، وما زالت تكلفنا » ولكنه مع هذا تنكب عن أن يخطو خطوة ايجابية لحل هذه القضية ، فقد ترك شؤون السياسة للساسة .

لقد قضى كامو حياته جاهدا لتوضيح آرائه والدعوة اليها بحرارة : كاتبا قصصيا ، ومسرحيا ، وفيلسوفا ، حتى وافاه القدر المحتوم عند جذع شجرة حمقاء ، وهو في سن السادسة والاربعين ، ولم يكن قد عَبَّر بعد عن مواهبه الفائقة تعبيرا كاملا ، تاركا وراءه زوجة محزونة ، وطفلين . وقد رثاه صديقه اللدود (سارتر) فكان مما قاله فيه : انه أحد أخلاقيي العالم الكبار المؤمنين بالانسان . وهكذا كان . ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

خمسون عاما في جزيرة العرب

للشيخ حافظ وهبه ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر

● كتاب متمم لكتاب المؤلف الاول « جزيرة العرب في القرن العشرين » .

فصول الكتاب : الملك عبد العزيز ، حياته ، فتحه الحجاز ودخوله مكة ، علاقاته الخارجية . الملك عبد العزيز والقضايا العربية الكبرى . الحكومة العربية السعودية بين عهدين . ميلاد الجامعة العربية . والناشر مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة .

تاريخ الفكر الفلسفي

للدكتور محمد على ابو ريان ـ مطبعة المصري

● الجزء الاول من سلسلة تاريخ الفكر ومشكلاته، وهو يبحث في الفلسفة اليونانية من طاليس الى افلاطون .

التعاون الدولي وتنظيمه

لجوزيف تشمبرلين ، ترجمة الدكتور عبد الله العريان ، دار المعرفة بالقاهرة

● كتاب يتلمس « السبل المفضية الى الدفع بالتعاون الدولي قدما الى الامام ايمانا منه بأن تحقيق التعاون بين الأمم والشعوب لحل مشاكلهم المشتركة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي انما يمهد السبيل خير تمهيد لتحقيق التعاون السياسي فيما بينهم ، ويرسي الأساس أمتن ارساء للسلام العالمي المنشود » .

الحمى الصفراء

لهوارد وكرويف Kruif ، ترجمة حازم فوده مكتبة الانجلو المصرية

● مسرحية تاريخية تصور تفاني جماعة من العلماء في مقاومة الحمى الصفراء في كوبا والكشف عن مكروبها .

رد على نقد :

زحف العروبة بين عواطف القومية ومصالح السياسة

تلقينا من الاستاذ أميل البستاني تعقيبا على ما نشر بالعدد الماضي في نقد كتابه الجديد « زحف العروبة » نقتطف منه ما يلي :

■ في « العربي » عدد ٣٨ صفحة ١٢٤ قرأت للدكتور محمود السمرة نقده لـ « زحف العروبة » واني فيما أشكر الدكتور السمرة على أخذه الكتاب بروح الناقد المنصف والعربي المتفهم لما يهدف اليه الكتاب أغتنم المناسبة لأحيي في « العربي » العقيدة الثابتة وسداد التوجيه وحصافة الراى ، وهي ميزات طالما لمسناها وادركنا أثرها وأهميتها طوال السنوات الثلاث الأخيرة من حياته .

ولئن كانت تحيتي الى « العربي » مع كل اطلالة له على قرائه ، فقد رأيت في افساح المجال لنقد « زحف العروبة » مناسبة موفورة لأسجل ملاحظات وأوضح اسئلة وعلامات استفهام ، وردت في سياق هذا النقد . فالموضوع ، وهو موضوع العروبة ، غايتنا من مناقشته وبحثه واحدة .

وانه لما يدعو الى التقدير ان ينحو الدكتور السمرة ، في بحثه للكتاب ، أسلوبا موضوعيا ، ضمنه نقدا مجردا مبنيا على التفهم ، وعرض آراء ان خالفته فيها أو في بعضها فليس معنى المخالفة ان تدفع الى سخط يحسم أمره عن طريق تبادل السباب أو بالتجني في الاتهام كما يفعل بعضهم .

بعض ما عرضه الدكتور السمرة من نقاط يبدي المخالفة وبعضها الآخر يتسم بالموافقة المشروطة . فهو يشير الى أجزاء من « زحف العروبة » يستحسن في رأيه ان تقدم في عرض جديد يحتاج ولا شك الى كتاب جديد لا أجد في هذا الظرف ما يحملني على انجازه .

وفي فقرة أخرى من نقده يأخذ على المبالغة في رد فاتحة الانبعاث العربي الى دخول أول مطبعة الى مصر مع غزوة نابليون . ذلك « ان تلك المطبعة كانت من الحجم بحيث لم تكن تصلح الا لطبع المناشير » . انني مع الدكتور السمرة في استكبار فاتحة الانبعاث الكبير على مثل تلك المطبعة الصغيرة . ولكن أليست هذه احدى سخريات القدر التي سجلها التاريخ ؟ وعلى كل ، ربما أكون قد أعطيت هذه النقطة من اهمية أكثر مما تستحق !

ولقد أصاب الدكتور السمرة كبد الحقيقة في كشفه عن السبب العميق « الذى جعل بريطانيا حريصة على قيام العرب بثورة تناصرها على الترك في الحرب العالمية الأولى ».ان ما قاله في هذا الصدد سيسجل في الطبعة الثانية من « زحف العروبة » . وهناك أيضا ما وجده « من خلل في الترجمة أدى الى تسجيل خطأ تاريخي ربط تاريخ تأسيس الكلية السوريةالانجيلية بحكم ابراهيم.. » ولقد تبينت ما ذهب اليه الدكتور ، واني احيي فيه دقة الملاحظة وصواب المقارنة ، الامر الذى سوف لا تغفله الطبعة الثانية .

ويأخذ على الناقد قولي « ان الجامعة الامريكية في بيروت هي المركز الرئيسي للتعلم في الدنيا العربية » ويسائلني عن عدد الطلبة الذين تخرجهم هذه الجامعة و « هل يبلغ عدد خريجيها في أى فرع ١/٧ خريجي جامعة القاهرة مثلا ؟ » وفي السؤال والمقارنة ما يوحي بأن ما قلته هو مغالطة. ويبدو أن الدكتور السمرة برغم تعمقه في درس الكتاب فاتته حقيقة القصد . ثم انه انتهى الى اعطاء تفسير للموضوع لا يتفق مع الظرف . ولو عاد الدكتور السمرة الى الموضوع مرة اخرى وقرأه قراءة طبيعية مجردة لوجد انى اتحدث عن الجامعة الامريكية ببيروت في اطار القومية العربية. انني معه عندما يذكر عشرات الالوف من الطلبة الذين خرجتهم جامعة القاهرة . معه من حيث العدد فقط ، وهذا الأمر لا علاقة له بالموضوع ، ولذلك لم أتحدث عنه . وانما الذى قلته وهدفت اليه هو ان فكرة العروبة اطلقها ونشرها أولئك الذين تخرجوا من الجامعة الامريكية ومنهم من ذهب للاقامة في مصر . لقد خرجت جامعة القاهرة عددا اكبر ، هذا صحيح ، ولكن فكرة العروبة لم تنطلق من مصر بل من بيروت .

ويشك الدكتور السمرة في امكانية قيام تقارب على نطاق واسع بين العرب والغرب « لأن تاريخا

اسود يقف حائلا حاجزا بيننا وبينه يجعلنا لا نثق به ولان الغرب نفسه واقع تحت سيطرة مؤثرات تجذبه بعيدا عن النظر الى القضايا العربية نظرة موضوعية » .

ونحن هنا نختلف في الرأى . ربما كان هو على حق وربما العكس . ولكنه لاحظ ولا شك انني لم اتردد في تسجيل كل وقائع ذلك التاريخ الاسود الذي يعتبره الحاجز. ومع ذلك فانني اقول بامكانية اجتياز هذا الحاجز، فالمصالح لا تعترف بالحواجز. وطالما ان الناقد يؤمن ـ مثلى ـ بأن السياسة مصالح لا عواطف ، فاين الضرر في التجربة المقيدة الملتزمة بشروط اقل مقتضياتها ان لا يكون هناك اية تضحية بالحق ؟ أو لم ير الدكتور السمرة في دعوتى الى التعاون مع الغرب تكريسا لهذه الشروط ومحافظة على المصالح العربية ؟ أليست مصلحة العرب الاساسية ـ وهى مصلحة اقتصادية ـ كائنة في ان الغرب هو السوق الرئيسية للنفط العربى ؟ وطالما ان الغرب يدرك ـ وهذا ما قلته في كتابى ـ ان نفطنا لا غنى له عنه ، فهو يدرك بالتالى أن لا غنى له عن صداقتنا . ولذلك فهو يحاول ارضاءنا . الا يفترض ـ والواقع هو ما ذكرت ـ ان نكون نحن ايجابيين فنمد يدنا للصداقة بالقدر الذى يؤمن المصلحة ؟ واعود فاقول انه طالما ان « الدنيا مصالح » فلا يجوز أن نضحى بمصالحنا لارضاء عواطفنا والتمادى في الخصومة.

ولنتحدث اخيرا عن الحزام المقترح وهو « حزام يبلغ عرضه مائتى ياردة على طول حدود اسرائيل مع الاقطار العربية ، ومثل هذه المنطقة المؤلفة من مائة ياردة في كل من جانبى الحدود لا بد ان تدار من قبل الامم المتحدة وان تصبح في الواقع ارضا للامم المتحدة » .

هذا ما اقتطفه الدكتور السمرة من موضوع الحزام ليسأل بعده « هل يعنى هذا القول اعترافا بالواقع وان هذا هو الحل لقضية فلسطين ؟؟ »

لا يا صديقى الدكتور ..

ولكن أحدا لا يستطيع القول أن في وسع البلدان العربية ربح معركة ضد اسرائيل اذا لم تكن أكثر منها قوة ـ قوة في العلم وقوة في القومية وفي الدعاية في العالم . والقصد هنا صعيد الرأى العام العالمى . مثل هذه القوة لا بد ان ينصرم المدى الطويل من السنين لتأمينها بجميع عناصرها . وكلنا يعرف أن اسرائيل بلغت درجة من الخبث والدجل الدولى جعلتها تنصرف الى استغلال الاوضاع كما هى عليه اليوم لتشن بين الحين والآخر اعتداءات على الحدود العربية وتصطنع معارك تتبعها بشكاوى وحملات تستدر فيها العطف العالمى لتحصل على المساعدات الدولية والتبرعات المالية بغية تعزيز قوتها وتطوير بنائها . ولا أظن أحدا جاهلا لقيمة الثمار التى قطفتها اسرائيل حتى الآن من دجلها العالمى . فالاوضاع المكشوفة هى التى تساعدها على هذه التجارة الكاذبة . هذه الدكانة يجب اقفالها . ولا يحقق الامر سوى الحزام الذى يعطى العرب فرصة للبناء الداخلى . وهذا الحزام ليس بدعة ، لقد وضع بين مصر واسرائيل في منطقة غزة، ومع ان اسرائيل انكرت على قوات الامم المتحدة حق دخول الاراضى الفلسطينية التى تحتلها ولم تسمح لها بالاستقرار ولو في شبر واحد من هذه الارض واكتفت بالتمركز داخل حدود غزة ، ومع ان هذا هو ما حدث بالفعل ، فقد ادى وجود الامم المتحدة الى خلق جو من الهدوء مكن القاهرة من الاستمرار في استعداداتها البعيدة المدى لكسب المعركة عندما يحين أوانها .

والمهم اننا اليوم أحوج ما نكون الى كسب الرأى العام العالمى ، وكسب أصدقاء يناصرون قضيتنا . والطريق الى هذا لا يمكن ان نجتازه بالسب والشتم او بالصراخ والعويل.هناك أسلوب وحيد ناجح أشرت اليه في بداية نقدك للكتاب ، وهو الأسلوب الذى اعتمدته فعلا لتقديم « زحف العروبة » الى القارىء الغربى وأعطى النتائج المشجعة .

وانى فيما اشكر للعربى اسهامه في وضع « زحف العروبة » تحت مجهر توضيح الافكار وتبسيط الآراء وحرصكم على التزام القواعد السليمة للنقاش لا أغفل تقديرى لايمانه بالرسالة العربية ، وهو الايمان الذى نشترك فيه ولا يجعل للواجب حدا يقف عنده ولا صعيدا ينتهى اليه . والله اسأل ان يأخذ بيدنا جميعا في خدمة الاهداف النبيلة التى نلتقى فيها على صعيد واحد . ■■

النائب اميل البستانى
بيروت

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

القول فى تحريف القرآن

● فى كتاب تفسير القرآن لفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وبالصفحة ٥٨ تحت عنوان « المنهج الذى نريده » العبارة الآتية : « كما فعل أهل التأويل الذين حرفوا كثيرا من القرآن عن مواضعه ، وتنكبوا قانون العربية التى نزل بها » . فكيف دخل التحريف على القرآن ؟ وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ؟

انتصار عبد الرحمن

« العربى » : ليس المقصود هنا تحريف لفظ القرآن ذاته ، او نقل بعض آياته عن أماكنها ، وانما المقصود تحريف معناه ، بتأويله تأويلا لايتفق مع ظاهر آياته ، وتفسيره تفسيرا لا ينطبق على منطوقه . كمن يفسرون بعض الآيات على أنها تعنى ظهور داعية دينى أو نبى أو رسول، وتاريخ ظهوره، كما يزعم الباطنية والبهائيون مثلا ، أو كمن يريدون أن يفسروا بعض آيات القرآن فى عصرنا الحاضر على أنها أنباء عن بعض المخترعات الحديثة ،كالقنابل الذرية والصواريخ وغيرها ، مع أن الله حرم ذلك صراحة بقوله جل شانه : « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم ، والبغى بغير الحق،وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، أى غير ما اراد الله به من معناه . وفى ذلك يقول الرسول الكريم : «من قال فى القرآن بغير علم» ـ وفى رواية أخرى : من تكلم فى القرآن برأيه ـ فليتبوأ مقعده من النار » .

والأمثلة على هذه التأويلات الخاطئة كثيرة لا يتسع لها هذا الباب .

اللاعبــان بالنار

● أنا شاب فى السابعة والعشرين ، متزوج من فتاة من أسرة محترمة، وقد رزقت منها ولدا وبنتا، وحياتنا العائلية سعيدة ، ولكنى تعلقت أخيرا بفتاة من قريبات زوجتى ، فى الثامنة عشرة ، نتيجة لكثرة ترددها على زيارتنا ، وقد تبادلت واياها الرسائل والصور ، وكلما مرت الأيام ازداد حبى لها وحبها لى ، وقد حاولت أن أنسى هذا الحب بمختلف الوسائل فأخفقت ، فجئت اليكم التمس النصيحة .

الاردن — محمد عبد الرحمن

« العربى » : ليس هذا حبا ، وانما هو عبث اطفال كان ينبغى أن يتورع عنه رجل فى السابعة والعشرين ، متزوج ، وله أولاد ، ويعترف بأنه سعيد فى حياته الزوجية .

انك وقريبة زوجتك تلعبان بالنار ، وكيف تكون فتاتك من أسرة محترمة كما تقول ، وتقبل أن تتبادل الرسائل والصور والحب ، مع رجل متزوج من قريبة لها ، وله منها طفلان ؟!

ابتعد من طريقها ، ولا تدعها تفسد عليك حياتك الزوجية ، ولا تجن على طفليك البريئين فى رعونة وطيش واستهتار .

تحرر .. أم تحلل ؟!

● صغيرة كبيرة .. محافظة متحررة .. قوية ضعيفة .. ذكية غبية .. هذه هي أنا !

نشأت في أسرة محافظة عهدت بي الى مدرسة أجنبية دينية،لكن شيئا كان يستعر في قلبي ويدفعني دفعا الى حياة غير تلك التي الفتها في البيت والمدرسة ، ويغريني بالحياة المتحررة ، وفعلا استجبت لنداء نفسي وانتزعت حريتي من أهلي ومن مدرساتي واخذت اتعرف بالشبان واخالطهم .. وكان«هو»في مثل سني فانسقنا مع التيار بعد أن تعاهدنا على الزواج بمجردانتهائه من دراسته العليا . ولما بدات اعراض الحمل تظهر ، لم أتردد في الالتجاء الى طبيبة اجهضتني دون ان يشعر بأمري احد من اهلي ، وتحملت نتيجة خطئنا المشترك وحدي . ولكنه بدأ يتنكر لي ، وأخيرا صارحني بأنه من الخير لنا أن نقطع علاقاتنا لأنه لا يستطيع أن يتزوجني ! وعبثا توسلت اليه بدموعي الا يقضي على سمعتي ومستقبلي .. فقد تركني ومضى !!

وهكذا انقلب الحمل الوديع ذئبا ضاريا . وكان غدره بي سببا في أن أجِدّ في دراستي حتى اتممتها والتحقت بعمل يكفيني مذلة السؤال ، ويغنيني عن الاعتماد على الأهل والزوج، لأني آليت على نفسي الا اتزوج ، أو اخدع احدا او ابيع نفسي لرجل يرضى بحطام عذراء !

كل الذي يقض مضجعي هو التفكير في هذا السؤال : من هو المسؤول عما حدث لي ؟ أهم اهلي الذين قصروا في تبصيري بما تتعرض له الفتاة ؟ أم هي المدرسة وبرامجها الناقصة ونظمها الفاسدة ؟! أهو فتاي الذي خدعني وغرر بي لم عاد فخان وغدر ؟ أم هي التقاليد التي تلقي الذنب على المرأة بينما تترك الرجل حرا طليقا يعبث ما شاء له العبث دون حسيب أو رقيب ؟! بودي ان اعرف رأيكم في العدد القادم من مجلتنا الحبيبة .

ب . د ـ دمشق

« العربي » لماذا تحاولين ان تلقي بالتبعة على أهلك أو مدرستك أو التقاليد التي اصطلح عليها المجتمع ؟! انما الذنب ذنبك أنت التي اغرتك « الحياة المتحررة » كما تقولين في رسالتك ، ولو انصفت لقلت « الحياة المتحللة » التي تخدع ببريقها السذج والبسطاء من الجنسين ، حتى اذا ما اكتووا بنارها عادوا يذرفون الدمع ويعضون بنان الندم . ولكن بعد فوات الأوان ...

كيف نربي أولادنا ؟

● أنا سيدة في التاسعة عشرة من عمري . وأنا الآن حامل في الشهر السابع ، وبهذه المناسبة اكتب اليك لكي تخبرني أو ترشدني عن احسن الطرق لكي اربي بها طفلي ، الذي احب أن اربيه على الطريقة الأجنبية . لأن لي تربية انكليزية الأصل تربي أولادها على طريقتهم الخاصة . وقد لاحظت أن تربية أولادها أحسن من تربية اولادنا هنا في دمشق أو البلدان العربية الذين يتصفون بالميوعة وسوء التربية ، وأنا خائفة أن يكون طفلي على هذا النحو ، وأريد أن اربيه تربية تختلف عنهم . وانا اليوم حائرة في أمري ، ولذا اخترت مجلة العربي لترشدني الى أحسن الأساليب لتربية الأطفال .

« العربي » : الطريقة الخاصة في التربية ، تلك التي تذكرين ، ليست للانجليز خاصة ، أو الفرنسيين ، أو الالمان . انما هي طريقة حديثة بنيت على الطب الحديث ، وعلى علم النفس معا ، وهما علمان من ثمرات هذا الجيل . ولهذه التربية كتب حديثة يمكنك أن تستهدي بها ، لمؤلفين من العرب احدثين . وقد دخلت هذه الطرق الحديثة بيوتا عربية كثيرة ، كما دخلت البيوت الغربية . والزوجة الغربية تستهدي بهذه الكتب: كيف ترضع طفلها ، ومتى ، وكم . وما تغطيه به من لباس ، وفي اى عمر . ومتى ينام ، ومتى يستيقظ ، واذا بكى ، فما سبب بكائه ؟ لعلها المعدة ، أو لعلها اضطراب حوله . والعادة العادة . لها حكمها، وهي يجب أن تكون فوق طاقة الأم. والطفل لابد أن ينام في ساعة باكرة محددة كل يوم ، فلا يسهر الى العاشرة مساء فما بعدها .

هذه هي طرق التربية الحديثة ، فلا هي شرقية، ولا هي غربية . انما هي بشرية ، تجاري البشر في تقدمهم نحو حال من العيش أحسن .

زوجة أخي : شيطانة !

● شاب نشأ في عبادة الله ، بلغ من العمر ٢٥ عاما ، موظف بمرتب محترم ، وطالب منتسب باحدى الجامعات المصرية يعيش في كنف والده التاجر البسيط ووالدته المسنة ، وشقيقة سوف تزف الى عريسها بعد شهرين على الاكثر .

لهذا الشاب اخ يكبره بحوالى ١٥ عاما ، متزوج من سيدة من مدة ٦ سنوات ، ولم ينجب منها ، برغم المصاريف الطائلة التى صرفت على الأطباء والعمليات بلا ادنى نتيجة . انها امرأة لعوب ، لا تملك ذرة من الكرامة . فهى قد أساءت الى جميع افراد عائلة زوجها ، حتى انها اتهمت أخا لزوجها بأنه يريد اغتصابها ، وكررت هذا الاتهام لعدد من الاقارب ، وشتمت والدة زوجها وشقيقتيه ، حتى قرر الجميع مقاطعتها . كل هذا وزوجها ــ أخي ــ لم يفعل أى عمل ايجابى .

انها جميلة لا شك في ذلك وتحاول اغرائى بطرق بدائية . وانا ــ انا الشاب ــ أعانى ثورة جامحة في صدرى ، وأحاول كبت عواطفي حتى يوشك ذلك أن يودى بحيائى .

وقد تملكنى القلق والدمع على وشك النزول ، وانا أكتب لكم هذه السطور . فماذا افعل ؟

م. ح. القاهرة

« العربي » : صارح والدتك او والدك بما تحاوله هذه الشيطانة .. وما دام كل افراد الأسرة قرروا مقاطعتها ، فلماذا تشذ انت على هذا الاجماع ؟! أم انك تريدها أن تتهمك بمحاولة اغتصابها ، كما اتهمت سواك ؟!

تحية من « أكرا » عاصمة غانا

● انه ليسرني أن اخترق حجب هذه المسافات الشاسعة لأمد يدى باسمى وباسم الجالية العربية في غانا . شاكرين مجهودكم العظيم لما تبذلونه في سبيل اظهار مجلتنا الحبيبة بالمظهر اللائق أمام القراء العرب والأجانب مفتخرين بأسلوبها وبمستواها الثقافى . فالله يوفقكم ويسدد خطاكم في طريق النجاح .

وبهذه المناسبة قرأت ان المأمون الخليفة العباسى السابع أقام معسكره على ضفاف نهر البديدون بجانب طرسوس أثناء قتاله مع الروم .

فهل لى أن أعرف الاسم الحالى لنهر البديدون وطرسوس وفي أى البلاد موقعهما ؟

وهل كانت نهاية المأمون في تلك الاقامة أم لا ؟

عبد الحميد تاج الدين
اكرا ــ غانا

« العربي » : شكرا لهذه التحية الكريمة من مواطن عربي في غانا ..

اما طرسوس فمدينة بتركيا بالقرب من خليج الاسكندرونة ، كانت من العواصم ، فتحها المأمون عام ٧٨٨ ، وفيها دُفن .

واما بذندون ــ لا بديدون ، فمدينة عند درب السلام ، وهى اليوم قرية بذنتى في تركيا . وعندها مات المأمون فجأة عام ٨٣٣ ميلادية .

٩ اولاد و ٥ بنات !

● أنا رجل في الاربعين من عمرى ، موظف بسيط بدخل بسيط ، تزوجت ولى من العمر ثمانى عشرة سنة ، وخلال هذه الفترة رزقت بتسعة من البنين وخمس من البنات من زوجتى الوحيدة . معظمهم توائم ، وطالما بحثت عن علاج أو وسيلة استطيع بها تنظيم النسل ، وفي بعض المرات قرأت في مجلتكم أن ذلك يقتضى أن تلعب الزوجة الى احدى دور رعاية الطفل ، وبالطبع لم استفد من ذلك ، لانني في منطقة ليست فيها أمثال هذه المنظمات ، ولذا قررت الكتابة اليكم بأمل أن تنقذوني .

ع. ع. ع.
السعودية

« العربي » : في هذا العدد والذى قبله عالجنا مشكلة الحد من النسل ، في « ركن المرأة » فاقرأهما لعلك واجد فيهما ما تريد .

وقد ظهر أخيرا عقار المانى اسمه H. S ٦٣٩ هو عبارة عن اقراص تتناولها السيدة بالفم لمدة عشرين يوما كل شهر . وسيجتمع في القاهرة هذا الشهر ٢٠ عالما من المانيا وانجلترا والجمهورية العربية المتحدة في هيئة مؤتمر لاقرار هذا الدواء .

النيل .. لا المسيسبي

● المعروف ان اطول نهر فى العالم هو نهر « المسيسبي فى الولايات المتحدة ، ولكنكم نشرتم فى حل مسابقة العدد « ٣٠ » والمنشورة فى العدد « ٣٢ » ان اطول نهر فى العالم هو نهر « النيل » حيث يبلغ طوله « ٧٦٠٠ » كيلو متر ، فأيهما الاصح ، وكم طول نهر المسيسبي وشكرا لكم ؟

سعد نوار العتيبي
الطائف ـ السعودية

« العربى » : اذا اضيف الى المسيسبي روافده، كان اطول من النيل . اما اذا جرد منها فالنيل لا شك أطول، لان طول المسيسبي وحده ٩٠٠ ك.م.

الآنسة « مى »

● فى العدد الثامن والثلاثين من « العربى » مقال عن « عربيات اديبات فى سوريا » قال فيه كاتبه فى معرض حديثه عن الاديبة فلك طرزى انها لو مارست الكتابة لكان لنا من أدبها ثروة ضخمة لا تقل عما تركته « مى » من أدب . وفى مقال نشر اخيرا عن استاذ الجيل « احمد لطفى السيد » كلام كثير عن « مى » ..

فمن هى « مى » هذه ، وفى اى جزء من اجزاء الوطن العربى ظهرت ، وفى اى وقت عاشت ؟

سلطان حمد العميرى
عدن العربية

« العربى » : هى ابنة الصحفى اللبنانى الياس زيادة ، ولدت فى فلسطين عام ١٨٨٦ ، وكان اسمها « مارى زيادة » ، ثم اشتهرت بعد ذلك باسم « مى » ، وعاشت انضر سنى حياتها فى مصر ، وفيها تالق نجمها وتبوأت فى دنيا الادب مكانة رفيعة ، وكان يجتمع فى ندوتها اقطاب الفكر والادب والشعر المعروفون .

الثــورة الفرنسية

● قرات فى احدى المجلات العربية أن الثـورة الفرنسية نشبت فى شهر يونية عام ١٧٩١ . ثم عادت نفس المجلة ونشرت بعد بضعة أشهر أنه فى ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ قامت الثورة الفرنسية .. فأى التاريخين أصح ؟

محمد احمد ثابت

مدرسة الشاطىء الثانوية ــ جدة

« العربى » : بداة الثورة الفرنسية فى ١٤ يوليو(تموز) ١٧٨٩ وفيه استولى الثــوار على « الباستيل » فى باريس .

الرضاعة غير اختلاط الدم

● مرض شاب ودخل المستشفى فقرر الأطباء ضرورة نقل كمية من الدم اليه لانقاذه ، فتقدمت خطيبته وتبرعت بكمية من دمها وهو لا يعلم ، هل يجوز له شرعا أن يتزوجها بعد ذلك ، أم انهـــا تكون محرمة عليه كما تحرم الأخت بالرضاعة ؟

سلطان عبده الزعبى

المطبعة المصرية ــ الكويت

« العربى » : نقل الدم شىء ، والرضاعة شىء آخر ، وهو لا يمنع من الزواج .

(كوبون)

ترفق مع الـرد

الأسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

املا الكوبون بخط واضح

ردود خاصة :

● **سيدة ا . هـ . م :** كويت

ـ مرور خمسة اشهر فقط على الزواج دون ظهور علامات الحمل ليس دليلا على العقم . وكل ما أشرت اليه فى رسالتك طبيعى ، لا يصلح سببا لعدم الحمل .

استشيرى طبيبا اخصائيا لاجراء الفحص اللازم .

● **المعذبة أمل . ن :** دمشق

ـ أنت فتاة طائشة ، وهو شاب مثالى ، فكفى عن طيشك ودعيه يحاول اقناع والديك بالزواج بوسائله ولباقته ، دون أن تتدخلى الا بقدر .

● **فاروق ممدوح محمد :** هندسة عين شمس ـ القاهرة .

ـ استشر جراحا أو اخصائيا فى الأمراض العصبية .

● **م. بن قاسم ـ الرباط :**

ـ الالعاب السويدية التى تمارسها الفتيات فى المدارس لا تؤثر فى البكارة .

● **س . ى . ع :** سوريا

ـ زوجة الاخ من الرضاعة حكمها حكم زوجة الاخ سواء بسواء .

● **الطالب اسماعيل حسن داود :** كلية طب القصر العينى ـ القاهرة

ـ ليس فى القرآن ولا فى الحديث ما يمنع من تشريح جثث الموتى لغرض علمى أو بقصد الكشف عن جريمة .

ـ الوضوء فى مثل هذه الحالة لا يكفى ، بل لا بد من الاغتسال .

● **صادق على ـ البحرين**

ـ الحالة التى أشرت اليها وان تكن نادرة الا انها ليست مستحيلة .

انصح صديقك بأن يعرض عروسه على طبيب أو طبيبة .

من شعر القراء

الى شاعر .. وباكية ..

دعهـا تفرّج مـن آلامِ ماضيهـا
وخلّهـا تنفّـح الشـكوى ماقيها
لو لم تكن ـ يا رعاك الله ـ شـاكية
جَوْرَ اللـيالـي ، فماذا كـان يشكيها
لـو كنت تعلـم ، ما أوسعتَها عـذلا
لكـن جهلـت ـ وأيمُ الحق ـ ما فيهـا
خلِّ النصـائح وابحثْ عـن مصيبتهـا
ان كنـت شهمـا ، وخفّف مـن مآسيها
فمـا النصائح للمكـروب تفرجـــه
من الخلـيّ ، اذا مـا راح يزجيهـا
لُمِ الليالي التـي جـادت بشِقوتهـا
ولا تلومنّهـا ، فاللـوم يُشـقيها
لعلهـا فقـدت من كـان يمنحهـا
صفوَ المـودة ، فى الدنيـا ، ويُوليهـا
لعلهـا باعز الولد قـد رُزئـت
والرزءُ بالوَلد أحـرى ما يبكّيهـا
لعلهـا تبكي لياليهـا التي سلفـت
ولـم تمتّـع بحـب فى لياليهـا
لعـل هجـر حبيب هـار ما أملـت
وشرُّ ما يهـدم الآمـال بانيهـا
لعلهـا لا تـلاقي مـن يرقُّ لهـا
غير الدمـوع حبيبـا ، أو يعزيهـا
ان الدموع لِشعْرٍ لا يترجمهـا
من لم يعشهـا ، ولم يعرف دواعيهـا
هـل يفهم الكَرْبَ من لا يصطليـه الذ
وهـل يـذوق الأماني مـن يعاديهـا
اختَ الأسـى ، لا تكفّي فالحياة شجـى
وما عرفتِ سوى الشكوى بواديهـا
صُبّي دموع الأسى « يا مي » ما خطرت
فتعقبي الحـزن حزنـا ان تصبيهـا ؟
وارسليهـا علـى الخـدين ما برحـت
فى الصدر « يا مي » آهات يُخبّئهـا
يـا شاعري لا تلومن التـي ذرفـت
أغلى اللآلي ، وفاء ، نحـو قاليهـا !
فارجـع اليهـا ، هداك اللـه ، معتذرا
واخلص لهـا الـود ، تسترجع امانيهـا
واحفظ لهـا الدمع ان « عـزت نظائره
بين الفرائـد » ولترحـم لآليهـا !!

علي الزعبي
• الكلية الحربية الملكية ــ الأردن

حضرات السادة
المهندسين المعماريين والبنائين

نقدم لكم المستر جوفيير ـ المبعوث الفني لشركتكم « وليمز ووليمز » . ومهمته هي تقديم المعونة اليكم هنا فى الخليج مباشرة .

ان كل عمل تؤديه وليمز ووليمز ـ صغيرا كان أم كبيرا ـ هو باشراف المستر اى . آر . سي جوفيير شخصيا او باشراف وكلائنا فهم خبراء . يعلمون كل شيء عن منتجات البناء وليمز ووليمز ـ ولديهم معرفة تامة بالاوضاع المحلية كلها . اختاروا وليمز ووليمز تحصلوا على المشورة والخدمة والخلاص من القلق .

مركز بلدية الكويت الجديد ◀

ان هذا البناء الرائع يتكون من مبنى رئيسي بأربعة طوابق وجناحين بثلاثة طوابق . لقد وقع الاختيار على وليمز ووليمز انودايزد الومنيوم ولزبان لجميع الواجهات الرئيسية .

المهندس المعمارى ـ سامى عبد الباقى

المقاولون ـ عثمان أحمد عثمان وشركاه القاهرة .

بعض الأعمال الأخرى التى قامت بها وليمز ووليمز فى الشرق الأوسط المتحف الجديد فى بغداد محطة توليد القوى فى البصرة ، تنمية ميناء العقبة فى الاردن ، مراكز الضواحى فى الكويت ، محطة الكويت لتوليد القوى فى الكويت ، محطة دبى لتوليد القوى فى دبى ، مستشفى الولادة فى بغداد ، محطة الأملاح والكلورين فى الكويت ، مكاتب بابكو فى البحرين ، محطة المطافىء المركزية فى الكويت .

الوكلاء

فى الكويت : محمد عبد الرحمن البحر وشركاه
ص.ب ٦٠٩ الكويت

البحرين : الشركة الافريقية والشرقية (الشرق الادنى) المحدودة ـ ص . ب ٤٩ البحرين

قطر : المانع وشركاه
ص.ب ٤٩ دوحة ـ قطر

العراق : الشركة الافريقية ـ العراقية المحدودة
ص.ب ١٧ بغداد

وليمز ووليمز يهيء لكم منتجات البناء البريطانية مع الخدمة اللازمة .

وليمز ووليمز تصنع جدران ولزبان الواقية شبابيك الومنيوم وفولاذية ، الاشغال المعدنية المعمارية ، حواجز ضد الشمس ، انشاءات مقوسة ومنتجات اخرى كثيرة للبناء .

وليمز ووليمز من تشستر بانكلترا تعمل فى جميع انحاء العالم

للحصول على التفاصيل الوافية يرجى الاتصال بالمستر اى . آر . سي جوفيير ص. ب ٦٠٩ الكويت

WILLIAMS & WILLIAMS

زوج الاثنتين

● تكلم رجل مع طبيبه بالتلفون ، وطلب منه الحضور بأسرع ما يمكن لان زوجته تشكو من الزائدة الدودية . فرد عليه الطبيب :

هذا غير معقول ! .. لانني استأصلت زائدة زوجتك قبل سنتين ولم اسمع فى حياتى ان شخصا عنده زائدتان دوديتان .

فاجاب الزوج القلق قائلا : وهل سمعت فى حياتك ان شخصا تزوج من امرأتين ؟!

شهادة رسمية

● **قدم رجل طلبا للعمل فى متجر ،** ولم يكن مظهره يشجع على توظيفه ، فطلب منه صاحب المتجر ان يقدم اسماء مراجع للاستفسار منها عن ماضيه وبعد تردد ذكر اسم سائق يعمل فى نفس المتجر . واستدعى السائق ، وسئل عن طالب العمل وامانته فأجاب :

ـ انه امين فعلا ، وقد ثبتت امانته المرة تلو الأخرى . لقد قبض عليه تسع مرات بتهمة السرقة ، ولكنه برىء فى كل مرة .

كذبة ابريل ! !

● ـ ماما .. ماما .. اسرعى .. هناك رجل فى غرفة الطعام يقبل خادمتنا .

فارتبكت الام وارادت ان تذهب لتعرف من هو ذلك الشخص . فضحك الطفل وقال لها : كذبة ابريل ... انه والدى !

رجاء له معناه !

● **المتهم : (وقد برىء من تهمة سرقة) :** شكرا لك يا حضرة المحامى ، استودعك الله وسأمر عليك فى وقت من الاوقات .

المحامى : اهلا وسهلا .. ولكن ارجو ان يكون مرورك اثناء النهار .

ـ قلت لك كان لازم نسافر درجة اولى

نحن هنا !!

● **سافرت** الزوجة لزيارة أختها التى تقيم فى مدينة قريبة ، وبعد يومين من سفرها تلقى الزوج دعوة لتناول العشاء عند صديق له وزوجته يقيمان فى نفس الشارع . فارتدى أفخر حلة وهيأ نفسه للخروج وبينما هو خارج وضع يده فى جيب سترته فعثر فيها على ورقة ، بخط زوجته وقد كتبت له فيها :

ـ انك الآن ترتدى افخر ملابسك .

لماذا ؟ الى اين انت ذاهب ؟

من أين يتكلم

● ذهب موظف كبير لزيارة مستشفى الأمراض العقلية ، وهناك اضطر الى التحدث فى التلفون لأمر هام .. ولاقى صعوبة كبيرة فى الحصول على الرقم . واخيرا ضاق ذرعا وصرخ فى عاملة البدالة :

ـ اسمعى يا آنسة هل تعرفين من انا ؟

فردت عليه عاملة التلفون قائلة : لا .. ولكنى اعرف من اين تتكلم .

طبق الأصل !

الاول : لماذا تنظر الىّ هكذا ؟

الثاني : آسف جدا .. ولكن هل تعرف انه لولا الشارب لكنت صورة طبق الأصل من زوجتى .

الأول : شارب ؟ اخشى انك ترى اشياء لا وجود لها فأنا بدون شارب .

الثاني : صحيح .. ولكن زوجتى لها شارب .

بين أحول .. وزميله

● شخصان ـ كل منهما مصاب بحول فى عينيه ـ اصطدما وجها لوجه .

فصاح الأول : لماذا لا تنظر الى الجهة التى تسير فيها ؟

فقال له الثاني : ولماذا لا تسير انت فى الجهة التى تنظر اليها ؟

منطق سليم

● اخذ موظف الاحصاء بفحص الاستمارات ليتأكد من انها قد كتبت بشكل صحيح ولاحظ الأرقام ١٢٠ و١١٢ تحت عنوانى : « عمر الأب اذا كان حيا » و « عمر الأم اذا كانت حية » . واستغرب الموظف وسأل :

ـ ولكن والديك لم يصلا الى هذا العمر .. أليس كذلك ؟

فكان الجواب : لا .. لم يصلا الى هذا العمر .. ولكنهما كانا ليصلاه اذا كانا حيين !!

حل نحن نسأل وأنت تجيب

١ – الجمهورية الصومالية مكونة من الصومال الايطالي والصومال الانجليزي ، وقد حصلا على استقلالهما اخيرا .. وما زال هناك الصومال الفرنسي ، والحبشي ، والكيني لم ينضما الى الجمهورية بعد .. اما عاصمة الجمهورية المستقلة فهي مقديشو .

٢ – يقع جامع القرويين في مدينة فاس بالمغرب وقد تم بناؤه عام ٢٤٥ هـ .

٣ –

الولايات المتحدة	٢٥٣ر٥٠٠ر٠٠٠ طن
روسيا	١٦٦ر٠٠٠ر٠٠٠ طن
فنزويلا	١٥١ر٠٠٠ر٠٠٠ طن
الكويت	٨٧ر٣٥٠ر٠٠٠ طن
العربية السعودية	٧٢ر٨٥٠ر٠٠٠ طن
ايران	٥٨ر٨٠٠ر٠٠٠ طن
العراق	٤٩ر٠٠٠ر٠٠٠ طن
كندا	٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طن
اندونيسيا	٢٠ر٦٠٠ر٠٠٠ طن
الجزائر	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠ طن

٤ – يعود تفاؤل الكثيرين من تثبيت حدوة الحصان فوق أبواب منازلهم ، على ان يكون طرفاها الى أعلى ، الى العقيدة القائلة بان الشيطان يتحرك دائما في صورة دائرية ، وانه اذ يتحرك بموازاة الحدوة ثم يصل الى الطرف الأعلى المفتوح تعاق حركته فلا يتمكن من دخول البيت ! ..

واما تشاؤم الناس من تحطم المرآة فيعود الى انعكاس الصورة في الماء أو فوق زجاج المرآة يمثل الروح – أو ما كان يسميه القدماء « القرين » وتحطيم المرآة تنذر بتحطيم الروح وفراقها للجسد .

٥ – كلمة « فيتو Veto » لاتينية ، ومعناها « أنا أمنع » واستعمالها من اسس نظام التصويت في مجلس الأمن. ويتمتع بها دول" خمس هي : أمريكا والاتحاد السوفياتي وانجلترا وفرنسا والصين الوطنية (فرموزا)

٦ – انه ديوجينيس المتشائم الذي اتخذ البرميل مأوى له . وقد سأله الاسكندر الأكبر يوما في كورنثيا عما اذا كان يريد شيئا ، فقال : « نعم ، أريد أن تغرب عن طريقي .. فقد حجبت عني النور ! » وحينما سار في شوارع أثينا حاملا بيده مصباحا في وسط نهار مشمس ، كان يجيب على من يسأله عن السبب : « اني أبحث عن انسان » !!

العربي

العدد ٤١
شوال ١٣٨١
ابريل
(نيسان) ١٩٦٢

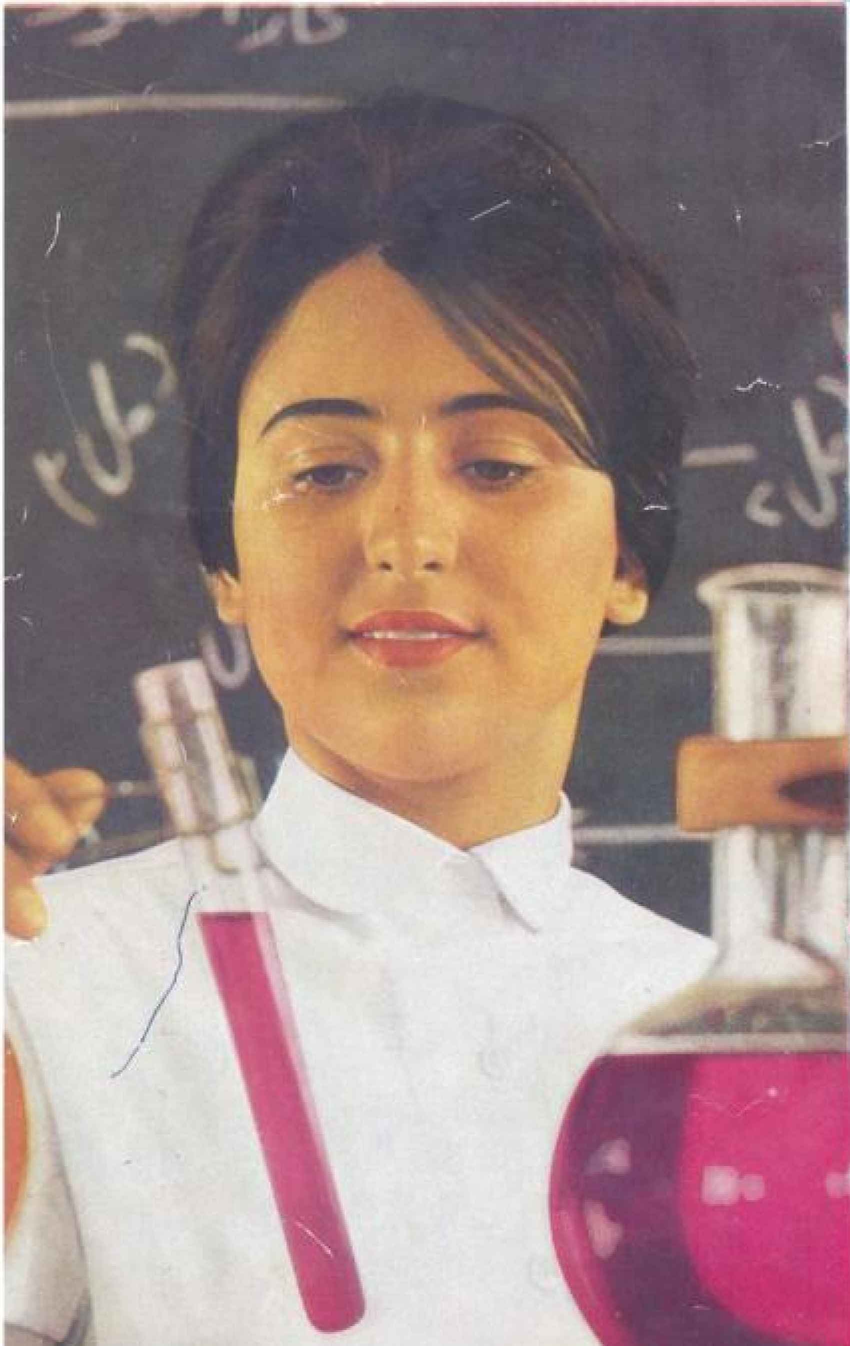

مع هذا العدد
هدية ثمينة
+
عربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

كويتية في
معمل الكيمياء

الثمن

ويت	١١٠	فلوس
ليج العربى	٢	روبية
عودية	٢	ريال
من	٣ر٥	شلن
راق	١٢٠	فلسا
نان	١٠٠	قرش
ردن	١٠٠	فلس
رية	١٠٠	قرش
ج٠ع٠م٠	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
نس	٢٠٠	فرنك
غرب	٢٠٠	فرنك

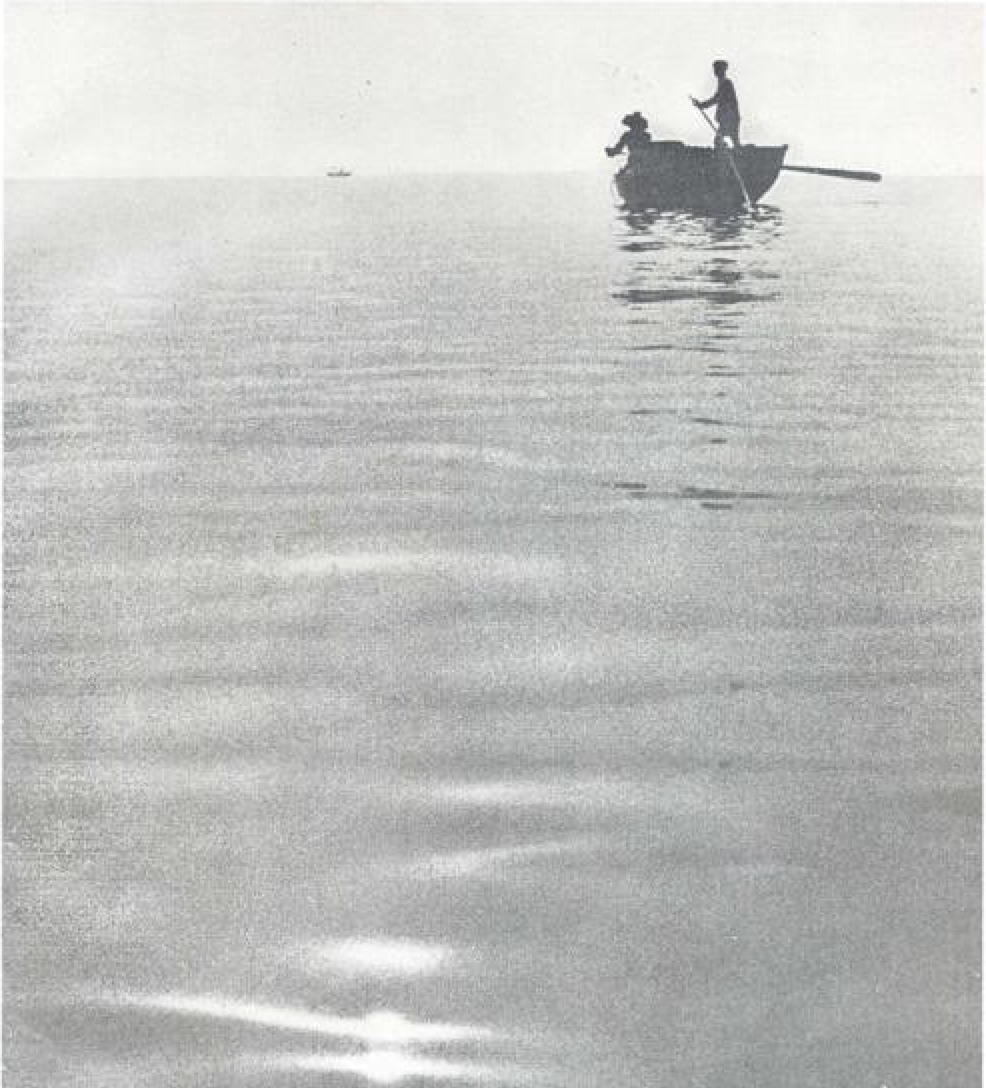

أربع صور فى الماء ، والشمس واحدة ؟!

جنديان فرنسيان : في انتظار نفخ البوق .
ايذانا بوقف اطلاق النار في الجزائر
(عن المجلة الفرنسية L' Express) .

عزيزي القارىء :

● ليس في أحداث العالم هذه الأيام حدث ، هو في الخطورة ، بحيث ظل العالم ينتظره بنافد الصبر ، كوقف اطلاق النار في الجزائر .

سبع سنوات شداد ، كشف الانسان ذو المدنية فيها عن طباع دونها طباع السباع الجياع ، وعن شراسة وطمع ونهم ، على الخسة والدناءة ، بحيث لو أمكن أن يكون في الشر سباق ، لسبق الانسان المتمدين ، وتخلف الحيوان .

وبطولة من أهل ذلك البلد العربي الكريم ، في هذا الجيل، تضرب مثلا للانسان في سائر الأجيال . فلم يكن في مشرق الأرض أو مغربها ، ولا في حاضر الزمان وما نذكر من ماضيه ، صمود كهذا الصمود الذي كان . صمود القوة القليلة للقوة الهائلة ، والنفر القليل المنتشر هنا وهناك للجحافل المترامية . ولقد كاد أن يكون كصمود الأعزل للمدجج الى ذقنه بالسلاح .

ثم هو صمود الفقر للغنى .

ثم هو صمود البلد الواحد المستعمر ، للعالم المستعمِر كله .

ولقد كاد الميزان ان يميل احيانا ، بحكم الكثرة المريعة في عدد وعتاد ، لولا ايمان شديد فيه الموت على العزة خير من الحياة على الذلة . وفقد الابن ، وفقد الأب ، وفقد الزوج ، يهون عندما لا يكون للقوم الكرام في غدهم غير الخضوع والخنوع .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات :

لغة وآداب :

طب وعلوم :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٥١٨١ ــ تلغرافيا « العربي »

العنوان ببيروت : ص . ب ٤٦٧٩ ــ العنوان بالقاهرة : ص . ب ٣٧٢

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

ـــلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● منذ ربع قرن لم يكن فى الكويت سوى مدرستين ابتدائيتين للبنين ، ليس بهما أكثر من ستمائة تلميذ ، بينما لم يكن للبنات فى المدارس الرسمية مكان – أما اليوم فان عدد التلميذات فى مدارس الحكومة وحدها قد أربى على سبعة عشر الف تلميذة .. وصورة الغلاف لطالبة كويتية تقوم بتحضير غاز الكلور فى معمل الكيمياء بالمدرسة التى تتعلم فيها .

(اقرأ الاستطلاع ابتداء من صفحة ١٢٣ من هـــذا العـدد ...)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن . العـــراق ١٢٠ فلسا . ســورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

خرائط للوطن العربي

● لقد تلقفنا هدية عدد يناير من « العربي »(خريطـة الجمهوريـة التونسية) بـالغ الشكر وعميق الاعجاب لدقتها واتقانها ، وتمنينا لو انكمتواصلون اصدار خرائط بنفس المقياس في الأعداد القادمة لباقي اقطار العالم العربي ، حتى يتاحلنا جمعها والحصول بذلـك على خريطة كاملـة للوطن العربي ، فتعم الفائدة وتضيفون فضـلاجديدا من افضال « العربي » ومزيدا من نـور المعرفة بين أرجاء الوطن العربي ، ولا أخالكم الا مجيبين هذه الأمنية .

هذا وارجو أن تتقبلوا بصدر رحب ما لاحظناهمن ان الصورة المنشورة في صفحة ٦٢ بعدد فبراير من « العربي » لا تمت بصلة لجنازة المغفور لهالزعيم مصطفى كامل . فهي صورة يتضح لمن يتاملها انها حديثة العهد أخذت خـلال عهدالجمهورية . يؤيد ذلك علم التحرير المرفوع في مؤخرة النعش ، كما يؤيده احاطة النعش بجنودمن الجيش والبحرية وهم يرتدون الكاب وان اغلب المشيعين بلا غطاء للرأس . فضلا عن كثرة وجود السيارات في الصورة ، ووجـود علامـات المرور المبثوثة على جوانب الطريق ، وان العلم المغطى به النعش هو العلم الأخضر ، علم مصر المستقلة ، بينما كان العلم في عام ١٩٠٨ هو العلم التركي الاحمر ذا النجمة الواحدة . والظاهر أن الصورة لشهيد من شهداء بورسعيد .

المهندس
عبد الله الانجبارى
الاسكندرية

« العربي » : شكرا على تحيتكم أولا ، وسنعمل قدر الامكان على تحقيق رغبتكم ورغبة الكثيرين من القراء بشـأن الاستزادة من الخرائط عن أجزاء الوطن العربي التي تستطلعها . وقد نشرنا بالفعل خريطـة السودان مع عدد مارس الماضي . أما الصورة فهي فعلا لجنازة المرحوم الزعيم مصطفى كامل . وهو كان له جنازتان ، جنازة يوم مات عام ١٩٠٨،وجنازة لنقل جثمانه الطاهر من مقبرته القديمة الـى مقبرته الجديـدة في عهـد الثورة المصرية . والصورة التي نشرناها هـي للجنازة الثانية ولعله قد فاتنا أن نذكر ذلك .

الى الأمام

● انه ليسرني أن يكون كتابي اليكم كتاب شكر وامتنان على ما تبذلونه من جهد ، وكتاب دهشة واعجاب بما وصلتم اليه من ذروة في عملكم البناء. وانه لمن سوء حظي ان مجلتكم الصاعدة لم تشرف بين كتبي الا قبل ستة اعداد ، واستطيع القول ان مجلتكم الرائعة ، عدا عن انها مجلة أدبية راقية ، هي كتاب ثقافة عامة يأخذ من كل علم بطرف ، وما أحوج الأمة العربية فيظروفها الحاضرة الىمعلم قدير يتمثل في مجلتكم الفتية ، ليسير بها الى منابع النور وسبل الهداية . وكم نتمنى ان تنتشر حلقة الثقافة في البلاد العربية وتتسع وان تنهج باقي المجلات نفس السبيل الذى تسـر عليه « العربي » ليتألق في سمائنا أكثر من نجم واحد ..

سيروا الى الأمام بخطى جريئة . وفقكم الله وانار سبيلكم ، واداكم خيرا ومنهلا عذبا لهذه الأمة المتعطشة للعلم ..

يوسف عثمان جبريل
جامعة دمشق ـ كلية الآداب

تحية من البرازيل

● تسلمت في أواسط الشهر الماضي ، رسالة جوية من صديقي الحميم الاستاذ وديع فلسطين (القاهرة) يقول فيها انه أرسل اليّ بالبريد البحري جزءا من مجلة « العربي » الكويتية ، فيها مقال عني بقلم الاستاذ خليل الهنداوي ، فرحت من ذلك الحين أنتظر وصول « العربي » التي لم أسمع بها من قبل رسالة الصديق الوديع، وما زلت أنتظر الى أمس اذ طلعت عليّ بحجمها وشكلها وصورها الجميلة الملونة وموضـــوعاتها الراقية . فشكرت للصديق الكريم مقاله عني في هذه المجلة الجميلة الراقية التي كنت أجهـــل حتى اسمها ، فلما رأيتها رأيت فيها لؤلؤة من لآلىء الكويت لامعة وهاجة ، رحت اتصفحها واتذكر مرات طيبة وساعات هنيئة كنت أجلس فيها بلبنان الى بعض أمراء الكويت التي كنت أرغب في زيارتها لأتعرف الى سمو أميرها الاكبر الأمير عبد الله السالم الصباح ولأطلع على ما فيها من نهضـة عمرانية وادبية ، ولأرى بحرا غير البحر المتوسط ومحيطا غير الاطلنطي !

فسلام على الكويت وعلى أمرائها وشعبها عامة ، وعلى بحرها وما فيه من لآلىء . ولمجلة «العربي» والاستاذ خليل الهنداوي ، والصديق الغالي وديع فلسطين اللذين كانا سببا لاطلاعي على « العربي »، ولكل العاملين فيها أطيب التحية والتقدير .

الياس فرحات

ميناس ــ البرازيل

الدعاية الاسرائيلية في المانيا

● انا طالب اردني اقيم في المانيا الغربية منذ أربع سنوات ، استطعت خلالها ان المس مبلـغ صداقة الشعب الالماني للعرب ، على الرغم مـن تفاهة الدعاية العربية هنا ، وضخامة الدعايـة الاسرائيلية ، سـواء في الصحف أو الاذاعـة أو التلفزيون .

وقد زارني اخيرا عمي قادما من الوطن ، وقدم لي عدد ديسمبر من مجلة « العربي » فسررت به كثيرا وطالعت ما فيه بشوق ونهم ، وأعجبتني مناظر « أريحا » و « السالمية » ، واخذت أطلع عليها الالمان الذين أعرفهم فكان معظمهم لا يصدق ان هذه مجلة عربية ، وان تلك المناظر الجميلة في بلاد عربية .. سيبقى عدد « العربي » عندي تذكارا لما بلغه الوطن العربي في سـلم الحضارة والرقي .

حبذا لو فكرت وزارة الارشاد والانباء الكويتية في طريقة تضمن وصول « العربي » الى العواصم الأجنبية في أوروبا وأمريكا وغيرهما ، وحبذا لو عملت على اصدار نسخة منها باللغة الانجليزية أو غيرها من اللغات الحية ، لتكون خير دعاية للوطن العربي في الخارج .

عصام البنـد

المرأة وانجاب البنين

● أنبتم علميا في العدد (٣٨) من « العربي » ان الرجل هو المسئول عن انجاب الاناث او الذكور وليست المرأة .

ومن طريف الأمر ان المرأة العربية قد ادركت هذه الحقيقة من قديم الزمان ، فقد كان لرجل من العرب اسمه أبو حمزة زوجة أنجبت له عددا من البنات ، ثم حملت ، وكان أبو حمزة يتشوق الى ولد ، فلما وضعتها أنثى ، ضاق بها ، وهجرها وعيالهـا ومكث عند الجيران ، وفي سكون الليل سمعها تهدهد ابنتها الصغرى حتى تنام ، بهذا النشيد الجميل : ــ

مـا لأبـي حمـزة لا يأتينـــا
يظـل في البيت الذي يلينـا
غضبـان ألا نلِدَ البنينـــا
تالله مـا ذلـك في أيدينـا
فنحـن كالأرض لزارعينـــا
ننبت ما قـد زرعـوه فينـا

فثار ابو حمزة حتى بكى ، ورجع في الحال الى ام عياله . ترى كم من حمقى الرجال في كل عصر ، لم يدركوا ما ادركته هذه المرأة العربية بفطرتها السليمة .

احمد المتيب

معارف قطر ــ الدوحة

(البقية على صفحة ١٤٨)

أقراص هذه، لتمنع الحمل

أم هي لتهدم البيت

قد تنفع الأسر
ولكن قد يكون لها في المجتمع أكبر الخطر
وعلى الأخلاق والفضيلة، أسوأ الأثر
وقد يمتنع بها الزواج، فيكون من ذلك فناء البشر

■ كتبنا فى العدد الأسبق من «العربى» كيف يمتنع الحمل بمراعاة مرحلة يمتنع فيها الاخصاب عند المرأة فى الدورة الشهرية التى هى اربعة اسابيع او نحوها .

وكتبنا فى العدد السابق كيف يمتنع الحمل بتعاطى المرأة اقراصا اكتشفت حديثا لمنع الحمل .

وكتبنا فى هذا العدد الحاضر ثالثة المقالات واخيرتها، فى كيف يمتنع الحمل باقراص يتعاطاها الرجل تمنع الحمل عند المرأة .

كشوف حديثة مما يكتشف العلم فى هذه الأيام الجارية . يقرأها الزوج ، او تقرأها الزوجة ، وكثيرا ما يبتهج هو، او تبتهج هى ، من كشوف كهذه جديدة، اذا كانا ممن يعانون فى الحياة قلة الكسب مع كثرة الاولاد .

صورة يتحلب لها القلب رحمة

ولقد قرأت استطلاعا حديثا عن حالة مجتمع من العمال، فى مصنع ، لعله فى المدينة الصناعية ، شبرا الخيمة ،ورايت منظرا يندى له الجبين ، وتتحلب له من القلب الرحمة : صورة لزوجة عامل . شابة ، عند باب حجرتها الواحدة ، تغسل ملابس بناتها وبنيها الأربعة ، فى طشت عند الباب ، حيث يوجد ماء فى زير ، وهى مشتتة المجهود بين الغسل والطبخ والحياكة ونظافة البيت ، نظافة الحجرة الواحدة . وكل هذا الى جانب رعاية الأطفال فى أسنانهم المختلفة ، وعلى اختلاف حاجاتهم باختلاف أعمارهم .

ويسألها الصحفى عن حالها التعس ، فتقول ماذا أصنع . لقد دفعت جنيها لمن وعدنى بدواء يمنع الحمل لم تكن له من فائدة . وجنيه تدفعه هذه المسكينة يدل على الرغبة القوية والعزم الصادق على الوقوف بالأسرة الفقيرة ذات الحجرة الواحدة ، عند هذا الحد .

ولتشتيت الشمل

بقلم
رئيس التحرير

اقراص تقع من حاجة الناس فى الصميم

اقول ان الأقراص الجديدة، لمثل هـذا الحال فى الشرق كلـه ، مـن سـاحـل المحيط الاطلسى عنـد افريقيا ، الى سـاحـل المحيط الهادى عند الصين ، شىء يقع من بعض حاجات الناس ، واجـراء الحياة ، فى الصميم .

الأقراص اختفت من اسواق الولايات

وما الغرب باقل حاجة من الشرق . انزلوا هذه الأقراص فى الولايات المتحدة الى السوق ملايين،فلم تلبث أن اختفت، تماما كما تلقى بألف الف رغيف لألف

أقتـرح

أن لا يبقى أحد ، قارب العشريـن ، من البنـين والبنات ، وحتى الطلاب والطالبات ، بدون زواج، وقبـل أن يتيسر لهم اكتمال التعلم والكسب ،

وأبناء البيت ، وأستثنى الريف وقراه .

هـذا ، لأننا نريد أن ندرأ عنـا نتائج تجربـة الغـرب .

ومن لـم يرض هـذا اقتراحاً فليأت بخير منه .

أن قراناً فى ظـل الله ، خير من اقتران فى ظـل الشيطان

الف من الجياع .

مؤتمران ينظران فى امر هذه الاقراص

ومن خطورة هذه الكشوف ان القاهرة دعت الى مؤتمر من بعض دول الشرق وبعض دول الغرب للنظر فى هذه الكشوف ، وجعلت له موعدا مارس هذا، عام ١٩٦٢ . ولكن ما كادت تسمع دول الغرب بهذا حتى اقترحت لخطورة الأمر ان يكون المؤتمر دوليا عاما . ووافقت القاهرة . واخذت تدعو الى المؤتمر لينعقد فى مايو القادم .

ومؤتمر آخر تقرر عقده،دولى كذلك، فى الهند ، فى شهر ابريل . وقد يؤجل بعد ان تأجل مؤتمر القاهرة .

وان تكن القاهرة ، والشعب العربى الذى له القاهرة عاصمة ، فى حاجة الى هذه الأقراص للحد من النسل ، فنيودلهى ، والشعب الهندى الذى له نيودلهى عاصمة ، فى حاجة اشد الى الأقراص ، وهو الشعب الذى خصص مئات الملايين من الجنيهات ، ينفقها فى خمس سنوات ، فى سبيل الحد من النسل حتى تدخل اعداد الخلائق هناك فى نطاق الاطار الاقتصادى المستطاع،وفى حدود امكانات البلاد .

كل كشف له صفحتان : بيضاء وسوداء

كشوف هى اذن لا شك خطيرة ، فى شرق وغرب .

ولكنها ككل كشوف العلم ، لها نفعها ولها ضررها .

لها الجانب الابيض ، والجانب الآخر الأسود . كاليوم ، نهار وضّاح ، وليل مظلم .

الصفحة البيضاء

ان يأخذ الزوج او تأخذ الزوجة هذه الأقراص ، ليكون لديهم من الأولاد العدد الذى يكفيه ما يكون لهما من كسب ، للعيش المحتمل الكريم الذى لا يهبط بالناس الى مدارج الحيوان ، شىء لايمكن الاعتراض عليه ابدا . بل هو صار اليوم رغبة الأكثرية الكبرى من الناس . حتى أولئك الذين قالوا باطلاق النسل ، والمنتظرون الرزق أن يهبط عليهم من السماء ، أدركوا أن السماء كثيرا ما بتخلف رزقها . وعادوا يقولون ان الله فى عون المرء ما دام المرء فى عون نفسه .

الصفحة القاتمة

ولكن تتراءى خطورة هذا الكشف الجديد اذا أخذ المرء ينظر اثره خارج الأسرة . ان اثره قد يمتد الى احتمال انشاء الجديد من الأسر ، فيصبح ، لا يمنع النسل وحده فى الأسرة القائمة ان لا يكون فحسب ، ولكن يمنع هذه الأسر نفسها من أن تكون .

العلم والصناعة

قلبا مجتمع الانسان راسا على عقب

ان العلم قلب المجتمع الانسانى راسا على عقب ، فليس مجتمع اليوم هو مجتمع الناس الذى عرفوه والفوه منذ قرون . واذا قلنا العلم ، فقد قلنا الصناعة ، وقد قلنا التكنيّة ، وقد قلنا الانتاج الهائل الذى يقوم على القدرة العارمة المستنبَطة من الفحم والزيت ، والماء المتدفق ، وأخيرا من الذرة .

هذا المجتمع الجديد جمع الملايين فى المدينة الواحدة ، تلك الملايين التى كانت تفرّقهم الزراعة على القرى .

وهذا المجتمع الجديد أمّن للناس عيشا أرغد ، وزاد فى الأعمار بعلاج الأمراض ، فزاد الناس على الصحة اعدادا .

المجتمع الكبير أمّن للفرد حرية العمل وحرية السلوك

وهذا المجتمع ، بتجميع الناس فى مراكز الصناعة آلافا مؤلفة ، جعل الفرد

« المجتمع المدني الحاضر أخرج الفتيات من المنازل الى المصانع طلبا لرفع مستوى العيش »

منهم يسير فى الزحام فلا يكاد يقع على وجه يعرف فى الالوف ممن يلقى من بنى الناس . فهو فى مدينته الصناعية غريب غير معروف . وقد كان فى القرية او فى المدينة الصغيرة ، لا يمر فى طريق حتى يلقى العشرات ممن يعرف ،أو ممن يعرفونه . حرية العمل ، وحرية السلوك فى المدينة الكبيرة ، هما اذن أكثر كثيرا من حرية العمل والسلوك فىالقرية او المدينة الصغيرة القديمة . حرية يحظى بها الغريب دائما بين غرباء ، فى غيبة الرقباء .

المجتمع الجديد زاد فترة استعداد الشباب للكسب

والمجتمع الصناعى الجديد ، او المدنى الجديد عامة ، جعل فترة استعداد الشباب للكسب أطول . فى الريف يستطيع الصبى أن يعمل ما استطاع ساعدا : أن يحمل الفأس او حتى ان يقود البقرة . ولكن فى المدينة المدنيةالحاضرة، لا يستطيع الشاب ان يكسب حتى يتعلم ويتدرب ، فحتى يقارب سن العشرين ، فان طلب مهنة أرفع وادق ، لم يستطع كسبا الى بعد الخامسة والعشرين فما بعدها .

المجتمع الجديد اخرج الفتيات لتعمل الى جانب الفتيان

والمجتمع المدنى الحاضر ، فى سبيل طلب الثمرات المدنية الحاضرة ، وعلى عدم الرضا بالمستوىالخفيض من العيش، أخرج الفتيات من المنازل تعمل الىجانب الفتيان فى المصانع والمتاجر والمكاتب . وانا اتحدث عن الأمم السابقة فى المدنية . الولايات المتحدة ، كندا،انجلترا ،فرنسا، المانيا ، السويد ، النرويج ، سويسرا ، ايطاليا ، أوروبا ، روسيا ، اليابان ،وغير هذه . وعددتها عدا حتى لا يخرج صوت من جنجر فى قرية لا تدرى ما الدنيا ، ولا تحس بها الدنيا ، ليناقض فى جهل شديد ما أقول ، ولينعى الحال حتى كأنما هو بنعيه هذا سيقف الفيض الذى غمر نصف الناس فى الأرض ، واذن فهو من بعد هذا النعى لن يغمر سائرها.

المجتمع الصناعى المدنى الحاضر ، فى أمم المدنية هذه التى ذكرنا ، اخر الموعد الذى تبنى فيه الأسر فىالمجتمع الانسانى تأخيرا كبيرا . واجل الزواج ، الذى كان يتم فىالريف دون سن العشرين، الى ما وراء العشرين ، فالخامسة والعشرين ، فالثلاثين . ويلتقى الفتى بالفتاة ، فتجرى بينهما اتصالات تطول، أملا فى الأسرة التى تكون أو لا تكون . وهذه الاتصالات صارت فى الأمم التى ذكرنا ، شيئا عاديا مما يألف الناس هناك . ان ثلث السكان فى بعض الأمم لا يكادون يفرقون بين علاقات تقع فى

نطاق الزوجية ، واخرى مثلها تقع قبل الزوجية ، وفي غير نطاقها .

السخط لا يجدي

ولنسخطْ ما شئنا ، ولنغضبْ لهذا الحال ما وَسِعنا الغضب ، فلن يغيِّر هذا من الواقع شيئا . انه الانسان الذي خلقه الله ، وبالعقل الذي وهبه الله ، صنع هذه المدنية الصناعية ، التي لاشك أرادها الله ، فصنعت له هذا المجتمع الذي أدى به الى هذه الحال .

وهذه حالٌ تذكَر لا شك فتنكَر . ولكن ماذا ينفع النكران .

ان الأقراص الجديدة تزيد الحال وبالا

وهذه الأقراص الجديدة سوف تزيد الحال وبالا .

ان الحافز الجنسي هو الذي يصنع الأسر . والحافز الجنسي قد ينفصل عن صنع الأسرة فلا يؤدي اليها ، كما في أكثر الحيوانات . ولكن الحافز الجنسي في الانسان يدفع الى الأسرة بدافع خطير ذلك خشية الحمل .

فالأقراص الجديدة سوف تؤكد منع الحمل ، فهي ستزيد فصل الحافز الجنسي عن احتمال بناء الأسرة فصلا أشد . سوف تحدث العلاقات بين الفتيان من العمال ، والفتيات العاملات ، دون خشية . دون تلك الخشية التي كانت تدفع الى بناء الأسرة وانتاج الاولاد .

وهذا قلب للمجتمع الانساني ليس بعده قلب .

وهو قد يقود الى فناء البشر ، لولا ..

لولا

لولا ان الذي يحفز الى الأسرة ليس الحافز الجنسي وحده . ان العيش الأسروي متغلغل في طبع الانسان لا سيما اذا تقادم به الزمان : الزوجة ، الأم . الطفل الحابي والجاري . الحنوّ والتحاني . كلها بعض طبيعة الانسان .

وحتى الحيوان . ان من الحيوانات ما يعيش في الأسر ، وهي تعني بنيها والبنات : الأسد واللبوة ، النمر والنمرة . القرد والقردة . انها لا تعرف المأذون الشرعي ، ولكل في جبلّتها مأذون ومأذون .

ولقد توّج الانسانُ هذه الخلائق جميعا ، فالأسرة ، والعيش الأسرويّ ، في جبلّته أقوى ما يكون .

آراء تناقض الطبيعة نقضا

ولكن تنشأ في العقل الانساني العجيب آراء تناقض الطبيعة وتنقضها نقضا :

جاء هتلر فقاد أمته الى الحسن والقبيح . ومن قبيحه انه ساق الشبان والشابات الى معسكرات في الريف البعيد ، وجعل من هذه مفارخ تفرخ كما يفرخ الدجاج ، في اختلاط ، انتاجا للدولة . والأفراخ الناتجة ملك الدولة ، والدولة أمهم ، والدولة أبوهم .

انتهاك للنظام الأسروي لا يماثله انتهاك . وادعى هتلر ان دعوته ، في كل الأصقاع ، انما هي من وحي الله ، وانتهى بصرخات ، كنا نسمعها على اللاسلكي ، فنحسب انه يريد أن يقول انه الله !

وذهب هتلر ، وعادت الطبيعة الانسانية الى الأمة الالمانية ، وعادت الأسرة تحتل مكانها في المجتمع .

والنساء مشاع

وجاءت الشيوعية الى روسيا عام ١٩١٧ ، وشاعت الشائعة انها شيوعية شملت كل الأشياء . ومن الأشياء النساء .

جمحات في الفكر الطليق الذي لا يتقيد بمنطق . وهو اذا انطلق لا بد أن يسير الى آخر المطاف .

ومن العجيب ان هذه الشائعة هالت الشيوعي الأكبر ، لينين . فقام ينكر ان

العيش الأسروي متغلغل في طبع الانسان اذا تقادم به الزمان . الزوجة الأم ، الطفل ، العنو والتحاني ، كلها بعض طبيعة

النساء ، كالعقار وكالأرض ، بعض متاع . وانكر انهن ، كسائر ما يملك الناس ، متاع .

الشرق منساق في طريق الغرب

واكتب ما اكتب ، وصورة الغرب هي الماثلة في ذهني . صورة أهل المدينة الغربية الحاضرة . وانتقل بفكري الى اهل الشرق فأجدهم سائرين في نفس الطريق ، طريق أهل الغرب ، على درجات .

الصناعة تغزو . وضرورات العيش اخرجت الكثير من النساء الى العمل في مصانع ومتاجر ومكاتب ومستشفيات ومدارس . والجامعات جمعت بين ذكور مراهقين ، وآناث مراهقات ، وكذلك بين من فاتوا عهد المراهقة من ذكور واناث .

واليوم ، تقاسمته الحياة الجديدة مناصفة ، بين البيت ، وبين مسالك الحياة والرزق ، في كثير من قطاعات الأمم ، الا في بدو ، والا في ريف ، والا في مدن صغيرة معزولة ، لم يمسها بعد للمدنية زحام ، ومع الزحام عرام .

واصبح بذلك أمر الجنس في الشرق امرا وجب ان يؤرق المفكرين .

واختلف انفعال الناس بهذه الحال .

أهل الأخلاق يصيحون

أهل الأخلاق يصيحون با للعار والشنار ، وبضرورة وقف هذا الحال ! وهي صيحات دلت التجارب على ان نفعها لا يتعدى الصائحين بها ، ينفسون بها عن صدورهم ، وترتاح بذلك الصدور . والحياة تجرى ، من بعد صيحة ، جريها من قبل صيحة ، لا يعتريها فتور ولا تغيّر سبيل .

ولقد كان في الغرب مثل هذه الصيحات فما نفعت .

ورجال علم الاجتماع يقولون

ورجال علم الاجتماع اليوم يقولون ان المبادىء الأخلاقية التي درج عليها الناس ، وتوارثها اب عن جد ، صارت هي نفسها اليوم قضايا ، يجوز عليها الحق والبطلان .

ورجال علم الاجتماع يقولون ان الاستعانة بالدعوة الى الخلق الكريم لا يمكن ان تنجح في الحيلولة بين غرائز الأجسام والأنفس ، وبين انطلاقها . فالرجل الذى بلغ العشرين ، وهو لا يتم دراسته الا في الخامسة والعشرين ، وهو لا يستطيع الكسب الكافي للزواج الا في نحو الثلاثين ، هذا الشاب أخفقت التجارب في الحيلولة بينه وبين كبت الغرائز حتى يكون زوجا بمطالب العيش كافيا . وبالتجارب هنا اقصد تجارب الغرب .

ورجال علم الاجتماع ، من أهل الغرب ، يرون في التطور الذى حدث ، انتصارا لهذه الغرائز ، وخذلانا لما يدعو اليه انصار الفضيلة في أهل الغرب . ذلك انهم انما دعوا الى الكف والصبر .

وابى الطبع أن يكف ، وان يصبر . دعوا الى السلب ، ولم يكن فى دعوتهم ايجاب.

التحلل يشقي

وشقي أهل الغرب بالتحلل الذى كان .

وكان النساء به اشقى . شقيت الفتاة جسما ، وكانت بالعاطفة اشقى .

غرائز الجنس جرت بحيث عارضت غرائز انسانية أخرى ، تلك الجنوح الى الرجل الواحد ، فى البيت الواحد ، على الألفة الوثيقة التى تزيدها الأيام وثاقة ، وبها وعليها تنضج على الرضى الأعمار .

البيت عش ، والتعشيش من طبع الطير . وهو أقوى فى طبع الانسان منه فى طبيعة الأطيار .

حافز الجنس هدم حافز العش ، فى الغرب خاصة . جبلة عارضت جبلة . وشقي بينهما الانسان .

وهذه الحبوب ، مانعة الحمل فى امرأة او فى رجل ، أخشى ان تزيد فى هذه الناحية من شقاء الانسان .

لا فرق بين غرب وشرق

ومن الناس من يقول الغرب غرب ، والشرق شرق .

وأنا ممن يقولون بأن الغرب والشرق واحد ، لولا خزعبلات تنشأ عن عصبيات باطلة ، وحماقات بينة ، وآفاق فى العرفان ضيقة .

فى الغرب انسان ، وفى الشرق انسان . والله لم يخلق انسانين ، وانما خلقه انسانا واحدا . دل على هذا العلم المعروف « بعلم الانسان » ، ودل عليه تاريخ الأمم فى شرق الارض وغربها ، وفى كل الأزمان . الغرائز واحدة ، والجبلات واحدة . والأمجاد واحدة ، والسفالات واحدة ، ومزالق العيش واحدة ، ولا فرق بين أن تنزلق من الانسان قدمه اليمنى ، أو تنزلق قدمه اليسرى .

ما وقع فى الغرب ، واقع لا محالة فى الشرق

من أجل كل هذا أقول ان الذى وقع فى الغرب ، فى أمر الجنس ، لا بد واقع فى أهل الشرق ، ما تقلص الريف فى الشرق كما تقلص فى غرب ، وما امتدت المدن بالصناعات وكبرت وازدحمت ، وما زحف العلم بجحافله على الناس ، وما ترك الناس أحرارا ، ومع الحرية نقض من تقدير مألوف ، وفى احترام موروث معروف .

ان الغرب يزحف على الشرق بنظم سياسة ، وأساليب صناعة ، وبقوانين مالية ، ومبادىء اقتصادية ، فلم لا يزحف بنظمه الاجتماعية ؟ انه زاحف زاحف . بل لقد زحف .

فان كنا لا نرضى هذا الزحف جميعه ، فان اكثر ما لا نرضى منه زحف شئون الجنس على بيوتنا ومجارى حياتنا .

واعود فأقول لا ينفع فى دفع الزحف نداء بتمسك بفضيلة . انه نداء ينفع فى القليل ، ويفشل فى الكثير . يرى ذلك كل من له عين تبصر ، يدور بها فى مجتمعنا الشرقى حيثما دار .

الرأى عندى

والرأى عندى أن فيضان النهر ، اذا لم يكن من الممكن دفعه بالسدود ، مواجهة ، فقد يمكن دفعه بتحويل مجراه . بتحويل اتجاهه .

الجنس فى الشباب قوى ، وهو فى العشرين فما بعد أشد قوة . والشاب يظل يدفع ثم يدفع ، ويستمسك بالعروة الوثقى حتى يزل . وكثيرا ما يفلت الزمام . والأمم اليوم لا يحكمها الايمان بمقدار ما يحكمها الشيطان . وقواعد السلوك فى أمم الغرب هى اليوم فى تحليل وتغيير وتبرير . حتى القاتل لا يقتل لأنه ما قتل الا لمرض نفسانى ، واذن فعقوبة الاعدام لا تكون .

وعلاج هذا الحال ، فى شرقنا هذا ،

وقبل ان يأتينا السيل : الزواج .

لقد ربطنا الزواج بالكسب ، واقترح ان نفصل بينهما . ان شرط الكسب والقدرة عليه ، في الزوج ، معوق . هذا شاب في ضحوة العمر ، وهذه الشابة ، فليقترنا في ظل الله ، وعلى هديه .

وليمض كل في دراسته وفي تدريبه وتحصيل العلم والفن للمهنة القادمة والكسب المرجو ، على هدوء أعصاب وصفاء فكر ، وتفرغ لما هما في سبيله من تأمين الحياة وسعادتها ، (وليذكر الآباء الكهول ما كان لهم من عكر في الفكر ، واضطراب اعصاب ايام الشباب) فان وسعهما مكان تحت سقف ابيه وامه فبها ، والا ظل كل يحتل الرقعة التي كان يحتلها قبل زواج تحت سقف ابيه وامه ، يحدوهما الأمل في ذلك السقف الواحد الذي سوف يجمعهما معا ، فيكون في هذا حافز شديد على العمل ، رجاء تحقيق الأمل .

والاولاد ... ؟

وسوف تقول فما بال الاولاد ؟

واقول ان الأقراص ، هذه الجديدة على البشر ، سوف تقوم عندئذ بخير ما تقوم ، فتمنع النسل حتى يطيب وقته ويحين . واذن هي تستخدم لخير البشر ، ولتأمين الحلال ، بدل ان تستخدم ، كما يخشى ، لتحمي العلاقات التي تكون في غير ظل الله .

ولن يكون عند أب ، لفتى أو لفتاة ، ما يشكوه . انه كان ينفق على ولده في الجامعة ، أو في التدريب على المهنة ، الى سن العشرين ، فما فوق العشرين ، وهو فرد غير متأهل ، فما ضره لو ظل ينفق عليه وقد تأهل ، وظل الحال هو الحال .

استثناء

واستثني من اقتراحي هذا كل بلد ، كالكويت ، فيه الرزق ميسور ، فالكسب الباكر ميسور ، فالزواج الباكر ميسور .

كذلك استثني كل الريف وقراه ، ففي الريف تجري الحياة على حكم الطبع ، ولم تدخله بعد صناعة ولا اصطناع ، فالزواج الباكر فيه داب كل فتى وفتاة .

واخص باقتراحي المدن ، حيث الصناعة والمدنية غيرتا مجرى الحياة الانسانية ، وقلبتا اسلوب العيش راسا على عقب . فتصحيح الأوضاع هناك ، بالرجوع الى الزواج الباكر ، انما هو أسلوب الطبع ، أسلوب الله ، أسلوب نبي الله والصحابة والتابعين ، والسادة من أجدادنا الأكرمين ، قبل أن تكون صناعة حديثة ، وعلم حديث ، وتكون مدنية خطيرة جبارة مستعدة لأن تهرس بعجلاتها الضخمة كل من يقف في سبيلها هرسا .

انه لا مفر من الرجوع الى الزواج الباكر اذا ما شئنا لقانون الكيان الانساني ان يسود ، ولصرخات الطبع ان يحتفل بها ، وللسلام والطمأنينة أن يخيما على انفس الناشئين والناشئات والحياة في اوج ازدهارها .

اقتراح لا بد ان يدرس

وهذا اقتراح لا بد ان يدرس ، فيقبل من بعد هذا أو يرفض .

وهو اقتراح ليس للفرد وحده ان يقول فيه بقبول او رفض . انها مشكلة لا بد ان تتدخل فيها الدولة ، اي دولة فهي من امس الأشياء بحياة الناس وهم في ضحوة الحياة . وهي تتصل بالأرزاق وتعجيلها ، وبيد الدولة مساك تعجيل الأرزاق . وليس من صالح احد ان تغمض الدولة عن هذه الأمور عينا ، فقد راينا نتيجة ما كان من اغماض عين في دول المدنية الأخرى .

الحريق لا يطفا بالكوز والكوب

اقتراح شديد الوقع . هكذا انت تقول .

وشيء غير مألوف ولا معروف . وهكذا يقول جارك . ولكن الحريق فى البيت لا يطفأ بالمألوف المعروف من حاملات المياه . انه لا يطفأ بالكوز ، وبالكوب ، ولكن يطفأ بالجرادل والخراطيم . وعلى بعضما يصيبهالماء من الفرش العفاء.

هات خيرا منه

واقتراح غير مستطاب، ولا مستطاع. هكذا انت قد تقول . واقول : ان يكن كذلك ، فهات خيرا منه ، يقى ابنك الشاب من جرائم يأتيها تهد الكيان فى السر والخفاء ، أو من تحلل فاجر عاهر يصبح فى الشاب عادة ، وقد يكفيه عن زواج .

جامعة بالولايات المتحدة ، ثلث طلابها وطالباتها اقترنوا ، بعض ببعض على الزوجية ، وعلى الحلال

الزواج فى الجامعات

والمرء منا يقترح ما يقترح ، علاجا لأسواء . ومع هذا تظل فى نفسه مما يقترح ريبة . ثم تطلع على ما يشد أزر مقترحه ، ويزيده به ايمانا .

ولقد زاد مقترحى هذا ايمانا ما يقع اليوم فى جامعات امريكا . قرات عن جامعة بالولايات ثلث طلابها وطالباتها اقترنوا ، بعض ببعض ، على الزوجية ، وعلى الحلال. وذهبت الصحف تستطلع فوجدت الكثير الذى سر والقليل الذى ساء .

وما وقع فى جامعة لا بد وقع فى جامعات .

وكأمريكا انجلترا . حدثنى من أهلها من هو جدير بأن يدرى ، بأن الزواج الباكر بدا يسود بين اهلها .

الطلاق يحل العقدة اذا استعصت

وسهل هذا الأمر فى الولايات تسهيل شئون الطلاق فى بعض ولاياتها . فأصبح الزواج ليس بسجن الأبد .

ونحن فى الشرق ، فى أغلبه ، يقف الطلاق ، على قدم وساق ، علاجا حاضرا لحل كل عقدة أسىء عقدها ، وليس بمزر عندنا ان تتبدل الزوجاتالأزواج، او ان تتبدل الأزواج الزوجات ، ما بقى الناس فى حدود الفضيلة لا يخرجون عنها . وانا انما اسوق حديثى هذا للذينلايريدون أن يخرجوا عن الحدود . ذلك ان العلم ، بابتداع هذه الاقراص المانعة الحمل ، قد جعل فى الخروج من الحدود فناء البشر . ■■

احمد زكى

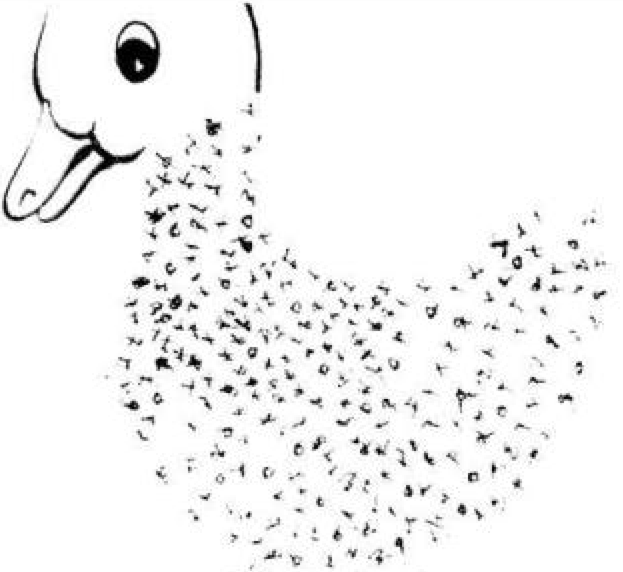

مسابقة العربي

اجمع هذه الأرقام واربح ١٠٠ جنيه

■ لمعرفة حل هذه المسابقة يكفى ان تكون دقيق الملاحظة ، وان فقدت القدرة على الملاحظة فهناك سبيل آخر ، ذلك الصبر .

فى الصورة أوزة ، بها أرقام ، ونطلب منك حاصل جمع هذه الارقام كلها .

ونلفت نظرك الى ان هذه الأرقام كلها مفردة . وهى : ١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥ ــ ٦ ــ ٧ ــ ٩ .

وترى من ذلك انه ليس فى الأرقام رقم ٨ ، وقد حذفناه حتى لا يلتبس بالرقم ٧ ، فليس بين هذه الأرقام رقم ٨ أبدا .

واعلم ان هذه المسابقة تحتاج لحلها ، اما الى ٦ دقائق او الى ٦٠ دقيقة ، فاختر ما يحلو لك .

شروط المسابقة

اكتب الحل على ورقة بهذا الشكل " مجموع أرقام الرسم هو : . . . . .

١ ــ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٧ .

٢ ــ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى ــ العدد ٤١ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر مايو (أيـار) ١٩٦٢ .

● **يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :**

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا . .

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا . .

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير . .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير . . وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . . ■■

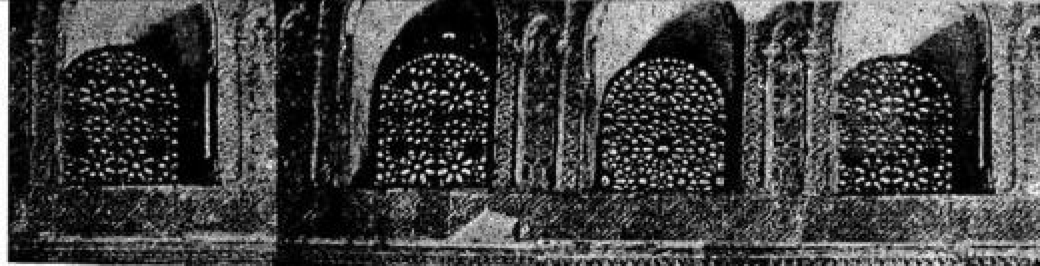

من روائع الشعر العربى القديم

أَقُرطبةُ الغَرَّاء !

« بين الحب والطموح ، بين رياحين الغزل ، وصخور السياسة والمجد قضى شاعرنا حياته ، دامي القلب دامي الاقدام ، انه الآن فى السجن يذكر قرطبة وايام صباه فيها » .

تَنَشَّقَ مِنْ عَرْفِ الصَّبَا مَا تَنَشَّقَا
وَعَاوَدَهُ ذِكْرُ الصِّبَا فَتَشَوَّقَا
وَمَا زَالَ لَمْعُ البَرْقِ ، لَمَّا تَأَلَّقَا
يُهِيبُ بِدَمْعِ العَيْنِ حَتَّى تَدَفَّقَا
وَهَلْ يملِكُ الدَّمْعَ المَشُوقُ المُصَبَّأُ ؟

***

رَمَتْنِي اللَّيَالِي عَنْ قِسِيِّ النَّوائِبِ
فَمَا أَخْطَأَتْنِي مُرْسَلَاتُ المَصَائِبِ
أُقَضِّي نَهَارِي بِالأَمَانِي الكَوَاذِبِ
وَآوِي إِلَى لَيْلٍ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ
وَأَبْطَأُ سَارٍ كَوْكَبٌ بَاتَ يَكْلأُ

***

أَقُرْطُبَةُ الغَرَّاءُ ، هَلْ فِيكِ مَطْمَعُ ؟

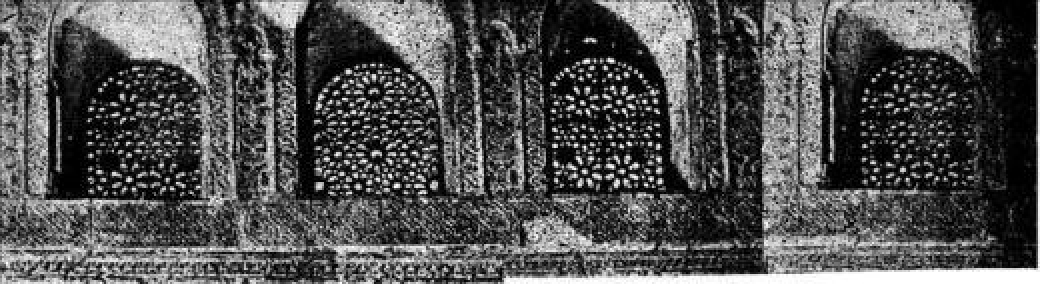

وَهَلْ كَبِدٌ حرَّى لِبَيْنِكَ تُنْقَعُ ؟
وَهَلْ لِلَيَالِيكِ الحَمِيدَةِ مَرْجِعُ ؟
إذِ الْحُسْنُ مَرْأى فِيكِ ، واللَّهْوُ مُسْمَعُ
وَإذْ كَنَفُ الدُّنْيَا لَدَيْكِ مُوَطَّأُ

★★★

أليسَ عَجِيباً أن تَشُطَّ النَّوى بِكِ ؟
فَأَحْيَا ، كأنْ لَمْ أنْسَ نَفْحَ جِنَابِكِ
ولَمْ يَلْتَئِمْ شَعْبِي خِلالَ شِعَابِكِ
وَلَمْ يَكُ خَلْقِي ، بَدْءُهُ مِن تُرَابِكِ ؟
وَلَمْ يَكْتَنِفْنِي مِنْ نَوَاحِيكِ مَنْشَأُ ؟

★★★

نَهَارُكِ وَضَّاحٌ ، ولَيْلُكِ ضَحْيَانُ
وَتُرْبُكِ مَصْبُوحٌ ، وغُصْنُكِ نَشْوَانُ
وأرْضُكِ تُكْسَى ، حِينَ جَوُّكِ عُرْيَانُ ،
وَرَيَّاكِ رُوحٌ لِلنُّفُوسِ ، وَرَيْحَانُ
وَحَسْبُ الأمَانِي ظِلُّكِ المُتَفَيَّأُ

« ديوان ابن زيدون »

طاغيـة القـرن الثـامن عشر :

نادِرْشَاه

الطاغية الذي اكتسح ايران والأفغان وتركستان والهند

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

الاستاذ بكلية التربية ــ جامعة بغداد

■ لم يعرف القرن الثامن عشر رجلا اعظم ولا أجرأ من نادر شاه ، فقد كان جبارا عنيدا ، لعب معه القدَر الاعيبه العجيبة .

فقد حاول ان يصبح رئيس عشيرة الافشار فأخفق ..

ثم حاول أن يصبح امبراطورا يحكم ايران والافغان وتركستان وشطرا من الهند .. فأفلح !

وبلغ من الفتوحات العسكريةما جعل المؤرخين فيما بعد يطلقون عليه لقب « نابليون الشرق » .. والظاهر ان الرجل العظيم لا يحسن الا العظائم ،وانه اذا ما حاول الأمور على مقياس صغير كان مصيره الفشل والاخفاق . وكذلك كان الشأن فىنادرشاه بينعظماء الرجال.

ولقد لقى العراقيون به الويلات ،كما لقى هو بهم الويلات ، فانتصر عليهم فى معارك محلية غير فاصلة .. وانتصروا

وهزيمة أهل العراق

هم عليه فى اخرى فاصلة حاسمة ودفعوا به الى ما وراء الحدود .

ولقد اذاق كركوك واربيل الأمرّين ، لانهما استسلمتا لوعوده المعسولة وامانيه البرّاقة ، واذاقته بغداد البطلة بعد أن حاصرها ثلاث مرات ، والموصل الباسلة ، دروسا اشبه بالدروس التى لقنتها « ووترلو » Waterloo لنابليون بعد ذلك بنحو ثلاثة ارباع قرن .

انها قصة من اعجب القصص فى التاريخ .. بدأت باعتداء احد حكام ايران الاقطاعيين على اخت امير الأفغان ، وانتهت بظهور طاغية مجنون اكتسح أمامه الجيوش وحطم الدول وثلّ العروش .. واليك القصة بأكملها : —

وليمة

حدث ذات مرة أن الأمير أويس الافغانى ، دعا أمير قندهار الايرانى ، الى وليمة اقامها فى خيام ضربت وسرادقات نصبت فى البادية ، فلمح الأمير الايرانى اخت الأمير الافغانى ، وكانت ذات حسن وفتنة ، فوقعت من نفسه موقع الهوى العارم ، فلم يمض كبير وقت حتى أولم هو الآخر وليمة ختان لأولاده دعا اليها الرجال والنساء ، وكانت اخت الأمير أويس بين المدعوات من النساء . فلما انتهت الوليمة ، حجر عليها ، ولم يعدها الى أهلها الا بعد أن نال منها مبتغاه . فلما اقبلت على ذويها ، ارادوا قتلها ، ولكنها أنقذت نفسها بقولها : « أنتم الذين حملتمونى على الذهاب الى الوليمة على كره منى وامتناع » .. فما كان من الأمير الأفغانى ازاء هذه الحال الا أن شكا أمره الى الشاه . غير أن هذا لم يعبأ به ولم يقبل شكايته ... فيمّم أويس وجهه شطرَ مكة ، وبسط ظلامته لعلمائها ورجال الدين فيها ، واستشارهم ، فاشاروا عليه بمحاربة الشاه .

بيد انه لم يكتف بهذه المشورة وحدها ، فاخذ سمته الى المدينة ، وبات ليلته هناك عند قبر

الرسول الكريم ، فحلمَ أويس ، ويا روعة ما حلمَ ، حلمَ بالرسول الكريم ينهض من قبره ويقلده سيفا .. فينتبه أويس من نومه مبهورا مسرورا ، لان ما رآه كان دليلا قاطعا على أن الرسول يطلب اليه محاربة السلطان الجائر ، فيعود الى بلاده على عجل .

وليمة أخرى

ويولم وليمة يدعو اليها أمير قندهار الخائن ، فيقدم اليه في زمرة من أصحابه ... فيقتلهم جميعا ، ويسير من توه الى قندهار ويستولى عليها ويبقى حاكما عليها الى ان تدركه المنية .

ويقوم بالأمر من بعده ابنه الامير محمود الذى يزحف على اصفهان ، عاصمة ايران يومذاك ، ويفتحها بعد حصار سنتين ، ويسجن الشاه حسينا ، ويتزوج ابنته .

زحف حسن باشا ، والى العراق، على ايران

فينتهز العثمانيون هذه الفرصة ويوعزون الى حسن باشا ، والى العراق آنذاك ، بالزحف على ايران ، فيخترق الحدود ويدخل كرمانشاه حيث يوافيه الأجل المحتوم وقد نيف على السبعين . فتحنط جثته وترسل الى بغداد حيث يدفن الى جوار الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان .وقبره لا يزال هناك الى يومنا هذا .

احمد باشا من بعد والده حسن باشا

ويخلفه على جيشه ابنه احمد باشا ، فيلمّ الشعب ، ويضبط الأمر بحزم ودراية ، ويسير صوب همدان ويفتحها عنوة ..

الا ان الافغان الذين استولوا على ايران كلها تقريبا يتمكنون في هذه المرحلة من أن يتوصلوا الى نوع من التفاهم ، وبالتالى الصلح مع العثمانيين، على أن يبقوا منطقة كرمانشاه وهمدان بحوزتهم ، غير أنه يحدث أن يموت الامير محمود فيستولى على الحكم احد أبناء عمومته ، وهو اشرف خان الذى يطالب باعادة ما استولى عليه العثمانيون من الاراضى الايرانية ، فتنشب نار الحرب من جديد بين الفريقين ، وعندما يجد الافغان أن لا قِبَل لهم بجيش احمد باشا الذى توجه لقتالهم ، يطلبون الصلح،فيتم لهممايريدون.

الشاه طهماسب

الا ان مجرى الحوادث يتغير فجأة بظهور الشاه طهماسب (ابن الشاه حسين الصفوى) الذى كان قد هرب الى شمالى ايران أثناء الاحتلال الأفغانى ليجمع لنفسه الأشياع والانصار .فيزحف احمد باشا للمرة الثالثة على ايران ، ويقابل طهماسب خارج همدان ، ويتمكن من سحق الجيش الايرانى واكراه طهماسب على طلب الصلح .

ظهور نادر ، قاطع طريق

ولقد كان لطهماسب هذا رجل يعتمد عليه كل الاعتماد حتى غدا ساعده الأيمن . كان هذا الرجل في الأصل قاطع طريق جريئا يعرف باسم « نادر » ، فجعله الشاه الجديد قائدا عاما لقواته المقاتلة . ولكنه لسوء الحظ ، ولأمر اراده القدر ، لم يكن حاضرا مع سيده في المعركة التى جرت خارج أسوار همدان ليلقن الدرس الذى يستحقه فقد كان يومها في بعض الولايات الأخرى مشغولا بقمع الفتن التى نجمت على أثر ظهور طهماسب .

نادر يتقدم صوب بغداد

ولكن ما أن حلت سنة ١١٤٥ هـ/١٧٣٢ م حتى تقدم نادر صوب بغداد ونزل بجوار ناحية الأعظمية .. فكانت خيامه المضروبة هناك ترى من فوق أسوار بغداد ، فما كان من الأعظميين الا أن وجهوا اليه نيران مدافعهم وارغموه على الانسحاب الى مسافة نصف ساعة عن ضاحيتهم .

أما الجانب الغربى المعروف بصوب الكرخ فقد كان عامرا مقمورا بالخيرات ، وفى أمان ومنجى من الأعداء لوجود نهر دجلة حائلا دونه ، وكانت أسعار الحاجيات فيه رخيصة ، فكان الجانب الشرقى يستمد ما يريده منه ، الا ان هذه الحال لم تدم طويلا فسرعان ما عبر الايرانيون الىالجانب الغربى من جهة تكريت ، فأمر احمد باشا بحراسة الشرائع لمنع الأعداء من التسرب الى جانب الكرخ، واستمر الأمر كذلك الى أن عبروا ناحية دجيل تحت ستار الظلام الدامس . وكان أهل الجانب

القربى اهل شجاعة وشهامة ، فبنوا سورا من اللبن عرضه خمسة أذرع ، وحفروا خندقا ، الا ان العدو فاجأهم بالعبور قبل أن يتم بناء السور وحفر الخندق ، فجعلوا يقومون بواجبات الحراسة فى الليل على شرفات السور ويطوفون فى أرجاء المدينة خوفا من مباغتة العدو لهم ، وقد وصف لنا أحد مؤرخى القرن الثامن عشر وهو عبدالرحمن السويدى ، وكان يومها ابن اثنى عشر عاما ، ليلة هجوم العجم على بغداد فقال :

ليلة هجم العجم على بغداد

« كنت أنام مع والدتى فى الدار ، ولم اخرج مع ابى واقاربى ليلا الى الاسوار ، فلم نشعر فى نصف الليل الأخير من غرة رمضان الا بأصوات جسيمة، وغوغاء عظيمة ، ينخلع لها قلب الجبان ، وترعد لها أكباد الشجعان ، وسمعت أصوات تفاك (يقصد بنادق) متوالية ، وأبصرت ازدحام اقدام فى الطرقات غادية عادية ، فأيقظت والدتى حينئذ ، وعيونى تدمع ، خوفا مما قد ارى وأسمع ، فقلت: « يا أماه ، ما هذا الصخب الذى رج الآفـــاق ، وما هذا التجادل والشقاق ؟ » فقالت : « يا بنى، الظاهر ــ والله اعلم ــ ان العجم قاربت الحصون، وعبروا على رجالنا من حيث لا يشعرون ، فادع الله فى هذا الوقت بتثبيت اقدام المسلمين » .. وبعد هنيهة طرق الباب زوج خالتى ، واسـرج فرسه ، وودعنا وسار الى الجهاد ، ثم انا بقينا نسمع من فوق سطح الدار شعار المسلمين :«الله ! الله ! » ونسمع شعار العجم .. « هيهوار ! هيهوار ! » . فتارة نسمع شعار المسلمين بعيدا فنفرح ونقول : حصلت لنا الغلبة ، وتارة نسمعه قريبا فنحزن ونقول : « أسرنا ورب الكعبة ! ». ولله درهم من رجال قاتلوا مع قلتهم ، وكثرة عدد أعدائهم ، من نصف الليل الاخير الى قريب طلوع الفجر الثانى ، وأجلوا الأعداء عن مكانهم ».

جنود السلطان تهرب

والغريب أن جنود السلطان العثمانى هربت أمام زحف الايرانيين ، الا أن الاهلين استطاعوا أن يردوهم على أعقابهم .

السويدى يتابع وصف المعركة

ويستانف السويدى قصته المتعة وهو يومذاك شاهد عيان للمعركة فيقول :

« كنت على عِلِّيّة فى دارنا مشرفة على محل الوقعة ، فانظر الى الخيل تعثر فى الرجال ، والى السيوف تحطب رؤوس الابطال .. وكثر الرهج من جميع الجهات حتى أحاط العدو بهم احاطة الأوعال بالجبال ، فقُتل الرجالة منهم جميعا الا ما قل ، وسلِم غالبُ الفرسان . وحدثنى زوج خالتى فقال : كنا قد أخذنا الميمنة من جهة العدو حتى اجليناهم من أمامنا ، وحكمنا فى مفاصلهم كل حسام ، فنظرنا ساعة الى وراء ، فرأينا العسكر (يقصد جيش السلطان العثمانى) قد ملأ بفراره البيداء ، وحال العدو بيننا وبينه ، فقاتلنا قتال من يحب الموت ! » .

صورة من شباب بغداد

وقد ترك لنا أبو البركات أروع صورة لما يمكن أن يكون عليه الشباب العراقى من بطولة وشهامة وتضحية حين يقول ، والحديث عن شاهد عيان :

« وحدثنى أيضا أنه رأى شبابا من أولاد الاكابر، كل منهم عن متن شجاعته حاسر ، قد رجّلوا شعورهم وترجلوا وتركوا كورهم . قال فقلت لهم: يا بنيّ ! انتم من كرم الله ذوو خيول سوابق ، ونُجُب لواحق ، فلم تركتموها وسرتم راجلين ، وامامكم حرب عَوان ، وضرب يمان ، ومقارعـة فرسان ، ونهب أرواح وأبدان ؟ فان كنتم خرجتم للفرجة فقفوا فوق السور كما وقفت البنادقية، وانظروا الى هذه الداهية . فقال احدهم: يا عماه! انما يفعل ما ذكرت من له فى الحياة طمع ، ومن يتشدق بالكذب اذا صار الى بنات عمه ورجع . والله انا لقد تركنا الدنيا خلفنا وهذه الاخرى زُخرفت أمامنا ، ورفضنا الوجل وراءنا ، وهذه الجنة زُيِّنت قدامنا ، فوالله لنضربن بسيوفنا هذه حتى نقتل . وبلّغْ أهلنا اذا رجعتَ السلام.

قال : فلم يرجع منهم أحد ، وقد أبصرت هذا القائل قد فُلقت هامته ، محدقةٌ به خمسـة

فوارس من العجم، ولسيفه رنة في المفاصل ،وحثثة في الكواهل » .

قاوم البغداديون الحصار حتى اكلوا لحوم الخيل

هكذا كان موقف البغداديين من نادرشاه وجيش نادرشاه ، ولقد قاوموا حصاره برباطة جاش حتى اكلوا لحوم الخيل والبغال والحمير والكلاب والسنانير ، وامتصوا الدم ، ومضغوا الاهاب ، ولم يحنوا راسا للطاغية ، بل ان احد مؤرخي ذلك العصر يقول انه بعد خروجه من الصلاة في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ذات يوم رأى « شِلْوَ حمار مُنتن ، وحوله امرأة بلغت في الجمال الغاية ، وحصلت من الحسن على النهاية ، وفي يدها سكين وهي تقطع من ذلك اللحم المنتن وتضعه في علاقة كانت حولها ، فسئلت عن ذلك فقالت : الجوع ادّاني الى ما رأيتم ، حيث صار لي خمسة ايام لم يدخل في جوفي غير الماء ويانع الخوص . فتركناها ومضينا » .

وسلمت بغداد ، بفضل اهلها ، وبطولة واليها

وسَلِمت بغداد واندحر الطاغية بفضل شجاعة وجلادة البغداديين ، وبطولة الوالي أحمد باشا ، الذي ، وان لم يكن عربيا ، فقد كان زوجا لاميرة عربية ومغرما بالثقافة العربية ، حتى ان بلاطه في بغداد كان أشبه ببلاط هرون الرشيد او سيف الدولة الحمداني في حلب . وقد تركت لنا كتب تاريخ الأدب قصائد طوالا في مديحه لما لا يقل عن سبعة عشر شاعرا ، فلا غرو أن تحتضن بغداد رفاته ورفات ابيه الى جنب ضريح الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان .

نادر شاه يخدع كركوك واربيل

وتقتضينا النَّصفة التاريخية ان نشير بمهارة القائد طوبال عثمان باشا الذي ضرب نادرشاه ضربات مؤلمة ارجعته متقهقرا الى ما وراء الحدود العراقية . وعاود الطاغية الكرّة ، فاستشهد طوبال عثمان ، وتقدمت جيوش نادرشاه الى كركوك ... فحاصرها بجيوشه ، ثم تقدم لاهلها بالوعود المعسولة والاماني الطلية اللذيذة ـ كما اسلفنا ـ ففتحوا أبوابهم لنادر ، وما كادوا يفعلون حتى أعمل فيهم السيف والتدمير ، وفعل في اربيل بعد استسلام قلعتها بطريق الخدعة والمكيدة ما فعله في كركوك ، وبقيت ذكرى مذابح نادرشاه في هاتين المدينتين ترن في اذهان الناس مدة طويلة .

نادرشاه يجد الموصل بندقة صعبة الكسر

وتقدم الفاتح الظالم نحو الموصل وحاصرها ، فوجدها صلبة صلدة لا تلين لها قناة .. وجدها عنيدة كاختها الباسلة بغداد ، وشرع رجاله يحفرون الالغام تحت الاسوار على طريقة ذلك العصر ، ففعل الموصليون نفس الشيء ، واخذوا يحفرون الدهاليز تحت الارض ليصلوا الى معسكر الايرانيين فيلغموه . وكثيرا ما كانت دهاليز الخصمين يلتقي بعضها مع بعض .. فاذا برجال الفريقين وجها لوجه تحت الارض ، فيهرب الايرانيون أمام خصومهم الموصليين ... مولين الادبار ! .

وكان يومذاك في الموصل معمل لصنع الاسلحة والعتاد وصب المدافع ، فامطرت مدفعية الموصل الاعداء وابلا من القنابل ، فلم يكن للطاغية المعتدي بد من رفع علم الهدنة واجراء مشاورات الصلح للانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة. اذذاك اذّنَ المؤذنون فوق المنابر أن لا مكان للغزاة الطغاة فوق أرض العراق ، ودوت حناجر الشعراء بالاراجيز تخليدا لهذا النصر المجيد .. واشهرها ارجوزة الحافظ البصير الموصلي وتقع في سبعين بيتا ، وقد عورضت بأرجوزة مماثلة لعبد الله السويدي ـ شيخ شعراء العراق في القرن الثامن عشر وهي مؤلفة من ١٦٩ بيتا ، وباخرى للسيد عبد الله أمين الفتوى تضم ٢١٤ بيتا .

تحطم آمال نادرشاه

وتحطمت آمال نادرشاه للوصول الى الآستانة، عاصمة الترك عن طريق العراق على صخرة العراق الابي . تحطمت آمال نادرشاه ذلك الذي كان يتبجح قائلا : « انني اربعة ملوك في ملك واحد :

ملك ايران والافغان وتركستان والهند ! »

نادرشاه يعود الى العراق مسالما ، يزور العتبات

وعندما فشلت مشاريع نادرشاه فى دخوله العراق غازيا ، عاد اليها مسالما ليزور العتبات المقدسة .. وكان فى النجف ان عقد مؤتمرا لعلماء الدين من مختلف المذاهب الاسلامية بغية التقريب بينها وتوحيدها، وكان ممثل العراق فى ذلك المؤتمر عبد الله السويدى ، فالتقى بالطاغية وجها لوجه، وجالسه وتحدث اليه وترك لنا صورة قلمية قيمة من الناحية التاريخية ، اوردها فى كتابه « النفحة المسكية فى الرحلة الملكية » نجتزىء منها ما يلى اتماما للبحث :

وصف نادرشاه فى العتبات المقدسة

« رايته رجلا طويلا ، كما يُعلَم من جلسته ، على رأسه قلنسوة مربعة بيضاء ، كقلانس العجم، وعليه عمامة من المرعزى مكللة بالدر واليواقيت والماس وسائر نفائس الجواهر ، وفى عنقه قلائد الدر والجوهر ، وعلى عضديه كذلك الدر والماس واليواقيت مخيطة على رقعة مربوطة بعضـــده ، ويلوح على وجهه اثر الكبر وتقدم السن حتى ان اسنانه المتقدمة ساقطة ، فهو تقريبا ابن ثمانين عاما ، ولحيته سوداء مصبوغة بالوسمة ، لكنها حسنة ، وله حاجبان مقوسان مفروقان ،وعيناه تميلان الى الصغر قليلا ، الا انهما حسنتـــان ، والحاصل ان صورته جميلة » .

تاج نادرشاه يسقط عن رأسه

وقد قيل انه اثناء نزوله الى قبو الكنوزالمهداة الى ضريح الامام علي سقط تاجه عن رأسه فابى الا ان يقدمه هدية للامام ، ولا يزال التاج المرصع بأثمن اللآلىء محفوظا فى القبو المذكور ، وليتـه يتحوّل يوما ما الى متحف ليستطيع الجمهـــور ان يطلع على ما فيه من غرائب وعجائب بما فيهـا تاج نادرشاه ! ...

ولقد كان سر نجاحه فى معظم غزواته عنصـــر المباغتة والمكيدة فقد روى المؤرخون انه قضى ذات مرة ساعات طوالا غاطسا هو وفريق من الاشـداء من رجال جيشه فى أوحال بعض الانهار وقد لطخوا وجوههم بالطين لكيلا يعرفهم العدو حين يفاجئونه!

مقارنة بين الرجلين الخصيمين ، احمد باشا ونادرشاه

وحين يقارن المرء بينه وبين معاصره احمد باشا لا يجد كبير فرق بين الرجلين فى العظمة ، وان وجد بونا شاسعا بينهما فى الشهرة . بل استطيع ان اقول ان احمد باشا كان اعظم من نادرشـاه بل ان نادرشاه نفسه ما كان يخشى او يحترم احدا من رجال عصره كما كان يخشى ويحترم احمـــد باشا . وادركت الدولة العثمانية ذلك فكان كلما تحرك نادر بجيوشه صوب الامبراطورية العثمانية بعثت اليه باحمد باشا مقاتلا او مفاوضا للصلح.

وكان احمد باشا يمتاز على معاصره بخصال اهمها التسامح وتجنب اراقة الدماء جهد الامكان ، فى حين ان نادرشاه كان مصابا بمرض التلـــذذ باراقة الدماء لسبب او لغير سبب ، وسواء كان ضحاياه اناسا يعرفهم ومن خاصة أصحابه او ممن لا يعرفهم اطلاقا . وكان احمد باشا يتذوق الادب ويقدّر الشعر والشعراء ، ولم نسمـع بما يماثل ذلك عن نادرشاه ، وكان احمد باشا ذكيا حصيف مقدّرا للمواقف تمام التقدير ، ويعلم الى اى حد يجب ان تبلغ اطماعه ، واين يقف ، اما نادرشاه فقد كان يخطىء الحساب فى بعض الاحيان ، ولم يضع لاطماعه ورغباته العسكرية الجامحـة حدا . وكان الى ذلك كله انانيا يحب نفسه اكثر ممـا يلزم ، واكثر من حب بلاده واقرب الناس اليه . وما كان احمد باشا كذلك ، فقد عرف بالايثار والتضحية حتى انه امر اصحابه بالابتعاد عنه يوم خرج عليه الاسد فى هور عقرقوف ، ليقابله وحده، لئلا ينالهم منه اذى !

كان باحمد باشا عزّة الرجل الأبىّ

وكانت فى احمد باشا عزة الرجل الأبى الذى يتمسك برأيه بصلابة عندما يجد نفسه على صواب، فقد كان من رأيه عدم التعرض لنادرشاه بعـد انسحابه ، ولكن الدولة العثمانية رأت خلاف ذلك يوم كان اعداء احمد باشا يتمتعون بالنفوذ فى الاستانة . وأصر على رأيه فكانت النتيجة ان عزّل عن ولاية بغداد ، وأعطى ولاية ديار بكـر (او « اورفة » كما يسميها الاتراك) . واغرت

الدولة العلية خصومه لمباغتته وقتله وهو فى طريقه الى منصبه الجديد . ولكنه استطاع ببطولة نادرة ان يقتلهم جميعا ويجعلهم طعاما للنسور والغربان ، وسرعان ما ادركت الحكومة العثمانية خطأها ، اذ وضعها نادرشاه فى موقف جد خطير ، فعهدت الى احمد باشا بعقد الصلح واعادته مكرّما معززا الى بغداد من جديد .

نادر شاه مصاب « بالنرجسية »

اما نادر شاه فلم يكن بهذه الدرجة من العزة وكرامة النفس ، فقد كان يتراجع عن رأيه حتى وان وجده صوابا ، ويذل ويخضع أمام القوة دون حاجة للذلة والخضوع . وكان المسكين يعانى من لون غريب من الوان النرْجسية أو عشق الذات ، هذا الداء الذى كثيرا ما أصاب أشباه المجانين من العظماء . ومن شذوذه الغريب انه كان يحب تزاحم الناس ، فيوم انتهى مؤتمر التقريب بين المذاهب الاسلامية فى النجف ، بعث بحلويات كثيرة الى الحاضرين ، فحدث تزاحم وتدافع بالمناكب حتى أن عمامة كبير علمائه وقعت عن رأسه .. وجرحت سبابته . فلما سأل أحد المندوبين عن سبب هذا الازدحام المفتعل ، قيل له ان الشاه يُسَرُّ عندما يرى او يسمع باخبار مثل هذا الازدحام ، حتى ان أكابر رجالاته يشتركون فيه لينالوا حظوة لديه .

تواضع نادرشاه مصطنع

ومن مظاهر تواضعه المصطنع قوله لممثل أحمد باشا فى المؤتمر قبيل عودته الى بغداد : « .... امرتُ أن تُصلّى الجمعة فى جامع الكوفة ، وامرتُ بأن تذكر الصحابة على المنبر على الترتيب ، ويُدعى لأخي الكبير .. سلطان آل عثمان قبلي ، ويذكر بجميع الألقاب الحسنة ، ثم يدعى للأخ الأصغر (يعني نفسه) ، لكن يُدعى لي اقلَّ من دعاء السلطان ، لأن الواجب على الأخ الأصغر ان يوقر أخاه الأكبر » . وتستيقظ عقدة الشعور بالنقص فى نفسه قائلا : « وفى الحقيقة والواقع هو اكبر واجل منى لانه سلطان ابن سلطان ، وأنا جئت الى الدنيا ولا أب لى سلطان ، ولا جدّ ! ».

ولم يكن دبلوماسيا كيسا فى بعض الأحيان فهو لم يتردد فى ان يصرح للمندوب العراقى بقوله : « جزاك الله خيرا وجزى احمد خان (يقصد احمد باشا) خيرا ، فوالله انه ما قصر فى اصلاح ذات البين واطفاء الفتنة وحقن دماء المسلمين ، لكنا لا نصدقه ، وآل عثمان لا يصدقونه ، فهو متهم بين الفريقين ، جعل الله عزّه ورفعته اكثر من ذلك » !

ومن دلائل اهتمامه بالمظاهر الزائفة واغتراره بنفسه انه بعد أن اغتصب الحكم واستولى على بلخ وبخارى ، واخضع ملك الهند الشاه محمدا لسلطانه ، منح نفسه لقب « شاهنشاه » ، وأمر اتباعه ورعاياه بأن لا يسمى الا بهذا الاسم ، وأوعد بالعقاب الصارم كل من يطلق عليه اسما سواه .

نادرشاه يرى المداهنة خيرا من المضاغنة

وكان نادر شاه ، يعتقد ان « المداهنة خير من المضاغنة » . وكانت له فى ذلك أساليب عجيبة فيوم سار الى داغستان أرسل الى احمد باشا يقول له : « انى قد قصدت الروم ، وكان القصد بغداد ، ولكن لكونك فيها لم أكدر خاطرك ولم اقدم عليها » . ورجاه أن يهبه بعض حاصلات بغداد الزراعية لحاجته الماسة اليها فوافق احمد باشا بكل كرم نفس وسخاء . فبعث نادر بسبعين الف رجل ليحملوا اليه المحاصيل ، فعجب البغداديون من قدوم هذا العدد الكبير من الايرانيين ، فتأهبوا للحصار من جديد ، وما كان قصد الشاه من عمله هذا الا ليحول دون قيام احمد باشا بمساعدة اهل الموصل فى حالة مهاجمته اياهم .. ولكن اهل بغداد أسرعوا باخلاء الجانب الغربي وتحصين أسوارهم للصمود بوجه الطاغية من جديد ، وفى هذا يقول الشيخ عبد الرحمن السويدى . وقد حنّ الى داره التى تركها فى الجانب الغربى :

عرّجْ على الكرخ وانزلْ فى مغانيه
وأسأله كيف خلتْ منه غوانيه ؟

عهدى به وهو معمور بسادته
وجملة الصَّحْبِ كانوا فى نواديه

والنَّور ، والنَّوْر فى ارجائه سَطَعَا
والوردُ والآسُ تاها فى نواحيه

فما له ذهبت أصحابه ، وعفت
آثاره ، وخوَتْ منه أعاليه

لهفى علـى الجانب الغربى أجمعـه
فجانب الشرق طيبـا لا يدانيـــه

الى أن يقـول :

وقيفٌ وقوفى به يوم الرحيل ضحى
حيث العقيق علـى الخـدين أجريه

مرّت الفاشية ، وامتدح الشعراء احمـد باشا

ومرت الفاشية وعاد الأمن ورجع السلام الى دار السلام ، وتباشر الناس ، وامتدح الشعـراء احمد باشا بقصائد رنانة ، وقد جمعنا ما لا يقل عن ٢٦٤٧ بيتا فى مدحه . وهو اكثر بكثير ممـا مُدح به والده حسن باشـا . والظاهر ان الاخير ما كان يستذوق الشعر كولده النبيه الذى ورث عن والده أشياء كثيرة وزاد عليها . وتتميز معظم القصائد التى مُدح بهـا احمد باشـا بالوصف ، ولا سيما وصف الطبيعة بتلاوينها المبهجة . ومن ابدعها واروعها قصيدة السيد حسين الرشـيدى النجفى التى عثرنا عليهـا فى بعض المخطوطات القديمة : يقول فيها :

هبّ النسـيم معطّـر الأردان
سَـحَرًا فعطّـر سـائر الاكـوان

فتمايلت فرحـا قـدود غصـونه
مـذ أطربتهـا الوُرْق بالالحـان

وجـرت معطّـرة الشـذى أنهاره
مـذ صافحتهـا راحـة الريحـان

وسـخت لنـا الدنيـا بعيـد ثالث
لاح الخضـاب بـه بكـل بنـان

ثم ينتقل الى مدح احمد باشا فيقول ، وقـد بلغ الذروة فى اندفاعه العاطفى :

يعفـو من الجانى ويوسـع بـرّه
حتـى وددتُ بأن أكـون الجانـى

مـن نور غـرته ونار قـراه قـد
شـبّت لطلاّب القِـرى نـاران

يا من يرى فضـل السـماح لحاتم
والعـدل فى كسـرى انو شـروان

ان السـماح تزيـل سـاحة أحمـد
والعـدل فى بغـداد لا الايـوان

وقد نال احمد باشا من حب رعاياه ما لم ينله نادرشاه . وهـو قد قضى حياته يقمـع الفتن والاضطرابات فى أرجاء مملكته المترامية الأطراف ، ومات وهو مكروه منبوذ ممقوت ، فى حين ان احمد باشا ، الذى لقبه الناس بلقب « الملك » علـى مسمع وعلم من سلاطين آل عثمان ، اقيمت عليه المناحات يوم موته وأنشـدت المـراثى وذُرفت الدموع الساخنة .

هذا هو الفرق بين الرجلين .. وانه لفرق جد كبير ، بيد ان ما يؤسـف له هو ان التاريخ لم ينصفهما ، فقد منح نادر شاه فوق ما يستحق ، وقدّم لاحمد باشا دون ما هو جدير بامثاله مـن الأبطال الأسوياء المعتدلين .

نادر شاه يُجَنّ ، ثم يقتل قتلة بشـعة

لقد انتهى أمر نادر شاه ــ على مـا تذكره أوثق المصادر التى وصلتنا مـن القرن الثامن عشر ــ الى الجنون ... وبالتالى الى المصرع الرهيب علـى يـد بعض رجال حاشيته ، فقد باغتوه وهو فى خيمته الى جنب زوجته الهندية ، وكان لم ينم ليلته تلك الا غرارا ، وقـد استيقظ اثناء الليل وقص على زوجته انه حلَمَ بالامام علي يتقدم منه غاضبا ، ويبصق فى وجهه وينعته بالكلب ، فكان ذلك نذير شؤم ، اذ لم تمض الا سويعات قلائل حتى هاجمه المتآمرون ، فنهض فى الحال وتناول سيفه وهجم عليهـم بشكل جنونى ... ولكنه ــ والنوم فى عينيه ــ عثر بحبل مـن حبال الخيمة فعاجله اعداؤه قبل أن ينهض من كبوته بضربة سيف اطاحت احدى ذراعيه .. وبأخرى كانت القاضية !

هكذا مات نادر شاه .. ومات احمد باشـا فجأة .. بعـده بشهرين فكأن نجميهما كانا مقترنين فأفلا معا ...

وبقى العراق خالدا الى الأبد ! ..

■■

صفاء خلوصي
بغـداد

من ذكريات

بقلم
أحمد حسن الزيات

الاستاذ احمد حسن الزيات ، صاحب مجلة الرسالة ، تلك التي تتلمذ عليها من ادباء العرب الكثيرون . وهم اليوم كهول يذكرون . وقد كان امضى في بغداد سنين ، استاذا بكلية الآداب فيها وهو قد اختص « العربي » بشتى من ذكرياته في دار السلام ، بأسلوبه الطلي ، وروحه الفتي . وهذا هو الجزء الأول من هذه الذكريات ، تتبعه أجزاء .

في سنة ١٩٣٢ ، وهي السنة الأخيرة من سني الثلاث في بغداد ، كنت اعيش في اسرة مسيحية تؤثث في دارها الوسيعة غرفتين او ثلاثا ليتزل فيها من تصطفيهم من نزلاء العاصمة .

كانت هذه الدار كسائر دور بغداد تتألف من طابقين يدوران على فناء سماوي رحب . يشتمل الأسفل على ردهة يسميها العراقيون « طارمة » ، وسرداب عميق أصم تلوذ به الأسرة في الصيف من وقدة الحر ، ومرافق الدار من حمام وسقاية ومطبخ . ويشتمل الأعلى على بهو فسيح الأركان فخم الأثاث تغطي أرضه مجموعة متخيرة من سجاجيد ايران ، وتزين جدرانه ونوافذه طنافس الحرير وستائر المخمل ، ويتصدره بيان عريض نضدوا عليه تحفا من تماثيل المرمر وبراويز الابنوس ، ونثروا على الكراسي القريبة منه آلات الموسيقى من عود وكمنجة ودف وناي ، ويتوسطه منضدة دقيقة الصنع أنيقة المنظر قد وضعوا عليها ما يحتاجه لاعبو « البردج » و « البوكر » ، ثم يشتمل بعد ذلك على ثماني غرف لنوم الأسرة والنزلاء تتلاصق وتتناسق في صف واحد على ممشى دائري يطل على الفناء وقد صفوا على حواشيه مقاعد طويلة أو قصيرة لمن يريد أن يتصل بالسماء أو يتمتع بالهواء ، على نحو ما تجد على ظهر الباخرة .

اما الأسرة فكانت تتألف من زوجين كهلين ومن ثلاث بنات وثلاثة بنين . وكان سر الوراثة الذي يجعل من الزوجين الأسودين من الكلاب الطليقة ستة جراء فيها الأسود والابيض والابقع والاصهب والاغبر والاشقر ، قد جعل من هؤلاء الأولاد الستة تشكيلة عجيبة من الصور والألوان والطباع لا يشترك في شيء منها أخ وأخ ولا أخت وأخت . ولكنهم يشتركون جميعا في الولوع بالموسيقى والنبوغ في العزف على آلاتها المختلفة .

فيوسف الأخ الأكبر يهدف للرابعة والعشرين من عمره . أزهر اللون أشقر الشعر ممشوق القامة قسيم الوجه ، ينظر فيكر من عينيه ، ويبتسم فيفم من شفتيه . يتكلم فيغض من صوته ، فلولا أن الشعر قد أخذ ينبت على عارضيه وشاربه لقلت انه فتاة في رونق الشباب وميعة الانوثة ، يعلم الموسيقى في المدارس والبيوت ، ويعزف الألحان في السوامر والأندية .

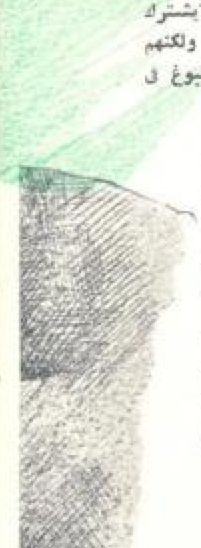

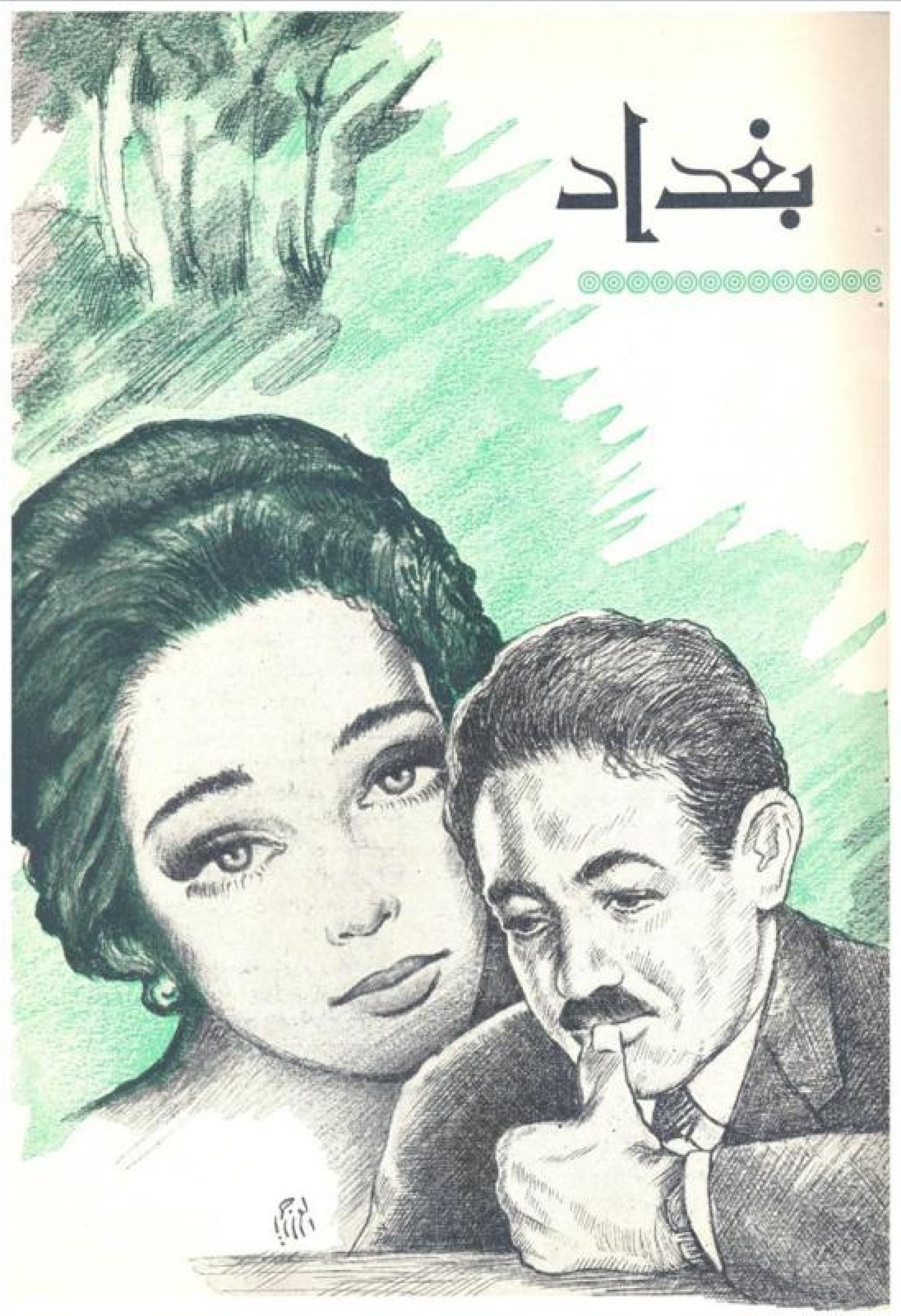
بغداد

وكان « ألفريد » طريده فى العمر قمحى اللون تشوبه صفرة الخمر ، مليح القسمات ، تشيع فيها جاذبية قوية ، أسود الشعر ، تجتمع منه خصلة على جبينه المصقول قد فرقها عند فوده الأيسر . فى قده طول ، وفى صوته غنة ، وفى حركاته مرح ، وفى هندامه اناقة . وهو لا يزال طالبا فى احدى المدارس الثانوية الفرنسية .

بينما « البير » أصغر الأخوة وضيء الطلعة شاحب اللون دقيق البدن ، يسيل شعره الأصفر المقدودن من وراء أذنيه على قذاله . هادىء الطبع، خفيف الظل ، شاعرى العواطف ، يقعد على الرغم من صغر سنه مع اخيه الأوسط فى فصل دراسى واحد .

اما البنات فكن عند نزولى على الأسرة اثنتين : « مرجريت » ، وهى فتاة فى ربيعها السابع عشر ، مسنونة الوجه مرسلة الشعر طويلة العنق مسحاء الثدى ، تميل الى الطول وتقف وسطا بين النحيفة والبدينة ، ولعل محياها المطموس لا يوحى اليك شيئا من ذكاء أو أثرا من عذوبة .. ولكنك اذا جالستها او لابستها لا تعدم أن تسمع منها حديثا يمتع ، وأن ترى فيها خلة تعجب .

وثانيتهما « جورجيت » ، صغرى الأخوات،صبية لا تزال فى عمر البدر ، مطهمة الوجه ، بضةالبشرة، ممتلئة البدن ، فى جفنيها انتفاخ ، وفى شفتيها غلظ ، ولكنها على قلة حظها من الجمال لطيفة الروح ، فكهة الحديث ، مرحة الطبع ، تتكلم ولا تستحى ، وتمزح ولا تعف . وهى مع أختها الوسطى بمدرسة أمريكية للبنات فى حى (باب الشيخ) .

تلك هى الصفات البارزة المميزة فى أولاد هذه الأسرة ، رسمتها خطوطا مجردة من غير تظليل ولا تلوين ، لتبين على التقريب الفروق الخلقية بين بعضهم وبعض .. واذا كان شكل الجسم من الحسن والقبح ، ومن اللطف والغلظ ، ينم عن طبيعة الروح من الخير والشر ، ومن الطيبة والخبث ، فان هؤلاء الأولاد من بنين وبنات ، يختلفون اختلافا بينا فى الخلق والطبع والسلوك والنزعة . فمنهم المخادع الحصيف الذى يسعى للمال من أى طريق ، والماجن الظريف يطلب اللذة من أى نوع ، والفنان الرقيق الذى يعشق الجمال فى أى صورة ومنهم الساذجة السهلة التى تصدق كل خبر ، وتفشى كل سر ، وتلبى كل طلب ولا يهمها أن تخرج مع سيد أو خادم ، والطائشة الوقحة التى جعلت همها اللعب والحلوى ، ودأبها العبث والضحك ، ولا يختلف عندها أن تنال ما تريد بالحق أو بالباطل .

لا يمكن أن تنشأ فى هؤلاء الأولاد هذه الفروق الظاهرة والباطنة من فعل الوراثة القريبة المباشرة، فان الوالدين ، يعقوب وماري لم يجمعا فى أخلاقهما الشىء ونقيضه ، ولا المعنى وضده .

فالزوج من رجال الأعمال المجدين يتصرف لعياله فى التجارة ، يتقلب من صنف الى صنف،ويضطرب من أرض الى أرض ، لا يدخر جهدا ولا يضيع فرصة . يصدر الجلود والتمور ، ويستورد الآلات والسلع ، لا يتقيد بصنف واحد ولا ببلد معين ، وانما يتقيد بحاسته التجارية التى تهديه الى سلعة اليوم وحاجة المستهلك ، له مخزن للحفظ وليس له متجر للعرض . وسبيله فى البيع ان يستعين بالوصولية والمكيافلية على اقناع ذوى النفوذ فى الوزارات والشركات أن يشتروا بضاعته جملة .

وهو من مخلفات العهد التركى فى العراق : يتكلم التركية ويلبس الطربوش ، ويحسن انحناء الظهر عند السلام ، ويتقن اذابة الملق فى الكلام ، ويعرف كيف يدخل الى هواك ورضاك من الباب الذى يؤدى .

والزوجة من ربات البيوت الصالحات يظهر عليها كلال السنين الخمسين وعناء الحياة العاملة، وهبت نفسها لخدمة زوجها وبنيها فلا تكاد تخرج من البيت ولا من المطبخ . على أن كثرة عملها وطول همها لم يحميا جسمها من الشحم فتراكب لحمها واسترخى ، ثم اعتراها على الكبر صمم خفيف فزهدت فى الاجتماع بالناس واكتفت من نعيم دنياها برؤية أولادها وزوارها يمثلون على عينها الجانب البهيج المرح من الحياة ، كانت لا تشارك فى الحديث لأنها لا تسمع أكثر ما يقال، ولا تدخل فى اللهو لأنها لا تعرف أكثر ما يلعب ، انما كان دورها فى حفلات الدار أن تعد الحلوى وتهيىء المزة وتقدم الشراب وتعنى براحة السامرين

والسامرات فلا يشوب صفوهم كدر ، ولا يدرك لهوهم نقص .

كانت « ماري » طيبة القلب فلا تكره حتى العدو وكانت سمحة القياد فلا تعارض حتى فى الضرر . وكانت ضيقة الثقافة فلا تنظر حتى فى الصحيفة ، كان مصدرها الوحيد الذى تستقى منه العلم والخبر والرأى هو زوجها يعقوب حين يخلو احدهما الى الآخر فى غرفة الطعام بعد انصراف الأولاد كل الى شأنه .

كانت هذه الدار بعد ضجة الصباح وخروج الوالد وأولاده الى العمل أو الى العلم تسكن سكون الدير ، وتوحش وحشة الطلل فلا تكاد تسمع صوتا ولا حركة .

كانت السيدة والطاهى يعملان فى صمت ، وكانت الخادمة والخادم ينظفان فى سكون ، وكنت أنا فى الغرفة او فى المشى اقرأ أو اكتب أو انام . ثم تعود الحياة فتنتعش وقت الغداء ولا تلبث أن تهمد ، فاذا أقبل الليل أمست الدار ، ردهتها أو سردابها أو بهوها على حسب الفصول ، مقصفا لا يشبع من القصف ، ومرقصا لا يفتر عن العزف ، وناديا لا يكف عن اللعب : يوسف يدق باناملة العشر على معزف البيان ، والفريد يغمز بريشته المرهفة على مضرب العهود ، وآلبير يمر بقوسه المشدودة على أوتار الكمنجة ، ومرجريت وصواحبها من حسان الجيران والأقارب يراقصن الزائرين والمدعوين فلا تخرج احداهن من ذراع شاب الا لتدخل فى ذراع كهل . وفى الأركان المختلفة من الصالون يجلس هنا بعض أصحاب النفوذ فى الوزارات أو الشركات يقارعهم يعقوب الكأس ويفاوضهم فى صفقة ذات وجهين من صفقاته العظيمة : وجه لهم ووجه له . ويجتمع هناك بعض أرباب اللهو من الشباب يعابثون الفتيات ويتسابقون الى قلوبهن بالنظرات المعبرة والكلمات المغرية . وبين هنا وهناك تجلس مع الأم امرأتان أو ثلاث ممن ودّعن أيام الصبا والغزل ، يثرثرن فى أخبار النساء وأسرار البيوت . ويقبل علىّ رجلان او ثلاثة ممن قعد بهم الحياء على هامش الحفلة يخوضون فى حديث الأدب والسياسة .

فاذا انقضى الهزيع الثانى من الليل ، وقضت النفوس حاجتها من اللهو العازف والراقص انصرفت طائفة وتحلقت أخرى حول موائد الحظ يلعبون « البوكر » ويتبادلون السعد والنحس ، ويتقارضون الرضا والسخط ، والمتفرجون من الرجال والنساء ينظرون الفيشات تتجمع وتتفرق امام اللاعبين كأنها كثبان الرمل فى يوم عاصف تنقلها رياح الصحراء من هنا لتكومها هناك ، فيبتهج قوم ويكتئب آخرون ، الا الزوجين، يعقوب ومارى ،فقد كان ابتهاجهما لا ينقطع لا فى الربح ولا فى الخسارة ، لأن « الجنيوتا » أو حصة المائدة من القمار ، كانت تضاف الى حصيلتهما فى كل دور على أى حال .

وهكذا كان صاحب الدار يفضل بنيه وبناته يستفيد من طائفة الزائرين جملة من الوعود يروج بها سوقه ، ومن طائفة القامرين حفنة من النقود يصلح بها أمره .

ثم كان فى الجهة الجنوبية من الطابق الأعلى غرفة منعزلة تحتمرُ فى أكثر الليالى ، ولكنها لا تبلغ فى الاحمرار مبلغ « الصالون » ، لا فى الكم ولا فى الكيف . تلك كانت الغرفة التى يسكنها قنصل دولة من الدول الاسلامية غير العربية . كان هذا القنصل يمر بغرفتى فى ذهابه وايابه ، فيلقى علىّ التحية بفضول ، واردها عليه بفتور . لم أجد من نفسى دافعا الى أن أصل مابينى وبينه بسبب المودة . كنت كلما رأيته تصورته خنزيرا يمشى على رجلين ! وليس وجه الشبه مقصورا على أنه ضخم الجثة قصير القامة جهم الوجه ، وانما كانت فيه مشابه أخرى من هذا الحيوان ، أخصها قذارة معنوية طالما حدثتنى عنها الآنسة مرجريت .

كان هذا الرجل مصابا بالشذوذ ، وكانت خلقته الجافية لا تبلغه ما فى نفسه ، فكان يستعين بالهدايا والحلوى على اجتذاب الولدان اليه واستئناسهم به . ثم ادعى الغرام بالموسيقى ، فاشترى عودا وطلب من يوسف وأخويه ان يعلموه العزف عليه بالأجر ، وبهذه الحيلة استطاع أن يجعل من غرفته ماخورا صغيرا يغص فى أكثر الأحيان بألوان من الندامى وأفنان من اللذة .

حسبك ماذكرت من التعريف بالدار والأسرة ، ولعلك قد تهيأت الآن الى أن تسمع القصة :

عدت ذات يوم من أيام أبريل من عملى الى الدار فى فترة القيلولة ، وهى فترة يخشع فيها الصوت

والحركة عادة في جميع البيوت ، ولكني لم آكد اجتاز الدهليز الطويل المظلم حتى رأيت الردهة المهجورة قد أخذت زخرفها من الوجوه الحسان من الجنسين ، والضحكات الرقاق والفلاظ يتجاوبن فيطردن الوحشة من صحن الدار ، والأم واولادها يخطرون في زينتهم بين المقاعد يؤهلون ويرحبون بالزوار . فالقيت على الحضور نظرة عابرة ، ثم اومات بالتحية الخاطفة الى من وقع بصري عليهم ممن اعرف ، واخذت طريق السلم الى غرفتي الخاصة . وبعد قليل اقبلت الخادمة على عادتها تحمل الى دورقا من الماء المثلوج ، فسألتها عن سبب هذا الحفل في هذه الساعة ، فقالت : ان الآنسة « نورا » قد عادت من دمشق منذ ساعتين ، وقد قدمت معها عمتها وبناتها ، وهؤلاء هم مستقبلوهن من الأقربين والمحبين والمعجبين وعددهم يزداد من لحظة الى لحظة .

« نورا » ! آه ! لشد مالهجت السن الأسرة بهذا الاسم ! ولطالما تحدث الزوجان باسهاب واعجاب عن صاحبة هذا الاسم !

لقد عرفت عن « نورا » بالسماع مثل ما أعرف عن مرجريت وجورجيت بالعيان .. عرفت انها البنت الثالثة الكبرى ، وانها تطلب العلم منذ اربع سنوات في مدرسة ثانوية للراهبات في دمشق، وانها تقيم مع عمتها بباب توما ولم تعد الى بغداد زائرة منذ عامين ، وانها على حظ عظيم من الجمال والذكاء والعقل والحساسية والأنوثة ، قلما تؤتاه فتاة في سن العشرين ، وانها مخطوبة بالوعد لشاب من موظفي البنك العثماني عرفته فيمن يكثرون التردد على مجلس هذه الدار .

لم اجد في نفسي الرغبة الملحة في ان انزل لاهنيء الأسرة بقدومها ، وأشارك القوم في الاحتفال بها . فقرأت قليلا ثم نمت .

وفي المساء عاد الحفل فانتظم في البهو الواسع فدخلته فيمن دخل ، وقدم اليّ الأب يعقوب ابنته « نورا » ومن قدمن معها من قريباته ، فسلمت الفتاة في استحياء وغضت من بصرها وهي تتمتم بالعبارات المألوفة عند السلام والتعارف .

لم تبدأ هذه الليلة كسائر الليالي بالرقص والخمر ، لتنتهي كالعادة بالوجوم والفمز ، وانما بدأت وانتهت بالأنس الخالص واللهو البريء .

تشاجن فيها الحديث عن موضوعات شتى في العادات واللهجات بين سورية والعراق ومصر . وكان جل الحديث واقفا على العمة . اللبقة التي تدير فندقا كبيرا في سرة دمشق ، وعلى تاجر كهل فكه يكثر التصرف والتقلب في اقطار العروبة . وكانت « نورا » كالعروس على المنصة تسمع في صمت وتنظر في خفر وتتكلم في وقار ، وكنت انا مثبت العينين مفتوحهما في وجه « نورا » لا أكاد اطرف ، مصيخ الأذنين مرهفهما الى حديث المتحدثين ولا أكاد أعي .. كان وجه « نورا » جملة من القسمات الحلوة والملامح المعبرة في صورة من الفن الالهي المبدع لا يقع مثلها في الامكان لازميل مثال او ريشة مصور او قلم شاعر . ولا تظن فيما قلت مبالغة من زخرف الحديث ، فان كل من رآها يعترف بانه لم يجد لها مثيلا فيما رأى او سمع . وليس لاقبال الشباب أو الكهول على الاحتفال بها والارتياح لها سر الا جمالها الفاتن وجاذبيتها الطاغية .

ربما لا يجد المتحذلقون من خبراء الجمال جسمها منطبقا على مقاييس الفن اذا اخذوه عضوا عضوا ، ولكن الروح التي تنبث فيه ،والفتنة التي تنبعث منه ، والعذوبة التي تهيمن عليه شيء يسمو على المقاييس ويخرج عن دائرة الفن .

لم أكن أنا وحدي الذي انعقد نظره بوجه «نورا» واشتغل قلبه بحسنها ، وانما كان أكثر الجالسين ينقلون أبصارهم عند الضرورة من شخص الى شخص ومن شيء الى شيء ثم يعودون فيقفونها على محيا « نورا » اما الأم فقد كان يظهر من نظراتها وبسماتها انها تتيه على النساء بأنها ولدت هذا الحسن . واما الأب فقد كان يبدو منهيئتهولهجته انه يفخر على الرجال بانه اوجد هذه الفتنة ،واما الخطيب فقد كان يلوح من حركاته وكلماته انه يزهى على الشباب بانه استأثر بهذه التحفة ..

ولندع بعد ذلك الحوادث تتوالد وتتوالى في الأيام التي ستتعاقب على هذه الليلة .

البقية في العدد القادم

■■

احمد حسن الزيات

نتيجة مسابقة العدد ٣٩

هؤلاء هم العباقرة السبعة

وهذه أسماء الفائزين بالجوائز

■ **السبعة الذين اخترناهم موضوعا لمسابقة العدد التاسع والثلاثين من عباقرة العرب الذين حفل بأمجادهم التاريخ هم ، بترتيب ارقامهم فى المسابقة :**

ابن سينا .

ابن خلدون .

الرازى .

الحسن بن الهيثم .

ابن النفيس .

عباس بن فرناس .

ابو مروان عبد الملك بن ابى العلاء زهر ،الذى اشتهر بالحفيد .

وقد وفق كثير من القراء الى معرفة الاسماء السبعة كلها،واكتفى آخرون بذكر الأسماء الخمسة المطلوبة للفوز بالجوائز .

وقد أسهب بعض المشتركين فى المسابقة فى التعريف بالشخصيات المطلوبة ، ومنها اجابة السيد محمد عبد الله غامدى بالمجلس التاديبى بوزارة الدفاع والطيران السعودية بالرياض ، وقد تضمنت صفحة كاملة عن كل شخصية . ولكن الحظ تخلى عنه عند الاقتراع على الجوائز .

وفيما يلى أسماء الذين فازوا :

الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها : **احمد بن بلقاسم القلعى** ــ المدرسة الشماعية عدد ٤ سوق البلاغجية : تونس .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فازت بها : **الآنسة أمل الحكيم** ــ صندوق البريد ٦٢٥ ــ دمشق ــ الجمهورية العربية السورية .

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها : **عبد القادر عبد الرحمن السلاتى** ــ المركز الدولى للاحصاء ــ ص. ب ٣٤٤٤ بيروت ــ لبنان .

٨ جوائز قيمتها اربعون دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

ــ **الصيدلى القانونى احمد السيد** : صيدلية الشعب الجديدة ــ باب العامود ــ القدس ــ الاردن

ــ **عبد العزيز محمد النهابى** ــ الادارة المالية بسكة حديد الحكومة ــ الدمام ــ المملكة العربية السعودية .

ــ **أسامة محمد حسين عيسى** ــ بواسطة السيد محمد حسين عيسى ــ سوق التجار ــ الكويت .

ــ **ياسين علي الأمير الأسطل** : خان يونس ــ قطاع غزة ــ فلسطين .

ــ **آسيا البدوى سعدان** : منزل رقم ١٣ ربع ١ و ــ جنوب الخرطوم ــ السودان .

ــ **سعيد احمد حسن عبد الله الصيفى** : صفط راشين ــ ببا : الجمهورية العربية المتحدة.

ــ **عبد الهادى محمد سامى** : كلية التجارة والاقتصاد ــ بنغازى ــ ليبيا .

ــ **السيدة بهيجة خلف العلوى** : شارع المتنبى المنزل : المنامة البحرين .

■■

دروس من بنزرت

● لم تكن مأساة بنزرت مأساة للشعب التونسى وحده الذى جرى عليه الاعتداء المرذول من طرف القوات الفرنسية الموجودة بقاعدة بنزرت . بل كانت مأساة العروبة جمعاء . هناك ذابت الخلافات ، وذهبت الاحقاد ، وحل محلها الاخاء والتضامن . وهناك اتضح شيء ، هو ان تونس وان كان بينها وبين شقيقاتها الأخريات اختلاف فى وجهات النظر حول المشاكل السياسية فهي عضو من الأسرة العربية ، واصبع من اصابعها تتالم له سائر الأصابع ، وتدافع عنها اذا ما أصابها ضرر .

ان مشكلة بنزرت وضعت النقاط على الحروف لكل شعب عربى ، واعطته درسا وعبرة جديرين بأن يضعهما موضع التقدير ، ويستخلص منهما النتائج لتقيه العثرات فى المستقبل . والمغرب العربى هو اول من يجب عليه ان يستفيد من القضية فيتخذ موقفا صارما ضد فرنسا . اذ انه يخسر معها من شرفه ، وسيادته ، أكثر مما يربح منها فى ميدانى الثقافة والاقتصاد .

جريدة ((**شنقيط**))
لسان حال حركة التحرير فى موريتانيا والصحراء

الوحدة الاقتصادية

● لا يجهل اعضاء المجلس الاقتصادى العربى انهم اذا لم يحققوا للشعب العربى امنيته فى ايجاد وحدة اقتصادية يكونون قد خرجوا على ارادته واصابوه بخيبة أمل مريرة .

وفى الواقع أن الوحدة الاقتصادية لم تكن اشد ضرورة للشعب العربى منها فى هذه الأيام ، لان شعوب العالم بدات بالتكتل الاقتصادى على نطاق واسع ، فالدول الاوروبية مثلا تسعى الى انشاء كتلة اقتصادية سمتها السوق الأوروبية المشتركة فى حين ان هذه الشعوب ليست من عنصر واحد ولا من امة واحدة ولا تجمع بينها الا وحدة جغرافيه واسعة .

وهناك صوت من افريقيا يقول الآن بضرورة انشاء كتلة اقتصادية مشتركة ، وكذلك الحال فى الدول اللاتينية فى أمريكا . وازاء هذا الاتجاه فى التكتل الاقتصادى ، لا يبقى مندوحة للشعب العربى من أن يتكتل ليجابه تلك الكتل التى تكون فى جميع أنحاء العالم .

جريدة « الانوار » ـ بيروت

لا تظلموا عرب فلسطين

● من المؤلم حقا أن يقال في المجالس الخاصة ، او يكتب في الصحف من وقت الى آخر ، أن عرب فلسطين قد قصروا تجاه انفسهم وفي حق بلادهم ، ففرطوا في ارضهم وباعوها لليهود ، ولم يدافعوا كما يجب عن وطنهم ، ولم يضحوا في سبيله ، الى غير ما هنالك من تهم باطلة ، حرام أن تلصق بهؤلاء الاخوان الذين نكبوا في أشخاصهم ، وعائلاتهم وبلادهم ، وكل ما هو عزيز لديهم !

هذا الافتراء يخالف الحقيقة والواقع . ويخدم العدو الذي سرق جزءا من الوطن العربي ،ويتربص بالعرب ليسرق من وطنهم جزءا آخر !

يا ناس ! .. عرب فلسطين قاوموا الى أبعد حدود المقاومة . واقدموا على أعمال فوق طاقة البشر،ليصونوا تراث آبائهم ويحافظوا على وطنهم!

قاوموا الاغراء بالمال ، يوم كان اليهود يدفعون لهم الف جنيه ثمنا لأرض لا تساوي مائة جنيه !

الانجليز حاربوهم بالارهاب . واليهود حاربوهم بالدس والتزوير .

حكومة فلسطين الانجليزية منعت أبناء البلاد العربية أن يقيموا في فلسطين ، وفتحت اليها ابواب الهجرة اليهودية ..

السجون امتلأت بالعرب الابرياء في حين أن المجرمين اليهود كانوا يمرحون في البلاد أحرارا .

ثار العرب مرة بعد مرة . تظاهروا . أضربوا عن العمل . حملوا السلاح ، قاتلوا في المدن وفي القرى وفي الجبال . شهداؤهم يعدون بالآلاف . تضحياتهم الضخمة لا تتناسب مع عددهم ومساحة بلادهم !.. حرام أن يظلمهم المفترون !

وعار أن يكون المفترون ، أحيانا ، من العرب أنفسهم !

لم يقصر عرب فلسطين بالأمس ، يوم ضاع وطنهم وراح ضحيةالمؤامرة الصهيونية الاستعمارية، ولن يقصروا في الغد ، يوم تدق الساعة لتحرير فلسطين من الغاصبين ..

حبيب جاماتي

مجلة « المصور » ــ القاهرة

الأدب الهجين

● ليس من اليسير الهين القول بأن احد العوامل الممهدة للثورة الجزائريةهو هذا الانتاج الأدبي الجزائري الذي كتب بلغة مستعارة .

وانا على شبه يقين بأن الرفاق الجزائريين كتاب الفرنسية انفسهم لا يستطيع احدهم أن يبيح لنفسه الزعم بأن انتاجه الأدبي قد مهد السبيل لقيام ثورة جزائرية هادفة لوضع حد لنظام استعماري استنفد كل طاقاته لامتصاص مقدرات الشعب الجزائري على أوسع نطاق .. وهكذا لا اسراف في القول بأن هذا الأدب الهجين ، ولد في عزلة وظل في عزلته بالنسبة للبيئة العربية التي لم يتح له أن يخرج منها ، لحد الساعة ، وليس من تفسير لذلك سوى ان هذا الأدب ذاته لا يعدو أن يكون احدى المضاعفات الناتجة عن النظام الاستعماري الذي ظل قائما في الجزائر خلال حقبة زمنية اوشكت على الانتهاء أو هي انتهت فعلا .

عن مجلة « دعوة الحق » ــ الرباط

بداية جديدة

● اذا كان المستعمرون يتكاتفون على التدمير والقتل ، فليس امام شعوب أفريقيا الا ان تتفق على منع الاستعمار من أن يسفك الدماء ، ويهدم القرى والمدن .

واذا كان المستعمرون يستنزفون ثروات أفريقيا ، فليس امام احرار افريقيا ، الا أن يعملوا على حرمان الاستعمار من هذه الثروات .

لقد انتهت معارك السنوات الأخيرة بالنصر لافريقيا ، ويمكن أن تنتهي معارك المستقبل ، بخلاص افريقيا نهائيا من السيطرة الأجنبية .

ان هذا الأمر ليس احتمالا . بل حقيقة مؤكدة .

جريدة « الجمهورية » ــ القاهرة

مَقْدِشو

جزء من العالم الاسلامى

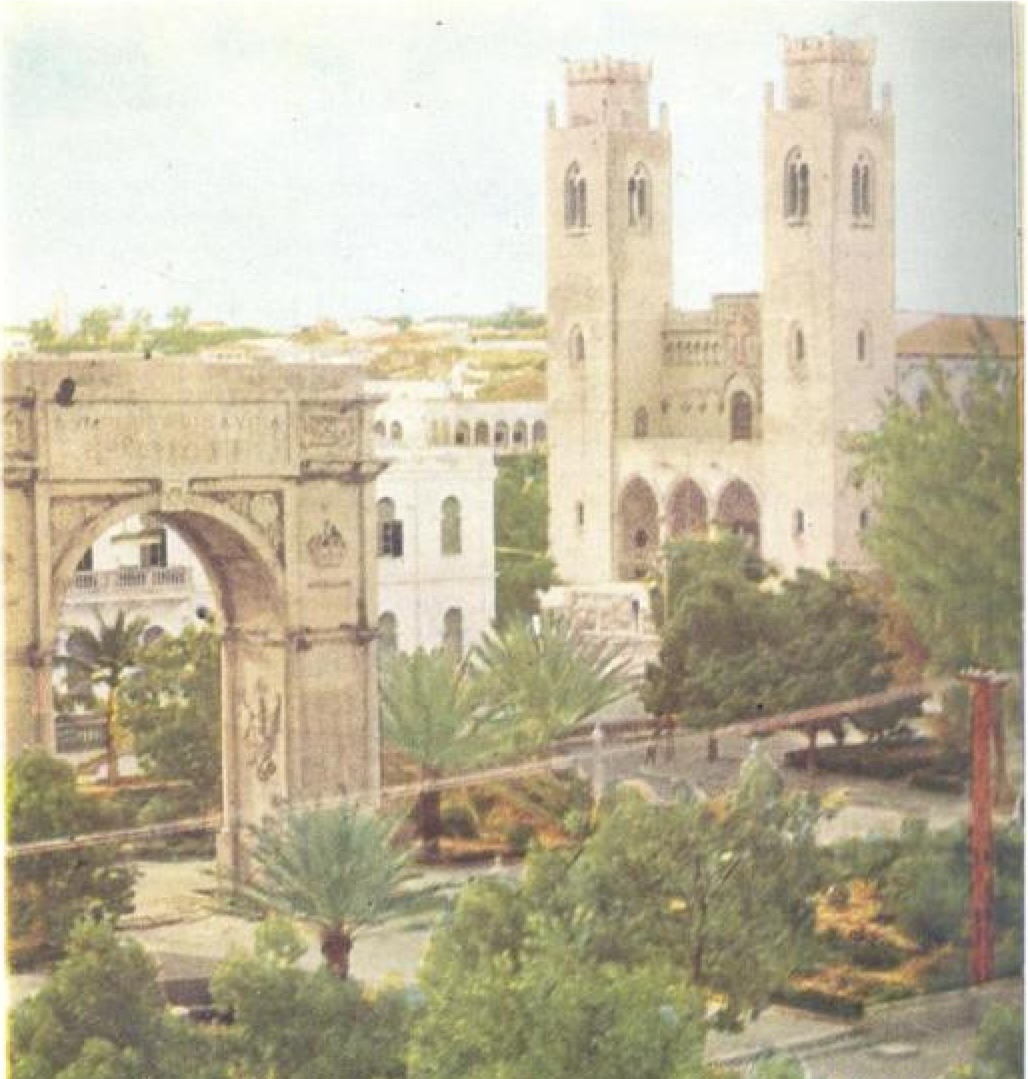

منظر رائع لساحة مقدشو الرئيسية .. وفى المقدمة ابراج قصر السلطان برغش بزخرفته العربية ، وخلفها مسجد « اربع ركن » ، أشهر مساجد مقدشو .. وبجواره برجا الكاتدرائية الكبيرة التى بناها الفنيون الايطاليون عام ١٩٢٨ على الطراز العربى .. ثم قوس النصر التقليدى ، الذى كان يبنيه موسوليني فى كل مكان .

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره
« أوسكار »

◄

أهمله العالم العربى !

■ **قالوا**: الى مقدشو .. **قلنا**: مرحبا بالبلد الذى يرتبط به العرب بأكثر من صلة تاريخية وثقافية ودينية ..

كان الطيار يحلق بطائرته حول مقدشو ، وعيناه تبحثان عن مطارها الصغير ..

وكانت عيوننا بدورها تكشف وتبحث عن شيء آخر مخالف لما يبحث عنه الطيار .. والتصقت وجوهنا بزجاج النافذة ، تحاول أن تستشف من خلفه آثار الطابع العربى فى مبانى مقدشو ..

وظهر الجواب على ضوء الشمس الافقي الأحمر: عشرات المآذن البيضاء تتعالى بمحاذاة مئات المبانى البيضاء ، التى تجسم الفن العربى الأصيل ، بزخارفها ونقوشها الرائعة .

وانحرفت الطائرة نحو ميناء مقدشو الصغير ، ذى المراسى الخشبية الثلاثة التى تتجه صوب مياه المحيط الهندى الزرقاء ..

وعند حاجز الأمواج ، كانت سفن « البوم » و « الجلبوت » ، القادمة من موانىء الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية ، تتهادى على صفحة الماء ، وقد نفخت الريح أشرعتها البيضاء ، فى طريقها الى ساحل مدينة مقدشو ، عاصمة الصومال ، تلك التى شهدت منذ ١٦ شهرا فقط مولد الجمهورية الصومالية المستقلة .

لقد ولدت هذه الجمهورية الفتية ، فى منطقة خطرة من عالمنا المتمزق .. فهى المفتاح الجنوبى للبحر الأحمر ، ونقطة العبور من آسيا لأفريقيا .. فضلا عن كونها مرتكزا استراتيجيا هاما للعمليات العسكرية فى الجزء الجنوبى الشرقى من العالم ..

حمولة طائرة كبيرة كاملة من البطاطين والادوية والمأكولات المحفوظة ، ومعها مبلغ عشرة آلاف جنيه استرلينى ، قدمتها دولة الكويت مساعدة الى منكوبى الفيضانات فى الصومال .

تغيير جذرى ...

ان أزيز الطائرات الصاعدة والهابطة ، لا يهدأ او يتوقف ، فى ساحة مطار مقدشو الصغير ، الذى قيل لنا انه لم يشهد ، منذ بنائه ، حركة صاخبة مثل التى يشهدها هذه الأيام ..

كان عـدد الطائرات التى تهبط على ممـره (٦٤٣٤) قدمـا ، لا يتجاوز الثلاث طائرات أسبوعيا .. أما اليوم فلا يقل عددها عن العشر طائرات يوميا ..

من هليكوبتر للجيش الأمريكى ، الى T.V. 104 للاتحاد السوفييتى ، الى نفاثات للجيش البريطانى الى D. C. 6 للسلاح الجوى الاثيوبى ، وغيرها الكثير من الطائرات التى جاءت لتساعد فى انقاذ ما يمكن انقاذه من الصومال بعد أن أغرقه الفيضان .. فالمساحات الصحراوية المجدبة ، اصبحت بحيرات كبيرة هائلة ..

لقد ظلت الأمطار تتساقط على الصـومال ، بكميات هائلة ، وبدون توقف ، مدة ستة أشهر كاملة ، من أوائل يونيو الى أوائل ديسمبر عـام ١٩٦١ ، فأغرقت ما تعادل مساحته مساحة قطر غير صغير . وأهلكت آلاف الحيوانات الأليفـة والضارية ..

وكانت الفيلة أكثر الحيوانات تضررا ، اذ كانت اقدامها « تغرس » فى الوحل فلا تستطيع هربا ، فتغمرها المياه وتقضى عليها .. بينما الفهـود والنمور محصورة فوق رأس تل صغير لا تستطيع حراكا ..

ومن مقدشـــو انطلقت المؤنـات والمؤن الى المناطق المنكوبة التى يعيش فيها ربع مليون نسمة ، فقدوا كل شيء يملكونه .. (انظر الصورة ص ٥٣) .

هجرة جماعية ..

ان مقدشو هى نقطة الاشعاع الكبيرة الوحيدة فى جمهورية الصومال ..

وكما كانت هى نقطة الانطلاق ، كذلك كانت

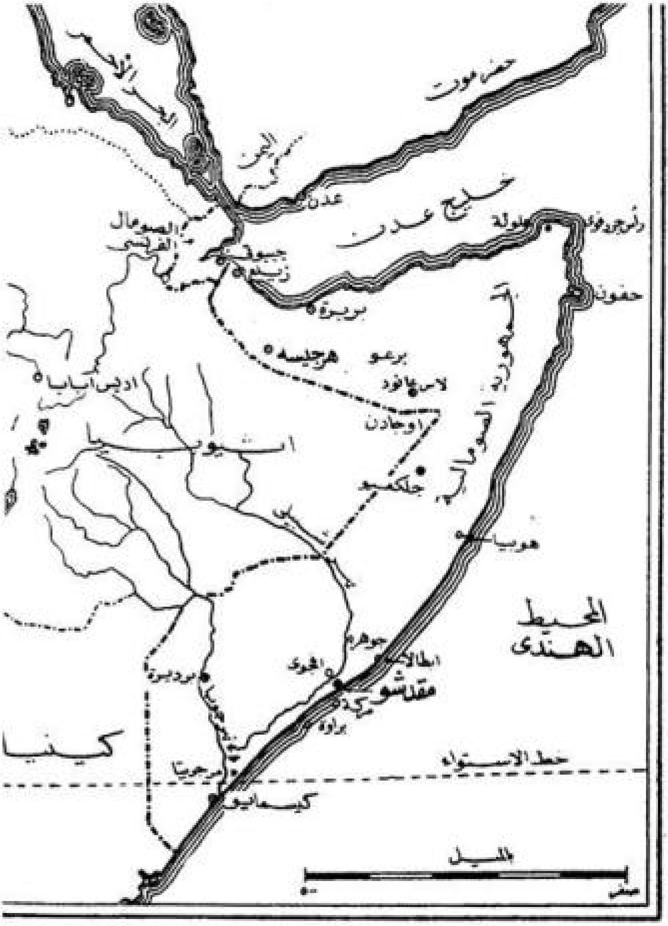

مثلث داخل المحيط ! هذا هو الصومال . ان ضلعا منه ، طوله ٦٠٠ ميل ، يطل على خليج عدن . وضلع آخر طوله ١٢٠٠ ميل ، يطل على المحيط الهندى . وتبعا لهذا الشكل ، المتطاول داخل البحر ، اطلق على الصومال اسم : قرن افريقيا ..

محطة لاستقبال عشرات الالوف من النازحين كانوا ، فى الأوائل، يأتون من الشمال المجدب ، الى الجنوب الغنى .. أما اليوم فيأتون من كل مكان هربا من الطوفان ..

هجرة جماعية نحو العاصمة ..

رعاة الماشية يأتون من الجنوب والغرب حاملين معهم أكواخهم فوق ظهور جمالهم ، فيقيمونها فى أطراف مقدشو..

وينضم اليهم بعض المزارعين الذين يقيمون أكواخهم من أى شىء يصلح للبناء : اغصان اشجار .. صخور .. طين .. صفيح .. سعف نخيل ..

التاكسى النحلة ..

وفى كل مساء ينساب هؤلاء النازحون ، الى شوارع مقدشو ، التى تغص بهم ، وخاصة عند ملتقى شارعى اول يوليو ، وكورسو ايطاليا (كورسو كلمة ايطالية تعنى شارعا) ـ وهذه النقطة هى قلب مقدشو النابض ـ حركة مستمرة لا تهدأ ..

« الكافيه ناسيونالى » (اى المقهى القومى) يعج بمرتاديه .. وسينما الحمراء تمتلىء بروادها من أجانب وصوماليين .. وبنك الصومال ، مع بنكو دى روما ، يساعدان التجار فى تجارتهم .. وشركات الطيران تحاول أن تجد مكانا لمئات الزوار المفاجئين لمقدشو ..وعشرات المتاجر تعرض التحف والعاديات ، يتطلع اليها ابن الصومال من خلف الزجاج فقط ، فأسعارها المرتفعة لا تتناسب مع امكانياته المادية ابدا .. !!

ومن المقاهى الكثيرة المنتشرة ينبعث صوت المذياع ، بأغان صومالية لمطربة الصومال الأولى : حريفة اسماعيل (انظر ص ٤٧) ويختلط صوت المذياع ، بأصوات « الموتو آبى » ، اى «التاكسى النحلة» ذى الثلاث عجلات الذى يتسع لثلاثة ركاب ..

ان الأجر الزهيد لهذا «التاكسى» ، الذى هو فى الواقع ، دراجة بخارية « فسبا » Vespa جعله يحل أزمة المواصلات التى لا تشعر بها المدينة رغم قلة السيارات العامة « أو الشتاوى » كما يسمونها هناك ،

العمبور .. والجنتينو !

وبجوار « الموتو » و « الشتاوى » تسير العربات الصغيرة التى تجرها الحمير ، تحمل

الى اليمين : في مقديشو ١٤٨ مسجداً ، أغلبها خال من الزخارف ومدهون بالجص الأبيض ، والى اليمين مئذنة الجامع الباكستاني التي بنيت على طراز مآذن الباكستان

كانت ترفرف على مدينة مقديشو ثلاثة أعلام متجاورة : علم البلاد الأزرق بنجمته البيضاء ، وعلم الأمم المتحدة ، والعلم الايطالي ، أما اليوم فالعلم الصومالي هو الوحيد الذي يرفرف فوق مقديشو ، عاصمة الجمهورية الصومالية المستقلة.

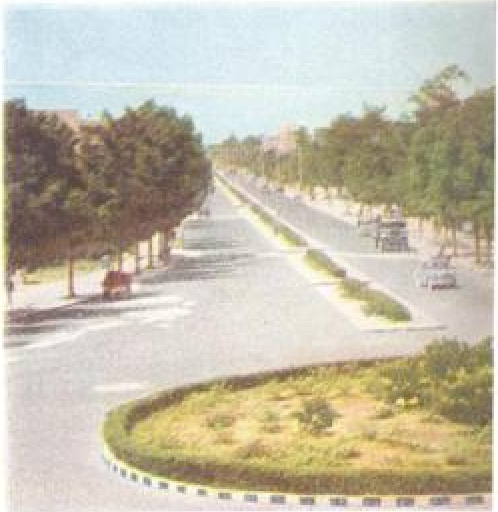

الى أسفل : ميدان « فرانسيسكو سفريو كاروسيلى » ومنه يتفرع شارع كورسو ايطاليا ، إلى شارع ايطاليا

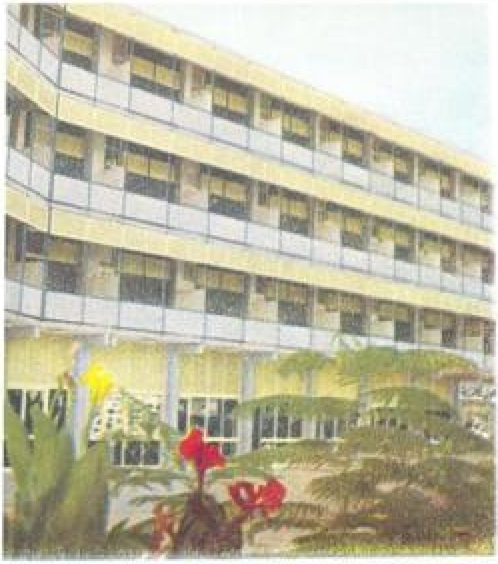

فندق جوبا : احدث فنادق مقدشو وافخمها .. تم بناؤه مع فندق شبيلى فى مدة ثلاثة أشهر ، واستوردت جميع مستلزمات البناء من ايطاليا .. ويضم هذا الفندق ٧٢ غرفة منها ٣٢ مكيفة الهواء ، واجرة الغرفة المكيفة ٣٨ شلنا .. بدون أكل .

الى أسفل : فى أول يوليو عام ١٩٦٠ أعلن استقلال البلاد ، فسمى الشارع الكبير باسم شارع أول يوليو تذكارا لهذا اليوم .. والعطلة الرسمية فى مقدشو يوم الجمعة ، وتغلق فيه الأسواق والمتاجر أما يوم الأحد ، فالمتاجر ــ حتى الايطالية منها ــ يجب أن تفتح صباحا ، ولها أن تغلق مساء

الرمال والأخشاب للبناء ..

وعلى الأرصفة يسير الناس مرتدين ملابس منوعة لا حصر لها .

وتتميز المرأةالصومالية بزيها الخاص ذى الالوان الزاهية الذى يبرز رشاقة خصرها مع قوامها المشوق .

وهى ترتدى نوعين من الملابس : « العمبور » و « الجتتينو » ـ والكلمة الأخيرة كلمة ايطالية معناها ظريف ـ وهو من القماش الخفيف ، يغطى الجسم كله ما عدا احد الكتفين.فهو يظل عاريا ..

اما الحجاب ، فيمكن أن يقال أنه ليس موجودا فى مقدشو ..

لقد ظل يتطور ويتقلص حتى أصبح قطعة من القماش الخفيف جدا ، تضعها الفتيات فوق رؤوسهن ، ويسمينها « فتصّليطا » ..

وتعتبر المرأة التى لا ترتدى هذه « الفصليطا » خارجة على العرف والتقاليد ! ولكن فتيات المدارس بدأن فى الثورة على هذا الغطاء ، فتراهن يسرن فى شوارع مقدشو سافرات دون أن يتعرض لهن أحد ..

ان المرأة الصومالية تبدلت وتغيرت .. ومع هذا فهى ما زالت لا تستعمل مساحيق التجميل ، الا نادرا ..

ومنذ أعوام مثلت فتاة صومالية فى فيلم ايطالى، وظهرت ساقاها فى الفلم ، فاعتبر هذا عارا للمرأة الصومالية ، التى لم تعد تظهر فى أى فيلم سينمائى .. !

وبالرغم من حرية الاختلاط ، ومن ان المرأة الصومالية قد حصلت على جميع حقوقها ، ولو نظريا ، وأصبحت مساوية للرجل تماما .. بالرغم من كل هذا ، فان الرجل لا يريد التنازل بسهولة عما كان يعتبره « متاعا خاصا » ..

لهذا يقف الكثيرون من الرجال الصوماليين أمام تقدم المرأة ويضايقونها فى جميع المجالات ..

الهجرة من القرية الى المدينة .. ومن الشمال المجدب ، الى الجنوب الخصب . ان الاكواخ ، أو العرايش المبنية من اغصان الاشجار ، المكسوة بالطين ، والمغطاة بالصفيح والقش وسعف النخيل ـ هذه الاكواخ تمنع تخطيط العاصمة وتوسعها .. كما تزيد المشاكل أمام المسئولين ..

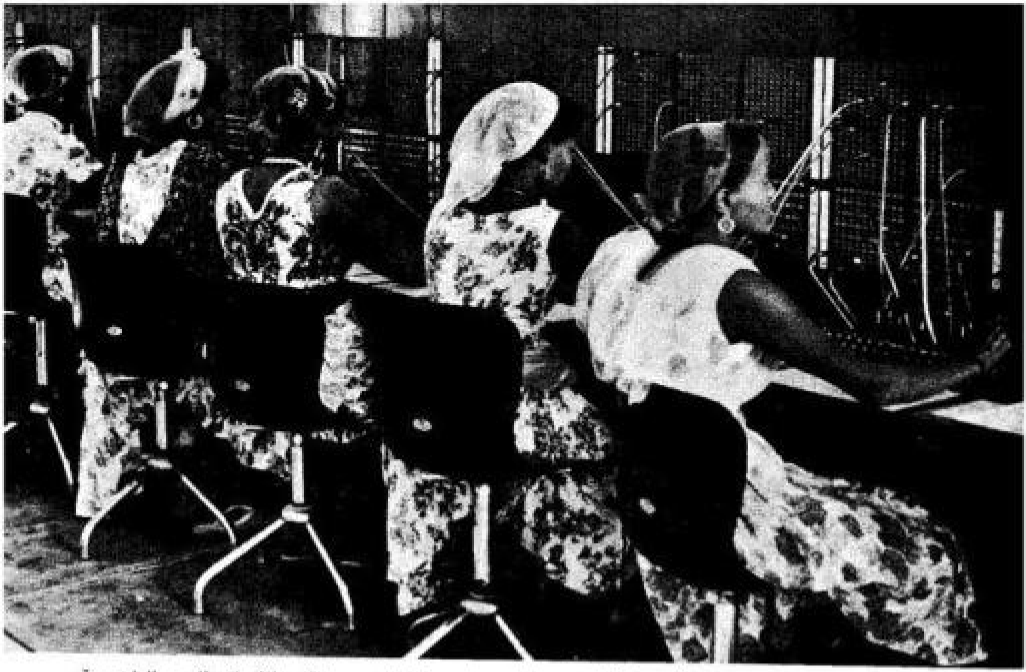

تربط خطوط التليفون نصف الأوتوماتيكية،بين منازل ومتاجر مقدشو .. وتقوم الفتيات الصوماليات بمهمة عاملات « السنترال » خير قيام .. ومن المنتظر أن يعمم الهاتف الأوتوماتيكي قريبا ..

المعَوِيس .. والشاتي !

وهذه « المشاكسة » لا تعنى أن الرجل الصومالي قاسي القلب ، بل على العكس ، فهو شديد الحساسية .. خجول .. طيب المعشر .. هادىء رقيق .. أسمر البشرة .. طويل القامة .. نحيل البنية .. أنفه مستقيم .. شفاهه رقيقة .. ما زال يرتدى «المعَوِيس»و«الشاتي» أى القميص ، والفوطة ذات الالوان الحمراء والخضراء والزرقاء .. التى تنافس بالوانها الوان أزياء النساء !

ولقد هجر الكثيرون «المعَوِيس» و « الشاتي » وأصبحوا يرتدون : القميص والبنطلون ... أما الجاكيت فمن الصعب العثور على أحد يرتديها فى الشوارع لطبيعة البلاد الحارة .. فمقدشو تقع على خط عرض ٢ شمال خط الاستواء ..

حديقة للتماثيل المهجورة !

وفى الامسيات تزدحم الموائد المتناثرة فى حديقة فندق « الكروسو ديل سود » Cruso del sud اى فندق الصليب الجنوبى ، وهو اقدم فنادق المدينة ، تزدحم الموائد بخليط عجيب يجمع بين الصومالى ، والعربى ، والباكستانى ، والهندى ، والروسى ، والايطالى ، والايطالية التى ترتدى الفستان الخفيف ، العارى الاكتاف ، لتستطيع تحمل جو المنطقة .

وبجانب هذا الفندق القديم ، الذى تجرى له عمليات تجديد مستمرة ، يوجد فندقان حديثان ، هما : جوبا ، وشبلى ، اقيما معا عند اعلان استقلال البلاد فى يوليو ١٩٦٠ ، بسرعة فائقة .

وتقع هذه الفنادق فى الجزء الحديث من مقدشو الذى خططه وبناه الايطاليون ، فجعلوا منازله على الطراز العربى وبنو الفيلات البيضاء على امتداد الطرق الرئيسية الفسيحة الواسعة ، الممتلئة بالسيارات الايطالية الصغيرة التى يملكها الاهالى.

وكعادة الايطاليين ، لم ينسوا اقامة قوسين كبيرين للنصر ، احدهما وسط المدينة ، والآخر قرب الميناء ، وقد اصبحا اليوم فى حالة يرثى لها .. اما بقية التماثيل والنصب التذكارية ، فقد نقلها ابناء الصومال الى ساحة واسعة خارج العاصمة ..

وتنقسم مقدشو الى عدة أحياء وأقسام أشهرها واقدمها حى « حَمَرْوِين » ، وحى « شنغانى ».

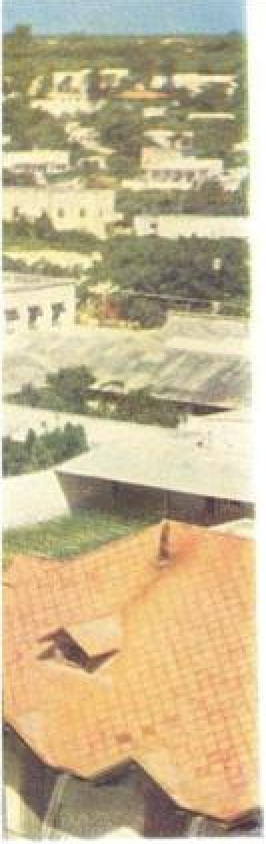

تسير المرأة الصومالية ، فى شوارع مقدشو ، سافرة بدون حجاب ، وانما تضع على رأسها غطاء اجباريا من القماش يسمى « قصلبطا » ، وقد نالت المرأة حقوقها السياسية ، تحت وصاية الأمم المتحدة ، وأصبحت متساوية مع الرجل فى جميع الحقوق . ولكن حتى اليوم لم تظهر زعيمة نسائية فى البلاد ، بسبب مشاكسة الرجال لهن !!

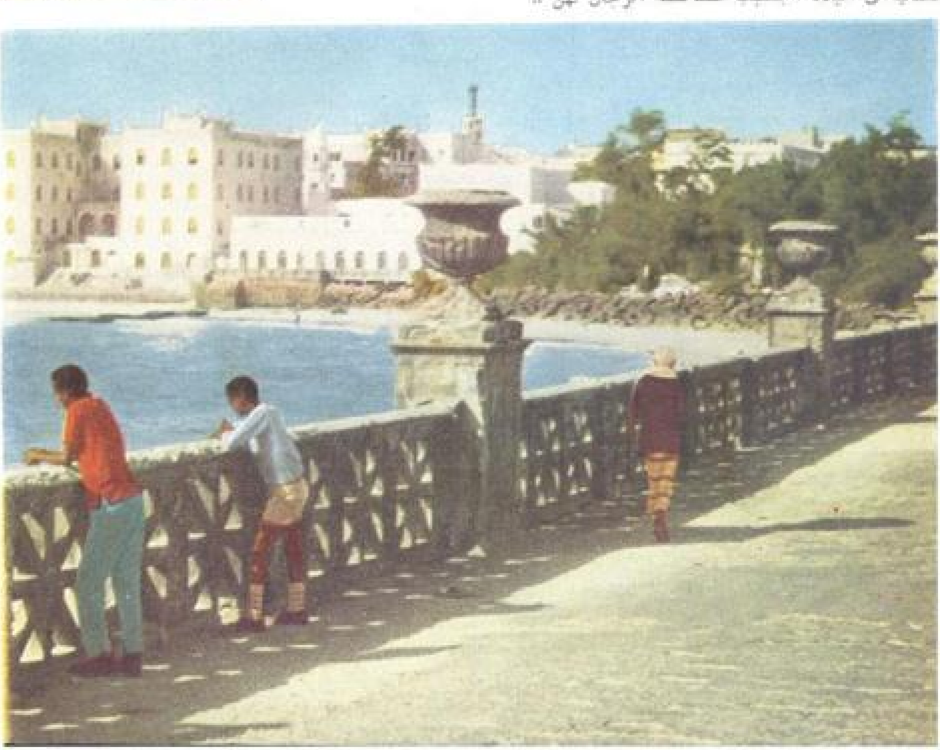

مقدشو : عمرها **ألف** سنة،اذ بنيت فى القرن العاشر الميلادى ، وأضيفت لها فى السنين الأخيرة ، وخاصة فى عهد الحكم الإيطالى،أحياء وشوارع جديدة .

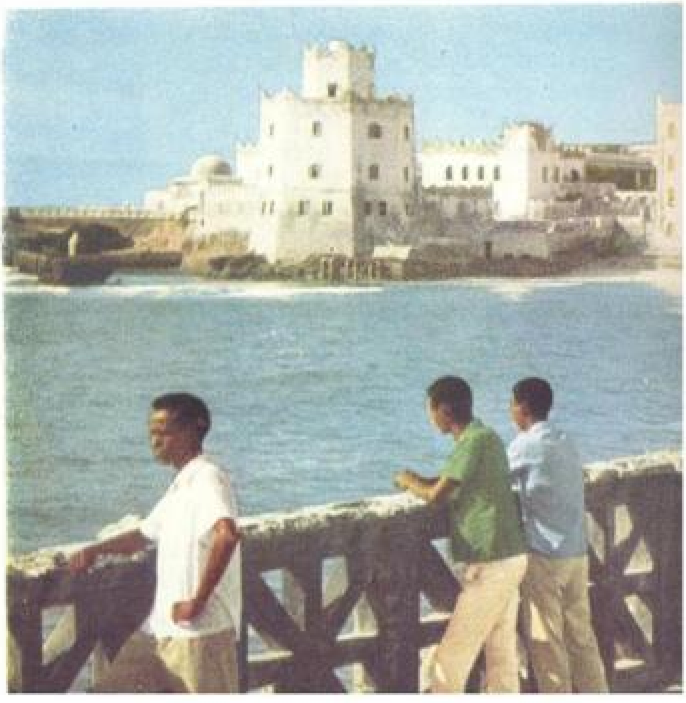

الى اليمين : منظر جميل لنهاية طريق الكورنيش ، وقد ظهرت فيه القلاع والمبانى العربية القديمة .. لقد كان هذا الطريق مرصوفا ، وفى زهرياته الورود الملونة ،يقصده الأهالى فى الأمسيات للنزهة .. كما كان الإيطاليون يقيمون فيه استعراضاتهم العسكرية .. أما اليوم فقد تآكل السور .. وماتت الأزهار .. وكثرت الفجوات فى الطريق كما ترى فى الصورة .. ان الحالة الاقتصادية هى السبب الأول فى عدم تجديده ..

صومال .. ومقدشو ..

ولم يتفق الناس بعد على معنى كلمة صومال : فالبعض يقول ان « صو » تعني بقرة و « مال » تعني احلب .. أي « أحلب بقرة » .

ويحاول البعض أن ينسبها الى زعيم قديم ، كان يسمى « صومال » تنحدر منه جميع قبائل الصومال .

اما كلمة « مقدشو » فالروايات عن أصلها متضاربة وكثيرة ، ولكنه لا يوجد اسم سطت عليه عوامل التحريف والتحوير والتغيير مثل اسم عاصمة الجمهورية الصومالية ، الذي اصطلح المؤرخون والكتاب العرب القدامى على أنه مقدشوه ، ولكن ما زال الكثيرون يكتبونه طبقا لما يكتب باللغات

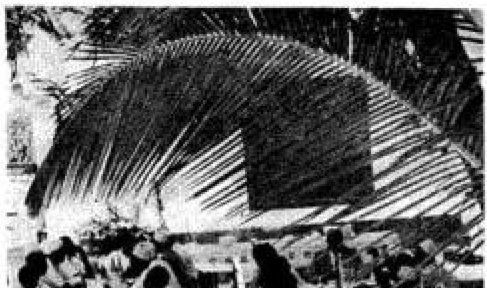

على الموائد المتناثرة في حديقة فندق «الكروسو ديل سود» تنعقد الاجتماعات والاحتفالات في مقدشو .

الأجنبية ، فالبعض يكتبه : مقدشيو ، ومقديشيو ، وموجاديشيو ، ومقدشيكو ، وموجوديشيو ، حتى الافرنج اختلفوا في كتابته .

والسبب في هذا الاختلاف والاختلاط عائد الى الأصل المجهول للكلمة ، التي يقولون انه فارسي ، وكان يعني « مقعد شاه » نسبة الى محمد شاه الحلواني الذي حكم البلاد في القرن الثاني عشر ، ومع الزمان حذفت حروف ، واستبدلت حروف ، واصبحت كلمتا « مقعد الشاه » كلمة واحدة .

وقد اتفق اهل الصومال على كتابة اسم عاصمتهم بهذه الصورة : مقدشو ..

سر النجمة !؟

وتظهر آمال أهل العاصمة مجسمة في علمهم القومي ، الذي احتفلوا برفعه في ١٢ اكتوبر ١٩٥٤ ، وهو مستطيل أزرق في وسطه نجمة بيضاء ذات خمسة سنون حادة ترمز للصومالات الخمسة: الايطالي والبريطاني سابقا ، والثلاثة الباقية ، هي : الفرنسي ، والكيني ، والحبشي ، وتتجه آمالهم باصرار نحوها حيث يعيش ملايين الصوماليين .

وقصة الصومالات الخمسة ترجع الى منتصف القرن التاسع عشر ، عندما كانت هذه الصومالات تكون وحدة واحدة ، خاضعة لأمر سلطان زنجبار ، وكانت القبائل ترعى ماشيتها في الاراضي الواسعة .

ثمن الصومال
١٤٤ الف جنيه استرليني !!

كان كل شيء يسير هادئا ساكنا .. الى ان اكتشف المستعمرون من أهل أوروبا أهمية هذه المنطقة فجاءوها وقسموا أراضيها الشاسعة الى خطوط طولية وعرضية ، لا يعلم عنها ابن البلد الطيب شيئا .. ووضعوا الفواصل بين أفراد القبيلة الواحدة ، ومنعوهم من التنقل بين الأقسام الجديدة الا بتصاريح مسبقة ..

وهكذا ظهرت على خريطة العالم ، خمسة صومالات جديدة لم يكن لها أثر من قبل ..

واغنى هذه الصومالات وأكثرها أهمية ، هو ما كان يعرف بالصومال الايطالي .. الذي استأجر الايطاليون ثغوره من سلطان زنجبار عام ١٨٩٢ لمدة ٥٠ عاما .. وفي عام ١٩٠٥ تنازل سلطان زنجبار عن هذه الموانىء لايطاليا ، بموجب اتفاقية ١٣ يناير ١٩٠٥ مقابل مبلغ اجمالي قيمته ١٤٤

افتتحت الحكومة الصومالية محطة للاذاعة فى مقدشو قوتها ٥٠ كيلوات ، تقدم الاغانى والموسيقى باللغتين الصومالية والسواحلية.. وترى الى أعلى مغنيات الاذاعة الاربع يغنين أمام الميكرفون، وبينهن (الثانية من اليمين) حريضة اسماعيل مغنية الصومال الأولى .. والى اليسار أعضاء فرقة الاذاعة الموسيقية مع أدواتهم ، التى تجمع بين الكلارينيت ، والطبلة !!

الف جنيه استرلينى (أنظر دائرة المعارف البريطانية) .. وفى عام ١٩٢٤ أبرمت مفاوضات تنازلت بموجبها بريطانيا عن منطقة جوبا وكسمايو، قرب حدود كينيا ، لايطاليا ، التى ظلت تحكم الصومالي الايطالي الى أن فتحه الجنرال البريطانى آلن كننجهام عام ١٩٤١ فى مدة ثلاثة أسابيع فقط ، أسر خلالهـا ٢١ ألف جندى ايطالـى . وتولت بريطانيا الحكم فى مقدشو حتى عام ١٩٥٠ ، عندما تنازلت الدول الكبرى عن « حق المنتصر » فى الصومال ، وتركت مصيره بين أيدى الأمم المتحدة ، التى قررت جمعيتها العامة منح الاستقلال للصومال الايطالى ، بعد فترة عشر سنوات ، يقضيها تحت الوصاية الدولية ، التى تتولاها ايطاليا ، بمعاونة مجلس استشارى مكون من مندوبى مصر والفيليبين وكولومبيا .

اتحاد بعد فرقة ..

وظل هذا المجلس ، يعمل باخلاص لتأهيل أهل الصومال لحكم أنفسهم ، حتى كللت مساعيه بنجاح ، واعلن استقلال الصومال الايطالى فى أول يوليو عام ١٩٦٠ ، أى قبل ستة أشهر من الموعد المحدد من الأمم المتحدة ..

وفى نفس الوقت استقل الصومال البريطانى ، واتحد مع الصومال الايطالى بعد فراق دام أكثر من ٥٠ عاما وكونا معا « الجمهورية الصومالية » واتخذا من مقدشو ، عاصمة الصومال الايطالى سابقا ، عاصمة للجمهورية الجديدة .

وحدة الصومالات ...

كان المستعمرون يقولون : ان الحروب الأهلية سوف تنشب بين قبائل الصومال بعد الاستقلال مباشرة ! ولكن الانسجام الطبيعى الذى حدث بين أهل الصومالين المتحدين ، رغم اختلاف اللغات الغربية السائدة ـ ففى الشمال الانجليزية وفى الجنوب الايطالية ـ أثبت ان الشعب الصومالي هو من عنصر واحد متناسق ..

ومن مقدشو خرجت حركة قوية ، تدعو الى القومية الصومالية ، ونبذ الانساب ، والنظام القبلى ، والايمان بوحدة الصومالات الخمسة ..

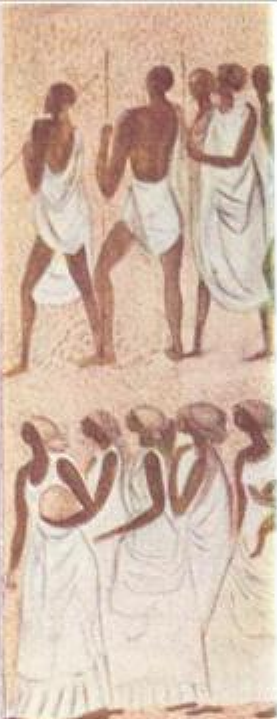

مبنى البرلمان من الخارج وعليه شعار الجمهورية وفوقه عبارة « الله اكبر » .. ومما يذكر أن هذا المبنى كان مقرا للحزب الفاشستى الإيطالى ، ثم حوله البريطانيون الى مقر لقيادتهم أثناء احتلالهم للبلاد .. ثم جدد ليصبح برلمانا للجمهورية المستقلة ..

الى اليمين : متحف مقدشو ، ويضم مجموعة كبيرة من النقود والخطابات القديمة العربية !! ونرى هنا أعلام الطرق الصوفية ، تحيط بها أنياب الأفيال العاجية

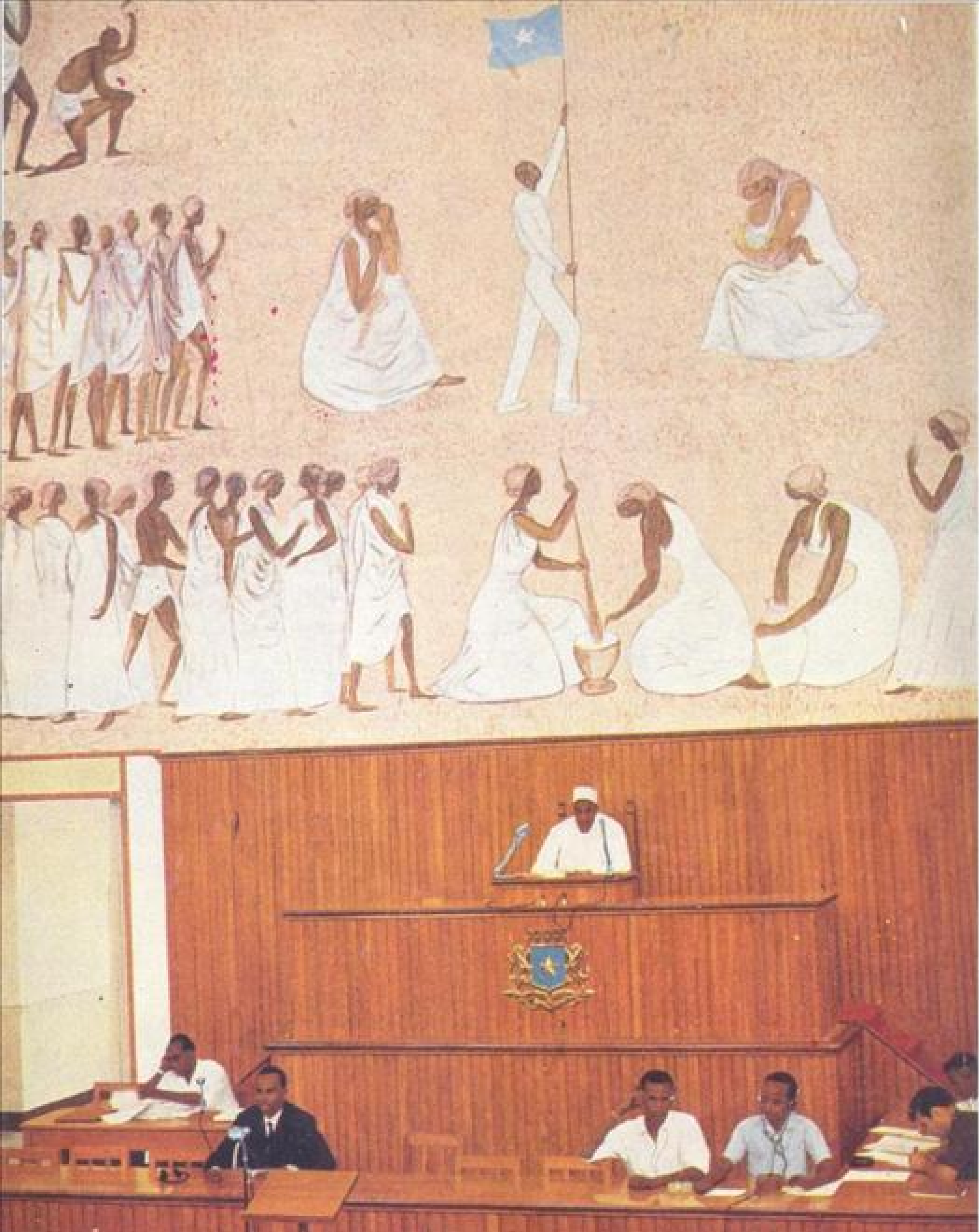

البرلمان الصومالى : وعدد أعضائه ١٢١ عضواً ، منهم ٣١ يمثلون المنطقة الشمالية (الصومال البريطانى سابقا) و ٩٠ عضوا يمثلون المنطقة الجنوبية (الصومال الإيطالى سابقا) .. وكان هؤلاء الأعضاء قد انتخبوا قبل الاستقلال فى أواخر عهد الوصاية .. ثم انضم الفريقان وتألف منهما برلمان البلاد .. وتزدان قاعة الاجتماع بصورة هائلة على الحائط ، فوق مقعد الرئيس ، تمثل أهل الصومال يعملون متحدين حول علم الجمهورية الأزرق ذى النجمة البيضاء ..

الحرب الباردة .. في مقدشو !

ويبذل المسئولون في العاصمة قصارى جهدهم للتغلب على التركة الثقيلة بالمشاكل التي ورثوها .. فالميزان التجاري في عجز دائم ، بالرغم من المساعدات التي تنهال من منظمات الامم المتحدة ومن امريكا وايطاليا وانجلترا والجمهورية العربية المتحدة وروسيا والسوق الأوروبية المشتركة ..

انها مساعدات تأخذ أشكالا مختلفة : من اموال سائلة .. ومنح دراسية واسعة .. ودراسة مشاريع وتنفيذها .. وتقديم المدرسين والخبراء .. وبناء المدارس .. وشق الطرق .. ومكافحة الأمراض ..

ويعرف ابن مقدشو بأن الكثير من هـــذه المساعدات يحمل في طياته اهدافا خفية تحاول جر بلاده الى معسكر ما . ولكن الحكومة أعلنت سياستها في الحياد وعدم الانحياز .

وبالرغم من هذا ، فالحرب الباردة بين هذه الدول يكاد الانسان يلمسها في كل مكان .. منشورات وصور على الحوائط .. وهمسات في ابهاء الفنادق .. واشاعات تملأ المدينة بأخبار كاذبة ..

ثروات مكنوزة ...

والناحية التجارية يتولاها الايطاليون والعرب والهنود والباكستانيون .. وتأتي ايطاليا في طليعة الدول التي تتعامل معها مقدشو .

ونسبة الصادرات الى ايطاليا تبلغ ٤٧٫٨٪ والورادات منها ٦٩٫٧٪ .

ان الصومال بلد طبيعي غني جدا ، ولكن ثروانه ما زالت بكرا ، لم تمس بعد ..

ومنذ عام ١٩٥٥ والشركات الايطالية والأمريكية والكندية تبحث ، بدون نتيجة ، عن البترول ، رغم انها حفرت أعمق الآبار في أفريقيا (٥ آلاف متر) ..

وفي نفس الوقت يجرى البحث عن المعادن مثل الذهب واليورنيوم ..

وكانت الصومال تصدر ما قيمته مليون ونصف مليون جنيه استرليني من الملح ، الذي تستخلصه من منطقة حَفُون .. ولكن جميع الملاحات دمرت بعد عام ١٩٤١ .

ويتخذ الباحثون والخبراء مقدشو مركزا وقاعدة لهم .. واكثر ما يضايقهم ويضايق كل غريب يزور العاصمة هو ماؤها فهو مالح اجاج ، مصدره آبار على بعد خمسة كيلومترات من العاصمة ..

وتوجد آبار صغيرة حلوة تمد المدينة بمياه الشرب ، كما تتوفر محليا المياه المعدنية التي تلاقي اقبالا كبيرا ..

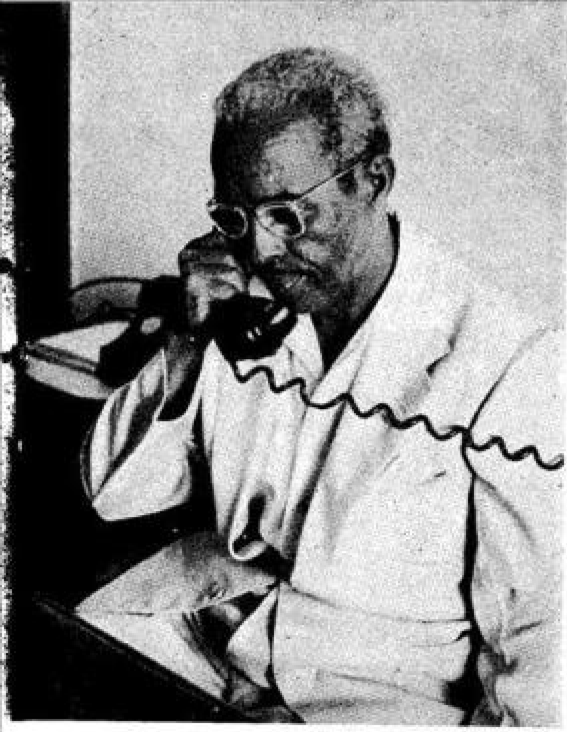

عبد الله آدم : أول رئيس للجمهورية الصومالية كتب على مدخل مبنى رئاسة الجمهورية الآية الكريمة التالية : « ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

نهر الفهود

ان مقدشو تعتمد على مياه الآبار القليلة في شربها واغتسالها ، بينما يمر على بعد ٢٨ كيلومترا فقط منها نهر كبير طوله ١٧٠ ميلا ينبع من اعالي هضاب الحبشة ، وتذهب مياهه هدرا في بحر من الرمال ، دون أن يستفيد منها أحد .

انها مياه نهر شبيلي ، أي نهر الفهود باللغة الصومالية ، وقد أخذ اسمه من الفهود الكثيرة التي تعيش في منطقة جريانه .

ان مشروعا واحدا على هذا النهر ، الذي لم يجف يوما واحدا منذ ثلاث سنوات ، كفيل باحداث انقلاب عظيم في البلاد ..

فمقدشو سوف تشرب وترتوى ..

والاراضى الخصبة المحصورة بين النهرين ، شبيلى وجوبا ، ستتحول الى مزرعة هائلة ، بدلا من تركها بدون زراعة تقريبا .

فلاحون من الصين ..

والى جانب عدم وجود مشاريع للرى ، تكمن عوامل أخرى خلف عدم استغلال الأراضى .

أولهـا : جهـل المزارع الصومالى بأساليب استعمال الأدوات الزراعية ، حتى البدائى منها ، كالمحراث مثلا ..

ثانيا : نظرة الصومالى الى العمل فى الحقل كأنه مهنة حقيرة ، بينما الفخر ، كل الفخر ، لرعاة الماشية ..

وفى عهد موسولينى حاول أن يجد حلا لمشكلة الزراعة ، وكان التفكير يدور لجلب مزارعين من الصين للعمل فى الزراعة وخاصة زراعة الرز ، الذى ثبت نجاح زراعته فى البلاد .. ولكن عدل عن فكرة جلب هؤلاء الصينيين ، واستعيض عنهم بتدريب أهل البلد على الزراعة ..

الموز والبخور واللبان ..

وأهم الحاصلات الزراعية : الموز ، ومقدشو هى مركز تصديره ، وكان يصدر منه ١٠٠ ألف طن سنويا الى ايطاليا رأسا حيث يعفى من ضريبة الوارد ..

وتأتى بعد الموز ، الحاصلات الاستوائية مثل : الليمون الهندى Grape fruit والباباى والمانجو .

كما نجحت زراعة القطن المصرى وقصب السكر فى قرية جوهر قرب مقدشو .

ولا يجب أن نغفل اللبان والبخور ، اللذين تعتبر الصومال أكبر مصدر لهما فى العالم منذ قديم الزمان ، وفى عهد الملكة حتشبسوت جاءت المراكب الفرعونية الى بلاد بنْت (الصومال حاليا) لجلب البخور ..

مستشفى Dè martino للولادة ويضم ٦٦٠ سريرا ، وبه طبيب صومالى واثنا عشر طبيبا ايطاليا ،وطبيب مصرى ، وأربعة أطباء روس جاءوا أخيرا .. ومما يذكر أن السوق الأوربى المشترك الذى يضم الصومال فى عضويته ، يقوم حاليا ببناء مستشفى كبير يتسع لسبعمائة سرير .

مع شروق الشمس ، تبدأ عملية هجوم على مقدشو من النازحين القاطنين فى أطرافها الذين يجلبون معهم الالبان والاخشاب والماشية ، والرملة الحمراء التى تحملها النساء على ظهورهن **(الصورة السفلى)** لاستعمالها فى طلاء « العرايش » فى العاصمة .

الى اليسار : تحت قوس النصر القديم ، الذى كانت تجرى بجواره احتفالات الفاشست فى عهد موسولينى ، تتجمع اليوم قطعان الماشية ، فى طريقها الى الميناء حيث ترفع فى شباك **(الصورة العليا)** لانزالها الى الزوارق فى طريقها للبواخر

الى أسفل : ميناء مقدشو الذى لا تدخله سوى المراكب والزوارق الصغيرة ، التى يحميها من الامواج حاجز طويل ، أما السفن الكبيرة فتقف فى عرض البحر

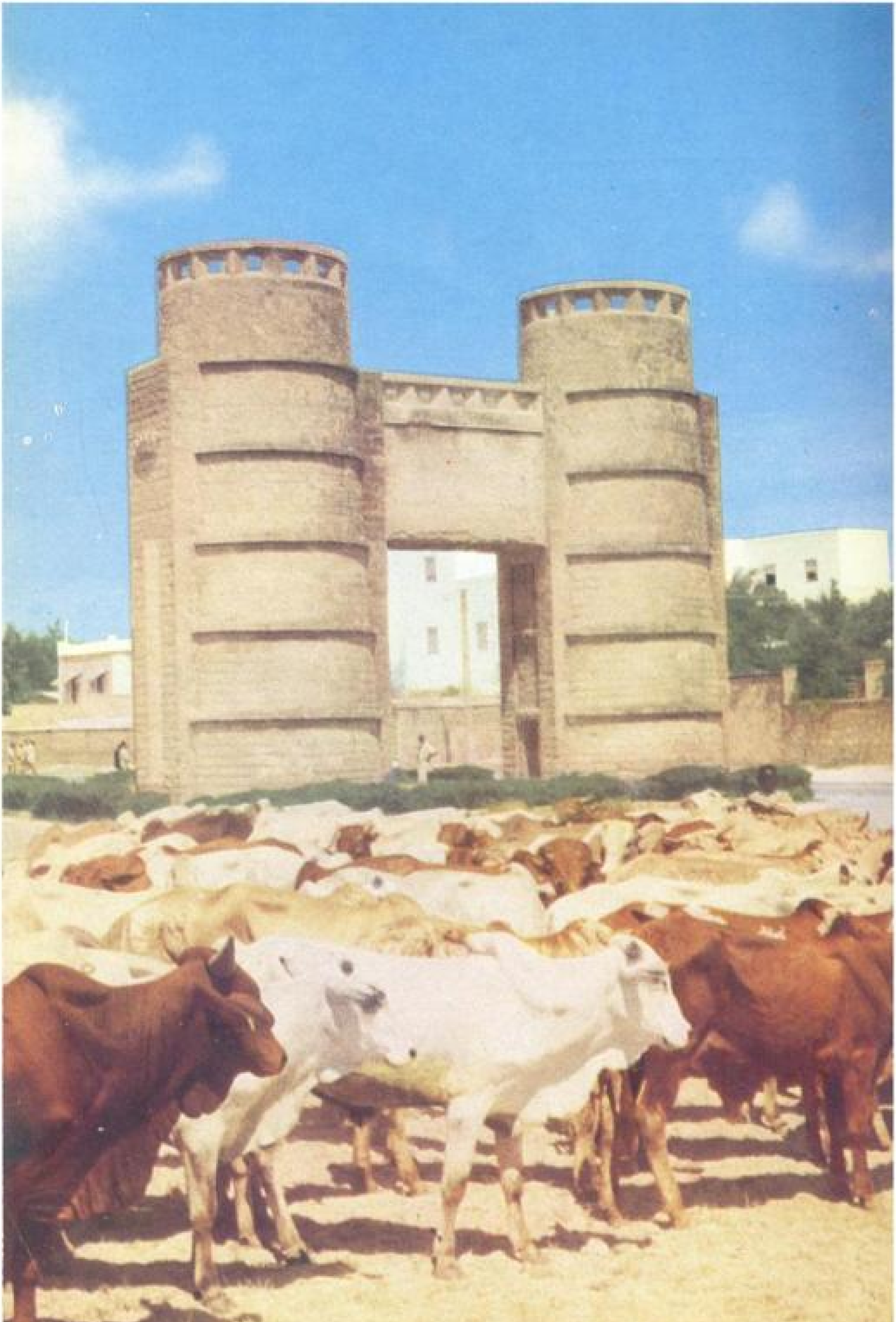

من الصناعات القديمة التي ما زالت قائمة حتى اليوم ، صناعة القماش الملون الذى تصنع منه « القوط » التى تشد على الخصر بدلا من السراويل والبنطلونات . وفى حى حَمَرْوِين ، أقدم أحياء مقدشو ، ما زال الصانع يجلس فى حفرة بالأرض، يدير بقدمه النول ، الذى ينسج الخيوط الحمراء والصفراء والزرقاء الواردة من ايطاليا والهند .. وتباع الثمانى ياردات منه بثلاثين شلنا (٢٠ شلنا = جنيها استرلينيا) .

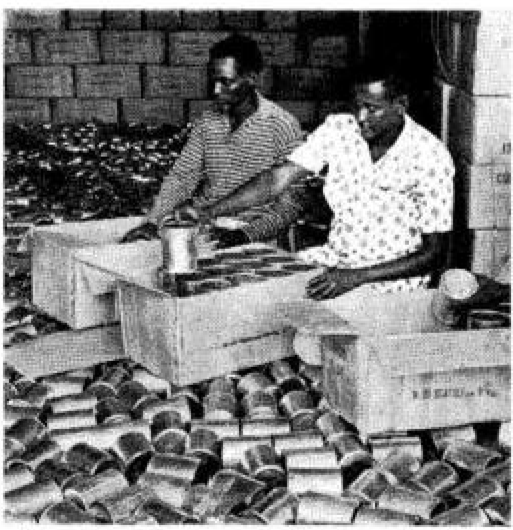

تكاد الصناعة أن تكون معدومة فى مقدشو ، وأهم المصانع فيها هو مصنع اللحوم المحفوظة ، الذى يصدر انتاجه بكامله الى ايطاليا ..

اما الخضراوات فلا تزرع الا حول مقدشو لاستعمال الأجانب فى العاصمة ..

نقل السكة الحديد الوحيدة ..

وصعوبة المواصلات من العوامل التى تؤثر على تأخر الزراعة ، فالطرق كلها بدائية .. وكان هناك خط حديدى واحد طوله ٧٧ كم يربط بين مقدشو ، ومنطقة جوهر الزراعية الصناعية ، حيث مصنع السكر ومصنع حلج القطن ، ولكن هذا الخط نقله الانجليز الى كينيا أثناء احتلالهم للبلاد بعد عام ١٩٤١ .

٣/٤ الأهالى رعاة

ان الزراعة فى الصومال فى حاجة ماسة الى مشاريع للرى وأيد خبيرة لكى تخرجها من هذا الطور البدائى الذى هى عليه ..

ولكن الرجل الصومالى ، لا يكترث لهذا كثيرا ، فهو ، قبل كل شىء ، راع للجمال والأبقار والخراف والماعز . منذ آلاف السنين .

وتشير الاحصاءات الى ان ثلاثة أرباع أهل الصومال من الرعاة .. حتى ان ثروة الانسان هناك تقدر بنسبة عدد ما يملك من القطعان ! وترعى النساء ، الماعز والاغنام ، بينما يرعى الرجال الجمال والأبقار .

أين الميناء ؟

ان مقدشو هى الميناء الرئيسى للصومال ومنه تصدر ٨٠٪ من منتجاته ، ومحاصيله ، ومع هذا فمقدشو ليس به معدات الميناء !! انما تنقل البضائع والماشية فى صنادل ورفاصات من فوق الأرصفة الخشبية الثلاثة الصغيرة وتتجه الصنادل ببضاعتها الآدمية أو الحيوانية الى عرض البحر ، حيث تقف السفن الكبيرة ..

وكثيرا ما تتلاقى هذه الصنادل بالسفن الشراعية المحملة بالتمور والقادمة من البلاد العربية .. أو تتقابل مع السفن الشراعية المسافرة من مقدشو حاملة معها سمك القرش المجفف وأكياس البخور واللبان الى الجزيرة العربية ...

ويقوم الآن الروس والامريكان بدراسة مشروع ايطالى قديم يقضى بتحويل المراسى الخشبية الثلاثة فى مقدشو الى ميناء كبير ضخم .. ويميل الروس الى تنفيذ المشروع الايطالى .. بينما يفكر الأمريكان فى مشروع جديد للميناء ..

وفى نفس الوقت كادت الدراسات أن تنتهى

لبناء ميناء تجارى جديد فى مدينة كِسمايُو ، جنوب مقدشو ، بالقرب من مزارع الموز الكبيرة وقطعان الماشية العديدة التى ترعى فى المنطقة ..

ويمتد بجوار الميناء شاطىء رملى جميل ،كان يقصده الايطاليون من سكان مقدشو يسبحـون فيه ويمرحون . أما اليوم وبعد أن تضاءل عددهم، فقد أصبح هذا البلاج مقصدا للروس والأمريكان والانجليز وحتى الفرنسيين .. جاءوا بالمايـوه البكينى والشباك ليجربوا حظهم فى الصـيد وسط شعاب المرجان القائمة !

المناخ فى مقدشو

والمناخ فى مقدشو متقلب ومتغير ، وتنقسم السنة الى اربعة فصول تحمل أسماء صومالية وهى:

القو (الربيع) من ٢١ مارس الى ٢١ يونيو

والحقاى (الشتاء) من ٢٢ يونيو الى ٢١ سبتمبر

والداير (الخريف) من ٢٢ سبتمبر الى ٢٠ ديسمبر.

والجيلال (الصيف) من ٢١ ديسمبر الى ٢٠ مارس.

ان الصومال كانت بلادا جدباء ، ومنذ بضع سنوات فقط بدات مياهه تتزايد وتكثر فى محاولة جريئة للقضاء على الجدب القديم الذى دفـع بالكثيرين من الصوماليين الى تولية وجوههم صوب البحر فغاصوا فيه بحثا عن اللؤلؤ ، وركبوه فاصبحوا بحارة ماهرين يخرجون من مقدشو الى موانىء الخليج العربى وجزيرة العرب .. وحتى مدن أوروبا .

وامتهن عدد منهم صيد سمك القرش المفترس وسمك التونة الذى تمر أسرابه قرب الشاطىء .

أعيـاد

وفى عيد النيروز وقبل موسم الامطار ، يجرى احتفال غريب عجيب فى بلدة "أفجوى" على بعد ٢٨ كيلومترا من مقدشو .

يجتمع رجال القبائل فى ساحة كبيرة واسعة وفى يد كل منهم عصى كبيرة غليظة ، وينقسم الجمع الى فريقين كل فريق له زيه وملابسه الملونة التى تميزه ، ويلتحم الفريقان فى معركة حامية ، بينما النساء يزغردن لزيادة حماس الرجال ... ولا تتوقف المعركة الا اذا سالت الدماء غزيرة ، ليكون هذا دليلا على خصوبة السنة .. واذا سـقط قتلى فهذا فال جميل ، على أن السنة سوف تكون خصبة كثيرة الامطار !!

وتجرى الاحتفالات الدينية بحضور اعداد هائلة

معرض مقدشو الدولى : تقيم غرفة التجارة فى مقدشو ، معرضا صناعيا وزراعيا دوليا ، يشترك فيه أكثر من الف عارض من افريقيا ، وآسيا ، واوربا ، وروسيا ، وشمال امريكا ، ويقام هذا المعرض مرة كل عامين من ٢٨ سبتمبر الى ١٢ اكتوبر ، وقد زار المعرض الأخير الذى أقيم فى العام الماضى ، نحو ٤٠٠ الف نسمة ..

ثمرة « الباباى » وهى أشبه بالبطيخ ولكنها تنبت على شجر عال ، مثل ثمرة جوز الهند .. ان الفاكهة الاستوائية من ثروات الصومال الزراعية

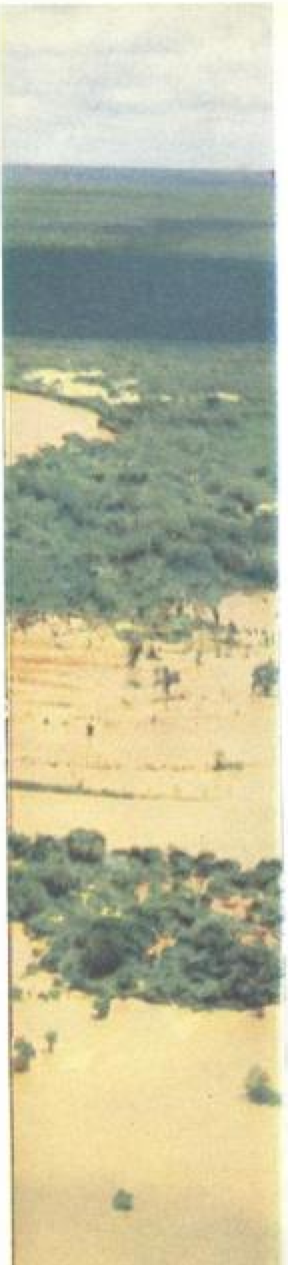

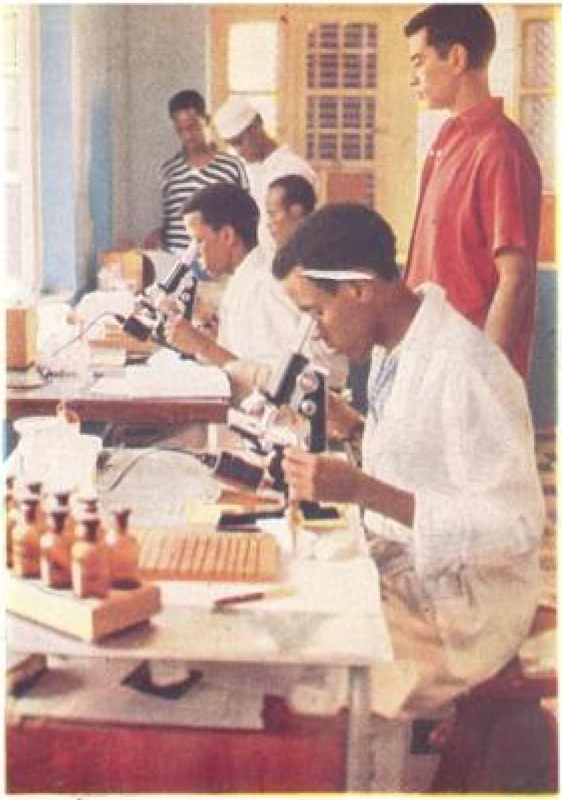

أبناء الصومال يعملون فى معمل منظمة الصحة العالمية فى تحليـــل واستقصاء أنواع الأمراض المنتشرة فى المناطق المنكوبة ، وقد قامت هذه المنظمة بدور ايجابى فعال فى توزيع الأدوية ، حتى لقد وزعت مليون حبة كلوروكوين للوقاية ضد الملاريا فى مدة ٣ أسابيع فقط ..

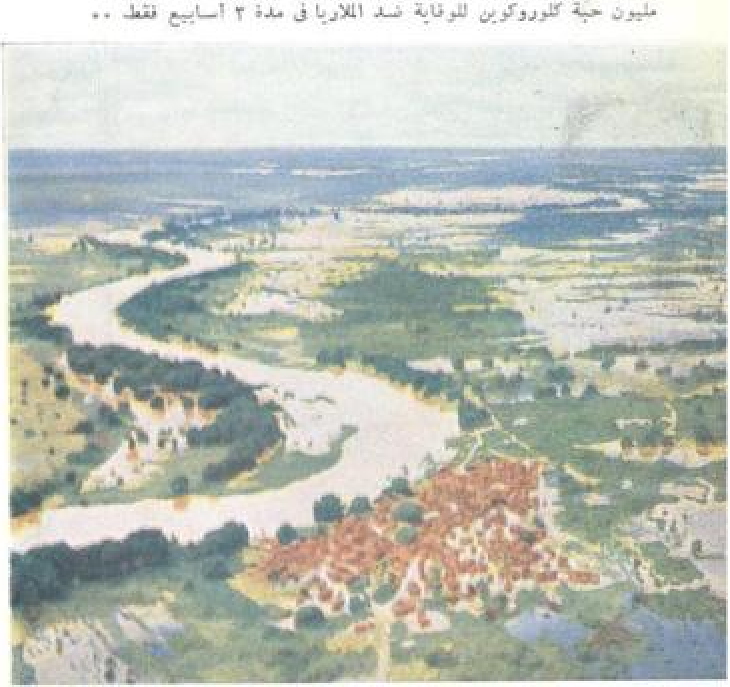

السل ..
والملاريا ..
والدوسنطاريا ..
بين ضحايا الفيضان .

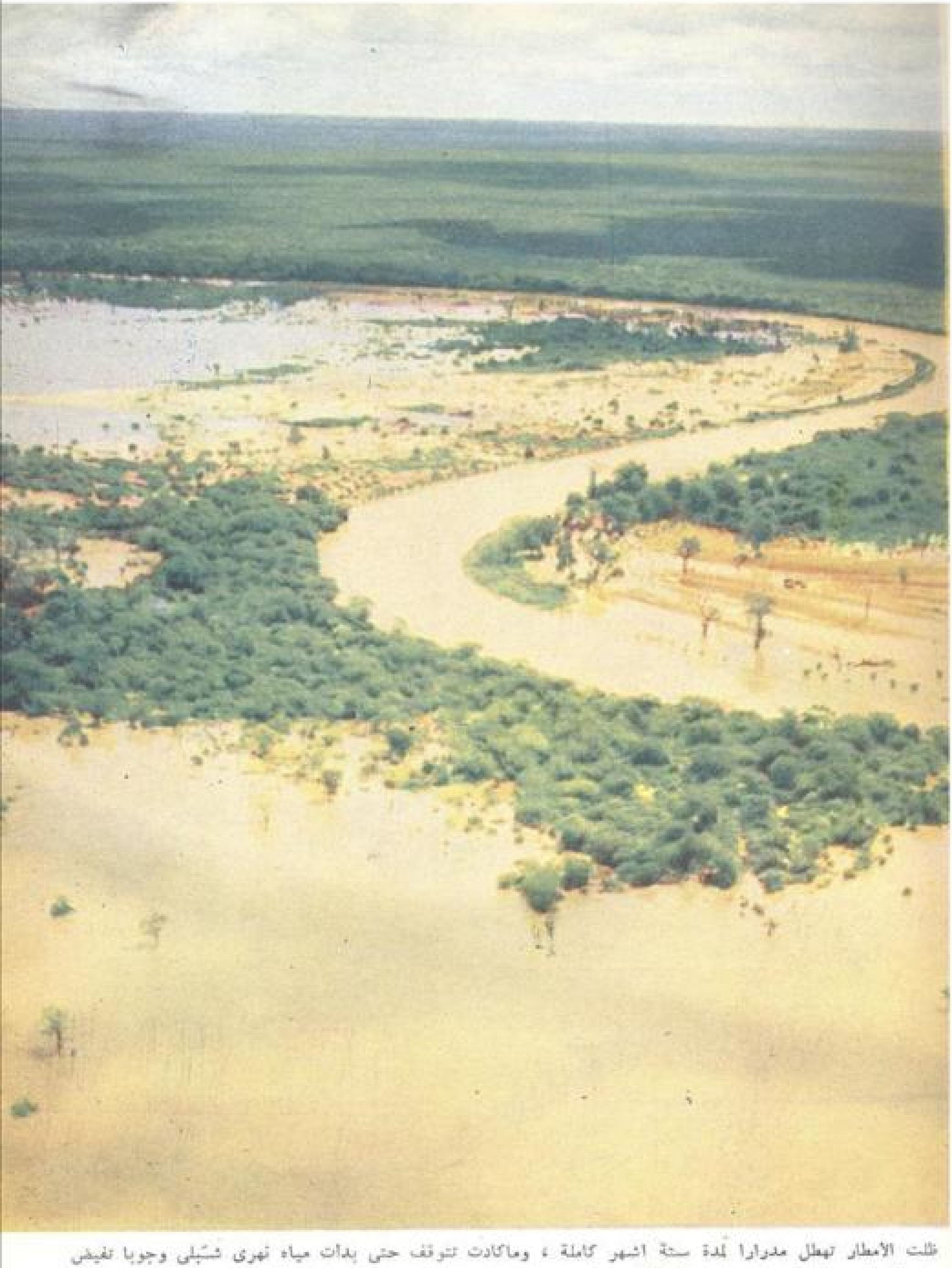

ظلت الأمطار تهطل مدرارا لمدة ستة اشهر كاملة ، وماكادت تتوقف حتى بدات مياه نهرى شبلى وجوبا تفيض على الجانبين لتغرق ما لم تغرقه الأمطار من قرى ومزارع للموز والذرة ونتيجة لهذه الأمطار انتشرت الملاريا والسل والدوسنطاريا بين المنكوبين الذين قارب عددهم ربع مليون نسمة فقدوا كل ما يملكون . وحتى الآن لم تستطع السيارات أو الطائرات أن تصل الا لنحو ٣٠ الف شخص! فالطرق المؤدية الى باقى المنكوبين الجياع خربتها المياه التى غطت الأشجار العالية .. ان الصومال ما زال فى أمس الحاجة الى مساعدات جميع الحكومات، والافراد.

من افراد الشعب الصومالي الذى تبلغ نسبة المسلمين الشافعين فيه ٩٩٪ من مجموعه .. وفى المولد النبوى حضر رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وكبار رجال الدولة الاحتفالات الكبيرة فى مقر المجمع الاسلامى فى مقدشو.

مشكلة اللغة ..

وتؤدى الصلاة فى المساجد بالعربية التى هى لغة القرآن والدين ، ويقوم امام الجامع عقب الصلاة ، بترجمة نصوص من القرآن باللغة الصومالية للاهالى .

ان اللغة الصومالية هى اللغة الرسمية فى البلاد .. الا انها لغة حديث وليست لغة كتابة ، اذ لم تتقرر حتى الآن طريقة كتابتها : هل تكتب بالحروف العربية .. أم اللاتينية .. أم الصومالية ؟

ان هذه المشكلة تسبب ازعاجا كبيرا للمسئولين عن الثقافة ولابناء مقدشو انفسهم ..

وسوف نعود للحديث عنها مطولا فى استطلاعنا عن التعليم فى الصومال ..

اما اللغة الرسمية السائدة فى جميع المكاتبات الحكومية بمقدشو فهى اللغة الايطالية .. انها اللغة الرئيسية المنتشرة بحكم الاحتلال الايطالى الطويل .. كما انها لغة التعليم فى المدارس ..

والجريدة اليومية الوحيدة فى مقدشو هى جريدة « بريد الصومال Courriere de somalia » وتصدر فى اربع صفحات .. ثلاث منها باللغة الايطالية .. وصفحة باللغة العربية ! والصفحة العربية بها ترجمة للاخبار التى نشرت فى اليوم السابق باللغة الايطالية !!

ويقدر عدد سكان مقدشو بنحو ١٢٠,٠٠٠ الف نسمة كان عدد الايطاليين منهم ١٠,٠٠٠ آلاف نسمة ، هبط عددهم اليوم الى نحو ١٥٠٠ ايطالى فقط .

ويتراوح عدد سكان الجمهورية الصومالية كلها بين اربعة ملايين ونصف ، وخمسة ملايين ..

طريق الاشواك ..

ان الجمهورية الصومالية رغم وقوعها فى أطراف مراكز التجمع العربى ، وبالرغم من الحركة القوية التى تنادى بأنها بلد اسلامى ، مثلها مثل الباكستان ، بالرغم من كل ذلك فان مما لا شك فيه أن عروبتها لم تنعزل قط عن جملة الكيان العربى .. فالهجرات المستمرة اليها من جنوب الجزيرة العربية ، وقفت صامدة أمام طوفان الاجناس الافريقية .. واستطاعت تلك الجماعات القليلة من الاعراب الوافدين أن تحيل جزءا من قلب افريقيا الى بلد عربى بمثله ونهجه فى الحياة ..

ان الطريق أمام المسئولين فى مقدشو مزروع بالأشواك ، ولكنهم بالرغم من قلة خبرتهم وحنكتهم ، يعملون لحماية انفسهم وصون استقلالهم وبناء أمة جديدة فى جميع المجالات .

مقدشو ليست الصومال كله !

ان الحياة فى مقدشو لا يمكن أن تمثل الحياة فى الصومال ، حيث تتفشى الفاقة والجوع ، والجهل ، بين رعاة الماشية والجمال والاغنام .

ان أهل مقدشو يحلمون بصوماليا الكبرى التى تضم الصومالات الخمسة .. بينما يتنقل الرعاة فى الصحراء التى تحولت الى مراع خضراء ، خلف عشرات الالوف من الجمال والابقار والاغنام .. غير عابئين بالتطور أو التقدم .. انهم سعداء ، وهم يغنون اغنية الجمال والمرأة الجميلة ..

■■

الاحتفال بالمولد النبوى بمقر المجمع الاسلامى بمقدشو ، الذى يرأسه الشريف محمد عيدروس ، ويصل عدد المحتفلين نحو خمسة الاف شخص .

الأدب له غاياتٌ ثلاث

■ الى الشاب الذى كتب يسأل : ما الأدب ؟ وما غاياته ؟ .. بل الى الشباب الناشىء خاصة ، أولئك الذين افتقدهم التعليم المبتسر الجارى لذة تذوق الادب ، وحال بالطرق العتيقة بينهم وبين ذخائر للعرب ، يريد آخرون ان يغلقوا دونها الأبواب .. الى هؤلاء أتحدث هنا عن الأدب ..

بقلم الدكتور أحمد زكى

أتحدث حديث الآخذ، لا حديث المعطى . حديث المستمع لا حديث المغنى . حديث المشترى المستهلك ، لا حديث البائع أو الصانع .

وانظر فى الأدب لأعرف ما هو ، فأجده قولا مأثوراً ، وجوهرا مكنونا . ولأمرٍ ما هو أثير ، ولأمرٍ ما هو حُفظ . لنفع فيه وثمرة ومنه القديم الذى توارثته الأجيال . والأجيال لا تورّث الا ذا بال . فالتوريث مجهود . وحفظ الارث مجهود . والأجيال لا تنفق الجهود عبثا .

الأدب غاياتٌ ثلاث

وانظر فى الأدب ، أبحث عن القيم فيه والغايات ، فأجدها قيما أو غايات ثلاثا : حسن تعبير .

ثم جمال تصوير .

ثم تسجيل حقيقة نسيها الناس ، أو لعلها كانت من الظهور والبداهة والقرب من العيون بحيث عميت عنها العيون . والعيون تعمى عن القريب الأقرب ، كما تعمى عن البعيد الأبعد .

حسن التعبير

ان غاية الأدب الاولى حسن التعبير .

ان الانسان حيوان ناطق . وسائر الحيوانات غير ناطقة . وقد يكون لها لغات ذات أصوات ، ولكنها لا شك لغات قاصرة . وهى من اجل ذلك تشقى بالحَصَر . تشقى بالعِىّ .

الكلب يضيق بحصره

أرأيت كلبا تتخذه صاحبا ، كيف يجيئك يتلطف اليك . أو كيف ينذرك

بشر ، وينبهك الى أمر . انه يعقل . وان عنده معنى يريد أن يؤديه . ولا يجد وسيلة الا أن يزوم فان لم تفهم منه صرخ . وان أنت فهمت منه قام يسعى امامك يهديك الى مصدر الشر الذي كان . وفي حصره هذا ، وفي احساسه بالعجز عن التعبير ، تجد في وجهه وعلى حركته مظهر الضيق ومظهر الشقاء .

وكالكلب القرد .

وكالكلب سائر الحيوان مما ارتقى بصنعه الله ، فاودع في راسه مخا ، واودع فيه رايا ومعنى ، وفوت فلم يدع فيه لسانا .

والناس تضيق بحصرها

وكالكلب والقرد ، في الحصر والعي ، بعض بني الناس . ان الانسان حيوان ناطق ولكن ما أكثر ما يختلف النطق عند الناس . ومن الناس من عيّ حتى خرس . وانك لتجد عند الأخرس اذا اراد أن يحدثك بشيء ، بلغته ، لغة الخرس ، وانت لا تفهم لغته ، انك لتجد عنده ضيق الكلب الذي اراد أن يعبر لك عن معنى فعجز . تجد عنده ضيقا ، ومع الضيق شقاء .

ما البلاغة .. الا حسن تعبير

ومن غير الخرس من الناس من يعبر لك عن معنى بكلم يجزي ، ثم يأتي آخر فيعبر لك عن المعنى أكثر وفاء ، فنقول انه فصيح ، وانه لبليغ . وما الفصاحة وما البلاغة الا حسن تعبير ، وهي هدف مما يستهدف الأدب .

للتعبير لذة كلذة الطعام والشراب

والانسان منا يلتذ الطعام طبعا . ويلتذ الشراب طبعا . ويلتذ الحركة ويضيق بالسكون .

يقول لي الطبيب أكلت شيئا
وداؤك في شرابك والطعام

وما في طبه اني جواد
اضر بجسمه طول الجمام

والجمام السكون ، والكلام حركة ، والسكوت سكون . من أجل هذا يلتذ الرجال الكلام . وتلتذه أكثر النساء . فالتعبير كسائر العمليات الانسانية لا غنى للانسان عنها .

والأديب قد يجيئه المعنى ، فيقوم يصبه على الورق تعبيرا صادقا ، يلتذ به . ثم يطوى الورقة طيا فلا يراها الى الأبد أحد .

التعبير خسيس ورفيع

والتعبير كالطعام ، منه الخسيس ومنه الرفيع . والتعبير الرفيع هدف من اهداف الانسان . وهو قد يندر ، ومن اجل هذا يكون ثمينا . وكل ثمين مأثور مذخور .

فالتعبير الرفيع أدب .

والتعبير الرفيع هدف من أهداف الأدباء .

مثل من القرآن

واضرب مثلا من القرآن :

« يا ايها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » .

معنى الآية ان الانسان ضخم ، والذباب صغير ضئيل ، والانسان عاجز ، وقد يكون أعجز من هذا المخلوق الضعيف .

فاين هذا المعنى ، معبرا له بهذه اللغة السوقية العابرة ، من الآية : « يا ايها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب » ؟

مثل من الحديث

واضرب مثلا من الحديث .

قول النبي يوصي بالنساء : « رفقا بالقوارير » .

وقد اراد أن يقول رفقا بالنساء ، فانهن ضعفاء .

ولكن اين هذا من هذا ؟

التعبير الرفيع قد يكون في الموضوع الوضيع

والتعبير الرفيع هو فى حد ذاته أدب رفيع . وفى استقلاله عن موضوع التعبير . فى استقلال عن المعنى الذى يراد ان يعبّر عنه . كالفن ، وكالرسم ، والنحت ، هو فن رفيع، حسن موضوعه أم ساء .

جاء المتنبى الى مصر ، يرجو نوال حاكم مصر وسيدها،كافورا الاخشيدى . وكان عبدا ، واحسبه كان خصيّاً . وضنّ بماله . فغضب المتنبي . وهرب من مصر . وهجا كافورا هجاءً مُرّاً . قال :

انى نزلتُ بكذّابين ضيفهمُ

عن القِرى ، وعن الترحال ، مردود

جود الرجال من الأيدى ، وجودهمُ

من اللسان ، فلا كانوا ، ولا الجود

ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم

الا وفى يده ، من نتنها ، عود

انظر الى « من نتنها عود » . عزرائيل اذا اخرج روحا من ارواحهم ، اخرجها ، لا بيده ، ولكن بعود فى يده لنتنها. ثم هو يقول :

لا تشتر العبدَ الا والعصا معه

ان العبيد لأنجاس مناكيد

موضوع ردىء . ولكنه تعبير رفيع . لهذا هو أدب رفيع . لهذا هو حفظ واثر الفَ عام أو تزيد .

جمال التصوير

أما غاية الأدب الثانية فالجمال ، جمال التصوير .

ان الرسم فن ، وان النحت فن ، وان الموسيقى لفن . وكذلك الأدب فن .

وقلم الأديب يشترك مع ريشة الرسام وازميل النحات الفنان ، فى انه يصوّر الصور الجميلة .

ولكن التصوير يكون للشىء الساكن، ويكون للشىء المتحرك .

وريشة الرسام وازميل النحات تصور الصور الجميلة الساكنة . ولكن قلم الأديب يصور الصور الجميلة الساكنة ، ويصور الصور المتحركة كذلك .

ان ريشة الرسام وازميل النحات يعجزان عن تصوير الحركة ، ويقدر عليها قلم الأديب .

الله نور السموات والأرض

ومثل من القرآن .

« الله نورُ السموات والأرض ، مَثَلُ نوره كمشكاةٍ فيها مصباحٌ ، المصباحُ فى زجاجةٍ ، الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّىٌّ ، يوقد من شجرة مباركة ، زيتونةٍ ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار . نورٌ على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء » .

فهذا مثل للصورة الجميلة الساكنة.

ريشة الرسام تستطيعَ ان ترسمها ، او تكاد . ومع هذا ستعجز عند « لا شرقية ولا غربية » . ان نور الله لا مكان له ، ولا اتجاه له ، انه فى كل مكان وكل اتجاه .

شمعة تتقد

وصورة أخرى من الصور الجميلة الساكنة .

انها صورة رسمها قلم الأديب الشاعر ، وتستطيع أن ترسمها ريشة الفنان ، ولكن بعضَ استطاعة فقط :

انها فى وصف شمعة تتقد ، فى ليل :

غريقة في دموع ، وهي تحرقها
انفاسها بدوام من تلظيها

تنفست تنفس المهجورة اذكرت
عهد الخليط فبات الوجد يبكيها

صفر غلائلها ، حمر عمائمها
سود ذوائبها ، بيض لياليها

كمعمدة في حشى الظلماء طاعنة
تسقى اسافلها ريا ، اعاليها

تحيي الليالي نورا ، وهي تقتلها
بئس الجزاء لعمر الله تجزيها

ان كل ما تستطيع ريشة الرسام ان تصوره من كل هذا انما هو شمعة ، من فوقها ذؤابة سوداء ، في شعلة صفراء . ويستطيع ان يرسم الدموع تتقاطر على جانبيها .

ولكن اين هو من :

تنفست تنفس المجهودة اذكرت
عهد الخليط فبات الوجد يبكيها

اى عهد الجمع الذى فارق وترك البلاد .

واين هو من :

كمعمدة في حشى الظلماء طاعنة
تسقى اسافلها ريا ، اعاليها

تحيي الليالي نورا ، وهي تقتلها
بئس الجزاء لعمر الله تجزيها

انها صورة رائعة ، ولكنها محشاة بالمعاني الرائعة التى تعجز الريشة عن ايرادها .

الخباز ورقاقته

ومثل ثالث للصورة المتحركة :

القول الشهير لابن الرومي :

ما انسى لا انسى خبازا مررت به
يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

البحترى ونديمه

او قول البحترى :

ونديم حلو الشمائل كالطاوو
س مختفي التجار عذب المصقى

بت اسقيه صفوة الراح حتى
وضع الكاس مائلا يتكفا

قلت عبد العزيز تفديك نفسى
قال لبيك . قلت لبيك الفا

هاكها ، قال هاتها ، قلت خذها
قال لا استطيعها ، ثم اغفى

الحقيقة فى الأدب

غاية الأدب الثالثة : الحقيقة .

وان يكن مصدر الجمال القلب والخيال ، فمصدر الحقيقة العقل والمنطق .

وما الحقيقة الا ما يراه المرء حقا في خبرته بالحياة .

والادب يسجل هذه الخبرة ، هذه الحقيقة التى كشفها الأديب .

قس بن ساعدة

ومن امثلة ذلك قس بن ساعدة الايادى ، من خطبته فى سوق عكاظ :

في الذاهبين الأولين من القرون بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى الي ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

كلام بسيط ، ومنطق بسيط ، ولكنه خالد . والذى خلده حقيقته فهى خالدة . والذى خلده منطقه .

المتنبى

ومن امثلة ذلك للمتنبى :

آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولى

ولذيذ الحياة انفس فى النفـ
س واشهى من ان يمل واحلى

واذا الشـيخ قـال آهٍ فما ملّ
حياةً وانمـا الضـعفُ مـلّا

ومن أمثلة ذلك : ـ

تسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء .

ومثله : المورد العذب كثير الزحام .

وامثلة هذا كثيرة ، فى شعر المتنبى والمعرى ، وفى شعر الشعراء الفلاسفة .

امتزاج الغايات جميعا

وغايات الأدب الثلاث حسن التعبير ، جمال التصوير ، والحقيقة ، تمتزج فى الادب الواحد امتزاجا .

ولقد حاولت فى الامثلة السابقة أن آتى بهـا ممثلة ما امكن لغاية واحدة من تلك الغايات .

والحقيقة أن الاديب لا يستهدفها متفاصلة . بل هو لا يكاد يستهدفها أصلا . ان نفسه تجيش بما تجيش فيقول ما يقول ، فيكون أدبا .

مثل ذلك :

زوّدينا من حسن وجهـك ، ما دا
م ، فحسنُ الوجوه حالٌ تحـول
وصـلينا نصـلك ، فى هـذه الدنـ
يـا ، فان المقـام فيهـا قليـل

خليط من حسن تعبير ، الى روعة جمال ، الى حقيقة تقرر ، ما كان ليستطيعها الا شاعر جبار كالمتنبى . ■■

احمد زكى

الابن : يتحدثون يا أبى عن الجاذبية ، وضياع الجاذبية ، فما هى هذه الجاذبية التى صار يتحدث بها الناس ؟

الأب : الأمر هين جدا يا ولدى . الجاذبية هى القوة التى تربطنى وتربطك الى الأرض فلا نطير من عليها . وهى تربط كل شىء على سطح الأرض ، من انسان وحيوان ومنازل وجبال ، تربطها جميعا وتشدها نحو مركز الأرض . والذى كشفها العالم اسحق نيوتن ، خطرت له عندما رأى تفاحة تسقط الى الأرض . ما أسقطها ؟ الجاذبية . وهى اذ تسقط تتزايد سرعتها بسبب هذه القوة ، قوة الجاذبية . فهى عند أول السقوط سرعتها صفر . وفى نهاية الثانية الأولى تصير سرعتها ٣٢ قدما فى الثانية . وفى نهاية الثانية الثانية تصير سرعتها ٦٤ قدما . وفى نهاية الثانية الثالثة تصير سرعتها ٩٦ قدما . وهلم جرا . ولكن الهواء يعاكس هذا السقوط ويقلل من هذه السرعة . لهذا تسقط الكرة من زجاج أو حديد أسرع من سقوط ريشة او ورقة . أما ضياع الجاذبية فيكون عندما نبتعد عن الأرض ابتعادا كبيرا جدا . عندئذ لا تكون قوة تجذبنا . الا أن نكون قرب القمر فيجذبنا القمر .

الابن : ولكن ما هى الجاذبية ، وكيف تصنعها الأرض ؟

الأب : تقصد حقيقتها ، وكيف تتولد ؟ فهذه لا أعرفها يا ولدى . ولست أنا وحدى الذى لا يعرفها والله . فما من عالم من علماء الدنيا الا ويجهلها .

دردشة

نيتشه .. والحب

● كان الفيلسوف نيتشه يبشر بعقيدة القوة ، وان القوة هى راس الفضائل ، ومع ذلك أحب فتاة اسمها (لوسالوميه) اخضعته لسلطانها ، واشعرته أن العواطف شيء ، والأفكار المجردة شيء آخر .

وكبر على فيلسوف القوة ان ينكر عقله ومبادئه ، ويهزم امامها ، فكان يعمد الى سكين يحز بها اصابعه كى يقهر ضعفه وحواسه ، ويروض نفسه على الصبر والتجلد واحتمال الألم .

وجهـــات نظـر

❊ **ابتسامة** من المراة تدفع الرجل لأن يعبر المحيطات ويتسلق الجبال .

❊ **ان** العزائم القوية كالصخور التى لا تقدر الأمواج العاتية على زحزحتها .

❊ **يؤثر** الرجل فى المراة الجمال على كل ما عداه من المواهب والملكات ، وذلك لأن معظم الرجال يبصرون خيرا مما يفكرون .

❊ **يقول** الرجل فى المراة ما يريد ، وتفعل المراة بالرجل ما تريد .

❊ **ليس** فى الطبيعة ثواب أو عقاب ، وانما هناك أسباب ونتائج .

الانسان والحمار

● قالوا ان مسافرا نزل عن حماره ، ثم جلس على صخرة فى الصحراء وقد اهلكه التعب فتنهد وقال « رباه قد هلكت وأكاد اموت ! تعسا لى فلم ير هذا القفر من هو اسوأ منى حالا ! »

فقال له حماره : « لا تلعن سوء طالعك ايها السيد .. ان ركوبك مطية خير من سيرك ماشيا .. فاشكر ربك الذى لم يخلقك حمارا ! » .

حكمة صينية

● اذا زرعت لسنة فازرع **قمحا**

واذا زرعت لعشر سنوات ، فازرع **شجرا**

واذا زرعت لمائة سنة فازرع **رجالا** .

النساء والصحف

● الصحف كالنساء: كلاهما له شكل خاص به ، والقديم منهما ليس مرغوبا فيه ، ولكل منهما الكلمة الأخيرة ، وكلاهما جدير بالتصفح ، ولهما قدر كبير من التأثير والنفوذ ، رغم أن المرء لا يستطيع ان يصدق ما يقولانه .

الأدب والحب

● العمل الأدبي ثمرة من ثمار الحب ، والحب الذى لا يدفع الى عمل عظيم ، حب ميت . فأقدم على عمل من وحي حب عظيم ، وسنحب بدورنا ما تنتج .

(تولستوى)

مكسيم جوركى ، يحب فى الخمسين

احب مكسيم جوركى ، وهو فى الخمسين من عمره ، فتاة فى العشرين تدعى اذلى ابفانوفا ؛ فبعث اليها برسالة رائعة جاء فيها :

ـ ان خوفى من الموت هو الذى يدفعنى اليك ، ولأنى اخاف الموت أجد نفسى بالرغم منى مرتميا فى حضن حبك. انت أيتها الفتاة التى لا يمكن ان يعرف الخوف الى جمالها وشبابها وقوتها سبيلا ! فالمرض الذى أشعر به يذوب ويضمحل فى فيض صحتك ، والضعف الذى أثور عليه يتبدد ويفنى فى جمال تركيبك ، والحزن الفاجع الذى اغالبه واقاتله ينطرح على الارض صريعا ، وتموت صرخاته اليائسة فى ضحكاتك الطاهرة البريئة المدوية النشوى !

فانت الدم لمن جفت دماؤه ، وانت العصب لمن تصدعت اعصابه ، وانت الشمس لمن وهنت عظامه ، وبات يتحرق ويتلهف على وقدة نار تحييه ، وتنقذ جسمه البالى من همود القبر ، وبرودة العدم .. هذى أنت ، والفارق بينى وبينك عظيم ، فكيف أطمع فى حبك ؟!

(مكسيم جوركى)

اقدم آلة موسيقية

● الناى هو اقدم الالات الموسيقية . وقد عرف فى مصر وكان له جملة أنواع فى عام..؟ ق.م.ثم انتقل الى بلاد الصين فالهند ثمفارس وآشور وغيرها من البلاد الاسيوية حتى وصل الى العرب .

غير معقول !

● كيف تتوقع المرضة الحسناء أن تنخفض درجة حرارة المريض ، وهى تمسك بيده، وتمسح جبينه ؟!

الممثل بوب هوب

بهجة الأمومة

● سأل طفل أمه : من اين اتيت يا أماه ؟ وأين عثرت على ؟ فضمت الام طفلها الى صدرها ، واجابته فى صيحة فرح :

ـ لقد كنت ، يا بنى ، سرا كامنا فى قلبى ، وأمنية من امانى . لقد كنت تتمثل لى فى عرائس الطفولة التى كنت اداعبها ، وانا طفلة مرحة .

(طاغور)

أخبار طريفة

❋ من أمريكا : تزوج سامى سكستون من زوجته مارتا خمس مرات ، وكانت أول مرة عام ١٩١٢ ، ولكن الزواج تحطم وطلقها . ولكنهما تزوجا مرة ثانية .. وهكذا بعد كل نزاع يليه طلاق يعود سامى الى زوجته يلاطفها من جديد ويتزوجها ..

❋ ومن لندن : كان ديك هيوز يشعر بحب جارف نحو زوجته حتى انه تزوجها مرة ثانية فى اليوم نفسه الذى تسلم فيه ورقة الطلاق .

❋ ومن باريس : افترق زوجان ٢٤ سنة قبل أن يقررا العدول عن الطلاق . وقد كسر زوجان اخران هذا الرقم حينما قررت الزوجة الرجوع الى زوجها السابق ـ وكانت فى ذلك الوقت جدة ـ بعد انفصال دام ٤٠ عاما .

جحا

الفيلسوف الضاحك

جحا وحماره

جحا وساقيته

جحا وجلد ثوره

جحا وبلدة امرأته

جحا فى حضرة تيمورلنك

بقلم : محمد فريد ابو حديد

■ كيف تخلق الأمم شخصياتها الأسطورية ؟

هذا سؤال جدير بالتأمل ، وهو يفتح بابا واسعا لميدان فسيح لدراسة شخصيات الأمم نفسها . ويستطيع المتأمل فيه أن يلمح كثيرا من خصائصها النفسية والاجتماعية والتاريخية .

لكل امة شخصياتها الأسطورية

لا تكاد تخلو امة من شخصياتها الأسطورية التى تعيش معها جيلا بعد جيل ، وكل جيل منها يرسم لنفسه صورها كما يتخيلها ، ويكسبها من الملامح النفسية والعقلية ما يجعلها تبدو وكأنها تعيش معه وتشعر بمشاعره وتفكر بأسلوب تفكيره ، فهى بالنسبة الى كل جيل صورة لشخصية هذا الجيل او هى مرآة يعكس عليها صورته الخفية الباطنة .

ليس المهم أن تكون الأساطير حقائق واقعة

وليس من المهم ان يكون لأشخاص الأساطير اصول حقيقية ، بل ان أغلب الظن ان عامة الشعوب يلصقون صورهم التعبيرية بأشخاص حقيقيين، بعيدين كل البعد عن الصور التى يلصقونها بهم ، كما يوضع القناع المصنوع على وجه الشخص فيجعله يبدو كما يريده صانع القناع أن يبدو . ومن الأمثلة على هذا ما صنعه خيال العامة فى الأمة العربية من الأقنعة، ووضعه على وجوه اشخاص معروفين مثل ابى نواس ، واشعب ، وهارون الرشيد ، مع أن هؤلاء جميعا من الاشخاص التاريخيين الذين تظهر وجوههم فى صفحات التاريخ بملامح تختلف كل الاختلاف عن ملامح الصور الخيالية التى رسمتها العامة لهم فى اساطيرها .

جحا شخصية أسطورية

ومن بين شخصيات الأساطير العربية شخصية فذة تكاد تكون وحيدة فى مميزاتها وملامحها العقلية والنفسية وهى شخصية (جحا) ، الفيلسوف الضاحك الساخر الذى يقوم بتمثيل فلسفته فى قوالب تشبه المسرحيات ذات المغزى الواضح .وهو فى مواقفه التمثيلية ظريف دائما، عاطف دائما ،يبدو كأنه مهرج ، ويتصرف احيانا تصرفا شاذا عن المألوف حتى كأنه ذو لوثة من الجنون ، ولكنه يلمس نواحى الضعف الانسانى فى رحمة ، ويكشف عن نواحى الظلم أو النفاق ، وهو اقرب الى الرثاء والمواساة منه الى الحقد واستطيع ان اقول اننى لم اطلع فى آداب الشعوب الأخرى على

شخصية مماثلة لهذه الشخصية ذات الفلسفة الانسانية التى تختفى تحت المظهر الفكه الساخر . وقد حاول بعض الأجانب أن يرسموا صورة لجحا فى لغتهم فلم يستطيعوا الا أن يرسموا صورة مهرّج به لوثة . ذلك لأنهم لم يتمكنوا من ادراك فلسفته ولا مرامى فكاهاته .

جحا الأسطوري كاد أن يعيش فى الناس

وقد نشا منشدةالفجماهيرنا العربية لشخصية جحا أنهم يتصورونها كأنها تعيش بينهم وتشاركهم وتنكر معهم فى شئون حياتهم ، فهم يستشهدون بالاقوال المنسوبة اليها ، ويشيرون اليها ، كما يستشهدون بالمثل السائر أو الحكمة المأثورة ، فيقولون مثلا عن الجهود التى تبذل بغير فائدة بانها تشبه « ساقية جحا » ، ويشيرون فى مواضع أخرى الى « وزات جحا » و « عاصفة جحا » أو يقولون فى بعض المواقف : « جحا أولى بجلد ثوره » .

ساقية جحا

وسنورد فيما يلي من هذه الكلمة بعض النوادر التى توضح هذه الاشارات :

يحكى عن جحا انه ورث عن أبيه دارا فسيحة فيها بستان كبير ترويه « ساقية » ، يديرها ثور عزيز عليه ، اذ رباه صغيرا ، واعتنى به حتى صار مضرب المثل فى القوة . ولكنه اضطر الى بيع بستانه حين احوجه ضغط الحياة الى ثمنه . ومع ذلك لم يرض ان يبطل دوران ثوره بالساقية ، فالثور عزيز عليه لا يرضى ببيعه ، وصوت الساقية عزيز عليه لانه يطرب لسماعه ، ولانه به يعلن لجيرانه انه ما يزال صاحب الساقية ، فهو ما يزال صاحب البستان . فابتكر طريقة تكفل له بقاء دوران الساقية وان لم يكن يملك البستان ، فجعل اوعية الماء ترفع الماء من بئر الساقية ثم تعود فتصبها فى البئر مرة أخرى . فلما سئل عن الحكمة فى عمله هذا أجاب ضاحكا : « يكفينى نعيرها » ، فسارت الكلمة كأنها مثل يضرب لمن يريد أن يتمسك بالشهرة الزائفة .

جحا ، بلده بلد امرأته

ومما يحكى من نوادر جحا انهسئلبوما عن البلد الذى ينتسب اليه فأجاب « انه ينتسب الى البلدة التى فيها امرأته » . وهو هنا يعترف بأنه لاينتسب الى قرية بعينها ، ولا الى قبيلة بعينها ، أى انه شخص مفرد فى الحياة متجرد من الانتساب الى اى مجتمع .

وفى هذه النادرة تنعكس حالة المجتمع فى العصور الماضية التى كان الفرد لا يجد فيها مكانا لنفسه لقسوة نظمه وانفصام الصلة بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه .

جحا ، والثور المعبود

ومن هذا النوع من النوادر المملوءة بالسخرية من المجتمع الماضى ما يحكى عنه حين سئل عن المسلك الذى ينبغى للانسان ان يسلكه فى المجتمع فأجاب قائلا : « اذا كنت فى قوم يعبدون الثورَ فحشّ وارْم له » أى فاقطعْ الحشائش وقدّمها له ليأكل . والمعنى الواضح فى هذا المثل ان افراد الشعب كانوا يشعرون بسخف النظم التي يخضعون

لها ، بالقهر ، مع وضوح سخفها ، ويوجهون اليها أشد النقد وأكثره مرارة ، حتى أنهم يقرنون بينها وبين عبادة الثيران التي تدل على الحماقة .

جحا يجرى وراء الديك

على ان بعض النوادر المنسوبة الى جحا لا تقف عند حد انكار النظم السائدة في المجتمع في العصور الماضية ، بل تحمل في طياتها اشارات الى ما في ضمائر عامة الشعب من الاحتجاج على المظالم والتطلع الى الثورة عليها . قيل ان جحا كان يمر ذات يوم في المدينة فرأى جارية تحمل الى بيت سادتها صحفة كبيرة فيها فطائر دسمة ، وعليها ديك رومي سمين ، بعد ان أتمت نضجها في الفرن . وكان جائعا لم يذق طعاما في يومه فسار وراء الجارية ينظر الطعام الشهي ، فاذا حداة تهبط من الجو وتختطف الديك السمين وتطير به بعيدا لتأكله على رأس تل عال . فوقف يتأمل في هذا الحادث ، وخطر له ان الحداة تضرب له مثالا واضحا يدل على ان الجائع له الحق في أن يأخذ نصيبه مما يجد أمامه من الرزق . ومضى في طريقه مفكرا حتى وجد نفسه يسير بجانب بستان عظيم حافل بألوان الفاكهة والبقول . وأراد أن يقلد الحداة فتسلق سور البستان وجعل يقتطف بعض الفواكه وينتزع بعض البقول حتى جمع ما رآه كافيا لقوت يومه ، فلفه في شملته، وربطها وتهيأ لتسلق السور خارجا من البستان . واذا صاحب البستان يعترض سبيله ويسأله « ماذا صنعت يا جحا » ؟ فاخذ يلتمس لنفسه المعاذير المخترعة ، وادعى أنه اضطر الى دخول البستان لان عاصفة هبت عليه ورفعته برغمه فوق السور وقذفته فيه. فاستمر صاحب البستان يسأله : « ولكن ما الذى قطف هذه الفاكهة ونزع تلك البقول ؟ » فأجاب جحا : « حين دفعتني العاطفة حاولت التمسك بالغصون والأعواد فنزعت هذه الأشياء برغمي وانا مندفع مع العاصفة » . فاستمر الرجل قائلا . « ولكن كيف وضعت كلها في شملتك وكيف ربطت الشملة عليها ؟ فوجد جحا انه قد احرج ولم يسعفه الجواب فقال ضاحكا : « لا تؤخذني فانك فاجأتني قبل أن اعد الجواب على هذا السؤال » فلم يسع صاحب البستان الا ان يضحك منه ويسمح لهبحمل ما جمع فيشملته ويمضى الى بيته.

ولأترك مغزى هذه النادرة للقارىء ليدركه منها ، فهو واضح .

جحا وحماره

وهناك نادرة أخرى أكثر صراحة في الدلالة على انكار مظالم المجتمع القديم :

قيل ان جحا ضاق بأحوال بلده وما فيها من ضياع العدالة فوجد انه لا بد له من المجاهرة بانكاره لتلك الأحوال والدعاية لتحقيق العدل . فاخذ يواجه الأعيان بالنقد ويدعوهم الى اقامة العدل ، فكانوا يسخرون منه ويصفونه بالتهريج والجنون . فبدأ يتجه الى جماهير الشعب ليفهمهم ان العدالة حق طبيعي لهم، وانها ضرورية للمحافظة على كيان المجتمع . فشعر السادة بخطر دعايته وقرروا طرده من البلد . فاضطر الى الخروج من بلده وأخذ حماره ووضع عليه ما لديه من الأثاث ـ فجعل الرحى الثقيلة في احدى الجنبتين ، ووضع الثياب في الجنبة الأخرى ، فاختل توزان الحمل ووقعت الجنبة الثقيلة برحاها الى الأرض . فعاد مرة أخرى ومرة ثالثة لاعادة الحمل الى ظهر الحمار ، وفي كل مرة كانت الرحى تقع الى الأرض بجنبتها . واتفق عند ذلك انه كان امام قصر احد الأعيان السادة ، وكانت محظيته الجميلة تطل عليه من مشربية القصر فاخذت تضحك منه لقلة عقله وارادت أن تداعبه ، فأمرت احدى جواريها ان تنادى جحا لتسأله الى أين يريد أن يسير .

فأجابها جحا : « انى خارج من المدينة كما أمرني السادة الأعيان » .. فأمرت السيدة جاريتها ان تسأله : « الا تعرف انه من الضروري مراعاة التوازن بين جنبتى الحِمْل ؟ » .

وكان السيد الكبير قد جاء عندما سمع ضجة الضحك وأصوات الحوار ، ولما عرف السبب اطل على جحا بنفسه قائلا : ـ

ـ الا تعرف أيها الأحمق كيف تضع حملا صغيرا على حمارك ؟

ـ فقال له جحا : أنت تعرف يا سيدى انى لا ادرى شيئا وأرجو أن تعلمنى كيف اصنع .

ـ فقال الأمير ضاحكا:هذا أمر بسيط يعرفه أقل الناس عقلا ، فان الواجب أن تقسم الأشياء بالعدل بين الجنبتين اذا أردت أن يستقيم الحمل .

ـ فقال له جحا وهو يقهقه : (قلنا هذا ! قلتم اخرج من البلد !) .

ففطن السيد الكبير الى حجة جحا ، وسعى بين زملائه الأعيان حتى سمحوا له بالبقاء في المدينة . ومن النوادر التي تدلعلى مثل هذا المعنى حكاية

جحا والوزّة :

قيل انه ضاق بفقره والتمس عملا يرتزق منه فلم يجد اذ كانت أبواب الوظائف مغلقة أمامه موقوفة على السادة وأعوانهم واتباعهم . فذهب الى قاضي المدينة يشكو له أمره ، فاخذ القاضي يعنّفه على خموله قائلا : ان أبواب الرزق كثيرة وخذ منها كما يأخذ الناس . ثم أشفق عليه فهيأ له عملا ضئيلا ، فأمره أن يشترى له عشرين وزة ليرعاها له حتى تسمن وتصلح لمائدته ، وقدّر له أجرة قليلة على عمله . ففعل جحا ما أراده القاضي واشترى الوزات واعتنى بتغذيتها حتى سمنت وصارت صالحة لمائدة القاضي ، واشتهت نفسه ان يحتز لنفسه واحدة من الوزات ليتمتع هو واهله بطعام دسم ولو مرة واحدة ، ففعل وذهب بالتسع عشرة وزة الباقية الى القاضي . فلما عدها القاضي وجدها تنقص واحدة ، فسأل جحا عنها فكابره جحا قائلا : « بل هي عشرون » . فأراد القاضي اقناعه واقامة الحجة عليه فأتى بعشرين رجلا وقال لجحا : « كم هؤلاء ؟ » فعدهم جحا واعترف بانهم عشرون رجلا ، فأمر القاضي بأن يمسك كل واحد منهم بوزة ، ولما فعلوا بقي منهم واحد بالطبع بغير وزة . فقال القاضي منتصرا : « هل اقتنعت انك احتجزت لنفسك احداها ؟ » .

فقال جحا ضاحكا : « لا لم اقتنع . ان هذا الرجل كانت الوزات أمامه ، فما الذى منعه من أن يمسك باحداها ؟ » .

ففطن القاضي الى ما اراده ، وساعده على أن يجد عملا يرتزق منه .

جحا وجلد الثور

ولا تقتصر نوادر جحا على الكشف عن مواضع الضعف الانسانى فى مثل قصة « ساقية جحا » ، ولا على انتقاد نظم المجتمع القديم الجائرة ، بل تعكس فى بعضها صورا لقسوة الأفراد فى تعاملهم بعضهم مع بعض ومن أمثلة هذه النوادر قصة ثور جحا وجلده :

كان لجحا جار طماع شديد الجراة تعود أن يقصده ليقترض منه ، ويستغل حياءه فى تجبر ولجاجة . وجاءه مرة ليقنعه بأن يبيع ثوره العزيز حتى يستطيع أن يقرضه ما هو فى حاجة اليه من المال . فلما رفض جحا ذلك الاقتراح ، ألحّ عليه فى أن يذبح الثور ويبيعه فيكون ربحه أكبر ، ولم يدع له فرصة للتردد ، فدخل فى الدار واقتحم حظيرة الثور ، وأسرع بذبحه حتى جعله أمام أمر واقع . وذهب جحا يعرض على الناس شراء لحم ثوره فامتنعوا خوفا من أن يكون جحا قد ذبح الثور حين رآه مريضا . وانتهى الأمر بأن تقدم جحا الى الناس بان يأخذوا لحم الثور بغير ثمن خوفا من أن يتعفن اللحم فى بيته . وجاء جاره الجبار فحمل ما استطاع حمله من اللحم وطمع فى الجلد أيضا فأراد أن يأخذه .

فنزعه جحا منه وقال وهو حزين « جحا أولى بجلد ثوره » .

جحا عند تيمورلنك

ولم تخل نوادر جحا من تصوير شعور عامة الشعب نحو الحكام الطغاة واظهار احتقارهم لهم فى صراحة :

يحكى ان جحا اجتمع يوما بالملك الجبار (تيمورلنك) ـ ويقال انه كان يعيش فى وقته ـ وكان تيمور قد سمع عنه وعن نوادره فأحب أن يراه ويمتحنه . فلما مثل جحا بين يديه بدأ تيمور يحرجه بالأسئلة كما تعود أن يحرج من يأتى الى مجلسه من العلماء والعظماء ، فسأله قائلا : « ترى كم اساوى فى نظرك من المال يا جحا ؟ » فنظر جحا اليه متأملا أعلاه وأسفله ثم قال بغير تردد :

« لا اظنك تساوى أقل من الف دينار أيها الملك العظيم » فقال له تيمور : « ان ملابسى وحدها تساوى هذا الألف من الدنانير » .

فأجاب جحا ضاحكا : « لقد صدق اذن ظني » .

ففى هذه النادرة ينعكس اعتقاد الناس فى ملوك عصرهم وانه لا قيمة لهم الا بمقدار قيمة ملابسهم وما يحيط بهم من أدوات الأبهة والترف .

جحا يقابل قسوة الحياة بروح متفائلة

فشخصية جحا كانت فى العصور الماضية تعكس مشاعر الناس نحو مواطن ضعفهم الانسانى ، ومواطن الظلم فى تعاملهم ، ومواطن الخلل وانعدام العدالة فى مجتمعهم وحكامهم ، وكانت فى الوقت عينه تحمل فى طياتها عناصر المواساة الظريفة والتشجيع على مواجهة قسوة الحياة بروح التفاؤل والمساعدة على الاحتفاظ بالتماسك والروح المعنوية حتى تزول المظالم وينتصر العدل والحق آخر الأمر . ■■

القاهرة **محمد فريد ابو حديد**

العالمُ النفسيُّ

يُنْج الكَبيرْ

ثالث ثلاثة غزوا مجال النَّفس وكشفوا عن ظواهرها الكثير.. :

العقل الباطن - الأحلام - الشَّبق - عُقْدة أُوديب

بقلم علي أدهم

■ فى شهر يونيو من السنة الماضية مات العالم النفسى الكبير كارل جوستاف ينج Jung ، وهو فى طليعة مفكرى القرن العشرين . واحد اقطاب علم التحليل النفسى الثلاثة اصحاب المدارس والمذاهب الى ذاعت شهرتها وكثر اتباعها وتلامذتها ، وكان لها فى مختلف نواحى التفكير آثار بعيدة المدى ، وهم : الثالوث الذى غزا مجال النفس وكشف عن ظواهرها الكثير :

العقل الباطن ، الأساطير ، الأحلام ، الشبق ، عقدة أوديب ، الشخصية المنبسطة ، الشخصية المنطوية ، اطرزة من التفكير والشعور .

أكثر احاطة واصدق دراية

وقد كان لينج تأثير كبير بوجه خاص فى فهم الانسان لطبيعته النفسية وخفايا عقله الباطن ، من وجهة نظر يغلب عليها العمق والطرافة ، وفى ضوء جديد ، مما جعل بعض المتشيعين له يرون انه أكثر احاطة واصدق دراية من سائر اضرابه من العلماء النفسيين الاثبات ، وهم يؤكدون لنا ان تأثيره سيزداد بمرور

الزمن ، وحينما ينجاب الغموض عن نظرياته شيئا فشيئا ، ويشيع فهمها على نطاق واسع .

طريقته لم تكن سهلة الفهم

وقد قدر أهمية يَنج الكثيرون من علماء النفس والفنانين والمؤرخين والنقاد والكتاب ، ولكن طريقته في بسط أفكاره وشرح نظرياته ليست سهلة ولا هيّنة ، ولذلك لم تسر أفكاره مسراها الملائم ، ولم تجتذب الكثيرين ، قال هو نفسه : «تعبت اشد التعب لأجعل الناس يفهمون ما اعني » .

لقي عنتاً من الناس كثيرا

ولم يكن طريقه في الحياة معبدا ، ولم يسلم من قوارص النقد ، ولكنه كان جلدا صبورا ، قال عن نفسه : « لا توجد صفة لم تطلق علي ، فقد عدّوني اول الأمر مجنونا . ومعرفة نفسية الأحياء هي أصعب العلوم جميعها ، والجامعات بطيئة في الاشتغال بها ، لان أساتذتها يكرهون أن يتعلموا » . ولم ترحب به جامعة زوريخ في باديء أمره ، وقد القى محاضرات بها بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٣ ، ولكن بوصفه محاضرا فحسب. قال في ذلك « كان هناك دسائس كثيرة ، وقد اقبل على استماع محاضراتي سبعون طالبا ، ولم يرض عن ذلك الأساتذة المتمكنون الذين لم يتقبل على محاضراتهم سوى عدد قليل من الطلبة» .

نشأته

ولد يَنج سنة ١٨٧٥ في بازل في سويسرة ، وتلقى دراسته فيها حيث حصل على اجازة في الطب . وفي سنة ١٩٠٠ بدأ سير حياته باعتباره طبيبا نفسيا وذلك بان صار طبيبا مساعدا في مستشفى الأمراض العقلية في جامعة زوريخ . وظل بها حتى سنة ١٩٠٩ . ولم يتغيب عنها سوى فترة قصيرة سنة ١٩٠٢ حين ذهب الى باريس ودرس تحت اشراف : جانيه Pierre Janet (١٨٥٩ – ١٩٤٧) العالم النفسي الشهير ، وعمل طالبا ثم مساعدا ليوجين بليلر ، وبدأ ينشر بحوثا جعلت اسمه معروفا في البيئات العلمية .

بينه وبين فرويد

وقد سمع بفرويد لأول مرة وهو يعمل في مستشفى زوريخ ، وأيد آراءه ، وكان هذا يُعتبر مغامرة في ذلك الوقت ، ولم يكتف يَنج بذلك بل بادر بالذهاب الى فيينا ليراه ويوثق معرفته به . وتأكدت العلاقات بينهما ، واعجب به فرويد وعده خليفته . ولكن حينما بدأ يَنج يستقل بطريقته الخاصة في التحليل النفسي ، وهو يسمي مذهبه علم النفس التحليلي ، أصبح الخلاف بينهما امرا محتوما ، وكان لا بد أن يمضي كل منهما على سَنَنِه . وليس من السهل على رجلين عبقريين ان يظلا طويلا يعملان جنبا الى جنب ويسيران في طريق واحد .

وقد تحدث يَنج عن أسباب حدوث هذا الخلاف ووقوع التنبوة بينهما ، فقال : « كان فرويد يرجع سبب وجود العقل الباطن الى كبت محتويات العقل الواعي غير المقبولة ، وهو بذلك يجعل العقل الباطن مجرد مستقرّ للذكريات المكبوتة والمنسية . وعند فرويد ان مسالة الجنس هي صانعة المتاعب ، فمذهبه في علم النفس يقوم على الغريزة الجنسية ، في حين ان مذهب آدلر يستند الى حافز طلب القوة . ورأيي ان هناك اشياء كثيرة تجعل حياة الانسان شقية بائسة ، ومن وراء هذه الأشياء تلعب دوافع الانسان الخالقة دورا خطير الشأن في احداث الأمراض العصبية والعلل العقلية » .

آدلــــر

العقل الباطن عند يَنج

وعند يَنج ان العقل الباطن يعوزه النمو ، وليس الكبْت آفته . وهو يهدف الى تعاون العقل الواعي مع العقل الباطن . والعقل الباطن عنده مكون من طبقتين : (١) العقل الباطن الشخصي وهو لا يشمل الغرائز البدائية فحسب وانما يشمل كذلك أجزاء من شخصية الانسان غير نامية ، وهو يظل غير عارف بها لأنه لا يستعملها . (٢) الطبقة الثانية الأعمق هي العقل الباطن السلالي ، وفيه تكمن المعتقدات البدائية المتنقلة عبر القرون المتوالية ، وهو يسمي هذه الأساليب القديمة للتفكير « النماذج الأصلية » ، وهي تتمثل في الأساطير القديمة والقصص الشعبية والأديان

والأمراض العقلية ، وقد اشار منذ أوائل شرحه لنظرياته في العقل الباطن الى نواحيه الأربع وهي التفكير والشعور والاحساس والحدس .

سعة علمه

وقد كان والده من رجال الدين راعي كنيسة وكان يدخل في حدود واجباته الاشراف الديني على مستشفى المجاذيب في بازل ، وفي هذا المستشفى نفسه بدأ يُنج سير حياته بعد حصوله على اجازته وتخصصه في معالجة الأمراض العقلية النفسية . وكان جده لأبيه أستاذا في الطب الباطني ، وكان جده لأمه من علماء اللاهوت البروتستانتي ، وقد اشتهر بسعة اطلاعه في الأدب العبري . وقد تفسر لنا هذه العوامل الوراثية تعدد جوانب يُنج الثقافية ، فقد كان عالما متبحرا في الأدب اللاتيني والأدب اليوناني ، كما كان يعرف أربع لغات أوروبية حديثة معرفة صحيحة . وكان واسع الاطلاع على الأساطير المختلفة . وقد أخذ بطرف من علوم شتى مثل علم النبات وعلم الحيوان وعلم النفس المقارن وما الى ذلك من سائر العلوم ، وكان أعوانه يقولون عنه انه لا يوجد حدود ، كما يبدو ، لما كان يمكن ان يحيط به عقله ويستبقيه في ذاكرته ، حتى من بعض الموضوعات التي تبعد عن ميدان بحثه .

وكانت طاقته على العمل وممارسة البحوث لا تكاد تحد ، وقد سأله مرة احد الصحفيين كيف أتيح له كل هذا العلم الواسع والانتاج الغزير ، فضحك يُنج وقال له : « اني لا أضيع وقتي سدى ، ومعظم مواطني كلِفون بالمجتمعات وغشيان النوادي ، وانا لا اشاركهم في هذا ، وفضلا عن ذلك فان فترتي الحربين العالميتين أتاحتا لي الفرصة للتوفر على الدراسة والعمل الجدي اذ فرضتا عليّ العزلة » .

رحلاته

وقد قام يُنج برحلات شتى ، بعضها علمية لدراسة الأقوام البدائيين في أفريقية وفي الأريزونا والمكسيك ، وبعضها لالقاء محاضرات في الجامعات التي كانت تدعوه لزيارتها .

احدى تلميذاته تصف حياته

وكان يُنج متزوجا ، وقد رزق ابنا واربع بنات ، وكانت زوجته حاصلة على اجازة في التحليل النفسي ، وقد عاونته في دراسته . وقد وصفت لنا « فريدا فورد هام » احدى تلميذاته ـ هذا الجانب من حياة يُنج العائلية فقالت : « انه يعيش عيشة كاملة في المناطق الأخرى غير الفكرية ، وزوجته لها شخصية ممتازة وجذابة ، وهي بعد أن نجحت في تربية أطفالها الخمسة أخذت تساعده في بحوثه. وليس من السهل على زوجة رجل عظيم أن تحتفظ بشخصيتها دون أن تبالغ في تأكيدها ، ولكنها نجحت في ذلك نجاحا جديرا بالاعجاب ، وأضافت شيئا ذا قيمة الى نجاح زوجها . ويأتي الى دارهما رجال ونساء مختلفو النزعات والاهتمامات ، من شتى أصقاع الأرض . وقد أتاح ذلك الفرصة ليُنج ليقف على حركات عصره وحوادثه .

وتصف لنا حياته في السنوات الأخيرة فتقول : « كان يُنج يستمتع بالكثير من النشاط الرياضي بما في ذلك الاصعاد في جبال وطنه والتنزه باليخت والسباحة في بحيرة زوريخ ، ولكنه حينما بلغ السابعة بعد السبعين اضطر الى أن يقلل من جهوده الرياضية ، ولكنه ظل محتفظا بنشاطه العقلي والاقبال على التأليف . وهو يميل الى الحديث ، ولكنه في الوقت نفسه يحسن الاستماع. والواقع انه محدث بارع شائق الحديث يحتفظ في ذاكرته بتفصيلات عجيبة . وعنده ذخيرة حافلة من القصص الممتعة ، والنوادر البارعة ، ومعلومات عن كل شيء تحت الشمس ، وحاسة الفكاهة قوية في نفسه . وقد لا يتورع في بعض الأحايين عن اثارة دهشة اي انسان اذا وجده مسرفا في التأنق أو مغاليا في التحفظ ، وهو نفسه بريء من الادعاء والتكلف ، ولا تحفه هالة الحكيم المسن ، وان كان هناك كثيرون يودون أن ينظروا اليه في ضوئها » .

وكان يقول عن نفسه ان الشيخوخة جعلته يقصر اهتمامه على نفسه ، ولكن الذين عاشروه كانوا يَنعمون بعطفه المبذول وانسانيته الفياضة ، وقد ظل الى النهاية متنوع الاهتمامات ، متفتح العقل ، حريصا على الاطلاع والاستزادة من المعرفة والتجارب .

رأي فرويد في مذهبي صاحبيه آدلر ويُنج

وقد اشار العالم النفسي الكبير فرويد في ترجمته الذاتية الى خروج يُنج على مذهبه بقوله : « أثناء السنتين ١٩١١،١٩١٣ في أوروبا حدثت في التحليل النفسي حركتان انفصاليتان قادهما رجلان لعبا

دورا كبيرا فى ذلك العلم الناشىء ، وهما الفرد آدلر ، وكارل جوستاف يُنج . وبدا ان هاتين الحركتين يهددان هذا العلم تهديدا خطيرا ، وسرعان ما تكاثر أنصارهما ، ولكن قوتهما ليست فى محتويات مذهب كل منهما ، وانما كانت فى الاغراء الذى قدماه بتحررهما مما كان يُشعر بانه يثير النفور من الأشياء المنفرة التى كشف عنها التحليل النفسى دون أن يتبذا مادته الأصيلة . وقد حاول يُنج أن يفسر حقائق التحليل النفسى تفسيرا جديدا له صبغة تجريدية غير شخصية ولا تاريخية، ورجا بذلك أن يتحاشى الحاجة الى تقرير أهمية الغريزة الجنسية فى الطفولة وعقدة « أوديب » ، وكذلك الحاجة الى أى تحليل للطفولة . وبدا ان آدلر يبتعد عن التحليل النفسى أكثر من ذلك فهو ينبذ أهمية الغريزة الجنسية النبذ كله ، ويُرجع تكوين الشخصية ونشأة الأمراض العصبية الى مجرد الرغبة فى القوة وحاجة الانسان الى التعويض عن نقص في كيانه ، ويُهدر كل الكشوف النفسية التى وصل اليها التحليل النفسى . ولكن ما اهدره شق طريقه من خلف مذهبه متخذا أسماء أخرى ، فما أسماه « معارضة المذكر » ليس سوى الكبت محولا الى غريزة جنسية بغير وجه حق . وقد وُجّه الى هذين الخارجين على المذهب نقد معتدل ، فقد أصررت على أن يمتنع كلاهما عن تسمية مذهبه بالتحليل النفسى وبعد انقضاء عشرة أعوام يمكن أن أؤكد ان هاتين المحاولتين ضد التحليل النفسى قد مرتا بسلام دون أن تنالا منه » .

فرويد

هل ضاق فرويد بآراء تلاميذه

وقد عزا بعض الناس اضطرار خروج يُنج وآدلر على مذهب فرويد الى فرط اعتزازه بآرائه ، وكراهته الشديدة لأى مخالفة لمذهبه ، من جانب تلامذته وأصحابه . وقد دفع فرويد عن نفسه هذا الاتهام بقوله : « لقد عد انشقاق التلاميذ السابقين دليلا على عدم تحملى المعارضة ... ويكفى فى الجواب على ذلك أن أشير الى انه ، الى جانب هؤلاء الذين تركونى مثل ينج وآدلر وستيكل ، وقليلين غيرهم ، لا يزال هناك عدد ضخم من الرجال مثل ابراهام وآتينجون ، وفيرنسزى ، ورانك ، وجونز ، ورايك ، وغيرهم ، عملوا معى مدة خمسة عشر عاما فى تعاون وولاء ، وفى أغلب الأوقات فى صداقة متصلة ... وأحسبنى أستطيع أن أقول دفاعا عن نفسى انه ليس فى وسع رجل ضيق الحظيرة ، يسيطر عليه اعتقاد" مبالغ فيه بانه لا يخطىء ، أن يحتفظ بمثل هذا العدد الكبير من أذكياء الناس ، وبخاصة اذا كان لا يملك من مغريات الحياة العملية سوى القليل الذى أملكه » .

الأساطير والأحلام عند يُنج

والنزعة الفلسفية فى كتب يُنج أكثر وضوحا من النزعة العلمية ، وهو دائم الاشارة الى الفلسفة، وبخاصة الفلسفة الشرقية والأساطير والقصص الشعبية . وبرغم ما بينه وبين فرويد من خلاف فانه يقبل الكثير من المسائل الأساسية فى مذهب فرويد ، مثل الكبت والصراع والرمزية والعقل الباطن،ولو انه يفسرها تفسيرا مخالفا ، ويستخلص منها معانى جديدة . وعند يُنج أن الأساطير نتيجة أساليب خاصة من التفكير كامنة فى طبيعة الانسان من أقدم عصور التاريخ ، وهو يخالف فرويد فى ان الرموز انما وجدت للتعبير عما لا يمكن أن تستوفى الألفاظ التعبير عنه ، أو عما لم يتخذ بعد فى العقل صورة اللفظ . والأحلام عند يُنج قصة رمزية تشير الى الصعاب التى يعانيها المريض، وهى محاولة للاشارة الى طريقة معالجة هذه المشكلات فى المستقبل ، فالأحلام تستهدف غرضا ، وهى تعرض مساعدة من العقل الباطن فى موقف وجد فيه العقل الواعى نفسه عاجزا عن مواجهة مشكلاته .

عند يُنج
فى العقل الباطن تتجمع النقائض

والعقل الباطن عند يُنج ــ كما أشرت ــ يشمل بعض نواحى الشخصية التى لم يُنتفع بها ، والانسان مثلا اذا ظل مستغرقا فى التفكير العقلى فانه يعمل بذلك على كبت المشاعر والجانب الرومانتيكى فى شخصيته ، وقد روى العالم الطبيعى المشهور دارون عن نفسه فى ترجمته الذاتية لحياته ان استغراقه فى البحوث العلمية المحضة جعله يفقد تذوقه للطُرف الأدبية حتى صار لا يفهم الشعر . والرجل المسرف فى أنانيته يكبت جانب حب التضحية فى نفسه ، وعلى عكسه الرجل الميال الى

التضحية فانه يكبت فى نفسه بواعث الأنانية . والرجل القوى الرجولة يجاوب ذلك فى طبيعته جانب نسائى . وهكذا يفسر ينج الكثير من سمات الحياة اليومية باعتبارها دليلا على ما يقدمه العقل الباطن من اسباب التعويض ، حيث نجد الجوانب المكبوتة معبرًا عنها .

وهو يطلق على الجانب الواضح للناس من الانسان اسم الشخصية ويطلق على الجانب المقابل الخفى اسم الروح ، وحسب تحليل ينج يقابل شخصية الرجل روح مؤنثة فى العقل الباطن ، ويناظر شخصية المرأة فى عقلها الباطن روح مذكرة. والعقل البشرى فى ذلك يشبه صورة شمسية لسلسلة من الجبال معكوسة فى بحيرة تجرى عند سفوحها ، فكل جبل من تلك الجبال يتراءى نظيره ومقابله فى صقال سطح البحيرة ، والانسان من اجل ذلك خير مما يبدو وارداً مما يظهر ، فالشجاع جبان فى عقله الباطن ، والجبان شجاع فى عقله الباطن ، والمثالى واقعى والواقعى مثالى . وهكذا يقابل النقيض نقيضه فى العقل الباطن .

والشبق ... بين فرويد وينج

والشبق ـ الليبدو ـ أو الطاقة الحيوية عند ينج اوسع نطاقا من مفهومها عند فرويد ، وهى تقترب مما أسماه برجسون «الدافع الحيوى» ، وهذه الطاقة الجنسية يمكن تحويلها الى طاقة غير جنسية ، فاذا نجح الفرد فى هذا فان هذا يعد « تساميا » . واذا لم يوفق فيه اعتبر « كبتا » ، ولا يرى ينج ان الصراع يجىء ضرورة من الخارج لانه قد يحدث فى داخل الفرد بين جوانب عقله المختلفة ، وسبب الاضطراب العصبى ان بعض جوانب العقل الواعى المتقدمة فى سبيل النمو يعترضها موقف تعجز عن مواجهته ، ويضطر الفرد معه الى التراجع والاستعانة بالجوانب المهملة فى العقل الباطن ، ويكون سلوكه فى هذه الحالة نافعا وسليما ، ولكنه اذا اهمل ذلك وسلك مسلك الاطفال فانه يصاب بالعُصاب .

وعقدة « أوديب » ...

ويوافق ينج فرويد فى حقيقة وجود « عقدة أوديب » ، ولكنه يخالفه فى تفسيرها ، فهى عند ينج رغبة فى ميلاد جديد بالمعنى النفسى ، ونزوع الطفل الى المصدر الأصلى لحياته التى يريد تجديدها . وكثيرون من الذين شاهدوا الرجال الذين اصيبوا بأمراض شديدة أو جروح أليمة بعيدا عن ديارهم ادهشهم كثرة استغاثة المرضى او الجرحى بأمهاتهم على اختلاف طُرُزهم وثقافتهم وعصرهم ، ومهما كانت عنايتهم بزوجاتهم ، فالأم هى المصدر الأصلى ، وهم يريدون أن « يُولدوا من جديد » . وهو عنده مَثَلٌ من أمثلة أسطورة « عودة الميلاد » .

العقل الباطن والتعويض

وفكرة وظيفة العقل الباطن فى التعويض فى علم النفس التحليلى الذى يقول به ينج تفسر الكثير من المشكلات التى قد نجد صعوبة فى تفسيرها بدونها ، فهى تفسر لنا كيف استطاع رجل مثل المصور المشهور«جوجان»ان يصبح فنانا عظيما بعد أن بدأ حياته رجل اعمال ، وكيف صار الشاعر الفرنسى ريمبو الذى نظم قصائد من الشعر العظيم فى التاسعة عشرة من عمره تاجرا ، وتجعلنا نفهم لماذا يسلك بعض الناس الذين نعهد فيهم خسة الطبع وسقوط الهمة سلوكا يدل على سمو الخلق وكرم الطبع فى بعض المواقف الطارئة ، وكيف يهبط بعض الذين نحسن بهم الظن ونعهد فيهم الخير الى مستوى أنزل من مستواهم المألوف .

الشخصيتان : المنبسطة والمنطوية

وقد أقام ينج على أساس نظريته فى وظيفة العقل الباطن التعويضية رأيه فى مسألة الطرز النفسية الذى بدأه بتقسيم الناس الى أصحاب الشخصية المنبسطة وأصحاب الشخصية الانطوائية فصاحب الشخصية المنبسطة دائم المرح والاستبشار ، ولكنه عرضة لنوبات الوجوم والانقباض ، وهو ميال الى الاجتماع ومعنىّ بالاشياء التى فى العالم الخارجى ، ويغلب عليه ضيق الخيال . أما صاحب الشخصية الانطوائية فينقصه الشعور ، ويغلب عليه فتور الطبع وفقدان التحمس ، وهو غير ميال الى الاجتماع ويؤثر العزلة والانفراد بالنفس ، وهو أوسع خيالا ويعنى بالأفكار والتأملات .

اطرزة فى التفكير والشعور

وهذان الطرازان ينقسمان الى أربعة أنواع ، وهى النوع المفكر ، والنوع القوى الشعور ، والنوع الذى يعتمد على الحدس فى ادراك الأمور ، والنوع الحسى . والنوع المفكر يقابله فى الطرف الآخر

النوع الكثير الشعور . والنوع الحدسي يعارضه في الناحية المقابلة النوع الحسي . وتقسيم الناس الى طراز المفكرين وطراز الشعوريين قديم يرجع الى القرن الثامن عشر او الى اقدم من ذلك العهد. ومن الكلمات المأثورة قول اللورد شسترفيلد . « الدنيا ملهاة لمن يفكر ، ومأساة لمن يشعر » .

وفي كل انسان توجد هذه الوظائف الأربع ، وهي التفكير والشعور والحدس والاحساس . ولكن من السهل دائما ان نلمح الوظيفة الغالبة المستعلية والوظيفة الواهنة المستضعفة ، والطراز الفكرى بطبيعة الحال منطقي في سلوكه وميال الى الاسترضاء ، بالعقل ، ولا يتأثر بآراء الآخرين ، والطراز الشعورى يعتمد على مشاعره في الملاءمة بين نفسه وبين الأشياء ، وكذلك في تقدير القيم . والطراز الحسي يتأثر بالأحاسيس من كل نوع الى حد كبير ، والطراز الحدسي يعتمد على استنتاجاته اللاواعية ولذلك يغلب عليه سرعة البت في الأمور والانتهاء الى النتائج ، ولكنه بذلك لا يستوجب أن يكون حكيما في معالجته للأمور .

وكل وظيفة من هذه الوظائف الأربع يقابلها في العقل الباطن نقيضها ، فالتفكير يقابله الشعور ، والحدس يقابله الحس ، فاذا كان للفكر المكان الأعلى كان للشعور المكان الادنى ، واذا كان الحدس متفوقا كان الحس متخلفا ، والعكس بالعكس ، وبين هذين الطرفين المتناقضين وظيفتان اخريان ، فاذا كان للحس النصيب الأوفر كان التفكير والشعور اقوى من الحدس ، وعلاوة على الطرز الأربعة الرئيسية يقرر ينج وجود طرز اخرى فيما بين الطرز الرئيسية . فبين الطراز الفكرى والطراز الحسي مثلا يوجد طراز الفكر العملي . وبين الطراز الفكرى والطراز الحدسي طراز التفكير النظرى . وبين الطراز الحسي والطراز الشعورى طراز الشعورى العاطفي . وبين الطراز الشعورى والطراز الحدسي الطراز الحدسي الشعورى .

الطراز المنبسط الفكرى

والطراز المنبسط الفكرى يعني بالأشياء والناس ويعتقد انه عملي ويبدأ بالحقائق ويستخلص النظريات بعد ذلك . وبوصفه من الطراز الفكرى ينقصه الشعور ، ولذلك يفخر بأنه لا يخضع للعواطف ، ويرمي كل من يخالفه في رأى بالغباء وقلة الدراية ، ويحاول ان يفرض آراءه على الغير ، ومن أمثلة هذا الطراز كثير من السياسيين وبعض العلماء التجريبيين .

الطراز الانطوائى الفكرى

والطراز الانطوائى الفكرى بارد الرأس ، ويعنى بعالم الأفكار أكثر من عنايته بعالم الواقع ، وهو يبدأ بالنظرية الأثيرة عنده ، ويستخلص منها ما يجب ان يكون من الحقائق . ولأنه مفكر تعوزه الانسانية ومجافاة التعصب ، ومن أمثلة هذا الطراز روبسبير زعيم الثورة الفرنسية الشهير ، وغيره من الزعماء الثوريين مثل ماركس ولينين .

الطراز الانطوائى الشعورى

والطراز الانطوائى الشعورى بحكم انطوائيته غير ميال الى الاجتماع بالناس ويجد صعوبة في التعبير عن نفسه ، ومشاعر الحب والكراهة قوية في نفسه ويسبب له ذلك الآلام المبرحة لأنه لا يظهرها ويعبر عنها ، ويظن به الناس دائما انه أناني وغير ودود في حين انه في صميم نفسه يتلهف على الالتفات اليه والعناية بامره ، وهي حالة كثير من الشعراء الذين يصفون في شعرهم ما يعجزهم قوله بالألفاظ ويذكرني ذلك بقول ابى تمام :

لم تنكرين مع الفراق تبلدى
وبراعة المشتاق ان يتبلدا

او قول شاعر آخر وهو قيس بن ذريح :

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى
وان هو لاقاها فغير بليغ

الطراز المنبسط الشعورى

والطراز المنبسط الشعورى تمثله المرأة خير تمثيل فهي تحرص على التمسك بالتقاليد وتميل الى الاجتماع ، وتعنى بشؤون الغير ، وهي تشعر بالصواب ، ولا تستطيع التفكير المنطقي والأمثلة على ذلك كثيرة .

الطراز الانطوائي الحسّي

والانطوائي الحسي يرتاح للموسيقى والشعر ، ويستجيد الطعام والشراب ، وينظر الى الدنيا من وجهة نظره الخاصة الشخصية ، ويلحق بهذا الضرب من الناس هواة الفنون والميالون الى التأنق في الأكل والشرب .

الطراز المنبسط الحسي

والمنبسط الحسي في العادة من الطراز الحسي الذي يشبه الاطفال في رغباته الحسية وأصحاب الأذواق غير المهذبة ولا المصقولة ، وهو في الأغلب فظ الطباع غليظ القلب ، اناني ، واذا احسن الى الغير فما ذاك الا لأنه يرى في ذلك نوعا من الاستعلاء، وسبيلا الى المفاخرة والتحدث عن النفس .

والانطوائي الحدسي مطبوع على الذاتية ، والعالم في رايه حافل بالسحر والغموض ومحفوف بالغرائب والعجائب ، وهو يعنى بالمعاني المستترة خلف ما يقوله الناس أكثر من عنايته بأقوالهم في ذاتها ، وهو في العادة انسان لا يمكن الاعتماد عليه ولا الثقة به ، لأنه لا يحكم على الناس بأقوالهم أو افعالهم ، وانما يحكم عليهم بما يمليه عليه حدسه .

والمنبسط الحدسي هو طراز رجل الدنيا ، ونوع المقامر الذي لا يستقر له قرار ويعتمد على الحظ ويستسلم لدوافعه النفسية دون أن يحاول كبح جماحها ويستمسك بمعتقداته غير القائمة على البحث والتفكير ولا يقبل المناقشة فيها ولا التنازل عنها .

اطـرزة نافعة عمليا

وهذه هي الطرز الرئيسية حسب تقسيم ينج وسماتها المعهودة ، وهو يعتبرها من آثار الوراثة لان ينج يعلق أهمية كبيرة على مسألة الوراثة ، على خلاف فرويد . ويرى بعض الباحثين أن هذا التقسيم الذي جاء به ينج نافع الى حد كبير في اختيار المتقدمين للوظائف الخالية اذ يمكن عن طريقه الاهتداء الى وضع الرجل المناسب في العمل الملائم أو الرجل الصحيح في المكان الصحيح كما يقولون ، وهو كذلك نافع في علاج الاضطرابات العصبية اذ يمكن بطريقه الاهتداء الى مصادر الصراع في العقل الباطن .

تفسير الأحلام بين ينج وفرويد

ويختلف مذهب ينج عن مذهب فرويد في تفسير الأحلام ، والاحلام من المسائل التي تلعب دورا هاما في التحليل النفسي . وفرويد يؤمن بالجبرية وقانون السببية ، وهذا الايمان يضيّق من حدود تفسيره للاحلام ، فمحتوى الحلم في رأيه يرجع الى التجارب السابقة التي مهدت لحدوثه . وذهاب ينج الى أن الوظائف النفسية جميعها هادفة مكّنه من أن ينظر الى الاحلام ، لا على أنها رموز لما حدث فحسب ، بل على انها كذلك رموز للحاضر والمستقبل . ولما كان يرى أن العقل الباطن لاينقطع عن القيام بعملية التعويض ، فمن غير المستغرب أن نراه يعتبر الاحلام بوصفها معبرة عن هذا الاتجاه التعويضي .

والحلم في رأى فرويد تعبير عن رغبة من رغبات الطفولة لم تشبع ، اتخذت الثوب الرمزي لكي تخدع الرقيب القائم بين العقل الباطن والعقل الواعي الذي لا يسمح للرغبات المنفّرة المكروهة بالانتقال من عالم العقل الباطن الى عالم العقل الواعي الا اذا خدعته ، واتخذت المظهر الرمزي الذي يستر قبحها ، ويداري حقيقتها . وعند ينج انها كذلك ، ولكنها في الوقت نفسه أكثر من ذلك بكثير . وهي مزدانة بزخارف الرموز ، لان العقل الباطن بطبيعته بدائي ولغته هي لغة النماذج القديمة الاصلية .

النزعة الصوفية عند ينج

وقد كان من دواعي انفصال ينج عن فرويد النزعة الصوفية الغالبة عليه ، فقد كانت هذه النزعة تجعله ينفر من طريقة فرويد في تأكيد المسألة الجنسية وجعلها الحافز الرئيسي للانسان في شتى نواحي الحياة ، ونضرب مثلا لاختلافهما في تفسير الاحلام بهذا الحلم الذي عرض على ينج ، وذلك أن احد الناس رأى فيما يراه النائم أباه وهو يقود سيارة صغيرة جديدة ، وكان يقودها بطريقة خاطئة تدل على العجز في القيادة وسوء الاستعمال مما اثار ثائرة الابن ، وظل الأب يتنقل بالسيارة يمينا وشمالا على غير هدى حتى اصطدم بحائط أتلف مقدمة السيارة وأصابها بعطب شديد ، بعد أن ظل ابنه يصيح به ليحسن القيادة ويتفادى الاصطدام . وقال راوي الحلم انه وجد أباه بعد الحادثة يضحك عابثا لأنه كان ثملا . ولم ير ينج في هذا الحلم ما كان لا بد أن يراه فرويد لو شرع في تفسيره ، وعند فرويد ان مثل هذا الحلم يفسر ذلك النزاع الخفي بين الابن والأب من أجل امتلاك الأب للأم واستئثاره بها . وقد رأى ينج أن هذا التفسير الفرويدي لا يصلح لتفسير هذا الحلم ، لان العلاقة بين الأب والابن كانت علاقة مرضية ، ولم تكن علاقة كراهة وتنافس . بل انها لم تكن تخلو من بعض نواحي عبادة البطولة ممثلة في

الأب . ولكن هل كانت هذه العلاقة حسنة في الظاهر ليس غير ؟ وهل هذا الحلم ثمرة مجاهدة من أجل التعويض ؟ والابن لم يكن مصابا باضطراب عصبي يبرر ترجيح التعويض. ولكن اذا كانت علاقته بأبيه مرضية فلماذا يرى هذا الحلم الذي ينتقص من قدر أبيه ويهدف الى اضعاف الثقة به ؟ في هذا يرى ينج أن العقل الباطن لصاحب هذا الحلم كان يميل الى تصوير مثل هذا الحلم ، وذلك لأنه كان يحرص على تقليل اعجاب الابن بأبيه ، لأن العلاقة بين الابن وأبيه لم تكن حسنة فحسب ، وانما كانت حسنة أكثر مما يلزم ، ولذلك كان لابد من أن يتدخل التعويض ليحدث التوازن بين محتوى العقل الباطن ومقابله في العقل الواعي .

اختلاف الثلاثة في تفسير الأحلام

ولبيان جانب من أوجه الخلاف بين هؤلاء العلماء النفسيين الكبار — واقصد بهم فرويد وينج وادلر — اذكر أن ادلر كان يفسر مثل هذا الحلم لو عرض عليه برغبة الابن في تأكيد أسلوبه الخاص في الحياة ضد الأسلوب الذي يتبعه أبوه أي انه يعبر عن رغبة الابن في اظهار قوته وحبه للاستقلال والاستعلاء ، أما فرويد فكان يرى فيه دليلا على ما أسماه « عقدة أوديب » ، وكان يفسره بأن الابن كان في عقله الواعي شديد الشعور بحبه لأبيه ليخفي في عقله الباطن كراهته لأبيه وحسده له . على أن الثلاثة يرون أن وظيفة الاحلام هي احداث التناسق في الحياة النفسية ومن ثم تسهم الاحلام في انماء الشخصية المتزنة .

ومهما تكن أوجه الخلاف بين هؤلاء العلماء الثلاثة الموهوبين فانهم جميعا على اختلاف مذاهبهم واتسام بعض آرائهم ونظرياتهم بالغرابة والخروج على المألوف ، قد أشاعوا الضوء على كثير من الجوانب المظلمة في النفس الانسانية ، وساعدوا على توجيه العلاج في مختلف الامراض العصبية الى الوجهة التي تعين على تعرّف أصل الداء ، وتمكين العلاقة وتيسير الحياة النفسية السليمة في عصر تكاثرت مشكلاته وتعقدت أزماته وأخذت تتحدى العقول وتربك الاعصاب . ■■

علي أدهم

يبحث عن مستوى التعليم

● أراد مفتش في التربية أن يطلع على مستوى التعليم في مدرسة . فدخلها ودخل أحد الفصول ، وسأل طالبا :

المفتش : من الذي هدم حائط أريحة ؟

الطالب : لست أنا الذي فعل هذا والله يا سيدي .

فاتجه المفتش الى المدرس وسأله :

المفتش : هل كل الطلبة هنا مثل هذا الطالب ؟

المدرس : ان هذا الطالب ما عرف عنه الكذب أبدا ، من أجل هذا أنا أصدقه .

فخرج المفتش غاضبا ، وذهب الى حجرة الناظر يشكو له .

قال الناظر : اني أعرف هذا المدرس وهذا الطالب منذ أكثر من ثلاث سنوات ، ولا أظن أن أحدا منهما يصنع شيئا كهذا .

فخرج المفتش كالمجنون ، ووجهته مدير التعليم ، ينهي اليه ما حدث .

فقال له مدير التعليم : أظن أنك تبالغ فيما حدث . أنا اقترح أن تدفع المبلغ المطلوب لاصلاحها وننسى الحادث بالمرة .

(عن مجلة من كبرى المجلات الامريكية)

طرائف عربية

العقل والكرم

● جاء فى كتاب من كتب الهند .

« ثق بذي العقل والكرم واطمئن اليه . وواصل العاقل غير ذي الكرم ، واحترس من سيىء اخلاقه ، وانتفع بعقله . وواصل الكريم غير ذي العقل وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك . واهرب من اللئيم الاحمق » .

قــالوا

● ليس لكذوب مـروءة ، ولا لحسود راحة ، ولا لسيء الخلق سؤدد .

(ابن قيس)

● لا خير فى السرف،ولا سرف فى الخير.

(المأمون)

● أجلُ النوال ما وصل قبل السؤال.

(حكيم)

حكمة عبد الملك

● طلب الحجاج رجـلا فلجـأ الى عبد الملك ، فكتب اليه الحجاج : هذا فساد لعملى .

فرد عليه عبد الملك :

« لا ينبغى لنـا ان نسوس الناس بسياسة واحدة ، فيكون مقامنا مقام رجل واحد ، ولكن تكون انت للشدة والغلظة ، واكون انا للرافة والرحمة ، فيستريح الناس فيما بيننا » .

بين أخـوين

●وقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية سوء تفاهم ، ومشى النـاس بينهمـا بالنمائم،فكتب اليه محمد بن الحنفية:

« اما بعد ، فان ابى واباك علي ابن ابى طالب ، لاتفضلنى فيه ولا افضلك، وامى امراة من بنى حنيفة ، وامـك فاطمة الزهراء بنت رسول الله «ص» فلو ملئت الارض بمثـل امى لكانت امك خيرا منها ، فاذا قرات كتابى هذا فأقدمْ حتى تترضانى ، فانك احـق بالفضل منى » .

وصية والد

● « أى بنى ! انى مؤد حق الله فى تأديبك،فأدِّ الىَّ حق الله فى الاستماع منى . اى بنى ! كفَّ الأذى ،وارفض البذى ، واستعن على الكلام بطـول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيهـا نفسك الى الكلام ، فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ، ولا ينفع الصواب . واحذر مشورة الجاهل ، وان كان

ديمقراطية

● قال عليه الصلاة والسلام : « لا يقولن احدكم لمملوكة : عبدي وأمتي ، ولكن يقول فتاي وفتاتي. ولا يقول المملوك ربي وربتي، ولكن يقول : سيدي وسيدتي»

ابن ابي ربيعة عند عبد الملك بن مروان

● روى ان عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن ابي ربيعة المخزومي فقال له : قد علمت قريش أنك اطولها صبوة ، وابعدها توبة . ويحك أما لك في نساء قريش ما يكفك عن نساء بني عبد مناف ؟ ألست القائل :

نظرت اليها بالمُحَصَّب من مِنىً ... ولي نظرٌ ، لولا التحرُّجُ ، عارمُ (١)
فقلت : أصبحٌ أم مصابيحُ راهبٍ ، ... بدَتْ لكَ خلفَ السَّجْفِ ، أم أنتَ حالمُ ؟
بعيدة مهوى القُرْطِ ، إمَّا لنَوْفَلٍ ... أبوها ، وإمَّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ

فقال : يا امير المؤمنين فان بعد هذا :

طَلَبْنَ الهوى ، حتى إذا ما وَجَدْنَه ... صَدَرْنَ (٢) وَهُنَّ المسلماتُ الكرائمُ

فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله .

---

(١) عارم : طامع ـ (٢) صدرن : رجعن .

أبناء أبي الأسود الدؤلي

● **قال ابو الأسود الدؤلي لبنيه :** « قد احسنت اليكم صغارا وكبارا، وقبل ان تولدوا اخترت لكم من الأمهات من لا تسبُّون بها » .

من عادات الأعراب

● كان الأعراب يعتبرون الحليب كالماء لا يباع . وحدث ان مر رجل من قريش بامراة من الأعراب في بادية فقال لها :

ــ هل عندك من حليب يباع ؟

فقالت :

ــ انك لئيم ، او قريب عهد بقوم لئام !

لولده

ناصحا ، كما تحذر مشورة العاقل ، اذا كان غاشا ، لأنه يرديك بمشورته. واياك أن تستبد برايك ، فانه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلا الا وانت على يقين أن عاقبته لا ترديك، وان نتيجته لا تجنى عليك » .

(عبد الله بن الحسن)

الطبيب والحامل..

بقلم : الدكتور مصطفى خالدى

■ لا تؤتى العناية بالحامل ثمارها ، ولا تكون فائدتها كبيرة الا اذا توفر التعاون التام بين الحامل وطبيبها .تبدأ هذه العناية بعد الحمل وتنتهى بعد الولادة بستة أسابيع . والحامل الحكيمة هى التى تتحوط لأمرها وتتوقى أمراض الحمل واختلاطاته قبل وقوعها فتقوم بزياراتها المنتظمة لطبيبها فى الأوقات المعينة . اما الجاهلة فهى التى لاتستطب لدائها الا بعد تبلغ العلة بها واستفحال أمرها ، ومصير هذه وأمثالها من الحوامل بائس فقد يقضى معظمهن بسبب جهلهن أو اهمالهن .

ان الهدف من العناية بالحامل هو المحافظة على سلامتها وسلامة جنينها ولا يمكن الوصول الى هذا الهدف الا بالزيارات المتعددة التى تقوم بها الحامل لطبيبها مرة فى كل شهر من اشهر الحمل الستة الأولى ، ومرتين فى كل شهر من الشهرين التاليين ، ثم مرة فى كل اسبوع من أسابيع الشهر الأخير . وقد تحتاج الحامل فى حال اصابتها ببعض اختلاطات الحمل ، الى القيام بزيارات اضافية أخرى غير التى ذكرنا.وفى كل زيارة يؤخذ ضغط دم الحامل ووزنها ويفحص بولها ، واذا اقتضت الضرورة أجريت فحوص أخرى غير هذه . ان هذه الزيارات ذات فائدة كبيرة لأنها تقى الحامل معظم الامراض التى تتعرض لها وتعطى الطبيب الفرصة الكافية لتوقى أو مداواة أى مرض أو اختلاط فى الوقت المناسب .

متى يجب منع الحمل

ولا يوجد موعد محدد بالضبط لذلك الا ان الافضل أن تكون هذه المقابلة فى الشهر الأول من الحمل أو قبل ذلك ليتمكن الطبيب من الاطلاع الشامل على حالة المرأة الصحية ومدى استعدادها الجسمى والعقلى لتحمل أعباء الحمل وتبعاته . وقد يوصى الطبيب بايقاف الحمل أو الامتناع عنه اذا رأى موجبا لذلك ، اذ لا يجوز للمرأة الضعيفة القلب أن تحمل لأن قلبها الذى عجز عن ضخ الدم لجسمها بمفرده ، لا يستطيع أن يضخ الدم لها ولجنينها معا ولا يستطيع أن يتحمل سموم الحمل وعبء الولادة . ولا يجوز للمرأة المريضة الكليتين أن تحمل لأن كليتيها اللتين عجزتا عن تصفية الجسم من البولينه Urea وغيرها من فضلات التحول Metabolism قبل الحمل لاتستطيعان القيام بوظيفتهما هذه أثناء الحمل . كذلك المرأة المصابة بالسل والأخرى المصابة بالسرطان ، وتلك التى فقدت عقلها ، كل اولاء وآخر غيرهن ممن تبلغت بهن العلل واصبحت جسومهن غير صالحة للقيام بوظائفها ، لا يصلح بحال من الأحوال أن يحملن أو يتابعن الحمل لأن فى ذلك خطرا عليهن وعلى اجنتهن . ولهذا كان الافضل أن تزور المرأة طبيبها قبل الحمل وبعده بشهر واحد أو اثنين لتتأكد من سلامة جسمها وقدرتها على الحمل.

امراض وراثية يجب اطلاع الطبيب عليها

تدهش الحامل غالبا اذا سألها طبيبها عن صحة أمها وأبيها وعن المرض الذى مات به جدها أو قضت منه جدتها . كذلك تدهش اذا سألها عما اذا كان فى عائلتها من به مس من الجنون أو اصيب بالسل أو الصرع أو السرطان أو عانى من أمراض القلب والتوتر الدموى والشرايين . الا ان الاطباء لا يدهشون لمثل هذه الأسئلة لأنهم يعرفون بأن أمراضا كثيرة تنتقل من الآباء الى الأبناء عن طريق الوراثة وهو ما يطلقون عليه اسم القابلية الوراثية . Hereditary Tendencies

ان أكثرنا يرث عن أهله وأجداده قابلية الاصابة بهذا المرض أو ذاك . وهذا لا يعنى أننا سنصاب

حتما بالأمراض التى اصيب بها اجدادنا ولكنه يدل على اننا اكثر تعرضا للاصابة بهذه الامراض .

لا بد للطبيب من أن يسأل الحامل عن الولادات السابقة والأحوال التى رافقتها ليقف على ما يمكن ان تتعرض لهمن الاختلاطات وليعمل على محاشاتها. كذلك سيسأل الطبيب عنمواعيد الحيض وانتظامها نظرا لما لهذه المواعيد من علاقة بالحمل وصحة الأعضاء التناسلية . فالحيض يعتبر من أهم العلامات التى يستدل بها على حالة الهرمونات الجنسية ، ويعتمد الأطباء آخر موعد له دليلهم فى تحديد زمن الوضع بشكل تقريبى .

علامات للخطر يجب اخطار الطبيب بها

تصاب الحامل ببعض الأعراض التى يجب اعلام الطبيب بها فورا والتى يطلق عليها اسم علامات الخطر لأنها تنذر عادة بحدوث اختلاطات فى الحمل وأهم هذه الأعراض التالية :

١ ــ ظهور بعض الدم من المهبل .
٢ ــ تورم الوجه والأصابع .
٣ ــ ألم الرأس الشديد المستمر .
٤ ــ الدوخة وتغشى العينين .
٥ ــ الم البطن .
٦ ــ القشعريرة Chills and fever.
٧ ــ التقيؤ المستمر .
٨ ــ خروج سائل من المهبل .

تشكل هذه الأعراض خطرا فى بعض الحالات ، وخطرها يتوقف على الحالة التى تقع فيها . فخروج قليل من الدم خارج المهبل أو الاحساس بألم فى البطن ، أو انفجار فى الكيس الأمنيوني الذى يلف الجنين ، أمور لا تستوجب القلق اذا حدثت قبل المخاض بساعات أو أيام . ومهما يكن من أمر ، فالتنبيه الى هذه الأعراض ضرورى جدا لأنه يشير فى الغالب الى وجود اختلاطات فى الحمل .

فحص الطبيب

يبدأ الطبيب فحصه عادة بأخذ وزن الحامل وتسجيله فى ملفها الخاص ، ثم بقياس ضغطها وفحص كامل جسمها من الرأس حتىالقدمين للتأكد من سلامة جميع أعضائها ، مُوليا فحص العيون والأسنان والقلب والرئتين والكليتين والاعضاء التناسلية اهتماما بالغا وعناية خاصة .

ثم ان متابعة الوزن تساعد الطبيب فى ابعاد السّمن عن الحامل وضبط وزنها فىحدوده اللازمة، فوزن الحامل يزداد فجأة ازديادا كبيرا فى حالة التشنج النفاسى Eclampsia وما قبله . وهذه حالات خطرة تنتج من عجز الكليتين عن تحمل واجباتهما المتزايدة المفروضة عليهما فى الحمل . ومن دلائل هذه الحال أيضا تورم الأقدام والوجه وظهور تضخم فى الجفون وثقل فى الصباح ، وتقطع الأنفاس لأقل مجهود . كذلك أخذ الضغط تكرارا يعطى فكرة عن صحة الدورة الدموية اذ يرتفع هذا أيضا فى كل من حالة التشنج النفاسى وما قبله وفى أمراض الشرايين .

التوقى للولادات المتعسّرة

الولادة عبارة عن مرور جسم الجنين فى ممر ضيق (عنق الرحم ثم المهبل) يتمدد ويتسع حتى يستطيع الجنين عبوره . وهذا الممر موجود داخل اطار عظمى،لا يتمدد ولا يتسع ، هو الحوض. فاذا كان الحوض واسعا سهل مرور الجنين ، والا تعسرت الولادة وهددت حياة الأم والجنين معا ما لم يسارع الطبيب الىالمداخلة الجراحية .ولهذا كان على الطبيب أن يعرف مسبّقا اتساع الحوض ليكون مستعدا لاجراء العملية القيصرية اذا دعت الحاجة ، وهى الجراحة التى يلجأ اليها الأطباء آخر الأمر ، بفتح البطن ، والرحم ، واخراج الوليد منه . وسميت بالقيصرية لأن الرواية جرت بأن يوليوس قيصر ولد بهذه الطريقة .

ولفحص الحوض ومعرفة حجم الجنين ووضعه يقوم الطبيب ببعض القياسات الخارجية ، كما انه لا بد للطبيب من الفحص الداخلى ، اما بطريق المهبل فى أول الحمل ، أو بطريق الشرج فى أواخره ليكون على علم أوضح بالقياسات الداخلية للحوض.

ويقوم بعض الأطباء بهذا الفحص فى الزيارة الأولى ، بينما يؤجله البعض الى الزيارة الثانية . هذا ولا بد من قياس حجم الرحم والتثبت من وضع الجنين وسماع نبضه اذا كان الحمل متقدما . وينهى الطبيب فحصه هذا بأخذ عينة من دم الحامل لتحليلها فى المختبر ومعرفة فئة الدم ونوعه وما اذا كان يحتوى على عامل روزس Rh factor. أم لا بالاضافة الى اكتشاف بعض الأمراض من مثل فقر الدم والزهرى وغيرهما . ■■

مصطفى الخالدى
بيروت ــ لبنان

منع الحمل.. عن طريق الرجل

■ ذكرنا فى العدد الأسبق طريقة منع الحمل بملاحظة تاريخ ايام فى الدورة الشهرية تكون المراة فيها غير مستعدة للاخصاب ، واخرى يكون فيها لها استعداد .

وذكرنا فى العدد السابق طريقة منع الحمل بالحبوب تبلعها النساء .

والآن نذكر طريقة منع الحمل بالحبوب يبلعها الرجال .

علم الناس أن المراة تنتج فى الشهر بويضة واحدة ، بينما ينتج الرجل فى القذفة الواحدة أعدادا من الحيوانات المنوية هائلة قد تبلغ ٣٠٠ مليون حيوان. وتأخذ هذه تسبح نحو الرحم ، وتضرب بذيلها فى السائل ، وتتقدم بسرعة هائلة. هائلة بالنسبة لحجم الحيوان المنوى ذاته .

ان الحيوان منها يتقدم فى الدقيقة ، سبحا ، ثمن بوصة . وهو يتقدم البوصة الواحدة فى ٨ ثوان . مجهود هائل هذا ، بالنسبة لهذا الحيوان الصغير ، البالغ الصغر . وبسبب هذا الاجهاد ، يكف عن السبح ، فى الطريق الى الرحم ، اكثر هذه الحيوانات ، فلا يصل منها الا نحو من الفين . ويبقى جزء غير يسير من الرحلة لم يقطع بعد ، على هذه الحيوانات الالفين أن تقطعه : ذلك دخول الرحم ، ومنه الى قنوات البيض التى تتلقف البيضة التى يسقطها المبيض .

من اجل هذا كان همُّ الناس لمنع الحمل ، فى الزمن الذى مضى ، عن طريق الرجل . يضعون العراقيل فى سبيل هذه الحيوانات المنوية حتى لا تصل الى اهدافها ، الى الأرحام . فمن لَبُوس يلبسه الرجل ، ومن لَبُوس تلبسه المراة ، ومن عقاقير توضع فى المهبل لتقتل الحيوان المنوى .

وسائل كلها تدخلت فى الصلات الجنسية ، اما ماديا ، واما نفسيا ، لهذا كف عنها الكثير من الناس .

تجربة هرمونات الأنثى ، لتعقيم الرجال

وكان العلماء قد علموا ان هرمونات الأنثى ، تلك الهرمونات الأنثوية التى تشكل سمات الأنوثة فى النساء ، اذا هى أدخلت الى جسم الرجل اعقمته . وذلك بنقص محصوله من الحيوانات المنوية. ولو قد كان هذا هو النتيجة الواحدة التى تحدث من ذلك ، لكان فى ذلك بلاغ وكفاية . ولكن الذى حدث ايضا ان الحافز الجنسى عند الرجل ضعف . وزاد على هذا أن معالم الرجولة اخذت تتناقص عنده ، وظهرت عليه معالم النساء .

تجربة الهرمون الذكرى لتعقيم الرجال

وعاد العلماء يجربون هرمونات الرجل ، تلك الهرمونات الذكرية التى تشكل سمات الذكورة فى الرجال . وجربوها، ووقفت انتاج الحيوان المنوى فى الرجل . ولكن كان لا بد ان تعطى حقنا فى الجلد . هذا غير متاعب من جرائها اخرى .

عزوف العلماء عن الهرمونات الى الكيماويات المختلقات لتعقيم الرجال

عزف العلماء عن الهرمونات ، من أنثوية وذكرية ، وسيلةً لتعقيم الرجل، وبحثوا عن مواد اخرى ، غير الهرمونات تهدف الى ما يطلبون. وبشرط أن تعطى بالفم ، لا بالحقن فى الجلد أو بغير ذلك .

معقِّمٌ للرجال ، وقعوا عليه مصادفة

وقع العلماء على ما ارادوا . وكان

التجربة التى بدات فى الفئران ، ففى الكلاب ، ففى القردة ، ففى الانسان

وقوعهم عفوا . ظهر لهم العقار الذى يطلبون من حيث لم يرجوا له وجودا .

حدث هذا فى معهد البحوث ، معهد استرلنج ونثرب Sterling - Winthrop بالقرب من مدينة نيويورك .

كان العلماء هناك يبحثون عن ادوية افضل للأمراض التى تسببها الأميبة (وهى حيوان يتألف من خلية واحدة ، يدخل الى الأمعاء ، فيسبّب لصاحبها الدوسنطاريا الأميبية ، وقد يدخل منها الى الكبد فيحدث فيها الخراريج) ، ووقعوا فى سبيل بحوثهم على طائفة من المواد الكيماوية ، خلِّقت فى المعامل الكيماوية تخليقا ، تعرف باسم Bis - Dichloracetyl Diamines ولاحظوا ، عندما اطعموها للفئران ، ان انسجةً خاصة فى خِصيِها قد صغرت حجما. وجمعوا بين هذه الذكور المطعومة بهذه المواد ، وبين اناث الفئران . ولما جرى بينها ما يجرى بين ذكور الحيوان واناثه ، لم تحمل الاناث قط .

ومن الفئران انتقلوا الى الكلاب والقردة

من تجارب الفئران انتقلوا الى حيوانات أعلى فى السلم الحيوانى،وجربوا هذه المواد فى الكلاب. وجربوها فى القردة. وهى اشبه الحيوانات بالانسان .

وخرجوا من هذه التجارب بأن هذه المواد توقف انتاج الحيوانات المنوية فى منىِّ الذكور . وخرجوا بأنها لا تضعف الحافز الجنسى ، ولا تضر بالحيوانات بأى وجه كان . وفضلا عن ذلك ،وجدوا أنهم بالكف عن اطعام هذه الحيوانات هذه العقاقيرَ الكيماوية ، عادت الحيوانات المَنَويّة الى الظهور فى المنِىّ . وعادت هذه الكلاب والقردة الى الحمل فالولادة. ولم يظهر على الجهاز التناسلى ، عند

الذكور او الاناث ، انه قد اصيب بضرر قط .

ومن الكلاب والقردة للانسان : متطوعون سجناء

وانتقلوا من الحيوان الى الانسان . وقع هذا منذ اكثر من نحو عامين ونصف عام . واجروا تجاربهم بسجن بولاية ارجون Oregon بالولايات المتحدة . تطوع من نزلائه من تطوع واعطوا قرص الدواء فبلعوه وبلعوا قرصين فى اليوم . ومضى اسبوعان ، ولم يحدث بهما شيء . ولكن فى الأسبوع الثالث حدث شيء . اظهر المجهر أن من حيواناتهم المنوية ما صغر وقل حجمه . وفى الاسبوع السادس ، اظهر المجهر نقصا فى عدد هذه الحيوانات المنوية وقلة فى نشاطها وحركتها . وفى الاسبوع العاشر اختفت هذه الحيوانات من منى الكثير من الرجال .

نجح اذن هذا العقار ، هذا الدّيامين Diamine فى تعقيم الرجال . واستمر اعطاء هذه الاقراص لمتطوعى هذا السجن اشهرا . والى الشهر الثامن لم يظهر عليهم سوء ، الا دوخة اصابت بعضهم فى الخطوات الأولى من التجربة فقط ، والا بعض غازات تجمعت فى الأمعاء .

ومن السجناء الى الأطباء انفسهم ، ورجال المستشفيات

ولكن هؤلاء المساجين لم يباشروا نساء بالطبع أثناء هذه التجارب . وهنا كان لا بد من سؤال : فكيف لو أجريت التجربة على رجال متزوجين يباشرون نساءهم ؟

وانتقلت التجارب الى الأطباء انفسهم ، فى الجامعات والمستشفيات ، والعيادات ، والى كل فنىّ فيها ، وذلك فى غرب الولايات ، فى كلفورنيا ، وفى شرقها ، فى نيويورك .

وتعاطى هؤلاء المتطوعون هذه الأقراص ، يوما من بعد يوم .

واعقمت الأقراص هؤلاء الرجال ، المتزوجين ، اعقاما .

ولكنه اعقام مؤقت . يكف هؤلاء الرجال عن تعاطى الأقراص ، فتعود الحيوانات الى منيّهم ، كما كانت أول مرة .

الاقراص والخمر ، ضدان لا يجتمعان

شيء واحد ، ظهر من هذه التجارب ، ذو بال . وقع رد فعل شديد فى هؤلاء المتطوعين ، عندما شرب الخمر منهم من شرب . بعض ظهر عليه احمرار فى الوجه شديد ، مع زيادة كبيرة فى ضربات القلب . وبعض أصيب بالقيء الشديد .

على ان العلماء اليوم جادّون فى استنباط عقار ، من نفس هذه الفصيلة ، يجمع بين التعقيم وصداقة الخمر ، او الوقوف منها على الحياد . وهذا يهم اهل الغرب ، وليس يهم اهل الشرق كثيرا أو قليلا .

هل من اضرار بعيدة المدى ؟

ويقوم بعض الأطباء ، كالعادة ، يخاصمون .

هذه الاقراص قد جرّبت سنة او سنتين ، ولم يحدث منها أثر مسيء . ولكن كيف اذا امتدّ باستعمالها الزمان . فقد يحدث فى هذا الجهاز الرقيق الدقيق ، جهاز التناسل ، ضرر لا يعرف اليوم ، ولكن يعرف فى الغد البعيد .

وتجيب الأكثرية ، بأن حاجة العالم ماسة جدا الى هذا العقار ، وامثاله من العقاقير ، فلا يمكن التريث . وما معنى التريث ، والخبرة هي وحدها التى سوف تظهر ان كان لهذه العقاقير اثر فى المدى البعيد . اذن فعلى الناس اختبارها جماعات جماعات ، فبهذا وحده يمكن التثبت من أن اضرارا لم تقع ، فى فترة السنوات القليلة ، لن تقع من بعد فوات سنوات كثيرة .

■■

اسرة نابليون تهرب في مركب شراعي، من جزيرة كورسيكا في عام ١٧٩٢

أمّ نابليون

■ ولدت: بجزيرة كورسكا ، في البحر الأبيض المتوسط ، على مقربة من شاطيء ايطاليا وشاطيء فرنسا على السواء .

ولدت في عهد امبراطور فرنسا ، لويس الخامس عشر . وتزوجت وسنها ١٤ عاما ، وانجبت ١٣ طفلا. فيهم اربعة صاروا من بعد ملوكا . ومنهم واحد هو اشهرهم جميعا ، وابعدهم في التاريخ ذكرا : ذلك نابليون .

ولدته وهي في سن التاسعة عشرة .

وهي ترملت في سن الرابعة والثلاثين.

وماتت في سن الرابعة والثمانين .

ماتت بعد موت نابليون بخمسة عشر عاما .

وهي في حياتها الطويلة عاشت في القصور ، وفي غير القصور ، وفي خبايا الدور . وكانت حياتها دفاعا عن ابنها ، واهل بيتها . وظلت ، رغم عناها ، مرفوعة الراس ، شامخة الأنف .

■ اسرة نابليون كانت اسرتها ، كانت شغلها ، وكانت همها ، وكانت موضوع دفاعها طول الحياة

■ قامت الثورة الفرنسية ، وسقط زعيمها روبسبير Robespierre وخيف على الثورة من الفشل . واراد نابليون أن يعود الى باريس لينقذ الثورة ، ولكنه تردد ، فسأل امه ، فقالت :

« ان فرنسا شملتها نار عظيمة ، ومن الخير للفرنسي ان يجازف بحياته فيها وان يحترق بلهيبها » .

فقام نابليون على الفور يطلب العاصمة .

■ وهرب نابليون الى جزيرة البا فتبعته امه . ووقف نابليون وامه ذات ليلة ، على باب دارهما في تلك الجزيرة ، والقمر قد غمر الأرض بأشعته البيضاء وافضى نابليون الى امه بخطته المستقبلة، وبالهرب من الجزيرة . وطلب هديها . قالت :

« اذهب ، اذهب ، يا ولدي ، واكمل ما رسمه لك القدر . ان مثلك لم يخلق ليموت على هذه الجزيرة الصغيرة » .

■ وارادت أن ترى ولدها ، نابليون ، بجزيرة سانت هيلانة ، بعد هزيمته ونفيه ، وكتبت الى الحلفاء فلم يأتها جواب .

وارادت أن تأخذ جثمان ولدها نابليون ، بعد موته بجزيرة هيلانة Helena ، وكتبت الى الحلفاء ، فلم يأتها جواب .

وقام آخر الدهر عضو في البرلمان الفرنسي يطالب بايقاف قرار النفي فيما يتصل « بالسيدة الأم » Madame Mère دون اولادها . وسمعت هي بذلك . فلم تعلق على ما سمعت . ارجات تعليقها حتى ينقش في الحجر على قبرها من بعد موتها :

«اتركوني وحدي ،في شقائي وتبلي، حتى اصدق في حمل الأمانة الى قبري، راضية لنفسي بالذي رضيه الظلم والظالمون لأهلي »

ولما جاءها الموت في روما لم تتردد في لقياه . . .

■■

الشاعر عبد الله بن الدمينة

بقلم : احمد الجندى

ان قراء الأدب العربى قد عـرفوا
شعرائنا العرب الذين فاضت شهرتهم
ت دائرة فنهم حتى طغت على غيرهم من
شعراء الآخرين الذين لم يرزقوا حظا كافيا
من معرفة الناس بهم والتفاتهم اليهم ، وهذا الحظ
المختصر عند بعض الشعراء الواردين فى الموقع
الثانى لم يقدح فى سمعتهم الادبية ، ولم يحط
بهم عن سواهم ، فان لهم كما لغيرهم من اصحاب
الشهرة الطاغية شعرا رائعا وفنا نيّرا ساطعا
يجعلهم بارزين بروزا مُغريا على قلة ما لهم من
شعر محفوظ ونظم معروف .

شاعر على سيرته غبار من التاريخ متراكم

الشاعر الذى نتحدث عنه اليوم شاعر غريب الطور ، عجيب اللون ، انه شاعر موفق بلغ فى بعض شعره المرتبة السامقة وارتفع فى عدد من مقطوعاته الى الطبقة الرفيعة العالية على الرغم من قلة منظومه واختصار ديوانه واعنى بكل ذلك عبد الله بن الدمينة .

ولو حاولت ان تتعرف الى شاعرنا هذا لاضطرك الأمر الى ازاحة الكثير من الاستار الصفيقة التى وضعها التاريخ دونه ، ولأجبرت على ازالة الغبار المتراكم الذى تركته الأيام فوق سيرته ، وانت واقع على اخباره فى كتاب الاغانى خاصة ، وفى عدد من كتب التاريخ الأدبى الاخرى . لكنها كلها لا تطفىء الغُلّة ولا تنقع الصدى ، لأنها اخبار متناثرة وحكايات متنافرة ، قد لا تعطيك عنه الا صورة مهزوزة مضطربة حائرة ، فهو تارة رقيق الشعور ، يقول الكلام اللين الطرىّ ، وتارة هو شديد المراس قوى الشكيمة على عادة الاجلاف من العرب ، يتقدم على القتل ممعنا مصمما ، ويقترف الجريمة جاهدا غير متأثم ولا نادم . فاذا انتهيت من صفحته هذه وجدته فى حالة اخرى محبا يعتلج صدره بنار الوجد وتنثال على لسانه كلمات الغزل الحىّ والنسيب الندىّ حتى لتكاد تجد فيه بعض بنى عُذْرة ممن برّح الشوق بهم وران عليهم بجيران من الهوى والشباب .

نسبه ونشأته

واسم شاعرنا عبد الله بن عبيد الله وينتسب الى قبيلة (خثعم) اما سيرته فى شبابه الأول فقد اختلطت اخبارها واختلفت رواتها ، ولكن الذى يمكن استخلاصه منها مجتمعة هو ان الشاعر قد توفر فى شبابه الباكر على حفظ من الشعر والاخبار وبعض الآراء الدينية كما يدل على ذلك شعره . وتحدث بعض الرواة عن طريقته فى العيش ، فأشار الى انه كان من اصحاب السطوة وقطاع الطرق على عادة الكثيرين من سكان البادية فى تلك الايام ، وانه دخل السجن بسبب اعماله تلك ، يؤيد ذلك ما جاء فى سيرته من انه قتل زوجه وبنتا ولدتها له ، مما يدل على شراسة فى نفسه ، نستغرب كيف اجتمعت الى تلك الرقة المرهفة التى ارسلت الشعر الطريف مما سنروى لك بعضه فى هذا البحث .

حياة متناقضة

والظروف التى احاطت بحياة هذا الشاعر تكمل سلسلة المتناقضات فى هذه الحياة ، وقد جاء فى

سيرته انه كان صديقا لرجلين من كبار الرجال ، اولهما هو الضحاك بن عثمان الخزامى ، وقد كان علامة قريش فى المدينة كما كان صاحبا للامام مالك ، وثانى الرجلين هو معن بن زائدة الشيبانى ، وهو من اجواد العرب البارزين الذين ملأت سيرتهم بطون الكتب . فاتصال ابن الدمينة بمثل هذين الرجلين دليل على انه لم يكن نكرة فى الرجال ، وانه كان شاعرا معروف المكانة ، موفور التقدير . وان الرجلين الكبيرين قد اختاراه صديقا ورفيقا لعلو شانه وارتفاع صيته .

ويدلك على مقام الرجل الادبى اهتمام كبار العلماء بشانه ، من مثل ابى العباس ثعلب الذى وضع مقدمة ديوانه ، وقد نقلها عن اثنين من

- الشاعر الذى ذاع شعره بمقدار ما خفيت نشأته
- شعره فى أميمة ، كشعر قيس فى ليلى ، وكثير فى عزة

الشاعر عبد الله بن الدمينة كما تخيله رسام «العربى» ..

شيوخه الكبار «الزبير بن بكار وابن الأعرابي» يضاف الى هذا رواة اجلاء ومؤرخون معروفون من مثل محمد بن حبيب وابى عبيدة وابن قتيبة وابن عبد ربه .

كيف قتل ابن الدمينة زوجه وابنته

ومما يدعو الى الاستغراب ان يقدم هذا الرجل على قتل امرأته وبنته كما اسلفنا وان يُقتَل هو ايضا كما يُقتل اصحابُ الوقائع ومثيرو المشاكل . وقد روى الحادثة كتاب الاغاني تفصيلا وخلاصة ذلك ان رجلا من بني سَلُول ، اخوال الشاعر ، اتهم بصلة له مع زوج الشاعر وتعرض له بشعر تكلَّمه . وبلغ ابن الدمينة الخبر والشعر ، فرصده بالاتفاق مع زوجته ، وقتله ، ثم ثنَّى بزوجه وثلث بابنته فقتلهما . وكان من الطبيعي ان يُقدم بنو سلول على اخذ ثأرهم وقتل الشاعر آخر الأمر.

صفاته

اما صفات ابن الدمينة الشكلية فيدلُّ المنقول منها على انه كان حسن الهيئة حلو الحديث ، لبقا ، اديبا ، وانه كان مَهْوَىّ افئدة النساء ، كما كان عفَّ اللسان لا يقرب فحشا او هجرا . وقد اشارت الى صفاته هذه حبيبته (اميمة) فقالت :

أيا حَسَنَ العينين أنتَ قتلتني
ويا فارسَ الخيلَين أنت شفائيا

وهو نفسه يضيف الى صفاته تلك ، الكرم وايثار الصديق . ونحن وان كنا نرى مثل هذه الصفات غير نادرة ، في وسط البادية ، الا اننا نرى من جهة اخرى ، ان كل شاعر اذا اراد الفخر عمد الى تعداد هذه الصفات المحببة المعروفة المحفوظة ينسبها لنفسه وقد يكون مدعيا لها أو لأكثرها ، وربما وجدنا شاعرا كالبحتري او المتنبي يفتخر بالكرم ويدعيه لنفسه مادامت هذه الصفة موضعا للفخر ومحلا للاعجاب والمديح ، وهما من عرفت بُخلا وكَزازة .

موطنه

واختلف الرواة ايضا في موطن الرجل ومطرح عيشه فقيل انه مدني ، وقيل انه مجاور للبصرة ولكن كلا هذين القولين ضعيف ، والارجح الاصح انه كان يقطن في الديار التي قطنتها قبيلته (خثعم) ، وهي الاراضي التي تقع جنوبي الحجاز وشمالي اليمن ، وان مقتله قد كان في تبالة او (العبلاء) على الطريق الآخذة من مكة الى اليمن .

حبه

على ان ابرز شيء في حياة الرجل هو حبه ، فالحب هو الذى فجر عاطفته واوحى اليه بشعره الرقيق ، ولا غرابة فقد كان الالم دائما مصدرا للعبقرية والالهام كما يقول شوقي :

تفرَّدتَ بالألم العبقريّ
وأنبغُ ما في الحياة الألم

وكما قال (موسيه) الفرنسي قبله . ولقد اشتهر شاعرنا بحبه هذا وانزله المؤرخون منزلة الشعراء المتيَّمين أمثال قيس وجميل وكثيِّر . وليس حبه هذا بمستنكر عليه فقد كان جميل الهيئة ، حسن الحديث كما ذكرنا ، الى صفات اخرى تجعله محبوبا ومحبا . ولكن هذا الحب لم يتعين في واحدة من النسوة بل انه شبب بأسماء كثيرة على عادة الشعراء ، حتى ليحار القارىء في معرفة المحبوبة المفضلة على وجه التحقيق . وربما عمد الشاعر الى التغطية وادخال الشك والتقية في ذكر الأحباب اتقاءً للمحذور ودفعا للمَخَاطر ، وابن الدمينة قد ذكر في شعره أميمة وحماء وسلمى وليلى ..... من الاسماء ، اما حماء فكانت زوجه ، وقد ذكرها في شعره قليلا ، في حين ان الغالبة بين هذه الاسماء قد كانت (اميمة) وقد وقف عليها اكثر غزله .

قصة حبه أميمة

ويروى ابن شاكر الكتبي في (عيون التواريخ) قصة الحب الذى دار بين الشاعر واميمة هذه فيذكرك بقصص قيس وليلى وجميل وبثينة وكثير وعزة ، فقد احب اميمة حتى شاع حبه لها «فمنعه اهلها من الحديث معها «ومنعت منه» فكانا يتواعدان على اللقاء فعرف ذلك عنهما فترصدهما الناس . فانقطع عنها ثم قال ابياتا اجابته بمثلها ، قال :

وأنتِ التي قطَّعتِ قلبي حَزازة
وقرَّفتِ قَرْحَ القلب فهو كليم

وقالت هي تجيبه :

وأنت الذى أخلفتني ما وعدتني
وأشمتَّ بي من كان فيك يلوم

وتروى ابيات له جاء فيها ذكر محبوبة اخرى منافسة لاميمة واسم الحبيبة الجديدة (سلمى) وقد قال فيها :

وأقسم ما أدري، إذا الموت زارني
أسلمى بقلبي أم أميمة أصقب
فلا القلب يسلى ذكر سلمى إذا نأت
ولا الصبر إن بانت أميمة يعقب

وهنالك حبيبة اخرى خصها ببعض شعره واسمها ام عمرو . ولكن القول الاخير على ان (اميمة) هي التي استأثرت بقلب الشاعر حتى كان اكثر شعره وقفا عليها ، في حين ان المحبوبات الاخريات قد كن كالسوانح في حياته فلم يلبثن حتى نسيهن وكأنه كان يتسلى بهن عن غياب من احب حبا صادقا .

تاريخ غامض

وكان كل شيء في حياة هذا الرجل كان موضع الاخذ والرد ومحلا للخلاف الدائم ، مما جعله غرض الاهمال والانصراف عنه الى سواه ، زهدا في النقاش وتباين الراي . ولكن الروايات ، رغم ما تقدم ، تلجأ الى الاستنتاج بان الشاعر قد عاش اكثر عمره في العهد العباسي استنادا الى انه قد قتل اثناء ولاية عبد الله بن مصعب لليمن ، وهو الذي ترك اليمن في تاريخ اقصاه سنة ١٨٢هـ والذي كانت وفاته بعد ذلك بعام واحد .

والذي اراه انه ليس لدينا ما يؤكد هذا القول او يحققه ، والتخمين في مثل هذه الامور معرض للنقض بعيد عن الابرام ، والا فكيف نعلل سكوت مؤلفي التراجم للشعراء المحدثين الذين لم يتعرضوا لابن الدمينة في قليل او كثير ولم يذكروه في كتبهم كابن المعتز والجراح . ثم كيف يمكن ان نفسر اختفاء اسم الشاعر من بين الاسماء التي عني المؤلفون العباسيون بها . ولو بحثنا في كتب الادب لرأينا اسماء كثيرة عرفت في صدر الدولة العباسية من مثل بشار ووالبة ومطيع والعتابي والضحاك ، وكان من حق ابن الدمينة ان يذكر بين هؤلاء خاصة ، وان من اولئك من كان مثله مخضرما بين الدولتين كبشار الذى ادرك جريرا وهجاه على قول الرواة .

ثم انك لو التفت الى شعر الشاعر نفسه لعجبت كيف خلا من مميزات الشعر العباسي ، فانت لا تقع في هذا الشعر على لمحة علمية او فلسفية كما لا تجد فيه استعمالا فارسيا او لفظا اعجميا دخل في لغة الشعر مع دخول الاعجام الطارئين رسميا على الخلافة العباسية ومما لا شك فيه ان الشعر مرآة العصر ولو الى حد محدود . اما القول بانه عاش في البادية ولم يات الى الحواضر فامر لا يجعل ابن الدمينة بمعزل عن الحضارة العباسية كلها . ونحن نشاهد في ايامنا هذه الكثيرين من سكان البادية الاعراب الذين لم يسلموا من اثر المدنية الحديثة التي لا تحول الحدود دون انتقالها الى قلب الصحراء . يضاف الى هذا ان شاعرنا لم يكن بدويا بل كان في منطقة غير معزولة عن الحوادث ، والانتقال بين اليمن والحجاز ثم العراق لم يكن بالامر العسير . وعلى هذا فان مجال الشك في نسبة الرجل الى العصر العباسي ما يزال مفتوحا . بل اننا لنرجح انه كان شاعرا اسلاميا ، اموىا ، كما قال ابو عبيد البكرى صاحب (اللآلى) ومن جرى على غراره من المؤلفين .

ديوانه

اما ديوان الشاعر فاحسن ما بقى لنا منه نسخة مؤلفة من قسمين : ــ القسم الأول وهو الاكبر وقد جمعه ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب الشيباني العالم الشهير ، والقسم الثاني وهو من جمع ابى جعفر محمد بن حبيب العالم المعروف . ولكن الذى ترامى الينا من هذا الأمر ليس شيئا مؤكدا مقطوعا به وانما هو على سبيل التقدير الذى قد يبلغ مرتبة الصحة والحقيقة ، فان كل شيء يتعلق بهذا الشاعر معرض للشك ولا شيء يحول دون هذا الشك .

شعره

حتى شعر الشاعر ذاته لم يسلم من الشك في الكثير منه ، وهذا ما يجعلنا نضطرب اضطرابا مستمرا في الحديث عنه . ومن الصعوبة بمكان ان تتحدث عن شخص وانت محاط بالشك والريب من جميع الاطراف .

ولكن حلاوة هذا الشعر وطلاوته هما اللتان تدفعان بنا الى الخوض في الحديث عنه ، وسنعمد الى ايراد شواهد من شعره المشهور للمتعة الخالصة وليقف عليه متذوقو الادب والشعر الصحيح لما فيه من نكهة نادرة ولذة عميقة .

واسمع الى هذه الابيات الرائعة : ــ

قفي يا أميم القلب نقض لبانة
ونشك الهوى ثم افعلي ما بدا لك

أرى الناس يَرجُون الربيع وإنما
ربيعي الذي أرجو زمانُ وِصالكِ
أبيني ،أفي يمنى يديك جعلتِني
فأفرح ،أمْ صيرتني في شمالكِ
لئن ساءني أن نِلتِني بمساءة
لقد سرّني أني خطرتُ ببالكِ
أحبُّ الصَّبا إن كنتِ من قبَل الصَّبا
وَنجماً أراه طالعاً من حِيالكِ

وأنعم النظر في هذه العاطفة الصادقة التي لم يدخلها تكلف ولم يخالطها تصنع ، وانظر مثلية الى الصدق في البيت الثاني ، فهو يذكرك بلامارتين الشاعر الفرنسي حين قال في قصيدته (الوحدة) يصف فراق حبيبته (الفير) ـ « أيتها الطبيعة ، ان شخصا واحدا ينقصك ، وكل شيء بعده عدم ». وهذا ابن الدمينة يؤكد ان الناس انما يرجون الربيع لينعموا فيه بالمنظر الحلو الاخاذ ، اما هو، اي الشاعر ، فربيعه معلق بوجود حبيبته ، فليس له لذة الا بوجودها الى جانبه . ثم انظر الى البيت الرابع لترى فيه غاية القناعة والرضى والاكتفاء ، وهو دليل على الاخلاص في الحب ، وان كان الطمع في هذا الباب حلالا ، وقد يكون الرضى من طبيعة الحب العذري . ولا يقل البيت الاخير عما سبق من روعة وصدق . واقرأ معي هذه الابيات الخالدة المشهورة :

ألا يا صبا نجد متى هجتَ من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجدِ
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فنَن غضّ النبات من الرَّند
بكيتَ كما يبكي الوليد ، ولم تكن
جليدا ، وأبديت الذي لم تكن تُبدي
وقد زعموا أن المحبَّ إذا دنا
يُمَلُّ ،وأن النأي يَشفي من الوجد
بكلٍ تداوينا ، فلمَ يَشفِ مابنا
على أن قرب الدار خيرٌ من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذي وُدِّ ...

فانك قد تبحث بحثا طويلا ، وقد تنقب كثيرا في دواوين الشعر العربي دون ان تعثر على ديباجة اصفى او رحيق احلى او شعرا ابقى من هذا الشعر ، وبحسبك ان دعبل الخزاعي ، وهو من علمت ادبا وشعرا ، قد امسك بعضادتي باب داره ، وهمَّ بان يحطم راسه بهما ـ على حد قوله ـ لشدة اعجابه حين رُويت له هذه الابيات.

واقرأ معي هذه الابيات النادرة : ـ

إذا ذُكرتْ عندي أئِن لذكرها
كما أنَّ من وقع السلاح جريحُ
ولي كبد مقروحةٌ من يبيعني
بها كبدا ليست بذات قُروح
أباها عليَّ الناس ، لا يشترونها
ومَنْ يشتري ذا علة بصحيح؟

الا يخطر على بالك هنا قيس وليلى وجميل ابن معمر ، فالمعاني هي هي ، وطريقة الكلام نفسها مما لا يمكن ان يقلد تقليدا وانما هي طبيعة العصر الاسلامي التي اوحت الى شاعرنا شعره هذا ، وفرق بعيد جدا بين ما قرأت وبين الشعر العباسي ولو خالفنا المؤرخون .

على ان ما وصل الينا من شعر ابن الدمينة يضيق بما فيه من عيوب الوزن والقافية ، بل ان فيه الكثير من الاخطاء النحوية التي كان القدماء يجدون لها مبررات لا تستساغ اليوم ، كل هذا مما يضع الشاعر الى جانب الشعراء الامويين ، الا ان الشعراء العباسيون اكثر دقة وابعد مراعاة لقواعد النظم واللغة والنحو .

هذا هوالشاعر الذي جعلناه موضوعا لحديثنا ، وهو من اقدر الشعراء صدق عاطفة وسعة خيال وسموّ فكرة وان كان ديوانه المطبوع حديثا يوحي اليك بالشك في الكثير من شعره لكثرة الروايات المتناقضة والآراء المتنافرة . ومن الخير لكل اديب ان يقراه بامعان وان يطلع على هذه الصفحة الوضيئة من شعرنا العربي . وهو بتحقيق احمد راتب النفاخ ، وقد استانسنا به في بحثنا . ■■

احمد الجندي

بقلم : عيسى الناعورى

■ بين كبار الادباء والشعراء الذين أتيح لي ان اعرفهم فى ايطاليا ، الكاتب والشاعر ديبجو فاليرى ، عضو الهيئة الادارية لنقابة الادبـاء الايطاليين في روما ، ورئيس رابطة أدباء البندقية .

كنت قد وصلت الى البندقية فى طقس شديد العبوس ـ فى آخر شهر اكتوبر ١٩٦٠ ـ والبندقية فى الطقس العابس تبدو كئيبة ، وتبعث الضيق والسآمة فى نفس الغريب الذى يصل اليها للمرة الأولى . واتصلت بالشاعر هاتفيا من الفندق الذى نزلت فيه ، ولما عرف انني لم أزر البندقية من قبل ، طلب اليّ ان انتظره فى الفندق ، لانني لن اعرف كيف أصل اليه ، فى الطرق المائية العديدة التى يتدفق فوقها المطر متواصلا . وفعلا جـاء لزيارتى فى صباح اليوم التالي ، وبعـد جلسة استغرقت اكثر من سـاعة دعاني الـى مرافقته ليقدمني الى زملائه فى رابطة أدباء البندقية ، وفى جمعية الكتاب الاوروبيين ، فاعتذرت ، وفضلت مغادرة المدينة المائية المتجهمة حالا ، لان الليلة التى قضيتها فيها ملأت نفسي بالضيق والكآبة .

وفاليرى شيخ جليل ، يبلغ الرابعة والسبعين من العمر ، ولكنه فى حيوية الشباب ، بحيث لا يدل مظهره على أنه تجاوز الخامسة والخمسين . وقد ولد فى (Piove de Sacco) قرب البندقية عام ١٨٨٧ ، ويقيم فى البندقية ، وكان الى العام الماضي يُدَرِّس الأدب الفرنسي والأدب الايطالي الحديث فى جامعة (بادوفا) ، ثم احيل على المعاش فى أول العام الدراسي ٦٠/٦١ . وقبل الجامعة كان يُدَرِّس الآداب اللاتينية واليونانية فى بعض المدارس الثانوية العليا . وهو من الذين مارسوا التعليم دون انقطاع ، كما انه من الأدباء الوافرى الانتاج . وانتاجه الأدبى متعدد الوجوه والألوان ، ففيه الشعر ـ بالايطالية والفرنسية ـ وفيه النقد الأدبى ، وفيه الترجمة عن الأدب الفرنسى والأدب الالماني ، وهو فى هذه كلها من أبرز أدباء ايطاليا اليوم ، ويقف فى الصف الأول

من طلائعهم المتقدمين ، سواء في الشعر وفي النثر .

فشعره رقيق العبارة ، غني بالصور الجميلة اللطيفة ، وهو يتناول موضوعاته الشعرية من الطبيعة ومن جمال البندقية ومياهها الزرقاء المترامية ، ومن الأجواء الجميلة المحيطة بها ، فيلوّنها ، ويمنحها الحياة ، بلمساته الشعرية الرقيقة المرهفة ، وعبارته الغنائية العذبة .

وهو في النقد اديب ذوّاقة ، حاد الذهن ، واسع الافق ، دقيق الحكم ، وكذلك هو في مقالاته الأدبية ومؤلفاته النثرية . وفي الترجمة حسن الذوق والاختيار .

واما مؤلفاته فعديدة ، وقد بداها عام ١٩١٥ بمجموعةشعرية دعاها :

(انسانيات ـ Umana) ، لم تلبث ان اندمجت فيما بعد في دواوينه الأخرى ، وهي :

١ ـ قصائد قديمة وجديدة Poesie Vecchie e Nuove

٢ ـ الزمن الثالث Terzo Tempo

٣ ـ الناي ذو القصبتين Il Flauto a due canne

ومن مؤلفاته النثرية :

١ ـ خيالات من البندقية Fantasie Veneziane

٢ ـ دليل عاطفي للبندقية Guida Sentimentale di Venezia

٣ ـ مفكرةسويسرية Taccuino Svizzero

ومن مؤلفاته النقدية ودراساته في الأدب الفرنسي ، نذكر :

١ ـ مونتين Montaigne

٢ ـ الأدب الفرنسي Litterature Francaise

٣ ـ مقالات وملاحظات في الأدب الفرنسي Saggi e Note di Lett Francese

٤ ـ من راسين الى بيكاسو Da Racine a Picasso

وقد ترجم عن الفرنسية (مدام بوفاري) و (الأحمر والأسود) كما ترجم مختارات من الشعر الغنائي الفرنسي ، والألماني وغير ذلك .

والذي يهمني الآن هو فاليري الشاعر ، لأن المجال لا يتسع لتناول آثاره الأدبية كلها .

لقد تفتحت شاعرية فاليري في زمن تسيطر فيه الرمزية (Ermetismo) والى جانبها مذاهب ادبية وشعرية اخرى ، منها الشفقية (Crepuscolarismo) والمستقبلية (Futurismo) واذا كان فاليري قد تأثر قليلا بالرمزية ، فظهر شيء منها في لمسات رقيقة من عبارته الشعرية ، فانه استطاع ان يختط سبيله بين مختلف المذاهب الفنية بهدوء واطمئنان استرعيا اهتمام النقاد ، ولفتا اليه انظارهم ، واستطاعت قصائده الغنائية أن تجد سبيلها الى قلوب القراء بنعومة ولطف . فهو يصور بشعره المشاهد والمخلوقات التي يحبها ويتأثر بها : يصور البندقية الجميلة ، وحسانها الفاتنات ، وساعات النهار ، وتعاقب الفصول ، والأطفال ، والسماء والنجوم ، وما الى ذلك . كل ذلك ينفعل به . ويصوره تصويرا رقيقا هامسا ، يبعث في النفس الارتياح وشعور الغبطة والدفء اللذيذ ، بخيالاته اللطيفة الذي يذوب فيها الصفاء والجمال والعذوبة .

اليك مثلا ، ابياته في (العصافير الخضر ـ Gli Uccelli Verdi) من ديوانه (الزمن الثالث) :

لأن الطقس جميل ، ولا تهب رياح ،
تستطيع العصافير الخضر أن تبقى
ساكنة على الأغصان دون غناء
كأوراق ثابتة ، بأظافيرها الفضية

ومن قصيدة اخرى بعنوان (Anacreontica) من الديوان عينه :

القمر يشعّ بين الأغصان
والفجر على الجبل
والفتاة تغمس ذراعيها الشقراوين
في ماء البركة

والشجرة البنيّة تشبه دجاجة
ينتفش ريشها كله
وتنشر الفتاة الثياب
فينكشف صدرها عندما تنحني

والجبل ، كرغيف خارج من الفرن لتوّه ،
حارّ تفوح منه رائحة القمح والملح .
وتنزع الفتاة مريولها
فتبدو في مثل لون الفجر .

هنـــاك من يضــحك ضحكــة خافتة
لعلـه الجــــــدول ، أو لعلني أنا ،
وها هي تهرب ، وتقول لي : وداعا
هي تلوّح بيدهـــا الصـغيرة .

يا لي من شيخ مسكين هائم
اهز الغصن، والتقط حبة الخوخ الساقطة
فامضغها ، واحس في دمي الجنون
يتسرب حلاوة الدنيا بأجمعها

★★★

بمثل هذه الخيالات الناعمة، واللمسات الرقيقة ينطلق فاليري في شعره ، سواء ما كان منه موضوعا للاطفال ، وما كان منه للابداع الادبي ، فهو شاعر الطبيعة العارية الجميلة ، والحياة في كل الوانها وبهجاتها ، والمخلوقات بكل ما فيها من لذةوجمال.

وفي ما يلي نموذجان من ديوانه (الشاني ذو القصبتين) اختم بهما الحديث عن الشاعر الكبير ، واترك لهما ان تكملا الصورة الفنية للشاعر :

١ ــ طفلة وجدول ــ Fanciulla e Ruscello

ناصعة البياض في الظل الأخضر
تنحني على الجدول ، وتصغي
الى خرير المويجات الصافية
في صمت الصباح العميق .
انها تطبق اجفانها وتبتسم دهشة
وتقول : « جميل ! »
لقد رأت وجهها
يبتسم في الجدول
وسمعت اسمها يتكوّن ويتلاشى
كزحافة مترجرجة
في صوت الماء الماضي في مسيره

★★★

٢ ــ يقظة ــ Risveglio

مع عطر الاشجار في الصباح
والضفائر الخضر في السماء البيضاء الرمادية
تنمطي احاسيسي كالافاعي
لتلمس الأشياء ، وتكشف
خلف الأشياء الذكريات القديمة
والحكايات التي لا تصدّق
من الأمس ، والغد ، والفناء .

■■

عيسى الناعوري

الملائكة تسأل

● لما خلق الله الأرض ، ارتجّتْ واهتزّتْ ، فأخرج منها الله الجبال لتثقل بها الأرض وتتزن . عندئذٍ سأل الملائكة الله : يا رب العالمين ، هل شيء أقوى من الجبل ؟

فأجاب الله : نعم ، الحديد ، فانه يحطم الصخر .

وسألت الملائكة : وهل شيء أقوى من الحديد ؟

فأجاب الله : نعم ، النار ، وانها تصهره .

وسألت الملائكة : وهل شيء أقوى من النار ؟

فأجاب الله : نعم ، الماء ، فهو يطفيء النار .

وسألت الملائكة : وهل شيء أقوى من الماء ؟

فأجاب الله : نعم ، الريح فهي تزجي الماء سحابا وتدفعه .

وسألت الملائكة : يا اله الخلق وهل شيء أقوى من الريح ؟

فقال الله : نعم . رجل يصنع الخير . اذا أعطى بيمناه لم تعلمْ يسراه انه اعطى . واذا لقيَ أخا في الله استبشر بلقياه ، أو ضالا هداه ، أو عطشانا سقاه . ان ابن آدم يموت فيسأل الناس كم خلّف . ولكن الملائكة لا تسأل كم خلف ، ولكنها تسأل كم قدّم من صالح الأعمال .

(موعظة ينسبها الافرنج الى الرسول الكريم . ترجمناها ، صح خبرها أو لم يصح)

التلبثة

● او نقل الافكار ، واتصال المعانى بغير كلام .

ففى هذا الحقل الغريب من الظواهر الانسانية ، كشف باحث ، فى توامين ، هما اختان ، احداهما « شيرى يونج » والاخرى « تيرى يونج » ، كشف انهما تستطيعان ان تتخاطبا بغير كلام . الاولى ترسل المعنى ، كما يرسل اللاسلكى، والاخرى تستقبل. وتتفاهمان!!

علاج لاختلال الاعصاب والعقول !!

● حياة الاجسام كيمياء . تفاعلات تجرى فى معدة ، وامعاء ، واكباد، وقلوب، واوعية دماء . وفى خلايا ، وفى كل ما فى الجسم من انسجة ومن اعضاء .

والصحة ، هى صحة هذه التفاعلات الكيماوية .

والمرض هو اختلال فى هذه التفاعلات الكيماوية .

وقديما قالوا : العقل السليم فى الجسم السليم . وما الجسم السليم الا تفاعلات كيماوية سليمة .

وقد كشف العلماء عن قصور عقلى ،ربطوا بينه وبين قصور كيماوى ، ربط المسبّب بالسبب .

ومن امثلة ذلك عجز الامعاء عن امتصاص حامض امينى خاص مما ينحل اليه اللحم والبروتينات .

ومن آخر ما كشفوا عن ذلك عجز بعض الناس ... عجز اجسامهم عن تمثيل سكر الفواكه (ذلك الذى ينحل اليه سكر القصب فى الجسم فيما ينحل) وينتج عن ذلك عند هؤلاء الناس امراض عصبية واعراض مرضية نفسية .

والشيء الخطير فى كل هذه الكشوف، ان اختلال الاعصاب والعقول ، اذ يثبت انه نتيجة تفاعلات كيماوية خاطئة اوعاجزة عن ان تكون ، يصبح الأمل كبيرا فى رد كل اختلال الى تفاعل قد يمكن تصحيحه لتصح الاجسام عليه ، ولتصح بصحته العقول .

داء الكَلَب ... من أين تأتى عدواه ؟

● جرت الشائعة دائما بان داء الكلب مصدره الذئاب ، تغير على الحيوانات المستأنسة ، فى الريف ، فتعديها . ومن عدواها تنتقل العدوى الى سائر الأحياء . ولكن من مناطق أوروبا ما يظهر فيها الداء بغتة ، فى جهات لا تعرف للذئاب وجودا .

واخيرا وجد احد البحاث الشهيرين مصدر العدوى . انه ليس الذئب . ولكنه الوطواط.

ووجد أن الوطواط لا ينقل فيروس الداء بعضِّ الضحية . يكفى فى ذلك اللمس . ويكفى ما يخرج من الوطواط من براز .

ووجد ان الحيوانات يكفيها أن تعيش حيث تعيش هذه الفئة من الوطاويط وهى تحمل العدوى ، فتستنشق من الهواء هناك ، فيدخل اليها ومعه الفيروس . ثم تظهر على الحيوانات اعراض الداء .

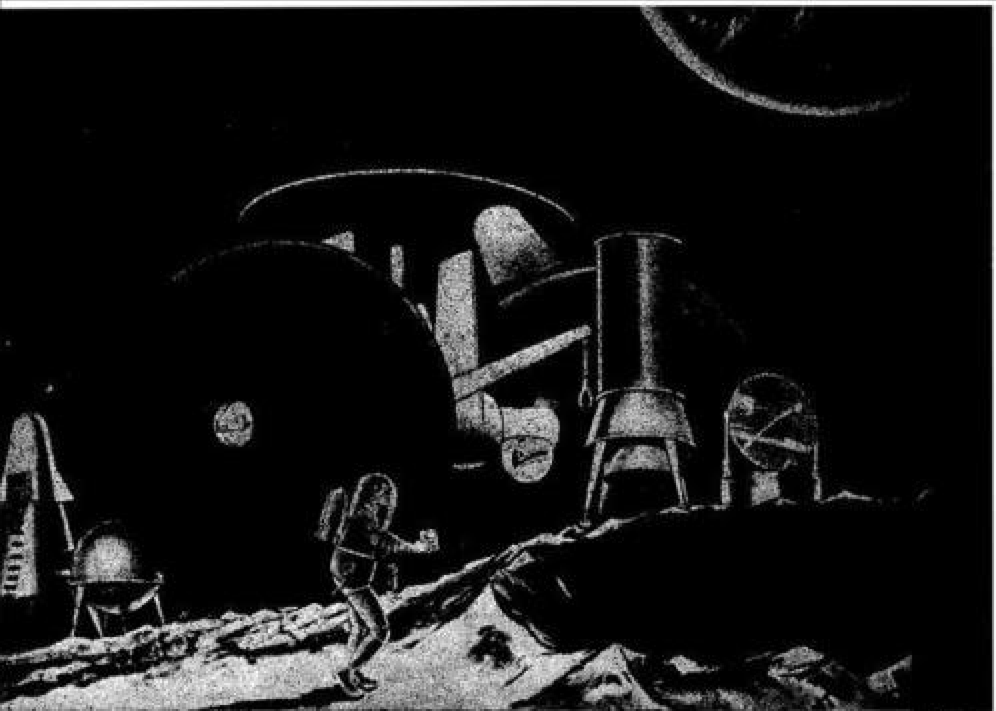

مخيم على سطح القمر

● هذا رسم لاول مشروع لنزول الانسان على سطح القمر . وترى هذه الأشياء كلها ، وقد ارسلت من الارض ، وهبطت على السطح ، توجهها أوامر لاسلكية ، تاتيها من بعيد ، من الارض ، وهي تطيعها . ومن بعد هبوطها يجيء دور هبوط الانسان . وتراه هنا يحمل على ظهره زاده من الاكسجين . والسير على القمر اخف من المشي على الارض عدة مرات ، لقلة الجاذبية على سطحه . وباعلى الصورة صورة الارض ، تتراءى للواقف على القمر اضعاف ما يتراءى القمر للواقف على الارض .

التلفاز للعلوم .. قبل أن يكون للتسلية !

● الجمهور دائما يربط بين التلفاز (التلفزيون) والتسلية ، فهو عنده ، مثل الاذاعة والسينما ، شيء غرضه الأول الترويح والتسلية ، مع التثقيف.

ولكن العلماء يرون في التلفاز شيئا أخطر من هذا، وابعد من هذا . فالتلفاز عندهم شيء يحمل اليك الصور البعيدة فيقربها اليك فتراها ، فكانما ترى اشياءها من قرب .

مثال ذلك صناعة الصلب وافرانها . ففي صناعتها اوضاع لا يمكن ان يقترب منها صانع الصلب ليرى ما يجرى فيها ، ويطمئن الى انه يجرى على خير ما يريد . فابتدع العلماء له التلفاز الذى يستطيع ان يقترب من هذه الأوضاع التى لا يستطيع أن يقترب منها الانسان ، ثم هو يحمل للصانع الموجود على بعد ، صورة ما يجرى هناك ، فيكيف حالة العمل بما يقتضيه الحال .

وكالصلب وافرانه ، الافران الذرية . وهذه يحدث فيها من الخلل صنوف . وهي شيء عظيم مغلق ، اذا أريد امتحانه من الداخل ، كلف الممتحن مشقة وكلفة ومالا .

وهناك يدخل التلفاز يعين في هذا الامر . يقيمونه داخل الفرن الذرى ، فيحمل لعين القائمين على الفرن الذري ، الذين هم خارج الفرن طبعا ، صورة مما يجرى هناك .

والتلفاز هو الذى تلفز الكثير من المعلومات من القمر الصناعي الروسي ، اسبتنيك ، الى العلماء على سطح الأرض . حمل اليهم صورا مما سجلت الاجهزة فقراوها ، كما كانوا يقراونها لو أنهم كانوا داخل القمر الصناعي في دورانه المتواصل حول الأرض.

الشمس تخرج الماء !!

● تحت سطح الارض ماء كثير . وحتى تحت سطح الأرض كثيرا ما يوجد ماء قريب ، على عمق بضعة امتار ، ولكن رفعه الى السطح ذو كلفة كبيرة .

وفى الصورة آخر المخترعات لرفع هذا الماء . انه جهاز يحوّل حرارة الشمس مباشرة الى كهرباء، بواسطة ما يعرف فى الفزياء « بالزوج الحرارى الكهربائى » ، وقد سبق أن شرحناه فى «العربى». والكهرباء الناتجة تشغل مضخة ترفع الماء الى سطح الارض .

وهذا الجهاز يتالف من مرآة مقعرة ، ولكن لها شكل القارب . وهى تركز اشعة الشمس وتغذى بها المولد الكهربائى . والمولد الكهربائى عبارة عن صندوق صغير ، بداخله ٧٢ زوجا حراريا كهربائيا . وللصندوق جانب سوّدوه ليكون أمصّ لحرارة الشمس . وتتركز عليه الاشعة وتبلغ حرارته ٤٥٠ درجة مئوية . بينا الجانب الآخر ، وبه الأطراف الاخرى من الأزواج الحرارية الكهربائية ، يظل عند درجة ٦٥ مئوية. وبمقدار الفرق بين هاتين الدرجتين تنتج الكهرباء .

ثم تذهب الاسلاك بالتيار الكهربائى من هذا المولد الكهربائى الى حيث توجد المضخة ، وهى ليست ظاهرة فى الصورة .

والجهاز المرسوم فى الصورة جهاز مبدئى ، لا يولد من الكهرباء غير ٥ وطات . اما الكبير منه فيرجى أن يولد ٢٠٠ وط ، وعندئذ هو يستطيع رفع مقدار من الماء ، من عمق ٢٠ قدما ، اى نحو ٦ أمتار ، يكفى لرىّ ٤ فدادين سنويا . وهو مقدار يعادل ٢٤ بوصة من المطر فى عام واحد .

وهذا المقدار من الماء يكفى حاجة ١٢٠٠ شخص يستخدمون الماء كل يوم بمعدل ٥ جالون يوميا .

تسال بعد ذلك كم يوما من السنة يستطيع ان يعمل الجهاز ؟

انه لا يعمل الا والشمس طالعة . وقد قدر العارفون أن ثلثى سكان العالم يعيشون فى اماكن من الارض تغمرها أشعة الشمس وقتا لا يقل عن ٧٥ فى المائة من الوقت الذى تكون فيه الشمس طالعة .

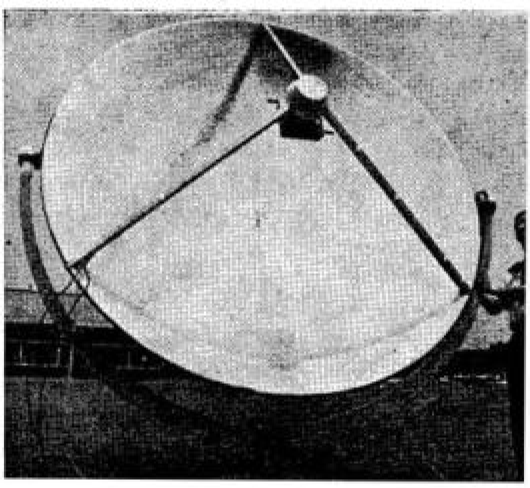

احسن صنعة

● قامت مجلة أسبوعية باستفتاء بين قرائها عن احسن صنعة تقع فى تقديرهم ،فنالت المهن الآتية الأصوات التالية :

الخباز	٧٧٩٤٨ صوتا
الممرضة	٩١٧٢٥ «
مضيفة الطائرة	١٠٤٢٥٠ «
المهندس المعمارى	١١٣٤٠٢ «
الطيار	١١٧٦٠٩ «
المزارع	١٥٤٠٣٦ «
الباحث العلمى	١٩٨٧١٢ «
المدرس	٢٠٣٢١٤ «
المهندس الميكانيكى والكهربائى	٢٣٦٥٢٨ «
الطبيب	٣٧٠٩٦٧ «

المجلة الاسبوعية لم تكن عربية .

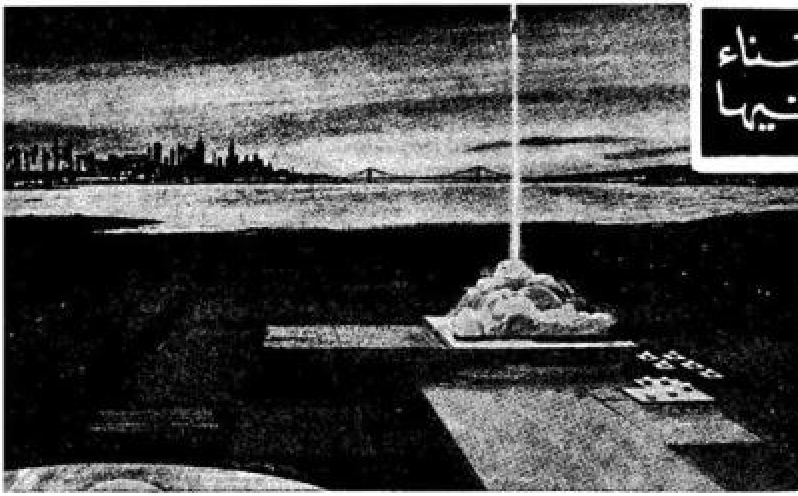

صواريخ الفناء صواريخ تفنيها

● ما كان احد ليصدق ان صاروخا، سرعته آلاف الاميال فى الساعة، يستطيع ان يلقاه فى مسير ، ويصدمه ، ويتلفه ، صاروخ مثله . ولكن هذا ما نجد الولايات المتحدة قائمة فى سبيل تدبيره . فقد ابتدعت اسلوبا جديدا للرادار ، من شان اجهزته ان تكشف عن صاروخ الأعداء ، وما يحمل فى راسه من راس ذرى . فاذا حدث هذا ، فما أسرع ما تطلق الولايات وراءه صاروخا جديدا اسمه Nike — Zeu ، ثم هى تقوم على توجيهه الى حيث يصطدم بالصاروخ الوافد قبل أن يبلغ هدفه .. وكل هذا يحدث فى دقائق معدودة ، هى الفاصل بين الهلاك والنجاة من هلاك .. والصورة تمثل صاروخا مدافعا ساعة انطلاقه .

الأنزيمات فى جسم الانسان

● لم يبق أحد لم يعرف ان الحياة الانسانية انما هي فى أصولها تفاعلات كيماوية ، تجرى بين مواد الجسم ، بعضها وبعض . وما خلايا الجسم وما هو فى داخلها ، وما هو فى خارجها ، الا مجموعات من مواد كيماوية ، مهما تعقدت . ويحدث بينها التبادل ، ويحدث التفاعل ، فيخرج من كل ذلك مواد جديدة ، وتخرج طاقات ، منها الحرارة فتشيع فى الجسم ، ومنها الكهرباء فتجرى فى اسلاك الجسم ، التى هى الأعصاب . ولكل غاية . ولكل هدف . لا شيء يحدث فى الجسم اعتباطا .

ولكن كثيرا من تفاعلات الجسم الكيماوية لا يجرى وحده . يحتاج تفاعل بين جسم وجسم الى وساطة اجسام تعرف بالانزيمات . اشبه بتلك التى توجد فى الحياة خارج الجسم ، فيما يقوم من تخمير ، ان هذه الانزيمات من صنع الخمائر .

والجديد فى هذا الأمر انه ظهرت فى الطب نظرية تقول : ان العمليات الكيماوية فى الجسم (تلك التى تصنع الحياة) مؤسسة على عمل هــذه الانزيمات . وان العقاقير التى تعطى للامراض ، انما هــى تؤثر فى الانزيمات ، فتصحح الفعل الكيماوى الذى اختل .

وكان من نتائج هذا انه قام فى المؤتمر الدولي للكيمياء الحيوية ، الذى انعقد منــذ قريب فى موسكو ، قام علماء يكشفون عما وجدوا من ذلك :

فلقد شاع فى هذه الأيام استخدام المسكنات فى تهدئة النفوس الثائرة ، حتى تلك التى تخطت الحد ما بين العقل والجنون . وقد بحث هؤلاء العلماء امر هذه المسكنات التى شاع أمرها اليوم حتى كادت ان تكون فى شيوع الماء والغذاء (مجموعة الفينوثيازين Phenothiazine ، وما على غير الكيماوى أن يقف عند هذا الاسم) ، فوجدوا ان تدخلها بالتهدئة فى جهاز الانسان العصبي المركزى، انما هو تدخل فى أنزيم من انزيمات المخ معروف

الخير فى هذا انه يفتح بابا جديدا يدخل منه العلماء للبحث فى علاقة ما بين انزيمات الجسم والعقاقير الطبية فيعين هذا البحث آخر الأمر فى الكشف عن أى العقاقير هى افضل لتنشيط الانزيمات او تخذيلها ، ذلك التنشيط او التخذيل الذى يصنع المرض فى الأجسام .

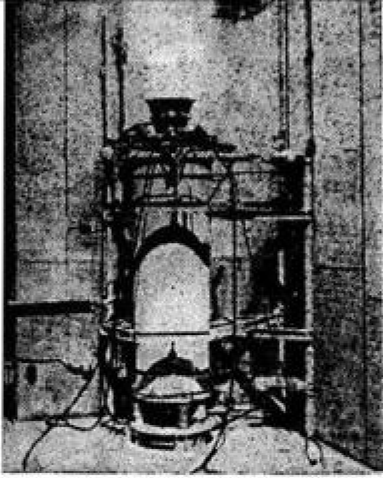

محرك صاروخى ذو قوة دفع هائلة

● انه هذا الذى تراه فى الصورة عند اشعاله ، فى مختبر يقيس قوة الدفع الناتجة منه . ووقوده ليس بسائل . انه وقود صلب . واختبروه مدة ٨٠ ثانية ، احرق فيها ٤٠ طنا من الوقود. وبلغ دفع أجزائه الثلاثة معا ٢٥٠٠٠٠ رطل .

وطول هذا المحرك ٢٦ قدما ، اى نحو ثمانية امتار . وميزته ان اغلفته من الصلب الخفيف ، فى حين كان يستخدم فى امثاله الحديد الصب الثقيل .

ويمكن أن يضم هذا المحرك الى امثاله ، ليتالف منها جميعا صاروخ واحد ذو دفعة هائلة تبلغ ٢٥ مليون رطل .

نوع جديد من التوابع

● الصواريخ تطلق ، فتنطلق بماحملت فى مسارات فى الجو ، فما فوق الجو . وهى قد تعود الى الارض فلا تدور حولها . وهى قد تدور حول الأرض . كل هذا يتوقف على ناحية توجيهها ، وعلى السرعة التى ينقذف الصاروخ بها . وهى تسير فى مسارات شكلها اهليلجى (انظر الصورة) ، مختلف الصور . والاهليلج قد يقترب من الشكل الدائري حتى لتحسبه دائرة . وهو قد يتفرطح تفرطحا بالغا . والأرض دائما (مركزها) تقع فى مركز من مركزى الاهليلج (الدائرة لها مركز واحد والاهليلج مركزان) وبناء على ذلك يبتعد التابع الذى يدور حول الأرض حتى يبلغ أقصى بعده ، فى طرف الاهليلج ، ثم هو يقترب حتى يبلغ اقرب بعده، فى طرف الاهليلج الآخر .

والتابع الجديد ، الكشاف رقم ١٢ Explorer **(ومساره المنقوط فى الصورة)** يبعد عن الأرض بعدا كبيرا بلغ ٥٠٠٠٠ ميل . ومع هذا هو يعود فى مداره فيقترب الى الارض حتى لا يبعد عنها بغير ١٧٠ ميلا .

والغرض ؟

ايغاله فى الفضاء البعيد ايغالا كبيرا يصل الى المناطق الكهربائية التى تحوط الأرض ، وبالاجهزة التى تضمنها يمتحن الدقائق المتكهربة والتائنة فى هذه المناطق بالذى احتواه جسمه من اجهزة ، ثم هو يرسل بالنتائج الى علماء الارض الذين رفعوه بامريكا .

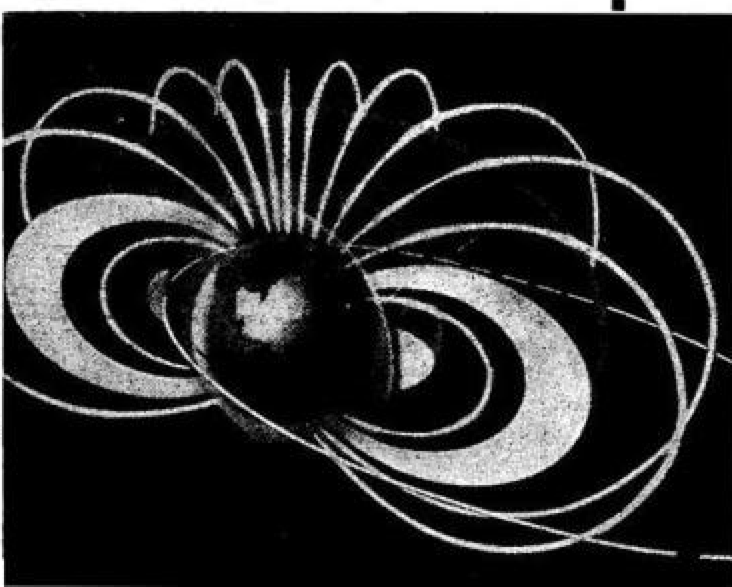

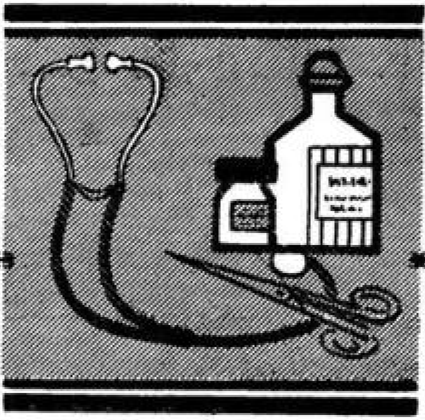

طبيب الأسرة

النزيف نزيفان

● كيف يفرق الانسان فى الحوادث بين النزيف الذى يخرج من الشريان ، والنزيف الذى يخرج من الوريد ، وكيف يتمكن الانسان من وقفه ؟

ـ الدم الذى يخرج من الشريان متقطع ، فهو متأثر بضربات القلب تدفعه فى جريانه ، والقلب يضخ ثم يسكن ثم يضخ ، وهكذا دواليك . اما الدم الخارج من الوريد فيخرج متصلا لانه يخرج من الاوعية الصغيرة جدا المعروفة بالشعريات ، لرُفعها ودقتها ، وذلك بعد أن يغذى الدمّ خلايا الجسم .

اما وقف نزيف الشريان فيكون بربط العضو ، والدم يجرى فيه من القلب الى اجزاء الجسم، برباط يحجز الدم فلا يجرى ، يكون موضعه بين العضو النازف وبين القلب الذى هو مصدر الدم .

ويكون ربط العضو ، والنزيف من الوريد ، بمثل ذلك ، ولكن فى موضع بين العضو النازف والشعريات التى هى مصدر الدم ، لا القلب .

والصورة تبين ذلك .

الرياضة والعادة

● انا فتاة عصرية احب الالعاب الرياضية ، ولكنهم يقولون لى ان الالعاب مضرة والعادة الشهرية قائمة ، وانا لا أصدق ، فهل الالعاب حقيقة مضرة ؟

ـ الافضل أن تكفى عن هذه الالعاب على الاقل فى اليومين أو الثلاثة الايام الاول من حلول العادة ، وهذا لا يكلفك شيئا كثيرا . ذلك لأن اللعب يتعب، وانت فى تلك الحالة تحمّد لك الراحة . وعدا هذا فهناك احتمال الوقوع على الارض، أو الاصابة بالبرد ، ونتائجهما اخطر فى ذلك الوقت .

يسبح ، وطبلة اذنه مثقوبة؟

● قال لي الطبيب ان طبلة اذني مثقوبة ، وهذا الصيف يقترب، وانا احب السباحة ، فهل تضر بى السباحة والطبلة هكذا مخروقة ؟

ـ اذا كانت طبلتك مثقوبة واذنك الوسطى جافة، فسوف يدخل الماء لا شك الى اذنك ومعه العدوى. وينتج عن ذلك اول الأمر افراز قد لا يكون من السهل علاجه ، وقد ينتهى بتعطيل السمع . ولا يمكن ضمان أن الماء لا يدخل باستعمال سِداد يسدّ الأذن مهما كان . ولكن هناك طريقة معقولة : أن تسد هذا الخرق بالجراحة ، وهى جراحة بسيطة جدير بك أن تفكر فيها .

السعال،والفتاق،اذا اجتمعا

● ابي يبلغ من العمر ٦٧ عاما ، وصدره على غير ما يرام ، وهو يسعل كثيرا . وقد اصيب اخيرا بالفتاق ، وهو يلبس له حزاما يمنع الامعاء من ان تبرز . فهل يجوز في هذه الحالة المخاطرة باجراء جراحة لسد هذا الفتاق . اني اخشى ان يصيبه عقب هذه الجراحة برد ، واخشى عليه فيها من السعال .

ـ من الصعب جدا ، بناء على ما تصف من امر والدك ، ان انصح بشيء . لا بد من تفصيل للحالة كثير . ومع هذا فانا استطيع القول ان كثيرا ممن جمعوا بين متاعب في الصدر ، وفتاق في البطن ، اجروا هذه الجراحة بنجاح ، وبدون مصاعب . بل لقد وجب اجراؤها . ومع هذا فاجراؤها لا يكون الا بعد الفحص لمعرفة نوع الفتاق ، وما يسببه من مضايقة ، ونوع الانسجة عنده ، وما قد يحدث للمريض عند الجراحة من مضاعفات .

وهذا كله من عمل الجراح ، فعليك به .

عنقي غليظ

● ان عنقي غليظ ، واسمع عن جراحة التجميل ، وانها تصنع العجب في هذه الايام . فهل تستطيع هذه الجراحة ان تحسّن عنقي فتقلل من غلظه ؟

● لا اظن ان جراحة التجميل تستطيع أن تصنع شيئا للعنق الغليظ . ولكن عندي لك نصيحة أن تذهب الى طبيبك فلعل غلظ عنقك سببه مرض ، كتضخم الغدة الدرقية مثلا . عندئذ تتدخل الجراحة تدخلا حاسما بقيك مواقف غاية في الخطر لا تتصل بالجمال ، ولكن تتصل بالصحة والعافية .

حساسة" للشمس عند البحر

● انا حساسة جدا للشمس . ويكفي أن اعرض جسمي العاري لأشعتها حتى يظهر على الجلد طفح مؤذ . وعائلتي تعتزم هذا الصيف قضاء الاجازة عند البحر ، وقد خشيت الذهاب . فهل عند الطب علاج لهذا ؟

ـ نعم يوجد ما يكفي لمنع الطفح والاذى . فاول كل شيء عليك ان تقي نفسك من اشعة الشمس المباشرة ، وذلك بقبعة من القش عريضة او بشمسية . وثاني شيء أن تدهني جسمك بدهان يمنع الأشعة الضارة من أن تنفذ الى جلدك .

وبالسوق عدة من هذه الادهنة . ثم اقراص تبلعينها من مادة سلفات الكلوركين Chloroquine Sulphate فهي تخفض من حساسيتك للشمس ما دمت تتعاطينها ، على شرط أن يأذن طبيبك الخاص ، في حالتك الخاصة ، باستخدامها .

هل تدخن المرأة الحامل

●اني حامل، وقد نصحني الطبيب بأن لا ادخن مدى الحمل ، فما هي الأسباب التى بنى عليها هذه النصيحة ؟

ـ السبب ان الدخان يميل بالأوعية الدموية الى الضيق . فاذا سد النيكوتين الذى في الدخان مجارى الدم التى تصل الى الرحم ، وهى حاملة الأوكسجين ، قل امداد الجنين به ، فاثّر ذلك في نموه .

ومن اخطر الأمراض للمرأة الحامل ارتفاع ضغط الدم فيها . وارتفاع ضغط الدم يكون عادة في الشخص الذى يكثر من التدخين . فلا اقل من ان تنقص المرأة الحامل من عدد السجائر التى تدخنها في اليوم نقصا كبيرا .

والخير في ان لا تدخن ابدا .

السكرين ، هل يضر ؟

● انا سمينة الجسم ، وقد بدات آخذ اقراصا من السكرين ، بدل السكر ، منذ عام ، وآخذ خمسة اقراص فى اليوم ، بقصد النحافة . وقد وجدت فى هذه الأقراص نفعا ، ولم أجد منها الى اليوم ضررا . فهل تعاطيها لمدة طويلة يضر بالجسم ؟

ـ لا يوجد فى الطب شيء عن ضرر تعاطي السكرين لمدة طويلة . ومع هذا فاقراص خمسة ، تتعاطينها كل يوم ، مقدار كبير ، قد يكون منه ضرر على المدى الطويل . لهذا انصح بتقليل هذه الكمية بالتدريج ، على مدة طويلة . فالتوسط خير .

وجه ابنتي غير متماثل

● لي ابنة فى السابعة من عمرها ، ولدت ونصف وجهها الأيمن اكبر من نصفه الأيسر ، وكذلك الحاجب الأيمن كان اكبر من الحاجب الأيسر . ولكنها لما اخذت تكبر قارب النصف الأيسر النصف الأيمن من حيث الحجم . ولكن الاحظ ان البنيّة عندما تغضب يحمر نصف وجهها اكثر من احمرار النصف الآخر ، فهل لهذا سبب ؟

ولن يفوتني أن أقول ان ابنتي فى صحة جيدة وهى عادية فى كل شيء آخر .

ـ لا علاقة بين زيادة احمرار نصف الوجه عن النصف الآخر واختلاف النصفين فى الحجم . والظاهرة الأخيرة عادية،وقل من الناس من يتماثل نصفا وجوههم . وابنتك سيتماثل نصفا وجهها كلما كبرت ، فلا داعي للقلق .

فيتامين (أ)

● اى الأطعمة اغنى بفيتامين أ ؟

ـ الكبد ، والزبدة ، والبيض والقشطة . وللجسم قدرة على صنع هذا الفيتامين من بعض الأطعمة كالجزر والسبانخ والبقدونس .

اما فائدته فهو انه لازم للنمو الطبيعي ولحفظ النسيج المخاطي من بعد غزو البكتي والجراثيم ونقص هذا الفيتامين فى الجسم يؤدى الى مرض فى العين يتصف بجفاف الملتحمة ، والى سوء تشكل مينا الاسنان . وله علاقة كذلك بعمى الليل .

التهاب اللسان

● عندي ، فى لساني ، بقعة ملتهبة مؤلمة،واحدة على كل جانب من لساني ، وهما يذهبان ثم يجيئان،وظلا هكذا نحوا من عام . أنا عمري يبلغ ٥٠ عاما،ولا ادخن .

ـ ان لالتهاب اللسان اكثر من صورة واحدة . فقد تظهر رقعة ملتهبة ناعمة فى اللسان ، وعلى الاخص فى طرفيه ، او فى مقدمته . وترتبط هذه الرقع بعدم وجود حامض بين عصارات المعدة ، وهو الحامض الذى يجب ان يوجد فى المعدة . ومن اسباب انعدام هذا الحامض اصابة المريض بفقر الدم الخبيث . وعلاج هذا الحال ميسر هذه الايام .

وقد يصاب المرء باللسان الجغرافى ، وهو اللسان الذى تظهر فيه رقع اكثر ظهورا من سائره ، فكان اللسان خريطة جغرافية . ويتغير شكل الخريطة بالتدرج من آن لآن .

وقد يظل هذا الحال مع الشخص منذ ولادته ، والى مدى حياته . ولا ضرر منه ، ولا تعب ، ولا علاج . انما الضرر يكون بتعود صاحب هذا اللسان النظر الى المرآة والقلق من ذلك .

ونوع ثالث : بقع" بيضاء سببها قد يكون تهيج اللسان بمسه ضرسا خشنا . ولكن منها ما لا يتضح له سبب .

والتهاب اللسان كثيرا ما يصعب . والمهم أن ترى الطبيب عندما يتضح لك ان التهاب لسانك يتمهل فوق ما كنت ترجوه له من شفاء . واذكر" دائما ان السرطان قد يصيب اللسان .

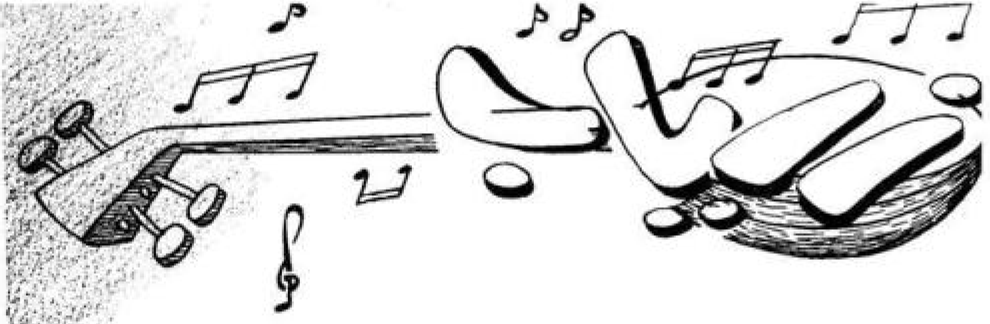

● يتلمذ على اسحق الموصلي ويتفوق عليه ، فلما أعجب به الرشيد خيّره اسحق بين القتل والرحيل .. فرحل

بقلم : ابراهيم قطان

■ كانت قرطبة عاصـــمة للدولة الأموية فى الأندلس ، وكانت عروس المدن ، وجنة من جنـــان الدنيا ، ودارا للعلوم ، وموئلا للآداب والفنون ، ومنبعا للذوق السليم ، والفن العالى ، والمدنية الراقية .

وقد افتنّ الخلفاء والأمراء فى تزيينها ، وبناء القصور البديعة ، والحدائق الغناء بها ، والمدارس والمساجد ، والحمامات ، ولا سيما جامعها الكبير الذى لا يزال الى الآن آية من آيات الفن على ما لحقه من تخريب وتهديم .

فى هذه البلدة الطيبة استقر « زرياب »المغنى الكبير ، ولمع نجمه ، وعلا شانه ، وانتشر فنه .. فمن هو زرياب ؟ ..

اسمه ، واصله ، ونشاته

ابو الحسن على بن نافع الملقب بزرياب ، مولى امير المؤمنين المهدى العباسى لا يعرف عنه شىء الا انه مولى المهدى ، ولم يذكر المؤرخون اى خبر عن نشاته او مولده او اصله ، واغلب الظن انه من هذا السبى الوافد من الفتوحات ، ولا يعرف شىء عن والده او عن اصله .. ويظهر انه كان على جانب عظيم من الذكاء ، والوعى والفهم ، فلـــم يترك فرصة تفوته ، بل كان يحاول أن يتعلم كل شىء . لزم اسحاق الموصلى مدة من الزمن واخذ عنـــه الغناء ، والعزف على العود ، وبرع فيهما ، حتى فاق اقرانه ، بل تفوق على استاذه من حيث لا يعلم بذلك اسحاق ، وكان الى جانب هذا يحرص على كسب ما يستطيع من ادب ولغة وتاريـــخ وشعر ، فكان بذلك يؤهل نفسه لمجالسة الملوك والرؤساء ، وقد حرص على جمع ما يستطـــيع من آلة الظرف ، والمجالسة والمنادمة ، فحصـــل على قسط كبير منها قلما اجتمع لأحد من أهـــل صناعته مثل ما اجتمع له .

لماذا لقب بزرياب ؟

وزرياب لقب غلب عليه من اجل سواد لونه ، مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله . شبّه بطائر اسود غرد ، وهذا قول اكثر من كتب عنه ، وهناك راى بأن زرياب معناه ماء الذهب ، ويكون لقب زرياب لجماله وحلاوة شمائله ، فقد كان نابغـــة الموسيقى فى زمنه وكان شاعرا مطبوعا ، عـــالما بكثير من الفنون،عارفا باحوال الملوك وسير الخلفاء، ونوادر العلماء .

زرياب فى مجلس الرشيد

كان زرياب تلميذا لاسحاق الموصلى فى بغداد كما تقدم، فتلقف من اغانيه ما استطاع أن يستوعب، وهُدِىَ من فهم الصناعة ، مع ما كان عليه من عقل راجح ، وطيب الصوت ، وحسن الطبع ، الى ما فاق به أستاذه الكبير اسحاق .

• تألق نجمه فى الأندلس ، وَقرّبه ملوكها واتّخَذهُ خواصهم قدوةً فى آدابه وطعامه ، وتصفيف شَعْرِهِ وَهِندامه

وكان اسحاق يظنه من تلاميذه العاديين ،ولكنه يشعر جيدا بانه جيد الصنعة حسن الصوت ، من المتفوقين منهم .

جرى ذكر المغنين يوما بحضرة الرشيد فطلب من اسحاق وجها جديدا من المغنين فانه ملَّ من هؤلاء الذين الفهم ، والنفس بطبعها تحب الجديد، فقال له اسحاق : عندى لك يا مولاى ما تطلب ، فتى حاذق ، جيد الصنعة ، حسن الصوت ، احد تلاميذى سمعت له نزعات حسنة ، ونغمات رائعة ، حبيبة على السمع ، قريبة الى القلب ، وهو مولى لكم واحدس أن يكون له شان . فقال الرشيد : هذا طلبتى فاحضرنيه لعل حاجتى عنده .

جرأته .. واعتداده بنفسه

احضر اسحاق «زرياب» الى الرشيد ، فلما كلمه اعرب عن نفسه باحسن منطق ، واوجز خطاب ، وسأله عن معرفته بالغناء ، فقال : « نعم احسن منه ما لا يحسنه الناس ، واكثر ما احسنه لا يحسنونه ، مما لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك ، فان اذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قبلك ».

ولا يدعى انسان هذه الدعوى الا اذا كان معدا لها العدة ومهيئا لها نفسه وهو واثق من فنه وصنعته كل الثقة ، وقد وجد الفرصة المواتية لذلك اليوم الذى اعد نفسه له . فاعجب الرشيد بهذا الفتى وبجرأته واعتداده بنفسه ، وأمر باحضار عود استاذه اسحاق ليغنى به ، فلما

ادنى اليه وقف عن تناوله ، وقال : « لي يامولاي عود نحته بيدي وارهفته باحكامي ، ولا ارتضي غيره ، وهو بالباب ، فليأذن لي امير المؤمنين في استدعائه » . فامر بادخاله اليه ، فلما تامله الرشيد وكان شبيها بعود اسحاق قال له : « ما منعك ان تستعمل عود استاذك ؟ » فقال : « ان كان مولاي يرغب في غناء استاذي غنيته بعوده وان كان يرغب في غنائي فلا بد لي من عودي » ، فقال له : « ما اراهما الا واحدا » ، فقال : « صدقت يا مولاي ، ولا يؤدي النظر غير ذلك ، ولكن عودي وان كان في قدر جسم عوده ، ومن جنس خشبه ، فهو يقع من وزنه في الثلث ، واوتاره من حرير لم يغزل بماء سخن يكسبها اناثة ورخاوة، وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل اسد ، فلها في الترنم والصفاء والجهارة والحدة اضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان ، ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها » . فاستبرع الرشيد وصفه وامره بالغناء فاخذ عوده ثم اندفع فغناه :

يا ايها الملك الميمون طائره
هارون راح اليك الناس وابتكروا

لوم الرشيد لاسحاق

فلما اتم زرياب ، سر به الرشيد غاية السرور ، وطار طربا ، ثم التفت الى اسحاق ، وقال له : « لماذا لم تات به الي من قبل واخفيته عني كل هذه المدة » فاقسم للرشيد بانه لم يسمعه يغني مثل هذا الغناء من قبل ، ولم يعلم ان عنده هذه الصنعة . وصادق زرياب على قول اسحاق وانه يغني هذا الغناء لاول مرة . فقال الرشيد : والله لولا اني اعلم من صدقك لي على كتمانه اياك لما عنده ، وتصديقه لك من انك لم تسمعه قبل لانزلت بك العقوبة لتركك اعلامي بشانه . فخذه اليك واعتن بشانه حتى افرغ له ، فان لي فيه نظرا .

اسحاق في ورطة !

انسقط في يد اسحاق ، وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره ، فلما خلا بزرياب قال له : « اسمع يا علي ، ان الحسد اقدم الادواء وادوؤها والدنيا فتانة ، والشركة في الصناعة عداوة ، ولا حيلة في حسمها ، وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك في الصناعة ، وعلو طبقتك . وقصدت منفعتك ، فاذا انا قد اتيت نفسي من مامنها ، بايصالك الى امير المؤمنين ، وعن قليل تسقط منزلتي ، وترتقي انت فوقي ، وهذا ما لا اصاحبك عليه ، ولو انك ولدي ، ولولا رعيي لذمة تربيتك لما قدمت شيئا على ان اذهب نفسك ، يكون في ذلك ما كان ، فتخير في اثنتين لا بد منهما: اما ان تذهب عني في الارض العريضة لا اسمع لك خبرا بعد ان تعطيني على ذلك الايمان الموثقة ، على ان اعينك بما اردت من مال وغيره ، واما ان تقيم على كرهي ورغمي مستهدفا لي ، فخذ الآن حذرك مني فلست والله ابقي عليك ، ولا ادع اغتيالك باذلا في ذلك بدني ومالي،فاقض قضاءك » .

سمع زرياب هذا الانذار الهائل ، وعلم ان اسحاق قدير على القضاء عليه بما له من نفوذ وقوة ، واتباع وانصار ، وهو فرد غير معروف ولا قدرة له على خصومة استاذه الكبير وقد صارحه بكل ما في نفسه ، فاختار الرحيل ، وارض الله واسعة ، ورب ضارة نافعة . واعانه اسحاق على ذلك بمبلغ من المال ، وجهز نفسه ورحل عنه ، ومضى يبغي مغرب الشمس واستراح قلب اسحاق منه .

الرشيد يطلب زرياب

مضت ايام والرشيد في شغل شاغل عنزرياب ، ولما فرغ من عمله تذكر ذلك الفتى الظريف ، الذي غناه صوتا لم يسمع مثله ، فارسل وراء اسحاق وقال له : اين زرياب ؟ احضره لي حالا . فقال اسحاق وهو مطمئن البال : ومن لي به يا امير المؤمنين ؟ ذاك غلام مجنون يزعم ان الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه ، فما يرى فيالدنيا من يعدله ، وما هو الا ان ابطات عليه جائزة امير المؤمنين وترك استعادته فقدر التقصير بهوالتهوين بصناعته ، فرحل مغضبا ذاهبا على وجهه مستخفيا عني ، ولا ادري اين ذهب ، وقد صنع الله تعالى في ذلك لامير المؤمنين ، فانه كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه ، فيفزع من رآه. فسكن الرشيد الى قول اسحاق ، ولكنه اسف اسفا شديدا وقال : على ما كان به ، فقد فاتنا منه سرور كثير .وبذلك انتهى خبر زرياب في الشرق ، ونسي ببغداد ولم

يعد يذكر فيها أبدا . حتى ان صاحب الأغاني لا يذكره الا عرضا وبالمناسبة .

زرياب فى الاندلس

غير خاف على زرياب حديث الأندلس وما فيها من حضارة جديدة ، وتقدير للفن وأهله ، وكرم ملوكها وامرائها فكتب الى الحكم وذكر له نزاعه اليه ، واختياره اياه ، وأعلمه بكتابه بمكانته من الصناعة التى ينتحلها، ويسأله الاذن له فى الوصول اليه ، فسر الحكم بكتابه واظهر له من الرغبة فيه والتطلع اليه ، ووعده بما تمناه ، فسار زرياب ميمما وجهه شطر المغرب بعياله وولده ، وركب بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء فلما بلغها توالت عليه الاخبار بوفاة الحكم ، فهم بالرجوع الى العدوة ، ولكنه عاد وكتب الى عبد الرحمن ابن الحكم يخبره ، فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه اليه ، والسرور بقدومه عليه ، وكتب الى عماله على البلاد أن يحسنوا اليه ، ويوصلوه الى قرطبة ، وامر خصيا من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال والات حسنة ، حتى أوصله الى قرطبة هو واهله ، وانزله فى دار من أحسن الدور وحمل اليه جميع ما يحتاج اليه ، وخلع عليه ، وبعد ثلاثة أيام استدعاه ، وكتب له فى كل شهر مائتى دينار راتبا ، وأن يُجْرى على بنيه الذين قدموا معه — وكانوا اربعة : عبد الرحمن ، وجعفر ، وعبيد الله ، ويحيى — عشرون دينارا لكل واحد منهم كل شهر ، وان يجرى على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار ، منها لكل عيد الف دينار ،ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار . واقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ، ومن الضياع ما يقوم بأربعين الف دينار .

نديم الأمير وجليسه الأول

ولما خلا به ونادمه وسمع غناءه طار به فرحا ، واطرح كل غناء سواه ، واحبه حبا شديدا ، وقدمه على جميع المغنين ، وادنى منزلته،وذاكره فى احوال الملوك وسير الخلفاء ، ونوادر العلماء فوجده ملما الماما هائلا ، ونديما من الطراز الأول ، فأعجب الأمير به وراقه ما اورده ، وصار يؤاكله ويجالسه، وفتح له بابا خاصا ، يستدعيه منه متى أراده .

أثر زرياب فى الاندلس

استقر زرياب فى قرطبة ، يسرح ويمرح فى ذلك المجد الذى حصل عليه واصبح قدوة لأهل الأندلس، يقلدونه بلباسه ، وتصفيف شعره ، وزيه، وطعامه. من ذلك انه دخل الاندلس وجميع من فيها من رجل وامراة يرسل شعره مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين . فلما رأى اهل الاندلس تحذيفه هو وولده ونسائه لشعورهم ، وتقصيرها دون جباههم ، وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها الى آذانهم ، واسدالها الى أصداغهم ، استحسنوه وقلدوه .

((المرتك)) .. ورائحة العرق !

ومما سنه لهم استعمال المرتك لطرد ريح الصنان من مغابنهم ، ولا شيء يقوم مقامه ، وكانت ملوك الاندلس تستعمل قبله ذرور الورد ، وزهر الريحان وما شاكل ذلك ، فكانوا لا تسلم ثيابهم من وضر ، فدلهم على تصعيدها بالملح ، وتبييض لونها ، فلما جربوه حمدوه جدا .

وهو اول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الاسفراج، ولم يكن أهل الاندلس يعرفونها قبله ، واصبح عندهم لون التقلية المنسوبة الى زرياب .

ومما اخذه عنه الناس بالأندلس ، تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة ، وايثاره فرش انطاع الاديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان ، واختياره سُفَرَ الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية ، لان الوسخ يزول عن الأديم بأقل مسحة .

لكل فصل ثياب

اما اللباس فقد تفنن فيه فكان يلبس كل صنف من الثياب فى زمانه الذى يليق به . فانه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض من أول حزيران (يونيو) ثلاثة أشهر متوالية ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة ، ورأى أن يلبسوا فى الفصل الذى بين الحر والبرد جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التى لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض لخفتها . ورأى أن يلبسوا فى آخر الصيف وعند أول الخريف المحاشى المرويةوالثياب المصمتة،

وما شاكلها من خفاف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة ، وذلك عند قرص البرد في الغدوات ، الى ان يقوى البرد فينتقلون الى أثخن منها من الملونات ، ويستظهرون من تحتهـا اذا احتاجوا الى صنوف الفراء .

زرياب يخترع ويجدد

وزاد زرياب في أوتار العود وترا خامسا اختراعا منه ، وهو الذي اخترع بالاندلس أيضا مضراب العود من قوادم النسر معتاضا بـه عـن مرهف الخشب ، فابدع في ذلك للطف قشر الريشـة ، ونقائه وخفته على الأصابع وطول سلامة الوتـر واصبح ذلك ساريا لا في الاندلس وحدها بل في العالم أجمع.وهكذا اصبح زرياب اماما للاندلسيين يقلدونه في كل ما يخترع معجبين به كل الاعجاب.

طريقته في التعليم

كان زرياب كما قدمنا اماما في فن الغناء ، اتقنه غاية الاتقان ، وكان مخلصا في تعليمه ، مركزا في القاء دروسه ، فاذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه، امره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة، وان يشد صوته جـدا اذا كان قوي الصوت ، فان كان لينه امره ان يشد على بطنه عمامة ،فان ذلك مما يقوى الصوت ولا يجد متسعا في الجوف عند الخروج على الفم فان كان الصيء الاضراس لا يقدر على ان يفتح فاه ، او كانت عادته زم اسنانه عند النطق ، راضه بان يدخل في فيـه قطعة خشب عرضها ثلاث اصابع يبيتها في فمه ليالي حتى ينفرج فكاه . وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع امره ان يصيح باقوى صوته : يا حجام ، أو يصيح آه ، ويمد بها صوته ، فان سمع بهما صـافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضـيق نفس عرف ان سوف ينجب واشار بتعليمه ،وان وجده خلاف ذلك ابعده .

كان له من الأولاد الذكور ثمانية : عبد الرحمن ، وعبد الله ، ويحيى ، وجعفر ، ومحمد ، وقاسم ، واحمد ، وحسن ، ومن الاناث اثنتان : عليـة ، وحمدونة ، وكلهم غنى ومارس الصناعة ، واختلفت بهم الطبقة ، وكان له جارية اسمها متعة أدبهـا وعلمها احسن اغانيه ، وكانت رائعة الجمال .واخذ عنه خلق كثير صنعة الغناء .

عالم بالنجوم والاقاليم

وكان زرياب عالما بالنجوم وقسمة الاقـاليم ، واختلاف طبائعهـا واهويتها وتشعب بحارهـا وتصنيف بلادها ، وسكانها ، مع ما منح له من فك كتاب الموسيقى ، مع حفظه لعشرة الاف مقطـوعة من الاغاني بالحانها .

وكان زرياب قد جمع الى خصاله هـذه الاشتراك في كثير من ضروب الظرف وفنون الأدب. ولطف المعاشرة ، وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده أحد من اهل صناعته ، حتى اتخـذه ملوك الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آداب واستحسنه من أطعمة ، فصار منسوبا اليه معلوما به .وكانوا يسمونه « معلم الناس المروءة » . ■■

ابراهيم قطان
عمان ـ الاردن

عندما يمدحونك .. :

قال علي بن أبي طالب وقد مدحه قوم في وجهه :

ـ اللهم إنك أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم

اللهم اجعلني خيراً مما يظنون . واغفر لي ما لا يعلمون

نهج البلاغة

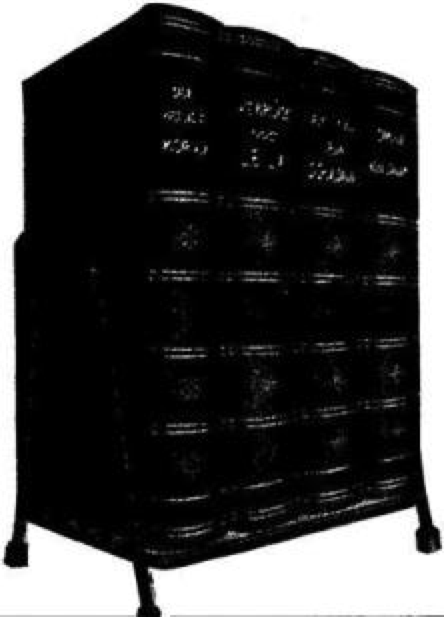

مُسْتَشْرِقُونَ مِنَ الألمَان نَشَروا :

الأَدَبَ العَربيّ والإسْلاميّ في ألمانيا

بقلم : الدكتور ارنست بانرت

استاذ اللغات الشرقية بجامعة فيينا

يقول النقاد : ان الألمان شعب المفكرين والشعراء ، وصدقوا فيما يقولون ، فلقد ظهر على مسرح الحياة العقلية فى المانيافى القرنين التاسع عشر والعشرين اعلام عديدون من المفكرين والأدباء والشعراءممن خلّد ذكرهم ، وذاع ادبهم ، وطار صيتهم فى كل **مكان** .

الألمان فى القرن التاسع عشر : علم وأدب

ففى اثناء القــرن التاسع عشر كانت دول الاستعمار مشغولة بغزو العالم والسيطرة على مرافقه ، مسلحة بشتى الأسلحة الحديثة التى كشف عنها العلم وابتكرتها قريحة الانسان وعقله وذكاؤه ، ولكن الشعب الألمانى كان بعيدا عن معارك السيطرة والغزو ، وكان الشغل الأهم عنده هو الأدب والفلسفة ، والبحث العلمى الذى كان أقوى عوامل التقدم الصناعى والتجارى العالمى .

جوته : شاعر الألمان الأكبر

وكان الأدب الألمانى فى بداية القرن التاسع عشر فى حياة مزدهرة ، فظهر فى ألمانيا أكبر شعرائها عبقرية وثقافة والماما واسعا بتاريخ الشعر ، وهو « جوته Goethe » . وقد نشر جوته عام ١٨١٩م كتابه الذى اسماه « الديوان الشرقى الغربى » ، وقد احتوى على اشعار عديدة قلد فيها الفردوسى ، الشاعر الفارسى المُلهَم ، كما احتوى على مقالات مختلفة ، بعضها فى العلم والبحث والدراسة ، والآخر يتضمن مشاعر عميقة مستوحاة من روح الشرق الاسلامى وآدابه .

ونتساءل : من اين استمد جوته هذا الاهتمام الحى بنتاج الحضارة والثقافة الاسلامية العربية وبآثار العرب الخالدة فى الشعر والتفكير ؟

والجواب انه من غير شك كانت حركة الاستشراق ذات أثر كبير فى ذلك ، فقد ترجمت آثار اسلامية كثيرة على أيدى المستشرقين ، وزاد هذا فى اطلاع المثقفين فى أوربا على اللغات الشرقية ، وعلى انتاج الأدباء من العرب والفرس على السواء .

المستشرق برجشتل

وفى ميدان الدراسات اللغوية يلفت النظر عالم عبقرى اسمه هامر برجشتل ، كان قد درس اللغات العربية والفارسية والتركية فى شبابه فى مدرسة مخصصة لتربية المترجمين من أجل الخدمة الدبلوماسية ، كانت أسستها الامبراطورة النمسوية « مارى تريز » فى القرن الثامن عشر . وقد زار هامر برجشتل تركيا وأقام فيها فترة مترجما فى السفارة النمسوية ، وجاء الى مصر مع الجيش الانجليزى الذى أسقط حكومة نابليون فى وادى النيل . وكان « برجشتل » قد بذل جهودا كبيرة فى سبيل جمع المخطوطات العربية ودراسة محتوياتها . وبعد عودته الى فيينا ترجم كثيرا مما قرا ، ومما ترجمه التائية المشهورة لعمر بن الفارض شاعر الحب الالهى ، كما ترجم قصة عنترة بن شداد ، وكتاب « أيها الولد » للغزالى ، وديوان محمد شمس الدين حافظ الفارسى . ولما اطلع جوته فى مدينة « وَيْمار » على تلك الترجمات أثاره جمالُ الشعر الشرقى وعمقُ ما فيه من افكار ، وسحرته روح الشرق الذى قال عنه : « ان من الشرق تهب ريح الآباء » ـ اى الأنبياء ـ الذين طالما قرا جوته عنهم فى الكتاب المقدس .

جوته فى « ديوانه الشرقى الغربى »

وقد صدر الديوان الشرقى الغربى عام ١٨١٩ ، وسمى الشاعر الأبواب المختلفة باسماء أخذها من ديوان حافظ ، ومنها كتاب زليخا ، كتاب الخلد ، كتاب الساقى .

ومن يقرأ الديوان الشرقى الغربى يجد فيه افكارا اسلامية عديدة مثل « الأسماء الحسنى » و « الجنة والمعراج » و«الهجرة» ، وقد صور ذلك بالاعتماد على روح القرآن وبلاغته .

وكان جوته يفسر كل ذلك فى هامش «الديوان» ، ويختار قصصا من حياة محمد ، وأخرى عن الملائكة ، ويدون روايات عن مجنون ليلى ويضمنها شعره ، فصارت هذه القصص جزءا من صميم الأدب الألمانى الحديث . وهو فى مقالاته كتب كثيرا

جوته شاعر الألمان الاكبر

عن شعر العرب فى الجاهلية وعن جمال القرآن وبلاغته وفائدته للانسانية . وكذلك عن خصائص الشعر الفارسى .

وجوته يقول فى شعر له مشهور :

ان من عرف نفسه وعرف غيره
لا بد أن يعرف هنا أيضا
ان الشرق والغرب لا يفترقان
وانى لاستحسن أن يعيش الانسان فيهما
والخير فى الاهتمام بالشرق والغرب جميعا .

ثم يعبر عن رجائه فى أن ينفتح الباب لفهم روح الشرق وتاريخه بتأثير الترجمة لروائع الشرق وآثاره الروحية والفكرية والادبية .

المستشرق ركرت Rueckert

وكان من أكبر تلاميذ جوته الذين يمثلون الروح الشرقى فى آدابهم المستشرق « فريد رنج ركرت » وكانت له عبقرية العالم والأديب (وتوفى سنة ١٨٦٦ م) وله ترجمة لخمسين سورة من القرآن الكريم ضمن ترجمته لها كثيرا من خصائص بلاغة اللغة العربية حتى السجع ، فقد كتب به باللغة الألمانية . وكذلك نشر ركرت ترجمة مقامات الحريرى ، وكل من له ذوق أدبى وثقافة عالية يعرف ان هذا الكتاب هو من الأدب العالى الذى لا يفهمه كل قارىء لما احتوى عليه من تصوير لشتى الوان المشاعر ودقائق الأحاسيس .

قلد « ركرت » كل ذلك ، وقيل انه أجبر اللغة الالمانية على الرياضة . ثم ترجم ركرت حماسة ابى تمام وكثيرا من الشعر الفارسى ، ونظم قصصا عديدة ماخوذة من قصص الأنبياء والرسل ، واذيعت تلك القصائد فى الكتب لتلاميذ المدارس الابتدائية ، وهكذا كان الطفل الالمانى يقرأ الكثير من حكمة الشرق الاسلامى التى احتوت عليها قصص النبيين والآداب الصوفية والشعر العربى الاسلامى والشعر الفارسى .

ومن أجل ذلك ازدهرت الدراسات الفارسية فى المانيا ، وقدم الأديب الالمانى « جورس Goerres وهو مستشرق مشهور ، ترجمة الملحمة القومية الايرانية « الشاهنامة » نثرا للشعب الالمانى ، وعلى هذه الطريقة اطلع القراء الالمان على عقلية ايران بعد الاسلام .

المستشرق بلاتن Platen

وقد اهتم الشعراء الالمان بالشعر الفارسى وترجم اكبرهم « بلاتن » . غزل محمد شمس الدين حافظ مقلدا أسلوبه وشعره ، وأظهر بسلاسة تعبيراته العاطفية فى العشق والغرام كيف كان يفهم روح الشعر الفارسى ، وكان بلاتن يجيد اللغة الفارسية . وتوفى عام ١٨٣٥م .

المستشرق « شاك » Schack

وبعد بلاتن ظهر « شاك » . وقد اهتم بالشعر العربى اهتماما ، والف لنا فيه كتابا كبيرا عام ١٨٧٠م ، وكان حول الشعر العربى فى الأندلس وفنونه ، وقد اختار فيه طائفة كبيرة من القصائد والموشحات الأندلسية ومنتخبات من الزجل .

وله ترجمات اخرى من العربية والفارسية . وقد قلد طراز الشعراء الشرقيين عموما فى شعره . ونشرت مترجماته وأشعاره فى الكتب لطلاب المدارس الثانوية .. وانى لأذكر كيف كانت احدى قصائد « شاك » تحمسنى فى صغرى ، وهى التى صور فيها حياة البطل العربى سعد بن ابى وقاص، ذلك القائد الكبير الذى قضى على امبراطورية فارس وتغلب على الملك الايرانى « يزدجرد » . ولما طلب القائد الايرانى منه ان لا يقتله الا بعد ان يشرب كاس ماء اجاب طلبه ، فتناول القائد الايرانى الأسيرُ الكاس ، ثم رمى بها قبل ان يشرب منها . فاستبقاه البطل العربى برا بعهده قائلا : لن يخدع مسلم ضيفه أبدا .

فكل من يتلقى تعليمه فى المدارس الالمانية يعرف هذه القصيدة ويعجب بوفاء الأبطال العرب .

المستشرق بودنستد Bodenstedt

ولا ننسى هنا مستشرقا آخر اسمه « بودنستد » وكان مقيما فى تفليس منذ سنين ، وقد قلد فى شعره روح حافظ وعمر الخيام وانتشرت كتبه كثيرا بين محبى الشعر والأدب لأنه كان متفوقا جدا فى تنويع الشعر الالمانى حسب الوزن والقافية الشرقية .

شعر التصوّف

واما شعر التصوف فكان أشهر من ترجم منه كثيرا « روزن Rosen » اذ ترجم جزءا كبيرا من المثنوى المعنوى لجلال الدين الرومى عام ١٨٤٩م ولا يستطيع القارىء أن يملك اعجابه بسحر تلك الأبيات الصوفية التى ترجمها اديب يجمع فى عبقريته العلم والشعور الشعرى .

والقرآن

واما القرآن فاذكر هنا ما كتبه جوته فى الديوان الشرقى الغربى قائلا : انه كان يكره قراءة هذا الكتاب فى أول الأمر ، ثم جذبه الكتاب الى قراءته حتى اضطره آخرا الى الاعجاب به وتقديره .

وقد انتشرت ترجمة القرآن فى المانيا وطبع فيها مرارا ، ولم يفق أحد من المترجمين عبقرية المستشرق Rueckert الذى ترجم النص بالسجع .

وانى فى هذه الدراسة الوجيزة أرانى مضطرا لاغفال الآثار العلمية للمستشرقين الألمان وغيرهم ، انما اقتصرتُ على الشعراء المشهورين منهم ، وهم الذين كان لمؤلفاتهم تأثير عميق فى قلوب الشعب الألمانى .

واذكر بمناسبة هذه الكلمة الموجزة ايضا ان كارل بروكلمان المستشرق الألمانى الكبير ، قد ترجم كتابه المشهور « تاريخ الآداب العربية » الى اللغة العربية ، وظهرت بعض اجزائه فى هذه الأيام ، وكان قد الف مختصرا لهذا التاريخ الأدبى عام ١٩٠١م وأوضح فيه اعجابه بالموهبة الأصيلة فى الشعر العربى . ■■

آرنست بانرت
استاذ اللغات الشرقية بجامعة فيينا

آداب السُلوك

آداب السينما كيف تكون؟

جاءنا من بعض قرائنا الكرام أسئلة تتعلق بآداب السلوك فى دور السنما ونحن ندمجها معا فى اجابة واحدة ،ونعتذر عن نشر ما وصفوا مما صادفهم فى هذه الدور من طرائف لا شك لطيفة اقتصادا فى الأسطر .

دور السنما دور لا شك جديدة على الكثيرين . وعلى اهل الريف والبدو خاصة،بل هى جديدة على الدنيا أجمع. فهى من مواليد هذا القرن ، فليس غريبا أن تنبهم بعض معالم السلوك فى هذه الدور ، لا سيما وهي من ظلام .

ولكن ليس فى آدابها الا ما يستطيع ان يستنتجه ذو الراي السليم ، بداهة.

تهويش على المستمعين

مثال ذلك الهدوء التام، والممثلون على الشاشة يتكلمون. فبعض النظارة يحلو له الكلام مع صاحبه او صاحبته تعليقا على ما يرى ، فيحمد ما يرى ويذم. وفى الكلام عامة تهويش على الآخرين . فالناظر الى الشاشة اما ان يلقى باذنه الى الممثلين ، او الى من حوله من حضرات المعلقين والمتفكهين . والمعنى الذى تتضمنه كلمات التعليق هذه يضيق بها ذهن المتتبع للقصة الجارية على الشاشة ، ولو كان معنى يتفق مع ما فى نفسه من معان، فكيف اذا عارضها. ان هذا تصرف لا يتفق مع الذوق السليم .

وهذا موقف من المواقف التى تضرب حاسمة لمن يقولون ان الانسان حر ، يصنع ما يشاء ، متى يشاء ، فهذا الموقف فيه الجواب الحاسم : ان الحرية مباحة حقا ، الا فيما يسىء الى الغير .

ضحك فى غير موضعه

وقد تكون على الشاشة مواقف مضحكة ، يضحك منها الناس . وهنا يغلب ان يضحك الجميع ، ويكون الضحك مناغمة للحن الجارى ، وفيه الرضا . ولكن من النظارة قلة تريد ان تصنع مما ترى على الشاشة نكاتا على حسابها . فهؤلاء يصفرون عند التقبيل ، او رؤية ساق عارية حتى وصاحبتها فى حادث مريع . الساق عندهم هى الحدث الاكبر . فمثل هذه الأصوات لا تخرج الا من البدائيين.

ان السنما مكان مظلم صامت ، ينظر الناظر فيه ويسمع ، ولا يتحدث بما يسمع جاره ، الى ان يسطع النور .

ترجمة لمن لا يفهم

ومن الناس ــ ويدخل فى هؤلاء المثقف والجاهل ــ من يصحب من لا يعرف لغة الحديث الصادرة من الشاشة، فيقوم هو بترجمة الكلام الجارى ، مسمعا جيرانه . ويحتج الجيران ، ويدعى هو ان هذا حق له ، وما هو بحق .

وبدور السنما ، حيث الحق موفور النفاذ دائما ، يأتى ملاحظ الحفل الى من يسىء هذه الاساءة ، فيسر فى اذنه ان يسكت او يقوم . وكلمة الملاحظ هناك، ككلمة الشرطة ، واجبة النفاذ .

صراخ الأطفال

ومما يهوش على جمهور المستمعين للشاشة صوت الأطفال . الطفل يصرخ، وهو معذور في صراخه . انه لا يفهم مما يجرى شيئا. وليس له الصبر الطويل. ولكن الأم والأب غير معذورين في وضعهم الطفل هذا الوضع الغريب ، ومضايقة الناس بأعز الأشياء على الناس ، طفل رضيع .

والحل ؟ تبادل المنافع،بين من عندهم اطفال . احرسْ طفلك وتحرسين طفلي ، ونحمي ربع قاعةً السنما أو نصفها من التهويش . وفي الأمم السابقة لا يؤذن بدخول طفل مع كبار ابدا .

فلعلّ في هذا الذى قلناه ما يشبع سؤال السيد س . عمر ـ بالكويت . و ع . لطفي ـ بالاسكندرية . خاصة، ولعل فيه الجواب الواضح .

قزقزة اللب

اما للسيدة رجاء . م ، فنقول :

ان التسلية بقزقزة اللب في دار السنما لا يصنعها من الناس الا من هم في مراتب من العيش خاصة . فالقزقزة قرقعة وتهويش . وشر من القرقعة رمى القشر على الأرض . هم لا يدركون ما يتجمّع من قشر ، ولكن يدركه الآخرون عند افتتاح الجلسة التالية . قذرٌ منتشر في القاعة لا يراه راء ويحسب صدْقا أنه تخلف من ناس كانوا فانصرفوا .

وليس معنى هـذا ان الناس لا يستمتعون بلذة الفم واللسان . ولكن معناه ان يتخير الناس ما لا يكون له صوت ، ولا يكون له من فَضْلة يلقى بها على الأرض . والشعوب العريقة في السنما من اهل الغرب واهل الشرق ، اما لا تأكل في السنما ، واما تحمل معها الى دورها الشكولاتة أو اللوز والزبيب ، وكلاهما لا فضل له ولا صوت .

ولقد رايت أنا بنفسى حادثا فريدا في فترة الاستراحة : أم واب وأولادهما يخرجان الطعام والأطباق والشوك والملاعق ، ويفرقونها بينهم ، ويفرقون بينهم الطعام تفريقا ، كأنهم في دارهم . انه عشاؤهم فضّلوا ان يكون بالسنما ، بالفترة ، بدل البيت . وأقرّ بأنى لم ار هذا الا مرة واحدة ، ولكنها تكفى للدلالة على اى حد ، من وراء حدود اللياقة ، تذهب القلة القليلة من الناس .

التدخين ممنوع

وللسيدة عنايات . م. نقول :

ان منع التدخين ساعة أو ساعتين يثقل كثيرا على من يدمنون التدخين من الرجال. ولكن الرجال تمتنع عن التدخين عامة في الدور التي يمنع فيها التدخين . اما أن تدخن المرأة في الدار فأمر يختلف فيه الناس . ولا يزال الحرج باقيا عند رؤية امراة تدخن على الملا هكذا اعلانا. المسألة ليست مسألة منطق ، كما تدعين ، وانما هي عادات تتحكم في الناس ، مع المنطق احيانا ، ومع غير المنطق احيانا .

وعي الجماهير

وللسيد ص. غ ، بليبيا نقول :

ـ ان وضعك كل اللوم على ادارات السنما ، من حيث تسكعها في العمل على انفاذ ما تتطلبه اللياقات في هـذه الدور ، فيه شيء قليل من طلب الشيء المعجز . ان مدير السنما يحاول أن يمنع هذا وذاك ، وهو يستطيع أن يمنع المخالفين ان كانوا واحدا أو اثنين . ولكن كيف يصنع ان كانوا عشرات . لا بد من رأي عام. لا بد من جمهور سنمائي يعتز بحقوقه ، فيصرخ عند المخالفات . ولكن هذا وعيٌ لا يستيقظ في السنما وحدها، ولكن كذلك في السوق ، والشارع ، وفي الحقوق عامة والمحرمات .. والوعي لا يكون الا عن نضج . ونضج الجماهير، كنضج اللحوم ، يحتاج الى وقت .. ومن اللحوم الخشن الذى لا ينضج الا بالبخار ، وتحت الضغط ، وعندئذ يسرع في النضج . ولكن ليس لجماهير الناس اوعية كهذه خاصة بالنضج السريع ، فتخرج فيهم الوعي الصارخ الذى هو اول شرط لكل حياة نظيفة كريمة ■■

الأفق الدولي

● يرى وزير الخارجية الأمريكية ان عام ١٩٦٢ يجعله يتفاءل بمستقبل الجنس البشرى ، ويجعله يؤمن بامكانية قيام تفاهم بين الدول . وهذا القول فيـــه تفريج عن النفس ، وتخفيف لحدة التوتر القائمة فى نفوس الناس جميعا .

ونحن ، اذ نحمد لوزير خارجيتنا تصريحه ، نحب ان نقول انه فى الوقت الذى يحس فيه وزير خارجية اية دولة بانه قد فقد مثل هذا الأمل ، فان عليه ان يستقيل حالا ليفسح المجال لآخر يحل محله يكون أكثر تفاؤلا وايمانا بالمستقبل .

جريدة « بفالو ايفننج نيوز »

كنز نملكه ولا نشعر به

● هل قرات عن ذلك الصبى الذى وجد كنزا ؟

انه « كيفن كريشلى » الطفل البالغ الحادية عشرة مـــن العمر والذى كان يساعد والده، الذى يهوى بناء القوارب، فى البحث عـــن الخشب .. وبينما كان الأب والابن منهمكين فى البحث عـــن الخشب الذى يلقى به نهر التيمس الى ضفـــافه ، عثرا على كنز من الفضة ، مغمور فى الطين ، بالقرب مـــن جسر تشلسى، تساوى قيمته آلاف الجنيهات.

الا تود انت ايضـــا ان يمر اطفالك بتجربة من هذا القبيل ؟

انهم يستطيعون ذلك ، ان اردت .

تعلمْ من والد ذلك الطفل أن تخرج بأبنـــائك الى الهواء الطلق .. ليكونوا بعيدين عن شاشـــة التلفاز ، والمسرات الاصطناعية .. قد لا يعثرون هناك على كنز دفين ، ولكن كل مـــا حولهم على ضفاف النهر ، وكل مـــا فى متنزهات المدينة وحدائقها ، هو كنز ثمين يستطيع ان يتمتع به كل المواطنين ، ولكنهم عن ذلك غافلون .

جريدة « الصنداى اكسبريس » لندن

بطل مجهول

● ان محبى الكلاب هدف سهل للساخرين. ومع ذلك فقلة هم أولئك الذين يستطيعون ان يسخروا من قصة ذلك الكلب الذى وجد جثة هامدة وبجانبه جثة « ايان بينتش » ، الطفل البالغ من العمر اربعة اشهر . فقد مات الاثنان فى حريق شب بمدينة مانشستر. وكانت أسنان الكلب تمسك بكل رقة ولطف بكتف الطفل ، فى محاولة لجره بعيدا عن النار .

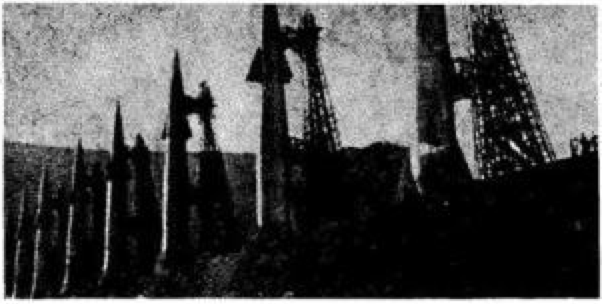

سباق التسلح

● تقوم الدول العظمى بزيادة تسلحها ، ومن شأن تلك الزيادة أن تزيد فى معدل النفقات السنوية ، كما انها تزيد فى قوة تلك الآلات الضاربة المدمرة ، مما يجعل المواطنين فى حالة قلق وذعر دائمين .

ومن الواضح ان روسيا والولايات المتحدة الأمريكية قد شرعت كل منهما فى تنفيذ مخطط يهدف الى ان تحاول كل منهما ان تكون متفوقة على الأخرى فى أسلحة الدمار والفتك . وهذا يضفى كثيرا من الكآبة على الوضع الدولى ، وهو نذير شؤم بما سيحدث فى مستقبل الأيام .

ان منافسة كهذه لا بد وان تؤدى الى جعل الدول العظمى اكثر فقرا ، واقل أمنا واطمئنانا . وما لم يكبح جماح هذا التسلح ، فانه سيؤدى فى الدرجة الأولى الى افتقار هاتين الدولتين ، ومن ثم الى دمارهما .

وخلاصة رأينا انه كلما زاد انفاق هاتين الدولتين على التسلح لتأكيد سلامتهما وأمنهما ، كان ما تحصل عليه كل منهما من هذا الأمن اقل .

جريدة « واشنطن بوست »

الجراح القديمة

● لا توجد حكومة بدون اخطاء ،واقل هذه الأخطاء حكم لا يقوم على تطور ديمقراطى طويل الأمد ، واسواها حكم بنى وجوده على حب الغلبة والاستعمار ، كما هو حال البرتغال اليوم .

وفى رأينا انه لا يمكن أن يستتب السلام ، أو يتحقق تعاون وثيق بين البلاد الغنية والفقيرة ، طالما كان النظام الاستعماري قائما فى اى مكان. وبالرغم من أن ما بقى من هذا النظام الاستعمارى ليس الا بقايا ضئيلة .. الا انها ببقائها ستبقى الجراح القديمة غير مندملة ، باعثة للذكرى المؤلمة .

صحيفة «اريد ربلاديت» ـ اوسلو

لقد كان باستطاعة هذا الكلب ان ينجو بدون اية صعوبة .. ولكنه تغلب على غريزة حب الحياة ، وراح يحاول انقاذ حياة طفل آدمى .

ان هذا الكلب لن يحصل ابدا على جائزة تقديرية لقاء عمله البطولى ، ولكنه بعمله هذا قد برر ذلك الحب الذى يسخو به بعض الناس على الكلاب .

جريدة « الغارديان » ـ منشستر

الشطرنج

بقلم : لطفي ملحس

■ان لعبة الشطرنج التي ذاع صيتها ، وانتشرت في كل بقاع الأرض ، واصبح اتقانها مدعاة فخر وتنافس الأفراد والدول ، ليست في الحقيقة لعبة للتسلية وقضاء الوقت ، بل هي رياضة عقلية ، وسبيل لتدريب الذهن على التدبير ورسم الخطط.

الفكر ، لا الحظ ، عماد الشطرنج

والظاهر ان سر الشطرنج وسحره يتوقف اولا على المآزق الحرجة التي يتعرض لها المرء ويحاول ان ينجو من محنتها بطرقه الخاصة ،ويورط فيها خصمه . واذا كانت هناك لعبة واحدة في العالم لا دخل للحظ أو الصدف فيها اطلاقا فتلك هي الشطرنج ، فاذا خسر اللاعب فلا يلومن الا نفسه .. ولهذا السبب بالذات يندر ان يتحدث لاعبان احدهما مع الآخر ، لا بد على اللاعب ان يفكر كثيرا ، ويشغل عقله في هدوء وسكينة وهو يحرك قطعته ليتحاشى تعريض قطعه الأخرى للخطر ، وفي نفس الوقت ليهدد قطع خصمه وينتصر عليه .. فتركيز العقل والمثابرة والجلد من مقتضيات الشطرنج .. انه صراع واقتتال في معركة ينتصر فيها الفكر الهادىء النير المشرق فقط .. وقبل الف ومئتي سنة تقريبا كان قال الامام الشافعي في وصف الشطرنج : « انه تمرين للذهن وترفيه عنه » .

الشطرنج جيشان يتقاتلان

والشطرنج هو جيشان يتقاتلان . فيه كل ما يقع في الحروب من هجوم ودفاع ، وخدعة ومداورة ومحاورة . وفيه كل ما في الحروب كذلك من هزيمة ونصر وتعادل . وهدنة وصلح . يرى اللاعب هذه المعركة مبسوطة امام ناظريه فوق رقعة من الخشب او العاج او الابنوس كما يرى العتاد الحربي والرجال المحاربين . وكل يؤدي واجبه في حدود الطاعة والنظام . فما أروعه واجمله من منظر !!

الشطرنج منشاه الهند

تضاربت الآراء بصدد تاريخ الشطرنج ، فالبعض يقول ان الانسان عرف لعبة الشطرنج قبل ستة الاف سنة ، وان هذه اللعبة ستبقى على مر الزمن ما دام الانسان تواقا للمنازلة والمصارعة . ويؤكد الكثيرون ان الشطرنج عرف أول ما عرف في الهند . وقد ذكر (فون درلاند) المؤرخ الالماني للشطرنج والمرجع الثقة في تاريخه « ان الهندوس الذين حرّم عليهم القتل وسفك الدماء اخترعوا الشطرنج للقتل البريء ، القتل الذهني » ..

وقال القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » : « الشطرنج من أوضاع حكماء الهند وضعه« صلصة

حرم عليهم دينهم القتال، فجعلوا من رقعة

الشطرنج ميدان حرب لا تُسفك فيها دماء

ابن داهر الهندى » ملك الهند « يلهب » مساواة لاردشير بن بابك فى وضعه النرد . وعرضه على حكماء زمانه ، فقضوا بتفضيله ثم عرضه على الملك وعرفه أمره » .

وجاء فى الموسوعة البريطانية : « .. وان الهندستان هي مهد الشطرنج . وان زوجة (رافان) ملك سيلان هي التى اخترعته . وانتقل من الهند الى الفرس فى القرن السادس الميلادى » .

وفى آداب الهند ، الآداب السنسكريتية ، التى ترجع الى القرن السابع الميلادى ما يوحى بأن الهند هي موطن اللعبة ، وقد ظهرت فى الشمال الغربي ، أو فى أعالى حوض نهر الجنج .. وتقول احدى النظريات ان الرهبان البوذيين هم الذين اخترعوا الشطرنج بدل الحروب التى لا توافق عليها دياناتهم ، بل تنهى عنها أشد النهى . ومن المؤكد ان اللعبة حربية فى أساسها . فالقطع كالفيل والفرس والمشاة هى عماد الجيوش التى تتحارب فى الهند وقت اختراع اللعبة . وعرفت أول تسمية هندية لهذه اللعبة باسم (شاتورانجا) وهى تسمية هندية تعبر عن أسلحة الجيش الهندى الأولية، العربات، والجياد والأفيال ، والمشاة .. وبانتقال هذه اللعبة الى الغرب أصبحت الأسماء : الرخ (القلعة) الفارس (الحصان) الطران (الفيل) والبارون (البيدق) ..

ومما يذكر ان الهندوس كانوا أحضروا لعبتهم الى بلاد فارس . ومن المعتقد ان الهنود أنذروا الفرس انهم اذا لم يحلوا أسرار الشطرنج عليهم ان يدفعوا الجزية ..وهب الفرس يدرسون الشطرنج حتى حلوا أسراره وبرزوا فيه . وما زالت للآن ألفاظ الفرس ظاهرة فى هذه اللعبة ، أهمها (شاه مات) التى تعني (مات الملك أو غلب) ..

العرب نقلوا الشطرنج الى أوروبا

انتقلت اللعبة من الهند الى ايران ، ثم الى انحاء العالم بعد الفتح الاسلامي . والعرب زعماء الحضارة والمدنية فى العصور الوسطى هم الذين نقلوا الشطرنج الى اوروبا بعد أن احتلوا جنوب أسبانيا ومن هناك انتشرت فى أوروبا الجنوبية ، وانتقلت الى فرنسا المتأثرة بالفروسية فى عصر النهضة .. وقد نقل العرب الشطرنج الى اوروبا بعد أن هذبوه ونظموه على رقعته وهيئته الحاضرة .

يقول (الفونس) الحكيم الاسبانى فى مخطوطته (فى كتابه الالعاب ج ٢) ـ « وللمرة الاولى دخل الشطرنج بلاد أوروبا سنة ١٠٠٨ » .. وفى هذا المخطوط صورة رقعة الشطرنج عليها صورة عرب يلعبون بها وبجوارهم صورة أخرى تمثل عازفين وبأيديهم آلات الموسيقى ، اذا طلب اليهم العزف بها ، فى نهاية كل دور ، فسرعان ما يعزفون ... ومخطوط الفونس الحكيم محفوظ فى مكتبة الاسكوريال من القرن الثالث عشر الميلادى ..

النابغون فى الشطرنج من العرب

اما فى بغداد فكانت قد انتشرت اللعبة انتشارا عظيما ، وشجع ، على انتشارها محبة الخلفاء كهارون الرشيد وغيره لها ، وممارستهم اياها، وعقد المباريات فى قصورهم بين أقدر اللاعبين ، ومنح الجوائز السنية للفائزين .. واعتبر القرنان التاسع والعاشر عهدا ذهبيا للشطرنج بين المسلمين.. ففيه ظهر أبطال كبار مثل العادلى والراضى والماوردى والصولى وغيرهم . وهذا الأخير وهو (أبو بكر الصولى) قد كان من نبغاء الشطرنج ، وكان نديما للخليفة المستكفى ، عالما أديبا ، له مصنفات جمة تدل على سعة اطلاع ودقة بحث . وكان يلعب الشطرنج مستدبرا ، وطارت له فيه شهرة مستفيضة . وتوفى سنة ٣٣٦هـ .

وممن برعوا فى اللعبة أيضا (أبو بكر بن عمار) الذى ذاعت شهرته فى بلاد الاندلس كرجل شطرنج وسياسة حتى كان ملوك الروم ينعتونه برجل

الجزيرة (حسبما جاء في تاريخ الاندلس لمحيي الدين بن محمد بن علي التميمي) ..

اما من النساء فقد كانت برعت في الشطرنج (حبّابة) جارية يزيد بن عبد الملك . ومما يذكر ان الرشيد عندما توثقت العلاقة بينه وبين شارلمان ملك فرنسة ، أرسل اليه الهدايا الكثيرة ومن بينها شطرنج ثمين صنعت احجاره من العاج النفيس . ولا تزال قطعة من قطع ذلك الشطرنج محفوظة في متحف باريس حتى الآن .

نابغة الشطرنج « ابو القاسم التوزى »

اذا ذكرت ابطال الشطرنج عند العرب فان هذا الرجل ، باجماع آراء الشطرنجيين ، يحتل مقام الصدارة بين ابطال اللعبة ، حتى ان نبوغه وتفوقه فيها قد جعلاه يعرف بكنية (الشطرنجي). وقد جاء ذكره في المصادر الاجنبية للشطرنج على انه احد افذاذ هذه اللعبة . وابو القاسم هذا قد وجد في اواسط القرن الثالث للهجرة . وقد كان من ضروب تفننه في الشطرنج ، انه كان يلعبه وهو لا ينظر الى رقعته بل يدير لها ظهره جنبا ، ورغم ذلك فانه ينتصر على خصمه انتصارا باهرا .

ابن الرومي يمدح ابا القاسم ويصف لعبه

وكان قد مدحه الشاعر المشهور ابن الرومي في قصيدة عصماء دعيت (بالشطرنجية)، وقد جاوزت المئة والخمسين بيتا ، بعث بها اليه معاتبا له وواصفا براعته في هذه اللعبة وصفا دقيقا رائعا . ومطلعها هو :

يا اخي اين عهدُ ذلك الاخاء
اين ما كان بيننا من صفاء

ويقول فيها :

ومما هالني وحيـر عقلي
اخذك اللاعبين بالباساء
واحتراسُ الدهاة منك وإه
صافك بالاقوياء والضعفاء
عن تدابيرك اللطاف اللواتي
هن اخفى من مستسرّ الهباء
فاخال الذى تدير على القو
م حروبا دوائر الارجاء
غلِط الناس ، لستَ تلعب الشط
رنج ، لكن بانفس اللعباء
لك مكرٌ يدبّ في القوم اخفى
من دبيب الغذاء في الاعضاء

ومنها قوله :

تقتل الشاه حيث من الرق
عة طبّة بالقتلة النكراء
غير ما ناظر بعينك في الدَّ
ست ، ولا مقبلا على الرسلاء
بل تراها وانت مستدبير الظهـ
ـر بقلب مصوّر من ذكاء

فهو يقتل (شاه) خصمه قتلة نكراء . زعم انه يولي الرقعة ظهره حتى ان من يراه يظن ان له عينين في قفاه :

ربّ قوم رأوك ريعُوا فقالوا
هل تكون العيون في الاقفاء

وكان ابو القاسم التوزى يلاعب سبعة خصوم مرة واحدة ويتغلب عليهم جميعا ، ويقول في ذلك ابن الرومي في القصيدة نفسها :

ويلاقيكَ سبعةٌ فيظلو
ن على ظهر آلة حدباء
تهزم الجمع اوحديًا وتلوى
بالصناديد ايماء الثواء

والجدير بالذكر ان ابن الرومي رغم ذكائه كان يفشل في هذه اللعبة وهو يحاول البراعة فيها ، فكان يطلق عليها (بالوعة العقل !) حيث يقول :

تمرّستُ بالشطرنج حتى عرفتُها
فان صح رأيي فهي بالوعةُ العقل !

المامون يصف الشطرنج شعرا

قال عالم الخلفاء المامون يصف الشطرنج :

ارضٌ مربّعةٌ حمراءُ من آدَمٍ ..
ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبَها
من غير ان يسعيا فيها بسفك دم
فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة
في عسكرين ، بلا طَبْلٍ ولا علَم

وابن المعتز يعلى من قدره

وقال ابن المعتز يمتدح اللعبة ويصف مجلسها

يا عائبَ الشطرنج من جهله
وليس في الشطرنج من باس
في فهمها علم ، وفي لعبها
شغل عن الغيبة للناس
وتشغل الهائمَ عن حزنه
وصاحبَ الكاس عن الكاس
وصاحبُ الحرب بتدبيرها
يزاد في الشدة والباس
واهلها الحرب بتدبيرها
من خير اصحاب وجلاس

طريقة شطرنجية

جاء في كتب العرب ان اثنين من المسافرين العرب في العهود الماضية كانا يقطعان أجواز الصحراء على ناقتيهما ، فصارا يلعبان الشطرنج قتلا للوقت دون قطع ، بل بالتصور وحده . ولما اقتربا من الحي الذي يقصدان لاح لاحدهما لو ان خصمه نقل (الفرس) من مركزها في اليمين الى موقع آخر في الوسط لكسب الشوط . فآثر ان ينقطع عن اللعب بحجة وصوله الى منزله ، وبعد قليل أدرك الآخر ما لاح لزميله ، فذهب اليه يطلب استمرار اللعب فأجابه بالرفض وشرح له السبب .

طريقة شطرنجية أخرى

ومما يحكى ان الذى ابتكر هذه اللعبة قد نال حظوة عند الملك ، وانه عرض عليه اموالا وذهبا . ووعده ان يحقق له ما يطلبه . ولكن ذلك العالم لم يطلب شيئا سوى ان يضع الملك حبة واحده من القمح في المربع الاول من مربعات الشطرنج ، وان يضع حبتين في المربع الثاني واربع حبات في الثالث وثماني حبات في الرابع وهكذا يضاعف حبات القمح في كل مربع تالٍ حتى يملأ جميع المربعات.. فاستهون الملك هذا الأمر اولا ولكنه وجد في الاخير انه يصل الى ارقام خيالية لا يتصورها العقل قبل ان يبلغ ثلث مربعات الشطرنج ، وانه عاجز هو ورجاله لا محالة عن اتمامها . فاعجب بذكاء هذا العالم ، وبالغ في اكرامه .

الشطرنج في الوقت الحاضر

وللشطرنج الآن اندية خاصة منتشرة في كل قطر بل في كل مدينة ، ينتسب اليها اللاعبون مهما اختلفت اعمارهم وبينهم الرجال والنساء على السواء . وتجد في كثير من الصحف اليومية والاسبوعية والمجلات الشهرية في بلاد الغرب زاوية خاصة للشطرنج ، ومما يجب ذكره ان بعض الحكومات اعارته كثيرا من الاهتمام والتشجيع فاباحت ممارسته في المدارس الحكومية اعتقادا بانه ينمي الفكر ويساعد على رفع مستوى الذكاء عند الصغار . كذلك روسيا شجعت هذه اللعبة كثيرا ومنحت ابطالها جوائز كبيرة فنبغ فيها كثير من اللاعبين . ولا ينافس روسيا اليوم في هذا اللعبة سوى امريكا .

■■

لطفي ملحس
مدرس الاجتماعيات في الكلية العلمية الاسلامية
عمان ــ الاردن

المرأة والفلاسفة :

- قيل لسقراط : اى السباع أجسر ؟ ..
  قال : المرأة !
- كتب فيلسوف على بابه : ما دخل هذا المنزل شر قط
  فقال له بعضهم اكتب : الا المرأة !
- المرأة شر كلها .. وشرّ ما فيها أنه لا بد منها .

مأساة غرام بدوى

قصة واقعية

العلمين

بقلم : سنية قراعة

سمعتهم يتحدثون عن « العلمين » .. عن القرية التى تمت فيها معجزة حولت مجرى الحرب الاخيرة والتاريخ .. فلم يكن الحديث حديث قتال ، بل قصة حب عذرى لا يعرفه غير ابناء البادية ...

■ رمال وليل ، ووحدة تؤنسها اغنية شعرية سالجة ، يرددها صوت طروب ، استخفته نشوة الظلمة ، واخذه جمال الصحراء .. فظل يغني ويغني ، والرمال تنصت، والليل يسمع . والوحدة يتمالم جلالها ..

واخذت أصغى ذاهلة الى الشادى الغريب ، وهو يروى فى لهجة بدوية عذبة ، قصة .. اخذت تتوارد بخيالى .. فرحت اتابع النغم وكانى اعيش فى مساريه ، والمح فى تراجيعه الشجية اطياف عرائس الصحراء !!

وبعثت شاعرية الليل الى خيال الرجل ذكرى شجن قديم ، فعلا صوته وتلوثت انغامه ، وكانه اراد ان يحرك مع النغم حبات الرمل الساكنة ، لتكشف له عن سر طوته الايام ، واصر الشادى على ان يعيد اليه الحياة من جديد وهو يقول بلهجته البدوية :

« رحيمينْ ماتُوا من اسبابِ الغَيَا
بلاذنْب اجْتلوهْ ، لاخطَا ، لاسيَا (١)
نَظيفْ غَلاَهمْ .. شريفْ حبُهم
كيفَ الْحليبْ تْنَاهمْ (٢)
عِزازْ تنفّس ما يومْ إبليس غوَاهمْ
نفوس عالية ما هى نفوس دَنيّاً (٣)

★★★

ادْرَدْرَصفَاهمْ ... والزمان دَهَاهمْ (٤)
« بشر رماهم .. قُتلوا في بَريّا
« غَلاَهم كامل .. في الحب لا ينْجَاملْ (٥)
« أنظافْ التعاملْ .. صادْقين النيّا «
« أولادِ الأرامل .. خرّبوا دِعيّاً (٦)

---

(١) رحيم : مرحوم . الغيا : البغى والظلم . اجتلوا : اقترفوا . سيا : سيئة .

(٢) غلاهم : شرفهم الغالى . كيف الحليب تناهم : كيف انثنوا من الخلق الطيب الذى يتمثل بالوراثة فى حليب امهم الطاهرة .

(٣) دنيا : دنية ـ (٤) ادردر : تعكر ـ (٥) غلاهم : شرفهم

(٦) اولاد الارامل : تربية الام دون الاب وهى تربية ناقصة . دعيا : كثيرا

« غلاهُمْ وافي .. لاجافيهْ في الحب ،
لا هُــو جافِـي (٧)
« ان غاب يوم تدبدبْ تزيد رباقي
يسيل دمعها فوق الخدود ميّاً (٨)
« يوم قُتلْ سألتْ عليـه السـاقي
تنوحْ تقولْ يتيمْ فاقد بَيّـاً (٩)
« زاد بكاها ... يوم قُتِلْ ساعةْ
جَلِيسْ حَدَاهـــــا (١٠)
تَمنّتْ تْمـوتْ معاهْ في صبــاها «
« وتدفعه حِدّي لحْده تكون هَنيّاً
على أسبوعها طالتْ عموم مناها (١١)
« قُتْلت على قَبْرهْ بغيرْ جَنِيّــا

★★★

« أولادِ المحبـة تِعـرفوا رُتَبْهم ...
كيف المجاهـدْ في المقابر حيّاً (١٢)
« ومعاهم مَلَكْ مواظبْ على خِدْمتهم..
يُجيبْ الطلب لا أجر ، لاماهيّاً(١٣)

ووجدت نفسي اترك مكاني يوحي غامض ، لاسير الى حيث مصدر الصوت ، كي ارى ذلك العاشق الذى احالت اغنيته النسائمَ المتكاسلة . اهزوجة راقصة من اهازيج الهوى ، رنت فى آفاق البيد تراجيعها ، ودوت فى القلوب اصداء رنينهـا ... وضحك الشيخ جلال ساعة رآني ، واسعده ان اغنيته قد اثارت فضولي . وسارع يصحح الوضع خشية ان اظن انه يذكر غراما مضى او حبا طافت به ذكراه ... وسالني ان اشاركه جلسته لاقف على سر الاغنية واعرف قصة ابطالها ..

وعبث الشيخ جلال بعصاه فى كومة النيران الخابية ، فتوهجت بعض الشيه ، ومشـ... فى رمادها الحمرة ، وتعالت السنتها ذات الحواف الزرقاء ، راقصة فى فورة جعلت الشيخ يهز رأسه فى ثقة الفيلسوف المجرب ، ثم تنهد وقال :

ـ وكذلك يبعث الماضي من بين طيات زمن تولى حين تهاجنا ذكراه، فتحركه بدوافع الشجن لنركن اليه ونعيش على اخيلة صوره الحبيبة ...

انها قصة حب يا ابنتي !! وانه لمن الغريب ان تسمعي شيخا مثلي يتحدث عن الحب !!

ولم ارد ان اجادل الشيخ فى حديث مداره حب وتشبيب وصبوة ، اذ كان بي شوق غالب الى سماع قصته التى بدأها بقوله :

ـ سأقص عليك قصة « العَلَمَين » ... انه اسم تعرفونه جيدا . ولكنكم لا تعرفون مدلول هذه الكلمة « العلمين » ولا سرها ...

كان ذلك منذ عهد بعيد ، لا استطيع ان احدده تماما . ولكنه على اي حال عهد عاش فيه اجدادي.

وكانت تسكن تلك البقاع قبيلتان مـن اهـل البدو ، لم يربط بينهما الجوار باخاء او مودة ، بل شاءت الظروف ان يعيشا فى تنابذ وخصـام وشقاق ..

« وبالرغم من انه كانت تجمعهما بقعة واحـدة من ارض الله ، فان العداوة الناشبة فى القلوب والمتغلغلة فى الدماء ، ابت الا ان تقيم بين الاثنتين

(٧) غلاهم : شرفهم . لا هي جافية ولا هو
(٨) تدبدب تزيد رباقي : تذب من الضعف وتزيدمن مرض الرباق الذى هو نحول واصفرار
(٩) سألت عليه ساقي الندوة ، وتنوح تظن انهيتيم فقد اباه . وتسأله وهي تعلم ، لانه قتل وهو الى جانبها .
(١٠) قتل ساعة الخ : قتل وهو جالس الىجانبها
(١١) لم يمض عليها اسبوع حتى نالت مناهابالموت من بعده
(١٢) الاحباب مراتب . والمحب مثل المجاهديبقى بعد الموت حيا
(١٣) ومع الاحباب بعد الموت ملك يقوم بخدمتهمبدون اجر

... وعرفت « عالية »
انهـا تحب قاسمـا
وتفنى فيه غراما ...

شبه سد ، كانت تقوم الدنيا وتقعد لو تجاسر فرد من احدى القبيلتين واجتازه أو مرَّ به !!

واعتادت « عالية » الصغيرة ـ ابنة شيخ احدى القبيلتين ـ أن تخرج بغنيماتها مع مطلع كل صباح الى المرعى ، وتسوقها حتى تلك المنطقة المحرمة ، فتقف بعيدة عنها ..

وشاء القدر ، أن يخرج « قاسم » الصغير ابن شيخ القبيلة الاخرى ، باغنامه هو الآخر فى ساعة البكور ، فيسير بها حتى يصل الى المنطقة المحرمة فيرابط بعيدا عنها ...

واعتاد الصغيران الساذجان أن يرى كل منهما الآخر فى تلك الساعات الباكرة ، العليلة النسائم ، فكانا يتبادلان نظرات الدهشة لتجافيهما دون سبب، وصمتهما الذى يطول مع سير الوقت حتى تحين ساعة العودة ..

وكأنما كره الصغيران أن يرثا دون جريرة كراهية حمقاء ، زرعتها تقاليد جائرة ، وان يملأ بالبغضاء قلبيهما الساذجين .. فلم يلبثا ان هانت فى عيونهما البريئة مظاهر الحقد التى ملأت نفوس الأهل جميعا ، فتبادلا فى خفر تحية اللقاء فى الصباح وتحية المساء عند الفراق ..

ودار الزمن ... وشعر الصبيان بشعور أبعد مدى من التحية ، فتبادلا حديثا ساذجا دون ملال ، نسيا خلاله المنطقة المحرمة التى كان قاسم

يجتازها مرة ، وكانت عالية تجتازها مرات .

واحس الاثنان مع كر الأيام ان كليهما ألزم لصاحبه من نفسه ، فكرها ساعات العودة ، وتمنيا لو ظل النهار أبديا لينعما بالجلوس الهنيء ، ويودان الا يأتي الليل ابدا !!

وشب الصغيران وكلاهما في عجب من امر نفسه ومشاعره !!

كانت ترى فيه كل شيء ... وكان يؤمن بانها دنياه وانها أكثر من حياته وأعز من روحه ...

واعتادت ـ وقد شبتا ـ أن ترقبه في خفر العذراء ودلالها .. واعتاد بدوره أن يرقبها في خشوع ، وأن يتطلع اليها في سعادة ممزوجة بالخوف !!

كانت الصحراء المنبسطة امامه مليئة بالاشواك الجافة والأعشاب البرية ... وكانت « عالية » تبدو له وكانها زهرة فواحة العطر بديعة الهيئة ، اراد الله ساعة أنبتها له أن يسعد بها قلبه ويحمله الى جنة وارفة يحلم بها ساكنو البيد ..

وعرفت « عالية » انها تحب قاسما وتفنى فيه غراما !! وآمن قاسم بانها معبودته التي توجته اليها باحاسيس القلب ، ويسالها نعمة الراحة وسعادة البقاء ليقوم على خدمتها ويعمل على ارضائها ..

وامتد على العاشقين رواق الهوى ، واظلهما وارف الحب ، فغمرتهما سعادة اللقاء ، وانستهما عشيرتيهما وبدات الشائعات تحوم حولهما !!

وثار الأهل .. وزمجرت التقاليد الظالمة تطالب بالانتقام..فقد كبُر على النفوس أن تذلها «عالية» وعز على الرجال ان يضع ابن الشيخ أنوفهم في الرغام ..وتشجع عالية ابن العدو الألد على اجتياز المنطقة الحرام ، ساعيا الى تملك سيدة العذارى وابنة الكرام !!

واسرع ماجد الشرير ، ابن عم الفتاة والطامع في زواجها ـ الى مكان اللقيا ، وفي نفسه ما فيها من غل وحقد ـ حيث وجد الحبيبين في جنة هواهما .. وقد اذهلهما الحب عن الدنيا وما فيها !! فلم يتمهل .. وسرعان ما أطلق على غريمه قاسم مقذوفا ناريا خر على أثره صريعا يتخبط في دمه !!

وفزعت عالية واطلقت صرخة مدوية .. ونظرت .. فوقع بصرها على القاتل .. فشهقت شهقة قاتلة ، وخرت على حبيبها القتيل تضمه الى صدرها وتصبغ وجهها من دمه الزكي !!

ثم .. جف دمعها فجاة . وكانما غشيتها غاشية من الذهول !! ونهضت تترنح ... ثم غادرت مكانها صامتة .. وسارت بخطى حزينة ، تاركة جثة الحبيب ، لياخذها اهلوها ..

ولما كان من عاداتنا القديمة ان يدفن القتيل حيث قتل ، فقد قام اهل قاسم بدفنه في اعز مكان الى قلبه .. ثم عادوا الى ديارهم يجللهم الصمت وتشملهم سكينة كتلك التي تسبق هبوب الاعصار المدمر !!

وقام الشر يسعى من جديد ، الى قلوب احست بان الماضي قد تجددت مآسيه ، ووسع مقتل قاسم رقعته !! وان على الرجال الذين لا تنام لهم عين في سبيل الثار ، ان يجعلوا السماء تنطبق على الارض، ولتبيد الدنيا ويفنى العالم !!

وراحت عالية المسكينة تجاهر بالتمرد على اهلها .. وبدات تخرج علانية الى مسرح هواها ، فتطوف بقبر القتيل وتلقى فوقه أكواما من الحصى ليعرف كل من يراه ان ثاره لم يؤخذ بعد !! لتثير في نفوس اهليه المتحفزين شهوة الدم فيعجلوا بالانتقام !

وعرف أهل عالية أن ابنتهم لم تكتف بجرمها السابق بعشق ابن العدو .. بل راحت تثير عليهم اهله وتضع الحصى على قبر القتيل ، لتقيم قيامة الدنيا وتقضي بالفناء على مئات الرجال !!

وضاعت عبثا محاولات أبيها الشيخ ليردها الى جانب عشيرتها وليمنعها من الطواف بقبر القتيل او الذهاب اليه .. ولم يجد ازاء اصرار الفتاة على تقديس هواها ، وامام عاطفته الجارفة حيالها .. الا ان يترك الأمر الى غيره ، عساه يستطيع أن يفعل ما عجز الأب الشيخ عنه !

وراح ماجد يراقب ابنة عمه .. حتى شاهدها ذاهبة الى حيث رقد الحب والحبيب .. فتبعها دون أن تشعر .. ووقف عن كثب يرقبها وهي تضع الحصى على القبر .. وتطوف حوله عدة مرات .. وتتوقف ، محدقة في القبر كالذاهلة !!

وكاد ماجد يرجع متحسرا .. لولا أن شهد عالية

وقد تخاذلت راكعة الى جوار القبر ، وكأنها أرادت ان تحتضن الى صدرها ذلك القبر العزيز !!

ولم يشعر الا وقدضغط اصبعه علىزنادالبندقية .. فخرت العاشقة على قبر حبيبها ، تندى ثراه بالدم الزكي ، فيمتصه قبر الحبيب .. !!

وثارت ثائرة الصحراء .. وانقسمت العشيرتان الى مذاهب .. وخرج الاب الشيخ الى مكان ابنته ضحية الوفاء وشهيدة الحب ، ليواريها التراب ، في نفس المكان الذي قتلت فيه بجانب الحبيب الشهيد !!

واجتمعت الجموع في ذلك المكان.. وكانت الفرصة لعائلة قاسم مواتية للانتقام ، فاسرعوا الى هناك..

ولم يكد الشيخ المكلوم ينفض يديه من دفن وحيدته ، حتى هاله ان يرى امامه جموع اعدائه وقد بان في عيونهم الشر وواتتهم فرصة الاخذ بدم قاسم !!

وتخلص الشيخ في سرعة من احزانه .. ونظر الى عشيرته ، ثم الى عشيرة عدوه .. وكبر في عينيه ان يفنى هؤلاء الابرياء من اجل تقاليد باليةلمتورثهم غير الوبال !!

ووجد نفسه يترك مكانه ويسير مجتازا المنطقة المحرمة .. ثم وقف امام غريمه شيخ القبيلةالاخرى ووالد قاسم ..

وتبادل الشيخان الثاكلان نظرات ، علم الله معناها ! ودارت في راسيهما افكار عديدة .. وخيم عليهما صمت احتبست خلاله الانفاس ، واذا باحدهما يقول لغريمه :

ـ لعل القدر ارادهما لحكمة لا ندريها .. كان ابنك « علما » فرآى كبده مقتله !! وكانت ابنتي هي الاخرى « علما » حطمتني قتلتها !! ألا نستخلص من ذلك عبرة ، نعرف منها أن للقدر دائما حكمة حين يريد ان يخالف رغبة الانسان ؟!

سأقيم لهما قبرا ، واسميه «قبر العلمين» وليكن لنا كتاب مهادنة واخاء منذ اليوم !!

★★★

وسكت الشيخ جلال ... وراح يعبث بعصاه في رماد النيران التي خبت ، وهو يتمتم بلهجته البدوية اغنيته الحزينة :

ربنا بدلهم.. بدار خلد من دار الفناءحولهم
ومعاهم ملك في الجنة يشيل حللهم
ومعاه خمر من صافي الشراب نقيا
بلا ذنب يا ويله اللى قاتلهم
النار حامية تشوى الوجوه الرضية ! !

ثم رفع نحوي راسه وقال في نبرة هادئة :

ـ وتلك كانت « قصة العلمين » ..

واجبته كالحالة دون وعي :

ـ ويالها من قصة !!

وغمرنا الصمت مرة اخرى .. والقيت بالبصر بعيدا .. بعيدا في جوف الصحراء .. ومرت لحظات خيل اليّ معها انى كنت أنصت خلالها الى صدى يتردد من بعيد..وبدت لعيني اطياف عديدة ملات ، لكثرتها صفحة الصحراء ومن بينها استطعت ان اميز طيفيْ « العلمين » ، قاسم وعالية !!

■■

سنية قراعة

أمير بحر يكتب من سفينته الى زوجته

● لا تنشّئي بناتنا ليكنّ سيدات في المجتمع نابهات . علّميهن عِلْم هذه الدنيا التي نعيش فيها ليستطعن تدبير امورهن حين لا نكون ، نحن الأبوين ، الى جانبهن تدبّر لهن . بلّغيهنّ تحيتي وعطفي وحناني .

الأميرال لوكنج وود

التعليم الابتدائى والمتوسط فى الكويت

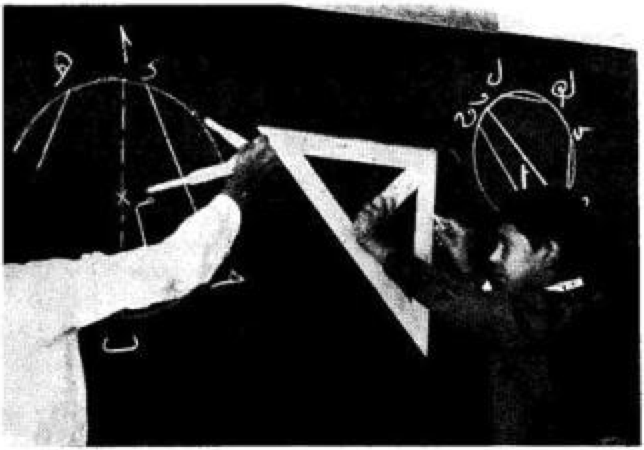

في عام ١٩٣٦
لم يكن بالكويت
سوى مدرستين
لا تضمان أكثر
من ستمائة تلميذ..
أم اليوم فقد أصبح

فى الكويت ١٢٨ مدرسة
يتعلم فيها ٤٥١٥٧ تلميذا وتلميذة

■ رأينا فى استطلاع « الفتاة » الكويتية فى التعليم الثانوى « فى العدد التاسع والثلاثين من « العربى » ، كيف نشأ التعليم فى الكويت نشأته الأولى فى « كتاتيب » المطاوعة والمطوعات .

أما أول مدرسة نظامية فقد أنشئت قبل خمسين سنة ، قامت بتأسيسها جماعة من التجار ، واشترك فى التدريس بها مدرسون من البلاد العربية ، ولم يكن لها برنامج معين بل كانت الغاية الرئيسية منها تخريج كتبة لمسك الدفاتر وكتابة الرسائل التجارية .. ولما انتهت الأزمة المالية العالمية التى كانت آثارها قد امتدت الى الكويت وبدأ الاقتصاد الكويتى يزدهر من جديد ويسترد قوته ، طلب التجار من الحكومة فرض ضريبة خاصة للانفاق على التعليم الذى كان قد ركد بفعل الأزمة ، فاستجابت الحكومة وتألف أول مجلس للمعارف ، واستقدم المدرسون من البلاد العربية ، ووصلت أول بعثة عربية للتعليم من فلسطين . واخذ التعليم يسير بخطوات ثابتة نحو التوسع الى أن اكتشف النفط عام ١٩٤٥ فأخذت الخطى تتسع بصورة ملحوظة .

مدرستان تصبحان ١٢٨ مدرسة

لم يكن عدد المدارس فى الكويت عام ٣٧/١٩٣٦ يزيد على مدرستين ابتدائيتين للبنين . وفى عام ٥١/٥٠ كان مجموع المدارس ٢٦ مدرسة أى أن العدد تضاعف ثلاث عشرة مرة فى فترة لا تزيد على ١٥ سنة . وفى العام الدراسى ٥٥/٥٤ كان عدد المدارس ٥٢ مدرسة وفى عام ٦١ بلغ ١٢٨ مدرسة أى ٦٤ ضعفا فى خلال ربع قرن . وبعبارة أخرى يمكن القول أن عدد المدارس فى الكويت قد تضاعف

طالبات احدى المدارس في الحديقة وقد جلس بعضهن على الحشائش يستذكرن دروسهن بينما يستذكرها الاخريات وهن سائرات في ممرات الحديقة وفي الصورة السفلى عضوات الجمعية الصحية يشاهدن تمرينا عمليا على تضميد الرأس .

فى الصورة العليا الفرقة الموسيقية فى احدى مدارس البنات وفى الصورة السفلى قاعة المكتبة وقد انتشرت الطالبات فى أنحاء القاعة يطالعن ما يستهويهن من الكتب .

بنسبة متوالية هندسية كل ثلاث سنوات ونصف تقريبا .

اما عن ميزانية التعليم فلم تكن تزيد عام ٤٣/١٩٤٢ عن ٣١١٢٩ دينارا . ثم بلغت ذروتها في السنة المالية ١٩٥٩/١٩٥٨ حين وصلت ١٤٥٢١.١٥ دينارا ، (الدينار الكويتي يعادل جنيها استرلينيا) وكان مجموع ما أنفق على التعليم في السنوات الخمس المنتهية في ١٩٦١/٣/٣١ ما مجموعه ٤٢٢،١١٦،٧٢ أي ما يعادل ١٢ مليون دينار تقريبا في السنة ، أي ان نصيب الفرد الواحد من مجموع السكان مما ينفق على التعليم ٤٠ دينارا سنويا .

وستمائة تلميذ يصبحون ٤٥ الفا

اما عدد الطلاب فقد كان مجموعهم في العام الدراسي ١٩٣٧/١٩٣٦ ستمائة تلميذ ولم يكن تعليم البنات في تلك السنة معروفا في المدارس الرسمية . وأول دفعة من الطالبات التحقت بالمدارس كانت مؤلفة من ١٤٠ طالبة ، وكان ذلك في العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٧ . وقد بلغ

قراءة حرة في الهواء الطلق ... وينتشر التلاميذ في أرجاء حديقة المدرسة المنسقة تنسيقا جميلا بين الاشجار الظليلة والزهور اليانعة .. مما يهيىء جوا مثاليا للدرس وتفتح الذهن .

الى اليسار : يشمل درس الرسم والاشغال في المرحلة المتوسطة ، الاشغال اليدوية بالنسبة للبنين وبالنسبة للبنات أشغال الابرة والتدبير المنزلي وفي الصورة تلاميذ يقومون بعمل زهور صناعية من الورق الملون .

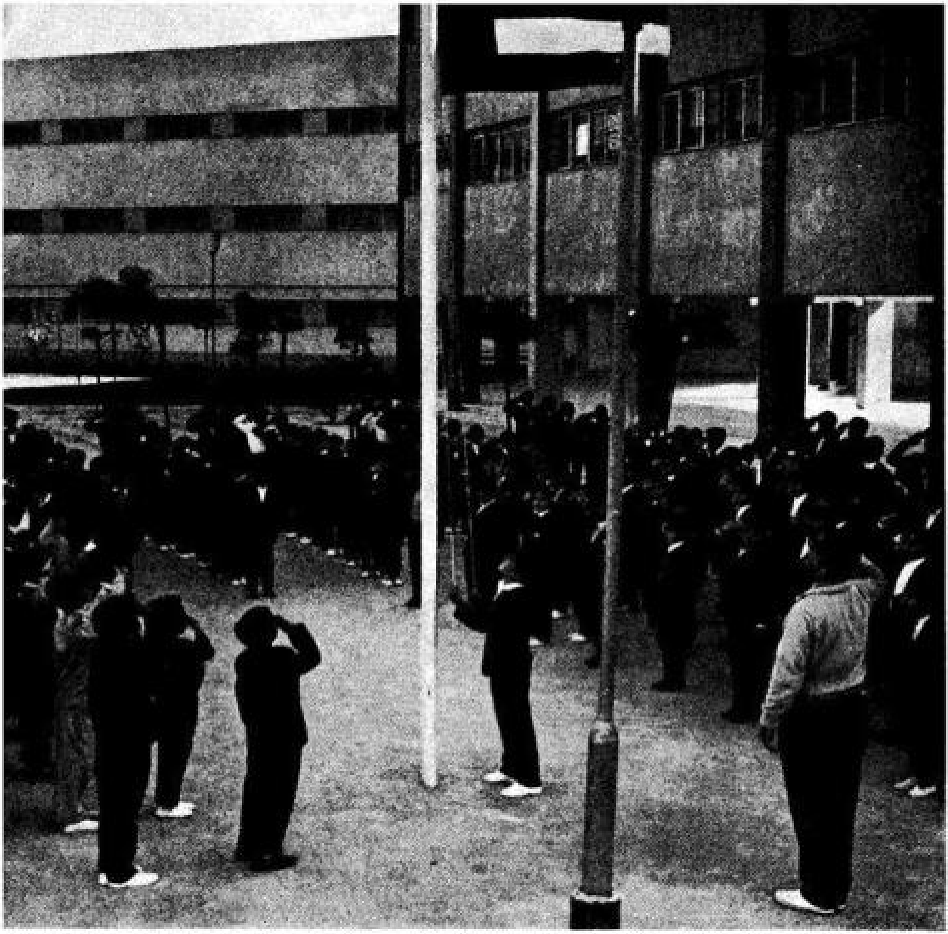

طابور الصباح وتحية العلم لاستقبال اليوم المدرسى .. ويصحب الطابور فى العادة فرقة موسيقية تعزف المارشات الحماسية .

مجموع الطلاب فى العام الماضى ٤٥١٥٧ منهم ٢٧٦٩٨ طالبا و ١٧٤٥٩ طالبة . ومن هذا المجموع ٢٦٨٥٥ فى المرحلة الابتدائية أى ما يوازى ٥٩٪ ، منهم ١٥٣٧٦ طالبا و١١٤٧٩ طالبة ، أما عدد طلاب المرحلة المتوسطة فهو ٩٩٧٠ طالبا وهو يساوى ٢٢٪ من المجموع ، منهم ٦٨١٨ طالبا و٣١٥٢ طالبة .

وتعزى هذه الزيادة الكبيرة فى عدد التلاميذ الى نمو الوعى عند الشعب . كما ترجع الى العناية والجهود التى تبذلها وزارة التربية والتعليم لتنفيذ سياستها التعليمية التى تهدف الى تعميم التعليم الابتدائي الذى قد يصبح الزاميا هو والتعليم المتوسط فى وقت قريب .

وما يقال عن عدد المدارس والطلاب والميزانية يقال أيضا عن عدد المدرسين . ففى سنة ٣٧/١٩٣٦ لم يكن هناك سوى ٢٦ مدرسا فقفز عام ١٩٦١ الى ١٢٤٨ مدرسا . أما المدرسات فقد كان عددهن خمسا بلغ فى العام الماضى ١٠٠٧ مدرسات ، فمجموع المدرسين والمدرسات هو ٢٢٥٥ ولا يشمل هذا الرقم ٤٦ ناظرا و ٥٥ ناظرة و٣٩ وكيلا و٢٤ وكيلة و١٩ سكرتيرا و٢

قاعة المكتبة فى احدى المدارس الابتدائية ، وقد زودت بمجلات الاطفال وكتبهم ، كما تضم بعض الالعاب المؤلفة من قطع صغيرة ومكعبات

قاعة الالعاب حيث يمارس الطلاب الرياضة البدنية بمختلف أشكالها لتقوية اجسامهم وعقولهم .

فريق من الزهرات انتظم على شكل نصف دائرة حول سارية العلم ليؤدى تحية العلم .

سكرتيرات ومجموعهم ١٩٦ وهم موظفون اداريون لا يدرسون .

التعليم الابتدائى

تبدأ مرحلة التعليم الابتدائى حينما يبلغ الطالب سن السادسة ، ومدتها اربع سنوات ، ثم ينتقل الى المرحلة المتوسطة ومدتها أربع سنوات اخرى ، ومعنى هذا أن الطالب الذى ينتقل من فرقة الى أخرى كل سنة ينهى هاتين المرحلتين وهو فى الرابعة عشرة من العمر .

والهدف من التعليم الابتدائى انه مرحلةأساسية تؤدى الى المراحل التالية والغاية منها توفير حد أدنى ضرورى من التربية والتعليم لتهيئة مواطنين مستنيرين وايجاد افراد قادرين على الاسهام بنصيبهم فى الحياة المتطورة وتحقيق المساواة والقضاء على الفوارق الاجتماعية .

فالمدرسة تفتح أبوابها لكل طفل أو طفلة دون تمييز أو استثناء .

وقد اولت الوزارة تعليم البنات كثيرا من الاهتمام ، وأوشك عدد الطالبات أن يقترب من عدد الطلاب فى هذه المرحلة .

والدراسة فى المدارس الابتدائية ، شأن جميع المدارس الاخرى بالكويت تبدأ فى منتصف أيلول (سبتمبر) وتنتهى فى منتصف يونيو (حزيران) وتدرس بها المواد الآتية : القرآن الكريم والدين ، اللغة العربية ، التربية الموسيقية ، الحساب ، التاريخ والجغرافيا ، مشاهد الطبيعة ، ومبادىء العلوم والرسم والاشغال اليدوية بالنسبة للبنين (والاشغال الفنية واشغال الابرة بالنسبة للبنات) والتربية البدنية .

وتنشأ هذه المدارس ـ كما هى حال المدارس الأخرى ـ على طراز حديث مستوف لجميع

فى كل مدرسة ابتدائية توجد حيوانات وطيور حية أو محنطة كوسائل ايضاح . وفى الصورة دجاج محنط لايضاح درس مشاهد الطبيعة ومبادىء العلوم وموضوعه « الدجاج » .

فريقان من الفتيات أحدهما يمارس لعبة كرة السلة والآخر لعبة الكرة الطائرة .. والفكرة العامة من الرياضة هى خلق عقول سليمة فى أجسام سليمة وبث روح التعاون والنظام بين الطلاب والطالبات .

افاع ميتة ، محفوظة فى أوعية تحتوى على محاليل كيماوية ، وهى الاخرى كوسيلة ايضاح ، عند شرح درس عن « الزواحف » .

المرافق والملاعب والساحات الواسعة وتهدف وزارة التربية الى الا يزيد عدد التلاميذ فى المدرسة الابتدائية على خمسمائة تلميذ وتلميذة .

وتولى المدارس ناحية النشاط المدرسى والتربية البدنية جانبا كبيرا من اهتمامها وعنايتها فينظم فيها كثير من اوجه النشاط الاجتماعى والثقافى والفنى ويمارس التلاميذ نشاطهم خلال اليوم الدراسى وفى العطلات المدرسية الطويلة . وتقام الحفلات الرياضية وتنظم المباريات والمسابقات وتسهم هذه المدارس فى المعارض المختلفة التى تقيمها وزارة التربية ويمكن القول أن النشاط المدرسى لا يقل أهمية عن النشاط العلمى .

وتهتم المدارس الابتدائية بالوسائل السمعية والبصرية وباستعمال وسائل الايضاح فى الفصول وتنتفع المدارس بهذه الوسائل الحديثة الى حد كبير فى خلق جو مدرسى محبب للتلاميذ .

وتدعيما للصلة بين المدرسة واولياء الأمور تهتم المدارس باقامة الحفلات التى يدعى اليها الآباء حتى يقفوا على ما فى المدرسة من أنواع النشاط المختلف الذى هو ثمرة من انتاج أبنائهم ، كما تكونت فى بعض المدارس « مجالس للآباء » .

المرحلة المتوسطة

ليست هذه المرحلة منفصلة عن المرحلة السابقة،

درس تطبيقى فى الاسعاف الأولى حيث تقوم الفتيات باسعاف تلميذة أغمى عليها فى ساحة المدرسة .

بل هى استمرار طبيعى لها والاثنتان معا تمثلان الأساس المشترك الذى تقوم عليه الثقافة العامة. وابواب المدرسة المتوسطة مفتوحة أمام كل من أتم بنجاح دراسته الابتدائية كما لو كان التلميذ ينتقل من سنة الى سنة فى المرحلة الواحدة على اعتبار أن هاتين المرحلتين تمثلان ذلك القدر من الثقافة الذى ترى الدولة أنه حق لكل فرد ، فاذا ما شرع فى المستقبل قانون التعليم الالزامى شمل هاتين المرحلتين كلتيهما .

كما أن اتصال المرحلة المتوسطة بما بعدها من

مراحل التعليم ، وأعني بذلك التعليم الثانوي ، لا يقل وثوقا عن صلتها بالمرحلة السابقة عليها . اذ في المرحلة المتوسطة تتفتح مواهب التلاميذ وتتبين امكانياتهم بما تتيحه لهم من مجالات وبما تحيطهم به من الرعاية والتوجيه .

وانما اتخذت هذه المرحلة مظهر المرحلة المنفصلة لأن التلاميذ فيها يكونون قد دخلوا دور المراهقة من حياتهم وهو دور مليء بالتغيرات الجسمانية والعقلية يتطلب من أساليب المعاملة والمعالجة ما قد لا يتفق والأساليب المتبعة في المدارس الابتدائية حيث التلاميذ ما زالوا في دور الطفولة المتأخرة . ثم ان اعداد تلاميذ المدارس المتوسطة للمرحلة التالية من التعليم يتطلب مزيدا من العناية بالنواحي العملية التي تأخذ في المدرسة المتوسطة شيئا من التشعب النسبي مما يقتضي وجود المدرسين المختصين – الى حد غير قليل – على حين نجد الاختصاص غير مطلوب في مدرسي المدرسة الابتدائية .

أضف الى ذلك انه من الأمور غير المحمودة أن يجتمع في المدرسة الواحدة عدد كبير من التلاميذ تتفاوت أعمارهم هذا التفاوت البعيد أي أطفال أعمارهم ٦ سنوات وآخرون بلغوا الرابعة عشرة من العمر . هذه الأمور حدت بالقائمين على التربية والتعليم بأن يجعلوا للمدرسة المتوسطة كيانا قائما بذاته . والسياسة القائمة الآن هي الفصل بين المدرستين الابتدائية والمتوسطة والا يجمع بينهما بناء واحد الا اذا اقتضت ذلك ظروف المباني وقلة عدد التلاميذ في المرحلة المتوسطة وليس بين مدارس البنين في العاصمة مدرسة تجمع بين المرحلتين .. اما مدارس القرى والضواحي فتكاد كلها تجمع بين المرحلتين على أن العمل جار للفصل بينهما في أقرب وقت .

ومواد الدراسة في المرحلة المتوسطة هي في غالبيتها استمرار للمواد التي تدرس في المرحلة الابتدائية مع الاختلاف في أساليب التدريس وفي عدد الحصص . والمواد المستجدة التي لم يسبق تدريسها في المرحلة السابقة هي اللغة الانجليزية والتربية الوطنية والتدبير المنزلي وهو خاص بمدارس البنات .

وتزداد أهمية دروس التاريخ والجغرافيا في المرحلة المتوسطة وعن طريق هذه الدروس ودروس التربية الوطنية يغرس في نفوس النشء بذور التربية الوطنية وتغذى فيهم الروح القومية لأنها تهدف الى تعريف التلميذ بالبيئة التي يعيش فيها وتوضح له معالم تاريخ الأمة العربية من أقدم العصور الى وقتنا الحاضر ، ولا يغفل منهاج الدراسة العالم الخارجي بل يعطي التلميذ فكرة عن طرق معيشة الشعوب ومصادر ثرواتها في الانحاء الهامة من العالم .

■■

توزيع الطلبة بحسب جنسياتهم

التعليم الابتدائي		التعليم المتوسط		المجموع		الجنسية
بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات	
١١٢٩٣	٨٥٠٨	٤٩٣٠	٢١٦٩	١٦٢٢٣	١٠٦٧٧	كويتي
٢٢١	٢٢٤	١٣٣	٨٦	٣٥٤	٣١٠	الجمهورية العربية المتحدة
٢٤٩	٢٠٥	١٣٨	٦٦	٣٨٧	٢٧١	الجمهورية العربية السورية
١٠٠١	٦٦٠	٣٧٢	١٥٢	١٣٧٣	٨١٢	عراقي
١٠٩٢	٩٢١	٧٨٩	٥١٢	١٨٨١	١٤٣٣	فلسطيني واردني
١٦٩	٩٢	٩٤	١٨	٢٦٣	١١٠	سعودي
٤٨٣	٤٦٥	١٧٢	٩٧	٦٥٥	٥٦٢	لبناني
٤٥	١٥	١٣	—	٥٨	١٥	اليمن وجنوب الجزيرة
٣١١	١١٤	٩٢	١٧	٤٠٣	١٣١	الخليج العربي
٢٣٩	١٠٠	٤٥	١٩	٢٨٤	١١٩	ايران
٢٧٣	١٧٥	٤٠	١٦	٣١٣	١٩١	جنسيات مختلفة
١٥٣٧٦	١١٤٧٩	٦٨١٨	٣١٥٢	٢٢١٩٤	١٤٦٣١	المجموع

تنزلها فى مجتمع الدجاج مراتب مختلفات

● هذا ما كشفه الدكتور غول . قال :

ـ الدجاجة عند الناس حيوان اخرس ، يستيقظ باكرا ، وينام باكرا ، وهو يدعى الى مائدة الطعام مرة واحدة ، لا يرى الدنيا بعدها ابدا .

ولكنى كشفت ان الدجاج حيوان له نفسية ، وله شخصية ، تجعل له بين اسرة الدجاج مراتب ، تعلو احيانا ، وتنخفض احيانا ، تبعا لقوة الشخصية وضعفها ، تماما كما الحال فى عالم الانسان .

فى طائفة من الدجاج ، عددها ثلاثون مثلا ، يمكنك ان تتابع كيف يتصرف افرادها ، وانت تستطيع بعد ذلك ان ترتبها بعضها فوق بعضها مراتب ، فهذه الدجاجة لها شخصية أولى ، وهذه لها الثانية ، وهلم جرا ، الى الثلاثين .

تعرف هذا من النقر . الشخصية الكبرى تنقر من سائر الثلاثين ما تشاء ، ولا ينقرها أحد . وتأتى الثانية فلا يجرأ على نقرها غير الأولى ، وهى تنقر سائر الدجاج . وهكذا دواليك الى آخر المطاف .

وفى آخر المطاف تجد الدجاجة الاخيرة المسكينة ، تتعرض للنقر ، ولا تنقر احدا ابدا .

فاذا ارادت ان تأكل وتشبع ، وجب عليها أن تستيقظ ابكر من الآخرين ، وان تنام آخر نائم ونائمة . اما أثناء النهار فتجدها عند حرف الزحام عسى ان يخلو لها الطريق .

وقد تتقارب الشخصيتان فيقوم بينهما خصام ، بالنقر ، لا ينتهى

ويستطرد الدكتور غول فيقول :

ـ اما اذا زاد عدد الدجاج عن ثلاثين ، عجز افراده عن تعرف بعضه بعضا . وليس أشقى للدجاج فى هذه الحالة من أن تجهل الدجاجة حظها من حقوق النقر ، تنقر ، أو تنقر .

ويقول الدكتور ايضا : أن الطائفة من الدجاج التى لا تزيد على الثلاثين تنتج الاكثر من البيض ، اما التى تزيد فتكون ٧٠ ، فمائة ، فأكثر ، فيقل بيضها نسبيا .

وهو يستنتج من هذا ان مجتمع الدجاج الذى تعرف كل دجاجة فيه اين مكانتها منه ، مجتمع اكثر سعادة من مجتمع من الدجاج يختلط فيه الحابل بالنابل !

والدكتور وقف عند هذا فلم يرد ان ينتقل بالحديث الى عالم الانسان .

ونحن نترك هذا للقارىء الفطن .

وسوف يثير هذا فى نفسه اسئلة عدة لها لا شك اجابات ، عليه هو استيفاؤها ، والانتفاع بالحكمة ـ ان تكن حكمة ـ تلك التى قد تستمد منها .

شىء واحد لا بد ان نلفت اليه النظر : ان الطبيعة لم تجعل بين الحيوانات موضعا لشىء اسمه الرحمة . فهل هى وضعت لها مكانا بين الناس ؟ وكم ؟

أم ان النقر هو النقر ، فى حيوان وانسان ؟! ■■

نقد كتاب الشهر

حياتي: لمارك توين

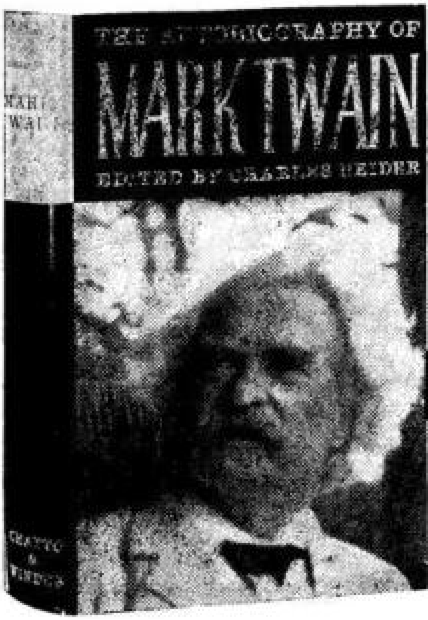

بقلم: الدكتور محمود السمرة

■ فى الحادى والعشرين من مثل هذا الشهر (ابريل/نيسان) من عام ١٩٦٠ احتفلت الولايات المتحدة الأمريكية احتفالا كبيرا بمرور خمسين سنة على وفاة أقرب كتابها الى قلب الشعب الأمريكى، واحبهم اليه، ذلك هو (صمويل لانجهورن كلمنس) الذى عرف واشتهر باسم (مارك توين ١٨٣٥ - ١٩١٠) ، وهو اسم استوحاه من حياته ملاحا فى السفن التجارية التى كانت تمخر عباب نهر المسيسبى، فقد كانت العادة أن يصيح الملاح الموكل بسبر الماء قائلا : « العلامة اثنتان » ، أى قامتان ، والقامة ست أقدام ، معلنا بذلك ان السفينة تستطيع أن تسير فى أمان .

ولاستقبال هذه المناسبة صدر هذا الكتاب الذى نقدمه ، فقد قام جامعه « تشارلس نيدر » Neider باختياره من مجموعة كتابات (مارك توين) المخطوطة من حياته ، بعد أن رتبها ترتيبا زمنيا ، وكان من قبل (١٩٥٧) قد نشر المجموعة الكاملة لقصصه القصيرة . وحياة «مارك توين » كما كتبها بالغة الطول أولا ، ثم انها مشوشة ، لأنه كتبها فى فترات متباعدة ، وأملى بعضها الآخر . ويؤثر عن « مارك توين » انه قال : « ان هذا ليس الا جزءا من حياتى ، ولو عملت ساعتين فى اليوم على مدى مائة سنة لما سجلت أكثر من $\frac{1}{2}$ الاشياء التى أثارت اهتمامى فى حياتى » .

وقد سبق «نيدر» الى نشر اجزاء من حياة « مارك توين » كاتبان آخران : فقد اختار البرت بيجلو بين Albert Bigelow Paine من هذه المجموعة ما نشره فى كتاب عام ١٩٢٤ ، وجاء بعده برناردو دى فوتو Bernardo de Voto فاختار من الباقى كتابا نشره عام ١٩٤٠ ، ولكنهما احتفظا بالترتيب الذى تركه « مارك توين » ، وقد كانت طريقته أن يسجل على الورق ، ما يخطر بباله عن حياته ، فهى أشبه بسجل لتداعى خواطره دون تقيد بالزمن . ومن هنا كان الاختلاف بين « بين » و « دى فوتو » من جهة ، و « نيدر » من جهة اخرى حيث أعاد الأخير ترتيب المواد ليجعلها متسقة زمنيا ، كما أن فى كتابه هذا ما يزيد عن ٤٠ الف كلمة لم تنشر من قبل .

ويختلف النقاد فى أى الطريقتين افضل ، ويبدو لى أن نشر ما كتبه « مارك توين » ، عن حياته بترتيبه هو أكثر فائدة للدارسين لأنه يعطيهم صورة صادقة عن تفكير « مارك توين » ، ولكن أقرب الى

ترتيب الأحداث زمنيا ، من جهة أخرى ، أقرب الى مزاج القارىء العادى ، الذى يثقل عليه الانتقال من حادثة الى حادثة متباعدتين زمنيا ، دون سبب بيّن غير تداعى الأفكار . ولا بد من الاشارة هنا الى أن يد ابنة « مارك توين » قد عبثت بهذه المخطوطة بعد وفاته فحذفت منها بعض آراء والدها الجريئة فى الدين، وفى بعض الشخصيات الامريكية، كما انها حالت دون نشر أجزاء اخرى منها . وابنته هذه اسمها كلارا ، وهى فى الثامنة والثمانين من العمر ، والوحيدة التى ما زالت على قيد الحياة من نسل « مارك توين » ، وهى متزوجة من قائد فرقة موسيقية شهير . وقد كان لهذه الابنة تأثير كبير على والدها، فهى التى كانت تنظم له مواعيده، وتراقب تنفيذها .

مارك توين ومعاصروه

ومع أن « مارك توين » نال الشهرة مبكرا ،منذ كتاباته الأولى ، الا ان عرضه الفكه لموضوعاته خدع كثيرين من الكتاب المشهورين فلم يستطيعوا ان يتبينوا ما فيها من فلسفة وعمق ، ومن هؤلاء « لونجفلو » ، وكذلك فان « هنرى جيمس » لم ير فيه الا كاتبا لا يصلح الا لبسطاء الناس وطلاب المدارس . كما اوصت « جمعية المكتبات » بعدم حفظ كتابه « هكلبَرى فِنْ » فى المكتبات العامة ، « لأنه لا يعالج موضوعا يبعث على التسامى». وشذ عنهم جميعا الكاتب الشهير وليم دين هولز William Deen Howells ، الذى أدرك منذ اللحظة الأولى انه أمام عبقرية فذة . وسعى الى صداقة مارك توين ، فاصبح خليله الوفى ، وهو الذى أطلق على مارك توين لقب « لنكولن الأدب الأمريكى » .

مارك توين الكاتب الفكه المحبوب

ونحن اذ نرى اليوم شهرة (هنرى جيمس) و (هيرمّان ميلفيل) وغيرهما من مشاهير الكتاب من معاصرى مارك توين ، آخذة بالتراخى بمرور الزمن ، نرى فى الوقت نفسه أن هذه الفترة التى نحياها تتميز بالاعجاب البالغ بمارك توين : فكتبت عنه الدراسات المطولة الكثيرة ، ودوما تحتل قصصه المسارح والتلفازات ، وأعيد نشر كتبه فى طبعات مختلفة . حتى شخصية « مارك توين » نفسه قام بتمثيلها فى شارع التمثيل ، شارع « برودوى » ، بنيويورك ، الممثل المسرحى الشهير « فرانكو تون» فى الذكرى الذهبية لوفاته ،فلقيت اقبالا شديدا من الجمهور ، وفى بلدته هنيبال اقيمت التماثيل حتى لأبطال قصصه ، فهناك تمثال لـ « هك فن » وآخر لـ « توم سوير » . واطلقت اسماء ابطاله على المسارح والحدائق والمقاهى والدكاكين فيها ايضا . ترى لو قيّض للاموات ان ينفضوا عن انفسهم تراب القبر ، ويعودوا الى الحياة ، أكان مارك توين يرى فى كل هذا التكريم الرأى الذى رآه فى غيره حين قال : « حتى الحب اذا بولغ فيه ، فانه يصبح ثقيلا على النفس » . او ما قاله فى كتابه « مغامرات هكلبرى فن » ساخرا من تمجيد الناس للأفراد : « أليس كل الحمقى فى البلد يهتفون لى » !

وقد كان مارك توين ، فى حياته ، محبوبا أشد الحب من غير الامريكيين أيضا ، فقد كان ذا قدرة عجيبة على ازالة الحواجز بينه وبين قرائه فيشعرون انه قريب جدا من نفوسهم ، وكذلك كان حاله مع كل من كان يتعرف عليه . ويروى «نيدر» أن عمال ميناء لندن قد استقبلوه عند وصوله استقبالا لا يحظى بمثله الا الأبطال المحبوبون .

وهناك امثلة أخرى من التاريخ القريب ، فيروى عن باندرانايكه ، رئيس وزراء سيلان الراحل ، أنه قال عام ١٩٥٦ : « وكيف يمكن أن احس بكراهية للبلاد التى أنجبت مارك توين ؟! » .

واسم مارك توين لامع فى الاتحاد السوفييتى ، ففى عام ١٩٥٨ أعلن فى روسيا عن رغبة الحكومة فى نشر جميع أعمال مارك توين فى ١٢ جزءا ، وفتحت باب الاشتراك للمواطنين ، فبيعت جميع النسخ فى يومين . وذهبت الحماسة « بمجلة موسكو الأدبية » أن وجهت نقدا قاسيا لنيدر ، جامع الكتاب الذى نتحدث عنه ، متهمة اياه بعدم الامانة الأدبية ، وذلك للتغييرات التى أدخلها على الكتاب .

ولعل سر هذا التحمس لمارك توين فى روسيا هو انه كان ناقدا مرا للحياة السياسية والاجتماعية وللديمقراطية الامريكية ، وأقواله الساخرة فى ملك النفط روكفلر ، والسناتور كلارك ، والجنرال وود، والرئيس تيودور روزفلت ، ذائعة مشهورة . وقد كان مارك توين أيضا كارها للحياة الروسية فى ظل القيصر . ومن أقواله المأثورة عن امريكا : « عندنا هنا فى امريكا سلطة تشريعية همها أن تضمن

للأثرياء ثراء أكثر ، وهى سلطة لا أظن أن لها مثيلا فى العالم » ، كما قال عن حكم قيصر روسيا :« ان حربا تحيل عرش القيصر الى نار يشوى فيها القيصر ، لحرب تجد لها كل المبررات » .

هــذا الكتــاب

والصورة التى تنطبع فى أذهاننا عن مارك توين، بعد قراءة هذا الكتاب ، هى انــه كاتب قامت شهرته بين الأمريكيين على تصويره الفكه الصادق لتلك الفترة التى عاشها، فرى الأمريكيون فى كتاباته صورتهم مجلوة ، وان كانت أشبه بالرســوم الكاريكاتورية . وميزة أخرى لمارك توين تلك هى انه كان اول من نجح فى كتابة قصص باللهجــة الأمريكية الصميمة ، فجعل من هذه اللهجة لغة ادب تقبل عليه الجماهير وتعشقه ، حتى ليذهب الكاتب القصصى الشهير (ارنست همنغواى) الى القول بان كل الأدب الأمريكى الحديث يســتمد اصوله من قصة « هكلبرى فن » لمارك توين .

ويبدو لى أن امتع أجزاء هذا الكتاب هى تلك التى يتحدث فيها عن طفولته ، كما أن هناك أجزاء كان من العسير نشرها فى حياته ، أو حياة مــن يتحدث عنهم، كرأيه فى برت هارت وماری کوریلی، ورأيه فى الحياة الجنسية .

كما أننا نرى فى هذا الكتاب ثورة « مارك توين » على الفساد فى عصره ، وهو عصر فى رأيه اتسم بالنفاق والخداع ، والقسوة ، واتخاذ الــدين ستارا لارتكاب اقبح الآثام . ويروى قصــة ذلك القسيس المسمى « دى وت تلماج » الذى أغلق يوم الاحد أبواب كنيسته فى بروكلين أمام العمال خوفا من أن تؤذى رائحتهم الكريهة أحاسيس رواد كنيسته من الارستقراطيين المترفين . وهذا الجزء من الكتاب من أكثر أجزائه فكاهة وسخرية .

مارك توين فى صــباه

ولد مارك توين فى الثلاثين من نوفمبر ١٩٣٥ ، سادس ستة أبناء لجون مارشال كلمنس ، فى قرية ضالة خاملة تسمى فلوريدا بميسورى ، لم يكن يزيد عدد سكانها عن مائة . وكان والده محــاميا وتاجرا ، ومغامرا يدفع بما يملك الى مشاريع غير عملية ، فاشلة ، وقد ورث الابن الصغير هــذه الصفة عن أبيه . ولم يكن صمويل قد بلغ الرابعة من العمر عندما نزحت العائلة لتستقر فى مدينــة هانيبال على ضفاف نهر المسيسبى ، التى لم يكن يزيد عدد سكانها عن خمسمائة ، ولكنها دنيــا جديدة واسعة اذا قورنت بمسقط رأسه . وفى هذه البلدة عاش كلمنس حتى بلغ الثامنة عشرة من العمر ، ولما رحل عنها بقى يحن اليها ويتشوق الى ايامها . وحياة (توم سوير) ، فى قصته الشهيرة بهذا الاسم ، قريبة الشبه جدا من حياته التى قضاها فى هذه البلدة على ضفاف النهر الذى يبلغ ميلا فى اتساعه ، مراقبا الحياة الخطرة التى كانت تقوم على صفحته : من مناظر القتل ، الى قوافل العبيد ، الى أسواق النخاسة .. لقد تركت هذه المناظر أعمق الآثار فى نفس الصبى اليافع ، وبقيت تلاحقه طيلة حياته . والى جانب هذه الصورة القاتمة ، كانت هناك ايضا ذكريات جميلة للسفن التجارية وهى تروح وتغدو محملة بالغلال ، والصبية يلهون بالزوارق فى النهــر . ان هذه الذكريات نجدها كلها ، بصورة او بأخرى مبثوثة فى كتبه ، ولا سيما فى « توم سوير » كما ان كثيرا من الشخصيات التى عرفها هنــا قــد أدخلها فى قصصه .

وعندما بلغ مارك توين الثانية عشرة توفى والده، فاضطر الى ترك المدرسة ، وعمل منضدا للحروف عند أخيه الاكبر منه سنا ، أوريون ، الذى كان يصدر صحيفة محلية ، وبدأ فى الوقت نفسهيكتب موضوعات ، وينشرها فى صحف البلدة .

بين الصحافة والمغامرات

وعندما بلغ مارك توين الثامنة عشرة أخذ يرى نفسه أكثر من محرر صحف محلية ، واستبدت به روح المغامرة فأخذ يتنقل من مدينة الى أخرى: من سانت لويس ، الى نيويورك ، الى فيلادلفيا .. محررا فى الصحف ومنضدا فى المطابع . وقد وصف هذه الفترة من حياته عندما بلغ الخمسين فقال :

« لقد عملت محررا فى الصحف مدة أربــع سنوات فى المدن ، وحضرت لمدة دورتين اجتماعات المجلس التشريعى ، ولدورة واحدة اجتماعــات الكونغرس ، فأتاحت لى هذه الفرصة أن أعرف تمام المعرفة ثلاثة صنوف من البشر : أما الصــنف الاول فاصغر من خلق الله عقلا ، والثانى أكــثر الناس انانية ، والثالث أكثرهم جبنا » .

وملك حب الاثراء على (مارك توين) نفسه

فنكر في السعي وراء الثروة في أمريكا الجنوبية ، ولكنه لم يلبث أن هجر هذه الفكرة ، وقادته الظروف الى أن يعمل ، وهو في سن الثانية والعشرين، ملاحا في السفن التجارية التي تمخر عباب نهر المسيسبي ، فكان من وحي هذه السنوات قصته « حياة على المسيسبي » .

وقد بقي ملاحا حتى توقفت حركة السفن النهرية بسبب الحرب الأهلية ، ومن هذه الحياة اتخذ لنفسه اسم « مارك توين » ، وبه أخذ يوقع ما يكتب . ويبدو من كتابات مارك توين مدى عشقه لحياة الملاحين، وهو عشق لازمه منذ الصغر: « عندما كنت صبيا ، ألعب مع اترابي في بلدتنا على ضفاف نهر المسيسبي ، كنا جميعا نتمنى أن نصبح في المستقبل ملاحين في السفن التجارية التي كانت تمخر عباب النهر .. لقد كانت تلك الحياة تخلب ألبابنا » .

واشترك في الحرب الأهلية لمدة أسبوعين ، ثم ترك الجندية « لأن التفكير في الموت كان يملك عليّ خناقي فلا يتركني أنام ، ولم أكن أستطيع له دفعا .. ترى كيف أستطيع أن أقدم على قتل انسان لا أشعر نحوه بأية كراهية ، ولو رأيته في مأزق لساعدته ؟! » .

وعاد مارك توين الى الصحافة ، فأبهج قراء مجلة « الأتلانتيك الشهرية » بعرضه الفكه للأيام القليلة التي قضاها في الجندية .

وفي صيف عام ١٨٦١ جدّ مارك توين في السعي وراء الثروة غربا ، في نيفادا ، سعيا وراء الذهب ، وغدا فجأة من أصحاب الملايين عندما عثر على منجم مليء بالفضة ، ولكنه لم يلبث أن خسره في عشرة أيام في لعب البوكر . وقبل أن يتم العام في نيفادا عاد ليعمل في الصحافة . وفي عام ١٨٦٥ أصبح مارك توين مشهورا فجأة ، بعد أن نشر في صحيفة تصدر في نيويورك كتابا مسلسلا بعنوان «الضفدعة مقاطعة كالافيراس الوثابة ذات الشهرة العظيمة » لقد وجد مارك توين أخيرا طريقه الى الثروة ، وذلك بأدبه الفكه ، الذي أقبل عليه القراء اقبالا جعله أشهر كاتب في الولايات المتحدة الامريكية .

وفي العام نفسه قام برحلة بحرية من سان فرنسيسكو الى جزر هونولولو ، فأحب جزر الباسفيك الجميلة المرحة ، ومما قاله فيها : « اني افضل أن أتنشق عبير هونولولو ساعة الغروب ، على أن أتطلع الى قاعة محكمة الشرطة العتيقة في سان فرنسيسكو » .

وفي العام التالي (١٨٦٩) انضم الى جماعة من السواح ذاهبين الى بلدان البحر المتوسط والشرق الأدنى ، ومن هناك كتب الى صحيفة في نيويورك « ان كثيرا من مزارات العالم القديم المقدسة لا تطابق المقاييس الأمريكية ! » وعند عودته من رحلته هذه التقى بأوليفيا لانغدون ، وهي ابنة أحد رجال الصناعة الأثرياء ، فتزوجها واقاما في قصر في هارتفورد من ١٨٧١ الى ١٨٩١ ، وقد أحب هذه الزوجة حبا جما حتى آخر قطرة من حياته ، وقد عبر عن حبه الكبير لها بقوله : « ان الحب الصادق يُعرَف من زيفه بعد خمس وعشرين سنة من الزواج » . وكانت هذه هي أسعد فترة في حياة الكاتب الكبير وأغناها اذ كان يكسب أحيانا أكثر من مائة الف دولار سنويا ، وفيها كتب اشهر كتبه أمثال « توم سوير » ، و « الحياة على المسيسبي » ، و « مغامرات هكلبري فن » .. لقد أصبح مليونيرا ، وهو القائل: « انني ضد أصحاب الملايين .. ولكن الخطر كل الخطر أن أصبح واحدا منهم » . وأصبح المجتمع الذي يتحرك فيه هو مجتمع ارستقراطية المال ، وارستقراطية الفكر . استقبله الجنرال جرانت في البيت الابيض،ففاجأه بقوله : « سيدي الرئيس: انني لأشعر بالاضطراب أمامك ، ألستَ تشعر أنت بذلك أيضا ؟ » .

مصائب تترى

ولكن سوء الحظ لم يلبث أن حالفه ، فقد اشترك في دار نشر لم تلبث أن أفلست فأتت على كل ما كان يملك وتركته مدينا ، مما اضطره الى ان يقوم بالقاء سلسلة من المحاضرات متنقلا من بلد الى آخر حتى يستطيع أن يسدد ديونه . واذا هلت المآسي دعا بعضها بعضا ، فتوفيت ابنته « سوزي » بينما كان خارج البلاد ، وتبعتها زوجته ثم ابنته الصغرى ، ولم يبق له سوى ابنته (كلارا) ، التي ما زالت حية حتى الآن . وقد تركت كل هذه المصائب جراحا في قلبه ، ولم يخفف من مصابه ما ناله من تكريم بعد ذلك ، حيث اخذت تتسابق الجامعات الأمريكية على منحه

درجة الدكتوراه ، وفعلت ذلك أيضا جامعة اكسفورد .

وبنى لنفسه بيتا فى ردنج بكونكتكت ، عاش فيه مع ابنته كلارا ، وفيه مات كما توقع ، وذلك عندما راى قبل وفاته بايام قليلة نجما مذنبا ، قيل له انه كان قد ظهر أيضا يوم مولده . حتى الكاتب العبقرى لم يستطع ان ينقذ نفسه من سلطان الخرافات والأوهام .

لقد مات مارك توين وقلبه يفيض مرارة ،مات وشفتاه ترددان « ان السعادة ، والحب ،والشهرة، والثروة ليست الا قناعا خفيفا لحقيقة الانسان المستترة خلفه ، وهى : الألم ، والحزن ، والخزى، والفقر » . مات مارك توين الكاتب الذى اضحك الملايين ، وهو يردد : « اننى لأموت وقلبى يطفح حقدا ، وكراهية لكل ما فى الوجود !! » ■■

محمود السمرة

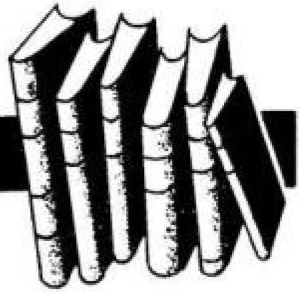

من الكتب التى وصلتنا

العلم والبداهة

لبرونوفسكى، ترجمة الدكتور ابو النصر ــ القاهرة

● « لابد لصيانة حقوق الانسان وحرياته وللحفاظ على مدنيته من أن يشيع بين الناس ادراك واسع لمضامين العلم الاجتماعية ووعى لأصوله العامة ، حتى يستطيعوا أن يصدروا احكامهم عن فهم وبصيرة ، وأن يوجهوا العلم الى ما ينفع الانسانية » ــ هذا هو موضوع الكتاب .

فجر الحرية

لمحفوظ عبد العال غانم ــ القاهرة

● رواية انسانية يقدمها مؤلفها « الى من يعيش الحرية ، ويعيش بها ، ويعيش لها » .

ساق على الدانوب

لهلال ناجى ــ دار العلم للملايين ــ بيروت

● ديوان شعر للشاعر العراقى ، وهو فى اقسام: انفاس عربى ، حكايا عبير ، من صميم الحياة .

السلطة والفرد

لبرتراند رسل ، تعريب شاهر الحمود ــ بيروت

● مجموعة محاضرات كان الفيلسوف الشهير قد القاها فى المذياع أولا ، وهى ست محاضرات .

تقويم الفكر الدينى

لمحمود الشرقاوى : مكتبة الانجلو المصرية

● يتحدث المؤلف فى هذا الكتاب عن الشريعة ويحاول أن يبين ما فى بعض المفاهيم عنها من الانحراف والعوج ، ويحاول ان يرسم منهجا يجعل من الشريعة أساسا لحياة الناس وتنظيمهم الاجتماعى

رحلات جلفر

جزءان ، لسويفت، ترجمة محمد محمد رفاعى، مصر

● ترجمة لرائعة سويفت الكاتب الانجليزى الشهير .

جولات فى تاريخ المغرب

لعبد القادر الصحراوى ــ الدار البيضاء

● خمسة ابحاث فى تاريخ المغرب هى : الامير البربرى زيرى بن عطية ، جوانب من شخصية يوسف بن تاشفين ، صلاح الدين الايوبى ويعقوب المنصور ، وقصة تاريخية احد ابطالها السلطان سليمان العثمانى، والبطل الشعبى محمد العياشى.

النول

لمحمد ديب ، ترجمة سامى الدروبى ، مكتبة أطلس بدمشق

● هذه هى القصة الثالثة فى سلسلة الادب الجزائرى التى تقوم بترجمتها مديرية التاليف والترجمة بدمشق .

◀

الرصــافي

لعبد اللطيف شرارة ــ دار صادر ودار بيروت

● دراسة تحليلية لأدب الشاعر العراقي الشهير تتلوها مختارات من شعره .

زهرة البركان

لخليل هنداوي ــ دمشق

● مجموعة مسرحيات منها : زهرة البركان ، ستة رجال تحت الارض ، انه سيعود ، تسع بنادق فقط ..

آبـاء وأبنـاء

لكامل بنقسلي وخالد قوطرش ــ دمشق

« لا يمكن أن تتكامل تربية المواطنين الا بالتعاون الواعي بين البيت والمدرسة والدولة . والتعاون السليم بين هذه العوامل الثلاثة يؤدي حتما الى اعداد المواطن الصالح » .

الشــابي

لعبد اللطيف شرارة ــ دار صادر ودار بيروت

● دراسة تحليلية لشعر الشاعر التونسي ، تتلوها مختارات من شعره .

شعر المثقب العبدي

تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد

● ديوان شعر المثقب ، وهو في نحو ستين صفحة .

الاسلام ونظام الطبقات

للشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغــداد

● فيه فصلان،يدور الاول حول معنى الطبقات، والثاني حول هل يمكن الغاء الطبقات .

ضيف من الشرق

لفاضل السباعي ــ بيروت

● مجموعة اقاصيص ، منها : ذقون في الهـواء ، حياة جديدة ، الوعد اللازوردي ...

قصتان من الماضي

لمحمد المجذوب ــ دمشق

● الاولى ، الشعب التائه : والثانية : الباحث عن النور .

لهات الحياة

للدكتور يوسف عز الدين
مكتبة النهضة ــ بغداد

● ديوان شعر من « ايـام الشباب الحافلة بالمنى ، الفواحة بالاحلام والاماني » .

تاريخ العلم والأنسية الجديدة

لسارتون ، ترجمة اسماعيل مظهر ــ القاهرة

● « الأنسية » حركة فكرية أساسها احيـاء الآداب والمعرفة القديمة ، وقد نشأت في القرون الوسطى ، واصبح للمصطلح دلالة تشير الى كل حركة قائمة على العلم ، ليكون دائما في خدمـة الانسان .

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

روسيا والملكية الفردية

● أخبرني صديق كان يدرس في روسيا وعادمنها آخيرا ، أن روسيا الشيوعية قد أباحت الملكية الفردية حديثا ، والذى أعلمه أن الشيوعيةعدوة الملكية الفردية اللدود ، من أى نوع كانت . فهل صحيح أن روسيا أخذت تميل في الناحية الأخرى ؟

بغداد — محمد ابراهيم

« العربى » : **لا ندرى من أين جاء صديقك بهذا الخبر ، من حيث اباحة روسيا للملكية الفردية هكذا اطلاقا . ان كل الذى قرأناه حديثا هو أن روسيا اقرت نظاما توسعت به حقوق الملكية الفردية . فاصبح لكل أسرة أن تمتلك بيتا واحدا. واصبح لكل عامل أن يكسب ما يشاء ، ويجمع من وفر كسبه هذا ، الناشىء عن عمله ، ما يشاء. وله أن يتمتع في حدود كسبه بما يشاء ، مما قد يجد في الاسواق . واصبح للروسى كذلك أن يورث بيته ، او الوفر الذى كان من عمله من يشاء . وضريبة المواريث جعلوها ١٠ في المائة على جملة ما يخلف المتوفى .**

وتعلق الجريدة الانجليزية المحافظة التى قرأنا فيها ذلك فتقول :

ان هذا التغيير يشعر بأن الروس أدركوا أمرين:

أولهما : **ان الانسان في غريزته حب التملك في حدود ، لا سيما بيته الذى ولد فيه ، وأنجب أبناءه فيه . فهذا أول ضمان للستر .**

ثانيهما : **ان الانسان في غريزته حب للتوريث توريث أشيائه لأبنائه ، حتى يطمئن عليهم من بعد موته .**

ولكن لا يزال عند الروس أن ما يوفره الفرد العامل لا يستطيع أن يستغله في أعمال يقوم بها آخرون ، ثم هو يشاركهم في كسبهم بحكم ما اودع عندهم من مال فقط . فهذا ما يسمونه استغلال رؤوس الأموال ، وينكره الاشتراكيون في شرق وغرب ، على درجات . ويبيحه الآخرون .

فتاة طائشة وزوج عابث

● أنا شاب مسلم ، في الرابعة والعشرين ، فلسطيني الجنسية ، تعرفت أخيرا بفتاة لبنانية مسيحية ، فأحببتها وأحبتني ، وتعددت بيننا المقابلات ، وبعد بضعة أسابيع تبينت انها حامل، فعالجت الموقف بعد أن اتفقنا على الزواج ، انني متزوج ولى طفلة في عامها الثانى ، ولكن زوجتى وطفلتى بعيدان عنى، وهذا ما تجهله فتاتى الجديدة التى أصبحت لا أطيق البعد عنها ، وأرى الموت أهون علىّ من أن أعيش بدونها ، علما بأنى لا أستطيع الخلاص من زوجتى بسبب « البدل » .. فماذا أفعل ؟!

فتحى عبد الفتاح ــ الكويت

« العربى » : **أنت شاب عابث لا تقدر المسئولية، والا لما حاولت اغواء فتاة من غير دينك،وان تخدعها، مع أنك زوج ووالد .**

وفتاتك هى الأخرى عابثة مثلك ، والا لما قبلت أن تستسلم لشاب لا تعرف عنه شيئا ، وتتصل به اتصالا محرما .

وما دمت تؤثر الموت على البعد عنها ، فعليك أن تتحمل تبعات عبثك ، كما أن عليها هى الأخرى أن تتحمل نتائج عبثها .

ونحن انما ننشر من هذه المآسى ليعتبر الفتيان وتعتبر على الأخص الفتيات ، فهن الضحايا .

ليس الفتى من يقول كان أبي !!

● كنت أزور بعض أصدقائي في القامشلي فمر بنا احد المتسولين واذا بشاب متعلم في أوروبا ينبرى له وينهره ويزجره زجرا مشينا ، وأخذ يشتم العرب وينحى عليهم باللائمة ، ويعلى من شأن الغرب ، فلما سألته بماذا تفضل أوروبا بلاد العرب ، قال ان التعليم هناك اجباري ، وفي كل حي مدرسة للايتام وملجأ للعجزة وروضة للاطفال ، فأجبته بأن هذا النظام اقتبسه الغربيون من العرب منذ الحروب الصليبية ، ونصحته بأن يقرأ تاريخ الامويين والعباسيين ، ليرى كيف كان العرب في تلك العهود خيرا من الأوروبيين الذين اقتبسوا منا علومنا وفنوننا وحضارتنا .

فمتى يفهم شبابنا ذلك ، فيقتبسوا من الأوربيين كما اقتبس الأوربيون منا في سالف الزمان ؟

احمد حسن احمد

«العربي» : **يا حضرة الفاضل : ان الذى فضل أوروبا على الشرق فضل أوروبا الحاضرة على الشرق الحاضر . فمالك ترجع للتاريخ . المسألة ليست مسألة من بدأ ، ان الرجوع الى التاريخ هرب من الحاضر الذى ليس فيه الحجة . وهذا هو الفقر في الحجاج . اقول لك انا افضل منك في علم وجد وتحصيل . ويكون هذا حقيقة ، ولكنك تجادلني بأن اباك كان خيرا من ابي . وقد أؤمن بذلك ، ولكن ليس هذا هو الموضوع . الموضوع اني أنا الآن خير منك أنت الآن .**

عيد الأم من بدأه ؟

● ذكرتم في افتتاحية العدد الماضي عن الأمومة الشيء الكثير . ولكن فاتكم أن تذكروا كيف بدأت الفكرة في الاحتفال بيوم الأم ، ومن بدأها . وهل هي فكرة جاءت من الغرب ، أم أن لها أصلا شرقيا أو عربيا ؟

« قارىء »

« العربي » : **الذى نعرفه ان الفكرة بدأت في الولايات المتحدة : اقترحت الآنسة آنا جارفيس في مايو عام ١٩٠٧ ، بمدينة فيلادلفيا ، أن تقام صلاة في احدى كنائسها تمجيدا للامهات . ثم جاء عام ١٩١٤ ، فاقترح « ولسون » رئيس الولايات الشهير ، في الحرب العالمية الأولى ، أن تمجد ذكرى الامومة ، وأعلن فعلا أن تحتفل البلاد ، وأن ترفع الأعلام على المباني العامة . ووافق الكنجرس الأمريكي على ذلك واحتفل فعلا بهذه الذكرى أول احتفال في يوم الاحد الثاني من مايو ١٩١٤ ، أي قبل قيام الحرب العالمية بأشهر قليلة ..**

واقتدت أمم أوروبا بالولايات المتحدة ومن عادات هذا اليوم أن يحمل الفرد ، في أي عمر ، قرنفلة ذات لون ، ان كانت الأم لا تزال حية ، أو بيضاء ان كانت قد ماتت .

أما يوم الأم في الشرق العربي فبدأ منذ سنوات اربع أو نحوها . واذا لم تخنا الذاكرة ، فقد تزعمت الدعوة اليه جريدة « الاخبار » القاهرية .

الحيوانات المنوية : كم تعيش ؟

● ذكر لي طبيب أن الحيوان المنوى لا يعيش الا بضع ساعات ، وذكرتم انتم في مقال منع الحمل عند المرأة غير ذلك . فما هو الرأى الصحيح ؟

الكويت ــ ع. ١

«العربي» : **أهل الذكر يذكرون أن الحيوان المنوى يحيا بعد انطلاقه من الرجل ما بين ٣٠ الى ٤٠ ساعة ، وأن البويضة تظل حية ما بين ٦ الى ٢٠ ساعة . وهذا في متوسط الحالات . والأمور المتصلة بالحياة غير الأمور المتصلة بالأشياء الجامدة. فالماء يغلي عند المائة درجة في الضغط الجوى السوى ، فلا يزيد ولا ينقص ، وغير ذلك ظواهر الحياة .**

خاتم الخطبة والزواج

● أصبح الخاتم الذي يقدمه الشاب لخطيبته عند عقد قرانهما تقليدا مرعيا ، لم يقدر احد حتى الآن على مخالفته .. فمن هم أول من ابتدع فكرة خاتم الزواج ؟ وما المقصود من هذا التقليد ؟ وهل صحيح أن في بنصر اليد اليسرى عرقا متصلا بالقلب ؟!

محفوظ عبد الرحمن الرمحي
القاهرة

« العربي » ترجع عادة تقديم «دبلة الخطوبة» او خاتم الزواج ، الى أصل روماني قديم . فقد كان من تقاليد الرومان أن يقدم الشاب الى خطيبته خاتما من حديد ، على سن سيف . وتطورت هذه العادة الى أن يكسر الخطيبان قطعة ذهبية أو فضية ويحتفظ كل منهما بجزء منها ، بعد أن يشربا معا « نخبا » في وليمة تقام لذلك .

أما « الدبلة » أو الخاتم الذهبي فلم يعرفا الا في فترة متأخرة . ومع ذلك ظل بعض الرجال يحرصون على تقديم خاتم من حديد .

وكان المصريون القدماء يستعملون الذهب في صنع الخواتم ، وكانت هذه الخواتم الذهبية تقدم عادة في مناسبات الزواج .

اما عادة وضع خاتم الزواج ــ لا دبلة الخطبة ــ في الأصبع البنصر من اليد اليسرى فمرجعه أنهم كانوا يعتقدون أن هناك عصبا بين هذه الاصبع وبين القلب ، وهو اعتقاد من نسج الخيال ، لان العصب المزعوم لا وجود له .

وهناك تعليلات أخرى وردت في كتب التاريخ القديم ، وكلها كذلك تستند الى معتقدات من نسج الخيال .

عــرق الابطين

● هل هناك دواء يقطع العرق الذي يفرزه الابط أو يمنع رائحته الكريهة ؟

محمود ياسين ــ الاردن

« العربي » : هناك أدوية عديدة لهذا الغرض ، منها السائل ومنها المسحوق ، وهي متوفرة في الصيدليات ، وقد أورد « داود الانطاكي » في تذكرته مزيجا من مسحوق الشب والمصطكي والمرتك والطلق ومن المستحضرات الحديثة يمكن استعمال التركيب الآتي :

١٠ جرامات شبة + ٢٠ جم أثير + ٢٠٠ جرام ماء ورد ، يمسح منها ما تحت الابط ، بعد الحمام وقبل الخروج الى الشارع .

زوجي يحبني .. وأنا لا احبه

● أنا زوجة في العشرين من عمري ، لم يمض على زواجي سوى ثلاثة أشهر ، ومع أن زوجي يحبني حبا شديدا الا انني من ناحيتي لا احبه ، وقد كنت أعرف اني لا احبه قبل ان اتزوجه ، ولكني يتيمة ، وفقيرة ، وهذا ما صرف كثيرين من الشبان من أن يفكروا في فخشيت أن يفوتني قطار الزواج وأصبح عانسا ، فضلا من انه ميسور الحال ، ولا يدخر وسعا في تلبية مطالبي المادية .. مع ذلك لم اعد اطيق البقاء معه ، ولكني اخشى أن أحطم قلبه ان تركته أو طلبت الطلاق منه .

فبماذا تنصحون ؟

س. ق ــ اللاذقية

« العربي » : ان خشيتك من أن تحطمي قلبه بتركه ، دليل على انك بدأت تحبينه ، او ــ على الأقل ــ انك على استعداد لان تحبيه في المستقبل القريب .

ان كثيرا من الزيجات لا ينضج الحب فيها بين الزوجين الا بعد مضي بعض الوقت على زواجهما . وما دام هو يحبك ، ولا يدخر وسعا في ارضائك ، فلا اقل من أن تقابلي حبه بترويض عواطفك على حبه ، وطرد هذه الأفكار السوداء التي تساورك ، وستجدين نفسك بعد قليل زوجة سعيدة .

زوجي يوشك أن يطير !

● نعم .. ان زوجي يوشك ان يطير ! مع انني منذ تزوجنا احبه كل حبي واخلاصي ولا ادخر وسعا في توفير السعادة له .. ونحن الآن ننتظر طفلنا الثالث .. وبدلا من ان يغمرني بالعطف الذي تتطلبه أم في شهور حملها الأخيرة ، اهملني اهمالا تاما ، كما اهمل طفليه . فلما حاولت أن اعرف سر هذا التحول العجيب في مشاعره نحونا ، تبينت ان احدى زميلاته في العمل قد شغفته حبا .. وقد اعترف لي بهذا الحب ، وقال انه لن يتردد في الزواج بتلك الزميلة !

كيف استطيع أن أقنعه بالعدول عن هذه الفكرة التي ستحطمنا أنا واولادي ؟!

زوجة حائرة ـ الاسكندرية

« العربي » : **بعض الزوجات ما تكاد ترزق احداهن طفلا حتى تحوّل كل حبها وعاطفتها الى طفلها ، وتهمل ـ ربما دون أن تشعر ـ الاهتمام بزوجها ، فتحمله بذلك على أن ينشد دفء العاطفة عند غيرها ، فعليك أن تعودي الى استعراض علاقتك بزوجك ، هل تغيرت منذ اصبحت اما ؟ هل اهملت بعض شؤونه في زحمة الاهتمام بطفليك ؟**

فان كان الأمر كذلك فحاولي اصلاح ما فسد ، واشعريه من جديد بأنك ما زلت تحبينه ، وذكريه بسعادتكما القديمة ، ودعيه يحس بأن حبك لطفليك انما هو انعكاس لحبك له ، لأنهما بضعة منه .. ثم حاولي ، بلطف ، أن تبصريه بما ينتظره وينتظر اطفاله الثلاثة من متاعب اذا ما أصر على الزواج بسواك .. ولا مانع من أن تستعيني على اقناعه ببعض الأقارب والأصدقاء ، ولكن في غير رعونة أو تهور ، وفي كثير من الشجاعة والصبر وقوة الاقناع .

عامل روسوس .. وموت الاطفال

● أنا سيدة في الثالثة والعشرين من العمر ، تزوجت منذ عام وشهرين فقط ، وحملت بعد الزواج مباشرة وبعد تسعة أشهر من الحمل وضعت طفلة وزنها ½4 باوند وهو وزن أقل من الطبيعي ، وبقيت الطفلة في المستشفى ليصبح وزنها عاديا الا انها توفيت بعد خمسة عشر يوما من ولادتها . وانا الآن حامل للمرة الثانية واخاف أن يكون مصير حملي كسابقه ، فأرجو نصيحتكم مع العلم انني اتمتع بصحة جيدة .

السيدة : ع. م ـ الكويت

● لي قريب كلما انجب طفلا مات في شهوره الاولى ، حتى مات له سبعة أولاد . فما تعليل ذلك ، وهل لحالة الوالدين النفسية دخل في هذه الظاهرة ؟ وما هي الاحتياطات والعلاج ؟

م. ش. م ـ الخرطوم

« العربي » : **في حالة السيدة ع.م ننصح بمراجعة الطبيب المختص طوال فترة الحمل ، لفحص الدم والبول واتباع الارشادات الطبية الصحيحة للحوامل .**

اما في الحالة الثانية فقد يكون مرجعها «عامل روسوس» الذي كتبنا عنه من قبل غير مرة ، ولا بد أيضا من مراجعة الطبيب وتحليل الدم «دم الأم» ودم الجنين ، واتخاذ الاحتياطات الطبية اللازمة في الوقت المناسب .

مواعيد عرقوب !

● من هو عرقوب ؟ ولماذا تنسب اليه المواعيد الكاذبة ؟

اشرف جعفر ـ المنيرة

« العربي » : **عرقوب رجل ضرب به المثل في الجاهلية بنكث العهد واخلاف الوعد . زعموا أن سائلا أتاه فقال له : « اعطيك اذا أطلع نخلي » ـ أي اذا اخرج طلعه ـ فلما اطلع أتاه ، فقال : « اذا أبلح » . فلما أبلح أتاه ، فقال : « اذا رَطَّب » .**

فلما رَطَّب أتاه ، فقال « اذا أزهى » . فلما أزهى صعد عرقوب الى بلحه ليلا وجذه ، حتى اذا ما جاء السائل لم يجد شيئا !

انت وحدك ... الجانية !

● انا سيدة في الخامسة والثلاثين ، متزوجة من رجل احببته ، يصغرني بخمس سنوات ،وتعيش معي ابنة أخ يتيمة هي الآن في الثامنة عشرة ، وقد بذلت كل ما في وسعي لتربيتها . وقد كنت واثقة بها ثقتي بزوجي ، وكنت أخرج لزيارة صديقاتي او الى السوق واتركهما معا في البيت ، وتصادف ان عدت ذات مرة ودخلت دون ان يشعرا بي ،فاذا بي افاجئهما في منظر غرامي غلى لرؤيته دمي ، ولكني تمالكت أعصابي وانسحبت بهدوء دون أن ينتبها لوجودي وقد اسودت الدنيا في عيني لا اعرف ماذا أصنع ؟ وفي اليوم التالي واجهت ابنة اخي بما رأيت فقالت انه هو ـ أي زوجي ـ الذي ارغمها . ولما واجهته اعتذر بأنها كانت نزوة طائشة واقسم على الا يعود اليها أو يخونني مرة اخرى ، ويكون لي زوجا مخلصا أمينا ..

وانا الآن حائرة ماذا افعل : أأصدقه ؟ وهل تراه سيفي بوعده ويخلص لي ؟ أم انه سيظل على علاقته الآثمة بابنة أخي ، أخشى ان كشفت امرهما طلقني وتزوجها ؟

المعذبة
عائشة : الكويت

« العربي » : **لقد اخطأت مرتين ... الأولى عندما تزوجت شابا يصغرك سنا ، فهو لا يفتأ يتطلع الى من دونك . والثانية عندما أمنت له وعودته أن تتركيه ينفرد بابنة أخيك الشابة الناضجة ، دون رقابة ، وأنت تجهلين انك بذلك تضعين وعاء البنزين بجوار الموقد المشتعل .**

حاولى ان تصرفيه عنها بلباقتك وحسن معاملتك، ولا تتركى له فرصة ينفرد بها ، داخل البيت أو خارجه ، وقد يكون خيرا من هذا كله أن تعملى على ابعادها عنك وعنه ، بتزويجها .

فارق السن .. العكسي !

● أنا شابة في السابعة والعشرين ، ولكني أبدو أصغر من ذلك بكثير .. احب شابا من زملائي في الشركة التي أعمل بها، لا يزيد عمره على العشرين، وهو أيضا يحبني . وقد اتفقنا على الزواج .

فهل تظنون هذا الفارق بين عمرينا يؤثر على حبنا في المستقبل ؟

آنسة جورجيت
بيروت

« العربي » **ان فارق السن بينكما فارق عكسي، فالطبيعي أن تكوني أنت في العشرين وهو في السابعة والعشرين .**

ومع أن هناك زيجات كثيرة من هذا النوع ، الا ان القليل منها هو الذي يتسم بالسعادة والتوفيق. فاذا ما تقدمت بكما الايام ، فقد يساوره الندم على انه لم يتزوج من فتاة تصغره أو في مثل سنه، سواء أكان يعرف حقيقة سنك من الآن أم لا يعرفها ! وستبلغين سن الستين ، في حين يكون هو في الثالثة والخمسين .

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

ليس هذا حراما

● انى سيدة متدينة ، أملك أطيانا وعقارا ، ولى ولدان وابنتان ، الولدان غنيان ، لكل منهما أرضه وعقاره ، فضلا عن مرتب محترم من وظيفةمحترمة . والابنتان لا تملكان غير ميراثيهما عن والدهمـا ، وهو قليل بالنسبة لما يملكه أخواهما ، وزوجاهما كذلك فقيران لا يملك كل منهما غير مرتبه من وظيفته كمدرس . أريد أن أميز ابنتى عن الولدين فى الميراث ، ولو اننى بعت لهما جزءا من أملاكى قبل وفاتى لأثار ذلك حقد أخويهما ، عليهما وعلى . فهل يجوز لى شرعا أن اسوى بينهما وبين أخويهما فى الميراث ، أم أن ذلك مخالف للشريعة ، وكيف يتسنى لى هذا التمييز ؟

دمشق — **الأم الحائرة ـ ن . م**

« العربى » : تستطيعين أن تسوى بين اولادك الذكور والاناث ، دون أن يكون فى ذلك أى خروج على الشريعة ، وبموجب وصية تكتبينها : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية ».

وتستطيعين أن تكتبى الوصية دون أن يعلم ولداك ، وأن تشهدى عليها بعض من تثقين بعدم افشائهم سرها ، ثم تودعيها عند أحد اقاربك او معارفك أمانة ، أو فى بنك تعلم به بنتاك .

وسيجد ولداك انهما لا بد لهما من النزول على ارادتك ، والا وضعا نفسيهما فى موقف يجلب عليهما اللوم ، ولا يقرهما عليه قانون .

اعلى منطقة فى الوطن العربى

● ذكرتم فى استطلاعكم عن اريحا أن وادى البحر الميت فى الاردن هو أخفض منطقة فى الوطن العربى .. فما هى أعلى منطقة فى هذا الوطن ، وأين تقع ، وكم يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ؟

البحرين — **شيخة عبد الرحمن**

« العربى » : أعلى منطقة فى الوطن العربى هى قمة جبل « طوبقال » من جبال الأطلس الأعلى فى المغرب ، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٤١٦٥ مترا .

ردود خاصة :

● **مرسى محمد فاضل** : مكافحة الملاريا ـ الدمام ـ ليس التدخين من الخبائث شرعا ، ولم يرد فى تحريمه أو كراهيته نص معتمد ، كما ورد فى الخمر مثلا .

البقية على صفحة ١٥٣

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٦

من شعر القراء :

متى نعود يا ابى ؟؟

اتانى والدموع بـلا انقطـاع
ليسـأل عن حكايات الضيـاع
عن الحق الذى ابتزتـه غـدرا
يـد المستعمرين ـ يـد الرعـاع
عـن الشعب الـذى أمسى شريـدا
هنا ، وهناك ـ فى كـل البقـاع
وامـواج المـآسى .. تبتلعهم
عـلى فلك يسـير بـلا شـراع

★★★

فقال : وخبرة الحـدث الصغير
تخط معـالم الحـدث الخطـير
ابى .. حتـام نبقى فى ضـياع
نجـرع أكـؤس الـذل المريـر
نكفكف دمعـة . ونصب اخرى
ونرسـل زفـرة .. ملء الصدور
فهـل سنعود حقا ، أم سـنبقى
نئام الليل فى ثوب المصـير ؟ !!

★★★

بنى .. بمثلك الوطـن الحبيب
يعـود اليـك ، والحق السـليب
فـلا الأيـام تنسينا ديـارا
ولا المستعمر الباغي الغصـوب
ففى اعماقنـا عـزم أكيـد
وبـين قلوبنـا قسـم رهيب
وانى قـد نذرتـك بعـد نفسى
فكـن للثـأر اول مـن يجيب

★★★

وجمـع يا بنى على الجهـاد
قلوب العـرب ارباب النجـاد
ولا تيـأس بنى ، وثق بـأنا
غـدا سـنعيدها ارض الجهـاد
غـدا ، سـنقبل الفردوس عـودا
ونمحـو عنـه آثـار الأعـادى
بجلجـل قصف مدفعنـا نشيدا
تـردده الحـواضر والبـوادى

مصطفى محمد عبد الهادى
عمـان

جزائر واق الواق

● أجبتم في العدد السابع والثلاثين عن موقع « الواق واق » بانه ليس لديكم ما يدل على ان لبلاد « واق الواق » وجودا فعليا في الوقت الحاضر على الاقل .... » . وهنا اود ان الفت نظركم ان هذه البلاد قد جاء ذكر مكانها على خارطة الشريف الادريسي للعالم في اول القرن السادس للهجرة ، ومكانها في المحيط الهندي جنوب الصين .

ممدوح البريدي – دمشق

فيما يختص بواق الواق ، اذكر لكم انى قرات في كتاب قديم ما يلي : –

« وصل العرب القدماء في تجارتهم الى الهند والصين حتى البحر الصيني ، وتاجروا معهم في جميع البضائع ونقلوا عن بعضهم البعض حتى ان الحضارة العربية فيها الكثير من مستحضرات الصين القديمة والعكس .

واحدى الكلمات التي اخذوها عن بلاد الصين هي الكلمة الصينية « الواق واق » معناها كان في ذلك الوقت اسم يطلق على سكان سواحل آسيا الشرقية أي اليابان سكان الجزر اليابانية » .

سميرة الخطيب – القدس

سعدى .. لا سكينة

● نشرتم في العدد ٣٤ مقالا عن سكينة بنت الحسين تضمن القصيدة التي قالها الشاعر الاموى – عمر بن أبي ربيعة :

قالت سكينة والدموع ذوارف
منها على الخدين والجلباب

حتى قال :

سكينة ما ماء الفرات وعذبه
منى على ظمأ وفقد شراب
بالذ منك وقد نأيت وقلما
ترعى النساء أمانة الغياب

وبينما كنت اقرأ ديوان عمر بن ابى ربيعة – تحقيق وشرح – ابراهيم الاعرابي – وقفت صدفة عند نفس القصيدة في الديوان المذكور وقد ذكر ان الشاعر قالها في « سعدى » فيقول :

قالت سعيدة والدموع ذوارف .. الخ ويقول :
أسعيد ما ماء الفرات وعذبه . الى نهاية القصيدة .

ارجو نشر ذلك للفائدة

كويت – سعود عبد الله عزيز الجابرى

وجهات نظر !

● كان رجل جالسا فى قاعة الاستقبال فى احد الفنادق يدخن سيجارا ، ودخلت سيدة وجلست قريبة منه ، وعلقت قائلة :

ـ لو كنت رجلا مهذبا لما دخنت هنا .

فرد عليها قائلا : لو كنت سيدة مهذبة لجلست بعيدا عنى .

فصاحت فيه قائلة :

ـ لو كنت زوجى لقدمت لك سما .

فاجابها : لو كنت زوجتى لاخذت السم بكل سرور .

بخل اسكتلندى

● اجتمع فى الفندق جماعة من النزلاء يتحدثون ، وكان بينهم اسكتلندى ، والاسكتلنديون مشهورون بالبخل ، فقال لهم وهو يحدثهم عن مغامراته فى الحياة ان شيئا لا يعجزه فى هذه الدنيا قط .

فانبرى له انجليزى فى الجماعة يقول :

ـ اليس هناك شىء واحد لا يمكنك ان تصنعه ، فاريك كيف انا اصنعه ، وفى سهولة ؟

قال الاسكتلندى :

ـ هناك حقا شىء واحد لا استطيعه ، ذلك هو دفع فاتورة الفندق هذه !

واخرج من جيبه كشف الحساب .

لغة زوجته !!!

المدير : من يتكلم ؟

السكرتير : اظن انها سيدة ... لم استطع ان اميز سوى كلمة «يا احمق» .

المدير : حوّل الخط الىّ .. لارد عليها .. انها زوجتى !

صاحب دفة !

● انضم احد شريكين يعملان فى تجارة الفحم الى جمعية دينية ، واخذ ينصح شريكه بالانضمام الى تلك الجمعية ، ولكن الشريك رفض ذلك وقال :

ـ لا استطيع .. فمن يقوم بعملية الوزن اذا التحقت بالجمعية ؟

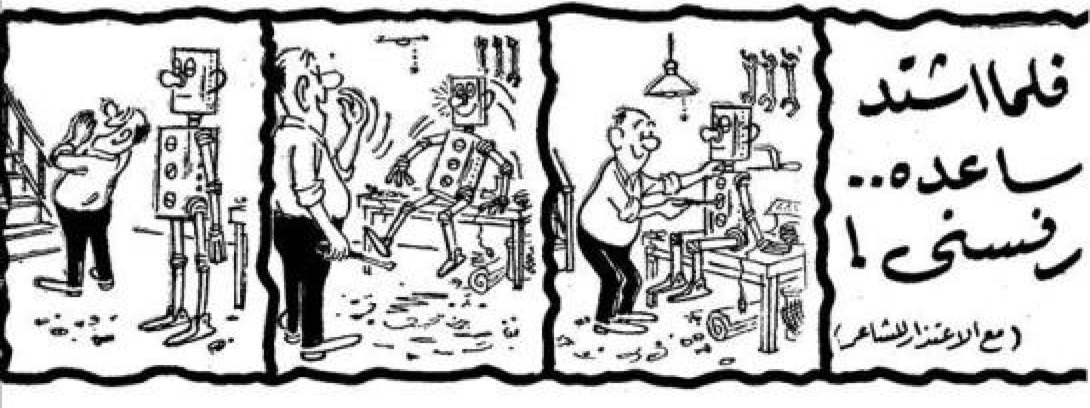

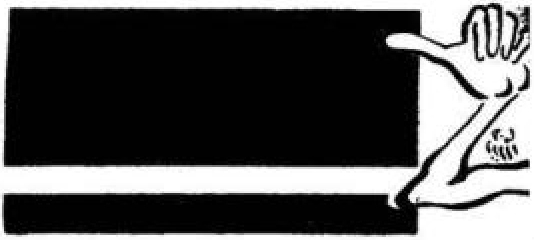

فائدة التمارين !

الأولى : كيف عـرفت أن التمارين الرياضية التى تؤدينها عند النافـذة نافعة ؟

الثانية : لقد طلب منى الشاب الذى يسكن فى البيت المقابل ان اتزوجه ثلاث مرات حتى الآن .

ذكاء مفرط !

البائع : هذه الزهرية عمرها أكثر من الفى سنة .

الزبون : لا تحاول أن تخدعنى .. اننا لم نصل بعد الى عام ۲۰۰۰ بل نحن فى عام ۱۹٦۲ .

الجنة .. بثلاثة قروش !

● أراد مليونير أن يدخل الجنة فسأله الحارس : « ماذا فعلت فى حياتك كى يؤهلك للدخول ؟

قال المليونير : « لقد رايت ذات مرة امراة فقيرة فاعطيتها قرشين » .

فساله الحارس:«وماذا فعلت أيضا؟»

فاجاب المليونير : رايت سائلا أعمى فاعطيته قرشا » .

فساله من جديد : «ثم ماذا أيضا ؟» .

قال المليونير : « اظن ان هذا هو كل ما فعلت .. » .

عند ذلك اخرج حارس الجنة من جيبه ثلاثة قروش ناولها للمليونير وهو يقول :

ـ هذه قروشك الثلاثة .. خذها واذهب الى الجحيم !!

سؤال .. وجواب !!

● اعجب احد الأطفال بمومياء رآها فى المتحف فسأل صديقه : ماذا تعنى هذه البطاقة التى كتب عليها ۷۸۹ ق.م؟

فاجابه الصديق : انها رقم السيارة التى داسته !!

الصناعة الهولندية خلال القرون

منذ عدة قرون اشتهرت الصناعة الهولندية بمتانة تركيبها ، والثقة بها ، وتصميمها . إن هذه الميزات لا توجد في الصناعة العريقة الممتازة للاحذية الخشبية فحسب ، بل وتوجد أيضاً في التشكيلة الواسعة لراديوات وتلفزيونات ومسجلات سيرا

ولذا ، فاننا نفخر عندما نصرح ، بأن الجودة الممتازة المقرونة بالشكل الجذاب ، تجعل أجهزة سيرا متفوقة .

س أ ٦١٨١ ت
راديو متنقل مجهز كلياً بالترانزيستورات ـ يعمل بواسطة ٤ بطاريات رخيصة قوة كل منها ١/٢ ١ ف ـ ٣ موجات ـ سهل الحمل ـ هوائي داخلي وهوائي على الاطار .

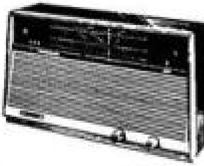

س أ ٣١٥١ ت
راديو الطاولة مجهز كلياً بالترانزيستورات ـ ٧ ترانزيستورات ومصباحين مفرغين من نوع جيرمانيوم ـ يعمل بواسطة ٤ بطاريات رخيصة قوة كل منها ١/٢ ١ ف ـ ٣ موجات ـ هوائي داخلي ـ صندوق من مادة البلاستيك .

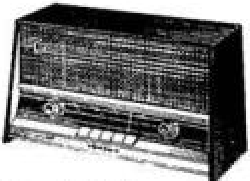

س أ ٣١٨٢ أ
٦ صمامات ـ ٤ موجات ـ هوائي داخلي ـ ضابطة للنغم المتواصل ـ مؤشر للادارة ـ صندوق خشبي لامع .

س أ ٦١١٧ أ
مسجل رباعي التسجيل ـ إمكانية إنتاج الصوت الستيريوفوني ـ موافق لبكرات حجم ٧ إنجات ـ أقصى وقت التسجيل والاذاعة ٨ ساعات ـ إمكانية مزج الراديو/غرام ومكبر الصوت ـ زر خاص للضماع في تسجيل إضافي على تسجيل سابق .

س أ ٤٨ ت ١٢٣ أ
ضابطة أوتوماتيكية ممتازة للادارة ـ سنكرون أوتوماتيكي أفقي وعمودي ـ هوائي تلسكوبي داخلي مزدوج ـ منظم أوتوماتيكي لضبط لون وأبعاد الصورة ـ مستقبل تلفزيوني حجم ٤٨ سم (١٩ انچ) .

س أ ٨١٦٠ أ
راديو غرام من النوع الممتاز ـ ٧ صمامات ـ ٤ موجات ـ مكبرتان للصوت ـ ضابطة لموازنة الستيريو ـ مبدل أوتوماتيكي ذو أربع سرعات .

سيرا

فخامة ، عظمة ، تفوق !

أنت تسأل ونحن نجيب

بقية المنشور على صفحة ١٤٧

● **آنسة نوال البنا**: المدرسة بمدرسة أم المؤمنين ـ الدوحة .

ـ هناك تسجيلات كثيرة لتعليم الفرنسية اطلبي التفاصيل من

INSTITUT LINGUAPHONE,
12, RUE LINCOLN,
PARIS 8e,
FRANCE.

● **عبد الحسن ...** : البصرة ـ عراق

ـ السيروكو ، أو زفير الصحراء ، رياح جافة ، تهب غالبا من داخل القارة الافريقية نحو الشمال الغربي ـ الجزائر والمغرب ـ يرافقها غبار مع نسبة ضئيلة جدا من الرطوبة ، وتتخذ في بعض الاحيان شكلا عاصفيا هائجا ، تحمل الرمال والتراب وتعتم السماء عدة ايام ، وتكون في هذه الاحيان بلاء على النبات والحيوان والانسان على حد سواء .

● **محمد احمد** : المملكة العربية السعودية .

ـ سعادة وزير الارشاد يتقبل بعين الاعتبار اي اقتراح عملي يتقدم به اي مواطن عربي للدعاية لقضية الكويت العادلة .

● **ساري عبد الرحمن السوقي** ـ طلوزة ـ نابلس : الاردن .

ـ الآية الكريمة لا تنفي امكان معرفة الجنين ان كان ذكرا أم انثى بوسائل الطب الحديث .

● **جميل سموح** : الفحيحيل ـ كويت

ـ لم يقصد الشاعر ثائرا بعينه ، ولا شهيدا بذاته ، وانما قصد كل وطني شهيد من أبناء العروبة .

العربي

العدد ٤٢
ذو القعدة ١٣٨١
مايو
(أيار) ١٩٦٢

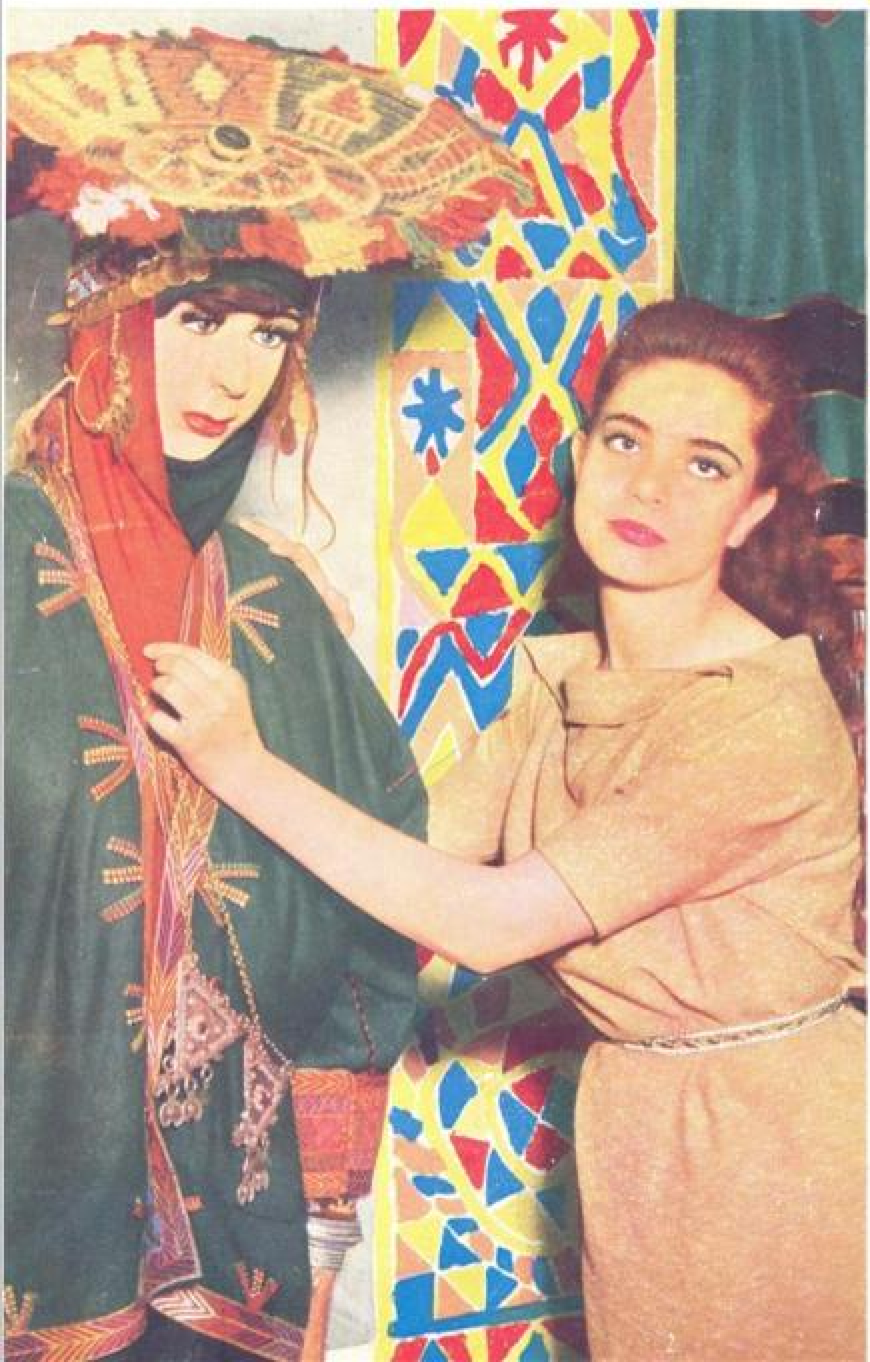

مع هذا العدد
هدية ثمينة
+
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

عربية من سورية
امام تمثال جدتها

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
يمن	٣٫٥	شلن
لعراق	١٢٠	فلسا
نان	١٠٠	قرش
دن	١٠٠	فلس
[illegible]	١٠٠	قرش
[illegible]	١٠	قروش
ن	١٠	قروش
يا	١٥	قرشا
ي	٢٠٠	فرنك
[illegible]	[illegible]	[illegible]

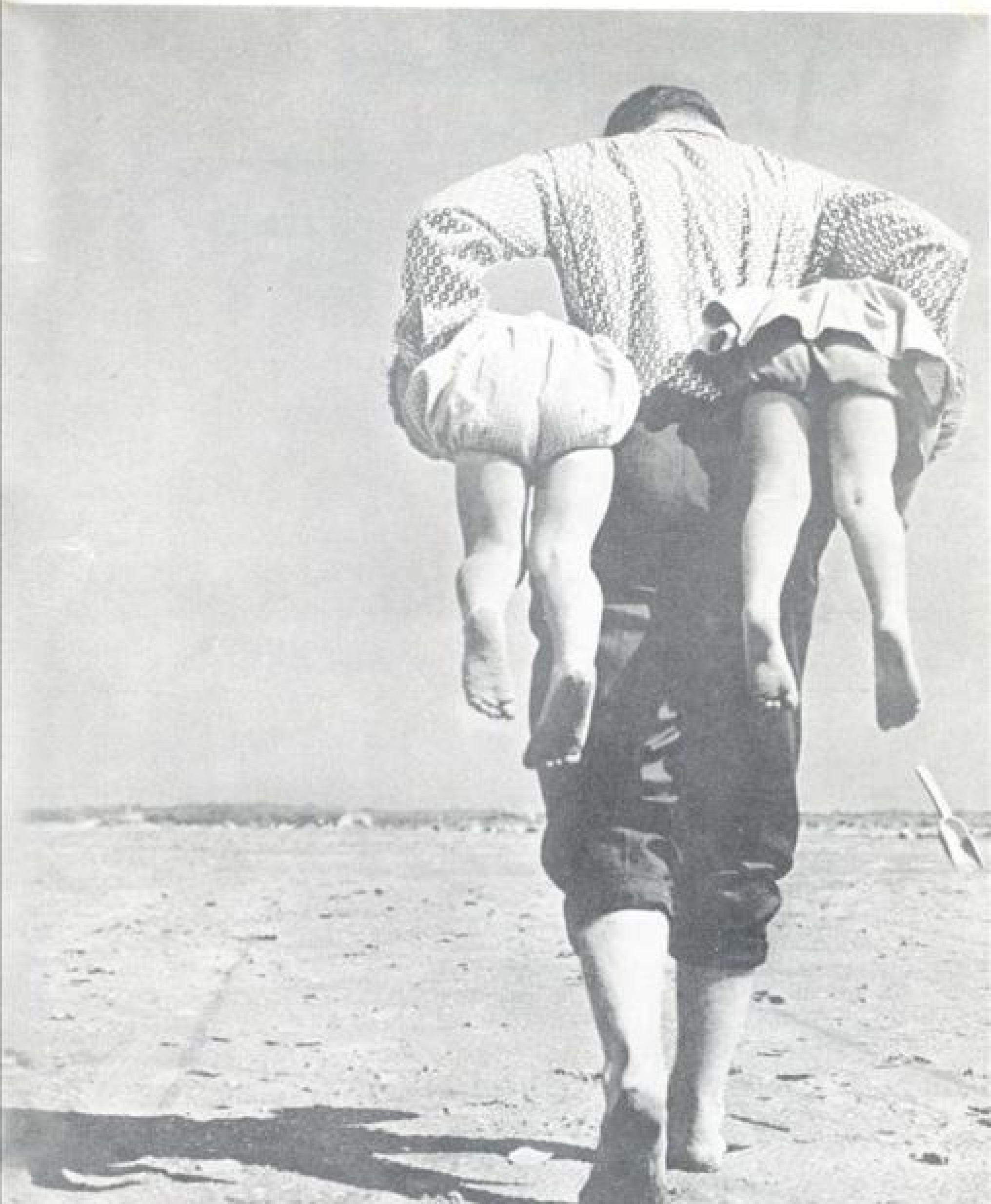

وانما اولادنا بيننا　　　　أكبادنا تمشي على الأرض

فان تعبت أرجلهم الصغيرة حملناهم

عزيزي القارىء :

ثلاثة أحداث تقع فى العالم العربى فى هذه الأيام الحاضرة :

● وقف اطلاق النار فى الجزائر . وتجد حديثا عنه فى أول الصفحات . وهو اخطر موضوع لأخطر حدث يمكن أن يعالجه فى الاونة الحاضرة قلم عربى ، بل وغير عربي لاتصاله باحداث العالم جميعا ، وتأثرها به الى حد كبير . دل على ذلك ، ما قرأناه من تعليقات فى صحف العالم قاطبة .

● وشهر أيار شهر النكبة الفلسطينية . وقد كان مكان الكلام واسع الرقعة فى أمرها ، ولكن جاء هذا الشهر وصلات ما بين الدول العربية فى احط دركاتها . والخلاص من النكبة لا يكون الا بالوحدة . لهذا آثرنا الصمت . والصمت قد يكون أبلغ فى العبرة من الف حديث ، لا سيما و « العربى » مقيدة أقلامها بحكم ما التزمته من حياد بين الدول العربية كامل .

● وفى شهر أيار يقع الحج . وهو مجتمع عالمى كان جديرا بان تنتهز فرصته للتشاور والتناصح والتعاون فى شئون تسعد الناس كثيرة . وعلى كل حـال فللمسلمين نرجـو : أن تأتيهم السنوات بأعياد أسعد ، وللناس قاطبة نرجـو أن يسود بينهم التفاهم ، ويتصل الود ، فالكل عباد الله ، والله ارحم الراحمين .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات :

آداب :

طب وعلـوم :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

تربية وعلم نفس :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصـدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٣٩٤١١ ــ تلغرافيا « العربى »
العنوان ببيروت : ص . ب ٤٦٧٩ ــ العنوان بالقاهرة : ص . ب ٢٧٢
الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● اصبح قصر العظم التاريخي في دمشق ، متحفا للمأثورات الشعبية ، وهو يضم ٢٠ تمثالا مصنوعة من الشمع ، تمثل الحياة الشعبية في مختلف مناطق الجمهورية العربية السورية . وقد شهد هذا المتحف هجوما ناعما قامت به فتيات اليوم في دمشق ، والسر وراء هذا الهجوم تقرؤه ابتداء من صفحة ١٢ في هذا العدد .

اجتماع وفن حياة :

ركن المرأة :

شعر وشعراء :

قصص :

كتب :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية و ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج٠ع٠م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

اللغة اللغة .. يا مجامع اللغة !

● شكرا على حملتكم التى بدأتموها فى العددين الماضيين للمحافظة على لغة العرب وتصفيتها من الشوائب ، والتى تبهتم فيها الأذهان الى خطر عظيم يهدد لغتنا الحبيبة باستعمال الدخيل من الالفاظ الأجنبية أمثال « الأوتوماتيك » و « الاورينتال » و«الاستيشن واجون» و« الباص » و« الكوافير » و « الاكسسوار » وغيرها من مئات بل الاف الالفاظ الأجنبية الدخيلة التى اذا ما طال عليها الأمد طغت على الالفاظ العربية واخذت طابع الاصالة وتعذر التخلص منها .

نبهوا الحكومات العربية الى ان عليها واجبا نحو اللغة ، وان فى مقدورها أن تفرض على الشركات والمؤسسات فضلا عن الجهات الرسمية الأسماء التى تختارها أو يختارها الاخصائيون لمختلف المهن والأعمال .

ادعوا الى مؤتمر للصحفيين لتعريب الالفاظ الغربية التى كثر تداولها فى الصحف ، وعن هذه الصحف تسللت الى مختلف الأوساط والبيوت . فليس مثل الصحافة من يقوم بمهمة الدعوة الى هذا التعريب ، وليس مثل « العربى » من يسبق الى هذا الواجب المقدس ، لاصلاح الرباط الأول للقومية العربية . نسأل الله لكم التوفيق .

عبد السلام الفالح
دخنة ــ الرياض

● اعجبت خالص الاعجاب بالخطة الحكيمة التى اقترحتموها لتسمية دقائق المصطلحات باللغة العربية . نعم ! ان طريقة التصوير مع تفصيل أجزاء الصورة أدعى لرسوخ الاسم المصطلح عليه فى ذهن القارىء العربى . وارجو ان تكمل «العربى» رسالتها القومية العظيمة بتخصيص باب ثابت لتسمية ما أغفلته المعاجم العربية القديمة . وارى ان منطقة الخليج العربى والجزيرة قادرة على اصطناع الفاظ يرضى عنها الذوق العربى الأصيل فى قولها عن الدراجة مثلا « الجارى » . اسم الفاعل من جرى .. ولما كانت « العربى » أوسع المجلات الشهرية العربية انتشارا بين مختلف طبقات الشعب العربى فانها ستدفع بالكلمة العربية رأسا الى تيار الاستعمال عن طريق الرسوم التوضيحية ، وعن طريق العرض المتوالي بطريقة ما لكل ما يتفق عليه قراء « العربى » فى الوطن الكبير . علما بأن المعاجم المؤلفة لا يفتحها الا الدارسون .

قدرى مايو
مدرس العربية فى فيلكا

نحن .. وبعض الزميلات !

● طالعتنا جريدة « النهار » البيروتية اخيرا بمقال عن « ابن ماجد » ، بحار العرب الأول ، بقلم الاستاذ قدرى حافظ طوقان ، ما كدت افرغ من قراءته حتى تذكرت انني قرأت نفس المقال ، ولنفس الكاتب : منذ مدة طويلة ، فى مجلة « العربى » ، وفعلا رجعت الى مجموعتى من هذه المجلة فوجدت المقال منشورا بنصه وفصه ، بالعدد التاسع والعشرين من « العربى » . وعجبت لهذه الظاهرة التي تفشت فى العهد الأخير ، فترى بعض الكتاب يعمدون الى نشر مقالات لهم سبق نشرها من قبل فى مجلات او صحف أخرى .

على انني عدت أسأل نفسي : الا يمكن أن تكون جريدة « النهار » قد اباحت لنفسها نشر مقال الاستاذ طوقان دون علمه أو موافقته ؟

انا أعرف انه ليس من خلق الاستاذ قدرى أن

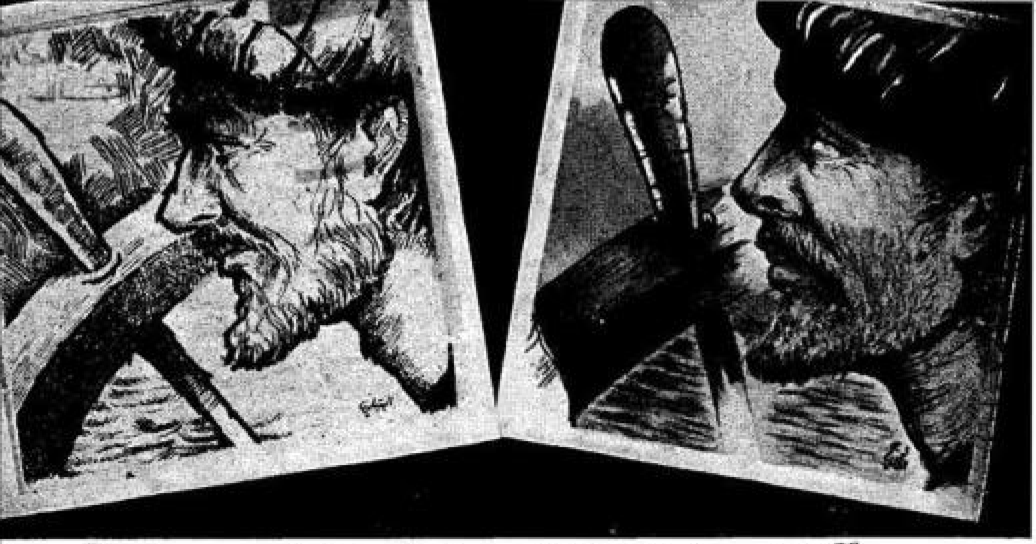

الى اليمين « ابن ماجد » كما تخيله رسام « العربى » ، **والى اليسار** نفس الرسم كما نشرته « النهار » بعد ابدال اسم الرسام !

ينشر مقالا سبق نشره ، وخاصة فى مجلة واسعة الانتشار كمجلة « العربى » بالذات .. كما اعرف انه ليس من خلقه أيضا أن ينتحل لنفسه شيئا ليس له ، فقد لاحظت ان جريدة « النهار » نشرت مع المقال بعض النبذ التاريخية التى حرصت « العربى » على ان تضيفها اليه ، سواء عن تاريخ ابن ماجد او عن راى الكتاب والبحريين الاجانب فيه ، بعد ان وضعتها « العربى » فى « براويز » مستقلة ، وذيلت كلا منها بكلمة « العربى » . ولاحظت ان « العربى » هي الكلمة الوحيدة التى حذفتها جريدة « النهار » من المقال وملحقاته !

وثمة شىء آخر يدل على دقة الصحيفة البروتية فى النقل .. فهي لم تكتف بأن اهملت الاشارة الى انها نقلت مقالها عن مجلة « العربى » ، بل اباحت لنفسها أن تنقل مع المقال الرسم الذى تخيله رسام « العربى » لابن ماجد ، ونشرته مع المقال ، بعد ان محت عنه اسم رسام « العربى » ، ووضعت مكانه اسما آخر ، لعله اسم رسامها الخاص !!

متى يا ترى يفهم المشتغلون ، بالصحافة والادب ان هناك حقوقا يجب أن تحفظ ، وحدودا لا يجوز أن تتخطى ، وامانات ينبغى أن تصان ؟

« ... بدر الدين »

تحية من السيد كريستنسون ، بالدنمركة ،
الى اصدقائه العرب ننشرها بلغته العربية

● تحية طيبة وبعد ، فقد كان لفوزى فى مسابقة« العربى » أجمل الأثر فى نفسى ، ولقد كان لزاما علي ان اشكركم فى الوقت المناسب ، غير انني وللاسف لم أفعل بما يمليه علي رد الحسنة بعشرة امثالها لكثرة مشاغلى التى استغرقت وتستغرق علي كل وقتي .

لقد اكرمتني مجلتكم الغراء أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة . ولكنها ابت الا ان تشرك قراءها الاعزاء فى اكرامى ، الشىء الذى اعتز وافخر به أضعاف أضعاف الجوائز المادية مهما بلغت قيمتها .

هـــذا السيل العرم من رسائل القـــراء ، المليئة بالعاطفة والود ، وهؤلاء الأفاضل الأعـزاء من قراء « العربى » ماذا اقول لهم ؟ انني والله لا اجد الكلمة المناسبة لاشكرهم الشكر كلـه ، ذلك أن الكلمـة غالبـا ما تعجز عـن ايفـاء كـل ذى حـق حقـه من الشـكر ،

(البقية على صفحة ١٥٧)

مركز الثّقل تزحزح من مَشْرق الوطن العربي إلى مَغْربه ، وفي هذا الخير للعرب حيثما كانوا

الجزائر

مِنْ نَكَبات الزمان . . . وغَباء الانسان أنه لا يعترف إلا بالدّم سبيلاً إلى الحرّيّة !

■ اريد ان اكتب عن الجزائر ، فماذا آخذ من القول وماذا ادع ؟

أأشيد بوقف اطلاق النار الذى وقع منذ اسابيع ؟ فقد اشاد به مئات الكتاب، وفرح به الملايين من العرب فرحا قل أن فرحوا فرحا مثله فى هذه العقود القريبة فى الزمان .

ام أمجد البطولة العربية ، بل البطولة الانسانية التى كانت ، فى سبيل المجد الصراح الذى ملأ العين فلم تأخذ احدا فيه ريبة ؟ فلقد مجدها الكثير العديد من الاقلام ، ودوى بها الكثير العديد من الخطباء .

ام ارثى الذين سقطوا فى هذا الصراع غير المتعادل،وابكى الرجال والنساء الذين خرجوا الى الموت وهم يعلمون انه الموت، ام تلك الأسر الاخرى التى جاءها الموت غدرا فى طريق،فافقدها طفلا ، او افقدها اماً او افقدها اباً عائلا شهما؟ولكن ماذا ينفع الرثاء ، وماذا يرد البكاء ، والذى مسه الفناء لا يعود .

تاريخ نتذكر فنشكر
٢٧ ابريل ١٨٢٧

تواريخ نتذكر فنشكر
٨ مايو ١٩٤٥
١ نوفمبر ١٩٥٤
١٩ مارس ١٩٦٢

فتح الجزائر

كانت الجزائر جزءا من الامبراطورية التركية . واضمحلت الامبراطورية فاضمحل سائر ارجائها . وعلى اجزائها المبعثرة هنا وهناك حامت المطامع كما تحوم الغربان على

بقلم رئيس التحرير

الجثث . وما الغربان هنا الا غربان اوروبا . شموا الرائحة فاهتدوا .

اسلوب الاستعمار واحد

والغريب أن أسلوب هذه الغربان وامثالها في الدخول الى اجزاء الامبراطورية المتداعية كان واحدا . قطعة تمثيلية يخططونها ، ويمثلونها في يوم لا يجيء ليله ، ويطلع نهاره ، حتى تكون الفريسة قد وقعت في الشباك .

كان حاكم الجزائر عام ١٨٢٧ ، حسين ابن حسين . وزاره قنصل فرنسا في يوم عيد ، يهنيء . وما جاء للتهنئة . انها كلمات جارحة مقصودة فاه بها القنصل فأجاب عنها الحاكم بضربات من منشته على وجه القنصل ، تماما كما قدر القنصل وأراد . وكانت نتائج ذلك معروفة . كان الغزو . وقيل أن من دوافع الغزو طمع شارل العاشر ، ملك فرنسا ، في خزائن عند الحاكم ، شاع امرها ، اودعها سراديب القلعة .

ويزحف الفرنسيون على السنين داخل البلاد زحفا ، فيأخذون أحسن اراضيها ، ويستولون على كل شيء طيب فيها . ويستعمرونها استعمارا ، كأن الأرض ليس لها ناس ولا سكان . ومضى قرن تبيّن عنده واضحا أين صار الغنى وصار الفقر ، وأين صار العلم وصار الجهل ، وأين صارت الصحة وصار المرض . واذا قامت حرب كان الجزائريون طعمة النيران . ومع هذا فقد ظلّ ، من حيث الكرامة والوضع ، يقال هذا اوروبيّ ، وهذا وطني . . سيدٌ ومسود .

مقالة شهيرة

وفتنوا ولاء الناس ، بعضهم لبعض ، تفتيتا . حتى اذا جاء عام ١٩٣٤ كتب عباس فرحات مقالته الشهيرة . بحث عن وطنه فلم يجد وطنا ، فكتب :

« لو اني وقعت على شعب يعرف بشعب الجزائر ، اذا لكنت وطنيا قوميا شعبيا .. ان الذين يموتون من اجل هدف من اهداف وطنهم يكرمون ويحترمون في الدنيا في كل زمان . وليست حياتي بأثمن من حياة الرجال في وطني . ولكني للأسف لا استطيع ان اموت في سبيل وطني ، وطني الجزائري، لسبب واحد ، ان هذا الوطن لا وجود له. ولقد ساءلت التاريخ ، ولقد ساءلت الأحياء والأموات ، وزرت حتى المقابر ، فما دلني ولا تحدث الي في امر هذا الوطن احد .. » .

هذا ما كتبه عباس فرحات ، الذي صار من بعد ذلك رئيس الحكومة الجزائرية الوطنية المؤقتة ، كتبه منذ ثلاثين عاما ، كتبه عن يأس في حال بلاده بالغ .

ولا تحسبن انه كتبه بالعربية . ان هذا مترجم عن الفرنسية . فالاستعمار اللاتيني قضى ، عمدا وتخطيطا ، على لغة البلاد . فعند الاستعمار أن البلاد كان لا بد ان تنهضم ، وان تتفرنس ، وان تخلق خلقا جديدا عجيبا ، لا هو الى اوروبا فيتبع، ولا هو الى افريقيا فيبقى حيث قدر له البقاء .

يأس ورجاء

واقرن ما قاله عباس ، بالأمس غير البعيد ، بالذي في الجزائر ، في الأمس هذا القريب، فاجدني اقرن اليأس بالرجاء، واضع الظلام الى جانب النور .

واتساءل : هل حقا كان الوطن الجزائري العربي لا وجود له ؟

واجيب عاجلا : كان الوطن الجزائري موجودا ، لا شك في هذا . ولكن كان مفرقا مبعثرا ينتظر شيئين ليجمعانه ، وليوقظانه :

(١) حادثا أكبر يصيب البلاد، يوقظ النائم ، ويقيم القاعد .

(٢) وزعامة قوية واحدة جبارة رشيدة تلم الأشياع وتحزم الأمور والاتباع .

الحادث الاكبر

ان الأقدار تلهو كثيرا ، وتضحك كثيرا، فاذا غضبت ، تجهم وجه الارض واصاب الناس الفزع، واصاب الجزع ،واصابت النكبة .. وكم في النكبات من حياة .

ولقد غضبت الأقدار غضبتها الموقظة في الثامن من مايو عام ١٩٤٥ .

في سطيف ، كانت المدينة قد ازينت لتحتفل بعيد النصر ، عند اختتام الحرب العالمية بفوز الحلفاء . وأذن البوليس بموكب للأوروبيين. وأذن بموكب خاص « للمسلمين » . واشترط ان لا يكون في موكب المسلمين ما يدل على انه موكب سياسي . ولكن ، لما سار الموكب ، اذا بدعاءات تشق الجو في الطرقات الزاخرة:

« عاشت الجزائر حرة » .

« فليسقط الاستعمار » .

« الاسلام ديني ، والعربية لغتي ، والجزائر وطني » .

وظهرت في الموكب العظيم اعلام عجيبة، لم يرها البوليس الفرنسي من قبل .

لا بد لجيش التحرير من طعام . وهؤلاء نسوة اربع يعجن الدقيق ، وحولهن متطوعات محاربات وغير محاربات ، حتى ومن حملن اطفالهن على أذرعهن .

اعلام ، نصف بياض ، ونصف خضرة ، وفى الأوسط هلال ونجمة . ويلوح بها المتظاهرون،بينا هم يصيحون ويصرخون.

وتقدم مفتش للشرطة ، فرنسي طبعا ، الى المتظاهرين يأمرهم بانزال الاعلام . ورفضوا . وانطلقت طلقة من مسدس ، سمعت اصداؤها فى البلاد جميعا، الف الف طلقة .

قامت الثورة ، واندلعت نيرانها ، فلم يبق من الجزائر شرق ولا غرب الا اصابه لهيبها .

ووراء الرجال كان النساء يصرخن ، صرخات عرفها الفرنسيون ، من تلك الأيام،ففزعوا منها بعد ذلك كلما سمعوها لأنها كانت صرخات محمومة ، تدفع الرجال الى المزيد من القتال .

واطلقت فرنسا على البلاد الفرق الأجنبية ، واطلقت الجنود السنغالية . واذنت لهم بالقتل والنهب وحرث النساء (وذلك نقلا عن كتاب المستر ادموند ستيفنسون الامريكى عن الثورة الجزائرية) .

وقدر الفرنسيون الرسميون عدد القتلى من « المسلمين » فكان ما بين ٨٠٠٠ و ١٠٠٠٠ نفس ، وقدرته جهات اخرى مقادير اكبر أخرى بلغ اقصاها ٤٥٠٠٠ نسمة .

والزعامة

فهذا عن الحادث الاكبر الذى جمع البلاد ولم شمل العباد .

اما عن الزعامات فقد بدات زعامات اقوال ، لا زعامات افعال . زعامات سمعنا فيها بأسماء عديدة : بمصالى الحاج . برابطة العلماء ومن رؤسائها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وبامينها احمد توفيق المدنى . وبعباس فرحات يتقدم الصفوف ثم يتأخر . وسمعنا بالسجون تفتح وتغلق ، ثم تعود فتغلق على من كانوا سرحوا .

مناوشات كان سلاحها الالفاظ . لم يكن فيها غير الحبر شيء مسكوب ، ولا غير الصرخات وعرق الحناجر شيء

استقبال الزعماء الجزائريين فى الرباط : وفى الصورة الملك الحسن ملك المغرب رافعا يده بالسلام عند عزف السلامين الجزائرى والمغربى ، والى يمينه بن يوسف بن خده رئيس وزراء الحكومة الجزائرية المؤقتة ، والى يساره احمد بن بلا ، نائب الرئيس ، وهو أحد الزعماء الذين افرجت فرنسا عنهم اخيرا .

مصبوب . وابو تمام يقول :

السيف أصدق انباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى
متونهن جلاء الشك والريب

المنظمة الخاصة

ومن الانصاف أن نقول أن مصالى الحاج ادرك هذا المعنى بعض ادراك . فحزبه الذى انشاه عام ١٩٤٦ ، وسماه « حركة الانتصار للحريات الديمقراطية » M. T. L. D. ما لبث أن انبثق منه فرع ثورى ، اسموه المنظمة الخاصة Organisation Speciale أو اختصارا O.S. ، وكان هدفها تحضير الخطط وانفاذها فى سبيل حركة ارهابية تؤدى الى ثورة عامة تقوم على الفرنسيين .

ولكن الفرنسيين اكتشفوا هذه المنظمة فى عام ١٩٥٠ ، وحوكم الكثير من

زعمائها ، وحكم عليهم بأنهم خططوا للاخلال بأمن الدولة .

احمد بن بلاّ يهرب الى القاهرة

وكان من بين هؤلاء احمد بن بلاّ . ولكنه هرب من السجن عام ١٩٥٢ ، واستطاع ان يبلغ القاهرة . وفيها التقى بمحمد خيضر ، وكان قد هرب اليها في العام السابق خشية القبض عليه في الجزائر .

وتقوم ثورة مصر

ويشاء القدر أن تقوم ثورة مصر في هذا العام . ويلتقى شباب ثائر بالجزائر ، بشباب ثائر في مصر . وكان تجاوب ، وكان تآزر . وقد كان سبق الى القاهرة الكثيرون من طلاب الحرية في المغرب العظيم .

ولادة « جبهة التحرير القومية »

ولست ادخل في تفاصيل ما كان بعد ذلك ، فذلك أمر يطول . ولكن لا بد من القول بانه في القاهرة وُلدت « جبهة التحرير القومى » ، التى تشير اليها الدنيا اختصارا بالاحرف F. L. N. . وهى جبهة قررت أن تترك وراءها الخصومات الحزبية ، والتكتلات من رجعية وغير رجعية ، وآمنت بأن العنف لا بد ان يكون جوابا للعنف . وأن لا سبيل للحرية الا بخوض بحار من دماء .

اول نوفمبر ١٩٥٤ يوم كبير مشهود

وكشفت الجبهة عن وجهها في اول نوفمبر عام ١٩٥٤ . سبعون هجمة قامت بها الجبهة الارهابية ـ حين الارهاب صار هو السبيل الواحدة للوصول الى الحياة ـ في نواح من البلاد الجزائرية متفرقة . وقامت كلها في وقت واحد . ولم يصدق الناس . وذُعر الفرنسيون ، وذُهلوا .

واخذت الجبهة تكثر ، وتقوى ، وتمتد ، حتى صارت ، للفرنسيين والأوروبيين المستعمرين ، كالأخطبوط ، له الأذراع ، امتدت حتى جمعت في قبضتها كل البلاد .

جنرالات فرنسيون اربعة من المتمردين . وهم وراء المنظمة السرية للجيش الفرنسى :

وهم من اليمين : الجنرال موريس شال Challe ، والجنرال راؤول سالان Salan والجنرال ادموند جوهو Jouhaud ، والجنرال اندريه زلار Zeller والأول والرابع في السجن ، والثالث قبض عليه في وهران . ولم يبق الا سالان .

أقوال تبعث الأمل فى كل شعب ، بداء اليأس مريض

الجنرال كترو حاكم الجزائر ، فى عام ١٩٤٣ :

استقلال الجزائر لا يمكن أن يدخل الى عقلى لحظة واحدة ، واحداث الاضطرابات من اجله لا يمكن أن اقبله ابدا .

منديس فرانس ، رئيس وزراء فرنسا ، فى عام ١٩٥٤ :

« ان المديريات الجزائرية جزء لا يتجزأ من فرنسا ، وانفصال الجزائر عن فرنسا شىء لا يمكن أن يتصوره أحد ، وهذا امر يجب أن يكون واضحا لكل انسان فى كل زمان » .

موليه ، رئيس وزراء فرنسا ، فى عام ١٩٥٦ :

« ان فرنسا لا يمكن أن تخرج من الجزائر ابدا » .

كوتى ، رئيس الجمهورية الفرنسية ، فى عام ١٩٥٧ :

« لا يمكن أن ينتظر منا احد ان نضحى بالساس لورين اخرى ، فى الجانب الآخر من البحر الابيض المتوسط » .

دى جول ، فى مايو عام ١٩٥٨ :

« ان من السخف ومن المؤسف ، ان نقطع الآن ما بين فرنسا والجزائر » .

دى جول فى سبتمبر عام ١٩٥٨ :

« ان المستقبل السياسى للجزائر يقرر فى الجزائر نفسها » .

دى جول ، فى مايو ١٩٥٩ :

« جزائر بابا ، جزائر الامس ، قد ماتت ، والذين لا يفهمون هذا سوف يدفنون معها» .

دى جول ، فى يناير ١٩٦٠ :

« تقرير الجزائريين لمصيرهم بأنفسهم هو المسلك الواحد الجدير بساسة فرنسا ان يرتضوه » .

دى جول ، فى يونيو ١٩٦٠ :

« ان فرنسا تقول للجزائر ان الجزائر جزائركم ، فدعونا نتفاوض ، وكل الذى نرجو منكم ان تتركوا سكاكينكم عند الباب » .

دى جول ، فى صيف ١٩٦١ :

« ان فرنسا توافق بدون شرط على ان يؤلف سكان الجزائر دولة كاملة الاستقلال » .

دى جول ، عام ١٩٦٢ :

« يتم الاتفاق ، ويعلن وقف اطلاق النار » .

سبع سنوات دامية ، ما كان سواها الى النصر سبيل .

وكثرت الضحايا . عشرات الالوف من الفرنسيين ، ومئات الألوف من الجزائريين .

ومع هذا صمدت الفئة القليلة للفئة الكثيرة . وبان آخر الأمر لأى الفريقين كان الغلب .

كان للفريق الذى أرخص الحياة .

ولكم ترخص الحياة لدى المجاهد الذى يعلم أن الحق غايته ، وعنده أن الحياة تطوى ، طال بساطها أو قصر ، وان الذى يطوى منها يصير وكأنه لم يكن . وانه لعل هناك ، من بعد موت ، يقام للقوم الظالمين ، وللعدالة ، ميزان .

وسموهم الارهابيين

وسموهم الارهابيين ، تنفيرا وتكريها

فيهم . وهل كان الاستعمار ابدا الا ارهابا . وهل يصدّ الارهابَ الا الارهاب .

والغريب انك تذكر الدم ، سبيلا الى الحق ، فيجزَع اهلُ الغرب ، ويرمون اهل الشرق بالعنف وضلال السبيل . فى حين ان الغرب ما دخل ارضا، مستوليا على خيراتها وجهود اهلها ، الا بالعنف والارهاب .

وتحرُّر من المستعمرات ما تحرر ، فهل كان هذا الا من بعد نفاد أحاديث السلام وعقمها ، والتجاء الأهلين الى الارهاب .

ان المستعمر ما سلم قط فى ماضى الزمان ، الا للعنف ، وللدم الصبيب .

الهند سال دمها ، وعاش نهرو فى السجن سنين ، قبل ان يصبح رئيس وزراء الهند .

ومصر سال دمها، ونفى زعيمها القديم، سعد زغلول ، وعرف هو وأصحابه السجون ، قبل ان يصير سعد رئيس وزراء مصر .

خجز الجزائريون داخل الاسوار . ويأتى وقت الطعام ، فيخرج الأطفال وامهاتهم من فرجة فى الأسلاك مفتوحة ، يأخذون ما يجود به عليهم الأجاود من طعام ، ثم هم الى مأواهم يعودون ، من نفس الفرجة التى خرجوا منها .

وقبرص سال دمها ، ونفى اسقفها ماكاريوس، قبل أن يصير رئيس دولتها.

والاستعمار الفرنسى والاستعمار الايطالى ، كم تضرجا بالدماء ، واليوم الاستعمار البلجيكى والاستعمار البرتغالى يمارسان اراقة الدماء على مَرأى من العالم ومَسمع . ومع هذا فلا يزال الى اليوم ، عند الغرب ، ان المدافعين عن حقوقهم ، من الأهلين هم الارهابيون ، وهم الثوريون ، وهم الخارجون على النظام وعلى القانون .

صُوَرٌ من الحياة على هذه الأرض، يثور لها الحليم ، ومنطقٌ يَمرض به العقل السليم .

ففى اى الأذهان ، وفى اى العقول السليمة يجوز أن ينزل بيتى نازل، يأخذ مالى عنفا ، ويجمع أثاثى نهبا ، ويلمُّ كل ذخيرتى ، ويجلس على كل ما اخذ ، ثم يدعونى بعد ذلك الى المسالمة والسلام ، والى الوئام والى التمسك بلطائف الانسانية .

الا بُعداً لها انسانيةً ذليلة حقيرة ، زائفة لا يرضى بمثلها وحوش الغاب، ورضى بها الأباعر من حثالات اقوام .

زعامة نبتت من ميادين القتال

والزعامة الجزائرية نبتت من ميادين القتال . كلهم جنود ، وكلهم خططوا عند خطوط النار ودبَّروا . وكلهم عرفوا الحياة اجفَى ما تكون ، وأمرّ ما تكون ، واخطر ما تكون .

فهم من الفئة التى لم تبال الموت ، ولن تباليه .

وهم شبان ، اسماؤهم مغمورة غير مشهورة .

وهم شبانٌ كفروا بالخلافات التى هدت كيان البلاد فصنعوا ما صنعوا بمعزل عنها .

وجعلوا من وحدة الصف بينهم غاية ، هى عندهم من امّهات الغايات . ومن الوحدة التى نشأت بينهم ، اضطردت الوحدة فى صفوف المحاربين الذين هم

مدينة الجزائر ، وقد صبَّ عليها الجيش الفرنسي شعاعا عظيما من ضياء ، ليكشف به عن ارهابيي المنظمة السرية للجيش الفرنسي ، اولئك الذين اعتصموا باسطح العمارات وظلوا يطلقون النيران على الجنود النظاميين وغيرهم منها .

دونهم . وعمّت ، من أجل هذه الوحدة، الثقة بهم . والطاعة وليدة الثقة . والأوامر كانت تخرج الى الجند المحاربين، المتطوعين ، فتجاب بلا تردد ، ولو كان فى اجابتها الموت .

انهم بالوحدة انتصروا .

وبالوحدة هم لا شك دائما منتصرون.

الجزائر ووحدة الصف العربى

ان الجامعة العربية اليوم تتناولها الألسن بالكثير من الكلِم الجارح . واسمع هذا فانظر فى أعين قائليه لأتبيّن ما وراء هذه الأعين من عقل ومن فهم ومن وعى .

انهم كرهوا حال العرب ، فأرادوا ان ينفسوا عن انفسهم ، فلم يجدوا الا الجامعة متنفسا . ونسوا ان الجامعة العربية ما هى الا الشعوب العربية مجتمعة . فالكلام الجارح الذى يوجه الى الجامعة العربية انما هو كلام جارح موجه للدول التى تتألف الجامعة منها . الجامعة تقوى بقوة الدول التى منها تتألف ، وتضعف بضعفها .

واليوم اذ تتحرر الجزائر سوف تكون عضوا انفع فى الجامعة العربية .

ان دخول الجزائر ، شعبا حرا فى الجامعة ، سيزحزح مركز ثقل العروبة من مشرق الوطن العربى الى مغربه . سيجعل الوطن العربى افريقيا وآسيويا ، وللافريقى الغلبة فى السكان : ستون مليون عربى .

وانى لأحسب ان هذا سوف يكون لخير العروبة جميعا ، فى مشرق ومغرب. فالشمال الافريقى اقرب الى اصول المدنية واكثر تأثرا بها . واذا كان لى أن اتنبأ ، لتنبأت بأن الحياة فى الدول الأربع ، من اجادير الى السلوم، ستكون اسرع تطورا من تطورها بين غزة ومسقط ، واسرع كثيرا .

والتطور فى اجماله ، قد يدعو الجمل العربى ان يَطرح بعض احماله ، فمن الأحمال الثقيل غير النافع .

ان تحرر الجزائر ، كتحرر المغرب وتونس ، وليبيا ، سيطلق شعوب هذه الدول العربية الأصيلة لتجرى نحو التحرر الأكمل ، من اصلاح حال ، وتدبير مال ، واصلاح زراعة، واصطناع صناعة، والأخذ من الحضارة الغربية ، لا بالكوب الصغير ، ولكن بالصاع الكبير . وفى كل ذلك قوة للعروبة حيثما كانت .

حقق الله الآمال . ■■

احمد زكى

قبلة إلى جبال

للشاعر : احمد السقاف

طلَع الفجرُ علَى رَغم عِـدَانـا
وانجلَى اللَّيلُ وولَّى عن حِمَانا
ومَسَحنـا دمعـةً قـد طَفَرتْ
مِن مآقٍ يَبست مِنْهَا زمَانَـــا
وهَتفْنَـا للبُطـولاتِ الَّتِي
لمْ تَجِدْ فِي غيْرمثْوانا مكَانَا
نَحنُ معْنَاهَا ولمّـا طوّقتْ
فَتْرةً في الأرْضِ لمْ ترْضَ سِوَانَا
سَائِلُوا «أوراس» عَنْهَا حينَما
سَدّتِ الأُفْقَ لَهِيباً ودُخَانا
وتَبَـارى للرّدَى أبْطَالُهـا
يَدْفَعُون العَارَ عنَّا والهَوانا

★★★

أوراس

صورة تذكارية من ست سنوات لمجموعة من المجاهدين في جبال أوراس ، والثاني من اليمين هو يوسف بن خده والثاني من اليسار هو كريم بلقاسم ..

بأبي « أوراس » كم من شاعرٍ   لم يجدْ من هولِ ما ضحّت بيانا
أذهلَ الإعجازُ ، منهُ ، وحنيه   واللسانُ الطلقُ لم يبقَ لسانا
والبطولاتُ إذا ما أعجزت   قصّرَ الوصفُ وعانى ثمّ عانى
لم يرَ التاريخُ في أدوارِه   مثلَ هاتيك الوغى حرباً عوانا
ضجّتِ الدنيا لأسمى مثلٍ   في الفداءِ الحقّ مذْ كانتْ وكانا
ومضتْ سبعٌ وما من ثائرٍ   ملّ للهيجاءِ ضرباً وطعانا
ورمى جيشُ فرنسا حقدَه   يطلبُ النصرَ ، ولو نصراً جبانا
فتحدّته أسودٌ أقسمت   أن ترى الباغيَ مدحوراً مهانا
فإذا بالنصرِ قد لاحَ لها   وإذا « إفيان » تعطيه الأوانا
وإذا « أوراس » في نشوتها   فوقَ ما يرجون سلماً وأمانا
والفتوحاتُ – وقد طال السرى   زغردت تعلي بها شأنَ علانا
وصلاحُ الدين من قابرِه   قدّمَ التاجَ لها والصولجانا

***

يا بني العُرْبِ بلغتم مثلَها   ورفعتم أبدَ الدهرِ لوانا
لا تظنّوا أنّها قد خمدت   فأوارُ الشمسِ من بعضِ لظانا
ففلسطينُ ، وما أكرمَها   سلبتْ – مما تلاقيه – كرانا
فلها يومٌ كما تبغي المنى   ولها في يومها كلُّ قوانا

أحمد السقاف : الكويت

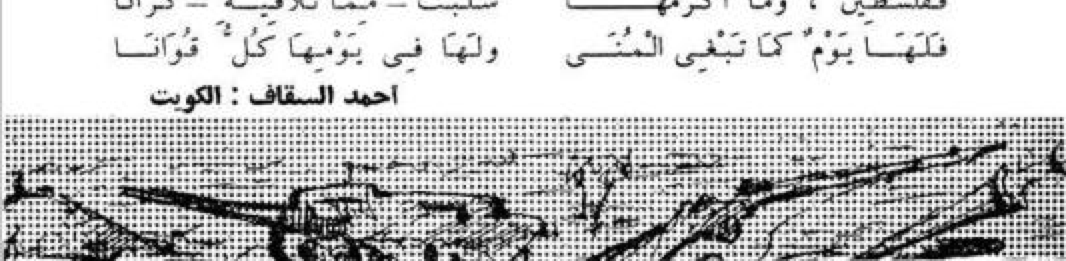

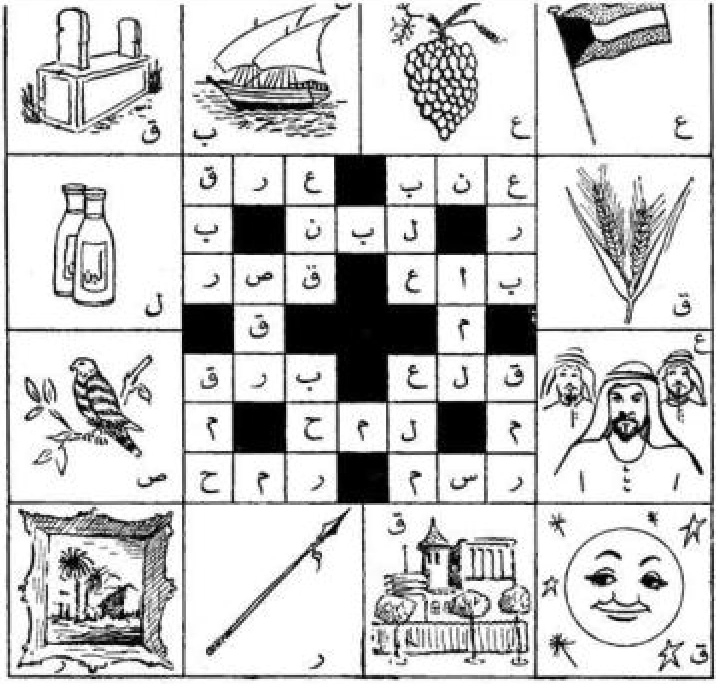

نتيجة مسابقة العدد الاربعين

٥ جوائز يفوز بها عرب مغتربون !

■ حالف الحظ هذه المرة عددا غير قليل من اخواننا وأبنائنا العرب المغتربين ، فى أوربا وأمريكا وافريقيا ، سعيا فى طلب العلم او الرزق .

ومنحت القرعة الجائزة الأولى ضابطا سعوديا يعمل فى قوات أمن الجامعة العربية بالكويت ، والجائزة الثانية مهندسا كهربائيا من اصل عربى يعمل فى أمريكا وقد طلب فى حالة فوزه باحدى الجوائز أن تكون هدية رمزية ، لا نقدية ، كى تذكره بالعرب والعروبة .

اما الجائزة الثالثة فكانت من نصيب اخت عربية مغتربة فى « اكرا » عاصمة غانا .

وفيما يلى بيان أسماء الفائزين بالجوائز :

الجائزة الأولى وقيمتها ثلاثون دينارا : فاز بها الضابط السعودى الملازم أول **عثمان حسين الكويليت** بقوات أمن الجامعة العربية بالكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا : فاز بها المهندس الكهربائى **نعيم سلفيتى** ، من أصل عربى ومقيم بالولايات المتحدة الامريكية .

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير : فازت بها المغتربة العربية **هنيدة ضناوى**،اكرا ـ غانا .

٨ جوائز مالية مجموعها اربعون دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **سالم بن سليمان** : المذيبة ـ عمّان .

٢ ـ **مازن الحسيني** : طالب فلسفة قسم الدكتوراه براغ ـ تشيكوسلوفاكيا .

٣ ـ الآنسة **اليس شداد** : ثانوية اللاتين ـ الحصن ـ الاردن .

٤ ـ **يوسف ثنيان المشارى** : طالب كويتى بساسكس ـ انجلترا

٥ ـ **محمد حشمت عطية محمد محمود ملاماط** : جرجا ـ الوجه القبلى ـ ج٠ع٠م٠

٦ ـ **احمد المنتصر** : طالب ليبى ـ دبلن ـ ايرلندا

٧ ـ **قاسم محمد سعيد اليفشي** : مكتب تفتيش الدولة ـ دمشق ـ سوريا .

٨ ـ **عوض محمد عبد الله** : شركة أبو العلا الزراعية ليمتد ـ ص٠ب ١٢١ الخرطوم ـ السودان .

وسترسل الجوائز الى اصحابها .

■■

اسم كتاب وجوائز ١٠٠ دينار

■ **هو كتاب معروف** ، لكاتب من اشهر الكتاب العرب المعاصرين، وضعنا عليه الحروف التى يتألف منها اسمه ، مفرقة بغير انتظام . والمطلوب منك لكى تفوز باحدى جوائز هذه المسابقة ان ترتب هذه الحروف ترتيبا تخرج منه باسم الكتاب .

وتيسيرا لك نزيدك ايضاحا بان هذا الكتاب يتضمن قصة طبعت منذ بضع سنوات ، وظهرت على الشاشة البيضاء .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ــ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٨ .

٢ ــ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى ــ العدد ٤٢ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٢ .

● **يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :**

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

التاريخ السياسي لمكة قبيل الإسلام

قصي يقسم مكة أرباعا بين قومه ويؤسس بها اول دار للندوة

بيزنطة تخفق في تنصيب ملك من صنائعها على مكة!

بقلم : الدكتور محمود زايد

■ ان تاريخ مكة السياسي قبل الاسلام سجل لاستقرار قريش فيها، وسيادتها عليها ونشاطها السياسي في الداخل والخارج في غضون ما يقرب من قرن وربع قرن من الزمن قبل البعثة النبوية. وكانت الحياة في مكة خلال هذه الفترة تمثل مرحلة انتقال قريش من مجتمع قبلي بدوي الى مجتمع حضري. فبينما احتفظ هذا المجتمع بأساسه القبلي ونظمه السياسية القبلية فان اتجاهه الى الاستقرار واعتماده في حياته على التجارة والحج تطلبا مزيدا من التكتل والتنظيم السياسي على الصعيدين المحلي والدولي، وهو تطور شبيه من بعض الوجوه بما حدث في المدن الاغريقية القديمة .

قصي زعيم العرب

بدأت هذه الفترة من تاريخ مكة باستقرار قريش فيها . وكانت قريش الى هذا الحين في الشعاب والجبال حول مكة « متفرقة قليلة العز » . فقيض الله لها في شخص قصي بن كلاب زعيما جمع شملها ، وغلب بها خزاعة ، واسكنها مكة المكرمة . والى هذا يشير الشاعر بقوله :

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

قصي يقسم مكة بين قومه

وقسم قصي مكة ارباعا بين قومه . فكانت قريش كلها ما عدا بني محارب والحارث ابني فهر، وبني عامر بن لؤي ، وبني الأدرم بن غالب بن فهر، بالأبطح حول الكعبة ، فعرفوا بقريش البطاح . وكانوا عشرة بطون : بنو هاشم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنو امية أصحاب النفوذ والمال ، وبنو مخزوم الذين برعوا في التجارة ومنهم خالد بن الوليد ، وبنو عدي بن كعب جماعة عمر ابن الخطاب ، وبنو تيم بن مرة ، جماعة ابي بكر الصديق ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو اسد ، وبنو عبد الدار ، وبنو جمح ، وبنو نوفل . وقد كان هؤلاء بمثابة ارستقراطية مكة ، واصحاب الكلمة في مقدراتها السياسية . وعرف الباقون من قريش بقريش الظواهر . وكانوا يقيمون حول المدينة الى جانب العامة العاطلين من الجاه والمال .

واقرت قريش سيادة قصي عليها . فكان على حد قول اليعقوبي أول من أصاب الملك من ولد كعب بن لؤي ، وقد أظهر كفاءة وعزما وحكمة في

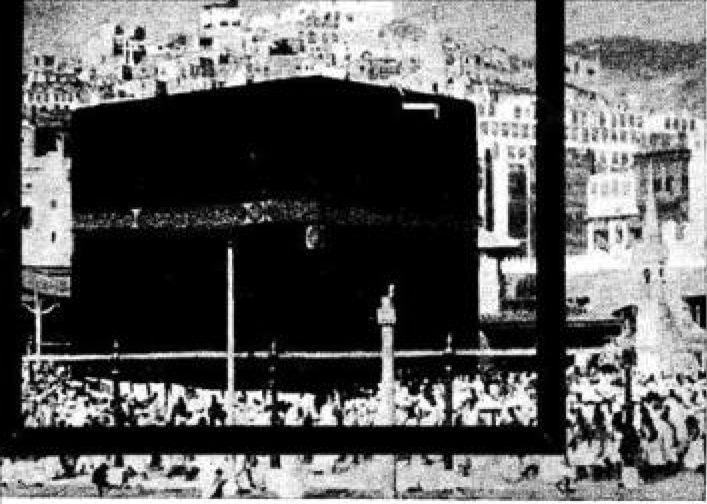

قومه في الجزيرة

النهوض بأمر قومه مهتديا بمبدأين اساسيين :اولهما اقرار قومه على ما كانوا عليه . ويشير الى هذا ابن اسحق بقوله : « الا انه اقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك انه كان يراه دينا فى نفسه لا ينبغى تغييره » ، وثانيهما مواجهة المشاكل التى ترتبت على حياة الاستقرار بخلق مؤسسات سياسية ودينية جديدة .

قصى يترك وظائف مكة لأصحابها

وكانت مكة قبل زعامة قصى قد عرفت بالاضافة الى النظم السياسية القبلية البدوية : نظما اخرى أبرزها : الولاية على البيت وحجابته وكانت خزاعة تتولاهما ، واجازة الحاج من عرفة التى كان يتولاهما الغوث بن مر ، والافاضة من المزدلفة التى كانت فى بنى عدوان حتى قيام الاسلام ، والنسىء الذى كانت العرب بموجبه تحل الأشهر وتحرمها او تؤخر موعد الحج ، وكان اول من نسأ الشهور هو سرير بن ثعلبة ، ثم خلفه عليه اخوه القلمس ، وتوارثها أولاده من بعده .

فتولى قصى ولاية البيت وحجابته ، وترك الاجازة والافاضة والنسىء فى أيدى اصحابها . وقام بخلق نظم سياسية جديدة ، ففرض على اهل مكة ضريبة تدعى الرفادة، وهى طعام كانوا يخرجونه الى ضيوفهم . كما يرجح أنه هو الذى فرض السقاية ، وهى شراب كان يقدم الى الحجاج فى موسم الحج ، واوجد وظيفة صاحب اللواء ، اى الرجل الموكل باللواء خلال الحرب .

قصى يؤسس دار الندوة

وتوج قصى مآثره بانشاء مؤسسة سياسية شبيهة بمجلس الشيوخ فى تدمر ، كانت قريش تقضى امورها فيها ، عرفت بدار الندوة . ولم يكن يحضرها الا من بلغ الاربعين من عمره، باستثناء اولاد قصى ، الذين كان لهم أن يغدوا عليها طيلة حياتهم ، وغيرهم من أصحاب الكفاءات النادرة . وكانوا يبحثون فيها امور السلم والحرب ،ويعقدون فيها الاتفاقات ، ويعلنون فيها عن البالغين من الجنسين . وعلى الرغم من أن قريشا لم تترك لنا سجلا بمناقشاتها ، فان ما يورده ابن هشام عن ابن اسحق فى «السيرة النبوية» بشأن اجتماع الملا من قريش وتشاورهم فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما يورده البلاذرى فى « أنساب الأشراف » من جمع الوليد بن المغيرة لزعماء قريش للتداول ايضا بشأن الرسول ، كل هذا يقدم لنا فكرة عن مداولاتهم . وهاك نص البلاذرى حيث يقول :

« وكان الوليد بن المغيرة جمع قريشا فى دار الندوة ، ثم قال لهم : يا قوم ، ان العرب يأتونكم ايام الحج فيسألونكم عن محمد ، فتختلفون : يقول هذا : « ساحر » ، ويقول هذا : « شاعر » ويقول هذا : « مجنون » ويقول هذا : « كاهن » ، قد سمعتم الشعر وسمعناه ، فما يشبهما يجىءبه شيئا من ذلك . قالوا : « فكاهن » قال : صاحب الكهانة يصدق ويكذب ، وما رأينا محمدا كذب قط . قالوا : فمجنون ؟ قال : المجنون يخنق ومحمد لا يخنق . ثم مضى الوليد الى بيته . فقالوا :

صبا . فقال : ما صبأت ، ولكني فكرت فقلت : اولى ما سمّتني به ساحر" ، لان الساحر يفرّق بين المراة وزوجها ، والاخ واخته . فنادوا بمكة : ان محمدا ساحر » .

ويتضح لنا من هذا ان قصيا جمع بين غالبية الوظائف السياسية والدينية وانه اقر النظم القبلية في الحكم ، وانشا مجلسا للتشاور والنظر في امور قومه ، وانه بوصفه مؤسس سيادة قريش على مكة تمتع بسلطة هي اقرب الى الملك منها الى الرئاسة بالمعنى القبلي .

تفريق السلطات بعد وفاة قصي[2]

وغلب على حكم مكة في الفترة من وفاة قصي الى حوالي سنة ٥٨٧م اتجاهان : وهما التقليل من سلطات الرئيس ، وتوزيع هذه السلطات بين زعماء بطون قريش .

وكانت مؤهلات الرئيس تقوم على دعامتين اساسيتين : ثروة" صاحبها ومؤهلاته الشخصية من حكمة وقدرة على تصريف الأمور وانصاف المظلوم وكرم وحلم وشجاعة . ولكي نفهم طبيعة مهمته كرئيس ينبغي ان نذكر انه لم يكن في مكة جهاز حكومي بالمعنى الحديث . فقد كان يتولى القضاء اشخاص (حكام) لهم من القدرة الأدبية والمادية ما يمكنهم من رد الحقوق لاصحابها . وكان القانون العرفي المتبع يقوم على التقليد القبلي وما يقرره زعماء البطون (الملا) في دار الندوة . وعلى هذا فان الرئيس او سيد قريش لم يكن يراس جهازا بعينه . وانما كان شخصا له كلمة مسموعة في نوادي القبيلة ويتقدم على قومه في المناسبات . وفيما يلي محاولة لتتبع امر الرئاسة في قريش واهم الأحداث في عهد كل رئيس .

قصي[3] قسم الوظائف بين ابنيه

عندما كبر قصي قسم الوظائف بين ابنيه عبد مناف وعبد الدار . فجعل لعبد مناف السقاية والرفادة وقيادة الجيوش وجعل لابنه عبد الدار الحجابة واللواء ودار الندوة . واذ كان عبد الدار مستضعفا فقد تولى الرئاسة عبد مناف الذى كان قد ظهر امره وشرف في حياة ابيه .

وعز جانب قريش

وعز جانب قريش في ظل رئيسها الجديد ، وقوي نفوذها بين القبائل فاخذت هذه تسعى الى محالفتها . فعقدت قريش حلفا مع بني خزاعة وبني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة عرف بحلف الاحابيش .

واقسم المتحالفون

(بالله الحرام ، وحرمة هذا البيت والمقام ، والركن ، والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعا ، حتى يرث الله الارض ومن عليها وعلى التعاقد وعلى التعاون على كل ما كادهم من الناس جميعا ما بل بحر صوفة ، وما قام حرى وثبير ، وما طلعت شمس من مشرقها الى يوم القيامة) .

وقد ظن الأب لامنس ، صاحب الابحاث المعروفة عن مكة والاسلام ، خطأ ان الاحابيش كانوا جيشا من المرتزقة تستخدمهم قريش للقتال .

هاشم يخلف عبد مناف

وخلف عبد مناف على الرئاسة هاشم . وكان جوادا موسرا . وفي عهده تطلع اولاد عبد مناف الى ما كان في يد بني عبد الدار من مناصب وذلك لشعورهم بانهم «اولى منهم » لشرفهم عليهم ، وفضلهم في قومهم » . فحدث اول انقسام بين ابناء قصي : فريق مع بني عبد الدار ، وفريق مع بني عبد مناف .

وتحالف بنو عبد الدار مع بني مخزوم وبني سهم وبني جمح وبني عدي وغمسوا ايديهم في دم بقرة ، ولعق كل يده ، واقسموا ان ينصر بعضهم بعضا الى الأبد وعرفوا باللعقة وبالاحلاف. وتحالف بنو عبد مناف ، مع بني اسد بن عبد العزى ، وبني زهرة ، وبني تيم بن مرة بن كعب ، وبني الحارث ابن فهر . واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا ووضعوها عند الكعبة ، وغمس احلافهم ايديهم فيها ، ثم مسحوا الكعبة بايديهم، فعرفوا بالمطيبين. ووقف بنو عامر بن لؤي ومحارب بن فهر على الحياد .

وتأهب الفريقان للحرب ويقال انهم اقتتلوا . ثم ما لبثوا ان تداعوا الى الصلح على ان تكون السقاية والرفادة في بني عبد مناف وان تكون الحجابة واللواء لبني عبد الدار . وبقي الحلفاء الى ان ظهر الاسلام .

واقترع بنو عبد مناف على الرفادة والسقاية ،

فكانتا من نصيب هاشم بن عبد مناف ، فكان يخرج كل عام من ماله الشيء الكثير للرفادة . وكان اذا وفد الحجاج على مكة حث قومه على اطعامهم والعناية بأمرهم . وتولى عبد شمس بن عبد مناف قيادة مكة فى الحرب .

الجزيرة العربية تصبح ميدان تنافس بين الدول

وفى هذه الاثناء اصبحت الجزيرة العربية ميدانا تتنافس على مناطق النفوذ فيه الامبراطورية البيزنطية بالتعاون مع الحبشة ، والامبراطورية الفارسية . وقامت بين هاتين الامبراطوريتين حروب متقطعة فى القرن السادس واوائل القرن السابع الميلاديين . وتأثرت تجارة البزنطيين من جراء هذا العداء مع الفرس ، فقد نتج عن الحروب اغلاق الطرق التجارية البرية عبر آسيا واضمحلال الاسواق والمراكز التجارية الواقعة فى المنطقة بين الفرات والبحر الابيض المتوسط . وتعذر على الامبراطورية البيزنطية تامين استيرادها بانتظام للمواد الكمالية وبخاصة الحرير الذى كانت تستخدمه الكنيسة والدولة فى شتى الاغراض كالاحتفالات والاتصالات الدبلوماسية .

وتطلعت بيزنطة الى الاستفادة من طريق التجارة الكبير الذى يسير من جنوب الجزيرة العربية ، من حضرموت واليمن ، مارا بمكة ، الى مختلف مناطق الشرق الادنى ، وحاولت الاستعانة بالأحباش فى اليمن وبعرب الجزيرة على قتال الفرس. وارسل الامبراطور البيزنطى جوستنيان (٥٢٧ — ٥٦٥) سفيرا الى ملك الحبشة أهاب به باسم الدين والمصلحة أن يقوم هو والسميفع (Esimphaeus) حاكم حمير بقتال الفرس ، وأن يتولى الاحباش شراء الحرير من الهنود ثم يبيعونه بدورهم الى بيزنطة فيجنون أرباحا طائلة. ونجد عند بروكوبيوس (Procopius) تفصيل هذه السفارة وخبر فشلها وذلك فى الكتاب الأول من « تاريخ العرب » .

مكة تصبح سوقا مالية دولية

واستغلت مكة هذا التنافس الدولى فى الشرق الادنى ، وتدهور وضع اليمن نتيجة لسقوطها فى يد الأحباش ، فاضطلع أهلها بمهمة نقل التجارة من الموانىء الجنوبية الى مختلف مناطق الشرق الادنى ، واصبحوا من أعظم وكلاء التجارة الشرقية. وصارت مكة نتيجة لهذا النشاط التجارى الواسع سوقا مالية دولية ، يفد عليها العرب وغير العرب ، كالاحباش والبيزنطيين . وترتب على وضع مكة الجديد ايضا ان مال أهلها الى الحياد بالنسبة للصراع بين فارس والروم .

هاشم ينظم سير التجارة

واضطلع هاشم بن عبد مناف سيد قريش بمهمة تنظيم سير التجارة وما تطلبه من عقد اتفاقات مع الامارات والدول المجاورة لتامين مرور القوافل المكية ومزاولة أعمالها التجارية فى أسواق الحبشة والحيرة والشام . فسن لقريش الرحلتين : رحلة الشتاء الى اليمن ، والحبشة ، ورحلة الصيف الى الشام. واخذ لقريش عهودا من ملوك الحيرة والحبشة والشام للاتجار فيها ، وتولى أولاده رئاسة هذا النشاط ، كل فى ناحية ، فكان متجر عبد شمس الى الحبشة،ومتجر المطلب الى اليمن ومتجر نوفل الى العراق . ويشير الى هذا مطرود بن كعب الخزاعى بقوله :

يا ايها الرجل المحوّل رَحْله
هلا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك امك لو حللتَ اليهم
ضَمِنُوك من جوع ومن تطواف

الآخذون العهد من آفاقها
والراحلون برحلة الايلاف

ويقابلون الريح كل عشية
حتى تغيب الشمس فى الرجاف

حرب بن أمية ينافس هاشما على الرئاسة

واثرى المكيون من التجارة، وبلغت ثروات بعضهم حدودا خيالية . وكان شيئا طبيعيا أن يسعى أصحاب المال الى السيادة والنفوذ فى بلد تقوم السيادة فيه على أمور من أبرزها الثروة . فاخذ حرب بن أمية ينافس هاشما على الرئاسة .فحاول ان يبزه فى انفاق المال على الحاج ولكنه لم يستطع التفوق عليه . ثم نافره ، كما يروى الاخباريون ، على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة ، وعلى الجلاء عنها عشر سنين . واحتكما الى الكاهن

الخزاعي ، فحكم هذا لهاشم على خصمه . فنحر هاشم الابل ، واطعمها من حضر . وجلا امية عن مكة عشر سنين . فقال الارقم بن نضلة يذكر هذه المنافرة

لـمـا تنافر ذو الفضائل هاشـم
وامـيـة الخـيـرات تنقر هاشم

يموت هاشم فيخلفه المطلب

وتوفي هاشم بعد بضع سنين من سيادته لقريش في غزة فخلفه على الرئاسة المطلب بن عبد مناف وتولى السقاية والرفادة . وكان المطلب قد اشتهر امره بين قومه وسمته قريش « الفيض » لكرمه وفضله .

وتوفي المطلب بعد مدة قصيرة بردمان في اليمن. ويشير الى هذا مطرود الخزاعي بقوله :

اربعـة كلهـم سـيـد
ابنـاء سـادات لسـادات

ميت بردمـان وميت بسلـ
ـمان وميت عند غـزات

وميت أسـكن لحد لدى الـ
محجـوب شـرقي البنيـات

المطلب يتنازل لعبد المطلب

وكان المطلب قد تنازل عن الرئاسة لعبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، الذى بقي سيدا على قريش الى ما بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بثماني سنوات . وكان عبد المطلب قد وُلد في المدينة ، وامه سلمى بنت عمرو من بني عدى بن النجار . وسمته شيبة . فتركه هاشم في رعايتها. فلما صار دون المراهقة بقليل ذهب عمه المطلب الى المدينة واستاذن امه في الحاقه بقومه . فلما دخل به مكة قال الناس : عبد المطلب ، فغلب عليه هذا الاسم .

وكان عبد المطلب من حكماء قريش واحد الحكام الذين كان الناس يحتكمون اليهم في خصوماتهم . ويقول فيه الجاحظ : « لم يكن لعبد المطلب في قريش نظير .. (هـ) سيد الابطح وسيد الوادي وسيد قريش » وتوافق فترة سيادته شطرا كبيرا من حكم جستنيان (٥٢٧ ــ ٥٦٥ م) لبيزنطة .

عبد المطلب يحالف خزاعة

وقد نازعه بنو نوفل السيادة . فوثب نوفل ابن عبد مناف على ساحات وافنية كانت له وانتزعها منه ، فاضطر الى الاستعانة باخواله من بني النجار من الخزرج، فقدم منهم عدد من المحاربين واستعدوا للحرب وهددوا نوفلا والزموه باعادة ما اغتصبه .

ولعل هذا النزاع هو الذى دفع عبد المطلب الى التحالف مع خزاعة . فاجتمع وجوه من الطرفين في دار الندوة وكتبوا بينهم كتابا علقوه في الكعبة ويورد البلاذري نسخة كتابهم ونصها :

« هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجاله عمرو بن ربيعة من خزاعة ، ومن معهم من اسلم ومالك بن افصى بن حارثة . تحالفوا على التناصر والمؤاساة ما بل بحر صوفه ، حلفا جامعا في مفرق . الاشياخ على الاشياخ ، والاصاغر على الاصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد ، واوثق عقد ، لا ينقض ولا ينكث ما شرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير.. »

وهذا هو الحلف الذى يقول ابن الكلبي بان عمرا ابن سالم الخزاعي عناه حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا هُمَّ اني ناشـد محمـدا
حلفَ ابينا وابيـه الاتلـدا

ولم يدخل هذا الحلف بنو نوفل ولد بنو عبد شمس . وبهذا نرى انقسام بني عبد مناف على انفسهم . وكان بنو عبد شمس في هـذه الاثناء يزدادون ثروة بزعامة حرب بنو امية . فتكررت محاولاتهم لتحدى زعامة عبد المطلب . ومن هـذه المحاولات اعتداء حرب على يهودى كان بجـوار عبد المطلب . وبينما كان اليهودي يتسوق في أسواق تهامة الب عليه حرب فتيانا من قريش فقتلوه واخذوا ماله . الا ان عبد المطلب اخذ من حـرب مئة ناقة ودفعها لابن اليهودى . واذا كان حرب قد فشل في التغلب على عبد المطلب فقد كان هـذا الحادث سببا في اشتداد التنافس بينهما .

ابرهة حاكم اليمن يقوم بحملة على مكة

وحفل عهد عبد المطلب باحداث سياسية دولية كادت مكة معها تفقد استقلالها . ففي عام الفيل

(٥٧٠ م) قام ابرهة حاكم اليمن بحملته على مكة . وكان ابرهة قد تلقى سفارات من الامبراطور جستنيان وحلفائه من العرب تحثه على مهاجمة الفرس . وقد يكون قام بحملته على مكة لهذا الغرض أو تحقيقا لمطامحه الشخصية بالسيطرة على شمالي بلاد العرب أو للغرضين معا . ويحتمل انه اتخذ من الدين وسيلة لستر مقاصده الحقيقة فاعلن انه انما اراد ان يهدم الكعبة المشرفة . ومهما يكن واقع الأحداث وحقيقةدوافعها فقد كان نصيبها الفشل . وتوفى ابرهة في تلك السنة ذاتها .

قريش تهنىء سيف بن ذي يزن

ويبدو أن ما تعرضت له الجزيرة العربية من تنافس دولى أيقظ في نفوس بعض زعمائها وعيا بهويتهم ووحدة مصالحهم . فلما استعاد سيف ابن ذى يزن بمساعدة فارس اليمن من الاحباش قصدته وفود التهنئة من انحاء الجزيرة ويروى الأزرقي عن ابن اسحق قوله في هذا الصدد :

« فلما قتلت الحبش ورجع الملك الى حمير سرت بذلك جميع العرب لرجوع الملك فيها وهلاك الحبشة . فخرجت وفود العرب جميعها لتهنئة سيف ذى يزن ، فخرج وفد قريش ، ووفد ثقيف وعجز هوازن وهم نصر وجشم وسعد بن بكر ومعهم وفد عدوان وفهم ابنى عمرو بن قيس فيهم مسعود بن معتب ووفد غطفان ووفد تميم واسد ووفد قبائل قضاعة والازد فاجازهم واكرمهم..» .

وكان وفد قريش يضم عبد المطلب وحرب بن امية وخويلد بن اسد . وتكلم باسمهم عبد المطلب فاشاد ببطولة ابن ذى يزن واعترف له بالسيادة على العرب .

بيزنطة تحاول تمليك صنيعة لها على مكة فتفشل

ولا ريب في أن انتصار ابن ذى يزن وما ترتب عليه من تبعية اليمن الى الفرس كان ضربة للدبلوماسية البيزنطية . وتورد المصادر العربية خبر محاولة بيزنطة تعيين صنيعة لها ملكا على مكة . فقد روى الزبير بن بكار عن عروة بن الزبير كما روى المصعب الزبيرى أن عثمان بن الحويرث الملقب بالبطريق ، الذى كان من أظرف قريش واعقلها ، طمع في ان يصبح ملكا على قريش . فخرج الى «القيصر» ورغبه في السيطرة على مكة « كما ملك كسرى صنعاء » . فكتب له « قيصر » عهدا مختوما بالذهب وملكه عليهم . فعاد الى قريش وطلب منهم ان يدينوا « لقيصر » ، وخوفهم ان خالفوه ان يحول بينهم وبين الاتجار في الشام . فهمت قريش بتمليكه . لكن ابن عمه أبا زمعة الاسود بن عبد المطلب بن اسد حذرهم من قبول الأمر ، وذكرهم بان قريشا لا تقبل ان تملك عليها احدا فرفضوه. فلجا الى البيزنطيين ، وانتقم من تجار قريش وسجن بعضهم . وانتهى به الأمر ان دس له الفساسنة السم . ويحتمل أن تكون قريش هى التى اوعزت للفساسنة بالتخلص منه . وبهذا تمكنت قريش من المحافظة على استقلالها.وبقيت مستقلة الى ما بعد الهجرة بثماني سنوات .

زعامة قريش تنتقل الى بني امية

وتوفى عبد المطلب بعد أن جاوز الثمانين من عمره وذلك سنة ٥٧٨ م . فخرجت زعامة قريش من ابنائه الى بنى امية ، وكان ابرز هؤلاء عندئذ حرب بن أمية والد ابى سفيان ، وقائد قريش وكنانة في حرب الفجار التى وقعت حوالى سنة ٥٨٧ م .

ثم تتوزع الزعامة على بطون قريش

وتوفى حرب بن امية بعد نهاية الحرب بشهور فتوزعت الرئاسة في بطون قريش . فكان ابرز بنى امية بعد حرب ابنه أبو سفيان ، وأبرز بنى هاشم الزبير وابو طالب ، وتزعم بنى تيم عبد الله بن جدعان ، وتزعم بنى مخزوم الوليد بن المغيرة المخزومى .

ويبدو انه كان من أثر هذا الانقسام ان كثرت حوادث الظلم بمكة ، الأمر الذى دفع بالزبير بن عبد المطلب الى الدعوة لعقد حلف الفضول حوالى سنة ٥٩٠ م . فاجتمع بنو هاشم ، وبنو المطلب واسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، في دار عبد الله بن جدعان وتعاهدوا على الا يجدوا بمكة مظلوما الا قاموا لنصرته وردوا عليه حقه .

وظل أمر مكة على هذا الحال الى ان فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة بثماني سنوات. ■■

محمود زايد

خطوة عملية فى بناء المغرب العربي

● كان تاسيس اللجنة المشتركة لوضع دستورتوحيد المغرب العربى أهم حادث تمخض عن المحادثات المغربية الجزائرية .

واذا كان المستقبل يدعونا لان نضع هذا التوحيدموضع التنفيذ ، فان تاريخنا المشترك وعقليتنا المشتركة وارضنا ولغتنا وجنسنا وديننا ، كل ذلك يحدو بنا لان نخطو سريعا فنجتاز كل الصعوبات التى تعترض عادة الدول التي تريد أن تتوحد بنوع ما من انواع التوحيد .

يجب أن تكون هذه الوحدة عملية لا عاطفية ،فما يريد كل منا أن يتوحد مع الآخر لارضاء عاطفة الوحدة فحسب ، ولكنا نريد ان نتوحد لنبنى معاشعبا واحدا وبلدا واحدا ، له امكانيات مشتركة لدفع اسباب التخلف والفقر عنمواطنيه،وعلىذلك فالأسس الاقتصادية التى ينبنى عليها كيان الدولتين يجب البحث فى توحيدها قبل البحث فى توحيدالكيان السياسى مثلا .

ويجب مواجهة المشاكل بروح واقعية . فان المشاكل اذا كانت تحل نفسها فى كثير من الاحيان فانها فى توحيد بلدين أو ثلاثة تزيد تعقدا اذا لم تواجه بروح واقعية صريحة .

ان هدفنا هو الوحدة ، ولكن اذا وصلنا الى الوحدة الحقيقية فلنسمها «وحدة المغرب العربى» اما اذا وصلنا الى نوع من الاتحاد او التكافل أو التعاون ، فلا معنى لأن نعطى ذلك لقبا عظيما لا يتفق والمحتوى الحقيقي .

جريدة « العلم » ــ الرباط.

كلمة حق

■ يعجبني الوفاء فى الناس ..

الوفاء للمثل والمبادىء والقيم والاشخاص ..

فليس بين الناس من يؤمن جانبه كما يؤمن الانسان الذى يملأ قلبه الوفاء والاخلاص ولو كان متجها بوفائه واخلاصه لاعدائنا ..أو لمن لا نحب ..

فالوفاء هو المحك الحقيقي لاخلاق الانسان ..

وقد يكون من السهل أن نخلص أو نشعر بالوفاء لانسان ما .. ما دام ملء السمع والبصر .. ولكن الوفاء الحقيقي هو الوفاء الذى نشعر به للانسان الذى يجتاز محنة أو يواجه موقفا يحتاج فيه الى عطف الناس .. والى وفائهم واخلاصهم ..

من السهل ايضا أن نتشفى فى عدو مهزوم ..

ولكننا لا نخرج من هذه التجربة الا بصفقة الخاسر .. فالشماتة والتشفى ليسا الا مرادفين للخسة واللؤم .. وما أظن انسانا كريما يرضى لنفسه أن يكون خسيسا لئيم الطبع ..

وبعد ...

هي خواطر .. قد لا يكون فيها من جديد .. ولكن الانسان يجد نفسه أحيانا مسوقا الى ترديدها حين تتاح له فرصة يتامل فيها تصرفات بعض الناس .. أو يدرس فيها طريقة مواجهتهم للامور ..

ومع ذلك .. فمن يدرى ؟ .. لماذا نحب أن نحكم بالظواهر دائما ؟ .. ألا يمكن أن تكون الظواهر خادعة ؟ .. فى بعض الأحيان على الأقل ؟

جريدة « الجمهورية » ــ القاهرة

الخطر الواضح

● من الآراء التي لا تقبل الشك ، ان اسرائيل برغم ضائقتها الاقتصادية الحادة ، قد رصدت المبالغ الضخمة لتحويل مجرى نهر الاردن ، ليس لكي تذهب هذه المبالغ هدرا ، وانما للاستفادة منها في تعزيز اقتصادياتها وزيادة عدد سكانها ، وبالتالي زيادة عدد قواتها العدوانية المجرمة .

ونحن العرب الذين نعيش في ضجة كلامية دائمة حول موضوع تحويل مجرى نهر الاردن ، لم نستطع حتى الآن أن نرصد ميزانية خاصة لايقاف العدوان الاسرائيلي ، سواء في الجامعة العربية أو في موازنات الدول المجاورة لاسرائيل . بصورة خاصة .

ان جريمة تحويل مجرى الاردن هي من الجرائم المستمرة ، وليست بحاجة الى أن تكتمل لكي تصبح جريمة تامة ناجزة . فمجرد البدء بتحضير المشروع ومجرد الشروع به ، يشكلان سببا قانونيا للمنع ، ناهيك بالاسباب القومية والسياسية التي تحتم مثل هذا الامر وتفرضه فرضا .

جريدة « الانوار » ـ بيروت

خطـــايا

● الخطايا السبع المميتة ، صارت ثمانيا أخيرا .. ففي مؤتمر الكنائس الذي عقد في نيودلهي (وحضره رجـال الكنيستين الأرثوذكسية والبروتستنتية) ، اتخذ قرار خطير ، يقضي باعتبار « اللاسامية » ـ يعني التعصب ضد اليهود ـ خطيئة ! ولا يجادل عاقل في أن التعصب ضد الأجناس ـ جنس اليهود ـ جريمة كبيرة ، ولكن قرار المؤتمر المذكور ، كان أكثر من عاقل ، فقد جاء وكأنه ادانة عالية « لأيخمان » ، وتصفيق حاد لعدالة قضاته !!

بقي أن نطالب المؤتمر العتيد بأن يصدر كشفا ببقية القضايا ، فقد يذكر أن سلب الحقوق ، وتشريد الآمنين وهتك الأعراض ، والقتل والتشويه الجماعيين ، جرائم كلها وخطايا .. أم تراه يخشى غضب اليهود ؟ أم لعله يخاف أن يرتكب خطيئة التعصب ضدهم ، بكشف جرائمهم التي تستنكرها الكنيسة ويلعنها المسجد ؟!

جريدة « المنار » ـ القدس

مهرجانات السنما ما فائدتها ؟!

● ترى ماذا نفعل أكثر من ارسال وفود واستقبال وفود ؟ فمثلا أين النشـرات الناشئة عن المؤتمر التي تقدم كل فلم تقديما تحليليا ؟ وأين الندوات التي يجب أن تعقد لتبادل الرأي مع الوفود السنمائية وبحث الدقائق والتفاصيل ؟

المفروض أننا قبل كل مهرجان نعرف ما سيعرض فيه ، ومن اللازم أن نمهد له تمهيدا فكريا يهيىء الأذهان لاستقباله .. ان المهرجانات دراسات ، وليست مجرد حفلات !!

من جريدة «الأخبار» ـ القاهرة

من ذكريات

بقلم
أحمد حسن الزيات

هذه هي الحلقة الثانية من « ذكريات بغداد » التي اختص بها الاستاذ احمد حسن الزيات مجلة « العربي » والتي نشرنا الحلقة الاولى منها في العدد الماضي .. وهي تصور بعض ما مر به في فترة من فترات الشباب ، ايام كان في « دار السلام » استاذا بكلية الآداب منذ عشرين عاما .

أصبحت « نورا » مركز الجاذبية في الدار ، فحيثما تكن يتهافت عليها الناس من العشيرة والجيرة ، وكان لهذا التهافت في الأيام الأولى أسباب تختلف باختلاف السن والطبع والحالة .

فالأختان واترابهما كن يتطلعن الى أن يعرفن منها ما استحدث من ضروب الزى والزينة في سورية ولبنان ، والاخوة ورفاقهم كانوا يتوقون الى أن يسمعوا شيئا من صبوات الشباب وخلوات الهوى في دمشق وبيروت ، والوالدان واقرباؤهما كانوا يحاولون ان يكشفوا سر هذا التغير الذى طرأ على نفس « نورا » ، فهى لا تنشط لحديث ،ولا تهش لزائر ، ولا تنبسط للهو ، وكان عهدهم بها ان لسانها الحلو لا يكف عن الدعابة ، وان وجهها الطلق لا يفتر عن الضحك ، وان روحها اللطيف لا ينقبض عن الانس .

وكنت لاحظت وأنا بعيد أن الصلات الواهنة بين أعضاء هذه الأسرة قد عادت الى طبيعتها من الاحكام والوثوق منذ عادت هذه الفتاة . كان افراد هذه العائلة أشبه بنزلاء الفندق يضمهم بناء واحد ، وتجمعهم مائدة واحدة ، ولكن لكل منهم عمله وبيئته وخطته ، ووجهته وغرضه . فلما عادت « نورا » كانت كالخيط الذى ينظم العقد المنثور ، والروح الذى يمسك الجسد المنحل .

ولعل السر في ذلك أن المرء بطبعه يحب في غيره ما ليس فيه ، فالجبان يحب الشجاع ، والهيوب يحب الجرىء ، والعيى يحب الفصيح ، والقبيح يحب الحسن .. ولهذا كان الناس يحبون الأبطال والآلهة، والله قد كمل « نورا » بما نقص أهلها من جمال الجسم والروح ، فهم يحبونها جميعا ويرون فيها الجزء المتمم لكل منهم ، والحب سر التجاذب والتضام في الكون كله . هو الذى يجعل من حبات الرمل جبلا ، ومن قطرات الماء بحرا ، ومن أفراد الناس أمة .

لم ار « نورا » قبل اليوم حتى أدرك ما ادركوا من الفروق بين ما كانت عليه وما صارت اليه ، الا أن ما رأيت منها ، كان يختلف كل الاختلاف عما سمعت عنها . كانوا يقولون انها بهجة الدار وزينة البهو وروح الحديث ولحن البيان ومرح الرقص ، ولكنى اراها منذ قدمت ساهمة الوجه تطيل السكوت ، مضطربة البال تطلب الهدوء ، ضيقة الصدر تؤثر العزلة . وعبثا حاول أهلها أن يوقظوا فيها روافد اللهو ، وأن يشعروها أن بجانبها خطيبا برح به الشوق وثقل عليه الانتظار فمن حقه أن يجلس اليها وأن يخرج معها .

واقام ابوها حفلة ساهرة في الطابق الأسفل من

بغداد ٢

الدار ، وكانوا قد انزلوا اليه الفرش والاثاث من الطابق الاعلى فى أواخر مارس حين يبدأ الصيف فى بغداد وينقلب البيت فرنا من غير وقود ، والهواء لهبا من غير دخان. فغصت الردهة والفناء والسرداب بالمدعوين من رجال المال والاعمال واللهو تصحبهم نساؤهم وبناتهم فى بزتهن الجميلة وزينتهن الرائعة، وكان الخواجه يعقوب قد اراد باقامة هذه السهرة الراقصة أن يحتفل باخته السيدة « صوفى » ، ويرجو من وراء ذلك أن يدخل الانس على قلب « نورا » ، وأن يخرج الى النور بعض السلع التى طال عليها الرقاد فى ظلام المخزن ، وكانت منية النفس لكل حاضر أن يظفر من « نورا » بكلمة او جلسة او عزفة أو رقصة ، ولكنها لأمر ما ، أعرضت عن الأركان الصاخبة فى الحفلة وأقبلت على عجائز امها فجلست اليهن قليلا ، ثم انتقلت الى الركن الهادىء الذى أجلس فيه مع الاستاذ رفائيل بطى عميد الصحافة العراقية وبعض المتأدبين من الشباب واخذت مجلسها بجانبى .

وكان الاستاذ رفائيل (عليه رحمة الله) واسع العلم بأحوال البلاد العربية ورجالها فلا يغيب عن ذهنه خبر ولا أثر عن أى كاتب أو شاعر او اديب فى مصر ولبنان وسورية،فكان الحديث بيننا شجونا من النوادر والطرف أخرجنا عن جو الحفلة . فلما انضمت الينا « نورا » اتجهت نحونا الانظار فشعرنا ثانية باننا افراد من هذا الجمع المضطرب فى اللهو والانس فلا بد أن نرجع اليه ونشارك فيه .

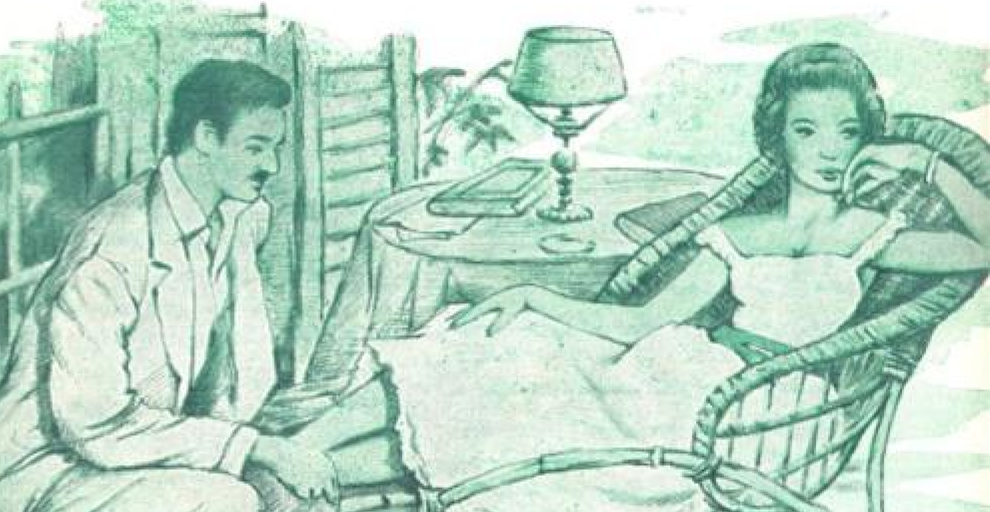

... ثم جلست على كرسى الاعتراف ، وأخذت تعترف لي وتقول :

ولكن « نورا » آثرت أن تخوض فيما كنا فيـه من الحديث عن مصر ، فان احب الأحاديث الى قلبها كما تقول ما اتصل بها وبأهلها ، وانها لتعرف عن اخبارها واسرارها أكثر مما تعرفه عن أى بلـد آخر . واخذت هذه الفتاة المنقبضة الصموت تبسط أسارير وجهها بالضحك ، وتحـل عقـدة لسانها بالكلام ، وتروى الخبر بعد الخبر ، وتورد النكتة بعد النكتة ، بلهجة مصرية لا يشوبها الا نبرات يسيرة من لهجة دمشق . فقلت لها وانا لا أملك نفسى من الدهشة:«هل زرت مصر كثيرا وعشت فى القاهرة طويلا ؟ » فقالت فى نبرة تنم على الأسى والأسف : « لم يكتب لى الله هـذه السعادة بعد » ! فقلت لها : « اذن كيف تهيـأ لك أن تعلمى هذا العلم ، وأن تتكلمى هذه اللغة»؟ فتشاغلت عن سؤالى بغمغمة خافتة ولم ترد ان تجيب ..

وكان كلامها وضحكها قد ظهر أثرهما على بعض الوجوه، فعجبوا ان تستوحش فى مكان فيهالخطيب والقريب ، وتستأنس فى مكان فيه البعيد والغريب!

وكانت الأم مارى وصواحبها قد أقبلن علـى السيدة « صوق » أخت يعقوب يسألنها عن سـر هذا الاكتئاب الذى أصاب « نورا » فأمات فيهـا الشعور بمتاع الحياة ، فقالت العمة وهى تخافت من صوتها : « أما السر فلا يعلمه الا الله . ولقد اعترتها هذه الحال منذ أكتوبر الماضى ، فعرضتها على الطبيب فقال انها مريضة بالقلق النفسىبسبب من الارهاق أو الحزن أو الهم ، وتفيدها الراحة والتسلية والنقلة ، ووصف لها أنواعا من العقاقير ساءت على تعاطيها الحال واشتدت العلة ، فكانت تنفر من المخالطة ، وتطمئن الى الخلوة ، وتكثر من الصلاة ، وتواظب على القداس ، ونضارتها فى خلال ذلك تذوى وبشاشتها تزول ، فرأيت ان اجـرب النقلة ، فرحلت بها الى بيروت فى عطلة عيـد الميلاد ، فتسلت بعض التسلى وتحسنت بعض التحسن ، ولكنها لم تلبث ان عادت الى حالهـا الأولى بعد أن عدنا الى دمشق . وكان معلماتها من الراهبات قد لاحظن عليها أعراض هذا المرض النفسى فعالجنها مرة بالدعاء ومرة بالدواء ، فما نفع الدين ولا أفاد الطب . واخيرا جاءت عطلـة عيد الفصح ، فرأيت أن أعود بها الى بغداد عسى ان تجد فى الوطن الذى نشأت به وفى العش الذى درجت فيه ، ما يدفع عن جسمها هذا الذبول ، ويذهب عن نفسها هذا القلق » .

وكان فى الحفل اربع أعين لا يدخلهن شعـاع السرور ولا يقرأهن متاع الغبطة : عينان فى وجه الخطيب ، وعينان فى وجه أمه . كانت عينـا « جاك » تخضلان بالدمع كلما رأتا خطيبته لا تحفل به ولا تنظر اليه ، وكانت عينا أمه تشعان بالسخط كلما رأتا « نورا » تقبل علينا ولا تقبل عليه .وعلى فجاة من لهو اللاهين ولعب اللاعبين ، سـقط « جاك » من فوق كرسيه فاقد الوعى متخشب الجسد مختلج الأطراف مصطك الأسنان مزبد الفم، فصرخت أمه وفزع الحضور وخفوا اليه بالمسعفات حتى افاق ، وكانت « نورا » ممن أسرعن الى المصروع بالمنبهات فخصها بالشكر ، واضجع على الكنبة ريثما استراح ، ثم تحامـل عـلى بعض اصدقائه وخرج .

وغام على أثر ذلك الحادث جو الحفلة فتكدر الصفو وانقطع اللهو وانصرف المدعوون .

وفى بكرة اليوم التالي وكان يوم أحد دخلت علىّ السيدة مارى وفى يدها صينية صغيرة عليهـا قدحان ، فحيتنى تحية طيبة ثم قالت وهى تضـع الصينية على المائدة : « عدت من الكنيسة قبل الأولاد لأصطبح معك بقدح من الشاى وأبوح لـك بأن «نورا» منذ رأتك تظهر الاهتمام بك وتكـثر السؤال عنك . وقد رأيتها فى الحفلة تقبل عليك وترتاح بأنسها اليك . ومن الممكن اذا توثقت صلتها بك أن تكشف لك عمايكـن صـدرها مـن لواعج الحزن والهم ، فقد عجزت عمتها وعجزنا عن كشفه » .. ثم روت لى ما قالته السيدة صـوق عن مرضها وكيف تطور حتى خيف أن ينتهى الى انهيار عصبى لا يرجى برؤه . وعقبت عليه بأنها شديدة القلق على مستقبل البنت فقد رفضـت ان تعود الى الدراسة بدمشق،وكرهت أن تظل مخطوبة الى جاك . « وقد رأيت ما حدث ليلة البارحة من جراء صدودها عنه وهو من أكثر الشبان مالا ومن ارفعهم وظيفة . ان « نورا » كما ترى معبودة الأسرة،وانا لنبذل فى سبيل سعادتها أنفس ما نملك وليس جمالها وحده هو الذى أحلها من قلوبنـا هذا المحل . فان لها غير الجمال البارع والذكـاء اللامع مزايا اخر اخصها صفاء النفس ونقاء الضمير وخلوص الدين ، وللدين على اقوالها وافعالها

السلطان القاهر منذ الطفولة . فهى لا تقـول لنفسها ما تخشى أن تقوله للناس ، ولا تفعل فى سرها ما تكره أن تفعله فى العلن ، ولا تجرى فى امورها الا على سنن القديسين والرسل . فاذا اصابها مكروه فى صحتها او فى سعادتها اصاب الأسرة فى صميم حياتها فلا تنتفع بعدها بالعيش، فالرجاء فى الله وفيك ان تعالج مشكلتها بالعلاج الذى تختاره وسأرسلها اليك متى عادت مـن القداس » .

من النفاق المحض أن أقول أن شعورى بهذا التكليف كان شعور الخلى المحايد .

الحق انه كان شعور الحالم الذى صور لـه عقله الباطن ما كبت من الرغائب والشهوات ، فى صور زاهية من الوقائع واللذات ، ثم تيقظ فاذا به يرى الحلم حقيقة واقعة يبصرها بعينيه ويلمسها بيده .

كنت فى خلال الاسبوع الذى مضى على هـذا الانقلاب فى الدار أتابع هذا الحسن الرائع بحواسى الخمس ، وهو يجىء فى المشى او يذهب ، ويدخل الغرف او يخرج ، ويتكلم فى البهو او يصمت ، فيمنعنى الحياء ان أدور فى فلكه وان ادخل فى شعاعه، ثم اصبح فاذا بى اسمع انه يسأل عنى ويفكر فىّ واذا بى أرى أن القائمة على امره تنيطه بى وتكِلُه الىّ !!

فهل تصدق القط الذى أعطاه أهل الدار مفتاح الكرار ، اذا زعم انه تسلم هذا المفتاح وقلبـه فارغ ورأسه بارد ونفسه عزوفة ؟

قد يكون هذا القط صواما قواما يجعل مـن هذا الكرار صومعة لنسكه ومحرابا لصلاته ، ولكن اخفاءه حقيقة شعوره وطبيعة سروره رياء صريح.

سمعت نقرتين خفيفتين على باب غرفتى ففتحته فاذا « نورا » فى ثياب الأحد وطلعة الملاك تبتسـم وتقول : « اخبرتنى أمى أن للسيد حاجة الىّ » . فقلت وانا اهىء لها الكرسى لتقعد : « ان حاجتى اليك حاجة الغريب الى الأنس ، والضيف الى الاكرام » . فقالت : « لست غريبا وانت فى دارك ولا ضيفا وانت بين اهلك ، وان العائلة كلهـا كما سمعت تحبك وتحترمك » .

فقلت لها :« ان غربة الروح أشد من غربة الجسد ، وربما ظل الرجل طول عمره ضيفا بين اهله اذا لم يوافقوه فى هوى ولم يشاركوه فى شعور.

ولهذا شعرت من اشعاع نفسك علىّ من بعيـد ان بينى وبينك الفة من الروح لو كان لها تجاوب فى شعورك ، لوجد القلب بجانبه قلبا يتفتح لـه ويتصل به ويسكن اليه ، ولعلى أدركت ان سـر انقباضك عن الناس أنهم لا يشبهونك فى خلـق ولا طبع ، ولا يفهمونك فى احساس ولا فكر ، فهل ادركت الصواب أو على الاقل واجهت الحقيقة ؟»

وكانت الفتاة قد حدقت ببصرها الىّ ، واقبلت بسمعها علىّ ، وقالت : « ان ما قلته عن نفسك وعنى لم يجاوز الحق ، وان ما ادركته أنت من سر انقباضى هو ما ادركته انا من سر انقباضك . وقد كنت على وشك الاتصال بك لو لم تأمرنى بلقائك امى ، وما كان جلوسى اليك البارحة فى الصالون الا تمهيدا لذلك . اما لماذا اخترتك من غير معرفة ، وألفتك من غير صلة ، فعلم ذلك من مكنونات النفس ، فلا أعرف له باعثا ولا علة ، وكل ما أعرفه من ظواهر الأسباب أنك مصرى ، وقلبى معمور بحب مصر ، وانى مريضة ، ومرضى يحتاج بطبيعته الى مؤاس من نوع خاص . ولم يكذبنى قلبى ، فقد علمت من بوادر كلامك هذا أنك تنطق عن نفسى وتكشف عن ضميرى » .

لم ار فى الجلسة الأولى أن أدخل فى صميم الموضوع ولا اسألها عن سر حبها لمصر الذى تكنه ، ولا عن كنه مرضها الذى تعانيه ، وانما اكتفيت بأن قلت لها : « أراك تفتقدين الأنيس المؤاسى وأنا أعلم أنك مخطوبة الى السيد جاك . والخطيب صـفى القلب ونجى النفس وشريك المستقبل . وهو كما ينم عليه حاله يهواك أشد الهوى ، ويرعـاك أصدق الرعاية ، فلو أنك بادلته الحب وشغلت به دنياك لما احسست معه بفراغ ، ولكن أمك تقول على أثر ما أصابه الليلة أنك لا تبالين به اذا حضر ، ولا تسألين عنه اذا غاب ، ولا تردين عليه اذا كتب ، فهل هذا عرض من ذلك المرض ؟ » .

فسكتت « نورا » قليلا ثم قالت فى شىء مـن البطء كأنما تعد كلماتها عدا : « يجوز أن يكون للأزمة النفسية التى أكابدها منذ ستة أشهر بعض الأثر فى فساد الحال بينى وبين جاك وانما جـاء أكثر الأثر من الاختلاف بين مزاج ومزاج، والتباين بين خلق وخلق :

« انا خيالية وهو واقعى ، وانا روحانية وهـو مادى ، وانا مؤمنة وهو طبيعى ، وانا افهم الحياة

على أنها (آلة موسيقية) وانغام ، وهو يفهمها على انها (آلة كاتبة) وأرقام .

« فانا لا أصلح له وهو لا يصلح لى ، وما كانت خطبتنا الا عِدة* وعدها أبى اياه لشباهته فى دنيا المال والعمل » .

وكان باب الغرفة قد ظل مفتوحا فدخلت مرجريت وجورجيت فعاد الحديث الى مجراه العام، ونزلنا بعد قليل الى السرداب لنجد العمة ومن حولها سائر الأسرة يتحدثون فى اهتمام وجد . فلما راونا ندخل وعلى وجوهنا دلائل البشر تهللوا جميعا، ولقونا لقاءهم للعائدين من مفاوضة ناجحة، أو للعاقدين لصفقة رابحة . ثم انصرف بعضهم الى البيان وبعضهم الى الكونكان ، وجلست انا ونورا مع المتحدثين .

ولاحظ الثلاثة الكبار ، يعقوب وزوجته واخته ، أن ابنتهم مشروحة الصدر للجلسة ومفتوحة النفس للحديث ، فقال الأب موجها كلامه الىّ والى « نورا » .

ـ كنا نتحدث هنا فيما كنتما تتحدثان فيه هناك ومن الخير أن نتابع الحديث لنبصر وجه الرأى فى خطبة جاك ودراسة « نورا » من قبل أن تعود صوفى الى دمشق .

وكانوا يعلمون فيما بينهم أن الجواب عن هاتين المسألتين عندنا لا عندهم ، فقلت : « ان من رأيى أن تتركوا عقدة هذه الخطبة للزمن يحلها على مهل ، فان قطع العقدة وان كان أيسر من حلها يؤذى النفس ويجرح الكرامة . وسيروض السيد جاك نفسه بالصبر والسلوان على احتمال الواقع» .

وقالت « نورا » : « وان من رأيى أن ابقى معكم الى الخريف . فان البعد عن منشأ الداء وان كان سيحرمنى اداء الامتحان سيساعد فيما أرجو على استئناف النشاط واسترداد الصحة » .

أصبحت غرفتى منذ ذلك اليوم قطعة من الروض وقاعة من المتحف .. نقلت اليها « نورا » أجمل ما فى الدار من زهريات ولوحات وتماثيل وتحف . ثم كانت تتعهدها كل صباح بنفسها فتنسق الزهر وتنظم الاثاث وترتب الكتب .

وانقسمت الأسرة بحكم الطباع والغرائز الى فريقين بينى وبين القنصل : فريق الخير وفريق الشر ، أو فريق النور وفريق النار ، أو فريق المعنى وفريق الحس ، فالبنات وأمهن فريق ، والبنون وأبوهم فريق . ففى غرفتى تجتمع « نورا » واختاها ومعهن الكتاب والبراءة ، وفى غرفة السيد « بكر » يجتمع يوسف واخواه ومعهم الشراب والريبة ! ..

وتمكنت الألفة بينى وبين « نورا » فلم تعد تصطحب اختيها فى المجىء الى . فاذا اقبلتا تريدان لهو الحديث صرفتهما الى المذاكرة ،وبقيت هى جالسة على كرسى طويل ظهرها مسند الى صدره ، وسائر جسمها ممدد على طوله . وفى يدها مجلة تنظر فيها . ولكنها لا تلبث أن تذهل عنها وتستغرق وهى يقظى فى حلم عميق،فاذا كنت أكتب تركتها حتى افرغ ، وان كنت اقرا اطبقت الكتاب واستغرقت انا أيضا فى وجه كله معنى ، وجسم كله فتنة ، ووضع كله سر !

وكانت عطلة عيد الفصح قد انقضت ، فعادت العمة الى دمشق وعاد الأولاد الى المدرسة . وخلت الدار الا من المرض والمريضة ، أو من المصور والمثال . فوجدت الفرصة مواتية لأستبطن دخيلة امرها واستخرج دفينة صدرها ، فقلت لها ذات يوم : « اريد أن اعالجك بالتحليل كما يفعل الطبيب المحلل ، أو بالاعتراف كما يفعل القسيس المعرّف . فبوحى لى بكل ما فى نفسك عسى أن اجد لك فرجا من هذا الهم . واعدك أن يظل الأمر فيما بينى وبينك سر مهنة أو سر اعتراف » .

فقالت : « وأنا اريد هذا أيضا ، فانى منذ فارقت (الأب الياس) اشعر بالكرب يخنق صدرى وبالقلق يلوع ضميرى . وقد كنت أستريح اليه بالاعتراف كل أسبوع كما يستريح المحزون بالبكاء أو المهموم بالشكوى . وانت اقرب الى قلبى منه ، لانك تشعر بانبساط الربيع وهو يشعر بانقباض الخريف ، وانت تعيش فى موجود الدنيا وهو يعيش فى موعود الآخرة ، ولا اريد ان امضى فى المقارنة بينك وبينه » ..

فقلت لها وأنا انثر البركة عليها من يدى : « اذن ضمنت لك الشفاء بهذه الثقة » .

ثم جلست على كرسى الاعتراف وأخذت تعترف لى وتقول :

احمد حسن الزيات

البقية فى العدد القادم

جميلة بوحيرد في السجن

للشاعر سليمان العيسى

وأنتِ يا أسطورةَ الصَّحْراءِ ، يا نِداءْ

ما زالَ فِي قلوبنا يُفجِّر الضِّياءْ

يا نجمةَ الصبح التى يَتّمتِ الصَّباحْ

منذ اختفتْ في ظُلمةِ السّجونْ

ومرّت السنُونْ

وعرّسَتْ قوافلٌ ، وارتاح مُدْلِجونْ

ولمْ يَزلْ يبحثُ عن نجمتِه الصَّباحْ

لِتُشْرِقَ النّجومْ

وتُورقَ الكرومْ

ويضحكَ الزنبقُ ، ملْء السهل ، والأقاحْ

★★★

مازلتِ يا صديقةَ الصحراءِ في الطّريقْ

منارةٌ خضْراءْ

أنشودةٌ عذراءْ

تُشيرُ من خلفِ الحديدِ البارِدِ الصفيقْ
فيخشَعَ الأمسُ ، ويصغِي الحاضرُ
وتَقِفُ الجزائِرُ
كالماردِ المنْسُوجِ من عزْمٍ ، ومن صُمودْ
لتَلْوِيَ القدرْ
لتَكْتُبَ الظَّفرْ
لكي تردَّ للصباحِ نجمةَ الخُلودْ . .
يا قصةً يلفّها التاريخُ والنضالْ
بِرهبةِ الجَلالْ . .
فيصمُتُ الخيالْ . .
وتمّحي الألحانُ والخواطرْ
وتقفُ الجَزائِرُ
كقلعةٍ شمّاءَ ، تستعصِي علَى الرِّياحْ
تُهْدِي الظّلامَ ـ حيثُ كانَ ـ
نجمةَ الصباحْ .
في رحلةِ الفجْرِ القَريب ، في الغد العظيم
يصنعه الأحرارْ
سيحمل الثوارْ
على يديهم صبحنا المُنتَصِّر ، الوسيمْ
وفي جبينِ الأُفُقِ
تموج دنيا ألقِ
من نجمةٍ عائدة ، كالحبِّ ، كالربيعْ
تصافِحُ الجَميعْ . .
وتشهدُ الأعراسَ . .
أعراسَ الغدِ العظيمْ . . .

سليمان العيسى
حلب

العتبات المقدسة

فى بغداد والنجف وكربلاء

- مآذن وقباب من ذهب، يتألق بريقها على بعد عشرين ميلا!
- هدايا قيمتها ٩٠٠ مليون جنيه محبوسة فى الخزائن السرية!

قام بهذا الاستطلاع: سليم زبال وصوره «أوسكار»

▪ هذا نصر صحفى جديد، تسجله مجلة «العربى». فلأول مرة تستطيع بعثة صحفية أن تصل الى سراديب الخزانات السرية فى «العتبات المقدسة»، وتصور التحف الخيالية، والثروات الاسطورية المدفونة هناك

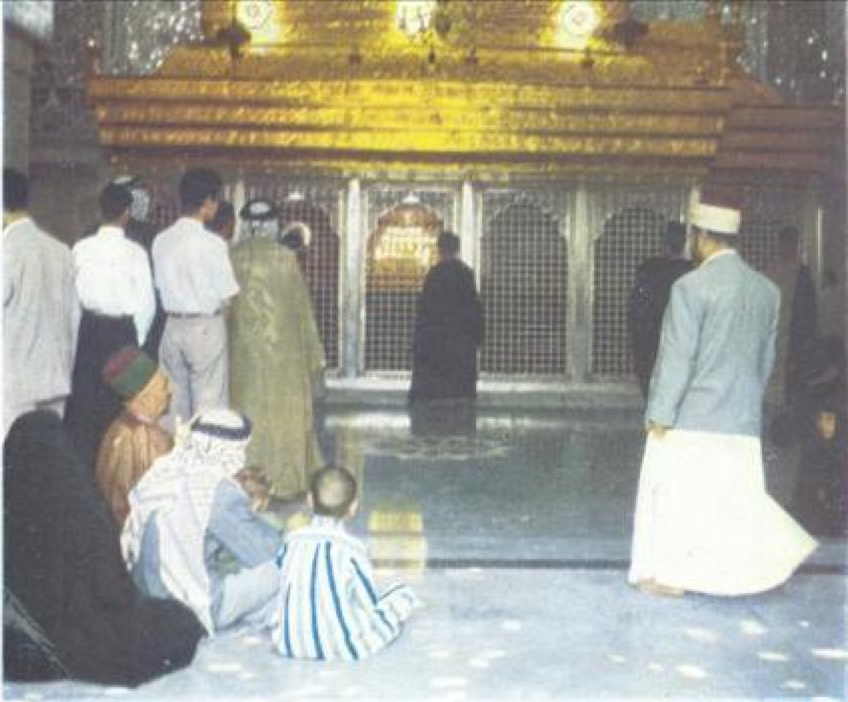

ضريح الإمام علي ، كساه سلطان البهرة بالفضة والذهب عام ١٩٤٠ ..
وفي أسفل ، جماعة من المصلين وأمام كل منهم قطعة من طين كربلاء

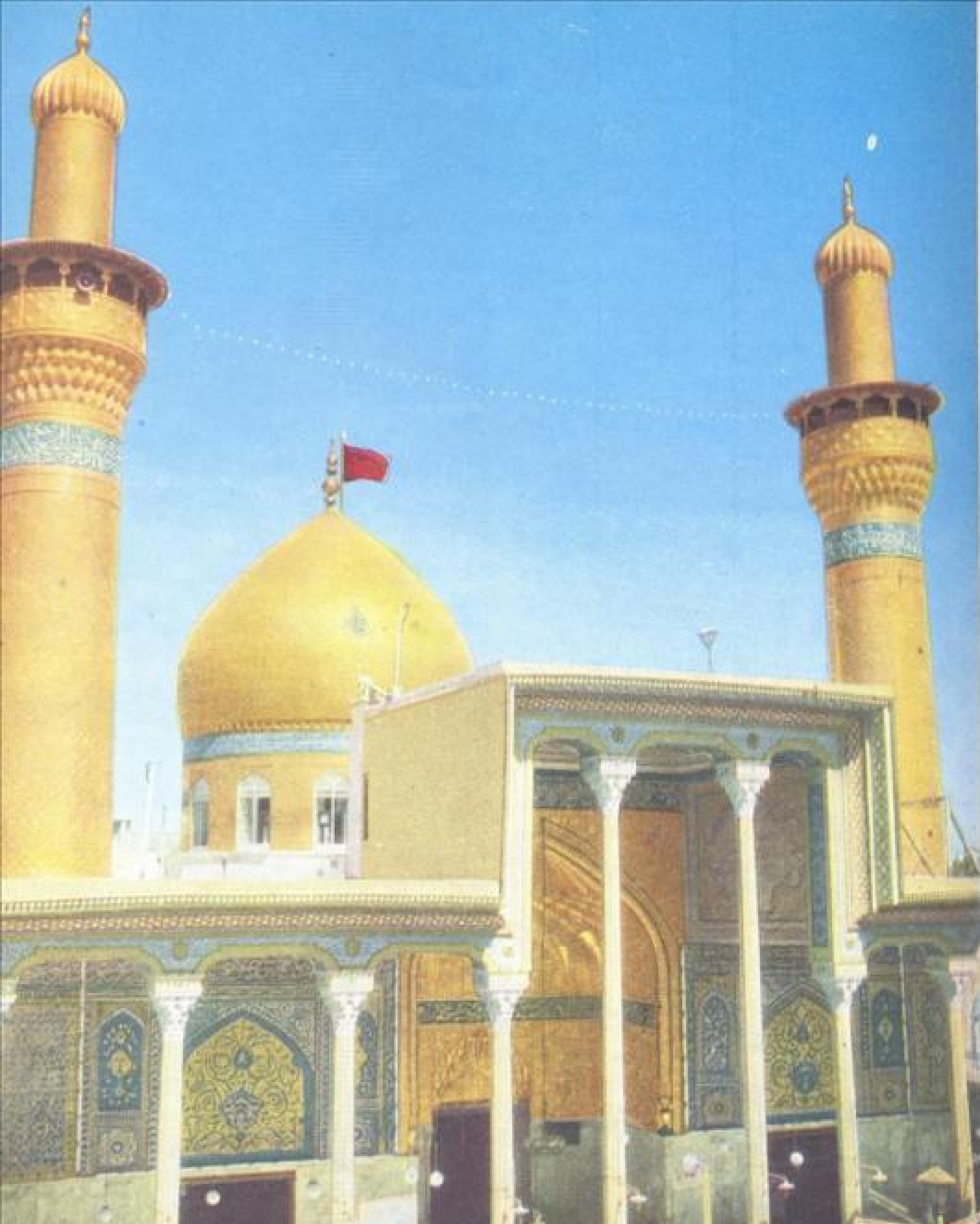

« تحت هذه القبة الذهبية يرقد الامام علي ... » أما الذهب الذي يغطي المئذنتين والقبة فسمكه نصف سنتيمتر ، وقد أمر بوضعه « نادر الشاه » الذي زار النجف عام ١١٥٦ هـ . ان أول من شيد بناء على قبر الامام هو هارون الرشيد الذي شيد غرفة ، ظلت تتسع وتكبر حتى أصبحت اليوم بهذه الروعة وهذا الجمال . والباب الظاهر في الصورة هو باب القبلة ومدخله كله بالذهب » .

وتسجل الحياة الغريبة التي يحياهـا آلاف الزوار الذين يفدون من كل حدب وصوب ليحجوا الى هـذه العتبات ، ويتبركوا بزيارة قبور الائمة والشهداء من أهل البيت ، هذا عدا الوافدين الذين يحملون معهم جثث موتاهم الاعزاء ، ليدفنوها الى جانب تلك الرفات الطاهرة التي تثوى في تلك البقعة المقدسة المعروفة باسم وادي السلام .

ان الايمان يتجسد هناك حتى ليلمسه المرء لمس الحس، ويراه رؤية العين .. على وجوه آلاف الزوار الذين يطوفون حول مقام الامام علي في النجف ومقام الحسين في كربلاء ..

وكان اول مظهر صادفنا من مظاهر هـذا الايمـان ، عجوزا من الباكستان تتزاحم الدموع في مآقيه وتنساب هادئة على وجنتيه ، لتختفي في شعرات لحيته البيضاء ، وهو واقف يدمدم بخشوع وتهيب ، متمتما :

« يا علي .. يا علي ..

« يا امام الحق .. يا كبير القلب ..

« السلام عليك يا امام .. يا باب العلم .. يا عظيم المقام »

وتحتبس الكلمات في حلقه تأثرا ، ثم يتابع مناجاته :

« السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح .. وعلى جاريك هود وصالح ..

« السلام عليك يا علي ..

« السلام عليك يا امام ..

« السلام عليك يا شهيد » ..

ويتقدم العجوز متهيبا ، نحو الحاجز الفضي لضريح الامام ، فيدني شفتيه منه ، لتلثماه بكل تقوى وحرارة .. ويظل يتمتم مكررا : « السلام عليك يا علي .. السلام عليك يا امام » ..

وينساب شعاع من الشمس على مرايا السقف ، الصغيرة المكعبة ، فينعكس ويختلط بنور ايمان الرجل الغريب ، القادم من بعيد ، ويمتلىء ضريح الامام الداخلي بنور السماء ، ونور الايمان ..

تقبيل الضريح الفضي ، والطواف حوله .. من أهم مناسك الزيارة للعتبات المقدسة ..

احترام المقام

ويتتابع موكب المؤمنين : آلاف من الخلق ، جاءوا من أطراف العراق ، وايران ، واليمن ، والهند ، وافغانستان ، واندونيسيا ، والصين ، والباكستان .. أتوا كلهم الى مدينة النجف الأشرف لزيارة مقام الامام علي والتبرك به ، والطواف بضريحه .

ويقدرون عدد الزوار بآلاف عديدة من الزائرين كل عام ، يقوم بخدمتهم ٣٠٠ « خادم » من السادة الاشراف كلهم من نسل الأئمة الذين توارثوا المذهب

الشيعي ، يتميزون بعمائمهم الخضراء فوق طربوش أحمر ، وتنحصر وظيفتهم في المحافظة على نظافة العتبات ، وشرح قواعد الزيارة للزوار الأجانب ، وتلقينهم الأدعية التي ينبغي ترديدها .

وبجوار قبر الامام علي (رضي الله عنه) المصنوع من البلاتين والذهب والفضة ، شاهدنا احد ذوي العمامات الخضراء ، يتقدم من زائر ويقول له بالايرانية

ـ احترم المقام ، ولا تعطه ظهرك .. تذكر انك في حضرة الامام ..

مقتـل الامـام

وفي ركن من الصحن الداخلي المستدير ، ذي السقف المزركش بآلاف من قطع المرايا البلجيكية الصغيرة ، جلست مجموعة من « الحجاج » تستمع الى أحد « السادة الأشراف » يروي لهم قصة مصرع الامام علي : ـ

« كان ذلك في اوائل سني ظهور الاسلام ، وعلى التحديد في عام ٣٩ من الهجرة ، عندما اجتمع ثلاثة من « الخوارج » واتفقوا على قتل علي ابن ابي طالب ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية » ..

« وأخذ ابن ملجم الحميري على نفسه ، مهمة اغتيال علي ، فانتظره مع رفاقه ، مقابل السدة التي يخرج منها ، فلما خرج قبل الفجر جعل ينهض الناس من النوم الى الصلاة ، ويقول : « الصلاة .. الصلاة .. » ولما اجتمع الناس دخل معهم الى الصلاة ، ودخل وراءه ابن ملجم ، وبعد السجدة الأولى ، استل ابن ملجم سيفه المسموم ،

حتى « المكانس » التي ينظف بها رخام الروضة الشريفة ، مكسوة أذرعها الطويلة بالفضة الخالصة

وضرب الامام على قرنه ، فسالت الدماء على وجهه وجلبابه . ولم يمت الامام مباشرة ، بل نقل لمنزله ، حيث توفي بعد ثلاثة أيام ، في اليوم الموافق من ١٩ رمضان عام ٤٠ هـ (٦٨٠م) » .

نادرشاه : موزع احذية !!

يقول الكثيرون : ان الامام قد دفن بعد مقتله ، في مدينة الكوفة ، ولكن علماء الشيعة يؤكدون دون

صورة الصفحتين التاليتين : تتميز العتبات المقدسة بالأضرحة الفضية والذهبية ، وقد التقطت هذه الصورة في مشهد الكاظمين لضريح الامام السابع موسى الكاظم ، أما القبر فمصنوع من الخشب المطعم الثمين من عهد الشاه اسماعيل الصفوي ، وهو مغطى بالزجاج للمحافظة عليه من الأتربة ، وفوق الزجاج ضريح من الصاج المطعم ثم ضريح من الفضة يقبله ويطوف حوله جموع الحجاج الوافدين من أنحاء العالم الاسلامي . والقسم الاعلى من الضريح مصنوع من الذهب المزخرف . وتحيط بالضريح الروضة الشريفة ، ولها ستة أبواب من الفضة المزخرفة الدقيقة الصنع .. وأرض الروضة من الرخام العراقي الثمين ، والجدار ، حتى ارتفاع مترين ، مكسو بالرخام الايراني ، تعلوه كتابة قرآنية «منبتة» لا يوجد لها نظير .. انها حروف مصبوبة في الرخام المحفور أما السقف فمغطى بمرايا بلجيكية صغيرة ودقيقة للغاية تنعكس عليها أضواء ثريات البلور القديمة ..

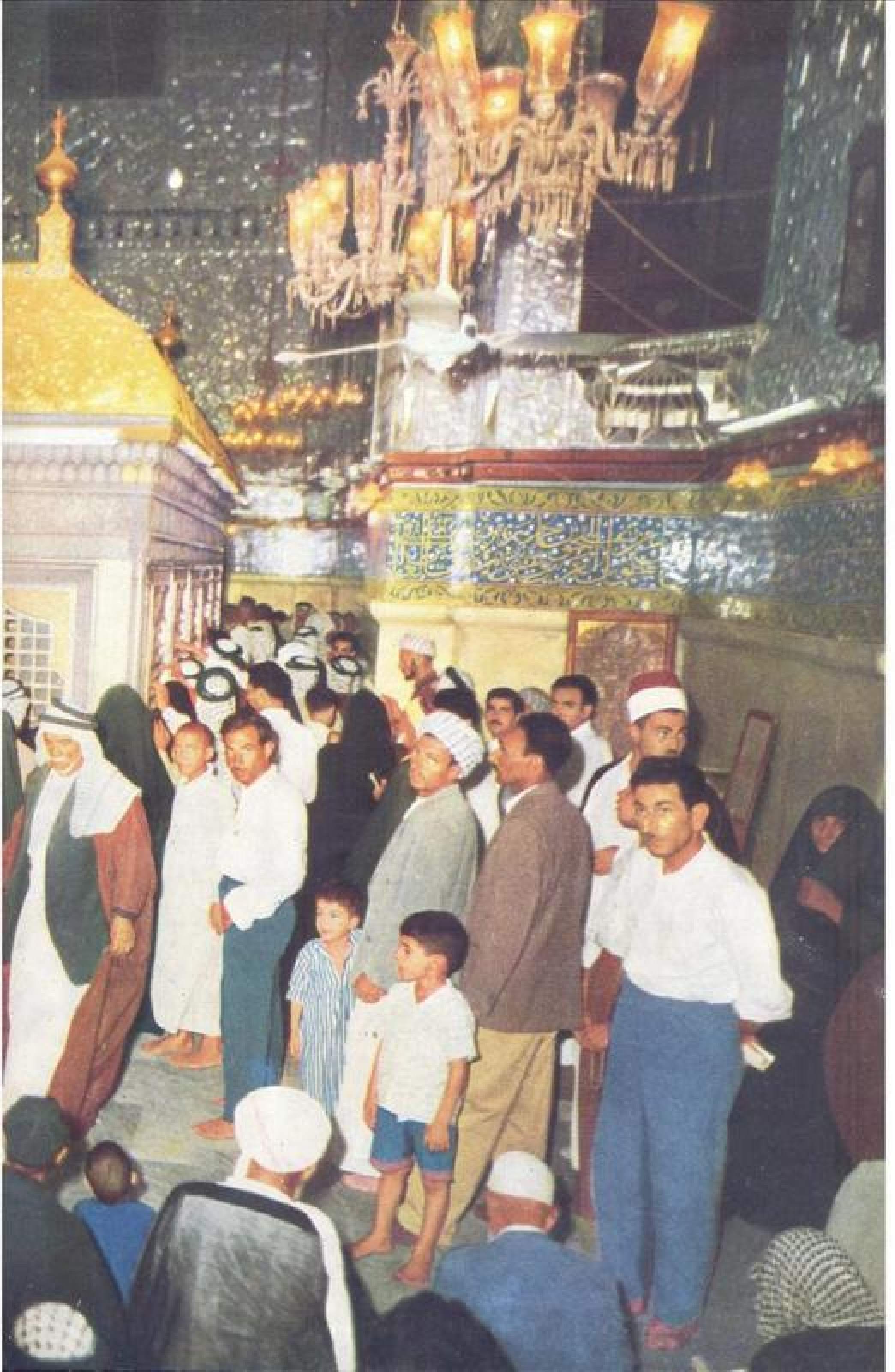

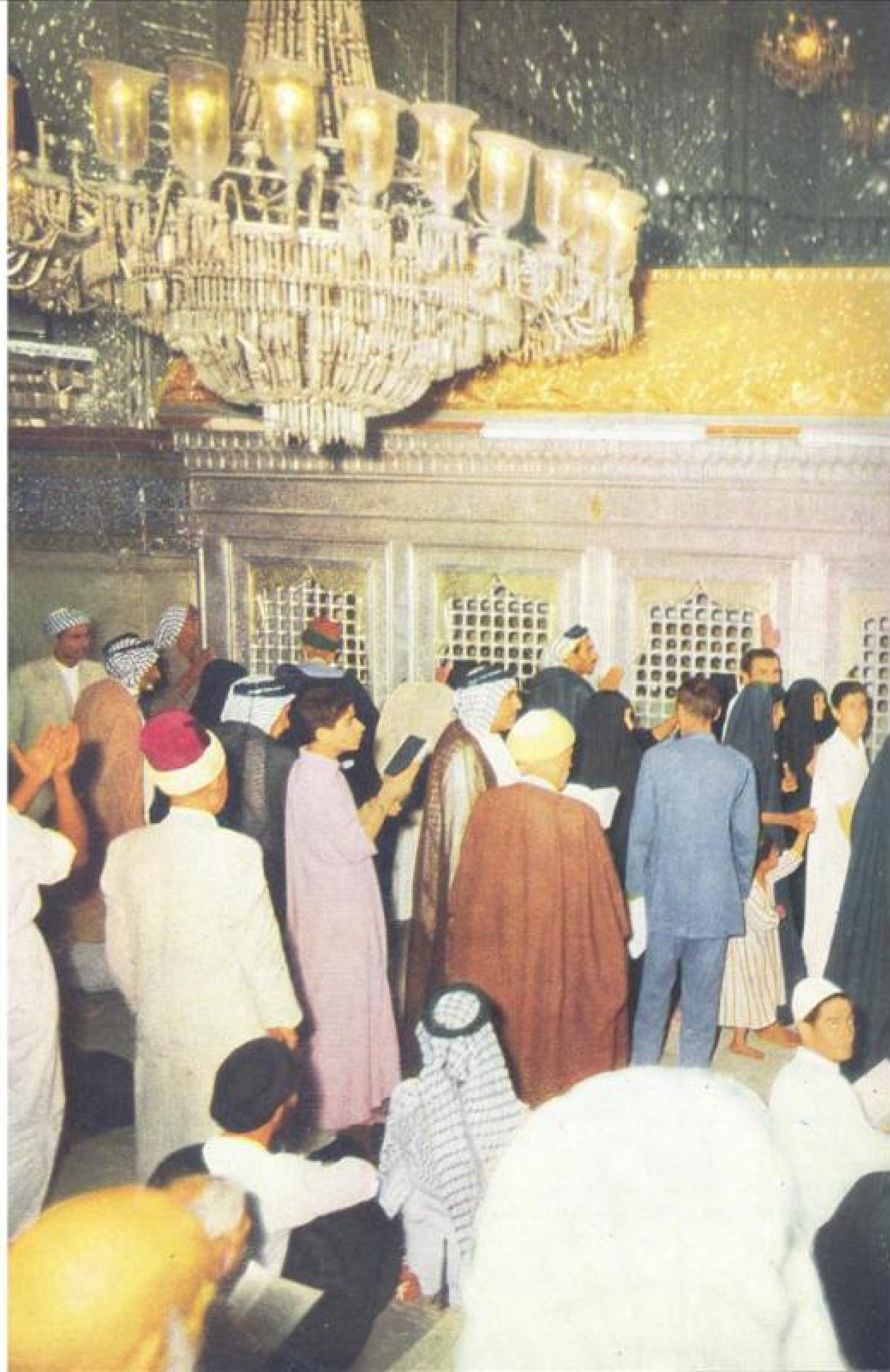

اقل شك أو تردد ، انه مدفون في مكانه الحالي بالنجف الأشرف ..

وقال لنا سادن الروضة الحيدرية (ويسمى الضريح بهذا الاسم نسبة الى اسم « حيدرة » الذي كان يلقب به الامام علي) .

ويقول سادن الروضة : « أول من أقام بناء على قبر الامام هو هارون الرشيد . وزيد البناء ووسع في عهد ملك طبرستان ، الملقب بالداعي ، وعهد عمر بن يحيى .. وفي زمن عضد الدولة الديلمي عام ٣٣٨هـ ، والصفويين من بعده ، أوقفت على الضريح اوقاف كثيرة .. اما الذهب الذي يكسو القبة والمنارتين ، فقد امر به السلطان نادرشاه الذي زار الروضة مع والدته ، واغدق الهدايا على الضريح ، ومنها تاجه المرصع الثمين ـ الذي ما زال موجودا حتى اليوم ـ واربع ستائر مرصعة باللؤلؤ الحر ..

وبعد انتهاء الزيارة جلس نادرشاه على الأرض .. نعم جلس هذا الطاغية على الأرض .. مكان موزع أحذية الزوار .. وقام بتوزيعها بنفسه على الزوار ، تشرفا وتقربا من الامام العظيم !

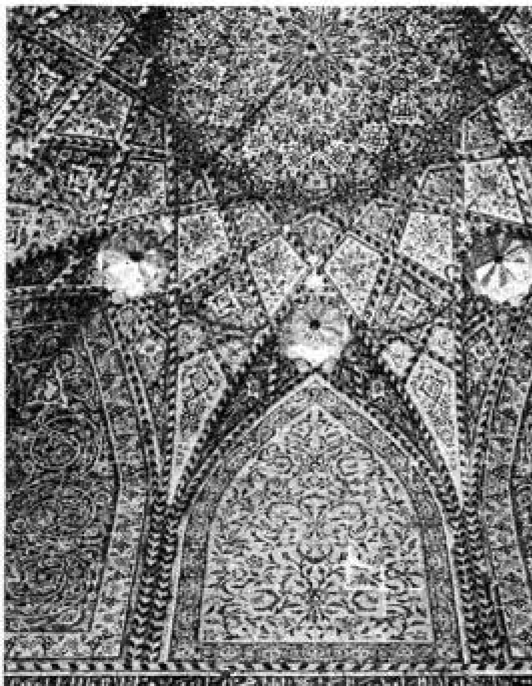

الكاشي الذي يكسو جدران الروضات ان جمال زخرفته وبديع الوانه المنسقة ، يثير في النفس الاعجاب والدهشة

حافلات مكللة بالسواد

وفي الصحن الخارجي للمقام ، تزدحم الساحة بعشرات الألوف من الحجاج والزوار . جاءوا ومعهم طعامهم وشرابهم ، وحتى سجادهم وحصرهم التي ينامون عليها .. وما يكاد الواحد منهم يلمح عتبة ايوان من الايوانات السبعة والعشرين ، المحيطة بالصحن ، قد خلت ، حتى يتسلل اليها مع أسرته ، حيث يقضي فيها يوما أو يومين ، قبل رحيلهم من النجف الى كربلاء لزيارة قبر الحسين ابـــي الشهداء ..

والغالبية العظمى من الزوار تصل من ايران ، بكل طريقة ميسرة من وسائل النقل ، وخاصة الحافلات التي تكلل بالسواد عندما تحمل الزوار .. ان أكثر من يأتون من الطبقة الدنيا ، التي ما تكاد زيارتهم للعتبات تنتهي ، حتى تنتهي معها مدخراتهم ، فيبيعون كل ما يحملونه من سجاد ، وأوان ، وأحيانا ما يلبسونه من معاطف جلـــد الماعز ، ليحصلوا على المال اللازم للعودة ...

أساطير وادي السلام !

وفي غمرة هذا الزحام ، يتجمع موكب من الزوار يحمل تابوتا فيه جثة ميت من انصارهم ، يطوفون به حول المقام ثلاث مرات ، قبل الصلاة عليه في الصحن الداخلي للمقام .

وبعد الصلاة تنقل الجثة الى . «وادي السلام» ، أكبر المقابر اتساعا في العالم كله ، وأغناها بالأساطير والخرافات المغرقة في القدم ، حتى لترجع بعضها الى عهد النبي ابراهيم ، الذي يزعمون انه سكن هذا الوادي مع ابنه اسحق . ومما يروى منسوبا اليه قوله :

« .. وسيأتي زمن يبنى فيه هنا قبر عليه معبد ، سيدخل ٧٠ الفا من زواره الجنة بغير حساب ، وسيكونون شفعاء لعدد كبير آخر .. » .

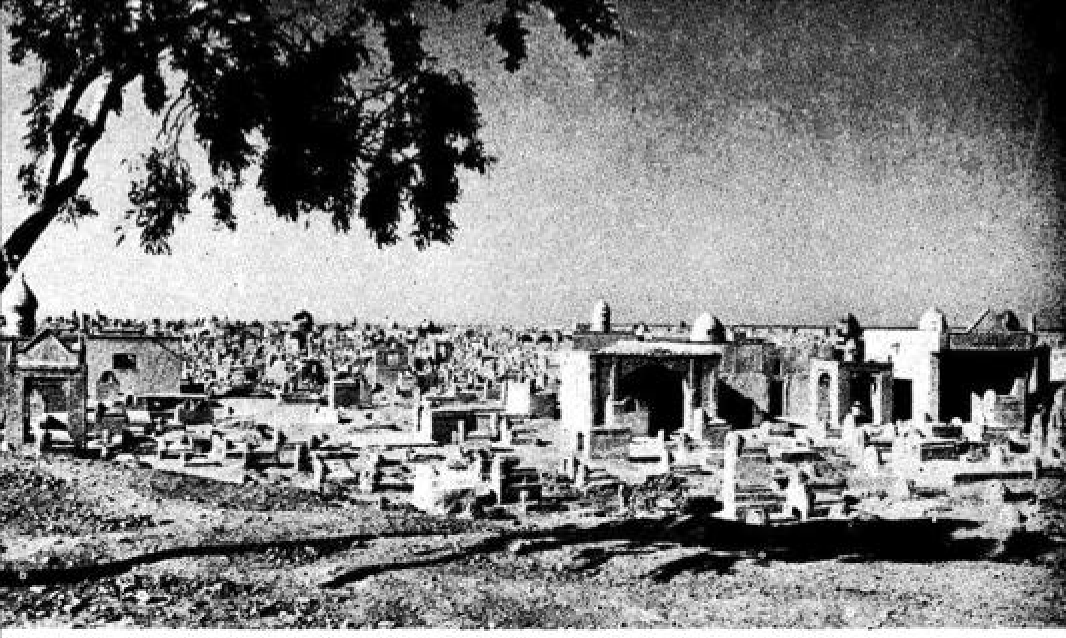

« وادى السلام » بالنجف الأشرف يدفن فيه يوميا نحو خمسين جثة منذ عام ١٧٥ هـ . (٧٩١ م)

كما ينسب الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قوله :

« ان وادى السلام قطعة من الجنة ، وان روح كل مؤمن سوف تأتى الى هذا الوادى .. » .

ويمتد وادى السلام بمحاذاة طريق النجف ـ كربلاء لمسافة عشرات الكيلومترات ، ولكن المنطقة المستغلة لدفن الموتى لا يزيد طولها عن أربعة كيلومترات طولا ، وكيلومترين عرضا .

ولا يمكن بأى وسيلة احصاء عدد المقابر فى وادى السلام ، ولكن متوسط عدد الذين يدفنون يوميا فى هذا الوادى يبلغ ٥٠ ميتا !! وهذه العملية بدأت منذ ان اكتشف هارون الرشيد قبر الامام علي رضي الله عنه .

دينار ضريبة عن كل جثة أجنبية !

وتأتى جثث الموتى الى هذا الوادى من جميع انحاء العالم : من المغرب الى اليمن حتى الصين ..!

ويدفع عنها رسوم . ويبنى أهل الموتى قبورا صغيرة لجثث موتاهم، وكثير منهم يستعملون القبور القديمة المهملة .. بينما يشيد الأغنياء مقابر كبيرة تتسع لأكثر من قبر واحد ، لأفراد الأسرة جميعا . وهذه القبور تضم اجداث الكثيرين من زعماء العراق والعلماء والشخصيات البارزة من الدول الاسلامية مثل مقبرة الشيخ خزعل أمير المحمرة (عربستان) .. ويقال ان قبرى النبيين : (هود وصالح) موجودان فى هذا الوادى .

فتح الخزانة السرية مرة كل ٥٠ عاما !!

وأغلب الحجاج ، القادمين من الخارج ، يحملون معهم الهدايا الثمينة وفاء لنذور نذورها ، وتقدم هذه الهدايا الى سادن الروضة ، الذى يقوم بتوزيع النقود والأطعمة منها ، على خدم الضريح والفقراء الجالسين فى الصحن الخارجي ..

اما الهدايا القيمة النفيسة ، فتلتقط لها أربع صور ، يحتفظ بواحدة منها فى الروضة الشريفة ، والثلاث الباقية ترسل الى ارشيف وزارة الأوقاف ببغداد ، بينما تبقى الهدية نفسها فى الروضة ، حيث يحتفظ بهـا فى خزانات وسراديب خاصة استعدادا لنقلها الى الخزانة السرية الكبيرة فى السرداب الرئيسى . وهذه الخزانة الكبيرة لا تفتح الا مرة كل خمسين عاما ، بحضور وزير الأوقاف ،

٤ ابواب ذهبية مشغولة بالميناء تبرع بها
أحد الأثرياء الإيرانيين لمشهد الامام علي

تكثر حلقات الدروس في الصحن الخارجي لمشهد الامام علي حيث
يلتف الناس حول أحد العلماء الذي يلقي درسه باللغة الإيرانية غالبا.

أغلب الجثث التي تأتي لتدفن بجوار العتبات المقدسة ، تستقر في مدافن « وادي السلام » .. الا ان البعض يوصي بأن يدفن قريبا جدا من مقام الحسين، ونظرا لكثرة الطلبات فقد فرضت رسوم بلغت ٦٠ دينارا اما في مشهد العباس بكربلاء فانهم يطوفون بنعش الميت (الصورة العليا) حول المقام ، ثم يصلي عليه في الصحن الداخلي ويقرأ ما يتيسر من القرآن (الصورة اليسرى) ثم يدفن في الايوان الداخلي مقابل رسم مقداره ١٦ دينارا او في الايوان الخارجي مقابل دينارين فقط !

ومتصرف اللواء ، وسادن الروضة ، وعـدد من المسئولين ..

٩٠٠ مليون دينار قيمة كنوز العتبات

ان هـذا الاحتياط لا بد منه ، فالثروة التي تحويها خزائن العتبات المقدسة كلهـا ، لا يمكن حصرها ،ويقدرها البعض بنحو ..٩٠ مليون دينار عراقي .. وهذا الرقم ، وان بدا مبالغا فيه ، الا ان طبيعة الهدايا تجعله أقرب الى الحقيقة .. فقد شاهدنا سجادة واحدة قدروا ثمنها بنصف مليون دينار (أنظر الصورة صفحة ٤٩) فبماذا اذن تقدر قيمة بقية الهدايا المصنوعة من الذهب واللؤلؤ والماس والياقوت والزبرجد ، والسجاد الايراني الثمين ، والتي قدمها السلاطين والأباطرة وشاهات ايران ؟

٧٥ كيلومترا على الأقدام

ان الثروة والأماكن المقدسة ليست وقفا على مقام الامام علي في النجف ، بل تتعداه الى كربلاء ، المدينة المقدسة الثانية القائمة على بعد ٧٥ كيلومترا من النجف .. يقطعها الكثيرون من الزوار والحجاج على اقدامهم تحت أشعة الشمس المحرقة ، لزيارة مرقد الحسين ابي الشهداء ..

كرب ... وبلاء !

ان كربلاء مدينة اسلامية عريقة في القدم ، فقد اقيم اول بناء فوق قبر الحسين عام ٦٦ هـ . في نفس المكان الذي سقط فيه الحسين بأيدي قوات يزيد بن معاوية . لقد جاء الحسين رضي الله عنه الى كربلاء عام ٦١ هـ. بناء على الرسل والرسائل العديدة التي جاءته من أهل العراق ،يبايعونه فيها

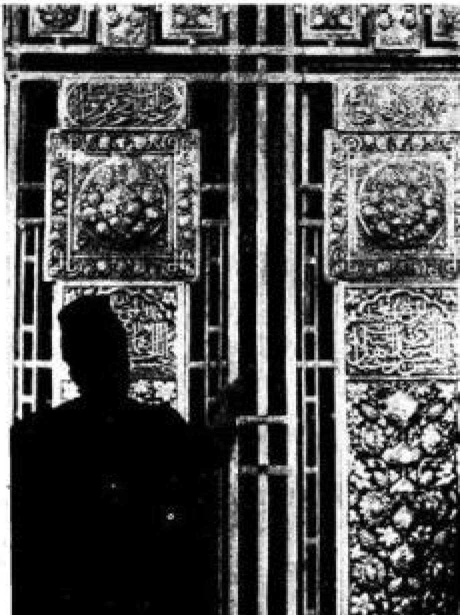

باب رائع من الفضة الخالصة مزخرف بالرسوم وتجد مثله في كل مكان في النجف وكربلاء

تحفة التحف : السيد ضياء وكيل سادن الروضة العباسية ، وأمامه مصحف قديم من جلد الغزال ، يقول عنه ان كتابته الكوفية قد كتبها الامام علي بنفسه

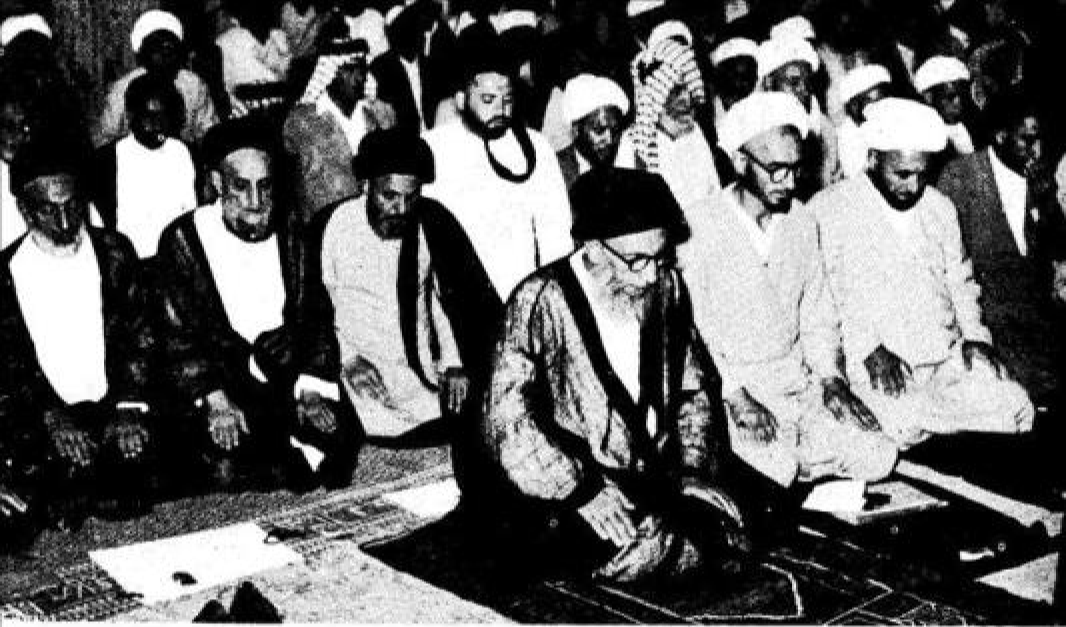

حجة الاسلام آية الله السيد محسن الحكيم كبير علماء الشيعة فى النجف وكربلاء وله وكلاء فى ايران والباكستان والهند وسوريا ولبنان يرجعون اليه فى حل المسائل الدينية والفقهية التى تصعب عليهم فى المذهب الجعفرى . كما يرسلون اليه نحو سبعة آلاف دينار شهريا ، لانفاقها على طلاب العلم المنقطعين للدراسة فى النجف وأغلب الطلبة من ايران والهند والباكستان وسوريا ولبنان يقيمون فى غرف مؤثثة بالمدارس الدينية العديدة المنتشرة فى النجف ، يأكلون ويشربون ويلبسون مجانا ولا يفكرون الا فى دروسهم .. ويشرف سماحة السيد الحكيم على كل هذا ويلقى على الطلبة الدروس كل يوم جمعة ، ويجيب على جميع الأسئلة التى توجه اليه .. وعندما يتوجه سماحته للصلاة يلتف حوله الوف المصلين كما ترى فى الصورة العليا .

عوضا عن يزيد بن معاوية .. وسافر الحسين من الحجاز مع أهل بيته ، وستين شخصا من أهل الكوفة ، وفى الطريق أبلغه الناس أن أهل العراق قد بدلوا ولاءهم « فأصبحت القلوب مع الحسين، والسيوف مع بنى أمية » . ولكن الحسين لم يتراجع واستمر فى سيره حتى وصل الى منطقة كربلاء ، فسأل عن اسمها فقالوا له : « كربلاء » .. فقال رضى الله عنه : كرب .. وبلاء ..

وهكذا كان .. فقد حاصرته قوات ضخمة من جيش يزيد . وبعد معركة هائلة استشهد الحسين مع جميع رفاقه ما عدا النساء . وقد وجد فى جثة الحسين آثار ٣٣ طعنة و ٣٠ ضربة سيف .

وبلغ عدد الذين استشهدوا فى هذه المعركة الغادرة مع الامام الحسين ٧٢ شهيدا ، منهم خمسة من أبناء الامام علي ، وكثيرون غيرهم من أهل البيت، اجتزت رؤوسهم وارسلت الى يزيد فى الشام مع نساء أسرة الحسين اللواتى ردهن الى المدينة المنورة ..

وكان استشهاد الحسين يوم عاشوراء الموافق الجمعة ١٠ من محرم عام ٦١ هـ .

ويحيط بمرقد الحسين فى كربلاء ٧٢ قبرا هى قبور الأبطال الذين استشهدوا معه فى المعركة ..

كلهم عاي

ان ضريح الحسين قائم تحت قبة ذهبية ارتفاعها ٢٥ مترا ، تحف بها مئذنتان ذهبيتان رائعتان .. ان منظر الروضة الحسينية من المناظر التى

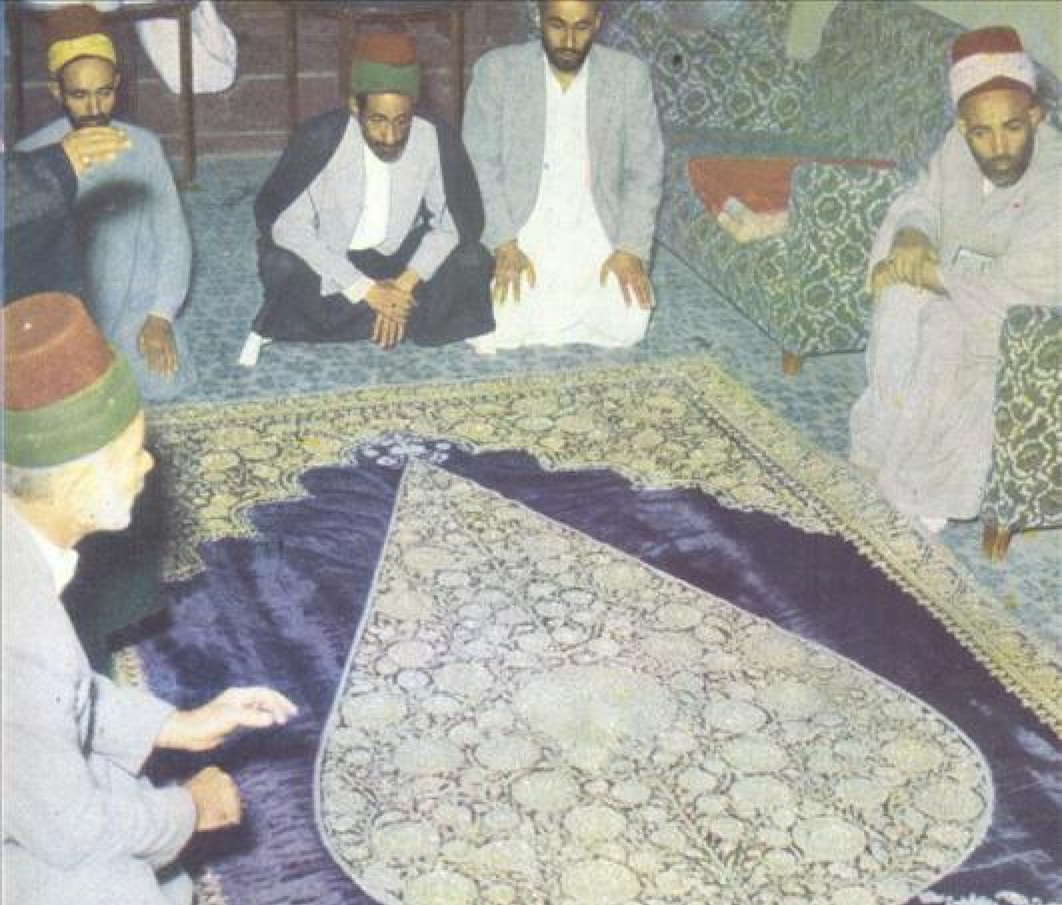

أول صور تنشر في العالم لكنوز

بتصريح خاص من وزارة الأوقاف ، وبحضور مندوبها ، ومندوب متصرف النجف ، وسادن مشهد الامام علي ، ومساعديه سمح لمصور مجلة « العربي » لأول مرة بالتقاط صور لجزء من الكنوز الموجودة في السراديب السرية .. ان السجاد المنشور على هاتين الصفحتين لا يوجد له شبيه في العالم كله .. ! فالصورة اليمنى لسجادة من المخمل البنفسجي ولكنها محلاة بالماس والزمرد واللؤلؤ والياقوت . وفي المخازن سجادتان من نفس هذا النوع ، حجم كل منهما اربعة أمتار في مترين ، ولقد فشل الخبراء في تقدير ثمن لهما !! أما الصورة في الصفحة اليسرى فهي لسجادة ضخمة طولها سبعة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار قدمها الشاه عباس الصفوي هدية لمشهد الامام علي .. وفي عام ١٩٥٠ حضر خبير من ايران وقدر ثمنها بنصف مليون دينار فهي مصنوعة من الحرير والقصب والذهب .. أما الصورة الصغرى (الى اليسار) فهي لسجادة لم يستطع

العتبات المقدسة ..

احد أن يقدر ثمنها ، لأنها كلها من اللؤلؤ الطبيعي المتفاوت الاحجام ، وفي وسطها تاج محلى بالزمرد يحمله ملكان ، وبجانبيهما طاووس ، ومبخرة ، وأسد ، وببغاوات وجملة : لا فتى الا علي ، ولا سيف الا ذو الفقار ، ناصر الدين قاجار .. كل هـذا مرسوم ومكتوب باللؤلؤ ..

تأخذ بالألباب وتبهر لما تحويه من روعة فى الفن والزخرفة والنقوش ..

ويقوم بخدمة الزوار وهم الوف عظيمة ٥٠ « خادما » .

وبجانب قبر الحسين يقوم قبر ابنه « علي الاكبر » الذى قتل معه فى المعركة .. ومما يذكر أنه كان للحسين ثلاثة أبناء يحملون نفس الاسم : علي زين العابدين ـ علي الاكبر ـ على الأصغر ..

رسوم النبي وعلي فى الروضة العباسية !!

وعلى بعد أمتار من الروضة الحسينية تقع الروضة العباسية ، وفيها قبر العباس ، أخو الحسين لأبيه الذى استشهد معه وهو يحمل العلم .. وهى أقل العتبات المقدسة فخامة ، رغم روعة زخرفتها بالكاشى الملون .. وتجرى وزارة الأوقاف اليوم عملية ترميم وتجديد لكاشى الجدران والمئذنتين ..

وتحت هذا البناء تقع الخزانة السرية الخاصة بالروضة العباسية ، انها تختلف عن خزائن باقى الروضات بما تحويه من مجموعة نادرة للسجاد الايرانى الثمين .. وبعض هذا السجاد مزدان برسوم للنبي عليه السلام والامام علي رضى الله عنه.

وقد شاهدنا سجادة رائعة صنعتها فتاة من أصفهان بخيوط حريرية ملونة تتضمن رسما للامام علي ، ان الناظر اليها يعتقد أنه امام لوحة زيتية وليس أمام سجادة حريرية .. لقد قضت ٢٠ عاما فى صنعها قبل أن ترسلها للحضرة العباسية ..

ورسوم آل البيت الكريم منتشرة ، فى كل مكان هناك حتى أنها تباع علنا فى المتاجر وعلى أبواب الروضات الشريفة ..

ان طائفة الامامية ، وهى أكبر الطوائف الباقية من الشيعة ، تبيح رسم النبى والأئمة ، ولا تجد اى حرج فى ذلك ..

الامامية .. والزيدية .. والاسماعيلية

ان معتنقي مذهب الامامية يقدر عددهم بنحو ٢٥ مليون نسمة موزعين بين ايران والعراق ، ويعتبر

للشمالة سجادة ايرانية ثمينة ، محفوظة فى سرداب خاص بالروضة العباسية فى كربلاء ، لا تستعمل الا فى الشتاء ، لتغطية الارض الرخام ، فى الروضة التى تحيط بالضريح ..

هذا المذهب دين الدولة الايرانية الرسمى منـذ عام ١٤٩٩ م .

ويؤمن الاماميون باثنى عشر اماما هم : علي ــ الحسن ــ الحسين ــ علي زين العابدين ــ محمـد الباقر ــ جعفر الصادق ــ موسى الكاظم ــ علي الرضا ــ محمد التقى ــ على النقى ــ الحسـن العسكرى ــ محمد المهدى .

ويلي مذهب الشيعة الامامية فى الأهمية فى الوقت الحاضر ، مذهب الزيدية ، وقد انفصل أنصاره بعد الامام الرابع ، على زين العابدين ، ومبايعتهم لابنه زيد بالامامة بدلا من محمد الباقر . ويكثر مريدو هذا المذهب فى تلال وجبال اليمن ، وصنعاء ...

والمذهب الشيعى الثالثهو الاسماعيلية ويرأسها اغا خان ، وهؤلاء انفصلوا بعد الامام السادس جعفر الصادق .

مكة المكرمة والعتبات المقدسة !

ومع أن الشيعة يحجون الى مكة المكرمة ، مثلهم مثل باقى المسلمين ، الا ان مقام علي فى النجف ، والحسين فى كربلاء ، ومشهد الكاظمين فى بغداد ، ومقام علي بن موسى فى « مشهد » بايران ، ومقام علي الهادى وولده العسكرى فى سـامراء ، تكاد تتساوى فىاعتقادهم ــ مع مكة المكرمةفىقداستها.

ويذهب الآلاف من أهل الشيعة فى العراق الى بلدة « مشهد » بايران للزيارة ، ويأتى الايرانيون بعشرات الآلاف الى النجف وكربلاء وسـامراء والكاظمين للغرض نفسه ..

اربع مآذن ذهبية !

ومشهد الكاظمين فى بغداد ، هو تحفة التحـف ، من ناحية جمال العمارة ، فهو مكسو بطبقة من الذهب سمكها نصف سنتيمتر ، تلمع على بعـد عشرين ميلا (انظر هدية العدد) من مكانها .

ويتميز مشهد الكاظمين بقبتين واربع مآذن عالية كلها مكسوة بالذهب .

ويقول الشيخ عبد الحميد الكيليدار ، الـذى امضى ٣٧ عاما سادنا لمشهد الكاظمين ، والـذى تتوارث أسرته هذا المنصب منذ اربعة قرون ، ان الذى كسا المئذنة الاولى بالذهب هـو السلطان سليم العثمانى ، وتلاه الشاه فتح القاذارى الذى كسا المآذن الثلاث الاخرى بالذهب أيضا ، امـا القبتان فقد قام الشاه محمد خان الخاشة، مؤسس الدولة القاذارية بتذهيبهما ..

وتحت القبتين يوجد ضريحا الامام السابـع موسى الكاظم ، وحفيده الامام التاسع محمد الجواد التقى .

وقد نشأت حول المشهدين بلدة « الكاظمية » التى اصبحت اليوم جزءا من بغداد نفسها ..

ان « الكاظمين » هى أكثر العتبات زوارا،لوقوعها فى بغداد نفسها ، ويقوم بالخدمة فيها ٢٠٠ خادم يشغلون مناصبهم بالوراثة .

ضرب الراس بالسيف والفاس !!

ويصل عدد زوار العتبات الى ذروته يوم عاشوراء الموافق ١٠ من محرم فى كل عام .. وفى هذا اليوم ، الموافق لذكرى استشهاد الحسين رضى الله عنه فى كربلاء ، يجتمع حشد هائل من الناس ، جاءوا من كل فج للاشتراك فى المواكب الغريبة التى تسير فى الشوارع وهى تندب وتنوح وتردد :

ضرر ممكن ، ثم تتسبب ضربات جوانب السيف والفاس في زيادة سيل الدماء .

وهناك ، من الزوار ، من يؤذي نفسه اذى بالغا .. بل هناك من يموت فعلا ..

وفي هذا اليوم يختفي الماء من المدن المتمسة ، ولا يشرب الناس الماء في هذا اليوم اكراما للحسين لأنه استشهد ظمآنا ..

وقد ابتدعت هذه العادة الشنيعة ، والاهواء الفظيعة ، في عهد دولة بني بويه عام ..٤ هـ .

وفي اليوم العشرين من شهر صفر ، من كل عام، تتكرر صور المواكب والاحتفالات .. فهذا اليوم يوافق ذكرى رجوع نساء وسيدات أسرة الحسين (سبايا عرايا) على حد قول الشيعة ، من الشام الى المدينة المنورة ..

مسرحيات عن مقتل الحسين

ان ماساة مصرع الحسين تشكل ، مع الاضافات الكثيرة التي يبالغ الشيعة في اضافتها الى التاريخ ، اساسا لآلاف المسرحيات العاطفية العنيفة التي تمثل ذلك اليوم في كل مكان ..

ولم يترك الشعراء المناسبةدون تسجيلها بقصائد طويلة عديدة يضيق عن نشرها المقام .

حي على خير العمل

وتحت المدخل الذهبي الكبير ، وقفنا نلقي نظرة الوداع علـى هذا العمل الفني الرائع ، الذي صنعه « الايمان » أكثر مما صنعه الانسان .

وكان صوت المؤذن ينطلق عاليا من مكبرات الصوت العديـدة المثبتة فوق المآذن الأربع الذهبية ، وهو ينقل الى أهل الشيعة اذانهم الخاص :

... ...
... ...

اشهد أن محمدا رسول الله .. وأن عليا ولي الله ..

... ...
... ...

حي على الفلاح .. حـي على خير العمل .. !!

بائع المسابح و« طين كربلاء »
تجده عند ابواب جميع الروضات

آدابُ السُّلوك

بطاقات الزِّيارة

▪ هذه بدعة من بدع المدينة لطيفة طريفة . وطرافتها ناشئة من نفعها . فانت تدق باب صديق لك ، فيظهر لك على الباب الخادم أو الخادمة ، فيخبرك انه لا يوجد فى البيت احد ، فتقول له : فرجائى أن تخبرهم انى انا فلان قد حضرت لأراهم ، وانى آسف انى لم اجدهم .

وتترك هذا البيت مطمئنا بأن رسالتك قد وصلت . ثم تكتشف بعد اسبوع او اسابيع ، اذ تلقى صاحبك بالمصادفة ، انه لا علم له بانك جئت لتزوره .

الذى حصل أن الخادم ذكر انك دققت الباب حقا ، ولكنه نسى الاسم . او انه حرّف الاسم ، فبدل أن تكون محمد حسين صرت على حسنين ، او حتى محمود عبد الوهاب . ان ذاكرة بعض الخدم عجيبة ، ولكن خيالهم اكثر عجبا ، واوسع افقا .

ان ورقة تترك بها اسمك تمنع من هذا الضرر . وهو لا شك ضرر ، يصغر ويكبر ، وفقا للغرض الذى كان من الزيارة .

البطاقة من ابتداع المدنية

ولكن اى ورقة تترك ؟

انه خطر لك ان تترك ورقة ، ولكنك تفتش عن قلم فى جيبك فقد لا تجد . وليست كل ورقة تصلح لان تكتب عليها اسمك الجميل ، لا سيما اذا اسعفك بها الخادم فى البيت المطروق من مطبخ الدار .

من اجل هذا ابتدعت المدنية ، من بعد ظهور الطباعة ، بطاقة الزيارة : بطاقة نظيفة ، مطبوعة بخط نظيف ، عليها اسمك الكريم ، تتركها عندما لا تجد صديقك فى البيت .

وبطاقة الزيارة لا شك من مبتدعات المدنية الطيبة ، وليس كل ما تبتدع المدنية بطيب .

حجم البطاقة

وتسالين يا آنسة ع . حجاج ، من دمشق ، عن بطاقة الزيارة ، ماذا تكتبين عليها ؟ وتسالين عن حجمها . .

والحق انه فى بلد كدمشق تشترى البطاقات من مكان للطبع ، او مكان للحفر ، او من مكتبة ، وكل هذه الأماكن ، ان كانت تصنع البطاقات ، فعندها علم

كل ما يتعلق بها من نوع ورق ، الى حجم بطاقة ، الى لونها .

وعلى كل حال ، فانا متحدث عن البطاقة فاقول :

ان البطاقة تصنع من ورق مقوى ، ابيض ناصع ، او لبني . وهي لا تصنع من لون احمر ، او اصفر ، او اخضر ، ولو كانت بطاقة امراة . فالبطاقة لا تدخلها الوان الثياب .

وبطاقة المراة اكبر عادة من بطاقة الرجل ، الاولى ٩×٦ سم ، والثانية ٧×٤ سم ، او نحو ذلك .

ومع الاسم العنوان والتلفون

وعلى البطاقة يكون اسم صاحبها مطبوعا واضحا . وفى الاسفل ، وبخط اصغر ، يوضع العنوان ، وبما ان هذا عصر التلفونات ، ومدن اليوم كبيرة واسعة ، فوضع رقم التلفون يغنى من الكثير من المتاعب .

والبطاقة كلما كانت ابسط كانت احسن .

ومع الاسم اللقب

وان كان مع الاسم لقب يتقدمه ، فيوضع كذلك : الدكتور محمد على . المهندس على النحاس ، كل شيء يزيد صاحب البطاقة تعريفا ، ويضيّق شقة الابهام ، فيه تيسير محمود ، فى زمن كثرت فيه الاسماء وتشابهت . ففى البلد الواحد الف محمد على ، ومائة محمد الكسار ، وعشرة من حسنين الخربطلى ، فلو قلت الدكتور حسنين الخربطلى فقد يتعين بذلك شخص واحد لا ثانى له . ذلك ان بطاقة الزيارة قد تستخدم لزيارات غير بيتية ، فتستخدم لزيارات تتصل بأعمال .

وفى بلاد الغرب ، حيث النساء دخلت مجالات الاعمال ، ووجب ان يكون لها بطاقات صريحة ، تكتب المراة قبل اسمها لفظ السيدة ، او لفظ الآنسة . فاذا كتبت السيدة اردفت هذه اللفظة باسمها مقرونا باسم زوجها : السيدة فاطمة محمد عنان ، فيفهم من ذلك ان زوجها هو محمد عنان . او الآنسة علية علي زكي ، فيفهم من ذلك أن اباها على زكى .

ومن سيدات الشرق من تبقى على اسمها وهى آنسة ، ولو تزوجت ، حتى لا تضطر الى تغييره عند الطلاق !

والبطاقة التى تتركها ، بعد طىّ ركن من اركانها ، تدل على أن صاحب البطاقة حضر بنفسه .

عند الهدايا ، وفى الأعياد والأفراح

وبطاقات الزيارة لا تستخدم فقط عند الزيارات . فصديق يرسل الى صديق بهدية عابرة ، يرسلها ومعها بطاقته ، وعليها « مع أحسن التمنى لك أو لكم جميعا » . فيرد الصديق او ترد الأسرة على ذلك ببطاقة عاجلة وعليها « مع الشكر الجزيل ، ونلقاكم قريبا ان شاء الله » .

والبطاقات تستخدم فى الاعياد ، من عامة وخاصة . والتراسل فى الأعياد عادة يجب أن تستمر ، فيها الذكريات ، لا سيما بين الاحباب ، « والذكريات صدى السنين الحاكى » .

وكما فى الأفراح والتهانى ، يتبادل الناس كذلك البطاقات فى الاتراح والتعازى . ان التعزية فى المصائب عند المصابين عظيم . ان المصيبة تنزل بالفرد الواحد الذى لا يذكره احد تكون اثقل الف مرة منها على الفرد الذى تأتيه معها ، من الاحباب الصادقين ، كلمات للجروح آسية . ودع عنك راى الشكاكين المرتابين المتشائمين الذين يكفرون باخلاص ما يجرى بين الناس من وصال . ■■

منخفض القطارة

بقلم الدكتور أحمد زكى

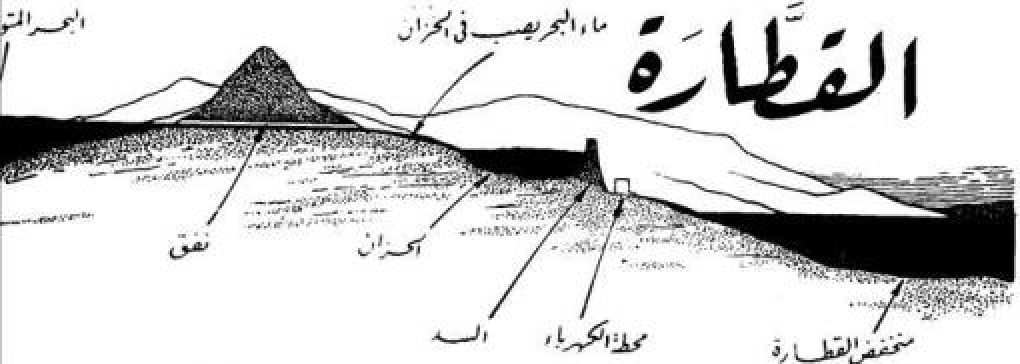

قدرته الانتاجية ٦٠٠,٠٠٠ كيلووط كهرباء

■ انها حفرة كبيرة فى الصحراء ، في الغرب البعيد من الاسكندرية ، وعلى بعد ١٥٠ ميلا من القاهرة .

العرب لابد أن يتصنعوا والصناعة تحتاج إلى قوة والقوى من بعض مصادرها الماء

حفرة هائلة

حفرة هائلة،فى الرمال ، كانما حفرها قوم من الجان،فى قديم الزمان ،يختزنون فيها من طعامهم ما يكفى لألف عام .

حفرة اعمق نقطة فيها تبلغ ١٤٣ مترا دون سطح البحر . ومساحة سطحها ،

مثل يضرب لانخفاض وقع فى قشرة الأرض ، قرب البحر : كيف يستغل لإحداث القوى؟

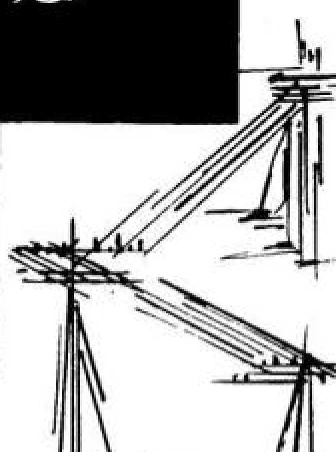

عند عمق ٥٠ مترا من سطح البحر ،تبلغ ٥٢٠٠ ميل مربع .

ومع الحفرة قناة

والحفرة الهائلة هذه تقع على بعد ٤٣ ميلا من ساحل البحر المتوسط ، فقناة تحفر بين هذا البحر ، وهذه الحفرة ، سوف تجرى فيها المياه المالحة لتصب في الحفرة في انحدار عظيم .

وانحدار الماء قوة .

انك به تجرى التربينات .

والتربينات تجري العجلات . والعَجَلات تدور فيمجالات مغناطيسية فتنتج الكهرباء ، تماما كما تنتج الشلالات والسدود الكهرباء اذ تقام في الأنهار .

وقدّروا كم من الكهرباء ينتجها الماء ، ماء البحر المتوسط ، اذ يندفع هاويا الى تلك الحفرة ، الى ذلك الماعون الأرضى الكبير ، فبلغت سعة المحطة التى تقام هناك ....٦٠٠ كيلووط .

ولكن .. ماذا يحدث لو امتلأت الحفرة بالماء ؟

ولكن ..

ولكن ماذا يحدث عندما تمتلىء هذه الحفرة ، هذا الماعون الكبير بالماء ، بعد حين فيبلغ مستوى الماء فيه مستوى ماء البحر ؟

والجواب:انه لن يقع هذا . ان الفنيين القائمين على المحطة، محطة انتاج الكهرباء التى عندها ينصب الماء ، لا يتركون الماء ينصب هكذا جزافا فيهذا الماعون الكبير . والشمس تبخر من ماء الماعون في العام قدرا عظيما . ان هذه الحفرة تعرّض للشمس مسطحا هائلا من ماء . والشمس قوية على مدار العام . فالحفرةاذنسوف تحتاج دائما الى ماء ، بالقدر الذى يتبخر منها .

حلم قديم ، وابحاث ومناقشات

حلم قديم، عرفناه موضوعا لمحاضرات منذعشراتالسنين،وموضوعا لمناقشات . وليس بعد المحاضرات والمناقشات الا البحث العملي ، وكما يقول المهندسون « على الطبيعة » . كم أبعاد الحفرة ،وكم مساحتها ؟ وهل هى صماء ؟ وكم تحمل من ماء ؟ والى اى مستوى ؟ وكم يتبخر من مائها في العام ؟ وكم به تتزود ؟ وعند اى انخفاض تكون محطته التى تولد الكهرباء ؟ وكم من ماء يجرى فيها ليسد النقص ؟ واذن كم هى تنتج من الكيلووطات ؟ كل هذا جرى في ابحاث كثيرة ، وتجرى ، ولم يبق لهذا الحلم الا ان يتحقق .

والصحراء سوف تكون فيها هذه البحيرة الهائلة ، فهل تؤثر في جوها ؟ هل يترطب ، هل تتكون في السماء السحب ، تتحلب بعد ذلك منها الامطار ؟

ومع الكهرباء ، ملح عظيم ، وملاّحات

والبحيرة يتبخر منها كل عام ماء ، ولا يتبخر بالطبع ملحه . فسوف يكثر الملح في الماء . انه « بحر ميت » آخر سوف يتكون على السنين . معدن املاح اذن ؟ وثروة ؟ وكم هى ؟ .

والملاحات قد يكون لها من الآن مكان . والملح ، ملح الطعام ، ثروة .

اشياء كثيرة تدغدغ الآمال .

ومغانم ، في البلد غير الثرى ، أو غير الفائق الثروة ، كثير السكان ، يتحلّب لها اللعاب .

مثل يتطلّب في الوطن العربي ويحتذى

ولا احسب ان هذه الحفرة الهائلة هي الحفرة الواحدة في الوطن العربي كله، التى تنتج الكهرباء .

كل حفرة قريبة من بحر،فيالصحارى الدافئة ، تنتج الكهرباء . فليفتش كل

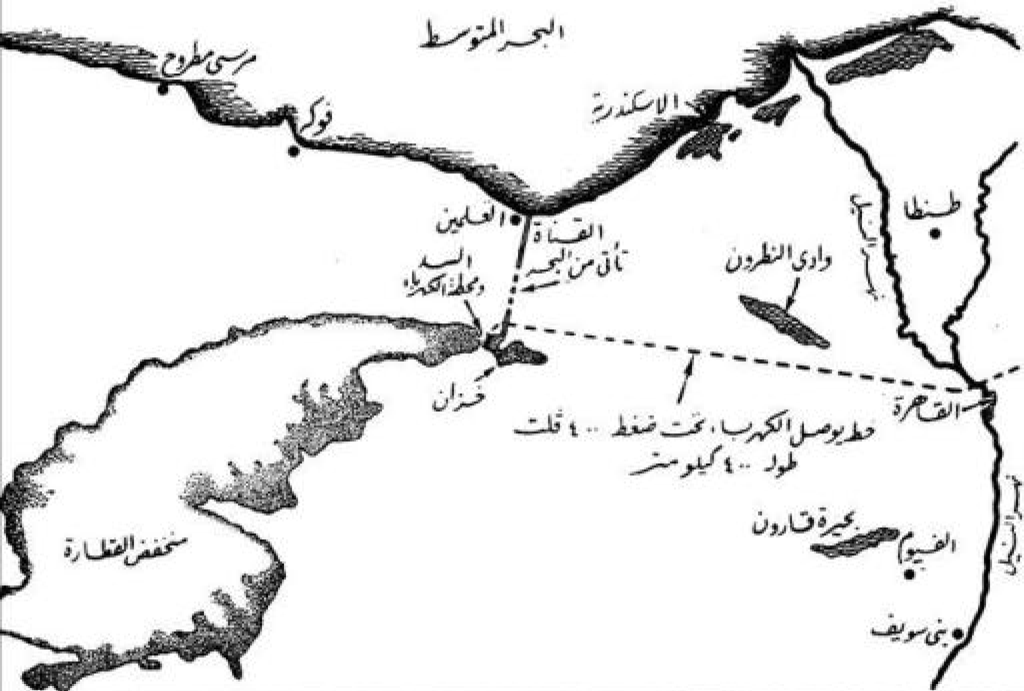

قطر فى صحاريه ورماله عن أمثال هذه الحفر القريبة من الماء .

ولقد كنت انظر عرضا فى خريطة تونس ، وكانت خريطة فرنسية ، وقعت فيها على منطقة اسمها Djerid Dépression ، وترجمتها بالعربية « منخفض الجريد » . ووجدتها على بعد غير بعيد من قابس التى هى ميناء من موانىء تونس على البحر المتوسط . فخطر لى ان قد يكون فيما رايت شبيها بمنخفض القطارة .

ورجعت الى خريطة تونس العربية فوجدت ان اسم هذه المنطقة « شط الجريد » .

وقست المسافة بين قابس ، وطرف هذا المنخفض ، فوجدته دون العشرين كيلو مترا .

مسافة قريبة اذن .

ولكنه امر يحتاج الى المعاينة والدراسة . وما اظن ان هذا فات اهل الذكر فى ذلك البلد الطيب العربى .

ان اهل الخبرة قدروا ان اقل عمق تنتج فيه مساقط الماء الكهرباء هو ١٢ قدما !! فلا بد ان هناك فى الصحارى الواسعة ، التى خصّ بها الوطن العربى دون سائر الناس ، منخفضات اكثر من الاثنتى عشرة قدما انخفاضا، واكثر كثيرا .

والسواحل العربية

ان السواحل الافريقية العربية لا بد ان تفحص ، وكذا سواحل الجزيرة العربية والخليج العربى . ان الله أعطى العرب الكثير من المال، والكثير من البحار، واعطى الشمس المحرقة ، ومن هذه الثلاثة ، مع منخفضات تكون قرب هذه

السواحل ، يمكن انتاج الخير الكثير . يضاف الى هذا العقل المفكر ، والرأى المدبر .

وفى اخبار المصادر العلمية التى منها آخذ ، ان منخفضا كهذا ، وقعت عليه اسبانيا فى الصحراء الافريقية الغربية عند ساحل المحيط الأطلسى .

وخططت له مشروعا .

انه منخفض كالوعاء العميق حفروه فى الأرض الجامدة ، من ميزاته انه لا يبعد عن ساحل المحيط غير ٧ر٧ من الأميال . فالانبوب الذى يحمل اليه الماء المالح انبوب غير طويل ، فغير كبير التكلفة .

والسطح الذى يتبخر منه الماء على عمق ١٧٠ قدما دون مستوى المحيط ، تبلغ مساحته ٥٨ ميلا مربعا .

وقدروا انتاج محطة تقام عليه فوقع التقدير ما بين ٢٦٠٠٠ مليون الى ٣٣٠٠٠ مليون وحدة كهربائية فى العام الواحد .

وغير الكهرباء ، يقدر المشروع على انتاج ٨٤٠٠٠٠٠ طن من ملح الطعام كل عام . ومن هذا الملح ، بل من الأملاح جميعا وهى صنوف مخلوطة بملح الطعام ، يمكن انتاج ٤٥٩٠٠٠٠ طن من عنصر الكلور ، و ٧٥٠٠٠ طن من البروم ، و ٢٥٣٠٠٠٠ طن من الصديوم ، و ١٨٣٠٠٠ طن من المغنيسيوم . وكلها عناصر فى هذا العصر الصناعى نافعة ، ولها أسواق .

الطاقات الطبيعية ، اساس المدنية الحاضرة

ان هذه المدنية الحاضرة قامت من الوجهة المادية على رجلين : زراعة وصناعة . وقد كان فى قديم الناس زراعة وصناعة ، الا انهما كانتا زراعةً وصناعة عمادهما عضلُ الانسان ، فى أذرع وسيقان .

اما زراعة اليوم وصناعة اليوم ، فعمادهما القوَى العارمة ، تستمدانها من الفحم ، وتستمدانها من الزيت ، وتستمدانها من الذرّة كذلك اليوم ، ومن كل ماء هو هابط من السماء يريد أن يستقر الى منحدَره .

وتحوُّل هذه الطاقات الى طاقة كهرباء ، لأنها أكثر الطاقات سهولة فى العمل ، ونقلا من مكان الى مكان .

والقدرة الانتاجية لمحطات الكهرباء فى العالم ، تلك التى مصادرها الماء الهابط ، او المنحدر الجارى ، تقدر بنحو ١٢١ مليون كيلو وط .

اما القدرة الانتاجية (الوسع او السعة) لمحطات الكهرباء التى تعتمد فى ادارة تربيناتها لا على الماء ، ولكن على البخار المستمد من صنوف الوقود .. كالفحم والزيت وما اليهما ، فتقدر بنحو ٢٣٣ مليون كيلووط . وذلك اعتمادا على احصاءات البنك الدولى للتعمير والتنمية .

والأمم اليوم كلها تبحث عن هذه الطاقات بحثها عن الذهب ، واشد بحثا .

والوطن العربى لا يُعقل ان يكون فيه مصدر لتلك الطاقات لا يستغل الى اليوم . ان الشرق العربى فيه الزيت ، وهذا حسن جميل ، ولكن لا نعلم ان فيه الفحم الكثير . ولكن الماء . الماء . الماء . فى النيل ، فى الفرات .. فى دجلة ، وفى غير ما لم نذكر من مصادر الماء . كل هذه مصادر للطاقة كدت ان اقول انه لمن الاجرام التريث فى استغلالها ، كسبا للطعام وللكساء ، ودفعا للفقر الكثير المنتشر .

كدت ولم افعل .

حقق الله الآمال . ■■

احمد زكى

التوجيه المهني

• العمل الأنسب .. للشخص الأ...

بقلم : الدكتور فاخر ...

استاذ علم النفس ـ جامعة دمشق

■ يعمل العرب اليوم فى مختلف مواطنهم على التنمية الاقتصادية والتطوير الاجتماعى ، فقد آمنوا بأن لا سبيل الى التحرر والتقدم الا باقتصاد مزدهر ومستوى عيش يكفل للمواطن كرامته البشرية .

ولقد أجمع الحكام العرب ـ على اختلاف فلسفاتهم الاجتماعية ـ على ان التخطيط أضحى ضرورة وطريقة لا غنى عنهما .

والتخطيط الاقتصادي الذي يهدف الى التحرر من الفقر والمرض والجهل ويعمل على توفير العدالة الاجتماعية يستهدف التصنيع ، التصنيع الثقيل والخفيف والتصنيع الزراعي .

وبديهي ان التصنيع لا يمكن ان يكون غاية بحد ذاته ، انه فى الواقع واسطة لرفع مستوى الحياة وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية اللازمة للمواطن فى القرن العشرين . وبهذا المعنى يكون الاقتصاد وجها واحدا من وجوه الحياة الانسانية التى لا تتحقق على الشكل الاكمل الا اذا تيسر للمواطن أن يتعلم ويستغل مواهبه لخدمة ذاته ومجتمعه ووطنه وانسانيته ، وتهيأ له ان يتمتع بصحة طيبة تتيح له حياة سعيدة وقدرة على العمل والانتاج ، واستطاع أن يتحرر من خوف العوز وخطر البطالة وشرور الحرمان والظلم الاجتماعى .

وحقيقة الحال ان كل اقتصاد لا يدعمه مجتمع ذكى واع ، ومواطنون متعلمون اصحاء سعداء مهرة انما هو اقتصاد آيل الى الخراب .

هذا وتلعب التربية دورا اساسيا فى عمليتي التصنيع والتخطيط الاقتصادى، ذلك بأن التصنيع والتخطيط لا يستغنيان عن الانسان الذى يصنع ويخطط ، فالحياة كانت ابدا تدور حول الانسان ، والعالم نفسه لا معنى لوجوده الا بالانسان . والحياة العصرية تقوم على الانسان المتعلم المهيء لعمله ، المختص به ، الملم بدقائقه ، القادر على تطويره وتحسينه والتقدم به . انها تقوم بكلمة واحدة على الاختصاص .

العمل الأنسب للشخص الأنسب

ان نجاح كل خطة للتنمية الاقتصادية تقوم على هذه الحقيقة البسيطة الاساسية ، الا وهى : توفير الشخص المناسب للعمل المناسب له .

لقد ولد الناس بكفايات ومواهب وميول وظروف مختلفة ، ولهذا كله كان بعض الافراد أقدر على بعض الأعمال من البعض الآخر ، وأميل الى بعض المهن من المهن الأخرى ، وفُرَصُ نجاحهم فى بعض الحرف اوفى منها فى البعض الآخر . وليس هذا فحسب ولكنهم اذ يعملون فيما خلقوا له، ويميلون اليه ، يحققون سعادتهم الشخصية ويقدمون لمجتمعهم مردودا أعظم وفائدة أعم .

ومن هنا كانت مطالبة المجتمعات الراقية لمدارسها بأن توجه كلا من أبنائها الى العمل

الأنسب له ، وان تهييء لكل مهنة وعمل الشخص الاقدر على اتقانه والنجاح فيه . ومن هنا ايضا كانت أهمية الدور الذى تلعبه التربية فى التخطيط والتصنيع .

وما نظننا بحاجة للاشارة الى ان الامر ليس يسيرا ولا سهلا ، فلا بد قبل توجيه الشخص الانسب ، للعمل الأنسب له ، من تعرف واع لكل فرد ، كفاياته ومواهبه وميوله وامكاناته ، وفهم عميق لكل عمل ، مطالبه وحاجاته وشروط النجاح فيه . وكل ذلك ضمن واقع المجتمع وخططه وحاجاته وخصائصه وعاداته وتقاليده .

وهكذا تكون مسالة اختيار « العمل الانسب للشخص الانسب » مسالة حياة فردية سعيدة منتجة او حياة تعسة جدباء ، وهى بعد ذلك مسالة سعادة وسرور للأهل او شقاء وتعاسة لهم، وهى ايضا مسالة لتحقيق مردود جيد ونجاح اكيد بالنسبة للمجتمع او تعثر وتخلف واضطراب بالنسبة له .

ما هو التوجيه المهنى ؟

يقول احد العلماء : « هدف التوجيه المهنى نصح الطفل وقت تركه المدرسة الابتدائية بعمل يوافق ميوله الخاصة ، واهتماماته السائدة ، ومعارفه وقدراته الجسدية والعقلية ، وذلك كله مع اعتبار حالة عائلته من جهة ، وسوق العمل من جهة اخرى . ويستهدف التوجيه المهنى تبيان مناسبة عمل ما ، ومطاليبه ، لشخص ما وصفاته المميزة » .

وتقول الجمعية العامة للموجهين فى فرنسا ان « هدف التوجيه المهنى هو مساعدة العائلة على توجيه الطفل نحو نوع من المناشط المهنية تناسب ـ أكثر ما يمكن ـ مجموعة كفاءاته ، ومستوى هذه الكفاءات ، وأهم ميوله ، مع اعتبار حالة عائلته وسوق العمل » .

ومعنى هذا ان المهمة الأساسية للتوجيه المهنى هى تزويد للطفل واهله بالعناصر اللازمة لتصميم معقول فيما يخص باختيار مهنة له . انه تبصير للفرد بذاته وقدراته وامكاناته وميوله ، وبالتالي بالمهنة المناسبة له.وهو بهذا المعنى توجيه وارشاد وليس فرضا أو قسرا .

ويقوم التوجيه المهنى على أساس من قدرات الطفل ومواهبه العقلية وامكاناته الجسدية وميوله واهتماماته العاطفية ، كما يقوم على أساس من اعتبار حالة عائلته المادية والمعنوية ، وهو يقوم بعد ذلك على تفهم كل مهنة وتحديد شروط النجاح فيها ومطاليبها من العامل فيها ، كما انه يقوم على اساس من حالة سوق العمل وحاجاته ومطاليبه واجوره وشروطه المادية .

وبهذا كله يكون هدف التوجيه المهنى خدمة الفرد وخدمة الجماعة ، خدمة العامل وخدمة صاحب العمل ، خدمة العمل نفسه والانتاج ذاته . انه يوفر للفرد السعادة والربح ، ويضمن لصاحب العمل المردود الجيد عن يد العامل المتقن ، كما يضمن للبلد وفرة الانتاج واتقانه .

معظم الناس متوسطون

ويذهب بعض المشتغلين بالتوجيه المهنى الى القول بأن هدفه يجب أن يكون تكييف مواهب الطفل الشخصية بحيث تناسب مطاليب المهنة . وفى هذا القول اشارة الى أمرين هامين :

اولهما : ان لكل مهنة مطاليب خاصة مميزة لا بد لمن يمتهنها من التحلى بها .

وثانيهما : ان فى الامكان تكييف مواهب الطفل بحيث تناسب هذه المهنة أو تلك .

اما أن لكل مهنة مطاليب وشروطا خاصة لا بد لمن يمتهنها من التحلى بها فأمر لا شك فيه ، ولكن المشكوك فيه ان يكون لكل مهنة بعينها مطاليب خاصة محدودة تتميز بها عما عداها من المهن . والواقع ان للمهن المختلفة شروطا مشتركة متشابكة .

واما امكانية تكييف مواهب الطفل وتوجيهها بحيث تناسب هذه المهنة او تلك فيمكن قبولها بشيء من التحفظ وذلك على اساس من المبدا السيكولوجي القائل بأن « جمهرة الناس متوسطون فى ذكائهم وقدراتهم العقلية » .

ومعنى هذا أن معظم الناس يملكون مقدارا متوسطا من القدرات المختلفة يسمح بتوجيههم وتكييف قدراتهم بحيث يقومون بهذا العمل او ذاك .

على ان هذا التكييف قد يكون صعبا ، بل قد يكون مستحيلا وخطيرا فى بعض الاحيان مما يجعل الموجّه المهنى حذرا جدا فى هذا الصدد .

ثم لا بد من الاشارة الى أن بعض المهن ،ولاسيما الرفيعة منها ، تحتاج الى قدرات خاصة جدا لا بد من توافرها قبل أن تسمح بتوجيه الانسان الى امتهانها . ولنضرب على ذلك مثلا مهنة الطب .

ان قدرا مناسبا من الذكاء يفوق المتوسط يسمح للانسان ـ حاذق ـ بان يمتهن الطب،ولكن التخصص في الجراحة ـ مثلا ـ يحتاج الى قدرة ومهارة اضافيتين لا بد منهما للتفريق بين الطبيب الجراح والجزار .

التوجيه المهنى ، والاصطفاء المهنى

كان حديثنا حتى الآن عن التوجيه المهنى ، اى توجيه الطفل او الشاب الى المهنة الانسب له ، ولكن للامر وجها آخر لا بد من الانتباه اليه . فكما ان الاب يعنى بتوجيه ابنه او بنته الى العمل الانسب له او لها ، فان صاحب العمل ـ فردا او حكومة ـ يُعنَى بانتقاء الشخص الانسب للعمل الذى يهتم به . ومن هنا كان للامر وجهان احدهما توجيهى والآخر اصطفائى .

وقد يبدو لاول وهلة ان ثمة تضاربا في المصلحتين: مصلحة الاهل ومصلحة صاحب العمل ، ولكن الواقع ان لا تناقض بينهما ولا تضارب ، اذ ان مصلحة الجميع هى فيما قدمناه من انتقاء « الشخص الانسب للعمل الانسب له » . ولا يكفى ان يطمح الاهل لان يكون ابنهم في احسن عمل واكثر المهن ربحا لكى يكون هذا في مصلحة ابنهم ومصلحة مجتمعهم . والواقع ان العمل لا يراد به الربح المادى فقط ، ولكن للعمل وظيفة اخرى قد لا تقل اهمية عن توفير الربح المادى ان لم تفقه ، ونعنى بها توفير السعادة النفسية والرضى عن النفس وتصريف الحيوية، مما لا يتيسر للانسان الا حين يقوم بعمل يستطيعه ويتقنه ويحبه. واننا لنصر على كلمات (الاستطاعة، والاتقان ، والمحبة) شروطا للسعادة في العمل .

وهذا هو السبب في ان الاصطفاء والتوجيه المهنيين يجب ان يتساعدا في توفير « العمل الانسب للعمل الانسب » وبذلك تتحقق مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . ومصلحة العامل ومصلحة رب العمل . والواقع ، في البلاد الآخذة بفكرة التوجيه المهنى ، هو ان هذا التوجيه يتم بالتعاون بين الاهل والمدرسة وارباب العمل والموجهين المهنيين والاختصاصيين معا .

أسس التوجيه المهنى الصحيح

لعل القارىء قد لاحظ من خلال ما تقدم ان الاسس الصحيحة التى يجب ان يقوم عليها التوجيه المهنى هى التالية : (١) ميول الطفل ورغباته (٢) ذكاؤه وقدراته (٣) رغبات الاهل ووضع العائلة (٤) سوق العمل وحالة الاجور (٥) حاجة المجتمع (٦) شروط النجاح في المهنة .

ميول الطفل

وميول الطفل ، وان اتصلت بفطرة الطفل وتكوينه ووضعه العائلى والظروف التى عاش فيها، ليست دقيقة التحديد ، ولا مطلقة الثبات ، ولا سيما للاشخاص العاديين المتوسطين . ومعنى هذا وجوب عدم الاعتماد كليا على ميول الطفل ، وعدم توجيهه مهنيا الا بعد دراسة دقيقة شاملة لميوله الاصلية ، والتفريق فيها بين ما هو طارىء موقت ، وبين ما هو اصيل عميق الجذور . لهذا لا تكون الميول معيارا وحيدا للتوجيه .

هذا ، ولميول الطفل صلة بقدراته وقابلياته ومعلوماته ذلك بانه من الطبيعى ان يميل الطفل الى عمل ما يستطيعه وينجح في عمله .

ولعل قدرات الطفل وقابلياته هى اهم اساس مُفرَد للتوجيه المهنى . ولقد توصل علم النفس الى مقاييس واختبارات تحدد قدرات الطفل وقابلياته بمقدار كاف من الصحة .

وليس يهمنا هنا ان تكون هذه القدرات والقابليات موروثة او مكتسبة ، ولكن الذى يهمنا هو ان نؤكد قيمتها اساسا للتوجيه المهنى .

ذكاء الطفل وقدرته

ومرة اخرى نحب ان نشير الى الصلة بين قدرات الطفل ومعارفه ، فالمعارف مظهر القدرات والدليل عليها . وهى تظهر المدى الذى يستطيع الفرد الوصول اليه في مقتبلات ايامه . ولذلك كله كانت هذه المعارف اساسا آخر من اسس التوجيه المهنى .

رغبات الاهل والعائلة

واما رغبات الاهل فهامة لا شك ، ولكنها كثيرا ما تكون مبنية على اسس بعيدة عن حسن التقدير وصحة الحكم ، وذلك بسبب نقص في معلومات الاهل وعجزهم عن حسن الانتقاء . وهذا يوجب على مؤسسات التوجيه المهنى والمدرسة ان تبصّر الاهل بخصائص كل مهنة .

سوق العمل والاجور السائدة

وما قلناه عن نقص معلومات الاهل ينطبق على

مسألة سوق العمل والاجور،وهي مسألة اقتصادية قلّ في الاهل من يدركها . ولذلك كان من واجب مؤسسات التوجيه المهني ـ مرة أخرى ـ أن تشرحها للأهل وتقنعهم بما تعتقد أنه أنسب للطفل في هذا الصدد .

مصلحة المهنة والمجتمع

واذا كنا قد اهتممنا حتى الآن بمصلحة الفرد فلا بد لنا ـ بعد ذلك ـ من الاهتمام بمصلحة صاحب العمل ومصلحة المجتمع ، ثم مصلحة المهنة ذاتها ، واذا كان من واجب الموجه المهني أن يتساءل ـ لمصلحة الطفل ومصلحة الأهل ـ عما تعطيه المهنة التي يتوجه اليها الطفل من أجر ، فان من واجبه أيضا أن يتساءل ـ لمصلحة صاحب العمل ومصلحة المهنة ومصلحة المجتمع ـ عما تتطلبه كل مهنة ممن يعمل فيها من قدرات وكفاءات .

ولقد درس العلماء المهن المختلفة وعينوا القدرات والقابليات اللازمة للنجاح في كل منها ووضعوا جداول وصفت المهن المناسبة للقدرات والقابليات المختلفة .

على أننا نعود فنقول ان غالبية الافراد متوسطون في قدراتهم وبهذا يمكن توجيههم بشيء من السعة والحرية ، كما أن غالبية المهن ليست محدودة المطاليب بشكل ضيق وذلك يسهل مهمة الموجه المهني الى حد كبير .

تنظيم التوجيه المهني

(١) الطفل واهله (٢) الطبيب (٣) المدرسة (٤) صاحب العمل (٥) مؤسسات التوجيه المهني .

لا بد لضمان نجاح التوجيه المهني اذن من تعاون:

ويبدأ التوجيه المهني بشكل بسيط في السنتين الاخيرتين من المدرسة الابتدائية ، لا سيما بالنسبة للاطفال الذين لا ينوون الاستمرار في تعليمهم ، وذلك على اعتبار أن التعليم الالزامي في البلاد العربية لا يتجاوز التعليم الابتدائي . بيد أن التوجيه المهني بمعناه الصحيح انما يتم في سن المراهقة أي سن المدرسة الاعدادية ولا سيما السنة الأخيرة منها ، كما أن للسنة أو السنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي اهمية خاصة في توجيه المراهق نحو نوع الدراسة الجامعية الأنسب له .

وفي كل هذه المراحل يجب أن يكون التعاون وثيقا بين الموجه المهني والمعلم والسلطة المدرسية من جهة ، وبينه وبين الأهل من جهة ثانية ، ثم بينه وبين أرباب العمل من جهة ثالثة .

وفي كل هذه الأنواع من المدارس يجب أن يصبح التوجيه المهني والتوجيه التربوي جزءا لا يتجزأ من عمل المؤسسات التربوية ، كما يجب أن تفسح له مجالا رحبا في صلب عملها وما يتصل به من برامج ومناهج وطرائق تعليم وأوجه نشاط .

هذا ويجب أن نذكر أن ضمان حسن التوجيه المهني لا يكون الا بامتداد عمل التوجيه الى المؤسسات المهنية كالمعمل والمتجر والمزرعة والمكتب وما اليها من المؤسسات التي يعمل فيها الحدث أو الشاب . فلا بد اذن من مراقبة الحدث اثناء العمل للتأكد من صحة توجيهه المبدئي ثم لمتابعة هذا التوجيه أو تعديله اذا اقتضت الضرورة .

الموجهون المهنيون

ان الحيرة التي يقع فيها الاهل وتقلق بال الحدث حين يشارف مفترق الطرق بين عمل وآخر ، أو بين نوع من الدراسة وآخر ، والتي يعرفها كل من عاني التعليم وأجاب على الأسئلة الملهوفة التي يوجهها اليه طلابه أو ذووهم ، نقول ان هذه الحيرة توجب على السلطات التربوية في البلاد العربية أن تعهد بالتوجيه المهني الى اختصاصيين انتقوا انتقاء حسنا وأعِدوا اعدادا فنيا على أسس من المعرفة والتطبيق تمكنهم من مساعدة الاحداث والشباب على الاتجاه نحو الانسب لهم، وتساعد المِهَن المختلفة على الحصول على الأشخاص الأنسب لها .

ومن نافلة القول أن نشير الى ضرورة اعداد خطة مدروسة للتوجيه المهني تسبق تحضير الموجهين المهنيين . والحق أن توفير هؤلاء الموجهين المهنيين واعدادهم الاعداد العلمي المناسب أصبح ضرورة لازمة لكل تقدم صناعي واقتصادي في البلاد العربية وحاجة ملحة بالنسبة لتوفير السعادة في العمل لأبناء هذه البلاد .

ولا بد طبعا من اقناع الجمهور وأصحاب العمل ومصالح الدولة والمؤسسات التربوية باهمية عمل هؤلاء الموجهين والاستعانة بهم والتعاون معهم .

واذا كان المقام لا يتسع لوصف كيفية اعداد هؤلاء الموجهين ، فانه يتسع حتما للتأكيد بأنهم اصبحوا من ضرورات المجتمعات المتقدمة . ■■

فاخر عاقل

مقبرة مهجورة
تتحوّل ال

■ فى كل يوم يقوم دليل جديد على ان الأماكن تسعد وتشقى ، كما يسعد الناس ويشقون !

ولعل أحدث ما يؤيد صدق هذا القول ، ما حدث أخيرا فى مقبرة الكويت القديمة . . تلك المقبرة التى أسدل عليها الزمان ستار النسيان بعد أن توقف الدفن فيها سبعين عاما أو تزيد ، فاذا التطور الذى شمل الكويت الحديثة ولف كل مرافقها،يتجه الى هذه المقبرة ،ليجعل منها اداة حية،وهي التى لم تعرف سوى الموت ، ولتكون رئة لأحدث مدينة فى الشرق العربى ، تستنشق من خلالها أعطر الانفاس ، بعد أن كانت لا تعرف الا رائحة الموت وأنفاس الفناء !

للكويتيين تقليدان حميدان فى امر موتاهم

وقد جرى اهل الكويت على تقليدين حميدين :

اولهما : احياؤهما لسنةحميدةهىسنة العرب الأقدمين والرسولالكريم والسلف الصالح ، ذلك انهم لا يبنون أضرحة على القبور لا يميزون بعضها عن بعض ، باعتبار ان الموت يسوى بين الكبير

والصغير ، والغنى والفقير ، فتجد قبر العامل الى جوار قبر الأمير .

والتقليد الثانى : هو انهم يقطعون الصلة بينهم وبين موتاهم بمجرد دفنهم ، فلا يزورون قبورهم ، على خلاف ما يفعل الكثيرون من أبناء الشعوب الاسلامية الذين يقيمون على قبور موتاهم المساكن والدور ـ على نحو ما كان الفراعنة والرومان الأقدمون يفعلون ـ ويزورونها فى المواسم والأعياد ، ومنهم من يقضي هذه المواسم وتلك الاعياد ، مع الموتى ، ياكلون ويشربون ، واحيانا يمرحون ويمرحون !

ولعل كثرة ما كان يشغل العرب الأولين من الغزوات والحروب، وانهماكهم

مهندسو البلدية المشرفون على تنظيم الحديقة ، التى تقوم وزارة الأشغال بتنفيذ بنائها ..

فيما كان يتطلبه منهم الدفاع او الهجوم ، كان كفيلا بأن يهوّن عندهم امر الموت ، فلم يكونوا يكترثون له اولما يصيبهم منه ، وكان اكرام الميت عندهم التعجيل بدفنه .. اما بقية المظاهر فلم يكن لها عندهم نصيب .

وكانت على حدود الكويت القديمة ، ايام كانت بلدة صغيرة ، مقبرة يدفن فيها الأهلون موتاهم ، فلما امتلأت هجروها الى غيرها ، وظلت هي قائمة فى مكانها ، بينما اخذت رقعة البلد تتسع شيئا فشيئا ، والعمران يزحف فيها يوما بعد يوم حتى اصبحت مدينة كبيرة ، واذا هذه المقبرة التى كانت على حدود البلدة القديمة ، قد اصبحت فى قلب المدينة الجديدة .

وكان هذا وضعا غير طبيعي ، فى الوقت الذى تبذل الجهود وتنفق ملايين الدنانير فى تعمير المدينة وتجميلها ، خاصة وان هذه المقبرة قد استعملت ، كغيرها من المقابر المهجورة فى مختلف انحاء العالم لأغراض فاسدة ، ولرمي القاذورات .. وهذا كله فضلا عن ان المدينة كانت فى اشد الحاجة الى متنفس تتنفس منه ، بعد ان اكتظت بالمباني وازدحمت بالسكان ، ولم يكن فيها مكان يصلح لاقامة حديقة عليه ، داخل المدينة الكبيرة، الا المقابر القديمة التى أصبحت تحتل اكثر الأماكن أهمية واصلحها لانشاء الحدائق والمتنزهات .

وهنا قامت مشكلة جديدة .. هل تجيز الأديان استغلال المقابر المهجورة فى مثل هذه الأغراض ، مع ما تعارف عليه الجمهور ـ خطأ او صوابا ـ من عدم نبشها او المساس بها ، بالرغم مما أثر عن السلف الصالح من جواز ذلك اذا ما دعت اليه الضرورة ، وبالرغم من قول قول الخليفة عمر بن الخطاب لمن أجّر له

الأمس كانت المقبرة القديمة ، ساحة جرداء محاطة بسور من الأحجار ، في أهم بقعة بمدينة الكويت ..

واليوم هكذا أصبحت المقبرة : حديقة غناء ، فيها النافورات ، والأشجار ، والمظلات ، وموقف كبير للسيارات ..

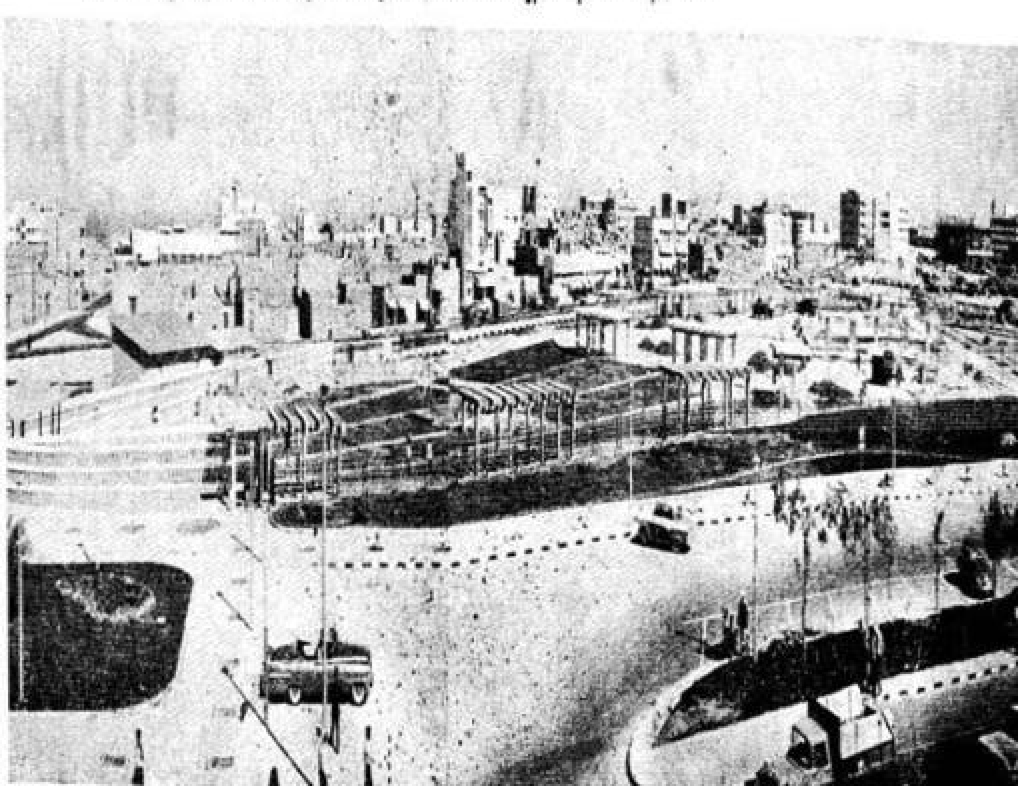

قطعة من الأرض مساحتها متران فى ثلاثة امتار ، لتكون قبرا : احرثها بعد عام ؟!

وطرحت المشكلة على المجلس البلدى ، فراى ان يستفتى فيها رجال الدين ، فجاءت الفتاوى من هنا وهناك بجواز ذلك .. فقد روى عن ابن عبد الغفور « تحرث المقبرة بعد عشر سنين » . واجاز معاوية ذلك « لمصلحة عامة» . ومقبرة الكويت قد هجرت منذ سبعين سنة .. وجاءت فتوى سماحة المفتى العام فى عمان « ان المقبرة متى بليت اجسام الموتى فيها ودرست،لا مانع من الانتفاع بها بالبناء او الزرع ، او البيع والشراء فيها واتخاذها سوقا » ، استنادا الى مذهب الحنفية وما نقله ابن عابدين فى حاشيته « ولو بلى الميت وصار ترابا، جاز دفن غيره فى قبره ، وزرعه ، والبناء عليه » .

ويقول المهندس الدكتور سابا شبر ببلدية الكويت انه ما كاد فضيلة قاضى المحكمة الشرعية بالكويت يوافق على هذه الفتاوى ، ويؤيدها حتى جندت وزارة الاشغال كل امكانياتها ، فانجزت التخطيطات والرسوم التفصيلية للحديقة فى ايام قليلة ..

وبنفس السرعة شقت الماكينات فى وسط المقبرة شارعا عرضه ٤٠ مترا ، يصل قلب المدينة المزدحم بشاطىء الخليج، مما ساعد على تخفيف مشكلة المواصلات فى المدينة .. كما اقيم عند مدخل المقبرة موقف يتسع لوقوف ٢٥٠ سيارة ... وهذا مكسب كبير لمدينة عدد سياراتها ٤٤ الف سيارة .

حديقتان وشارع ..

وقد قسم الشارع الجديد المقبرة الى قسمين ، خصص القسم الكبير منهما ليصبح حديقة عامة يقصدها الجمهور ، وخصص القسم الآخر لانشاء حديقة للعائلات والاطفال ..

وقد أوشك العمل على الانتهاء فى الحديقة الكبيرة التى تبلغ مساحتها ٥٠ الف متر مربع تقريبا .. ومن المنتظر افتتاحها فى الايام القليلة القادمة ..

وقد روعى عند تصميم هذه الحديقة، اقامة اكثر من عشرين مظلة لوقاية روادها من حرارة الشمس فى شهور الصيف الحارة بالكويت . وفى الوسط حفرت

رش الماء استعدادا لزرع الزهور والمسطحات الخضراء

بركة ماء كبيرة مثلثة الشكل بها نافورات تنثر الماء فى الهواء وتسلط عليها الاضواء فى الليل .

وحول البركة طريق مرصوف بالحصى يؤدي الى المقصورة الخاصة بالفرق الموسيقية والى كل اجزاء الحديقة المغطاة بالمسطحات الخضراء واحواض الأزهار .

المحافظة على الاشجار

وقد غطيت ارض المقبرة بطبقة من التربة الطينية بلغت ٢٥ الف متر مكعب، اى بسمك حوالى متر ، مما جعل من ارضها الرملية ارضا زراعية ، ستصبح عما قريب جنة وارفة الظلال .

ومما يذكر انه كانت هناك نحو ٥٠ شجرة فى المقبرة القديمة ، لم تمس او تقلع من مكانها ، بل روعى عند وضع التصميم ابقاؤها على ما هي عليه .... ولكنها اليوم تعطى ظلها على موقف للسيارات بدلا من المقبرة الجرداء ..

واستعيض عن السور الحجرى القديم ، بسور عربى حديث من الحديد

عامل يقوم برشق قطع الزلط ، فى احد المماشي بالحديقة ..

تثبيت الصخور حول النافورات في بركة المياه التي تتوسط الحديقة ، وستسلط الاضواء الملونة على المياه في الليل . .

مظلات للوقاية من الشمس مصنوعة على هيئة مثلثات متداخلة من الأسمنت المسلح

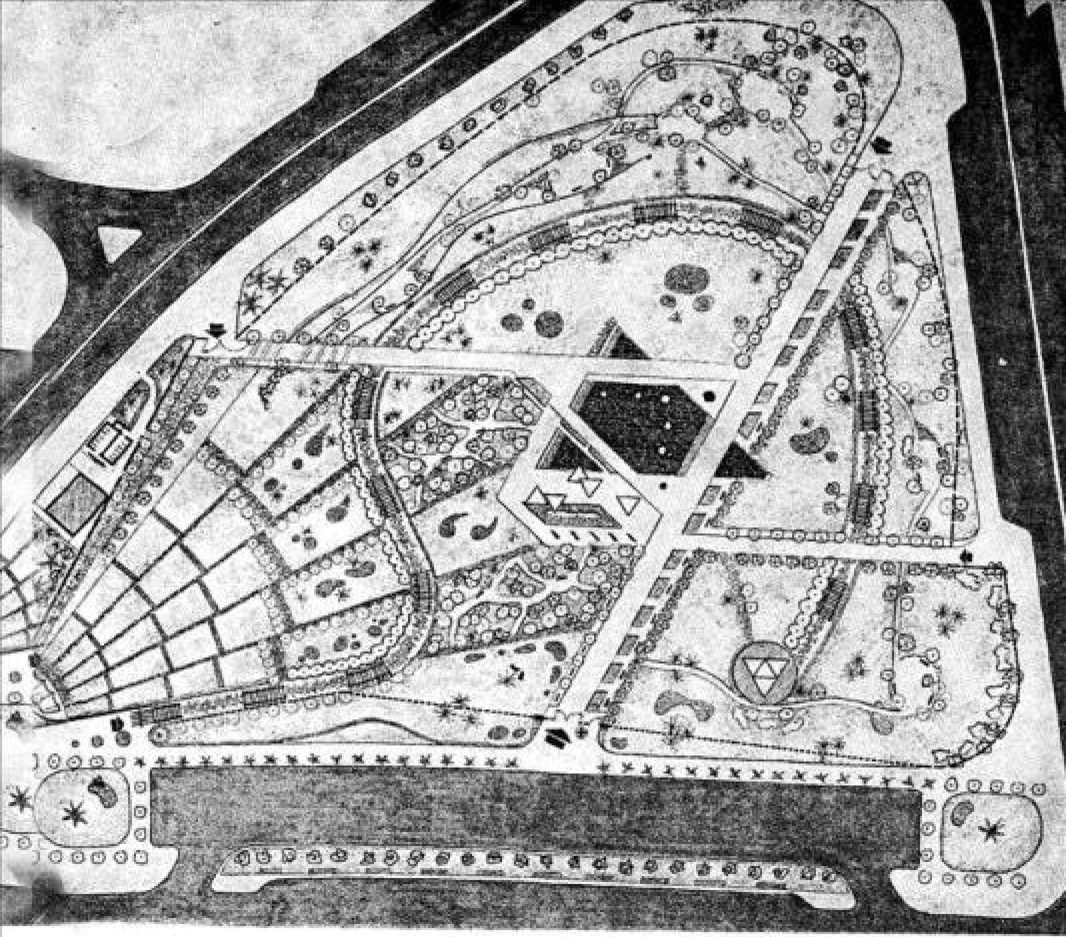

رسم توضيحي للحديقة بمداخلها الخمسة ، والممر الممتد على شكل منجل ، وفي وسطها البركة المائية الثلثة .. ان هـذا الرسم قـد حوّل المقبرة من سجن للاموات الى حديقـة للأحيـاء !

المطروق المزخرف بالنحاس طوله ٧٠٠ متر وبه خمسة مداخل للحديقة ..

ان تحويل المقبـرة الكبيـرة فى شارع فهد ، الى حديقة عامة ، يعتبر من اعظم التطورات التى تمت خلال العام المنصرم ، لتحسين وتجميل مدينة الكويت ، التى تتميز بالاتساع ، وربما الاتساع الزائد ، وقد روعى فى تصميم الضواحي الجديدة حول المدينة القديمة ترك مساحات كبيرة للزراعة ، بعد ان كانت المدينة القديمة ينقصها الفضاء الضرورى ، الذى يحتفظ به عادة للتسلية واللهو والراحة . ان الطرق والميادين والمبانى وحتى مواقـف السيارات كانت تبتلع كل شبر فى ارض الكويت .. اما الفضاء المخصص لتسلية سكان المدينة ، فلم يكن موجودا بحجم كاف ، ولا فى مكان مناسب ..

لهذا كان عمل هذه الحديقة بمثابـة خلق جو جديد فى قلب مدينـة الكويت القديمة التى كانت شبه مخنوقة .

ان الكويت سوف تزهو وتفخـر بحديقة البلدية التى سوف تكون حركة انطلاق فى سبيل استغلال المقابر القديمة المهجورة فى كل مكان . ■■

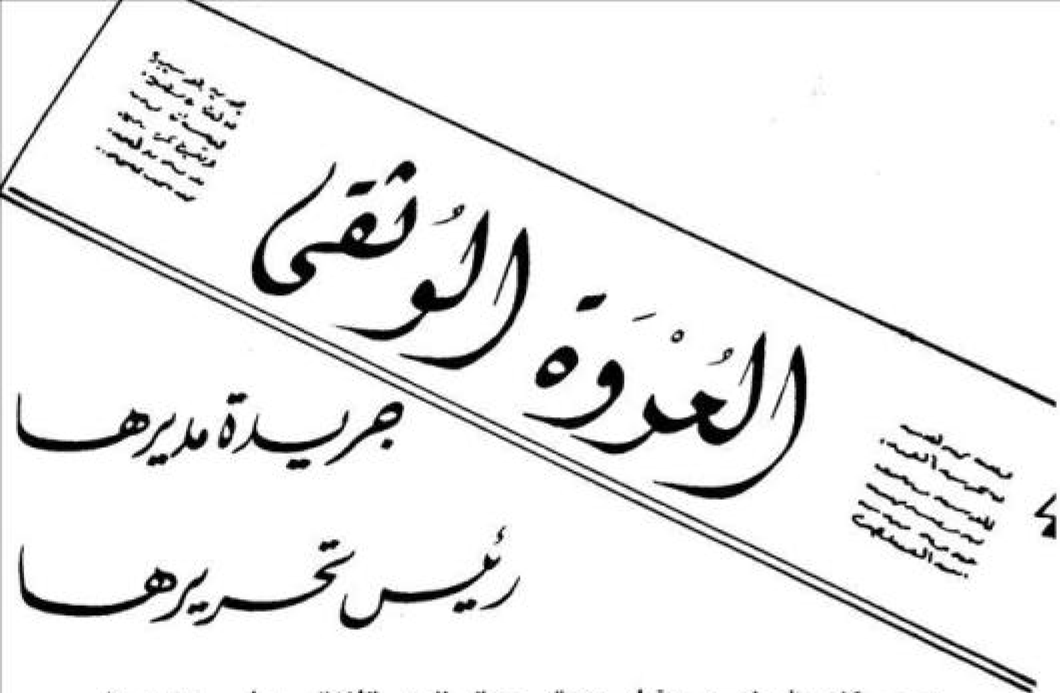

العروة الوثقى جريدة مديرها رئيس تحريرها

■ من كان يظن ان جريدة اسبوعية صغيرة ، تطبع وتصدر باللغة العربية في قلب العاصمة الفرنسية ، وتحرّر في حجرة ضيقة ، على سطح منزل من المنازل القائمة على مقربة من ميدان المادلين بباريس ، وترسَل سرا الى الأقطار الشرقية خشية ان ترمقها العيون وكأنها احدى المحرّمات أو المهربات ، من كان يصدق ان هذه الجريدة ، ذات الموارد المادية المحدودة ، تستطيع مقالاتها الثورية الملتهبة ، ونداءاتها الوطنية المشتعلة ، ان تقلق بال الحكومة البريطانية ، حتى انها سعت لمنع دخولها الى الهند ومصر وسوريا والسودان ، وحملت مجلس النظار المصرى – برياسة نوبار باشا الأرمني – على اصدار قرار بمصادرة اعداد الجريدة ، وفرض غرامة مالية على كل من تسول له نفسه أن يقراها ؟

عمر قصير ، ترك اثرا عميقا

هذه الجريدة هى « العروة الوثقى » . وليس بعجيب ان يكون هذا شانها فى نظر الانجليز ، وهم يعرفون ان مديرها السيد جمال الدين الأفغانى ورئيس تحريرها الشيخ محمد عبده . وليس بعجيب كذلك ان يكون للعروة الوثقى ذلك الأثر العميق فى نفوس قرائها ، وقد كانت أول جريدة عربية تصدر فى أوروبا عقب الاحتلال البريطاني لمصر . وعلى الرغم من ان اجل الجريدة كان قصيرا بسبب ما اتخذته بريطانيا العظمى من تدابير شديدة لعرقلة أعمالها ، فقد استطاعت أن تترك آثارا بعيدة فى ابناء الشرق عموما ، وفى ابناء العروبة خصوصا : حبّبت اليهم طلب الحرية ، وبثت فيهم روح الوطنية، واحيت عندهم الشعور بالكرامة الانسانية ، وزكّت فى نفوسهم اخلاق الرجال .

جمعت فى كتاب

و«العروة الوثقى»، التى لم يظهر منها الا ثمانية عشر عددا ، قد جمعت فى كتاب هو اليوم سجل حافل لتاريخ الثورة التحريرية الكبرى التى قادها هذان الزعيمان الشرقيان ، وبقيت صفحات الكتاب منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا مصدرا يشع بروحيهما

بقلم : الدكتور عثمان أمين
استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

بشائر الدعوة إلى ثورة تحررية كبرى فى أواخر القرن الماضى

جمال الدين الأفغانى

الشيخ محمد عبده

الكبيرين ، حتى انه ما من مفكر اجتماعى او دينى او سياسى فى هذا الشرق الا وهذا الكتاب من بعض مصادره .

حقا ان للعبقرية قدرة عجيبة على اختراق حجب الزمان ، واستشفاف سير التاريخ . والامام محمد عبده ، قد استطاع ان يخلف لأبناء هذا الجيل صفحات نقرؤها فيخيل الينا انه كتبها فى ايامنا هذه مع أنه قد مضى على كتابتها سبع وسبعون سنة .

« العروة الوثقى » تقول فى الوحدة

ويحلو لى فى هذا المقام ان اقرر اننى منذ ربع قرن من الزمان ، قد درجت على معاودة النظر ، من حين الى حين ، فى صفحات العروة الوثقى ، وكانى اسمع حين اقرؤها صوت الزعيمين الكبيرين ، فيذهب بى الفكر مذاهب شتى، واتخيل تارة انهما يوجهان الخطاب الى أبناء الشرق المنقسمين على أنفسهم . وتارة اخرى الى الذين ارتضوا ان يكونوا عملاء للاستعمار الغربى .

ولنستمع الى «العروة الوثقى» تحدث قراءها عن « الوحدة والسيادة »فتقول:

« أمران خطيران تستلزمهما ضرورات الحياة ، وترشد اليهما تعاليم الدين ، وتحث عليهما مبادىء التربية : وهما الميل الى الوحدة والسعى الى السيادة . وبقدر ما يرسخ هذان الامران فى الأمة تكون مستعدة للبقاء ، عزيزة الجانب ، موفورة الكرامة . واذا تصفحنا تاريخ الشعوب، فى وجودها وفنائها،وجدنا هذه سنة الله فى الجماعات البشرية، حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة ، ومبلغها من العظمة حسب تطاولها فى الغلَب . وما انحط شان قوم ، وما هبطوا عن مكانتهم الا عند لهوهم بما فى ايديهم وقناعتهم بما تسنّى لهم ، ووقوفهم على أبواب ديارهم ينظرون طارقهم بالسوء . وما أهلك الله قبيلا الا بعد ما رزئوا بالافتراق ، وابتلوا بالشقاق ، فاورثهم الله ذلا طويلا وعذابا وبيلا » .

العروة الوثقى تقول فى الاستعمار

وتقول ايضا :

« كل هذه الرزايا التى حلت باقطارنا ،ووضعت من أقدارنا ما كان قاذفنا ببلائها ، ورامينا بسهامها، الا افتراقنا وتدابرنا والتقاطع الذى نهانا الله عنه فى قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » . هل كان يمكن للاغراب

ان يمزقوا ممالكنا كلّ ممزق ، وهل كان يلمع سيف العدوان فى وجوهنا ، وهل كنا نصلى نيران الاعداء لو اننا أدينا حقوقا تطالبنا بها تلك الكلمة التي تطمئن قلوبنا بذكرها وهي كلمة الله العليا ؟ .. أترضون العبودية للاجانب بعد سيادتكم ؟ وماذا تبغون من الحياة ان كانت فى ذل واهانة وفقر وفاقة ، وشقاء دائم ، بين عدو غاشم ؟ انطمئنون وانتم بين اجنبي حاكم ، وبغيض شامت ، يرميكم بضعف العقول ونقص الاستعداد ، ويحكم عليكم بأن محالا عليكم ان تصيروا امة فى عداد الامم ؟ ان المولعين بحب الحياة يقضونها من خوف الذل فى ذل ، ويعيشون من خوف الفقر فى فقر ، ويتجرعون مرارة الموت فى كل لحظة خوفا من الموت. لا الايمان يسوقهم الى مرضاة الله ، ولا الحمية الوطنية تدفعهم الى ما به فخار بنى الانسان » .

وتقول فى الدفاع عن الوطن

وقالت فى الحث على الدفاع عن الوطن:

« المدافعة عن الوطن امر طبيعي وفرض معيشي، يكاتف فى دعوة الطبيعة اليه الميل الى الطعام والشراب .فليس يمدح القائمون به ولا يثنى عليهم فى ادائه » .

وتقول فى معنى الخيانة

وقالت فى « الخيانة » :

« لسنا نعنى بالخائن من يخون بلاده بالنقد ويسلمها للعدو بثمن بخس أو غير بخس ـ وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس ـ بل خائن الوطن من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى ارض الوطن ، بل من يدع قدما لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها . ذلك هو الخائن فى اى لباس ظهر ، وعلى اى وجه انقلب . القادر على فكر يُبديه وتدبير يأتيه لتعطيل حركات الاعداء ، ثم يقصّر فيه ، فهو الخائن » .

وقالت «العروة» أيضا فى هذا المعنى:

« لا عار على امة قليلة العدد ، ضعيفة القوة ، اذا تغلبت عليها امة اشد منها قوة واكثر عددا ، وقهرتها بقوة السلاح ، وانما العار الذى لا يمحوه كرّ الدهر هو ان تسعى الامة ، او احد رجالها ، او طائفة منهم ، لتمكين ايدى العدو من نواصيهم ، اما غفلة عن شئونهم او رغبة فى نفع وقتى ،فيكونون باحثين عن حتفهم بظلفهم » .

اهداف العروة الوثقى

ان القدر اليسير الذى أوردته من موضوعات « العروة » قد يعيننا على ان ندرك مبلغ التضحية التى اقدم عليها الشيخ محمد عبده مع استاذه جمال الدين، حين صحت عزيمتهما على اصدار تلك الجريدة فى أوروبا سنة ١٨٨٤ . وفى رسالة من باريس ، بعث بها الشيخ محمد عبده فى ١١ ابريل من تلك السنة الى صديقه الشاعر الانجليزى « ولفر بلنت » مؤلف كتاب « التاريخ السرى لاحتلال الانجليز لمصر » ، نرى الشيخ المصرى يلخص اهداف « العروة الوثقى» فى امرين :

(١) صون استقلال الشعوب الشرقية.

(٢) واقلاق بال الحكومة الانجليزية حتى ترجع عن أعمالها المثيرة لخواطر العرب والمسلمين .

اسطورة

والواقع ان من تأمل صفحات «العروة» وجدها تتفنن فى اساليب التأليب على الانجليز ، وتصغير شأنهم والتحذير من الوقوع فى حبائلهم ، حتى انها تلجأ أحيانا الى رواية بعض الأساطير ،فتطبقها عليهم، وعندئذ يتضح مقصدها من الرواية . مثال ذلك اسطورة « الهيكل العظيم » الذى اشتهر عنه انه يصرع كل من أوى اليه ، فكان ذلك نذيرا بالخطر لكل من يقترب منه ، حتى تشجع رجل يائس واقتحم بابه متحديا الموت . ولما توسطه لم يجد شيئا مما توهم الناس ، وانما سمع أصواتا مزعجة ، كلها وعيد وتهديد وتخويف وتهويل . ولكن الرجل لم يأبه لذلك ومضى فى طريقه الى آخر الهيكل رابط الجاش . فاذا اللعبة تتكشف :

ينحل الظلم وينشق الجدار ، وينفتح الكنز ، ويحمل الرجل منه ما شاء بغير حساب . ويعلم حينئذ حقيقة حجبتها عن الناس حرب الأعصاب ، وهى ان هلاك من هلك قبله ممن دخلوا الهيكل ، انما كان بالفزع من تلك الأصوات المتوعدة والاخطار المتوهمة !

وتعقب الجريدة على تلك الاسطورة فتقول :

« وبريطانيا العظمى هيكل عظيم يأوى اليه المغرورون اذا أوحشت نفوسهم ظلمات السياسة ، فتدركهم المنية بمزعجات الأوهام . وكم هلك بين جدران « الهيكل البريطانى » من لا مريرة لهم ولا ثبات لجاشهم ! واخشى أن يسوق اليأس الى ذلك الهيكل رجلا قوى المريرة (مزدريا للحياة الذليلة) فما تكون الا هنيهة حتى يصعد فيها صوت اليأس فينقض الجدار ، وينحل هذا الطلسم الأعظم .

العروة الوثقى
نددت بزعماء الشرق وحكامه

ولم تقف العروة عند حد التحذير من السياسة الاستعمارية الغربية، بل دأبت على التنديد بالزعماء والحكام فى الشرق الذين غفلوا عن مرامى هذه السياسة ، فكانوا اعوانا لها فى بلادهم . قالت :

« فكأن التجارب لا تعلم الشرقيين ، وكأن المحن لا تربيهم ، مع أن الواقع وعبر التاريخ تدلنا على أن المستعمرين ، فى ماضيهم وحاضرهم ، انما يملكون البلاد بأيدى سكانها . ويرى الأمير او الزعيم الشرقى النازلة نازلة فى أرض جاره ، فيظن أن النازلة خاصة بغيره،فيلهو عنها .. مَثَلُ الشرقيين فى ذلك مثل الاغنام ، تساق الى الذبح واحدا بعد واحد حتى تفنى ، وسائر القطيع فى غفلة عما يجرى » .

كذلك حملت العروة على ذلك الفريق من الشرقيين الذين يخونون اوطانهم ويختارون موالاة الأجنبى ، ويرضون أن يكونوا اعوانا له على امتلاك بلادهم ، قانعين من ذلك كله « بالقاب الامارة » ، واسماء السلطنة ، ومظاهر الفخفخة ! « بل قد يطلبون المعونة من الأجنبى على ابناء امتهم استبقاء لذلك الشبح البالى والنعيم الزائل » .

خلاصة الدعوة

وخلاصة الثورة التحريرية الكبرى التى حملت « العروة الوثقى » لواءها ، الدعوة الى وحدة شرقية عامة تكفل لأمم الشرق حريتها وسيادتها، وايقاظ الوعى القومى فى كل امة ، حتى تجتمع كلمتها . ويكون أمرها بيدها ، ويكون حكامها خداما لها : فمن احسن خدمة امته بالنصيحة والاخلاص كافأته ، ومن خانها أو أساء اليها عاقبته ، ومن فتن بحب الذات او حب المنفعة اقصته .

والحق أن هذا الوعى القومى الذى تدعو « العروة » اليه منبعث عن الوعى الانسانى الاخلاقى، الذى يجعل المواطنين شاعرين بأن الأمة فى المكان الاول من الاعتبار ، وان الشئون الخاصة فى المنزلة الثانية منه ، ويجعلهم لا يقفون فيما يحسون عند جلب الصالح ودرء المفاسد، لاوقاتها الحاضرة ، بل يمدون ابصارهم الى مستقبل الأمة فى أوسع آفاقه ، ويعملون على صيانة حياتها كأعز ما تكون ودائع السلف الصالح عند الخلف الأبرار .

ويحلو لى فى ختام هذا المقال ان انبه الى أن الجامعة التى كان ينشدها الافغانى ومحمد عبده فى أواخر القرن الماضى ، ليست هى « الجامعة الاسلامية » كما توهم بعض الكتاب الغربيين ، وانما هى فى صميمها « الجامعة الشرقية » ، وهى فى نظرى جامعة المستقبل ، واحسب اننا اليوم سائرون فى تحقيقها سيرا حثيثا ، والفضل فى ذلك ليقظة أهل الوعى من احرارنا الثائرين الموحدين ، وان نصرهم ــ باذن الله ــ لقريب مبين . ■■

عثمان امين

مع الشباب

إذا كرهت عملك فتحوَّل عنْه

■ حدثنى الشاب يقول ان له عمـــلا يرتزق منه رزقا حلالا ، وهو رزق فيه الوفاء بالعيش ، ولكنه يكرهه . وتقوم براسه احيانا نزوة تريده على ان يترك هـذا العمل بدون ان يودع اصحابه . وسالنى الراى .

قلت : ان شقاء يقوم بين الرجـــل وزوجته ، ويريد الطلاق فتربطه بالشقاء الأولاد ، شقاء كبير . ولكن اكبر منه شقاء يقوم بين الرجل وعمله . كراهة بينه وبين عمله ، هى الصق به من جلده . وتدوم عنده ما دامت حياة . فطلّق عملك بعد ان تكون قد بحثت عن عمل يكون مصدرا للرزق ، ومصدرا لمتعتك معا .

قال : لم تتكشف نفسى بعد عن عمل يورث المتعة .

قلت : ابحث عنه ، فما خلق الله نفسا الا ولها حال هى افضل الأحوال التـى تتكيف بها وعليها . وانت اليوم فى باكورة الشباب ، فتحول فى وقت لا يشق فيه التحول . تحول حين تجد انه ليس لك من الروابط ما يتقطع ويتمزق بالتحول .

قال : اضرب لى مثلا ، لرجل تحـول ففتحت له الدنيا بابا اوسع وافســح .

قلت : امهلنى .

قصة تضرب مثلا

وانا اقص عليه اليوم من بعد امهال ، قصة الرجل الذى اُخرج من عمله غصبا ، فلما ضاقت به السُبُل ، وانسدّت فى وجهه المسالك جميعا ، انفتح له باب ، كما ينشق حائط فى سجن .

ومن الفرجة التى حدثت فى حـــائط السجن خرج صاحبنا الى رحابة الحياة ، يتنسم نسائمها ، رخيّة احيانا ، هوجاء احيانا ، ولكنها نسائم للحرية ، يعمل المرء بين رخائها وهوجهـا ، ما يشاء ، وقت ان يشاء ، على النحو الذى يشاء .

فى قرية صغيرة

انها قرية من القرى البلجيكية . قرية صغيرة ، بها قلة من الناس . وهى قرية فقيرة ، قرية عاملة كادحة ، يعمل اكثر اهلها فى المناجم ، بعيدا تحت الأرض ، يخرجون منها على المشقة الحجر الأسود .

يخرجون منها الفحم الحجرى ، الذى هو عماد الصناعة ، ووسيلة الرخاء لاقوام آخرين .

كنيسة صغيرة وراع متواضع

وكان في القرية كنيسة صغيرة . وتسأل عن راعيها ، فتعلم انه كان يتصيّد تحف الفن فى الأسواق ، ثم يبيعها . وتعجب ان يكون هذا راعى كنيسة . ولكنه تعلم اللاهوت ، وبذلك تهيأ ليكون راعيا للكنيسة . والذى يترك بضاعة السوق لرعاية الكنيسة واهلها ، لا سيما فى قرية صغيرة ، لا يكون بالطبع هدفه الأول كسبا للحياة على اى صورة كانت .

وتدخل الكنيسة كل يوم احد ، فتجدها غاصة بالناس . فتستنتج من ذلك ان الرعية لا بد راضية عن الراعى . فبقدر الرضى يكون فى الكنائس زحام .

كارثة فى المنجم

ويصاب المنجم ، منجم الفحم ، بانهيار ، يودى بحياة كثيرين . وترتج القرية كلها ، هذا قلِق على ابيه ، وهذه قلقة على زوجها ، وبنات تبكى كاسبَهم ، والرجال يبكون ابناءهم . ويكون اوسع اهل القرية نشاطا ومعونة رجلنا هذا ، راعى الكنيسة الأوحد .

ولم يكن ذلك بدعا منه ، ولا كان عمله هذا غريبا على اهل القرية .

هذا الرجل الراعى ما ترك بيتا فقيرا فى القرية الا دخله ، ولا حجرة مريض الا طرقها ، معينا فى حدود طاقته ، مؤاسيا .

فصل عن عمل

ثم وقعت الواقعة .

جاء رجل من رجال الكنيسة اعلى مرتبة . جاء ينظر فى احوال هذا الراعى ورعيته . وما وقع نظره عليه حتى هاله ما راى . لم ير قسا فى هندام القساوسة ، كاملا ، مهندما ، منظما . كان فى البسة مهلهلة لا تتفق مطلقا مع جلال الايمان . فسأله : واين تنفق ما تعطيك من مال ؟ قال : اعطيه للفقراء والمحتاجين ، وهذه قرية فى اهلها من هو احوج الى المال منى .

وارتحل رجل الكنيسة غاضبا .

وما هى الا ايام حتى جاء راعى الكنيسة قرار بالفصل من عمله .

فرج قريب

واطاع بالطبع . وبقى فى داره الصغيرة ، لا يبرحها ، يفكر فى مستقبله . وانسدت فى وجهه السبل . وذات ساعة ، بلغ فيها به السأم ما بلغ ، وقعت يده على قلم ، واخذ من ركن الحجرة ورقة ، واطل من النافذة واخذ يرسم المارة .

فاذا بالقلم يطيع ، واذا الصور تسهل عليه .

اكتشف موهبة فى الأعماق من نفسه . وظل يرسم ، ويرسم ، ويرسم ، حتى فرض اسمه على الناس ، فى اركان الدنيا الاربعة .

انه فان كوك Van Gogh ، الفنان العالمى الشهير !! ■■

لسان المرء :

ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه
تكلّموا تُعرفوا ، فإنّ المرءَ مخبوءٌ تحتَ لسانه

السّيجارة التي ترمز للنجاح

سجاير
٥٥٥
ثلاث خمسات
فيلتر كنج سايز
ستيت اكسبريس ... أحسن سيجارة في العالم

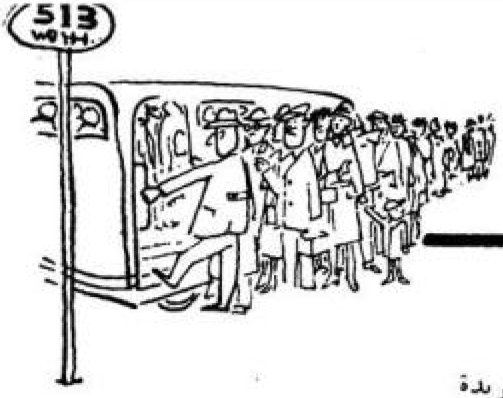

فكاهة روسية

■ كتب مراسل فكه لجريدة « كروكودل الروسية » الفكهة ، وهي تصدر فى مسكو يصف ما وجد عند ركوب حافلة عامة فى روسيا ، قال :

وقفتُ عند موقف السيارة العامة ، فوجدت عددا من الناس مجتمعين هناك، فحسبت ان حادثا وقع على جانب الطريق . ولما اقتربتُ حمدت الأقدار ، فلم يكن هناك حادثٌ ، وانما ازدحم الموقفُ بطلاّب الركوب . واقتربتْ السيارة وهى تهدّىء لتقف على جانب الرصيف . وفى هذه الاثناء وجدتنى فى وسط هذا الزحام أُدفع ناحية السيارة دفعا . واغمضت عينى ، واطلقت املى ، وانتظرت ما يكون . ولما فتحت عيني وجدتنى قد قذفتنى الموجةُ الانسانية التى كنتُ ركبت ظهرها ، قذفتنى الى اعلى سلّمات السيارة وحطّتنى هناك . وفى هذه الاثناء سمعت صوتا من ورائي . ان انسانا وقع على الأرض وقعةً ثقيلة عالية الصوت ، فحمدتُ الله . حمدت الله لاننى لم اكن انا الواقع . ولم يكن ذلك عن انانية . ابدا ، ابدا . كان هذا عن حبٍّ للغير . وذلك انه كان تعلّق بى من ورائى خمسةُ اشخاص ، هذا بذراعى ، وهذا بقفاى ، وهذا بساقى . فلو انى وقعتُ لوقع هؤلاء جميعا معي معا . ولكن الله سلّم .

وقد احسست ان واحدا من هؤلاء الخمسة ، فى سبيل تأمين موقفه ، قد وضع راسه من جسمي بحيث قد حسُن جلوسى على هذا الراس ، لو علمتُ انه ثابت . ولكن بدت فى قلبي خشية : ان هذا الرجل يائس ، فمن ادرانى ان اليأس لا يبلغ به درجة يعضّنى فيها باسنانه ، فى ناحية من جسمى هى احس ناحية يؤلم فيها العضُّ .

واخيرا استقر بنا الحال داخل الحافلة ، وأغلق الباب .

ونظرت فوجدت سيدة تحمل سبتا مليئا ، وقد وضعته على راس رجل محترم كان فاز بمقعد ، فهو جالس . والسيدة معذورة . انها لم تجد مكانا للسَّبَت غير هذا الراس العارى . وفهم الرجل المحترم الموقف تماما ، فلم يتضجر ، وانما كان من آن لآن يحرّك راسه يمينا ويسارا حتى لا يتصلب عنقه فيؤلمه . وحسبتِ السيدة ان الرجل يخشى شيئا فى السبتَ قد ينكب، فطمأنته بان السبت لا يحتوى شيئا من شانه ان يسيل على راسه .

وبلغت الحافلة المحطة الثانية .

وانفتح الباب . وكان عند الباب ، داخل السيارة ، رجلٌ ضخم سمين . فصاح فى الناس الذين يحاولون الركوب: السيارة ملآنة ، ملآنة ، لا موقف لقدم .

فما لبث ان امتدت ، من خارج السيارة ، عشرُ اكفٍ ، من ورائها عشر اذرع شداد ، فجذبته خارج السيارة الى الأرض ، وحلّت مكانه .

وكنت فى هذه اللحظة تقدمتُ ناحية الباب بمشقة لادفع الاجر للسائق . وعندها سألنى احد الراكبين من بين هؤلاء الداخلين : تريد النزول ؟ وقبل ان اقول لا ، لفظونى من السيارة كما يلفظ آكل المشمش بالنواة . ووجدتني على رصيف الشارع اصيح فى السيارة الذاهبة : قفوا قفوا . باقى لى محطتان يا اولاد . . . ■■

قصة فى شعر

عَطشَى جيَاع

للدكتورة سهير القلماوى

ظُلامةُ البَشَرْ وقصةُ القَدَرْ
تسرِي بها الوديانْ والسفحُ والغُدرانْ
صَيْحَاتْ
وتَرتقِى السُحُبْ تُمزّقُ الحُجُبْ
وتَزحَمُ السَّمَا تُصَعّدُ الدُّعا
في لهفةِ المُلْتاعْ
من دُودةٍ ملعونَهْ في صَدْرِنَا مدفونَهْ
تقَتْاتْ

بالصرخةِ المحمومَهْ   مسعورةً مشئومَهْ
هيهاتْ
عطشى جياعْ

★★★

الفندقُ الكبيرْ   من تحته الغديرْ
فوقَ الجبلْ
يلتفُّ بالضبابِ   في رفرفِ السحابِ

كأنه الأملْ
في غرفتي الصغيرهْ   في ليلةٍ مطيرهْ
جاءتنيَ الصديقهْ   جميلةً رقيقهْ
تشكو من الزمنْ
زُوّجتُ في صباي   صغيرةً غريرهْ
من الثراء والوهنْ
جميلةٌ حزينهْ   وزيجةٌ سمينهْ
يغمرهما العفنْ

لأنـــــني فقـــــيرهْ أنى فقـــــــــيرْ
وأُمّـــــيَ المســـــكينهْ شَرْوَى نقـــــــيرْ
وإخـوتي!
عيالُهُـــــمْ كثـــــيرهْ ورزقهـــــم عَســـــيرْ
ولم أذُقْ!
ولَـمْ أُطِقْ!
مـــن بعـــد لَيلَتَيْـــــنِ تَـــدخّــــلَ القَـــــدَرْ
بســـحرِ مـــن سَـــحَرْ بـإثـمِ مَـــنْ فَجَـــرْ
وَمَـــا الضَــــرَرْ
تــرمّلَـــتْ غـريرةٌ صغيرهْ تـــرمّلـــــتْ عـــذراءْ!
مـــاأنفَهَ الخَـبَرْ!
لكنمــــــا اللعينـــــهْ في صَـــــدرِي دَفينـــــهْ
مـــن قلبـي تَقْتـاتْ
كأنَّهـــــــا فرحـــانَـــهْ تصبـــــحُ كالسَـــــعْرانه
هيهاتْ ... عَطشَى جِياعْ

★ ★ ★

وجـــاءَ يومـــاً شــاعرٌ في قـــريتي الجَميــــلهْ
بشعرِهِ ترَنَمَّتْ أطيـارْ
أتـــاتِيَ الذليــلهْ تألـــــقت بسِـــحْرِهِ
تَـلألأتْ أشـعارْ
ورُحنـــــا في المُــــروجِ نَهفُــــو إلى الــبُرُوجِ
نـنافسُ الأقمَــارْ
وجـدتُهــا ـ وجدتُهــا المنشودةْ سَـعادتي المَفقـــــودَه
باللفـــرحْ! لاتَغْدُرِي يابَسْمَةَ الأقـــــــدارْ
في عصـــرِ يومٍ دافــــئ تَجـــدَّدَ الربيـــع
بـــروعـةِ الصَّفَـــا
زُفَّـــتْ لـــه العـــروسْ مـــن حـولهـا الشُمـوعْ

زغرودةٌ فرحانةٌ من أُمىَ الولهانة
رَدَّدَها الفضا

فأشرقت شموسٌ ببهجة النفوس
وبدرةُ العروس تُغيِّبُ النحوس
ودقَّتِ الدفوفُ، بفرحةِ الأمل

وأُمىَ المهمومة في أُذنى المحمومة
تردد المهموس وصيَّة العروس
واحمرَّ وجهى من خجلٍ

كأنَّنى عذراءُ ألم أكن عذراء؟
أزفُّ مرتين لكنني عذراء
وارتاعت المجنونة في صدرى مدفونة
مُلتاعةً مهزومة تُعاند القدرْ
صيحتُها المشئومة في طيِّها التباع
هيهاتْ! عطشى جياع

★★★

طالت بنا ليال مرتْ بنا شهور
والشاعرُ المقهور من عجزه مقهور
أخرسه الألم

لاطيرَ لا شجرْ لا النيلَ لاقمرْ
لا لا ولانغم

تطاير الشررْ......
فالشاعرُ الملاك ابتاعه الشيطان
الشاعرُ الولهان بصارعُ الأشجان
يُعاند القضاء

كفرتُ بالحبيبِ بالحبِّ بالإنسان
وضقتُ بالحياة
معركةٌ أليمةٌ طويلةٌ حزينةٌ مريرة
ونصرُها أشلاء

دارُ أبي ذليـــــــــله عليلُهـــــا بلاسَـــنَد
وإخوتي ! أبصَـــارُهم كليـله يَـــأْتُـــونَ بـالأَوَد
والبيـــــتُ خــاوٍ مـــوحش يُــــرددُ الصَـــــدَا
وكـــل شـيٍ مَيّـتٌ
فيمــــا عَـــدَا
مَلعـــونَةٌ في صــــدري تُســـقى بمـــاء القَـــبرِ
تَصيـــح فـــوقَ نعشِـــي بصـــوتِهـا الأَجَـشِ
في صوتِها شَماتَةُ العِدا
عـــادتْ لنَـا الجَميــلَةْ عَـــذْرَاءْ !
جميــلةٌ عــذراءْ وسْـــطَ الجيـاعْ يـا للضيـــاعْ
مازالـــتْ اللعينَـــهْ ياضَـــيْعَــةَ الصراعْ في صدرنا دفينة تقتاتْ
تصـيحُ في انتصـــارِ لكنمـــا فِي نصرهـــا التيـــــاعْ
هَيهَـــاتْ
عطشَى جيــاعْ

* * *

وجــاءَ صيدٌ ثالــثٌ يَهفُــو إلى الجمـــالْ مُجَـــرّبٌ مِلآنْ
شيخٌ لـه عيـــالْ أبنـــاؤه رِجَـــالْ يـــا للضّـــمَانْ
أولادُهُ زوّجتهُـــمْ
وكلهـــمْ بعيـــــدْ ووحــــدَهُ وحيــدْ
وقـــادَنِي أبي . . . .
في ذلـــةِ ذليـــــله لقصـــره الســـــعيدْ
وهمســـــةٌ عليـــــله عَـــروُسُك الجميــــله
عـــذراءْ ! . . .
وأمّـــي المَهْمُـــومَـــهْ في أُذني المحمـــــومَهْ
وصيــةَ العـــروسْ !
نعـــمْ ســـــمِعتُهَا مـــن تحـــتِ صخـرِ قبرِهَا
رأيتُهـــــا وعينُهـــــا ينَهـــلُ منهـــا دمعُهـــا

تَضُمّـــنِي وَحَـــزنِي   في لـــوعةٍ لصـــدرِهَـــا
أنَا أنتَهـــا دُعـــاءْ
تـــردِدِ المهمـــوسْ   وصـــيةَ العـــروسْ
لأنـــنى عـــذراء !

★★★

رأيتُهـــمْ أبنـــاءَهُ   شـــبابُهُـمْ مســكينْ
تـــأملـــوا جمـــالِي   وأُخمـــدتْ في صدرهم أنّاتْ
وَدمْـدَمَتْ في قلبِهم آهَـــاتْ

وفجـــأةً رأيتُـــه ! !
الشـــاعرُ الحـــزينْ   ودمعُـــه ســـخينْ
وزفـــرةٌ مكظـــومةٌ ، لاتقربِي
وَشـــهْقةٌ مكتـــومَةٌ ، لاتقربِي
وَصـــعقةٌ فيِ قلـــبِي   رَبّيِ النجـــاةَ رَبّـيِ
وجـــاءَنَـا طبيـــبْ
وهمســـةٌ ونظـــرهْ   يـاشُـــؤْمَهُ مـــن داءْ !
ودمعـــةٌ وحســـرهْ   فمـــاله دواءْ !
والأشـــهرُ الطـــويـلَهْ   دارتْ ســـنينْ
واللـــوعةُ اللعينَـــهْ   مـــن قَلْـبِي تفتـــاتْ
وصرخـــةٌ أُكتِمـــتُ أنفاسهَـا
أنفـاسَـــها الدفينـهْ   مـــازالـتْ اللعينـهْ   مـــنَ قلـبي تفتاتْ
تصيـــحُ كالمسعورهْ   ياروعةَ الأسطورهْ !   هيـــهات !
عطشـــى جيـــاعْ

★★★

وغـــابـــتْ الصـــديقهْ   تُغـــرقُهـــا الدمـــوعْ
وصـــوتُهـــا بعيـــدٌ   في الهمس كالشُـــمُوعْ
رأيتُـــه بعيـــنِي   رأيتُـــهُ ابنَ زوجـــي
في القـــصر ذات ليـــلة   وشـــعلةُ النـــيرانْ
تـــرقـــصُ الجـــدرانْ
أطيَـــافُهـــا شـــيطانْ
يعـــانِقُ الأشـــباحْ

وزوجُــــــه بليــــــده
وَبِنتُـــــه قعيــــــده
هنـــــــــاك
وبسَــــمةُ المـــــلاكْ تعـــــانِقُ النيـــــام
حتـــى الصباحْ

ياتعســــى ياتعســـى مـــن عينـــه الـــزرقاء
أطلَّـــت اللعينـــة جَســـورةً حمقـــاء
بصـــيحة الـــديدان
بصـــيحة مهموسـة لكنَّـــني ســمعتُها
جميـــلة عــذراءْ وَسْـــطَ الجيـــاع يـــاللضيـــاع !
مـــن قـــصره فـــررتُ في بَهْمَـــة الــدُجى
أيـــنَ الهـــدَى؟ ضَلَلْتُ؟ بـــل إنـــني الهُـــدى
جميـــلةٌ عـــذراء وسْـــط الجيـــاع يـــاللضيـــاع !

★★★

والـــدودةُ الدفينه مـــن قلبيَ اللعينـــه تقتـــات
في صـــوتها أطيـــافٌ كأنهـــا الســـراب
في صـــوتها انتصـــارٌ يلُفُّـــهُ الضبـــاب
مبهـــورةٌ ملتـــاعـــه مـــن صَـــرْخَة الحياه
جميـــلةٌ عـــذراء وسْـــط الجيـــاع
تصـــبح في ضيـــاع مهما يَطُـــلْ صراع هيهـــات !
عطشـــى جيـــاع !

★★★

ولَم أر الصـــديقه والفنـــدقُ انصعَـــق بل ضـــاعَ في الفَضـــا
في هوّة سحيقة عميقة أشـــلاؤنا محروقـــه
من فوقهاسواعدٌ مَعْروقه أكفهـــا مرفوعـــه نَحـــو السَمَـــا
تُصَـــعد الدُعَـــا

عذراؤُنا الحبيبـــة لاتحـــزنى لاتجـــزعـــى
فكلنا عـــذراء ! وكلنا جيـــاع !
والدودةُ الملعـــونه في صَدْرِنا مدفـــونه تقتـــات
من قلبنـــا المشئومه تقتـــات
مسعورةٌ محمومـــه تعـــوى بنـــا هَيْهـــات

في صوتها ضيـــاعْ أصداؤه التيـــاعْ
أترتـــوى ؟ هيهـــات .
أنشـــبعُ هيهـــات .
فكلنا وكلنا عطشى جياعْ

★ ★ ★

الخاتمـــة

وأبرقتْ بـــروقْ وأرعدتْ رعـــود
وعوت الريـــاحُ وهشمت سـدودْ
واندكت الجبـــالُ وانشقت القبـــورْ
وماتتْ الأحيـــاءُ وأُنشر الأمـــواتْ
وأعلن الفنـــاءُ !
والصرخةُ المحمومـــهْ مسعورةٌ مشئومهْ
تُجلجلُ السمـــاءْ !
من دودة لعينـــهْ في صدرنا دفينـــهْ
أبدعها الرحمـــنْ منـــذُ الأزل
وتسخر الأقـــدارْ بلا أمـــلْ

★★★

وصرخةٌ تزلزل الأُفقْ هيهـــاتْ ! عطشى جيـــاعْ
الشمُ من طـــينِ
في الطـــينِ كانتْ دودهْ لاترتوى من مـــاءْ ولا دمـــاءْ
بذوركُمْ ســـقيمهْ جهودكم عقيمـــهْ طعامُكم هبـــاءْ
ياللعجبْ أترتـــوونْ ؟
وصرخة مشـــئومهْ هيهـــاتْ
يا للعجب أتشـــبعون ؟
حشرجةٌ مكتومـــهْ هيهـــاتْ

★★★

وصرخةٌ تمزقُ الفضـــا تروع الأطياف هيهاتْ ! عطشى جيـــاعْ
وصرخة تصطكُ والسمـــا لتعبُرَ الأعراف هيهاتْ ! عطشـــى جيـــاعْ

■■

سهير القلماوى

طرائف عربية

الى المتسكعين فى الطرقات ..

● روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : **اياكم والجلوس فى الطرقات.**
قالوا : يا رسول الله ، ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها .
فقال الرسول : فاذا ابيتم الا المجلس ، فاعطوا الطريق حقه .
قالوا : وما حقه ؟
قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ارضاء الناس ...

● يمكنني ان ارضى الناس كلهم الا حاسد نعمة ، فانه لا يرضيه الا زوالها .
(معاوية بن ابى سفيان)

وأول النار من مستصغر الشرر

● وان النار بالعودين تذكى — وان الحرب اولها كلام
فان لم يطفها عقلاء قوم — يكون وقودها جثث وهام
(نصر بن سيار)

عيوب الحجاج ..

● كان عبد الملك بن مروان يتحدث ذات يوم الى الحجاج بن يوسف ، فقال له :
ــ ليس من عاقل الا ويعرف عيب نفسه ، فصف لي عيوبك .
فقال الحجاج :
ــ اعفني ، يا امير المؤمنين !
فقال له :
ــ لا بد ان تقول ..
فاجابه الحجاج :
ــ انا لجوج ، حسود ، حقود .
فالتفت اليه الخليفة باسما وقال :
ــ ما فى ابليس شر من هذا !

سؤال ..

● **قيل لأعرابى : ما البلاغة ؟**
قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .

★★★

● **قيل للشعبى : أى شيء تعرف به عقل الرجل ؟**
قال : اذا كتب فأجاد .

صبران .. | **الصبر** صبران ،واعلاهما أن تصبر على ما ترجو فيه الغنم والعاقبة .
حلمان .. | **والحلم** حلمان ، وأشرفهما حلمك عمن هو دونك .
صدقان .. | **والصدق** صدقان ، واعظمهما صدقك فى ما يضرك .
وفاءان .. | **والوفاء** وفاءان ، واسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه .

من حكم عمر بن الخطاب

* من كتم سره كان الخيار فى يده .
* اتقوا من تبغضه قلوبكم .
* اعقل الناس اعذرهم للناس .
* من لم يعرف الشر ، كان أجدر ان يقع فيه .

شماتة الأعداء

● قيل لايوب النبى عليه السلام :
ـ اى شىء كان اشد عليك فى بلائك ؟
قال :
ـ **شماتة الأعداء .**

قرقعة الجبة !!

● جاء رجل الى جحا يسأله فى لهفة : « سمعت بالأمس ضوضاء ، وجلبة ، وصياحا ، صادرة كلها من دارك،ثم صوت شىء يتدحرج على السلم ، فماذا جرى ؟ » .

فاجاب جحا : **« تخاصمت مع امراتى ، فلكمت جبتى ، فسقطت وتدحرجت على السلم » .**

فسأله الرجل : « وهل يكون للجبة قرقعة اذا سقطت ؟ » .

فاجابه جحا : **« نعم ، فقد كنت فى الجبة !! » .**

الحب والبغض

● قال الأصمعي: دخلت على الخليل ابن احمد ، وهو جالس على حصير صغير ، فقال :

ـ **تعال واجلس .**

قلت : **أضيق عليك .**

فقال :

ـ **مه!الدنيا باسرها لا تسع متباغضين وان شبرا فى شبر يسع متحابين .**

المنافقون

● وقف اعرابي على قوم يعيبون رجلا من أخوانه ، فقال لهم : ابطئوا عن عيب من لو كان حاضرا لسارعتم الى مدحه .

جواب ..

● **قيل لابن عباس : بم نلت العلم ؟**
قال : بلسان سؤول ،وقلب عقول، وكنت اذا رايت عالما اخذت منه واعطيته .

★★★

● **قيل لبعض الحكماء : من اذل الناس ؟**
قال:عالم يجري عليه حكم جاهل .

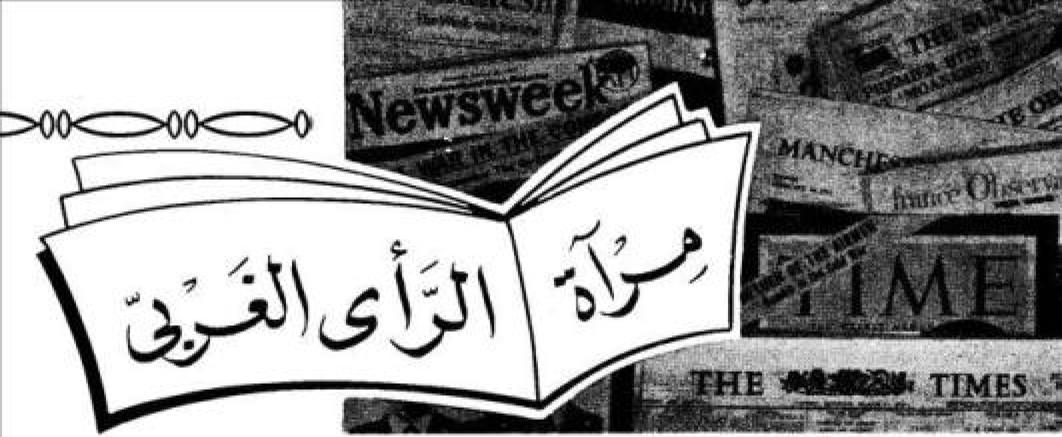

يا للعـار .. !

● هذا وجه جديد سيصبح عما قـريب مشهورا .

انه وجه (دونالـد سلايتون) الذى سيتبع (جون جلين) ، كثانى أمريكى يدور حول الأرض .

وبعد (سلايتون) ستأتى وجوه أخرى : روسية وامريكية .. وستصبح هذه الوجوه فى النهايـة مألوفة ، ولا تزيد فى غرابتها عن صور أحدث من يعبر القنال سباحة .

ومع ذلك ، فهل سيكون بين هذا المعرض من الصور ، لرواد الفضاء الشبان ، صورة واحدة فقط لوجه بريطانى ؟

انه لا يبدو كذلك !

ان الخطوة الوحيدة التى خطتها حكومتنا الى الأمام هي تشكيل لجنة فضاء لاوروبا بأجمعها ، والأرجح ان هذه اللجنة ستنتهى الى الاتفاق على عمل لا شيء .

لدينا فنيون ممتازون .. ذلك ان أول من حل مشكلة ارجاع الكبسولة الى الأرض ، دون ان تحترق ، كان عالما بريطانيا هـو الدكتور وليم هيلتون . وهو يقيم الآن فى بيته يضع مشروعـا لرواتب العاطلين عن العمـل .. لأن حكومتـه لا تستطيع أن تستفيد منه .

يا للعار والخجل !

ان أكبر عبقرى يستحيل الى انسان عادى في ظل حكومة كهذه ، ولو عاش سير فرانسيس دريك فى يومنا هذا لما وصل الى اكثر من نوتـي ، يجدف فى مركب الملكة فى نهر التيمس .

مجلة « سبكتيتور »

زوج محظوظ

● تحدثت مسز بطلر (زوجة وزير الداخلية البريطانية) عن القرار الذى اتخذته بقبول منصب فى ادارة حزب المحافظين ، فقالت : « انني سأقبل اى منصب ملائم من شأنه أن يمكننى من مساعدة زوجى فى حمل العبء » .

ان مسز بطلر كانت بقولها هذا صريحة كل الصراحة ، فلم تدع انها قبلت المنصب لتخدم الحزب فقط . ان مثل هذه الصراحة ، من هذه المرأة الذكية الجذابة ، تدعو الى الاعجاب والاعتزاز . ونحن نهنىء مستر بطلر بهذه الزوجة التى تجعل شؤون زوجها أولا ، فى وقت اخذت فيه المرأة تنسى كثيرا من واجباتها الطبيعية .

جريدة « الصندى اكسبريس » ـ لندن

عود الى حياة الكهوف

● لقد انتهى فريق تابع للجنة الطاقة الذرية من الكشف عن الكهوف التى بناها الهنود الحمر فى نيومكسيكو ، وصرح هذا الفريق بان هذه الكهوف تعتبر ملاجىء مثالية للعصر الذرى .

ان الكهوف ، التى حفرت قبل كولمبوس بثلاثمائة سنة ، بها جدران من الحجارة الرملية التى تحجب ٩٩٪ من اى اشعاع ذرى .. وهى نسبة للوقاية تزيد كثيرا عن اية نسبة اخرى توفرها اية منشآت اخرى حتى الآن .

نحن جميعا نعرف ان اولئك الهنود لم يبنوا تلك الكهوف لوقاية انفسهم من القنابل الذرية بل من اعداء آخرين ـ معروفين او مجهولين ـ كان يخشاهم حتى الرجل الشجاع منهم ، واولئك الأعداء هم : الرعد والبرق ، والمخلوقات غير المرئية التى كانوا يتصورونها تملأ الليل عليهم ضجيجا ورهبة .

اننا اليوم نحس بسخرية التاريخ منا ، حيث نشرع فى حفر الكهوف لنعيش فيها من جديد ، واخشى ما نخشاه هو الا نخلف للتاريخ من مدنيتنا سوى الكهوف ، كالهنود الحمر ، سواء بسواء !

نيويورك هيرالد تربيون

الغرور والخطأ

● قد يبدو غريبا أن يختار المنادون بالغاء عقوبةالاعدام هذه الفترة بالذات ، التى ازدادت فيها جرائم القتل ، لتجديد حملتهم .. ولكن الاكثرغرابة هي المنجهية التي يديرون بها تلك الحملة. انهم يقنعون انفسهم باننا ، نحن الاغلبية الساحقةمن ابناء وطنهم ، الذين نخالفهم الرأى ، قساة سوداويون لا نحترم الحياة الانسانية .

انهم يتهموننا باننا نبقي بريطانيا على حافةعهود البربرية ، بينما يرتقي العالم الحديث نحو الغاء العقوبة كليا .

ولكن ما هي الحقيقة ؟

ان عالمنا الحديث تقوده دولتان عظيمتان : روسيا والولايات المتحدة . وفى روسيا أعيدت مؤخرا عقوبة الاعدام للقاتل (وكانت قد الغيت فى عهد ستالين) . اما فى امريكا فان اقلية من الولايات فقط (وهي الولايات غير المكتظة بالسكان) هي التى لا توجد فيها عقوبة الموت . وقد جربت ولايات عديدة وقف عقوبة الاعدام ولكنها اضطرت الى الرجوع اليها .

فهل من شان ذلك أن يجعل بريطانيا تبدو متاخرة ومعزولة ، اذا ما ابقت على هذه العقوبة ؟

هل بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة اكثر تاخرا من بلد كالمكسيك لا توجد فيه عقوبة الاعدام، مع انه توجد فيه أعلى نسبة للقتل فى العالم ؟

بالرغم من كل ثرثرة المنادين بالالغاء ، فان خصوم الالغاء هم الذين تقف الحقائق معهم لتؤيدهم .

والواقع ان الاحترام الحقيقى للحياة الانسانية هو الذى يدفعنا الى ان ندافع عن الانسانية ضد القتلة .

جريدة « صندى تلغراف »

لا حقيقة بدون حرية

● ان البحث عن الحقيقة ليس له نهاية . ولكنه ليس متيسرا الا فى مجتمع يتقبل حرية الراى . .

حرية أن تكون مخطئا أو مصيبا . . . حرية أن تكون احمق او حكيما . . حرية أن تكون عنيدا أو متسامحا . . حرية التحدى وحرية الرد على التحدى . .

انني شخصيا رجل ذو معتقدات راسخة ، ولكن حقي فى الاعراب عن هذه المعتقدات مرتبط ارتباطا وثيقا لا ينفصم بحق خصومي فى الاعراب عن معتقداتهم ومبادئهم .

الكاتب والصحفي «جون كوتيل» فى جريدة « الجارديان »

المرأة والكفاح للحرية :

هاريِت بيتشر .. وتحرير العبيد

بقلم : فايزة عبد المجيد

■ فى خشوع عميق ، وقف المحرر الاعظم ابراهام لنكلن ذات يوم من سنة ١٨٦٢ ليحيى المرأة التى قدّر لها أن تهز بقصتها الخالدة « كوخ العم توم » ، ضمير العالم وتجند الرأى العام الاميركى، ضد ذلك الظلم الساحق النازل بالزنوج، وان تكون الموحية الدافعة لحرب العبيد الاهلية التى انتصرت فيها الولايات الشمالية فى اميركا على الجنوبية . وقف ابراهام لنكلن يقول :

« أهلاً مسز ستو Stowe ، انى لسعيد بأن أرحب بك ، بأنك مؤلفة تلك القصة التى أحدثت تلك الحرب العظيمة» .

فمن هى هارِيت بيتشر Harriet Beecher ، تلك التى استطاعت أن ترسم بقلمها ادقّ صورة للعذاب البشرى فى قصة مثيرة فى كل سطر من سطورها معانٍ انسانية ، تضرب فى أعماق الانسان لتثيره ضد الاضطهاد البشرى والاسترقاق ؟

وأى معان بالغة فى الشجو تثور فى النفس حين تستمع الى « ليزا الأم الزنجية تقول لزوجها العبد الرقيق وهو يبثها قلقه ومخاوفه بعد أن استمع لمحاورة خفية كانت تدور بين سيدهما وبين أحد تجار الرقيق لبيع طفلهما الوحيد :

ولكن يحسن بك أن تعتصم بالايمان يا جورج لقد قالت سيدتى : ان علينا حين نغرق فى بحر من الظلم ، أن نؤمن بأن الله يبذل غاية جهده لرعايتنا ..؟»

* * *

ولدت هاريت بيتشر ستو فى يوليو من سنة ١٨١١ فى مدينة ليتشفيلد Litchfield بالولايات المتحدة وكانت الصغرى من اطفال سبعة،لأب مبشر، لم يكن راتبه القليل بكاف ليؤمن للاسرة الكفاف من العيش ، مما حدا بأمها « ركسانا » الى افتتاح مدرسة اهلية ـ وكانت ذات ثقافة وعلم ـ لتعليم العلوم واللغات والفنون النسوية ، بالاضافة الى رسالتها الاولى كربة بيت وام مثالية .

فى هذه البيئة الواعية المغامرة نشأت هارِيت واحست منذ طفولتها بروح الحرية يسرى في اعصابها ودمها وهى تتجول بين الحقول والغابات. ومن تلك الطبيعة الرائعة المتجددة ابدا ، ومن

ارضها المتجهّمة بالسحب ، تثقفت* ـ كما تقول ـ ونما تفكيرها وفهمها للحياة بطبيعتها وتجهّمها وتقلباتها .

وتقص هاريت من حوادث طفولتها ، ما يدل على انها كانت كثيرا ما تثير العديد من المشاكل والمتاعب لأمها ، من ذلك انها اغرت ذات مرة شقيقا لها مقاسمتها أكل بُصيلات الزنبق ، وبهذا حرمت الأسرة من صيف حافل بالزهر والشجر العبق .

ولكن هذه الطفولة سرعان ما تراها تعنو لغربة القدر ، ويدُ الموت تغتال الأم المثالية المضحية ولما تتم هاريت الخامسة من العمر بعد . ويبدو بموتها ، كأن الأسرة كلها قد ضاعت . واصبحت دون قائد . ولم يكن الصغار هم حُرموا هذا النبع الفياض من الايثار والحنان فحسب ، بل كان السيد بيتشر ، ذلك الزوج الذى لم يستطع احد التخفيف من ألم فجيعته ووحدته

✶ ✶ ✶

وذهبت هاريت اثر وفاة أمها ـ لتعيش مدة مع جدتها ، ومن ثم لتعود الى « ليتشفيلد » بعد زواج ابيها للمرة الثانية .

ولقد حاولت الزوجة الجديدة للسيد بيتشر ان تكون أمّاً ثانية للصغار ونجحت بأن تكون محبوبة لديهم مكرمة . غير ان هاريت لم تحس نحوها بذلك الانعطاف الخاص .

وفى سن السابعة برهنت هاريت على أنها تملك ذاكرة ومواهب فذّة ، اذ اصبحت تحفظ أجزاء من التوراة وعددا كبيرا من الأناشيد الدينية ، كما كانت مولعة بالقراءة وتحصيل المعرفة الى حد بعيد ، فقد كانت مكتبة والدها مجالا للبحث عن هذا الغذاء الفكرى ، وكان البحث عن هذا الغذاء واكتشافه يشبه لديها اكتشاف جزيرة فى المحيط .

✶ ✶ ✶

حينما بلغت هاريت الثانية عشرة من عمرها التحقت بمدرسة السيد « جون دريس » وكان مربيا ذا شهرة ومكانة وفضل فتبدت براعتها وذكاؤها فى التعبير والدقة فى الانشاء . وفى يوم الاحتفال بانتهاء العام الدراسى كانت الفائزة الأولى فى هذا الموضوع . ولم يكن فوزها هذا عامل فرح واعجاب لأبيها وللمدرسة فحسب ، بل كان مستهل حياة جديدة تطلعت هاريت لبنائها بعزيمة وروح لا يقهران .

وتنسج الأقدار خيوطها لتدفعها الى تلك الحياة. يغرق خطيب شقيقتها « كاترين » فى حادثة مركب، فتفتتح تلك الشقيقة مدرسة للفتيات تعلّم فيها هاريت ، فتستطيع بهذه الطريقة تأمين نفقات دراستها فى الجامعة .

وحينما تبلغ هاريت الخامسة والعشرين من عمرها ، سنة ١٨٣٦ ، ينتقل والدها الى «اوهايو» ليصبح رئيسا لابرشية لين فى مدينة «سينشيناتي». وتذهب معه ابنتاه كاترين وهاريت ، وهناك تؤسسان معا مدرسة جديدة فى ضاحية المدينة . وتلتقي هاريت هناك بأستاذ جامعي لامع يدعى « كالفن ستو » فتتزوج منه .

✶ ✶ ✶

فى ذلك الوقت ، كانت قضية الرق تهز النفوس فى كافة ارجاء القارة . وبما ان مدينة سنسناتي كانت تقع بقرب حدود ولاية كِنتكي ـ وهو الولاية الجنوبية للعبيد ـ فقد اصبحت مرفأ للافكار التحررية العاصفة ، وكان العبيد يهربون الى الولاية الحرة فى « اوهايو » ، وتمكنه لهم يد المساعدة فى كندا عن طريق رجال عرفوا بعطفهم على قضايا الحرية . فى تلك البيوت الكريمة الواقعة فى الشمال كان العبيد يجدون الحماية فى النهار الى حين ينقلون خلال الليل الى تلك الولاية .

واضحى ساحل تلك الولاية مقرا للجدل العنيف، ولتاييد قضية تحرير الانسان .

وحينما حاولت الصحافة المحلية أن تلجا الى المناداة بحل عادل للقضية تعرضت مطابعها للكسر مرتين وقذفت الى البحيرة ، كما تعرض الكثير من بيوت الملونين للحرق وقتل البعض منهم . واضطرت هاريت واسرتها بسبب هذا الى النوم مع السلاح لحماية أنفسهم . وحُظر البحث فى هذه القضية . وكنتيجة لهذا التقييد أوشكت المدرسة على التوقف عن التدريس بعد ان هجرها اكثر اساتذتها وطلابها ، وبعد ان بذل السيد بيتشر مع ابنائه فى سبيلها اقوى واشق كفاح .

وفتحت هاريت بيتها للاطفال الملونين الذين كانت تعلمهم . وحينما اعتقل واحد منهم ، تولاها اسى عميق فبادرت الى افتدائه بكل ما كانت تملك من مال . حين ذاك أنذرت عائلة « ستو » بالخطر، فهاجرت الى الشمال فى عام ١٨٥٠ ، وشرع زوج هاريت فى التدريس ، فى كلية برانسويك فى ولاية « مين » كما اخذت هي فى الكتابة للصحف ، لتعاون على كسب العيش .

والآن وفى سن الأربعين ، ومع تبعات بيتية مرهقة وتربية لطفل ، كان من غير المتوقع أن تستطيع هاريت انتاج أى أثر أدبى بارز . ولكنها ، وهى على حساسية عميقة بالمأساة الانسانية الدامية ، وبالمعركة التى تثور وتندلع نيرانها فى الولاية ، وبذلك الاضطهاد السافر للرقيق ، كانت هاريت اقدر من يتولى اثارة هذه المأساة ، اذ لم يكن الناس قد اثيروا أو حركوا الى الدرجة الكافية لمعارضة أو مقاومة الرق بعد . هنا نرى هاريت تود من الأعماق ان لو استطاعت اثارة هذه المعانى السامية فى النفوس ، ودفعها الى تحرير اخوتها فى الانسانية من الاذلال والعبودية والاضطهاد .

ولاح لها هذا الرجاء . أو تمثل فى ذهنها فى شخصية « العم توم » ، وهى تجلس على مائدة القربان فى كنيسة برنسويك الصغيرة فى يوم أحد .

وعادت هاريت الى البيت ، يتملكها ايمان جارف بتنفيذ هذا القصد . وبدأت الكتابة . كتبت بادىء ذى بدء فصلين أو ثلاثة من قصة كوخ العم توم ، وقدمتها الى الدكتور «بيلي» صاحب جريدة الأحرار سابقا فى سنسناتى . وزارت مدينة بوسطن ، وفى قاعات انسيليبرى لمقاومة الرق ، استعارت الكثير من المراجع لدعم كتابها بالوثائق والحقائق . وحين كتبت القصة نفسها ملأت كل صفحة وسطر فيها بالرأفة والعاطفة ، تلك العاطفة التى انبثقت من اختباراتها فى مشكلة الرق والاضطهاد البشرى .

ونشرت هاريت القصة ، وكان التجاوب معها فى كافة انحاء العالم قويا عاصفا ، تبدى فى فيض من رسائل التشجيع والتقريظ ، من ملوك وامراء وكتاب وأدباء ، فقد كتب لها « ديكنز » قائلا . « ان كتابك لجدير بكل عقل وكل قلب » . وقرظه « كنجسلى » و « جورج اليوت » وغيرهما ، وفى السنة التالية قامت هاريت وزوجها برحلة الى اوروبا ، فكانت تقابل فى كل مدينة تزورها بحماسة مقدسة اذ كانت جموع الشعب توقف مركبتها فى الشوارع لتحييها وتملأها بالزهر .

وافتتح اكتتاب عام لحركة تحرير العبيد ، قدم لها فيه مبلغ ألف جنيه استرلينى على صينية فضية . ودعتها احدى الدوقات الى حفل فى بيتها كان من شهوده « لورد بالمرستون » « وماكولى » « وجلاد ستون » ، قدم لها خلاله سوار ذهبى على شكل قيد لعبد رقيق نقش على الحلقة الأولى منه : « اننا نؤمن بانه رمز لقيد سوف يتحطم عاجلا » ، كما نقش على الحلقة الثانية منه تاريخ الغاء تجارة الرق فى امريكا عام ١٨٠٧ . وفى بريطانيا عام ١٨٢٤ . وعلى الثالثة : تاريخ تحرير العبيد فى مقاطعة كولمبيا الى اعلان الرئيس ابراهام لنكلن لالغاء العبودية فى الوثيقة الدستورية فى الولايات المتحدة ، والى الأبد ، سنة ١٨٣٦ .

وعادت هاريت وزوجها الى أمريكا من رحلتهما فى أوروبا لتكتب المذكرات الشائقة هناك وتؤلف قصصا قوية أخرى .

واستمر بيع قصة « كوخ العم توم » وازداد ، وترجم الى تسع عشرة لغة مختلفة اخرى . وكان تأثيره فى كافة انحاء العالم عظيما ، اذ حرر الكثيرون عبيدهم بعد قراءته ، كما ازداد بيع كتب التوراة فى فرنسا لأن الشعب هناك أحب ان يقرأ الكتاب الذى احبه « العم توم » كثيرا .

★ ★ ★

واخيرا ، وبعد الحرب الأهلية مباشرة استطاعت هاريت ان تشترى بيتا بين بساتين البرتقال فى فلوريدا من النقود التى ادخرتها من التأليف ، كما بنت كنيسة لزوجها ظل يعظ فيها حتى موته سنة ١٨٨٦ .

وفى عيد هاريت الواحد والسبعين ، اقام ناشر قصصها حفلة كبرى تشريفا لمؤلفة القصة الانسانية العالمية ، دعا اليها الشعراء والفنانين والسياسيين ورجال الاصلاح . وتحت منصة فى خيمة عظيمة جلست هاريت لتصغي بتواضع الى قصائد الشعراء والخطب التى كانت تمجد كفاح امرأة واحدة رقيقة حيية وفى سمو ظاهر يدل على انها أتمت هدفا عظيما مصمما .

وطوى الموت هاريت بيتشر ستو سنة ١٨٩٦ اثر مرض عضال . كان الشلل . ودفنت فى مقبرة متصلة في الكنيسة ، بين قبر ابنها وزوجها في « اندوفر » . وقال التاريخ .

« لقد كافحت هاريت بقلم اكثر مما كافحت بسلاح ، وعاشت لترى معركتها ضد العبودية . . . تنتصر » . ■■

فائزة عبد المجيد

نجوم لا تحصى

قصة بقلم : فاضل السباعي

■ لم تشرق الشمس او ترسل ايما خيط من خيوط اشعتها ، ومع ذلك فان النوم قد ذهب من عينيه فكأنه مستيقظ منذ برهة طويلة . وبدا له ، من الوهلة الأولى ، ان الوقت جد مبكر ، ففضل ان يظل في فراشه تحت لحافه الرقيق ، في ظل برودة الصباح اللذيذة ، يساهر النجوم ريثما يحين وقت ذهابه .

وجعل يحصيها ، هذه النجوم المتناثرة في قبة السماء ، دون ان يدرك من احصائه لها عددا ترتاح عنده نفسه التي ما زالت تتلقى دروس الحساب على مقاعد الدرس ... انها حقا لا تحصى، كما يقولون !

وتفكر : هل يدرك العدّ ارباحه التي سيظل يجنيها يوما بعد يوم ، في اجازة الصيف هذه ، وفي العام الدراسي الآتي ، وسائر اعوامه المقبلات؟ يتمنى ان يضلّ العدّ ارباحه ، كما ضلت عنه هذه النجوم المنثورة في أديم السماء !

واحس بمواكب الفرح تزغرد في صدره .

ما كان يحسب ان العمل يعطي هذا الربح كله ! كيف اضاع أصيافه الماضيات ؟ عندما عرف ان بوسعه أن يحمل في « سبته » الصغير سبع عشرة « كعكة » يعود منها الى البيت بسبعين قرشا ربحا ، امتلأ قلبه بشرا وامـــلا ورجاء . الا ان آفاق العمل والربح ما لبثت ان امتدت امام بصيرته اكثر مما استبشر ورجا .

ووقع نظره ، هناك عند الأفق ، على نجمة كبيرة ذات ألق . وجدها تتألق في زهو . تمنى ان يقطفها . ما اشبهها بحظه من العمل . نعم ، انها ... انها « الباص » ، مورد رزقه . انها ، في اشعاعها وتألقها وزهوها ، تشبه الباص الذي يقطف من حواليه رزقه الوفير ، وحيدا لا يزاحمه منافس أو غريم !

ليس ينسى يوم صرخت به امه :

ــ كفاك لعبا يا مغضوب . لم تعد صغيرا . رح ابحث عن شغلة تعين بها أباك ، الله يساعده !

اعتاد في هذه الاجازة الصيفية ، ان يسمع في كل ساعة من ساعات نهاره هذا التأنيب تسوقه اليه امه دون ملال . وما كان يأبه له كثيرا . كان يتفكر للحظة في فحوى مطلبهـــا ، ثم يرتد الى اللعب غير مبال . ان العمل عنده فكرة طارئـــة ما كانت لتستثير لديه شوقا او تورى عزما . انه بعدُ تلميذ مدرسة في آخر صفوف الابتدائي ، ما حاجته الى العمل ؟

ــ يا مغضوب ، يا ملعون ، يا شيطان ! شويت بدني وانا المريضة . ابحث عن شغلة تتلهى بها . ساعد هالمسكين الذي يشقى طول النهار . اجرته لا تكفيني ثمن دواء !

آه ... عند هذه القولة وجد نفسه . ثمن دواء لأمه المريضة قعيدة البيت . حقا . قال لها :

ــ دبروا لي شغلة حتى اشتغل .

وسمع امه تقول :

ــ أولاد الجيران كلهم يشتغلون . يبيعون في الأسواق . خذ السبت من القبو وبع فيه كعكات .. كعكات بسمسم .

واستراحت خواطره عند هذا المقترح :

ــ ومن اين « المصاري » اشترى بها يا أماه ؟

ــ ابوك يعطيــك . رح اشتغل يا ابني ، الله يرضى عليك . ساعده ، هالمسكين ، الله يكون بعونه .

في ذلك اليوم ، قبض ليرة من ابيه . رجاه ان يعطيه اكثر . فقال لــه ابوه ان بيع اليوم الأول كفيل بأن يتضاعف معه رأس المال ... ثم تكون الارباح على قدر يقظته في البيع . ثم قال يوصيه قبل أن يغادر الدار بسبته الى حيث يشترى الكعك :

ــ اشتر الكعكات من فرن « ابو صطيف » في فم الشارع هناك ، هذا الرجل صاحبي . ثم اذهب الى حيث يتجمع الناس . وخذ بالك من شغلك ، ولا تتله او تلعب ، وسأرى غلتك في المساء .

وهناك في الفرن تعرّف على « ابو صطيف » الرجل السمين الطيب . يشترى منه الكعكة بستة قروش ، ويبيعها بعشرة ... ووضع له الفران في سبته سبع عشرة كعكة ، ثم قال وهو يتناول منه الليرة :

ــ يبقى لي عندك قرشان سوريان . لن اقول سأستوفيهما منك صباح غد ، اعفيتك منهما من اجل خاطر ابيك .. رح الله يفتح عليك .

وانطلق من الفرن الى الشارع العريض . جرب ان يصيح : « كعكات ... » فوجد صوته ضعيفا خجولا . فصمت لحظة ، ثم استجمع قوته وصاح من جديد :

ــ كعكات .. كعكات بسمسم .. كعكات !

تحسن الحال لا بأس .

ــ كعكات .. كعكات بسمسم .. بقرتكين .. قرّب يا ولد .. بقرتكين .. كعكات !!

واطمأن به المسير عند موقف الحافلة . وظل هناك زمنا ينادى . لم يبع خلاله سوى كعكتين .. فتسرب اليأس الى فؤاده ، خشى الا يبيع ما في السبت ، فماذا يكون من أمره ؟ أيعود بالكعك الى الدار فيأكله مع امه وابيه ؟ يا لها من تجــارة رابحة !

وجعل يضرب في الشارع العريض ، وينادي ، ولا يكاد يبيع من كعكاته شيئا . ثم وجد نفسه امام « روضة اطفال » . وسرعان ما وقفت امامه سيارة الروضة ، ونزل منها عديد من الأطفال ، فصاح بالنداء ، فهجموا عليه ، وتحلقوا حوله ، يحمل كل فرنكه بيده . قال لهم :

ـ الكعكة بفرنكين ..

فاخذوا يحملقون في سبته ، والايدي منهم تمتد لا تحمل الواحدة منها اكثر من فرنك . واسعفته البديهة :

ـ كل اثنين يشتريان كعكة . اقسمها نصفين :

وباع لطفلين كعكة ، ثم كعكة لآخرين ، فثالثة ، ورابعة ، وخامسة ... وكان جديرا بان يبيع كل ما في سبته ، لولا ان خرجت عليه فجاة ، «آذنة» المدرسة ... ثائرة ، تحمل بيدها مكنسة ذات عصا ، وهي تلعن آباء اجداده ! فما كان منه الا ان وثب من مستقره هاربا ، وقد اذهلته المفاجأة ، ووقف غير بعيد ، وسأل المرأة عما اغضبها منه ؟ فقالت وعيناها تقدحان شررا :

ـ ماذا يغضبني يا حرامي ؟ ! سحبت فرنكات الاطفال ، ثم ماذا يغضبني يا نشال ؟! من اين اذن سأبيعهم ؟ امش من قدامي ، والا قصفت رقبتك !

وفهم اذ ذاك انه قد غدا ـ دون ان يعلم ـ منافسا للآذنة التي تبيع مآكلها للصغار . تلك معضلة تتكشف لعينيه ! لقد جرفه الخيال ، في هذه اللحظة الوجيزة التي باع فيها الصغار كعكاته الخمس ، الى ان يظن ان بوسعه ان يتربص بهم ساعات نهاره جوار باب المدرسة ، يتصيد فرنكاتهم ويطعمهم كعكا طيبا .. ولكن ، بات عليه ان ينجو اولا من مكنسة صيادهم الآخر !!

وقادته قدماه ، عبر الشارع العريض ، الى الساحة الكبرى . وهناك واتته الحرارة ، فرفع صوته بالنداء ... ولكن لم يأبه به احد . كان الناس صادفين عنه منهمكين في رواح وذهاب . وشعر بالجوع . فتناول كعكة وتنشق رائحتها في تلذذ . يستطيع ان يأكل الآن اثنتين طعاما للغداء وهو مستريح الخاطر : فان باع الكعكات كلها ، فالاثنتان المأكولتان تخرجان من ضمن الربح ، فان تبقى لديه من الكعك باق ، فقد اكلهما مما كان سيبقى ... ولكنه ضن بضاعته ان تذهب الى جوفه وفضل الجوع .

ـ كعكات بسمسم .. كعكات ..

لم يلتفت اليه انسان . الحركة في الساحة صاخبة لاجبة . اعلى صوته :

ـ كعكات بسمسم .. كعكات طيبات .. طيبات يا ناس !!

باع حتى الظهيرة سبعا . الباقي في سبته عشر . يخشى أن تجف . لا يسأل الناس عنه . محقون فهم يطلبون الآن غداء يملأ المعدة .

ـ كعكات ..

وحطت به قدماه امام « الكراج » الكبير .

بصر بسيارة « باص » كبيرة تطل بمقدمتها من مدخل الكراج ، والرجل يصيح مناديا على قرب السفر ... والناس ، ما بين داخل الى الكراج يحمل حقائبه ، وبين خارج في استعجال . ورأى الى طالبي السفر في طابور امام شباك التذاكر ، ثم رأى الركاب على مقاعدهم داخل الباص ، فصعد اليهم ، وصاح :

ـ كعكات ..

فاشار اليه احدهم ، واشترى كعكة . ثم طلبت منه امرأة تلبس ملابس الفلاحات كعكتين . وبكى طفل في حجر امه في طلب الكعك ، فقدم اليه كعكة من تلقاء نفسه ، فسكت مُعملا فيها اسنانه ، فما وجدت الأم بدا من الدفع ... وباع في لحظة اربعا . وحمد الله ان ليس للكراج آذنة ، او آذن ، يبيع المآكل .. اذن لهجموا عليه بالمكانس ! هنا باب رزق مفتوح على مصراعيه !

ـ كعكات بسمسم ..

صاح في بشر وسعادة . فناداه راكب من المقاعد الخلفية ، فسعى اليه بسبته الصغير متنشطا ، وناوله كعكة .. فاذا رأس فتى ، عليه سبت فيه من الكعك كثير ، يشق في الزحمة طريقا نحوه ، ثم يخاطبه في جفوة ذات دلالة :

ـ من الذي سمح لك بالطلوع ؟!

وبدا له ان الصعود الى الباص ـ هو الآخر ـ يحتاج الى سماح . ورأى الى الفتى يزاحمه في بيع هذا الراكب الخلفي ، الذي ما زال يستخرج الفرنكين من جيبه فلا يكاد ، ويقول له في لهجة آمرة تنبيء عن العزم على العدوان :

ـ استرجع كعكتك ، وانزل من الباص !

وماجت فى صدره الخيبة . كلمـــا طرق باب رزق ، صــدوه عنه فى وحشية ! هل هذا الفتى المتنمر ابن صاحب الكراج ؟! يريد ان يفهم !

قال يخاطبه فى اقناع :

ـ الرجـــل اشترى الكمكة مني ، وانا اقبض ثمنهـــا .

اجابه الفتى معاجلا :

ـ اقبض الثمن ، وانزل حالا (واشار باقتدار) من هنا ، من هذا الباب .

عز عليه النزول . اى رزق حـلال هذا الذي يوليه ظهره ان هو غادر الباص ؟ نظر الى غريمه المتنمر ، فرآه على نحوله البادى اطول منه قامة . قال يسأله :

ـ بأي حق تطلب مني النزول ؟

ـ لأني انا وحدي الذي ابيع هنا .. ابيع من خمس سنين !

ـ وما فيها اذا بعت انا معك ؟

اجابه الفتى فى فحة وضراوة :

ـ اكسر رأسك ، واقلع عينيك ، دون ان يشفع بك انسان . هذا رزقي . اخرج ابحث لك عـــن رزق !

وهجم عليه الفتى يدفعه بيسراه ، وظل يزحمه من وراء حتى انزله الى ارض الكراج . واحس من ذلك بالذل . وتراءى له ان يقـــاوم ، ان يرد الاهانة ، أن يناضل دون باب الرزق الذي اوشك ان يوصد فى وجهه . نظر الفتى بعينيه ثانية : انه اطول منه ، يكبره بالسنوات الخمس التي امضاها فى الكراج يبيع .

قال الفتى يحذره :

ـ اياك ان تحاول البيع هنا مرة ثانية !

كبرت عليه الاهانة وخسارة الرزق معا . ماذا يفعل ؟ ليت الفتى اقصر قليلا !

وهدر محرك الباص ، وصاح فى الناس صائح :

ـ يا شباب ، يا ركاب .. الباص ماش .

وقف بعيدا ، وعينـــاه تنظران الى الفتى وهو يبيع . هؤلاء ناس سفر ، لا يتغدون ، بل ياكلون الكعك تسكينا لجوعهم . حرام ان يفارقهم .

رأى الباص ينطلق الى المنحنى ، والفتى فيه لم يزل . وسرعان ما حل محله باص آخر فى فـــم الكراج ، ليطل بمقدمته على الساحة صنيع الباص الذي انطلق . فاذا الركاب يصعدون اليه واحدا فى اثر واحد . وتلفت حوله يستطلع خبر الفتى ، فما وقع له على اثر ،فصعد الى الباص الجديد على حذر ، ونادى بصوت خفيض :

ـ كعكـات ..

فاستدعاه راكب من امام . واشترى كعكتين . بقي فى السبت ثلاث . يا جبار الخواطر ، قبل ان يعود الغريم اللئيم .

ـ كعكات ..

وارهف النظر الى الوجوه يستقرى حاجتهـــا . هاتان العينان تستدعيانه . قدم الى صاحبهمـــا كعكـــــة ، وتناول الفرنكين . الباقي كعكتان . سيبيعهما قبل ان يعود الفتى ، لعله سافر مـــع الباص الى غير عودة ! سيبلغ ربحه سبعين قرشا ، جناها فى نصف نهار . سيشتري لأمه دواء شافيا . ما اجمل العمل !

ـ كعكات ..

ـ هات واحدة يا صغير .

قدمها اليه . بات حرا فى بيعه . سافر الفتى فى الباص بلا عودة . لا يفسد عليه بيعه معتـــد لئيم .

ـ كعكـات ..

تلك السيدة ، مـــا كادت تستقر حتى اومأت اليه بعينيها . جميلة هـــذه الشاربة . ما احلى عينيها !

ـ تفضلي يا ست !

قالت تستأنيه فى نبرة لطيفة :

ـ يا الله ، لحظة ، حتى اخرج « المصارى » !

وقابله وجه الغريم !!

كان قد صعد الى الباص دون ان يدري ، ورآه ينظر الى سبته الصغير فيجده خاويا !

ـ ما قلت لك امش من هنا ؟!

قرأ فى احداقه الشر . من اين عاد هذا الابليس اللعين ؟ قال فى حمية :

ـ الله يقسم علينا الأرزاق وليس انت .

وفى الحال ، تلقى من الفتى دفعة من الركبة ، فاطاحت به الضربة الى وراء ، وطار لها السبت على راس راكب لا يقبل ضيما فصاح بهما شاتما .

ـ ما هذا يا أولاد الـ ....

ولاذ الغريم بالصمت . ولكنه اجاب هو :

ـ عمي .. انه يمنعني من قبض الثمن .

وسمع السيدة ذات العينين الخضراوين ، تزجر الفتى قائلة :

ـ اتركه . ماذا تريد منه ؟ دعه يسترزق ، طفل صغير .

ثم رأى الراكب ، ذاك الذي لا يقبل الضيم ، يقوم من مجلسه ليسدد الى الفتى صفعة تحاشاها فوقعت على الصدر . على حين التقط هو سبته الصغير ، وهبط من الباص لا يلوي .

وفي طريق عودتـــه الى الدار : كان يستعيد حساب ارباح اليوم . فبلغ به السرور غايته اذ ايقن انه سيكون بوسعه قريبا شراء الدواء الشافي لامه المريضة . ثم اشترى ، مرتاح البال ، بفرنكين رغيفا بالفلافل « الطعمية » ، وتثنى بقطعة حلوى ، فبقي معه بعد هذين خمسون قرشا ربحا ، نصف ليرة سورية . نعمة من المولى . وقبّل يده مرتين ورفعهما الى رأسه شكرا لله وامتنانا !

وفي الدار ، هنأته امه وهو ينظر اليها بعين الشفاء القريب . وقبله ابوه في المساء اعجابا ، وهو يفصح عن سعادته بأن ابنه غدا رجلا صغيرا يشاركه عبء تحصيل القوت . ثم طفق يقص على والديه قصة الاذنة ، فاذا ابوه يضحك ضحكـــة عريضة بينما يصور له كيف هجمت عليه المرأة الثائرة بمكنستها ! وعندما جعل يتحدث عن الغريم المعتدي ، رأى الضحكة تغيض بين شدقي ابيه ويقول له منتهرا :

ـ ماذا فعلت له ؟ ألم تضربه ؟

ـ انه أكبر مني .

قال ابوه هادرا في غضب :

ـ فاذا كان اكبر منك ، تسكت على اذاه ؟ اضربه بكل ما اوتيت من قوة ، هذا الخنزير اللعين . رزق الله واسع ، يريد ان يستأثر به ؟ اذهب غدا الى الكراج في الصباح الباكر . واشتر كعكا بكل مـــا معك من نقود ، وهاك ليرة اخرى . انت وقعت على رزقك يا بني في هذا المكان . الا تعلم انه في كل نصف ساعة ينطلق من هناك باص يحمل اربعين راكبا او خمسين او ستين ؟ ربعهم على الاقل آكلون من كعكك . هذا الحرامي ، ماذا يفعل بكل الارباح لو كان يرغب في شراء قصر يلذ لجمـــع ثمنه ! اذهب الى هناك ، وشاركه في البيع ، وخذ نصيبك من الرزق . فان اعتدى عليك ، فاضربه بعزم وانت تتصور حقك في الرزق يريد ان يسرقه منك .. اياك الا تفعل !

انصت الى ابيه مليا . كان يشعر بانه يكبر مع كل كلمة تنطلق من بين شفتي ابيه ، ويشتـــد زنده ، ويقوى عزمه ، وتشرق في صدره الآمال .

ـ امامك ، بعد ، في هـــذا الصيف ثلاثة اشهر تستطيع ان تجني فيها ارباحا ندخرها للحاجـــة الطارئة ، وسوف تتمكن من الاستمرار في دراستك ما دمت تعمل كل صيف . اذهب غدا صباحا الى حيث كتب الله لك الرزق .. واياك اياك الا تفعل!

وفي الصبـــاح التالي ، ذهب الى الكراج دون خوف . مر مع الفجر بفرن ابو صطيف واشترى اثنتين واربعين كعكة . واين اين باع هذه الكعكات كلها ؟

ذلك يوم فاتحة خير ، ليس ينساه . لقد نفد الكعك في ساعتين . نعم ، هذا شيء لا يصدق ولكنه الذي وقع كل ما هنالك انه لم يجد غريمه هناك . ظن ، باديء الأمر ، انه يشيع باصا قد خرج لتوه . ولكن الباص الآخر مضى دون ان ترى عيناه سحنة الغريم . وهو يبيع اثناء ذلك ، ويبيع .. كعكة تطلب من هنا ، وأخرى من هنالك ... امرأة ريفية ، شيخ ذو عمة ، سيدة سافرة ، ابن بلد ، كردي بطرطور ، شاب افندي ، طفل يبكي ، اطفال يبكون في طلب الكعك ... اي خير هذا ! رزقه يجنيه . نجوم يقطفها من سماء رزقه . اين اين الغريم ؟ غاب ، مات ، اخذته مصيبة ! هو حر في الكراج . هذا رزقه ، رزقه وحده ، سيمنع منافسا ـ اي منافس ـ يدخل عليه ، حتى يكمل خمسا مـــن السنين يجني خلالها اعظم ارباح ، وتكون امـــه قد شفيت من قنماعها تماما ، واصبح ذا مال يكفيه للدراسة ، اذ ذاك يترك الكراج حرا لكل بائع ... ثم وجد نفسه يقص بالواقع . انها خيالات ، مجرد خيالات جنونية جنونية ، ولكنها جميلة وعذبة !!

★★★

لوى الصبي نظره عن نجوم السماء ، بعدما تبدى له انه طاف ـ في هذه اللحظات ـ مـــع الاحلام والذكريات ، طواف هذه النجوم بالدنيـــا كل ليلة . ثم وثب من فراشه ، وقد رأى ان الوقت قـــد حان لخروجه . وان ساعة الشروق لم تعد بعيدة .

وفيما انكفأ الى الماء يغسل به وجهه ، ثم يمشط

شعره ، ويرتدى بنطاله الصغير ، كان يتفكر بمجموع ما جنى من ربح ، خلال الأيام السبعة ، التى امضاها فى البيع وهو سيد للكراج غير منازع. وكان يفرحه ان يخرج من هذا التفكير برقم كبير يراه ينمو ويتزايد مع الأيام دون ايما فتور .

واذ وصل الى الفرن ، صاح محييا :

ــ صباح الخير .. عمي ابو سطيف !

كان الفران الطيب الأكرش يجذب بعصاه الطويلة مواكب الكعك بصوانيها الخارجة من بين النار ، ويرصها جواره انتظاراً للباعة المشترين .

قال الفران يحاور البائع الصغير :

ــ كيف حال البيع معك ؟ « ماشي كويس » ؟

اجاب الصبي فى جذل :

ــ عال العال . الله يديم الحال . كله بدعاك يا عمي ابو سطيف !

قال الفران يروم تصحيحا :

ــ بل برضا الله يا ولدي ودُعا والديك . ثم قال : كم كمكة أعد لك ؟ اما زلت مصرا على ان تأخذ كمكاتك على دفعتين ؟

فرفع الصبي سبته الكبير الى ما فوق المصطبة، وقال فى صوت مزهو :

ــ انظر . عملت بنصيحتك . كبرت السبت . اشتراه لي ابي من « سوق الجمعة » .

قال الفران مداعبا :

ــ ولم لا تشتريه انت ، وتريح والدك من عناء الشراء فى يوم راحته ؟

فتبسم الصغير وهو يقول :

ــ أضيع على نفسى بيع عشرات من الكعك ، والدرب الى السوق كما تعلم طويل !

فهز الفران راسه مستضحكا .. على حين صاح الريس العجوز ، الواقف امام بيت النار ، مخاطبا الصبي قصد الثرثرة والمزاح :

ــ آه منك يا ملعون ! لم أر أطمع منك فى حياتي! تريد أن تستولى على أرزاق كل البياعين . دع شيئا لغيرك ! (**ومسح بكم قميصه العرق المتصبب من جبهته**) يعني ، بضعة ايام وتراني تركت هذه الوقفة امام بيت النار ، وتزلت الى البيع معك . الا تقبلني شريكا ؟ ام تصرفني كما صرفت غريمك؟ ماذا جرى له ؟ ألم يعد ؟

قال الصبي فى براءة :

ــ فليعد ان شاء .. الرزق .. والحمد لله ، يكفي اثنين .

امتلأ السبت الكبير بين يدي ابو سطيف كعكا حتى ما فوق الشفتين . وما لبث الصبي ان رفعه بعزم فوق راسه . ثم اتجه بحمله نحو الباب وهو يحيي تحية الخروج :

ــ خاطركم ــ يا شباب !

ورد الفران الطيب :

ــ مع السلامة يا ابني .. الله يجبر عنك .

وقال العجوز المشاغب :

ــ وبعدين ؟ ما قلت لي ! الن تقبلني شريكا معك ؟

ثم اطلق من خلال اسنانه المصفرة ضحكة جلجلت فى اذن البائع الصغير وهو فى باب الفرن خارجا . وهناك ترامى امامه الشارع طويلا سابحا فى ظلمائه ، والفجر فى استحيائه ما يزال .

أسرع الصبي السير يريد ان يلحق بالباص الأول فى منطلقه الصباحي الباكر . يبيع فى الباص عشرين كعكة ، واما فى ساعات الضحى ، فيزداد مبيعه : تكون الاجواف قد خوت جوعا !

وتبدت الساحة غارقة فى صمتها .

كانت براعم الفجر قد اخذت تتفتق ، فبدت فى ظله الساحة هادئة ساكنة ، الا من بعض المارة تلفظهم الشوارع الفرعية، فيسيرون الهوينا نافضين عن اعينهم بقايا وسن الليل .

وفى طرف من الساحة هناك ، كانت مقدمة الباص قد برزت من فم الكراج اعلانا عن العزم على المسير ، وارتفع صوت الرجل مناديا بقرب السفر . واتخذ بعض الركاب اماكنهم داخل الباص . ووقف امام شباك التذاكر فلاح ، وبنت له صبية تتثاءب وترتعش من برودة الصباح ، يليها اثنان من ابناء المدينة ، يحمل احدهما بقچة ويتابط الآخر ثنتين من المكانس البلدية ، والى وراء ، وقف افندي شاب ينتظر مللولا ان يأتيه الدور فى قطع تذكرته ، ليتخذ مجلسه فى الباص التماسا للدفء والراحة ، او لعله يروم التوجه الى حانوت الحلواني المقابل ، ليتناول فطوره الصباحي على الواقف : صحن سحلب و ..كعكة بالسمسم !

ولمح احد الركاب البائع الصغير يدخل الكراج .

فناداه من شباك الباص . فصعد الصبي متوثبا من نشاط يملأ نفسه مع هذا اليوم الطالع . صاح وعيناه تتنقلان بين الوجوه :

ـ كعكات بسمسم .. نعم ..

واشترى منه عدد من الركاب كعكا ، واخذوا يمضغونه ، حتى ليسمع حسيس المضغ في انفراج الشفاه . وصعد الى الباص الصاحبان ، بحمليهما من بقجة ومكانس . وقال ذو البقجة ينادي الصبي بلهجة جافية هي من طبعه الأصيل :

ـ صغير .. تعال .. قرب !

فدنا اليه الصبي عارضا عليه سبته . فجس ذو الكنستين واحدة من الكعك وهو يقول سائلا :

ـ كعكاتك طازجة ؟

اجاب الصبي :

ـ طلعت الآن من الفرن .

فقال ذو اللهجة الجافية :

ـ ولو . يعني اذا طلعت من الفرن ، تكون طازجة ؟ في العادة ، تسخنون البايت وتقدمونه الينا في الصباح . انت نفسك بعتني كمكتين من هذا النوع !

قال الصبي في انكار :

ـ انا ؟ انا ؟!

ـ انت ، نعم ، انت ! وهل غيرك يبيع هنا ؟ (وتلفت حواليه) كان ذلك من شهر وانا مسافر من هذا الكراج !

فاشرقت اذ ذاك سحنة الصغير ، وتنفس الصعداء ، وقال معلنا براءته :

ـ الذي غشك غيري ؟ يا عمي .. انا هنا منذ اسبوع واحد ، والله العظيم . اسأل .

قال الشاري عندئذ في مصالحة :

ـ اذن فانت ولد طيب لا تغش .. هات اربع كعكات ، هات !

امتلأت مقاعد الباص بالركاب حتى الكظة . وتحركت الأفواه تمضغ الكعك الذي وزعه عليهم البائع الصغير بهمة لا تعرف الكلال . وهدر المحرك . وصاح الصائح بالمسير . وشيع الصبي الباص حتى المنحنى ، ليعود الى الباص الآخر .. وقد اطل يطلب ركابا جددا .

ومع مضي ساعات الصباح الأولى ، كان السَّبَت الكبير قد ودع معظم ما احتواه في الفجر الباكر . وكان جيب صاحبه ، قد ثقل بما أودع فيه من قطع النقد المختلفة الأشكال . كان يملأ عليه نفسه احساسه الظافر بالربح الكبير . أية حياة جديدة رائعة كتب له أن يحياها ! أرباح لا يدركها العد ، يقتطفها من سماء الرزق ، كما تقتطف العين نجوم السماء في لمح البصر .

وطافت بذهنه صورة الفتى الغريم الذي كان يستولي على هذا الرزق كله طوال خمس سنوات . يا لهذه السنين من عمر كبير ! ماذا تراه صنع بأرباحها ؟ ابتنى عمارة ، أم سيّر تجارة ؟

واحس بالانقباض .

اذا هو عاد الفتى ، فسيكون بينهما خلاف شديد وشجار . سيصمد له . لن ينثني ، أويهن عزما ، أو يخلف له الرزق ويمضي . الرزق لهما معا ... كذلك لقنه أبوه .

ـ كعكات .. كعكات بسمسم !

وهربت من ذهنه الخواطر .

صعد الى باص جديد ، ونادى على كعكاته ملتذا ، محبا للحياة ، سعيدا . ثم ودع الباص في المنحنى ، ليستقبل سواه ... وسواه ...

وعلى حين غرة تراءى له وجه الفتى .. غريمه اللئيم ، مقبلا ، وبين يديه سبته !

بوغت للوهلة الاولى . واحس وكان يدا تمتد الى داخل صدره وتعتصر قلبه اعتصارا ، حتى ليكاد يقف عن الوجيب . ولكنه سرعان ما استرد انفاسه ، ودفع عن نفسه الجمود ، وفتح فاه ينادي على بضاعته كأنما هو يمتحن بذلك قوة نفسه :

ـ كعكات ..

ودنا اليه الفتى . كان عابس النظرة ، غاضب السحنة ، يظلل وجهه شحوب يشي بمرض طال عليه . ولم يتكلم في اقباله ، وانما أمعن النظر العابس في وجه غريمه الصغير .. لكأنه يريد أن يفترسه !

ـ درجت في الكراج على كيفك !

وصل صوته الى سمع الصبي خشنا محشرجا . بماذا يرد عليه ؟ لقد لقنه أبوه :

ـ نستطيع أن نبيع في الكراج نحن الاثنان .

صرف الفتى باسنانه في غيظ ، حتى لقد برزت مع الصريف عظام الفكين في وجهه الشاحب المعروق . وبدت عيناه من كثب كذبالتين توشكان على الانطفاء ، مصوبتين الى السبت الكبير بين يدي

الصبي ، ولم يكن قد بقي فيه من الكعك سوى بضع عشرة في قعره . وهمهم في صوت اقرب الى الهمس :

ــ وسعت سبتك !!

وحانت من الصغير التفاتة الى سبت الفتى . فراى قلة ما فيه من كعك . قال يرد دون ان يلتجىء الى السكوت :

ــ ولم لا ؟

ازداد الفتى منه اقترابا ، حتى لقد غدا فوقه وهو يسدد اليه من عل نظرات الشر .

ــ كم ربحت في غيبتي ؟

راى الصغير في هذا السؤال تطاولا اكثر من المنتظر . ايرمي الى مشاركته الربح ؟ خسىء ! اجاب في جراة :

ــ اقل بكثير مما ربحت انت في هذا الكراج !

قال الفتى مستثارا :

ــ تسألني عن ربحي يا .. قزم ؟!

اغفى الصغير عن الاهانة ، وقال :

ــ بل انت الذي تسأل !

صرخ الفتى في ضراوة :

ــ اخرج « المصارى » التي معك !

قال الصبي متمردا :

ــ لماذا ؟ لن اخرجها ! هل انا أجير عندك حتى تحاسبني ؟

ــ اخرج المصارى !

ــ لا اخرجها ولو مت !

ــ اخرج المصارى .. أو اطلع من الكراج !

ــ الكراج ليس ملكك !

ــ اطلع من الكراج ، واياك ان تعود !

ــ الكراج لك ولي ، نبيع فيه سويا .

صرخ الفتى في عصبية :

ــ اطلع ، اطلع ، واذا عدت كسرت رأسك !

قال الصبي غير متخاذل :

ــ له ؟ ما تظن نفسك ؟ (ووضع سبته على الأرض) هيا اكسر راسي ان كنت تقدر !

فرمى الفتى ، هو الآخر ، بسبته الى الأرض . ومشى الى الصبي متحفزا ، وقد اتقدتا في محجريه النباتان المنطفئتان بالعزم على العدوان . وامسك برقبة الصغير بيسراه ، يشدها اليه ويقول :

ــ ان لم تغادر المكان ، موتتك من الضرب !

وبرقت في خاطر الصبي قولة ابيه : « ان اعتدى عليك فاضربه ! » . قال في شجاعة :

ــ والله ، ان تضربني ضربة أضربك اثنتين !

وما كاد ينطلق هذا التحذير ، حتى كانت قبضة الفتى قد استقرت على وجهه دون هوادة . ففاجاته الضربة واوجعته معا . فما كان منه الا ان دفع بقدمه نحو غريمه في رفسة صغيرة على ركبته . فثنى هذا بلكمة ثانية أشد ، فتلقاها منه على انفه مذهولا ، دون ان يقوى على رد العدوان . ثم ... احس بسائل حار يجرى فوق شفته العليا وينحدر الى خده . فانحنى يعالج امره . فابصر بالسبت جنب قدمه ... واذا الدم النازف من انفه يتساقط على ما تبقى في السبت من كعكات ، فيلونها بالأحمر القاني !

تقدم الفتى من جديد . فصاح الصغير عاليا من ذعر :

ــ ارجع عني !

راغبا ان يسمع مَنْ في الكراج صياحه . ولكن هدير الباص في تحركه ابتلع الصرخة دون ان يحس بها احد .

وتراجع الى الوراء ، غير مبال بما ارتسم على وجهه وعنقه من خيوط لزجة . والفتى يتقدم بازائه خطوة خطوة ... الى ان فتح فمه يقول صارفا على أسنانه من غل :

ــ سلبتني رزق أسبوع قضيته انا في المرض .. ثم تأبى الا ان تنازعني بقية رزقي !!

كان يبدو على الفتى انه انقلب الى مجنون زائغ النظرات مستثار الحقد . قرأ الصبي في عينيه ذلك ، فاطلق صرخته المذعورة :

ــ ابعد عني ، أقول لك .. ابعد عني !

الباص ما يزال في هديره .

والصبي ، في تراجعه ، قد غدا في صدر الكراج بعيدا عن الناس .

وايقن بالهلكة ، عندما ارتفعت قبضة الفتى تسدد اليه الضربات المتلاحقة ، وهو لا يستطيع ان يبدى من المقاومة سوى الصرخات الذاهبات بددا .

آن له في تراجعه ان يصطدم ظهره بالحائط .

عندها هبطت عليه القبضة الغبية البلهاء ، فارتطم منها رأسه بالحائط ، ثم ارتطم ثانية ، وثالثة ... حتى أحس بالخور ، فانقطعت صرخاته ، وارتفعت منه ، بحركة مستميتة ، يد الى صدره ، ويد الى الراس حيث الألم الكبير ، ودار على عقبيه نصف دورة ، ولم تحمله قدماه ، فخر جاثيا على ركبته . ثم ... هوى الى الأرض فاقد الحراك .

. . . .

وانحنى رجل ، وسط حلقة من الناس ، يرفع الوجـه الصغير الدامى الى أعـلى ... فيبدو للناظرين أشبه بوجه ملاك ، وقد تحدرت على العنق الخيوط اللزجة الحمراء ، والعينان نصف مغمضتين ، ويد على الرأس وأخرى على الصدر ما تزالان .

واحس الرجل باللزج الحار يلامس كفه التي توسد الرأس الصغير ، فاداره وتفحص ، ثم صرخ فى جزع :

ـ دم دم ! جرح كبير ينزف .. اطلبوا الاسعاف!

وارتفعت الهمهمات . وملأ الأحداق دهش وحزن واشفاق . على حين سمع احدهم ، من الصفوف الخلفية ، يتحدث من حوله ويقول :

ـ رأيتهما يتشاجران . نعم ، رأيتهما عن بعد . انهما بائعا كعك ، صغير وكبير . ولكنى ما حسبت ان الأمر بينهما بالغ هذا الحد . رأيت هذا الصغير يسقط على الأرض ، حين ترك الكبير الكراج وفر هاربا . ما حسبت الأمر بالغا هذا الحد . اذا شاهدته عرفته : طويل ، نحيل ، زائغ النظرات ، يبدو عليه الجنون ...

واقترب بعضهم من السبت الكبير الملقى ، حيث الكعكات الباقيات ... مغمسة فى الدماء !

. . . .

البائع الصغير غائب عن وعيه لا يحس ألما . الصور تنثال فى خاطره حلوة تبعث النشوة :

النجوم فى السماء لا تحصى .

فتلك نجمة كبيرة ذات ألق .

سقطت عليه النجمة ، فانفتحت عن هالة من نور ، وضمته اليها فى حنان ....

والنجوم ؟

كانت النجوم ، فى فجر اليوم التالى ، تتساءل عن ذلك الصبى الذى كان يطيل اليهن التحديق دون ملال .

قالت نجمة تحدث أختها :

ـ كنت أرقبه وهو يحاول أن يحصينا عدا فلا يستطيع .

قالت الأخرى :

ـ ماكان ليعلم ان النجوم لا تحصى !

قالت الأولى فى محبة :

ـ لقد ازمعت أن أعطيه العدد غير منقوص .. متى أقبل ليل غد !

وهنالك قرب الأفق ، كانت نجمة صامتة حزينة ممعنة فى حزنها ... انها ، وحدها بين النجوم ، التى تعلم ان أحدا لن يلتقى بالصبى بعد اليوم ... ذلك انها هى التى تراءت له هالة من نور حين كان يودع عهده بالنجوم ، والبيع ، والحياة جميعا !

حلب ـ **فاضل السباعى**

طبيب الأسرة

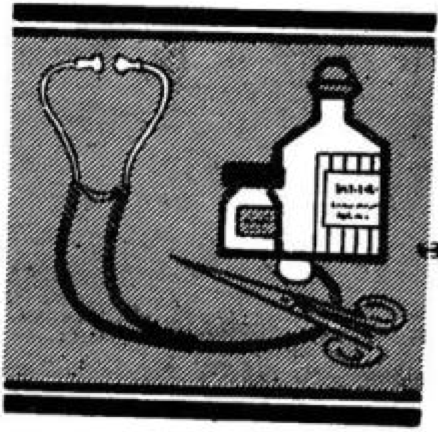

الحقنة الشرجية تهيج الأمعاء

● أنا أشكو من الامساك منذ مدة طويلة . فأيهما ترى أنه أفضل ، أن آخذ مسهلا ، أو أن استخدم الحقنة الشرجية ؟

ـ لا هذه ولا تلك . يجب عليك أولا أن تترك ما يهيج الأمعاء . ان الأشياء التى لا تهيج الامعاء هى الهلاميات والصمغيات والسليولوز وزيت البرافين ، ثم الجمع بين عسل النحل والكبريت .

والأساس فى علاج الامساك هو استرداد العادات الطبيعية التى فقدها الجسم .

فمن ذلك الذهاب الى بيت الخلاء فى ساعات من النهار معلومة ، فى الصباح من بعد افطار ، وفى المساء من بعد عشاء . واذهب ولو لم تحس بالحاجة . ستأتى الحاجة مع الصبر ، وسيتعود الجسم العادة التى فقد .

واشرب كوب ماء عند اليقظة فى الصباح . هذه ستحرك الامعاء .

والرياضة البدنية التى تقوى عضلات البطن لا شك مفيدة ، فضعف هذه العضلات قد يكون سببا جوهريا فى الامساك عند بعض الناس .

والتدليك نافع . ويكون فى الجهة اليسرى من البطن ، ويبدأ من أسفل الى أعلى .

والطعام يكون فيه الكثير من الخضار ، والكثير من الفاكهة ، وعلى الأخص القراصيا (البرقوق الناشف) والتين الجاف والعنب . ومن النفع تقليل كمية الخبز من الدقيق الأبيض الخالص البياض ، واحلال الخبز الأسمر ذى السن محله .

الدش البارد والدافىء أيهما خير ؟

● بعض الناس ينصحنى بأن آخذ دشا باردا كل يوم ، وآخرون ينصحون بالدش الدافىء ، فأى النصيحتين فى رأيكم أصوب ؟

ـ ان الدش بالماء البارد منشط ، والدش بالماء الدافىء مسكن . ولكن كثير من الناس لا يستطيعون احتمال الدش البارد ، لحساسية شديدة،أو التهاب فى الكبد، أو اصابة بالروماتزم. والواجب اذن قصره على الشباب ، وكل شخص آخر ذى صحة كاملة .

اخوة ، ولكن اختلفوا فيما ورثوه

● عندى أولاد أربعة ، أكلهم واحد ، ملابسهم واحدة ، عاداتهم واحدة ، وينامون فى حجرتين متشابهتين . ولكن اثنان منهم يصيبهما البرد بسرعة . وهما أضعف جسما ، وأقل نشاطا . فكيف يصح هذا ، والوالد واحد

والأم واحدة . والابوان في صحة وقوة جيدة .

ـ هذه يا سيدة أحجية من احاجي الحياة . على ان علماء الحياة والوراثة يفسرون هذا بأن الابن ليس ولد ابيه وامه وحدهما . فالأبناء ، من حيث وراثة الجسم ، يأخذون من الأب ، ويأخذون من الأم . وقد يأخذون من الاب اكثر مما يأخذون من الأم . والعكس صحيح . وفوق الابوين يوجد الأجداد الاربعة . وهم يأخذون منهم ايضا شيئا من الميراث .

وسبيل ذلك « الجينات » ، أو أصول الوراثة ، تلك التي توجد في بيضة المرأة ، وفي الحيوان المنوي للرجل . ان بهما خلاصة توريث الأجداد .

المسألة كما ترين معقدة . فتقبلي الحياة كما هي ، وافعلي واجبك ، فقوي الضعيف واحميه من اسواء الجو وغير الجو . هذا كل ما تستطيعين ان تفعليه .

الصلع مرة اخرى

● هل هناك علاج لسقوط الشعر .لقد اخبرني صديق أن طبيبا عالجه بالكرتيزون وأن شعره نما بعد ذلك .

ـ لو أننا عرفنا علاجا للصلع مابقي احد في الدنيا اصلع . وما دمت ترى في الدنيا رجالا صلعا فاعلم انه لم يكن هناك علاج للصلع بعد ، والا لتهافت عليه الناس . وعلاج جديد للصلع لا يمكن أن يبقى خافيا . أما الكرتيزون فاحيانا يسبب نمو الشعر ، ولكن لهذا العقار افعالا أخرى ذات خطر على الجسم .

الألقحة ، يُخلط بعضها ببعض

● كان ولدي يحتاج الى لقاح واق من مرض ، فلما فرغ منه الطبيب بالمستشفى علمت أنه اعطى له لقاحين لمرضين معا ، بدل لقاح واحد ، فهل هذا يجوز ؟

ـ نعم يجوز احيانا . مثال ذلك اللقاح المثلث الذي يجمع بين لقاح التيفود ولقاح الباراتيفود (الف وباء) . وهذا اللقاح يُعطى للجيوش ، ويُفرض فرضا ، ويُعطى عند الوباء للاشخاص المعرضين له .

وقد يضم هذا اللقاح المثلث الى اللقاح المضاد للدفتريا واللقاح المضاد للتتنوس ، وعندهم يعرف اختصارا بالحروف D.T.T.A.B ، وهي الحروف الأولى لهذه الأمراض .

السكر ، لا الصابون في الحمــام

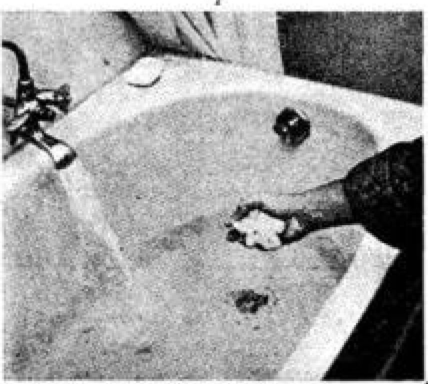

● اقترب الصيف ، واقترب معه حبي للاستحمام في البحر .ولكن ماء البحر يجفف جلدي ويكاد يفقده ، فأي أنواع الصوابين او الأملاح استخدمها من بعد حمام البحر .

ـ لا الصوابين ولا الاملاح تستخدمينها . انما السكر . نعم السكر . تملئين حوض الحمام الى نصفه ، ثم تضعين فيه عشر قطع من السكر واصبري حتى تذوب فيه ، ثم تصبي وجسمك مغمور بالماء ، ثم استخدمي الدش على الفور ، تخرجين من بعد ذلك بجلد لطيف ناعم .

ذات مبيض واحد

● انا شابة . وقد جرى لى فى صباى ، وانا بنت ١٥ سنة ، ما اضطر الطبيب ان يزيل احد المبيضين اللذين لى . وانا الآن متزوجة . والصديقات يقلن لى ان مبيضى الواحد الباقى سوف يكون من نتيجته أن احتمال أن يكون لى أبناء قد صار النصف . وانه اذا حدث انى ولدت ، فسيكون الذين انتجهم اما اناثا كلهم ، او ذكورا كلهم .

ـ لا تسمعى لصديقاتك ، ان احتمال ولادتك والخلف لا يقل ، لأن المبيض الباقى به من البويضات ، المنتظرة ان تنضج وتخرج عن المبيض لتلتقى بالحيوان المنوى للزوج ، الشيء الكثير جدا .

اما انتاج الذكر ، او انتاج الانثى ، فليس لأى امراة تبعة فى هذا . ان الحيوان المنوى للزوج هو الذى يحدد انكان النتاج ذكرا او انثى .

واذن أنت ستلدين ، وستلدين الأبناء والبنات على حد سواء .

أرقام ضغط الدم

● امتحننى الطبيب وكان من بعض نتائج امتحانه رقمان ١٢٠ و٨٠ ، قال انهما يمثلان ما عندى من ضغط . وكذلك فعلا فى حالة أخت لى . اعطاها رقمين . دائما رقمان . فما معناهما ؟

ـ الدم لا بد أن يجرى فى الجسم فى شرايين ، ويتوزع على أنسجة الجسم ، ثم هو يعود من حيث بدا فى أوردة . واذن لا بد من دافع له . وهذا الدافع هو القلب . انه كالمضخة يضخ الدم ليجرى فى الشرايين والأوردة . وهو يضغط الضغطة ثم يسكن ، ليعود الى الضغطة التى تلى ، وهلم جرا . وعند الضغط يُحَسُّ مقدار الضغط فى الشرايين ، وعندها يقاس . فاذا هدأ القلب فترة غاية فى القصر ، قل الضغط فى الشرايين . وهو فيها يقاس كذلك .

فالرقم الاكبر الذى سمعته من الطبيب يدل على اعلى ما وصل اليه ضغط الدم فى الشرايين ، والرقم الأصغر يدل على اوطأ ما وصل اليه ضغط الدم فى الشرايين عندما يرتاح القلب برهة. والضغط يقدر بطول عود من الزئبق ارتفاعه ١٢٠ مليمترا فى الرقم الكبير الذى ذكرته ، او ٨٠ مليمترا فى الرقم الاصغر .

هذا هو الجواب فى اجمال .

والفرق بين الضغطين قد يزيد وقد ينقص.وله دلائل على الصحة والمرض .

أنفاسه قليلة ضيقة

● لى قريب ، من عمله الوقوف طويلا أمام فرن يَنصهر فيه الحديد . وقد اخذ يشكو من صعوبة فى التنفس. والذى فهمته منه ان الهواء الساخن الذى يستنشقه قد أحدث تمددا دائما فى رئتيه ، وانه اصبح لا ينفع معه علاج ، وانما هو يأخذ اقراصا تخفف هذا الحال عنده .

ـ وصفك لهذه الحالة يؤدى الى احتمال ان قريبك مصاب بمرض Emphysema وهى حالة مرضية تتسع فيها الرئة اتساعا كبيرا ، وهى تفقد ما فيها من مرونة لتضيق ثم تتسع وتضيق ثم تتسع ، فتجر بذلك هواء الجو استنشاقا .

وليس لهذا المرض دواء معروف ، انما هى عقارات تلطف من حدته .

ان هذا المرض يصيب عادة الشخص الذى به التهاب فى الشعب مزمن ، والذى يعيش في جو مترب ، وصلة مرض قريبك بعمله امام الفرن فيها شك فليراجع طبيبه .

ماس صناعي لاول مرة !

● انتجت الولايات المتحدة لاول مرة ماسا صناعيا ، فى المختبرات،بلغت الماسة الواحدة منه قيراطا واحدا .

ثلاجة تحمل فى الجيب

● انها ثلاجة صغيرة ، أشبه شيء بزجاجة الترموس شكلا وحجما ، ولكن لا تحفظ الحرارة فقط ، وانما هى تبرد فعلا ، او تسخن . حائطها حائطان ، داخلي وخارجي ، وبين الحائطين ازواج حرارية كهربائية Thermocouples هى مصدر الطاقة التى تنزل بحرارة ما فى هذا الوعاء نحوا من ١٠ درجات مئوية ، اذا ما أريد تبريد . أما اذا أريد تسخين فهى ترتفع به نحوا من ٦٠ درجة . واذا قطع الانسان الدورة الكهربائية التىتحدث التبريد ، أو تلك التى تحدث التسخين ، بطل عمل الازواج الحرارية ويبقى الوعاء باردا أو ساخنا وفقا للحالة التى هو عليها ، وعندئذ هو يعمل عمل زجاجة الترموس .

السيارة الطائرة مرة أخرى ..

● أتم المهندسون انتاج السيارة التي يمكن قلبها فى ١٠ دقائق الى طائرة .وهىتسير على الارض حاملة اجنحتها ، فاذا اريد بها أنتكون طائرة ركبوا الجناحين فيها .

حزام النجاة فى السيارات !

● قامت لجنة ألفتها جامعة كورنل بفحص حوادث السيارات فى الولايات لعام ١٩٦٠ . وتوفرت على فحص ١٥٠٠٠ حادثة لذلك العام . وخرجت على أن سبب الموت الأكبر الذي يحدث انما هو انقذاف الركاب من السيارة عندما تتوقف السيارة بغتة ، ووافقت اللجنة من أجل ذلك على ضرورة استخدام حزام للنجاة ، يُربَط حول البطن فى السيارة ، فاذا توقفت السيارة بغتة فى حادث ، وتهشمت ، نال من فيها شيء من الحصانة بسبب ارتباطهم بداخل السيارة . وقدرت اللجنة كذلك أنه بذلك يمكن صيانة ٣٥٪ على الأقل من أرواح الضحايا ، ضحايا هذه الحوادث.

مادة تمنع الفيران من الدخول الى مخازن الطعام !

● انها مادة جديدة ، ابتدعتها شركة انجليزية اسمها شركة فلوريل Floryl وسمتها K—9 ، يعجز الانسان عن ادراكها بالشم ، ولكن لا تعجز عن ادراكها بالشم الحيوانات الثديية الأخرى . بل هي تكرهها أشد الكره . واذن يستطيع الانسان ان يصنع منها حاجزا يمنع به هذه الحيوانات ، من قط أو كلب أو نحوهما ، من الدخول الى المكان الذي تغزوه ، وذلك بوضع خيط سقى من هذه المادة حول مداخل الأمكنة ، أو برشها ، او بغير ذلك . وقد يحتال فيضع هذا الحاجز بحيث لا يرى . وبه قد يمنع الكلاب من الدخول الى احواض الزهر بالحديقة، ويمنع القطط من الدخول الى الصالون ، والفئران من الدخول الى مخازن الطعام .

استخدام الجمال فى العلاج .. !

● هكذا يرى الأطباء الصحيون بمدينة لندندرى بأرلندة . انهم يرون ان المصاب بعقله ، يلزم له ان يتمتع بكل مظاهر الجمال التى فى الدنيا . ومن ذلك المزينات للراس ، ومنمقات الاصابع . وهؤلاء للسيدات . والحلاقون والمدلكون للرجال . وهم يقولون ان المريض الذى تبدأ حاله بزوال الضجر من نفسه لما يلقى فى الدنيا ، مريض جاز نصف الطريق الى الشفاء .

رأى به بعض الصدق ، لا كله .

هالات للأرض

● اتضح ان أرضنا هذه ، تلفها هالة من الغاز النادر ، غاز الهليوم ، وهى طبقة سمكها نحو ١٦٠٠ كيلو متر ، وتقع على بعد من سطح الارض يقدر بنحو ١٠٠٠ كيلو متر .

والأرض تلفها كذلك هالة اخرى من الأشعة تحت الحمراء .

وطبقة ثلجية للقمر !

● .. وخبر آخر جديد ذلك أن القمر بسطحه طبقة من الجليد سمكها ٥٠٠ متر وهى مدفونة فى القمر على عمق ٣٠ مترا من سطحه !.

رحيق الحــب !!

وتسأل : ما للعلم والحب ؟

ونجيب : بأن العلم صار يؤمن بالأفعال الكيماوية أسـاسـا للنفسيات . وهذا مثل من ذلك :

قام العلماء بجمع ...ر...٥ أنثى من أنثيات الفراش العادى،« فراش الليل». ومن هذه استخلصوا « الرحيق » الذى تصنعه الأنثى لاغراء الذكر بالحب . وهم لم يستخلصوه فحسب ، بل خلقوه فى المختبرات كذلك . ثم جربوه فى الذكور .

فاذا بالمقدار القليل جدا منه ، الذى قد يبلغ جزءا واحدا من ستة ملايين جزء من الجرام ، هذا المقدار يعالج به الذكر ، فيفقد الذكر وعيه ، وتدور راسه بحميا الحب ، ويطلب الانثى اينما كانت .

حيلة الطبيعة لمواصلة الجنس ، حيث لا توجد العاطفة ولا يوجد الشعر ... ومن يدرى ؟!

أحسُّ أنف فى الدنيا

● انت قد تدخل الحجرة ، أو المطبخ ، فقد تشم رائحة الغاز المنطلق فيها ، فتجرى الى مصدره تستوثق من أن صنابير الفرن مثلا كلها مغلقة . ولكنك لا تحس به فى انفك الا اذا بلغ فى الهواء المقدار الكافى الذى يستيقظ له الأنف فيشم .

وقد صنعت شركة وستنجهوس الأمريكية جهازا الكترونيا يشم هذا الغاز ويدل عليه ، حتى اذا لم تبلغ نسبته فى الهواء غير جزء واحد من عشرة ملايين جزء من هذا الهواء !

العلم فى المتاحف

● اختلفت المتاحف العلمية فى الأمم فى القدر الذى تحفظــه مــن العينات والنماذج . فباريس تتميز بمتحفهـــا النباتى وبه ٦٢٠٠٠٠٠ عينة ،ومسكنها متحف باريس نفسه . ولندن تتميــز بمتحف الطيور ، وبه ١١٠٠٠٠٠ عينة محنطة . وللولايات المتحدة ارقامهـــا الكبيرة كذلك ، فيهـــا ٢٨٦٠٠٠ مـــن الحيوانات الثدية بمتحف وشنجطن ، و ١٧٠٤٠٠٠ من السمك و ٩٦٧٠٠٠٠ من الحيوانات الرخوة . ونعود الى فرنسا ،بلـد العـالم الحشرى فـابر Fabre (١٨٢٣ ـ ١٩١٥) ، فنقول ، ان بهـــا مجموعة من الحشر لا ينافسها فى مثلها بلد آخر ، فهى تتألف من نحو ٦٠مليون فرد حشرى،مدبسة فى مئات الألوف من الورق الكرتون ترقد رقدتها الأخيرة فى المتحف هناك .

ليت شعرى كم من العينات ، من مثل تلك الحيوانات والنباتات توجد فى الوطن العربى ؟!

يوجد غير قليل فى بعض اقطـــاره . وبالتقدم الذى نراه فى العلوم ستمتلىء المتاحف عما قريب .

الملح فى اللحم

● من الأمراض ما يضر به الملح فى الطعام . ومن أمثلة هذه الامراض امراض فى الكبد ، واخرى فى الكلى ، واخرى فى الشرايين. وقد راى الاتحاد العام لجزارى الخنازير بفرنســا أن يصنع للناس لحم خنزير خاليا من الملح . وقدَّروا ثمن الكيلو منه فوجدوا أنه يساوى ثمن الكيلــو الطبيعى ثلاث مرات .

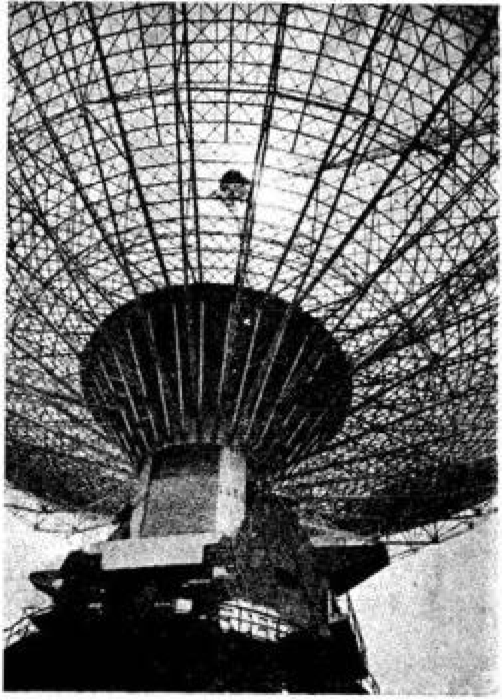

طبق هوائي عجيب

● اخذ الانسان منذ حين يتسمّع الى ما يخرج من نجوم السماء من موجات لاسلكية ، مجهولة الكنه ، غير واضحة الهدف والمعنى . وفى سبيل ذلك ظل الانسان يصنع الهوائي الكبير ، فالاكبر ، ليلتقط هذه الشارات رجاء أن تكون شارات مقصودة حقا . وجعل هذه الهوائيات اطباقا كبيرة لتكون أكثر التقاطا . وهذه صورة للهوائي الذى صنعته استراليا وقطره يبلغ نحوا من ٦٣ مترا .وهو يلتقط الشارات اللاسلكية التى تخرج من نجوم تبعد عنا بنحو ٥ آلاف مليون من السنوات الضوئية . والسنة الضوئية تبلغ نحو ٦ ملايين مليون ميل .

النمل يحتال والانسان أكثر حيلة !

● فى اقليم انتاريو ، بكندا ، تكثر المساكن المصنوعة من الخشب . ويوجد بهذه المنطقة نوع من النمل يخرب هذه المساكن تخريبا شديدا ، فهو كالنمل الأبيض الشهير فى الاجواء الاستوائية شراهة ، ذلك المعروف باسم الترميت Termites ومن طبيعة هذا النمل ان يخفى اعشاشه فى الأرض ، فلو رآها الانسان ، او لو وقع على مسكن الملكة ، ملكة النمل ،من هذه الأعشاش ،لاستطاع ان يوصّل اليها جميعا أسباب الهلاك .

لهذا احتال انسان عالم :

جاء بدود مما يأكل النمل ويستطيب، وغمسه فى محلول من اليود ، ذى اشعاع ذرى ، ووضعه فى طريق النمل . فأكل ثم اكل ، وبذلك صار النمل مشعًا . وهذا الاشعاع يمكن كشفه ولو اختفى تحت طبقة صلبة من الارض تبلغ السنتيمترات .

وكشف العالم بذلك عن مسكن النمل من الأرض ، واهلك ما فيها .

ملابس تحمي من الغرق

● انها ملابس صنعتها شركة فى بريطانيا ، عملها صناعة الملابس الجاهزة للاطفال . وهى ثياب يلبسها الصبى او تلبسها الصبية ، ويُرمَى به أو بها فى البحر ، فقد تغطس . ثم لا تلبث ان تطفو الى السطح . وجربوها فى فتاة ، عمرها ١٦ سنة ، ألبسوها اياها ، ثم قذفوا بها فى حمام السباحة ، وهى مكتوفة اليدين ، مكتوفة الساقين . واختفت فى الماء ، ثم ما لبثت أن طفت، باسمة الثغر ووجهها دائما الى اعلى. وصنعوا هذا بها مرارا وتكرارا ، والنتيجة واحدة .

الغلو فى الفيتامين يضر ؟

● هكذا وجد الدكتور موريس بمدينة كولمبس ، بأوهايو ، بالولايات المتحدة ، فى حالات من المرض ثلاثة ، كانت زيادة تعاطى فيتامين (أ) سببا لها.

والمسألة تتعلق بثلاثة اطفال،يتناولون طعاما عاديا معقولا . ثم ادخلوا عليه فيتامين (أ) بمقدار زائد. وكانت النتيجة وجع فى الرأس ، ووجع فى المفاصل . وبالفحص ظن الأطباء انه خراج فى الرأس، وذلك عندما لاحظوا سقوطا فى الشعر شديدا .

ثم أوقف اعطاء الفيتامين أ ، فعاد كل شىء الى مجراه الطبيعي .

البعوض الذكر ينقلب اناثا

● نعم ، يفعل هذا البعوض الصغير اذا تعرض لحر كبير .والسر؟ لم يتضح بعد . ولكن لعله يتصل بحرب البقاء التى تقوم بها الأحياء هربا من الفناء. فالانثى هى العامل الأول فى تكثير النسل .

بعد الترنسستور ..

● غزا الترنسست اجهزة الراديو ، فصغرها وادقها وارقها . واليوم يدخل الى الراديو غزو جديد ، يعفى أجهزته من الأنابيب والترنسستات ، والدورات الالكترونية . والجهاز الجديد يتألف من ست ورقات من مادة السلكون Silicone ، تلك التى تصنع من الرمل . انها « غزو الجزىء » الالكترونى للمواصلات اللاسلكية .

الشمس مصدر كهرباء دائمة فى سفن الفضاء

● فى السفر الى الكواكب لا بد للسفينة ورجالها من مصدر للطاقة دائم ، يدوم ما دام السفر الطويل . والكهرباء هى الطاقة المرجوة فى هذه الأسفار ، فهى تشغل الأدوات العلمية، وأجهزة الاذاعات اللاسلكية والتلفازية ، وحتى هي تدفىء المكان اذا اشتد البرد .

وليس هناك فى الفضاء مصدر يعتمد عليه فى الطاقة كالشمس. وبالشمس هنا نقصد حرارة الشمس . ومن حرارة الشمس تخرج الكهرباء مباشرة. والمهم الآن ليس كيف تحوّل حرارة الشمس الى كهرباء ، ولكن المهم هو الصورة المرفقة وهى صورة لمرآة مقعرة تركز اشعة الشمس ، والسفينة تجرى فى الفضاء ، لتحويل الاشعة المركزة بعد ذلك الى كهرباء .

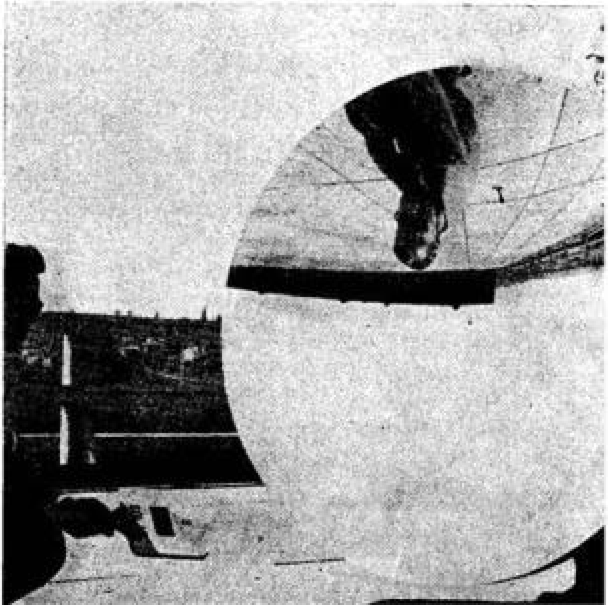

التعليم في ليبيا

تطوره من العهد الاستعماري الايطالي إلى عهد الاستقلال

بقلم : الدكتور نقولا زياده

هاجمت ايطالية ليبيا سنة ١٩١١ ، ولكنها احتاجت الى نحو عشرين سنة من القتال ـ مع هدنة ومفاوضات ـ حتى استطاعت أن تحتل البلاد بكاملها . وظلت ليبيا تئن تحت النير الايطالي الى مطلع عام ١٩٤٣ ، اذ جلت عنها الجيوش الايطالية نهائيا.وعندها عهد الى بريطانية بادارة منطقتي طرابلس وبرقة ، وعهد الى فرنسة بادارة فزان .

استقلال ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية

ولما وضعت الحرب أوزارها أخذت الدول المختلفة تحاول حل المشاكل المختلفة المتعلقة « بالممتلكات الايطالية » السابقة ، ومن بينها ليبيا. ولم تتفق الدول الكبرى على حل معين ، فالقيت القضية بكاملها في أحضان الأمم المتحدة ، التي أصدرت قرارها عام ١٩٤٩ بأن تصبح ليبيا دولة مستقلة ، وانه يجب أن يتم ذلك قبل سنة ١٩٥٢. وعندها انصرف المشتغلون بالشؤون العامة والمسئولون ورجال الأحزاب في ليبيا ، ومندوبو الأمم المتحدة ، ورجال الادارة من بريطانيين وفرنسيين ، في وضع هذا القرار موضع التنفيذ . فالجمعية الوطنية الليبية أخذت على عاتقها العمل على وضع الدستور الليبي ، مستعينة في ذلك بمنظمة الأمم المتحدة . والحكومة الليبية المؤقتة

عملت ، بالتعاون مع رجال الادارة البريطانيين والفرنسيين ، على نقل السلطات (وقد تلكأ الفرنسيون فى فزان بعض الوقت) وهكذا لما أعلنت ليبيا دولة ملكية اتحادية دستورية مستقلة فى ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥١ ، كانت السلطات الدستورية كاملة تحت اشراف جلالة الملك ادريس والحكومة الليبية ، وقد انضم اليهما فيما بعد مجلس الأمة لما تمت الانتخابات الاولى لمجلس النواب ، وعين أعضاء مجلس الشيوخ .

التعليم فى ليبيا قبل الاستقلال

حرى بنا ، قبل أن نتابع تطور التعليم فى ليبيا فى عهدها الاستقلالى ، أن نلقى نظرة عامة على ما سبق ذلك، فان هذا يساعدنا على تفهم الجهد الذى تبذله سلطات التربية فى ليبيا .

التعليم فى العهد الايطالى

ففى العهد الايطالى ، الذى يمكن اعتباره عهد تجهيل لا تعليم بالنسبة لأبناء ليبيا ، عرفت البلاد انواعا ثلاثة من المدارس ، الأول هى مدارس تحفيظ القرآن . ومنها ينتقل التلميذ الى أحد المعاهد الدينية مثل مدرسة أحمد باشا فى طرابلس او المعهد الاسمرى فى زليطن . هذا مع العلم بان الايطاليين كانوا قد قضوا على المعهد العلمي الديني الرئيسى فى الجغبوب .

والنوع الثانى من المدارس هو المدارس الابتدائية التى خصصت لأبناء البلاد،حيث كان التلميذ يقضى خمس سنوات يتلقى فيها اللغة العربية والدين ، وكانت مواد الدراسة الأخرى تدرس بالايطالية فى الصفوف المتقدمة . وكان بعض المتفوقين من تلاميذ هذه المدارس يلتحقون بالمدرسة الاسلامية العليا التى أنشئت سنة ١٩٣٦ .

وكان ثمة نوع ثالث من المدارس كان ايطاليا بحتا خاصا بأبناء الايطاليين ، وقد يتاح لقلة من أبناء البلاد دخول هذه المدارس . هذه المدارس كانت ابتدائية تليها ثانوية ، وكل ذلك ، بطبيعة الحال، باللغة الايطالية . الا أن العربية كانت تدرس فى المدارس الثانوية ولكن لمصلحة الطلاب الايطاليين لا الطلاب العرب .

ولم يتح الا لعدد محدود من الليبيين ان يتعلموا تعليما عاليا فى ايطالية ـ هذا باستثناء الذين هاجروا الى مصر وسورية وأتيحت لهم فرص اهتبلوها بحيث انهم عادوا الى البلاد بعد الاستقلال فكان بعضهم خيرا عليها وبركة .

وعند بدء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ كان فى برقة ٣١ مدرسة خاصة بالعرب فيها ٢٢٤٥ طالبا (منهم ١٥٠٠) طالبة .

التعليم فى الفترة ما بين الحكم الايطالى والاستقلال

وقد دامت الفترة الانتقالية ـ أى بين الحكم الايطالى والاستقلال ـ ثمانى سنوات (١٩٤٣ ـ ١٩٥١) . وفى هذه الفترة تم فى كل من منطقتى ـ طرابلس وبرقة فتح عدد من المدارس الابتدائية. ثم فتحت بعض المدارس الثانوية وحتى معاهد للمعلمين . فالمعلم الليبى حتى المعلم غير المدرب ، كان نادرا جدا . وقد اتيح لكاتب هذه المقالة ان يعمل فى ادارة المعارف ببرقة فى عام ١٩٤٩ . وكانت المشكلة الأولى التى تواجهنا المعلم . وقد كان ثمة حلول مؤقتة لكنها مفيدة ، منها العون الذى تقدمت به الحكومات العربية فى انتداب المعلمين أو السماح للمعلمين بالتعاقد المباشر مع الحكومة هناك . وقد كان عندنا فى برقة فى عام ١٩٤٩ بعثة مصرية يقارب أعضاؤها الستين عدا . وقد اقتبست المناهج وخطط الدراسة من مناهج الدول العربية وخططها ، وحتى الكتب المدرسية نفسها استعملت فى هذه المدارس .

المدارس الابتدائية فى برقة

ونحن عندما نعود الى سجلات ادارة التربية والتعليم نجد أن برقة كان فيها سنة ١٩٤٣ـ١٩٤٤ من المدارس الابتدائية سبع عشرة مدرسة ، فيها ١٥٠٠ تلميذ (منهم ٣٠ تلميذة) ، يقوم بالتدريس فيها خمسون مدرسا ومدرسة . فلما تسلمت الحكومة الليبية المعارف عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ كان عدد المدارس قد بلغ ٥٩ ، بطلاب عددهم ٨٩٠١ منهم ٧٠٠ من الطالبات ، ويقوم بالتدريس فى هذه المدارس ٢٣٠ مدرسا ومدرسة .

ومدرستان ثانويتان

وقد فتحت فى برقة مدرستان ثانويتان سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ (فى بنغازى ودرنة) كان فيهما ٤٢ طالبا ويدرس فيهما ٨ مدرسون ، بحيث أن احدى هاتين المدرستين اقفلت فى السنتين التاليتين واعيد فتحها سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ . وقد بلغ

طالب ليبى ، بثيابه القومية ـ الشال والشاشية ـ فى درس من دروس الرياضة .

عدد الطلاب فيها ١٩٨ طالبا (منهم ١٥ طالبة) ويدرس فيها ١٧ مدرسة ومدرسا .

ومدرسة معلمين ومدرسة زراعة

وقد كان ثمة معهد للمعلمين فى برقة بين سنتى ١٩٤٧ و ١٩٥٠ ، لكنه أغلق ولم يعد فتحه الا سنة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ وفتحت مدرسة متوسطة للزراعة سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ بسبعة عشر طالبا وثلاثة مدرسين .

المدارس الابتدائية فى طرابلس

وكان فى طرابلس سنة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ من المدارس الابتدائية ٥٢ مدرسة فيها ٤٩٨٤ طالبا (منهم ٣١٤ طالبة) و ١٥١ مدرسا ومدرسة ، فاصبح هذا العدد سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ من المدارس ١٣٤ فيها ٢٣١٨٨ تلميذا (منهم ٢٩٢٣ تلميذة) يقوم بتعليمهم ٦٩٤ من المدرسين والمدرسات .

ومدرستان ثانويتان

فى سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ افتتحت مدرستان ثانويتان احداهما فى مدينة طرابلس والثانية فى الزاوية (الغربية) وقد كان فيهما سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ (٩٢) طالبا وعشرة مدرسين الا ان عدد الطلاب بلغ ٤١٤ فى سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ يقوم على تدريسهم ٣٢ مدرسا ، أما عدد المدارس الثانوية فى تلك الفترة فلم يتغير (مدرستان) . ولم يبدا العمل بالتعليم الفنى فى طرابلس الا سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ وفى السنة نفسها فتحت دار المعلمات ومعهد المعلمين .

وفزان ، لا أثر للادارة الفرنسية فيها

ومما يلفت النظر أن الادارة الفرنسية لفزان لم تقم بأى عمل تجاه التعليم فى تلك المنطقة الواسعة وكل ما هو قائم بفزان اليوم انما هو نتيجة الجهود التى بذلت فى عهد الاستقلال .

التعليم بعد استقلال : كان موزعا بين الدولة الاتحادية والولايات

ولما اعلنت ليبيا دولة مستقلة كانت هيئاتها المسؤولة قد اختارت النظام الاتحادى أساسا لادارة البلاد ، المكونة من ولايات طرابلس وبرقة وفزان . وترتب على ذلك ان نواحي الحياة المتنوعة فى البلاد أصبحت تساس من زاويتين : الزاوية الاتحادية وزاوية الولاية . فاذا أخذنا قضايا التربية مثلا ، وجدنا أنها موضع اهتمام وزارة المعارف (الاتحادية) من حيث وضع برامجها ومناهجها السياسية العامة التى تسير عليها البلاد ، كما انها موضع اهتمام نظارة المعارف (فى كل ولاية) من حيث تطبيق النظم والمناهج والسياسة وادارة المدارس والتفتيش وما الى ذلك . فمجلس التعليم الأعلى مجلس اتحادى يمثل فيه كل ولاية ناظر المعارف فيها ، وقد عهد اليه قانون التعليم لسنة ١٩٥٢ بمهمة التخطيط ودراسة البحوث التى تقدم عادة من وزارة المعارف الاتحادية بالتعاون مع نظارات المعارف فى الولايات الثلاث . ولكن نظارة المعارف فيها لجنة تربية وتعليم دائمة . تقوم بدراسات وافية لأهم المشكلات التربوية وتعد بحوثا شاملة لأقوم السبل العلمية .

اقتبست ليبيا ، وخاصة ولايتى برقة وطرابلس، نظم التعليم المتبعة فى مصر منذ بدء اهتمامها بالتعليم . لذلك كان التعليم الابتدائى فيها مقسما اولا الى تعليم أولى ومدته سنتان ، وتعليم ابتدائى ومدته اربع سنوات . ويبدو ان هذا الأمر نجم عنه الكثير من عدم الربط والترابط بين سنى دراسة مرحلة واحدة من المفروض ان تكون مترابطة شكلا وموضوعا . وقد الغى هذا التقسيم وجعل التعليم الابتدائى وحدة متكاملة مدتها ست سنوات، بموجب قانون التعليم الابتدائى الصادر فى ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٦ .

وفى السنوات الأخيرة أخذت ليبيا بالتنظيم الذى اقترحته الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية والذى يرمى الى اعتبار التعليم الثانوى مرحلتين : الاولى تسمى الاعدادية ومدتها ثلاث سنوات ، والثانية تسمى الثانوية ومدتها ثلاث سنوات ، الاولى منها تعطى فيها ثقافة عامة لجميع الطلاب ، وتخصص السنتان الباقيتان لنوع من التوجيه العلمى أو الادبى .

لكل مدرسة ، مكتبة خاصة بها ، يجد فيها الطلبة

التعليم المهنى

على ان ليبيا لم تقتصر على التعليم العادى فيما فوق الابتدائى ، بل أخذت بانشاء مدارس مهنية ومعاهد للمعلمين والمعلمات محاولة بذلك الافادة من ميول الطلاب والطالبات وسد حاجاتها الى أهل التدريب والمعرفة العلمية المنظمة فى الزراعة والصناعة والتجارة . ففى ولاية برقة مثلا يوجد معهدان للمعلمين والمعلمات ومدرسة صناعية ومدرسة تجارية ومدرسة زراعية . يضاف الى ذلك مركز للتربية الاساسية . وفى ولاية طرابلس الغرب خمسة معاهد للمعلمين ومعهد للمعلمات ومدرسة تجارية وأخرى صناعية وثالثة زراعية ورابعة للاشغال اليدوية وثمة معهد للهندسة التطبيقية فيها كلها ٢٥٢٦ طالب (منهم ٣٥٤) طالبة . وفى فزان معهد للمعلمين فيه مئة طالب . والنية متجهة الى فتح مدرسة صناعية واخرى تجارية فى سبها.

وما دمنا بصدد التحدث عن المدارس المهنية والفنية ، فجدير بنا أن نذكر أن نظارة المعارف ، رغبة منها فى الحصول على أكبر عدد ممكن من المعلمين ، كانت تسمح للطلاب بالالتحاق بمعهد المعلمين بعد اتمام الدراسة الابتدائية . ولكن اعتبارا من السنة الدراسية الحالية أصبح الدخول الى بعض معاهد المعلمين للذين أتموا السنوات الاعدادية الثلاث . ومن هنا كان التفريق بين معاهد المعلمين العامة (النوع الاول) ومعاهد المعلمين الخاصة (النوع الثانى) . ومدة الدراسة فى معاهد المعلمين فى كل حالة اربع سنوات ومثل هذا يقال عن المدارس المهنية ـ زراعية كانت أم صناعية أم تجارية . فهى ايضا فى دور الترقية ،

والطالبات ما يحتاجون اليه من الكتب ووسائل الايضاح .

فثمة فى برقة مدارس تجارية وصناعية وزراعية متوسطة ، ومثلها مدارس راقية .

الخطى التى قطعتها البلاد فى نشر التعليم فى عهد استقلالها

والذى نخلص اليه من هذا العرض الموجز هو أن التعليم فى ليبيا اجتاز فى سنى الاستقلال الأولى تجارب معينة كان لا بد من اختبارها قبل أن يستقر على حال من الأحوال . والذى اشرنا اليه من حيث السنون والمدارس ، ينطبق على البرامج والمناهج . أما الآن فقد اصبح للمدارس الليبية مناهجها الخاصة المنتزعة من حاجة البلاد.

ومن المهم أن نلاحظ الخطى التى قطعتها البلاد فى سبيل نشر التعليم وتوسيعه .

(١) فقد كان فى برقة ٦٠ مدرسة ابتدائية سنة ١٩٥٢/١٩٥١ فارتفع العدد الى ٢١١ سنة ١٩٦١/١٩٦٠ . وكان عدد الطلاب فيها ٨٫٩٠١ فى المرحلة الاولى فارتفع الى ٥٦٢ر٠) فى المرحلة الثانية .

(٢) وكان فى برقة مدرستان ثانويتان سنة ١٩٥٢/١٩٥١ فيهما ١٩٨ طالبا فأصبح عدد المدارس ٢٣ سنة ١٩٦١/١٩٦٠ فيها ٣٨٩٢طالبا.

(٣) وكان فى طرابلس سنة ١٩٥٢/١٩٥١ من المدارس الابتدائية ١٣٤ مدرسة فيها ٢٣١٨٨ طالبا فاصبح العدد ٢٨٩ سنة ١٩٦٠سنة ١٩٦١/١٩٦٠ فيها ٧٢٩٧٦ طالبا .

(٤) وارتفع عدد المدارس الثانوية فى ولاية طرابلس من مدرستين ثانويتين سنة ١٩٥٢/١٩٥١ فيهما ٤١٤ طالبا الى ٦٢ مدرسةسنة ١٩٦١/١٩٦٠ فيها ٧١٤٥ طالبا .

(٥) وفى فزان ارتفع عدد المدارس الابتدائية من ١٧ فى سنة ١٩٥٣ الى ٦٣ مدرسة سنة ١٩٦١/١٩٦٠ وارتفع عدد الطلاب من ١٠٠١ ، الى ٦٧٩٣ فى الفترة نفسها . وانشئت مدرسة ثانوية فى سبها مؤخرا .

(٦) وارتفع عدد البنات فى المدارس الابتدائية من سنة ١٩٥٢/١٩٥١ الى سنة ١٩٦١/١٩٦٠ من ٣٦٢٢ الى ٢٢٧٧٢ . وفزان وحدها فيها أكثر من الف فتاة يتلقين التعليم الابتدائى فى مدارسها .

مركز التدريب الفني والكتابى

هذا المركز هو معهد حكومي للتدريب المهني ؛ وقد انشىء فى نهاية سنة ١٩٥٠ . وقد تلقى فى سنيه الأولى مساعدة فنية من اليونسكو بموجب برنامج الامم المتحدة الموسع للمساعدة الفنية . وفى سنة ١٩٥٣ تولت منظمة العمل الدولية وحدها مسئولية تقديم المساعدة الفنية للمركز ، بموجب البرنامج ذاته ، وما تزال تفعل ذلك حتى الآن .

ويقبل المركز الليبيين الشبان من الولايات الثلاث للالتحاق بدوراته بشرط أن يكونوا حائزين على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية التى تخولهم حق الانتساب الى الدورات النهارية الابتدائية الكاملة ، أو شهادة اتمام الدراسة الثانوية الاعدادية التى تخولهم حق الانتساب الى الدورات الكاملة من المستوى العالى . وقد التحق بهذا المركز متدربون من الولايات الثلاث :

وفى المركز قسمان رئيسيان : القسم الفني والقسم الكتابي .

والقسم الفني يعنى بالتدريب على مثل التجارة والميكانيكا والتلحيم والحدادة والسباكة وصيانة السيارات وكهرباء المنازل .

والقسم الكتابى يعنى بالمواضيع التجارية ومسك الدفاتر .

الجامعة الليبية

فى سنة ١٩٥٥ أنشئت الجامعة الليبية ، وهى الآن ذات ثلاث كليات ــ كلية الآداب والتربية وكلية الاقتصاد والتجارة وهما فى بنغازى وكلية العلوم وهى فى طرابلس . وقد افتتح ابتداء من العام الدراسي الحالي معهد خاص للهندسة التطبيقية (معهد تكنولوجى) فى مدينة طرابلس واصبح جزءا من الجامعة .

وكليتا الآداب والتجارة فى (بنغازى) يضمهما

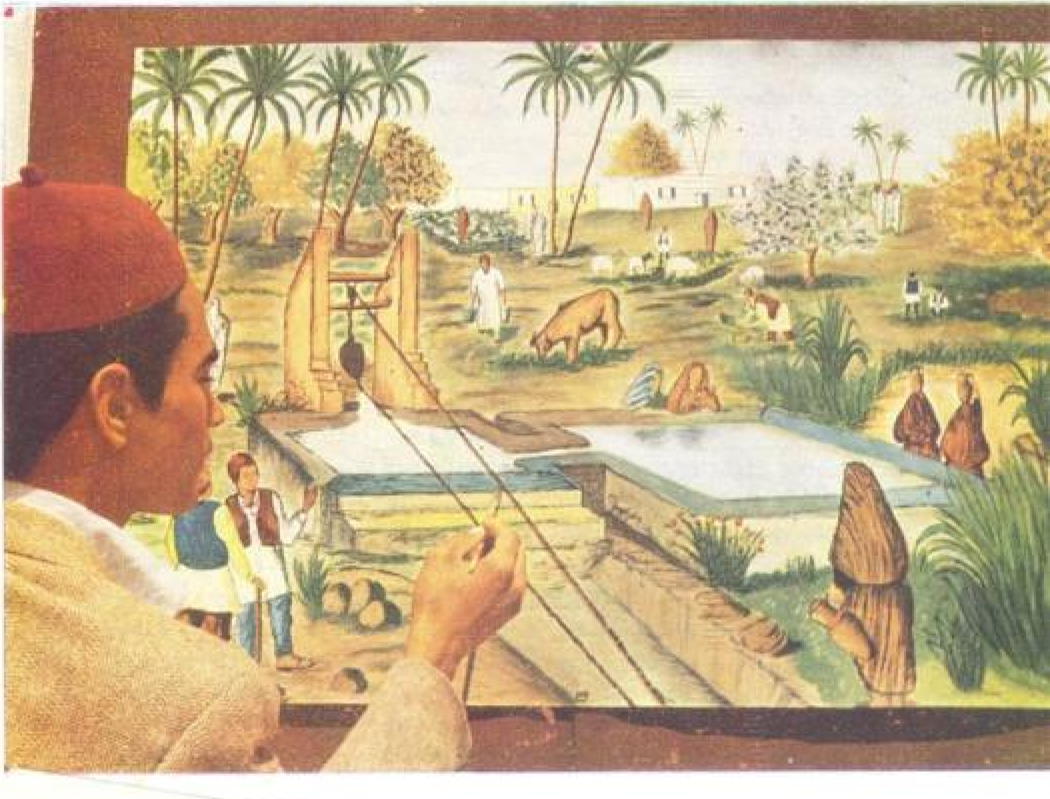

التعليم في المدارس الابتدائية مشترك ، حيث يدرس التلاميذ والتلميذات في فصل واحد .

تسير الفتاة الليبية في التعليم في مختلف مراحله ، مع الفتى الليبي جنبا الى جنب ، وقد ارتفع عدد الطالبات في السنوات العشر الأخيرة الى سبعة أضعاف ما كان قبل عهد الاستقلال

طالبات ليبيات ، يمثلن دول الجامعة العربية ، وقد التفت كل واحدة منهن في علم احدى دول الجامعة .

طالب ليبي ، من هواة الرسم ، أمام لوحة من انتاجه يجري عليها لمساته الأخيرة .

قصر المنار العامر الذي تبرع به جلالة الملك ادريس الاول ليكون مقرا للجامعة .

وعدد طلاب الجامعة كان في سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ سبعمائة طالب ، لكنه يبلغ الألف في العام الدراسي الحالي .

وتعتمد الجامعة على أساتذة جيء بهم من الخارج للتدريس في كلياتها المختلفة ، وهذا أمر طبيعي في بلد لم يتح له مستعمروه في العهد الإيطالي بان يتعلم ـ هذا ان لم يجهلوه . ولكن الاهتمام بارسال بعثات الى الخارج هو موضع اهتمام المسؤولين . ففي سنة ١٩٥٨ كان عدد طلاب البعثات الحكومية الذين يدرسون في الخارج :

البلد	العدد	البلد	العدد
مصر	١٩٤	اسبانيا	٢
العراق	٢٩	لبنان	٢
ايطاليا	١٧	فرنسا	١
بريطانيا	١٠	بلجيكا	١

المجموع : ٢٧٩

التعليم الديني في ولاية طرابلس مدارس قرآنية

والتعليم الديني ، على اختلاف درجاته ، موضع اهتمام المسؤولين في البلاد . ففي ولاية طرابلس الغرب يوجد «ما يزيد عن ٦٠٠ كتاب» أي مدرسة قرآنية ، منتشرة في جميع انحائها . ويتراوح عدد طلبة المدرسة الواحدة ما بين الخمسين والخمسمائة طالب . وتنقسم هذه المدارس الى ثلاثة اقسام :

المدارس القرآنية التقليدية وهي مخصصة لتعليم القرآن فقط .

والقسم الثاني وهي المدارس البارزة أي ماتسمى بالمعاهد الدينية الكبرى ، وهذه يدرس بها الى جانب القرآن الكريم مختلف المواد كمبادىء الدين واللغة .

والنوع الثالث ، وهي المدارس القرآنية النموذجية التي أسست أخيرا ، ويدرس بها الى جانب القرآن الكريم المبادىء الأولية في مختلف مواد الدراسة ، وقد بلغ عددها حتى الآن ست مدارس ، تضم كل مدرسة من اربعين الى ثمانين طالبا ، وبها معلمون ومباشرون ومشرفون يقومون بوظيفة التفتيش ، وهي منظمة كبقية المدارس الابتدائية النظامية . والمراقبة العامة للمدارس القرآنية جادة في تحويل عدد آخر من المدارس القرآنية في مختلف المراكز الى مدارس نموذجية قرآنية .

وتضم هذه المدارس في مجموعها ما لا يقل عن ثلاثين ألف طالب .

وفي سنة ١٩٥٣ أنشئت مدارس ابتدائية يدخلها الطلاب الذين حفظوا القرآن الكريم يقضون فيها أربع سنوات تظل فيها العلوم الدينية هي الأساس، لكن علوم اللغة العربية والحساب والجبر والهندسة مع مبادىء العلوم الأخرى تدرس فيها . وتوجد المدارس الابتدائية هذه في زليطن وطرابلس (جزء من مدرسة أحمد باشا) وسبها والبيضا وبنغازي ودرنه .

وينتقل الطالب الناجح في القسم الابتدائي الى مدرسة ثانوية حيث يتابع دراسته دينيا ولغويا وعلوما ـ طبيعة وكيمياء واحياء . وهذه المدارس الثانوية ضمت الى المعهد في مطلع سنة ١٩٥٦ . والمدارس الثانوية الآن موجودة في زليطن وطرابلس (مدرسة أحمد باشا) والبيضاء .

يعنى القسم الفني بمركز التدريب المهني بتدريب طلبته على النجارة والحدادة والميكانيكا والسباكة وغيرها

ولعل أهم خطوة في تنظيم التعليم الديني في ليبيا هي انشاء القسم العالي في المعهد بالبيضاء . ومدة الدراسة فيه أربع سنوات ونواحي التخصص فيه ثلاث : الشريعة واصول الدين واللغة العربية . وسيتخرج أول فوج منه في صيف ١٩٦٢ . وهو يضم ثمانية وستين طالبا ، وفيه ستة عشر استاذا كلهم أزهريون . وبين طلابه عشرة من الاردن واثنان من مالي وثلاثة من وسط افريقية واثنان من الصومال واربعة من الجزائر . وجميع الطلاب داخليون يعيشون في بيت جميل حديث في مدينة البيضا .

وهذا القسم العالي من المعهد ، ويشرف عليه الشيخ محمود جوان،هو الذى أصبح جامعة اعتبارا من ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦١ .

ويشرف على شؤون المعهد العلمية والادارية مجلسه الأعلى الذى يتألف من شيخ المعهد (الشيخ منصور محجوب) رئيسا ، ووكيل المعهد (الشيخ سليمان الزوبي) والمستشار القانوني للديوان الملكي ورئيس ادارة التشريع والقضايا بوزارة العدل وممثل لوزارة المعارف وممثل لوزارة المال ومدير الزوايا السنوسية واثنين من العلماء واثنين ممن لهم خبرة بشؤون التعليم .

ومنهاج الدروس في القسم العالي بشعبه وكلياته يمكن اجماله بما يلي : —

(١) يشترط لقبول الطالب في المعهد للحصول على الشهادة العالية أن يكون حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية من المعهد أو من الجامع الأزهر أو من معهد معادل لهما .

(٢) وفي السنة الأولى تكون الدراسة مشتركة بين كافة الشعب بحيث يدرس جميع الطلاب الفقه ومصطلح الحديث والتوحيد والأصول وعلوم اللغة والمنطق . ثم تتفرع الدراسة أو تتشعب . فشعبة أصول الدين يدرس طلابها ، للحصول على العالية، التوحيد والنحو والتفسير والحديث الشريف وعلومه والمنطق والأدب والبحث والأخلاق والفلسفة والأصول والفقه والتاريخ الاسلامي وعلم النفس وعلم الاجتماع .

(٣) وفي شعبة الشريعة يدرس الطلاب التفسير ، الحديث ، متنا ورجالا ، ومصطلحا ، أصول الفقه ، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب في المسائل الكلية ، النحو ، التشريع الاسلامي ، المنطق ، الفلسفة ، قوانين ولوائح المحاكم الشرعية ، الأوقاف ، التوثيقات الشرعية ، اجراءات وتمرينات قضائية ودراسة القضايا ذات المبادىء السياسية الشرعية ، القانون الدولي الخاص ، تاريخ القضاء ، والقضاء في الاسلام .

(٤) أما في شعبة اللغة العربية فتدرس المواد الآتية : —

النحو ، الصرف ، الوضع ، فقه اللغة ، الفقه ، الأصول ، الانشاء ، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) الآداب العربية وتاريخها ، الأدب المقارن ، العروض ، القافية ، التفسير ، الحديث ، المنطق ، الفلسفة ، المطالعة ، علم النفس ، أصول التربية ، الطرق العامة والتنظيم المدرسي ، تاريخ التربية ، التربية العلمية ، طرق التدريس الخاصة ، الأخلاق ، تدبير الصحة المدرسي ، الرسم ، تجويد الخط ، التربية البدنية .

وقد نص المرسوم الملكي المؤرخ في ٧ آذار (مارس) ١٩٥٩ على انشاء تخصص في كل من هذه الشعب ، مدة الدراسة فيها تتوقف على المادة والتخصص ولكنها لا تقل عن ثلاث سنوات ، وتنتهي بشهادة العالمية من درجة أستاذ .

ويشرف على شؤون القسم العالي من المعهد مجلسه المكون من شيخ القسم (رئيسا) وهو الشيخ محمد جوان ، ووليه ، وثلاثة من بين أساتذة القسم يعينهم المجلس الأعلى (للمعهد) سنويا .

وعدد المحاضرات هو أربع وعشرون ، والدراسة في الصباح ، وبذلك يتاح للطلاب القراءة في مكتبة المعهد التي هي في سبيل الانشاء .

واعتبارا من العام الدراسي الحالي سيعطى الطلاب دروسا في اللغة الانكليزية وللمدرسين والموظفين ايضا .

وتشرف الادارة العامة للمعهد على قسم الوعظ والارشاد الذى يتكون من ١٤٠ واعظا يقومون بتثقيف الناس وتعليمهم شؤون الدين ويتولون الوعظ والقاء الدروس عامة وفي رمضان خاصة .

■■

نقولا زيادة

فنجان من القهوة العربية تقدمه احدى فتيات دمشق الى اسعد باشا العظم ، والي دمشق أيام الاحتلال العثماني منذ ٢١٠ سنوات .. **والى اليسار**: فتيات اليوم يشاهدن عروس الأمس ، ويتأملن ملابسها وجهاز عرسها ..

قَصْر العَظْم

نواة طيبة لمتحف كبير!

■ هل تتكلم تماثيل الشمع في قصر العظم ؟

هذا هو ما تحاول مديرية السياحة السورية أن تجعله حقيقة واقعة .. وقد وضعت لذلك مشروعا يهدف الى اضاءة قاعات القصر التاريخي ومعروضاته بأنوار متماوجة ملونة ، تصحبها أنغام وصلوات مسجلة تروى قصة كل تمثال ، والتقاليد والعادات التي كان يحياها أهل سوريا في القرن التاسع عشر .

الا ان الفضول النسائى كان اسبق من رجال مديرية السياحة !. .اذ فوجىء رواد هذا المتحف ذات يوم ، بهجوم ناعم شنته مجموعة من فتيات سوريا فى القرن العشرين،على شقيقاتهن فتيات سوريا فى القرن التاسع عشر !

كان هدفهن واضحا .. كن يردن استجلاء ما خفى عليهن من التقاليد والعادات القديمة التى كانت تعيشها فتاة الأمس .

وكانت المقابلة الأولى مع عروس من القرن التاسع عشر ، كانت المقابلة ودية ، لم تتوان فيها العروس عن الدردشة رغم انشغالها ، قالت :

ـ اسمحوا لى أولا ان اقدم لكم زميلاتى اللواتى معى فى هذا «التابلوه» الذى يسمونه « جلوة العروسة » ..

هذه هى « الماشطة » .. ان شعرى الطويل الضفر فى حاجة الى عناية زائدة ،وخاصة اليوم ، انه يوم « دخلتى » الذى أتاهب فيه للزفاف .. اما زميلتى الثانية فهى « الخياطة » التى تساعدنى على وضع طرحة «التل» الطويلة فوق رأسى ، وعلى تسوية ثوب عرسى المصنوع من المخمل الاسود الجميل المحلى بالخيوط الذهبية .. انه طويل ويصل الى الأرض ، ولكن لا باس فانا لن اسير اليوم الا على السجاد ..

اما الصندوق الكبير المطعم بالصدف ، بجوار الخياطة .. ففيه أدوات زينتى وعطورى وحليى .

وزميلتى الثالثة هى عازفة العود التى تنقلنى بانغامها الحالمة الى عالم سحرى جميل ..

مالى اراكن تتهامسن وتبتسمن .. ما الخبر ؟ آه ... اظن أن هذا القبقاب العالى المطعم بالصدف ، هو السبب ! الكن لا تنتعلن مثله اليوم، اما نحن فالعروسة يجب أن تقف عليه حتى تعلو ..ويظهر جمالها للمدعوين فيشاهدها الجميع..».

سر استياء « الباشا » ...

وخرجت الفتيات من عند العروسة مهنئات مباركات ، واتجهن الى ركن يتصاعد منه صراخ وضجيج ... انه « الباشا مستاء ! » .. أو أسعد باشا العظم ، صاحب القصر ، يعنف وكيله لابس النظارات !

وارادت احدى الفتيات معرفة سر استياء « الباشا » فتقدمت اليه تسأله .. فسحب الباشا نفسا طويلا من أرجيلته الضخمة وقال لها :

ـ يا بنيتى انى مستاء من وكيلى ، لانه لم يقم بواجبه على الوجه الأكمل ، لقد ارسلته ليجمع الضرائب والنقود من الاهالى ، فقصر فيما وكلت اليه ..

وهنا أحست الفتيات بأن هذا الموضوع لا يخصهن ، فانسحبن بانتظام ، وهن يتهامسن معجبات بقطعة الفرو الصفراء التى تزين جاكتة « الباشا » ... !

أهل حوران والالوان

وعند باب غرفة تمثل الحياة فى منطقة حوران ، جنوبى سوريا ، قابلتهم صاحبة البيت قائلة بصوت منخفض :

ـ «المعذرة» لأن ابنى على وشك النوم ،وستتولى

بيت فى حوران

الوان فى كل ركن

« الباشا مستاء من وكيله »
هذه اللوحة الحية فى قصر العظم

كريمتي الترحيب بكن ..

وتقدمت فتاة حورانية تحمل على راسها لوحا من الخوص المضفر عليه قطع من المعجين وقالت :

ـ كنت استعد لخبز هذا العجين،ولكن أهلا بكن .. ان حياتنا بسيطة خالية من التعقيدات ، فغرفة واحدة تكفى أسرة .. ونحن نحب الألوان الزاهية فنضعها فى كل مكان على الحائط ، وعلى الأرض ، وحتى على فراش اخي الصغير .

وفى النهار نجمع المراتب التى ننام عليها بالليل ونضعها فى ركن من الغرفة حتى لا تزحم المكان ، فنستطيع ان نتجول بسهولة ونصنع القهوة على هذا « المنقل » الذى ترونه على الأرض .. هل لكن فى فنجان من القهوة ؟ .. الكن على عجلة .. اذن لا باس من دورة بالمبخرة قبل مغادرتكن دارنا .. » .

إلى اليمين : شبابة أسعد باشا لحيره عام ١٨٩٩ م - وكان مكونة من ثلاثة أقسام : السلاملك للرجال ، والحرملك للنساء وهو الذي وجد في تماثيل الشمع .. وفي الصورة العليا عبارة ذهبية في لعبة « الرجيش » القديمة التي تشبه « الداما » الحديثة ، بين بنات الأمس وبنات اليوم ودمشق

إلى اليسار : تجنب الدهشة والعجب على فتاة اليوم وهي تشاهد ملابس الفتاة الحورانية الموشاة بالنقوش والحلي والألوان الزاهية ، أما ملابس الفتاة الدرزية حاملة الإناء من الفخار فقد كانت شبيهة بما في تطريزها ما نسميه « الكردان » النحاسي الجميل الذي استوى انتباهنا !

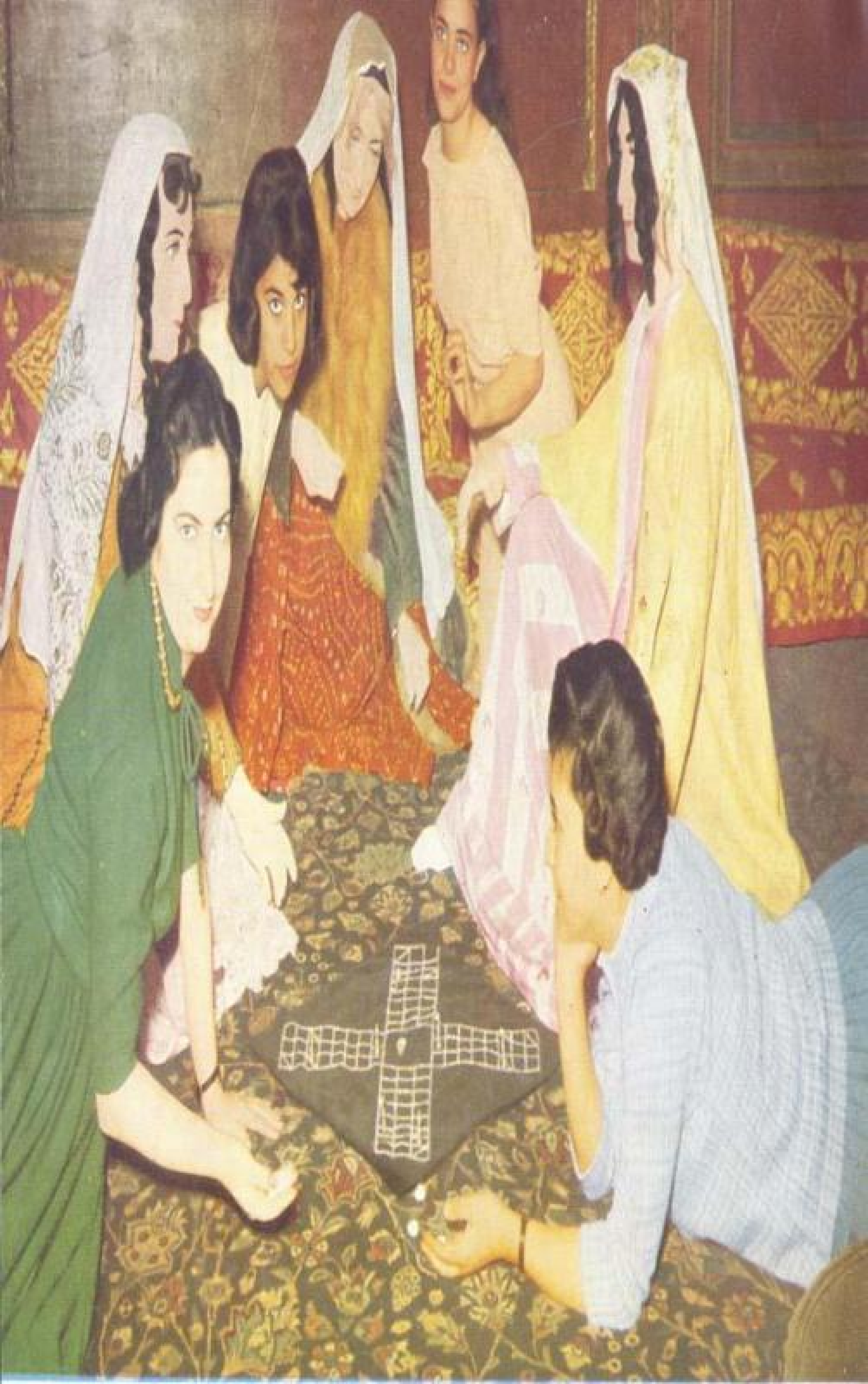

صاحب البيت أولا ...

ومن القاعة الحورانية اتجهت الفتيات الى المضافة الدرزية ، حيث رحب بهن صاحب الدار ،ودعاهن الى شرب فنجان من القهوة بعد مشاهدة طريقة صنعها على الفحم قال :

ـ في وسط الغرفة حامل نسميه « النقّرة » نضع فيه الفحم ، وعليه ثلاثة اباريق من النحاس متفاوتة الاحجام ، نصب فيها القهوة من الواحد الى الآخر .. نسيت ان اقول لكم اننا نسحق البن هنا ، في هذا « المهباج »المستدير، ويتولى احد اهل البيت دق البن بعصا كبيرة حتى يسحقه .. ويجب ان يكون هذا الشخص متدربا حتى تصدر من عملية الدق والسحق هذه انغام لطيفة تطرب اهل البيت ولا تزعجهم » .

وما كاد صاحب البيت ينتهي من كلامه حتى تقدم منه احد الخدم حاملا ابريقا ومجموعة من الفناجين ، وقدم لصاحب البيت الفنجان الاول ..

فتعجبت وامتعضت بعض الفتيات ، ولاحظ صاحب البيت استياءهن فقال :

ـ لِمَ امتعاضكن ؟ الانى شربت القهوة قبلكن ؟ .. ان عادتنا تقضي بان يشرب صاحب البيت اول فنجان ، ليثبت لمدعويه سلامة نيته ، وانه لا يضمر لهم شرا ..

فظهرت علامات الارتياح على وجوه الفتيات وهن يتقبلن فناجين القهوة من يد الساقي شاكرات .

محمل وكسوة

وبعد شرب القهوة اتجهت الفتيات الى قاعة مجاورة استقبلهن فيها أسعد باشا العظم ، مرتديا ، في هذه المرة ، لباسا مختلفا ، انه لباس امير الحج الرسمي الموشي بالقصب .. لقد كان واقفا بجوار محمل نبوى شريف بالغ الروعة قال عنه الباشا :

ـ ان هذا المحمل هو آخر محمل خرج من دمشق الى الحج .. لقد كان المحمل يخرج سنويا من العاصمة السورية الى مكة المكرمة ، ولكن بعد ان تعطلت السكة الحديدية الموصلة بين دمشق والمدينة المنورة ، توقفنا عن ارسال المحمل وكسوته الجميلة التي ترون نموذجا منها على الحائط ، ما زال محتفظا برونقه رغم مرور عشرات السنين على صنعه ..

اراجوز .. وحكواتي .. وحمام !

وفى المقهى البلدى كان سرور الفتيات بالغا بمشاهدة الاراجوز ، والاستماع الى « الحكواتي » يروى قصصه الغريبة المسلية .. وشاركت الفتيات فرقة الطرب الشعبية فى اغانيهم والدق على الدربكة ..

ومن المقهى سرن الى « الحمام » وهو مثال للحمامات القديمة فى دمشق ، ويختلف هذا الحمام عن حمامات اليوم اختلافا كليا .. فعدد غرفه خمس غرف ، يمر فيها المستحم ، ويستريح على مقاصير خاصة .. والحكمة فى تعدد الغرف هى لتقريب درجات الحرارة .. اذ أن كل غرفة تختلف عن الأخرى ... بحيث ان المستحم بالماء الساخن فى الغرفة الأولى ، لن يشعر بأى تغيير عندما يخرج الى الجو الخارجى ، بفضل اختلاف تدرج حرارة الغرف الخمس !!

قصة الشجرات الست

وفى حديقة القصر جلست الفتيات حول نافورة المياه يستمعن الى محافظ قصر العظم يروى لهن قصة شجرات السرو الكبيرة المغروسة فى الحديقة :

ـ كان المغفور له اسعد باشا العظم ، والى دمشق وامير الحج وصاحب هذا القصر ، مدعوا للغداء عند احد وجهاء المدينة ، فوجد فى حديقة قصر الداعي اشجارا جميلة تسمى « سرو » اعجب بها «الباشا» كل الاعجاب . فطلب من صاحب البيت بعضا منها . فاجابه الوجيه : أطلب مني ابنى .. اعطه لك بدلا منها !

فتعجب الباشا ، وازداد شغفا بها .. ومرت

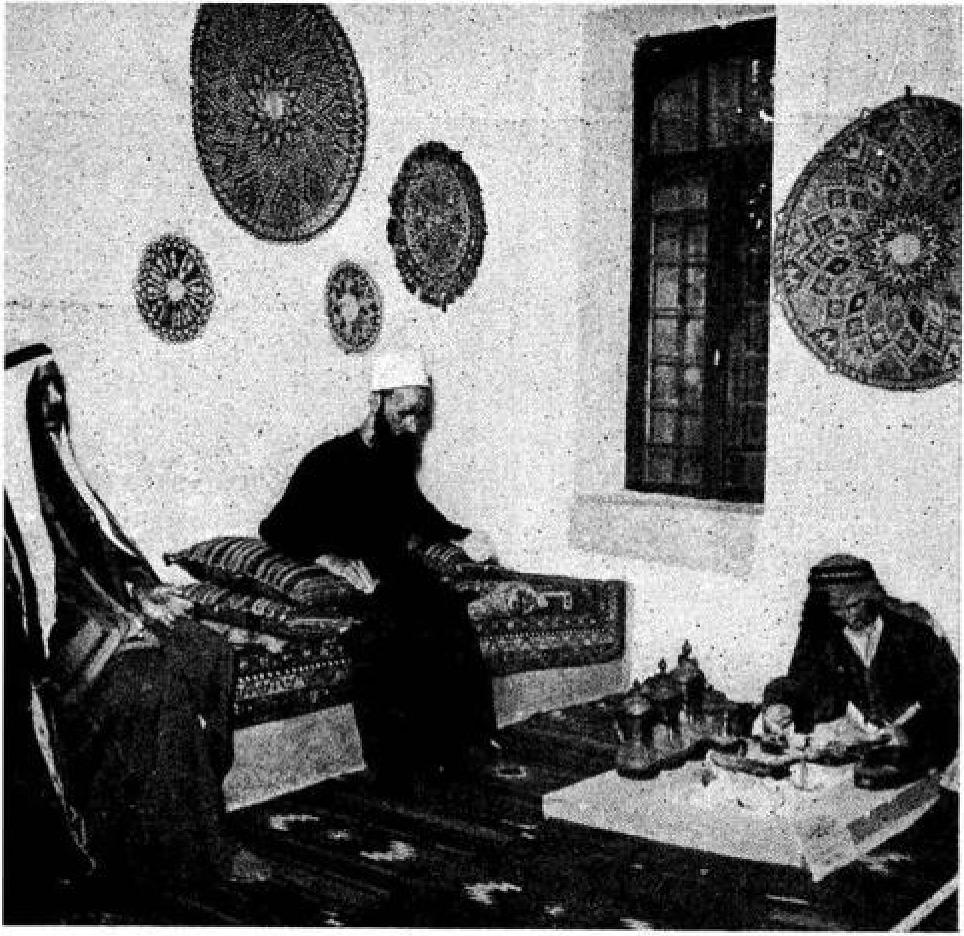

المضافة الدرزية

صاحب البيت ينتظر اعداد القهوة فى النقرة له ولضيفه

الأيام وتوسط رجال المدينة ، وفى صباح أحد الأيام أرسل الوجيه ست شجرات سرو للباشا الذى غرسها فى حديقة قصره ، وما زالت موجودة به حتى يومنا هذا .. وهى التى تشاهدنها أمامكن ..

توقف العمران فى دمشق لبناء قصر العظم !

واستطرد محافظ القصر حديثه بقوله :

ـ وقد شيد أسعد باشا هذا القصر عام ١٧٤٩م جاعلا منه تحفة من تحف فن العمارة الدمشقية . واستغرق البناء ثلاث سنوات ، جند خلالها «الباشا» مهرة الصناع والفنانين الدمشقيين ، «حتى أن العمران فى دمشق توقف ثلاث سنوات لانشغال الصناع فى بناء وزخرفة قصر العظم الذى بنى ليكون منزلا ومقرا للوالى» وقد استعملت فى بنائه احجار واعمدة من ابنية دمشق القديمة الأثرية ..

وظل القصر تابعا لورثة المرحوم العظم باشا حتى عام ١٩٢٠ عندما احتل الفرنسيون سوريا ، واشتروا قسما منه ، حولوه عام ١٩٢٢ الى معهد للدراسات ومكتبة ، واقام فيه المفوض السامى الفرنسى فهاجمه الاهالى ، فى أحدى انتفاضاتهم ، واحرقوا جزءا منه ..

وبعد الاستقلال ، وضعت الحكومة الوطنية

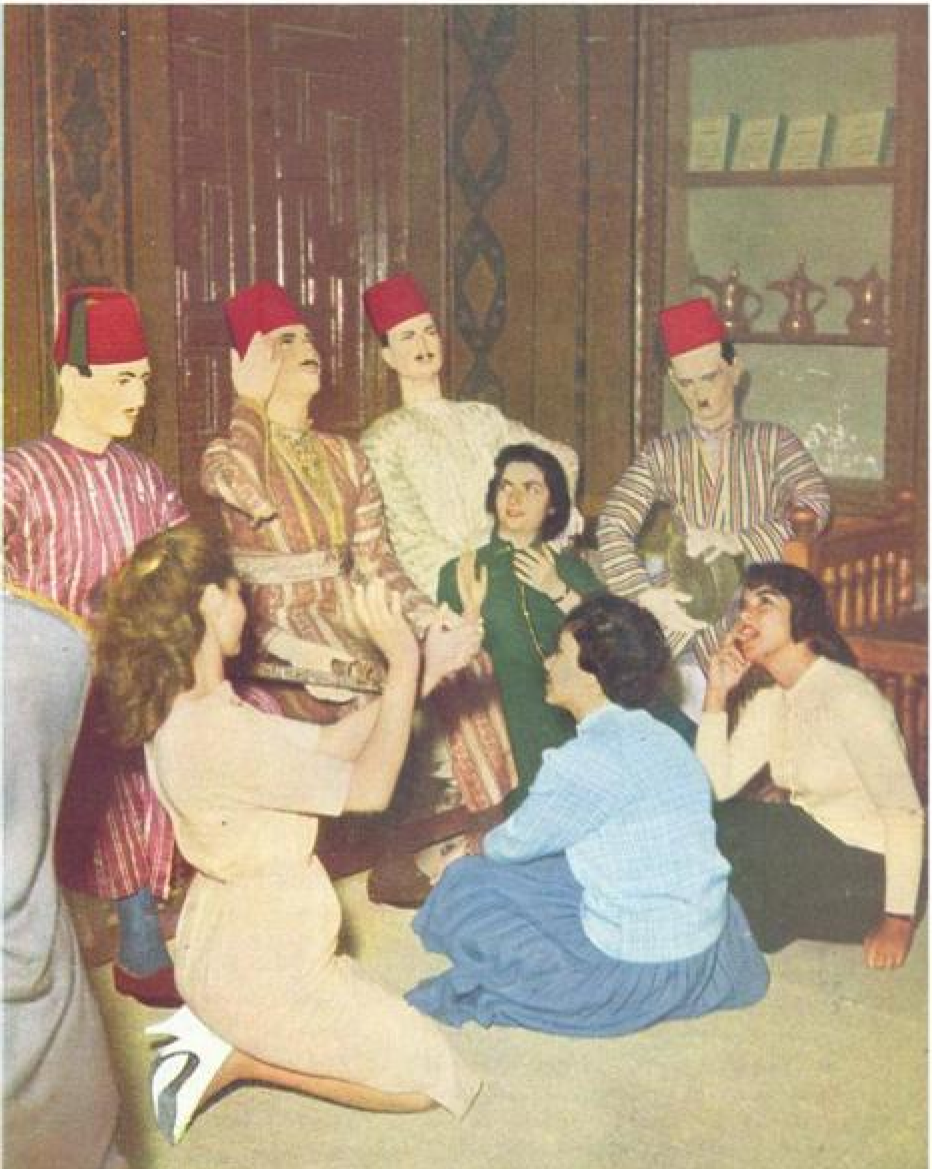

جلسة طرب في المقهى البلدي ، اشتركت فيها فتيات اليوم بالغناء والتصفيق « على الواحدة » ، مع « التخت الشرقي » الذي ارتدى أفراده الطربوش والقفطان المحلى بخيوط بالقصب والذهب (البروكار) الذي اشتهرت دمشق بصناعته .. !

في كل منزل بجبل الدروز « نقرة » من النحاس المشغول لعمل القهوة ، ونرى هنا فتيات اليوم يساعدن ابن الجبل ـ الذي يبـدا عليه الحياء ـ !! ـ في صب القهـوة ...

يدها على القصر ، وحولته الى ما أسمته : متحف التقاليد الشعبية والصناعية .

نواة متحف .. فقط !

ان قصر المظم بشكله الحالى لا يمكن ان يكون الا نواة لمتحف عربى للشمع .

ان الوطن العربى يفتقر الى متحف كامل شامل من هذا النوع .. رغم وجود المواهب الفنية التى تستطيع أن تقوم به على اكمل وجه ..

أما بعثرة بضع لوحات حية ؛ لا يربطها رابط أو تناسق ، أو انسجام .. فهذا ما لا يمكن أن نسميه متحفا .

ان متحفا يسمى نفسه «متحف التقاليد الشعبية والصناعية » فى دمشق ، ويخلو من رقصة السماح وطريقة صنع البروكار ، ونقش النحاس والفضة وتطعيم الخشب بالصدف ، وغيرها من الصناعات اليدوية المشتهرة بها دمشق ؛ لا يمكن أن يحمل هـذا الاسم ، الا اذا اضيفت الى مجموعته الحالية ، عشرات اللوحات الأخرى !

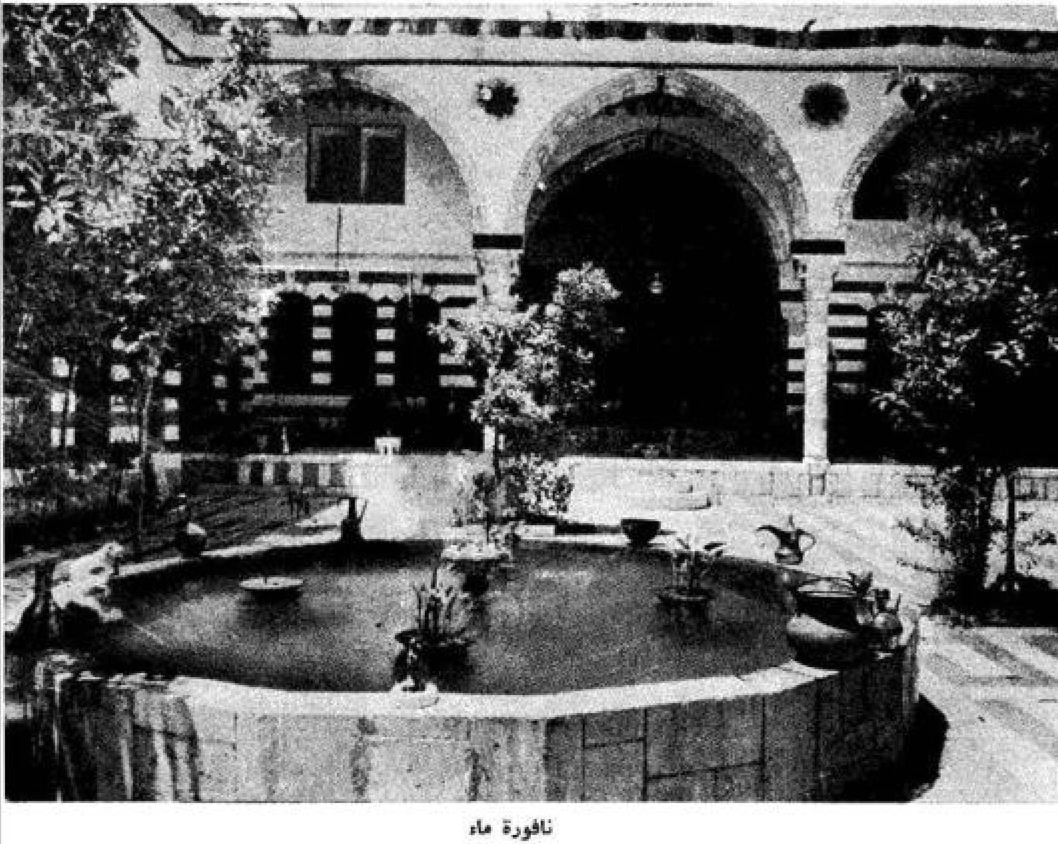

نافورة ماء

فى حديقة قصر المظم ، المبنى على الطراز العربى الجميل

جواز المرور
الى الضمان

ان الودائع في بنك لومبارد تعطي فائدة ثابتة مقدارها ٦٪ ، وتدفع هذه الفائدة دون خصم ضريبة الدخل المفروضة داخل المملكة المتحدة

اطلب من المدير العام نسختك من كتيب «حساب ودائع البنك» رقم A . O . 182

رأس المال والاحتياطي يزيدان عن ١٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني

افتح حساب ودائع بفائدة

٥½٪

في المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING
LIMITED
BANKERS

Head Office:
LOMBARD HOUSE,
CURZON STREET, PARK LANE, LONDON, W.1
GRO 4111 (30 lines)

A World-Wide Banking and Finance Organisation

دردشة

وسيلة مبتكرة لزيادة ضربات قلوب الرجال

● كان للممثلة الفرنسية سارة برنار فى حياتها على المسرح ، من الشهرة والمجد مالم يكن لاحد غيرها .

وهى عاشت عمرا طويلا ، وفى سنواتها الاخيرة عاشت فى شقة فى باريس ، فى الدور السادس من عمارة . ولم تكن فى تلك الايام قد انتشرت المصاعد فى العمارات .

واراد شيخ ممن يعجب بها ، ويحمل لها الذكريات الطيبات ، ان يزورها ، وما صعد الى الدور السادس حتى كان يلهث .

ودخل عليها لاهثا ، يضرب القلب سريعا فى صدره . قال لها : يا سارة ، الم يكن لديك وسيلة غير السكنى فى مثل هذه الشقة العالية ؟

قالت سارة : هذه هي وسيلتى الوحيدة اليوم التى استطيع بها ان ازيد ضربات قلوب الرجال !

آراء فى المراة والحب

❊ عندما يجمع الحب بين اثنين ، تنهار كل الحواجز الاجتماعية .

(بلزاك)

❊ المراة الباهرة الجمال ، تكون عادة لعنة على من يمتلكها .

(لورد تشسترفيلد)

❊ ان النساء خلقن لنحبهن ، لا لنفهمهن .

(اوسكار وايلد)

❊ خلقت الحياة للحب ، ومن لم يحب لم يعش .

(جورج صاند)

❊ النساء سفن ، وربابنتها هم الرجال .

(من اغنية يغنيها البحارة الانجليز)

منطق

● لاحظ السائح الامريكى ، وهو يدفع حساب غذائه فى احد المطاعم الفرنسية ، ان البيضة ثمنها فى « الفاتورة » نحو نصف دولار ، فقال « الجرسون » فى دهشة :

ـ يظهر ان اسعار البيض عندكم مرتفعة جدا .

ـ نعم يا سيدى

ـ وما هو السبب ؟

ـ اسعار الدجاج مرتفعة . .

ـ وما سبب ارتفاع اسعارها ؟

ـ سببه ارتفاع اسعار البيض !

سومرست موم فى المطبخ !!

● كان مخرج سينمائي يعتز فى حفلاته برجل صينى يقوم فى بيته بعدة وظائف ، فهو طباخ ماهر ، وهو مستقبل للضيوف خبير ، وهو فوق ذلك خادم شخصى للمخرج أمين يعتنى بملابسه وحجرته وكل ما يحتاج اليه من أشياء .

وصنع المخرج وليمة للكاتب الشهير سومرست موم . ولما جلس الضيوف الى المائدة ، مر الخادم الصينى بالضيف الأول . فاذا به يصيح به :

ـ مساء الخير يا مستر موم . ان كتابك الأخير لم يعجبنى قط .

وجرى اضطراب فى الضيوف حول المائدة . ولم يكد يتجه موم الى الخادم يستوثق مما قال حتى كان الخادم الطباخ طار الى المطبخ .

ومن بعد طعام افتقد الضيوف المستر موم . وبحثوا عنه فى الدار . واخيرا وجدوه فى المطبخ ، وقد جلس على حافة الحوض ، واخذ يناقش الطباخ ليقنعه بان كتابه الاخير لم يكن فيه من العيوب ما استأهل سخط الطباخ عليه .

احكم الناس

● قال رجل للفيلسوف سقراط :

ـ انت احكم رجل فى بلاد الاغريق .

فأجابه سقراط :

ـ اذا صح هذا فلانى ، دون جميع الاغريق ، اعلم باتى لا أعلم .

تعريفات

الاعجاب : اعترافنا بشكل مؤدب بمشابهة غيرنا لنا .

الجبان : شخص يفكر فى الأحوال الطارئة الخطرة برجليه .

الخبرة : ما يتبقى لديك بعد أن تفقد كل شىء .

حسن الضيافة : الفضيلة التى تنطوى على اطعام وايواء بعض الأشخاص الذين هم ليسوا فى حاجة الى الطعام والمأوى .

الصبر : نوع من اليأس لبس ملابس الفضيلة .

الحلاقون فى الهند

● الحلاقة فى الهند مهنة يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولا يعترف الهندى بحلاق مالم يتأكد من ان اباه حلاق ايضا ! . .

مثل روسي

● لا مانع من مصادقة الذئاب ، على ان يكون فأسك مستعدا .

الحب والشرف

● قد يكون من الطريف ان نتغاضى فى سبيل الحب عن كل شىء ، ولكن فى سبيل الشرف يجب علينا الا نفرط فى شىء .

الناس والوقت

● الناس فئتان :

احداهما تحتال للانتفاع بالوقت . وكأنها تجعل من الساعة ساعتين .

وثانيتهما تحتال لاضاعة الوقت بحيث تجعل من الساعة نصف ساعة أو لا شىء .

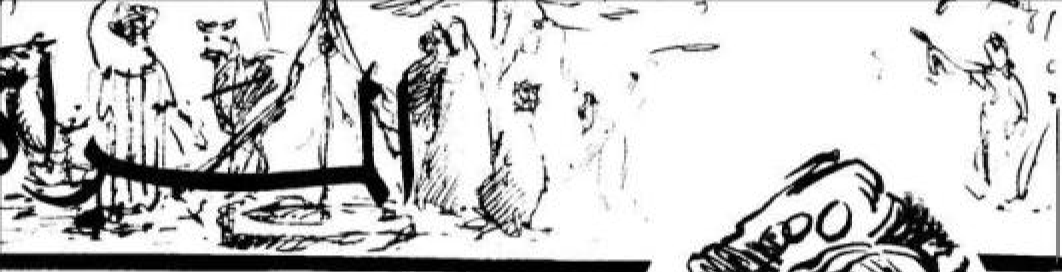

بقلم : عارف العارف

■ تقوم المراة البدوية بأعمال اقسى واكثر من الاعمال التى تقوم بها المراة المتحضرة . فهى فضلا عما تقوم به اختها الحضرية من أعمال بيتية: كالطهو والغسل ، والخياطة وتربية الأولاد ، تقوم أيضا بكل ما تحتاج اليه أسرتها من احتطاب وخبز ، وغزل ، وحياكة ، ونسج . انها تغزل الصوف ، وتحوك بيت الشعر ، والأغطية والفرش والغفور (جمع غفارة ، وهى ما يغطى به الشىء ويستعملها البدو بمثابة السجادة عند الحضر) والأفراد (جمع فردة ، ومعناها الكيس الذى يضع فيه البدوى قمحه وشعيره) والخرجة (جمع خرج ، وهو الوعاء المعروف الذى يوضع على ظهر الدابة) ، والمزاود (جمع مزود وهو وعاء الزاد) ، والمخالى (جمع مخلاة وهى التى يوضع فيها علف الدابة) ، والمرائر (جمع مرير ، وهوالحبل الشديد الابرام) تغزله من شعر المعز او صوف الضان أو وبر الابل . وكثيرا ما تقوم بتربية الماشية وترد بها الماء وتسوقها الى الكلا . ثم انها تحلب الغنم ، وتمخض اللبن فتصنع منه الزبد . وتعتنى بالطيور والحيوانات الداجنة . ولا تقتصر عنايتها بالدواجن على الاكثار منها ، بل انها تحملها الى السوق ، فتبيعها وتبيع نتاجها . انها وان كانت لا تشارك بعلها في حرث الأرض وزرعها ، الا انها تشاركه فى تعشيب الزرع وحصده ، وفى الكثير من الامور التى تعد بحق دعامة البيت . ويشعر بعلها ، وهو يراها تقوم بكل هذه الاعمال ، أن عليه أن ياخذ بيدها ، فيطعمها ، ويكسوها ، ويشترى لها الحلى ، ويحميها من شر الزمان . وموقفهما هذا جاء مصداقا لقول النبى العربى الكريم : الرجل راع فى أهله ، والمراة راعية فى بيتها .

في بيتها ومجتمعها.. وزواجها وطلاقها

السفور ومجالسة الرجال

وتتمتع المرأة البدوية بالسفور . غير انها احيانا تستعمل (البرقع) فتستر به انفها وفمها فقط . وذلك عندما تغشى السوق ، أو تلقى رجلا قريبا عنها ومن غير عشيرتها . والبرقع ، كما ترى في بعض الصور التى نعرضها عليك فى هذا المقال ، يصنع من الحرير المزركش تخاط فيه دنانير قديمة او قطع من الفضة والذهب أو غير ذلك من الحلى.

ويحق لها أن تجالس الرجال من أفراد أسرتها . وقد تسامرهم وترقص معهم الرقصةالبدويةالمعروفة بـ (الدحية) . ولكنها لا تبدو سافرة سفورا تاما الا اذا كان السمّار كلهم من اهلها واقاربها . وأما الغريب ، فلا . فاذا التقت خارج بيتها برجل غريب عنها ، فانها تدير وجهها او تغطيه بجانب من رُدنها ، بشكل لا تترك معه مجالا الا لنظرها ، كي لا تعثر في مشيتها .

مكانتها الذليلة فى المجتمع

وعلى الرغم مما تقدم ، فانك قل أن تجد المرأة تحتل المكانة التى تستحقها فى نظر البدوى . ففى الوقت الذى تراه يحبها ـ وللحب مقام رفيع بين ضلعيه ـ ويقدر جهدها واخلاصها .. ولا يرى ضيرا فى ظهورها سافرة .. وفى مجالستها الرجال .. تجدها محرومـــة من الارث .. لا تتصرف بصَداقها .. وليس لها رأى فى زواجها . اضف الى ذلك انه اذا ما ذكر اسمها أردفه بقوله حاشاك ! .. وأعزك الله ! .. وما الى ذلك من تدابير تدل على احتقاره لها .

والغريب فى الأمر أن هذه المخلوقة التى تعيش فى بيئة كهذه البيئة .. تسودها المتناقضات ... من حب واحترام ، الى حرمان واحتقار .. لها من التأثير والنفوذ فى مجتمعها ، ما ليس لأختهـــا الحضرية فى المجتمع المتحضر . يدلك على هذا ، انها اذا ما وقفت بين صفين متخاصمين أو قبيلتين متقاتلين ، وناشدتهما وقف القتال ، انصاعا لطلبها ، وكفا عن القتال من فورهما . وكأنى بهما يرددان قول عمر بن ربيعة :

ان من أكبر الكبـــائر عنـدى
قتلُ حسناء غـادة عُطبـول
كُتب القتـل والقتـال علينـا
وعلى الغانيـات جر الذيول

افليس من العجب ، بعد هذا ، أن نرى المرأة البدوية محرومة من كثير من الحقوق التى تتمتع بها المرأة الحضرية . ان حقها من الارث يقتصر على الماشية والنقد والمصاغ .. وبعبارة أوضح .. على المتاع المنقول فقط . وأما الارض ، فلا . فاذا مات رجل عن ولد وبنت ، استولى الولد على الارض كلها . واخذت البنت ما خصها من الامتعةالمنقولة. تلك بقية من بقايا الجاهلية . يوم لم يكن للمرأة العربية نصيب من الميراث . اذ كان العرب يَجْرون فى ذلك على قاعدة الولاية والنيابة . فيقولون : لا يرثنا الا من يحمل السيف ويحمى البيضة .

وليس لهذه القاعدة من استثناء عند البدو ،الا عندما يموت الرجل عن بنت وابن اخ . عندئذ تاخذ البنت نصف الارث حتى فى الارض ، ويأخذ ابن الأخ النصف الثانى .

الزواج والطلاق

يهتم الاعراب بالزواج اهتماما كليا ، ويعتنون بالنسب عناية تامة ، ويعتقدون أنه لا بد من وجود الكفاءة بين الزوج وزوجه . وكما أن الأئمة اختلفوا فى تقدير الكفاءة وتفسيرها ، فان عـرب البادية ايضا ينظرون الى الكفاءة نظرات مختلفة. فمنهم من يميل الى النسب والاصهار الى الآخرين .. ومنهم من يكره ذلك ، ويفر منه فرار السليم

من الأجرب . ليس هنا مجال البحث عمن ينتمي الى هذا الفريق او ذاك من القبائل المنتشرة في ارض الجزيرة ، وانما اريد أن اقول ان القواعد المتبعة في الزواج والطلاق وتعدد الزوجات ، وفي المهر والنفقة ومشاكل العرض تكاد تكون واحدة عند معظم تلك القبائل ، ان لم تكن عندها كلها .

فان للمرأة المطلقة والأرملة الحق التام في اختيار بعلها ، واما الفتاة البكر فليس لها رأي في زواجها. وانما الحق كل الحق لوليها أن يزوجها لمن يشاء. والولي عند البدو هو الأب ، ثم الأخ ، فالعم ، فابن الاخ ، فابن العم . وتتزوج الفتاة البدوية في سن مبكرة (انظر الى الصورة ص) .

وحرمان الفتاة البكر من هذا الحق مخالف لروح الشرع الاسلامي . فقد روى ان الخنساء بنت خذام الانصاري قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: «ان ابي زوجني من ابن اخيه وانا كارهة » . فقال لها عليه السلام . « اجيزي ما صنع ابوك » . فقالت : « ما لي رغبة فيما صنع ابي » . فقال لها: « اذهبي فلا نكاح له . انكحي من شئت » . فقالت : « أجزت ما صنع ابي . ولكني اردت ان يعلم الناس ان ليس للآباء من أمور بناتهم شيء ».

زواج القصلة

ان الطريقة التي يتبعها البدو عند الطلب بسيطة للغاية . يعبرون عنها بـ (القصلة) . وهي ان يذهب الفتى الذي ينوي الزواج الى وليّ الفتاة التي يريد أن يطلب يدها . فيكشف له عن بغيته. فاذا رضي هذا بالخاطب بعلا لوليّته ، تناول من على الارض قصلة (وهي قطعة من العشب يقطع من الزرع . وقصل معناها قطع) وناوله اياها . قائلا : « هاك قصلة قاطعة بنتي بسنة الله وسنة رسوله » . وقد لا يناوله شيئا .. او يناوله قطعة من وبر الابل . ولكن لا بد في كل حال من ذكر القصلة على النحو المتقدم . ومتى تم التراضي حمل البدوي فتاته على ناقته (انظر الى الصورة) وسار بها الى بيته .

المهر

المهر شرط في النكاح . ويسميه البدو . (الصداق) و (السياق) و (القيد) . وهذا يختلف باختلاف القدرة المالية وموقف الفريقين في العشيرة من الناحية الاجتماعية . وقد يدفع المهر نقدا مبلغا معينا من المال ، او عينا عددا معينا من الابل أو الغنم او الخيل . ومهما كان الكم او الكيف فانه لا مفر من ذكره . وفي هذا يسير البدو على سنة الرسول . فقد جاء في كتب السيرة ان امرأة جاءت رسول الله ، وقالت له : يا رسول الله اني وهبت نفسي لك . فقام رجل كان حاضرا مجلسه ، وقال : يا رسول الله زوّجنيها ، ان لم يكن لك بها حاجة . فقال : هل معك شيء تصدقها اياه ؟ قال : ما عندي الا ازاري . فقال رسول الله : ان اعطيتها اياه ، جلست لا ازار لك . فالتمس شيئا . فقال : لا اجد شيئا . فقال : التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس . فلم يجد شيئا . فقال له رسول الله : هل معك شيء من القرآن ؟ قال : نعم . معي سورة كذا وسورة كذا . فقال : قد انكحتكها بما معك من القرآن .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : من اعطى في صداق امرأته ملء كف سويقا (السويق : الناعم من دقيق الحنطة او الشعير) او تمرا ، فقد استحلّه .

يسير البدو على هذه الخطة في دفع المهر . ومع هذا فان الذي يقبضه هو ولي الفتاة ،وليست الفتاة نفسها . مع أن الله عز وجل قال في كتابه العزيز : وآتوا النساء صدقاتهن نِحلة . اي هبة وعطية . وقال النبي : المهر حق المرأة ، لا يشاركها فيه أحد .

زواج الشغار

تبادل الاخوان والبنات بقصد الزواج ، وهو الزواج المعروف بزواج الشغار او المشاغرة ، امر معروف وشائع بين البدو ، شيوعه في القرى وفي بعض المدن العربية . اذ يأتي الرجل الأعزب لرجل اعزب مثله ، ويتفق الاثنان على أن يتزوج كل منهما اخت الآخر ، دون ان يأتيا على ذكر المهر . فاذا شقت احداهما عصا الطاعة ، ورجعت الى اخيها، فان لبعلها الحق في أن يطلب الى اخيها ان يرجعها اليه .. والا فعليه أن يرد اليه شقيقته ... واذا لم يفعل الأخ هذا ولا ذاك ، حق لبعلها ان يطالب اخاها بمهر اخته .

الطلاق وتعدد الزوجات

الطلاق امر شائع عند البدو . وكذلك قلّ عن تعدد الزوجات . ولا سيما بين الموسرين الذين

بدوية في هودجها .. يوم عرسها

اغناهم الله بالمال . ـ هؤلاء كثيرون . عرفت منهم شيخا تزوج سبعا وعشرين امرأة ولما سألته عن اسماء نسائه ذكر لي اسماء خمس وعشرين منهن ، ولم يتذكر اسم اثنتين ! .. ولم يتذكر ايضا اسماء بناته وأبنائه كلهم ! .. وان قال لي انهم يَربون على الاربعين ! ..

واذا شهد الشهود بان الطلاق كان بسبب الرجل ، وانه هو الذي قصّر في واجباته الزوجية فلا يحق له ان يسترد شيئا من المهر الذي قدمه عند الزواج . واما اذا ثبت ان العيب في المرأة فانه يسترد المهر منها او من اهلها . ولكنه لايقبضه بالفعل الا عندما تقترن برجل غيره . وللأب الحق في ان ياخذ اولاده بعد الطلاق ايا كانت أعمارهم . وليس للقاعدة المعروفة بـ (العِدّة) كبير أهمية عند البدو . فقد سمعت بكثيرات تزوجن قبل مرور العدة ، وحتى قبل ان تضع الحامل حملها ! ... وهذا مخالف لقوله تعالى : والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء اي ثلاث حيضات . وقال تعالى : واولات الاحمال اجلهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا .

ان التقاضي من اجل الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والمهر والنفقة والهرب والزنا ، وما الى ذلك من اختلافات تنشأ بين الزوجين ، يجري عادة امام القضاة المعروفين بالمناشد . والمناشد ، عند البدو ، يحتلون ارقى مراتب القضاء .

الزنـا

ويعتبر البدو (الزنـا) من الكبائر . وويل للزناة من حكم المناشد . هذا اذا لم يسبق ذلك الحكم قتل الزاني والزانية . فالرجل الذي يخطف بنتا يقتل من قِبَل وليّها ، حتى اذا لم يهتك عرضها . فكيف به اذا هتك عرضها وأزال بكارتها. ان دمه يُهدَر . فلا يحق لاهله أن يثاروا لانفسهم او يطالبوا بدية رجلهم المقتول . ولولي الفتاة او اي كان من (خمستها) أن ينتقموا في الحالة المتقدم ذكرها ، ليس من الزاني فحسب ، بل ومن اي فرد آخر من أفراد (خمسته) ، شريطةَ ان يكونوا ذكورا . اذ انه لا يجوز الانتقام من المرأة حتى ولو كانت من اقرب الناس الى الزاني او القاتل . ذلك لأنها في نظر البدو : عين بصيرة وبد قصيرة .

والمقصود من (الخمسة) هنا هم الذكور الذين ينتمي اليهم الزاني حتى الجد الخامس . وقاعدة الانتقام هذه تتبع في جميع الحالات التي لها صلة بمشاكل الدم ، كالقتل والعطوة والجيرة والوجه والبشعة والدية .. انها ، اي المسؤولية التي يشترك فيها خمسة الفاعل ، هي التي صانت الأمن في البوادي حيث لا دَرَك ولا شرطة ولا محاكم ولا سجون ولا هم يحزنون .

وهناك حالات من الزنا لا تستلزم القتل .واحكام المناشد تختلف بالنسبة لكل حادث والظرف الذي وقع فيه . ففي الوقت الذي يجيز البدو ذبح الفتاة التي تهرب من بيت ابيها وتدخل في كنف رجل غريب عنها دون اذن وليها ، نراهم يخففون الوطأ في الحالات الاخرى . فان العقاب الذي يناله الرجل الذي يزني بـ (عاقبة السرح) اخف بكثير من العقاب الذي يناله الرجل الذي يزني بـ(مصحة الضحى) . اما (عاقبة السرح) فهي الفتاة التي ترعى الغنم ، فتتأخر أو تسرح غنمها عن قصد، لتغازل شخصا غريبا عنها ، أو انها بعد أن توصل

الغنم الى منازل العشيرة ، تنثني لتغازل العشاق ! .. فان جزاء الرجل الذى يزنى بها ، يكاد لا يذكر! .. وقد لا يتجاوز عدد أصابع اليد من دنانير او شياه ! .. واما (مصحة الضحى) فهى المرأة التى يعتدى عليها فى وقت الضحى . فتصيح مستنجدة باهلها وابناء عشيرتها . فان جزاء الرجل الذى يعتدى عليها لا يقل عن دية كاملة . بل قد يكون اشد واعظم . كان يفرض عليه المنشد أن يركب جملا مطليا بالدهن والقطران . وكل عضلة من عضلاته او كل عضو من اعضاء بدنه يصيبه الدهن او القطران يقطع ! .. أو أن يشترى الزاني العضو المحتم بتره بمبلغ من المال أو عدد من الابل يعينه (المنشد) . هذا فضلا عن (اليد) التى مست الفتاة اثناء الزنا ، فانه لا بد من قطعها ! .

اهتمام البدو بالعرض

وهناك طرق كثيرة أخرى يتبعها البدو من اجل معاقبة الزناة والمتهمين بفعل الزناء ومن أجل دفع الظنون ونفي التهم الموجهة للنساء المحصنات او تثبيتها .. لو أردت ذكرها كلها هنا بالتفصيل لضاق بى المقام .. وان كنت ارى من الفائدة والمتعة ان اذكر بعض الحوادث التى وقعت بالفعل، لأدلنك على مبلغ اهتمام البدو بالمرأة وعرضها .

فقد أتتنى يوما من الايام ، وأنا جالس فى قاعة المحكمة ببير السبع ، بدوية ، فشكت الىّ جارها الذى أساء الظن بها ! .. فطلبت منى احضاره أمام محكمة العشائر . فاما أن يثبت التهمة التى رماها بها ، فترضى هى بما يفرض عليها ، أو أن يثبت للمحكمة انه افترى عليها الكذب ، فينال ما يستحق من عقاب . وقد اصطحبت معها (انظر الى الصورة) امها واختها وبنتيها .

فاحلتُ شكواها الى محكمة العشائر . ولما ثبتت للمحكمة براءتها ، أمرت بجلده . وحكمها هذا موافق لقوله تعالى: والذين يرمون المُحصنَات، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة .. وفرضت المحكمة على المفترى ، بالاضافة الى الجلد ، أن (يبيض) وجه الفتاة . أى ان يقف فى وسط ثلاثة من بيوت العرب المعروفة ، فينادى بصوت مرتفع يسمعه الحاضرون ، قائلا : بيَّض الله عرض فلانة بنت فلان .. فقد ظلمتها .. وثبت بعد ذلك أنها بريئة مما رميتها .. وعليه أن يفعل الشىء نفسه .. أى أن يقف فى مجلسين آخرين من مجالس العرب ويقول الكلام نفسه معتذرا عما بدر منه . ومجالس العرب تعقد عادة فى (الشق) . والشق هو الجانب الذى يخصصه رب البيت أو شيخ العشيرة من بيت الشعر لاستقبال الزائرين .. وفيه يقرى ضيفه .. وفيه يسمر السمّار .. وتسمع الاخبار ..

واليك أيضا هذا الحادث :

« أحبت فتاة من الرميلات .. تدعى بكرة بنت سليمان بن عجرة .. فتى من القديرات .. يدعى على الرفايعة .. وهرب الاثنان الى حيث لايعلم مكانهما الا الله .. فغضبت الرميلات لهذا الحادث غضبا لا مزيد عليه . ولم يتركوا بابا من أبواب الشكوى الا وَلَجوه ، ليحولوا دون زواجهما ، وكادت تقع بين الفريقين .. الرميلات والقديرات .. حرب كالحرب التى وقعت بين عوده وعامر والتى ما برح البدو الى يومنا هذا يذكرونهما ، ويطلقون عليها « حرابة عودة وعامر » . تلك الحرب التى نشبت من أجل امرأة تدعى : « هدية بنت ابى حجاج » . وكان ذلك فى أوائل القرن التاسع عشر . وبعد أن كانت بين اخوين من قبيلة التنوش هما عودة وعامر ولدا سليم المطاونة ، تلظت ، فاصاب شررها افخاذ التياها كلهم ، فانشطروا شطرين . ثم امتد لهيبها ، فسرى الى جميع القبائل التى كانت ضاربة خيامها فىجنوب فلسطين. وظلت مشتعلة قرابة عشرين عاما (١٨١٣ــ ١٨٣٣). وقد ذكرت هذا بالتفصيل فى الصفحات ١٧٥ ــ ١٨١ من كتابى : تاريخ بير السبع وقبائلها .

وفيما كنت ابحث عن طريقة لحل المشكلة بالتى هى احسن ، جاءنى عم الفتاة .. حماد بن عجره .. وهو شيخ طاعن فى السن .. وشكا الى امره .. وليستنهض همتى ويثير حماستى ، قال لى انه رأى فى نومه الليلة الفائتة طيف سيدنا عكاشة رضى الله عنه ، وان هذا أشار عليه أن يواجهنى ، وأن يبثنى شكواه . فلبيّتُ طلبه . وامرت رجال الدرك بالبحث عن الحبيبين الهاربين. فوجدوهما مختبئين فى منخفض من الارض عند وادى العربة . فأتونى بهما . ثم استحضرت شيوخ القبيلتين من الرميلات والقديرات . وتقدم الفتى وأهله من أهل الفتاة . فتم التراضى بينهم. وعاش الحبيبان بعدئذ فى سلام وأمان . ■■

عارف العارف

كتاب الشهر

بلَنْت : صديق العرب

لحفيده إيرل أوف ليتون

بقلم : الدكتور محمود السمرة

البطولة فى هذه الدنيا الوان ، ولعل من اجمل البطولات ان يولد الانسان قويا ثريا فى امة قوية مسيطرة ، ثم يتبنى قضايا المستضعفين ، ويقف فى جانبهم ضد وسطه الذى أنجبه ، وامته التى ينتمى اليها . وهكذا كان ولفريد بلنت : فقد ولد من اسرة ثرية ارستقراطية حاكمة ، ولكنه قضى حياته يحارب طبقته هذه دفاعا عن حقوق شعوب مصر والسودان ، والهند ، وايرلندة ، التى كانت واقعة تحت الاستعمار البريطانى آنذاك .

ولا يعنى هذا ان (بلنت) كان متنكرا لطبقته نفسها ، فقد كان على العكس من ذلك تماما : يجد الراحة فى اجتماعاتها ، وكان له من رجال هذه الطبقة ونسائها ، الأصدقاء الكثيرون .

وقد كان بلنت كبير النفس ، يحمد النبوغ ويمتدحه اينما وجد ، ولهذا كان صديقا حميما للنابغين من معاصريه : برنارد شو الكاتب المسرحى ، وجورج ويندهام الشاعر ، واوسكار وايلد الكاتب ، وواطس Watts الرسام ، ولورد راندولف تشرشل السياسى ، وونستون تشرشل . وقد انشا بلنت ناديا دعي باسم «النادى كرابيت Crabbet Club » حيث كان يجتمع أصدقاؤه هؤلاء من رجال الفكر ، ومنهم لورد كرزون ، حيث يلعبون أحيانا التنس عراة .

وقد شارك بلنت معاصريه من رجال العهد الفيكتورى فى جانب من معتقداتهم ، وخالفهم فى جوانب : لقد آمن مثلهم ان الادارة ونظام الحكم فى بريطانيا لا مثيل لهما ، ولكنه لم يجارهم في معتقدهم ان بريطانيا وجدت لتحكم العالم ، وان الشعب البريطانى هو سيد شعوب العالم جميعا .

لقد عاش بلنت ستين سنة من حياته تحت حكم الملكة فيكتوريا،فكره سياستها التوسعية الاستعمارية واحتقر رئيس وزرائها اليهودى دزرائيلي ، وكان بلنت لا يرى فيه ولاء الا ليهوديته ، كما أن قصص

دزرائيلي ، في راى بلنت ، تدل على طموح شخصى ، واحتقار للمسيحية والانجليز .

وبلنت نفسه متعدد جوانب النبوغ ، فهو جواب آفاق من صنو (سير ولتر رلى) في راى كننجهام جرهام Cunninghame Graham وشاعر يدانى شكسبير في راى هنلى W.E. Henley وجون ماسفيلد ومتحدث بارع الحديث ، لا يجارى ، في راى دوق سانت البانز ، وصديق وفى لا تؤخذ عليه هفوة في حق اصدقائه، في راى صديقه الحميم سير سدنى كوكرل Cockerell ، وهو جم النشاط والحيوية يبعث البهجة في كل ما يحيط به ، كما رأته حفيدته شقيقة مؤلف هذا الكتاب الذى سنتحدث عنه ، ليدى آن ليتون ، وهو في راى اختها الثانية ، ليدى وينفريد تايرون Winifrid Tyron « اكثر انسان اثر في حياتى » . حتى زوجته ، رغم ما عكر حياتهما في شيخوختهما ورغم انفصالهما ، بقيت تعتبره الموجه الذى يهديها في دروب الحياة المظلمة، وتكتب اليه الرسائل العاطفية ، وتستشيره في كل شؤونها .

اما في نظر العرب والايرلنديين والهنود ، فقد كان انسانا مثاليا ، في عصر ضاعت فيه المثاليات . لقد تبنى قضاياهم ونافح عنها ، يوم أن بدا للجميع انها قضايا فاشلة ، لانها قضية الضعيف ضد القوى ، ولكن الزمن أثبت نفاذ باصرة بلنت ، وضيق افق معاصريه ، فقد راينا في ايامنا هذه كيف اندحر الطغيان ، وكيف عاد الحق الى صاحب الحق .

ما كتب عن بلنت

ومؤلف هذا الكتاب هو ايرل اوف ليتون ، وهو حفيد بلنت من ابنته ، وهو كتاب يحتوى على كثير من الوثائق التى لم تنشر من قبل ، واسلوبه عذب حي،ولكن الكتاب بمجموعه يعوزه التنظيم والتبويب، وتثبت" بكتب بلنت وبالمصادر عنه.وكان ايرل اوف ليتون قد نشر عن جده كتابا من قبل بعنوان « الصحراء والخضرة The Desert and the Green» وكان قد تنشر، قبل ربع قرن كتاب" عن حياة بلنت بقلم ليدى رسل ، ولكنها نشرته تحت عنوان اسمها الأدبى اديث فنش Edith Finch ، وهو كتاب طيب ، وان كانت ليدى رسل قد تجنبت طرق بعض الجوانب الحرجة في حياة بلنت خشية من ابنته جوديث بلنت،التىاصبحت فيما بعدليدى ليتون ، ووالدة مؤلف هذا الكتاب . ومن خير ما كتب عن بلنت صورة وصفية له بقلمدزموند مكارثى Desmond Mac Carthy في كتابه « ذكريات Memories » .

ومع هذا فان كل ما كتب عن بلنت ما زال ناقصا لان هناك كثيرا من الوثائق كانت بحوزة ابنته ، والدة المؤلف ، وقد حالت دون ابنها والاطلاع عليها لعلمها بكراهيته لها وحبه لجده ، كما انها وضعتها بعد وفاتها في أيد أمينة عليها .

بلنت في حياته الخاصة

وقد قيل الكثير من حياة بلنت الخاصة ، وعن مغامراته مع النساء ، ومن ذلك انه قد ولد له ولد من امراة متزوجة ، وانه كان على علاقة غرامية بصديقة لابنته ، وقريبة لها ، هى اخت زوجها ، كما احضر الى قصره العشيقات تحت ستار السكرتيرات : كل هذا قد ادى الى جفوة بينه وبين ابنته التى اشتهرت بانها كانت اجمل نساء عصرها ، كما كان بلنت نفسه باهر الجمال ، ولم تخف هذه الجفوة الا قبيل وفاته ، ولكنها عادت اشد مما كانت عليه ، عندما فتحت وصيته ، فوجدت انه لم يترك لها من ثروته الكثير . كما ادت علاقاته هذه الى انفصاله من زوجته ، وان بقيت العلاقة بينهما بعد الانفصال اقوى ما يكون .

والواقع أن الآراء متضاربة في هذا الجانب من حياة بلنت ، ويقف المؤلف هنا في جانب جده ضد والدته ، التى كانت حادة المزاج كجدها بايرون ، مما جعل علاقتها بزوجها وابنائها سيئة .

وهذا الجانب من حياة بلنت لا يعنينا كثيرا هنا ، وانما الذى يعنينا هو دفاعه عن الشعوب المستعبدة، فقد تبنى قضايا التحرر في مصر وايرلندة ، والهند ومن اجل دفاعه عن ايرلندة حكم عليه بالسجن وسجن . وسنقف في هذا العرض عند موقفه من القضايا العربية .

بلنت الموظف بالسلك الدبلوماسى

ولد بلنت من عائلة ارستقراطية ثرية محافظة في جنوب انجلترا . وعندما بلغ سن الثامنة عشرة التحق بالسلك الدبلوماسى ، وتنقل بين عام ١٨٥٧ و١٨٦٩ بين اثينا واستامبول ، والمانيا ، واسبانيا ، وباريس ، وسويسرا ، وامريكا الجنوبية ،والبرتغال،

«وخلال هذه الاثنتي عشرة سنة لم أكلف بالقيام بأية مهمة او عمل يستحق الذكر ، ولهذا كنت اقضى وقتى في قرض الشعر » .

يتزوج حفيدة بايرون

وفى عام ١٨٦٩ تزوج من حفيدة الشاعر الانجليزى الشهير بايرون ، وترك السلك الدبلوماسى الى حيث لا رجعة ، ولكن بعد ان كان قد عقد صداقات مع كثير من رجـــال السياسة المسؤولين في بريطانيا ولا سيما مع لورد ليتون ، نائب الملكة في الهند ، والذى تزوج ابنه فيما بعد ابنة بلنت .

الرحلة الى الشرق

وفى عـــام ١٨٧٣ ســـافر بلنت وزوجته الى استامبول عن طريق بلغراد ونهر الدانوب وذلك طلبا للتدفء بعد أن اثرت فى صحته رطوبة الجو فى انجلترة . ولكن اقامته زمنا فى استامبول جعلته يدرك المؤامرات الغربية التى كانت تحاك حول الدولة العثمـانية . فبدأت من هنـــا كراهيته للتسلط الأوروبى .

زيـارته للجزائر

وفضى شتاء عام ١٨٧٤ فى الجزائر ، ورأى كيف يستبد الفرنسيون بالوطنيين ، وتكشفت لعينيه الأخلاق الأوروبية على حقيقتها « ورغـم حبي للفرنسيين ، فقد وجدت نفسي مسوقا الى كراهية حكومتهم ، والى حب كل العـــرب من اجـــل الجزائريين » . وفى الجزائر زار جبـــال اطلس والصحراء ، وقضى وزوجته زمنـــا بـين القبائل الجزائرية المعتدة باستبسالها ، المتمسكة بارضها .

« واستمعنا اليهم وهم ينشدون اهازيجهم الشجية الحزينـــة التى يذكـرون فيهـــا بطلهم الغالب عبد القادر » .

اول زيارة لمصر

وفى شتاء عام ١٨٧٥ ـــ ١٨٧٦ كان اول لقاء بين بلنت ومصر ، فاحبها ، واهتم بقضيتها ، واقام فيها سنوات على مراحل متقطعة ، واشترى فيها قصرا يعرف باسم « الشيخ عبيد » كان من قبل ملكا للخديوى اسماعيل ، اضطر الى بيعه بعد ان اثقلت كاهله الديون ، وقد جعل بلنت كل موظفي هذا القصر من العرب .

وكان بلنت وزوجته يحسان بالراحة فى هـــذا المكان « حيث ينسى الانسان فيه تـردى أوروبـا الخلقي وجشعها ، وقبح الحياة فيها . هنا يظهر جمال الشرق روح الانسان من ادران الغرب » .

وقد ترك لنا بلنت صفحات طيبة عن حياته فى مصر فى كتابه « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر Secret History of the English Occupation of Egypt » ، وهـــو في سبعة مجلدات نشرهـــا ما بين عامي ١٩٠٧ و ١٩٢٠ .

واثناء اقامة بلنت وزوجته فى مصر عرفا احوال الشعب المصرى . ويصف لنا بلنت الظلم الذى احاق بالفلاح المصرى ، حيث كان يجلد ويجبر على رهن ارضه للمرابين الاغريق ، من اجل سداد ٧ ملايين جنيه فى كل سنة ، هي قيمة القسط السنوى الذى فرض على الخديوى اسماعيل ، الذى اغرق البلاد فى ديـــون انفقها على ملذاته ، وكان عـلى الشعب المصرى ان يدفع ثمنها . وهذا الدين كان هو الحجة التى اعتمدت عليها بريطانيا فى احتلالها لمصر عندما قامت ثورة عرابى عام ١٨٨١ . والواقع ان بريطانيا كانت طامعة فى التحكم فى مصر الشرق العربى من اجل تامين طريق مواصلاتها للهند . ومن اجل ان تكون لها قاعدة فى البحر المتوسط تشرف على خط مواصلاتها الى الهند ، فانهـــا اضطرت السلطان العثماني أيضا الى التنازل لها عن قبرص مقابل تعهد بريطانيا له بأن تعينه على الاحتفاظ باملاكه فى آسيا وافريقيا ، ضد مطامع الدول الأوروبية . وهـــذا ما يعرف فى التاريخ « باتفاقية قبرص » .

رحتلـــــان
من حلب الى اواسط الجزيرة العربية

وفى شتاءى عام ١٨٧٨ و ١٨٧٩ ، قـام بلنت وزوجته لـيدى آن برحلتين على ظهور الخيول والجمال من حلب الى الفرات ، فنجد ، ثم أواسط الجزيرة العربية ، واقاما بين القبائل العربية ، وعقدا صداقات مع رؤسائها ، ولا سيما قبيلتي شمر وعنزة ، وقد تركت هذه الرحلة أثرها في انفسهما ، فاحبا العرب ، ودرسا اللغة العربية حتى اتقناها واهتما بالأدب العربى وتحبيبه الـى الغرب ، وعنيا بمشاكل العرب السياسية وتفهماها ،

وكرسا أنفسهما للذود عنهـا ، وعشقـا الخيول العربية حتى انهمـا اقامـا في سسكس بانجلترة اسطبلا لتربية الخيول العربية وبيعها ، فكانا أول من بعث على الاهتمام بها ، والعناية بها ، حتى اخذ الأثرياء فى بريطانيا يتنافسون فى اقتناء الخيول العربيـة .

وكان من وحي هاتين الرحلتين كتابان بقلم ليدى آن بلنت هما : « القبائل البدوية فى حوض الفرات The Bedouin Tribes of the Euphrates » و« الحج الى نجد A Pilgrimage to Nejd » والكتاب الأول عـن رحلتهمـا فى السنة الأولى ، والكتاب الثانى عن رحلتهما فى السنة الثانية ، وكل كتاب فى جزاين . وقد راجع بلنت كتابي زوجته فيما بعد ، واضاف اليهما فصولا ، وكتب لهما مقدمتين .

وقـد تشبع بلنت وزوجته بعد هذا بالروح العربية ، وتحمسا لها أكثر من العرب أنفسهم ، وكانا يريان ان العرب هـم ورثة مدنية عامرة بالبطولة ، وادب غني حيّ . وقد بلغ من حبهما للعرب انهما كانا يلبسان الملابس العربية فى قصرهما بانجلترة ، « والانسان عندما يتخلص من ملابسه الغربية القبيحة ويرتدى الملابس العربية يحس انه قد ولد من جديد » .

بلنت صديق احمد عرابى ومحمـد عبده

واثناء اقامة بلنت وزوجته فى مصر خلال عامي ١٨٨٠ و١٨٨٢ تعرفا الى كثيـر من الشخصيات المصرية البارزة ، واصبحا صديقين حميمين لاحمد عرابي ، الزعيم ، والوزير المصرى ، وللشيخ محمد عبده . كما كانـا صديقين للأميرة نازلي التى اصبحت ملكة فيما بعد . وفى حديث سياسي بين بلنت وعرابى ، استشهد بلنت ببيت من الشعر للشاعر بايرون ، هو « لا تنتظر ان يمنحك الفرنجة الحرية » ، وقد أخذ عرابي يستشهد بهذا البيت كثيرا بعد ذلك .

وعندما فشلت ثورة عرابى ، ونفي الى سيلان ، واحتل الأسطول البريطاني مصر عام ١٨٨٢ ، قام بلنت بنشاط كبير فى لندن للدفاع عنه فقابل رئيس الوزراء جلادستون ، وولي العهد ، وكثيرين ، ولكنه فشل ، وقد نظم فى عرابى قصيدة طويلة بعنوان « الريح والاعصار » .

لقد استبدت الثورة ببلنت ، وعصفت بروحه بسبب ما حل بعرابى ، فقال قولا شاع بعـده وانتشر : « ان حظ الدول الشرقية كبير ، لو أمكن ان تحرق شعوب أوروبا بعضها بعضا » . ولم يبعد النفي عرابى عن صديقه فحمل نفسه اليه ، وزاره فى سيلان فى خريف عام ١٨٨٣ . لقد سبق ان قال احد المؤرخين عن مارى ملكة بريطانيا ، ومطامعها فى أخذ كاليه من فرنسا ، بان كاليه كانت منقوشة على قلب الملكة مارى ، وهكذا أيضا نستطيع أن نقول : ان كلمتي « عـرب » و « مصر » كانتا منقوشتين على قلب بلنت ، وان اختلفت الدوافع بين استعمار وغلبه ، وتمرد على الظلم من أجل الحرية والكرامة .

لقد كانت حماسة بلنت لتحـرر الشعـوب المستغلة ، لا تقف عند أمة معينة ، بل تتعداها الى كل أمة مستعبدة مستغلة ، حتى انه قال يوم وفاة الملك ليوبولد ، ملك بلجيكا عام ١٩٠٩ « انه أكبر لص تسنم مكانة عالية . وتاريخه فى الكونغو سيجعل منه مثلا للتجني والعار » .

بلنت ودنشواى

ومن المواقف المشهورة لبلنت أيضا موقفه من حادثة دنشواى ، اذ اثار الرأى العام البريطانى على الحكم البريطانى فى مصر ، لكثرة ما القى من خطب وما نشر فى الصحف ، خلال النصف الثانى من عام ١٩٠٦ ، وعام ١٩٠٧ ، والدليل على بعد اثر حملته هذه انه استطاع أن يقنع الكاتب الشهير برنارد شو بوجهة نظره ، وقد صور برنارد شو هذه المأساة ساخرا من الحكومة البريطانية في كتابه « جزيرة جون بول الاخرى John Bull's Other Island. »

وقد قدر له الزعماء المصريون موقفه هذا من قضيتهم ، فكان اول اكليل وضع على قبره في سسكس ، يوم وفاته عام ١٩٢٢ ، كان أكليلا من زعيم مصرى آخر كان قد حكم عليه بالنفي أيضا ، هو « سعد زغلول » .

★ ★ ★

لقد كان بلنت ، كما قال عنه حفيده ، « نبيا تضطرم فى قلبه جذوة الحرية » . ومن أجل هذا عاش وفى سبيل الدفاع عنها قضى حياته حتى يوم وفـاته . ■■

محمود السمرة

من الكتب التي وصلتنا

عائد الى الميدان

لعيسى الناعورى ـ دار الرائد ـ حلب

● مجموعة أقاصيص للأديب الأردنى المعروف . فى هذه المجموعة : عائد الى الميدان ، من مذكرات والد ، منصور بك ، سقطة فى حلبة الرقص ،فارس عربى من الصحراء .

التخطيط الاقتصادى

لادوارد ماسون ـ ترجمة عبد الغنى الدلى ـ نشر مؤسسة فرنكلين ـ مكتبة المعارف ببيروت

● كتاب ينير معالم الطريق للمهتمين بموضوع الانماء الاقتصادى بالتخطيط .

مستقبل التربية فى العالم العربى فى ضوء التجربة الفلسطينية

للدكتور عبد القادر يوسف ـ القاهرة

● كتاب يدرس جانبا هاما مهملا من جوانب النكبة الفلسطينية ، وهو الجانب التعليمى . وغرضه أن يفحص السياسة التعليمية التى فرضتها سلطات حكومة الانتداب البريطانية على المدارس العربية فى فلسطين ، من أجل توضيح العلاقة ما بين السياسة البريطانية الاستعمارية العامة فى فلسطين من جهة ، والسياسة التعليمية التى نظمتها حكومة الانتداب لمدارس العرب من جهة اخرى .

الأدب الأمريكى فى نصف قرن

الشعر ـ للويز بوجان ـ ترجمة سلمى الخضراء الجيوسى ـ نشر مؤسسة فرنكلين ـ دار الثقافة ـ بيروت

● مؤلفة هذا الكتاب أديبة وشاعرة شهيرة . وهذا الكتاب يتتبع الحركة الشعرية فى امريكا منذ مطلع هذا القرن مستعرضا محللا مدارسها واتجاهاتها ، مفسحا المجال لنماذج مختارة من قصائد أبرز شعرائها .

العائد

للدكتور صباح محيى الدين ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت

● مجموعة أقاصيص طيبة، منها: العائد . أحمد افندى والحياة والموت ، خراب البيوت ، الحاج هارون ، صفقة رابحة ، لبيك عبدك بين يديك ، انتقام شاعر .

مدخل الى فلسفة الحضارة الانسانية

لكاسيرر ـ ترجمة الدكتور احسان عباس ـ مراجعة الدكتور محمد نجم ـ نشر مؤسسة فرنكلين ـ دار الأندلس ـ بيروت

● « الأسطورة والدين واللغة والفن والتاريخ والعلم ـ هذه جميعا تمثل فى رأى كاسيرر أشكالا أو صورا رمزية ، للحضارة الانسانية . وهى على تكثرها وتضارب مظاهرها ذات « وحدة » . ولا بد لفلسفة المعرفة من أن تدرسها لكى توجد هذه الوحدة الوظيفية التى تربطها فيما بينها ، ولكى تبين الوضع الموضوعى لكل شكل منها ..

وتتجلى هذه المحاولة فى هذا الكتاب الذى يعتبر مدخلا لفلسفة الحضارة الانسانية ، ولكنه على ايجازه غني بالعمق وسعة الاطلاع .. » .

النكبة فى صور

لعارف العارف ـ دار العلم للملايين ـ بيروت

● صور للأحداث التى حدثت فى فلسطين خلال تلك الفترة الرهيبة من الزمن ، وصور للأشخاص الذين جرت تلك الأحداث على أيديهم . وهناك أيضا صور لأشخاص ، وان كانوا قد قضوا قبل هذه الفترة من الزمن ، الا ان المؤلف رأى من مصلحة التاريخ أن يثبت صورهم هنا لما بين الفترتين من صلات تاريخية لا بد للمتتبع من دراستها ، اذا أراد أن يدرس الأسباب التى أدت الى نكبة فلسطين والفردوس المفقود » .

■■

البنك التجاري

حساب الأرباح

للمــــدة من تــاريخ التـاسيس أي

دينار كويتي	
٢٢ر٦١٧	الاحتياطي القانوني ــ ١٠٪ من الربح
٧٢ر٣٧٣	الاحتياطي العـام
٩٠ر٠٠٠	مخصص ربح السهم المقترح دفعه بواقع ٦٪
٤١ر١٧٧	الرصيد المرحل الى ما بعده .
٢٢٦ر١٦٧	

حمد صالح الحميضي
رئيس مجلس الادارة

الميزانيـة العموميـة فى

الدينار الكويتى الواحد

المطلـوبات

دينار كويتي	
١ر٥٠٠ر٠٠٠	الراسمال المصرح به والمدفوع ٢٠٠ر٠٠٠ سهم بسعر : ٧/٥٠٠ د.ك . للسهم . كاملة الدفع
٢٢ر٦١٧	الاحتياطي القانوني ــ ١٠٪ من الربح
٧٢ر٣٧٣	الاحتياطـي العـام
٤١ر١٧٧	حساب الارباح والخسائر
١ر٦٣٦ر١٦٧	
٢٥ر١٢٩ر٨٨٨	حسابات جارية وودائع وحسابات اخرى
٩٠ر٠٠٠	مخصص ربح السهم المقترح دفعه بواقع ٦٪
٢ر٣٩٩ر٤١٠	تعهدات واعتمادات وكفالات والتزامات أخرى (له مقابل)
٢٩ر٢٥٥ر٤٦٥	

ملاحظة: ان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر لم تنظم بموجب الملحق جـ ــ من اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ للشركات التجارية بل طبقا للأصول المصرفية المتبعة .

حمد صالح الحميضي
رئيس مجلس الادارة

تقرير مدققى الحسابات الى مساهمى البنك التجاري

نشهد اننا فحصنا الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر المرفقة وقد حصلنا على جميع البيانات والايضاحات التى وجدناها فى رأينا ضرورية .

واننا نشير انه طبقا للقانون التجارى رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ فان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر .

١ ــ يتفقان مع الأصول المصرفية المتبعة وعلى هذا الأساس تعبر بامانة ووضوح على المركز المالي الحقيقي للشركة فى ٣١ ديسمبر ١٩٦١ وعن الربح المحقق بالنسبة للأصول المذكورة عن المدة المنتهية فى ذلك التاريخ .

٢ ــ مع الأخذ فى الحسبان الملاحظة على الميزانية فانها تتفق مع القانون .

وفى رأينا :

١ ــ ان الشركة تمسك حسابات منتظمة .

٢ ــ ان البيانات الواردة فى تقرير مجلس

الكويتي (ش.م.ك)

ـــاح والخسائر

١٩ يونيو ١٩٦٠ لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٦١

دينار كويتي	
٢٢٦ر١٦٧	الربح بعد خصم كافة المصاريف وتحويل مبالـغ للطوارىء واستهلاك الموجودات واستنزال كافة المصاريف التأسيسية .
٢٢٦ر١٦٧	

اي. اتش. كاتل
المدير العــام

٣١ ديسمبر ١٩٦١

جنيـه استرليني واحـد

الموجــودات

دينار كويتي	
١ر٩٣٢ر١٠٧	النقدية والارصدة لدى البنوك
٣ر٧٥٠ر٠٠٠	مبالغ تحت الطلب وباشعارات قصيرة الامد
٥ر٦٤٣ر٢٥٥	سندات الخزينة البريطانية وسندات مصرفية ممتازة
١٣ر٦٥٠ر٠٠٠	ودائع مع البيوت المصرفية
١ر٧٨٠ر٥٩٣	سلفيات العملاء وسندات مخصومة وحسابات اخرى
١٠٠ر٠٠٠	الاراضي والمباني (بعد الاستهلاك)
٢ر٣٩٩ر٤١٠	تعهدات العملاء مقابل اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل)
٢٩ر٢٥٥ر٤٦٥	

اي . اتش . كاتل
المدير العام

الكويتي (ش . م . ك)

الادارة بالنسبة للحسابات متفقة مع ما هو وارد في دفاتر الشركة وان الجرد قد أجري وفقا للاصول المرعية .

٢ ـ انه في حدود المعلومات التى توافرت لدينا فانه لم تكن هناك مخالفات لاحكام القانون او نظام الشركة على وجه يؤثر في نشاط الشركة او مركزها المالي خلال المدة .

ويني مري وشركاهم
محاسبون قانونيون ـ مدققون

اعضاء مجلس الادارة

حمد الصالح الحميضي	رئيس مجلس الادارة
عبد العزيز الاحمد البحر	نائب الرئيس
يوسف احمد الغانم	عضـو
خالد الصالح الغنيم	عضـو
محمد احمد عبد اللطيف الحمد	عضـو
فيصل سعود الزبن	عضـو
جاسم الاحمد البحر	عضـو
خالد اليوسف المرزوق	عضـو

اي. اتش. كاتـل — المدير العـام

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

اذكر ام انثى ؟!

● أنا شاب فى السادسة عشرة ، سأتقدم للشهادة الثانوية فى العام القادم ، وأنا طالب مُجِدٌ ، وطموح ، ولكن هناك أشياء تحد من طموحى ، وتكرهنى فى الحياة .. فأنا مثلا لا أميل الى مجالس الفتيات بينما أميل بالعكس الى مجالس الفتيان .. وكل تصرفاتى تشير بالتخنث ، فأنا مثلا أقف طول اليوم أمام المرآة ، وأضع على وجهى أنواع «الكريم» ومساحيق التجميل ، كما لو كنت امرأة . حتى ان أهلى يقولون ان الله كان سيخلقنى بنتا ! وقد شجعوا فى نفسى هذا الشعور منذ الصغر ، فعلمونى الرقص والبسونى ثياب الفتيات كى يضحكوا منى! وأنا فى البيت أحب ممارسة الأعمال المنزلية النسائية ، من كنس وطبخ وكى وترتيب للفراش ، الخ ..

وكثيرا ما اتخيل نفسى امرأة جميلة ، وشهيرة كممثلات السينما الأجنبيات . وأحب أن أحِدّ من هذه الاحلام اللعينة كى افرغ لدراستى ... وليس فى بلدنا طبيب نفسانى لأعرض نفسى عليه ، فضلا من أن أهلى محافظون ، وصارمون ، حتى أصبحت انسانا محطم الأعصاب ، أعيش بلا هدف ، وبلا كيان .

فأرشدونى كيف أتغلب على هذا الشقاء الذى أنا فيه ، حتى امكن من متابعة دراستى ؟

د . خ . ع

« العربى » : ان أهلك لا ريب مسئولون الى حد كبير جدا عن هذه العقد النفسية التى تسيطر عليك ، بما ادخلوا فى روعك منذ طفولتك ان الله كان سيخلقك بنتا ثم عدل عن رأيه ! ثم بأن البسوك ملابس البنات ، ولو على سبيل الفكاهة ، وسمحوا لك بان تقف أمام المرآة لتتزين بالبودرة والكريم ومساحيق التجميل! وبعد ذلك تقول انهم محافظون، وصارمون !!

اى جهل افضح من هذا واى غباء ؟!

ولكن من يدرى ؟! فربما كانوا على حق ، وكان عنصر الأنوثة فيك أقوى من عنصر الذكورة ، ولكنه مستتر ! فلماذا لا تعرض نفسك على جراح ؟!

ان الجراح فى مثل حالتك قد يكون أقدر على علاجك العلاج الصحيح من الطبيب النفسانى . وكثير من الشبان أجريت لهم عمليات جراحية غدوا بعدها فتيات ــ بل لعلك قرأت عن الجندى الانجليزى الذى تحول امرأة بعد أن تجاوز الاربعين وانجب عددا من البنات والبنين !

افرست .. وهملايا

● قرأت فى باب « أنت تسأل ونحن نجيب » بالعدد الثامن والثلاثين اجابتكم على سؤال الأخ احمد صادق عن أخطار صعود الجبل . ولقد لفت نظرى فى هذه الاجابة قولكم أن قمة « افرست » فى الهند هى أعلى نقطة فى العالم . بينما الذى نعرفه هو أن جبال هملايا هى أعلى جبال العالم . فأى الجبلين أعلى ، وما هو ارتفاع كل منهما ؟

ناعم عبد السلام
مكناس ــ المغرب

« العربى » : « افرست » هى أعلى قمة فى جبال « هملايا » ، وارتفاعها ٨٨٤٥ مترا . وهى أعلى قمة فى العالم .

زوج تعذبه الشكوك !

● تزوجت من عامين ، فتاة تعرفت بها من وراء أهلها ، ثم خطبتها اليهم فوافقوا . ولكن لم يمض على زواجنا الا اسبوع واحد حتى بدأت أكرهها ، لما رأيت منها من تصرفات خاطئة ... فهى مثلا تريد التكلم مع الرجال الأجانب ، كما أنها تكثر من ارتداء الثياب التى تكشف الصدر والظهر والذراعين والساقين .

ثم كانت ثالثة الأثافى انها أنجبت طفلا بعد ثمانية أشهر من زواجنا ، فزادت كراهيتى لها ، وبدأت أشك فى بنوة الطفل ، ثم هجرتها من ذلك التاريخ ..

أفكر أحيانا فى طلاقها ، ولكنى ارثى لها .. بينما فى الوقت نفسه لا استطيع أن انسى سيئاتها .

نسيت أن أقول انها جميلة ، وانها تظهر لى من الحب ما لو كان صادقا لكانت جديرة بالعبادة .. فضلا عن انها تقوم بواجباتها المنزلية كأحسن ما يكون .

انقذونى من حيرتى ، واشيروا على بما افعل ، فانى احس وكأننى فى جحيم .

ع.ع. العبادى

« العربى » : **أهم ما فى الموضوع انه يجب أن تفهم أن انجابها طفلها بعد ثمانية اشهر من الزواج ليس فيه ما يشينها .. فمعناه البسيط انها حملت بعد شهر من زواجكما ، ثم ولدت طفلها فى شهره السابع ، وهذا طبيعى جدا .. ويحدث لآلاف من الناس .**

فاذا ما اقتنعت بذلك ، ويجب أن تقتنع ، فان ما يتبقى بعد ذلك من أسباب كراهيتك المفاجئة لها غير ذى بال .

واذا كانت المرأة العربية لم تكن ترى حرجا فى مخاطبة الرجال منذ الاف السنين ، لا فى الجاهلية ولا فى الاسلام ، فبأى حق تريدون أن تحرموها من هذا الحق ، فى عصر الذرة والصواريخ ؟!

أما مشكلة الثياب التى تكشف الصدر والظهر والذراعين ، فتستطيع انت ان تحلها بالتفاهم والنصح !

هل عرفت الآن انه لا مبرر لحيرتك ، وان الجحيم الذى تعيش فيه انما هو من صنعك انت ، لا من صنع زوجتك ؟

سورة التوبة

● لاحظت من قراءة المصحف الشريف أن جميع سور القرآن تبدأ بالبسملة : (بسم الله الرحمن الرحيم) الا سورة « التوبة » أو « براءة » فما هو سر انفرادها بهذه الظاهرة ؟

حسناء سلطان

ثانوية البنات بالكويت

« العربى » : **فى ذلك أقوال عدة. منها أنها سورة تفضح المنافقين وتنذرهم بعذاب أليم ، وتنكل بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم ، ولذا لم تبدأ باسم الله الرحمن الرحيم ، وهو سلام وأمان .. ومنها أنها هى والانفال سورة واحدة ، وكلتاهما نزلت فى القتال .. ومن هنا تركت بينهما فرجة لقول من قال انهما سورتان ، وتركت البسملة لقول من قال انهما سورة واحدة .**

النفاثات فى العقد

● قرأت ما نشرتموه عن « النبى والسحر » وردكم على اعتراضات الاستاذين « عبد الله » وصبحى القونلى رئيس محكمة التمييز سابقا ، وانكارهما لقصة سحر يهود بنى زريق للرسول الكريم .. وبهذه المناسبة أحب ان أسأل عن معنى قوله تعالى فى سورة الفلق « ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد » .

بابكر رحمة الله

سنار — السودان

« العربى » : **(الغاسق) لغة هو الليل اذا اعتكر ظلامه . « وقب » بمعنى دخل ظلامه فى كل شىء . فصار مخوفا باعثا على الرهبة ، ستارا يختفى فى ظلامه ذوو الاجرام ، عونا لأعدائك عليك . « النفاثات فى العقد » يفسرها بعضهم على أنهم**

السحرة الذين يعقدون الخيوط وينفثون فيها من ريقهم . وفسرها آخرون بأنهم النمامون الذين يقطعون روابط المحبة ويبددون شمل المودة ،وشبه القرآن عملهم بالنفث كما شبه رابطة الوداد بالعقدة . وهناك من يفسرون الفاسق اذا وقب تفسيرات اخرى ما انزل الله بها من سلطان ، والله اعلم بمراده .

المعدة لا تهضم نفسها

● قرأت فيما قرأت من المعدة أنها تفرز عصيرا هاضما هو حامض الايدروكلوريك حتى تؤثر على المواد الغذائية التى نأكلها ، من بروتينية وكربو ايدراتية ودهنية .. واحب ان اعرف ، اذا كانت المعدة تفعل ذلك ، فلماذا لا تهضم نفسها وهى من مواد بروتينية ودهنية ؟

محمود احمد محمد الزفتاوي

« العربي » : العنصر الهاضم فى عصارة المعدة ليس حامض الايدروكلوريك ، ولكنه الانزيمات التى فى هذه العصارة. اما حامض الايدروكلوريك ،بمقدار معلوم ، فيهيىء للانزيمات الحية هضم المواد الغذائية .. وهذه الانزيمات تهضم اللحم المأكول : وهو لحم ميت لا دفاع فيه . وهى تهضم بروتينه بتفاعلات ليست من البساطة بمكان . أما جدار المعدة فمن لحم حى ،وهو الذى تفرز غدده هذه الانزيمات الهاضمة . فلو انها كانت تهضم اللحم الحى ، لهضمت الغدد التى تفرزها ، والتى تسكن جدار المعدة .

ومع ذلك فقد تضعف قوة المقاومة فى جزء من جدار المعدة ، لا سيما اذا زادت الحموضة فيها او استمرت طويلا ، فتنحر سطح هذا الجدار ، وتنشأ عن ذلك « القرحة المعدية » التى قد تخرق جدار المعدة خرقا ، ولكنها مع ذلك ، أى المعدة ، لا تهضم نفسها .

زوجتى بكالوريوس .. ومؤهلى متوسط !

● أنا فى حيرة شديدة من أمرى .. فأنا فى الثالثة والعشرين ، احمل مؤهلا دراسيا متوسطا ، واعمل موظفا فى أحد البنوك ، لأن ظروف اسرتى اضطرتنى الى العمل دون الاستمرار فى التحصيل .

تعرفت أخيرا الى فتاة جميلة ، تصغرنى بعام واحد ، ولكنها تكبرنى بمؤهلها الدراسى ، فهى حاصلة على بكالوريوس التجارة ، وتعمل باحدى الشركات . وقد أحب كل منا صاحبه اذ وجد فيه ضالته . ولكنى أخشى أن أتزوجها ، لأن شعورها بأنها أعلى درجة منى قد يخلق فى نفسها شيئا من التعالى أو قد يحملها يوما على الندم من انها قد تزوجت رجلا دونها .

علما بأنى صارحتها بمخاوفى غير مرة ، ولكنها لم تبد اكتراثا بالأمر .. ومع ذلك فانى حائر لا ادرى ماذا أفعل ؟

هل عندكم حل لمشكلتى ؟

محمد عبد المجيد

« العربي » : مثل هذا الفارق فى الثقافة ليس بذى اهمية اذا ما كان هناك تفاهم عاطفى منبعه القلب .. نعرف طبيبات تزوجن من موظفين دونهن فى الثقافة وفى الدرجة وعشن سعيدات .. ومحامية معروفة تزوجت من وكيل مكتبها ، وهما الآن مع اولادهما ، من أروع امثلة السعادة الزوجية .

وهناك اقتراح نعتقد انه يحل مشكلتك : لماذا لا تعمل على استكمال دراستك الجامعية وانت زوج بالانتساب الى احدى الكليات ؟

كم من زوجات اتممن دراستهن الجامعية بعد أن تزوجن ، بل بعد أن ولدن .. أفلا يستطيع رجل مثلك ان يقوم بما قام به كثير من النساء ؟!

حاول .. والله الموفق .

يتبارون فى غزو الفضاء
ونحن نلهو بحديث الجن والارواح

● قرات فى كتاب للدكتور على عبد الجليل راضى الاستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس أن روح الميت تبقى فى الدنيا وتستطيع ان ترى ما يجرى فيها لاحبابها ، حتى انه يكفى ان يبكى طفل هنا ، فى الدنيا ، لكى تشعر به روح أبيه المتوفى ، اينما كان فى عالم الروح .. فضلا عن أن الارواح تستطيع أن تحضر فى جلسات التحضير التى يعقدونها ، وأن تنبىء بالغيب، وتعالج المرضى ، وان هناك ارواح جراحين عالميين تجرى عمليات جراحية لمرضى من الاحياء ! فما رايكم فى هذا الكلام ؟

آنسة انهار ...

ليسانسيه اداب

● سمعت أحد اقربائى من رجال الدين المسنين يتحدث عن الجنة والنار والحياة بعد الموت ، فقال ان الروح بعد مفارقتها الجسد ، لا تصعد الى السماء مباشرة ، بل تظل فى طبقة بين السماء والارض تسمى البرزخ ، وهناك تعيش حياة أخرى .. واستشهد على ذلك بآيات من القرآن لا أذكرها .. فهل هذا صحيح ؟

عونى ادريس

الجمهورية العربية السورية ـ القامشلى

« العربى » : اما اين تذهب روح الانسان بعد موته ، فذلك ما لا يعلمه احد ، وكل ما قيل او يقال من انتقالها الى هذا المكان او ذاك لا يعدو أن يكون رجما بالغيب ، واجتهادا كاجتهاد الفقهاء فى شان الجن مثلا ، واتخاذهم من مختلف الفروض مادة جعلوا منها حقلا للتجريب ، حتى ذهب فريق منهم الى أن تحدثوا عن صحة تزوج انسى بجنية ، أو العكس ، وامكان تسخيرهم فى خدمة الانسان أو ايصال الاذى اليه ، مما لم يقم عليه دليل .

اما « البرزخ » الذى يسال عنه القارئان ، فلا نعرفه ولا نعرف مكانه ، ولا ما يجرى فيه!! وما دام العقل البشرى لم يصل بعد الى معرفة حقيقة الروح ، فاحرى به الا يعرف المكان الذى تذهب اليه بعد الموت .

اما تحضير الارواح وما يقال عن تجسدها وقيام بعضها بعلاج المرضى واجراء العمليات الجراحية ، فليس الا بدعة لا تقل خطرا عن بدعة « الزار » وزعم استخدام الجن فى الحب والبغض ، والزواج ، والطلاق ، واجتلاء الغيب ، واظهار المسروق ، مما يجدر بالناس ان ينصرفوا عن الانشغال به الى ما ينفعهم . ولو كان ما يزعمه المشتغلون بهذه الامور لامكنهم ان يستخدموا الارواح او الجن فى الوصول الى القمر مثلا ، او فى اشاعة السلام فى العالم ، بدلا من هذه السفاسف التى يزعمونها والتى يسخرون بها من ضعاف العقول !

شادى الخليج

● ارجو التفضل بالافادة من المطرب العربى « شادى الخليج » : ما هو اسمه الحقيقى ، وجنسيته وموطنه الأصلي وعنوانه .. وشكرا جزيلا ..

آنسة ب. ح

ص. ب ٣٩ ـ الدمام

« العربى » : اسم « شادى الخليج » : عبد العزيز خالد المفرج ، وهو كويتى الجنسية، ويدرس الآن بمعهد الموسيقى الشرقية بالقاهرة .

ردود خاصة :

● عبد الله : الحسكة ـ سورية

ـ لا بد من فحص جديد لاذنيك . فاذا كانت العلة مصدرها الاذن الداخلية فقد يكون الامر عسيرا .. وفى القاهرة ، كما فى بيروت ، اخصائيون ماهرون فى جراحة الاذن .

● احمد شريف يكن : طرابلس ـ لبنان

ـ أخصائى الأذن الامريكى الذى تشير اليه قد انهى رحلته فى الشرق العربى . وقد يعود الى القاهرة فى الشتاء المقبل .

● **جمعان مسفر الفوزان** : مدرسة الهفوف الثانوية ــ الاحساء

ــ سقوط قطعة لحم من السماء كسبب من أسباب مرض الكلب ، خرافة لا أصل لها .

● **احمد المعماري : سلمية ــ سورية**

ــ لا ضرر من ركوب الدراجة للرياضة لمدة ثلث ساعة في الصباح ومثله في المساء .

● **احمد عبد الوهاب العالم** : ثانوية الجاحظ ــ نابلس

ــ عن السؤال الاول : لا

اما بيت الشعر موضوع السؤال الثاني فمن لامية ابن الوردي التي مطلعها :

« اعتزل ذكر الغواني والغزل »

● **عايش أبو لحية : الطائف ــ السعودية**

ــ العبارة التي ذكرتموها قالها عمر بن الخطاب في خطبته الشهيرة يوم ولي الخلافة .

● **ح. جبرين : الكويت . ضرار فرحات ــ القدس**

ــ للشركة العربية المتحدة للطيران معهد لتعليم الطيران المدني بالقاهرة ، فاكتبا اليها بما تريدان .

● **خ. ك : السعودية**

ــ ما دامت البواسير لم تنفع معها المراهم ، فخير لك استئصالها جراحيا . ولا علاقة لهذه الجراحة بالعقم أو الجهاز التناسلي .

● **عربي من لبنان ــ بيروت**

ــ خبير الانفصال الشبكي الذي تسأل عنه ،اسمه البروفسور كاستودي ، ونحن نكتب هذه السطور وهو ما يزال في القاهرة ، لكنه سيغادرها بعد أيام قلائل ، أي قبل صدور هذا العدد من « العربي » ونظرا لكثرة طلبات العرض عليه وقصر المدة المحددة لاقامته ، قرر أن يعود الى القاهرة خلال شهر يناير المقبل .

● **م. ش. ب : حلب**

ــ تقول ان فتاتك موافقة ، وأبويها موافقان على زواجك منها ، فلماذا تهتم لتدخل أولاد عمها .

تمتّع بلذة التدخين

وانت مرتاح البال

دخّن كنت

المزودة بفلتر ميكرونايت الذي :

- يزيل حماوة الدخان • يلطف طعم السيجارة
- ويجعل نكهة التبغ معتدلة ولذيذة

انتاج شركة ب. لوريلار اول شركة سجاير في اميركا

تباع الآن في علب صلبة
او بحجم كنغ سايز

● **م. صدقي : القاهرة**

ـ ما دامت زوجتك الالمانية قد رفضت أن ترافقك الى وطنك ، ورفعت عليك قضية طلاق ، فطلقها . رفعك دعوى طاعة لن يجديك نفعا ما دامت هي في المانيا وأنت في مصر ، وليس بين البلدين كما تقول معاهدة بشأن تنفيذ الاحكام .

● **حسن عبد الحميد مصطفى : كوبرى القبة ـ القاهـرة**

ـ سل طبيبك المعالج وهو يرشدك الى المكان الذى تحصل منه على النظارة ذات السماعة .

● **بائس : جدة ـ السعودية**

ـ قراءة الكتب الطبية ، لغير دارسي الطب ، قد تضر اكثر مما تفيد ، فأنت لا تستطيع بها تشخيص علتك كما يشخصها الطبيب المتخصص .. وعلى اى حال فحالتك التى وصفت لا تمنع من الزواج ، ولا من الانجاب ، فاستشر طبيبا اخصائيا .

● **أحمد الشنفرى : الجمهورية العربية السورية**

ـ لا مبرر لخجلك من استعمال النظارات الطبية بشرط أن يقر ذلك الطبيب .

● **رمضان رضوان : المدرسة السعودية ـ مكة**

ـ ما تصفه في رسالتك شلل موضعي ، لا يعالج بالرقي والتعاويذ .

● **م.ع.س : الكويت**

ـ لا بد من مراجعة طبيب اخصائي ، واجراء التحليلات اللازمة على الزوجين معا ، وعلاج من يحتاج منهما الى العلاج .

● **محمد ياسين ملحم : حلحول ـ الخليل ـ الأردن**

ـ كتبنا عن ابن خلدون ما فيه الكفاية .

عندما يدخنون...

فإنهم يدخنون السيجارة
المشهورة في كل العالم

حماسة الرياضة واستثارة المباراة...
ثم ... ترفيه عن النفس بسيجارة ممتازة.
الناس يجدون في **پال مال** كل ما يبتغون:
النكهة - الهدوء - نعومة كنج سايز

پال مال

أعظم اسم بين سجاير كنج سايز

ثوب امها !

● كانت الموظفة ترتدي ثوبا يكشف عن مفاتنها ، فاستدعاها المدير وقال لها :

ــ ماذا تقول امك لو راتك تلبسين هذا الثوب الفاضح ؟

فردت عليه الموظفة قائلة :

ــ ستطلب مني ان اخلعه .. لانه ثوبها !

عذر غير مقبول !

● الشاويش : المفروض أن تسقى الحديقة في هذا الوقت .

الجندى : ولكن السماء تمطر يا حضرة الشاويش .

الشاويش : ليس هذا بعذر يمكنك ان تلبس معطفا !

دواء ناجع

● دخل رجل الى احدى الصيدليات باندفاع ولهفة ، وهو يقول للصيدلي :

ــ ما الذى لديك من علاج ضد الفواق؟

فبادر الصيدلى الى صفعه بشدة وقوة على خديه ، قائلا :

ــ هذا هو العلاج الحاسم !

فقال الرجل وهو يكاد يبكى :

ــ ولكن .. لست انا المصاب بالفواق، انها امراتى !!

منطق !

● ذهبت طفلة تبلغ السادسة من العمر الى دار الأوبرا مع امها ، للمرة الاولى . ودهشت لمنظر راقصات الباليه وهن يقفن ويرقصن على رؤوس اقدامهن خلال هذه المشاهد . فسألت امها فجأة:

ــ ماما ، لم لا يأتون براقصات اطول بدلا من اجبارهن على القيام بما يفعلن الآن ؟

مطلوب فائز ..

● اقام نادر من نوادى الصحافة الكبرى حفلته السنوية . وكان من نمرها المسلية جائزة مقدارها ٥ جنيهات تعطى لكل رجل توجد فى منزله صورة لحماته . واجريت المسابقة فلم يفز بالجائزة احد

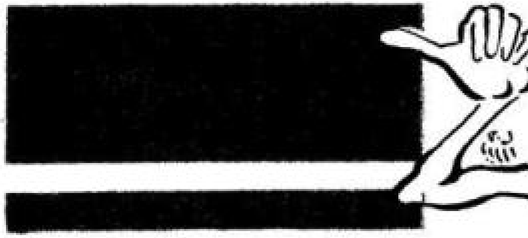

سبب معقول

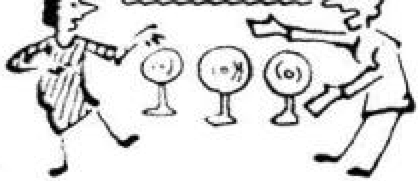

● الزوج : الاتعتقدين أنك مبذرة لأنك تشغلين هذه المراوح الكهربائية الثلاث طوال اليوم ؟

الزوجة : ليس فى هذا ما يقلقنى لأنها ليست مراوحنا ، بل انها مراوح الجيران استعرتها منهم !

من يومه !

● تزوج نشال محترف من نشالة محترفة ، ولما وضعت الزوجة مولودها الأول كان به عيب،اذ كانت يده مقبوضة. فأسرعت الممرضات الى تدليكها ، وبعد وقت غير قصير ، امكن فتحها ، فاذا فيها ساعة يد الطبيب الذى قام بتوليد الأم .

ابن الوز عوام !

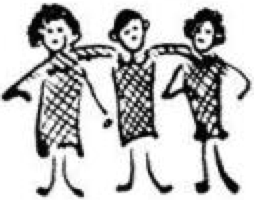

● ارسلت المدرسة ملاحظة الى والدة التلميذ تقول فيها :

ـ ان ابنك ، يا سيدتى ، ذكى جدا ، ولكنه يقضى معظم أوقاته مع البنات الصغار .. اننى احاول ان أجد طريقة لعلاجه .

فقرات الأم الملاحظة ، وردت عليها قائلة :

ـ اذا ما وجدت طريقة ، ارجو ان تعرفينى بها .. لأننى أواجه نفس المشكلة مع والده طوال السنوات العشر الماضية .

أنا والعذاب !

● ركب أحد الأشخاص القطار ومعه حماته، ولما جاء مفتش التذاكر سلمه الراكب تذكرتين فسأله المفتش :

ـ مين وياك ؟

فكان جوابه :

ـ أنا والعذاب !!

FLIP-OPEN BOX
VICEROY
Filter Tip
CIGARETTES

بريد القــراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

العــربي الذي اشتهرتم به بين سائر الامم هو أفضل فضائلكم على الاطلاق . ولكم يسعدني الا اجد الحضارة الحديثة قد افسدتكم كما افسدت الكثير من الامم التى اعماها الشره فراحت تنهب خيرات غيرها وتسلبهم أقواتهم وتعمل فيهم ذبحا وتقتيلا لا لذنب جنوه ، اللهم الا لأنهم هبُّوا للحفاظ على خيراتهم واسترداد انسانيتهم ، وبذلك انسوا مغتصبيهم ومصاصي دمائهم كل معاني الانسانية .

نعم ، لقد سعدت حين عرفتكم انتم انتم ، كما كنتم ابدا طلاب حق ، ثائرين على البغي والعدوان ، كرماء الى حد الاسراف . أى والله هؤلاء هم انتم العرب ، لا تصبرون على ضيم ولا تستكينون لظالم ، وتبذلون مما ملكت ايمانكم وما خفقت به افئدتكم . وليس ذلك بغريب وقد قال احد شعرائكم (عنترة العبسي) :

واذا شربتُ فانني مستهلك
مالي ، وعرضي وافرٌ لم يُكلَم

بُنبيك من شهد الوقيعة انني
اغشى الوغى واعفُّ عند المَغنم

كما قال احد كرمائكم وهو حاتم الطائي يعاتب زوجته

اماويُّ ، ان المال غادٍ ورائحٌ
ويبقى من المال الأحاديث والذكر

اماوى ، اني لا اقول لسائل
اذا جاء يوما : حلَّ في مالي النَّزر

اقول هذا للقراء الأعزاء — ذكورا واناثا — الذين ابدوا رغباتهم في ارسال اشياء تذكارية لي من البلاد العربية . وانا اذ اشكر لهم كرمهم وعاطفتهم يسعدني ان اخبرهم بانني ساطير في الايام القريبة الى الملايو ، ثم اندونيسيا ، حيث سادرس بعض تاريخ هذين الشعبين عن كثب ، وساُعرِّج في طريق عودتي على بعض البلدان العربية لزيارة معالمها الحضارية والتاريخية ، وعندها ساجلب معي تذكارا ارى فيه كل الأصدقاء العرب وامتكم العظيمة .

اما بالنسبة للسادة الذين أبدوا رغباتهم في مراسلتي او مراسلة احدى بناتي ، ان كان لي بنات ، فانه ليؤسفني ان اعتذر لهم جميعا ، لأن مشاغلي الجمة لا تسمح لي بهذا الشرف في الوقت

قسيمة المسابقة (كوبون) ترفق مع الرد

الحاضر ، ولان وحيدتي أم" اشتعل راسها شيبا كابيها ، ولها من زوجها واطفالها ما يشغل جلّ وقتها . انني اشكركم جميعا جزيل الشكر .

ان جميع من كتبوا اليّ قد طلبوا مني أن ارد على رسائلهم ، وأنا لو فعلت لكتبت مئات الرسائل. وأنا موقن ان الذين لم يتسلموا ردى سيجدون لي العذر الكافي . وعلى العموم ، وجريا على عادة « العربي » القراء ، فقد أجريت قرعة بينهم وفاز كل من السادة ـ معذرة للاوانس :

عبد الرحمن محمد الملا الموظف ببنك الاندوشين ، بالدمام ـ المملكة العربية السعودية ـ ص.ب (٦٧) الذى كتب اليّ نبذة مؤثرة عن تاريخ العرب مبينا ما تعاقب على الأمة العربية من صروف الظلم ابتداء من عهد التتار حتى عهد الاستعمار الغربى . وشكرا له على رغبته فى تزويدى بمجلة الآداب التى اقرأها انا بدورى .

ثم السيد احمد راتب عيد ـ شارع المباركية ـ سفريات غفير وعيد ـ ص.ب (١٤٧٧) الكويت .

ثم السيد شوكت يوسف ـ مخزن الاتكال ـ شارع الوزان ـ المرقاب ـ الكويت . الذى بعث اليّ بصورة جميلة للقدس مع رسالته الأخوية. وشكرا .

المخلص

اريك كريستنسون

فلستروب الجنوبية ـ الدانيمارك

مريانا مراش

● نشرتم للسيد سامى الكيالى مقال بعنوان « عربيات فى سوريا ادبيات » ، وجاء فى مقاله هذا أن مريانا مراش تعلمت العربية على أخيها فرنسيس ، بيد أن بعض الكتب تقول انها تعلمتها فى مدرسة الحوادث للفتيات وأنها دخلت هذه المدرسة وهى فى الخامسة من عمرها وغادرتها وهى فى الخامسة عشرة . وأتعرض لشيء آخر لم يتعرض له السيد الكاتب وذلك أن أباها السيد فتح الله فرنسيس ، بيد أن بعض الكتب تقول أنها تعلمتها وتوفيت سنة ١٩١٢ وتزوجت ورزقت ثلاثة أولاد كلهم ذكور . ونظمت شعرا كثيرا لم ينل حظه من الطبع للآن . والسلام .

تامى تازة ـ المغرب

الجامعات فى الوطن العربى

● اطلعت على ما نشرتموه بقلم الاستاذ ساطع الحصرى عن عدد الجامعات والكليات فيها فى الدول العربية ، وفيه ان جامعة الملك سـعود بالرياض تحتوى على ثلاث كليات : واحدة للآداب ، وأخرى للتجارة ، وثالثة للعلوم ، مع العلم بأن هناك كلية رابعة نسيها الكاتب هي كلية الصيدلة .

عبد الله محمد النجدى

● جاء فى مقال الجامعات فى الوطن العربى أن أقدم الجامعات المذكورة الجامعة الأزهرية بالقاهرة وجامعة القرويين بفاس ـ المغرب . والذى نعرفه من تواريخ تأسيس هذه الجامعات أن الجـامعة الزيتونية بتونس بناها عبد الله بن الحجـاب سنة ١١٤ هـ .

وان جامعة القرويين بفاس بنتها الاميرة فاطمة ام البنين سنة ٢٥٥ هـ . وان جامعة الازهر بناها المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٦٥ هـ .

المبروك النفطى المطوى

كتابة الدولة للبريد والبرق والهاتف

الجمهورية التونسية

● ولكن هناك جامعة اخرى فى ليبيا وهـى « الجامعة الاسلامية » الواقعة فى مدينة البيضاء لم يذكرها الكاتب ضمن تعدادكم الجامعات ، وهى مكونة من ثلاث كليات : كلية الشريعة ـ كليـة أصول الدين ـ كلية اللغة العربية ، ويبلغ عـدد الطلبة بهذه الجامعة حوالى الثمـانين طالبا فى الكليات الثلاث ، ولكنّ هناك فروع لهذه الجامعة فى جميع المدن والقرى فى ليبيا ويبلغ طلبة هـذه الفروع وهذه المعاهد حوالى ثلاثة الاف طالب وهى تضم طلبة من مختلف البلاد الاسلامية فى افريقيـا وآسيا .

على موسى الشوملى

... وعبد الرحمن صدقي ؟!

● اشاد الدكتور احمد زكي فى مقاله عن الأمومة .. بالعدد الأربعين من مجلتنا الغراء « العربى » بشعر عزيز أباظة فى رثاء زوجته ، فقال : « لعله اوقع ، ولعله الم ، ولعله أكثر شجآ . وانا لا اخالفه فيما يقول الا اني كنت أود ان يشير الدكتور فى خاتمـة حديثه ـ ولو اشارة خفية الى الشاعر الكبير « عبد الرحمن صدقى » ـ صاحب ديوان « من وحي المراة » فهو يعد فى طليعة من بكوا الزوج باخلاص وسكبوا الدمع بوفاء .

تامل قوله الذى كتبه تحت صورة زوجته :

لقد كنت يومـا آية الخالق البارى
وكونا عظيمـا من شـعور وافكار
فامسيت منعـى فى صحيفة اخبار
وبضـعة اشعار وصورة تذكـار

محمد علي جابر

ابو تيج ـ الاقليم المصرى

« العربى » : لعل السبب فى الاغفال أن عزيز اباظة بكى زوجة أما ، أما عبد الرحمن صدقى فبكى زوجة فحسب . ونرجو أن لا نكون مخطئين . ومع هذا فالدكتور زكى ضربه مثلا ، ولم يقصد الـى استيعاب واستقصاء .

حادثة دنشواى

● قرات مقال الاسـتاذ قدرى قلعجى عـن « مصطفى كامل » بالعدد ٣٩ من مجلتكم الغراء ، فعجبت لاغفاله حادثة هامة رايت من الواجب أن أنبه اليها وهى : حادثة دنشواى (١٢ يونيو سنة ١٩٠٦) .

وليس هنا مجال الافاضة فى ذكر تفاصيل هذه الحادثة ولا تفاصيل المحاكمة الانجليزية الغاشمة التى اقيمت على عجل يوم الاربعاء ٢٧ يونيو سنة ١٩٠٦ ولا عن احكام الاعدام شنقا للمواطنين الأبرياء بعد أن ثبت من تقرير الطبيب الانجليزى أن كابتن بول انما ترجع وفاته الى ضربة شمس !! كنت أحب أن يبين الأستاذ قدرى نتائج حادثة دنشواى على الحركة الوطنية ، وكيف كانت نقطة تحول فى تاريخ مصر القومى حتى لقد صدق فيها قول أمير الشعراء شوقى :

نوّحى حمائمَ دِنْشـواىَ وروعى
شعبا بوادى النيل ليس ينـامُ
ان نامت الاحيـاء حـالت بينـه
سَحَرا ، وبـين فراشـه ، الاحلام
متوجـع يتمثل اليـومَ الـذى
ضجّت لشـدة هـوله الأقدام

فايزة احمد عبد القادر

العربي

ذو الحجة ١٣٨١
يونيو
(حزيران) ١٩٦٢

مع هذا العدد

هدية ثمينة
+
العربي الصغير

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

عربية من فلسطين
بين زهور الكويت

الثمن

كويت	١١٠	فلوس
طيج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٥ر٣	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
يبيا	١٥	قرشا
ونس	٢٠٠	فرنك
مغرب	٢٠٠	فرنك

العاهل البريطانى الفنان ، أوغسطس جون

جاءته تصور تماثيله . وكلمته فتحسرت بسماعها اذنه الصماء . فضاق نفسا . وفى هذه اللحظة لقطت صورته . فخرجت الصورة به وبتماثيله . فكانت صورته أملأ فنا .

عزيزى القارىء

هذا هو الشهر السادس

او هو حزيران

او هو جون كما تسميه بعض البلاد العربية

المهم انه الشهر الذى يبلغ النهار فيه أكبر طوله ، وذلك فى نحو اليوم الحادى والعشرين منه ، ويبلغ الليل أصغر قصره

وهو فوق ذلك الشهر الفارق بين عمل المدارس والجامعات وتعطلها ، وهو الشهر الذى ينظر فيه العامل الى الوراء ، الى الاشهر التى مضت ، كم عمل فيها ، فيرضى رضا كاملا ، أو يقل رضا

وهو الشهر الذى ينظر فيه العامل الى الامام ، الى الاشهر التى تأتى ، كم له من الراحة فيها . كم من اجازة . كم من فراغ

والفراغ لم يخلقه الله لأن يفرغ الانسان فيه أبدا . ان الفراغ مع الحياة نشاز . انما الفراغ استبدال نشاط بنشاط .

وللجسم حظ من النشاط موفور . سير فى الحدائق المزهرة ، وفى الجبال المشجرة ، وسبح فى الماء

ولكن كذلك للعقل حظه . والانسان ، كل انسان ، فى كل الاعمار ، يفرغ فى الصيف ليقرأ : يقرأ الكتاب . يقرأ المجلة . يقرأ الصحيفة . وهى قراءة للعقل والقلب ، كالغذاء للجسم ، الا انها مائدة طعامها مما لا تطبخه المدارس ولا تطهيه الجامعات . انه طعام من طبخ الحياة

فاجعل لصيفك برنامجا ، من كتب تقرأ ، ومن مجلات ، ومن صحف . فاذا جاء الشهر العاشر ، شهر اكتوبر ، فاسأل نفسك كم قرأت ، على هوادة ، وكم أفدت ، وكم حصلت من تلك الأشياء التى تجعلك رجلا أكمل ، او فتاة او امرأة أصلح للحياة

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعــات :

آداب :

طب وعلوم :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والأنباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٣٩٤١١ ــ تلغرافيا « العربي »
العنوان ببيروت : ص . ب ٤٦٧٩ ــ **العنوان بالقاهرة :** ص . ب ٣٧٢
الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● تزداد عناية الكويت بتشجير الشوارع والاكثار من الحدائق العامة والخاصة هذه الأيام بصورة ظاهرة ، بحسبان هذا التشجير من عوامل التعمير والتجميل التى تنفق عليها ملايين الدنانير .. ومع التشجير جاءت العناية بالتزهير . والآن يوجد بالحدائق ، من حكومية وأهلية ، أنواع كثيرة من نادر الزهور ، موطنها أوروبا ، ثم هى استقرت فى الوطن العربى وتأقلمت.

(تصوير شقره)

ثمن العدد بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٣٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

« العود » فى يد عزرائيل

● فى مقالكم « الادب له غايات ثلاث » وفى الفقرة ذات العنوان « التعبير الرفيع قد يكون فى الموضوع الوضيع » من الصفحة (٦١) أوردتم شاهدا من هجاء أبى الطيب فى كافور يقول فيه :

ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم — الا وفى يده من نتنها عـــود

واعقبتموه بتفسير جاء فيه (عزرائيل اذا اخرج روحا من أرواحهم اخرجها ، لا بيده ، ولكن بعود فى يده لنتنها) ـ والذى اراه ان للمتنبى مرادا آخر هو أن ملك الموت حينما كان يهم بانتزاع الروح من احدهم يمسك باليد الاخرى عودا طيب العرف يسعفه فى انتزاع الروح كى يطغى شذى العود على رائحة الروح الكريهة أو يخفف على الاقل من نتنها ، والذى يجعل هذا التفسير اقرب الى الافهام ان انتزاع الروح بالعصا ليس مقبولا ولا مالوفا ، وان ذلك لا يذهب بالرائحة ولا يوفر على ملك الموت من اذاها على حاسة الشم شيئا ، وان الشعراء منذ القدم يطلقون هذه الكلمة على هذا اللون من العود الذى يفوح عرفه حالما تشتعل النار فيه كما قال ابو تمام :

لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وأهل الخليج العربى فى قطر وغيرها يطلقون هذا اللفظ (العود) ويريدون هذا المعنى .

مع أصدق تمنياتى باطراد الفوز لمجلتكم القراء التى لم تنازع حتى هذا اليوم فى كونها مجلة العالم العربى الأولى شكلا ومضمونا .

عدنان سعد الدين
مدير مدرسة ابى بكر الصديق
قطر ـ الدوحة

« العربى » : جاء فى تفاسير ديوان المتنبى عن هذا البيت أنه يعنى : أن أرواحهم من النتن والقذارة بحيث اذا أراد ملك الموت قبضها لم يباشرها بيده،وانما يتناولها بعود كمايفعل بالجيفة. أما العود الذى هو ضرب من الطيب يتبخر به ، فهو يحرق ، فكيف يكون فى يد القابض طيب يحترق . واذا كانت يد من يديه مشغولة بالطيب، فلا بد أن اليد الاخرى تضرب فى الجسم ـ فى الجيفة ـ لتخرج الروح . فماذا يصنع الطيب ـ على زعم أنه جاز ـ واليد قد تلوثت بالجيفة ؟ والمفسرون أجمعوا على تفسيرنا ، ومنهم من عايش المتنبى .

نقلا عن « العربى »

● نشرنا فى بريد القراء بالعدد الماضى رسالة ينبه فيها كاتبها الى مقال الاستاذ قدرى حافظ طوقان عن « ابن ماجد ، بحار العرب الأول » الذى نشرته العربى بالعدد التاسع والعشرين واذا بجريدة النهار البيروتية تنشره مؤخرا بما فيه الاضافات التى ادخلت عليه ووضعت فى برواز خاص ذيلت باسم العربى ، وكذلك الرسم الذى نشرناه لابن ماجد كما تخيله رسام «العربى» الذى أباحت الزميلة لنفسها أن تمحو اسمه وتثبت مكانه اسم رسامها ، الخ .. واستبعد الكاتب أن يكون هذا النشر قد تم بعلم الاستاذ قدرى طوقان وموافقته .

ولم يكد العدد الماضى يصدر وبه هذه الرسالة حتى تلقينا من الأستاذ قدرى البرقية التالية :

« لم يسبق لى أن أرسلت أى مقال الى جريدة النهار البيروتية . وفى اعتقادى أنها نقلت مقال ابن ماجد عن مجلة العربى نقلا غير أمين ، لا تشكر عليه ولا تحمد . لقد أباحت جريدة النهار لنفسها نشر المقال دون علمى ودون موافقتى .

قدرى حافظ طوقان

شجر يثمر نساء !!

وناس يخلقون من غير اب ولا ام !

● لقد قرأت فى العدد السابع والثلاثين «بانه ليس لديكم ما يدل على ان لبلاد «واق الواق» وجودا فعليا فى الوقت الحاضر على الاقل .... » وقرأت فى العدد الحادى والأربعين ، أن اسم هذه البلاد قد ورد على خارطة العالم التى رسمها الشريف الادريسى . كما قرأت ايضا فى نفس العدد أن « واق الواق » اسم اطلق على سكان سواحل آسيا الشرقية .. واحب أن اضيف الى ما نشرتموه : ان الفيلسوف العربى ابن طفيل ذكر فى قصة الفلسفة العربية «حى ابن يقظان» مانصه حرفيا : «.. ان جزيرة من جزائر الهند التى تحت خط الاستواء ، يتولد بها الانسان من غير ام ولا اب ، وبها شجر يثمر نساء ، لأنها اعدل بقاع العالم هواء واتمها لشروق النور الأعلى عليها استعداد ... » وعلق الدكتور كمال اليازجى فى كتابه « النصوص السائقة » على حاشية الصفحة ١٦٨ من نفس الكتاب : « هى الجزيرة الاستوائية ـ جزيرة الواق واق ـ حيث زعم ان الانسان يتولد من غير ام ولا اب ... »

موسى فهد شنك
دار المعلمين ـ عمان

على هامش الدعوة الى الزواج المبكر

● قرأت حديثكم الشهرى ، فى عدد نيسان ، واعدت قراءته مثنى وثلاث ورباع . وأعجبنى فيه ، بجانب ما اعجبنى ، صراحته وتصديه لجوهر المشكلة فى الصميم . ولكن ما يزيد المشكلة تعقيدا هو أن مجموعة من العوامل المتناقضة ، المتشابكة ، تقف فى وجه اى حل مقترح مهما كان لونه وطابعه.

وقيمة الحل ، كما تعلمون ، بقيمته العمليـة وبملاءمته للظروف .. ولذا أحببت أن أشير الى أمرين من الأهمية بمكان ...

اما اولهما : فهو شبابنا العربى فى معظمه خلال هذه الآونة الحاضرة يبذل النفس والنفيس فى سبيل اكمال دراسته ، واعداد نفسه لكسب وغير كسب من شئون هذه الحياة الدنيا ، ومشكلة الكثيرين من شبابنا تدور حول ما اذا كانت حالته المادية وحالة اسرته ستمكنه من المواصلة . أم انه سيضطر فى اية لحظة ـ وهذا ما يحدث كل يوم ـ الى التوقف والاتجاه الى كسب مبكر مفروض ؟ فما بالنا وقد ادخلنا عليه وعلى والديه هموم مهر زوجة وخلق بيت جديد ؟

قلتم على الأب أن يصرف على ابنه بعد زواجه كما كان يصرف عليه قبل زواج . وهل ذلك ممكن .. والأب فى الأغلب يكاد لا يتمكن من الصرف على نفسه ؟ والدولة .. كيف تريدها أن تتدخل .. هل تصدر قانونا بتخفيض المهور والغائها ..؟ وليس بالقوانين تبنى الامم ؟! ـ أم تقترحون أن تقدم مساعدات الى الشباب المتزوج ؟ وهل هناك دولة فى مشرقنا ومغربنا قادرة على القيام بمثل هـذا العمل فى حدود مقبولة ومعقولة ؟!

ثم يبقى الأمر الثانى :

الزواج يا سيدى عملية اجتماعية ونفسية خطيرة، فيها يختار المرء رفيقة عمره ، التى معها سيعيش ومنها سينجب وهو اختيار متبادل . يتطلب نضجا ويتطلب بعد نظر ، ويتطلب خبرة وتجربة . فهل لشباب العشرين من النضج العاطفى والفكرى والخبرة وبعد النظر ما يؤهله لبناء الأسرة .

كيف يمكننا ان نضمن أن مثل هذا الزواج ليس مجرد نزوة من فتى العشرين ، وليس مجرد اشتهاء من فتاة فى العشرين أو اقل .. وزواج غير ناضج بين شاب وشابة غير ناضجين مصيره الطلاق .. فما فائدة العملية كلها اذن ؟!

اقتراحكم حل للمدى البعيد .. بدا ينتشر فى الغرب بعد أن تقدم الغرب تقدما عظيما .. فعم الوعى .. وارتفع الدخل .. ووعت الدولـة مسئولياتها . وحتى تكون فى الشرق أهلا لاقتراح كهذا نحتاج الى مدة ليست بالقصيرة .. والى

البقية على صفحة ١٥٩

الأحاديث شجون

يومان :
يوم للاعلام
ويوم للوقاية من عمى

التقدم قوة ..
والتحرر قوة ..
وتطوير المجتمع قوة ..
وتصنيع الحياة قوة ..
قوى أجدر بالاعلام
والاعلان .. !

مؤتمر الإعلام أبى أن يكون لقراراته إعلان !

بقلم
رئيس التحرير

■ شيئان حدثا فى الاسابيع القريبة الماضية ، فيما يحدث من الأشياء ، مسّا خير الوطن العربى ، او ضيره ، أقرب مساس .

اما الشيء الأول : فالاعلام (بكسر الألف) ومؤتمره الذى انعقد ثم انفض .

واما الشيء الثانى : فالعمى ، ويومه الذى كان ثم بان .

ما الاعلام ؟

اما الاعلام (بكسر الألف مرة أخرى) فهو مصدر أعلم اى اخبر وانبأ ، والمقصود به نشر المعلومات فى الناس ، المعلومات النافعة طبعا . والذين صاغوا اللفظ انما صاغوه هربا من أسماء قديمة دخلت الريبة الى معانيها ، كالدعاية والدعاوة والبروباجندة . واهل الغرب هربوا مثل هذا المهرب من الفاظ قديمة دخلت الريبة الى معانيها . واقرب لفظ الى الصفاء اليوم عندهم هو لفظ Publicity اى النشر فى عموم الناس .

ونذكر ما نذكر من معنى اعلام ، لانها كلمة سيئة الحظ ، ما سمعها احد أول مرة الا سأل ما معناها . وما قراها قارىء الا فتح الفها فكانت عنده الأعلام ، جمع علم . والعلم فى الأشياء الراية والجبل ، وفى الناس الكبراء البارزون منهم .

ولفظ ، قصد به أن يكون معناه النشر ، وان ينتشر فى الناس ، ما كان اولاه ان يكون مما يسهل نشره ، لهذا كرهه عند سماعه ، ومن بعد شرح معناه ، كثيرون ، وفرح به آخرون فرحتهم بكل جديد .

مؤتمر الاعلام

ولنا فى مؤتمر الاعلام كلمة واجبة ، ثم كلمات غير واجبات .

اما الكلمة الواجبة فان المؤتمر نظمته الجامعة العربية ، واستضافته دولة

الكويت ، احدث الدول العربية مولدا .

وقام اهل الضيافة، على المعهود منهم، بخير ما يكرم به الضيف . ورأى اعضاء المؤتمر ، وهم من بلاد عربية عدة ، من تقدم الكويت ومن نهضتها ، ما كانوا سمعوا به ، وما راء كمن سمعا . فكان هذا من باب الاعلام لهم ، وهم رجال الاعلام .

وحصل بانتظام عقد المؤتمر ، سواء في حلقات الدرس ، أو حول الموائد ، او في الزيارات الكثيرة لمظاهر المدينة في البلد الجديد الناهض ، حصل في كل هذا ، الجو العربي الحبيب الذي يجده الانسان في كل مؤتمر يضم رجال العروبة من غرب الوطن العربي ، ومن شرقه . جو ود ، وجو سماحة ، وتقارب قلوب .

سرية حول المؤتمر كاملة

فتلك هي الكلمة الواجبة .

اما الكلمة الأولى غير الواجبة فتتصل بالسرية الكاملة التي ضرب نطاقها حول المؤتمر . لم نعلم مما حدث ، او نوقش، او تقرر في المؤتمر شيئا . وكان «العربي» على بعد ادوار من المؤتمر ، في المبنى الواحد ، مبنى وزارة الارشاد والأنباء الجديد، ولكن كان ما بيننا من البعد مثل ما بين الكويت والولايات المتحدة اذا انعقد فيها مؤتمر ، في الشارع الخامس من نيويورك ، في الدور السادس والثلاثين باحدى ناطحات السحاب هناك .

وسألنا:ولم كل هذه السرية،وهيئة الأمم تجتمع ، ومجلس الأمن يجتمع ، اجتماعات عادية مفتوحة ؟ فقيل لنا انها اسرائيل ، يجب ان لا تدرى .

واجال الشيطان اللعين بخاطري فكرة خبيثة : ان لعل اسرائيل هي اول من علم ، فاذا لم تعلم فهي اول من فطن ، في حين ان الشعب العربي ، الذي حبس عنه علم ما جرى ، هو اول من جهل ، وآخر من سوف يعلم ان هو علم شيئا ابدا .

وجال بخاطري : اكان كل المؤتمر اسرائيل حتى يحجب كل ما دار في جلساته عن علم الناس ؟ ولم اكد اعقل . اذن لأصبحت اسرائيل عقدة في نفسية العرب تحتاج الى علاج سريع .

الاعلام له عشرة وجوه وعشرة

اما الكلمة الثانية ، غير الواجبة ، فهي

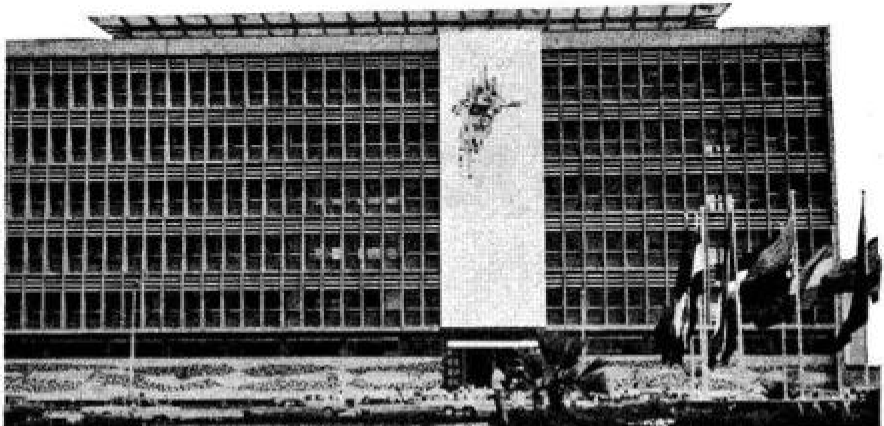

مبنى وزارة الارشاد والانباء ، بالكويت ، وفيه مقر « العربي » ، واقسام التصوير ، والزنكغراف . والمطابع التي تطبعه

ان الاعلام له عشرة وجـــوه وعشرة . والاعلام قائم فى كل بلد . وهو قائم فى الوطن العربى، كانت اسرائيل أو لم تكن.

واعلم أن اسرائيل مشكلة من مشاكل العرب الكبرى. ولكنا، اذا نحن ضخمناها استغلالا للعواطـف ، حتى تحجب تلك المشاكل العديدة الأخرى ، اذا لكانت هناك الطامة الكبرى . وذلك انى اومن بأن مشكلة اسرائيل لا تحل الا بحل تلك المشاكل الأخرى .

ان العرب فى دور من التطور السريع العارم، المفروض فيه انه يحظى بتسعين فى المائة من جهودنا : تطــور سياسى . تطور اجتماعى . تطور صناعى . تطور اقتصادى . مجالات يجب أن يتقـدم العرب فيها ــ أن يتقدم الوطن العـربى كله ــ كل عام خطوات طويلة كثيرة جبارة.

وهذه الخطى هى التى يكون لهـــا الاعلام .

الاعلام فى الوطن العربى أولا . ليقتدى من يقتدى ، ويتعظ من يتعظ ، وليرضى الناس فيزدادوا بالعمل ايمانا .

ثم الاعلام فى اركان الدنيا الاربـــع ، الاعلام عن خطى التحرر . خطى التطور مع الزمان . خطى تجعل قوافل الغرب والشرق جميعا تحسُّ باننا قافلةٌ فيهم ، ومنهم ، تسير على الدرب معا، فى سبيل العدل ، والفهم ، ورفاهية الانسان .

هذا هو الاعلام الذى يجب ان يكون. وهذا هو الجو الذى يجب أن يُخلق ، وفيه نتحدث الى اهل المدنية ، فينظرون الينا نظرة المدنىّ يتحدث الى المدنىّ ، فهو جدير بالثقة ، وهو جدير بالاستماع اليه ، وهو الجدير بالتصديق ، تحدثنا فى امر فلسطين السليبة أو فى غـــير فلسطين .

عالم اليوم ، لا يقر بالعدالة أساسا لحل المشكلات

اما الكلمة الثالثة ، غير الواجبـــة ، فتتعلق بما يفهم العرب من معنى الدعاية لفلسطين . الاعلام عندهم يتركز أكثره فى نشرات وكُتيبات تصف النكبـــة الفلسطينية لأهل الشرق والغـــرب . والقضية الفلسطينية ، من حيث انها قضية ، هى من اسهل القضايا . ولكـن الذين يحسبون أن مشاكل العالم تحَلّ اليوم بناء على ما فيها من عدل أُغفِل ، أو ما فيها من ظلم وَقَع ، ولو كان سلخ جلود ، قومٌ مخطئون. السياسات اليوم مقارضات بين قوى كبيرة جبارة، وكذلك قوى ثانوية غير جبارة ، ولكنها ذيـــول لتلك الكبرى ، وذيل الأسد منه ، فلا يُستحقر . والعدل فى هذه المقارضات والمقايضات آخر شىء يذكر . والسبب بسيط : ان العالم الذى تسود فيــه العدالة لم يُخلق الى اليوم . ان عالمَ اليوم عالمُ مساومات ، ومخاصمات ، ومصالحات ، هدفها ان تنال كلُّ دولة اكبر نصيب من خيرات الارض ، بالعدالة ولو ظاهرة ان امكن ، فان لم يكن ، فعلى العدالة العفاء .

والعفاء كذلك على الفلاسفة وما يخرج من رؤوسهم من حماقـات . وسَجَنوا فيلسوفهم الأكبر لأنه دعـــا الى وقف التجارب الذرية استعدادا لحربها ، تلك الحرب التى ان قامت هدمت المدنية الحاضرة من اساسها ، وبدّلتْ ما عند الناس من سعادة بشقاء .

والعفاء كذلك على العلماء : كتبـوا ما كتبوا فى امـــر هـــذه الحرب ، حـــرب الذرة ، تلك الذرة التى هم خلقوها ،فما أصاخ لهم احد .

ان الذى يريد ان يكـــون له نصر ، ونصراء ، فى هذا العالم الحاضر ، لا بد أن يتوسل بوسائله الحاضرة : بالقوة ، من كل صنف . والتقدم قوة . والتحرر قوة . وتطوير المجتمع قوة . وتصـنيع الحياة قوة . والفلسفة لا بأس بها . ولكن الفلسفة افعل اذا حمل صاحبها ، فى هذا العصر ، مع كتاب فلسفته ،مدفعا رشاشا .

الاعلام صنفان : ايجاب وسلب

اما الكلمة الرابعة فتتعلق بأن الاعلام صنفان :

اعضاء مؤتمر الاعلام ، من البلاد العربية ، فى احد اجتماعاتهم يتباحثون

ايجاب وسلب .

والايجاب ان نفعل شيئا .

والسلب أن نكف عن فعل اشياء .

السلب يكون بأن نكف عما يقع في بلادنا على مرأى من الزائرين ومسمع مما يسوء ويفضح . انها أشياء تهدم ما يبنيه الاعلام . وجوه في المطارات كدرة ، وانفس عند الجمارك متحفزة متوترة متجهمة جشعة . وطوائف في الطريق من صبية وغير صبية ، ومن اهل العاهات ، تلاحق الناس ، والزوار خاصة متوسلة متسولة . والفقر كان في قديم الأيام شيئا خلقه الرحمن لتجرب عنده الأنفس السخية قدرتها على الاحسان ، اما اليوم فهو سبة الأمة ولعنة الزمان .

اشياء هي اليوم صغيرة . ويعود الزوار في الغد الى بلادهم ، في شرق وغرب ، فيكون لها أصداء نكراء كبيرة اليمة . حتى لقد شكا الهندي مما لقي . وحتى لقد قاسى العربي في البلد الآخر العربي ، وصاح فما أسمع .

السلب أولا يا أهل الاعلام ، ثم يأتي بعد ذلك الايجاب .

وحيث نذهب في بلاد الغرب نحمل معنا ما يحسبه الغرب كرنفالا ، لا سيما بالذي نحمل من أشياء أحياء معبأة في سواد . ويعلم أهل الدعاية ويعلم الصهيونيون خاصة ، بمن سوف يصل فلا يكاد يترك العربي السفينة ، او يغادر الطائرة ، حتى يجد امامه عشرات العدسات تفتح وتغلق ، مرة من بعد مرة . وتنقل الصور ، وتتحدث الصحف ، مغرضة ، تقول هؤلاء هم العرب اينما وجدوا . هؤلاء هم المطالبون بطرد الصهاينة من ارض فلسطين .

حدث هذا مرات منذ سنوات . حدث في روما ، ومن قبله حدث في جنيف . ثم يقال بعد ذلك أن العرب متخلفون في الاعلام !

ان هذا الذي تصف ، مما يحدث من بعض رجال ، منهم احبة لنا ، أعزاء في العروبة علينا ، عن جهل بعقلية أهل الغرب ، وعلى افتقاد النصحاء الخلصاء العارفين عندهم ، لو شاء الصهاينة أن يمثلوا مشهدا منه ، لسخت أنفسهم فيه عن الف الف دينار ذهبا .

ولكن ما حاجة اسرائيل ، ونحن نضحي بأنفسنا قبل أن يضحوا بنا .

ان أمثلة الاعلام بالسلب كثيرة ، يتلقفها الباحث سهلة في كل سبيل نمشي فيه عند غيرنا ، وكل سبيل يمشي فيه الأغراب عندنا .

الأحاديث
شجون

١٠ ملايين من العميان

كانت نجاة ثلثيهم من العمى بالإمكان

العمى نكبة فردية ، وهو نكبة شعبية ..
والوقاية ارخص على الدولة من العمى .. أرخص كثيرا

ومن الحديث عن الاعلام ، بمناسبة مؤتمر الاعلام ، انتقل الى الحديث عن العمى ، بمناسبة يوم الصحة العالمى ، الذى اتخذ العمى موضوعا مختارا له .

وهى احاديث يحمل تبعتها كاتبها ، ويحملها وحده ، ولا هدف الا الاصلاح ، والا الخير يعم هذا الوطن العربى ، بحسبانه كلا لا يتجزا . كل مساءة فى جزء صغير منه مساءة للجميع ، وكل مفخرة مفخرة للجميع . ولن يكبر احد عن نقد . وما كبُر عمر حين قال : اذا رايتم منى اعوجاجا فقوّموه .

لمن اتحدث عن العمى

وقلت : اتحدث عن العمى .

قال صاحبى : وما حديثك عن العمى وكل القراء مبصرون ؟

قلت : ان الحديث عن العمى لا يكون للعميان ، فقد عرفوا منه الكفاية ، وازدادوا . انما احاديث العمى تكون للبصراء .

تكون للبصير الذى يعمى .

وتكون للبصير الذى قد يولد له ولد اعمى ، او بنت عمياء ، او هما يعميان من بعد ولادة .

واذ اتحدث عن العمى انما اتحدث الى الدولة ، وما الدولة الا الناس جميعا . فالدولة التى بها مئات الألوف من المكفوفين كالدول العربية ، من الوجهة الاقتصادية وحدها ، دول مثقلة . فحظ المكفوفين من عمل ، اخذا بالغالب ، حظ قليل ، وانتاجهم صغير ضئيل . وكلفتهم فى العيش ، هى كلفة اكثر مما يتكلف البصراء .

ولكن الى جانب الحس المادى ، والرقم الحسابى ، الذى يسجل النفع والخسارة ، هناك الحس الروحى بالاستياء والرضى .

فما رأى رجل بصير ، اكتمل عقله ، واكتمل قلبه ، وما رات امراة اكتمل نصيبها من عقل وقلب ، ما رايا صبيا يضرب فى الارض بعكاز الا ثارا على أب مهمل او ام مهملة ، او على دولة اذنت للجهل ان يسود ، او حتى على القدر بما اعطى العميان من نصف حياة ، فلا هو اعطى فاكمل ، ولا هو منع فحسم .

ومع هذا فالانسان لا يحس بمحنة الاعمى كاملة ، الا اذا وقع العمى فى بيته ،

او وقع فى صحبه . فاذا وقع به هو نفسه ، فقد اكتمل الحس بالمحنة بما ليس عليه مزيد

والمراة اشقى بعماها

والرجل يشقى بالعمى
والمراة بالعمى اكثر شقاء .
عرفت رجالا اعماء تزوجوا مبصرات .
وما عرفت امراة عمياء تزوجت مبصرا الا نادرا .
اما ان يتزوج الأعمى العمياء ، فلا يحل هذا معضلا .

عند معبر الطريق

فى الأمس القريب رايت رجلا كهلا ذا خمسين ، يقوده فى الطريق المزدحم طفل عمره ٥ سنين . ووقفا ليعبرا . وعبر الطفل بالرجل الطريق سالما .

وفى الأمس البعيد رايت رجلا مكتملا ـ مكتمل الجسم ـ بيده سلسلة ، فى الناحية الأخرى منها كلب ضخم . ووقف به الكلب ليعبر الطريق فى اوسط لندن . ووقف فى المكان الذى جاز عنده العبور . وعبر به الطريق كذلك سالما . عبره فى جملة العابرين . حس فى الكلاب عجيب ، وفطنة كبعض فطنة الانسان . ووفاء فى هذا الحيوان الأخرس عز عند الكثيرين .

قال صاحبى : ان شيئا يفتقده الانسان ، يستعاض عنه بصبى او كلب ، لشىء يسير .

قلت : والعين التى افتقدت هى كذلك شىء يسير ، اذا ما ذكرت المقاييس والأوزان . ولكنها باب الدنيا قد انفلق . والصبى انما يفتح معبرا فى طريق . والكلب انما يفتح معبرا فى طريق . ولكن الحياة كلها ليست معبرا فى طريق . انها الف معبر ، جمعتها كلها العين الواحدة .

عصبت عينى ، ذات ليلة ، فى مكتبتى ، اجرب حظ الأعمى ، فما كان اشقها تجربة . الف كتاب وكتاب عند الحوائط ، انقطع ما بينى وبينها ، بانطفاء النور ، نور العين ، ومصابيح الكهرباء ساطعة .

موارد الثقافة كلها ، ومصادرها ، تمتنع على الأعمى ، الا ان يستعير عينين .

جربت حال فاقد البصر فى المكتبة ، فقلت فما باله عند الطعام على المائدة . ثم ما باله فى الحمام وعند الاستحمام ،

عدد العميان

البلاد	العدد	النسبة للسكان
العالم	... ... ١٠ اعمى	٣ ١/٢ فى الألف واكثر
آسيا	... ... ٧ اعمى	
الهند	... ... ٢ اعمى	
الولايات المتحدة	... ٣٥٦ اعمى	٢ فى كل الف
بريطانيا وويلز	... ٩٧ اعمى	
غرب اوروبا وشمالها		٢ فى كل الف
باقى اوروبا وآسيا		٤ فى كل الف
بلاد شرق البحر الابيض المتوسط		١٢ الى ٢٠ فى كل الف
كثير من بلاد افريقيا		١٢ الى ٢٠ فى كل الف
قرى بشمال غانا		١٠٠ فى كل الف
بعض مناطق بجنوب السودان		١٠٠ فى كل الف

* كان فى الامكان تلافى العمى فى ثلثى هؤلاء ، بالوقاية وبالمعروف من العلم الطبى الى اليوم .

واعود فأقول ما باله عند الخروج الى الطريق والطريق زحام .

صديق عزيز

ولقد اذكر صديقا لنا عزيزا ، توفاه الله منذ سنوات عشر ، بل تزيد . ذلك الشاعر الاستاذ احمد الزين ، مصحح دار الكتب في القاهرة . كان في شعره جمال، وكان شعره أجمل اذ يخرج من فيه . وكان راوية كأحسن ما عرفنا من رواة .

وكان حسن الوجه .

وكان اعمى .

وكانت تنفضّ ندوة الرسالة ، أو ندوة الثقافة ، كلَّ مساء خميس، في حي عابدين ، ونخرج في نحو التاسعة مساء ونتفرق . ويأخذ هو سَمْته الى بيته قرب القلعة ، وحيدا ، لا هادى له الا عصاه يضرب بها الارض، كلما عبر طريقا، ضربا مسموعا في الظلام .

وكان يهتدى .

لم اسمع ابدا انه اصابه في الطريق سوء .

انه السمع يحتدّ على العمى فيسمع به صاحبه الأعمى همساتٍ للنسيم لا يسمعها البصراء .

ومات وترك صبيا .

وما هي الا سنوات حتى اصاب الصبيَّ ضعفٌ في البصر ، وازداد ثم ازداد ، وما احسب أنه تركه بصيرا .

ضعف ورثه عن ابيه . وما كل عمى موروث .

وسمعت على البعد ما أصاب الصبي، فازددتُ نقمة . ولكن على من .. ؟ على هذا الانسان الأبله الذى أنفق على القنبلة الذرية الاولى ٥٠٠ مليون جنيه ، وترك الناس تعمى ، عن طريق النسل حينا ، وتخلُّف البحث العلمي حينا ، وتخلُّفِ ايصال ما كشف العلم الى الناس .

العلم كشف عن كثير

ان العلم كشف في امراض العين الشيء الكثير ، وما زالت امراض آخذة سبيلها الى التكشف . ولكن ما نفع ما كشف العلم اذا لم ينتفع به الناس . ولا ينتفع الناس بكشوف العلم الا اذا وصلتهم اخبارها . ثم ايمان بالعلم ، وكفر بالتُرّهات ، لا بد أن ينشأ في الناس .

من اجل هذا جعلت هيئة الصحة العالمية يومها لهذا العام يوم الوقاية من العمى .

ذلك لأن العمى في ازدياد . حتى في بريطانيا ، يزداد العميان ٣٠٠٠ أعمى في العام .

وذلك لأن الوقاية خير من العلاج ، فبهذا يجرى القول . ولكن قبل هذا

الرمد الحبيبى
سبب رئيسى من أسباب العمى

فى انجلترا :

فى عام ١٩٠٣ كانت هناك ٢٩٢ اصابة بالرمد الحبيبى بين أطفال مدارس مجلس مقاطعة لندن . وبين ١٩٣٤ و١٩٤٣ كان متوسط عدد الاصابات هناك ١١ اصابة .

فى الولايات المتحدة :

فى ولاية كنساس بالولايات المتحدة ، عدد الاصابات عام ١٩١٢ بلغ ٢٠ فى المائة. وفى عام ١٩٥٩ بلغ ٢ فى المائة .

فى اليونان :

قبل عام ١٩٣٩ كان عدد الاصابات ... ٥٠٠ اصابة . فى السنوات الحديثة لا يتجاوز ... ٢٢٠ اصابة .

فى فنلندة :

فى عام ١٨٩٩ كان عدد الاصابات ... ١٠٠ اصابة (١٥ فى المائة) . فى عام ١٩٤٦ كان عدد الاصابات ... ١٨ اصابة (٥ فى المائة) .

* والسبب فى نقص الاصابات زيادة الوعى الصحى ، والوقاية .

الوقاية أرخص من العمى

● ما تنفقه الدول على المكفوفين في تعليم ، وتأهيل ، وتوظيف ، وفي الخدمات الاجتماعية والمعاشات ، والأجهزة الخاصة في السنة :

	جنيه استرليني
المملكة المتحدة	٩ ٥٠٠ ...
الولايات المتحدة	٥٤ ... ...
الهنــد	٣ ٦٠٠ ...

ثلث عميان العالم ، أى نحو ٣ ملايين ، يصلحون للعمل اذا هم أُهلوا له . والعالم يخسر من عـدم تاهيـل هـذا الثلث ٨٠ ... ... جنيه استرليني على الأقل.

وللمقــارنة

ذبابة تحمل مكروبة تسبب مرضا يؤدى الى العمى،منتشرة في منطقة موبوءة بكينيا. قامت حملة للقضاء على هذه الذبابة بتطهير الأنهر وروافدها . تكلفت الحملة ١٠ ... جنيه استرليني .

وللمقــارنة

مرض يصيب الأطفال الرضع بالعمى ، تتليف فيه مادة العين وتنفصل الشبكية . اصيب به في الولايات المتحدة ٨... طفل يكلفونها ملايين الدولارات . اتجهت البحوث العلمية تكشف السبب . اكتشفت أن هذا يرجع الى اسـتخدام الأكسجين مركزا لانعاش الأطفال المولودين قبل موعدهـم . انقصوا تركيز الاكسجين الى ٣٠ في المائة . نجا الأطفال الجُدُد من العمى .

وبلغت نفقة الأبحاث بضع مئات مـن الجنيهات الاسترلينية .

يجب أن نذكر ونؤكد كثيرا ، ان الوقاية كلفة ، ولكنها ارخص من العلاج وارخص كثيرا .

يوم الصحة يوم اعلام

ودارت أبواق الدعاية في الأمم ، في ذلك اليوم ،تنذر وتبشر : تنذر الاصحاء بالمرض الا اذا عرفوا كيف يتوقونه ، وتبشر المرضى ، الذين اخذوا سـبيلهم الى العمى ولم يسيروا فيه طويلا ،تبشرهم بالشفاء،لو انهم عرفوا طريقهم الى الطبيب والمستشفى .

فيوم الصحة كان ، هذا العام ، يوما في الاعلام عظيما .

فلم رائع

وشاركت السينما العربية في هـذا اليوم العظيم بفلم عظيم ، وصف الطريق الى الاعلام الناجح ، في الأمم النامية ، حيث الأمية غالبة ، كيف يكون .

فلم في الاعلام الداخلي رائـع . صوّرَ الأمّ تسمع الى جارتها ، تلـك التي ترى أن المستشفى شرٌ وبلاء،وترى الشفاء كل الشفاء في الحُجُب يكتبهـا الأولياء ، وفي عقاقير العطار تمزجهـا عجائز الحي .

والنتيجة ؟

عمى ولدها . ذهب الى المستشـفى بعد الأوان ، وخرج منه يدب على عصا ، بينا خرج آخرون من بعض مرضى العين ، معافين .

ومر الفلم على مراحل المرض مرحلة مرحلة . والمكروب اراه الناسَ تحت المجهر وكبَّره .

جـاءنى رجـل ممن يعنَون بخدمتى يقول ان بعينه أكلانا يخشى أن يكون شيئا . قلت رايت الفلم بالأمس ؟ قال نعم . قلت : لعله أثر من آثار الفلم نفسى؟ قال : ربما . وفي الغد ذهب الى الطبيب فوجد عنده ... رمدا حبيبيا ، في نفس العين الذى وقع فيها « الأكلان » .

واحسـب أن الوفا من مرضى العرب ، ممن راوا الفلـم ، زحموا ابـواب المستشفيات حتى ضاقت بهم . ■■

احمد زكى

التربية العربية
بين القومية والعالمية..

المثل الأعلى للتربية العربية لا يهدف إلى قومية ضيقة

بقلم : الدكتور جميل صليبا

عميد كلية التربية بجامعة دمشق

ما هى حقيقة التربية العربية الحديثة؛ هل هى تربية قومية ضيقة أم تربية عالمية واسعة ؟ لا بدّ لنا فى الاجابة عن هذا السؤال من الاتفاق على معانى الالفاظ ، فما هى القومية وما هى العالمية ؟

القومية فى نظرنا مذهب سياسى يوجب على كل فرد حب الامة التى ينتسب اليها او الوطن الذى يسكنه ، لا بل هى مبدا اجتماعى يتطلب من الافراد ان يضعوا مصلحة امتهم فوق كل شيء ، فاذا تعرض وطنهم للخطر تحمسوا للدفاع عنه بكل قواهم ، وتناسوا احقادهم ومصالحهم الفردية ، واختلافاتهم الدينية والحزبية، وتقبلوا بنفس راضية مطمئنة كل ما تفرضه عليهم حكومتهم الشرعية من قيود مادية او معنوية ، ونبذوا كل متردد او متشكك او جبان يتقاعس عن تلبية نداء الوطن او يفضل الحياد السلبى على الانخراط فى سلك المجموع ، او يوسوس له شيطانه بفكرة الامتناع عن الحرب .

العالمية

والعالمية مذهب فلسفى ينكر حقيقة الاوطان ويرى ان انقسام العالم الى امم متعادية او متناظرة او محايدة مضاد للعدالة والأخوة الانسانية . لقد قال سقراط منذ القدم «وطني هو العالم» . وقال ماركس وانجلس : « ليس للعامل وطن » . ومعنى ذلك كله ان القومية فى نظر المذهب العالمى ليست سوى فكرة زائفة ، وانها ستزول بزوال الحواجز التى تفرق الأمم بعضها عن بعض . والدليل على ذلك ان التطور الانسانى الذى وحد القبائل البشرية فجعلها حواضر ، ووحد الحواضر فجعلها شعوبا ، سيستمر فى عمله حتى يجعل الشعوب كلها دولة واحدة . والدليل على ذلك ايضا ان الكرامة الانسانية واحدة عند جميع الناس مهما تكن اجناسهم ومواطنهم ، وان العقد الاجتماعى الذى يربط الافراد بعضهم ببعض واحد فى كل زمان ومكان، وان للانسان حقوقا طبيعية واحدة ، وان ازدياد العلاقات الثقافية والاقتصادية قرب الأمم بعضها من بعض واستبدل بروح الحرب والاعتداء فكرة السلام والصداقة .

القومية والعالمية كلها درجات متفاوتات

وللقومية والعالمية درجات متفاوتة ومراتب مختلفة؛ فهناك **القومية المتطرفة** او **القومية الانعزالية** التى تجعل القيم الخلقية والاجتماعية والسياسية تابعة للمصلحة الوطنية . وهناك **العالمية**

ماهى حقيقة التربية العربية الحديثة ؟

لابد لنا فى الاجابة عن هذا السؤال من الاتفاق على معانى الألفاظ .

هل هى تربية قومية ضيقة ام تربية عالمية واسعة ؟

فما هى القومية وما هى العالمية ؟

ولا إلى عالمية خيالية، بل إلى إنسانية مثالية

المتطرفة التى تنكر القوميات الجزئية وتعارضها وتجحدها . وبين القومية المتطرفة والعالمية المتطرفة منازع قومية معتدلة مفعمة بالقيم الانسانية ، ومنازع عالمية متوسطة متفقة مع المنازع القومية. وهى منازع واقعية ادى اليها التطور التاريخى وهيأ اسبابها احتياج الأمم الى التعاون فى ميدان العلم والثقافة والصحة والاقتصاد والتجارة والزراعة والصناعة.

وتختلف طبيعة القومية المتطرفة عن طبيعة العالمية المتطرفة باختلاف القيم التى تشتمل عليها . فالقيم الخلقية فى القومية المتطرفة انما هى قيم مغلقة ، اما فى العالمية المتطرفة فهى قيم مفتوحة. انك لا تستطيع أن تجعل القيم القومية شاملة لجميع الناس على اختلاف اجناسهم ومواطنهم الا اذا بدلت طبيعتها المغلقة . ولا تستطيع أن تجعل القيم العالمية خاصة بأمة دون اخرى الا اذا جمدتها وحددت قوة ابداعها. وما ينطبق على حياة الدول لا ينطبق على حياة الشعوب،لأن الدولة قد تموت ولا يموت الشعب ، فاذا كانت القيم تابعة للدولة القائمة زالت بزوال تلك الدولة ، ولكنها اذا كانت تابعة للشعب كتب لها البقاء معه .

التربية العربية وسط بين القومية المتطرفة والعالمية المتطرفة

واذا تساءلنا الآن اين تقع التربية العربية بالنسبة الى هذين الاتجاهين ؟ قلنا انها تقع فى المكان الاوسط اى فى مكان الاعتدال بين القومية المتطرفة والعالمية المتطرفة .

الدليل الاول

والدليل على ذلك ان قوانين التعليم فى العالم العربى تجمع بين الاتجاه القومى والاتجاه الانسانى فى وزن واحد من الاتساق . ذلك لأن القومية والانسانية فى نظرها تلتقيان ، والعروبة لا تقوم على اصطناع القوة والاستعمار والتوسع الجغرافى على النحو الذى قامت عليه الفكرة القومية فى القرن التاسع عشر ، وانما هي مفهوم جديد يقوم على تنمية شخصية الفرد وتحقيق ذاته المتكاملة فى مجتمع متماسك يفرض عليه الولاء القومى من دون ان يتطلب منه كره القوميات الأخرى. بل التشريع التربوى فى العالم العربي يهدف الى تحقيق غايتين الأولى : قومية ، والثانية : انسانية . فالغاية القومية تظهر فى اشارة قوانين التعليم الى اعداد جيل عربى يؤمن بالوطن العربى ويثق بنفسه وأمته ويعتز بتراثه ، ويملك ارادة النضال المشترك واسباب القوة والعمل الايجابى لتثبيت مكانة الأمة العربية وتأمين حقها فى الحرية والحياة الكريمة . والغاية الانسانية تظهر فى اشارة القوانين الى اعداد جيل يؤمن بالله ويهدف الى تحقيق المثل العليا فى السلوك الفردى والاجتماعي، ويستمسك بمبادىء الحق والخير .

الدليل الثاني

والدليل على ذلك ايضا ان لمناهج التاريخ والجغرافية والتربية الوطنية والاجتماعية التى تدرس فى العالم العربي غايتين ، احداهما انسانية والثانية قومية . فالغاية الانسانية اكتساب الطالب روحا انتقادية تعوده الحكم الموضوعى وتوسع نظره الى الاشياء وتزيد خبرته وتعلمه كيف يربط النتائج بالأسباب ويقيس الماضي على الحاضر والبعيد على القريب،وكيف يقرن احوال الأمم بعضها ببعض وكيف ينتقل من نطاق الاقليمية الضيق الى نطاق العالم الواسع . والغاية القومية هي تدريس التاريخ والتربية الاجتماعية والوطنية فى سبيل المجد الوطنى والعزة القومية . وليس المقصود من دراسة التاريخ لغاية قومية تمويه الحقائق وتبديل الوقائع ، وانما المقصود منها ذكر الامجاد والشوائب على السواء ، لأن ذكر الشوائب يدعو الى الاعتبار بها ويؤدي الى اجتنابها ، لا سيما اذا كانت خاصة بعصور الانحطاط . ومهما يكن من أمر فان الحقيقة كما يقولون غذاء للنفس ، ومن أعظم واجبات المربى العربى تدريب النشء على تقبل الحقائق كما هى حتى لو كانت مرة .

الدليل الثالث

والدليل على ذلك ايضا ان كتبنا المدرسية تشتمل على مبادىء وتوجيهات تهدف الى احياء الوعي القومي فى نفوس الطلاب كما تدعوهم الى الاستمساك بمبادىء الحق والخير والحب والايثار والعدل والمساواة والأخوة . واذا كان فى بعض كتب التاريخ قدح على الاستعمار ودعوة الى تحرير أجزاء الوطن العربى التى لا تزال رازحة تحت نيره ، ووصف لمطامع الدول الاستعمارية وتنويه بالحركات الاستقلالية وبكفاح العرب وثوراتهم التحررية ، فذلك لا ينافى الفكرة الانسانية العامة ، لأن الانسانية الصحيحة لا ترضى أن يغتصب الصهيونيون ارض فلسطين ، ولا ان يعيث الفرنسيون فى أرض الجزائر ، ولا ان يتسلط البريطانيون على اطراف الجزيرة العربية . فاذا كنا نحن العرب نقف اليوم ازاء بعض الدول الأجنبية موقفا سلبيا فنرد على عدوانها علينا بحرب دفاعية عن النفس ، فليس ذلك سوى ممارسة شرعية لأبسط حقوقنا الطبيعية . افيجوز للذئب المعتدى على الحملان أن يزعم ان عدوانه حق ، ولا يجوز للحمل الوديع اذا دافع عن نفسه أن يزعم ان دفاعه حق ؟ فلا غرو اذا تضمنت كتبنا المدرسية تمجيدا للروح القومية وقدحا على المستعمرين ،ودعوة الى النضال والتحرر والدفاع عن النفس.

الدليل الرابع

والدليل على ذلك اخيرا ان سياسة الدول العربية الحديثة تقوم على الجمع بين القومية والانسانية ، فهى لا تنشد الحرب ولا تسعى اليها ، ولا توالي مضرميها ، بل تنشد السلام بالعدل والحرية بالحق ، والخير بالتسامح. وهي لا تنشد الحياد الايجابي للوقوف من القضايا الانسانية موقفا سلبيا ، بل تنشده فى سبيل اقامة التعاون الدولي على اساس العدل والكرامة والحرية .

والدليل على رغبة الأمة العربية فى التعاون الدولى كثرة المعاهدات التجارية والثقافية التى عقدتها مع الدول البعيدة عن الأغراض الاستعمارية ، وايفادها البعثات العلمية الى البلاد الأجنبية ، وتبادلها معها الأساتذة والطلاب ، وتشجيعها البعثات الأجنبية التى تنقب عن الآثار او تقوم ببعض البحوث لغرض علمي محض . فلو كانت البلاد العربية انعزالية لما فتحت أبوابها لهؤلاء الباحثين العلميين ولما بادلت غيرها من الأمم بمصنوعاتها ومنتجاتها ، ولما سمحت

باستيراد البضائع والأفلام الأجنبية . لقد اشتركت الدول العربية فى كثير من المنظمات الدولية كمنظمة اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية ومكتب العمل الدولي ومنظمة التغذية وغيرها،وشجعت حركة الترجمة ودعت عددا كبيرا من الأساتذة الأجانب الى العمل فى جامعاتها. فهل يدل ذلك على انها انعزالية؟ لا لعمرى ان الدول العربية تكره الانعزالية وتحب التعاون مع جميع الأمم ، ولا تشترط لهذا التعاون الا شرطا واحدا وهو ان يحترم الأجانب حقوقها كما تحترم حقوقهم ، وان يخلصوا لها الود كما تخلصه لهم .

التربية العربية تنشد الحياة كاملة

فأنت ترى ان قوانين المعارف ومناهج التعليم وكتب التدريس وسياسة الدول العربية تهدف كلها الى غرض واحد وهو الجمع بين القومية والانسانية فى وزن واحد من الانسجام .

وهذا الغرض القومي الانساني يجعلنا ننشد الحياة الكاملة ، ونعمل على اعداد الانسان الحق لاعتقادنا ان الخير في الوجود غالب على الشر ، وان سعادة الآخرة متوقفة على سعادة الدنيا ، فنحن نشعر بضرورة التعاون الاجتماعي وباحترام حقوق الانسان ، ونؤمن بالعدل والحرية وتكافؤ الفرص ، ونعتقد ان الطبيعة الانسانية واحدة فى جميع افراد النوع البشرى . ولذلك كانت سياستنا التربوية قائمة على مبدأين : الأول : هو الاستفادة من الدعائم القوية التى نجدها فى ماضينا العظيم ، والثانى : هو الجهاد جيلا بعد جيل للوصول الى مستقبل أفضل لا حدود ولا نهاية لتقدمه . وليس فى العالم العربى اليوم مرب حقيقى ينكر قيمة القومية العربية او يطعن على العرب او يقدح فيهم . لأن من شرط المربي الكامل ان يؤمن بنفسه وقوميته وبوحدة امته كما يؤمن بالقيم الانسانية الرفيعة .

تربيتنا تقوم على أسس أربعة

ان لتربيتنا العربية الحديثة أساسا فرديا ، وأساسا اجتماعيا ، وأساسا قوميا ، وأساسا انسانيا . فالأساس الفردى يظهر فى دعوتنا الى تربية الأفراد تربية كاملة من الناحية العقلية والخلقية والبدنية ، والأساس الاجتماعى يظهر فى دعوتنا الى تربية اطفالنا تربية ديمقراطية تعاونية ، والأساس القومى يظهر فى دعوتنا الى احياء الوعي القومي والتضامن العربى والتعاون على تحرير الوطن العربى الكبير من النفوذ الأجنبى ، والأساس الانسانى يظهر فى دعوتنا الى القيم الانسانية الرفيعة .

المثل الأعلى للعالم العربى ان يصادق الجميع

فتربيتنا العربية الحديثة تهدف اذن الى الحب والصدق والحق والتسامح والبذل والايثار لا الى البغض والاحتقار والأنانية والتعصب والكذب والضلال . اننا نعتقد ان المثل الأعلى للعالم العربى ان يصادق جميع الأمم المحبة للسلام ، لا ان يعيش معها فى حرب دائمة . فالذين يتهموننا بالانعزالية ينسون اننا كنا لا نزال ارحب الأمم صدرا ، واكثرها اقتباسا للعلوم واحفظها للتراث الثقافى ، لا نفضل امة على اخرى الا بالقيم الانسانية التى تضيفها الى التراث الحضارى . واذا كنا نؤمن اليوم بهذه القيم الانسانية فسبب ذلك ان فى تراثنا الروحي مباديء انسانية عامة سهلت علينا الأخذ بمبادىء حقوق الانسان . اننا نؤمن بأن الانسان اخو الانسان احب ام كره وانه لا فضل لانسان على آخر الا بالعمل الصالح . اننا نؤمن بالحرية والمساواة ، ونكره الاستعباد والظلم ، اننا نحب الوضوح والبساطة ونكره التعقيد والغموض ، واذا كانت قوانين التعليم فى البلاد العربية تريد أن تنشيء جيلا جديدا مزودا بما تتطلبه الحياة الحديثة من

معلومات عامة وتفكير صحيح وجسم قوي واخلاق فاضلة وروح سامية وذوق سليم ، فمرد ذلك الى ما تشعر به جميع الشعوب العربية من حاجة الى اعداد مواطن صالح يدرك واجباته الوطنية وواجباته الانسانية معا . وليس في اكثارنا من الكلام على الناحية القومية في مناهجنا ما يدل على تعصبنا وانعزاليتنا وبغضنا للأمم الأخرى . اننا لا نبغض الانسان ما دام انسانا ، ولكنه اذا انقلب الى حيوان مفترس عملنا على اتقاء شره بالدفاع عن انفسنا . فليحاسب المعتدون انفسهم قبل ان يحاسبونا ، ولينظروا الينا كيف نبادلهم بالحب والصداقة بعد كف اذاهم عنا . اننا نريد أن تنهض برسالة جديدة من أجل تحقيق معاني الخير والسلام في العالم ، ومن أجل تفاهم الشعوب وتعاونها وتعاملها الحر المتكافىء. فرسالتنا لا تحول دون الوقوف الى جانب الحق في جميع القضايا الدولية . ولا تدعو الى قومية ضيقة تنكر اوطان بني الانسان ، ولا الى عالمية خيالية تنكر ارتباط الانسان بأرضه ، بل الى انسانية مثالية تقدس كل معاني الخير وتحترم سيادة الشعوب وحريتها وحقها الطبيعي في ثرواتها وتعمل على تفاهم الأمم وتقاربها في الحرية والحق والكرامة .

العالمية العربية لا تجرد العربي من واجباته الوطنية

ومما يؤيد ذلك ، ان العقل العربي ينزع بطبيعته الى الشمول والاحاطة ، فهو يريد ان يقتبس من الأمم الأخرى ما جد من الحضارات ليضمه الى تراثه الثقافي ، وهو يريد ان يجاوز ذاته بنشر القيم الحضارية في الأمم الأخرى، فليست الفكرة العربية عنده سوى فكرة انسانية خالصة . وهي فكرة ايجابية تتطلب من كل عربي أن يقوم بواجبه الوطني وواجبه الانساني معا ، لا بل هي فكرة مضادة للعالمية السلبية التي تقرر ان الانسان لا يستطيع ان يكون كامل الحرية الا اذا تجرد من واجباته الوطنية ، ومختلفة ايضا عن فكرة القومية الضيقة التي تجعل المثل الأعلى القومي مؤلفا من الكره والحذر والشك ، قائما على التعصب والانعزالية .

ومما يؤيد ذلك ايضا ان التربية العربية تريد ان تعد جيلا مؤمنا بالحرية والعدل والمساواة ، معتزا بقوميته ، مدركا لحقوقه وواجباته ، عاملا للمصلحة العامة ، مستمسكا بالمثل العليا الروحية، مالكا لارادة النضال المشترك ، متسلحا بالعلم ، قادرا على استثمار خيرات بلاده، عاملا على تثبيت مكانة الأمة العربية وتوطيد حقها في الحرية والأمن والحياة الكريمة ، شاعرا بضرورة التفاهم الدولي، قادرا على الاسهام في تقدم الحضارة .
وهذه الأهداف تدل على ان التربية هي في الصميم تربية انسانية ، وان الوطنية الصحيحة في نظرها اغنى من ان تنحل الى التعصب والأنانية ، لأنها ايثار وحب ومروءة وبذل وسخاء وكرم وتضحية واخلاص . فليس بين الوطنية الصحيحة والانسانية الصحيحة تعارض ، بل الوطنية لا تكون جميلة الا اذا عملت على اعلاء كلمة الانسان ، والانسانية لا تكون حقيقية الا اذا بنيت على محبة الأوطان .

تلك هي مبادئنا التربوية ، انها مبادىء قومية سمحة ، لا بل مبادىء قومية انسانية ، مبعثها كل ما في منازعنا القومية من ارادة الحياة وارادة الحق والخير ،وعمادها كل ما في اتجاهاتنا القومية من ميل الى الشمول والاحاطة وميل الى التوحيد والعدل والمساواة والحرية . ■■

جميل صليبا

عُمر بن عبد العزيز

يرفض أن يكون خليفة للمسلمين بالوراثة أو الوصية ويعفي الناس من بيعته ليختاروا الحاكم الذي يريدون

يخفض الضرائب ويقول: «إنَّ الله بعث محمداً هادياً ولَمْ يبعثه جابياً»

بقلم الدكتور وليد قمحاوى

■ لم تستطع الانتهازية والرجعية ان تصبرا اكثر من سنوات قليلة بعد انبثاق الثورة العربية الاسلامية بظهور محمد ، حتى أخذتا ترفعان رأسيهما ، لتعملا جاهدتين على استغلال تلك الحركة الجبارة لمنافعهما الانانية ، والانحراف عن صراطهما ، وهو بناء مجتمع انسانى كريم فى هذه المنطقة من العالم ، تكتمل فيه للشخصية العربية مقوماتها وتكون سيدة مصيرها ، بينما تذيب الأخوة والعدالة الاجتماعية الفوارق بين ابنائها كافة .

عهد عمر

وكانت سيرة عمر بن الخطاب فى خلافته صورة عن مقدرته العبقرية على استيعاب هذه الأهداف الكبرى للحركة التاريخية التى انضوى تحت لوائها ثم سار فى مقدمة صفوفها . فقد كان اسلام عمر انقلابا على اوضاع المجتمع القرشى ، ورجعيته ، بل وعلى القشرة النفسية التى كانت قد ترسبت لديه وغلفت وجدانه .

ووجدت الانتهازية والرجعية متنفسها الاكبر فى عهد عثمان بن عفان ، فاخذتا تستوليان على مقاليد الحكم فى سدة الخلافة وسائر جهاز الحكم فى الولايات ، تبتغيان من ذلك الاستيلاء على خيرات

الدولة العربية والاستئثار بكل ما فى اقطارها والبلاد المفتوحة من ثروات ومرافق اقتصادية . وهكذا ابتدأت فى عهد عثمان سيطرة اسرة قرشية معينة على مقدرات الوطن والسياسة الاقتصادية .

ومعاوية بن أبى سفيان

واستطاع معاوية بن أبى سفيان أن يجعل الوطن العربى ملكا يتوارثه الأبناء والأحفاد ، وكأنه اقطاعية كبيرة وشعبه قطيع ضخم من العبيد . وقد كان التمرد ظاهرة شائعة ، لا يكاد يكبت فى مكان حتى يبدو فى عدة امكنة ، ولا يكاد يخمد شهرا حتى يستعر أواره شهورا . ولجأ الحكام الى الطريقة المعروفة لامتصاص نقمة الشعب وتلهيته عن أوضاعه الداخلية ، وذلك بسوق الناس الى الميادين الخارجية ، تحت ستار أو آخر . وأول من دعا الى استغلال هذه الطريقة ، كان الذى أشار على عثمان بن عفان بقوله: « رأيى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وأن تجمرهم فى المغازى حتى يذلوا لك ، فلا يكون همُّ أحدهم الا فى نفسه » .

عمر بن عبد العزيز يصف الحكم أبلغ وصف

وبعد نصف قرن من خلافة عثمان ، أوصى الملك الأموى سليمان بن عبد الملك ، بالعرش من بعده، الى ابن عمه عمر بن عبد العزيز . ووجد هذا بنى امية يمتلكون القصور والأراضى الواسعة ويتصرفون فى بيت المال وواردات الدولة ومغانم الفتوح كما يشاءون ، ويتلاعبون بمقدرات الناس وحرياتهم كما يهوون . وما أبلغ وصفه لذلك الجهاز الحاكم الفاسد المستغل فى قوله :«الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقرة بن شريك بمصر ، ويزيد بن مسلم بالمغرب امتلأت الأرض والله جورا » .

وأين كان الشعب ؟ كان الشعب اما فى داخل الوطن مرهقا بالمظالم مشغولا بالفتن ، تولدها النقمة وتؤرثها أهواء الحكام ، أو فى خارج الوطن يخوض معارك قاسية فى بلاد الروم حيث كان الجيش العربى فى ضيق ووضع حرج ، وفى بلاد الفرس حيث كان المسلمون بعد أن جاوزوا المدائن « يقاسون أهوالا شديدة فى حركة الفتح ،ويلقون مقاومة متجددة فى كل شبر من الأرض».ولا عجب فى ذلك ، فقد كان العرب فى امتداد حركتهم الاسلامية من الجزيرة الى بلاد الشام والعراق ومصر والمغرب يدخلون بلادا بينها صلات عنصرية وفكرية وتاريخية وواقعية تجعلها منطقة واحدة ووطنا واحدا . ولم يكن ذلك كله موجودا فيما بين هذه المنطقة وما وراء البحر الأبيض من بلاد للروم والفرنجة ، أو ما وراء دجلة من بلاد للفرس والمغول .

عمر قبل الحكم .. وبعده

كانت هذه أوجز صورة ممكنة لأوضاع الشعب العربى فى اليوم الذى آل فيه العرش الأموي الى عمر بن عبد العزيز . ولعل ما كان منتظرا من الملك الجديد أن يسير فى السبيل التى اختطها أسلافه ، فيبقى الوطن حظيرة يرتع فى خيراتها مع أسرته والانتهازين من حوله ، ويذكى نيران التمييز والفرقة بين الناس ، ويلهيهم بفتوح عسكرية ومغانم خارج نطاق وطنهم . كان هذا هو المنتظر من شخص نبت فى أسرة شقت لنفسها هذا السبيل، ونشأ بين أناس كانوا هم المستفيدين الوحيدين من ذلك السبيل ، وكانت سيرة صباه وشبابه صورة طبق الأصل لما تمتاز به سير أمثاله فى كل زمان ومكان ، من ترف ومجون ونزوات على حساب الناس .

لكن عاملا ما أو أكثر جعل عمر بن عبد العزيز ينهج النهج غير المنتظر من أمثاله .. ولعل هذا العامل الدم الذى ورثه عن جده لأمه ، عمر بن الخطاب . ولعله كان اعتزامه أن يقتدى بجده هذا ويسير على صراطه بدلا من أن يتبع أسرته فى سبيلها الانتهازي . وربما كان العامل المباشر ثورة وجدانه عليه لقتله ــ وهو وال على المدينة وبأمر من الملك حينذاك ــ أحد المواطنين لمجرد انه سب الأمويين ، فغدا دم خبيب القتيل حمام الطهر لوجدان عمر ، يذيب عنه قشرته النفسية الموروثة ويجعله فى ثورة دائمة على كل القشور .

ولعل الأصح أن تكون هذه العوامل الثلاثة مجتمعة هي التي جعلته نموذجا فردا بين الملوك في التاريخ العربي .

يرفض أن يكون حاكما بالوراثة

وأيا كان السبب ، فان تصرفات عمر منذ اللحظة التي ولي فيها العرش تدل على وعيه العميق لحقوق الشعب ولمسؤولياته نحو هذا الشعب المالك الحقيقي لكل شيء . واول ما يثير الاعجاب التاريخي بتصرفاته ، انه لم يقبل أن يجلس على العرش لمجرد أنه من الأسرة المالكة ، أو لأن الملك الراحل قد أوصى له بالعرش من بعده .. فقد أدرك عمر أن كرسي الحكم ليس متاعا يورثه فرد محظوظ لآخر ، وانما هو ملك الشعب يعطيه لمن يشاء ، وبارادته الحرة . ولم تقنعه مبايعة الناس له لدى سماعهم بوصية الملك السابق ، وانما وقف ليقول : « أيها الناس . انى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين . وانى قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم » . ولعل عمر كان يتمنى ، وهو يخاطب الناس ويرفض ملكا تقدمه له يد غير يد الشعب وبدون علمه .. يتمنى لو أعفاه الناس من هذا البلاء .. ولكن الشعب الطيب عرف أن صاحب مثل هذا الرأى والشعور ، جدير بكل ثقة وولاء ، فاذا بالناس أشد اصرارا واجماعا على البيعة ، تنبع من ارادتهم الحرة . وغادر عمر المنبر واجما من عظم المسئولية الملقاة على عاتقه ، والدمع يفيض من عينيه تجاوبا مع أناس فتح لهم قلبه فرفعوه على رؤوسهم . وكان يعني كل حرف من قوله لهم : « الا انى لست بخيركم ، ولكنى رجل منكم ... غير أن الله قد جعلني أثقلكم حملا » .

يصرف الموكب الملكي ويركب بغلته !

وخارج المسجد ، حيث تمت البيعة ، كان الموكب الملكي بانتظاره ، والشرطة مستعدة لمرافقته في الأبهة المعتادة . لكن عمر يصرفهم جميعا ، ويركب بغلته الخاصة ومعه وزيره ويمضي ، لا ليستقبل المهنئين ويتقبل فروض الولاء ، أو ليمتع حواسه بما أعطيه من قصور وأموال وامتيازات .. وانما ليقوم في يوم واحد بثلاثة اجراءات ذات مدلولات ضخمة وآثار بعيدة المدى .

عمر يرد أملاك الأسرة المالكة الى بيت المال

وكان أمره الأول عزل واليين ظالمين ، قد ساما الناس ظلما واستغلالا . فقد خشي عمر أن يبيت ليله وما زال في دولته واليان يبطشان بالناس وحقوقهم ، باسم الملك وسيفه . وما كان عمر من الحكام الذين يقطعون دابر اللصوص ، لتصبح اللصوصية بكل ألوانها احتكارا لهم . لذلك كان أمره الثاني اعادة كل ما للملك والأسرة المالكة من قصور وأراض ومجوهرات الى بيت المال . حتى جواهر زوجته الخاصة وضعها في بيت المال، ليقول لكل من راجعه في ذلك كله أن كل ما كان لدى الأسرة المالكة وحاشيتها من أموال وأملاك لم يتنزل عليهم من السماء ، وانما هي أشياء أخذت من الناس بجبروت السلطان .

ويرد الجيوش العربية الى أوطانها

وكان عمر قد أدرك أنه ما دام قد طرق سبيلي العدل السياسي والعدالة الاجتماعية بهذين القرارين ، فانه يستطيع أن يتخذ قراره الثالث في اليوم الأول من حكمه ، وهو اصدار الأوامر الى الجيش العربي المتورط في بلاد الروم ، بالعودة الى وطنه . ولم يكن هذا قرارا أملته ضرورة عسكرية بقدر ما كان رفضا لسياسة تقليدية تقضي باشغال الناس بالغزوات والحروب خارج نطاق وطنهم ومصالحهم ، لالهائهم عما في داخله من جور وفساد . وطوال مدة حكمه ، لم يدفع عمر جيشه ليغزو أيا من البلاد الأجنبية حول الوطن .

ويمنع الولاة من الاشتغال بالتجارة

وفي داخل الوطن بالذات ، كان عمر يعرف أن معاركه الحقيقية هنا ، وأن الجيش الأوحد الذي يمكنه الاعتماد عليه في خوضها هو الشعب ، كل الشعب . وحتى يستطيع تعبئة شعبه لخوض معاركه الكبرى ، كان على عمر أن يخلصه من كل جور واستغلال ، وأن يسعى الى توحيد صفوفه بتحقيق المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين أفراده كافة ، ثم يكون مع ذلك كله العمل الدائب على استثمار خيرات وطنه ورفع مستوى معيشته .

ولتخليص الشعب من كل جور واستغلال ، مضى عمر بن عبد العزيز قدما فى تطهير الجهاز الحكومى من الفاسدين والظالمين والمستغلين ، وتعيين من يثق بعدلهم وحكمتهم ، مشترطا عليهم معاملة الرعية بالحسنى والانصاف والابتعاد عن كل تجارة او استغلال نفوذ فى تحقيق مكاسب شخصية لهم . وكان من ذلك قوله : « لا يتجر امام . ولا يحل لعامل (اى وال) تجارة فى سلطانه الذى هو عليه ، فان الأمير متى يتجر يستأثر » . ولا نجد أروع من هذا تعبيرا عن ضرورة الفصل بين نشاط راس المال ومقاليد الحكم ، وعدم السماح لاحدهما باستغلال الآخر ونفوذه . ولم يكن هذا سهلا ، فقد كان بنو امية قد جعلوا السواد من اخصب الاراضى الزراعية فى العراق ومصر وغيرهما ملكا خاصا لهم ولاشياعهم يحتكرون وارداتها الضخمة ، ويستغلونها بواسطة مئات الالوف من الموالى الذين كانوا يجمعونهم من كل الأقطار ليشغلوهم فى ظل اسوأ الظروف .

عمر يدرك تبعته عند الله

ولم يرض عمر لنفسه أن يكون مركزه مجالا حتى لأتفه ألوان التسلط والاستغلال ، ولو كان الأمر لا يتعدى الشكليات . فقد أبى أن يلقب بخليفة الله فى الأرض ، لما قد يوحيه هذا اللقب من قداسة وعصمة من كل نقد وتوجيه . واستنكر اضطهاد الأمويين لاعدائهم التقليديين ذرية على ابن أبى طالب ، فأمر بعدم سبهم من على المنابر وبمعاملتهم بالحسنى والاحسان . ولم يسمح لخلقه أن تدنسه نزعة الغرور أو العنف أو الاسفاف ، ورفض حتى أن تستعمل زوجته دابة للدولة فى قضاء حاجة بيتها يوما من الأيام . فقد كان عمر عميق الادراك لمسؤوليته الضخمة نحو شعبه ، يعبر عن ذلك بقوله : « انى نظرت فوجدتنى قد وليت امر هذه الأمة أسودها واحمرها .. ثم ذكرت الفقير الجائع ، والغريب الضائع ، والأسير المقهور ، وذا المال القليل والعيال الكثير ، وأشباه ذلك فى اقاصى البلاد واطراف الأرض ، فعلمت أن الله سائلى عنهم » . ونحو الجائع والضائع والمقهور والمعدم وكل واحد من أبناء الشعب وعى عمر رسالته ، وأنه المسؤول الأول عن كل ضيق يلم بهم أو مظلمة تصيبهم .

وكان وعيه بجرأة واخلاص تمثلا فى رده على تهجم احد كبار الأمويين عليه لمصادرته امتيازاتهم : «انما حق الواحد منكم فى مال المسلمين كاحدهم ، لك ما لهم وعليك ما عليهم .. فوالله لا أعطيكم درهما الا أن يأخذ جميع المسلمين » . وردا على وصف قريبه الأموى له بأنه ظالم لأهله تارك لسنة سلفه ، أجابه عمر وكأنه يخاطب كل وارث عرش جائر : « وان الظالم التارك لعهد الله الذى استعملك (اى عينك) صبيا سفيها تحكم فى دماء المسلمين وأموالهم .. وان لم يكن ذلك له ولا حق له فيه » .

الاسلام عند عمر ثورة انسانية

وفى سبيله لتوحيد صفوف شعبه بتحقيق المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين افراده كافة ، ادرك عمر بن عبد العزيز أن الاسلام ليس عبارة تقال او طقوسا تقام ، وانما هو ثورة انسانية هدفها الأول بناء مجتمع سليم . وهكذا لم يكتف بايقاف فتوح ، الغاية منها اجتلاب الغنائم وتحقيق المطامع ، وانما اوقف ايضا سياسة أسلافه المتبعة فى اثارة الفتن بين القبائل « فرق تسد » ، وكل ما من شأنه تجزئة المواطنين كافة . ومن ذلك الغاؤه السخرة فى العمل ورفعه الجزية عمن أسلم . وكان اسلافه الأمويون قد ابقوا الجزية على كل من يسلم ، جشعا منهم ورغبة فى جمع اكثر ما يستطيعون من الأموال . ولم يستطع عمر ان يقبل أن يكون هناك تمييز ضرائبى بين المواطنين المتساوين ، فان دخولهم الاسلام يعنى أن يصبحوا متساوين فى الحقوق تساويهم فى الواجبات . فمن ذلك قوله : «وأما من كان اليوم محاربا فليدع الى الاسلام قبل أن يقاتل ، فان أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وله ما أسلم عليه من اهل ومال . وان كان من أهل الكتاب فاعطى الجزية وامسك فانما نقبل ذلك منه » .

وهنا قد نجد من يتساءل كيف نوفق بين فلسفة الحكم هذه العادلة ، وما يروى عن عمر من انه امر بأن يكون لغير المسلمين هيئة فى اللباس والشارع تميزهم ، وبجمع السلاح منهم وابعادهم عن المراكز القيادية الحساسة ... والواقع أن هذه الرواية ، اذا صحت ليست ثغرة فى مفهوم عمر للحكم ، وانما هى لبنة فى مفهومه للاسلام ، الذى نستطيع أن نقول انه مماثل لمفهومنا الحديث

للمواطنية . فانه يفترض الآن ان كل من يقيم في بلد ، اما ان يعتبر مواطنا له ما لغيره وعليه ما على غيره ، او ان يكون غريبا ذا جنسية اخرى عليه ان يحتفظ بوثائقها ويتقيد بتعليمات معينة ، كما انه لا يدعى الى الخدمة العسكرية مثلا . وقد يغنينا عن شرح طويل لهذا التماثل بين المفهومين اذا تذكرنا انه لم يكن في ذلك العهد حدود واضحة بين مفاهيم القومية والدين والمجتمع العربي والاسلامي ، واللغة العربية كلغة قوم او كلسان انزل به القرآن .

وعلى نور تفسيرنا هذا نستطيع أن نفهم جواب عمر ، لما كتب اليه احد ولاته معترضا على رفع الجزية عمن أسلم تحت زعم ان هذا ينقصواردات بيت المال ، فقد اجاب عمر بقوله انه يتمنى أن يرى كل واحد يصبح مسلما حتى ليفطر كلاهما (الملك والوالي) الى فلح الارض بأيديهما لكسب قوتهما . فعمر قد فتح باب الثورة العربية الاسلامية على مصراعيه ليدخله جميع المواطنين على قدم المساواة .

الارض لمن استصلحها

اما العمل الدائب على استثمار خيرات الوطن ورفع مستوى معيشة الشعب فقد كان شغلا شاغلا لعمر بن عبد العزيز . ونستطيع هنا أن نذكر انه لما بعث اليه فلاحو البصرة يشكون ملوحة مائهم ، امر بحفر قناة ماء عذبة تروى أرضهم وتسقيهم ، كما نستطيع أن نستشهد بجملة كتبها الى ولاته في معرض حثهم على استصلاح الأراضي : « من غلب الماء على شيء فهو له » . اى أن كل من استخلص أرضا من بحر أو نهر أو مستنقع فانها تصبح ملكا له لا ينازعه فيه أحد . وكان من ذلك أمره بأن كل من أهمل أرضا خصبة ثلاث سنوات متتالية ، تؤخذ منه وتعطى الى من هو جدير بها وقادر على استغلالها .

بل ان حب عمر لم يقتصر على الانسان والارض فقط وانما شمل الحيوان أيضا وكان له من عدله نصيب ، فقد كتب الى أحد ولاته يقول : « لقد بلغنى أن بمصر ابلا نقالات يحمل على البعير منها الف رطل ، فاذا أتاك كتابي هذا فلا اعرف انه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل » .

عمر يخفف الضرائب ويقول : ان الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا

لكن أروع ما قام به عمر بن عبد العزيز اجراءاته في مجال التكافل الاجتماعي ، سواء كان ذلك في مضمار ما تفرضه الدولة على المواطن من التزامات مادية أو ما يفترض في الدولة من التزامات تجاه المواطنين . فقد امر عمر بتخفيف الضرائب على المواطنين قائلا : « ان الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا » . وتكون أكثر تقديرا لمعنى هذه الجملة متى أدركنا أن محمدا هنا تعني خلفاءه وثورته الاسلامية مثلما تعنى المجتمعوجهاز الدولة اللذين انبثقا عنهما . وكذلك منع عمر ولاته من اخذ الهدايا من المواطنين ، ورفع الجزية عن المسلمين ، وانقص الضرائب المفروضة على غير المسلمين . اما واردات الدولة فلم يكن مصيرها جيوب الملك واسرته وبضعة أفراد محظوظين ،وانما كانت تصرف على جهاز اداري نظيف عادل،ولحفظ الأمن في الداخل ومن الخارج ، وما يفيض عن ذلك ، وما اكثر الذى كان يفيض ، يوزع على المواطنين بقدر حاجتهم.. حتى أن عمر امر بقضاء الديون عن الغارمين (اى المدينين) حتى متوسطى الحال منهم ، ومساعدة من يريد أن يتزوج فلا يجد الى الزواج سبيلا ، ومن يعيل أسرة ولا يكفيه دخله .

لا فتن ولا تناحر

لكن هل كانت هذه جميعا مجرد نيات طيبة في ضمير عمر ، أو أوامر جميلة يصدرها فتذروها رياح الاهواء ؟ الواقع أنها لم تكن كذلك ، لأنها اعطت نتائجها الرائعة ، على الرغم من قصرالمدة التى عاشها عمر الخليفة .. وكانت أولى النتائج ابتعاد كابوس الظلم واستتباب الأمن : فلا فتن أو تناحر بين القبائل العربية ، ولا نقمة عند الموالى بسبب الجزية ، ولا كراهية تأكل قلوب بنى هاشم ، ولا ذريعة للخوارج في مطالبتهم بأن « لا تكون الأموال دولة بين الأغنياء » ، « فقد حرموها » ، ولا ضرائب فادحة يثور عليها الفلاحون ، أو حرمانا واستغلالا يضيق بهما محرومون مستغلون . وكان ان استكان جميع المواطنين ، وكان الولاء لعمر ينبع من كل القلوب.

ارتفاع مستوى المعيشة

وكانت ثانية النتائج ارتفاع مستوى معيشة المواطنين كافة .. فقد كان من آثار تخفيف الضرائب عن الأراضى اقبال الفلاحين على زرعها وزيادة انتاجها ، كما كان فى استعادته الاقطاعيات الواسعة من بنى أمية واشياعهم وتوزيعها على صغار الفلاحين ما جعل هؤلاء يقبلون على زراعتها واستثمارها بنشاط واخلاص ، فيزيد الانتاج وتحسن الأحوال . اما الصناع فقد ادى تخفيف الضرائب عنهم الى تحسن أوضاعهم ، فلم يعودوا مضطرين الى بيع مصنوعاتهم الى الاغنياء والحكام بأثمان زهيدة لسداد ما عليهم من ضرائب ، وانما غدوا يبيعونها بأثمانها الحقيقية ، محتفظين منها بحاجتهم او مشترين ما يحتاجون . وكان ان زاد طلب السلع على ما هو معروض منها مع ازدياد الطاقة الشرائية ، وهذا من اهم العوامل فى نمو الصناعة . وكذلك التجار أصبحوا أحسن حالا بعد أن تخلصوا من منافسة الولاة غير الشريفة لهم ، وغدت السوق مفتوحة أمام صغار التجار . حتى الدولة نفسها ، لم تقل وارداتها بسبب تخفيض الضرائب ، وانما على العكس من ذلك . فقد كان خراج العراق مثلا أيام عمر بن عبد العزيز اكثر مما كان فى العهد السابق ، عهد الحجاج وحاشيته . انه لم يبق فى الدولة جائع او محتاج او محروم .

وكانت النتيجة الثالثة اقبال الناس على الاسلام ، يدخلونه مختارين راغبين ، وندرك أهمية هذا الأمر اذا تذكرنا أن الاسلام كان عقيدة مثلما كان مواطنية . وهكذا بلغ انتشار الاسلام ذروته فى عهد عمر بن عبد العزيز .

البطش لم يكن من وسائل عمر

لكن صراط عمر لم يكن مفروشا بالورود ، فقد ورث تركة مثقلة بالمشاكل والقشور النفسية والشكوك ، وتولى الحكم فى وقت استشرى فيه الظلم والفساد ، ولم يقبل عمر أن يفرق بين غاياته ووسائله ، فتكون غاياته انسانية ، ووسائله اليها غير انسانية .

لذلك لم يقبل أن يجعل البطش والظلم سلاحه فى نشر الرحمة والعدل ، وكان من ذلك قوله : « من لم يصلحه الا القشم (اى الظلم) فلا يصلح . والله لا أصلح الناس بهلاك دينى » . وكذلك قوله : « لأن يلقوا الله بخياناتهم ، أفضل من أن القى الله بدمائهم » . وكانت الرحمة والعدل والحكمة وسائل عمر فى بناء مجتمعه المثالى .

فئة واحدة لم يتردد عمر فى تجريدها من كل امتيازاتها غير المشروعة ، وفى تهديدها بالبطش والتدمير .. تلك هى الأسرة الحاكمة ومن يماثلونها من الطغاة والمستغلين . فلقد رفض عمر أن تبقى هذه الأقلية متحكمة فى رقاب الشعب وأرزاقه ، ترهقه بالظلم وتستنزف خيراته لنفسها ، وأدرك انه لا يكفى أن يسترد منها سرقاتها ، وانما يجب أن يكون تحذيرها وتوعيدها ، سيفا مصلتا فوق رأسها ، حتى تثوب مع الأيام الى رشدها . وكان من ذلك قوله لأحد بنى أمية :« لو طالت بى حياة، أو رد الله الحق الى اصله ، تفرغت لك ولأهل بيتك ، فاقمتكم على المحجة البيضاء .. ومما وراء هذا ما أرجو أن يكون خير رأى أبته بيع رقبتك فان لكل مسلم فيك سهما ... ولولا ما يمنعنى منك لبعثت اليك من يحلق لمتك لمة السوء »

يدسون له السم فى الطعام

وكانت هذه الأقلية العدوة الوحيدة لعمر طوال الشهور الثلاثين التى عاشها حكمه وثورته ، حتى ليروى انها التى دست له السم ، فقتلته لتسترد ما فقدته فى عهده من أسلحة الاستبداد والاستغلال.

وكانت نتيجة ذلك انهيار الدولة الأموية ، كما فسر بعض الأمويين نادما : « انا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، وظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا ، وجار عمالنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا ، وتحومل على أهل خراجنا فجلوا عنا، وخربت ضياعنا فخربت بيوت أموالنا، وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة انصارنا ، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا».

قال أحد الفقهاء : « ما خبرت أحدا الله أعظم فى صدره من هذا الغلام » وما أقرب الى هذا قولنا اليوم : « ما خبر العرب ملكا الشعب أعظم فى ضميره من عمر بن عبد العزيز . ■■

وليد قمحاوى
نابلس ــ فلسطين

نتيجة مسابقة العدد الحادى والأربعين

مجمـوع أرقـام الاوزة ١٠٧٣

أسماء الفائزين بالجوائز

■ كان الجـواب الصـحيح لمجموع الأرقام التى تضمنها رسم الأوزة موضوع المسابقة هو ١٠٧٣ .

ومـع ان عـدد الذين اشتركوا فى المسابقة بلغ رقما قياسيا بالنسـبة للمسابقات الماضية ، الا ان كثيرين منهم اخطأهم التوفيق فتضاربت الأرقام التى أوردوها فى اجاباتهم ، تضاربا عجيبا . وكما قلنا ان حل المسابقة يحتاج اما الى ٦ دقائق أو الى ٦٠ دقيقة . ذلك لأن المسابقة مؤلفة من ٢٩ مجموعة ، تتضمن كل منها الأرقام من ١ الى ٩ باستثناء رقم ٨ ؛ ويستطيـع القارىء الذكى بنظرة سريعة فاحصة أن يحـدد كل مجموعة منها على حدة ، وبذا يكون المجموع ١٠٧٣ .

وقد جرت القرعة بين الاجابات الصحيحة ففاز بالجوائز الآتية أسماؤهم :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها **السيد الرشيد على محمد الأمين** : السودان ــ بربر ــ القدواب .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **السيد كامل موسى عبد الرحمن** المصرة العربية الحديثة القدس ــ الاردن ــ باب خان الزيت .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : **السيدة ميسون القدادى** ص.ب ١٧٧ الكويت .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **نصر محمود نصر ظهيرات** : كلية الآداب جامعة عين شمس . القاهرة .

٢ ــ **عبد الله عبد الرحمن** : بمدرسة الشقيق السعودية ، مكتب التعليم بالاحساء ــ المملكة العربية السعودية .

٣ ــ **سميرة حمصى** : حى ابو سمرة ــ قرب القلعة ، بناية سليم الحمصى ــ طرابلس ــ لبنان .

٤ ــ **عبد الرحمن أحمد حمران** : دكان محفوظ عوض حمران ــ غيل باوزير ــ حضرموت .

٥ ــ **الحبيب بن حسين كرموص** : المدرسة الصالحية رقم ٣١ نهج سيدى ابن عروس ــ تونس ــ الجمهورية التونسية .

٦ ــ **موسى يوسف ابو بكر الصومالى** ــ بولندا

WARSZAWA 26 — UL. KICKIEGO, 9 — POLAND.

٧ ــ **السيد عبد الله بن على** : ص. ب ١٤٣٥ ــ اديس ابابا ــ اثيوبيا .

٨ ــ **السيدة أسيمة حافظ** ــ آخن ــ المانيا

HEINRICHS ALLEE 35 AACAEN — GERMANY.

وسترسل الجوائز الى الفائزين بها . ■■

بورِكتِ

للشاعرة : فدوى طوقان

ما علينا
ان تكن مرّت كظلّ الطير خطفا
فهى ذُخرٌ لرؤانا
عالمٌ ، من عالم نجهله ، اشهى ، واغنى
من دُنانا
هى عمرٌ
ما علينا ان تكن مرت كظلّ الطير خطفا
. . . .
. . . .
أترانا
نذرع الأيام نمشى مثقلين
نطأ العوسج ، تعبًا بالذى نحمل من عبء السنين
أترى من اجل هذا نحن نحيا ؟
ما الذى ننتظر ؟
ما الذى نحيا له ؟
نحن قد يملؤنا وهمٌ نسميه « الطموح »
نكدح العمرَ ، ونشقى فيه كى نرقى الذرى .
نجرى ونسعى
لنفوق الآخرين
ثم ماذا ؟
الخلود ؟
لا تحدثنى عن المهزلة الكبرى . عن الكذبة .
دعها
لمجانين الخلود

★★★

أترى نحيا ليلقى المتعبون
عندنا الفىء ، ليروى الظامئون
من عطاء البشر ، بذر الخير والايثار فينا

لحظتنا..

ثم يمضون ويمضي كل شيء
غير احجار عقوق وجحود
رسبت في قاع بئر الخير والايثار فينا

★★★

ام ترى نحيا لكي تجرحنا
كلمات الآخرين
ولكي تطعننا في الظهر ، في غفلتنا
الصداقات التي تفجعنا
والتي تنتقض منها الكف ، نرتد على اعقابنا
من بعدها
خاسرين

★★★

أترى من اجل هذا نحن نحيا ؟

★★★

ام ترانا
نقطع العمر نشق الدرب من اجل الوصول
نحو قبر
نحن ندرى
انه كل المصير

. . . .
. . . .

بوركت لحظتنا
منيتي ، ان لم نكن نحيا لهذي اللحظات
النادرات
هذه الواحات في صحرائنا
فيم نلقانا اذن نحيا الحياة
ما الذي ننتظر ؟!

★★★

ما علينا
ان تكن مرت كظل الطير خطفا
فهي عمر .

انكلترا ــ اكسفورد　　　　فدوى طوقان

١ ....

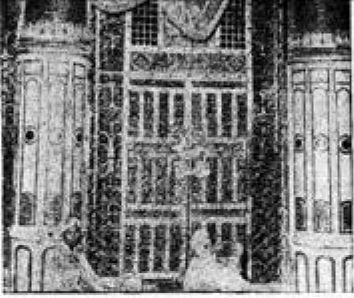

٢ ....

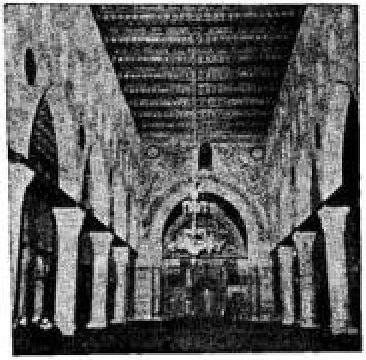

٥ ....

مسابقة العربى

اعرف بلادك .. واربح جائزة

■ مسابقة هذا العدد لا تتطلب منك أكثر من ذاكرة قوية ، وشيء من قوة الملاحظة .

فعلى هاتين الصفحتين ١٢ لقطة تاريخية سجلتها عدسة « العربى » أثناء رحلاتها بأجزاء الوطن العربى ، من الخليج الى المحيط ، وقد نشرت كلها فى أعداد « العربى » الماضية . وليس عليك لكى تفوز باحدى الجوائز الا أن تعرف ستا من هذه اللقطات ، فتكتب أمام الرقم الذى تحمله كل منها ، التعريف الذى تشاء ، فيما لا يزيد على سطر واحد لكل لقطة ، يشمل التعريف بالصورة والبلد الذى التقطت فيه ..

اذا لم تسعفك ذاكرتك فلا بأس من أن ترجع الى مجموعتك من « العربى » ، وستجد فيها ضالتك.

....

٩ ....

١٠ ....

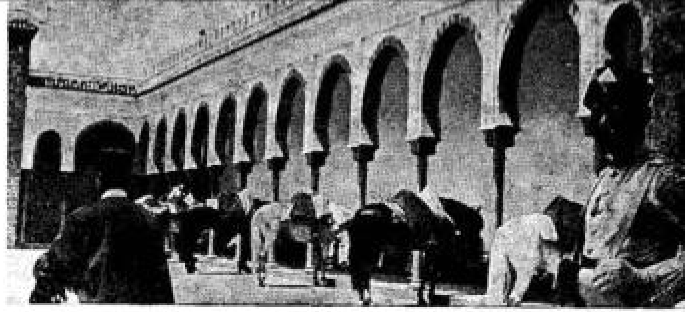

٣ ....

٤ ....

٦ ....

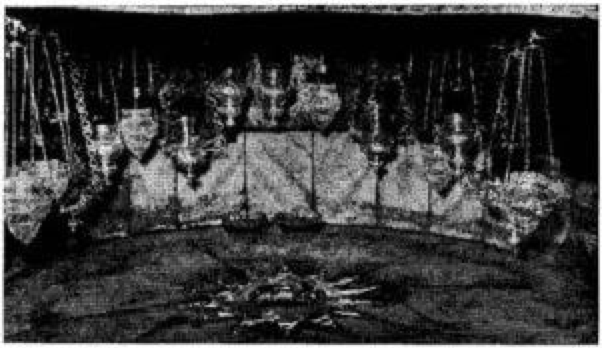

٧ ....

٦ لقطات .. وجوائز ١٠٠ دينار

شروط المسابقة وجوائزها

١ - يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦١
٢ - يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي - العدد ٤٣ » .

- آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يوليو (تموز) ١٩٦٢ .
- يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. **الجائزة الثانية** : ٢٠ دينارا .. **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..

١١ ....

١٢ ....

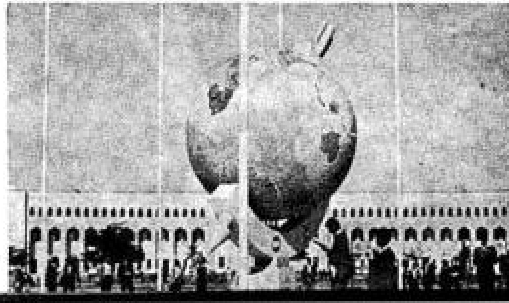

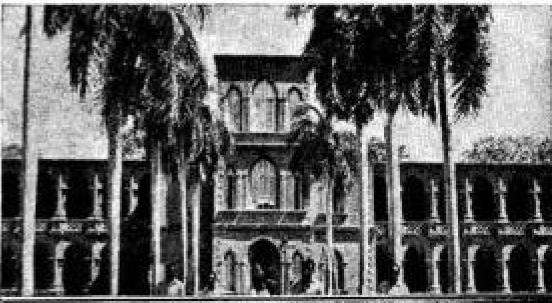

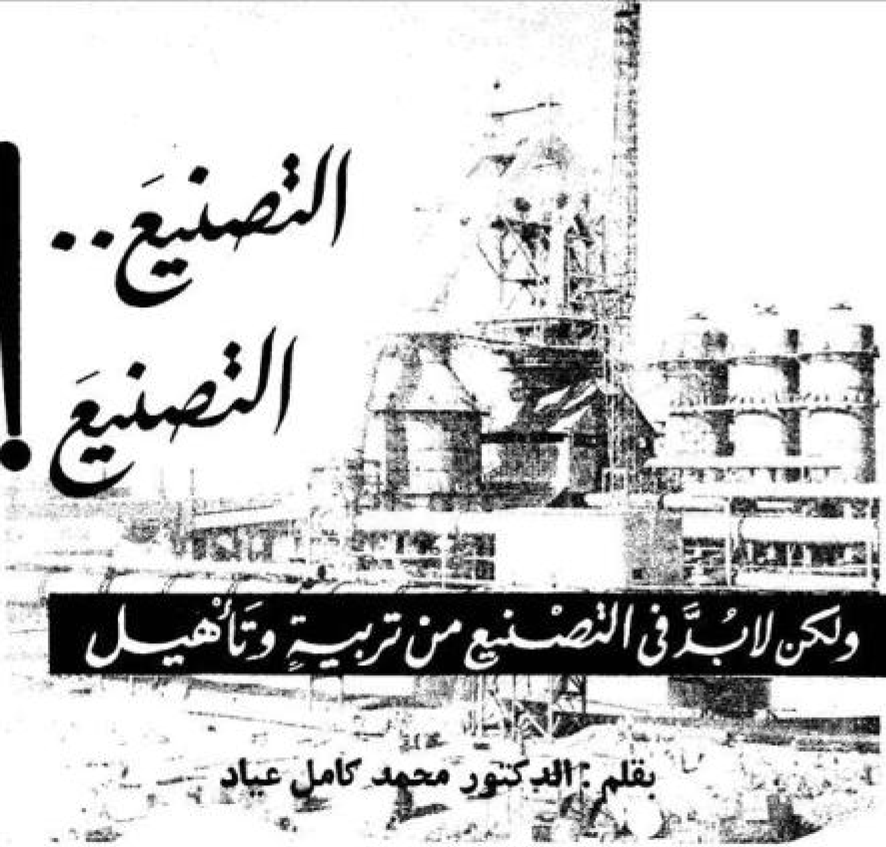

التصنيع.. التصنيع!

ولكن لابُدَّ فى التصْنيع من تربيةٍ وتأهيل

بقلم: الدكتور محمد كامل عياد

■ فى السنوات الأخيرة أخذت الصناعة الحديثة تغزو العالم بسرعة مدهشة .

فقد انتشرت فى جميع اقطار العالم السكك الحديدية والسيارات والطيارات والمحطات الكهربائية وأجهزة الهاتف والاذاعة والتليفزيون والرادار ووسائل تكييف الهواء . وفى كافة البلاد حلت الآلات الزراعية الحديثة مكان الادوات القديمة .

ولم تعد مكاتب الشركات والمحلات التجارية ودواوين الحكومة تستطيع انجاز أعمالها دون الآلات الكاتبة والحاسبة والعقول الالكترونية العجيبة .

ثم ان كل الجيوش اصبحت مسلحة بالدبابات والمدرعات والمدافع الرشاشة وقاذفات اللهب. ونشاهد الدول الكبرى تسابق فى صنع القنابل الذرية والادروجينية والصواريخ والسفن عابرة الفضاء .

الصناعة تغزو البلاد العربية

ولا شك فى ان البلاد العربية لم تتقاعس عن اقتباس منتوجات الصناعة الحديثة واتباع أساليب العمل الخاصة بها . فقد لاحظ العرب ان الصناعة اصبحت العماد الرئيسى لحياة البشر فى الوقت الحاضر ، وادركوا انهم لن يستطيعوا المحافظة طويلا على استقلالهم السياسى الا بالتصنيع الذى يهيىء لهم أسباب القوة العسكرية ، ويحررهم اقتصاديا ، ويساعدهم على استثمار خيرات بلادهم وتشغيل الأيدى العاملة ، وزيادة الانتاج ، ورفع مستوى معيشة السكان ، وتأمين الرفاهية لجماهير الشعب . وبالفعل بدأت أكثر البلاد العربية تسير فى طريق التصنيع : فأسرعت الى تجهيز جيوشها بالاسلحة الميكانيكية، وهي تسعى للانتقال بالزراعة الى « المرحلة الصناعية » التى

تعتمد فيها على استخدام الآلات والاساليب الفنية الحديثة ، كما انها اخذت تندفع الى بناء كثير من الصناعات الخفيفة والثقيلة ، الانشائية والاستخراجية والتحويلية .

شروط لازمة لحركة التصنيع

هنا لا بد من التساؤل: ما هي الشروط اللازمة لتقدم حركة التصنيع ؟ وما هي النتائج الاجتماعية والنفسية التي تترتب على التصنيع ؟ وكيف يجب تعليم الناشئين وتربيتهم في مجتمع «صناعي» ؟

العناصر البشرية في التصنيع

لا شك في أن التصنيع يستلزم وجود عناصر اقتصادية اساسية مثل رؤوس الاموال والمواد الأولية والقوى المحركة والأسواق . ولكن من المؤكد ايضا أن نجاحه يتوقف في الدرجة الاولى على المهارة الفنية وحسن التنظيم والتخطيط . وبعبارة اخرى : ان التصنيع يحتاج الى عناصر بشرية تحسن استخدام الآلات واستثمارها وتتقن صيانتها وتصلحها ، بل تستطيع صنعها وتطويرها .

الثورة الصناعية بعض نتاج العلم الحديث

ليس سرا ان « الثورة » الصناعية في الغرب كانت نتيجة للتفكير العلمي الحديث الذي يعتمد على المشاهدة والاستقراء والتحليل والتجريب ويتمسك بالنظرة الموضوعية ، الواقعية ، وينتقل من المعرفة النظرية الى التطبيق العملي . وها ان التنافس بين الدول في عصر الذرة والفضاء يجري ، قبل كل شيء على صعيد العلم، لأن الأبحاث العلمية هي الأساس في السطوة الاقتصادية والقوة العسكرية .

ونحن العرب ، اذا أردنا أن نعيش مع سائر الأمم في هذا العصر الصناعي ، لا بد لنا من العناية بالتخصص في مختلف فروع العلم والفن . فمن الضروري أن نسرع الى انشاء عدد كبير من المعاهد العالية يتابع فيها العلماء والخبراء الاختصاصيون ابحاثهم ، وتجاربهم ، حتى تؤتي ثمارها . ولا ننس أن هذه الأبحاث تبقى عقيمة اذا لم يخطط لها ويتم تنسيقها ويشترك العلماء الباحثون والمهندسون العمليون والفنيون المدربون في استخلاص نتائجها . ومن المعروف أن الابحاث العلمية تؤلف سلسلة متصلة الحلقات يستند بعضها الى الآخر ، فلا يجوز المباشرة في موضوع منها دون معرفة الدراسات السابقة عنه والاستفادة من تجارب الآخرين .

لابد من العمل الجماعي

واذا لاحظنا اتساع نطاق الأبحاث العلمية وازدياد التعقيد والدقة في المسائل التي تدرس ندرك السبب في ضرورة العمل الجماعي . فانه لا يمكن الوصول الى النتائج المطلوبة بالسرعة اللازمة الا باشتراك عدد من العلماء والمهندسين والفنيين والمساعدين الذين ربما لا يزيدون احيانا على العشرة ولكنهم قد يبلغون في معظم الحالات الالف واكثر . ولا ريب في أن هؤلاء الباحثين يجب أن يتحلوا بصفات اخلاقية واجتماعية تختلف عما كان سائدا في الماضي، ولا بد من العناية باعدادهم اعدادا خاصا حتى يستطيعوا التجرد عن الذات والمثابرة على العمل والتعاون الكامل ، المخلص في سبيل نجاح العمل المشترك .

فنيون مدربون ، وعمال ماهرون

ولما كان استثمار الاكتشافات والاختراعات العلمية في الانتاج الصناعي يتوقف على المهارة العملية فان اعداد الفنيين المدربين والعمال الماهرين يعتبر من أهم واجبات التربية والتعليم في هذا العصر . فكيف يكون هذا الاعداد ؟

لتقرير ذلك يجب ملاحظة ما تحتاج اليه الصناعة الحديثة من معلومات علمية وفنية واسعة ومهارات يدوية وفكرية متنوعة وصفات نفسية واخلاقية خاصة . ومن المعروف أن هذه الصناعة تقوم على الانتاج بالجملة وتقسيم العمل والتخصص التام ، كما ينبغي التنبيه في الوقت نفسه الى التطور السريع في مختلف الصناعات وما يتبع هذا التطور من تغيرات كبيرة في الآلات وأساليب العمل واضطرار كثير من الفنيين والعمال بسبب ذلك الى تبديل مهنتهم والتكيف مع شروط العمل وأساليبه المتجددة . ولا خلاف في أن اعمال الادارة والتنظيم والتسويق في الصناعة الحديثة لا تقل اهمية عن عملية الانتاج ذاتها . وهذه الأعمال تحتاج الى كثير من الموظفين الفنيين الذين يقتضي ايضا اعدادهم اعدادا خاصا . كذلك لا بد من الاشارة الى أن الصناعة اخذت تنتقل الى مرحلة « الآلات

الاوتوماتيكية » التي يتطلب صنعها ثم الاشـــراف عليها ثقافة علمية عالية وصفات عقلية متمايزة .

التعليم الفني ، ومتى يبدأ

هكذا نرى أن التصنيع يفرض علينا اعداد عدد كبير من الباحثين والمديرين والمهندسين والفنيين الاختصاصيين والمشرفين المدربين والعمال الماهرين على مستويات مختلفة . لهذه الغاية اخذت البلاد العربية في السنوات الأخيرة تعمل على توسيع التعليم الفني ــ المهني وعلى اصلاحه وتنويعه ، كما تعتني بالتدريب الفني وتقيم له المراكز وتنظم الدورات ، وتهتم « بالتلمذة الصناعية » والدراسات الفنية ــ المهنية في المصانع والمؤسسات.

هنا يجدر بنا أن نستفيد من تجارب الأمم التي سبقتنا الى التصنيع والى تنظيم التعليم الفني ــ المهني ، ولعل أهم الدروس التي يمكننا استخلاصها هو أن التعليم الفني ــ المهني ينبغي البدء به بعد الدراسة الاعدادية ــ المتوسطة ، أي بعد أن يبلغ التلاميذ الخامسة عشرة من العمر ويتكامل نموهم الجسمي والفكري ويصبحوا قادرين على التمارين العملية الشاقة في الورشات والمصانع ، وعلى ادراك المبادىء والقوانين العلمية التي تقوم عليها الصناعة الحديثة. كما انه يجب الاهتمام في المرحلة الاعدادية

« التلمذة الصناعية »
يجب الاكثار منها لنسير في طريق التصنيع

المتوسطة بالتوجيه المدرسي والمهني وما يتطلبه من ملاحظات واختبارات للكشف عن ميول الناشئين واستعداداتهم ومواهبهم . وهذا معناه أن يتم التعليم المهني في المدارس الثانوية : الصناعية والزراعية والتجارية ثم في المعاهد العالية والكليات والجامعات الفنية .

اننا اذا أردنا حقا السير في طريق التصنيع ، فمن الواجب أن نكثر من هذه المؤسسات التعليمية الفنية بمختلف درجاتها حتى يبلغ عدد طلابها اضعاف طلاب مدارس التعليم العام .

والتعليم العام
لا بد أن يساير حركة التصنيع

على أن التعليم العام ايضا يحتاج الى اصلاح وتغيير جذري ، ومن المعروف أن هذا التعليم يميل بطبيعته الى المحافظة على القديم في مناهجه وطرائقه، فهو يحرص ، قبل كل شيء ، على تعريف الناشئين بالتراث الثقافي القومي والانساني الذي تناقلته الاجيال المتعاقبة . واذا لم يكن هناك من شك في قيمة هذا التراث وضرورة العناية به الا انه ينبغي أن لا ينقلب الى عبء يعرقل سيرنا ويحول دون مجاراتنا لحاجات العصر . ان من واجب التربية والتعليم اعداد الجيل لمؤالفة شروط الحياة الصناعية الحديثة . وهذا يقتضي بأن تصبغ مناهج التعليم العام في جميع المراحل بالصبغة العملية، فيعتنى بدروس الاشغال اليدوية والرسم الصناعي ، ويربط التعليم النظري بالتجارب والتطبيقات العملية الكثيرة في المعامل ، وبالزيارات والمشاهدات المتوالية في الحقول والمصانع والمؤسسات كما يجب أن تزداد الحصص الخاصة بالعلوم الرياضية والطبيعية وتضاف اليها الفنون التكنولوجية ، وتنتهز كل مناسبة في جميع المواد الدراسية للتعريف بالمبادىء الاساسية للانتاج وعملياته المتنوعة . كذلك يجب أن يهدف التعليم العام الى تدريب الطلاب على البحث في شؤون مجتمعهم وفي مشكلاته السياسية والاقتصادية ، واتجاهات تطوره وتعويدهم على الاشتراك في الاعمال والتعاون في كل الامور واحترام النظام وممارسة قواعد الديموقراطية داخل المجتمع المدرسي .

التصنيع فكك الروابط الاجتماعية القديمة

ان التصنيع قد احدث تغيرات جوهرية في البلاد

الغربية وترك آثارا عميقة فى حياة شعوبها الاجتماعية والنفسية والاخلاقية . وقد نشأت عن كل ذلك مشاكل تربوية كثيرة لا بد للبلاد العربية ايضا من مجابهتها . فالتصنيع يؤدى الى تحوير وجه الطبيعة نفسها وبالتالي الى قلب علاقة الانسان بالطبيعة وبابناء جنسه ، كما يستلزم الهجرة من الارياف الى المدن وازدحام السكان فى المراكز الصناعية. وينجم عن ذلك تفكك الروابط الاجتماعية القديمة وقيام منظمات جديدة فتنقلب اوضاع المجتمع وتتبدل شروط الانتاج وانظمة العمل والحياة المهنية وتتطور الاسرة ويختلف تكوينها ومهمتها الاجتماعية والتربوية .

التصنيع يسوق الانسان الى التفكير المادي

ولما كان التصنيع يعتمد على العلم وتطبيقاته العملية ويقوم على اختراع الآلات واستخدامها ، فمن الطبيعى ان ينتهى ذلك الى انسياق الانسان مع التفكير المادى ، الميكانيكى والنظرة الموضوعية ، الواقعية ، والى اتجاهه نحو المظاهر الخارجية السطحية ، والى التجرد عن العواطف والانفعالات. كذلك ليس غريبا أن يندفع الانسان مع الصناعة الحديثة فى طريق السرعة التى تحرمه متعةالتامل الهادىء . فالانسان فى عصر الصناعة مهدد بان يصبح عبدا للآلة بل جزءا من آلة ، فاقدا الارادة، محروما من الراحة والطمانينة .

للتصنيع أسواء لا بد من تحاشيها

على أن هذه النتائج يمكن تعديلها وتحاشى اخطارها. وفى استطاعة البشر مؤالفة شروط الحياة الصناعية الجديدة اذا تبدلت طرائق التعليم واساليب التربية لديهم . فقد كانت الأسرة مثلا هى التى تقوم باعداد افرادها سواء للحياة المهنية أو السياسية أو العائلية أو الشخصية . ولكن بعد ان اضطرت الأسرة فى المجتمع الصناعيالحديث الى التخلى عن وظائفها السابقة اصبح من واجب المدرسة أن تتولى هذه الوظائف . ان الاوضاع والعلاقاتالاجتماعيةالجديدة التىتنشا عنالتصنيع تتطلب نوعا جديدا من التربية فى المدرسة يهدف الى تنمية الشعور بالمسؤولية وروح التضامن والتعاون والثقة المتبادلة . لذلك يجب تعويد الناشئين على أن يتجردوا عن ميولهم ورغباتهم وعواطفهم الشخصية، وأن يتهيأوا للعيش والتعامل مع زملاء لا تربطهم بهم قرابة أو صداقة ، بل ربما لم يسبق لهم معرفة بهم وانما يجمعهم العمل المشترك الذى ينبغى ان يتعاونوا على انجازه كواجب اجتماعى .

لابد مع الاعداد الفنى من ثقافة عامة

ومن اهم واجبات التربية فى عصر الصناعة ، اعداد الناشئين اعدادا يستطيعون معهالتكيفسريعا معالظروف المتقلبة . لذلك ينبغى على التعليم المهنى مثلا أن يتوخى الاختصاص الضيق ،بل ان يتمركز الاهتمام فيه حول المعلومات الاساسية العامة وأن توجه العناية الى الاستعدادات المتفتحة والمهارات المرنة ، والصفات المجردة مثل الانتباه الشديد وسرعة الاستجابة ، ورد الفعل والشعور بالمسؤولية . وبوجه عام يقتضى أن يتلقى الطلاب فى المدارس الفنية ، قبل مرحلة التخصص المهنى واثناءها ، ثقافة عامة توسع آفاق تفكيرهم وتنمى شخصياتهم وتساعدهم على الانصراف الى هوايات خاصة فى أوقات الفراغ ، وبذلك يمكن التحرر من تأثير العمل الميكانيكيالرتيب، المنهك وتفادى الاضطرابات النفسيةالتى قد تنجم عنه .

ان الثقافة العامة الانسانية هى التى تمكن البشر من ادراك حقيقتهم ومكانهم فى الكون وتجعلهم يستطيعون استخدام الآلات واخضاعها لسيطرتهم عوضا عن أن يصبحوا ارقاء منقادين لها . فمهمة التربية والتعليم فى عصر التصنيع هى الجمع بين التفكير العلمى والمهارة الفنية والثقافة الانسانية والاخلاقية العملية ــ الاجتماعية لاعداد أناس قادرين على التطور والابداع والتمتع بالحياة . ■■

محمد كامل عياد

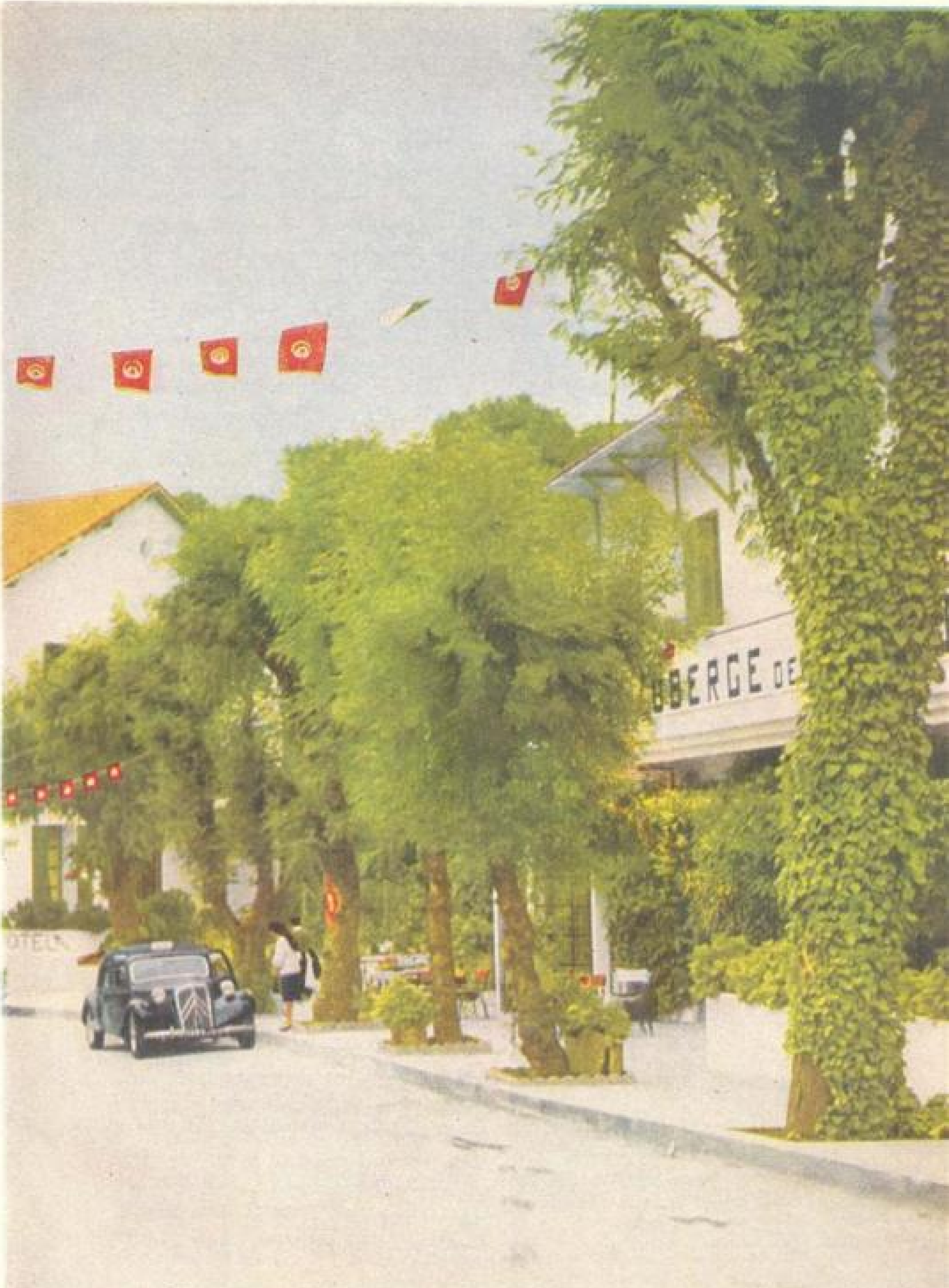
UBERGE DE

٨٠٠ ميل من الشواطىء البحرية تحيط بتونس وعلى قمم الجبال تكمن المصايف الهادئة الجميلة (الصورة اليمنى) . كل هذا يجعل من تونس مصيفا بحريا وجبليا في آن واحد ، لا ينقصه الا : الدعاية ..

اعرف وطنك أيها العربي

مصايف تونس

شواطىء بحرية
طولها ١٥٠٠ كيلومتر
ومصايف جبلية
ارتفاعها ١٠٠٠ متر

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره : ((أوسكار))

■ «استمكث اسبوعين فى جزيرة «جربة» ، نتنقل بعدهما الى « طبرقة » ، و « عين دراهم » .. ومن بدرى ، فقد يسعدنا الحظ بقضاء بضعة ايام فى « المناستير » و « الحمامات » و « اميلكار » و «قمرت»

احسست بشعور غريب يراودنى ، وبدوار سريع ينتابنى ، وانا استمع الى ذاك الرجل القادم من الدانمرك مع زوجته ليقضيا عطلتهما السنوية فى مصايف تونس ..

كان يتحدث عن هذه المصايف ويعدد مزاياها حديث العارف الخبير ، وكنت بدورى افكر واسائل نفسى :

ـ ترى كم من ابناء العروبة هم الذين سمعوا او عرفوا او شاهدوا المصايف العربية العالمية فى تونس الخضراء .. ؟ !

صراع بين البحر والجبل

ان اطارا خلابا من الشواطئ والسواحل الرملية يحيط بتونس ويمتد من حدودها مع الجزائر فى الشمال ، حتى حدودها مع ليبيا فى الجنوب !

ويتكسر هذا الساحل الرملى الجميل ، الذى يبلغ طوله ١٤٨٠ كيلومترا ، عندما يصطدم بصخور جبال اطلس التى تتقدم بجراة عجيبة صوب مياه البحر الابيض وتتصارع معها عند مدينة طبرقة .. وتظهر آثار هذا الصراع ، بين البحر والجبل ، فى تلك الابر الصخرية النائمة بجوار طبرقة وكأنها تتحدى البحر والزمن معا !

(انظر الصورة على صفحتى ٤٨ و ٤٩)

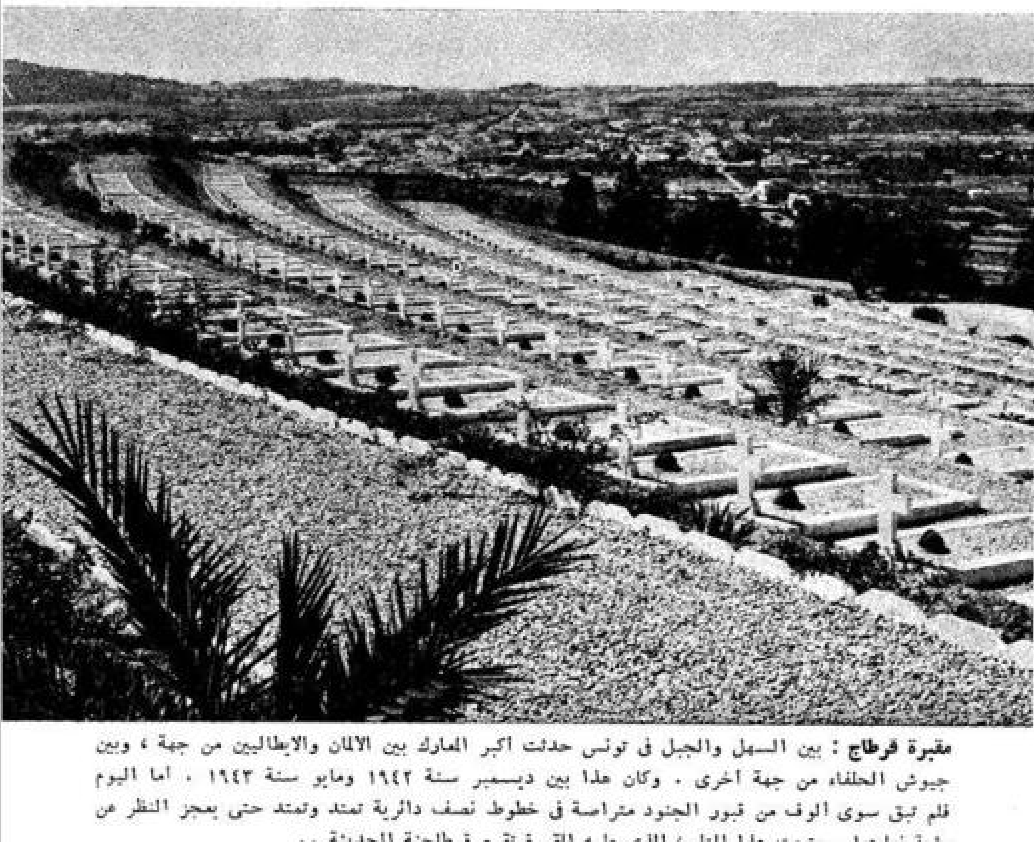

مقبرة قرطاج : بين السهل والجبل فى تونس حدثت أكبر المعارك بين الالمان والايطاليين من جهة ، وبين جيوش الحلفاء من جهة أخرى . وكان هذا بين ديسمبر سنة ١٩٤٢ ومايو سنة ١٩٤٣ . اما اليوم فلم تبق سوى الوف من قبور الجنود متراصة فى خطوط نصف دائرية تمتد وتمتد حتى يعجز النظر عن رؤية نهايتها . وتحت هذا التل ، الذى عليه المقبرة تقبع قرطاجنة الحديثة ..

جبال خمير : تمتد من الجزائر حتى تونس وعند قمة الجبل ترتفع الأسهم لتشير الى الطريق المؤدية الى القالة وعنابة فى الجزائر ، والى طبرقة وتونس العاصمة من جهة أخرى . وتبلغ مساحة الغابات فى المنطقة التونسية وحدها ٢٥٠ ألف هكتار من أشجار البلوط والزان والصنوبر والفلين . ورغم تمتع هذه المنطقة بمناظر طبيعية رائعة ، الا انها تعانى نقصا فى عدد السياح والمصطافين ، بسبب انعدام الدعاية وعدم اعداد فنادق للمصطافين والسياح من جهة أخرى .

قنابل .. وأزهار

كانت المعارك الحربية الهائلة تدور على قمم جبال خمير ، وسط غابات اشجار البلوط والسنديان .. وكانت القذائف تنطلق لتنفجر بين اشجار الدفلة فتتطاير زهورها الحمراء ، وترتعد الطيور فوق اشجار الخفاف العالية ، وتجفل قطعان الخنازير البرية فتهرب مرتاعة ، فتسحق تحت اقدامها شجيرات الريحان الصغيرة .. وتهب نسمة هواء فتنقل عبق الريحان فوق اجداث قتلى الجنود فتلفها بعبيرها الفواح .. وتسكت المدافع وتهدأ القذائف ، وبتوقف الصراع ، يعلن انتهاء الحرب العالمية الثانية وتنعم تونس بالهدوء.

.. ويطمئن « الحلوف البرى » ـ الخنزير ـ فيخرج من كهفه الحجرى يشم رائحة الريحان ، ويصول ويجول فى أمان ، بين أشجار الصنوبر والزيزفون والفرنان ، ويستقر حول قرية « كول دى روين » Col des Ruines ، اى عنق الخرائب ، آمنا من شرور الانسان .

ولكن سرعان ما يلمع اسم القرية ويذيع صيتها ، ويتحدث الناس عن كثرة « حلاليفها » واعتدال مناخها ، فيأتيها المصطافون من كل مكان ، حاملين بنادقهم عيار ١٦ مليجرام ، وخلفهم كلابهم التى لا تكف عن العواء ..

وتتكرر المأساة ، فتهرب الحلاليف ، ويهجر المصطافون المكان ، وتغلق أبواب الفيلات ذات الأسوار ، انتظارا لتكاثر الحلاليف من جديد ..

ثلاثة فنادق .. معسكر للشباب

وتحت أشجار البلوط والزيزفون تكمن مصايف تونس الجميلة المجهولة ، وفى مقدمتها : « عين دراهم » عروس المصايف الجبلية واكثرها ازدهارا ، اذ تكتظ فنادقها الثلاثة الرخيصة (١٨٠ قرشا فى اليوم مع الوجبات الثلاث) وفيلاتها البيضاء ذات الشبابيك الزرقاء التى تكسوها الاشجار المتسلقة ، بمئات المصطافين ..

وفى طرف المدينة معسكر للشباب ، يؤمه الطلبة والشباب من مختلف أنحاء العالم ، ويدفعون فيه ايجارات زهيدة للغاية .

رهان على ٧ حصوات !

وتتميز « عين دراهم » بعيون مياهها الحديدية

أول مصيف يقابله المرء عند الحدود الجزائرية التونسية ، مصيف طبرقة : المدينة الفينيقية القديمة التي يبلغ عمرها ٢٥ قرنا ، ومع ذلك فشوارعها المظللة الفسيحة ، المؤدية الى الشاطىء ، تظهرها وكأنها مدينة حديثة جديدة !

ينتمي اهل طبرقة الى قبائل خمير البربرية ، ومع هذا تزدحم المدينة بانواع عديدة من الاجانب ، جاءوها من تونس العاصمة ، التي تبعد ٢٠٠ كيلو متر ليقضوا عطلة نهاية الاسبوع في راحة وهدوء . وعند الظهر يقصد المصطافون الى المقاهي المنتشرة على الارصفة فيأكلون السمك الطيب واللنجوست « جراد البحر » الذي يكثر في مياه هذا الشاطئ .

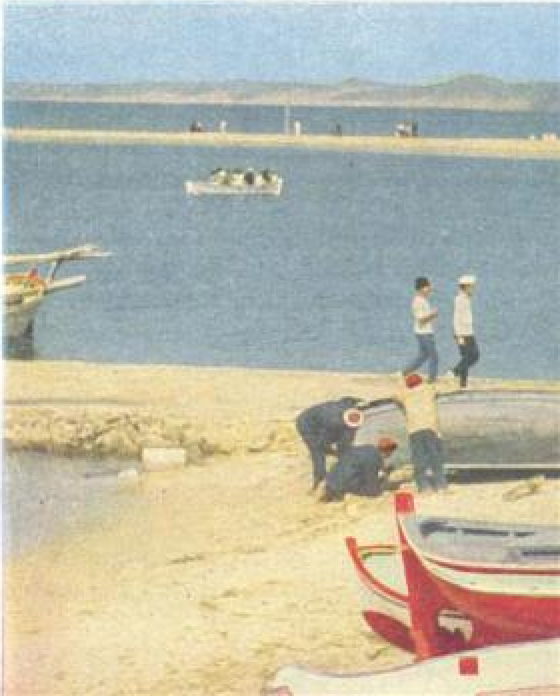

الى اليمين : فقدت طبرقة اهميتها كميناء رئيسي بسبب تراكم الرمال عند مدخل الميناء . ولكن هذه الرمال لا تمنع سفن الفلين وسفن الصيد الصغيرة من الخروج لعرض البحر . ويعمد الاهالي الى تجميل مراكبهم بالاعلام والفوانيس الملونة لنقل المصطافين في رحلات قصيرة يشاهدون خلالها معالم طبرقة وجزرها ، وصخورها من البحر .

اذا أمضيت بضع ساعات فى تونس العاصمة ، فلا تنس زيارة « سيدى أبو سعيد » المصيف الارستقراطى لبايات تونس السابقين ، وكبار الكتاب والشعراء . وفيه تسير الحمير الصغيرة فى الشوارع الضيقة الصاعدة ، تحمل على ظهورها الخضراوات .. ان جمال المناظر الطبيعية وروعتها فى هذه الضاحية جلب اليها الكاتب الفرنسى الشهير ، أندريه جيد ، الذى استوحى منها بعض فصول قصته Thésée

الست ، التى يتراهن المصطافون على أيهم يستطيع ان يجمع سبع حصوات من مياهها القارسة المثلجة فى الصيف !

ويطلقون على هذه العيون أسماء مختلفة ، كما ان بعضها لا يحمل أى اسم بعد !! أما أشهرها فهي : عين دراهم ، ثم عين العيون ، وعين الخفاف.

انتقال عجيب ..

والذى يترك تونس العاصمة الحارة فى الصيف، الى « عين دراهم » (على مسافة ١٩٣ كيلو مترا) يشعر وكأنه انتقل من دولة الى أخرى .

فالجو الحار أصبح باردا ، وممطرا فى بعض الأحيان ، ذلك أن « عين دَراهِم » تقع على ارتفاع ٩٠٠ متر عن سطح البحر،وسط غابة من الاشجار.

رحلات الى الضواحى

والمصطاف فى « عين دراهم » يستطيع ان يتخلص من سام المصايف الجبلية التقليدى ، بالاشتراك فى الرحلات العديدة التى تنظم لزيارة ضواحى هذا المصيف الجميل .

فيوم الاحد ، مثلا ، لا يجب أن تفوته زيارة سوق فرنانة الكبير الذى يبعد ١٨ كيلو مترا عن عين دراهم ، ويشترك فيه نحو عشرة آلاف شخص من سكان الجبال يبيعون للمصطافين ولأنفسهم كل شيء : من الحصان حتى البيضة ! بأسعار رخيصة للغاية .

والرحلة الثانية الى السد الكبير فى بنى مطير ، على بعد ٢٠ كيلو مترا من « عين دراهم » ، وزيارة هذا السد وبحيرته الكبيرة من أمتع الزيارات ..

أما قرية بنى مطير نفسها فهى مركز استراحة رئيس الجمهورية التونسية ، وهى جنة خضراء هادئة تماما .. منازلها تعد على أصابع اليد ، ولكنها رغم قلة مساكنها تعتبر مصيفا ممتازا ، وان تكن كبقية منطقة عين دراهم المكسوة بالغابات ، فى حاجة الى من يقيم فيها المنازل والفنادق ..

سباق للسيارات ..

وتحاول بلدية « عين دراهم » ، ومنظمات الاصطياف فيها ، أن تنهض بالمصيف وتكثر من الحفلات والمهرجانات فيه ، وأغلب هذه الاحتفالات يقام فى الميدان الفسيح الذى يتوسط المصيف ..

وترجم فيها رواية هاملت . وقد اشتد ولع الأجانب بامتلاك البيوت فيها ، والاصطياف على شواطئها . ومن اشهر هؤلاء البارون « ديرلانجى » الثرى الانجليزى الذى أقام قصرا فى أجمل موقع فى « سيدى ابو سعيد » على الطراز العربى الأصيل ، تحيط به حديقة أندلسية غناء ، كما كوّن فرقة موسيقية تعزف الموشحات الاندلسية ، والف ستة مجلدات عن المخطوطات العربية فى الأندلس،وهو مقيم فى مصيف سيدى أبو سعيد.

وفى كل عام يقام سباق للدراجات وآخر للسيارات من « عين دراهم » حتى طبرقة ..

من تونس للجزائر

وطبرقة هذه ، مصيف يقع فى اقصى نقطة من الشمال الغربى للساحل التونسى ، تبعد ٢٠٠ كيلو متر عن العاصمة ، وتتصل بها بطريق حديث للسيارات .. كما تتصل مباشرة بالحدود الجزائرية التى لا يفصلها عنها سوى جبل صغير ..

ان الوف المراكب كانت تجوب مياه « طبرقه » تجمع منها المرجان الأحمر ، الذى كان زينة النساء المفضلة منذ قرنين من الزمان .. لقد خف اعجاب المرأة بالمرجان ، ولكنه لم ينقطع ، وما زالت القوارب تجوب البحر فى هذه المنطقة ، التى تعتبر من أكبر مناطق المرجان فى العالم ، تجمع منه كميات كبيرة وتصدرها للخارج .

مباراة المرجان !

وفى مثل هذه الأيام من كل عام يقام مهرجان شعبى ، ومعرض صناعى يستغرق اسبوعا كاملا - من ٣ الى ٩ يونيو - يهرع خلاله اهل تونس من طبرقه لمشاهدة محتويات المعرض والرقصات الشعبية ، والاستماع الى الأغانى والتواشيح القديمة ..

وفى وسط الاسبوع تقام مباراة بين جامعى المرجان ، الذين يخرجون بقواربهم ، ويعودون بهذه المادة الجافة المزركشة ذات اللون الاحمر القانى.

وجمع المرجان متوقف على حالة الجو ، فاذا كان الجو صحوا عاد المركب بحمولة مائة رطل تقريبا ، واذا كان الجو مكفهرا هبطت الكمية الى عشرة ارطال فقط .. !

الى محبى السمك

وشاطىء طبرقه رملى نظيف ، تتخلله الصخور الشاهقة (انظر الصورة ص ٤٠) ولكن ينقصه التنسيق والترتيب ..

ويتميز هذا المصيف بمطاعمه المتناثرة فى الهواء الطلق ، على الشواطىء الرملية ، وفوق الأرصفة الحجرية (انظر الصورة ص ٤١) انها مطاعم نظيفة تقدم اشهى انواع الأسماك وأحسنها ، وخاصة « اللانجوست » الذى يعيش فى بحار هذه المنطقة ..

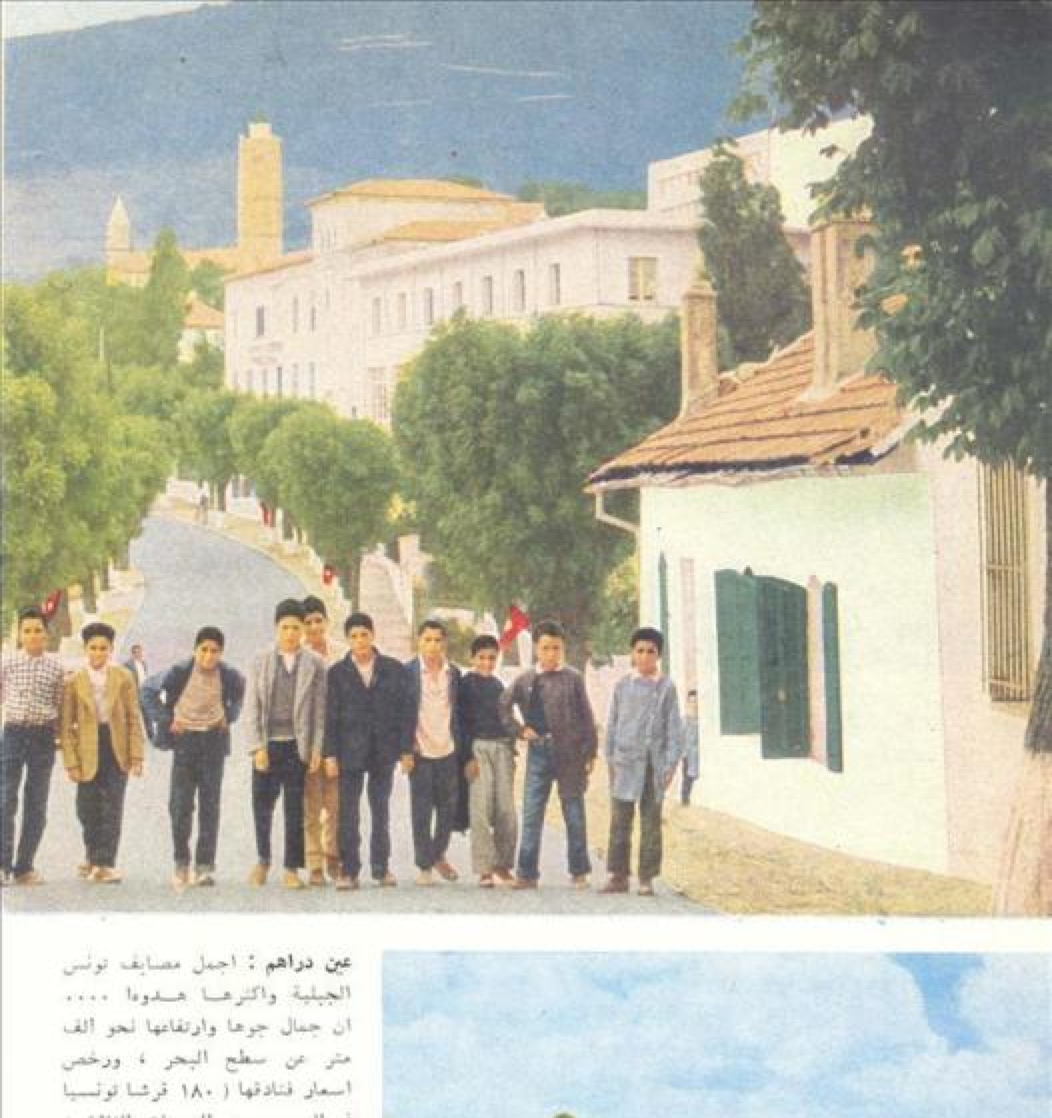

عين دراهم : اجمل مصايف تونس الجبلية واكثرها هدوءا .... ان جمال جوها وارتفاعها لحو الف متر عن سطح البحر ، ورخص اسعار فنادقها (١٨٠ قرشا تونسيا في اليوم مع الوجبات الثلاث) وتعدد عيون مياهها العذبة المثلجة ، كل هذا يجعلها قبلة المصطافين

الى اليمين : تعتبر المنطقة الشمالية في تونس ، أوفر حظا من غيرها فمعدل امطارها (٥٠٠ الى ٦٠٠ مليمتر) يجعلها صالحة للزراعة .. وتنمو في الوديان اشجار الدفلة فتكسب المنطقة جمالا وروعة ..

هذا الجبل المتوسط الحجم هو الحد الفاصل بين تونس والجزائر . وعند سفحه تناثرت بيوت المصطافين ، بينما هرع الاطفال الى الخوض في مياه الشاطيء وهم يلعبون ويمرحون .

الى اسفل : كانت المعارك في الحرب العالمية الثانية تدور في غابات الخفاف (الفلين) والسنديان الكثيفة في شمال تونس ، فترتعب لها قطعان الماعز والاغنام ، التي تعيش على رعي الاعشاب واوراق الاشجار.
اما اليوم فالهدوء والسلام يسودان هذه المنطقة الجميلة ، الممتدة على طول الحدود الجزائرية التونسية .

رحلات بالقوارب

ويعمد أهل البلد وهم من البربر الخلص ، وينتمون الى قبائل خمير ، التى ما زالت محافظة على طابعها وتقاليدها القديمة ـ يعمد هــؤلاء الأهاليالىتجميل سفنهم بالأعلام والزينات ينقلون بها الزوار فى رحلات قصيرة حول سواحل طبرقه لمشاهدة المدينة من البحر ، وزيارة جزيرة جالطة البركانية القريبة ..

ان هدوء هذه المدينة ، ودماثة خلق أهلهـا ، ونظافة شوارعها بالاضافة الى أسماكها الشهية ، كل هذا جعلها مقصدا للمصطافين ، وخاصــة الأجانب منهم ، يأتونها من كل مكان ، فتســتأجر كل أسرة منزلا هادئا من منازلها البيضاء تقضى فيه أشهر الصيف بعيدا عن الضوضاء والجلبة.

مصايف العاصمة

ولا يُقبل أهل تونس على زيارة هذه المصايف

أهل تونس يستحمون ويمرحون تحت أطلال مدينة قرطاجنة التاريخية ، التى أنجبت القائد الكبير هانيبال ، أو « حنبعل » كما يسمونه . وتبعد قرطاجنة ١٤ كيلو مترا عن العاصمة التونسية

لعدة أسباب : أولها طول المسافة ، وثانيها جهلهم بما تحويه من جمال وروعة . وثالثها أنهم يؤثرون ركوب عربات المترو البيضاء التى تنقلهم من وسط العاصمة لقاء مبلغ ٦٥ مليما، لمسافة ١٨ كيلو مترا تتناثر على طولها سلسلة من المصايف البحـرية الجميلة تبدأ بحلق الواد وتنتهى عند قمرت ..

واشهر هذه المصايف:قرطاجنة واميلقار وسيدى ابو سعيد وقَمَرْت .

ان «المترو» الكهربائى الأبيض يسير على الجسر الذى يقطع بحيرة تونس الهادئة ، فتنعكس صور ركابه السعداء على المياه الهادئة ..

التاريخ يتحدث ..

وعند محطة قرطاجنة ينزل عدد كبير منالركاب قاصدين الشاطىء الجميل الذى استحم فى مياهه من قبلهم القرطاجنيون والرومانيون منذ مئـات السنين .

وقرطاجنة ، أو « قرطاج » كما يسمونها ، كانت مهد المدنيات التى مرت بغرب البحـر الابيض المتوسط ، ومصدر الاساطيل العتيدة التى دوخت امم الحوض ، ومسقط هانيبال القائد القرطاجنى الذى هدد اسوار روما ودق أبواب أوربا بجيوشه وافياله التى عبرت جبال الالب ..

وعلى أطلال قرطاجنة القديمة ، قامت قرطاجنة الرومان التى اندثرت هى الأخرى ، وقامت اليوم على اطلالهما قرطاجنة الحديثة التى شيدها باى تونس السابق وجعلها مقرا له ولأسرته قبل خلعه.

أزيلوا الرمال ...

وعلى حجر أثرى من المدينة القديمة ، جلسنا نشهد المستحمين فى المياه الضحلة ، وجاءنا أحدهم عارضا علينا مجموعة من التماثيل الرومانيـــة والنقود القديمة ومصابيحقرطاجنيةدقيقة الصنع والتقليد ، رغم أن صاحبها يؤكد انها اصلية ..

ان أطلال قرطاجنة القديمة لم يكشف الا عن اقل من نصفها (٢/١ فقط) أما الباقى فما زال يخفى أسراره وكنوزه تحت الرمال . منتظـرا الساعة التى تزاح عنه فيها هذه الرمال ،وتتكشف آثار تلك الحضارة التى حفلت بالحديث عنها كتب التاريخ .

شاطىء الشباب

ويتابع « المترو » الكهربائى الابيض سيره تاركا

تحيط بتونس العاصمة ، سلسلة من شواطىء السباحة الجميلة يهرع اليها أهل العاصمة لقضاء عطلة نهاية الاسبوع ، هربا من حرارة الصيف . وتتميز الشواطىء التونسية برمالها البيضاء الناعمة . وترى هنا شاطىء « تمبرت » ويقع فى الضاحية الشمالية للعاصمة .

آثار قرطاجنة متجها الى « امليقار » مصيف الشباب الذين يقبلون عليه يفترشون رماله البيضاء ، لتاخذ اجسامهم حظها من الشمس قبل النزول الى البحر ، بينما يتنقل باعة الياسمين بينهم منادين على ياسمينهم الوارد من الحمامات .. وعلى بعد امتار من البحر يتزاحم الناس على الأكشاك الخشبية ، التى يبيع اصحابها شطائر من السجق « المقانق » الملان بالتوابل ياكلونها ويشربون المثلجات والمرطبات .

كتلة من النور

والمحطة التالية للمترو الكهربائى الأبيض هى سيدى ابو سعيد المصيف البحرى الجبلى الجميل .. فهو على راس جبل قليل الارتفاع يطل على البحر، ولا يبعد عن العاصمة أكثر من ١٥ كيلومترا، ولذا يشهد أهل العاصمة أنواره وهى تلمع فى الظلام ، وكأنها كرة نارية ..

وأهل سيدى ابو سعيد ، سعداء جدا .. وسر سعادتهم يكمن فى الكنز العظيم الموجود تحت منازلهم ..

انه كنز ، أو كنوز ـ ! ـ اهل قرطاجنة الأوائل، فقبل سقوط مدينتهم فى أيدى الرومان ، جمعوا كنوزهم وحفروا سردابا طويلا ضيقا للغاية،ووضعوها فى نهايته ، وهذا السرداب لا يمكن الولوج اليه الا بصعوبة هائلة ، تتطلب السير على اليدين والركبتين .. ولكن حتى هذه العملية مستحيلة ، فالمياه الصافية تتدفق منه باستمرار فتمنع الدخول .. هذا فضلا عن الجان الذين تحتم الأساطير وجودهم كحراس أوفياء للكنز الخيالى!!!

بين هذه الصخور التقطت مناظر عشرات الافلام العالمية

تمتد سلسلة جبال اطلس من الجنوب الغربي في المغرب ، وتخترق الجزائر حتى تصل الى تونس فتتشعب الى اصابع جبلية ثلاث تتلاشى اثنتان منها في رمال الصحراء . أما الاصبع الثالثة فتتجه الى البحر عند طبرقة وتتقطع باشكال مختلفة رائعة يسمونها «ابر طبرقة» وتميز هذه الصخور شاطيء طبرقة عن كافة الشواطيء التونسية . وقد استغل السينمائيون هذه الصخور في التقاط الكثير من مناظر الافلام العالمية ، مثل « علي بابا » ، « ولص بغداد » ، وافلام المغامرات الاخرى . وفي مقابل هذه الصخور جزيرة صخرية مهجورة (الصورة اليسرى) بها نحو اربعين بئرا من المياه العذبة وقلعة قديمة وابراج رومانية واسبانية ومنار جميل يقصدها المصطافون لاكتشاف جمال هذه الآثار .

الى اسفل : اختار افراد هذه العائلة هذا المكان الهادىء، داخل احدى « الابر » الجبلية ، وجلسوا فيه بعيدا عن جلبة المصطافين وفضولهم !

موكب الحياة

ويجلس المصطافون الذين قدموا من اوربا للاصطياف فى أبى سعيد ، فى شرفات منازلهم الصغيرة البيضاء التى استاجروها للموسم كله ، باسعار زهيدة للغاية، يجلس هؤلاء فى نفس الاماكن التى جلس فيها الشعراء والكبراء والرسامون يتفرجون على موكب الحياة يمر من امامهم ، بائع البطيخ .. وبائع الطماطم، وبائع الليمون .. وبائع الخضر الطازجة النظيفة .. والطفل الصغير يسير خلف الحمار الصغير ، المحمل بالمشمش يستحثه على السير بعصاه الصغيرة .

تبدُّل جذرى

ويتوقف « المترو » فى محطته النهائية ويتابع الناس رحلاتهم بالسيارات الى منطقة قَمَّرت ، حيث يتبدل شكل المصايف كليا ، فتظهر الكازينات والملاهى، والمقاهى، والمطاعم المطلة على الشواطىء الرملية البيضاء التىيقصدها كبار الموظفين لتناول الغداء او العشاء ..

وعند قَمَّرت تنتهى سلسلة الشواطىء .. ولكن البحر الذى يحيط بتونس ويلفها ، يكشف كل يوم عن مكان سحرى جديد ، وآخرها كان شاطىء رَوَّاد ، الذى لا يعرفه الا اصحاب السيارات فقط .. اذ لا توجد وسيلة أخرى للوصول اليه .

الكوت دازور ، وطبرقه !

ان لتونس امكانيات طبيعية هائلة تستطيع أن تجلب بها السياح من مناخ لطيف ، ومناظر خلابة ، الى مصايف جبلية وبحرية، وآثار رومانية هائلة .. كل هذا ممكن ان يزيد فى عدد السياح .

وتتميز تونس بكونها اقرب نقطة عربية الى معاقل السياح فى اوربا ، فالمسافة التى تفصلها عن صقلية تقل عن ١٠٠ ميل ، والطائرات القادمة من روما ومارسيليا ،تقطع المسافةق تسعين دقيقة فقط .. ان تونس هى الامتداد الطبيعى لرحلة السياح فى اوربا ، ومع ذلك فان عدد السياح قلما يزيد عن ٧٥٠٠٠ سائح .

ولكن قبل زيادة السياح يجب ان يتعرف أهل البلد انفسهم الى جمال بلادهم ، ويقيموا فيها المساكن والفنادق ..

ان فرنسا كانت تحاول القضاء على مصايف تونس لانعاش مصايفها ، وفعلا نجحت فى هذا الى حد كبير ، فالتونسى يعرف مدن كان ، والكوت دازور ، أكثر من معرفته لطبرقه أو لعين دراهم !

ان مشاريع المستقبل لرفع شأن المصايف التونسية كثيرة ومتعددة وفى مقدمتها انشاء قرى سياحية .. وسلسلة فنادق .. واصلاح بحيرة تونس ، وتحويلها الى بحيرة مثل بحيرة جنيف بعد احاطتها بقلادة من البنايات ..

كل هذه المشاريع يعرفها أهل السياحة جيدا .. ولكن ابن تونس يكتفى بالذهاب الى المصايف القريبة المحيطة بعاصمته ، يقضى فيها عطلة نهاية الاسبوع ، ثم يسرع فى الليل محاولا اللحاق بآخر قطار من قطارات « المترو » الكهربائى الذى يكون عادة مكتظا بالعائدين الذين قضوا يوما هنيئا تحت شمس ساطعة . ■■

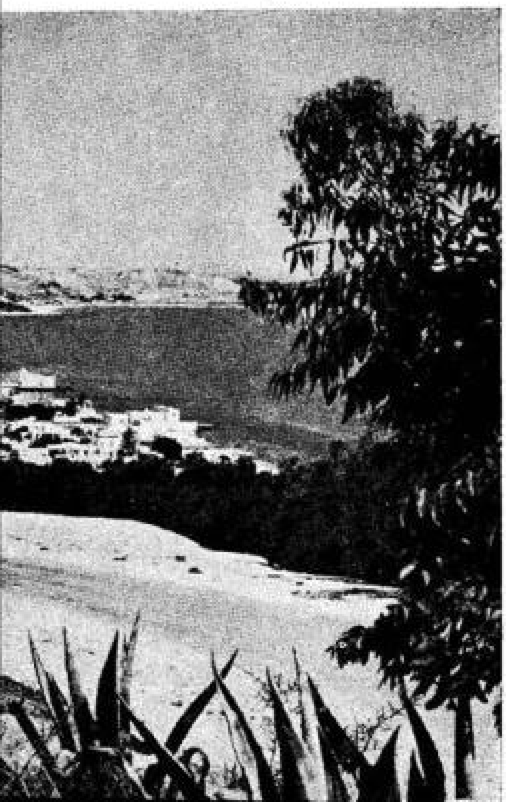

الى اليسار : مدخل ضاحية «المرسى» .. وهو مرسى الجراح ، أحد القواد العرب القدامى ، وكانت المرسى الميناء البحرى لقرطاجنة التاريخية ، واتخذها ملوك الدولة الحسينية مقرا لهم ، خلال الصيف والخريف والربيع

تجرى فى المصايف التونسية احتفالات شعبية جميلة مثل الاحتفال بعيد العنب والجمل ، كما ترى فى الصورة العليا التى التقطت فى مقهى الصفصاف بالمرسى قرب عين الماء .

بائع القبعات المبتكرة المصنوعة من ساق سنابل القمح ، يصادفك على الطرق المؤدية الى المصايف.

معركة العرب الفاصلة ..

● تسوية قضية الجزائر ستمهد للعرب انيفرغوا ، بكل امكانياتهم ، لقضية فلسطين . وهناك وجوه شبه أساسية ، بين القضيتين : ففرنسالم تقتنع باحتلال الجزائر ، بل ساقت اليها مليونا من حثالات الفرنسيين والطليان ، والأسبان ،ومكنت لهم التوطين فى القطر العربى الشقيق . وهذا عين ما فعلته بريطانيا فى فلسطين .

وفرنسا لم ترد للجزائرين حقوقهم فى بلادهم ،بالحسنى . وانما هى فعلت ذلك مرغمة . وما من عربى عاقل يأمل ان تسترد فلسطين ، بالتمنيات .وظهور دولة عربية جديدة ، قوامها أبطال الجزائر، من شانه ان يشحذ الهمم ، ويحفز العرب الىتطهير فلسطين من المغتصبين ، اقتداء بشعب البطولات . ولن يكون هذا التطهير شيئا سهلا ،وسيقتضينا الكثير من التدبير ، ووضع الخطط ، والقيام على تنفيذها .

وكانت جهود العرب ، وبطولاتهم ، تتوزع بينفلسطين والجزائر ، بل كثيرا ما كان يتخذ هذا التوزع تكأة للتهرب من المسئولية . أما اليوم ،وقد اتم الله على الجزائر نعمة تحررها ، فليس أمام العرب سوى قضية واحدة ، تنصب عليهاالجهود ، دون توزع ، ودون سبيل الى مهرب منها . انها معركة العرب الفاصلة .

عن « جريدة الدفاع » ــ القدس

نــداء الضــمير

تمضي الولايات المتحدة فى تفجير قنابلها النووية فى الجو وسط سيل من الاحتجاجات والنداءات ينهمر عليها من جميع عواصم العالم .

ان الشعوب الغربية ذاتها اعربت عن استيائها لاستئناف الولايات المتحدة تجاربها ، وارسلت صيحاتها مدوية الى اذان القابعين فى كراسى الحكم فى واشنطن تقول لهم ان الضمير يفرض الا تدفع الشعوب الى اتون الحرب دون مبرر .

ان الامتناع عن تفجير الاسلحة النووية يجب الا يكون من جانب واحد ، فعلى المعسكرين ، الغربى والشرقى على السواء ، ان يحترما رغبة الشعوب بتحريم التجارب النووية ويمتنعا عن هذا السباق الجنونى على السلاح الذى يهدد بافظع الكوارث .

عن جريدة « الانوار »

كيف يستعيد الشرق

● هولندا تفخر دائما بأن يد الانسان صنعتها . لقد كانت تسمى بالأرض الواطئة لأنها تقع تحت البحر ، ولكن أهل هولندا ردموا البحر شبرا بعد شبر ، وأقاموا المدن والمداخن والمطاعم !

أوروبا كلها ، وأمريكا ، تعبت فى القرن الماضى لتحفر وتبنى .. وتعرق .. فعشرات السدود أقيمت وآلاف المناجم حفرت ..

والذين يبشرون بيننا بأن الشرق

التفرغ لماذا ؟!

● بهذه المناسبة ، يراودني سؤال عن منحة التفرغ للأدباء ..

اود ان اتساءل .. لماذا التفرغ ؟

فان غالبية ادبائنا الموظفين ليسوا موظفين بالمفهوم الحقيقي للكلمة . اذا كان التفرغ هكذا فقط كما هو منفذ الآن ، فان المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب قد أتاح التفرغ لكل أديب عمل به.

اريد ان اقول انه ينبغي لوزارة الثقافة ان تتناول التفرغ بمفهوم آخر يتمشى مع رسالة الأدب في وقتنا هذا .. الفنان الذى يتفرغ ليبقى فى القاهرة .. انما يتفرغ ليستطيع ان يباشر رسالته الحقيقية .. ان يسافر الى حيث يجرى العمل فى السد العالي مثلا ، ليعيش هناك ويتابع البناء عن قرب ويحيا حياة الكادحين فى تشييده ثم ليعبر لنا فى عمل فنى ، لا أشك فى صدقه ، عن هذه التجربة الضخمة التي لا يخوضها العاملون فيها وحدهم انما يخوضها شعبنا بأسره .

الأديب « يتفرغ » لينزل الى الريف .. الى قريته مثلا ، ويعيش هناك بين أهله فيستمد منهم ما افقدته اياه المدينة الصاخبة من أحاسيس صادقة بحياة الفلاح وآماله ..

ولئلا يبقى الأديب المتفرغ عضوا عاطلا وسط المجتمع الذى يعيش فيه .. فليفعل شيئا .. كأن يمارس رسالة وزارة الثقافة فى القرية التى يعيش فيها اى ان يكون ممثلا لهذه الوزارة هناك يستجلب الكتب ، ويدعو الفرق المسرحية ويسهم فى تفتيح المواهب فى غياهب ريفنا وأعماقه .

عن جريدة « الجمهورية » ـ القاهرة

متى نحترم وعودنا ؟

● « المؤمن اذا نطق صدق ، واذا عاهد أوفى واذا وعد انجز » .

هذا حديث ذهب مذهب المثل المتداول على جميع الألسن ، وهو جدير بان يكتب بخط واضح جميل ، ويعلق فى كل مكان ، حتى يعرف كل صانع وكل تاجر ان عليه أن يحترم وعوده ، وأن يفي بها ولو قام فى سبيل ذلك بجهد اضافى .

فالمؤسف ان اكثر أصحاب الصناعات من حدادين ونجارين وخياطين وغيرهم يعدون الزبون بتسليمه ما طلب من انتاجهم فى وقت معين ، ويأتى الموعد المضروب وهم لم يحاولوا محاولة بسيطة ان يحضروا ذاك الانتاج أو العمل المطلوب منهم .

وقد تعدت هذه العادة السيئة الرديئة أصحاب الصناعات الى بعض التجار ، فكان لها أحيانا تأثير سيىء على علاقة هؤلاء بالتجار فى الخارج .

فمتى نحترم الوعود ؟ ومتى نصمم على ان نضبط أوقات عملنا حتى ننجز كل عمل فى وقته ، ونخلق الثقة بين الصانع والتاجر والمتعامل معهما؟

عن « جريدة العمل » ـ تونس

مجده التليد ؟

آخذ يستعيد مجده ، لا بد أن يعلموا ان هذا المجد ليس مجرد بعث للقديم التليد ، ولكنه مجد ـ اذا صح أن نسميه كذلك ـ يعتمد بالذات على هذه المشروعات البنائية العظيمة ..

انه يعتمد على العمل أولا ، فالعمل هو سر الحضارات والقلب الذى ينبض فى جوفها ..

والعمل ـ بلا عدل ـ سخرة وسخرية وآلام فوق طاقة الانسان .. اى انسان .

عن « جريدة العلم » ـ الرباط

بقلم : الدكتور صلاح الدين المنجد

■ ليس احلى على النفس ، من حديث العجائب والمغامرات .

وليس الـذ في السمع من الانباء المشوبة بالغموض والخفاء .

وقد يزيد في حلاوتها ولذتها ، أن تكون دائرة حول الحب ، والمراة والمال .

وفي سبيل المال كم غامر الناس للبحث عن الكنوز .

كم سافروا وقطعوا الفيافي ..

كم قرأوا العزائم والرُقى ..

كم احرقوا البخور ، واشعلوا المجامر ، واستعانوا بالجان ليجدوا جرارا ملأى بالذهب او صناديق رُصّت فيها الأقراط والعقود والقلائد ، او قدورا حُشيت بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ .

كم ركبوا المخاطر ، وانفقوا الأموال ، وسهروا الليالي ، وبنوا قصورا في رمال ، وصاحبوا الاوهام والاحلام ! فعادوا ، بعد ذلك كله ، بالظفر مرة ، وبالخيبة مرات .

وكيف الوصول الى الكنوز ، وقد قام عليها من العفاريت والجان ، حراس اشداء ، يعمون عنها الأبصار ، ويصرفون عنها الناس ، فلا تفتح الا في وقت محدود ، او على نداء اسم معين ، او بظهور صورة شخص معروف .

يقول القيرواني في كتابه المخطوط « حل الرموز في علم الكنوز » : وذلك لأن الكنوز مختصة بصور لا يفتح ذلك الكنز الا تلك الصورة ، ولو اجتمع عليه اهل الأرض . فاذا حصل ذلك الشخص صاحب تلك الصورة الى ذلك الكنز فتح له من غير كد ولا تعب .

ولقد اهتم العرب والمسلمون بالكنوز ، فيما اهتموا به من أمر الحياة .

ولقوا منهـا اثنـاء فتوحهم ، من الأندلس الى الصين ، الكثير ، ثم اهتم بها ملوكهم وعامتهم على السواء .

تسقطوا اخبارهـا ، وبحثوا عمن يستطيع فتحها .

فهل تجد أحلى من ان تكون ماضيا في طريقك ، فتفتح لك الأرض ، فتلقى المال او الجوهر ، مكدسا ، مجموعا ، يضحك لك ويقول : خذني ، مللتُ سجني ، اطلقني وانفقني ؟ .

او ان تكون مستلقيا ، فتتدلى قفة فيها الذهب ، وفيها ما تشاء ، وهي تناديك : ضمني اليك ، ضمني اليك .

فضعاف العقول كثار .

والمفلسون اكثر .

واحلام هؤلاء وهؤلاء تسع الدنيا وما فيها .

لذلك سلط الله عليهم طائفة من المخرفين زعموا انهم قادرون على معرفة مواضع الكنوز ، وعلى استخراجها .

وزعموا أن لهم سلطانا على الجان ، يسخرونهم لأمرهم ، فيحلون الارصاد

ويفكون الأختام .

وكان المغاربة أبرع فى مصاحبة الجن، واستخراج الدفائن ،وكتابة العزائم من المشارقة .

والَّفتْ فى هـــذا الباب كتب كثيرة ، المخطوط منها اكثر من المطبوع .

القصـــة

قامت حول الكنوز دنيا مـن القصص المثيرة والمغامرات .

كلها عجائب وغرائب، ومتع وفتن .

وهى جديرة بأن تجمع .

لأنها قصص من الحياة ، تتراءى فيها احلام واهواء لملايين من الناس .

من هـــذه الأقاصيص قصة بارعة ، ظهرت بمصر فى العصر الفاطمى ، أيـام الحاكم بأمر الله ، وتناقلها الناس-حتى ضُمِّنَتْ محرَّفةً بعدُ الى بعض ليالى الف ليلة .

وقـــد ذكرهـــا القيروانى فى كتابه المخطوط عن الكنوز .

وكان فى ايام الحاكم بأمر الله جـزار يبيع اللحم اسمه وردان . وكانت تأتيه كـل يـوم امرأة بارعة الجمـال لتشترى خروفـا بدينارين . فتطلب اليه أن يشقـه شقتين ،فاذا فعل ، اتت بحمـال يحمله فى قفصه وتنصرف به .

كانت كل يـوم تأتـى .. وكل يـوم تشترى الخروف بدينارين من الذهب .

وفى ذات يوم اخذ وردان يحدق فى الدنانير التى كان يجمعها من المرأة ..

فرآها كلها دنانير عتيقة ، ضربت من زمن ، وحاول أن يقرأ ما عليها فلم يفهم .

ففكر ، وفكر ، وهـداه عقله الى أن المرأة « واصلة » ، أى انها وصلت الى كنز قديم ، تأخذ من دنانيره كل يوم .

فلقـى الحمّالَ الذى يحمـل للمرأة الخروف وسأله عنها فقال :

ــ انى لأرى من هذه المراة العجب . انهـا تحملنى الخروف ، ثم تذهب الى راهب بقصر الشمع ، فتعطيه دينارين ، فيعطيها مروقتين من الخمر ، ثم تعطيه دينارا فيصرفه لهـا بعشرين درهمـا ، فتشترى فاكهة ونقـلا وخبزا وحوائج طعام بعشرة دراهم ، وتحملنى هذا كله ، وتمضى فأتبعها حتى تصل الى بساتين الوزير (ناحية المقطم) . هناك ، تشد عينى بعصابتين شدا محكما ، وتقودنى فى اماكن وعـرة ، حتى أصل الى مكان فأضع أحمالى على صخرة ، ثم تعود بى ، وانا مغمض العينين الـى حيث بدأنا ، فتحـل العصابة ، وتعطينـى العشـرة الدراهم الباقية وتقول : احفظ لسانك ، ولا تقطع رزقك .

وهش وردان لما سمع . وتحقق انها واصلة الى كنز . وقال للحمال بخبث :

ــ لقد صدقتك يا اخى ! لا تقطـع رزقك بيـدك . فنحن نكسب منهـا ولا نخسر . فلا تتكلم .

واقبلت المراة صبيحة اليوم التالى .

وكان وردان قد تهيأ للأمر .

فأخذت الخروف ومضت .

ومضى وردان وراءها ، يتبعها بحذر ، يخاف ان تشعر به ، أو تراه .

وبلغت المـراة الصخرة التى تضـع عندها الحاجات . فتوارى وردان خلف صخرة أخرى .

حتى اذا أوصلت الحمـال وعادت ، رآها تحمل اللحم ، وما اشترته ، ثـم تختفى فجأة ، كأنما ابتلعتها الأرض .

ووثب وردان ، مسرعـا ، الى تلـك الصخرة ،واذا به يجد تحتها ثغرةمظلمة .

وحرص ان لا تفوته المراة ، فهبط . .

ولج سردابا طـويلا مظلما ، رطبا ، يتراءى فى آخره ضوء شاحب .

فمشى على حذر . .

حتى اذا بلغ آخر الدهليز ، وجد على يمينه باب قاعة فخمة نيرة ، لا يعلم من أين يأتيها النور .

فجلس فى حـد الباب ، فى الظلام ، ينظر الى صدر القاعة .

فراى ما لم يـره قط فى حياته من اثاث ، وتحف ، وجوهر .

وراى دبا اسود ضخما كانه الجمل ، يُرعب مرآه . يدور ، ويروح ، ويجيء

وراى المراة قد أخذت شقة من ذلك اللحم فقطعت اطايبها ، ورمت بما بقي منها الى الدب .

فبرك الدب يأكل اللحم بنهم ، فكان يَسمع للعظام وهى تتحطم تحت أسنانه صوتٌ مثير .

ثم راى المراة تشعل نارا ، فى جانب من القاعة وتطبخ اللحم الذى قطعته .

ولم تنتظـر الا دقائق حتى استوى الطعام ، فلم يدر وردان كيف طبخته .

ثم جعلته فى زبادى من المينا النادرة لا توجد عند الملوك .

ثم اكلت بنهم ايضا .

ثم مدت الفاكهة والنقل ، واتت بأوانى الخمر من البلور المجزع والجوهـر . فملأتها من خمرها المروق ، وسقت الدب وشربت .

وما زالت تشرب وتسقى الدب حتى فرغت المروقة الأولى . عندئذ اقتربت منه . .

وكانا لا يتكلمان . .

فأخـذ الدب يداعبهـا ، ويقبلهـا ، ويرقص لها .

ثم كان بينهما ما يكون بين المرء وزوجه مرات ومرات .

ثم انقلب لا يتحرك وقد اخذه النوم من السكر والاعياء ، وارتمت هى تغط فى نوم عميق .

★ ★ ★

دهش وردان مما رأى .

وجال ببصره فى انحـاء القاعة مـرة ثانية ، فطار لبه .

وقال لنفسه : ليس عليّ ان انتظر . لئن افاق ورآنى فسيقتلنى شر قتله .

فجذب من وسطه سكينا حاذقة تبرى العظم قبل اللحم ، ودخل القاعة هادئا حـذرا . ومضى الى الـدب فأمسك برأسـه ، واجرى فى عنقه السكـين ، فخلص رأسه عن بدنـه . فسمع لـه

شخير وخوار كالبقر ، وارتج المكان .. كأنما وقعت صاعقة فيه . وهبت المراة مذعورة ، فرات وردان ، بيده السكين ، والـدب يتخبط بدمـه . فصرخت كالمجنونة :

ــ كيف جئت الى هنا .... ؟ وكيف فعلت هذا ؟

وصاح بها وردان :

ــ ما الذى حملك علي ما تفعلين ؟ افرغت الدنيا من الرجال ؟

واجهشت بالبكاء ... وصاحت :

ــ اذبحني كما ذبحت الدب ... فما بقي لي حياة .

ــ خافي الله ... وتوبي اليه ... انا اتزوجك بالحلال ، ونعيش بقية عمرنا من هذا الكنز .

ــ اذبحني ولا تطل الكلام ... الآن فهمت ... كان هـذا الكنز مرصدا على صورتك . ولو ان غيرك من سائر خلق الله أراد الوصول الى هنـا مـا استطاع . ان لم تفعل ما امرتك بـه اتلفتـك ، وان فعلت نجـوت بنفسك وبجميع ما فى هذا الكنز .

وهزأ وردان فى نفسه بها ، وتحسس سكينه ، وقال :

ــ وما فى قدرتك أن تفعليه بي ؟

فنهضت المراة الى طبق وسط القاعة فيه قليل ماء ، فقرات شيئا ، واذا بالماء يتدفـق من جوانب القاعة ، ويرتفع ، وبدات الأنوار تخفت فينتشر الظلام .

ــ وردان ! ادرك نفسك واذبحنى ، والا هلكت بالغرق .

ــ لن اذبحك ايتها المراة .. ما رايت منك الا خيرا .

ــ وردان . افعل ما اقوله لك ... لتنجو .

لن اذبحك ! واذا أردت أن تموتى ، فليكن ذلك على غير يدى .

عندئذ تكلمت المراة على طبق الماء ، فعاد الماء الى مكانه وانحسر عن القاعة ، وعـاد النور ، فاقتربت من الـدب واضطجعت الى جانبه ، وذرت علـى نفسـها ذرورا ، فاذا هى تحترق فى طرفة عين وتنقلب الى رماد .

قال وردان :

ــ واخذت مما وجدت فى ذلك المكان ، من الدر والجوهر والذهب ، طاقـة ما احمـل ، وجعلته فى القفص الذى كان فيه اللحم والفاكهة ، وغطيته وعدت فى طريقى لأفرغه واعود .

فلما صرت بباب مصر وثب عليّ عشرة من حراس الحاكم بأمر الله وقالوا :

ــ وردان .. اجب امير المؤمنين !

فزعت ، ومضيت .

ــ وردان ! ذبحت الدب ، وأحرقت المراة .

ــ نعم يا أمير المؤمنين .

ــ ارنى قفصك .

فنظره ، ثم غطاه ، وقال :

ــ هذا نصيبك ، لا يعارضك فيـه معارض . انما عليك ان تأتى الآن معى لتسلمنى ما بقـي من الكنـز . وركب حماره ، وتبعناه .

حتى اذا بلغنا موضع الكنز ، قلت :

ــ هذا هو المكان يا أمير المؤمنين . انزل لتراه وتنظر الى هول خلقة الدب .

ــ هيهات يا وردان ! انك ما عدت تنظر الى الدب ولا المراة ... هما كانا قربان هـذا الكنز ، حتى استطعت أن تأخذ منه . ولن يستطيع أحد الدخول الى الكنز لأن فتحه كان على صورتك . ولو دخل احـد غيرك لأطبقت الأرض عليه . انزل الآن واخرج جميع ما فيه .

قال وردان : فنزلت ، فما وجدت دبا ولا امراة ، ولا رمادا ، ولا دما . بـل رايت ما لم اره من قبل من ذخـائـر وجواهر وتحف وأموال .

فما زلت انقل ما فيه ، والحاكم ومن حوله يملأون الصناديق .

ثم أعطانى القفص . فبنيت مما فيه سوقي المعروف باسمي فى مصر .

★★★

تلك قصة بارعة مثيرة من دنيا الكنوز . وما أحفل هذه الدنيا اذا طوفت فى أرجائها ، بالمغامرات والعجائب . ■■

بيروت **صلاح الدين المنجد**

أقوى شعاع

● **ليس** هو شعاع من الالكترونات او النتريونات ، وانما هو شعاع من البروتونات (وكلها دقائق مما تتألف منها نواة الذرات) . وهذا الشعاع استحدثه المختبر الذرى الامريكى ببلدة بروك هافن . وتبلغ قوته ٣٠ الف مليون فلت الكترونى . وهى قوة لم يبلغها شعاع سواه .

لقاح للحصانة من السعال الديكى

✻ **صنعوا لقاحا** يقى من السعال الديكى ، وقاموا بحملة يحصنون فيها الناس ، ضد هذا السعال ، بهذا اللقاح . وظلت الحملة جارية من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٨ . وفى هذا العام فقط تنشر ادارة تحصين الأمهات والأطفال من الأمراض بباريس أولى النتائج لهذه الحملة . وقد خرجت على أن الاحصاء دل على ان الذين حصنوا من الداء بلغت الاصابة فيهم ١ فى المائة . اما الذين لم يحصنوا فبلغت الاصابة فيهم ٤ فى المائة .

الشعب الارلندى : أعلى الشعوب تغذية

● **تنشر هيئة الأمم المتحدة** كل عام نشرة عن الأغذية ، وقد اتضح من النشرة الأخيرة أن ارلندا هى أعلى الشعوب قيمة غذاء ، فمعدل ما يتناوله الفرد بها يقاس بمقدار ٣٥٠٠ سعر حرارى فى اليوم . واتضح أن الهند هى أدنى الشعوب قيمة غذاء ، فمعدل ما يتناول الفرد بها يقاس بمقدار ١٨٠٠ سعر حرارى فى اليوم .

واتضح أيضا انه فى الأمم الغنية ، كالولايات المتحدة واستراليا ، ينفق الناس ربع ايرادهم فقط فى شراء الأغذية ، اما فى الأمم المتخلفة فينفق الناس فوق النصف من ايرادهم فى شراء الاطعمة .

★ قصر الشعر وطوله

● **يقول الأطباء الباحثون ان طول الشعر وقصره لا أثر لهما فى الصحة أبدا . وانما الشعر القصير أسهل فى التنظيف ، وكثيرا ما يكون أجمل فى التصفيف . وقد اتهموا قصر الشعر بانه يسبب سقوطه ، ويميل به الى الصلع . وهذه تهمة لا دليل عليها قط .**

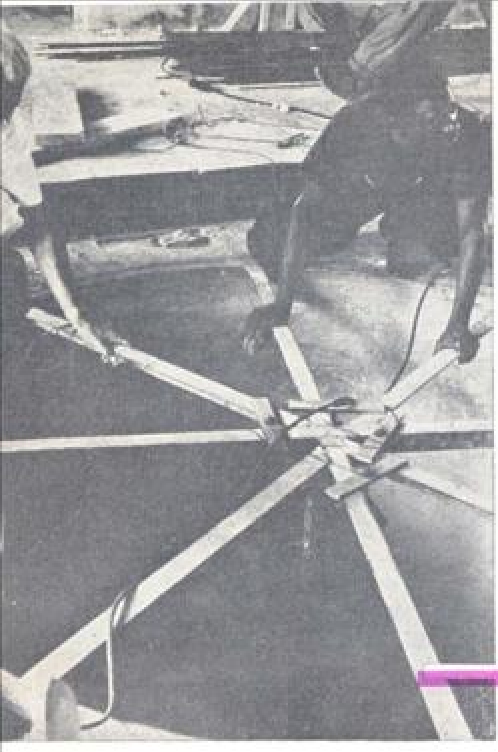

فى الكونغو يقام مفاعل ذرى؟

● نعم هذا حق . فى الكنغو المضطربة . فى الكنغو الدامية .

وهذا المفاعل الذرى هو المفاعل الذى كانت الولايات المتحدة عرضته فى معرض الأجهزة التكنكية فى المؤتمر الدولى الثانى لاستخدام الذرة فى اغراض السلم . ذلك انه بعد ختام العرض ، طلبته جامعة عاصمة الكنغو ، جامعة لوفانيوم Lovanium .

وهذا المفاعل بسيط ومأمون وهو يعطى ما بين ١٠ الى ٣٠ كيلووط من الكهرباء . وسوف يستخدم فى البرامج العلمية والطبية وفى البحوث الزراعية .

وفى الصورة المستودع الذى سوف يستقر فيه الجهاز المفاعل ، وعند فوهته يقف رجلان ، عامل وعالم ، ينظران فى اعماقه .

قصر النظر يعالج بالتنويم ؟!

● لو قلت لرجل قصير النظر ان قصر نظره ما هو الا نتيجة لضعف ارادته ، لظنك مخبولا ، ذلك أن قصر النظر يحدث نتيجة ارتخاء فى كرة العين ، وقصور العدسة عن ملاحقة البعد الجديد الذى نتج بينها وبين الشبكية التى عليها تلقى الصور عند قاع العين .

ومع هذا فقد حدث ان عالما نفسانيا ، اسمه شارل كِلِى Charles Kelley ، بمدينة استنفرد Stanford عالج رجلا قصير النظر ، قدِّر بصره بعشر بصر السليم ، وكانت النتيجة انه رأى بقدرة بصر كامل ، فى المدة التى تلت هذا العلاج ، وبالطبع بدون نظارة .

اما العلاج فكان تنويما مغناطيسيا عميقا ، يساعده ايحاء من الطبيب جانبى .

وأعاد هذا النفسانى هذه التجربة فى ١٤ شخصا فحصل على نتائج مرضية الا انها متفاوتة فى مقدار النجاح .

ولكن بالطبع عاد قصر النظر الى اصحابه لما توقف العلاج .

ويعتقد الأستاذ النفسانى ان قصر النظر له بالطبع أسباب جسمانية ولكن منه ايضا ما يتدخل فى احداثه اسباب نفسانية .

كرة القدم تَبنى المختبرات العلمية

● حاولتِ النرويج ان تجد لبحوثها العلمية موردا جديدا، فوقعت آخر الأمر على مورد جديد حقا وفريد بين موارد المال. وقعت على كرة القدم تأخذ من رابطاتها فى النرويج حصة من ارباحها لتستعين بها على فتح مختبرات جديدة فى البلاد .

مصادر قوى فى الأرض ضائعة

● فى المؤتمر الأخير الذى نظمته هيئة الأمم المتحدة فى روما لدراسة الطاقات الكونية ، ومصادرها التى يمكن الانتفاع بها فى الارض ، خرج المؤتمرون بنحو ٢٥٠ طريقة جديدة لاستغلال الطاقات الطبيعية الكائنة ، من طاقة شمسية ، الى طاقة من الأمواج البحرية ، الى طاقة مما يتبجّس من ثقوب فى الأرض من مياه ساخنة وابخرة ، الى ما تحمله الرياح من طاقات هى مصادر للحركة غير حقيرة المقدار .

ومن الأرقام العجيبة التى خرج بها الحاسبون عندهم أن الطاقة الشمسية الضائعة التى تغمر الأرض كل يوم ، لو انها حولت الى كهرباء ، لبلغت الف مليون كيلووط .

واهتم المؤتمرون خاصة بقوة الريح ، تلك التى حسب الكثير من الناس انها قوة فات زمانها ، وذلك بسبب خروج الطواحين الهوائية من معترك الطاقات . انها قوة سوف تعود .

اكبر خزان للماء فى الدنيا

● انه خزان يمدّ فيينا ، عاصمة النمسا ، بالماء . وهو على وشك الانتهاء. وهو يتسع لنحو ٦٠٠،٠٠٠ متر مكعب من الماء الصالح للشرب ، ويقع على بعد نحو ٢٥ ميلا من العاصمة .

وقد قدروا سعته بحيث تفي بحاجات العاصمة، فى هذه الأيام وفى المستقبل منها. فليس يخفى أن حاجة الرجل المدنى من الماء تزداد عاما فوق عام . وهذه السعة التى اختاروها جعلته اكبر خزان لمـــاءالشرب فى الدنيا .

وهو خزان مغلق ، وكل حركة تراد به يجرونها بالكهرباء ، وذلك منعا للتلوث مهما كان مصدره فتلوث مثل هذا الخزان بمكروب اى مرض يكون نكبة على البلاد . والجهاز الكهربائى الذى يُجرى ما يراد فى الخزان من حركة يتضمن من الاسلاك الكهربائية ١٢٠ ميلا .

وتعجب اذ تعلم أن الذى يجرى هذا الخزان رجل" واحد ، بيده كل الحركة .

واستخدم مصممّوه كل وسائل العلم ، من تهوية ، الى وسائل للتبريد ، بحيث ان الماء الذى يصل الى المدينة ، فى أعز الصيف ماء" شهي" ، بارد" .

وبالصورة تجد الأنابيب الموصلة للماء . وقطرها يبلغ نحو متر واحد .

رجال بلا عظام !!

● انت تضع يدك اليمنى ، على ذراعك اليسرى ، فتحس ان بها عظما . وهذا طبيعي . ولكن يوجد رجال يتحسسون العظم فى اذرعهم ، او فى سائر اعضائهم ، فلا يجدونه . هذا مرض . وهو مرض نادر جدا ، يعرف بمرض جرهام .

وهو مرض من اخفى الأمرض على الطب والأطباء . وهو يبدأ باختفاء العظم فى هذا العضو أو ذاك ، اختفاء متدرجا . وليس من الأدوية دواء يوقفه . وقد استخدموا لوقفه الهرمونات ، واستخدموا الفيتامينات ، والكلسيوم ، والأحماض الأمينية و .. و ... ولم ينفع فيه شيء من هذا .

والمصابون لا يحسون منه بسوء حال . واليوم توجد بمدينة وشنجطن امرأة عمرها ٦٥ عاما ، تقود سيارتها ، ولكن بلا عظم . وفى عام ١٨٢٨ وقع الأطباء على شاب يستطيع أن يرفع عن الارض وزنا مقداره خمسون كيلو جراما ، بلا عظام .

أين تذهب المكروبات فى الشتاء ؟

● ونقصد بالمكروبات هنا أصغر الأشياء الذى تسبب الأمراض في الناس ، تلك المعروفة بالفيروسات . فقد بحثوا فى أمر فيروس يصيب النخاع الشوكي والمخ فى الخيل ، فوجدوا انه في الشتاء يعيش في الثعابين وهى تنام نومة الشتاء . فاذا استيقظت الثعابين جاء البعوض يلسعها ، فيحمل معه الفيروس ، وينتقل به الى الحيوانات الثديية ، وعلى الأخص الخيل ، فتصاب .

دورة عجيبة لحياة هذا الفيروس. والدورات البيلجية هذه لا بد من الكشف عنها حتى تستأصل الأمراض فى مباءاتها الأولى وأصولها .

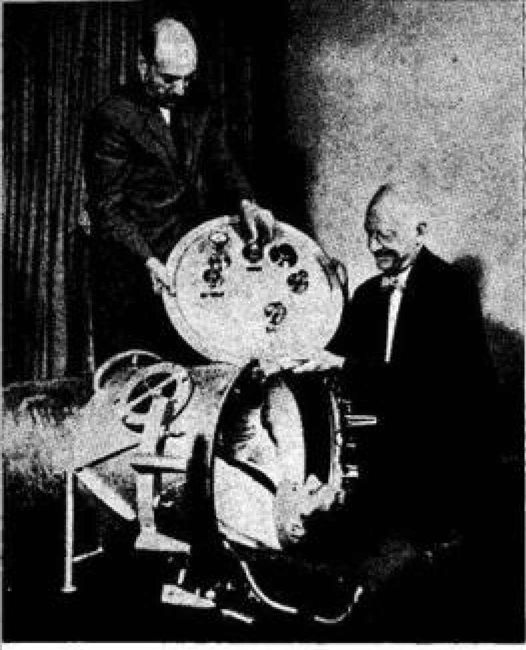

الغطاسون فى البحر كيف يعالجون .. ؟

● اتجه الرأى منذ سنوات الى استكشاف أعماق البحار . وينزل العلماء فى الماء الى أبعاد تختلف عمقا ، ثم هم الى السطح يعودون . ويحدث انهم يصلون من الأعماق الى أبعد مما قدروا ، أو هم يصعدون الى السطح أسرع مما يجب ، وبهذا يصابون بمرض خطر قد يؤدى بهم الى الموت . والسبب أن الانسان ، وهو فى الهواء، على جسمه ضغط سوى هو ضغط الهواء الجوى. فاذا نزل فى الماء الى نحو ١٠ أمتار تضاعف هذا الضغط ، واذا نزل فى الماء الى نحو ٢٠ مترا صار ثلاثة أمثال.وفى هذه الظروف يذوب بعض غاز الازوت فى دمه . فاذا أخرج من الماء ، فى غير تدرج ،بقى شيء من الازوت فى دمه ذائبا ، فيسبب هذا المرض.

وعلاجه باعادة الرجل الى وعاء ، يغلق عليه ، ويزاد فيه الضغط الهوائى حتى يبلغ به ما كان بلغ تحت الماء ، ثم يزال عنه بالتدرج الواجب .

وقد يكون ادخال الأكسجين مضغوطا فى هذا الوعاء واجبا .

والصورة تمثل اول صورة لهذا الوعاء ،تتسع لفرد واحد،اشترتها الجمعية الجغرافية الأمريكية لتعالج بها هذا الداء اذا أصيب به أحد بحاثها . وبالصورة رئيس الجمعية يفحص الجهاز .

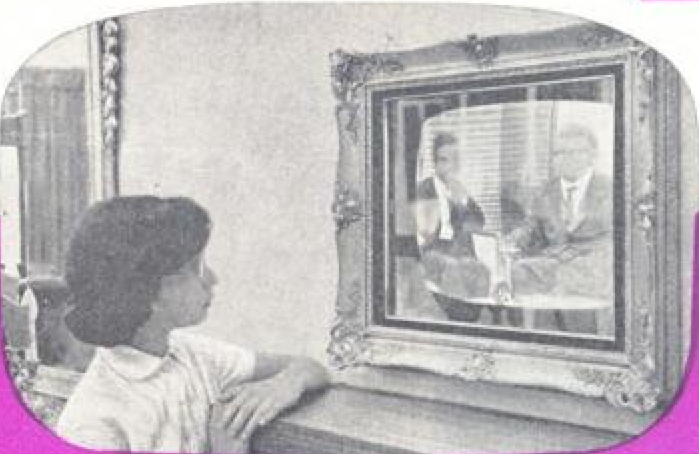

المستقبل التلفازى فى اطار على الحائط

● ان الجهاز التلفازى قد خلق عقدة تتصل بالأثاث وزينة الحجرة التى هو بها ، فهو ليس من الجمال بحيث يزيد فى جمال الحجرة . وقد اقترحت عدة أشياء تتصل بموضع الجهاز فى الحجرة ، كان آخرها وضعه فى اطار على الحائط ، كما توضح الصورة . فاذا اشتغل جرت الصور على الشاشة كالعادة . فاذا أوقفته تحولت الشاشة من ذات نفسها الى مرآة .

يأتى هذا الاقتراح ، وتنفيذه الذى بالصورة ، من إيطاليا .

الحياة ، احتمالها على كوكب المشترى ، أكثر من كوكب الزهرة

● يرى الفلكيون اليوم ، وما أكثر ما يرون ، أن احتمال وجود حياة فوق كوكب المشترِى هو اليوم أكثر من احتمال وجود حياة فوق كوكب الزُّهَرة .

ولقد كان الفلكيون يظنون ان احتمال وجود الحياة فى « المشترى » ، وهو الكوكب البعيد عن الشمس ، فهو البارد غاية البرودة ، أن احتمال وجودها عليه طفيف . ولكن بحوث المعامل دلت على أن جوا كجو المشترى ، بالذى به من أشعة شمسية فوق البنفسجية ، وبما يحدث به من تفريغ شحنات كهربائية ، جدير بأن يصنع جزئيات عضوية بسيطة ، تنشأ فى الهواء وبه تتعلق .

والظن ان جو المشترى يتألف من سحب من غاز النشادر . فهذه تمتص ما يصل اليها من الشمس من الأشعة دون الحمراء ، فلا تعود تعكسها الى الفضاء . وهذه الحرارة المخزونة جديرة بظهور حياة عضوية ما على سطح المشترى . وهذه الحياة تبدأ بجزئيات تتخلق بنسبة ٤ كيلوجرامات وزنا لكل كيلومتر مربع . ثم هى تسقط من المشترى على بحر من ماء ومن نشادر .

اما عن الزهرة ، فالحرارة على سطحها تبلغ ٥٠٠ درجة . بينا هى تقدر على المشترى بنحو ٥ درجات فقط .

الالتزام في الشعر

الشاعر في نظر سارتر - يحكي تجربته الذاتية
والناثر أيضا في نظرنا - يحكي مثل هذه التجربة
وكلاهما عندنا - يستقيان هذه التجربة من منبع واحد

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدائم

الاستاذ بكلية التربية بجامعة دمشق

■ لن نعود الى قصة الالتزام فى الأدب ، فلطالما نفضتها الأقلام ومضغتها الألسن . . غير ان للشعر فى هذه القصة شأنا خاصا ، نود أن نقف عنده . فالذين يجادلون فى الالتزام ويمارون فيه ، والذين ينتصرون له ويدعون اليه ، يكادون يجمعون على حد سواء ان حديث الالتزام هذا ، فى تأييده أو رفضه ، ينال النثر ولا ينال الشعر ، وان الشعر ومعه بعض الفنون كالرسم والنحت والموسيقى ، فى منأى عن هذا الصراع ، وفى معزل عن انتصار المنتصرين أو انكار المنكرين . فهو عند هؤلاء وأولئك بعيد عن ان يطرح مشكلة الالتزام ، أو ان الالتزام فيه ، على أقل تقدير ، ليس على شاكلة الالتزام فى النثر .

سارتر والالتزام فى الشعر

وكلنا يعلم ان على رأس من وقف هذا الموقف ، مؤيدا بعد الشعر عن الالتزام . الزعيم الأول لمدرسة الالتزام فى الادب ، نعنى الفيلسوف الوجودى الفرنسى « جان بول سارتر » . فهو يفصل أعمق الفصل بين تجربة الشاعر وتجربة الناثر ، ويرى أن طبيعة كل من التجربتين تفرض موقفين مختلفين على صاحبيهما : فالناثر بالتعريف لا يمكن أن يكون ملتزما ، والشاعر بالتعريف لايمكن ان يكون ملتزما . النثر كلام يهدف الى غاية ، انه عمل . والناثر انسان تخير طريقة معينة فى العمل ، يمكن أن نسميها العمل بالكشف . فهو يريد أن يكشف امام القارىء مظهرا من مظاهر العالم . والكشف يعنى التغيير . ان الناثر اذا ما تكلم اطلق . انه - على حد تعبير سارتر « يستطيع أن يصمت » لو شاء ، ولكنه آثر أن يطلق ، وما دام الأمر كذلك فعليه اذن أن يسلك مسلك الرجال ، مصوبا الى الهدف ، لا مسلك الطفل يتخبط ولا يتبصر ويطلق مغمض العينين ويكفيه من الطلقة أن يسمع دويها .

جان بول سارتر

الشاعر يخدم الكلمة . . لا يستخدمها

اما الشاعر فى نظر سارتر ، فلا يستخدم الكلمات بل يخدمها ، ولا يلتمس من ورائها غاية معينة . انه لا ينظر الى اللغة نظرته الى اداة يفيد منها ويشير بها الى أشياء محددة مسماة ، وليست ألفاظها عنده اصطلاحات مفيدة . انه انسان تخير

الموقف الشعري الذي يعتبر الكلمات أشياء ، لا اشارات الى أشياء . انها عنده أشياء طبيعية تنمو نموا طبيعيا كما ينمو العشب فوق الأرض . ان اللغة عنده مرآة العالم ، من خلالها يرى العالم كما يريد أن يراه هو ، لا كما هو عليه في الواقع . ان الكلمة تنزع الناثر من ذاته وترميه وسط العالم ، اما الشاعر فتريه صورته الخاصة . وهكذا تطرأ على نظام الكلمة الداخلي لدى الناثر تبدلات كبرى : فجرسها وطولها وأواخرها ومظهرها البصري تؤلف كلها عنده وجها جسديا يمثل المعنى تمثيلا ولا يعبر عنه تعبيرا . ومن هنا كانت الكلمة لديه عالما صغيرا .

ويقول موجز ان اللغة الشعرية ، فيما يرى سارتر ، ليست أداة للوصول الى حقيقة من الحقائق ، ولا هي وسيلة لغاية تخدمها ، وانما هي غاية في ذاتها . وحين يهتم الشاعر بالحقائق الكونية او الاجتماعية ، فانما يهتم بها من خلال صداها في نفسه . اما الناثر ، في قصته او مسرحيته ، فلا بد أن يخرج من حدود ذاته ليصور الحقائق والأحداث من خلال الشخصيات الأدبية ، مبينا من خلال مواقف هذه الشخصيات بواعث التجارب الانسانية وآثارها ، متوسلا الى ذلك بأسلوب موضوعي خارج عن نطاق ذاته .

حقيقة الالتزام في الشعر

وما نريد ان نوغل في شرح وجهة نظر سارتر هذه وفي الأصداء التي تركتها لدى الكثيرين من النقاد الذين نحوا منحاها . وتكفينا مؤونة هذا الشرح الصفحات الطوال التي خص بها سارتر مسألة الالتزام في الأدب عامة ، وفي الشعر خاصة ، والتي ضمنها كتابه « ما هو الأدب » . (ظهرت ترجمتان عربيتان لهذا الكتاب في الآونة الأخيرة ؛ اولاهما بقلم الدكتور غنيمي هلال والثانية بقلم جورج طرابيشي) . والذي قصدنا اليه ما هو العرض والتوضيح ، ولكنه النظرة النقدية تتفحص بها رأي سارتر هذا ونطل من خلالها على حقيقة الالتزام في الشعر .

ولا بد أن نقدم بين يدي هذا النقدمقدمة صغيرة نوضح من خلالها مفهومنا في الالتزام عامة ، لنتبين من خلال هذا المفهوم حقيقة موقفنا من الالتزام الشعري خاصة ، لهذا نقول موجزين ، ان الالتزام عندنا يعني شيئا واحدا هو اخلاص الاديب لتجربته الشخصية . وتجربة الأديب الشخصية تعني عندنا في آن واحد تجربته مع مجتمعه وتجربته التي رقي بها ، من خلال المجتمع ، الى نظرته الشخصية المستقلة القادرة على تجاوز المجتمع والحكم عليه. ومن هنا لم يكن الادب الذي يوضع في خدمة أهداف المجتمع هو الأدب الملتزم في رأينا. والأدب الملتزم ، على النقيض في هذا ، هو الأدب الذي يوضع في خدمة التجربة الشخصية التي يفهم الأديب من خلالها أهداف المجتمع ، مؤيدا لها أو معارضا أو مطورا . وكثيرا ما يكون ابتعاد الأديب عن خدمة مجتمعه ، واعتزاله في محراب فنه المحض ، التزاما عميقا لأنه يعني انكار المجتمع وأهدافه على نحو ما هو عليه في الواقع ، والفرار منه الى تجربة انسانية تعمل لتطويره ولهذا نجد نزعة « الفن للفن » ، و« الأدب للأدب » ، تشتد وتقوى حينما يقوم صراع بين الأديب ومجتمعه ، وحين يكون وضع الأدب في خدمة المجتمع تسخيرا له لأغراض تناقض رسالة الأدب . وهذا ما نجده خاصة في المجتمعات التي تأخذ بنظم فردية استبدادية أو بنظم مجموعية صارمة .

الشاعر والناثر سواء

واذا نظرنا الى مسألة الالتزام من هذا المنظار ، استوى عندنا أمامها الشاعر والناثر . فكلاهما يلتزم ، اذ يلتزم ، تجربته الشخصية ويخلص لها. وكلاهما اذ يلتزم تجربته الشخصية لا بد أن يستقي فيها من منبعين : الاول : هو المجتمع الذي يعيش فيه ويندمج مع قيمه وأهدافه ، والثاني هو العالم الروحي الشخصي الذي يخلقه لنفسه ، متجاوزا الاتباع الى الابداع ، محلقا فوق المجتمع في عالم القيم الروحية الحقة ، قيم الخير والحق والجمال ، ليفهمه فهما أوثق وأعمق ويمضي به الى أمام . ولا نستطيع ان نطلق اسم الأديب الحق ، ناثرا كان أو شاعرا ، على من فرط في أحد المنبعين : فالأديب ابن مجتمعه أولا ، وعنه يصدر ومنه يستقي ، ولا بد له أن يبدأ بمجتمعه وينتهي به ، ولكنه لا يكون أديبا حقا اذا لم يقده اندماجه مع مجتمعه الى موقف شخصي ، الى أوبة الى محراب ذاته ، وعود الى عالم القيم الروحية الانسانية الكبرى. يستقي منها جميعا الموقف السليم الذي يقفه من مجتمعه . ان الادب عالم المسئولية الحرة، يكون فيه الأديب مسئولا من خلال حريته وبسبب حريته ، ويكون فيها حرا من خلال مسئوليته وبسبب مسئوليته . انه مسئول ، لأنه رأى وابصر

وذاق ، رأى عالم القيم كما بدا له ، وابصر كونه الخاص ، وذاق حقيقة الأشياء ، على غرار مـا يتصورها . انه مسئول لانه استطاع أن يتحـرر من عالم الحياة اليومية ليرقى الى عالم الانسان ، بكل ما فى هذا العالم من سمو . وهو حر ، لأنه حمل المسئولية ، حمل الامانة بعد أن وعاها ، فلا يلتزم أمامها بشيء سوى الاخلاص لهذه الامانة التى انكشفت له ، والصدق مع تلك الرؤى التى طوفت به .

النظرة الكلية الشاملة

واذا أردنا تعبيرا آخر ، قلنا ان الأديب انسان بلغ التجربة الانفعالية العميقة التى يتحد عـن طريقها بجوهر الأشياء وكنه الوجود . انه جاوز مقام « الفصل » الى مقام « الجمع والوصل » ، ان اردنا ان نستخدم تعابير المتصوفة . فهو لا ينظر الى الأشياء من زاوية دون زاوية ، انه ينظر اليها من خلال النظرة الكلية الشاملة التى رقى اليها ، فلا تتخذ معناها عنده الا من ثناياها .

وما دام الأمر كذلك ، فبديهى ان الشاعر ، برسالته الخاصة ولغته الشعرية الخاصة ، لا بد أن يكون كالثائر ، بل أكثر منه ، معبرا عن هـذه النظرة الكلية الشاملة، عن تلك التجربة الشخصية التى اتحد فيها بلاؤه للمجتمع ولعالم الاشياء مع بلائه لعالم المعانى والقيم . وعند ذلك لا بد له أن يطل على مشكلات مجتمعه ، ولكن من خلال تجربته الروحية الخاصة ، كما لا بد له أن يطل على مشكلات أخرى تتجاوز المشكلات التى قـد يراها المجتمع مقدمة . فعالم التجربة الانفعالية الذى رقى اليه الشاعر قمين بان يفتق من المعانى والمجالى ما يند عن الحصر وما لا تحصيه ارادة المجتمع وحدها .

بين عطر الزهور ودم الشهداء !

ان الشاعر الذى يلقى معانى الكون وأسراره فى الزهرة والنهر ووشاح الغانيات ، يلقيها أيضا فى الدماء تسيل بيد انسان يعدو على أخيه الانسان، وفى الكرامة يهدرها طاغية ، وفى العزة يبنيها شعب ان الذروة التى يطل منها على الكون والأشياء ، هى التى تكشف له ، من خلال تجربة مجتمعـه وتجربته الذاتية ، البؤرة التى عليه أن يقف عندها والهدف الذى ينبغى أن يصوب اليه . والشاعر العربى الذى يدرك ، من علياء نظرته ، فى لحظة من اللحظات ، ان الدنيا كلها تعبق بلحن واحد ، هو لحن أمته الجريح وشعبه المظلوم ، هو هو الشاعر الذى يرى فى لحظة أخرى ان الكون كله عطر زهرة أو نسمة صبا أو خطرة كاعب . ان مثل الشاعر القروى ، لا يستطيع الا ان يعيش فى تجربته الروحية السامية مآسى أمته ، ولا يستطيع ، فى معظم لحظات حياته ، أن يجترح المعجزات كما يقول فيسمعنا همس الأزهار وسط الضجيج ، ضجيج المعركة ، ويصور لنا الوان الشفق وراء ذلك القتام . انه يحرم على نفسه ، فى لحظات انفعاله باحداث أمته ، ان يتعشق « مود » الأجنبية :

الشاعر القروى

فانى حـرام علـىّ هـواك
وفى وطـنى صـيحة للجهاد

انه يعبر عن هذا كله أجمل تعبير حين يقول :

وللنفس حـالات يطيب بهـا الأسى
وتمسى بها الافراح عبئا على القلب
وقد تهرب الأبطال من ساحة الصفا
كما تهرب الانذال من ساحة الحرب

ولكن للشاعر القروى أجواءه العليا العديدة ، ورؤاه الشتيتة ، وهيهات الا يرى من مشارف الذرى الا وجها واحدا من أوجه الكون ومعنى واحدا من معانيه . انه يرى فى ذلك العالم السامى « حضن الأم » و« وتسبيحة الحب » و « صفح » الصديق،ويرى ، فى لحظة من اللحظات ان الطبيعة كلها حب :

عـمّ الجمـال فقلّـب
عينيـك فى الكـون واكتب
كـل الطبيعـة شـعر
لأنهـا كلهـا حـب

ويرى فيما يرى ، وهو المطل من الذرى ، ذرى تجربته الروحية الحرة ، ان

دعـوة الحب أول الدعـوات
أعلنت من مـآذن السموات
خـرجت من فـم الالـه فكانت
آيـة الخلق أدهش الآيـات

بل انه ليجمع فى لحظة روحية واحدة ، وفى رؤية مشرقة مؤتلفة ، بين مجالى الحياة الكثيرة ، بين حبها ومآسيها ، بين أزهارها وأشواكها ، فيقول

فى طفولة الشاعر الذى يغرف من بحر تجربته الشاملة الصادقة :

نحن الأولى شمل الغرام تذيبنا
وتذوب ساعة ذكرنا الأوطانا

أو يقول :

أنا للحب وللحرب معا
وتواق لمن شاء شهودى

سمات الشاعر الأصيل

وبعد ، ما أردنا هذه الوقفة عند الشاعر القروى الا مثالا على ما يرقى اليه كل شاعر من تجربة انفعالية شاملة ، تجعله خدين مجالى الوجود فى شتى صورها ومعانيها ، وتحيله وترا يهتز لكل لحن من ألحان الكون. ولب الأمر ان تجربة الشاعر الانفعالية ، كلما عمقت وسمت ، استطاعت أن تدرك قيم الأشياء فى تدرجها الصحيح ، وان تلتقط اللحن الذى تمليه رؤى الكون حقا فى لحظة من اللحظات، فتجعل له الصدارة على غيره . ان التمييز بين روائح العطور التى يعبق بها الكون، وادراك أكثرها عبقا فى فترة من الفترات ، لا بد أن يكونا من سمات الشاعر الأصيل . أما قلب القيم ، وحجب الأعين عن النور الحق ، والآذان عن الأصوات التى تنادى مبحوحة من أعماق الكون ، فبعد عن التجربة الشعرية الحقة ، التى لا بد أن تكون تجربة شاملة لا تغلب من الاحاسيس الا ما تضج به رؤى الكون وتنطق به جوارحه .

ولكن اذا كان من الخطأ أن نفصل تجربة الشاعر عن تجربة الانسان فى شتى ميادين حياته ، فمن الخطأ الأكبر ان نحدد نحن معانى تجربة الانسان واهدافها . ان هذه المعانى ستظل مكتمة ابدا ، وستجهد النفوس لجلائها دوما ، وهى دوما امامنا وليست وراءنا . وما جهد الادباء والشعراء الا جهد للتقرب منها ، بل اقول ، جهد لبنائها بناء متصلا . ومن هنا كانت حرية الاديب من صلب تجربته ، وكانت القيود التى يلزم بها نفسه عندما تكون صادرة عن تجربة انفعالية حرة ، هى القيود الوحيدة التى يمكن أن تفرض عليه . ان القيد الأول والأخير للناثر والشاعر ، هو قيد التجربة الانفعالية الصادقة . وتلاقى التجارب الانفعالية ، على اختلاف الوانها ، هو الذى يسير بنا نحو فهم الكون وبناء معانيه .

ان ماساة الانسان انه يود أن يضع وراءه ما هو امامه ، وانه يحسب ان ما يقوم به اكتشاف لشىء موجود ، دون أن يدرك انه فى واقع الامر امام بناء دائب متصل . وهذا البناء لا تحدده فكرة مبيتة أو معنى مرسوم ، ولا تخلقه الا التجربة الانسانية الموصولة ، وعلى رأسها تجربة الادباء . ومن هنا كانت هذه التجربة مسئولة حرة فى آن واحد ، كما بينا . انها مسئولة لأن كل خطوة تخطوها لبنة جديدة فى كيان الانسان وحياته . وهى حرة لأنها تبنى ولا تكشف ، ترسم الى أمام ، وتتجاوز تجربة الانسان الى تجربة تعلوها دوما وتسمو بها دوما .

الحرية واحدة .. والمنبع واحد

ان موضوع الحرية فى نظرنا ، واحد فى شتى مجالات الحياة الانسانية . وانها دوما وأبدا فيما نرى حرية الفرد الذى يمثل حياة مجتمعه ويقتدى بها ، ويستطيع بفضل هذا التمثل أن يعلو على ذلك المجتمع ليراه رؤية جديدة ويدفعه دفعات الى امام . وحرية الناثر أو الشاعر ، هى هذه الحرية عينها . ان قوامها تمثل تراث المجتمع وحياته والغوص فيه حتى الأعماق ، بغية التحرر منه بعد ذلك تحررا من شانه أن يقود الناثر أو الشاعر الى اطلالة شخصية يقبسان فيها من عالم القيم كما يتراءى أمام تجربتهما ، ويعيدان من خلالها النظر فى حياة مجتمعهما وحوادث مجتمعهما.

منبع واحد .. للجميع

ان الشاعر ، فى نظر سارتر ، يحكى تجربته الشخصية الذاتية . ولكن الناثر ايضا ، فى نظرنا ، يحكى مثل هذه التجربة . وكلاهما ، عندنا ، يسقيان هذه التجربة من منبع واحد مزدوج الأصول : منبع النظرة التى رقت ، عن طريق المجتمع وتمثله ، فوق المجتمع وفوق المألوف من قيمه ، لتنظر اليه نظرة بدئية مبتكرة تفهمه فهما جديدا ، وتتجه به اتجاها جديدا . فلا الشاعر يكتفى باجترار تجربة شخصية ذاتية لا أصول لها فى تجربته مع المجتمع على نحو ما يراها ، ولا الناثر بعيد عن أن يصوغ صلته مع المجتمع والعالم الخارجى من خلال النظرة الحرة المستقلة التى رقى بها فوقهما وغير بها موضوعيتهما .. ان كليهما ربيب تجربة قوامها مركب مبتكر من المجتمع والذات . ■■

عبد الله عبد الدائم

من وحى القراء

بقلم الدكتور [illegible]مد زكى

خصومة قديمة بين الأمواس واللحى

- من حق العقل، أن يغير الطبيعة، فهو بعضها
- طن الفولاذ يصنع ٨٠٠ ألف شفرة
- كيف غلبت الشفرة، وتراجع الموسى، ثم ساهمت الكهرباء

■ كنت على موعد مع صديق، فى بيته، فى الصباح الباكر.

وطرقت الباب فى الموعد تماما، والساعة تدق الثامنة تماما، وادخلنى الخادم الى حجرة الجلوس، ومضت عشر دقائق قبل ان يظهر صاحبى.

والسبب ؟

الشفرة التى يحلق بها. فرغت الشفرات من عنده، على غير علم، فبعث فى شراء شفرات جديدة.

وامتد بيننا حديث عابر عرفت منه انه يختزن فى بيته نحوا من ٥٠٠ شفرة. قلت: فما بالك ترسل الخادم فى شراء شفرة جديدة ؟

لم يجب.

انما قام لساعته وعاد وفى يديه عشر

علبات من الكبريت. وفتح احداها وقال بهذه نحو ٥٠ شفرة . وفتح اخرى وقال وبهذه نحو ٥٠ شفرة اخرى . وهكذا دواليك .

قلت : شفرات مستعملة ؟

قال : استخدم الواحدة مرتين فقط .

قلت : ان الشفرة تنفع عندي لخمس حلاقات .

قال : اختزن هذه الشفرات وما قد تجود به من زيادة حلاقات لما بعد الحرب؟

قلت : اى حرب ؟

قال : الحرب النووية القادمة ، تلك التى ستذهب بالمدنية ، وبصناعتها ، وفى اول ما سوف تذهب به من صناعات صناعة هذه الشفرات .

وضحك، وضحكت. وانطوى الحديث الى غيره .

الشوارب واللحى

ولكن هذه الحيطة التى اتخذها صاحبى فى الاحتفاظ بشفراته ، ظلت عالقة فى ذهني طول النهار، وبعض الليل. اذكرها ، ثم انساها ، ثم اذا هى تعود .

ولكن الحرب النووية ستذهب بما هو اعظم ، وبما هو اخطر ، من اصول هذه المدنية الحاضرة ، من انتجتها ،ومن وسائلها وعاداتها .

كل ما يحدثه غياب الشفرة من اثر ، انما هو عودة الرجال الى الشوارب واللحى. والانسان عاش بشواربه ولحاه، قرونا اكثر كثيرا من قرون عاشها بغير شوارب وغير لحى . انهما قرنان او ثلاثة قرون ، لا يسيرهما الانسان فى التاريخ الى الوراء ، حتى يجد وجوه الناس وقد اختفى نصفها تحت لحاهم والشوارب.

كلفة الشوارب واللحى

ورحت ابحث فى كم تكلف حلاقة الشوارب واللحى الناس، من زمن ،ومن مال . فوجدت كلفة هائلة ومالاً ينفق فى هذا السبيل كثيراً .

ملايين من الأموال تنفقها الشعوب المدنية الحديثة ، وملايين من الساعات كل يوم ، هى من عمل ، وجب ان يمثل انتاجا ، وان يمثل اجرا ، ولكنه عمل غير ماجور ، وهو انتاج نعم ، ولكنه انتاج لا يوزن بالكيلوجرام ولا يقاس بالمتر .

وسالت نفسي : هل الغاية تبرر كل هذه النفقة ؟

وردت على نفسي بجواب سريع . قالت :

لو ان الناس ارسلوا لحاهم، وارسلوا شواربهم، لوجب لهذه اللحى والشوارب من العناية ما لا يقل عن الحلاقة من جهد مبذول .

فاللحي لا بد من غسلها ، وبالصابون تغسل لا بغيره ، والا اصبحت عشاً للهوام .

وهى لا بد ان تزين ، ومعنى هذا زيارة الحلاق المزين اكثر من مرة كل كل اسبوع . ولا بد ولا بد . .

وهمست لى نفسي وهى تقول :

ـ ولا تنس أن بعض الوجوه قبيحة بغير شارب ولحية ، وهى اقبح بهما .

فأجبتها على الفور ، وفى غير همس : ولكن كذلك من الوجوه الحسان التى تقبح على اللحى ، ومن الوجوه القباح التى تحسن على اللحى .

خصومة قديمة

ان الخصومة بين الرجال ، وما يحملون من شعر ، خصومة قديمة ، عريقة فى الزمان . فمصر القديمة كانت فيها الحلاقة عادة ، حتى حلاقة الراس. والرومان قوم حليقون . وخالف يونان.

وبقيت صور لفلاسفتها فكانت وجوههم ذوات لحى كثة .

وكانت اداة الأقدمين فى ازالة الشعر ، منذ الفين من الأعوام قبل المسيح، سلاحا كالسكين، من البرونز مصنوع . أشابة من نحاس وقصدير ، يمزج معدناها ، فيكون منهما خليط أصلب من النحاس وحده ، ومن القصدير .

ثم جاء عصر الحديد والفولاذ ، فصارت الأمواس من فولاذ .

فى أول هذا القرن

ونعبر الألفين من الاعوام التى مضت، الى اوائل هذا القرن الذى نحن فيه ، فنجد الموسى هو الأداة الشائعة فى حلاقة الذقون . سلاح طوله كالكف يطوى كما تطوى المطواة فيأمن الناس حده الرقيق الغادر .

ثم اختفى هذا الموسى من حياة الفرد او كاد . ولكن بقى عند الحلاقين جميعا . فما تدخل عند حلاق ، تريد ان تتخلص من شعر بوجهك ، الا كان سلاحه هذا الموسى .

ومن بعد الموسى ، جاءت الشفرات

اختفى الموسى بمجىء الشفرات .

حلت الشفرات محل الأمواس . والشىء يحل محل الشىء، فى حياة الناس وفى صناعتهم ، فيكون هذا الحلول لأسباب .

وكان لاحلال الشفرة محل الموسى سببان :

اولهما المهارة التى كان على الفرد أن يكتسبها قبل أن يتقن حلاقة ذقنه . وعجز الكثير عن كسبها . والموسى فى اليد غير الماهرة ، موسى غير أمين .

وثانى الأسباب ، ان الموسى كان لا بد أن يسن ، ويجلخ . و . و .

وجاءت الشفرة الحديثة تؤمن للناس شيئين :

انها لا تغدر بصاحبها، ولهذا أسموها « الموسى الأمين » Safety Razor ، أو Rasoir de Sûrté . واذكر الاسماء الافرنجية لأنها الأسماء الأصلية . ونقلنا الاسم عن أهل الغرب ، فلم نقل الموسى الأمين ، ولكن قلنا الشفرة . والشفرة حد كل شىء. فللسيف شفرة ، وللسكين شفرة . وللموسى ، كان ما كان ، شفرة. ولكن غلب اسم الشفرة هكذا على ما يوضع فى « الموسى الأمين » الذى نحلق به اليوم . واذا اردنا التخصيص فى التعبير قلنا « شفرة حلاقة » .

حوافز التقدم تخلق الشفرة

ولعبت حوافز التقدم فى رؤوس بنى الناس ، وكان من تلك الرؤوس راس رجل امريكى .

كان اسمه « كنج كامب جيلت » King Camp Gillette . وكان سنه الأربعين . ولا شك انه كان يحلق ذات صباح . ولابد انه جرح نفسه وضاق بحلاقته . والضيق دائما مفتاح الفرج .

وفكر : الا يوجد موسى آمن من هذا ؟ .. ولم كل هذا السلاح الكبير الطويل؟ لم لا يكون سلاح صغير قليل ، نحلق به ثم نحلق ، فاذا ذهبت عنه حدته ، رميناه ، ولا حاجة بنا الى سنه .

كان هذا عام ١٨٩٥ .

وراح يبحث ثم يبحث . كانت المعضلة فى ايجاد نوع من الفولاذ ، يرق ، ويعطى، اذا هو سن ، كل الصفات التى تكون لشفرة الموسى الكبير . والفولاذ لا بد من

موسى الحلاقة الكبير
اختفى من حياة الناس وبقى عند الحلاقين

تقسيته ولا بد من سقيه ، وهى عمليات صنوف ودرجات .

لهذا لم يتح له ان يسجل اختراعه الا عام ١٩٠٤ .

وكان بين التسجيل والصناعة،مرحلة ومرحلة .

فى الحرب العالمية الأولى

وفوق متاعب البحث والصناعة ، متاعب يلقاها الجديد من الأشياء فى الناس .

عادة الموسى الكبير مستأصلة .

واحلال عادة محل عادة لا بد له من الزمن غير القليل .

ولكن جاءت الحرب العالمية الأولى . والحروب تقتلع العادات اقتلاعا . والحرب كان بها جند ملايين . فراج السلاح الأمين الجديد ـ الشفرة كما نسميها اليوم ـ راجت فيهم .

وانقضت الحرب فخرج الجند منها ، ومعهم عادة استخدام الشفرات ، الشفرات الأمينة .

ومن الجند العديدين شاعت فى الناس.

فى مصنع الشفرات

ومنذ أعوام ستة دخلت مصنعا من تلك المصانع التى تصنع الشفرات ،فى الطريق الدائرى الذى يطوّق لندن . دخلته زائرا .

وفى هذه الزيارة حصلت على معلومات جديرة بالذكر .

علمت أن بريطانيا تصنع فى اليوم الواحد نحوا من ٧ ملايين شفرة ، ٤ ملايين منها للتحى البريطانية ، والثلاثة الملايين الباقية للتصدير . وأن الذى تستهلكه بريطانيا للحاها يبلغ فى العام نحوا من ١٢٠٠ مليون شفرة ، وأن الفرد يستخدم الشفرة الواحدة خمس مرات فى المتوسط قبل أن يرميها ، وبالطبع هو لا يحاول شحذها أبدا .

وعلمت أن عدد الشفرات المستهلكة فى بريطانيا قد تضاعف فى العشرين الفائتة من السنين .

والسبب ؟

سببان : كان الكثيرون يتركون شعر لحاهم ينمو يوما ، ويحلقونه يوما ، على ما يصنع الكثير من اهل الشرق العربى اليوم ، ومنهم من يتركه أياما . ثم تأصلت فيهم عادة الحلاقة كل يوم . والسبب الثانى ان رخص الشفرة اغرى الكثير باستخدام الشفرة أياما أقل ، استمتاعا بحسن بلاء الجديد من الشفرات .

أدوار صناعة

وذُرت على ادوار صناعة هذه الشفرات فوجدتها صناعة تلقائية Automatic الى درجة كبيرة جدا . وهى تصنع من فولاذ مطروق للتصفيح

الموسى الكهربائي
تصنع منه الملايين كل عام

على البارد . ثم اذا هو شريط طوله نحو ربع ميل ، وتخرقه المكنات ليتشكل على صورة شفرة ، وتطبع عليه الكلمات التى يراد ان تكون على الشفرة ، وذلك على وجهيها اذا لزم . ثم يسخنن الشريط فى الافران ، ويسقى ، ثم يوصل الشريط بالشريط حتى يتالف من الاشرطة شريط واحد طوله نحو ميلين ، ليدخل هكذا فى المكنات التلقائية التى تجلخه وتشحذه . ثم يقطع الشريط الى شفرات ، تغلف ، ثم تعلب فى لفائف الورق التى نعرفها .

أحسن فولاذ

والفولاذ الذى تصنع منه هذه الشفرات من احسن الفولاذات الكربونية ، وفى انجلترا يوجد مصنع يكاد يكون واحدا يختص بصنع هذا الفولاذ .

وهو فولاذ من اثمن الافلذة واغلاها . ولكن الطن منه يصنع الكثير من الشفرات . فمن الطن يخرج شريط غاية فى الرقة ، هو خامة يخرج منها نحو ٨٠٠٠٠٠ شفرة .

ومن بعد الشفرة ، الموسى الكهربائى

ان القافلة لا بد أن تظل سائرة .

قافلة التقدم ، فى هذا العصر الحديث لا تتوقف أبدا .

● **خصومة بين الامواس واللحي**

الموسى الكبير يجرح فى اليد غير الماهرة ، وهو لا بد أن يشحذ ويجلخ ، لهذا ابتدعوا له الشفرة الآمنة ، التى لا تجرح ، ولا تحتاج الى يد ماهرة ، وهى فوق ذلك لا تشحذ .

ولكن . . .

هذه الشفرة تحتاج الى الصابون ، والى الفرشة ، وقد تحتاج الى الماء الساخن .

وتخطر مرة اخرى فى راس من رؤوس بنى الناس فكرة : الا يجوز اختزال الصابون والفرشة والماء الساخن عند الحلاقة كل صباح . وربما السلاح ايضا .

ويكون هذا الراس هو راس ضابط فى جيش الولايات المتحدة اسمه شك Jacob Shick .

جاءته هذه الفكرة عام ١٩١٠ وهو فى المستشفى ، يتنقه من اصابة أصابته ، ثم تعترضه الحرب العالمية الأولى ، فلا يهتدى الى شىء .

ثم هو يبحث من بعد حرب فى راس هذا الموسى الجديد كيف يكون ، وفى المحرك الكهربائى الذى يحركه .

ثم اذا بالموسى الكهربائى يخرج الى الاسواق ، وذلك عام ١٩٢٩ . ومن سوء حظ هذا الموسى ، مكنة الحلاقة الكهربائية هذه ، أن تخرج الى الاسواق مع الأزمة العالمية الشديدة التى استحكمت حلقاتها عام ١٩٣٠ .

ويحكى لى رجل المصنع الذى زرته عن هذه الأمواس الكهربائية فيقول :

– ولكن هذه الأمواس لم ترج فى بريطانيا الا بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اثقالها عام ١٩٤٥ . وقد صنعت منها بريطانيا ٦٣٠٠٠ مكنة فى عام ١٩٤٨ ، زادتها الى مليون مكنة فى

عام ١٩٥٨ ، منها نحو من ثلاثة أرباعها للبريطانيين ، والربع للتصدير .

صراع بين ثلاث وسائل لحلاقة اللحى

انها ثلاثة تتصارع :

الموسى الكبير الجارح .

الموسى الأمين ، أو الشفرة .

الموسى الكهربائي أو مكنة الحلاقة الكهربائية ، وهي تحشّ شعر الذقون حشا ، كما تصنع المكنة التي تحش الحشيش في الحدائق .

وبقيت الغلبة لأكثرها اتفاقا وحياة الناس : للشفرة .

ان الموسى الكبير الجارح خرج من بيوت الناس الى دكاكين الحلاقين يتصيد الزبون الكسول . وفي الكسل أحيانا راحة . والحلاقة عادة ، وهي كالعادات ، يزيل السأم منها أن تنقع احيانا .

اما الشفرة فيقدرون أن نحو ٩٠ في المائة من الناس الحالقين يستخدمونها في حلق ذقونهم .

اما المكنة الكهربائية فلها ما بقي بعد ذلك .

وقدجربتها انا نفسي وفشلت تجربتي . افشلها أولا أنها تستخدم جافة على جلد وجه جاف ، وعندي أن الماء والصابون أرطب . وأفشلها ثانيا أن الصابون يدلك على كم حلقت الشفرة ، وأين بلغت ، والمكنة تحلق ، وانت تنظر ولا ترى شيئا مما حلقت فكأنك في ظلام .

ولكن ملايين من هذه المكنات تصنع في العام ، تصنعها شركات عدة ، فلا بد لها زبائن . والناس أمزجة . واختلاف الناس رحمة .

الحكمة من خلق اللحى

وكثيرا ما سئلت السؤال : ما الحكمة من خلق اللحى ، مع ما تجره من متاعب؟ والجواب السريع انها انما كانت في الأصل للتفرقة بين الذكر والأنثى .

وفي الحيوانات تعرف الذكور بان لها الرؤوس الأضخم ، وعليها الزوائد الأوفر ، فكذلك هي لبدة الأسد ، وكذلك عُرف الديك . . وكذلك هو قرن الخروف .

والسؤال الذي لا بد يترتب على هذا : هل يجوز معارضة الطبيعة فيما تصنع؟

والجواب السريع نعم ، ما دمنا نستعيض عن وسائل الطبيعة بوسائل اخرى نبلغ بها نفس الأهداف .

والهدف هنا التفرقة بين الذكور والاناث . وقد فرق الناس بينهما ، في اي بقعة حلّوا ، وفي اي درجات أو دركات من درجات المدنية ودركاتها ، وذلك بالثياب .

واذا تعرضت المراة في مجاهل الارض للجو الذي يفرض عليها العري ، فقد قامت اثداؤها تدل عليها .

لا . لا .

الطبيعة نغير منها ما نشاء ، ما استهدفنا اهدافها . والعقل البشري هو الذي يغير .

ولا تنس أن العقل البشري انما هو جزء من الطبيعة .

أما بعد

فهذا ما سألتني فيه يا سيد م. بن عمران ، بتطوان ، لعل فيه بلاغا ، أما أن تحلق لحيتك ، فشيء قد لا ارضاه . لأنها لحية حملتها كما تقول ثلاثين عاما ، وهي ليست مما تثقل به الأجسام . والالفة تمنع من تطليقها ، الفتك انت والفة الناس اياها . انها صارت بعض شخصيتك ، ووجهك ينكره العارفون بدونها . وانت في السن التي لا تثار فيه كراهة النساء للاشواك .

عافاك الله .

■■

احمد زكي

الرحالة الأندلسى

الحسن بن الوزان أو ليون الافريقى

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ كانت رحلة ابن بطوطة الطنجي (١٣٠٤ ـ ١٣٧٨م) ، وثيقة من أنفس الوثائق التى اعتمد عليها البحث الغربى فى دراسة الأقطار والأمم الأفريقية والآسيوية ، وأحوالها الاجتماعية فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وكانت أوصاف ابن بطوطة، بالأخص للصحراء الافريقية الكبرى، وبلاد السودان، وممالك حوض النيجر السوداء، هى عمدة الدراسات والبحوث الكشفية الأوروبية الحديثة لتلك المناطق.

بعد ابن بطوطة بقرن ونصف

وجاء من بعد ابن بطوطة بنحو قرن ونصف رحالة آخر ، هو المعروف باسم « ليون الأفريقى » « طاف بأرجاء المغرب وأواسط افريقية ومصر وقسطنطينية ، وبلاد العرب . وكتب لنا « وصفا لافريقية » عنى فيه بالأخص بوصف أنحاء المغرب وبلاد السودان ، وممالك أفريقية السوداء فى منطقة النيجر ، وغدا مصنفه المشهور « وصف افريقية » الى جانب رحلة ابن بطوطة « وثيقة نفيسة أخرى ، تلقى أضواء جديدة على جغرافية هذه المناطق وتاريخها وأحوالها الاجتماعية » .

اسم غربى حجب اسمه العربى

ان هذا الرحالة العالم الذى اشتهر فى دوائر البحث الغربى باسم «ليون الأفريقى» Leo Africanus ليس الا رحالة وعالما مسلما ، وان هذا الاسم الغربى الذى خلع عليه ، والذى ما زال يحجب اسمه المسلم الأصيل ينطوى على مأساة مؤلمة ، هى التى غيرت وجهة حياته كلها .

منشأه

انه « الحسن بن محمد الوزان الفاسى » الغرناطى ، وهو حسبما يدل عليه اسمه أندلسى الأصل . ولد بمدينة غرناطة حسبما يذكر لنا ذلك فى خاتمة كتابه ، فى فترة حياتها الاسلامية الأخيرة ، وذلك ـ وفقا لما يبدو من بعض المقارنات ـ فى سنة ٨٩٣هـ (١٤٨٨م) . ولما سقطت غرناطة فى أيدى الملكين الكاثوليكيين، فرديناند وايسابيلا، فى فاتحة سنة ١٤٩٢م ، وانتهت بذلك دولة الاسلام فى الأندلس ، غادرت أسرته الوطن القديم غرناطة

فيمن غادره من آلاف المسلمين ، الذين لم يطمئنوا الى الحكم الجديد ، وعبرت البحر الى المغرب ، واستقرت بمدينة فاس . وكانت ما تزال تحتفظ بقبس من سمعتها العلمية القديمة أيام بنى مرين . وانفق الحسن سنئ حداثته فى فاس ، ودرس بها ، حسبما يحدثنا فى رحلاته ، النحو والشعر والأدب والتاريخ والفلسفة والشريعة . وقد ذكر لنا فى بعض المناسبات انه كان من بين كتبه الدراسية كتاب « عقائد النسفى » . والظاهر أيضا مما يذكره لنا عن حياته فى تلك الفترة ، انه كان يعيش مع اسرته فى سعة ورغد ، وقد كانت أسرته تقضى مواسم الصيف فى قصر سابق مهجور ، يقع على قيد نحو ستة اميال من فاس ، وكان ابوه يستاجر الاراضى المجاورة لهذا القصر . وكان أبو الحسن يعيش سعيدا فى تلك العزلة المشجعة على الدرس .

مراحل حياته

ويقص علينا الحسن مراحل حياته ، خلال احاديثه عن رحلاته . فهو قد اشتغل فى حداثته ، كمعظم طلبة هذا العصر ، بالتوثيق فى مارستان فاس ، باجر قدره ثلاثة دنانير فى الشهر . وقد بدأ رحلاته فى انحاء المغرب ، واواسط افريقية ، برحلة مع عمه الى تمبكتو ، وذلك فى سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) وهو فتى فى السابعة عشرة من عمره ، وكانت حسبما تفصّل بعد ، من اعظم واهم رحلاته .

وشهد فى الأعوام التالية كثيرا من الأحداث الهامة التى وقعت يومئذ بالمغرب ، والتى يذكرها لنا تباعا خلال حديثه . وكانت هذه الفترة بالذات من أهم الفترات فى تاريخ المغرب ، وهى الفترة التى اشتد فيها اعتداء البرتغاليين على الشواطىء والثغور المغربية الغربية ، ونهض المغرب فيها ليدفع عدوان المغيرين بكل ما وسع ، ويشهر عليهم حرب جهاد شعواء . ففى سنة ١٥٠٨م ، كان الحسن فى خدمة مولاى محمد سلطان فاس ، عندما سار بحملته لانقاذ ثغر أصيلا ، الذى استولى عليه البرتغاليون ، وقد كاد يسقط فى أيدى المغاربة لولا أن تداركته نجدة قوية بعث بها ملك قشتالة الى البرتغاليين .

وفى سنة ١٥١٢م ، سار الحسن فى ركب مولاى محمد مرة أخرى ، فى حملته التى شهرها على الأعراب الذين كانوا يعيثون فسادا فى سهول مملكته ، ويعتدون على السكان الآمنين . ويحدثنا الحسن خلال ذلك عن بعض حوادث المغرب الأخرى ، مثل سقوط آسفى فى أيدى البرتغاليين فى سنة ١٥٠٨ . ويقول لنا انه كان بعد ذلك بسبعة أعوام ممن شهدوا هجوم البرتغاليين على ثغرالمعمورة فى سنة ١٥١٥م وهزيمتهم يومئذ شر هزيمة على يد مولاى ناصر الوطاسى .

وليست لدينا تفاصيل واضحة عن حياة الحسن ابن الوزان فى الأعوام التالية ، سوى حقيقة واحدة ، هى انه قام خلالها بعدة رحلات هامة فى شمال افريقية ، وفى قسطنطينية ، ومصر وبلاد العرب وبلاد أرمينية وشمال فارس . ولسنا نعرف بالضبط ماذا كانت حقيقة الدوافع التى حملته على القيام بهذه الرحلات . بيد انه يبدو انه كان فى البداية يرافق التجار ، ويقوم لهم بأعمال التوثيق والمحاسبة ، وذلك حسبما يحدثنا فى بعض رحلاته فى جبال الأطلس . ثم انه يبدو كذلك انه كان يشتغل أحيانا بالتجارة لحسابه الخاص ، وذلك حسبما يحدثنا خلال رحلته الأولى الى مصر ، حيث قام فى ساحل ليبيا بشراء بعض الأغنام والزبد ، ولما أراد شحنها بطريق البحر الى مصر ، اضطر الى الفرار خشية من مفاجاة القراصنة الفرنج .

غير ان هناك ما يدل أيضا على ان الحسن ، قد قام بمعظم رحلاته اشباعا لشغفه بالكشف والدراسة . وأقطع دليل على ذلك ما تركه لنا عنها من اوصاف مستفيضة دقيقة ، لا يمكن ان تكون مستمدة من مذكرات وتقييدات مدونة ، لا يمليها الا مثل هذا الشغف بالدرس والتدوين .

رحلات الحسن بن الوزان

وقد بدأت هذه الرحلات برحلة الحسن مع عمه الى تمبكتو فى سنة ١٥٠٤ ، وكان عمه قد ندب ليكون سفيرا لسلطان فاس الى سلطان تمبكتو . وكان هذا العم حسبما يحدثنا الحسن شاعرا جزلا وخطيبا مفوّها . وكانت رحلته طويلة مشعّبة تمت فى صحبة القوافل ، وقدّر للحسن ان يشهد خلالها سائر ممالك افريقية الوسطى وحوض نهر النيجر ، وان يدرس جغرافيتها واحوالها دراسة حسنة ، وكانت تمبكتو يومئذ فى ازهر عصورها ، وكانت قاعدة لمملكة كبيرة قوية ، تتزعم مصايرها أسرة « سونجاهى » . وقد اتيح للحسن أن يخترق فى تلك الرحلة سائر ممالك السودان الواقعة فى تلك المنطقة ، وعددها خمس عشرة مملكة ، متجها

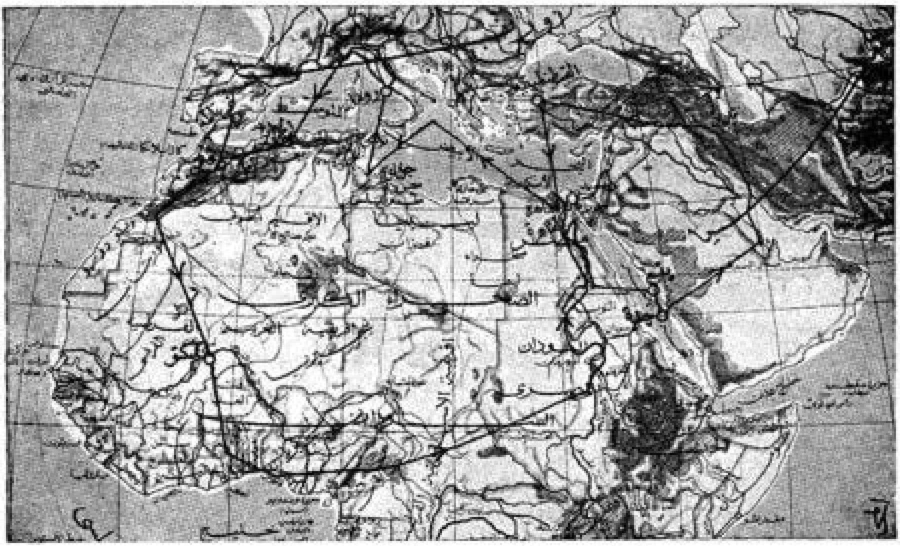

خريطة توضح خط سير رحلات الحسن بن الوزان

الى تمبكتو نحو الشرق ،ثم بعد ذلك نحو الجنوب. وهذه الممالك هى : ولاتة وغنيا ، ومالى ، وتمبكتو ، وجوجو ، وجوبر ، واجادز ، وكانو ، وزنجزج ، وكافينا ، وزمفرا ، وونجرا ، وبرنو ، وجاوجو ، ونوبى .

وكان الحسن حينما قام بهذه الرحلة الكبرى فى نحو السابعة عشرة من عمره ، ومع ذلك ، فانه يبدى فى وصفه الموجز لمواقع هذه الممالك ومعالمها الجغرافية دقة واضحة ، ويلخص لنا أحوال حكامها وشعوبها فى تلك العبارة : « ان حكام هذه الممالك وسكانها على قدر كبير من الثراء والنشاط وهم يشغفون باقامة العدالة ، ولو ان منهم طوائف تحيا نوعا من الحياة الهمجية » .

تجواله فى أنحاء المغرب

وانفق الحسن بعد ذلك أعواما فى التجول فى سائر أنحاء المغرب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وهو يشهد أحداثه ، ويدرس معالمه ، ويمتزج بسائر قبائله وطوائفه ، ويخترق سائر مدنه ومحلاته . وقطع كثيرا من هذه الرحلات فى صحبة « شريف » من أعضاء أسرة الاشراف السعديين ، الذين جلسوا فيما بعد على عرش مراكش ، واشترك فى كثير من الحملات التى جهزت يومئذ لمقاومة البرتغاليين وردهم عن الثغور المغربية ، وتعتبر هذه الرحلات المغربية المتوالية ، الى جانب رحلة الممالك السودانية ، أهم وأخصب رحلات الحسن، وأحفلها بالدرس والوصف .

رحلاته الى المشرق

واتجه الحسن بعد ذلك الى القيام بطائفة من الرحلات المشرقية . وليست لدينا تفاصيل واضحة عن تواريخ هذه الرحلات وترتيبها الزمنى ، بيد انه يبدو انها وقعت بين سنتى ١٥١٥ ، ١٥٢٠ م ويستخلص مما يذكره لنا الحسن ، أو « ليون الافريقى » فيما بعد فى رحلاته ، انه قام برحلتين الى قسطنطينية ، الأولى فى أواخر سنة ١٥١٥ ، أو أوائل سنة ١٥١٦ ، والثانية فى أوائل سنة ١٥٢٠ م . وانه فى هذه الرحلة الاولى الى قسطنطينية زار عند عودته مصر ووادى النيل لاول مرة ، ثم زارها بعد ذلك مرتين أخريين عقب الفتح التركى فى سنة ١٥١٧ م . وهو يصف لنا برنامج رحلته الى مصر ومن بعدها فى قوله ، انه بعد أن زار القاهرة ، سافر مع البحارة بطريق النيل حتى اصوان ، ثم ارتد بطريق النيل أيضا الى قنا ، وسار منها الى الصحراء الشرقية ، ثم عبر البحر الاحمر الى ينبع ثغر المدينة ، ثم الى جدة ثغر مكة . والظاهر انه عبر بعد ذلك الى الحجاز ، وان لم يكن لدينا ما يدل على انه قد أدى فريضة الحج ،

واخترق صحراء العرب حتى بلاد فارس وزار تبريز ، ثم سار شمالا الى بلاد ارمينية وهو يلخص لنا مجمل رحلته التى قام بها فى المشرق بقوله : « اذا أراد الله فانه سوف يصف لنا كل أقطار آسيا التى طاف بها « مثل بلاد العرب ، واليمن ، وسيناء ، والجزء الآسيوى من مصر (يريد فلسطين والشام) وارمينية ، وبعض أجزاء من تارتاريا ، وهى بلاد شهدتها كلها واخترقتها أيام شبابى . وكذلك سوف أصف رحلاتى الاخيرة من فارس الى قسطنطينية ، ومن قسطنطينية الى مصر ، ومن مصر الى ايطاليا ، وهى رحلة رأيت فيها عددا من الجزائر المختلفة » بيد أن الحسن ، أو ليون ، يقول لنا فيما بعد ، انه لن يتكلم عن هذه البلاد ، لأنها تتبع آسيا ، وانه لا يريد أن يخرج فى وصفه عن حدود افريقية .

الحدث الحسم فى حياته

كانت رحلته الاخيرة حسبما يبدو من أقواله المتقدمة ، هى الرحلة الثانية من فاس الى قسطنطينية ، وقد عاد من رحلته الى المغرب بطريق الشام ومصر ثم ركب البحر من الاسكندرية الى المغرب . وهنا وقع الحدث الحسم فى حياة الحسن ، فان بعض القراصنة النصارى ، وهم على الأغلب من البنادقة ، هاجموا السفينة التى يركبها فى مياه جزيرة جربة ، على مقربة من تونس ، وأخذ الحسن أسيرا ضمن من أخذوا . وكانت مياه هذا القسم من البحر المتوسط يومئذ مسرحا لمغامرات أمير البحر التركى خير الدين وأخيه أوروج ،ومغامرات خصومهم من القراصنة النصارى ، وكان وقوع الركاب الآمنين، سواء من المسلمين او النصارى ، أسرى فى أيدى القراصنة من الجانبين من الحوادث العادية التى يكثر وقوعها ،وكذا كانت عمليات الفداء تجرى يومئذ بكثرة لافتداء المنكوبين . ولكن الظاهر أن الحسن لم يجد من يفتديه ، وأدرك القراصنة من جهة أخرى انهم يحرزون أسيرا غير عادى يمتاز بصفته العلمية ، فحملوه الى رومة وقدموه هدية الى البابا ، وهو يومئذ ليون العاشر،أو الكاردينال السابق جيوفانى دى مديتشى .

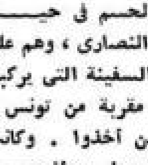

جيوفانى دى مديتشى

اما متى وقع هذا الحادث الخطير فى حياة الحسن ، فانه من المرجح أن يكون وقوعه فى سنة ١٥١٩م أو ١٥٢٠ م ، لأنه قام برحلتيه الاخيرتين الى مصر عقب الفتح التركى مباشرة ، أى بعد سنة ١٥١٧ م ، فاذا كانت الرحلة الثانية قد تمت فى سنة ١٥١٨ ، والرحلة الثالثة التى قام بها عقب عودته من قسطنطينية قد تمت فى سنة ١٥١٩ ، ففى وسعنا أن نضع تاريخ ركوبه البحر فى طريق عودته الى المغرب فى أواخر سنة ١٥١٩ أو أوائل ١٥٢٠ م .

أخذ الحسن أسيرا الى رومة وقدم الى البابا ، وكان الاسرى يومئذ يعتبرون من العبيد . وكانت جمهرة كبيرة من أولئك المنكوبين المسلمين ،تعمل فى قصور الملوك النصارى ، وبيوت الكبراء والميسورين ، وكان بعضهم ينتظم فى سلك الحرس الملكى هنا وهناك . وكان مثل هذا المصير ينتظر الحسن ، لولا أن آنس البابا فى عبده الجديد طرازا آخر ، وأدرك قيمته العلمية الخاصة فبادر بعتقه ، وشمله بعطفه ورعايته ، وفرد له معاشا سخيا حتى لا يفكر فى الهرب ، وانتهى هذا العطف الى النتيجة الطبيعية وهى اقناع البابا لخديمه بأن يعتنق النصرانية ، ومن ثم فقد نصّر الحسن ، وحضر البابا حفلة تنصيره شبينا له ، واطلق عليه اسمه « جيوفانى ليونى » أو« يوحنا الاسد » حسبما يترجمه لنا الحسن ، ولم يكن ثمة شك فى أن اعتناق الحسن للنصرانية ، انما كانت تمليه بواعث المصلحة قبل كل شيء ، حسبما يدل على ذلك تصرفه ، وعوده الى الاسلام فيما بعد .

ليون الافريقى

وهكذا غدا الحسن بن الوزان«جيوفانى ليونى» أو ليون الافريقى ، وهو الاسم الذى عرف به فيما بعد ، مذ ظهر مؤلفه الشهير فى «وصف افريقية».

وخاض ليون فى رومة حياة علمية ، وتعلم الايطالية واللاتينية ، وقام بتدريس اللغة العربية لعدة من العلماء ورجال الدين،وكان من بين تلاميذه الكردينال جيدو انتونينى ، وكان البابا ليون العاشر من حماة العلوم والآداب ، وكان هذا الجو العلمى الذى يغمر البلاط البابوى فى تلك الفترة ، يشجع ليون على الاضطلاع بعدة من المشاريع العلمية، التى تتجلى فيها معارفه المشرقية والكشفية الواسعة . ولكن صديقه وحاميه البابا ما لبث أن

توفى فى ديسمبر سنة ١٩٢١ .

وكانت هذه بلا ريب ضربة شعر ليون بوطأتها. بيد انه استمر مقيما فى رومة، مثابرا على دراسته. وكان يزور من آن لآخر بعض المدن الايطاليـة الشمالية ، ولا سيما بولونيا التى زارها مرارا .

وكان ليون يعيش وحيدا ، وفى عزلة ، منقطعا الى أعماله العلمية ، ودروسه العربية ، ولم يعرف عنه انه تزوج ، أو كانت له صلة معروفة بالنساء فى ذلك العصر الذى كانت فيه الحياة المرحـة ، شعار الحياة فى رومة .

واسفر نشاط ليون العلمى عن وضعه لعـدة مصنفات قيمة ، كان أهمها واشهرها مؤلفه الضخم فى « وصف افريقية » .

كتابه : وصف افريقية

وقد كتب ليون كتاب « وصف افريقية » أولا بالعربية ، وان لم يصل الينا نصه العربى ، وقد كان هذا النص معروفا وموجودا حتى أواخر القرن السادس عشر فى مكتبة بنيللى الايطالية . ولم يصل الينا سوى الترجمة الايطالية التى قام بها ليون نفسه لكتابه تحت عنوان

Deserizione dell Africa et dell cosi nol-abiliche quivi soxo

« وصف افريقية والامور الهامة بها » ، وفى نهايته، ان المؤلف أتم كتابه فى رومة فى العاشر من مارس سنة ١٩٥٦ ، ثم نشر بعـد ذلك مرارا ثم ترجم الى الفرنسية (سنة ١٥٥٦) والى اللاتينيـة (سنة ١٥٥٦ و١٥٥٩) والى الانجليزية (سنة ١٦٠٠) والى الالمانية (سنة ١٨٠٥).

وكتاب « وصف افريقية » مؤلف ضخم يقع فى ثلاثة مجلدات كبيرة ، وينقسم الى تسعة كتب ، ويحتوى على أوصاف مستفيضة للبلاد الواقعـة فى شمال افريقيا ووسطها ، ومعالمها ، وجبالهـا ، وانهارها ، وسهولها ، وتاريخها ، واحوالهـا ، ومجتمعها ، وعوائد اهلها . ويخص بلاد المغرب ، وهى التى عاش فيها ليون ودرسها عن كثب ، بالنصيب الأوفى . ويخص مصر بفصل كبير ، وهو الكتاب الثامن ، ويتحدث فيه عن اقليمها ومدنها ، ونيلها ، ويفيض فى وصف القاهرة ، وشـوارعها وأبوابها ، وعوائد اهلها ، ويتحدث عن نظام الحكم وعن البلاط المصرى فى العهد المملوكى الأخير. ويبدى ليون فى ذلك كله دقة فى تحرى الحقائق ، وقوة فى الملاحظة ، تجعل من مصنفه وثيقة نفيسة ،ومرجعا من أهم المراجع ، عن وصف افريقية وأحوالها فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى .

وكتب ليون كتابه باسلوب ايطالى بسـيط ، ولكن قوى واضح ، تبدو فيه شخصيته ، وتبدو فيه طريقة التفكير العربية فى مواطن كثيرة .

ووضع ليون ، فضلا عن مصنفه الجغـرافى والتاريخ العظيم ، قاموسا لاتينيا عربيا ، ولكنه لم ير الضياء حتى يومنا هذا ، وتوجد نسـخته الاصلية ، بخط ليون نفسه ، فى مكتبة الاسكوريال الشهيرة ، وفى نهايتها انه أتمه فى يناير سنة١٥٢٤.

ووضع كذلك رسالة باللاتينية فى تراجم الاطباء والفلاسفة العرب ، واتمها فى سنة ١٥٢٧ ، وقد نشرت هذه الرسالة لأول مرة فى سنة ١٦٦٤ ، ثم أعيد نشرها فى سنة ١٧٤٦ بمدينة همبرج .

خاتمـة ليـون

عاش ليون أعواما طويلة فى رومة، انجـز فيها اعماله العلمية المتقدمة . ولكن حياته بعد ذلك يكتنفها الغموض ، وهنالك روايتان عـن خاتمته ، الاولى انه عاش بقية حياته فى رومة ولم يتركها . والثانية ، وهى رواية كاتب معاصر ، عاش فى رومة فى ذلك الوقت ، وهو « فيدمانشتات » ، وهى ان ليون غادر رومة بين سنتى ١٥٢٨ ، ١٥٣٠ وسافر الى تونس ، وهنالك عاد الى الاسلام . وهنالك قول بأنه عاد بعد ذلك الى فاس ، حيث نشـأ وترعرع وتوفى بها سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧ م) ويؤيد هذه الرواية الأخيرة ، عن مغـادرة ليون لرومة ، وعوده الى وطنه ، ما يذكره هو فى خاتمة الكتاب الثامن من مؤلفه عن نيته فى هذا العود ، حينما يتحدث عن عزمه فى الكتابة عن البلاد التى زارها خارج افريقية ، وذلك فى قوله : « وانى لاعتزم بعون الله ، حينما اعود من اوربا الى وطنى، أن أخص كل هذه الرحلات بالوصف » .

ولكن ليون لم يعش طويلا بعد عوده الى الوطن، ولم يفسح له القدر مجالا لتحقيق أمنيته فى استكمال وصف رحلاته الاخرى ، واقتصر مجهوده فى ذلك على وضع مؤلفه العظيم « وصف افريقية».

ويضع البحث الحديث ، الحسن بن الوزان ، أو ليون الافريقى ، بين أعاظم الجغرافيين ، والرواد الكشفيين ، سواء فى الشرق أو الغرب ، ويعتبر مصنفه فى « وصف افريقية » من أقيم المراجع والوثائق فى هذا الميدان . ■■

محمد عبد الله عنان

من ذكريات

بقلم
أحمد حسن الزيات

نشرنا في العددين الماضيين ، الحلقتين الأولى والثانية من هذه الذكريات التي اختص بها الأستاذ احمد حسن الزيات مجلة العربي ، والتي يصور فيها بعض ما مر به في فترة من فترات الشباب من تسعة وعشرين عاما أيام كان يعمل في «دار السلام» استاذا بكلية الآداب . وهذه هي الحلقة الثالثة ، وهي في الوقت ختام تلك الذكريات .

أمس

نورا تعترف الي بالفرنسية : لأنها تستسهلها لا لأنها تفضلها ، قالت :

« كان ذلك في تموز من عام ١٩٣١ ، وكان من عادتي في العطلة الصيفية اذا لم أعد الى بغداد أن أضم يدي الى يد عمتي في ادارة الفندق فادعها تصرّف أموره العامة فتموّن المطبخ وتهيىء الموائد وتجهز الغرف وتتعهد الأثاث وتراقب الخدم ، وأجلس أنا الى المكتب في المدخل استقبل النازلين وأرصد مالهم ، وأودع الراحلين واقبض ما عليهم ، وأجيب عن كل سؤال ، واستمع الى كل شكوى .. ولم اكن أدرى اى شيء فيّ يجذب النزلاء الي ، ويرميهم بأثقالهم علي ، فكل داخل وكل خارج كان يتلمس الدواعي او يختلقها ليقف أمام المكتب يسأل من غير موجب ، ويتكلم من غير موضوع ، ويشفع الكلام الذى لا معنى له بالنظرة التي تقول والبسمة التي تدل ، فأجيب عن السؤال بالنفي أو الايجاب ، وأرد على الكلام بالصمت أو الايجاز ، وأغمض عيني عن النظرات والبسمات فلا تجد طريقها الى نفسي ، ولكني بعد أيام ضقت ذرعا بهذا الفضول فتخليت عن صدر المكتب للكاتب وانتحيت ناحية منه ، وأخذت أراقب الأمور من بعيد فلا أتدخل الا فيما يتصل بالادارة العليا للفندق ، وكنت مع ذلك أنظر خلسة الى من يدخل أو يخرج أو يجلس أو يقف فأرى صورا من الناس وأنماطا من اللباس وأخلاطا من اللغى تجعل كل نهاري وبعض ليلي حفلة مستمرة في سينما ، وكان يستوقف نظري من هذا الخليط المتغير المتجدد ، الجميلُ والأنيقُ والمهذبُ ، وهؤلاء يغلب عليهم التصون والتعالي فلا يتبذلون بالفضول ولا يتلهون بالعبث ، وكان من بينهم شاب رشيق القامة ، حسن الهندام حلو التقاطيع لم أستطع أن أتبين منه خلال النظرات الحذرة المجتلى الا هذه الصفات البادية .. كان السهوم والوجوم ظاهرين على وجهه في دخوله وخروجه ، وكان متزايلا لا يدور في مدار الفندق ولا يشعر بجاذبية أهله . انما كان يدور كما علمت من بعد حول شمس غير منظورة لم يبق منها في دنياه الا شعاعة تضيء عينه بقدر ما يمشي ، وحرارة تحيي قلبه بقدر ما يعيش . كان يجلس وحده في البهو ويأكل وحده على المائدة . فاذا كتب لا يكتب الا رسالة،واذا قرأ لا يقرأ الا صحيفة.والصحف التي كان يقرأها كانت مصرية يأتيه بها الخادم كل صباح ، فهل هو مصري ؟ لو سمعته لعرفته من لهجته . ولو عرفت اسمه لكشفت عنه من بطاقته. ولكنه لم يكن يمر بالمكتب الا ليودع للكاتب مفتاح غرفته او ليسترده . وكنت وأنا في ركني المنعزل ألح عليه بالنظر المتتابع كلما وقف على المكتب او

بغداد ٣

وكانت الغوطة الغربية قد تألقت في زينتها الطبيعة فجعلت من أدواحها الباسقة جنة للقلب الشاعر

جلس في الردهة لعله يلقى على نظرة أو يوجه الى كلمة ، فما كان وجهه يتعدى وجه الكاتب ولا عينه تفارق صفحة الكتاب . الى أن اضطر الكاتب يوما أن يغيب واضطررت أنـا الى أن أجلس علـى كرسيه . وأقبل هو في الضحى الأكبر يودع مفتاحه ليخرج ، فحيا في احتشام وادب ، وألقى بمفتاحه في رقة ولطف . ولما رأى بين يدى كومة من بريد الفندق كنت افرزها لأوزعها على الغرف وجه الىّ من تحت أهدابه الوطف نظرة حيية وقال : هل لي في هذا البريد بريد؟ فسألته عن اسمه فقال :نبيل طاهر : فعدت اقرا العناوين في شيء من البطء لا أدرى لماذا ، حتى استخرجت له من بينها خمس رسائل صادرة من القاهرة ، فأخذها شاكرا وخرج.

عرفت في هـذه اللحظة العابرة المباشرة اسـمه وقليلا من خلقه وكثيرا من صفاته . وانصبّ في شعورى عـن طريق نظرته وكلمته وبسمته وفتق من جاذبيته الروحية شغل بالى به وصرف همى اليه . كان مثال ما ارتسم في ذهنى من صورة

المصرى الصميم : وجه ناعم اسمر مشرب بالحمرة كأنما وردته نشوة الخمر ، وشعر ناعم اثيث متموج قد انفرق على فوده ـ اشرفت منه جمّة على ناصيته ، وعينان كحلاوان تشعّ منهما الطيبة وتشيع فيهما البراءة ، وفم رقيق حلو يفتر افترار الطفل ، وهذه هى الصفات الطافية التى تبرز لعينيك اول ما تراه فتشغلك عن صفاته الاخرى . كنت اتمنى كلما دخل او خرج ان يمرّ بى فيسألنى شيئا او يكلفنى امرا ، ولكنه كان كما قلت محصورا فى حياته الخاصة لا يخرج منها ابدا ولا يستقبل فيها احدا ، فملكتنى رغبة قوية فى أن اطرق عليه باب دنياه طرقة فلعلى اكشف ما وراء هذا الباب من سر يسبب هذا الانقباض ويوجب هذه العزلة ، فغرزت يوما بريده بنفسى وحجزته . ولما علمت انه جالس فى البهو يقرأ صحفه ذهبت اليه فى شىء من الحرج وقلت له : هذه رسائلك من بريد اليوم جعلت من حملها اليك فرصة أسألك فيها عن مقامك فى الفندق . فنهض الشاب واقفا وتسلم الرسائل . ثم تلطف فدعانى الى الجلوس فجلست وخيّل الىّ ان علامة من علائم الرضا قد تراءت على وجهه ، فقلت له ، اراض انت عن غرفتك ومائدتك وخدمتك ؟ اعندك ما تشكوه أم لك ما ترجوه ؟ فقال وهو يحاول أن يخفى ربكة بدت عليه : شكرا يا آنسة : كل شىء مريح وكل امر ميسر . فقلت له : دع هذا التحفظ واجعلنى هنا بمثابة اختك واسترح الى بما عسى أن يكرب صدرك من هموم الغربة ، فانى غريبة مثلك اشعر بما يعترى الغريب من الوحشة ويعتاده من الشوق . فقال فى لهجة مصرية وصوت خفيض . يسعدنى ويزهونى ان ترفعينى فى نظرك الى منزلة الاخ ، ولقد قلت انك غريبة وكان بعض الشك يخالجنى فى أنك سورية لاختلاف اللهجة والحلية والملامح . فهل أنت عراقية ؟ فقلت : نعم انا بغدادية اطلب العلم فى دمشق ، وصاحبة هذا الفندق عمتى ، فانا اساعدها فى ادارته شهرى العطلة .. وجاء عامل التليفون يدعونى الى مكالمة فاستأذنت منه وقمت .

انِسَ الىّ يومئذٍ نبيل ، فكان يجلس فى الردهة لا فى البهو ، ويوجه كلامه الىّ لا الى الكاتب ، ويفضل ان يبقى فى الفندق على ان يخرج ، ولكن الحياء منه والاباء منى كانا يقفان بنا عند هذا الحد من النظر المردّد والكلام العابر ، ففكرت فى حيلة تدنى المجلس وتطيل الحديث ، فاخذت ، اقرأ الصحف المصرية كل صباح لالتمس فيها المناسبات التى يصح ان تكون موضعا لسؤال او موضوعا لحديث . ثم ادنو منه فى الوقت الذى ينصرف فيه النزلاء ، ليخشع الصوت وتسكن الحركة فالقى اليه الخبر او اورد عليه السؤال ، فينطلق وجهه بالبشر وينفتح ذهنه بالكلام ، فاقول ويقول ، واجول فى كل معنى ويجول ، يروى لى عن مصر واروى له عن العراق ، ويحدثنى عن سعد واحدثه عن السعدون (عبد المحسن السعدون كان يومئذ رئيس الوزارة العراقية ثم انتحر لأسباب سياسية فكان انتحاره المحزن حديث الناس فى كل مكان) . ثم نجدد بعد ذلك المجلس ونكرر الحديث حتى توثقت بيننا الالفة وكادت ان تزول الكلفة .

سألته ذات يوم عما زار من آثار دمشق وعما رأى من مفاتن الطبيعة فى الغوطتين وبلودان والزبدانى .

فقال بلهجة الأسف انه قضى فى دمشق نصف شهر دون أن يجد فى نفسه رغبةً فى نزهة او حاجة الى رحلة . وكل ما كان يصنعه فى هذه الأيام ان يتجول مع افكاره فى شارع ، أو ينفرد مع همومه فى قهوة . فقلت له وقد وجدت الفرصة لاكشف عن سره وامره : يؤلمنى ان اسمع منك كلمة الهم وانت فى السن التى لا تبالى التبعة ولا يهمها من الدنيا الا جوانبها اللاهية المرحة . فهل تشكو علة او تكابد ازمة ؟ وهل تتيح لأختك الحانية عليك المتعلقة بك أن تحمل شيئا من عبئك الذى حرمك من لهو العيش وشغلك عن بهجة الحياة ؟ فقال : لشدّ ما يسعدنى ذلك ، فان كتم الالم فى الصدر ككتم البخار فى القِدر ـ لا يزال يفور ويضطرب حتى يجد متنفسا من الضيق فيهدأ ويستقر . وان الآهة ينفثها المريض او الشكاية يبعثها الحزين لهى الراحة من الله او الفرجة من كربه . ولقد وجدت فيك منذ رأيتك وسمعتك علاجا من دائى الذى اشكوه وتسلية عن همى الذى اقاسيه. وغدا الأحد وهو يوم عطلتك فتمالى اذا سمحت نخرج الى ظاهر المدينة فاشركك فى امرى ، وافضى اليك بذات صدرى ، واتملى فى الوقت نفسه بعض منازه الشام فى صحبتك .

لم اجد فى الاستجابة الى دعوته مشقة كبيرة ، لأنى مسيحية لا تقيدنى تقاليد البيئة ، ولأنى مراهقة تستهوينى تجربة الخروج الأول مع شاب ، ولأنى مشوقة منذ أيام الى حديث طويل مع

نبيل . وتواعدنا على اللقاء في مكان قريب من الفندق وقلت لعمتي بعد ان شهدنا قداس الأحد ، ان احدى صديقاتي من الطالبات دعتني الى الغداء والسينما فلا تقلقي على اذا تأخرت .

وانطلقت بي وبنبيل السيارة الى (دمر) ، وكانت الغوطة الغربية قد تأنقت في زينتها الطبيعة فجعلت من ادواحها الباسقة جنة للقلب الشاعر ، ومن امواهها الدافقة بهجة للمزاج المكتئب ، ومن مروجها الخضر سكينة للحس المضطرب . وكان مقهى دمَّر قد امتدت موائده على ضفتي الجدول الهادر وقد ازدانت بمن جلس اليها من بنات يوم الأحد وابنائه ، واخترنا مائدتنا في ركن منعزل من طرف المكان وجلسنا اليها متقابلين وجها لوجه وعينا في عين وفما الى أذن . وكان نبيل لا يزال مأخوذا بروعة الغوطة وما يكتنف مدخل دمشق من الروابي الحالية في صدر الجبل ، والأنهار الشادية في حضن الوادي ، والمنازل الغارقة في زهر الروض ، فقال : ما رأيت ابدع من هذا المنظر ولا انفذ من هذا السحر ، ولولا أن أتاحك لي الله لظللت محروما من هذا الجمال مشغولا عن هذه المتعة ، فقلت له : ان بالشام أماكن غير هذا المكان تجلو رؤيتها صدأ القلوب، وتبسط زورتها انقباض الشاعر ، وستزورها معا بعد أن أصفي نفسك من أكدار الهم ، وأخلي بالك من شواغل الحزن ، فافتح لي صدرك واسترح الى بما تكن فيه ، فقال: لا يا نورا ليس الأمر سرا أكتمه ولا ألما أكنه ، انما هو صدمة عاطفية زلزلت حياتي وحطمت وجودي، وكان لها في الناس من أقرباء وأصدقاء أثر شديد وصدى بعيد .

احببت ابنة عمي حبا غلب على عقلي وشعوري. وكان الذي حببها اليَّ جمالها الفاتن وخلقها العذب وروحها اللطيف ، وعشرة طويلة متصلة تأصل فيها حبنا ونما نموَّ النبتة الغضة في الثرى الخصب والجو الملائم فاستوت على ساقها ، وتفرعت عن اصلها ، ثم أورقت ، ثم ازدهرت ، ثم رفت علينا بالندى والظل ، ونفحتنا بالنعيم والعطر . ثم آن لنا أن نتخذ منها العش الذي نسكن اليه ونطمئن فيه ، فأخذ ابي وعمي يمهدان للبناء ويستعدان للعرس ، وعلى فجأة تَعَب على عشنا غراب ، ودوت على شجرتنا الوريقة صاعقة . قالت امرأة عمي لأمي ، وبوادر دمعها تقطر على خدها الشاحب : ان نبيلا واحسرتاه أخو عقيلة في الرضاع ! لقد ذكرتني وداد حاضنة ابنتي فتذكرت اني ارضعت نبيلا مرارا وأنت مريضة . فماذا نصنع يا أختي لنخفف وقع هذه الصدمة على نبيل وعقيلة ؟

شكَّت أمي أول الأمر في سِلفتها واساءت بها الظن ، فلعلها وجدت لابنتها عريسا خيرا مني فزعمت ما زعمت . ولكن الحزن الشديد الذي بدا عليها ، والألم الممضّ الذي نال منها ، والحب المحض الذي تكنه لي منذ الطفولة ، والسرور الطاغي الذي كانت تبديه منذ أعلنت الخِطبة ، كل أولئك كان يبدد كل شك وينفي كل ريبة .

شاع الخبر المشئوم في بيتنا شيوع النار فشوى أكبادا وكوى أفئدة . وكان الخبر بالنسبة الى مؤنسا لا نور للأمل فيه ، ولا سبيل الى الصبر عليه ، فضاقت بي الارض وثقلت عليَّ الحياة ، فذاب جسمي ووهن عظمي ، ولزمت السرير أياما لا يأخذني نوم ولا يهنأني طعام ، حتى خاف عليَّ اهلي فقلبوا علي جسمي ونفسي صنوفا من العلاج فلم ينجح فيهما شيء وأخذ أبواي يسرّيان عني بالأمل في أن يجدوا شهادة تكذب الرضاع . أو فتوى تجيز الزواج . ومنعوا عقيلة من لقائي لعل بُعدها يساعد على سكوت الألم واندمال الجرح . ثم رأوا أن أبعد عن وهيج النار ومثار الشجن فقرروا أن أرحل الى لبنان وسورية . وهأنذا بعد شهرين قضيتهما في ضهور الشوير ودمشق لا ازال كما ترين مطبق الجفنين على صورتها ، مطويَّ الجوانح على حبها ، ارسل اليها كل مساء رسالة وأتلقى منها كل صباح رسالة . ولم يمل قلبي اليك الا لأن فيك مشابه كثيرة منها ، فأنا اراها في وجهك ، وأسمعها من فمك وأتمثلها في روحك العذب وطبعك المهذب .

ثم اقبل الخادم بألوان الطعام فسكت هو واستمررت انا اصغي الى أصداء هذا الحديث تتوارد على خيالي وتتردد في نفسي فتعتريني الشفقة عليه وتساورني الغيرة منها . الغيرة ؟ نعم يا سيدي شعرت بالغيرة ولا ادري مبعثا لهذا الشعور ولا معنى لهذه الكلمة .

أصبح من همي منذ ذلك اليوم أن أطيل الجلوس اليه في الفندق . وأكثر الخروج معه الى الحدائق، ولم تعوزني الوسائل التي كنت أتذرع بها الى عمتي لتعليل الجلوس أو الخروج . وكانت أحاديثنا سِقاطا من أفانين شتى ، منها النجوى والشكوى ، ومنها الطبيعة والناس . فاذا أفضى بنا الحديث الى ذكر عقيلة عطفته برفق الى موضوع آخر حتى

لا يتذكرها فتعاوده لوعة البين وحرقة الذكــرى. ولا أكذبك فقد كان فى نفسى باعث آخر يحملنى على طى الحديث عنها ذلك هو الغيرة الحـاقدة من اىٔ فتاة تستولى على قلبه وتستأثر بحبه .

لقد أحببته منذ رأيته . ثم اخذ هذا الحب منذ عرفته ينمو على مرور الساعات والدقائق بانسكاب روحه الرؤى فى روحى الظمآن عن طريق النظر والحديث والخلوة ، وكان من اقوى العوامل التى اوقدت صدرى بهذا الحب انه مشـغول عنى وانى يائسة منه . هو مشغول القلب منـذ صباه بابنة عمه ، ومن الصعب خلو القلب مـن هوى دخيل شغله على فراغ وتمكن به عن اصالة. وانا مقطوعة الرجاء من ثمرة هذا الحب . لأن الهوى بينى وبينه غير متكافىء ولا متبادل . هـو يحب فىٔ عقيلة لأنى صورتها فى عينه ، وانا احب فيه وجودى لأنه حقيقته فى نفسى . وهو مع ذلك قاهرى وانا بغدادية ، ومسلم وانا مسـيحية ، فاقترانى به موقوف على مواتاة الظروف وموافقة الأهل ، ولو كانت اقامته فى دمشق ستطول لكان من الممكن ان يحمله اليأس من عقيلة على التفكير فى غيرها ، ولكان من الجائز ان تكون هذه الغير هى انا . واذا وقع فى حبى كما وقعت فى حبه سهل الحب كل صعب وادنى كل بعيد ، ولكن بقاءه بيننا موقوت مهما يطل ، وخروج عقيلة من حياته بطىء مهما يكن . وليس للعقل على الهوى سلطان حتى أحتكم فى حاضر امرى ومستقبله الى المنطق ، فلم يبق الا ان افوض امرى الى الله وأترك زمامى فى يد القدر .

اخذت أعبٔ من هوى نبيل عبا متتابعا لا أتنفس خلاله ولا اكتفى منه . كنت احبه باذنى وعينى وقلبى ، فى كل كلمة وفى كل نظرة وفى كل خفقة ، فى جَلوات (الزبدانى) وخلوات بلودان ومسارب الحميدية ومسارح الغوطة لأنى كلما فكرت فى ان يوم الرحيل آت لا ريب فيه ، عشت هـذه الايام الباقية بالعرض لا بالطول ، فكلما خطوت الى الامام خطوة ، قطعت عن اليمين غلوة وعن الشمال غلوة ، حتى امتلأ وجودى كله بهواه ، فلا افكر الا فيـه ، ولا أحلم الا به ، ولا أعيش الا معه .

غبنا معا ثلاثة أسابيع فى نشوة متصلة من رحيق الحب لم نُفق منها الا على برقية هبطت من القاهرة تدعو نبيلا الى العودة ، فكان وقعها عليه وقعـا مبهما لا هو سار ولا هو محزن . كان مشوبا بالأسى على فراقى . وبالفرح للقاء اهله . اما وقعها علىّ بالرغم من توقعى لها فقد كان اشد من وقع خبر الرضاع على عقيلة . ذلك لأن عقيلة ستراه بحكم الجوار والقرابة . أما نورا فلن تراه حتى يرى الأعمى النور والميت النشور والحالم الحقيقة . قضينا ليلة الفراق ساهدين فى الفندق يتحدث هو عما سيلاقيه من الكرْب اذا لم يجد فى القاهرة من يواسيه ويسليه ، وأتحدث انا عما ساعانيه من الفـراغ الذى سيتركه فى حياتى بعـد تنائيه وتناسيه . ثم تمنى وتمنيت أن تتاح لى الوسيلة لأزور مصر فنمضى معا فى طريق هذا الهوى العذرى الى الغاية التى كتبها علينا القضاء فيه .

وفى الصباح صحبته الى ميناء بيروت . وهناك على سلم الباخرة جمعنا ما تفرق من عواطفنـــا وذكرياتنا وامانينا وضغطناه وحففناه فى قبلـة قوية كانت هى الأولى والأخيرة ، ثم عدت الى دمشق من غير نور ولا انس ولا أمل . عدت كالثكلى شيعت وحيدها الى المقبرة ورجعت لترى أثره فى كـل غرفة ، وتجد ريحه فى كل لعبة . فهى تفر من البيت الذى يذكرها به ، الى البيت الذى ترجو ان يسليها عنه . وكذلك فعلت . فررت من الفندق الى المنزل ، ومن المكتب الى السرير . ثم اعترانى من الهم والسقم والانقباض ما قصت بعضــه عليكم عمتى .

وبعد قد سمعت الصدى ولم تسمع الصوت ، وأحسست الوهيج ولم تمس النار ، وعرفت الجملة ولم تعرف التفصيل ، والحال كما ترى تشتد ولا تخف وتستحكم ولا تنفرج ، فهل عندك لقصتى مساغ ولأزمتى فرج ؟

فقلت لها وقد نفست باعترافها عن صـدرها المكروب فاستراحت الى ان تتقبل الخـــلاص من الكاهن : ان أمرك يا نورا مع نبيل وجاله لهـو الأمر الذى وصفه الشاعر بقوله :

جننا بليلى وهى جنت بغـيرنا
وأخـــرى بنـــا مجنونة لا نريدها

وسأحاول أن اعالجك بما عالجتِ أنت به نبيلا فلعلى أصيب من النجاح فيك أكثر مما اصبت أنت من النجاح فيه .

لا علاج للعاشق الا السلوان . والسلوان شراب كان الاعراب يتخذونه من صب ماء المطر على خرزة تسمى السلوانة ، ثم يسقونه العاشق ليسلو . ولم يعد فى الامكان اليوم العثور على هــذه الخرزة السحرية فحل محلها النسيان . والنسيان بمعونة الزمان والصبر والشغل يمحو الصورة من الذاكرة

ويطمس الماضي في الذهن . لذلك كان همي الاول الا ادع لها وقتا فارغا تجترّ فيه ما اختزنته في صدرها من رقيق العواطف وجميل المواقف مع نبيل ، فحاولت أن انسخ عاطفة بعاطفة . واستبدل موقفا بموقف . وكانت هي قد وجدت في قربي جزءا من عشها الذاهب واملها الخائب ، للتماثل الذي بيني وبين حبيبها في الجنس والسحنة واللهجة ، فجعلتْ وقتها كله لي ، واردت أن يكون فراغي كله لها . فنحن في البيت نقرأ ونتحدث ونلعب الورق . وفي الخارج نجلس على رأس جسر (مود) في قهوة ضحيانة ترقد على صدر دجلة النابض وتستغرق في الضوء والسكون فنجعل ظهرينا الى أحلاس القهوة ووجهينا الى صفحة النهر وعينينا الى ضفة الكرخ ، فنجتلي هذا المشهد الرائع قليلا ثم نرتد الى انفسنا فنتذاكر كل حديث الا حديث دمشق . وكثيرا ما كان يلهينا الحديث المشقق عن مائدة البيت فناكل (الأبيض والبيض والعنبا) (١) من البائع الجوال. ثم نواصل النجوى والحديث الى المساء . وفي بعض الأصائل من أيام القيظ كنا نفر من وقدة البيت الى (جزرة دجلة) فنجلس حيث يتنفس علينا الماء بالطراوة ، ثم ناكل السمك المسجوف ونتفكه بالبطيخ المبرّد ، ثم نقضي العشية في زورق يهدهدنا ساعةً أو ساعتين على ظهر النهر الخالد الذي تراقص عليه (العقاب)و (الدلفين) بالخليفة الأمين وحسانه وقيانه وندماه . وفي أيام الجمع والآحاد كنا نخرج من بغداد منفردين الى منازه العراق ومغانيه وآثاره.فيوما في مجالي (الرستمية) على نهر ديالى نستمتع بالخلوة والسكون ، ونستغرق في الهوى والشجون ويوما في بساتين (بعقوبة) ذات الظلال والثمر . نتخذ تحت أشجار التفاح والبرتقال مضاجع على العشب أو مقاعد على الجدول أو مماشي تحت الكروم ، ثم نتبادل الحديث والنظر ، فتارة تقول وأنظر ، وتارة تنظر وأقول . والقول كان أفانين من شعر العاطفة، والنظر كان أشعة من نور القلب . ويوما بالكاظمية او كربلاء أو النجف نزور أضرحتها المقدسة ذوات القباب المذهبة ، ونروّح بعبيرها المبارك على النفس العانية والكبد القريحة . ويوما بايوان كسرى أو اطلال بابل أو آثار نينوى ، نجعل منها

وفي الصباح صحبته الى ميناء بيروت . وهناك على سلم الباخرة جمعنا ما تفرق من عواطفنا وذكرياتنا وامانينا وضغطناه وحفظناه في قبلة قوية كانت هي الاولى والأخيرة .

دروسا في تاريخ الجبارين من بني الانسان ، نستخدم فيها لغة العقل لا لغة القلب ،ونستخرج منها ملحمة الماضي لا مأساة الحاضر ، كانت كل هذه الخلوات والرحلات وما تخللها من فتون وفنون احجار اللحد لحب أخذ يموت ، واعواد المهد لحب أخذ يولد : كان قلبها لا يزال مذبذبا بين جاذبية الحب الذي غزاه على برَدى ، وجاذبية الحب الذي اعتراه على دجلة . وكان قلبي لايزال مخدوعا بانه يمثل عواطف هذا الحب ومواقفه واعراضه لينقذ الفتاة من بلاء وقعت فيه ، ولكن الذبذبة لم تلبث أن اطمانت الى قرار ، والخداع

(١) الأبيض : الخبز ـ والعنبا : المنجو تخلل وهي فجة .

لم يلبث أن تكشف عن حقيقته ، واستعجل هذه النهاية،ان الفتاة المراهقة او اى فتاة لا تستطيع ان تعيش طويلا على ذكرى حب . تعيش عليها لأنها تكره الخلو . فاذا شغل قلبها حب جديد تركت الأثر وتعلقت بالعين ، وخرجت من الخيال لتعيش في الواقع . وهكذا أصبحنا محبين محبوبين لا نتحدث عن ثالث ولا نفكر في احد . وكان من امرى معها ما كان من امرها مع نبيل ، حاولت أن تسليه عن عقيلة فوقعت فى حبه ، وحاولت أن اسليها عن نبيل فوقعت فى حبها . ولم يكن الحب الذى بدأ بينها وبين نبيل ثم عاد بينها وبينى الا حبا صوفيا ليس له عرض ولا غرض الا حديث القلب للقلب وأنس الروح بالروح فى الخلوة العفة والنزهة النزيهة . ليس لهذا الحب مدى من الطبيعة أو الحس حتى يفتر اذا بلغه ، انما هو كالعشق الالهى فى عمقه واتساعه وشموله وذهوله وسكرته ، لأنه اتحاد وجود فى وجود وفناء ذات فى ذات .

مرت الأيام على هذه الحال مرور الحلم اللذيذ فى النوم الهادىء لا يزعجنا كابوس من هم ولا نبو" من قلق . وكانت نورا فى تلك المدة قد عاد اليها صفاء نفسها ونضارة صباها فتفتح جسمها الغض فى حرارة الحب كما يتفتح الورد الجورى فى دفء الربيع ، فهى تمرح وتلهو وتقابل وتشارك، فاغتبطت الأسرة بهذا التغير وتوسعت فى اللهو وتبسطت فى الأنس ، وعاد البهو الرحيب سيرته الاولى من اللعب والرقص والموسيقى . وقضينا فى هذه النشوة الصوفية أحد عشر شهرا لا يسأل القدر المقدور متى نفيق منها ولا كيف ننصرف عنها . ولماذا نسأل ؟ أنا اعلم انها موقوتة ببقائى فى بغداد . وبقائى فى بغداد لن يتجاوز أول هذا الصيف . وهى قد عودت نفسها الا تفكر فى الغد ما دامت مشغولة الفكر باليوم ، ولكن الزمن ينقضى، والعمل ينتهى ، واليوم الذى سأغادر فيه بغداد يتحدد ولا بد ان ابلغها الخبر ، وسأبلغها اياه فى اسلوب سائغ من الكذب . والكذب الأبيض الذى ينفع ، ربما كان خيرا من الصدق الاسود الذى يضر . قلت لها ذات يوم ونحن نتقى بالنوافذ المغلقة والستائر المسدلة عاصفة التراب التى تثور على العراق من حين الى حين فترد نهاره ليلا وسماءه ارضا وصفاءه كدورة : ان العطلة الصيفية ستبدأ عما قريب وسأقضيها فى القاهرة بين أهلى وسأعود ان يشاء الله مع الخريف .

وجمت أول الأمر للخبر المنتظر ثم تمالكت نفسها وقالت فى لهجة المستسلم وهيئة المحزون : لقد شفيتنى من داء بداء وسافتقدك فى أشهر العطلة الثلاثة وأخشى أن يهاجمنى الهم وأنا وحدى فانتكس ، وارى ان أقترح على ابوى ان اصحبك الى دمشق فاقضى الصيف مع عمتى ، حتى اذا حانت عودتك الى بغداد مررت بى فأعود معك .

وفى صباح الغد خرجت فاشترت لى ديوان الشرقيات للامرتين ، والبوما فاخرا ضمته على بعض صورها فى اسنان وأوضاع مختلفة ، ثم خاتما ذهبيا من صنع (الصبة) نقش عليه اسمى بالميناء،ولا يزال بعد تسع وعشرين سنة فى اصبعى. واتخذنا الأهبة للسفر وقطعنا بادية الشام على سيارة من سيارات (نيرن) فى ليلة من ليالى الصحراء تطلق دجاها بالنجوم الزهر حتى باتت كيوم الدجن . وكانت نورا قد قضت الهزيع الاول من الليل تتكلم عن السماء والنجوم وحياة الاعراب وقصص الحب حتى قرسها البرد فاستدفأت ببطانيتها ومالت على كتفى ونامت ، وفى تباشير الصباح المشرق المطل بلغنا فندق العمة صوفى ، فتركت نورا تستنشى نسائم الذكرى وتتعلق بأسباب الأمل وواصلت السفر الى بيروت .

ومن الفضول الذى لا يزيد فى علمك ان أصف لك موقف الوداع فانه موقف عرفته الخليقة كما عرفت غشية الموت ، ذاقته كما ذاقت حر الحريق. والذى يهمك أن تعرف أنى لم أكد أستجم من عناء السفر الطويل فى السيارة والباخرة والقطار حتى زرت نبيلا فى داره بالمعادى . وكنت قد عرفت عنوانه منها ـ فقدمت نفسى اليه ،وقصصت خبرها عليه ، وروى لى عفة نفسها ورقة قلبها وحسن حديثها اكثر مما رويت ، وشكا الى من لوعة البين عنها وحرقة اليأس منها وحرارة الشوق اليها اكثر مما شكوت.واجتمع هواى وهواه فاتحدا فى صداقة وثيقة ومودة خالصة . وعشنا معا ولا نزال نعيش فى ذكرى هذه النفس الطيبة التى ظهرت فى حياته وحياتى ظهور الامل الباسم فى قطوب اليأس والروح المؤانسة فى وحشة الغربة . ثم غابت فى الافق البعيد كما تغيب الرؤيا السماوية فى حجاب الغيب ثم لا يبقى منها فى القلب الا جلالها ولا فى العين الا سناها . ■■

احمد حسن الزيات

بول ڤاليرى

أكبر شاعر فرنسى في هذا القرن

تأثر بلغة أبيه الفرنسية

وتأثر بلغة أمه الايطالية

بقلم : الدكتور بديع حقى

■ ألف النقاد ، اذا ما تصدوا لدراسة آثار شاعر ما . ان ينفضوا سيرته كلها . منذ ولادته حتى وفاته ، شرحا وتحليلا ، ليربطوا بين حوادث حياته والآثار الأدبية التى ساوقت هذه الحوادث او كانت نتيجة لها .

علاقة حياة الكاتب الفنان بآثاره الأدبية

ولعل سيرة « بول ڤاليرى » Paul Valéry التى تتراءى للناقد الطلعة . هادئة ، بسيطة ، رتيبة ، تأبى ، فى الظاهر ، أن ترتبط بآثاره الفكرية والشعرية . وان تعد بتفسير مرض لها . وقد كان « ڤاليرى » نفسه يشك فى جدوى سيرة الشاعر او الكاتب وفي فائدتها فى شرح آثاره الأدبية . وكان يرى « ان حياة الانسان تتسق فيما يلي : اسم ، حاجات ، نزوات ، سخافات، غياب . انه شخص يتمخط ويسعل ، ويأكل ويشخر ... انه دمية نساء ، ضحية حر او برد . هدف لبغض وسخيمة وسخرية » ، فما فائدة كل هذا فى ربطه بأثر فني يبدعه هذا الانسان ؟

على أننا نرى أن حياة الفنان المبدع لا تنفصم عن نتاجه الفنى . ولا يسوغ ان نستثنى حياة ڤاليرى من التأثير في ادبه ، مهما تكن حياته رتيبة بعيدة عن التعقيد ، ولعلها لو حادت عما رسمته لها الظروف والمناسبات لتلون أدبه بألوان اخرى ، غير التى أحببناها وشغفنا بها .

نشأته

ولد « بول ڤاليرى » فى مدينة (سيت) عام ١٨٧١ من اب فرنسى وأم ايطالية (كان ابوها قنصلا لايطاليا فى سيت Sète) . يقول ڤاليرى : « لقد ولدت فى مكان من تلك الأمكنة التى أحب ان اولد فيها » .

وفى الحق ان هذه المدينة المضجعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط قد فسحت لعينى بول ڤاليرى افقا وسيما ، يلعب فيه النور الخصب الوضيء ، لينساق هذا النور ، فيما بعد ، من عينيه الزرقاوين الظامئتين،الى كل حرف يسطره ، فيترك فيه الشارة من تألقه . ولم ينس ڤاليرى فضل مدينته الصغيرة على أدبه : « اننى مدين للمرفا الذىولدت فيه بنبضات فكرى الاولى ، بحبى للبحر وللحضارات الرائعة التى قامت على شواطئه . ويخيل الى ان انتاجى الأدبى كله يشي بمصدره

الأساسى . اننى انهم نفسى باننى جننت جنونا حقيقيا بالنور ، مجبول بجنون وكَلَفٍ بالماء » .

وقد ترك منظر مقبرة مدينته البحرية فى نفسه الحساسة ، أثرا عميقا ، لينسج من هذا الأثر ، فيما بعد ، قصيدة « المقبرة البحرية » Le Cimetière Marin التى تعدُّ من أروع الشعر الفرنسى المعاصر .

كاد يغرق طفلا

ومرت طفولته هنيئة ، لولا حادث قصه علينا فى أسلوب ساخر لطيف :

« كنت طفلا لا أكاد استمسك فى مشيتى . وكانت خادمى تسعى بى ، كل يوم ، الى حديقة عامة تتوسطها بركة تسبح فيها بجعات . وذات يوم ، تركتنى الخادم على الارض قريبا من حافة البركة . فانشات أتسلى بالقاء الحصى فى الماء المظلم ، فيما كانت الخادم خلف وشيع من الشجر ، حيث كان ينتظرها ضابط ملازم مُدلّه بحبها .

وكان الطفل ذا رأس ضخم ، واطراف دقيقة ، فكيف لا يقع فى الماء ؟ ها هو ذا يطوف : على سطح الماء ، بثيابه المنشاة . وكانت الخادم والضابط المختفيان يجهلان الخطر الكبير المحدق بمصيرى الصغير . وعجبت البجعات ، لا ريب ، من هذه البجعة الصغيرة المجهولة التى حلت لديها . انها تشبهها ببياضها ، ولكنها بجعة دخيلة جعلت تغوص فى الماء . فان ثياب الطفل اخذت ترشح الماء . وها هو ذا يفقد وعيه ، ترى لم رآه احدهم؟هكذا تدخل القدر .. فان ذلك الرجل دخل فجاة فى الماء ، وفرق البجعات وافزعها . وأعاد الىَّ الحياة ، الى هذا (الأنا) الشاحب المغمىّ عليه ، وعاد به الى بيته ، وسقاه جرعة من شراب الروم .

أما جدى ، فقد أراد ، أن يقتل الخادم ، فى ذلك اليوم .

فى مدينة جنوا الايطالية

ولم تكن مدينة (سيت) قد رفدت وحدها ذهن الطفل بذكرياتها ، فان (جنوا) المدينة الايطالية حيث كان يمضى مع أسرته العطلة الصيفية ، قد أرضت نهم عينيه المنطلقتين الى النور . ها هو ذا البحر يعطو أذرعته الزرق ليعانق المدينة الساحرة ، ترتفع مبانيها الأثرية التاريخية وتهمس لخيال الطفل الصغير بسر الهندسة الرفيعة التى عرفت بها هذه المدينة البحرية،وقد تسللت صورها الزاهية ، وخطوطها المتناسقة المتكاملة الى حنايا ذاكرة « فاليرى » ليرتقها ، ذات يوم ، فى حوار فلسفى فكرى فى (اديالينوس) وفى قصيدته (سميراميس) .

وفى (جنوا) وَعَى (فاليرى) جمال الجسم الانسانى لتحفل آثاره كلها بصور جمالية رائعة . اضف الى ذلك كله انه كان يلهج باللغة الايطالية ــ وهى لغة أمه ــ ويتقنها اتقانه للفرنسية ،فاتاحت له معرفته للغة الايطالية أن يتأثر بموسيقاها ، اللفظية ، فى شعره . وان تكون ثقافته لاتينية محضة متميزة عن ثقافة معاصريه من الكتاب الفرنسيين الذين غلبت على ثقافتهم الاجنبية ، الثقافة الالمانية والانكليزية .

مع أسرته فى مدينة مونبلييه الفرنسية

وفى عام ١٨٨٤ ، انتقل (بول فاليرى) مع أسرته الى « مونبلييه » وكان أبوه قد احيل الى التقاعد ولعل الذى حمل الأسرة على ترك « سيت » انتشار مرض الكوليرا فى ذلك العام . ولكن « فاليرى » لم ينس مدينته الصغيرة الحبيبة وكان يحن الى

مدينة طفولته حنينا متصلا ، فلما عاد اليها فى ذروة مجده الأدبى ليشهد حفلة توزيع الجوائز فى المعهد الذى شهد طفولته ، قال أمام الطلاب:(لئن صعدت من حادث الى حادث ومن فكرة الى فكرة ، وتتبعت سلسلة حياتى ، لوجدت الحلقة الأولى منها منوطة بتلك الحلقات الحديدية الموصولة بصخرات ميناءنا . أما الحلقة الأخيرة من السلسلة فهى منوطة بقلبى).

وفى (مونبلييه) التحق «ڤاليرى» بمعهدها ، ولكنه لم يجد فى دراسته ، ثمة ، ما يرضى ذهنه المتقد . كان أساتذته يسودون بالطغيان ، وكانت مفاهيمهم من الأدب اقرب الى ان تكون عسكرية . « كانت البلاهة وتبلد الشعور يبدوان لى فى برنامج الدراسة » .

وكان « ڤاليرى » تلميذا عاديا ، بَلْهَ تلميذا رديئا ــ فى نظر أساتذته ــ ولكن الفتى المخفق كان يملأ عزلته بقراءة آثار أدبية محرمة على الطلاب ، وعوقب من أجل هذه القراءة الممنوعة أكثر من مرة، عقابا وجد فيه مُتَنَفَّسًا للتأمل : فقد كان عليه ان يقف فى زاوية الغرفة .. ووجهه الى الحائط، ولكن « ڤاليرى » وجد متعة فكرية لا تنضب فى تأمل الحائط وخطوطه الصغيرة المتعرجة .

ولعه بالرسم

وانصرف « ڤاليرى » فى هذه الفترة من عمره ، الى الرسم ، وقد برع فى الرسم المائى براعة ملحوظة . ولم يكن يَهدى ريشته اللبقة فى الرسم سوى حسه المرهف . وكان حذقه فى المؤالفة بين الالوان وتنسيقها ، يتجاوب مع احساسه بالجمال. وقد اعانه ولعه بالرسم أن يكتب فيما بعد دراسات عن « ليو دافنشى » و « ديجا » تعد فى رأى نقاد الفن ، من اقوى ما كتب فى النقد الفنى فى هذا العصر.على أن نزعة «ڤاليرى» الى الشعر ، كانت اشبه بنهر كبير تسعى اليه جداول جمة ، وتتفرع عنه سوَاق مختلفة ، ولكنه يظل فى النهاية النهر الاساسى الذى يحمل معنى النهر الأعظم .

تأثر بالشعر فى سن مبكرة

وقد قرض «ڤاليرى»الشعر فى سن مبكرة وتأثر فى البدء بالمدرسة البرناسية ، ثم عدل عنها واستأثرت المدرسة الرمزية بشغفه ،فقرأ« بودلير » و«رامبو» و« ڤيرلين » و « مالارمه » .

ونال «ڤاليرى» البكالوريا ، وكان عليه أن يختار مهنة له ، فأمل ان يلتحق بالمدرسة البحرية ــ ولعل شغفه بالبحر هو الذى أغراه بذلك ــ ولكن اباه حال دون تحقيق هذه الرغبة ، وظلت هذه الأمنية التى انتسخت مهوى فؤاده ، عمره كله .

يلتحق بمعهد الحقوق

لم يكن له بد اذن من أن يأخذ بمدرجة اخيه الكبير « جول » ــ الذى أضحى فيما بعد حقوقيا كبيرا وعميدا لكلية الحقوق ــ فالتحق بمعهد الحقوق فى « مونبلييه » .

فى الخدمة العسكرية

وفى عام ١٨٨٩ اضطر الى أداء الخدمة العسكرية ــ على نفوره من كل ما هو بسبيل الى الجندية ــ ولم يكن يجد عزاء له فى حياة الثكنة سوى الانصراف الى قرض الشعر . كتب «ڤاليرى» الى صديقه « لاربو » يقول : يا لها من سنة رهيبة ، اننا مسوقون ، بقسوة وغباوة ، أما فى أيام الأحد فاننى انقذ روحى بنظم الشعر » .

بيد ان الخدمة العسكرية التى كان يجفوها ساقت له مصادفة سعيدة ، فقد أقيم فى «مونبلييه» احتفال بمناسبة الذكرى المئوية السادسة لانشاء جامعة مونبلييه ، وشاء القدر ان يجتمع ڤاليرى ، بين الجموع المحتشدة ، بشاعر فتى قادم من باريس هو « بيير لويس » ، وأن يظفر بصداقة حميمة وجهت حياته وقدره وجهة جديدة .

التقاؤه بالشاعر الرمزى مالارميه

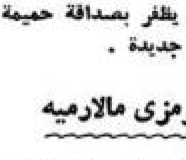
اندريه جيد

وترادفت رسائل الصديقين بين «مونبلييه » و«باريس» ليهفو نظر «ڤاليرى» الى باريس عاصمة الفكر والفن، وليجد ، بمساعدة صديقه « بيير لويس » مجالا لنشر بواكير قصائده ، ويحظى من ثم باعجاب الأوساط الأدبية فى باريس ، وتهيأ له السبل بعد هذا كله ، ليلتقى بالكاتب الفرنسى« اندريه جيد » André Gide (١٨٦٩ ــ ١٩٥١) وكان يمثل الأدب الحديث التقدمى وبـ « استيفان

مالارميه » Mallarmé (١٨٤٢ – ١٨٩٨) عميد المدرسة الرمزية فى الشعر الفرنسى .

وقد كتب «فاليرى» الى « مالارميه » قبل ان يزوره رسالة بسط فيها رايه فى الشعر وشفعه بقصيدتين من نظمه ، واعجب الشاعر الكبير بهما اعجابا كبيرا ، وكتب الى فاليرى يثنى عليه ويشجعه ويقول له : « احرص على هذا النغم النادر » .

وفى ذات مساء ، قدم « بيير لويس » صديقه الفتى « بول فاليرى » الى معلم الرمزية الاكبر ، الى « استيفان مالارميه » .

وكان بيت « مالارميه » الصغير المتواضع ، فى شارع « روما » بباريس ، ملتقى أصحاب الاقلام الغضة الشابة ، ومنبع المدرسة الرمزية الشعرية ، يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، وقد انضاف اليهم في أحد هذه الأيام التى يتعد فيها الشعر والفن ، شاب قصير هضيم الوجه ، نحيل الصوت ، تسكن فى عينيه زرقة البحر ونقاؤه وعمقه وغناه هو « بول فاليرى » .

وعرف «مالارميه » ان هذا الشاعر الوديع الحيى الذى يعرف كيف يحسر اسرار النغم ، وكيف يستل اللفظة الطلية ، ليجعلها تعيش فى القصيد ، هو الرائد الوحيد الذى سيقدر له أن يتمم رسالته الشعرية السامية .

وكانت آراؤهما فى صياغة القصيدة متقاربة ،كان كلاهما يريد منها أن تكون تلخيصا وتكثيفا وتنقية لما يمور فى النفس ، وعلى الشاعر ، حين يغوص الى الأعماق ، أن يجتزىء بلآلىء صغيرة براقة تلخص أمواج النفس كلها،وكذلك يقود هذا التلخيص والتكثيف والتنقية ، الى ما يسمى بالشعر الصافى، كما يقود العمل الدائب فى عجينة الزجاج الى البلور الصافى .

وكان « مالارميه » يرى أن الحقيقة تكمن فى حياة الانسان الداخلية ، وان مهمة الشاعر ان يتسمتها فى حركتها من الأعماق .ان صور الأشياء تترادف امام نظره ، مخلفة انطباعها عليه كالنسيم يمرُّ فوق صقال الماء مخلفا انطباعه يتداح دوائر تتغيب وتذوى وياكل بعضها بعضا . ان وظيفة اللفظ هى مطاوعة هذه الصور فى حركتها ، حتى تتفسح للشاعر آفاق الحلم الرحيبة .

مالارميه

وكان « مالارميه » يتصور القصيدة كالسيجارة : يتلوى دخانها ، حلقة ، حلقة ، ويتهاوى رمادها بعد أن يحظى بقبلة النار النقية . ان الرماد هنا ، يمثل الشىء المادى تتسامى منه فكرة الشاعر كما تتسامى حلقات الدخان ، وما دام هذا الشىءالمادى – هذا الرماد – زائلا ، فعليه اذن أن يختفى فى الأثر الفنى ويبقى رمزه ، أي يبقى هذا الدخان المتلوى الصاعد .

وكذلك كانت تتقطر أحاديث« مالارميه »وتتشقق الوانا من المتعة الخالصة ، ليتلقفها رائده الشاعر «فاليرى» حفيًا بها حريصا عليها ، كأنها كلمات آتية من السماء ، وكذلك تعلم «فاليرى » من أستاذه معنى القلق المبدع ، فى صياغة الشعر وصقله .

القلق المبدع دفعه الى اليأس

غير أن هذا القلق المبدع الذى كان يحمل فاليرى على نشدان الكمال ، تراخى به الى اليأس من الشعر ، ذات أمسية مؤرقة من تشرين الاول « اكتوبر » ١٨٩٢ فى جنوا ، وكان قد مضى اليها فى زيارة لأخواله . كانت ليلة عاصفة ، تهزأم فيها الرعد ، وانشب فيها البرق مخالبه فى اهاب السماء. ولعل آلق البرق الخاطف قد ابان له ، فى اشراقة فكرية ، أن طريق الكمال التى يضرب فيها ، سوف تتراخى الى عبث لا جدوى منه . كانت ليلة رهيبة، اوشك فيها أن يجن – كما ذكر فى أحد دفاتره – فلما انشق الفجر ، كان فاليرى قد آلى على نفسه ان يعزف عن الشعر وأن يئد ولعه بالادب ، وبدا له أن الرياضيات والعلوم هى وحدها التى ستحسر له عن الحقيقة كاملة ، فانصرف اليها فى شغف متصل ، واستاجر حجرة ضيقة فى شارع « جى لرساك » بباريس ، يتكىء على أحد جدرانها لوح اسود،كانت تمرح فوقه معادلاته الرياضية ووساوسه العلمية .

فى ربع قرن ملأ ٢٥٧ دفترا

وتعود ان يستيقظ عند منبلج الفجر من كل يوم، ليسجل ، فى دفتر ، آراءه وهواجسه وسوانح فكره اليقظ القلق ، كأنه راهب متبتل فى محراب العقل ، سبحات فكرية ، سبحات وصفها فاليرى نفسه بقوله: « انها الاف القضايا التى تمر فى قوقعة العقل ، انها بذور السام ، بعوض الخيال ، ذرات الارادة الواهية والشك والوسواس التى تعذب كلَّ دقيقة من كل يوم » .

وقد ملأ خلال ربع قرن او يزيد ، مئتين وسبعة وخمسين دفترا ، متح منها ، فيما بعد ، موضوعات لمحاضراته وكتبه ، ونشر بعضها فى أجزاء مستقلة ، وبدىء بنشر الباقى،مؤخرا ، ليرفد الأدب الحديث بغذاء فكرى يوضع فى قرن واحد مع أعمق ما جاء به العقل الانسانى ، بغذاء فكرى قال عنه « جيد » بعد أن اطلع عليه : ليس فى ميسورى الا ان أتصور انه أهم أثر فكرى فى عصرنا هذا .

اطلالات صغيرة على الأدب

على انه كانت تتخلل عزلة « فاليرى » اطلالات صغيرة على الأدب، كانت تجره اليها مناسبات شتى، فقد طلبت اليه مديرة « المجلة الحديثة » السيدة «جورجيت آدم »ذات مرة ، سنة ١٨٩٤ ، أن يكتب لها دراسة عن ليونارد دافنشى بعد أن سمعته يتحدث عنه حديث صاحب الفن العارف . وكتب فاليرى : « مدخل الى منهج ليونارد دافنشى » ، وفيه يحلل عبقرية الفنان الايطالى العظيم أروع تحليل واعمقه ، ثم انكفأ فاليرى ، عقب نشر مقاله الى صومعته الفكرية ، ليكتب « أمسية مع السيد تيست » ، وفى هذا الكتيب جلا لنا شخصية « تيست » ، رجلا زميتا ، صادفا عن مباذل الحياة، عاكفا على التأمل والتفكير ، واضعا بدوات الجسد ونزواته دُبُرَ أذنيه . انه الرجل الذى رقى من قاع العاطفة الجياشة ، وتسامى الى قمة الفكر الجافة الباردة ليسترفد منها سلوكه فى الحياة . وقد تراءى « تيست » فى كثير من ملامحه ، صورة صادقة عن مؤلفه «فاليرى» نفسه . فكانه المثل الأعلى الذى كان « فاليرى » يتشوف الىأن يكونه.

عشرون عاما لم ينشر فيها شيئا

وبعد نشر هذا الكتيب ، عاد الصمت العميق ليستبد بفاليرى ، قرابة عشرين عاما ، لم ينشر فيها اى شىء ، ولكنه كان صمتا خصبا مبدعا . فان الراهب الفكرى كان يخلو ، كعادته ، عند منبثق الفجر ، الى دفتره ، لينثر على صفحاته بذور سأمه وذرات وغبار وساوسه الفكرية . غير ان صلاته بمعلمه الأكبر « مالارميه » ورفاقه ، لم تنقطع ، وقد يسرت له معرفته بالكاتب «هويسمان» ان يلتحق موظفا بسيطا فى ديوان وزارة الحربية ، ثم استقال منها ليعمل سكرتيرا خاصا للسيد « ادوار لوبى » مدير شركة « هافاس » . وفى عام ١٨٩٨ غال الموت « مالارميه » فحزن عليه «فاليرى» حزنا بالغا ، وظل وفيا لذكراه ، عمره كله .

يتزوج عام ١٩٠٠

وفى عام ١٩٠٠ تزوج فاليرى « جانى جيوبارد » وكان قد التقى بها فى بيت «مالارميه» ، ورزق منها بثلاثة أولاد . وأتاحت له الحياة الزوجية الهنيئة الهادئة ان يسيغ عزلته الفكرية،وأن يستطيبها .ولكن قصائده الرقيقة التى نظمها فى عفرة صباه ونشرها فى المجلات الأدبية ، ثم وهبها للنسيان ، زهدا بالشعر والأدب ـ ظلت مُشعلة ، كما يقول صديقه لاربو لكثير من المعجبين فى أنحاء مختلفة من فرنسا، كانوا يستنسخونها ويحرصون عليها ويقراونها فى اعجاب عميق .

ينشر ديوانه عام ١٩١٢

وفى عام ١٩١٢ رجا « أندريه جيد » صديقه الشاعر ـ بعد أن يلم له قصائده المتفرقة ـ بأن ينشرها مجموعة فى ديوان لدى الناشر جاليمار .

وعاد «فاليرى» الى قصائده ، الى أشباحه ، ـ كما يقول عنها ـ ليهذبها ويحككها من جديد ، بعد أن فصل عنها عشرين عاما .

قصيدة كسمفونية طويلة حزينة النغم

وحلا له ـ بعد أن صقلها ـ أن يتوجها بقصيدة جديدة ، لا تتجاوز اربعين بيتا ، يودع بها الشعر . ولكن شيطان الشعر لم يشأ أن يتخلى عنه فى يسر، وتسلسلت قصيدته كنبع غزير فياض ، كان مقدرا له فى البدء بأن ينساب جدولا صغيرا ، لو ان ماءه المِعطاء السخىّ ، مهّد له مجرى عميقا ، فاذا هو نهر كبير ، واذا القصيدة التى أراد لها «فاليرى» أن تتسق فى أربعين بيتا ، ترحُب وتطول ، خلال اربع سنوات من النظم الدائب ، حتى شارفت اربعمائة بيت !

وتترقرق القصيدة، على طولها كسمفونية حزينة شجية النغم،تابى معانيها على الفهم ، ولكن ألفاظها الآسرة ، تتسرب الى الأذن فى رقة وليان ، مسربلة بالصور السحرية ، الحلوة ، القاتمة .

كانت هذه القصيدة ملاذا لفاليرى من الواقع المؤلم الذى كان يعيش فيه ، فقد كان ينظم قصيدته بينا كان العالم يضطرم فى أتون الحرب العالمية الأولى ، وقد كتب فاليرى عام ١٩١٥ فى دفتره مشيرا الى ذلك : « انه ليشق على أن أنظم

ايانا رديئة فى هذا الوقت ، بدلا من صنع القنابل او قذفها » .

ولما انتهت القصيدة سنة ١٩١٧ ، سماها «الربة الفتية » ، وأهداها « آندريه جيد » ، ونشرت القصيدة ، مستهلة عهدا مجيدا من حياة الشاعر ، واستقبلت الأوساط الأدبية ، قصيدة « فاليرى » بحماسة لم يظفر بها شاعر من قبل ، واضحى « فاليرى » غداة نشرها ، شاعر فرنسا الأول ، حتى قال هو عنها : « لقد وضعنى غموض القصيدة فى نور الشهرة » .

قصيدته هذه تخرجه عن صمته

أجل لقد هجر الشاعر الصامت محرابه ، ونفض عنه مسوح الراهب الفكرى الذى انتبذ ركنا من محراب العقل ، وحرم الأدب من عطائه الشعرى ، ليهب له ، بعد صمت ربع قرن أو يزيد ، عطاء جديدا خصبا ، عطاء يشبه فى مذاقه الخمر التى سكبت فى الكأس بعد أن نامت فى دنها ربع قرن ليشعشع سلسالها ، بعد ذلك ، شهيئا طليا .

وبدأت قصائد الشاعر تتوالى ، ولعل أروعها قصيدة « المقبرة البحرية » التى استوحاها من مقبرة موطنه الأول « سيت » . وقد تأول النقاد والشراح هذه القصيدة الرمزية الغامضة ، ولعل أجمل تحليل لها ، ما كتبه عنها الفيلسوف «آلان» والاستاذ جوستاف كوهين ، ومن المفارقات اللطيفة ان عقيدا من الجيش الفرنسى ، نظمها من جديد ، فى شعر واضح ، كما قدر له أن يفهمها .

وكان رأى « فاليرى» فى هذه الشروح كلها ، انها جيدة بالنسبة لشارحها فحسب ، فان شعره يأخذ المعنى الذى يريده له قارئه ، لأن القصيدة التى لا تحسر لك معناها فى يسر ، والتى تقودك ، دوما ، الى غايتها السحرية الموسيقية ، لتثير خيالك وتحملك على البحث ـ هى القصيدة التى تعيش وتخلد .

على أن الشهرة التى وضعت «فاليرى» فى النور ، جعلته هدفا لأصحاب المجلات والأندية الأدبية تريد منه مقالة أو قصيدة أو محاضرة أو مقدمة لكتاب . وسطع اسم « فاليرى » لا كشاعر فحسب ، بل كمفكر ناضج يملك اسلوبا مستحصدا ساحرا فى النثر هو فى القمة بين أساليب كتاب فرنسا .

ثم عمد الى التكسب من أدبه

ولم يكن ليضن على أحد بشىء ، وبعد أن مات « ادوارد لوبى » ـ وكان « فاليرى » سكرتيره الخاص كما قدمنا ـ انقطع « فاليرى» الى التكسب من أدبه ، وغنم منه الأدب الشىء الكثير . فكتب « ادبالينوس » و « الروح والرقص » و «فوست». وكتب دراسات شتى عن « بودلير » و « مالارميه » و « فيرلين » و « ديكارت » وغيرهم .

وانساق اليه المجد انسياقا

وانساق المجد الأدبى اليه ، فقد انتخب عام ١٩٢٦ عضوا فى المجمع العلمى الفرنسى ، خلفا لأناتول فرانس ، وعين أستاذا للشعر فى المعهد الفرنسى، وانثالت عليه الالقاب الفخرية من جامعات العالم ، وتجاذبته المحافل الدولية محدثا أو محاضرا واضحى اسمه ـ اسم هذا الراهب الفكرى الذى كان يحب العزلة ويهزأ بالمجد ـ أشرق اسم فى الأدب الفرنسى المعاصر .

ولكن الموت استأثر به ، وهو فى ذروة مجده فى ٢٠ تموز « يوليو » عام ١٩٤٩ ، ووضع تابوته فى احتفال رسمى مهيب فى ساحة « التروكاديرو » ومر امامه رجال الدولة والأدب ، وفى يوم ٢٧ يوليو دفن فى موطنه « سيت » ـ بناء على وصيته ـ فى المقبرة البحرية التى خلدها فى شعره .

كتب « فاليرى »فى دفتره حين بلغ السابعة عشرة: « الشمس تشرق ، الزمن ينفسح، سلسلة من الحوادث تشرع فى المضى . الساعة العاشرة . فى هذه الساعة استوفيت السابعة عشرة . فى ناحية من الارض ، تسعى وتكبر تلك التى ستصبح زوجة لى ، وهناك ، فى مكان آخر ، تمرع الشجرة التى سيصنع منها تابوتى . وفى منطقة غامضة من راسى تتجمع أفكارى المقبلة » .

ترى اكان « فاليرى » يعرف ، آنذاك ، ان أفكاره هذه سوف تتجمع وتنضج وتؤتى اكلها وتعطى اطيب عطاء؟ ترى اكان يعرف انه سوف يكون ، ذات يوم ، اكبر شاعر فرنسى فى النصف الأول من هذا القرن ؟ ■■

الدكتور بديع حقى
برن ـ سويسرة

ابقوا على كانافيرال CANAVERAL

● قبل أيام قلائل فقط اقترح بعض اعضاء الكنفرس تغيير اسم قاعدة (كاب كانافيرال) الى اسم (كاب جلين) Glenn بعد قيام الكولونيل جلين بالدوران حول الأرض .

وبدون ان نطعن فى بواعث هؤلاء السادة المحترمين ، أو نقلل من العمل الجبار الذى قام به الكولونيل جلين ، فاننا نقترح أن يبقى اسم القاعدة على ما هو عليه لأنه أولا اسم مميز لها من حيث الطابع ، لأنه مشتق من كلمة اسبانية معناها حقل « البوص » أو « القصب » ، وهذا الاسم من اقدم أسماء الأماكن فى ولاية فلوريدا وظهر على خرائط يعود تاريخها الى عام ١٥٩١ .

والأهم من هذا أن هذه القاعدة قد اكتسبت فى السنوات الأخيرة أهمية بارزة خاصة بها ، اذ أنها لا ترمز فقط الى الكولونيل جلين بل انها ترمز أيضا الى رجال فضاء آخرين اطلقوا منها فى الماضى ، وسيطلقون منها فى المستقبل ، كما انها ترمز الى العلماء والتكنيين الذين يقفون خلفهم من اجل المجهود الفضائى للشعب بأكمله . ان للاسماء الجغرافية قيمتها الخاصة فى تسجيل التاريخ .. فلنترك كانافيرال وشأنها .

جريدة « نيويورك هيرالد تريبون »

نصيحة من ديكنز

● ان الرئيس كندى ، كما نعلم ، يميل للقراءة ويغرم بالأدب الانجليزى . ولذا فنحن واثقون من انه قرأ مؤلفات تشارلز ديكنز Charles Dickens الذى احتفل بعيد ميلاده الخمسين بعد المائة فى انجلترا فى شهر فبراير الماضى .

لقد اسدى تشارلز ديكنز بعض النصائح القيمة فى قصته « دافيد كوبرفيلد » David Copperfield نرى أنها تصلح لهذه الأيام ، كما كانت صالحة لتلك ، ومن هذه النصائح التى نود أن نلفت نظر الرئيس كندى اليها قول ديكنز فى هذا الكتاب :

« الدخل السنوى ٢٠ جنيها .. والنفقات السنوية ١٩ جنيها و١٩ شلنا و ٦ بنسات . النتيجة : سعادة » .

« والدخل السنوى ٢٠ جنيها .. والنفقات السنوية ٢٠ جنيها و٦ بنسات . النتيجة : شقاء وتعاسة .. » .

نود مخلصين لو ان الرئيس كندى جعل رجاله فى وزارة المالية يؤمنون بهذه الحكمة .

جريدة « دالاس مورننج نيوز »

كنـز ..!

● قارن بين قصة ثروتين :

الأولى مقدارها ٩٥ الف جنيـــهاسترليني ، هى قيمة جائزة يانصيب كسبتها مسز كاثلين بوجست بانجلترة.

وكان ان قالت السيدة عندما علمتانها ربحت هذا المبلغ : « اننى محطمة .. وآسفة لكسب هذا المبلغ الكبير منالنقود » .

سخافة منها ؟ ربما !

من الصعب أن لا تكون ساخرا حينماتسمع المتفلسفين يقولون ان النقـــود ليست كل شيء .

وهذه قصة ثروة اخرى قيمتهـــاخمسون الف جنيه استرليني دفعت الى الآنسة « ليزلى مورى » منانجلترةايضا ، وهى ابنة اربعة عشر عاما ... وهذه الثروة التى هبطت على ليزلى هىتعويض لها عن اصابتها بالشلل مـدى الحياة نتيجة لحادثجرىلها فىالطريق. ومع ذلك فلو كنتَ والد ليزلى ، الا تتنازل عن طيب خاطر عن خمسين الفجنيه واكثر ، مقابل ان تسترد ابنتك ولو جزءا من صحتها ؟

اذا كانت عندك عائلة مكونة مناطفالاصحاء ، يزعجونك فى يوم راحتك ،فانك تكون عندها تملك ثروة اكبر بكثير مـنجميع جوائز اليانصيب مجتمعة .

جريدة ((الصندى اكسبرس)) ـ لندن

البوليس الجمهورى

● **كان الصحفي الذى اعتدت منظمة الجيش السرى على بيته يدلي بافادته امام مفتش شرطة احد احياء باريس ، قائلا :**

ـ الشقة كانت شـــاغرة وقت انفجار القنبلة البلاستيكية . ذلك انى ـ منذ تهديد المنظمة السرية لي ـ رايت من الانسب ارســال زوجتى واطفالى الى قرية ...

.. وهنا بادره المفتش مقاطعا :

ـ لا حاجة بك يا سيدى لتحديد مكان عائلتك امامي .. لان نص هــذا التحقيق سوف تراه عشرات الأعين .. وانت ادرى بالنتائج ! ..

مجلة ((فرانس اوبسرفاتور)) ـ باريس

بين القلق والامل

● اذا نظرنا الى الدورة الحالية للجمعية العمومية للامم المتحدة ، وجدنا ان الامور لا تسير سيرا حسنا فى العالم ، وان حلمنا فى هيئة تحقق السلام والامن فى كل ارجاء المعمورة لم يتحقق بعد . وبالاضافة الى ذلك فاننا نعرف انه يوجد سلاح فتاك مصلت فوق رؤوسنا يستطيع ان يمحونا فى لحظات . ومما يزيد فى قلقنا انه ليست لدينا حتى الآن تأكيدات جازمة بأن هذا السلاح لن ينطلق ليدمر البشر .

ولكن لعل مما يطمئننا معرفتنا ان كرتنا مـا عرفت المجتمع الكامل يوما ، واننا نحن ابناء هذا الجيل لسنا بدعا ، فمنذ بدء الزمان كان هناك ما يدعو الى الحزن ، وما يدعو الى الخوف .

ومع هذا دعونا نصلى جميعا من اجل مستقبل للبشرية افضل ، يسود فيه السلام والانسجام وليس كالاماني بلسم .

جريدة « نيويورك تايمز »

سلطانات خالدات

نورجيهان

بقلم :
سنية قراءة

أو نور الدنيا ..

تولى « أكبر » عرش الهند بعد موت أبيه « همايون » ، وكان يومها شابا صهرته التجارب القاسية التى مرت بأبيه ، فكره فى صميم نفسه أن يتعرض لها أو أن يعرض بلاده العزيزة لهزة من هزات الشقاق والانقسام ، وأسرع يعمل جادا مخلصا من اليوم الأول لتوليه العرش معتمدا على المخلصين الأمناء من رجال أبيه الذين كانوا عونه فى توطيد دعائم الأمن والقضاء على الفتن والدسائس واتمام توحيد الهند تحت راية امبراطورها الجديد ..

وكان الامبراطور « أكبر » شابا جريئا ،ووطنيا مخلصا وراعيا أمينا ، أحسّ بثقل التبعات التى ألقيت عليه ، فحملها بقوة شاب مغامر ، وقلب حكيم مدبر وروح مصلح يقدر ماهية التبعات ، ويتعرض لمعالجتها فى صبر وأناة وحكمة وبعد نظر، ودون تحيز أو تحزب ..

الامبراطور « أكبر » وسماحته الدينية

ولم يهتم الامبراطور الشاب بانتصاراته العسكرية على معارضيه والخارجين على سلطانه، قدر اهتمامه بتحقيق انتصارات معنوية كان يرجوها ويعمد الى اقرارها ، بازالة الفوارق الطبقية ، والقضاء على الدعوة المذهبية بدعم التسامح ، واتباع ما أمر به الاسلام من توحيد ، لا طغيان فيه لعقيدة على عقيدة ، ولا لفئة على فئة ...

كان « أكبر » مسلما سمحا ، فهم روح دينه الذى اعتبر أصحاب الديانات الأخرى « أهل ذمة » ، توجب دواعى الرغبة فى الاستقرار والامن التسوية بينهم وبين المسلمين فى كل الحقوق ـ ليشترك الجميع دون تفرقة فى بناء صرح أمة هم ابناؤها وهم المسئولون عن مستقبلها الذى يعدونه للاجيال القادمة الواجب أن تسير على نفس الطريق ..

وعلى دعامة التسوية الدينية ، وازالة الفوارق المذهبية ، واشراك الهندوس مع المسلمين فى الحكم وادارة دفة السياسة فى الهند ، قام حكم «أكبر» .. فلا عجب أن استقر وعظم ، وتسامعت به الدنيا ، ونقل عنه الرواة عبر المحيطات ، أجمل الأنباء ..

وهكذا أصبحت الهند مجالا للعمل النافع .. وصار بلاط الامبراطور « أكبر » نفسه ميدانا يتبارى فيه المخلصون والأمناء ، ويجد فيه كل عامل راغب فى الاصلاح فرصته ، سواء كان من المسلمين أو من غيرهم ، أو من الهند ذاتها او من غيرها من البلاد المتاخمة مثل فارس وبلاد الأفغان ..

.. وارسلت الامبراطورة الى خورام ، ولى العهد المنفى ، تستدعيه ليرتقي عرش أبيه مع زوجته الفاتنة ..

أهل فارس تجذبهم الآمال الى الهند

ولما كانت الفارسية هى لغة البلاط الامبراطورى الرسمية ، فلم يكن من المستغرب ان يجد كثير من أهل فارس فرصتهم فى بلاد الهند ، وفى بلاط امبراطورها أكبر بالذات ، فشغلوا مناصب خطيرة، وكان منهم وزراء وقادة وحكام مقاطعات..

وكانت الهند بارة كريمة بأبناء فارس فحققت للكثيرين منهم آمالهم ، واعطتهم فى سخاء، أكثر مما كانوا ينتظرون مما فتح مجالى الآمال والاحلام البراقة امام كثيرين وكثيرين ممن كانت تقعد بهم آمالهم وهم فى بلادهم الأصلية عن الوصول الى ما كانوا يتوقون الى تحقيقه من أمنيات غالية وشهرة وثراء ..

« ميرزاغياث » وزوجته فى قافلة

و « ميرزاغياث » ... الذى تصور ان عجلة الاحداث ستقف ذات يوم ببابه ، وان يدق بابه الحظ اكثر من مرة دقات ترغم التاريخ أن يتحرك من طويل سباته ليذكر اسم الشاب وأسرته المتواضعة بالاجلال والاكبار ، لم يكن اكثر من شاب فارسى طموح ضاقت به وبزوجته الفاتنة « بيبى عزيزان » بلادهما فهاجرا منها سعيا وراء عيش افضل وحياة مستقرة كانا يحلمان بها ليضعا أساس بيت سعيد مستقر ، يتحقق لهما بوجوده الكثير من أحلام الشباب ..

واستقر النوى بالزوجين الشابين فى بلاد الأفغان ، حيث وجد « ميرزاغياث » فرصته الأولى ، فاشتغل بالجندية ، وبدأ يسير هانئا راضيا مع ركب الحياة ، التى لم يلبث أن ضاق بها وتبرم وقد امتد به البصر الى آفاق مستقبل، رأى أنه لن يصل اليه ، وهو فى مركزه هذا ،فكان أن استمع الى هاتف المغامرة من جديد ، وترك بلاد الأفغان وراءه ... وسار مع زوجته الشابة

الى الهند ... بلاد الأحلام الذهبية ذات البريق الخلاب ...

عند ممر خيبر ، باب الهند

وسارت القافلة التي كانت تضم بين أفرادها « ميرزاغياث » وزوجته ، عبر الطرق الجبلية الوعرة حتى وصلت الى ممر « خيبر » فاخذت في اجتيازه وميزان النهار يميل الى الغروب .

كان ذلك في عام ١٥٧٥ الميلادى ... وكانت ليلة ما عرف النوم خلالها من سبيل الى عيون من كانوا في القافلة ، فالتف الرجال حول مجالس النار يتسامرون ، في حين تجمعت النساء في خيام مؤقتة ، يحتمين بها من شر الظلام واحداث رياحه وعواصفه ...

وعند خيبر تولد « مهر النساء »

وجاء « بيبى عزيزان » المخاض ... وأسرعت النساء يساعدنها ... وتم الوضع في سلام وهدوء .. وخيمت السكينة من جديد على محلة النساء وقد التففن حول الأم الشابة ، ومولودها الجديد ..

وانصت « ميرزاغياث » في دهشة الى من حمل اليه نبا مولد طفلته الاولى .. وأسرع بترك مجلس النار الى زوجته الفاتنة .. ومال في شغف على الصغيرة البريئة ثم حملها بين يديه في شغف وحنان وراح يتطلع في وجهها وهاتف يدوى في اعماقه أن بين حظه وبين ميلاد طفلته ، يبشر بأن الدنيا سوف تبتسم له ...

واختار « ميرزاغياث » اسم ابنته وهو يحملها ... وناداها باسم « مهر النساء » أى ملكة النساء .

ورنت في جوانب الصحراء في تلك اللحظات اصداء ضحكة ارسلها القدر الذى كان يرعى الطفلة الصغيرة ... اذ استطاع الأب الطيب ، دون قصد منه .. أن يقرا الصفحة الأولى في كتاب حياة الطفلة ... فالصق بها صفة الملكات!!

وقبّل الأب طفلته في جبينها ، ثم اعادها الى الفراش المتواضع الذى أُعدّ لها الى جانب امها ، وعاد ثانية الى حيث كان ليسمع تهانى القوم ودعواتهم الطيبة له ولاسرته التي زادت شخصا عزيزا تمنوا للمغامر الشاب ، مقدم الخير مع مقدمه السعيد .

ومرت ساعات الليل ... ورفت فراشة الفجر بجناحيها تبعد الظلمة وتطاردها ... ودبت الحياة في القافلة .. ونادى حدّاؤها في القوم ليسرعوا الى استئناف المسير ...

ودخلت القافلة الى أرض الهند

وبدأ القوم يخرجون من ممر « خيبر » ... وطالعت العيون أرض الهند الخصيبة ... الهند الغامضة ذات السحر والأسرار ... وتجددت في الصدور آمال وآمال ... وراحت المرئيات الحلوة تداعب الأخيلة ببريق ولالاء ... في الوقت الذى أسلم فيه « ميرزاغياث» نفسه الى خاطر غريب !!

كان من قبل وحيدا لا يفكر في غير نفسه وزوجته ... وكانت الدنيا مِلكهما الخاص يتنقلان فيه كيف شاءت ارادتهما ... أما اليوم ، فقد تغير الوضع وصار لهما شريكة ، مقدِّمَها نفسه يجبر على الاستقرار ويدعو الى نسيان الماضى وانطلاقاته البعيدة عن القيود ...

وأحس « ميرزاغياث » لأول مرة في حياته بوقر المسئوليات الجديدة التي تخيلها ملقاة على عاتقه ... وأشفق مقدما لا على نفسه أو زوجته الحبيبة ... بل على الصغيرة البريئة « مهر النساء » ، ووجد نفسه يرفع رأسه الى السماء يسأل الله الرعاية للطفلة وهو يردد قول الحق سبحانه :

« نحن نرزقهم واياكم ... » .

وانفرط عقد القافلة

واستسلم الأب الى نوبة صفاء ذهنى ، ووقر في نفسه أن القدر قد مهد له طريق رزقه المرتبط بمقدم الصغيرة الغالية ، التي كتب الله على نفسه توفير رزقها ورزق آلها معها .. وعاد بذاته في سرعة الى القافلة ومن فيها وقد علا ضجيجهم ، اذ وصلوا الى نقطة كان عليهم أن يتفرقوا عندها كل الى وجهته ..

ميرزاغياث في القصر الامبراطوري

وطرق « ميرزاغياث » أبواب العمل .. وضحك الحظ وهو يقوده من يده الى أبواب القصر المغولى الامبراطورى ليعمل في خدمة عاهل الهند « اكبر » العظيم ..

ويرزق بابنه عساف

وازدادت ثقة الرجل بحظ صغيرته « مهر النساء » ، ووجد فى القبول وسرعة الترقى اللذين نالهما فى وظائف القصر الامبراطورى ، نفحة من نفحات حظها المرموق ، فازداد تعلقه بها وحدبه عليها ، ولم يغير من مكانتها الأثيرة عنده يوم رزق بابنه « عساف » .. بل زاد ب « مهر النساء » تعلقا واعتبرها تميمة نجاحه المبشرة دائما بوصوله الى ما كان يتوق اليه من رفعة وثراء ..

المغامر الفارسي يصبح مدير القصر

ومرت السنون .. وتحققت الأماني التى جاشت ذات يوم بعيد فى صدر المغامر الفارسى الشاب ، واصبح اليوم فى بلاد الهند ، شيئا مرموقا ، واسندت اليه وظيفة مدير شئون قصر الامبراطور « اكبر » .. واصبحت زوجته «بيبى عزيزان » من أبرز واظهر سيدات البلاط .

« مهر النساء » فى نفحات الربيع

أما الفاتنة « مهر النساء » فكانت تخطو نحو ربيع عمرها ، وهبت عليها نفحات الشباب المبكر ، فانتشت بها ، واحست فى غمرة غرورها الصبيانى انها اصبحت صبوة الأفئدة ، وقبلة الأنظار ، وملتقى القلوب الحانية التى التفت حواليها خفاقة ، متبتلة ، وكأنها حشود أرواح تطوف بكعبة الأماني الحلوة تستلهمها الرضا ، وتسألها العطف والحنان ...

وطالع الربيع الفاتنة الصغيرة ذات صباح،فارتد فى شهقة اعجاب تندت عنه .. ثم عاد فى شغف المأخوذ يرقبها ، وقد فاقته نضارة وحسنا ، أزرى بجمال وروده وروعة خضرته ، وجلال أغاريده ، فسبّح للحسن فى زهو على حصباء حدائق الامبراطور اكبر ..

الامبراطور « آكبر » يقيم حفلا لولى عهده سليم

وكما أشرق الربيع للفاتنة الشابة ، كذلك اشرقت لها شمس الحظ ، وتوسطت برج سعادتها السامق ، وألقت عليها من ذهبى خيوطها نضارة وجدة ، وتوفيقا وقبولا ..

فقد اقام الامبراطور اكبر لولى عهده الأمير سليم حفلا عظيما فى الحدائق الامبراطورية الفخمة بمناسبة « عيد الربيع » .. اجتمع فيه وجوه البلاد وساداتها وأجمل الحسان ممن كن يطمعن فى التعرف على الامير .. كن كثيرات .. وفاتنات عديدات فى عمر الزهور .. ويحلمن به ، ويتمنين ان يبادلهن كلمة .. بل ان بعضهن اعتدن التعرض له فى طريقه .. حتى لقد صار الحسن فى عينيه عاديا ، واصبحت الجميلات من كثرة مطاردتهن له امرا مملا .. ولكنه ، وفى هذا المساء بالذات ، وبينما كان يتسلل من بين الجموع العديدة الى داخل القصر ليبحث له عن دن من دنان الشراب يبثه نجواه .. مر فى طريقه بنافورة وقفت عندها فتاة كانت آية فى الحسن والجمال ... فوقف مكانه كالمصعوق .. لم تأبه له ، ولم تهتم به ، وبدت كأنها تعمدت ان تتجاهله .. فتملكه الغضب وأراد أن يشعرها بعظيم مكانته .. فتقدم منها وترك فى حراستها حمامتين جميلتين كان يحملهما على يديه،وأمرها أن تحفظهما له وتنتظره حتى يعود بعد ثوان .

قصة الحمامتين

وترك الأمير سليم « مهر النساء » بعد أن أسلمها الحمامتين ، وأسرع هو الى احتساء كؤوس الشراب السحرية حتى ثمل ..

وأفلتت من يد «مهر النساء» أحدى الحمامتين وحلقت طائرة سعيدة بحريتها .. فى الوقت الذى راحت فيه الشابة الصغيرة ترقبها فى فرح وسعادة ألارا ولى العهد الذى عاد لتوه فوجدها ، وفى يدها حمامة واحدة .. فثار وغضب وراح يعنفها لأنها اهملت حراسة حمامتيه .. ثم سألها فى كبرياء :

ــ كيف أفلتت منك الحمامة الاولى ؟

ونظرت « مهر النساء » الى محدثها الشاب نظرة هادئة اربكته وهزته من أعماقه .. وفى نبرة هادئة لا كلفة فيها .. قالت وهى تطلق الحمامة الثانية فى الفضاء لتلحق باختها :

ــ انها طارت .. مثل هذه !!

ثم أرسلت ضحكة هانئة كانت الجواب الصامت الساخر على ولى العهد !!

ووجد الامير « سليم » أن مراجل غضبه قد تلاشت مع اصداء الضحكة الهانئة .. وراح فى شغف ذاهل يرقب الفتاة ، وهو يسائل نفسه : من تكون هذه الفتاة الجريئة .. التى لا تعرفه ؟!

ولماذا لا تحاول التقرب منه أو التودد اليه ..

وخلال لحظة خاطفة .. والأمير يشبع عينيه من نبع الفتنة المشبوب .. أفلتت الظبية .. وسارت سريعة فى أبهاء الحدائق ، دون أن يدور بخلدها أن صورتهـــا الساحرة قد انطبعت فى فؤاد الامير وتملكت مشاعره ، حتى لقد نسى وجهة مسيره ، وما انتواه حيال اعياد الربيع ، واسرع الى بعض خاصته ليعرف من تكون هذه الجميلة التى ما رات عيناه مثلها قبل اليوم ؟!

همسات فى القصر الامبراطورى

وتردد فى القصر الامبراطورى همسات عنمشاعر الأمير وشغفه بابنة « ميرزاغياث » مدير شئون قصر أبيه الامبراطور .. وقيل ان الأمير الشغوف بالفاتنة الشابة ، يتمنى من كل قلبه لو يخطبها لنفسه ..

ولقد سعد « ميرزاغياث » بما سمع .. وكادت زوجته بيبى عزيزان تطير من شدة الفـــرح .. ووجدت فى غرام ولى العهد بابنتها ما يحقق لها ولزوجها مطامع أبعد مدى مما كانا يتصـوران .. ولكن الامبراطور كان قد أعد لولى عهده زيجـة أخرى وجد فيها صالح عرشه وتحقيق سياسته التى كانت تهدف الى الجمع بشتى الروابط بين المسلمين والهندوس ، وأصر على أن يسير ولده على غراره ويتزوج من هندوسية ، كما تزوج هو من قبل ..

الأمير سليم يغرم بمهر النساء ، وهى تغرم بغيره

أما الساحرة الشرود « مهر النساء » فقد كانت لاهية عن حب سيدها الأمير بحب آخـر .. حب عنيف شغلها عندنيا الناس وزخرفها وأمرائها وملأ كل قلبها الذى تحول بشتى عواطفه الى فارس أحلامها .. وهو ضابط افغانى شاب كان يعمل فى الجيش الهندى اسمه « على كولى بيج » وكان لقب شهرته « أسد الافغان » .. تعاهدت واياه على الزواج .. وأصرت على سرعة اتمامه بالرغم من نصائح أمها ـ بمناسبة انتقال خطيبها الشاب مع احدى فرق الجيش الى اقليمالبنغال.

وزفت « مهر النساء » الى رجلها .. وتركت العاصمة وانتقلتمعهالى البنغال ولم يدر بخلدها أن هذا الحادث الشخصى ، قد ترك ندبة عميقة فى قلب ولى العهد ، الذى أحس بان الفاتنة الشابة هزمته مرتين وصفعته صفعتين قاسيتين ...

وكان ان خطب الامبراطور المغولى« أكبر » لولى عهده شابة لا يجمعه بها حب ، ولا تربطه اليهـــا عاطفة ، ولكنها زيجة تدعم صلات الود التى كان الامبراطور « أكبر » يربط بها بين طوائف الشعب الهندى ..

سليم يتولى الملك باسم جيهانجير بعد موت أبيه

ودار الفلك دورته .. ولم يكد يحل عام ١٦٠٥ الميلادي حتى مات الامبراطور أكبر .. وتولى ولى عهده عرش الامبراطورية المغولية بعد أبيه «أكبر» العظيم باسم « جيهانجير » أى « سيد الدنيا » فكان على عهد الناس به مرحا عطوفا ، فيه رقة وفيه صرامة كان مبعثها مركزه الخطير ..

ودانت الدنيا للسيد الجديد .. وأتته البلاد طائعة،وانحنت له الرقاب والرؤوس..وانجبت له زوجته الهندوسية ثلاثة بنين هم: خسرو ،وخورام، وشهريار ...

جيهانجير يذكر حبه الاول

واذا به فى غمرة الأحداث يذكر ساحرة شـابة قد اعترضت طريقه ذات مساء .. فلم تأبه له ، ولم تهتم به كغيرها من الجميلات وسخرت منه وعصته جهارا .. ثم لما أحبها ، لم تقم لحبه وزنا، وانصرفت عنه الى ضابط يعمل فى خدمته ..

وتضخمت أرانين الماضى فى خيال جيهانجير حتى سدت مسامعه ، ولم يعد يرى غير «مهر النساء» وما عاد يرجو من بين نساء العالم غيرها ..

كان الامبراطور الشاب قد تزوج وأنجب وعشق وغامر .. وأحب وكره .. وكانت حياته كلهـــا محظيات وصديقات وجوار لا يحصرهن عد ولكن .. كانت « مهر النساء » تملأ عليه كل تفكيره حتى لقد أصبح أمر تملكها شاغله ، وكأنه موقعة رهيبة يتوقف عليها مستقبل امبراطوريته ..

الامبراطور الجديد يدبر مقتل زوج « مهر النساء »

وجاءت الرسل الى « على كولى بج » ففاوضته فى أمر طلاق زوجته الاثيرة التى انجب منها ثلاث بنات ـ لقاء مبلغ عظيم من المال .. فثار الزوج ووجد فى عرضهم مهانة بالغة له ولكرامته ، ولم يأبه لمقام من كانوا يفاوضونه وفيهم حاكم البنغال ذاته ، فتهجم عليه وتماسك واياه ، واقدم على شهر سيفه فى وجهه ، حتى لقد أصاب به الحاكم اصابة خطرة علم بها « جيهانجير » .. فزاد تعلقه بـ «مهر النساء» وتضاعفت كراهيته لزوجها العنيد ، ولم يجد رجاله فى البنغال الا العمل على اغتياله .. فالقتل هو الوسيلة الفعالة للوصول الى «مهر النساء» شاغلة فؤاد الامبراطور وحاكمة قلبه .

وسرعان ما دبرت لاغتياله مؤامرة سريعة ؟!

وتمت المؤامرة الرخيصة ... واغتيل « على كولى بج » الضابط الشجاع .. وعلى طريق خضبته دماؤه البريئة حملت « مهر النساء »الى قصر جيهانجير لتبقى ضمن حريم الامبراطور ستة أعوام طوال .. عاشتها بين الشك والخوف والرهبة ..

« مهر النساء » تزف الى الامبراطور

حتى شاء لها القدر أخيرا أن ترقى فى ركاب الحظ السعيد الى ابعد ما كانت تأمل يوم أرسل اليها الامبراطور يستدعيها منالحريم ليرفع مكانتها الى درجة الزوجة الامبراطورة الأثيرة .

واقبلت « مهر النساء » فى موكب بهرجها ورائع فتنتها ، وساحر جمالها فسلبت لب الامبراطور ..

وشهد البلاط المغولى الامبراطورى ـ فى تلك المناسبة ـ أروع حفل زفت فيه الساحرة الى رجلها . وكانت أولى هداياه لها الماسة النادرة « كوهى نور » أى جبل النور !!

« مهر النساء » تصبح « نور جيهان » أى نور الدنيا

واسرف جيهانجير فى حب عروسه الجميلة ، ونسى الى جانبها ملكه ودنياه ، ورفعها الى مكانة ما تطاولت اليها أحلامها .. فشاءت ارادته ، أن يستبدل باسمها اسما يتفق وجديد مركزها،فكان أن اطلق عليها أسم « نورجيهان » أى « نور الدنيا » ، وكأنها لم تكن نورا فى عينيه فحسب فأرادها نورا للعالم اجمع ومن فيه ..

وعاد الحظ يضحك من جديد «للميرزاغياث » . واذا بالامبراطور يجعل منه كبيرا لوزرائه ويطلق عليه اسم « اعتماد الدولة » ..

ولم يشأ الحظ أن يترك «عساف» شقيق الامبراطورة نورجيهان حيثهو ..وسرعان ما دفعه الى المقدمة واذا بالرضاء الامبراطورى يشمله ، فعين رئيسا للتشريفات فى قصر زوج أخته ... ونال أيضا لقبا رفيعا هو : « اعتماد خان » .

الامبراطور يضعف وتقوى الامبراطورة

ودارت عجلة الحوادث .. ومرت الايام ودبت فى بلاط جيهانجير حياة جديدة من لون غريب ، ففشت الرشوة، وتدخل والد الامبراطورة وأخوها فى شئون الحكم .. والامبراطور متصامم لا يسمع .. أعمى لا يرى غير زوجته ولا يسعى الى ارضاء أحد سواها ..

واستبدت بالعاشق المفتون عاطفة حبهالجارف، وأبى عليه هيامه بزوجته الفاتنة الا أن يرى فيها آية حبه الاكبر ، ويدلل لها عمليا على مدى افتتانه بها ، والاقرار بسلطان هواها عليه .. فاعلن انها شريكته فى امبراطوريته ، ليس اسما بحكم الزواج.. بل فعلا بحكم ما تنازل لها عنه من سلطات خطيرة .. وما كادت تتسلم مقاليد الحكم فى البلاد .. حتى أطلقت يدها فى كل شيء . .

وراحت « نورجيهان » تتصرف وحدها ... وامبراطورها العاشق يبارك ويوافق .. فقربت من قربت .. وأبعدت من ابعدت .. وصار لها يوم معين تجلس فيه للحكم وتلقى الشكايات والمطالب .. ويوم آخر تجلس فيه فى الشرفة ليمر بها وجوه البلاد فى عرض كامل يقدمون لها خلاله فروض الطاعة والولاء ..

واعتادت نورجيهان فى يومى تجليها على الشعب والأعيان والأشراف وقادة الجيش الا تكتفى بالرد على التحيات بالابتسامة التقليدية، وقبول الهدايا على النمط الامبراطورى .. بل كانت تعتبر هاتين المناسبتين امتدادا للحكم بصفة عملية ، فكانت توجه وتحدد وتعين المهام وتأمر وتنهى وتطالب بتنفيذ ما كانت تراه هى من خطير الامور ..

وبلغ من تغلغل سلطان الامبراطورة الجريئة فى شئون الحكم ان ضربت العملة باسمها ،ونقشت عليها القابها السامية ، واصبح حقا لها بعد هذا كله ان تشارك زوجها سلطاته التشريعيةوالتنفيذية بصورة عملية ، فكانت الفرمانات والأوامر الامبراطورية لا تصدر ولا تكون لها القوة التنفيذية الا اذا وقعتها نورجيهان باسمها الى جانب اسم جيهانجير ..

وتفتحت مواهب الامبراطورة الذكية .. واستطاعت أن تلم بشتى شئون الدولة ، وكان لها رأى فى كل عمل نافع .. وكل مشروع جليل .. وكان لا يعترضها صعب الا تولت تذليله بشتى الطرق ، ولا مشكلة الا حلتها كما تشتهى وتريد !!

واتجهت الانظار فى بلاد الهند جميعاء الى نورجيهان .. نور الدنيا .. التى انتشر سنا ضوئها ، فعم البقاع وتغلغل فىالقلوب،وصارت لها شعبية فذة ومكان لو تاب الامبراطور الى نفسه.. لحسدها عليه !!

وصارت الامبراطورة مع الزمن، وامام مكانتها العظمى ـ ملجأ القاصدين ، وجارة المستجيرين ، ومطلب أصحاب الحاجات .. فلم ترد طالبا ..ولم تخيب قاصدا ، وكانت من الكرم وطول اليد ،بان اسهمت بنفوذها ومالها فى مشروعات الخير ، ومن أخلد اعمالها مسارعتها الى مساعدة البنات اليتامى ، والانفاق على تربيتهن تربية كريمة بعيدة عن ذل الحاجة .. ثم تهيئة مستقبلهن تهيئة حسنة ومساعدتهن ماديا بالمال ، اذا ما تقدم لاحداهن طالب زواج !!

خسرو ، ابن الامبراطور ، يثور ، ويفشل

وبالرغم من ان الامبراطور قد بارك بكل قلبه هذا التدخل الظاهر من زوجته فى شئون الحكم الا ان ابنه الاكبر وولى عهده « خسرو » لم يرتح الى ذلك .. ووجد أن صالحه ليس فى غير الثورة على امراة ابيه .. وسخرت الامبراطورة نورجيهان من الابن الطائش ولم تابه بحركته الجريئة ، وسارعت فى هدوء بالقضاء عليها ، وأمرت بالقاء القبض على خسرو التعس ،وانزلت به ابشع عقاب ، اذ امرت بان يخاط جفناه .. وحكمت عليه بالعمى وهو بصير !!

ولقد كانت ثورة «خسرو» سببا جعل نورجيهان تلتفت الى سد ثغرات تركتها حولها ، وكان فى سدها التدعيم لمركزها ، فأسرعت تربط بالمصاهرة بينها وبين أبناء الامبراطور من زوجته السابقة .. فزوجت « تاج » ابنة أخيها عساف من « خورام » الابن الثانى لزوجها .. وزوجت ابنتها من زوجها الأول من « شهريار » الابن الثالث لزوجها .. والذى كانت ترشحه هى لولاية العهد بعد أبيه ..

خورام ، الابن الثانى للامبراطور ، يثور ، ويفشل

ولم تكد الامبراطورة تنفض يديها من ثورة ابن زوجها الاول ـ وقد ظنت أنها تملكت زمام الامور ـ حتى قام أخوه الأصغر « خورام » الذى عرف فيما بعد باسم « شاه جيهان » بثورة اخرى عليها وعلى أبيه .. لأنها ارادت أن تفوت عليه فرصة الحكم ، ليكون الحكم لـ « شهريار » زوج ابنتها هى !! ولم تابه نورجيهان لثورته .. اذ سرعان ما قضت عليها بجيش قوى أسندت قيادته الى أخلص قواد زوجها المغامر الشاب « محبات خان » الذى حمل اليها أبناء الامير الثائر رهينة، واستطاع أن يأخذ الامير نفسه أسيرا ..

فامرت بنفيه بعيدا عن دلهى العاصمة بدلا من قتله ، وجعلته حاكما على اقاليم « الديكان » البعيدة ..

ثم جاء دور الجيش فثار علىالامبراطورة

ولم يكد الأمر بعد هذه الانتصارات يستتب للامبراطورة حتى أحست بانها بدأت تواجه متاعب جديدة اذ تعالت أصوات الغيورين من رجال الجيش مطالبة بالحد من سلطانها وسلطان افراد أسرتها الذين كان بيدهم كل شىء فى البلاد، ولكن نورجيهان سخرت من الأصوات المعارضة وهددت .. الامر الذى جعل « محبات خان » يخرج على طاعتها بايحاء من زوجة ولى العهد المنفى الاميرة « بارفيس » الهندوسية التى لم تخطئها يد الامبراطورة فقبضت عليها وحكم باعدامها فورا !!

الامبراطورة تستدعى قائد الجيش فيأتى ومعه ٥٠٠٠ مقاتل

وأصرت « نورجيهان » على التخلص من الثائر « محبات خان » وأسرت فى نفسها امرا يقضى

بالتخلص منه لتضمن لنفسها راحة واستقرارا .. وسرعان ما ارسلت فى طلبه لتستجوبه فى امور نسبتها اليه ، وامرته ان يحضر لتوه ليجيب عنها ويحاول تبرئة نفسه .

وعرف المغامر الشاب ان الامبراطورة الباطشة قد قلبت له ظهر المجن ، وثارت حفيظتها عليه ، وكبر لديه أن تنتهى حياته على هذه الصورة البسيطة ، وكره ان يسلم نفسه للموت طوعا ، وأحب أن يموت مغامرا كما عاش مغامرا ، وأغرته نفسه بمغامرة خطيرة قد ترفعه أعلا عليين .. أو تهوى به الى قاع الجحيم الذى اعدته له نورجيهان.

الامبراطور والامبراطورة فى قبضة الجيش

وارسلت الامبراطورة تتعجل مقدمه..واستجاب لها .. ولكنه لم يذهب اليها وحده .. بل على رأس خمسة الاف فارس ، كلهم يتحدى الموت ، وكلهم قد باع نفسه لقائده « محبات خان » فهاجموا المعسكر الامبراطورى ليلا ، وهاجموا القصر .. ووقع « جيهانجير » أسيرا فى ايديهم.. اما « نورجيهان » فقد كان سوء حظهم أن أفلتت هاربة عبر النهر حيث جمعت جيشا لجبا لترد به تحية محبات خان ..

وخرج الجيش الامبراطورى وعلى رأسه « نورجيهان » وقد اعتلت ظهر جواد أبيض ـ وخاضت غمار الموقعة وقد وضعت امامها طفلا هو اكبر ابنائها ليثير وجوده الحميةفىنفوس الرجال.

وقاتلت نورجيهان قتال الجبابرة .. وتحدت الموتولكنالحظالذىطالما مشى فى ركابها تخلى عنها هذه المرة ، فاصابتها وجيشها هزيمة نكراء ، فلم تجد بدا من الانسحاب لتحاول مرة أخرى ان تجرب دهاءها النسوى وقد فشلت فى استعمال القوة !!

وتركت نورجيهان قصرها ساعية الى معسكر عدوها الظافر تسأله ان يأخذها أسيرة الى جانب زوجها .. ولم يكن « محبات خان » من السذاجة بحيث يصدق عدوته البالغة الذكاء ، فأبى ان يسمح لها بما ارادت ..

وذهب الى مولاه الأسير يشرح له الأمر، ويفهمه انه ما قام بمغامرته هذه الا ليرد عن نفسه وعن مواطنيه كيد نورجيهان وانها هى وحدها سبب ما تلاحق على ملكه وامبراطوريته من اضطراب ، ووعده بأن يمنحه حريته كاملة على شريطة ان يحاكم زوجته .. فقبل الامبراطور ذلك ووعده به.

خداع

وعاد الجندى الى « نورجيهان » وقد ظن انه انتصر عليها بما أوغر قلب زوجها وما زرعه من حقد وبغضاء ، فابتسمت ساخرة وتظاهرت بانها حنت للعاصفة رأسها وما لبثت ان عادت فى صورة وهيئة جديدتين ..

كانت هذه المرة ذليلة خانعة عليها سمات الأسى والذل وتوسلت الى عدوها محبات خان أن يسمح لها بتقبيل يد زوجها وسيدها العظيم لتستغفره قبل ان تموت ..

واثرت كلمات نورجيهان فى نفس « محبات خان » فسمح لها بلقاء جيهانجير .. ولم تمض ساعات قلائل حتى استردت نورجيهان مكانتها السابقة من قلب زوجها الذى نسى وعده ونسى امر محاكمتها و.. كانت تلك أيضا نهاية الجندى المغامر محبات خان !!

نورجيهان تعود الى السلطان ، والى العمل لبلادها

وهدأت بعد هذه المغامرات امور الدولة واستردت «نورجيهان» سلطانها منجديد ،فسارت بالبلاد من رقى الى رقى ، وعزلت ، وولت ، واشرفت على كل صغيرة وكبيرة ، واستطاعت ان تفعل المعجزات من اجل بلادها وزوجها .. ولكن الشىء الوحيد الذى عجزت امامه هو منع جيهانجير من الشراب ..

ويموت الامبراطور جيهان جير

كان يريد أن ينسى حادث محبات خان وأسره اياه .. كان يريد أن يبعد عن خياله تلك الذكرى المؤلمة فاسرف فى الشراب واخيرا .. وفى حدائق كشمير النضرة الزاهية مات جيهانجير فكان موته افول نجم نور الدنيا .. نورجيهان .. احب الناس واقربهم الى قلبه ..

نورجيهان تستدعى خورام لتولى عرش أبيه

وأرسلت الامبراطورة التى افلت شمس امجادها ـ الى « خورام » ولى العهد المنفى ..

عدوها القديم تستدعيه ، ليرقى عرش أبيه مع زوجته الفاتنة « ممتاز محل » ابنة اخيها عساف وكانت أجمل جميلات عصرها ..

وارتقى « خورام » العرش الهندى باسم «شاه جيهان» ..

وكانت زوجته « ممتاز محل » خير شفيع لعمتها نورجيهان لدى زوجها الامبراطور الذى كان حبه لها يفوق حب أبيه لنورجيهان .. ولكن فى اتزان وتعقل دون أن تضعف ارادته ، أو يوليها أمور البلاد ..

وقضى لزوج أبيه نورجيهان بدخل سخى يتفق ومكانتها ، وحظر عليها أن تقحم نفسها بعد ذلك فى امر من أمور الدولة أو تحاول التدخل فيها .

وكان لتاثيرها عليه أكبر الأثر فى نسيان الماضى الاليم ، وما سببته له زوج أبيه من متاعب وهوان ونفى وتشريد .. نسى الماضى كله من اجلها .. من أجل زوجته المحبوبة ..

وهجرت نورجيهان الحياة العامة .. وبقيت فى عزلتها عزيزة مكرمة ، وان كانت قد فقدت الجمال ، والمجد ، والسلطان .. وتركت ذلك كله راضية لابنة اخيها « ممتاز محل » الشابة الفاتنة التى شيد لها زوجها الامبراطور الشاب « شاه جيهان » أثره الخالد « تاج محل » المقبرةالعظيمة فى « أجرا » ، تمجيدا لذكراها ووفاء منه لحبها ، ولكى لا تغيب صورتها عنه حتى موتها ، وليعترف له العالم بأنه وغيره من الاباطرة المغول ، كانوا سادة فى الحب .. سادة فى الوفاء !!

وفى عام ١٦٤٦ م ماتت « نورجيهان » ودفنت الى جوار زوجها الامبراطور جيهانجير فى المقبرة الفخمة التى شيدها خصيصا لها فى مدينة لاهور ..

وهكذا .. تركت « نورجيهان » فى تاريخ الهند أثرا لا يمحى وفى تاريخ المسلمات الخالدات صحائف من الكفاح كتبت بمداد من نور . ■■

سنية قراعة

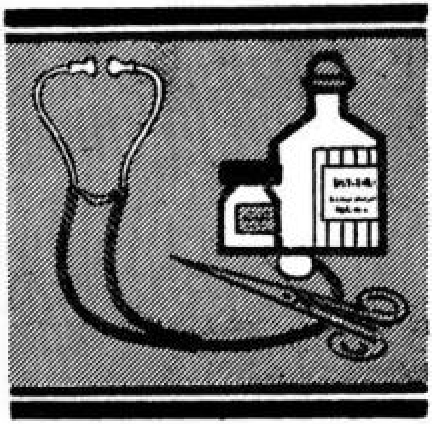

طبيب الأسرة

الغدة الدرقية : عندما يزيد افرازها وينقص

ـ قال الطبيب لأختى الكبرى انعندها مرضا يسمى « مكسيديما » قال عنه انه يكون بسبب نقص فيافراز الغدة الدرقية . وهي ترفض أن تاخذ علاجا لمرضها . فهل رفضها هذااثر من آثار هذا المرض ؟ ثم ما هي الغدة الدرقية ؟

● أظن ان الخير فى ان ابدأ لك بوصف الغدة الدرقية . انهـا غدة توجـد فى الرقبة من أمام ، لها فصان واحد الى اليمين ، يمين القصبة الهوائية ، والآخر الى اليسار . وبينهما برزخ . واسمها بالافرنجية Thyroid Gland ، وهى تفرز هرمونا يعرف بالثيروكسين Thyroxin . وعمل هذه الغدة يتصل بالنمو ، وبناء الجسم ، وما يجرى فيه من هدم . وهذا الهرمون لا بد أن تفرزه الغدة بمقدار معلوم ، يتفق وحال الجسم الذى هى فيه . فان زاد مقداره أصاب صاحبه بالمرض الذى فيه تتضخم الغدة وقد تجحظ فيه العين ، وهـو مرض خطير يؤثر فى القلب ويذهب بالوزن ، وتتدخل الجراحة فى محاولة دفع شره . وكذلك اذا نقص مقدار هـذا الهرمون أصاب الجسم مرض هـو الذى ذكر الطبيب ان اختك مريضة بـه . وهـو مرض من اعراضـه تضخم الجسم ، وزيادة فى الوزن ، وجفاف فى الجلد ، وغلظ فيه ، وضياع الشعر .

ولكن علاج هذا الأخير أيسر كثيرا من علاج سابقه . النقص فى الهرمـون يداوى بتعاطى حبوب بها الهرمون ، ويحصلون عليه بالتحضـير الكيماوي من غـدد الشياه . والعلاج سريع المفعول موثوق

السرطان ، هل هو معد ؟

ـ مات والدى منذ عام بالسرطان ، وخلف الكثير من الملابس ، وأريد أن انتفع بمـا خلفـه من بدل واقمصة وجوارب وغير ذلك. فهل فى هذا ضرر ؟ أم انالسرطان قد ثبت انه يعدى ؟

● لا . لم يثبت أن السرطان يعدي. لهذا لا بأس بك أن تنتفع بما خلف أبوك. ومع هذا فانصح بغلى ما لامس جسمه فى ماء لتطهيره من باب الاحتياط ، لوجود امراض أخرى قد تكون أصابته ولعل هذا يكون من باب طمانة النفس حتى لا تعتريها ريبة ولو كاذبة .

النتيجة ، ولكن يحتاج الى عناية من الطبيب خاصة . فهذا الهرمون يجب ان يعطى بمقدار .

اطلعي اختك على هذا الذى اقول ، فلعلها تؤمن به للذى فيه من رجاء ، وترضى بالعلاج . شفاها الله .

عندى لكنة

ـ انى مصاب بداء التهتهة ، ويقال انهم وجدوا له علاجا حديثا بالتنويم المغناطيسى ، فهل هذا صحيح ؟ واين اجده ؟

● ان التهتهة ، أو التعتعة ، أو اللكنة التى تصيبك عندما تريد أن تتكلم ، فتمنعك من اكمال الكلام ، أو تدفعك الى تكرار كلمة وقفت عندها ، كل هذه الظواهر سببها عدم انسجام بين العضلات التى تخرج الأصوات بالكلمات ، وعجز الأعصاب عن التوفيق فيما بينها . وهذا نوع من العجز تردّ أصوله الى شخصية الرجل او شخصية المراة ، تلك التى كانت لهما فى الصبا . اذن فهى اصول تمتد الى الجذور فى النفس .

والتنويم المغناطيسى ، قد يخفف اللكنة ، ولكنه تخفيف لا يدوم طويلا،وفى هذه الحالة يجب الاستعانة ، مع التنويم، بالعلاج النفسى الذى يصحح ما اختفى تحت أسباب اللكنة من انفعالات متضاربة . وهذا يتوقف على شخص الألكن ، وسنه ، وتهيئه للتعدّل .

وعليك بطبيبك فهو القادر على اعطاء النصيحة الجديرة بك . فقد ينصح بالعلاج بالتدريب على الكلام ، ولهذا طرق مدروسة ، أو ينصح بالعلاج النفسانى ، أو التنويم .

عينى أظلمتْ

ـ أصيبت عينى اليمنى بستار غبّش الرؤية فى عينى ،وزاد الغبش . ونصح لي الطبيب باجراء عملية جراحية . فهل هذه الجراحة ترد عليّ بصرى . وهل هى تنجح ؟

● ان الذي أصابك يسميه أطباءالافرنج الكتركتCataract . ويسميه الأطباء العرب اظلام العين . والأصلفى العين السليمة أن تكون لها عدسة شفافة يدخل منها الضوءبصور الأشياء،ويلقيها على الشبكية فى قاع العين ،فتتم الرؤية . والعدسة تغلظ وترق وفقالقرب الأشياء المنظورة او بعدها عن العين ، لتلقى بالصور واضحة علىالشبكية ، التى هى كشاشة السينما لا بد ان تلقى عليها الصور واضحة .

وهذا المرض يصيب العين فيذهببشف العدسة ، فتعتم ، وتظلم العين، فترى الأشياء غريبة فى أول الأمر ،وترىالشىء متعددا ، وتنتهى الحال بتغبش الرؤية فلا تكاد ترى العين شيئا .

وهذه الحال تصيب الرجال فىالشيخوخة عادة ، فى الخمسين فما بعدها .

والجراحة المطلوبة غاية فى الدقة .وفيها تنزع العدسة بالذى بها من اعتام . ويكتفى فيها عادة بالتخديرالموضعي . وتظل العين تحت القطن اياما ، لا ترى النور .

وبعد نحو الشهرين من العملية لا بدمن عمل نظارة لهذه العين ، محدبة ، لتقوم مقام العدسة المفقودة فى تركيزصور الأشياء البعيدة على الشبكية ، أو اشد تحدبا لتلقىبصور الأشياءالأقرب. اذن تحتاج العين الى اكثر من نظارة .

لبن الثدي أفضل

ـ لاختي طفل ترضعه من لبن ثديها ، ومع هذا يصاب بالاسهال . فكيف يكون هذا ؟ الذى اعتقده ان لبن الثدى هو افضل من الالبان الأخرى جميعا .

● ان الاسهال الذى يصيب الاطفال الذين يُرضعون من اثداء امهاتهم شيء مألوف . ان لبن الثدي يمرُّ في القناة الهضمية للطفل أسرعَ من غيره من الالبان ، وهذا يميل به الى الاسهال . وغير هذا فلبن الثدى فيه سكر ليس بالقليل وهذا يتخمر فى الامعاء الفلاظ ، وهذا التخمر يهيج الامعاء فيكون الاسهال . وهذا الاسهال لا يمكن ان يبلغ بالأم درجةَ القلق من جرائه ، ولا أن يميل بها الى ترك لبن الثدى الى غيره من الألبان .

ثم ان مقدارا قليلا من كربونات الجير، بمقدار ما يحمل الابهام والسبابة ، يُمزَج بالماء فى ملعقة ، ثم يعطاه الطفل عند الرضعة ، جدير بأن يخفف هذا الحال عند الأطفال الذين يعتريهم هذا النوع من الاسهال .

أزمة قلبية

ـ اختى اصيبت بازمة قلبية ،وهى الآن فى دور النقاهة ، فهل من الواجب عليها ان تلزم السرير ؟

● اذا لم ينصح الطبيب ببقائها فى الفراش فليس هناك فى النقاهة التى تصفين داع لذلك . انما لا بد ان تذكرى ان الراحة فى هذه الأحوال ضرورية جدا . فيجب عليك ان تجعلى أختك فى وضع مريح ، وهى متمددة نصف تمدد ، والصدر مرفوع على وسادة . على ان ترتاح فى هذا الوضع ساعات فى النهار . ولا تجعليها تشتغل بشيء يتعب ، ولا ان تعالج الرياضةَ بحال . والزوّار لاتأذنين عليها منهن الا بالقليل ، والا المحبوبين لديها ، وامنعى الكريهين اليها من الدخول عليها . ان راحة الجسم ضرورية ،ولكن كذلك راحة النفس أكثر ضرورة . والزيارة يجب ان تكون قصيرة . شفاها الله .

■■

ابنتى سمينة

ـ لى ابنة عمرها نحو ٨ سنوات ، وطولها ١٣٠ سم ، ووزنها ٨٤ رطلا . وقد نصح لى الطبيب بتخفيف وزنها . وانا عاجزة عن الدخول في تقدير الاغذية بالمقادير التى تعطى الجسم الحرارة لكى اخفف مما تأكل ابنتى . فهل هناك طريقة ابسط لتخفيف الأوزان لا تتصل بالأسعار الحرارية وحسابها لكل وجبة ؟

● الطريقة البسيطة أن تقللي فى الوجبات من النشويات والسكريات ، اى تلك الاجسام الغذائية التى يطلق عليها الكيماويون لفظ الكربوهدرات ، تعبيرا عن تركيبها الكيماوى . هذا فيما يختص بالأطفال. ومعنى هذا الاقلال من الحلوى ، والشكولاتة ، والكعك ، والبسكوت . فالنزول الحاسم بمقدار هذه الأطعمة فى الوجبات يهبط لا شك بوزن ابنتك فى زمن غير طويل . ولكن تأكدى من انه لن يتسرب اليها ، من غير ناحيتك، شيء من هذا ، يأتيها من خالة شفوقة ، أو عم ينقلب قلبه على عقله . وقد يزيد فيقول لك : لا تسمعى كلام الأطباء .

النافورة

قصة بقلم: عبد الكريم الاشتر

■ أمسك ضابط الشرطة بقلمه يضرب به على أصابعه وهو يحدثني بلهجة من يحكي لجليسه حكاية مسلية :

ـ ... كان متدليا من حبل ربطه فى سقف الغرفة الصغيرة ، ووجهه الى الباب ، وفمه ينفرج عن ابتسامة خفيفة ، كأنه كان يتأهب للقاء أحد الأصدقاء .. يقول الطبيب ان الانتحار وقع حوالى الساعة الخامسة صباحا . هل تعرفه منذ زمن طويل ؟

كنت أتطلع فى وجه الضابط بذهول : أيمكن أن تتحدث عن الموت بمثل هذه البساطة ؟ تمتمت:

ـ نعم ... وفارقته الساعة الثانية صباحا !

★★★

كنا حين خرجنا من المعهد أمس مساء ـ فى ليلة الميلاد ـ ندور فى شوارع حى (جاردن سيتى) الدائرية، نريد أن نخلص منها الى النيل القريب. وكان الظلام يبتلع أقدامنا ، كأنه ينبع من الارض و« عدنان » يسير الى جانبى يتطلع قلقا يريد أن ننتهى الى الشاطىء . ولكن الطريق كان ينحنى فى اصرار فيدور بنا من جديد .

فلما خرجنا بعد جهد الى النيل ، وقفنا نتأمل صفحته الغامضة . كانت أنوار الفنادق المطلة تسبح فيها بلهفة، ويتأرجح عليها جسر قصر النيل كأنه أرجوحة ضخمة . ومن بعيد ـ فى وسط النيل ـ كانت مياه النافورة تشب ثم ما تلبث أن تتكسر على صفحة النيل فى عنف . مد « عدنان » يده يشير اليها فى صمت :

ـ انظر !

تسربت الىّ من صوته رهبة غامضة فوقفت أحدق فى النافورة .. كأنى أراها لأول مرة ! كتلة من الحياة ضخمة حارة تنبع من قلب الكون ، وتتسلق السماء كأنها تريد أن تلمس جبهة الله .. لولا أن قدرا نافذا غامضا يقف لها عند الحافة ليضربها بقسوة ، فتترامى فى جلال .. وتهوى من حالق ! ولكنها ما تلبث أن تعاود الكرة فى عناد واصرار لتهوى من جديد يائسة فى صدر النيل .

التفتُّ الى (عدنان) فرأيته ـ مثلى ـ يحدق فى النافورة . ثم ما لبث أن أدار الىّ وجهه وقال :

ـ لن تستريح .. ولكنها لن تصل الى شىء ! ستظل تتكسر عند الحافة !...

وسرنا الى ميدان التحرير ، وسكتنا طويلا ونحن نجتازه ، ومن حولنا يسرع الناس كأنهم يخافون أن تفوتهم مركبة العام المقبل التى تبدأ فى السير بعد ساعات قليلة . وأخذنا نتمهل فى شارع سليمان باشا ، نتطلع فى واجهات المتاجر المزيّنة بشجرات عيد الميلاد الذى كان ، وصور (بابا نويل) بلحيته البيضاء المسترسلة ، وعينيه الضاحكتين الطيبتين . قلت لعدنان :

وأنا أشير الى صورة له كبيرة :

ـ آلهٌ الصغار هذا الطيّبُ الذى يملأ لهم مدافئهم فى الليل بالهدايا .. يخيل الىّ أحيانا أنه آله حقيقى !

فأطلق عدنان ضحكة قصيرة وقال :

ـ انه على كل حال لا يخدعهم !

ـ يخدعهم ؟ ومن يخدع الصغار ؟

ـ الكبار ! ولكنها خديعة مقبولة على أى حال. هم يَسعدون بها . ينامون ليلتهم على أمل وينتظرون شيئا ما فى الصباح . ألا يُسعدك أن تنام ليلة على أمل ؟

وتوقف عدنان قليلا ، كأنه ينتظر جوابا .ثم أردف فى مرارة :

ـ انى أتمنى أن تكون فى حياتى خديعة" مثلُها

.. كنت أظن أننى تنقّيت من حياتى كل خديعة، ثم علمت أننى ورّطت نفسى فى خديعة أكبر منها جميعا ! خيل الىّ زمنا طويلا أننى يجب الا انتظر شيئا ، فليس فى الحياة الا حقيقة واحدة جامدة هى التى أراها بعينى وألمسها بيدى . كنت أقول لنفسى هذا الكلام فى كل يوم ، ولكن احساسا كريها ما يفتأ فى كل يوم يعذبنى ويشعرنى بأنى فقدت الارتباط بمعانى الأشياء من حولى .. كأننى أعيش فى كون خاص ، أصمّ أبكم ، له جدران عالية لا تطل على شىء أحبه وأنتظره ..

أحسستُ فجأة بقلب عدنان يخفق فى يدى كالعصفور الخائف ، فوضعت يدى فى يده كأنى أشعره بالحنان وتساءلت فى رفق :

ــ وما يمنع أن تعود الى عالمك الأول ؟

فهز رأسه فى أسى وقال :

ــ فقدت الطريق .. لم أعد أملك القدرة على التعلق بشىء !

وقطعنا الطريق الى الرصيف الآخر ، فى شارع ٢٦ يوليو ، فطالعنا ملهى"صغير" مختبىء فى الزقاق الضيق ، وراء سينما (ريفولى) . وتقدم خادم أسود بعمامة وديعة فاحنى رأسه فى خفة وألفة ، وهو يفتح لنا الباب بيده اليسرى .. همس عدنان :

ــ أنظر فى وجهه .. لن ترى فى عينيه فضول الطفولة أبدا .. انه يشبهنى : العالم عنده

مَعْبَرٌ ينبغي ان يقف على بابه فلا يتخطاه ابدا !

ولم نلبث أن طالعتنا سحب خفيفة من الدخان. ورشقتنا واحدة من الجالسات على حافة المشرب بكرة صغيرة من الورق الأزرق كرت خيوطهـــا الطويلة على كتفينا ، فتقدم عدنانُ منها وربّت على خدها ، فتعلقت برقبته تجره اليها .

وفي الركن احتضن رجل متقدم في السن امراة شقراء ، فاخذت تمسح بيدها على شعره الابيض بعناية بالغة ، ثم اختطفت طرطورا احمر فوضعته على راسه وانفجرت في ضحكة خابية .

همستُ وانا أجيل نظري في الملهى :

ــ ماذا يفعلون هنا ؟

فردَّ عدنان وهو يبتسم ساخرا :

ــ يشيّعون العام الذاهب !

ومال العجوز في هذه اللحظة فشرب ما تبقى من كاسه دفعة واحدة ، ثم دفن راسه في صدر صاحبته كانه يحتمي بها !

تمتم عدنان وهو ينظر اليه :

ــ مهزوم آخر !

فتساءلت في حيرة :

ــ ومن المنتصر ؟

ــ القادرون على الحب .. على الارتبـــاط بشيء حقيقي ؟

واقبلت علينا فتاة صغيرة سمراء زيّنتْ راسها بطرطور مزركش ، وبيدها طرطوران ، فابتسمت لنا بدلال ثم ركزت الطرطورين على راسينا ومالت تنظر الينا وقد شملتها فرحة مفاجئة ، فطوق عدنان رقبتها ، وتسللت أصابعه تدغدغ كتفيها . ثم مال عليها يقبلها ، كانه يوشك ان ياكلها ، فتملصت من يده بخفة وهي تضحك . ثم عادت فالقت براسها على كتفه ، وبدات تلحس رقبته تحت الأذن ، وتهر كالقطة :

ــ من أي بلد ؟

فاجابها عدنان وهو يغمز بعينه :

ــ من حلب .

ــ حلب !

ولفتت راسها قليلا تتطلع فيَّ ، فابتســمت وقلت :

ــ صدّقيه ... حلب مدينة كبيرة يأتي منها ناس كثيرون !

فارخت جفنيها في ملل ، كانها تذكرت ان الأمر لا يعنيها كثيرا ثم قالت بصوت حاولت ان تحمّله عاطفتها كلها :

ــ انا على كل حال احب أهل حلب كثيرا !

فانفجر عدنان يضحـــك بعصبية حتى ازاح راسها عن كتفه ، فاستوت تسوّي شعرها وهي تنهض معتذرة . والتفت الي عدنان يتناول كاسين اخريين ، ويتابع حديثه الذي قطعته الفتاة :

ــ ... القادرون على أن يحبوا حبا حقيقيـا لا يفشلون ابدا ، لانهم يعرفون طريقهم جيدا . يهديهم اليها الحب الذي يجدّد نفوسهم كل يوم. فاما نحن فلا تتجدّد نفوسنا ، ولا نعرف لنـا طريقا نسلكها . اننا مثل هــذه الفتاة التي تستوي عندها البلادُ !

وجرع عدنان جرعة كبيرة تقبّض لها وجهه ، وعاد يقول :

ــ اننا نشق بحرا ليس له شواطىء ، فليس لنا ميناء نرسو فيه . أملنا الوحيد ان نغرق يوما فنستريح !

وكان حديث عدنان قد شملني، فاخذت أحدّق في عينيه الحمراوين اليائستين وانا اتمتم :

ــ احساس رهيب .. كيف تعيشون ؟

ــ وماذا تصنع ؟ بعضنا لا يطيق أن يظـل معلقا من اذنيه، فيقطع الحبل .. وبعضنا لا يجرؤ فيبقى حتى يختنق .

ورفع عدنان يده الى عنقه يتحسسها، ثم تناول الكاس في هياج فافرغها في جوفه . وبدت في عينيه نظرة ذئب جائع ، واخذ يتلفت حوله كانه يبحث عن شيء ... فاصطدمت عيناه باشرطة الـورق الملونة وزجاجات الخمر ، وتحوّلتا الى العجوز القابع في الركن يتطلع الى فتاته في بلاهة وقنوط. فنهض عدنان في بطء وتقدم الى المشرب ينظر في وجوه الناس ، ثم تحول الى العجوز ينقل اليه خطواته الثقيلة وقد انطبق فكاه وجحظت عيناه .

ورآه العجوز يقترب على هذه الحال فتراخت يده عن الفتاة وارتسم على وجهه رُعبٌ صامت، وتعلقت عيناه به . وخيّل اليَّ لحظة أن العالم

كله سكت من حولنا كأنه ينتظر الساعة الفاصلة. وتسمر الناس في مواضعهم ينظرون الى عدنان وهو يقترب من العجوز .

ووقف (عدنان) أمام العجوز لحظة وأخذ يتفرس في عينيه ، ثم رفع يده بالكأس كأنه يريد أن يضرب رأس العجوز بها .. وفي هذه اللحظة دوت دقات الساعة تعلن دخول العام الجديد ، فتراخت يد (عدنان) وضج الناس وتحلقوا حوله يحجزونه ويدفعونه الى مقعده . فالتفت الي يقول :

ـ الأغبياء ! .. ماذا ينتظرون ؟ ماذا ينتظر هذا العجوز ؟ .. كنت أريد أن أسأله !

واطرق برأسه الى الأرض والناس من حولنا يرقصون ويهزجون . فلما خرجنا من الملهى كانت الساعة قد جاوزت الواحدة والنصف . وما كدنا نقطع ميدان التحرير حتى بدت لنا النافورة من بعيد في وسط النيل ، بيضاء شامخة تتعالى كأنها تريد أن تتسلق السماء .. ولكنها ما تلبث أن تتكسر عند الحافة ، فتتهاوى في يأس رائع . وكان النيل من حولها هادئا معتما لا يعبأ بشيء .

★★★

وتناهى الى سمعي في هذه اللحظة صوت الضابط يخاطبني قائلا :

ـ ... ولكن يخيل الي أن الأسباب عاطفية ! ألا تعتقد ذلك ؟ هؤلاء الشباب ما أكثر ما يحبون وما أسرع ما يقتلهم الحب !

بدأت أحرك لساني في فمي لأقول شيئا ، ولكن غشاوة حجبت عن عيني كل شيء ، فأخذت أتمتم دون وعي :

ـ الحب !! ...

عدنان ! .. الحب ! .. ■■

عبد الكريم الاشتر

معهد الدراسات العربية العالية ـ القاهرة

طرائف عربيّة

دعوة المظلوم لا ترد

● قال صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها ابواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ، ولو بعد حين » .

لئام الناس

« جنب كرامتك اللئام ، فانك ان احسنت اليهم لم يشكروا ، وان نزلت بهم شدة لم يصبروا » .

(الثعالبي)

أمنيـــة

ولما نزلنا منزلاً طلَّهُ الندى أنيقاً ، وبستاناً من النَّوْرِ حاليا
أجَدَّ لنا طيبُ المكان وحُسْنُهُ منىً ، فتمنَّيْنا ، فكنتِ الأمانيا

(ابو بكر الزهري)

رائحة الأماني

● جاع ابن عتيق يوما فقال : يا ليت لنا لحما فنطبخ سكباجا .

وسمعه احد الجيران ، فارسل اليه قطعة كبيرة من اللحم .

فقال ابن عتيق لزوجه : هيا اطبخي لنا طعاما شهيا .. فان جيراننا يشمون رائحة الأماني !!

خاطبـة

● قالت احدى النساء لرجل : عندي امراة كأنها طاقة نرجس .

فتزوجها ، فاذا هي عجوز قبيحة ، فقال للخاطبة : غششتني !

فقالت : لا والله ، أنا شبهتها بطاقة نرجس ، لأن شعرها ابيض ، ووجهها اصفر ، وساقها خضراء !!

سائق حمار

● مر بعض الأمراء بغلام يسوق حمارا ، وقد عنّف عليه في السّوق .

فقال : يا غلام ارفقْ به .

فقال الغلام : أيها الأمير ، في الرفق به مضرة عليه .

قال : وما مضرته ؟

قال : يطول طريقه ، ويشتد جوعه ، وفي العنف به احسان اليه .

قال : وما الاحسان اليه ؟

قال : يخف حمله ، ويطول أكله .

فاعجب الأمير بكلامه وقال له : قد امرت لك بالف درهم .

علاج المكاره

المكاره قسمان : قسم فيه حيلة ، فالاحتيال دواؤه ، وقسم لا حيلة فيه ، فالصبر شفاؤه.

أقوال للأحنف بن قيس

● **من** لم يصبر على كلمة سمع كلمات.

● **وقيل** له : من السيد ؟ قال : الذى اذا اقبل هابوه ، واذا ادبر عابوه .

● **من** تسرع الى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

أقطعنى لحيتي

● كان الحريرى صاحب «المقامات» كثير العبث بلحيته . وكان طويل المجالسة لأمير البصرة . ومرة توعده الأمير ونهاه . فكان الحريرى بعد ذلك يجلس كالمقيد بالأصفاد . وتكلم يوما بكلام أعجب الأمير .

فسأله:ماذا تريد ان اقطعك يا حريرى:

فأجابه فورا : اقطعنى لحيتى !

البصرة فى دارى ؟!

● ذكر ان رجلا سأل معاوية أن يساعده فى بناء داره باثنى عشر الف جذع من الخشب .

فقال له معاوية : « اين دارك ؟ » .

قال : « بالبصرة » . .

قال : « وكم اتساعها ؟ ».

قال : فرسخان فى فرسخين .. » .

قال : « لا تقل دارى بالبصرة، ولكن قل، البصرة فى دارى !!».

يتولى منصب وزارة

فقال : رزق مقدور ، وواهب مأجور .

قال : وقد أمرت باثبات اسمك فى جيشى.

فقال : كفيت مؤونة ، ورزقت بها معونة .

قال : لولا انك حديث السن لاستوزرتك .

قال : لن يعدم الفضل من رزق العقل .

قال : فهل تصلح لذلك ؟

قال : انما يكون المدح والذم بعد التجربة ، ولا يعرف الانسان حتى يبلوها .

فاستوزره فوجده ذا رأى صائب وفهم رحيب ، ومشورة تقع مواقع التوفيق .

أحب الناس

● احبكم الى الله انفعكم لعياله .

(حديث شريف)

طبيب عيون خفيف الروح

● كان فى القاهرة كحال ـ طبيب عيون ـ يدعى شمس الدين ابن دانيال. ومرة سأله سائل لا يعرفه : ما حرفتك؟ وبأى شيء تكتسب ؟

فأجابه :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى
واضيعتى فيهم وافلاسى !!
ما حال مَنْ درهمٌ انفاقه
يأخذه من اعين الناس ؟!

دردشة

طريقة لابطال الجرائم

* سئل صولون حكيم أثينا الشهير :
ـ كيف يمكن ابطال الجرائم والتعدى فى اى بلد ؟
فأجاب :
ـ أنها تبطل وتلعن حين يشعر الذين لم يحل بهم اثم التعدى والجرائم ، بما يشعر به الذين يقاسونها .

(روزيتى)

بيت سقراط

● بنى سقراط لنفسه بيتا صغيرا ، فجاءه جيرانه يقولون له :
ـ ان منزلك صغير ، فلماذا بنيته هكذا ؟
فقال سقراط :
ـ انه صغير حقيقة .. ولكنى أعد نفسى سعيدا اذا استطعت ان املاه بالأصدقاء المخلصين !

الرجال كالنبيذ

● الرجال كالنبيذ : الزمن يفسد الردىء منه ويزيد فى جودة الطيب.

ذكـاء

● دخلت سيدة محلا لبيع الفراء ، وكلف صاحب المحل احد الموظفين للاهتمام بطلباتها .. وبعد أن القت نظرة فاحصة على موجودات المحل اختارت معطفا غالي الثمن ووضعته على كتفيها وقالت للموظف :

ـ انه هدية عيد ميلادى من زوجى ، وسآخذه ، فأرجو تقييده على الحساب .. حساب زوجى مستر هيجبى . ثم خرجت .

وذهب الموظف الى صاحب المحل ، وأبلغه أن يسجل ثمن المعطف على حساب الزوج ، ولكن صاحب المحل استغرب وقال : انى لا اعرفها ، ولا اعرف زوجها ، ولم أر وجهها قط من قبل .

ولجأ الى دليل الهاتف لمعرفة مستر هيجبى ، ولكنه وجد اربعة اشخاص يحملون الاسم نفسه ، فارسل الى كل واحد منهم فاتورة بالحساب .. وبرجوع البريد تسلم صاحب المحل ردود ثلاثة منهم ، وبداخل كل رد ثمن المعطف !!

دائما هي السبب !

● اذا بكت المرأة تصدعت لها الأفئدة ، واذا ابتسمت سلبت العقول ، فهي دائما سبب تعكير صفونا .

(شوبنهور)

اغتسـال

● ان فترة يقضيها الانسان فى البكاء اشبه شىء بارسال قلبه للاغتسال ، وما احوج قلوبا كثيرة الى الاغتسال .

وجهات نظر

* من السهل على الرجل ان يتذرع بالصبر مع المرأة الحمقاء ، اذا كانت جميلة .. واذا لم يكن متزوجا بها .

* من الأشياء الكثيرة التي لن نفهمها ابدا عن النساء هي : « لماذا تصر النساء على لبس أغلى الجوارب التي لا يراها أحد حينما يلبسنها » ؟

* في أيامنا هذه لا يحترم الناس الاشياء العتيقة الا اذا كانت معبأة في زجاجات .

* ان أخطاء الماضي تقلقنا دائما ، خصوصا في الليل حينما نرقد في فراشنا ويطير النوم من أجفاننا ... ونتذكر تلك الأخطاء ، ونتمنى أن يعود الشباب لنكرر ارتكاب تلك الأخطاء .

شابة في التسعين من عمرها

● « من الاشياء القليلة التي استاء منها حينما يخاطبني الناس بالهاتف لتحديد موعد لزيارتي والدردشة معي عن ايام زمان .

« انني لا اشعر بانني بلغت من العمر عتيا حتى اهتم بالماضي .. انني اهتم بالحاضر..وفي الواقع، فانني دائما اتطلع الى المستقبل » .

ادا ريف
الممثلة البريطانية
التي بلغت التسعين من العمر

الحرية

● تمسكوا بالحرية ، وبالتضامن الانساني في ظل الحرية ، وعندها من ظلماتكم سوف يخرج نور،ومن قذارتكم سوف تتطهرون .

(سارتر)

سخرية لاذعة

● جرى الحديث التلفوني التالي بين الكاتب الانجليزي الشهير برنارد شو ، وصديقه الكاتب والممثل الشهير نويل كوارد . وقد بدا شو المحادثة بقوله :

ـ كوارد ، اريد ان اراك .

ـ قريبا ان شاء الله .

ـ هل تتناول الغداء معي ؟

ـ آسف.انني سأتغدى مع البرنس اوف ويلز.

ـ اذا لنشرب الشاي معا .

ـ آسف . انني سأشرب الشاي مع البرنس اوف ويلز .

ـ العشاء اذا .

ـ آسف ايضا ، يا برنارد، سأتعشى مع البرنس اوف ويلز .

ـ يا عزيزي كوارد ، اعلم انك مهما صنعت ، ومهما تقربت من ولي العهد ، فانك لن تصبح في يوم من الايام ملكة بريطانيا !!

علامة الثقة
FAVRE-LEUBA
GENEVE
1815
ساعات
فاڤر - لوبا
فخر الصناعة السويسرية
الوكلاء العامون
العراق عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد
البحرين يوسف احمد الساعي وشركاه
شارع باريت ص.ب ٢١٨
الكويت
محمد عبد الله الشهاب
شارع عبد الله السالم (الشارع الجديد سابقا)
ص.ب ٢٣٨ - تلفون ٢٣٢٢٥
الفرع الجديد شارع فهد السالم تلفون ٥٣٤١

مِنْ رَوائِعِ الشِّعْر

قلبٌ كبيرٌ

المُقَنَّع الكِنْدِي :

« كان المقنع الكِنْدى أجمل الناس وجها ، وأمدهم قامة ، وأكملهم خلقا . قيل انه سفر عن وجهه فاصابته العين ، فكان لا يمشي الا مقنعا » .

يُعَاتِبُنِي في الدَّيْنِ قَوْمي ، وإنَّما ... دُيُونِي في أشْياءَ تُكسِبُهم حَمْدا
أسُدُّ بِهِ ما قد أخَلُّوا وضَيَّعوا ... ثُغورَ حقوقٍ ما أطاقُوا لها سَدّا
وفي جَفْنَةٍ (١) ما يُغلَق البابُ دونَها ... مكلَّلةٍ لَحْماً ، مُدَفَّقَةٍ ثَرْدا (٢)
وفي فَرَسٍ نَهْدٍ (٣) عتيقٍ جعلْتُه ... حِجاباً لِبَيْتِي ، ثم أخْدَمْتُه عَبْدا
وإن الَّذى بيني وبَيْنَ بَنِي أبي ... وبَيْنَ بَنِي عَمِّي لمخْتلِفٌ جِدّا
فإنْ أكَلُوا لَحْمي وفَرْتُ لُحومَهم ... وإنْ هَدَمُوا مَجْدى بَنَيْتُ لَهم مَجْدا
وإن ضَيَّعوا غَيْبِي حفظْتُ غُيوبَهم ... وإنْ هُم هَوَوْا غَيِّي هَوِيتُ لَهم رُشْدا
وإنْ زَجَروا طَيْرا بِنَحْسٍ تَمرُّ بِي ... زجَرتُ لهُم طَيْراً تمرُّ بهِم سَعْدا
ولا أحْمِلُ الحِقْدَ القَديمَ عليْهِمُ ... ولَيْسَ رَئيسُ القومِ مَنْ يحمِلُ الحِقْدا
ولَيْسوا إلى نَصْرى سِراعاً ، وإن هُمُ ... دَعَوْنى إلى نصْرٍ ، أتَيْتُهم شَدّا
وإنّي لَعبْدُ الضَّيفِ ما دامَ ثاوِيا ... وَما شِيمَةٌ لِي غَيْرها تُشْبِه العَبْدا

المقنع الكِنْدِي

---

(١) الجفنة : القصعة الكبيرة للطعام .
(٢) الثرد : الثريد ، اى الخبز المفتوت فى المرق
(٣) الفرس النهد : الجميل العالى

مَوْلد المَسْرَح الكويتى

● نقطة انطلاق جديدة فى حياة الكويت

● وحدث له قيمته فى تحرر المرأة الكويتية

فيلم ملون تصوير عبد الناصر شقرة

المنجم منارة (عبد الحسين عبد الرضا)وهو يطلق البخور ويتمتم بالتعاويذ ، أمام رجال الشرطة الذين وفدوا للقبض على عبد الرحمن الأموى ، ليصرفهم عن تحقيق ما يريدون .

بقلم : زكى طليمات

حينما كنت فى القاهرة أحزم حقائبى للقدوم الى الكويت ، مستجيبا لدعوة كريمة من جانب وزارة الشئون الاجتماعية والعمل لأن أتولى أمر توجيه النشاط المسرحي الذى تشرف عليه ، وأرسى أسسا صحيحة فى فنون التمثيل .. كان تساؤل الناس يحوطنى من كل جانب ، وكأننى مقدم على مجازفة خطيرة .. أو معركة غير متكافئة .

ومن مشفق .. ما عسى أن أفعل فى قطر حديث العهد بالتحرر الاجتماعى كما تفهمه الحياة الحديثة وبسفور المرأة خاصة .. والمعلوم أنه عسير كل العسر أن تقوم قائمة للمسرح فى قطر يحكمه الحفاظ والمحافظة ..

رواح (مريم صالح) تلقت ضربة الخنجر الموجهة الى عبد الرحمن الأموى بصدرها مفتدية اياه بنفسها ، وها هى تجود بآخر أنفاسها بين يدى عبد الرحمن (زكى طليمات) وسابق بن مالك (حسين الصالح).

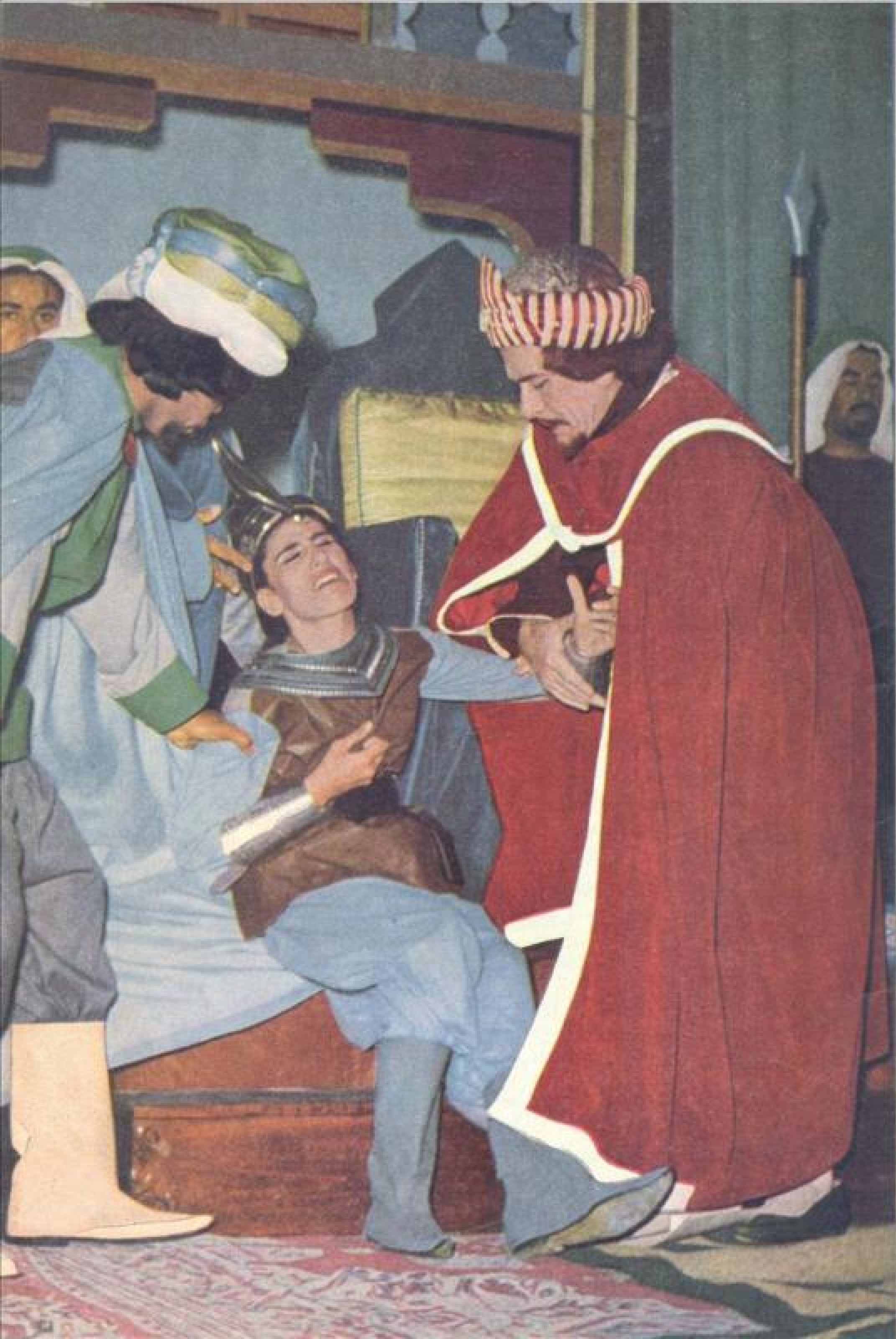

ومن ساخر يتمتم .. كيف ارضى ان ألملم قامتي واكورها داخل قوقعة ، اذ اعمل فى مسرح ما زال الرجال فيه يقومون بأدوار النساء على المسرح ، وعهد الساخر بى انى رجل مسرح لا ارضى بانصاف الحلول فى شئون الفن !!!

كل هذا كان يَطِنُّ فى اذنى ، ولكن لألقيه دبر اذنى ، كان هناك امران امتلأت بهما نفسى ...

حق وصدق اننى امام تجربة قاسية ومثيرة .. ولكن ما الجديد فى الأمر ؟ حياتى فى المسرح ، كلها تجارب قاسية ومثيرة ، ولم اخرج من احداها بمال ادخرته ، اذ ما زلت حتى الآن اركب قدمى اينما سرت ، وان خرجت من هذه التجارب بنشوة البانى الذى يزهو بانه رفع بناء واشاد ..

والامر الآخر ، ثقة يشوبها التفاؤل فى الكويت واهله .. لقد زرت الكويت منذ ثلاث سنوات وعشت فى جنباته ثلاثة اشهر ، وبهرتنى نهضته التعليمية ، ومظاهر تقدمه فى العمران ، وبوادر اصراره ، حكومة وشعبا ، على تطوير مجتمعه وتنميته .. عرفته قطرا يفيق من سباته ويخرج بجسمه من الرمال ، وقد اعطى سمعه وبصره الى ما يدور فى انحاء العالم ، فاذا هو يعيش فى انتفاضات لا تنقطع ، واذا هو يمتلىء رغبة واصرارا على أن يحيا حياته ، وعلى ان يتدارك ما فاته ، وعلى أن تكون له حياة عريضة بين الأمم الناهضة.

ازاء هذا كله ، كنت واثقا من اننى ساحدث حدثا ، اقل ما ينتهى اليه ، انه يضىء شمعة فى ظلام .. ان يرسى لبنة فى جدار .. ان يشق حقلا جديدا فى قطاع المسرح الناشىء فى قطر همَّ يستكمل يقظته .

ان الذى يستفيق من سبات ، لا بد أن ينبرى تلقائيا الى التعبير عما يدخل حسه .. والجماعات شأنها شأن الافراد ، الا ان ما يشغل الجماعات يتجاوز الشئون الخاصة الى الشئون العامة .. الى مشاكل الحياة فى قطاعاتها الكبيرة ، الى مناقشة الواقع ابتغاء حياة افضل .. وليس كالمسرح مجال للتعبير وليس كالمسرح حومة تتلاحم فيها الآراء وتتعارك ..

من تاريخ المسرح العربى

والمستقصى تاريخ المسرح باللسان العربى او باللهجات الاقليمية، وذلك فى الاقطار العربية التى استجابت الى المسرح ، يعلم حق العلم أن المسرح لم يقم فى تلك الأقطار الا بعد أن استكملت يقظتها، واحست ذاتيتها ، على وقع الاحداث وبفعل انتشار التعليم ، وليس قبل ذلك .

والأمثلة نسوقها تأكيدا لما نذهب اليه ..

فلبنان ، ووادى النيل ، وسوريا ، والشمال الافريقى ، وهى الأقطار العربية الأولى التى قامت فيها مظاهر العرض التمثيلى باللسان العربى ، لم تتخذ من المسرح منبرا ، وحومة نقاش لما يدق فى واعيتها ، لم تعن بالمسرح ، هذا الوافد الحديث من الضفة الاخرى من البحر المتوسط ، الا فى منتصف القرن الماضى ، بعد أن تفاعل الوعى العام فيها بيقظات فكرية ، وانتفاضات قومية، تعمل على تخليص الذات وابراز طابع الشخصية ، الا بعد احداث سياسية خارجية عصفت بهذا الوعى ، قسوة وجبروتا ، فاحيت فيها نزعة الى تحطيم قيود الاستعمار والظلم وانطلقت جامحة بعامل الدفاع عن النفس ، والحق فى الحرية والحياة .. احداث وانتفاضات عاشتها هذه الأقطار منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر .

والذى لا شك فيه أن هذه الأقطار تعرفت الى فن المسرح قبل ذلك العهد بكثير ، تعرفت اليه يجرى باللغات الأجنبية ، وذلك عن طريق الفرق الأجنبية ، التى كان يستقدمها الولاة والحكام للترفيه عن ضيوفهم من الاجانب ، ثم عن طريق حفلات التمثيل التى كانت تحييها مراكز التبشير والمعاهد الأجنبية ... ولكن هذه الاقطار لم تحاول أن تقلد ما رأته وتتخذه نِحلة وافدة . ومن المعلوم والمقرر ، أن الأمم المغلوبة تأخذ الكثير من نِحَل الأمم الغالبة ، لم تحاول هذه الاقطار ان تتخذ من المسرح اسلوبا لمعالجة شئون حياتها القائمة..لسبب واحدوهو أن الوعى العام لم يكن قد استكمل أسباب يقظته ونضج ادراكه .. جمد الوعى ــ اذذاك ــ عن تقييم المسرح حتى كمجال للترفيه ، وان وسع الوعى أن يستقبل مُعطيات اوروبا فى اللباس والأزياء والعادات الاجتماعية .

والمقام يضيق اذا اجرينا القلم يحدد ويجزم

اي الأقطار العربية السابقة ، تقدم الآخر في اعتناق هذا الفن الوافد الدخيل . وما هي الأسباب التي عملت على أن ينمو هذا الفن ويزدهر ويستأصل في قطر دون الآخر ... ثم لماذا لم يكن المسرح من شغل العرب ، لا في الجاهلية ولا في الاسلام ، بدليل انه لم يعثر حتى الآن على نص مكتوب لمسرحية عربية فيما خلفه التراث العربي في الأدب ، على زخارته وتنوع الوانه ، كما ان الكشف الأثري لم ينفض بعد الركام عن بقايا دار للتمثيل في الحفائر العربية القديمة ...

حسبي فيما أوردته عبرا ، ما يؤكد ان المسرح لم يقم في قطر عربي الا وتكون قد سبقت قيامه يقظة" هزته في أوصاله وتمشت في كيانه ، ومن هنا انبثق حسن ظني في الكويت المتفتح الناهض ، ثم جاءت ثقتي في ان تجربتي الفنية فيه ستكون مثمرة وخيرة .

عود الى بدء

ساءلت نفسي :

ماذا في الكويت من مظاهر النشاط المسرحي ؟

ثم ماذا تريده الكويت مني على وجه التحقيق ؟

مظاهر النشاط هنا تكاد تنحصر في الحفلات التمثيلية التي يحييها الطلاب بين جدران المدارس ... ثم في الحفلات القليلة التي يقدمها « المسرح الشعبي » ، وأعضاؤه أيضا من هواة التمثيل ، وهي حفلات يحضرها الجمهور بالدعوات المجانية ، وتجرى غير متتابعة .. وتقدم مسرحيات مرتجلة باللهجة الكويتية ، تعالج الأحوال القائمة في أسلوب فني متعثر ، ليس له من المسرحية الحقة الا المظهر ، وليس لهذه المسرحيات نصوص مكتوبة يتقيد بها الممثلون .. هذا والأداء التمثيلي يجرى من جانب الممثلين دون تقيد محكم فيما يبدونه كلاما وايماءة وحركة تبعا لمقاييس ومعايير تستمد قيمها من موضوع المسرحية ومن الانفعالات التي تجرى في شخوصها ...

ومع هذا ، فان الجمهور يستمتع بهذه الحفلات اذ لا يجد غيرها مجالا للتنفيس وللتعبير عما يحسه .

وفي جميع ما تقدم ذكره من مظاهر النشاط المسرحي ، يقوم الرجال بادوار النساء ، لان العرف السائد في نواحيه المتزمتة ، يحول دون أن تعتلي المرأة المسرح الى جانب الرجل ، حتى ولو كانت من غير نساء الكويت .

الا ان ما تقدم ذكره ، وان بدا نسيجا مفككا غير وثيق في لحمته وسداه ، ففيه الشيء الكثير .. فيه ارهاصات مكينة لقيام مسرح حق .. فيه الممثل الذي يعبر ، وفيه الجمهور الذي ينصت ، دعامتان من ثلاث تعتبر الأساس في كيان كل مسرح ..

وليس عجبا أن يقوم مسرح من غير ان تكون له مسرحيات يؤلفها ناسه وتعالج شئونهم ، فالمسرح في الشرق العربي قام اول ما قام على هذا النحو بحكم انه دخيل ومستحدث ، وليس له اصل في الأدب العربي ، ثم تطور مع الزمن ، فاذا المسرحية الأصيلة المؤلفة ، تحل مكان المسرحيات التي كان يقتصبها الكتاب العرب من الأدب الاوروبي ، باسم التعريب او التمصير ..

وفي هذه الظاهرة يختلف مسرحنا العربي عن المسرح الغربي ، اذ قامت المسرحية في المسرح الغربي قبل انشاء دور التمثيل ، ومرجع هذا ، ان المسرحية تؤلف شعبة عريقة في الأدب الغربي منذ عهد قدامى اليونان ، كما انها اتصلت قبل ذلك بمراسم الدين .

على ضوء ما تقدم تتضح مهمتي فيما يريده مني الكويت لمسرحه الناشيء .

الخطوة الأولى

وقد اتخذتها قبيل قدومي الى الكويت ، اذ وافق الكرام المسئولون على أن استقدم معي من القاهرة ممثلتين محترفتين ، وهيئة ممن يديرون الحركة المسرحية ، فاخترت السيدتين : زوزو حمدي الحكيم ، وجيهان رمزي ، وكلتاهما من تلاميذي ، للاولى خبرة وماض مشرف في خدمة المسرح ، وللاخرى استعداد خصب يبشر .

واخذنا نعمل ... اقول (نحن) ولست (انا) وحدي .. فاذا قلت نحن ، فانني اعني

في البيت المتهدم بضاحية لفرسبته حيث آوى عبد الرحمن الخادم ميمون (على البريكي) يقول ان الجنود العباسيين قبضوا على عبد الرحمن وساقوه الى السجن ، ويري ونوسى صاحب الدار (عبد الوهاب سلطان) جالساً،والى جواره رواح (مريم صالح) تقدم لميمون قدحا من الماء يطفىء به ظمأه،

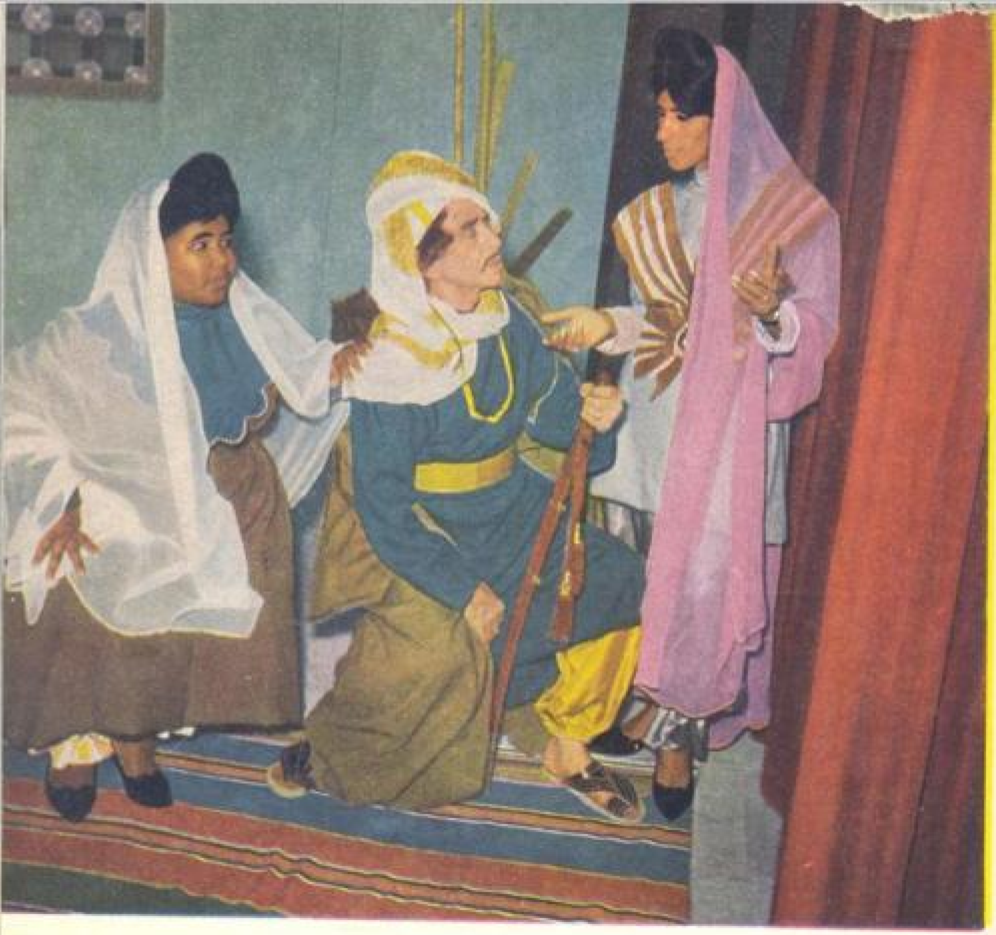

عبد الرحمن (زكي طليمات) بين رواح (مريم صالح) وتكفات (مريم غضبان)الممثلتين الكويتيتين، وذلك في بداية المسرحية .

عبد الرحمن يرأس مجلس النظر في ظلامات الناس وقضاء حاجاتهم .. ونراه يتحدث الى كاتم سره سابق بن مالك (حسين الصالح) ونرى (مريم صالح) الكويتية الى اقصى اليسار وقد ارتدت ملابس الجند لتروق لعبد الرحمن ولتكون الى جواره .. انها تحبه من غير أمل .

المسئولين فى الوزارة ، ومن اجريت ذكرهم ، ثم اعضاء الفرقة (فرقة المسرح العربي) الذين اخترتهم من الشباب الكويتي والعربى ..

الفرقة تتألف

اعلنت عن حاجتى الى شباب يعمل بالفرقة .. التى ترعاها الوزارة وتشرف عليها ، فتقدم اكثر من مائتين وخمسين شابا ، ولم تتقدم فتاة كويتية واحدة .. واستغرق امر اختيار الصالح منهم ثلاثة اسابيع ، اذ ان الرغبة وحدها فى أن تصبح ممثلا ، لا تفيد ما لم يكن وراءها استعداد فطرى لتلقى فنون المسرح ..

وفى اثناء هذه الفترة ، وقد دوت أبواق الدعاية للفرقة الناشئة عن طريق الراديو والتلفزيون ، وبعد محاضرات عدة القيتها فى شأن المسرح ، فى ماهيته ، وفى ان اهدافه تحرر وتثقيف وليست تحللا وتزييفا .. وقعت أعجوبة !!

تقدمت فتاتان كويتيتان،تعملان موظفتين فىوزارة الصحة ، لتعملا ممثلتين على الرغم من تزمت المتزمتين .. فعانقت فى قدومهما الأمل الحلو فى نجاح مهمتى ، كما ازددت ثقة فى ان الكويت على ابواب تطور اجتماعى فى حياة المراة .

وتم اختيار المتقدمين من الشباب الكويتي .. عددهم أربعون .. وليسوا من اتباع « علي بابا » بل هم شباب جرىء ملىء بالرغبة فى ان يجعل للمسرح شأنا فى بلاده .

لماذا اخترت « صقر قريش » ؟

رسمت الوزارة مهمة (المسرح العربى) بأن تكون مسرحياته ، أول ما تكون ، لاحياء أمجاد

أصحاب المعالى الوزراء يصفقون للممثلين الذين أجادوا أداء أدوارهم ، وذلك فى حفلة الافتتاح .

الفصل الثاني : عبد الرحمن الأموى (زكى طليمات) يستمع الى رسول ابى الرماح « يوسف مصطفى الخطيب » وهو يعلن شروط التعاون مع عبد الرحمن ، للخلاص من الزعماء الذين يتنازعون السلطان ، ولا يبالون بأن يضربوا بمصالح البلاد عرض الحائط .
كانت خطة عبد الرحمن ، أن يقضي على هذا التنازع لينقذ البلاد . وتقضى هذه الخطة بأن يضرب الزعماء بعضهم ببعض .
ويرى الى جانب الرسول ، ابن عثمان ، وابن خالد « محمد رجب وعباس عبد الرضا » .

العروبة ، واعلاء البيان الفصيح ، وحبذت ما رسمته ، باعتبار ان الأمة العربية اليوم ، وهى تصنع تاريخها الحديث ، فى حاجة الى أن تستمع الى احاديث البطولة العربية وأن تطالع بعضا من وجوهها لتستهدى وتعتبر ..

ولكن اى بطل اقدم .. وأى صفحة من التاريخ اعرض ؟

ثم القيمة الأدبية ، والفنية للمسرحية التى يجب أن تكون عليها مسرحية الافتتاح ؟؟

ثم جزمت فى الأمر ، فاخترت مسرحية « صقر قريش » للكاتب العربى الكبير محمود تيمور لأنها تقدم بطلا عربيا ، هو عبد الرحمن الأموى ، صنع تاريخه بيديه ، كما صنع معه تاريخ الأندلس بعد ان فتحها طارق بن زياد .

ولأن الحوادث فيها تجرى على نحو يؤكد القولة المأثورة من ان التاريخ كثيرا ما يعيد نفسه .. فقد كان فى الأندلس اذ ذاك تطاحن على السلطان وتنازع على الوجود المغتصب بين زعماء أو حكام لم يكن يعنيهم الا أنفسهم ، ولا يبالون بأن يستنزفوا طاقة البلاد من الرجال والأموال من اجل الاثراء وترف العيش ، هذا والعدو الأجنبى وراءهم متربص يتحين الفرصة ليضرب ضربته القاصمة !!

واخترت « صقر قريش » لأنها بما هى عليه من حيث معالجة الموضوع ومن حيث الأسلوب البيانى ، قد وفت بجميع الشرائط الفنية والأدبية التى يجب أن تكون عليها المسرحية الرفيعة ..

واخترت « صقر قريش » لأنها تحتوى على

الجارية ضحى (زوزو حمدى الحكيم) تؤكد استعدادها للتضحية ، لعبد الرحمن الأموى (زكى طليمات) .

الى اليمين : أميرة القصور (جيهان رمزى) مترددة فى الأخذ بما يشير به أبو الرماح (خالد النفيسى) .

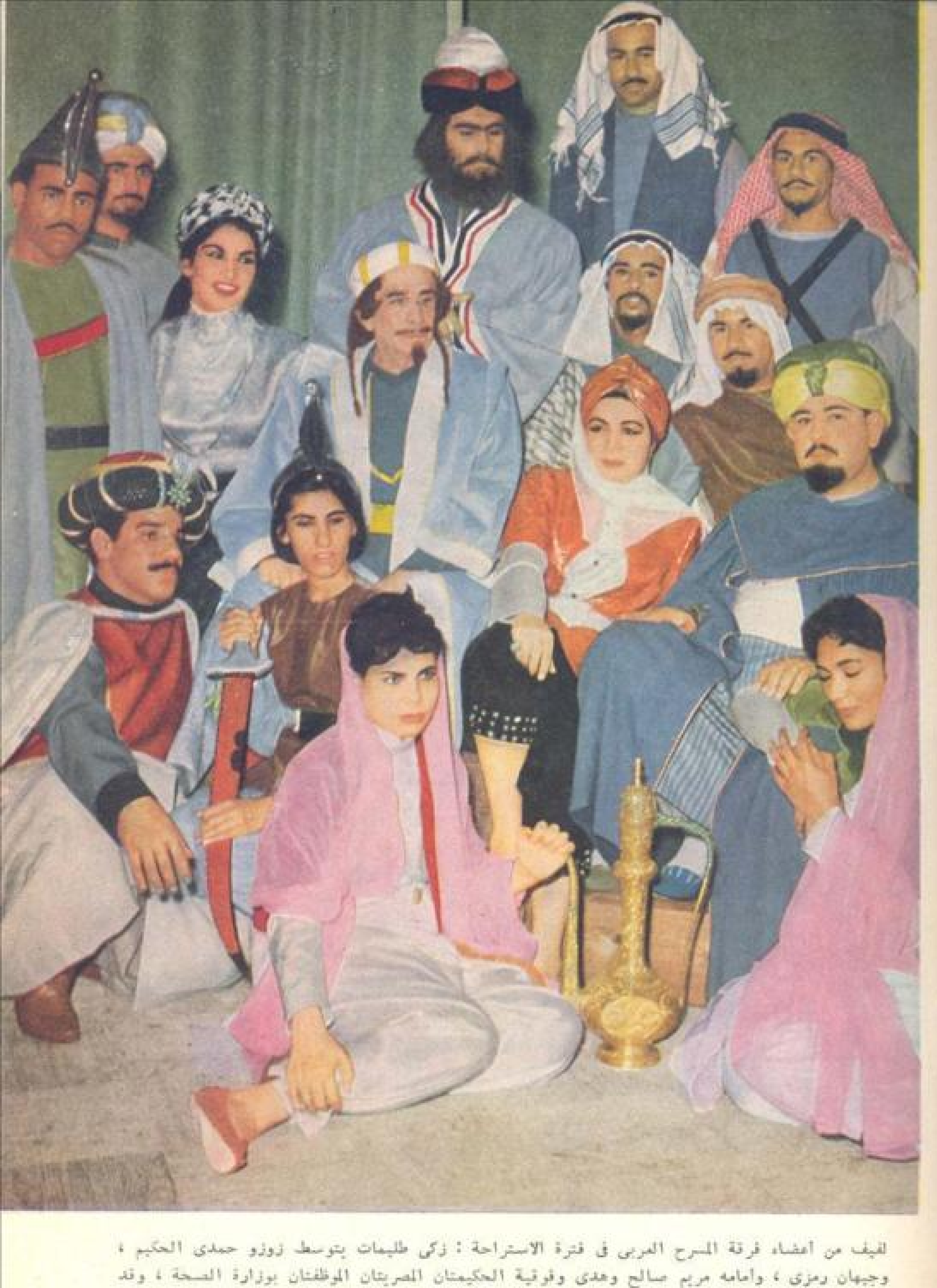

لفيف من أعضاء فرقة المسرح العربى فى فترة الاستراحة : زكى طليمات يتوسط زوزو حمدى الحكيم ، وجيهان رمزى ، وأمامه مريم صالح وهدى وفوقية الحكيمتان المصريتان الموظفتان بوزارة الصحة ، وقد عملتا فى الفرقة هاويتين ، ويرى أيضا محمد رجب الى اليمين فى دور « ابن عثمان » .

شخصيات عدة تقدم فرصة لأن يشترك في تمثيلها اكبر عدد من الممثلين ، كما ان البطولة ليست معقودة على شخص واحد ..

واعترف انني لم اضع ، موضع اعتبار كبير ، ذوق الجمهور في مختلف طبقاته ، وانا اعلم ان بعض هذه الطبقات تستهويه المشاهد المغرقة في الاضحاك ، والمواقف المثيرة للفكاهة اللاسعة . انيت هذا لما تقدم ذكره من اسباب ، ولأن مسرحية الافتتاح في اية فرقة ناشئة يجب أن تجيء بحيث تحسن الاعلان عن رسالة الفرقة ، وتنبيء عن طابعها في جلاء .. ويأتي بعد ذلك ـ اذا لزم الأمر ـ تدارك الموقف في اختيار المسرحيات على وجه رفيق لا يتسم بالاستعلاء على مستوى الجمهور ، ولا بالاسفاف الى تملق كل رغباته .

التدريبات والاعداد

وفوجئت في التدريبات بما لم أكن أتوقعه .. كل عضو بالفرقة يريد أن يكون له دور .. ظما الى الاستعراض تكمن وراءه رغبة طيبة في ان يثبت كل منهم جدارته ..

ولكي احقق هذه الرغبة ، ولكي يشمل التدريب اكبر عدد منهم ، جعلت لكل دور ممثلين لا ممثلا واحدا ، ولا سيما في الأدوار الكبيرة .. وعلى هذا وجدتني اعلّم التمثيل طاقمين لا طاقما واحدا ، كما هو معهود في الفرق التمثيلية .

ثم كانت المفاجاة الاخرى ..

ان الكويتي هاو المسرح ، فيه خصب في الموهبة، وفيه ليونة لأن يتشكل وفق ما اريد .. بحيث انساق بعضهم لأن يغير من لهجته الكويتية ، الى ان ينطق العربية كما ينطقها اهل القاهرة .. وانا من القاهرة .

الا انني نبهت الى عدم الأخذ بهذا ، لانه امر مظهري ، ثم انني ما جئت الى الكويت لأغير من لهجة شبابه .. والى ان العمدة والمرجع في جودة الالقاء ، هو تجويد الحروف ، وفصاحة النطق ، بعد اقرار الصوت ، ثم سهولة جريان الكلام في غير كلفة او افتعال طبقا لما يتضمنه من عوامل وانفعالات نفسية ..

حق ان من حولي يتوافر فيهم حسن الاستعداد والرغبة ، ولكنهم ـ وهم هواة مسرح في قطر لم يتمّ التعرف الى المسرح ـ لم يتعرفوا الى القواعد والقيم التي جعلت من فن الممثل علما ، ولا يفرقون بين المتلقي والممثل في ماهية كل منهما ..

الا انني كنت أشعر كل يوم بانني أرى فيهم وعيا يتفتح ، ويختزن ما اقوله ، ويُجرى تطبيقه في

ابو الرماح « خالد النفيسي » يشرح لأعوانه خطة للتخلص من عبد الرحمن الاموى . وابو الرماح هو الزعيم الذى ظل ينازع عبدالرحمن السلطان ويشيع الفوضى في البلاد ليجمع ما يستطيع جمعه من الجاه والمال

يسر .. حتى ازددت ايمانا فوق ايمان ، بأن الاصل فى الممثل ، هو الاستعداد القوى ، وليس الاكتساب الحاذق .

وكانت مهمتى قاسية ايضا ، لاننى فوق ما تقدم، كنت اضع تصميم الملابس والمناظر بنفسى طبقا للواقع التاريخى فى المسرحية . كذلك كنت احفظ دورى ، دور عبد الرحمن الأموى ، لاقف الى جانب ابنائى فى معركتهم الأولى .. اقودها عمليا بعد ان فرغت من تخطيطها ..

الاستاذ محمد محمود عبد العزيز سفير الجمهورية العربية المتحدة بالكويت وهو يبتسم لبعض تعليقات السفير الأمريكى ، بينما أخلد السفير البريطانى الى التفكير . وذلك فى احدى فترات الاستراحة .

شهر رمضان !!

وتم اعداد المسرحية بقدوم شهر رمضان ، واعلنت استعداد الفرقة لافتتاح موسمها الأول .

ولكن اصواتا حكيمة ، ارتفعت تهمس لي بأن آخذ بالتريث ، وان أرجيء افتتاح الموسم الى ما بعد انتهاء شهر الصوم ، حتى لا تتحرك أوكار المتزمتين والرجعيين – وفى كل قطر عربى يوجد هذا الطراز من الناس – فيهاجمون الفرقة بدعوى اننا لم نوفر شهر الصوم التوقير كله ، فاخرجنا النساء الى جانب الرجال فوق المسرح ، وبينهن فتاتان من الكويت ..

بدايـة طيبـة

واخـيرا ...

ثماني عشرة حفلة متتابعة قدمت فيها الفرقة مسرحية « صقر قريش » ، سبقتها حفلة افتتاح الموسم ، ردد أثناءها « مسرح ثانوية الشويخ » تصفيق الجمهور واعجابه . وبشرت بنجاح الموسم حفلة الافتتاح التى جرت يوم ١٨ مارس الماضى ، وقد دعا اليها وزير الشئون الاجتماعية والعمل ، وحضرهـا وزراء الدولة واعضاء المجلس التاسيسى ، وعلية القوم فابدوا ارتياحهم.

وبين هذه الحفلات السابقة ثلاث كان الحضور فيها بدعوات بالمجان ، وهى حفلة الافتتاح ، ثم حفلة للجيش الكويتى ، والثالثة لرجال الشرطة . ثم ثلاث حفلات أخرى للطـلاب والطالبات والمدرسات ، انخفض فيها سعر التذكرة الى ١٥٠ فلسا ، بدلا من ٧٥٠ ، ٢٥٠ فلسا .

وبهـذا ضربت الفرقة رقما قياسيا لم يكن معروفا فى الكويت ، من حيث عدد الحفلات ، واقبال الجمهور ، ثم من حيث الايراد ، فقد بلغ ما يقرب من الفي دينار .

وبهذا أكدت الفرقة وجودهـا وبررت أمر قيامها .

واعترف باننى لم أكن اقدر هذا النجاح .. وعندما راجعت الامر بين نفسى وبين مخزونها من

عبد الرحمن الاموى في لباس المعركة يتلهى بلعب الشطرنج مع مضحكه هرقل (علي جمعة) .
وفي الصورة السفلى ، جلس بدر (عبد الرحمن الضويحي) يحدث بعض جوارى القصر
من اليمين الى اليسار : فوتية ، هدى ، عبد الرحمن الضويحي ، زوزو حمدى الحكيم .

في الفصل الرابع ، يرى الامير أبو الرماح (خالد النفيسي) وهو يتهاوى الى الارض قتيلا بعد مبارزة شريفة دعاه اليها عبد الرحمن الأموي ، حتى ينتهي التنازع بينهما على السلطان ، بحيث يتولى الفائز حكم الاندلس ، اذ لا قبل للبلاد بسيدين يتنازعان الحكم .

التجارب التي تمرست بهـا ، ازداد يقيني بأن العمل الجيد يلتقي جزاءه الطيب .. لقد احسن اعضـاء الفرقة القيام بمهمتهم فكان جزاؤهـم التوفيق .

ولكن فرحتي الكبرى ، انه لم يهب اعصار من جانب المتزمتين فيطيح بالفتاة الكويتية من فوق المسرح .

اقـدام ترسخ

كنت اخشى ان يقع هذا ، فيرتد المسرح الكويتي الى ما كان عليه ، رجال يقومون بادوار النساء ، او ممثلات يستقدمن من خـارج الكويت ولسن من نسائه ، ليعملن ممثلات الى جانب الممثلين من اهل الكويت .

ان ما اعتز به ، هو انني استطعت ان اجتذب الفتاة الكويتية لترتقي المسرح ، هذا ولم يقـع اثناء التمرينات او الحفلات حادث من جانب الجنسين يخدش الأدب والسلوك الطيب ، ويقيم حجة علـى ان اختلاط الجنسين فـوق المسرح الكويتي جاء سابقا لاوانه ... ان المرأة تستطيع ان تكون شريفة وفاضلة وهي ممثلة .. كما يقع العكس وهي قابعة وراء الجدران والقضبان .

ان اسمي « مريم صالح » و « مريم غضبان » سـيدخلان تاريخ المسرح الكويتـي كـرائدتين ، وسيكونان دائما على راس القائمة لمن تليهما من الفتيات الكويتيات اللواتي سـيؤلفن بنشـاطهن الفني نقطة انطـلاق جـديدة في نشـاط المـراة الكويتية .

مؤسسة لفنون التمثيل

وكان لنجاح الفرقة صدى لدى المسئولين في الوزارة ، فاذا هي تخطط اليوم لانشاء مؤسسة تنتظم فيها جميع مظاهر النشاط المسرحي الذي تشرف عليه .

ستضم هـذه المؤسسة المسرح العـربي ، والشعبي ، والتنمية الاجتماعية حتى تتوحد خطة، وتتحدد اهداف ، وتنسجم اجراءات .

وتعد الوزارة مسرحين جديدين ، يكون احدهما مقرا ثابتا لمظاهر هـذا النشاط ، ويكون الآخر لاستقبال الفرق العربية التي ستستقدمها الوزارة من الاقطار العربية لتسـاعد عـلى تنميـة الوعي الادبي والفني وتعميقه .

كذلك تعمـل الوزارة ، مشـكورة ، عـلى ان يحترف التمثيل من ابدوا تفـوقا ظاهـرا في اداء ادوارهم ، بالفرقة ، بأن تجرى عليهـم مرتبـات ثابتة ليتفرغوا للمسرح ويعيشوا له .

وعلى ضوء ما تقدم يتضح ان التجربة القاسية التي اضطلعت بها ، لم تفشل ، وان قيام « المسرح العربي » لم يكن ترفا ولا رفاهية ، وانمـا هـو ضرورة الزمها التطور العـام الذي يهـز جميـع مرافق الحياة في الكويت ، وان قيام فرقة تقدم أعيان المسرحيات ممـا تكتبه الأقـلام العربيـة والأوروبية مصوغا في بيان عربي فصيح ، ويعالج القيم الانسانية العامة ، متجاوزا نطاق المحلية الكويتية في مشكلاتها ، معناه ان الوعي الكويتي اخذ يمتد الى ما وراء حدوده ، الى مشاركة الانسانية العامة فيما تختلج به .

خطوة لها ما وراءها

ان المسرح الكويتي اليـوم على ابواب تطـور واسع المدى ، بعد ان اجتاز الشوط الأول فيه .. الا ان التطـور قـد تنزل به نكسات ، ماتاها طبيعة التطور نفسه ، الذي يجمد ويسكن وكانه يقف ليسترد انفاسه . وقد تأتي النكسات ايضا من جانب من يعملون فيه وذلك حينما تتحول الثقة بالنفس الى غرور ، وتستحيل نورة الفوز ترنحا وتطوحا .. غير ان التطور يستعيد دائما ما فاته كما يجرف من يقف عثرة في طريقه .. اقول متفائلا ان امام المسرح الكويتي مراحل كثيرة من الجهـد والعرق ، والتواضع والاصرار . ■■

زكي طليمات

من السنة الأولى إلى الرابعة

الطفل عناد وأنانية !

لالات خمس :

١ لا تمنعي الطفل أن يختلط

٢ لا تميزي طفلاً بالمحبة

٣ لا تغصبي الطفل على الطعام

٤ لا تأبهي للطفل كلما بكى ورفس

٥ لا تجلسي عند سرير الطفل حتى ينام

■ سألت أماً لها بتربية العديد من أطفالها خبرة : فى أى الأعمار تكون الأطفال أشق على الأم وأتعب لها ؟ قالت بين العام الأول والعام الثالث أو الرابع .

وصدقت الأم . ففي هذا السن يمر الأطفال جميعاً فى دور يعرف بدور السلبية فى النشأة . أنه الدور الذى فيه يأبى الأطفال الطاعة ، ويتراءى فيه انهم يريدون دائماً أن يصنعوا عكس ما يطلب منهم . وهم يختلفون فى هذا درجات ؛ بعض عصى غاية العصيان ، وبعض رضي بعض الرضا . وهذا مما اقتبسه الطفل من أبيه وأمه ، وممن سبقهما من جدود .

اعتداء وانانية

وفى هذه السن يكون الأطفال ، أكثر الأطفال، يميلون الى الاعتداء ،وذلك بحكم ما فيهم فى هذه السن من انانية . وهم فى هذه السن لا يدركون ان فى الدنيا أطفالا غيرهم لهم نفس المطالب التى يطلبون . وان كانت بين ايديهم كرة ، لا يكادون يعقلون

« بين السنة الاولى والرابعة ، يحب الأطفال أن يلعبوا مجتمعين .
ولكنهم اذا اجتمعوا ، لعب كل بلعبته ، هذا فى ركن ، وهذا فى ركن »

ان يشركهم فيها طفل سواهم . ان الطفل للكرة ، وان الكرة للطفل ، والمشاركة فيها اعتداء . ونتيجة لهذه العقلية فى هذا الدور لا يمكن أن ننتظر من الأطفال فى هذه السن مجاملة تكون بين اثنين ، او مطارحة آداب . انهم لا يحسون بوجود آخرين الى عند السن الرابعة وبعدها .

شجار ونزاع

وبسبب هذا ، او نتيجة لهذا ، نجد ان هذه السن هى سن الخصومة . يجتمع الاطفال فيكثر بينهم الشجار والنزاع . والرأى أن يترك الآباء وتترك الامهات الأطفال فى هذه السن يتشاجرون على هواهم . وان لا يتدخلوا بينهم الا ان يبلغ الخصام بينهم درجة تنذر بالخطر . وشجار الأطفال ينتهى دائما بقلوب صافية ، على نقيض الخصام بين الكبار . انهم يكشرون فى دقيقة ، ليبتسموا فى الدقيقة التى تليها . والضحك فيهم والبكاء يتعاقبان .

ومن الخطأ منع الاطفال فى هذه السن من الاختلاط . الاختلاط ضرورى ، وهذا الخصام ضرورى ، ففى الاختلاط والخصام والشجار يتعلم الأطفال فى هذه السن الباكرة الكثير عن علاقة الفرد بالفرد فى المجتمع . وواهاً للطفل الواحد فى الأسرة الواحدة الذى يمنعه ابواه من اختلاط . انه اذا دخل المدرسة بعد هذا أول دخول كان أشقى الداخلين ، لأنه لم يتعود لقاء الأطفال ، ولم يتعود الخصام والصلح الذى يكون .

الاطفال فى حاجة الى الحب الكثير

ومن الأطفال الصعب الشديد المراس .

والصعوبة في الأطفال لا يشفي منها الشدة من الآباء . ليس اشفى للولد الصعب من ابتسامة الأم وحدب الأب ، والطفل احوج لهذا ، وهو في اشد مواقفه صعوبة . انه الماء البارد يصب على الجمر المتاجج . ان الطفل دائما يحب ان يحس بانه يتبع ، وانه يحب ، وان هناك في دنياه الصغيرة الخطيرة من يحميه من أهوالها ، فهي عنده مهولة.

وليس يكفي الأم ان تحب الطفل وتكتم حبه . انه حب غير نافع . ان الطفل يود دائما ان يرى مظاهر الحب حوله . فبالحب هو يشتفي مما قد يصيبه من غضب وعنت وبكاء .

الحب لا يفسد

والحب لا يفسد طفلا ، انما الذي يفسد الطفل أن لا يؤخذ بالنظام ، وان يعطى كل ما يريد ، وان يطاع في كل ما يامر به . ان الحب لا يتعارض مع النظام ، ولا طلب الانتظام يتعارض مع الحب .

ان الطفل اذا اراد شيئا ، ولم يطع ، بكى . واذا لم ينفع البكاء صرخ ، ورفس برجليه ويديه . وهنايكون امتحان الأم. ان هي خضعت لهذا فقد انحل الخيط.

وهو اذا انحل مرة فمرة لا يعود الى الربط ابدا . ان الطفل فيه الذكاءالكافي ليعلم انه نجح بالبكاء او بالرفس مرة ، فهو اذن لا بد بالبكاء والرفس ناجح في اخذ ما يريد مرارا . والطفل فيه الذكاء الكافي ليعلم عند ضبط الأم وربطها ان البكاء غير نافع ، فهو لن يلتجىء اليه وسيلة الى غاية .

الاكثار من اللوم

والأطفال في هذه السن في دور التعليم والتدريب . وهم يعلمون الصواب ويعلمون الخطأ . والخطأ عندئذ لا يقابل بالتأنيب : لا تفعل هذا . لا تفعل ذلك . ويمضي النهار بألف لا ، ليس بينها نعم واحدة .

ان الطفل لا يخطىء عن عمد ، وانما هو يطلب اي سبيل مفتوح الى غاياته . وقد يتعارض هذا مع المألوف عند الناس. انه لا يعرف بعد الصواب والخطأ . وهو لا بد ان يتعلم . وبالصبر الكثير يتعلم .

ليس كالتشجيع معلما

وليس كالتشجيع معلما .

حاولي ايتها الأم ان تجعلي ولدك يحس بانه مطلوب لذاته ، او ان كانت بنتا فهي مطلوبة لذاتها . اشعريهما بأن لهما في البيت مكانا ذا بال .

ولا تحتقري شيئا يصنعه الطفل ، ولا تسخري منه في عمل يأتيه . انه تثبيط لهمة الطفل . وليس شيء يجعل الطفل ينكمش كالتثبيط .

وان كان لك ، ايتها الأم، أطفال، فاياك اياك من التحيز لطفل دون طفل . قابلي العصيان عند الجميع بطلب الطاعة عندهم جميعا. وان فعل واحد جميلا فشجعيه وشجعي كذلك الآخرين .

واذا وعدت احدهم بشيء فأوفي بالوعد . وكذا بالوعيد . والتماس التخلص من الوعيد بالطاعة المتأخرة اولى .

من اين جاءوا

وكثيرا ما يسأل الأطفال من اين جاءوا. كل الأطفال يسألون هذا وهم في دور تعرفهم بهذه الدنيا التي قد دخلوها وحلوا بها .

ومن الأمهات من يهولهن هذا السؤال، فيطلبن من الأطفال ان لا يعيدوه، فيحدث هذا في الطفل عقدة ، يفهم منها ان بعض الأشياء مباح ، وبعضها غير مباح ، وان هذا السؤال من الحرام الذي لا يجوز الخوض فيه ، وله عقاب .

لا . لا . عليك ايتها الأم ان تستجيبي لسؤال الطفل ، فهو انما يريد ان يعلم

حقا وصدقا . واجيبى بمقدار ما يفهم . وعلى النحو الذى يفهم ، ولو مجازا . ولا تتنكبى السؤال ، او تلومى الطفل فيه .

ملاعب الاطفال

وفى هذه السن ، على صغره ، يميل الطفل الذكر الى اللعب بما يشغل الرجال عادة ، كاللعب بلعبة سيارة او دبابة ، وتميل البنت الى اللعب بما يشغل النساء ، كاللعب بالعرائس والبيت من خشب . ولكن يحدث عند بعض الاطفال ان يلعبوا بما يلعب به الجنس الآخر . الولد يلعب بالعرائس ،والبنت تلعب بالسيارة .

موقف كهذا لا يجوز فيه النهى او الزجر . فكلا الصنفين سوف يعود الى طبيعته ، وشيكا ، دون لوم او تأنيب .

وفى هذه السن يحب الأطفال ان يلعبوا فى جمع . يحب الطفل ان يدخل الى بيته طفل آخر ليلعب .او ان يذهب هو الى بيت الجار ليلعب مع طفله . ولكن ، اذا اجتمع الطفلان ، فى هذا السن ، اكتفيا بأن يلعب كل بلعبته ،هذا فى ركن ، وذاك فى آخر .

ان الرغبة المشتركة تأتى فى السن التالية .

والطعام

ومن الخطأ الكبير غصب الطفل الذى لا يأكل على أن يأكل . اذا اردت ، ايتها الأم ، أن تجعلى هذا الطفل يأكل ، فامنعى عنه الحلوى ، وسائر المأكولات التى تعطى بين الوجبات . فاذا الطفل لم يأكل بعد هذا ، يوما من بعد يوم ، فهو طفل مريض ، يحتاج الى زيارة الطبيب .

والنوم

والنوم عادة . وهى كالعادات ، اذا اطردت . وهو يتعودها اذا انتظمت . الحمام فى المساء ، فالطعام فالنوم وحده وفى ساعة مبكرة . وليصرخ أول الأمر ما يصرخ ، ولكنه سيتعود . وللصراخ مع هذا حد يجوز ، وحد لا يجوز .

ومن الخطأ من بعد وضع الطفل فى سريره ان تظل الأم ذاهبة اليه ، راجعة عنه ، كل دقيقتين . وكذا من الخطأ ان تجلس اليه لتغصبه على النوم . انه حتى اذا نام صار جلوس الأم اليه بعض طقوس النوم ، فوجب عليها ان تواصله كل مساء .

ان الطفل ذكى . وهو اذا علم ،وتحقق ان البكاء سوف يأتى بالأم الى سريره ، او سوف يحملها الى حمله الى حجرة الجلوس ليجلس مع الآخرين،فهو سوف يتخذ البكاء وسيلة .

وافراغ الامعاء

ومن الأمهات ما يتعبها تعليم الطفل كيف يفرغ امعاءه . واتعب الأمهات فى هذا اللواتى لم يتعودن النظام ، ولم يدركن ان الايام تدور ، ولكل ساعة فى الزمان عادة . الأم يجب ان تتعلم ان للافراغ ساعة هى أحسن الساعات ، وهى تلك التى تلى الطعام . وأن الامعاء تتعود العادات اذا سمح لها أن تفعل .

التربية فن

ان تربية الأطفال فن . والفن يتعلمه الحاضر من السابق . والقراءة سبيل ذلك ، وكذا الاحاديث بين الأمهات. ولكن ليس كالخبرة معلما . وكل ما تقرأ الأمهات من قواعد فى كتب ، انما هى نصائح عامة ،نتيجة خبرة الناس والعلماء . ولكنها نصائح يجب أن تتعدل تحت ظروف الخبرة التى تلقاها الأمهات .

ففى الأطفال السوى ، وفى الأطفال كثير لا بد ان تراعى فيهم ظروف شاذة خاصة. ■■

اقصوصة ايطالية

العمة بلاوتيلا

للكاتبة الايطالية

آدا نيغرى (١)

عدت اليوم فوجدت العمة بلاوتيلا في منزل ابن عمي جوليانو ، المصاب بنزلة شعبية بطيئة ولم اكن قد التقيت بها منذ سنتين ، أى منذ أن دخلت الى ملجأ « بيو تريفولتسيو » فى «باجينا». كانت ترتدى ثياب العجائز بهندام يبلغ حد الاناقة ، وهى تتألف من تنورة وجكيت من الصوف السميك الخشن ذى اللون البني الداكن ، وحذاء من الكتان ، وعلى رأسها ملاءة سوداء مخرّمة .

لقد اصبحت ــ لو جاز لي القول ــ أصغر مما هى ، فما تزال مستقيمة القامة على الرغم من اعوامها التسعة والسبعين مما يجعل رؤيتها تبعث على الغبطة ، فعيناها الصغيرتان بلون الألومنيوم حادتان ، وتتناسبان تماما مع اطمئنان انفها السمين وذقنها الدقيق .

لم تكن من اقاربنا ، الا اننى فى هذا المنزل الذى اعتادت ان تدخله دائما كنت اسمع الجميع ينادونها « العمة الصغيرة »تحبّبا ، وربما كان ذلك لحيوية روحها وصغر قامتها معا : العمة الصغيرة هنا ، العمة الصغيرة هناك . وكانت قد ترملت بسرعة ، وليس لها ابناء ، وقد عاشت فى فقر مدقع ولكنها لم تمد يدها الى احد قط ،

---

(١) اشتهرت آدا نيغرى بشعرها أكثر مما اشتهرت بنثرها ، وهى تعد بين كبار شعراء ايطاليا فى القرن العشرين . ولدت عام ١٨٧٠ وتوفيت فى ميلانو عام ١٩٤٤ . وتوالى نجاحها الادبى حتى أصبحت المرأة الايطالية الوحيدة التى انتخبت لعضوية الاكاديمية الايطالية .

بل عكفت على الخياطة فى النهار لدى بعض الأسر المتوسطة . وهكذا بلغت سن الشيخوخة . لم تطلب من أحد شيئا ، ولا تأخرت عن دفع اجرة غرفتها كل ثلاثة أشهر ، وعند عودتها من العمل اليومى كانت تعد لنفسها الحساء بهدوء ، وتطعم معها قطة شهباء مهملة اعتادت فى كل مساء ، ومن دون انقطاع ، ان تنتظرها صابرة على رأس السلم امام باب غرفتها ، فما ان تحس بوقع اقدامها على السلم حتى يتقوس ظهرها ، وتأخذ فى الهرهرة .

ولم تكن فى حاجة الى النظارات ، ولا كانت تدمع عيناها من نكد حظها الكافر . وهي تحفظ كثيرا من القصص المسلية ، وكان يطيب لها كثيرا ان ترويها بلهجة حي Porta Ticinese العامية الجميلة الحادة . ولكنها لم تتكلم قط بسوء عن أحد ، واذا ما تفوه أحد بعبارة اشفاق على شيخوختها المحتاجة الى كسب قوتها اليومى دون مساعدة من ابن او قريب ، اجابت بهزة من كتفيها ، وابتسامة مدببة كالمنشار ، وقالت بلهجتها العامية: « لا بأس عليّ » . ان الذى يأكل دون أن يعمل ليس سوى لص » .

وحينما بلغت السادسة والسبعين فقط أخذت تحس بأن نظرها قد بدأ يخونها ، وان درجات السلم التي ترتقيها الى غرفتها قد تضاعفت بالنسبة الى همتها . كل تلك النقاط الصغيرة السوداء التى تتراءى كالذباب امام عينيها ، وركبتها التى اذا ثنتها فرقعت من تلقاء ذاتها ، ثم ـ من يدرى لماذا ؟ ـ القطة الشهباء التى لم تعد تراها ، ولعلها ماتت ، وبعض الناس الطيبين الذين اعتادت أن تذهب لتخيط عندهم فى النهار لم يعودوا يرسلون فى طلبها ، لعلهم وجدوا خياطة اخرى أعرف بالأزياء الجديدة .

عند ذاك فقط قررت أن تدخل الملجأ ، وأعدت الأوراق اللازمة . وقبل دخولها بقليل جمعت مبلغا ضئيلا ـ او « بعض القروش التى لا بدّ منها دائما فى الجيب » حسب تعبيرها ـ من ثمن ما كان لديها من متاع بال . وفى اليوم الذى وقفت تحيّي فيه الأصدقاء على عتبة « ملجأ بيو » كانت تتندر كأنها شابة ، فتقول بلهجتها العامية : « أنا ذاهبة الى الكلية لأتابع دراستى ، فهذا أوان الدراسة لدى » .

ومع النقود كانت تحمل فى جيبها كتاب الصلاة المليء بالصور الدينية.ولم يكن يؤلمها غير اضطرارها الى استخدام النظارات فى قراءته ، ولكن لا بدّ من الصبر .

الا انني لم ار قط ، مثل هذا اليوم ، هذا الفرح على وجهها من قبل . لقد بدا لى أن جلدها المسترخى أينع من جديد فوق التجاعيد ، وفى ثنايا فمها وعينيها قرأت معانى الحب والفرح للحياة والتغلب عليها ، وقد ادهشنى فى الواقع هذا . انها فى نهاية نهايات العمر ، ابنة ثمانين عاما ، وتعيش فى ملجأ على المساعدة العامة ، ولم تستفد خيرا ـ بالمعنى المألوف من هذه الكلمة ـ من وجودها فى العالم ومن بقائها هذا العمر الطويل كله ، ومع ذلك فهى الآن أكثر شبابا وغبطة من كل من فى هذا المنزل .

كان المريض ـ وقد زايلته الحمى فى هذا اليوم ـ مسرورا لوجود رفاق عنده يسلونه ، وقد

اسند ظهره الى تل من المخدات وراح ينظر اليها مدهوشا . كانت عيناه كبيرتين غائرتين في محجريهما المظلمين . وكان المرض قد جفف خديه وصدغيه ، وجعل عظام وجهه القوية ورفوف جبينه ، الذي يعلوه شعر" داكن كثيف ، تبدو كأنها محفورة في عاج قديم ، وكانت اصابع يديه الجافة تنبسط وتنطبق فوق الغطاء ، كأنما تحاول أن ترسم في الهواء صورة العمة بلاوتيلا اللطيفة . اما هي فقد كانت تتكلم وتتكلم بين كل رشفة واخرى من القهوة الطيبة التي قدمتها لها زوجة المريض ، وتجيب على احد اسئلتنا قائلة :

« في باجينا ؟ في باجينا نعيش عيشة طيبة . القاعات والممرات عريضة وطويلة كالكنيسة ،وهناك الهواء ، والنور ، والحدائق ، والازهار ، وهذه نعمة من الله ، والذي يتذمر من ذلك ــ وهناك من يتذمرون ــ انما يذم العناية الالهية . هذا رايي انا المدعوة العمة بلاوتيلا . طبيعي انه ينبغي ان يجعل المرء نفسه محبوبا ، بشيء من التواضع والاخلاق الطيبة ما دام يعلم أنه ليس عليه التزامات ولا هناك ما يضايقه . ان خبرة نحو قرن من الزمن تجعل المرء يعود طفلا دون مسئوليات ، مع أب وأم يهيئان له كل حاجاته . أنتم تفهمون أن الشمس بهذه الطريقة هي الشمس عينها ، لا يحول بيننا وبينها اى ظل ، حتى لنلمسها بايدينا . وأنا انعم بها ، حقا انني انعم بها ، شمس باجينا ، أنا التي عاشت سنين طويلة في الظلام ، في تلك الغرفة الحقيرة في شارع«فيتيري» التي أستطيع ان اقول انها كانت قبرا » .

وتنتهي من احتساء القهوة فتضع الفنجان وتتابع كلامها :

« لست انكر أن لي زميلة دموعها حاضرة دائماء ومنديلها حاضر كذلك لتسكب فيه الدموع. البيت ، والأبناء ، والأحفاد ، وفلتك نوح ، ومع ذلك تتألم اذ تجد نفسها تحت رحمة الاحسان . أما انا فلا اقرأ ذلك . انها حمقاء ! ومن هو الذي يشعرك بانك تعيشين تحت رحمة الاحسان ؟ ان هذه لهي مؤسسة ، هيئة عامة ، ونحن ههنا كأننا أصحابها لا اكثر ولا أقل . وهل تستطيعين أن تقولي لي ان ابناءك واحفادك الذين سفحت لهم دمك ، وامتصصت لهم عظامك ، لم يشعروك بانك كنت عالة عليهم في البيت ، تعيشين على احسانهم؟ نعم أم لا ؟ عرفان الجميل لدى الأبناء ؟ كفاك هذرا أيتها الشقراء ، فلم يعد لذلك من مكان ! وهل قمت أنت بما عليك نحوهم ؟ اذن حسبك ذلك من العزاء . ضمير مطمئن ، وملجأ للعجائز . هنا على الأقل نستطيع أن نفكر في انفسنا ، أعني في راحة نفوسنا وتطهيرها وجعلها جميلة لتقف أمام الله دون خشية أو خجل » .

وأسألها : « ولكن العمل يا عمة بلاوتيلا » ؟ لقد كنت تعملين دائما ، وكنت دائما تقولين ان الدقيقة التي تضيع لهي كنز يضيع ! »

فتجيب : « اتحسبينني لا اعمل شيئا ؟ انت مخطئة . أتدرين انهم عهدوا الي" بحراسة الملابس ؟ لقد طلبت انا ذلك . انني اشغل وقتي واتسلى ، واجمل نفسي محترمة ، واكسب خمسين سنتيما في اليوم » .

ان مدير أي متجر كبير لا يمكنه أن يكون اعظم منها غبطة لو قال : « انني أكسب مئة الف ليرة في اليوم ! » .

ثم تتابع الكلام : « ان الطعام جيد ، ثم ان معدة الطاعنين في السن تشبع من القليل ، غير أن جرعة من نبيذ « المارسالا » أو رشفة قهوة تبعث على الرضى ، فنحن لسنا قديسين . وهناك دكان صغير للملجأ ، وعندما يكون في الجيب بعض النقود .. »

ــ « لكن الم تقولي يا عمة أن هذا أوان التفكير بالنفس ؟ » .

يقول لها المريض ذلك والابتسامة على شفتيه الجافتين ، ومن خلفهما يبدو اصفرار اسنانه دلالة على شدة مرضه ، ورغبة الشفاء ، وغريزة حب البقاء تندفعان من أعماق وجوده حتى آخر لحظة .

ــ « أكيد ، التفكير بالنفس . اذا لم يفكر بها المرء في سن الثمانين فمتى يفكر اذن ؟ لقد كنت دائما مسيحية صالحة ، لحسن حظي ، اذن يفكر المرء بنفسه ، فيغفر لاعدائه ، ويصلي ، ويستعد للرحلة الاخيرة . الا ان فنجان قهوة وكأس نبيذ وجرعة شراب يسعد بها المرء ، من عرق جبينه ؛ بعد شقاء العمر كله ، أتظن ان الاله الطيب يرضى بحرماننا منها ؟ » .

وتبتسم بدورها بحرية وثقة كما لو كانت جميع أسنانها ما تزال في فمها ، وتتابع كلامها قائلة :

ــ« تجلد" ، واطمئن الى أنك ستشفى ياجوليانو العزيز . انك ما تزال شابا ، دوني بعشر سنوات.

وفى الربيع ستأتى لتزورنى فى ممتلكاتى فى باجينا ، فنحن هناك كلنا اسياد ، والهواء طوع ارادتنا ».

ولم تعد يدا المريض تتمددان وتنقبضان فـوق الغطاء ، وبدت على وجهه سمات الراحة . ان مرح العمة بلاوتيلا وحديثها المتلاحق فعلا فيه فعل الحقنة المقوية . فأغمض عينيه ، وزايلـه السعال والبلغم .

فتركناه بدورنا ليستريح ، وتسللنا بخفة الى المطبخ . وهناك أرادت العمة بلاوتيلا أن تقـوم بعمل مفيد ، فخلعت الملاءة والجكيت وراحـت تجفف بعض الصحون التى كانت مصفوفة هناك ، وتنظف بعض الخضار ، وقالت لصديقتها :

« استريحى انت ، فان العناية بالمرضى تورث العناء ايتها الدجاجة المسكينة » .

واذا بصوت يرد عليها من قفص عند النافـذة ماطا كلمتها : « دجا ... جة ! »

وكان ذلك صوت ببغاء كان جوليانو وزوجتـه قد جاءا به منذ سنين لا أذكر عددها ، من رحلة لهما الى البرازيل .

فهتفت العمة بلاوتيلا ، وقد عاد اليها صوتها كما لو كانت فى العشرين من عمرها :

ـ « لقد نسيتك يا كنزى ، يا بيدرو المسكين ! أتريد حبة قهوة ؟ ولكن قبل ذلك أعطنى قبلة . قبلة يا بيدرو الحبيب ، كم تريد ثمنها ؟ » .

فيرد عليها الطائر العجوز بصوت كالصرير : « ريا ... ل » وتحملق فيها ياقوتتـا عينيـه المستديرتين ، ويخفق ريش جناحيه المصبوغ بلون الأمل الجامح .

فيتعالى الضحك فى المطبخ .

ولم لا نضحك ؟ ان العافية ستعود الى ذلك النائم هناك . والنعم لا تنال بالبكاء . وكان أكثر من يضحك العمة بلاوتيلا ، فيردد بيدرو صداها بطريقته الخاصة ، بشهقات حلقية حادة ينتفخ بها حلقه . ومن دون وعى أو قصد يقارن بين عمره وعمر الآخر ، ويثقل الهواء فى الغرفة الضيقة من شدة مقاومتهما وتشبثهما بالحياة . ■■

ترجمة : عيسى الناعوري

مستوردة من انجلترا
تباع في ١٢٠ دولة

مشهورة في العالم أجمع..

يفخر منتجو كرافن "أ" بخبرة ١٥٠ سنة في مزج أنواع تبغ فرجينيا الفاخرة.

سيجارة كرافن "أ" مزودة بفم من الفلين الطبيعي الذي لا يلتصق بالشفاه سيجارة هادئة ذات نكهة مشبعة.

بالحجم الطويل
كرافن "أ" فلتر

سيجارة تجمع بين تبغ فرجينيا الفاخر وبين الفلتر الدقيق، سيجارة هادئة ولكنها غنية بنكهتها

كرافن "أ"

للمتعة في التدخين

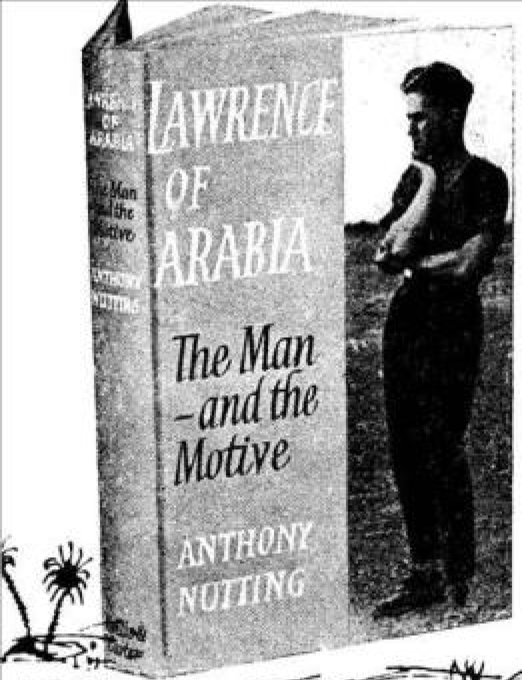

نقد كتاب الشهر

لورنس

اللغز المحير الذى تضاربت فيه الأقوال

لأنطونى نتنغ

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ لعل تى. اى. لورنس هو أشهر شخصية رومانطيكية انجبتها الحرب العالمية الأولى ، ولعله أكثر انجليزى ، بعد تشرشل ، من أبناء هذا القرن ، تناولته اقلام الكتاب بالدراسة والتحليل ، ومع هذا فانه ما زال حتى اليوم ذاك اللغز الذى لم تتكشف حقيقته بعد ،وحتى اليوم ما زلنا نفتقر الى ترجمة له تجب كل ما كتب قبلها ، وتجلو لناشخصيته على حقيقتها . والسبب فى تضارب الآراء فى لورنس هو شخصيتهالبالغة التعقيد ، والتناقض فى تصرفاته.

لورنس الأسطورة

وقد كان اول من وجه الأنظار الى لورنس صحفى امريكى اسمه « لويل توماس » Lowell Thomas فقد ترك هذا امريكا الى أوروبا عام ١٩١٧ ليكون مراسلا حربيا لصحف أمريكية ، فلما وصل الى فرنسا لم يجد سوى الدمار فى كل مكان ، فتركها الى الشرق العربى ، وزار « رونالد ستورز » Ronald Storrs الذى كان آنذاك حاكم القدس ، وهذا بدوره قدمه الى لورنس . وقد اعجب الصحفى الأمريكى الباحث عن الابطال والمغامرين بلورنس وقد دخل عليه بملابسه العربية الفضفاضة ، واخذ يروى له طرائف عن مغامراته فى حرب الصحراء . ثم صحبه معه الى العقبة ، حيث زار الأمير فيصل فى معسكره ، ورافقه فى الزيارة الى البطراء .وعاد الصحفى الى الولايات المتحدة ليبدأ بنشر سلسلة من المقالات مزينة بالصور ، وليلقى محاضراته عن البطل المثالى الرابض هناك فى الصحراء العربية ، اولا فى نيويورك ، ثم متجولا فى مدن الولايات المتحدة ، وكانت المحاضرات موضحة بالصور ، وبفلم سينمائى ، وتلقى تحت عنوان « مع اللنبى فى فلسطين ، ولورنس فى بلاد العرب » . وقد نجح لويل توماس نجاحا باهرا فى محاضراته ، فاصبح اسم لورنس على صفحات الصحف كل صباح ، واصبح شخصه رمزا للبطولة المثالية التى لا يشوبها عيب . هذه هى الصورة التى قدمها توماس .

وحدث ان استمع الى احدى هذه المحاضرات

رئيس فرقة موسيقية انجليزى هو (پرسى برتوز)، فعجب ان يكون مواطن من بلاده متمتعا بكل هذه الشهرة فى امريكا ، ومجهولا فى وطنه . ولهذا عمل عندعودته على ان يحضر لويل توماس ليلقى هذه المحاضرات فى دار الأوبرا الملكية والالبرت هول بلندن . وقد ابتدا لويل توماس بالقاء محاضراته فى سبتمبر ١٩١٩ واستمرت حتى بداية عام ١٩٢٠ ، وحضرها ما لا يقل عن مليون مستمع كان من بينهم جميع الوزراء والسفراء والرجال العسكريين ، ورجال الصناعة والأعمال ، وقد كان لورنس نفسه يحضر بعضها حيث يدخل فيجلس فى آخر الصفوف فىزاوية مظلمة لا يراه منها احد. وقدم لويل توماس عرضا خاصا امام الملك جورج الخامس بطلب منه . ومن بريطانيا قام توماس بجولة مماثلة فى دول الكومنولث .

هكذا خُلِقَ لورنس الاسطورة وعُرِف اسمه وذاع . وقد اعترف لويل توماس فيما بعد بانه كان مخطئا فى كثير من الجوانب التى عرفها للورنس .

ما كتب عن لورنس

وجاء بعد لويل توماس كتاب آخرون عملوا على تثبيت هذه الصورة فى الأذهان كان من بينهم الكاتب الشاعر روبرت جريفز Robert Graves والكابتن ليدل هارت Liddell Hart ، وقد ذهب هذان الى عقد مقارنة بين لورنس والاسكندر الأكبر ، وهانيبال ، ودوق مليره ، ونابليون .كما صدر قبيل الحرب العالمية الثانية كتاب بتوقيع مستعار لبروفسور كرنجتون Carrington

وامام هذا السيل الجارف من الكتاب المعجبين اشد الاعجاب بلورنس ، قام الكاتب القصصى ريتشارد الدنجتون Aldington بنشر كتابه « لورنس بلاد العرب Lowrence of Arabia » (١٩٥٥) ، ليجعل كل همه دحض هذه الأسطورة البطولية ، ليُحِلَّ مكانها صورةً لانسان مليء بالعقد والشذوذ. وقد كان الدنجتون اثناء الحرب العالمية الأولى مع الجيش فى فرنسا ، فلما انتهت الحرب ، واحرز الحلفاء النصر ، ساءه أن يسمع على الالسنة ان القوات الانجليزية فى الشرق العربى هى التى حققت النصر ، وان على راس الجميع يقف لورنس . ونحن لا نبرىء الدنجتون من الحقد الشخصى ، والبعد عن الموضوعية ، كسابقيه ، سواء بسواء .

وعلى الرغم من هذا فان صورة لورنس البطل المثالى بقيت قائمة ، ولم يستطع الدنجتون ان يطمسها ، ولكنه كبح جماح المعجبين الذين كتبوا عنه فيما بعد ،وطامن من غلوائهم ،من امثال : المؤرخ الفرنسى جان بيروفيلار Jean Beraud - Villars والكاتبالسويدى اريكلونروث Erik Lonnroth والآنسة فلورا ارميتاج Flora Armitage التى يعد كتابها « الصحراء والنجوم The Desert and the Stars ادق كتاب فى معلوماته التاريخية ، والكاتب الانجليزى المسرحى Terence Rattigan الذى عرضت له فى العام الماضى (١٩٦١) فى لندن مسرحية «Ross» عن حياة لورنس ، فنالت نجاحا باهرا ، ثم اخيرا انطونى نتنغ مؤلف هذا الكتاب الذى نقدمه (لورنس بلاد العربLawrence of Arabia) وتتفق معظم هذه الكتابات التى جاءت بعد الدنجتون فى انها لم تخل من تأثير الدنجتون فيها ، وان كانت قد خالفته الرأى فى لورنس .

انطونى نتنغ

وانطونى نتنغ من مواليد ١٩٢٠ ، ومن خريجى كيمبردج ، عمل فى السلك الدبلوماسى ، وكان عضوا محافظا فى البرلمان البريطانى ، ورئيسا للوفد البريطانى فى هيئة الأمم فى عام ١٩٥٤ ، ووزيرا فى وزارة ايدن عام ١٩٥٤ ، واثار الكثير من التعليق عندما استقال من الوزارة فى اكتوبر ١٩٥٦ احتجاجا على العدوان الثلاثى على السويس . وهو اليوم مستشار لشركة سينمائية فى هوليوود تخرج فلما عن لورنس .

كتاب نتنغ : ميزات وعيوب

ومن ميزات كتاب نتنغ الأسلوب الجميل ، والوضوح ، وبعده عن الرومانطيكية المفرطة البادية فى معظم كتابات من جاءوا قبل الدنجتون . وقد اتصل نتنغ بزملاء لورنس واصدقائه ليضيف الى ما بين يديه من معلومات منشورة ، ولكنه للاسف لم يتصل بزميل من زملاء لورنس ، ومن الكارهين له ، وهو الكولونيل مترتسهاجن (Meinertzhagen) مساعد النبى فى فلسطين ، كما

انه لم يشر فى مصادره الى كتاب الآنسة ارميتاج الذى هو ادق كتاب فى هذا الموضوع .

والمتأمل فى كتاب نتنغ يجده فى سرده للأحداث العربية تلخيصا جيدا لكتاب لورنس « اعمدة الحكمة السبعة The Seven Pillars of wisdom » الذى يقع فى ٦٥٠ صفحة ، كما انه فى معلوماته لا يضيف شيئا جديدا الى ما جاء فى كتاب الآنسة آرميتاج . اما فى تحليله لكتاب لورنس « أعمدة الحكمة السبعة » فهو معتمد اعتمادا كبيرا على كتاب المؤرخ الفرنسى (فيلار) .

ولم يسلم نتنغ من تأثير الدنجتون فيه ، فمنه اقتبس القول : ان العامل الخفى فى حياة لورنس الذى صيّره على ماهو عليه هو اكتشافه ، وهو فى سن العاشرة ، انه ابن غير شرعى ، مما دفعه الى كراهية الجنس ، وحب التفوق للتعويض . وقد ادرك المؤرخون الآخرون قيمة هذا العامل فى حياة لورنس ، ولكنهم لم يعلقوا عليه أهمية كبيرة .

اخطاء تاريخية

ولا يخلو كتاب نتنغ من الأخطاء التاريخية : من ذلك قوله فى الفصل الأول : ان جمال باشا قد اجبر فيصل فى اول يونية (حزيران) ١٩١٦ على ان يشهد تنفيذ حكم الأعداء فى اخوانه العرب فى دمشق ثم « قضى الأسابيع القليلة التالية فى عزلة وحيدا » ، ويأتى بعد هذا ليقول فى صفحة ١٨٥ ان فيصل قد هاجم المدينة فى الخامس من يونية من العام نفسه . والتاريخ الثانى صحيح ، أما تاريخ اعدام شهدائنا على يد السفاح جمال فهو السادس من أيار .

ويقول نتنغ : ان لورنس انخرط فى العسكرية عام ١٩٢٣ من جديد بعد أن عاد الى انجلترا ، وبعد ان اخفى حقيقته وراء اسم جديد اتخذه هو (شـو) ، والصحيح ان هذا التغيير قد حدث عام ١٩٢٧ عندما انخرط ثانية فى القوى الجوية ، وهى حقيقة مذكورة ومتفق عليها فى كل الكتب التى صدرت عن لورنس . أما الاسم الذى تخفى تحته عام ١٩٢٣ فهو (روس Ross) .

ومن الأخطاء التاريخية ايضا تعريفه للجنرال وينجت بأنه كان رئيس الهيئة العسكرية البريطانية المرتبطة بالشريف حسين ، بينما كان وينجت الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصرى من ١٨٩٩ ـ ١٩١٦ ، وكان بحكم منصبه هو المسؤول عن العمليات الحربية فى الحجاز ، ذلك لأن الثورة العربية كانت تموّن فى بدايتها عن طريق بورت سودان .

لورنس كما يراه نتنغ

والآن ، ما هى الصورة التى يرسمها انطونى نتنغ للورنس ؟

ولد توماس ادورد لورنس فى السادس عشر من اغسطس فى تريمادوك Tremadoc بويلز ، وهو الابن الثانى من خمسة اخوة غير شرعيين ولدوا لسير توماس روبرت تشابمان ، بارون وستميث (Westmeath) السابع بايرلندا ، من مربية بناته سارة مادن ، بعد ان هجر زوجته وبناته الاربع ، ورحل الى ويلز ، وعاش معها حياة زوجية دون زواج شرعى تحت اسم لورنس ، ذلك لأن زوجته رفضت ان توافق على الطلاق .

وعندما بلغ توماس الثامنة استقرت العائلة فى اكسفورد حيث تخرج الاخوة من جامعتها . وكانت صدمة لتوماس عندما علم وهو فى سن العاشرة انه ابن غير شرعي . وقد دفعه هـذا الشعور بالنقص الى محاولة اثبات تفوقه على اقرانه فى مدرسته ، وفى الجامعة عندما انصرف الى دراسة علم الآثار حتى انه استرعى انتباه المستشرق الشهير هوجارث Hogarth فكان له أبا ثانيا . ويروى بعض المؤرخين ان هذه العقدة دفعت الاخوة الخمسةجميعهم الى ان يقسموا الا يتزوجوا أبدا.

وقد استهوى الشرق العربى لورنس منذ شبابه الاول ، فكان يقبل على قراءة « الصحراء العربية « Arabia Deserta — by Doughty » بشغف ونهم ، وسافر الى سوريا وفلسطين لدراسة القلاع الصليبية من اجل كتابة بحث عنها لجامعته ، وانضم الى بعثة اثرية ارسلها المتحف البريطانى الى كركميش على نهر الفرات ، ولكنه توقف فى جبيل بلبنان ليتلقى دروسا فى اللغة العربية فى مدرسة تبشيرية ، وانتظر هناك مجىء الدكتور هوجارث الذى انضم اليه ، ثم سافرا الى كركميش عام ١٩١١ .

وعندما بدأت الدول الغربية تضع الخطط لاقتسام املاك الدولة العثمانية ، وجدت بريطانيا ان الحرب لابد قائمة ، فارسلت بعثة الى صحراء سينا فيها لورنس ، مدعية ان هدف البعثة هو اكتشاف الطريق التى سلكها بنو اسرائيل بعد

خروجهم من مصر ، بينما كان هدفها في الواقع هو رسم الخرائط للمنطقة لاستعمالها في حالة الحرب، وعاد لورنس ورفاقه الى لندن لكتابة التقارير ورسم الخرائط ، وعندما نشبت الحرب كانوا ما يزالون يعملون فيها . وقد طلب المسؤولون من لورنس ان يكتب دليلا لصحراء سينا لاستعمال الجنود ، ثم نقل بعد هذا الى مكتب المخابرات العسكرية بالقاهرة .

لورنس والعرب

وما ان اعلنت الثورة العربية في الحجاز حتى سارع لورنس فانضم الى (رونالد ستورز) لمقابلة المسؤولين هناك ، فكانت هذه الخطوة بداية علاقة لورنس بالعرب ، وبالأمير فيصل خاصة .

وعادت البعثة الانجليزية الى القاهرة لتنقل للمسئولين نتيجة محادثاتها ، وعاد لورنس ثانية الى الحجاز بعد ان عين ضابط اتصال بين السلطات البريطانية والقوات العربية . وعندما كان لورنس في القاهرة نما اليه شيء من اخبار معاهدة سايكس ـ بيكو التي تمت في الخفاء بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتسام البلاد العربية ، وهي معاهدة مناقضة للعهود التي قطعتها بريطانيا على نفسها نحو العرب .

عاش لورنس مع العرب في ثورتهم ، مرافقا لفيصل ، مدة سنتين ونصف ، وفي اثناء هذه المدة سار الجيش العربي من ميناء جدة على البحر الاحمر حتى دخل دمشق منتصرا ، وتفصيل الاحداث موجود في كل كتاب صدر عن لورنس ، وهي كلها منقولة عن كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» .

هل كان لورنس مصابا بالشذوذ الجنسي ؟

واثناء هذا الزحف وقع حادث خطير للورنس ، اذ وقع في ايدي الاتراك في درعا ، وهو يستطلع خطوطهم ، وكان الاتراك قد وضعوا مكافاة قدرها ٢٠ الف جنيه مكافاة لمن يلقي القبض عليه . ولكن لورنس ادعى انه شركسي ، فاخذوه الى البيك التركي المسؤول .

وقد حاول البيك ان يعتدي عليه ، فلما رفض وقاوم ، امر جنوده بالاعتداء عليه . ولورنس يروي هذه الحادثة بكثير من التفصيل في كتابه الشهير ، وقد اخذ بعض المؤرخين رواية لورنس على علاتها دون تعليق مثل : لويل توماس ، وليدل هارت ، وروبرت جريفز ، وفيلار . اما الدنجتون فقد اتهم لورنس بالشذوذ الجنسي ، وانكر ان يكون قد قاوم البيك التركي وجنوده ، ويستشهد برسالة محفوظة في المتحف البريطاني كان قد ارسلها لورنس الى زوجة برناردشو ، وفي هذه الرسالة عبارات يصف فيها لورنس هذه الحادثة ، فهم منها الدنجتون انها تدل على الارتياح والابتهاج والسرور بما حدث له ، لا النفور والمقاومة . وينكر انطوني نتنغ ان لورنس كان شاذا جنسيا ، كما ينكر وجود مثل هذه الرسالة في المتحف البريطاني . اما ان الرسالة موجودة في المتحف البريطاني ، فامر مؤكد ، واما ان المرء يفهم منها ان لورنس كان مصابا بالشذوذ الجنسي فهذا امر آخر . وينفي اصدقاء لورنس عنه هذه التهمة نفيا باتا مثل : روبرت جريفز ، ودكتور التونيان Altounyan ، واليك كركبرايد ، والكولونيل جويس ، وديفيد جارنيت ، وليدل هارت ، والكولونيل نيوكومب .

وهناك تفسير آخر لهذه الحادثة جاء به الكاتب المسرحي رتيجان : فهو يقول : ان الاتراك قد اكتشفوا هوية لورنس ، فلم يقتلوه حتى لا يصبح شهيدا بين العرب ، وانما ارادوا ان يحطموا ثقة العرب به ، ففعلوا به ما فعلوا ،ثم اطلقوا سراحه .

هل كان لورنس مخلصا للعرب ؟

في ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ دخل الجيش العربي دمشق ، وانزل العلم التركي ليرفع مكانه علم الثورة العربية واعلن فيصل ملكا على سوريا . وهنا حدثت مفاجاة غير منتظرة ، اذ دخل لورنس على اللنبي وطلب منه ان يعفيه من الخدمة ليعود الى بريطانيا . وحاول اللنبي ان يثنيه عن عزمه ، ولكنه وجد لورنس مصمما . وهنا يبرز تساؤل محير : ترى لماذا ترك لورنس فيصل بعد ان دخل دمشق منتصرا ، وكان من المنتظر ان يبقى بجانبه ليشاركه فرحة النصر ؟ لقد اختلف المؤرخون في تفسير الباعث الذي دفع لورنس الى مثل هذا العمل ، ففريق قال انه بعمله هذا قد اكد ما اتهمه به حزب العمال البريطاني والشيوعيون الانجليز من انه لم يكن سوى جاسوس في المخابرات البريطانية يؤدي خدمة معينة ، فلما حقق ما طلب منه اختفى . ويذهب آخرون الى ابعد من هذا فيتهمون لورنس

بانه كان ضالعا مع اليهود ، ويستشهدون هنا باهدائه كتاب «أعمدة الحكمة السبعة» الى(S.A.) وهما حرفان يرمزان الى (سارة أرونسوهن Sarah Aaronsohn الجاسوسة اليهودية الحسناء التي القى الاتراك عليها القبض أثناء الحرب في فلسطين فانتحرت في الناصرة حتى لا تبوح بسر . وهم يقولون ان لورنس كان عشيقا لها . ويرد المبرئون للورنس من هذه التهمة بأن لورنس لم يلتق بهذه الجاسوسة أبداً في حياته،فقد كانت هي في فلسطين في الوقت الذي كان هو فيه في مصر والحجاز وشرق الاردن،والوثائق تؤيد ذلك.والواقع ان لورنس قد أعطى المتسائلين عن معنى الحرفين تفسيرات متناقضة. فقال لروبرت جريفز انهما رمز لصديقه العربي السوري الشاب الشيخ احمد من ايام رحلته الاولى الى سوريا . وقال لآخرين انهما رمز لصديقه العربي الشجاع في حرب الصحراء الشيخ علي . وزاد لورنس الامر تعقيدا بأن قال لغيرهم أيضا ان الحرف الاول رمز لاسم شخص لم يسمه والحرف الثاني رمز لاسم مكان . وخلاصة هذا الامر كله ان التفسيرات المتناقضة لم تزد الامر الا تعقيدا ، بحيث يصعب القطع في هذه القضية.

ويرى لويل توماس ان لورنس عاد الى بريطانيا بسبب ما كان يشعر به من ارهاق عصبي وجسمي فقد كان بحاجة الى الراحة . اما انطوني نتنغ فيرى ان لورنس كان مخلصا للعرب ، ولكنه اختفى من الميدان لشعوره بالاثم وتأنيب الضمير ، لانه كان يعلم مقدما بما سيحل بأصدقائه العرب . والواقع أن كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » يوحي للقارىء بما جاء به نتنغ ، فهو يقول معلقا على معاهدة سايكس ـ بيكو : « انني لم ابلغ درجة من الحمق تجعلني لا ادرك انه لو قيض للحلفاء ان ينتصروا ، فان وعود بريطانيا للعرب لن تكون سوى حبر على ورق . ولو كنت رجلا شريفا ، وناصحا امينا ، لصارحتهم بذلك ، وسرحت جيشهم ، وجنبتهم التضحية بأرواحهم في سبيل اناس لا يحفظون لهم الا ولا ذمة ..» ويقول في مكان آخر : « اما الشرف فقد فقدته قبل سنة ، يوم ان اكدت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعودها » .

ويستشهد المؤمنون باخلاص لورنس للعرب بالحادثتين التاليتين : ذهب لورنس ليتسلم من الملك جورج الخامس وسام الحمام Order of Bath تقديرا له على ما قام به في الحرب ، وما ان مد الملك يده اليه بالعلبة التي فيها الوسام حتى أدار لورنس ظهره وخرج ، آبيا ان يتسلم وساما من بلاد حنثت بوعودها لاصدقائه ، ويروون عن الملك انه قال : « لقد أدار لي ظهره ، ويدي ممدودة اليه بالعلبة ! » . اما الحادثة الثانية فهي انه وضع « صليب الحرب » ، وهو الوسام الذي قلده اياه (بيساني Pisani) الفرنسي تقديرا لجهوده في الحرب ، في عنق كلب الدكتور هوجارث، ثم طاف به شوارع اكسفورد احتجاجا على تآمر فرنسا مع بريطانيا على العرب .

وعلى كل حال فان هذه القضية ما زالت بحاجة الى مزيد من الوثائق حتى يستطيع المؤرخ ان يحكم فيها حكما قاطعا .

خاتمة المطاف

وعاد لورنس الى لندن بعد ان رقي الى رتبة كولونيل ، وبدات المؤامرات تحاك حول العرب لاقتسام بلادهم ، مما دعا فيصل الى السفر الى فرنسا وانجلترا للمفاوضة وكان لورنس دوما بجانبه ، ولكن حق الضعيف دوما مضيّع . وحضر فيصل مؤتمر الصلح ليشرح القضية العربية في ٦ فبراير ١٩١٩ فلم يفده ذلك . وعاد فيصل الى دمشق .

وتتابعت الاحداث فكان المؤتمر العربي في دمشق في مارس ١٩٢٠ ، ثم اشتدت قبضة الفرنسيين . وأمر غورو Gouraud الجيش الفرنسي بالزحف على دمشق . وظن فيصل ان الانجليز سيهبون لنجدته ، وخاصة صديقه اللنبي ، ولكن بريطانيا وقفت مكتوفة اليدين . وفي ٢٧ يولية (تموز) وجه غورو انذاره الى فيصل بترك دمشق ، وان القطار بانتظاره في صباح اليوم التالي لينقله الى فلسطين . وترك فيصل عاصمته في الموعد المضروب، يشق طريقه وسط الجموع المحتشدة الغاضبة الثائرة على مؤامرات الساسة التي حيكت في الظلام .

وقامت بريطانيا على يد ونستون تشرتشل ومستشاره لورنس بعد هذا بالتسوية التي ظنت انها بها قد كفرت عن بعض خطاياها نحو العرب ، وذلك بوضع الأمير فيصل ملكا على العراق ، والأمير عبد الله اميرا على شرق الأردن .

وفي بريطانيا كان لورنس ابا المفاجآت ، كما كان دوما ، فهناك انهى «أعمدة الحكمة السبعة » عام

١٩٢٢ ، وأصدر منه نسخا خاصة لأصدقائه فقط ، ثم اتخذ لنفسه اسم (روس Ross) وانخرط في القوة الجوية ، ولما عرفت هويته اثار بعمله ضجة ، وأحدث حرجا للمسؤولين . وتسمى باسم « شو » وعاد الى القوة الجوية ، وسافر الى الهند ، ثم عاد الى انجلترا . وفي عام ١٩٣٥ ترك الخدمة العسكرية قائلا : « لن التحق بوظيفة بعد اليوم » .

وبعد ثلاثة أيام ، وفي ١٣ مايو ١٩٣٥ ، كان لورنس يقود دراجته البنزينية ، ومال بهما ليتفادى ولدين كانا في طريقه ، فوقع ودراجته في خندق ، وفقد وعيه ليموت بعد ستة ايام . وقد دفن في مقبرة موريتون Moreton على بعد بضعة اميال من مسكنه . واقيم له تمثال نصفي في كتدرائية سانت بول بلندن بجانب رجال الفن والحرب مثل : نلسون ، وولنجتون ، وكونستابل . ورثاه أصدقاؤه : تشرشل ، وستورز ، وبرناردشو ، واللنبي .. وقبل ذلك قالت جرترود بيل فيه : « لقد عاش لورنس ليبعث الدفء في كثير من الغرف الباردة الرطبة » . ■■

محمود السمرة

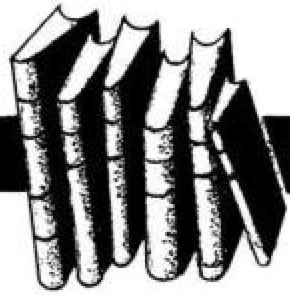

من الكتب التي وصلتنا

حيث لا رجوع

جزءان : لجون ماركاند ـ ترجمة احمد عرابي ـ مراجعة سميرة عزام ـ نشر مؤسسة فرنكلين . المؤسسة الاهلية ـ بيروت

● قصة للقاص الأمريكي الشهير . وقد ذاعت شهرة ماركاند الأدبية حتى بلغ مجموع النسخ التي بيعت من مؤلفاته ١٥ مليون نسخة . وقد حولت قصته هذه الى تمثيلية مثلت بنجاح على مسارح برودواي . وقد توفي ماركاند فجأة في ١٦ يونية ١٩٦٠ .

المعذبون

لمحمد الخطيب ، دار الثقافة ، دمشق .

● قصة يقدم لها مؤلفها بقوله :

« ... اننا نريد الوحدة الشاملة مستقرا ، والبطش باسرائيل ثأرا .. من أجل هذا نستغيث، ومن اجل هذا أكتب .. »

أبو نواس في امريكا

للدكتور صفاء خلوصي ـ بغداد

● قصة رحلة الكاتب في بعض ربوع الولايات المتحدة الامريكية .

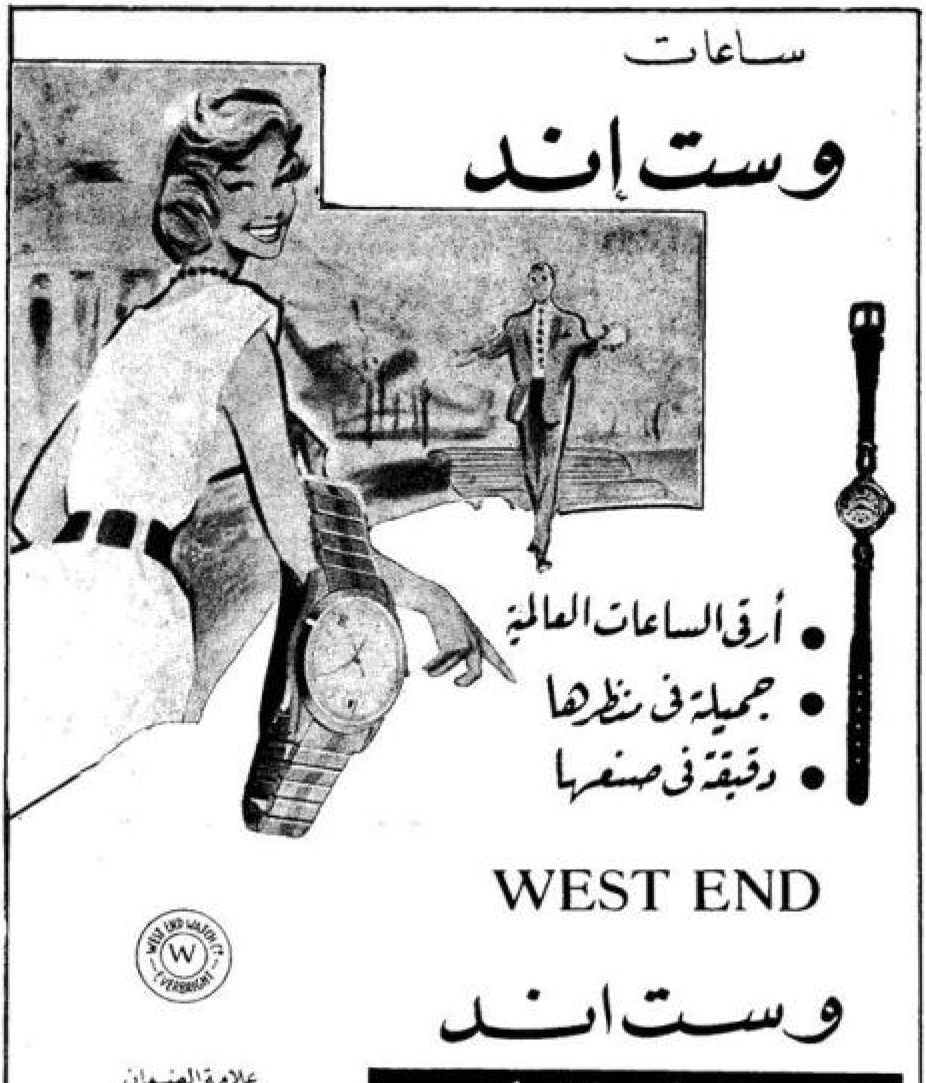
ساعات
وست إند
• أرقى الساعات العالمية
• جميلة في منظرها
• دقيقة في صنعها
WEST END
وست اند
علامة الضمان
خير معين لنجاحك في أعمالك
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف البهبهاني
ساحة الصفاة - الكويت - هاتف ٢٢٤٩ - ص.ب ٣٣٤

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الكتاب
عبد الوارث كبير

الطلاق لمثل هذه الاسباب جريمة

● انا شاب فى الثانية والثلاثين ، اب لاربعةاطفال ، بنتين ، وولدين ، وزوجتى تحبنى حبا يفوق الوصف ، بينما حبى لها مجرد مجاملة .فهى ليست على ذوقي وانما تزوجتها وانا فى السابعة عشرة نزولا على ارادة ابي وامى حسب تقاليدنا المتوارثة . ومع انى اب لاربعة اولاد فانى اواصل ما انقطع من دراستى الثانوية ، لاعوض.ما فاتنى من فرص التعليم ، رغم انى موظف باحدى الشركات لاستطيع ان اعيش انا واسرتى.

زوجتى لا تقرأ ، ولا تكتب ، وقد حاولت طيلةهذه السنوات الطوال أن ارفع مستوى تفكيرها تجاه الحياة العامة ، والحياة الزوجية وتربيةالاولاد بصفة خاصة ، فهى تعاملهم بالقسوة والعنف رغم ارشاداتى ونصائحى ، حتى اضطررت.لان اطلقها ، ولكنى لم البث ان اعدتها من اجل اولادى اللذين لا اطيق البعد عنهم . وكثيرا مافكرت فى ان اتزوج بأخرى ، فى مستواى الثقافى ، ولكن ما ذنب اولادى الابرياء ؟ وليست الغلطة غلطتهم ، ولو اننى طلقت امهم او تزوجت بغيرها فسيتحطم مستقبلهم نهائيا !

فما هو الرأى السديد الذى به تشيرون ؟

مواطن
الخبر ـ السعودية

ـ بعد زواج دام خمسة عشر عاما ، وانجب اربعة اطفال ، يكون الطلاق لسبب تافه كجهل الزوجة بالقراءة والكتابة ، او قسوتها فى معاملة اولادها الذين هم فى الوقت نفسه اولادها ، جريمة لا تغتفر ، وخاصة فى بلاد معظم الزوجات فيها من جيل زوجتك غير متعلمات .

حاول اقناعها بالحسنى ان العنف لم يعد وسيلة صالحة لتربية الأولاد ، واستعن ببعض من تتوسم فيهم الحكمة من اقاربها وصديقاتها ، فان لم تنجح محاولاتك فهددها بالطلاق وحرمانها من اولادها ، ولكن حذار ان تقدم على هذه الحماقة .

وتستطيع فى هذه الأثناء ان تشغلها بتعلم ما تيسر من مبادىء القراءة والكتابة ، وستجد فى

تاريخ الجراحة

● فى اى بلد ، وفى اى تاريخ ، اجريت اول عملية جراحية فى العالم ؟

صديق بشير ـ السودان

ـ لم يهتد احد بعد الى تاريخ اول عملية جراحية فى العالم ، ولا فى اى البلاد ظهر اول جراح.وليس بين الآثار القديمة ما يمكن ان يزيل الغموض الذى يكتنف تاريخ الجراحة ، وان كان بين اوراق البردى التى خلفها قدماء المصريين.بعض مذكرات عن الجراحة تتضمن ٤٨ عملية جراحية ، معظمها شبيه بجراحات هذا العصر ، وقد كتبت هذه المذكرات عام ١٦٠٠ قبل الميلاد . وكانوا يجبرون العظام المكسورة بطرق شبيهة بطرق هذا العصر الحديث.ولم يكونوا يعرفون المخدرات، فاذا ارادوا جراحة لاحد ضربوه على راسه بمطرقة فغاب عن وعيه واجريت له الجراحة المطلوبة .

مراهق كبير

نشأت وأنا شاب « حب الطرب وحضور الحفلات والافراح . وقد تزوجت وأنا في الثانية والعشرين من ابنه عم لي بعد حب شديد كما هي العادة البدوية المألوفة ، ورزقت منها بخمسة أولاد أكبرهم في السابعة عشرة ، بينما أنا الآن في حوالي الاربعين .

زوجتي ربة بيت ممتازة ، وهي تحبني حبا شديدا ، ولكنها تتمادى في هذا الحب الى حد الغيرة العمياء ، حتى لا تطيق أن ترانى أتحدث الى امرأة ، ولو كانت عجوزا شمطاء. وقد بلغ من غيرتها أن فرضت علىّ رقابة شديدة وحرمت علىّ مغادرة المنزل بعد الغروب ، لتحرمني من مشاهدة الأفراح .. نصحتها بأن تكف من هذه الغيرة العمياء ، ولتركني حرا طليقا ، فلم تنتصح .. هل أتزوج بأخرى حتى تقلع عن هذه السياسة الخرقاء ؟

أمين حمد ـ عمان

ـ غيرة الزوجة على زوجها الذى تحبه امر طبيعي .. لكن مغالاة زوجتك في غيرتها عليك الى هذا الحد الذى تصفه لا بد لها من سبب هي ادرى به منا ، خصوصا وأنت كما تقول تحب الطرب والافراح والليالي الملاح ، وهذا النوع من الرجال قلما تخلو حياتهم من المغامرات والغراميات .. ولا بد انك رجل ذو ماض ، فهي تفرض عليك ما تفرض من رقابة لأنها تعرفك وتعرف ما قد يجره عليك وعليها جو الطرب والافراح ، من متاعب وأتراح ..

ثم الا ترى ، أيها المراهق الكبير ، انك وقد بلغت الاربعين ، وأصبحت أبا لخمسة أولاد أكبرهم سيبلغ رشده هذا العام ، لم تعد صالحا للمغامرات ، والجرى وراء المطربات والراقصات ؟

لقد كشفك قولك : هل أتزوج بأخرى ؟!

في ذلك ملهاة وتسلية قد تساعد على تعديل سياستها في تربية الأولاد .

ان الأمية لو كانت سببا من اسباب الطلاق لتفككت عرى الأسر العربية في أكثر الوطن العربي. انك ابن زمانك ، فلا تحاول أن تفرض ما يجب أن يكون على ما هو كائن . وذلك بما يعنف . وما الطلاق الا عنف كريه .

سكان الصين .. وسورها العظيم

● ما هي نسبة سكان الصين الى تعداد سكان العالم كله ، وهل صحيح أن سور الصين العظيم الذى ما تزال بعض آثاره قائمة حتى اليوم ، هو بعينه سد يأجوج ومأجوج ؟

م. محجوب ـ بنغازى

ـ تقول الاحصائيات العالمية ان تعداد الصين يوازى ربع تعداد العالم كله ، وانه اذا استمر الصينيون يتوالدون بنفس المعدل الحالى ـ ١٥ مليونا في العام ـ فانهم بعد الف سنة سيمثلون نصف سكان العالم !

اما ان سور الصين العظيم هو سد يأجوج ومأجوج ، فتلك مسألة فيها نظر .

دودة القز

● ما هي كمية الحرير الذى تنتجه دودة القز الواحدة ؟

ايمان محمود ـ المنيرة

ـ يقول الاخصائيون ان كل رطل من الحرير يمثل كامل انتاج ٢٣٠٠ دودة .

التدخين واصفرار الاصابع

● انى ادخن بكثرة . وشر ما يضايقنى من التدخين ذلك اللون الأصفر الذى يتركه النيكوتين في اصابعي . كيف استطيع التخلص منه ؟

مصطفى صالح ـ الكويت

ـ حاول اولا ان تقلع عن التدخين او تقلل منه ، وفى هذه الحالة الاخيرة يحسن ان تستخدم « مبسما » فلا تمسك السيجارة باصابعك . ويمكنك ازالة اصفرار اصابعك بحكها بحجر الخفاف أو غمسها في محلول البيروكسيد المخفف.

بيكاسو

● بيكاسو ، الفنان العالمي ، ما هي جنسيته ، وفي اي تاريخ ولد ؟

سليمان صالح ـ عطبرة

ـ ولد بيكاسو PICASSO في الخامس والعشرين من اكتوبر عام ١٨٨١ ، في « ملقا » باسبانيا . فهو اسباني الجنسية . وقد عاش في باريس .

عندما يتشاجر الاطفال

● انا ام لطفل في السادسة ، قلما يعود من المدرسة دون ان يكون بوجهه او قدمه اثر من آثار شجاره مع زملائه . وبينما يثير ذلك انزعاجي الى اقصى الحدود ، ارى والده يضحك مني في غير اكتراث بما يصيب ولده ، الأمر الذي ينتهي غالبا بشجارنا نحن الاثنين : هو يتهمني بالضعف، وانا اتهمه بالقسوة ، والتوحش ! كيف استطيع اقناعه بالعدول عن سلوكه العجيب ؟

ام حائرة ـ اللاذقية

ـ يقول علم النفس الحديث ان سلوكك انت هو الذي يجب ان يعالج . فليس من الحكمة ان تظهري انزعاجك امام الطفل ، لان ذلك يضعف من قواه المعنوية . ومن الخطل ان تشتبكي مع والده في معركة ، لانه لا يريد ان يشاركك في انزعاجك الذي لا مبرر له . اذ الشجار في الاطفال عادة ، وهم فيه يتعودون على معارك الحياة المقبلة.

المراة وجائزة نوبل

● من هي أول امراة نالت جائزة نوبل في الآداب ؟ ومتى ؟

سهام القاضي ـ الاسكندرية

ـ الكاتبة السويدية « سلمى لاجرلوف » ، في عام ١٩٠٩ .

مدير الشركة ... يتسلى !

● منذ خمس سنوات توفي والدي ، فأعجزتني وفاته عن الالتحاق بالجامعة . وفي تلك الظروف السيئة تعرفت بشاب يدير احدى الشركات ، استطاع أن يقنعني ، أنا الابنة ، ويقنع والدتي بأن أعمل في شركته ، فقبلت لاننا كنا في حاجة الى مورد نعيش منه . وقد لاحظت منذ اليوم الاول انه يغازل هذه ويداعب تلك من فتيات الشركة ، ولكنه كان يؤثرني عليهن حتى أصبحت الآمرة الناهية ، وعرف الجميع أنني فتاته المفضلة . وقد صارحني بحبه وأعرب عن رغبته في الزواج بي ، فبادلته حبا بحب ، ولكني كنت أرده ردا جميلا كلما حاول تقبيلي ، فيغضب حينا ثم يعود فيرضى ، وقد تقدم الي في هذه الفترة أكثر من خطيب ، فكان يشجعني على رفضه ، وكنت أستجيب له لاني كنت قد احببته من كل قلبي، وأصبح بالنسبة لي كل شيء في الحياة .. وأخيرا فوجئت بأنه خطب احدى قريباتي ، فوقع الخبر علي وقع الصاعقة ، ولكني تمالكت أعصابي ، وكتمت ألمي ، وحاولت أن أحمل قلبي على كرهه ففشلت ، وكأنه مشدود اليه بسلاسل من حديد ! ومع أني أتعمد الابتسام ، الا ان العذاب الذي ينتابني يفوق كل عذاب .. ولا أكاد أخلو الى نفسي حتى أغرق في دموعي التي أخشى أن تفضحني أمام الناس !

بربكم افتوني في أمري ، ماذا أفعل ، وكيف أتصرف ، فاني أكاد أجن !

أخت عربية معذبة ـ دمشق

ـ ان رجلا يمنيك بالزواج خمسة أعوام ثم يتخلى عنك فجأة ، رجل لا عهد له ، ومن لا عهد له لا امان له .واغلب الظن انه كان يطارحك الحب على سبيل التسلية ، كما يفعل مع سواك من موظفات شركته ، وهو لا يعرف من معاني الحب الا انه قبلة تعطى او ثبانة تقضى، فابحثي لك عن عمل آخر بعيدك من طريقه ، قبل أن تنهار مقاومتك ، وعندها لا ينفعك الندم او تجديك الدموع . ان صاحبك لا حب عنده ، ولا امانة ، فضعي حبك عند من يستأهله ، فالحب ليس بالشيء الرخيص .

اى الزوجتين أطلق ؟

● أنا شاب فى الثلاثين من عمرى ، تزوجت من ثمانى سنوات بفتاة من أقربائى ، أحبها وتحبنى . وقد أنجبت منها ولدا وبنتا ، وعشت وإياها طيلة هذه المدة حياة زوجية مثالية ، حتى وسوس لى الشيطان منذ سنتين بأن أتزوج زوجة ثانية دون ما سبب أعرفه فما كان منى الا أن نفذت رغبته ، لعنه الله ، وتزوجت بفتاة لا تقل عن الأولى سنا، فسرعان ما انقلبت حياتى مع زوجتى الأولى وأصبحت حياة عراك وشجار دائمين ، ومشاكل بيتية لا تنتهى ، حتى فكرت غير مرة فى أن أطلقها ، فيكون الحائل أطفالى الصغار ، وعندها أزداد غما . كما أننى فكرت فى طلاق الزوجة الثانية اذ ربما يعيد طلاقها الى حياتى بهجتها السابقة ، فيحول دون ذلك أننى أضعت مستقبل فتاة كان يمكن أن تتزوج غيرى وتعيش معه .

فهل تنصحوننى بأن أطلق الاولى أم الثانية أم هما معا ؟ فاننى ان بقيت على هـذا الحال سوف أصاب بالجنون ، والدليل على ذلك مرض الأعصاب الذى اعترانى أخيرا ،وأثبت الاطباء أنه نتيجة الغيظ .

ابو غليون ـ عمان ـ الاردن

ـ انت مثل صارخ لأنانية الأزواج الذين يرتكبون حماقة الجمع بين اكثر من زوجة ، فاذا ما تبينوا سوء عملهم ، راحوا يلقون التبعة على الشيطان ، ويصبون عليه اللعنـات ، وهم بها اولى واحق .

وما دمت قد ذقت وبال امرك ، واصبحت مهددا بالجنون الا ان تكفر عن جريمة بجريمة ، فكيف يطاوعك ضميرك ان تطلق زوجة امضيت معها ، باعترافك ، حياة زوجية مثالية ـ وهى فوق ذلك ام ولديك ـ دون ذنب جنته ، الا أنها ثارت لكرامتها ، ولحقها وحق ولديها فى حياة سعيدة لا ينغصها عليهم منغص أو يشاطرهم فيها « مستعمر دخيل » ؟!

هلا فكرت فى مصيرها بعد الطلاق ؟ واذا كنت من الانانية بحيث لا يهمك مصيرها ، فهلا فكرت فى مصير طفليك اللذين ستجنى عليهما جناية لا تكفر عنها أنهار من الدموع ؟!

اذا لم يكن بد من طلاق احدى الزوجتين ، فاحتفظ بام ولديك ، وسرّح الاخرى ، فهى ما تزال خالية ، وفرص الزواج أمامها أكثر ، فضلا عن أن اقدامها على الزواج منك وهى تعلم أنك زوج ووالد ، يجعلها شريكة لك فى الحماقة ويجب أن تحتمل نصيبها فى وزرها .

غلظ الشفاه وجراحة التجميل

● أنا طالب جامعى فى الرابعة والعشرين من عمرى . شكلى مقبول فيما عدا شفتى فانهمـا غليظتان بصورة منفرة حتى اضطر الى تغطيتهما بيدى فى كثير من الاحيان . هل تستطيع جراحة التجميل ان ترققهما ولو بعض الشىء ؟ وفى اى البلاد العربية اجد الجراح الذى يقوم بهـذه العملية بنجاح ؟

س . س ـ جامعة الرياض

ـ لو أنك فتاة لكان لك بعض العذر فى تبرمك بغلظ شفتيك . اما وانت رجل فما حاجتك الى شفتين رقيقتين ؟

على اى حال نشك كثيرا فى ان تجد جراحـا يستجيب الى رغبتك . فاجتهد فى الا تهتم بمنظر شفتيك ، وتذكر دائما انك رجل لا امراة .

بنت الجيران !

● منذ أربعة أشهر وقع بصرى صـدفة على فتاة كويتية تقيم فى منزل مجاور لمكان عملى . وبحكم هذا الجوار،تكررت النظرات ،فالابتسامات، ثم كان الكلام ، فالموعد ، فاللقاء ، كما قال أمير الشعراء ، ثم تطور الموقف الى حب جارف يغلى فى عروقنا كلينا ، ولكنى أخشى أن أتقدم لخطبتها، فأنا لبنانى الجنسية ، فى الثالثة والعشرين ، أعمل فى الكويت،وقد فهمت منها أن الكويتيين لايزوجون بناتهم الا لكويتيين .

هل من سبيل الى اقناع والدها بأن هـذه التقاليد البالية لم يعد لها مكان فى هذا الزمان ؟ والى من ألجأ ليتولى عنى هذه المهمة ؟!

أ . ص

ـ لم نشأ ان ننشر اسمك كاملا ، ولا عنوانك ،

لئلا ينالك من أهل ليلاك مكروه ، قد ينتهي بك الى ان تفقد عملك !

فان كنت صادق الرغبة فى زواجها ، ورأيت نفسك كفؤا لها ، ندا لأهلها ، فتقدم لخطبتها دون وسيط .. فمن قال لك انهم لن يقبلوك ؟

أما اذا لم تكن كذلك ، فخير لك ان تنتبه لعملك الذى جئت لأجله من بلدك ، لا لمغازلة الفتيات ومعاكسة بنت الجيران !

وقد أعذر من أنذر ...

ردود خاصة :

● آنسة يسرى الاصفهاني : مدرسة اعداد المعلمات بالرياض .

– فى القاهرة عدة أطباء للعيون ، يجرون هذه العملية بنجاح تام ، وفى مقدمتهم الجراح العالمى الدكتور عبد المحسن سليمان .

● آنسة ف. ف. ف : حولي – الكويت

المعذبة س. س: الرياض

– كفا عن تجربتكما فورا ، فهى تجربة بالغة الخطورة . والدم الذى نزف هو بعض نتائجها المحتومة . فلتعجل كل منكما باستشارة طبيبة متخصصة ، والا ساءت العاقبة .

● ش. ع. ش : الدمام السعودية :

– لا يستطيع أخوك أن يستولى على مرتبك او يكرهك على الاقامة معه . طالبه بنصيبك وانصبة اشقائك ووالدتك فى تركة والدكم والقانون يحميكم .

● عبد العزيز مصطفى أبو ثبعة – نابلس

– اليانصيب المخصص للاعمال الخيرية ليس حراما . بهذا افتى الامام محمد عبده .

اما الربا فحرام بنص القرآن والحديث .

● فخرية عابد : منامة – البحرين

– صديقتك ليست مجنونة كما تزعم ، لكن زواجها وهى طفلة ، وطلاقها بعد ثلاثة اشهر من هذا الزواج ، ترك عندها عقدة نفسية ، هى سر ما تبديه من كراهية للرجال .

● محمد عوض احمد : فندق امل – دمشق

– الرياضة المنتظمة ، والتريض فى الحدائق والمنتزهات والحقول ، كفيلان بازالة ما تعانيه من سأم .

● محمد عبد الله باهرمز : القطن – حضرموت

– الدين الاسلامى يبيح السفور المحتشم فى غير تبرج او خلاعة ، وهو فى الوقت نفسه لا يدعو الى الحجاب المتزمت الذى نراه فى الكثير من البلاد العربية ، والبلاد الاسلامية غير العربية .

● عبد الحليم محمد الطرودي – ثانوية الشونة – الاردن

– كل من الشعر المرسل ، والاغانى العربية الممزوجة بالانجليزية او الفرنسية بدعة فى الشعر والغناء لا يمكن ان يجنى منها الأدب أو الفن خيرا.

محمود ذيب طاهر : اربد

– الحصبة تصيب الكبار كما تصيب الصغار ، ولكن فيما ندر . ومع الأدوية الحديثة لم يعد لها من خطر .

● انت تسال ونحن نجيب

● زياد محمود البوريني — نابلس

— بدلا من ان نفكر فى مراتب الرسل والأنبياء ، ومن منهم فى السماء الاولى ، ومن منهم فى السماء السابعة ، اما كان اولى ان نفكر كيف نحرر بلادنا ، ومتى نستطيع ان نطلق قمرا صناعيا كما يفعل الآخرون ؟

● محمد الجيلانى بن بوغالب : تطوان

— « البهائية » طائفة تزعم ان « بهاء الله » رسول من عند الله . وقد ظهر هذا الرسول المزعوم فى ايران ، واعدمته حكومتها عندما زعم انه « هو الله » . واضطهدتهم معظم الحكومات فى البلاد الاسلامية التى تسللوا اليها وحاولوا نشر دعوتهم فيها ، وحكم رجال الدين الاسلامى بتكفيرهم .

● عبد الله البريبى — الرباط

— ما تفكر فيه من ان تصبح البلاد العربية كلها دولة واحدة ، ذات حكومة واحدة ، وجيش واحد، ورئيس واحد ، شيء لا يمكن تحقيقه عمليا ، اليوم على الأقل .

● آنسة ن. ع : الشارقة

— اكتبى الى اى فرع من فروع محلات جاشنمال بالكويت او البحرين او دُبَىّ ، وهم يفيدونك عن طريقة الحصول على الكتاب والاسطوانات الملحقة به بعد دفع الثمن طبعا .

● سيدة رباب : الكويت

— عدم الحمل فى العام الاول من الزواج ليس دليلا على العقم . اما عدم انتظام الدورة الشهرية فناتج عن اضطراب فى المبيضين ، يتطلب علاجا قد يطول .

● عبد المجيد المسلمانى — دمشق

— ابعثوا الينا بما لديكم، فان كان فيه ما يصلح للنشر نشرناه ، ودفعنا المكافأة التى يستحقها .

شركة الكويت

حساب الأرباح والخسائر العمومي للمدة من ٣٠ تموز ١٩٦٠ تاريخ التاسيس

البيان	د.ك	فلس
مصاريف ادارية وعمومية غير موزعه	٤٥٠٤	٣٥٨
مخصص اتعاب مدققي الحسابات	١٠٠٠	٠٠٠
مصاريف التأسيس	٦٤٧	٩٥٧
استهلاك الاثاث	٦٧٥	٦٠٩
مخصص لمكافأة وتعويض الموظفين	١٢٠٠	٠٠٠
صافي الربح قبل التوزيع	١٨٥٠١	٩٧٢
	٢٦٥٢٩	٨٩٦
احتياطي قانوني	١٨٥٠	١٩٧
المقسوم المقترح توزيعه على المساهمين بنسبة ٤ بالمائة من رأس المال المصرح به اي ما يعادل ١٠ بالمائة من رأس المال المدفوع .	١٥٠٠٠	٠٠٠
رصيد الربح المرحل الى الميزانية العمومية .	١٦٥١	٧٧٥
	١٨٥٠١	٩٧٢

	د.ك	فلس
	٥٢٢١	١٥٣
	٧٥٥٠	٧٨٠
	١٥٢٢	٨٠٦
	٣٩٣٠	٢٢٨
	٣٥٢٣	٥٤٤
	٤٧٧٨	١٣٥
	٣	٢٥٠
	٢٦٥٢٩	٨٩٦
	١٨٥٠١	٩٧٢
	١٨٥٠١	٩٧٢

الميزانية العمومية بتاريخ ٣١ ديسمبر - كانون

الأصول	فلس	د.ك	فلس	د.ك	فلس	د.ك
الأصول الثابتة						
الاثاث والمعدات بسعر التكلفة	٨٥٩	٥٦٦٣				
ناقصا الاستهلاك	٦٠٩	٦٧٥			٢٥٠	٤٩٨٨
الاستثمارات						
اسهم وسندات بسعر التكلفة	٠٠٠	٢٠٥				
ودائع ثابته لدى المصارف	٠٠٠	١٦٥٠٠٠			٠٠٠	١٦٥٢٠٥
الأصول المتداولة						
المدينون						
مدينون - عملاء	١٧٢	٥٦٣١٥				
مدينون مختلفون	١٥٧	٢١٣٦	٣٢٩	٥٨٤٥١		
نقد في الصندوق وحسابات جارية لدى البنوك			٦٣٥	١٣٧٠٧		
ارصدة مدينة اخرى تأمينات ومستحقات ومصاريف مدفوعة مقدما			٥١٦	٢٧٠٩	٤٨٠	٧٤٨٦٨
مصاريف التأسيس	٩٥٧	٦٤٧				
ناقصا المبالغ المستهلكة	٩٥٧	٦٤٧	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠
					٧٣٠	٢٤٥٠٦١

فلس	د.ك	فلس	د.ك	فلس	د.ك
				٠٠٠	٣٧٥٠٠٠
٠٠٠	١٥٠٠٠٠			٠٠٠	١٥٠٠٠٠
				١٩٧	١٨٥٠
		١٩٧	٢٨٥٠	٠٠٠	١٠٠٠
٩٧٢	٤٥٠١	٧٧٥	١٦٥١		
٩٧٢	١٥٤٥٠١				
				٩٠٥	٢٠٣٦٣
				٠٠٠	٢٠٧٠٠
		١٤٨	٤٢٣٤٢	٢٤٣	١٢٧٨
١٤٨	٤٣٥٤٢	٠٠٠	١٢٠٠		
				٩٢٨	١٣٩٦
				٠٠٢	٢٨٤٩٠
٦١٠	٣٢٠١٧			٦٨٠	٢١٣٠
٠٠٠	١٥٠٠٠				
٧٣٠	٢٤٥٠٦١				

خالد صالح الغنيم
رئيس مجلس الادارة

للتأمين (ش.م.ك)

لغايــــة ١٩٦١/١٢/٣١

صافي ربح فرع البحري
صافي ربح فرع السيارات
صافي ربح فرع الحريق
صافي ربح فرع الحوادث العامة
عمولة مكتسبة
حصيلة الاستثمارات
رسوم اصدار شهادات الاسهم

صافي الربح قبل التوزيع

الأول ١٩٦١

الخصوم
رأس المال
رأس المال المصرح به ٥٠٠,٠٠٠ سهم عادي بقيمة اسمية ٧,٥٠٠ دينار للسهم الواحد
رأس المال المكتتب به ٥٠٠,٠٠٠ سهم قيمة كل منها ٧,٥٠٠ دينار مدفوع منها ٤٠ بالمائة
الاحتياطيات
احتياطي قانوني
احتياطي لفرع التأمين البحري
الاحتياطي العام (رصيد حساب الارباح والخسائر العمومي)
حقوق المساهمين
احتياطيات ومخصصات
احتياطي تعويضات تحت التسوية في الفروع المختلفة
احتياطي بوالص غير منتهية في الفروع المختلفة
مخصص لكلفة اعادة التأمين
مخصص لمكافأة وتعويض الموظفين
الخصوم المتداولة
دائنون
شركات اعادة التأمين
اقساط مقبوضة مقدما
مقسوم الارباح المقترح توزيعه على المساهمين

شكيب شاكر شخشير

تقرير مدققي الحسابات

الى مساهمي شركة الكويت للتامين (ش.م.ك.)

نشهد اننا فحصنا الميزانية العمومية وحساب الأرباح والخسائر المرفقة وقد حصلنا على جميع البيانات والايضاحات التى وجدناها فى رأينا ضرورية .

واننا نشير انه طبقا لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ فان الميزانية العمومية وحساب الأرباح والخسائر يتفقان مع القانون المذكور وعلى هذا الأساس تعبر بأمانة ووضوح عن المركز المالى الحقيقى للشركة فى ٣١ ديسمبر ١٩٦١ وعن الربح المحقق عن المدة المنتهية فى ذلك التاريخ .

وفى رأينا :

١ ــ أن الشركة تمسك حسابات منتظمة .

٢ ــ ان البيانات الواردة فى تقرير مجلس الادارة بالنسبة للحسابات متفقة مع ما هو وارد فى دفاتر الشركة وان الجرد قد اجرى وفقا للاصول المرعية .

٣ ــ انه فى حدود المعلومات التى توافرت لدينا فانه لم تكن هناك مخالفات لأحكام القانون ونظام الشركة على وجه يؤثر فى نشاط الشركة او مركزها المالى خلال المدة .

الكويت فى ١٩٦٢/٣/١٥

وينى مري وشركاهم
محاسبون قانونيون ــ مدققون

مجلس الادارة

السيد خالد صالح الغنيم	رئيس مجلس الادارة
السيد عبد الله يوسف الغانم	نائب رئيس مجلس الادارة
السيد محمد احمد عبداللطيف الحمد	العضو المنتدب
السيد حمد الصالح الحميضى	عضــو
السيد بدر عبد الله الملا	عضــو
السيد عبد الوهاب عيسى القطامى	عضــو
السيد عبد العزيز احمد البحر	عضــو
السيد محمد صالح يوسف بهبهانى	عضــو
السيد شكيب شاكر شخشير	و. المدير العام

ـ عندما رأيتك ، حزرت على الفور انك خطيب
الخادمة : فهذا الرباط رباطى !

السائح ـ لقد وصلنا متأخرين ! فالحضارة افسدتهم ! تصور انهم قد حددوا تعريفة نقابية لكل صورة تلتقط لهم ، مع رسم اضافى لتسجيل الصوت .. !

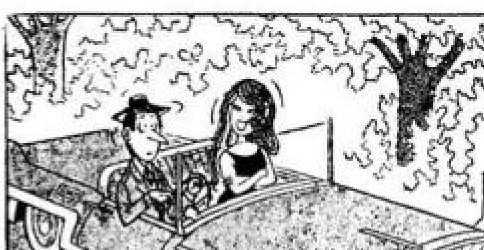

ـ يا عزيزى ، بما انك مؤمن على حياتك ، فلم لا تدعنى اسوق انا السيارة على سبيل التجربة !

نومه مكسب

● فى احـد مقاهى باريس ، وفى ساعة مبكرة من الصباح ، كان أحد الزبائن يجلس الى المائدة وهـو نائم ، فـال أحد الجرسونات زميله :

ـ لقد رأيتك توقظ ذلك الزبون خمس مرات ، لماذا لا تنصحه بالذهاب الى البيت ؟

فرد عليه الجرسون الثانى :

ـ لماذا أفعل ذلك .. وهو فى كل مرة اوقظه فيها يسأل عن الحساب ويدفعه !

أحسن هدية ؟

● **دخل** شاب محلا تجاريا وسأل البائع عن شىء يقدمه هدية الى خطيبته بمناسبة عيد ميلادها .. شىء يشعل النار فى قلبها ويؤججها .

فاجابه البائع :

ـ اذا اردت أن تحرق قلب خطيبتك بهذا الشكل ، فلا تقدم لها شيئا !

تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك

نسبية ..

● **طبيب الاسنان** : انا متأكد انك مش حاتحس حاجه ابدا وانا باخلع ضرسك .
المريض النشال (وهو ينظر الى جيب الطبيب المنتفخ) !
ـ وانت ايضا .

قاتلة زوجها !

● **وكيل النيابة** : لماذا قتلت زوجك بالقوس والسهم ؟
الزوجة : لانني لم ارد ان اوقظ الاطفال !

منطق الأطفال

● **المدرسة** : هل تعرف من هم الاطفال الذين يذهبون الى الجنة ؟
التلميذ : الاطفال الذين توفوا .

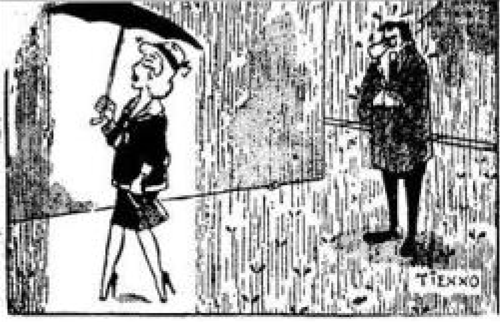

هو ـ كان بامكانك يا عزيزتي اختيار مناسبة اخرى ، كي تبلغيني فيها ان كل شيء قد انتهى بيننا ! .

الاب ـ احتاطوا جيدا فيما تقولون يا اولادى ! فامكم اليوم مزاجها ليس على ما يرام

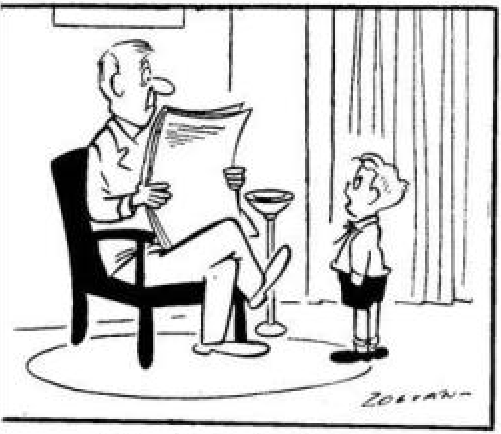

الولد لابيه : العالم كله يطلب المعونة ويعطاها . اما انا ، فاذا طلبت منك قرشين حقيرين كانجوابك الرفض

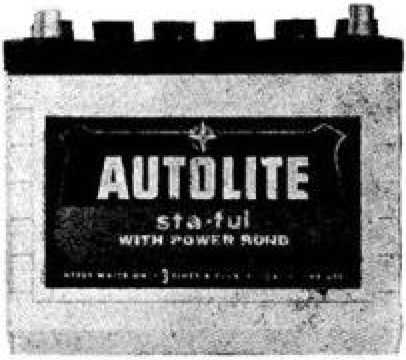
AUTOLITE
sta-ful
WITH POWER BOND

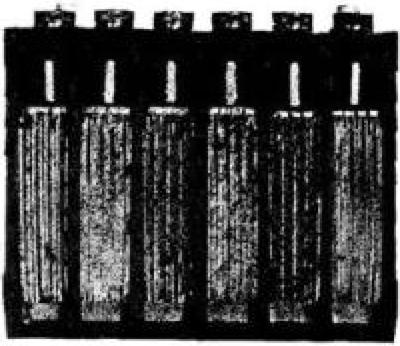

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٦

جهود فى رفع الوعى عند الآباء والأبناء على حد سواء .. والى مجهود فى رفع المستوى المادى .. وفى تغيير بعض القيم والمثل .. وأخيرا فى تنبيه الدولة الى مسئولياتها .

والله يوفقكم ...

محمد جابر الانصارى

الدائرة العربية بالجامعة الامريكية ـ بيروت

« **العربى** » السيد الفاضل لم يفهم مقال الزواج المبكر تماما . ان المقال يقول هناك طالب فى جامعة بلغ الحكم وزاد . وهناك طالبة مثله . الجنس يقلبهما،فيجتمعان فى ظل الشيطان . المراد جمعهما فى ظل الله . قران . لا مهر . لا بيت . لا أولاد . ولا معونة تذكر من آباء . ويعيشان فى ظل الله بدل أن يعيشا فى ظل الشيطان ، وعلى نفس النحو وحسب الامكان .

أما النضج العاطفى فكلام لم نسمع به من عهد آدم الا اليوم . الانسانية كلها تزوجت عند العشرين ، وما دون العشرين، فى ريف وفى حضر على السواء . والاناث تزوجت وتتزوج الى اليوم دون هذه السن.ان المسألةهى أن الزمام سيفلت،رضينا أو لم نرض ، فهل نرضى بافلات الزمام من أجل عاطفة تنضج ؟! أو من أجل غير ذلك . من أسباب، فى العلم ارستقراطية ، ولكنها عند العمل لاتساوى شيئا .

ثم ان الاستاذ سأل ، ولم يأت بحل أفضل . فهات .

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

اقدم آلة موسيقية

● لمناسبة ما ذكرتموه في باب « دردشة » من عدد نيسان من ان الناي هو اقدم آلة موسيقية اذ يرجع تاريخه الى ٢٠٠٠ سنة ق . م . احب ان اذكركم بأن « الطنبورة » هي اول آلة ضاربة ، وقد عرفها قدماء المصريين ولا تزال هذه الآلة تستعمل عند السودانيين حتى اليوم ، وبعد الآلات الضاربة (الطنبورة ، والطبل ، والصاجات ، والرق) أتت آلات النفخ كالناي والنفير .. ومن ثم الآلات الوترية .

فؤاد شحاده ـ السويداء

الاتحاد قوة

● اخي العربي في كل مكان

انت تكره الاستعمار وانا اكرهه .

انت تؤمن بالقومية العربية وانا اؤمن بها ايضا .

اذن تعال وضع يدك في يدي فذلك نصر لنا ، نصر للعروبة ، نصر للقومية العربية .

تعال ما بالك تمشي الهوينا مطأطأ الرأس .

هيا أسرع وارفع رأسك عاليا وابتسم قبل ان يفوت الوقت وتتغلب علينا قوى الشر .

تعال فمتى جثت جزع الاستعمار ، ومتى ابطات فرح وتهلل .. لانه يعلم علم اليقين كما علمتنا مجلة «العربي» الحبيبة ان الرجل الفرد تتناوشه الذئاب من كل جانب ..

ولا تنس يا اخي العربي ان الوحدة قوة نعيد بها اراضينا المغتصبة ، ومحبة تكللنا وتحمينا .

امين بيطار ـ اللاذقية

مريانا مراش

● في بريد القراء من العدد ٤٢ ذكر السيد قاضي نثرة ـ المغرب ـ انه قرأ في بعض الكتب ان مريانا مراش تعلمت العربية في مدرسة الحوادث وانها دخلت هذه المدرسة وهي في الخامسة من عمرها .

وتوضيحا للواقعة اقول انه لم تعرف مدينة حلب مدرسة قط باسم « الحوادث » . وان السيدة مريانا دخلت وهي طفلة المدرسة المارونية ثم انتقلت الى مدرسة ماريوسف ومنها الى المدرسة الانجيلية في بيروت .

وكانت خلال هذه المراحل تدرس النحو والصرف على ابيها واخويها . وساخص « العربي » بمقال مستقل عن حياة هذه الاديبة الشاعرة التي كانت من اوائل السيدات السوريات اللواتي كتبن المقال ونظمن الشعر .

حلب ـ سامي الكيالي

نساء من بلادي

● قرات في مقال « نساء من بلادي » للكاتبة « اسمى طوبى » اسم احمد الزير .

والواقع أن الاسم الصحيح للبطل هو « عطا الزير » . وهو من مدينة الخليل بفلسطين .

محمد محمود ابو غوش
وزارة الدفاع ـ الكويت

● وقد ذكرت الاديبة ايضا في مقالها الشهيدة « حلوه » وما وفتها حقها ، مع ان لهـا قصة مشرفة . تستحق بطولتها أن تخلد ، وهي تدعى « حلوه زيدان » ، كانت تسكن في دير ياسين ، القرية العربية التي تربض بجوار القدس ، وعندما هاجمها الصهاينة الأنذال لم يشفع لسكان تلك القرية آن كان اكثرهـم من الأطفـال والنساء والشيوخ ، فانهالوا عليهم ذبحا وتقتيلا وتمثيلا ، ولما تبدت وحشيتهم ونذالتهم هب ّ شباب القرية وقاوموا بشكل يدعو الى الفخر والاعجاب وتمثل ذلك في « آل عايش » فقام « محمد الحاج عايش » فقاتل ببسالة حتى قتل ، فزغردت والدته « حلوه زيدان » . واخذ البندقية عنه والده الحاج عايش فقاتل حتى قتل ايضا ، فزغردت « حلوه ». وتناولت هي البندقية ونزلت الى الميدان تذب

وتكافح الى ان اصابتها رصاصة لئيمة واستشهدت في ساحة الشرف والجهاد بعد ان فتكت بالأعداء .

عمر حماده علوه : اربد ــ الاردن

● وكذلك في نفس هــذه العجالة التاريخية لعظيمات بلادنا ، ذكرت الكاتبة : ان قرية عزون في قطاع القدس ، ونحن نعلم ان قرية عزون واقعة غرب نابلس .

فؤاد دبــور

مركز تدريب المعلمين ــ رام الله

عتاب من تونس

● في اليوم الأول الذى صدر فيـه الاعـلان بالصحف التونسية عن صدور مجلة عربية كبرى من أصغر دول العالم ، استغربت وقلت في نفسي ، من هي يا ترى أصغر دول العالم التى ستصدر اكبر مجلة فيه .

ومرت ايـام قلائل ، وجيء اليَّ بأول اعداد « العربى » وقرأته ، فاعجبني ، ولكن ما قلته آنذاك هو ان المجلة ثورة قد لا يطول عمرها من التاريخ ، وتلقيت على التوالى اعداد « العربى » الثانى والثالث والرابع الخ .. وانا لا اصدق ان الكويت ، البلد العربى الصغير ، يصدر مجلة كهذه .

لا ابالغ اذ اقول اني لم اتصفح في حياتي مجلة كـ « العربى » ، هذه المجلة التى سخرت كـل جهودها بحق لخدمة الأمة العربية وانارة سبل الحياة امامها ، فالله لا يضيع أجر من احسن عمـلا .

والى جانب ذلك اهوى مطالعة الصحف والمجلات الشرقية ، وكل ما هو آت من الشرق العربـى بصفة خاصة ، لا لشيء الا لانهـا آتية من دول عربية شقيقة ، لغتها العربية ودينها الاسلام ، وقلما تأخرت عن قراءة صحيفة او مجلة شرقية بقطع النظر عن اتجاههـا سواء كان سياسيا ام ادبيا ام فنيا . من شرقى البحر الابيض المتوسط الى تونس ، واطالعها حرفا حرفا ، ولكنى ويـا للاسف الشديد لا اجد بين أوديتها ولو مجرد ذكر اسم تونس حتى خطأ !

وانا اذ أكتب هذا لا استجدى عطفا لبلدى لانى مسرور بما يجرى فيه ، ولان العطف لا يتوسل ، بل استغرب مما يقال « ان الصحافة العربية في خدمة الأمة العربية قبل كل شيء » ، فاين نحن مما نقول ؟ أو ليست تونس دولة عربية ؟ ام ان

الصحافة الشرقية وقف على دول دون الاخرى ؟

محمد الرزقي الورتاني
بنزرت ـ الجمهورية التونسية

« العربي » : اما التحية فنتقبلها شاكرين . اما العتب فلا محل له ، بالنسبة لمجلة « العربى » التى كانت أول صحيفة عربية نشرت استطلاعا بالالوان عن مدينتكم المجاهدة « بنزرت » ، ثم اتبعته باستطلاع آخر عن تونس (العدد ٣٨) وثالث تراه منشورا فى هذا العدد عن مصايف تونس ، وما تزال لدينا عدة استطلاعات أخرى سننشرها تباعا ، وفى الوقت المناسب .

نفعل ان شاء الله

● ... أرجو أن تحققوا رغبتنا نحن أبناء القطر الحضرمى فى جنوب الجزيرة ، بأن تنشروا تحقيقا صحفيا بالالوان عن حضرموت وعدن والجنوب العربى ، ليجد فيه أبناء هذا الجزء من الوطن العربى المهاجرون من زمن بعيد ما يعزيهم عن فراقه .

سليمان سعيد صفوان ـ المكلا ـ حضرموت

● **احييكم واشكركم مقدما واؤكد لكم ان أهم ما أنا فخور بقراءته فى مجلتكم الرائعة تلك الاستطلاعات التى تنشرونها لتعريف البلاد العربية، ونحن فى انتظار الوقت الذى تتحدثون فيه عن هذا الجزء من الوطن العربى (حضرموت) أم ان هناك أسبابا تمنع ذلك ؟**

ان الحديث عن هذه البلاد شيق جدا ، فنرجو الا تنسوها فى استطلاعاتكم المقبلة . مع تقديرنا لجهودكم الجبارة فى مضمار التقدم الثقافى بالبلاد العربية .

الرئيس محمد عبود الكثيرى
المكلا ـ حضرموت
قيادة القوات القعيطية المسلحة

● .. بقدر فخرنا واعتزازنا بمجلة « العربى » الحبيبة ، نعتب عليها أنها لم تنشر حتى اليوم شيئا عن جنوب الجزيرة العربية مما يجعلنا نحن أبناء الجنوب المهاجرين أكثر ما نكون تلهفا الى أن نرى على صفحات « العربى » الحبيبة استطلاعا مصورا عن وطننا الحبيب .

محمد عبد الرب محمد اليافعى
البحرين

« العربى » : نفعل ان شاء الله : وان تكن صعوبة فهى لا شك ميسرة .

العربي

العدد ٤٤
محرم ١٣٨٢
يوليو
(تموز) ١٩٦٢

مع هذا العدد
هدية ثمينة
+
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

كويتية
وراء العلم

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٢٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	فرنك

مسجد ، يدعى فيه اسم الله ، بالكويت
والشمس غاربة

عزيزى القارىء :

- يظهر هذا العدد فى الأسواق ، والكويت تحتفل بعيدها الوطنى ، وهو العيد الأول الذى أعلنت فيه استقلالها ، لتؤكده ، ورفعت فيه علمها ، بعد ان بادرت بسن قوانينها ، والتدبير لانشاء دستورها ، وبعد أن اتخذت من الأوضاع السياسية ، فى الداخل والخارج ، ما يأتلف ومعانى الديمقراطية الحديثة .
حدث كبير يبتهج له قلب كل عربى .

- وكانت صفحات العربى ١٦٤ صفحة ، زدناها ١٦ صفحة ، فصارت ١٨٠ ، وذلك لمناسبة هذا الحادث السعيد .
والى جانب سجل لحياة الكويت رائع ، هو متعة لكل قارىء يرى العروبة هى سبيل الخلاص ، توجد كل الأبواب التى تظهر عادة فى العربى . فاذا نحن سمينا هذا العدد ، بجميل ما احتواه ، عددا خاصا ، لم نعد الصواب .

- بقى شىء عن المراسلات والمكاتيب التى تأتى العربى من القراء . كان منها ما يرسل الى القاهرة ، او الى بيروت ، ومنهما يرسل الى الكويت ، بسبب غلاء أجور البريد . اما الآن وقد خفضت الأجور ، فالرجاء أن تعنون هذه المراسلات والمكاتيب باسم رئيس التحرير وترسل الى الكويت مباشرة . ونخص بالذكر المكاتيب المسجلة .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

سياسة :

استطلاعات صحفية مصورة

طب وعلوم :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

فلسفة وعلم نفس :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
العنوان بيـروت : ص . ب ٤٦٧٩ ـ العنوان بالقاهرة : ص . ب ٢٧٢
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● ليس دور الفتاة الكويتية فى عهد الكويت الحديث باقل اهمية من دور الفتى .. انها تنهل من بحر العلم مثل ما ينهل ، وتعد نفسها لتكون اداة نافعة فى نهضة بلادها وعاملا فعالا فى بناء صرح هذه النهضة وتدعيم اركانها

وهاهى ذى تقف وراء علم الكويت ذى الالوان الاربعة ، وقفة فيها شموخ وفيها طموح ، وفيها تطلع الى غد مشرق ومستقبل افضل

(تصوير عبد الناصر شقرة)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٢ شـلن . العراق ١٢٠ فلسا . سـورية ١٠٠ قرش . لبنـان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السـودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

ئيس التحرير
كتب عن :

الاستقلال

الاستقلال : استقلال الشعوب بإرادتها

تعقدت أمورُ الدول فأصبح لا يستطيع فرْد أن يقضيَ وحدَه في أمور دولة

الحاكمُ الفرْدُ قد يُحسِنُ ولكن لا كلَّ الإحسان ولا كل الزمان

هذا عيد استقلال الكويت ، تحتفل به لأول مـــرّة . تحتفـــل بتوكيده .

فقد مضى على اعلان استقلال الكويت عام كامل . فلو اننا احتفلنا بهذا العيـــد احتفالنا بعيد من يبدأ الحياة من بنى الناس ، لصنعنا كعكة ، ووضعنا عليهـــا شمعةً مُوقَدةً واحدة . شمعة صغيرة ، ولكنها فى حياة الطفل ، كما هي فى حياة الشعوب ، كبيرةٌ خطيرة . انها تمثّل الانطلاقة الأولى فى سبيل العيش . وعلى اسلوب هذه الخطوة الأولى ، وعلى ما بها من صواب ومن خطأ ، تتحدّد أساليب سائر الخطى،حميدةً مشكورةًباذن الله .

الاستقلال لفظ فيه ابهام

ان الاستقلال لفظ ، كسائر الفاظ المعانى الأصيلة الأولى ، فيه كثيرٌ مـــن اللبْس والابهام . انه لفظ قديم ، لـــه معنى فى الحياة الحديثة جديد .

الكويت
بلغت مبلغ الاستقلال
قبل أن يكون لاستقلالها إعلان

ان العرب تقول استقلّ الطائرُ فى طيرانه ، اى ارتفع . واستقلّ القوم ارتحلوا . واستقل برايه اى استبدّ به. واستقلّ بالشىء تفرّد به ولم يشرك فيه غيره .

ولعل هذا المعنى الأخير القديم هو المعنى الذى اشتُقّ منه المعنى السياسى الحديث عندما نقول اليوم استقل شعب واستقلت دولة .

ونقول اشتُق منه لانه ليس هو تماما .

فالشعب اذ يستقل ، لا يستقل برايه ولا يستبدّ به ، ولا يتفرّد به ولا يأبى أن يشرك فيه أحدا .

ان الشعب ، اذ يستقل ، انما يستقل بارادته فى كل شان من شئونه . انه يستشير فى هذه الشئون ، وهو يشرك فيها ، فبهذا تقضى حياة الشعوب اليوم. ولكن بعد كل استشارة ، وبعد كل اشراك ، هو الذى يقضى فى كل هذه الشئون ، ويقضى وحده .

ان الاستقلال استقلال ارادة آخرَ الأمر .

وليس يَعيبنا أن نقول اننا ناخذ الفاظ السياسة الجديدة ، والأنظمة الحديثة ، عمن سبقونا اليها من اهل المدنية الحديثة .

واللفظ المدنى الحديث للاستقلال هو Independence . وهو لفظ يتضمن « سابقة » للنفى . فمعناه غير غيرُ التّبع . ونقيضه Dependence ومعناه التّبَع . فالدولة المستقلة هى غير التابعة . ونقيضها الدولة التابعة ، الخاضعة لسواها فى شئونها ، فليس لها ارادة تستقل بها .

ومن اجل هذا سموا القمر الذى يدور حول الأرض تابعا Satellite لأنه يدور فى فلكها ، ولا يستطيع عنه خروجا، ومن اجل هذا سمّوا الأقمار الصناعية توابعَ صناعية ، لأنها لا تستطيع من هذا الفلك فكاكا . لا تستطيع أن يكون لها ،

الى جانب ارادة الأرض ، ارادة تستقل بهـا .

الاستقلال دائما هو استقلال ارادة ، ولا يَضيره أن تستبقه استشارة ، او اشراك لتوضيح السبيل الى غاية .

الاستقلال وسيلة

والاستقلال بالارادة ، فى اى شعب ، انما هو وسيلة الى غاية .

وهذه الغاية واضحة لكل ذى عين ترى : انها تيسير العيش على الشعب واسعاده .

وقد قضت سُنَن التطور ، فى تكوين الشعوب ، ان تكون هذه الارادة المستقلة، فى اول نشأة المجتمع الانسانى ، عند شيخ القبيلة ، حين كان الحكم قبليًا ابويًا . وكبرت القبيلة وكثرت، وانضمت القبيلة الى قبائل ذوى نسب، أو رحم ، او مصلحة ، فصار لهم اكثر من راس يَهدى ، فصار اكبر رؤوسهم ملكا ، وظل الآخرون شيوخا . وجاء دور الشعوب الكبرى ، وجاءت الثورات الفكرية يتلو بعضها بعضا ، من سياسية ، الى علمية ، الى صناعية ، الى اجتماعية ، الى اقتصادية،فلم يعد فى مكنة الرجل الفرد أن يتفرد .

وانتج الفكر الحديث النظم السياسية الحديثة ، وفتّق معانى الحكم ، واخرج فكرة الاستقلال واضحة قوية ، ونعى على الاستعمار حتى قضى عليه أو كاد . وبهذا خرجت الى الوجود صورة الدولة الحديثة ، المستقلة ، ومقوّماتها .

الاستقلال استقلال شعوب

والاستقلال الحديث انما هو استقلال شعوب .

انه ليس استقلال فرد ، على راس شعب ، يفعل به ما يريد .

وانى أُقرُّ بانه وقع فى التاريخ انْ جاء فرد على راس شعب ، استقلَّ هو برايه فيه ، وتَبِعَ الشعب . وكانت النتيجة احيانا خيراً . الا انها لم تكن الخير كل الخير . ولم تكن خيرا كل الزمان .

ولئن قد اذِن التاريخ بأن ينتج فرد مستبد ، على راس شعب ، خيرا ، فقد اذن التاريخ كذلك بأن ينتج الف فرد مستبد ، على راس شعوب ، شرا ، وشرا مستطيرا .

ما حاجتنا إلى الرجوع مع التاريخ إلى الوراء

على انه مالنا نتكلف الرجوع مع التاريخ الى الوراء لتبيان هذا ، وحاضر الناس فيه ما فيه .

ان فى الدول الحاضرة ، على ظهر هذه الأرض ، دولا توسَم بميسَم الاستقلال، وما هى من الاستقلال فى شىء . انه الاستقلال الزائف .

والاستقلال الزائف صنوف واشكال.

صنف من الاستقلال الزائف بدائي

امة فى ركن بعيد من اركان الأرض . هى مستقلة اكبر الاستقلال ، واعنف الاستقلال ، واغلظ الاستقلال ، واقامت حولها حوائطَ تحجب دونها نور المدنية، فهى رغم الشمس المحرقة فى ظلام دامس .

والذى يجرى وراء هذه الحوائط العالية ، رغم الاستقلال ، بشعٌ بشع . الفقرُ غاية الفقر . والتعاسةُ اوفَى التعاسة ، والذُعر كل الذعر . والذلّةُ غاية الذلة . والسيوف تصل الى ما تشاء من رقاب ، فى موعد وفى غير موعد. والناس تساق كالبهائم ، الى حيث تباع وتشترى .

استقلال نعم . ولكنه استقلال فرد بشعب .

استقلال نعم . ولكنه ليس استقلال شعب بارادته .

وكدت أقول انه استقلال، خيرٌ منه الاستعمار . ذلك أن الاستعمار قد ينفع بما يحمل معه ، غيرَ قاصد ، من معانٍ للحرية لا يستطيع أن يَخبأها ، فتَشيع فى الأمة المستعمَرة ، فيكون فيها الثورة على المستعمر واخراجه. وشرُّ الاستعمار ان يكون من الداخل ، من نفس القوم ، ومن نفس الدم ، يستعمر الحرثَ والنسل،على انقطاع بكل مكان فى الأرض، او زمان .

صنف من الاستقلال الزائف ، يشترك الشعب فى تزييفه

واعلم أن هذا الصنف الذى ذكرت صنفٌ من الاستقلال الزائف فى الدول نادر . وهو حال أشبه بزمن كانت فيه سبأ أو تدمر .

وصنف آخر من الاستقلال الزائف يشترك نفسُ الشعب فى تزييفه .

ومَثَله دولة، اخرى ، تكشفُ أنت عنها فى كتب الجغرافية وكتب السياسة، فتعلم أنها دولة مستقلة. ثم أنت تزورها، او تتنسم او تتابع أخبارها ، فتجد استقلالها زيفا . أنه استقلال رجل فرد، غير صالح ، بشعب. وهو اذ لم يكن له من التاريخ سند ، ولا فى الملوك أرومة ، جعل من نفس شعبه ، الى استقلاله هو بأمره ، دابةً يركبها الى غاية . قسّم الشعب فرقا ، وضرب الفرقة بالفرقة. يوم لهذه تسود فيه فتضرب، ويوم لتلك تسود فيه وتضرب ، ويوم للفئة الثالثة ، تسود فيه فتضرب .

وتفعل الفئة بالفئة ما يجزع انسان أن يصنعه بكلب ، دع بعضَ شعب ببعض شعب .

وسمعنا بهولاكو ، وبجموع التتر ، وما كانت تصنع اذ تزحف ، فهان الذى سمعناه عن الأمس الى جانب الذى رأيناه او سمعناه اليوم .

قرىً تراها صباحا ، تنبض بالحياة، فاذا دَجَا الليل، وجاء صباحه ،وجدتَها قد مُسحت مسحا عن وجه الأرض ، برجالها ونسائها واطفالها . وهى ليست بقرى للأعداء ، ولكنها قرى من الوطن العربى فى الصميم .

وقالوا السحل .

ففزعتُ الى المعجم اطلب معنى السحل ، فلم اجد له معنى كالذى سمعت . ضاق خيال القدماء أن يجدوا له هذا المعنى المخيف : انه الرجل يؤخذ من بين أهله ، هكذا جهارا نهارا ، وتربَط رجلاه بحبل بخلف سيارة ، وتجرى به السيارة ووجهه ، ورأسه ، وصدره ، وبطنه ، وكلُّ ما فيه يتحطَّم على حجر الطريق ، وتجرى به الأميالَ الطوال . والابن ينظر هكذا الى أبيه ، وتنظر الابنة . وتنظر الزوجة . وينظر الأخ والأخت . وينظر الأب والأم .

فظاعة، لم تحتملها الآذان أخباراً ، عن بعد ، فكيف احتملتها عيونُ القوم هناك، رؤيةً عن قرب .

والله لقد خيِّل الىَّ ، وانا أسمع بالسحل أول مرة ، أن لو أن حيوانا ضاريا كان هناك ، لغلى دمه .

وتَتابع السحل،وعين الحكومة تنظر، واذنها تسمع . وقيل الحبلُ حبلها .

والفرقة الأخرى ، التى صنع بها هذا ، كانت كذلك تنظر وتسمع .

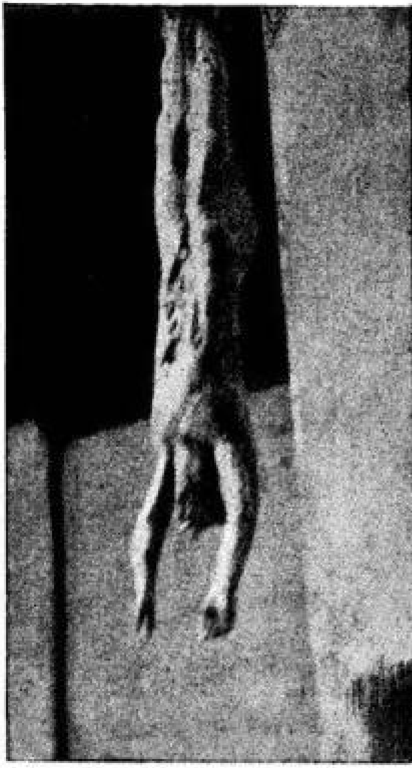

« ... وتنادت الذئاب وعوت الكلاب: اسحلوهم .. اسحلوهم ، وسرعان ما التف الحبل حول الرقبة البضة الجميلة ، وربط حبل حول قدمي الرجل الأنيق .. وسحلت الجثتان . ونبح نابح ان علقوها على باب الدار ، فربطت جثة السيد النبيل الكهل بحبل سميك وعلقت فى حديد شرفة البيت بوضع مقلوب .. »

من مقال الدكتور شاكر مصطفى سليم بجريدة الحرية العراقية .

والجيش ... ؟

وذكرت بالجيش الفرقة الأجنبية الشهيرة، تلك الفرقة الأجيرة التى صنعتها فرنسا ، وجعلتها تصنع الفظائع حين يثور فى مستعمراتها ثائر . وتزيد فرنسا لها الأجر لكل فظيعة جديدة مستطابة .

ان العالم الحديث ظهرت فيه ظاهرة جديرة بالتنبه اليها، تلك وظيفة الجيوش الحديثة فى أمثال هذه الدول ، تلك التى استقل بأمرها ، على الشر ، دون شعوبها، رجلٌ أو رجال . هذه الجيوش انما كانت لحماية الشعوب، وحماية استقلالها وتأمين سيرها الحثيث فى طريق المدنية الحديثة ، وكسب العيش الكريم بالعرق الصبيب فى غير احتكار للعمل ولا استغلال لثمراته، فاذا بها تصبح نكبة على الشعوب وعلى استقلالها . انها جيوش تحمى ارادة الفرد ، وهى ، بحماية ارادته انما تحمى الظلم وتحمى الغدر ، وتحمى الجهل والفقر ، وتحمى حتى السحل ؛ وتفعل هذا ، بأجر .

ولقد اعود فأذكر ، واعذر ، واقول ان الجوع كافر . ولكن من التبعات الأليمَ الذى اذا تسبب اليه الجوع ، كانَ الجوعَ والموتَ بالجوع ، نعمة .

الكويت ، بلغت مبلغ الاستقلال فعلا ، قبل أن تعلنه شكلا ورسما

لقد سبق أن قلت ان الاستقلال ، استقلال الشعوب، وسيلة الى غاية ، وان هذه الغاية هى تيسير الحياة للشعب واسعاده .

واذكر الكويت ، فى أول احتفال لها باستقلالها، فاذكر بها الشعب الكويتى الذى درج الى تيسير حياته واسعاد نفسه، درجات ، مذكورات ، غير منقوصات ، وذلك قبل ان يرتفعَ فوق البلاد علَمٌ ، يُعلِم الناسَ والدول ، بأن هذه الأرض صارت ، بين البلاد ، بلداً مستقلا رسما وشكلا .

ان الكويت سبقت الى الغاية ، وهى تيسير العيش واسعاده قبل أن تتوسل بالوسيلة ، وهى الاستقلال واعلانه .

وهذا فى منطق الأمور غريب : ان الغاية تسبق الوسيلة !

والحق أن الغاية لم تسبق الوسيلة قط . فاستقلال الكويت كان حقيقة واقعة ، من قبل اعلان . كان هكذا فى هذا القرن . وكان هكذا فى القرن الذى سبقه ، فالذى سبقه، حتى ينبهم التاريخ الحديث فلا نستطيع ان نواصله .

كانت هذه الأرض من قديم ارض تجارة . وكانت أرض بِحارة .

والتجارة لا تنمو الا على الحرية .

التجارة لا تنمو وتزدهر الا على الصدق والأمانة . ولقد سمعنا عن التجار بهذه الأرض ، ارض الكويت ، فى اوائل هذا القرن ، انهم يتبادلون العقود والقروض ، هكذا شفاها ، فتقوم مقام الصكّ المكتوب . ولعل هذا ، أو بعض هذا ، لا يزال جاريا الى اليوم .

والبِحارة صِنْو التجارة . البحر المفتوح واسع الآفاق ، فهو يوسّع من آفاق راكبه . والراكب البحرَ لا يجرى على ارادة البحر ، ولكن على ارادته ،وفى هذا توثيق لارادة الفرد . ومخاطر البحر تقرّب الشقة بين الحياة والموت ، فلا تجتمع فى نفس البحّار حياةٌ وذلة .

وعاشت الكويت ، فى ظل الاستقلال الواقع ، سنين . ولقد حاول الدهر ان يفجعها فى استقلالها مرة أو مرارا ، فدافعت عنه دفاع المؤمن به ذى الايمان المتين المكين . وذلك فى حين لم يكن فى البلاد زيت . وذلك فى حين لم يكن الا العمل والعرق سبيل الى كسب لقمة العيش . وذلك فى حين لم يكن الا التوادد والتآخى طريقٌ الى احقاق الطمأنينة والسلام بين راع ورعية . وسبق الرُعاةُ الرعيةَ كلما صاح الوطن، دَرَاكِ ، الى أسوار وأبواب .

وعمل الطبع السخى ، والفطرة

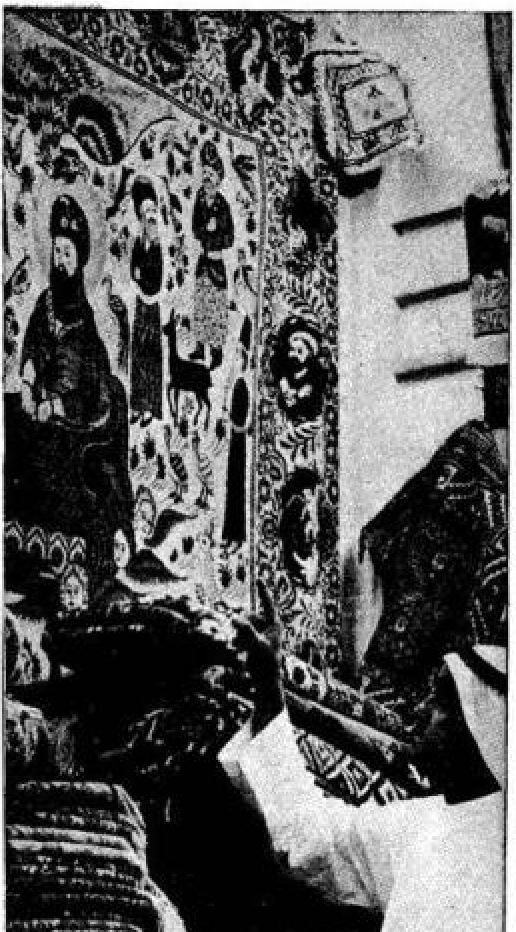

« وكان أهل الكويت من قديم أهل تجارة ، والتجارة لا تقوم ولا تزدهر الا على الحرية ، وعلى الصدق والأمانة . »

« وكان أهل الكويت من قديم أهل بحارة . ومخاطر البحر تقرب بين الحياة والموت ، فلا تجتمع في نفس البحار حياة وذلة ».

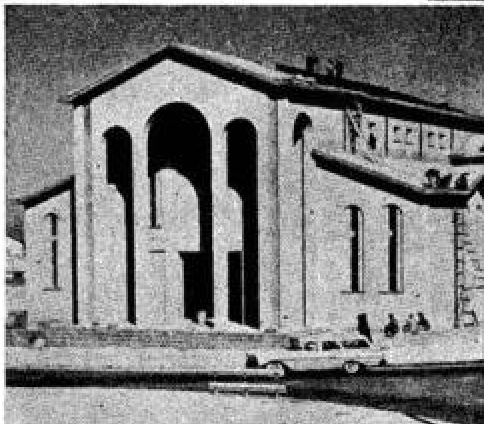

تجرى الكويت على السماحة التي اتصف بها الاسلام من قديم الزمان ، وهذه كنيسة للمسيحيين في الكويت العاصمة ، تبرعت لها الحكومة بالأرض ، وقدمت قرضا مقداره نصف مليون روبية ، يدفع على ١٠ سنوات بدون فائدة . وتلطف المسيحيون فلم يرفعوا عليها الصليب .

الصادقة ، من بعد زيت ، عملهما من قبل زيت . فتحت مدارس . بنيت مستشفيات . مهدت طرقات . أقيمت عمائر وعمارات .

والهدف ؟

تيسير العيش على الشعب . يسروه قبل استقلال ، وفي سنوات معدودات ، بالقدر الذي لم تيسره امم جارات وغير جارات ، في العشرات من السنين والمئات .

ونعم اعان الزيت .

ولكن اعان اكثر الطبع السخي ، والفطرة الصادقة .

وكم زيت تدفق في بلاد ، وراء البحار، بعيدة عنا سحيقة ، ومن منابت المدنية قريبة لصيقة ، لم يفد شعبها منه الا الفقر والا التعاسة .

وحاول قوم أن يشككوا في استقلال الكويت

وجاء اليوم الذي وجب على الكويت فيه ان تنتظم فيما انتظمت فيه سائر بلاد الارض .

فاعلنت استقلالها . ورفعت علمها .

واخذت تسن قوانينها . واخذت تشكل دستورها . وتتابعت الدول في الاعتراف باستقلالها .

ثم جاء صوت نشاز . لم يجيء من القطبين ، ولم يجيء من المشرقين والمغربين، ولكن جاء من حيث لم يحتسب احد . جاء من اقرب القربى .

وجاء من نفس الناحية التي كانت

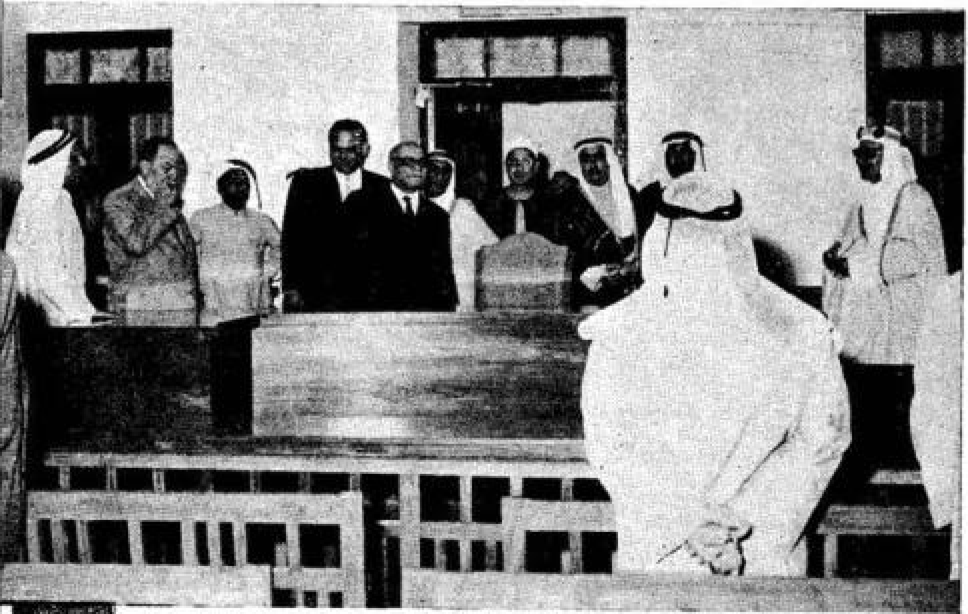

افتتاح المهد القضائي الجديد : الى اليمين سعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس العدل عند ذاك ، والى اليسار الدكتور عبد الرزاق السنهوري الخبير العربي الذي استدعى للمعاونة في صياغة القوانين الجديدة . ومعهما رؤساء القضاء .

سبقت فهنئات باستقلال .

لا بد انها كانت هنئات باستقلال ، ثم بدءا لها .

قرأت لأستاذ علم «الحكم والسياسة» الشهير ، الاستاذ هارولد لاسكى ، اذ يقول عن الحكام عندما تتأزم بهم الأمور :

« ... وعندئذ يأخذ الحكام في كراهة الحرية التي تكون للشعب . هم يعلمون ان الشعب في ضيق ، وان الشعب اخذ يرتاب في حكمة الحاكمين ، وأخذ ينصت الى أصوات تأتي من آخرين ، تطلب التغيير والتبديل .. وقد تعجز الحكومة عن تبديل للاصلاح وتغيير . فان هي عجزت ، لم يبق لها للاحتفاظ بسلطانها ، غير احد امرين : الضغط والضرب في الداخل ، أو اثارة المشاكل في الخارج ، ولو ادت الى حرب » .

وهذا هو الذي احسبه وقع في العراق الشقيق .

اعتراف باستقلال الكويت ،

ثم اسف على اعتراف ،

لحقه طلب سريع بضم الكويت بزعم أنها قطر ملحق بالعراق قديم .

خلق حاكم العراق ، من مشكلات الخارج ، هذا الاشكال تخلصا من ضيق في الداخل هو فيه .

انه لم يطلب ضم اهل ، ولكنه طلب ضم أرض وزيت . وعنده ان لو كانت الكويت قبل ذلك ومن بعد ذلك خرابا .

ثمرة ناضجة تحلب لها ريقه وريق من حوله من الطامعين . لم تكن تخطر لهم

فى بال ، فلما اخطرها ، صفق لها نفر من المقربين ، وحتى من الساسة المبعدين .

ثمرة كان فيها اغراء شديد ، كما اغرى الشيطان بشجرة التفاح آدم وحواء ، فأخرجا من الجنة وانزلا الى الأرض ، اسفل سافلين .

وكان لابد من حجج تدعم دعاوى العدوان

ولكن ، لما كان لا بد لكل دعوى من حجج تدعمها ، راح حاكم العراق ينظر فى الأوضاع التى كانت منذ عشرات السنين .

ووجد حجة منخرقة مهلهلة ، تعصرها ، تطلب فيها أصالة من حق ، فلا يخرج منها الا عصارة من زيت .

جدل ما كان إليه حاجة

وثار حول هذه الحجة جدل كثير ، ما كان اليه حاجة .

انها الدولة العثمانية . كانت دولة الخلافة ، وبهذا الحسبان ضمت بلادا اسلامية كثيرة . ثم جرت القرون بضعف دولة الخلافة ، فأخذت دول الاستعمار تتنقصها من اطرافها ، قطرا من بعد قطر . وجاء القرن الحاضر والدولة العثمانية ممزقة منخرقة . بعض ذهب . وبعض بقى الا خيطا يربط . وبعض ظل فى الأركان البعيدة ، لم تكد تمتد اليه ، حتى والدولة العثمانية فى

الجماهير الساخطة امام قصر السيف ، القصر الرسمى لأمير البلاد ، معلنة استنكارها لتصريح عبد الكريم قاسم ، يوم ١٩٦١/٦/٢٥ الذى يطالب فيه بضم دولة الكويت .

واذا لم تستطع تركيا ان تطالب بهذا ، وهى الدولة الأم ، فكيف تستطيع حبّة ، من هذا النظام الذى انفرط ، ان تطالب بضمّ حبة اخرى؟

مَثَل من مصر والسودان

والسودان ، سمّاه رجال الاستعمار ، السودان المصرى الانجليزى ، وسمّوه هكذا حتى قبل ان ينفرط عقد الدولة العثمانية ، حين كانت مصر والسودان حبتين من حباته . وسموه هكذا لأن مصر كانت للاستعمار . واذن يكون للاستعمار كل ما يتبعها .

ثم جاءت الثورة فى مصر ، فهل جاز لمصر ، فى عهد التحرر ، أن تدعى ملك شبر فى السودان ارضِه أو سمائه ؟ وقام الاخاء مقام الادعاء ، فاذا مصر كلها للسودان ، واذا السودان كله لمصر ، على التعاون ، وعلى المحبة ، وعلى تبادل المنافع والمصالح .

حجج أسوقها ، مجاراة ، وانا كاره لها .

ذلك لأن الحجة الأولى ، التى لا تعلو عليها حجة فى هذا الزمان ، أن كل ارض لأهلها ، وكل بحر ، وكل سماء . والرقيق انطوى عصره ، واصبح الرق لا وجود له ، بين افراد وبين شعوب .

وقال قاسم بالضم ، وان أهل الكويت

سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت يطل على الجماهير من شرفة قصر السيف معلنا تصميم الكويت على الدفاع عن استقلالها وحمايته .

ابنائها ، سلطة هذه الدولة .

ومن هذه الأخيرة كانت الكويت .

وجاءت الحرب العالمية الأولى ، وانتهت ، وبانتهائها انفرط عقد الدولة العثمانية ، دولة الخلافة . أنفرط الى حبات . ومن هذه الحبات كانت مصر . وكانت سورية ، وكانت العراق . . وكانت الكويت .

ورضى العالم هذا الانفراط .

وانا اتساءل : بعد هذا الانفراط ، واستقرار تلك الأوضاع ، هل تستطيع تركيا أن تطالب بضم مصر ، أو ضمّ الشام ، أو حتى العراق ، بناءً على انه كان يجمعها قديما ، وهذه الدول ، خيط يجعل منها عقدا واحدا ؟

تريده ، وان الثورة فى الكويت وشيكة القيام على حكامها !

مقال يعارضه المنطق حتى عند غير ساكن فى الكويت . ان الثورة لا يثيرها الا الضيق ، الا الجوع . فكيف تقوم الثورة فى بلد فيه الرخاء كل الرخاء ..

وتحدوه .

قالوا : نستفتي الكويت ، فى الضم .
قال : لا .

بعد إحقاق الحقّ
تبقى نظرة
"الذي ليس عنده" إلى "من عنده"

نعم ، هذه طبيعة البشر .

عين الفقير تنظر الى الغنى .

وعين الذى ليس عنده من الخير كثير ،

سمو أمير دولة الكويت ، ومعه المقيم البريطانى فى الخليج يوقع على وثيقة الغاء معاهدة ١٨٩٩ .

وزراء دولة الكويت ، وهم من اليمين الى اليسار ، أصحاب السعادة السيد محمد يوسف النصف وزير الشئون الاجتماعية والعمل ، والسيد حمود الزيد الخالد وزير العدل ، والشيخ جابر الأحمد الصباح وزير المالية والاقتصاد ، والشيخ خالد عبد الله السالم الصباح وزير الجمارك والموانىء ، والشيخ محمد احمد الجابر الصباح وزير الدفاع ، والشيخ مبارك الحمد الصباح وزير الأوقاف ، والشيخ عبد الله الجابر الصباح وزير التربية والتعليم ، والشيخ صباح الأحمد الصباح وزير الارشاد والأنباء ، والشيخ صباح السالم الصباح نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، والسيد عبد العزيز حمد الصقر وزير الصحة العامة ، والشيخ جابر العلى السالم الصباح وزير الكهرباء والماء ، والشيخ سالم العلى الصباح وزير الاشغال العامة ، والشيخ مبارك عبد الله الأحمد الصباح وزير البريد والبرق والهاتف ، والشيخ سعد عبد الله السالم الصباح وزير الداخلية .

يد صاحب السمو امير دولة الكويت فى يد امين الجامعة العربية ، الأستاذ عبد الخالق حسونة ، عند اجتماعهما على اثر الأزمة التى اثارهـا عبد الكريم قاسم .

تنظر الى الخير الكثير الذى عند غيره .

وتقول له انه الله يعطى ويمنع ، فيصبر من تقوى . الا انها تقوى لا تقوى على البقاء طويلا .

وعن محبة للخير ، وعن رعاية للرحم ، وطلبا للود الذى لا بد أن يقوم ويدوم بين العرب ، عند من له مال كثير ، ومن له مال قليل ، عن كل هذا ، أنشأت الكويت صندوقا للتنمية الاقتصادية العربية ، به خمسون مليونا من الدنانير عدا ، يقترض العرب منها ، ومنها يعانون .

والجيرة ، أهل الخليج ، بعثت اليهم مبعوثين ، عادوا ، وشرحوا ، وفسروا ، وقرروا ، فنزلت الكويت لأهل الخليج ، عن خمسة ملايين روبية .

المجلس التاسيسى عند اجتماعه لاول مرة فى ٢٠ يناير (كانون ثانى) عام ١٩٦٢ وعدد اعضائه ٣٤ عضوا ، ٢٠ منهم منتخبون ، والباقى معينون وهم الوزراء .

وذلك اول القطر .

ان اهل الكويت اهل فطنة . وهم فى العرب اهل رَحِم وتراحم .

وقبل صندوق التنمية هذا قامت الكويت تسدُّ حاجات العرب،كلما طرات الطوارىء فيهم ، وتأزمت الأمور .

فى حملة القنال سخت الكويت ،رعاة ورعية ، عن الشيء الكثير .

وسخت ، والأسطول البريطانى ، بعضه عند القنال ، عند بورسعيد ، وبعضه فى مياه الخليج .

طفت العاطفة العربية فلم تخش خاشية .

وللجزائر أعطت الكويت الكثير ،ولاتزال تعطي . واعطت عن عاطفة عربية صادقة. واعطت ، والكويت على الخليج ،والجزائر قرب المحيط . واعطت ، والأمل فى خلاص الجزائر قليل صغير . واعطت والأمل فى خلاصها كثير كبير .

والكويت اقل سكانها من اهلها ، واكثرهم من غير اهلها . واكثر هذا الأكثر من العرب .

والكويت آوتهم . والكويت أعزّتهم . ولا عبرة للذى يقال فى بعض صحفها عن رأى جانح منحرف ، ان صدق حينا ، فهو فى اكثر الأحيان غير مستنير .

لقد زرت الكويت ، لأول مرة فى ربيع عام ١٩٥٥ ، وذلك بدعوة منها لالقاء محاضرات تتصل بموسم ثقافتها . كان هذا عقب تركى جامعة القاهرة وتركى ادارتها فى الظروف التى كانت .

وكانت الدعوة لفتة من الداعين كريمة . ونظرت الكويت عند ذاك ، وطوّفت فيها، ورايت الكثير . ورايت سورها الضخم القديم،وهو من طين،وكانت تهدم بقاياه. والى جانب الهدم رايت ماكان من بناء عظيم . وراعنى اول روعة من هذا البناء ، بناء المدارس . عرفت الكويت كيف تبنى مساكن الأنفس والعقول ، قبل ان تبنى مساكن الأجسام .

وجئت الكويت مقيما فى ربيع عام ١٩٥٨ . وعاصرت التمدد الذى كان ، والتقدم الذى تعددت وجوهه. وطرقات كانت اشبه شيء بطرقات القرن الماضي ، صارت كأحسن ما تكون الطرق فى القرن العشرين . وسطعت بها الكهرباء زرقاء وحمراء ليلا ، وازدهر بها الشجر أخضرَ نهارا .

والدور تعالت ادوارا فى اوسط المدينة . والدور انتثرت فى أحياء متعددة خارج المدينة ، على صُوَر من الهندسة شتى،جمعتْ بين أنماط من البناء مُونِقة عجيبة ، حتى لقد صارت تلك الأحياء معارض للبناء ، متعةً للعين ، ودراسةَ فن .

والمرافق والخدمات ، من صحية واجتماعية ، ماذا أذكر منها وماذا أدع : الماء ، الكهرباء . أسواق البيع والشراء . ومخازن تجد فيها من البضائع،سوقيّها

الى اليسار : صادف ، بعد اعلان استقلال الكويت ، ان اتم سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح اثنتى عشرة سنة اميرا للبلاد وهذه الصواريخ قد انطلقت فوق مبنى المجلس التاسيسى ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة .. اطال الله عمر الشيخ .

تم فى شهر مارس (آذار) الماضى توقيع أول قرض من صندوق التنمية الاقتصادية الكويتى لمساعدة الدول العربية . وفى الصورة سعادة وزير المالية والاقتصاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح والى جانبه السيد عبد الرحمن الميرغنى يوقع اتفاقية القرض السودانى .

والنادر، جمعت لك أنتجة لندن وباريس، وفرنكفورت وروما، وحتى الهند والصين واليابان ، فى صعيد واحد .

والميناء ، من ميناء بحر ، الى ميناء هواء .

ويجمع كل هذا قولى ، ان الكويت ، فى نحو العشر السنوات الذاهبة ، قد انجزت ما لم يكن لينجزه شعب فى مثل حجمها فى عشرات من السنين أو مئات.

واعود فأقول ، وهو معنى فى سبيل احقاق الحق عظيم كبير ، ان كل هذا قد وقع قبل استكمال الاستقلال ، قبل اعلانه .

ولست اريد ان يخرج القارىء بأنى اصف الكويت بأنها جنة الله، وان سكانها الملائكة ، وانه ليس فيها شىء من عكر الحياة ، الذى عند الشعوب الأخرى . ان الانسان انسان اينما كان، يأكل الطعام ويمشى فى الطرقات . ويمارس الخطأ ويمارس الصواب .

وانما الذى اريد ان يخرج به القارىء

صاحب السمو أمير دولة الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح ، يستقبل السفير الامريكى الأول وهو يقدم أوراق اعتماده. وبينهما صاحب السعادة وزير الخارجية الشيخ صباح السالم الصباح .

فى مؤتمر الاعلام : دعت الجامعة العربية الى عقد هذا المؤتمر فى الكويت ، وقامت وزارة الارشاد والأنباء بفروض الضيافة . وافتتح المؤتمر فى الوزارة المذكورة . وترى فى الصورة سيادة وزير الارشاد والأنباء ، الشيخ صباح الأحمد الصباح ،والى يمينه الدكتور سيد نوفل امين الجامعة العربية المساعد ، والى يساره الأستاذ يحيى أبو بكر رئيس المؤتمر .

أن الكويت ، فى حدود امكانها ، وعلى الرغم من واسع رمالها، والنزر من امطارها حتى ما تكفى أهلها ريًا ، وبمقدار ما وهبها الله من نور البصر ونور البصيرة ، قد اخذت من المدنية الحاضرة بنصيب ، وانجزت فيما انجزت الكثير العجيب .

وانك لواجد مصداق ما نقول فى عشرات الصحائف التالية ، وقد جعلنا موضوعها :

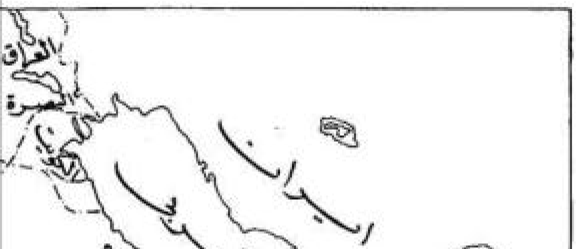

اعتمد مجلس وزراء الكويت مبلغ خمسة ملايين روبية للنهوض بامارات ساحل عمان ، والخير متصل ان شاء الله .

وقصرنا القول على ما كان ، وما هو كائن ، اما المستقبل ، فيدل عليه الماضى والحاضر ، كما يدل الأمس الذى كان واليوم الكائن ، على ما يرتقب الناس فى غدهم .

حقق الله الآمال . ■■

احمد زكى

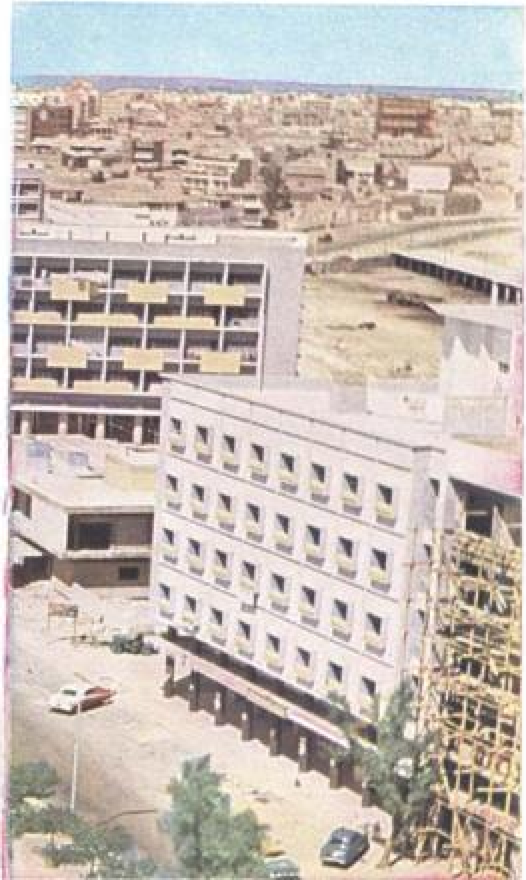

هذا علم الكويت ، وهو ذو الوان أربعة استوحيت من معنى بيت الشاعر العربى :

بيض صنائعنا ، سود وقائعنا
خضر مرابعنا ، حمر مواضينا

الصورة العليا على الصفحة اليسرى :
هذا أحدث مباني مدينة الكويت ، ويتالف من خمسة طوابق . وهو دار وزارة الارشاد والأنباء . وفيه انعقد مؤتمر الاعلام العربى الذى دعت اليه الجامعة العربية ، وذلك فى ٨ مايو ١٩٦٢ . وفى هذا المبنى يسكن «العربى» برجال تحريره ، وفيه معامل الزنكغراف للصور . وكذلك المطابع

الى اليسار : صورة مدينة الكويت ، العاصمة، من الجو . وترى فى اوسطها شارع فهد السالم بعمائره الفخمة الضخمة التى تباهى عمائر سائر عواصم الدنيا بجمالها وحسن تناسقها

ما هي ؟! ومن هو ؟

جـوائز ١٠٠ دينـار

١ ـ بلدة في جزء من الوطن العربي عزيز . فيها ولد نبي ، بدأ حياته يرعى الغنم ، ثم آتاه الله الملك ، ولكنه عصى ربه ثم غوى اذ اغتصب زوجة قائد جيشه ثم قتله .

فما هي ؟ ومن هو ؟

٢ ـ مدينة قديمة ، بها ضريح صحابي مخزومي ، كان أشهر قواد الفتح الاسلامي الاول ، حتى لقد سماه الرسول « سيف الله » .. له آثار مشهورة في قتال الفرس في العراق والبيزنطيين في الشام. ثم نحاه عمر عن قيادة .

فما هي ؟ ومن هو ؟

٣ ـ عاصمة قطر عربي يسمى باسمها .. فيها ولد فيلسوف عباقرة الفكر العربي في القرون الوسطى اذ وضع اسس علم جديد لم يفكر فيه احد من فلاسفة اليونان في العصور القديمة ، ولم يهتد اليه أحد من مفكري أوروبا الا في القرن التاسع عشر .

فما هي ؟ ومن هو ؟

٤ ـ مدينة على شاطىء دجلة ، فيها ولد أمير من أمراء الاسلام عظيم ، لقب بالسلطان ، واشتهر بالكرم وعزة النفس الى جانب شجاعة نادرة ، ومروءة واسعة ، تشمل حتى أعداءه . أعاد فتح بيت المقدس وهزم الصليبيين في معركة حِطّين .

فما هي ؟ ومن هو ؟

٥ ـ مدينة كان لها في العصور الوسطى تاريخ مشهور .. فعندها وقعت معركة من أشهر معارك الحروب الصليبية . وعندها أسر العرب أحد ملوك أوروبا الكبار، وهو الذى كان يقود جيوش الصليبيين في تلك المعركة .

فما هي ؟ ومن هو ؟

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٩ . ويكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي ـ العدد ٤٤ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر اغسطس (آب) ١٩٦٢ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي : الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .. الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .. ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

يفضل ان ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة « العربي » ، صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي ، بعد ان خلصت اجور البريد .

الكويت

١٠ سنوات بناء وتعمير

كتب هذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره ((أوسكار))

ان عشر سنوات فى عمر البلاد والشعوب ليست شيئا مذكورا . ولكن السنوات العشر الأخيرة من تاريخ الكويت خطت بها فى سبيل التقدم خطوات لا تخطوها الأمم الا فى العشرات الكثيرة من السنين .. ان هذا الجزء الصغير من الوطن العربى ، قد استطاع خلال هذه الفترة القصيرة من تاريخه ، أن يضرب رقما قياسيا ، بما حققه من أسباب النهضة ومظاهر التقدم والازدهار .. والصفحات التالية ليست الا عرضا سريعا ، لبعض ما قطعته الكويت فى هذا الميدان ، فى وقت لا يعد شيئا فى مقاييس الزمان .

الحياة النيابية

● « باسم الله نفتتح اعمال المجلس التاسيسى لدولة الكويت
لستقلة ، هذا المجلس الذى تقع على عاتقه مهمة وضع اساس
لحكم فى المستقبل .. »
بهذه الكلمات القوية المؤمنة افتتح سمو الامير عبد الله السالم
لصباح فى صباح يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٦٢ اول مجلس تاسيسى
، الكويت

الصورة العليا لسمو الأمير عند تشريفه قاعة المجلس يحيط به
بار رجال الكويت . والى أعلى الصفحة اليسرى المبنى المؤقت
لمجلس التاسيسى وهو دار البلدية

● يضم المجلس ٣٤ عضوا: ٢٠ انتخبوا من الشعب و١٤ عينوا
هم الوزراء ، الذين تنازلوا عن حقهم فى التصويت ليتركوا
لاعضاء المنتخبين الفرصة فى اتخاذ القرارات دون تدخل منهم .

● تالفت أول وزارة كويتية من ١٤ وزيرا (الصورة اليسرى)
فيها تولى كل وزير وزارة واحدة فقط ، وكانت الوزارات قبل
لك تدعى دوائر .

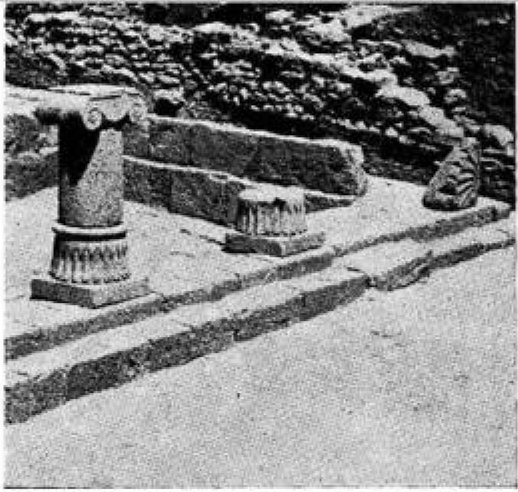

الكويت فى أطواء التاريخ

● فى عام ١٧٦٥ زار الكويت الرحالة الدنمركى « كارستن نيبور » فوصفها بانها : « مدينة يبلغ عدد سكانها نحو عشرة آلاف نسمة لديهم ٨٠٠ مركب ، وهم يعيشون على التجارة وصيد السمك والغوص بحثا عن اللؤلؤ » .

● مدينة عمرها خمسة آلاف سنة ، اكتشفت فى جزيرة فيلكا بالكويت . ان هذا الاكتشاف أكد اعتقاد المؤرخين والعلماء ان الكويت وجزرها كانت ماهولة منذ قديم الزمان ، وان طرق التجارة كانت تمر بسواحلها لتتزود بالماء والطعام وخاصة من جزيرة فيلكا .

● وفى منطقة برقان والقرين داخل حدود الكويت عثر على آثار من الصوان تدل على ان الكويت قد سكنها صيادون من العصر الحجرى منذ خمسين الف عام !

● على مقربة من الساحل بجزيرة فيلكا وجدت جدران معبد يونانى قديم مكون من ١٢ غرفة عثر فيها على عدد كبير من التماثيل ومن بينها تمثال الاسكندر الاكبر نفسه !

● اختار الكويتيون لهم عام ١٧٥٦ الشيخ صباح ابن جابر او صباح الاول اميرا لهم وكان سيد اسرة عريقة الحسب والنسب هى عنزة ؟

فاصبح بذلك سيد البلاد ومؤسس الأسرة الحاكمة فى الكويت الآن .

كلما هدم منزل بنيت ٦ منازل !

● كيف تحولت البلدة الصغيرة ذات المنازل المطلية بالرمال الصفراء الى مدينة صاخبة عامرة بالطرقات والمنازل المكيفة الهواء ؟ من سجلات بلدية مدينة الكويت نجد الجواب . فخلال العشرة الشهور الأخيرة من عام ١٩٥٩ تم هدم ٦٠٠ منزل قديم . وكان مجموع تصاريح بناء المنازل الجديدة - فى نفس المدة - ٣٨٠٦ تصاريح .

● كانت مساحة مدينة الكويت عام ١٩٥٥ تقرب من ٨ كيلو مترات مربعة فاصبحت اليوم ٤٠ كيلو مترا مربعا .. اى ان مساحة المدينة قد تضاعفت ٥ مرات فى سبع سنوات .

● فى خلال عام ١٩٦٠ بدأ بناء ٧٠ عمارة ضخمة

● برزت أهمية الكويت عندما احتل الفرس البصرة عام (١٧٧٦ – ١٧٧٩) وكانت البصرة فى ذلك الوقت مركزا تجاريا مهما . وكان من جراء هذا الاحتلال أن انتقلت حركة التجارة من البصرة الى الكويت حيث نقلت شركة الهند الشرقية مكاتبها ومخازنها وموظفيها ، ووجهت اليها سفنها المحملة بالبضائع فازدادت بذلك أهمية الكويت كما ازدادت نسبة الهجرة اليها من الخليج والجزيرة العربية

● لم يذكر المؤرخون أن الكويت كانت جزءا من العراق او أن غالبية اهلها من أصل عراقى . فقد ذكر المؤرخ الانكليزى (برجس Brydges) وكان احد موظفى شركة الهند الشرقية ، بأنه لجأ الى الكويت عام ١٧٩٣ بسبب خلاف دب بين شركته والسلطات العثمانية فى البصرة وهذا يدل دلالة واضحة على ان البصرة لم يكن لها ولاية على الكويت ، والا لما استطاع برجس أن يلجأ اليها .

● فى سنة ١٨٩٦ تولى الشيخ مبارك الصباح زمام الحكم فى الكويت ، فكانت الكويت تتمتع بكل مظاهر السيادة . حتى انه اعلن الحرب فى عدة مناسبات على حلفاء الدولة العلية مثل ابن الرشيد وآل السعدون ، ثم عقد المعاهدة المشهورة مع الانكليز عام ١٨٩٩ .

● كان من مظاهر السيادة العثمانية فيما مضى: تعيين الولاة وعزلهم ، وجباية الضرائب ، وبناء الثكنات العسكرية وفرض اللغة التركية فى المدارس ، والتجنيد الاجبارى ، الى غير ذلك من مظاهر السيطرة العثمانية التى لم يكن لها أثر فى الكويت بفضل تصميم أهلها حكومة وشعبا على العيش احرارا مستقلين .

مرة واحدة ل شارع فهد السالم ، وكان هذا ايذانا بانطلاقة جديدة فى طريقة البناء بالكويت ، فقد كانت معظم العمارات مكونة من طابق واحد اوطابقين على الأكثر .

● استخدمت فى اعمال البناء الماكنات الضخمة التى حلت محل الانسان فى عملية خلط الاسمنت ونقل المواد للطوابق العليا ، وتكسير الزلط وتقطيع الحديد ، وصب الخرسانة .. الخ .

حل مشكلة الماء

● تقلب الكويت ، البلد الصحراوى ، على اكبر واعقد مشاكله

● كان الماء يصله قديما على ظهر السفن من شط العرب ثم شيدت اكبر محطة لتقطير ماء البحر فى العالم ، اما اليوم فقد عثر على بحيرات من الماء العذب تحت رمال الصحراء بكميات هائلة تكفى حاجة الكويت لمدة ٢٠ عاما بمعدل ٥ ملايين جالون فى اليوم الواحد .

● تجرى حاليا عملية مسح شامل لارض الكويت بحثا عن الماء ، والدلائل الاولية مشجعة للغاية ، اذ تشير الى وجود الماء الجوفى فى معظم انحاء دولة الكويت

● تستهلك الكويت حاليا ، ستة ملايين جالون من الماء العذب ، وعشرة ملايين جالون من ماء الآبار فى اليوم الواحد ، وفى خلال الشهرين القادمين سيقفز هذا الرقم الى ١١ مليون جالون من الماء العذب و ١٤ مليون جالون من ماء الآبار .

الى اليمين : هذه هى « اعجوبة العالم الثامنة » انها محطة تقطير ماء البحر فى الكويت وتقطر منه يوميا ٦ ملايين جالون.

صورة الموظفين والعمال الذين هرعوا الى منطقة الروضتين ليشهدوا تفجر الماء العذب من الارض بغزارة . وتبعد هذه المنطقة ٥٥ ميلا عن مدينة الكويت . وقد اوشك ان يتم مد خط انابيب مياه قطرها ٢٤ بوصة لجلب هذه المياه الى العاصمة . كما تم حفر ١١ بئرا منتجة ، قدرة كل واحدة ٥٠٠ الف جالون فى اليوم لمد الكويت بخمسة ملايين جالون فى اليوم الواحد .

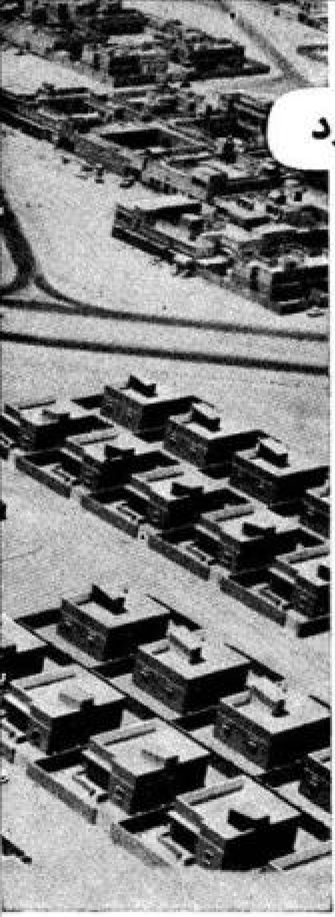

منزل لكل أسرة ذات دخل محدود

● استوجبت عملية البناء والتعمير وشق الشوارع فى الكويت الحديثة، هدم مئات المنازل القديمة وازالتها ، ولم تشرع الحكومة فى الهدم ، الا بعد تامينها المسكن والارض اللازمة لبناء مسكن جديد لكل أسرة هدم منزلها .

● وفى عام ١٩٥٤ بدات عملية توزيع المنازل على ذوى الدخل المحدود ، الذين يسددون ثمن المنزل والارض على اقساط شهرية تتراوح بين ٣ دنانير و١٥ دينارا حسب دخل الفرد .

● تم حتى الآن توزيع اربعة آلاف مسكن كما بدأ العمل فى تنفيذ المشروع الكبير الذى يهدف الى بناء ثمانية آلاف منزل آخر ، فى الثمانى السنوات القادمة .

● تهدف الخطة الموضوعة الى ان يكون لكل أسرة من الأسر ذات الدخل المحدود مسكن خاص بها ، خلال السنوات القادمة .

١٦ ساعة تذيع خلالها اذاعة الكويت

● بدات اذاعة الكويت تبث برامجها عام ١٩٥١ بقوة كيلو وات واحد فقط! وفى عام ١٩٦٢أصبحت قوة المحطة مائة كيلو وات للموجةالمتوسطةوخمسين كيلو وات للموجة القصيرة.مما جعل صوت الكويت ينتقل عبر البلاد العربية متخطيا حدود الكويت التى كان يقف عندها .

● مدة الارسال للاذاعة الكويتية ست عشرة ساعة واربعون دقيقة يوميا ، تقدم خلالها البرامج الخاصة .

● ساعدت الاذاعة على ظهور فنانين كويتيين حديثين وسلطت الأضواء على المطربين القدامى فى الكويت ، كما عملت على تطوير الاغانى والالحان الكويتية والتمثيليات الخاصة .

١٥ ألف جهاز تلفزيون فى الكويت

● ثمانية اشهر فقط مضت على انشاء تلفزيون الكويت ومع هذا فقد كان الاقبال على برامجه التجريبية ناجحا للغاية ومدة البث ثلاث ساعات كل يوم .

● خلق التلفزيون مجالا جديدا للترفيه عن شعب الكويت ، وضم أعضاء الأسر اذ يشاهدونه فى منازلهم،وفيه تقدم البرامج الثقافية والترفيهية مثل التمثيليات والافلام السينمائية والمحاضرات والندوات واستعراض الشئون العالمية ، وركن الاطفال وغير ذلك من شتى الموضوعات الأخرى .

● اقبل ابناء الكويت وبناته على العمل فى التلفزيون بحماس بالغ حتى اصبح عدد لا بأس به منهم يتولى ادارة الماكنات والاتالتصوير الضخمة.

● ان محطة تلفزيون الكويت تبث برامجها على قناة خاصة ، وهناك ، حتى الآن ، حوالى ١٥ الف بيت فى الكويت العاصمة وضواحيها ، لديها أجهزة استقبال تلفزيونى .

[redacted]

- تطور جيش الكويت ، وخاصة بعد ازمة العراق ، تطوراً جذريا شاملا . حتى اصبح هذا الجيش مقتدرا ومجهزا بأحدث المعدات والاسلحة والدبابات الثقيلة
- بدا العمل لانشاء مدرسة لجنود المشاة ووضع مخطط لانشاء مدرسة حربية لتخريج دفعات من الضباط الكويتيين المدربين احسن تدريب
- اصبح جيش الكويت مزودا باسطول من الطائرات النفاثة التي يقودها نسور كويتيون مدربون وسوف تنشا كلية خاصة تكون مسئولة عن تخريج ضباط تابعين لهذا السلاح .
- يضم جيش الكويت خيرة شبابها واكفاهم من الضباط والجنود ، فى مختلف الاسلحة كسلاح المشاة والمدفعية والفرسان والطيران والمغاوير (الصاعقة)
- ان جيش الكويت يعتبر جيشا فتيا بالنسبة لجيوش الدول العربية ، ولكن حسن تدريبه وتزويده بأحدث الأسلحة والتفاف الشعب حوله ، يجعله قوة رادعة لكل من تسول له نفسه الاعتداء على هذا الشعب المسالم

مستشفى الصباح : اكبر مستشفيات الكويت واحدثها مجهز بتكييف الهواء صيفا وشتاء ، وبه أحدث الأجهزة والمعدات الطبيـة ، ويشمل ٨٠٠ سرير للمرضى .

الصحة للجميع ...

● يجرى انفاق جزء كبير من دخل البترول فى الكويت على المشروعات والمرافق ذات المنفعة العامة ، والصحة فى المقدمة . والكويت يجرى فيه العلاج وتقديم الدواء بالمجان لكل من تقله أرضه .

● فى عام ١٩٣٦ كان بالكويت مستوصف مجانى واحد يعمل به طبيب واحد ، وصيدلى واحد ! أما اليوم ففى الكويت ٢٨٢ طبيبا و١٣٥ صيدليا ومساعد صيدلى ، و ٥٢٠ ممرضة و٢٦٧ مساعدة ممرضة و٦٢٥ مضمدا و٥٩ محللا كيماويا و ٢٥ مركب أسنان و ٢٠ مصور أشعة ، و٢٢ مساعد تحميض وذلك فضلا عن مئات المعاونين الصحيين .

● يوجد بالكويت ٥٩ مستشفى ومستوصفا ومصحا وعيادة أسنان . عدد الأسرة فيها ٢١٥٥ سرير ١ .

● النهضة الصحية فى الكويت تشمل الصحة الوقائية والمحجر الصحى ، والصحة المدرسـية ، وشعبة البيطرة ، ومصحات الامراض الصدرية ، ومستشفى الحميات ، ومراكز رعاية الطفولة والأمومة. ومستشفى الأمراض العصبية والنفسية ، والعلاج بالطاقات الطبيعية ، وقسم الاطراف الصناعية ، والمختبرات ، وقسم التثقيف الصحى وغيرها ..

● فى الكويت بنك للدم . وقد شاهد هذا البنك اقبالا زائدا من أبناء الشعب خلال الأزمـة الكويتية العراقية .

العلاج بالمجان ...

● الصورة التى تراها اسفل هذا الكلام التقطت فى غرفة العمليات بالمستشفى الاميرى .. انها واحدة من سبع غرف مماثلة فى مستشفيات الكويت مجهزة كلها بالحديث من ادوات الجراحة . تجرى فيها اكثر من الف عملية مجانية شهريا .. ان تأميم الطب فى الكويت يجعل حتى مرضى السرطان يعالجون بالراديوم مجانا .. لقد وصل عدد المرضى الذين عولجوا بمستشفيات ومستوصفات الكويت فى العام الماضى اكثر من ٥٠ الف مريض .

والعلاج فى الكويت مجانى لكل انسان يعيش تحت سمائه . ولا يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل هناك هجرات من الاقطار المجاورة والبعيدة ، يأتون بالسفن والطائرات للعلاج واجراء العمليات بالمجان..

.. والدواء بالمجان

● بنسلين واستربتومايسين وكورامايسين وغير ذلك من الادوية النادرة الثمينة .. حتى الأسبرو واللزقة وصبغة اليود والقطن .. كل هذا يقدم مجانا لجميع المرضى من كويتيين واجانب على حد سواء .. ان ميزانية الادوية التي تصرف للمرضى تقرب وحدها من نصف مليون جنيه استرليني سنويا .. والمريض ياخذ حاجته من الأدوية بسخاء غير موجود في بلد آخر ، دون ان يدفع فلسا واحدا ، بينما نجد المريض في انجلترا مثلا ، يدفع رسما رمزيا قدره شلن واحد عن كل تذكرة دواء يصرفها من الصيدلية . والصورة السفلى التقطت لاثنين من الصيادلة ، في صيدلية المستشفى الاميرى ، يقومان بتوزيع الادوية مجانا ، على بعض المرضى من سكان الكويت ، دون تمييز بين جنسياتهم ..

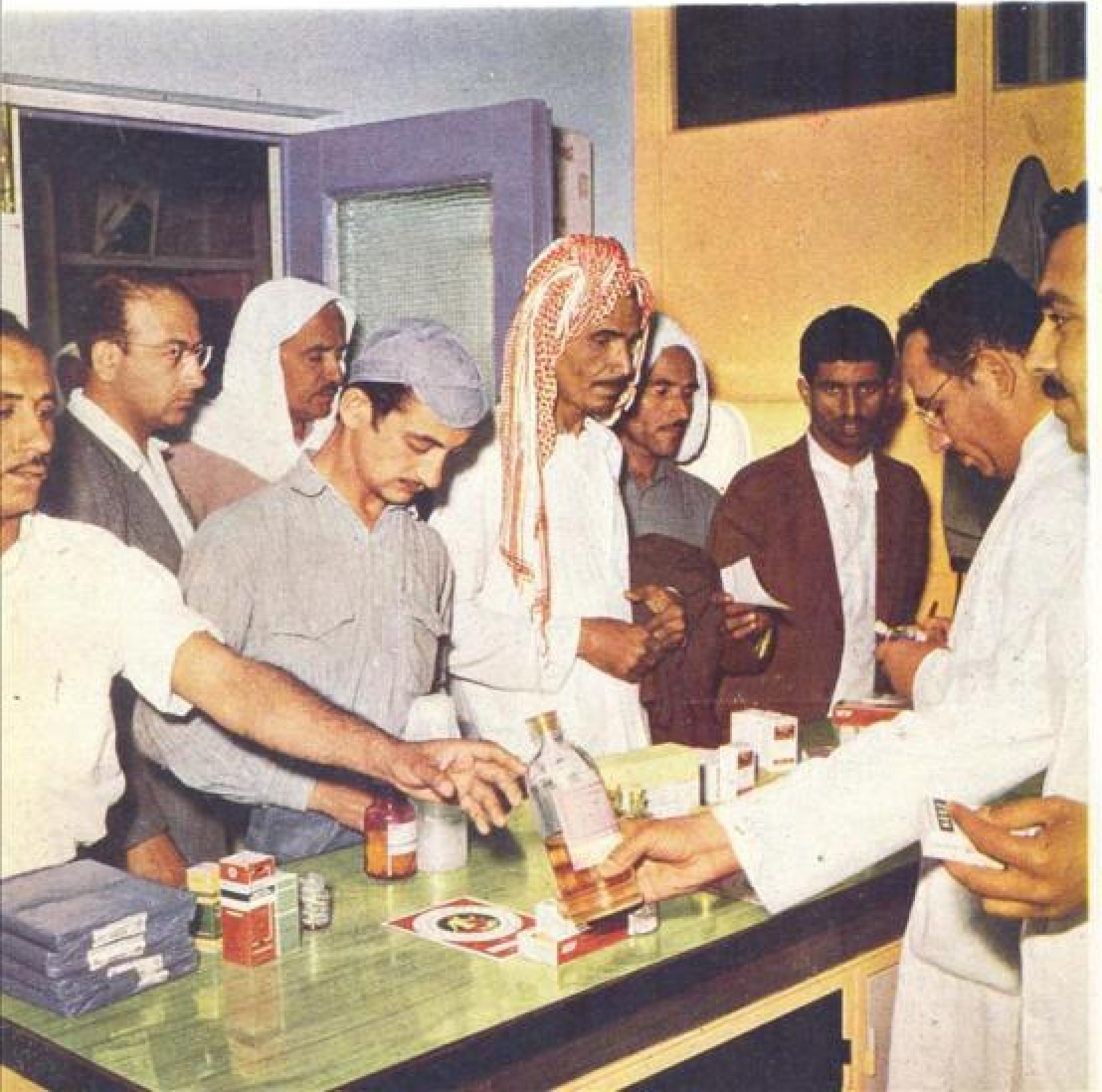

١٧ مليون دينار ميزانية التعليم

● ان اعتماد اهل الكويت على التجارة فى معيشتهم جعلهم فى امس الحاجة الى من يتولى شئون مراسلاتهم مع تجار العالم وضبط حساباتهم. ومن هنا نشأت فكرة اقامة اول مدرسة فى الكويت عام ١٩١٢ هى المدرسة المباركية التى احتفل بعيدها الخمسينى منذ بضعة أسابيع ..

● طالب الاهالى بزيادة الضريبة الجمركية على وارداتهم فى عام ١٩٣٦ لاستغلالها فى تنظيم التعليم فى البلاد .

● ظهر النفط عام ١٩٤٥ فبدأت الحكومة تعمل على رفع مستوى الشعب ببناء المدارس التى كانت تتزايد كل عام كالآتى : عام ١٩٤٩ كان عدد المدارس ٢١ مدرسة اصبحت بعد عام ٢٣ ثم ٢٦ ثم ٢٤ ثم ٢٨ ثم ٦١ حتى وصلت اليوم الى ١١٥ مدرسة يتلقى العلم فيها ٥١ الف طالب وطالبة .

● يقدر عدد الاساتذة باكثر من ٢٥٥٠ مدرسا اغلبيتهم من البلدان العربية .

● ينقسم التعليم الى رياض أطفال ، وابتدائى ومتوسط وثانوى .

● ظل التعليم الثانوى صفوفا ملحقة بالمدرسة المباركية التى أصبحت فى عام ١٩٥٠ مدرسة ثانوية .. وفى عام ١٩٥٣ تم بناء «ثانوية الشويخ» الضخمة الكبيرة التى يبلغ عدد طلبتها اليوم ١٢٦٥ طالبا موزعين على ٤٢ صفا . وفى عامنا هذا الحاضر افتتحت مدرسة ثانوية جديدة فى كيفان تضم ٦٨٩ طالبا .

● والى جانب التعليم العادى تقوم وزارة التربية والتعليم بانشاء المعاهد الخاصة ، مثل معهد النور والامل للمكفوفين والصم والبكم ، ويجرى التعليم فيه على أيدى مدرسين ومدرسات متخصصات . وهناك معهد التربية العقلية للعناية بالذين انخفض مستوى الذكاء لديهم .

وقد تقرر انشاء مجمع واحد يضم جميع هذه المعاهد .

● أما التعليم الصناعى فقد خصصت له كلية خاصة تقوم بتدريب الطلبة الكويتيين على المهن الصناعية المختلفة،وتجرى الآن فيها عملية انشاء ٦

عنابر جديدة لنوم الطلبة الداخليين استعدادا للاقبال المتزايد على هذه الكلية .

● وهناك المعهد التجارى والمعهد الدينى والمدارس الخاصة غير الحكومية التى اجازت الحكومة فتحها بعد أن وضعت لها نظاما خاصا .

● كانت ميزانية وزارة التربية فى عام ١٩٥٠ أقل من ٢٨٠ الف دينار اما اليوم فقد بلغت الميزانية أكثر من ١٧ مليون دينار .

● وقد مضى على الكويت ثمانى سنوات وهى تعمل على نشر التعليم فى امارات ساحل عمان ، وتمد الطلبة بحاجتهم من الكتب والملابس وترسل المدرسين وتبنى المدارس فى هذا الجزء المجهول من وطننا العربى .

● انتهت الدراسات التى قام بها الخبراء والمختصون لانشاء اول جامعة فى الخليج العربى . ومن المنتظر أن تفتح أبوابها بعد استكمال مبانيها فى أكتوبر عام ١٩٦٤ وسوف تبدأ بكليتين هما : الآداب والعلوم . ومن المنتظر ان يكون عدد طلبتها نحو ٤٠٠ طالب وطالبة وسيكون مقرها فى ثانوية الشويخ الحالية بعد اضافة الكثير من المدرجات وقاعات المحاضرات الى مبانيها .

١٥ مليون دولار للجزائر

● « حرية الجزائر حرية العرب » .. « عاشت الجزائر حرة عربية » .. « الشعب العربي يحيي نضال شعب الجزائر » مثال مما كتب على اللافتات التي كان يحملها شعب الكويت عندما كان يخرج بمظاهرات لنصرة الجزائر .. ولم يقتصر الامر على الجمهور فقد اشتركت الحكومة في المساهمة فادخلت ابناء الجزائر مجانا في مدارس الكويت ، من ثانوية وابتدائية ، كما بلغ مجموع التبرعات التي تبرعت بها الكويت حكومة وشعبا حتى الآن للجزائر اكثر من ١٥ مليون دولار

ومنذ ثلاثة اسابيع فقط سافرت بعثة طبية كويتية كاملة المعدات الى الجزائر لتقديم المعونة الطبية الى هذا الشعب الباسل الذى انهكته سنوات الحرب السبع .

غذاء وافطار للاطفال

● ٢٤ روضة للاطفال الكويتيين تضم ٥٧٨٢ طفلا وطفلة يمرحون ويلعبون ويتعلمون وياكلون وينامون طوال النهار في جو مدرسي جميل يساير احدث النظم التربوية الحديثة

وليس الغرض من رياض الاطفال في الكويت مجرد توفير اللعب والتسلية للاطفال ، ولا العناية بصحتهم ونظافتهم فحسب ، بل انهم الى جانب ما يتلقونه ويتدربون عليه من العادات الحسنة والاخلاق الفاضلة ، يتلقون قسطا من المعرفة يتناسب مع اعمارهم الغضة ، كالرسم والموسيقى والاشغال والرقص الايقاعي والتمثيل والقراءة .

وترى في الصورة اليمنى الاطفال يتناولون وجبة طعام الظهر وهى مؤلفة من لحم وخضار وارز وفاكهة . اما وجبة الصباح فتتالف من البسكويت والحليب الممزوج بقليل من الشاى .

١٧ الف طالبة فى الكويت

● بدا التعليم الحديث للفتاة الكويتية فى عام ١٩٣٧ وكان عدد الطالبات فى ذلك الوقت ١٤٠ طالبة تدرسهن ٥ مدرسات أما اليوم فقد قفز عدد الطالبات الى اكثر من ١٧ الف طالبة ، تقوم على تدريسهن ٨٧٧ مدرسة .

● عدد مدارس البنات ٢١ مدرسة ابتدائية تضم ١٢٧٤٤ طالبة و١٧ مدرسة متوسطة تضم ٢٧٩٩ طالبة ومدرسة ثانوية تضم ٦٢٢ طالبة كما الحقت بعض فصول الثانوى فى المدارس المتوسطة .

● يجرى العمل حاليا فى بناء مدرسة ثانوية كاملة للبنات ضخمة تبلغ تكاليف مبانيها مليونين وربع مليون دينار . وستكون مزودة بتكييف الهواء والقاعات والمدرجات وأحواض السباحة المكشوفة والمسقوفة فضلا عن الحدائق الفناء التى سوف تحيط بها

● ارسلت اول دفعة من خريجات ثانوية البنات ، وكانت مكونة من سبع طالبات ، الى القاهرة فى عام ١٩٥٦ للالتحاق بالتعليم العالى والجامعى هناك .

● يتولى معهد تدريب الفتيات مهمة رفع مستوى الفتاة الكويتية من حيث اتقان فنون التفصيل والخياطة والتدرب على فن ادارة المنزل ورعاية الطفل . وكان الاقبال الكبير على مشاهدة معرضهن الذى أقيم منذ اسابيع ، خير دليل على نجاح هذا المعهد الذى أنشأته وزارة الشئون الاجتماعية .

● ان مسئولية الفتاة الكويتية تجاه اسرتها ومجتمعها جعل النشاط المدرسى يتجه ناحية التدبير المنزلى (الصورة السفلى) والتطريز والموسيقى والرسم .

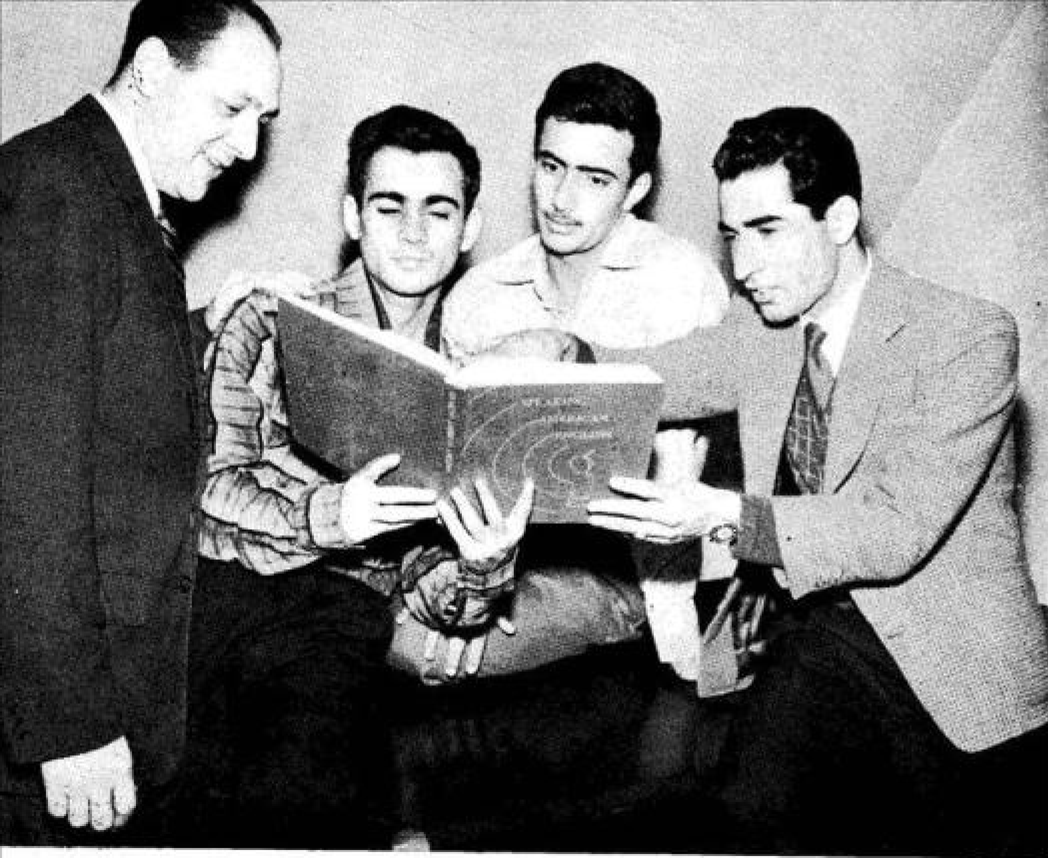

ثلاثة من ابنـاء الكويت الذين يتلقون تعليمهم فى امريكا يتناقشون مع استاذهم الدكتور جيمس ماكريس وهم من اليسار الى اليمين:منصور غلوم الحسين،فيصل يوسف المرزوق،وعبد الله اسماعيل ادهم العبدالله

٥٢٥ طالبا كويتيا يتعلمون فى الخارج

● ان التعليم فى الكويت ليس مقتصرا على كونه مجانيا حتى المرحلة الجامعية فحسب ، بل يوفد الطلبة الى الخارج فى بعثات لاكمال تعليمهم العالى على نفقة الحكومة .

● بدأ نظام البعثات عندما اوفدت الكويت اربعة من ابنائها فى عام ١٩٣٩ الى القاهرة لاستكمال دراستهم الثانوية . وقد قفز عددهم فى العام الحالى الى ٢٤٧ مبعوثا منهم ٣٦ طالبة فى القاهرة فقط .

● والى جانب البعثات للقاهرة ارسل ٢٣ طالبا وطالبة الى لبنان ، والاردن ، وسوريا ، والمانيا ، وارسل ٨٣ طالبا وطالبة واحدة الى الولايات المتحدة ، كما اوفد ١٧٢ مبعوثا لانجلترا منهم ١٣ طالبة لاستكمال دراستهم العالية هناك .

● كانت وزارة التربية والتعليم حتى عام ١٩٥٩ تسمح لجميع الكويتيين الذين أكملوا المرحلة الثانوية أن يواصلوا تحصيلهم العالى على نفقة الحكومة فى الخارج ، الا ان ازدياد عدد الطلاب المطرد ، والرغبة فى بث روح المنافسة بينهم حمل المسئولين على اصدار قانون للبعثات عام ١٩٥٩ يحصر حق متابعة التعليم الجامعى بالثمانين بالمائة الأوائل فى القسم العلمى والسبعين بالمائة الاوائل فى القسم الأدبى . أما الباقون فيجوز ارسالهم فى بعثات تدريبية او مهنية لا تزيد مدتها عن عامين .

اكبر موانىء الخليج

● تلعب الكويت دورا هاما فى الملاحة البحرية التجارية ، فموقعها على رأس الخليج العربى يجعلها ملتقى للسفن القادمة من مياه البحار والمحيطات .

● ورغبة فى المحافظة على مركزها الممتاز قامت بانشاء اكبر ميناء تجارى فى الخليج هو ميناء الشويخ.

● طول رصيفه الرئيسى ٢٥٠٠ قدم وعمق الماء بجواره ٣٣ قدما ويتسع لرسو اربع بواخر كبيرة وباخرتين صغيرتين ، هذا فضلا عن رصيف السفن الصغيرة وارصفة المراكب المحلية

● على الارصفة ١٦ رافعة ضخمة تسير على خطوط حديدية لتفريغ حمولة البواخر التى وصل عددها فى العام الماضى الى ٧٠٤ سفينة افرغت ما حمولته ١٧٠ر٥ر٢٠٣ر٢ طنا من البضائع

● تجرى الآن دراسة انشاء منطقة حرة وميناء حر للكويت .

● افتتح مطار الكويت الجديد في أول شهر فبراير الماضي ، وقد سد هذا المطار نقصا كبيرا كانت تعانيه الكويت ، فالمطار القديم لم يكن مجهزا لاستقبال الطائرات النفاثة الضخمة الحديثة . اما المطار الجديد فقد استقبل في يوم افتتاحه ست طائرات نفاثةضخمة حلت على مدرجاته تحمل معها الدفعة الاولى من ركاب الطائرات النفاثة الى الكويت .

● جميع مباني المطار وقاعاته ومطعمه مجهزة باحدث الأثاث وبتكييف مستمر للهواء مما يوفر المتعة والراحة للمسافرين .

● سيزود المطار الجديد بساعة تبين للمسافرين الوقت في مختلف بلاد العالم في وقت واحد .

● مطار الكويت الجديد هو مطار مؤقت ريثما

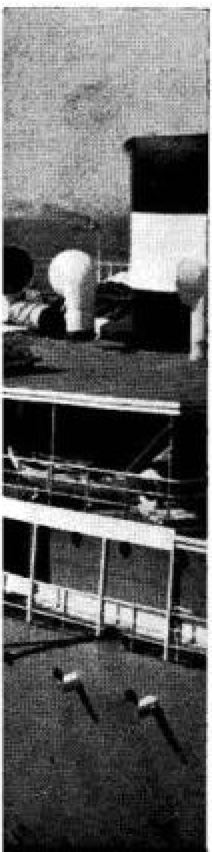

● في شهر يونيو (حزيران) ١٩٤٦ خرجت أول شحنة من بترول الكويت الى أوروبا . كان الانتاج في ذلك الوقت ٨٠٠ الف طن في العام . وبعد مضي ١٦ سنة أصبح انتاج الكويت ٩١ مليون طن من النفط في العام الواحد .

● تقوم بالانتاج أربع شركات : أولها وأقدمها شركة نفط الكويت وهي شركة انجليزية امريكية حصلت على الامتياز عام ١٩٣٤ ، ومجموع انتاجها السنوي ٨١ مليون طن . وشركة النفط الامريكية المستقلة التي حصلت على امتيازها للتنقيب في المنطقة المحايدة عام ١٩٤٨ وانتاجها السنوي ٩ ملايين طن.وشركة النفط العربية اليابانية حصلت على امتياز التنقيب في بحار المنطقة المحايدة عام ١٩٥٨ وانتاجها السنوي مليون طن . والشركة الرابعة هي شركة شل (هولندية انجليزية) حصلت على امتياز التنقيب في مياه الكويت الاقليمية عام ١٩٦١ وما زالت في دور التنقيب .

● وقد ظهرت أخيرا شركة البترول الوطنية الكويتية وملكيتها مشتركة بين حكومة وأهالي الكويت ، وسيكون لها علاقة وثيقة بصناعة الزيت .

● تقوم الشركات بتصدير انتاج النفط من ميناء الاحمدي (الصورة اليسرى) ومعدل التعبئة في هذا الميناء يفوق معدل التعبئة في أي ميناء نفط بالعالم ، اذ وصل الى ستة الاف و٥٢٠ طنا في الساعة .

ينتهي العمل في مطار الكويت الدولي الكبير الذي سوف يكون من اجمل واكبر المطارات في الشرق الأوسط اذ سيكون مزودا بأحدث معدات الراديو والرادار والهبوط الآلي للطائرات .

● رست مناقصة انشاء المطار الجديد على شركة ايطالية عالية بمبلغ اجمالي قدره ... ٨٥٥ ٧ دينار ومن المنتظر أن تنتهي من بناء المطار الدولي الكويتي الجديد في خلال سنتين .

● ومما يذكر أن المطار الحالي سيصبح جزءا من المطار الدولي . وقد يوصل بينهما بنفق أو بطريق عادي ..

● سيكون طول المهبط الرئيسي للطائرات ٢٤٠٠ متر من الخرسانة المسلحة .

● روعي في اختيار موقع المطار الجديد كل ما يتطلبه مطار دولي من رؤية ، « ومفاسات امان ». كما اخذت بعين الاعتبار امكانية توسيعه في المستقبل، اذا ما تطلب تقدم الطيران الحديث ذلك .

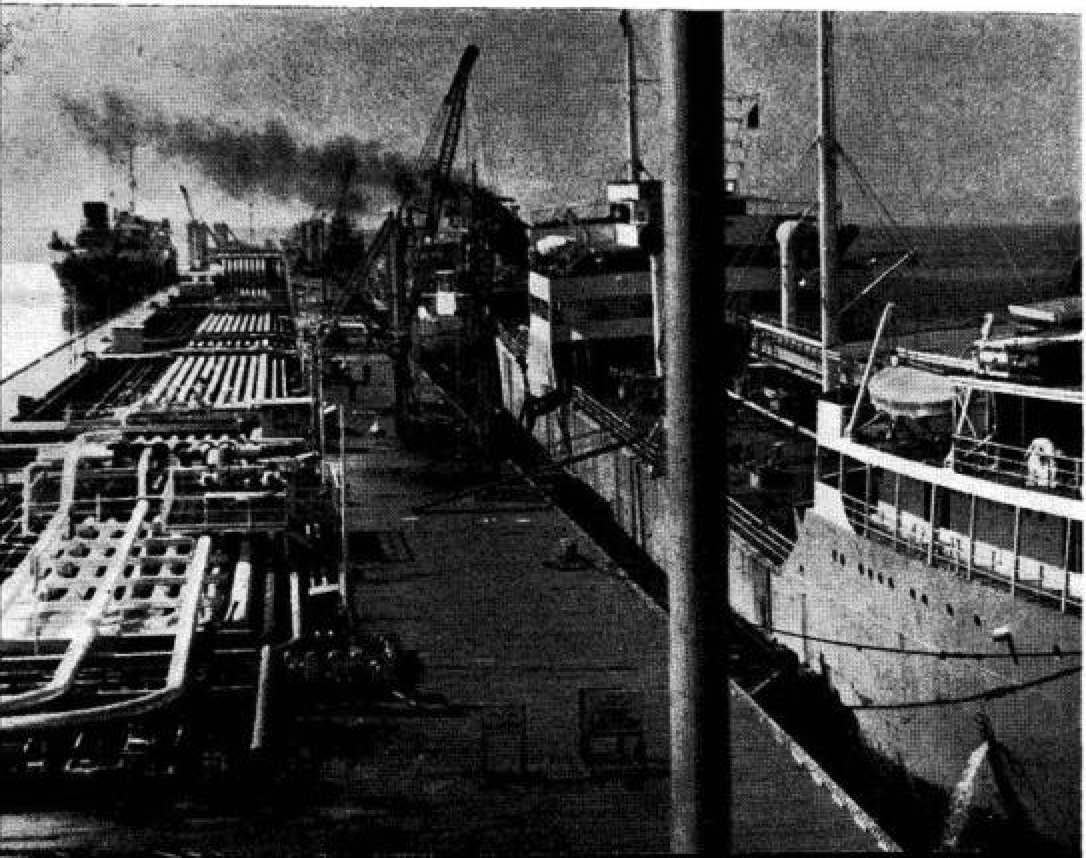

تصنيع البلاد ...

● تجرى في هذه الأيام دراسات واجتماعات متواصلة بين الخبراء العالميين وممثلي الكويت لدراسة عدة مشاريع صناعية ضخمة يأتي في مقدمتها انشاء مصنع للحديد والصلب وآخر للألومنيوم . وقد انتهت دراسة مشروع مصنع الكيماويات البترولية وبدأت عملية بناء المصنع نفسه . وقد دعت الحكومة الكويتية القطاع الأهلي للمساهمة معها في مشاريع التصنيع وتحقيقا لهذه الغاية عرضت بيع نصف مصنعي الطابوق الرملي الجيري (الصورة السفلى) والاسمنت على الجمهور الذي اقبل على الاكتتاب بشكل مذهل محققا بهذا امل الحكومة في تحقيق العدالة الاقتصادية للمواطنين واشراك القطاع الأهلي مع القطاع الحكومي

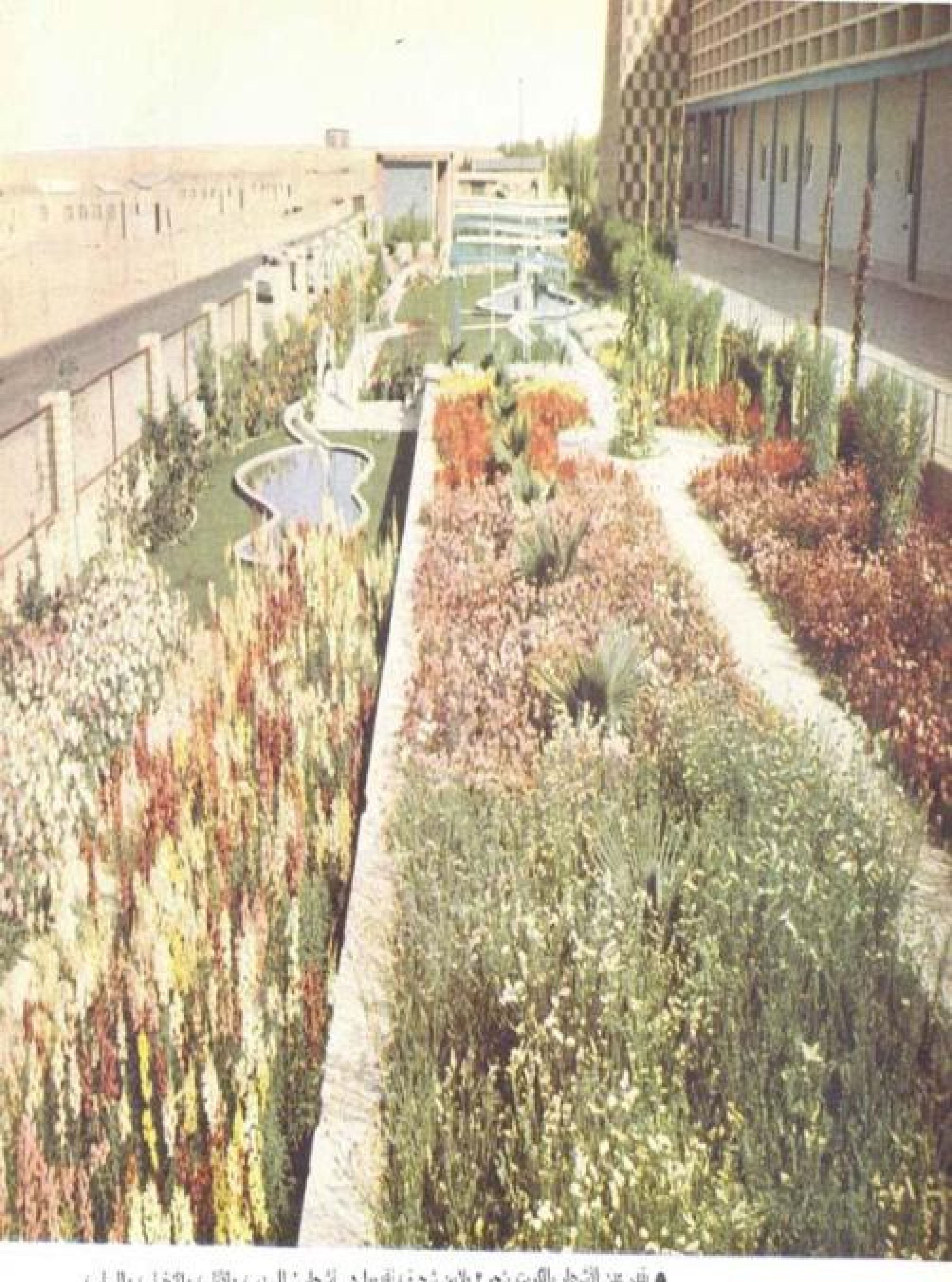

انتصار الزراعة

● يقدر عدد الأشجار بالكويت بنحو ٢ ملايين شجرة ، أهمها هي أشجار : السدر ، والأثل ، والنخيل ، والسلم ، والبمبر ، والبرهام . وقد نجحت زراعة جميع أنواع الخضراوات التي أصبحت تزرع محليا . ويقدم قسم الزراعة بوزارة الأشغال البذور والأشتال للأهالي بالمجان . وقد نجح هذا القسم في ادخال زراعة ٧٥ صنفا من الزهور و٣٤ صنفا جديدا من الأشجار الى الكويت . وقد أصبحت الزراعة هواية عدد كبير من سكان الكويت .

صورة تذكارية التقطت عند رفع علم الكويت الجديد ، وقد ظهر بعض رجال الحرس الاميرى .. والى جوارهم بعض جنود فرقة المغاوير (الصاعقة) فى الجيش الكويتى

قوة أمن سريعة متحركة

● تنفرد الكويت بين سائر الأمم بندرة الجرائم فيها وقلتها .. واغلب الحوادث فيها هى حوادث المرور والسيارات التى يبلغ عددها ٤٥ الف سيارة فى البلاد .

● لم تكن فى الكويت قبل عام ١٩٣٨ قوة بوليس بالمعنى المفهوم ، بل كان هناك ما يعرف باسم « الفداوية » وهم حرس خاص . كان الكويت فى ذلك الوقت بلدا آمنا يعيش فيه المواطنون عيشة هادئة مطمئنة .

ولكن تطور المجتمع وتغيير اسلوب الحياة والهجرات الجماعية بعد ظهور البترول اظهر حاجة الكويت الى شرطة منظمة تشرف على الأمن وتحمى المواطنين وهكذا ظهر اول مركز للشرطة فى الكويت عام ١٩٣٨ وكان مكونا من ٨٠ شرطيا .

● ظل التطور والتوسع يلازمان الشرطة حتى اصبحت الكويت اليوم تملك جهازا قويا سريعا منظما يحفظ الأمن ويضرب على أيدى العابثين ويضم مدرسة خاصة للشرطة وفرقة بوليس النجدة بسياراتها السريعة المزودة بالهاتف اللاسلكى ، وقسم الفرسان وقسم الكلاب البوليسية وغيرها .

● وادارة البحوث الجنائية فى وزارة الداخلية مجهزة باحدث الأجهزة العلمية الحديثة من جهاز لفضح المتهم الكاذب ، وجهاز اشعة لكشف الأوراق المزيفة واجهزة أخرى عديدة لتحليل المواد التى تترك فى أماكن الحوادث .

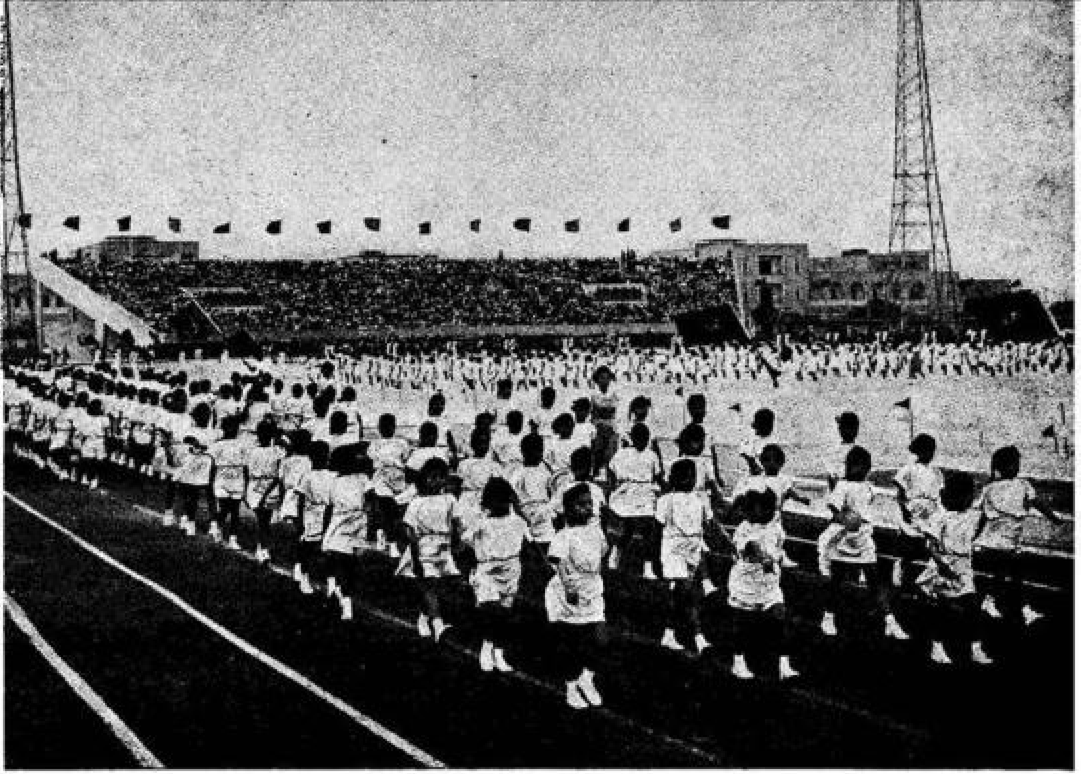

الاستعراض الرياضي الذي يقام في نهاية كل عام لطلبة وطالبات مدارس الكويت ، ونرى هنا مجموعة من الزهرات الصغيرة يسرن أمام الوف الاهالي الذين جلسوا على المدرجات في ملعب ثانوية الشويخ .

الدورة المدرسية العربية تقام بالكويت

● في يوم ٩ نوفمبر القادم ستفتتح في الكويت الدورة الرياضية المدرسية العربية الاولى ، حيث تقام مباريات في كرة القدم ، وكرة السلة ، وكرة الطاولة ، والعاب القوى ، والسباحة والجمباز على ملاعب ثانوية الشويخ وبعض مدارس الكويت الاخرى .

● مما يذكر ان حوض السباحة في ثانوية الشويخ يضاهي أحدث المسابح في العالم . وهو يستقبل الطلاب صغارا وكبارا خلال عطلة الصيف حيث يتدربون على السباحة والقفز الى الماء تحت اشراف مدرب مختص .

● اشتركت الكويت من قبل في الدورة الرياضية الثالثة لجامعة الدول العربية التي انعقدت في الدار البيضاء بالمغرب . كما تعتبر الكويت عضوا في الاتحاد الدولي لكرة القدم

● تضم الكويت اربعة اندية رياضية كبيرة تستقبل الفرق الرياضية الاجنبية وتتبارى معها .

● يقوم بتدريب فريق كرة القدم الكويتي مدرب هنغاري قدير ، وتعتبر كرة القدم اللعبة الرياضية المفضلة في الكويت

١٤٢ مسجداً فى الكويت

● فى الكويت ١٤٢ مسجدا مختلفا منتشرة فىالعاصمة والقرى والضواحى .

● تتميز المساجد بهندستها الحديثة الرائعة ،اما القديم منها فقد جددته وزارة الاوقاف . وقد راعت الوزارة التطور العمرانى فى البلاد ، معحرصها على ان تحافظ تلك المساجد على طابعها العربى والاسلامى الاصيل

● اكبر هذه المساجد هو مسجد السوق الكبيرويعتبر مقرا للاحتفالات الدينية ويتسع لعدة آلاف من المصلين .

● عدد موظفى وزارة الاوقاف ١٥٠ موظفا بما فيهم الائمة والمؤذنون ، واغلبهم من أهل الكويت يعاونهم مجموعة من مختلف البلاد العربية والاسلامية .

البريد والبرق والهاتف

● صدرت فى الكويت منذ بضعة أيام اربعةطوابع بريد تذكارية بمناسبة العيد الوطنى للكويت . وهذه هى المجموعة التذكارية الرابعةالتى تصدرها وزارة البريد والبرق والهاتف فى هذه الدولة الفتية .

● بلغ عدد الرسائل والطرود البريدية الواردة للكويت أكثر من ٣١ مليون رسالة وطرد فى سنة ١٩٦١ أما الصادرة فقد بلغت تسعة ملايين رسالة وطرد . واستقبلت الكويت فى العام الماضىما يقرب من ٢٥٠ الف برقية وصدرت حوالى ٢٠٠ الف . مع الدول العربية ، وقد بلغت عدد المكالمات فى السنة الماضية نحو ١١ الف مكالمة .

● ترتبط الكويت بالهاتف اللاسلكى المباشر

● كان عدد خطوط الهاتف فى داخل البلاد ٤٠٠ خط فقط زادت حاليا الى اربعة آلاف خط. وهناك مشروع قيد التنفيذ يهدف الى زيادة هذا العدد الى ٢٠ الف خط فى عام ١٩٦٥

الصحافة فى الكويت

● أول صحيفة صدرت فى الكويت هى صحيفة« الكويت » الشهرية لصاحبها الاستاذ عبد العزيز الرشيد وذلك منذ نحو نصف قرن مضى وكانت تطبع فى الخارج لعدم وجود مطابع فى الكويت .

● فى عام ١٩٤٨ صدرت مجلة « كاظمــة » وهى مجلة ثقافية عامة كانت تصدر وتطبع فى الكويت وكان صاحباها الأستاذ عبد الحميد الصــانع والأستاذ احمد السقاف .

● تتابع ظهور الصحف الاسبوعية بعــد ذلك ،فصدرت « الايمان » و « وصــــدى الايمان » و « الرائد » و« الفجر » و « الشعب » ، وكلها لا وجود لها اليوم .

● فى مطلع عام ١٩٦١ بدأ النشاط الصحفى من جديد واصبح فى الكويت اليوم خمس صحف اسبوعية هى « الرسالة » و« الهدف » و« صوت الخليج » و« الوطن » و« الطليعة » ، وجريدة يومية هى « أخبار الكويت » ، وجريدة تصدر ٣ مرات فى الاسبوع هى « الرأى العام » .

● وهناك صحف حكومية عديدة تصـــدرها الوزارات المختلفة كل فى اختصاصها مثل الجريدة الرسمية التى تصدرها اسبوعيا وزارة الارشاد والأنباء .

● أما مجلة «العربى» فصدرت فى أول ديسمبر عام ١٩٥٨

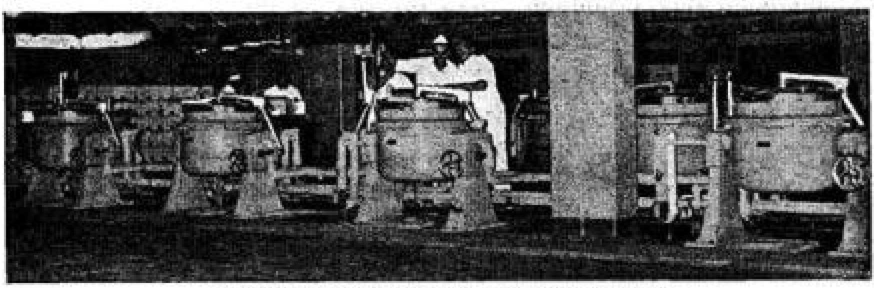

٣٢ الف شطيرة فى اليوم ..

● ان المطبخ المركزى فى الكويت انشىء لمد الطلبة بحاجتهم من الوجبات الغذائية والوجبات الخفيفة. وجميع أدواته من أحدث طراز وأسرعها.

● يقدم المطبخ ٣٢ الف سندوتشا يوميا ،وثمانية الاف رطل لبن كل أسبوع للطلبة ، كما ان القدور البخارية تستطيع تقديم ٢٠ الف وجبــة غذاء للطلبة ، ولكنها لا تقدم هذه الوجبة كلها لأن مواعيد المدارس لا تسمح بتقديم وجبــات أساسية .

● تقوم الافران الكهربائية فى المخبز بانتاج ٢٥٠٠٠ رغيف من الخبز الخاص الممزوج بالحليب والزبدة يوميا . ويقص الرغيف الى ٤٨ شطيرة بآلة اوتوماتيكية ثم تحشى بالجبن والبيض والمربى واللحم ، وتوضع داخل اكياس شفافة قبل توزيعها على الطلبة .

بريد القراء

لغتنا العربية ، وما اختلط بها من شوائب

● تمتاز اللغة العربية بالحيوية والنماء على مدى الايام وتطور الزمان.وهذه خصيصة لا نجدها فى سائر اللغات الاخرى . شاهد ذلك انا اذا قرأنا الشعر الجاهلى المقول قبل قرابة الف وخمسمائة عام ، شعرنا انه مستكمل لما قعّد حديثا من قواعد لشعر متكامل من جميع نواحيه الأدبية ، رغم ما يفصلنا عنه من زمن متطاول ، وانه ادب ناضج مساوق للتفكير السليم ، يمكن أن يدركه المثقف المتوسط الفهم فضلا عن الشداة ، واحسسنا أن جدة هذا الأدب لا تفنى على الزمان ، من حيث التعبير او المعانى والصور . وان كان الطبيعى أن تتقدم الفنون والآداب كناحية من نواحى الرقى الحضارى ، فالذى يبدو بالنسبة لأدبنا ولغتنا هو العكس تماما ، بالقياس الى ما نقع عليه من شعر حديث امتاز بالضحالة غالبا ، ولا أقول دائما .

وما قيل فى جدة اللغة واستمرار صلاحها على الأيام، يقال أيضا عن كل ما خلفته الثقافة العربية العتيدة من كنوز عامرة ، وخصوصا فيما يتصل بالموضوعات ذات الآراء الشخصية كالنقد الأدبى مثلا ، فان استعرضنا آراء الآمدى او الجرجانى (صاحبى الموازنة والوساطة) النقدية ، التى ابديت قبل اكثر من الف ومائة سنة ، ادركنا نفاذ العقليات وعمق الافكار ، وصلاح اعتبار تلك الآراء آراء رصينة قيمة ، يزيد فى قيمتها ورصانتها انقضاء هذه المدة المديدة مع حسبان الحساب للتطور الزمنى .

وفى زعمى أن امثال هذه المفاخر تدعو الى الاعتزاز بلغتنا التى نمنا عن تقصى دقائقها والحفاظ على كنوزها ، حتى أقحمت عليها الفاظ غريبة مستوردة سمجة ، كأنها عجزت عن استيعاب مقتضيات العصر الحاضر ، ومن هنا كان الباب الذى ابتدعتموه فى مجلتكم الغراء ، تعرفون به القراء بالكلمات الطارئة على اللغة ، الدخيلة عليها ، وتحثونهم على تجنب استعمالها ، جانبا محمودا من الحملة الشاملة التى يجب أن نعمم لتخليص اللغة العربية من امثال هذه الشوائب لتعود الى صفائها ونقائها ، تلك الشوائب التى لم تختلط باللغة الا عندما فسدت السلائق العربية الصميمة .

فمتى يحس العرب وفقهاء لغتهم بضرورة الحفاظ على قدسية هذه اللغة ،ونفض الغبار عن كثير من كنوزها الثرة وتراثها الأسمى ؟!

عمر اسعد ــ ماجستير فى الآداب
دمشق

فى ظل الله خير

● ان مجلة « العربى » الغراء هى مجلة المجلات العربية لهذا العصر . فهى قد سدت فراغا كبيرا فى عالم الصحافة العربية ، بل انها فاقت الكثير من مثيلاتها فى العالم الغربى ، وذلك بفضل حسن ادراك القائمين عليها لما هم متصدون له من نشر الثقافة العربية والنهوض بالوعى العربى ، والسير بالعرب حيثما كانوا فى مراقى الفلاح . تلك حقيقة واقعة أقررها ، وان كانت « العربى » لم تعد بحاجة الى مدح وتقريظ بعد ان قطعت هذه الاشواط الواسعة فى مدارج الكمال .

وبعد هذه التحية التى لا بد منها ، أرجو أن اعرب لكم عن اعجابى واعجاب كل غيور على حرمات امته ، بذلك الاقتراح القيم الذى تضمنه حديث الشهر ، والذى يدعو فيه السيد رئيس التحرير الشباب العربى ذكورا واناثا الى الزواج والاقتران فى سن مبكرة، حتى ندرأ عنا نتائج تجربة الغرب ، التى انتهت الى ما انتهت اليه من فوضى الاباحية المطلقة .

ولله ما أبلغ قوله : « ان قرانا فى ظل الله ، خير" من اقتران فى ظل الشيطان » .

سدد الله خطاكم ووفقكم الى ما فيه خير البلاد والعباد .

محمد صالح سعدان

تحية من مستشرق فى المانيا الديمقراطية

● اطيب التحيات واجمل التمنيات وبعد : فيسرنى ان ارسل اليكم رسالتى هذه لاخبركم فيها بما مر بخاطرى اثنا قراءتى مجلة « العربى » . انا ادرس اللغة العربية والفارسية وتاريخ البلدان الاسلامية من الوقت الذى عاش فيه محمد الى الوقت الحاضر ، وقد بعث الىّ صديق لى فى الكويت بنسخة من العدد ٤١ من مجلتكم . فقرأتها بكل سرور اذ وجدت فيها مقالات كثيرة اهتممت بها اهتماما عظيما . وبعناية خاصة طالعت المقالة التى تتحدث عن نظم التعليم فى الكويت ، تلك الدولة الصغيرة التى لا يعرف الكثيرون فى اوروبا عنها شيئا الا اسمها ، والتى تستغل غناها للمنفعة العامة . ومجلة « العربى » تساعد على معرفة العالم العربى . ان شكلها وصورها الجميلة الملونة وموضوعاتها الراقية هى رمز البلد الذى تنشر فيه هذه المجلة .

وقد اعطيت نسختى بعض أصدقائى وقالوا لى كلهم ان هذه المجلة هى اجمل المجلات العربية جميعا .

واخيرا تقبلوا تحياتى واطيب تمنياتى والسلام عليكم وعلى شعب الكويت عامة .

المانيا الديمقراطية — مارتين جرزسكوياك

مجلس الكنائس .. واللاسامية

● تحية وتقدير . اما بعد فنقلا عن جريدة « المنار » الصادرة فى القدس وتحت عنوان « خطايا » اوردت مجلتكم الغراء فى عددها الثانى والاربعين وفى قسم « مرآة الرأى العربى » خبرا حول النداء الذى صدر فى المؤتمر الثالث لمجلس الكنائس العالمى المنعقد فى نيودلهى فى أواخر العام الماضى والذى يقضى بأن تقف الكنائس الأعضاء بوجه « اللاسامية »

يلاحظ من يقرأ هذا الخبر أن هناك سوء فهم لنداء المؤتمر أو بالأحرى يشتم من طريقة سرده أنه يخدم الصهيونية العالمية وربيبتها اسرائيل ،وهذا بعيد عن الحقيقة لأن الكنائس التى اجتمعت ومنها كنيسة انطاكية الأرثوذكسية لم تؤيد أبدا الصهيونية بل دعت الى عدم ابادة اليهود ،وهناك فرق بين اليهود كعرق والصهيونية كدعوة سياسية، والتفريق العنصرى عيب نعير به نحن العرب الدول التى يظهر فيها .

لو نقلت جريدة « المنار » الخبر بكامله لوفرت على كثيرين وربما على نفسها الصاق تهمة خدمة الصهيونية بالمؤتمر . فمن محاضر جلساته نجد أن النداء دعا الكنائس الى الوقوف ضد اللاسامية أى اضطهاد اليهود وابادتهم « لأنه حسب تعاليم المسيحية يجب أن لا تستخدم الاحداث التاريخية التى أدت الى صلب السيد المسيح لتحميل اليهود وحدهم مسؤوليات تقع على كاهل البشرية كلها» . لو نقل النداء كما هو فى النص الذى ورد فيه لظهر على حقيقته ، يشجب ابادة اليهود كعرق هذه الابادة التى ظهرت فى أوروبا وفى الدول العنصرية منها .

وفى الختام أود أن أذكر الذى أورد الخبر أن المؤتمر دعا أعضاءه الى العمل من أجل الحفاظ على حقوق الانسان وكرامته وخاصة حرية المعتقد وفى هذه الدعوة استنكار « لسلب الحقوق وهتك الأعراض والقتل والتشويه الجماعيين » كما انه شجب الاستعمار ووصفه بانه ظلم يرفضه الضمير المسيحى ووجه نداء الى الشعوب يشجب فيه الحرب ويدعو الى وقف سباق التسلح والى احترام أهداف الشعوب .

هذه بعض الملاحظات السريعة حول الخبر الذى نقلته مجلتكم عن « المنار » وأكون من الشاكرين اذا ما نشرتموها كى يذهب كل سوء فهم من ذهن قراء الخبر خاصة وابناء العروبة عامة .

وتفضلوا يا سيدى بقبول فائق الاحترام .

نديم حيدر

« العربى » : لم يقل احد فى أى زمن بقتل يهودى لأنه يهودى . والاسلام فى سائر عهوده فعل أكثر من هذا بان حمى اليهود .. أما اليهودى الذى اعتدى واستحل الدماء واخرج الحرائر من بيوتهن ، فدمه حلال ، واخراجه من البلد الذى اغتصبه واجب مقدس ، ولو بسفك الدماء . **(البقية على صفحة ١٥٢)**

اسم الكتاب «دعاء الكروان»

■ لم يخطىء احد من الذين اشتركوا فى هذه المسابقة فى معرفة اسم الكتاب الذى جعلناه موضوعها ، ولكن كثيرين منهم اخطأوا فى اسم مؤلفه. فقال بعضهم انه عباس محمود العقاد، وقال آخرون انه توفيق الحكيم ، وقال غيرهم انه يوسف السباعى، وفريق زعم انه نجيب محفوظ اواحسان عبد القدوس أو غيرهم من الكتاب الذين آخرجت بعض قصصهم على الشاشة .

وعلى الرغم من انه لم يكن مطلوبا فى المسابقة ذكر اسم المؤلف ، الا ان لجنة التحكيم استبعدت الاجابات التى اخطأ اصحابها فيه . غير انها لم تستبعد الاجابات التى اهملت ذكره .

وكان من اطرف الاجابات ان ارسل احد المتسابقين نسخة من الكتاب مكتوبا عليها : هذا هو جواب المسابقة !

وارسل آخر مشروع غلاف ، مكتوبا بخط جميل، ملفوفا برباط من حرير ..

وارسل ثالث مشروع كتيب ضمنه اسم الكتاب وصورة المؤلف وصور الممثلين الذين اشتركوا فى تمثيل قصته على الشاشة .

وكتبت احدى المتسابقات تقول :

« انى فتاة دنمركية اسمى لسى هوهبرج ، فى العشرين من عمرى ، تعلمت اللغة العربية فى جامعة بنسلفانيا بأمريكا وهناك تعرفت بخطيبى وهو شاب عربى فلسطينى كان يدرس بنفس الجامعة . وكان قبل ذلك فى الكويت . وبعد انتهاء دراستى فى امريكا رجعت الى الدنمرك ، وهناك صرت اقرأ مجلة « العربى » الحبيبة حتى لا انسى اللغة العربية ، لانى احب العرب وافتخر بهم لاخلاصهم ومحبتهم للآخرين . وانى عازمة عند زواجى على زيارة البلاد العربية وخاصة الكويت ودار مجلة « العربى » . وقد تصادف انى اقرأ هذه الايام قصة « دعاء الكروان » ، ومع انى لم اشهد اى فيلم عربى الا انى واثقة من ان هذا الكتاب هو الذى تقصدونه فى مسابقتكم .

« ارجو أن تنشروا هذه الرسالة ليعرف العرب اننا فى الدنمرك نحب الشعب العربى ونتمنى له كل الخير وشكرا » .

وقد فازت هذه المسابقة باحدى الجوائز وكذلك فازت الشاعرة المعروفة فدوى طوقان التى تستجم الآن فى انجلترا ، بالجائزة الثانية .

وفيما يلى اسماء الذين اختارتهم القرعة من بين آلاف المتسابقين للفوز بالجوائز .

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها **محمد توفيق عبد الدايم** كلية العلوم جامعة الاسكندرية ــ محرم بك ــ الاسكندرية ــ ج.ع.م

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها **الشاعرة فدوى طوقان** : انجلترا

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها **محمد هذى** : زنقة جامع الشلوح ٣٥٦ الدار البيضاء المقاطعة الأولى ــ المغرب .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **عدنان محمد سليم الطيبى** ــ المدرسة السيفية الثانوية ــ الحديدة ــ اليمن .

٢ ــ **الآنسة لسى هوهبرج** ــ الدنمرك

٣ ــ **مراد فتح الله** ــ عضو البعثة الليبية للطيران ــ اليونان .

٤ ــ **سلطان محمد القاسمى** ــ الشارقة ــ الخليج العربى .

٥ ــ **محمد عبد الله السقاف** ــ ص.ب ٦٠٣ عدن .

٦ ــ **فهد نايف الدبوس** ــ طالب كويتى بلوس انجلس بأمريكا .

٧ ــ **عدنان الزراقى** ــ نهج التوت عدد ٦ مكرر شارع بالفى : تونس .

٨ ــ **عايدة قاوون** : النيال شارع الاميرى ــ حلب ــ سورية .

وسترسل الجوائز الى أصحابها ■

الاستعمارُ الفكري

أخطرُ أنواع الاستعمار

وضللونا : قالوا الشرق الأوسط
وقالوا الشرق الأدنى

عبأونا وفقًا لمخططات سياسية وأهداف استعمارية

بقلم عبد الرحمن البزاز

مدير معهد الدراسات العربية العالية
بجامعة الدول العربية بالقاهرة

■ توشك الأمة العربية ، فى مشرق العروبة ومغربها، ان تتم استقلال اقطارها السياسى ، وذلك بعد ان اعترف بحق الجزائريين فى مبدأ تقرير المصير . ولئن كانت الشهور القليلة القادمة لا تزال تحمل بين طياتها الكثير من دواعى القلق، وموجبات الحذر اليقظ ، خشية الانتكاسة ، واشفاقا من الردة التى قد يعمل العدو بمكره ـ بطريقة او باخرى ـ على تحقيقها ، فان من حق العرب ، مع ذلك ، ان يغتبطوا من الاعماق بما وصلت اليه قضية الجزائر . على انهم لم يصلوا؛ من دون شك ، الى ما وصلوا اليه الا بعد التضحيات الجسام التى قدمها الجزائريون ، تلك التضحيات التي لا يعرف التاريخ الحديث ، للشعوب والأمم المكافحة ضد الاستعمار، مثلا اروع منها، او اجل .

استقلال الجزائر يرسم لنا الطريق

ومهما يكن من امر فان استقلال الجزائر حادث مهم جدا فى تاريخ الأمة العربية ، بكل معنى ، ومن اية ناحية نظرنا اليه . اذ به حق للامة العربية ان تأمن على استقلال اقطار افريقية العربية كلها . ومنه يجدر بالأمة العربية ان تشير الى طريقها الجديد الذى عليها ان تطرقه لاستخلاص القطر السليب . ومن روحه ـ فوق ذلك ـ تستمد الأمة العربية روحها الوثابة الطامحة فى تحقيق مثلها القومية كلها فى التحرر والتكتل واقامة العدالة الاجتماعية كاملة فى روح ثورية بناءة تبعث الأمة العربية بعثا جديدا ، وتقيم وجودها حيا يقظا فعالا . ان استقلال الجزائر فى الخلاصة يجعل الوطن العربى كله ـ فيما عدا بعض امارات الخليج والجنوب العربى ـ مستقلا من الناحية السياسية استقلالا لا ريب فيه .

الاستقلال الاقتصادي والاستقلال الفكري

ونستطيع ان ننظر الى الغيب بثقة في امكان تحقيق استقلال البلاد العربية استقلالا اقتصاديا ، وذلك لوفرة المعادن والزيوت والثروات الارضية والمائية والطبيعية الأخرى التي حبا الله بها هذا الوطن العربي الكبير الشاسع .

ولكن هناك،وراء الاستقلال السياسي، والاستقلال الاقتصادي ـ بل قبلهما ـ مطلب حيوي لكل امة حية. انها تريد ان يكون لها « استقلالها الفكري » أيضا . وان حاجتها الى هذا الاستقلال ليست اقل من حاجتها الى الاستقلال السياسي أو الاستقلال الاقتصادي ، وان يكن تنبهها اليه لا يكون في العادة عاما بل مقصورا ، بالدرجة الأولى ، على الفئة الواعية التي لا تكتفي بمظاهر الاستقلال السياسي ، ولن يغنيها الاستقلال الاقتصادي ، عن المطلب الاسمى ، واعني به استقلال الأمة الفكري والروحي ،ذلك الاستقلال الذي به ـ قبل كل شيء ـ تتحقق للأمة الكرامة التي هي أجل غايات الاستقلال واعظمها .

ان اية امة من الأمم حَرِيٌ بها أن لا تعد نفسها مستقلة حقا الاستقلال الكامل ما لم يواكب استقلالها السياسي والاقتصادي ، هذا الطراز الأمثل من الاستقلال الفكري والروحي الذي هو عنوان الاستقلال الخالد ، وبرهانه القاطع الذي لا يزيف .

وليس الاستقلال الفكري هذا دعوة للابتعاد عن العالم ومبتدعاته الحديثة ، وليس هو انزواء وانطواء عن ركب الانسانية الصاعد ، وليس هو تنكرا لما قدمته المدنية الغربية الحديثة ، وما تزال تقدمه ـ وهي الى حد بعيد قد اضحت اليوم عالية في كثير من مقوماتها ـ ولا هو ـ فوق ذلك ـ تجاهلا لما تحدثه الحضارات عادة من تفاعلات بسبب التقائها وتأثير بعضها على بعض في حدود المعقول ، بل انه ، اولا وقبل كل شيء ، دعوة لتحقيق الذات ، والشعور بالاصالة ، ورغبة في الاسهام في التراث الانساني على أساس من التكافؤ والمشاركة الصادقة الخلوة من التخاذل والارتماء والتبعية .

لن نقف من الغرب موقف التابع

واكثر من هذا ليس من الضروري ان تقف الأمم الحديثة النهوض تجاه الغرب وأممه (ونحن نستعمل الغرب هنا بالمعنى الواسع الذي يشمل روسية وكل الدول التي تسمى اليوم بالكتلة الشرقية) موقف التابع للمتبوع ، لمجرد عدم قدرة هذه الأمم الحديثة اليوم على الابداع الفني الصناعي « التكنيكي » ، وعدم استطاعتها على مجاراته في ميادين العلوم ، ومجالات التقدم الاقتصادي ، ما دامت تلك الأمم قادرة على اثبات وجودها ، وتأكيد قدرتها على ان تكون اصيلة مبدعة ، وخاصة تلك الأمم التي لها من ماضيها العريق الحافل ما يبرر مطمحها الواسع هذا . ذلك ان الأشواط التي سبقتها فيها أمم الغرب لم يكن لها بد منها ، وليس مرجعها تخلف أصيل في ذاتية هذه الأمم التي تيقظت حديثا واخذت تسابق الزمن لتلافي اوجه النقص العديدة التي أورثتها اياها ظروف وأوضاع وسياسات فرضت هذا التخلف عليها فرضا .وحين أتيح لها التخلص من سلطان مستعمريها ،بل ومستغليها ، بدت قادرة على مجاراته ومسابقته . ثم ان الزمن وحده كفيل بتقريب المسافات وازالة التباينات الكبرى المشاهدة اليوم .

ان روح « الاستقلال الفكري » هذه تقوم بتجهيز خميرة الشعور بالعزة والكرامة ،والاعتداد الكامل بالذات . وهي ـ قبل سواها ـ خليقة بأن تحقق المعنى الكامل للاستقلال في كل المجالات .وانه لمن العبث والتضليل ان يُتخذ من مظاهر التخلف المادي المحسوس ، واختلاف مستويات العيش الظاهرة ، وتباين الأوضاع الاقتصادية بين الدول ، دليل على لزوم ابقاء التبعية وحتميتها ..

رواسب فكرية يجب أن تزول

وانه لمن الواضح أن بعض مخلفات عهود الاستعمار ، أو على الأدق التسلط ، تبقى في المجتمعات التي كانت خاضعة لمشيئة غيرها بعد زوال سلطان تلك الدول السياسي . والخطر ،

كل الخطر ، ان يأنس الافراد بهذه الآثار السيئة ويألفوها حتى تصبح ـ على الرغم من انحرافها من حيث الأساس واساءتها اليهم فى الأصل ـ طبيعة مستساغة تجعلها العادة ومرور الزمان أمرا واقعيا غير منكور ولا مستهجن .

ودعونا نفكر ببعض آثار الاستعمار الفكرى فى اقطارنا العربية فى هذه الميادين .. ترى كم هى آثاره السيئة على لغتنا ، وأدبنا وتقاليدنا ،وروح مجتمعنا ومقاييس الحياة العامة بيننا ؟!

ان الروح الثورية الواعية هى وحدها التى تبقى جذوة الصراع متقدة بحيث لا تكتفى الأمة باستقلالها السياسى والاقتصادى ، بل لا بد لها من تأجيج المشاعر ، وايقاظ الضمائر ، بحيث لا ترضى عن الاستقلال التام المتسامى بديلا ..

وهذا « الاستقلال الرفيع » لا يكون حقيقة واقعة الا اذا تحررت الأمة من سلطان غيرها الفكرى، وكشفت عما ران على قلوب بعض ابنائها ، من غشاوة ، وعادت الى نفسها تستقى من ينابيعها العميقة الأصيلة كل ما تروى به شجرة وجودها المزدهرة فى كل امر من امورها، فى لغتها، فى آدابها، فى فنها ، فى فلسفة حياتها ، فى آداب عيشها ، فى طرق سلوكها ، فى قيمتها الاجتماعية ، وفى الخلاصة فى كل جليل أو صغير من امور حياتها ، فى كل ميادين الحياة الرحيبة ، بحيث تبدو فى أعين الناظرين « أصلا أصيلا » ، وليس مجرد صورة حسنة النقل او مشوهتها .

ان بلوغ هذا المقام العلى يحتاج الى الكفاح والجهد والتضحيات اضعاف ما قد يحتاجه الاستقلال السياسى ، ولكنه صراع فكرى ،وكفاح سلمى ، لا تراق فيه الدماء ، ولا تهدر فيه الأموال ، وان كان لا بد من عصر الأدمغة ، واهاجة القلوب ، وارهاف الأعصاب ، واستثارة الأرواح وايقاظها .

الاستعمار تسلل الى لغتنا

واذا ما تركنا التعميم ، وعدنا الى واقع امتنا العربية ، ونظرنا الى حياتها اليوم فى كل اقطارها ، وتساءلنا عن آثار هذا الاستعمار الفكرى فى كل اجزاء الوطن العربى الكبير ، هالنا ما وجدنا من آثار هذا الاستعمار البغيض فى لغة حياتنا ، فى مصطلحاتنا التى نصطلحها للاشياء ، فى مسمياتنا للمحلات العامة ، فى نظراتنا السياسية والاجتماعية وفى كل ضرب آخر من ضروب حياتنا . ففى « لغاتنا الدارجة » اليوم مئات من المفردات الايطالية والاسبانية والفرنسية والانجليزية والتركية والفارسية والهندية وغيرها من اللغات ، تلك المسميات التى دخلت اقطارنا العربية مع المستعمرين ، وبقينا نتداولها من غير ما ضرورة او حاجة الى استعمالها ، ولكن الكسل العقلى ، والخنوع لسلطان الاستعمار الفكرى ، وتخدر مشاعرنا ، هى التى تبقى هذه الالفاظ والمصطلحات حية بيننا لتزيد من مظاهر الفرقة بين اقطارنا ، ان كل قطر او مجموعة اقطار قد تأثر بلغة من اللغات الاجنبية ، وصار يستعمل مفرداتها ومصطلحاتها بحيث يبدو غريبا فى أعين ابناء الاقطار العربية الاخرى التى تستعمل ، هى بدورها ، الفاظا اجنبية اخرى .

وطبيعى ان السبيل السوى الذى يجب على هذه الاقطار جميعا تسلكه هو طرد تلك المسميات من لغتها ، واحلال العربية الفصحى الجامعة محلها ، بحيث تشير هذه « اللغة الواحدة » من جديد الى وحدة امتنا ، وتنفى مظاهر الفرقة التى اورثها ايانا المستعمر الذى طردناه من ارضنا ورضينا مع ذلك ، بابقاء آثاره السيئة حية بيننا.

واسوأ من هذا فاننا لم تكتف باستعمال المفردات الاجنبية فحسب ، بل خضعنا الى الاستعمار الفكرى خضوعا اشد ، وصرنا نستعمل تعبيراته ومصطلحاته فى تحياتنا وطرق اظهار علامات الاستحسان بيننا ، وآداب سلوكنا ، وصرنا نقلده فى اشياء كثيرة اخرى تقليدا اعمى دون ان نفطن الى اننا بذلك نمسخ شخصيتنا ، ونهدر كرامتنا القومية ونقيم البرهان على عدم استقلالنا استقلالا حقيقيا تتحقق فى ظله الكرامة التامة لأمتنا ، وتبرز فيه شخصيتنا اصيلة واضحة قوية .

ولا شك ان الاسهاب فى توضيح هذا الذى المعنا اليه بايجاز قد يحتاج الى اكثر مما يتسع له المقام ، ومع ذلك فقد

يكون من المفيد ان نشير هنا الى امر خطير كثيرا ما غفلنا عنه على الرغم من خطورته العظيمة هذه ..

لسنا شرقا ادنى او اوسط وانما نحن عرب مشارقة ومغاربة

ان من اسوأ آثار الاستعمار الفكرى فينا هو تسمية بلادنا « بالشرق الادنى » او « الشرق الاوسط » . ومعنى ذلك اننا رضينا ان نعرف تعريفا نسبيا بعد اتخاذ دول اوروبا الغربية الاستعمارية كانجلترة وفرنسا الاساس الذى تقاس هذه التسمية عليه . فمصر وسورية ولبنان مثلا بلاد « الشرق القريب » ، او « الشرق الادنى » للسائح او المستعمر الغربى المسافر من بلاده متجها الى الشرق نحو بلادنا . فنحن بهذا الاعتبار بلاد الشرق الادنى او القريبة ... ولكن ما معنى هذا بالنسبة لنا نحن ؟ لا شىء بالتأكيد ...

ثم ان الغرب استعاض عن مصطلح « الشرق الادنى » بمصطلح « الشرق الاوسط » وجعله يشمل بالاضافة الى بعض الاقطار العربية التى كان يطلق عليها من قبل مصطلح الشرق الادنى ، تركية وايران وباكستان والحبشة واسرائيل وبعض الاقطار الاخرى . والغرب حين ابتكر هذه المصطلحات قد صاغها على اساس من مصلحته وتخطيطه التعبوى ، « استراتيجيته » ، ومخططاته السياسية والاستعمارية عامة .

وليس العيب على الغرب ان يصطنع من المصطلحات ما يلائمه ، ولكن العيب كل العيب ، علينا حين نرضى بأن نسمى انفسنا تسمية نسبية غير دقيقة ، ولا معبرة عن حقيقة وجودنا . ان مصطلح « الشرق الاوسط » لا تدخل فيه اقطار شمال افريقية العربية كتونس والجزائر والمغرب الاقصى مثلا ، فكيف نرضى بتسمية تخرج قسما مهما من وطننا العربى من وجودنا ، وتعزل شطرا كبيرا من ابناء قومنا عنا ؟ ان التسمية الصحيحة هى ان نسمى انفسنا عربا ، وان عروبتنا الجامعة تضمنا فى مشرقنا ومغربنا . والعرب منذ اقدم الازمان عرفوا هذه الحقيقة فسموا عرب المشرق بالمشارقة ، وعرب المغرب بالمغاربة .

الاستعمار يجمعنا بامم يريدها هو ان تنخرط فى سياسته

ويبدو جليا ان الغرب الذى يؤثر اليوم استعمال هذا المصطلح « الشرق الاوسط » يروج من خفاء الى لزوم تسليمنا ببعض مخططاته السياسية والعسكرية . فكانه يريد ان يوهمنا باننا وتركية وايران وباكستان مثلا شىء واحد ، وان ما يصلح لهذه الاقطار من احلاف وسياسات عامة حرى ان يكون صالحا لنا ايضا ، لاننا كلنا من بلاد الشرق الاوسط ، وان هذا الرباط الجغرافى يفرض علينا ـ هكذا يتخيل الغرب ويزعم ـ واجبات يجب علينا عدم نكرانها او الاستهانة بها . وهوبعبارة ادق يريد ان ينظر الينا بوصفنا اقطارا او اقاليم فى منطقة جغرافية وتعبوية معينة ، وهو لا يعنيه كثيرا ان يبصرنا بوصفنا امما مختلفة تتعارض مصالحها القومية فى اشياء كثيرة ..

وفوق هذا ، وشر من هذا ، ان مصطلح « الشرق الاوسط » يشمل فى نظر الغرب ، فيما يشمل ، « اسرائيل » وكأنه يريد ان يروضنا للتسليم بما يعده هو حقائق ثابتة من العبث نكرانها . ومنطقه يسير على هذا الطراز من المنطق الظاهرى : ان اسرائيل فى الشرق الاوسط ، انها حقيقة قائمة ، وانها قد وجدت فعلا ولم تعد مجرد هدف من اهداف الصهيونية ، وانها قد وجدت لتبقى ... فما عليكم ـ يا ابناء الشرق الاوسط ـ الا ان تعيشوا سواء ، وان تجدوا بينكم من وسائل

التعاون والانسجام ما يحقق السلام ، السلام كما يحدده الغرب ، وبالمدى الذى يتحقق فى ظله ما يريد من اهداف ومآرب .

اسرائيل جسم غريب فى أرض عربية

وابناء الشرق الاوسط المخاطبون بهذا النداء هم العرب الذين انتزعت اسرائيل قسرا ، وبعون الغرب ومكره اولا وقبل كل شيء ، جزءا عزيزا من وطنهم . فهم لذلك ينظرون اليها بغير العين التى يريد الغرب ان يعودهم على النظر بها . والعرب يعتبرون اسرائيل ، وان وجدت اليوم فى الشرق الاوسط ، فانها ليست منه فى المعنى الثابت الاصيل . انها جسم غريب فى ارض غريبة عنهم . ولن يقدر الغرب ان يجعل وجودها مستساغا عن طريق امثال هذه التسميات ، وان استطاع فرض وجودها سياسيا .

فمن هذه الناحية ـ خاصة ـ يجب ان نحرص على تسمية بلادنا بالبلاد العربية ، وان نعرف وجودنا بكوننا عربا . وفى هذا نبطل وجود اسرائيل فكريا ، ونؤكد ان الاسرائيليين قوم غرباء عنا ، مغتصبون لارضنا ، وانه ليس باستطاعة الغرب ، مهما اوتى من خديعة ومكر ، ان يبرر ، بطريقة او باخرى ، وجودها بيننا على اساس فكرى .

والهند أسمتنا الاسيويين الغربيين

وقد يكون من الطريف ان نعلم ان « نهرو » وكثيرا من كتاب الهند ومفكريه حين يتكلمون عنا يسموننا بالاسيويين الغربيين . وهذه تسمية نسبية صحيحة من الناحية الجغرافية ولكنها لا تعبر ايضا عن حقيقة وجود امتنا العربية الكامل . فنحن العرب من الامم الكبيرة التى تسكن قارتين عظيمتين ، ويمتد وجودنا فى مشرق الارض ومغربها. فيكون تحديدنا بالنسبة لقارة من القارات ، او بالنسبة لموقعنا من بعض الدول الغربية الاستعمارية لا يعبر عن حقيقة وجودنا تعبيرا صحيحا ثابتا . ان التعبير الحر الصادق الاصيل هو ان ننتسب لعروبتنا ، ولعروبتنا دون سواها ، وان آثار الاستعمار الفكرى هى التى تشيع بيننا تسميات خاطئة ، كان نسمى انفسنا شرقيين ، او ابناء الشرق الاوسط ، او الشرق الادنى ، حين نعلم يقينا ان كل قطر اليوم وكل قارة من القارات هى شرق وغرب بالنسبة لقطر او قارة اخرى .

الشرق الاقصى والغرب الاقصى

وقد تسعفنا فى ادراك هذا المعنى الواقعة التالية :

حينما دعيت فى ربيع عام ١٩٥٦ لالقاء سلسلة محاضرات فى بعض الجامعات والنوادى والمؤسسات الامريكية للتعريف بالامة العربية ، وعرض مشكلاتها الاساسية على الراى العام الامريكى المثقف ، وذلك بعد ان مثلت العراق فى لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم المتحدة .

دعيت لالقاء محاضرة فى مدينة « بركلى Berkley » على ساحل المحيط الهادى فى ولاية كاليفورنيا ، وقلت فى مطلع المحاضرة ما معناه : اننى من بلاد اعتدتم على تسميتها ببلاد الشرق الادنى ، او بلاد الشرق الاوسط ، ولو نظرتم الينا ـ كما يجب ان تنظروا ـ لكان من الاحرى ان تسموا بلادى « الغرب الاقصى » ... فضحك فريق من الحاضرين ، فاضفت قائلا : حقا اننى لم ارد الدعابة ، ولم اقصد اللعب بالالفاظ ، ولكننى هدفت الى معنى اعمق ، هو انكم ـ ايها الامريكيون ـ قد نظرتم الينا عن طريق اوروبا ، وورثتم عنها كل تعصباتها ، واحكامها المسبقة ، ولم تنظروا الينا نظرة طليقة مجردة ، وهنا تكمن مشكلة المشاكل فى العلاقات العربية الامريكية .. ثم دخلت الموضوع الذى اريد عن هذا الطريق ..

وانى اليوم ، وبعد مضى بضع سنوات على خطابى المشار اليه اعلاه ، لأسائل نفسى : أفمن حقنا ان نطالب الامريكيين بأن ينظروا الينا مثل هذه النظرة العميقة المجردة حين لا ننظر نحن الى أنفسنا الا من خلال ما اورثنا اياه الاستعمار الغربى من قيم ومصطلحات ومسميات وأفكار ؟

وكم من جهد ـ ترانا ـ نحن بحاجة ماسة اليه لنثبت وجودنا ، ونقيم حياتنا ونركز دعائم قوميتنا ، على هذا الاساس المتين الطليق من قيود الاستعمار ، المجرد من آثار الاستعمار الفكرى الذى هو أسوأ انواع الاستعمار وابشعها ؟!

■■

عبد الرحمن البزاز
عميد كلية الحقوق ببغداد سابقا

المنظمة السرية : لن تستطيع الصمود ، اذا رأت ان الأمر جد

● تواصل عصابات الاجرام المسماة بالمنظمة السرية المسلحة عدوانها الغادر ، المنبعث من نفوس اتسمت بالجبن والعمل فى الظلام ... وتواصل هذه العصابات اعمالها الاجرامية هازئة بما انذرت به السلطات الفرنسية الرسمية هذه العصابات . لانها تعرف حقيقة هذه الانذارات ، وتعرف أن الاجراءات التى أعلن عنها ليست جدية ، فلو كانت كذلك لما استطاعت هذه العصابات مواصلة اجرامها ، لانها أخس من أن يكون لديها شيء من الشجاعة او القدرة على الصمود والاستمرار الا اذا عرفت انها لن تتابع بجدية . وان الاعتداءات التى يتعرض لها كل يوم الجزائريون وابناء المغرب العربى وحتى الفرنسيون بقنابل البلاستيك ستظل عاملا من عوامل تغذية النزعات العنصرية ، وفى ذلك خطر واى خطر على امكانيات وحظوظ التعاون والسلم، وهو نفس الهدف الذى تسعى اليه هذه العصابات الاجرامية فاذا كانت السلطات الفرنسية تبغى تحقيق السلم وايجاد جو من التفاهم والتعاون فلتكن جادة فى القضاء على هذه العصابات التى لن تستطيع الصمود اذا ما رأت أن الأمر جد لا مجرد تمويه .

عن جريدة « العمل » ــ تونس

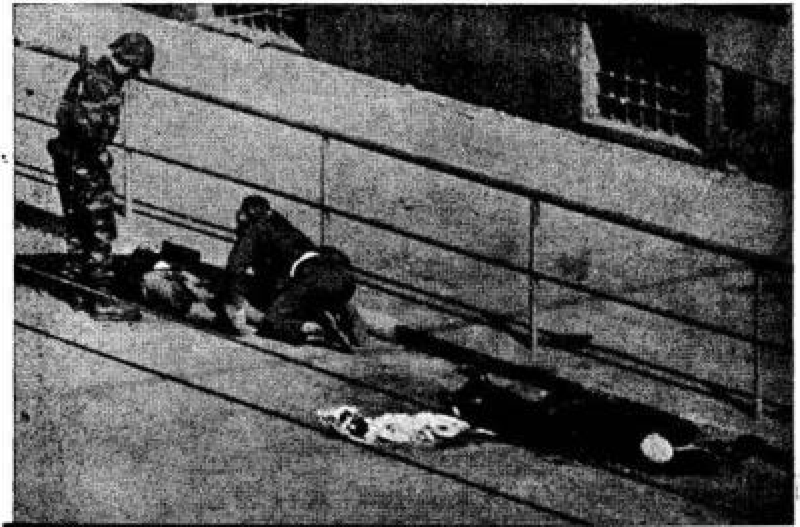

الجزائر اليوم : جثث فى كل شارع ، وفى كل مكان .. انه حمام الدم الجديد الذى تفرضه منظمة الجيش السرى الفرنسية الارهابية على القطر الجزائرى المجاهد

لا ، يا دكتور جونسون

● لا يا دكتور جونسون . فنحن بقدر ما فى امكاننا لن نقبل أن يكون اللاجئون واوطانهم موضع مساومة . واكثر من هذا : لا يا دكتور جونسون ، ان قضية اللاجئين هى جزء من قضية فلسطين ، ونحن لا نرضى بتجزئة قضيتنا الكبرى ، ولن تفوتنا محاولة تقطيع القضية الفلسطينية وحلها بالمفرق !

وقد يرد جونسون : بأن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تستمرفى دفع ٧٠ بالمئة من مخصصات وكالة الغوث ، والكونغرس يقيم القيامة عند موافقته على الدفع فى كل عام . فهل تحرج الولايات المتحدة لتتوقف عن الدفع ؟

وجوابنا يا دكتور جونسون ، هو : اننا نعتبر ما تدفعه اميركا لوكالة الغوث تكفيرا عما ارتكبته فى فلسطين ، تماما كما تدفع المانيا التعويضات لليهود ، ثم ، اوليست دفعة الوكالة هى « ارخص سعر » تدفعه اميركا فى محاولاتها الوقوف بوجه الشيوعية فى انحاء العالم ؟ واخيرا ، فلتتوقف اميركا عن الدفع . وماذا يحدث ؟ قد يضطر العرب لمواجهة واجبهم ، أو قد تتقدم دول اخرى لتؤدى هذا العمل الانسانى ، وقد تتعدل مناطق النفوذ فى العالم !

عن جريدة « فلسطين » ـ القدس

من هو المثقف العربى

● المثقف العربى ينبغى ان يكون مجيدا للغة العربية ، ملما بآدابها ، فلن تجد مثقفا يصدق عليه الوصف ، فى اى بلد فى العالم ، لا يحسن لغته . فهى الصلة بينه وبين تراثها الفكرى ، ثم بينه وبين الناس ليفهموه ويفهمهم .

وينبغى له ايضا أن يحسن لغة عالمية اخرى على الأقل ، ليتصل بها ، وعن طريقها ، بتراث الفكر العالمى ، فيعب من ينابيعه ما يحلو له أن يعب .

والرجل المثقف ينبغى أن يكون ذا عقل صقلته الرياضة الفكرية ، والتمرس بأصول العلوم والفنون ، دون أن يكون ـ ضرورة ـ عالما متمكنا او فنانا مبدعا ، او فيلسوفا . ويجب أن يكون ذا عاطفة ارهفها التذوق الفنى ، فى جميع الفنون الرفيعة . فهذه العاطفة المثقفة لا تغنى عنها معرفة ، مهما تتسع وتعمق ان كانت معرفة وحسب عن الفنون .

والرجل المثقف اخيرا ، هو الرجل الذى يعتز بأولوية الفكر السليم ، فلا يكابر فى امر عن عناد ، ولكنه يملك الشجاعة التى تمهد له الاستمساك برأى يراه صوابا ، وان عز الانصار ، أو تمهد له الاعتراف بالخطأ بوداعة اذا رأى وجه الخطأ فيما يرى .

الدكتور فؤاد صروف
عن جريدة « الاخبار » ـ دمشق

قصة تاج محل

رائعة الروائع فيما ابتناه الانسان استغرق بناؤه وتجميله ١٧ عاما

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ اتيحت لي فرصة لزيارة الهند . والهند قارة عظيمة ، تشوق السائح ، باختلاف مناظرها الطبيعية ، التى تتردد بين آكام الهملايا ، وبين خط الاستواء وتباين مناظرها البشرية والاجتماعية ، التى تتردد بين الأحوال البدائية ، وبين منتهى ما وصلت اليه الحضارة الانسانية . وانك لتستطيع حتى فى زيارة قصيرة للقارة الهندية أن ترى الكثير ، وان تدرس الكثير .

ولقد حرصت الى جانب ما يتاح للسائح من فرص التجوال هنا وهنالك ، على أن ارى بالهند ثلاثة اشياء ، كانت تتردد فى مخيلتي ، مذ هبطت بنا الطائرة فى بومباى ، الأول قبر المهاتما غاندى ، والثانى معبد بوذى ، والثالث « التاج محل » .

وقد رايت الثلاثة، وشهدت فى بساطة قبر المهاتما غاندى ، قبسا من تلك العظمة الخالدة ، التى توجت كل حياته . وشهدت فى المعبد البوذى ، كل الرموز والمعانى الوثنية القديمة ، التى اقترنت بحيوات سائر الشعوب القديمة الأزلية . اما فى « التاج محل » ، فقد شهدت اعجوبة العمارة الاسلامية ، بل اعجوبة الصروح الأثرية فى سائر انحاء العالم .

الفتوحات الاسلامية فى الهند

ان قصة « التاج محل » هى أعظم تعبير عن عصر الاسلام وحضارته فى الهند ، وهى ترجع الى العصر المغولى ، أحدث مراحل العصر الاسلامى . ونحن نعرف أن الفتوحات الاسلامية ، وصلت الى شمال غربى الهند فى عصر

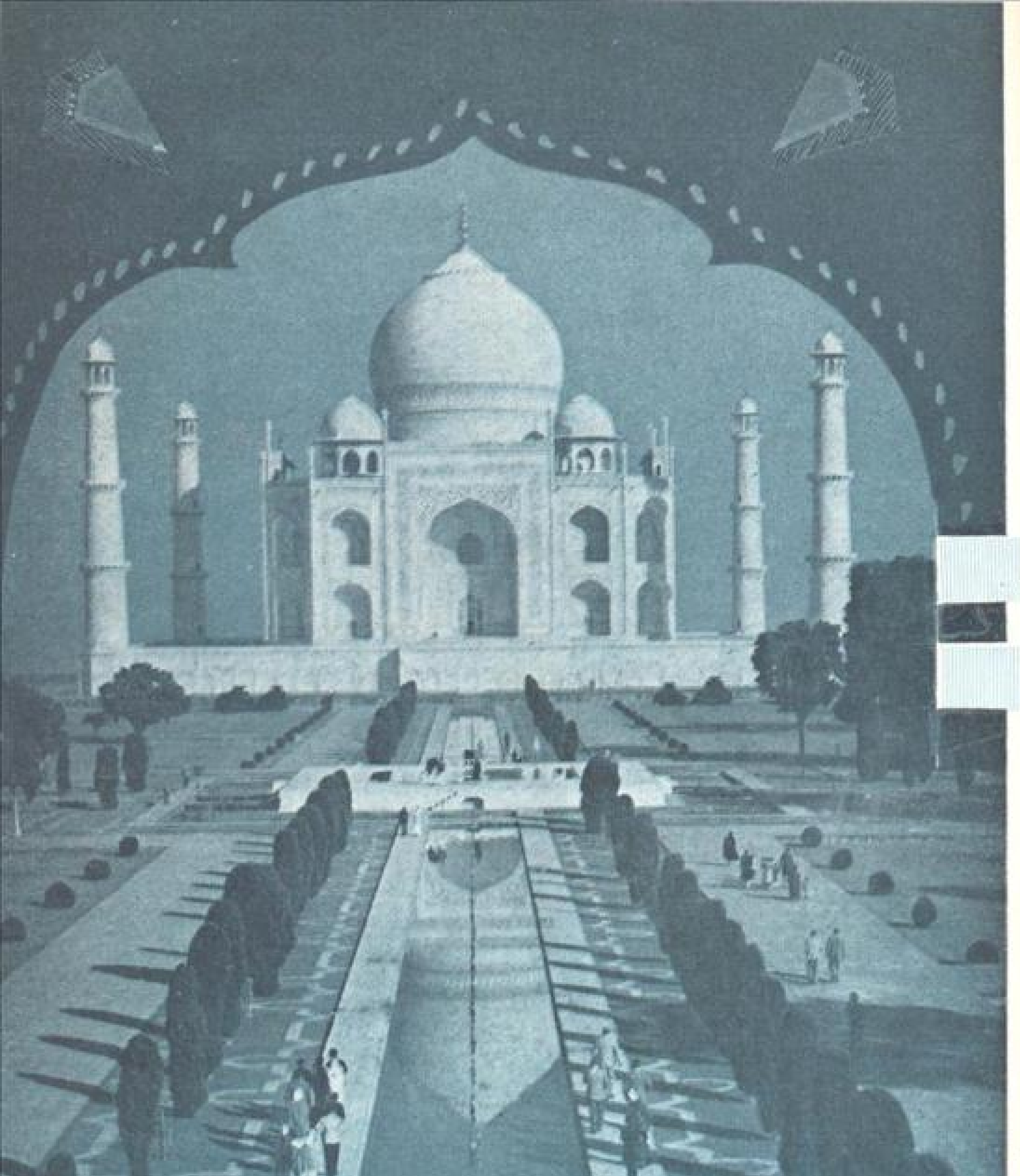

يعتبر « التاج محل » عنوانا لازهى مراحل العصر الاسلامى المغولى . استغرق بناؤه ١٧ عاما ، وتكلف ما يساوى وفق تقدير عصرنا خمسة ملايين من الجنيهات

مبكر ، أعنى فى أواسط القرن الأول للهجرة ، وشملت منطقة البنجاب كلها .

تيمور لنك

واستمرت الدول الاسلامية تتعاقب فى هذا الركن من القارة الهندية ، حتى كان ظهور الفاتح التترى الكبير تيمورلنك ، فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى ، وتدفق فتوحه جنوبا حتى الهند، التى قام بافتتاحها ، واستولى على عاصمتها دلهى فى سنة ١٣٩٨م ، وأعلن نفسه امبراطورا عليها . ولكنه غادرها ليمضى فى فتوحه شرقا حتى الشام .

بابار ، حفيد تيمور لنك

وفى أوائل القرن السادس عشر نهض حفيد لتيمور هو « بابار » وسار من كابول الى الهند ، وافتتحها عام ١٥٢٦ م وأعلن نفسه امبراطورا عليها ، باعتباره وارث هذا الحق عن جده السادس تيمور ، وجعل دلهى حاضرته .

همايون

ولما توفى بابار سنة ١٥٣٠ ، خلفه « همايون » ، ولكنه لم يستطع الاحتفاظ بسلطانه ، اذ غلب عليه زعيم افغانى يدعى « سيرشاه سور » ، ففر الى فارس والتجا الى حماية ملكها ، وبقى فى المنفى خمسة عشر عاما ، تزوج خلالها فتاة حسناء، تدعى حميدة بانو ، ورزق منها بغلام يدعى جلال الدين محمد أكبر ، ولم يكن هذا الغلام فيما بعد سوى الامبراطور « أكبر العظيم » .

وقيّض لهمايون أن يسترد ملكه بعد هذه الفترة ، ولكنه لم يعش بعد استرداد عرشه سوى اشهر قلائل ، ثم توفى فى سنة ١٥٥٦ ، وما زال ضريحه بها ، وهو الذى أقامه له ولده أكبر ، من الصروح الأثرية المرموقة .

الامبراطور اكبر العظيم

وخلفه ولده أكبر ، وكان عند وفاته صبيا فى الرابعة عشرة . بيد انه كان مقدرا أن يغدو هذا الصبى اعظم اباطرة الدولة المغولية فى الهند، وان يُسبغ عليه التاريخ لقب « الأعظم » . وتحول اكبر من دلهى الى مدينة أجرا،الواقعة فى جنوبها، على ضفة نهر «جومنا» ، أحد أفرع « الكنج » ، فجعل منها عاصمة لامبراطوريته . ولقد كانت مدينة آجرا ، فى الواقع ، من اقدم مدن الهند ، وكان الملوك المغول ، يتخذون منها متنزها ومصيفا، لموقعها الطبيعى الرائع ، وحدائقها اليانعة ، فجاء «اكبر» ليسبغ عليها صفة الحاضرة لملكه ،وليُنشىء فيها قلعته الشهيرة . وكان عصر اكبر من اعظم عصور الهند المسلمة ، وقد اشتهر هذا الملك العظيم بادارته وسياسته المستنيرة فى التوفيق بين رعاياه من المسلمين والهنود ، ومراعاة منتهى التسامح الدينى ، حتى انه انشأ دينا جديدا « الدين الالهى » يقر بوجود اله واحد ، هو منشىء الكون ، وأن المَلِكَ هو مثله فى الأرض .

الامبراطور جهان جير

وتوفى الامبراطور العظيم اكبر فى قلعة أجرا فى سنة ١٦٠٥ ، بعد حكم استطال خمسين عاما ، ودفن فى مقبرته الشهيرة ، التى تمثل الى جوار قلعته العظيمة فى آجرا ، صرحا من أفخم صروح العصر الاسلامى المغولى . فخلفه ولده وولى عهده الأمير سليم ، وتوّج فى قلعة آجرا باسم الامبراطور جهان جير ، اعنى « فاتح العالم » ، ثم تزوج الأميرة الشهيرة « نورجهان » . وكانت هذه الأميرة الموهوبة ، من اجمل نساء عصرها ، وكانت ابنة شريف فارسي نزح الى الهند ، يدعى غياث الدين محمد ، وخدم فى بلاط الامبراطور « اكبر » ، وغدا من خيرة وزرائه . وتسمى « باعتماد الدولة » . وكان جهان جير قد رآها غير مرة ، وهام بها حبا ، فخشى والده الامبراطور عاقبة هذا الحب ، وزوج الحسناء من شريف يدعى شيرافسان وأرسله الى بلدة نائية . ولكن جهان جير ، ما كاد يعتلى العرش ، حتى دبر قتل شيرافسان ، واستقدم أرملته الى البلاط ، لتعيش فى كنف والدتها . ولبثت نورجهان بضعة أعوام تردّ عروض الملك الفتى ، ولكنها غلبت أخيرا على أمرها ، وغدت زوجه الوفية . ولم

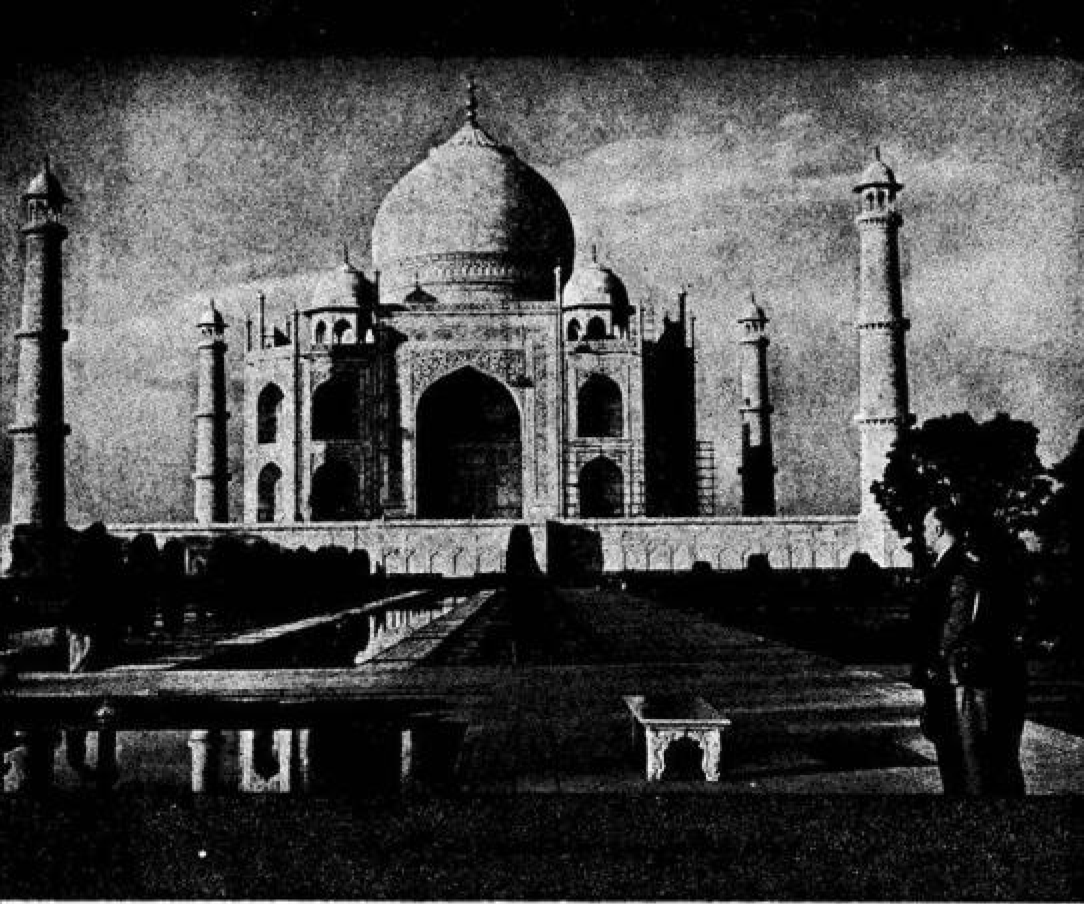

تكن في الاصل تسمى باسمها الملكي « نورجهان » ، بل كانت تسمى « مهر النساء » أي « شمس النساء » ، فغيره زوجها الملك الى « نور محل » (اعني نور القصر) ، ثم غيره بعد ذلك الى اسمها التاريخي الذي عرفت به وهو « نورجهان » اعنى (نور العالم) . وكان جهان جير ملكا خليعا مدمنا للشراب ، وكان حريمه يضم الآلاف من النساء والجواري ، من سائر انحاء العالم . وقد رزق من احداهن بولده الامير « خرام » الذي غدا فيما بعد الامبراطور « شاه جهان » وكان مولده في سنة ١٥٩٢ .

الامير خرام يصبح الامبراطور شاه جهان

وما كاد الأمير خرام يبلغ التاسعة عشرة من عمره ، حتى خفق قلبه بحب فتاة رائعة الحسن تدعى « ارجمندبانو » وكانت في مثل سنه ، اذ كان مولدها في نفس العام ، الذي ولد فيه ، اعني سنة ١٥٩٢ . وكانت هذه الفتاة ابنة وزير من وزراء ابيه يدعى يمين الدولة آصاف خان . ولم يكن يمين الدولة هذا ، سوى ابن اعتماد الدولة ، أو بعبارة أخرى لم يكن سوى شقيق للامبراطورة نورجهان .

الامبراطورة « ممتاز محل »

وتم زواج الأمير خرام بحبيبة قلبه «ارجمندبانو» في سنة ١٦١٢ . وهكذا توثقت وشائج المصاهرة مرة أخرى بين ملك المستقبل ، وبين أسرة الوزير، على نحو ما توثقت من قبل بينها وبين والده الملك القائم . واضفى الامبراطور جهان جير على

زوجة ولده الحسناء اسما جديدا هو « ممتاز محل » ، اعنى « زينة القصر » وهو الاسم الذى خلدته صحف التاريخ . وكان زواجا موفقا من الجانبين ، وكان الأمير الفتى يضطرم شغفا بزوجه الحسناء . ولم يمض سوى قليل حتى ثار الأمير بابيه الامبراطور جهان جير ، واعتقله حتى توفى فى سنة ١٦٢٧ . وفى العام التالي توج الأمير خرام باسم الامبراطور « شاه جهـان » .

ممتاز محل : جمال وخِلال

وكانت « ممتاز محل » فضلا عن جمالها الرائع ، أميرة رفيعة الخلال ، رقيقة المشاعر ، فياضة العطف على الفقراء والمساكين ، وكانت كالملاك ، تنثر من حولها أعمال البر والرحمة ، هنا وهناك ، ويحيطها الشعب المعجب بجمالها وخلالها ، بفيض من حبه واكباره . وكانت فوق ذلك أميرة راجحة العقل والتدبير ، تشارك فى شئون الدولـة ، وتستشار فى كل جليل من الأمور ، وكان زوجها الامبراطور يعهد اليها بحفظ الختم الملكي . وكانت تخرج معه فى غزواته وحملاته العسكرية . وبالجملة كانت « ممتاز محل » ملكة من أعظم ملكات عصرها.

ممتاز محل : ينزل بها القدر

ولكن القدر كان قاسيا ، ذلك انه لم يمض عامان على ارتقاء شاه جهان العرش ، حتى فجع فى أعز مخلوق خفق قلبه بحبه ، وتوفيت « ممتاز محل » فى ظروف مؤلمة ، ذلك ان الامبراطور خرج فى جيشه من اجرا الى ولاية الدكان، سنة ١٦٢٩ ، ليقمع ثورة حاكمها خـان جهان لودى ، وكانت ترافقه « ممتاز محل » كعادتها وكانت حاملا فى اواخر أيامها . وما كـاد الامبراطور يصل الى « برهان بور » فى أواسط الهند ، حتى جاءها المخاض ، ووضعت طفلها الرابع عشر ، ولكنهـا توفيت على الأثر ، وذلك فى شهر ديسمبر من هذا العام . وكان المولود ابنة سميت « جوهرآرا » .

التاج محـل

وانه لما يلفت النظر حقا ، حين تجوز باب « التاج محل » ، أن ترى الى يسارك لوحة كتب فيها ، ان « ممتاز محل » صاحبة هذا القبر ، قد توفيت فى سنة ١٦٢٩ فى السابعة والثلاثين من عمرها ، بعد ان انجبت طفلها الرابع عشر .

اجل لقد كانت «ممتاز محل» الى جانب صفاتها الخلابة ، أمّاً مثلى ، فهى قد انجبت فى الثمانية عشر عاما ، هى جملة حياتها الزوجية ، مذ تزوجت فى سنة ١٦١٢ أربعة عشر طفلا ، منهم ثمانيـة ابناء وست بنات ، كان منهم على قيد الحياة عند وفاتها سبعة اولاد .

ولما توفيت « ممتاز محل » دفنت فى قبر مؤقت فى حديقة زنباد فى مدينة برهانبور ، حيث كان يعسكر الامبراطور يومئذ ، ثم نقلت رفاتها الى اجرا ، ودفنت بحديقة « راجامان سنغ » التى اختيرت لتكون مقرها الأبدى وعوّض عنها صاحبها بضيعة من ضياع الملك . ولبث تابوت « ممتاز محل » فى تلك البقعة المكشوفة ، تسعـة اعوام اخرى ، حتى تم انشاء الصرح العظيم ، تـاج محل ، الذى تثوى به الى اليوم .

أحزان شاه جهان لموت زوجته

ونستطيع أن نقول ان فكرة انشاء « التـاج محل » قد نشأت على أثر وفاة « ممتاز محل » . وكانت وفاتها ضربة أليمة للامبراطور ، فكاد يجن، حزنا والما ، ولبث عدة أسابيع محتجبا يرفض ان يرى أحدا من وزرائه وخاصته ، او ان يزاول اى عمل من اعماله . وقد ارتدى البياض وسائر خاصته عنوانا للحزن العميق ، ومنعت الحفلات والموسيقى ، ومنع تقلـد الحُلىّ ، واستعمال الطّيب ، ومنعت سائر مظاهر الترف ، بل لقد فكر شاه جهان فى اعتزال الحكم،وتقسيم المملكة بين أولاده . وكان فى كـل يـوم جمعة يزور قبر الامبراطورة الراحلة ، ويتلو القراء حوله ختمات القرآن .

شاه جهان يبنى أعظم وأفخم ضريح لحبيبته الراحلة

وعاد شاه جهان من حملته العسكرية ، ظافرا ، الى عاصمته أجرا فى سنة ١٦٣١ وقـد ابيض شعره ، وغيرت الأحزان رواءه ، وقد استقر فى

ذهنه ذلك المشروع الضخم ، الذى خلد ذكرى زوجته الحبيبة ، وذكراه الى الأبــد ، مشروع انشاء « التاج محل » .

اعتزم شاه جهان أن ينشىء لزوجته الراحلة « ممتاز محل » ، أعظم وافخم ضريح ، انشىء لملك من الملوك ، ولملكة من الملكات ، فى اى عصر أو فى اى قطر . وقيل ان الامبراطورة الراحلة ، هى التى أوصت برغبتها الى زوجها الامبراطور بأن ينشىء فوق قبرها صرحا ، لا يضارعه اى صرح آخر فى الفخامة والبهاء . وعلى اى حال فقــد دعا شاه جهان أقطاب المهندسين والمعماريين من الهند ، ومن سائر البلاد ، ولا سـيما فارس ، وتركيا ، وبلاد العرب ، لوضع خطط هذا الضريح وتصميماته . وقد وضع تصميم « التاج محل » على أرجح الروايات مهندس فارسي يدعــى « الأستاذ عيسى الشيرازى » وبدىء بانشائه فى أواخر سنة ١٦٣١ ، وحشــد للعمل فيه أبــرع العرفاء والبنائين من سائر الأنحاء .

واختير لاقامة الضريح الملكي حديقة « راجامان سنغ » التى سبقت الاشارة اليها ، وهى تقع على الضفة اليمنى لنهر جمنا أحد افرع نهــر جانجا « الكنج » ، على قيد نحو ميل من قلعة أجرا ، التى بناهــا الامبراطور أكبر . وجلبت لبنائه كميات هائلة من الرخام الأبيض والأحمر ، والأحجار الكريمة ، والجواهر المنوعة ، من الهند وفارس وغيرهما من مختلف الأنحاء .

استغرق بناء الضريح ، تاج محل ، ١٧ عاما

واستمر العمل فى بناء الضريح نحو سبعة عشر عاما ، وتم بناؤه فى سنة ١٦٤٨ ، ويقال انه كان يشتغل فى بنائه كل يوم ، طوال هذه المــدة ، عشرون الف عريف وبناء وعامل ، انشئت لاقامتهم فى بقعة قريبة مدينة خاصة سميت باســـم الامبراطورة الراحلة ــ ممتاز آباد ــ . ويقال أيضا ان جملة ما انفق على بناء هــذا الصرح العظيم ، بلغت وفق تقديرات عصرنا ، مبلغ خمسة ملايين من الجنيهات .

مدخل هائل الى تاج محل

ان المجاز الى حديقة التاج محل ، عبارة عن مدخل هائل ذى ثلاثة عقود ، تقوم فوق قاعدة مربعة ضخمة من الحجر الاحمر ، وتبلغ هــذه العقود فى الطول نحو خمسين مترا ، وفى العرض نحو خمسة وثلاثين وفى الارتفاع نحو ثلاثين . وقد زينت البوابة الوسطى من الأمام والخلف بافاريز من الرخام ، نقشت فيها بعض آيات قرآنية بخط ثلث جميل .

حديقة غاية فى الجمال

ومن هذا المدخل الضخم ، تهبط الى الحديقة الشاســعة التى يقع فى نهايتهــا الضريح قبالة المدخل ، وهى حديقة منسقة ساحرة ، تقوم بها أشجار الزينة فى أوضاع متماثلة ، وتتخللهــا الحظائر والممرات الرخامية ، والنوافير الجميلة . ومن المسلم به انها تقوم فوق موقع الحديقــة القديمة ، التى كانت قائمة منذ انشاء الضريح . وقد بقيت بها منذ عصرها القديم شجرة ضخمة (شجرة المال) فى الحظيرة الشرقية الشمالية ، يبلغ عمرها نحو أربعة قرون ونصف ، ومعنى ذلك انها أقدم من الضريح ذاته بنحو قرن ونصف .

قــاعدة الضريح

وفى نهاية الحديقة تقع القاعدة الكبرى التى يقوم عليها الضريح ، وهــى عبارة عن مستطيل ضخم تبلغ واجهته نحو ثلاثمائة متر ، وعرضه مائة وعشرون . يقع فى طرفها الأيمن مسجد صغير . وفى طرفها الأيسر بناء آخر كان يستعمل بهــوا للاجتماع حين قيام الامبراطور بزيارة الضريح .

الضريح نفسه

اما الضريح نفسه فانه يقع فى وسط هذه القاعدة العظيمة فوق مصطبة شاسعة مربعة من الرخــام الأبيض يبلغ ضلعها نحو مائة متر ، وترتفع فوق القاعدة بنحو ستة أمتار ، وتقوم فى أركانها الأربعة أربع منائر من الرخام الأبيض متناهية فى الدقة والرشاقة . وقبالة كل منها من الزوايا

الاربع قبة صغيرة . وقد بني الضريح كذلك كله من الرخام الأبيض ، وهو عبارة عن مربع يبلغ ضلعه ستين مترا ، وقد استقطعت من كل زاوية نحو سبعة أمتار ، وهو ما يجعله مثمن الشكل . ويدخل اليه من باب ركب فى عقد كبير ، قسمت واجهتـه الى مربعـات نحاسية ، واحيط من الجانبين ومن اعلى بافاريز نقشت فيها الآيات القرآنية ، برخام من نفس اللون وهى مكتوبة كذلك بالخط الثلث الجميل .

القبران معا

وتقوم القبة العظمى فوق القبرين . قبر ممتاز محل ، وقبر زوجها الامبراطور ، الذى دفن الى جانبها بعد وفاته فى سنة ١٦٦٦م . وهى كباقى الصرح مشيدة من الرخام الأبيض ، ويبلغ قطرها ستة عشر مترا ، وارتفاعها الكلى مع حربتها النحاسية ، التى كانت من قبل مغطاة بالذهب ثلاثة وستون مترا .

اما الضريح ذاته ، فهو عبارة عن حظيرة أو قاعة يحيط بها حاجز مثمن من الرخام ، وقد وضع فى وسطها تابوت ممتاز محل ، والى يساره تابوت شاه جهان ، وكلاهما مدرج رائع الزخرف . وقد نقشت على تابوت ممتاز محل عبارات بالفارسية ، وأسماء الله الحسنى ، حول جوانبه الأربع ، منتهية بتاريخ وفاتها بالهجرية ، وهو سنة ١٠٤٠هـ (١٦٢٩م) . ونقشت على تابوت الامبراطور نفس النقوش ، وذيلت بتاريخ وفاته فى سنة ١٠٧٦هـ (١٦٦٦م) .

المقبرة الحقيقية تقع أسفل الصخرة

على ان هذين التابوتـين الفخمـين ليسا الا رمزين . اما المقبرة الحقيقية فتقع اسفل الصخرة تحت نفس الموقع ، فى قبو يفتح للزائرين بصفة خاصة ، وقد وضع فيه التابوتان اللذان يضمان رفات الامبراطور والامبراطورة .

نام الامبراطور وعينه على قبر زوجته

ومما هو جدير بالذكر ، اننا شهدنا بقصر اجرا المجاور لقلعة اجرا ، غرفة مثلثة فى الدور الأعلى ، تشرف على الوادى الذى يقع به « التاج محل » ، وقد طعمت افاريز بابها ، ونوافذها بقطع صغيرة من البلور ، اذا نظرت فيها الفيت امامك صورة « التاج محل » معكوسة فيها . وقد قيل لنا ، أن هذه الغرفة كانت غرفة نوم الامبراطور شاه جهان ، وانه كان يسحره أن يرى صورة ضريح زوجته الحبيبة دائما منعكسة فى هذه المرايا الصغيرة .

منظـر كالحلم

وبعد ، فان الكلام حرى ان يطول عن أوصاف « التاج محل » وخصائصه وزخارفه الرائعة ، وما زين به فى الزوايا ، والمنعطفات ، والأجزاء البارزة من الأحجار الكريمة المختلفة ، ولكنا نعتقد ان القلم ليعجز عن ابراز الأوصاف الحقيقية لهذا الصرح الرائع . والواقع انى على كثرة ما شاهدت من الآثار الاسلامية وغيرها ، فى الاندلس والمغرب ومصر والشام ، وفى مختلف البلدان الأوروبية ، لم تقع عيناى ، مدى ثلاثين عاما ، على منظر اثرى اجمل من منظر « التاج محل » . وان هذا المنظر بما ينطوى عليه من الرشاقة المتناهية والسـحر الفياض ، ليبدو كالحلم اكثر مما يبدو كالحقيقة الواقعة . ويعتبر البعض « التاج محـل » من عجائب الدنيا ، ويعتبره البعض الآخر اجمل بناء فى العالم .

ويرى بعض العلماء الأثريين ان هندسة « التاج محل » قد تاثرت بالفن الهندى الدينى ، فى بعض النواحى ، ولاسيما اشكال القباب الصغيرة ، ولكن البعض الآخر من العلماء الأثريين يدحض هـذا الرأى بشدة ، ويرى ان (التاج محل) ، انما هو انتاج اسلامى خالص . اما أثر الفن الهندى ، فانه يبدو واضحا فى طراز قلعة اجرا ، وفى قصرها .

ومن جهة أخرى فان «التاج محل» يعتبر عنوانا لازهى مراحل العصر الاسلامى المغولى . وقـد كان عهد الامبراطور شاه جهان فى الواقع ، بعد جده الامبراطور اكبر ، ذروة الاندفاع الحضارى والمعمارى لهذا العصر . وقد انشأ شاه جهان الى جانب التاج محل عدة صروح عظيمة أخرى ، مثل جامع اللؤلؤ فى اجرا . والمسجد الجامع فى دلهى، وغيرهما . بيد ان « التاج محل » يبقى أعظم ما خلد ذكره ، وخلد العصر المغولى باسره . ■■

محمد عبد الله عنان
القاهرة

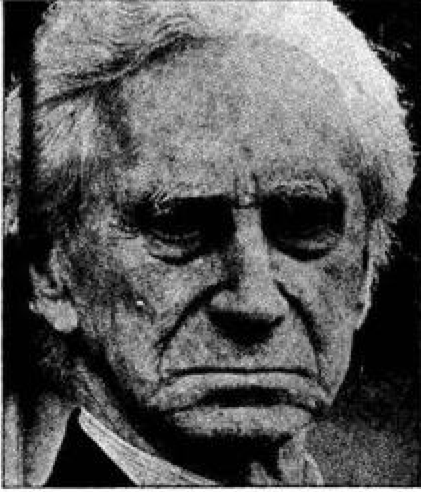

فيلسوف العصر الذى سجن وهو فى التسعين من عمره لاحتجاجه على التجارب الذرية ومناصرته الدعوة الى السلام

برتراند رسل

فيلسوف هذا العصر ..

بقلم الدكتور زكى نجيب محمود

■ الفلسفة بأدق معانيها هى ذلك التحليل الذى يتناول به صاحبه فكرة معينة او مجموعة من افكار تناولا يتعقبها به الى اصولها الأولى التى تكون مدسوسة فى جوفها متضمنة فى فحواها ، لكن الناس لا يكونون على وعي بها حتى يجيء الفيلسوف فيخرجها بتحليله الى العلن الصريح .

والامر بعد ذلك يتوقف على العصر الذى يحلو لك ان تتناول افكاره بالتحليل ، فاذا انت اخترت لنفسك الوقوف عند القرن العاشر في تاريخ الفكر الاسلامى - مثلا - تتقصى الافكار المحورية التى كانت تدور حولها ثقافة ذلك العصر ، تتقصاها الى جذورها التى كان يستحيل لتلك الافكار ان تطفو على السطح لولا ان تلك الجذور العميقة ضاربة فى اغوار العقل الاسلامى عندئذ ، اقول اذا انت فعلت ذلك فانت « مؤرخ » للفلسفة فى مرحلة من مراحلها .

ولكن قد يطيب لك ان تصب تحليلاتك على الافكار الرئيسية السائدة فى ثقافة عصرك الذى تعيش فيه ، وعندئذ تكون واحدا من فلاسفة هذا العصر ، واقول «واحدا» منهم ، لان الذين يصنعون هذا الصنيع فى ثقافة عصرهم كثيرون ، يتفاوتون عمقا ، ويختلفون طريقة واسلوبا ، فاذا قلنا عن سقراط وافلاطون وارسطو انهم « فلاسفة » كان معنى ذلك انهم حللوا ثقافة عصرهم الى أصولها ، واذا قلنا ان الفارابى وابن سينا وابن رشد كانوا فلاسفة ، كان معنى ذلك أيضا انهم ردوا أهم الافكار فى مجرى الثقافة الاسلامية الى عناصرها الأولية ، وهلم جرا .

برتراند رسل فيلسوف هذا العصر

وبرتراند رسل هو فيلسوف هذا العصر بكل ما فيه من علم واخلاق وسياسة ، فهو يتناول بالتحليل كل مفاهيم الثقافة المنبثة فى أجواء

« النظام الاجتماعى كثيرا ما يكون مؤامرة كبرى على الحرية ! »

العالم اليوم ، ليردها الى عناصرها الأولية بالمعنى الذى شرحناه ، وقد برع فى دقة التحليل براعة قل أن تجد لها نظيرا فى تاريخ الفكر الفلسفى كله .

رسل يصف منهجه بنفسه

واستمع اليه يصف منهجه بنفسه فيقول : « منهجي دائما هو أن ابدأ بشيء ما ، فيه غموض ولكنه باعث على الحيرة ، شيء يبدو قابلا للشك ، ولا استطيع أن أعبر عنه على نحو محدد ومن هنا امضى فى عملية شبيهة برؤية العين المجردة لشيء ما للوهلة الأولى ، ثم التعقيب على على ذلك برؤية الشيء نفسه خلال المجهر ، فيبدو فيه عندئذ تمايز الأجزاء ما لم يكن قد ظهر عند رؤيته بالعين المجردة أول الأمر ، تماما كما يحدث حينما نستطيع رؤية الجراثيم فى ماء عكر خلال المجهر مما لا يمكن للعين المجردة ان تراه . ان من الناس من يقولون ان التحليل يخرج الأشياء عن طبائعها ، لكنني اعتقد أن تحليل الفكر يؤدى نفس المهمة التى يؤديها تحليل الماء العكر ، اذ هو يبين فى جلاء مم تتألف الفكرة فيزيدنا بها علما ، دون أن ينقص من معارفنا السابقة شيئا .. وانه ليبدو لى أن البحث الفلسفى ـ كما قد مارسته ـ يبدأ من حالة عقلية يشعر فيها صاحبها انه موقن من صدق معرفة معينة ، دون أن يحدد على وجه الدقة ماذا عسى أن تكون حقيقة هذا الشيء الذى أيقن بصحته ، فعندئذ يركز انتباهه فى الأمر ، كما يفعل المرء عندما يركز الانتباه فى شيء يرقب ظهوره التدريجي من خلال ضباب كثيف ، فهو لا يعدو أول الأمر أن يكون ظلمة غير محددة المعالم، ثم يأخذ فى التميز كلما برز من الضباب » .

رسل بدأ مثاليا ، وانتهى واقعيا

ولقد لبث رَسِل أكثر من ستين عاما يؤلف فى الفلسفة تأليفا متصلا ، حتى بلغت مؤلفاته بضع عشرات من أمهات الكتب ، وكان محالا أن ينتهى آخر الشوط الطويل الى نفس ما بدأ به ، لأنه بحكم منهجه التحليلى نفسه ، الذى ما يزال يصب الضوء على الغامض فيوضحه ، سيزداد وضوحا وتوضيحا كلما طال أمد انتباهه الذى يوجهه الى الأفكار التى يضعها تحت مجهره موضع التحليل ، فلا عجب أن نراه قد تطور فى فلسفته من طرف الى طرف، فبدأ مثاليا متأثرا بفلسفة هيجل Hegel (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) التى كانت قد شاعت فى انجلترا فى أواخر القرن التاسع عشر ، وانتهى واقعيا صارما ، على انك تستطيع ان ترسم خطا فاصلا يقسم حياته الفلسفية قسمين ، وذلك الخط هو التحول العميق الذى اصابه فيما بين ١٨٩٩/١٩٠٠ ، فها هنا ـ على وجه التحديد ـ انتقل من عهد الى عهد بما يشبه الثورة الكاملة ، حتى توشك الا تجد علاقة بين فكره قبل ذلك التاريخ وفكره بعده . وليس معنى ذلك أن فكره بعد هذا التاريخ قد جمد على صورة واحدة ، انه أخذ يتطور خلال نصف القرن تطورا أخذ الفيلسوف خلاله يطرح من عدد الكائنات التى كان فى أول القرن يعتقد فى وجودها ، أخذ يطرح منها واحدا بعد واحد ، حتى انتهى اليوم الى مذهبه الذى يطلق عليه اسم « الواحدية المحايدة » التى ترد الكون كله الى خيوط من أحداث لا هى بالعقل الخالص ولا هى بالمادة الخالصة ، لكنها «أحداث» وكفى ، وسيأتى شرح ذلك .

الرياضة مضرب المثل فى المعرفة اليقينية

وأول المفاهيم العلمية التى صبّ عليها قدرته التحليلية منذ أول هذا القرن ، هى مفاهيم الرياضة ، ولكى أمهد الى الوصف الموجز الذى ساصف به نتائج تحليلاته فى هذا المجال ، أقول انى لو سئلت : ما هو الموضوع الرئيسى الذى يجوز لنا أن نعده مدار فلسفة برتراند رسل من أولها الى آخرها ؟ لقلت « ان همه الأكبر هو أن يستكشف الى أى حد يجوز للانسان ان يقول انه « يعرف » ما يدعى انه يعرفه ، وأن المعرفة لدرجات ، فمنها ما هو يقينى ، ومنها ما هو فى حدود الرأى والظن ، فمتى يكون اليقين يقينا؟

وانك لتعلم بغير شك أن الرياضة كانت ـ وما زالت بالطبع ـ مضرب المثل فى المعرفة اليقينية التى لا تشوبها أدنى درجات الشك ، ومن ذا يشك أقل الشك فى أن اثنين يضافان الى اثنين تكون أربعة ؟ وان هذا اليقين الراسخ فى حقائق العلوم الرياضية لما استرعى اهتمام الفلاسفة منذ أول تاريخ الفلسفة ، لأنه اذا كان من أهم ما يهتم له الفلاسفة هو البحث فى محصول الانسان الفكرى ابان عصر معين وفى ظل ثقافة معينة

رسل يكشف السر

جاء برتراند رسل فى أول القرن العشرين بكتابه « أصول الرياضة » (١٩٠٢) ثم لم تمض سبع سنوات بعد ذلك حتى تعاون مع زميله هوايتهد Whitehead فى اخراج مؤلفهما الضخم « أسس الرياضة » من ثلاثة مجلدات كبيرة (١٩١٠-١٩١٢) فكانت هذه الكتب ايذانا بفتح جديد فى دنيا الفلسفة كلها ، لأن أمرها لم يقتصر على الرياضة وحدها ، بل انها قد هتكت الستر الذى كان يخفى وراءه سر المعرفة اليقينية التى كانت مطلب الفلاسفة فى شتى العصور ، واذا باليقين الرياضى مصدره أن قضايا الرياضة اذا ما حللت ،تكشفت عن تحصيلات حاصل لا ينبىء بشىء عن طبائع الأشياء ، واذن لا الغاز فى يقين الرياضة ما دامت كل معادلة رياضية ترتد الى تشكيلة من رموز اتفق على أن يكون شطرها الأيسر هو نفسه شطرها الأيمن ، كأنما يقول القائل : ان «س» هى «س».

وقد تسألنى : وما قيمة كشف كهذا من الناحية الفلسفية ؟ وأجيبك بأن قيمته الكبرى هى تحطيم السلاح الذى كان يحارب به القائلون بأن الحقيقة لا تكتسب بالحواس ، وانما تكتسب بالعقل وحده ، ودليل ذلك عندهم هو الرياضة ، فليست الحواس هى التى تقول ان زوايا المثلث تساوى قائمتين ، واذا كان مثل هذا العلم العقلى يقينيا ، ثم اذا كانت الحواس معرضة للخطأ فى ادراكاتها ، أفلا تقضى الحكمة - اذن - بألا نأخذ بشهادة الحواس فى معارفنا ، وأن يكون منهاجنا الى الحق هو العقل النظرى الخالص ، الذى لا تدعوه الحاجة الى التقيد بما تراه الأعين أو تسمعه الآذان ؟

اما وقد عرفنا ، وفقا لما قال رسل وصاحبه ، ان يقين الرياضة لا يستلزم سوى أن يتفق الناس على أن يكون رمزا مساويا لرمز آخر ، دون أن يتوقف استخدام الرمزين على اشارتهما الى مسميات فى الخارج ، فقد بات واضحا أن الرياضة ليست من جنس العلوم الطبيعية حتى تقاس هذه اليها ، انما هى من جنس المنطق الصورى واستمرار له ، وهذا هو الكشف الجديد الذى يعد أعظم كشف فى المجال الفلسفى كله فى عصرنا.

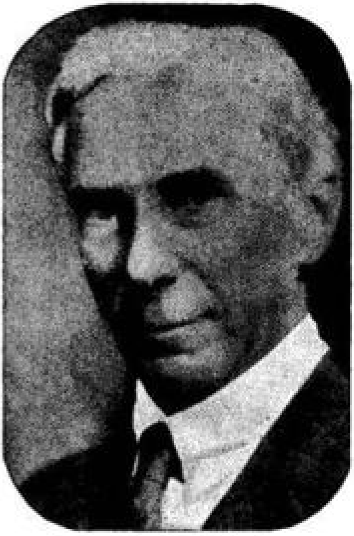

صورة تذكارية لبرتراند راسل

أفلا يكون هذا الضرب من المعرفة اليقينية محطا لأنظارهم ، وهى المعرفة التى لا يختلف فيها عصر عن عصر ولا ثقافة عن ثقافة ؟ فما سر هذا اليقين فى المعرفة الرياضية وما مصدره ؟

هذا سؤال لم ينقطع الفلاسفة عن القائه على أنفسهم ليحاولوا الاجابة عنه ، لماذا ؟ لأننا لو كشفنا سر اليقين فى الرياضة اهتدينا الى النهج الذى ينبغى أن ننهجه فى كل العلوم الأخرى فلا يعود ثمة مجال للتخبط والوقوع فى الخطأ ... وكم من اجابة أجاب بها فيلسوف عن هذا السؤال: فهذا يقول ان مصدر اليقين فى الرياضة هو أن الانسان يدرك حقائقها ببداهة الفطرة ، كأنما ولد العقل وفيه المبادىء الرياضية مركوزة لا تحتاج الا الى تنبيه فيصحو لها العقل ، وذلك يقول بل ان مصدر ذلك اليقين هو أننا نحصل الحقائق الرياضية - كما نحصل غيرها من الحقائق - عن طريق التجربة والخبرة ، الا أن التجربة والخبرة هنا مستوفيتان الدقة والشمول .. وجاء برتراند رسل فى أول القرن العشرين بتحليل للرياضة جديد .

رسل يردّ الرياضة كلها الى الحساب

وكانت معالم الطريق التى سلكهـا رسل فى تحليلاته الرياضية المنطقية،هى أن يردّ ـ أولا ـ فروع الرياضة كلها الى حساب ، ثم يرد الحساب كله الى الأعداد ، ثم يحلل فكرة العدد الى أصولها وجذورها ، فاذا هذه الأصول والجذور يتبين أنها ليست من لغة الرياضة بل هى من لغة المنطق الصورى ، اذ العدد على ضوء تحليلات رسـل (وتحليلات فريجه الالمانى فى نفس الوقت دون أن يطلع أحدهما على عمل الآخر) يمكن تحليله الى أنه رمز دال على فئة تشمل فى جوفها فئـات صغيرة متشابهة ، فالعدد « ٣ » ـ مثلا ـ رمز يسمى مجموعة الأشياء الثلاثية التى مر بعضها فى خبراتنا ، كأنما حزمنا تلك الثلاثيات كلهـا فى حزمة واحدة واطلقنا عليهـا الرمز « ٣ » ـ لكن اذا كان تحليل العدد هو أنه « فئة قوامها فئات » اذن فقد رددنا المفهوم الأساسى فى الرياضة كلها الى مفهومات ليست من الرياضة بمعناهـا الضيق (فمفهوم « فئة » ليس مفهوما رياضيا بحتا) بل هو مفهومات يعالجها المنطق الصورى ، وهكذا ينهار الحاجز بين المنطق والرياضـة ، ويصبحان من طبيعة واحدة ، وهـذه الطبيعـة الواحدة هى أنهما معا صوريان ، المهم فيهما أن تكون « الصورة » خلوا من التناقض الذاتى ، وليس المهم هو « المضمون » ذا المعنى .

العلوم الطبيعية مشغلتها المشاهدات الحسية

اذا استثنينا علمى المنطق والرياضة اللذين هما بناءان صوريان متصلان على نحو ما ذكرنا ، واللذين لا يحدثاننا عن طبيعة العالم الخارجى ـ عالم الأشياء المحيطة بنا ـ (فهما لا يدلانك كم يكون ارتفاع الهملايا ولا ينبئانك ما لون السماء). أقول اننا اذا استثنينا هذين العلمين الصوريين ، بقيت لنا مجموعة العلوم الطبيعية التى تبـدأ وتنتهى بدنيا المشاهدات الحسية ، والتى لا بد فيها من ادراك العالم الخارجى ، اما لكى نجمع معلوماتنا الأولية فى بداية البحث ، أو لكى نطبق ما قد انتهينا اليه من قوانين علمية فى نهاية البحث. واذن فقوام الأشياء فى ذلك العالم الخارجى هو ما تدركه حواسنا منها ، ولا يجوز أن نصف طبيعة تلك الأشياء الا على أساس ما ندركه منها . فما الذى يدركه الانسان من الأشياء التى تحيط به ؟

امعن النظر فى أى شىء تدركه ، فى هذه المجلة التى بين يديك الآن وأنت تقرأ ، تجدك ـ فى حقيقة الأمر ـ لا تدرك الا لمعات من الضوء والا لمسات من صلابة أو ليونة ، ومن مجموع تلـك اللمعات وهذه اللمسات ، يتركب فى ذهنك بناء هو الذى تقول عنه انه « مجلة » ، ومعنى ذلك أن أى شىء هو فى الحقيقة سلسلة من « أحداث » تلازم أو تتابع ، ونقصد بكلمة « أحداث »مجموعة اللمعات اللونية والنبرات الصوتية واللمسـات وهلم جرا ، فهذا « القلم » وهذه « الشجرة » وهذا « النهر » انما هو سيّال" دافق من«أحداث» بالمعنى الذى حددناه لهذه الكلمة ، وليس هـو «بالشىء» المتكتل المتجسم الذى يدوم على حال واحدة ، وانما نحن الذين نكتله ونجسمه فى أذهاننا ـ ويساعد على ذلك أننا نعطى « للشىء » اسـما معينا ، فتوهمنا واحدية الاسم بواحدية المسمى ـ فانظر مثلا الى شخص ما تعرفه ، ويطلق عليـه اسم معين مسجل فى شهادة ميلاده ، تجدك على وهم بأن هذا الاسم الواحد انما ينطبق على شخص واحد ، لكن أصحيح أن هذا الشخص « واحد »؟ أم أنه « تاريخ » من حوادث ظلت تتعاقب عليه منذ ولد الى أن يجيئه الأجل ؟ أكان هذا الشخص رضيعا هو نفسه الشخص وهو شاب وهو نفسه الشخص وهو شيخ محطم ؟ أكان هذا الشخص معافى هو نفسه الشخص مريضا ؟ أكان هـذا الشخص جاهلا هو نفسه الشخص عالما ؟ انه فى كل لحظة على حال غير حاله فى اللحظة التى سبقت وفى اللحظة التى ستلحق ، قد يخيل اليك أنه ثابت على حال واحدة لعجزك عن ادراك التغير البطىء ، كما تعجز عن ادراك حركة ظل الجدار وهو يمتد،ولكنه فى الحقيقة خط طويل من حوادث وان شئت تصويرا واضحا للحالة على حقيقتها فتعقب صاحبك هذا بآلة تصوير سينمائية ، تجد حياته فى أية فترة زمنية « شريطا » طويلا مـن حالات ليست فيها حالة واحدة تشبه تمام الشبه سابقتها أو لاحقتها ، ان كل شىء هو كالنغمـة الموسيقية فى كونه يعد كائنا واحدا لما بين أجزائه من صلات تربطها ، لكنه فى الحقيقة ذو أجزاء هى التى تقع فى ادراكنا الحسىّ لمعات أو نبرات أو لمسات أو غير ذلك من لقطات الحس .

وهل كان رسل يقول هذا عن حقيقة العالم الخارجي لولا أن علم الفزياء فى عصرنا يرد الأشياء الى ذرات كل منها مؤلف من كهارب سالبةوكهارب موجبة ، اى انه يردها الى سلسلة من أحداث ضوئية أو ما يشبه ذلك؟ لقد فقدت المادة صلابتها وتجسمها وتكتلها وتشيؤها ، « فالشيء الواحد » لا يكون كله دفعة واحدة وفى لحظة واحدة ، بل هو ـ كما قلنا ـ خيط من حوادث،هو سيرةمتصلة هو تسلسل ، هو تاريخ وصيرورة وتطور .

« الحياد » عند رسل

واذا كان هذا هكذا فكيف يرد رسل على السؤال التقليدى الذى ما انفكت الفلسفة تسأله على مر العصور : ما جوهر العالم ؟ أهو عقل كله (أى روح) أم هو مادة كله ، أم هو عقل ومادة معا، فبعضه عقل وبعضه مادة ؟

انت تعلم أن من الفلاسفة من أخذ بأن الكون عقل كله ، وهؤلاء هم المثاليون ، وعندئذ تراهم يردون الظواهر المادية الى جوهر عقلى أو روحى.

ومن الفلاسفة من اخذ بأن الكون مادة كله ، وعندئذ يردون الظواهر العقلية أو الروحية الى مادة وحركة .

ومنهم الثنائيون الذين يقولون أن الكون روح ومادة . .

فماذا عسى أن يكون الجواب الذى يدلى به رسل عن هذا السؤال ؟ أظنه قد أصبح واضحا لك الآن ـ على ضوء ما حدثناك به عن « الأحداث» وكيف أن منها تتألف حقائق « الأشياء » ـ اقول انه قد أصبح واضحا لك بماذا يجيب رسل عن السؤال الذى اسلفناه ، ان جوابه أن «الأحداث» لا هى عقل ولا هى مادة ، لكنها « محايدة » ، فاذا كانت الأحداث مرتبة على نحو معين كانت،ما نسميه عقلا ، واذا كانت مرتبة على نحو آخر كانت ما نسميه مادة ، كما هى الحال ـ مثلا ـ فى مجموعة من الخرزات ، ترصها على نحو فتكون مربعا ، وترصها على نحو آخر فتكون دائرة ، والخرزات هى هى لم تتغير ، فهى فى ذاتها لا هى « مربع » ولا هى « دائرة » والأمر مرهون بطريقة الترتيب ـ وهكذا قل فى « الأحداث » التى هى العنصر المحايد بالنسبة للأشياء كافة : مادة وروحا على السواء .

رأى رسل فى « المعرفة »

ولقد التفتت هذه النظرة الفلسفية الى طبائع الأشياء أن يكون لبرتراند رسل نظرية فى «المعرفة» كيف يتم تحصيلها. ولعلك تعلم أن اختلاف الرأى فى هذا الموضوع كان هو أيضا مدارا رئيسيا لاختلاف المذاهب الفلسفية الكبرى : أيكون تحصيل المعرفة عن طريق العقل البحت ، أم يكون عن طريق الحواس ، أم يكون عن تعاون بينهما ؟ ويهمنا الآن أن نعرض رأى رسل فى ذلك ، فمن رأيه أن أساس المعرفة هو ما يسميه « معرفة بالاتصال المباشر » وهى المعرفة التى تتمباللقطات الحسية المباشرة للمعات الضوء ونبرات الصوت ولمسات الصلابة والليونة وهلم جرا ، تلك « المعطيات الحسية » ـ كما تسمى ـ هى المادة الخامة الأولية لكل معرفة ، ومنها يبنى الانسان داخل رأسه بناءات ذهنية هى هذه التى تكون لنا صور الأشياء ، وهى التى تطلق عليها الأسماء مثل «شجرة» و « منضدة » الخ ، فكلمة«شجرة» ـ مثلا ـ لا تعنى الا تركيبةمنطقيةبنيت فى الذهن من معطيات حسية أولية بسيطة ، فاذا أردنا أن نحلل فكرة ما لنرى أن كان قد تم بناؤها بطريقة مشروعة أو لم يكن الأمر كذلك ، رددناها الى «أحداثها» التى تأثرت بها حواسنا المختلفة من ضوء وصوت وصلابة الخ . حتى اذا ما وجدنا بين عناصرها عنصرا لا يرتد الى حاسة بعينها عند اكتسابه بادىء ذى بدء ، أيقنا أن الفكرة باطلة .

ذلك هو موجز الخطوط الرئيسية لفلسفةرسل فى حقيقة العالم الطبيعى وفى أصل المعرفة ، وانك لتجد فلسفته هذه مبسوطة فى كثير من كتبه ، واهمها : علمنا بالعالم الخارجى (١٩١٤)تحليل العقل (١٩٢١) ، تحليل المادة « ١٩٢٧ » ، بحث فى المعنى والصدق (١٩٤٠) ، والمعرفة الانسانية (١٩٤٨) .

على أن برتراند رسل ، قد عرف عند غير محترفى الفلسفة بكتاباته الكثيرة التى كتبها فى المسائل الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والتربوية ، ومن أهمها : أسس الاصلاح الاجتماعى

(١٩١٦) ، الظفر بالسعادة (١٩٣٠) ، في التربية (١٩٢٦) ، الزواج والاخلاق (١٩٢٩) ، التربية والنظام الاجتماعي (١٩٣٢) ، والحرية والنظام (١٩٣٤) وكان آخر ما اخرجه من هذا القبيل كتابه « هل للانسان مستقبل ؟ » الذي ظهر منذ قليل،وقد ترجم كثير من هذه الكتب الى العربية .

رسل يرى أن النظام الاجتماعي مؤامرة كبرى على حرية الأفراد

ولو لخصنا الهدف الذي جاهد برتراند رسل بهذه الكتب الى سبيل تحقيقه ، لانحصر هــذا الهدف في عبارة واحدة هي « اكبر قدر مستطاع من حرية الأفراد» . فالنظام الاجتماعي ــ كمـا يراه ــ كثيرا ما يكون في حقيقته مؤامرة كبرى على حرية الأفراد ، فلا يكاد يولد الطفل وينشأ حتى يغمسه ذووه ومواطنوه غمسا فى ثقافة المجتمع الذي جاء عضوا فيه ، فما ينفكون يلقنونه ماذا يعتقد وكيف يسلك ، بغض النظر عن سلامة تلك العقائد او صواب هذا السلوك ، فليس المهم عندهم هو أن تكون العقيدة سليمة في ذاتها او أن يكـون السلوك صوابا في ذاته بل المهم هو أن تكـون هــذه هي عقائد سائر افراد المجتمــــع وهكذا يسلكون ، واذن فحتم" محتوم" على الناشيء الجديد ان ينصب مع غيره في قالب واحد ،والا فهو الشاذ الذي يستحق أن يوضع مواضــع السخرية ، ويكون الطفل في اعين الناس جديرا بالاعجاب والثناء حين يكون وادعا يؤدي ما يؤمر بادائه ولا يبيح لنفسه أن يناقش الكبار ولا ذوى السلطان فيما يامرونه بفعله .

فالمشكلة الرئيسية في التربية ــ كما هــي المشكلة الرئيسية في السياسة والأخلاق ــ هي كيف ينبغي للعلاقة بين الفرد والمجتمع أن تكون ، بحيث لا يضيق على الفرد ولا يضار المجتمع ؟ وبعبارة أخرى تكون المشكلة في كل هذه الميادين هي: كيف نجعل من الانسان فردا ومواطنا في آن معا ؟ وان رسل ليتمنى الا تكون المواطنة مقصورة على بلد واحد ، بل المثل الأعلى عنده أن يكون العالم كله وطنا لكل انسان .

وجواب رسل ــ كما نستخلصه من كتبه الكثيرة ــ هو أن الأمر في الدولة ينبغي أن يكون كالأمر بالنسبة للفرد الواحد ازاء رغباته الكثيرة المتضاربة،فماذا يصنع الفرد مع نفسه حين تكثر رغباته وتتناقض ؟ انه يوازن بين الرغبات المتنافسة ليحقق من بينها ما هو اكفل له باكبر سعادة وأدومها بقاء ، وكذلك قل في المجتمع ، فالخير بالنسبة للمجتمع هو ايضا قائم على أساس التنسيق بين رغبات افــراده المتضاربة ، واذن فالمبدأ الأخلاقي الأسمى هو : اعمل العمل الذي ينشأ عنه التنسيق بين رغبات افراد المجتمع ، فذلك افضل من العمل الذي يؤدي الى التنافر بين هؤلاء الافراد ، وان هذا المبدأ لينطبق على كل مجتمع ــ صغر او كبر ــ فهو ينطبق على رغبات الفرد الواحد، وينطبق على افراد الأسرة ، وأهل المدينة ، وأبناء الوطن ، كما ينطبق على العالم كله ــ فلا عجب ان نرى هــذا الفيلسوف نصيرا للمحبة بين البشر ، نصــيرا السلام . ■■

زكي نجيب محمود

يفقأ عينيه حتى لا يرى رحيل أحبابه

● سئل ابن الشاعر جرير :

ــ ما كان أبوك صانعا حيث يقول :

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل ، فعلت ما لم افعل

فقال :

ــ كان يفقأ عينيه فلا يرى رحيل أحبابه .

في الظلام

■ نجومُ الليلِ يشجيني بَهاها   تَبثُّ السحرَ من أسمى عُلاها
تذكّرني بأحلام عذاب   مضتْ ومضى يُرافقها صداها
أراقبها كثيرا في خشوع   كأني بعدَ ذلك لن أراها
عجيب أن أقاسي مثل هذا   أأهواها ؟ محال ! من تُراها ؟؟
أحسناء لها مُقَلٌ نعاس   وقد عبثتْ بقلبي مقلتاها
فصرتُ أسيرَ أجفُنها السواجي   إذا رمقتْ أسيرٌ على هُداها ؟؟

أحسناء ومَنْ حسنٌ سواها ؟   يساوي ألفَ حسناء ضياها
أقارنها بغيد الأرض ظلما   فأين الأرضُ هذي من سماها ؟؟
إذا ما الحسن لم تنظره فيها   فلن تلقاه في خَلْق سواها
أأهواها ؟ نعم والقلب صبٌّ   يتوق لها ويسلو ما عداها
لقد عاهدتُها مذ عاهدتني   فصارتْ مُنيتي وأنا مُناها

وفي ليل عميق الصمت ساجٍ   شعرتُ بلوعتي في منتهاها
كأن سواده المفجوع يسري   إلى نفسي فيكسبها أساها
وغابت فيَّ أشباحُ الأماني   كأن ظلام قلبي قد طواها
ولما لم تُطقْ نفسي شجوني   ودمعي لم يلطف من لظاها
قصدتُ الشهب كي أشكو إليها   وأسلُو لوعتي في ملتقاها
وكان الليل يسري في سكون   كئيبٍ فاحتواني واحتواها

سناها راح يعبث في فؤادي   وطرفي راح يعبثُ في سناها
فلاح لها الضنى يجتاح نفسي   فغاضت في خضمّ من ضناها
كأن وميضها المغرور أضحى   دموعَ مُحبّةٍ فقدتْ فتاها
يحطّم روحَها حبٌّ يتيم   ويدفعها لتجْهشَ في بكاها
فيرقص دمعها في مقلتيها   خجولا ثم يخنقه حياها

أنا لا صحبَ لي أبدا سواها   إليها فيضُ تحناني تناهى
كأني بين خلاني غريب   بعيد الدار عن مأواه تاه
فياليلَ التباعي لا تلمني   إذا ما مُقلتي عافت كراها
سأسهر كي أناجيها قليلا   فقلبي للمناجاة اصطفاها
وأشرح ما ألاقي من غرامي   فتُصغي ثم تشرح لي هواها
وأسألها فتخبرني كأني ...   نبيٌّ قام يستوحي الإله ■■

حمزة الطفيلي ـ بعلبك

أبو إسحاق الصَّابى

● لم يشتهر بالشِّعْر ومع هذا طلبه سيف الدولة شاعراً!
● راسل الشريف الرَّضى وفضَّله على نفسه..
● هو فى الإنشاء ثالث اثنين من معاصريه

بقلم الدكتور محمد محمود الدش

■ اشتهر ابو اسحق ابراهيم بن هلال، الحرّاني أصلا وأهلا ، الصابىء دينا ، فى تاريخ الأدب العربى بعلو كعبه فى الانشاء والكتابة ، بحيث ترك لنا ديوانا كبيرا من الرسائل التى دبّجها ، وكلها تشهد له بالبراعة الفائقة والبلاغة الرائعة فى هذا الفن من فنون الأدب ، الذى وصل على يديه ، وعلى أيدى غيره من كتاب عصره أمثال ابن العميد والصاحب بن عباد ، الى الذروة من حيث التنميق والتوشية والزخرفة فى غير كثير تكلف أو جهد او عناء . حتى أن الكتاب والأدباء الذين جاءوا بعد هذا العصر اخفقوا حين أرادوا تقليد الصابىء وزميليه، فأجهدوا أنفسهم جهدا بعيدا ، وكلّفوا فن الكتابة فوق ما يحتمل وما يطيق .

بلغ اذا الفن النثرى عند ابى اسحاق الصابىء، واضرابه من أدباء القرن الرابع الهجرى ، حد الاعجاب والاعجاز لمن تقفوا آثارهم وعكفوا على تقليد طريقتهم، وعرف أبو اسحاق بالتفوق والتفرد فى هذا الميدان من ميادين القول وفنونه ، ولكن الميدان الذى يبدو كان ابا اسحاق لم يكن مجليا فيه ويحتاج الى شىء من الايضاح والتوكيد هو ميدان الشعر .

كان أبو اسحق شاعرا من الشعراء المجيدين فى عصره ، وكان من الممكن أن يكون من المبرزين منهم والمتفوقين ، لولا الجانب الرسمى من حياته الذى حدد طريق الشهرة له ولذكره فى تاريخ الأدب العربى . فهو قضى أكبر شطر من حياته يعمل فى دواوين الرسائل لبنى بُوَيه فى بغداد ، حيث تدرج فى هذه الدواوين حتى صار رئيسا لثلاثة من أهم دواوين الدولة هى : ديوان الرسائل ، وديوان المظالم ، وديوان المعاون فى سنة ٣٤٩ أيام معز الدولة بن بُوَيه أمير بغداد . بل لقد بلغ الأمر به من الناحية الرسمية أن كان يقوم فى مكان الوزير ، وان عرض عليه الأمير عز الدولة بختيار ، الوزارة فعلا ، ثقة منه به ، واعترافا بمنزلته الادبية العالية التى كانت من أهم الأمور التى تؤهل لشغل هذا المكان الخطير فى ذلك الزمان . وكان ابو اسحاق يحس احساسا قويا بهذه المنزلة، وتلك الثقة ويفخر بهما :

لقد علِم السلطانُ أنى لسانُه
وكاتبه الكافى السديدُ الموفَّقُ
أوازره فيما عرى وأمدُّه
برأى يُريه الشمس والليل أغسقُ
يجدِّد بى نهج الهُدى وهو دارس
ويفتح بى باب الثُّهى وهو مغلَقُ

فمعنـــاى بمعنـــاه ، ولفظى لفظـه
وعينى لـه عين ، بها الدهر يرمق

ولى فِقَرٌ تضحى الملـوك فقيرة
اليهـا لدى أحداثها حين تطـرق

ترك ديوان شعر لم يصل الينا

فاشتغال ابى اسحاق بفن النثر وجعله اياه همه الأكبر،بما أملتهعليه ظروفه الرسمية والمعاشية، هو الذى حد نشاطه فى حلبة الشعر . وعلى الرغم من ذلك ترك بعد موته ديوانا شعريا طرق فيه أكثر أغراض الشعر وفنونه ، ولكنه للأسف لم يصل الينا ، وضاع كما ضاع الكثير من نفائس تراثنا الفكرى والفنى ، وان بقيت لنا تُتَف من أشعاره وعدد من قصائده تتوزع فى طائفة من كتب الأدب والتاريخ ، أنشأها فى فنون الغزل والخمر والوصف والفخر والمدح والهجاء والرثاء والشكوى والحكمة ، وهى تكشف لنا عن فيض شاعريةالرجل وعن خصائصه الفنية فى هذا المجال .

شاعريته أثرت فى كتاباته النثرية

وليس من شك فى أن شاعرية ابى اسحاق كانت من العوامل القوية التى أثرت فى كتاباته النثرية وخاصة فى رسائله الشخصية ، التى كان ينطلق فيها بعيدا عن التكلف فى كتاباته الرسمية ، بحيث جاءت تلك الرسائل الشخصية كأنها فى بعض فقرها قطع من الشعر ، بما توافر لها من عناصر موسيقية بالسجع والازدواج وموازنة الجمل والعبارات ، ثم عناصر التصوير والخيال .

وشعر ابى اسحاق ينبض ــ الى جانب الطبع الفياض ــ بآثار الثقافة التى تناهت الى عصره ، بعد ان انسكبت تيارات مختلفة من ثقافات الأمم الأخرى وحضاراتها الى محيط الثقافة والحضارة العربيتين وامتزجت بهما امتزاجا كبيرا ، وخاصة ما جاء اليهما من فلسفة ومنطق وعقائد ، حتى غزله لا يخلو من هذه الآثار ، حيث يقول فى قصيدة طويلة تكشف عن هذا الجانب :

وترى المجوسُ ضياء وجهك فوقـــه
مُسودٌ فـرع كالظـــلام الراكــد

فتقوم بين ظلام ذاك ، ونور ذا
حجج اعدوها لكل معاند

ولعه بالتجريد المعنوى

وهو فى معظم شعره مغرم بالتجريد المعنوى كغرامه فى غزله خاصة بالتجريد « المادى » ، وينحو فى تصويره وتشبيهاته هذا النحو حينما يشبه المتاع المادى بصور معنوية :

الى الله اشكو ما لقيت من الهوى
بجارية امسى بها القلب يلهج
اذا امتزجت انفاسنا بالتزامنا
توهمت ان الروح بالروح تمزج
كاني وقد قبلتها بعد هجمة
ووجدى ما بين الجوانح يلعج
اضفت الى النفس التي بين أضلعي
، بانفاسها ، نفسا الى الصدر تولج
فان قيل لي اختر ايما شئت منهما
فاني الى النفس الجديدة احوج

ولعه بالتصوير

وهو كذلك مولع ـ الى جانب التجريد ـ بالتصوير ، اذ تتناهى الى خياله الرائع الصور المتلاحقة التى يضفيها على ما تراه عينه من المحسوسات وما يتبادر الى ذهنه من المعنويات والافكار ، وله صور جميلة فى وصف الخمر ، وان كان ابو نواس قد سبقه الى كثير من المعانى التى وردت فى خمرياته ، ومن صوره :

صفراء كالتبر جامها يقق
شعاعها كالذبال يأتلق
كأن في كف من أتاك بها
ضحى نهار فى وسطه شفق

وقد وصف مجالس الشراب ، ولم يترك فى هذه المجالس شيئا الا صوره فى شعره تصويرا جميلا ، وكثيرا ما بدت صوره فيها طريفة جديدة ، مثل قوله :

كأن تسكابها في الزجاج
حريق له من حباب شرار

يصف الفستق

وكان ابا اسحاق كان يريد أن يصف كل شيء يصادفه شعرا ، ومن طريف ذلك ما قاله فى الفستق :

والنقل من فستق جني
رطب حديث به القطاف
لي فيه تشبيه فيلسوف
الفاظه عذبة خفاف
زمرد زانه حرير
فى حق عاج له غلاف

يصف الشمعة

ويصف شمعة فيقول والليل حالك فى محاق الشهر :

ولا دليل سوى هيفاء مخطفة
تهدى الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الابريز اثمر فى
أعلاه ياقوتة صفراء تستعر
تأتيك ليلا كما يأتي المريب فان
لاح الصباح طواها دونك الحذر

يصف المدخنة

ويبدو ان الأشياء كانت تنعكس على شعوره ذلك المرهف الحساس فتتفاعل واياه تفاعلا سريعا موجيا ينفث صورا شعرية طريفة فى أسلوبه السهل الرقيق ، فقد وصف المدخنة ، فى بيئة لم تكن صناعية ، ويبدو انها كانت فى ايامه شيئا لافتا ، وقال فيها :

ومخرورة الاحشاء تحسب انها
متيمة تشكو من الحب تبريحا
تناجيك نجوى يسمع الانف وحيها
وتجهله الأذن النميمة اذ يوحى
اذا استودعت سرا من الطيب مجملا
اشاعته تفصيلا وأفشته مشروحا
وان حاولت اخفاءه في ضميرها
أبى عرفها الا اعترافا وتصريحا
يحرق فيها العود عودا وبدأة
فتاخذه جسما وتبعثه ريحا

حتى البق وصفه

حتى البق والبراغيث ، لم تسلم من تناول ابى اسحاق لها فى شعره ، اذ يقول :

وليلة لم اذق من حرها وسنا
كأن من جوها النيران تشتعل
احاط بي عسكر للبق ذو لجب
ما فيه الا شجاع فاتك بطل

من كل سـائلة الخرطوم طاعنـة
لا تحجب الـجف مسـراها ولا الكلل
طافوا علينا وحـر الصيف يطبخنـا
حتـى اذا طبخـت أجسامنا أكلـوا

قال الثعالبي : « والبيت الاخير املح ما سمعت في معناه » .

اسلوب هادىء حتى فى هجائه

واللاحظ أن اسلوب ابي اسحاق بعامة يتصف بصفة الهدوء والسهولة وجودة العرض والتصوير ، مما يجعل القارىء أو السامع يتناول شعره فى يسر محبب والف سريع . ونفس هذا الهدوء الذى عهدناه فيه نجده فى تناوله لفنون الشعر الأخرى ، حتى فى الهجاء ، حيث تكون النفس غاضبة كارهـة اقرب الى الانفعال الثائر الهيـاج ، نجده يتناول مهجوه تناولا رزينا فيه كثير من التعقل ، وفيه توافر للعنصر العقلى الذى يطغى على العنصر العاطفى ، فمن هجائه :

يـا جامعـا لخـلال
قبيحـة ، ليس تحصـى
نقصـت من كـل فضـل
فقـد تكاملـت نقصـا
لـو ان للجهـل شخصـا
لكنـت للجهـل شـخصا

ومن ذلك هجاؤه لانسان لبس عمامة سرية :

يـا من تعمم فـوق رأس فـارغ
بعمـامة مـرويـة بيضـاء
حسنت وقبـح كـل شـىء تحتهـا
فكأنهـا نـور علـى ظلمـاء
لمـا بـدا فيهـا أطلت تعجبـي
من شر شـىء فـي أجـل انـاء

النكبات أخرجت منه الحكمة

ولقد عاش ابو اسحاق نحوا من سبعين سنة ، عرف فيها حلو الحياة ومرها ، ووصل فيها الـى ما يمكن ان تصبو اليه همة اديب من مكان فى زمانه ، واعترضته فى غضونها أزمات ومحن ،ونزلت به نكبات واحن فى اخريات حياته ، أحالته الىحكيم فيلسوف ، يقول شعرا حكيما مفلسفا ، وان كان يفيض بالالم ، ويغص بالشكوى والأنين :

قـد كنت أعجب من مـالى وكثرتـه
وكـيـف تغفـل عنه حـرفة الادب
حتى انثنت وهـى كالغضبى تلاحظنى
شـزرا فلم تبق لى شيئا من النشب
فاستيقنت انها كانت علـى غلـط
فاستدركته وأفضت بى الى الحـرب
الضب والنون قد يرجى التقاؤهما
وليس يرجى التقـاء اللب والذهب

وشكواه بصفة عامة على الرغم من حرارتهـا نجدها ممزوجة بحكمة عاقلة رزينةلا يعوزها الخيال الخصيب ، ولا التصوير المبدع ، ومن الأبيات التى تبين لنا انه كان مكثرا من قول الشعر وخاصة فى ايام صباه وشبابه ، ويشكو فيها زمانه، ويترحم على تلك الايام ، قوله :

عهدى بشـعرى وكله غـزل
يضـحك عنـه السرور والجذل
ايـام همـى بحبـة بهـم الـ
ـقلب عـن النائبـات مشتغل
فالآن شعرى فى كـل داهيـة
نيرانهـا الضلوع تشتـعل
اخـرج من نكبـة وادخـل فى
اخـرى فنحـن بهـن متصـل
كأنهـا سـنة مؤكـدة
لا بد مـن أن تقيمهـا الـدول
فالعيش مـر كأنـه صبر
والمـوت حلـو كأنـه العسـل

نزعته الايجابية لقاء الحوادث

على أن فى شعر ابى اسحق ما يدل على انه لم يكن سلبيا مع الحياة رغم شكواه المتصلة منهـا، وانه كانت فيه روح عناد وتحد لما حل به من ازمات ونزل من نكبات ، وانه كان كبير الأمل فى الله عز وجل وفى فرج منه قريب .

سـأثبت اذ يصـادفنى زمانى
بركنيـه كمـا ثبـت النجيب
وارقـب ما تجـىء بـه الليالى
ففى أثنـائه الفـرج القـريب

ومن حكمته العملية الايجابية فى مواجهة الحياة قوله :

اتهاب فى الأزمات فلنا ربما وقيت عنـه
الدهـر خـوان ولكن كم سـعيد لم يخنه
واستبر حظـك بالتقلب فى المطالب وامتحنه
وابسط رجاءقد قبضتوثق بربك واستعنه

عاش فى عصر المتنبى فشغل الناس عنه

ولسنا نريد أن نطيل فى ايراد الأمثلة على شاعرية أبى اسحاق ومنهجه الشعرى واسلوبه بقدر ما نريد ان نؤكد ان الرجل كان يستحق أن يكون مدرجا اسمه فى قائمة الشعراء المجيدين ، ولكن عمله الرسمى نقل اسمه من تلك القائمة وقيده بقائمة اخرى هى قائمة الكتاب البارعين ، ولا شك فى ان ابا الطيب المتنبى الذى وجد فى ذلك العصر ، كان قد ملأ الدنيا وشغل الناس ، كما قيل عنه ، فبهرت اشعاعاته الفنية وأشعاره الانظار واعشتها عن كثير من أشعار غيره من أمثال أبى اسحاق الصابىء .

وطلبه سيف الدولة

وعلى الرغم من ذلك كله فقد اتصلت شهرة أبى اسحق فى الشعر ، وهو فى بغداد ، بسمع سيف الدولة الحمدانى فى حلب ، وارسل اليه رسولا يطلب شيئا من شعره وألح عليه فى ذلك ، فبعث اليه يقول :

ان كنت خنتك فى الأمانة ساعة
فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكا فى العلا
وجحدته فى فضله التوحيدا
قسما لو انى حالف بغموسها
لغريم دين ما أراد مزيدا

صلته بغيره من الشعراء

ومعروف أن الصابىء كان يخدم البويهيين ويمدحهم ، وكان فى أثناء مدحهم يذم سيف الدولة غريمهم .

ومما يشهد له كذلك بعلو منزلته وارتفاع مكانته ـ شاعرا ـ فى عصره ، انه كانت بينه وبين ابنى ورقاء الشيبانى ، ابى محمد جعفر واخيه ابى أحمد عبد الله ، الشاعرين ، وهما من رؤساء عرب الشام وقوادها مودة وتزاور ومكاتبات بالشعر . وكذلك كانت بينه وبين أبى الفرج الببغاء صداقة طيبة ، وعلاقة أدبية ، ومراسلات شعرية طريفة . كما كان السرى الرفاء الشاعر يقصد أبا اسحق كثيرا ، وكان يشكو اليه من أن الخالديين يسرقان من شعره ، أى شعر الصابىء . والى جانب ذلك نجد فيما يروى أن الحسن بن احمد الحجاج الشاعر ومحمد ابن عبد الله بن سكرة الهاشمى الشاعر ايضا كانا من تلاميذ أبى اسحاق .

بينه وبين الشريف الرضى

اما الشريف الرضى ، وهو صاحب المكانة الشعرية الممتازة فى تاريخ الشعر العربى فانه يشهد لأبى اسحاق بالبراعة فى الشعر ، ويفضله على نفسه فى هذا الميدان فيما دار بينهما من مراسلات شعرية وقصائد طويلة ، يقول له :

قد جاءت النفثة الغراء ضامنة
ما يؤلق النفس فى سر وفى علن
اتيطت من حسنها ماء بلا نضب
وحزت من نظمها درا بلا ثمن
فاقند اليك أبا اسحاق قافية
تقود الجواد بلا حبل ولا رسن
انشدتها فحدا سمعى غرابتها
الى الضمير حداء الركب بالبدن
كانت تقاعس لو ما كنت قائدها
تقاعس البازل المجنوب فى شطن

شهادة ابن العميد فيه

وختم الحديث فى هذا المكان عن أبى اسحاق الصابىء وشاعريته لا يتم الا بشهادة كبير ادباء ذلك العصر ، من ختمت به فنون الكتابة ، أبى الفتح بن العميد . قال أبو حيان التوحيدى : « وحضرت المجلس ـ مجلس الوزير ابن العميد ـ وقد غص باعلام الدنيا ، وببرد الآفاق ، فجرى حديث الصابىء ، فقال ذو الكفايتين : ذاك رجل له فى كل طراز نسج ، وفى كل حومة رهج ، وفى كل فلاة ركب .. ومن كل غمامة سكب ، الكتابة تدعيه باكثر مما يدعيها ، والبلاغة تتحلى به باكثر مما يتحلى هو بها ، وما أحلى قوله :

حمراء مصفرة الأحشاء باعثة
طيبا تخال به فى البيت عطارا
كأن فى وجهه تبرا يخلصه
قين بضرم فى أثنائه النارا

وقوله :

ما زلت فى سكرى ألمع كفها
وذراعها بالقرص والآثار
حتى تركت أديمها وكأنما
غرس البنفسج فى نقا الجمار

رحم الله ابا اسحاق الصابىء ، أديبا ، ناثرا وشاعرا ، وعفا عنه ، وغفر له . ■■

محمد محمود الدش

الوطن

يا له من وطن

بقلم : اسمى طوبى

■ هذا الثرى الذى تدوسه أقدامنا أطفالا عندما نخطو خطواتنا الأولى المتعثرة .. وتردد اجواؤه صدى ضحكاتنا صغارا .. وتروى ارجاؤه قصة غرامنا الأول شبانا .. وقصة طموحنا وعراكنا ونجاحنا كبارا .

هذا الوطن الذى نحس أننا منه .. من ترابه جبلنا والى ترابه نعود .. ما أقوى حبه .

فراق

انما متى تتبدى قوة هذا الحب على أشدها ؟

لقد سئلت مرة اثر خروجنا من فلسطين بعد النكبة الكبرى .. ماذا علمتك الحياة .. ؟ فأجبت :

ــ علمتنى الحياة ان أقسى نكباتها هو يوم تنكب المرء فى موطنه .. يوم يفقد الانسان موطنه ، فيعيش بعد ذلك على هامش أوطان الناس يعانى ذلة المتطفل .. ويشقى شقاء الغريب .. شقاء الرجل الذى لا وطن له ..

وعلمتنى الحياة ان أوطان الناس هى قطع من أكبادهم ، وهم لا يعلمون ... فاذا ما اقتطعت عاشوا مفتتى الأكباد فعلموا .. وهكذا فانا اتمنى لو أستطيع ان اهمس فى أذن كل مخلوق ــ اعتن بوطنك ــ اعتن بكبدك قبل أن تعطب .

وقد سئل اعرابى قبلى من احب أولادك اليك .. ؟

فأجاب فيما اجاب .. الغائب حتى يعود .. واعتقد أن حرقة الغياب هذه تنطبق اكثر ما تنطبق على الوطن الغائب ... فنحن قد نعيش فى أوطاننا أعواما ، نحبها ولا شك .. ولكننا لا نحس نعمة الله علينا عندما وهبنا موطنا الا اذا فقدنا هذا الوطن .. وعندئذ تتفتت الأكباد .. وتبتدى آلام التفتت .

هجرة

ونحن قد نفارق الوطن مختارين .. نكون ابناء قرية صغيرة مثلا ، فنهجرها الى العالم الواسع .. ويوفر لنا هذا العالم الواسع الوانا من المتع التى خلقتها المدنية الحديثة ما يوفر .. ومع ذلك نظل نعود على اجنحة الخيال الى القرية الصغيرة .. الى المكان الذى اصبح مقدسا بما اختزن من ذكريات .. فاذا بالقرية الحبيبة تنادينا ، وتنادى قائلة ــ تعالوا ــ .. واذا بالنداء يهيج الحنين .. واذا بالحنين شوق جارف .. واذا بالدنيا كلها لا تساوى ذرة من تراب القرية التى هجرنا .

ويلح الشوق ، ويلح حتى يغلبنا .. فاذا بنا نسرع الى القرية الحبيبة لنجلس تحت ظل تينتها

.. شاعرين بالاطمئنان الى ان رفاتنا ستستريح في هذه التربة الغالية ، فننشد مع الشاعر العائد من المهجر :

أختَ العروبةِ هيئي كفني
انا عـائد لأمـوت في وطنـي

وليس هذا الشعور وقفا على العاطفيين او الشعراء منا .. فجبابرة التاريخ احسوا به .. ونابليون نفسه اوصى وهو على سرير الموت ، قال : خذوا قلبي ليدفن في فرنسا .

تـنزُوح

تلك حالنا عندما نفارق اوطاننا مختارين ..

اما في الحالة الاخرى .. حالة النزوح القهرى ، فالأمر يختلف .. لقد رايت شيوخا عـن بلدهم المقدس نازحين ، رأيتهم في القرية على فراش الموت يسألون مع انفاسهم الأخيرة .. هـل سنموت هنا .. ؟ هل سندفن هناك .. يتساءلون والنار في صدورهم : كيف حلَّ بنا هذا الذل .. وحسدوا النسمة التي مرت هناك والقبّرة التي طـارت الى تلك الناحية ، ناحية الوطن السليب . ولقد باعوا نصف اعمارهم من اجل لثمة من ذاك الثرى وقد يكون على مرمى حجر منهم ، ولكنهم لايصلون.

وحي هذا الحب

ومن وحي هذا الحب امتلات الدنيا ابداعا ، فما لحظت ـ على كثرة ما قرات ـ اديبا لم يدبج الصحائف عن وطنه .. ولا شـاعرا لـم ينظم القصائد في موطنه وما رايت فنـانا ، لـم يفتن بموطنه .. ولا زجالا لم يذكر كِبَرَه وشموخه .. ولا عازف مزمار لم يُرقص الشبابَ وهو يعدد مفاخر وجمال موطنه .. ولا رايت رسـاما لم تبدع ريشته رسما او اكثر لموطنه .

ولقد تغنينا نحن العرب باوطاننا منذ عهـد الجاهلية ، يوم كنّا قبائل تعيش تحت الخيام فتعدد مساكنَها تلك مواطنا .. لقد تغنى شعراؤنا بالدخول وحَوْمَل .. وبكينا على الأطلال .. ومزجنا الغرام العذري وغير العذرى بغرام الوطن .. ولم تخل حتى معلقاتنـا السـبع ، التي هي لفحول شـعرائنا ، من التلفت الى دارِ عَبْلَة لتتكلم .

شمول هذا الحب

ليس هذا الحب وقفا على بلد دون بلد .. لقد جاءت قبل اعوام المغنية السويدية جيني لِنْد الى نيويورك ، وغنّت على اكبر مسارحها .. غنّت لبتهوفن ، وهَنْدل وغيرهمـا من فطاحـل الموسـيقيين .. ثـم .. وكانمـا حنت القبّرة السويدية الى موطنها ، فصمتت لحظة ، وقد طوت جناحيها لكي تنشرهما من جديد استعدادا لطيران اعلى ، ثم ابتدات بصوت عميق تنشد .. موطني يا موطني الحلو ..

ولم يستطع المستمعون صمتا فاذا بالآلاف تزار فيغطي زئيرها عزفَ الموسيقى .. واذا بالدموع تنهمر من المآقي كالمطر .. لقد نُسِيَ بتهوفن ونُسِيَ هندل

ومرت دقائق ثم عـلا الغناء ثانيـة .. موطني يا موطني الحلو .. فكأن السماء كانت تغني .. وكان هذه الكلمة ـ موطني ـ قد شدت عشرين الف شخص على مختلف اعمـارهم وجنسياتهم برباط واحد .. لقد انتصر هورد باين على هاندل وبتهوفن واساتذة الموسيقى امثالهم .

وفي ادغال افريقيا

ومن نيويورك الى ادغال افريقيا .. لقد مضت جمعية العناية بالعميان تحصيهم في ارجاء العالم حتى وصلت احدى المناطق البكر في ادغال افريقيا .. ولحظت الجمعية ان نسبة العميان في هذه المنطقة مرتفعة اكثر منها في اى مكان آخر .

وسأل مندوب الجمعية رجلا اعمى عن السـبب ، فاجاب الرجل .. ان هنالك جرثومة غريبة تحط على وجه الماء ، ثم تنتشر بين السكان ، فاذا مـا مستْ عين مخلوق سببت العمى .

وقال مندوب الجمعية مستغربا .. ولكن لماذا لا تهجرون هذه المنطقة .

واجاب الأعمى بهدوء وتصميم : ابدا .. لقـد عاش آباؤنا هنا واجدادنا كذلك ولدوا ودفنوا هنا .. ونحن هنا وُلدنا وهنا نموت .. ثم اردف بقوة .. ان هذه الارض لنا ونحن لها .. انها تشدّنا اليها برباط لا يفصم .

لقد كره الهنود الحمر فى أمريكا القادمين الغرباء .. لم تكن أرضهم قد ضاقت بمن فيها بل كانت سهولا وجبالا تتسع للملايين ..

وعند فيزوف

ويعرف الناس فيزوف والقرى التى فى سفحه ..يثور البركان الجبار فيصب حممه عليها فيدمرها .. ولكن ما أن يهدأ حتى يعود السكان ليبنوا قراهم من جديد عند سفحه .

من امريكا الى افريقيا الى ايطاليا الى كل مكان فى الدنيا ، فيها جميعا يُعبد الوطن .. يظل حبه خالدا فى اعماقنا وكلنا يردد مع شوقى :

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه
نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

فما اقوى هذا المعبود .. وما اعظم الشمول والعمق فى حبه .

وما ارخص الحياة لأجله

لأجله يصبح الجبان شجاعا .. لأجله نرحب بالموت أكره شىء لدى الحىّ .

نحن نتحاشى الموت الرهيب فى كل صورة .. نتحاشاه فى دبيب أفعى على الثرى قد تحمله الينا فترتجف قلوبنا رعبا .. نتحاشاه فى جرثومة مُعدية قد تحمله الينا فنضرب دونها نطاقا من الوقاية حولنا .. الاطباء هم اصدقاؤنا وموضع ثقتنا لأنهم يردءون أذاه عنا .. وهكذا نظل فى هرب من الموت حتى يتعرض الوطن للخطر فاذا بالحياة ترخص لأجله .. واذا بنا نستميت فى الدفاع عنه ونموت فعلا ، اذا اقتضى الأمر ، ليسلم هو .. وما صور الفداء فى كل قطر مناضل ، وما هذه المعارك يُقبل الناس عليها ظامئين مندفعين هنا وهناك ، الا مصداقا لهذا القول .

حرية الوطن

ومتى احب المرء مخلوقا ما اراد لحبيبه افضل ما فى الدنيا .. هكذا يريد المرء لوطنه كل الامتيازات وعلى رأسها الحرية .

وليست المسالة مسالة ثروات تستنزف ويكسبها الاجنبى فتضيع على اهل البلد الثائر

.. ولكن هنالك ما هو اثمن من المادة .. شيء معنوي هو الحرية بكل ما فيها من عزة واباء وكرامة .. ولاجل هذه الحرية تقوم الثورات اليوم في كل مكان .

لقد كره الهنود الحمر في امريكا القادمين الغرباء .. لم تكن ارضهم قد ضاقت بمن فيها بل كانت سهولا وجبالا تتسع للملايين من الناس .. ولم تكن هنالك ثروات في ايدى السكان جاء هؤلاء الغرباء يشاطرونهم اياها .. ولكن كان هنالك وطن هو لنا وحدنا ولا نريد فيه شريكا .. ذلك مثل من الأمثلة التى تصور لنا شعور الناس في كل العالم اليوم .. ذاك الشعور الذى لأجله يحدث ما يحدث ..

لم يعد الانسان نائما، تلسعه البراغيث فينقلب من جنب الى جنب ثم يعود الى نومه .. لقد انتشر الوعى في الدنيا بشكل غريب .. فمن لابسى الخرز المتزينين بالريش .. الى راكبى الصواريخ وصانعيها من كبار العلماء .. تسمع صرخة واحدة قوامها حرية الوطن .. استقلال الوطن .. صرخة واحدة قوامها وطننا لنا ونحن له.

الطريق الى الحرية

والطريق الى الحرية طويل ولكن الوصول الى الهدف يتلخص في كلمة واحدة قوامها « نحن » و .. تموت « انا » لتحيا « نحن » .

الحق للقوة .. ذلك مالا شك فيه .. والقوة لم تكن مرة من نصيب الفرد بل من نتاج الجماعة .. تلك حكمة عرفها اجدادنا من يوم جمع الشيخ اولاده وطلب منهم ان يكسروا حزمة من العصى مجتمعة ، فلما عجزوا ، طلب ان يكسروها فرادى ، فاستطاعوا .. وما تلك بقصة مجهولة .

لقد عاش الناس منذ ان كانوا قبائل .. وكانت قوة القبيلة مستمدة من كثرة عددها ، فاذا ما اتحدت قبيلتان او اكثر ، امام غاز ، ضمن النصر ..

وما تعدى الناس اليوم هذه الحقيقة . وما هذه الأحلاف الا مظهر من مظاهر القوة .. وما هذه التضحية بمصلحة الفرد في سبيل المجموع الا دليل على أن « نحن » لا « انا » هي التى تخلق القوة والتى نحن بحاجة اليها اليوم .

انا فرد في امتى .. في بلاد راقية ظل الناس بعد الحرب العظمى سنوات يعيشون نظام التقنين .. يقفون في الصف ليأخذ الواحد منهم بيضة لطفلة .. ولم يتذمر الناس لأن كل فرد كان يود ان تستعيد بلاده توازنها الاقتصادى الذى تزعزع بسبب الحرب .. كان يود ان يساهم في ذلك .. واقل انواع المساهمة هو الصبر والاحتمال .

انا فرد في موطنى ولكن كل ما فيّ ، كل ما افعله ينعكس على وطنى ..

انا انسان فاذا ما ساهمت في اى عمل انسانى .. فتح ميتم .. اغاثة بائس .. فقد انعكست انسانيتى على موطنى .

انا عادل ، فاذا ما انصفت عاملا واحدا لدىّ ، فوفرت له عيشا اكثر طمانينة .. ولأسرته لقمة انظف ، فقد وفرت استقرارا لمواطن .

انا احترم القانون فاذا ما اديت ما للدولة علىّ فقد وضعت يدى في يد الحاكم لتعمل معا لخير بلادى .

انا حار الوطنية ، فاذا ما نشأ صغارى على حب الوطن ، والتغنى به وافتدائه بالمهج ، فقد كونت خلية من خلايا الوعى .. ووفرت لبلادى شبانا وفتيات يلبون نداءها عند الملمات .

اجل .. انا فرد في امة ولكن اليس من الافراد تتكون الأسر ومن الاسر الأوطان .. ؟ او لست كلما صلبت انا او جزأ منها على الاقل عاشت نحن وتبدى تضامن وتعاضد نحن .. ؟

لأجل الوطن الذى نحب ، كما لأجل الاسرة التى نحب ، يفنى الفرد لأجل المجموع .. فاذا بالأوطان تصعد وتصعد .. واذا بالطريق الى الحرية معبد. اللهم هبنا ، لكى نصبح اقوياء احرارا ، فهما صحيحا ووعيا شاملا .

■■

أسمى طوبى

عبد الرحمن الرافعي مؤرخ الحركة القومية في مصر

بقلم الدكتور محمود يوسف زايد

الجامعة الاميركية – بيروت

■ ليس بين المؤرخين العرب المعاصرين من درس الحركة القومية فى بلاده دراسة الرافعى للحركة القومية الحديثة فى مصر . اخذ المهمة على عاتقه كواجب وطنى ، وبذل فى سبيلها غاية الجهد . فزود المكتبة العربية بسبعة عشر كتابا فى تاريخ مصر القومى، وبضعة كتب اخرى تعالج مواضيع سياسية واقتصادية استغرق تأليفها جميعا ما ينوف عن ثلث قرن من الزمن ، وجاءت بحيث لا يستغنى عن الرجوع اليها طالب او متعلم او متخصص فى تاريخ مصر .

ولد الرافعي يوم ٨ فبراير (شباط) سنة ١٨٨٩ بالقاهرة. وكان والده اذ ذاك قاضيا شرعيا. وكان ورعا ، فنشأه تنشئة دينية كان لها فضل كبير على تكوينه الروحى ، وحياته الوطنية «الآتى» كما يقول فى مذكراته « كنت ولا ازال أرى فى الالتجاء الى الله والاعتماد عليه القوة الروحية التى تعوّد النفس الصمود للشدائد والعقبات ».

مولده ونشأته

وقضى أكثر سنى دراسته فى الاسكندرية حيث

تلقى تعليمه الابتدائي والثانوى . والتحق سنة ١٩٠٤ « بمدرسة الحقوق الخديوية » فى القاهرة حيث بدأ وعيه السياسى نتيجة لاحاديثه مع الطلبة وقراءة الصحف ، وخاصة جريدة اللواء التى كان يصدرها زعيم الحزب الوطنى فى مصر مصطفى كامل . فتتلمذ على هذه الجريدة التى كانت بمثابة « مدرسة الوطنية للجيل كله » .

لقاؤه مصطفى كامل

والتقى الرافعي لأول مرة بمصطفى كامل سنة

١٩٠٦ ، فكان لتلك المقابلة تأثير بالغ في نفسه ، وصفه بقوله :

« وشعرت بتأثيره الروحى ينفذ الى اعماق قلبى ، وصار بمثابة أبى الروحى فى المبادىء ، واكثرت من التردد على دار اللواء لكى اقابله واسمع صوته ، فكان يفيض علينا من الاحاديث التى غرست فى نفسى مبادىء الوطنية » .

مصطفى كامل

وكان أول تعبير عن هذا الوعي السياسي لدى الرافعي اشتراكه في اضراب الطلاب سنة١٩٠٦ احتجاجا على نظام جديد وضعته وزارة المعارف لمدرسة الحقوق ، وهو أول اضراب من نوعه في مصر . ثم جاءت حادثة دنشواي في نفس السنة ، فزادته سخطا على الاحتلال ، وتعلقا بالحركة الوطنية . وتحقق ، نتيجة لما وقع من ظلم على مواطنيه ، بأن « لا كرامة لأمة ولا لأى فرد من أبنائها بغير الاستقلال » .

ورسمت هذه الفترة من حياة الرافعي اتجاهاته ومبادئه السياسية والاجتماعية : فقد نشد الحياة المثالية في السياسة والسلوك الاجتماعي بايمان واصرار ، وتمسك بمبادىء الحزب الوطني وخاصة مبدأ الجلاء عن مصر تمسكا لم يحد عنه حتى جلا البريطانيون عن مصر، ونادى بوحدة مصروالسودان غير آبه للمتاعب التي تجابهه . وشعر بضخامة المسئولية الملقاة على عاتقه كمثقف ومواطن ، ومن ثم أخذ يجاهد بقلمه ولسانه .

في المحاماة

ونال شهادة « الليسانس» سنة ١٩٠٨ واشتغل محاميا تحت التمرين في أسيوط ، ثم ترك المحاماة الى الصحافة ، وساهم في الكتابة في اللواء . وعاد سنة ١٩١٠ الى المحاماة فزاولها في المنصورة الى ان انتقل الى القاهرة سنة ١٩٣٢ . واتجه كذلك الى التأليف ، ونشر أول كتاب له سنة ١٩١٢ بعنوان « حقوق الشعب » ضمنه شرحا للمبادىء الدستورية ودعوة لها . وأهاب بالناس فيه أن يدافعوا عن كيانهم ، وأن يعملوا في سبيل تحرير بلادهم .

يدعو الى « التعاون »

وكان من رواد الداعين الى الحركة التعاونية فوضع سنة ١٩١٣ كتابا عن « التعاون » ، كما اشترك في تأليف بعض النقابات الزراعية . ونشر عدة مقالات عن أوضاع مصر الاقتصادية . وألف سنة ١٩١٩ جمعية لتعميم النقابات الزراعية بمديرية الدقهلية ووضع قانونا لها ، بالتعاون مع اصدقائه بالمنصورة .

يفرح لقيام ثورة ١٩١٩

وساهم الرافعي فعليا في الحركةالوطنية في مصر في اعقاب الحرب الكبرى ، وعمل مع العاملين على توحيد صفوف الوطنيين . وكان يؤمن اذ ذاك بضرورة استخدام العنف ، فاغتبط كثيرا لانفجار الثورة التي شاركت فيها مصر كلها رجالا ونساء ، وهي ثورة سنة ١٩١٩ قال :

(شعرت أمام هذه المشاهد بغبطة كبيرة تتملكني . اذ ادركت أن روح الحياة قد سرت في الأمة ، وانها اخذت تنفض عنها اكفان الخضوع والاستسلام . ورأيت في اتساع الحركة ، واتحاد الصفوف تحت لوائها تحقيقا للوحدة التي طالما كنا ننشدها ونتمناها ، كما رأيت في تعدد مظاهر التضحية نجاحا لدعوة الاخلاص في الجهاد ، تلك الدعوة التي هي أساس كل نهضة قومية وسبيل النجاح لكل أمة) .

وأصاب الرافعي عندئذ في اعتقاده بأن العالم دخل ، بعد الحرب العالمية الأولى « دورا جديدا من أدواره التاريخية ، وهو دور حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها » ، لكنه أسرف في تفاؤله بصدد تطبيق مبدأ حرية المصير على الشعوب الخاضعة للحكم الاجنبي . ويروى المرحوم محمد حسين هيكل في مذكراته السياسية كيف ان الرافعي علق على مبادىء ولسن بقوله : « انتهينا يا سيدى ! لنا حق تقرير المصير ، وعلى ذلك سيخرج الانكليز من مصر ويتم الجلاء » .

الرافعي في البرلمان

ورشح الرافعي نفسه سنة ١٩٢٤ لأول انتخاب للبرلمان في ظل مصر المستقلة وذلك بصفته عضوا في الحزب الوطني الذي كان عندئذ قد فقد الكثيرين من اتباعه بسبب انضمامهم لحزب الوفد المصري ، ونجح في الفوز بالعضوية ، وكان من واضعي اسس المعارضة في البرلمان ، تلك المعارضة التي قصد بها « ان نجعل من الحياة النيابية أداة جهاد في سبيل الذود عن حقوق البلاد ، ومجال توجيه للحكومة للاخذ بوسائل الاصلاح في شتى نواحيه ، واقامة حكم صالح نزيه » .

حبه التاريخ

واحب الرافعي التاريخ منذ صباه لأنه اعتبره « مدرسة لتقويم اخلاق الشعب والنهوض بتربيته السياسية والقومية » ، « ووسيلة لتثقيف العقول ورفع مستوى الوطنية والوعي القومي في النفوس » . وشعر بأن مسئولية عدم فهم الشعب لتاريخه القومي تقع على من نالوا حظا من المعرفة. وفكر سنة ١٩٢٦ بوضع تاريخ لزعيمه مصطفى كامل الذي فجر فيه وعيه . لكنه رأى ان ذلك يتطلب منه البحث في مبدأ ظهور القومية الحديثة وتطورها .

وظهر الجزء الأول من تاريخه سنة ١٩٢٩ ، واشتمل على دراسة لنظام الحكم في عهد المماليك، ووصفا لاحوال البلاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ثم تجريد الحملة الفرنسية على مصر . ونشر الجزء الثاني منه في أواخر السنة نفسها ودرس فيه تاريخ مصر حتى جلاء الفرنسيين. وتتابعت من ثم دراساته حتى بلغت سبعة عشر كتابا (وهي تاريخ الحركة القومية « جزءان » ، عصر محمد علي ، عصر اسماعيل « جزءان » ، الثورة العرابية ، مصر والسودان، ومصطفى كامل، محمد فريد ، ثورة سنة ١٩١٩ « جزءان » في أعقاب الثورة المصرية « ثلاثة اجزاء » ، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ، شعراء الوطنية ، وثورة ٢٣ يوليو) .

كتبه موسوعة تاريخية

ولتاريخ الرافعي هذا اهمية كبيرة لكل من يدرس تاريخ مصر . فهو موسوعة جامعة مستمدة من الوثائق الرسمية ، ومن مختلف الكتب المنشورة ، ومما دونه من مذكراته أثناء الحوادث ، وما تحراه بنفسه من الأشخاص الذين عاصروه ولعبوا ادوارا متفاوتة الأهمية في تكوين مصر ، ومن توليه أعمال الامانة للحزب الوطني من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٦ ، وعضويته في البرلمان لسنة ١٩٢٤ ، وفي الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٥ وفي مجلس الشيوخ سنة ١٩٣٩ ، وكوزير سنة ١٩٤٩ .

واهتم الرافعي اهتماما خاصا بنواح شديدة الفائدة للمؤرخ ، وهي ايراد قوائم بأسماء الشهداء وضحايا الحوادث ، والمساجين ومحاكماتهم ، واعضاء البرلمان، والموقعين على العرائض الرسمية. واستلزم عمله هذا الرجوع ، في أحيان كثيرة ، الى ذوي هؤلاء واقاربهم، والى سجلات الوفيات ، والى السجلات المحفوظة في مصالح السجون . وكثيرا ما اورد في سياق تاريخه خطبا كاملة ، وابحاثا ومذكرات شخصية. لكن بالرغم من فائدة هذا كله، فقد جاء أحيانا على حساب وحدة الموضوع ، وتناسب اجزاء الكتاب .

نظر للاشخاص بروح القاضي

والتزم الرافعي ، كما يقول ، المنهج العلمي في كتابه التاريخ ، فحاول أن يكون شديد التحري والنقد نزيه الحكم . وجهد كذلك في الا يجعل من التاريخ منبرا للدعاية الحزبية او السياسية ، فنظر الى الأشخاص بروح القاضي . يقول :

> ـ فكما ان واجب القاضي الا يجامل أحدا ولو كان أقرب الناس اليه ، ولا يتحامل على احد ولو كان ابغضهم الى نفسه ، فعلى من يتصدى لكتابة التاريخ أن يتحرى الحق والانصاف ، ويتجنب المجاملة والمحاباة ما هو بسبيله . هذا ما اتجه اليه قصدي وانعقدت عليه نيتي ، وانما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى .

ووفق بالفعل في كثير من أحكامه . واستمد من استقامته ومثاليته الجرأة على اصدار أحكام اضرت بمصالحه الشخصية . ومن هذا القبيل انه كتب عن اسماعيل في ظل ابنه الملك فؤاد ، وتجنب اقامة صلات مع القصر الملكي لئلا يجره

هذا الى قول ما لا يعتقد . ولم ينج اسماعيل من قلم الرافعي،فاخذ عليه اسرافه واستدانته وانفاقه اموال الشعب دون حساب . وكتب عن فؤاد في ظل فاروق ، فكشف عن أخطائه ، وتناول موقفه من الحركة الوطنية فابان انه سايرها في البداية ثم لم يلبث أن انقلب عليها .

ومع هذا فقد جاءت احكامه بلا اسراف ولا غلو. وذلك بسبب منهجه في اصدار تلك الأحكام ، فهو يورد الحسنات الى جانب السيئات ، ويقابل احداهما بالأخرى . وهي طريقة عملية أحيانا ، غير انها لا تصيب كل الاصابة احيانا أخرى ، فرب حسنة بألف سيئة ، ورب سيئة تذهب بكل الحسنات .

والرافعي، ككل مؤرخ لا تخلو احكامه تماما من التأثر بنظرته السياسية وبالمبادىء التي تمسك بها ، وبافكار عصره.فكان عضوا في الحزب الوطني ثم قائما بأمانته ، وكان يرى ضرورة المناداة بالجلاء ولا يؤمن بالمفاوضات وكان طبيعيا أن يخصص جزءا كبيرا من تاريخه للحزب الوطني واعماله وان يجسم ، دون تعمد ، تأثيره في الجماهير ، وأن ينتقد المبادىء التي كانت تحيد عن مبادىء حزبه ،

كتبه لم تلق رواجا أول الأمر

وواجهت الرافعي في السنوات الأولى من اشتغاله بالتأليف مشكلة كانت وما زالت تواجه كثرة من كتابنا ، وهي مشكلة عدم رواج هذه الكتب . وقلة التشجيع من قبل مختلف الهيئات. فبينما كانت كتبه بصدر واحد منها بعد آخر ، كان ايراد المطبوع لا يكفي لتغطية نفقات الكتب التالية . وعبر عن شعوره في سنة ١٩٣٦ تجاه قلة التشجيع بقوله :

ـ حرمت طيلة حياتي من معاونة الغير لي ، لم أجد معاونة لي في أعمالي ومشروعاتي ونهجي في الحياة ؛ لا من المجتمع ، ولا من الحكومات ، ولا من الهيئات ، ولا من الافراد ، الا قليلا منهم . كل كفاحي أو معظمه كان يسير بلا سند الا من معونة الله ..

على ان كتبه أخذت بعد سنة ١٩٤٢ تلقى رواجا بل أعيد طبع عدد منها مرتين وثلاثا . ونال اخيرا تقدير الدولة بمنحه جائزة العلوم الاجتماعية عن عام ١٩٦٠ بصفته « المؤرخ الأول للحركة القومية في الاقليم الجنوبي » .

ويمكن اعتبار حياته ناجحة من كل وجه . فقد حقق أمله في كتابة تاريخ قومه ، ورأى بعينيه تحقق المبدأ الذي كافح من اجله طيلة حياته ، وهو جلاء القوات البريطانية عن مصر .

وبالرغم من انه بلغ الثالثة والسبعين من عمره فما زال يشتغل بالمحاماة ويؤرخ لمصر المستقلة .

■■

محمود يوسف زايد

أقوال لمعاوية

- المروءة : احتمال الجريرة (دفع الدية) ، واصلاح أمر العشيرة .
- النبل: الحلم عند الغضب ،والعفو عند المقدرة .
- ما رأيت تبذيرا قط الا والى جنبه حق مضيع .
- أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .
- التسلط على المماليك من لؤم المقدرة ، وسوء الملكة .

آدابُ السُّلوك

"... وانت مالك ؟!"

■ قصّ لي سفير عربي هذه القصة :

كان يمشي نهارا بحديقة عامة ، جميلة ، في عاصمة عربية كبيرة . وكان بالحديقة اشجار ، وكان على الاشجار ازهار ، ومع الازهار اطيار ، والرجال ترش بالماء ، من خراطيمه ، البساطَ الأخضر ، وهو من نبت الارض . ترويه حتى لا يشكو جفافا مع نهار الربيع الطالع .

وبينا صاحبي السفير يحسب انه في جنة عدن ، اذ يفاجئه منظرٌ يهوي به الى حضيض الارض : رجلٌ تربّع فوق اريكة هناك في الحديقة ، والى جانبه خسّةٌ وخسةٌ ، وظل يحش منهما حشا ، وياكل . الاعواد الطرية يلقمها فما واسعا ، والأوراق الخضراء يلقيها حيث ما اتفق على ارض الحديقة ، من امام الأريكة ، وعلى الحشيش الاخضر السندسي من وراء .

ولما قرُب السفير من الرجل ، قال له برفق : يا اخي ، ايجوز هذا ؟ الحديقة نظيفة ، وجميلة ، ولا يصح تشويهها .

فأجاب الرجل . اتعرف بماذا اجاب ؟

قال للسيد السفير ، وهو لا يعرفه : وانت ، مالك ؟

فاغتاظ السفير ، وحقّ له . ولم يُرد ان يدخل مع الرجل في حجاج ، او في موعظة ، فقد ادرك ان حجاجا مع مثل هذا او موعظة ، لا تنفع . وغلب عليه الرد ، فرد على الاساءة باساءة .

قال للرجل وهو يشير الى سَبَت من الحديد مثبت بجذع شجرة :

– اترى هذا السبَت ؟ انه للقمامة .

– اعلم .

– اتعلم لماذا ثبتوه في الشجرة ؟

– لا . .

– ثبتوه لكيلا يسرقه مثلك .

ومضى السفير لا يلوي على شيء .

★★★

قصة تتكرر كل يوم . الخَسّ ان كان خس في ربيع . او قصبُ السكر ان كان قصبٌ في شتاء . واللب والفول السوداني واشباههما في كل الفصول . في الحدائق العامة ، في النوادي ، في

الطرقات النظيفة المعبّدة التى يكنسها كل صباح ، وقبل ان يصحو الناس ، مئات الأيدى ، والعربات ، وخراطيم المياه . وتنتهى القصة دائما ، عند كل عتاب ، باللفظ المشهور : وانت مالك ؟

والناس فى ذلك رجلان :

رجل لم يَطلْ عهده بالمدن وبطرقاتها، فهو اذا غشيها وغشى طرقاتها كان كمن يغشى طريقا فى الريف او البادية غير معبّد ، لم يتعود هو ان يربط بينه وبين فضلات تسقط فيه ، يسميها اهل الحضر بالقمامة .

اما الرجل الثانى فرجل نشأ فى المدينة ، وعرف ما الحضر . ولكنه لم يأخذ درسا فى المدرسة ، او درسا فى البيت ، عما يجب على الفرد نحو الجماعة ، لا فى شأن القاء القمامة على الارض ، ولكن فى طائفة من شئون مثل هذا كثيرة .

ان فكرةَ ان هذه الحديقة ليست لك وحدك ، وان هذا الطريق ليس لك وحدك ، وان هذا النادى ليس لك وحدك ، فكرةٌ جديدة ، على الجُدُد الداخلين الى الحضارة الجديدة . ان عندهم ان الرجل حرٌ فى الحديقة ، وفى الطريق ، وفى النادى ، يفعل ما يشاء . انها اشياء لا يملكها احد ، وهى آخر الأمر ، اشياء يملكها الله ، وما يملكه الله ليس لانسان اليه سبيل .

من اجل هذا تخرج الكلمة التقليدية من افواههم دائما عند كل حَرَج : وانت مالك ؟

والجواب الصحيح ، لأنت مالك ، هو : نعمْ ، لِى ولِى ولِى فى كل هذا ، مثلْ الذى لك تماما .

فهذا الطريق هو ملك هؤلاء الناس جميعا ، وانا احدهم . فان قل نصيبى ، بالنسبة لأعدادهم ، فى المحافظة على نظافته ونظامه ، فقد قلّ نصيبك ، بالنسبة لأعدادهم ، فى توسيخه وتقذيره والعبث بنظامه .

★ ★ ★

ومشهد رايته فى حديقة لندن الشهيرة ، هيد بارك : رجل غريب يسير فى وضح النهار يتروض بالحديقة ومعه صاحب . واخرج علبة سجائره ، واخذ منها سيجارة ، واعطى صاحبه اخرى . واذ كانت العلبة قد فرغت ، رمى بها حيث كان يسير .

ومضى خطوات ثلاثمائة . ونسى امر العلبة . وجاءه رجل من حراس الحديقة كان يتبعه . قال له بلطف انه سقط منه شيء . وطلب اليه ان يتبعه . وتبعه هو وصاحبه وهما يحاولان تذكر هذا الشيء الذى ضاع منهما . فلما بلغ الحارس بهما علبة السجائر ملقاة فى الطريق ، اشار اليها وهو يقول : هذا هو الشيء الذى سقط . قال صاحب السجائر : ولكنها علبة ليس فيها سجائر فهى فارغة . قال الحارس فى ادب : هذه العلبة ، اما بها سجائر فهى عندئذ تكون فى جيبك . او هى فارغة فتكون فى هذا السبَت . واشار الى احدى أسبتة القمامة التى فى الحديقة . ففهم الرجل الغريب ، واعتذر ، وحمل العلبة الى السبت والقاها فيه . وهو لم يقل اللفظ التقليدى : وانت مالك ؟

او لعله لم يجرؤ ، ولسان القانون هو الذى يتحدث .

★ ★ ★

ولقد شهدتْ فى الأمم التى هى فى المدنيّة الحاضرة متقدمة ، فى لندن فى

برلين ، فى كوبنهاجن فى أبسالا ، شهدت الرجل فى السيارة او المترو يشعل سيجارته ، ثم هو من بعد ذلك يطفىء عود الكبريت ويعيده الى علبة الكبريت ، حتى يتهيأ له من بعد ذلك ان يضعه فى حيث توضع القمامات . لا يخطر له فى بال ان يلقى به على ارض السيارة او ارض المترو . ان العيون هناك تنظر ، وهى على كل يد رقيبة .

وهناك بالطبع لا مجال للقول : وانت مالك ؟

هناك كل شيء عام ملكٌ كل الناس . وفوق هذا انه قد وُقر فى اذهانهم ، وفى افهامهم ، بالتربية ، وبالعادة ، ان كل شيء عام فى المدينة عامة انما هو ملك كل الناس .

فان قال رجل : وانت مالك ؟ عرفوا انه من غير بلادهم ، وانه فى المدينة غريب ، ولعله جاء من مكان فى اطراف الدنيا بعيد .

■■

سَرْحةُ خاطِر

■ انا رجل بين الف الف رجل . ذرة بين مليون ذرة .

انا فى الناس شيء قليل .. قليل فيهم ، تائه بينهم ، فلا يدرى بوجودى احد .

من اجل هذا انا اصنع الصنيع ، بينى وبين نفسى ، واكتمُهُ . ثم اخال أن هذه الكثرة الكثيرة من رجال ونساء واطفال لن تتأثر بما أصنع .

واخال أن هذا الصنيع سيظل سرا بين اثنين .. بين « أنا » .. و« أنا » ، فلن يطلع عليه أحد .

واخال انى دفنتُهُ فى مقبرة ، هى مقبرة الأمس ، مقبرة الماضى ، حيث يخيّم السكون والهدوء ، وحيث يقبع النسيان .

ولكن لا ..

ان دقائق الماضى لا تموت . والماضى لا يموت ، ولا يُنسَى .

ان الماضى حياةٌ كانت ولم تزَل . انه حياة مستمرة ، متصلة بحاضرنا هذا . ان الحاضر بعض الماضى . انه امتداده . انه من خَلْقه . ان الحياة خطٌ ، والخطوط تتألف من نقاط . وهذا الحاضر ، هذه اللحظة الحاضرة ، نقطةٌ فيه ، أفضَى اليها الماضى . ونِقاط المستقبل ، لحظاتٌ ، سوف تُفضِى اليها وتُعيِّنها نقاطُ الحاضر .

وكل فرد منا ، فى لحظة ، يعمل عملا ، للخير او للشر ، يتأثر به المجتمع ، أثراً ما ، مهما قلَّ . وما المجتمع الا اسرة الفرد ، والاَّ أهلُ مهنته ، وأهلُ مدينته ، وكلُّ ما احاط به من حضارة وحَضَر . ولهذا العمل ، وهذا الأثر ، تقلق النفوس الحسّاسة مهما صغر ، وتقلق الضمائر اليقظة الطاهرة .

ان الدنيا بها قضايا كثيرة ، تقع من الشكّ بمكان . ولكن هناك حقيقة لا شك فيها ذلك التكافل العام ، والتضامن ، والترابط القائم بين الأفعال ، بعضها وبعض ، وبين شخوص الأحياء ، بكل أرض ، على اختلاف العلائق ، وعلى اشتداد الروابط الانسانية أو ضعفها . ■■

قضاة البادية

الشيخ عوض بن [illegible]
احد القضاة واوسعهم [illegible]

• قوانين مفروضة، أثبت من قوانين مكتوبة

■ (البشعة) طريقة من طرق التقاضي عند البدو .

عرف العرب ـ بدوا كانوا أم حضرا ـ القضاء ، منذ كانوا وكانت لهم حاجة وتكونت بينهم مصالح. وقد شادوا للعدل صرحا واسسوا له قواعد احتلوها من افئدتهم منازل الآلهة . وقوانين البادية ، وان كانت غير مكتوبة ، الا انها سائدة بين البدو سيادة القوانين المكتوبة والقواعد المتبعة لدى الأمم المتحضرة ، بل اشد واعظم .

القضاء في البادية وليد التجربة

وما كانت قواعد العدل هذه بنت ساعة من الزمن أو وضع رجل من الرجال ، وانما كانت وليدة الماضي وخلاصة سلسلة من الاحداث والتجارب أيدتها العصور ، فتوارثها الأبناء عن الآباء ، وصانها هؤلاء جيلا بعد جيل. فأتت مرتكزة على اسس متينة من عظة وحاجة وحكمة واختيار. وفي اعتقادي انه لو ساقت الاقدار الرجل السكسوني الذي يعيش في الجزر البريطانية ، أو الروسي الذي يعيش في أقاصي الشمال من سيبيريا ، او الصياد المنتمي الى قبيلة (الاسكيمو) أكلة النيئ ، الى العيش في صحراء واسعة الأرجاء من صحاري الجزيرة العربية ، لما اختار هذا ولا ذاك أسلوبا من أساليب الحياة سوى الأسلوب البدوي، ولا طريقة من طرق التقاضي المعروفة فوق البسيطة سوى الطريقة التي ألفها أعراب البادية

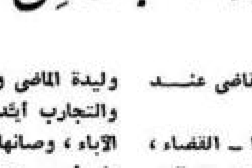

بقلم : عارف العارف

الشيخ [illegible] بن سالم بن عمرو
احد « الكبار » المعروفين عند الترابين

الشيخ حسن بن جمعه الفرنجي
« الملم » المعروف عند [illegible]

• النار على اللسان، تميّز البرئ من الجاني !

منذ قرون واجيال . انهم (اى البدو) فى قضائهم وفى عاداتهم وطباعهم صادعون ولا شك لحكم الطبيعة التى يعيشون فى كنفها .. وحكم الظروف والمؤثرات التى تهيمن على كل حركة من حركاتهم.

وقد احتفظ سكان البادية بالشطر الأكبر من عاداتهم القديمة ، فلم تصطبغ قوانينهم ، رغم مر الليالى وكر الايام ، بأى لون من الألوان الحديثة التى اصطبغ بها فريق الحضر من العرب بعامل التمدن الحديث .

ولهذا كان لزاما علينا ان ندرس تلك العادات، اذا ما اردنا ان نجتلى حقائق القضاء بين العرب ، وأن ندرسه من ناحيته القومية البحتة .

الأقضية فى البوادى اصولها واحدة

لقد طوحت بي الأقدار فى كثير من الاقطار العربية ، فجبت البوادى ، وتعرفت على عدد كبير من القبائل المنتشرة فى مختلف انحاء الجزيرة ، ودرست عاداتهم وطباعهم ، وخلصت من تجوالى ودراستى الى الاعتقاد أن اساليب الحكم والقضاء، وان تباينت من حيث الشكل وطرق التنفيذ فى بعض هذه الأقطار عن البعض الآخر ، الاأنها من حيث الهدف والمعنى ترجع كلها الى أصل واحد ، وان شئت فقل الى أصول متقاربة كل التقارب . فليس من الصعب على رجل درس عادات البدو وطرق تقاضيهم فى فلسطين مثلا أن يتبع عادات البدو وطرق تقاضيهم فى الحجاز أو فى سيناء والعراق ونجد ، أو فى اى قطر من أقطار الجزيرة العربية . لأن الأصل واحد ، والمؤثر والدافع واحد ...

قضاة البادية لهم القاب اختصاص

وهناك عدد كبير من القضاة يقصدهم أعراب البادية كلما مست الحاجة ، وشعروا انه لا بد من وسيط يحل الخلاف الذى نشب بينهم . وليس للسلطة القائمة أية صلة بهم . ولا يعين القضاة فى مناصبهم تعيينا بامر امير من الأمراء او رئيس

من الرؤساء او شيخ من شيوخ القبائل . وانما يقصدهم أصحاب الحاجات لعدلهم ومتانة خلقهم وذيوع صيتهم وحسن سمعتهم ... وتختلف القابهم بالنسبة لاختلاف القضايا التى اعتادوا النظر فيها . فمنهم : (الملم) و (الكبار) (والضريبية) و (الزيود) وأهل (الرسان) وأهل (الديار) و (المناشد) و (مناقع الدم) و(القصاصون) .

اما (الملمّ) فهم الأشخاص الذين يجتمع عندهم الفريقان المتخاصمان لاول مرة من اجل تحديد دعواهما ، وتسمية القضاة الذين يترتب عليهما الاحتكام لديهما. فاذا اتفقا فى التسمية ذهبا اليهم، والا سارا الى (الكبار) . و « الكبار » هم الأشخاص الذين يحق لهم أن يحددوا الدعوى وان يسموا القضاة الذين يجب على الفريقين المختلفين أن يذهبا اليهم ويحتكما لديهم . انهم فى نظرى ، مثل (قضاة التحقيق) فى الاردن و(قضاة الاحالة) فى مصر . انهم يحتلون ارفع مراتب القضاء . ويسميهم البدو أحيانا : (معمرة الصيرة) (١) وهناك من يلقبهم ب (الكواكب) . ويجوز لهم أن يصدروا قراراتهم فى الخلاف الناشب بين الفريقين دون ما حاجة لارسالهما الى اى قاض آخر . والا أحالوهما الى قضاة آخرين :

ا ـ فاذا كان خلافهما من أجل ارض ،ساقوهما الى (أهل الديار) . ويلقب هؤلاء أحيانا ب (أهل الاقطاع) .

ب ـ واذا كان من أجل خيل ، ساقوهما الى (أهل الرسان) .

ج ـ واذا كان من أجل عرض ، ساقوهما الى (المناشد) .

د ـ واذا كان من اجل مال أو نشب ، ساقوهما الى (الضريبية) . ويسمونهم أحيانا (الزيود).

هـ ـ واذا كان الخلاف من أجل قتل أو ضرب أو جرح ، أحالوهما الى (مناقع الدم). ويسمونهم أيضا (قصاصين) .

هؤلاء هم القضاة المعروفون فى البادية . ويكنيهم البدو أحيانا ب (المخاطيط) (٢) . والمخاطيط

ريال غرامة عن كل شعرة منتوفة!

● حدثنى الشيخ عوض بن دلاخ ، وهو من أحسن القضاة وأوسعهم صيتا ، عن الطريقة التى يتبعها فى (قص) الجروح وتقدير مبلغ التعويض فقال : انه يفرض على المذنب اربعين بعيرا لقاء اليد التى قطعها . وثلاثين بعيرا عن العين التى قلعها . وعشرين بعيرا عن القدم التى بترها . وعشرة اباعر عن الجرح برصاص البندقية أو المسدس . وريالا واحدا عن كل شعرة منتوفة . والدية الكاملة عن الرجل المقتول ٣٣٣ جنيها .

وقد يتنازل صاحب الحق عن جانب من حقه اكراما لله ولنبيه وللحاضرين.

لا يتناولون راتبا من السلطة القائمة . وان كان لهم الحق فى تحصيل (الرزقة) (٣) اما من الفريقين المختلفين بالتساوى أو من الفريق الذى يخسر دعواه .

قضاة حكوميون

وهناك قضاة حكوميون ، تتالف منهم محكمة (العشائر) ، ويسميهم البدو (لحاسة الختوم). انهم يتناولون رواتبهم من الحكومة ، خمسين قرشا عن كل جلسة . وهى (اى الحكومة) تعينهم وتقيلهم من مناصبهم وليس لهم ما للمخاطيط ، قضاة الشعب ، من شهرة ونفوذ .

هذا مع العلم أن الفريقين ، المخاطيط والقضاة الحكوميين ، يسيرون فى أحكامهم وقراراتهم بوحى من العادات والمنعنات البدوية المعروفة فى الوسط الذى يعيشون فيه .

طرق التقاضى

واما (طرق التقاضى) فكثيرة . منها (شهادة

(١) الصيرة فى عرف البدو هى الهرج . وفى البستان أن الهرج هو الفتنة والاختلاط . هرج فى الحديث يهرج هرجا خلط فيه وهرج القوم وقعوا فى فتنة وقتل . وقيل أنهم سموا كذلك لانهم يحلون كل أمر صار . ـ (٢) مفردها (مخطوط) . ومعنى (الخط) تسمية القاضى . ـ (٣) هكذا يسمى البدو (الأجرة) التى يتناولها القاضى لقاء عمله .

الشهود) . و (القسم) . وليس ثمة اختلاف كبير بين هاتين الطريقتين ، والطرق التى تتبعها نحن معشر الحضر فى المحاكم النظامية ، الا من حيث (القسم) .

القسم بالله وأشياء أخرى

فنحن نكتفى عند القسم بذكر الله عز وجل ووضع أيدينا على كتاب الله . بينما لا يكتفى البدو بذلك ، بل يصرون على أن يقترن ذكر «الله» بذكر شيءآخر من الاشياء التى يحبونها ويحترمونها او يحتاجون اليها ! ...

كقولهم : « وحياة هالعود ورب المعبود » .. والمقصود بالعود هنا قصلة الحنطة أو الشعير او اى نبات ينبت فى الارض وينفع الناس .

وقولهم : « وحياة البلْ شيالة العَيْش ».. « والمقصود هنا هى الابل التى تحمل الخبز والدقيق الذى يعيش به الانسان » ..

وقولهم : « والله وحياة ابن سعيد .. » انه (مسلم بن سعيد) من شيوخ العزازمة . وقد اشتهر بالكرم والفروسية . وقد يذكرون اسم شيخ آخر من الشيوخ الذين يجلونهم لكرمهم وفروسيتهم ...

وقولهم : « والله وحياة حميد فكاك الحديد »! .. وحميد هذا عبد اسود اللون قوى البنية .. اغار مرة على سجن العقبة ، فحطم قضبان السجن الحديدية ، وفك القيد من أرجل ثلاثة من زملائه العبيد ، وهرّبهم ، قبل أن يفيق السجانون من نومهم ... وقد تم ذلك فى اواخر عهد الأتراك العثمانيين .. فاصبح مضرب المثل عند البدو فى النجدة والشجاعة ..

طريقة ثالثة فى التقاضى

وهناك طريقة أخرى غير (الشهادة) و (القسم)، يلجا اليها قضاة البادية فى حل الخلافات . وهذه الطريقة من أغرب الطرق التى شهدتها خلال السنوات العشر (١٩٢٩ ـ ١٩٣٩) التى قضيتها فى (بير السبع) رئيسا لمحكمة العشائر .

انها (البِشْعَة) هكذا يسميها البدو . والقصد منها ان يثبت المتهم انه برىء من التهمة التى أسندت اليه عن طريق لحسه النار . فاذا احترق لسانه ، أدانوه ، واعلنوا للملا (موغوف) اى مذنب ، والا فهو برىء ! ...

انها طريقة من طرق التقاضى مالوفة عند أعراب بئر السبع . وقد رأيتها منتشرة فى سينا ايضا وفى الأنحاء الجنوبية للاردن وفى الحجاز . وهى تشبه (الشعوذة الهندية) التى يجد المرء جذورها فى عبادة المجوس للنار ! ...

يلجا العربان الى (البشعة) فى جميع اختلافاتهم. ولا سيما الاختلافات الجزائية الكبرى : كالقتل والاعتداء على العرض . والقاضى الذى يتولى تنفيذ البشعة يسمونه : (المبشّع) . ولا يصل هذا الى منصبه بالانتخاب أو التعيين ، بل يصل اليه بحكم الوراثة والصيت الحسن . والمبشع الذى اشتهر فى ذلك العهد هو (جربيع العيادى) وهو من العيايدة من عربان سينا . ويأتى من بعده (خلف بن عمار) . وكان هذا يعيش فى بير السبع . وقد رأيته بعينى أكثر من مرة وهو (يبشع) المتهم . فقد اشعل النار فى كومة صغيرة من الحطب. ودس فيها قطعة صغيرة مبسطة من الحديد ذات مقبض طويل . وابقاها فى النار حتى احمرت . ثم اخرجها ، وفرك بها ذراعه ثلاث مرات ، ليرى الحاضرين من الفريقين المختلفين وشهودهما ، أن النار لا تؤذى الابرياء ! .. ثم مد قطعة الحديد ـ وهى تتاجج كما وصفنا ـ الى الرجل المتهم قائلا : هيا .. ابشع .. فتقدم المتهم من المبشع ، ومد لسانه ، فلحس الحديد المتاجج ، ثم ارتد قليلا الى الوراء . فناوله المبشع قليلا من الماء . فاخذه المتهم ، وتمضمض به ، ثم بصقه . وتقدم من (المبشع) . فامره هذا أن يخرج لسانه مرة اخرى . فاخرجه ونظر اليه (المبشع) فاعلن انه (موغوف) . اذ انه رأى أن اللسان قد احترق . وقد رأيت أنا ورأى الحاضرون أيضا أثر النار فى اللسان ، وقد لطمته لطما .

وحضرت مرة أخرى قضية اتهم فيها شخص بالاعتداء على عرض احدى النساء . ولما اتهمه زوج المراة المعتدى عليها ، انكر . وانكرت المراة أيضا . فذهب الفريقان الى المبشع . وحضرتُ عملية (البشعة) فكانت النتيجة أن النار لم تلطع هذه المرة لسان المتهم . فاعلنت براءته ! ..

ومكثت بعد هذين الحادثين مدة افكر فى الأمر . كيف افسره ؟ ايجوز لى ، وانا اعيش فى القرن العشرين وقد أتممت دراستى فى الجامعة، ان أعتقد كما يعتقد البدو أن النار مقدسة ! وانها لا تؤذى البرىء ! واننا عن طريقها ، وبعبارة أوضح عن

طريق ما يسمونه بـ (البشعة) ، نستطيع ان نميز بين المذنب والبريء !

اهـتداء

الى ان اهتديت الى احد الاحتمالات الثلاثة التالية : ـ

١ ـ كثيرا ما يخشى المتهم عاقبة (البشـعة) والاحتراق بالنار، فيعترف بذنبه قبل ان يبشع. وكثيرا ما يتمكن (المبشع) من اقناع الفـريقين المتخاصمين ان يحلا خلافهما بالتي هي احسن . فيقتنعا ، ويصطلحا .

٢ ـ هناك بون شاسع بين لسان الرجل البريء الذي يظل محتفظا بلعابه ، وبين لسان الشخص المذنب الذي يجف لعابه نتيجة للخوف الـذي يعتريه . وتأثير الحديد المصلى بالنار على اللسان الاول اقل بكثير من تأثيره على اللسان الثاني .

٣ ـ ان للمبشع عيونا وآذانا .. يبثها في مختلف الاوساط القريبة منه والبعيدة . وهو رجل غني يستطيع استخدام العيون والآذان لجمع الحقائق .. فما تكاد (جريمة) من الجرائم تحدث في القطاع الذي يعيش فيه ، حتى يبث العيون والآذان فتاتيه الاخبار صادقة صافية من كل عبث وغش ..ومتى جاءه الفريقان المختلفان ، تكون قد تكونت لديه الاخبار الحقيقية ، وعرف مسبـقا ما اذا كان الشخص المتهم باقتراف الجريمة مذنبا حقا ام كان بريئا ... وفي تلك الحالة يعرف المبشع كيـف يضع المحماس على لسان المتهم ؟؟ فاذا كان على يقين ان المتهم قد ارتكب الجرم المسند اليه طرع لسانه بالحديدة المتاججة طرعا .. والا فانـه يمر عليه مر الكرام .. ومهما يكن الامر ، فاني لم ار للبشعة فائدة كبرى في حل المشاكل . وقـد حاربتها . ولكن بالسر ، لا بالعلن . اذ لم يكن من السهل محاربتها بالعلن . والبدو الذين عشت بين ظهرانيهم عشر سنوات ، كانوا وما برحوا يعتقدون ان النار مقدسة ! وانهـا هي التي تميز بين المذنب والبريء !

هذا غيض من فيض مما عرفته عن (البشعة) . وهناك تفاصيل لا ارى المجال يتسع لذكرها في هذا المقال .

البشعة في الهند

ولا بد من القول ان هذه الطريقة من طـرق الثقافي ، عرفت فيما مضى لدى اقوام وشعوب اخرى .

فقد ذكرت (البشعة) في الشعر الهندي ،عندما ارادت (سيتا) ان تبرهن على انها بريئة ممـا اتهمها به بعلها (راما) ، يوم اتهمها هذا بانهـا خانت عهده ، واحبت رجلا غيره . فحملت قضيبا من الحديد المصلى بالنار ، وسارت به سـبع خطوات في سبع دوائر مخطوطة على الارض . ولما لم تؤذها النار ، ولم تحرق يدها القابضة عـلى الحديد ، نادوا ببراءتها .

البشعة في امم اوروبا

وهذا النوع من البشعة نصت عليه القوانين الاسكندنافية القديمة . وقد فرضت هذه عـلى المتهم ان يسير بالحديد المصلى تسع خطوات .

وكذلك قل عن (البشعة) التي جاء ذكـرهـا في المدنيات الانجلو ـ سكسونية . فقد اثبتت رشاردس Richardis زوجة شارلس البديـن Charles the Fat انها بريئة مما اتهموها به ، بان ارتدت ثوبا مطليا بالشمع ، وولجت به النار ، فلم تؤذها هذه .

وحدثنا التاريخ ان ملكة الانكليـز امّا Emma ام الملك ادوارد المعترف Edward the Confessor لم تستطع اثبات براءتها الا عندما سارت حـافية القدمين على حديد المحراث المتأجج نارا .وخطت وهي على تلك الحال تسع خطوات . فلم تؤذها النار . وكان القوم قد اتهموها بتأسيس صـلات غير شريفة مع « الوين »Alwyn اسقف وينتشستر.

وكذلك فعلت الملكة Kunigunde الالمانية في حادث شبيه بهذا الحادث .

البشعة في افريقيا وآسيا

وهناك انواع اخرى من البشعة ، عـرفت في افريقيا ، وفي انحاء اخرى من آسيا . انهم يطلبون الى المتهم ان يغطس يده في الماء المغلي او في الزيت المغلي . فيخرج منه حجرا او خاتما يكون قـد القي فيه عن قصد . ويشترط زنوج افريقيـا ان يغطس المتهم ذراعه كله حتى الكوع . فاذا لم يمس اليد او الذراع اذى ، حكموا ببراءة صاحبها والا فقد ادانوه ، وعاقبوه .

ولله في خلقه شئون . ■■

عارف العارف ـ البيرة (الاردن)

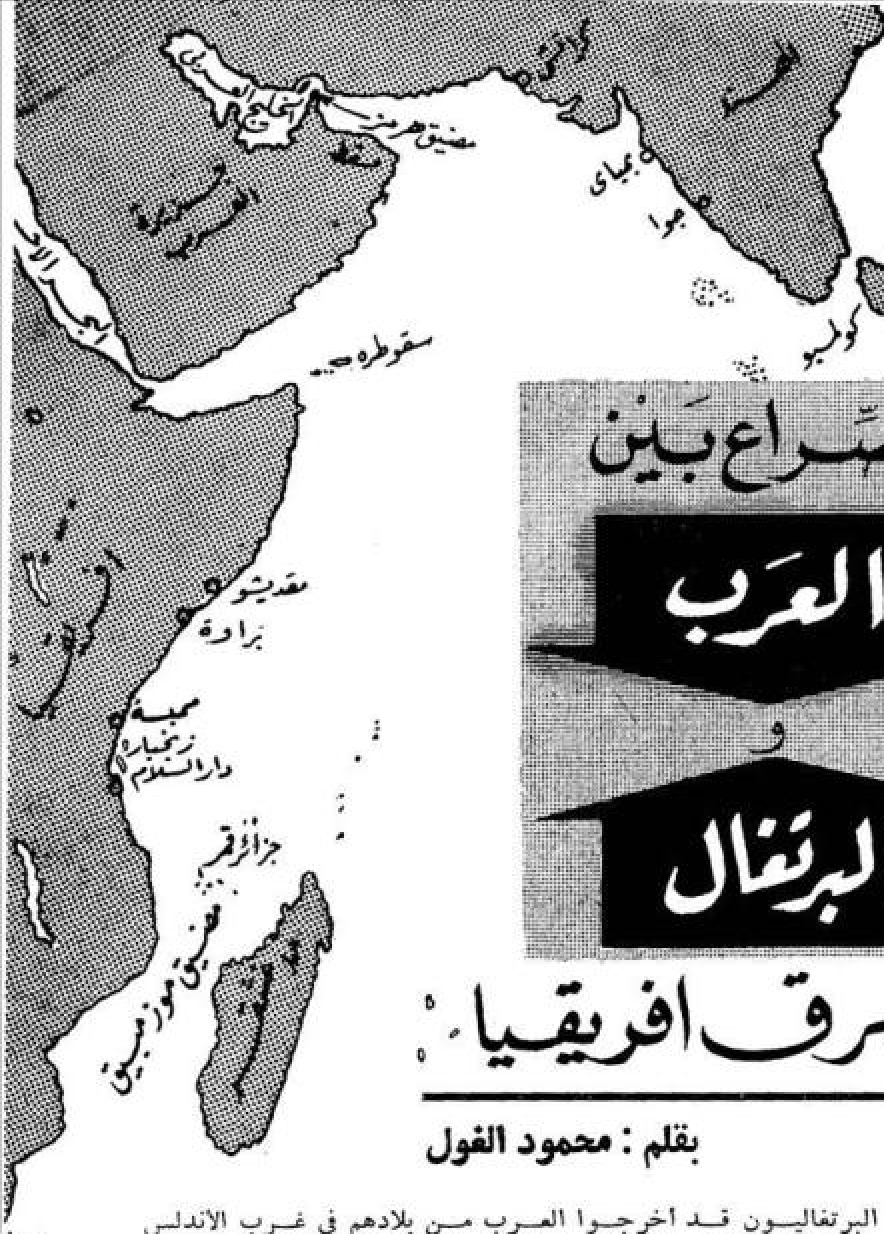

الصراع بين العرب و البرتغال في شرق افريقيا

بقلم : محمود الغول

كان البرتغاليون قد أخرجوا العرب من بلادهم فى غرب الأندلس منذ منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، وشغلوا بعدها وقتا بحروبهم مع مملكة ليون ، احدى مملكتى اسبانيا اذ ذاك .

وفى مطلع القرن الخامس عشر بداوايتجهون الى البحر ، اذ ان سبيل التوسع فى البر كان مسدودا بسبب احاطةاسبانيا بالبرتغال من سائر الجهات .

وكان البرتغاليون قد انشأوا أسطولا تجاريا يتاجر مع سواحل اوربا الغربية ولكنهم ابتدأوا فى القرن الخامس عشر ،تحت قيادة الأمير هنرى الملاح ، يبحرون حذاء ساحل افريقيا على المحيط الاطلنطى ، تدفعهم رغبة أن يصلوا الى

مملكة « القسيس يوحنا » ، وهو الاسم الغريب الذى كانوا يطلقونه على مملكة نصرانية فى شرق افريقيا لا يعرفون حقيقتها ، الى أن تبيّن لهم فيما بعد أنها مملكة الحبشة .

وصول البرتغاليين الى رأس الرجاء الصالح

كانوا يظنون انهم اذا ابحروا جنوبا ، بحذاء ساحل المغرب ، وصلوا الى نهر عريض ، هو نهر السنغال فى الحقيقة ، يتصل مع نهر النيل ، فيمكنهم من الوصول بمراكبهم الى تلك المملكة الغامضة فيتحدون معها ، ويطبقون منها على المسلمين من الشرق . ومضوا يزحفون على سواحل افريقيا الغربية على مهل ، من بقعة الى التى تليها ، ثم يعودون ادراجهم الى بلادهم محملين بغنائم وبضائع تدرّ عليهم ربحا كثيرا . واغراهم الربح بزيادة المخاطرة حتى بلغ بهم سعيهم الى رأس الرجاء الصالح ، أقصى نقطة جنوبية في افريقيا ، عام ١٤٨٦ ، بقيادة البحّار دياز D i a s

ووصول البرتغاليين الى رأس الرجاء الصالح اكتشاف لا يقل أهمية عن اكتشاف كلمبس امريكا عام ١٤٩٢ لحساب أسبانيا . فكلا الاكتشافين كان بعيد الأثر فى تطور الاستعمار الغربى وتطور التاريخ الحديث . ولكن اكتشاف دياز عام ١٤٨٦ يزيد أهمية بالنسبة للعرب عن عام ١٤٩٢ ، عام كشف امريكا ، وعام سقوط غرناطة بالأندلس كذلك . فسقوط غرناطة كان أمرا يكاد يكون محتوما ، فقد كانت آخر ما بقي من تركة تفتّتت* وضاع حافظها من زمن . اما اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فكان أكبر ضربة على العرب فى الشرق ، بعد ان تضعضع مركز العرب فى الغرب . فقد كان قدوم البرتغاليين الى المحيط الهندى فادح الأثر على العرب والاسلام فى سواحل افريقيا وجزيرة العرب والبحر الأحمر وشمال المحيط الهندى . بل انه هو الذى سهل القضاء على دولة المماليك فى مصر حين عجزت عن حماية مياه المحيط الهندى، ويسر للعثمانيين احتلال مصر ، ان لم يكن حفزهم على ذلك .

جاسوس برتغالى يتجوّل فى الشرق

وفى عام ١٤٨٧ طاف رسول برتغالى بالشرق يتجسس ، فزار مصر وعدن ، ثم ذهب الى قاليقوط وجوا فى الهند ثم الى هرمز على المضيق بين خليج عمان وخليج البصرة ثم الى سواحل افريقيا الشرقية حتى سفالة جنوبا ثم عاد الى القاهرة حيث ارسل تقريره الى ملك البرتغال عن تجارة المحيط الهندى . وكان الذى يسر هذه الرحلة للرسول البرتغالى التجار الجنويين الذين كانت تجارتهم مع مصر وشرق البحر المتوسط قديمة وطيدة . وقد حل هذا الرسول ايضا لغز « مملكة القسيس يوحنا ، فقد عرف انها الحبشة، ولم تعد تلك المملكة النصرانية تستأثر بالاهتمام الذى كان لها فى نفوس الغربيين حين كانت لاتزال غامضة مجهولة » .

فاسكو دا جاما يصل الى الهند

ولما علم البرتغاليون بما فى سواحل المحيط الهندى من تجارات غنية رابحة بداوا يعدون الأساطيل للسفر الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح . وفى عام ١٤٩٧ أبحر فاسكو دا جاما فى ثلاث سفن فى رحلة استطلاعية . وبعد ان طاف برأس الرجاء الصالح وصل موزمبيق ووقفعندها. واكرمه شيخ موزمبيق أول الأمر ثم شك فى أمره فابدى له الجفاء فأسرع الى مراكبه هاربا الى الشمال . ووصلت الأخبار قبله الى كلوة وممباسا فلقى فيها جفاء ، ولكن مالندى رحبت به نكاية بممباسا لعداوة بينهما ، ووصل فاسكو دا جاما الى قاليقوط فى الهند بارشاد ملاحين من أهل مالندى ، وعاد الى البرتغال من نفس الطريق فوصلها عام ١٤٩٩ .

فاسكو دا جاما يعود الى الشرق بأسطول

وبعودة دا جاما بدا البرتغاليون يرسلون الأساطيل التى كانوا أعدوها . فعاد دا جاما عام ١٥٠٢ ولما وصل كلوة اكره سلطان البلد على الاقرار بسيادة ملك البرتغال عليه ودفع جزية سنوية والا احرق البلدة . وتلت ذلك زنجبار .

وفى عام ١٥٠٥ خرج من البرتغال اسطول عداده ٢٠ سفينة عليها ١٥٠٠ محارب فاحتلوا سفالة ، مدينة الذهب ، ثم احتلوا كلوة ، بعد ان هرب منها سلطانها لأنه لم يكن دفع الجزية الموعودة . ثم احتلوا ممباسا ولكن بعد ان قاتل عنها اهلها قتالا شديدا وخسروا خسائر جسيمة ، ولما احتلها البرتغاليون نهبوها ثم أحرقوها عن آخرها ، وتركوا قسما من غنائمهم وراءهم اذ لم يكن لهم طاقة بحمل كل ما نهبوا . فلما رجع أهل ممباسا اليها من فرارهم وجدوها ، كما قال شيخها فى كتاب الى شيخ مالندى يحذره : « ليس فيها حي ، لا رجل ولا امراة ، ولا صغير ولا كبير ، ولا طفل ولو رضيع . وكل من عجز عن الهرب قتل او مات حرقا » . ولكن بغضاء أهل مالندى للممباسيين اعمتهم فمالوا مع البرتغاليين ، وكافأ البرتغاليون اصدقاءهم الوحيدين على تلك السواحل بأن جعلوا لأهل مالندى نصيبا من غنائمهم فى ممباسا .

البرتغاليون يواصلون استعمارهم وتخريبهم شمالا

وفى عام ١٥٠٦ جاءت حملة جديدة من أربع عشرة سفينة وذهبت شمالا الى لامو فخضعت لهم وادت الجزية . اما اوجا فقد رفضت موالاة البرتغاليين وقال أهلها انهم لا يقرون ولاء لغير مصر والخليفة العباسى فيها ، فاقتحمها البرتغاليون ونهبوها واباحوها ثم احرقوها . وقاومتهم براوة كذلك ، واستعدت بستة آلاف محارب من قبائل الصومال الأشداء قاوموا مقاومة عنيفة واوقعوا بالبرتغاليين الخسائر ولكنهم عجزوا آخر الأمر عن حمايتها . فلما ظفر بها البرتغاليون نهبوها واحرقوها وتركوها كما تركوا ممباسا .

البرتغاليون عند مقدشو

ثم ساروا الى مقدشو فاستعد لهم اهلها بالرجال والسلاح ، ولما وصلهم رسول البرتغاليين، وكان احد أهل السواحل ، اخترطوه بسيوفهم جزاء خيانته . فرحل البرتغاليون عن مقدشو دون ان يمسوها وساروا الى جزيرة سوقطرة فاحتلوها بعد قتال عنيف ، واقاموا فيها قاعدة لعملياتهم الحربية البحرية فى خليج عدن والبحر الأحمر .

البرتغاليون عند مسقط وعدن

وفى هذه الاثناء هاجموا مسقط واحتلوا هرمز ودمروا عام ١٥٠٩ أسطولا اسلاميا كبيرا بقيادة أسطول المماليك فى مصر عند ديو على خليج بمباى فى الهند . وساروا بعدها الى عدن ولكنهم عجزوا عن احتلالها . ولكنهم استطاعوا فى عشر سنوات ان يحتلوا السواحل الافريقية الا مقدشو وجزر القمر ومدغشقر ، وهكذا ضاع من العرب فى بضع سنوات سلطانهم القديم العريق على سواحل المحيط الهندى ومياهه الشرقية .

سلطان البرتغاليين فى شمال الساحل الافريقي

وينقسم سلطان البرتغاليين على السواحل قسمين ، ففى الجزء الجنوبى فى سفالة وموزمبيق وكلوة ، اقاموا حكما مباشرا تدعمه حصون وحاميات واساطيل مسلحة مستعدة . وانتهى الأمر بأن ضعف كيان العرب فى هذا الجزء فرحل قسم كبير منهم ومن الهنود الذين كانوا يحتمون بهم الى مدغشقر أو الى مدن الشمال ، وبلغ الحال سوءا فى كلوة حد انها كادت تهجر وتنطمس آثارها لكثرة ما ضيق البرتغاليون على تجارة أهلها. أما موزمبيق وسفالة فلم يبق للعرب فيهما بعد زمن أثر يذكر، وما زالتا حتى اليوم قسما من افريقيا الشرقية البرتغالية .

سلطان البرتغاليين فى جنوب الساحل الافريقى

اما فى بنادر الشمال ، فلم يعد سلطانهم وجود جماعات من المستعمرين والتجار البرتغاليين بدون حاميات وحصون ، ولكن كان البرتغاليون يزورونها بأساطيلهم ويجمعون الجزية من السلاطين والشيوخ. وقد استطاعت بنادر الشمال لذلك أن تعيد بناء حياتها وتجارتها الى حد ما ، وان كانت فقدت التجارة مع الخارج لأن البرتغاليين احتكروها كلها. وفقدت هذه البنادر أو المدن الصلة المستمرة ببلاد العرب امها الاولى التى كانت تمدها على الدوام بدماء جديدة قوية .

البرتغاليون لم يفلحوا فى التوغل فى قلب افريقيا

ولم يعرف ان البرتغاليين استطاعوا أن يبلغوا من سواحل افريقيا الشرقية او داخلها مكانا لم يكن العرب بلغوه ومهدوا السبيل اليه ، فكانوا كالثعلب يشبع من فريسة الأسد . ولم يزيدوا على العرب الا فى محاولة نشر دينهم فى بعض الداخل على يد مبشرين ، ولكن رغم محاولات رجال من المبشرين صادقى العزيمة مؤمنين برسالتهم لم ينجحوا فى شىء من ذلك .

ولم يفهم البرتغاليون كيف كان العرب يتاجرون ويخاطرون فى تلك البقاع ، وتوهموا أن ما عليهم الا ان يقعدوا على السواحل ويملأوا مخازنهم ووكالاتهم من السلع الهندية التى يحتاجها زنوج الداخل وان أولئك الافريقيين سيأتون اليهم بخيرات بلادهم الى مقرهم حاملين اليهم الذهب والعاج . ولكن الامر لم يكن كذلك ولما قام بعض العرب بالهجرة الى الداخل هربا من البرتغاليين وبداوا يجمعون الذهب والعاج ويرسلونهما الى السواحل تحرك فى البرتغاليين الطمع فجردوا حملة عليهم انتهت بفناء رجالها ، ولكن بعد ان محوا الجالية العربية وقريتها ، ولم يظفروا الا بتعطيل التجارة من جديد .

ممباسا تحاول التخلص من البرتغاليين

ولم تبدر من العرب فى القسم الشمالى من السواحل مقاومة تذكر للبرتغاليين مدة الثمانين سنة الاولى الا فى ممباسا . فقد نسى اهلها نكبتهم عام ١٥٠٥ بعد أن اعادوا بناء المدينة وعاودتهم جاشهم وانفتهم فخلعوا طاعة البرتغاليين .فارسل البرتغاليون حملة عام ١٥٢٢ ردت خاسرة ، فعاد البرتغاليون عام ١٥٢٨ يؤازرهم بعض مدن الساحل وجزره ، ولا سيما مالندى ، فخاف شيخ ممباسا ورضى بدفع الجزية . ولكنها جزية لم تدفع آخر الأمر فأعاد البرتغاليون حرق المدينة حرقا تاما كاملا . ولكن ما أن رحل البرتغاليون حتى شمر أهلها عن سواعدهم واعادوا بناءها .

العرب يستعيدون سلطانهم بسواعدهم

ورغم ان ممباسا لم تقف للبرتغاليين بعدها نصف قرن تقريبا الا ان اهل الساحل الشمالى جميعه ، ما عدا مالندى ، لم ينسوا سابق سلطانهم وسيادتهم فلم يوطدوا للبرتغاليين بينهم سلطانا الا خوفا ورهبة . وما ان أحس العرب بضعف البرتغاليين ، ورأوا أساطيل الأمم الأخرى تدخل المحيط الهندى متحدية البرتغاليين ، حتى أدركوا ان ساعة خلاصهم قد دنت . ومع ذلك فان طرد البرتغاليين من سواحل افريقيا الشرقية تم بسواعد العرب انفسهم ، لم يساعدهم فيه احد من الانجليز أو الهولنديين أو الفرنسيين الذين طردوا البرتغاليين من الهند وما حولها من الجزر الغنية .

ظهور العثمانيين فى تلك المياه باساطيلهم

بدات الثورات حين هبط السواحل امير بحر عثمانى عام ١٥٨٥ فى سفينة واحدة قادما من البحر الاحمر . فاستقبله اهل الساحل بحماس بالغ ولا سيما أهل ممباسا ، واعلن اهل الساحل خلعهم طاعة البرتغاليين ودخولهم فى طاعة الخليفة العثمانى . ورحل الامير العثمانى فى سفينته يحمل خمسين اسيرا برتغاليا وغنيمة عظيمة . ولكن البرتغاليين علموا بذلك بوشاية من مالندى فجاءت حملة من جوا فى الهند قاعدة سلطانهم البحرى ، ففر معظم أهل البنادر عنها ولم يظفر البرتغاليون الا بفازا حيث قتلوا شيخها ومئات من السكان نساء واطفالا ورجالا واحرقوا البلدة والمراكب فى الميناء ودمروا الزروع . وعاد الاسطول العثمانى عام ١٥٨٨ ، فهبت البنادر تستقبل اميره بحماس فوق السابق ، فنزل فى ممباسا ، عصب جميع الثورات ، وبدا قتال أهل مالندى . ولكن شاء سوء الحظ أن تكون قبيلة زنجية من الداخل قد وصلت بر ممباسا ، ووجدوا ان حصونها منيعة وان وجود الاسطول العثمانى يزيدها قوة ، فقعدوا على البر بالافهم يتحينون الفرصة . ثم جاء البرتغاليون فوجد اهل ممباسا انفسهم فى حصار من البر والبحر . اعتصم اهل ممباسا ورجال الاسطول العثمانى بوسط جزيرةممباسا ،فتحالف

البرتغاليون مع أولئك المتوحشين ونقلوهم الى الجزيرة ، فكان ما تلا ذلك ابشع ماساة عرفهــا تاريخ ممباسا . فقد تعقبهم الزنوج المتوحشون بحرابهم ، وأكلوا معظمهم ، فمن لم يقض عليه الزنوج رمى بنفسه فى البحر ليهلك أو يلتقطه البرتغاليون ويسترقوه ، وكان فيهم أمير الاسطول العثمانى . ويعتذر مؤرخ برتغالى مشهور عن فعلة البرتغاليين تلك فيقول ان الرأفة بالعدو لم تكن امرا متعارفا فى تلك الأيام .

ضم البرتغاليون ممباسا الى مالندى فكان فى ذلك سقوطهم

وقرر البرتغاليون ان يقيموا فى ممباسا مركزا حربيا بحريا اداريا ، فبنوا عام ١٥٦٣ قلعة على البحر جبارة وجعلوا فيها حامية برتغالية وجعلوا لها السلطة على السواحل من براوة ، فى الصومال اليوم ، الى رأس دلجادو ، موضع حدود تنجانيقا الجنوبية اليوم . وحاولوا ان يجعلوا ممباسا مثل موزمبيق مستعمرة يسكنها مستوطنون من البرتغال وان ينشروا بين أهلها النصرانية . ولكن هذا العمل كان تعظيما لشان ممباسا على حساب مالندى ، صديقة البرتغاليين الوفية ، فكافأ البرتغاليون شيخ مالندى ، حسن بن احمد ، بان جعلوه سلطان ممباسا ايضا وازالوا شيخ ممباسا الذى توارث السلطة فيها آباؤه . ولكن « وتقدرون فتضحك الاقدار » ، فقد كان ضم ممباسا الى سلطان مالندى بذرة سقوط البرتغاليين فى القسم الشمالى من الساحل .

البرتغاليون يقتلون حاكم البلدين العربى ثم يتخلون من ولده صنيعة،وينصرونه

فقد اختصم القواد البرتغاليون فى مالندى وممباسا ، وحار بينهم حسن بن احمد ، سلطان البلدين ، وتعدوا جميعا عليه . فلما طلب منه القائد البرتغالى فى جوا أن يأتى ليشرح حقيقة الحال خاف وهرب الى الداخل حيث قتله أهل بلده وراء الساحل برشوة من البرتغاليين . ثم ندم البرتغاليون على ما فعلوا فجعلوا ابنه سلطانا. كان ابنه يوسف فى السابعة من عمره ، فاقاموا وصيا من اهله مكانه ونقلوا يوسف الى جوا حيث نشاوه على النصرانية وسموه دوم خيرونيمو شنكوليا . وفى عام ١٦٣٠ عادوا به الى ممباسا بعد خمس عشرة سنة من الغياب،ونصبوه سلطانا.

ولد الحاكم يخلع عن نفسه رداء الزيف ، وينتصر لأهله

ما ان اقام يوسف بين قومه وعشيرته من العرب حتى ذاب عنه رداء الزيف الذى القاه عليه البرتغاليون . فقد رآهم يحتقرون قومه ، وهو منهم،وزاده كرها للبرتغاليين معرفته بهم وبلغتهم. فعاد يوسف الى الاسلام وان لم يعلنه ، وفى يوم عيد عام فى العام التالى لعودته ، وبينما الناس فى بهجة الاحتفال ، رد تحية القائد البرتغالى بان اغمد فيه خنجره ، وسرعان ما اعمل رجاله السيف فى البرتغاليين وما هى الا فترة قصيرة حتى لم يبق من البرتغاليين فى ممباسا حيًا الا اربعة قسوس ورجل واحد فر الى مدينة قريبة . ثم اقام حد الردة على من خرج من دين الاسلام الا ان يكون عاد اليه .

وأرسل يوسف الرسل الى عرب السواحل أن يثوروا ، ولكن الظروف فى تلك البنادر لم تكن مواتية . وارسل البرتغاليون حملة على ممباسا فاعتصم يوسف ورجاله بالقلعة التى بناهــا البرتغاليون فلم يظفروا بهم . ثم عاد البرتغاليون بحملة اخرى ، ويبدو أن يوسف ورجاله وجدوا أن لا طاقة لهم بالحصار ففر يوسف من ممباسا وقضى بضع سنوات يناوش البرتغاليين على السواحل ويحرض الناس على الثورة ، ويواتيه النجاح احيانا . ولكنه مات شابا فى جدة عام ١٦٣٧ . وطبعا أعاد البرتغاليون سلطانهم على ممباسا وفتكوا باهلها فتكا ذريعا .

سلطان البرتغاليين يتضعضع فى المحيط الهندى

وفى تلك الأثناء كان مركز البرتغاليين يتضعضع فى المحيط الهندى . فقد حل الانجليز مكانهم فى الهند والهولنديون فى سيلان ، وقوى هذان الطرفان

الاوربيان مركزيهما على حساب البرتغاليين .ولكن يهمنا ما فعله العمانيون فى هذه الفترة ففى عام ١٦٥٠ طرد الامام سلطان بن سيف البرتغاليين من مسقط وبر جزيرة العرب ، وما أن بلغ خبر انتصار العمانيين الىالسواحلحتى اتقدت النفوس وجاشت العزائم . وسرعان ما ارسلت ممباسا الى سلطان بن سيف تستنجده ان يستنقذ اخوانه العرب المسلمين فى السواحل . ولما كانت قوة سلطانبن سيف فى ذلكالحينلم تكن تكفى لاسترداد ممباسا بقلعتها الحصينة فقد هبط باسطوله على باتى وزنجبار ومحا البرتغاليين منهما .

وفى عام ١٦٦٠ عاد سلطان بن سيف باسطول اقوى فاحتل فازا وممباسا ، ولكنه لم يقدر على القلعة . ومضى الاسطول العمانى جنوبا حتى بلغ موزمبيق عام ١٦٦٩ ، وكاد أن يحتلها . ولكن العمانيين لم يستطيعوا أن يقيموا حاميات فى تلك البنادر ، فما ان رحلوا عن الساحل حتى اوقع البرتغاليون بالبنادر التى ظفروا بها عقابا فاق كل ما سبق ، مما يعلله المؤرخون بانه كان شعورا من البرتغاليين بقرب أجل سلطانهم فى تلك البقاع .

وكان العمانيون خلال ذلك ينازلونهم فى مواضع اخرى ، فقد اغاروا على ديو ، قرب خليج بمباى ؛ عام ١٦٧٠ ، واستباحوها ، وفعلوا مثل ذلك فى باسين ، شمال مدينة بمباى ، وكانت كلتاهما مستعمرة برتغالية. وقرب نهاية القرن السابع عشر دنت ساعة نصر العمانيين نهائيا فى السواحل . ففى عام ١٦٩٦ ، ارسل سيف بن سلطان ، وكان خلف اباه سلطان بن سيف،اسطولا من سبع سفن حربية وعشرة مراكب ,فيها ٣٠٠٠ محارب الى ممباسا لاحتلالها . فاحتمى البرتغاليون ومن لاذ بهم فى القلعة حتى اكتظت بما يزيد عن ٢٥٠٠ شخص . وارسل البرتغاليون اسطولين لنجدتها فلم ينجحا ، وحين وصل الأسطول الثالث وجد علم العمانيين الاحمر يرفرف عليها ، فقد سقطت قبل يومين ، بعد حصار دام ثلاثة وثلاثين شهرا . وسقطت دون قتال يذكر ، ولم يرق العرب فى سبيلها دما يذكر ، وان كان المحاصرون هلكوا مرضا وجوعا .

بين البرتغاليين والعمانيين

كان فشل البرتغاليين فى استنقاذ مركز قوتهم البحرية وسلطانهم السياسى فى الشقة الشمالية من الساحل امارة واضحة على افول شمسهم ، ورغم انهم ارسلوا حملات من جوا ولشبونة بين عامى ١٦٩٩ و١٧١٠، الا انهم لم ينجحوا. وفى عام ١٧٢٨ تحينوا فرصة نزاع بين ممباسا وزنجبار واشتغال عمان نفسها بنزاع داخلى وعدوان من الفرس فأعادوا احتلال ممباسا وسيطرتهم على الشقة الشمالية،ولكن العمانيين عادوا فطردوهم بعد عامين .

وبذا تبين أن العمانيين اذا اتحدت كلمتهم أقوى من البرتغاليين فى شرق افريقيا ، وقد بلغت قوة أسطولهم فى السواحل وشمال المحيط الهندى فى مطلع القرن الثامن عشر مبلغا أرهب الاوربيين جميعا ، بما فيهم الانكليز والهولنديون ، فكانوا يتجنبون المرور بالعمانيين فى عرض البحر . ولما استقر الأمر فى عمان عام ١٧٤٠ لاحمد بن سعيد، رأس الأسرة الحاكمة فى مسقط وزنجبار حتى اليوم ، بعد أن وحد عمان وطرد الفرس ، فقد البرتغاليون الأمل فى استرداد الشقة الشمالية من السواحل.

العرب لم ينازعوا البرتغاليين فى جنوب السواحل

ولكن العرب لم ينازعوهم فى جنوب السواحل ، وتركوا لهم موزمبيق وسفالة وكل ما هو جنوب راس دلجادو . ولعل السبب فى ذلك أن اثر العرب والاسلام كان قد انقطع مع تلك الديار التى عمرت بالعرب قبل مجىء البرتغاليين دهورا طوالا . ■■

محمود الغول

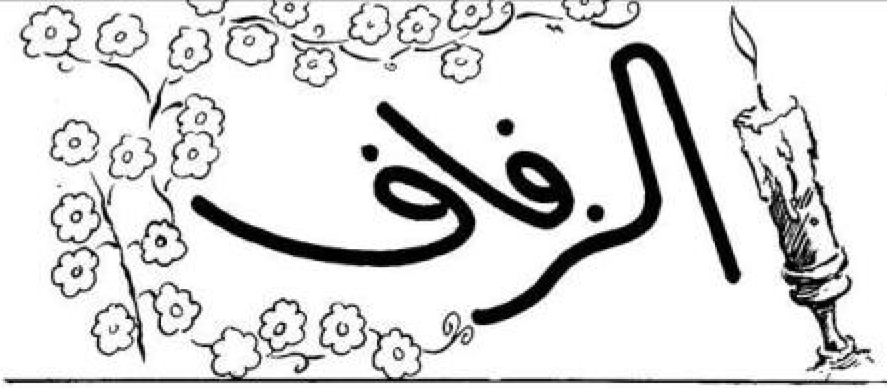

■ فى محطة صغيرة بين روما وجنوا ، فتح المحصل باب مقصورتنا ، وبمساعدة وقاد القطار حمل الرجلان الى داخل المقصورة رجلا عجوزا نحيلا ذا عين واحدة . وفى ابتسامة طيبة قال الرجلان فى نفس واحد :

ــ عجوز .. جدا !!

ولكن سرعان ما بدا النشاط على الرجل العجوز .. وشكر مساعديه باشارة من يده المعروقة التى غطتها التجاعيد ، ورفع قبعته الرخوة من على رأسه الأشيب فى أدب مرح ، ونظر الى المقاعد بعينه السليمة وقال لنا :

ــ اتسمحون لى ؟

واخلى له المسافرون مكانا فجلس وهو يتنهد فى ارتياح ، ثم اراح يديه على ركبتيه النحيلتين ، وتباعدت شفتاه فى بسمة ضيقة .. بلا أسنان !

وسأله رفيقى فى السفر :

ــ هل تسافر بعيدا يا عم ؟

فأجابه العجوز على الفور :

ــ أوه .. لا .. ثلاث محطات من هنا فقط .. انى فى طريقى لحضور حفلة زفاف حفيدى .

وبعد دقائق معدودة علا فيها صوت وقع عجلات القطار الرتيب ، كان العجوز يقص علينا حكايته وهو يهتز من جانب الى آخر كغصن محطم فى يوم عاصف .

قال العجوز :

ــ انا من اقليم ليجوريا .. ونحن الليجوريين قوم اشداء ، فانا مثلا لى ثلاثة عشر ابنا واربع بنات .. ولا اعرف كم هو عدد احفادى .. وهذا هو ثانيهم فى الزواج .. انه لشىء جميل جدا .. اليس كذلك ؟

وابتسم وهو ينظر الينا جميعا بعينه الواحدة فى فخر واضاف :

ــ انظروا .. كم من المواطنين منحت مليكى وبلادى ؟!

كيف فقدت عينى ؟ آه .. حدث ذلك منذ زمن بعيد .. كنت طفلا صغيرا فى ذلك الوقت .. ومع ذلك كنت أساعد أبى فى عمله .. كان أبى يعمل يومها فى حقل العنب .. والتربة هناك متماسكة وحجرية وتحتاج الى مزيد من الحذر .. وطارت حجرة من ضربة فاس واصابت عينى اصابة مباشرة . ولا اذكر انى شعرت ساعتها بأى الم .. ولكن فى ذلك اليوم ، وبينما كنت اتناول عشائى ، وقعت عينى من .. محجرها ! وكان ذلك رهيبا ، ايها السادة، فأعادوها الى مكانها ووضعوا عليها عجينة ساخنة .. ولكن بلا جدوى .. فقد كنت قد فقدت عينى !

وحك العجوز خده الأسمر الشاحب المجعد بعنف ، وابتسم ثانية ابتسامته المرحة الطيبة وقال :

ــ فى تلك الايام لم يكن هناك أطباء كثيرون كما يوجد الآن .. وكان الناس يعيشون ببساطة .. آه .. نعم .. ولكنهم ربما كانوا أطيب مما هم عليه الآن .

وبدت نظرة انتصار فى عينه الواحدة ووجهه المجعد الذى حفرت فيه الأيام خطوطا عميقة وكسته بشعيرات رمادية مخضوضرة .

وتساءل العجوز :

ــ عندما يعيش انسان طويلا كما عشت ،يمكنه ان يقول رأيه فى الناس ، ألا تظنون ذلك ؟

وفى وقار رفع العجوز اصبعا أسمر ملتويا كمن يعاتب شخصا وقال :

ــ دعونى اقص عليكم شيئا عن الناس، ياسادتى: كنت فى الثالثة عشرة عندما مات أبى .. وكان حجمى صغيرا .. أصغر من الآن ..ولكنى كنت

صبيا نشيطا لا اتعب من اى عمل يعهد به الىّ ، وكان ذلك هو كل ما ورثته عن ابى ، لاننا اضطررنا الى بيع ارضنا ومنزلنا لتغطية ديونه . وهكذا عشت بعينى الواحدة وبيدىّ الاثنتين ، اعمل فى اى مكان اجد به اى عمل ، وكان ذلك صعبا .. ولكن الشباب لا يابه بالصعاب .. ؟

وعندما بلغت التاسعة عشرة قابلت الفتاة التى قدر لى ان احبها . كانت فى مثل فقرى . ولكنها كانت شابة قوية ، بل كانت اقوى منى . وكانت تعيش مع امها العجوز المريضة . وكانت تقوم باى عمل تجده .. مثلى ! ولم تكن جميلة جدا .. لكنها كانت طيبة وذكية .. وكان صوتها عذبا رقيقا . ولكم كانت اغنياتها جميلة .. تماما كانها مطربة محترفة .. وصوت جميل فى بلادنا يعنى شيئا كثيرا . وانا نفسى كنت اغنى بين الحين والحين غناء لا باس به .

وسالتها يوما :

ـ هل نتزوج ؟

فاجابت فى حزن :

ان هذا لجنون .. ايها الأعور .. فلا انا ولا انت نمتلك شيئا .. كيف سنعيش اذن ؟!

وكانت هذه هى الحقيقة فعلا .. فلم يكن احدنا يمتلك شيئا .. ولكن ما الذى يحتاجه شابان جمعهما الحب ؟

وعليه .. فقد ذهبنا الى .. القس !

وقال القس :

ـ هذا جنون ! الا يوجد فى ليجوريا ما يكفى من الشحاذين ؟! ايها التعيسان .. انكما لعبة فى يد الشيطان .. فقاوما اغراءه والا فانكما ستدفعان ثمن ضعفكما غاليا !

وسخر منا شباب البلدة .. وسفّه الكبار فكرتنا .. .. ولكن الشباب عنيد .. ويعتقد انه عاقل وحكيم !

وعندما حل يوم الزفاف لم نكن فى ذلك اليوم اغنى مما كنا قبلا .. بل لم نكن ندرى اين سنقضى ليلة زفافنا .

وقالت لى حبيبتى « ايْدا » :

ـ فلننطلق الى الحقول .. لم لا ؟ ان السماء رحيمة بالناس اينما وجدوا !

وهكذا قررنا ان تكون الارض فراشنا والسماء لحافنا !

والآن تبدا قصة اخرى يا سادتى .. ارجوكم ان تنتبهوا .. لان هذه القصة اروع قصة فى حياتى الطويلة !

ففى الصباح الباكر لليوم السابق على الزفاف قال لى جيوفانى العجوز الذى كنت قد قمت له بكثير من مختلف الاعمال .. قال لى من تحت ضرسه كمن يكره الحديث عن هذه الأمور التافهة:

ـ أجنو .. عليك ان تنظف حظيرة الماشية القديمة .. ضع فيها قشا نظيفا .. ان الحظيرة جافة ، لان الماشية لم تستعملها منذ اكثر من عام .. ولكن من الأفضل لك ان تنظفها اذا كنت تريد ان تعيش فيها مع « آيْدا » !

.. وهكذا وجدنا بيتنا !

وبينما كنت منهمكا فى تنظيف الحظيرة وانا اغنى رايت كوستانزيو النجار يقف بالباب ويقول :

ـ اذن .. فهذا هو المكان الذى ستعيش فيه مع .. ايْدا ! ولكن اين سريركما ؟ ان فى منزلى سريرا زائدا .. تعال عندى وخذه بعدما تنتهى من تنظيف المكان .

وبينما كنت فى طريقى اليه صاحت ماريا صاحبة الدكان السليطة اللسان :

ـ ايها الأحمقان .. ستتزوجان بلا غطاء لفراشكما او مخدتكما ! انك لمجنون ايها الأعور .. ولكن .. ابعث الىّ .. بعروسك !

وصاح « ليم ايتورفيانو » الذى يعذبه الروماتيزم دائما ، صاح ليم الى عروس وهو على عتبة بابه :

ـ اساليه .. كم من النبيذ أعد لضيوفه ؟ آه .. كيف يمكن ان يكون الناس على هذا القدر من الغباء !

وانحدرت دمعة لامعة الى اخدود عميق فى خد محدّثنا العجوز ، وقد القى راسه الى الوراء وضحك فى هدوء .. وتفاحة آدم المعظمة ترتجف فى رقبته وجلده المتهدل يرتعش ، واستطرد يقول وهو يهتز من الضحك ويحرك يديه فى فرح صبيانى:

ـ هل تصدقون ايها السادة .. انه فى صباح يوم الزفاف كان لدينا كل ما يلزمنا لبيتنا .. تمثال للعذراء ، صحون ، قماش ، اثاث ، كل شىء اقسم لكم !

وضحكت آيْدا .. وبكت ! وضحكتُ انا ايضا .. وضحك الجميع لان البكاء فى يوم الزفاف يجلب النحس ، ولذلك ضحكتْ عشيرتنا كلها يوم الزفاف .

وقال القس : ـ هذا جنون ! الا يوجد فى ليجوريا ما يكفى من الشحاذين ؟ ! ا... ...سان ..

سادتى : من اجمل ما فى الدنيا ان يكون للانسان الحق فى أن يطلق على الناس كلمة « عشيرته » ! والاجمل من ذلك ان يشعر الانسان أنهم اقرباؤه .. اناس لا يعتبرون حياتك نكتة وسعادتك مقامرة!

وما كان أروع زفافنا ! ويا له من يوم ! فقد حضر الاحتفال كل الناس ، حضر كل واحد الى حظيرة المواشى التى تحولت الى عش سعيد .. كان لدينا كل شىء ! نبيذ وفاكهة ولحم وخبز .. واكل الجميع وشربوا . كنا جميعا سعداء .وهذا يا سادتى ، لانه لا توجد سعادة تدانى عمل الخير للاخرين . صدقونى ، لا يوجد انبل ولا اجمل من فعل الخير فى دنيانا كلها .

وحضر القس ايضا،والقى خطبة رائعة قال فيها :

ـ يوجد هنا شخصان عملا كثيرا من اجلكم .. وقد بذلتم كل ما فى وسعكم لتجعلوا من هذا اليوم اسعد ايام حياتهما .. وهذا ما كان يجب عليكم عمله لانهما بذلا الكثير من اجلكم ..والعمل فى حد ذاته أهم من المكافأة التى يتقاضاها الانسان على عمله . فالمال يذهب .. والعمل يبقى .. لقد كانت حياة هذين الشخصين المرحين المتواضعين شاقة .. لكنهما لم يشكوا بل كافحا .. وسيصادفان الكثير من المشاق والمتاعب ولكنهما لن يشكوا .. وعليكم ان تساعدوهما فى ساعة ضيقهما .. فان لهما ايديا نظيفة وقلوبا شجاعة .

ثم قال لى كلمات طيبة ، ولاينا .. ولكل الموجودين !

ونظر الينا الرجل العجوز بعين ردت اليها الشباب وقال :

ـ وهكذا ، يا سادتى ، قصصت عليكم شيئا عن الناس . كانت قصة طيبة .. اليس كذلك ؟

■■

ترجمة : عادل شريف
القاهرة

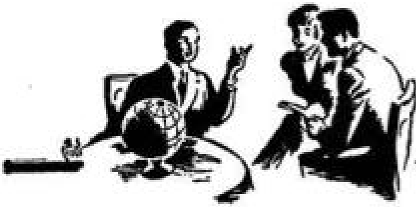

دردشة

وجهات نظر ...

* **يحتوى** البيت العصرى على كل شىء يمكن ضبطه بواسطة المفاتيح .. ما عدا الأطفال ..

* **لا تستطيع** ابدا ان تقول شيئا عن المراة .. واذا استطعت يجب أن لا تفعل ..

* **ان** اصعب شىء فى كسب الرزق هو انك مضطر لعمله كل يوم ..

* هناك رجل يستعمل دائما كلمات صعبة لأنه كان يخاف أنه اذا عرف الناس ما يتحدث عنه فانهم سيعرفون أنه لم يكن يعرف ما يتحدث عنه .

* **لماذا** تنظر المراة دائما فى المرآة ، الا حينما ترجع بسيارتها الى الوراء فى مكان وقوف السيارات ؟

... وأقـــوال

● **من** يحسن خدمة وطنه يستغنى عن النسب .

(لافونتين)

● **الارادة** التى لا تنثنى تعلو على كل شىء حتى على الدهر .

(شاتوبريان)

● عندما يخطىء رامى السهام هدفه ، ينظر لنفسه ليعرف لماذا اخطأ .. وهكذا دائما .. اذا اردتم الوصول الى هدفكم ، فأصلحوا انفسكم ..

(روكفلر)

النصف السهل

● القى الواعظ بجسمه المتعب على الكرسى وقال لزوجته : انى فى هــــذا اليوم حاولت اقناع المصلين ان من واجب الأغنياء مساعدة الفقـــراء . فسألته زوجته : **وهل اقنعتهم ؟**

فقال الواعظ: **لقد حققت نصف نجاح. لقد اقنعت الفقراء !!**

من أمثال الأمم

● **اللسان الذى طوله ثلاث عقل ، قد يقتل رجلا طوله ستة اقدام .**

(مثل يابانى)

● **الحسناء يملكها رجل واحد ، ولكنها تملك قلوب الكثيرين .**

(مثل برازيلى)

قصيدة لشاعر سويدى

« انتِ لستِ امرأةً ولا مَلَكا ...
انت اكثر من ذلك بكثير ...
انت آلهة جنت ففافلت اترابها وفرت من العالم الآخر .ثم اصطفتنى من دون الرجال طرا ، واحبتنى ، لتبنى معى على هذه الارض مرح الحقيقة ومَلَك السماء » .

من قصيدة للشاعر السويدى يوهانس مجدبورج نظمها فى زوجته

الابتسامة ..

● الابتسامة عنوان الشعور ، والشعور عنوان الانسانية ، ولو أن الشيطان ابتسم لما طرد من الجنة .

(برنارد شو)

ثلاثة !

● البشر ثلاثة :
ـ شخص يحب المرأة وهو الرجل .
ـ وشخص يزهد فى المرأة وهو الناسك .
ـ وشخص يكره المرأة وهو المرأة ..

.. وقلب المرأة

● عندما تكره المرأة رجلا الى درجة الموت ، فتيقنوا انها كانت تحبه الى درجة الموت .

(مارك توين)

تمثال لبغل فى البرلمان !

● طالب نائب أمريكى باقامة تمثال لـ « بغل » فى فناء دار برلمان ولاية جورجيا الأمريكية !!

وسألوه : « لماذا ؟ »

قال النائب الناصح : ... « **ينبغى ان تذكر الأجيال القادمة ببغال جورجيا العظيمة !!** » .

● حمار يحملك ، خير من حصان يرميك على الارض .

(مثل ايرلندى)

● الوجه الحسن هو اقوى خطاب توصية يحمله صاحبه .

(مثل انجليزى)

الانسان ينقل السل للحيوانات !!

● معروف ان السل يصيب الحيوان كما يصيب الانسان . ولكن لم يكن معروفا ان الانسان المسلول ينقل سله الى المواشي والبهائم . وقد ثبت للأسف ان هذا يحصل.

سمك بلا رائحة !!

● قد يجوز لنا عن قريب ان نأكل السمك بلا رائحة ، فالباحثون اليوم يحاولون استخراج البروتين الخاص بكل صنف ، ذلك الذى يسبب الرائحة .

ولكن المسألة هى : هل يريد احد منا ان يأكل سمكا بلا رائحة ؟ أليست رائحة السمك ، الخاصة بكل صنف ، هى من اسباب فتح الشهية لهذا الصنف وحده ؟ .

على كل حال ، ليس هذا هو هدف العلماء . العلماء لا يحاولون فصل المادة التى تعطى هذه الرائحة ليأكل الناس . ان لها علاقة بكشف أسباب هجرة الأسماك ، وهل هذه الروائح لها أثر فى هذه الهجرة كبير او صغير .

منافس جديد لبرج ايفل

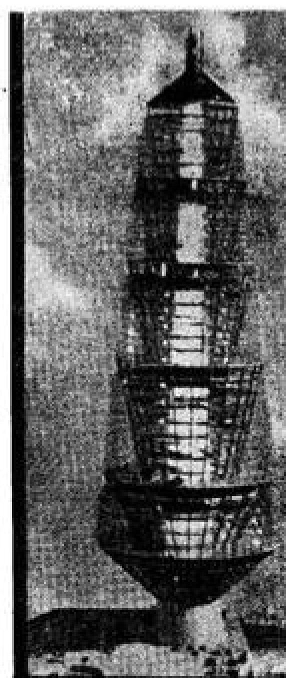

● برج ايفل : تتنافس على خلق مثله الدول . فاليابان صنعت « برجها » ـ وكذلك الانجليز خططوا له فى الصورة المرافقة الى اليمين ـ ولكن الانجليز قوم عمليون . لهذا هم سيجعلون منه معرضا دائما لمنتجات صناعاتهم . وارتفاعه يبلغ نحو ٣٠٠ متر . وشكله كشكل شجرة عيد الميلاد ، عريضة فى أسفل ، مكتنزة فى أعلى . قاعدتها السفلى قطرها ٣٢ مترا . وقطر أعلاها ١٠ أمتار . وسوف يتكلف البرج نحوا من عشرة ملايين من الجنيهات .

وينظر الفرنسيون الى هذه الأبراج ، فى هذه الامم ، فيقولون : ليس أجمل من « برج ايفل » برج باريس ، ذلك الذى بناه المهندس الفرنسى ايفل Gustave Eiffel (١٨٣٢ ـ ١٩٢٣) ، عام ١٨٨٩ ، والذى يستخدم اليوم فيما يستخدم ، ناشرا للبرامج التلفازية .

آمال كالأحلام ..

هل هذه هى نهاية شلل الأطفال ؟ والصمم .. والعمى .. والشلل ؟!؟!

● اعصاب من فولاذ : هكذا يصف الناس الرجل الشجاع ، الذى لا يتحرك للمصائب العظمى . انهم يقولون ان اعصابه من فولاذ .

ولكن غير ذلك لغة العلم . العلم اذا قال ان اعصاب رجل او حيوان من فولاذ ، فقد عنى انها من فولاذ حقا .

وقد وقع هذا للاستاذ بوريس اجنيو Boris Ognew ، الروسى . جاء بكلب ، ونزع منه العصب المعروف بعرق النسا ـ ذلك الذى يمتد فى رجل الرجل بطولها ، ويمرض فيسبب له الأوجاع ـ واحل الاستاذ محله عصبا من فولاذ . وجاء بالكلب الى اكديمية الطب الروسية ، وعرضه على اطباء ، من علماء التشريح ، الى علماء فى وظائف الأعضاء ، الى علماء أعصاب ، فلم يستطع احد منهم ان يميز الرِّجل التى بها العصب الفولاذ من تلك الأخرى السليمة التى لم يمسها مشرط الجراح .

لقد عملت الرِّجل ذات العصب الفولاذى تماما كما لو كان عصبها الأول الطبيعى فيها .

واجرى الأستاذ جراحته هذه فى نحو ٣٠ كلبا ، ونجحت جميعها . وسوف يحاول الآن ان يحل الفولاذ محل أعصاب فى الجسم أخرى .

ومعنى هذا ، اذا هو امتد للانسان ، خطير . ان كثيرا من الأمراض سببها مرض العصب ، أو ضعفه وقلة اداته : من ذلك شلل الأطفال وعرق النسا ، والعمى او بعض صنوفه ، والصمم ، والشلل .

انها آمال كالأحلام ، يتساءل من سمع بها ، لا سيما المرضى :

متى تكون ؟ .. متى بالله تتحقق .. ؟

هل يقضى على الزراعة فى اوربا ؟؟!

● بحوث الزراعة ضعيفة فى أوروبا .. دل على هذا ما نشره الاتحاد الأوروبى للزراعة ، فقد ذكر ان المال الذى ينفق فى هولندة فى البحوث الزراعية يبلغ ٩٥ر. فى المائة من الايراد العام للسكان ، بينا هو يبلغ ٦٩ر. فى المائة فى بلجيكا ، و ٣١ر. فى المائة فى فنلندا ، و١٣ر. فى المائة فى فرنسا ، و ٦١ر. فى المائة فى ايطاليا .

◄

اصناف الدم ١١ زادت اليوم صنفا واحدا

● انه نوع جديد كشفه عالم فى الأمصال الدموية استرالى . وهـو يعمل فى بنك الدم للصليب الأحمر بمدينة برسبين باستراليا . وبذلك تصبح صنوف الدم ١٢ صنفا .

محطة ذرية للارصاد الجوية حيث لا يوجد انسان

● كل محطة ذرية تهدف الى استنباط القوة الكهربائية من الذرة ، تعتمد على ما يخرج من الذرة المنحلة « المشعة » من حرارة . ثم يجرى الأمر بعد ذلك على الأسلوب الذى تستخدم فيه الحرارة الخارجة من احتراق الفحم فى توليد الكهرباء عن طريق مولداتها .

ولكن هناك أسلوب آخر فى استخدام هذه الحرارة الخارجة من الذرة المنحلة (المشعة) ، وذلك بقلبها الى الكهرباء مباشرة عن طريق استخدام ما يعرف فى الفزياء « بالزوج الحرارى ـ الكهربائى » Thermo couple فأنت اذا وصلت طرفى قضيبين من معدنين مختلفين بوصلة معدنية ، ووصلت كذلك طرفيهما الآخرين . ثم غذيت احدى الوصلتين دون الأخرى بالحرارة ، اذن لجرى فى الدورة المؤلفة من القضيبين والوصلتين تيار كهربائى .

فهذا هو الذى جرى فى تأليف اول محطة للأرصاد الجوية التى تصحب صورتها هـذا الكلام . اما العنصر المشع الذى يعطى الحرارة فهو الاسترنتيوم رقم ٩٠ ، ذلك العنصر «النظير» الذى شاع اسمه فى الاشعاعات الذرية . وهو يدخل الى الطعام ، فالعظام ، فيسىء الى بنى الناس اكبر اساءة .

والكهرباء التى هكذا ولدوها استخدمت لانشاء شتى الأجهزة التى يحتاجها الرصد ، ومن هذه الراديو والالكترونيات بشتى صنوفها .

وهذه المحطة ، وهـى الأولى من نوعها ، صنعت لتعمل وحدها ، بعيدا عن عناية الانسان ، فى المناطق الخالية ، فتسجل وترسل ما تسجل باللاسلكى . وبذلك تملأ مساحات الارض الخاليـة مـن التسجيلات الرصدية فى شتى البقاع . وقد دل الاختبار على ان هـذا المولد الكهـربائى يظل يعمل ٦٠٠٠ ساعة دون أن تفتر قوته .

هجرة الطير ،

من يهديها ؟

أبحاث جريئة تتوقف ، خوفا من اشعال نيران حرب جديدة !

● الطيور لا تلبث تقطع الارض ، فى الصيف من جنوب الى شمال ، وفى الشتاء من شمال الى جنوب .

وهى تبلغ اهدافها فلا تضل ابدا . فمن يَهديها ، أو ما يَهديها ، فى هذه الرحلات الطويلة الغريبة ؟

قال علماء انها تهتدى بمراقبة نجوم السماء .
وقال علماء انها تهتدى بالحقل المغناطيسى الأرضى .
وقال علماء ان الرياح تهديها .

نظريات كثيرة لا سبيل الى فحصها وتحقيقها الا من بعد ما تتكشف للعلماء تلك الطرق التى يسلكها الطير فى هجرته . من أجل هذا فكّر بعض علماء الطير بالولايات المتحدة أن يربطوا بالطير ، فوق أجنحته ، أجهزة غاية فى الصغر ، ترسل الاشارات اللاسلكية . فاذا بدا الطير هجرته ، واستقبل العلماء تلك الاشارات فى بقاع من الأرض عدة ، عرفوا منها خطة السير . وساعد هذا العرفان فى فهم الطير ، كيف يهتدى فى طيرانه .

شىء واحد يخشاه العلماء الأمريكان من الروس . يخشون أن يعلم الروس بهذا ، فيحسبون أن هذه الاشارات اللاسلكية ، انما تحملها صواريخ جديدة جعل الأمريكان منها للروس هدفا . وعندئذ تحدث الطامة الكبرى .

يجب تحصين الأطفال ضد شلل الاطفال

● نعم ، هكذا يقول عالمان باحثان . يجب تحصين الأطفال ضد الشلل ، فيما يحصّنون به دون سائر الأمراض . بعد ٦ اسابيع ، وبعد ١٢ اسبوعا ، وبعد ١٨ اسبوعا . ثم بعد ذلك يعطى الطفل حقنة اخرى واقية من الثلاثة الاصناف من شلل الأطفال .

منطقة اشعاع جديد

● ارضنا هذه تحيطها أحزمة اشعاعية ، كشفنا منها حزامين أو منطقتين ، اسميناهما باسم كاشفهما ، « فان الن » Van allen وهذه الأيام تكشف حزاما ثالثا يبعد عن سطح الأرض بنحو ٦٠ الف كيلو متر .

بالمحرك الأيونى تصبح الرحلة الى الكوكب نبتون مثلا ، كالرحلة الى موسكو

● ان هذا المحرك فى شكله الحاضر يشبه الخاتم شكلا ، وهو من الخفة بحيث تحمله اليد الواحد . انه المحرك الأيونى ، وهو يعمل فى مجال قطره خمسة الاف مليون كليومتر .

وقد وضعته الشركة التى ابتدعته بين يدى العلماء ذوى الاختصاص . وضعت هذا المحرك الذى سوف يجعل الكواكب تحت تصرف الانسان . فلن يطول الزمن قبل أن يرى سكان الزهرة والمريخ ـ ان كان بهما سكان ـ القطار الارضى يصل اليهم . ولكن لن تكون بهذه الرحلات من المشقة اكثر من المشقة فى الرحلة الى موسكو .

ويقدرون ان يستخدم هذا المحرك فيما بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨٠ . والسبب فى ذلك أن هذا المحرك لا يستطيع ان يرسل صاروخا الى السماء ، وان ينتزعه من قوة جاذبية الأرض . ولكنه قد يستطيع ان ينتزعه من هذه الجاذبية وهو على قمر صناعى يكون فى دورته الفضائية فى ابعد موضع له من سطح الارض ، وهناك قد تبلغ سرعة هذا المحرك الايونى بضع مئات من الكيلومترات فى الثانية الواحدة ، لكل دفعة منه ، صغيرة ، تبلغ رطلا واحدا .

وهذا المحرك يعمل معتمدا على الطاقة النووية لمفاعل فيه ذرى ، اذ تتحول الى طاقة كهربائية . اما وقود المفاعل الذرى فعبارة عن عنصر السزيوم Cesium ، فذراته تتحول الى ايونات عندما ينتشر بخاره عبر شباك حار من معدن التنجستين Tungsten ، وتنقذف ايونات السزيوم فى المؤخرة ، وهى هى التى تقوم بدفع الصاروخ فى الناحية الأخرى .

وبهذه المحركات نصل الى المريخ فى نحو ١٧ يوما ، ونعود كما ذهبنا ، فى غير كبير مشقة !!

■■

هذه الغرائز

• أهى مارد جبار يتحكم فى مصير الإنسان؟
• أم هى دوافع فطرية تخضع للتهذيب والتوجيه؟

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ علم النفس بجامعة دمشق

كثر الحديث فى هذه الايام عن الغرائز، فالناس يتحدثون عن غريزة جنسية ، وغريزة للمقاتلة ، وثالثة للتملك ،ورابعة للتفوق ، وخامسة لحنان الأم وهكذا . . فما هى الغرائز ؟ وما حقيقتها ؟ وما انواعها ؟ وما مدى فطريتها ؟

حقيقة الغريزة

اختلف علماء النفس كثيرا فى تعريف الغريزة حتى لنستطيع القول بانه ما من عالمين يتفقان على تعريف واحد للغريزة أو على قائمة واحدة للغرائز، وان كانوا جميعا يتفقون على فطريتها ، اى على كونها وراثية غير مكتسبة .

ولعل اقرب تعريف للغريزة الى الصحة العلمية هو قولنا « انها صناعة فطرية كاملة عند المخلوق». وبهذا يكون الطيران غريزة عند الطير ، ذلك بان الطير مهيا للطيران بتركيبه الجسدى وبسبب وجود جناحين له ، وبان الطير يطير حتى لو عزل عن باقى الطيور ولم يعلمه احد من بنى جنسه ان يطير .

وقل الشىء نفسه عن بناء النحل خلاياه،فالنحل يبنى خليته بوحى من فطرته ودون حاجة لتعلم اطلاقا .

الغرائز مقصورة على الحيوان

ويميل علماء النفس المحدثون الى قصر الغرائز على الحيوان ، ويرون ان الانسان لا يولد بغرائز (اى بصناعات فطرية كاملة) ، وانما يولد مزودا بآليات بسيطة تحفظ بقاءه بالمعنى الحيوانى الدنىء ، ثم بدوافع وحوافز وميول تخضع للتربية والتوجيه والتعليم، فتعينه على حفظ بقائه ،وتدفع به الى حياة انسانية تليق بما حباه به الخالق من عقل وعاطفة وارادة .

والحق ان الناظر فى حياة الانسان ، المقارن اياها بحياة الحيوان ، يلاحظ ان الوليد البشرى اضعف المواليد الحية فى القدرة على حفظ بقائه ، فالمولود الحيوانى يواجه العالم مزودا بمعارف وصناعات تمكنه من مواجهة الحياة وشرائطها والاستمرار فيها .

اما الوليد البشرى فلا يملك – حين يولد – الا

ردود أفعال بسيطة من مثل المص والعطاس والفواق وما اليها ، بالاضافة الى أفعال حيوية حيوانية مثل التنفس ، ومثل الطعام واخراج الفضلات مما يحفظ له بقاءه بالمعنى الحيوانى البدائى . ولكنه مقابل ذلك يولد مزودا بقدرات كامنة وقابليات خبيئة ودوافع فسيولوجية قوية تعينه ــ اذا وُجهت وتميت وتعهدت بالتربية والتعليم ــ ليس على مجرد البقاء ، بل والعيش عيشا يليق بانسانيته العاقلة الذكية .

الدوافع وليدة الحاجات

ولنقف هنا بعض الوقت لنتعرف على ما يسميه علماء النفس المحدثون بالدوافع والحوافز .. انهم اذ ينفون عن الانسان وجود الغرائز يقولون انه يولد بدوافع . والدوافع فى نظرهم وليدة الحاجات التى هى بدورها وليدة الحياة نفسها . ولنشرح هذا شرحا يوضح الفكرة للقارىء الكريم .

الحـــاجات

ان الحياة معناها تكوّن المادة الحية ، ثم فناؤها، ثم تعويضها والنمو من خلال ذلك ، فأنت حين تعمل تستهلك المواد التى تكون جسدك . وعليك ــ فى سبيل حفظ بقائك ــ أن تعوض هذا الذى خسرت، وأن تتخلص من الفضلات الناتجة عن هذه العملية جميعها،ومن هنا كانت حاجتك الى الطعام والشراب ــ مثلا ــ ومن هنا كان اندفاعك للحصول على الطعام والشراب ، ومن هنا أيضا كان حرصك على التخلص من فضلات الطعام والشراب .

وهكذا تتكون حاجتك الى الطعام ، ويكـــون اندفاعك للبحث عنه وتأمينه . ويبقى على مجتمعك ان يعلمك كيفية الحصول على الطعام ، وهو الذى يُعنىَ بتنظيم طرائق حصول أفراد المجتمع عليه.

وطبيعى أن المجتمع لا يكتفى بهذا كله ، ولكنه يُحيط الطعام والحصول عليه بأعراف وتقـاليد وقوانين تنظم عمليات تبادل الطعام ، بل ويتعدى ذلك الى كيفية تحضيره وتناوله وجعله شهيا الى غير ذلك مما يسمى بآداب الطعام .

والامر نفسه صحيح عن الشراب مع فارق واحد، وهو أن الماء موفور فى الطبيعة لدرجة تجعل الحصول عليه أسهل والاندفاع فى سبيله أقل ، مع ان الشراب اهم لحفظ البقاء من الطعام وذلك باعتبـــار أن الانسان يستطيع الصبر عن الطعام اكثر مما يستطيع الصبر على الشراب .

ولو تركتَ دافع الاكل والشرب ، الى دافـــع اخر أكثر اهمية ، ولكنه اقل وضوحا ، واعنى به الحاجة الى الهواء ، لوجدتَ المبادىء نفسهـــا صحيحة مع فارق : ان الطبيعة سخت بالهـــواء اكثر من سخائها بالماء والطعام ، وكأننا بالخالق عز وجل جعل الحاجة الأكثر لزوما اشد شيوعا وأكثر سهولة ليؤمّن للناس حفظ بقائهم .

الدوافع الفسيولوجية

ولقد درج علماء النفس على تسمية الدوافـــع ذات الصلة بحفظ البقاء الجسدى بالدوافـــع الفسيولوجية ، وذلك باعتبار انها تدفع الانسان لقضاء حاجاته الجسدية . وهكذا يكون الجوع والعطش والاحساس بالحاجة الى اخراج الفضلات والحاجة الى الحصول على الاوكسجين وسواها دوافع فسيولوجية ، أى تتعلق بوظائف الاعضاء فهى وظائفية .

وهم يضيفون الى هذه الدوافع الدافــــع الجنسى ، وذلك لأنه يقضى حاجة جسدية من جهة، ويخلد النوع من جهة أخرى .

وهم يرون أن هذه الدوافع ليست غرائز ، وان كانت فطرية مثل الغرائز ، وذلك لأنها تخضـــع للتربية والتعليم والتوجيه أكثر من الغرائز الموجودة عند الحيوانات . فالانسان لا يتعلم كبت دافعـه الجنسى والمحافظة على عفته فقط ، ولكنه يسترشد بعد ذلك بتعليمات الأديان وعادات المجتمع وتقاليد البيئة وأوامر القانون فى كيفية ارضاء دافعـه الجنسى .

الدين يقول له ان الزنى حرام ، والعـــادات تقول له ان عليه أن يتبع طرائق معينة فى الحصول على زوجه ، والتقاليد تحتم عليه ان يقوم بأفعال معينة حين يتزوج ، والقانون يفرض عليه أن يتخذ خطوات محددة ليكون زواجه شرعيا وهكذا ..

ثم ان العمل الجنسى نفسه أمر يخضـــع لتقاليد المجتمع وتعاليمه كما يخضع لمزاج الفـرد وظروفه ، وكذلك انجاب الاطفال والعناية بالحامل وغير ذلك من الأمور المتفرعة عن الزواج .

وفى هذا كله دليل واضح على أن هذا الدافع الفطرى خاضع للتربية والتوجيه بشكل يجعـل

فطريته أمرا يختلف عن فطرية الغريزة عند الحيوان .

فرويد والغريزة الجنسية

والذى قدمناه يوضح مدى مبالغة العالم النفسانى الشهير فرويد Freud وغيره من علماء التحليل النفسى فى أهمية الغريزة .

والواقع أن الذى لا يقرأ فرويد بكثير من الوعى والحذر ، ولا يحسن تفهم مراميه ومعانيه ، يخيل اليه أن الغريزة الجنسية مارد جبار يتحكم فى مصير الانسانية ، ويسود قدَر الانسان . وانها المحور الذى تدور عليه حياته ويرجع اليه كل فعل من افعاله . وفى هذا ضرر عظيم يعود على الفرد والمجتمع بأوخم العواقب وأسوأ النتائج .

ولنسارع فنؤكد للقارىء الكريم أن فرويد – بحد ذاته – أقرب الى المتنبئين منه الى العلماء. انه يرمى بنظرياته وآرائه دون أن يقدم لها البرهان العلمى والسند الواقعى . انه يفترض ثم يصدق ما يفترض ، ويبنى عليه وكأنه حقيقة علمية لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وليس معنى الذى قلناه ان الغريزة الجنسية أمر افتراضى ، انها أمر واقع وان كنا نفضل تسميتها – عند الانسان – بالدافع الجنسى .

بيد أن الدراسات العلمية قد أثبتت بما لا يقبل الجدل أن الدافع الجنسى يأتى فى مرتبة أدنى من كثير من الدوافع الاخرى كالدافع الى الهواء أو الشراب أو الطعام . ومن الحقائق التى يعرفها ابسط العوام أن الجوع يضعف الشهوة الجنسية وكذلك العطش أو فقدان الهواء الصالح للتنفس . بل ان الدافع الجنسى اضعف – عند الانثى على الاقل – من الدافع الأمّى .

ثم ان الدافع الجنسى يخضع للتربية بمعنى اننا نستطيع تربية الانسان على العفة بحيث يضبط دافعه الجنسى ويتحكم فيه وبذلك تكون العفة أمرا ليس ممكنا فحسب بل وضروريا . ومعلوم أن فى الناس من يلغى دافعه الجنسى الغاء .

ومعلوم بعد ذلك أن فى الناس من يخضع حياته الجنسية لقوانين صارمة وضوابط شديدة مما لا يستطيعه مع دافع الطعام أو الشراب .

واخيرا فالطبيعة قد نظمت تصريف الشهوة بحيث يستطيع كثير من الوسائل كالرياضة الجسدية أو الروحية أو الشعر أو الموسيقى أو سواها السمو بالدافع الجنسى وتصعيدَه .

الحوافز الاجتماعية

ولقد تعارف علماء النفس على تسمية الدوافع التى لا تتصل بالجسد وانما تتصل بالاجتماع والتنظيم الاجتماعى بالحوافز الاجتماعية . انهم يرون مثلا ان حب الانسان للتملك ، واندفاعه للتفوق ، وميله للمقاتلة دون ما يمتلك ويعتقد ، ورغبته فى التجمع ، انهم يرون أن هذه جميعها ذات أصل اجتماعى لا فطرى ، وأن الحياة الاجتماعية هى التى فرضتها وعممتها .

التملك حافز اجتماعى ، لا فطرى

ودليلهم على ذلك وجود مجتمعات بدائية لاتميل للتملك ، ولا تؤمن بالتفوق ، ولا ترغب فى القتال ، وانما تجتمع نظرا لادراكها فائدة التجمع والخيرات التى يعود بها الاجتماع على الافراد .

والحق أن الانسان حين وجد على ظهر هذه الأرض لم يكن يملك أو يميل الى الامتلاك ، وذلك على اعتبار أن الطعام والشراب كانا موفورين بدرجة لا تجعل الانسان يفكر فى غده . ولا شك أن الانسان الأول الذى قال ان هذه الشجرة له ، وان هذه القطعة من الأرض ملكه ، هو الذى بدأ فكرة الملكية، لا سيما حين اكتشف هو ومن اتى بعده أن الملكية قوة.والحق بعد ذلك أن فى افريقيا قبائل تعيش فى مناطق موفورة الخيرات ولذلك فأفرادها لا يميلون الى التملك ولا يحرصون الا على امتلاك أشياء يعلقون عليها أهمية من مثل الخرز الملون والصدف اللامع وما الى ذلك .

وفى الدنيا قبائل يعزف أفرادها عن الزعامةوذلك على اعتبار أن مهمة الزعيم – عندهم – الترويح عن افراد القبائل والتهريج لهم ، وضمان رفاههم، ولذلك فالناس يرون ان هذه المهمة شاقة وهم عنها راغبون .

وبديهى أن بين هذه الحوافز الاجتماعية والدوافع الفسيولوجية صلة كانت فى الأصل وثيقة ، فالانسان – يميل فى الاساس – الى امتلاك ما يقضى حاجته للطعام أو الشراب أو الدفء أو غير ذلك ، ولكن الانسان – وقتل الانسان ما أكفره – لم يلبث أن صار يميل الى تملك اشياء

ابعد ما تكون عن قضاء الحاجات الجسدية الأصلية: فهذا يميل لامتلاك الطوابع النادرة ، وذاك يميل لامتلاك السجاد الفاخر ، وتلك تميل لامتلاك الفراء الثمين . بل ان في الناس من يميل لامتلاك المال ، والمال فقط ... ليمتع به ناظريه وليعبده .. وهؤلاء مرضى ما في ذلك من شك .

الحوافز الفردية الشخصية

واذا ما تركنا الدوافع الفسيولوجية الوظائفية ، والحوافز الاجتماعية،وكلاهما عام بين الناس أو يكاد يكون ، صادفنا نوعا ثالثا من الدوافع هو الحوافز الشخصية الفردية : ان فلانا من الناس يريد ان يكون طبيبا ، وفلانا الآخر يحب أن يصبح غنيا ، وفلانا الثالث راغب في ان يكون شاعرا ، وفلانا الرابع يؤثر السلامة وكفاف العيش . فلم هذا ؟

ان الجواب على ذلك شاق عسير ، ويجب لدقته ان يرجع الانسان الى ماضي الفرد وحاضره ، الى الظروف التي عاش فيها والاحوال التي كان عليها ، الى بيئته وبيته ، الى وراثته ومحيطه ، الى العوامل التي كونته والدوافع التي دفعته .

ولكن تبقى ـ بعد ذلك كله ـ حقيقة واحدة ، وهي أن الفرد منا يندفع لاشياء ويرغب في امور قد لا يندفع لها سواه ولا غرب فيها غيره .

ومن هنا كان لابد لنا في فهم الانسان ـ اي انسان ـ من ان ندرسه دراسة مستفيضة تتناول حاضره وماضيه ، ووراثته ومحيطه ، ظروفه واحواله لنستطيع ان نحكم عليه .

انما المهم أن للانسان حوافزه وهي هامة جدا في فهمه أولا وفي اسعاده واسعاد مجتمعه ثانيا .

وبديهي أن هذه الحوافز الفردية على صلة ايضا بالحوافز الاجتماعية والدوافع الوظائفية ، ولكنها تتلون باللون الفردي .

اننا جميعا نحب أن ناكل ، ونحن ناكل لنحفظ بقاءنا ، ولكن فلانا من الناس يحب هذا الطعام ويكره ذاك لأسباب شخصية .

والخلاصة

والخلاصة اننا نقول بوجوب قصر الغريزة على الحيوان ، أما الانسان فيولد مزودا بدوافع فسيولوجية ، وهو يأخذ عن مجتمعه حوافز اجتماعية ، ثم تكون له لاسباب خاصة تتعلق بظروفه الخاصة حوافزه الشخصية .

وفي قولنا بقصر الغريزة على الحيوان رفع لشأن الانسان من المستوى الحيواني، كما أن في قولنا باجتماعية بعض الحوافز نفيا لقسوة الطبيعة البشرية وقولا بمرونتها وامكان تربيتها وتوجيهها . كما أن في اشارتنا الى الحوافز الشخصية تبيها الى ان لكل انسان فرديته التي تجعله عالما قائما بذاته برغم اتصاله بغيره من الناس ومشاركته اياهم في حوافزهم الاجتماعية ودوافعهم الوظائفية . وهذه في نظرنا ميزة الانسان عن كافة المخلوقات .

فاخر عاقل

طبيب الأسرة

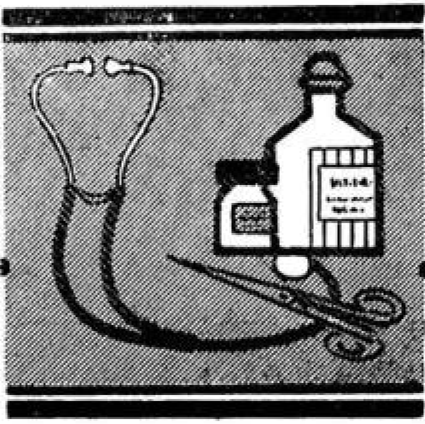

اى الأسرّة اصلح للنوم ؟

● سرايرنا اخترناها من النوع اللين جدا ، وقد قيل لنا ان لين الفراش الزائد مضر للجسم . والواقع اننا ، او على الأقل انى انا ، بدات احس الما فى الجزء الخلفى من ظهرى ، فهل سبب هذا الالم ان الفراش لين . وهل لأسرّتنا اللينة علاج . ؟

ـ لا شك انك تقصدين بلين السرير لين المرتبة ، وما تحت المرتبة من طبقة من الحديد تحملها . وهذا الحامل الحديدى اما اسياخ مفرطحة ، او زنبركات ، ومنها اللين ومنها الجامد . فالمرتبة ، وما تعتمد عليه ، هما اللذان يعطيان الجسم اللين والصلابة .

والواقع ان اللين الزائد مضر للجسم ، فهو يعطيه اوضاعا كثيرا ما تكون غير طبيعية الشكل . ولكن كذلك الفراش الجامد . انه غير مريح . وخير الأمور الوسط دائما .

وعلاج لين سريرك اللين ، يكون بان تضع تحت المرتبة ، الواحا من الخشب ، ثم جرب النوم اياما لترى ما اثر ذلك فى حمل جسمك . بهذا كثيرا ما ينصح الأطباء .

والمخدة اللينة ، الزائدة اللين تضر . يجب ان تكون المخدة لا واطئة جدا فتضر ، ولا عالية جدا فتضر . انها يجب ان تملأ الفراغ الذى بين راسك والفراش ، وانت نائم على جنبك . اى تكون بارتفاع كتفك عندما تنام على جنبك .

■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■

احتقان فى الشعب الرئوية

● سمعت حديثا أن الأطباء ابتدعوا علاجا للشعب الرئوية يمنع احتقانها عندما يصاب الانسان ببرد . وسمعت بانه عبارة عن مسحوق يشم منه الانسان ليدخل الى الصدر . فهل هذا صحيح ؟

ـ نعم ، هذه وسيلة جديدة للعلاج ، على شرط ان يكون المسحوق ناعما جدا ، وان تكون جسيماته صغيرة جدا . ومن هذه المساحيق مسحوق يدخل الى الشعب فيحلّ البلغمَ الذى بها ، وعندئذ يسهل طرده بالسعال . ولكن تجربته لم تتم بعد على ما نعلم .

■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■

القهوة والشاى ـ والصبّية

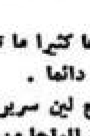

ـ نحن الكبار نشرب القهوة والشاى ولا نبالى . ولى ابن عمره عشر سنوات مغرم بالشاى جدا ، فهل يضره تعاطى الشاى ؟

● ان الشاى والقهوة بهما مركب

كيماوى واحـد ، اسمه كافئين ، هـو الأصل الفعّال فى تنبيه القهوة او الشاى. والرأى ان الكثرة من هـذه الأشربة ، وتركزها ، لا يَحمَد للأطفال ، ولم يظهر دليل الـى الآن يعكس هـذا الرأى . والمنبهات عامة لا تستحسن فى الأطفال ، ومنهم الحساسون جدا ، والذين يصيبهم الأرق الشديد من الشاى والقهوة .

فان كان لا بد من راى فلا بأس من شرب الشاى بانتظام لابنك ، على ان يكون مخففا ، وممزوجا باللبن والسكر .

الاعتدال ، الاعتدال ، دائما حكمة ، دائما بالغة .

أظافرُ مريضة

ـ اظافر رجلى تغير شكلها تغيرا غريبا مع انى لا البس الا الاحذية المريحة،فهل كان التغير فى شكل هذه الأصابع عن مرض اصابها ؟

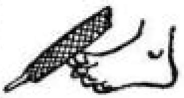

● ان كل الأمراض التى تصـيب الأظافر تغيِّر شكلها فى العادة . وقـد يصحب هذا التغيُّرَ خطوطٌ تظهـر فى الظفر ، افقية بالنسبة للظفر او عمودية، او نقاط . وهى أمراض تصيب الجلد ثم تمتد الى الأظافر . ومن أسبابهـا صنوف من الفطر . وهى انـواع من النباتات معروفة، وبعضها المَرَضِىُّ. ومن الأظافر ما يتغير شكله ، ولا نستطيع ان نرد ذلك الى سبب معروف . فظفـر الابهام فى الرجل قد يتضخم ، ويتصلب، ويتحدب ، ويتخذ شكل المخلب. ويمنع تصلبه من قصه ، ويضطر صاحبه الى استخدام المبرد لازالة الزائد منه ، أو حتى المنشار . وقد يؤدى الحال الى خلع الظفر واخراجه من جذره .

هل تشفى القرحة بالعلاج النفسانى ؟

ـ زوجى اصابته قرحة فى معدته ، ويقال ان شفاء هذه القرحة يكـون بالايحاء . وانا اشك فى هذا ، فماذا ترى ؟

● لعلك تريدين بالايحاء العـلاج النفسـانى . واذن فتوجد عدة من الأطباء ترى أن العلاج النفسانى له عمل نافع فى الشفاء من القرح .

والحق ان للنفس علاقة ، ليست هى كل العلاقة ، بالقرحة تصيب المعـدة

انتفاخٌ تحت العين

ـ ظهرت تحت عيناى جيوب منتفخة ، قال لى طالب طب قريب لى انها تكون بسبب مرض فى الكلية ؟ ! ان سنى .؟ عاما ، وانا لم امرض فقط ..

● ان هذه الجيوب التى تصف ليست الا انتفاخا فى الجفن الاسفل للعين . وهى قد تكون بسبب تعب يصيب الكلية . ولكن يصحب هـذا ايضا انتفـاخ فى اليدين والرجلين . ولكن للتأكد مـن متـاعب الكليتين لابد من فحص البول وفحص الدم ، ولا سيما تقدير ما فى الدم من المادة المعروفة بالبولينة ولكن ليست متاعب الكلية هى وحدها السبب الوحيد الذى يكون لهذا الانتفاخ . فهناك اسباب اخرى . ومن هذه الأسباب نقص فى المادة التى تفرزها الغدة الدرقية .

ان هذا الانتفاخ اذا طال بقاؤه وجب على صاحبه ان يستنصح الطبيب .

او الاثنى عشرى . فالملاحظ ان القرحة تصيب غالبا الناس الذين من عادتهم القلق والهم والاحساس الشديد بالمصيبة اذ تحل . وقد يصاب الرجل بنكبة أو هزة من جراء حادث ، فتظهر من بعد ذلك قرحة فى معدته .

ومع هذا ، فالراى عندى انه من الخطأ ان لم نقل من الاجرام ، ان يترك الانسان العلاج الطبى ، ويعتمد على النفسى . شيء مؤكد ، وشيء مشكوك فيه . وترك العلاج اعتمادا على معالجة المرض نفسانيا ، معناه ترك القرحة تمتد ، وقد تخرق المعدة .

الراحة والهدوء وخلو البال اشياء لازمة . ومعها لا بد من العلاج الطبى .

وشيء لا بد ان لا ينسى ، ان من القرح ما يشفى من ذات نفسه . وعندئذ يقول الناس انه بسبب العلاج النفسانى !

غثيان من حمل ؟

ـ احسُّ فى كل صباح بغثيان نفس ، مع انى موقنة بانى غير حامل . فهل لميعان النفس هذا اسباب اخرى ... ؟

● نعم ، له اسباب كثيرة محتملة . ومن اسبابه الاسراف فى الطعام او فى الشراب او فى الدخان . فمثلا قد تكونين تدخنين اكثر من ١٥ سيجارة فى اليوم . ففى هذه الحالة يجب ان تهبطى بهذا العدد الى خمس سجارات او ست ، او تمتنعى عن التدخين كلية . وقد يكون من اسباب الغثيان امراض تتعلق بالهضم ، وعلى الأخص امراض الكبد وامراض المرارة . استنصحى الطبيب .

ولدي متخلف الذكاء

ـ ولدى الوحيد متخلف الذكاء ، يصعب عليه المشى مع الاخرين فى المدرسة ، فهل تنصحنى بحجزه فى البيت ، وتعليمه فيه ، ام ابعثه الى المدرسة بالرغم من تخلفه وليكن بعد ذلك ما يكون ؟

● ان الولد المتخلف فى ذكائه وفطنته نوعا ما ، يكون تعليمه فى البيت أسهل من تعليمه فى المدرسة . وهذا يتوقف على مقدار تخلفه . الا ان تكونين فى جهة يكون بها مدرسة بها فصول خاصة للمتخلفين ، تلك الفصول التى دعا الى انشائها ما كشفته البحوث التربوية من ان هناك تفاوتا عظيما بين التلاميذ فى الذكاء والغباء المفرط الذى يكاد يكون مرضا ، وان وضع الغبى المفرط الغباء ، فى زمرة ذكية او معتدلة الذكاء ، مثبط لهمة المتخلف ، محرج له احراجا يزيده مرضا .

فاذا لم يكن من التعليم بد ، فسوف تجدين أن ألفته البيت سوف تعينه على التغلب على ما يعترض فهمه من صعاب . وعندئذ يجب أن لا يزجر وان لا يؤنب ، وان يعطى فى صبر من عادات الفكر السليم ، العادة من بعد العادة ، وهو عندئذ يتقدم . واذ يحس بتقدمه يجد الثقة فى نفسه للمتابعة . نعم ، الثقة ، الثقة ، فليس ادعى للتقهقر والتأخر من ضياع الثقة واليأس .

وهو وحيدك ، فهذا سوف يعطيك من الصبر الشيء الكثير ، وينشىء فى قلبك حصة من الحب والحنان كبيرة تعينك على ما أنت فيه .

ان من الخطأ ان يحسب الوالد او الوالدة ، اذ يجدان نفسيهما فى حال من الفطنة مرضية ، ان كل خلف يأتيانه يكون من الذكاء حيث كانا . ان المولود كما يرث الضعف فى جسمه ، يرث الضعف فى عقله . ولله فى خلقه شئون . ■■

امرأة عظيمة

أى النساء أصلب عودًا : نساء الأمس أم نساء اليوم ؟

■ ان المرأة دائما موضوع يثار . وهو موضوع له الف زاوية يثار منها . وهو موضوع حرص على اثارته كل الناس ، فى كل قطر ، وفى كل زمان .

والزاوية التى كان يثار منها هذا الموضوع ، فى تلك الليلة التى حضرتها ضيفا سامعا لا آخذ من النقاش بنصيب ، فى بيت متوسط من بيوت عاصمة الامريكان ، اقول كانت الزاوية ، زاوية النقاش عن مرأة اليوم ، ومرأة الأمس ، ايهما أصلب عودا ، واقدر على تحمل اعباء الحياة ، وصدمات الحياة .

والامس عند الامريكان انما هو امس المهاجر الاوروبى الذى اخذ يحوز ارض امريكا بالقوة والعنف شبرا شبرا ، بينا الهنود الذين اسموهم الحمر اخذوا يدافعون عن ارضهم ، الوطن ، شبرا ، شبرا .

أُطلقت الطلقة الاولى فى هذا الجدال ، ضيفة فى الحاضرين والحاضرات .

قالت فيما قالت : « ان المرأة ايام الهجرة الاولى قامت من الأعمال ، فى حقل او غابة ، بأشقها . كانت تطبخ ، وتغسل ، وتغزل وتنسج وتحيك ، وفى كل هذه الأثناء هى ملقية عينها الى امام والى خلف ، والى يمين والى شمال ، تتوقع هنديا احمر ماكرا يتسلل الى بيتها ، فيضربها بسهم يقتلها لتوّها ، او يقتل احد ابنائها وبناتها . اما المرأة اليوم فقد تغنمت ولانت ، وتميعت ، ولبست الأنيق ، ومع الأنيق الغرور . الست على حق فيما أرى ؟ »

طلقة من القول ، تلتها طلقات .

وجرى الحديث متصلا بين رشفات من القهوة ، وقضمات من البسكوت

الخفيف من بعد عشاء .

وانتهى الأمر ، كالعادة ، على غير شيء حاسم . بعض يرى رأى الضيفة ، وآخرون واخريات ، رأين نقيض مارات.

كان الحفل حفل حديث لا محكمة ، ولهذا لم يكن يُرجىً لهذا الحديث نتيجةٌ حاسمة. واكثر الحديث للتسلّى.

وانفض اكثر القوم . وبقيتُ فى القليل ، انا وامراةٌ عجوز .

لم يكن على وجهها او فى ثيابها ما يلفت النظر ، سوى شيئين : شيء من خطوط قاسية بين حاجبيها ، يخفّف من قساوتهما تجاعيدُ تظهر حول فمها اذ تبتسم فتشيع طيبة فى هذا الوجه كانت خافية . اما الشيء الثانى : فسوادٌ فى اللباس شديد قاتم ، يقابله بياضٌ فى شعر الرأس غالب .

لم اكن اعرف الكثير عن هذه السيدة الشيخة . كل ما عرفت عنها من صاحبة البيت ، مضيفتى ، انها ارملة ، وانها فقدت فى الحرب احد ولديها ، وانها لا تزال تعمل مديرة مكتبة عامة فى ضاحية من ضواحى العاصمة .

ولفتنى الى هذه الارملة ، واغرانى بها ، انها ظلّتْ طول ذلك النقاش تنصت ولا تتكلم . واذ خلوتُ اليها ، بدا لى ان اسألها سؤالا بقصد بسيط واحد ، ان اجرى بينى وبينها حديثا يخرج بنا عن الصمت .

سألتها عن رايها فى امر المراتين ، امراة اليوم وامراة الأمس .

قالت : فى شيء من الابتسام :

« ان امراة الأمس ، يا عزيزى ، كانت لها اعمال شاقة ومخاوف شتى . الا انها اعمال ، على المشقة ، محدودة معروفة ، ومخاوف مرئيّةٌ ، مجسّمةٌ ، يشار اليها بأصبع . ذئب تراه عند الباب ، فتجرى ترفع بندقية عن حائط وتطلق منها الى هدف معلوم . هكذا كان عيش الحقل وعيش الغابة . وكل عيش بدائى لم تدخل اليه معقدات المدنية ومركباتها . وامراة الأمس ، اذ تطلق بندقيتها هكذا ، تطلق من نفسها طلقة مثلها . وبهذا هى ترضى نفسا ، وترتاح الى نتيجة » .

« ولكن اى بندقية تطلقها امراة اليوم، والى اى هدف ظاهر ، فى خضم هذه المدنية العارمة . ان المراة اليوم قد ترى اطفالا لها جياعا ، وزوجا يخرج كل يوم ، يجوب الطرقات ويغشى الهيئات والمحلات ، ثم يعود كل مساء وقد برى رجليه السعى وملأ جسمه التعب . وتظل هى صابرة ، وقد تبتسم »

« ان اشهرا او سنوات ، تجرى هكذا على الأسرة ، تحطمها . تحطمها فيها مخاطرُ لا تراها . مخاطر غير مرئية . مخاطر غير ملموسة . ليست هى بذئب فى غابة ، او هندى احمر يتسلل من بين اشجار. هذه المخاطر التى لا تلمَس ولا ترىَ تأكل الاجسام ، تستهلك الأعصاب . وامراة اليوم التى تحتمل كل هذا ، وامراة اليوم التى خاضت فى حياتها حربين ، ومرت

بضائقتين ماليتين ، وخرجت منها كلها بجسم به بعض عافيـة ، ونفس شبه راضيـة ، امراة لا تقل صلابة عن جداتها. امراة لم تكن لتلين ، ولم تتميعْ ، ولـم يصبها شيء من غرور . الا تتفق معى فى هذا ؟ »

قلت : اتفق .

واستطردت تقول :

« وذكر الاخوان والاخوة هنا تهافت الفتيات عـلى السينما ، اذ يقفـن على ابوابها صفوفا طـويلة ، يطلبـن لذة . وعدُّوا هذا نوعا من الضعف والميوعة . ونسُوا انه ان قامت غدا حرب ، فهؤلاء النسوة هن انفسهن سوف يقفن صفوفا، لا عند باب فِلم ، بل عنـد باب جـزار يطلبن اللحم رِطلا ونصف رطل . أو هن يقفن عند ابواب اهل الخير ، من هيـئة حكومية ، أو غير حكومية ، يطلبن عندها بعض ما قطعته الحرب عنهن من ارزاق ، أو رفع ما اصابتهن به من ارزاء » .

وانقطع الحديث .

قطعه شاب جاء يأخذ امّه الى البيت . وكانت هذه الأم صاحبتنا العجوز . كان طويلا ذا وجه مليح . واحتضن امـه ، وقبلهـا على خدَّهـا ، ثم ذهب يطلب ثيابها .

وقامت السيدة . وسلمت . وخرجت .

واردت ان اغادر انا ايضا ، فأمسكوا بى لأشاركهم فى شراب أخير ساخن .

وعلى هذا الشراب قال صاحب البيت: كان نقاشا ممتعا ذلك النقاش عن نساء الأمس واليوم .

فقلت : اما انا فقد استمتعت بحديث هذه السيدة التى ذهبت الساعة .

قالت : صاحبة البيت : انها مدام آدم .

قلت : أهذا اسمها ؟

قالت : نعم .

واستطرد الزوج يقول لزوجتـه ان قصة حياتها ، قصة رائعة ، ولست ارى فى سردها ما يسيء .

قالت الزوجة : ليس فيها ما يسيء ابدا .

واخذ الزوج يحكى . قال :

« وقع هذا منذ زمن طويل . كان فى حى الأعمال وكيل اموال ، يقـوم عـن الناس باستغلالها . وكان له اسم طيب مسموع . وكان اسمه السيد مرجان . وجاءت الضائقة المالية الكبرى فقضت عليـه كل القضـاء . وافلس ، وافلس الكثير من عملائه . وجاء عميل ، فقد كل ماله ، واخرج مسدسه ، واطلقه ، وقضى على السيد مرجان فى دقيقة .

وحوكم بالطبع هذا العميل القاتل . وحكم عليه بالموت .

ولكن ماذا أفاد هذا الحكم السـيدَ مرجان ، وكان قد خلف وراءه طفلـين صغيرين لا عائل لهما ، وأمّاً لهما .

وكانت الأم اعتادت الكثير من الرخاء. فلما حل بها ما حلّ ، حاولت أن تصمد، فلم تستطع . وتنتهى بها الحـال الى اليأس ، فاعتزمت امرا .

وذات يوم شم الجيران الغاز يخرج من ناحية بيتها ، وبحثوا ، واخيرا فتحوا باب مطبخها، فاذا بها والطفلين فى غيبوبة. واجروا الاسعاف لهم . اما الأم فكانت قد ماتت . واما الولدان فنجوا .

عندئذ تقدمت امراة شابة تطلب ان يوكل اليها امرُ الطفلين . وكانت هذه المراة هى . . . مدام آدم هذه . التى هى اليوم عجوز .

قلت : اذن كانت ثرية .

قال الزوج : لم تكن ثرية قط . كانت على فقر . وفوق ذلك كانت أرملة .

قالت الزوجة : واستقبلت بالطفلـين حياة شاقة ، ولكنها واجهتها بقوة . انا اعرفها منذ زمن طويل . واحدّثها عـن جهادها هذا فتأبى أن تتحدث فيه . ومع هذا عرفت عنه الكثير . انه بدأ عنـد صفوف الحساء فى مطاعم الفقراء . ثم

انتقلت فيه من عمل دنيء الى آخر وطيء. وحضرت برامج فى ادارة المكتبات آخر الأمر ، واعطى لها هذا العمل على السنين شيئا من الاستقرار .

قال الزوج : والغريب فيها أنها رغم هذا الضيق ، وتلك الأعاصير التى صادفتها فى الطريق ، بقى فى عقلها الكثير من الاتزان،وفى حسها الكثير من الفكاهة. وكبر ولداها فتبنتهما . وترى الثلاثة فتحسب أنهم فى نعيم مقيم .

وفقدت الولد الأكبر فى الحرب .

وبقى لها الشاب الأصفر . هذا الذى جاءها الليلة فصحبها الى البيت.

قلت : لا بد أن مدام آدم كانت تعجب بالسيد مرجان اعجابا كثيرا. فلما قتل، اتجه اعجابها وحبها الى بنيه .

قال الزوج : لا. لا. ان . ان مدام آدم ما كانت تعرف مرجان الا عند وقوع الضائقة المالية .

قلت : اذن فكيف .. ؟

فلاحقنى الزوج يقول فى بطء وهدوء صوت : الحقيقة هى أن آدم ، زوج مدام آدم .. هو قاتل مرجان . فقامت السيدة تكفر عن جريمةزوجها باحتضان ابنائه .

حديث جرى فى عاصمة الأمريكان ، يجرى مثله فى كل البلاد ، وفى بلاد كنعان وقحطان .

المرأة ربة البيت ، وعاملته ،وحارسته، تلتقى على البداوة أخطارَ الحياة،ماثلةً مرئيةً ، ملموسةً ، أما على الحضارة المركبة المعقدة ، فهى ليست ترى هذه الأخطار حتى تخرج هذه الأخطار من الضباب القريب،فلا يأذن لها هذا القرب القريب بالزمن الذى تتحصن فيه ، أو تتجهز لتضرب أو تدفع .

والحياة أقسى من أن تلين لها امرأة أو رجل .

طرائف عربية

هذه هى السعادة

● « اللذة الحقيقية التى تجعل للحياة قيمة ، ليست حيازة الذهب، ولا شرف النسب ، ولا علو المنصب ، ولا شيئا من الأشياء التى يجرى وراءها الناس عادة، وانما هى أن يكون الانسان قوة عاملة ذات أثر خالد فى العالم » .

(قاسم امين)

قالوا ..

● من تخلق بالخلق الجميل وله خلق سوء اصيل، فتخلقه لا محالة زائل، وهو الى خلقه الأول آيل ، كطلى الذهب على النحاس ، يتسحق وتظهر صفرته للناس .

(جعفر بن محمد)

● ما الجزع مما لا بد منه ، وما الطمع فى ما لا يرجى ؟

(عمر بن عبد العزيز)

هشاشة

أعالج من نفسي بقايا حُشاشة ... على رَمَق ، والعائداتُ تَعُودُ
فإن ذُكِرَتْ لُبْنى هَشَشْتُ لذكرها ... كما هشَّ للثدي الدَّرُورِ وَلِيدُ

(قيس بن ذريح)

حمار لا كالحمير

● قال الهيثم بن عدى : بينما انا فى الكوفة اذا برجل مكفوف البصر، وقد وقف على نخاس من نخاسى الدواب ، فقال له : ابغنى حمارا ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، اذا خلا له الطريق تدفق ، واذا كثر الزحام ترفق ، وان اقللتُ علفه صبر ، وان اكثرته شكر ، واذا ركبته هام ، وان ركبه غيرى نام !

قال له النخاس : يا عبد الله ، اصبر ، فاذا مسخ الله القاضى حمارا ، اصبتُ به حاجتك ان شاء الله !

امام العبد

● قابل امام العبد،الأديب الكبير، وكان أسود ، قابل احد أصدقائه ، وكان يدعى « محمود » ، وكان يمزح مع امام ويغالى فى المزاح ، ومرة سأله:

ــ ما قولك يا امام فى قصيدة المتنبى التى مطلعها « عيد بأية حال عدت يا عيد » أليست من أحسن القصائد وأصدقها ؟

لو تراحم الناس ..

● « لو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ، ولا عار ، ولا مغبون ، ولا مهضوم ، ولأقفرت الجفون من المدامع ، ولاطمأنت الجنوب في المضاجع ، ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع ، كما يمحو لسان الصبح مداد الظلام » .

(مصطفى لطفى المنفلوطى)

غـــريم

باتـا بأنعـم ليـلة حتى بـدا صُبْحٌ يُلَوِّحُ كالأغرِّ الأشـقرِ
فتلازما عند الفراق ، صبابةً ، أخْذَ الغريمِ بفضْلِ ثوبِ المُعْسِرِ

(العرجى)

خرج ولم يرجع

● قال رجل لابن شبرمة : من عندنا خرج العلم اليكم .

قال : نعم ثم لم يرجع اليكم .

حديثها

وحـديثُهـا كالقطـر يسمعـه راعى سِنِينَ تتابَعَتْ جَدْبَـا
فأصاخَ يرجـو أن يكون حيَـاً ويقول من فَرَحٍ : هَيَا رَبَّـا

(الراعى النميرى)

وصـديق

وقد اراد أن يشير الى قول المتنبى :

لا تشتر « العبد » الا والعصا معه
ان العبيد لانجـاس مناكيـد

وفطن لذلك امام وكان سريـع الخاطر فأجابه : طبعا لقوله :

ما كنت احسبنى احيا الى زمن
يسيء لى فيه كلب وهو «محمود»

بخيل وابنه

● خرج بخيل مع ابن له بعد العشاء ، وفى الطريق ذكر ان ابنه ترك القنديل فى البيت من غير ان يطفئه ، فقال له :

لقد خسرنا بذلك درهما . ثم امره بالعودة لاطفائه . فلما فعل ورجع قال له :

لقد خسرنا بذلك اكثر لانك ابليت من حذائك ما يساوى درهمين !

فرد الابن : اطمئن فقد ذهبت وعدت حافيا

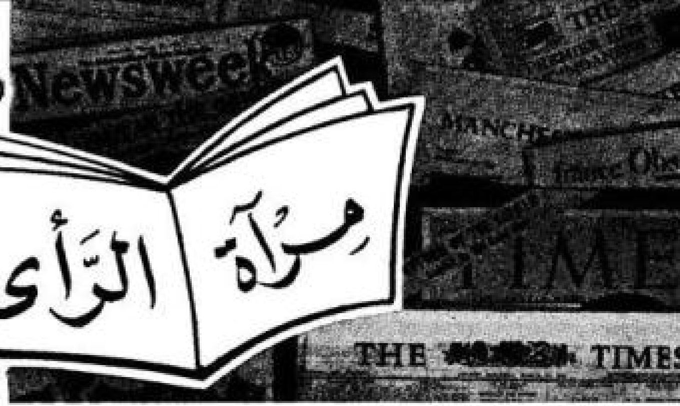

مرآة الرأى الغربى

((اسرائيل)) فى مخيلة أفراد المنظمة السرية !!

● بعد سالان .. عادت منظمة الجيش السرى الفرنسية فى الجزائر الى تنظيم صفوفها وتعديل خططها فى العمل: فى فرنسا والجزائر على السواء.

.. ولكن ، كم ستدوم مقاومتها ؟ ان الخسائرالتى تتكبدها المنظمة فادحة ، والضربات التى تتلقاها قاسية قوية .. مما لن يمكنها من البقاءطويلا ، ويجعلها معرضة للانحلال والزوال .

ويتساءل المسؤولون فى باريس من جهتهم ايضا:((ترى ، كم يلزمنا من الوقت كى نصفى هذه المنظمة التى ستجعل ـ ان استمرت فى ارهابها ـ قيطاعى" سكان الجزائر فى حالة تحفز دائم ؟! ..))

والقمع ليس أخطر ما يهدد منظمة الجيش السرية ، بل ان هناك ما هو اشد خطرا : ذلك هو بدء عصيان المستوطنين الاوروبيين لاوامر المنظمة السرية ، وهى الأوامر القاضية بعدم مغادرة الجزائر . اذ أن جماهير المغادرين يوميا تنتظر ، متدافعة متزاحمة ، أن يفسح لها المجال لاحتلال المقاعد الشاغرة فى الطائرات المغادرة ـ تلك هى اولى علامات التخلى عن المقاومة !! ومن يمضى فانما يمضى عن يأس . كما ان من لا يستطيع الرحيل ، يأمل فى الا تهدد اعمال المنظمة السرية مستقبله فى الجزائر .

وتلوح أسطورة أسرائيل فى مخيلة عقول الذين يديرون المنظمة السرية فى الخفاء ، كمثل اعلى تتحلق حوله الأقلية الأوروبية بافتتان وحماس : وهى اسطورة ستقود المفتونين بها الى الانحدار والزوال .

هذه هى اللعبة الدائرة الآن فى الجزائر ضمن اشواط قصيرة لن يمتد اجلها المحدد الى اكثر من بضعة اسابيع قادمة ..

(ب. م. ديلاجورس)

عن مجلة ((فرانس اوبسرفاتور)) ـ باريس

الكفاءة أولا

● هل تساءلت فى يوم من الأيام لماذا نجحت شركة فورد فى بريطانيا ذلك النجاح الباهر ؟

اذا كان الأمر كذلك فما عليك الا أن تنظر كيف تملأ تلك الشركة الوظائف العليا الشاغرة فيها .

لقد اختارت كمدير ادارى لها ((آلن بارك)) الذى بدأ العمل مع الشركة قبل ثلاثين سنة براتب قدره جنيهان استرلينيان فى الأسبوع !

ومستر بارك هذا يخلف فى الوظيفة ((تشارلز تاكر)) الذى كان أول عمل تسلمه فى الشركة هو ((كاتب)) فى قسم قطع غيار سيارات فورد الصغيرة .

لماذا نلوم أديناور ؟

● هناك حملة غير عادية بدأت تبرز بين أعضاء البرلمان البريطاني ضد الدكتور اديناور .

انه هدف للهجوم من كلا الجانبين فى مجلس العموم ، بسبب الملاحظات التى أبداها حول بريطانيا والسوق الأوروبية المشتركة ، فى مقابلة أجرتها معه جريدة « لوموند » الفرنسية .

ولكن ماذا قال الدكتور اديناور فعلا ؟

اولا : اوضح الدكتور اديناور أن بريطانيا ، فى نظره ، يجب ان لا تعامل كجزء من القارة الأوروبية. وهو فى هذا على حق .

وثانيا : ان الكومنولث البريطانى لا يمكن ان يامل فى البقاء على وضعه الراهن ، اذا انضمت الى السوق المشتركة .

وهذا ايضا هو الحقيقة بعينها .

ان الدكتور اديناور يستحق الثناء والمديح . لا اللوم ، لاظهاره الحقائق التى كان الوزراء البريطانيون ، بكل اسف ، يحاولون اخفاءها .

جريدة « الأوبزرفر » ــ لندن

الثقافة وارتياد الفضاء

● حينما سئل الكولونيل « جون جلين » عمايستطيع الشاب الذى يرغب فى ارتياد الفضاء عمله ، كى يهيىء نفسه لهذه الغاية ، أجاب امام لجنة الفضاء التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكى بما يلى :

« ان أحسن نصيحة أسديها هى أن يحصل هؤلاء الشباب على اكثر ما يستطيعون من الثقافة العامة ، وأن يدعوا مواهبهم الخاصة ترشدهم الى الميدان الذى هم مؤهلون له بطبيعتهم .

وقبل مائة عام نصح « هوراس جريلى »الشباب الذين يرغبون أن يصبحوا روادا بان « يتجهوا غربا » . أما رائد الفضاء الأمريكى فانه اليوم ينصح الشباب الذين يميلون الى المغامرة ان يتجهوا أول ما يتجهون الى الكتب .. نصيحة ثمينة لقادة ورواد المستقبل .

جريدة « بفالو ايفننج نيوز »

ومستر تاكر بدوره حل محل « سير باترك هينسى » ــ رئيس فورد الحالى ــ الذى بدأ أيضا من أسفل .

ان أى شاب ينضم الى شركة فورد ــ مهما كانت الوظيفة التى يشغلها وضيعة ــ يعرف أنه اذا كانت لديه الموهبة سيجد قاعات مجالس الادارة مفتوحة أمامه على مصراعيها .

انه لأمر عظيم حقا أن تحذو الصناعات البريطانية حذو شركة فورد بدلا من أن تكدس غرف مجالس ادارتها بكبار الضباط المتقاعدين، أو بذوى الألقاب المدمنين .

مجلة « سبكتيتور »

■ ورأت الحاجة صفية ان تصلح اخطاء القدر ، فراحت تغرى رمزية بالطلاق ..

الحاجة صفية

قصة بقلم : محمود سيف الدين الايرانى

ما عرفت امراة قط كالحاجة صفية ! درجتُ صبيا يلعب في ازقة الحارة ، وكنت لا تكاد تقع عيني عليها ، وهي مقبلة ، حتى اكف عن اللعب ، واشعر ان قلبي قد امتلأ سرورا بلقائها ، واني احبها كما احب امي وجدتي العجوز الطيبة .

وكانت الحاجة صفية تتمهل اذ تراني ، ويفتر ثغرها عن اجمل ابتسامة ، وتصوب نحوى نظرة كلها رقة وعذوبة . وكنت عندئذ اهرع اليها بشوق ولهفة ، فاقبل يدها واقف معها كاللائذ بها ، فتمسح رأسي براحة يدها الطرية ، وتقول وهي لا تنفك تبتسم :

ـ عشت يا ولدى ، وحفظك الله ، وبارك فيك .

ثم تسائلني عن امي وابي وجدتي ، وتحملني سلامها الى الأسرة كلها ، وتعود تمسح رأسي بكفها وتدعو لي بطول العمر والنشأة الصالحة ، وتمضي من ثم مشرقة المحيا ، متئدة الخطو،جليلة السمت ونقابها الابيض الناصع على رأسها ينطق بنقاء قلبها وصفاء سريرتها .

واحسب أنها كانت في نحو الاربعين من عمرهـــا

اذ ذاك ، قصيرة القامة ، ممتلئة البدن ، بيضاء البشرة ، صغيرة العينين ، وكان يخيل الىّ دائما ان هالة من نور تندّ عنها وتجذبني اليها اجتذابا.

وكان زوجها المعلم درويش صاحب مقهى صغير ، ضيق ، على ناصية زقاقنا ، يعمل فيه قبل بزوغ الشمس ويطفىء أنواره ويغلق بابه بُعَيد العشاء ، ولا يخطو خطوة واحدة الا بعد ان ينفض «شرواله» ويتحسس شملته الحريرية ويعدل طربوشه ويحكم اماله ويتنحنح ويحمد الله ، ثم يمضى الى بيته فيتوضأ ويؤدى صلاة العشاء ، ويتناول طعامه مع الحاجة صفية ، ويروح من بعد يدخن « نارجيلته » ويحادث زوجه ساعة من زمن ، ولا يلبث بعد ذلك ان ينهض الى فراشه راضيا عن نفسه وعن الدنياء عامر القلب بحب الحاجة صفية ، بركة زقاقنا كله!

وحتى بعد ان كبرت ، وغدوت شابا ، كانت الحاجة صفية تستوقفني فتدعو لى بطول العمر والتوفيق ، وتبسط كفيها ضارعة الى الله ان يحرسنى ويقينى السوء ، ويبعد عنى أولاد الحرام ...

وكانت قد هرمت ، ولكنها ظلت مع ذلك محتفظة بوضاءتها وحلاوة حديثها ، ورقة قلبها.وكنت اسمع امى تقول :

ــ انها والله نور هذا الزقاق .. ولا ادرى كيف يكون بدونها !

وكانت الحاجة صفية ــ الى ورعها وتقاها ــ تحس كأنها مسؤولة عن أحوال اهل الزقاق : يهمها ما يهمهم ، ويسعدها ما يسعدهم . ولهذا كانت تسعى فى اصلاح ذات البين ، وتسدى لهم النصح ، وتقول الكلمة الطيبة تهدىء بها الفرائز الثائرة ، وتطفىء جمر الغضب من الصدور ، ويظل هذا دأبها حتى تفىء النفوس الى الرضا والاطمئنان ،فينشرح صدرها،وتتألق الابتسامة على شفتيها وتروح تتمتم:
« الحمد لله .. الحمد لله على كل حال .. »

وكان الرجل،من اهل الزقاق،اذا اقبل الى بيته،ولم يجد زوجه ادرك من فوره انها عند الحاجة صفية تشرب القهوة ، وتستمع الى حديثها وحكاياتها اللطيفة ، فيطمئن ولا يداخله ريب فى أن امرأته ستغادر بيت الحاجة صفية وهى أشد احساسا بسعادتها وهناءة بيتها وحب زوجها وبنيها لها .

ومع ذلك فنحن لا نذكرها اليوم الا وتمتلىء قلوبنا اسى ، وتروح نهز رؤوسنا اسفا ، ولا يكاد ينقضى عجبنا لما فعلت .. ويخيل الينا اننا نراها كما كانت فى أواخر حياتها ، وقبيل وفاتها ، وهى تروح وتجىء فى دروب زقاقنا الطويل ساهمة النظرة جامدة الملامح ، تضرب كفا بكف ، وتعوذ بالله من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس وتردد قائلة بلا انقطاع :

ــ لا حول ولا قوة الا بالله .. لا حول ولا قوة الا بالله .. انما اردت أن أصلح خطأ ..

والذى حدث أن الفتى « عوض » الآذن فى المحاكم تزوج رمزية احدى حسان زقاقنا . وكانت رمزية غندورة أحلى ما فيها مرحها ، وخفة روحها ، وضحكتها العالية التى تكشف عن ثنايا ناصعة،تزينها سن ذهبية الى الجانب الأيسر من فمها .

ومضت أيام .. وثار الخلاف بين الزوجين ، وحاولت الحاجة صفية كمألوف عادتها أن تصلح ما يوشك أن يفسد من أمرهما . ونجحت مرة واخفقت مرة ، لم استقر فى روعها أن الفتى«عوض» لايصلح زوجا لرمزية الجميلة ، اليتيمة ، فهو سيىء الطبع ، سريع الغضب ، بخيل ، مقتّر على نفسه وعليها..وكانت تتحدث بهذا كله الى جاراتها،وتقول:

ــ ان زواجهما خطأ .. خطأ كبير .. وهو الحظ الأعمى .. والنصيب المقدور .. ولكن .. لا بد من اصلاح الخطأ ..

ومنذ تلك اللحظة دخلت الحاجة صفية فى صراع مع القدر الذى ارتكب ذلك الخطأ ، وجندت لذلك دهاءها النسوى الكامن فى قرارة نفسها ، ففتحت قلبها وبيتها لرمزية ، فقربتها ، واكرمتها ، وجعلت على الايام توغر صدرها على زوجها وتقول انه فتى خائب ، وانه لا يساوى قلامة ظفرها ،وانها كانت خليقة بزوج كريم ، عطوف ، يعرف قيمتها ، ويضعها فى قلبه ..

وكانت رمزية تسمع هذا صامتة، مفكرة ،وتسائل نفسها : أتصدق ما تقوله الحاجة صفية ؟ وتذهب من ثم الى بيتها وتروح تراقب زوجها وتؤول حركاته وسكناته ، وتفسر على هواها صمته وحديثه فيتراءى لها أن ما تقوله الحاجة صفية صحيح ، ويقع فى وهمها انه رجل سوء ، وأن بقاءها معه نكد لا ينتهى وشقاء مستديم سيفضيان بها الى الضياع .. فتغضب عندئذ وتثور ، ويحاول زوجها أن يسكتها فتصرخ وتولول وترميه بالحمق واللؤم والبخل وقلة المروءة ، وتقول فيما تقول :

ــ ما أنت والله من الرجال .. ويكفى أن يكون

لك هذا الوجه الدميم ، وهذه القامة العجفاء ، وهاتان العينان المدورتان ، وهذا العبوس الكريه .. لكي تعافك النساء .. طلقني .. وارح نفسك .. وارحني ..

ولقد فسد ما بينهما تماما ، فطلقها وتنفس الصعداء ...

وقالت لها الحاجة صفية وقد استخفها السرور، وايقنت انها توشك ان تصحح الخطأ الجسيم الذى ارتكبه القدر :

سيكون مصطفى افندى زوجك .. ولو انصفتك الحياة لكان هو أول بختك ..

وكان مصطفى افندى موظف أشغال ، وقد جاوز الثلاثين من عمره ، وظل يعاني العذاب المرير من بقائه سنوات طوالا فى اعلى مربوط الدرجة العاشرة، لا يجد لنفسه منفذا منها ، ويلوح له انه كبغل الطاحون ، يدور ويدور معصوب العينين ، لا يدرك غاية ، ولاينال من تعبه وكد أيامه ولياليه الا القليل. وشدّ ما كان يجهد نفسه ــ أول كل شهر ــ ليفي مرتبه ببعض دين يبهظه ، وليدبر ببعضه الآخر امر عيشه حتى نهاية الشهر ..

والعجيب ان مصطفى افندى كان قد ترهل ، ونفرت له كرش كالقبة الصغيرة يؤوده حملها .. وفقد بعض أسنانه الامامية فكان له من ذلك فجوة كريهة تنفرج عنها شفتاه اذا ابتسم او ضحك او تكلم .. ولقد اهمل الى ذلك هندامه ، واعتاد أن لا يحلق لحيته اياما ، وترك شعر رأسه يسترسل كيف شاء ، وينمو ، ويمتد ، متلبدا بين قذاليه .. لا يكاد يخطر له أن يقصه الا ما ندر ..

اكان ذلك طبعا راسخا فيه ، أم انها لعنة الدرجة العاشرة هى التى صنعت منه على الأيام ، هذه الهولة التى كان صبية زقاقنا يدعونها « عم مصطفى » كلما مر بهم ، وهم فى لعبهم ولهوهم ، ثقيل الخطو ، مبهور الانفاس ، جاحظ العينين ؟

.. اتراه كان الزواج يخطر له على بال ؟ من يدرى ؟ ! وعلى كل حال فقد استفاق ذات ليلة فوجد رمزية بين احضانه .. ان الحاجة صفية هى التى فعلت ذلك وهى تهمس فى اذنها !

ــ هذا زوجك ورجلك .. وشتان بين خادم .. وموظف .. هنيئا لك ..

ولم تهنأ رمزية طيلة سنة كاملة،كرهت فى أثنائها خواره ، وشخيره العالى ليلا ، وكرهت بلادته ، وافزعتها الفجوة السوداء التى تنفرج عنها شفتاه اذ يضحك ضحكته الثقيلة التى يلتوى بها فمه التواء ..

وهربت رمزية وتحررت منه ومن الزقاق ، وتلقفتها الايدى المتلهفة على مثل جمالها ونضارتها .. وتنقلت من يد الى يد ، ومن بؤرة الى بؤرة ، واختزنت التجارب ، وتعلمت الكثير ، وحذقت اللعب بالرجال ، واستوت فى النهاية راقصة فى ملهى « الكوكب » لها صولة وسلطان ، وشهرة عريضة .. وعشاق يلتفون حولها ومال كثير ، وفن عريق .. تخلب به الالباب اذ تعتلى المسرح فتضحك وتضج ، وتنطلق راقصة كأنما يتضرم فى بدنها جمر من نار تحرق به القلوب والاكباد..ولقدايقنت ان الحاجة صفية هى صاحبة الفضل ، وانها لولا اصبع تلك المرأة الطيبة .. التى امتدت الى لوح القدر فصحح الخطأ .. ووضع الأشياء حيث يجب ان تكون ، لذوت زهرة شبابها ، وجف عودها ، وعاشت مع احد زوجيها ، فى ذل الفاقة والحرمان عيشة تعافها الكلاب ..

وسمعنا فى الزقاق انها كانت تزور الحاجة صفية خلسة من حين الى آخر ، وتحمل اليها الهدايا ، وتقبل رأسها ، وتنسل خارجة لا يكاد يلمحها احد ..

كيف كانت الحاجة صفية تستقبلها ، وماذا كانت تقول لها ، وماذا كان رأيها فى سلوكها ، وحياتها ، وهل كانت لا تزال تصر على أن للقدر اخطاء يجب تصحيحها ؟! لست أدرى الا انني لم أعد أسمع أمي تردد ، اطلاقا ، اذا ذكر اسم الحاجة صفية ، عبارتها الحلوة :

ــ انها والله نور هذا الزقاق .. ولا أرى كيف يكون بدونها ..

وحتى يومٍ خُيّل الينا أن الحاجة صفية قد ادركت انها كانت هى المخطئة ، وأنها انما كانت هى نفسها ، العوبة فى يد القدر فجعلت تروح وتجيء فى دروب زقاقنا الطويل ، ساهمة النظر ، جامدة الملامح ، تضرب كفا بكف ، وتعوذ بالله من شر الوسواس الخناس ، وتردد بلا انقطاع : لا حول ولا قوة الا بالله .. لا حول ولا قوة الا بالله .. «حتى يومئذ لم أسمع أمي ترثى لحال الحاجة صفية ، او تلتمس لها العذر ، او تذكر انها ــ كانت ــ فى يوم من الايام :

نور ذلك الزقاق وبركته .. ■■

محمود سيف الدين الايراني

نقد كتاب الشهر

الخاتون التي عشقت الصحراء

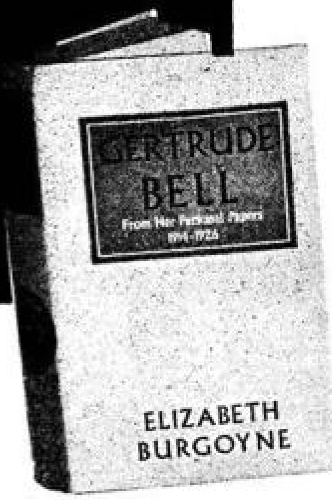

ود بل
من رسائلها

بقلم : الدكتور محمود السمرة

لا يحفظ لنا التاريخ سوى أسماء معدودة لنساء شهيرات، برزن في الميادين التي يبرز فيها الرجال عادة، ومن هؤلاء جرترود بل Gertrude Bell : فقد نشأت في عائلة ارستقراطية، مفرطة الثراء، وتخرجت في اكسفورد، لتقضي حياتها الأولى تتسلق الجبال الشاهقة، وتكتشف القمم المجهولة، وتدور حول العالم، وتقوم بالحفريات، وتجوب فلسطين وسوريا وشرق الاردن وصحاريها، وتقوم برحلة في غاية الخطورة اذ تقذف بنفسها في صحراء النفود، وتصل الى حائل عاصمة آل الرشيد : وخلال كل هذا كانت خريجة اكسفورد تقضي الساعات الطويلة والأيام على ظهور الجمال، وتنام في العراء أحياناً، وتؤاكل البدو، وتتعرض لخطر الموت كل يوم ..

وما حلت الحرب العالمية الأولى، وتركزت أنظار بريطانيا على الشرق العربي، حتى كانت «جرترود بل» خير من يستطيع خدمة هذه القوات في طريقها الى المجهول : فهي تتقن لهجات القبائل، وتعرف المسارب، وتحتفظ بخرائط رسمتها بنفسها لكل مكان مجهول في هذه المنطقة التي جابتها .

وما وضعت الحرب أوزارها حتى ألقت بنفسها في خضم السياسة، ووضعت يدها في يد تي. اي. لورنس، وكانا المستشارين اللذين أثرا على تشرتشل في التسوية التي قام بها لشؤون الشرق العربي .

رسائل جرترود

ومصدرنا الوحيد عن جرترود بل هو رسائلها

وكتبها ، لم تنف كتبها عنها معاصروها ومعارفها .
ورسائلها التى كتبتها لعائلتها واصدقائها هى أهم مصدر ، ولا شك . وقد نشرت زوجة والدها ، ليدى بل ، التى كانت تقوم منها مقام الأم ، اول مجموعة من رسائلها عام ١٩٢٧ فى جزاين ، وبعد عشر سنوات نشرت شقيقتها ، ليدى رتشموند ، مجموعة اخرى،ومن المآخذ عليهما فى هاتين المجموعتين انهما لم تنشرا الرسائل كما هى ، بل حذفتا منها ما بدا لهما محرجا.ولما زالت الأسباب الباعثة على الحيطة ، وحان الوقت لنشر الرسائل كاملة ، جاءت اليزابيث بيرجوين Elizabeth Burgoyne فنشرت مجموعة ثالثة من الرسائل عام ١٩٥٨ كتبتها جرترود بل بين عامى ١٨٨٩ – ١٩١٤ ، واتبعتها بمجموعة اخرى عام ١٩٦١ تكمل بها قصة حياتها من ١٩١٤ حتى سنة وفاتها عام١٩٢٦.

واليزابيث بيرجوين ، ناشرة هذين الجزاين من الرسائل ، مدرسة موسيقى وكاتبة قصصية ،وقد صدرت لها قصتان طويلتان ، ثم صدر لها كتاب عن الملكة اليصابات ملكة رومانيا ، عام ١٩٤١ . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدا اهتمامها بجرترود بل ، فاقبلت على دراسة ما تركت من أوراق خاصة .

وهذه الرسائل التى نشرتها مؤخرا «اليزابيث بيرجوين » تكمل ما نشر من قبل ، ولا تنقضه ، وآخر مجموعة من هذه الرسائل تبدا باول وظيفة شغلتها فى الحرب فى بولون ، وتنتهى بآخر وظيفة شغلتها فى العراق ، وهى مديرة متحف الآثار . وهذه الرسائل قصة حياة ، وكل قصة فيها البطل الذى تغدق عليه صفات الكمال ، والنذل الذى تلقى على راسه كل الرذائل ، والبطل هنا هو سير برسى كوكس السفير البريطانى فى العراق ، والنذل المكروه سفير آخر جاء الى العراق هو سير آرنولد ويلسون .

والمجتمع العربى الذى تصفه هذه الرسائل الأخيرة مجتمع ارستقراطى ، كمجتمعها الانجليزى الذى نشأت فيه ، ففيها الكثير عن السياسيين ، والاحزاب السياسية وشيوخ القبائل ، والمؤامرات السياسية ، والقليل جدا عن الزراعة ،واحوال الفلاحين وبؤسهم . وتبدو « جرترود بل » فى رسائلها كاتبة بارعة ، ذات أسلوب طلى ، رغم كثرة اخطائها الاملائية . وهذه الرسائل حافلة بالاشارات الى أسماء عشائر ومواقع لا يمكن ان يعرفها الا المطلع ، وهى بهذا تثقل على القارىء المثقف المقبل عليهـا ، وكان بامكان اليزابيث بيرجوين ان تذلل من هذه العقبة ببذل مزيد من الجهد فى اضافة ملاحظات فى اسفل الصفحة تعرف فى كلمات قليلة تلك الأسماء والمواقع .

وهذا الجزء الأخير من الرسائل يتسم فى بعض صفحاته بوشاح الحزن ، على الرغم من أنه فى مجموعه يعبر عن نفس مرحة ، فكهة،متمتعة بالحياة، ويبدو لى انها لم تستطع رغم كل شىء ان تنسى حبيبها الذى قتل هناك فى « غليبولى » ، حتى انها قبيل وفاتها بزمن قصير ، كتبت فى رسالة لها كلاما يدل على ان قلبها قد فاض بما فيه : « اننى لاحس احساسا يبلغ درجة اليقين بانه موجود فى مكان ما ، وبانه فى حاجة الى » .

عائلة ثرية

يقول لنا التاريخ انه فى الرابع عشر من يوليه «حزيران» ١٨٦٨ ولد للصناعى الثرى «هيولوثيان بل » من منطقة درام ، وزوجته مارى ، ابنة صناعى كبير آخر من نيو كاسل اون تاين – ولد لهما طفلة اسمياها جرترود مارجريت لوثيان ، عرفت بعد ان شبت باسمها الأول ، وبه اشتهرت. وكانت جرترود متينة البنيان ، عادية الجمال ، ذات شعر ثائر مائل الى الاحمرار،وعينين خضراوين، وبشرة بيضاء ، وفم متمرد ، وانف كحد السيف. وبعد ثلاثة اعوام ولد لهما طفل ذكر اسمياه موريس، ولكن الزوجة توفيت بعد ان وضعت . وآلى الأب الا يتزوج ليكرس نفسه لتربية طفليه . ولكن شاء القدر ان يقع الأب بعد خمسة اعوام فى غرام فتاة فى الثانية والعشرين اسمها فلورنس اوليف Olliffe : وقاوم هذا الحب ، وحاربه مدة عامين ، الى ان شهد اوبرا من وضعها واخراجها ، فانهارت مقاومته ، ورافقها بعد الحفلة الى البيت ليعبر لوالدتها عن رغبته فى الزواج من ابنتها . وهكذا دخلت قصر بل فى واشنطون هول بمقاطعة درام،زوجة شابة موهوبة، لتكون والدة وصديقة للطفلة « جرترود »ولتضيف الى الأسرة الثرية بعد زواجها اخا وشقيقتين .

وتلقت جرترود ، وكذلك سائر ابناء الأسرة

دراستهم فى البيت ، شأن أبناء الأسر الثرية فى ذلك الوقت . ولكن جرترود رغبت فى أن تشذ عن عادة العصر ، فطلبت من والدها أن يسمح لهـا بالالتحاق بكلية الملكة فى لندن ، فوافق والدهـا على طلبها ، وهو الذى قضى حياته كلها لا يرفض لها طلبا مهما كان . وفى لندن زادت جرترود من ثقافتها بزيارتها للمتاحف بأنواعها ، وحضورها للمسرحيات ، واستماعها للمحاضرات ، وتعرفهـا برجال الفكر ونجوم المجتمـــع . وما أن انهت دراستها فى كليتها حتى عبرت لوالدها عن رغبتها فى دراسة التاريخ بجامعة اكسفورد فتم لها هذا .

جرترود فى جامعة اكسفورد

وتصف لنا جرترود فى رسائلها لوالديها واخويها الحياة فى الجامعة ، وصفا دقيقا ، ممتعا : فهناك كليتان للبنات فى اكسفورد هما كلية صمرفيل ، وليدى مرجريت هول ، ولم يكن قد مر علــى افتتاحهما غير سبع سنوات . وكانت القوانـين المفروضة على الطالبات غاية فى الصرامة : فالفتاة محظور عليها أن تسير فى شوارع اكسفورد وحيدة، كما تمنع من أن تسير برفقة رجل الا اذا كانت تصحبها امرأة متقدمة فى السن . وفى المحاضرات التى تحضرها الطالبات اللواتى لم يكن يزيـد عددهن عن ست ، مع الطلبة ، كان يشترط أن تصحب كل طالبة سيدة حارسة لها ، وأن تجلس الفتيات فى زاوية ، بعيدا عن الطلبة . وكان لها فى الجامعة صديقتان صدوقتان احداهما شقيقة المستشرق الكبير والعالم الأثرى الدكتور هوجارث . وانهت جرترود دراستها الجامعية بتفوق باهر حقق لها قصب السبق بين الطلاب والطالبات .

تزور بخارست وطهران

وعادت جرترود الى قصر العائلة ، ولكن روحها المتمردة تابى الاستقرار ، وكان من حسن حظها ان شقيقة زوجة أبيها كانت متزوجة من ســفير بريطانى فى بخارست ، ثم فى طهران ، فذهبت واقامت مع العائلة زمنا . وقد استطاعت وهى فى طهران أن تجوس خلال البلاد قاصيها ودانيها ، وأن تتعلم اللغة الفارسية وتتقنها بحيث تترجم الى الانجليزية ثلاثين قصيدة من ديوان حـافظ الشيرازى وتنشرها بعنوان « الديوان Divan » وفى المقدمــة التى كتبتهــا لترجمتهـا عقـدت مقارنة بين حافظ ودانتى . ودرست رباعيات عمر الخيام فى أصلها .

الحب الأول والأخير

وفى طهــران التقت بحبها الأول ، وهو السكرتير الأول فى السفارة البريطانية ، واســمه هنـرى كادوجان . وخطبها ولكن اهلها ترددوا فى القبول، فجاء الحل بان وافاه الأجل بعد أشهر معدودة واما حبها الكبير فقد كان لعسكرى برتبة مقـدم اسمه دوتى ـ ويلى Doughty — Wylie فقد حياته فى معركة غليبولى فى ابريل (نيسان) ١٩١٥ ، وهكذا كتب لجرترود أن تهب حياتهــا للعنوسة .

سحر الشرق يستهويها

وقد بدأت انظار جرترود تتجه الى الشرق العربى منذ أن قرأت « ألف ليلة وليلة »فعشقتها، ومنذ أن زارت اسطامبول فاعجبت بمآذنها .

وطوفت جرترود فى العالم كثيرا قبل أن تقوم برحلتها الجريئة عبر صحراء النفود الى حائل . فقد زارت قبل ذلك بلدان أوروبا وتسلقت قمم جبالها الخطرة ، ثم زارت شمال افريقية ،وبدأت رحلتها حول العالم فى ديسمبر ١٨٩٧ برفقة أخيها موريس .

وفى ديسمبر ١٨٩٩ استقر بها المقام زمنا فى القدس ، وبدأت تدرس اللغة العربية ، وفى ١٩ مارس ١٩٠٠ قامت بأول رحلة لها عبر الصحراء ، مارة باريحا ثم متوغلة فى صحراء الاردن ، متعرفة بقبائلها من بنى صخر والعدوان ، وزارت الكرك والبتراء .. وهى فى رحلتها تعيش مع البدو أيامها، وتسمر معهم فى لياليهم ، وتضع يدها معهم فى اناء طعام واحد . ورغم تشديدات الحكومة العثمانية تزيت بزى عربى بالكوفية والعقال ، وقامت بجولة فى جبل الدروز ، حيث عقدت صداقات مــع رؤسائه . ثم اتجهت الى دمشق ، ومن هنـاك اشترت لشقيقتها الصغرى ثياب فتاة درزية . واستهوتها عاصمة زنوبيا، فقامت برحلة عبر بادية

الشام الى تدمر . وتركت سوريا الى لبنان ، لتعود الى انجلترة . لقد كتبت لوالدها من بلاد الشام تقول : « ان المرء اذا عرف هذه البلاد لا يطيق فراقها » . وكتبت الى قريبة لها فى انجلترة: « يا لله ما اجمل هذه البلاد ! ليتنى افضى حياتى كلها متنقلة بين ربوعها » .

ولم تطق جرترود بعدا عن الشرق العربى ، فعادت اليه فى ربيع ١٩٠٢ ، وحلت فى حيفا ، واقبلت على دروس جديدة فى اللغة العربية ، وعادت الى بريطانيا تلقى المحاضرات الموضحة بالصور عن الشرق العربى .

ولم يطل بها المكث ، اذ قبل نهاية العام قامت برحلة ثانية حول العالم برفقة اخيها من ابيها ، هوجو ، فمرت بالهند ، وبرما ، والصين ،واليابان، وامريكا ، الى بريطانيا ، فوصلا ليفربول فى يونيه (تموز ١٩٠٣) ، وتعلمت فى طريقها الهندستانية بحيث لم تكن بحاجة الى مترجم ، كما بدات بدراسة اليابانية .

وفى اواخر يناير (كانون الثانى) ١٩٠٥ وصلت جرترود الى بيروت ، وبعد بضعة ايام كانت فى حيفا ، ومنها اتجهت الى نابلس ، فالقدس ، فالسلط ، ثم زارت اصدقاءها فى جبل الدروز ومرت بدمشق ، فحمص فبعلبك، فآسيا الصغرى، وفى قونية قابلت العالم الاثرى وليم رامزى Ramsay وشاركته فى بعض اعمال الحفر . وعادت الى انجلترة لتكتب كتابها « سوريا : الصحراء والارض الزراعية Syria : the Desert and the Sown» كما صدر لها عام ١٩٠٨، بالاشتراك مع وليم رامزى ، كتاب « الف كنيسة وكنيسة » « A Thousand and One Churches » .

وعادت الى الشرق العربى فكانت فى حلب عام ١٩٠٩ ، ثم نسمع انها فى دمشق عام ١٩١١ ، ومنها تسافر الى كركميش ، ثم تقوم بزيارة قصر الاخيضر الاثرى القائم وسط الصحراء وهو فى رايها اثر من آثار اللخميين ، وقد كتبت عنه كتابها الجميل « الاخيضر « Ukheidir » الذى نشر عام ١٩١٤ . ومن هناك زارت كربلاء والنجف وآثار بابل والمدائن ، وبغداد والموصل ، فكركميش ثم حلب ، وفى كركميش « قابلت» شابا انجليزيا يسمى تى. اى. لورنس » . وفى يونيه (حزيران) ١٩١١ كانت فى انجلترة .

وتنقطع عنا اخبار جرترود فلا نسمع عنها شيئا حتى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩١٣ ، فاذا هى فى دمشق تعد العدة، وتجهز سبعة عشر جملا لاختراق الصحراء متجهة الى حائل . وبعد تسعة اسابيع كانت على ابوابها ، وتصف لنا فى رسائلها هذه الرحلة وصفا حيا ، وما لقيت من متاعب . ومن حائل عادت عن طريق بغداد ، فتدمر . وبعد اربعة اشهر ونصف كانت فى دمشق عائدة من رحلتها . ولاول مرة تعترف فى رسائلها انها متعبة مرهقة . وقد رسمت لرحلتها هذه خرائط تفصيلية تبين حتى اماكن الماء ، وجمعت معلومات كثيرة عن القبائل . ومصدرنا الوحيد عن رحلتها هذه هى رسائلها .

فى معترك السياسة

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى بدا فصل جديد فى حياة جرترود ، فالرحالة المغامرة اصبحت من العاملين فى السياسة . وقد استغلت الحكومة الانجليزية معرفتها الدقيقة بالشرق العربى ، فارسلتها الى دائرة الشرق الأوسط بالقاهرة ، ومن هناك ارسلت فجاة الى دلهى لان نائب الملك فى الهند يود ان يراها . ومكثت فى دلهى اسبوعين ، عادت بعدهما لتكون فى البصرة تابعة للمكتب الحربى ، وانتدب للعمل معها فى البصرة ايضا من حكومة الهند سانت جون فلبى ، وريدر بولارد .

وبعد هزيمة الانجليز فى الكوت بقيادة الجنرال تاونسهند ، عادوا فقاموا بحملة جديدة بقيادة سير ستانلى مود Maude فدخلوا بغداد فى مارس (آذار) ١٩١٧ . وقد مات هذا القائد بعد ثلاثة اشهر من دخوله بغداد مريضا بالكوليرا .

وهكذا بدا الاحتلال الانجليزى للعراق وارسل السير بيرسى كوكس لتنظيم الأمور ، واصبحت جرترود بل سكرتيرته للشؤون الشرقية ، ولكنها كانت فى الواقع تقوم بدور اهم من ذلك بكثير ، اذ

كانت ذات نفوذ كبير ، وهى التى كانت تسير الأعمال من خلف ستار .

« الخاتون » أو « أم المؤمنين »

فى ابريل (نيسان) ١٩١٧ استقرت جرترود فى بغداد ، ولها من العمر ثمانية واربعون عاما . وبنشاط بالغ بدات تعقد صلات وثيقة مع العائلات العراقية البارزة ، وشيوخ العشائر ، كما دعت اليها اصدقاءها من رحلاتها المتعددة، واستضافتهم واحتفت بهم . وقد بلغ من حب العراقيين لها انهم كانوا يلقبونها « بالخاتون » (وهى لفظة تترية معناها المراة الشريفة ، والعرب يلقبون بها نساء الملوك) ويطلقون عليها لقب « أم المؤمنين ». ومن اطرف ما نقرأ فى رسائلها صداقتها القوية للحاج ناجى،وهى دوما تشير اليه قائلة : صديقى الحميم.

العراق المضطرب

وتطورت الأحداث فى العالم العربى فاذا بالفرنسيين يخرجون فيصل من سوريا ، ويثور العراقيون لوضعهم تحت الانتداب البريطانى ، وهم الذين كانوا يتوقعون حكما عربيا . وامام هذا الوضع الحرج فى العراق اضطرت الحكومة البريطانية الى ارجاع سير بيرسى كوكس « وقد عرفه العراقيون باسم كوكس Kokus » من طهران الى بغداد ، ليجد حلا ، وكان كوكس وجرترود بل يؤمنان أن الحل الوحيد لمشكلة العراق ، وتهدئة الحالة فيها ، هو أن يقوم فيها حكم عربى ، يرتبط بمعاهدة صداقة مع بريطانيا ، على ان يكون فيصل ملكا على البلاد . بهذه الفكرة اقنعت بيرسى كوكس ، وبهذه الفكرة كتبت الى تى. اى. لورنس حيث هو فى بريطانيا .وكان يعارضها الراى سانت جون فلبى ويدعو الى حكم عربى جمهورى . ولما فشلت دعوته ترك العراق . وكان من المرشحين للعرش أيضا السيد طالب باشا النقيب ، وامير من آل عثمان اسمه برهان الدين واغا خان ، والشيخ خزعل امير المحمرة .

تقنع تشرشل برأيها

ولما اصبح لشرتشل وزيرا للمستعمرات ، أراد أن يضع حلا لمشاكل الشرق العربى ، وخاصة وضع حد للقلاقل فى العراق ، فدعا الى مؤتمر عرف بمؤتمر القاهرة عقد فى مارس (آذار)١٩٢١، وحضره سير برسى كوكس، وكلايتون، وكورنواليس Cornwallis ويونغ ، ولورد ترينكارد .. وجعفر باشا العسكرى ، ثم جرترود بل ، ولورنس مستشار تشرشل للشؤون العربية ..وقد استطاع الاخيران بنشاطهما اثناء الاجتماعات وخارجها ان يقنعا تشرشل برايهما ، وهو الذى كان حديث عهد فى الشؤون العربية ، ولا يدرك منها الكثير . وانتهى هذا المؤتمر بترشيح فيصل ملكا للعراق ، ووضع الأمير عبد الله أميرا على شرق الاردن .

ولعل من الطريف أن نذكر هنا أن تشرتشل كان يقضى وقت فراغه فى المؤتمر ، الذى عقد فى فندق ميناهاوس ، يرسم الاهرامات ، وبعد أن انتهى المؤتمر اقام فى الفندق معرضا للرسوم التىرسمها. ويشاء القدر ان يفكر تشرشل والرئيس روزفلت فى مكان يجتمعان فيه اثناء الحرب العالمية الثانية، فلا يجدان خيرا من هذا الفندق .

ولما انتهى المؤتمر قال لورنس : « الآن استطيع ان اقول أن بريطانيا قد كفرت عن سيئاتها نحو العرب » !!

جرترود الداعية

وعادت جرترود بل الى العراق ، وهناك وكل اليها تنظيم امر الدعاية للمخطط المرسوم ، فكانت تعمل ليل نهار تجتمع بالعراقيين وتقنعهم . ولما وصل الأمير الى البصرة كانت فى استقباله ، وتم التصويت فكان نجاحه باهرا ، ونصب فيصل ملكا على العراق فى ٢٣ اغسطس (آب) ١٩٢١ .

لقد ادت جرترود مهمتها ، ورضيت عن نفسها اخيرا رضى دفعها الى ان تقول : « لقد اقمنا فى بلاد ما بين النهرين دولة حديثة متقدمة ، بحيث لم يكن هناك عربى فى سوريا وفلسطين لا يتمنى ان تكون بلاده جزءا منها » .

هذا بعض ما يقوله التاريخ المكتوب عن عاشقة الصحراء ، وخريجة اكسفورد . ولكن اية انسانة كانت جرترود ؟ هذا ما نريد ان نستقرئه من هذه الأحداث .

جرترود : سواد فى بياض

ان الدراسة المتانية لجرترود بل ، تكشف عن تناقض بين الفكر والعمل ، فهى تؤمن اليوم بغير ما آمنت به فى الأمس . ومن امثلة ذلك انها كانت تعارض عند بدء الحكم الانجليزى للعراق فى قيام حكومة عربية غير خاضعة لاوامر «ولايتهول» خضوعا مباشرا . ولما اثبتت لها ثورة العراقيين ان وجهة نظرها غير قابلة للتطبيق ، تبنت بحماسة اشد قيام دولة عربية على رأسها فيصل ملكا ، مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة لا بانتداب ، كما كانت الفكرة اولا . وقد وجهت كل همتها فى هذا السبيل حتى نجحت فكرتها .

ومن مظاهر تناقضها مع نفسها ايضا ما تفيض به رسائلها من حب للعرب وتقدير لهم : فهى تؤمن بالخلق العربى فتقول « اقسم بشرفى ان العرب قوم الصدق من طبعهم ، ونحن نفتقر الى هذه الصفة » وهى تؤمن بالذكاء العربى وتنادى بان العرب قادرون على بناء دولة حديثة متحدة ، وتعارض تقطيع اوصال العالم العربى . ومع هذا نراها تكره الشباب العربى المثقف ، وتحاربهم فى السر والعلانية : وقد رصدت عليهم حركاتهم باقامتها جهازا للتجسس رهيبا ، وبهذا زرعت الحقد فى النفوس .

وهى لم تكن تتورع عن قذف قرية بالقنابل لمظاهرة سياسية ، واعتقال المعارضين السياسيين جماعات . ان العرب الذين تحبهم هم العشائر ، وقد بلغ من حبها لهم ان كتبت مخاطبة بنى قومها: « انكم لا تفضلون العشائر فى شىء ، فهم يتمتعون بكل الصفات الطيبة التى تفخرون بها ، واكثر ..»

وكانت جرترود بل معجبة بونستون تشرشل ، وخاصة بعد مؤتمر القاهرة ، فهو فى رأيها « رائع ، ومستعد للتفاهم ، ومناقشة الآراء المعارضة ، وهو لبق فى ادارة المؤتمرات السياسية ، كبيرها وصغيرها » . ولما سقطت الحكومة الائتلافية عام ١٩٢٢ ، وساءت علاقتها به ، قالت عنه : « يا لله ! كم اكره العمل تحت رئاسة ونستون . انا لا انكر انه بالغ الذكاء ، ولكنك لا تستطيع ان تثق به ، فانت لا تدرى متى يتخلى عنك ويتنكر لك » .

وحال سير آرنولد ويلسون معها ، كحال تشرشل ، « فمهما اختلفت معه كانت الامور تنتهى دوما الى وفاق . انه من اعز اصدقائى واقربهم الى نفسى ، وانا اجله كل الاجلال لذكائه الخارق .. واحب العمل تحت امرته » . ولكن هذا لم يكن غير تقريظ مؤقت ، اذ بعدها اخذت تصب عليه الاتهامات ، وينتهى بها الامر الى ان تقول « اننى لا اثق به ابدا » . ويشاء التاريخ ان يصدق رأيها فى آرنولد ويلسون ، فهو لم يستطع ان يقنع رجال وايتهول بكفاءاته والاعتماد عليه ، كما انه لم يستطع ان يقيم له صلات طيبة فى البلاد التى عمل فيها . وكان من سوء حظه ، بعد ما نجح فى الانتخابات البرلمانية فيما بعد واصبح عضوا فى مجلس العموم ، ان ثارت زوبعة ضده بأن نجاحه لم يكن سليما ، وانه قد احدث تزويرا . ولكنا للتاريخ ايضا نذكر ان هذا الرجل كان يعرف الشرق العربى معرفة المرء لراحة يده ، وهو مذكور عندنا اليوم بكتابه الشهير «الخليج الفارسى The Persian Gulf » .

والذى لا شك فيه ان جرترود بل امراة ذات شجاعة فائقة ، وحياتها تثبت ذلك ، ومن اقوالها : « لا شىء يجعل للحياة معنى كالجراة وحب المخاطر » .

وهى امراة جياشة القلب بالعواطف ، تجد متعة فى ازدياد المعارف والاصدقاء يوما عن يوم ، ولكن اصدقاءها ارستقراطيون يبدأون من اعلى رأس فى الدولة الى كبار رجال السياسة وشيوخ القبائل . وهى تكره كل الكره أربع فئات : تلك الطبقة من الموظفين البريطانيين الذين يعيشون فى ابراجهم العاجية فلا يتعلمون اللغة العربية ، ولا يحاولون ان يقيموا صداقات بينهم وبين سكان البلاد ؛ وفئة المثقفين المتحمسين من القوميين العرب الذين ينادون بخروجها وخروج قومها من ارض العرب ؛ والصهاينة ؛ والفرنسيين . لقد كانت ذكية بعيدة النظر ، يوم ان رفعت صوتها محذرة

من المشاكل التى سيجرها وعد بلفور على بريطانيا:

وقد كتبت لوالدها من بغداد فى ١٨ يناير ١٩١٨ تقول :

« لقد ازعجنى التصريح الذى صدر على لسان مستر بلفور ، وزير الخارجية ، بشأن الوطن القومى اليهودى فى سوريا ، وانا على يقين من انه غير عملى ... وانه لا منطق فيه ، وسيخلق لنا المشاكل الكثيرة .. وانا شخصيا اتمنى له الفشل الذى هو اهل له ... » .

ومن الثابت ان جرترود بل كانت خبيرة بشؤون القبائل العربية فى العراق ، وبادية الشام ، وشرق الاردن والنفود « فقد عشت فى وسط بيت العنكبوت ، وعرفت كل خيط فيه » .

وهى تبدو لنا ايضا عاشقة للغة العربية ، فتقول : « ان انتشائى بجمال هذه اللغة ، لا يقل عن النشوة التى يحس بها العاشق لموسيقى « موتزارت» ، عندما يستمع الى احدى سوناتاته». وهى ذات موهبة لغوية ، فقد كانت تتقن خمس لغات ، وتفهم لغتين آخريين . تقول جرترود بل فى رسالة لها الى والدها : « ان صديقى جعفر باشا العسكرى يتقن سبع لغات ، وعندما نكون معا نتبارى احيانا فى اثبات مقدرتنا اللغوية ، فنتحدث بيسر العربية والانجليزية والالمانية والفرنسية والفارسية ، اما الكردية والتركية فهو يتقنهما وانا لا استطيع التحدث بهما ، ولكنى استطيع ان افهم ما يقول » .

وهى امراة جمة الحيوية والنشاط ، حتى بعد ان غرقت فى السياسة،فهى دوما فى حركة مستمرة : من الاجتماعات السياسية ، الى الاستحمام فى نهر دجلة ، الى صيد القطا ، الى مطاردة الغزلان فى الصحراء،الى الزيارات المتكررة لشيوخ العشائر تجالسهم وتقيم معهم الصداقات ، وتلقى بالنكتة البارعة اثر النكتة ، فيضحكون ويستلقون على ظهورهم . لقد كان المرح ـ كما يبدو ـ من طبيعتها الاصيلة . ام تراه تمثيل يقتضيه الدور الذى تقوم به ؟ واحيانا نشاهدها فى الصباح الباكر على ظهر جمل او حصان ، عائدة من رياضتها الصباحية من قلب الصحراء .

وهى ، على هذا كله ، دوما انيقة ، اناقة خاصة بها ، لا تنسى زينتها ، وفساتينها الحريرية ، وعقودها . وقد كانت تغالى احيانا فى نوع الملابس التى ترتديها فتثير التعليق من حولها . انها ملابس تعبر عن شذوذ صاحبتها ، من ذلك انها كانت تلبس فى حفلات الشاى احيانا جاكتة حريرية خضراء موشاة مشجرة ، فوق جونلة خضراء ، وحذاء اخضر ، وجوارب خضراء !! ومن مظاهر شذوذها استنكارها مطالبة احدى الضواحى بالكهرباء قائلة : « وما فائدة الكهرباء ؟ انها من مساوىء المدنية الحديثة !! » .

وهل كان الا شذوذا منها ان تقبل ممتطية حصانها باقصى سرعة ، والملك فيصل على المنصة فى الميدان مستعد لالقاء خطابه بعد انتخابه ملكا ، ثم تقف فجاة بجانبه ؟ !

هذه هى جرترود بل : فيها الكثير من الشذوذ ، وفيها الكثير من الصفات الحميدة والمستنكرة .

افول نجمها

لقد ادت جرترود دورها ، وانتهت مهمتها ، وتخلى عنها المساندون والانصار . وبدأ نجمها فى الافول يوم ان تولى « سير هنرى دوبس» Dobbs منصب المندوب السامى فى العراق . ولم تكن معه على وفاق . فلما انشئت دائرة للآثار ، عينت بامر من الملك ، مديرة لمتحف الآثار . وقامت فى هذا الميدان بنشاط كبير ، وعملت على وضع حد لتهريب الآثار العراقية الى الخارج .

ولكن النكسة دوما مؤلمة : فقد اخذت فى اخريات ايامها تحس بكراهية للحياة وبسوداوية ، فقالت قبل وفاتها بايام : « اننى لم اعد اجد لذة فى الحياة » . ولما حضرتها الوفاة كانت انقاذا لها ، فقد تسلل اليها الموت ، رفيقا بها ، وهى نائمة صبيحة يوم من ايام عام ١٩٢٦ .

ولعل هذه العبارة ، من رسالة كان قد ارسلها تى . اى لورنس الى والدها عام ١٩٢٧ ، تلخص حياة عاشقة الصحراء المغامرة . يقول لورنس : « .... انا على يقين من انها ماتت سعيدة ، ناعمة البال ، راضية عن نفسها ، لانها قد انجزت مهمتها السياسية التى انيطت بها على احسن وجه ، وهى مهمة من اخطر المهام التى وكلت الى امراة . لقد انتهى دورها التاريخى ،كما انتهى دورى من قبل».

■■

محمود السمرة

من الكتب التى وصلتنا

رحلة فى عالم النور

لاشيل روس ، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس
نشر مؤسسة فرنكلين — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

● دراسة فى شؤون المكفوفين تركز الانتباه على اولئك الذين استطاعوا أن يشقوا طريقهم فى حجب الظلام ، بالرغم من هذا العائق الذى كف حاسة تعد من اهم الحواس فى اكتساب المعرفة ، وتربية السلوك الاجتماعى ، والاستقلال فى الحركة ، والدلالة على الشخصية ، والاسهام فى التعبير » .

رواد الفكر الاشتراكى

ج . د . هـ . كول
ترجمة منير البعلبكى ، دار العلم — بيروت

● البروفسور كول هو شيخ الاشتراكيين المعاصرين وكبيرهم ، والرئيس الدائم للجمعية الفابية ، وصاحب المؤلفات الكثيرة فى الاشتراكية والاقتصاد الاشتراكى وقد توفى من زمن غير بعيد . وقد اجمع النقادعلى ان هذا الكتاب هو واحد من تلك الامهات الخالدة على الدهر ، وهو يضع فى ميزان النقد نظريات جماعة من عمالقة الفكر الاشتراكى مثل : توم بين ، سان سيمون ، فورييه .. ماركس-اينغلز .. ويفرد فصولا خاصة للحركة النقابية ، وللاشتراكية الالمانية والحركة اللائحية فى انجلترة ، والثورات الأوروبية عام ١٨٤٨ .

المائة السنة القادمة

لهاريسون براون وآخرين ، ترجمة الدكتور صلاح نامق — نشر مؤسسة فرنكلين
مكتبة النهضة المصرية

● كتاب يوحى لكل دولة ان ترسم صورة لغدها القريب والبعيد ، لأن عجلة التطور تدور اليوم فى سرعة فائقة لا تقاس بما كانت عليه فى الماضى .

فى شعر النكبة

للدكتور صالح الأشتر — مطبعة جامعة دمشق

● بحث تخطيطى فى أصداء نكبة فلسطين فى الشعر العربى المعاصر ، يهديه المؤلف « الى الاسود الرابضة فى (مخيم العروب) على الضفة الغربية من الاردن .. اليها ، وقد استبد بها الحنين الى الوطن المغصوب ، وارقها انتظار اذان الفجر لتلبى صيحة الزحف المقدس .. » .

اصدقاء فى النجوم

لعبد الرحمن عياش — حمص

● ديوان شعر . فيه : الفضاء الخارجى ، القبة الزرقاء ، الانسان فى عالمه .

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

الذى نشرناه هو الأشهر

● بمناسبة ما جاء فى العدد الثانى والأربعين من مجلة « العربى » القراء من ردكم على سؤال الأخت الكويتية حسناء سلطان – ثانوية البنات – الكويت ، حول انعدام البسملة فى سورة البراءة أو التوبة ، أقول ، ان البسملة نسخت هى واول السورة قوله تعالى « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » تلاوة لا حكما والمراد بالشيخ والشيخة ، « المحصنان » .

وروى عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه انه قال : « لولا اننى أخشى أن يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة براءة من الله . الآية » فانا قد قرأناها أى على عهد الرسول عليه السلام » .

هذا هو اشهر الأقوال فى البسملة واول السورة .

احمد اليحياوى
ثانوية ابن خلدون – تونس

« العربى » : ليس هذا هو اشهر الأقوال بل أحدها ، والذى نشرناه هو ما ذكره الطبرى والفخر الرازى والزمخشرى وغيرهم من ائمة المفسرين .

الفتيات .. و « السوتيان »

● أنا فتاة فى الخامسة عشرة من عمرى . وأنا البس « السوتيان » منذ سنة تقريبا . وتقول والدتى ان « السوتيان » يهدّل النهدين ، فهل هذا صحيح ؟ أنا خائفة أن يتهدل نهداى فى هذه السن المبكرة .. أرشدونى ولكم شكرى من الاعماق .

سعاد عبد الرحمن
الكويت

« العربى » : المسالة مسالة خبرة وتجربة .. والسيدات الخبيرات يقلن ان « السوتيان » ضار بالفتيات فى مثل سنك .. فلا تستعمليه الا عند الضرورة القصوى .

اعقلية جاهلية ؟!

● أنا فتاة فى الثانية والعشرين من عمرى ، وصلت الى مرحلة لا بأس بها من التعليم .. والدى يحبنى ويقدرنى .. ولكن اكثر ما يضايقنى هو أنه مصر على الا يزوجنى من اى شخص تربط بينى وبينه عاطفة الحب مهما كانت صلاحية هذا الشخص لانه يعتبر الحب غير لائق .. والآن تقدم لى شاب أحبه ويحبنى وبه كل الصفات المرجوة .. ولكن والدى مصر على الرفض بالرغم من صلاحية هذا الشاب ، وذلك لانه لا يعترف بحب قبل الزواج .

ارجوكم المشورة واقناع والدى فهو من قراء مجلتكم القراء .

ولكم اجمل تحية .

آنسة
ب . هـ – ليبيا

« العربى » : الحب أساس السعادة فى الزواج ، ومنع الزواج من اجل الحب جريمة جذورها فى الجاهلية ، ووزرها عند الله عظيم . والحسين تزوج عن حب ومن بعد معرفة .

فتياتنا .. ومشكلة الفراغ

● أنا فتاة في الثانية والعشرين من عمري من عائلة مستورة الحال، لي أختان متزوجتان وأخ يعمل ويعيش معنا .. حصلت على الثانوية الفنية سنة ١٩٥٨ وكنت في حكم المخطوبة لابن خالتي على غير رغبتي ، وحمدت الله أن الخطبة لم تتم .. لذلك لم استطع تكميل تعليمي في المعهد العالي اذ كانت قد مضت سنة على شهادتي .. في العام التالي حاولت الحصول على الثانوية العامة نظام ثلاث سنوات من المنزل ، وفعلا حصلت عليها ، ولكني لم احصل على مجموع يؤهلني لدخول الجامعة ، فحاولت الالتحاق بأي عمل ولكني فوجئت برفض والدي التام وتصميمه على الا أشتغل طالما هو على قيد الحياة .

ان مشكلتي التي اعيش فيها ليل نهار . هي الفراغ .. سيقتلني الفراغ قتلا .. لقد قمت بعمل كل شيء في امكان فتاة في المنزل .. قمت بتطريز لوحات ، ومفارش وتفصيل ملابس .. واقوم بأعمال المنزل اليومية .. واقرأ كثيرا جدا .. حتى الكتب القديمة . لا اترك شيئا يقع تحت يدي دون أن اقرأه . كل ذلك وأنا أعيش في فراغ تام .. فراغ في التفكير .. لا اجد امامي هدفا أفكر فيه أو أسعى للوصول اليه حتى أملأ فراغ حياتي . كذلك صداقاتي محدودة جدا لا تتعدى زيارة بعض الأهل والجيران . فنحن عائلة متمسكة بالتقاليد .. ولقد وضعت ثقتي بكم ، راجية أن تجدوا لي حلا حاسما لهذه المشكلة .

اسماء مصطفى السيد

شارع الهرم ـ بالجيزة ـ القاهرة

« العربي » : ليست هذه مشكلتك وحدك .. انها مشكلة آلاف من الفتيات العربيات المسلمات اللائي لم يتممن تعليمهن ، ويأبى آباؤهن أن ينزلن الى معترك الحياة ، متناسين أن الزمن الذي كانت البنت تحتجز فيه في البيت كأنها احدى قطع الأثاث قد ولى وفات ..

حاولي ان توسطي لوالدك بعض اهل الخير من اصدقاء الأسرة واقاربها ، فهو لا شك ضنين بك أن تعملي خوفا عليك مما كان الفتيات في زمنه يتعرضن له من معاكسات الشبان ووسوسة الشيطان .. فاذا ما اقتنع بأن الزمن قد تغير ، وأن من صالحك وصالحه وصالح الأسرة كلها ، بل ومن صالح المجتمع نفسه أن تعملي وتنتجي ، فقد حلت مشكلتك .

ان على الآباء ان يفهموا أن نزول البنت الى ميدان العمل ليس عارا كما كان اجدادنا يفهمون .. بل ان مشاركة البنت في العمل والانتاج واجب وخاصة في هذه الظروف .

لتعيدي الى شعرك بريقه

● قدمت منذ شهر الى الكويت لأعيش مع والدي الموظف بها . وقد لاحظت ان شعري الجميل البراق بدأ ينطفيء بريقه وتصيبه خشونة غريبة لا عهد لي بها . وقد فهمت من والدي أن ذلك راجع الى المياه الصليبية المالحة اذ أنني أغتسل بالدش مرتين كل يوم بسبب الحر الشديد الذي لم اعتده في لبنان حيث كنا نقيم .

ماذا أفعل لأعيد لشعري نعومته وبريقه ؟

آنسة س

الصليبيخات ـ كويت

« العربي » : غسل الشعر بالمياه الصليبية او مياه البحر المالحة ، مع الصابون ، يذهب ببريقه ولمعانه ونعومته ويكسبه خشونة ملحوظة . ولكي تعيدي اليه بريقه ونعومته يجب الكف عن غسله بالمياه الصليبية ، واذا لم يكن من « الدش » بد ، فالبسي الطاقية « البونيه » النايلون اثناءه ثم اغسلي شعرك بعد الدش بالماء العذب ، واستعملي « الشامبو » في غسله بدلا من الصابون ، ثم ادهني شعرك بعد ذلك بزيت نباتي كزيت الزيتون ، اذا لم يتيسر لديك زيت اللوز او جوز الهند .

المهر من حق الزوجة وليس للزوج أن يسترده

● انا زوجة فى الثامنة والعشرين ، عقد قرانى على ابن عمتى قبل معركة فلسطين بشهور ، ولما وقعت الواقعة خبأ ابى مهرى مع ما كان يملك من مال تحت جدار منزلنا خوفا من لصوص اليهود ، ثم اخرجنا من الوطن على أن نعود بعد أيام ، وبالتالى فقد والدى أمواله ومنها مهرى .. ثم تم زواجى بعد خروجنا من الوطن بعام كامل ، وفى ليلة الزفاف اشترطت عمتى والدة زوجى أن يتعهد ابى بأن يدفع لى المهر الذى أخذه والذى تعلم عمتى انه لم يأكله أو ينتفع به ، فتعهد بذلك . والآن وقد مضى على زواجى كل هذه السنوات واصبحت أما لخمسة اطفال ، تأبى عمتى الا أن تطالب أبى بالمهر ، وتحرض ابنها على كى أطالب أبى برده ، وهى تعلم أنه لا يملك منه شيئا .

انا الآن حائرة: هل اترك زوجى واطفالى الخمسة الصغار واذهب الى بيت ابى : أم أبقى فى بيت زوجى الذى أصبح بفضل امه والحاحها المتكرر ولسانها السليط ومشاجراتها التى لا تنقطع ، جحيما لا يطاق ؟!

افيدونى برأى ينقذنى من هذا العذاب .

الحائرة

ل. م. ع – الاردن

« العربى » : **اولا يجب ان تفهم عمتك وابنها ان المهر شرعا وقانونا من حق الزوجة ، ليس للزوج أن يسترده منها ، او حتى أن يطالبها بمقابله من الاثاث أو غير الاثاث .**

وليس فى الدنيا شريعة ولا قانون ولا عرف يكرهك على ان تطالبى به اباك كى تعيديه الى زوجك او عمتك ، بعد كل هذه السنوات . حاولى أن توسطى بعض أهل الخير فى اقناع عمتك بهذه البديهيات الاولية ، بالتى هى احسن، فان اصرت على أن تهدم عش ابنها ، فالى بيت ابيك ، وسترى عمتك انها ستدفع لك أضعاف المهر الذى تطالب به ، فى صورة نفقة لك ولاولادك الصغار ، وسترى يومئذ أنها كما يقول المثل المعروف : على نفسها جنت براقش !

عرق القدمين والتهابهما

● هل هناك دواء يمنع العرق الذى تفرزه الأرجل؟

عدنان المهر – الاردن

● انا لا أستطيع لبس « القندرة » – الحذاء – واذا لبستها تعرق قدماى وتخرج منهما رائحة كريهة ، واذا لبستها طول النهار فان الجلد ما بين الاصابع يتمزق وأشعر بأكلان شديد. فماذا أفعل، علما بأنى لا أستطيع الاستغناء عن لبس الحذاء ؟

ع. الشهابى

ج. ع. س

« العربى » : **البس حذاء مكشوفا (صندلا) وخاصة فى الصيف .**

ادهن موضع التمزق والاكلان بأى نوع من « الكريم » مثل « فيوفورم » ، او سلفاميل » او بمحلول الكلامين او الكلادريل .

فان لم يتيسر لك ذلك فضمد ما بين اصابع قدميك بمعجون الحناء عند النوم .

المراة السودانية

● كانت الخريطة التى نشرتموها للسودان بمديرياته التسع ، هدية رائعة حقا من « العربى » لابناء السودان .. رغم ما أصاب بعض الاسماء المنشورة عليها من تحريف .. فمثلا وادى صواير، صحته « وادى حوار » ، وكتوم ، صحته « كتم » ، وبابانوسا ، صحته «بابانوسة » ، وحاليب صحته « حلايب » ..

كما أن استطلاعاتكم عن السودان جديرة بكل شكر ، وان كنا ما زلنا نطمع فى المزيد .. كأن تنشروا – مثلا – استطلاعا عن عطبرة ، عاصمة الحديد ، أو غيرها من المناطق والمدن .

ثم لماذا لم تنشروا مقالى عن تعليم الفتاة السودانية ، مع الصور التى أرفقتها به ؟

بدرية بشرى عدلان

الخرطوم – بحرى

« العربى » : **شكرا لتصويب الأسماء المحرفة .**

مقالك عن تعليم الفتاة السودانية لم يعد له محل بعد الذى نشرناه فى استطلاعاتنا المختلفة عن الفتاة السودانية فى المدرسة وفى المجتمع .

الطريق طويل ... وشاق

● أنا طالب بالسنة النهائية بقسم اللغة العربية بكلية آداب الاسكندرية ، عشت أيامي السالفة عاشقا للأدب والأدباء ، مجنونا بالشعر والشعراء ، وهذا ما دفعني للالتحاق بهذه الكلية بالذات لأشبع هوايتي ، وأنمي قريحتي المفتونة بالأدب بشتى أنواعه . وبدأت أحمل رسالة نفسي وأدعم بناء شاعريتي بالاطلاع المتواصل للقديم والحديث من الأدب ، وأخيرا جرى قلمي ليعبر عن شخصيتي التي انبثقت تفرض وجودها وتتفرد بلونها ! وكتبت الكثير ، وتقدمت للأستاذ الكبير والشاعر المعروف « كامل الشناوي » رئيس تحرير الجمهورية الذي قرأ شيئا مما حملته له ثم دق على مكتبه بقبضة يده ، وقال : « رائع ! ولكن الطريق طويل وشاق » فلما سألته : كيف الاهتداء لعبور هذا الطريق ، قال : « حينما تشعر بالتعب ، وينفصد العرق من جبينك .. حينما يدمي الشوك قدميك .. حين تتلقى من الأيام درسها » . مع ذلك لم أفقد الأمل ، وبدأت أبحث وأنقب عمن يمنحني خلقا جديدا ، وجرى قلمي يعبر عن حياتي في عشرة أبيات من الشعر أطلقت عليها : « برعم الحرمان » :

أملت في الغد الحياة
وأقبل الغد كالأمس
وناشدت حظي من السعادة
وتراءى لي البؤس
وأشرقت من حولي الأنوار
وغربت في ضحايا شمس
عدت للأمس أبكيه
وأمسى البكاء لا ينسي
اليوم نار تعذبني
والأمس بين الأنين والهمس
لمت قلبي تفاؤله
وجرعت الصبر نفسي
أيا حياة غردي مرة
وأنت يا أيامي لا تقسي
وحيدا فريدا أعاني
يشاركني خيالي وحسي
أيرضيك يا رب شقائي
أرني من النور قبس
كأس الحمام شربته
وها هو فارغ كأسي

فهل أرى في رحابكم النور الذي يضيء أمامي الطريق الطويل ، وهل أبعث لمجلتكم الغراء بما تفتقت عنه قريحتي من أشعار ومقالات ؟!

رشاد . ف . س . ر

«العربي» : لم نشأ أن ننشر اسمك كاملا ، لأن الذي تسميه شعرا انما هو هراء لا يليق بطالب بالسنة النهائية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ! فاذا قال لك قائل انه « رائع » فقد سخر منك .. فان الطريق ، كما قال لك الأستاذ كامل الشناوي ، ما يزال أمامك طويلا ، وشاقا .. ونشرنا شعرك ليكون مثلا لأشعار كثيرة يبعث بها الينا الشباب غير الناضج ، ثم يعتب على العربي بأنها لا تنشر الا للمشهورين وترفض الشباب المغمور .

محاولات .. ناعمة

● أود أن أعبر لكم عن اعجابي الشديد بمجلة « العربي » الغراء ، وأن أهنئكم بما أحرزته من نجاح وتقدير ، فهي بحق قد قفزت الى مصاف المجلات العالمية الكبرى ، وهي بحق المجلة العربية الأولى بلا منازع .

ولقد قرأت في بعض الأعداد السابقة ما تنشرونه تحت عنوان « من شعر القراء » ، فشجعني ذلك على أن أقوم بمحاولة ، تمخضت عن القصيدة المرفقة التي لم أتقيد فيها بوزن ولا قافية ، لأني قرأت للشاعر الملهم « نزار قباني » أن الشعر لا يتقيد بوزن ولا قافية .

ولكي لا يلتبس عليكم الأمر عندما تقرأون اسمي ، أحب أن تعلموا أني لست « فاطمة الصافي » التي تعودت أن تكتب اليكم ، فهي غيري وأنا غيرها ، ليس بيننا غير تشابه الاسمين فقط !

فاطمة محمد عبد الله الصافي
عدن

« العربي » : **ليس أخطر على الشاعر المبتدىء أو الشاعرة المبتدئة ، من التأثر بالشاعر الفحل نزار قباني ، وآرائه في الشعر ، أو في الحياة ، وبمحاولة تقليده في شيء انفرد به ، ولن تنجح محاولات المبتدئين والمبتدئات في تقليده !**

ونصيحتنا لكل من يريد أن يقول الشعر ، من الجنسين أن يكثر من قراءة الشعر العربي القديم ، فهو خير معوان على تربية الملكة الشعرية وتنميتها . أما الشعر الحديث الذي لا يريد أن يتقيد بوزن ولا قافية ، فلا غناء لهم فيه .

بقي أن نسأل الآنسة فاطمة عبد الله الصافي : من أين عرفت أن « فاطمة الصافي » اعتادت أن تكتب الينا ، مع أننا لم ننشر لها شيئا ؟!

ردود خاصة :

● **الآنسة هـ . و . س : الكويت**

ـ حالتك طبيعية لا تدعو الى شيء من القلق . فاطمئني .

● **محمود راضى : السويس : دبى**

● **أ . م . ح : القاهرة**

دوالى الخصى ليست بذات خطر،وكثيرا ما يكفى فيها صب الماء البارد على الخصية من اسفنجة ، وتنظيم حركة الامعاء ، وحزام يرفع الخصيتين يشترى من الصيدلى . وأحيانا قد يدعو الأمر الى الجراحة ، وهى جراحة بسيطة أما بقية ما ذكرت فى خطابك فلا أهمية له على الاطلاق .

● **م . أ . ف : وزارة البلديات ـ الكويت**

ـ النظارة الطبية فى مثل حالتك لا بد منها . اذا كانت النظارة التى تستعملها الآن لا تجدى،فاستشر طبيبا متخصصا ، لفحص قاع العين وتقرير العلاج اللازم .

● **يوسف القريق : ليبيا**

ـ أنت مصاب بفتق سرى مزمن . والدين عالجوك بالكى بالنار جهلة لا يفقهون شيئا فى الطب .. فلا بد من عملية جراحية .

● **راضى على المرهون ـ ام الحمام ـ السعودية**

ـ لا يفتى بتحريم الغناء أو الموسيقى الا متزمت أو جهول .

● **صبحية قطاوى : طولكرم ـ الاردن .**

ـ فى مثل حالتك لا يكون الفحص الطبى كاملا ، الا اذا شمل تحليل افرازات المعدة ، والبراز .

● **حسنى عبد الحميد : القاهرة**

ـ ما دمت لا تجيد حرفة صناعية ، فماذا تريد أن تعمل فى بلاد أجنبية لا تجيد حتى لغتها أوكيف يتسنى لك تعلم حرفة صناعية مع تعلم الموسيقى التى تريد السفر من أجلها !!

● **يس سليمان : وزارة الخارجية ـ السودان**

● **زياد فؤاد رياض : ابها ـ السعودية**

ـ نحن لا نعطى عناوين الفتيات التى ننشرها على غلاف « العربى » للقراء .

● **مواطن : مدرسة التربية القومية بالزمالك ـ القاهرة**

ـ استشر طبيبا متخصصا فى الامراض التناسلية .

ملاحظات على مقال العتبات المقدسة

بقلم حسن الأمين

● تلقت مجلة « العربى » عددا من الرسائل يعلق فيها كاتبوها على بعض ماورد بالاستطلاع الذى نشرناه بالعدد الاربعين عن « العتبات المقدسة » رأينا ان نكتفى منها برسالة الاستاذ « حسن الأمين » لانها جمعت كل ما تضمنته بقية الرسائل من ملاحظات .

فى التحقيق القيم الذى نشرته مجلتنا الحبيبة فى عدد مايو عن العتبات المقدسة فى العراق ، بعض عبارات تتطلب التصويب ، ايضاحا للحقيقة التى هى رائد مجلة « العربى » .

١ ـ تكرر فى التحقيق استعمال كلمة (الحج والحجاج) وقصد بالأولى زيارة العتبات وبالثانية زوارها . وهذا يتنافى مع الواقع فعند الشيعة لا يسمى (حجا) الا زيارة مكة فى الموسم المعروفة ولا يسمى (حاجا) الا من يحج فى هذا الموسم . والصحيح اطلاق كلمة : زيارة وزوار .

٢ ـ كذلك ما ورد من ان العتبات المقدسة تكاد تتساوى عند الشيعة مع مكة المكرمة بقداستها ، هو غير واقعى ، فمكة عند الشيعة ـ كما عند غيرهم ـ لا يساويها شىء ، والحج اليها لا يعوض عنه شىء

٣ ـ ورد فى المقال ما قد يفهم منه انه تشكيك فى صحة دفن على بن ابى طالب فى مكان قبره الحالى ، مع انه لا تناقض بين قول من قال ان مدفنه الكوفة ومن قال ان قبره هو هذا القائم ، لان مكان قبره الحالى هو ما كان معروفا بظهر الكوفة فى بقعة منه عرفت باسم الغرى وعرفت كذلك باسم النجف ، وعندما نذكر هذا يجب ان لا ننظر الى الكوفة الحالية الصغيرة التى هى اليوم قرية من القرى ، وتبدو وكأنها منفصلة عن النجف ، بل يجب ان ننظر الى الكوفة الماضية التى كانت عاصمة تمتد الى اوسع المساحات ، والتى كانت النجف ظهرا لها ومكانا متصلا بها .

٤ ـ قال الكاتب انه تكثر حلقات الدروس فى الصحن الخارجى لمشهد الامام على حيث يلتف الناس حول احد العلماء الذى يلقى درسه باللغة الايرانية غالبا

والحقيقة ان الدروس تلقى دائما باللغة العربية والذى سمعه الكاتب يلقى بالفارسية انما هو وعظ يلقيه الواعظون الايرانيون المرافقون للزوار الايرانيين ، ومن البديهى ان يخاطب الواعظون الموعوظين بلغتهم

٥ ـ قال الكاتب ان معتنقى مذهب الامامية يقدر بنحو ٢٥ مليونا موزعين بين ايران والعراق ، ويعتبر هذا المذهب دين الدولة الايرانية الرسمى .

والحقيقة ان عدد الشيعة الامامية لا يقل عن ربع عدد المسلمين جميعا وهم منتشرون لا فى ايران والعراق وحدهما ، بل فى الكويت والبحرين واندونيسيا والملايو وسنغافورة وسيلان والتبت وسورية ولبنان والباكستان والهند والصين والاحساء والقطيف والحجاز وعدن ومسقط وعمان وشرق افريقيا والصومال وغيرها .

والقول بان المذهب الشيعى الامامى هو دين الدولة الايرانية الرسمى تجاوز عن الواقع فدين الدولة الايرانية الرسمى هو الاسلام على المذهب الشيعى .

٦ ـ تكررت كلمة (قاذار) و (قاذارين) والصحيح : قاجار وقاجاريين .

٧ ـ اطلاقه كلمة (عادة شنيعة واهواء فظيعة) على ادماء الرؤوس وضرب الظهور هو اطلاق صحيح ، وعلماء الشيعة يحرمون ذلك وينكرونه ، وهو ككل ما دخل على الدين من عادات وتقاليد فى جميع البلاد الاسلامية مما لا صلة له بالدين ونسب الى الدين . واشهر ما كتب فى تحريمه وانكاره هو رسالة (التنزيه)

٨ ـ فى معرض حديثه عن مقتل الحسين قال :

(مع الاضافات الكثيرة التي يبالغ الشيعة في اضافتها الى التاريخ) . واؤكد له ان الشيعة لا يروون في مقتل الحسين الا ما رواه الطبري وابن الاثير والمسعودي واضرابهم ، والمبالغات التي قد تكون رويت له هي من قبيل الاقاصيص التي يتداولها العامة وليست من التاريخ في شيء .

٩ – قال وهو يتحدث عن الاذان في العتبات المقدسة : « كان صوت المؤذن ينطلق عاليا من مكبرات الصوت العديدة المثبتة فوق المآذن الاربع الذهبية وهو ينقل الى اهل الشيعة اذانهم الخاص اشهد ان محمداً رسول الله وان علياً ولي الله » . .

ليس للشيعة اذان خاص ، وهذا الذي سمعه مضافا الى الاذان ليس هو من الاذان ، والشيعة يرون ان من يقوله معتقدا أنه من الاذان يكون آثما .

١٠ – قال ان المذهب الشيعي الثالث بعد الامامية والزيدية هو الاسماعيلية ويراسها آغا خان .

وفي هذا القول نصف الحقيقة اذ ان الأمر كما قال من ان المذهب الشيعي الثالث هو الاسماعيلية ، ولكن ليسوا الاسماعيلية الذين يراسهم آغا خان بل الاسماعيلية الذين يراسهم سلطان البهرة ، وهو الذي ذكر الكاتب انه كسا ضريح الامام علي بالذهب والفضة عام ١٩٤٠ .

ان من حملوا اسم الاسماعيلية هم قسمان لا يجمع بين عقيدة كل منهما الا الاسم فقط ، وهذان القسمان هما اللذان عرفا في التاريخ باسم المستعلية والنزارية ، وعرفا في العصر الحاضر باسم البهرة والاغاخانية . ومن الأولين الفاطميون في مصر ، ومن الآخرين جماعة حسن الصباح ممن انشاوا حكما في قلعة الموت وغيرها من القلاع التي استعصت على جنكيزخان ثم استسلمت من بعد لهولاكو الذي قضى على حكمهم بعد أن استمر سبعا وسبعين ومائة سنة . وكان آخر من حكم منهم هو ركن الدين خورشاه الذي قتله هولاكو . وهذا الفريق هو الذي عرف في التاريخ أيضا باسم (الحشاشين) .

ولا أختم القول قبل أن أحيي مجلة العربي وكتابها لا سيما كاتب ذاك التحقيق .

بيروت — حسن الأمين

نرفع إلى

حضرة صاحب السمو

الشيخ عبد الله السالم الصباح

أمير دولة الكويت المعظم

وإلى حكومة سموه الموقرة

والشعب الكويتي العظيم

نقدم أطيب التهاني بمناسبة

العيد الوطني

مع أخلص أمانينا لمستقبل زاهر وتقدم شامل

في ظل حضرة صاحب السمو

أمير البلاد المفدّى

بنك الكويت الوطني المحدود

فى الاعادة افادة !

● دخل الولد على امه وبالقرب من عينه علامة سوداء من لكمة . فسألته امه عن السبب فقال : لقد تشاجرت مع احدزملائى فضربنى على عينى .

فقالت له امه : خذ هذه الكعكة وقدمها له وكونوا أصدقاء .

وفعل الولد ما أمرته امه .

وفى اليوم الثانى عاد وبجانب عينه الثانية علامة سوداء ايضا . ولما سألته امه عن السبب قال : لقد اعجب صديقى بالكعك !!

تضحك الدنيا معك
ابكِ تبكِ وحدك

ولد صادق !

● **الأم :** اليوم ستصبح يا ابنى فى السابع عشر من العمر ، وأظن انك ستبدأ بالتدخين عما قريب . واطلب منك ان تعدنى بأن تقول لى ذلك بنفسك بدلا من الجيران .

الابن : لا تقلقى يا امى ، لقد تركت التدخين منذ سنة .

مسألة ضمير

● ارتكب ايرلندى كاثوليكى جريمة قتل ، واعترف بان القتل قد تم بقصد السرقة . وجرى بينه وبين المحقق الحوار التالى :

المحقق : كم وجدت مع القتيل ؟

القاتل : نصف جنيه .

المحقق : ماذا فعلت بنصف الجنيه ؟

القاتل : اشتريت به وسكى .

المحقق : وماذا وجدت ايضا مع القتيل ؟

القاتل : لا شىء سوى طعامه .

المحقق : ماذا فعلت بالطعام ؟

القاتل : أكلت الخبز ، ورميت اللحم .

المحقق : لماذا رميت اللحم ؟

القاتل : لان يوم الحادث كان يوم جمعة ، ودينى يحرم اكل اللحم فى هذا اليوم !!

سنبدأ من الآن .!

● انتهت طقــوس الزواج وخرج الزوجان من الكنيســة واستقلا سيارة اجرة كانت تنتظرهما . وبعــد ان قطعت السيارة مسافة قصيرة امر الزوج السائق بالوقوف ، ونزل من السيارة ، وطلب من الزوجة والسائق الانتظار ودخل صالة بليارد .

ومضت ساعة وساعتان ولم يعد الزوج . فنفــد صبر العروس ولحقت به ، فوجدته فى صالة البليارد يلعب مع رجل آخر .

وابدت اعتراضها على هــذا التصرف بشدة وقالت له . الى متى سنظل ننتظرك فى السيارة؟

فالتفت الزوج الى زوجتــه غاضبا وقال : ما هذا ؟ هــل ستبدأين مضايقاتك من الآن ؟

لماذا هرب نابليون .. ؟

● جلس صاحب مطعم فى جزيرة « البا » ، التى نفوا اليها نابليون ، يفكر فى وسيلة للدعاية لمطعمه الكاسد . وفجــأة لمعت عيناه وابتسم . ثم استدعى خطاطاً كتب لافتة ، علقها .. وعليها الجملة التالية : « هنا كان يأكل نابليون يوميا .. » .

وفى ظهر اليوم التالى .. رأى الزبائن يقفون خارج مطعمــه لا يدخلون .. وانما يضحكون ، وهم يقرأون لافتة اخرى علقها زبون منهم اكل فى اليوم السابق وعليها جملة .. **« ولهذا هرب من الجزيرة » !!**

طريقة رخيصة

● قررت سيدة أن تجرى جراحــة تجميل لأنفها فذهبت الى اخصــائى وسألته :

ــ ما هى تكاليف تغيير شكل انفى ؟

فأجاب الطبيب : مائتا دينار .

فقالت السيدة : انه مبلغ كبير جــدا .. الا توجد هناك طريقة اخرى ارخص؟

فقال الطبيب : نعــم .. يمكنك أن تسيرى بسرعة وتجعلى أنفك يرتطــم بعامود كهرباء .

أخلص التهاني
وأجمل الأماني
إلى رائد البلاد وقائدها

حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح المعظم

بمناسبة العيد الوطني

كما نقدم إلى حكومة سموه الموقرة وإلى شعبه الكريم أجمل الأماني

بمستقبل زاهر وتقدم مضطرد في ظل أمير البلاد حفظه الله.

بنك الخليج

شركة مساهمة كويتية - رأس المال ١,٨٠٠,٠٠٠ دينار كويتي

يقوم بجميع الأعمال المصرفية - ينمي رؤوس الأموال العربية - يخدم الاقتصاد الوطني

له وكلاء ومراسلون في جميع أنحاء العالم

المركز الرئيسي: شارع مبارك الكبير - ص. ب ٣٢٠٠ كويت

 (بقية المنشور على صفحة ٥٥)

اما عربية .. واما أعجمية صحيحة

● كان موقع وطننا العربي بين ثلاث قـارات سببا في اختلاطنا بالأمم الأخرى . والاختلاط بهذه الامم معناه اننا ناخذ منهم ونعطيهم من عندنا ، ومما ناخذه ـ وهذا اوضح شيء ـ اللغة والكلمـات والتعبيرات .

ومع مرور الزمن دخل لغتنا العربية الكثير من الكلمات والتعابير الغربية والشرقية على السواء ، من انجليزية وفرنسية وطليانية الى تركيةوايرانية وهندية .

ولو لم تكن لغتنا من القوة بدرجة ، لما حافظت على قوتها ومكانتها . ومع ذلك فقد غزتها عدة كلمات اجنبية ، فلم نقدر على صدها . وهـذه الكلمات حرفت فأصبحت لا هي بلغتها الأصلية ، ولا هي بالعربية ، بل بين بين !

وما اريده الآن هو انه يجب علينا نطق الكلمات الغازية اما بلغتها الاصلية كما ينطقها اهلها ، وما مترجمة الى العربية ترجمة معقولة .

ارجو من الاذاعة الكويتية النشيطة ان تساهم في هذه الفكرة باحداث برنامج جديد يخرج الكلمة الاعجمية ويبين معناها بالعربية كما يبين طريقة نطقها بلغتها . وبذلك تعم الفائدة لكلا اللغتين .

س. ع ـ البحرين

الحرية : متى يكون تقييدها ضرورة لا بد منها

● هناك عناصر معينة اثبت مر الزمان وانعقاد الاجماع أو ما يشبه الاجماع ، انها أساس جوهرى للحياة السعيدة .. وفى طليعة هذه العناصر تأتى الحرية .. فمهما كان الانسان متخما بالمادةوالطعام ومترفا فى المسكن والملبس ، ومهما بلغ ارتفاع مستوى حياته فلا يمكن أن يكون سعيدا اذا لم تتوفر له بالاضافة الى ذلك كله،الكرامة والحرية.

على أن الغلو فى المطالبة بالحرية الشخصية ولا سيما فى الاقطار الناشئة الحديثة الاستقلال ينطوى على محاذير شديدة الخطورة ، اقل ما فيها ان مثل هذه الحرية الواسعة قد يفتح ثغرات فى قدرة الشعب على التحفز الدائم لصيانةالاستقلال فى الشعوب التى ظفرت باستقلالها حديثا ، او يلهى الشعب عن تركيز جهده على السعى الى الاستقلال فى تلك الشعوب التى لم يكتمل الاستقلال الحقيقى فيها بعد،فضلا عن أن الظروف التى لا تزال تتحكم فى الشعوب الناشئة من فقر وجهل ، ومن رواسب تعود الى عهود الاستعمار الطويلة ، كل ذلك من شانه أن يعرض افراد هذه الشعوب الى الانزلاق اذا منحت لهم حريةواسعة. كتلك الحرية التى تنعم بها الشعوب الديمقراطية التى احرزت منذ وقت طويل قسطا كبيرا من الثقافة والثراء والوعى ..

والعالم الآسيوى الافريقى هو اليوم فى وسط المعركة ، معركة الاستقلال والتحرر من الاستعمار بشتى صوره وأشكاله القديمة منها والحديثة . وما دام هناك بلد آسيوى أو افريقى واحد خاضع للاستعمار فان معنى ذلك أن الاستعمار لا يزال حيا يمكن أن يعود بأحد أشكاله وصوره فى اية لحظة الى الأقطار التى جلا عنها . وهذا يصدق بنوع خاص على العالم العربى الذى لا يتعرض لتهديد الاستعمار وحسب بل يتعرض أيضا لتهديد

اسرائيل التى تجثم فوق قلبه .

وفى ظروف مريرة كهذه اليس من الحكمة أن نحشد كل قوانا ونركز كل جهودنا لحماية استقلالنا فى البلدان التى استكملت استقلالها؟ واذا اقتضت هذه الحماية احيانا ان نحد من بعض حرياتنا الشخصية حتى لا نفتح ثغرات فى صفوفنا التى لا تزال طرية العود ، فلماذا لا نحسب ذلك فى عداد التضحيات التى تحملناها ، والتى ينبغى أن نستمر فى تحملها الى أن نطمئن كل الاطمئنان الى ابتعاد كل خطر خارجي ؟

على أننا ينبغى أن ننتبه هنا الى نقطتين ،النقطة الأولى : أن هذا التقييد ينبغى أن يكون موقوفا بحيث ترفع القيود وتخفف تدريجيا كلما ازداد تطور الشعب ووعيه وادراكه ، وازداد رسوخ نظام الحكم الوطني فيه . والنقطة الثانية : هى ان فرض هذا التقييد هو من حق الشعب وحده فالأكثرية الشعبية هى التى تفرض هذا التقييد لتحمى الوطن من الأقلية الضالة المضللة ، ومن ثم فالتقييد لا يكون مشروعا الا فى البلاد المستقلة التى ينبثق نظام الحكم فيها عن ارادة الشعب او الأكثرية الساحقة من الشعب . أما البلاد التى ترزح تحت حكم استعمارى مباشر او غير مباشر فان اى تقييد للحرية فيها انما هو تقييد للكفاح فى سبيل الاستقلال او استكمال الاستقلال .

ان أشد البلدان عراقة فى الحريات الشخصية تضع القيود على هذه الحريات فى أثناء الحروب التى تهدد مصيرها ، فهل هددت الحرب العالمية الأولى أو الثانية مصير بريطانيا واميركا مثلا باكثر مما يهدد الاستعمار والصهيونية مصير العالم العربى اليوم ؟!

أبو وائل — بيروت

ملاحظات على مقال « المرأة البدوية »

● قرأت مقال الاستاذ الصديق عارف العارف المنشور فى مجلة « العربى » الشهيرة ، فاذا هو

تحفة لولا بعض نقاط اطلق الاستاذ الفاضل احكامه فيها اطلاقا .

ولقيمة الأستاذ عندي ، وقيمة ما يكتب رأيت ان انبه على بعض النقاط التى تسرب فيها شىء من الوهم ، منها قوله :

١ ـ « والمرائر جمع مرير ، وهو الحبل الشديد الابرام » والواقع أن المراير ـ لا المرائر ـ جمع مريرة ، والمريرة حبل قصير يفتل فتلا ، ولا يجدل جدلا ، والبدو الارادنة لا يكادون يستعملون الهمز فى كلامهم . اما المرير فى البادية الاردنية فهو ما يسميه الحضر « العقال » .

٢ ـ وذكر فى الصفحة ال ١٢٥ « ان البدوية ليس لها راى فى زواجها » ، والواقع أن البدو لا يزوّجون انثى الا برضاها ، ونحن نعرف ذلك معرفة شخصية ، فهم يقولون : « كل شىء ينغصب غير ابن ادم » . ويقولون « الجيزة محبة » . وما شابه ذلك . وكل الذى يملكه ولى الانثى البدوية ان يتحكم فى مقدار المهر ، اذا كانت تقاليد العشيرة وعاداتها لم تعين حدا اعلى للمهر .

٣ ـ وجاء فى مقالة زواج الفصلة الخ .. . والحقيقة ان هذا الزواج غير معروف عند بدو الأردن ، الا عند الشرارات وهم عربان من عربان السعودية ، وكانوا قديما يطرأون على الديار الاردنية ، وكان الزواج عندهم يتم على هذه الصورة :

يجلس كل من العريس والعروس على حجر ، مقابلا الآخر فيقول العريس : « انا قاعد ع حجر » فترد العروس : « وانا قاعدة ع حجر » . فيقول العريس : « اسمع يا رب البشر ، انت انثى ، وانا لك ذكر » .

ثم يكسر عودا دلالة على أن الاتفاق قد تم ، وأن كل حاجز بينهما قد زال ، وأن الشر قد تحطم . فيقول الشهود :

الله اكبر اربع مرات . وهم لا يكبرون التكبيرات اربعا الا فى موقف الزواج ، وفى حالة دفن الميت ، كأنهم يشيرون بذلك الى بدء الحياة وختامها .

وبهذا كان يتم الزواج عند الشرارات قبل ان ينتشر بينهم المذهب الوهابي .

٤ ــ ويسمى قضاة المناهي « مناشد » ولعل هذه التسمية صحيحة بالنسبة الى بدو بشر السبع ، اما في الديار الاردنية فالقضاة ثلاث طبقات ..

ا ــ قضاة معترضة ــ وهم للاستشارة (مناشد).

ب ــ قضاة مشاهي ــ وهم ارقى منزلة من الطبقة الاولى .

ج ــ قضاة مناهي ــ وهم ارقى طبقة من طبقات القضاة عندهم ، واليهم تنتهي اعظم الامور واشدها تعقيدا .

وقال (مصحة الضحى) والذى نعرفه في الديار الاردنية (صايحة الضحى) وهى المراة التى يعتدى على شرفها في وضح النهار .

وذكر الاستاذ العارف من الغرامات التى تفرض على المعتدى على صايحة الضحى ، ان يفرض عليه المنشد ان يركب جملا مطليا بالدهن والقطران ، وكل عضلة من عضلاته ، او كل عضو من اعضاء بدنه يصيبه الدهن او القطران يقطع او ان يشترى الزاني العضو المحتم بتره بمبلغ من المال او عدد من الابل يعينه المنشد ، هذا فضلا عن اليد التى مست الفتاة اثناء الزنا ، فانه لا بد من قطعها » .

وهذا ليس معروفا في البادية الاردنية ، فاذا كان الاستاذ العارف قد وقف على ذلك بنفسه ، فلا اعتراض لي عليه ، اما اذا كان قد ذكر له ذكرا ، فارجو ان انبه الى انه غير معروف في ديارنا .

روكس بن زائد العزيزى

عمان ــ الاردن

مصايفنا العربية

● بمناسبة ما يقدم لنا «العربى» مشكورا ، من استطلاعات صحفية مصورة عن المصايف العربية ، اذكر انى سمعت عن وجود مصايف رائعة في «غامد» و« زهران » جنوب المملكة السعودية ، تضاهى

مثيلاتها فى البلاد العربية ، ولكنها مجهولة ،ليس للاقطار العربية فحسب،بل ولكثيرين من السعوديين، نظرا لبعدها عن المدن الرئيسية . فاتمنى لو تقوم « العربى » باستطلاعات عنها لتكمل السلسلة التى بدأتها عن المصايف العربية ، ولتقضى على الفكرة السائدة لدى البعض من أن ارض الجزيرة العربية قاحلة كلها .

ولقد قرات فى الصفحة ٦٤ بعدد مايو من « العربى » أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال لمن اجتز له قطعة من الارض مساحتها متران فى ثلاثة لتكون قبرا : « احرثها بعد عام ». والواقع أن الذى قال ذلك هو الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز عندما احس بالموت وهو فى دير سمعان ، شمال سوريا ، اثر دس السم له من قبل بعض الطامعين بالخلافة . والظاهر على كل حال انها غلطة مطبعية .

محمد احمد اليحيا

كلية بيروت الثانوية

التعليم فى ليبيا

● نشرتم فى مجلة « العربى » القراء ــ العدد ٤٢ ــ مقالا مصورا حول التعليم فى ليبيا وكان من جملة ما جاء به أن « التعليم فى المدارس الابتدائية مشترك حيث يدرس التلاميذ والتلميذات فى فصل واحد » .

والحقيقة أن التعليم بين الذكور والاناث غير مشترك فى ليبيا ، وأن الصورة المنشورة فى ذلك العدد هى لرياض الأطفال الذين يكونون فى السنة الرابعة من أعمارهم.أما فيما عدا ذلك من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية فان لكل جنس مدرسته الخاصة به باستثناء الجامعة الليبية التى بها عدد من الفتيات الليبيات ممن أتممن تعليمهن الثانوى ، ونعتقد أن هذا الخطأ وقع عن حسن نية .

عبد النبى ابراهيم الربانى

نظارة المعارف ــ طرابلس ــ ليبيا

نازلى الأميرة .. ونازلى الملكة

● ... جاء فى « نقد كتاب الشهر » بالعدد ٤٢ ، عند الكلام على اصدقاء بلنت وزوجته فى مصر ما نصه « كما كانا صديقين للاميرة نازلى التى اصبحت ملكة فيما بعد » .

وهذا لبس دفع اليه تشابه الاسماء . فالاميرة نازلى المقصودة والتى كانت تستقبل فى منزلها كبراء المصريين والاجانب هى بنت الامير مصطفى فاضل شقيق الخديوى اسماعيل ، وكان بينهما عداء اضطر مصطفى فاضل الى ترك مصر وصودرت ثروته ، وهو صاحب الكتاب المشهور الى السلطان عبد العزيز يشكو فيه من الخديوى ويقول فى مستهله : « ما أبعد كلمة الحق عن اسماع الملوك والأمراء » . فالاميرة المذكورة توفيت من زمن بعيد ، وهى غير نازلى بنت عبد الرحيم صبرى باشا التى اصبحت ملكة فيما بعد بزواجها بالملك فؤاد ، ولم تكن وُلدت لما كانت الاميرة نازلى فى اوج شهرتها .

عبد السلام محمد النجار
روضة خيرى باشا ــ دسوق بحيرة
ج ٠ ع ٠ م

البقية على صفحة ١٦٦

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

املأ الكوبون بخط واضح

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ١٥٩

فلنبدأ بالطلبة الغرباء

● لقد قرأت المقال الممتع حول اقتراحكم بما يختص بالزواج المبكر بين الشباب لدرء الانحراف في شبابنا وشاباتنا . وانني أسجل هنا شكري على الصراحة الطيبة التي توخيتموها في هذه المقالة لأن الاصلاح لا يمكن أن يأتي بالمناداة بالفضيلة والتعالي عن التطور الاجتماعي الطبيعي الذي يجرف في تياره التقاليد والعادات ، وانما بمواجهة الحقيقة وايجاد الحل المناسب لها .

وهنا احب ان اتقدم لكم باقتراح بسيط هو في الواقع تكملة لما جاء في مقالكم الكريم . فقد ذكرتم ان خطوات مماثلة قد نفذت فعلا في جامعات اميركا .. فلماذا لا نبدأ في تنفيذ اقتراحكم في جامعاتنا بادىء ذي بدء .. ونحن نعرف ان التقليد الأعمى للتطور الغربي يبدأ في الطبقات المثقفة ويا للاسف؟ لماذا لا ننادي بان نقلد بلدا عريقا في المدنية كاميركا، وجد ان التفسخ الاجتماعي قد ساد روابطه العائلية فخرج منه الى تجربة عملية هي الزواج المبكر ، فاذا اعترض الآباء على أن يبقى أبناؤهم في كنفهم وهم متزوجون، فلنعمل مؤقتا على تشجيع الطلبة الغرباء عن البلد الذي تكون به الجامعة على البدء بتنفيذ هذه الفكرة . وبذلك نكون قد ساهمنا في حل مشاكل عديدة كبيرة من وحدة الطلبة وعدم وجود الرقابة العائلية وذلك بان يكون هناك رباط مقدس بين الشاب والشابة يعين كل منهم الآخر في تامين الراحة في السكن والاقامة وبنفس الوقت يقضي على ضياع جزء كبير من اوقاتهم يقضونه في الحيرة والتفاعل النفسي من جراء الوحدة التي يشعر بها كل منهم في غربته .

فارس العطار – دمشق

فلنصلح القاعدة أولا

اذكر أنني قرأت لكثير من الكتاب والفلاسفة ، أنه لا صلاح لمجتمع الا بصلاح الفرد ، ولا صلاح للفرد الا بصلاح الاسرة ، ولا صلاح للأسرة الا اذا صلحت « القاعدة » التي يقوم عليها بناؤها ،وهي المرأة .. بل ان الفيلسوف الهندي فيزيا يأمل ان تحكم المرأة العالم في العصر القادم ، ذلك

العصر الذى سيكون بلا شك أزهى من عصـــرنا هذا بفعل تقدم الزمن وتقدم الحضارة .

وأعجب ما فى الأمر انه فى الوقت الذى تسود هذه الآراء عقول المفكرين ، نرى المرأة العربية والشرقية فى درجة من التخلف تدعو الى الرثاء .. فاذا ارتفع صوت بالدعوة الى اصلاح هذا النقص المعيب فى بناء مجتمعنا ، اتهم صاحبه بالخـروج على الدين حينا وعلى التقاليد أحيانا .. وعلم الله انها تقاليد رجعية ، وأن الدين برىء مما يزعمون !

متى يا ترى يرقى تفكير قومى الى المستوى الذى يحقق لنا غدا مشرقا ومستقبلا افضل ؟

نادية عزيزى

حول قصة العلمين

● قرات قصة « العلمين » بقلم «سنيه قراعه» التى نشرتموها بالعدد ٤١ ، ولما كانت هذه القصة قد جرت حوادثها فى الجزء الشرقي من وطني ليبيا ، وتناقلها الآباء والأبناء ، وحفظوا ما حوته من ازجال شعبية ، ارجو ان تسمحوا لي بتصحيح بعض الالفاظ التى وردت فى القصيدة .

فصحة البيت الاول « رحيمين ماتوا من اسباب الغيثا » ـ وليس الغيا ـ كلمة غيثا معناها الحب ، وليس البغى والظلم . « بلا ذنب اجتلوه ، لا خطا لا سيئا » وليس لا سيا كي تستقيم القافية .. « كيف الحليب تناهم » اى باطنهم ابيض كالحليب .

وفى البيت الحادى عشر « أولاد الارامل خربوا داعيثة » لا « دعيا » ، بمعنى هدموا قصة الحب هذه ، وليس بمعنى كثيرا كما ذكرت الكاتبة . وفى البيت الثالث عشر « أتذبذب » لا « تدبدب » اى تبكى عيونى .. « أتزيد ارياق » اى يزيد بكائى شوقا وحنينا » .. « يوم انقتل سالت عليـه الساق » وليس « سـالت عليه الساقى » ... والساق هو التراب تهيله عليه محبوبته .

مفتاح على الوحش ـ بنغازى

من شعر القراء :

التى عادت ...

حبُها عاد .. فـعـادت للدنى
غُربـة اللحن ، وتنواحُ الـوترْ
وتلاقيـنـا ... بكـاءً صـامتا
لا الأسى باح ، ولا الدمعُ انهمر
يقظـة المـاضى على أهدابهـا
وجـلالُ الحب فى كـل الصـور

يعرف النهرُ الذى ضمُّ الخُطى
انـا كنّـا بـه غـير البشـر
رجفـةُ اللقيـا ، واشواق الهوى
وتناجينـا كمـا الحـب امـر
وانعطـافاتُ تُرئـات الجَنَى
فى انذهال اللمس ، او لمح البصر
والاكاذيب التـى ننسـجها
للدنيـا .. والحكايات الاخر
وبعينيك تهـاويلُ الرؤى ...
وبعينىَّ صـلاةٌ للحَـوَرْ
الفُ تذكار على هـذى الرُبا
الف شىء رائـع فيهـا انتشر
انت تدرين .. لماذا ـ طفلتى ـ
اعبـد الحب اذا الحبُّ استعر
ما الـذى فى شـمعة واجـفة
ترسل النور اذا الشمعُ انصهر
كنت اهـواك ، واهـوى ادمعى
فيـك ، أهوى كل شىء يحتضر
وجهك الشاحب .. يا ما هزنى
ارق الدمـع بجفنٍ منحـدر
عند هـذا السـفح بعثرتُ الاسى
وتلوّتْ الحزنَ آيـاً وسُـور
فسـليه عن صدى شجوى به
فيجنبيه من المـاضى ذِكَـر
عدتِ .. يا نفحـة ماض لم يزل
ـ رغم ما يجنيه ـ ماضىَّ العَطِر
عـدتِ للدَّوْح الذى جرّدته
ذات يـوم مـن عبيرٍ وزَهَـر
عـدت للنهـر الـذى انضبته
وتخطرت علـى جَدْبِ النَّهَـر
عـدت للكون الذى كنت بـه
ضَحكةَ النـور ، واهلالَ القمر
عـدت للشـر الذى حطمتـه
عدتِ .. للجرح الذى كان اندثر
ما الـذى فى يدك اليمنى ، وفى
عُروة الصدر ، وفى الجيد النَّضِر
ما الذى فى المِعصم الغضِّ بدا
افعوانىُّ الخُطى ، شَزْرَ النظر
لم تعـودى غـير سَفّاحٍ هـوى
اهـرق الجـرحَ على عمرى ومر
خـاتم الخطبـة ـ يا قاتلتى
خنجـرٌ غـار بقلبـى وانكسر

انس داود ـ القاهرة

العربي

العدد ٤٥
الاول ١٣٨٢
اغسطس
(آب) ١٩٦٢

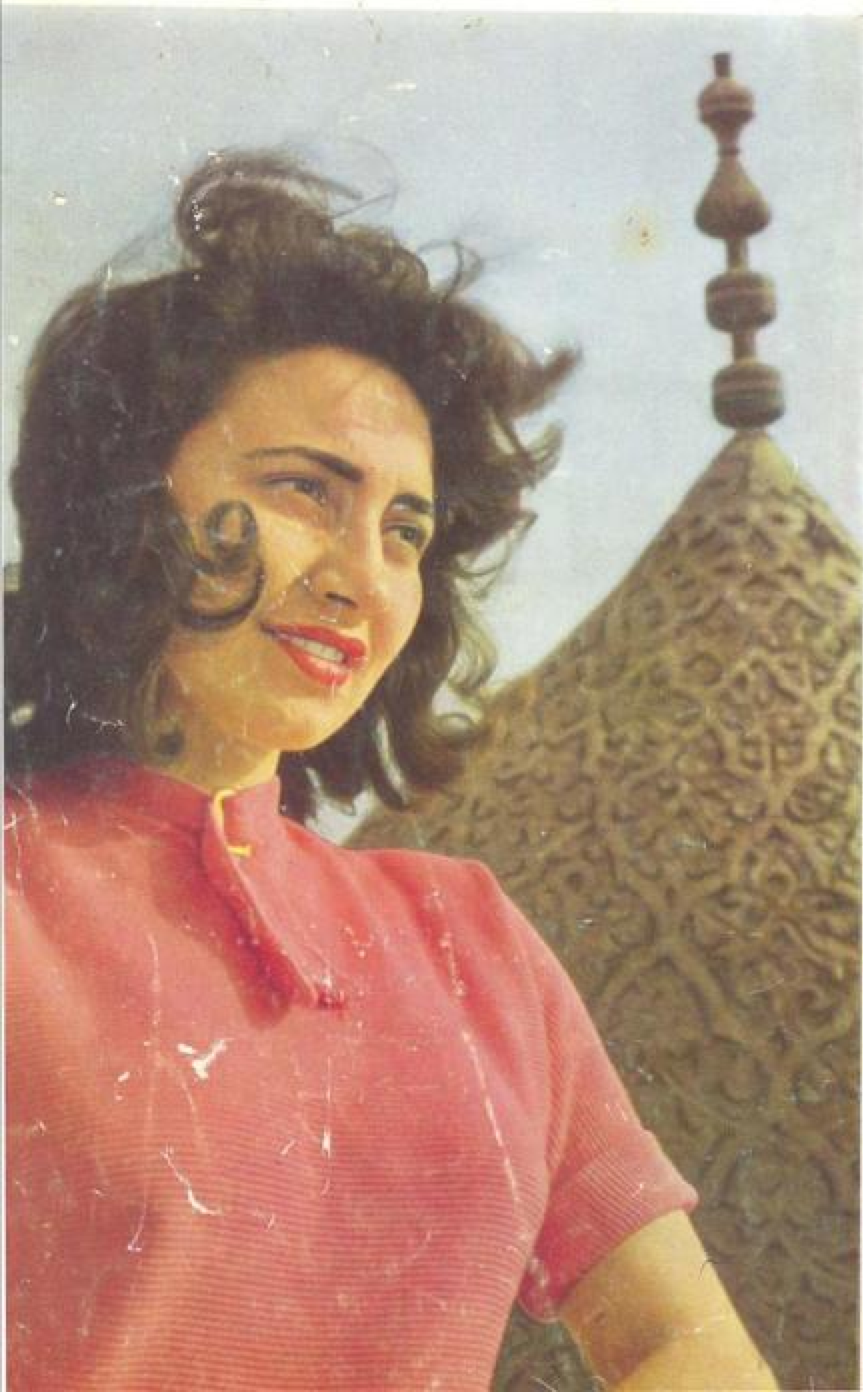

مع هذا العدد

هدية ثمينة
+
العربي الصغير

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

عربيـــة
القبة الخضراء

الثمن

..ويت	١١٠	فلوس
..ليج العربي	٢	روبية
..سعودية	٢	ريال
..جسن	٢٫٥	شلن
..راق	١٢٠	فلسا
..ان	١٠٠	قرش
..	١٠٠	فلس
	١٠٠	قرش
..م	١٠	قروش
..دان	١٠	قروش
..ا	١٥	قرشا
..س	٢٠٠	فرنك
المغرب	٢٠٠	فرنك

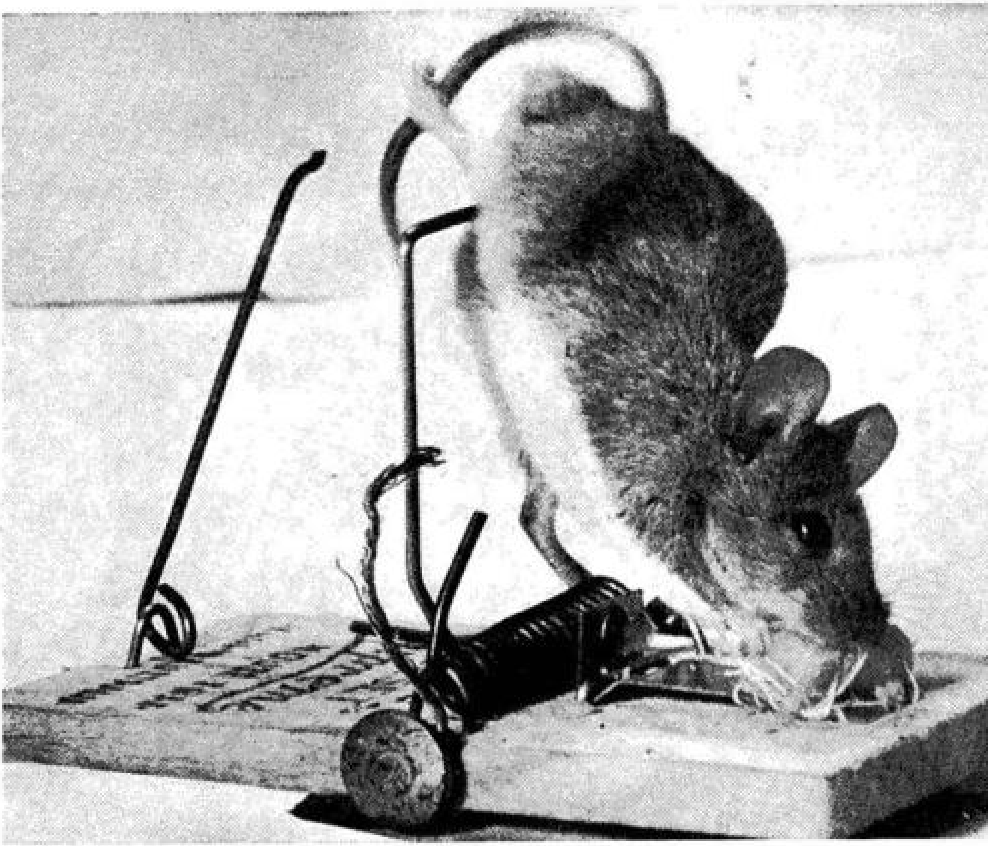

مسكين .. جاء يطلب رزقا هو
عنده الحلال كل الحلال ،
فدقئوا عليه المصيدة ،
لأن حلاله عندهم حرام

MONDADORI PRESS

Dear Sirs,

In reply to yours of April 28th, we particularly thank you for the information you [illegible] magazine [illegible] we had the opportunity of remarking that your review is,without doubts the best magazine printed in arabic language that up to now we had received.

عزيزى القارىء

■ الفقرة التى نشرنا صورتها الزنكغرافية فوق هذا الكلام ، من رسالة بعثت بها الينا مؤسسة « موندادورى » ، صاحبة أكبر دور الصحافة فى ايطاليا ، واحدى كبريات المؤسسات الصحفية العالمية ، وفيها تقول ما ترجمته : « اننا وقد اطلعنا على بعض أعداد « العربى » الاخيرة ، قد اتيحت لنا الفرصة لنلاحظ ان مجلتكم هى بلا شك أحسن مجلة عربية وصلت الينا حتى الآن » ..

■ ٧٠٫٠٠٠ نسخة من « العربى » غمرت الاسواق العربية فى شهر يوليو الماضى .

٨٢٠٠ نسخة بيعت فى الكويت وحدها .

● وهكذا ترى ان مجلتك الصاعدة تزحف بخطى واسعة ثابتة ، وانها تثير اعجاب كل من يقع عليها بصره ، لا فى العالم العربى فحسب، بل فيما وراء البحار ، حتى ولو لم يكن يجيد العربية أو يقرؤها ..

فالى الأمام ...

المحـرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات :

عـروبة :

اجتمـاع :

فلسـفة :

علم النفس :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

لمناسبة خفض اجور البريد
ترسل المكاتبات مباشرة بعنوان
مجلة «العربي» : صندوق البريد ٧٤٨ الكويت الخليج العربي

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

سنلتقي يوما ....

● مع كل اعجابي بمجلتنا « العربي » التي تقود خطانا جميعا نحو هدف عربي اصيل اكون شاكرة لو تفضلتم بنشر الكلمة التالية :

السيد محمد محمود ابو غوش : نعم . ان اسم احد الشهداء الابطال الثلاثة هو عطا الزير لا احمد الزير ... انه ورفيقه محمد جمجوم من الخليل كما ان الشهيد الثالث فؤاد حجازي هو من صفد والخطأ في الاسم الاول غير مقصود ، فشكرا .

السيد فؤاد دبور .. قرية عزون واقعة غرب نابلس كما ذكرت .. وقطاعا القدس ونابلس متجاوران .. فشكرا ايضا .

اما للسيد عمر حمادة علوه فنعم انني لم اف « حلوة » حقها ، ليس لتقصير مني بل لانني لو وفيت كل واحدة من نساء بلادي البطلات ما تستحق ، لا حتجت الى مجلد لا الى مقال .

وبعد فانا على يقين من اننا ، ولو كان واحدنا في الكويت ، والثاني في اربد والثالث في رام الله ، والرابع في لبنان — انا على يقين من اننا سنلتقي على ارض الوطن الغالي ما دامت احداث بلادنا ما تزال تهزنا .. وما تزال ماثلة امام اعيننا بالشكل الذي رايت ... تحياتي .

أسمى طوبى

« العربي » في امريكا

● يسعدني ان اكتب اليكم هذه السطور معبرا لكم عن عظيم تقديري واعجابي بالجهود الضخمة التي تبذلونها في اخراج « العربي » ، مجلة كل عربي . حينما كنت في السعودية لم ادع اي عدد من هذه المجلة يفوتني ، ولما ابتعثت الى الولايات المتحدة الأمريكية لاتمام دراستي الجامعية عز عليّ ان احرم من قراءة « العربي » فبادرت بالاشتراك فيها . فعندما كان اصدقائي الامريكان يشاهدون اعدادها يدهشون لروعة الطباعة والاناقة في الاخراج ، واكثر ما يدهشهم هذه الاستطلاعات التي تقدمونها عن البلاد العربية وحضاراتها ، لأن فكرتهم عن الدول العربية انها عبارة عن صحراء وسكانها يسكنون الخيام ويرعون الجمال والغنم ، ولم يكونوا يتصورون ان عندنا العمارات الشاهقة والمباني الفخمة والشوارع المنسقة ..

والواقع ان هناك اشياء كثيرة يؤسف لها ، ولا اود ان ازعجكم بذكرها فانتم أدرى بها .. اننا نحن المخطئون وليس الأمريكان ، لانهم نشروا وعرّفوا كل شيء عن بلادهم ، ولا زلنا نحن نحلم بامجادنا السابقة !!

علي ضياء الدين
جامعة تكساس — اوستن

تحية من المانيا الغربية

● ان المواضيع التي تعالجها مجلتكم ،والتنويع في ابوابها ، وحسن تنظيمها وجمال طباعتها قد جعلها خلال المدة القصيرة التي مضت على صدورها اولى المجلات العربية واحسنها .. وانها لفرحة كبرى يوم يطالعنا بها ساعي البريد ، ونحن على آلاف الكيلومترات من الوطن الغالي . وفقكم الله وجزاكم الخير عن الوف القراء ، وسدد خطاكم في خدمة الادب العربي ، وقوى ساعدكم على المسير بمجلتنا « العربي » القراء دائما في طريق الازدهار والتحسن .

انور الزعيم
طالب طب في ارلانكن

« العربى » باللغة الانجليزية

● كثيرا ما حدثتني نفسي بالكتابة اليكم لاعبر عما يجيش في صدري من تقدير لمجلة « العربى » الغراء ـ تلك المجلة التي تعد بحق سفيرا عربيا ناجحا يجوب أرجاء المعمورة حاملا لواء التعريف بالأمة العربية وبامجادها الماضية وبنهضتها الحاضرة ، في الوقت الذى تقوم فيه الدعاية المغرضة الصهيونية والاستعمارية بنعت العرب بمختلف الاوصاف التى تبعدهم عن المدنية ، بل وعن الانسانية كذلك ..

ولقد نجحت « العربى » نجاحا لم تحققه مجلة عربية اخرى ، ولا ادل على ذلك من تلك الرسائل المعبرة التى يبعث بها قراؤها العديدون من مختلف البقاع يبدون فيها اعجابهم بها ، ومما يدعو الى الفخر والاعتزاز ان مجلة « العربى » اغرت الاجانب بقراءتها ، فاصبحوا يعبون من فيضها ، ويلتذون بما فيها من افاويه الموضوعات .

ولا عجب في هذا . فهي من حيث الاخراج والطبع والتصوير قل ان يوجد لها مثيل ، ومن حيث المادة فاقول غير مبالغ : انها مائدة صالحة فيها مزيج من الاطعمة ترضى مختلف الاذواق . على ان هذا النجاح الباهر الذى حققته المجلة يمكن ان يتضاعف لو انها اصدرت طبعة باللغة الانجليزية لتوزع في امريكا والدول الغربية ، اذن لآتت ثمارها ناضجة ، واخرست السنة الدعايات الصهيونية ، وقامت بمهمتها كما نرجو ونتمنى ... ولا اظن انكم تدخرون وسعا في الدعاية « للقومية العربية » وللقضايا العربية ، وكيف يكون ذلك والمجلة اسمها « العربى » !

هذا ما راودتنى به نفسى كعربى يزهو ويعتز بكل ما هو عربى صاعد ، وانى اذ ابعث برسالتى هذه ارجو « للعربى » مزيدا من الازدهار لخدمة القضايا العربية ، والسلام .

حمد الله عطية مصلح

مدرس بمعهد اسكندرية الدينى

اسماء تشابهت

● في الجزائر المناضلة اكثر من « جميلة » كلهن اشتركن في الكفاح ، جميلة بوحيرد وجميلة بو عزة وجميلة بو باشا ، وكذلك في فلسطين اكثر من « حلوة » . ففى العدد ٣٤ كتب بعض الاخوان عن « حلوة » شهيدة دير ياسين ، واود ان اذكر انها غير « حلوة » التى عنتها الاديبة اسمى طوبى في مقال « نساء من بلادى » ونحن نعلم انه استشهد عشرات الالوف في فلسطين بين رجل وامراة وتشابهت اسماء بعضهم ، لكن كلام الاديبة واضح فقد ذكرت ان حلوة التى تعنيها كانت تسير في وادى الرباب بجوار القدس ، وهذا هو الصحيح ، واطلق اسمها على الحى الذى استشهدت فيه ، واصبح يعرف بوادى حلوة ، تخليدا لذكراها وتقديرا للمواقف البطولية التى وقفها ابناء ذلك الحى والاحياء المجاورة .

محمود موسى الغول

سلوان ــ القدس

« العربى » في المهجر

● وصلتنا مصادفة بعض اعداد من « العربى » فاعجبنا بها اعجابا غير محدود ، وقد كنا نتوق الى مجلة ثقافية لا توقف صفحاتها على مدح رئيس او الاشادة بسياسة اقليمية الى آخر الهراء والمهاترات التى امتلأت بها صفحات اكثر ما يصدر عن دور الطباعة العربية من جرائد ومجلات ونشرات دورية .

واذا كررت لكم عظيم تقديرنا لهذا النموذج الطيب الذى وصلنا من « العربى » فلا اكون الا معبرا عن بعض شعور الاعجاب الذى امتلأت به نفوس المثقفين في هذا المهجر البعيد عندما طالعوا ما وصل الى ايديهم من هذه المجلة الزاهرة .

واكون جد سعيد اذا تكرمتم وارسلتم لى بحرا ، اعداد « العربى » حين صدورها .

حنا سويدا

سان دومنجو ــ سانتياجو ــ شيلى

(البقية على صفحة ١٤٨)

حَديثُ الصَّيف

بقلم رئيس التحرير

■ لا بد من استجمام .

الحر قاس ، والبرد قاس ، ولكن الحر اقسى . انك فى البرد تستطيع ان تتحرك فتدفأ ، اما فى الحر فكل حركة تزيدك حرا .

من اجل هذا كانت اكثر الأمم انتاجا تلك التى تقع بين اقسى البرد ، واقسى الحر ، فلا هى فى منطقة الأرض المتجمدة ، فتتجمد ، ولا هى فى منطقة الأرض الحارة فتكاد تسيح ، ولكن فى تلك المنطقة التى اسموها بالمعتدلة ، ما بين خط وخط من خطوط العرض معلوم . وقد وُفّقوا فى تسميتها ، فالاعتدال دائما خير .

راس السنة وذنبها

وجعلوا يناير أول العام ؛ وجعلوا ديسمبر آخره . يناير الراس ، وديسمبر الذنب ، ولو كان لى فى الأمر رأى لسوّيت بين السنة الشمسية والسنة المكتبية ، فجعلت أول العام أول الخريف ، وآخر العام آخر الصيف .

والدليل على صحة ما اقول ، ان المدارس تغلق ابوابها فى الصيف وتفتحها فى الخريف مسايرة لما يقضى به حكم الطبع فى هذه الأجواء المفروضة على الأرض .

وقد يقال ان الصيف خير وبركة ، وهذا حق . انما هو هكذا فى أمر الزرع ولثمرات الأرض . فمحاصيل الأرض الكبرى تتم نضجا فى الصيف . وينضج الانسان كذلك ، ولكن بغير ذاك المعنى .

فصل الحَبّ ، وفصل الحُبّ

الربيع للنبات فصل الحُب ، والصيف للنبات فصل الحَب . ان الحبوب والثمرات انما كانت نتيجة ذلك الحُب الذى كان فى الزهر ، يوم الحقول كلها الوان ثم أثمار .

غلطة الطبيعة

وكل هذا جاء من غلطة للطبيعة .

ان الأرض تدور حول الشمس فى مستوى يجمع بينهما ، يجمع بين الأرض

الربيعُ فَصْلُ الحُبّ

الصَّيفُ راحةُ جسمٍ، وَلكِنَّهُ إحياءُ نفسٍ، وللأرواح حاجاتٌ غيرُ حاجات الأجسام

والشمس . فلو أن محور الأرض استقام عموديا على هذا المستوى لما كان فى الأرض حر ولا كان برد، وما كان صيف ولا كان شتاء . واذن لكانت اجواء الأرض وسطا بينهما ، فهي خريف او هى ربيع ، وتشاكل الفصلان ، ولثبت البعد بين الشمس واى بقعة من بقاع الأرض .

ولكن محور الأرض مال على هذا المستوى، ودارت الأرض حول الشمس، فصار نصفها الأعلى يقترب من الشمس اكثر اقتراب ، فيحتر اكثر احترار . وتقع عليه اشعتها عمودية فيشقى الانسان . وبعد ستة اشهر يبتعد نصف الأرض القريب ، ويقرب البعيد . يبتعد هذا عن الشمس ، ويقرب ذاك من الشمس . ويعاني النصف الأوطأ من الأرض ، من الحر ، ما عانى النصف الأعلى . وهكذا دواليك .

مراجعة نفس

اقول وكل هذا جاء من غلطة الطبيعة.

ثم اعود فأنظر ، واراجع النظر ، فتدخل فى نفسى الريبة فى ان هذه كانت غلطة الطبيعة ، او ان هذه تدخل فى عداد الغلطات ابدا .

ان الأرض ، لو كان استقام محورها، على المستوى الذى يجمع بين الشمس والارض ، اذن لاختفت الفصول ، واذن لكان العام كله فصلا واحدا .

واذن لكانت رتابة فى العيش متصلة، وضيق بالحال الواحد الدائم الذى لا يتغير .

الربيع الذى تظهر فيه الزهور ، بيضاء وحمراء وزرقاء ، وتظهر فى موعد لا يختلف ، وتظهر مُعجبة مونقة رائعة ، دقيقة الصنع ، تحمل المعاني الكثيرة من مفهومة وغير مفهومة ، ويقف عندها العقل يغوص وراء اشكالها والوانها ليستكشف سرا من بعض اسرارها ، هى اسرار الخلق ، هذا الربيع وازهاره ، وافكاره واطياره تختفى جميعها .

والخريف الذى تجف فيه الأوراق

الربيع فصل الحبّ ، والصيف فصل الحبّ

والصَّيفُ فَصْلُ الحَبِّ

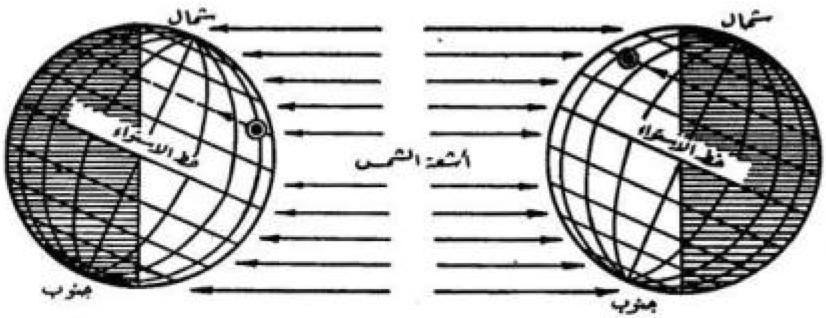

حنَتْ الارض راسها ، فعمَّ الخير سطحها
(الفصول الاربعة)

وتذبل ، ثم تسقط ، ثم هى تتجدد ، وهى بذلك تصوِّر للانسان صورة من صور الخلائق جميعها، عند ولادتها وعند موتها ، هذا الخريف يزول ، ويزول معه المعنى الذى يجب أن لا يزول من فكر انسان أبدا : استبدالُ الموت بالحياة ، واستبدالُ الحياة بالموت . الذوات تذهب والجنس يبقى ، كما يذهب نهار بذاته ، وليل بذاته ، ولكن يبقى الدهر ، ليلا ونهارا ، جنساً ممتداً على الزمان ، ما بقيت شمس وما بقيت أرض ، وما بقى للأرض دوران حول نفسها ، يصحبه دوران حول الشمس

حنَتْ الأرض راسَها ، فعمَّ الخيرُ سطحها

ان الأرض تحنى راسها كأنما هى تبذل احتراما ، وتعلن خشوعا . وما لغير الله يكون ، من جرم فى السماء ، احترام ، وما لغير الله يكون ، من جرم فى السماء ، خشوع .

انحناءةٌ من حسناتها انها قسمت الأرضَ قسمين ، باردا ثم حارا ، فى

الخريف وفيه تبدأ تنام الطبيعة

اعلى الأرض ، بينا النصف الأدنى حار ثم بادر . فثمرات الزرع فى الشمال تظهر ، بينا مثيلاتها فى الجنوب تختفى. ثم يتبادل النصفان الثمرات ، ظهورا واختفاء .

واذن فالفاكهة الواحدة مثلا تجدها دائما فى الأرض . ان لم تكن فى شمال فهى فى جنوب .

ومع المواصلات ، ومع التبريد ، تكاد تجد ما تشاء من ثمر الأرض ، طول العام .

اكثر اليابسة فى شمال الارض

يناقض ذلك ، ويقلل من شانه ، ان اكثر الأرض اليابسة فى شمال الأرض ، واقلها فى جنوبها .

أوروبا كلها فى النصف الشمالي من الأرض .

آسيا كلها فى النصف الشمالي من الأرض .

افريقيا ثلثاها فى النصف الشمالي من الأرض .

امريكا الشمالية فى النصف الشمالي من الأرض .

فماذا بقى للنصف الجنوبي من الأرض ؟
ثلث أفريقيا

و ½ امريكا الجنوبية .

واستراليا .

الكثير الأكثر من الأرض فى شمالها . والقليل الأقل فى جنوبها .

وليس غريبا ان نجد ان حضارات الانسان القديمة نشأت فى شمال الأرض، وفى المناطق المعتدلة منه خاصة .

ومع حر الصيف رطوبة

وفى الصيف تكثر الرطوبة فى بعض بقاع الأرض حتى لا تحتمل . ان الجسم فرن بطىء متقد ، ولا بد له من استبراد، والا اشتعل . وهو يستبرد عن طريق انفاس حارة تخرج من رئتيه . وهو يستبرد عن طريق عرق يخرج من جلده فيتبخر . فاذا شبعت الرطوبةُ الهواءَ المحيط بالجسم ، والرطوبة ماء ، تعذّر على عرق الجسم أن يتبخر . واذن هو لا يبترد . واذن هو يختزن الحرارة ، ثم يختزن . واذن هو يتعرض ، فيما يتعرض له ، لتلك الضربة التى يسمونها « ضربة الشمس » ، وما هى الا ضربة حرّ احتبس ، وهى ضربة قد تميت اذا لم تسعف .

وفى بقاع كثيرة من الأرض تبلغ الرطوبة فى الهواء ما بين ٩٠ ومائة فى المائة من كامل تشبعه بالماء . فى افريقيا ،

استبراد فى سطح الارض ، بتسلق تلالها والجبال
(لبنان)

وفى الجنوب من آسيا . والهواء اذا تشبع لا يقبل المزيد الذى يخرج اليه من الاجسام .

ولا يجد أهل البلاد بدا من التعرى ، الا القليل الاقل من الجسم .

فسقة ورب الكعبة

ووقع بصر بعض الرجال الذين يعرفون معنى العورة اصطلاحا ، ويحددونها فى الرجل والمراة تحديدا ثابتا لا يتزحزح عن مواضعه ابدا ، وقع بصره على بعض صور لهؤلاء الرجال والنساء ، وهم وهن عرايا أو كدن ، ولا سيما على النساء وقد ظهرت فى الصور بطونهن والأثداء ، فما كان منه الا أن قال : فسقة ورب الكعبة .

قلت يا سيد العارفين : ان يكن فسق فقد فسقت الطبيعة ولم يفسق الناس .

وذكرت هذا الحادث مثلا لتلك العقول التى تقرر القواعد من عند انفسها ، وفى المكان الواحد ، والزمان الواحد ، ثم هى تسحبه لتفرضه على كل الاماكن وكل الازمان . حتى لو انتقل الانسان الى القمر ، فتلك القواعد تقيده وكل تلك الروابط ، ومنشأها الارض ، تربطه .

وعندهم شرق الارض كغربها ، وشمالها كجنوبها ، وباردها كحارها ، ولو بلغ الحر مبلغ الحريق .

وعندهم ان الانسان ، هو اليوم وغدا ، كما عهدوه فى ذلك القديم من الزمان .

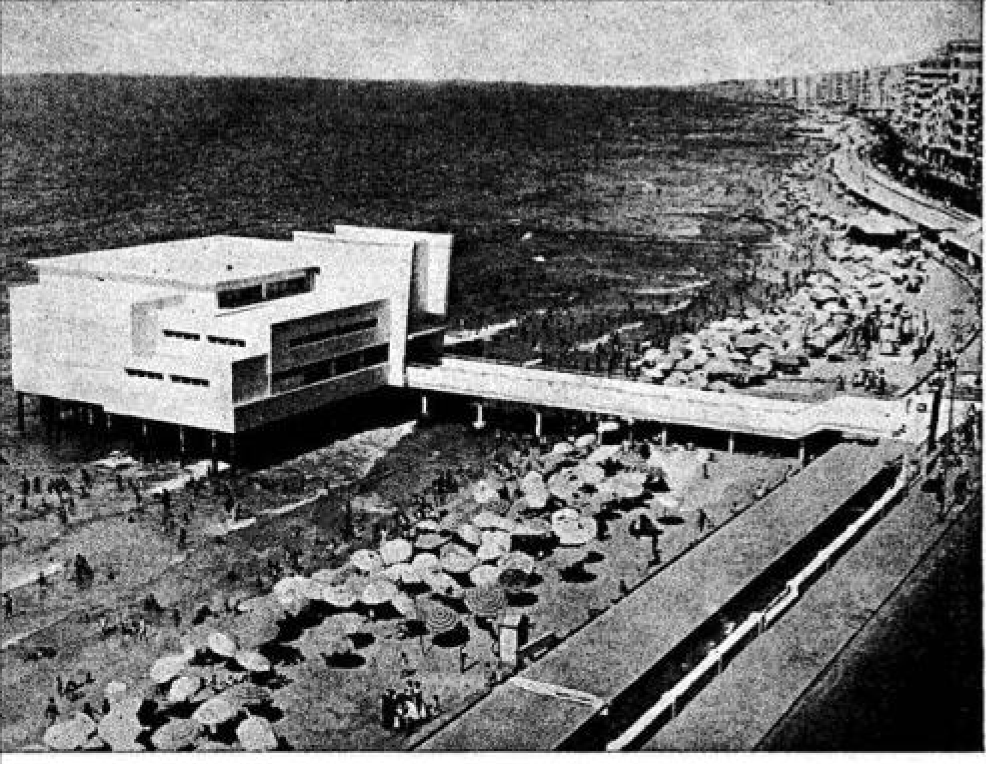

استبراد فى سطح الارض ، بالنزوح الى الشواطىء والبحار
(الاسكندرية)

له نفس الطبـاع ، ونفس التطبـــع . وعندهم انه لا يتطور ابدا . وعندهم ان عادة الانسان فى آلاف من السنين جرت بها القرون ، هى عادة الانسان فى آلاف من السنين سوف تأتى بها قرون .

وسألت رجـلا جاء من حيث جاءت تلك الصور ، عما يثير هـذا العرى عندهم ، وعرى النساء خاصـة ، من فتن . قال : الفناء ، كما تؤلف الوجوه والأقفاء .

قلت : فما آلفكم اياه ؟

قال : تعدُّده وتعمُّمه والفته ، والالفة تذهب بالاغراء . وكذلك ضرورات الحياة .

استبراد

ونحن ، اهلَ الشرق ، اذا نزحنــا لاصطياف ، نزحنا الى شمال الارض . لم اجد احدا ينزح للاستبراد والتروح جنوبا .

هو يطلب خط عرض اكبر رقما .

رجل القاهرة ورجل الكويت ، وكلا البلدين على خط عرض ٣٠ ، يطلبـون خط العرض ٤٠ و ٥٠ .

والجو يبرد فى الارض بزيادة خـط العرض .

والجو يبرد بارتفاع عن سطح الارض .

والجو يبرد عند ساحل البحربشرط .

استبراد جبال

وقلت المرتفعـات فى الوطن العربى ، على الاقل فيما الِفنا منه . وظلت جبال لبنان وحدها هى المَراد والمُراد .

استبراد فى سطح الارض ، بزيادة خط العرض
(سويسرا)

استبراد بحار

اما السواحل فلا يبرد عندها الهواء الا ان يجيء نسائم من البحر ،من شمال. ولذلك سموا كل ما يأتى من ريح من شمال بحريا . فالبيت الطيب فى الصيف وجهته بحرية ، اى يأتى منها النسيم البارد . وامثلة ذلك فى المصايف المصرية ، كبور سعيد ، والاسكندرية ، كلها تنظر الى شمال .

استبراد بزيادة خط العرض

ولكن ظل استبراد بزيادة خط العرض امل الكثيرين . وزيادة خط العرض معناه زيادة فى المدنية . وعندئذ يجمع المسافر بين ثقافة واستبراد ، والنفقة التى تنفق فيها ، ما امكنت ، تؤتى اكلها وزيادة .

ان فى الشرق عقولا متفتحة كثيرة ، ولكن الى جانبها عقول متحجرة غير قليلة ، احسب انها تلين كثيرا اذا هى خرجت الى حيث يعيش اهل المدنية . انه أفق يتسع ، وغمة من جهالة تتكشف ، وتعصب غير نافع اقل ما يحدث له انه يتهذب .

ولقد اذكر بيتا يقول :

سافر ففى الاسفار خمس فوائد

ولست اذكر وايم الله من هذه الفوائد الخمس الآن فائدة واحدة . فقد كفانى

انها خمس . ويزيدها من شاء فى هذه الايام الى عشر وعشرين .

الدنيا حارّة الى خط عرض ٤٠

ولقد وجدت الدنيا حارة حتى خط الاربعين . النصف الأسفل من اسبانيا ، عند النظر الى الخريطة ، حارّ .

والنصف الاسفل من ايطاليا حار . حتى روما،وكنا فيها فى اواسط الصيف، وضاق بنا الفندق فى اوسط الليل . فلبسنا وخرجنا نطلب النسائم ،فلم نجد نسمة .

واليونان ، اجارك الله من حرّ أثينا . ميدانها العظيم محتمل فى الصباح ، فاذا انتصف النهار ومضى ، لم يكن للانسان الا الفندق ملجأ .

ورودس ، تلك الجزيرة اليونانية ، التى تبعد بضعة اميال عن ساحل تركيا ، حرها كحر الشرق كله . وتعلو فوق جبلها ، وقد تعمّم بأشجار من الصنوبر متصلة مترامية ، فاح عطرها ، فتجد الجو الطف . ولكن اصابه الجفاف بمثل ما لا تجد فى بقاع كثيرة من الارض . احذيتنا جفت فتقوّست . والصابون ادور برغوته على وجهى لأحلق ، ولا اكاد امسك بالموسى حتى تكون الرغوة قد جفّت .

كل هذه المناطق ، الى خط عرض اربعين ، وحتى فوقه ، مناطق ليست لهاربين من صيف . وهى على كل حال ليست معارض كبرى للمدنية الحاضرة.

ومع هذا فقد تطلب المصايف فى هذه المناطق فوق جبالها ، بالارتفاع الى اعلى ، فالارتفاع ابتراد .

خطوط ما فوق الاربعين

المصايف الرضيّة تكون فى خطوط العرض العليا،٤٥،٥٠،٥٥،٦٠هناك البرد المنشى ، والمطر الذى يغسل . والذى عاش فى الجفاف طويلا ، يحظى بالمطر غَسولا . وهناك الحضارة المزدهرة اكبر ازدهار ، لكل عين تتفتح لها ، وتطلبها . ولكن ما اكثر ما تَعمَى العيون .

الراحة لا تكون لعاطل

وراحة الصيف لا تكون الا لمن عمل فى سائر فصول العام ، وكد ، واجتهد . ليس هناك راحة لغير عامل . ليس هناك راحة لعاطل . فالعطل راحة ، اذا اتصلت ، صارت مرضا ، فكل زيادة فيها تزيد صاحبها مرضا على مرض .

ان راحة الصيف راحة جسم مجهود ، وعصب مكدود ، وعقل عمل حتى كلّ او كاد .

ان النوم فرض لاراحة الجسم مما بذل نهارا ، وذلك كل يوم

وعطلة الاسبوع كانت لمثل هذا ، ولمطالب للنفس ، لا تتصل بكسب العيش ، فما الكسب وحده بغاية الانسان الواحدة الوحيدة . ان للانسان غايات غير المسكن والملبس والمأكل . غايات تتصل بالقلب . وغايات تتصل بالنفس ، وغايات تتصل بالعقل تدرّج دائما الى الامام .

غايات لا يتسع لها ، على العمل الكاسب ، الزمان .

وعطلة الصيف راحة . ولكنها كذلك احياءٌ للروح ، وللأرواح حاجات غير حاجات الأجسام . ■■

احمد زكى

القومية العربية

حدودها : لغة وتاريخ

بقلم : على بدور

الفكر القومى هو وجه شخصيتنا القومية ، وبدونه لا يعقل ان يكون هناك نهضة عربية فى مجالات التقدم ، كافة ، سواء منها السياسى او الاجتماعى او الاقتصادى . والفكر القومى فى هذا المجال هو حجر الزواية فى مفهوم القومية العربية عقيدة العرب الخلص من المحيط الى الخليج . ونحن مدعوون لان نبحث باستمرار عن ذاتنا العربية من خلال لغتنا وتاريخنا العربيين ، لمد وجداننا القومى بما تبعثه اللغة الحية والتاريخ المعبر فى نفوس الاجيال وعقولها ، من قوة وحماسة تبنيان صرح النهضة العربية الجديدة بروح عربية اصيلة وفكر عربى متفتح .

والفكر القومى اذا كان فى عناصره الاولى ، عبارة عن مفهوم قائم عن الوطن والشعب والامة ، فانه فى عناصرة العليا تجسيد لتلك المفاهيم فى محبة الوطن والاخلاص للشعب ، والعمل على اعلاء شان الامة ، فجانبه الاول مفهوم مجرد ، ولكن جانبه الثانى مفهوم متحرك فاعل . وما احوجنا نحن ابناء الامة العربية فى هذه المرحلة من تاريخنا القومى المعاصر الى ان نحدد ملامح وابعاد فكرنا القومى ، لأننا وفق هذا التحديد سنستطيع ان ننطلق من الفكر القومى الى الادب والفن والفلسفة والعلوم دون ان نغفل تطورنا فى المجالات الاخرى سواء منها السياسة او الاجتماعية او الاقتصادية .

وفكرنا القومى يعنى فى ابسط معانيه « القناعة الوجدانية للفرد كى يفكر ويعمل مدفوعا بعاملى اللغة والتاريخ ، وفق اسلوب يوائم العصر الذى نعيش فيه ولا يخرجه عن طبيعة واهداف المجموعة البشرية التى ينتمى اليها ، بما فى وجودها من خصائص وصفات مستقلة ، لاتذيبها فى المجموعات البشرية الاخرى ولكنها لا تبعدها عنها » .

الفكر القومى ووجدان الأمة

فاذا انتقلنا الآن من مرحلة التعريف بالفكر القومى الى مرحلة تبيان عناصر التعريف الاساسية ، وجدنا ان للفكر القومى مهمة واحدة هى « التعبير عن افكار وخواطر واحاسيس الوجدان القومى للامة » . فما هو وجداننا القومى ؟ وما هى عناصر تكوينه فى ذات الامة العربية ؟

ان الوجدان القومى كامن فى عنصرى : (١)

اختلافنا اختلاف لهجات ، لا اختلاف لغات .
حاول الاستعمار أن يخلق من اللهجات لغات ، تفتت الوطن العربي .
كيانات غير عربية ، في الوطن العربي ، انقرضت لغات
وثقافات ، يراد إحياؤها ، وهي رميم .

اللغة و (٢) التاريخ . فاللغة هي اللغة العربية ، والتاريخ هو التاريخ العربي . ولكن ما حقيقة اللغة العربية ؟ وما هي حقيقة التاريخ العربي ؟ .

اللغة عنوان شخصية الامة

ان اللغة العربية هي عنوان شخصية الامة العربية . فلا « امة » بدون لغة ولا تولد الامة كمجموعة بشرية متماسكة في الفكر والشعور الا اذا كان لها لغتها المعبرة ، المكتوبة المقروءة القادرة على اقامة جسر حي لتبادل الافكار مع اللغات الاخرى المعبرة ، المكتوبة ، المقروءة في العالم . وكذلك الاستمداد من الماضي نسغ التطور الفاعل عبر المستقبل . واللغة العربية في هذه السبيل في طليعة اللغات التي ساهمت في ترسيخ حضارة الانسان ، ونقل التراث العالمي وحفظه . وهي اذا كانت اليوم تجاهد لاستعادة مكانتها التي احتلتها ذات يوم فانها واصلة الى ما تبغي ما دامت الامة العربية تواصل تقدمها وتطورها البناء لنفسها وصقل شخصيتها بتجاوبها وتجاوب الامم الاخرى ، حتى اذا دخلت زحمة الصراع العالمي دخلتها بشخصية عربية متميزة تمتاز بالايجابية والفهم وروح التعاون لخير الانسان والانسانية على الارض .

الاهتمام بلغات اخر لا ينفي ان يكون اهتمامنا بلغتنا اولا

والاهتمام بامر اللغة امر لا ينبغي ان يصرفنا عنه شيء نحن العرب شعبا وحكومات ، من المحيط الى الخليج ، لاننا مضطرون للبحث عن وسيلة حية نبني بها عنصرا من عناصر وجداننا القومي ـ ولن تكون هذه الوسيلة سوى اللغة العربية . فقد شاع الى زمن قريب ، ولا يزال شائعا في بعض الاوساط الفكرية ، ان اللغة العربية ليست لغة تترجم خفقات قلب العصر وومضات فكره ، متناسية بذلك انه لا سبيل الى اكتساب ثقافة العالم للمساهمة في بناء الحضارة ، بعيدا عن اللغة العربية والفكر العربي . فالنضج ينبغي ان يكون في الداخل .. وبعد ذلك تاتي مرحلة التعارف مع الثقافات الاجنبية فنؤثر فيها ونتاثر بها دون ان نفقد شخصيتنا القومية وفكرنا القومي . وهذه التجربة التي خاضتها امتنا العربية في عصرها الذهبي يوم ترجمت فكر اليونان وفلسفتهم ، فانها لاعتزازها بلغتها ، وللسلطان السياسي القائم ، مرت حركة الترجمة دون ان يفقد القوم ثقتهم بلغتهم وبمقدرتها على استيعاب العلوم والفنون الاجنبية ، وان هذا كله لا يتنافى والاهتمام باللغات الاخرى . ولكن الذي نلح عليه ان تكون اللغة الام هي اللغة التي تستحوذ على المشاعر والحنان والعاطفة القومية بحيث يمكن للانسان العربي ان يختارها وحدها اذا اجبر على اختيار لغة واحدة من لغات عدة يتقنها .

ولذلك فان الاهتمام بامر اللغة العربية في وطننا العربي الكبير ، ضرورة قومية من ضرورات بقاء الوجود العربي ، ارضا ، وامة ، وحضارة . والعناية بتعريب كل ما هو طارىء على حياتنا العربية ، بداية لتبلور شخصيتنا القومية في الداخل ومن ثم لدخول المعترك العالمي بلغة متميزة معترف بها ، فيعرف العالم العربية من جديد كما

عرفها ذات يوم . واعتبار اللغة العربية ، اللغة الاولى في الحياة العملية والمدارس ، حكومية كانت ام خاصة في سائر الدول العربية ، انما هو سبيلنا الى اخراج جيل عربي واع يفتخر بلغته العربية لغة امته العربية وتاريخ شعبه العربي .

اللغة العربية هي اللغة الفصحى

واذا كان الاهتمام ينصرف الى جعل اللغة العربية لغة « المجموع » من الشعب فانه من حيث « الشكل » ينبغي التركيز على ان اللغة العربية هي اللغة الفصحى لا غير اذا اريد بها كتابة او قراءة .

ومشكلة الكتابة بالفصحى او العامية وبخاصة في الادب والفن ، قد تبدو مشكلة بعيدة الجذور في واقعنا وتاريخنا العربيين ، فاننا وبصراحة نعلن ان الجذور البعيدة لهذه القضية كانت تعبر عن « مفاهيم » قومية خاصة لا تخدم امتنا ولا قوميتنا العربية ولا وحدة الارض العربية . واول ما نشأت هذه الدعوة نشأت في اوربا لترك اللغة اللاتينية واتخاذ اللغات المحلية كالفرنسية والايطالية لغات قومية ، بعد ان اضمحل السلطان الديني وقامت دعوة لبناء الدول على اساس القوميات . واصبح القوم هناك مضطرين لان يبحثوا لقوميتهم الخاصة بهم ، لغتها الخاصة بها ، فاذا ما تتبعنا اصل هذه الدعوة عندنا وجدنا ان الداعين اليها يخلطون بين اللغات واللهجات . ففي الوطن العربي توجد لهجات محلية ولا توجد لغات محلية ، ولكن الدعوة الى العامية اذا كانت قد اختفت طويلا تحت ستار الادب والفن والواقعية الا انها كانت تلتقي على الطبيعة وبالمكشوف ، مع تمزيق وحدة الوطن العربي ووحدة لغته على التخصيص ، لبناء قوميات مستقلة عن القومية العربية داخل بعض الحدود السياسية التي اقامها الاستعمار في المنطقة ، اذ ان الاستعمار وجد ان خير اسلوب يتبع لتجزئة الامة العربية قوميا هو ان تتجزأ سياسيا ، وان يبحث لهذه الاجزاء السياسية عن لغات خاصة بها هي اللهجات المحلية ، وتاريخ خاص بها هو تاريخ كل قطر من هذه الاقطار قبل ان تشملها الحياة العربية والحضارة العربية وظلال الفكر العربي .

ان الكتابة بالفصحى عدا عن انه نهج طبيعي تسلكه كل امة تفتخر بلغتها القومية ، فانه لا يخالف الواقعية ولا الفن الصحيح .. وباطل كل نداء للكتابة بالعامية ولو كان عن حسن نية . لابد من ان يوصلنا ذلك الى ان نقول انه على الدولة وبالتالي كل حكومة عربية ان تتبنى اللغة الفصحى فيما يصدر عن دوائرها واداراتها المسؤولة ، وان تقف موقف الحذر من النماذج الادبية والفنية التي تكتب بالعامية او بخليط من العامية والفصحى ، فما ذلك الا السم في الدسم . واذا كانت هناك في بعض الدول العربية دعوة تقول بان تقف الدولة على الحياد من هذه القضية ، فان الدولة تقف على الحياد من رغبة المواطنين في اختيار الالوان لالبستهم ، وكذلك الاطعمة التي يتناولونها ، ولكن الوقوف على الحياد من مثل هذه الدعوات ، معناه ان الدولة قد فقدت حتى الشعور بوجودها .

هذا ما تثيره فكرة « اللغة العربية » لغتنا الوحيدة في التعبير عن وجدان امتنا العربية . فما هي المشكلات الاخرى التي تثيرها فكرة « التاريخ العربي » على صعيد الفكر القومي وتكون الشخصية القومية للامة العربية ؟

التاريخ العربي ، اعماقه ، وابعاده

ان التاريخ العربي كما نفهمه اليوم ليس تاريخ العرب في جزيرتهم فحسب ، فهذه نظرة عرقية او عنصرية لا يؤمن بها العرب الذين يعتقدون ان التاريخ قوة دفع عبر المستقبل اكثر مما هو احداث ذهبت في الماضي قريبة او بعيدة ، لان التاريخ العربي اذا كان يشمل تاريخ العرب في جزيرتهم العربية مهد العرب وموطنهم الاول ، فانه يتسع الى ان يشمل تاريخ العرب من المحيط الى الخليج . فهو ــ اي التاريخ العربي ــ :

مفهوم « جغرافي » بمعنى انه تعبير عن المكان الذي ازدهرت فيه الحياة العربية .

ومفهوم « حضاري » بمعنى انه تعبير عن تفاعل المثل العربية بالواقع العربي لانتاج حضارة عربية متميزة .

ومفهوم «زمني» يبدا منذ ان توضحت شخصية الامة العربية من المحيط الى الخليج كوحدة قومية متماسكة ، وكبناء اجتماعي سليم ، وكامة عربية

لها « لغتها » ولها « تاريخها » ولها « ارضها » ولها « تراثها » .

والتاريخ العربي اذا كان يبدأ منذ ان توضحت شخصية الامة العربية في « المكان » و « الزمان » ، فانه في الحقيقة لا يبدأ قبل ذلك الا للحديث عن العرب في جزيرتهم العربية والهجرات العربية المتلاحقة الى مصر والشام ، وللحديث ايضا عن الاقوام غير العربية التي عاشت في المنطقة ، لان لغتها لم تكن العربية وكذلك لم يكن مجتمعها يعبر عن تراث عربي او حضارة عربية ،ولم يكن لها مظهر من مظاهر الوجود القومي للامة العربية كما هي في الزمان والمكان . وان تواريخ هذه الحضارات القديمة التي ابدعتها شعوب ليست عربية والتي انقرضت في الزمان والمكان ، قد وضع على بساط البحث حقيقة موضوعية مجردة ليس لها علاقة بالعواطف والاخيلة ، مفادها ان التاريخ العربي كحقيقة علمية ، بدا منذ ان وضحت شخصية الامة العربية في المنطقة ضمن حدى الزمان والمكان. اما الامم والشعوب التي سكنت المنطقة وفي بعض اجزاء منها على التخصيص ، وذابت في الوجود العربي الجديد بعد ان امحت لغاتها واندثرت معالم وجداناتها القومية ، فلم يعد هناك اي ضرورة لقيام مبررات فكرية او روحية او عاطفية لقيام دعوات تهدف الى اعادة تلك الكيانات التاريخية المندثرة بعد ان طوتها يد الزمن العادلة .

ويجدر بنا في هذا المجال ان نفرق بين الدعوات للاستقلال على اساس الاقاليم العربية مع عدم التنكر لكل ما هو عربي ، وبين الدعوات لاحياء حضارات منقرضة ليس لها لغاتها الحية ، ومن ثم الدعوة للاخذ باللهجة المحلية لغة قومية ، وفصل هذا الكيان عن الارض العربية والمجتمع العربي . فالدعوة الاولى تبقى خاضعة للنقاش مع احترام وجهات نظر القائلين بها . ولكن الدعوة الثانية لا تقبل المناقشة لانها خروج على الطبيعة خروجا صارخا ، وهذا ما تبه له العرب وما عليهم الا ان يتابعوا فضحه وكشفه لتسلم لهم ارضهم العربية ومجتمعهم العربي وامتهم بلغتها وتاريخها العربيين .

اللغة والتاريخ حدود قوميتنا

بعد هذا التمهيد الموضوعي لقضيتي اللغة والتاريخ . نجد ان ايدي العابثين ما امتدت يوما لتقضي على مقومات شعب حي من الشعوب الا وتناولت قبل كل شيء لغته القومية فحاولت طمسها واظهارها عاجزة عن مجاراة العصر والتعبير عن الحياة .. حتى اذا استبدلت هذه الايدي العابثة لغتها بلغة الشعب الاصلية ، استطاعت ان تمد يدها الى تاريخ هذا الشعب ، ففرقت فروعه عن اصوله ، وقطعت التسلسل التاريخي لهذا الشعب ومزقت صفحات القوة والبناء فيه ، بحيث يصبح التاريخ عبئا ثقيلا على اكتاف الجيل المعاصر ، بعد ان كان في حقيقته قوة متحركة تدفع الجيل المعاصر والاجيال المقبلة في طريق الحضارة لبناء عالم الغد .

ونظرة تلقى على محاولات المستعمرين لتمزيق وحدة الامة العربية نجد انهم شنعوا على اللغة العربية وعلى التاريخ العربي ، ومزقوا وحدة التاريخ العربي الى تواريخ مستقلة لاقطار خاصة ، وشجعوا الحركات الاقليمية لتقوم افكار خاصة تبحث عن لغة محلية وتاريخ محلي للانفصال نهائيا عن روح العروبة وعن كيانها .

ولكن ردة فعل الوجدان القومي للامة العربية المتمثلة في وحدة اللغة ووحدة التاريخ قد بعثت من جديد امثلة حية للنضال الحي ، فاذا الثورات العربية في كل مكان ، واذا النهضة تشمل اكثر بقاع الارض العربية ، واذا الاستقلال الوطني ترتفع اعلامه في كل مكان ، والتعاون العربي ، تعاون الاخوة والاشقاء ، يكاد يشمل اكثر الاخوة والاشقاء العرب ، واذا الثورة الجزائرية او عدن او عمان تحظى بالتاييد في المشرق والمغرب العربيين فكانها ثورة واحدة اعلنها ثمانون مليون عربي ضد المحتل وضد الاعيبه الرامية الى طمس العروبة لغة ، والعروبة تاريخا ، والعروبة ارضا وتراثا حضاريا رفيعا .

وامتنا العربية اذ تتحصن خلف لغتها العربية الفصحى وتاريخها العربي البناء ، لسوف تحقق لنفسها في المستقبل القريب حماية قومية في لغتها وتاريخها ، لتتفاعل مقومات اللغة والتاريخ وتتيح للعقل العربي بما يكسبه من ثقافة عالمية ترتكز على ثقافة قومية ، حدودا خاصة ـ يتفاعل فيما بينها الفكر العربي والحياة العربية ، ويتطور تطورا قوميا لا ينغلق على الذات ـ ولا يتعصب ، ويبنى الفكر العربي في الادب والفن والعلوم بناء يميزه

من الافكار الاجنبية دون ان يتعصب لنفسه او يعاديها لانه الفكر المتحرر الذى لا يعادى الافكار الاخرى ولكنه فى نفس الوقت لا يذوب فيها .

هـذه حقيقة اللغة العربية والتاريخ العربى كعاملين من عوامل الحدود القومية للامة العربية فى مجالي اللغة والتاريخ ، وهما الميزان الوحيدان للمواطن العربى فى الوطن العربى عنه فى الاوطان الاخرى ، وهما فى الحقيقة الصورة المعبرة عن الوجدان القومى للامة العربية ذلك الوجدان الذى تغنيه اللغة العربية الفصحى وتزيده التماعا لمحات البطولة والفداء فى تاريخنا الطويل الاصيل .

طابع الثقافة القومية

ان شخصيتنا القومية تميزها من غيرها من الشخصيات القومية للامم الاخرى ، مظاهر ثقافتنا القومية . انه بدون ثقافة قومية تعتمد على اتقان اللغة العربية ومعرفة التاريخ العربى على حقيقته لا يمكن ان نحمى وجداننا القومى من التلون بالوان غير عربية شرقية ام غربية ،مذهبية ام غير مذهبية.

لقد عرف العرب فى مرحلة مضت من مراحل تاريخهم الحديث نتيجة لدعايات الاستعمار وانصاره ونتيجة للميوعة الفكرية التى كان عليها مجتمعنا العربى آنذاك ، دعوات قام بها بعض من اسموا انفسهم مثقفين،اخذوا يدللون بها على ضعف اللغة العربية عن ان تكون لغة ثقافة وعلوم وترجمانا للخواطر والافكار والمشاعر ، الى جانب اظهارهم مزايا اللغات الاجنبية التى يتكلمون ويفكرون بها مضافا الى ذلك كله ان شعار استعمال اللهجات العامية كلفات قومية كان قد بلغ حده الاقصى فى بعض ارجاء الوطن العربى ، وكذلك فقد كانت حماسة الاستعمار على اشدها لتشويه وتزوير تاريخ الشعب العربى ، باختراع حضارات منقرضة وفرض ابطالها على الشعب العربى فى سائر ارجاء العالم العربى ، فاذا عرفنا ان اللغة والتاريخ هما قوام كل فكر قومى متحرر ، وبالتالى كل ثقافة قومية متحررة ، علمنا اية خسارة كانت تنتظر الامة العربية نتيجة لتشويه اللغة العربية والحد من استعمالها ، وتمزيق التاريخ العربى والاستعاضة عنه بتواريخ غريبة وابطال غرباء ، ومعارك غريبة عن العروبة تاريخا وابطالا ومعارك .

ولم تكن الخسارة لتقف عند هذا الحد ، حد تشويه اللغة وتشويه التاريخ ، لان الاستعمار لو تحققت اغراضه ، فلابد ان يتاثر « العقل العربى » لتاثر اداتيه ، اللغة وما فيها من خلق مستمر للحياة والتعبير عنها والتاريخ وما فيه من مظاهر التعبير عن الشخصية القومية المتماسكة المتطورة عبر الاجيال والعصور . فاذا تاثر العقل العربى ، امكن للمذاهب المعاصرة ان تطغى عليه وتفقده خصائصه وتنحرف به عن الايمان بالوجدان القومى المتمثل فى اللغة والتاريخ العربيين ، للايمان بوجدان قومى آخر يتمثل فى لغة اجنبية هنا او هناك ، وبتاريخ اجنبى هنا او هناك ، حتى اذا نضج الانحراف واكتمل ، تميع العقل العربى ودب الانقراض فى عناصر بقاء الامة العربية ، واوشكت العروبة ان تنقرض : لغة ، فتاريخا ، فوجدانا ، فعقلا ، فامة ، فوطنا .

ولكن ردة الفعل الجديد انتفضت وحلقت بجناحى نسر عظيم هما اللغة العربية والتاريخ . فدبت الحياة فى الجسم العربى ، وجرى النسغ فى الكيان الذى خيل للآخرين انه همد الى الابد . وكانت نهضة الامة العربية الحديثة ، بداية لعصر القوة والازدهار ، وختاما لعصر الميوعة والانحراف، واخذت الامة العربية من محيطها الى خليجها تعيش عصر الثورة المبدعة ، تلك الثورة التى :

ـ آمنت بان اللغة العربية هى اللغة الوحيدة المعبرة عن وجداننا القومى ، وان التاريخ العربى هو التاريخ الوحيد الذى تتمثل فيه مظاهر هذا الوجدان دون ان تقف عن التزود من معين الثقافات الاخرى ولكن شريطة انلا نفقد لغتنا ـ ولا تاريخنا.

ـ حررت العقل العربى من عقال الانحراف نحو اقصى اليمين او اقصى اليسار ، وفتحت له سبيل التطور على اساس من وحدة الفكر العربى ووحدة تعبيره عن عقل الامة العربية ، وشخصيتها الموحدة فى الكيان العربى دون عزلة او انحراف .

ـ اطلقت المجتمع العربى نحو الالتقاء على اهداف قومية سامية فى العدالة والتعاون لبناء مجتمع عربى يسعى لان يعد نفسه لدخول معترك الحياة الدولية وقد اكتملت له مقومات النهضة ، للمشاركة فى حضارة العالم بلغته العربية وتاريخه العربى ، وشخصيته المميزة التى لا تعتدى ولا تقبل العدوان . ■■

على بدور ـ حلب

عتاب

جميل بثينه

تقولُ بثينةُ ، لما رأتْ فنُوناً من الشَّعَرِ الأَحْمَرِ ١
كبرتَ ، جميلُ ، وأَوْدَى الشباب ، فقلتُ : بُثَيْنَ ، ألا فاقصُرى !
أتنسَيْنَ أيامَنا باللِّوَى ؟! وأيامَنا بذوى الأَجْفَرِ ؟! ٢
أَمَا كنتِ ابصرتِنى مرةً ليالىَ نحن بذى جَهْوَرِ ؟ ! ٣
ليالىَ أنتم لنا جيرةٌ ، ألا تذكرينَ ؟ بلى ، فاذْكُرى !
وإذْ أنا أغْيَدُ ، غَضّ الشبابِ ، أَجُرُّ الرداءَ مع المِئْزَرِ
واذ لِمَّتى كجناح الغُرابِ تُرَجَّلُ بالمِسْكِ والعَنْبَرِ ٤
فَغَيَّرَ ذلك ما تعلَمين تَغَيُّرَ ذا الزمنِ المُنْكَرِ
وأنتِ كلؤلؤةِ المَرْزُبَانِ ، بماءِ شبابِكِ لم تُعْصِرى ٥
قريبانِ ، مَرْبَعُنا واحدٌ ، فكيف كَبِرْتُ ، ولم تَكْبَرى؟

---

١ الشعر الاحمر : المخضوب بالحناء ونحوه .

٢ اللوى : الرمل الملتوى ، وهو موضع . الاجفر : موضع او ماء .

٣ جهور : اسم مكان

٤ اللمة الشعر المجاور للاذن . ترجل : تمشط

٥ المرزبان : رئيس الفرس ، وكانوا يتحلون بالآلىء . لم تعصرى : لم تراهقى العشرين .

مسابقة العربي ٥ أسئلة

اختبر ذاكرتك .. واكسب جائزة !

١ ـ نهر عربي ، يستمد مياهه من سفوح جبل مشترك بين قطرين عربيين ، ضفته الشرقية تمثل الحد الغربي لقطر عربي ثالث يحمل اسم هذا النهر ، بينما كانت الضفة الغربية هي الحد الشرقي لقطر عربي رابع ،عدت على اهله عاديات الزمان ، فشردوا من بلادهم ، وجردوا من املاكهم ، واصبحوا مجموعة فلول من اللاجئين !

اخطر ما يواجه العرب هذه الأيام محاولة مجرمة لتحويل مجراه الى الصحراء الواقعة في الجزء السليب .

هل عرفته ؟

٢ ـ زعيم سياسي ، وفيلسوف زاهد ، مع انه بدأ حياته محاميا ناجحا .. اشتهر بالدعوة الى تحرير بلاده بالمقاومة السلبية ومقاطعة البضائع الأجنبية ، لا بالقوة المسلحة .. لم يكن يفارق عنزته التى اعتمد على لبنها فى غذائه ولا مغزله الذى اعتمد عليه فى تحرير اقتصاديات بلاده .

مات مقتولا عام ١٩٤٨ .

هل عرفته ؟

٣ ـ احدى اعاجيب الدنيا السبع القديمة ، بل الأعجوبة الوحيدة التى ما تزال باقية على حالها من تلكم الأعاجيب .

يفد اليها كل عام بضع عشرات الآلاف من السائحين والسائحات من مختلف الأقطار والبلاد ، ليشهدوا معجزة الهندسة والمعمار ، فى بلاد كانت تشع منها أنوار الحضارة .. ومن هؤلاء السائحين والسائحات من يصعدون الى قمة هذه المعجزة الخالدة ومنهم من يهبطون الى اعماق أقبيتها ، ومنهم من يطوفون حولها على ظهور الجمال !

هل عرفتها ؟

وجوائز ١٠٠ دينار

٤ ـ بدا حياته نقاشا .. ثم خرجت بلاده من الحـــرب العالمية الأولى مهزومة شر هزيمة ، فما لبث ان الف فيها حزبا جعل منها دولة قوية ، بل جعل منها اقوى دولة فى عصرها ، لكنه اخطأ تقدير قوته عندما وقف بها وحدها فى جانب ، ضد العالم كله فى الجانب الآخر ، فهزمت من جديد ، وانتحر ، وضاعت جثته بين الأنقاض .

هل عرفته ؟

٥ ـ عاصمة عربية ، اقترن اسمها فى الماضى بأسماء طائفة من الخلفاء اتخذوها مقرا لملكهم ، وجعلت منها قصص الف ليلة وليلة شيئا اشبه ما يكون بالأساطير .. قامت فيها ثورة .. ثم تتابعت فيها أحداث القتل حتى شملت كل أنحاء البلاد ، فما تكاد تجد أسرة الا وقد ذهب من ابنائها شهيد او أكثر من شهيد ..

هل عرفتها ؟

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٣ . ويكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي ــ العدد ٤٥ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي : الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .. الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .. ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا، كل منها ٥ دنانير..وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع..

● ● ●

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان

مجلة « العربي » : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي

الانسان وحضارة العصر

بقلم : الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

استاذ الفلسفة بجامعة بيروت العربية

ان الانسان لا يعيش فى المطلق ، بل فى واقع عينى ، لا يمكن الافلات من قبضته . فوجوده يضرب فى وجود الاشياء والافراد ويتفاعل مع كل ما يحيط به .

ليس فى العالم حدث يكون مستقلا عن سير الأحداث العامة التى تحيط بنا وتؤثر فينا من قريب او بعيد . فالحوادث الخارجية يكون لها صدى فى ادق دقائق حياتنا الباطنة وابعدها غورا . ماذا اقول ! ان كلمة « حياة باطنيـة » كلمة ناقصة خاطئة بمقدار ما نقيم حاجزا يفصل بين الحياة الشخصية والحياة العامة ، كما لو ان الباطن يمكن ان يسير وحده دون الخارج ، كما لو ان كلا منهما ليس امتدادا للآخر ووجها من وجوهه .

لذلك فابعاد الانسان يجب اعادة النظر فيها باستمرار لان وجوده لا يكتفى بذاته ، بل يحمل طابع العصر الذى يعيش فيـه . فهناك اذن انسان عصرى هو غير انسان القرون الوسطى ، انسان وليد هذا العصر ، مقدود على قـده ، مطبوع بطابعه ، مشرب بافكاره وعقائده ، ناضح بحقائقه ومعانيه ، متفاعل معه ، مؤثر فيه ومتأثر بـه .

جسم الانسان يتطور على مئات الالوف من السنين ، ولكن عقله يتطور على العشرات والمئات

ان الاكتشافات والمخترعات التى يطرد عددها يوما بعد يوم قد احدثت تأثيرا عظيما فى صورة هذا العالم الذى نعيش فيه والذى بدات تختلف معاييره والاحكام التى يقوم بها عنها فى الماضى . وان الحضارة وهى تطرد وتتقدم لا يقتصر فعلها على التأثير فى طريقة حياتنا وازيائنا وفى فنوننا ، وعلومنا ، بل انها لتفرض علينا طرقا فى التفكير والشعور تختلف عن طرق الاقدمين ، وتلقى علينا مهمات ومسؤوليات لا عهد لآبائنا بهـا ، يجب الاف السنين لاحداث تغيير بسيط فى جسم الانسان فلقد مضى عليه ما يقرب من مليـون سنة ، دون ان يتطور فى جسمه وظروف حياته المادية الا قليلا جدا وعلى مراحل واطوار يبعد الواحد منها عن الآخر عشرات الالوف ومئـات الالوف من السنين احيانا . لكن فترة قليلة جدا كانت كافية لتغيير عالمه العقلى وظروفه الحضارية وعادات تفكيره وحكمه على الاشياء . فالعلـم والتكنيك يقفزان بسرعة البرق ، وان يوما يمضى له من النتائج فى حياتنا ما كان لآلاف السنين فى حياة الاقدمين . فالرجل الذى يقود قاطرة بخارية او طائرة نفاثة لا يمكن ان يكون له عن ذاته وعن

• حضارة العصر جعلت من الفنان المبدع آلة .
• حضارة العصر يسيء الناس فيها معنى الحيرة .

عالمه وعن قدرته على السيطرة على الاشياء نفس الفكرة التى للشخص الذى كان يسوق العيس ويركب الحمير والبغال ويضرب فى الفيافى والقفار . ان نوعا من الاعجاز الانسانى قد توطدت اركانه فى هذا الكون ليجعل منه تعبيرا جديدا عن الوجود ومملكة جديدة للحقيقة .

ثورة البخار ثم الكهرباء غيرت من حياة الانسان

ان اطراد الثورات الصناعية يجد وباستمرار فى واقع العالم الانسانى ويقلب نظامه فى كل مرة راسا على عقب . ان الثورة الاولى التى جاءت فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر قد تميزت بالالة البخارية وسيارة الفحم والانتقال من العمل اليدوى الى العمل الآلى . وفى نهاية القرن التاسع عشر اقبلت الثورة الثانية التى عمت فيها الكهرباء واستخدمت فيها المحركات ، فطرات على الالة البخارية تحسنات تكنية جمة مكنتها من الصمود فى وجه هذه الثورة العارمة . ثم اخذ العمل الآلى يصبح اوتوماتيكيا شيئا فشيئا . واليوم نشهد اقبال عهد جديد غنى بالنتائج غنى الثورات السابقة اذا لم يكن اغنى منها . فاستخدام الطاقة الذرية يضع امام الانسان امكانيات لا حد لها .

استهلاك الفحم والحديد المتزايد مقياس للتطور

ان بضعة ارقام تعطى فكرة عن هذا التحول الهائل فى البيئة الانسانية . ان انتاج الفحم الحجرى قد بلغ عشرة ملايين طن فى بداية القرن التاسع عشر ، وبعد مئة سنة ، اى فى سنة ١٩١٣ ، بلغ ١٢١٦ مليون طن . وفى سنة ١٨٨٠ كان انتاج العالم من البترول والمحروقات الغازية حوالى اربعة ملايين طن ونصف الطن ، اما فى سنة ١٩٣٧ فقد بلغ ٢٨٠ مليون طن . وكان انتاج فرنسا من الحديد والفولاذ والصلب عام ١٨٣٠ لا يتجاوز ٢٧٥٠٠٠ طن ، لكن هذا المقدار تضاعف حوالى عشرة اضعاف فى الخمسين سنة التي تلت ، حيث وصل الى اكثر من ثلاثة ملايين من الاطنان سنة ١٨٨٠ ،ثم ازداد عشرة اضعاف اخرى تقريبا فى بحر الخمسين سنة التالية ، فبلغ سنة ١٩٣٠ اكثر من ٢٦ مليونا من الاطنان . لقد كان العالم اجمع ينتج تقريبا ٨٠٠٠٠ طن من الحديد سنة ١٨٠٠ ، فاصبح ينتج سنة ١٩٢٩ مقدار ١٢٠ مليون طن من الفولاذ فقط .ونجدتضخما كهذا فى جميع الميادين الاخرى تقريبا .فالكاوتشوك لم يستخدم صناعيا الا منذ بدايةالقرن العشرين، وكذلك الالمنيوم بدا استخدامه منذ سنة ١٩٠٩ . اما اليوم فان انتاج هاتين المادتين الاساسيتين قد بلغ ملايين الاطنان .ونحن نشهد نفس هذا التزايد فى ميدان المواصلات . ففى سنة ١٨٤٠ كان يوجد ٢٦٧٩ ك . م من السكك الحديدية ، اما فى سنة ١٩٣٠ فقد بلغ طولها مليونا و ٢٠٠٠٠ ك . م . ولا ننسى الانتاج الهائل المتزايد فى الطاقة الكهربائية . وسنشهد تزايدا مثله فى الطاقة الذرية .

وكذا استهلاك الورق تزايد على الحضارة المتزايدة

ان الاهمية الخاصة التى يتمتع بها الورق فى هذا العصر تعبر تعبيرا صادقا عن حضارتنا . فالعالم الذي كان يصنع مليون طن من الورق

سنة ١٨٧٥ اصبح يستهلك منه ٢٣ مليونا فى سنة ١٩٢٥ وكذلك تعكس احصائيات سير البريد فى بعض البلدان بعض ملامح هذا العصر . فتبعا لسومبار Sombart ان متوسط الارساليات البريدية فى سنة ١٨٧٨ حتى سنة ١٩٢٠ يقفز فى انجلترا من ٤٥ حتى ١١٦ ، وفى ايطاليا من ١١ حتى ٥٣ ، وفى سويسرة من ٤٥ الى ١٩١ ان عدد الطوابع البريدية التى بيعت فى الولايات المتحدة هو مليون ونصف مليون فى سنة ١٨٥٠، ثم ارتفع الى ١١٢٢٦ مليونا فى سنة ١٩١٣ .

ارقام مرتبطة اكبر ارتباط بحياة الانسان

يجب ان نفكر طويلا فى كل رقم من هذه الارقام لارتباطه الوثيق بحياة كل منا . ان هذه الارقام تدل ـ فيما تدل ـ على تحول جوهرى عميق فى حياة الفرد والجماعة . انها تنوه بذلك التقدم العظيم الذى احرزته الانسانية فى شتى الميادين وبتلك الوثبة الرائعة التى حققتها فى مختلف المجالات . لقد استحوذ الانسان الحديث على الارض وعلى كنوزها ومصادر الثروة فيها . لقد طبع العالم بطابعه . وان كل انسان مهما اتضع شانه اصبح يشارك اليوم فى هذا الغزو ويساهم فى دفع عجلته .

ان الانسان الحديث هو الذى خلق بعبقريته الفذة هذا العالم ! لقد اخضع الاشياء لسلطانه وعنت الموجودات لقبضة يده . لقد سيطر على الحياة والموت والمرض ... لقد ولج باطن الذرة واخترق اطباق الارض وعلا أجواز السماء وغزا الفضاء الخارجي واخذ يضرب فى الابعاد السحيقة. لقد اكتشف ذاته واكتشف قدرته فاكتشف الكون . فليت شعرى اى عظيم هذا الانسان !

ان وسائل النقل الجديدة التى خلقها قد قربت بين اجزاء العالم النائية وربطتها بشبكة قوية من المواصلات ويسر التليفون والتلغراف والراديو والتليفزيون بخطى سريعة لتقضى على المسافات . فما قولك بعالم يسافر فيه الناس بسرعة الصوت ، ويتفاهمون فيه بسرعة الضوء ؟ ومن العجيب ان هذا العالم الذى يصغر يوما بعد يوم وتتقارب أبعاده وتتقارب ، يتسع فى نفس الوقت ويتسع حتى يطاول النجوم ويحاذى المجرات ويتاخم السدائم .

والثمن : توحيد بين الناس والاشياء مطرد شامل

ولكن كم كان الثمن غاليا ! فالنتيجة الحتمية للقضاء على المسافات ان الفروق بين الافراد والامم اخذت تضعف شيئا فشيئا . اذ يبدو ان الحركة العامة للظروف والاحوال الجديدة تميل الى التوحيد بين المستويات او على الاقل الى التخفيف من اوجه الاختلاف والى اقامة متوسط عام واحد يفرض نفسه على الجميع وعلى كل فرد . فهناك حركة جديدة مطردة فى العالم تتجه نحو صب الاشياء فى قالب واحد . نعم ان هذه الحركة تختلف من بلد الى آخر ، ولكن ليس ثم بلد بمنجاة منها . وبعبارة اخرى ، هناك تيار من التوحيد جارف يزيل الحواجز بين الافراد والطبقات ، فتتشابه الناس فى الازياء والعادات وانماط الحياة وطرق المعيشة ودور اللهو ، وفى الاجتماع والفن والثقافة الخ ...

وتقاربت اجزاء الارض ،فازدادت فرص الشقاق والتناحر

وهناك نتيجة اخرى لذلك غريبة جدا لا تقل خطورة : وهي ان العالم كلما تقارب فى الزمان والمكان تأثرت اجزاؤه بعضها ببعض وتفاعل بعضها ببعض ، وبالتالي ازدادت فرص التناحر والتنابذ واسباب الشقاق فى نفس الوقت الذى تتوثق فيه عرى التفاهم والتعاون والوفاق . وهذا ما يفسر لنا قيام هيئة الامم المتحدة فى نفس الوقت الذى يعيش فيه العالم على اعصابه ويتهدده فى كل لحظة نشوب حرب عالمية لا تبقى ولا تذر . ان سير العالم فى طريق التكافل والتضامن واطراد حاجة بعض اجزائه الى سائر اجزائه الاخرى واندماج بعضه فى بعض كل اولئك كان حريا ان يؤدى به الى وحدة تزداد كمالا وشمولا يوما بعد يوم لولا ان فرص النزاع تزداد بازدياد حاجة بعض اجزائه الى بعضها الآخر .

ان شدة تفاعل اجزاء العالم بعضها ببعض وتأثر اجزائه بعضها ببعض واندماج بعضه في بعض كل اولئك جعله كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء . وهكذا فسواء شئنا ام ابينا ، ما من نزاع في العالم اليوم يظل محصورا في ارضه او مشكلة تبقى محلية . فكل شقاق يحدث في بقعة من بقاع العالم قمين بان يخلق نوعا من عدم الاستقرار والتوازن في بقاع اخرى . وكذلك كل تفاهم في منطقة من المناطق تكون له أصداء في المناطق الأخرى . والقضاء على الاستعمار في منطقة يضعف موقفه في المناطق الأخرى ، كما ان انتصار الحرية والديمقراطية في منطقة انتصار لهما في المناطق الأخرى . فأي جزء في العالم اصبح فريسة للكل ، وعرضة دائما لان يبتلعه الكل. فالحق للكل والمنطق للكل والكلمة للكل ، وللكل وحده . وهذا تطور عظيم هائل في حياة الانسان والعالم .

وحضارة المدن اليوم افتقدت معنى الجار

ان حضارتنا لها نزعة واضحة لان تكون حضارة مدنية ، أي ان اسلوب حياة سكان المدن يفرض نفسه شيئا فشيئا على مجموع الانسانية . فالمدينة اليوم هي مركز التجمع والحياة المتشابهة الرتيبة والانتاج الكبير .

ان نظام الحياة في المدن يتميز بالتكديس والحشد والاختلاط والآلية . فالناس يتقاربون ولكنهم لا يتعارفون . لقد كان الجار في الزمن القديم معدودا من ذوي القربى في المدن او القرى على حد سواء . اما اليوم فكلمة « جار » لا معنى لها في المدن ، ولا سيما في العواصم الاوروبية والامريكية الكبرى . فالسكان هناك متراصون جنبا الى جنب في ناطحات السحاب ويقطن بعضهم بحذاء بعض ، ومع هذا لا يعرف بعضهم بعضا ولا يزور بعضهم بعضا ولا يتسامرون بعضهم مع بعض ، ولا يستعير بعضهم متاع بعض . لقد فقدت الحياة لديهم دفئها ومتعتها ، ولم يعد لها نفس المعنى الذي كان لها بالأمس . الا فتبا لها من حياة !

والحضارة الصناعية جعلت من الرجل الفنان المبدع آلة راتبة

لقد استطاعت حضارتنا الصناعية أن تبعد اللذة والسرور عن الصناعة بمهارة خبيثة كل الخبث ، فقضت بذلك على ينبوع الفن . كيف لا وهي قد استبدلت مهارة اليد ودقتها بآلات صماء ، واستعاضت عن الفكر المبدع المستقل بنظام لا روح فيه ، وابعدت الصانع أو المنتج عن كل اتصال بالجمهور الذي يعمل من اجله وأحلت رابطة الدفع النقدي المفتتى للقوة محل العلاقات الشخصية القديمة أو محل الاحساس بالبذل من أجل عمل مشترك . فلقد كان الصانع القديم على صلة قريبة بالناس الذين يعمل من أجلهم ولم يكن محتجبا عنهم خلف عدد كبير من الموزعين والوسطاء . لقد سلبته حضارة اليوم حريته واجبرته على أن يعمل لسيد ليس بفنان وأن يعمل بسرعة وبدون اتقان وان ينتج بالجملة . لقد كان في الماضي يعتمد على تقدير المواطنين له في كسب رزقه ، وأما اليوم فان بينه وبينهم الف حجاب وحجاب . لقد كان يتذوق السعادة الناجمة عن العمل وكان يشعر بوجوده المستقل اليانع ، وكانت تحدوه الآمال الكبار . أما اليوم فقد ماتت في نفسه كرامة العمل وكرامة الانسان وضعف شعوره بذاته ، فاصبح دمية « بين » الدمى وقطعة « من » القطع في مجموعة آلية متشابكة الحلقات لا حول لها ولا معنى لوجودها ولا خيار لها فيما تعمل . لقد كان الصناع يكرمون لا لمجرد أنهم صناع اشياء جميلة رائعة ولكنهم كانوا يكرمون اولا وقبل كل شيء بوصفهم مواطنين صالحين وحراسا لتقاليد الآباء والأجداد.

انها حضارة مادة لا حضارة روح

وهكذا طغت المادة وحضارة المادة على الانسان الحديث حتى لم يعد أمامه قيم روحية ، يرسي عليها سلوكه ومعاملاته . فجميع القيم الروحية اخذت تتارجح كما تتارجح الأسهم المالية في سوق البورصة ، واصبحنا نعتقد انه يمكن شراء كل ما في الحياة بالمال وانه ما من شيء مهما كبر يصعب التعبير عنه بالنقود . وهذا ما يفسر لنا بكل وضوح تقدم الانسانية العظيم في العلم المعرفة والصناعة بمقدار تقهقرها في الاخلاق

والفن . فالمشكلة الكبرى في عصرنا ان المأساة التي نعاني منها هي قبل كل شيء مأساة اخلاقية . وكفى بذلك لنا نذيرا .

حضارة متحولة على جبهات عدة

انها ايام التحول تلك التي نعيشها في هذا الجيل : تحول في القوى ، تحول في الاقتصاد ، تحول في الاخلاق والعادات والتقاليد ، تحول في الازياء وانماط الحياة وطرق المعيشة ، تحول في المفاهيم والافكار والآراء والمعاني ، تحول في الاسس والمبادىء والاصول ، تحول في كل شيء .. ان الايام تجرى سراعا مليئة بالهزات . لقد اصبحت الحياة الحديثة شبيهة بسباق ضد عقارب الساعة ان فكرة جديدة تقدح في ذهن الرجل العظيم ، ان صفحة واحدة او بضعة اسطر يدونها في مقال أو كتاب ، ان معادلة رياضية تتمخض بها عبقريته كفيلة بتغيير حياة الانسان والعالم في مدة وجيزة رأسا على عقب فقد مضى الوقت الذين كان الناس فيه يعيشون منعزلين لا يؤثر بعضهم في حياة بعض وحيث كانت الامبراطوريات تقوم ثم تزول بمنأى بعضها عن بعض .

انسان الامس عاش على مَهَل

اننا اذا رجعنا بضعة قرون الى الوراء وجدنا آفاقا انسانية ، بالغة ، حيث كانت الامكانيات متوفرة امام كل انسان لان يعيش ويتأمل ، لان يعتمد على الزمن وان يقتصد وان يفكر في احفاده، وكانت بعض القواعد الاقتصادية والاجتماعية تحدد لكل فرد شروط وجوه نشاطه . لقد كان الناس يعيشون على مهل ، ويفكرون على مهل ويتطورون على مهل وكل شيء لديهم كان يجرى على مهل ، وكانوا بهذا التمهل يستمتعون بالحياة ويجدون البركة والسعادة فيها . ثم خلف من بعدهم خلف اضاعوا هناءة الايام واتبعوا مطالب الحضارة المادية فسوف يلقون غيا . فلقد جاءت الثورات تترى فغيرت كل شيء : الثورة الفرنسية اولا ثم الثورة الصناعية والثورة العلمية ، ثم جاءت الحرب العالمية الاولى واعقبتها الحرب العالمية الثانية فاختل توازن العالم الى غير رجعة وذهب استقراره .

لقد أخذ التاريخ يقفز في هذه الايام واخذ كل شيء يمضي بسرعة ولم نعد نحيا الا في السرعة . فليست السيارات والطائرات والصواريخ وحدها هي التي تنطلق بسرعة جنونية لم يحلم بها اسلافنا ، بل نحن ننطلق بهذه السرعة ايضا ، بل عاداتنا واخلاقنا وافكارنا ... لقد انقلبت وتيرة الحوادث في هذه الايام . فكل شيء يمكن ان يحدث بين حين وآخر . والحرب العالمية متوقعة في كل لحظة ، وكل نزاع في منطقة يهدد العالم كله بالانفجار . فعمل طائش يرتكبه احد الساسة في برلين أو لاووس او كوبا او فيتنام الجنوبية .. قد ينتج عنه حرب ماحقة ، وقد جاءت القنبلة الذرية ، ضغثا على ابالة . فمنذ عام ١٩٤٩ حين استطاعت روسيا ان تضع يدها على هذه القنبلة صار من الممكن ان يقوم الجنس البشري بتدمير نفسه . واذا كان من الممكن ان ننجو فسوف يتحتم علينا ان نعيش في الخطر منذ الآن .

والحوادث تسبق فلا نستطيع لها دفعا

ان الحوادث تسبقنا مع انها من صنع ايدينا وتنقلب نتائجها علينا دون ان نستطيع لها دفعا . فلا احد يستطيع السيطرة على هذه الاوضاع الشاذة التي يساهم كل انسان في وقوعها . ولا شيء أكثر مغزى في هذا الباب من موقف خبراء الذرة الذين يعملون من غير ان يعلموا بالضبط الى اين هم ذاهبون . فهم عندما ووجهوا بالنتيجة المرة التي سوف تنتهي اليها ابحاثهم العظيمة بداوا يعانون من ازمة في الضمير . ولله در انريكو فرمي الايطالي الكبير : فهو عندما وصل الى حقل التجارب الذرية في نيومكسيكو اصابه انهيار عصبي وقال مذعورا : « ان هؤلاء الناس جادون فعلا في بناء قنبلة ذرية ! » .

ان هذا القول صورة صادقة عن الانسان الحديث وله مغزى كبير . فهذا الانسان لم يرد ذلك . ولكن العلم لا يمكن ايقافه بعد اليوم . انه بالغ امره ، سواء اراد الانسان ام لم يرد ، ولا شأن له بعد ذلك ان تدور الدائرة عليه اولا تدور . وهكذا يظهر جليا ان الانسانية في نهاية المطاف قد عملت للشيطان لا لذاتها . فيا ضيعة العمر !

فى نهاية القرن التاسع عشر كان يسود بين العقلاء والمفكرين تفاؤل عظيم وكان يخيم عليهم جو من الثقة بالعلم وبالتقدم الفنى لا مثيل له تحل فيه جميع المشاكل وتشيع فيه السعادة والغبطة . أما اليوم فان التشاؤم هو السائد وهو المهيمن على عقولهم وان المخاوف هى التى تؤرق حياتهم . فالانسانية وقد اصبحت فريسة اختراعاتها وأسيرة آلاتها تحلم فى عصر ذهبى تزول فيه جميع المنغصات ولا تعدو فيه عوادى الهلاك والفناء .

حضارة لا تحصى مشاكلها

ان الأزمة العالمية تأخذ كل يوم اشكالا جديدة، فلم تدع منحى من مناحى الحياة الا ونفذت فيه . وهكذا تضاعفت المآسى وضروب البؤس .

فمشاكل العالم الاقتصادى الناجمة عن الحضارة الجديدة لا تحصى : بطالة ، تضخم مالى ، افلاس ، هبوط فى سعر العملة ، انتاج ضخم ، حرب أسواق ، حرب مواد خام الخ .. ان هذه المشاكل تأخذ بخناقنا اليوم ، وهى تعبير صادق عن عجز الانسان عن تنظيم الموارد المتزايدة التى فى متناول يده . وقد نتج عن ذلك ظاهرة غريبة : فالعالم لم يكن فى تاريخه اغنى منه اليوم ، ومع ذلك لم تنتشر فيه المجاعات انتشارها اليوم . فيا لسخرية الحياة ! ان الانسان فى سعيه الدائب للقضاء على المجاعة قد سعى الى المجاعة ! بل ان مجاعات هذا العصر من طراز جديد لم يعرفه اسلافنا : مجاعة فى الفحم ، مجاعة فى البترول ، مجاعة فى الكهرباء ، مجاعة فى الكاوتشوك والسيارات .. الخ .

فالحضارة الحديثة تخلق للانسان حاجات تتجدد باستمرار ، ثم تحاول أن تلبى هذه الحاجات بصنع ما هو كفيل باشباعها . وهكذا دواليك الى غير نهاية . فاذا بالانسان يدور فى حلقة مفرغة لا اول لها ولا آخر : حاجات لا غنى عنها يجد فى طلبها ، فلا يكاد يحصل عليها حتى يطلب سواها !

وصراع فى المدنية الحاضرة متعدد الأشكال

ان العالم الحديث يبدو مهددا فى صميم حياته بانواع متعددة من الصراع : الصراع العسكرى ، والصراع السياسى ، والصراع الاقتصادى ، والصراع الاجتماعى ، والصراع العقائدى ... وكل نوع منها يولد نوعا آخر . ان الانسانية فى مجموعها تعانى ازمة واحدة لا حد لها تؤثر فى حياة كل فرد بكل تفاصيلها : فلا الغذاء ولا الحرية ، بل ولا الحياة نفسها مكفولة اليوم . ان العلم الحديث الذى هو تعبير عن انتصار الانسان على الطبيعة يتكشف عن افلاس الانسان . انه ينكر عليه أثمن شىء فى حياته : إلا وهو الشعور بالأمن !

ولم يجد الانسان ، فى هذه المدنية ، حجرا يرسى ايمانه عليه

ان الانسان فى هذا العصر لم يعد امامه يقين يرسى عليه تفكيره ولم يعد فى وسعه الايمان بحقيقة ابدية سرمدية خالدة . فليت شعرى كيف يتسنى له الايمان بهذه الحقيقة اذا لم يكن شىء مما حوله يوحى بها ؟ ان الحقيقة الخالدة لا وجود لها اليوم . فان ذلك الذى يرى الحضارة تتخبط هذا التخبط العجيب، ان ذلك الذى يشهد انقلاب الأوضاع والقيم وتأرجحها ، ان ذلك الذى يعيش ايام التحول التى يعيشها جيلنا الحاضر ، ان هذا الشخص لا يسعه الا أن يتخلى عن كل يقين وعن كل نظام انسانى يكون مستقلا عن الزمان والمكان . وها هى ذى الماركسية تعبر تعبيرا جيدا عن أوضاع هذا العصر بقولها بحقيقة تتطور بتطور الزمان والمكان .

اى حقيقة هذه الحقيقة السيالة المرنة ، هذه الحقيقة التى يجب مراجعتها واعادة النظر فيها باستمرار : فحقيقة الأمس لم تعد تجدى اليوم ، وحقيقة اليوم لن تجدى غدا . ان حقيقة من هذا القبيل ليس لها من الحقيقة الا اسمها ، ولا من اليقين الا رسمه .

انسان هذا العصر يوحى اليه بفكره

ان جميع المراقبين يشكون من ميوعة الانسان العصرى مر الشكوى وما المسؤول عن ذلك الا حضارة العصر :

فمن جهة ، ان السينما والصحافة والراديو والتلفزيون اخذت تغزو عقله وتستبدل تفكيره الأصيل بتفكير صناعي آلي . فالدعاية تطغى عليه وتسد منافذ الراى وفيض القريحة فيه ، وتملأ نفسه بضروب من الايحاء والتوجيه الخفى سلبته الارادة الحرة الواعية وحرمته من لذة الاقتناع. وهو اذ تقطعت جذوره اختل توازنه فحقق توازنا صناعيا غريبا : أصبح لا يفكر من ذاته ، بل أصبح تفكيره الخاص يوحى له به من خارج .

ومن جهة أخرى أن تخلى الانسان الحديث عن اليقين وعن كل حقيقة مطلقة قد افقده الشجاعة والأمل وأثقل كاهله بالهموم وانهكه بالغموم ، حتى ضعفت مقاومته وانخلعت نفسه وانهارت أعصابه ، فاصبح ينقاد بسهولة لأقل المغريات . لقد بلغ توتره أقصاه . فهو اذ وجد نفسه امام محن قاسية تنوء بها الجبال أصبح يثور لأتفه الأسباب وينفعل فجأة لأقل هزة تعروه وأضحى كالحيوانات التى تجرى عليها التجارب فى المعامل والمختبرات العلمية . فهي تتحمل وتتحمل كل ضروب الصدمات الكهربائية التى يراد بها تربية استجاباتها ، لكنها بعد مضي بعض الوقت تصل الى قمة الانفعال العصبي فتستجيب على اى وجه اتفق وبعنف زائد . فالمسكينة قد اختل توازنها فاذا بها لا تدرى ما تفعل . وكذلك الانسان الحديث . فلقد رأى أشياء وأشياء وتحمل ما تنوء به الجبال فاصبح كالذى يتخبطه الشيطان من المس . ثم جاءت القنبلة الذرية تؤرق عليه حياته ويجثم شبحها فوق صدره ولسان حاله يقول : لقد اقتربت الساعة ، فبين عشية وضحاها سيفنى العالم ، ومن يدرى ، فلعل ذلك سيقع غدا !

ولكن كيما يعيش المرء لا بد له ان يستبعد هذه الاشباح المخيفة بقدر الامكان وان يطردها من ذهنه ما وسعه ذلك ، فيحيا يوما بيوم حياة لا تعبأ بالمستقبل ولا تفكر فى همومه . فله اللحظة التى هو فيها ، وهذا حسبه . فليستغل هذه اللحظة ولينهل من ينبوعها العذب ما استطاع أن ينهل ، كالجندى يتوقع الموت فى كل لحظة ، ومع ذلك لا يالو جهدا فى ان يوطد لنفسه حياة قصيرة مقبولة ، على قدر الامكان ولا تخلو من لحظات مشرقة .

ومن هنا الحاجة الملحة الى استرخاء الجسم والعقل اللذين انهكتهما هموم الحضارة الجديدة فمن الضرورى لانسان اليوم أن ينسى ــ أو ان يتناسى على الأقل ــ حياته من حين الى آخر وأن يخلو الى نفسه بعيدا عن صخب المجتمع . فلم تكن الرياضة وأوقات الفراغ والترفيه عن النفس ضرورية للانسان مثلما هى اليوم .

انسان هذا العصر انسان مريض

والخلاصة ان الانسان الحديث انسان مريض، وان مرضه لا يشبه فى شىء تلك الأمراض التى للانسان عهد بها ، بل هو مرض من طراز جديد . فعدم الشعور بالامن قد أصبح لسوء الحظ أمرا راسخا فيه ، له جذوره فى الانسان وفى الاشياء على السواء . ان هذا المرض العضال يلخص حقيقة عالم يفقد انسانيته وتنهشه حضارته وينحدر الى نهايته .

ان هذه ليست حضارة على الاطلاق ...

فالحضارة الحقيقية لا تكون على حساب الانسان ، بل على حساب الاشياء التى يصنعها الانسان .

الحضارة الحقيقية تنبع من الانسان وتصب فى الانسان .

فلا تكون حضارة الا اذا كان لها مرتكز فى نفس الانسان ، الا اذا أغنت ذاته واشعرته بمزيد من الوعى ، فانطلق يغنى انشودة الوجود ، وأى وجود ! ■■

محمد عبد الرحمن مرحبا
طرابلس ــ لبنان

نتيجة مسابقة العدد ٤٣

الاجابات الصحيحة ...
والفائزون بالجوائز

■ لم يكتف الكثيرون من المتسابقين بتعريف ٦ لقطات كما كان مطلوبا ، وانما عرفوا اللقطات الاثنتى عشرة كلها . وذكر كثيرون منهم ارقام الاعداد التى نشرت بها هذه اللقطات . وزاد الاستاذ محمد عبد الجواد ـ وهو أكثر قراء « العربى » مواظبة على الاشتراك فى مسابقاته وأوفرهم نشاطا فى حلها ـ زاد على ذلك ان ذكر ارقام الصفحات، وما نشرناه تعريفا لكل صورة ،مما استغرق خمس صفحات فولسكاب كاملة !

وهذه هى الاجابات الصحيحة :

(١) مجاهدتان جزائريتان تراقبان طائرات العدو ومع كل منهما مدفعها الرشاش (٢) الروضة الشريفة (٣) الخيول الملكية فى الرباط قبل صلاة الجمعة (٤) ساحة الشهداء ببيروت (٥) المسجد الاقصى بالقدس (٦) شارع بورقيبة ـ تونس (٧) النجم الفضى فى كنيسة بيت لحم حيث ولد المسيح (٨) صحن الجامع الاموى (٩) مئذنتان اثريتان فى البحرين (١٠) ميدان المحطة بالقاهرة (١١) مدخل ثانوية الشويخ بالكويت (١٢) جامعة الخرطوم .

وهذه هى اسماء الذين أسفرت عملية الاقتراع عن فوزهم :

● الجائزة الأولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها السيد : محمد كمال بوكاف ـ ٤ نهج بوكاف ـ تونس .

● الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها السيد : عبد اللطيف احمد الناصر ـ وزارة العدل ، المحكمة الكلية ـ الكويت .

● الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها السيد : طارق محمود مغربى ـ طالب طب ، ميونستر بالمانيا الغربية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من السادة :

١ ـ ابراهيم احمد بورو ـ محكمة الاستئناف الشرعية ـ طرابلس الغرب ـ ليبيا .

٢ ـ نبيل ابو رمح ـ زغرب ـ يوغسلافيا .

٣ ـ محمد عبد الجواد محمود ١٤ شارع القمح ـ شارع السد ـ السيدة زينب القاهرة .

٤ ـ امتثال سعد الدين الصاوى : ص.ب ٢٨ اريحا ـ الاردن .

٥ ـ ابراهيم فضل السيد : ابو حمد ـ الجمهورية السودانية .

٦ ـ عبد القادر حشاش : ص.ب ٩٦٢١ بيروت

٧ ـ ابراهيم محمد الدهان : عسكرى مجند ـ من ب ـ ع ١٨ الجمهورية العربية السورية .

٨ ـ محمد بن عبد الله بن منيف : دار الافتاء ـ الرياض ـ السعودية .

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

طرائف عربية

كُثَيِّر ينقطع عن قول الشعر

● قيل لكثير : مالك لا تقول الشعر ، اعجزت ؟

فقال : والله ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما اطرب ، ورزئت عزّة فما انسب ، ومات ابن ليلى فما ارغب (يعني عبد العزيز بن مروان) .

قالوا ..

● المال كله من الرجل ، ولكن كله للمراة .

(نجيب الحداد)

● لا تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويواليه في السر .

(الشعبي)

الرسول الكريم يحكم بين خصمين

● يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلين اختصما اليه في مواريث واشياء قد درست .

فقال عليه السلام : « لعل احدكم ان يكون الحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من النار » .

فقال كل واحد من الرجلين : « يا رسول الله ، حقي هذا لصاحبي .

فقال : « لا ولكن اذهبا فتوخيا ثمّ ليَتحلّلْ كل واحد منكما صاحبَه» .

طُرفة من جحا

● مرض جحا يوما فأوصى اذا مات ان يدفن في مقبرة قديمة ، ولما سئل الغاية من ذلك اجاب :

— حتى اذا جاء منكر ونكير وارادا محاسبتي قلت لهما انا ميت من زمان !!

قصتان

● قال الجاحظ : ما اخجلني احد الا امرأتان ، رأيت احداهما في العسكر وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام ، فاردت ان امازحها ، فقلت لها :

— انزلي كلي معنا .

فقالت : اصعد انت حتى ترى الدنيا !!

واما الاخرى فانها اتتني وانا على باب داري فقالت : لي اليك حاجة واريد ان تمشي معي .

قول لأعرابى

● سَمِعَ اعرابى يقول لصديق له : دع ما يسبق الى القلوب انكاره ، وان كان عندك اعتذاره ، فليس من حكى عنك نكرا ، توسعه فيك عذرا .

عبد الملك بن مروان يخرج لقتال مصعب

● كان عبد الملك بن مروان يوجه الى مصعب جيشا بعد جيش فيهزمون ، فلما طال ذلك عليه واشتد غمه امر الناس فعسكروا ودعا بسلاحه فلبسه ، فلما اراد الركوب قامت اليه ام يزيد ابنه ـ وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية ـ فقالت : « يا امير المؤمنين ، لو اقمت وبعثت اليه لكان الرأى » .

فقال : ما الى ذلك من سبيل ، فلم تزل تمشى معه وتكلمه حتى قرب من الباب، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حشمها معها ، فلما علا الصوت رجع اليها عبد الملك فقال : وانت ايضا ممن يبكى ! قاتل الله كثيّراً ، كأنه يرى يومنا هذا حيث يقول :

إذا ما أرادَ الغزو لم تثنِ همَّهُ ... حَصَانٌ عليها نظمُ دُرٍّ يزينُها
نهتْهُ فلما لم ترَ النهْيَ عاقَهُ ... بكتْ فبكى مما شجاها قطينُها(١)

ثم عزم عليها بالسكوت وخرج .

(١) القطين : الخدم .

كلمات لجبران

● عندما فهمت أسرار الحياة تشوقت الى الموت ، لانه اعمق أسرار الحياة .

● من يشغله صوت الماضى لايستطيع مخاطبة المستقبل .

● من يفعل الخير لارضاء نفسه ، لا يستحق المديح .

● ما أفصحنى متكلما عن القشور ، وما اعيانى عن اللباب .

● من حسنات الناس أنهم لا يستطيعون اخفاء سيئاتهم طويلا .

عن الجاحظ

فقمت معها الى ان اتت بى الى صائغ وقالت له : مثل هذا . وانصرفت .

فسألت الصائغ عن قولها .

فقال : انها اتت الىّ بفص وامرتنى ان انقش لها عليه صورة شيطان ! فقلت لها : يا ستى ما رايت الشيطان ؟ ! فاتت بك وقالت ما سمعت .

الصحافة والأخلاق

● الخلق بمعناه المتعارف ، أى التعفف عن الكذب والغش والتدليس وبيع الضمير وبيع القلم والنفاق والزيغ عن الحقيقة بالتشويه والمسخ ، كل ذلك مما يدخل فى الأخلاق التى نعتقد ان الصحافة فى حاجة اليها .

والصحافة حينما تفقد هاته الأخلاق تفتقد الوسيلة الى اداء رسالتها ، وتصبح اداة هدم عوض أن تكون أداة بناء ، ذلك أن الذين تتصل هاته الصحافة بحياتهم وهم قراؤها قد تصبح لهم ثقة فيها ، وهم من أجل ذلك يعطون للكلمة التى تصدر عنها مكان القداسة . يضاف الى ذلك أن للكلمة المكتوبة على العموم منزلة الوحى فى عقول القراء ونفوسهم وخاصة فى الاوساط المحدودة الثقافة .

فاذا كانت الصحافة لا تلتزم الصفات الأخلاقية التى أشرنا اليها ، فكيف تستطيع أن تؤدى رسالة بناء وهى تكذب قراءها فيما تقدم لهم من اخبار أو هى تغش وتدلس ، فيما تقدم من نظريات أو افكار ، أو هى تواجه الواقع بضمير ميت أو باقلام مبيعة ، أو هى تزيف الحقائق بالتشويه اوالمسخ!!

ان الدفاع عن اخلاقية الصحافة دفاع عن الصحافة نفسها . والصحافة التى لا تتشبث بالاخلاق انما تهدم نفسها من حيث تشعر أو لا تشعر .

عن جريدة « العلم » ــ الرباط

دستور توينبى

دحض توينبى كعادته ، مزاعم اسرائيل ورد هذه المزاعم من جديد حين استنكر قيام دولة ما على اساس دينى ، وحين انكر على الصهاينة زعمهم بأن لهم وطنا قوميا فى فلسطين . وضرب لذلك من الأمثال الواقعية ما يكفى لاقناع اكثر الناس تعنتا ببطلان الدعوة الصهيونية وبهتان حججها ومدعياتها .

وكعالم تاريخى كبير ، قال توينبى ان العرب يشكلون قومية واحدة ، فكان كلامه شهادة مواطن غربى كبير بخطأ النظرة الغربية الى الأمور وبضرورة تعديل السياسة الغربية تجاه القضايا العربية الكبرى .

جريدة « الانوار » ــ بيروت

دعوة الى الجنون

● يقول « سارتر » الكاتب الانسانى الحر : « لو تعمقت فى قراءة نصوص بعض قوانين الاستعمار ، لأدركت من فورك ، ان « جنون القتل » لدى المستعمرين ـ عند عجزهم ـ هو الهدف الذى ينطوى عليه عقلهم الباطن » .. ولقد قاسى العرب فى فلسطين وما يزالون يقاسون حتى اليوم ، من آثار هذا الجنون و « نتاج » هذا العقل الحاقد المتاث .. ما لم تعرفه أمة من امم الأرض ، فى اى عهد من عهود العدوان والطغيان وسيادة شهوة الحقد والابادة والانتقام .

ومع هذا كله وعلى الرغم منه ، فان العرب ـ ولعل ذلك من باب الكرم والتسامح المأثورين عنهم ـ ما فتئوا يواجهون هذا الجنون الاستعمارى الكاسح المدمر ، بكامل العقل ومنتهى التعقل !!

فيا عرب ، يا كرماء ومتسامحين وعقلاء .. أنتم مدعوون اليوم قبل الغد الى شىء كثير من الضن والامساك والبغض والحقد .. والى شىء أكثر واضخم واعم .. أنتم مدعوون الى بعض أو كل الجنون الذى يذهب بالاستعمار ويقضى على المستعمرين .

والعين بالعين ، والسن بالسن ، والبادىء اظلم !!

جريدة « الجهاد » ـ القدس

امتنا فى مرحلة انتقال

● نحن فى مرحلة انتقال .. وموسيقانا تجتاز نفس المرحلة .. وكذلك تفعل افكارنا وثقافاتنا .. وكل ما يمت الى تصوير حياتنا كما هى الآن ..

ملابسنا التى تجمع بين الطاقية والعمامة والقبعة .. وبين الجلابية والجاكتة والجبة والقفطان والكاكولة والبدلة والقميص والبنطلون ..

وموسيقانا التى تجمع بين التواشيح والرومبا والسامبا والروك اند رول والمزمار البلدى .

ولغتنا .. وطعامنا .. واساليب معيشتنا .. ووسائل تعليمنا .. وحتى اخلاقنا .. كلها تجتاز الآن مرحلة الانتقال بين ماضينا المستمد من الشرق وحاضرنا المستمد من الغرب .. وليس من شك ان عملية الامتزاج لم تتم بعد لتخرج منها باسلوب وطابع وثقافة وفن تعبر فى مجموعها عن حقيقتنا كامة عربية ثائرة وجدت نفسها بعد ضياع طويل فى متاهات المبادىء والنظم والنظريات .

ان فى حياة دودة القز مرحلة تتحول فيها الى مخلوق نهم .. يلتهم كل ما يصادفه من المادة الصالحة لحياته .. فى شراهة لا تدانيها شراهة .. حتى اذا أحس بالشبع والامتلاء تكور على نفسه فى صمت .. وعكف على انتاج خيوط من الحرير يحيط بها نفسه .. فى انتظار اللحظة التى يتم فيها تطوره ليخرج من الشرنقة فراشة منطلقة تحلق فى الفضاء ..

وما اشبهنا فى الواقع بها فى هذه المرحلة من حياتنا .

عن جريدة « الجمهورية » ـ القاهرة

كَنْطُ

فيلسوف السَّلام

بقلم : الدكتور عثمان أمين

استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

■ « كنْط » Kant فيلسوف من كبار فلاسفة الانسانية ، هو مبدع ما يسمى « بالمثالية النقدية » التى مهدت السبيل الى انتصارات الفلسفة الالمانية الكلاسيكية ، وواضع مشروع يرمى الى استتباب السلام الدائم بين أمم الارض قاطبة دون تفريق .

استهل كنط عصرا جديدا فى الفكر الفلسفى . ومؤلفاته الكبرى اشبه بمعالم الطريق فى تاريخ الفلسفة الحديثة . انه احد اولئك العباقرة من افذاذ الانسانية المفكرة الذين استطاعوا ، بحياتهم ومؤلفاتهم ، ان يخلقوا فى الحياة العقلية فى بلادهم وخارج بلادهم اثرا باقيا عند اهل عصرهم وعند الخلف من بعدهم . لقد وصفه احد الكتاب بانه « مفكر هز العالم بفكره ، اشد مما هزه معاصره فردريك الاكبر على الرغم من جيوشه ومدافعه » . وما من احد ممن يأخذون امور الفكر والحياة مأخذ الجد يستطيع اليوم ان يفكر او ان يعمل من دون ان يضع موضع الاعتبار نظريات كنط وآراءه . وقد كانت تلك الآراء ولا شك من اكبر الوقائع فى تاريخ العصر الحديث انها ، فيما يرى كونوفيشر ، تمثل ثورة شبيهة بالثورة التى احدثها سقراط حين صرف الانسان عن دراسة الكون الى دراسة نفسه . والحق انها تحدد مهمة الفيلسوف تحديدا دقيقا ، بحيث لا يعنيه ان يستكشف مبادىء الوجود ، ولا ان يحصل لنفسه نظرة عن العالم ، بقدر ما يعنيه ان يبحث فى قوة العقل ، ليتبين اختصاصه وحدوده ومداه ، ويلتمس شروط المعرفة الانسانية ويبحث عن قيمة افكارنا واحكامنا .

٢ ــ حياة من اجل الفكر

ولد كنط فى ٢٣ ابريل سنة ١٧٢٤ فى مدينة كنجزبرج فى بروسيا الشرقية . وقضى الفيلسوف حياته كلها الى ان مات فى ١٢ فبراير سنة ١٨٠٤ على مقربة من تلك المدينة . وقد كانت حياته فى صميمها حياة اكدمية ، اعنى حياة

« لابد من هيئة تكفل السلام بين الأمم ، لها شرطان : الحرية في الداخل ، والتحكيم في الخارج »

منصرفة كلها الى التأمل والدرس والتعليم . ولم يعش كنط الا للفلسفة . لم يتزوج ولم يتقلد اى منصب ادارى او سياسى . ولئن يكن الرجل قد عاش فى زمان مضطرب ايام حرب السنين السبع ، وعاصر الثورة الفرنسية حتى الفترة الاولى من حكم نابليون ، الا ان الاحداث المعلمة فى حياته لم تكن قط احداثا خارجية ظاهرة ، بل هى احداث داخلية باطنة ، اى متصلة بهواجس ذهنه ووساوس فكره . والحادث الوحيد الذى ترك فى حياته ، ساعة من الزمان ، بعض الاضطراب هو المعارضة التى لقيها من جانب الحكومة القائمة حينئذ لكتابه عن « الدين فى حدود العقل وحده » . لكن هذا الاصطدام المتأخر المؤقت مع ارباب السلطة الحاكمة لا يمكن ان يقارن مثلا ، ولو من بعيد ، بالاضطهاد الاليم الذى عاناه الفيلسوف « اسبينوزا » من السلطات الدينية اليهودية .

وقد استطاع الفيلسوف الالمانى ان يخضع حياته كلها لنظام دقيق محكم لا يشذ عنه ابدا فقد أثر عنه انه كان يستيقظ من نومه فى الساعة الخامسة صباحا ، فيتناول فنجانين من الشاى ويدخن الغليون ، ثم يقرأ ويكتب الى ان تحين ساعة محاضراته بالجامعة ، فاذا فرغ ، عاد الى منزله واخذ يبحث حتى الساعة الواحدة الا ربعا ، فيغادر حينئذ مكتبه ويتناول كوبا من نبيذ الرين او نبيذ هنجاريا ، ثم يرتدى ملابسه ، ويجلس الى مائدة الطعام فى تمام الساعة الواحدة .

وقد كان برنامج رياضته لا يتغير كذلك ابدا : كان يخرج كل يوم للرياضة فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، فينتهى دائما الى الممشى الصغير بين اشجار الزيزفون ، ذلك الممشى الذى اطلق عليه زمنا اسم « ممشى الفيلسوف » ، فيجتازه مقبلا مدبرا عدة مرات . فلم يتغير هذا البرنامج اليومى الا مرة واحدة حين بلغه نبأ الثورة الفرنسية ، فذهب الى طريق برلين ، يستطلع الانباء الواردة من فرنسا .

ومع ان حكيم « كنجزبرج » قد نظم عادته تنظيما محكما ، واجراها على وتيرة واحدة ، قد تبعث فى مزاج غيره من الناس وجوما وسآمة ، الا ان تعليم كنط فى الجامعة كان تعليما حيا مرحا ممتعا : يحاضر الاستاذ فيملأ نفوس مستمعيه بمزيج فريد من النشوة والاعجاب والتبجيل . كان يقف خلف الدرج المرتفع ، فيختفى جسمه الصغير وقوامه القصير ، ولا يظهر لتلاميذه منه الا رأسه ، رأس قرمزى اللون ، وضاح الجبين ، عالى الوجنتين ، ذو عينين زرقاوين واسعتين حادتين . ويصفه تلميذه « هردر » فيقول : « كان وجهه المنبسط ، الذى كأنما قد على قد الفكر ، موطنا لفرح ومرح لا يتغيران ولا ينضبان . وكان الكلام الفصيح الأخاذ ينساب من شفتيه ، فياضا بالمعانى العميقة الدالة ، ممزوجا بالنكتة والدعابة . وظل كنط حفيظا على رسالة الجامعة لا يقصر عنها ولا يعدل بها شيئا ، فحقق على وجه الكمال ، بجهده وعبقريته ، ذلك الطراز الممتاز لاستاذ الجامعة الالمانية .

★ ★ ★

والبيئة العقلية التى نما فيها فكر الفيلسوف هى آراء جماعة « القانتين »

او « الخشوعيين » من جهة ، وفلسفة القرن الثامن عشر من جهة اخرى . اما « القانتون » فهم شيعة بروتستانتية متعبدة متطهرة ، تعلى من شأن القلب والحياة الباطنة ، وتعارض اللاهوت المسيحى المجرد ، وتضع الاعمال فوق الاعتقادات ، وتشيد بالشعور والبر والتقوى . واما فلسفة القرن الثامن عشر او « فلسفة التنوير » ــ كما كانوا يسمونها فى المانيا ــ فكانت تذهب الى ان جميع الشرور التى ابتليت بها الانسانية منشؤها الجهل والمذلة التى تنتج منه ، وان تقدم المعارف والتنوير خليق ان يكسب الناس السعادة والتحرر .

وقد بسط كنط مذهبه فى ثلاثة كتب مشهورة نال بها مقامه المرموق فى تاريخ الفلسفة الحديثة : الكتاب الاول « نقد العقل الخالص » اى نقد مبادىء العلم ، والثانى « نقد العقل العملى » اى نقد مبادىء الاخلاق . والثالث « نقد ملكة الحكم » اى نقد مبادىء الذوق .

٣ ــ الثورة الكوبَرنِقيّة

وقد وضع كنط الاسس الاولى « للفلسفة النقدية » حين قال : ان العالم الخارجى ، عالم المادة والاجسام ، بدون الذات المفكرة الواعية ، لا وجود له .

فاحدث بذلك ثورة فى الفلسفة شبيهة بالثورة التى احدثها العالم . « كوبرنق Copenric » فى علم الفلك : فكما ان كوبرنق قد فسر الحركات الظاهرة للاجرام السماوية مفترضا انها انما تقوم على حركة المشاهد على الارض، بمعنى ان الكواكب الثابتة لا حركة لها فى ذاتها ، وانما الرائى هو الذى يفترض الحركة فيها ، فكذلك قال كنط ان الخواص الظاهرة للواقع مرجعها الى عقل المدرك او العارف ،بمعنى ان الاشياء فى ذاتها ليست زمانية ولا مكانية ، وانما ظهورها لنا على هذا النحو يرجع الى طبيعة عقولنا التى لا تستطيع ان تدرك الاشياء الا وهى حالّة فى مكان وسارية فى زمان. وبفضل هذه « الثورة الكوبرنقية » اصبح الزمان فينا بعد ان كنا نحن فيه .

ونحن لا نعرف « الاشياء فى ذاتها » وانما نعرفها « كما تتبدى لنا » ، وبعبارة اخرى لا نعرف « الحقائق » وانما نعرف « الظاهرات » . وفى موقف كنط هذا مخالفة بيّنة لمواقف سلفه من الفلاسفة الذين كانوا يذهبون الى ان العقول الانسانية قادرة على اكتناه اسرار الوجود . ومن اجل ذلك حرص شوبنهور على ان يبين ان اكبر فضل لكنط على الفلسفة هو تمييزه بين « الظاهرة » وبين « الشىء فى ذاته » ذلك جوهر ما بسطه كنط فى كتابه « نقد العقل الخالص » .

٤ ــ الارادة الخيّرة

لكن العلم والمعرفة النظرية لا يكفيان . فهنالك الحياة العملية والاخلاق . ومذهب الاخلاق لا يريد الفيلسوف ان يستخلصه من الميتافيزيقا التى بيّن لنا حدودها : ولا يريد ان يقيمه على التجربة ، لان التجربة انما تسجل ما هو كائن ، ولا تبحث فيما ينبغى ان يكون . والمبدأ الاول فى الاخلاق يراه كنط شيئا واحدا يعده الناس خيرا بلا قيد ولا شرط ، وهو « الارادة الخيرة» . والارادة الخيرة هى ارادة العمل بمقتضى « الواجب » اى للواجب وحده دون اى اعتبار آخر . ومعنى هذا ان الواجب يأمرنا امرا قاطعا بأن نعمل دون اعتبار لمصلحتنا او انانيتنا : الواجب تكليف بالفعل واجبار عليه ، فهو « امر جازم » مطلق حاسم . وانما العقل ــ الذى هو واحد فى كل انسان ــ هو الذى يصدر الينا امرا كهذا : انه العقل منصرفا الى الفعل ، هو « العقل العملى » بتعبير

كنط . والقانون الاخلاقى « أولى » اى مفطور فينا وسابق على كل تجربة . والارادة الانسانية حين تعمل على وجه اخلاقى لا تخضع لقوة برانية خارجة عنها ، كاللذة او المصلحة او الشعور او معرفة الكمال . واذن فلها استقلالها فى تصرفاتها وناموسها من ذاتها . والارادة التى تعطى ذاتها ناموسها هى والعقل العملى سواء . واهم صيغة يصاغ فيها الامر الجازم هى « اعمل بحيث تستطيع ان تجعل باعث عملك قانونا كليا » اى قانونا للانسانية كلها . وعلى هذا النحو مضى كنط منشيدا بفكرة الواجب ، فكتب فى خاتمة كتابه « نقد العقل العملى » : « امران لا ينفكان يثيران اعجابى ،السماء ذات النجوم فوق راسى، والقانون الاخلاقى فى قلبى » .

٥ ـ بين الاخلاق والسياسة

وقد كان من الميسور ان يحس الفيلسوف قلة الكفاية فى مثل تلك الفلسفة النقدية ، لو انها اقتصرت على الجوانب الانسانية الفردية ، وكان طبيعيا ان يتطلع الى استكمال مذهبه بنظرية سياسية .

ذلك ان الانسان ، كما بين ارسطو ، مدنى بطبعه ، لايطيق حياة العزلة ، وهو دائما عضو فى جماعة او مجتمع من الناس ، فينبغى ان لا يكون ذلك المجتمع همجيا ، او على بداوته الاولى ، بل يجب ان ينظم تنظيما يتيح لكل فرد فيه ان يمارس حريته او ان يحقق غايته الاخلاقية . وذلك الجهد لتحقيق تلك الغاية هو الحرية فى صميمها . ومبادىء التشريع هى الكفيلة بهذا التنظيم .

ومهما تخرج الامة من حال البداوة مسترشدة بأحكام الحق والشرع فان حرية مواطنيها لن تكون مع ذلك بمأمن من كل خطر . فليس العالم امة واحدة ، بل هو مجموعة من الامم . غير ان الامم المختلفة ما زالت على البداوة فى علاقاتها بعضها مع بعض ، وما زالت تصطنع فى هذه العلاقات سبيل الاكراه والضغط والتغرير ، وما معاهدات السلام التى تعقد بينها الا هدنة موقوتة. واذن فلابد، لكى نستوثق من قدرتنا على تحقيق غايتنا ، من انشاء هيئة امم ، قائمة على معنى « الحق » ، يكون لها الاشراف على هذا المجتمع القانونى الخاص الذى هو الامة المتمدينة . وقد تساءل كنط كيف يكون ذلك ممكنا ؟ وهذا ما حاول الفيلسوف ايضاحه فى رسالته عن « السلام الدائم » .

٦ ـ مشروع للسلام الدائم

حقا ان الفيلسوف الالمانى كان من اكثر الفلاسفة عناية بمسالة السلام ، وله آراء هى غاية فى الطرافة والابداع فى مسائل الحقوق الدولية وفى فلسفة التاريخ . وقد كان يعتقد ان الثورة الفرنسية ستكون بداية عهد جديد للسلام . ولعله كان يرى وراء شمس الثورة يوما آخر ، يصبح فيه دستور كل دولة ديمقراطيا ويمتنع فيه اعلان الحرب الا بتصويت جميع المواطنين . وكان يعتقد اننا انما نعيش فى سلام حين ينقضى عهد الملوك والطغاة والمستبدين الذين يعدون انفسهم الملاك الوحيدين للدولة ، وحين يصبح كل انسان فى كل قطر محترما فى ذاته كفاية مطلقة ، وحين تتعلم الامم ان من الاجرام والافتئات على الكرامة الانسانية ان يستعمل انسان او امة كوسيلة او آلة لمصلحة انسان آخر او امة اخرى .

وفيلسوفنا هو واضع الاصطلاح الالمانى « جامعة الشعوب » الذى اطلق بعد وفاته بنحو قرن وربع على « عصبة

الامم » التي قضت عليها المطامع الاستعمارية الاوروبية. واذن فعيلسوفنا هو حقا مؤسس فلسفة السلام . وقد استطاع باسم « العقل العملي » ، اى باسم الاخلاق ، ان يؤكد امكان السلام الدائم بين الشعوب ، واستطاع على نحو لم يبلغه سابقوه ان يستخلص الطابع الشخصي للوحدات القومية والتصادم العنيف بين الحق والقوة ، ذلك التصادم الذى لا يعدو ان يكون تصادما بين الآلية العمياء وبين العقل الحر . وقد مضى الفيلسوف فى مشروعه الفلسفى ، فرسم الشروط التشريعية الضرورية لقيام هيئة تستطيع ان تكفل السلام بين الامم ، وقال ان هنالك شرطين : الحرية من الداخل ، والتحكيم من الخارج . يريد بذلك ان يقرر ان الحق الذى هو الضمان الداخلى للاستقلال الفردي يجاوز الحدود الفردية ، ويصبح حقا انسانيا شاملا ، ويضمن الحريات القومية فى ظل السلام والعدالة ،وان احترام الشخصية الانسانية ، ذلك الاحترام الذى يقوم عليه السلام الاجتماعى بين افراد الامة الواحدة يمكن ان يكون اساسا للسلام العالمى بين الشخصيات الاخلاقية التى هى الامم المختلفة . واذن فهنالك نداء موجه من الضمير الاخلاقى او من « العقل العملى » الى الانسانية جمعاء ، يدعوها الى ان تحطم قيود العصبيات وان تتخطى حدود القوميات ، حتى تصبح بحق « جمهورية الجمهوريات » وتلك هى السبيل الى القضاء على شرور الحروب وويلاتها » .

هذه خلاصة لنظرية الفيلسوف التى اتسمت بالخصب والعمق والانسجام . ولا ريب ان احدا من دعاة السلام فى العصر الحديث لم يستطع ان يضيف اليها شيئا جديدا . واذا كان هذا المشروع الفلسفى الذى راينا من آثاره انشاء « عصبة الامم » ثم « هيئة الامم المتحدة » ، لم يؤت ثماره المرجوة بسبب ازدياد مطامع الدول الاستعمارية ، فانا نعتقد مع ذلك ان شعوب تلك الدول نفسها لابد ان يستيقظ ضميرها فى المستقبل القريب ، وحينئذ يرجع ساستها المستنيرون الى تعاليم الفيلسوف « كنط » . ولعلهم يتخذونها دستورا عاليا لتنظيم الانسانية تنظيما يقوم على سلام دائم .

٧ ـ كنط فيلسوف الانسانية

ولا يظن القارىء ان تعاليم كنط فى السياسة هى اقوال رجل من الخياليين او العاطفيين : فالواقع ان احدا لا يجد فيما كتب الفيلسوف عن شرور الحرب وويلاتها اقوالا خطابية ولا جملا منمقة يقصد بها الى تأثير وقتى عابر ، وانما نجد فى معالجة كنط لهذا الموضوع قصدا واعتدالا وادراكا للضرورات التاريخية مما يخرجه عن ان يكون احلاما « طوباوية » او قصة فلسفية ، كما زعم بعض الكتاب الغربيين فى آخر القرن الماضى .

اننا اذا توخينا سبيل الانصاف حملنا هذه الآراء على الجد ، ورأينا فيها تعبيرا عن آمال نفس كريمة متفائلة ، ومثلا اعلى يرسمه ذهن كبير محيط ، عرف بؤس الناس وفساد الطباع ، ولم يغب عنه ان الماضى ممهِّد للحاضر . لكنه آمن بأن مستقبل الانسانية يمكن ان يكون اسعد من ماضيها ، وان واجبنا دائما ان نخضع امور السياسة لقانون الاخلاق ، وان نصغى الى صوت الضمير، والى ما فى الطبيعة والتاريخ من توجيهات تدعونا الى ان نبذل قصارى جهدنا لتحقيق الغاية العليا للكون ، كما تدعونا الى ان نؤمن بأن العناية الالهية سوف تتم ذلك الائتلاف المنشود بين الفضيلة والسعادة . ■■

عثمان امين

وتتابع المطر

للشاعر سليمان العيسى

« كان ذلك حين التقى الشاعر بممثل جبهة التحرير الجزائرية بحلب .. في صباح الثالث من حزيران ١٩٦١ » .

... ورمى إليّ . بنظرة الألم الذي قهر الحياه
ومضى يخُطُّ مصيره حرّاً ، ويُنشيء في أناه
ووددت لو لَمْلَمتُ عن شفتيّ سؤالي :
ماذا عن الجيش العظيم ؟
عن الصقــور ؟ عن الجبــالْ ؟
الواهبين غــدا حفيدي
قِصص البطولة والخلود
ماذا عنِ الثــوارِ ؟ عن أبنائنا في كل ساحه ؟
والنسرُ ، نسر « الجبهة » الجبار ، هل يلوي جَناحَهْ ؟
هل يأخذ الإرهاق منــه ؟
وقعودنا في الموت عنــه !
إني ليسحقني الخجــلْ
أنْ لستُ ريشةَ أجدلٍ ، شيئاً هناك على الجبلْ
هيهات .. ثاروا بالدمِّ
وتثور زفرة مُلجَم ..
إني لأمسك في يدي قلبي ، ويأكلني الأرقْ
إني أخاف قُوَى الظلام على شُعاعات الفلقْ ..

ولمحت لألأة ابتسامه
كنَدى غَمامه .. كشموخ هامــه
وانسابَ صوتُ الثائر العربي في سمعي هديرا
تخفيه أودية سحيقه
وهبتْه رهبتَهُ العميقه
وتدحرجت نبَراته نارا بأعصابي ونورا :
ماذا عن الثوار ؟ عن أبنائنا ؟
عن نَسرنا ، ودمائنــا
هل يأخذ الإعيــاء منه ؟
وقُعودُ قادِمَتيْه عنــه !
ماذا ؟ أأنت أم السنون السبع تسألْ (١) ؟
وجماجم الشهداء تفرش كل منعطَفٍ ومَجْهل !
وَبلَــــى . . .
سيعيا النسر يوما ، يرتمي ، يطوي جَناحَه
يُلْــقِ سلاحَه
ينهارَ ميْدان ، وتَخمُدُ شُعلة ، وتموت ساحَه
إنْ ينطفِء شــعبُ الجزائــر
إنْ تَقْفر الأغــوار ، والقِمَم المنيعةُ ، والسهولُ
ممــن يغمغم ، أو يقــولُ
بشُمالــة من نَبرة عربيــةٍ
لفــظَ الجزائــر .

★★★

بالأمــــس . .
غلغل في الجبال ، من الجباه السُمرِ حَفْنه
حملوا مصيرَ الأمة الغضبَى ، وثاروا
وتحدثتْ بهم الشعاب ، ولاح في الأفق المنارُ

(١) اشارة الى سنوات الثورة السبع .

وكـأنُ مزنــهْ
غـمـرت بدفقتها الثرَى العطشانَ
مذْ حقبٍ سحيقهْ
دوَّتْ كذلك صيحةُ التحرير في
الأرض العريقهْ

وتتابع المطـرُ . .
وتنفّس السحَـرُ . .
وانشق في قلب الدمار ،
من الدمــار ، من المجــازر ،
جيشُ الأساطير التي تلد الضُّحَى ،
... ...
سيـكل هذا النسر يومـاً ،
يرتمِي ، يطوى جنَاحــهْ
يُلقــى سـلاحه . .
ينهار ميدان ، وتخمد شعلة ، وتموت ساحــهْ
إنْ ينطفىء شعبي العظـيمُ
إنْ تقفر الوديان ، والقمم المنيعةُ والتخومُ
ممـن يُغَمغِـم في قُـرانـا
في الحــواضرِ ، في الدسـاكر ،
ممـن يجيـد بنـبرة عربيـة
لفــظ الجــزائــر .

سليمان العيسى ـ حلب

● حوادث رائعة، مثيرة،

لاينساها مواطن فى الشرق العربى أبدا

ودلالتها أن الحروب لاتحل المشكلات

حملة لويس التاسع على مصر

بقلم : الدكتور محمد مصطفى زيادة

استاذ التاريخ بجامعة القاهرة

■ نقطة البداية فى هذا الموضوع قيام الحروب الصليبية ، فى العصور الوسطى ، وما تولد عن تلك الحروب الشهيرة من تفكير صليبى أوروبى ، للاستيلاء على مصر ، دون تحديد بحادثة بذاتها ، او بسنة هجرية أو ميلادية معينة . والحروب الصليبية نفسها ، كما هو معلوم ، حركة أوروبية اعتدائية ـ توسعية ، استمدت جذورها من عميق التنافس القديم بين الشرق والغرب ، ومن توغل الفتوح العربية الاسلامية فى أطراف الامبراطورية البيزنطية ، وفى أجواف الممالك المسيحية الغربية، فى اسبانيا وفرنسا وايطاليا،وجزر البحر المتوسط . وتضاف الى هذه العوامل العالمية الكبرى ، عوامل اوروبية محلية ، وهذه ترجع الى القرن الحادى عشر الميلادى ، والى صميم التاريخ الاوروبى فى ذلك القرن .

بعبارة أخرى ليست فاتحة هذا الموضوع مشروعا صليبيا للملك الفرنسى لويس التاسع ، فى سبيل استيلاء صليبى على مصر ، سنة ١٢٥٠م، بل تفكير زعماء الصليبيين السابقين جميعا فى ذلك المشروع ، فى صورة أو اخرى ، منذ اخذت ارجال حملتهم الصليبية المعروفة بالاولى تصل تترى الى الشام ، أى قبل وصول حملة لويس التاسع نفسها الى الشواطىء المصرية، بنحو مائة وخمسين سنة .

ولذا سوف يبدأ هذا الموضوع من البداية ، أى منذ الحلول الصليبى الأول بالشام ،وتأسيس دولة بيت المقدس الصليبية بفلسطين ، سنة ١٠٩٩ م ، مع التنبيه هنا بأن طول المسافة الزمنية بين الحملة الصليبية المعروفة بالأولى ، وحملة الملك لويس التاسع على مصر،وهى المعروفة بالسابعة ، لا يمحو شيئا من الواقع التاريخى، وهو أن الملك لويس التاسع ينتهى نسبه الصليبى الى جودفرى دى بوبون ، اول حكام دولة بيت المقدس الصليبية ، وأول المفكرين من زعماء الصليبيين فى الاستيلاء على مصر . وكلا الرجلين فرنسى ، وما بينهما من شخصيات وحوادث صليبية كثيرة،لا يعدو ان يكون سلسلة ثبت بعضها من بعض فى حلقات تاريخية متصلة متحمسة ، ومزاجها الحاح عنيد للاستيلاء على البلاد المصرية.

وبالقياس الى الملك الفرنسى لويس التاسع ونسبته الصليبية ، تبدو شخصية السلطان الصالح نجم الدين أيوب كذلك واضحة جلية ، فهو الذى تلقى مطالع الزحف الصليبى على مصر بقيادة الملك لويس التاسع ، وهو السليل الحقيقى

لعمه الأعلى ، أى للسلطان صلاح الدين الأيوبى نفسه ، فى الجهاد العام ضد الصليبيين فى مصر والشام . على أن هذا القياس يكشف عن فارق كبير بين الأيوبيين والصليبيين ، وهو انه على حين جنح سلاطين البيت الايوبى عموما الىسياسة المهادنة نحو الصليبيين بالشام ، مع الاستعداد واليقظة للجهاد الدفاعى فى أى وقت من الأوقات ، لم يترك ملوك أوروبا والبابوية فرصة لتكرار الاعتداء على مصر ، مرة بعد أخرى ، منذ قيام الحروب الصليبية بالشام ، وهو ما سوف يتضح للقارىء بالصفحات التالية ، فى شىء من التفصيل الكفيل بالبرهان على أن حملة لويس التاسع كانت

وهزيمة فى المنصورة

حلقة الختام فى سلسلة الحلقات الصليبية الهادفة الى الاستيلاء على مصر ، فى العصور الوسطى .

جودفرى أول من فكر فى الاستيلاء على مصر

وأول ذلك التفصيل ما تقدمت الاشارة اليه من تفكير جودفرى دى بويون فى الاستيلاء على مصر ، تقديرا منه لأهمية موقعها الجغرافى فى استمرار الكيان الصليبى الأوروبى بالشرق . ولذا اعلن جودفرى استعداده للتنازل عن حكم الدولة الصليبية فى بيت المقدس اذا هو نجح فى تنفيذ هذه الفكرة ، ولكنه مات سنة ١١٠٠ م ، قبل أن يبدأ فى أى شىء لتنفيذ فكرته .

بلدوين الأول واصل سياسة أخيه فى الاستيلاء على مصر

ثم خلفه اخوه بلدوين الأول،وهو الذى اتسعت مملكة بيت المقدس الصليبية فى أيامه حتى شملت الاراضى الممتدة على ساحل البحر المتوسط من بيروت الى العريش.ما عدا ميناءى صور وعسقلان، حيث ظلت الحاميات الفاطمية التابعة لمصر تشكل خطرا يهدد الصليبيين . واتجه الملك بلدوين نحو هذا الخطر بمشروع يظهر منه انه كان تمهيدا للاستيلاء على مصر، اذ راح فى غضون سنة ١١١٦م يستكشف المناطق جنوبى فلسطين حتى وصل الى آيلة (العقبة) على شاطىء البحر الاحمر ، ومن هناك سار على طريق الطور حتى وصل الى دير القديسة كترينة ، فى شبه جزيرة سيناء . غير أن رهبان ذلك الدير امتنعوا من أن يضيفوه بديرهم خشية ان يصل الخبر بذلك الى السلطات الفاطمية ولذا رجع بلدوين الى فلسطين بخفى حنين .ومع هذا عاد بلدوين الى الأراضى المصرية مرة ثانية ، على رأس جيش مكون من ستمائة فارس وراجل ، وزحف نحو الفرما (بيلوزيوم) ، فدخلها عنوة ونهبها ، ثم تقدم منها الى تنيس على شاطىء بحيرة المنزلة ، وهناك انتابه مرض شديد بسبب اكلة من سمك البحيرة . وعند ذلك طلب بلدوين ان يرجع محمولا على محفة الى فلسطين ، لكن المنية لم تلبث ان ادركته عند موضع قرب العريش الحالية ، سنة ١١١٨ م ، ولا يزال اسمه يطلق على ذلك الموضع حتى العصر الحاضر ، مع شىء من التحريف ــ أى بردويل .

حلف بين الفاطميين ودمشق لتطويق الصليبيين

وبعد وفاة بلدوين الأول بثلاثة أعوام مات الملك

الافضل شاهنشاه وزير الدولة الفاطمية بمصر ، وهو الوزير الأرمني الاصل الذى سيطر على شؤون تلك الدولة لمدة ربع قرن ، وهو صاحب مشروع تفاهم سابق مع الصليبيين ، واليه يرجع انقلاب ذلك المشروع الى عكسه ، وارسال حملات عسكرية لمحاربة القوات الصليبية بفلسطين . والى هذا الوزير تنسب كذلك فكرة الحلف بين الدولة الفاطمية وامارة دمشق وقتذاك ، أملا فى مهاجمة مملكة بيت المقدس الصليبية من ناحيتين فى وقت واحد . ونجح الوزير الأفضل شاهنشاه فى تحقيق ذلك الحلف الى حد كبير ، وظلت فكرته هذه محور سياسة الفاطميين بصدد الصليبيين عدة سنين ، غير انها لم تأت بثمرة ، بسبب الاضطرابات الداخلية التى اضعفت الخلافة الفاطمية فى مصر ، واقعدتها عن القيام باى هجوم جدى ضد الصليبيين .

سباق بين الصليبين ونور الدين للأستيلاء على مصر

وهذه الفكرة التى كان سداها ولحمتها تهديد المملكة الصليبية فى بيت المقدس من ناحيتين ، ومهاجمتها حربيا من جهتين فى وقت واحد ، لم تتم الا بعد أن تغيرت الأوضاع السياسية بالشرق الأدنى تغيرا بدايته استيلاء بلدوين الثالث ملك بيت المقدس على مدينة عسقلان فى جنوب فلسطين صيف ١١٥٣ م ، ومقابلة نور الدين محمود بن زنكى ، أمير حلب هذه الخطوة الصليبية بالاستيلاء على مدينة دمشق ، سنة ١١٥٤ م . وكانت نهاية ذلك التغير سباق بين مملكة بيت المقدس ومملكة نور الدين ، للاستيلاء على مصر ، ومن اجل ذلك ارسل الصليبيون ثلاث حملات متتابعة الى الأراضى المصرية ، كما أرسل نور الدين وراءها ثلاث حملات مثلها . ثم اختتمت اشواط هذا السباق بخيبة الجيوش الصليبية ، ونجاح الجيوش النورية فى الاستقرار بمصر سنة ١١٦٩ م حين تسلم القائد النورى ، وهو صلاح الدين يوسف بن أيوب ، مقاليد الوزارة الفاطمية اولا ، وانفرد بشئون الدولة الفاطمية كلها نيابة عن سيده نور الدين ، وذلك بعد وفاة آخر الخلفاء الفاطميين سنة ١١٧١م .

صلاح الدين

ثم استطاع صلاح الدين ان يعلن نفسه وارثا فعليا لأملاك الدولة النورية ، بعد وفاة نور الدين ؛ وأن يجعل مصر وسورية وأعالى العراق تحت حكمه، فكان ذلك كله نذيرا بدنو ساعة الصليبيين. وكانت مصر صاحبة الزمام ـ جغرافيا وسياسيا واقتصاديا ـ فى تلك الامبراطورية الصلاحية ، ولذا نادى صلاح الدين من القاهرة عاصمته بأن هدفه ومنتهاه هو الجهاد ضد مملكة بيت المقدس الصليبية . ولم يلبث صلاح الدين أن بلغ أقصى ما تمناه ، بعد أن شن حربا خاطفة قضى فيها على أولا على زهرة جنود الصليبيين فى حطين قرب طبرية ، وبعد أن استولى على مدينة بيت المقدس نفسها ، ولم يبق من مملكة بيت المقدس بأيدى الصليبيين سوى مدينة صور .

الحملة الصليبية الثالثة والرابعة

وهذه الكوارث الصليبية هى التى جاءت بالحملة الصليبية المعروفة بالثالثة من أوروبا الى فلسطين . لمحاولة اخراج صلاح الدين من مدينة بيت المقدس على الأقل . وكان اخفاقها فى تحقيق ما أتت من أجله مما اقنع احد قادة هذه الحملة ، وهو رتشارد الأول ملك انجلترا ، بأن الطريق لاسترداد المملكة الصليبية المفقودة يبدأ أولا وقبل كل شيء بالاستيلاء على مصر . ولم تكن هذه الفكرة جديدة ، فان مصر لم تغب عن أذهان الصليبيين منذ قدومهم الى الشرق ، واذا لم يستطع الملك رتشارد نفسه القيام بعمل حربى فى هذا السبيل فان الحملة الصليبية المعروفة بالرابعة كانت على وشك الهبوط على مصر سنة ١٢٠١ م لو لم تتحول أنظار قادتها الى الاستيلاء على القسطنطينية وتقسيم الامبراطورية البيزنطية الى امارات صليبية .

الحملة الصليبية الخامسة تتجه الى مصر مباشرة ، وتحتل دمياط وفارسكور ، ثم تخيب

اما الحملة الصليبية المعروفة بالخامسة فتوجهت الى مصر مباشرة ، وأرست سفنها عند قرية بورة ، وهى على مسافة بضعة كيلومترات غربى مصيف رأس البر الحالى ، ولم تلبث أن بدأت عملياتها الحربية بمحاصرة دمياط العصور الوسطى . وظلت الجيوش الصليبية قبالة دمياط هذه سنة وبضعة أشهر حتى دخلتها عنوة فى شهر

نوفمبر سنة ١٢١٩ م ، وذلك برغم ما بذل السلطان الكامل الأيوبي من جهود سلمية لانقاذها من ذلك المصير ، والواقع أن السلطان الكامل عرض على الصليبيين شروطا مغرية للهدنة ثمنا لفك الحصار والجلاء عن دمياط العصور الوسطى ، فلما أعيته الحيلة ، وسقطت هـــذه المدينة فعلا فى أيدي الصـــليبيين ، انسحبت الجيوش الأيوبية من مواضعها وقتذاك عند فارسكور الى موضع اختاره السلطان الكامل سابقا ، لنقل معسكره اليه اذا هو اضطر للانسحاب . ولم يكن لهذا الوضع اسم معروف ، كما لم يكن له صفة طبوغرافية تميزه عن سائر ما حوله من أراضى الدلتا الرخوة ، ما عدا انه موضع فضاء فسيح ، معتدل الهواء ، مثلث الشكل تقريبا ، بين بحر اشموم طناح « البحر الصغير الآن » والشاطىء الشرقى للنيل ، قبالة قرية اسمها جوجر ، وهى من قرى مدينة طلخـا الحالية .

اما جيوش الحملة الصليبية فاختلفت قيادتها حول موعد خطوتها التالية ، بعد دخول دمياط وطال الاختلاف الى ثمانيةعشر شهرا عكف السلطان الكامل فى اثنائها على تحصين معسكره الجديد ، وبناء الدور العسكرية والأسوار اللازمة .

واخيرا زحف الصليبيون جنوبا فى قوات برية بحرية كبيرة ، واستولوا على فارسكور فى منتصف يولية ١٢٢١ م ، ثم زحفوا منها الى شرمســـاح واحتلوها وانتشرت كتائبهم على طول مجرى بحر اشموم طناح الى قرب اضحال بحيرة المنزلة ،ولم يفصل بينهم وبين معسكر السلطان الكامل سوى ذلك المجرى المائى المشهور بعمقه وشدة انحدار جانبيه .

وهنا كانت المعرفة بأحوال النيل وقنواته ، ولا سيما أيام الفيضان ، ذات أثر عظيم ، فى تطور الحوادث،اذ غفل الصليبيون فى حركتهم الانتشارية على طول بحر اشموم طناح عن قناة قديمة ، سوف تمتلىء بماء الفيضان وتصبح حائلا بينهم وبين خط الرجعة الى دمياط . ثم حل الفيضان فى أغسطس، وصار من المتعذر على الخيالة والمشاة الصليبيين ان يعبروا بحر اشموم طناح جنوبا ، نحو معسكر السلطان الكامل ، كما صار من المتعذر عليهم عبور القناة القديمة شمالا الى قواعدهم فى دمياط ،على حين وقفت سفن مصرية أيوبية لسفنهم بالمرصاد .

ثم أبحر عدد من السفن المصرية الأيوبية فى بحر المحلة ، وهو فرع كان يخرج وقتذاك من النيـــل قرب بنها الحالية ، ويلتقى به ثانيـــة جنوبى فارسكور . وخرجت هذه السفن من بحر المحلة عند فارسكور الى مجرى النيل ، فحالت بـــين الصليبيين وما سوف يهبط اليهم من النجدات النهرية من دمياط ، كما قطعت خط الرجعة كذلك على السفن الصليبية التى رافقت الحملة سابقا من دمياط . ثم أمر السلطان الكامل بقطع جسر النيل شمالى طلخا، فضلا عن قطع الجسر الفاصل بين النيل وبحر المحلة ، ففاض الماء ، وركب مساحة شاسعة من الارض شمالي مواقع الصليبيين، وصارت هذه المساحة الغارقة حائلا بينهم وبين دمياط ما عدا طريق ضيق سده السلطان الكامل كذلك بعدد من عساكره عند شرمساح .

هكذا انحصر الصليبيون وتبددت آمالهـم فى الزحف جنوبا نحو القاهرة ، ولم يبق لهم سوى أن يشقوا لأنفسهم طريقا نحو الشمال نحـــو قواعدهم فى دمياط.ولذا أحرقوا خيامهم ومجانيقهم وسائر أثقالهم ، واهتبلوا فرصة المستميت فى الانسحاب فى جنح الظلام ، فحال الماء والعسكر بينهم وبين مقصدهم ولم يلبثوا أن أدركوا يأس موقفهم . عند ذلك وليس قبله طلب الصليبيون السماح لهم بالعودة الى دمياط للجلاء عنها فى غير شرط الا ما رضى به السلطان وذلك بعـد طلب الأمان. وأعطى السلطان الكامل جيوش الصليبيين أمانهم وسمح لهم بالعودة الى دمياط للجلاء عنها.

وهكذا انتهت الحملة الصليبية المعروفة بالخامسة وحق لمدينة المعسكر الكاملى أن تكون مفعولة من النصر على قول الجغرافى ياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » ، وان تسمى المنزلة المنصورة على قول المؤرخ « المقريزى » فى كتابه « السلوك لمعرفة دول الملوك » .

الحملة الصليبية السادسة كانت حملة مفاوضة

وكان من المستطاع أن تتجنب هذه الحملـــة الصليبية ما أصابها من خيبة بل كان من المستطاع تحقيق معظم الغرض الذى من أجله تكونت وهو استعادة مملكة بيت المقدس لو أن زعماء الصليبيين وقتذاك قبلوا شروط الهدنة التى عرضها السلطان الكامل على الصليبيين مرارا وتكرارا ، قبـــل سقوط دمياط فى أيديهم وبعده .

لكن المقادير شاءت أن يكون الفائز بتحقيق هذا

الفرض دون قتال هو الامبراطور فردريك الثانى ، اذ افتتح هذا الامبراطور العظيم سلسلة من المفاوضات الودية مع السلطان الكامل ، فلما وصلت تلك المفاوضات الى قرب نهايتها الناجحة جاء فردريك الثانى بنفسه الى فلسطين سنة ١٢٢٨ م على راس فئة قليلة من الجند لا يزيد عددها عن ستمائة ، وهى فئة اطلق عليها مؤرخو الحروب الصليبية اسم الحملة السادسة مع انها لم تات لحرب بل انها لم تقم بعمل سوى احاطة شخص الامبراطور فردريك بحاشية رامزة الى أبهته وعظمته . اما فردريك فاخذ فى مفاوضة السلطان الكامل بالحسنى حتى عقد معه هدنة من شروطها ان يقوم سلام بين المسلمين والصليبيين لمدة عشر سنوات . وأن تعود مدينة بيت المقدس والناصرة وبيت لحم الى الصليبيين ، مع النزول لهم عن شريط من الارض يكون طريقا يصل مدينة بيت المقدس بميناء عكا ، وبهذه المعاهدة اعاد فردريك الثانى مدينة بيت المقدس الى الصليبيين. غير أن الصليبيين لم يستطيعوا الاحتفاظ بمدينة بيت المقدس سوى خمسة عشر عاما فقط ، اذ اخرجهم المسلمون منها سنة ١٢٤٤ م ، بعد أن نقضوا شروط الهدنة الكاملية الفردريكية .

الحملة الصليبية السابعة ،حملة لويس التاسع فخر ملوك فرنسا

من اجل هذا الحادث وغيره من حوادث الحرب التى تجددت بين المسلمين والصليبيين سرت فى أوروبا دعوة لحملة صليبية جديدة ، وتزعمها ملك شاب فى الثلاثين من العمر ، وهو الذى اشتهر فى التاريخ الأوروبى بالفضيلة والتقوى طول حياته، واعتبرته الكنيسة الكاثوليكية ـ فيما بعد ـ قديسا من القديسين العالميين. ذلك لويس التاسع فخر ملوك فرنسا ، وقائد هذه الحملة الصليبية المعروفة بالسابعة فى حساب الصليبيين ،ونموذج التقوى العسكرية المحاربة فى العصور الوسطى . ومن الأوصاف الشخصية لهذا الملك انه كان طويل القامة ، نحيل الجسم ، يعلو وجهه الأشقر شىء من فقر الدم ، وينتابه مرض الحمرة وأوجاعها فى كثير من الأحيان .

واصطحب الملك لويس فى هذه الحملة زوجته مرجريت البروفنسالية ، واخويه روبرت كونت ارتوا ، وشارل كنت انجو ، وعددا من قدماء الصليبيين الفرنسيين ، امثال هيو دوق برجندياه وبطرس كونت بريتانى ، ووليام كونت فلاندر ، فضلا عن وليام الانجليزى طويل السيف ، وحنا جوانفيل صنجيل شمبانيا ، وهو الذى كتب تاريخ هذه الحملة من زاويته الصليبية .

الحملة تنزل عند راس البر وتحتل دمياط دون قتال

وابحرت هذه الحملة نحو الشواطىء المصرية أواخر سنة ١٢٤٩ م ، وأنزلت طلائع جيشها عند مصيف راس البر على الضفة اليسرى للنيل ، لا عند قرية بورة كما فعلت الحملة الصليبية ولم تلبث هذه الطلائع أن تغلبت على القوات المصرية المرابطة فى ذلك الموضع الجديد .وتشجع الملك لويس بذلك التوفيق الابتدائى المفاجىء ، فزحف بجيشه جنوبا يريد العبور الى دمياط العصور الوسطى على الضفة اليمنى للنيل ، فوصل الى الموضع المعروف حاليا باسم قرية الجربى حيث اجتاز الجيش الصليبى مجرى النيل على جسر قديم من السفن المربوطة بعضها الى بعض بسلسلة ضخمة من الحديد، وهذه السلسلة الحديدية كانت مربوطة بدورها الى جدران برج من ابراج دمياط العصور الوسطى . وتجمع الجيش الصليبى عند هذا البرج (عزبة البرج الحالية) ، وتقدم منه حتى دخل دمياط العصور الوسطى ، فاستولى عليها دون قتال ، واستقر بها ، وحول جامعها الكبير الى كنيسة كتدرائية ، وكل ذلك من باب التمهيد لزحف صليبى جنوبى عام نحو القاهرة .

الحملة تبدأ زحفها نحو القاهرة

والتزم الملك لويس التاسع فى زحفه نحو القاهرة طريقا هو فى جملته ـ وليس فى تفصيله ـ طريق الحملة الصليبية السابقة ، مما يدل على اعتزامه الانتفاع بتجارب تلك الحملة واخطائها ، لتجنيب حملته مصيرا مشابها لمصيرها الفاشل . ولذا تقدم الملك لويس التاسع فى حذر وتؤدة الى فارسكور ، ومنها الى شرمساح والبرمون ، وصارت الجيوش الصليبية على مسافة عشرة كيلومترات تقريبا من بحر اشموم طناح ، وكل ذلك دون ان تلقى مقاومة كبيرة من ناحية القوات المصرية الأيوبية . ولم يشأ الملك لويس ان تنتشر كتائب

جيشه على طول مجرى بحر اشموم طناح قرب اشحال بحيرة المنزلة ، كما فعلت الحملة الصليبية السابقة ، بل قرر الوقوف والتركيز بجيشه في المساحة الضيقة بين هذا المجرى والنيل ، وابتنى هناك معسكرا كبيرا ، وجعل حوله سورا وخندقا ، وبذا صار الصليبيون قبالة المعسكر المصرى الأيوبى بالمنزلة المنصورة ، ولم يفصل بينهم وبين القوات المصرية الأيوبية سوى ذلك المجرى المائى الهام .

ضآلة العمليات التعويقية من جانب مصر الأيوبية وأسبابها

وبذا بلغ الصليبيون منتصف الطريق في سيرهم الوئيد من دمياط العصور الوسطى الى القاهرة ، بعد أن لبثوا في سيرهم هذا سبعة عشر يوما ، مما يدل على أن وصول الصليبيين أخيرا الى قبالة المنزلة المنصورة لم يكن بناء على دفع عسكرى منظم ، أو قيادة حربية بارعة ، أو استراتيجية ملمة بمعابر الطريق ، بل نتيجة لضآلة العمليات التعويقية التى استطاعتها القوات المصرية الأيوبية حتى وقتذاك ، لأسباب خارجة عن ارادتها .

السلطان يحمل الى المعسكر على محفة

أما أول تلك الأسباب وآخرها فهو أن السلطان نجم الدين أيوب ، كان مريضا مرض الموت ،وجاء الى معسكره ومركز قيادته في شرمساح محمولا على الأكتاف في محفة وحوله قادة العسكر وأرباب الدولة ومنهم على وجه التخصيص القائد العام فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ، وقاضى القضاة بدر الدين حسن بن يوسف السنجارى ، والأمير المملوكى أيبك التركمانى ، والقائدان المملوكيان بيبرس البندقدارى، واقطاى الصالحى، فضلا عن السلطانة شجرة الدر ، وهى زوجة السلطان وكان كل من أولئك منصرفا في تكييف مصيره حال وفاة السلطان ، وجميعهم معتقدون - فيما يبدو - أن المصلحة الآنية الراهنة تقتضى تأجيل الوقوف في وجه الصليبيين الى ما بعد انجلاء الموقف الداخلى .

خبر استيلاء الصليبيين على دمياط قتل السلطان

فلما استولى الصليبيون على دمياط بغير قتال ، توفى السلطان الصالح نجم الدين أيوب على أثر وصول الخبر اليه بوقوع الكارثة .

شجرة الدر تبقى على ما هى عليه حتى يعود ربيبها

ورأت السلطانة شجرة الدر أن تظل شئون الدولة على حالها ريثما يصل ربيبها ولى عهد السلطنة من ولايته بأعالى العراق الى مصر ، واطمأن قادة العسكر وأرباب الدولة الى مراكزهم، فتبدلت الحال غير الحال ، ولا سيما بعد أن صار الصليبيون فعلا قبالة المنزلة المنصورة ، وبعد أن دق الملك لويس التاسع أوتاد معسكره على الضفة الشمالية للبحر الصغير قبالة المعسكر المصرى الأيوبى جنوبى ذلك البحر .

تراشق بين الطرفين دون قتال خطير

وتراشق الطرفان من هذين الموقعين بقذائف المجانيق مدة شهر ونصف شهر ، أى حتى أواخر يناير سنة ١٢٥٠ م ، ولم يحدث بينهما قتال خطير ما عدا أن فرقة من الخيالة المصرية الأيوبية حاولت عبور البحر الصغير من مخاضة قريبة في جنح الظلام لمباغتة المؤخرة الصليبية بهجوم ورائى خاطف . فتصدت لها مراكب صليبية افسدت عليها حركة العبور ، واسفرت العملية كلها عن احراق المصريين مركبا من المراكب الصليبية.

اما الملك لويس التاسع فاهتم منذ البداية باقامة جسر من الخشب في عرض البحر الصغير ، ليعبر منه الى اطراف المعسكر المصرى الأيوبى في جديلة ، وعلى الرغم من الجهود الصليبية لحماية الصناع والفعلة في اثناء عملهم نهارا وليلا ، فان القذائف النارية المصرية المستمرة من الساحل الآخر ابادت معظم العمال الصليبيين ، وجعلت مشروع الجسر مستحيل التنفيذ ، وأوقفت العمل فيه نهائيا .

بدوى يخون ، ويدل الصليبيين على معبر الى المعسكر المصرى

ثم جاء رجل ، وهو من البدو على ما قيل ، وارشد الملك الفرنسى الى مخاضة عند قرية سلمون ، وهى على مسافة اربعة كيلومترات من معسكر الصليبيين ، لعبور الخيالة الصليبية منها

الى المسكر المصرى الأيوبى ، وذلك مقابل ثمن بخس دنانير معدودة ، وبئس الثمن .

طلائع الصليبيين تتقدم بسرعة الى معسكر المصريين

وعبرت طلائع الجيش الصليبى تلك المخاضة قبل الفجر بقيادة روبرت كونت ارتوا اخى الملك لويس التاسع ، وتقدمت هذه الطلائع فى سرعة نحو اطراف المسكر المصرى الأيوبى فى جديلة، واقتحمتها فى وضح الصباح الباكر ، مخالفة بذلك تعليمات الملك أن تنتظر الطلائع فى مكانها حتى يتم عبور الحملة الصليبية كلها الى الناحية التى فيها معسكر المسلمين . واشتبك الفريقان اشتباكا عنيفا خر القائد العام فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صريعا فى اوائله ، وتقهقر الجند المصريون الأيوبيون الى المسكر الرئيسى بالمنصورة .

خطة خادعة يرسمها القائد وتوافق عليها شجرة الدر

وهنا ظن كونت روبرت أخو الملك أن النصر سوف يتحقق له وحده بعد هذا التوفيق الأول ، وسيطرت عليه ضحوة ذلك اليوم نفحة من التسرع والانانية وغرور المجد الشخصى ، فركب رأسه ، وقرر الاسراع فى الزحف نحو المنصورة نفسها ، متجاهلا تعليمات أخيه الملك مرة أخرى ، متغاضيا عن نصائح رفقائه من القادة ، راميا اياهم بالجبن والعجز عن انتهاز الفرصة . غير أن كونت روبرت لم يلبث أن رأى ظنه فى النصر يخيب كل الخيبة ، بفضل خطة حربية رتبها بيبرس البندقدارى القائد المملوكى ، بعد موافقة السلطانة شجرة الدر ، وهى وقتذاك مقيمة بالقصر السلطانى فى المنزلة المنصورة .

وبناء على هذه الخطة اكمن بيبرس فئة كبيرة من القوات المصرية الأيوبية ـ ومعظمها فى هذه المرحلة من المماليك ـ فى كمائن متعددة حول المنصورة ، وأمرها أن تظل فى كمائنها حتى تصدر اليها الاشارة بالحركة والتقدم الى القصر السلطانى .

روبرت وفرسانه يدخلون المنصورة فلا يلقون مقاومة

ولذا دخل كونت روبرت وفرسانه مدينة المنصورة دخول الظافر المنتصر ، فوجدوا مدينة خالية من المقاومة . وانتشرت الفرسان فى الأزقة والحارات ، تمهيدا لحركة تطويقية صليبية نحو القصر السلطانى ، لطلب التسليم والاعتراف بالنصر الصليبى التام .

العساكر المصرية الأيوبية تبيد الصليبيين

غير أن كونت روبرت لم يكد يقترب من القصر السلطانى حتى صدرت الأوامر للعساكر المصرية الأيوبية بالحركة المتفق عليها ، فحملوا على الصليبيين حملة فجائية ، من جميع الجهات ، وأبادوا جنودهم الموزعين بالأزقة والحارات ، ثم اطبقوا على كونت روبرت وجنوده عند باب القصر السلطانى . ولاذ كونت روبرت بالفرار ولجا الى بيت لم تلبث العساكر المصرية الأيوبية أن اخرجته منه قتيلا مثخنا بالجراح . وبذا انقلب النصر الصليبى عند جديلة الى هزيمة طامة لامة عند المنصورة ، حيث بلغ عدد قتلى الصليبيين ما يقرب من الف وخمسمائة فى بضع ساعات ، وهو عدد الطلائع الصليبية كلها تقريبا .

الملك لويس يعلم بانهزام طلائعه فى المنصورة

واستمع الملك لويس التاسع الى اخبار الكارثة الصليبية المزدوجة من افواه الصليبيين القليلين الذين نجوا يومذاك بانفسهم صدفة أو فرارا ، وكان ذلك بعد ساعات من عبور الملك لويس مخاضة سلمون الى الضفة الجنوبية من البحر الصغير ، بسائر الخيالة الصليبية حسب الاتفاق الأصلى . ولذا اخذ الملك فى ترتيب صفوفه استعدادا لما سوف يقوم به الجيش الأيوبى المصرى من حركات هجومية لدفعه الى الوراء، كما اقام الجسر المطلوب فى عرض الماء لتستطيع فرقة الرماة الصليبية التى بقيت معسكرة شمالى البحر الصغير أن تعبر اليه فى سهولة ، أو أن يعبر هو اليها فى سرعة اذا انهزمت خيالته على أيدى الخيالة المصرية الأيوبية.

لويس يطاول لعل نزاعا يقع بين شجرة الدر والسلطان العائد

ومنذئذ حمى القتال بين الطرفين ، وتبادل الفريقان النصر والهزيمة ، ووقعت بينهما معارك

حامية ، رجحت كفة النصر فيها للقوات المصرية الأيوبية يوما بعد يوم . ومع هذا ظل المعسكر الصليبي بقيادة الملك الفرنسي في مواضعه لايتحرك، املا في ان يدب النزاع في المعسكر المصري الأيوبي بين السلطانة شجرة الدر ، وولي العهد تورانشاه عند وصوله من ولايته ، لاعتلاء عرش السلطنة . لكن نزاعا لم يقع في الصورة او في السرعة التي تنبأ بها الملك الفرنسي ، بل وصل السلطان الجديد تورانشاه الى المنصورة ،وتسلم زمام الموقف ، ودل على مهارة فائقة بما اتخذ من تدابير حربية كفلت تحقيق هزيمة الصليبيين في اقل من شهرين اثنين .

السلطان تورانشاه يقطع المؤونة على الصليبيين

وكان اول هذه التدابير الحربية ان امر تورانشاه باحضار عدد من السفن الحربية الخفيفة من القاهرة الى سمنود ، وحملها قطعا مفككة مفصلة على ظهور الجمال الى بحر المحلة ، حيث تم تركيبها وتعويمها وشحنها بالمقاتلة ، وسارت هذه السفن في بحر المحلة الى قرب فارسكور ، حيث دخلت مجرى النيل ، ووقفت بالمرصاد لمنع المراكب الصليبية الواردة من دمياط بالمؤن والذخائر من الوصول الى معسكر الصليبيين . واستطاعت هذه السفن الخفيفة أن تستولي على اكثر من ثمانين سفينة من السفن التموينية الصليبية ، واحدة بعد اخرى ، بل استطاعت ذات مرة ان تستولي على اثنتين وثلاثين سفينة من هذه السفن في يوم واحد . ولهذا باتت الجيوش الصليبية مهددة بالمجاعة ، ثم لم تلبث المجاعة ان حلت بالمعسكر الصليبي واعقبتها الأمراض المعوية الخبيثة ، ولا سيما حمى التيفوئيد التي اشتعلت بين الصليبيين اشتعالا وبائيا مميتا .

لويس التاسع يسعى للمهادنة ، فلا يجد سامعا

لم يكن عجبا عند ذلك أن يفكر لويس التاسع في مختلف الوسائل التي يستطيع بها العودة بجيشه سالما ـ ولو ببعض السلامة ـ الى دمياط . وعمد اولا الى فكرة مهادنة المسلمين على قاعدة الجلاء الصليبي عن دمياط ، مقابل اعادة مدينة بيت المقدس الى الصليبيين . واعتقد الملك لويس ان في هذا العرض سخاء وتساهلا من ناحيته ، فضلا عما فيه من تنازل عن كبرياء ديني قديم ، وهو كبرياء لا يرضى بمفاوضة المسلمين الا عن طريق السيف والقتال . غير أن الملك لويس لم يجد سميعا او مجيبا لمهادنة فات اوانها فجمع اليه مجلس قيادة الجيش الصليبي ، وقرر معهم وجوب التقهقر الى دمياط ، على أن تكون عودة المرضى والجرحى على المراكب الصليبية الباقية في النيل، وان تكون عودة الجيش عن طريق البرمون وشرمساح وفارسكور . وبدأ الجيش الصليبي حركته التقهقرية في البر والنهر اوائل ابريل سنة ١٢٥٠ ، وهو يوافق اوائل المحرم ٦٤٨ هـ .

تنقلب مطاردة المصريين للصليبيين المتقهقرين الى هجوم عنيف

وكانت هذه البداية مؤذنة للعساكر المصرية الأيوبية بالزحف العام لمطاردة الصليبيين ،وعرقلة حركتهم ، والاستيلاء على اسلحتهم وادواتهم الحربية . ثم لم تلبث هذه العملية أن انقلبت من مطاردة وعرقلة ، الى حركة هجومية عنيفة . غرضها تطويق الجيوش الصليبية المتقهقرة ، والوقوف في طريق عودتها الى دمياط ، واجبارها على التسليم . وضيق المعسكر المصري الأيوبي الخناق على الصليبيين في البر والنهر ،وتراءت الهزيمة المحتومة للملك لويس ، وهو يعالج آلام المرض بالحمى وقتذاك ، ولا يكاد يستطيع الجلوس على ظهر فرسه . وأوى الملك الى دار بقرية منية الخولي عبد الله على مسافة من شرمساح ، حيث كان القتال على اشده ، والحركة التطويقية تزداد عنفا ، والخناق على الصليبيين يزداد ضيقا .

تسليم الصليبيين ، ووقوع لويس الملك في الأسر

ثم نادى رجل فرنسي اسمه مارسل في وسط المعسكر الصليبي بأن الملك لويس التاسع أصدر اوامره بالتسليم في غير قيد أو شرط ، ويبدو ان هذا الرجل قام بذلك بناء على اقتناعه الشخصي بأن التسليم الصليبي آت لا ريب فيه ، وربما افاد الموقف قليلا أن تعتقد القوات المصرية الأيوبية أن الملك الفرنسي هو الداعي للتسليم . ويقال غير ذلك بصدد هذا الرجل الذي يحتمل أيضا انه قام بهذا النداء تنفيذا لتعليمات فئة من الصليبيين

الذين سئموا القتال . وكيفما كان الأمر اطاع الصليبيون نداء اصدره ملكهم اطاعة سريعة تامة ، وملكهم نفسه لا يعلم عن ذلك النداء شيئا ، الا بعد أن جاءت طائفة من الجند المصرى الأيوبى لتحمله اسيرا من منية الخولى عبد الله الى المنصورة ، حيث سجن مدة بدار قاضيها ابراهيم ابن لقمان .

وامتلأت دور أخرى بالمنصورة باعداد من كبار الصليبيين الأسرى من الفرنسيين والانجليز وغيرهم ممن ظل على قيد الحياة ، كما طفحت أطراف المنصورة وخيام معسكرها بآلاف الأسرى من عامة الجند الصليبية وبات الناس وأصبحوا على فرح بما تم من النصر على الصليبيين بفضل الجهود الجبارة والخطط العسكرية الجريئة .

شروط التسليم

ثم جاء يوم الحساب وتوقيع العقاب على البادى المعتدى الذى اعتدى ، وخلاصة الشروط التى اتفق عليها الطرفان أن يجلو الصليبيون عن دمياط جلاء تاما ، وأن تبحر السفن الصليبية عن الشواطىء المصرية ، وأن يتعهد الملك لويس بدفع فدية مالية تعينت مبالغها وأقساطها ، ومواعيد تاديتها ، وأن يدفع كل من كبار الصليبيين فدية عن نفسه ، وهذه هى شيمة العصور الوسطى ، وطريقتها فى معالجة شئون الكبار من الأسرى . واشترط المفاوضون عن الدولة المصرية الأيوبية أن يتم تسليم دمياط قبل دفع شىء من الفدية ، أو اطلاق سراح الملك أو غيره من كبار الاسرى .

لويس وكبار الصليبيين يدفعون الفدية

وفى صباح يوم الجمعة السادس من مايو ١٢٥٠م ، وهو يوافق الحادى عشر من صفر سنة ٦٤٨ هـ . حضر الى دمياط من المنصورة قائد فرنسى اسمه جفرى سارجين وسلم البلد والبرج تسليما للمفاوضين عن الدولة المصرية الأيوبية . ثم وصل الملك لويس وكبار الأسرى الصليبيين الى دمياط قرب العصر ، وقام الملك لويس بدفع القسط الأول من الفدية المتفق عليها ، كما دفع كبار الأسرى ما انتهى الاتفاق على دفعه من فديتهم ، ثم دخل الليل ، وخرج الملك الفرنسى فى جماعة من رجاله فى سفينة صليبية الى عكا ، وكانت سبقته اليها زوجته مرجريت البروفنسالية ومعها ابنها الذى ولدته فى دمياط واطلقت عليه اسم جان تريستان ، أى وليد الأحزان .

المقريزى المؤرخ يؤرخ حوادث هذه الغزوة

وحق لهذا الابن الفرنسى أن يسمى وليد الأحزان ، كما حق للمصريين أن يسموا الأيام التى اعقبت رحيل الصليبيين عن مصر باسم أيام الأفراح ، اذ أقيمت الحفلات بدمياط والقاهرة والمنصورة وغيرها من البلاد المصرية ، وكتب الشعراء القصائد الرنانة التى تناشدها المصريون وتغنوا بها جيلا بعد جيل ، وهى واردة فى كتاب « خطط المقريزى » المؤرخ المشهور الذى يرجع اليه الفضل فى حفظ أخبار هذه الغزوة الصليبية الكبرى الثانية على مصر .

لا يستطيع مؤرخ أن يتحرر من الزاوية التى يكتب منها

ولكبار المحدثين من المؤرخين الأوروبيين أقوال وآراء فيما أفادته حملة الملك لويس التاسع على مصر فى القضية الصليبية ، لا فيما أنزلته هذه الحملة بمصر وأهلها من ويلات الحروب . وهذه الأقوال والآراء تختلف فيما بينها بعض الاختلاف، لكنها كلها صادرة بالطبع عن زوايا اوروبية متنوعة الاشكال ، مثل تنوع الزوايا الهندسية فى اشكالها، فهى حادة ضيقة احيانا، أو قائمة معتدلة بالقياس الى سابقتها ، أو منفرجة رحيبة الأفق ، وهذه الزاوية الثالثة هى أقرب الزوايا الى الاعتدال فى كتابة التاريخ ، لاتساعها النسبى ، واستطاعتها أن تكون مصدرا لوجهات نظر متباينة متوافقة فى آن واحد . على أنه من الواضح أن تنوع أشكال هذه الزوايا، فضلا عن اختلاف الأقوال والآراء الصادرة عنها ، لا تغير شيئا فى الحقائق التاريخية ، أو ترتيبها الزمنى ، وليس لمؤرخ واحد أن يلم تمام الالمام بجميع اللغات الاوروبية الحديثة ، فيحصى من مؤلفاتها المعتمدة فى الاوساط العلمية ، جميع الأقوال والآراء حول حملة لويس التاسع ، ليدلل منها فى سهولة ووضوح ، أن كتابة التاريخ من زوايا متنوعة الاشكال عمل علمى سليم ، وأن الموضوعية المطلقة ، المجردة من الطبائع البشرية ضرب من المحال فى البحث التاريخى ، لأن لكل مؤرخ زاويته الجغرافية والثقافية والحضارية ،

وهو لا يستطيع التحلل من أية واحدة منها ، مهما طرأ عليه من طارىء عابر .

مؤرخ فرنسي يفخر بالاستعمار

ولدينا هنا مجموعة محدودة من المؤرخين ، في اللغتين الفرنسية والانجليزية فحسب للبرهان على ذلك ، وأول هذه المجموعة هنا ، على سبيل المثال لا الحصر أو الترتيب ، هو المؤرخ الفرنسي جروسيه ، وهو الذى يفتتح كتابته الطويلة الضافية ، فى حملة لويس التاسع على مصر ، بقوله فى كثير من التفاخر : « ان حملة الملك القديس لويس اصطبغت بصبغة فرنسية خالصة ، وهى الصبغة التى تميز هذه الحملة عن سائر الحملات الصليبية السابقة ومع ان معظم الحملات الصليبية السابقة اشتملت على اغلبية عددية من الفرنسيين ، فان ذلك لم يغير من كونها – من ناحية الاسم – حملات صليبية عامة ، مشتركة بين الممالك الأوروبية،واسهم فيها العالم المسيحى كله . اما حملة الملك لويس التاسع ، فتبدو لنا على عكس ذلك ، لأنها برغم ما اسبلته عليها قداسة زعيمها وقائدها من مسحة دينية عميقة . هى أول حملة استعمارية قامت بها مملكة فرنسا فى الشرق » .

غير أن هذه النعرة الفرنسية ، وهى نعرة كليلة عن ادراك عيوب حملة الملك لويس التاسع وقيادتها ، لا تستطيع أن تجد صدى فى غير الفرنسيين من المؤرخين ، ومثال ذلك المؤرخ الانجليزى أومان ، وهو الباحث الحربى الناقد ، اذ يصف الكارثة الصليبية فى المنصورة ، بأنها درس من الدروس الحربية الدالة على «ان غلطة تتولد فى ثنايا استراتيجية خاطئة تستطيع أن تؤدى منطقيا الى خطط حربية خاطئة .. ولذا كانت كارثة الصليبيين فى المنصورة خاتمة حربية سيئة ، لزحف سيىء التدبير ،للاستيلاء على مصر» .

مؤرخ انجليزى ينعى على لويس ما صنع

اما رانسيمان وهو المؤرخ الانجليزى الثانى هنا، ومؤلف احدث الكتب فى تاريخ الحروب الصليبية، فيختتم ما كتبه فى حملة الملك لويس التاسع على مصر ، بقوله : « انه كان من اليسير على الملك لويس التاسع أن يعلن أن كارثة حملته آية من آيات العناية الالهية ، ابتلاه الله بها ، ليعلمه درسا فى فضيلة الخضوع والرضى بقضاء الله . لكن الملك لويس لا بد أنه فكر وتأمل فى الثمن الذى دفعه ، من اجل هذا الدرس ، وهو تضحيته بعدة آلاف من أرواح الأبرياء » ولا يكتفي رانسيمان بهذه النغمة اللوامة ، بل يقول فى نغمة أشد لوما: « ان حملة الملك القديس لويس على مصر ورطت الصليبيين بفلسطين فى كارثة عسكرية مروعة . وبالرغم من أن بقاء الملك لويس فى عكا ، لمدة اربع سنوات ، ساعد كثيرا على تعويض ما خسرته القضية الصليبية من سمعة ، فان الخسارة فى الأرواح لم تكن شيئا يمكن تعويضه . وكان الملك لويس التاسع أنبل عظماء الصليبيين خلقا ، غير أن الدولة الصليبية بفلسطين ربما كانت اسعد حالا ، لو انه بقى فى فرنسا لم يغادرها ، لأن هزيمته كانت أعمق أثرا من اية هزيمة صليبية سابقة ، وذلك لأن الملك لويس عاش طول حياته رجلا فاضلا يخاف الله ، ومع هذا ابتلاه الله بهزيمة حربية كبيرة . وفيما مضى من الحروب الصليبية كانت هزائم الصليبيين تفسر على أنها جزاء الهى على ما ارتكبوه من جرائم وآثام ، لكن مثل هذا التفسير الساذج لا يمكن الأخذ به فى تعليل هزيمة القديس لويس . فهل لنا أن نستنتج من ذلك أن هزيمة الملك لويس التاسع فى مصر ، كانت نتيجة لغضب الله على الحركة الصليبية كلها ؟ » .

المسيحيون شكوا من قديم فى جدوى الحروب الصليبية

وهذا السؤال قديم متداول بين أجيال الباحثين فى تاريخ الحروب الصليبية ، وينتهى نسبه زمنيا الى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، حين تصدى جماعة من الكتاب الأوروبيين المسيحيين لتعليل أسباب الهزائم الصليبية ، ولا سيما هزيمة الملك لويس التاسع فى مصر ، فى مقالات مشهورة رفعوها الى الكرسى البابوى . وهذه المقالات تشغل جزءا كبيرا من كتاب معروف فى نقد الحروب الصليبية ، وهى فى ذاتها دليل على شكوك فئة من المفكرين المسيحيين منذ العصور الوسطى ، فى جدوى تلك الحروب ، عند الله رب العالمين . ■■

محمد مصطفى زيادة

دردشة

أزياء الحاضر

● قال بنيامين فرانكلين : « جميع النساء متشابهات تحت الرقبة »

وهذا القول صحيح بالنسبة للأزياء التي كانت سائدة في زمن بنيامين .. ولا يستطيع احد ان يجادله في ذلك .

ولكن بالنسبة لأزياء هذه الأيام فان اى شخص مهما يكن نظره ضعيفا يستطيع ان يرى خطأ ذلك القول .

أعظم من اينشتين

● في اجتماع ضم لفيفا من الرياضيين ، اخذ احدهم يشرح نظرية اينشتين في النسبية . وبعد مضى نصف ساعة قال له احدهم :

ـ انك اعظم من اينشتين ، فقد قيل ان اثنى عشر عالما فقط يفهمونه .. اما انت فلا يفهمك احد!

رجل واحد بين ألف

● رجل واحد فقط من بين كل الف رجل يصلح قائدا للرجال ، اما ال ٩٩٩ الآخرون منهم فاتباع للنساء

أيهما أفضل ؟

● في محاضرة عن ترتيب الزهور قالت المتحدثة : انه يستحسن تغيير الزهور الموجودة على مائدة الطعام عند كل وجبة طعام ، اذا كان هناك ضيوف.

فوقفت سيدة جالسة في نهاية القاعة وقالت : أليس من الأفضل ان تغير الضيوف بدلا من تغيير الزهور ؟

انا لم اكتب عنك شيئا

● شرع رجل يكتب خطابا خاصا في احدى السيارات العامة ، وكان بجانبه شاب يتابع النظر في الورقة التي يكتبها .. فتضايق الرجل وكتب : ان شابا قليل ادب ينظر في خطابي ويضطرني الا أواصل الكتابة . فغضب الشاب ،وقال : انى لم انظر في خطابك .

فقال الرجل : وانا لم اكتب عنك شيئا!

هذا هو الذى يضايقنى !

● جلست سيدة الى مائدة في المطعم ، وكان في زينتها غلو وتبرج ، وبعد ان اجالت طرفها في جنباته ، دعت رئيس الخدم اليها وقالت : أليس الجالس هناك كلارك جيبل ؟

فأجابها : هو بذاته .

فقالت : انه يضايقنى !

فرفع رئيس النُدُل حاجبه تعجبا وقال :

ـ ولكنه يا سيدتي لم يرم ببصره الى ناحيتك !

فقالت : هذا هو الذى يضايقنى منه !!

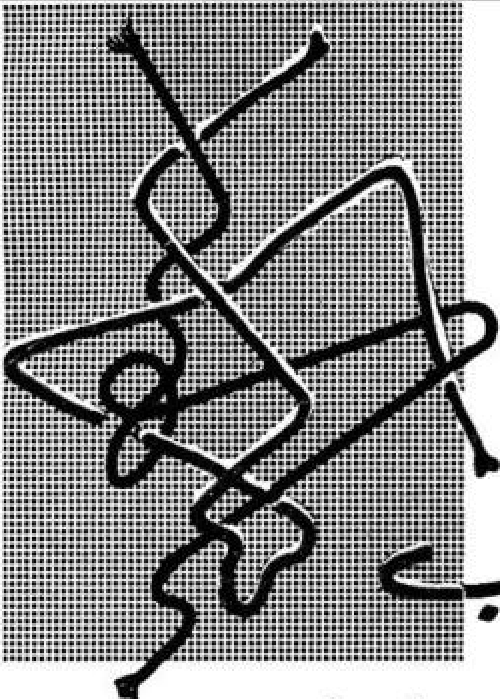

المعروف ان العالم النفسانى الأول ، فرويد Freud ، قال بان الحافز الجنسى يستيقظ فى الطفل ، فيحب امه ، ويكره اباه .

فما الذى عناه فرويد بالضبط ، وعلى اى نحو يعمل الجنس فى تطور الفرد واكتمال شخصيته رجلا

عُقدة أُوديب

بقلم : الدكتور يوسف مراد

أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة

■ اذا قارنا بين النظريات المختلفة التى جاءت بها شتى مدارس علم النفس لتفسير السلوك الانسانى ، فاننا نلاحظ ان بعضها ظل محصورا داخل الدوائر العلمية ، فى حين ان البعض الآخر تجاوز هذه الدوائر الى الجمهور المثقف وقراء الجرائد والمجلات .

ومن هذه الفئة الأخيرة نظريةالتحليل النفسي للعالم النمساوى سيجموند فرويد Freud (١٨٥٦ — ١٩٣٩) وما تفرع عنها ، مثل نظرية ادلر Adler فى علم النفس الفردى ، ونظرية يُنْج Yung فى علم النفس التحليلي .

ومن أكثر مصطلحات التحليل النفسى شيوعا لفظ « العقدة » ، مثل « عقدة أوديب » « وعقدة الخصاء » « وعقدة النقص » ، والفاظ أخرى مثل الكبت والاسقاط والتعويض والتبرير والاعلاء . وقد اصبحت هذه العبارات والألفاظ تتردد على السنة الناس لتفسير اضطرابات السلوك وانحرافاته دون ادراك واف لما لهذه الألفاظ من دلالة علمية . فمثلا يستخدم لفظ « العقدة » كما لو كانت شعورية ، فى حين انها لا شعورية ، وما يصدق على

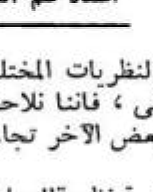

فرويد

العقدة يصدق ايضا على الكبت ، فلا يفرق بين الكبت اللاشعورى والقمع الشعورى ، وهناك امثلة كثيرة لسوء استعمال بعض المصطلحات وتشويه مفهومها العلمي .

سوء الفهم اضر بعلم النفس

واذا كانت بعض آراء فرويد لا تزال تقابل بالاستنكار والرفض فمن المؤكد ان السبب الأساسي لهذا الاستنكار هو الجهل او الاكتفاء بالمعلومات السطحية المقتضبة . وليس خطر التشويه أو التبسيط المخل محصورا فى دائرة المناقشات النظرية ، بل يمتد هذا الخطر الى مجال التطبيق ، لأن كل انسان يعتقد ، انّ كثيرا

او قليلا ، ان لديــه دراية بشــئون النفس ، وباساليب التربية . وبما ان علم النفس هو من بين العلوم الانسانية اكثرها ارتباطا بالحياة اليومية وبالتطبيقات العملية ، فانه من الضرورى تفادى الأذى البليغ الذى قد ينجم عــن سوء الفهــم والتشويه ، وحسبنا أن نذكر على سبيل المثال الاعتقاد الخاطىء بأن فرويد يرجع جميع أشكال الســلوك الى الغريزة الجنسية ، وان السـبب الرئيسى للامراض النفسية هــو كبت الفـريـزة الجنسية وانه بالتالى يدعو الى تحرير الغريزة من القيود المفروضة عليها .

ما قصد فرويد ((بعقدة أوديب))

ونود فى هذا المقال توضيح ما يقصده فــرويد بعقدة أوديب ، وبيان الدور الهام الذى تــؤديه هذه العقدة فى نمو شخصية الطفل،وتعيين الأسلوب الذى سينتهجه فى المستقبل فى علاقاته مع الآخرين، وخاصة مع افراد الجنس الآخر . والواقع أن عقدة أوديب ، وما يدور حولها من آراء فى تطور الميل الجنسى لدى الفرد ، أثارت منذ البداية مقاومة عنيفة ، لا من عامة الناس فحسب ، بل أيضا من علماء النفس وأطباء الامراض العقلية . ومع أن فرويد ، خلال حياته العلمية الطـويلة (مدة نصف قرن) قد عدّل بعض نظرياته فى ضوء الخبرة التى اكتسبها أثناء علاجه لآلاف المرضــى فانه ظل متمسكا برأيه الأول فى حقيقة هذه العقدة والدور الأساسى الذى تؤديه فىعملية النمو النفسى والتكيف الاجتماعى .

وقبل ان نعرض لمضمون عقدة أوديب يجب :

اولا : ان نعرّف العقدة .

ثانيا : أن نشير بايجاز الى ما تتسم به عقلية الطفل حتى سن الخامسة من قدرة عــلى الفهــم والتعبير ، وكيفية تصور الطفل لما يحيط به مــن اشياء واشخاص ، وكيفية ادراكه للعلاقات القائمة بينه وبين الآخرين .

ثالثا : أن نذكر بايجاز المراحل الاولى التى تمر بها شخصية الطفل فى السنوات الثلاث الأولى .

ثم رابعا واخيرا : نشأة عقدة أوديب وتوضيح المقصود بها وما يترتب على مصيرها من آثار فى سلوك الفرد فى سنى المراهقة والرشد .

اولا : ما هو المقصود بالعقدة ؟

ان لفظ ((عقدة)) ترجمة كلمــة Complex واللفظ الاجنبى يفيد معنى المركب ، غير أن ترجمته بالعقدة ترجمة موفقة للغاية لأنها تتضمن معنــى التركيب بالاضافة الى معنى الشد والصراع . وقبل أن نقدم تعريفا للعقدة يجب ان نذكر ان العقدة النفسية هى بطبيعتها لاشعورية ، وحيث ان اللغة التى نستخدمها للتعبــير عن افكارنا وتصوراتنا نشأت وتكونت خلال خبراتنا الحسية الشعورية ، وبالتالى هى لا تَصْدُقُ تماما علــى المضمونات اللاشعورية ، فانه من المتعذر تعريف العقدة بحيث يخلو التعريف من الغموض والتناقض.

ان من المشكلات المنهجية فى علم النفس انه، وهو فى سبيله الى تحقيق صورته العلمية ، لا يــزال يستخدم لغة الأدب ولغة المعاملات اليومية ، فى حين أن علم الفيزياء الحديث قد صاغ لنفســه لغة رياضية بحتة مكونة من رموز موضوعة وضعا ومقطوعة الصلة تماما بلغة التخاطب اليومى . كما أن المعادلات الرياضية التى يستخدمها عندما ينزل الى مستوى الابعاد النووية داخل الذرة ، أو عندما يرتفع الى الأبعاد الفلكية ، أصــبح من المحال تجسيمها بوساطة نماذج ميكانيكية كما كان الحال فى ميكانيكا نيوتن .

فان قلنا مثلا أن العقدة هى مجموعة من الافكار او من التصورات أو من العواطف فان كل هذه الألفاظ تحيلنا الى الخبرة الشعورية . وللتخلص من هذه الصعوبة يمكن القول بأن العقدة هــى مجموعة من الأفكار او التصورات اللا شعورية ، والمشحونة بشحنة وجدانية قوية ، والمتعارضــة فى مضمونها بحيث تشمل فى آن واحد الحــب والكراهية نحو الموضوع الواحد .

أو يكون من الأفضل القول بأن العقدة هــى مجموعة من الاتجاهات الوجدانية المتعارضــة ، وهى لاشعورية ، أى انها ثبتت قبل أن تصــل الى مستوى الشعور . وتتكون هذه الاتجاهات عادة أثناء الطفولة نتيجة لتبلور العلاقات القــائمة بين الطفل وافراد بيئته العائلية بحيث يصــبح شديد الحساسية لنوع الموقف الذى نشأ فيــه . فمن شأن العقدة اذن أن تدفع الشخص الى ان يكرر ، فى المواقف الشبيهة بالموقف الأصلى الذى ادى الى تكوين العقدة وتثبيتها ، السلوكَ نفسه الذى كان يسلكه أثناء الطفولة .

ثانيا : ما هي عقلية الطفل ومدى اختلافها عن عقلية الراشد

لا شك أن القارىء كان ينتظر بعد تعريف العقدة أن نعرف له عقدة أوديب وأن نقول له أن هذه العقدة تطلق على رغبة الابن اللاشعورية ، وهو في حوالى سن الرابعة ، في قتل أبيه والتزوج من أمه، كما جاء في الأسطورة اليونانية التى خلدت مسرحية سوفوكليس المسماة « أوديب ملكا » .

فلو اتبعنا هذا الترتيب في العرض لحق للقارىء أن يشمئز وأن يثور على مثل هذه النظرية التى تصور لنا الطفل الصغير في أبشع صورة من صور الفساد والاجرام . علينا اذن أن نتريث وأن نمهد لفهم عقدة أوديب بوضعها في جو عقلية الطفل الصغير ، ثم في اطار نمو الغريزة الجنسية بمختلف مراحلها .

اختلاف بين الطفل والرجل الراشد ، اختلاف كيف

ان الخطأ الشائع الذى يقع فيه الكبار ، عندما يصدرون أحكامهم على سلوك الأطفال ، اعتبار الطفل صورة مصغرة للرجل الراشد دون ادراك الفوارق الكيفية بينهما . فالاختلاف بين الطفل والراشد ليس اختلافا كميا بالزيادة أو النقصان ، بل هو اختلاف كيفي[2] . ان الطفل لا يفكر تفكير الكبار مستخدما المعاني المجردة ، مراعيا مبدأ عدم التناقض ، ومبدأ العلية المنطقية العقلية ، وان كان كثيرا ما يرتد الكبار بتأثير الانفعالات القوية الى الأطوار الاولية لتفكير الطفل اللامنطقى ! ان الطفل على الرغم من استخدامه الكلمات ذاتها التى يستخدمها الكبار ، والتى تعلمها منهم ، لا يحمل هذه الكلمات نفس المعنى ولا يستخدمها في سياقها المألوف . وليس من السهل أن نكتشف كيف يفرق الطفل بين الاشياء التى تجذبه والاشياء التى تصده ، بين المواقف التى تبعث في نفسه الرضى والطمأنينة وتلك التى تثير الخوف والقلق .

عالم الطفل عالم تصورات وخيالات وانفعالات ومناقضات

يعيش الطفل في عالم من الصور والتخيلات ، المشحونة بطاقة انفعالية قوية ، في عالم تزدحم فيه الأشباح والأوهام ، وتختلط فيه حدود الواقع بحدود الخيال ، وصور التمنى بصور التحقيق ، بحيث يمكن القول بأن قيام الضدين معا في وقت واحد هو المبدأ المسيطر على وجدان الطفل وما يتخلل هذا الوجدان من تصورات عابرة متغيرة . وقد وُصف تفكير الطفل بحق بأنه تفكير سحرى يتعارض مع مبادىء التفكير المنطقى العقلى ، وبأنه شبيه بتفكير بعض القبائل البدائية عندما يؤدون طقوسهم الدينية . وعلى ذلك يكون أقرب المناهج صدقا للكشف عن سمات عقلية الطفل هو الحدس لا الاستدلال المنطقى الصارم ، هذا الحدس الذى الهَم مبتكرى الأساطير في الحضارات الشرقية القديمة ، تلك الأساطير التى تنطوى رموزها على حقائق عميقة لا تزال تغذى التفكير الحديث عندما يتساءل عن سر الانسان ، ومصيره ، وعلاقته بالقوى الكونية الكبرى !

ثالثا : شخصية الطفل في السنوات الثلاث الأولى

والآن على ضوء ما قلناه عن عقلية الطفل الصغير ننتقل الى التحدث عن تطور الغريزة الجنسية لدى الطفل حتى الوصول الى المرحلة التى تظهر فيها عقدة أوديب .

ان نظرية فرويد في الجنس هى التى تطبع مذهبه بطابع نوعى خاص ، وتميزه عن غيره ممن تعرضوا لهذا الموضوع الحساس ، وهى التى اثارت أعنف الاعتراضات ، لا من خصومه فحسب ، بل من بعض اعضاء مدرسته الأوّل امثال يُنْج وادْلر .

فقد وُصفت نظرية التحليل النفسى بأنها نظرية جنسية شاملة ، أى انها تفسر كل مظاهر السلوك والثقافة بارجاعها الى الغريزة الجنسية . هذا اتهام جزافى لا يَصدق حتى على الصورة الأولى لنظرية فرويد عندما ميّز بين غرائز الـ « أنا » والغريزة الجنسية ، وهو لا يصدق بطبيعة الحال على الصورة الثانية لنظريته عندما قابل بين غريزة ايروس Eros (اله الحب) وغريزة ثاناتوس Thanatos (الموت) أى غريزة العدوان والتدمير .

وعندما كان يسأل فرويد عن طبيعة الميول المكبوتة في اللاشعور كان يقول انها تكاد تكون دائما من طبيعة جنسية ، ولم يقل انها دائما جنسية .

والسبب فى ان معظم المكبوت جنس ، يرجع الى ضغط المجتمع الذى يُحرّم التعبير الصريح عن كل ما يتصل بالجنس . وكذلك ترى فرويد فى تفسيره للاحلام لا يعمم القول بأن جميع الاحلام تعبّر بطريقة رمزية عن تحقيق رغبات جنسية مكبوتة ، بل هناك من الاحلام ما يعبر عن رغبات جنسية وقد يكون التعبير صريحا غير رمزى .

الجنس ليس تناسلا فحسب

وهناك توضيح آخر بصدد لفظ « الجنس » يجب اثباته قبل استئناف الحديث عن تطور الجنسية لدى الطفل . ان الكبار عندما يتحدثون عن الجنس يتجه تفكيرهم الى العملية التناسلية، ولهذا السبب يرفضون التسليم بأى نشاط جنسى لدى الطفل . والواقع بأن التناسل جزء من الجنس ، وهذه القضية تصدق على الانسان ، ولكنها لا تصدق على جميع الاجناس الحيوانية ، فالتناسل ، فيما يختص بالجنس البشرى ، جزء من دائرة الجنس ، وهو متضمن فى الجنس باعتبار ما سيكون ، لا باعتبار ما هو كائن بالفعل اثناء الطفولة .

وعندما يتحدث فرويد عن الجنسية لدى الطفل فانه يستعمل هذا اللفظ بمعناه الواسع . غير انه يجب الا نفهم من هذا أن اللذة التى يشعر بها الطفل اثناء الرضاعة ، أو على أثر تنبيه بعض مناطق الجسم ، هى لذة غير جنسية .. ان فرويد يتمسك بنعت هذه الالوان من اللذات بأنها جنسية. وان كانت غير مرتبطة بعد باللذة التناسلية،ويشعر بها الطفل قبل أن يصل الى التمييز بين الجنسين ، وهذا باعتبار ان هذه اللذات ستندمج فيما بعد فى اللذة التناسلية عندما تتجه الغريزة الجنسية نحو موضعها الطبيعى بعد المراهقة ، اى نحو شخص من الجنس الآخر ، وذلك بعد ان تكون قد تركزّت طاقتها فى بادىء الأمر فى بعض مناطق الجسم .

تأثر فرويد بالعلوم البيولوجية

ان موقف فرويد من قضية الجنس متأثر بمنهج التفكير فى العلوم البيولوجية . ان الكائن الحى يمر بمراحل نمو وتطور ، الحركة الحيوية تتجه من المتجانس الى اللامتجانس ، من صورة اجمالية غير متميزة الاجزاء الى صورة مفصلة تتمايز فيها الأجزاء وتتفاضل . وفى أثناء هذه الحركة التطورية تظهر عناصر متفرقة كأنها جزر تطفو على سطح من المياه المتجانسة ، ثم بفضل عمليات النمو والنضج تندمج هذه الجزر بعضها فى بعض وتقوم بينها علاقات وظيفية تزداد تحديدا كلما تقدمت عملية التكامل . ولكى نفهم تطور الدافع الجنسى لدى الطفل علينا أن نطبق عليه هذا النموذج من التفكير .

يسمّى فرويد الدافعَ الجنسى أو الطاقة الجنسية باللفظ اللاتينى ليبيدو Libido ، ومعناه الأصلى الشهوة . والليبيدو مظهر من مظاهر الطاقة الحيوية التى تهيمن على تسلسل افراد النوع وتتابعهامن جيل الى جيل . ومما هو جدير بالملاحظة أن اللغة العربية تستخدم لفظا واحدا للجنس ، من حيث هو دافع ، وللجنس من حيث هو سلسلة الاجيال المشتقة بعضها من بعض ، تأكيدا بأن الدافع الجنسى فى خدمة الجنس عن طريق افراده من ذكور واناث.فالدافع الجنسى وان كان لا بد له من أن يتركز فى شعور الفرد ، فان هدفه يتجاوز الفرد الى تحقيق بقاء الجنس. وبهذه النظرة البيولوجية يتسع بالضرورة افق الباحث فى شئون الحياة والنفس ويمتد من نطاق الفرد الى نطاق الأسرة والجماعة .

مظاهر الجنس
توجد فى « لا شعور » الطفل

وقد لا يختلف معارضو فرويد معه فى وجهة النظر هذه ، انما وجه الاختلاف يكمن فى انكارهم وجود جنسية الطفل ما دام الشعور بها لا يظهر الا عند مطلع المراهقة.غير ان من قضايا التحليل النفسى الكبرى ان الحياة النفسية ليست مقصورة على الشعور ، بل ان الشعور ليس الا جزءا صغيرا فى مقابل اللاشعور ، أو بعبارة أصح ان العوامل اللاشعورية أكثر واعمق من العوامل الشعورية ، اذ أن فرويد يرفض اعتبار الشعور واللاشعوراشياء أو كائنات قائمة بذاتها،ويقصد دائما صفة الشعورية واللاشعورية التى تنعت بها العوامل والحالات النفسية ، أما الطبيعة القصوى لهذه العوامل والحالات فيترك كشفها للاجيال القادمة معتبرا اياها من مظاهر الحياة فحسب ، دون أن يقطع برأى حاسم فى ماديتها او روحانيتها .

الرضاع لذة للطفل عارمة

فالطفل اذن منذ الولادة مجال للمظاهر الجنسية، والتعبيرات الجنسية الرمزية ، وذلك قبل أن تصبح هذه المظاهر شعورية . ومن الطبيعي أن تصاحب هذه المظاهر صور النشاط الاولى للطفل الرضيع . فعملية الرضاعة عندما تتم بوجهها الاكمل تكاد تستغرق كل نشاط الطفل وتحدث لديه لذة كلية عارمة ، هي اللذة المصاحبة حتما لتنشيط اى وظيفة حيوية . فاثناء الرضاعة يكاد يكون الطفل فما فحسب ، وفم الرضيع هو مركز اشعاع اللذة فى كيانه كله وهذه اللذة الحيوية لذة مطلقة تتضمن الجانب الجنسى الذى لم يتميز بعد شعوريا عن سائر جوانب النشاط الحيوى . فالفم هو المنطقة الاولى المولدة للذة والتى تزداد شحنتها بالليبيدو اى بالطاقة الجنسية .

لذة الفم عند الطفل طوران
(فى سنته الاولى)

ويميز فرويد اصل المرحلة الفمية بين طورين: الطور الفمى البدائى من الولادة حتى منتصف السنة الأولى ، وطريقة الطفل فى الاستيلاء على العالم الخارجى هى عملية الامتصاص .وفى حالات الاحباط والحرمان والانتظار يتعلم الرضيع ، خفضا للتوتر ، مص جزء من جسمه هو فى العادة اصابعه ، محققا بهذه الكيفية لذة شَبَقية ذاتية . اما الطور الفمى الثانى فيبدأ بعد الشهر السادس عند ظهور الاسنان ، فيجد الطفل لذة فى العض اثناء الرضاعة . فتقوم الأم بتهذيب هذه النزعة العدوانية لدى رضيعها فتحرمه احيانا من ثديها . هذه الخبرات المؤلمة وما سوف يتبعها من الم الفطام، تهدد الوحدة القائمة بين الأم وطفلها ، وتجعله يعانى الصراع بين الحب والكراهية .

المرحلة الشرجية
(السنة الثانية والثالثة)

ثم يحدث تركيز جديد للطاقة الجنسية فى الطرف الآخر من الجهاز الهضمى وذلك فى المرحلة المعروفة بالشرجية ، وهى تشمل السنتين الثانية والثالثة . وتتميز هذه المرحلة بازدياد النزعة العدوانية التدميرية عنفا . ويتخذ الطفل من عملية التخلص من الفضلات وسيلة للتعبير عن رضاه أو عدم رضاه ازاء الأم ، للتعبير عن المقاومة في وجه الأساليب التى تتبعها الأم لتعليم الطفل النظافة .

وفى المرحلة الثالثة التى تمتد فيما بين الثالثة والخامسة تتركز الليبيدو فى المنطقة التناسلية حيث يبدأ الطفل يعبث بها استثارة للذة . وبينما لم يكن الطفل فى المرحلة السابقة قادرا على التمييز بين الجنسين يبدأ فى هذه المرحلة يدرك الفرق بين الذكر والانثى . وبعد أن كانت الليبيدو مركزة فى جسم الطفل ، فانها ستحاول الآن ان تبحث عن موضوع لها خارج الجسم تمهيدا لتحقيق النمو الجنسى السوى لدى الفرد ، وان كانت شَبَقية الطفل فى هذه المرحلة لا تزال مطبوعة بالطابع الذاتى . وليس من الغريب أن تتجه الليبيدو نحو شخص يعيش فى دائرة الأسرة وهذا الشخص هو بطبيعة الحال الأم بالنسبة الى الابن ، والاب بالنسبة الى البنت .

تلك هى الخطوة الاولى لتكوين عقدة أوديب . وهذه الخطوة لا بد منها لكى يستمر النمو الوجدانى حتى يصل الى النضج . فاذا افترضنا توقف النمو قبل هذه الخطوة الأولى ، اذن لأصبح الطفل معرضا لانحرافات جنسية وأمراض نفسية مثل العصاب القهرى .

الخطوة الأولى من عقدة أوديب

فهذه الخطوة الأولى من عقدة أوديب هى بمثابة تحرير الطفل جزئيا من سجن جسمه واعداده للحياة الاجتماعية ، حياة الأخذ والعطاء معا ، هذه الحياة التى لا يمكن أن تقوم الا بفضل حياة جنسية سليمة تربط بين الجنسين بروابط الحب بجميع مقوماته الجسمية والعاطفية .

اكتمال عقدة أوديب

ثم تأتى خطوات أخرى تكتمل بها عقدة أوديب. ان تعلق الابن بأمه تعلقا شبقيا لا شعوريا يستتبع بالضرورة العداوة والغيرة ازاء الأب ،والعكس فيما يختص بالبنت . ولكى نفهم موقف الطفل على حقيقته يجب أن نترجم هذه المعانى « العداوة والكراهية والبغض والغيرة وتمنى موت الأب او الأم الخ .. » كما يدركها الراشد الى لغة الطفل التى سبق أن أوضحنا أساليبها من تصورات غامضة وتخيلات ،من لغة «كلام» الى لغة «حال» .

ثم ان ما يميز عقلية الطفل الصغير فيسام المتعارضين معا فان الابن يشعر ايضا ازاء الاب بعواطف الحب والتقدير والاعجاب ، اذ انه يحاول تقمص شخصية الأب والتوحد به . فيقوم الصراع في لا شعور الطفل بين الحب والبغض وينشأ عن هذا الصراع ما يسمى بالشعور بالاثم او بعبارة ادق ـ ما دعنا عند مستوى العمليات اللاشعورية ـ عقدة الاثم او الادانة الذاتية.وتولد هذه العقدة لدى الطفل القلق والخوف من انتقام الأب الذى سوف يعاقب الطفل بحرمانه من ذكورته وهذا ما يعرف بعقدة الخِصاء .

بهذه الخطوة الاخيرة تكون عقدة اوديب قد اكتملت . كما انها قد تكون مهيأة للتلاشي.فبفضل عملية تقمص الطفل لشخصية ابيه ، وحرصه على المحافظة على حب الأب له ، وبفضل تأثير الخوف من الخِصاء يتنازل الابن عن امتلاك الأم امتلاكا كليا ، ويكون الطفل بهذا الانتصار على نزعاته الاستيلائية المطلقة قد اجتاز هذه المرحلة المتأزمة من مراحل نموه النفسى والاجتماعى ، وخطا خطوة جديدة نحو النضج العاطفى وتكوين ضميره الخلقى وتكامل شخصيته .

اذا حرم الطفل من رعاية امه او ابيه

تلك هى الملامح الرئيسية لعقدة اوديب وهى فى الواقع تصوير لمرحلةهامة من مراحل النمو العاطفى والتنشئة الاجتماعية للطفل فى ضوء العلاقات التى لا بد أن تقوم داخل اسرة مكونة من ام واب وطفل. اما اذا تغير تشكيل الأسرة كان يحرم الطفل من رعاية الأم ـ او ممن يقوم مقامها بشرط ان تلازم الطفل حتى سن السادسة ـ أو يكون الأب غير موجود دون ان يكون فى الأسرة شخص كبير يقوم مقام الأب لكى يتقمص الابن شخصيته وما تتصف به من سمات الرجولة والقوة ، فلا شك أن التطور الذى وصفناه داخل الموقف الأوديبى لا يمكن ان يحدث وبالتالى تتعثر عملية النضج العاطفى وتصاب شخصية الطفل بالتصدع وعدم التكامل .

اذا قامت البغضاء بين ام الطفل وأبيه

وكذلك تزداد عقدة اوديب تأزما دون ان تحل اذا كان جو الأسرة مشحونا بالبغضاء بين الأب والام ، وبالمشاجرات والاحداث المرعبة والتصرفات المؤذية الظالمة فعندئذ يصبح الطفل ضحية هذا الموقف المضطرب . فاذا كان الأب سيىء الأخلاق قاسيا فى معاملته للأم والابن معا فقد يزداد تعلق الابن بامه كما قد تحتمى الأم بابنها مما يزيد من قوة الروابط الشبقية بينهما وعندئذ تتحجر عقدة اوديب ويصبح الطفل خاضعا كلية لصورة الأم غير قادر على تنمية صفات جنسه، معانيا شتى الوان الخجل والخوف والشك والتردد فيتقمص بالعكس شخصية امه اى صفات الأنوثة ، مما يعرضه فى المستقبل لبعض الانحرافات الجنسية كالتعلق الشبقى باشخاص من نفس جنسه، ونفوره من الجنس الاخر واحجامه عن الزواج . وفى حالة ما يقدم على الزواج يظل يبحث فى زوجته عن صورة امه لأن نموه الجنسى والعاطفى لم يصل الى النضج بل ظل متوقفا عند مرحلة طِفْلِية .

الدور الخطير الذى تؤديه عقدة اوديب

يتبين مما سبق الدور الخطير الذى تؤديه عقدة أوديب فى تكوين شخصية الفرد وتشكيلها بمختلف السمات تبعا لمصيرها من توقف وتثبيت ، أو من تلاش وحلّ واعلاء ، أى تبعا لنجاح عمليات التقمص أو فشلها . ان نظرية فرويد لا تذهب الى القول بحتمية تطور الغريزة بصورة متحجرة جامدة ، بل تؤكد تأثير العوامل الحضارية والتربوية كما هي ممثلة داخل الأسرة وتبعا لنوع العلاقات القائمة بين أفرادها .

فعملية التنشئة الاجتماعية للطفل هي المسئولة فى نهاية الأمر عن مدى تكامل شخصيته او تفككها ، عن قدرة الطفل على التكيف مع البيئة ومواجهة مشقات الحياة بطريقة ايجابية مجدية ، وعلى تحقيق اكبر قدر ممكن من امكانياته ومن مثله العليا . ■■

يوسف مراد

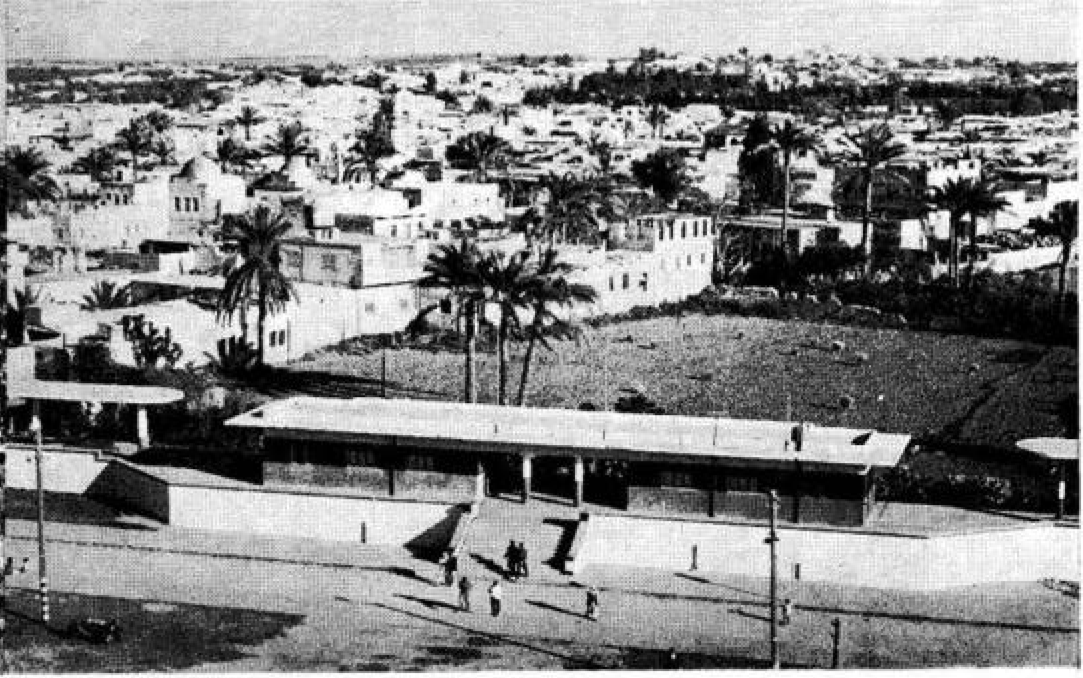
محطة غزة .. وتبدو من خلفها مدينة غزة القديمة . بمآذنها وقبابها وبيوتها ..

اعرف وطنك
أيها العربي

غزة

قام بتصوير
هذا الاستطلاع
((اوسكار))

المدينة التي ولد فيها الإمام الشافعي

(١) غزة فى التاريخ .. بقلم مصطفى مراد الدباغ

وانى لمشتاق الى ارض غزة — وان خاننى بعد التفرق كتمانى
سقى الله ارضا لو ظفرت بتربها — كحلت به من شدة الشوق اجفانى

الامام الشافعى

■ تعد غزة من اقدم مدن العالم ، وقد بناها الكنعانيون الذين نزحوا من الجزيرة العربية ونزلوا فلسطين والساحل الشامى فى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد . وذكرهم مؤرخو العرب بين الأمم العربية البائدة .

فى ذكرى انسحاب اليهود يسلم محافظ بورسعيد شعلة الى شاب رياضى يسافر بها الى غزة ليسلمها للحاكم الادارى ، الذى يضعها امام المنصة الرئيسية ، حولها الشباب الفلسطيني .

الاستعراض الكبير

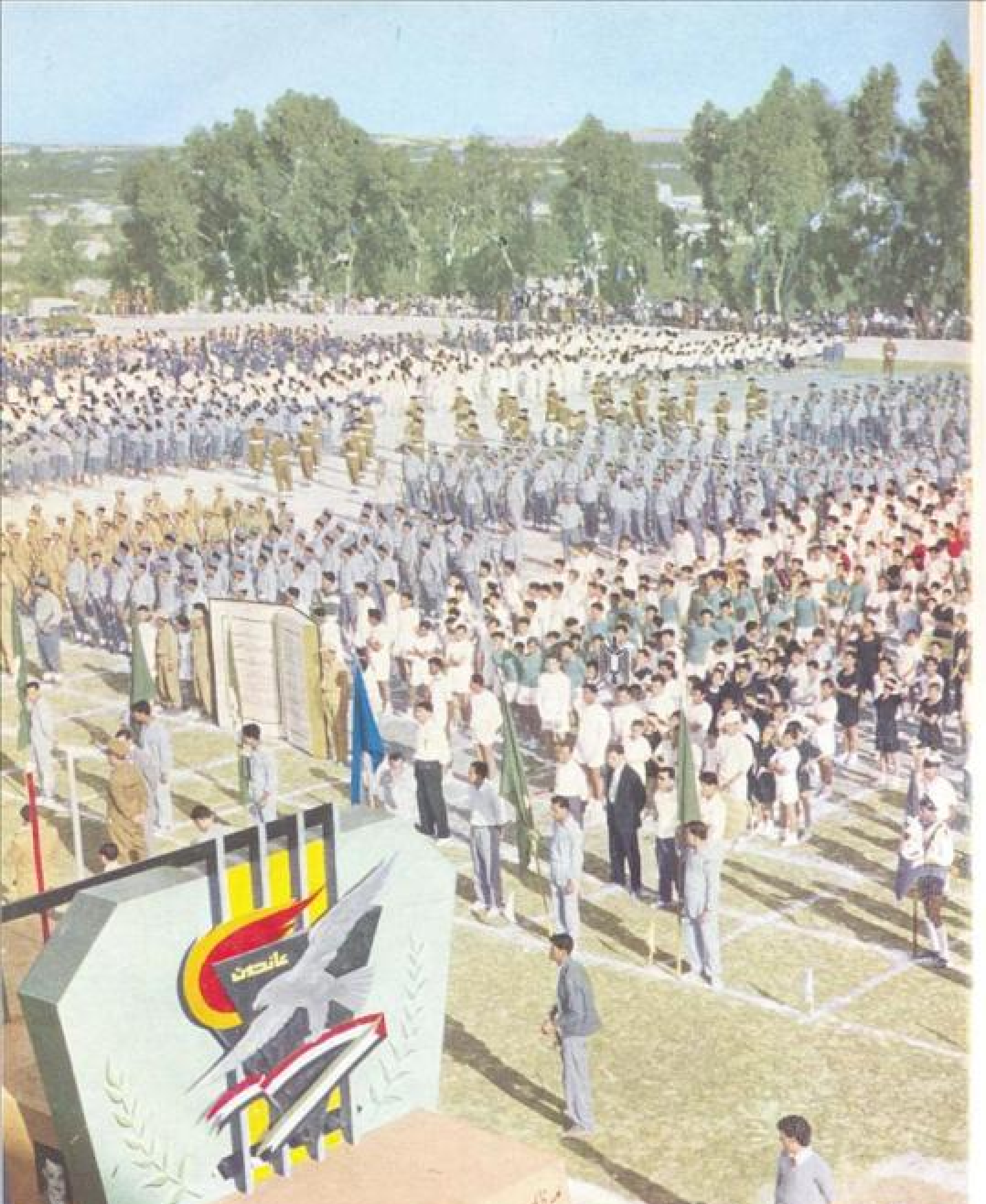

فى الساحة الكبرى لمدرسة اليرموك ، أكبر مدارس غزة مساحة ، اصطف هذا الحشد الهائل من شباب غزة وطلبتها وأعضاء الفرق الرياضية والكشافة ، بأعلامهم وملابسهم الرياضية ، أثناء الاستعراض الكبير الذي يقام كل عام فى ذكرى عيد النصر ويشترك فيه الشعب كله على اختلاف طوائفه وهيئاته .

معنى كلمة غزة

وهنالك اقوال مختلفة قيلت فى معنى كلمة « غزة » فياقوت الحموى يقول : « غزّ فلان بفلان واغتز به اذا اختصه من بين اصحابه » وآخرون يرون انها كلمة كنعانية بمعنى « القوى »

غارات وحروب

ولما اغار سكان فلسطين القدماء ، فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، على ساحل فلسطين الجنوبى استوطنوا غزة واختلطوا باهلها ، وكانت أولى مدنهم الخمس واقصاها جنوبا .

تقع غزة على حافة الأراضى الخصبة والمياه العذبة التى تأتى مباشرة بعد صحراء سيناء ، فهى المحطة الطبيعية للقادمين من مصر ووجهتهم الشام، والمحطة الأخيرة لكل آت من الشام ووجهته مصر . ومركزها الطبيعي هذا جعلها ممرا للغزاة ، فانتابتها ويلات كثيرة من هجمات الفاتحين . وقد وصفها نابليون بأنها « مقدمة جيش افريقية وباب آسيا » .

كانت غزة مركزا للتجارة عظيما

الا أن غزة بالرغم من جميع المصائب التى حلت بها بسبب موقعها المذكور ، كان لوقوعها على البحر اهمية تجارية كبرى ، فان قوافل المعينيين العربية اليمنية ، كانت تحمل خيرات الهند ومحصولات افريقية الشرقية وبلاد العرب من جنوب الجزيرة العربية برا الى « البتراء » فغزة . ومن غزة كانت السفن تحمل الخيرات المذكورة كالطيب والبخور واللبان والمر والذهب والتوابل واللؤلؤ وغيرها ـ الى سائر شواطىء البحر الابيض المتوسط . وقد كان لتجارة هذه السلع تأثير كبير على نمو غزة واتساعها وثراء أهلها .

ويرجح بعض المؤرخين بأن المعينيين هم الذين اسسوها ، أو أنهم على الأقل ساعدوا فى نموها وازدهارها . وبسبب هذه العلاقة التجارية نزل غزة وجوارها قسم كبير من الجاليات العربية المختلفة . فوجد الفرس فى غارتهم على فلسطين ، فى القرن السادس قبل الميلاد ، العرب فى غزة واطرافها ، وكذلك لقي منهم الاسكندر المقدونى ، فى عام ٣٣٢ ق . م ، الأهوال حين حصاره لغزة . ويقول « بلوتارخ » انها كانت أعظم مدينة فى بر الشام لما استولى عليها الفاتح المذكور .

غزة فى عهد الاغريق والرومان

وكانت غزة فى العهدين اليونانى والرومانى من المدن التى تدرّس فيها آداب اليونان وثقافتهم ، والمشهور أن مدارسها فى القرون الأولى للميلاد كانت ممتازة فى تعليم « الفلسفة » وفى تدريس البلاغة والفصاحة والخطابة . حتى قيل انه كان يقصدها طلاب من بلاد اليونان للتعلم فيها ، وان بلاد الفرس كثيرا ما كانت تستعير أساتذتها من معاهدها .

وقد تقدمت غزة فى عهد الرومان فى صناعة الفخار والحرير والخمور . فاشتهر الخمر الغزى فى الغرب والشرق ، فكانت خمورها تحمل الى « سوق مجنة » قرب مكة قبل الاسلام فيشيد بذكرها الشعراء . واما فى الغرب فلم تكن لتخلو موائد أغنياء فرنسا فى القرون الأولى للميلاد من نبيذ غزة الفاخر .

غزة والفتح العربى

وقد عرف الكثير من الصحابة قبل الفتح العربى الاسلامى كأبى سفيان وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب وغيرهم غزة . اذ أن انظار تجار قريش كانت تتجه اليها فى رحلتهم الصيفية الى الشام . فكان الروم يقيمون فيها سوقا كانت قريش في

قبر هاشم بن عبد مناف الجد الثاني للرسول الكريم . كان في احدى رحلاته عندما قضى نحبه في غزة ، ودفن فيها . ثم اقيم على قبره مسجد سمي باسمه

من النادر جدا ان تجد هذا المنظر فى اى مكان فى العالم . جامع وكنيسة يشتركان فى ارض واحدة ويضمهما سور واحد . لقد أهدى المسيحيون فى غزة قطعة من حديقة كنيستهم الى المسلمين ليقيموا عليها مسجدا ..

الجاهلية تحضره وتمتار منه. وتوفى فيها أثناء رحلته التجارية الجد الثانى للنبى الكريم ، ولذا نسبت اليه ودعيت بغزة هاشم . كما انها بعد ذلك رأت طلعة حفيده عبد الله الذى أعده الله لأكرم أبوة عرفها التاريخ .

ان انتصار العرب فى « القمر » من وادى عربة وفي « داثن ــ الدميثة » الواقعة شرقى دير البلح ــ مكن العرب المسلمين من دخول غزة فكان ذلك فى نهار الجمعة ٤ شباط ٦٣٤م . بقيادة عمرو بن العاص .

غزة فى عهد الصليبيين

وقد سقطت غزة فى أيدى الصليبيين فى رجب عام ٥٠٢ هـ ــ ١١٠٩ م . الا أنها عادت لأصحابها بعد معركة « حطين » المشهورة عـــام ٥٨٣ هـ ، ١١٨٧ م .

واستشهد فيها ابان تلك الحروب « الأمير شجاع الدين عثمان بن علكان » والمرجع أن تسمية حيء الشجاعية فيها بهذا الاسم يعود الى استشهاد هذا المجاهد فيه .

فى غزة ردء بيبرس جيوش التتر

وبعد النكبة العظيمة التى حدثت بسقوط بغداد عام ٦٥٨ هـ ــ ١٢٥٨ م . بعــد هجوم هولاكو استطاعت جيوش التتر التقدم فى البلاد العربية حتى وصلت الى غزة ودخلتها عام ١٢٦٠ م . الا أن القائد المشهور « الظاهر بيبرس » تمكن فى تلك السنة من أن يلحق بالمغيرين هزيمة منكرة فكانت أولى المعارك التى استطاعت فيها جيوش عربية أن تقضى على جيش مغولي . فمعركة غزة وان كانت صغيرة ، ولكنها أولى المعارك التى ايقظت الوطن العربى وبثت فيه الثقة بامكان الصمود امام القوى التاتارية الضخمة . فكانت مقدمة

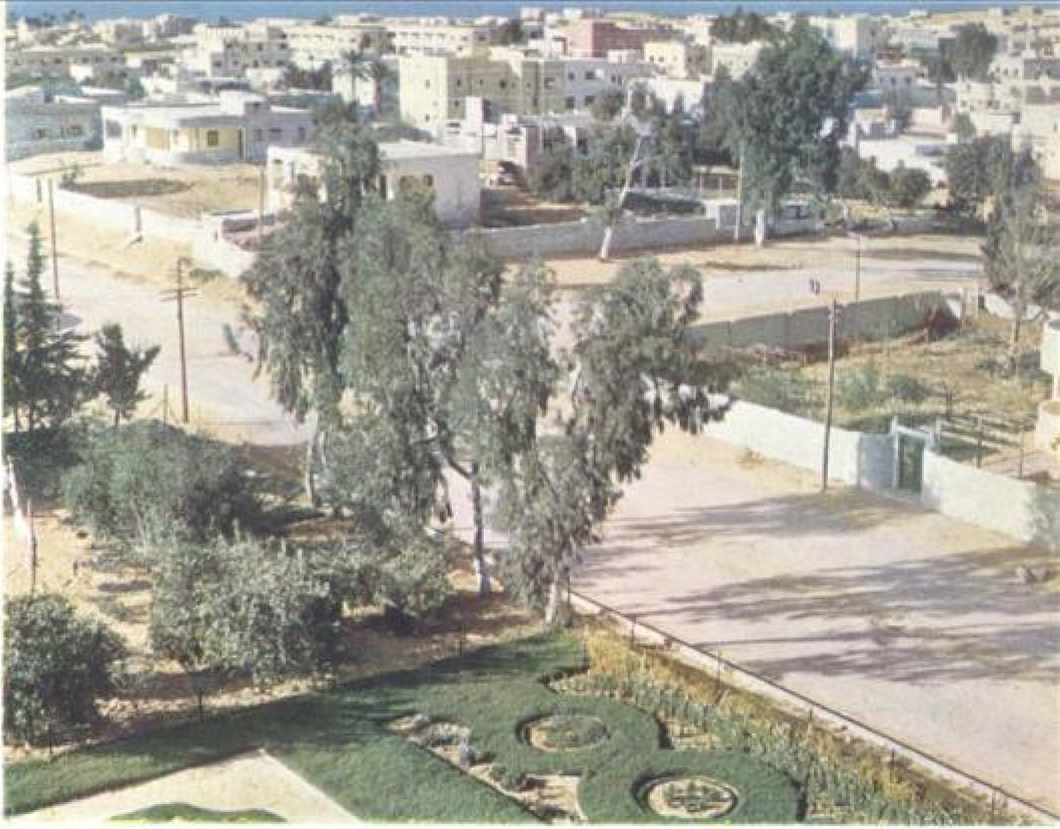

منطقة الرمال » على شاطىء غزة .. كانت رمالا .. فصارت تبنى فيها أحدث بيوت غزة واجملها . وعلى الشاطىء
البلدية عددا من « الكباين » للمصيفين .. انها تقوم بدعاية كبيرة لجذب اكبر عدد من المصيفين الى هذا الشاطىء .

ليس فى غزة ميناء . ان البواخر التىتحمل البضائع تقف فى عرض البحر
حيث يذهب اليها المراكب والزوار والحمالون فينقلون البضائع الى الشاطىء

شارع عمر المختار .. الشارع الرئيسى فى غزة .. انه يصل بين محطة السكة الحديد وبين البحر .. على جانبيه كل حوانيت غزة . ويتخلله الاوتوبيس الداخلى الوحيد فى المدينة تذرعه سيارات التاكسى الصغيرة التى تنقل الناس (بالنفر) من الشاطىء الى المحطة وبالعكس .

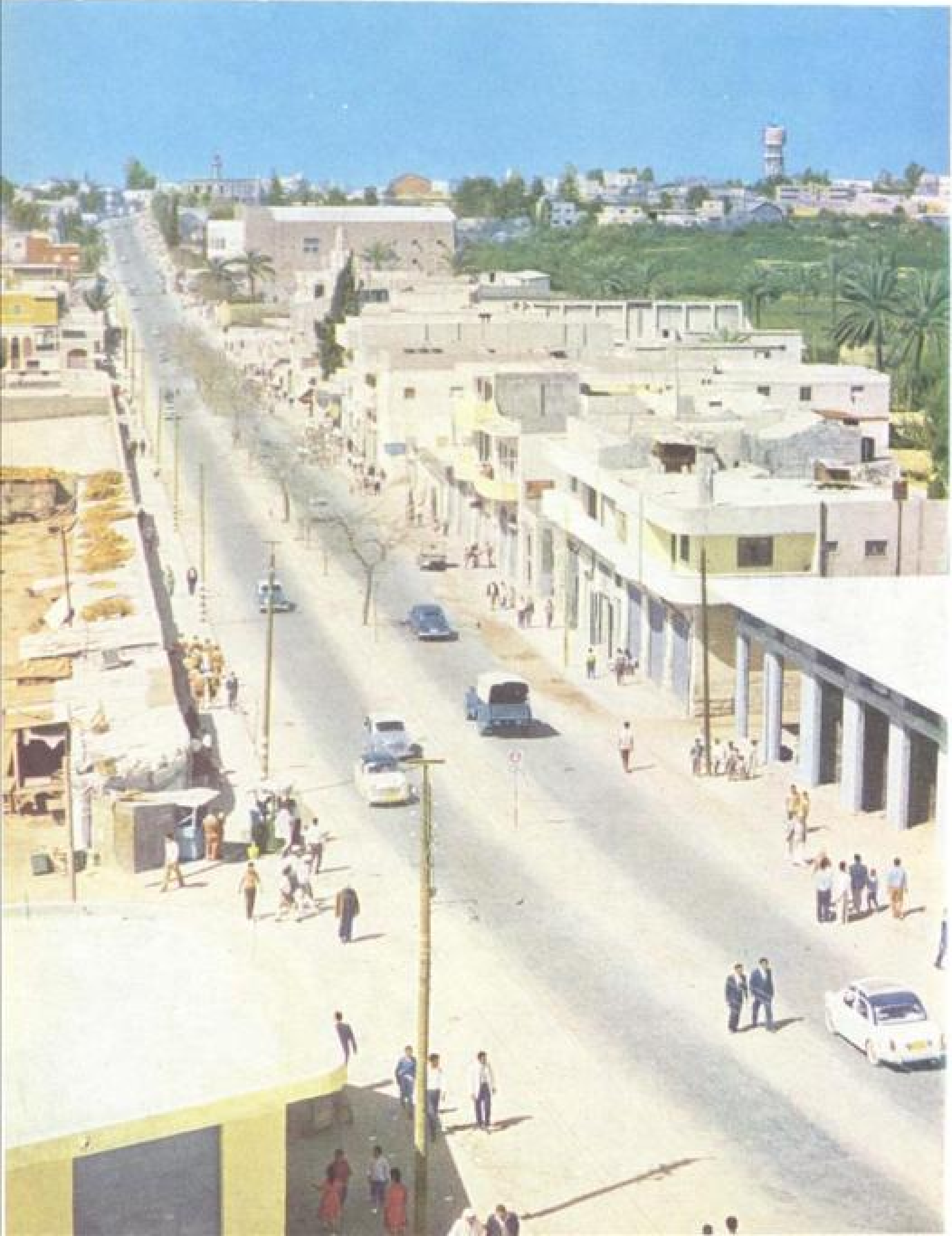

لمعركة « عين جالوت » الفاصلة التى انتهت بانتصار العرب واندحار التاتار .

من غزة كان رجال مشاهير نوابغ

وقد ولد فى غزة رجال عظام من علماء وفقهاء وشعراء ووزراء وصالحين . وكفى غزة فخرا ان قد ولد بها : الامام الشافعى ١٥٠ – ٢٠٤ هـ ، وقد كان نادرة فى الذكاء ومعجزة فى الحفظ وعظمة فى الأخلاق . ونسبه يتصل مع رسول الله فى « عبد مناف » وكان قد أتى والده ادريس الى غزة واتخذها مقرا له ومات فيها .

ومن الغزيين الشاعر « ابراهيم بن عثمان الكلبى الأشهبى ٤٤١ – ٥٢٤ هـ . والعالم الفقيه أحمد ابن عبد الله العامرى الغزى » ٧٧٠ – ٨٢٢ هـ . وهو أول من استوطن دمشق من عائلة الغزى المعروفة فيها . وتعرف هذه العائلة اليوم فى غزة باسم النخالة » وتنتسب الى « عامر بن لؤى من قريش . والى العامريين هؤلاء ينسب « حي بني عامر » فى غزة .

وممن اشتهر من مواليد غزة « الملك المؤيد أحمد ابن الملك الأشرف اينال » من رجال القرن التاسع الهجرى وهو الثالث عشر من ملوك المماليك الجركسية . « وشمس الدين أبو العون محمد الغزى الفاروقى » شيخ الطريقة القادرية بالمملكة الاسلامية ، من سلالة عمر بن الخطاب وهو جد آل « الخيرى والتاجي وأبو الهدى » فى الرملة ويافا وعكا .

وينسب اليها أيضا « احمد رضوان » حاكمها المتوفى فيها عام ١٠١٥ هـ . تولى امارة الحج سنين عديدة ، عرف بشجاعته ورجاحة عقله وبحبه للعلم وتكريمه للعلماء . وما زال لليوم فى غزة بقية قليلة جدا من احفاده .

ومن رجالها « حسين باشا مكي » ، من رجال القرن الثانى عشر الهجرى ، وقد عهد اليه بولاية الشام ، وعائلة « مكي » الغزية هى ثانى العائلات الشامية التى حصلت على لقب « باشا » من آل عثمان .

والمحدث الشهير « أحمد الموقت » المتوفى عام ١١٧١هـ . نزح أجداده من المغرب فى القرن التاسع الهجرى ونزلوا غزة . وبقاياهم اليوم فى بيت المقدس . وتعتبر عائلة « الموقت » من عائلات القدس العريقة .

غزة تشرب من عدة آبار منتشرة حولها . فوق كل بئر مكنة خاصة تضخ المياه وتوصلها الى الصهاريج الكبيرة التى أنشأتها البلدية فى شمال المدينة وجنوبها . لقد تعرضت هذه الآبار عدة مرات للنسف بأيدى اليهود ..

★★★

مصنع النسيج الكهربائى الوحيد فى غزة . انه بداية عهد صناعى فى القطاع العريق ..

فى غزة مستشفيات .. أكبرها المستشفى الأميرى المسمى بدار الشفاء . يعمل به مجموعة من الاطباء الفلسطينيين والمصريين .. وعدد من الحكيمات والممرضات الفلسطينيات . وبه استعداد كامل لاجراء العمليات الجراحية السريعة ..

و« محمد الريس » وكان طبيبا حاذقا ذاع اسمه فى سوريا ومصر وتوفي عام ١١٣٠ هـ . وعائلة الريس فى غزة من عائلاتها الوجيهة .

و « محمد باشا أبو مرق » من عائلة أبو المرق الغزية ، من رجال القرن الثالث عشر الهجرى وكان قد تولى ولاية غزة ـ يافا وغيرهم كثيرون .

غزة فى الحرب العالمية الاولى

وفى الحرب العالمية الأولى اجبر البريطانيون فى الساعة السابعة من مساء يوم ٧ تشرين الثانى ١٩١٧م . الفيلق الثانى والعشرين التابع للجيش العثمانى على الجلاء عن غزة ودخلوها فوجدوها بعد المعارك الدامية التى حدثت بينهم وبين العثمانيين قاعا صفصفا خالية من الجنود والسكان . فقد حمل العثمانيون سكانها على الرحيل معهم بعد أن هدمت نيران البريطانيين مبانيها ومنازلها . فتشتت الغزيون تحت كل كوكب . وبعد أن كان عددهم يزيد على «٤٢٠٠٠» نسمة قبل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، أضحوا فى عام ١٩٢٢م « ١٧٥٠٠ » نسمة فتدهورت حركة البلد التجارية وضؤلت حياتها الاقتصادية وهبطت الى الحضيض . ولم يبق فيها من معامل الفخار وأنوال الحياكة الا القليل . واقفلت فيها معامل الصابون . ولم يعمل البريطانيون الذين امتد حكمهم حتى يوم ١٥ آيار ١٩٤٨ م أى شيء للاخذ بيدها ولمساعدتها على النهوض من كبوتها .

جامع غزة الكبير

ومن آثار غزة جامعها الكبير وهو من المساجد الكبرى فى فلسطين . ضخم البناء ، كبير القيمة الاثرية ، جميل الشكل والهندسة ، يحتوى على عدة سلاسل من العقود الحجرية . وكانت حوله مدارس عديدة . وقد بني على الكنيسة التى شيدها الصليبيون بعد احتلالهم لغزة . ويقال أنها أقيمت مكان معبد « داجون » الوثنى الذى أقامه الفلسطينيون القدماء . وهكذا فالغزيون قدسوا هذه البقعة على اختلاف مللهم ودياناتهم منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة .

* * *

بساتين غـزة

وتحيط بغزة البساتين النضرة التى تعد من أخصب ما عرف فى فلسطين من نوعها . وفى هذه البساتين تنمو الفاكهة من برتقال ومشمش وجميز وتوت وزيتون وعنب وموز وغيرها . كما يزرع فى أراضيها الحبوب والقطاني والخضر . وقد كانت مستودعات غزة مخزنا لشعير بئر السبع الذى كان يشحن من مينائها .

غزة فى الحكم البريطانى

وبهذه المناسبة نذكر أن مساحة الديار الغزية ـ قضاء غزة ـ ابان الحكم البريطانى بلغت ١١١١ر١ كيلومترا مربعا وسكانها فى نهاية عام ١٩٤٤ م . « ١٣٧ر١٨٠ » نسمة (١) يقطنون ٥٤ قرية وثلاث مدن « غزة والمجدل وخان يونس » . وقد بلغ عدد ما كان يملكه اليهود من الأراضى فى القضاء المذكور فى نهاية عام ١٩٤٤ « ٤٩ر٠٠ » دونم (٢) أو ما يعادل ٤ر٤٪ من مساحة القضاء جميعه .

(١) بينهم ٢٨٩٠ يهوديا والباقون عرب .
(٢) الدونم يساوى ألف متر مربع .

كل بنت فى غزة تتعلم كيف تشتغل (الكانافاه) .. المفارش والفوط والتابلوهات وحتى الملابس العادية التى يلبسها الفلاحون فيها شغل (كانافاه) .. لقد أنشأ بعض سيدات غزة مشاغل تبيع « الأطقم » بأسعار غالية .

سيدات غزة وآنساتها يشاهدن برامج الاحتفال بعيد النصر ان غزة لا تزال فيها سيدات محجبات ، وأخريات يكتفين بوضع « الايشارب » فوق الرءوس ،

زهرات غزة ، يشتركن فى العرض الكبير ببرنامج رياضى حافل بالحركات الايقاعية

منظر رائع لتلميذات من غزة فى أزياء فلاحات من مصر ، ينشدن بعض الأناشيد الريفية فى احد الاحتفالات المدرسية

(٢) غزة الحاضرة .. بقلم رجاء مكاوى

ان عراقة فلسطين ، وماضيها الخالد ، وحاضرها البائس ، ومستقبلها المشرق المرموق باذن الله ، كل اولئك يتجمع فى غزة ، تلك المدينة الجريح ، المكافحة ، التى تحارب بيد ، وتبنى باليد الاخرى، والتى تداوى جراحها بيد ، وتداريها باليد الاخرى ، حتى لا يشمت فيها الاعداء والحساد .

وتمشى فى شوارع غزة ، فيلفت نظرك ان العمود الفقرى للمدينة شارع واحد اسمه « شارع عمر المختار » .. واغلب شوارع غزة مسماة بأسماء الشهداء ... واهمها جميعا شارع عمر المختار ان به سراى الحاكم ، والمجلس التشريعى ، والمتاجر والمحلات العامة ، والمبانى الحديثة ، وينتهى بشاطىء غزة على ساحل البحر ، حيث الفندق السياحى الكبير « الاندلس » .

أغلب المناطق حول غزة ، وفى الطريق اليها تستعمل المراوح الهوائية للحصول على الكهرباء ، حتى المناطق التى خارج القطاع كرفح والعريش .

وتمضى فى سيرك فيذهلك انك تسير فى مدينة عامرة بالآثار ، ولكنها آثار مهملة !

فهناك يرقد شمشون الجبار ـ شمشون الذى حطم الهيكل على أعدائه ومات معهم وهو يقول قولته التاريخية : « عليّ وعلى أعدائي يا رب » !

وهنا مرض هاشم بن عبد مناف جد الرسول الكريم ، وهو فى الطريق من الشام مع احدى القوافل العربية ، فتتركه القافلة فى غزة كى يستريح ولكنه يموت بعد ايام ...

وهنا تقوم الحجرة التى نام فيها نابليون بونابرت ، وهو فى طريقه الى عكا بعد ان قاومته غزة مقاومة الابطال ...

وهكذا ..

الطريقة العربية فى الحياة وفى صنع القهوة هي نفسها فى كل مكان من الوطن العربي .. هؤلاء جماعة يشربون القهوة العربية فى غزة ..

ما يكاد يخلو شارع من شوارع غزة ، من اثر تاريخى له قيمته ..

ولكن هذه الآثار ، مع الاسف ، قد فقدت قيمتها مع الزمن ، وسحبت عليها الايام ستار الغموض او النسيان .

ان شمشون ، ذلك الطاغية الجبار الذى تروى الكتب المقدسة والكتب التاريخية قصته ، يرقد فى قبر حقير ، تسأل عن اسم صاحبه فيقولون لك « انه قبر ولى الله الشيخ ابو العزم » ! ذلك ان أحد الافاكين وضع فوقه عمامة ، وقال : انه احد أولياء الله الصالحين !

اما المعبد الذى هدمه شمشون فقد اقيمت على انقاضه مدرسة اطلق عليها اسم هاشم بن عبدمناف

واما قبر هاشم بن عبد مناف ، فهو فى داخل المسجد الذى بناه اهل غزة ، ونقلوا اليه رفات جد الرسول ، الذى تنسب اليه المدينة كلها لانهم يسمونها « غزة هاشم » !

مسجد عمر بن الخطاب

وقد تحول هذا المسجد الآن الى معهد دينى تابع للجامع الازهر . ويستعمل طلبة (معهد غزة الدينى) الوافدون من خان يونس ورفح ، الحجرات الاثنتين والعشرين التى تحيط بصحن المسجد للاقامة، وترى هناك نفس المنظر الذى تجده فى صحن الجامع الازهر .. الطلبة الذين يخرجون من حجراتهم وفى ايديهم كتبهم يقرأونها بصوت مرتفع وهم يروحون ويجيئون .. حتى اذا اقبلت صلاة المغرب ، دخل الجميع للصلاة .. ويتناولون عشاءهم وما تكاد تنتهى صلاة العشاء حتى يكون كل طالب فى حجرته .. لينام ..

وسيشيرون لك الى مسجد آخر مشهور .. المسجد العمَرى ،الذى بنى فى عهد عمر بن الخطاب

ومسجد ثالث احدث .. اسمه مسجد الشافعى وهو باسم الامام محمد بن ادريس الشافعى الذى ولد فى غزة ، ومنها رحل الى مصر .

صناعات اهل غزة

وغزة ـ كما يقول مدير بلديتها الحاج منير الريس ـ تقوم الآن من بقية بلاد فلسطين مقام الأخ الأكبر للأخوة الصغار الذين فقدوا والدهم ،

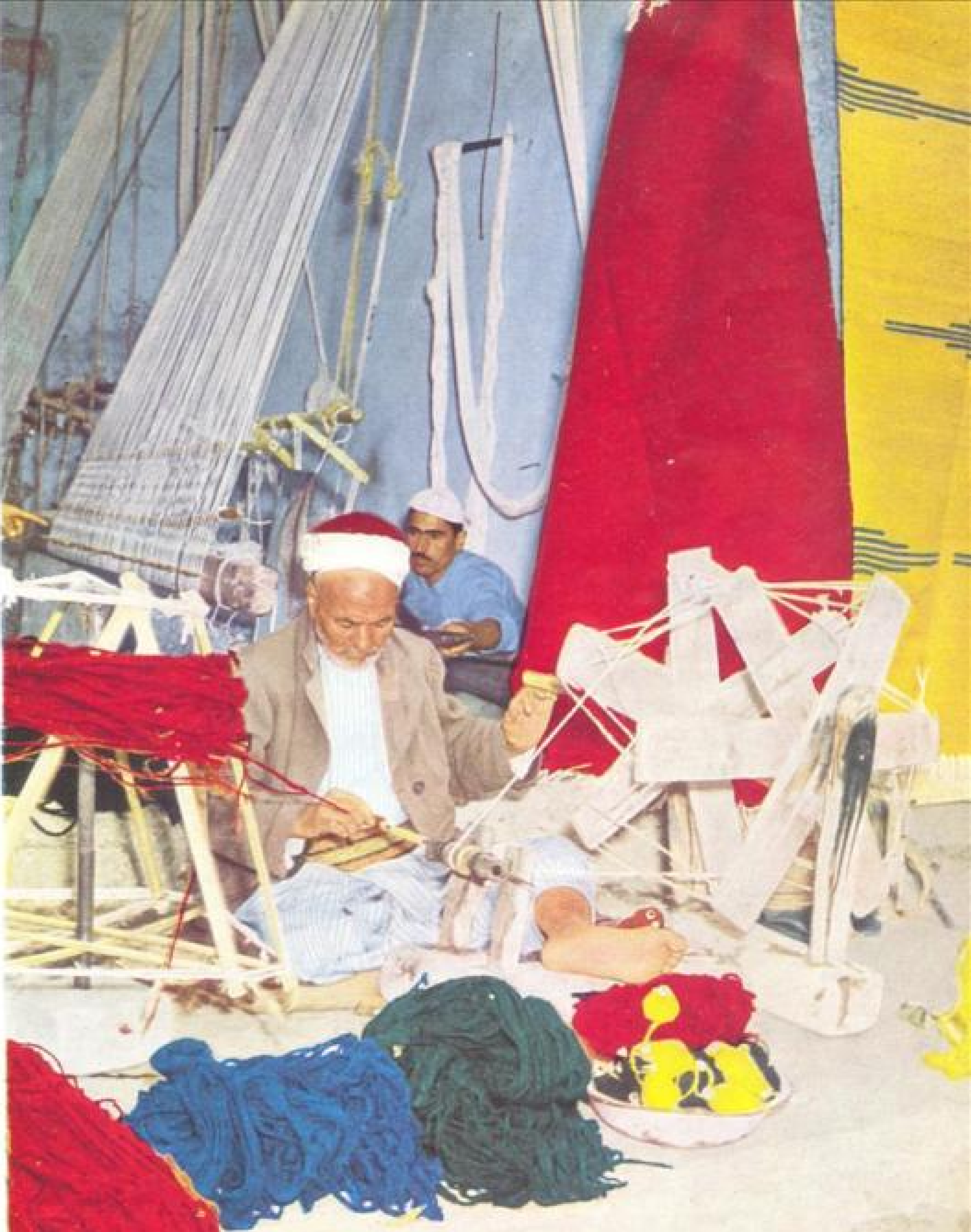

صناعة السجاد والأحرمة

من أشهر الصناعات اليدوية فى غزة صناعة السجاد و « الأكلمة » و « الأحرمة » الصوفية المصنوعة من وبر الجمال والماعز .. انها صناعة منتشرة فى أماكن كثيرة من القطاع .

الجندى المجهول

تمثال الجندى المجهول ، وقد أقيم أمام مبنى المجلس التشريعى .. وهو يمثل جنديا وتحته خريطة فلسطين ، وقد نقشت على قاعدته الآية الكريمة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا »

هذا هو المكان الذى يؤكد اهالى غزة أن (شمشون الجبار) مدفون فيه . من بين ما يؤكده الاهالى أن (دليلة) ـ قاهرة شمشون كانت غزاوية.

فى وسط شارع عمر المختار الشارع الرئيسى فى غزة وامام مبنى المجلس التشريعى للقطاع أقيم هذا النصب التذكارى لشهداء العدوان الصهيونى على غزة فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ ، وفى كل مناسبة توضع عليه أكاليل الزهور من كل مكان ..

فقد فتحت ذراعيها واحتضنت ٢٤٦ ألفا من اللاجئين من البلاد التى ضربها اليهود وشردوا اهلها ،ويبلغ هذا العدد اضعاف ما كان فيها اصلا.

وغزة لا تملك صناعات بالمعنى المفهوم ...

وان كانت تقوم فيها صناعة النسيج على اكتاف المهاجرين من اهل المجدل ، وصناعة الصابون على اكتاف المهاجرين من اهل نابلس المشهورين بصناعة الصابون « النابلسى » . ثم صناعة السجاير والتمباك ، وتأتى بعد ذلك صناعة الفخار والحلوى والزيوت .. ويحترف بعض الاهالى صيد السمك والزراعة . واهم ما يزرعونه الموالح بصفة خاصة والفواكه عموما .

ومن اغلب بيارات غزة تستطيع ان تطل على المعسكرات الاسرائيلية القريبة .

ماذا تصدر غزة ؟

وبيارات غزة تنتج الحمضيات بوفرة .. والبيارة ـ فى لغة اهل غزة ـ هى بستان الفاكهة ، واغلب انتاج غزة من البرتقال والموالح يصدر للخارج ، ولهذا تباع البرتقالة الواحدة بقرش صاغ فى غزة التى تنتج الملايين من ثمار البرتقال. والبلح واللوز الاخضر والمشمش تزرع بوفرة ، ولكنها لا تصدر منه الا القليل .. وتحتفظ بالباقى لغذائها .

السمك !

ويعتبر السمك بالنسبة لغزة ثروة صحية واقتصادية ، فان آلافا يرتزقون من صيده وبيعه والعمل فى القوارب المعدة لصيده ، وكذلك يشتريه الاهالى لرخصه .. ولا يقل ثمن ما يستخرج سنويا من شواطىء غزة من السمك عن نحو ٢٥ ألف جنيه، وتباع كل الكمية محليا .. والغريب اننى رأيت كثيرا من النساء يعملن فى صيد السمك ووزنه وبيعه ، مما ليس له نظير فى اى بلد عربى آخر .

شعب لا يموت

واكثر من هذا رأيت النساء يعملن فى البناء .. يحملن الطوب والحجارة على اكتافهن ويصعدن

غزة ... بالأرقام

● كان فى قطاع غزة فى العام الماضى خمس مستشفيات فى مدينة غزة والمستشفى السادس بخان يونس .

● كما كان به ١٨ مدرسة حكومية ابتدائية و ٩ مدارس ثانوية و ٤ معـاهد للمعلمين والمعلمات . ومدرستان تجاريتان . ومدرسة زراعية .

● كان مجموع الطلبة فى مدارس الحكومة ٢٥٨١٦ تلميذا .

● ومجموع الطلبة الجامعيين ١١٩٣ طالبا .

● فى قطاع غـزة ٨٠ مدرسة ابتدائية تشرف عليهـا هيئة اغاثة اللاجئين بهـا حوالى ٧٤ر٩٥٢ تلميذا .

● مساحة الأرض المزروعة فى غزة ٤٦ الف دونم تنتج نحو مليون جنيه سنويا .

● ١٣٢ الف دولار انفقت لانشاء اول مصنع لتدريج الموالح بغزة واعدادهـا للتصدير .

● يبلغ عدد اللاجئين فى قطاع غزة ٢٤٥٣٤٣ موزعين على معسكرات اللاجئين الثمانية .

على الاخشاب لينتقلن الى الدور العليا فيفرغن حمولاتهن ويعدن ليملان اوعيتهن من جديد ..

وهذا معناه ان هذه الامة لا يمكن ان تموت .. فروح العمل كامنة حتى فى نسائها اللائى هن على استعداد لان يقمن باشق الاعمال .

قطار القاهرة

والذى رأى غزة من خمس سنوات فقط لابد ان يكون قد آمن ان هذا الشعب شعب خلق ليعيش .. فقد أعيد بناء القرية الصغيرة وتضاعفت بيوتها وامتدت رقعة الارض المسكونة والمزروعة اضعاف اضعاف ما كانت عليه ..

وانتشرت المدارس فى كل مكان يمكن أن تقوم فيه مدرسة ، وتبلغ نسبة التعليم فى قطاع غزة ٥ر٧٤٪ وهى نسبة كبيرة اذا قيست بالمنطقة العربية .

القطار العجيب

والظاهرة التى تلفت النظر فى حياة مدينة غزة وبقية مدن القطاع ، هى قطار القاهرة الذى يصل غزة حوالى الساعة الخامسة من بعد ظهر كل يوم حاملا صحف الجمهورية العربية .

ويجتمع الاهالى على رصيف القطار ليتلقفوا الصحف ويستقبلوا القادمين ، ويدب النشاط فى المدينة بعد الظهر بسبب قدوم القطار ! ففريق يرشد القادمين الى الفنادق القليلة الموجودة فى

أحد معسكرات البوليس الدولي الذى يملأ شوارع غزة وينتشر فى صحاريها ..

التعليم فى مدارس البنات

مدرسة الزهراء الثانوية هى كبرى مدارس البنات بالقطاع . لقد كانت المدرسة قلعة . وكانت مقرا لقيادة نابليون أيام حاول فتح عكا التى امتنعت عليه . ان بنات غزة يتعلمن الآن فى نفس الحجرات التى كانت فيها قيادة نابليون .

انا عائدون

خريطة فلسطين الشهيدة بعد أن احتلتها العصابات الصهيونية ولم يبق للعرب منها غير الجزء الملون باللون الاحمر ، الضفة الغربية ، وقطاع غزة .. وقد كتب عليها عبارة « انا عائدون» الشعار الذى يردده ابناء فلسطين المشردون .

الولد والبنت جنبا الى جنب من أول مدرسة فتحت للتعليم المختلط فى غزة « مدرسة القاهرة النموذجية » .

المدينة واهمها (ضيافة الوليد) ، وفريق يحمل البضائع والبريد . وفريق ثالث يعد العدة لشحن البضائع التى تسافر من غزة يوميا فى نفس القطار حينما يغادرها فى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى !

ميناء غزة

وعدم وجود وسيلة اخرى للمواصلات غير هذا القطار يضايق سكان غزة .. وقد طالبوا بانشاء ميناء فى غزة يكون معدا لرسو البواخر عليه وحمل البضائع الى خارج القطاع باسرع ما يمكن ، لان القطار الذى يصل الى القاهرة من غزة يقطع الطريق فى عشر ساعات ، وهذا يعرض الفاكهة للتلف .

وقد قامت فعلا عدة ابحاث ودراسات بقصد انشاء ميناء فى غزة ، وقد تبين ان شاطئها يصلح لاقامة ميناء كبير يسمح بدخول اكبر السفن واتضح ان قاع البحر يساعد على تحقيق الغرض .

وقامت بلدية غزة بعدة مشروعات هامة فى القطاع فانشأت محطة ضخمة لتوليد الكهرباء ، واخرى لتنظيم المجارى ومرافق المياه . واخذت تنفذ مشروعات رصف الشوارع ، وبدأت بشارع عمر المختار الذى يخترق غزة من اولها لآخرها وبعض الشوارع المتفرعة منه .

كانافاة .. من صنع اللاجئات !

وهناك سيدة تعتبر من معالم غزة ..

اسمها مدام رينيه ، وهى فلسطينية ، من اهالى غزة ، تدير الآن مشغلا للكانافاة تشرف عليه وكالة غوث اللاجئين بهيئة الامم المتحدة . وتجمع مدام رينيه الفلاحات تعلمهن شغل الكانافاة على الطريقة الحديثة ، والمعروف ان العربيات الفلسطينيات على دراية واسعة بهذا النوع من التطريز ، ونساء المجدل بصفة خاصة كنّ يحكن فساتيهن بهذه الطريقة ، واذا بيع فستان من فساتين فلاحات المجدل الآن فان ثمنه لا يقل بحال عن خمسين جنيها كاملة !

ومدام رينيه تدير هذا المشغل لحسابها منذ ٨ سنوات ، ثم وضعته وكالة الغوث تحت اشرافها، وفتحت سبعة فروع غير المركز الرئيسى ، وتتعلم فى هذه المراكز ٥٦٠ بنتا من اللاجئات ..

ويتم تعليم نحو ١٥ فتاة شهريا ..

ثم يأخذن خامات يعملن بها طلبات الزبائن فى منازلهن ولهنّ أجر حسب الانتاج .

وتبيع هذه المراكز شهريا ما قيمته من الف الى ١٨٠٠ جنيه .. واغلب الزبائن من رجال البوليس الدولى الذى يملأ جنوده قطاع غزة ..

وتذهب الى مدام رينيه فى طلب مفرش مثلا او شال .. فتعطيك موعدا بعد شهر او اكثر !

ان العمل كثير .. والزبائن ليس لهم الا الانتظار

لقد عرفت هذه السيدة الذكية كيف تستطيع ان تستفيد من مواهبها ، ومواهب اللاجئات ، فربحت من وراء ذلك الكثير .

صيف غزة

وبرغم اعتداءات اليهود ورغم التوتر الذى

الصابون النابلسى الشهير ، وقد رتب بطريقة تساعد على تهويته حتى يجف ..

المدرسة الثانوية للبنات . كانت قلعة قاومت الفرنسيين أيام الامبراطورية الفرنسية ، وعندما انتصر نابليون ودخل غزة اختار هذه القلعة مكانا لاقامته ..

تعيش فيه غزة ، فان جوها الطبيعي منعش جدا .. واشجار البرقوق والتفاح والموالح تطل على الشاطىء . وفوق التلال المتناثرة هنا وهناك كبائن وشاليهات وعشش كلها خيال وشعر واحلام.

وربما كانت غزة ارخص مصيف فى العالم .

فالديوك الرومية والدجاج والحمام كثيرة ، والفستق واللوز والجوز كلها رخيصة .

وبلاج غزة ينفرد بالتلال المرتفعة التى تطل على الشاطىء . وفوقها بنيت الكبائن التى تصلها بالبحر سلالم من الحجر الاحمر . وليست هناك اية قيود او قوانين على البلاج . كل شىء ممكن ، ولكن التقاليد وحدها هى التى تحكم البلاج ، وروح المحافظة هى التى تسود الصيف هناك .

وعلى بلاج غزة تتناثر « البيارات » وهى حدائق الموالح والفاكهة ، وتستطيع ان تقضى يومك كله فى احدى البيارات .

والبحر فى غزة هادىء اغلب الايام لانه يلتقى بشاطىء غزة فى خليج لا يسمح للامواج ان ترتفع ! ولولا ان اليهود فى اسرائيل على بعد خطوات من بيارات غزة ، ولولا منظر البوليس الدولى الذى يوحى بحالة الحرب ، ولولا وجوه اللاجئين ونظراتهم الحائرة نحو المستقبل المجهول ، لولا هذا لقلنا بلا تحفظ ، ان غزة هى اجمل وارخص مصيف فى العالم كله .

السوق فى غزة يكاد يكون محصورا فى شارع واحد ، هو شارع عمر المختار وهو لا يختلف عن السوق فى اى بلد عربى . متاجر مختلفة الأحجام والدرجات والسلع ، واخرى متنقلة ، على قارعة الطريق ، تراها كل يوم فى مكان .

ان « بيارات » البرتقال فى غزة هى المورد الرئيسى للثروة فى القطاع .. انها تدر اكثر من مليون جنيه استرلينى كل عام .. وقد اعدت الادارة المركزية مشروعا لمضاعفة انتاج الحمضيات فى القطاع

من أشهر الاشياء التى لا ينساها من يزور غزة الحلوى الشامية التى اشتهرت بها ، والتى يتزود منها كل زائر بتذكار لا ينسى

السياسة البريطانية حول الجزائر

● الآن وقد بدأ العمل بحماس لخلق دولة مستقلة في الجزائر ، فان من واجب الحكومة البريطانية ان تسارع بتعديل سياستها نحو الجزائر .

لقد رفضت وزارة الخارجية في لندن حتى هذه اللحظة ، وباصرار ، ان تسمح بقيام اتصالات ، ولو غير رسمية ، مع الحكومة الجزائرية المؤقتة في تونس ، خوفا من تكدير فرنسا .

ومع أن هذا الموقف قد تأتى ، ولا شك ، عن عضويتنا في منظمة شمالي الأطلسي ، وعن رغبتنا في الانضمام الى السوق الأوروبية المشتركة، الا ان هذه السياسة كانت دائما سياسة قصر نظر ، ومن شأنها اذا استمرت في الأشهر المقبلة أن تضر بالمصالح البريطانية ضررا بالغا .

واذا كنا مضطرين الى تأخير اقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة الى ما بعد نقل السلطة في اواخر هذا العام ، فان هناك خطوات عملية عديدة يمكن اتخاذها الآن ، من شأنها أن ترسى أساسا للصداقة بين الجزائر وبريطانيا ، وأولى هذه الخطوات هي مساهمة الحكومة البريطانية مساهمة جوهرية في تخفيف كارثة اللاجئين الذين يعيشون الآن في حالة يرثى لها ، وتواجه الحكومة الجديدة صعوبات جمة من أجل اعادة توطينهم في بيوتهم .

والجزائر ايضا بحاجة الى معونة فنية وتعليمية لاعادة بناء الجزائر ، وخاصة بعد أن يتم انسحاب الفرنسيين .

ان بيانا ايجابيا تدلى به الحكومة عن عزمها على تقديم مثل هذه المساعدات سيلقى ترحيبا بالغا ، وسيساعد على اضعاف ارهابيي منظمة الجيش السرية ، ويثبت لهم أن بريطانيا كباقي دول العالم ، لن تحيد ، بسبب بربريتهم ، عن السعي الى بناء جزائر جديدة مستقلة ،ومساعدتها في ايجاد حل لمصاعبها .

جريدة « المانشستر جارديان » ــ مانشستر

أمنية نرجو أن تتحقق

● أثار الأمل في قيام تعاون روسي أمريكي في ميدان الفضاء الخارجي صحيفة « الدايلي هيرالد » اللندنية العمالية ، وقد علقت عليه تلك الصحيفة في مقال افتتاحي بما يلي : « ما أروع ان يكون أول علم يرفع على القمر هو النجوم والخطوط تزينها المطرقة والمنجل » .

ونحن نقول كما قالت مرة سيدة انجليزية هي الملكة فيكتوريا : « ان هذا ليس مستحيلا اذا صدقت النيات » وقد راود مثل هذا الأمل في الماضي الملكة اليصابات الأولى ، فلم تستبعد الاقتراح الذي قدم لها والذي يقضي بأن يقوم فرانسيس دريك وهنري هدسون بغرس العلم البريطاني في « الدنيا الجديدة » يزينه النسر الاسباني واعمدة هيركليس .

ان كان أمل الماضي لم يَعُدْ أن يكون حلما، فانا لنرجو أن يستحيل حلم اليوم الى حقيقة . وفي تحقيقه خير البشرية جميعا .

« دالاس مورننج نيوز »

درس من أمير متواضع ..

● هل قرات عن المتاعب التى صادفها الأمير البرت البلجيكى فى مطار لندن ؟

لقد قرر ان لايستفيد من جواز سفره الرسمي كشخصية هامة جدا ، وهذا بالطبع سيحرمه من ان يعامل معاملة العظماء ، ومن أن تفرش لـه الارض بالسجاد الأحمر !

لقد عزم الامير البرت على السفر تحت اسم مستعار ، كأى مسافر عادى .

ونتيجة لهذا التواضع ظل هو وزوجته الأميرة باولا ينتظران طويلا حتى تتم اجراءات الاستجواب المزعجة .

انه من المؤسف حقا ، ان يقابل تواضع الامير والاميرة بهذه المضايقات ، وان يكون جزاؤهما هذا الجزاء .

ويبدو ان موظفى هذه الأيام اصبحوا مولعين لدرجة الهوس بالأسماء والالقاب الضخمة حتى انهم فى سبيل ارضائها يضحون براحة وحق المواطنين العاديين .

هذه عادة يجب أن توضع لها نهاية .

والأمير البرت ، بانكاره لذاته ، قد ضرب مثلا للأشخاص المهمين فى كل مكان كيف يكون السلوك النبيل .

جريدة « الصندى اكسبريس » ـ لندن

البرلمانيون .. ماذا يفعلون ؟

● ثمة قلق عام يستحوذ على الصحفيين البرلمانيين فى فرنسا !

اذ المعروف ان وظيفة هؤلاء السادة تنحصر فى التفرج ، من عل ، على ما يحتدم بين نواب الشعب من نقاش وجدل وعراك . وفى أيام الجمهورية الرابعة « السعيدة » لم يكن المنظر ليخلو من طرافة . (قال البير كامو : « لم تريد من الفرنسيين ان يذهبوا الى المسرح ؟ ـ لديهم البرلمان ») وحوالى عام ١٩٥٧ كان هؤلاء الصحفيون يشاهدون بأم اعينهم ، وبمرارة وحسرة ، تدهور الديمقراطية الفرنسية .

وفى الجمهورية الخامسة باتت جلسات البرلمان نادرة جدا . الا ان الدورة الحالية لهذا المجلس قد فتحت العيون على حقائق جديدة ...

ان احدا لا يشك ان وجود البرلمان ـ أى برلمان ـ هو عنصر حيوى لازم فى كل نظام جمهورى . ولكن .. هيهات ! فالمجلس يبدو على شاكلة سيده ! . انه يتظاهر بالنقمة والثورة ، ويجمع الاصوات ، ويروح يجأر ويزأر فى الردهات والحنايا .. ثم اخيرا : يهدأ ويغفو .. حالما تدل طلقات النار فى الجزائر على أن « القضية » لم تنته بعد ، وانه من المستحسن ترك الجنرال يتابع « توسيخ» يديه فى هذه العملية المشؤومة .

ان تصرف البرلمانيين هذا غير مشرف وغير لائق .

معظم الصحفيين والمراقبين السياسيين يرون فى عودة النواب الى بيوتهم نهائيا افضل سبيل لحفظ ماء وجوههم ، وتهيئة الفرصة فى المستقبل لقيام يقظة ديمقراطية فى فرنسا .

انه لحلم جميل اذن ان نرى ستمائة برلماني عائدين الى نسائهم ، وتحت ابط كل منهم حقيبته الصغيرة . وذلك لأنهم قد عوملوا ـ بما فيه الكفاية ـ كناقصى رجولة ؟! .. وان نرى أيضا القصر الكبير تسد نوافذه لخلوه من الساكنين .. والجنرال المتوحد المتعزل يفتش عن ممثلين لبلد يرى انه يجسده وحده !

انه لحلم جميـل .

عن « فرانس اوبسرفاتور »
باريس

البكتير يعيش ٥٠ عاماً فى الثلوج

● جاءت جامعــة تكساس ببكتير اختــزن فى ثلـوج المحيط المتجمد الجنوبى منذ نصف قرن ، وزرعته كما يزرع البكتير ، وتكاثر فالحياة قد بقيت فيه كل هذه المدة .

البرد ، الى أى حد وصلوا فى محاولة علاجه ؟

● ان الاصابات بالبرد من اكبر الأمراض الاقتصادية ، وبهذا أعنى تلك الأمراض التى تعجز الناس عن العمل ، والأمم عن الانتاج .

وقد كشفوا ان البرد سببه فيروسات تصيب الرجال بالعدوى من مداخل انفاسهم . وكان آخر ما كشفوا من هذه الفيروسات فيروس جديد اسموه Cory-avirus ، وجدوه فى ١٤ فى المائة من ١٤١ متطوعا مصابا بالبرد .

وقد اجتمع جماعة من الأطباء المعنيين بهــذا الداء ــ فهو داء لا شك فيه ــ واستعرضوا الاستكشافات التى تمت فى هذا الحقل ، وخرجوا ــ وكلهم فى الطب ذو مقام غير قليل ــ خرجوا بأن الوقت قد حان ، وقد تكشف أهم الفيروسات التى تصيب الانسان فى هذا الصدد ، لأن يصنع الأطباء لقاحا واقيا ، هو خليط من القحة واقية من كل هذه الفيروسات .

كرستوفر كولمبس رأيه فى شكل الأرض!

● نشرت طبعة جديــدة لمذكــرات كرستوفر كولمبس ، مكتشف امريكا . وقراها العلماء ، وعجبوا لما قراوا . انه وصف الكرة الأرضية بأنها كرة ، ولكن لها شكل الكمثرى . وهذا شىء لم يتكشف الا هــذه الأيام . كشفته الأقمار الصناعية . فكيف عرف ؟ أم انها رمية رام بليل ؟

السمك له أصوات

● قيل ان القنصل الرومانى ماركس كراسوس Marcus Crassus ، وهو عاش فى المائة سنة التى قبل الميلاد ، قيل انه كان له سمكة محبّبة اليه ، يبقيها فى حوض ماء ، فاذا صفق جاءته الى حرف الماء حيث يكون تسمى !!

اذن فهى كانت تسمع .

ولعلل من الطريف فى هذا الصدد ان تأتينا الاخبار اليوم بأن الاسماك لها اصوات ، وانها سُجّلت على الشريط المغناطيسى . قام بذلك المانى . حاول اولا أن يقوم بالتسجيل فى البحار ، فمنع من ذلك الجلبة التى فيها . لهذا اختار بحيرة فى برلين ، هادئة . وهى صافية فيرى فيها الاسماك التى يريد لاصواتها تسجيلا . وقد نجح ، فلديه الآن عدة اشرطة بهـا أصوات شتى . والصورة المرفقة بها الأسماك ، وبها المسجّل وقد ادناه من افواهها ، زاعما ان أصوات الأسماك كأصوات الانسان تخرج من الفم .

الذين يعاكسون الناس بالتلفون

● عادة من اقبح عادات المدنية ، نشأت مع نشأت التلفون . رجـال مفتونون ، او مخبولون ، يتخذون من التلفون وسـيلة يعاكسون بها النساء الحرائر . ويشكين ، ولا تجد ادارة التلفونات وسـيلة لضبط الفاعل . ثم يجىء العلم فى هذه الايام بمصطاد المفتون او المخبول . انه زرّ عند الفتاة التى يعاكسها ذلك الوغد ، تضغط عليه ، فيجمد الخط بين متكلم وسـامع ، وهـو فى نفس الوقت ينبه العامل او العاملة عند بدّالة التلفونات .

السيارة الشعبية عند الروس

● وهى المعروفة باسـم زاز ZAZ ، وقد صُنعت منها بضعة آلاف . ولكن صدر الأمر بايقاف صناعتها لعدم كفايتها ، وقد كانت تشبه عربة فيات الصغيرة رقم ٦٠٠ ، ولكن لم يكن لهـا حسن ادائهـا . والآن يشرع الروس فى صناعة سـيارة شـعبية اخرى تصميمها مستوحى من السـيارة الفرنسية الصغيرة دوفين Dauphine

اخـذ وعطـاء بين الشـعوب محمود ، نرجو ان يزيد .

استخدام جديد لبدلة الفضاء ..

● انها بدلة مضغوط هواؤها ، اذ يلبسها راكب الفضاء. الآن يلبسها ضحايا النزيف المخى ، وهى تؤمن ان تظل دورة الدم سوية في كل الجسم . وقد انتفع بها اول مريض منذ حين قريب . وكان هذا المريض الاول هو والد كنيدى رئيس الولايات المتحدة فى نكبته الاخيرة.

رجل الثلج .. مرة ثانية !

● سكت الحديث عن رجل الثلج الغريب ، الذى قيل انه ترك فى ثلوج جبال الهملايا آثارا تدل على خطاه .

ولكن حديث رجل الثلج له من الاحاديث اشباه سلفت .

من ذلك ان مجلة علم الانسان الفرنسية L'anthropologie ، وهى مجلة رزينة فى العلم وقورة ، نشرت منذ قريب ، وبسبب ما هاج من حديث عن رجل الثلج ، شهادة شاهد على مثل هذا المخلوق وعن وجوده . وهى شهادة من روسيا . فقد قص الاستاذ شريدر Schreider فى عام ١٩٤١ ، قصة الطبيب الحربى الروسى كربتيان Karapetian . كان هذا الطبيب فى معسكر بجبال داغستان بالقوقاز . واستدعاه رجال الشرطة مرة بتلك الناحية لاستشارة . وقال رجال الشرطة انهم عثروا على رجل يتخفى . ولما وصل الطبيب وجد نفسه فى حضرة شخص تخفى نعم ، ولكن بالعرى الكامل ، والدنيا شتاء وبرد قارس . وفحصه كربتيان . ثم وصفه فكان هذا وصفه اياه :

« هذا رجل لا شك فى ذلك ، ولكن صدره وظهره ، واكتافه ، وفى الواقع كل اجزاء جسمه ، كانت مغطاة بشعر كالوبر ، لونه بنى غامق ، بينما سكان هذه الجهة كانوا جميعا ذوى شعر اسود . واشبهت فروته هذه فروة الدب ، وطال وبرها حتى بلغ ما بين السنتين من الامتار والثلاثة . ووجهه اكتسى بمثل هذا الوبر خفيفا ، ومع هذا لم يكن له شارب او لحية . وكان ذا اكتاف عراض ، وطوله بلغ ١٫٨٠ مترا . وملامحه لم تكن توحى بملامح قرد ابدا .

اما من حيث نفسيته فما ظهر منها شىء يدل على انه يعلم انه حى . نظرة فارغة . لا كلام ولا لغة . لا ينفعل بشىء عند رؤيته الطعام » .

مخلوق لا شك عجيب .

لذة السيجارة

مرة من كل ثمانى مرات

● هذا ما دل عليه بحث احصائى جرى بين ٢٠٠٠ من المدخنين ، ظهر أن المدخن يلتذ فى المتوسط من سيجارة واحدة من كل ثمان من السجائر .

ومعنى هذا لا بد أن سائر التدخين يجرى بحكم العادة .

اكبر قوة ضاربة في الأسطول السابع

● هذه طائرة نفاثة ، فوق حاملة الطائرات الأمريكية المسماة « البحر المرجانى » Coral Sea

اضخم حاملة تحمل اكبر قوة فى الاسطول السابع فى الشرق الاقصى . والحاملة حمولة ٦٣٠٠٠ طن ، ومساحة سطحها تبلغ ٣ امثال مساحة ميدان كرة القدم . وعليها نحو ٨٥ طائرة حربية من شتى الأنواع . وهذه الطائرة النفاثة ، عندما تريد أن تحلق فى السماء ، يدفعها بخار ماء تحت ضغط كبير ليبلغ بها السرعة الواجبة للتحليق قبل ان تصل الى نهاية السفينة الحاملة . وهى تعود بسرعة ١٠٠ ميل فى الساعة . ولكن بخلفها خطاف لا يلبث ان يجرى على سطح الحاملة حتى يرتبط بسلسلة قوية فتقف الطائرة على الفور فى ثوان . وهذه الطائرات تحلق فى وضح النهار كما تحلق فى ظلام الليل ، وكذلك هى تعود والرادار فى الظلام هاديها .

جراحة بلا جُرح !!

● نعم . جراحة لا يستخدم فيها المشرط ، فلا يجرى فيها دم ، ولا تعقد بالذى يدخل اليها من مكروب .

اما سلاحها فشعاع من البروتونات . والبروتون هو جسيم من الجسيمات التى تتألف منها نواة الذرات . ونواة ذرة الأدروجين تتألف من بروتون واحد .

فهذا الشعاع يقذف به « معجّل » من معجلات البروتونات واشباهها Cyclotrone ، وهو ينفذ فى الراس ، عبر عظام المخ ، دون ان يصيبها بكسر . وهو يركز على الموضع الذى يحتاج الى علاج ويركز تركيزا دقيقا فلا يخطئه ، وهو عندئذ يصنع فى موضع الداء ما كان يصنعه السلاح .

هكذا فعل جراحان من جراحى الاعصاب بالمستشفى العام لماساشوست Massachusetts بمدينة بسطن . وهكذا فعل الجراحون بجامعة ابسالا بالسويد . والعقبة الوحيدة ان كلفة السيكلوترون فى الساعة كلفة باهظة .

القبة المكوكبة

هى قبة يحتشد تحتها النظارة، وتلقى عليها صور للكواكب والنجوم كما تتراءى فى السماء . وتتحرك القبة السماوية الصناعية هذه كلها ، بل تتحرك صور الكواكب عليها ، ليتمثل للناظر من تحتها كيف تدور الاجرام السماوية فى السماء الطبيعية .

فهذه قباب للمتعة العلمية وللتعليم.

واكبر قبة مكوكبة Planetarium فى الدنيا الى اليوم ، هى القبة التى بموسكو .

والخبر الجديد ان لجنة التخطيط القومية للعاصمة الامريكية ، بوشنجطن، تخطط اليوم لاقامة قبة مكوكبة فى العاصمة ، تكون هى اكبر المكوكبات فى العالم .

ان قطر المكوكبة الروسية يبلغ ٨٢٫٥ قدما .

وقطر المكوكبة الامريكية سيكون ٨٥ قدما !

ومع هذه المكوكبة سيبنى « مركز الفضاء » ، وهو لزيادة اهتمام الناس بالفضاء ، وستبلغ التكاليف مليونا ونصف مليون من الدولارات .

خلايا السرطان داء ودواء

فى مستشفى بتكساس ، حقنوا مرضى بالسرطان بحقنة بها خلايا سرطانية مستخرجة من اجسامهم هم . وقد لاحظ الاطباء فى هؤلاء المرضى تحسنا خفيفا . ولكنه لم يدم طويلا .

اسماك بجلودها الكهرباء

انها نوع من الاسماك من العائلة المعروفة بعائلة السمك الحفار Mormyrides وجد العلماء بجلدها اجهزة تحس الكهرباء التى تصل اليها . وهم من علماء مركز البحوث القومى الروسى . ووجدوا انها بهذه الاجهزة تستطيع ان تستدل على المجرى الذى تجرى فيه من بيئتها ، وعلى ما به من اسماك من نوعها ، ومن انواع غيرها . وهى تفرق بين هذه الاسماك التى تلقاها ، ولو من بعد ، بالكهرباء ، التى تخرج منها .

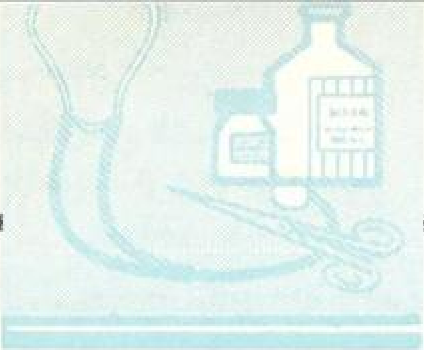

طبيب الأسرة

قشر الرأس

ـ براسى قشر كثير ، فما سببه ، وما علاجه ؟

● انه قشر سائب ، يتجمع فى جلد الراس ،فى مناطق تتوزع على الراس كله.

وهذه القشور ليست نتيجة لجفاف جلدة الراس كما يزعم بعض الناس . ان سببها جرثومة تحتل الطبقة العليا من الجلدة . ويمكن استئصالها بغسل الراس الكثير ، وبالتمشيط الكثير ، وباستخدام الغسولات والمراهم التى تحتوى القطران او الزئبق .

ومن الرؤوس ما لا تصيبها هذه الجرثومة ابدا . ومنها ما تظل تصيبها حتى آخر العمر .

ومن اسبابها تغطية الراس تغطية زائدة او دائمة . وكذلك كثرة الاطعمة النشوية .

والراس اذا لم يُعتَن به اعتناء كافيا ، يكثر فيه القشر كثرة كبرى ،ويخف بذلك الشعر ويسقط .

والشعر اذا زاد جفافه يتكسر عند اطرافه . ويليِّن الشعرَ عندئذ قليل من الزيت ، كزيت الخروع ، او زيت السمسم ، او زيت اللوز ، يَدعك فى جلدة الراس دعكا بضع مرات فى الاسبوع . ولا تستخدم عند جفاف الشعر المستحضرات التى بها الكحول . فهذه تستخدم على العكس ، عندما يكون الشعر كثير الدهن .

هذه قرحة غير تلك

ـ انا مصابة بقرحة فى معدتى . واصاب احيانا بقرحة فى فمى فاعالجها بالجلسرين او البوراكس فتطيب سريعا، فلم لا ينفع هذا العلاج فى معالجة قرحة المعدة ؟

● ان من الخطأ الكبير ان تظنين ان علاجا ينفع فى علاج قرحة ما ، سوف ينفع فى علاج سائر القرحات .

وانت تنسين انك اذ تستخدمين الجلسرين والبوراكس ، تغسلين بهما فمك ، ثم تلقين بهما خارج الفم فى الحوض بالحمام . انهما مادتان سامتان، قد يحتمل الجسم الجرعة القليلة منهما ، ولكنه يَضارُّ بالكثير . فهما لا يصلحان ابدا لعلاج قرحة المعدة .

ان القرحة ، سواء فى المعدة ، او فى الاثنى عشرى ، تبدأ فى احداثها عصارات المعدة وهى حامضة ولعلاجها وسائل اخرى خاصة لا تتصل بغسولات الفم ابدا .

ان قرحة فى رجلك تعالجينها بالمراهم مثلا ، فتصح ، ولكن ليس معنى هذا ، ان قرحة المعدة تعالج بالمراهم ياكلها الآكل لتصل الى حيث الداء قائم .

فنجان من الشاى تكفيه ٣ ملاعق سكر ، وآخر تكفيه ملعقة واحدة

ـ زوجتى لا تشرب فنجان الشاى الا اذا كان به ٣ ملاعق من السكر ، وانا تكفينى ملعقة واحدة ، فهل هذا بسبب حساسة للسكر مختلفة بيننا ؟ كذلك نحن نختلف فى تقدير بعض الطعوم ، فقد يكون الشىء مالحا عندها، وانا لا احس بملحه ..

● ان المذاق اربعة انواع : المالح ، والحامض والحلو والمر . ولكل من هذه فى اللسان مواضع هى احسُّ بها .

ويختلف الناس فى هذه الاحاسيس . فالمعروف مثلا ان اكثر الناس يحس بالملح فى لتر ماء به نحو اربعة اخماس جرام من الملح ، ولا يحسون به ان قل عن ذلك . ولكن توجد اشخاص تحس بالملح فى اللتر الذى به خمس جرام فقط .

كذلك السكر فى الماء يحس اكثر الناس به اذا بلغ نحو ٤ جرامات فى اللتر من الماء . ولكن من الناس من يحس به دون ذلك . ومنهم من لا يحس به الا فوق ذلك ، حتى ليبلغ من بعضهم ان لا يحس بالحلاوة اذا بلغ السكر مقدار مائة جرام فى اللتر .

وكذلك فى المر . بعض المواد مرة فى مذاق اكثر الناس ، ولكنها ليست مرة اطلاقا فى مذاق بعضهم . والنساء فى هذا اكثر احساسا من الرجال .

وتجربة مشهورة :

تقدموا الى جماعة من العلماء بمادة غير معروفة لهم (السكر المسمَّى الملتوز) وسالوهم ان يسجلوا طعمها ، فبعض سجَّل انها حلوة ، وبعض قال انها مرة ، وبعض قال انها ملحة وبعض قال انها حامضة ، وبعض قال انه لا طعم لها .

ثم ان الناس تفقد نعمة البصر . ولكن كذلك من الناس من يفقدون نعمة المذاق حتى ليقال انهم « عُمْى المذاق » . والذى يفقد الاحساس بمذاق واحد من الاربعة المذكورة يفقد كل المذاقات .

كيف يحترق الجسم ، وهو ساكن لا يعمل ؟

ـ سمعت الطبيب ، وهو يفحص صديقا لى ، يقول ، ان الامر قد يحتاج الى تقدير مقدار الاحتراق الاساسى فى الجسم . فماذا عنى الطبيب بذلك . وهل كل طبيب يستطيع ان يقوم بهذا التقدير ؟

● ان الجسم يأخذ الطعام ويهيئه بحيث يستطيع ان يصنع منه البروتو بلازم التى هى مادة الخلايا ، وغير ذلك . ثم هو يستمد طاقته بهدم هذه المادة او احراقها . وفى الجسم عمليات اساسية لا تتم الحياة الا بها ، مثل ضربات القلب ، والتنفس ، واعطاء الجسم حرارة تجعله دافئا .

وهذه العمليات الاساسية يُنفَق فيها مقدار من طاقة الجسم هو الذى يريد الطبيب معرفته . يريد ان يقدر الطاقة الصغرى التى يحتاجها الجسم لاجراء عمليات الحياة الاساسية .

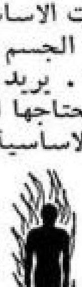

ولذلك يوضع المريض راقدا فى اول النهار ، بالمستشفى ، فى حالة من الهدوء التام ، والراحة التامة ، والسكون وخلو البال بحيث ان الجسم لا ينفق من طاقته الا لهذه العمليات الاساسية .

ثم هو يُعطَى الاكسجين بمقدار ،

ويخرج فى انفاسه ثانى اكسيد الكربون نتيجة لاحتراق مادة الجسم وانتاج الطاقة ، فيقدّر ايضا ، وبالحساب يمكن معرفة كم من الطاقة استخدم الجسم فى عملياته الاساسية .

وقد تزيد هذه ، وقد تنقص فيستدل الطبيب على ما فى الجسم من اخطاء .

اما ان اى طبيب يستطيع عمل ذلك ففير صحيح . انه عمل اختصاص يقوم به مختصون فى المستشفيات وبأجهزة دقيقة تحتاج الى مهارة وتدريب .

أريد طفلى ، أن يكون ذكيا

ـ لى طفل فى الشهر الخامس من عمره ، واود ان اعرف طريقة استطيع بها ان ازيد من ذكائه ، وهو صغير ، حتى يشب اذكى مما لو تركته وحده .

● اود اولا ان تعرفى ان مخ الانسان جهاز من اعقد الاجهزة ، ومن ادق الاجهزة ، والتدخل فى اموره بغير الطرق الطبيعية قد يسىء اليه اكبر الاساءة .

واود ان تعلمى ان ذكاء الطفل هو فى صميمه شىء موروث ، يرثه منك ، ومن ابيه ، ومن اجداده . وهو عادة وسط بين امه وابيه ، ولكن قد تتوفر للطفل عناصر وراثية تجعل منه عبقريا .

ومع هذا ، وبرغم الوراثة ، تستطيع الأم ويستطيع الأب ، معونة هذا المخ ، وبه من الذكاء الطبيعى ما به ، على ان يكون اقدر على اداء اعماله ، واسرع فى أدائها ، واحذق . وذلك بالتمرين . المخ كالعضلة ، تتمرن فتقوى ، وتهمَل فتضعف . والبيت يمهد لهذا التمرين عند الآباء الحصيفين . ان البيت الطيب ليس هو الذى يؤمن لأطفاله غذاء طيبا ، وملبسا نظيفا ، فحسب ، ولكنه كذلك

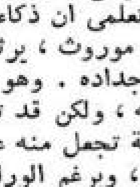

الذى يهيىء لأطفاله الظروف التى فيها يعمل المخ ، على الصحة العقلية ، وتعمل الذاكرة ، فى ملاعب ، وفى دراسة .

والمدرسة تعطى الطفل هذا المران ، ولكن البيت يعطى منه الأكثر لا سيما فى السنوات الاولى . وهذا يتوقف على مقدار ثقافة الأم ، وعلى مقدار ثقافة الاب . وتفتحُ الام ليس من الضرورى ان يكون تفتحا عن جامعة . ان الحياة تعطى ، الى جانب الثقافة المتوسطة ، العون الكثير .

■■

عندى وجع فى الصدر

ـ عندى وجع فى الجانب الايسر من صدرى ، فهل ترى من الافضل ان اذهب الى طبيب مختص بالقلب ؟

● اظن ان الافضل ان تستشير أولا طبيبك العادى ، فان احتاج الامر الى استشارة طبيب مختص بالقلب نصحك بذلك .

ذلك لان الالم الذى عندك فى الجانب الايسر من الصدر لا يلزم ان يكون مصدره القلب . اذكرْ ان الصدر به ايضا الرئة اليسرى . وانه ، بين الرئة اليسرى ، وجدار الصدر ، ، يوجد غشاء من لِفقين ، يسمى بالبلورا Pleura ، او غشاء الرئة المصلى . وان البلورا قد تصاب فيتكون بين لِفقيها سائل ، والنتيجة الم فى هذا الجانب قد يشتد .

وهناك اسباب اخرى لمثل هذا الالم : رضّة فى العضل ، او الم فى العصب ..

استشرْ طبيبكَ اولا ، الطبيب العام ، طبيب الامراض الباطنية . وهو يهديك الى المختص ان تكن هناك حاجة . ولو ان اطباء الشرق اكثرهم يدعى اختصاصا .

عهد جديد

بقلم : محمود تيمور

■ الأيام تمر ، وعجلتها تلف معها من يحيا فيها، خاضعا للظروف والملابسات من حوله ، في رتوب وركود .

ومن الناس من تكمن بين جنبيه ـ دون ان يدري ـ يقظة الحياة ، ونزعة التطور ، مرتقبة ساعة انطلاق ، وفرصة تحرر ، وان فات الأوان ، وحان اليأس .

كم من الناس من مثل « محروس » .. يحدوه حب البقاء ، وخشية الانزواء ، الى النهوض بعمل مجيد ، واستئناف عهد جديد !

بجوار الباب الخلفي « لوزارة المالية » ـ كما كان اسمها فيما مضى ـ يتراءى مبنى طال عليه القدم ، حتى تداعت اركانه ، يحتوى على قاعة مستطيلة ، لا تحمل قليلا ولا كثيرا من معنى الاحترام الذى توحى به كلمة « المالية » الرنانة .

في هذه القاعة استقر « قلم الترجمة » .

ويحق لك أن تعجب كيف استباحوا في الوزارة ان يعمدوا الى قلم له خطره وجلاله ، مثل « قلم الترجمة » فيلقوا به في ركن منبوذ ، كأنهم ركلوه بالقدم كما تركل الكرة ، حتى حلّ من الديوان أهون مكان .. ولكن عجبك يتزايل حين تعلم أن الترجمة لم يعد لها اليوم من الشأن ما كان بالأمس ، بعد أن تقلص ظل النفوذ الاجنبى، واخلى الاداريون الاجانب كراسيهم للمواطنين .

كان « قلم الترجمة » قبل عهد الاستقلال وسيط التفاهم بالمراسلات بين الادارة الحكومية ومصالحها المختلفة ، فلا غرو أن يحل من الوزارة مكان الصدارة ، وأن يستشعر موظفوه الزهو والاعتزاز، وان هؤلاء الموظفين ليحسنون التشدق بالانجليزية على وجه خاص ، يتمطقون بها في خيلاء ، وكانوا كذلك يتقنون وضع الغلايين في زوايا أفواههم ، كأنما هي لاصقة لا تبرح ، وسحائب الدخان تتصعد منها نفاذة الرائحة ، تزكم الأنوف .

وعلى مر الأيام ، هبط « قلم الترجمة » من عليائه ، كمن يهبط من السلم درجة درجة ... تضاءلت اعماله ، وتناقص عدد موظفيه ، حتى ألفى نفسه يوما يشغل ذلك المبنى العتيق ، بجوار الباب الخلفي للديوان . اما جيش موظفيه فلم تبق منه الا فلول ثلاثة هم كل أجهزة القلم التى تنهض بمختلف الاعمال !

الأول : « محروس بك » رئيس القلم ، وعمله الاشراف على الترجمة ، أو على الاصح : افتراض أن هناك ترجمة ، وأن هناك اشرافا عليها . ورئيس القلم هذا يمثل شخصية الوجيه السرى في أنفه معانيها .

ويليه في المنزلة بين موظفي القلم « زاهر أفندى » المترجم الاول ، او بالأحرى : الاول والاخير ... وهو في مظهره ومخبره لا يعدو أن يكون اضماما او ملفا تربا باليا نقلته يد سحرية من « دار المحفوظات » حيث المخلفات الأثرية ، وألقت به في قلب المدينة ، فاحتل كرسى « المترجم الاول » في ديوان « المالية » .

اما الثالث بين شخصيات القلم ، فهو «ممدوح» وعمله المنوط به ـ بتكليف الوزارة ـ هو نسخ المترجمات بالآلة الكاتبة ، ولكن عمله الحق هو نسخ الرسائل الشخصية لكل من « محروس بك » و « زاهر افندى » ، أو الخاصة به هو ان اقتضت حاجته ان يكتب رسالة واحدة الى أحد . وهو فتى نضبت فيه حيوية الشباب ، وذبلت نضرته ،

وعجل بخطاه الى كهولة مبكرة ، يدعوها رجولة واتزانا وكمالا .

وفى تلك القاعة التى تحمل اسم « قلم الترجمة» مكتب" يجلس اليه رئيس القلم ، وحوله عدد من المقاعد الفسيحة المجنّحة ، ولم يبق لهذا المكتب ومقاعده من سمات الفخامة الغاربة الا ما بقى لصاحبه من مظاهر الأبهة فى طبقته ، طبقة السَّراة !

وان « محروس بك » ليحرص على ان ينأى بمكتبه عن مكتبىّ مرءوسيه ، فقبع كل من هذين المكتبين فى ركن عند الباب ، هذا عن اليمين وذلك عن الشمال .

ولك ان تسمى ما يجلس اليه « زاهر افندى » مكتبا . اما ما يجلس اليه « ممدوح » فليس هو الا منضدة تعتليها رفيقة حياته : « الآلة الكاتبة ».

ويبدو ان « محروس بك » عز عليه الا يكثر فى قلمه عدد مرءوسيه فعمل على ان يغذيه بدم جديد، فاختار عضوين الحقهما به ، ليكتمل بهما عقده ، وتتوافر له مهابة وجلال .

وكان احد العضوين هو « عم سيد » البواب ... شيخ حطمته السنون ، لاتكاد قدماه تستطيعان حمله ، فهو يستعين على السير بعكازة عتيقة تئن تحت ثقله ، كأنها تسترحمه . و « عم سيد » هو حارس الباب الخلفى لديوان الوزارة مقامه فى

وعجل بخطاه الى كهولة مبكرة ، يدعوها رجولة واتزانا وكمالا .

وفى تلك القاعة التى تحمل اسم « قلم الترجمة» مكتب" يجلس اليه رئيس القلم ، وحوله عدد من المقاعد الفسيحة المجنّحة ، ولم يبق لهذا المكتب ومقاعده من سمات الفخامة الغاربة الا ما بقى لصاحبه من مظاهر الأبهة فى طبقته ، طبقة السَّراة !

وان « محروس بك » ليحرص على ان ينأى بمكتبه عن مكتبىّ مرءوسيه ، فقبع كل من هذين المكتبين فى ركن عند الباب ، هذا عن اليمين وذلك عن الشمال .

ولك ان تسمى ما يجلس اليه « زاهر افندى » مكتبا . اما ما يجلس اليه « ممدوح » فليس هو الا منضدة تعتليها رفيقة حياته : « الآلة الكاتبة ».

ويبدو ان « محروس بك » عز عليه الا يكثر فى قلمه عدد مرءوسيه فعمل على ان يغذيه بدم جديد، فاختار عضوين الحقهما به ، ليكتمل بهما عقده ، وتتوافر له مهابة وجلال .

وكان احد العضوين هو « عم سيد » البواب ... شيخ حطمته السنون ، لاتكاد قدماه تستطيعان حمله ، فهو يستعين على السير بعكازة عتيقة تئن تحت ثقله ، كأنها تسترحمه . و « عم سيد » هو حارس الباب الخلفى لديوان الوزارة مقامه فى

ظلة متداعية اعدت لتكون له مخفرا ومَرقبةً يُشرف منها على الداخل والخارج . وقد تصيده « محروس بك » فجعل منه العضو الرابع فى أسرة الترجمة الكريمة ، واسند اليه مهمة الترحيب به ، وفسح الطريق له ، فى قدومه وانصرافه .

والعضو الآخر ، هو « الحاج فهيم » ماسح الاحذية المعروق ، الذى تحسبُه لشدة نحافته وهزاله « موميا » هربت من متحفها لتنعم بنفحة من الهواء الطلق فى دنيا الناس .

بهؤلاء الخمسة ، على هذا النحو ، تكاملت « لقلم الترجمة » فى تلك الايام ، مظاهر توافق وانسجام ، قلما تتكامل لغيره من الاقلام .

وانه لمنظر رائق أن ترى « محروس بك » وهو ينزل عن مركبة الخيل كل صباح ، عند باب الديوان ، وقد ازدان جانب صدره الأيسر ، بوردة حمراء . وما يلبث ان يتخطر فى مشيته ، بقامة فارعة ، ومنكبين عريضين ، ورأس مرفوع . يعدو امامه جهد قوته « عم سيد » البواب ، مترنحا على عصاه ، معلنا قدوم « سعادة المدير » ... ومن ورائه « الموميا » التى تسمى « الحاج فهيم » ماسح الاحذية ، حاملا تحت ابطه صندوقه الاثرى.

وهذا الموكب على ما فيه من مظاهر التوقر والاحترام ، لا يعدم الجلبة والصخب من جانب « محروس بك » وحده ، فهو دائما صاحب ضجة وزياط ، تراه ينثر ترحيباته وملاطفاته مفاتحا بها من يعرف ومن لا يعرف فى لهجة حامية ونبرات حادة ، حتى ليخاله من يسمعه عن بعد انه فى دوامة من مشاتمة وسباب .

ويدخل « محروس بك » قاعة « قلم الترجمة » فى تلك العاصفة الهوجاء من ثرثرته الموصولة ، ويتوخى مكتبه العتيد الثائى بنفسه فى صدر القاعة ، فيستقر فيه ، بعد أن يبادل مرءوسيه الموظفين مألوف التحيات .

على ان العاصفة تتابع دويها ، متخذة شتى الاشكال والالوان ، وفق الاحوال والملابسات . تارة هى مكالمات هاتفية ، وطورا هى قهقهات مهوشة ، ومرة تتجلى فى احاديثه مع مرءوسيه ، اذ يتناول كبار الموظفين بقول السوء ، ويشهر بهم فى نكات ساخرة ، وكثيرا ما تتخلل احاديثه وملاحظاته تأوهات الترحم على الايام الماضية ، والعهود الخالية ، أيام العز ، وعهود الهناء !

وفى ضحوة اليوم ، يدور « الحاج » دورته التقليدية المنتظمة ، باقدام السادة رئيس القلم ومعاونيه ، ليتولى طلاء احذيتهم وتلميعها فى صمت وخشوع .

وقد الف «محروس بك» أن يستقبل فى كل يوم زواره الذين يفدون عليه ، للانس به ، فما ان يحضروا حتى يطاف عليهم باقداح القهوة ، فيرتشفوها فى صوت مسموع ، وسرعان ما يتبادلون لفائف التبغ ، فينفثون من دخانها سحائب تعبق بها الارجاء .

ويازف موعد الانصراف .

وتتخطر مركبة الخيل عند باب الوزارة الخلفى.

ويتحرك اليها الركب المعهود ، يتقدمه « محروس بك » فى تؤدة وخيلاء ، حتى يأخذ الرجل مكانه من المركبة ، وهو يوزع على الجمع تحيات التوديع فى ترفع وكبرياء .

وعلى هذا النحو سارت عجلة الزمن بقلم الترجمة ، تطوى الايام طيا فى تكرار مسئوم ، لا تغير ولا تبدل : المبنى كما هو ، والمكاتب على حالها ، والخمسة العظام فى مراتبهم المعهودة دون زيادة او نقصان ، حتى ليذهب بك التفكير الى ان الاقدار قد اسقطتهم من حسابها ، فتركتهم كاهل الكهف فى منأى عن الاحداث والتصاريف !

لقد توافر لهذا الجمع الخماسى الاثرى تماسك وتساند ، واسوثقت بين اعضائه الفة ، واتصلت أسباب ، فكأنهم اسرة واحدة .

ولكن لكل نبأ مستقر ، ولكل شىء نهاية ، وان طال الامد ...

ففى صباح يوم من الايام قدم « محروس بك » على الديوان ، تصحبه تلك الزيطة الصاخبة ، ليزاول مهماته التقليدية فى المكالمات الهاتفية ، واستقبال الزوار ، والخوض فى سيرة الناس . وما ان تبوأ مقعده حتى اخذت عينه على المكتب رسالة رسمية باسمه ، يتجلى عليها الخاتم الحكومى، وحانت منه لمحة لمرءوسه «زاهر افندى» فالفاه الى جانب زميله « ممدوح » الناسخ على الآلة الكاتبة يتسارقان النظر ويتغامزان . فما احس « زاهر افندى » بأن رئيسه قد لمحه ، حتى انكب على اوراقه يتصفحها متشاغلا بها فى جد ، وجعلت اصابع « ممدوح » تجرى على أزرار الآلة الكاتبة فى حماس .

واستأنف « محروس بك » النظر الى الرسالة ، يقلبها بيد مرتجفة . لا شك أنها الرسالة المرتقبة ،

وانه ليعلم ما تنطوى عليه من نبا عظيم . ليس من امر مهما يكتنفه الخفاء بناج من مخالسة الانظار ، واستراق الاسماع .

ليس من سر الا يعلمه كل من هب ومن دب ، قبل ان ينتهى الى صاحبه ، وهو يظنه فى حرز حريز من الطئ والكتمان .

وتسارعت خفقات قلبه ، واختلجت عضلات وجهه .

لم يكن هذا النبأ العظيم مفاجئا له ، فانه على علم به ، منذ وقت غير قريب ، بل انه فى الحق يعلمه منذ أقدم عهوده ، ولكنه اغفل الحديث فيه ولا يدرى اذلك عن قصد ام عن غير قصد .

ونشر صحيفة الصباح امامه ، بحيث يحجب بها وجهه ، وفض غلاف الرسالة فى خفية ، واستل الورقة المطلوبة ، فاذا فيها ما يأتى :

« حضرة ...

بعد التحية ، تفيدكم الوزارة بأنها قررت احالتكم الى المعاش ، اعتبارا من ١٤ مارس المقبل ، وهو اليوم التالى لبلوغكم سن الستين . وتنتهز هذه الفرصة لتشكر لكم ما أديتم من خدمة اثناء قيامكم بالعمل .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »

ووجد « محروس بك » يده تمتد الى منديله ، ليجفف به ما نضح جبينه من عرق .

لا نزاع فى انه مكمل الستين بعد شهرين ، وليس من الاحالة الى المعاش بد ، والشىء فى اوانه لا يستغرب . كل ذلك حق ، وكل ذلك صحيح ، وكل ذلك معروف له ، ولكن ذلك كله لم يكن يخطر بباله على انه واقع متحقق فى يوم آت ... لم يكن يتصور انه مصبح يوما فاذا هو مقصى عن ذلك الوكر الفخم الذى يؤويه ، وينعم بالعظمة والجاه فيـه .

واقبـل عليه « عم سيد » البواب بالقهوة ، فاعتدل « محـروس بك » فى جلسته ، ونحى الصحيفة عن وجهه ، فطالعته سحنة الرجل المقبل عليه ، وقد كستها سحابة من تحسر واسف ، فارسل نظرة الى مرءوسيه فالفاهما يتباريان فى اصطناع مظاهر التحزن والمواساة ، فما تمالك ان صاح :

« ماذا جرى يا جماعة ؟ مازلت حيا ارزق ... اتريدون ان تشيعوا جنازتى ، ومازال فى رمق ؟ »

فنهض « زاهر افندى » فى انتفاضة رائعة ، يقول :

ـ ما هذا الكلام يا سعادة البك ؟ اية جنـازة تقصد ؟ لم افهم كلمة مما تقول :

ـ بل فهمت كل شىء يا « زاهر افندى » ... المسالة ان ... واندفع « زاهر افندى » يقول مقاطعا :

ـ وربى الذى خلقنى لا افهم شيئا مما ترمى اليه .. فقال « محروس بك » وهو يقذف بشواظ عينيه :

ـ حضرتك موعود بمنصب رئيس القلم ... ثم اشار الى الشاب الوقور المتكمش خلف هيكل آلته الكاتبة ، وصاح :

ـ وحضرته موعود بأن يحل محلك فى عملك .

فتصايح « زاهر افندى » مستنكرا ، وقد طبع على محياه سمات التباكى قائلا :

ـ ما عاش من يتطلع الى منصبك !

وتهاوى على مقعده ، يمسح الدمع الموهوم فى مآقيه .

وقال « عم سيد » البواب متحشرج الصوت :

ـ كلنا فداؤك يا سعادة البك ... لا حرمنا الله منك .

فهمهم « محروس بك » : اشكرك يا «عم سيد» .

واقبل الرجل يطبع على يد « محروس بك » قبلة خضوع وخشـوع ، ثم ترك القـاعة وهـو يتمخط ، مستعينا بعكازته فى خطوات زاحفة .

واطبقت فترة صمت .

ثم تكلم « محروس بك » وقد خفتت حدته :

ـ لن تطول اقامتى هنا ... المدة الباقيـة شهران ... والقانون يمنح الموظف اجازة شهرين قبل المعـاش ... ولو اردت الاستفادة بهـذا الترخيص لكان لى ان اغيب ابتداء من غد ...

فقال « زاهر افندى » وهو مطا طئ الراس :

ـ بغيتنا ان تظل معنا الى الابد ، ولكن صحتك وراحتك فوق كل شىء ... الامر متروك لك على اية حـال .

فاجاب « محروس بك » وهو يعبث بقلم بـين اصابعه :

ـ لم اقرر شيئا بعد ... المسالة مرهونة بوقتها ... فلننتظر ما سيكون !

... وترادفت الايـام ، و « محـروس بك » يواظب على الحضور الى «قلم الترجمة» كمالوف العادة ، وفى عينيه اصرار على مجابهة الاقدار .

لقد أيقن انه اذا استعمل الحق الممنوح لمثله فى الظفر باجازة شهرين ، فسيتيح ذلك لمرءوسيه أن

يتبوآ منصبيهما الجديدين ، على الفور، وان يتعجلا متعة الترقية قبل اوانها ... فلماذا يتيح لهما تلك الفرصة ؟ اليس من حقه هو ان يطيل امد متعته بالرياسة حتى حين ؟ أوليس هناك امل يراوده فى ان يُمَدّ له فى الخدمة سنة او سنتان ؟ وكيف لا يترقب أن تمنحه الوزارة هذا الاستثناء ، وهو الذى أضنى جسمه وكد عقله فى خدمة الحكومة بكفاية واخلاص عشرات من السنين ؟

وعلى الرغم من سعيه المتواصل ، وتشفعه بهذا وذاك ، كانت الايام تمر به دون أن تلوح له فى الافق دلالة تبشره بان ذلك الامل قريب .

كل شىء ينذر بان الكارثة واقعة لا محالة ، وان الاحالة الى المعاش لا استثناء فيها ولا رجوع ...

وأمضى « محروس بك » ما بقى له من أيام خدمته فى « قلم الترجمة » ، كما يمضى المحكوم عليه بالاعدام أخريات أيامه ، وانه ليجاهد فى سبيل الاحتفاظ بالساعات الباقية ، متشبثا بها ، معتصرا آخر نقطة فيها ، مستمتعا أعمق الاستمتاع بكل ما يهبه منصبه من زهو وتعاظم واستعلاء ، فراح يصدر الاوامر والنواهى لمرءوسيه جزافا ، وجعل يعنّتهما بما يكلفهما من اعمال كتابية لا ضرورة لها ولا غناء .

استفحل امر الرجل فى الغطرسة والتنفخ ، وزاد ما يصدر عنه من صياح وصخب ، ووجهه أبدا مربد أغبر ،وصوته خشن يتخلله سعال كريه.

وكان اذا قصده زائر ، لم يجد لديه من حديث يؤنسه الا حديث الحكومة التى لا تقدّر من يخدمها حق قدره ، فهى تجحد ما أَسْدِيَ اليها من جميل ، وتتنكر لمن يوشك أن تنقطع الصلة بينها وبينه . ويختم حديثه المرير بقوله فى سخرية وتوجع : آخر خدمة الغُزّ علقة يا سيدى !

وطالت به الحال على هذا المنوال ، حتى حل الموعد المضروب . وكان المتوقع ان يكون يوما عصيبا ، الا ان «محروس بك» بدا فيه على عكس ما سلف من الايام ... انه اليوم حَمَل وديع ، او مَلَك يرف بجناحين من نور ، فهو يسامر الرفاق الاربعة ، مستعيدا معهم حلو الذكريات .

ودنت الساعة الرهيبة ، ساعة الانصراف ...

فشد « محروس بك » على أيدى الرفاق ، وهو يصافحهم واحدا واحدا ، فى حماسة وحمية ، لا يستنكف من أحد .

وسار الموكب حتى الباب فى عظمة ووقار . عليهما صبغة الاسى الدفين ، فلكأن الرهط فى جنازة حارّة لفقيد عظيم .

وفى الغد قدم « زاهر افندى » مترنح الاعطاف من طرب ، واقتحم « قلم الترجمة » فخورا، متخذا سَمْتَه الى كرسى الرياسة العتيد ، ليحتل منه محل سلفه « محروس بك » بالامس ، وما كان أشد دهشته حين لمح « محروس بك » كعادته جالسا على الكرسى ، وقد بكر بالحضور تبكيرا لم يعهده منه احد خلال حياته المباركة التى امضاها فى « قلم الترجمة » . وكان منهمكا فى حديث هاتفى صاخب . وحانت من « زاهر افندى » التفاتة الى مكتب زميله الفتى الوقور الناسخ « ممدوح » ، فوجده قد ازداد من توقر واحتشام وانكماش خلف آلته الكاتبة .

وطفق « زاهر افندى » ينقل بصره فيما حوله، ثم ما عتّم ان اتجه الى مكتبه بالامس ، وجلس اليه صافرا يترقب ، وامتدّ به الانتظار ، و « محروس بك » لا يفرغ من حديث هاتفى حتى يستأنف حديثا هاتفيا آخر ، وأخيرا واجه بنظره « زاهر افندى » محييا اياه ، قائلا له :

لقد حضرت اليوم لجمع اوراقى .

وما أسرع أن عاد الى الهاتف ، يأخذ بخناقه.

وبعد ان قضى من الحديث مآربه ، اقبل على أدراج مكتبه يتفقدها ، ويستخرج منها اكداس الاوراق ، وراح يقلبها ، زاعما انه يفرز ما يخصه منها ليأخذه ، ويسلم الاوراق الرسمية الاخرى لخلفه فى رياسة « قلم الترجمة » . ولم تكن أكداس الاوراق الا أشتاتا مهوشة من صحائف عليها غَبَرة الزمن .

وظل « محروس بك » متشاغلا بهذه الصحائف، متشبثا بمكتبه ، فلم يبارح القاعة الا فى اللحظة الاخيرة لوقت العمل الرسمى ، فشيعه الموكب المعهود بمثل ما كان يشيعه به بالامس .

وفى بكرة غد ، دخل القاعة « زاهر افندى » رئيس القلم الجديد ، فصدم بصره مرأى الرئيس السابق يملأ مقعده وراء المكتب فى طمأنينة وقرار ، وبجوار الهاتف يداعبه ، وأكداس التلفيات من الصحائف يعبث بها بين حين وحين .

وحظى « زاهر افندى » من « محروس بك » بنظرة مجاملة ، مشفوعة بقوله :

ـ لا استطيع يا « زاهر افندى » أن اترك المكتب الا ان اسلمتك ما فى عهدتى من اوراق رسمية لها

خطرها ... انا وحدى المسئول عنها ... من يدرى ؟ ربما كان فى هذا الورق ما لو فقد او ضاع لسبّب لك انت و « لممدوح » متاعب جمة . انى حريص على نفعكما ، ولست ارضى ان ادعكما حائرين تتعرضان للاذى . لست من الرؤساء الذين يتخلون عن مرءوسيهم فى الشدائد .

فجمجم « زاهر افندى » بكلمات الشكر ، وسارق الفتى الوقور « ممدوح » نظرات لها معنى ملحوظ .

وتوالت الايام و « محروس بك » يواظب على الحضور الى القاعة ، والجلوس الى المكتب ، فى تبكير عجب له كل ذى صلة بقلم الترجمة ، وهو دائب على مزاولة ذلك العمل الجديد الذى اختلقه اختلاقا بعد احالته الى المعاش ...

وتعالت على المكتب اكداس الورق ، و « محروس بك » يفتشها ورقة ورقة ، ويقرأ ما فيها كلمة كلمة ، وكلما فرغ من طائفة منها عاود فيها النظر والمراجعة والترتيب ، وكأنما يلد المكتب كل يوم جديدا من الملفات والاضاميم .

وكلما ازداد « محروس بك » تحمسا فى تغلية الاوراق ،ازداد«زاهر أفندى» ومرءوسه «الممدوح» من غيظ وكمد وضيق ، وهما قابعان فى ركن القاعة ، صابران على ما بهما صبر أيوب أو صبر يونس فى بطن الحوت !

وتبادل الناس الافاكيه فى شأن «قلم الترجمة»: أيهما الرئيس ، أ « زاهر افندى » أم « محروس» ؟ ووقع فى وهم بعضهم ان احالة « محروس بك » الى المعاش لم تكن الا اكذوبة ، فها هو يمارس عمله موظفا مواظبا دقيقا فى رعاية المواعيد .

واحتدمت الثورة فى دخيلة « زاهر افندى » وتساءل : أليس لهذه المهزلة من آخر ؟

وفكر فى الامر مليا ، ونفسه تتشوف الى ان يباشر رياسته للقلم ، دون منافس ، وان لم يكن له من مرءوس الا ذلك الفتى الوقور .

...... ويوما اقبل « محروس بك » كعادته مبكرا كل التبكير ، فاذا هو يجد « زاهر افندى » قد احتل مكتب الرياسة ، مستقرا فى مقعده ، وقد امسك بسماعة الهاتف يصب فى اذنها احاديث متواصلة يأخذ بعضها برقاب بعض ، وما ان واجه « محروس بك » حتى حياه بابتسامة ناصلة ، واشار الى المكتب القائم فى ركن القاعة ، طالبا منه ان يجلس اليه . فلبث « محروس بك » واقفا هنيهة ، وقد شملته حيرة ، ثم اخذ يذرع الحجرة ذهوبا وجيئة ، وعلى جبينه قطوب . فلما الفى الحديث الهاتفى يتطرق ويتفرع ، لم يجد بدا من المضى الى المكتب القائم فى ركن القاعة ، مكتب « زاهر افندى » القديم ، ويتخذ مجلسه وراءه ، وهو يعلو بصدره وينتفخ .

وبعد لأى ألقى « زاهر افندى » سماعة الهاتف فى مكانها ، واتجه الى « محروس بك » قائلا له فى استعلاء :

لا تؤاخذنى يا « محروس بك » .. واجب علىّ أن أنفذ الاوامر الرسمية ، وانت سيد العارفين .... تستطيع أن تغلّى الاوراق كما شئت . فقد نقلتها الى المكتب الذى تجلس اليه الآن .... ها هى ذى أمامك .

فحدج « محروس بك » كومة الاوراق حياله ، ولعبت شفتاه بغمغمة لا تفصح عن شىء . ثم انكفأ على اوراقه ينهال على بعضها تمزيقا ، وعلى بعضها تخطيطا ، بالقلم الاحمر ، وعلى بعضها توقيعا بكلمات تتردد كلها حول معنى واحد : « مرفوض ... غير مقبول ... غير معقول ... » !

ونمت الى اسماع الزملاء فى الديوان انباء احتلال « زاهر افندى » مكتب الرياسة فى « قلم الترجمة » ، فتوافدوا عليه مهنئين ، راجين للقلم فى عهده كل خير ، وكانوا يشفعون اسمه بلقب «بك» كلما ذكروه ، والرجل تهتز أعطافه من طرب وابتهاج ، على حين يشتد « محروس بك» فى تمزيق الاوراق ، ويحتد صوته وهو يوقع كلمات : « مرفوض ... غير مقبول ... غير معقول » !

ولزم « زاهر بك » الرئيس الجديد مكتب الرياسة ، لا يتحلحل عنه ، واشتدت به الحاجة الى مرافق المياه ، فمكث فى مكتبه محصورا على كره ، خشية ان ينصرف لقضاء حاجته ، فيقتحم « محروس » المكتب فى غيبته ، ويتعذر اجلاؤه عنه .. !

وفى وقت الانصراف ، خرج « زاهر بك » تحف به تلك الهالة من موكب الاعوان ، على نحو ما كان يجرى العمل به ايام الرئيس القديم .

اما « محروس » فقد انتظر فى القاعة بعض وقت ، ثم جرر خطاه وحيدا يطلب الطريق ، وهو يقذف ببصقاته ذات اليمين وذات الشمال ، رمز ازدراء لما بنى عليه الناس من لؤم الطبع ، وخسة الاخلاق !

على هذا المنوال توالت ايام ... « زاهر بك » يتبوأ كرسي الرياسة ، ويفرض سلطانه على الهاتف وغير الهاتف . والسيد « محروس » ـ « البك » سابقا ـ جالس جلسة التنفخ على المكتب الذى كان يجلس فيه خليفته « زاهر » ، وقد تملكته حدة ، ونفسه تجيش من غضب ، ويداه تنهالان على الاوراق بين تمزيق عنيف ، او ضرب بالقلم الاحمر ، او تصايح بكلمة : مرفوض .

وكان الرجل فى قدومه وانصرافه ، حريصا على الظهور بسمته المعروف : سمت السَّراة المتحفظين، انيق البزة ، شامخ الانف ، تزهو على صدره الوردة الحمراء .

ولاحظ « محروس » ان فتى الآلة الكاتبة « ممدوح » لا شغل له الا ان يبادل « زاهر بك » نظرات صامتة تنم عن سخرية وتعريض ، فالفى نفسه مرة ينهض بغتة ، وهو يحمل رزمة اوراق ، واقبل على الفتى ، قائلا له فى تأمر :

ـ عليك أن تنسخ هذه الاوراق .. انها وثائق مهمة اريدها اليوم .

وتناول الفتى رزمة الورق ، وهو حائر دهش ، لا يدرى ايستجيب للامر ام يأبى . بيد أن تردده لم يطل ، فان وقفة « محروس » امامه فى قامته المتعالية ، لم تدع له سبيلا الى اعلان الامتناع ، واذا هو لاول مرة منذ التحق بقسم الترجمة يجد أن عليه عملا رسميا حافلا يجب أن يؤديه فى يومه !

وفى غد عمد « محروس » الى رزمة اخرى من الاوراق ، فدفعها الى فتى الآلة الكاتبة ، كما فعل امس ، فنظر الفتى الى « زاهر بك » كأنما يستنجده ، فوجه « زاهر بك » الحديث الى « محروس » يسأله : « ما خطب هذه الاوراق ؟»

فسارع « محروس » يقول : الكتب يعوزه التنظيم ... لابد من انشاء ركن للمحفوظات ... يجب أن تنسخ الاوراق وترتب للرجوع اليها عند الحاجة !

وسعل سعلة قوية ، ثم رفع صوته يقول ملوحا بيديه : « ليست عليَّ فى هذا الامر تبعة ... وانما هو عمل أتطوع به خالصا لوجه الله وللمصلحة العامة . »

ثقلت وطأة العمل على فتى الآلة الكاتبة ، يوما بعد يوم ، وبدت عليه امارات الارهاق ، وكان العرق يتحلب من جبينه ، على حين أن «محروس» لم يخمد له نشاط ، فهو منهمك أشد الانهماك فى انشاء ركن المحفوظات .

وكان « زاهر بك » يتبرم بصنيع « محروس » ويشفق على الفتى من أثقال العمل على الآلة الكاتبة ،دون هوادة . وحار فى الامر كيف يعالجه فلا هو بقادر ان يصد « محروس » عن طلب كتابة هذه الاوراق ، ولا هو بقادر أن ينهى الفتى عن الاستجابة لهذا الطلب الموصول .

وفى صبيحة يوم ، قدم «محروس» مبكرا على مألوف عادته ، بعد احالته الى المعاش ، ودخل القاعة يتهادى ، فما كاد يمضى فيها خطوات ، حتى فوجىء بأمر لم يكن له فى حساب .. صدم عينه منظرُ الفتى ، وقد احتل المكتب الذى كان «لزاهر» فيما سبق ، واقر عليه آلته الكاتبة ، كأنها دبابة تحميه ، وانكب يضرب الازرار فى حماس . فوقف « محروس » يرمق الكتب فى تغيظ ، فلم يعره الفتى قليل اهتمام . ومضت اصابعه تتنقل على الازرار ، وعدل « محروس » بنظره ناحية المنضدة الصغيرة التى كان يتخذها الفتى من قبل مكتبا له ، فلم يجد لها من أثر ، حتى كرسيها المتواضع لم يعد له وجود .

وجال «محروس» بانظاره يَمنة ويَسرة ، يحاول اكتناه السر ، وحل اللغز . ونقرات الفتى على الآلة الكاتبة تدق سمعه كأنها طرقات قدوم . وادرك « زاهر بك » ما يدور بخلَدِ السيد « محروس » فقال له فى أنفة :

ـ هذا ما قضى به التنظيم الجديد ... ان على عاتقى تبعات لا بد أن أقدرها بوصفى رئيسا للقلم!

فازهرت عينا « محروس » وصوّب النظر الى رئيس القلم ، يقول : « واين مكاني اذن » ؟

فارتسمت على فم « زاهر بك » ابتسامة" صفراءُ ، واجاب : « لقد اديّتَ ما عليك ... لك ان تستريح ... هذا حكم السن ! »

فجلجل صوت السيد « محروس » يقول : « لا يستطيع مخلوق فى هذه الوزارة ان يمنعنى من اداء واجبى ... اى سن ؟ دعك من الكلام الفارغ!»

وارتد عن القاعة ، يهذى بعبارات السخط والاستياء .

ولما قارب الباب الخارجيَّ ألقى ببصره الى ظُلّة « عم سيد » البواب ، فاذا هو متربع على عرشه الخشبى المخلخل ، وقد ملكته اغفاءة هانئة

فاسرع بخطاه اليه ، وهزه هزة شديدة وهو يصيح:
ـ الاتستحى ان تنام يا رجل ؟ الباب بلا حراسة ... انتبه الى عملك ... والا جعلتُ منك عبرة لمن لا يعرف اداء واجبه .

وصحا البواب متفزعا ، يجمجم بكلمات مهوشة، وعبَرَ « محروس » عتبة الباب ، وهو يردد : « الدنيا سائبة .. الشغل خرب .. كله غلط فى غلط » .

وتلقفت خطوات الطريق خطاه التائهة العجلى .. وعلى رأس الطريق ، لاح له « مجاهد » بائع الثلج والاشربة الغازية ، وهو قابع بجوار صندوقه، يكاد لقماءته وهزاله تخطئه العيون . فاقبل عليه وقد احس بحلقه يجف ويتشقق ،وما رآه «مجاهد» حتى خف اليه فى بشاشة وترحاب ، يقول :
ـ اهلا وسهلا سعادة « البك » ... النبى زارنا اليوم ... الا تشرفنى بشرب زجاجة لتحصل لى البركة ؟

فوقف « محروس » يتامله لحظة ، رافعا هامته، متعاليا بصدره ، ثم داعب الوردة الحمراء بأنامله وقال :
ـ لاباس ... هات زجاجة من شراب الليمون .... لتكن الزجاجة مثلجة جدا ... بادر بغسلها ... لابد ان تكون نظيفة ... انتبه لما اقول .

فانحنى « مجاهد » على صندوقه ، وهو يقول :
ـ على عينى وراسى ... يا سعادة « البك » ... ستجد ما يرضيك باذن الله ...

وقدم له الزجاجة ، وأسرع الى مقعد مضعضع كان مستخفيا خلف الصندوق فمسح عنه غباره بجلبابه ، وقرّبه الى ضيفه قائلا :
ـ تفضل بالجلوس ، وتناول الشراب على راحتك !

فرمق « محروس » المقعد فى احتقار ، وواصل الرجل قوله :
ـ انى خادم سعادتك منذ زمن طويل ... كثيرا ما نالنى خيرك ... انت احسن رئيس قلم فى الدولة ... ليس فى الوزارة من يساويك ... نعمت الاخلاق !

وداعب « محروس » الوردة الحمراء ، ثم قال وهو محتفظ بتزمته ووقاره : « لاباس بالجلوس بضع دقائق ... بضع دقائق فقط ! »

فردد البائع قوله : « الله يعلى مراتبك » .

وجلس السيد «محروس» على المقعد منتفشا ، وطفق يترشف الشراب ويتجشأ .

واستانف « مجاهد » حديثه قائلا :
ـ سعادتك تركت المكتب قبل الميعاد ...

فقال « محروس » وحاجبه يعلو : « لا رغبة لى فى العمل اليوم ... لقد ضقت بالوزارة وبموظفى الوزارة ... انا حر فى تصرفاتى ! »

وعاد يترشف ما بقى فى الزجاجة ، ويجفف ما تفصد من عرقه ، ولم يلبث ان همهم : « جو خانق ... اخلاق فاسدة ! .. »

فقال البائع على الفور : « الحق يا سعادة « البك » ان امثالك قليل ... والاشرار كثير .. واين مثلك ؟ »

فتابع « محروس » همهمته : « لا نزاهة ولا اخلاص ... وشايات ومكايد واكاذيب ! »

وانتهت زجاجة الليمون ، فاردفها « محروس » بزجاجة اخرى ، وامتد الحديث وتشعب ، ولم يكن يقطعه فى الفينة بعد الفينة الا قدوم راغب فى زجاجة من الشراب يتجرعها على الطريق .

تحدث « محروس » الى بائع الاشربة المثلجة ، عما قام به فى الوزارة من جلائل الاعمال خلال السنين الطوال ، والبائع يعبّر عن ايمانه بما يسمع ، وتمجيده له ، بالاشارة تارة وبالعبارة اخرى .

وعن كثب من الصندوق تراءى غلام مهزول البنية ، عليه ثياب رثة ، كانه حشرة تدب على الارض . فلما لمحه « مجاهد » قال له : « تعال يا ولد ، قبّل يد سيدك . »

وتدانى الغلام مرحا ، حتى اهوى على يد « محروس » يقبلها ، واستانف البائع قوله : « هذا ابنى ... ولد يعجبك ... كله نشاط . »

فرمق « محروس » الغلام ، بمؤخرة عينه ، وقال:
ـ سامتحن مهارتك يا ولد ... هل تستطيع ان تدعو لى ماسح احذية ؟ بشرط ان يكون ممتازا ؟

فصاح الغلام : حاضر يا « بك » .

وسرعان ما التقفه الطريق يعدو .

وسرعان ما رجع مصطحبا غلاما أكبر منه سنا ، وارث ثوبا ، وتحت ابطه صندوق مسح الاحذية .

واعتدل « محروس » فى جلسته المتوقرة ، ومد قدمه الى الصندوق ، فطفق الغلام يمسح الحذاء فى همة ومضاء .

ووصل « محروس » ما انقطع من حديثه فى لعن

الوزارة وموظفيها ، بل شمل بلعناته الدنيا ومن فيها ...

ولما انتهت مهمة ماسح الاحذية طلب « محروس » استدعاء مركبة خيل . وتنافس الغلامان فى تلبية الطلب .

وحضرت المركبة تكرّ بعجلاتها .

تثاقلت خطا « محروس » فى سيره اليها ، بقامته المبسوطة ، وعنقه المشرئب ، وهو يداعب وردته الحمراء زاهية على الصدر المتنفش ، ومن حوله بائع الاشربة والغلامان يتألف منهم موكب التوديع !

وفى غداة غد لاحت مركبة خيل تقل السيد « محروس » ، ووقفت غير بعيد من صندوق بائع الاشربة ، فهرع البائع يعلن الحفاوة والترحيب . فنزل « محروس » من المركبة ، يردد التحية فى تحفظه المعهود ، فقال له البائع :

ـ صباح الخير ... اشرقت الانوار ... الا تتفضل بالجلوس قليلا ؟ فتصنع « محروس » الابتسام ، وهو يقول :

ـ اتريد ان تعطلنى اليوم ايضا ؟

ـ تشريفك عندى يساوى الدنيا ... اجلس تحصل لنا بركتك .

ـ لن اجلس الا بضع دقائق ... اعمال هامة تنتظرنى . ففرك البائع يديه ، وهو يقول :

كان الله فى عونك ، وجعلك اهلا للمروءات .

وانتزع البائع المقعد الخشبى من خلف صندوق الاشربة ، وقدّمه الى ضيفه ، ولم يلبث ان استلّ زجاجة من شراب الليمون ،وقدمها اليه وهو ينحنى انحناءة خضوع .

وشرع « محروس » يترشف الشراب .

ودار من الحوار ما دار أمس .

وردّدت الريح اصداء اللعنات المصبوبة على الوزارة وموظفيها ، بل على الدنيا ومن فيها ، لما يلقاه العاملون المخلصون من الجحود وسوء الجزاء .

وتبارى الجليسان فى التحسر على الايام الماضية ، أيام السجايا الفاضلة والاخلاق العالية ، تلك الايام التى كان فيها الناس كرماء اوفياء يعرفون الاقدار والمقامات ..

وتلاحقت زجاجات الشراب تبل الريق ، وتنفّس عن الصدر المكروب . وتوافد طلاب الشراب فى الحين بعد الحين . وتراءى الغلام فى ثوبه الزرى ، يقبّل يد السيد المهيب ، ويتلقى أمره المطاع .

وجاء ماسح الاحذية بصندوقه يمثل دوره .

واخيرا كرّت مركبة الخيل ، وحفّ بالرجل موكب التوديع ، وانسدلت الستارة على المنظر الختامى .. !

وتكرر عرض هذه المسرحية الصباحية اياما متوالية .

وارتاح « محروس » لما يصنع . فقد ألِفَ جلسته الى صندوق الاشربة ، واستعاض به وبمن حواليه من عشرائه السابقين من رؤساء ومرءوسين .

ومرة ، وهو على كرسيه ، يستمرىء شرابه السائغ ، انتشر حول الصندوق جمع من صغار التلاميذ يعابث بعضهم بعضا فى هرج ومرج ، وطلبوا الى البائع أن يسعفهم بزجاجات الشراب ، واشتد بهم العبث والتصايح ، فالفى « محروس » نفسه يهبّ واقفا ، تاركا مقعده الخشبى المخلخل ، واتجه نحو التلاميذ فى سَمته المَهيب يقول جَهورىّ الصوت : «صمتا ...ما هذا الصخب؟»

فالتفت الصبية اليه يتبينون امره ، فراعهم مرآه ، وهو يحدجهم بالنظرات الحداد . وطاف بخاطرهم شبح ضابط المدرسة ، فلم يلبثوا ان خيم عليهم تخشّع وهدوء .

وازداد منهم « محروس » دنوا ، وقد أحس بين جنبيه حمية الزعامة ، وصاح : « الزيطة ممنوعة .. النظام مطلوب ... قفوا صفوفا معتدلة ... لا فوضى ولا اضطراب . »

وانتظمت الصفوف ، وساد السكون ، واخذ كل من الصبية يتناول شرابه . وكان « محروس » فى اثناء ذلك يتولى الترتيب والاشراف ، حتى انجلوا عن المكان بسلام .

ومنذ تلك الساعة ، شعر « محروس » بان له موهبة ناجحة ، فى الامرة والسلطان ، وبان عليه واجبا هو الا ينفق وقته عبثا بجانب الصندوق المثلجات . فاذا هو يفرض رقابته واشرافه على الرواد من صغار وكبار ، واذا هو ينفرد بتنظيم الحركة فى بيع الاشربة،فكنت تراه فى غدوّ ورواح، ملوحا بيديه ، مرددا قوله :

ـ الوقوف هنا ممنوع ... اما هنا فمباح ... افسح مكانا لغيرك ... هنا مكان وضع الزجاجات الفارغة ... دفع الثمن اولا ...

واحيانا ينظر الى البائع وغلامه ، قائلا :

ـ كل نوع من الشراب توضع زجاجاته فى ركن مستقل ... التنسيق لابد منه ... يجب ان

يجدد الماء في الصندوق حرصا على النظافة ... الزجاجات ترص فوق الثلج بعناية ...

ويتابع ثرثرته حول النظم التي ينبغي التزامها في الترتيب والتنسيق ، لا يسام من التكرار .

واتصلت ايام .

وتجلت « لمحروس » بشاعة الكرسي المخلخل المتاكل الذي يتخذه لقعوده ، فعجب من نفسه كيف صبر عليه حتى اليوم ؟

وفي صبيحة الغد ، حضرت مركبة الخيل ، فلمح « مجاهد » فيها كرسيا فسيحا مجنحا ، بجانب « محروس » ، فتعاون هو وغلامه على نقل ذلك الكرسي من المركبة الى جانب صندوق الاشربة .

واستمتع «محروس» بجلسة رخية على مقعده الوثير طول الوقت ، وقد احس انه ازداد في نظر الاتباع من علو المكانة ورفعة القدر .

ودأب على أن يغدو كل يوم على مثابته الجديدة لا يتخلف ، وواصل عمله ـ أو ـ على الاصح ـ زعامته لا ينافسه فيها احد . فكان يجول ويصول حول صندوق الاشربة ، كالفارس المغوار في معركة شعواء ...

ومثل يوما أمام « مجاهد » يقول في اهتمام :

ــ الى متى تبقى انت والغلامان على هذه الدرجة من الفوضى وسوء الحال ؟ يجب أن تسايروا العصر ... جددوا انفسكم يا ناس ... انك لو استمعت لنصحي لضوعف دخلك ، وبلغت من النجاح ما لا تحلم به .

فاشرأب اليه البائع يقول : « انى طوع امرك ... ستجدني مستعدا أن انفذ ما تريد . »

ـ حسنا ... حسنا ... ثق ان طاعتك لي ستنيلك الخير كله .

ـ ابلغك الله أعلى المراتب .

وسرت في نفس « محروس » أريحية عجيبة ، فانبرى ينفق على تجديد المكان وزخرفته بلا حساب ... كسا الصندوق طلاء جديدا ، واحاطه بكراس أنيقة ، وعني بوضعها في امكنتها بغاية الدقة وفرط التعهد . وانعم على « مجاهد » بحلة من حلله القديمة ، فكانت ثوبا فضفاضا بالنسبة للرجل ، يخب فيه خبا . وكذلك ألزم الغلام ارتداء قباء ابيض ذى نطاق احمر ، وجلب للغلام الآخر ماسح الاحذية صندوقا طريفا فيه جرس ، على نحو الصناديق المصرية . وقد فرح الثلاثة بعطايا السيد السمح أيما فرح ، وازدادوا له من تكريم واعزاز ، اما هو فازداد من تنفخ وتامر واعتداد .

وتعاقبت الايام ، و « محروس » مهتم بتجديد المكان ، مرة ينثر على الارض رملا اصفر فاقع اللون ، ومرة يجلب مناضد رشيقة زاهية لمن يطيب لهم الشراب وهو جلوس ، واخرى يختار صواني نحاسية متلالئة يذهب بها الاتباع الثلاثة ويجيئون حاملين عليها زجاجات الشراب .

ويوما افتتح « محروس » ما سماه « ركن الاشربة الساخنة » واخذ يقدم فيه للرواد القهوة والشاى وسواهما من المنعشات . وما لبث هذا الركن أن راجت سوقه ، وكثر عليه الطلاب .

وهكذا تضخم صندوق الاشربة ، ونبتت له أجنحة ، وطار صيته ، فاصبح ملتقى لجمهور كبير .

وفوجىء أهل الحي ذات يوم بحدث جديد .

لقد اختفى صندوق الثلج والاشربة ، وحلت محله ظلة (١) خشبية تتوهج الوانها المختلفة ، وأمامها مقاعد ، ومناضد عليها مفارش منقوشة ، والفرسان الثلاثة يهرولون خلالها في جد ونشاط ، يسعفون رواد المنتدى الجديد بما يطلبون .

وأما « محروس » فقد اعتلى بباب الظلة مقعدا رفيعا كانه عرش من عروش القياصرة في العهود الغابرة ... وصوته الجهوري يدوى بالاوامر والنواهي ذات اليمين وذات الشمال .

وازدان جبين الظلة بلافتة مكتوب فيها بالخط العريض : «المنتدى (٢) المصرى للاشربة الفاخرة.»

لقد بسط « محروس بك » يده كل البسط في تاسيس هذا المنتدى ، لم يبال بما ينفق من مال ، وما يبذل من جهد ، وما يضيع من وقت ، وهو لا يدرى : اينجح المنتدى ، فيسترد ما انفق في سبيله ، ويشارك فيما يدره من ربح ، ام يخفق ذلك المنتدى ،فيذهب بما ادخر الرجل لشيخوخته من ثروة متواضعة ؟

حسبه اليوم انه اهتدى بهذا المنتدى الى وظيفة تتيح له أن يشبع نهمه الى الابهة والعظمة والسلطان ... وظيفة لا رئيس فيها الا هو ، ولا معقب لقوله ولا مراجع ... وظيفة ثابتة على الزمن ، لا تخضع لقانون الاحالة الى المعاش !

■■

محمود تيمور

---

(١) الظلة هي الكشك

(٢) المنتدى هو « الكازينو »

الله يمهل ولا يهمل

■ عاش يوما فى مدينة «فلاديمير» تاجر شاب يدعى « دميتريش اكسيونوف » ، كان يمتلك حانوتين ومنزلا .

وكان « اكسيونوف » مليحا ، ذا شعر أصفر مجعد ، ونفس مليئة بالمرح ، وشغف بالغ بالغناء . وقد ادمن الخمر وهو فى غضارة الصبا . وكان اذا اسرف فيها ، عَمَد الى الصخب . على انه تاب عنها بعد زواجه ، فلم يعد يشرب الا فى مناسبات عارضة ، متباعدة .

وفى صيف احد الاعوام ، اعتزم « اكسيونوف » أن يقصد سوق « نيشتنى » ، فلما أقبل يودع اسرته ، قالت له زوجته : « لا ترحل اليوم يا ايفان دميتريش ، فقد رايت لك حلما سيئا » . فضحك اكسيونوف قائلا : « انما تخشين ان اطلق لنزواتى العنان ، اذا ما ذهبت الى السوق » .

وردت الزوجة قائلة : « لست أعرف سر خوفى ..كل الذى ادريه انى رايت فى نومى حلما سيئا. رايت انك عدت من السوق ، فلما خلعت قلنسوتك ، رايت شعرك أشيب » . فضحك اكسيونوف قائلا : « هذه بشرى سعد . ولسوف ترين اننى سابيع كل سلعى ، واعود اليك ببعض الهدايا من السوق » .

وهكذا ودع أسرته وانطلق . فلما طوى نصف الطريق ، التقى بتاجر كان يعرفه ، ونزلا معا فى خان واحد ، يقضيان فيه ليلتهما . وبعد أن تناولا الشاى معا ، آوى كل منهما الى فراشه ، فى مخدعين متلاصقين .

ولم يكن من عادة اكسيونوف « ان يستيقظ متاخرا ، كما انه كان راغبا فى السفر والجو بعدُ لطيف ، فايقظ حوذيه قبيل الفجر ، وامره بان يعد الخيل للرحيل . ثم مضى الى صاحب الخان ــ الذى كان يقيم فى كوخ فى مؤخرة المبنى ــ فنقده اجره ، واستانف سفره .

وبعد ان قطع حوالى خمسة وعشرين ميلا ، توقفت المركبة عند خان لتغذية الجياد. واستراح « اكسيونوف » برهة فى ردهة الخان ، ثم انتقل الى الشرفة ، فطلب أن يعد له سخان الشاى «السماوور»ثم تناول قيثارته وشرع يعزف عليها.

وفجاة ، اقبلت مركبة تجرها ثلاثة جياد ، واجراسها تصلصل . ثم هبط منها ضابط يتبعه جنديان .وتقدم الضابط من «اكسيونوف» واخذ يساله من أين وفد ، ومتى وصل . واجاب اكسيونوف عن الاسئلة اجابة شافية ، ثم قال : « هلا تناولت الشاى معى ؟ » ولكن الضابط مضى فى استجوابه ، وساله : « اين قضيت ليلة امس ؟ .. وهل كنت وحدك ، او كان معك زميل من التجار ؟ .. وهل رايت ذلك التاجر صباح اليوم ؟ .. ولماذا تركت الخان قبيل الفجر ؟ » .

وكان اكسيونوف فى عجب من كل هذه الاسئلة ولكنه وصف كافة ما قد حدث ، ثم اضاف متسائلا : « لماذا تحقق معى ، كما لو اننى كنت لصا او سارقا ؟ .. اننى اسافر فى تجارة خاصة بى ، وليس ثمة ما يدعو الى سؤالى » .

واذ ذاك دعا الضابط الشرطيين ، وقال : «اننى ضابط شرطة هذه المنطقة ، ولست استجوبك الا لان التاجر الذى قضيت معه الليلة السابقة قد وجد مذبوحا ، ولا بد من ان نفتش متاعك » .

ودخلوا المبنى ، ففض الجنديان وضابط الشرطة متاع اكسيونوف ،وراحوا ينبشون خلاله. وفجاة ، أخرج الضابط من احدى الحقائب سكينا ، وهو يصيح : « سكين من هذه ؟ »

وتطلع « اكسيونوف » فرأى سكينا مخضبة بالدم ، اخرجت من حقيبته ، فتولاه الهلع .

وتساءل الضابط : « من اين الدم الذى على هذه السكين ؟ » .

وحاول اكسيونوف أن يجيب ، ولكنه عجز عن الكلام ، بل راح يتمتم متلعثما : « لست .. لست أدرى .. انها ليست .. ملكى » .

اذ ذاك قال ضابط الشرطة : « لقد وجد التاجر فىفراشه ــ هذا الصباح ــ مقطوعالعنق. انك الشخص الوحيد الذى كان بوسعه ان يرتكب هذا العمل ، فان الخان كان مغلقا من الداخل ، ولم يكن فيه سواكما . وها هى ذى السكين الملطخة بالدم وجدت فى متاعك ، وان وجهتك وحالك ليشيان بك فنبئنى : كيف قتلته ، وكم من المال سرقت منه ؟ » .

قصة لتولستوي

واقسم اكسيونوف انه لم يكن الفاعل ، وانه لم ير التاجر بعد ان تناولا الشاي معا في المساء ، وانه لم يكن يحمل من المال سوى ثمانمائة روبل كانت ملكا حلالا له ، وان السكين لم تكن سكينه. ولكن صوته كان متهدجا ، ووجهه مصفرا ، وكان يرتجف فرقا كما لو كان مذنبا . فأمر الضابط الشرطيين بان يُحكما وثاق اكسيونوف ، وان يسوقاه الى المركبة .

★★★

وبينما اوثق الجنديان قدمي اكسيونوف ، والقيا به في المركبة ، راح يرسم علامة الصليب على وجهه وصدره ، وهو يبكي . واخذت منه بضائعه ونقوده ، ثم ارسل الى اقرب مدينة ، حيث أودع السجن . واجريت تحريات في « فلاديمير » عن أخلاقه ، فقال التجار وغيرهم من اهل تلك المدينة انه كان — في الايام الخالية — يدمن الخمر ، ويبدد وقته سدى ، ولكنه كان رجلا لا غبار على أخلاقه . ثم عقدت المحاكمة ، واتهم باغتيال تاجر من « رياسان » وسرقة عشرين الفا من الروبلات منه .

وكانت زوجته في هم وقنوط ، لا تدري ماذا تصدق . فقد كان اولادها جميعا صغارا . وكان بينهم رضيع على صدرها . فاخذتهم باكملهم وذهبت الى المدينة التي سجن فيها زوجها . ولم يسمح لها برؤيته ، بادىء ذي بدء . ولكنها — بعد كثير من الرجاء — حصلت على اذن من المسئولين ، واقتيدت اليه . وما أن رأت زوجها في ثياب السجن واغلاله ، حبيسا مع اللصوص والمجرمين ، حتى سقطت مغشيا عليها ، ولما ضمت اولادها اليها ، وجلست بالقرب منه . وحدثته عن امور الاسرة . ثم سألته عما جرى له ، فروى لها كل شيء . واذ ذاك سألته : « وما الذي نملك أن نفعل » ؟

— يجب ان نرفع التماسا الى القيصر كي يحول دون هلاك رجل برىء .

فانبأته زوجته بأنها ارسلت استرحاما الى القيصر ، ولكنه لم يتقبله .

ولم يعقب اكسيونوف ، بل غض بصره ، وظل صامتا . وعند ذاك قالت زوجته : « ما كان هراء أن رأيتك في المنام وقد شاب شعرك . اتذكر ؟ .. ما كان ينبغي أن تسافر في ذلك اليوم » . وتخللت شعره باصابعها ، ثم اردفت :

« قل الحق لزوجتك يافانيا الحبيب .. أما كنت أنت الفاعل ؟ » .

فقال اكسيونوف : « اذن فانت الاخرى ترتابين فيّ ؟ » .. ودفن وجهه في راحتيه ، وشرع ينتحب . وما لبث ان جاء جندي ليأمر الزوجة والاطفال بالانصراف . فودع اكسيونوف أسرته للمرة الاخيرة . حتى اذا انصرفوا ، راح يستذكر ما قيل ، فلما تذكر أن زوجته قد ارتابت — هي الأخرى — فيه ، قال لنفسه : « لا يعلم الحقيقة سوى الله ، فاليه وحده يجب أن أتوسل ، ومنه وحده ينبغي ان انتظر الرحمة . »

ولم يعد يكتب للقيصر ملتمسات ، وودع كل امل ، وانصرف الى الصلاة لله والدعاء .

وقضى على اكسيونوف بان يُساط ، وان يرسل للعمل في المناجم . ومن ثم جلد بسوط معقود الطرف ، حتى اذا اندملت الجراح التي احدثتها العقدة ، سيق مع غيره الى سيبريا .

★★★

خمسا وعشرين سنة عاشها اكسيونوف في سيبريا سجينا .. وحال شعره فاصبح في بياض الثلج ، واستطالت لحيته ورقت ، ودب فيهما المشيب . وفارقه كل مرحه ، وانحنى ظهره ، وصار يمشي وئيدا ، ويقل من الكلام ، ولا يضحك اطلاقا .. دائما كان يعكف على الصلاة .

وتعلم في السجن صناعة النعال ، وكسب من ورائها نزرا من المال ابتاع به كتاب « اسير القديسين » ، فاقبل يقراه كلما كان في السجن ضوء كاف .. وبات يقرأ الدروس الدينية — في كنيسة السجن — في أيام الاحد ، وينشد مع المترنمين. واحبته سلطات السجن لانصياعه ، كما اكتسب احترام زملائه من المسجونين ، فاطلقوا عليه « الجد » و « القديس » . وعندما كانوا يتفقون رفع ملتمس الى السلطات بصدد أمر من الامور ، كانوا ينيبون عنهم اكسيونوف .. وعندما كان الشجار يدب بينهم ، كانوا يسعون اليه ليصلح بينهم ، وليحكم فيما اثار خلافهم .

ولم يكن اكسيونوف يتلقى أنباء من أسرته حتى انه لم يعد يعرف مصير زوجته وأطفاله .

★★★

وفي ذات يوم ، وصلت دفعة جديدة من المحكوم عليهم الى السجن . فلما كان المساء ، اجتمع المسجونون حول القادمين ، وراحوا يسألونهم عن

المدن والقرى التي جاءوا منها ، وعما أدينوا به . وجلس اكسيونوف بين زملائه ، على مقربة من الوافدين ، وراح ينصت لما كان يقال،وهو كسيف.

واخذ رجل من المسجونين الجدد ـ طويل القامة ، قوى ، فى الستين من عمره ، ذو لحية شيباء قصيرة الشعر ـ يروى للآخرين ما أدين به ، قائلا : « الواقع يا صحاب انى لم افعل سوى أن أخذت جوادا ، كان مشدودا الى زحافة، فقبض عليّ ، واتهمت بالسرقة . وقلت انني ما اخذته الا لأبلغ دارى بسرعة ، ثم أطلقه .. الى جانب ان الحوذى كان من أصدقائى » . وعلى هذا قلت : « لا جرم هناك » ، فقالوا : كلا بل انك سرقته . « ولكنهم لم يستطيعوا أن يحددوا كيف سرقته ولا اين . والواقع انني ارتكبت جرما حقيقيا ذات مرة وكنت جديرا بأن آتى الى هنا منذ زمن طويل ، ولكن أمرى لم يكتشف فى تلك المرة . وها انذا أرسل اليوم الى هنا لغير ما جرم .. ولكن « انني اكذب عليكم ، فقد وفدت على سيبريا من قبل ،بيد انني لم أمكث طويلا ».

وساله احدهم : « ومن أين جئت ؟ » .

ـ من فلاديمير . فان اسرتي من هذه المدينة . واسمى « مقار » كما انهم ينادونني باسم « سيميو نيتش » .

وهنا رفع اكسيونوف راسه ، وقال : « قل لى يا سيميونيتش ، أتعرف شيئا عن آل اكسيونوف التجار فى فلاديمير ؟ .. اما زالوا أحياء ؟ » .

ـ اعرفهم .. اجل ، بلا شك . انهم اغنياء ، وان كان ابوهم فى سيبريا ، آثما مثلنا فيما يظهر . ولكن، كيف جئت أنت الى هنا،ايها الجد ؟

ولم يكن اكسيونوف ميالا للحديث عن سوء حظه . لذلك اكتفى بان تنهد وقال : « لقد مكثت هنا ستا وعشرين سنة ، جزاء ذنوبى » .

فتساءل مقار سيميونيتش : « وما هي هذه الذنوب ؟ » .

فلم يجب اكسيونوف باكثر من : « لا باس .. لا بد انني كنت استحق ما اصابني » . وابى أن يزيد ، ولكن زملاءه رووا للقادمين الجدد كيف قدر لاكسيونوف ان يكون فى سيبريا .. وكيف ان شخصا ما قتل تاجرا ، ودس السكين فى امتعة اكسيونوف ، فقضى على هذا ظلما .

واذ سمع مقار سيميونيتش هذا ، حملق فى اكسيونوف ، ثم دق ركبته بقبضته وهتف : عجبا !.. ما اغرب هذا !.. ما اعجبه حقا ! ولكن، كيف هرمت الى هذا الحد يا جداه ؟ » .

وساله الآخرون عن سر عجبه ودهشته ، وعما اذا كان قد رأى اكسيونوف من قبل ، فلم يرد ، وانما اكتفى بان قال : من العجيب أن نلتقى هنا .

★ ★ ★

وحملت هذه الكلمات اكسيونوف على أن يسأل نفسه عما اذا كان هذا الرجل يعرف قاتل التاجر . ومن ثم قال : « لعلك سمعت عن هذه القضية يا سيميونيتش ، او ربما كنت قد رأيتني من قبل ؟ ..»

ـ وكيف كان بوسعى أن لا أسمع ؟..ان الدنيا مليئة بالاقاويل والشائعات . على أن هذا كان من زمن بعيد ، وقد نسيت ما سمعت .

فساله اكسيونوف : « عسى أن تكون قد سمعت عمن قتل التاجر ؟ »

فضحك مقار سيميونيتش قائلا : « لا بد ان القاتل هو الذى وجدت السكين فى متاعه !.. فاذا كان غيره قد دس السكين فى متاعه ، فليس لصا الا اذا انكشف أمره ، كما يقال عادة .. اذ كيف كان لامرىء أن يدس سكينا فى متاعك ، وهو قد كان تحت رأسك ؟ يقينا ان هذا كان خليقا بان يوقظك»

وما أن سمع اكسيونوف هذه الكلمات ، حتى ايقن ممن قتل التاجر . فنهض منصرفا عن القوم. وظل طيلة ليله مسهدا ، وقد طغت عليه شقوة اليمة ، وتواردت على خاطره كل الرؤى والاخيلة ..تمثل زوجته كما فارقها ليذهب الى السوق.. تمثلها كما لو كانت حاضرة ، وتراءى لعينيه وجهها وعيناها ، وسمع حديثها وضحكها . ثم تمثل أولاده ، صغارا كما كانوا فى ذلك الحين ـ وأحدهم يرتدى معطفا صغيرا .. وآخر على ثدى امه . ثم تمثل نفسه كما كان .. شابا ، موفور المرح . وتذكر كيف كان يعزف على القيثارة فى شرفة الخان ، عندما القى القبض عليه .. وكيف انه لم يكن يحمل هما . واستعرض ـ فى ذاكرته ـ المكان الذى جلد فيه ، ومنفذ الحكم ، والقوم الذين كانوا يشاهدون الجلد .. والاغلال .. والمساجين . والسنوات الست والعشرين التى عاشها فى السجن ، والشيخوخة المبكرة التى دهمته .

وثقل على نفسه التفكير فى كل هذا ، حتى لقد استحب أن يقتل نفسه .

وقال فى سريرته : « وقد كان كل ذلك من فعل هذا الشرير ! » واشتد سخطه على « مقار

سيميونيتش » حتى لقد تاقت نفسه الى الانتقام ، ولو هلك فى سبيله . فراح يصلى طيلة الليل ، بيد أن نفسه لم تهدأ .

وفى اليوم التالى ، لم يقترب من مقار سيميونيتش ، ولم يرفع بصره اليه .

وانقضى اسبوعان على هذه الحال ، واكسيونوف لا يعرف للنوم مذاقا فى الليل ، وقد اشتد به الشقاء ، حتى أنه لم يعد يعرف ما ينبغى أن يفعل.

وفى ذات ليلة ، كان يجوس خلال السجن ، فلاحظ ترابا ينحدر اليه من تحت رف مما كان المسجونون ينامون عليه . فتوقف ليرى جلية الأمر . وفجأة ، زحف « مقار سيميونيتش » من تحت الرف ، وتطلع الى اكسيونوف بوجه تبدى عليه الفزع . وحاول اكسيونوف أن يستأنف سيره دون أن ينظر اليه ، ولكن مقار أمسك بيده ، وأخبره بأنه قد حفر نفقا تحت الجدار ، وكان يتخلص من التراب بوضعه فى حذاءيه ذوى

الرقبتين العاليتين ، ثم يفرغهما ـ كل يوم ـ في الطريق ، عندمـــا كان المسجونون يساقون الى حيث يعملون .

واردف الرجل قائلا : « اكتم الأمر أيها الشيخ، تخرج معي . أما اذا اطلقت لسانك ، فســوف يسوطونني حتى أموت، ولكني ساقتلك قبل ذلك».

واخذ اكسيونوف يرتجف غضبا ، وهو ينظر الى عدوه . ثم سحب يده ، قائلا : لا رغبة بي في الفرار ، ولا حاجة بك الى أن تقتلني ، فانك قــد قتلتني منذ أمد طويل !.. أما ان أشي بك ، فهذا أمر قد افعله ، وقد لا افعله ، وفقا لما يرشدني اليه الله » .

وعندما اقتيد المسجونون الى العمل ، في اليوم التالي ، لاحظ الجنود الحراس أن شخصا قــد افرغ ترابا من حذاءيه . وفتشوا السجن ، فلم يلبثوا أن وجدوا النفق . واقبل حاكم السجن وسأل كل المسجونين ، ليتبين من منهم الذي حفر النفق . وانكروا جميعا كل معرفة بالأمر . بل ان منهم من كانوا مطلعين على الأمر ، ولكنهم لــم يشاءوا أن يشوا بمقار سيميونيتش ، اذ كانوا يدرون أن مصيره أن يجلد حتى الموت تقريبا . وتحول الحاكم أخيرا الى اكسيونوف ، وقد كان يعرفه مستقيما ، فقال له : « انك شيخ صادق فقل لي،وليكن الله شاهدا،من الذي حفر النفق؟».

وكان مقار سيميونيتش يقف هادئا ، وكان الأمر لا يهمه في شيء ، وقد راح ينظر الى الحاكم ولا يكاد يلتفت الى اكسيونوف ، الذي راحت شفتاه ويداه ترتعد ، وظل طويلا لا ينبس ببنت شفة . ومضى يقول في نفسه : « لماذا أتستر عليه ، وهو الذي أفسد حياتي ؟.. ليدفع جزاء ما تعذبت.. ولكن .. لو انني فضحته ، فقد يسوطونه حتى تفارق الحياة جسمه تقريبـا ، ولعلني قد ارتبت فيه عن خطأ..ثم،أية جدوى تعود عليّ من ذلك ؟».

وعاد الحاكم يكرر : « هيا أيها الشيخ . نبئني بالحقيقة ..من الذي كان يحفر تحت الجدار ؟».. ونظر اكسيونوف الى مقار سيميونيتش ، ثم قـــال : « ليس بوسعي أن انبئـك يا صاحب الفخامة . ان الله لا يشاء ان اخبرك ، فافعل بي ما تشاء ، وأنا بين يديك » .

وبرغم محاولات الحاكم ، لم يشأ اكسيونوف ان يزيد على ما قال.فانتهى الأمر عند هذا الحد.

وفي تلك الليلة ، كان اكسيونوف مستلقيا على فراشه ، وقــد بدا يغفو ، واذا بشخص يسعى اليه في هدوء ، فيجلس على السرير . وتفرس في الظلام ، فتبين مقار سيميونيتش في هذا القادم .

وتساءل اكسيونوف : « أي شيء آخر تبتغي مني ؟ .. لماذا جئتني ؟ » .

وظــل مقار سيميونيتش لائــذا بالصمت ، فاستوى اكسيونوف جالسا في الفراش ، وقال :

« ماذا تريد ؟..انصرف والا ناديت الحراس».

فانحنى مقــار سيميونيتش عليه ، وهمس : « اغفر لي ، يا ايفان دميتريتش » .

فساله اكسيونوف : « ما الذي اغفره لك » .

ـ انا الذي قتلت التاجر ، واخفيت السكين بين أمتعتك . وكنت أعتزم أن اقتلك انت الآخر ، ولكني سمعت صوتا في الخارج، فدسست السكين في متاعك ولذت بالفرار خلال النافذة .

وتشبث اكسيونوف بالصمت ، اذ لم يدر ما ينبغي أن يقول . وانزلق مقار سيميونيتش عــن السرير ، فجثا على الأرض ، وهتف : « سامحني يا ايفان دميتريتش !.. أغفر لي محبة في الله !.. اصفح عني . لسوف أعترف بانني قاتل التاجر ، وسيطلق سراحك لتعود الى دارك واهلك » .

فقال اكسيونوف : « ما أسهل الكلام ، ولكن.. لقد تعذبت بسببك ستا وعشرين سنة ، فالى أين اذهب الآن ؟.. لقــــد توفيت زوجتي ونسيني اولادي ، وما من مكان ألجأ اليه ...» .

ولم ينهض مقار سيميونيتش ، بل دق راسه بالأرض،ندما،وقال:«اغفر لي،يا ايفان دميتريتش!.. لقد كان الجلد بالسوط المعقــود الطرف أيسر احتمالا من رؤيتك الآن ... ومع ما فعلته بك ، فانك أشفقت عليّ ، ولم تش بي . الا اصفـح عني بحق المسيح ، فاني تعس شقي ! » .

وشرع ينتحب . فلما سمع اكسيونوف نحيبه ، أخذ يبكي هو الآخر ، وقال : « لسوف يغفر الله لك . لعلني أسوأ منك مائة مرة ! » . وانزاح حمل ثقيل عن قلبه ، حين نطق بهذه الكلمات ، وفارقه الحنين الى داره ، ولم تعد له أدنى رغبة في مغادرة السجن ، ولا عاد له من أمل سوى أن تحين ساعته الأخيرة .

على أن مقار سيميونيتش اعترف برغم ما قال اكسيونوف .

وعندما صدر الأمر باطلاق سراح اكسيونوف ، كان قد فارق الحياة ! ■■

ترجمة محمد بدر الدين خليل

مريانا مراش

١٨٤٨ ـ ١٩١٩

بقلم : سامى الكيالى

■ حين اذكر مريانا مراش اذكر تلك الفترة الغامضة من الحياة الأدبية التى عرفتها حلب والتى كانت تضم صفوة من الاعلام فى طليعتهم رزق الله حسون، وجبرائيل الدلال ، وعبد الرحمن الكواكبى ، والشيخ كامل الغزى ، وعبد المسيح الأنطاكى ، وقسطاكى الحمصى ، وغيرهم من الأدباء والشعراء .

فقد كانت هواية الأدب تجمع بينهم وتؤلف بين قلوبهم برباط من الود وثيق .. فلا يكاد احدهم ينظم قصيدة ، أو يكتب مقالة او ينشىء مقامة حتى يبحث عن صديق اديب تتجاوب نفسه معه .

وكثيرا ما كانوا يلتقون فى منازل بعضهم يتناشدون الشعر وينثرون النكات ، ويتحدثون هذه الأحاديث التى تمسُّ المعدة والمجتمع .. فاذا تجاوزت هذه الأحاديث انباء السياسة كانت تعليقاتهم مهموسة وفى جو الخوف والذعر ، اذ لم يكن العهد الحميدى الذى نشأوا فى ظلاله ليسمح لهم أن يتحدثوا هذه الأحاديث بروح منطلقة .

فى تلك الفترة نشأت مريانا مراش .

وكان بيت ابيها من البيوتات العريقة التى لها مشاركة بحياة الفكر والأدب .

وكان لأخويها فرنسيس وعبد الله ، والأول شاعر طبيب والثانى تاجر أديب، اثرهما غير المنكور فى توجيهها نحو حياة الفكر ..

فبعد أن اتمت دراستها الابتدائية فى مدرسة مار يوسف ـ وكانت قد دخلت المدرسة المارونية فى الخامسة من عمرها ـ انتقلت الى المدرسة الانجليزية فى بيروت التى انشأها الدكتوران أدى وورتبات ، فدرست فيهما مبادىء اللغة العربية والحساب وبعض العلوم ، وفى الخامسة عشرة من عمرها أخذ ابوها يعلمها الصرف والنحو والعروض ، ثم تتلمذت على أخويها اللذين أشربا قلبها حب الأدب ، فحفظت فى بدء نشأتها الأدبية الكثير من شعر سلطان العاشقين عمر بن الفارض .

الفارض والبيوت الحلبية

وكان شعره الوجدى قد غزا البيوت الحلبية فما من بيت الا وقد حفظ بعض افراده أكثر قصائد هذا الشاعر المتصوف .

ولا اعلل الأسباب بل اروى اطيافا من واقع تاريخنا القريب .. ففي بيتنا كانت عمتي تحفظ ديوان ابن الفارض كله مع انها امراة امية لا تقرا ولا تكتب. وحين سألتها كيف اتيح لها حفظ هذه القصائد التي تربو ابياتها على الثلاثة آلاف بيت قالت :

كان ابوك يحفظ شعر ابن الفارض في سويعات فراغه ، وكنت انصت اليه باهتمام وانا ملمومة على نفسي في زاوية البيت فلا يكاد يتم حفظها حتى اكون قد حفظتها معه . وحين اعيد ترتيلها على مسمع من اذن جدك كان يبارك طفولتنا دون أن يثيره العجب ! ..

الشعراء العذريون

ومريانا مراش كغيرها من السيدات الحلبيات ممن حفظن الكثير من شعر ابن الفارض، وكان للشعراء العذريين اثرهم في نفسها ..

وكما احبت شعر ابن الفارض وامام الغزليين عمر بن ابى ربيعة تعلقت بشعر لامارتين ودى موسيه .

كانت ترى في تعبير أولئك الشعراء عن وجدهم وحبهم وشعورهم واحاسيسهم اثارة لوجدها وحبها وشعورها واحاسيسها ..

وهي فتاة في رونق الصبا .. كانت تمر ايام صباها بهذا الجو من الشعر والموسيقى والجمال .

ملاحتها وسحر جاذبيتها

وعرف أدباء تلك الفترة وهم يترددون على بيت ابيها ، ما ينبض به قلب مريانا من حب للأدب ، وميل الى قول الشعر الى ولع بالموسيقى ، فاحبوا فيها هذه الخصائص .

وكانت ملاحتها وسحر جاذبيتها بدات تجتذبهم .

وليس كالاديب انسان يعشق الجمال ويحترق في سنا اضوائه ..

فاذا اقترن الجمال بالجاذبية ، وكان من جملة عناصره الأدب والشعر والموسيقى والذكاء والانطلاق ـ كان كان ذلك مدعاة لأن ترقص النفوس على مباهجه واضوائه .

صالونها الأدبي

نعم ، في بيت مريانا مراش كان يجتمع ادباء تلك الفترة ، وربما كان بيتها أول صالون ادبي عرف في الشرق العربي ، فكانت تعقد الاجتماعات وتطول السهرات ، وتثور المناقشات ، وتكثر المواجيد والمطارحات .

ففي زاوية من زوايا بيتها كانت تتنزل ربة الالهام على قريحة اللغوى الشاعر قسطاكي الحمصي فيكتب الى نسيبه الشاعر جبرائيل دلال المقيم في باريس قصيدة يبثه فيها عواطفه ويبلغه شوقه ، ويحدثه عن معابثات اخوانه ويشير الى « المآكل الحلبية» التي تتفنن مريانا في صفها لهم .

وتثير هذه المقطوعة الشعرية قريحة الدلال فيجيبه بقصيدة طويلة يشكره فيها على عواطفه ، ويصف شوقه الى حلب ، ويتنكر لأولئك الذين اكل الحسد قلوبهم فلم يعرفوا فضله ، ويقايس بين مآكل حلب الدسمة ومآكل باريس الشهية ـ اى شتى مآكلها المادية والمعنوية ـ ثم يمدح صفات مريانا ويشيد بنبوغها ، والقصيدة طويلة اجتزىء منها قوله :

واذا لم يكن هنا غير ان الـ
حرّ فيها يعيش دون منازَعْ
فهو يكفي لقلبى وان سا
لت على غربتى غروب المدامعْ

ويقول :

لا ولا اشتهى سواكم ولا ار
غب فيها من بعد تلك الوقائعْ
غير قرب الفريدة اللطف ذات الـ
صون والحسن والذكا والبدائع
ربة الفضل والفضائل « مريا
نا » التى ذكرها يسرُّ المسامع

والتـي زانهـا الكمـال اذا زا
ن سواها الحلى وسدل البراقـع

هذه المطارحات الأدبية كانت تـدور فى ظلال السهرات الماتعة التى تعقد فى بيت مريانا مراش . ونحن نعلـم ان صالونات الأدب التى ترعاها السيدات المترفات والأديبات الموهوبات تصبـح ملتقى كبار الرجال من ادباء وشعراء وساسة ومفكرين . ولن أتحدث عـن صالونات الأدب فى الغـرب فحسبى الالماع الى الصالونات الأدبية فى شرقنا العربى - من صالون الأميرة فاطمـة اسماعيل الذي كان يضم اعلام مصر من محمد عبدة الى قاسم أمين الى سـعد زغلول الى غيرهـم من الافذاذ ، الى صالون هدى شعراوى زعيمة الحركة النسائية فى الشرق العربى ، الى صالون اديبة العـرب الآنسة مي حيث كان يجتمع فى صالونها كل يوم ثلاثاء اكابر أدباء العرب وشعراؤهم والصفوة المختارة من القضاة والساسة والصحفيين ..

ولا عليّ ان اقول ان مريانـا مراش كانت أول اديبة عربيـة فتحت بيتها لاستقبال الأدباء ، مـع ان العصر الذى عاشت فى ظلاله كان عصر تزمت وتقاليد .

أول أديبة كتبت فى الصحف

كما انها أول أديبة سورية كتبت فى الصحف كما روى الفيكونت دى طرازى صاحب كتاب «تاريخ الصحافة العربية» ففى عام ١٨٧٠ نشرت عـدة مقالات فى مجلة « الجنان » ، وفى جريدة « لسـان الحال » وفى غيرهما من صحف ومجلات بيروت ، فمن مقالاتها مقال عنوانه «جنون القلم » شكت فيه حال انحطاط الكتاب وحرصت على تحسين الانشاء ، وترقية الموضوعات والتفنن فيها . وقد افادت أيما افادة من اختلاطها بأدباء عصرهـا فنهجت نهجهم وسارت على غرارهم ، كما احتذت أساليب الشعراء ايضـا فنظمت قصائد ومقطوعات من الشـعر الوجـدى ، مدحت ورثت ، وصفت وتغزلت ، ولم يكن بيتهـا ملتقى الأدباء والشعراء فحسب بل كان يؤمه رجـال الحكم ورجال السلك السياسى، فمدحت والى حلب آنئذ جميل باشا - ذلك الرجل العمرانى الذى كان اول مـن اسس المدارس المدنية فى حلب من ابتدائيـة واعدادية - وكانت محرومة من المدارس المدنيـة وليس فيها سوى الكتاتيب والمدارس الدينيـة الاسلامية وبعض الارساليات الاجنبية - بل انه أول من وسع الجواد وافتتح الشوارع - مدحت هذا الرجل كما مدحت غيره من رجال السلك السياسى ، وكانت لزمنها مـن الشاعرات المشهورات ، فـاذا ذكرت عائشة التيمورية فى مصر،ووردة اليازجى ووردة الترك فى لبنان ، ذكرت مريانـا مراش فى سورية .

بنت فكر

وقـد جمعت مريانا قصائدهـا ومقطوعاتها الشعرية فى ديوان بعنـوان « بنت فكر » وهو يضم قصائد المـدح وقصائد الوجد والحكم والرثاء ،وشعرها الوجدى ينم عن احساس عميق وشعور متقد . وقصائدهـا الحكمية تدل على انهـا عاشت تجارب الحياة بعقل كبير وفؤاد بصير .. فمن منظوماتها الحكمية قولها :

شرف الفتى عقـل له يسمو على
كل الورى فينـال غايات المنى
وكذلك حسن الخلق فخر مسوّد
متسربل بالعطف نعـم المقتنى
والمـرء ان شهدت له افعـاله
بالفضل والآداب يكتسب الثنـا
ما كل من طلب الكرامة نالهـا
من رام صيد الظبي حل به العنا
ذو المـال يذهب ذكره مع مـاله
لكن ذكـر الفاضلين بلا فنـا

ورثاؤها لأخيهـا فرانسيس مراش وهو الشاعر الأديب والعالم الطبيب الذى كان أسبق مـن شبلي شميّل وسلامة موسى واسماعيـل مظهر فى

الدعوة الى مذهب النشوء والارتقاء ـ اقول ان رثاءها لأخيها قطعة جمر من كبد محروقة . وكأنها الخنساء ترثى اخاها صخرا .. فقد اسودت الدنيا في عينيها وعبرت اصدق تعبير عن حالتها النفسية ، تقول في رثائه :

مالي ارى اعين الأزهار قد ذبلت
ومال غصن صباها من ذ َرَى الشجر
مالى أرى الروض مكمودا وفى كرب
والماء فى انّة ، والجو فى كدر

والقصيدة طويلة ،فبعد ان تعدد مآثره وتندب فضائله تقول :

هذا الذى جابت الأقطار شهرته
قد صار مطّرحا فى أضيق الحفر
خنساء صخر بكته حينما نظرت
اليه مُلقىً بلا سمع ولا بصر
اقلام أهل النهى ترثيه والأسفى
هل عاد من عودة يا مفرد البشر
مذ غاب شخصك هذا اليوم عن نظرى
جادت عيوني بدمع سال كالمطر
فيا لدهر خؤون لا ذمام له
قد راش سهما أصاب الفضل بالقدر
فحزن يعقوب لا يكفى لندبك يا
ندبا تفرد بالأجيال والعصر
ويلاه من حزن قلب نال غايته
مذ واصل القلب فى غم مدى الدهر
فى لجة الحزن نفسى ضاق مسكنها
من ذا يسلي فؤادي؟ قل: مصطبرى

واكتفى بهذا المقدار من شعرها وهو يعطينا صورة صادقة عن ادبها ـ أدب عصرها الذى كان تعيش اخيلته فى هذه الأجواء !

مريانا ومي

عاشت مريانا مراش حياتها فى جو من النغم والالم ، عاشت مع الأدباء والشعراء ورجال الفن ، وقرات ما كتبه ادباء الافرنسيين وأدباء العرب فتكون عندها ثقافة تجمع بين القديم والحديث. وكانت تأنس الى هذه الأجواء التي تغمرها انغام الموسيقى ونفحات الأدب. يقول قسطاكى الحمصى احد معاصريها :

« كانت مريانا مليحة القد ، رقيقة الشمائل ، عذبة المنطق ، فكهة الاخلاق، طيبة العشرة ، تميل الى المزاح ، حسنة الجملة ، عصبية المزاج ، وكان منزلها مثابة الفضلاء، وملتقى الظرفاء والنبهاء، وكان لنا عندها منزلة ترتد عنها أعين الحساد كليلة ، فسقيا لأيام الشباب . ومجالس الآداب والأحباب، ومساجلاتنا بالمحفوظ والبديه من الأشعار ، ورقصنا على العود والمزمار، وصوت بلبل ذلك العصر المدعو بالحجار (يريد باسيل حجار احد مطربي حلب المشهورين بجمال صوته وحفظه الادوار القديمة والتواشيح الاندلسية) . »

نعم ، كانت تأنس الى هذه الأجواء التي تغمرها انغام الموسيقي ونفحات الأدب ، وكانت حياتها شبيهة بحياة مي مع فارق الزمن فى ملابسات حياة العصر .. فتحت صالونها للرجال المرموقين ، كما قلت ، فكانوا يجدون عندها هذه النفحات التى تذهب عنهم سأم الحياة وضجر العمل ، كما فعلت مى تماما .

ومن المفارقات الغريبة ان يتمكن الداء العصبى من الاثنتين فى اخريات حياتهما ، وكانتا كلتاهما عصبية المزاج ، وقد يرجع هذا الى فرط حساسيتهما. ولئن كان الكبت الجنسي هو الذى أورث ميا هذا الداء ، فما كانت مريانا كمى ، ولا سيما وقد ركبها الداء العصبى وهى متزوجة ولها اولاد .

اكان فرط الحساسية عند مريانا اكثر منه عند مى ؟

لا اعلم .. وهذا موضوع أدخل منه فى علم الطب منه فى عالم الأدب .ولست طبيبا لأبحث هذه الناحية الفسيولوجية، وكل ما اريد ان اقوله انها كانت اديبة عصرها فى تلك الفترة من الزمن حيث الجهالة طاغية ، كانت نجمة من نجوم الأدب المشعة فى سماء ذلك الليل البهيم.

■■

سامي الكيالى

كادى

قصة بقلم : ألفة ادلبى

■ كنا شلة من الاصدقاء اعتدنا ان نمضى السهرة كل يوم فى بيت واحد منا . وما ادرى كيف دار الحديث ذات مرة حتى انتهى الى معالجة ماساة عتيقة ما برحت تتكرر دائما ابدا فى كل طبقة من طبقات المجتمع ، وفى كل بلدة من بلدان العالم . ماساة الفتاة التى يغرر بها عشيقها فتستسلم اليه ، وقد اسكرها الهوى ، وطوح بها الحب ، فلا تصحو من سكرتها الا بعد ان تثمر الخطيئة . وقد يغدر بها الحبيب فيتخلى عنها ، ويتركها وحدها تكافح بلا نصير ، بعد ان ينبذها المجتمع ويتنكر لها الاهل والاصدقاء .

ويحتدم الجدل حول الموضوع الازلى ، وكيف يجب ان يكون موقف المجتمع من الضحية ؟ فتروى لنا احداهن الحكاية التالية :

كنت ايام دراستى فى باريز نزيلة دار للطالبات الاجنبيات ، تشرف على ادارتها راهبات فرنسيات كن يسايرن روح العصر الحديث الى أبعد حد تسمح به تقاليد الرهبنة . ولعل احلى ما كان فى دار الطالبات هذه هو الجو الودى السائد بين الجميع على اختلاف اجناسهن ومللهن . ولا اكون مغالية اذا قلت لكم انه كان بيننا من جميع الالوان والعروق .

كانت الطالبة « كادى » احب الطالبات الى القلوب جميعا . هى زنجية ، فاحمة السواد ، ومن بلاد السنغال على ما اذكر . حلوة التقاطيع ، خفيفة الظل ، ذات عينين واسعتين مضيئتين ، تلمعان كماستين فى عتمة ، واسنان نضيدة ناصعة البياض ، تبرق دائما بين شفتيها المتلئتين ، فكادى كانت لا ترى ابدا ، الا ضاحكة او مبتسمة .

وان انسى لا انسى رقصات كادى التى كانت ترقصها لنا فى حفلات السمر التى تقيمها الدار بين كل حين وآخر .

كانت كادى ترتدى البستها الوطنية الزاهية المزركشة ، فتبدو كنصف عارية ، ويظهر لنا جمال جسمها البديع التكوين والذى يصلح نموذجا لرسام فنان ، ثم تدير كادى اسطوانة يضج منها قرع الطبول ، وتبدا رقصها الجنونى .. حتى ليخيل الينا احيانا ، اننا فى مجاهل افريقيا وقد برزت لنا جنية من جنيات الغاب .

ولعلكم تجهلون ، كما كنت اجهل انا ايضا ،

ان اسم « كادي » ما هو الا تصغير اسم «خديجة» كما اصطلح على لفظه السنغاليون . فكادي اذن فتاة مسلمة ، وكانت تنتمي الى اسرة عريقة في بلادها وغنية جدا .

ولكن حدث ما لم نستطع له تفسيرا . هو هذا التغير الذى طرا فجاة على كادي فاحالها فتاة اخرى لا عهد لنا بها . لقد انقلب مرحها كآبة ، فاصبحت لا ترى الا متجهمة الوجه ، كليلة العينين ، ساهمة ، شاردة ، تؤثر العزلة في غرفتها، فلا ترى بيننا الا في مواعيد الطعام . واذا سالتها احدانا ـ وقد تكون من اعز صديقاتها ـ عم اعتراها ؟ اجهشت كادي بالبكاء وتولت هاربة دون ان تجيب جوابا ! ..

وكان من تقاليد دار الطالبات ان تكلف بين حين وآخر احد القسس ليعظ البنات ويهديهن الى سبل الفضيلة والرشاد . وكانت الراهبات حريصات كل الحرص على ان تحضر الطالبات دون استثناء هذه المحاضرات التى يلقيها القس . وذات مرة كان موضوع العظة يدور حول هؤلاء الفتيات اللواتي يتبعن اهواءهن وهن لا يدركن انهن ينسجن ماساتهن .

وكان الواعظ قد اصطحب معه فلما سينمائيا عرضه علينا .. وكانت قصة الفيلم تدور حول صبية ريفية يغرر بها رسام شاب ، كان قد هبط قريتها ليرسم بعض مناظرها ، فتهرب معه الى باريز ، حيث يعيشان معا فترة ليست بالقصيرة . وكان الرسام قد اتخذ الفتاة نموذجا لصوره ، ثم تثمر الخطيئة فتطلب منه باصرار ان يتزوجا . فاذا هو يتنكر لها ، ويطردها من مرسمه بقسوة وفظاظة ، فتخرج منه محطمة يائسة ، تهيم في شوارع باريز ، ولا تجد لنفسها مخرجا . وعند المساء ينتهي المصير الى الانتحار فتلقى نفسها في نهر السين .

وكان المشهد مؤثرا جدا ، قد ابدعت الممثلة في تمثيله كل الابداع ولكن الذى افسد علينا روعة اللحظة الاخيرة هو صوت صرخة مدوية ارسلتها احدى الطالبات من الصفوف الاخيرة تبعها نشيج مكبوت . وقبل ان يضاء النور تقوم احدى الراهبات فتاخذ بيد الطالبة الباكية وتخرجها من الصالة قبل ان يراها احد .

واستطعت انا ان اتبين كادي وهي تخرج مع الراهبة ، فعرفتها رغم الظلام ، فقد دلني عليها قوامها الفارع . ويبتدىء الهمس بين الطالبات ..

كان واضحا لدى الجميع ان الفتاة التى صرخت قد تاثرت بالمشهد تاثرا بليغا ، لانها مرت او تمر الآن بماساة كالتى تشاهدها تمثل امامها على الشاشة .

بعد الفيلم آويت الى غرفتي لانني كنت تعبة قلقة . ولما انتصف الليل وهدأ ضجيج الدار ، تناهى الى سمعي نشيج عميق قدرت انه يأتيني من غرفة كادي التى يفصلني عنها جدار رقيق . فقمت من فوري وطرقت بابها ، ففتحت لي ونظرت الى بعينين دامعتين ، واخذتني من يدي وادخلتني غرفتها وجلسنا معا على حافة سريرها . شعرت انها ارتاحت لمجيئي ، وقبل ان اسالها شيئا قالت لي :

ما اجمل مجيئك الي في هذه الساعة ... انا بحاجة الى من افضي اليها بالسر الذى يعذبني ، عساك تجدين لي مخرجا ، او تشجعيني على ما انوي القيام به . وراحت تبكي بدموع غزيرة ، كنت أهدهدها واحاول تهدئتها فما افلح .

كان سكون الليل ، والضوء الخافت في غرفة الطالبة كادي ، ولونها الاسود القاتم ، ونشيجها المرير يضفي علينا جوا كئيبا يقبض النفس ، وينطبع في الذاكرة فما ينمحي ابدا .. وبعد ان هدات كادي قليلا راحت تروى لي ماساتها :

ماتت امي وانا طفلة صغيرة . وكان ابي قاسي القلب حاد الطبع ، تزوج بعد موت امي بقليل وانصرف لزوجه الشابة . ولم يكن لي سوى اخ واحد يكبرني بعدة سنوات ، فكان يدللني ، ويعنى بي كثيرا ، فاجد عنده ما فاتني من حنان الام ، ورعاية الاب ، ولما اتم دراسته الثانوية ارسله ابي الى فرنسا ليدرس الطب ، فاستولى عليّ حزن شديد لفراقه ، وشعرت بوحشة وانا في بيتي وبين اهلي . وما لبثت ان وجدتني وكانني غريبة منبوذة في بيت ابي ..

وبعد سفر اخي بقليل خطبني شيخ غني له ثلاث زوجات ، ولم يرزق ولدا ، وله من العمر سبعون عاما ، وانا لم اتجاوز السابعة عشرة من عمري . وكان الشيخ يمت بصلة القرابة الى زوجة

ابى ، فرض ابى ان يزوجنى منـه . ورفضت وتمنعت ، ولكنه لم يابه لى ابدا .. ويحدد موعد القران فاكتب الى اخى استنجد به . ويستنكر اخى الامر ويستكبره ، ويكتب الى ابى كتابا عنيفا يحذره من الوقوع فى مثل هذا الاثم . ولم يجد الكتاب نفعا ، بل زاد ابى عنادا وتمسكا برايه .. واعاود الكتابة الى اخى .. فما كان منه الا ان كتب الى صديق له فى بلدنا يثق به كثيرا ، وكان الصديق على اهبة السفر الى فرنسا ليتم دراسته فيها ايضا . ورجاه اخى ان يهربنى من بيت ابى ويهيىء لى جواز سفر ويصطحبنى معه الى فرنسا. ويقوم الصديق بما يعهد اليه خير قيام . وكان هربى قبل موعد حفلة القران بيوم واحد . ونركب الباخرة ونمضى عليها اياما حلوة ، لعلها اجمل ايام حياتى . كنت كالعصفور الذى ينطلق من القفص الضيق الى الفضاء الرحب . فكنت لا أكف عن الرقص والغناء والضحك . وكان طبيعيا جدا ان يدهمنى الحب بعد هذا الكبت الذى عانيته طويلا.

ومن اولى بحبى من هذا الصديق الذى اراه الى جانبى لا يفارقنى ابدا ،ينظر الى بوله ، وقد تطوع لانقاذى ، وراح يغمرنى بحنانه ورعايته . فكان ان اندفعنا بالحب ، وتعاهدنا على الزواج . ونصل فرنسا ، ويفرح اخى بمجيئى كثيرا . وكان يدرس فى جامعة « مونبيليه » بينما كان صديقه يدرس فى « باريز » ويقترح الصديق على اخى ان ادرس فى باريز ، وان اسكن دار الطالبات هذه . ويقبل اخى الاقتراح . ويصبح من السهل علينا ان نجتمع كلما حلا لنا ذلك ، ونلهو كما نشاء ويشاء لنا الهوى ..

ومنذ شهرين تبين لي انني حامل ، ويتملكني الذعر ، واذهب اليه مرتاعة اخبره بالأمره ، فما كان منه الا ان أخذني بين ذراعيه ، وراح يقبلني ، والفرح يغمر اساريره ، ويقول لي عاتبا :

ما كنت أحسب انك تبكين اذا أثمر حبنا .. الأمر أيسر بكثير مما تتوهمين. سأذهب انا وانت فى عطلة الأسبوع الى اخيك فى مونبيليه ، واخطبك منه ، ثم نعلن زواجنا ، وانا على يقين انه لن يرفض طلبى ابدا . واذا رفض ، وهذا ما استبعده كثيرا سنعترف له بكل شىء وسنجعله تجاه أمر واقع ـ قلت :

ولكني اخاف من اخي . ويربت كتفي ويقول :

أو تخافين وانا الى جانبك ؟؟

وتقول كادى ، والدموع تنهمر من عينيها :

ارأيت انه لم يغدر بى ابدا ، كان شريفا ، ولكن

الأقدار هي التى غدرت بى .. لقد مات حبيبى قبل نهاية الاسبوع .. قبل ان نذهب الى اخى .. توقف قلبه فجاة !! .. وكان موته بالسكتة القلبية كما أيد ذلك تقرير الطبيب .. من يصدق ان شابا قويا في عنفوان شبابه يموت هكذا في طرفة عين ، دون اى سبب ؟؟ وتكبر عليّ المصيبة ، فيتسينى موته نفسى ، والجنين الذى ينمو في احشائي ! .. ولكن اول البارحة وردتنى رسالة من اخى يعترف لي بان ابى كان قد قطع عنا المال منذ هربت الى فرنسا ، انتقاما منه ومنى .. وان صديقه الراحل الغالى كان هو الذى يمدنا بالمال بما يرسله اليه اهله ، وهم اغنياء جدا ، وقد اتفق مع اخى أن يكتما عنى هذا الأمر كي لا أهتم واتالم. واصبح اخى الآن يستطيع ان يستمر في دراسته التى شارفت على النهاية ، فكتب الى ابى يستعطفه ، ويرضى ابى ويعفو عنى على شرط ان يعيدنى اليه ، وهو يعد بأن لا يتعرض لأمر زواجي ما لم يوافق أخى عليه ، فيجب علي اذن أن أعود .. وكيف استطيع العودة وأنا حامل ؟؟ ..

قلت لها : ليس امامك سوى أن تتخلصي من الجنين في اسرع ما يمكن . قالت مذعورة : هذه جريمة كبرى لن أقدم عليها أبدا .. كيف يجوز لي أن اقتل ابنه في احشائى ؟! ابن من احبنى ، وضحى من أجلى ، وثقي ان لا شيء يخفف عليه ، ويحبب اليّ الحياة كما اذا استطعت ان الد هذا الجنين ، واكرس حياتى كلها للعناية به ..

قلت : اعترفي لأخيك ، ربما استطاع أن ينقذك مما أنت فيه .

قالت : ماذا تقولين ؟ أمجنونة انت ؟ اعوذ بالله ! لا شك انه يقتلنى .. وما يخيفنى القتل ابدا ، ولكننى اشفق على أخى ، ويصعب عليّ أن أجره الى مثل هذا الاثم .. وان أسبب له الما وحزنا ربما لا يستطيع أن يتخلص منهما طول حياته ، كما لا اريد ان أخيب ظنه في صديقه الذى كان يحبه ، ويثق به فيحسب انه كان يدفع ثمن شرف اخته . لا لا .. لن أفعل ذلك ابدا ، معاذ الله ..

وتفكر قليلا ثم تقول لم يبق امامى الا حل واحد .. هو الحل الذى انتهت اليه فتاة القلم ..

ويهولني ما أرى على وجهها من علائم التصميم والجد ، ولم أعد أعرف كيف اتصرف معها ، وبماذا اشير عليها ! .. ثم قلت لها :

هذه هى الجريمة الكبرى ، فاياك ان تقدمي عليها ، خير لك أن تعترفي لرئيسة الراهبات وهى كما تعلمين طيبة رحيمة ، ربما استطاعت انقاذك بما لم يخطر ببالنا انا وانت ..

قالت : سالجأ اليها منذ الصباح ..

ولبثت هادئة تفكر ، ثم راحت توهمنى بان النعاس يسيطر عليها ، فعرضت عليها أن ننام معا في سريرها ، فلم تقبل ، ومانعت بشدة خوفا من ازعاجي . وعدت الى غرفتى محطمة النفس ، افكر بهذه المسكينة وماذا يمكننى أن أعمل من اجلها ؟ ولا أدرى كيف غلبنى النوم قبيل الفجر ، فسهوت قليلا . واذا احدى الطالبات توقظنى في الصباح الباكر وتحمل اليّ الخبر المريع :

- لقد انتحرت كادى بان ألقت بنفسها من الطابق السادس الى الأرض .

ويعم الحزن الدار باجمعها ، كل واحدة منا كانت تشعر انها هى وحدها قد فقدت كادى ..

وان انسى لا انسى اخاها يوم جاء الدار لياخذ اشياء اخته ، وقد تركت له كلمتين فقط :

اخي الحبيب . لقد فضلت الموت على العودة .

كان المسكين يبكي بلوعة ويقول لنا :

اتعرفين انني أنا الذى قتلت صديقتكن كادى ؟!! قتلتها لانى اجبرتها على العودة الى حيث لا تريد ! ... انا والله قتلتها ! ...

ويخطر لي ان اريح ضمير الرجل الذى بدا لي انه يتعذب كثيرا ، فابوح اليه بما اعرف من سر اخته ، وسبب انتحارها ..

ولكنى لم اجرؤ ابدا على مفاتحته .. هل يجوز لي ان افشى سرا اؤتمنت عليه ، وقد فضلت صاحبته الموت على افشائه ؟! .. ■■

ألفة الأدلبي
دمشق

جَامِعَة الكُوَيْت

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

مدير جامعة الكويت

■ الجامعة ، منارة العلم ، ومركز اشعاع للمعرفة ، تحقق للمجتمع احتياجاته ، وتخطط له اتجاهات تطوره ، ترسم مستقبله ، تزوده بالمختصين من اصحاب المهن ، من كيماويين ، وجيولوجيين ، ومهندسين ، واطباء ، ومدرسين ، ومحاسبين ، وقانونيين ، ومن اليهم ، من رجال العلوم والآداب والفنون .

الجامعة ، ملتقى الكفايات ، ومجمع العلماء ، انها الشيء الذى لا يستعاض عنه ابدا . انها امل الامة المرتجى ، فى رفع المستوى العلمى للبلاد ، وتحقيق آمالها بدراسة مشروعاتها واستنباط مواردها ، ونشر الثقافة بين ربوعها ، ودفعها لمواكبة الركب العلمى للحضارة ، والاسهام فى الاضافة الى المعرفة البشرية ، فى كل مجاليها وميادينها .

لقد آمن الناس ، فى كل رجا من ارجاء العالم ، ان العلم هو الوسيلة الوحيدة لاحداث اى تقدم ، واشعال جذوة الحضارة والرقى ، وغدت الدول تستبق فى سبيل تحقيق اكبر انتصارات علمية ، وها نحن نرى الانسانية ـ بفضل العلم ـ تعدو وثبا فى مدراج الرقى والتقدم ، فانتقلت فى نحو قرن من الزمان ، من عصر البخار الى عصر الكهرباء الى عصر الذرة والالكترون ، والرادار والمذياع والتلفزيون ، الى عصر الصواريخ والاقمار الصناعية وسفن الفضاء ، وغزو الكواكب ، وما اشك فى ان العلم سيتابع انتصاراته بفضل العلماء العاملين فى الجامعات المنبثة فى اركان الارض ، انهم سدنة العلم ، وقادة الانسانية ، يعملون لخيرها ورفاهيتها .

الفناء الرئيسي الذى يواجه الداخل الى ثانوية الشويخ التى ستصبح عما قريب « جامعة الكويت »
وفيه الكرة الارضية ، محمولة على قاعدة لطيفة ، تحف بها اعلام الدول العربية

تضم ثانوية الشويخ ، عدا اماكن الدراسة ، مجموعه كبيرة من المباني السكنية ، بعضها للمدرسين المتزوجين ، وبعضها لطلبة القسم الداخلي .. وهذه هي بعض المساكن المخصصة للطلاب

احد الطلاب يقوم بدرس عملي تحت اشراف استاذه

هذه هي قاعة المحاضرات الخاصة بالعلوم الاجتماعية ، وقد
اخذ الطلبة اماكنهم يستمعون ويدونون المذكرات بما يسمعون

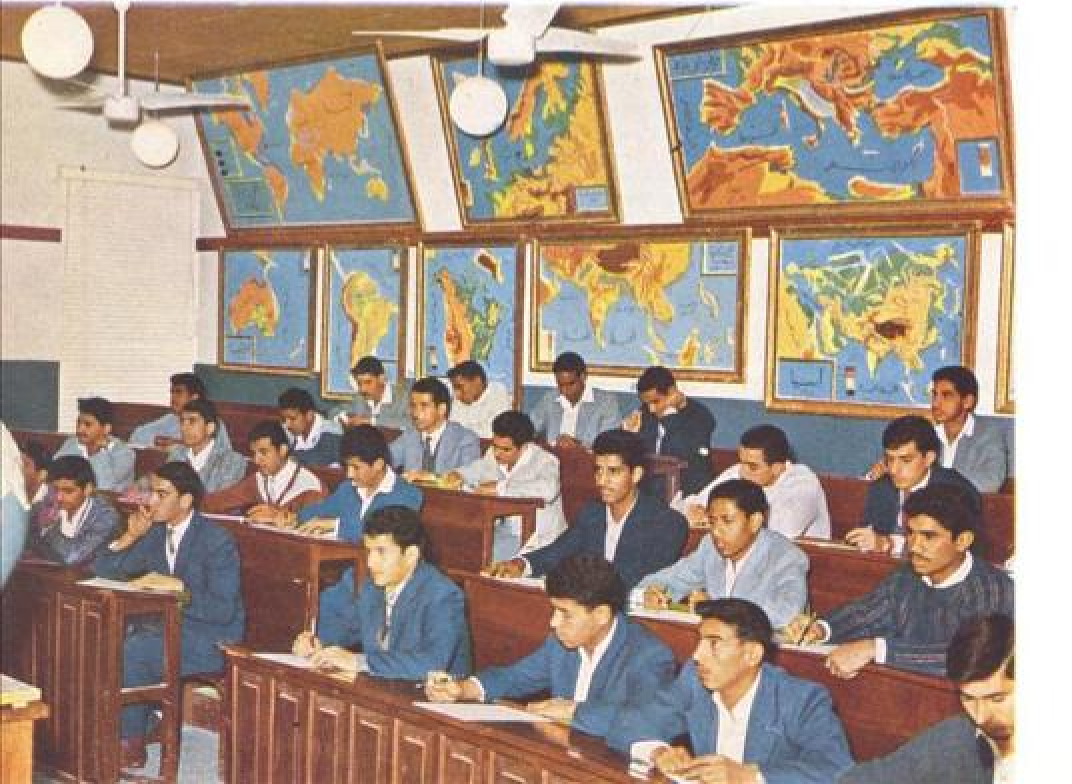

منظر عام من الجو لجامعة الكويت المقبلة .. انك لولا هذا المسجد القائم فى الوسط الى اليسار ، لما شككت فى انك تنظر الى مبانى احدى جامعات اوروبا .

الكويت آمنت بدور العلم فى تطوير المجتمع

ولقد آمنت دولة الكويت ، بدور العلم فى تطوير مجتمعها ، وبدور الجامعة فى دفع عجلة تقدمها ، ورات انشاء جامعة الكويت ، وما اظنها ستكون للكويت وحدها ، وان كانت لها اولا ، وانما ستكون للخليج العربى والبلاد العربية ، يؤمها طلاب العلم والمعرفة والبحث العلمى من كل الجهات ، انها جامعة الكويت ، تتعاون مع جامعات العالم عامة، وجامعات الدول العربية خاصة ، فى سبيل تحقيق نهضة علمية شاملة ، ترفع الوعى العلمى والثقافى ،وتسهم فى النهضة العلمية العالمية ، وتبوىء الكويت مكانها المرموق ، وتعيد مجد الحضارة العلمية الاسلامية الزاهرة .

لقد استقدمت الدولة منذ نحو عامين نفرا كريما من العلماء ، كونوا لجنة سميت لجنة خبراء الجامعة ، درست امكانيات البلاد واحتياجاتها ، وقدمت تقريرا ينبغى ان يذكر لها بالشكر والتقدير ،فقد رسمت الخطوط العريضة لانشاء جامعة الكويت ، وما اظن الا ان الصواب والتوفيق قد حالفاها فى كل ما ذكرت .

الجامعة تفتح ابوابها فى سبتمبر عام ١٩٦٤

وقد احسنت الدولة صنعا ، ان مهدت لانشاء الجامعة ، بهذا التخطيط وتلك الدراسة ، وان يكون ذلك قبل الموعد المرتقب بوقت كاف للاعداد والتجهيز ،وها نحن نأمل ان تفتح جامعة الكويت ابوابها للطلاب فى السنة الجامعية ٦٤ ــ ٦٥ اى فى سبتمبر عام ١٩٦٤ . وينتظر ان تفتح الجامعة فى ذلك التاريخ لطلاب كليتى الآداب والعلوم ، وان يتم الطلاب بعض الدراسات الاساسية فى هاتين الكليتين ، قبل ان يتجهوا الى كليات اخرى نظرية او عملية ، كالتجارة والحقوق ، او الهندسة والطب ، التى ينتظر ان تفتح ابوابها لراغبى هذه الدراسات فيما يلى العام الجامعى ٦٤ ــ ٦٥ من اعوام ، نرجو الا تطول ، وان يتوالى افتتاح هذه الكليات تباعا ، حتى تستكمل جامعة الكويت كلياتها ومعاهدها .

دراسات تهم المجتمع الكويتى

وليس من شك وقد وضحت اهمية الجامعة بالنسبة للمجتمع الكويتى خاصة والمجتمع العربى عامة ، ان تعمل الجامعة على التمكين للدراسات التى

تهم هذا المجتمع فى هذه الرقعة من الصعيد العربى .

دراسات بترولية

ولعل اول ما يهمنا فى هذا المجال ، دراسة البترول وما يتصل به من استنباط وتكرير وتصنيع ، وما يتفرع عليه من صناعات كيميائية بترولية . وغير خاف ما للبترول ومشتقاته من اهمية فى هذا المجال ، فان اكثر من الف مادة يمكن ان تصنع من الاصول البترولية ،ليس اهمها الالياف الصناعية والمنظفات والروائح وما اليها ، وكلها مواد ذات قيمة اقتصادية بالغة ، حتى نادى بعض العلماء بأن من الافضل الضن على البترول باستعماله وقودا ، وانه اثمن من ان يحرق على هذه الصورة ، وان العائد منه مصنعا على الصورة التى ذكرنا ، يفوق العائد من استعماله وقودا اضعافا مضاعفة . لذلك كان من المتعين ان تدرس جامعة الكويت موضوع انشاء معهد خاص للبترول ،يسهم فى استنباطه وتصنيعه ، ويخرج المتخصصين فى كل ما يتعلق بشئونه .

دراسات البيئة البحرية

وشىء آخر ، عظيم الاهمية بالنسبة للبيئة الكويتية والمجتمع الكويتى ، حيث مياه الخليج العربى تحوط الكويت من اغلب جهاتها ، بل انها لتتخلل كثيرا من الخلجان التى تمتد فى ارضها . فيتعين على جامعة الكويت ، ان تعنى بدراسة هذه البيئة البحرية ، فتنشىء معهدا لدراسة علوم البحار وما يتعلق بها من احياء مائية ، وليس بدعا ان تخصص الجامعة معهدا لهذه الدراسات البحرية ، ففى كثير من البلدان تخصص كليات بهذه الدراسات ، بل ان بلدا كاليابان يخصص جامعة بأسرها لدراسة البحار والمصائد والاحياء البحرية

ساعة الجامعة ، والى جانبها قبة المبنى الرئيسى الذى يضم مكاتب الادارة ، كما تظهران من خلف بعض الاقواس الجانبية

منظر عام للحديقة المحصورة داخل الابنية الرئيسية وقد اتخذ الجزء الاسفل منها شكل خريطة الكويت والخليج العربي

درس في العلوم .. ان معامل ثانوية الشويخ وكل مدارس الكويت ، مزودة بكافة المعدات والاجهزة التي تتطلبها التجارب العلمية والكيماوية

والماهات ، وبالجملة كل ما يتصل بشئون البحر ، تياراته ومده وجزره وطاقاته ، ونباتاته وحيواناته واسماكه ، ومصائده ، وبالجملة كل ما يتعلق به .

ودراسة ذرية نووية

وشيء آخر ، من واجب الجامعة ، ان ترسم وتخطط له من الآن ، ذلك ان تعمل على استنباط مورد جديد للطاقة ، فتساير الركب العلمي فى العالم المتحضر، وتسعى لاستغلال الطاقة النووية ، وهى البديل الجديد لموارد الطاقة المعروفة ، ومن الخير ان تعد الجامعة لانشاء مفاعل ذرى ، يكون موردا عظيما للطاقة النووية الانشطارية ، كما تنشيء مفاعلا ذريا ، يكون مصدرا لانتاج النظائر المشعة التى تستعمل فى الصناعة ، كما تستعمل فى الطب لعلاج بعض الامراض التى استعصت على غير الذرة ، فقد آلانت الذرة العصى من الامراض ، وغدا الذهب المشع واليود المشع والكوبلت المشع ، والحديد المشع وغيرها من عناصر كالفسفور والصوديوم والكربون ، لكل فائدته ولكل استعماله ، مثل هذه الدراسات يتعين على الجامعة ان تهيىء نفرا من شباب الكويت وشباب العرب لممارستها والعكوف عليها .

ومعاهد فى الكويت لبحوث الفضاء

ولعلنا لا ننسى ، اننا نعيش عصر الصواريخ عابرة القارات ، وغازية الفضاء ، وان الدول القوية تستبق فى هذا المضمار ، ايها يجلى فى غزو الكواكب، وتسيير سفن الفضاء ، للتحليق فى اجوازه ومحاولة الوصول الى اقماره وكواكبه . وهنا يتجلى دور الجامعات

احد الاستعراضات الرياضية يقوم به فريق من طلاب المدارس المختلفة بالكويت ، على استاد

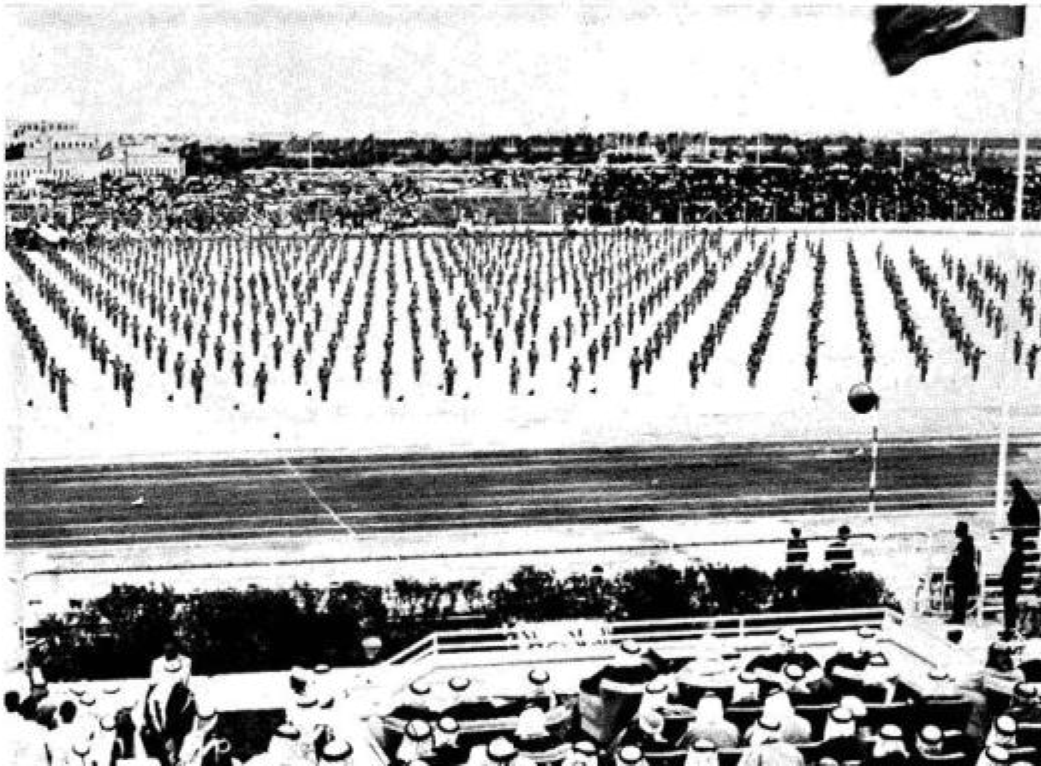

فى تخريج المتخصصين فى هذه الالوان من البحث والدراسة ، وما اظنه يغيب عن جامعة الكويت ، وما ينبغى لها ، ان تسهم فى هذه البحوث ، فى هذا الطرف الشرقى من الجزيرة العربية وعلى شاطىء الخليج العربى ، فتنشىء الجامعة وحدة او معهدا لبحوث الفضاء ، يمارس فيه الشعب العربى الواعى هذه الدراسات العالية المختصة بالفضاء ، من ارتياد لطباقه وتسجيل لابعاده ، وضغوطه ، وحرارته ، وما يتصل بذلك من دراسة طب الفضاء ، والصناعات الخاصة بالفضاء،وسفن الفضاء وانسان الفضاء.

وتاريخ العرب فى العصور الاسلامية الزاهرة

ولون آخر من الدراسة ، قد تنفرد به جامعة الكويت بين الجامعات العربية ، اذا قدر لها ان تعنى به ، واعنى به تاريخ العلم عند العرب فى العصور الاسلامية الزاهرة ، فقد يحسن انشاء قسم خاص لهذه الدراسة ، يجلو هذه الصفحات الخالدة من اعمال المسلمين من امثال ابن سينا ، وابن الهيثم والبيرونى وجابر والغافقى والبغدادى والقزوينى وابن النفيس وابن البيطار وداود والرازى والخوارزمى ، والجاحظ ، وابن الصورى وابن مسكويه وغيرهم ممن يزدهى بهم العلم فى كل عصر وآن ،الذين بقيت كتبهم العمدة عند اهل الصناعة والطب والرياضيات والفلك والتشريح والمعادن والنبات والحيوان والكيمياء وغيرها ، فى اوربا طيلة قرون كانت تترجم الى اللاتينية وتدرس فى جامعات اوربا الى عصر النهضة ، هذا التراث الضخم ، الذى تفاخر به امة العرب الاجيال يحتاج الى تحقيق ونشر ، حتى يعلم العالم اننا اهل اصالة فى العلم ، ويومئذ تفاخر جامعة الكويت انها اسهمت فى التعريف بهذا الصرح الشامخ والبناء السامق .

ودراسة الصحراء

وهذه الدراسات وغيرها كثير ، على الجامعة ان تدرب الشباب وان تعده الاعداد الكافى لتولى شئونها والمشاركة فيها ، مثل معهد للصحراء ، يدرس البيئة الصحراوية ، التى تقع الكويت على حافتها .

والبحث العلمى غاية اولى

ونقطة اخرى ، هى من صميم اختصاص الجامعة ، تلك هى متابعة البحث العلمى ، للاضافة الى المعرفة البشرية ، فى كل لون من الوانها ، والاضافة الى المعرفة شرف يبتغيه العلماء ، ومن واجب الدولة ان تهيىء الجامعة لاساتذتها وطلابها سبل البحث العلمى ، باعداد وسائله من مكتبات واجهزة وادوات ومختبرات ، تعد على احدث النظم ووفق امثل السبل .

الجامعة المقبلة ، فى احدى المناسبات

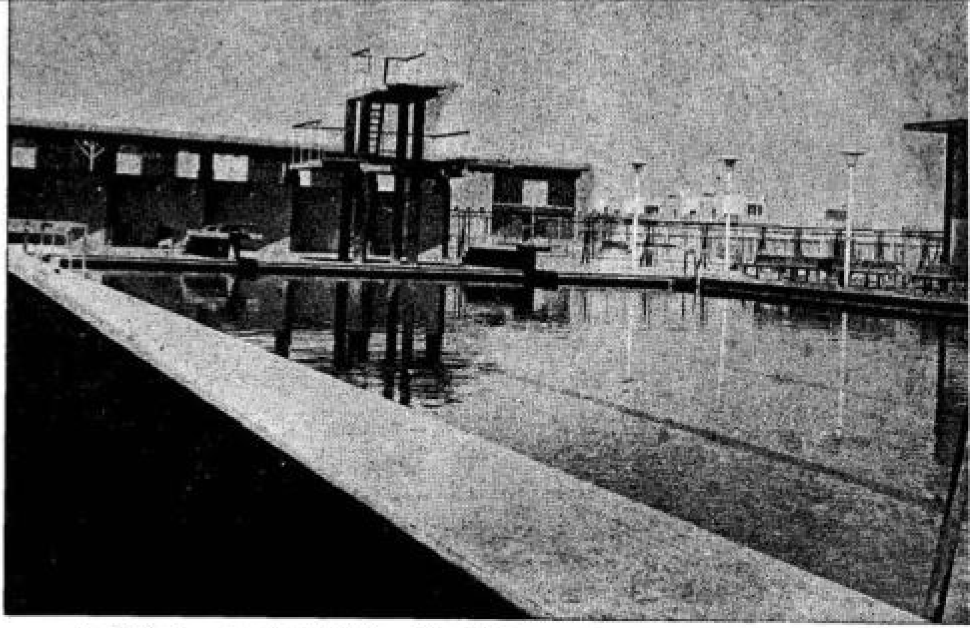

في كل مدرسة من مدارس الكويت حمام للسباحة . اما ثانوية الشويخ ـ جامعة الكويت المقبلة ـ ففيها اكثر من حمام ، احدهما بنادى الطلاب ، وآخر بنادى المدرسين

فالبحث العلمى هو الوسيلة العلمية المعترف بها ، للاضافة الى المعرفة ، وللتجويد فى الصناعة والاقلال من التكاليف ، هو الوسيلة الفعالة التى تعتمد عليها الدولة فى تحسين وسائلها وتجويد انتاجها ، حتى لا تقف عند المحاكاة والتقليد ، والا بارت صناعتها وكسدت ، وذلك لكى تقوى على المنافسة وتنهض بحاجات البلاد فى كل مرفق من مرافقها .

على ان للبحث العلمى تبعاته ونفقاته ، فينبغى الا يضن عليه بمال ، بل ينبغى ان ينفق عليه بسخاء ، والارقام التى تخصصها الدول العالمة القوية على البحث العلمى ، تفوق حد التصور ، انها مئات الملايين من الجنيهات كل عام ، تنفقها هذه الدول عن طواعية واختيار ، لعلمها بالتجربة ان كل « فلس » ينفق فى هذا السبيل يعود اضعافا مضاعفة خيرا وبركة .

ومن الخير ان نضيف فى هذا المقام ، انه لكى تؤتى الجامعات خير ثمارها ، ينبغى ان تكفل الدولة للعلماء من الضمانات والكفالات ما يحقق لهم طيب العيش ، حتى يتفرغوا الى ما هم بسبيله من بحث للكشف عن المجهول والاضافة الى المعرفة ، ينبغى ان يكون للجامعة استقلالها المالى والادبى ، حتى يستطيع رجالها التفرغ لحمل الامانة العظمى الملقاة على عاتقهم .. انها امانة العلم وكفى ..

وما اشك فى ان دولة الكويت الفتية ، وقد عقدت العزم على ان تنشىء جامعة تكون منارا للعلم وصومعة للعلماء ، يعكفون فيها على العمل المثمر لخير الانسانية ورفاهيتها ، سوف تكون مفخرة للجامعات ، لا فى الشرق العربى وحده بل بين جامعات العالم أجمع ، ولا مراء فى ان جامعتنا الفتية ، ستستمد العون من شقيقاتها الكبريات فى العالم العربى ، وانها فى رعاية الله وبعناية المسئولين لبالغة ما نبغيه لها من عزة ورفعة ومنعة . والله ولى التوفيق .

عبد الحليم منتصر

كتاب الشهر

تشيخوف

بعد مائة سنة من مولده

الأديب ذو القلب الكبير الذى وهب حياته للانسانية

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ تشيخوف انسان وفنان ، وحبنا له ينبع من حبنا للقيم التى آمن بها ، وجسدها فى شخصياته المتعددة : فهو مؤمن بأن الانسان يجب ان يكون طيب القلب ، لطيفا ، مهذبا ، متسامحا ، متعاطفا مع الناس ، متجنبا استدرار العطف والشكوى ، مستعدا لمساعدة المحتاجين والمتألمين ، محترما لحقوق الآخرين ، مؤديا لدينه ، مخلصا فى كل عمل يعمله ، متجافيا للكذب كارها له كراهيته لمرض عضال . وهو فوق هذا يجب ان يكون متواضعا ، بعيدا عن الغرور وحب المظاهر ..

وهذا هو الحد الأدنى من الصفات التى يجب ان يتحلى بها الانسان ، فى رأى تشيخوف ، حتى يمكن أن نسميه انسانا قادرا على المساهمة فى بناء حضارى . واذا كان هذا هو رأيه فى الانسان، فلا غرابة اذن أن نقرأ فى كتابات من كتبوا عنه تأكيدهم على مدى افادة تشيخوف لهم فى نفوسهم ، حيث تنمى نوازع الخير فيها . اننا نقرأ مثل هذا القول ، ونلمس تأثير تشيخوف البالغ فى كتاب اعلام من بقاع من العالم مختلفة : فأثره بالغ فى الكتاب الانجليز الذين برزوا فى مطلع هذا القرن ، والكتاب الفرنسيين ، والامريكان ، واليابانيين ، والصينيين، فكتب « كوو مو ــ جو Kuo Mo—jo » دراسة عن اثر تشيخوف فى الكتاب الصينيين ، ولا سيما فى « لوهسون Lu Hsun » ، وصدرت فى روسيا وانجلترا وامريكا وايطاليا وفرنسا وغيرها من بلاد اوروبا ، دراسات عن اثره فى همنغواى، وبيراندللو، ومورافيا . كما صدرت دراسات لأدبه وشخصيته باقلام قمم الأدب الشامخة من أمثال : مكسيم جوركى ، وتوماس مان ، ولوهسون ، وبرناردشو ، وجولسورثى ، وفرانسوا مورياك .

تشيخوف ونقاد الأدب

ولم يكن تشيخوف يحب نقاد الادب فى زمانه او يحترمهم ، فقد قال مرة لجوركى : « ان هؤلاء النقاد اشبه بذباب الخيول الذى يزعج الحصان اثناء انشغاله فى جر المحراث . ان الحصان يعمل ، ويجهد ، ويعرق ، وينتج ، ثم فجأة تأتى ذبابة تحوم حوله فتزعجه بطنينها . وقد تحط على ظهره او راسه وتلسعه امعانا منها فى الازعاج . لقد قرأت

كثيرا من النقد لانتاجي خـلال الخمس والعشرين سنة الماضية ، ولا اذكر الآن انني استفدت من كل ما قرأته فكرة واحدة تفيدني في عملي ، ولا اذكر من كل ما قرأته سوى خاطرة واحدة لناقد تنبأ لي بانني سأموت ثملا في حفرة . وانا اذكر هذه اليوم لانها اعجبتني بطرافتها ، واضحكتني » .

ونحن نستطيع ان نتصور السبب الذي دعـا تشيخوف الى مثل هذا القول : فالنقاد في زمانه ، وفي بدء حياته الادبية ، قد سلقوه باقلامهم التي لا ترحم ، وان كان قد نال بعد ذلك الكثير مـن التكريم والتعظيم ، ونال في ايامنا هذه تكريما لا تحظى بمثله الا القلة القليلة من الادباء الشوامخ . ترى لو قيض له ان ينفض عن نفسه غبار القبر ، اكان يرى فيهم هذا الراي اليوم ، وقد اغدقوا عليه المديح الذي ليس فوقه مديح ؟!

★ ★ ★

ومن احدث الدراسات عن تشيخوف ما كتبه الكاتب الفرنسي الشهير اندريه موروا ، والكاتب الروسي ايليا اهرنبورغ ، ثم هذا الكتاب الضخم القيم الذي نقدمه والذي يضم عشرين دراسة ساهم في كتابتها متخصصون كبار في ادب تشيخوف من تسعة اقطار من العالم ، وفي اربع لغات هي : الانجليزية ، والالمانية ، والروسية ، والفرنسية . وقد صدرت هذه الدراسات تكريما لتشيخوف بمناسبة مرور مائة سنة على مولده . وقد تناول كل واحد من الكتاب جانبـا من جـوانب حيـاة تشيخوف وفنه ، فكان بهذا كتابا لا غنى عنه للمحب للاديب الكبير ، وللراغب في فهمه .

ومن ابرز مقالات هذا الكتاب مقال لبروفسور جليب ستروف Gleb Struve ، الاستاذ بجامعة بيركلي عـن علاقـة تشـيخوف بالكاتب الشـهير جريجوروفيتش Grigorovitch الذي كان له الفضل في تقديم تشيخوف والاشادة بمواهبه ، وكذلك مقال المشرف على تقديم هذا الكتاب وهو بروفسور ايكمان Eekman من امستردام عن راى تشيخوف في الناس والاشياء خارج روسيا . وقد نشرت في موسكو (١٩٤٤ ــ ١٩٥١) طبعة في عشرين مجلدا تضم كل ما كتب تشيخوف .

وفي مراجعتنا لهذا الكتاب سنقدم انطباعا عنه يبرز النتائج الرئيسية التي توصل اليها بعض هؤلاء المهتمين في هذه الدراسات ، سواء في حياة تشيخوف او في ادبه .

طفولة بائسة

في عام ١٨٦٠ ولد انطون بافلوفتش تشيخوف في مدينة خاملة متواضعة اسمها تجانروج Taganrog من اب كان يعمل بقالا . ولقد كان جده عبدا من عبيد الارض ، استرد حريته عام ١٨٤١ ، فنشأ والد تشيخوف حرا ، يعمل ما يريد . وقد اعانه زواجه من ابنة تاجر القمشة ان يوفر بعض المال يمكنه من فتح بقالة خاصة . وفي هذا الزواج تم اجتماع نقيضين : زوجة حالمة ، وديعة ، عطوفة ، وزوج متسلط ، قاس ، يلجأ الى ضرب ابنـائه ومستخدميه لاقل هفوة . ولكن الاب ، على هذا ، كان محبا للفنون ، يعشق الموسيقى ، ويقود فرقة الكنيسة الموسيقية في المناسبات ، ويقوم بالرسم عـلى الايقـونات . ومـن أقـوال تشيخوف : « ان موهبتي مستمدة من والدي ، اما كياني النفسي فهو من والدتي » .

نشأ تشيخوف نشأة فيها الكثير من آلام الفقر ، والقسوة ، في بيت يضم خمسة اخوة وشقيقة ، فاذا غاب الاب عن دكانه قام الابناء بالاشراف عليه .

وقد قضى تشيخوف طفولته وصباه في هذا الدكان الرطب البارد ، يذاكر دروسه ، جالسا على صندوق أو كيس صابون،والبرد اللاسع ينخر عظامه . وهل يستطيع رفع صوته بالاحتجاج امام صرامة هذا الاب الذي يؤمن بان لا شيء انفع في تربية الاولاد من الضرب ؟

وفي عام ١٨٧٦ ، اصاب تجارة الوالد كساد ، فافلس ، واضطـر الى بيـع البيت والدكان ، والرحيل الى موسكو ، مخلفا وراءه ابنه انطون ليتم دراسـتـه ، وليقـوم بأود نفسـه ، ودفـع الاقساط ، من الدروس التي كان يعطيها لابناء الاسر في اوقات فراغه . وقد فجّر الشقاء جوانب النبوغ في الصبي انطون ، فكان يقبل على دروسه بنهم ، ويعب من الكتب في جنون ، محاولا ادراك معنى الحياة .. فكان اول ما دخل قلبه الايمان العميق بكرامة الانسان . آمن بهذا وهو ما زال ابن ستة عشر عاما،ورسائله الى اخوته دليل عليه .

تشيخوف الطبيب العالم

وانهى تشيخوف دراسته ، ولحق بأهله فى موسكو عام ١٨٧٩ ، وبدأ بدراسة الطب ، فى ظروف عائلية قاسية : فالمال بعيد المنال ، واحد الأخوة مريض بذات الرئة ، ويبصق دما . ما العمل ؟ لا بد من طريقة للحصول على النقود . وهداه التفكير الى ان يكتب قصصا هزلية الى الصحف : « كنت اقبل على الكتابة بلذة ، دون كلال ، كما يغنى الطائر .. وكما يمرح المهر فى الحقل وقداطلق له العنان ... » وابتاعت الصحف ما يكتب ، وان كانت تدفع له مبلغا ضئيلا ، قد يكون احيانا تذكرة للمسرح ، او بنطلونا ، ولكن الطلب ازداد على ما يكتب ، فاصبح يكسب ما يكفى له ولعائلته . وكان ينشر انتاجه بتوقيع « انطون تشيخونته » لاعتقاده انه لم يبلغ درجة من الجودة تجعله ينشره باسمه الصريح .

وفي عام ١٨٨٤ نال تشيخوف شهادة الطب . وقد افاض الكتاب كثيرا فى اثر دراسة الطب فى ادب تشيخوف ، ولم يكونوا مغالين فىهذه الافاضة: فقد علمه الطب الايمان بالعلم ، والايمان بالحقائق دون الأوهام ، وقد كان هو نفسه طبيبا جيدا،عميق الايمان بالطب ، ولهذا نراه يحتد،على،ندرة احتداده بعد ان قرأ « دكتور باسكال » لأميل زولا ، وهى قصة يهاجم فيها الأطباء . ويقول : «ان زولا هذا لا يفقة شيئا عن الطب ، وكل مافعله هو ان جلس على مكتبه ، واخذ يتخيل اشياء لا وجود لها . وكنت اتمنى لهان يحضر الى بلادنا ليرى بعينيه كيف ينصب الأطباء ، ويشقون ، فى سبيل تخفيف آلاف البؤساء » .

وقد كان تشيخوف من المتحمسين لنظرية داروين . واذا كان غيره من الكتاب قد رأى فىهذه النظرية قتلا للجانب الروحى فى الانسان ، فانه لم ير هذا الرأى : لقد آمن ان روافد المعرفة الانسانية متعددة متنوعة ، وكلما عب المرء منها ، اتسع افقه ، ورهف احساسه ، وسمت روحه . هذا الايمان هو الذى دفعه الى ان يعلق على تعاليم تولستوى قائلا : « ان الرياضيات والكهرباء والبخار تعلمنا حب الانسان ، اكثر مما يعلمنا اياه الامتناع عن آكل اللحم » .

تشيخوف الأديب الانسان

لم يكن تشيخوف حتى هذا التاريخ قد بنى لنفسه اسما لامعا فى عالم الأدب ، ولكنه بنى لنفسه شخصية ذات مفهوم للحياة آمن به طيلة حياته ، وبشر به ، واستمده من واقعه . كتب فى هذه الفترة يقول : « ان من واجبي ان اكتب قصة هذا الشاب الذى كان جده عبدا من عبيد الأرض ، والذى قضى طفولته وصباه يخدم فى بقالة ،ويغني مع جوقة الكنيسة ، ويقبل يد القسيس ، ويشكر المنعم المتفضل على كسرة خبز يجود عليه بها ، ويضرب بالعصا لأقل هفوة ، ويطير فرحا اذا اتيحت له فرصة الأكل على مائدة قريب غني ـ ثم اريد ان ابين كيف ان هذا الشاب استطاع ان يطرد نفسية العبد من جسده وروحه بعد صراع مرير ، ليصحو ذات صباح جميل ، وليس فى عروقه سوى دم رجل كامل الرجولة » .

وهكذا كان .

وفى عام ١٨٨٥ كان تشيخوف يعمل طبيبا في مستشفى قرية من القرى المجاورة لموسكو ،فأتاح له هذا العمل لقاء صنوف متعددة من الناس ، فكان لهذه التجربة أثر كبير فى انتاجه : « لقد كان لمهنة الطب أثر بالغ على انتاجي الأدبى ، فقد مكنتني من ان اكون ذا نظرة الى الأمور أعمق واصوب » .

★★★

وعام ١٨٨٦ عام خالد فى حياة تشيخوف ، ففيه استرعت كتاباته نظر اديب مرموق هو جريجوروفيتش Grigorovitch ، فكتب اليه رسالة مديح بالغ ، وأجاب عليها تشيخوف ممتنا . وكان بينهما لقاء ، وقدمه جريجوروفيتش الى رئيس تحرير مجلة شهيرة ،فما لبث ان اصبح صديقا حميما لرئيس التحرير سفورين Suvorin الذى فتح له الباب على مصراعيه ، لينشر فى مجلته الواسعة الانتشار ما يشاء . وما بلغ ابن البقال الثامنة والعشرين حتى كان كاتبا مشهورا ، له عدة مجلدات منشورة من القصص القصيرة ، ومسرحية بعنوان « ايفانوف Ivanov » . وفى عام ١٨٨٨ منح جائزة بوشكين ، فكتب الى صديقه

سفورين يقول : « ان نبأ فوزى بالجائزة ملأنى سرورا ... واذهلنى فكأننى انسان عاشق . اما والداى فيكادان يطيران فرحا وابتهاجا .. واختى لا تكف عن الجرى ناقلة الخبر الى الاصدقاء .. ».

★★★

ونجحت مسرحية « ايفانوف » نجاحا باهرا زاد من شهرته ، ولكن النجاح لم يزده الا تعاطفا مع البؤساء والمتألمين ، ففى عام ١٨٩٠ قرر السفر الى جزيرة سخالين ليرى بنفسه حال السجناء فيها ، بعد ان سمع عن سوء احوالهم الكثير . وكان عليه ان يقطع سيبريا كلها وسط الغبار والطين ، وهي رحلة شاقة . فاذهله ما رأى حتى انه قال : « ان زيارة سخالين واجب على كل مستطيع لها ، كالحج عند المسلمين » . وتعاطف تشيخوف مع البؤساء يختلف عن تعاطف تولستوى معهم : فتولستوى يتألم لبؤس البائسين ، ثم يبحث له عن ضحية يعتبرها هي السبب ، فيصب نقمته عليها . اما تشيخوف فانه لا يبحث عن السبب ليصب عليه نقمته ، بل يفكر فى الحل ، وطريقة الاصلاح .

★★★

ويشاء القدر أن يجعل من حياة صاحب هذا القلب الكبير ألما متصلا ، اذ فى هذه الفترة اكتشف انه مريض بذات الرئة ، وان المرض قد تمكن منه واستفحل ، فلا يضع منديله على فمه الا ويرتد به ملوثا بدم ، هو قطع من كبده ، تنبيه ان حياته قصيرة . وطلبا للاستشفاء اشترى بيتا وأرضا فى قرية مليخوفو Melikhovo بالقرب من موسكو ، فيها عاش حتى عام ١٨٩٨ : يكتب ، وتستبد به الكحة ، وتنزف دماه . ولم يرحم نفسه هنا فكان يطبّب الفلاحين مجانا ، كما ابتنى لهم مدرسة . وعندما انتشر وباء الكوليرا عام ١٨٩٢ ، سهر الليالى ، وعرض نفسه لأخطار الموت ، محاولا انقاذ من يستطيع انقاذه . وكما كان بيت تولستوى محجة للمعجبين ، كذلك اصبح بيته فى مليخوفو : تقصده النساء الفاتنات المعجبات ، والممثلات ، والشعراء . ولكن مظاهر الاعجاب كانت تثقل على نفسه ، وتربكه ، وغزل الغوانى يثير اعصابه ، حتى انه كتب مرة الى معجبة قائلا : « انك لا تحسين بالحاجة الى العمل ، فوقتك فراغ متصل ، بينما الكوليرا عمت البلاد ، ووصلت الى موسكو . اعتني بنفسك ، يا فتاتى الجميلة ، واقربى منى ، ولا تزعجينى بكسلك وهرائك » . ولتشيخوف رأى طريف فى الصداقة والحب ، فهو يقول : « الصداقة اسمى من الحب ، لان الصداقة تربط بين قلوب المتصادقين ، اما الحب فانه يولد العداوة بين من يعشقون المرأة الواحدة » . والغريب ان يصدر مثل هذا القول عن كاتب كان من خيرة الكتاب الذين صوروا حالات النفس الانسانية التى اضناها الغرام ، ولكن لعل سوء صحته هو الذى فرض عليه حياة التبتل هذه ، ودفعه الى الهروب بنفسه من عبث المعجبات . وهذا لا يعنى ان تشيخوف كان يتجنب صحبة هؤلاء النسوة ، بل ان العكس هو الصحيح ، فقد كان بيته يعج دوما بالممثلات والمعجبات : يقيم لهن الحفلات ، ويصحبهن معه الى الحقل يستاصلن الحشائش الضارة ، ويسوين الارض ويزرعنها ، فهذه هى هوايته المفضلة . فى وسط هذا الجو كتب تشيخوف روائع قصصه واقاصيصه ومسرحياته مثل « طائر النورس The Seagull » و « العم فانيا Uncle Vanya ».

★★★

وتشيخوف الاديب من المؤمنين بالايجاز فى عرض المعانى والصور ، وهو اثر من آثار تربيته العلمية ، ولهذا كانت القصة القصيرة وسيلته المفضلة في التعبير عن افكاره ، دونها سائر الفنون الادبية . كتب مرة الى جوركى يقول : احذف من كتاباتك اية كلمة لا يؤثر حذفها فى المعنى ، وتجنب الاسهاب الذى يبدد ذهن القارىء ، وارسم الجو الذى تريد فى كلمات قريبة التناول ، موحية ... » وتشيخوف ايضا لا يؤمن بالعقدة فى القصة ، لان العقدة عنده تزوير للواقع ، ولا يؤمن بالالتزام بمفهومه الشائع ، لان فيه تزويرا للعواطف. والفن صدق واخلاص وانطلاق .

اما مسرحياته فقد نالت شهرة بالغة ، فبلمسات بسيطة يجسم لنا شخصياته ، وما يُفْهَمُ من الحوار ضمنا اهم عند تشيخوف مما هو مصرح به . وما زال تشيخوف حتى اليوم سيدا من سادات المسرح ، على الرغم من ان مسرحياته لم تعجب فى زمانها صديقه تولستوى . ذهب مرة

لزيارة تولستوى ، فامسك هذا بيده ، وقال له بحنان بالغ : « انني احبك ، يا انطون يا فلوفتش ، ولكني لا احب مسرحياتك ... انت تعرف انني لا احب مسرحيات شكسبير ، ولكنها على سوئها خير من مسرحياتك » .

★★★

ومل تشيخوف حياته فى مليخوفو ، فباع البيت والأرض ، واشترى ارضا صخرية ذات موقع جميل فى يالطة بشبه جزيرة القرم ، بنى عليها بيتا ، واحال الأرض الصخرية الى حديقة غناء ، تعجب العين ، وتبهج القلب ، وكان هو نفسه معجبا بحديقته هذه ، عاشقا لها ، فقد كان رغم مرضه متفائلا دوما ، عاشقا للحياة ، مؤمنا بالانسان .

لقد كتب من حديقته هذه الى صديق يقول : « يخيل لي ان الأرض كلها ستستحيل بعد ثلاثمائة او اربعمائة سنة ، الى حديقة غناء ، وعندها ستكون الحياة رضية بهيجة » .

★★★

والقدر القاسي قد يرق احيانا ، ويلين اعطافه ، وقد لان من جانبه لتشيخوف يوم ان اكتشف فرقة مسرحية تستطيع ان تفهم شخصيات مسرحياته ، وتحسن اداء ادوارها ، وهى فرقة Stanislavskis' Moscow Art Theatre وهذه الفرقة هى اليوم اشهر فرقة مسرحية في روسيا ، وهى متخصصة فى مسرحيات تشيخوف ، تخصص الأولدفيك Old Vic فى لندن بمسرحيات شكسبير . وبالاضافة الى هذا فقد وجد تشيخوف فى هذه الفرقة الزوجة الصالحة ، وهى الممثلة الأولى فيها اولغا نيبر Olga Knipper ، التى كانت تقوم بادوار بطلاته . ولكن سوء صحته كان يفرض عليه البقاء اكثر الوقت فى يالطة ، بينما كانت هى مضطرة الى البقاء فى موسكو لاداء ادوارها ، وهكذا قضيا اكثر حياتهما الزوجية بعيدين عن بعضهما بعضا . واصبح منزله فى يالطة ايضا مزارا للمشاهير ، فاليه قصد تولستوى ، وجوركى . واذا ترك يالطة الى موسكو ، كان فندقه يمتلىء بالزوار ، وتنهال عليه الدعوات ، وتقام له حفلات التكريم ، مما كان يرهق جسده المتعب . وكان وسط مظاهر التكريم هذه كلها يبدو انسانا زاهدا فى التكريم ، منطويا على نفسه ، متوحدا رغم امتلاء قلبه بحب البشر ، والايمان بالانسان . وكان منقوشا على سلسلة ساعته هذه العبارة : « الدنيا كلها صحراء قاحلة فى نظر الانسان المتوحد » .

★★★

وقد كان تشيخوف جم التواضع ، لا يرى نفسه نبيا جاء يهدى البشر ، أو مصلحا جادت به العناية الالهية لتصحيح الأوضاع الخاطئة ، او فنانا كبيرا ، كما هو الحال مع كبار المصلحين والفنانين . وتشيخوف نفسه يقول : « ان الناس يقولون عنى الشيء الكثير ، وكل ما يقولونه ليس فى نظرى الا هراء ، فانا لست الا انسانا كسائر البشر ، احب الطبيعة والكتب ، واكره الغرور والطغيان فى جميع مظاهرهما » . وقد كتب مرة بعد قراءته لقصة « كروتزارسوناتا » لتولستوى : « .... ان فيها خطا فاحشا لا استطيع ان اغفره له ، وهو تحدثه عن اشياء لا يفقهها ، واصراره على خطئه بدافع من عناده » . وكتب عن قصة لدوستويفسكى : « انها قصة جيدة ، ولكنها بالغة الطول ، وتفتقر الى شيء من التواضع يجمّل افكارها . ان الغرور باد فى كل صفحاتها » .

وبالاضافة الى زهده فى الشهرة والدعاية ، كان يكره التحدث عن آلامه ، فاذا ساله احد عن صحته، غيّر مجرى الحديث . لقد كان يؤثر ان يتالم فى صمت ، وهو المدرك لخطورة حالته ، فهو يقول : « يالله ، ما اقسى ان يستحيل الانسان الى لا شيء ! انهم ياخذونك الى المقبرة ، ويدفنونك ، ثم يعودون ليشربوا الشاى ، وليتشدقوا بمديح فيك ، لا يغنيك .. ان حب الحياة يملأ قلبي ، انني عاشق لهذه الحياة ، وبي رغبة جامحة فى ان اكتب اشياء عظيمة .. ، .. عظيمة حقا !! » .

★★★

ولكن القدر لم يمهله ، وان كان ما تمناه من ان يكتب اشياء عظيمة كان قد تحقق منذ زمن . لقد تدهورت صحته ، فسافر ، نزولا عند رغبة اطبائه ، الى بادن بادن ، فى الغابة السوداء بالمانيا ، وبرفقته زوجته الوفية ، التى لم يعرف فى صحبتها الا المرح والسعادة . وقبل وفاته بساعات روى لزوجته نكتة « جعلتنى اضحك

من الاعماق ، فكان في هذا تخفيفا للتوتر الذى سببه لي قلقي على حياته ، ولم يكن يخطر ببالي انني سأرى تشيخوف بعد ساعات جسدا مسجى».

وتصف زوجته اللحظات الاخيرة من حياته فتقول :

« جاء الطبيب ليعود انطون ، فطلب له زجاجة من الشمبانيا ، وجلس في سريره ، ثم قال بالالمانية في صوت هادىء عميق : « انني اموت » . ورفع الكأس الى فمه ، ومال اليّ بابتسامته العذبة وقال : « لقد مضى زمن طويل لم اذق فيه الشمبانيا ! » ثم شرب كأسه بكل هدوء ومال على جنبه الايسر ، واسلم الروح .. وخرج الطبيب ، وبقيت انتظر طلوع النهار ، وعيناى تحدقان في فلينة الزجاجة الملقاة تحت قدمى .. » .

هذه كلمات بسيطة فيها احساس وعمق ، تجعلنا نؤمن ان اولغا كانت جديرة بأن تكون لتشيخوف زوجة يفخر بها ، ويعتز .

★★★

وقد كانت وفاة تشيخوف في الثاني من شهر حزيران (١٩٠٤) عن اربعة واربعين عاما . وبعد اسبوع نقل جثمانه الى موسكو ، وهناك يرقد الآن في مثواه الاخير الاديب الذى وهب الانسان حبه ، وآمن به ، ومجّده :

« ان قدس الاقداس عندي هو الانسان بما وهب من صحة ، وذكاء ، وموهبة ، ونبوغ ، وحب ، وتحرر مطلق ـ تحرر من العنف ، والكذب ، والخداع ، في جميع الصور والاشكال » . ■■

محمود السمرة

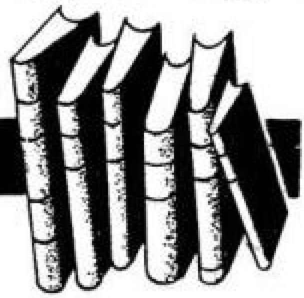

من الكتب التي وصلتنا

اندلسيات شوقي

للدكتور صالح الاشتر ، مطبعة جامعة دمشق

● بحث تطبيقي في ادب شوقي في المنفى ، واثر الاندلس في شخصيته وفنه . وهو دراسة علمية طيبة تنقسم الى تمهيد وثلاثة فصول هي : حياة شوقي في المنفى ، ادب شوقي في المنفى ، تأثير المنفى في شاعرية شوقي . وفي آخر الكتاب فهارس علمية كاملة .

الأدب الامريكي في نصف قرن : القصة القصيرة

لراى وست ـ ترجمة سميرة عزام ـ نشر مؤسسة فرنكلين ـ دار صادر ودار بيروت

● فصول الكتاب : القصة الامريكية القصيرة في منتصف القرن . الرواية والحقيقة ـ الطبيعيون. الرواية والحقيقة ـ التقليديون. همنجواى وفوكنر. القصة القصيرة في الاربعينيات .

انسانية الانسان

لرالف برى ـ ترجمة سلمى الخضراء الجيوسى ، نشر مؤسسة فرنكلين ـ مكتبة المعارف ـ بيروت

● من فصول الكتاب : العقيدة الانسانية . تعريف الانسانيات . الاتجاه ضد المذاهب العقلية . ماذا يعني ان تكون احرارا .

ثورة افريقيا

لمادها بانيكار ـ ترجمة خيرى حماد
دار الطليعة ـ بيروت

● مؤلف هذا الكتاب هو خير من ينبئنا خبر بعث القارة الافريقية . انه سياسى هندى عالم عايش انتفاضة المارد الاسود ، ثم راح يقص على العالم قصتها في كتب هي التجرد والامانة والنفاذ والاحاطة مجسمة . وفي هذا الكتاب يسلط لنا الاضواء على اوجه الحياة المختلفة في تلك البلاد ، الى عنايته عناية خاصة بالناحية السياسية والاحزاب والزعامة والقادة والعلاقات ومشاريع الاتحاد فيها .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية

علوم القرآن

مصنفه الدكتور عزة حسين ــ دمشق

● سجل لجميع المخطوطات الموجودة فى دار الكتب الظاهرية التى تمت الى القرآن الكريم بسبب . والدكتور عزة هنا يعرف باسم الكتاب المخطوط فى تفصيل ، ويعرف بمؤلفه ، ويصف الكتاب ، ويبين قيمته .

رواد الإستراتيجية الحديثة

الجزء الرابع : لادوارد ميد ايرل ــ ترجمة الامير الاى محمد عبد الفتاح ابراهيم ــ مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين

● كتاب يقدم وجهه نظر كاملة لتطور الفكر العسكرى من القرن السادس عشر حتى اليوم . وكل من موضوعات هذه الدراسة درسه خبير من الاخصائيين .

قصة الايمان

للشيخ نديم الجسر ــ مفتى طرابلس ولبنان الشمالى

● دعوة الى الايمان بالله . وهى محاولة للربط بين الفلسفة والعلم والقرآن . وهو فى ٥٠٤ صفحة من القطع غير الصغير . وهو طبع دار الاحدالبحيرى ببيروت .

روابى افريقيا الخضراء

لهمنغواى ــ ترجمة يوسف الخطيب

دار الطليعة ــ بيروت

● رحلة صيد فى ادغال افريقية المثيرة ، يقوم أبطالها بمطاردات للكركدن والأسد والفيل ... ، ويسرحون الطرف فى « روابى افريقيا الخضراء » .

والكتاب فى أربعة أقسام : مطاردة وحوار ، ذكريات مطاردة ، مطاردة وخيبة ، مطاردة هائلة .

معجم الحضارة

لمحمود تيمور ــ مكتبة الآداب ــ بالقاهرة

● معجم حضارى ، يبين الكلمة المستعملة ، والكلمة المفضلة ، وبيان ذلك . والمعجم مقسم الى أبواب منها : البيت ، الاغذية ، المركبات ، الثياب ، الأمكنة ، الحرف ، الأدوات ، السوق ، ....

مغامرات مؤرخة فى أدب التراجم

لكاترين درينكربوين . ترجمة محمود عزت موسى ــ مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

● مؤلفة هذا الكتاب من الم كتاب التراجم فى هذا العصر ، وهى تعرض فى هذا الكتاب ألوان المغامرات ، وطرق البحث والاستقصاء التى جردت نفسها لها فى سبيل الوصول الى تحقيق ما تهدف اليه من تجميع المعلومات الصادقة من منابعها الأصلية من الشخصيات التى ترجمت لحياتها .

شعر صفى الدين الحلى

لجواد احمد علوش ــ بغداد

● دراسة جيدة تبدأ بتمهيد يدرس فيه المؤلف بيئة الحلة الطبيعية والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والأدبية . ويتلو هذا بابان : أما الأول فدراسة لسيرة صفى الدين من شعره ، وأما الثانى فدراسة لشعره : آثاره الشعرية ، مراحل شعره ، موضوعاته ، فنونه المستحدثة ، منزلته فى الشعر العربي .

وفى آخر الكتاب ثبت بمراجع الدراسة، وفهرس للاعلام .

مأساة أسرة

لجيمس آجى ــ ترجمة محمود عزت موسى

دار النهضة العربية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين

● نالت هذه الرواية جائزة بولتزر ، وهى تصور المأساة التى ألمت بأسرة فقدت عميدها فجاة اثر حادث ، وتتميز بقوة تحليلها للشخصيات .

تاريخ الأدب الأندلسي

عصر الطوائف والمرابطين : للدكتور احسان عباس

دار الثقافة ــ بيروت

● « هذا هو الكتاب الثانى فى تاريخ الأدب الأندلسى اقدمه لدراسة الظاهرة الأدبية فى عصر امراء الطوائف ودولة المرابطين ، بعد ان قدمت الكتاب الأول ، ودرست فيه الأدب الأندلسى فى عصر سيادة قرطبة ... »

فى هذا الكتاب : دراسة مظاهر التطور الأدبي ، الموشحات الأندلسية ، الزجل الأندلسى ، النثر الأندلسى .

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

باي ذنب قتلت ؟ !

● مع اعجابي « بالعربي » رأيتني مضطرا الى ابداء الملاحظة الآتية بشان قصة الاطفال الواردة بعدد مايو ١٩٦٢ .

لقد روت الاقصوصة ان الجندي قتل الساحرة.. فباي ذنب قتلت ؟ وكان المنتظر ان يلقى جزاء فعلته شرا ، ولكنه على العكس قد لقى خيرا كثيرا . فماذا تريد الاقصوصة ان تقول للاطفال ؟

كان من الممكن ان يجيء في ثنايا الاقصوصة مايفهم منه ان الساحرة كانت تنتوى استخدام علبة الكبريت في ايذاء الناس مثلا ، بل كان يمكن الاكتفاء باخذ الجندي للعلبة دون قتل المراة !

ثم ماهو العمل الخير الباهر الذى اجرى يد القدر بأن تهيىء للجندي هذا العز جزاء وفاقا له ! كان يحسن ان يقال في الاقصوصة انه ـ مثلا ـ جازف بنفسه في الحرب فانقذ وطنه ، او اتى عملا بطوليا استثنائيا ولا يكتفى بمحض الانتصار .

انني واثق انكم في غير حاجة الى اى حديث عن اثر هذه القراءات في تكوين الطفل . ولهذا اقف هنا مكررا اعجابي بمجلتكم وجهدكم وما تكتبون والسلام .

عبده حسن الزيات المحامي ـ دمياط

« **العربي** » : هذه القصة هي احدى روائع « هانز اندرسون » ، التي لقيت اقبالا عالميا .

اما تساؤل الكاتب الفاضل عن الساحرة : باى ذنب قتلت ؟ مع انه لم يرد في سياق القصة انها كانت تنوى استخدام علبة الكبريت في ايذاء الناس مثلا ، فلعل خير جواب عنه ما يذكره التاريخ عما كان يجرى في القرون الوسطى ، حتى القرن السادس عشر ، من احراق كل شخص كان يتهم بالسحر ..

اما التساؤل عن العمل الخير الباهر الذى قام به الجندي واغدق عليه القدر ما اغدق جزاء وفاقا له ، فهل كل من تبسم لهم الاقدار قاموا بأعمال خيرة باهرة ؟ !

* * *

ما دامت الاقراص متوفرة فلا داعي للعملية

● انني متزوج منذ خمس سنوات فقط ، وفي خلال هذه المدة البسيطة رزقت باربعة أطفال ، وبما أن زوجتي وحيدة في البيت فانى الآن ارغب في ايقاف النسل . ولقد اتصلت بأحد الاطباء في البحرين ، وعرضت عليه الأمر فأفادني ان أحسن شيء لايقاف النسل هو اجراء عملية بسيطة لي وذلك بقطع بعض الشرايين ، واكد لي ان ذلك لا يؤثر على قواى الجنسية . وبما انني غير مطمئن لذلك فقد جئت أسألكم اذا كان لمثل هذه العملية أثر على القوة الجنسية أم لا ..

صالح علي ـ منامة ـ البحرين

ـ **تباع في القاهرة وبيروت هذه الأيام أقراص لمنع الحمل ، بعد ان ثبت للمؤتمر الطبي الدولى الذى عقد بشانها اخيرا في القاهرة انها نجحت في منع الحمل ١٠٠٪ . اما هذه العملية التى تذكر فهى تقطع ما بين الخصى وسائر الجهاز التناسلي فتمنع الحيوانات المنوية من ان تصل الى غايتها ، وهى لا تمنع الشهوة ولكن تجعل الرجل عقيما عقما مستديما .**

فتاة حائرة .. بين ذئب وخطيب وحبيب !

انني فتاة في العشرين ، مخطوبة لابن عم لي ، يحبني ، لكني لا أحبه . وقد تعرفت بشاب وسيم ذي خلق طيب ، واجتمعت به أكثر من مرة ، ولا اكتمكم ان أخلاقه العالية منعته من ان يمد يده الى بسوء مع انني كنت أقضي الساعات الطوال في بيته ، وقد وعدني بالزواج فيما اذا فسخت خطبتي من ابن عمي ، ولكن أهلي يمانعون في ذلك ، وفجأة اطلع على علاقتي بالشاب الطيب رجل أحمق ، واستطاع أن يحصل على دليل مادي يثبت هذه العلاقة ، في غفلة منا ، واطلعني عليه ، فبهت ، ومن ثم راح يهددني بتسليمه الى أهلي ، ما لم استسلم له ، مع انني لا زلت فتاة عذراء .. وقد قادني الى بيته وحاول اغتصابي بالقوة ، ولكني استطعت ان أفلت من بين يديه ، وأفر هاربة ، ثم عاد فاتصل بي ، وامهلني أياما للتفكير ، وحدث أن زاره بعض أقاربه ليقضوا عنده جانبا من الصيف ، وسأظل في مأمن منه طالما أقاربه موجودون .. أما عندما يغادرونه فسأتعرض لاقتناصه من جديد .

ترى ماذا أفعل ؟ أأصارح الفتى الطيب ، وماذا بوسعه أن يفعل ؟! أم اصارح أهلي .. ومن اين لي الجرأة على ذلك ووالدي عنيد ، شديد السطوة ؟ .. هل أصارح ابن عمي ؟ لا شك انه سيجن ويهرع الى الفتى الطيب ، وستسوء العاقبة ..

لي سؤال اخير احب أن اطمئن اليه : هل أنا مجرمة بنظر الدين والقانون ؟

الخائفة ح . بيبة ــ حلب

ــ هبي انك لست مجرمة في نظر الدين والقانون . هل نسيت انك قد ارتكبت خطأ كبيرا ، اذ سمحت للحب أن يتسلل الى قلبك وانت مخطوبة لابن عمك الذي يحبك ؟ وهل نسيت ان خطاك هذا ليس بينه وبين الخطيئة الا حاجز رقيق ، خصوصا وانت تقضين الساعات في بيت صاحبك ، دون رقيب ، باعترافك ؟!!

اما قصتك مع ذلك الذئب الذي يريد استغلال ما تحت يده من أدلة رعونتك وطيشك فلا يخلصك منه الا أحد امرين : ان تقطعي صلتك بالشاب الآخر فورا وتخلصي لخطيبك وابن عمك ، وتعترفي له بكل شيء حتى يقف الى جانبك اذا ما نفذ الذئب تهديده ، او ان تفسخي خطبتك بابن عمك ، وتتزوجي بفتاك ، فتقطعي على الذئب خط الرجعة وتسدي عليه طريق التهديد .

اضحك

لماذا وقفت يا عزيزتي مع ان النور الاخضر مضاء ؟!

بحكم العادة !

استيقظ الزوج قبيل الفجر فرأى النور مضاء في الدور الأسفل ووجد زوجته ترابط خلف الباب الخارجي .

الزوج : لماذا تجلسين هكذا ياعزيزتي في هذه الساعة المتأخرة ؟

الزوجة : كنت أنتظر عودتك !

سبب وجيه !

الاول : ولكن لماذا رفضت ان تتزوجك .. الم تخبرها عن عملك الفني ؟

الثاني : بلى .. أخبرتها .. وهي الآن زوجة عمي !

* * *

ذكي حتى النهاية

● كان رجل الاعمال يحتضر فأمر محاميه بان يضع الفقرة الآتية في وصيته :

لكل رجل عمل معي مدة عشرين سنة أوصي بمبلغ عشرة آلاف دولار .

فقال المحامي : ولكن تركتك لا تكفي لهذا العدد الكبير من العمال .

فرد عليه رجل الاعمال : اعرف هذا جيدا واعرف أيضا أنه لم يمض على عشرون عاما في الاعمال .. ولكن الا ترى انها طريقة رائعة للاعلان والدعاية ؟

بدون تعليق

تضحك الدنيا معك ابك .. تبك وحدك !

هى : لماذا تتبعنى يا هذا ؟
هو : انا ؟! من قال انى اتبعك ؟!

الزوجة آه لو انسى مرة اننى عضو فى جمعية الرفق بالحيوان !

★★★

الخصم .. والحكم !

المحامي : اتهم موكلي بتعدد الزوجات وكانت لدى مستندات قوية والبيانات قاطعة تثبت براءته من التهمة ، ولكننى خسرت القضية .

الصديق : لماذا

المحامي : لقد كانت ثلاث من نسائه ضمن هيئة المحلفين .

الزوجة (بعد ان خطف النسر زوجها) : جون .. جون .. الق الىّ بحافظة نقودك !!

اذا كان الاردن غنيا بالاماكن المقدسةالتى يحج اليها عشرات الالوف من الغربيين والشرقيين ، ومن مختلفالاديان ، فهو ايضا غني بمصايفه الجميلة التي يتوفر فيها ، الى جانب الهدوء والهواء المنعش ، الجو العربي ، ورخص التكاليف ، سواء فى الفنادق او الشققالمؤثثة ، مما يجعلها فى متناول مختلف الطبقات .

ان رام الله ، والقبيبة ، والقدس ،وبيت جالا ، وبيت لحم ، والخليل ، وعجلون ، وغيرها من مدن الاردن كلهامصايف جميلة رائعة ، على ارتفاع ۲۷۰۰ قدم ، تظللها أشجار الصنوبر الضخمةالتى تنقى هواءها ، وتلطف من جوها ، فلا تزيد حرارتها فى الصيف عن ۲۱درجة .

فاذا اردت ان تستمتع باجازة جميلة،وجو منعش ، يجدد نشاطك ، ويريح اعصابك ، ويمحو عنك كل آثار الارهاقالذهنى او الجسمي ، وبأقل النفقات وأرخص التكاليف :

❋ فالى مصايف الأردن

❋ فلن تنساها أبدا

❋ ولن تفضل عليها غيرها أبدا

للتفاصيل راجعوا السفارات الأردنية اينما كنتم

بقية المنشور على صفحة ٦

داء الكلب .. أيضا !

● احييكم تحية اعجاب وشكر وتقدير على ما تبذلونه من جهد جهيد في دنيا الثقافة ونشر العلم، ولمجلتنا الغراء « العربي » أصدق التهنئة ، على هذا المستوى الرفيع الذى وصلته ، حتى اصبحت تضاهي ، أعظم مجلات العالم ..

سيدى : في باب «انباء الطب والعلم والاختراع» وتحت عنوان « داء الكلب .. من اين تاتى عدواه » أشرتم الى ما كان شائعا من ان هذا الداء مصدره الذئاب ، ثم ذكرتم ما وصل اليه احد البحاث اخيرا من ان « الوطواط » هو ايضا من أهم مصادر العدوى ، واخطرها .. وأحب ان أضيف الى ذلك ما طلع به العالم الالمانى : « لايدن Leyden » من ان من اسباب العدوى كذلك : حشرة تلمع ليلا : الحباحب Luciole يتناولها الكلب ، فيصاب بما تحمله من مكروبات ، بهذا الداء ، وبالعض يصيب الانسان كذلك .

ملياني ادريس
وجده ــ المغرب الاقصى

عقدة أوديب

● كثيرا ما نسمع عن عقدة أوديب دون ان نعرف عنها شيئا .. هل تستطيعون أن توضحوا لنا هذه العقدة وأسبابها ، ولماذا سميت عقدة أوديب ؟

محمد احمد نور الهدى
الكسمير ــ السودان

ــ في هذا العدد من « العربي » مقال عن عقدة أوديب ، فيه جواب ما تسال عنه .

أقدم الجامعات

● جاء في زاوية بريد القراء للعدد ٤٢ تحت عنوان الجامعات في الوطن العربي ما يفهم منه ان جامعة الزيتونة أقدم الجامعات في الوطن العربي .

ولكن من المعروف ان اول جامعة تأسست في العالم هي متحف الاسكندرية لتدريس الطب والذي تم فيه ممارسة تشريح الجسم البشري ، وهو ما زال جزءا من التعليم الطبي بدءا في الاسكندرية من مضي ما يزيد عن الفي عام ، وبهذا تكون اقدم جامعة بالنسبة للوطن العربي هي متحف الاسكندرية .

عبد الرحمن قله ـ حلب

خطأ مطبعي

● وردت في الصفحة ٧٧ السطر الأول وتحت عنوان الرحالة الأندلسي الحسن بن الوزان أو ليون الافريقي العبارة التالية :

«ولكن صديقه وحاميه البابا ما لبث ان توفي في ديسمبر سنة ١٩٢١» وورد في نفس الصفحة ايضا انه توفي سنة ١٥٢٧ على أبعد حد .

فكيف مات الحسن بن الوزان في سنة ١٥٢٧ ومات حاميه في سنة ١٩٢١ .

كما وردت في نفس الصفحة وتحت فقرة كتابه : « وصف افريقية » الجملة التالية : ان المؤلف اتم كتابه في روما في العاشر من مارس ١٩٥٦ .

فكيف هذا والحال انه توفي في سنة ١٥٢٧ . يرجى اعادة النظر والتصحيح .

صبري خيري
القنيطرة بئر العجم ـ سوريا

« العربي » : صحة السنة التي مات فيها البابا ١٥٢١ ، والسنة التي اتم فيها كتابه « وصف افريقيا » هي (١٥٢٦) .

من شعر القراء :

شعلة النصر

طلع الفجر فانهدي للصباح
واستطي للنهار كل جناح
لا تقولي انتهى الكفاح فهذي
يا بلادي اولى طريق الكفاح
كل شبر من دربنا بعدُ فيه
ظلُمات" تعجّ بالأشباح
لا تملي الجهاد سيري الى
الأمجاد فوق الأجساد والأرواح
وابذلي للعلا الاضاحي فما يروى
غليل العلياء الا الاضاحي
لا تبالي الكلاب حولك وامضي
نحو نور الحرية الوضاح
واذا سارت القوافل دأبا
لم يعد للكلاب غير النباح
شعبنا قد صحا .. ففي كل ارض
حولنا ثورة على سفاح
ثورة قادها الشباب فيا تـ
ـاريخ سجّل مطالع الاصباح
بارك الوثبة العظيمة .. هبّت
امة العُرب بعد طول ارتياح
ظما في دم العروبة لا يطفا
الا بالعنـدم الفواح
كلما ضمخ التراب شهيد
هلل النصر .. ابشري يا اضاحي
وسلاح الايمان بالحق امضى
من سلاح المستعمر المجتاح
فاذا الفجر مشرق" .. لقد هتك
الليل وولى امام جيش الصباح
طلعت شمسنا فيا مطفىء الشمـ
ـس حذار اللهيب ان كنت صاحي
وقريب ميعادنا ونرى الاوطان فـ
ـي وحدة وعز متاح

محمد انور الزعيم
ارلانكن ــ المانيا

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان : ....
....
....

املأ الكوبون بخط واضح

فلسطين بعد الجزائر

كبروا اللــه ، وحيــوا كـل ثــائر
في ذرى الاوراس ، في غاب الفضافر
وارفعـــوا هــامــاتكــم عاليـــة
فنشـيد النصر دوّى في الجزائر !
لا تقولـوا : ايــن منــا عقبــة ؟
لا تقـولوا : ايـن عمرو ؟ اين عامر ؟
هاهُم احفــادهم قــد ســطّروا
في سجل المجــد امجــادا زواخــر !
اى وربي ، انهــم احيَوْا لنـــا
ذكريــات، هــي للعُرب مفـــاخر !
وفلسطـين تنــادى اهلهـــــا :
الهــدا النــوم يا اهلــيَّ آخــر ؟
اتظل القــدس في ايــدى العِدى ؟
ايظـل البحر في حـــوزة غــادر ؟
حطمــــوا باللــــه اغلالكم
مثلما حطّمهـــا شــعب الجزائر ؟
وابتــروا يــا عرب من جسمكمـــو
كل عضـــو فاســد فيه المخاطـــر
واطرحـــوا من بـين ظهرانيكمـــو
من لــه في القـدر جولات غوابـــر
واعدوا للوغـــــى عدتهـــــا
ثم خوضـوا الحـرب ، فالنـدّ مكابر

صالح محمد جرار ــ جنين ــ الاردن

المدينة السوداء

اختـاه ، انـي قـد افقت عـلى نـداء عروبتـي
ما عاد يُسكرني الكرى ، وبَميت فيَّ رجولتي
انا قد بُعثت الى الحياة ، وكنت ميتًا في حياتي
المـارد الانســـان فيَّ وَعَى عـلى ايماض ذاتـي
وتلفتتْ عينـاي مـن حولـي ببعض تأمـــل
فاذا انا شيء ، والشيء الذي لـي ، ليس لـي
واذا حقــولي ، والينابيع الغزيرة في حقــولي
نهب لارتال اللصــوص ، وكل افئاك دخيـــل
واذا انـا في ارض آبائــي اســـمى لاجئـــا
يا (للضمير العالمي) ، لكم يسيغ مســـاوئـا
يا ثورتي بك ، بالدم الموّار ، ســوف اعيد حقي
بالنار ســوف اذيب اغلالي ، وامحو عـار رقي

الثورة البيضاء لا تجدى مع الاشرار نفعا
ما عاش فى الدنيا سوى من كان مثل الموت وقعا

ابن نصر
عمان ـ الاردن

لنا فى كل مكرمة يدان

« جميلة » ذكرتنا ما عهدنا
عن الفتيات فى ماضي الزمان
فنحن بنات يعرب مذ خلقنا
لنا في كل مكرمة يدان
نسير الى العلا قدما ونسعى
الى المجد الرفيع بلا توان
فحمدا للاله والف حمد
على استقلالنا بعد الهوان
اقمنا فى الجزائر صرح عز
ولم نابه لما يجنيه جان

الآنسة لطيفة عبد الرحمن المعاودة
قطر ـ الدوحة

ردود خاصة :

● م . راشد : الاسكندرية :

ـ يخدعك من يقول لك ان الشعوذة والسحر والاحجبة والتعاويذ تشفى اختك مما تعانيه .. هذه عقدة نفسية معروفة كثيرا ما تصيب الفتيات فى مثل سنها ، خصوصا اذا رأت زميلاتها قد سبقنها الى الزواج . والعلاج الطبى ايضا لن يفيدها .. وعلى العكس من ذلك العلاج النفسى .. اعرضها على اخصائى فى الامراض النفسية لتحسن حالتها على ما نرجو وتعود الى مرحها القديم .

حضرات السادة
المهندسين المعماريين والبنائين

نقدم لكم المستر جوفيير – المبعوث الفني لشركتكم « وليمز ووليمز » . ومهمته هى تقديم المعونة اليكم هنا فى الخليج مباشرة .–

ان كل عمل تؤديه وليمز ووليمز – صغيرا كان أم كبيرا – هو باشراف المستر اى . ار . سي جوفيير شخصيا او باشراف وكلائنا فهم خبراء . يعلمون كل شىء عن منتجات البناء وليمز ووليمز – ولديهم معرفة تامة بالاوضاع المحلية كلها . اختاروا وليمز ووليمز تحصلوا على المشورة والخدمة والخلاص من القلق .

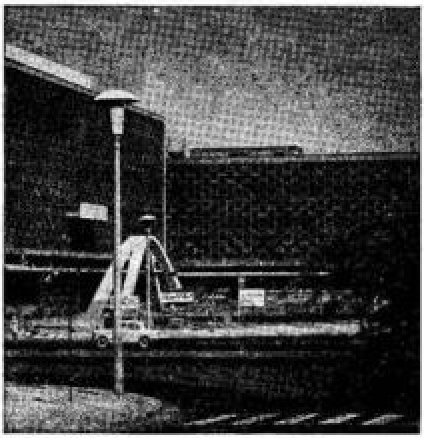

مركز بلدية الكويت الجديد

ان هذا البناء الرائع يتكون من مبنى رئيسى بأربعة طوابق وجناحين بثلاثة طوابق . لقد وقع الاختيار على وليمز ووليمز انودايزد الومنيوم وولزبان لجميع الواجهات الرئيسية .

المهندس المعمارى – سامى عبد الباقى

المقاولون – عثمان أحمد عثمان وشركاه القاهرة .

بعض الأعمال الأخرى التى قامت بها وليمز ووليمز فى الشرق الأوسط المتحف الجديد فى بغداد محطة توليد القوى فى البصرة ، تنمية ميناء العقبة فى الاردن ، مراكز الضواحي فى الكويت ، محطة الكويت لتوليد القوى فى الكويت ، محطة دبى لتوليد القوى فى دبى ، مستشفى الولادة فى بغداد، محطة الأملاح والكلورين فى الكويت ، مكاتب بابكو فى البحرين ، محطة الطاقة المركزية فى الكويت .

للحصول على التفاصيل الوافية يرجى الاتصال بالمستر اى . أر . سي جوفيير ص.ب ٦٠٩ الكويت .

WILLIAMS & WILLIAMS

الوكلاء

فى الكويت : محمد عبد الرحمن البحر وشركاه ص.ب ٦٠٩ الكويت

البحرين : الشركة الافريقية والشرقية (الشرق الادنى) المحدودة – ص.ب ٩٤ البحرين

قطر : المانع وشركاه ص.ب ٤٩ دوحة – قطر

العراق : الشركة الافريقية – العراق المحدودة ص.ب ١٧ بغداد

وليمز ووليمز تهيىء لكم منتجات البناء البريطانية مع الخدمة اللازمة .

وليمز ووليمز تصنع جدران وولزبان الواقية شبابيك الومنيوم وفولاذية ، الاشغال المعدنية المعمارية ، حواجز ضد الشمس ، انشاءات مقوسة ومنتجات أخرى كثيرة للبناء .

وليمز ووليمز من تشستر بانكلترا تعمل فى جميع أنحاء العالم .

العربي

العدد ٤٦
ربيع الثاني ١٣٨٢
سبتمبر
(ايلول) ١٩٦٢

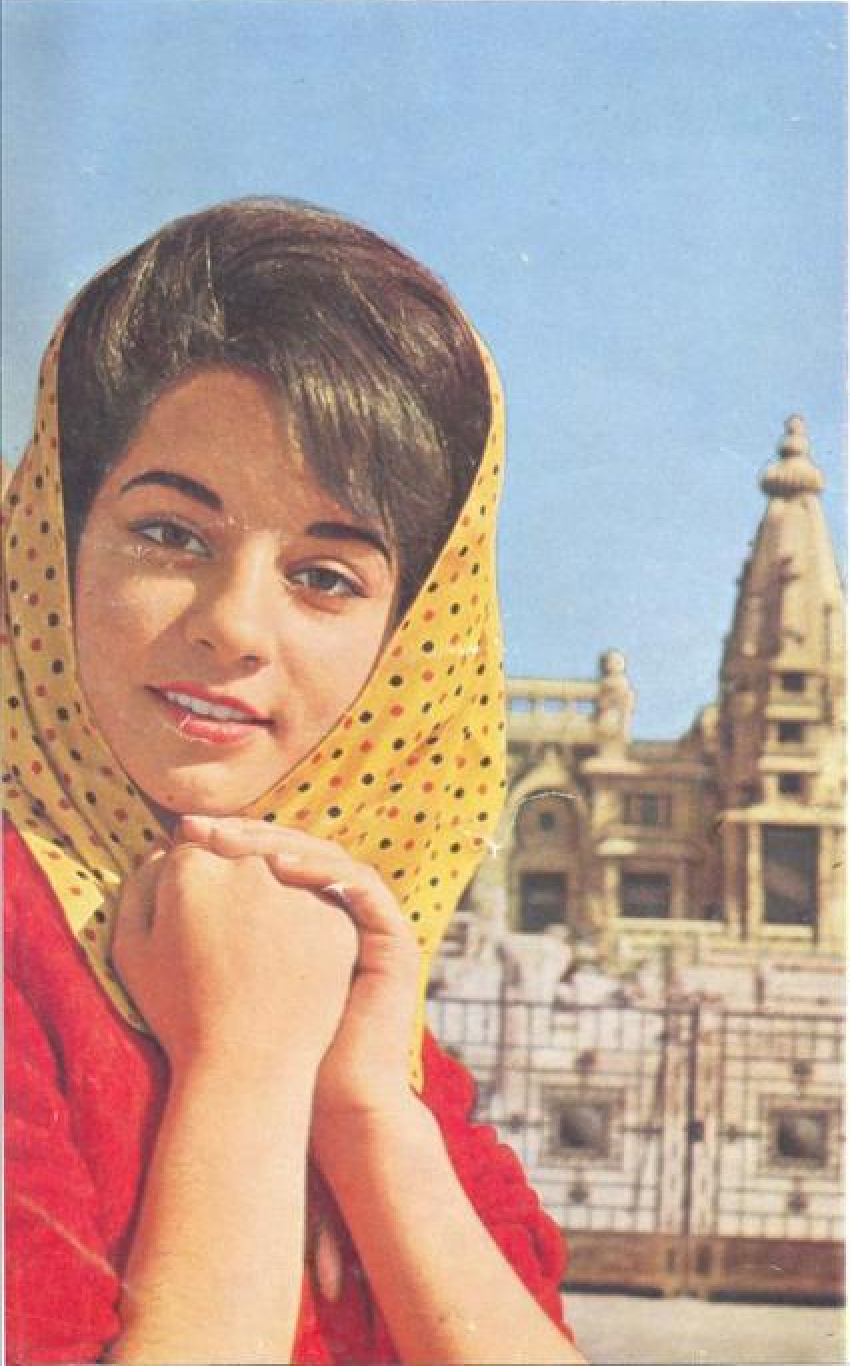

مع هذا العدد
هدية ثمينة
+
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

عربية
من مصر الجديدة
وقصر من الهند

الثمن

كويت	١١٠	فلوس
خليج العربي	٢	روبية
سعودية	٢	ريال
يمن	٥ر٣	شلن
عراق	١٢٠	فلسا
نان	١٠٠	قرش
ردن	١٠٠	فلس
ورية	١٠٠	قرش
ج٠ع٠م	١٠	قروش
سودان	١٠	قروش
يبيا	١٥	قرشا
نس	٢٠٠	فرنك
رب	٢٠٠	فرنك

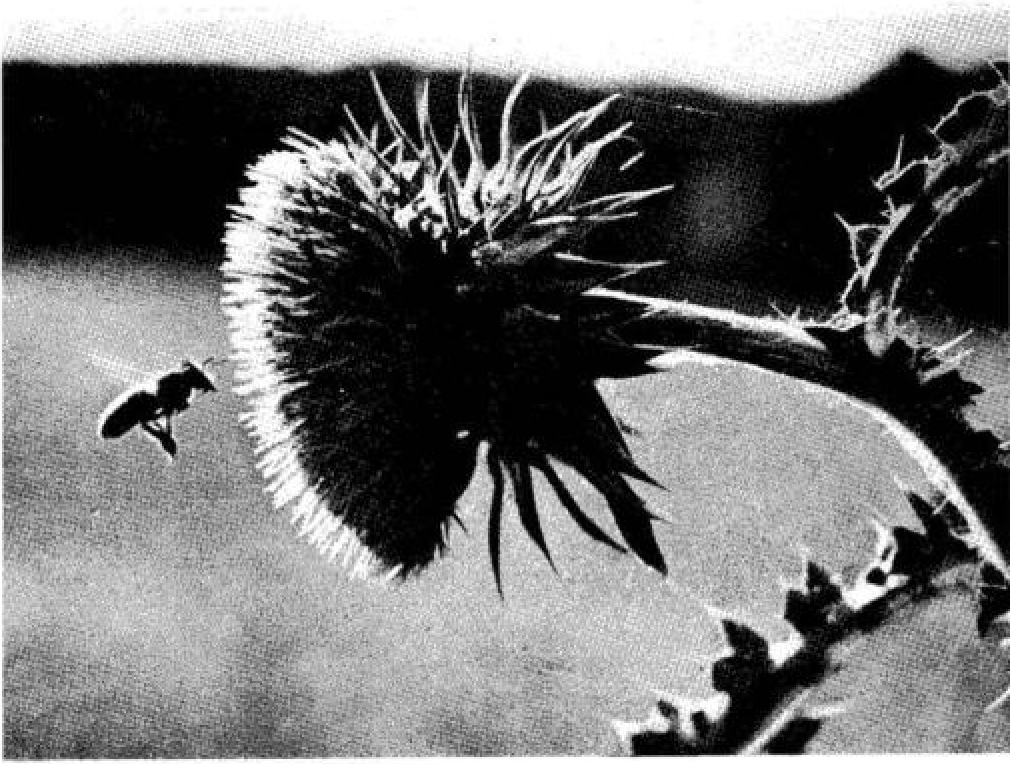

نحلة : تنظر هـل
تقتــرب ، أو لا
تقترب، ان النحل
يفكر ، ويمشى فى
دنياه على حـذر

عزيزى القارىء

بعد عددين اثنين ، تتم مجلة ((العربى)) عامها الرابع ، لتبدأ عاما جديدا فى خدمة الاهداف التى صدرت من اجلها ، وهى ان تكون هدية الكويت الى الوطن العربى كله ، وسفارته المتنقلة عبر الصحارى والبحار ، يساهم عن طريقها فى نشر الفكرة العربية الخالصة ، وتدعيم رابطة العروبة بين مختلف اجزاء الوطن ، بقدر ما يساهم فى نشر الثقافة فى ربوعه ، وايقاظ الوعى القومى وتنميته بين شباب هذا الجيل ، الذى تقع على عاتقه مسئولية النهوض بالوطن العربى ، والسير به نحو مستقبل افضل ، وغد أكثر ازدهارا واشراقا .

وفى هذه المناسبة ترى ((العربى)) من واجبها ان تشير ، بكثير من الفخر والاعتزاز ، الى هذه الثقة الكريمة ، وتلك المؤازرة النبيلة ، تضفيها عليها أنت ، أيها القارىء العزيز ، ومئات الآلاف من امثالك داخل الوطن العربى او خارجه ، مما كان له اكبر الاثر فى بلوغها ما بلغت من نجاح وتوفيق .. وهى تود ان تشكر لك ، ولهم ، بطريقة ايجابية وعملية ، هذه المؤازرة وتلك الثقة ، ولذا بدأت تدرس من الآن ما ينبغى ان تواجه به عامها الجديد من تجديدات ، ليزيدها قراؤها محبة ورضى وتقديرا .

وهى لاتحب ان تنفرد بالرأى او تستأثر به دونك ، بل تود ان تشركك فى اقتراح ما تصبو اليه من تعديل او تجديد تراه محققا لرسالتها على أقرب الوجوه الى الكمال .

فاكتب الينا باقتراحك ولا تتردد .. فهذه المجلة ليست مجلتنا بقدر ما هى مجلتك .. وكلما عجلت بالكتابة كان ذلك خيرا ، كى نجد من الوقت ما يسمح بالدراسة ثم بالتنفيذ .

وشكرا لك على كل حال .

المحـرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العـام :

استطلاعـات :

عـروبـة :

اقتصـاد :

رفات وآداب :

شـعـر :

طب وعلوم :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير

● ان مصر الجديدة هى احدى ضواحى القاهرة . لا يزيد عمرها عن نصف قرن الا قليلا . ومع ذلك فقد استطاعت فى هذه الفترة القصيرة ان تصبح مدينة كبيرة ، اذ تضاعفت مساحتها اكثر من ٢٠ ضعفا ، وقفز عدد سكانها الى اكثر من ١٦٠ الفا ، واقيمت فيها مبان ضخمة جبارة ، لعل افخمها واقدمها ، هذا القصر الذى بناه البارون امبان مؤسس مصر الجديدة ، على الطراز الهندى ، ليكون سكنا له .

(اقرأ الاستطلاع ص ٦٩ وما بعدها)

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

تربية وعلم النفس :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

اين هى ((المنح العلمية)) .. العربية ؟

● تحية من مواطن عربى ، ترعرع بين الصخوروالماشية فى أحد اجزاء الوطن العربى ، وشق طريقة بالجد والعمل والمثابرة لتحصيل العلوم ،كي يساهم بوضع حجر صغير فى تحقيق مستقبل افضل لوطننا الجديد ..

وشكرا للجهود التى تبذلونها فى سبيل نشر الوعى والتقدم والمعرفة فى الوطن العربى ، والعمل على ايقاظه من سباته العميق وغفوته الطويلة .

ولقد دفعنى الى تسطير هذه الرسالة اليكم دعوتكم المتكررة الى الاقبال على العلم والتحصيل ، من أجل العلم نفسه ، لا من أجل الوظيفة فحسب .. ودفعنى أكثر من ذلك تساؤلكم فى مختلف المناسبات التى عرضتم فيها للكشف على جديد فى الحقل العربى : أين نحن العرب من هذا ؟

ان تحصيل العلم للعلم نفسه ، كما لا يخفاكم ، يتطلب الكثير من التضحيات ، التى قد ترقى عندنا فى العالم العربى الى مرتبة المغامرات .

اضرب لكم مثلا نفسي ، على سبيل المثال ليس الا .. فقد دخلت الجامعة فى بلدى فوجدتنى فقيرا بين اغنياء ، فلاحا بين ابناء الوجهاء والعظماء ، وما لبثت ان حصلت على بكالوريوس العلوم الطبيعية ، ولم أتمكن من مواصلة الدراسة بتلك الجامعة لأنها أغلى جامعة فى الشرق ، فالتحقت باحدى الجامعات الاوروبية التى تقدر العلم لا المال وعملت داخل الجامعة وخارجها حتى أكملت امتحانى النهائى فى كلية الطب .. وهنا بدأت المشكلة .. فان الهدف الذى وضعته نصب عيني يوم التحقت بالجامعة هو ان استمر فى الدراسة ، واسلك طريق الابحاث العلمية .. وقد شجعنى على ذلك أكثر اساتذتى الذين كانوا يتابعون تفوقى والنتائج المشرفة التى كنت احصل عليها فى الامتحانات .. لكن هذا الطريق طويل ، وهو فى الوقت نفسه ، لمن كان فى مثل ظروفي ، شاق وغير مأمون ، لا من الناحية العلمية ولكن من الناحية المادية .

ذلك انه لا بد لي من البقاء فى الجامعة فترة أخرى قد تمتد الى ٦ سنوات ، والذى تدفعه

عمر بن عبد العزيز .. والفتوحات

● لقد وردت فى المقال القيم الذى نشرتموه للدكتور وليد القمحاوى عن عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل جملة وقفت عندها وهى قوله « الاسلام عند عمر ثورة انسانية » فهو يقول عن عمر : « وهكذا لم يكتف بايقاف فتوح الغاية منها اجتلاب الغنائم وتحقيق المطامع » .

وانني أتساءل هل كان الهدف من الفتوحات الاسلامية هو اجتلاب الغنائم وتحقيق المطامع ؟ ! وهل هذا بالنسبة للحكام أم بالنسبة لعامة المسلمين ؟ فان كان بالنسبة للحكام فكان احرى بعمر بن عبد العزيز الحاكم العادل ان يحول الفتوحات الى وجهتها الصحيحة ، اما ان كانت بالنسبة لعامة المسلمين فاى غنائم ومطامع حققها خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما فتح حمص واخذ الجزية من اهلها ، فلما اضطر للانسحاب عنها لظروف عسكرية اعاد الجزية لأهلها قائلا «أخذناها لحمايتكم والآن تركناكم فاليكم اموالكم»! اى مطمع واية غنيمة كانت هذه التى حققها خالد ابن الوليد ؟ ولو كان القصد من الفتوحات الاسلامية الغنائم والمطامع لأخذ الجزية ولم يفكر بردها . ولسنا الآن بصدد سرد الأعمال الاسلامية عند الفتوحات ووصايا الخلفاء بعدم قتل الابرياء من الشيوخ والأطفال والنساء والعابدين من الناس وعدم قلع الأشجار أو تخريب الديار ... الخ .

ارجو انصافا للتاريخ نشر هذه الكلمة .

محمد عبد الرحيم سمان ــ الكويت

الصحافة والاذاعة والتلفزيون .. والأخلاق !!

● مما يلفت النظر فى الانتاج الأدبى الحديث ، وفى الشعر والقصة بوجه خاص ، المناوين التى يضعها المؤلفون لكتبهم ، والتى يحرصون فيها على أن يفهم القارىء ان القصة أو المجموعة الشعرية تنطوى على أشياء جنسية مثيرة ، مثل : « لعنة الجسد » و « ايام معه » و « وليلة واحدة » الخ .. بل ان منهم من لا يكتفى بالعنوان المثير فيردفه بأن ينشر الى جانبه ، على غلاف قصته أو مجموعته ، صورة أو رسما ، لامرأة عارية أو شبه عارية ، كما فعلت مؤلفة « لعنة الجسد » ، وضعت وراء عنقها ومالت براسها على زندها ، وبرز من وراء الغلالة الشفافة صدرها ونهداها وتقاطيع جسمها بشكل مثير !

والعجيب أن الكتب الثلاثة التى أشرت اليها ، بقلم سيدتين ، مع أن المرأة دائما اشد تحفظا وحياء ...

وقرات مرة فى مجلة أدبية معروفة اعلانا عن ديوان لأحد الشعراء المعروفين فاذا هو يقدم للقراء على انه « بوح القلب للقلب ، وهمسات الجسد للجسد .. أحدث ما كتب .. واحلى ما كتب .. واجرأ ما كتب .. » !

وليت جراة شاعرنا العبقرى كانت على الاستعمار أو الطغيان أو الرجعية ، ولكنها جراة على الفضيلة والخلق والحياء والعرف الحميد .

واذا كان من المؤلفين أو الناشرين من لا يراعى الخلق أو يباليه ، فان المؤسسات الرسمية يجب أن تراعى فى ما تختار من الانتاج الأدبى أو الفنى ، ما يتلاءم مع أسس تكوين الأمة وتوجيه الشعب الوجهة المثلى . فلا يصح لدور الاذاعة مثلا أن تذيع أغانى الميوعة والتبذل التى تملأ على الناس نهارهم وليلهم ، ولا يصح لدور التلفزيون أن تعرض تلك التمثيليات الماجنة او الرقصات الخليعة التى تعتمد على هز البطون والأرداف والكشف عن الظهور والنهود والأفخاذ ، فى غير خجل أو حياء .

اننا نواجه الآن فى الوطن العربى مشكلة عويصة ، هى انعدام الشعور بالمسئولية واستشراء الانتهازية الرخيصة ، وليس ينفع فى علاج هذه الحالة مجرد اثارتها فى الصحف ، بل لا بد أن نعلن عليها حربا لا هوادة فيها ، حتى نقضى على هؤلاء الذين هم أشد خطرا على الأخلاق وعلى الأسرة وعلى الوطن من بائعات الهوى والمتجرات بالأعراض !

حسين فرج عبد القادر

الجامعة فى هذه الفترة يكفى لاعالة شخص واحد ، او على الأكثر شخصين .. وانا ورائى أسرة واهل ، وهم من بذل وضحى كل هذه السنوات الماضية ، وينتظرون عودتى كي انتشلهم من الضيق الذى سببته لهم بالانفاق على .. وهذا معناه انهيار كل الآمال التى بنيتها ، رغم اننى اعرف أن الوطن العربى فى أمس الحاجة الى الأطباء ، ولكن حاجته الى العلماء والباحثين اشد واقوى ولكن كيف السبيل ؟

ان فى العالم العربى ثروات هائلة ، والأثرياء عديدين من أصحاب الملايين . ولكن ليس فيه ــ مع شديد الأسف ــ واحد من هؤلاء الأغنياء فكر يوما فى أن ينشىء منحة علمية للطلاب المتفوقين على نحو منح « فورد » و « فولبرايت » وغيرها من المنح العلمية التى تكثر فى الغرب ، بينما لا نجد لها فى الوطن العربى مثيلا .

اننى واحد من عشرات من أمثالى يحبون أن يبقوا فى معاهد العلم ليعملوا للعلم ضمن جدرانها .. ولكن ليس من دواعى الأسف أن نرى الأموال العربية تنفق فيما نعرف ومالا نعرف ، دون أن يذهب جزء ولو بسيط منها ، لتشجيع الفكر الخلاق المنتج المكتشف ؟!

هذه سيدى ملاحظة عابرة على دعوتكم الكريمة الى الشباب العربى للعمل على تحصيل العلم للعلم ، أردت أن أبعث بها اليكم لتولوها بعض عنايتكم وأنتم تعالجون هذا الموضوع الخطير من جديد .

مواطن عربى فى ألمانيا

(البقية على صفحة ١٥٨)

مجلس كان ... ثم انفض

بقلم رئيس التحرير

■ **قال صاحبي :** فلان يكتب فتشتهى قراءته ، وهو يتحدث فلا يشتهى حديثه .

قلت : والعكس قد يصح عند غيره من الناس .

قال : والفرق ؟

قلت : فرق قلم ولسان . الانسان حين يكتب ، فكره يصبُّ فى حبره . اما حين يتحدث ، ففكره يصبُّ فى لسانه . ثم على اللسان الأداء . فاللسان اداة تصيب وتخيب . والكتابة تستدرُ الفكر استدرارا ، ولكن بطيئا ، ولا يدرى بهذا البطء قارىء . اما الحديث فاذا أبطأ ملَّه السامع .

قال : الحديث الطلق سرعة بديهة اذنْ ؟

قلت : وذلاقة لسان ، وحضور بيان .

قال : ومن الناس قلة تجمع بين الاثنتين .

قلت : هذا من فضل الله يهبه من يشاء .

مجلس من اربعة

وفى ذكرى هذه المكالمة الثنائية القصيرة حضرتُ مجلس حديث ، من اربعة ، من اهل الفطنة ، كنتُ خامسَهم ، ولست بكلبهم . واخذت انظر فيهم من حيث انهم ألسنة ، ومن حيث انهم اقلام ، فوجدت اختلافا كبيرا . منهم من يتحدث على عجل ويفيض ، ومنهم من يتحدث فى أناة . ومنهم من لا يكاد يتحدث وهو ذو قلم معروف . كان يصغى . ولعله فى اصغاءته كان يفعل مثلى ، ينظر كيف يتخلق الصحاب .

حفلات واقفة ، واحاديث عابرة خاطفة

والعادة فى الحديث ان يكون عابرا وان يكون تافها . انه هو هكذا فى اكثر الناس ،

● الأمن نعمة الحياة ، كالهواء ، ألفناه حتى نسيناه

● قوانين بلد ، لا تصلح لبلد آخر ، إلا إذا تشابهت المفاهيم

● خضوع الكبير للقانون مروءة ونبل ، ثم يصبح عادة مألوفة

● العمل ، العمل ، هو ثروة البلاد بعد أن تزول وتذوب كل الثروات

وهو هكذا فى الحفلات الواقفة التى يُدعى اليها العشرون والثلاثون . اسئلة تجرى فى الجمع ، بين الفرد ومن يلقى فى هذا الحفل ، عابرة ، واجابات اشد عبورا ، يتخللها فنجان الشاى ، يرفع الى حيث كان يخرج الكلام ، تتلوه قضمة من كعكة . ويدور هذا الانسان على هذا الانسان ، ثم هذا ، ثم هذا ، والاسئلة العابرة واحدة تتكرر . ومن رحمة الله بهم انها تتكرر مع تغير سائل ومسئول .

هذه المجتمعات التى سنّها اخواننا الافرنج ، وعنهم نقلناها ، هى بعض خطف هذه المدنية ، التى فيها اكثر الاشياء سريع خاطف . ويقال انها مجالس — لا بل مواقف — للتعارف ، ويخرج الانسان منها لم يكد يعرف احد من احد الا وجهه .

اقول العادة فى الحديث ان يكون تافها ، وضربت له مثلا تلك الحفلات الكثيرة الواقفة . ومنها التى تسمى بحفلات «الكوك تيل» ، ويغيب فيها الخمر اصلا ، والشراب الخفيف لمن شاء ، وكأن الخمر لمثل هذا اللقاء الفاتر الخاطف لانعاش من هم فى حاجة الى الانتعاش الكثير .

لا . لم يكن مجلسنا ذو الخمسة بالمجلس الواقف . كنا قلة ، وجلسنا وشربنا الشاى على مهل . وكان فى الوقت سعة . وكان مساءً فلم يعد يَشغل احدا منا فى بقية اليوم عمل .

والاحاديث كانت شهية . وكانت نافعة .

تسالنى فى اى شيء تحدثنا ؟

اذن فهاك طرفا منها ، خفيفا كما وجب ان يكون حديث صيف .

القانون ، يصلح لبيئة ، هل يصلح لبيئة اخرى ؟

— هل قراتم هذا الحادث الفظيع ، حادث بندريس ؟

وما حادث بندريس ؟

— رجل فى هذه القرية تربص ليلا برجل آخر ، حتى اذا خرج عن منزله ، دخل هو المنزل واراد ان يعبث بامراته . وقاومت . فهددها بفلق رأس ابنها ذى السنوات الخمس . ودق رأسه على الحائط لتتعظ ولم تبال ، فصرخت ، فجاء الجيران ، وجاءت الشرطة . والى مركز البوليس جاء آخر الأمر الزوج .

فما علم بالذى حدث ، ورأى الدم يسيل من راس ابنه ، حتى خرج لا يلوى على شيء . . وما هي الا دقائق حتى عاد بساطور واخذ يضرب به الرجل الجانى حتى قطع أوصاله ، ورجال الشرطة تنظر وتخشى أقترابا . ولما فعل ما فعل اسلم نفسه .

ـ برافو !

ـ انا كذلك اقول مرحى .

ـ والله ان المسالة لفيها نظر . جريمة وعقوبة . اما الجريمة فلم تتم ، وان كان راس الطفل قد بطح . ولكل جريمة عقاب على قدها . هذا هو القانون . فهل هذه الجريمة لها هذا العقاب ؟

ـ انها جريمة لم تتم ولكنها فى حكم القانون كالتى تمت ، فالذى منع من تمامها ظرف خارج عن ارادة الجانى . فكأني به قد فعل . اما مساواة العقاب بالجريمة ، فالذى وقع هو حكم الطبع . رجل يستباح عرضه فلا يجد غسل ما لحق به الا بالدم .

ـ ولكن اذا رضينا القتل عقابا لاستباحة العرض ، فما الذى يبقى عقابا للقتل ؟

ـ ومن قال ان القتل اشنع جرم ، او حتى ان القتل اكبر عقاب ؟ ان استباحة العرض هو فى رايي اشنع من القتل !

ـ ان قوانين الأمم الحديثة تجعل استباحة العرض فى منزلة دون منزلة القتل .

ـ الواقع ان القوانين التى تكون فى بلد لا تصلح أن تكون لبلد آخر الا اذا تشابهت بينهما المفاهيم ، وتشاكلت قيَم الأعمال والأفعال . هذا مبدأ مسلم به . وفى البيئة التى تضع العرض فى مرتبة فوق الحياة ، يجب أن يكون عقاب استباحة العرض فوق الموت . فالاكتفاء بالموت رحمة .

ـ ان هذا الرجل قام بساطور يقتل ، فسلب بذلك رجال القضاء النظر

« وماهى الا دقائق حتى عاد بساطور ، واخذ يضرب به الرجل الجانى حتى قطع اوصاله »

والحكم . فكيف يجوز هذا ؟ واى بلد هذا الذى يؤذن فيه لكل مجنى عليه أن يقوم هو بالحكم والتنفيذ ؟

ـ ان الرجل فعل ما فعل على الفور وفى ثورة. وفى الثورة لا يفطن الانسان الى مثل هذا . والقوانين الحديثة ترى فى الاقتصاص الفورى ظرفا مخففا .

ـ فى قرانا يقتل الرجل الرجل ، قصد السرقة ، أو قصد اشتفاء من غلّ ، ويعلم اهل المجني عليه بالقاتل ، ولكنهم لا يقتصون منه اقتصاصا فوريا ابدا . حتى لينكروا انه القاتل . وتعجز الشرطة عن تحقيق ، ويعجز القضاة . وتمر الايام ، بل والسنون ، فاذا هذا القاتل قد قتل . قتله أهل القتيل الأول . قتلوه بأيديهم لا بأيدى الشرطة . ان قتل الشرطة اياه ذلّة لهم .

ـ وكثيرا ما لا يقتلون القاتل نفسه اذا كان صغير القدر ، حقيرا . ان الثار ثار اسرة عند اسرة . فاذا اقتصوا اختاروا للقصاص اكبر راس فى تلك الأسرة .

ـ وهل فينا أحد يقر مثل هذا ؟

ـ المسالة ليست ان نقر أو لا نقر . انما هي مجتمعات انسانية ، يحكمها

التاريخ ، وتحكمها العادات والتقاليد ، تنقل اليها قوانين هذه المدنية الحديثة فلا تنفع . وقد تكون فى حكمنا نحن قوانين أصلح ، ولكن صلاحها مشروط بالبيئة التى انتجتها . وليس صلاحها فى بيئة بضامن لها صلاحا فى سائر البيئات.

الأمن ، والفزع ، فى حياة الناس

هذا كان شوطنا الأول ، فى هذا الحديث الجالس ، بين الخمسة .

ويمتدُّ الحديث ، لا ادرى كيف ، فاذا بنا نتحدث فى الأمن وفى الفزع يسود البلاد .

ــ ان ما نحن فيه من امن جعل الانسان لا يحس بوجوده . فهو ينساه . كالهواء . نستنشق منه ما نستنشق ، وهو حاجة الحياة الأولى ، ثم لا نذكره الا اذا أصاب مداخلَ الأنفاس منا انسداد .

ــ لشد ما تغير الزمان . عندما كنتُ صغيرا كان الأمن فى عاصمتنا لا يتعدى اوسط المدينة ، وكانت الشرطة عاجزة فى الأطراف ، وحتى فى الضواحى . لهذا كان لكل حي عصبة تحميه ، هم « فتوّات الحيّ » . ويقوم في الحي عرس ، ويكون له موكب ، فلا تجد رجال الشرطة تسير معه ، ولكن فتوات الحي ، بعصيّ يحملونها غليظة . وقد تلتقي العصبة والعصبة ويختصمان ، فلا يكون من حكم بينهما غير العصي الطويلة الثقيلة ، تكسَّر بها عظام وتحطَّم رؤوس .

ــ وقطّاع الطريق ، بين حيّ الأزبكية وحيّ بولاق . كان ما بينهما خرابا . بذلك حدّثنا الأجداد . وفى الظهيرة كان لا بد للسائر بينهما من حماية .

ــ وفى الجزيرة العربية ، كان الأمن فى العشرة الأولى من هذا القرن شيئا لا يُعرف . يَعرف هذا حجاج بيت الله . حتى خديوى مصر ، وهو في جنده وخيله ، لم يسلم من الغارات فى الطريق بين مكة والمدينة . هكذا يحدث البتنونى فى كتابه الذي وصف فيه هذا الحج . وقد كان هو فى هذا الركب .

غدرٌ فى الطريق

ــ وفى شرق الجزيرة ، عندنا في الأحساء ، عزّ الأمن ، فلم يكن يستطيع احد ان يبارح الا بضامن . حدثنى عمي قال : فى أوائل هذا القرن كنت اريد أن اصل بمال الى مكان بعيد لأدفعه وفاء بتجارة . وكان على مسيرة ثلاثة أيام . وكانت هناك ثلاث قبائل ، لا امرُّ باحداها الا وَجَبَ ان يكون معي من اهلها ضامن . وحصلت على ضامني الأول . اطعمته ونقدته ٥٠ ريالا عدًّا . وسرنا . وما انقضى من النهار ربعه حتى نظر الرجل اليّ وقال لقد تعمّى عليّ الطريق . وما هذه بقبيلتى . قلت : بل تلك قبيلتك ، ونحن فى اتجاه صائب . ثم سكت وعاد يقول : « يا خَوِيّ ، نحن فى غير قبيلتي ، وانت هنا مأخوذ مأخوذ . والخمسة آلاف ريال ، تلك التى تحملها ، ضائعة ضائعة . وخَوِيّك أولى بها » .

واستتبع عمي يحكي قال : عندئذ ادركت ما سوف يكون . وكنت راكبا وضامني الغادر يسير الى جانب فرسي . فابطأت من سير الفرس حتى تقدم

« فابطأت فى سير الفرس حتى تقدم الرجل واعطاني قفاه . وعندئذ وضعت مسدسى فى قفاه واطلقته

الرجل واعطاني قفاه . وعندئذ وضعت مسدسي فى قفاه واطلقته . ثم اطلقت لفرسي العنان راجعا الى بلدى ، الى الهفوف . الا رحم الله عبد العزيز ، لقد بدل من خوف الجزيرة أمنا .

ـ نعم يا فلان ، الأمن نعمة الحياة الكبرى ، كالهواء ، الفناه حتى نسيناه ، ونسيناه نعمة .

ـ ولكن ، حدثوني ، ما الذي يجعل حبل الأمن يضطرب ؟

ـ عندي انه الفقر ، وانه الجوع والعرى . ان السارق يطلب حاجة من حاجات الحياة قد عزّته . واحسب ان أحد الخلفاء ، ولعله عمر ، راى ان لا عقاب على الرجل يأخذ الخبزة يتبلغ بها وقد أدركه الموت جوعا .

ـ ومن أسباب اختلال الأمن الطمع ، على الكفاية ، وفى غير حاجة .

ـ وانه كذلك سوء معاملة الناس بعضهم بعضا . انه الظلم ، ظلم الرجل للرجل . وانه الحقد يأتى من بعد ظلم لا يكون له قصاص .

ـ ثم ضعف الحكومة القائمة ، لا سيما ان كانت ظالمة . ان الضعف يغرى ، والظلم ، يستبيح الموتور فى ظله حتى الحرام .

ـ وانى سائلكم ، هل للأمن حدود ؟ اعني متى يكون الأمن كاملا ؟ وهل نحن العرب بلغنا منه حد الكمال ؟

ـ عرفت فى شمال الأرض بلادا فيها المساكن لا يمنع الداخل اليها ، يريد الشرّ ، غيرُ ألواح على النوافذ من زجاج . فهل فى شرقنا هذا من يستطيع ان ينام ليلا فيكفيه ، ليأمن ، ألواح على النوافذ من زجاج ؟

ـ اختلال الأمن عندي يزول عندما تزول أسبابه : يزيله زوال الفقر . والمساواة فى الفرص لكسب الرزق . وتدرب الناس على الخلق الحسن ، والتنشؤ على دين. ثم سيطرة القانون.

سيطرة القانون

وانتقل بنا الحديث الى سيطرة القانون . وبدأ الحديث من جديد :

ـ لا بد أولا من وجود قانون ، ثم ننظر فى السيطرة .

ـ نعم . لا بد من قانون ينبع فى الناس من الناس ، يرضاه الجميع ، لا غبن فيه ولا اجحاف . انه لا سيطرة لقانون مجحف .

ـ نعم . لا بد للقانون من راى عام يعضده ، اذا كسر كاسرٌ بندا من بنوده أحسّ الناس ان ضلعا مما فى جنوبهم قد تحطم .

ـ ولا بد للقانون من قضاة عدول تطبقه . ولا بد للقضاة من شرطة قوية تنفذه، والا اصبحت احكام المحاكم هزءا. واذا دخل قلوب الناس استهزاء بقانون مرة ، لم يعد الى الناس احترامهم لقانون ابدا .

ـ ولا بد أن يتهيأ للجميع المساواة أمام القانون ، فلا تعلو راس فوقه ، ولا تنخفض راس دونه . وليضرب الجميع الأمثال لاحترامه وصيانته . لا سيما أولئك الذين يظن فيهم ، صوابا او خطأ ، حرجٌ يصيبهم اذا هم وقفوا امام القانون . ان الصغير يقف امام القانون ، فى خشوع ، فلا نحمد ذلك منه كثيرا ، لان هذا هو المتوقع منه ، المفروض فيه . اما ان يقف الكبير امام القانون ، فى خشوع ، كما وقف بعض ملوك الغرب وامراؤه ، فنبلٌ ومروءة . الى ان يصبح هذا الأمر عادة لا تثير احدا ، لشيوعها ، والفة الناس اياها .

اجور وارزاق

وجرى الحديث بعد ذلك مجرى آخر ، اختلف وتشعب .

وانتهى الحديث الى الأجور والأرزاق:

ـ ان الحروب أضرت بالناس كثيرا ،

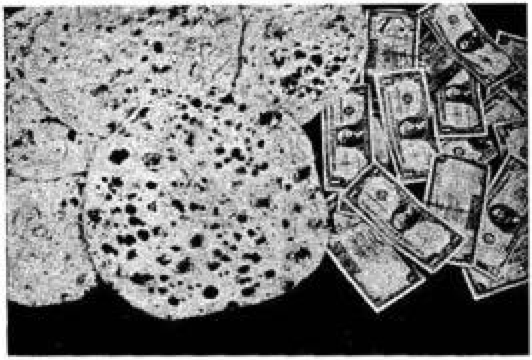

« يجب ان تثبت الاجور ، لا بان تعطى ورقا من الخزينة ، ولكن كيلوجرامات من دقيق.. »

ولا سيما بنا نحن اهل الشرق ، وذوى الدخول المحدودة خاصة .

— من تعني بذوى الدخول المحدودة ؟

— الأجَراء ، أيا كانوا ، والموظفين الحكوميين خاصة . تأتي الحرب وتنتهي، وقد انخفضت قيمة النقد الى الثلث ، ومع هذا تظل الأجور كما هي .

— ولكن الحكومات تعطى بدل غلاء .

— نسبة فى المائة قليلة ، لا ترتفع الى مثلين ولا الى ثلاثة أمثال لكي تلحق بالغلاء كله كاملا . وغير ذلك معاشات التقاعد ، يدفع الموظف عنها استقطاعات شهرية ، تستمر عشرات السنين . ويدفعها قبل حرب . وتنتهى الحرب ويَرْخص النقد . ويحال الموظف على التقاعد ، ويأخذ معاش التقاعد ، لا بقيم هذه الاستقطاعات القديمة ، ولكن بالنقد الجديد الرخيص . اجحاف لا شك فيه .

— حقيقة ان الأشياء يصيبها الغلاء ، من بعد حرب ، فجأة . وسبب هذا ان الحرب تحتاج فى الأمة المحاربة الى نفقات هائلة ، لا يتسع لها نقدها . فتزيد فى طبع النقد بما ليس له رصيد . وتنتهى الحرب ، فيكون النقد قد فقد قيمته الأولى ، وهبط الى النصف والى الثلث.

— والأمم التي لم تحارب ؟

— نقود الأمم مترابطة متشابكة ، ويكفي ان يهبط نقد الأمم الكبرى حتى يتبعها فى الهبوط نقد الصغرى ، ولو لم تدخل حربا .

— انا أرى هبوط قيم النقد ظاهرة مستمرة ، اذا هي وقعت مفاجأة فى حرب ومن بعد حرب ، فهي واقعة وباستمرار على السلم . وفى الأمم الكبيرة غلاء يزداد من عام الى عام ، بطيئا نعم ، ولكنه متراكم .

— ويشكو العمال اجورهم ، ويضربون عن عمل ، فيزدادون أجرا . ثم لا يلبث ان يزيد الغلاء مرة أخرى لكثرة المال الذي بأيديهم ، فيشكون . ثم يطلبون زيادة ثم يُؤجرون . وهكذا دواليك : حلزون ، رأسه الى أسفل ، وهو صاعد فى اتساع الى أعلى . فاذا أفلت الزمام أصبحت العملة الورقية لا قيمة لها .

— كنت أزور معهدا فى انجلترا لمطاحن غلال ، يبحث فى تحسينها ، فنا ، وادارة، وانتاجا . وبعد تمام الزيارة استأذن مديره من أجل اجتماع لا بد هو حاضره، وكان سوف تعالج فيه مسالة الأجور وزيادتها ، وبأى نسبة تكون . وتطوعت له باقتراح : أن تثبّت الأجور بأن تعطى ، لا ورقا من الخزينة ، ولكن كيلوجرامات من دقيق . لكل ساعة عمل ، كذا كيلوجرامات ، قدرها كذا .. ذلك لأن قيمة النقد الورقي متغير ، ولا صلة بينها وبين حاجات الحياة . أما الدقيق ، ومنه الخبز ، فهو قوام الحياة . والنقد يتغير بالنسبة للانتاج ، ولكن قيمة الدقيق لا تتغير .. وضحك مدير المعهد كثيرا . وقال « راى يُنظَر » !

— ولكن ما بال سائر حاجات الحياة من اطعمة وملابس ومساكن ؟

— سائر حاجات الحياة تنتسب الى القمح ، أو الى دقيقه ، فلا تتغير بالنسبة اليه الا فى حدود ضيقة ، لا تلبث أن تتعدل .

— الشيء بالشيء يذكر . كنت اقرأ منذ عام جريدة أجنبية شهيرة معروفة ،

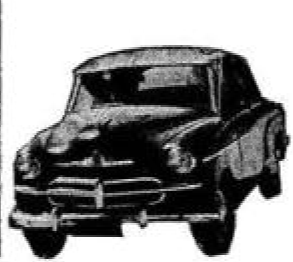

ان السيارة كان يشتريها العامل من أجر عمل ٨٩٢ ساعة ، وذلك فى عام ١٩٣٨ . وهو يشتريها اليوم بعمل ٩٧٥ ساعة

وقص الشعر ثمنه ٥٥ دقيقة من عمل عامل

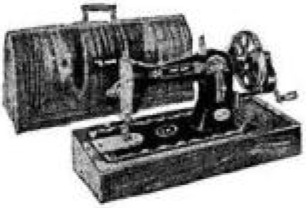

ومكنة الخياطة أجر ٩٢ ساعة من عمل عامل

وجدت بها بحثا يربط قيمة الأشياء ، لا بالنقد ، ولكن بقيمة ما يصنع العامل وينتج فى الساعة . انه بحث طريف .

وكان المتحدث صاحب الدار . فقام الى حجرة مكتبه يطلب هذا العدد من هذه المجلة ، وكان قد سجل تاريخها ، والصحيفة . وعاد . واخذ يقول ، وهو يقرا :

ان البحث قامت به مجلة الرابطة الدولية لصناع المكنات ، وهى قدرت عدد ساعات العامل الذي لا بد أن يعملها ليشترى بأجرها سيارة ، أو بيتا ، او حتى ليحلق شعر راسه . واختارت لهذا التقدير عام ١٩٣٨ ، اى العام الذى سبق الحرب العالمية الثانية . وجاء بهذا التقدير أن :

ثمن الأشياء	ما يساويه من اجر ساعات يعملها العامل
سيارة جديدة	٨٩٢ ساعة
بيت بخمس حجرات	٦٤٨٦ ساعة
مكنة خياطة	٩٢.. ساعة
رغيف خبز	٥ ١/٤. دقائق
لتر لبن	٨ ١/٢ دقائق
حلق الشعر	٥٥ دقيقة

وهلم جرا .

ـ لا بد أنهم عملوا مثل هذا الحساب عن العام الحاضر ايضا ؟

ـ نعم ، عملوه عن العام الماضى ، عام ١٩٦١ ، لتتم المقارنة ، وقد وجدوا ان قيم هذه الأشياء قد رخصت قليلا واحيانا كثيرا . مثال ذلك :

ان السيارةالتى كانت تشترى فى عام ١٩٣٨ بعمل ٨٩٢ ساعة صارت تشترى فى عام ١٩٦١ بعمل ٩٧٥ ساعة ، وهذا غلاء . ورغيف الخبز الذى كان يشترى بعمل ٥ دقائق وربع صار يشترى بعمل ٥ دقائق ونصف ، وهذا غلاء ايضا . انه غلاء قليل لا يقارن بالغلاء الذى يقحمهم فيه رخص النقد . واللبن كان يشترى اللتر منه بعمل ٨ دقائق ونصف صار يشترى بعمل ٧ دقائق . والغسالة الكهربائية التى كان يشتريها بعمل ١٧٨ ساعة صار يشتريها بعمل ٧١ ساعة فقط ، اى انها رخصت الى دون النصف . ومكنة الخياطة كان يشتريها بعمل ٩٢ ساعة فصار يشتريها بعمل ٥١ ساعة فقط .

ـ كيف ترخص ؟ ان الأشياء اثمانها فى ارتفاع ..

ـ نعم هي فى ارتفاع منسوبة الى النقد الذى تضخم ، ولكن عمل العامل فى الساعة الى ما ينتج فى الساعة ثابت على السنين .

ـ ولكنه لا ينتج البيت والسيارة والثلاجة ؟

ــ نعم ، ولكنه ينتج اشباها لها . ان كل هــذه الأشياء يمثل العمل النسبة الكبرى من نفقاتها . فتقدير هذه الأشياء بالـذى يقضي فى انتاجهـا العمال من ساعات تقدير عادل شامل .

ــ كلامك هذا يقتضي ان تظل ساعات العمل الى ما ينتج العامل ثابتة عـلى السنين . فكيف تقول ان العامل انتفع احيانا بساعات عمله فى عام ١٩٦١ ضعف ما انتفع به فى عام ١٩٣٨ ؟

ــ سبب ذلك ان الفـن الصناعـى يتقـدم ، والكثير من عمليات الصناعـة تصبح تلقائيا ذاتيا ، فهو يحتاج الى عمال أقل . فالانتاج يزداد بنسبة عدد العمال القائمين به ، فينتفعون .

ــ العمل عند هؤلاء الأقوام هو ، على ما ارى ، الأصل فى الانتاج ، فالأصل فى الأجور . ورد الأجر الى ما ينتج العامل شيء عظيم .

ــ واذن ففي تلك البلاد لا يبالي العمال ما يصنع الزمان بنقدهم . تزداد اثمان الحاجات فيزدادون اجرا ، ورقا نقدا . ان هذه الحاجات هم منتجوها ، فزيادة اثمانها بالورق فى الأسواق ، معناهـــا كذلك قيمة ساعات العمل التى يعملونها ، مقدّرة بالورق النقد .

ــ هذا فى شان العمال ، فما بــال العاملين الآخرين ؟

ــ كل الناس فى تلك الأمم التى نحكي عنها عمال . ولكن تختلف قيم ما يعملون . والفئة التى يسـمى افرادهـــا بذوى الياقات البيضــاء ، وتتضمن الكتبـة والسكرتاريين واضرابهم ، لهـم اجـور تنسب الى العامل الصناعى ، ينظر فيها الى المعيشة الكريمة التى ترضاها الأمة لسواد الناس . واهل المهن ، من اطباء وعلماء ، ومهندسين ومحامين ، لهم انتاج ولهم اجور .

ولكن الأجور تقاربت بين هؤلاء وهؤلاء كثيرا . وفى انجلترا قد يبـدأ الطبيب الناشيء بأجـر اعلى منـه أجر العامل الفنان .

العمل .. العمل

ــ نعم ــ العمل ، هو ثروة البلاد من بعد ان تزول وتذوب كل الثروات . هذه المانيا المنكوبة اكبر نكبة فى حرب . هدمت منازلها ، وخربت مصانعهــا ، وضاعت ثروتها ، وعلى الخراب الشامــل بدات تعمل وتعمل ، فى ضوء نهار ، وفى ظلام ليل ، ولقد رايتهم انا هناك يبنون البيوت من جديـد ليلا علـى أضواء الكهرباء . وبذلك صارت لها ثروة ، وصار لهـم اقتصاد متـين يفرض نفسه علـــى اقتصاديات العالم فرضا . وقوى نقدها حتى صار يهدد ما عند انجلترا والولايات المتحدة من نقد . ثم رضيت ان تغير من قيمة نقدها قليلا ، مختارة ، حتى تحفظ علـى هاتين الأمتين العظيمتين ، المنتصرتين فى الحرب ، نقدهما فلا يسقط فى أسواق العالم . والى جانب هـذا ، تعهدت بأن تقـوم عنهما بكثير مـن النفقات .

ــ نعم العمل . العمل . يفقد الانسان كل شيء ، ويبقى له العضل القوى في ذراعيـه وساقيه ، والمهـارة الطبيعية والمكتسبة فى يديه ، والذكاء والعلم في جمجمته ، والعزم والأمل فى قلبه .. وبهذه جميعا يستطيع ان يسير علـى هدى فى تيه هــذه الحياة . وسوف يحمد الشمس اذ تشرق فتنير له طريق العمل والأمل صباحا ، وسوف يحمـد للشمس غروبها للذى جمع من رزق فى ساطع ضيائهـــا . وهو سوف يحمد للأرض خيرها ، اذا حان له أن يختفي آخر الأمر فى ترابها . وهو عندئذ يرضي نفسا بانه لم يبتز من هذه الأرض لقمة الا بثمن من عمل ، بعد ان روّاها بعرق من جبينه صبيب . ■■

احمد زكى

الفُصْحَى عنوان

بقلم عبد الرحمن البزاز
مدير معهد الدراسات العربية العالية
بجامعة الدول العربية بالقاهرة

لقد آن للمفكرين العرب ان يعودوا من جديد الى بحث أمر خطير حسبوه قد بُتّ فيه نهائيا ، وقضى عليه الى غير ما رجعة ، ولكن الشواهد العديدة تتضافر اليوم من جديد لتدل فى مجموعها على انه لم يزل حيا وفعالا . ان المعركة التى ظننا اننا قد كسبناها من قبل تماما لم تزل مستمرة ، وان اتخذت شكلا جديدا ، واصطنعت اساليب من طراز جديد ، وظهرت فى ميادين أخرى جديدة .

لقد قامت معركة كبرى بين « دعاة الفصحى » و « انصار العامية » قبل جيل او جيلين ، وشحذت أفكار ، ونشطت اقلام ، لتناصر هذا الفريق أو ذاك ، ودخل الشعر المعركة ، وأبلى بعض كبار الشعراء فى الذود عن الفصحى بلاء حسنا استحق من اجله شاعر النيل لقب « حافظ الفصحى » اضفاه عليه أمير الشعراء فى مرثيته المشهورة التى يقول فيها :

عرب الوفاء وفوا بذمة شاعر
بانى الصفوف مؤلف الأجزاء
يا «حافظ الفصحى» وحارس مجدها
وامام من نجلت من البلغاء
مازلت تهتف بالقديم وفضله
حتى حميت امانة القدماء

وكان احمد شوقي بذلك يشيد بجهود حافظ ابراهيم فى الدفاع عن الفصحى ، ويشير خاصة الى قصيدته المعنونة العربية تنعى حظها بين اهلها » التى يقول فيها :

ارى لرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز اقوام بعز لغات
واسمع للكتاب فى مصر ضجة
فاعلم ان الصائحين نعاتى
ايهجرنى قومي ـ عفا الله عنهم
الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى
لعاب الافاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الالوان مختلفات

اللغة الدارجة بقيت لغة الحديث والمحاضرة

ولان انتصرت الفصحى ، بعد تلك الصيحات المدوية ، فى ميدان الكتابة والطباعة ، والنشر المدون عموما ـ مع بعض الاستثناءات فى بعض البيئات العربية الضيقة ـ فان من الحق علينا ان نعترف بان لغة الخطاب ، ولغة الحديث خاصة ، ولغة المحاضرة لحد ما ، ولغة كثير من الفنون المحدثة ، بقيت باللغات الدارجة ، الى حد بعيد .

ولقد ازداد هذا الأمر سوءا ، من بعض الوجوه ، على الرغم من تقدم الثقافة العامة ، وازدياد عدد المتعلمين ، فى البلاد العربية كلها فى السنوات الأخيرة .

وحدتنا

حول الصراع بين : اللغة الواحدة واللهجات المتعددة

لقد استجدت فى البلاد العربية ـ كما استجدت فى العالم كله ـ وسائل جديدة أبرزها « السنيما » و « الراديو » و « التلفاز » ، وصارت هذه الوسائل الجبارة تؤثر على معايش الناس ، وآدابهم وأساليبهم ، وتفكيرهم ، ولغتهم ، تأثيرا كبيرا . وأخذت السنمات ، والمسارح ، ودور الاذاعة ، ومحطات التلفزيون ، تتسع فى الأقطار العربية كلها ، وتنشط فى المدن العربية الكبرى خاصة ، وتحدث ابلغ الأثر فى حياة الناس من وجوه عديدة .

ولقد صارت لغة السنمات فى البلاد العربية كلها ـ فى القالب الاعم ـ هى اللغة الجارية على ألسنة المصريين ، أو على الأدق ، لغة اهل القاهرة . وعمل مخرجو الأفلام ، وواضعو الحوار ، على بعث كثير من التعابير والكلمات الدارجة التى كانت فى طريق الزوال والانقراض . ولكن ظهورها على الشاشة البيضاء وتكرارها على ألسنة النابهين من الممثلين والممثلات ، وترديدها احيانا كثيرة ، بانغام عذبة من حناجر بعض المغنين والمغنيات ، اضفى عليها قوة وحيوية مكنتها من البقاء ، بل الانتشار فى غير بيئتها الضيقة التى كانت سائدة من قبل فيها .

ثم جاء « التلفاز » أخيرا ، فزاد الطين بلة ، وصار يمكن « للغات الدارجة » فى المدن العربية الكبرى التى انشئت فيها محطات تلفاز أى تمكين . وحيث ان « التلفاز » يتكون من النظر والصوت فى آن واحد ، وحيث انه يعتمد على الرؤيا أكثر من اعتماده على السماع ، صار من المحتم على المشرفين على شئونه الفنية الاهتمام بالمنظر والصورة دون عبء كبير بالصوت أو اللغة . فمقدمة المناهج الجميلة الوجه الحسنة القوام ، صارت تفضل على صاحبة الصوت الأدق فى التعبير ، وصاحبة اللغة الأكثر فصاحة ، ولم يعد للبلاغة شأن يذكر . ومن هنا بالذات صارت اللغة العربية تقاسي الشيء الكثير .

وثمة حقيقة أخرى يجب أن لا نغفل عنها ، وهى ان قصر مدى محيط التلفاز صار يغرى واضعي المناهج بالاستمساك بالطابع المحلى فى كل شيء حتى اللغة . بمعنى ان اللغة المحلية الدارجة صارت مفضلة ، بل هى المرغوب فيها بالذات ، فى احيان عديدة .

ولقد شكا لي بعض فضلاء الأساتذة الذين اشتركوا فى بعض ندوات ، أو مناقشات علمية ، فى التلفاز ان المشرفين على اخراج تلك المناهج كانوا يرجونهم التحدث باللغة الدارجة ، والاكثار من استعمال المفردات والصيغ غير السليمة ، وكانوا يلحفون فى رجائهم هذا ، بحيث شعر هؤلاء الأساتذة انهم غير قادرين على النزول الى المستوى الذى يريدهم المشرفون أن ينزلوا اليه .

ولا زلت أذكر بألم مرير كيف ان الذين تحدثوا قبل مدة ليست طويلة عن ذكرى « أمير الشعر أحمد شوقى » كانوا يتحدثون باللغة الدارجة ، ولم يلتزموا بالفصحى فى الحديث عن هذا الشاعر العربى العظيم الذى يصح اعتباره ، بعد المتنبى ، أعظم شعراء العربية فى كافة العصور .

لغة المناهج

وأكثر ايغالا فى الاسفاف ان التزام العامية يوشك ان يكون الطابع الرئيسى للغة « مقدمات المناهج ». فحينما تظهر المذيعة لتعلن فقرة جديدة من المنهج تقول مثلا : (دلوأت حانسمع غنوة لعبد الحليم حافظ) بكل ما فى العامية القاهرية من رطانة ، بقلب الذال دالا ، وجعل سين الاستقبال حاءا ، وقلب الظاء زاءا مفخمة ، مع قلب بعض الحروف وابدالها بعضها ببعض .

ولست أدرى هل هناك أحد بين مستمعى التلفاز فى القاهرة حتى بين الذين هم فى أوطأ مستوى ثقافى لا يفهم المذيعة لو قالت : « والآن

ستستمعون الي اغنية من عبد الحليم حافظ » .. وحين تاتى زميلة اخرى لتشرح خلاصة المنهج اليومي فتقول مثلا :

« وبعدين حانشوف حلئة جديدة من حلات كاستلو » ومرة اخرى تتساءل هل هناك في القاهرة او غير القاهرة ، من لا يفهم المذيعة لو قالت : « وبعد ذلك ستشاهدون حلقة جديدة من حلقات كاستلو » ، وابقت « القاف » قافا في حلقة وحلقات ، ونطقت بالجيم معطشة على غرار من يقرا القرآن فيقول :

« وجاءوا اباهم عشاء يبكون » ، وابقت السين للاستقبال ، وهو حرف سهل يسير ، واشعرت السامعين جميعا انها عربية تنطق بلغة الضاد ، كما ينطقها ، او يجب أن ينطقها ، كل العرب ، في كل ديارهم .

وما نسمعه اليوم من مذيعات تلفاز القاهرة ، تسمع مثيله من مذيعات ومذيعي بيروت ، أو بغداد او الكويت او الظهران . وسيسمع ، غدا او بعد غد ، من اذاعات الجزائر ووهران ، بعد ان يتم استقلال الجزائر ، ويتم استيلاء الجزائريين على المرافق العامة كلها ، وذلك ما لم تتغير الحال في اذاعة القاهرة نفسها بوصفها اهم اذاعة عربية من وجوه عديدة لا من حيث طاقاتها ، ولا من حيث استمرار مناهجها فترة اطول ، ولا من حيث كثرة المشاهدين والمستمعين لها فحسب ، بل فوق ذلك ، لان المنهج الذى تسلكه ينعكس بسرعة عجيبة في بيئات عربية اخرى ، على اساس من التقليد والاقتداء ، او التحدى والمنافسة ، وسرعان مايصبح مثالا يحتذى من كثيرين . ولذلك فان محطة تلفاز القاهرة مطالبة اكثر من غيرها بمزيد من الحذر ، ومزيد من الدقة ، وجهد اعظم في حسن الاختيار .

واكثر من هذا فقد نجد العذر لاذاعة بيروت التى تديرها شركة تجارية ، كما نجد العذر لاذاعة الكويت ، بوصفها اذاعة صغيرة ناشئة ، وقد نجد العذر لكل اذاعة اخرى غير اذاعة القاهرة . فمسئوليات محطة تلفزة القاهرة ، واذاعات القاهرة عموما ، وهى جزء من جهاز الدولة القومية ـ جد عظيمة ، لهذه الاعتبارات كلها ولكثير غيرها .

ان هذه الادارة الجبارة مطالبة بان تقوم في خدمة اللغة العربية ، ـ وبالتالى القومية العربية خدمة مجدية ، في بعثها ، وتجديدها ، وجعلها صالحة لاداء كل ما يطلب من اية لغة حية في العصر الحديث في الفنون ، والآداب ، والعلوم ، والمعارف، وفي كل ميادين الثقافة باوسع معانيها .

لنا في الاذاعة البريطانية قدوة

ولقد قامت الـ « B.B.C. » مؤسسة الاذاعة البريطانية ، بجهود عظيمة في اشاعة التلفظ في اللغة الانجليزية ، وقضت على كثير من اللهجات المحلية ، وطرق التلفظ المتنافرة لكثير من الالفاظ ولقد عبات الادارة المسئولة كل القوى في بلادها ، واستعانت بالفنيين من رجال اللغة والادب ، والفن وعلم الاصوات ، والمربين ، وعلماء النفس ، وغيرهم . وخدمت بذلك اللغة الانجليزية خدمة جلى . ويجب ان لا يكون جهد الاذاعات العربية اقل منها في خدمة لغتنا العربية .

لابد من اعادة النظر في مناهجنا

ان اجهزة الدعاية والاعلام قادرة ، لوشاءت ، ان تقوم بهذا العمل الجبار . ولكن لابد لها قبل كل شيء ان تعى خطورته ، وتقدر امره حق قدره ، وتستعين بكل القابليات العربية استعانة تامة ، وان تعيد النظر ، بين حين وآخر ، في مناهجها واساليبها على اساس من النقد الذاتى المخلص البناء ، واستهداف تام لغايات « القومية العربية السامية » ، في اطار من كيانها الحقيقى الذى لا ينازع فيه اليوم اثنان من رجال الفكر القومى الواعي ، وهو ان « العربية » اولى دعائم قوميتنا ، وهي عنوان وجودها ، وسر بقائها ، وهى ، بعد ذلك ، السلاح الخطير الذى به ، قبل كل شيء ، تستطيع القومية العربية انجاز رسالتها كاملة في كل الميادين .

والسلطات المسؤولة لذلك مطالبة ان تعمل على نشر هذه اللغة ـ اللغة العربية السليمة العامة المشتركة ـ بكل وسيلة ، وفي كل امر من امورنا . وعليها ان تضع حدا لتلك الافكار المناهضة للقومية العربية في الصميم ، تلك الدعوات التى تزعم ان اللغة الدارجة في مصر هى اللغة القومية ، وان العربية الفصحى هى اللغة الرسمية التى يجب ان تبقى ـ ان كان لا بد من بقائها ـ قاصرة على الكتابة وبعض الشؤون الاخرى في اضيق نطاق .

فريق يريد ان يتخذ من اللغات العامية المختلفة دليل شتات

وما دمنا قد بلغنا هذا الحد في القول ، فحرى بنا ان نعلم بانه حين يصدر اليوم فريق كبير ممن يؤثرون اللغة الدارجة على لغتنا الفصحى الواحدة سيرا وراء السهل المأنوس ، او خشية من اللحن وتهيبا من الفصحى ، او خضوعا لمؤثرات التقاليد والاعراف المحلية ، او خوفا من الاتهام بالتحذلق والتعالى الثقاف ، فهناك ـ في الجهة الاخرى ـ ، من دون ريب ، فئات عديدة تضمر وراء الاستمساك بالعامية غايات بعيدة خطيرة ، تتستر عليها بحجج تصطنعها وتزوقها حينا بعد حين ، لتخفى مآربها المسيئة ، اشد الاساءة ، الى قوميتنا العربية ، والخطرة ، اعظم ما تكون الخطورة ، على مستقبلها.

فهناك فريق يريد ان يتخذ من « اللغات العامية المتباينة » دليلا على الشتات ، وانعدام الوحدة بين شعوب الامة العربية . بمعنى انهم يريدون ان يؤكدوا بان هذه المفارقات والتباينات اللغوية القائمة بين مختلف الشعوب دليل على بطلان « الوحدة العربية » لانهم يعلمون يقينا ان وحدة اللغة اقوى دعائم الوحدة لاية امة من الامم .

وفريق شعوبى يتخذ من المذاهب الشيوعية سندا لتفتيت الوحدة

وهناك فريق ثان ورث ـ شعوريا او لا شعوريا ـ شعوبية العصور السالفة ، وجدد يفلسفها في اطار من الفكر الجديد ، واخذ يسبغ على شعوبيته تلك حلة براقة من المظاهر الموهمة ليغرى فريقا من البسطاء باسم العلم والفن ، او بدعوى التطور والتجديد . ان هذا الفريق ـ سواء كان شعوبيا بالمعنى التاريخي العريق الذى عرفته الامة العربية فيما مضى ، او بمعناه الحديث ـ يتخذ من الماركسية والمذاهب الشيوعية والمادية عموما سندا لدعوته . فهو لا يؤمن ـ من حيث الاساس ـ بوحدة الامة العربية ، وهو حين لايجرؤ ـ لاعتبارات سياسية ـ على الافصاح عن هذه الحقيقة ، يرى من الافضل ان يدس على الامة العربية عن طريق ابطال اسس وحدتها ، وتحطيم دعامتها المتينة الاولى . وليس ثمة سبيل افضل من تاكيد وجود « اللهجات » المتباينة ، وبالتالى « اللغات المحلية المختلفة » ، ولذلك تراه يشيد في اهميتها ، ويعنى ببعث آدابها ـ ان كان لها حقا آداب ـ ، وثبت امثالها ، ويحيى ما يسمى من شعر فيها ، ـ وما هو من الشعر فى شىء ـ ويعظم فنونها ـ واكثرها باهت وسخيف ـ ، بذلك يؤكد طابع الانفصال ، والتشتت ، والتعدد . وعن هذا الطريق بالذات يمهد لاغراضه السياسية البعيدة المرمى « المعارضة لوحدة امة العرب » .

وفريق ممن تاثر بالمستعمرين يستخدم منطقهم لتقطيع اوصالنا

وهناك فريق ثالث ، غالبيتهم العظمى ممن لا يزالون يقاسون من آثار الاستعمار الغربى الفكرى الذى قد لا يشعرون حقيقة بوطأته ، ولكنهم على كل حال بعض ضحاياه .

ولقد كان الاستعمار الغربي قد اشاع بيننا باننا لسنا شعوبا متعددة مختلفة بالمعنى السياسى فحسب ، بل نحن ، في الوقت ذاته امما عديدة تختلف في فنونها وآدابها وشعرها ولهجاتها ، وميزاتها اختلافا بينا . اننا امم ـ فيما يزعمون ـ كأمم « اللاتينية » وان « وحدة الاصل اللغوى » لا تمنع هذا التنوع والاختلاف ، كما اختلف الطليان عن الاسبان ، وعن البرتغاليين ، على الرغم من الاصل الواحد للغات الايطالية والاسبانية والبرتغالية ، وهم لذلك يتنادون ، او يتهامسون ، ـ حين التنادى الصريح ـ « علام الاستمساك باللغة الواحدة ، والحرص على الادب الواحد والاعتزاز بالتراث القديم الواحد ، والابقاء على الخط الواحد ؟! ان كل ما في هذا الكون يتجدد ويتطور ، فلتتطور هذه اللغات حسب بيئاتهاواوضاعها الخاصة ونماذج حياتها .. ! ان هذه الدعوات الضالة اثرت ، من دون شك ، بعض الشىء ، في بعض البيئات قديما ، ولا تزال تؤثر الى اليوم بحيث استساغ اديب عربى كبير في لبنان طبع احد دواوين شعره بالحروف اللاتينية التى وضعها هو بنفسه ، وهو يحسب انه يحسن بذلك صنعا .

المستشرقون أغرقوا في العناية باللهجات العامية ليؤكدوا اهميتها

ولقد ساعد « الاستشراق » على دراسة اللهجات العامية ، واغرق فريقا من الباحثين على العناية بها ، وتاكيد اهميتها ـ لا في سبيل تقريبها تدريجيا من الفصحى ، ثم القضاء التام عليها ـ ولكن ليتاكد ان « الادب » في تلك اللهجات ،

والحرص على أساليبها ، ضروري لابراز سمات الشعوب المختلفة واظهار طابعها المتميز . وانه لمن المؤسف حقا ان تشيع هذه الروح حتى بين كبار ادباء العربية واساتذتها ممن يكتبون بالفصحى ولكنهم في الوقت ذاته ، حريصون على ابراز الطابع المحلي ، وتأكيد لزوم العناية به ، بحجة انه وحدة الادب الحقيقي النابض بالحياة ، المعبر بصدق عن طبيعة الشعب .

وغالى فريق آخر ، تحت تأثير هذه النزعة ، في انتقاص الادب العربي العام المشترك ، واعتبره غريبا عن بعض الاقطار العربية لأنه ـ فيما زعموا ، لا يصور حياتها ، ولا يعبر عن حقيقة وجودها .

نزعة اقليمية تستهين بالادب العربي الخالد

ولقد بلغت هذه النزعة الاقليمية الضيقة حد الاستهانة بالادب العربي الخالد ، وغرر شعره ، اذ يقول احد الكتاب (١) :

« ومن الغريب في قصص انتقال ثمرات الحضارة من شعب الى شعب وتوارث الامم امجاد بعضها البعض ان الامم بطبعها تعرف الجيد فتنقله ، وتدع الردىء او الخاص بقوم فلا تقبل عليه ... »

« و كذلك يقال في الحضارة الاسلامية ، فان فيها ما هو عالمي ينفع البشر اجمعين ، وفيها ما هو خاص بالعرب ... فاما العالمي الذي ينفع البشر اجمعين فالطب والتصوف والادب الشعبي ، واريد بالادب الشعبي ذلك الانتاج الساذج البسيط الذي صدر عن جماهير مملكة الاسلام دون تكلف ، فخرج طبيعيا انسانيا يلائم مزاج الشعوب عامة كالقصص البسيط الذي يتمثل لنا في الف ليلة وليلة وما جرى مجراها ، وكالشعر الشعبي الذي يمثله الزجل والموشح . فاما ما عدا ذلك فقد يكون عظيما في ذاته ، ولكنه ليس انسانيا عاما في جوهره ، وهو قد اعجب العرب لانهم عرب ، ومن امثله ذلك شعر الفطاحيل ممن يتعجب الناس عندنا من انصراف الدنيا عن ادبهم على ما يحدثونه في العالم العربي من دوى ، كالمتنبي والبحتري ، وابي تمام مثلا ، وهؤلاء وانداهم لا يساوون في ميزان الحضارة العالمية شاعرا كعمر الخيام الذي اجمع اهل الارض جميعا على رباعياته .. !! »

فانت ترى ان « الزجل الشعبي » والقصص البسيط في رأى المؤلف الفاضل هو من الجيد الذي يحق ان يعد من الادب العالمي ، اما المتنبي فهو ، في رأى المؤلف ، من النوع الرديء او الخاص بقوم دون قوم . ؟ !

وأديبة كبيرة تجرح بالنقد اللاذع اعظم شاعر انجبته الامة العربية

ان هذه الروح هي التي دفعت اديبة كبيرة ان تكتب قبل فترة قصيرة من الزمن مقالا تملؤه بالنقد اللاذع ، والسخرية الساخرة ، عن اعظم شاعر انجبته الامة العربية وتجعل عنوانه استثاريا هكذا: « شاعركم الاكبر في قفص الاتهام » (٢)

واخطر ما في هذه الدعوات انها قد تغرى فريقا من الشباب ـ باسم الابداع والتجديد ـ الى الايمان بهذه الدعوات ، والاستهداء بها في المسير ، وهم لا يدركون انهم بذلك ينحدرون الى قرارة الوادي ، حين يريد الاستمساك باللغة العربية الواحدة ، والادب العربي الرفيع المشترك الواحد ، الصعود بهم الى قمة الجبل ، والوقوف بهم في مصاف الخالدين من نوابغ هذه « الامة الواحدة » الممتدة عبر العصور ، وامتداد الاقطار الشاسعة .

الاستعمار يمهد لتحطيم الوحدة بتشجيع اللهجات

والاستعمار الذي يرهبه ، اشد ما يرهبه ، نهوض هذه « الامة الواحدة » ، بلغتها الواحدة وآدابها الواحدة ، وتاريخها وتراثها الواحد ، يمهد بمكر لتحطيمها ، وابطال دعوتها ، بتشجيع اللهجات المتعددة ، وتأكيد الخلافات الجزئية التي لا يخلو وجود امثالها في اكثر الامم انسجاما ، واعظمها اعتزازا بوحدتها ، كالامة الافرنسية او الامة الالمانية .

وفريق يرى ان ستعم لهجة وادى النيل ، وكفى المؤمنين القتال

وهناك فريق رابع ممن يؤثرون اللغة الدارجة ، ليسوا اقل خطرا من الفرقاء الثلاثة الذين اشرنا

(١) انظر ص (٦٣، ٦٤) من كتاب مصر ورسالتها: تأليف الدكتور حسين مؤنس (سلسلة اخترنا لك رقم ١٧ ، دار المعارف) .

(٢) عدد الاهرام المؤرخ ١٩٦٢/٢/٢ .

اليهم من قبل ، وهم الذين يتصورون امكان صيرورة « اللغة الجارية على ألسنة الناس في وادى النيل هى اللغة المشتركة التى توحد بين الأمم العربية » . اذ يرون « فى لهجة الخطاب المصرية بين المثقفين ، وفى المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية ونحوهما ، انها لا تختلف كثيرا عن تلك اللغة العربية الفصيحة التى ننشدها ، من حيث الألفاظ والمعانى ، ويقتصر الخلاف على بعض التراكيب وأساليب التعبير كطرق النفى ، وصيغ الكلمات والتحلل من الاعراب بالحركات ، والتزام صورة معينة فى الاعراب بالحروف وغير ذلك من امور يمكن بسهولة ارجاع كثير منها الى لهجات عربية قديمة ... وحجتهم فى دعواهم ان كل الظروف مهيأة لهذه اللهجة المصرية ، فاذاعة وادى النيل تسمع فى قوة ومع الاعتزاز بها فى كل الأمم العربية ، ويؤثر القوم هناك كل ما تذيعه محطات القاهرة ، وما ينتجه وادى النيل من افلام ، وما تقوم به الفرق التمثيلية من مسرحيات ، وما تكتبه بعض الصحف والمجلات بذلك الأسلوب الدارج على الألسنة والسائد فى الحديث والخطاب .

ولسنا فى هذا بحاجة الى وضع الخطط ، بل ان مجرد الاعجاب بهذه اللهجة المحلية يولد التقليد لها ويحمس أبناء الأمم العربية ليحتذوها فلا يكاد يمضى زمن طويل حتى نراها وقد سادت أو انتظمت جميع أنحاء تلك الأمم . بل هم يقالون فيؤكدون لنا ان مستقبل اللغة العربية المشتركة التى ستوحد بين الأمم العربية مرهون بلغة وادى النيل ..

وفى رأيهم انه من الواجب أن تكون نظرتنا للأمور أكثر واقعية ، وأن نتذكر دائما ان تلك اللغة التى يدعون اليها موجودة فعلا ومزدهرة فعلا ، تمثل بها المسرحيات الكثيرة وتذاع بها البرامج المشوقة ، وتعرض بها الأفلام الجيدة بل وتكتب بها بعض المجلات والصحف .

العملية اذن فى رأيهم لا تحتاج الى أكثر من المزيد من التشجيع . فاذا كان ما يذاع الآن نصفه بتلك اللهجة الدارجة يجب أن تصبح نسبته أكثر كثيرا مما يذاع بما تسميه العربية الفصحى التى يمكن قصرها على الأحاديث الدينية وبعض الدراسات الأدبية والفلسفية ولكن فى مجال ضيق محدود(١).

ولسنا نريد أن نطيل النقاش لهذا الرأى العجيب الذى يجعل « الأمة العربية الواحدة » أمما عديدة ، ويريد أن يفرض لغة ما يسميه « بوادى النيل » ـ وفى وادى النيل لهجات يختلف بعضها عن بعض أكثر من الخلاف بين لهجة سكان الاسكندرية وغزة مثلا ـ ، والذى يريد أن يجعل لغة القرآن كاللاتينية قاصرة على بعض الأحاديث الدينية والدراسات الفلسفية فان تهافته ظاهر للعيان ، ولكن المؤسف حقا وجود كثيرين يروجون له ، ويعملون بوسيلة أو أخرى ، لتحقيقه اليوم فعلا .

ولذلك فواجب الجهات المسئولة ـ وهى من دون شك مؤمنه بعروبتها الشاملة القائمة على لغة الضاد ، جامعتنا الأولى ، أن يتنبهوا الى خطورة هذه الدعوة وآثارها السيئة على الأمة العربية والقومية العربية .

نشيد « والله زمان ياسلاحى »

ان الآراء التى اقتبست بعضها باسهاب ليست قاصرة على فريق من الأساتذة بل أنها فى واقع الحال تظهر بين الحين والآخر بأشكال عديدة . فحين تعتزم الدولة ابدال ألفاظ نشيد « والله زمان يا سلاحى » بلغة عربية سليمة ، تتناسب مع وضع الجمهورية العربية المتحدة اليوم ، وتتسق مع رسالتها ، تقوم قائمة فريق من كبار الصحفيين فيتنادون بلزوم الابقاء على اللغة الدارجة بوصفها ، هى وحدها ، « اللغة القومية للمصريين » ، ويذهبون ، الى ما هو أبعد فى الضلال فيسمون « العربية الفصحى » باللغة الرسمية . فكأن هناك لغة رسمية للدولة تستعملها فى الدواوين والشئون السياسية العامة ـ كالانجليزية فى الهند وباكستان اليوم مثلا ـ ، ولغة قومية هى اللهجة الدارجة على ألسنة العامة فى مصر ، والتى هى اللغة القومية .... !

---

(١) أنظر « صفحة ٩٩ » من كتاب محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة . ألقاها الدكتور ابراهيم أنيس (من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية لسنة ١٩٦٠) . ويقول المؤلف فى الدفاع عن أصحاب هذا الرأى : « وليس من العدل أن نصف أصحاب هذا الرأى بعدم الاخلاص لأوطانهم . لأننا نلمس فى كلامهم حماسا عجيبا للقومية العربية » . حقا انه لحماس عجيب ... ؟! .

وحين تمتنع بعض الهيئات الرسمية عن قبول الروايات والتمثيليات المكتوبة باللغة الدارجة ، والمقدمة اليها للمساهمة فى مسابقات معلنة لأحسن رواية ، أو لأحسن تمثيلية ، تنشط اقلام كثيرة فى انتقاد موقف المسئولين الذين يلتزمون اللغة الفصحى ، لغة الكتاب . ويدعى بعضهم ان هذا الالتزام عرقلة للفن ، وقضاء على الابداع والتجديد ... وكأن الفن والتجديد لا يكونان الا بهذه اللغة الدارجة المفتقدة للقواعد الثابتة ، والسمات المميزة ، ناهيك عن الهنات العديدة الأخرى ...

السخرية بالفصحى على المنابر العامة

ويتمثل بهذا الأمر ظاهرة خطيرة أخرى هي محاولة لازدراء بالعربية الفصحى ، والتهويل فى صعوبتها ، والزعم بعدم قدرتها على اداء ما يتطلبه الفن الحديث ، والعلم المتجدد .

وسلك فريق ـ لتحقيق هذا الارجاف ـ طريقا خبيثا مؤداه الهزء بالفصحى ، والتندر على الناطقين بها ، واصطناع المسرح ، والحوارت الفكاهية ، وافلام السينما ، منابر للتشنيع والقذف .

ولقد ظهر ـ منذ بدء الانتاج السينمائى فى البلاد العربية ـ عدد كبير من الأفلام التى لا يجرى الحوار فيها بالفصحى الا على لسان معلم مغفل بليد ، يصبح ، بسبب التزامه للفصحى ، موضوع تندر طلابه وطالباته ، أو فى حديث مأذون شرعى تافه يظهر بمظهر المتهالك على الاسراع فى عقد الزواج لغرض الانتفاع المادى ، والا فى حديث شاب أزهرى الثقافة دخل مهنة جديدة ـ كأن يصبح ضابط احتياط مثلا ـ ويبقى حريصا على استعمال الفصحى، متشددا بقواعدها فى غير مراعاة لمقتضى الحال بحيث يبدو غير مفهوم من قبل الذين يخاطبهم ، وما الى ذلك من مشاهد تثير الهزء ، وتدعو الى السخرية . ولا يخفى ان السخرية التى تنصب أول الأمر على المتحدث نفسه ـ وربما يكون هذا هو غرض واضع الحوار الأصلى ـ سرعان ما تنجرُّ ، بصورة لا شعورية ، الى اللغة العربية ذاتها. وفى هذا من الخطورة على هذه اللغة ومقامها ما فيه .

ام هى ارستقراطيات تخلفت تمتهن العرب وتزرى بالفلاحين

وقد يكون هذا الموقف نتيجة ظاهرة اجتماعية هى الأخرى حرية بالتنبه : « ان الارستقراطية التركية الشركسية » ، وبعدها « الارستقراطية المتفرنجة » ، التى تحكمت فى المصريين حينا من الدهر ، كانت تشعر ان الذين يتكلمون العربية السليمة ، بمخارجها الصحيحة ، ونطقها الفصيح ، انما هم القرويون ، والفلاحون ، والاعراب ، وأولاد العرب ، أو أبناء البلد . وان هذا لا يستقيم مع « مقام هذه الطبقة العليا » الحاكمة التى تريد أن تقيم بعجمتها ، وبانحرافاتها فى الحديث ، وبكثرة استعمالها للمصطلحات الأجنبية والتعبيرات الوافدة ، والمفردات الغربية ، دليلا على ترفعها وانفرادها . فهى لذلك تؤثر أن تكون تحية الصباح « بونجور » الفرنسية أو « بونجرنو » الايطالية ، وعلامة استحسانها « برافو » بدلا من احسنت او اجدت ، وتقول « مرسيه » بدلا من شكرا . ، و « اوروفوار » بدلا من الى اللقاء و « باى باى » بدلا من فى امان الله . وهى تحرص على أن تسمى الأب « بابا » والأم « ماما » أو « نينا » والعم « اونكل » والعمة « تانط » والمعلمة « أبله » ، والحلاق او المزين « كوافير » والمسرح « تياترو » ، والتنزيلات أو البيع الموسمى « اوكازيون » والصحيفة او الجريدة « جورنال » والمنضدة « طربيزة » ، وعشرات اخرى من هذه الكلمات الأعجمية ، والمصطلحاتالغربية مع وجود ما يقابلها فى اللغة العربية ، بل ما هو أدق فى دلالته عنها ، وأجمل وقعا على الاسماع ، وأيسر على الألسنة .

وقد شوهت هذه « الارستقراطية الأعجمية » ـ ولم يكن فى قدرتها الا أن تشوه ـ مخارج الحروف العربية . فصار الثاء تاء ، والثاء تاء أو سينا أو صادا فتقول « تلاتة » ، وسقافه وعصمان بدلا من ثلاثة وثقافة وعثمان ، وصار الدال ذالاً والذال زاءً فتقول هزا وزاك وزلك ، وصار الظاء تاء وصار الضاد والظاء زاء مفخمة او مماله ، وصار القاف همزة ، وخرجت الحروف فى أحيان كثيرة من غير مخارجها السليمة ، وادى ذلك الى التواءات وانحرافات وتشويهات انتقلت ، عن طريق التقليد والاقتفاء ، من الخاصة الى العامة ايضا ، أي من الحاكمين الى المحكومين، سيرا وراء قاعدة ، الناس على دين ملوكهم .

ابتعاد عن اللغة العربية ازدياد من ثقافة

ان موقف الارستقراطية هذه يذكرني بملاحظة

كانت قد ابدتها لي مرة فتاة لبنانية تزوجت عراقيا ، قالت : « حينما كنت طالبة فى مدارس لبنان الخاصة ـ واكثر مدارس لبنان الى اليوم خاصة تشرف عليها هيئات محلية او جمعيات دينية طائفية او تبشيرية ـ كنت استحي من النطق بالعربي الفصيح ، وكنت اتعمد الامالة والتحريف والاستعجام ، شاني فى ذلك شأن بقية الطالبات . وذلك كله بقصد الظهور بمظهر « المتفرنسات » اللائي لا يعرفن من العربية شيئا كثيرا ، ولا يجدن النطق بها ، وكنا بذلك نكسب ود مدرساتنا واحترامهن ـ او هكذا نتصور ـ على اعتبار اننا بذلك نتمثل اللغة الفرنسية ، ومخارج حروفها ، ونقترب من الحضارة الافرنسية . وكان شعورنا حين ذاك ـ وهى تعترف اليوم انه شعور خاطىء ـ اننا كلما ابتعدنا عن العربية والعروبة ازددنا ثقافة وتمدنا ، وصرنا احرياء بتقدير اساتذتنا من الفرنسيين والفرنسيات » .

ان هذه الروح ، وان ضعفت بعض الشيء فى انحاء كثيرة من الوطن العربى ، ولكنها ، مع الأسف الشديد ، لم تزل باقية الى اليوم . بل لقد استجدت عوامل جديدة تدعو لتقوية هذه الروح والحفاظ عليها فى انحاء أخرى .

واحسب ان هذه الأمثلة والشواهد وهى قليل من كثير ـ كافية لأن تبصرنا بخطورة هذا الوضع ، واعظم آثار الوسائل الحديثة خاصة ، (كالراديو والمسرح والتلفاز والسينما) على ابقاء اللغات الدارجة ، وتثبيت الانحرافات الفظيعة فى بعض « لهجات » الأقطار العربية ، ان لم نقل كلها .

يحاربون العروبة بتصوير العربية بأنها أصعب لغات الدنيا

وجلي من هذا بان هناك قوى خفية جبارة تعمل جاهدة على تفتيت لغتنا بكل وسيلة تيسرت لديها . فهى تذيع بين حين وآخر ، وبطريقة وأخرى ، اراجيف باطلة حول هذه اللغة وقدرتها على الحياة لاداء متطلبات العصر الحديث فى العلوم والفنون ، وهى فى حين آخر ، تهول فى صعوبة قواعدها ، وعسر نحوها وصرفها ، حتى ليحسب الكثيرون من الناس مخلصين انها فى واقع الحال اصعب لغة عرفتها الدنيا ، واعقدها تركيبا ، مع انها فى المقارنة بلغات عديدة ، غربية وشرقية ، ليست بهذه الصعوبة المغالى كثيرا فى تقديرها .

وارجو ان لا يفهم من قولي هذا نكران ما اتسمت به اللغة العربية في نحوها وصرفها وعلوم لغتها وبلاغتها من الدقة والعمق ، بحيث صارت لغة غنية ، غير سهلة المأخذ ، ولا ميسورة الاحاطة بها . ولكنها فى هذا كالموسيقى الرفيعة التى لا تتكون من انغام اولية بسيطة يستطيع تقليدها كل انسان. وهل ترى ان عمق الموسيقى الخالدة « الكلاسيكية » ودقة تركيب الحانها ، يدعونا الى الاستهانة بها ، ام يدفعنا الى مزيد من الاعجاب والتقدير ؟ !

وليس فى قولنا هذا ما ينفى الحاجة لتيسير بعض قواعد لغتنا ، وتبسيط املائها وحروف طباعتها مثلا ، او تيسير تدريس نحوها للناشئة من المتعلمين . هذه مهمة يجب ان تتعهدها «المجامع اللغوية » والهيئات الفنية والتربوية ، ويكون من الخير قبول كل اصلاح يتوصل الجهد المخلص الى تحقيقه . ولكن ذلك كله انما يكون فى اطار « لغتنا الفصحى الواحدة » ، لا فى مجال استبدالها باللهجات المحلية او اللغات العامية . ويكون هذا ، فوق ذلك ، صادرا عن حرص على هذه اللغة ، وايمان بقدرتها على التطور للوفاء بمتطلبات الحياة المتجددة ، لا عن شعور باستهجانها ، ورغبة فى اهمالها ، واماتتها .

مخاطر لا نستنيم لها

هناك اذن مخاطر جديدة تهدد لغتنا العربية ، مخاطر يجب ان لا نستنيم عنها ، وان لا نخادع انفسنا بالاستهانة بها ، فنكتفى فى مجابهة « التحديات التى تواجه بها لغتنا الفصحى » ، بالاهمال ، والتسيب ، والزعم بقدرة العربية الفصحى على الحفاظ على ذاتها ... ان الامر لاشد من ذلك خطورة ، وهو يوجب علينا ان نكون يقظين تجاه هذه المخاطر الجدية ، حازمين فى معالجتها بقوة واخلاص .

ووسيلتنا الاولى للقضاء على هذه المخاطر ادراكها على الوجه الصحيح ، وتقديرها كامل التقدير ، ومنهجها ، بعد ذلك ، يقتضينا اصطناع جميع الاساليب الحديثة الدقيقة لمكافحة تلك الاخطار ، والقضاء خاصة على ما فى بعضها من اوجه الاغراء والتأثير لظهورها احيانا بمظهر يشبه الحق والمعقول والواقع ، فتستهوى بذلك فريقا

مخلصا من ابناء قومنا غير مدرك وجه الحق كاملا ولا متصور للمعقول والواقع الحقيقي تمام التصور وادقه .

ونحن لا نستطيع ان نكسب هذه المعركة الكبرى ـ فوق هذا ـ الا اذا دخلناها محصنين بايمان عميق لا يأتيه الشك بين يديه ولا من خلفه ، بان « لغتنا الفصحى » ليست مجرد وسيلة لنقل الفكر وتبادل الرأى ، وانها لذلك ليس من الممكن ابدالها بغيرها ، وتحقيق ما نريد فيها من تغيير وتحوير ، دون عبء بالقيم الثابتة التي يجب ان لا نتعداها .

الميثاق القوى الذي يربط اجيالنا العربية

ان اللغة العربية اجل من ذلك كثيرا ... انها « الميثاق القومى » الذى يربط اجيالنا العربية اليوم ، وبعد اليوم ، بكل مخلفات امتنا العربية وانجازاتها الادبية والفنية والفكرية، وهي انجازات ضخمة اشد ما تكون الضخامة . ثم انها « الوعاء الاصيل » للحفاظ على تراثنا العربي الخالد في كل العصور والاماد ، وانها « الاطار المتين» الحافظ للوجود العربي المتميز على كل العصور .

« ولغة الاباء والاجداد » على حد ما يقول المفكر الالمانى الكبير هيردر ، « مختزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر ، والتقاليد ، والتاريخ ، والفلسفة ، والدين .»

ان قلب الشعب ينبض فى لغته .

وان روح الشعب تكمن فى لغة الآباء والاجداد .

ووظيفة اللغة ، فوق ذلك على حد ما يقول الاستاذ « مالينوفكى » « ليست مجرد وسيلة للتفاهم او للتوصيل ، بل وظيفة اللغة هى انها حلقة فى سلسلة النشاط الانسانى المنظم ، انها جزء من السلوك الانسانى ذاته ، انها ضرب من العمل وليست اداة عاكسة للفكر » .

وما احرانا نحن العرب ، حين ننظر الى لغتنا ، ونفكر بمصيرها ، ونتدارس آثارها على حياتنا ، ان نكرر كلمة الكاتبة المشهورة « مدام دى سال » حين كانت تقول عن الفرنسية لغة قومها : « انها ليست ، كما هى عند غيرنا مجرد وسيلة لتوصيل افكارها ، واحساساتها ، وشئونها ، ولكنها آلة يجب الانسان ان يلعب بها . وهى تحرك النفوس كالموسيقى عند اقوام ، وكالخمور القوية عند آخرين » .

فاى شىء فى هذا الوجود يثير النفس العربية ، ويدفعها قدما الى الامام ، ابلغ من خطاب جميل يهز العواطف ، ويأخذ باعنة النفوس ..

واى فن اعظم واخلد ، فى المقياس العربى ، من الشعر الرائع الذى يمتلك المشاعر ، ويهز القلوب ، ولذلك قالوا : « الشعر ديوان علمهم ، ومنتهى حكمتهم ، به يؤخذون ، واليه يصيرون » ...

واية فلسفة ابلغ فى آثارها على سلوك الافراد والجماعات من امثالنا العربية المستخلصة من عصارة تجارب الحياة ، والحكم العربية ، بموسيقاها الجميل ، وجرسها الجذاب ، ومعانيها الصادقة التى هى جماع ما ترسب لهذه الامة مدى العصور من عقول الخالدين .

واى حديث فى تاريخ هذه الامة كلها ابعد اثرا فى تقرير مصيرهم من ظهور الاسلام ؟ « ففى ذلك العهد ، وقبل حوالى اربعة عشر قرنا ، عندما رتل محمد القرآن على بنى وطنه بلسان عربى مبين، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، وكانت ذات دلالة عظيمة النتائج فى مستقبل هذه اللغة » . على حد ما يقول المستشرق «يوهان فوك» فى كتابه : العربية ـ دراسات فى اللغة والاساليب .

فاية دعوة هذه تدعونا الى الاستهانة بهذا التراث كله ، والتفريط بهذه القيم كلها ، يريد ان يجرنا اليها دعاة اللغات العامية او اللهجات المحلية ؟ !

ان اية استهانة بهذه اللغة الفصحى الواحدة استهانة بامتنا ، وتعريض لقوميتنا للضياع ، وامتهان لكرامتنا .

ان القومى العربى الصادق الايمان يجب ان يحرص على « هذه اللغة الفصحى الواحدة » حرص المسلم الكامل العقيدة على « مبدأ الوحدانية » لان اى تساهل فى هذا يؤدى الى الشرك والخروج على هذا الدين ...

هذه عجالة موجزة فى معالجة هذا الموضوع الحيوى الخطير . اما الوسائل التى يجب على المشرفين على شؤون الاذاعة والتلفزيون القيام بها ، واما الواجبات الملقاة على رجال التربية والتعليم ، واما المهام المناطة فى هذا الصدد ، بالمجامع اللغوية ، والعلمية ، واما مسئوليات المفكرين والكتاب القوميين عموما ، فهى ما ارجو ان تكون موضوع بحث خاص فى مقال آخر . ■■

القاهرة ـ عبد الرحمن البزاز

مسابقة العربي

٥ شعراء .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ موضوع مسابقتنا لهذا العدد خمسة من الشعراء العرب القدامى ، فى الجاهلية أو فى الاسلام ، عرّفنا كلا منهم ببضعة أسطر ، وببيت من شعره أو اكثر . **حاول أن تعرف منهم ثلاثة على الأقل ، فقد يسعدك الحظ وتربح جائزة .**

١ ـ شاعر جاهلى ، لعله أشهر شعراء الجاهلية على الاطلاق ، جمع بين العبقرية وشذوذ الشخصية ، وكان فرط حسه ، سر نبوغه ، بقدر ما كان سر تعثر حظه ، سواء فى طفولته ، او فى صباه ، او فى شيخوخته .

من اروع شعره قصيدة يناجى بها امرأة فى قبرها بسفح الجبل الذى مات عنده ، وفيها يقول:

اجارتنا انا غريبان ههنا

وكل غريب للغريب نسيب

فمن هو ؟

٢ ـ احد اصحاب المعلقات السبع واقصرهم عمرا . توفى أبوه وهو صغير ، فرباه بعض أهله ، ونشأ ميالا الى البطالة وقول الشعر ، وتعرض به لهجاء الملوك والعظماء ، وكان ممن هجاهم عمرو ابن هند ، ثم جاء يوما يطلب نداه ، فأحاله الى احد ولاته ليأخذ منه جائزته ، واوعز للوالى بقتله ، فقتله وهو ابن ست وعشرين سنة .

من شعره المأثور هذا البيت الذى ذهب مذهب الحكم والأمثال .

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فمن هو ؟

٣ ـ كان ابوه احد فحول شعراء الجاهلية الأربعة ، وكان اعفهم قولا واكثرهم لشعره تهذيبا ، وكان معظم اهله من شعراء ما قبل الاسلام ، وبذا نشأ فى اسرة شاعرة ، ذات خواص فنية تكاد تكون متشابهة .

اما هو فقد أسلم فى عهد الرسول ، ومدحه ، وكان شعره من النوع القوى الجزل وهو القائل :

كل ابن انثى وان طالت سلامته

لابد يوما على حدباء محمول

فمن هو ؟

٤ ـ اما هذا فشاعر قرشى ، ولد بالمدينة ، فى بيت مجد وترف ، وكان شاعرا متفننا فى الغزل، حتى ليعتبره الكثيرون اغزل الشعراء بلا استثناء

تناول بشعره معظم نساء الاشراف ، حتى تأذى منه الناس واعتبروه فاجرا ، فشكوه الى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فنفاه

من روائع شعره قصيدته التى مطلعها :

ليت هندا انجزتنا ماتعد

وشفت انفسنا مما تجد

فمن هو ؟

٥ ـ عاش فى عصر مفعم بالانقلابات ، وعاصر عشرة من الخلفاء العباسيين ، فضحك وبكى ، ولكن كان يضحك بقدر ، ويبكى بقدر ، وكان ضحكه وبكاؤه فى وعى الحريص الحذر ، فعاش مطمئنا الى ود من أخلص لهم ، متحرزا من اعدائه الذين عرف كيف يجاريهم ، ويداريهم ، ويفلت من أيديهم وهم يمضون التواجد !

(البقية على صفحة ١٥٧)

دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ يرثي أخاه

■ دريد بن الصمة أحد فرسان العرب ، وسيد بني جشم من قبائل هوازن ، وغزية عشيرته وأقاربه . وكان يقال عنه انه أشعر فرسان العرب ، وأكثرهم غزوا . ادرك الاسلام ولم يسلم، وخرج مع قومه في غزوة حنين ، وقد أسن ، ولا يقدر على القتال ، ولكنهم أخذوه معهم للاستنارة برأيه ، وفي هذه المعركة قتل .

وقد كان له ثلاثة اخوة قتلوا في غارات مختلفة ، منهم عبد الله هذا الذي يرثيه هنا . وكان عبد الله قد خرج مع أخيه دريد وجماعة من عشيرته ، فأغاروا على بني غطفان ، واستاقوا ابلهم . وعند مكان اسمه منعرج اللوى، نزل عبد الله ليقسم الغنائم ، فنهاه أخوه دريد ، وحذره من لحاق غطفان بهم ، ولكنه أصر ، ففاجأتهم غطفان في هذا المكان ، واحتدمت معركة قتل فيها عبد الله ، وحاول دريد أن ينقذه ففشل . وسقط دريد جريحا في المعركة ، وتماوت ، فظنته غطفان قتيلا ، فنجا .

وحزن دريد على أخيه عبد الله حزنا شديدا ، وأخذ يرثيه ، فلامته امرأته أم معبد على هذا ، وصفرت من شأن أخيه، فطلقها ، وقال قصيدة بدأها بذكر طلاقه لزوجته ، ثم يصف قصة مقتل أخيه .

ومما قاله :

ولما وصلنا عند منعرج اللوى ، وأرادوا النزول لاقتسام الغنيمة ، نصحتهم الا ينزلوا ، لئلا يفاجئنا الأعداء ، ولكنهم أصروا على رأيهم ، ولم يدركوا قيمة نصيحتي الا عند ضحى اليوم التالي ، ولكن بعد فوات الأوان .

ولقد كنت وافقتهم على رأيهم عندما عصوني ، مع أني أراهم غادين ضالين ، ومع يقيني بأني أسير وراء الخطأ باتباعهم .

ولكن لم يكن لي خيار في ذلك ، فأنا على رأي عشيرتي غزية ، سواء سارت في طريق الضلال او طريق الرشاد .

ولما شبت المعركة دعاني أخي لأعينه ، فسارعت اليه ، مع ان الفرسان يفصلون بيني وبينه .

لقد سارعت اليه والرماح تنهال عليه طعنا ، وكأنها في صعودها وهبوطها شوكة الحائك التي يسوى بها نسيجه .

وطاعنت الفرسان حتى كفوا عنه ، وانعقد غبار المعركة أسود اللون فوق راسي .

لقد قاتلت دفاعا عنه قتال انسان يفتدى اخاه بنفسه، لأنه يعلم أن لا انسان فى هذه الدنيا مخلد .

وصاح قومي : لقد قتل فرسان العدو فارسا منا . فصحت : أهو عبد الله الذى قتل ؟

ولئن قتل عبد الله ، فانه لم يكن فى حياته جبانا فى المعركة ، ولا طائش اليد فى الضرب والرمي .

لقد قتل عبد الله ولكن الذى يخفف شيئا من حزني عليه انني لم أقس عليه أبدا فى حياته ، ولم أبخل عليه بأي شيء أملكه .

أمرتُهم أمرى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... فلم يستبينوا الرُّشدَ إلاَّ ضُحَى الغَدِ (١)

فلما عَصَوْنى كنتُ منهم ، وقدأرى ... غَوَايَتَهُمْ أنّى بِهم غَيرُ مُهْتَدِ (٢)

وهل أنا إلاّ من غَزِيَّةَ ؟ إن غَوَتْ ... غَوَيْتُ ، وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ (٣)

دعانى أخى ، والخيلُ بينى وبينه ... فلمَّا دعانى لم يجدنى بقُعْدُدِ (٤)

فجئتُ إليه ، والرماحُ تنوشُهُ ... كَوَقْعِ الصَّياصى فى النَّسيجِ المُمَدَّدِ (٥)

فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تَنَهْنَهَتْ ... وحتى علاَنى حالكُ اللونِ أسودِ (٦)

قِتَالَ امرئٍ آسَى أخاه بنفسه ... ويعلمُ أن المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ (٧)

تنادَوْا ، فقالوا: أردتِ الخيلُ فارسا ! ... فقلتُ : أعبدُ اللهِ ذلكم الرَّدى؟! (٨)

فإنْ يكُ عبدُ اللهِ خلَّى مكانَهُ ... فما كان وقَّافـًا ، ولا طائشَ اليَدِ (٩)

وهَوَّنَ وجدي أنّنى لم أقُلْ لَهُ : ... كَذَبْتَ ، ولم أبْخَلْ بما ملكتْ يَدى (١٠)

---

(١) منعرج اللوى : المكان الذى نزلوا فيه ، وكانت به المعركة .

(٢) كنت منهم : كنت على رأيهم .

وقد ارى غوايتهم انى بهم غير مهتدى : مع انى اراهم غامرين ضالين ، وانى غير مهتد باتباعهم

(٣) غزية : اسم عشيرته .

(٤) القعود : الجبان الذى يقعد عن نصرة قومه .

(٥) تنوشه : تتناوله بالطعن .

الصياصى : جمع صيصة ، وهي شوكة الحائك يسوي بها النسيج .

(٦) تنهنهت : كفت عنه .

(٧) قتال امرىء : أي قاتلت عنه قتال امرىء .

آسى اخاه بنفسه : فداه بنفسه .

(٨) اردت : اهلكت . الردى : الهالك .

(٩) وقافا هيابا يقف عن القتال جبنا . طائش اليد : يخطىء التصويب فى الضرب والرمي .

(١٠) هون وجدى : خفف من حزني .

شخصيتك

«الشخصية لها عاملان يصنعانها، العامل البيولوجي في الجسم الحي، وعامل البيئة المحيطة بالشخص في مجتمع»

بقلم
الدكتور فاخر عاقل
استاذ علم النفس ـ جامعة دمشق

■ يقول الناس ان لفلانا « شخصية قوية » وان فلانا الآخر « ضعيف الشخصية » وان فلانا الثالث « بارز الشخصية » وان فلانا الرابع « لطيف الشخصية » .

ويقول احد علماء النفس « ان في الدنيا عددا من الشخصيات يساوي عدد ما فيها من الوجوه » .

ويقول عالم آخر « ان الشخصية وحدة متميزة » . الى غير ذلك من الأقوال . .

فما معنى الشخصية وما مكوناتها ؟ وما صفات الشخصية القوية او الضعيفة ؟

وهل في الامكان تقوية الشخصية الضعيفة ؟ هل للجسد وصفاته المختلفة من طول ، قصر ، سمنة ، نحافة ، جمال قبح ، عاهات جسدية ... علاقة بقوة الشخصية او ضعفها ؟ بسويتها أو عدم سويتها ؟

وهل للطبع والعقل والعاطفة والتصرفات من صلة بنوع الشخصية واتجاهاتها ؟

وهل للمظاهر المادية كاللباس وطريقة الحديث والمظاهر المعنوية كنوعية التفكير وطرائق التعبير من اثر في اعطاء الشخصية طابعها ؟

وهل ثمة مقاييس للشخصية وروائز ؟ وهل لتكوينها ضوابط وموجهات ؟

كل هذه الاسئلة ـ وسواها ـ تطرا على ذهن الانسان ويبحث لها عن اجابات معقولة مقبولة تستند الى الراى العلمي والبحث السيكلوجى . وسنحاول في كلمتنا هذه ان نجيب عنها بقدر ما يسمح به المقام .

التعريف بالشخصية

المبادىء التي تنهض عليها شخصيتك وشخصيتي واحدة ولكن نتاج هذه المبادىء الواحدة مختلف لديّ ولديك ، وفي حديثنا عن الشخصية ننظر الى الفرد كله وبوصفه كلا موحّدا ، ذلك بان الشخصية ليست مجرد مجموع عناصر واجزاء ، كالجسد والنفس ومظاهرهما ، وانما هي كلٌّ منظّم" ومزيج" موحّد تذوب فيه الوظائف الفردية والصفات الخاصة لتتخذ نمطا كليا . ويمكنك تعريف الشخصية بانها « الوحدة الكلية المميّزة لتكوين فرد وطرائق سلوكه واهتماماته وقدراته وقابلياته ومواهبه » .

ومعنى هذا التعريف اولا انك تتميز عن الآخرين ـ كل الآخرين ـ بشخصيتك ، وثانيا ان كلمة « شخصية » لا تشمل الا صفاتك وصفات سلوكك الدائمة الاصلية والتي تميزك عن سواك ، فاذا كنت تبقى هادئا في مواقف الضيق ولا ينفجر غضبك الا في فترات متباعدة وفي احوال نادرة كان الهدوء ـ لا الغضب ـ صفة من صفات شخصيتك وكان هذا الهدوء مميزا لك .

«الشخصية لها عدة وجوه، تتمازج جميعا، فتكون منها الوحدة الكلية المميزة لك»

صحيح ان الانسان ـ كل انسان ـ يغضب ، ولكنك أنت تغضب في أحيان نادرة ولذلك فانت لا توصف بالغضب .

وبالرغم من أن الشخصية هي اتحاد جميع صفات الفرد اتحادا مميزا ، فان لبعض هذه الصفات وزنا في شخصيتك أكبر من الصفات الأخرى التي قد يكون لها ـ بدورها ـ وزن أعظم في شخصية أخيك أو جارك .

المظهر الجسدى

ان مظهرك الجسدى ـ كونك طويلا أو قصيرا ، سمينا أو نحيفا ، جميلا او قبيحا ، سليما او مريضا ، سويا أو صاحب عاهة ... عنصر هام من عناصر شخصيتك . وأهمية هذا العنصر تأتي من انه يحدد نوع تصرف الناس تجاهك ، وهذا التصرف يحدد بدوره تصرفك أنت نحوهم . ومعنى هذا ان جسدك ليس مهما في حد ذاته ولكن أهميته تتأتى عن نوع نظر المحيطين بك اليه . لقد اعتاد الناس مثلا أن ينظروا الى الطويل الضخم نظرة تختلف عن نظرتهم الى القصير القمىء ، واعتاد الطويل الضخم ـ مقابل ذلك ـ أن ينظر الى نفسه نظرة مستوحاة من نظرة الناس اليه وهي نظرة اعتداد وثقة . ولقد درج الناس على التلطف مع الجميل والتجهم للقبيح ـ بقطع النظر عن العوامل الأخرى اذا تساوت ـ واعتاد الجميل تبعا لذلك أن يعتبر نفسه اعتبارا مختلفا عن اعتبار القبيح لنفسه . وهكذا ..

ومما يتصل بالمظهر الجسدى بعض المظاهر المادية المرافقة له من مثل اللباس والطعام والشراب والمسكن وما الى ذلك ، فلباسك ـ مثلا ـ على صلة وثيقة بشخصيتك . لقد جرى الناس على اضفاء مظاهر الاحترام على صاحب الثياب الأنيقة ـ وان كانوا يكرهون المبالغة في التأنق عند الرجال على الأقل ـ كما جروا على احتقار صاحب الملابس الرثة ـ وان كانوا يحترمون دوما الملابس النظيفة . وهذا بدوره ينعكس على تصرفات الأنيق وغير الأنيق . ولقد اتخذت الملابس لدى الكثيرين دليلا على الشخصية ، فانه صحيح أيضا ان نوع ملابسك وطريقة لبسك والألوان التي تختارها تدل على شخصيتك حتى لقد كتب أستاذنافلوجل Flügel كتابا عن « سيكولوجية الملابس » .

المظهر الاجتماعى

ولعل المظهر الذى يسود مظاهر الشخصية هو المظهر الاجتماعي دوما ، فأولئك الذين يقولون ـ مخطئين طبعا ـ بأن فلانا « لا شخصية له » يريدون في الواقع أن يقولوا انهم لا يهتمون به ، اما حين يقولون بأن لفلان الآخر « شخصية قوية » فهم يقصدون انهم يحترمونه او يهابونه ، وحين يقولون ان لفلان الثالث « شخصية بغيضة » فهم يرمون الى القول بأنهم لا يحبونه ، وما تعبيرات من مثل « بروز الشخصية » و « الشخصية الجذابة » الا اشارة الى الشخصية الاجتماعية بقطع النظر عن الصفات العلمية الحقيقية للشخصية .

ومهما يكن من أمر فان الذكاء الاجتماعي : حسن التفاهم مع الناس والقدرة على اجتذابهم والتعامل معهم وقيادتهم وفرض المحبة والانعطاف عليهم صفة هامة من صفات الشخصية .

واذا كان من غير المشكوك فيه كون الناس كما قال شاعرنا العربي :

والناس من يلقَ خيرا قائلون له
ما يشتهي ولأم المخطىء الهَبَلُ

بمعنى ان الناس يضفون الصفات الحسنة على الانسان الناجح ويكيلون الاتهامات للذي عثر به حظه، فانه من غير المشكوك فيه أيضا ان القدرة على عقد الصلات الطيبة مع الناس وحسن التفاهم مع الأقران مظهر هام من مظاهر الشخصية المتزنة القوية والعكس بالعكس .

المظهر العقلى

ثم ان طريقة تفكيرك ونوع الأحكام التي تطلقها ومقدار انتباهك ومقدار ذكائك وقوة ذاكرتك وسواها من الأمور العقلية مظاهر هامة من مظاهر شخصيتك .

ان في الناس من يُعمل النظر في أموره ويحاكم

ما يعرض له من قضايا محاكمة هادئة متزنة ، يوازن بين ما له وما عليه ، ويقايس بين ما يمكن وما لا يمكن ، وينتبه الى كل شاردة وواردة ويحفظ التفاصيل وينفذ الى صميم الأمور . كما ان فيهم من لا يصبر على النظر في أمر ، ويبادر الى اطلاق الأحكام الجارفة ، ويحاكم بعين عاطفته ومصلحته لا بعين عقله وحكمته ، ولا ينتبه الا الى المظاهر السطحية ولا يقارن بين ما للقضية وما عليها .

وليس هذا فحسب بل ان بعض الناس يجعلون العقل هاديا لهم وحكما في أمورهم ، وفيهم من يجعلون القلب دليلهم ومرشدهم . فيهم من يقلد تقليدا أعمى دون تفكير أو روية ، وفيهم من يحاكم ويزن . فيهم من تكفيه الاشارة ليفهم ويتصرف ، وفيهم من لا يكفيه الصراخ والصياح . وفيهم من يتأثر بالدعاوة وينجرف في التيار العام ، وفيهم من يتمسك بالدليل ويصر على البرهان .. فيهم .. وفيهم ..

وهذه كلها مظاهر هامة من مظاهر الشخصية ومقومات اساسية من مقوماتها . وانت لا تستطيع ان تحكم على شخصيتك او شخصية سواك ، كما تعجز عن التعرف على هويتك أو هوية غيرك ، الا اذا اعتمدت هذه المظاهر العقلية ادلة على نوع شخصيتك .

المظهر العاطفي

كما ان للعقل مكانة في التكوين الشخصي فان للعاطفة قيمتها في هذا التكوين . ان في الناس العطوف الحنون ، وفيهم قاسي القلب ، جامد العاطفة . في الخلق الغضوب كثير الصراخ ، وفيهم الهادىء الذي لا يعلو له صوت . فيهم الخجول الذي يميل الى الانطواء والاختفاء ، كما ان فيهم المحب للناس المقبل على الحياة الميال الى الانبساط . فيهم الجبان الرعديد الذي يطير لبه لأتفه الأسباب ويهلع قلبه من أحقر الحشرات ، وفيهم الشجاع المقدام الذي لا يهاب ولا يحسب للاخطار حسابا . فيهم الحقود الحسود ، وفيهم المتسامح كبير القلب واسع النفس ..

وكل هذه صفات هامة من صفات الشخصية التي لا تستطيع ان تحكم على شخصيتك أو شخصية سواك الا اذا حسبت لها حسابا وأقمت لها وزنا .

والحق ان الناس يعلقون على هذه المظاهر العاطفية اهمية بالغة وهم في هذا محقون ، ذلك بأن العاطفة مرآة النفس وصورة الطبع وبدونها لا تقوم شخصية ولا تتضح هَوِيّة .

الطبع

ومما يتصل بالشخصية أوثق الاتصال ويدل عليها أصرح الدلالة طبع الانسان وخلقه .

واذا كان المجال لا يتسع هاهنا للحديث المفصل عن الطبع ومكوناته ومقوماته وأشكاله والدراسات التي أجريت عليه فلا اقل من ان نشير الى ان علماء النفس يعتبرون الطبع « واجهة الشخصية » .

والدراسات التي أجريت على الطباع كثيرة ولقد اهتم بها الناس منذ القديم ، وتنبهوا منذ ذاك الى صلة الطبع بالجسد ، وصلته بالظروف والبيئة ، واشاروا الى ثباته وتغيره . ثم ان الدراسات الطبْعية الحديثة تملأ المختبرات السيكولوجية وتشغل الكثيرين من علماء النفس وتدفع الى المطبعة بعشرات المجلدات وتتقصى مختلف العوامل .

ولعل من أهم هذه الدراسات دراسة العالم يونغ Jung ، الذي قسم الطباع الى قسمين رئيسيين هما المنبسط والانطوائي ، ودراسات كرتشمر Kretchmer الذي ربط بين الجسد والطبع . وكذلك فعل شلدون Sheldon .

والذي يهمنا في مقامنا هذا هو أن نقرر بان طبع الانسان ، كونه بخيلا أو كريما ، وقحا او خجولا ، منعزلا أو محبا للحياة مقبلا عليها ، حسودا حقودا أو متسامحا واسع النفس ، مسرفا مبذرا او مدبرا عاقلا ، خياليا حالما او عمليا منفذا ، مثاليا اخلاقيا حيويا متدفقا ، نقول ان كون الانسان هذا أو ذاك يوضح شخصيته ويظهر نفسيته ويدل على هويته .

السلوك

واخيرا فان تصرفات الانسان وأفعاله هي الحكم على شخصيته والدليل على نفسيته والمظهر الواضح لعقليته . وقديما قيل « ان للأفعال صوتا أعلى من صوت الأقوال » .

والواقع ان الناس يحكمون عليك بافعالك وتصرفاتك ويصنفونك بسلوكك واعمالك . ومهما تكن دوافعك ونواياك فان افعالك هي التي تدل عليك وتظهرك بالمظهر الذي يحفظه الناس عنك .

وبديهي ان سلوك الانسان متصل أشد الاتصال

بما قدمنا من مظاهر وصفات ، فهو على صلة بجسده وعقله وعاطفته وطبعه . وبديهي كذلك ان للنوايا قيمتها وان للأقوال دلالاتها وان للأقدار والظروف أحكامها ، ولكن الأفعال تبقى متمتعة بالأهمية العظمى وذلك لأن لهـا قـوة الواقع الملموس .

ومن هنا كانت اهمية الأفعال في الدلالة على شخصية الفرد وقيمة السلوك في الحكم علـى صفاته الشخصية ومزاياه الفردية .

وما نظننا بحاجة للتذكير باهمية اللون الأخلاقي للافعـال والتصرف ، فالمجتمع – أي مجتمع – يعلق أهمية كبيرة على عاداته وتقاليده وأوامره ونواهيه ، وهو يحكم على الفرد من خلال هـذه المقاييس ، وللصفات الاخلاقية أهمية كبرى في تحديد نوع الشخصية واضفاء الصفات المختلفة عليها . فالذي يتمسك باهداب ما يعتبره المجتمع فضيلة ويراعي عاداته وتقاليده ولا يخرج علـى قوانينه وأوامره يصدر عليه هذا المجتمع حكما طيبا ملائما ، والذي يتحداه ويخرج على قواعده يوصف بما لا يعتبره المجتمع طيبا ولا ملائما .

وهنا أيضا يكون الحكم على التصرف والسلوك لا على النوايا والدوافع .

مكونات الشخصية

يمكنك اجمال مكونات شخصيتك في عاملـين رئيسيين هما : العامل البيولوجي في الجسم الحيّ وعامل الظروف أو البيئة .

أما المؤثرات البيولوجية فيمكنك حصرها في ثلاثة هي :

« ١ » البناء العصبي . « ٢ » افرازات الغدد الصئم (٣) بنية الجسد .

اما عن بنية الجسد وتاثيره فقد حدثناك في مطلع مقالنا بما فيه الكفاية ولقد اشرنا آنئذ الى علاقة الطبع بالجسد . واما عن افرازات الغدد الصم فحسبك أن تستمع الى أحـد العلماء يقـول : « اننا تحت رحمة غددنا الصم » ، وهو قول يشهد على صحته ما تقرر لدى العلماء من انه اذا لم تصل افرازات غددنا الصم «أي الهرمونات» الى دمنا بالمقادير المناسبة في توازن الجسم يختل وتحدث تغيرات هامة في شخصيتنا مما قد يكون له نتائج اجتماعية خطيرة .

واما عن التاثير العصبي فقد قال عالم من علماء الأجهزة العصبية ووظائفها « ان القشرة الدماغية سيدة قدر الانسان » . ان ذكاءنا وتبصرنا في الأوضاع الاجتماعية التي تحتاج الـى تكيف ومواءمة ، واستعدادنا لتبني طرائق جديدة في التصرف تتصل جميعها بمرونة جهازنا العصبي وقدرته على التكيف . ومن المعلوم ان اصابـة الدماغ تستتلي غالبا تغيرات في الشخصية . وفي العالم اليوم دراسات علمية جدية تحاول الربط بين ملامح الشخصية ووظائف الأجهزة العصبية المستقلة مما لا مجال لتفصيله هنا .

وأما تاثير الظروف او البيئة في تكوين الشخصية فيشمل تاثير العائلة والبيت ، وكونَ الطفل وحيدا او واحدا من اخوة عديدين ، وترتيب الطفل بين اخوته،ثم تاثير الشارع والمدرسة والبلد والحضارة والدين ، ومهنة الأبوين ووضعهما الاجتماعي ولون بشرتهما وغير ذلك من المؤثرات المحيطية المختلفة .

واذا كان المجال لا يتسع لشرح أثر هذه الظروف جميعها أو بعضها فلنتذكر علـى سبيل المثال – بالشخصية التي تكون للطفل الوحيد المدلل ، وبالشخصية التي تكون لابن الاغنياء الذين يحققون لابنهم كل رغباته ، وللطفل الفقير المحروم وسواهم. ولنشر هاهنا الى دراسات المهتمين بعلم النفس التحليلي عن اهمية ترتيب الطفل بين أخوته وتأثير ذلك في تكوين طبعه وشخصيته .

اختبارات الشخصية

حرص علماء النفس على دراسة الشخصيـة دراسات موضوعية ووضعوا لهذه الغاية اختبارات تشبه اختبارات الذكاء من حيث المبدأ وان كانت تختلف في الفحوى .

وتحرص اختبارات الشخصية على قياس مظاهر الشخصية المختلفة التي سبق الحديث عنهـا وتعتمد لذلك طرائق متباينة كثيرة . وما هذه الاختبارات الا طريقة واحدة من طرق التعرف على الشخصية ، وثمة طرائق أخرى تستعمل لهذه الغاية منها : دراسة الحالات الفردية دراسـة مستفيضة ومنها مقابلة الفرد وملاحظة سلوكه وتصرفاته ودراسة أحلامه وغير ذلك من الطرائق .

ولعل القارىء قد سمع باختبارات رورشاخ Rorschach المشهورة في هذا الصدد ، وهذه الاختبارات وضعها العالم الألماني المسماة باسمه وتقوم على فكرة الاسقاط Projecton (أو الاضفاء او الالصاق كما يسميها بعض المؤلفين) . وتستعمل هذه الاختبارات عشر بقع من الحبر انموذجية

وتقدم هذه البقع الواحدة تلو الاخرى وبترتيب ووضع معيارين للفرد المفحوص ويطلب اليه ان يصف ما يرى في الصورة ويسمح للمفحوص ان يقلب الصورة وأن ينظر اليها في أوضاعها المختلفة . وحين ينظر الأشخاص المختلفون الى الصورة يرون فيها اشياء مختلفة تعكس افكارهم ورغباتهم ومخاوفهم وغير ذلك من الأمور التي يضفونها على الصورة ويعمد العلماء ـ وفق طرائق خاصة ـ الى تحليل استجابات المفحوص والاستدلال منها على شخصيته التي اسقطها على الصورة .

هذا وبعد أن يطبق عالم النفس على المفحوص عددا من اختبارات الشخصية توضع الدرجات التي يحصل عليها موضع المقارنة ويرسم له ما يسمى « بصفحة الشخصية » Personality Profile التي تعطي صورة واضحة عن شخصية هذا المفحوص .

الشخصية السوية والشخصية غير السوية

بالرغم من صعوبة رسم حد فاصل بين « السوي » و « غير السوي » بالنسبة للشخصية فان ثمة نماذج محددة للشخصية غير السوية . ولقد تحدثنا في عدد سابق من هذه المجلة وتحت عنوان « الجنون فنون » عن نماذج الشخصية غير السوية وعن أسباب الجنون وانواعه ومظاهره ، مما يعفينا هاهنا من اعادة الحديث .

ولكن الذي يهمنا الاشارة اليه هو ان الانسان يعتبر « سويا » اذا كان له هدف مقبول اجتماعيا تتركز حوله مناشطه وتتجمع وتتوحد ، واذا وجد ان متابعة السعي لتحقيق هدفه امر يستحق الجهد والتعب ، واذا كان ـ على العموم ـ يجد مسرة في الحياة .

على ان من الحق علينا ان نلاحظ ان ما يعتبر هدفا هاما ومقبولا في مجتمع ما قد لا يعتبر كذلك في مجتمع آخر . اضف الى ذلك ان ما قد يعتبر سلوكا سويا في بيئة ما قد لا يعتبر كذلك في بيئة اخرى ، فسكان استراليا الوسطى الأصليون مثلا يسيرون عراة ! وليس لهذا بالطبع اي تأثير على شخصية الفرد منهم ، اما انت المتمدين ، فلو فعلتَ ما يفعلونه في استراليا الوسطى ، لحكم الناس عليك بأن لك شخصية غير سوية ، وقد ينتهي بك الأمر الى السجن أو الى مستشفى الأمراض العقلية بتهمة مخالفة الآداب العامة أو بتهمة الجنون .

وايا ما كان فان الجنون قد درس وصنف ومحصت اسبابه وحددت نماذج نوعية له مما يمكن عالم النفس أو طبيب الأمراض العقلية من الحكم على الشخص بالصحة أو المرض ، ولكن المهم قوله هنا ان الحد الفاصل بين العقل والجنون ، بين الشخصية السوية وغير السوية قد يستبهم أحيانا على الشخص العادي فيسلك في عداد العقلاء اناسا كان الأولى أن ينسبهم الى الجنون ، ويدرج في عداد المجانين افرادا اقرب الى العقلاء من كثير من العقلاء .

والخلاصة

ان تكوُّنَ الشخصية يتم بتأثير من البنية الجسدية للفرد وظروفه المحيطة وبهذا المعنى تكون الشخصية محتومة الى حد بعيد، ولكن الانسان الذي يتميز عن سائر المخلوقات بالارادة ، والذي يرتفع عن اقرانه بمقدار ما يحرر ارادته ويسيطر على قدره ، نقول أن هذا الانسان قادر على التمرد على جسده ونفسه ، قادر على الثورة على ظروفه ومحيطه وهو ـ لهذا ـ قادر ـ الى حد كبير ـ على السيطرة على ظروفه ، مستطيع أن يكون شخصيته وفق ارادته وأن يصوغها حسب مثله الأعلى وطبق امانيه وآماله .

ومن هنا كان قول علماء النفس بأن ثمة مكونا ثالثا لشخصيتك هو « أنت »، انك قادر بحكم كونك انسانا على النظر في ذاتك ونقدها وتبين نواحي القوة والضعف فيها والعمل على محاربة عيوبك والتخلص من نقائصك والارتفاع بنفسك الى حيث تحب أن تكون .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا بأن الشخصية البشرية لا تستكمل نموها ولا تبلغ ذروة هذا النمو الا بالتحدي الدائم لذاتها والعمل الدائب على اصلاح عيوبها واستكمال نقائصها وبذلك فقط تتحقق انسانيتها الحقيقية . ■■

فاخر عاقل

نتيجة مسابقة العدد الرابع والأربعين

الإجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ أثار السؤال الأول من هذه المسابقة تساؤل بعض القراء : « كيف يجوز ان يقال عن نبي — والانبياء معصومون — انه عصى ربه ثم غوى ، اذ اغتصب زوجة قائده ثم قتله ؟ ومن هؤلاء المتسائلين من زعم اننا اعتمدنا على التوراة وقصص بني اسرائيل .. وقد نشرنا على صفحة ١٤٨ من هذا العدد ما نرجو ان يريح بال هؤلاء واولئك اجمعين .

وقد جاءت اجابات المتسابقين — وهم يقربون من عشرة آلاف ، كثرتهم الغالبة من المسلمين الذين لم يطلعوا على التوراة او قصص بني اسرائيل — فاذا هم جميعا يذكرون النبي داود الذي عناه السؤال ، ومنهم من يروي قصته مع زوجة أوريا ، كما جاءت في كتب تفسير القرآن ، نقلا عن كبار الصحابة وائمة المفسرين ورواة الحديث . والاجابة الصحيحة هي :

(١) بيت لحم . داود

(٢) حمص . خالد بن الوليد

(٣) تونس . عبد الرحمن بن خلدون

(٤) تكريت . صلاح الدين الايوبي

(٥) المنصورة (ج٠ع٠م) . لويس التاسع ملك فرنسا

وقد اجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة ، فأسفرت عن فوز الآتية اسماؤهم بالجوائز

١ — **الجائزة الأولى** وقيمتها ٣٠ دينارا ، فاز بها : **عماد لطفي ملحس** — الكلية العلمية الاسلامية — عمان — الاردن .

٢ — **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا ، فاز بها : **عبد الله عمورة** — رئيس شعبة التدقيق — شركة مرفأ اللاذقية — اللاذقية — الجمهورية العربية السورية

٣ — **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير ، فاز بها : **شوقي عبد القادر احمد** — مدرسة رفح الاعدادية للاجئين — رفح — فلسطين .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها كل من :

١ — **منى النملي** : ص ٠ ب ٢٥١٣ — الكويت

٢ — **مريم ابراهيم محمد حسن فخرو** بواسطة السيد قاسم راشد فخرو — ص ٠ ب ١٢٤ — المنامة — البحرين

٣ — **محمد اسماعيل محمد** : شقة ٢٠ شارع بورسعيد رقم ٢٨٧ القاهرة — ج٠ع٠م

٤ — **رشيد المرابط** : شارع المصلى القديمة رقم ٧٩ — تطوان — المغرب

٥ — **سالم عليان** : ص.ب ٣٢٨ — طرابلس — لبنان

٦ — **احمد سعيد بن محمود** : ص.ب ١٠٠ — ارامكو — بقيق — المملكة العربية السعودية

٧ — **سالم عبد الله سالم** : المدرسة الزراعية — الموبلية المرج — برقة — ليبيا

٨ — **محمد علي احمد** : دكان الحاج علي — مدينة تعطبة — اليمن

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

عودة ونزوح

● ان عدد اللاجئين على الجانبين التونسى ،والمغربى كبير . اكثرهم من النساء والأطفال . فلقد اخليت البلاد للبواسل ، حملة السلاح . لكنهم يعودون فى هذه الأيام الى مدنهم وقراهم . يعودون الى البلد الذى استقل ، وتحرر ، وسينعم بالسلم بعد حرب دامت أكثر من سبع سنوات .

وهناك قرابة المليونين ، أرغموا على الانتقال من اراضيهم الى امكنة معينة . فى تلك الأمكنة ، كذلك ، حصون وأسلاك شائكة تعيش القوات الفرنسية داخلها . الحصون ستخلو ممن فيها . والأسلاك ستزال . ويعود كل مواطن الى أرضه .

عودة على نطاق واسع لمن صبر ، وكافح ، وعمل. ونزوح من ميناء وهران ، والجزائر ، على نطاق واسع كذلك ، لمن حارب ليس الحق وحده ، ولكن التاريخ والطبيعة ، ومنطق الزمن .

جريدة « الدفاع » ــ القدس

الفكر الفلسفى

● لا سبيل لفكر فلسفى بدون حرية ، فعليها يعتمد ومنها يتغذى . ولا تنتعش الفلسفة الا حين تنتعش الحرية ، وحين يستطيع الناس أن يفكروا طلقاء فى غير رغبة أو رهبة . ففى عصر أثينا الذهبى رسم سقراط وافلاطون وأرسطو معالم للبحث الفلسفى لا نزال نهتدى بها الى اليوم . وفى بغداد مدينة السلام بدأت فى القرن التاسع الميلادى حركة فلسفية ساهم فيها الخلفاء والأمراء ، وكانت مبعث النور فى العالم بأسره . وما ان امتدت شعلة منها الى الغرب حتى أخذ مفكروه يتحررون شيئا فشيئا من سلطان الكنيسة ، وقامت فى القرن الثالث عشر حركة فلسفية واضحة فى باريس واكسفورد وبادوا . ويوم ان اكتمل هذا التحرر طلع فجر الفلسفة الأوروبية الحديثة ، التى كان هدفها الأول ان تفك العقل الانسانى من اساره .

وفى عصور القسر تختفى الفكرة الحرة ، وتتضاءل وراء ستار من صيغ معقدة وعبارات غامضة ، ويصبح الناس ولا هم لهم الا مماحكات لفظية وجمل جوفاء . وانا لنعلم ان مدارس الرها وجند يسابور فى الشرق ما كانت تعرف قبيل الاسلام من مؤلفات ارسطو الا بعض رسائله المنطقية ، اما كتبه الطبيعية والميتافيزيقية فكان محرما عليها أن تنظر فيها . وكذلك كان الشأن فى الغرب ، فكان المعلم الأول يعد بين الملحدين ، ولم يسمح بترجمة شىء له الى اللاتينية الا بعض كتبه المنطقية .

الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
فى مجلة « العلوم » ــ بيروت

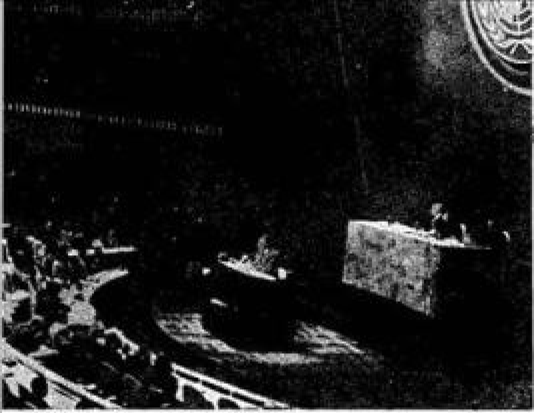

سؤال الى الضمير الاوروبى والامريكى

● حقيقة ان تطهير الوطن العربى من الصهيونية والاستعمار هو مسئولية الكفاح التحررى الثورى للشعوب العربية ، أساسا . بيد ان هذا لا يعفى الضمير العالمى المتجسد فى الأمم المتحدة وفى المنظمات الديمقراطية فى جميع أنحاء العالم ، من ان يرفع صوته بشجاعة متحررة من النفوذ الصهيونى وان يمارس النضال ضد المذابح العنصرية التى ترتكبها اسرائيل بل وتفاخر بها حكومتها علنا ، وكأن الضمير العالمى الذى هب ضد المذابح النازية فى النصف الأول من القرن العشرين غافل عن المذابح الصهيونية فى النصف الثانى من نفس القرن !

ولو ان الامم المتحدة واجهزتها وقفت بشجاعة حاسمة ضد الصهيونية والاستعمار عام ١٩٤٨ لما بدت بهذا العجز والشلل عام ١٩٦٠ ، ١٩٦١ فى الكونغو ولحفظت للانسانية الوف الأرواح ومن بينها روح سكرتيرها العام .

اننا نضع جرائم اسرائيل العنصرية أمام الضمير العالمى متجسدا فى كافة التنظيمات الديمقراطية والتقدمية فى العالم ، وفى الأمم المتحدة ككيان دولى ، بجانب الجرائم الاستعمارية فى الكونغو والجزائر وانجولا وجنوب أفريقيا .

ان الهروب من ادانة هذه الجرائم المرتبطة بعضها ببعض ، نظريا وعمليا ، هو هروب من الواقع الحى .. هروب من المعالجة الموضوعية لآلام الانسانية ..

ان التقدم ، والديمقراطية ، وحرية الشعوب ، واللاعنصرية ، ليست ـ فى مفهومنا ـ مجرد لافتات براقة تعلق كالتحف صامتة خرساء فى قاعات الامم المتحدة ، أو على واجهات الأحزاب والتنظيمات والمنابر المختلفة . بل هى اولا وأخيرا ممارسة عملية شاملة من الكفاح ضد جميع البؤر الاستعمارية والعنصرية فى عالمنا المعاصر أيا كان مكانها ومصدرها دون ما تفريق أو تمييز .

ولعل هذا هو الذى يدفعنا اليوم لنتوجه الى الضمير العالمى عامة والضمير الأمريكى والضمير الأوروبى بصفة خاصة ، بسؤال : ما هو موقفكم الحقيقى من جرائم اسرائيل العنصرية ؟

ترى هل لنا أن ننتظر ، ولو على سبيل المثال ، اجابة صريحة وشجاعة .. أم ان انتظارنا ، فى هذا الموضوع بالذات ، لن يلقى غير الصمت الطويل الثقيل ؟!

جريدة « الاهرام » ـ القاهرة

الدعوة للحروب والتشهير بالسلم

● ان أفلام الحروب لم تعد تحصى ، وهى تملأ السوق السينمائى ، بوفرة ، فهل تعالج موضوع الحروب التى افنت الملايين ، من زاوية انسانية ، كعمل اجرامى يستهدف القضاء على أمن ومستقبل العالم ؟ . أبدا .

بل تعالجه كضرورة حتمية لتقدم وازدهار البشرية وتتبع هذه الافلام أسلوبا رخيصا فى اقناع الشبان على الخصوص بجمال و (روعة) المغامرات الحربية ، بربطها بشكل مباشر بالمغامرات النسائية التى سيصادفها الجندى فى مختلف الاقطار التى سيرسل للقتال غير المشروع فيها .

ان انتاج أفلام كهذه يتشابك واهداف تجار الحروب الذين يريدون جر العالم الى مجزرة عالمية جديدة ، وأخطر من هذا تبرير التجارب الذرية وتصوير الجريمة التاريخية التى تمت فى هيروشيما وناغازاكى حيث احترقت مئات الالوف فى لحظات ، على أنها عمل وطنى دفاعى أنقذ العالم .

وفى الوقت الذى تتعاظم فيه حركة الشعوب للمطالبة بالسلم والكف عن التجارب الذرية ، تنتشر هذه الأفلام لتخريب هذه الحركة وتعطيلها .

مجلة « دعوة الحق » ـ الرباط

أبو جعفر المنصور

بين البخل والكرم

بقلم : علي ادهم

■ ابو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين من الشخصيات البارزة في تاريخ خلفاء الدول الاسلامية قاطبة ، وكان له من الصفات والمواهب ما يسلكه بحق بين اشهر رجال التاريخ العالمي ، بويع بالخلافة وهو ابن احدى واربعين سنة ، وقد استفاضت تجاربه ، ونضجت شخصيته ، واستكمل أهبته ، قال مرة لاصحابه : « ان هذا الملك افضى الي وانا حنيك السن ، قد حلبت هذا الدهر اشطره ، وزاحمت المشاة في الاسواق ، وشاهدتهم في المواسم ، وغازيتهم في المغازي ، فوالله ما احب ان ازداد بهم خبرا على اني احب ان اعلم ما احدثوا بعدي منذ تواريت عنهم بهذه الجدران ، وتشاغلت عنهم بأمورهم ، مع اني والله ما لمت نفسي ان اكون اذكيت العيون عليهم حتى اتتني اخبارهم وهم في منازلهم » .

المنصور أرسى قواعد الملك بعد اخيه

وكان من دواعي التوفيق والحظ الحسن للدولة العباسية في مستهل نشأتها وقبل ان تستمكن هيبتها في النفوس ، وتتوطد مكانتها ، ويستقيم لها السلطان ، وهي عرضة لأعاصير الانقلابات ، ونواجم الفتن والثورات ، ان يلي أمورها رجل صلب المعجم ، ناهض العزم ، راجح العقل مثل المنصور . وحقيقة انه خلف اخاه ابا العباس بعد ان حمل اعباء الخلافة قرابة خمسة اعوام ، الا ان هذه الفترة القصيرة لم تكن كافية لاستتباب الأمور، وارساء قواعد الدولة ، ووضع التقاليد اللائمة لها ، كما ترك له اخوه طائفة من المشكلات المعقدة ليتولى هو علاجها بالاسلوب الذي يؤثره ، مثل مشكلة تزايد نفوذ ابي مسلم الخرساني ، وموقف العلويين من الخلافة الناشئة ، واحكام نظام وراثة العرش ، وما الى ذلك من المشكلات .

ما قال المؤرخون فيه

ويشيد معظم مؤرخي الدول الاسلامية بقدرة المنصور وكفايته وحسن سياسته ، فابن الطقطقي مؤلف كتاب » الفخري « يقول عنه : « المنصور هو الذي اصل الدولة ، وضبط المملكة ، ورتب القواعد ، واقام الناموس ، واخترع اشياء كثيرة» . والمسعودي في « مروج الذهب » يصفه قائلا : « كان المنصور من الحزم وصواب الرأي وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف » . والمستشرق الالماني نلدكن يختم فصلا عقده للكلام عن المنصور بقوله : « لقد رأى الشرق حكاما كثيرين قاربوا

المنصور او فاقوه فى الخداع والاثرة ، ولكن قل ان يوجد بينهم من يوازن فى قوة العقل المسيطر او من كان له ـ اذا توسعنا وتبسطنا فى الحديث ـ مثل تاثيره فى انماء الصالح لامبراطوريته » . وهكذا يتبارى المؤرخون من قدامى ومحدثين فى تعديد صفات المنصور ، واحصاء مناقبه .

اشتهر المنصور بالبخل

بيد ان هنالك صفة من الصفات التى اتسم بها المنصور تستحق بوجه خاص ان يسلط عليها الضوء ويتناولها التحليل ، وهى صفة البخل ، قال عنه صاحب الفخرى « كان المنصور مبخلا يضرب بشحه الامثال » وتروى كتب الادب والتاريخ عن المنصور الكثير من النوادر والاقاصيص التى تدل على انه كان حريصا على جمع المال ، شحيحا به، حتىاطلق عليه لقب «ابى الدوانيق» و«المنصور الدوانيقى » من جراء تشدده فى محاسبة العمال على الحبة والدانق ، وهو مقدار لا يزيد على سدس درهم . ويقال انه لما بنى مدينة بغداد كان ينظر فى العمارة بنفسه ، ولا يكل امرها الى احد غيره ، ويحاسب الصناع والاجراء ، فيقول لاحد العمال « انت نمت القائلة ، ولهذا انت لم تبكر الى عملك » . ويقول لغيره « انت انصرفت ولم تكمل اليوم » .

وكان يعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل فى يومه ، فلا يكاد يعطى اجرة يوم واحد .

بين المنصور وابن عطاء

وتروى عن بخله طرائف كثيرة منها ما رواه صاحبه الوضين بن عطاء ، قال « استزارنى

دخل الشاعر خائفا مضطربا فسلم على الخليفة ، ورد الخليفة عليه وقال له : « انت المؤمل بن اميل ؟ »

ابو جعفر ، وكانت بيني وبينه خلالة قبل الخلافة ، فصرت الى مدينة السلام ، فخلونا يوما ، فقال « يا ابا عبد الله ما مالك ؟ » .

فقال الوضين : ثلاث بنات والمراة وخادم لهن .

فردد المنصور ذلك حتى ظن الوضين انه سيمنحه هبة تموله وتغنيه ، ثم رفع رأسه وقال له « انت أيسر العرب ، أربعة مغازل يدرن في بيتك ! »

بين المنصور وأزهر السمان

وكان يعرف المنصور قبل ان يلي الخلافة رجلا يقال له أزهر السمان ، فلما تقلد الخلافة قصده ازهر هذا في مدينة السلام ، فادخل عليه ، ولما مثل بين يديه قال له المنصور : « ما حاجتك يا ازهر ؟ »

فقال ازهر : يا أمير المؤمنين ، عليَّ دين اربعة آلاف درهم ، وداري مستهدمة ، وابني محمد يريد البناء باهله » .

فامر المنصور باثني عشر الف درهم ، وقال له : « لا تأتنا بعد ذلك طالب حاجة »

فقال ازهر : افعل

ولكنه عاد بعد قليل وطلب لقاء المنصور ، فلما سمح له بذلك قال له المنصور : « ما جاء بك يا ازهر ؟ فقال : « جئت مسلما يا امير المؤمنين » .

فقال المنصور : انه ليقع في نفسي انك اتيتنا لما اتيتنا له في المرة الاولى وامر له باثني عشر الف درهم آخر ثم قال له : « يا ازهر لاتأتنا طالب حاجة ولا مسلما » .

فقال ازهر : « نعم يا امير المؤمنين »

ولكنه لم يلبث ان عاد وطلب الاذن بالمقابلة ، فقال له المنصور حينما رآه « يا ازهر ما جاء بك؟ »

فقال ازهر : دعاء سمعته منك أحببت ان آخذه عنك » . فأجاب المنصور : « لا ترده فانه غير مستجاب ، لأني قد دعوت الله به ان يريحني من خلقتك فلم يفعل » وصرفه ولم يعطه شيئا .

بين المنصور والمؤمل الشاعر

وما صنعه المنصور بالشاعر المؤمَّل بن أميل يؤكد هذا الجانب من اخلاق المنصور ، جانب الحرص على المال ومجافاة الاسراف ، فقد قصد المؤمَّل المهديَّ بن المنصور بمدينة الري ، ومدحه بقصيدة من الشعر الجيد ، فأمر له المهدي بعشرين الف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو بمدينة السلام ، فكتب المنصور اليه يعذله ويلومه على هذا الاسراف ، ويقول له : « انما كان ينبغي لك ان تعطي الشاعر بعد ان يقيم ببابك سنة ، اربعة آلاف درهم » . وبث ابو جعفر العيون والارصاد على الشاعر ، وعلم انه توجه الى بغداد ، فارسل احد قواده وامره بالجلوس على جسر النهر ، وان يتصفح الناس رجلا رجلا ممن يمرون به حتى يظفر بالمؤمل ، فلما رآه وعرفه بسماته قال له « من أنت ؟ » فأجاب الشاعر : « انا المؤمل بن أميل من زوار الامير المهدي » .

فقال له القائد : « اياك طلبت » وقبض عليه ، وقد كاد قلب الشاعر يتصدع من الخوف ، وأتى به باب المنصور ، وأسلمه الى « الربيع » وزير المنصور ، فدخل الربيع الى المنصور وقال له : « هذا الشاعر قد ظفرنا به » .

فقال المنصور : « ادخلوه على » .

دخل الشاعر خائفا مضطربا فسلم على الخليفة ورد الخليفة عليه وقال له : « انت المؤمل بن أميل ؟ »

فقال الشاعر : « نعم ، أصلح الله امير المؤمنين»

فقال المنصور : « هيه أتيت غلاما غرا فخدعته » فأجاب الشاعر : نعم ، اصلح الله أمير المؤمنين » . أتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع » .

راق المنصور : هذا الرد ، وكان دائما يعجب بالأجوبة اللبقة والتخلص الحسن ، فقال للشاعر « انشدني ما قلت فيه » فانشده الشاعر هذه الابيات :

هو المهدي الا ان فيه
مشابهَ صورةِ القمر المنير
تشابهَ ذا وذا فهما اذا ما
أنارا مشكلان على البصير
فهذا في الظلام سراج ليل
وهذا في النهار سراج نور

ولكن فضل الرحمن هـذا
علـى ذا بالمنـابر والسـرير
وبالملك العزيز فـذا أميـر
ومـا ذا بالأميـر ولا الوزيـر
ونقص الشـهر يُخمد ذا ، وهذا
منيـر عنـد نقصـان الشـهور
فيـا ابن خليفـة اللـه المصفى
بـه تعلـو مُفاخـرة الفخـور
لئن فُتَّ الملـوك وقـد توافـوا
اليـك مـن السـهولة والوعور
لقـد سـبق الملـوكَ ابوك حتى
بقـوا مـن بين كاب او حسيـر
وجئـت وراءه تجـرى حثيثـا
ومـا بك حين تجـرى من فتـور
فقـال النـاس مـا هـذان الا ..
بمنـزلة الخليـق مـن الجـدير
لئن سـبق الكبير فاهل سـبق
لـه فضـل الكبيـر على الصغير
وان بلـغ الصـغير مدى الكبيـر
لقـد خلق الصـغير من الكبيـر

فقال المنصور « لقد احسنت ، ولكن هـذا لا يساوى عشرين الف درهم ، فاين المال ؟
فقال الشاعر « ها هو ذا »

فقال المنصور للربيع : « يا ربيع انزل معه فاعطه اربعة آلاف درهم ، وخذ منه الباقى » . فخرج الربيع مع الشاعر ، ووزن له اربعة آلاف درهم ، واخذ الباقى .

بين المنصور والحادى

وكان لأبى جعفر اساليب مبتكرة وحيل شتى يتخلص بها من الذين يطمعون فى رفده ، او يؤملون فى الحصول منه على جوائز سنية ، واتفق مرة ان كان منصرفا من الحج ومر بالمدينة ، وطلب حاديا يحدوه بشعر الشاعر ظريف العنبرى الذى يقول منه :

انى وان كان ابن عمى كاشحا
لمُزاحمٌ مـن دونـه وورائـه
ومُمِـدُّه نصرى وان كان امرأ
متزحزحـا فى أرضـه وسمائه

فلما كان الليل حدا به الحادى بهذه الابيات ، واعجب المنصور بحدائه بعد ان حدا به ليلته .. فلما اصبح قال لوزيره الربيع « اعطه درهما »

فقال له الحادى : « يا امير المؤمنين ، حدوت بهشام ابن عبد الملك فامر لى بعشرين الف درهم ، وتأمر لى انت بدرهم » .

فأجابه المنصور قائلا : « انا الله ، ذكرت ما لم نحب ان تذكره ، ووصفت رجلا ظالما اخذ مال الله من غير حله وانفقه فى غير حقه » ، ثم اشار الى الربيع قائلا : « يا ربيع اشدد يديك به حتى يرد المال »

فبكى الرجل وقال : « يا امير المؤمنين قد مضت هذه السنون ، وقضيت به الديون ، وتمزقتـه النفقات ، ولا والذى اكرمك بالخلافة ما بقى عندى منه شىء » .

وتشفع للرجـل خاصةُ المنصـور ، وجعلـوا يسالونه حتى كف عنه ، وشرط عليه ان يحدوه به ذاهبا وراجعا ولا ياخذ منه شيئا .

بين المنصور وابن عبيد الحارثى

وكتب اليه مرة زياد بن عبيد الحارثى يساله الزيادة فى عطائه وارزاقه ، وتانق فى الكتاب وابلغ فوقع المنصور فى الكتاب : « ان الغنى والبلاغة اذا اجتمعا فى رجل ابطراه ، وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك فاكتف بالبلاغة » .

وصية للمنصور فيمن تباع له ثمار الضياع

وكان المنصور فى سياسته المالية يعنى بالقليل من المال كما يعنى بالكثير منه ولا يني يحاسب عماله على المبلغ الزهيد الحقير كما يحاسبهم على المبلغ الضخم الوفير ، ولا يتردد فى ان يرسل الى العمال التوجيهات والتوصيات التى من شانها ان تزيد فى دخول الدولة ولو كان ذلك بالقدر الضئيل ، وقد كتب مرة الى عامله بالمدينة يأمره ببيع ثمار الضياع وأوصاه بأن لا يبيعها الا « لمن نغلبه ولا يغلبنا » فانما يغلبنا المفلس الذى لا مال له ، ولا رأى لنا فى عذابه فيذهب بمالنا قبله ، ولو اعطانا جزيلا ، وبعها من الممكن بدون ذلك ممن ينصفك ويوفيك » .

كاتب المنصور يقتدى به ، فيردُّه المنصور

وكان يمقت اى لون من الوان التضييع مهما

قلت نفقته ، روى الجهشيارى ان المنصور وقف يوما من الايام نهارا على سرب فى داره فيه قنديل معلق ، وكان الموضع بين الضوء والمظلم ، فأمر بان يطفأ ، وقال : « لا يعاود هذا المصباح الى هذا الموضع الا فى وقت الحاجة من الليل ، او من آخر النهار ، فلما رأى كاتبه الذى يتولى النفقات ذلك قال فى نفسه : « اذا كان الخليفة يتفقد النفقات الى هذا الحد فهو لغيره اشد تفقدا » . ونظر الى فضول الموائد فباعها ، واجتمع له من ذلك جملة وافرة من المال . ونظر فى اشياء شبيهة بهذا ففعل فيها مثل هذا الفعل ، فلما انتهى الشهر عرض على الخليفة فى رأس الشهر التالى ما وفر من المال ، فسأله الخليفة عن سبب هذا التوفير ، فطلب منه الامان ليشرح له الخبر ، فلما امنه صدقه الخبر ، فقال له المنصور : « ما الذى كنتم تصنعونه بما يفضل من هذه الموائد فى كل يوم ؟ » فقال كاتب النفقات : « كان يأكله خدمك وغلمانك وحشمك ، وما فضل عن ذلك يتصدق به على الفقراء والمساكين .

فقال المنصور : « هذا لم يكن يضيع منه شيء ، فأجْرِ الأمر على ما كان جاريا عليه ، وليس سبيل القنديل سبيل ذلك فى ذلك الموضع ، لأن ذلك الموضع الذى كان فيه كان مضيئا بالنهار ، وكان الزيت يذهب ضياعا ، ولا وجه للتضييع فى شيء وان قل » .

المنصور والقراطيس

ووقف مرة على كثرة القراطيس فى خزائنه ، فدعا بصالح صاحب المصلىٰ ، وقال له : « انى أمرت باخراج حاصل القراطيس فى خزائننا فوجدته شيئا كثيرا جدا ، فتولَّ بيعه ، وان لم تعط بكل طومار الا دانقا ، فان تحصيل ثمنه اصلح منه » .

وانصرف صالح هذا من حضرته على هذا ، فلما كان الغد دعاه المنصور وقال له : « فكرت فى كتبنا وانها قد جرت فى القراطيس ، وليس يؤمن حادث بمصر فتنقطع عنا القراطيس بسببه ، فنحتاج الى ان نكتب فيمالم نعوده عمالنا ، فدع القراطيس استظهارا على حالها » .

المنصور وتقبيل يده

وقد تملك المنصور حب الاقتصاد والتوفير حتى فى معايشاته وتفكهه ، فقد صوّر له احد المهندسين ضيعة من ضياعه بالبصرة كان قد تقدم اليه بتصويرها له ، ولما عرضت عليه الصور استحسنها وقال للمهندس : « سل حاجتك » فقال المهندس : انى اجد فى فمى علة ، وقد اضرّت باسنانى ، وحاجتى ان يأذن أمير المؤمنين فى تقبيل يده ، فلعل الله ان يهب لى العافية » .

فقال له المنصور : « على ان ذاك ، ان اذنت لك ، فيه عوض من الجائزة ، فأما ان اجمعهما لك فلا » . فقال له المهندس : « والله لو لم يبق فى فمى حاكة وعلمت ان تقبيل يدك يرد جميعها ما اثرته على الجائزة» ، فضحك منه المنصور ووصله.

خلفاء غير المنصور اتهموا بالبخل

وبعد ، فهذه بعض الاخبار والروايات التى تناقلتها كتب الادب والتاريخ عن بخل المنصور وشدة حرصه على توفير المال وكراهية للاسراف ، وتختلف بعض هذه الاخبار والروايات فى الصورة ولكنها تتفق جميعها فى المضمون ، وقد وجه نفس هذا الاتهام بالبخل الى عبد الملك بن مروان وابنه هشام ، وهما من اقدر ساسة العرب وارجحهم عقلا ، والواقع ان المنصور كان يقدر اثر المال فى بناء الدول ، واصطناع الرجال ، وكان كثيرا ما يردد قوله : « من قل ماله قلّ رجاله ، ومن قلّ رجاله قوى عليه عدوه ، ومن قوى عليه عدوه اتضع ملكه ، ومن اتضع ملكه استبيح حماه » .

حرص المنصور على المال لم يكن حبا فى المال ذاته

وقد تربع المنصور على عرش الخلافة والدولة العباسية فى اول امرها ، والمتربصون بها كثيرون ، وكما رفعت شأن الكثيرين كذلك خيبت آمال الكثيرين ، واثارت نقمتهم ، فهى فى حاجة الى كسب الانصار والاولياء ، وايحاء الرغبة والرهبة ، وكان لابد للمنصور من توخى الحذر وتحرى الحرص ليلائم بين نفسه وبين الظروف المحدقة به . والبخيل حقا ، الشديد الشح بالمال هو الذى يطلب المال لذاته ويحبه حبا خالصا لوجهه .

والعامل الاصيل فى البخل هو حب الثراء واكتناز المال حبا مستقلا عن المنافع التى يستتبعها الاكثار منه ، والبخيل الشديد الشره الى المال يخلص فى حبه للمال اخلاص المتصوف فى حبه الالهى ، فهو يريد المال لذاته قبل كل شىء ويستمتع بمرآه وتحلو له مشاهدته والخلوة به ، ولم يكن المنصور من هذا الطراز الشح الذى وصفه لنا موليير فى تمثيليته المشهورة او بلزاك فى روايته « يوجينى جرانديه » ، او الجاحظ فى كتابه الفكه الممتع عن البخلاء ونوادرهم ، فالمنصور لم يكن يحرص على المال لمجرد حب المال ، وانما كان يريد المال ليتخذه وسيلة الى القوة والنفوذ وحماية الدولة ورد غائلة الاعداء عنها .

المنصور كان ينفق فى تدعيم الدولة

والبخيل يضن بالمال فى مختلف المواقف ولا يستريح لطريقة انفاق القليل لكسب الكثير ، اما المنصور فكان يخضع انفاق المال لمقتضيات السياسة ، ولذلك يروى عنه الكثير من نوادر الكرم كما روى عنه الكثير من قصص البخل والشح ، ولما قرا الهيثم عنده « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » قال : « لولا ان الاموال حصن السلطان ، ودعامة للدين والدنيا وعزهما وزينتهما ما بت ليلة وانا أحرز منه دينارا ولا درهما ، لما اجد لبذل المال من اللذاذة ، ولما اعلم فى عطائه من جزيل التوبة » . وارجح ان قولة المنصور هذه ليست من قبيل الادعاء الكاذب والمفاخرة الجوفاء ، فان الذى يتأمل سيرة المنصور فى مختلف مواقفه ووجوه سياسته وضروب تدبيراته يجد ان الرجل كان شديد الشعور بخطورة المهمة الملقاة على كاهله، دائم النظر فيما يصلح امور الرعية ، وكان لا يألو فى ذلك جهدا ، وهو مثل نادر للحكام القادرين لواجبهم الشديدى النهوض بأعبائهم . وقد روى الهيثم انه فرّق على جماعة من اهل بيته فى يوم واحد عشرة آلاف درهم ، وامر للرجل من أعمامه بألف ألف ، واتبع هذه الهيثم بقوله : « ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها احدا من الناس » . وقد لا تخلو هذه الرواية من مبالغة ، ولكنها فى جوهرها تبين سياسة المنصور فى استمالة قلوب اعمامه واقاربه ليضمن ولاء الاسرة ، ويحتفظ بالعصبية التى تشد ازره ، وتخلص له النصيحة ، والتأييد وتصفية الود ، وكان يتبع هذه السياسة مع انصاره وأوليائه فيبرهم فى حياتهم ويجزل لهم التوبة ، ويتعهد احوال اسرهم بعد مماتهم . روى زيد مولى عيسى بن نهيك ، ـ وكان عيسى هذا موضع ثقة المنصور ومن رجاله الذين يعتمد عليهم فى المهمات الخطيرة

وفاء المنصور

قال : « دعاني المنصور بعد موت مولاى عيسى ابن عيسى بن نهيك وقال : يا زيد » قلت : « لبيك يا امير المؤمنين » ، فقال : « كم خلف ابو زيد من المال » ـ يقصد عيسى بن نهيك قلت : « الف دينار او نحوها » قال : « فأين هي ؟ » قلت : انفقتها الحرة فى مأتمه » ، قال : فاستعظم المنصور ذلك وقال : « انفقت الحرة فى مأتمه الف دينار ، ما اعجب هذا ! » ثم قال « كم خلف من البنات ؟ » فقال زيد « ستة » ، فاطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه وقال لزيد : « اُغدُ على باب المهدى » . فلما ذهب الى باب المهدى قيل له « امعك بغال ؟ » ، فقال « لم اؤمر بذلك ولا بغيره ، ولا أدرى لم دعيت » . فأعطى ثمانين ومائة الف دينار ، وامر بأن يدفع الى كل واحدة من بنات عيسى ثلاثين الف دينار . ودعاه المنصور بعد ذلك ، وقال له : « اقتضيت ما امرنا به لبنات ابى زيد ؟ » فقال : « نعم يا أمير المؤمنين » فقال له : اُغدُ عليّ باكفائهن حتى أزوجهن منهم : « قال : « فغدوت عليه بثلاثة من ولد العلى وثلاثة من آل نهيك من بنى عمهن ، فزوج كل واحدة منهن على ثلاثين الف درهم ، وأمر أن تحمل اليهن صدقاتهن من ماله ، وامرنى أن اشترى لهن ضياعا يكون معاشهن منها ، ففعلت ذلك » .

لما خرج محمد بن عبد الله العلوى على المنصور

ولما خرج عليه محمد بن عبد الله العلوى ، الذى كان يلقب بالنفس الزكية ، كان رجل من اسرة تدعى آل اويس بالمدينة ، فلما ظهر محمد سار من ساعته الى المنصور فبلغه فى تسعة ايام ، فقدم ليلا على أبواب القصر وصاح حتى علموا به وادخلوه ، فقال له الربيع ما حاجتك فى هذه الساعة وامير المؤمنين نائم » قال : « لابد لى منه » فدخل الربيع على المنصور فاخبره خبره وانه قد

طلب مشافهته ، فاذن له ، فدخل عليه فقال : « يا امير المؤمنين خرج محمد بن عبد الله بالمدينة » فقال المنصور : « قتلته والله ان كنت صادقا ، اخبرني من معه » فسمى له الرجل من مع محمد من وجوه اهل المدينة واهل بيته فقال له المنصور : « انت رايته وعاينته » ، فقال الرجل : « انا رايته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله صلعم جالسا » فامر المنصور بادخاله بيتا ، فلما اصبح جاء الى المنصور رسول من المدينة يخبره بخروج محمد ، وتواترت عليه اخباره ، فاستدعى الاويسي وقال له : « لاوطئن الرجال عقبيك ولأغنيك » وامر بتسعة الاف درهم لكل ليلة الف درهم .

المنصور وابو دلامة

ولما قتل المنصور ابا مسلم ، نظم الشاعر الفكه ابو دلامة قصيدة مدح بها اباجعفر وذكر قتله ابا مسلم يقول فيها :

ابا مسلم خوفتني القتل فانتحى
عليك بما خوفتني الاسد الورد
ابا مسلم ما غير الله نعمة
على عبده حتى يغيرها العبد

وانشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له المنصور « احتكم » فقال الشاعر : « عشرة الاف درهم » فامر له بر ، وتبسط بعد ذلك معه في الحديث فقال له لما خلا به : « ايه اما والله لو تعديتها لقتلتك » .

كان المنصور تعجبه الكلمات البليغة

وكان المنصور كسائر العرب تعجبه الكلمات البليغة والاجابة التي تدل على حضور البديهة ، روى صاحب العقد ان رجلا دخل عليه ، فقال له المنصور : « سل حاجتك » فقال الرجل : « يبقيك الله يا امير المؤمنين » فاعاد عليه المنصور قوله : « سل حاجتك » فانك لست تقدر على مثل هذه المقام في كل حين ، فقال الرجل : « والله يا امير المؤمنين ما استقصر عمرك ، ولا اخاف بخلك ، ولا اغتنم مالك ، وان عطاءك لشرف ، وان سؤالك لزين ، وما بامرىء بذل اليك وجهه نقص ولا شين فوصله المنصور واحسن اليه .

كان المنصور يعجبه كرم الاخلاق

وكما كان يعجب بالحديث الذي يدل على الزكانة وحسن الفهم كان كذلك يعجب بمتانة الاخلاق والرجولة وصحيح الولاء وصادق الوفاء . روى عنه المسعودي انه ذكر له تدبير هشام في حرب كانت ، فبعث الى رجل كان ينزل برصافة هشام يساله عن تلك الحرب ، فقدم عليه الرجل ، فقال له : « انت صاحب هشام ؟ » فقال الرجل : « نعم يا امير المؤمنين » .

قال فاخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا » .

فاجاب الرجل : « فعل رضي الله عنه فيها كذا وكذا ، وفعل رحمه الله كذا وكذا » فاغاظ ذلك المنصور ، فقال له : « قم عليك غضب الله ! تطأ بساطي وتترحم على عدوي ؟ »

فقام الرجل وهو يقول « ان لعدوك قلادة في عنقي ، ومنة في رقبتي ، لا ينتزعها الا غاسلي » ، واحدثت هذه الكلمات اثرها في نفس المنصور ، فهدأ غضبه ، وامر برد الرجل وقال له « كيف قلت ؟ » فقال الرجل : « انه كفاني الطلب ، وصان وجهي عن السؤال ، فلم اقف على باب عربي ولا اعجمي منذ رايته ، افلا يجب لي ان اذكره الا بخير واتبعه بثنائي ؟ » .

فقال له المنصور : «بلى ، لله درام نهضت عنك ! اشهد انك نهيض حرة ، وغراس كريم » .

ثم استمع منه ، وامر له بجائزة ، فقال الرجل « يا امير المؤمنين ما اخذها لحاجة ، وما هو الا ان ابتجح بحيائك ، واتشرف بصلتك » . واخذ الصلة.

فقال له المنصور : مت اذا شئت ، لله انت ! لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد ابقيت لهم مجدا». وقال لجلسائه بعد خروجه عنده « في مثل هذا تحسن الصنيعة ، ويوضع المعروف ، ويجاد بالمصون ، واني في عسكرنا مثله » .

المنصور بين البخل والكرم

والذي يمكن ان نستخلصه من هذه الروايات والاخبار المختلفة عن بخل المنصور وكرمه ان الرجل كان يعرف قيمة المال ، ويحسن معرفة وجوه انفاقه ، وقد قدر هذا الجانب في اخلاق المنصور مؤرخو الدول الاسلامية ، فصاحب الفخري يقول عنه بعد ذكر وصفه بالبخل «الصحيح انه كان رجلا حازما يعطي في موضع العطاء ، ويمنع في موضع المنع ، وكان المنع عليه اغلب » ، والمسعودي يقول في ختام الكلام عنه « كان يعطي الجزيل والخطير .

ما كان عطاؤه حزما ، ويمنع الحقير واليسير ما كان عطاؤه تصنيما ، وكان كما قال زياد « لو ان عندي الف بعير ، وعندي بعير اجرب ، لقمت عليه قيام من لا يملك غيره » .

والرجل الذى يعجب بمكارم الاخلاق ، ويقدر محمود الشيم والخلال ، وستميله المواقف المشرفة ، والكلمات الدالة على قوة النفس ورجاحة العقل وسمو الخلق قد نجد صعوبة فى الحاقه بزمرة البخلاء ، الاشحاء وهم فى اغلب الاوقات صغار النفوس ضيقو الافق محدودو الذكاء ، لا يطربون لغير جمع المال وادخاره ، ولا تعنيهم فى كثير ولا قليل نبالة النفس وفراهة الطبع والمواقف الدالة على الاريحية والبطولة .

اليعقوبى يتهم المنصور

بقيت مسالة ذكرها المؤرخ اليعقوبى فى عرض كلامه عن ايام ابى جعفر فى صورة موجزة ايجازا شديدا وغامضة واعنى بها قوله « واخذ ابو جعفر اموال الناس حتى ماترك عند احد فضلا ،وكان مبلغ ما اخذ لهم ثمانمائة الف الف درهم » ، ولم يذكر لنا اليعقوبى الطريقة التى اخذ بها ابو جعفر هذه الاموال ، وهل هى طريقة المصادرة والاغتصاب او فرض الضرائب والجبالات ، ولم يذكر لنا امثلة من هذا الاخذ لاموال الناس او شيئا من ملابساته.

المنصور يحترم الشريعة

وكان المنصور فى اكثر اموره يميل الى احترام القانون ، وقبول احكام الشريعة وقد ذكر الاتليدى عنه قصة ان لم يكن لها سند من التاريخ الصحيح فهى شبيهة بتصرفاته وسلوكه ، وقد تدلنا على الاثر العام الذى تركه ابو جعفر فى نفوس معاصريه ودارسى سيرته ، ومضمون هذه الرواية انه رُفع الى المنصور بان رجلا عنده اموال لبنى امية ، فامر المنصور الربيع باحضاره ، فلما مثل بين يديه قال له المنصور : « رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا لبنى امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال » فقال الرجل : « يا امير المؤمنين انت وارث لبنى امية ؟ » فقال المنصور : « لا » فقال الرجل : « فلم تسال اذن عما فى يدى من اموال بنى امية ولست بوارث لهم ولا وصى ؟ » فاطرق المنصور ساعة ثم قال : « ان بنى امية ظلموا الناس ، وغصبوا اموال المسلمين » فقال الرجل : « يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال الذى لبنى امية هو الذى فى يدى ، وانه هو الذى غصبوه من الناس ، وان امير المؤمنين يعلم ان بنى امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التى اغتصبوها على ما يتهم امير المؤمنين » . فسكت المنصور ساعة ثم قال : « يا ربيع صدق الرجل ، ما يجب لنا على الرجل شيء . » ثم قال : للرجل ــ جريا على عادته فى الاعجاب بالذين يحسنون الكلام واقامة الحجة ــ « الك حاجة » ؟ فقال الرجل : «نعم » فقال المنصور : « ما هى ؟ » . فقال : « ان تجمع بينى وبين من سعى فىَّ اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبنى امية عندى مال ولا سلاح ، وانما أُحضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم ، فايقنت ان الكلام الذى صدر منى هو انجح لما سالتنى عنه » فقال المنصور : « يا ربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به»فجمع الربيع بينهما،فقال الرجل:«يا امير المؤمنين هذا اخذ لى خمسمائة دينار وهرب ، ولى عليه مسطور شرعى » . فسال المنصور الرجل فاقر بالمال ، فقال له : « فما حملك على السعى كاذبا ؟» قال : « اردت قتله ليخلص لى المال » . فقال الرجل : «قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفى بين يديك وحضورى مجلسك ، ووهبته خمسمائة دينار اخرى لكلامك لى » . فاستحسن المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما ، وظل حينا من الزمن يبدى اعجابه بثبات جنان الرجل وقوة حجته وحلمه ومروءته .

ليس لقول اليعقوبى دعامة

وقد كان المنصور بوجه عام اعرف بقيمة العدالة فى بناء الدول وسياسة الملك من ان يعمد الى الاستيلاء على اموال الناس بغير وجه حق ، ولم يذكر لنا اليعقوبى حالة واحدة من حالات اخذ المنصور للمال تدعم قوله ، ولو انها كانت حالات كثيرة شاملة كما توهم عبارته لما خفى امرها ولقللت من بهاء الصورة التى يرسمها المؤرخون الاسلاميون لعدالة المنصور ويقظته وحسن سياسته . ■■

على ادهم
القاهرة

سفارة مصرية

إلى غازان مَلِك التتّار

بقلم : الدكتور صلاح الدين المنجد

■ في تاريخنا الدبلوماسي ، الذي لم يكتب بعد ، ميادين واسعة للبحث والدرس .

ورغم غزارة المادة المتعلقة بهذا الموضوع، فان احدا من علمائنا لم ينصرف اليه وحده ، وكنا أصدرنا منذ خمسة عشر عاما دراسة موجزة عن الدبلوماسية في الاسلام ذيلنا بها كتاب «رسل الملوك» . ولكن سعة الموضوع تقضي بوضع كتاب اكثر سعة .

ذلك لأن الدول الاسلامية ، الكبيرة والصغيرة ، التي حكمت منذ ثلاثة عشر قرنا ، كانت وافرة العدد ، زادت على المئة .

وقد قامت بين الدول الاسلامية نفسها ،وبينها وبين الدول غير الاسلامية صلات دبلوماسية لم تنقطع ، وان كانت تضعف تارة وتشتد اخرى .

وكانت بين هذه الدول وتلك سفارات دبلوماسية لا عدّ لها .

وقد كتب بعض العلماء مقالات عن السفارات الاسلامية ، لكن ما ظهر عن السفارات الى الدول، قليل او معدوم .

لان مؤرخينا القدامى لم يسجلوا ذلك بتفصيل، ولأن الوثائق المغولية المتصلة بهذا الموضوع فقدت أو لم تنشر .

على أن كنوز تراثنا العربي ، رغم ذلك كله ، غنية جدا ، وهي تمد الباحث المنقب بكل ما يريد.

فالمهم ان تنقب في هذه الكنوز اذا اردت لدراساتك الجدة والاصالة ، فهي معين لا ينضب.

فمما وجدناه ، مما يتصل بتاريخنا الدبلوماسي، وصف سفارة مصرية ارسلها الناصر محمد بن قلاوون الى غازان المغولي ملك التتار ، في اوائل

القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

وقد حدث السفير بما وقع له فى بلاد المغول ، ونقل ، بعد عودته ، الحديث الذى جرى بينه وبين الملك غازان .

وقبل أن ننقل حديث السفير ، نذكر أن الشرق الاسلامى اجتاحته جيوش التتار مرات خلال القرن السابع الهجرى. فبعد أن بدا هولاكو غزوا بغداد، تتابع الغزو ، فكان يمتد وكان ينحسر ، أو يضعف ويقوى .

ولقد اشتد خطر المغول فى أواخر القرن السابع، حتى أنهم بلغوا الشام ، سنة ٦٩٩ هـ ، وكسروا جيش مصر عند وادى سلمية ، ففر السلطان محمد ابن قلاوون هاربا ، وقصد التتار دمشق ، فخرج ابن تيمية لتلقيهم عند النبك - بين دمشق وحمص - وحصل لأهل دمشق منهم على الأمان . وبعد أن دخل التتار دمشق فنهبوا ، وسرقوا ، وجمعوا الأموال ، وهتكوا المحارم ، عادوا من حيث أتوا .

ففى هذه الفترة كانت الرسل تذهب وتجىء بين محمد بن قلاوون سلطان مصر ، وغازان سلطان التتار .

ففى شهر ذى القعدة عام ٧٠٠ ، أثر نكبة دمشق ، أرسل غازان ، الذى كان يطمع بالاستيلاء على مصر ، بعثة دبلوماسية مؤلفة من عشرين رجلا ،تحمل رسالة الى محمد بن قلاوون .فوصلت البعثة الى دمشق وأنزلت فيها أياما ، ثم أرسلت الى القاهرة . وهناك أدى رئيس البعثة الى السلطان رسالة كلامية واخرى مكتوبة بخط مغولى. وابلغ أن التتار لا يريدون الا الصلح .

ابقيت هذه البعثة فى القاهرة مديدة ، وجهزت بعثة مصرية من المماليك لتعود معها الى غازان وتؤدى اليه جواب رسالته .

وقد اختير لهذه البعثة المصرية الأمير حسام الدين ازدمر المجيرى ، والقاضى عماد الدين ابن السكرى .

وبعد أن عرض محمد بن قلاوون الجيش المصرى على الرسل التتار ، وخلع عليهم الخلع ،وأعطاهم الهدايا ، ومنح كلا منهم عشرة آلاف درهم ،سافروا مع المجيرى الى غازان .

وقد حفظ لنا احد مؤرخى العصر - ابن ايبك الدوادارى - نص كتاب غازان الى محمد بن قلاوون ، وجواب ابن قلاوون عنه . وهما من الشأن بمكان .

ملك التتار : كيف هربتم منا أيها المصريون ؟!

سفير مصر : نحن هربنا مرة واحدة ، وعسكركم هربوا منا ٦٠ مرة !

ولن نتعرض هنا الى ما جاء فى الرسالتين ، فامرهما يوجب التفصيل . وننتقل الى ذكر المقابلة التى جرت بين غازان والبعثة المملوكية .

وقد سمع حديث السفارة ابن ايبك المؤرخ من السفير نفسه ، وقد جاء الى داره لزيارة أبيه . فأثبته بعد ، فى تاريخه بالفاظه وتراكيبه ، وفيها الكثير من العامى .

قال المجيرى :

« لما حضرت بين يدى محمود غازان . اوقفنى

بعيدا منه ، وكلمني من اربع حُجّب .

فكان أول كلامه : ما اسمك ؟

قلت : ازدمر .

قال : وما لقبك ؟ وايش تعرف ؟

قلت : لقبي حسام الدين ، واُعرَف بالمجيري.

فقال : انتم لكم ثلاث أسماء لكل واحد حتى تكثروا في العدة .

فقبلت الأرض وقلت : يحفظ الله القان . نحن يشترونا التجار من البلاد صغار ، ويجلبونا الى الديار المصرية فيكون لنا اسم واحد . ثم ننتسب لاسم التاجر الذي يجلبنا ، فاذا كبرنا عاد لنا اللقب . فالمملوك اسمه ازدمر . وكان اسم تاجري مجير الدين ، فعرف بالمملوك المجيري . فلما كبرت وصرت بين الناس معروفا لقبت حسام الدين .

فسمعته يقول : صدق .

ثم قلت : وانما ننسب للتاجر لكثرة تشـابه اسمائنا بعضنا ببعض ، فما يفرّق بيننا الاالنسبة لتجارنا الذين جلبونا .

فقال : ايش جنسك ؟

قلت : قفجق .

قال : صدق .

ثم أمر بتقريبي اليه ،وكلمني من حاجب واحد. وذلك بعد مسائل كثيرة سالها ، وانا اصدقه ، واخرج له عن اجوبتها بمعونة الله تعالى . فمن جملة ذلك قال لي :

ـ ما محلك عند ملك مصر ؟

قلت : جندي !

قال : جندي ؟

قلت : نعم .

فنظر الى الحاجب مُغضبًا وقال :

ـ قل له : ملك مصر يُسيِّر الى مثلي جندي ؟ ما انت امير عنده ؟

قلت : نعم .

قال : على بابك طبلخاناه ؟

قلت : نعم .

قال : فكيف تقول جندي ؟

فقبلت الأرض وقلت :

ـ يحفظ الله القان . فالأمير جندي السلطان، والجندي جندي السلطان . ونحن عندنا كـل جندي ما هو أمير . ونحن نفتخر باسم الجندية ، وكلنا جند الله عز وجل .

فاعجبه (كلامي) ، وعند ذلك الوقت قربني .

ثم قال : أنت مملوك هذا السلطان شراء ماله ؟

قلت : أنا مملوكه ومملوك ابوه واخوه . وهو الذي عمل معي خير ، وجعل على بابي طبلخاناه وانما أنا مملوك الملك الظاهر بيبرس البندقداري رحمه الله .

فاطرق الى الأرض ، وتكلم مع شيخ من المغل كان قريبا منه . ثم قال :

ـ كيف هربتم منا ؟

فقبلت الأرض وقلت :

ـ يحفظ الله القان . عسكر التتار لهم ستين سنة يهربون منا ، ونحن هربنا مرة واحدة .

ثم استأنيت في كلامي وقلت :

ـ بمرسوم القان اتكلم ؟

قال : قول .

قلت : يحفظ الله القان . ما هربنا منكم خوف من كثرتكم ، ولا من عظم حربكم ، ولكن استهوتنا بكم .

قال : كيف ؟

قلت : نحن كسرناكم مرات عديدة مدة ستين سنة من أيام جدك هلاوون ، وابغا ، ومنكوتمر ، وآرغون ، والى ذلك التاريخ . فبقي ملتقاكم علينا سهل من اهون ما يكون . وان عساكر مولانا

السلطان عساكر كثيرة ، وخلق عظيمة ، لا يعلم عدتهم ، واعداه كثيرة من اربع جهات ، فاقليم قوص مجاور لبلاد السودان تركنا فيه عسكراً ، ثم اقليم آخر يسمى ثغر الاسكندرية مجاور لبلاد المغاربة والافرنج تركنا فيه عسكرا كبيرا واقليم آخر يسمى ثغر دمياط مجاور للافرنج أيضا تركنا فيه عسكرا ، ولم نخرج اليكم في ربع جيوشنا لقلة اكتراثنا بكم . وكان سعادة القان كبيرة ، فانك نلت ما لا ناله احد من جدودك (وكان ذلك في الكتاب مسطورا) .

كل هذا اقوله وهو يسمع. ولم يكن بيني وبينه غير حاجب واحد . وهو يسمع كلامي . واعجبه قولي : ونلت ما لا نالته جدودك . ولم يحصل له مني حرج الا في كلام واحد .

ذلك انه قال لي : كيف يتركون أمراؤكم الرجال « النساء » وتستخدمون الشباب ـ يعني المردان؟

فعلمت انه يريد قتلي وأذيتي . اذ لا بد لي من الجواب .

فقلت في نفسي : ما من الله الا واليه .وقلت:

ـ يحفظ الله القـان . ان امراءنا ما كانوا يعرفون شيء من هذا . وانما هذا استجد في بلادنا لما جاء الينا طوغاي من عندكم . فانه ورد الينا بشباب من أولاد التتار فاشتغل الناس بهم عـن النساء .!

فلما سمع هذا الجواب عظم عليه وأسخطه ، والتفت الى أعيان المُغُل الذين من حوله وتحدث معهم بالمغلي ، وانا قد علمت اني مقتول لا محالة وانا واقف بين يديه .

ثم قال للحاجب : قل لرفيقه : يا قاضي ! تشهد على صاحبك بما قال في مجلس القان ؟

فأعاد الحاجب على عماد الدين بن السكري .

فقال . نعم سمعته يقول :

فوالله لم يكلم غازان منذ حضرنا بين يديه مع عماد الدين غير هذه الكلمة .

ثم قال غازان للحاجب : قل له ما تقول في نسائنا ونسائكم ؟

فعلمت انه يريد التأكيد في قتلي . فتشاهدت في نفسي ، واخلصت النية في لقاء الله عز وجل وقلت :

ـ يحفظ الله القان ! انت ملك المشرق ،ويقبح أن تذكر النساء في هذا المجلس . ان نســاءنا يستحيون من الله تعالى ومن الناس ، ويسترون وجوههم . ونساؤكم انتم اخبر بهن وبحالهن .

فاطرق غازان الى الارض ساعة . ورفع راسه وقال للحاجب :

ـ اخرجهم ارميهم في المنجنيق .

فسحبونا من بين يديه سحبا عنيفا ، وخرجنا ، وقالوا لنا أوصوا بما تختاروه لأهلكم .

فقمت اتوضأ للموت . وقام القاضي عماد الدين ايضا . فسمعت حس طقطقة أسنانه وهو يرعد كالقصبة في الريح البارد . فتبسمت . فقال لي « القاضي » :

ـ يا حسام الدين ! هذا وقت الضحك ؟

فقلت : يا قاضي ! قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .

... « وما لبثنا أن » خرج مرسوم ثان أن يحبسونا في المدرسة ، ولا يمكنوا احدا من العبور الينا ولا نخرج ولا نعبر . وضيقوا علينا غاية الضيقة في طول تلك المدة . فعلمنا أن نحن من المغضوب عليهم من جهة غازان » .

وقد بقي المجيري وصاحبه القاضي في السجن سنتين ، ينتظران الموت صباحا ومساء ، حتـى مات غازان وتولى بعده أخوه خدابنداه ، فاطلقهما، وانعم عليهما ـ وكان مسلما ـ وأرسل الى سلطان مصر يطلب الصلح والهدنة حتى تعمر البلاد .

■■

صلاح الدين المنجد
بيروت

طرائف عربيّة

بلقيس وحمالة الحطب

● قال رجل من بنى لهب لوهب ابن منبه : ممن الرجل ؟

قال : من اليمن .

قال : فما فعلت امكم بلقيس ؟

قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين،وامكم حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد .

المُحدِّث والمستمع

● حَدِّث الناسَ ما مالوا اليك باسماعهم ، ولحظوك بابصارهم ، فاذا رأيت منهم فتورا ، فامسك .

(عبد الله بن مسعود)

● الكلمة اذا خرجت من القلب ، وقعت فى القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

(عامر بن عبد قيس)

حبٌ من الصغر

تعلقت ليلى ، وهى غِرٌّ صغيرة ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حجمُ

صغيرين ، نرعى البَهْمَ ، يا ليت اننا الى الآن لم نكبر ، ولم تكبر البهم

(مجنون ليلى)

فصاحة المامون

● قال العباس بن الحسين للمامون : يا امير المؤمنين ، ان لسانى ينطلق بمدحك غائبا ، وقد احببت ان يتزيد عندك حاضرا ، افتاذن يا امير المؤمنين فى الكلام ؟ فقال له : قل ، فوالله انك لتقول فتحسن ، وتحضر فتزين ، وتغيب فتؤتمن . فقال : ما بعد هذا كلام يا امير المؤمنين ، افتاذن بالسكوت ؟ قال : اذا شئت .

حكاية من

● قال الجاحظ : سألنى بعضهم كتابا بالوصية الى بعض اصحابى ، فكتبت له رقعة وختمتها ، فلما خرج الرجل من عندى فضها فاذا فيها : « كتابى اليك مع من لا اعرفه ، ولا اوجب حقه ، فان قضيت حاجته لم احمدك ، وان رددته لم اذمك ! » .

فرجع الرجل الىّ فقلت له : كأنك فضضت الورقة ؟

لا افراط ولا تفريط

● الافراط فى الجود يوجب التبذير ، والافراط فى التواضع يورث المذلة ، والافراط فى الكبر يدعو الى المقت ، والافراط فى الحذر يدعو الى الا يوثق بأحد ، وذلك ما لا سبيل اليه .

الجاحظ

فتــوى

● قال الربيع بن سليمان :

كنت عند الشافعي ، فجاءه رجل برقعة ، فقراها ووقع فيها . وحين مضى الرجل تبعته الى باب المسجد ، فقلت : والله لا تفوتني فتيا الشافعي ، فاخذت الرقعة من يده فاذا فيها :

سَلِ المُفتيَ المكيَّ هل في تزاوُرٍ ... وضمةِ مشتاقِ الفؤادِ ، جُناحُ ؟

ووجدت الشافعي قد كتب تحتها :

فقلتُ : معاذَ اللهِ أنْ يُذْهِبَ التُّقَى ... تلاصقُ أكبادٍ بهِنّ جِراحُ

قال الربيع :

فانكرت على الشافعي ان يفتي لحدث بمثل هذا .

فسالته : يا ابا عبد الله ، تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب ؟

فاجاب : « يا أبا محمد ، هذا رجل هاشمي قد بنى على اهله في هذا الشهر ــ يعني شهر رمضان ــ وهو حدث السن ، فسال هل عليه جناح أن يفعل كذا وكذا .. وهو صائم ــ فافتيته بهذا » .

قال الربيــع :

فتتبعت الشاب فسالته عن حاله ، فذكر لى مثل ما قال الشافعي ، فما رايت فراسة احسن منها .

الجــاحظ

فقال نعم !

فقلت : لايضيرك ما فيها فانه علامة لى اذا اردت العناية بشخص !

فقال : قطع الله يديك ورجليـك ولعنك !

فقلت : ما هذا ؟ !!

فقال : هذا علامة لى اذا اردت ان اشكر شخصا !

المنصور يبكي

● دخل عمرو بن عبيد على ابى جعفر المنصور فقال له : عظني .

فقال : يا امير المؤمنين ، ان هـذا الامر لو كان باقيا لأحد قبلك ، مـا وصل اليك ، الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد .

قال : فبكى المنصور حتى بل ثوبه.

يزيد بن مزيد

نظر يزيد بن منصور الى يزيد بن مزيد ، وعليه رداء يمان وهو يسحبه.

فقال : ليس عليك غزله ، فاسحب وجر ..

فقال له : على آبائك غزله ، وعليّ سحبه .

تحية فلسطين للجزائر

للشاعرة : أسمى طوبى

مِن هناك – مِن ذُرَى القُدْس الشهيد
مِن أعالي الكرمل الرابض . . من خلفِ الحدود
صيحةٌ تهتف مَرحَى للجزائر
ألفَ مرحى للجزائر
بدمِ الأحرار فيها والحرائر
سُجِّل النصر المجيد

★★★

مِنْ هناك . . من ذرى القدس الحزين
مِنْ قُرانا رُوِّيَتْ بالدم بالأمس . . ومِن كل حِمانا
ألفُ فرحه . . ألفُ غُصَّه
غُصَّةُ الأحرار يَحْيون عبيدْ
بذلوا ما وَسِعَ البذلُ المجيدْ
ثم ماذا . . ؟
ثم كان الظلم . . ظلم الأقربين
قَبْلنا يا موطني كان الهوى
كلَّ الهوى . . عِشقاً وشَهوه
فأحلنا العشق نيراناً وأمجادا وثوره
وعبدنا الله في الموطنِ
عِشْنا للجهاد
قَبْلنا أيُّ شباب أنشدوا

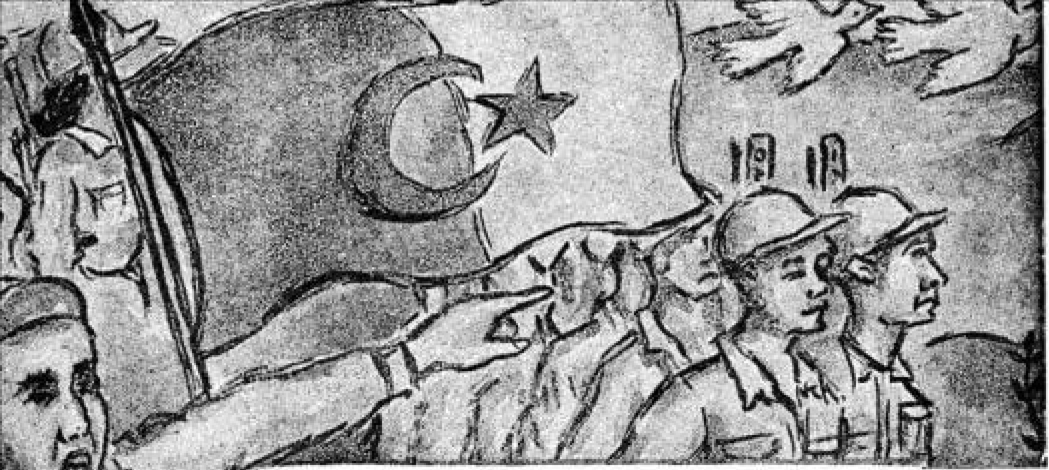

في زوايا السجن – أهلاً بالممات
قبلنا أيُّ نساء زغردتْ
للشهيد الحي في يوم الوفاة
قبلنا يا موطني كان الفداءُ
لفظة جسَّمها أشبالُنا
وخرجنا نحمل الجرح وفي الجرح رِسالة
وصرخنا أينما كنا أفيقوا
قد شربنا كأسنا حتى الثُّمالة
فاحْطِموا الكأس لئلا
يملؤوها من جديد
وانهضوا لا تقبلوا عيش العبيد
إن عيش الذلِّ أحرى بالعبيد
مِن هناك . . مِن ذرى القدس الشهيد
من أعالي الكرمل الرابض . . من خلف الحدود
من قُرانا رُوِيَتْ بالدم . . من كل حمانا
صيحةٌ تهتف مرحى للجزائر
ألفَ مرحى للجزائر
إنها للعُرْب قِبله ، ومنائر
إنها الفجر الجديد

ليون الثالث
الأمبراطور
ذو العقل العربي

تأثره بالفكر الاسلامى

■ من صفحات التاريـخ الدينى لبيزنطة صفحة دامية وخطيرة ، سببها ازمة عقيدية ، يطلق عليها المؤرخون اسم ازمة الايقونات أو اسم الحركة التى تحرم صور المسيح والقديسين .

وهـذه الأزمـة ، التى رزحت الأمبراطورية الأورثوذكسية الروميـة تحت وطأتها قرنا طويلا خضيبا بالدم ، كانت فى نظر العديد من المؤرخين نتيجة لا بد منها لتزاوج الفكر البيزنطي بالفكر الشرقى الذى طبعه الاسلام القابع على حدود بيزنطة بطابعه .

الكنيسة اليونانية تقدس الايقونات

كانت الكنيسة اليونانية أكثر الكنائس تقديسا للايقونات والصور ، ومع مرور الزمن ازداد هذا التقديس حتى أصبح عنوانا للتقوى البيزنطية .

وكانت هناك كنائس اخرى تعارض تقديس الايقونات وتعتقد ان النصرانية ، وهي دين الصفاء الروحى ، يجب الا تشوه بمظاهر عبادة مادية تفقدها صفاءها وروحانيتها ، وتضفى عليها مظهرا وثنيا عارضا لا يمت الى أصالتها .

وكان مقر هذه الكنائس المعارضة فى المقاطعات الشرقية من الامبراطورية حيث قامت حركات دينية كثيرة منذ أوائل حياة النصرانية ، وحيث كانت رواسب من مذهب الطبيعة الواحدة ما تزال عالقة فى الأذهان ، وحيث نشأت فرقة البولصيين ، وهى الفرقة الدينية التى كان اتباعها يعارضون كل انواع العبادات الكهنوتية .

تأثر المعارضين للأيقونات بالاسلام

ويربط الباحثون بين الهوية الشرقية للكنائس المعارضة للصور والايقونات وبين التأثير الأسلامى فى نشأة هـذه المعارضة بامتن الروابط واوثق

بقلم : الدكتور نبيه عاقل

استاذ التاريخ بجامعة دمشق

كان ستر ثورته على الأيقونات وتدمير التماثيل الكنسية

الأسباب . فهم يرون فى معارضة المقاطعات الشرقية لعبادة صور المسيح والعذراء والقديسين انعكاسا لتأثير الافكار الاسلامية التى عاشت الى جانبهم او بينهم وكرهت تمثيل الجسد واعتبرته نكسة وثنية تشوه وجه العقيدة الروحاني .

وقد كانت آسيا الصغرى المركز الرئيسى للحزب المعادى للايقونات ، وكانت مدينة فريجيا مقر الايقونيين الغلاة . وكان على رأس هذا الحزب زعماء كنسيون من ذوى المناصب العليا كمثل رئيس الأساقفة ثيودور أسقف كلو ديو بوليس ، وقسطنطين أسقف ناكوليا الذى كان يعتبره معاصروه الد أعداء عبادة الأيقونات حتى لقبه الأورثوذكس المتعصبون بالأسقف الهرطقى .

معارضة الأيقونات

ظلت هذه المعارضة لا تتعدى حدود المجادلات اللفظية والمناظرات التى تدور فى مجالس رجال الدين حتى اعتلى عرش الامبراطورية الأمبراطور ليون الثالث ، الذى خلف الأمبراطور ثيودوسيوس الثالث ، والذى حفظ التاريخ له سجلا حافلا بالاعمال فى مختلف الميادين والمجالات .

كيف اعتلى ليون الثالث العرش ؟

كانت فترة حكم ثيودوسيوس الثالث المسمى « بالكاره أو الممتنع » فترة قصيرة جدا لعب الدور الرئيسى فى ادارة الأمبراطورية أثناءها شخص أصله من منطقة جرمانيكا فى شمال سوريا اسمه ليون . وقد أتاحت الظروف لليون هذا أن يتقلب فى مناصب ادارية وعسكرية كثيرة كان اولها أيام الأمبراطور جستنيان الثانى الذى أولاه منصبا اداريا فى احدى المقاطعات . وقد اتيح لعبقرية ليون العسكرية أن تبرز أثناء قيادته لحملة الى منطقة القوقاز صادف فيها عقبات وصعابا كثيرة تغلب عليها بمهارة رفعت من شانه وثبتت مركزه كقائد عظيم . وفى زمن انسطاس الثانى تسلم ليون منصب الحاكم العسكرى لمقاطعة الأناضول التى كانت تعتبر أهم مقاطعة عسكرية فى بيزنطة . استغل ليون منصبه كحاكم عسكرى ليمهد لنفسه استلام التاج الأمبراطورى من الأمبراطور الجديد ثيودوسيوس الذى كان معروفا بضعفه وزهده فى الحكم . فتحالف مع ارتاباسدوس ، الحاكم العسكرى لمقاطعة ارمينيا ، ووعده فى حال استلامه العرش أن يزوجه ابنته ويعطيه لقبا امبراطوريا رفيعا . والتفت ليون بعد هذا التحالف للتفاوض مع العرب ليأمن جانبهم فى حال قيامه بعمل عسكرى ضد ثيودوسيوس ، فاعترف العرب به امبراطورا مقبلا لبيزنطة وعقدوا معه اتفاقا أمن به مؤخرته وتفرغ لمناوشة الحكومة المركزية فى القسطنطينية .

كانت فرص النجاح أمام ليون واسعة ، فهو اقوى من الأمبراطور شخصية واوسع منه حنكة ودراية وأكثر استعدادا عسكريا ، وكان الصراع فى الواقع صراعا بين المقاطعات الشرقية من الأمبراطورية تقف فيه الأناضول فى صف ليون ، بينما تقف أرمينيا واوبزيكيون فى صف ثيودوسيوس الثالث. وتمكن ليون بعد عمليات عسكرية من ان يجبر الأمبراطور على أجراء مفاوضات معه . وانتهت المفاوضات بأن ضمن ليون لثيودوسيوس وابنه حياتهما مقابل أن يتنازلا له عن حقوقهما فى العرش. وهكذا وفى الخامس والعشرين من آذار عام سبعمئة وسبعة عشر دخل ليون مدينة القسطنطينية ليتوج فى كنيسة القديسة صوفيا امبراطورا لبيزنطة باسم ليون الثالث وليحكم فترة امتدت بين سنتى ٧١٧ ــ ٧٤١ للميلاد .

العرب على ابواب القسطنطينية

لم تمض أشهر ستة على اعتلاء ليون الثالث العرش حتى كانت أساطيل وجيوش عربية يقودها مسلمة بن عبد الملك تدق ابواب القسطنطينية من البر والبحر وتحاصرها حصارا شديدا كاد أن يؤتى الثمار المرجوة منه لولا عوامل عدة اهمها نجدة

البلغار لليون ، والبرد القارس الذى خيم على القسطنطينية فى شتاء عام ٧١٧ ـ ٧١٨ ، والنار الافريقية التى قذف البيزنطيون بها العرب الذين لا يعرفون سرها . وقد تضافرت هذه العوامل كلها فافشلت الحصار العربى . ولم يكن هذا الحصار آخر عمل عسكرى يقوم بـه العرب ضد ليون الثالث . اذ مـا كاد الأسطول العربى يعود الى قواعـده فى ديار الاسلام حتى انطلقت الجيوش البرية تشن هجماتها على البر البيزنطى . ومنذ عام ٧٢٦ اتخذت هذه الجيوش غزو منطقة آسيا الصغرى كل عام كسياسة لها ، فنراها تهاجم قيسارية تارة وتتوجه اخرى لمحاصرة نيقية وتقوم ثالثة بعمليات عسكرية فى مناطق اخرى وهكذا . واستمر الحال على هذه الشاكلة حتى عام ٧٤٠ حين تمكن ليون الثالث من أن يحقق نصرا على القوات العربية فى موقعة اوكرويتون قرب عمورية وقد ساعده هذا النصر الذى تم له بمحالفة الخزر الذين أصهر اليهم ابنه وخليفته قسطنطين،ساعده على التفرغ للاصلاحات الادارية والقانونية والدينية التى بداها منذ مطلع حكمه .

ليون الثالث فى حقل الادارة

ففى مجال الادارة ، ادخـل ليون الثالث بعض التعديلات على التقسيمات الادارية وحدود المناطق العسكرية التى نظمت أيام حكم الأسرة الهرقلية ، وكان يهدف من وراء ذلك الى تصغير رقع القاطعات وبالتالى تسهيل تصريف الشؤون الادارية وتسريع انجـاز مشاكل المواطنين مما أدى فى النهاية الى نظام ادارى أفضل من السابق .

ليون الثالث فى حقل التشريع

وفى حقل التشريع يحفظ التاريخ لليون الثالث أثرا تشريعيا يعتبره رجال تاريخ القانون حدا فاصلا فى تاريخ التشريع البيزنطى . ففى سنة ٧٢٦ نشر هذا الامبراطور مجموعة قانونية تعرف باسـم « الايكلوغـا » وتتناول بالتنظيم امور الأحوال الشخصية والقضايا الجنائيـة والأسرة وشؤون الميراث والملكية ، وتهدف فى الأساس الى تزويد القضاة بالنصوص القانونية التى يحتاجونها فى عملهم القضائى . كانت مدونة جستينان القانونية المنبع الذى استمدت منه « الايكلوغا » نصوصهـا ومنهجهـا التشريعى ، ولكن ليون حرص الحرص كله على أن يدخل على النصوص القانونيـة فى المجموعة الجديدة تعديلات تجعلها أكثر انسانيـة واقرب الى روح العصر الذى سنت له . ويمكننا ان نلخص المؤثرات التى عملت فى تطوير المجموعة الجديدة بأمرين اثنين :

أولهما : تأثير التعاليم الكنسية فى تطوير نظـرة المجتمع الى القضايا العامة والقواعد التى تنتظم حياة الجماعة المؤمنة .

وثانيهما : المؤثرات الشرقية التى حملها العرب المسلمون الى بيزنطة خلال حملاتهم عليها واحتلالهم لأجزاء من أرضها ، وما نتج عن الاحتكاك العربـى البيزنطى من تسرب الكثير من العادات الشرقية فى الحياة الى الأمبراطورية النصرانية ممـا اضطر المشرعين الى ملاحظة هذه العادات اثناء وضعهم نصوص الايكلوغا القانونية .

ليون يتأثر بالتشريع الشرقي

ويتضح التأثير الشرقى فى الايكلوغا حـين نستعرض النصوص التى تبحث وتحـدد علاقات الأسرة كصلات الزوجات بأزواجهن وصلات الأبناء بآبائهم وحقوقهم عليهم وتطور هذه الحقوق لتصبح أكثر توادا وتراحما مما حددته القوانين الماضيـة . وقد ساعد نشر الايكلوغا التى دونت بلغة سهلة مفهومة من الجميع على تنظيم الشؤون القضائية فى الامبراطورية . وأعلن الامبراطور فى مقدمتها عـن تصميمه على وضع حد للرشوة والفساد اللذين كانا يسودان دوائر القضاء ، كما اعلن ان الدولة ستتولى دفع رواتب القضاة جميعا ، علت مرتبتهم ام تدنت . ورغم ما بذل الأباطرة المتاخرون مـن محاولات للحد من قيمة المجموعة القانونية الجديدة فقد بقيت خلال فترة طويلة من الزمن مصـدرا اساسيا من مصادر التشريع فى بيزنطة وتجاوزت اهميتهـا حدود الامبراطورية لتصبح أساسا لتشريعات امم اخرى .

ليون الثالث فى الحقل الديني

ونصل هنا الى الدور الكبير الذى لعبه ليون الثالث فى حقل الاصلاح الدينى ، هذا الحقـل الذى برز فيه تأثره بالعرب المسلمين بأوسع شكل وأبعد مدى . والاصلاح الدينى ـ اذا جاز هذا التعبير ـ الذى نقصد حين نتحدث عن ليـون الثالث هو معارضته لتقديس الايقونات والصور واعماله فى سبيل الغاء عبادتها . وقضية تقديس الأيقونات والصور مرتبطة الى حد بعيد ، كمـا

ذكرنا فى مطلع هذه الكلمة ، بالاتصال الذى تم بين العالم الاسلامى وبيزنطة ، والأثر الذى تركه هذا الاتصال فى تغيير نظرة بعض مسيحيي الامبراطورية نحو هذه الأيقونات . واذا كانت الأزمة الايقونية قد ظلت حبيسة لأمد طويل ضمن جدران بيوت العبادة ، ولا تعدو فى مظهرها النقاش والجدل ، فان اعتلاء ليون الثالث عرش الامبراطورية نقلها الى الصعيد الفاعل وجعلها مشكلة الدولة ممثلة فى شخص الامبراطور . وقف ليون الثالث ، الرجل الذى تجرى فى عروقه دماء شرقية خالصة ، موقفا واضحا وصريحا فى عدائه لقضية تقديس الصور والأيقونات منذ اليوم الأول لاعتلائه العرش ، وأعلن رفضه لعبادتها على مشهد من اشد أنصارها حماسة . وقد قيل فى تفسير موقف ليون هذا انه كان نتيجةحتمية لتأثره بالافكار اليهودية والاسلامية التى ترفض كل شكل من اشكال عبادة الصور التى تبناها الكثير من الكنائس النصرانية .

ورغم ما نعرفه عن عداء ليون الشديد لليهود ، واجباره لهم على المعمودية ،فان القول بان معارضته لعبادة الصور متأثرة بنفحات من الفكر اليهودى قول لا يخلو من الصحة اذ ان بعض المؤرخين يفسرون اضطهاده لليهود بأنه دليل على قوة نفوذهم فى هذه الفترة من حياة بيزنطة . ومن المعروف ان كثيرا من الكتابات الدينية النصرانية فى القرن السابع الميلادى كانت تهدف الى الرد على الهجمات اليهودية ضد الكنيسة .

واذا صح انه كان لليهودية أثرها فى تحديد موقف ليون من قضية دينية كهذه ، فانه من المؤكد انه كان لصلاته بالعالم الاسلامى وحروبه مع العرب المسلمين وشغفه بالثقافة الاسلامية أثر اقوى من الأثر اليهودى سالف الذكر . وكدليل على تأثر ليون بالعرب المسلمين والثقافة الأسلامية بشكل عام يمكننا ان نذكر ان معاصريه كانوا يلقبونه «ابذى العقل العربى » . وطبيعى ان العرب الذين هاجموا آسيا الصغرى خلال سنوات طويلة واحتلوا اجزاء منها وكانوا على صلات دائمة مع العالم البيزنطى ، لم يحملوا معهم الى هذه البلاد السيف فحسب ، بل حملوا افكارهم وحضارتهم وكرههم لتمثيل الجسد البشرى فى صور وتماثيل وما شابه . وهكذا يمكننا ان نقول ان أزمة الأيقونات التى قامت فى المقاطعات الشرقية من الأمبراطورية ، وانتقلت الى سائر المقاطعات فيما بعد ، كانت تمثيلا للصراع الذى قام بين اولئك الذين كانوا يريدون للدين المسيحى الصفاء الروحى الخالص الذى لا تشوبه هرطقات وعبادات لا تمت الى اصالته بسبب ، وبين آخرين خضعوا للمؤثرات الفكرية الغربية عن العقيدة النصرانية .

ليون يعلن عداءه لعبادة الأيقونات

فالتحدى العربى لبيزنطة اذن لم يكن تحديا عسكريا فحسب ، بل كان تحديا فكريا أيضا اثر فى العقيدة نفسها ، وأثار ازمة شغلت الامبراطورية قرنا طويلاملیئا بالدم ، والجدل العنيف والمؤامرات. والذى ساعد ليون على نقل معارضته الأيقونات من صعيد القول الى صعيد العمل انه كان فى بيزنطة فى هذه الآونة كما ذكرنا آنفا حزب قوى يساند الأمبراطور فى عدائه لها ، وعلى رأسه كنتسيئون من ذوى المراتب العليا . وهكذا تهيأت السبل للجهر بهذا العداء وكان العام ٧٢٦ للميلاد الحد الفاصل الذى عمل من أجله اساقفة آسيا الصغرى أمدا طويلا . ففى هذه السنة اعلن ليون عداءه الرسمى الصريح لعبادة الصور والأيقونات. وصادف فى هذه الفترة ان حدثت هزة ارضية اعتبرها الأمبراطور كعلامة على غضب الله على النصارى الذين شوهوا ايمانهم بهذه الهرطقة الغريبة عن دينهم ، واخذ يلقى المواعظ على أتباعه محاولا اقناعهم بأن تقديس الأيقونات ضرب من الجنون يجب الاقلاع عنه . وكان يعتبر ان منصبه ذو صفة قدسية ، وانه ليس امبراطورا فحسب ، بل كاهنا دينيا أعلى .

ليون يأمر برفع صورة للمسيح

وانتقل من القاء المواعظ على شعبه الى التدخل الفعلى فى الشؤون الدينية فأمر برفع صورة للمسيح كانت موضوعة فى أحد احياء القسطنطينية وكان لها فى قلوب نصارى المدينة تقديسا واحتراما كبيرين . كان رد فعل الجماهير ضد محاولة الأمبراطور ، للمساس بأثر دينى يقدسونه ، عنيفا ولاهبا ، لدرجة انهم احاطوا بالذين ارسلهم لتنفيذ ما اعتزم عليه واسروهم وذبحوهم قبل أن يتمكنوا من اتمام المهمة التى جاءوا من أجلها . وامتد لهيب الثورة ضد الأمبراطور عدو الصور الى اليونان حيث خلع الناس هناك طاعته واعلنوا الولاء لامبراطور جديد ، وأرسلوا اسطولا لضرب القسطنطينية .ورغم أن ليون استطاع اخماد الفتنة

اليونانية ، الا انها كانت نذيرا له تنبهه الى خطورة التمادى فى سياسته الدينية .

يوحنا الدمشقى يندد

ومنذ ثورة اليونان اخذ الأمبراطور يتصرف بحذر شديد تجاه هذه المسالة الخطيرة ، ورغم انه قرر فى السنة العاشرة من حكمه أن يعلن عداءه الصريح للأيقونات ، فانه لم يقم بخطوات فعالة فى هذا السبيل الا بعد ذلك بسنوات . وقد قضى هذه السنوات يهيىء الجو للعمل الصريح ويفاوض رجال الدين ويحاول كسب ود بابا روما وبطريرك القسطنطينية . على ان الشرق الذى وقف وراء الأمبراطور فى آرائه الدينية وغذاها وايدها لم يعدم من يقف ضده ويسفه آراءه الدينية . فمن دير القديس سابا قرب القدس ارتفع صوت يوحنا الدمشقى ، الذى كان من أصل يونانى ، ودخل فى خدمة خلفاء دمشق الأمويين فى مطلع حياته ثم اعتزل الحياة واعتكف فى دير القديس سابا ، ارتفع صوت يوحنا هذا ليندد بآراء الامبراطور الدينية وليكتب الرسائل الدينية المطولة فى الدفاع عن الايقونات التى ما هى فى نظره الا رمز أو وسيط حسب مفهوم الفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

تبرير يوحنا لعبادة الأيقونات

وبرر الدمشقى استعمال وتقديس صورة السيد المسيح بقوله ان هذه الصورة ما هى الا تجسيد لفكرة المسيح لا المسيح نفسه ، وهكذا يربط قضية عبادة الايقونات بفكرة الخلاص التى بشر بها السيد المسيح . ولعل أهم ما يتوجب ذكره عن يوحنا الدمشقى بهذه المناسبة هو ان كل دفاع عن الايقونات كتب بعده استند على الأسس التى بنى عليها هو دفاعه واصبح رأيه المنبع الذى استمدت منه كل الآراء التى جاء بها مفكرون دينيون مؤيدون للأيقونات بعده .

تخريب الأيقونات

وتشاء الصدف أن تفشل جهود ليون الثالث لحل مشكلة الأيقونات عن طريق المفاوضات والاقناع والجدل الدينى ، فيجد نفسه مضطرا للجوء الى القوة لتنفيذ مشاريعه المتعلقة بهذه القضية . وهكذا نراه يصدر قراره المشهور القاضى بتخريب جميع الأيقونات وهدمها او اتلافها اينما وجدت . وحتى يضفي شيئا من الشرعية على قراره هذا دعا فى السابع عشر من شهر كانون الثانى عام ٧٣٠ الى عقد اجتماع يضم كبار الرجالات الدينيين والدنيويين ، وطلب من الحضور ان يؤيدوا قراره. وبعد معارضة من بطريرك القسطنطينية انتهت بعزل هذا البطريرك توصل المجتمعون الى قرار يؤيد سياسة الامبراطور الدينية .وهكذا اصبحت معاداة الأيقونات سياسة رسمية للدولة . ولا يهمنا هنا أن نذكر تفاصيل ما أدت اليه هذه السياسة من فرقة وانقسام بين مقاطعات الأمبراطورية ، ولكنا لا بد ذاكرون ان النتيجة الهامة التى اسفر عنها عداء الأيقونات وصيرورته سياسة الدولة الدينية الرسمية هى انسحاب روما من حياة الشرق البيزنطى السياسية وانسحاب بيزنطة من حياة الغرب اللاتينى ، أو بمعنى آخر لم تعد لبيزنطة سيادة سياسية فى روما كما لم تعد لروما سيادة روحية دينية فى القسطنطينية ، وتم ما يشبه القطيعة بين عالمين كانا الى أمد قريب وحدة سياسية ودينية .

ليون يموت

ويجىء العام ٧٤١ للميلاد وتنتهى حياة ليون الثالث ، ويخلفه ابنه قسطنطين الخامس ليكمل سياسة ابيه الدينية ، وتنتقل قضية الأيقونات من بعده بين مد وجزر مدة ليست بالقصيرة تتعالى اثناءها الصيحات وتسيل الدماء وتدبر المؤامرات .

التبادل الحضارى والفكرى مستمر

واذا كان لنا من ملاحظة فى ختام هذه الكلمة التى قصدنا ان نعرض فيها جانبا من جوانب تأثير الشرق الاسلامى على الغرب المسيحى ، فلا أجدى من ان نذكر ان عملية التبادل الحضارى والفكرى بين امم العالم المتحضر فى القديم ، التى تمثل قصة حياة الامبراطور ليون الثالث صورة من ألمع صورها ، قد آتت أكلها فى عصرنا هذا ، واصبح هذا العصر الذى نرتع فى خيراته الحضارية المثل الكامل لتعاون الانسانية فى كل ميدان من شأنه أن يوفر لبنى الانسان غذاء أفضل. ■■

نبيه عاقل

الفخرُ الرَّازى

رَجل دنيا ودين

مات عن ١٠٠ ألف دينار ذهبًا

- تفسيره القرآن موسوعة جمع فيها أقوال الأولين والآخرين
- مجالسه كان يحضرها الأمراء والوزراء والفقراء!

بقلم : الشيخ محمد ابى زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

رجل جمع العلم والمال ، واحتازمن الدنيا كثيرا ، ومن علم الدين اكثر ، وترك لأولاده وسائر اسرته تركة من المال ، فنيت بفنائهم ، وذهبت معهم ولكنه ترك معها آثارا علمية باقية يذكربها ، وتذكر منسوبة اليه ، فما تركه من حطام الدنيا ، لم يبق منه شيء ، وماتركه من علم لم يذهب منه الا ما اخفته الخزائن العلمية ومآله الظهور ، ولقدصدق رسول الله الصادق الأمين اذ يقول : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، وولد صالح يدعو له ، وعلم ينتفع به ، واخلدهاالثالث منها » . لقد ترك ذلك الرجل مائتى الف دينار ، ومائتى كتاب ما بين وسيط ومبسوط ، وقد ذهبت الدنانير وبقيت الكتب ، وبذلك يتقرر ان كل شيء يفنى فى هذه الدنيا الا ما يتصل بالروح والعقل .

ذلك الرجل هو محمد بن عمر بن الحسين القرشى البكرى ، وقد اشتهر بلقبه فخر الدين الرازى ، ثم اوجز اللقب ، حتى صار يذكر « بالفخر الرازى » .

والرازى نسبة للرَىّ ، حيث وُلد ، وحيث

نشا وترعرع وشدا فى العلوم ، وكان ابوه خطيب الرى ، وواعظها وذا السمت الحسن بين اهلها ، وبذلك الوسط الذى نشا فيه والنسب الذى ينتسب اليه اجتمع له امران : كلاهما اعلاه وسما به . اولهما نسب شريف ، اذ ينتمى الى صدّيق هذه الامة ابى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفيه فى الجاهلية والاسلام ، ووزيره فى تدبير الدولة ، وصاحبه فى الغار ، وثانى الاثنين . وثانيهما : البيئة العلمية ، فان اباه كان عالما ، وكان خطيب الرى ، فنشا فى بيت العلم ، وفى وسطه .

بيئة العلم فى بلاد خوارزم

وان المدارس الاسلامية قد انبتت فى بلاد خوارزم وقربها وما وراءها ، حتى نبغ فيها العلماء الكبار امثالُ ابى الريحانى البيرونى صاحب الفلسفة والتاريخ ، والخوارزمى صاحب الرياضيات ، ثم الخوارزمى صاحب المقامات ، ثم بديع الزمان الهمدانى ومن جاء بعدهم ، ثم كان فيها الشيرازى صاحب الفقه ، وفيها طائفة كبيرة من علماء المذهب الشافعى الذى كان يسود فى تلك البلاد ، وله القلب والسلطان ، فمنذ ادخل محمد بن اسماعيل القفال الكبير الشاسى ، المتوفى سنة ٣٦٥ ، ذلك المذهب الجليل فى هذه البلاد ، وهو ينمو ويزيد ، حتى اذا جاء القرن السادس الهجرى كانت له السيادة فى الشعب .

الرازى نشا فى بيئة العلم

وبهذا يتبين ان فخر الدين الرازى قد نشا فى بيت العلم ، وفى معدن العلم ، وفى بيئته ، فكان لا بد ان يتجه الى العلم بكليته ، وقد اتجه اليه ، فاستحفظ القرآن ، وروى الحديث ، وتعلم علوم اللغة ، والفلسفة ، والكلام ، وكان مع كل هذا طالبا للفقه ، وكان من مقتضى حكم البيئة ان يكون شافعيا ، ولذلك كان من اعلم الفقهاء بفقه الامام الشافعى رضى الله عنه وكان من اشد الناس تعصبا لذلك المذهب .

عصر امتاز باربعة امور

ويجب ان نقرر ان هذا العصر قد امتاز بامور اربعة كلها التقت فى فخر الدين الرازى رضى الله عنه .

انعدام التخصص

اول هذه الامور : هو تحصيل العلوم كلها ، فلم يكن التخصص واضحا ، فكان الفقيه يجمع الى الفقه علم العقائد والفلسفة وعلم اللغة بشتى فروعه ، وتمتزج هذه العلوم كلها فى آثاره وفى تفكيره ، ويظهر فى كتاباته ، كانه متخصص فى كل واحد منها .

الموسوعات العلمية

وثانى هذه الامور هو الموسوعات العلمية الجامعة ، فقد اتجه العلماء اليها ، فكان فى المذهب الحنفى المبسوطُ للرضى ، وهو موسوعة فقهية ، وكان فى المذهب الشافعى المهذَّب للشيرازى ، وكان فى المذهب الحنبلى المغنى لابن قدامة ، وكان فى المذهب المالكى الموسوعات الفقهية المختلفة ، وحسب الغرب العربى ديوان الفقه الكبير ، وهو المحلى لابن حزم الاندلسى .

الجدل فى الفقه وعلم الكلام

الامر الثالث : الجدل ، فقد ساد هذا العصر وما قبله الجدل الفقهى والكلامى ، حتى كان العالم لا يوصف بفضل العلم فقط ، بل كان يوصف ، مع ذلك بفضل القدرة على المناظرة والجدل ، حتى كانوا يقولون فى مدح العالم كان عالما نظارا ، وانه لفرط عناية العلماء فى ذلك الزمان بالجدل كانوا يقيمون مجالس العزاء بالمناظرات فى مسجد الحى الذى كانت فيه الوفاة .

التعصب المذهبى

الامر الرابع هو التعصب المذهبى ، وان ذلك نتيجة الجدل ، فان الجدل يجعل كل صاحب فكرة يستمسك بها ، ويعتل الادلة لتقويتها ، ووراء ذلك التعصب الشديد ، ولذلك كان الامام مالك رضى الله عنه ينهى عن الجدل .

كتب الرازى وتصانيفه

ظهرت كل هذه الامور فى الرازى ، فكان عالما باصول الفقه ، وله فيه كتاب المحصول ، وهو يعد فى الرتبة الثانية من كتب هذا العلم ، وقد استبحر فيه ، وتعمق فى مسائله وقواعده تعمق الغائص العارف بمواضع اللؤلؤ منه ، وكان عالما باصول الدين ، وهو ما يسمى علم الكلام ، وقد كتب فيه مدافعا عن منهاج الاشعرى فى اكثر الاحيان ، ومناقشا له فى بعض الاحيان ، وقد قال ابن كثير فى كتبه : « اخذ الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار ، وله نحو مائتى مصنف منها التفسير الحافل ، والمطالب العالية ، والمباحث الشرقية ، وله فى اصول الفقه المحصول وغيره ، وصنف ترجمة الشافعى فى مجلد مفيد ، وفيه غرائب لا يوافق عليها ، وينسب اليه اشياء عجيبة (البداية والنهاية جـ ١٣ ـ ص٥٥).

وقفة عند كتاب الرازى فى الشافعى

ونقف هنا وقفة قصيرة عند كتابه مناقب الشافعى ، فقد كان مظهرا لتعصبه المذهبى باديا فيه ، ما ترك منقبة لم ينسبها اليه ، ومع ذلك كان يعرّض بغيره من الائمة ، وحيث وجد رواية ولو كاذبة تعليه ، ساقها من غير تمحيص ، وكانها خبر صادق لا شك فيه . ومن ذلك مثلا ما رواه عن محمد بن عبد الله البَلَوى ، فانه روى عنه ان الشافعى عندما سيق الى الرشيد متهما بالتشيع سنة ١٨٤ هـ كان ذلك بدس خفى من ابى يوسف ومحمد تلميذى ابى حنيفة رضى الله عنهم. وادعى له علم الطب وعلم اليونانية ، مع ان الرواية كاذبة ، لان ابا يوسف قد مات سنة ١٨٢ قبل ان يدخل الشافعى بغداد ، ولان محمد بن الحسن هو الذى تشفّع له ، وقد اقام معه يطلب علم العراق منه بعد ان فكّت قيوده . ولم يثبت ان الشافعى كان يعلم لغة اليونان ، بل انه لم يثبت انه التقى بالسريان الذين كانوا يكونون مدرسة الترجمة فى عهد المنصور والمأمون .

وقد رد ابن القيم تلك الرواية واتهم البلوى راويها بانه كذاب (راجع كتاب مفتاح السعادة لابن القيم ص ٥٦٥) وردها ايضا ابن حجر العسقلانى وقال : « اوضح ما فيها من الكذب قوله فيها ان ابا يوسف ومحمد بن الحسن حرضا الرشيد على قتل الشافعى ، وهذا باطل من وجهين ، احدهما ان ابا يوسف قد مات ، ولم يجتمع به الشافعى . والثانى انهما كانا اتقى من ان يسعيا فى قتل رجل مسلم » .

ولا شك ان التعصب المذهبى الذى ساد عصر الفخر الرازى هو الذى سهل له قبول تلك الرواية الكاذبة التى اجمع العلماء على كذبها وكذب راويها .

علم للرازى غزير ، واحاطة شاملة

اتجه الفخر الرازى الى الدرس والبحث والكتابة ، وقد اوتى كل المؤهلات التى تؤهله لذلك : علم غزير واحاطة شاملة ، ودقة فى الفهم، واتجاه الى طلب الحقيقة من غير عوج ، الا اذا كان الأمر يمس المذهب الشافعى ، فانه فى هذه الحال يكون منه التعصب ، والنظر الجانبى ، والاتجاه من زاوية الانحراف ، فلا يكون مستقيما، ومهما يكن فقد ترك ثروة فكرية يندر بين العلماء من ترك مثلها .

بنيت له المدارس ليدرس فيها

وقد كان ذا حظوة عند الملوك ، ولذلك بنوا له المدارس المختلفة فى بلدان شتى ليلقى فيها دروسه، والناس يفدون اليه طالبين علمه ، يستمعون اليه فى تحقيقاته العلمية ، وكان ذلك للخاصة من اهل العلم الذين يستطيعون ان يدركوا المعانى العميقة التى يدرسها .

ومجالس للوعظ والارشاد

وكانت له مجالس وعظ يتجه فيها الى الارشاد، والتوجيه ، والرواية ، والقصص ، وهذه المجالس كانت تتسم بأنها جامعة لكل الطبقات ، فكان يحضرها العلماء ،والملوك ، والأمراء والوزراء ، ويتجمّل ذلك المجلس الحافل حضور العامة والفقراء ، فاذا كان الله تعالى قد جعل له حظوة عند الملوك ، فقد كانت له حظوة عند العامة ،وجمع الله فى مجلسه بين الفريقين ، فكان مجلسا تظلله الملائكة ، لحضور الفقراء والعامة فيه .

تصدى الرازى للمنحرفين وجادلهم

ولقد كان يتصدى لمجادلة المنحرفين ومناقشتهم، وكانوا كثرة فى البلاد النائية،فكان يرد على الشيعة فى كتاباته وفى مناقشاته ، وفى دروسه ، وكانت فى عصره طائفة اسمها الكرامية نسبة الى محمد بن كرام السجستانى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ . وقد كثر اتباع هذه الطائفة فى عهد الفخر الرازى ،وكان يعتنق مذهبهم بعض الملوك ، لم خرج منه ولهم فى الاعتقاد ما يخالف الأشعرى والمعتزلة وغيرهم ، وفى الفروع آراء منحرفة منها ما يخالف صريح القرآن، وهى أن صلاة الخوف تكبيرتان من غير ركـوع أو سجود أو ايماء بهما ، وذلك يخالف القرآن ،ومنها جواز الصلاة فى ثوب نجس ، ومنها أن العبادات تجوز بغير نية ، وغير ذلك .

فكان لا بد أن يتصـدى لرد هذه الاقوال امام العامة والخاصة الفخر الرازى ، وقد اشتد فى الرد واكثر من النيل منهم فى دروسه ومواعظه ، وكان عظيم النكاية فى هذه المواعـظ ، لانه يلتقى فى مجالسها الأمراء والملوك والوزراء مع العامة ، فلا يكون فريق من الأمة الا شاع قول السـوء فى مجالسهم ، بالنسبة للكرامية ، وبذلك ضعفت شوكتهم وضؤلت كثرتهم ، ولم يعد لهم نفوذ فى العامة ، ولا عند الكبراء .

خصوم الرازى نالت منه فى دينه بالباطل

واذا كان هو قد رماهم بحق دفاعا عن الدين ، وابطالا للبدعة ، فقد نالوا منه فى دينه بالباطل ، ومن عادى من لا دين له لا يامن أن يتّهم فى دينه، لانه لا حريجة عند المنحرف تمنعه من تحدى الحق فيما يقول ، فكانوا يرمون ذلك الامام الجليـل بالمعاصى ، ويخصونه بافحشها ، وهو منها براء ، واذا ما كان يرمى به هو ضريبة التقى يقدمها عند محاربة الفاسقين المبتدعين فى الدين ما ليس فيه، فانه كان مطمئنا كل الاطمئنان الى ما يقولون ،لأن المذمة من أهل النقص شهادة بالكمال .

ولعل أشد ما كانوا يرمونه به ليس ما يتعلـق بشخصه ، انما كان اشد ما كان يؤثر فى نفسـه انهم كانوا يكذبون عليه بالنسبة لمنزلة النبى صلى الله عليه وسلم فى قلبه ، فقد ادعوا عليه أنه كان يعبر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيقول محمد البادى ، ويقول عن نفسه محمد الرازى ، ومعنى البادى من كان بدويا ، وان كتبه ليس فيها شئ من هذا التعبير ، فهى رَمية" فاسقة" لا تكون الا من فساق .

الرازى يذكر الراى ، آنا صريحا ، وآنا خفيا

ولقد كان الرازى فى معترك الافكار التى ينقلها ويسوق ادلتها ، احيانا يذكر رايه صريحا جهيرا ، لا خفاء ، واحيانا يذكره خفيا لا يبدو الا لأهل النظر والتفكير ، وقد قال فيه من لم يصلوا الى شاوه : « انه كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بعبارات كثيرة ، ويجيب عن ذلك بادنى اشارة » .

وفى الحقيقة ان ذلك كان منه فى المسائل التى يرى الاكثرين عليها ، ولا يريد ان يهاجمهم صراحة، بل يمهد لفكرة الخصوم المعارضين للكثرة الكاثرة . ومن ذلك،مثلا تقريره لمذهب ابى مسلم الاصفهانى فى نسخ القرآن ، فان ابا مسلم كان يرى انه ليس فى القرآن منسوخ ، بل كل ما اشتمل عليه القرآن من آيات واحكام مُحكَم لا نسخ فيه ، وقد ساق فى سبيل الاستدلال لأبى مسلم الآيات التى ادعى نسخها ، ووفق بينها وبين الآيات التى ادعى انها ناسخة لها توفيقا وتدقيقا ، واحتفل ببيـان راى ابى مسلم ، ولم يحتفل ببيان الرد عليـه ، بل كان الرد يومىء بانه ضعيف بجوار ما أيد به راى أبى مسلم .. وهكذا كثير من المسائل اشتمل عليها التفسير ، وغيره من الكتب .

الرازى رجل دنيا ودين

وان الموقف الصريح بلا شك أسلم ، والليق بالعالم الذى ينصرف الى العلم ، لا يهمه الا تقرير الحقائق وحدها ، ولكن الفخر الرازى كان رجل علم ودين ، ورجل دنيا ، فقد كان متصلا بالملوك والأمراء ، وله منزلة عند العامة . ومن كان كذلك لا يستطيع أن يجابه العلماء بما لا يألفون ، فاذا كان يشير الى رايه بعباراته تومىء ولا تصرح ، فهو بهذا يحاول أن يجمع بين النواحى الاجتماعية التى ارتبط بها ، والحقيقة العلمية التى يريد

اعلانها ، ولو بطريق مستور ، فلا يعلنها عارية ، بل مستورة بثياب قد توهم غيرها ، وتلبس على بعض من لا يدركون أمرها .

وقد كان يصنع ذلك،ببعض الآراء التى يختارها من المعتزلة وغيرهم ، ويومىء بها ولا يصرح ، واذا كان فى ذلك عيب فأساسه هو اتصاله بالحكام والأمراء ، والعالم الحق الذى وصل الى مثل ما وصل اليه الامام الرازى كان يجب أن يعلو عن المواضعات التى تقيده ، ويكون للعلم خالصا لا يطلب سواه ، ولكن لعله وجد فى الاتصال ما مكن به للعلم والعلماء ، وبه فتحت المدارس ، وحضر الملوك مجالس الوعظ .

تفسير القرآن للرازى

اشتهر الفخر الرازى بالتفسير ، وان كان مقامه فى كل علم من علوم الاسلام لا يقل عن مقامه فى التفسير ، بل ان التفسير قد كان المظهر الاكبر لكل علوم الرازى ، فقد أودعه علم الاسلام كله ، فقد جمع فيه بين دقة التحقيق اللغوى لمعانى العبارات القرآنية السامية ، ونقل فيه ما قاله علماء اللغة فى آياته القدسية ، وتعرض بتفصيل كامل لآيات الأحكام الفقهية ، وكل آية يجرى فى ظلها اختلاف المعتزلة مع الاشعريين ، أو الفلاسفة مع الاعتقاديين ، يبين أوجه النظر المختلفة تبيين العارف المدرك الغواص ، المتعرف لكل أوجه الاستدلال .

وان هذا التفسير بحق من أكبر الموسوعات الاسلامية ، ولعل بعض العلماء قد انتقد ذلك المنهاج من التفسير ، واعتبره تشعيبا لمعانى القرآن فى وسط الخضم من العلوم ، حتى لقد قيل ان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده سئل عن تفسير الرازى فقال فيه كل شىء الا التفسير. ولا ندرى مقدار صحة النسبة فى هذا القول الى أستاذ الجيل وامامه الشيخ محمد عبده ، ولكنا نقول ان الكلمة قد تكون صادقة من حيث المظهر ، فان العلوم الاسلامية المختلفة هى الواضحة فيه.

ولكن من يتعمق النظر يجد الرازى قد جمع فى تفسيره أقوال أهل اللغة فى الآيات ، حتى صار مرجعا فى ذلك ، وجمع الروايات التى ساقها الطبرى وغيره فى التفسير ، وجمع أقوال المفسرين قبله كالزمخشرى وغيره ، وكان ذلك مع غيره من العلوم، وهو يختار ما يراه أقرب الى معنى القرآن.

ولا شك أن هذه الطريقة مفيدة لمن يريد أن يرجع لأقوال المتقدمين فى الآية ، ولكنها لا تتضح فيها شخصية المفسر،كما ترى فى تفسير الزمخشرى وفى تفسير الطبرى ، وفى تفسير من جاءوا بعد هذه الطبقة ، فان شخصية المفسر واضحة ، ومعنى الآية على منهاجه واضح بين لا غموض فيه ولا ابهام .

والتفسير فيه تفريعات وتشقيقات كثيرة ، فهو يفرع الكلام فى الآية الى مسائل ، ويذكر فى كل مسألة الخلاف فيها ، ويذكر الأدلة مسلسلة ، وأحيانا يقسم الكلام فى الآية الى فصول ويفرع ويفصل فيها ، وهو فى كل ذلك ينقل محكم القول ، ويحكى دقائق العلوم ، ولطيف الافكار . وافتح أى صفحة من هذا التفسير تجد ذلك كله واضحا لا لبس فيه . وقد فتحت صفحة فوجدته يتكلم فى معنى قوله تعالى : « الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء » فيقول : المسألة الرابعة فى شرح كون السماء بناء قال الجاحظ : « اذا تأملت فى هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه ، فالسماء فوق مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منورة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه ، وضروب النبات مهيأة لمنافعه ، وضروب الحيوان مصرفة فى مصالحه ، فهذه جملة واضحة تدل على أن العالم مخلوق بتدبير كامل ، وحكمة بالغة ، والله أعلم » .

وهكذا نجد فى التفسير أحيانا رياضا مزهرة وارفة الظلال ، يستمتع فيها القارىء بأطرف الأفكار ، وأحيانا معانى كأنها الشامخات يتعجب فيها بقوة المعانى ، وأحكام الاستدلال . ومهما يكن أمر هذا التفسير فهو ثروة فى العربية والاسلام ، لا يعرف قدرها الا من مارس البحث فى هذه العلوم، فحيثما أردت فكرة فى بحث اسلامى وجدتها

بالتفصيل فى هذا الكتاب ، او وجدت لها أصلا يهديك الى فروعه ، او اشارة تومىء الى تفصيله.

الرازى لم يدخله التاريخ فى زمرة الزاهدين

اذا اسقطنا من حسابنا الحاقدين عليه الذين سقاهم اكؤسا من النقد المرير، فانا نجد الروايات تتضافر على انه كان عابدا وان لم يكن زاهـدا ، واذا كان الزهد هو طلب الحلال ، كما روى عن الامام احمد بن حنبل ، فقد نحشره فى زمـرة الزاهدين ، لأنا لا نحسب الا انه كان يطلب الحلال، وان كان يستكثر منه ، ولا يكتفى بالقليل وعلى اى حال هو لم يعدّ نفسه منهم، ولم يعدّه التاريخ منهم ، ولكن من المؤكد انه كانت له عبادات يكثر منها ، واوراد" يكثر من قراءتها ، وادعية" يتضرع الى الله تعالى بها .

الرازى يؤمن بقصور العقل

وان ذلك العقل الذى مَرَس بالاستدلال والمحاجّة ، واجاد الفلسفة ، احسّ بانه كليل ، ورضى ان يكون المفوض فى العقائد ، الذى يزهد فى التعمق فيها ، والاستدلال لها ، واثر عنه انه كان يقول فى آخر حياته « من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز » .

وقد اوصى وصية قرئت من بعده وفيها انه رجع عن مذهب الكلام فى العقائد الى طريقة السلف الصالح ، وطريقة السلف أن تؤخذ العقائد من القرآن الكريم والحديث الشريف ،من غير تفلسف ، ولا تعمق فى البحث عن طريقة اليونان ، التى تتيه فيها العقول ، ولا يخرج فيها الباحث الا من مذهب الى مذهب ، وليس فيها ما هو اهدى سبيلا .

« نعم المال الطيب » فى يد العبد الصالح »

ومع هذه العبارات البارزة وجدناه يطلب المال ويقتنى جواهره ، ولعل السبب الذى دفعه الى الحرص على طلبه انه وجد العلماء فى جيله يعيشون على هوامش حياةالأغنياءوالامراء والوزراء وان ذلك قد ينقص من قدرهم ولا يعطيهم امام العامة المكانة اللائقة بهم ، وبلغه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الطيب فى يد العبد الصالح » ، وقد بلغه قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « انما بُنيت أحساب" أهل الدنيا على المال » وقولها رضى الله عنها : « رأيت ذا المال عند الناس مَهيباء وذا الفقر عندهم مَهينا» .

وجد كل هذه الآثار تقرر تلك الحقائق الواقعة، فلماذا لا يكون عبدا شكورا ، ولماذا لا يكون العبد الصالح الذى يكون فى يده المال الطيب ، ولماذا لا يبتعد عن موضع المهانة والتبعية للاغنياء ، وان كان عند الله وجيها ، لذلك طلب المال ، فكان له من الذهب العين ثمانون الف دينار ، وله الأمتعة الثمينة ، والملابس والآثاث بما يتفق مع ما يريده لنفسه من مظهر . وقيل انه خلف منالذهبالعين مائتى الفدينار لا ثمانين الفا فقط.وكان لهخمسون مملوكا تركيا ، وعقارات كثيرة ، ودواب وآلات .

وقد استمر يعيش هذا العيش الرافغ الى ان قبضه الله تعالى محسودا من اعدائه واوليائه معا، لأن كل ذى نعمة محسود ، واى شىء اعظم من ان يجمع الشخص بين الدنيا والدين ، ويعطى كليهما حقه ، من غير ظلم ولا اعتداء ، ولذلككان هذا الامام موضع الحسد .

وفاته

وقد توفى فى ذى الحجة سنة ٦٠٦ هـ ، وقيل ان الكرامية دسوا له السم ، كما اشاعوا عنه ما يدنسه بعد وفاته ، واذا كان ذلك الخبر صحيحا، فقد ذهب شهيد العلم والدين ، وختم الله حياته بما تختم به حياة الصالحين، فكان وجيها فى الدنيا والآخرة . ■■

محمد أبو زهرة

الصندوق الكويتي

للتنمية الاقتصادية العربية

بقلم : عبد العزيز احمد البحر

مدير عام الصندوق

عالم ترابطت اجزاؤه

■ في الآونة الأخيرة من تاريخ الانسانية قصرت المسافات وترابطت العلاقات بين مختلف أجناس البشر . فأصبح المسافر يبدأ يومه في ناحية من العالم ، لينهيه في الناحية الأخرى . وأصبحت التطورات الداخلية في أي بلد صغير من بلدان هذه الأرض تتردد أصداؤها في اقصى انحاء المعمورة . وضاعت معالم كثيرة كانت تفرّق ، لا بين امة واخرى ، بل وبين مدينة ومدينة . وبدأ الانسان يخطو نحو خلق حضارة انسانية شاملة مكونة من معالم مختلفة لحضارات شتى . ومن اهم معالم هذه الحضارة الانسانية الشاملة محاولات التعاون الوثيق بين ابناء الانسانية للوصول الى وضع تتحقق فيه آمال البشرية بازالة المشاكل التي تضيق الخناق على الانسان كالفقر والجهل والمرض وبمكافحة عوامل الشر والتدمير كالحرب والكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات .

سعادة الشيخ جابر الاحمد الصباح ، وزير المالية والاقتصاد ورئيس مجلس ادارة الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، في المؤتمر الصحفي الذى أعلن فيه تأسيس الصندوق والاغراض التى انشيء من اجلها .

كان اول قرض قدمه الصندوق للتنمية الاقتصادية العربية، هو القرض الذى قدمه لجمهورية السودان ، وقيمته سبعة ملايين دينار . وترى الى اليسار سعادة الشيخ جابر الاحمد الصباح وزير المالية والاقتصاد ورئيس الصندوق وهو يوقع اتفاقية القرض المذكور مع وفد السودان .

ومما لا شك فيه ان الفرد العادى بدأ يتجاوب مع مشاكل غيره وبدأت الدول محاولات صادقة للوصول الى حلول مثالية للمشاكل التى تواجه الانسانية .

منظمات تعمل لخير الانسان

واصدق دليل على هذه المحاولات هو وجود المؤسسات الدولية والأقليمية ، كالأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ، والبنك الدولى ومنظماته ، والجامعة العربية ، وغير ذلك من التنظيمات التى تكاتفت على العمل من اجل تحقيق رفاهية الفرد بتوفير متطلبات الحياة الضرورية اولا ، وتيسير وسائل الراحة ثانيا ، وذلك بابعاد شبح الحرب والخوف واقرار السلام ، والعمل على توفير المال والخبرات اللازمة لتحقيق النمو الاقتصادى وتجنيد امكانيات العالم لرفاهية الفرد وسعادته .

ومن المنظمات التى تحاول العمل من اجل اسعاد الفرد العربى ، الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية ، الذى تأسس بالكويت فى ٣١ ديسمبر ١٩٦١ .

والصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية كما جاء فى القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٦١ هو مؤسسة عامة ، لها الشخصية الاعتبارية ، غرضها مساعدة الدول العربية فى تطوير اقتصادياتها ، ومدها بالقروض اللازمة لتنفيذ برامج التنمية فيها . انه فى الواقع محاولة من دولة الكويت للقيام بدورها الطبيعى فى تطوير الاقتصاد العربى وتشجيع التعاون بين الدول العربية .

وقد جاء تأسيس الصندوق كنتيجة حتمية للتجاوب الصادق من جانب الدول العربية الذى شعر به وفد الكويت برئاسة وزير المالية والاقتصاد عندما

زار الدول العربية عام ١٩٦١ للتوصل الى تعاون اوثق من أجل بناء كيان قوى للاقتصاد العربي . ولما كانت الكويت تهدف دائما لتحقيق رفاهية الفرد وسعادته وتتعاون مع الدول الشقيقة فى ارساء اسس اقوى للكيان العربي المشترك فقد تكون الصندوق ليكون الادارة التى تساهم بواسطتها الكويت فى التنمية الاقتصادية العربية .

تأسس الصندوق برأسمال قدره خمسون مليون دينار كويتي او ما يساوى خمسين مليون جنيه استرليني . كما جاء فى المادة الثالثة من القانون ٣٥ لعام ١٩٦١ .

وقد حدد شكل اجهزة الصندوق ومعالمه فى النظام الأساسى الذى صدر فى السابع عشر من مارس عام ١٩٦٢ ، بقرار وزير المالية والاقتصاد رقم (٣) .

مجلس ادارة الصندوق

والنظام الأساسي بالاضافة الى تحديده الصلاحيات والسلطات المخولة لادارة الصندوق ، فقد رسم خطة العمل لتنفيذ اهداف الصندوق . وبناء على ذلك فقد تقرر أن يدير الصندوق مجلس ادارة مكون من تسعة أعضاء على ان يكون رئيس المجلس وزير المالية والاقتصاد .

وبالرغم من ان الصندوق هو الادارة الرسمية التى أسستها دولة الكويت لحمل جزء من اعباء التنمية الاقتصادية، خاصة ما يتعلق بالتمويل الخارجي ، عن كاهل الدول الشقيقة ، بالرغم من ذلك فقد عين ستة من اعضاء مجلس ادارة الصندوق من المواطنين العاديين وثلاثة فقط من رجال الحكومة رغبة من المسؤولين فى الاستفادة من خبرة وتجارب اشخاص كثيرين خارج الجهاز الحكومي ولاضفاء شيء من التجديد والحيوية قد لا يتوفر فى جهاز رسمي بحت ، ولابراز حقيقة حيوية هي رغبة الكويت حكومة وشعبا بالتعاون مع الدول الشقيقة في جميع المجالات .

اعمال الصندوق واهدافه

حدد النظام الأساسى للصندوق صلاحيات كل من الجهازين التشريعى والتنفيذى فى الفصل الأول منه ، وحدد فى الفصل الثانى أعمال الصندوق واهدافه التى تتلخص فى مساهمته بالمشروعات العربية عن طريق القروض القصيرة والمتوسطة والطويلة الأجل أو عن طريق المشاركة المباشرة فى هذه المشروعات او عن طريق تقديم الكفالات ، او عن طريق آخر يراه مجلس الادارة مناسبا ، مما يحقق لسياسة الصندوق مرونة تجعلها تتكيف وتتفاعل مع الأوضاع الاقتصادية فى الوطن العربى .

ضمان حسن توزيع الخدمات

وقد حددت المادة الرابعة عشرة من النظام الأساسى عدم تجاوز تمويل الصندوق لأى مشروع أو عدة مشاريع فى دولة واحدة على ١٥٪ من رأس ماله لكي يشارك فى أكبر عدد ممكن من المشاريع العربية وليساهم فى تحقيق نمو متجانس متفاعل فى كافة أرجاء الوطن العربى .

ضمان مشاركة الدولة المقترضة بنصف تكاليف المشاريع

والمادة الخامسة عشرة من النظام الأساسي نصت على انه لا يجوز أن يتجاوز تمويل اى مشروع عن طريق الاقراض ٥٠٪ من تكاليف المشروع الاجمالية .

والهدف من تحديد الحد الأعلى لمساهمة الصندوق هو تشجيع الدول العربية فى خلق التوفير المحلي اللازم ، وتوزيع مصادرها الاقتصادية على المشاريع الانمائية بشكل منسق طبقا لتخطيط عام مدروس . فمن ضرورات التنمية الاقتصادية وجود التخطيط العام الذى يحدد البرامج المختلفة واولوية المشاريع فى هذه البرامج ، وتوفير الطاقات اللازمة من الامكانيات

الداخلية لتنفيذ اكبر جزء من هــذه البرامج .

الصندوق ييسر العملات الصعبة

ولما كانت اغلب الدول النامية تعجز عـن توفير القطع الاجنبي اللازم لشراء المعدات والبضائع الانتاجية الضرورية لبرامج التنمية ، فقد خـول الصندوق سلطة تقديم قروض للدول العربية بأية عملة صعبة تقتضيها الحاجة .

واما المادة السابعة عشرة من النظام الأساسي فقد اجازت للصندوق تمويل الدراسات والبحوث التى تتطلبها بعض المشاريع على أن تحسب تلك التكاليف كجزء من نفقات المشروع فى حالة الاتفاق على التمويل . ويتحمل الصندوق نسبة من هذه النفقات لا يتجاوز نصفها اذا لم يتم الاتفـاق علـى تمويل الصندوق للمشروع المدروس .

وقد حددت المادة الخامسة والعشرون من نظـام الصندوق الأساسى الشروط التى يجب توافرها فى طلبات المساهمة المالية مثل الملاءة المالية ، ومدى صحة الكفالة واتمام التقديرات الفنية والمالية والادارية على أن لاتتعارض هذه المشاريع مع المصالح الاقتصادية للبلاد العربية .

وبما أن من أهداف الصندوق توفير الخبرات اللازمة بالاضافة الى الأموال المطلوبة لتمويل برامج التنمية ، فقد نص نظامه الأساسى علـى أن يقـوم خبراء الصندوق بالتفتيش على المشاريع في مختلف مراحل تنفيذهـا للتـأكد من مطابقتها للمواصفات المتفق عليها ولاعطاء المشورة عند طلبها .

مكانة الصندوق المالية تعادل ١٥٠ مليون دينار كويتي

واما المادة الثامنة والعشرون فقـد حددت جزءا من اهم ما يقوم بهالصندوق من خدمات ، وهي الاقتراض ، واصدار السندات ، واعطاء الكفـالات فى حدود ضعفى رأس المـال المقرر مضافا اليـه الاحتياطي . وبناء على أحكام هذه المادة تكون مكانة الصندوق المالية تعادل أكثر من مـائة وخمسين مليون دينار كويتى وهذا المبلغ ولا شك سيكون له اثر عظيم فى دفــع عجلـة التنمية الاقتصاديـة العربية .

والمعروف ان المؤســسات المماثلـة تعتمد الى درجة عظيمة على مقدرتها فى امتصاص الفـائض من المدخـرات فى السوق المالية لاستعمالها فى الاستثمار بمشاريع انتاجية . وبما ان الصندوق قد خول صلاحية الاقتراض فقد منح سلطات تساعده على لعب دور حساس ومهم فى مجـالات التنميـة ، اذ يصبح الاداة التـى تجتـذب رؤوس الأمـوال المتوفرة فى الخارج لاستعمالها فى اغراض انمائية عربية . بالاضافة الى ذلك خول الصـندوق صلاحيـة اعطاء الكفـالات وهــذه السلطـة لهـا اهميـة كبـرى بتشـجيع دخـول الأموال الأجنبية فى تمويل المشاريع العربية لما لضمانة مؤسـسة مستقلة كالصندوق من مكانة وقـوة . ولما كان موقف السوق المالية من المؤسـسات المشابهة للصندوق يعتمد بالدرجة الأولى علىنوعية المشاريع التى تمولها فقد حرص الصندوق منـذ البداية على ان يمول فقط تلك المشاريع التى تثبت جدواها الاقتصادية ، والتى تدخل فى نطاق التخطيط الانمائى العام ، والتى تكون لها الأولوية من حيث الأهمية بالنسبة للدولة ذات الشأن ، ولكـن بشروط اسهل من شروط المؤسسات الأخرى كالبنك الدولي للتعمير والانشاء ليتيـح الفرصة للدولـة الاستفادة من امكانياته .

قرض للسودان

ماكادت دولة الكويت تعلن عن قيـام الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصاديـة العربية حتـى رحبت بوفـد السودان الشقيق الذى أجرى مباحثاته مـع

الصندوق من أجل تمويل المرحلة الأولى من مشروع السبع سنوات لتطوير سكك حديد السودان .

وقد وقعت اتفاقية القرض بين الجمهورية السودانية والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في ٢٥ مارس سنة ١٩٦٢ ، حصل السودان بموجبها على سبعة ملايين دينار كويتي كقرض لمدة خمسة عشر عاما وبفائدة قدرها اربعة بالمائة وذلك لتمويل مشروع تطوير السكك الحديد في السودان . وهذه النسبة تعتبر من اقل الفوائد الممكن الحصول عليها في السوق المالية الدولية في الوقت الحالي نظرا للشروط السهلة التي تم الاتفاق عليها .

قرض المملكة الأردنية الهاشمية

واما القرض الثاني فكان للمملكة الأردنية الهاشمية ، ومقداره سبعة ملايين ونصف مليون دينار كويتي في اتفاقية عقدت يوم ٣ ابريل ١٩٦٢ . ويخصص هذا المبلغ لتمويل ثلاثة مشاريع :

الأول : مشروع اليرموك وهو مشروع له اهميته القصوى من الناحية الاستراتيجية والقومية لما لذلك من علاقة بمشاريع نهر الأردن ومؤامرات اسرائيل تجاه هذا المصدر العربي الحيوي . وقد خصص لهذا المشروع مبلغ اربعة ملايين دينار كويتي لمدة عشرين سنة بفائدة قدرها ثلاثة بالمائة .

الثاني : مشروع الفوسفات الذي سيساعد الأردن على التوسع في تصدير هذه المواد التي ولا شك سيكون لها اثرها الطيب على الاقتصاد الأردني عامة . وقد خصص لهذا المشروع مبلغ ثلاثة ملايين دينار كويتي لمدة عشر سنوات بفائدة قدرها أربعة بالمائة .

الثالث : مؤسسة الانماء الصناعي وقد خصص لها مبلغ نصف مليون دينار كويتي لتمويل المشاريع الصناعية الصغيرة الهامة التي يتفق الطرفان على جدواها الاقتصادية ولا يتعارض تمويلها مع أنظمة الصندوق وبفائدة لا تقل عن ثلاثة بالمائة ، ويجوز أن ترتفع هذه الفائدة الى نسبة أعلى شريطة ان تكون نصفا بالمائة اقل من تلك التي تحصل عليها المؤسسة من المشاريع .

قرض ثالث لدولة عربية ثالثة

وعندما يصل هذا العدد لأيدي القارىء تكون الاتفاقية الثالثة التي يدخلها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، مع دولة عربية أخرى قد تمت ، اذ انه من المنتظر أن يقوم الصندوق بدور فعال في تمويل مشاريع صناعية وزراعية مختلفة من ضمن الاطار العام لمخطط الثلاث سنوات في الجمهورية التونسية .

أمل الصندوق بالقيام بدراسات اساسية للاقتصاد العربي

فالصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية يهدف الى تطوير الاقتصاد العربي بتمويله القطع الأجنبي اللازم لمشاريع التنمية في البلاد العربية بشروط تتناسب مع وضع الدول الشقيقة تشجيعا للتوفير المحلي ولتخفيف الضغط على الطاقات الموجودة لتوجيهها نحو تمويل الهيكل الأساسي للتنمية الاقتصادية . بالاضافة الى كل ذلك يأمل الصندوق متى ما تكامل جهازه الفني أن يقوم بدراسات أساسية للاقتصاد العربي تنشر ليطلع الرأى العام العربي والعالمي على تطورات الاقتصاد في الوطن العربي وليساعد المخطط الاقتصادي العربي في اداء واجبه .

وفقنا الله جميعا لخدمة امتنا العربية . ■■

عبد العزيز احمد البحر

شوارع فسيحة ، يخترقها « المترو » بدلال ، فيمر وسط الأشجار والمسطحات الخضراء والعمارات

اعرف
وطنك
أيها
العربي

مصر الجديدة
أجمل ضواحي القاهرة

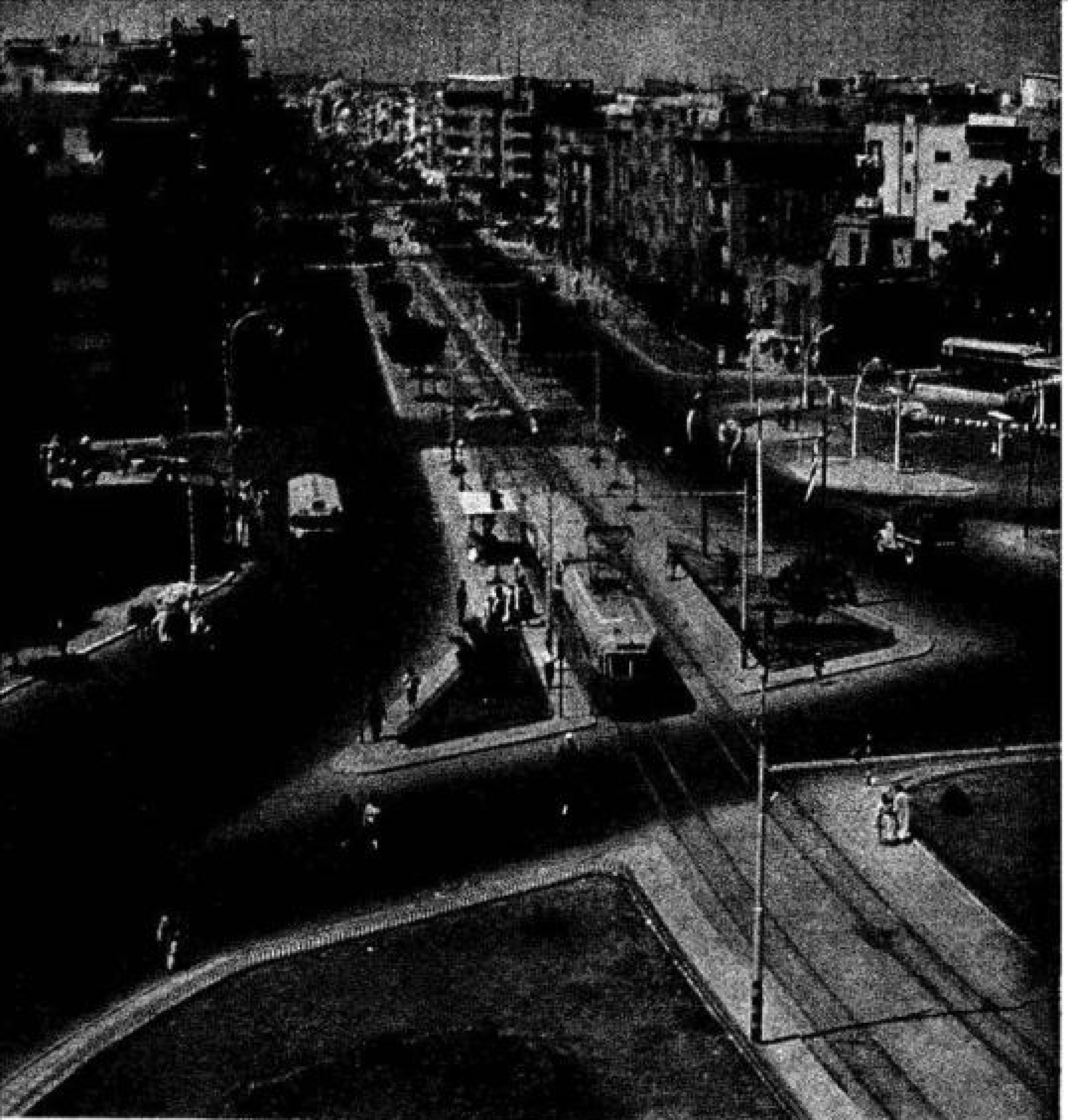

التى لا يزيد ارتفاعها عن ٢٤ مترا .. ان مصر الجديدة مدينة رشيقة تسطع عليها الشمس باستمرار

قام بهذا الاستطلاع

((سليم زبال))

وصوره

((اوسكار))

■ شباب ... ومرح ... وجمال

ذلك هو الثالوث الذى يطالعك فى كل خطوة تخطوها فى هذه الضاحية الجميلة ..

تراه فى شرفات المقاهى الانيقة الممتدة على طول شارع الاهرام ، وتراه فى المتاجر والحدائق والمتنزهات ، وتراه مهرولا الى « المترو » الاخضر

فى طريقه الى القاهرة ، او ميمما نحو مختلف دور السينما الصيفية المكشوفة .

اينما سرت ، وحيثما اتجهت ، مرح وجمال : جمال الخلقة .. جمال الطبيعة .. جمال الهندسة .. جمال الشوارع الفسيحة الواسعة ..

مرح وشباب .. وخيبة أمل

هذا سرب من الصبية امام دكان « العجلانى » ، كل يختار الدراجة التى تلائمه يستاجرها بخمسة قروش للساعة ، وينبهه الى الغرامة التى لابد ان يدفعها عن كل دقيقة تأخير !

ويركب الصبية والصبايا دراجاتهم وينتقلون وسط المتنزهات والاشجار العالية ، يصفرون

يقطع « المترو » مسافة الاثنى عشر كيلومترا بين محطة روكسى وكوبرى الليمون فى ١١ دقيقة اذا لم يتوقف .. وهذا شبه مستحيل .. ولذلك يدور التفكير الآن لعمل خط جديد يربط الضاحية بميدان العتبة الخضراء .

ويمرحون ، فيقضون على هذه الضاحية الجميلة طابعا خاصا تكاد تنفرد به ..

ويتجه الموكب السعيد صوب شارع العروبة فيستهويهم منظر قصر هندى منيف ، فيترجلون من فوق دراجاتهم ويحاولون الدخول ، فيأتيهم من بعيد صوت اجش : « ممنوع الدخول » ! فيصابون بخيبة امل يركبون على اثرها دراجاتهم ثانية ، ويصفرون ويمرحون وينسون ـ او يتناسون ـ صوت الحارس الفليظ ..

بداية القصة

ان قصة هذا القصر العجيب المغلق هى جزء من قصة مصر الجديدة ..

وقصة مصر الجديدة هى الاخرى جزء من قصة طويلة ..

وكانت بداية هذه القصة مظروفا صغيرا انيقا ، بداخله خطاب يعلوه شعار عريق ، يحوى رسالة ممتعة ، تطلب اذنا غريبا عجيبا : الاذن ببناء مدينة كاملة على رمال الصحراء ... !

ويجتمع مجلس الوزراء ، ويطلع كل وزير على الخطاب .. فيتردد المجلس طويلا ثم يحيل الطلب الغريب مع الموافقة المبدئية ، الى وزير الاشغال لدراسة تفاصيله ..

الفدان بجنيه !

وتخرج صحف القاهرة فى صباح ٢٠ مايو سنة ١٩٠٥ معلنة تحول الفكرة الخيالية الى حقيقة واقعة ، اذ تم الاتفاق بين وزارة الاشغال العامة المصرية من جهة ، وبين بوغوص نوبار باشا ، من اصحاب الاملاك المصريين ، وادوار امبان ، الثرى وصاحب البنوك البلجيكى ، من جهة اخرى على الآتى : ـ

تتنازل وزارة الاشغال وتبيع وتحول بكل حق الملكية الى الطرف الثانى ، ما مساحته ٥٩٥٢ فدانا

مدخل مصر الجديدة .. من هنا كانت تبدأ هذه الضاحية الجميلة .. اما الآن فقد امتدت العمارات على طول الطريق المؤدى الى القاهرة فالتقت المدينتان واتصلت كل منهما بالاخرى .

من صحراء العباسية ، بسعر جنيه مصرى للفدان ليقيم عليها المنازل السكنية والمباني العامة .

وتنص المادة الثانية على مضاعفة مساحة الارض وبيعها بنفس الشروط والاسعار اذا تم بناء ١٠٠ منزل خلال سبعة اعوام .

مدينة الشمس

ان موقع هذه المساحة الرملية الصحراوية ، لم يحدد هكذا اعتباطا ، بل اختير على هضبة مرتفعة تبعد ١٢ كيلومترا شمال القاهرة ، .. وتمتاز بجوها الصحى الجاف جدا ..

انها نفس الهضبة التى بنى عليها ، منذ الفى سنة ، المدينة المقدسة : هليوبوليس ، او مدينة الشمس ، التى اندثرت وتهدمت ، ولم يتبق منها سوى مسلة عين شمس ..

فينكس يستيقظ

وتروى الميثولوجيا اليونانية قصة طائر اسطورى

فندق هليو بوليس بالاس ، لم يعد فندقا منذ اتخذ مقرا للحكومة المركزية .. ويتميز بقبته الجميلـة المزخرفة التى ترتفع ٤٠ مترا فوق قاعة الاستقبال الفسيحة الكبيرة ..

الى اسفل : عمارتان من اوائل العمارات التى بنيت فى مصر الجديدة ، ويلاحظ الطابع العربى الغالب ، حتـى الابراج ارتفعت على هيئة مآذن المساجد .

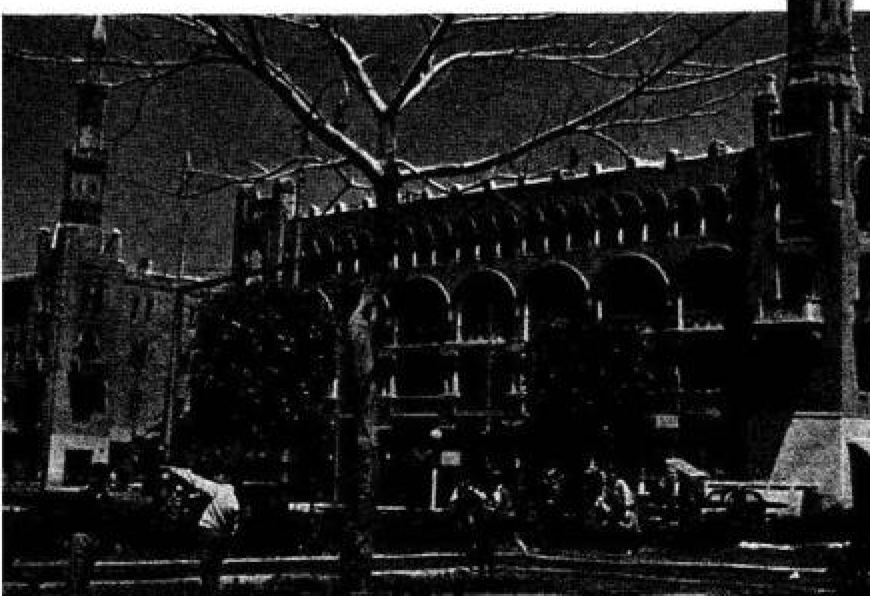

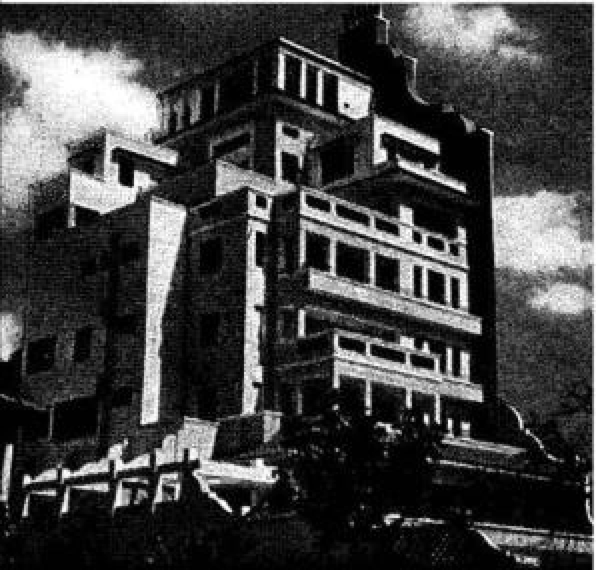

تطور فن البناء في مصر الجديدة تطورا كبيرا وسريعا .. فمن الشكل العربي الأندلسي، ذي الأقواس والأعمدة المصممة على صورة النخلة ، التي كانت الطابع المميز لأول منازل مصر الجديدة، (الصورة العليا) أصبحت هندسة المنازل اليوم تصمم طبقا لأحدث الرسوم وأكثرها ابتكارا (الصورة اليسرى) ولكن ظل القانون كما هو : ممنوع الارتفاع أكثر من خمسة طوابق فوق الطابق الأرضي .. وارتفاع كل غرفة يجب أن يكون ٣٤٠ سنتيمترا !!

عجيب فريد من نوعه ، يدعى « فينكس » ، عاش بين اطلال مدينة هليو بوليس عدة قرون ، وكان يلقى بنفسه للتهلكة على كومة حطب مشتعل ، ثم يعود للحياة من جديد ، بين بقايا الرماد ، اقوى مما كان !

ولابد ان هذا الطائر الاسطورى استيقظ مذعورا فى صباح اول يوم من عام ١٩٠٦ على اصوات المكنات ومعاول الوف العمال ، وهم يشقون الارض ويمهدونها ليصلوا هذه الهضبة الصحراوية بالقاهرة العامرة ..

مصنع فايزر بمصر الجديدة ، لانتاج المبيدات الحيوية كالبنسلين ، وكذلك الفيتامينات وغيرها .. وقد بدأ انتاجه يغمر الاسواق ليكفى حاجة البلاد من هذه المنتجات .

فندق .. وقبر .. وقصر !

وعلى الشوارع المتشابكة الاولى ، التى خططت لتقسيم الضاحية الجديدة الى قطع ارض للبيع ، ارتفعت مبان ضخمة جبارة لا تتناسب مطلقا مع المدينة الصغيرة التى كانت تنوى الظهور على هذه الرمال القاحلة ..

مناخ الضاحية الجاف الصحى ، وتسهيلات الدفع لشراء الارض ، اغرت الناس بسكنى هذه الضاحية الجميلة ، ويبلغ متوسط مساحة الاراضى التى تباع للجمهور للبناء ، بنحو ٢٠٠ الف متر سنويا . كما قامت عند اطراف المدينة عشرات المساكن الجميلة التى شيدتها الجمعيات التعاونية المختلفة

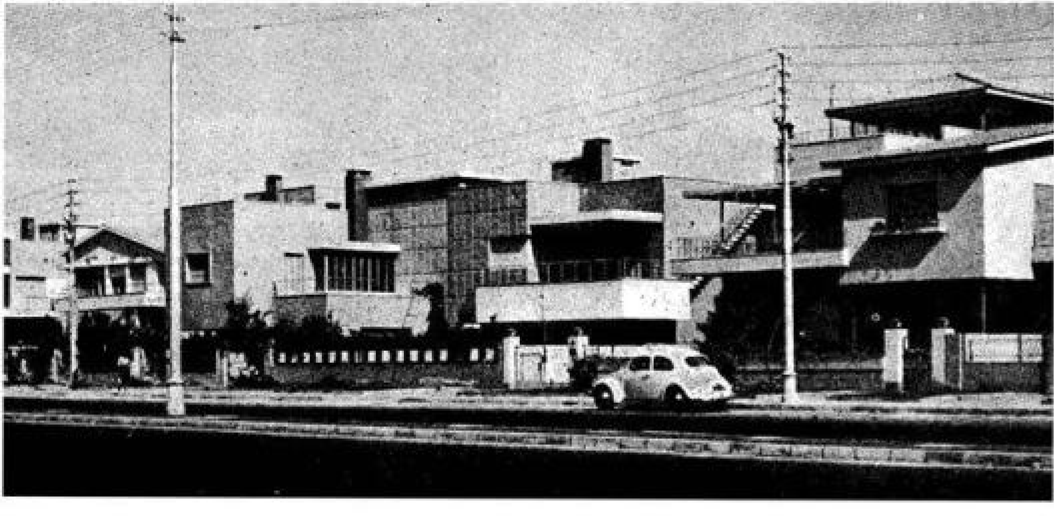

فى نادى سبورتنج ، أحد نوادى مصر الجديدة الرياضية ، تحتشد اسر الاعضاء والمشتركين لتمضية اوقات الفراغ والراحة فى الحدائق امام الملاعب ، لمشاهدة اقربائهم وهم يمارسون رياضتهم المفضلة

★★★

وكان اكبرها مبنى فندق هليوبوليس بالاس ذا الخمسمائة حجرة ، والمجهز بكافة وسائل الراحة

واول مبنى شيده البارون امبان لنفسه كان قبرا صنعه من المرمر الاسود الثمين ، ووضعه فى قبو تحت « البازيليك » ، تلك الكنيسة الضخمة التى بناها على نمط ايا صوفيا باستنبول ، ليدفن

اما سكنه الخاص فقد اختار له اعلى نقطة على الهضبة ، حيث شيد قصره العجيب ، الذى امضى مهندسه الكسندر مارسيل مدة عام كامل فى الهند ، على نفقة البارون ، لدراسة فن الهندسة الهندية قبل ان يصمّم ويضع رسوم القصر الهندى الرائع

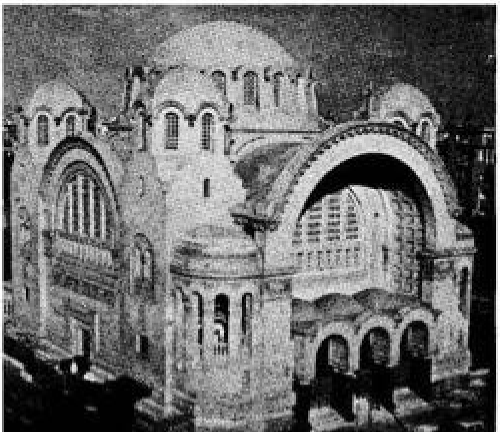

" البازيليك ، او الكنيسة التى يقبع تحتها قبر البارون امبان المصنوع من المرمر الاسود . ان الرمال تكاد ان تغطيه فالقبو الذى فيه لم يفتح منذ اكثر من سبع سنوات

الدواب تحمل طمى النيل !

وعلى امتداد الشارع الرئيسى فى الضاحية ، ارتفعت عشرات العمارات السكنية ذات الهندسة العربية الجميلة متراصة بعضها بجوار بعض .

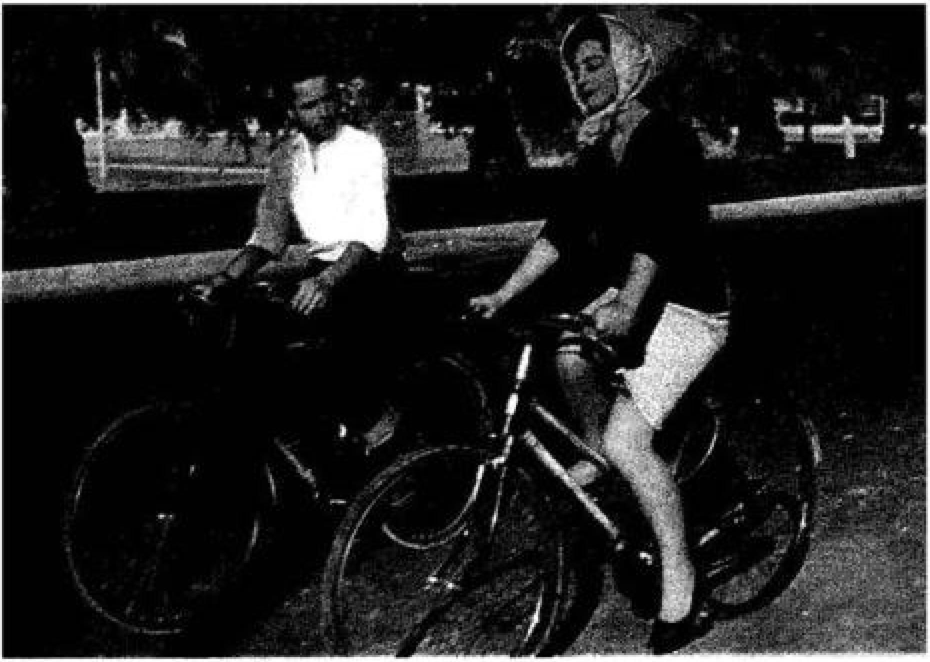

نزهة على الدراجات ، فى الشوارع الفسيحة بمصر الجديدة ..

الى اليسار : تحفة مصر الجديدة .. المهجورة ! لقد كان هذا القصر الهندى الرائع ، بحديقته الغناء ، ملتقى لأكبر الحفلات والاجتماعات، فأصبح اليوم قصرا مهجورا لا يسكنه أحد بعد بيعه بالمزاد ، وقد سمعنا ان النية متجهة الى تقسيم أرض الحديقة لتقام عليها مبانٍ فلم نصدّق !

الى اسفل : هذا المبنى الجميل هو احدى المقاهى فى مدينة الشمس

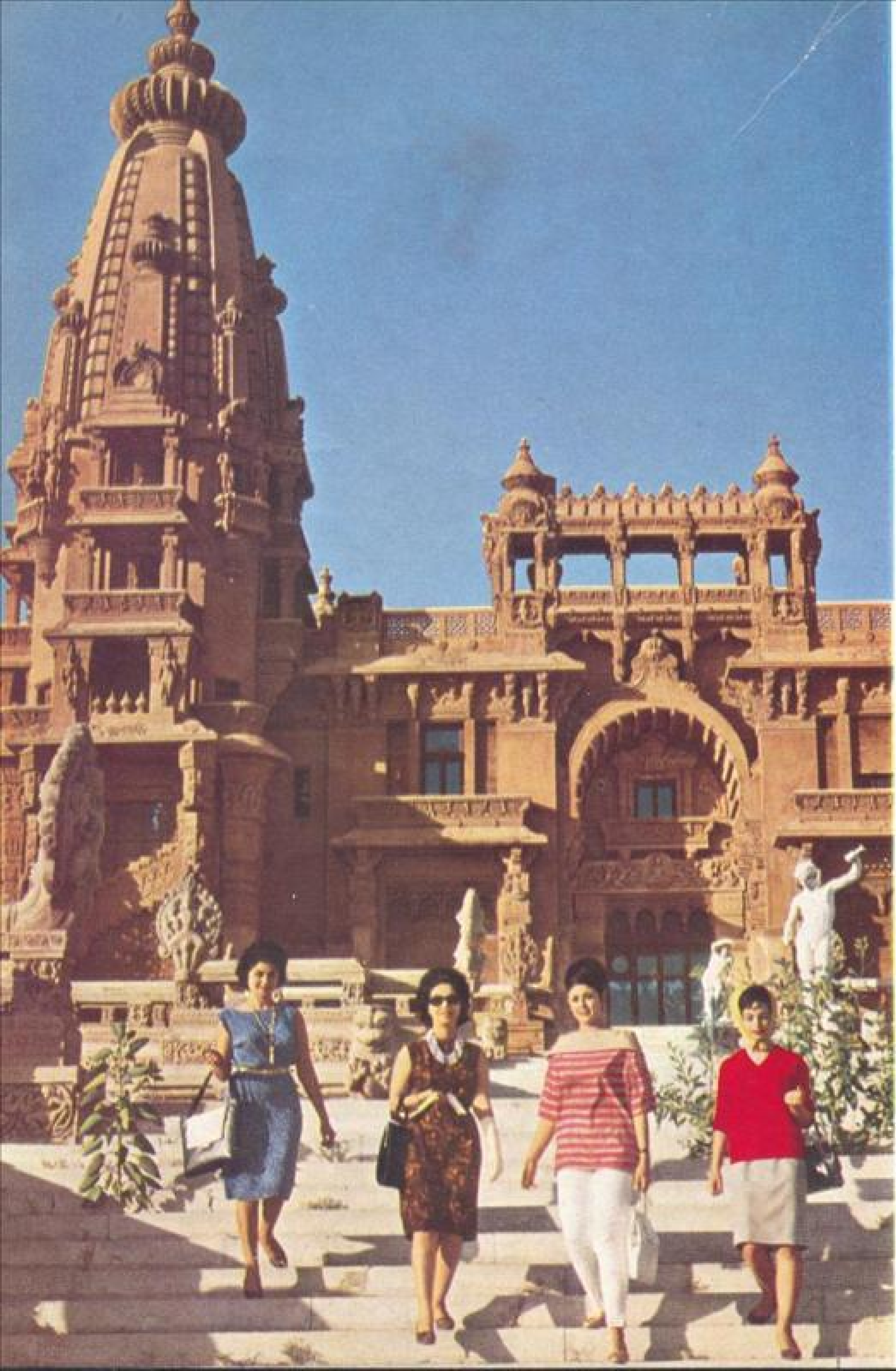

وفى الجهة الشرقية من الرقعة الرملية شيدت الفيلات معلنة تقسيم الضاحيـة الى منطقتين : احداهما للعمارات والاخرى للفيلات ..

وبين المنطقتين كانت قوافل الدواب تنتشر باحجار البناء وبانابيب المجارى واعمدة النور ، وهى تنقل طمى النيل لتغيير التربة الرملية بتربة اخرى خصبة تصلح لزراعة الحدائق والمتنزهات .

٧٩ مليون متر مربع

وهكذا بدات تظهر معالم مدينة ضخمة على رمال الصحراء ، فقضى ظهورها على الفكرة الاصلية التى كانت تداعب مخيلة البارون البلجيكى ، الذى كان يخرج صباح كل يوم من المطرية للصيد فى الصحراء ، فشغف بالمنطقة وجمال جوها ، فاشتراها من الحكومة ، كما بينا ، على ثلاث مراحل ، بلغ مجموع مساحتها ٧٩ مليون متر مربع

فى مصر الجديدة ، كما فى كل ضاحية من ضواحى القاهرة ، كثير من الحدائق العامة والمتنزهات التى تنتشر فيها المقاهى والكازينات والنوادى حيث يقضى كثير من الأسر فيها أوقات الفراغ

أين الواحات ؟ !

كان هدف البارون من شراء هذه المساحة الهائلة من الارض يكمن فى الاسم الذى اختاره لشركته : « شركة سكة حديد مصر الكهربائية وواحات عين شمس » .

فهل كانت هناك واحات فى تلك المنطقة ؟

ابدا .. لم تكن هناك اية واحة ، ولا حتى اية نقطة ماء ! ولكنه كان يريد ان يخلق هذه الواحات بانشاء مجموعات سكنية فيها الحدائق والبساتين، كل مجموعة منها معزولة عن الاخرى وسط رمال الصحراء ، لا يربط بينها سوى الترام الكهربائى وطريق للسيارات !

كانت الفكرة جميلة مستوحاة من راسه ، راس الصياد الذى يعيش فى الصحراء ، ولكنها لم تكن فكرة عملية ممكنة التنفيذ ، لهذا لم يقدر لها ان ترى النور ابدا .. وبقى اسم الشركة « واحات عين شمس » على غير مسمى !!

تغيير جذرى !

وظل العمران يمتد ويتسع حتى اطلق الناس على الضاحية اسم « مصر الجديدة » اى القاهرة الجديدة .. فكلمة « مصر » تطلق على مدينة القاهرة .

وتمر « مصر الجديدة » اليوم بمرحلة تبدل جذرى خطير ..

لقد كانت تعيش فيما مضى مستقلة بمفردها وسط الصحراء ، على بعد ١٢ كيلومترا من القاهرة .. اما اليوم فان هذه الاثنى عشر كيلومترا اصبحت كلها مبانى وضواحى جديدة ماهولة ، ظهرت بعد بناء مصر الجديدة لتملا الفراغات الكبيرة الموجودة .. وهكذا اصبحت مدينة الشمس متصلة اتصالا وثيقا بالقاهرة ، التى كان امتدادها الطبيعى

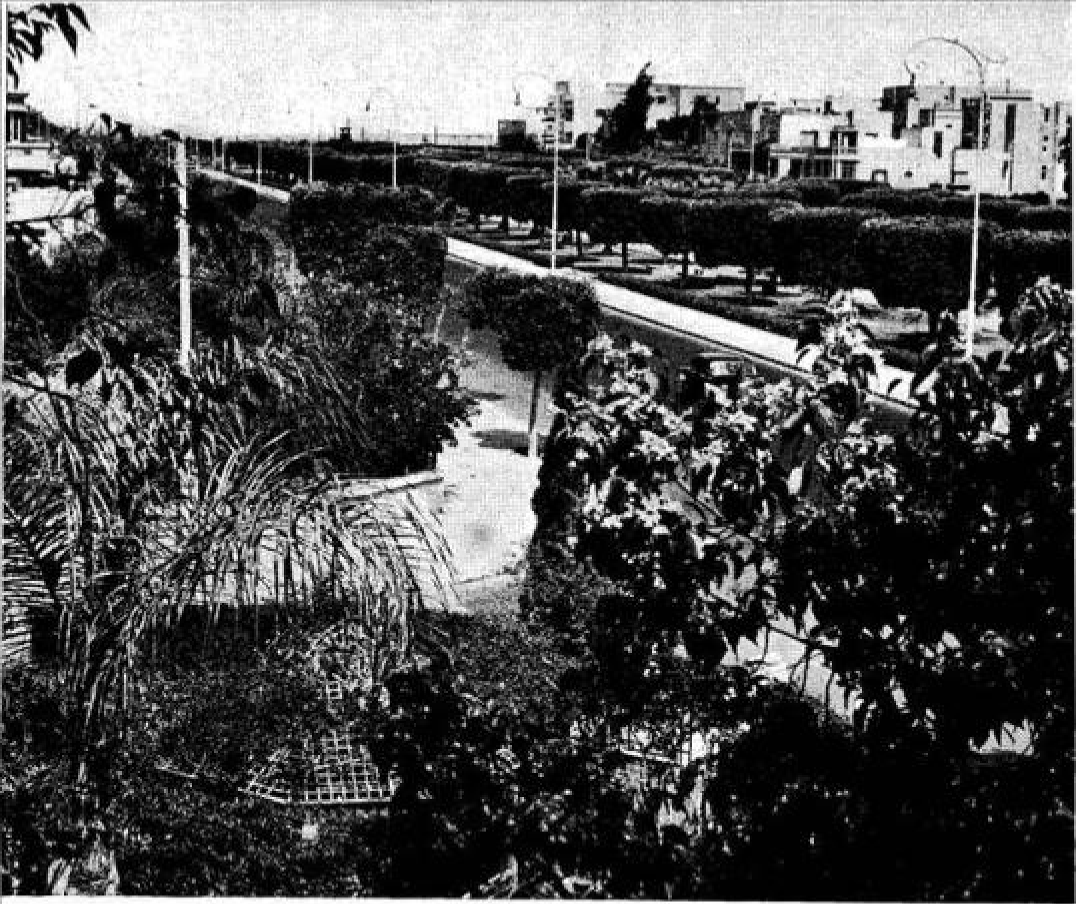

هل تصدق ان هذه هى صورة شارع من شوارع مصر الجديدة ؟ ان اصغر شارع لا يقل عرضه عن عشرة أمتار ، ومنها ما يبلغ عرضه ٦٤ مترا فى وسطها وعلى جانبيها الاشجار والمسطحات الخضراء ..

هى الاخرى ، يتجه صوب « مصر الجديدة » .. فالتقت المدينتان

مدينة سكنية

ان هذا الاتصال ، الذى افقد مصر الجديدة استقلالها ، وجعلها جزءا من اكبر مدن افريقيا ، لم يستطع ان يمحو شيئا من طابعها ومزاياها العديدة .

ونظرة الى الارقام والاحصائيات تبين لنا ان ٨٤ر٧٪ من سكانها يعملون فى الوظائف والاعمال الحرة فى القاهرة .

فهى بهذا مدينة سكنية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ..

٣٥٪ حدائق !

ولهذا كان تخطيطها مختلفا كليا عن تخطيط القاهرة ، وهناك نسب معينة ما زالت مرعية حتى اليوم للمحافظة على ان تحتل الحدائق والمتنزهات مساحة ٣٥٪ من نسبة مساحة الاحياء الجديدة التى تبنى .

ويدور التفكير فى زيادة العناية بالحدائق بعد

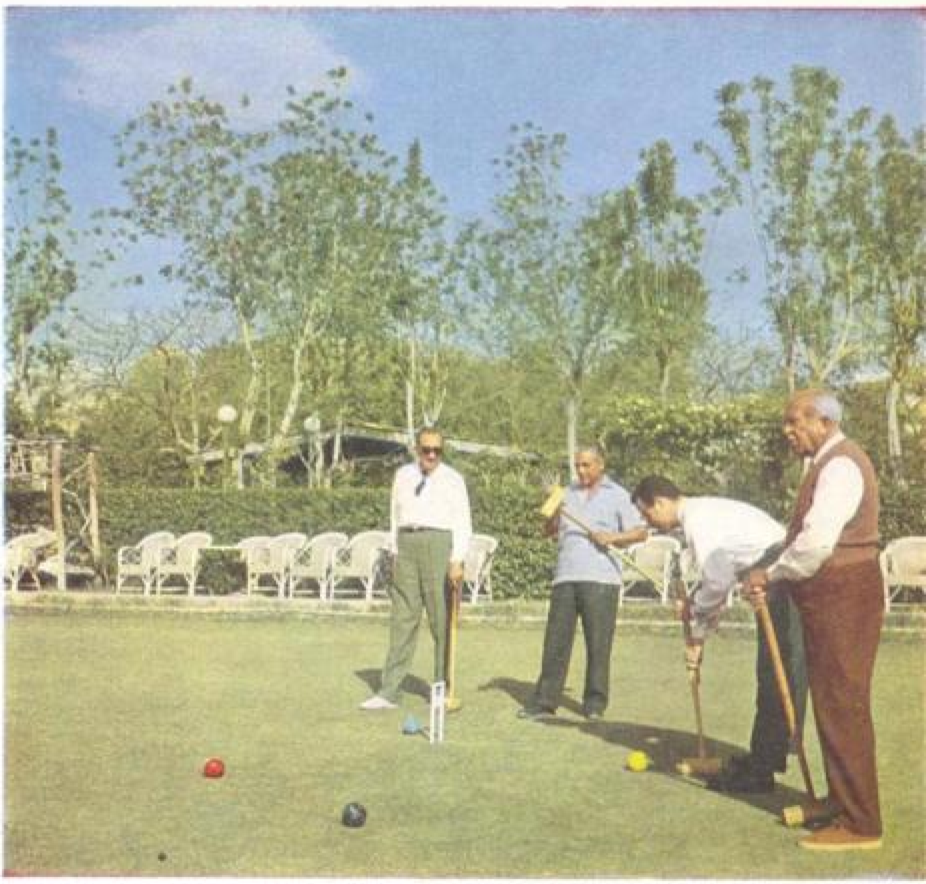

« الكروكية » او كرة الارض الخضراء ، لعبة حديثة صادفت اقبالا كبيرا من اعضاء نادى هليوبوليس ، وخاصة الكبار منهم ، مما حدا بادارة النادى ان تعد لها اربعة ملاعب ، الى جانب عشرة ملاعب للتنس (الصورة السفلى)

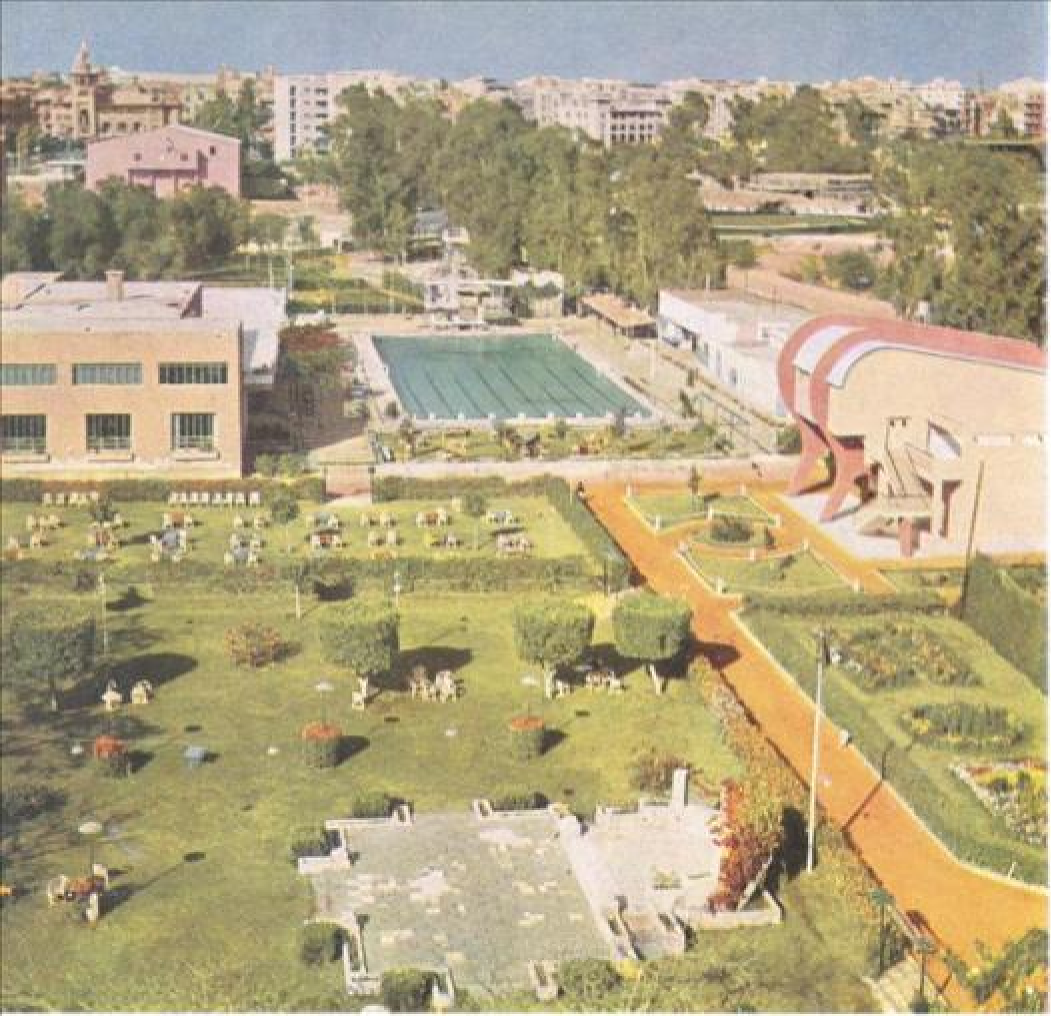

كان الهدف من بناء النوادى فى مصر الجديدة هو جلب السكان والسياح على السواء اما اليوم وبعد التوسع الزائد للضاحية فقد اصبح هناك ٦٠ نادياً كبيرة تضم نحو ٢٥ ألف عضو يقضون وقتا طيبا فى مزاولة مختلف الالعاب الرياضية والسباحة فى الحمامات الكبيرة الموجودة فى جميع الاندية ، ان شمس مصر الجديدة الشديدة تجعل السباحة الرياضة المفضلة لسكان هذه الضاحية السكنية ، وفوق هذا الكلام صورة رائعة لنادى « هليوليدو » ، ومعناه نادى الشمس ، بملاعبه ومسبحه الكبير ...

ان تم تخفيض ساعات العمل فى البلاد . مما جعل هناك ضرورة حتمية للاكثار من المتنزهات للترويح عن النفس .

٥ر٢١٪ من الاراضى تم استغلالها

لقد امتدت مصر الجديدة بسرعة مذهلة خلال السنين الاخيرة ، حتى ان مساحتها قد تضاعفت ٢٠ مرة خلل ٥٧ عاما .

ففى عام ١٩٠٦ كانت مساحتها ٨٥ الف متر مربع .

وفى عام ١٩٣٠ اصبحت اربعة ملايين ونصف مليون متر مربع .

وفى عام ١٩٦٠ وصلت الى ١١ مليون متر مربع.

تحول أراضى شركة مصر الجديدة ، التى تم تأميمها منذ سنتين ، الى اطراف جديدة جميلة للضاحية . وتنساب خطوط الترام الكهربائى باتجاه الاطراف الجديدة لتربطها بالضاحيةالقديمة

والمشروع الحالى الذى قيد التنفيذ سوف يزيد مساحتها ١٧ مليون متر مربع . اى ما يعادل ٥ر٢١٪ فقط من مجموع مساحة الاراضى التابعة للشركة ، والباقى ما زال صحراء جرداء .

وقد قامت الشركة ـ التى تحولت الى مؤسسة حكومية منذ سنتين فقط ـ ببناء عمارات عديدة بلغت مساحتها مليون متر مربع ، وعندها وجد ان مبانى الشركة قد زادت عن مبانى الاهالى فتوقفت عن البناء ، وشرعت فى بيع عقاراتها .

٦٠ جنيها فى السنة

واول مجموعة كبيرة من الموظفين سكنت مصر الجديدة كانت فى عام ١٩٠٧ اذ خصص ٤٠٠ منزل لسكن ٤٠٠ عائلة من عائلات الموظفين الحكوميين .. وكانت ازمة السكن فى أوجها بالقاهرة فى ذلك الوقت ..

وكان الموظف يدفع ايجارا متفاوتا لا يزيد بأى حال عن ٦٠ جنيها فى السنة . وهو مبلغ يعادل فى هذه الأيام ٥٤٠ جنيها .

ضمان .. وقرض .. ومسئولية

وكان عام ١٩٢١ بدء مرحلة انتقال هامة فى تاريخ مصر الجديدة ، فقد أصبحت الحكومة من هذا التاريخ مسئولة بدلا من الشركة عن مرتبات رجال البوليس الذين كانوا يحرسون المدينة ، كما تولت مسئولية الطرق والمجارى والحدائق والاضاءة ..

كانت مسئوليتها قبل ذلك نظرية فقط ، اذ كانت هذه الأعمال كلها ملقاة على عاتق الشركة ، مقابل مبلغ تدفعه الحكومة لا يتعدى ١٣ ألف جنيه سنويا .

وقد اضطلعت الحكومة بهذه المسئوليات كلها بعد أن ضمنت الحكومة الشركة فى قرض من البنك مقداره ٤٠٠ ألف جنيه ..

مدينة صناعية !!

وتشهد هذه المدينة السكنية مظهرا جديدا من مظاهر التطور كان يتقدم نحوها بخجل ظاهر .. فلما اشتد ساعده ظهر ماردا جبارا .. انه الصناعة التى كانت مصر الجديدة محرومة منها لبعدها عن القاهرة وارتفاع أسعار النقل اليها وعدم وجود المواد الأولية بجوارها .. اما اليوم ، وبعد أن أصبحت مصر الجديدة جزءا من القاهرة فسوف تنتشر فيها المصانع ، وخاصة مصانع تعبئة الادوية التى بدات تتراءى هنا وهناك .

ان حركة تصنيع الجمهورية العربية قد امتدت حتى وصلت الى هذه المدينة السكنية الهادئة حتى ليدور التفكير فى انشاء مدينة صناعية عند أطرافها .

الماء بالانابيب

والتجارة فى هذه الضاحية كانت وجدت لتكفى سكانها فقط ، أولئك الذين كانوا فى عام ١٩٣٦ لا يزيدون عن ٤٥ الف نسمة ، يشربون من مياه الآبار الجوفية التى تحمل فى أنابيب من منطقة الزيتون . اما الآن فقد وصل عدد السكان فى هذا العام الى ١٦٠ الف نسمة يشربون من ماء النيل الذى يصلهم من ترعة الاسماعيلية بأنابيب طولها خمسة كيلومترات .

كثافة السكان معقولة

وتبلغ كثافة السكان ٥٦ شخصا فى الفدان الواحد ، وهي نسبة معتدلة جدا ، ولكن اذا استمرت نسبة الزيادة على ما هي عليه فانه يتحتم ان تصبح مساحة مصر الجديدة ٣٠ مليون متر مربع فى عام ٢٠٠٠ للمحافظة على نسبة الكثافة الحالية ..

خط جديد للمترو

وكانت زيادة السكان فى الضاحية مجلبة لمتاعب المسئولين ، وخاصة المسئولين عن المواصلات ، فالغالبية العظمى من السكان « تنزل » يوميا للقاهرة .

وقد لعب الترام الكهربائى ، ويسمونه «المترو» اختصار مترو بوليتان ، وهو لفظ يشير الى سكة الحديد التى تصل الضواحي بالعاصمة . لعب دورا هاما وفعالا فى بناء مصر الجديدة ولكن الضغط

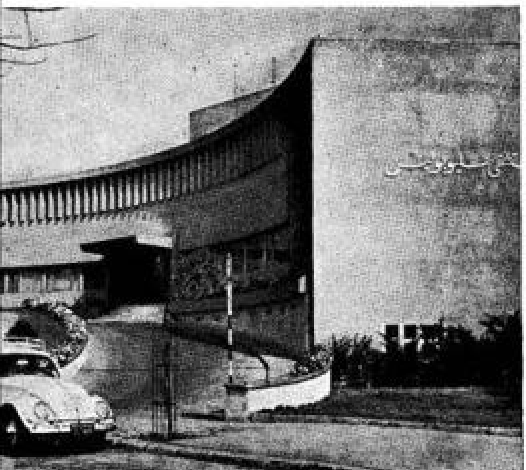

فى مصر الجديدة ٦ مستشفيات .. وهذا هو مستشفى هليوبوليس اكبرها واحدثها .

فى كل يوم تتسع رقعة مصر الجديدة ويزيد فيها العمران . ان آلافا من المساكن الشعبية تقام خارج المدينة التى امتدت عشرات الكيلومترات فى قلب الصحراء

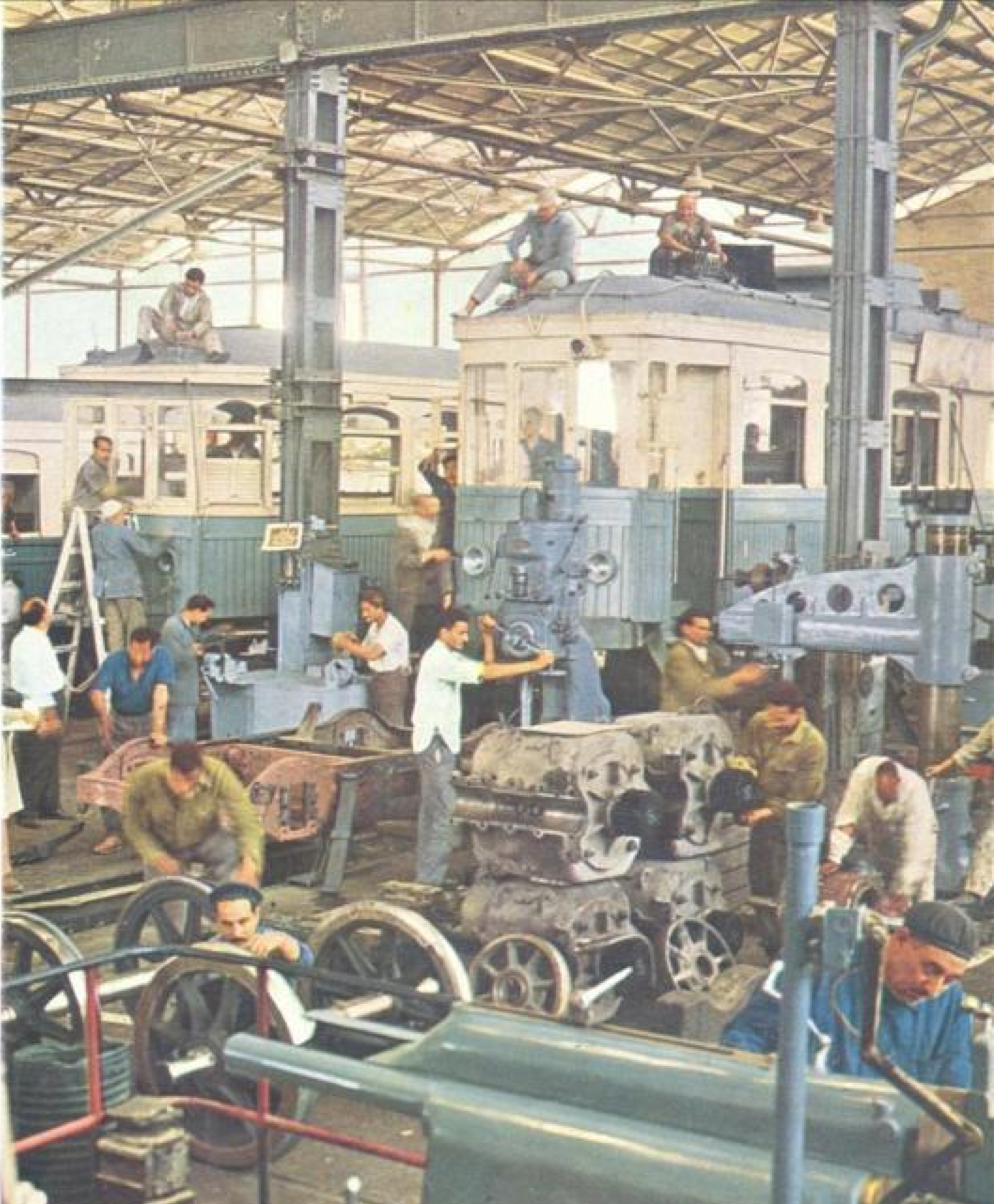

أول ما يصادف زائر القاهرة وهو يغادر مطارها الدولى ، فى مصر الجديدة ، هذه المجموعة من اعلام الجمهورية العربية المتحدة ترفرف خفاقة فى الهواء .

الى اليمين : تجرى عملية تركيب واصلاح المترو فى ورشة مؤسسة مصر الجديدة ، التى تقوم حاليا بصنع جميع عربات المترو .

الى اسفل : تكثر المدارس فى مصر الجديدة ، وخاصة مدارس الاطفال والحضانة ، وهذه هى مدرسة « الام الحنون » التى تضم مجموعة من اطفال مصر الجديدة وبعض البلاد العربية .

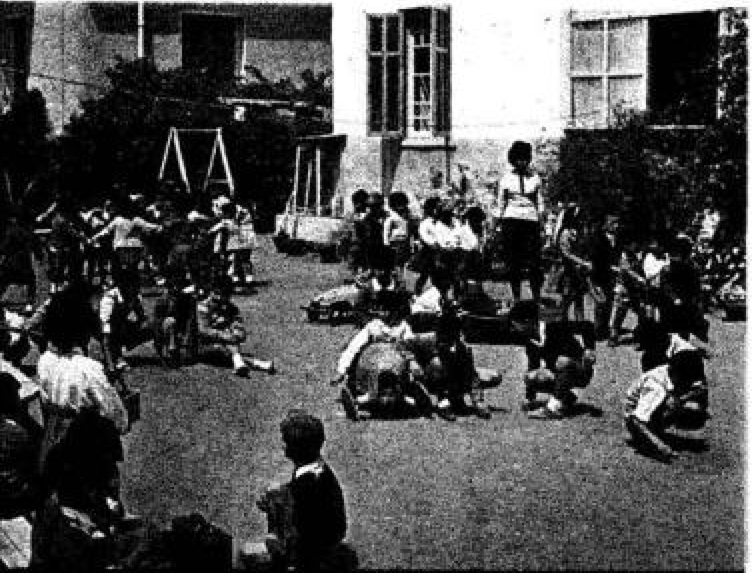

المتزايد عليه أوجب التفكير في استخدام وسائل اخرى للمواصلات الى جانب الاربع والعشرين مركبة وقاطرة ، تقطع المسافة من مصر الجديدة للقاهرة في خلال ٢٠ أو ٢٥ دقيقة .. من ذلك انشاء عدة خطوط للاوتوبيس تعمل عليها بضع عشرات من السيارات الكبيرة بانتظام .

ويدور التفكير الآن لمد خط حديدي جديد لسير المترو حتى ميدان العتبة الخضراء بالقاهرة .

أما التفكير في حفر نفق طويل تحت الارض يسير فيه المترو ، فهو مشروع ضخم كثير التكاليف يحتاج الى مجهود سنين ..

والحل العملي المتبع حاليا ينحصر في تشجيع المتاجر الكبيرة في فتح فروع لها وتوفير كل وسائل الراحة والترفيه محليا ليقلل الناس من نزولهم للقاهرة فيخف الضغط على المترو والاتوبيس ..

مقر مؤسسة ضاحية مصر الجديدة (شركة مصر الجديدة سابقا) وفيه يتم تخطيط اطراف مصر الجديدة الحديثة ، وفيه مقر بيع الاراضي الجديدة للاهالي ، ومن الشروط الواجبة التنفيذ ضرورة البناء خلال عامين ونصف عام من الشراء .

مصانع الابطال

وفي مصر الجديدة اليوم عدد غير قليل من الأندية الرياضية الاجتماعية الكبيرة ، مثل « نادي هليوبوليس » أكبر نوادي الضاحية واقدمها ، اذ بدأ العمل في انشائه مع انشاء المدينة نفسها . ويبلغ عدد أعضائه اليوم ٧٥٠٠ عضو ، وهو يقوم على مساحة ٢٠ فدانا ، وبه عشرة ملاعب للتنس ، وثلاثة حمامات للسباحة ، وخمسة ملاعب للاسكواش راكيت ، ومدينة رياضية تضم ملعبا لكرة القدم ، وعدة ملاعب لكرة السلة والكرة الطائرة ، ومضمارا لألعاب القوى . وهناك كذلك اربعة ملاعب للعبة الكروكيه وصالة للجمنزيوم وصالة بولينج وصالة بريدج ..

وعلى هذا النمط تقوم الأندية الاخرى وفي مقدمتها « هليوليدو » .. ومنها يتدفق كل عام كثير من أبطال مصر في مختلف الألعاب الرياضية ..

نقل مطار الماظة

ان مصر الجديدة هي الميناء الجوي الرئيسي للقاهرة ، وهذا المركز ، مع وقوعها عند مدخل طريق السويس ، يكسبها أهمية استراتيجية زائدة ..

ويقف مطار الماظة عقبة كأداء تمنع هذه الضاحية من الامتداد فتخنقها .. وقد انشيء مطار الماظة مع الضاحية نفسها عندما تنازلت الشركة للحكومة عن ارض مساحتها مليونان ومائة ألف متر مربع لتبني عليها مطارا .. ومع السنين امتد العمران حتى وصل حاليا الى المطار ، وأحاط به من كل جانب ..

مقاه فى الهواء الطلق على امتداد شارع الاهرام .. يقصدها الناس صباحا فى ايام الشتاء للتمتع بشمسها ، ومساء فى الصيف للتمتع بنسيم امسياتها ..

ان الامتداد الطبيعى لمصر الجديدة كان يجب ان يمتد ناحية الشرق حيث اراضى الشركة الواسعة وحيث يمكن ان تمتد شوارع كثيرة تصل القاهرة بمصر الجديدة .. ولكن وجود مطار الماظة جعلها تمتد شمالا فى اتجاه معاكس ..

ويدور التفكير فى نقل مطار الماظة من مكانه الحالى الى مكان آخر ليفسح المجال أمام توسع مصر الجديدة .

وفى الجزء الشمالى من مصر الجديدة يقوم حاليا مطار القاهرة الدولى الكبير الذى أصبح من أجمل المطارات وأكبرها ، بعد عملية البناء الجديد التى اجريت له اخيرا . ويستقبل هذا المطار ٢١ الف طائرة سنويا ..

ربع مليم يصبح ٢٥ جنيها !

ان السؤال الذى يمكن ان يسأله المرء بعد مضى ٥٧ عاما على مولد مدينة الشمس هو :

ـ هل نجحت الفكرة ؟

والجواب عليه : من الناحية المعمارية والسكنية، نجحت الفكرة نجاحا باهرا ، فقد أصبح فيها ٤٤ مدرسة و٦ مستشفيات و ٢٥٠٠ عمارة سكنية و ١٥٠٠ فيلا و ٥ نواد رياضية كبيرة .

ومن الناحية المالية ، كان النجاح ساحقا ، فقد وصل اليوم متوسط سعر المتر فى الكثير من المناطق بين ٥ و ٨ جنيهات . وكذلك وصل ثمن المتر المربع الواحد فى بعض المناطق الهامة بالضاحية الى ٢٥ جنيها ، بينما ان ثمنه الاصلى لم يكن يصل الى أكثر من ربع مليم !! ■■

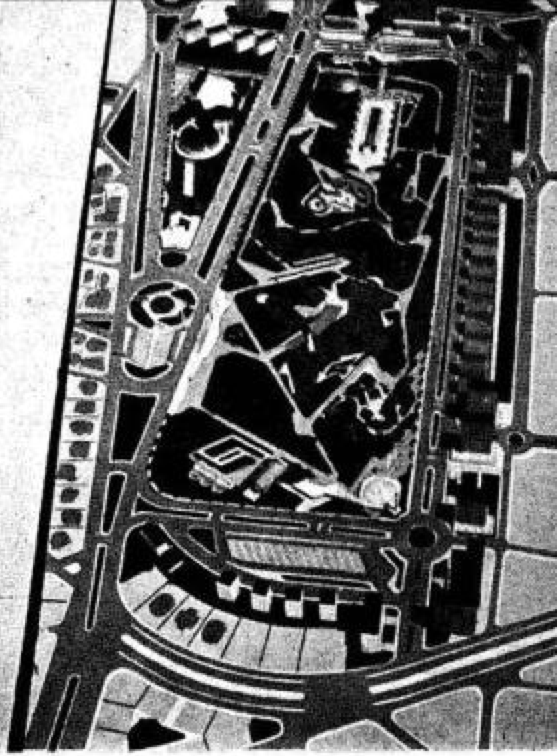

الى اليمين : « منتزه مصر الجديدة» الذى اوشك على الانتهاء من اعداده وهو يقع مكان نادى سباق الخيل الذى ازيل من مكانه القديم ويحتوى المنتزه على نافورات موسيقية مضيئة وكازينو فخم ، ومسرح صيفى يتسع لاكثر من ١٥٠٠ شخص ، ومعرض دائم للفنون الجميلة فضلا عن الحدائق الواسعة الكبيرة ..

الى اسفل : متجر للبقالة يحوى مختلف الاصناف من المأكولات والمشروبات التى تخضع للتسعيرة الحكومية . ويجرى العمل الآن فى بناء سوق مجمع كبير يضم مختلف المتاجر .

ان خلق مركز تجارى فى مصر الجديدة ، مثل القاهرة ، من الصعوبة بمكان .. ومع هذا فان كبريات محلات القاهرة قد فتحت لها فروعا فيها . ان التجارة فى هذه الضاحية وجدت لتكفى حاجة السكان الذين يقدر عددهم بنحو ١٦٠ ألف نسمة ...

دردشة

القوة الحقيقية

● « لقد ادركت ان القوة الحقيقية هنا .. عند الفقراء ، فى جامعة الألم ، فى رابطة المحبة ، فى نعمة الرحمة ، فى عظم التضحية .... » .

(المثال الأغريقى براكستيلس)

مولود سيكبر

● حينما قام « مونفليه » بأول تجربة لمنطاده سأله بنيامين فرنكلين وكان فى باريس : ما الفائدة من هذا الاختراع الجديد ؟

فأجابه : واية فائدة ترجى من المولود الجديد !

سر الجمال

● **«ليست العبرة فى الجمال الشائع ، بالغا ما بلغ من حسن التكـوين .. العبـرة فى سر الجمال ، وروحه ومعناه ، وسر جمالك هو العاطفة ، وروحه هو الألم ، ومعناه هو الحب» .**

(الرسام الأسبانى جويا)

وجهات نظـر ...

● تبدا المراة بمقاومة مطالب الرجل ، وتنتهى بقطع خط الرجعة عليه حينما يريد أن يتقهقر .

● المرة الوحيدة التى تتمنى فيها المراة ان تكون اكبر من عمرها بسنة واحدة هي حينما تكون حاملا وتنتظر مولودا .

● بعض الناس يصدقون كل شيء يقال لهم همسا .

● لا تخف من ان تقول آسف لأن احدا لم يصب بعسر هضم لابتلاع كلماتـه .

● الأشخاص الذين يتمنون دائما الحصول على اشياء ليست عندهم اشخاص معقولون ، لأن من الحماقة أن يتمنى المرء شيئا عنده .

● اذا اقرضت شخصا خمسة دنانير ولم تر وجهه مرة أخرى ابدا ، فان عدم رؤيته تساوى المبلغ الذى اقرضته اياه .

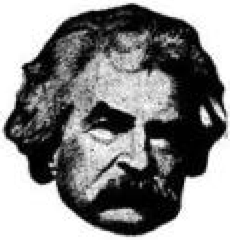

مارك توين والكتابة

● سأل احدهم مارك توين فى اول عهده بالكتابة : ماذا تفعل هذه الأيام ؟

قال : أكتب قصصا ..

ــ وهل بعت شيئا ؟

اجاب : نعم بعت ساعتى وملابسى وكتبي ..

قوة الحب وقوة الابداع

● « لا يستطيع الفنان ان يعيش فى عالم مغلق شائع مالوف ، ولا يستطيع ان يتحرك او يتنفس وهو محبوس بين جدران قفص . ولا بد للفنان من ان يتجدد ، وهو ان لم يتجدد مات . والحب بما فيه من قوى التيقظ الدائم هو الذى ينعش طبيعته ، ويجدد وحيه ، ويضاعف فيه ارادة الخلق والابتكار » .

(الموسيقى الايطالى كاتالانى)

رد فى محله

● التقت فتاة باحد خطابها السابقين فى حفلة ، فقررت ان تتجاهله ، فلما قدمته اليها مضيفتها قالت :

ــ اننى آسفة فلم اكد اسمع اسمك .

فرد عليها : اعلم ذلك ، واعلم انك بذلت غاية الجهد !

قالوا فى المرأة

● سلم قاربك للأمواج ، ولا تسلم قلبك للنساء، فالبحر اقل غدرا من المرأة .

(شيشرون)

● اذا تخليت عن امرأة ، جاز ان تسامحك ، واما اذا احببت غيرها فان ذنبك لا يغتفر .

(ديموجيو)

● ما لا أحتمله فى النساء ، اننى لا أجد واحدة منهن تقر بامكان ارتكابها الغلط .

(سوفوكليس)

● المرأة كالبحر ، مطيعة لمن يقوى عليها .. جبارة معاندة لمن يخاف منها .

(مثل أغريقى)

● قلب المرأة اعظم مصدر للحنان والعطف اذا احبت الرجل ، واعظم مكمن للضغينة والحقد اذا كرهته .

(لوثر)

● عبقرية المرأة فى قلبها .

(شيشرون)

الحقيقة

● كان لويس الحادى عشر يقول :

« أجد كل شىء فى مملكتى ، وحتى فى بيتى ... الا شيئا واحدا لا أجده » .

فسأله أحد النبلاء :

ــ وما هو ذلك الشىء ، يا مولاى ؟

فأجابه لويس :

ــ الحقيقة !

● ما اقدس الرجال، لو كان حبهم لله يعادل حبهم للمرأة .

(كونفوشيوس)

● المرأة كالاعلان يحقق غايته بالتكرار .

(دورانت)

أكبر تلسكوب في العالم

● يعتزم الروس بناء اكبر تلسكوب فى العالم،وسوف يقيمونه على ذروة احد الجبال بالقوقاز الشمالى . وسوف يقيمون حوله معهدا لعلم الفلك النظرى .

ماذا سوف يحدث فى عام ٢٠٠٠ ؟

● يؤكد الاستاذ بلات Platt ، أستاذالفزياء بجامعة شيكاغو ، ان كتاب القصص العلمى لن يستطيعوا ان يتنبأوابالذى سوف يحصل فى العام الذى سوف تختتم فيه الالف الثانية من التاريخ الميلادى .

وهو يدلل ، فيما يدلل به ، على صحةرايه بأن هـ . ج . ولز H. G. Wells ، وان جول فرن Jules Verne ، من كتاب القصص العلمي الماضين ، على ما كانا عليه من علم وفن وحذق ، لم يستطيعاان يتنبأا بناطحات السحاب ، ولا بالصواريخ ، ولا باللدائن Plastics ، ولا بالمبيدات الحيوية Antibiotics .

فرس البحر .. هل ينقرض ؟

● هذه هى الترجمة للفظ الاوروبى Hippopotamis ، ومن الناس من تسميه جاموس البحر ، وهو قد اشتهر فى بعض البلاد العربية بالسيد قشطه ، ولا ادرى من اين جاءت هذه التسمية للعوام .

وحاصل هذا القول انه يوجد ببلاد يوغندا ، الواقعة فى افريقية عند منابع النيل ، نحو من ١٥٠٠٠ من هذه الحيوانات . ولحم هذا الحيوان مغذ، وله طعم الخنزير الرضيع . وقد رات الحكومة اليوغندية ان تعتبر هذه الحيوانات من بعض ثروة البلاد

● يستدل من التقارير الكثيرة عند دول الغرب ان الصينيين قد يفجرون قنبلتهم الذرية الاولى فى اواخر عام ١٩٦٢ يساعدهم فى ذلك هارب ذرى من امريكا ، وفتاة امريكية تسمى جون هنتن كانت تعمل فى الذرة ، فى مركز الذرة الشهير فى امريكا ، لوس الاموس Los Alamos

هكذا ينشئون أولادهم ..

● ولد عبقرى ، اسمه كرستوفر شريناك . فى سن ١٦ ، وهى السن التى هو فيها الآن ، نال جائزة تساوى ٥٠٠٠ جنيه استرلينى من الشركة الهندسية « وست هوس » ، بالولايات المتحدة ، نتيجة لمسابقة اشترك فيها ٢٣٠٠٠ طالب فى شتى فروع العلم . وهو فى سن ١٣ صنع حيوانا الكترونيا شبيها بالحيوان الالكترونى الشهير الذى صنعه كل من « جراى ولتار » ، و « دوكروك » . وهو فى سنة ١٤ نجح فى فصل أعصاب (ابو جلنبو Crab) وابقاه حيا لمدة ٦ اسابيع بطرائق كانت حيث ما اتفق له ، من تفكيره هو ، لا تمت الى معقدات المختبرات في شيء .

تحديد النسل عند الفئران

● الظاهر ان النسل فى الفئران يتحدد من نفسه ، فعدد الفئران فى المكان الواحد يصل الى حد يتوقف عنده . هكذا وجدوا فى تجارب فى بعض ابنية مدينة بلتيمور . ويزيدون لها الطعام فتتكاثر ، ويقلونه فتقل . ويعللون هذا بانه على الطعام تكثر هرمونات الانسال .

الحيوانية ، وأن تبيحها طعاما للشعب .

ولكن هذه الحيوانات ، كسائر الحيوانات من مثل الأبقار والجاموس والشياه ، لا بد أن تتعهد بالنماء ، وأن تترك لها الفسحة لتتناسل فتعوض عما استهلك منها ، والا فنيت .

وافراس البحر ، كسائر الحيوانات البرية ، لايرضى العالم على أن تنقرض انقراضا .

مكرسكوبات الكترونية ترى تحت سطح المعادن

● المكرسكوبات لا ترى داخل الشىء المعتم ، ولكن داخل الشىء الشفاف . ولكن المكرسكوب الالكترونى يرى قليلا تحت سطح المعادن (الفِلِزّات) وهى بالطبع معتمة . ولكنه لا يرى الى أعمق من بضعة اجزاء من عشرة من المكرون . ولكن عالمان صنعا اليوم مكرسكوبا الكترونيا يرى تحت سطح المعدن الى عمق مكرونين وثلاثة مكرونات .

اما المكرون فهو على ما هو معروف ، عبارة عن جزء من المليون من المتر ، او جزء من الف من المِلّى متر .

ومعنى هذا ، فى علم المعادن ، معنى عظيم خطير .

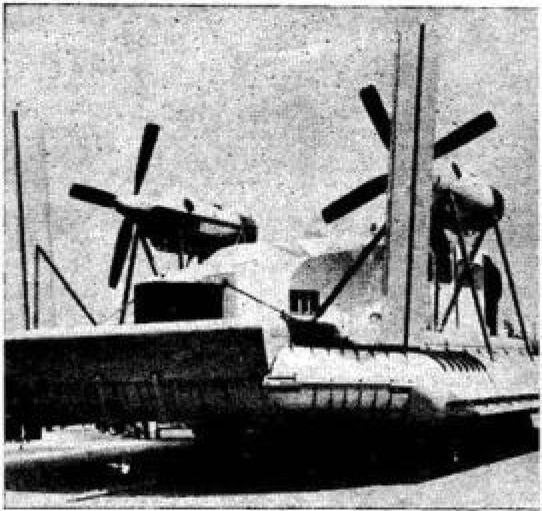

رحلات منتظمة للحوامة !

● فى ويلز ، ببريطانيا ، توجد مدينة اسمها ريل Rhyl ، وهى على البحر . وعلى البحر فى الشمال منها توجد مدينة اسمها هُويْليك Hoylake والبعد بينهما يبلغ ١٢ ميلا . والمفروض انه فى هذا الصيف ستقوم الحوامات (السيارات التى تجرى فوق الماء على طبقة ضاغطة من هواء . انظر « العربى » العدد التاسع صفحة ٦٠) بالمواصلات بحرا بين المدينتين الساحليتين .

قمران فى الفضاء يتلاصقـان !!

● هكـذا يقول الحاسبون ، اذا اقترب تابع فى الفضاء كبير الحجم ، بتابع آخر مثله كبرا ، أمكن ضمهما معا ، ووسيلة ذلك المغطسة !

رادار ، غاية فى الصغر

● ان الناس دائما تبـدأ بالجهاز الكبير ، ثم هى تنتهى بصناعة الجهاز الصغير .

والرادار جهاز اللاسلكى المعروف ، يرسل اشعته الى السماء مثلا ، فاذا صادفت من الأجسام ما يعكسهـا ، ارتدت الى الأرض . ومن اتجـاه الأشعة ، ومن سرعة الارتداد ، يعرف مدير جهاز الرادار الكثير عـن تلك الأجسـام . والرادار فى الدفـاع ، وكشف طيارات العدو الواردة ، لـه شأن خطير .

والرادار الصغير الذى نريد ذكره هنا من صنع الجيش الأمريكى . انه يحمَل باليد ، فوزنه لا يزيد على ٥ كيلوجرامات . وهو يكشف عن وجود انسان ، أو دبابة ، أو دراجة ، عـلى مدى أقصاه ١٥٠٠ متر .

سفينة في ظلام !

● هذه صورة غريبة لسفينة ، فى ظلام ، تخرج من ابراجها الأنوار الساطعة . انها السفينة الذرية الروسية لينين ، كاسرة الثلوج ، وقد وقفت جامدة بين ثلوج المحيط المتجمد الشمالى ، فى الشتاء المافى ، وسط زوبعة ثلجية هائلة . انك لا تسمع من السفينة الا اشارات اللاسلكى ، ولا تكاد ترى غير الأشعة المنطلقة منها ، تصل السفينة برجال البعثة العلمية ، وهم على بعد بضعة من الكيلومترات منها ، اولئك الرجال الذين يبنون هناك محطة للارصاد الجوية تلقائية ، ليتركوها من بعد ذلك ، فترسل لهم على البعد ما يطلبون من ارصاد ، من ذات نفسها .

مخاطرة عظيمة ، ومجهود كبير ، يقوم به هؤلاء العلماء الخبراء ، فوق هذه الصحراء . صحراء ، لا من رمل ، ولكن من ثلج . وكل جرداء صحراء .

لم لا ننس علاقة هذا الرصد بحاجات الحرب ، ان هى قامت . ان المحيط الشمالى لا بد لاعب فى الحرب القادمة دورا خطيرا .

الغاطس فى الماء لا يحس جاذبية الارض !

● تنعدم الجاذبية بالنسبة للغاطس فى الماء أو تكاد ، أو كما تنعدم لراكب الفضاء . من اجل هـذا قام العلماء بتجارب على رجال يتركونهم مغمورين فى الماء ساعات ، بالطبع بعد اعطائهم كفاية من طعام وهواء . وقد وجدوا انه بعد ٧ ساعات ، بلا جاذبية ، على هذه الحال، يستطيع الرجل ان يبقى بلا نوم مدة ٢٤ ساعة .

والتساؤل الآن قائم . هـل فقدان الحاجة الى النوم يضر بالرجال أم لايضر؟

وخطورة هـذه البحوث ان ركاب الفضاء سيقضون اكثر أوقاتهم بلا وزن.

هل تغرق روسيا العالم بماسها ؟

● اقام الروس محطة فى سيبريا ، فى شمال منغوليا ، وانفقوا عليها نفقات هائلة . وتساءل الناس عن سر ذلك . لم افصح اخيرا انها فعلت ذلك لأن بها مناجم غنية بماسها . وأكـد ذلك ما نشرته صحيفة برافدا الروسية من ان روسيا تستعد لاغراق اسواق العالم بماسها .

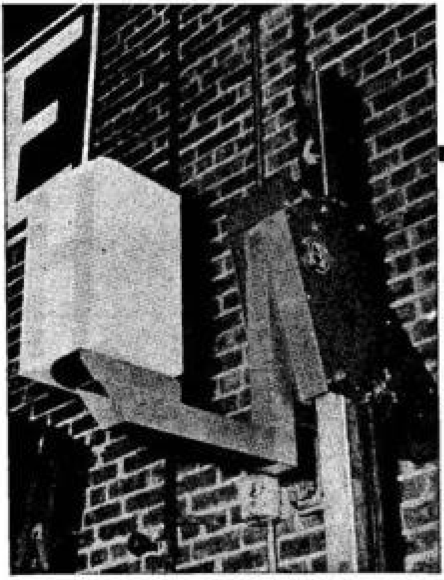

التجربة هي الهادية

● هذا عصر التجربة فى كل شىء ، فى الكبير وفى الصغير . وفى هذه الصورة شىء لفوه فى لفافاته ، وادخلوه فى صندوقه ، ولم يبق الا ارساله بالبريد او السكة الحديد اوبالسيارة او بالطيارة.

ولكنه فى سفرته هذه سيتعرض من العاملين فيها لأيد خشنة ، او ايد غير مبالية .

وهم هنا يمتحنون هذا النوع من التعبئة . انهم يلقون به من عل الى الارض ، ثم ينظرون هل كفت طريقة حزمه وتعبئته لتمنع عنه الضرر عند السقوط،ام انه لابد له من تعبئة اقوى وامتن.

ان الذراع يسقط عندما تبدا التجربة .

الجير فى الجسم يُعوض باستمرار !

● الجسم فى حاجة الى الجير ، او بلغــة علمية ادق هو بحاجة الى عنصر الكلسيوم الذى هو عنصر الجير . والجير هو الكلس .

والأغذية التى تعطى الجسم هذا العنصر كثيرة ، اشهرها اللبن .

وقد قدروا حاجة الأطفال من هذا العنصر فتراوحت ما بين ١٣٧ الى ١٦١ مليّ جرام فى اليوم . وحاجة الرجل بالطبع هي دون ذلك .

والسبب ؟

ان الكلسيوم يدخل فى تركيب العظام ، فالطفل النامى احوج اليه من الرجل الذى تم نموه .

ومع هذا فقد استقر العلماء اليوم على ان الانسان ، حتى الرجل النامي ، لا يفتأ يفقد من كلسيوم جسمه ، ثم يعوضه مما يأكل ، ويستمر هذا طول حياته .

ذُرَةٌ ، ذات لحية

● ان الذرة العويجة ، تلك التى تزرع فى الهند وغير الهند ، معرضة للتلف الذى تنزله بها الطيور . وقد استنبت خبراء الزراعة فى الولايات المتحدة نوعا من هذه الذرة جديدا ، تخرج منه شعرات ، كاللحية ، قوامها صلب جامد . فهذه تحمي حبّاته من الطير .

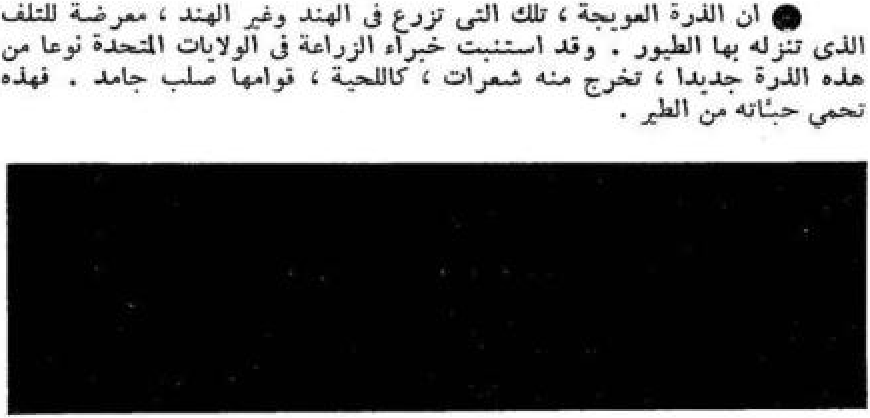

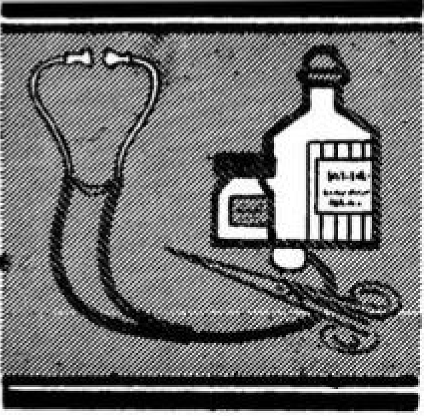

طبيب الأسرة

اختبار ترسيب الدم ، ماذا يعنى ؟

ـ كنت عند طبيب يفحصنى ، وامر الطبيب بتحليل الدم ، فسأل مساعد هناك : وترسيب الدم ؟ فقال الطبيب نعم . فماذا يعنون بترسيب الدم ؟

● ترسيب الدم سقطت منه كلمات ضرورية جدا لاستكمال المعنى . انه تقدير سرعة ترسب كرات الدم الحمراء فى الدم .

وتفسير ذلك ان الدم اذا ترك فى الهواء تجلّط ، او ان شئت قلت تجبّن . فأول شىء يصنعه الكيماوى المختبر ان يضيف الى عيّنة الدم مادة تمنع من هذا التجبن ليظل الدم سائرا . ثم هو يضع الدم فى انبوبة مدرجة قائمة ، ويتركه ، فتاخذ كرات الدم الحمراء فى الترسب ، اى فى السقوط الى أسفل. وتزداد سقوطا كلما زاد الزمن . ولكن الكيماوى يقف بتجربته عند مضى ساعة ، ويسجل النتيجة عند ذلك : كم من عمود الدم خلا من خلايا الدم الحمراء .

وسرعة الترسب هذه تختلف من رجل لرجل . ومن امراة لامراة . ولكنها اكبر فى النساء منها فى الرجال .

وهى تزيد فى الشخص فيدل ذلك على ان خللا وقع فى الجسم على الطبيب استجلاؤه . وهى تزيد فى الحمى ، وفى السرطان ، ومن بعد عملية جراحية وغير ذلك .

ولعل اكبر نفع لها يكون فى الامراض الروماتزمية . ففى أوائل هذا المرض

زوجتى جاءت بتوأمين

ـ زوجتى جاءت بتوامين ، من الذكور ، وهما « غير متطابقين » لان كلا منهما نزل ومعه خلاصه . وقد قيل لى انهما نتجا عن تلقيحتين منفصلتين . فكيف يجوز هذا ؟

● قولك ان لكل ولد خلاصه خرجت معه ، دليل على ان التوامين نتجا عن تلقيح بويضتين منفصلتين. وهما لا شك تلقحتا فى وقت واحد . وذلك ان الذى نزل من مبيض الام لا بيضة واحدة كالعادة ، ولكن بيضتان . وانت صاحب الحيوانين المنويين ، اللذين لقحا هاتين البيضتين . مسالة واضحة لا تحتاج الى زيادة بيان .

تزيد سرعة الترسب زيادة كبيرة ، ثم هى تأخذ فى النقصان حتى تعود الى قيمتها الاولى ، وتكاد تكون هـذه العـودة هى الدليل على ان المرض قد تزايل .

ويحصل هذا كذلك فى السل ، ولكن السل يوجد له عند الطبيب دلائل اخرى تدل على انخفاضه وتزايله .

هل احلى من السكر ؟

ـ بى داء البول السكرى ، وانا اتعاطى مكان السكر المادة المعروفة بالسكارين ، فما هى هذه المادة ، وكم حلاوتها بالنسبة للسكر ، وهل هناك مواد اخرى احلى من السكارين ؟

● السكارين مادة مشتقة اصـولها من قطران الفحم ، فهى ليست طعاما ؛ كما ان الاسبرين ليس طعاما . ولكن بها هذه الخاصة العجيبة ، انهـا احـلى فى المذاق من السكر مئات المرات .

وانت واجد فى الجدول الآتى صنوفا من المواد الحلوة مقدرة حلاوتها منسوبة الى سكر القصب بفرض ان حـلاوته واحد :

سكر القصب	١ر٠
سكر الفاكهة (الفركتوز)	١ر٧٣
الجلسرين	١ر٠٨
سكر العنب (الجلوكوز)	٠ر٧٤
سكر الجلكتوز	٠ر٣٢
سكر الشعير (الملتوز)	٠ر٣٢
سكر اللبن (اللكتوز)	٠ر١٦
الدلسين	٢٦٥ر٠٠
السكارين	٦٧٥ر٠٠

عجينات الاسنان

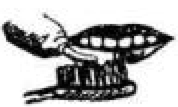

ـ لا حظت فى الاعلانات عن عجينات الاسنان ان المعلنين يذكرون مادة اسمهـا « هكساكلورفين Hexachlorophane ويدعون انها تساعد على منع سوس الاسنان . كذلك قرات عن هذه المادة فى الاعلان عن كريمات للشعر ونحو ذلك . فما هى هذه المادة ؟

● هذه المادة مركب كيماوى مطهر ، وهو يمتاز بأنـه لا يهيج الجلد ولا الأغشية الاخرى . ومن اجل هذا يستخدمونها فى عجائن الاسنان ، وفى الصابون ، وغيرها .

وهى تقتـل الجراثيم ، وكذلك الفطر ، ومن اجل هذا هى تنفـع لمحـاربة تكوُّن القشر فى جلدة الراس . والجراحون يستخدمونها عند غسل ايديهم واذرعهم قبـل بدء الجراحة .

وكذلك هنـاك ادوية سـائلة يمسح بها الجسم ليمنـع ظهـور الروائح فيـه ، تلك الروائح التى يسببها فعل الجراثيم بالعـرق . فهـذه المـادة ، الهكساكلورفين ، تستخدم فى هذه الادوية لانها تمنع الجراثيم من ان تفعل فى العـرق فتحدث الروائح غير الشهية .

ولكنى اعود فأقول ان تفريش الاسنان بالفرشة والعجينة عملية اهم ما فيها هو اخراج بقايا الطعام من بين الاسنان ، هـذه البقـايا التى اذا ظلت هناك فهى لا تلبث ان تنحل وتخـرج حوامض تسىء الى الاسنان .

وهناك ما هو احلى من السكارين فى المذاق ، وذلك مادة كيماوية واسمها اثير النيترو ـ امينو ـ فنيل ـ بروبيل ، وهى احلى من السكر ٣٦٠٠ مرة .

ونعود الى السكارين فنقول انه يقوم مقام السكر عند المرضى بالسكرى ، وكذلك عند السمان الذين يحاولون تقليل الطعام ليرفعوا . وهو يخرج افرازا من الجسم بدون ان يصيبه تغيير ،وليس له اثر مطلقا على الجسم سوى مذاقه فى الفم . وهو يصنع حبوبا بها نصف قمحة الى قمحتين .

تمويج الشعر يضر به ؟

ـ انا شعرى مستقيم ، وهو جميل عندما اموجه تمويجا دائما . ولكنهن يقلن لى ان التمويج الدائم يضر بالشعر ، وعلى الاخص من بعد حمل . فهل هذا صحيح ؟

● لا . غير صحيح ، ما جرى التمويج بالطريقة الصحيحة . انه لا يؤثر فى جلدة الراس ابدا . ولتوضيح ذلك اذكر لك ان الشعر ، من الوجهة الحيوية شىء ميت . لهذا انت تقصينه ولا تحسين شيئا . وكذلك انت تقصين الاظافر . وتقص من الخيل الحوافر . ولو انها كانت حية لصرخت .

والغرض من التمويج الدائم وضع جزئيات المادة القرنية التى بالشعر ، المعروفة بالكيراتين Keratin ، بعضها بالنسبة لبعض ، بحيث يتخذ الشعر الشكل المطلوب . انما الضرر قد يحدث اذا كان الشعر قد عولج بمواد كيماوية لتغيير لونه او لصبغه او غيرذلك.

عندى تشنج فى المعدة

ـ يعتريني من بعد طعام تشنج فى المعدة وتقبض يستمر ساعة ، فهل هذا عارض يدل على خطورة ؟

● ان تشنج المعدة Cramp الذى يصحب كل وجبة طعام ، كثيرا ما يدل على وجود قرحة بالمعدة ، وعندئذ يجب عليك ان تستشيرى الطبيب . فهو عندئذ سيفحصك وسيرد ما تشعرين به من الم الى شىء . فان هو رده الى قرحة فى المعدة وجب عليه ان يستعين بكشف الاشعة فهو غالبا ما يظهر القرحة التى تكون هناك . وغير القرحة قد يرد هذا الالم الى التهاب فى المعدة . ولالتهاب المعدة اسباب عدة : نوع الطعام الذى تاخذين . شرب الخمر . حموضة زائدة فى المعدة .

اصوات مزعجة

ـ انا اسكن فى حى كثير الجلبة . وانا للاسف حساس لدرجة زائدة ، اسمع الكلام الواطىء فيزعجنى ، فلا اعرف كيف انام . وقد خطر لى ان اسد اذنى بشىء . فهل هذا الاقتراح معقول ، وهل فى الطب شىء من ذلك ؟

● الاقتراح معقول معقول ، اذا انت فشلت فشلا مؤكدا فى محاولتك تعود الاصوات والنوم على الرغم منها . وفى الصيدليات ، فى بلاد الغرب ، توجد سدادات مصنوعة خاصة لسد الآذان . وهى من اللدين ، اى البلاستيك . وانت ان شئت فعليك مثلا بسدادات هاربط Harbuth's Earplugs . ومثل آخر ، سدادات تصنعها الشركة المختصة بأدوات السمع ، امبليفوكس Amplivox انها مريحة .

قصة

المطر

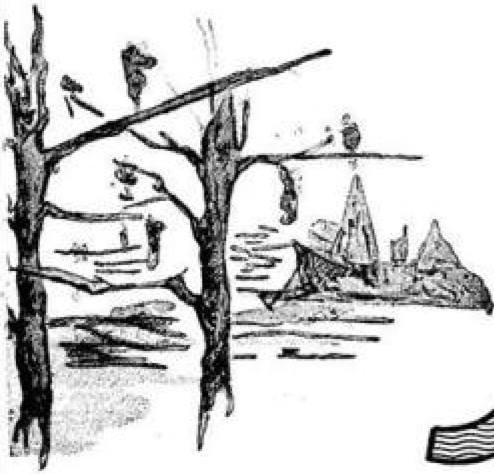

سومرست موم

■ كان المتوقع ان يتراءى شاطىء « باجو باجو » لركاب السفينة فى الصباح التالى .

وكان بين هؤلاء الركاب طبيب يدعى الدكتور ماكفيل وزوجته .

ومبشر يدعى مستر ديفدسن ، وزوجته .

وقد نشأت بين هؤلاء الاربعة تلك الالفة التى تنشأ عادة بين ركاب السفن وهى تمخر بهم البحار . وساعد على تعزيزها اتفاقهم فى استهجان مسلك الركاب الذين كانوا يصلون ليلهم بنهارهم فى المقامرة والشراب .. لا سيما فى هذه الليلة .

وكانت زوجة الطبيب تحس بكثير من الزهو وهى تروى لزوجها ما قالته لها زوجة المبشر من انهما - اى الطبيب وزوجته ، هما الوحيدان اللذان عنيت هى وزوجها بمخالطتهما على السفينة ، سمع الطبيب هذا من زوجته - وكان خجولا - ومع هذا لم يتمالك ان قال لزوجته : « ما كنت اظن ان المبشرين من الشخصيات العظيمة التى تمنّ على الناس بالتعرف اليهم ! » . فقالت زوجة الطبيب : « ليس هذا من قبيل المن . انك لا تبحث عن الجانب الطيب من نفوس الناس » . فرمقها الطبيب فى صمت ، اذ تعلم فى سنى حياتهما الطويلة ، ان من الأدعى للوئام ان يدع الزوج لزوجته الكلمة الاخيرة .

★★★

وعندما صعد الطبيب الى سطح السفينة فى الصباح التالى ، كان البر يقترب ، فراح يتامله بعينين نهمتين .. وكانت اشجار جوز الهند كثيفة خضراء ، تمتد حتى حافة الماء ، وتلوح بينها بيوت اهالى جزيرة « ساموا » المصنوعة من الاعشاب .. واقبلت زوجة المبشر تقف الى جواره فى ثوب اسود .. كان وجهها مستطيلا كوجه الشاة ، ولكنه لا يوحى بالغباء ، وانما باليقظة المفرطة . وكانت خفيفة الحركة كالطير .. وكان ابرز ما فيها صوت حاد ، ذو جرْس عال ونبرة واحدة رتيبة تثير الأعصاب .

قالت للطبيب وهى تحدثه : « لا تزال امامنا عشرة ايام اخرى حتى نصل الى مستقرنا . انى مسرورة لاننا لم نعيَّن هنا للعمل ، اذ يقولون ان هذه الجزيرة من ابشع الاماكن لعمل المبشرين ، فان تردد السفن عليها يذهب باستقرار أهلها » .

وكانت منطقة المبشر التى تعيَّن للعمل فيها تتالف من مجموعة من الجزر الى الشمال من « ساموا » ، تفصل بينها مسافات متباعدة ... وكانت زوجته تتحدث عن انحطاط الاهالى بصوت لا يحبسه اى خجل ، وكان زاخرا بالجزع والاستبشاع .. ولقد قالت للطبيب مرة : « العلك

لن تصدقني اذا قلت لك انه كان من المستحيل ان تجد فتاة فاضلة واحدة في أية قرية من القرى!»

★★★

وكان ثمة على الساحل حشد صاخب مرح من الأهالي ، وقد جاءوا من كافة ارجاء الجزيرة .. بعضهم يحدوه الفضول ، وآخرون يبتغون مقايضة المسافرين على سلعهم .. وكان بين القوم ملاحون امريكيون ، انيقون مصقولون ، ونفر قليل من الموظفين.وراح الطبيب والمبشر وزوجتاهما يرقبون الحشد ، بينما كانت امتعتهم تنقل الى البر .

وكان الرجال والنساء يرتدون زيهم القومي « اللافا ــ لافا » ، وزاد سخط زوجة المبشر وقالت : « كيف نتوقع من قوم ان يراعوا الأخلاق وهم لا يرتدون غير نطاق قطني احمر حول اردافهم؟»

وهبطوا الى البر ، والجو قائظ . وما لبثت ان تساقطت بضع قطرات من المطر ، فساروا مع الحشد الى مظلة كبيرة من الصاج ، بينما شرع المطر في الانهمار .. وبعد فترة ، لحق بهم المبشر ، وكان محبا للصمت وكان بطبيعته متحفظا عبوسا. وكان منظره فذا ، اذ كان فارع الطول ، بالغ النحول ، ذا اطراف طويلة مفككة الاوصال ،وخدين غائرين ، وصدغين مرتفعين .. كان من النحول والشحوب بدرجة تجعلك تدهش اذ تلاحظ مع هذا ان له شفتين ممتلئتين،تنمان عن افراط حسي .. على ان ابرز ما ياخذك منه ، هو الشعور الذى يوحيه اليك بنار مكبوتة .. شعور هائل يثير اضطرابا مبهما .. كان رجلا لا سبيل الى توثيق اى ود معه .

وحمل المبشر في مجيئه نبأ سيئا . ان الحصبة متفشية بشكل وبائي خطير ، يحول دون استئناف سفرهم . فتساءلت زوجة الطبيب : « وهل يوجد هنا فندق ؟ » . فقال المبشر : « تاجر يؤجر بعض حجرات داره » .

★ ★ ★

لم تبد الأمطار ما ينم عن توقف ، فانطلقوا ـ اخيرا ـ تحت المظلات والمعاطف الواقية من البلل . وكان البيت الذي سموا اليه ، على مسيرة خمس دقائق ، ذا طبقتين لكل منهما شرفات عريضة ، يعلوهما سقف من الحديد المضلع . وكان صاحبه تاجرا يدعى « هورن » ، من اب ابيض وام من بنات الجزيرة ، وقد اتخذ في الطابق الأرضي من البيت متجرا يبيع فيه المعلبات والمنسوجات القطنية .. وكانت الحجرتان اللتان اراهم اياهما شبه عاريتين من الأثاث . فلم يكن في حجرة اي من الزوجين سوى سرير حقير متداع تعلوه كِلّة مهلهلة ، ومقعد اعرج ، وحوض للاغتسال .

وهبط الطبيب سلم البيت في طريقه الى الميناء ليتفقد متاعه ، فوجد التاجر لدى الباب الخارجي ، يتحدث الى احد ضباط السفينة ومعه احدى راكبات الدرجة الثانية .. فحياه الضابط قائلا : « لقد كانت مس سادي طومسن مبحرة معكم الى ابيا ، ولهذا احضرتها الى هنا » .

وكانت سادي طمسن هذه في حوالي السابعة والعشرين ، ممتلئة الجسم ، جميلة بشكل فج .. فرنت الى الطبيب بابتسامة ، ثم قالت للضابط : « تعال وتناول كاسا ، فان لدي خمرا طيبة . ودعت الطبيب كذلك ، ولكنه اعتذر ، وانطلق تحت المطر الذي كان يندفع من ناحية المرفأ غزيرا . ولما عاد كان موعد الغداء قد اوشك ، فوجد المائدة قد مدت في قاعة الجلوس بدار التاجر ، بينما كان المبشر مازال عند الحاكم الذي استبقاه واستضافه . اما الفتاة سادي طمسن ، فقال التاجر انها تكفلت باعداد وجباتها في غرفتها بالطابق الارضي . فقالت زوجة المبشر ، بعد انصراف التاجر : « ما احسبها من الطراز الطيب اطلاقا » .

★ ★ ★

وفي ذلك المساء ، باغتهم المبشر بخبر انهم مضطرون الى البقاء اسبوعين .. وكان قلقا ، لانه غاب عن بعثته عاما .. وكان اخلاصه باديا في حدة اشارته ، وفي صوته العريق الرنان ، وهو يروي ما بذله ليوقر في نفوس القوم معنى الخطيئة التي كانوا يرتكبونها بجهالة . وكان ابرز ما تبدى في حديثه مع الدكتور ماكفيل ، انه كان ذا جراءة لا تلين .. وكثيرا ما كان يخف في زورق صغير لنجدة مريض في فصل الأمطار عندما لا يكون المحيط الهادي مامونا لسفينة كبيرة . فاذا حاولت زوجته ان تثنيه ، ذكرها بان الله ما كان ليتخلى عنه وهو في خدمته . وفجاة انبعث من الطابق الأرضي صوت حاكٍ عال ، اجش .. وانصتوا في صمت ، فادركوا انه في غرفة الفتاة سادي .. ثم توقفت الموسيقى ، وسمعوا انطلاق سدادات زجاجات الخمر ، وتصاعد اليهم صوتا رجلين يغنيان ، انضم اليهما صوت اجش عال . وكثر الصياح والضحك ، فاجفل المبشر في انفعال ، ولكنه لم يقل شيئا ، وراح ينصت الى رنين الكؤوس ، وجلبة المقاعد ، مؤذنة بوفود مزيد من الناس . فاختلج وجه المبشر ، وفجاة قفز على قدميه وصرخ : « طبعا .. ما خطر لي هذا . انها من « ايويلي » .. وهي تمارس حرفتها هنا ! » .

وتساءلت زوجة الطبيب : « وما ايويلي ؟ » . فرمقها بعينين واجمتين ، وقال بصوت يتهدج اشمئزازا : « بؤرة فساد في هونولولو .. لقد كانت وصمة في جبين مدينتنا .. كانت فضيحة صارخة في المحيط الهادي » . ثم بدا يروي كيف جاهد المبشرون حتى اضطرت السلطات الى الغائها .. واستطرد قائلا : « وغابت ايويلي عن الوجود يوم وصولنا بالذات .. لست ادري كيف لم افطن الى كنه هذه المراة لاول وهلة ! »

وخطا نحو الباب وعيناه ترسلان ابرا وقد ازداد شحوب وجهه . فتبه الطبيب الى ان

هناك ثلاثة رجال او اربعة فى الطابق الاسفل ، لكنه اندفع الى خارج الحجرة فى غير اكتراث .. وجلست زوجته وقد عقدت يديها انفعالا ،وراحت تصغى الى ما كان يوشك ان يحدث . وانصت الجميع .. وانقطع الغناء بغتة ، ولكن الحاكى ظل يرسل لحنا صاخبا .. وسمعوا صوت المبشر ، ثم ارتطام شىء ثقيل بارض . وانقطعت الموسيقى .. ومرة اخرى ، سمعوا صوت المبشر ، ثم صوت «سادى» عاليا حادا ، ثم لغطا وكان عدة اشخاص كانوا يصيحون فى وقت واحد باعلى اصواتهم .

وندّت عن زوجة المبشر شهقة قصيرة ، وضمت يديها باشد من ذى قبل . ثم انبعث ما يشبه التضارب ، وازدادت الضجة وضوحا ، فكأن المبشر كان يُلقى الى خارج الحجرة . ثم اصطفق الباب . وساد الصمت لحظة ثم سمعوا المبشر يصعد السلم ..وذهب الى حجرته ، فخفت اليه زوجته . بينما جلس الطبيب وزوجته صامتين دقيقة او اثنتين ، ثم عاد الحاكى يرسل الحانه فى تحد ، وارتفعت اصوات ساخرة ، تردد كلمات اغنية بذيئة .

★★★

كانت زوجة المبشر شاحبة مكدودة فى اليوم التالى . فقد قضى زوجها ليلته فى انفعال فظيع . وغادر البيت فى الساعة الخامسة ، فاذا زجاجة جمة تلقى عليه فتلطخ ثيابه . واومضت عينا زوجته بلهب اسود ، وهى تتحدث عن مس طمسن. وقالت : « انه لا يعرف الرحمة ازاء الخطيئة ، واذا استثير غضبه من اجل الفضيلة،فما افظعه!»

وارتجفت زوجة الطبيب .. كان فى لهجة المراة شىء يثير الذعر حقا . ولقد تصادف ان كان باب « سادى » مفتوحا ، حين هبطت المراتان فى الصباح، فصاحت فيهما : « هل الأب ديفدسن اليوم احسن حالا ؟ » .. ومرتا صامتتين ، رافعتى الانف فى تجاهل . على ان وجهيهما تضرجا حين اطلقت قهقهة وقحة ، فالتفتت اليها زوجة المبشر فجاة ، وصرخت : « لا تتجاسرى فتكلمينى ! » . فقالت المراة : « هل تريننى سالت زوجك ان يزورنى؟ ».

وفى عودتهما قابلتاها تخطر نحو رصيف الميناء فى ابهى زينة صارخة ، فنادتهما فى استهزاء .. وما ان بلغتا البيت حتى انهمر المطر .. فقالت زوجة المبشر ، بابتسامة مريرة : « سيفسد المطر ثيابها الرقيقة » .

ولم يظهر المبشر حتى اوشكوا ان يفرغوا من نصف غدائهما . وكان مبتلا ، ولكنه ابى ان يبدل ثيابه . وجلس فى وجوم وصمت ، ولم يشا ان ياكل سوى النزر اليسير ، ثم راح يحملق فى المطر وهو يطرق النافذة . وعندما اخبرته زوجته بما كان من « سادى » لم يجب بشىء . ثم تحول الى خادم صغيرة ، وسالها ان تقول لسادى انه يرغب فى ان يراها . فابدت زوجته خوفها من ان تهينه المراة ، واذا به يجيب : « من واجبى ان اراها ، ولن انصرف قبل ان امنحها كل فرصة .. دعيها تهينني .. ولتبصق علىّ .. سابذل قصارى جهدى لانقذ روحها ! .. » .

وكانت اصداء الضحكات الساخرة لا تزال ترن فى اذنى زوجة المبشر فقالت : « لقد تمادت الى ابعد حد » . فاومضت عيناه فجاة ورق صوته وهو يقول : « ابعدّ من ان تبلغها رحمة الله ؟ .. ابدا . ان الاثم قد يوغل فى الاثم الى ابعد من اغوار الجحيم ذاته ، ومع ذلك يظل حب الله قادرا على الوصول اليه » .

وما لبث ان هبط الى « سادى » ولبث معها ساعة ، بينما راح الطبيب يرقب المطر ، وقد بدا استرساله يؤثر على اعصابه . فما كان كمطرنا الرقيق الذى يهبط على الارض بلطف ، وانما كان قاسيا ، فظيعا ، لا يتساقط بل ينصب انصبابا ، على السقف المصنوع من الصاج ، فى خرير مسترسل يبعث على الجنون .

وقال القس اذ عاد : « لقد اتحت لها كل فرصة، وحضضتها على التوبة . انها امراة شريرة .ولمع الطبيب عينيه تزدادان اسودادا ، ووجهه الشاحب يزداد صلابة وشدة وهو يقول : « الآن ساتناول السياط التى ساق بها السيد المسيح المرابين والصيارفة من هيكل الرب الاعلى » . وراح يذرع الحجرة وفمه مطبق ، وحاجباه الاسودان مقطبان. وبارح الحجرة فجاة،وهبط السلم،والكل موجس.

وعرف الطبيب اولى نتائج نشاط المبشر ، عندما ابدى له صاحب البيت خوفه من غضب المبشر ، فان المبشرين كانوا اذا حملوا على تاجر اوردوه موارد الافلاس .. وكان كل ما وسعه هو ان منع المرأة من استضافة الرجال في غرفتها.

★★★

وفي ذلك المساء ، كان الصمت يسيطر على الطابق الأسفل ، وقد جلست « سادي » وحيدة في غرفتها . على ان الحاكي انطلق فجاة ، وقد ادارته في تحد ، لتغالب وحدتها . بيد أنه لم يكن هناك من يغني ، فبدت الموسيقى حزينة ، اشبه بصرخة استنجاد . وكان صمت الليل كان يثقل على اعصابها . فقد كان الهواء راكدا لزجا.

وعندما آوى الطبيب وزوجته الى فراشهما ، ظلا مسهدين ينصتان لطنين البعوض . وفجاة سمعا صوت المبشر خلال الحائط الخشبي ، يتردد رتيبا ، في اصرار حار .. كان يصلي بصوت عال ، من اجل مس طمسن .

ومر يومان او ثلاثة .. ولم تعد سادي تحييهم بسخرية ولا بابتسام كلما مروا بها ، بل كانت تمضي رافعة الانف ، مشيحة بوجهها المخضب ، عابسة .. وفي المساء ، كانت تدير ما لديها من تسجيلات على الحاكي . وبدا انالوقت كان يمضي كلحن مصدوع ، حزين ، قانط .. وقال التاجر للطبيب يوما : « اظنها بدات تهين .. انها لاتعرف ما ينتويه المبشر ، وهذا يجعلها في ذعر » . وكان الطبيب قد لمحها في ذلك اليوم فادهشه اختفاء كل اثر للشراسة من وجهها ، لتحل محلها نظرة خوف وتوجس .. وخيل اليه ان المبشر كان يعمل في تكتم ، وكانه ينسج حول المرأة شبكة ، فيحرص ودقة ، حتى اذا اتم كل شيء ، جذب الخيوط فجاة .

وقال الطبيب للتاجر : « لست اشك في ان الوحدة تنال من اعصابها .. والمطر .. انه وحده كاف لان يثير اعصاب اى امريء ! » وتجلى اثر ذلك في لهجته المحنقة ، وضيقه البالغ .. كانت الجزيرة تبدو ـ اذا ما توقف المطر واشرقت الشمس ـ كبيت من زجاج دافيء ، رطب ، لزج الهواء ، تضيق فيه الأنفاس ، ويداخل المرء فيه شعور غريب بان كل شيء ينمو بعنف وحشي وضراوة .

★★★

وكان المبشر يروح ويغدو ، جم المشاغل .ولكن الطبيب لم يساله قط عما كان يفعل .. وقال صاحب البيت يوما ان المبشر كان يزور الحاكم يوميا .. وتحدث المبشر عن الحاكم يوما فقال : « انه موفور العزم ، ولكنه ازاء الرسميات يتردد .. ولست اريده أن يفعل سوى ما هو صواب ». فقال الطبيب : « ولكن الآراء قد تختلف بصدد ما هو صواب » .

ـ اذا دب العفن في قدم انسان ، فهل تصبر على أي امريء يتردد في بترها ؟

ـ ولكن العفن أمر واقع ..

ـ والشر ؟ ..

وسرعان ما تكشف ما كان المبشر يفعل . فما ان فرغوامن غدائهم ذات يوم ، حتى فتح الباب فجاة، واقبلت « سادي » على المبشر ، وقالت وهي تتميز غيظا : « ايها التمس الوضيع ، ماذا قلت للحاكم عني ؟ » . واطلقت سيلا من الشتائم البذيئة . وظل المبشر يرمقها بعينين رصينتين . واخذت الدموع تغالب غضبها ، وقد احتقن وجهها وانتفخ، كانها كانت تختنق . فسالها الطبيب عما جرى ، فاجابت بانها تلقت انذارا بمغادرة الجزيرة على اول سفينة تبرحها . ترى هل اومضت عينا المبشر ؟ .. لقد ظل وجهه جامدا ، وصاحت في المبشر : « انت السبب .. لماذا لم تدعني وشاني، وانا لم اضرك بشيء ؟ » .

ـ ثقي انني كنت آخر من يؤاخذك ، لو انك آذيتني !

واطلقت صيحة يخنقها الغضب ، واندفعت مغادرة الحجرة ، وسيطر الصمت لحظة ..

وبات من المحقق ان تغادر « سادي » الجزيرة بعد خمسة ايام .

وفي اليوم التالي ، كان الطبيب عائدا من المستشفى ـ الذى بات يقضي فيه سحابة النهار ، لافتقاده مكانا افضل ـ حين استوقفه التاجر قائلا: « عفوا يا دكتور ماكفيل ، ان مس طمسن مريضة ، فهلا عدتها ؟ » .

وكانت « سادى » فى حجرتها : تجلس خاملة ، تحملق فيما امامها ، وهى فى زينتها . فقـــالت للطبيب : « حين اقبل عليها : « لست مريضة حقا، وانما قلت ذلك لاننى اردت ان اراك . فالباخرة التى ساضطر للرحيل عليها مقلعة الى ســــان فرانسيسكو » .

وراحت يداها تنقبضان وتنبسطان فى اختـــلاج عصبى ، وهى تخبره بان الرحيل الى « ســــان فرانسيسكو » لم يكن ليلائمها ، ومن ثم ذهبت للقاء الحاكم .. واستطردت قائلة : « واخيرا ، قال انه لا يعارض فى بقائى هنا الى ان تصـــل الباخرة الميممة شطر سيدنى باستراليا ، اذا رضى الاب ديفدسن» . وسالت الطبيب ان يتوسط لدى المبشر ، قائلة : « اقسم بالله اننى لن ارتكب شيئا هنا » . اذا سمح لى .. قل له ان بوسعى ان اجد عملا فى سيدنى .. اعنى عملا شريفا » ..

ولم تكن مهمة الطبيب سارة ، فسعى اليهـــا عن طريق الزوجتين .. ولكن المبشر جاءه بنفسه ، فاحرجه ان اضطر الى مواجهته ، وتضرج وجهه ، وشعر بالانفعال وهو يؤيد رجاء المراة . وعندما الفاه مصرا على رحيلها ، صاح : « اراك شـــديد القسوة والجور » .

وتطلعت المراتان فى شىء من الذعر ، ولكـــن المبشر ابتسم فى لطف قائلا : « لشد ما انا آسف ان ترانى هكذا . صدقنى اذا قلت ان قلبى يَدمىَ من اجل هذه المراة المنكودة .. ولكنى احاول ان اؤدى واجبى » ..

ولم يستطع الطبيب ان يواجه « سادى » وهو يعلن اليها فشله . ولكنه اضطر الى ان يرميها بنظرة سريعة، اذ تَدّتْ منها نهنهة . وراى وجهها ابيض لفرط الخوف ، فهزه منظرها .

وبينما كان الاربعة جلوسا ــ فى المساء ــ سمعوا طرقة مترددة على الباب ، فنهضت زوجة المبشر وفتحته .. وراوا « سادى » واقفة عند العتبـــة . ولكن التغير الذى الم بمظهرها كان عجيبا ، فلـــم تعد الفانية المتبجحة التى سخرت منهم فى عرض الطريق ، وانما اصبحت مهدمة مذعورة ..وتقدمت من المبشر فى حركة ذليلة ، وقالت : «لقد غلبتنى .. اصبحت فى قبضتك ، فهلا عدلت عن اضطرارى للذهاب الى سان فرانسيسكو ؟ » . وتلاشت طيبته ، واشتد صوته قسوة وصرامة ، وهـــو يسالها عن سر عدم رغبتها فى الذهاب الى هناك .. ثم مال نحوها،وراح يحدجها بعينيه الواسعتين البراقتين ، وكانه يحاول ان يغوص فى اعماقها . وهمس فجاة : « الاصلاحية ؟ » .. واذذاك صرخت وارتمت على قدميه ، وتعلقت بساقيه ، وراحت ــ فى سيل من التوسلات والدموع ــ تساله ان لا يردها الى « دار الاصلاح » ، فقد هربت منها ، وسيُقضَى عليها بالبقاء ثلاث سنوات هناك اذا عادت .. فانحنى ورفع وجهها اليه ، ثم اطلقها فانهارت على الارض وهى تبكى بحرارة .

ووقف الطبيب وقال : « هذا يغير الوضع .. اتح لها فرصة اخرى ، فهى تريد ان تبدا صفحة جديدة » .

فقال : « سامنحها ابدع فرصة اتيحت لها . ان التى تتوب ، تتحمل الجزاء » .

وداخلها الامل ، ولكن المبشر بادر قـــائلا : ستبحرين الى سان فرانسيسكو يوم الثلاثاء . فارسلت صرخة مرتاعة ، ثم طفقت تطلق صرخات جشئة ، منخفضة ، لا تكاد تصدر عن آدمى ، وراحت تضرب براسها الارض بحرارة . فقفـــز الطبيب اليها ، ورفعها فاقامها على قدميهـــا ، وحملها وهو يكاد يجرها على الهبوط الى غرفتها، وبمساعدة التاجر استطاع ان يضعها فى فراشها ، وهى تئن وتبكى ، شبه فاقدة الوعى . وحقنتها بعقَّار مهدىء .

وكان ساخطا ومتعبا حين عاد فصعد الى الطابق الاعلى . وكانت المراتان والمبشر كما تركهم ، وقال المبشر فى صوت غريب ، كانه منبعث من بعد : « كنت فى انتظارك ، اذ اريدكم جميعا ان تصلوا من اجل اختنا الخاطئة » . وتناول الكتاب المقدس .. وبصوت جهورى قوى، راح يقرا عليهم الفصل الذى يروى لقاء السيد المسيح بالمراة الزانية . ثم ركع وامرهم بالركوع ، وطفق فى صلاة طويلة حارة ، ودعوات فيها طاقة ضارية ، وقد اهتزت مشاعره بدرجة غير عادية . وانهمرت الدموع على خديه .. وفى الخارج . كان المطر يتســـاقط باستمرار ، وبعنف خبيث ، لا اشفاق فيه ..

وما لبث الطبيب ان هبط .. فالفى «سادى» فى مقعد متارجح ، تبكى فى صمت ، فهتف :

« الم اقل لك ان تظلى راقدة :

ولكنها الحت فى طلب المبشر . وما ان اقبل ،

حتى حدجته بوجوم ، وهي تعتذر لاقدامها على ازعاجه . فقال : « كنت اتوقع ان تبعثي في طلبي ، فقد ادركت ان الرب سيستجيب لدعائي » .. ورمق كل منهما الآخر لحظة ، ثم اشاحت بوجهها وهي تقول : « انني امراة غير صالحة ، واريد ان اتوب » .

وهلل القس لان الله استجاب دعاءه ، وطلب ان يترك معها على حدة .

★ ★ ★

ولم يوات النوم الطبيب في تلك الليلة .. وفي الساعة الثانية ، سمع المبشر يصعد السلم ، ويصلي طويلا ـ بصوت مرتفع ـ حتى نام اعياء . فلما رآه ـ في الصباح التالي ، دهش لمظهره .. كان اكثر شحوبا من ذي قبل ، بادي التعب ، ولكن عيناه كانتا تتألقان بلهب غير ادمي . وبدا كان نفســه أترعت فرحـا . وقـال للطبيب : « اريدك ان تهبط فورا ، لترى سادي .. لست امل ان يكون جسدها في تحسن ، ولكن روحها .. روحها قد تحولت » . وشعر الطبيب بانقباض وانفعال ، بينما قال القس وعيناه تشعان غبطة : « لقد حظيتُ برحمة كبرى .. فقد اوثرتُ ليلة امس برد روح ضالة الى احضان المسيح ! » .

وكانت « سادي » في المقعد المتارجح ، والغرفة غير منظمة .. وهي لم تعن بلباسها ، وقد جمعت شعرها في اهمال ، ومسحت وجهها بمنشفة مبتلة لم تمح عنه التورم والتغضن من جراء البكاء . ورفعت عينيها بنظرة كئيبة ، حين دخل الطبيب ، وقد بدت ذليلـة محطمـة ، وسـألته عن الأب ديفدسن . وتطلعت نحو الباب في قلق وقالت : « اتظنه سيهبط عما قليل ؟ .. اشعر ان الأمر لم يكن بهذه الوطأة حين كان معي .. فهو الوحيد الذي يملك ان يساعدني الآن » .

وخلال الايام الثلاثة التالية ، اصبح المبشر يقضي معظم وقته مع سادي طمسن .. ولاحظ الدكتور ماكفيل انه لم يكن ياكل ما يقيمه ، حتى خشي عليه ان ينهار .. ولم تكن زوجته احسن حالا منه ، لا ولا كانت تصيب من النوم كفايتها . فان المبشر كان يعكف ـ عقب صعوده من لدن مس طمسن ـ على الصلاة حتى يستبد به الاعياء .. ومع ذلك فانه لم يكن ينام طويلا ، فان هي الا ساعة او اثنتان ، حتى يستيقظ ، ويرتدي ثيابه ، ثم يقوم بجولته عند الخليج . واخذ قلقه يشتد ، ولكنه كان يغالبه بجذل عجيب .. كان يجتث آخر مظاهر الخطيئة المتوارية في اركان قلب المراة المسكينة .. واطربه ما راحت تبديه من توبة ، ولكنه ـ مع ذلك ـ ظل مصرا على رحيلها الى « سان فرانسيسكو » ... وكان يقول للطبيب ان ما ستلقاه هنالك من عذاب ، انما هو تضحية وقربان للرب .

ومـرت الايام بطيئـة .. والبيت كله مهتم بالنكودة المعذبة ، يعيش في حال من الانفعال غير الطبيعي ، وكانها ضحية تهيأ لتقدم بطقـوس وحشية قربانا لصنم متعطش للدماء . وكان الذعر يشل حواسها ، فلم تعـد تطيـق ان تدع الاب ديفدسن يغيب عن بصرها .. وكانت تكثر مـن البكاء وتقرا الكتاب المقدس وتصلي .. وكان الاعياء ينال منها احيانا ، واذ ذاك كانت تتطلع الى سجنها المرتقب ، فيبدو لها كمهرب اكيد ومباشر من الهلع والعناء . ولم تعد تطيق المخاوف المبهمة التي راحت تهاجمها .

وكان المطر ـ في تلك الاثناء ـ ينهمر في داب قاس ، حتى لتشعر كان السماء ستفرغ من كل اثر للماء ، لو استمرت على هذه الحال . ومع ذلك ظـل المطـر ينصب وله وقـع على السقف الحديدي يكاد يودي الى الجنون ... وفي الليالي المسهدة كان البعوض يطن باغانيه المثيرة .

وراح الجميع يتطلعون الى يوم الثلاثاء .. وكان التوتر لا يطاق . وطفت الرغبة لدى الطبيب في الخلاص من المراة المنكوبة على كل اشفاق ، وكل استنكار ، فقد بات يشعر انه سيغدو اهدا نفسا اذا اقلعت السفينة . وعندما اطفا شمعته ـ في مساء الاثنين ـ تاهبا للنوم ، زفر في ارتياح .

واستيقظ الطبيب في الصباح على يد وضعت على ذراعه .. وراى « هورن » بجوار السرير ، وقد وضع اصبعه على فمه يحذره من ان يصدر اي صوت ، ثم راح يشير اليه ان يتبعه ..

وارتدى الطبيب معطفه فوق « البيجاما » ، وتبع التاجر الى الباب الخارج ، فاذا نفر من الاهالي وقوف .. وتساءل الطبيب عما كان هنالك ، ولكن هورن قال : « تعال معي ! » وسار وراءه ، يتبعهمـا الاهـالي ، حتى الشـاطيء ... وراى

الطبيب جمعا من الاهالى يتحلقون بجسم عند حافة الماء .. وما لبث ان راى جسد المبشر ديفدسن ، نصفه فى الماء ، ونصفه خارجه .. وعنقه مقطوع من اذن حتى الاخرى ، وقد ظل السلاح الذى استخدم فى يمين الميت .

وتساءل التاجر : « اتراه فعل هذا بنفسه ؟ » .. واجاب الطبيب : « اجل .. ليذهب احد لاخطار الشرطة وتكفل الطبيب بان ينهى النبا الى زوجة المبشر . فلما عاد الى المنزل ، انباته زوجته بان مسز ديفدسن كانت فى قلق فظيع ، لان زوجها لم ياو الى فراشه فى الليلة الماضية ، وقد سمعته يغادر « سادى » فى الساعة الثانية صباحا ، ولكنه بارح الدار لتوه .

★★★

وذهبت مسز ماكفيل بالنبا الى مسز ديفدسن وهى كارهة جزعة ، ثم عادت تحمل رغبة زوجة المبشر فى ان ترى جثة زوجها .. واردفت : « اظنها مشدوهة ، فهى لم تبك ، ولكنها ترتجف كورقة فى مهب الريح ! » .

وبدت المراة للطبيب متجلدة بشكل غير طبيعى ، وان لم ينبس احدهم ببنت شفة . فلما بلغوا المشرحة ، اصرت على ان تدخل بمفردها .. وما لبثت ان خرجت فقالت : « اننى على استعداد للعودة » . وكان صوتها شديدا ، متزنا .. وكان وجهها شاحبا ، رصينا . ولم ينبس احدهم بكلمة . على انهم لم يكادوا يبلغون المنعرج المفضى الى البيت ، حتى صدرت من زوجة المبشر شهقة ، وجمدت فى مكانها لحظة . فقد غزت اسماعهم ضوضاء لم يصدقوا انبعاثها . كان الحاكى الذى طال صمته ينبعث بلحن صاخب ، مستهجن . وقالت زوجة المبشر : « لنمض فى طريقنا ! »

وكانت « سادى » تقف بباب حجرتها ، وتتحدث الى احد الملاحين ، وقد اعتراها تبدل فجائى ، فلم تعد المهينة الذليلة ، وانما بدت فى كامل زينتها ، وفى تبرج صارخ .. كانت الغانية التى عرفوها فى البداية .. وعندما اقبلوا . اطلقت ضحكة عالية ساخرة . فلما توقفت زوجة المبشر ـ بحركة لا ارادية ـ جمعت المراة لعابها ، ثم بصقت .. وغطت زوجة المبشر وجهها براحتيها ، وهرعت تصعد السلم . وعصف الغضب بالطبيب فدفع المراة الى حجرتها ، وصاح : « ماذا تفعلين ؟ .. اوقفى هذه الآلة اللعينة ! » .

وسار الى الحاكى فاخرسه .. وتحولت اليه صائحة : « ليس لك ان تعاملنى هكذا ؟ » . فصرخ فيها : « ماذا تعنين ؟ » .

وتماسكت ، واستجمعت جاشها .. وما كان بوسع احد ان يصف الاحتقار والكراهية المزرية ، اللذين ارتسما على وجهها ، وهى تقول : « ويحكم يا معشر الرجال .. يا لكم من خنازير نجسة قذرة .. كلكم سواء ! كلكم .. خنازير .. خنازير ! » .

وشهق الدكتور ماكفيل .. وقد ادرك ما جرى للمبشر ! ؟ ■■

ترجمة : محمد بدر الدين خليل

الرئيس ابن زمرك

- وُلِدَ في غرناطة وعاش في نعمة بني الأحمر
- غدر بأستاذه ابن الخطيب، فطاولته الأيام، ثم نالت منه غدرا
- تقرأ من شعره سطوراً بجدران قصر الحمراء..

بقلم: ابراهيم قطان

■ عالم وشاعر واديب وسياسي وكاتب وخطيب .

كانت مملكة غرناطة في الاندلس ، من ازهى الممالك الاسلامية ، فقد دامت نحو قرنين من الزمان فتركت لنا صورة من اروع الصور الفكرية والادبية والفروسية ، وصفحة من اجمل صفحات الحضارة الاسلامية ، والحضارة الانسانية بصفة عامة .

اما عن الفن فلا يزال قصر الحمراء شاهدا على مثال الفن الرفيع ، والذوق البديع بالرغم من مضي القرون العديدة ، وما طرا عليه من تهديم وتخريب ونكبات ، كانت مملكة غرناطة على صغرها ، وضيق رقعتها تضم معظم التراث الاندلسي القومي والسياسي ، وغدت مستودع الحضارة الاندلسية ، والفكر الاندلسي ، لان معظم الأسر الاندلسية العريقة هاجرت اليها من القواعد والمدن التي احتلها الاسبان واستقرت بها .

غرناطة العاصمة الفاتنة

تقع غرناطة في مكان جميل حباه الله باروع ما تجود الطبيعة من جمال . من جبال واودية وسهول ومزارع وجنات تفيض بالخصب والخيرات وثروات معدنية ، واصبحت غرناطة بعد سقوط القواعد الاندلسية اعظم القواعد في الاندلس ، وافناها واكثرها ازدحاما بالسكان . يؤمها الناس من كل مكان ، ويحج اليها الشعراء والادباء والفرسان .

وهي في بقعة جميلة يطل عليها قصر الحمراء بمبانيه الزاهية ، وتقابله جنة العريف التي هي من جنان الخلد حبا الله بها هذه الارض ، وميادينها الفسيحة ، وقصورها البديعة وحدائقها وجناتها ومتنزهاتها البديعة ، فهي من كل هذه المناظر المختلفة تشكل مدينة من اجمل مدن العصور الوسطى . وكانت حصينة جدا ، لها موقع طبيعي حصين . وقد عزز ذلك الموقع باسوار عظيمة قوية ، كان يتخللها كما قيل نحو الف وثلاثمائة برج عال منيع يرد الطرف وهو كليل .

وكان سكانها في ايامها تلك مع اربافها وضواحيها نحو نصف مليون نفس ، وكان في مقدور هذه العاصمة أن تجند وحدها زهاء خمسين الف مقاتل . وكانت ابهاء قصر الحمراء تتسع وحدها لاربعين الف رجل .

وصف المجتمع الاندلسي

وقد وصف لنا لسان الدين بن الخطيب اديب الاندلس الكبير في ذلك العصر احوال المجتمع الاندلسي وخواصه الجنسية والعقلية والاجتماعية.

فذكر ان الشعب الأندلسي كان يتمتع بصفات اخلاقية طيبة ، وان صورهم جميلة ، والوانهم بيضاء ، وشعورهم سود ، وقدودهم متوسطة ، والسنتهم عربية فصيحة ، وانسابهم عربية ، وفيهم كثير من البربر والمهاجرين .

وكان نساؤهم يتميزن بالجمال والسحر ، واعتدال السمن ، ونعومة الجسم ورشاقة الحركة ، ونبل الكلام ، وحسن المجاورة ولكن يندر فيهن الطول . وقد بلغن في التفنن في الزينة والملبس شاوا بعيدا ، يسرفن في الأصباغ والتزين بنفيس الحلي .

وكان لباسهم انيقا ، ونظافتهم مضرب الأمثال . واذا ابصرتهم في المساجد ايام الجمع ، كأنهم الأزهار المفتحة ، في البطاح الكريمة ، تحت الأهوية المعتدلة . وكان احتفالهم بالأعياد انيقا ، وكان الشعب الغرناطي يعشق مباهج الحياة والحفلات العامة ، وكانت الحياة لديه كأنها سلسلة من الأعياد المتواصلة . وكان الغناء دائما ، ويكثر في المتديات والمقاهي العامة . ومع هذا فقد كانت الفروسية شعارهم . واستمرت في مملكة غرناطة على ازدهارها ، وبقيت عصورا تجتذب الأنظار باكتمالها وروعتها ورقة شمائلها .

مولده ونشأته

في هذه المملكة العظيمة . وفي غرناطة العاصمة الجميلة الفاتنة ولد ابو عبد الله محمد بن يوسف ابن محمد الصريحي المعروف بابن زمرك . قال لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة : « ولد هذا الفاضل بغرناطة في رابع عشر شوال عام ثلاثة وثلاثين وسبع مائة . ونشأ بها . وهو من مفاخرها

.. وفي ذات ليلة ، هاجم جماعة من الناس ابن زمرك في منزله ، فقتلوه وولديه وخدمه ، امام اهله وبناته ..

وكان صدرا من صدور طلبة الأندلس وافراد نجبائها مختصا مقبولا ، هشا خلوبا ، غلب الفكاهة ، حلو المجالسة ، حسن التوقيع ، خفيف الروح ، عظيم الانطباع ، شره المذاكرة ، فطنا بالمعاريض ، حاضر الجواب ، شعلة من شعل الذكاء ، جوادا بما في يده ، مشاركا لاخوانه ، اضطلع بكثير من الاغراض ، وشارك في جملة من الفنون ، ونصب نفسه للناس متكلما ، مستظهرا بالفنون التي بعد فيها شاوه ، من عربية وبيان ، وما تقذف به لجة الثقل من اخبار وتفسير ، متشوقا مع ذلك الى السلوك ، مصاحبا للصوفية ، ثم عانى الأدب ، فكان املك به . ورحل في طلب العلم والازدياد ، فترقى الى الكتابة عن ولد السلطان امير المسلمين بالمغرب ابى سالم بن ابى الحسن ، وعرف في بابه بالاجادة . ثم رجع مع السلطان ابن الأحمر في طلب ملكه ، فلطف محله منه ، وخصه بكتابة سره . وثابت الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائلة ، فاقره على رسمه . وامتد في ميدان النظم والنثر باعه ، فصدر عنه من المنظوم قصائد بعيدة الشاو في مدى الاجادة من الاغراض المتعددة ، من ميلاديات وغيرها ، وهو بحاله الموصوفة الى الآن اعانه الله وسدده » .

« واما شعره فمترام الى نمط الاجادة . خفاجي النزعة ، كلِف بالمعاني البديعة والألفاظ الصقيلة غزير المادة » .

كان لسان الدين بن الخطيب هذا الذي كتب هذه الكتابة القيمة عن ابن زمرك هو الأديب الأول في زمنه . وقد كان قطب الشعر والنثر في عصره ، وظل محور الحركة الفكرية في الأندلس والمغرب في اواسط القرن الثامن الهجري . وكان صاحب مدرسة ، يقلده من حوله ، ويسير على أثره كل من شدا شيئا من الأدب ، أو قال الشعر ، وكان الى جانب هذا الوزير الأول في دولة بني الأحمر ، وصاحب الجاه العظيم ، والكلمة النافذة ، ولكنه لم يخل من الحاسدين ، وكيد الكائدين ، وكان يشعر بان الأندلس اذا استمرت فيها هذه الأحوال من التناحر على المناصب ، والتخاذل والتآمر ، سيئول امرها الى الأعداء ، وسيكون مصيرها الى الفناء . وقد نوه بذلك في بعض رسائله .

ولما اشتد ساعد خصومه ، وقويت شوكتهم ، واظلم الجو حوله ، ترك الأندلس وهرب الى المغرب ، ولكن خصومه لم يتركوه وما زالوا يسعون به ، وعلى راسهم ابن زمرك تلميذه حتى اغروا به سلطان المغرب بمساعدة وزيره سليمان بن داود الذي كان من الد خصوم ابن الخطيب ، فقبض عليه السلطان وزجه في السجن ودس عليه الوزير سليمان بعض الأوغاد فقتلوه في سجنه ، واخذت جثته واضرمت فيها النار ثم دفنت . وذلك في خبر طويل .

وهكذا ذهب هذا الاديب الكبير ، والمفكر العظيم ضحية الجهالة والتعصب والأحقاد السياسية . وكان الأولى ان اكتب عن ابن الخطيب لانه كان العلم الفرد في تلك الديار ، ولكنه كُتِب عنه كثيرا ، وكُتُب الأدب مملوءة بتراجمه وادبه وشعره ، فآثرت ان اكتب عن اديب مغمور لم يكتب عنه الا القليل ، ولم تذكر له ترجمة في كتب الأدب الحديثة .

ابن زمرك في معترك السياسة والأدب

كان ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب ، اعظم شخصية تزعمت بعده الحركة الادبية بالأندلس . وقد نوه ابن الخطيب بذكائه وخلاله ، وتفوقه في الدرس والأدب ، واثنى على شعره كما تقدم . وقد عمل ابن زمرك في كتابة السر في كنف ابن الخطيب، وتحت رعايته .

وقد مدحه في قصائد عديدة ومقطوعات كثيرة اورد المقري منها في أزهار الرياض جملة . من ذلك قوله :

لك الله من فذ الجلالة أوحد
تُطاوعه الآمال في النهى والأمر
لك القلم الأعلى الذى طال فخره
على المرهفات البيض والأسل السُمرِ

الى ان يقول :

لك الحسب الوضاح والسؤدد الذى
يضيق نطاقُ الوصف فيه عن الحصر
تشرّف أفقٌ أنت بدر كماله
فغرناطة تختال تيها على مصر
تكلل تاجُ الملك منك محاسنا
وفاخرت الأملاكَ منك بنو نصر

فلا زلت للعلياء تحمي ذمارها
وتسحب أذيال الفخار على النسْر
وللعلم فخر الدين والفتكِ بالعدا
شأوت به يا ابن الخطيب على الفخر

★★★

جبرت مهيضا من جناحي ورشته
وسهّلت لي من جانب الزمن الوعر
وبوّأتني من ذِروة العز مُعتلىً
وشرّفتني من حيث أدري ولا أدري
وسوغتني الآمال عذبا مسلسلا
وأسميتَ من ذِكري ورفّعتَ من قدري
فدهري عيد بالسرور وبالمنى
وكل ليالي العمر لي ليلة القدر
فأصبحت مغبوطا على خير نعمة
يَقلُّ لأدناها الكثيرُ من الشكر

فهو كما نرى هنا يشيد بجلالة قدر ابن الخطيب وعلو قدره ، وانه تاج الملك ، وملوك بنى نصر يفاخرون به الملوك ، وغرناطة تختال به تيها على مصر ، ثم يعترف بانه هو الذى رفع من قدره ، وبوأه ذروة العز ، وشرفه من حيث يدرى ، ولكنه مع هذا كله كان ضالعا مع خصومه ، وفى طليعة الساعين الى هلاكه . وقد خَلَفه في الوزارة عقب فراره من الاندلس .

وقد ترجم الأمير الأديب ابو الوليد اسماعيل ابن السلطان أبى الحجاج المعروف بالأمير ابن الاحمر فى كتابه : « نثير الجمان » ترجمة طويلة ضافية للوزير ابن زمرك نقلها عنه المقرى فى «ازهار الرياض فى اخبار القاضي عياض » ، وكذلك فى « نفح الطيب » ، وقد حفظ لنا المقرى فى هذين الكتابين كنوزا عظيمة من اخبار الأندلس ومن الوثائق والرسائل الهامة ، وكمية كبيرة من الشعر والادب ، ولولا المقرى لضاع كثير من هذه الأخبار . رحم الله المقرى وطيب ثراه .

يقول الأمير ابن الأحمر كما هو فى ازهار الرياض : « ولنبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبه عليه ، ونظهر ما كنا نضمره من الميل اليه . فى كل ماله أو عليه . فنقول : هو الفقيه الكاتب الفذ الأوحد ، أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي ويعرف بابن زمرك ، ... نشا ضئيلا كالشهاب يتوقد ، مختصر الجرم والأعين باطالة فواضله تشهد » .. الى ان قال : « وصار صدرا فى نوادى طلبة الاندلس وافراد نجبائها » .

وبقى ابن زمرك فى خدمة بني الاحمر سبعا وثلاثين سنة ، يصرف الأمور ويدبر الملك وامره نافذ وحظوته متزايدة ، وكان يذهب فى السفارة بين الملوك ويعقد الصلح ، ويفاوض الاسبان ، ويقوم خطيبا فى كل مناسبة ، وينشد القصائد الطوال ، مهنئا ومادحا ، ومفاخرا . يقول ابن الاحمر : « وقد وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدىء فيها ويعيد ، ويقول : « خدمته سبعا وثلاثين سنة ، ثلاثا بالمغرب وباقيها بالاندلس ، انشدته فيها ستا وستين قصيدة ، فى ستة وستين عيدا وكل ما فى منازله السعيدة . . . . ، من نظم رائق ، ومدح فائق فى القباب والطاقات والطرز وغير ذلك ، فهو لي ، وكنت أواكله وأواكل ابنه مولاى أبا الحجاج وهنأت كبيرا ملوك اهل الأرض ، وهنأته بكذا وكذا قصيدة ، وفوض لي فى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين ، وصلح النصارى عقدته تسع مرات الخ .... » .

مقتله وسوء منقلبه

ولما طالت أيامه فى الحكم تغيرت أخلاقه ، وانقلبت تلك الصفات الطيبة الى ضدها . وسبحان الذى يغير ولا يتغير . ويصفه ابن الأحمر بقوله : « وكان من شانه الاستخفاف بأولياء الأمور من حجاب الدولة ، والاسترسال فى الرد عليهم ، مع الاستغراق فى غمار الفتن ، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصبا .. واذا به قد ساء مشهدا وغيبا . واوسع الضمائرَ شكا وريْبا ، فمن نفس يروَّع سِربُها ، ويكدَّر بالامتحان والامتهان شرْبها . ومن ضارعة خاشعة لله سُلبت ، وطوُلبت بغير ما اكتسبت ، وتعدت الأيدى الى اقوام جلة سَعِوا بشقائه وامتحنوا وهم البرآء من تزويره واعتدائه الخ ... واطال فى وصف شراسته وحدة لسانه .

واستمر على هذه الحال وهو يثير حوله

الخصومة والبغض والاحقاد حتى تغلب عليه خصومه ، واتبوا عليه السلطان ، وفي ذات ليلة من ليالي سنة ٧٩٧ هجرية هاجمه جماعة في منزله فقتلوه وولديه وخدمته شر قتله ، امام اهله وبناته . والذي يفهم من كلام ابن الأحمر ان قتله كان بامر من السلطان ، لانه يقول : فهلك على يدي مخدومه .

وبنوه المتترى بما في ذلك من عبر الدهر اذ كان ابن زمرك هو الساعي الى مقتل استاذه ابن الخطيب ، فكان ان دارت عليه الدائرة ، وقتل مثله ، ولكن بصورة اقسى واشنع .

شعر ابن زمرك

ابن زمرك شاعر فحل من فحول الشعراء ، قوي الشعر ، صافي الديباجة ، نقي الالفاظ . وقد يتفوق في شاعريته على استاذه ابن الخطيب ، وانتاجه في الشعر ولا سيما في الموشحات اكثر من ابن الخطيب . ولكنه يقصر عنه في كثير من نواحي التفكير والانتاج . فقد ترك ابن الخطيب عددا هائلا من المؤلفات والرسائل في مواضيع متعددة .

واما ابن زمرك فلم يذكر له الذين كتبوا عنه في مجموعة من الشعر فقط . وقد رأيت على جدران قصر الحمراء كثيرا من شعر ابن زمرك مكتوبا بخط جميل نافر واضح . من ذلك الابيات التالية في وصف الحمراء : ـ

ولله مبنـــــاك الجميـــــــل فإنه
يفـــوق على حـــكم السعود المبانيا

فكم فيه للأبصــــــار من متنزَّه
تُجِدُّ به نفسُ الحـــليم الأمانيا

وتهوى النجومُ الزُّهر لو ثبتتْ به
ولم تك في أفــق الســماء جواريا

به البهو قد حــاز البهاء وقد غدا
به القصر آفـاق السـماء مباهيـــا

وكم حُلَّة جلَّلتــه بحُليِّهـــــــا
من الوشي تُنسى السابريَّ اليمانيا

وكم من قِسِيــيٍّ في ذُراه ترفَّعت
على عمد بالنــور باتت حواليـــا

فتحسبها الأفــلاك دارت قِسِيُّها
تُظِل عمود الصبح إذ لاح باديــا

سراريُّ قد جــاءت بكل غريبة
فطارت بها الأمثال تجرى سواريا

به المرمر المجلوُّ قــد شفَّ نورُه
فيجلو من الظلمـــاء ما كان داجيا

به البحــــر دفَّاعَ العُبــاب تخاله
إذا ما انبرى وفــد النسيم مباريـــا

إذا ما جلت أيدى الصَّبا صفحَ متنه
أرتنـــا دروعا أكســبتنا الأياديـــا

وراقصة في البحر طـــوع عنانهـــا
تُراجع ألحـــانَ القيان الغوانيـــا

إذا ما علت في الجو ثم تحــدَّرت
تُحلى بمُرفَض الجُمان النواحيا

وهي طويلة جدا في نحو مائة وخمسين بيتا ، منها في وصف الحمراء نحو خمسة وثلاثين بيتا . وهي من عيون الشعر في حسن السبك وجودة المعاني مع طول النفس . وكذلك بقية شعره .

ومن قصائده العامرة ، ومطالعه الظريفة قوله :

هي نفحــةُ هبَّت مـــن الأنصار
أهدتْك فتــحَ ممالك الأمصـــار

في بشرها وبشارة الدنيـــا بهـــا
مستمتعُ الأســـماع والأبصـــار

هبت على قطة الجهاد فروحت
أرجاءه بالنفحة المعطار
وسرت وأمر الله طي برودها
يهدي البرية صنع لطف الباري
مرت بأدواح المنابر فانبرت
خطباؤها مفتنة الأطيار

ومن قصائده الرائعة ، في تهنئة السلطان ببعض الاعياد ، ووصف آثار ملكه وجهاده :

يا من يحن إلى نجد وناديها
غرناطة قد ثوت نجد بواديها
قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها
عقيلة والكثيب الفرد جاليها
تقلدت بوشاح النهر وابتسمت
أزهارها وهي حلى في تراقيها
وأعين النرجس المطلول يانعة
ترقرق الطل دمعا في مآقيها
وافتر ثغر أقاح من أزاهرها
مقبلا خد ورد من نواحيها

ومنها في وصف الحمراء :

كأن حمراءها والله يكلؤها
ياقوتة فوق ذاك التاج يعليها
إن البدور لتيجان مكللة
جواهر الشهب في أبهى مجاليها
بروجها لبروج الأفق مخجلة
فشبهها في جمال لا تضاهيها
تلك القصور التي راقت مظاهرها
تهوي النجوم قصورا عن معاليها

وهي طويلة جدا .

ومن موشحاته الرائعة ، موشحته في وصف غرناطة والاشادة في محاسنها حيث يقول :

نسيم غرناطة عليل
لكنه يبرئ العليل
وروضها زهره بليل
ورشفه ينقع الغليل
سق بنجد ربا المصلى
مباكرا روضها الغمام
فجفنه كلما أشهلا
تبسم الزهر في الكمام
والروض بالحسن قد تجلى
وجرد النهر عن حسام
ودوحها ظله ظليل
يحسن في ربعه المقيل
والبرق والجو مستطيل
يلعب بالصارم الصقيل
عقيلة تاجها السبيكة
تطلب بالمرقب المنيف
كأنها فوقه مليكة
كرسيها جنة العريف
تطلع من عسجد سبيكة
شموسها كلما تطيف

وكل شعره جيد ، وموشحاته كثيرة جدا ، ولا يسمح المقام باكثر مما اوردت من شعره واخباره . ومن اراد الزيادة فعليه بازهار الرياض الجزء الثاني ، والجزء الرابع من نفح الطيب للمقري ، ففيها زيادة المستزيد . ■■

ابراهيم قطان ــ عمان

الكتب الضارة .. من يحكم عليها ؟

● لو كانت الكتب تؤكل لامكن طبعا ان نضع شيئا ما من قوانين الاغذية الصحية لها ، ونقرر مدى قابليتها للهضم ، وذلك لحماية الجمهور من المآكل غير الصحية والضارة .

وفى الادب ، الذى يحب معظم الناس ان يهضموه عقليا وليس معويا ، فان تحرى المواد الضارة امر اكثر صعوبة . ويمكن ان يساعد خبراء الأدب ، بشكل خاص ، المحلفين فى محاولة التمييز بين الغث والسمين . والمحلفون العاديون ليسوا مجهزين ومؤهلين تأهيلا كافيا للقيام بهذه المهمة فبعضهم يفضل شعر أدجار جيست (شاعر فاشل) على شعر جون كيتس ، والبعض يعتبر اجزاء من مؤلفات شكسبير فاسقة !!

نقول هذا بمناسبة منع قاضي المحكمة فى مارى لاند كتاب « مدار السرطان » لهنرى ميلر من التداول ، ورفضه أخذ رأى الادباء فيه .

انها ثقة من القاضى المبجل فى نفسه ، لا تجد لها سندا من الواقع ، لانه يحكم على أشياء لا يفقهها . (١)

جريدة « واشنطن بوست »

(١) العربى : سمحت المحاكم مؤخرا بتداول الكتاب .

ليحيى السلام

● لا فائدة من اخفاء الحقيقة التالية ، وهى ان السلام فى الجزائر لم يفرضه الشعب الفرنسى على ديغول ولكن ثمة اعتبارات اخطر واهم هى التى دعت اليه ، وهى : استحالة سحق الثورة الجزائرية ، وخطورة الوضع الدولى ، وضرورة تقوية السلطة المتداعية فى فرنسا .

ان المستقبل فى فرنسا ليس لامثال جاك سوستيل المتبجح الذى وقف فى روما قائلا :

« اذا كان على فرنسا ان تعترف باستقلال الجزائر ، فساخرج عن جنسيتى الفرنسية » .

لقد حارب سوستيل ، المفكر ، من أجل الغايات المثلى فى السابق ، كما سبق له ان ناصر حرية جواتيمالا ، ولكن ها هو الآن قد انتهى كمفكر حر وسياسى رصين ، بانحيازه الى صفوف مغلوبين الجزائر المطرودين من ساحات التاريخ الى ازقة النسيان ، يدفعه الى هذه الحماقة نفس الهيجان الذى كان يحفز اولئك المراهقين والطلبة الطائشين ـ أدوات المنظمة السرية ـ الى « البلاستيك » !! اولئك الذين رغم كونهم شبانا يافعين ، لا يعيشون فى الحاضر ، وانما يمسكون بتلابيب الماضى . هم اتباع الماضى اذن .. ولن يلحقوا بالمستقبل مهما ارتكبوا من أعمال جديدة « مجيدة » اليوم .. وغدا .. وبعد غد !!

اندريه ديلكروا فى مجلة « فرانس اوبسر فاتور » ـ باريس

نسير نحو الهاوية ولا ندرى

● الحديث فى بريطانيا كلها اليوم هو :
« هل يجب ان تنضم الى السوق الأوروبية المشتركة ام لا ؟ » والوزراء على ما يبدولا يستطيعون ان يفسروا لنا بوضوح ماذا يعنى هذا الانضمام .

اما من ناحيتي فانني كنت دائما اعارضه لأسباب عسكرية واستراتيجية .. هذه الاسباب التى غابت عن ذهن الحكومة .

وعلاوة على هذا فان ارتباطنا باوروبا سيعنى انتهاء الكومنولث ، الذى هو اكبر عامل استقرار فى المشاكل الدولية منذ الامبراطورية الرومانية .

لقد حارب جنود الكومنولث تحت قيادتي فى افريقيا واوروبا ، وضحى الكثيرون منهم بارواحهم لكي يوفروا لنا حرية التصرف والعمل ، تلك الحرية التى تنعم بها بلادنا الآن .

هل من واجبنا ان نتخلى عن اصدقائنا الذين هبوا لمساعدتنا وقت الأزمة والمحنة ؟ كلا . والف كلا .

ان الحكومة تحاول أن تحصل على أفضل ما يمكن من هذين الأمرين : ان تنضم الى السوق ، وان تحافظ فى الوقت نفسه على عدم انهيار الكومنولث .. وهذا امر غير ممكن .

لقد علمتني السنوات العشر التى عملت خلالها فى غرب اوروبا ، والتى عرفت فيها شعوب اوروبا معرفة تامة ، انه لا توجد وحدة حقيقية فى غرب أوروبا ، وان شعوب تلك المنطقة حلفاء اسما فقط ، لان الشعور الوطنى لدى كل امة متهاقوى جدا ، وليس فيها من شعب مستعد للتضحية بسيادته فى سبيل المصلحة العامة .

نحن لا نريد للاوروبيين ان يضعوا قوانينا ، بل ان يقوم بذلك برلماننا . كما لا نريد ان تتلقى قواتنا المسلحة اوامرها من أوروبا .. ربما من جنرال المانى ، هدد شعبه سلم العالم مرتين ، خلال الثمانى والاربعين سنة الماضية .

انني اويد الكومنولث وعلى راسه ملكتنا . وكثيرا ما اتساءل : ماذا دهانا ؟ نحن الشعب البريطاني العظيم ، كى نربط انفسنا بشعوب القارة الاوروبية ، ونضحى بالكومنولث ؟!

انني ادعو الى ان تمسك الأم بايدى ابنائها ، وتضمهم اليها بدلا من أن تهجرهم .

وهذا هو ما يمليه العقل والعاطفة معا .

الفيلد مارشال مونتغمرى
فى جريدة « الصنداى اكسبريس »

لماذا لا يقرأ الأبناء ؟

● ليس مصدر الشكوى فى عدد كبير من البيوت الأميركية ان الأبناء لا يعرفون القراءة ، بل مصدرها انهم لا يحبون القراءة ، لأنه لا يوجد فى كثير من هذه البيوت كتاب واحد فى متناول الطفل .. ولسبب بسيط لا يقرأ هؤلاء الأبناء شيئا لانه لا يوجد فى محيط البيت ما يشجعهم على القراءة .

لقد دلت التجربة على ان الأطفال الذين يتربون ويترعرعون فى بيوت يمكن فيها الوصول الى الكتب والمجلات بسهولة ، يكتسبون ولعا بالقراءة ، وذوقا ، وهم فى سن مبكرة ، وذلك لرؤيتهم لأفراد أسرهم الآخرين منهمكين فى القراءة ، مما يجعلهم يستنتجون ان القراءة لا بد وأن تكون وسيلة من وسائل التسلية والترويح عن النفس .

ومما لا شك فيه ان الأب الذى يرغم ابنه على القراءة ارغاما ، انما يحارب معركة خاسرة . ولو أجريت مسابقة فى القراءة لوجدت هذا الابن بعيدا عنها بعد السماء عن الارض .

عن جريدة « نيويورك هيرالد تريبون »

الشاهنامة

ملحمة الفرس الكبرى

بقلم : سنية قراعة

■ طالما مال الانسان الأول الى التخيل، اذ لم يجد فى الواقع ما يشبع نهمه الى المعرفة وحب كشف المجهول .. فأوحى اليه الخيال صورا فيها الكثير من المبالغة والمغالاة فى «البطولة» الخارقة .

الأسطورة جزء متمم لتاريخ الفكر فى الشعوب

ومن هنا وبدافع من ذلك الايحاء الفطرى القديم نشأت «الأسطورة» .. وتفنن الانسان الاول فى خلق ابطالها الخرافيين الذين لا تقف امامهم حدود ولا سدود ، ولا تستطيع قوى البشر والطبيعة والجن ان تنال منهم او تفل من عزائمهم وتوقفهم عاجزين عن بلوغ غاية مهما كانت صعوبتها ..

والأسطورة ، برغم تغاليها ومجانبتها للحقيقة تعتبر جزءا متمما لتاريخ الشعوب الفكرى ، كما أنها تمثل صورة للمجتمع الساذج الذى صدّق الأسطورة، وتركها تعيش فى ربوعه واحس أنها منه وانه منها .. وان بينه وبين ابطالها الخياليين اكثر من رباط ..

الأسطورة تحمل طابع البيئة التى تنشأ فيها

ولما كانت البيئة وما تحويه من مظاهر طبيعية وصناعية ، هى التى ترسم شخوص الأسطورة وتحركهم وتدفع بهم حيثما تريد ، مبشرين بمبادىء سامية ، أو مقاتلين فى سبيل تدعيم اغراض نبيلة ـ فان الأسطورة الفرعونية قد اتسمت بالطابع الدينى ، واليونانية تميزت بطابع السعى وراء المعرفة واللذة، مباحة وغير مباحة ، اما الفارسية فلها دائما طابع الجراة والبطولة والجرى وراء المغامرات والحروب ..

الشاهنامة اشهر الأساطير الفارسية

والأساطير الفارسية عديدة ، الا ان

● السلطان محمود يطلب إلى الفردوسي أن ينظم الشاهنامة، ثم يتنكر للشاعر فيتشرد، ثم يعفو عنه ويرسل إليه الهدايا وهو محمول إلى قبره

«الشاهنامة» هي اشهرها بلا جدال .. وهي وان تكن اقدم الأساطير الفارسية، الا انها تسجل حوادث اقدم الحقب، وتروى فى تسلسل محبّب، قصة أحب الأبطال الى قلوب الناس هناك بما حوت من مغامرات وحوادث ليس لها فى العالمين مثيل !!

و « الشاهنامة » فى مجموعها سلسلة من مفاجئات تدور حول لون من ألوان البطولة يكاد يكون واحدا، هو التمهيد للحرب، ثم الحرب، ثم الانتصار . ولو على جيوش حشدها القردة، وقادتها الجن والشياطين !!

وكما رحب الاقدمون بأبطال « الشاهنامة » وعاشوا معهم بالفكر خلال الأحقاب المتعاقبة فقد رحب بهم ايضا من جاء بعدهم، وأحبوا هذه الشخوص الفريدة التى صنعت تاريخا فى البطولة والشجاعة والجرأة، ما لا نجد له أصلا فى التاريخ الأصيل ..

ولقد كان السلطان السلجوقى « ناصر الدين محمود » من اشد الناس حبا « للشاهنامة » كاسطورة، واكثرهم اعجابا بالمشاهير من ابطالها .. الى حد جعله يامر بان تجمع اقاصيصها المتفرقة لينتظمها سفر واحد، تصدى الشاعر «الفردوسى» لنظمه وتبويبه وصياغته فى ملحمة شعرية ..

و «الشاهنامة» برغم نسبتها الى « الفردوسى» وحده دون منازع، فان الحقيقة و« الفردوسى » نفسه، يقولان بوجود شاعر كان له فضل السبق، وكان اول من ابتدا فى النظم، فسجل حوادثها الأولى الخاصة بالملك، « كستاشب » ..

اما ذلك الشاعر المجهول شريك الفردوسى فى امجاده الادبية، فهو « الدقيقى » الماجن السكير الذى كان لا يفيق لحظة من الشراب .. والذى كان يخلق المنازعات ويتطور بها الى عراك وتطاحن، حتى لقد راح ضحية حبه للصخب والمشاجرة فقتله احد العبيد !!

ومات « الدقيقى » تاركا وراءه « ثورة » من الشعر، كانت هى الأساس الذى اقام عليه « الفردوسى » ملحمته العظيمة دون ان ينكر وجود سلفه العبقرى . فاورد كل ما نظمه فى تاريخ « كستاشب » كاملا غير منقوص، معترفا لصاحبه بفضل السبق والقدرة على صياغة الحوادث ..

تنكر السلطان للفردوسى

ولما كان الملوك قوم قُلّب لا امان لهم ولا عهد فقد تنكر السلطان للفردوسى بعد ان نفذ اوامره ونظم الملحمة، فجازاه شر جزاء، ولاحقه بغضبه .. وكانت جائزته « السنية » لانهائه «الشاهنامة» ان صدر امر سلطانى بنفيه خارج البلاد !!

الفردوسى يندم على تخليد « مجوس كفرة »

ولقد ندم « الفردوسى » ولات ساعة مندم، وحز فى نفسه انه اضاع من عمره فترة طويلة قضاها فى تخليد ذكرى « مَجوسٍ كَفَرَة » ما كان له ان يمجدهم !! وغلبه الأسى والأسف لأنه لم يسلك سبيل عمل ادبى اكثر فائدة وجدوى، يوجب حمده ويكسب عن طريقه ولو ثناء الناس عليه ..

وراح « الفردوسى » بعد هذا يجرب القيام بعمل نافع يمحو بالنسبة له سيئة تمجيد فوارس « الشاهنامة » الأقدمين .. فهداه تفكيره الى ان يحاول نظم « قصص القرآن » ، وتخير بالذات قصة « يوسف وزليخا » ، فدار حول ما كان بين

● الشاهنامة مصدر القصص الشعبى الكثير الذى عرفناه

يوسف وامراة العزيز في براعة اعجازية ، ولم ينس وهو يقدم لديوانه الجديد ان ذكر ما يلي :

ندمت على ما بدرت وختمت على قلبي ولساني، فلن انطق بعد اليوم باحاديث الكذب ، ولن ابذر الاثام وقد اشتعل الراس شيبا ..

« آنئي يرّفض العقلُ مني ان اضيّع نصف حياتي لأملا العالم باسم « رستم » ؟! » .

« هذا القصَص كان كذبا صراحا .. سأقص عليك قصة ليست من روايات القدماء ، بل من كلام رب الصادقين » .

الشاهنامة قسمان

ولقد قسم الفردوسي « شاهنامته » الى قسمين، جعل اولهما في ذكر قدامي ملوك الفرس وابطالهم وحروبهم الطويلة مع جيرانهم الطوران .. واورد في الثاني عصر الاسكندر المقدوني وفتحه بلاد فارس وتاسيسه دولة رفيعة ذات اهداف سامية .. ثم العصور التي تلت زمان الاسكندر ومن جاء بعده من « الاكاسرة » والملوك ، حتى ايام الفتح العربي لبلاد فارس على يد الفاتح العربي العظيم « سعد ابن ابي وقاص » ..

والقسم الثاني من « الشاهنامة » قد تضمن حوادث تاريخية اكثرها معروف في التاريخ عن الاسكندر الاكبر ، حرّفها الفردوسي ومال بها الى المغالاة ، ونهج بها منهج الأسطورة .. واشتط به الخيال ، حتى لقد عدا على « صلب » التاريخ وحقائقه ..

ولذلك فنحن نتجاوز التعرض لهذا القسم بالذات ، لثبوته تاريخيا ومعرفة القراء له ..

وسنتناول القسم الأول ، المجهول لدى غالبيتنا بحوادثه وشخوصه وافتقاره في كثير من مناحيه الى اسانيد علمية وتاريخية ..

مغامرات رستم كانت اغزر منبع للقصص الشعبي الناجح

والقسم الأول من الملحمة ، الذي لم يكتب في الواقع الا لتخليد ذكرى بطل عظيم له شهرته بين الفرس هو « رستم بن زال بن سام » ، اصبح بعد ان تداول الناس « الشاهنامة » اغزر منبع للقصص الشعبي الناجح ، اذ جعله الرواة والقصاصون عمدتهم في خلق بطولات شعبية لها شهرتها مثل « ملاعب شيحة » و « حمزة البهلوان » و « عجيب وغريب » و « سهيم الليل » و « الزير سالم » وغيرها ..

بل ان المبالغات التي شوهت وجه التاريخ وبدلت الحقائق وردت في « القصص العامي » الذي يَروي مغامرات « عنترة » و « مهلهل بن ابي ربيعة » و « الظاهر بيبرس » و « حرب الريادة » وابطالها « ابو زيد » وفرسان هلال محاربي زناته وزغبة ـ هذا « القصص العامي » يكاد يكون صورة من مغامرات « رستم » في « الشاهنامة » وهو يهزم الجن ويحطم الحصون ويمَوت الابطال رعبا عند سماع اسمه !!

وتأثير « الشاهنامة » لم يقف عند الادب الشعبي فحسب، بل تعداه الى القصص التربوي الحديث، الذي يلقن لابنائنا في مرحلة دراستهم الاولى ، حيث يبسط لهم اساتذتهم النظريات التربوية الحديثة في قصص تدور حوادثه حول « الجن » ومغامرات الطيور والحيوان .. وما الى ذلك من مخلوقات غريبة حفلت بامثالها ملحمة الفردوسي الخالدة ..

مولد رستم

و « رستم » في الشاهنامة بطل ليس كمثله بطل في الوجود ، فهو حفيد محارب كان يستنزل العقبان من سماواتها ، اسمه « سام بن نريمان » .. ثم هو ابن محارب ترهبه الجن وتخشاه الشياطين ، هو « زال » المسمى « وستان » الذي تولت العنقاء تربيته مع صغارها حتى شب وترعرع فقام بخوارق الاعمال .. وكان ان استرده ابوه الذي كره فيه قبلا شدة بياض بشرته وشعره !!

ولقد كانت العنقاء حفية بربيبها « وستان » بارة به ، فلم تنس يوم عاد ابوه لاخذه ان تزوده ببعض ريشات من جناحيها ، اسرت اليه ان يحتفظ بها الى وقت يدلهم فيه الخطب او تنزل به نازلة وتعز عليه النجاة ، فيحرق هذه الريشات لتكون العنقاء في خدمته !!

ولقد ابى خيال « الفردوسي » الا ان يجعل من مولد بطله رستم عجيبة من العجائب ، فامه « روزابة » الجميلة ، تكاد تموت وهي تضعه .. وابوه « زال » حائر لا يدري ماذا يصنع وقد عجزت الحيل عن انقاذ زوجه الحبيبة .. حتى لقد جثم الياس الى جانب الموت بمقربة من من فراشها ، فلم يجد ـ وقد تذكر مربيته العنقاء فجاة ـ الا ان يحرق احدى ريشاتها ..

وجاءت العنقاء سريعا .. واوصته بما يجب عليه ان يعمله ، لينقذ زوجه من عسر الوضع وينقذ الطفل المرتقب ..

ولم تكد «العنقاء» تختفي وينفذ « زال » ما امرته بعمله ، حتى تمت المعجزة وولد الطفل .. وما ان راته امه الى جانبها ، حتى صاحت هاتفة فى فرح : « رستم » ومعناها « لقد نجوت » ،فكان ان اطلقوا على الطفل اسم « رستم » ، تخليدا لهذه المناسبة !!

رستم وجواده الامين

والى جانب « رستم » المحارب الذى لا يقهر ، يابى خيال « الفردوسى » الا ان يخلق شخصية اخرى ، هى جواده الامين « ارخش » .. وهو ايضا بطل اسطورى يحارب الىجانب سيدهويقتل « الجن » و« الحيات » ، ويحمل سيده عبر المخاطرات لينجيه منها ، ويتولى حراسته اذا هو نام ..

رستم فى الجاهلية والاسلام

ومغامرات « رستم » قصة عريقة فى القدم ، وملامحه وحروبه كانت ، قبل ان ينظمها الفردوسى شعرا ، من احب الاساطير الى نفر من مثقفىالعرب ايام جاهليتهم ، وخاصة من خالطوا الحضارة الفارسية ، حتى لقد اراد بعض المشركين ، وعلى راسهم ، « النضر بن الحارث » ، ان يرووها فى سوامر مكة فى زمن البعثة المحمدية ليتلهى بها العرب عن الاستماع الى النبى صلى الله عليه وسلم ..

وتوارثت الاجيال من بعد ذلك حب رستم والاعجاب به والايمان بوجوده فعلا .. الى حد ان اهل كشمير توارثوا عنه قصة « تعيث » التى تقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن ابى طالب – بعد ان ابلى بلاء عظيما فى احدى المواقع الحربية الكبيرة : « لقد قاتلت قتال رستم » !!

وان عليا ، وهو فارس المسلمين الذى لا يبارى، اراد ان يرى عيانا ذلك الفارس رستم الذىشبهه رسول الله به . واسر الى النبى بامنيته هذه ، فدعا محمد ربه ان يبعث رستم حيا ، فاستجاب الله له وجعله يلتقى بعلى صدفة فى موقعتين ، غلبه ابن ابى طالب فى كلتيهما !

ولم ينس على ان يخبر رسول الله بقصة الفارس المجهول الذى لقيه صدفة فى شعاب الجبل، وكان بينهما صدام رهيب ، فاذا بالنبى يقول لابن عمه : « ذلك كان رستم ! ولو انك احسنت لقاءه لكان موتك فى حروبك !!

والرواية ولا شك طريفة .. وظاهر انها احدى دعايات الشيعة لتعظيم فارس بنى هاشم وتفوقه حتى على رستم الذى يمجده الفرس ويعتبرونه الفارس الغلاب الذى لا يقهر !

اول القصص فى الشاهنامة

وقصة « رستم » وحوادث بطولته تبدا فى « الشاهنامة » مع مطلع عهد « كيكاوس » احد ملوك الفرس الكيانيين،الذى احب الفتح والتملك، واراد ذات مرة ان يفتح اقليم « مزندران »ويتملكه فسار اليه على راس جيوشه الظافرة ليخضعه لسلطانه .. ولكن ملك « مازندران » ابى ان يخضع، وعز عليه ان يلقى الهزيمة على يد كيكاوس واسرع يستعين بصديقه القديم « اورزنك » ملك الجن ..

وجاء « اورزنك » فى عسكره لانقاذ صاحبه .. وسرعان ما تحولت دفة الحرب الى ناحيته ، وهزم « كيكاوس » وقضى على حملته وبدد جيشه ، بل .. وافقده عينيه !! ثم اسره .

ولكن الملك الاعمى ، الحزين ، كسير القلب ، تذكر وصية قديمة اوصاه بها ابوه قبل موته ، وهى انه اذا ادلهمت عليه الخطوب وقسا الدهر، فعليه ان يستنجد بالمحارب البطل « زال » لينقذه ويفرج كربته !!

واحتال « كيكاوس » لتنفيذ وصية ابيه .. واسرع بطلب « زال العظيم » ..

ولاذ زال وبكى حزنا على صديقه القديم الذى وقع فى الاسر وفقد بصره !!

رستم يخرج لنجدة ملك الفرس

ثم نادى ابنه « رستم » وامره ان يذهب الى حيث « كيكاوس » الاسير فى « مازندران » فينقذه .. ولم ينس الاب ان يوصى ابنه الفارس بان يتجنب الطريق الطويل الموصل الى «مازندران» ويتبع الطريق القصير على ما فيه من مخاطر واهوال !!

اسد فى الطريق

وخرج رستم وحده تلبية لأمر ابيه ، ساعيا وراء المخاطرة وليس معه غير جواده «الرخش»..

وغلبه النوم فى احدى الغابات ، ولم يكد يستيقظ حتى وجد جواده الساهر الأمين ، قد قتل سبعا ضاريا حاول الاقتراب من سيده !!

وثعبان ضخم

وما ان يستأنف الفارس وجواده رحلتهما ، حتى يسد عليهما الطريق ثعبان ضخم مخيف ، فيقتله « رستم » بعد موقعة رهيبة !!

ثم ساحرة ماكرة

ويسير « رستم » بعد هذا ليجد نفسه وجواده امام ساحرة ماكرة ، تتفنن فى التزين له لتغريه وتثنيه عن هدفه فيرجع ولا يستمر فى رحلته ، فلا يجد الا ان يقتلها ليحمى نفسه من شرورها ..

وعفريت لطيف

ثم لا يكاد يتركها غريقة فى دمها حتى يجد امامه جنيا من ملوك الغابة ، وهو « عفريت » لطيف اسمه « أولاد » ، لا يقتله رستم بل يفلح فى اسره ، ويرغمه على ان يكون دليل رحلته الخطيرة ومرشده الى الطريق الذى كان يريد ان يسلكه ليصل الى كيكاوس الأسير ..

ويرشد « أولاد » سيده رستم الى كهف الجنى الرهيب « اورزنك » الذى اسر الملك ..

رستم يفك اسر الملك ويردّ عليه بصره

ويحتال « رستم » حتى يقتل الجنى بعد موقعة رهيبة يتمكن بعدها من فك اسر الملك !!

ولا يكتفى كيكاوس بانه اصبح حرا ، بل تطمعه شجاعة « رستم » فى ان يسأله ان يكون عونه على رد بصره اليه .. ويسأله رستم : كيف يرد اليه بصره ؟! فيقول له ان دواءه هو « كبد » جنى شرير اسمه « سبيذ ديو » ..

ويطيع رستم كوصية ابيه .. ويسرع ليستدل على مكان « سبيذ ديو » ويفلح فى العثور عليه والايقاع به .. ثم يعود الملك ومعه « كبد الجنى » فيرتد اليه بصره .. ويعود الملك ورستم الىالبلاد مبتهجين .

بين الشاهنامة ، والف ليلة

والقارىء ولا شك قد لمس فى العرض السابق لمغامرة رستم الأولى ، الشبه القوى بينها وبين « الف ليلة وليلة » .. وغيرها من القصص الساذج ، الذى اعتادت جداتنا سكبه فى اذاننا قبل النوم ، كمغامرات «الشاطر حسن» و«الغول» و « قمر الزمان » الذى يجتاز البحور السبعة ، ليحضر الدواء العزيز النادر لخطيبته الفاتنة « بدر البدور » !!

واحب هنا وقد اشرت لماما الى تلك المغامرات الجريئة التى قام بها رستم ، ان اذكر انها باجمعها تكاد تتكرر فى شتى فصول الملحمة .. لا على يد رستم وحده ، بل على ايدى ابطال آخرين ،يخلقهم المؤلف الناظم ساعة يغيب رستم او يخاصم الملك ويترك بلاطه راحلا الى زابلستان بلدته فى التماس الراحة !!

والفردوسى عندما يتخير لاتمام المغامرات بطلا غير رستم ، نجده يعرف جيدا كيف يختار .. فمرة « بيزن »ابن « كمعورز » زميل رستم ، ومرة اخرى « اسفنديار » ، المغامر الذى يخرج الى الصين ليؤدب خاقانها وينقذ من بين يديه اخته وينتقم منه لاختطافها ..

والفردوسى عندما يفرض وجود هذين البطلين .. لا ينسى المغامرات السابقة فيحشد فى طريقها جيوش الجن والافاعى والسحرة والساحرات !!

النساء فى الشاهنامة

و « الشاهنامة » فى سردها الطويل لامجاد رستم وحده ، او زميليه فى غيبته ، تمر مرا كريما بالنساء ، دون ان تبدى اهتماما باى امرأة ، مهما كانت مرتبتها ومركزها ، ذلك لأن النساء جميعا فى ملحمة الفردوسى كن فى نظره صورة مكررة لـ « وزابة » ، ام رستم ، او « تهمينا » ام ابنه سهراب ، او « منيزة » وغيرهن ممن كان ظهورهن فى سياق الحوادث لا يعنى غير شىء واحد ، هو الاقدام على حب البطل وللوقوع فى غرامه ،وعرض انفسهن عليه لينجب منهن الابن القوى الجميل الذى يتنبأ فى العالمين ذكره ويكون وحده سيد الأبطال !!

سهراب ، ابن رستم

وقد استطاع « الفردوسى » ان يخلق الىجانب رستم ـ فى الشخصيات التى ذكرت ، شخصية اخرى .. رقيقة حالمة فتية ، هى شخصية ولده « سهراب » .. الذى وصلت المبالغة فى شأنه حدها ، فقيل عنه انه « ملك ، عمره اسبوعان » !! اظهارا لصغر سنه وقت خروجه مع « الطوران » الذين ولد بينهم ليقوم بالمغامرات الرهيبة التى كان مقدرا ان يتعرض لها .. وقد اراد من وراء خروجه مع الجيش الذاهب الى حرب قوم ابيه، ان يلقى والده « رستم » فى الميدان .. وقد جمعهما نزال فردى ..

و « سهراب » ـ وهو فى طريقه الى الميدان حيث ينتظرهم جيش فارس العظيم ـ يتقدم على مغامرات خطيرة ، فيحطم الحصون ويرهب الاقوياء .. بل ويقامر ، ويفرط فى الشراب ، ويُحب، وتطارده العذارى .. وهو لم يتعد بعد التاسعة من عمره !!

ولا يكتفى « الفردوسى » بانتصارات سهراب التى يحققها فى مسيره مع الجيش تحت رعاية القائد الطيب « بيران ديزا » ، بل يجعل منه « فاتنا » تتبعه العذارى ويقعن فى شباك غرامه..

سهراب يلتقى فى الحرب بابيه ، رستم

ويستمر « سهراب » مع الجيش حتى يصل الى الميدان ، ويشترك فى عدة ملاحم جماعية ضد الفرس لا تشبع غروره ، ويعتبرها اصغر من ان تصل به الى ما يريد ، لا سيما وقد عرف ان « رستم » والده العظيم ، قد اعتكف لجفوة بينه وبين الملك ..

ويحتال « سهراب » لاقناع « بيزان » بوقف الحرب الجماعية ، فيتحداه علنا ، طالبا اشجع ابطال فارس لمنازلته .. وهو هنا لا يقصد الا منازلة رستم !!

ويسود الفزع صفوف الفرس لغياب رستم .. ولكنهم يحتالون لاحضاره ليرد على تحدى سهراب !!

رستم يقتل ابنه سهراب ، وهو لا يدرى

وشاء خيال الفردوسى ، بعد ان جمعت الحرب بين الأب المتنكر والابن الذى اخفى حقيقته ـ الا ان يجعل من رستم سفاحا ، يصرع الفارس الطفل ويقضى على امانيه وآمال امه فيه .. ثم يتمادى فى ماساته فيابى الا ان يختمها بفاجعة ، اذ يجعل الأب يعرف سر ولده فى الوقت الذى كان الصغير العزيز يلفظ آخر الانفاس !!

موت سهراب يخلق ملحمة جديدة

وبالرغم من ان « سهراب » قد مات وهو طفل فان حب الفرس وخاصة واضعى الأساطير والملاحم الشعبية لرستم واسرته ـ يجعل لهذا الحدث الصغير ، الذى ما تزوج ولا انجب ، ابنا بطلا اسمه « بروز » ، يقوم هو الآخر بمغامرات خطيرة ويكون بطل اسطورة ذائعة واسعة الانتشار هى « بروزو نامة » .

وواضع ملحمة « بروز نامة » كان اكثر حنانا واشفاقا من الفردوسى ، اذ جعل البطل الصغير ينشأ كما نشأ ابوه « سهراب » : مجهولا فى قوم بينهم وبين ابيه عداوة تقليدية ، ثم يخرج بعد ذلك لحرب ابيه وهو لا يعرفه ، فياسره الفرس.. وتدور حوادث ومناسبات ، يعرف الأب خلالها ولده ، فيلحقه به ، ويعيشان فى سلام !!

اسرة رستم صارت مصدرا ، لملاحم عدة

و « بروز نامة » ليست العمل الشعبى الوحيد الذى رواه الرواة عن اسرة رستم ، اذ هناك اكثر من ملحمة جمعت مفاخر ابطال هذه الأسرة وامجادهم الحربية ، واشهرها :

١ ـ جهانكير نامة « .. وهى ملحمة تعارض ملحمة « سهراب » ، يتحدث واضعها عن مغامرة من مغامرات رستم العديدة التى يتزوج خلالها احدى بنات الطوران ، فتنجب فى غيبته ابنا لا يعرفه ابوه ، وتسميه « جهانكير » .. ويخرج مع الطوران ليحارب اباه ، فيتعارفان فى الميدان .. ثم لا يلبث الولد ان يحن الى اهله وقومه من الفرس ، فيترك جانب الطوران ـ قوم امه ويعيش مع والده الفارس الشهير حياة سعيدة ، حتى يلقى حتفه على يد جنى شرير فى احدى رحلات الصيد !!

٢ ـ « فرامز نامة » .. وهو الآخر ابن لرستم ، جاء فى الشاهنامة ذكره ، ولكن ميدان امجاده لم يكن فى بلاد فارس ، بل فى بلاد الهند .. حيث يقوم فى بلاط ملكها بالدور الذى يقوم به أبوه فى بلاط كيكاوس !!

٣ ـ بانكوشاسب نامة ـ بنت رستم .. ولها مغامرات وحروب هي الأخرى لا تقل شأنا عن الرجال .

٤ ـ « سام نامة » وهي ملحمة تذكر أمجاد «سام» العظيم جد رستم !!

اضطراب في السرد لناظم الشاهنامة

وظهور رستم مرة ، ثم اختفاؤه ليظهر مكانه بطل جديد مثل كستاشب أو غيره ، قد سبب اضطرابا في السرد لناظم الشاهنامة ، حتى لنراه اخيرا ـ وقد طالت الملحمة وتشعبت حوادثهـا وتكررت ـ يحاول التخلص من رستم نفسه ، بعد ان ابعد عن طريقه منافسيه وغرماءه امثـال « اسفنديار » وغيره فيحيك له خيوط مؤامرة يشترك فيها اخوه الذي يخونه ويبيعه للاعداء فيقع مع « الرخش » ـ جواده الاصيل ، في حفرة مليئة بالاسلحة فيقضى عليه وعلى جواده ..ولكن ليس قبل ان يقتل رستم شقيقه الخائن !!

ويابى خيال مؤرخي العرب بعد هذا كله ،وبعد اربعة الاف عام من حياة رستم ومغامراته وحروبه ـ الا ان يبعث هذا الفارس مرة اخرى ، أثناء حروب الفتح الاسلامي .. فنرى حتى في الكتب التي تدرس في المدارس ـ ان رستم القائد الفارسي الشهير ، وقف في الميدان امام سعد بن أبي وقاص في موقعة « نهاوند » !!

ولست ادرى لم نسي الناظم « رستم »وبطولته ايام فتح الاسكندر لبلاد فارس ، فلم يخرج به من عزلته لصد الفاتح المقدوني ، وجعله فقط لصد العرب !!

الفردوسي يعود الى وطنه بعد سنين ، محطما

ويبقى بعد ان ذكرنا من « الشاهنامـة » الشيء الكثير ، ان نعود الى الفردوسي ـ ناظمهـا التعس ، الذي ترك البلاد للسلطان محمود ، بعد ان جحد فضله وانكر مجهوده . وراح يطوف في البلدان متنكرا يهجوه ويحاربه بسلاح الشـعر ، الذي انتشر انتشارا كبيرا بين شتى الطبقات ..

ومرت السنون بالجوال الشريد ، وحن الى وطنه فعاد اليه محطما ، مشرفا على الموت !!

صحا ضمير السلطان ، وكان الفردوسي جثة محمولة الى القبر

وصحا ضمير السلطان وانبه ، وجعله يقدم على مكافاة الرجل الذي خدمه باخلاص ، فارسل اليه في موطنه القصي هداياه وذهبه ..

ولكن .. ساعة وصلت عطايا السلطان دار الفردوسي ، كان الفردوسي جثة محمولة الى قبر!!

هدية السلطان تاباها ابنة الفردوسي ، وتقبلها اخته

وابت ابنة الشاعر الثائر أن تقبل هديـة السلطان ، وقبلتها اخته ، واقامت بها بستانا..

ولكن هل قضى الموت على كراهيـة الناس للفردوسي ؟!

بين أبي القاسم الجرجاني والشاعر الكبير

لا .. لقد ابى الشيخ ابو القاسم الجرجاني ان يصلي على جثمان الشاعر الكبير ، واعتبره زنديقا ملحدا .. قضى عمره في تمجيد عبدة النار!!

واصر الجرجاني على عناده ، فابى ان يدفن الفردوسي في مقابر المسلمين ، فدفنته اخته في البستان الذي اقامته بمال السلطان الذي اراد أن يصل به اخاها ..

وبدا الناس على عادتهم ينسون شخصيـة الفردوسي ، وان احبوا شعره ورددوه ، الى ان حدث ذات ليلة ان راى الجرجاني في نومه ، انه دخل الجنة .. وجعل يطوف بها حتى وقـف امام قصر عظيم بداخله سرير من الياقوت اعجبه، فسال عن القصر وصاحبه ، فاخبروه ان القصر والسرير للفردوسي !!

وظهر الفردوسي للجرجاني الذي اضطهده دون سبب ، وقد علته ثياب من سندس ، ووضع على راسه تاجا اخضر .. فعجب له الجرجاني وساله عن السر في نيله هذه الدرجة الرفيعة ، وهـو الذي اتهم بالالحاد والزندقة ؟!

فقال له الفردوسي :

ان السر كان في « بيتين » في توحيد الله نظمتهما في « الشاهنامة » فبلغا بي هذا المكان !!

ولما أصبح الصبح ، صارح الجرجاني الناس برؤياه ، وذهب الى قبر الفردوسي ، وصلى عليه!!

■■

سنية قراءة

اللغة العربية تنتصر على الإنجليزية والإيطالية

احتلت اللغة العربية مكانا بارزا فى مدارس الجمهورية الصومالية . حتى اصبحت اجبارية فى المدارس الاولية .. وهذه احدى التلميذات تكتب بالعربية على السبورة ، وخلفها أحد الأساتذة الصوماليين .

■ مساكين طلبة الصومال ..

انهم يعيشون فى دوامة لا قرار لها اصلا ..

ان وحدة اراضيهم التى تمت بعد تمزيق واستعمار داما عشرات السنين ، قد خلفت لهم تركات ومتاعب تفوق الحصر ..

لم تحصل بلادهم على استقلالها فقط ، بل تمت وحدة شاملة بين الصوماليين الايطالى والبريطانى لتكون الجمهورية الصومالية المستقلة ..

٤ لغات

واهم مشاكل تجابهها هذه الجمهورية الفتية هى مشاكل التعليم .. وتأتى فى مقدمتها مشكلة

اللغة نفسها واللغة الصومالية هي لغة تخاطب فقط لم تكتب حتى الان .. واللغة الايطالية هى اللغة الرسمية لدواوين الحكومة والمدارس فى الجزء الجنوبى من الصومال (الصومال الايطالى سابقا)

واللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية لدواوين الحكومة والمدارس فى الجزء الشمالى من الصومال (الصومال البريطانى سابقا)

اللغة العربية : لغة دين أهل البلاد التى كتب بها القرآن الكريم ، ولكنها ليست اللغة الرسمية.
اربع لغات كل منها يحاول الغلبة على الاخر ليصبح لغة البلاد الرسمية السائدة ..

قصة اللغة الصومالية

ووسط هذا الصراع ، الدائر بين انصار كل لغة ، يقف الطالب الصومالى حائرا وسط موائد

المستقبل للصناعة .. طالب صومالى فى المدرسة الصناعية بمقدشو يتدرب على استعمال مكنة خراطة حديثة ..

حديقة فندق الكروشوديل سود فى مقدشو حيث يجتمع كل مساء ابناء البلاد حول فناجين القهوة السوداء فيشتد الجدل ويعلو النقاش ..

وفى ركن منزو من حديقة هذا الفندق جلسنا نستمع الى احد كبار المسئولين عن التعليم وهو يروى لنا قصة مشكلة اللغة الصومالية ، وقال :

ـ ان لغتنا الصومالية لغة حية جدا ، فيها الاداب الراقية والاشعار والاغانى والامثال الا انها غير مكتوبة .. لانه ليس لدينا ابجدية متفق عليها لكتابتها ولا يمكننا أن نستاصلها بأي حال لأنها لغة الاباء والاجداد، ولكننا نسعى بكل جهدنا لايجاد انسب الاحرف لكتابتها ..

وتحقيقا لهذا الفرض تم تاليف لجنة من ثمانية أعضاء ، اختيروا من الصوماليين الذين يجيدون لغة بلادهم ويهتمون بها ، كل منهم يمثل هيئة ادبية مختلفة ، لها رأى خاص فى كتابة اللغة الصومالية.
فبعضها يقترح الاحرف اللاتينية ، وبعضها يفضل الحروف العربية ، وبعضها يحبذ الحروف العثمانية نسبة الى مؤلفها عثمان كنديد .

وفى غرفة عازلة للصوت مغطاة جدرانها بلوحات سوداء كانت الكلمات تكتب وتطرح للمناقشة التى كانت صاخبة حامية مرهقة ، ولكن الهدف الهام الذى سيقرر مصير الكتابة للاجيال القادمة فى الصومال ، كان يخفف من حدة التوتر .

محاولات فاشلة

لقد حاول الانجليز كتابتها بالحروف اللاتينية فالفوا عدة كتب فى النحو .

وحاول الايطاليون بدورهم فالفوا الكتب وفتحوا المدارس وعقدوا الاجتماعات ، واصدروا القرارات التى تؤيد استعمال الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة الصومالية .. ولكن كل هذا لم يُجد ..

اما الحروف العربية فقد حاول المستشرق كنج منذ ٦٤ سنة كتابة الصومالية بالعربية ولكنه فشل . ثم حاول البطل الصومالى محمد عبد الله حسن المسمى بالملا ، والذى حارب الانجليز والطليان والاحباش مدة ٢١ عاما ، حاول كتابتها بالعربية . ولكنه لم ينجح .. وحاول بعض الصوماليين كتابتها بالعربية واستمرت التجربة ١٠ سنوات ثم فشلت ..

لقد ظهر لهم ان السبب الاساسى يكمن فى عدد احرف العلة التى لا تزيد عن ثلاثة حروف فى اللغة

شقت المرأة الصومالية طريقها بخطوات جبارة ، فبعد ان كانت تعتبر كمية مهملة اصبحت اليوم بفضل تعليمها تحتل وظائف ومراكز حساسة في الجمهورية الصومالية الفتية .. وهؤلاء خمس طالبات من معهد المعلمين والمعلمات الذي القى على عاتق طلبته عبء تعليم الجيل الجديد من ابناء الصومال وتثقيفه

العربية ، بينما يجب ان تكون عشرة على الاقل لتستوعب النطق الصومالي .. وفعلا ادخلوا تسعة حروف جديدة على الابجدية العربية ولكن بدون نجاح كبير .. فصعوبة النطق لا يحلها عندهم الا التشكيل . فالتشكيل جزء لا يتجزء من طبيعة الكتابة العربية .

ومن الامثلة على الصعوبات التي تواجهها الكتابة بالعربية كلمة « عل » التي لها هذه المعاني :

عَ ل ومعناها هضبة عالية

عُ ل تنظيف الغسيل

أَ ل عدو

ان على مجامع الدول العربية ان تدلي برأيها في هذا الموضوع وتعمل على حل المشاكل اذا اريد ان تكون الابجدية العربية هي ابجدية اللغة الصومالية . .

ان الصومالي مسلم شافعي متمسك بدينه يعلم ابنه القرآن باللغة العربية فمما لا شك فيه ان تعلمه الابجدية العربية في دروس الدين الاولية سيسهل عليه متابعة دروسه بنفس الاحرف في المستقبل باللغة الصومالية ..

مستحيل ..

اما كتابة الصومالية بحروف جديدة مثل الحروف التي استعملها عثمان كنديد التي هي مزج الابجدية العربية واللاتينية والاثيوبية فهذه تسبب متاعب جمة لا يمكن ان تتمشى مع عصرنا الحاضرة .. لانها سوف تصبح مثل الهيروغلوفية تماما .

رأي ابن البلد

ان ابن البلد في الصومال كان له رأيه في هذا

بدأ تعليم الفتاة الصومالية منذ عشر سنوات فقط .. والدراسة مشتركة في جميع المراحل ..
(الصورة السفلى) ولكن عندما يتوفر عدد كاف من الطالبات او الطلبة فانه يفتح لهم فصل خاص بهم .

الى اعلى : مدرسة ايطالية تقوم بتدريس فصل مشترك فى المعهد الجامعى بمقدشو ،

والى اسفل : اساتذة الغد الذين تعتمد عليهم الصومال خارجين من معهد المدرسين والمدرسات ..

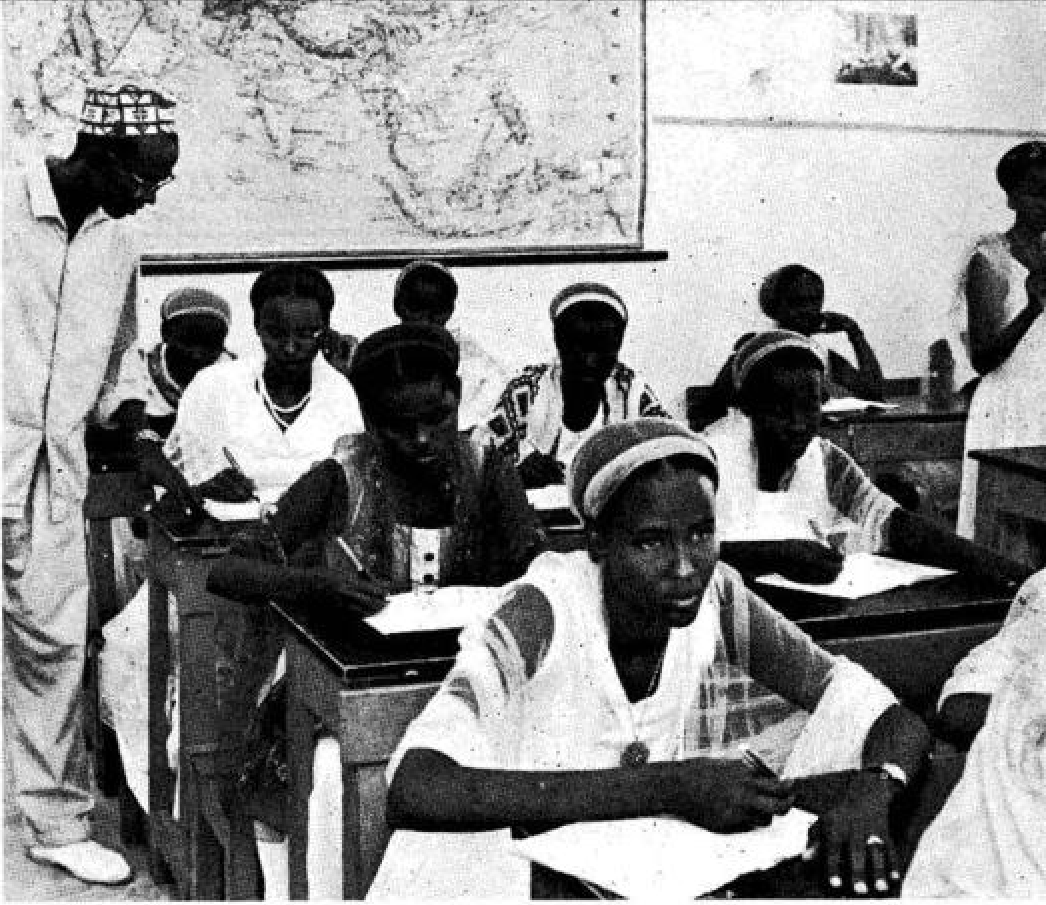

بدأ تعليم الفتاة فى الصومال منذ عشر سنوات وقد اقبلت الفتيات على التعليم اقبالا زائدا .. واصبحت المرأة الصومالية اليوم متمتعة بكامل حقوقها السياسية تنتخب وتصوت وترشح نفسها للانتخاب
لا يشترط التعليم سنا معينة للقبول .. فان الذين فاتهم الدور يستطيعون الجلوس على نفس المقاعد التى يجلس عليها الصغار .. كما ترى فى هذه الصورة

الموضوع .. ان الاغلبية تؤيد كتابة اللغة العربية ولكن صعوبة تطبيقها على اللهجة تقف حجر عثرة لم يستطع ان يتغلب عليها احد حتى اليوم .. او الكتابة بالاحرف اللاتينية فهو لا يتقبلها بسهولة ، حتى لوكانت لصالحه ، لانها فى اعتقاده لغة المستعمر .. وكتابتها بلغة جديدة لا يوافق عليها احد .

آخر خبر

على انه بعد سرد هذا كله فيما يختص باللغة ، علمنا ان الصومال قررت اخيرا ، ان تكون لغة البلاد الاولى الرسمية هى اللغة العربية ، وان تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الثانية ..

ولا شك انه سوف تبقى اللغة الصومالية لغة التخاطب الى جانب اللغة العربية . وقد تكتب فى المستقبل فيكون للصومال لغتان : لغة وطنية : تربط اهل البلاد بتاريخهم وعاداتهم ، ولغة عربية . تربطهم بدينهم وبالبلاد العربية القريبة التى منها استمد الصومال جانبا غير قليل من اصوله الانسانية .

ويبقى بعد ذلك ان نقول اللغة الصومالية ليست غريبة كل الغرابة عن اللغة العربية ففيها من العربية وشائج كثيرة ..

الاطفال يتعلمون فى الدكسى !

والى ان ينتهى اعضاء مجلس وزراء الصومال

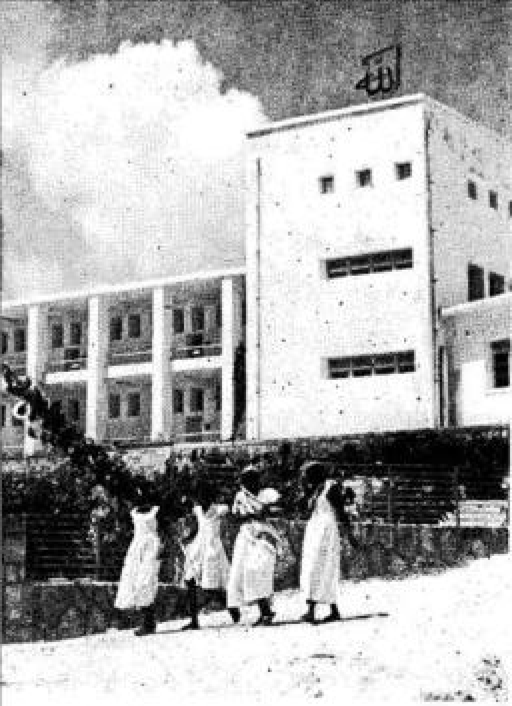

مدرسة المؤتمر الاسلامى : افخم المدارس واكبرها فى الصومال .

★★★

استاذ صومالى ، يراجع جريدة الحائط فى مدرسة الكاردينال مسابا ، بعد ان انتهى الطلبة من اعدادها .

الى قرار موحد بخصوص لغة البلاد ، فان التعليم يجرى حاليا فى مدارس الصومال بلغات ثلاث الايطالية والانجليزية والعربية الى جانب اللغة الصومالية التى يتحدث ويتكلم بها الطلبة فيما بينهم !

ويقدر مجموع عدد المدارس فى الجمهورية الصومالية بحوالى ٢٠٠ مدرسة ، تضم نحو ٢٠ الف طالب . ولا توجد احصائيات دقيقة .

والمرحلة الاولى التى يبدأ فيها التعليم هى الابتدائى، فمدارس الحضانة والروضات تنحصر فى الوف الكتاتيب ، التى يسمونها « دوكسى » حيث يحفظ الاطفال القرآن الكريم ويتعلمون المبادىء الاولية للغة العربية .

ثلاثة انواع !

وتنقسم مدارس الصومال الى ثلاثة اقسام : مدارس حكومية ومدارس خاصة لا يقل عددها عن ١٢ مدرسة ، ومدارس اخرى انشأتها الجمهورية العربية المتحدة هناك وعددها ١٤ مدرسة اعدادية وثانوية وبها اساتذة من مصر . فضلا عن ان هناك ١٠٧ مدرسا مصريا يقومون بالتدريس فى المدارس الحكومية ويتقاضون مرتباتهم من حكومة الجمهورية العربية المتحدة . والى جانب هذا توجد المدارس الايطالية الخاصة .

وتعتبر مدرسة المؤتمر الاسلامى افخر مدارس الصومال واكبرها .

(انظر الصورة ص)

والتعليم فى الاقليم الجنوبى (الصومال الايطالى سابقا) مجانى ومشترك فى جميع مراحله . بينما نجد الطالب فى الاقليم الشمالى (الصومال البريطانى سابقا) يدفع اربعة جنيهات سنويا ..

مشاكل بالجملة

يقول مدير معارف الصومال : « ان المشاكل التى تواجهنا عديدة ، وفى مقدمتها مشكلة المدرسين، وتاليف الكتب المناسبة لبيئتنا ، ثم المبانى الحديثة اللازمة للمدارس .. كل هذا يتطلب منا مجهودات جبارة رغم قلة امكانياتنا ..

« ان الاتصال وثيق بيننا وبين القاهرة والخرطوم وعدن اللواتى يقدمن لنا الكثير من المساعدات »

« يجب ان يفهم العالم العربى ان ٨٥٪ من سكان الجمهورية الصومالية من الاميين ، والسبب

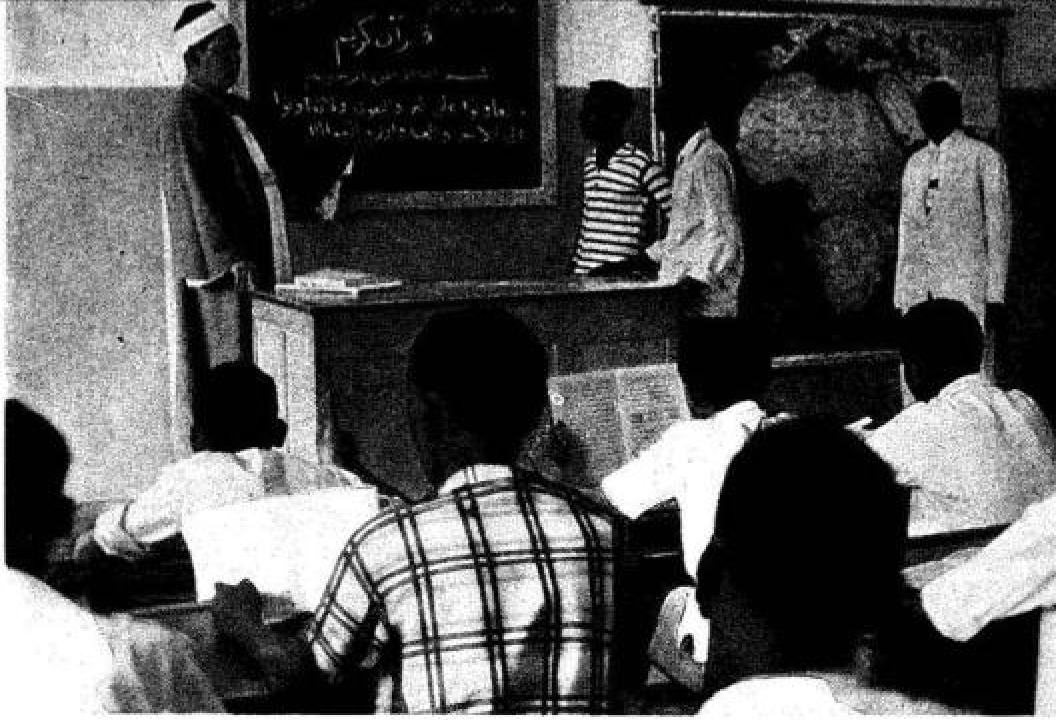

أساتذة من الأزهر يقومون بالتدريس لتلامذة معهد الدراسات الاسلامية بمقديشو ، والى أسفل طلبة مدرسة « كردينال مسايا » اثناء الاستراحة .

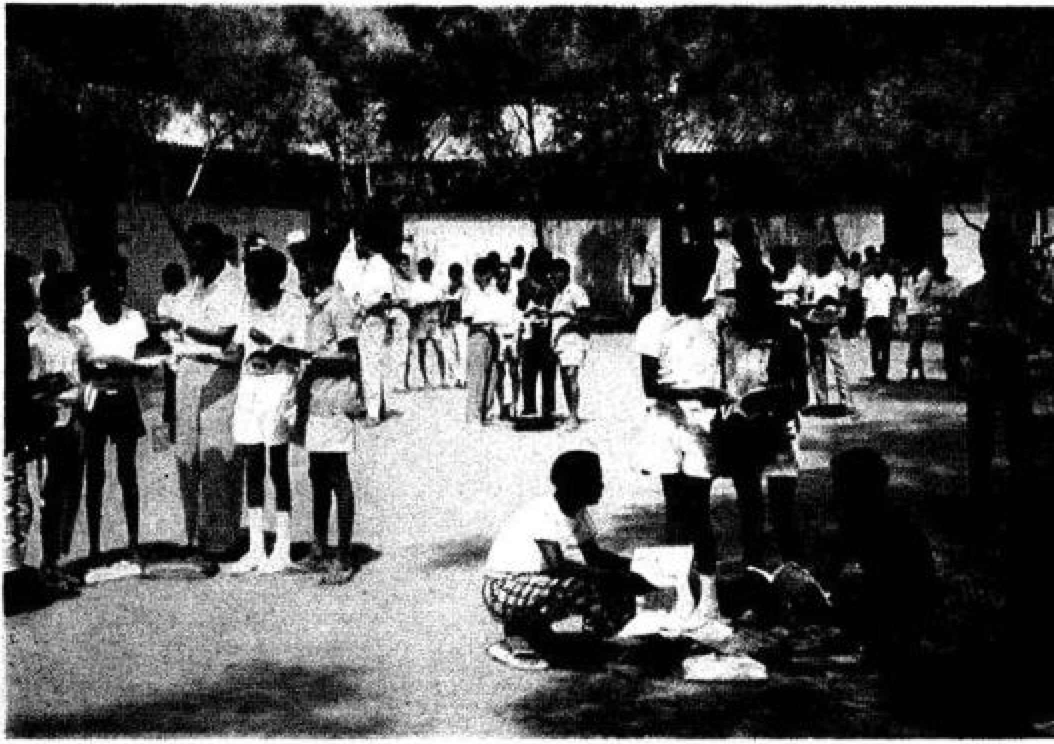

ان العرب قد اهملوا هذا الجزء ونسوه تماما ، وقد آن الاوان ليتذكروه من جديد ويعيدوا له مجده التليد .. لقد ظلت مدينة – هور – الصومالية عاصمة المسلمين لمدة ٧٠٠ سنة حتى عام ١٨٨٤ »

المستجير من الرمضاء ..

« ان التركة التى ورثناها من الاستعمار الطويل للبلاد ، كانت تحمل ارقاما ظاهرها حسن" ، وباطنها سيء قبيح . لقد اكثر الاستعمار الايطالى من عدد المدارس الاولية ، حتى اصبح الطفل الصغير يجهل العربية ويجيد الحديث بالايطالية اجادة تامة . ولكن اين يذهب بعد ان يكبر ؟ لا مكان له الا الشارع ، لعدم وجود مدارس عالية للتعليم .. هذا ما ورثناه فى الجنوب .. وفى الشمال كنا احسن حالا ، ولو ان الفرق بين المستعمرين كالمستجير من الرمضاء بالنار . فان تعليمنا كان يتم وفقا للمنهج السوداني فى التعليم .. » .

« اننا اليوم نحاول توحيد ودمج طريقتيالتعليم الايطالية والانجليزية فى طريقة واحدة .. ولابد لكم من ان تزوروا مدارسنا لتروا الجهد الذى نبذله لخلق جيل جديد من ابناء الصومال »

اصول الفقه والتفسير

وكان اولى هذه المدارس التى زرناها هو معهد الدراسات الاسلامية الذى تاسس عام ١٩٥٣ بناء على الحاح وطلب الاهالى ، وكان مبناه فى السابق مخزنا لحفظ الحبوب . ويدرس فيه الطالب مدة اربع سنوات على يد مشايخ مصريين من مبعوثى الجامعة الازهرية ، ومعهم مدرسون ايطاليون ، يتخرج بعدها ليصبح مدرسا للغة العربية والدين فى مدارس الصومال .. ويتعلم فيه الطلاب ، وعددهم ٢٥٠ طالبا مختلف العلوم واللغات مثل : النحو والصرف ، والقرآن الكريم ، والاملاء ، والخط ، واصول الفقه ، والتفسير كل هذا باللغة العربية .. اما الجغرافيا ، والتاريخ ، والحساب ، والهندسة ، فتتم باللغة الايطالية .. كما يدرس الطالب الانجليزية كلغة .. والتعليم فى المعهد على مرحلتين ، مرحلة صباحية واخرى مسائية ، للتخصص .

مدارس مهنية

ومن معهد الدراسات اتجهنا الى المدرسة الصناعية ، التى فتحت ابوابها عام ٥٢ وتضم اليوم ٢٧٠ طالبا يقضون ٣ سنوات يتعلمون خلالها ثلاث لغات ومهنة من هذه المهن : التجارة او الحدادة او البناء ، او الكهرباء . ان المدرسة الصناعية هى واحدة من المعاهد المهنية فى مقدشو حيث توجد مدرسة الصيد والملاحة ومدرسة للزراعة ومدرسة للتدبير المنزلى للفتيات ..

نواة للجامعة ..

وفى المعهد الجامعى ، وهو المعهد الوحيد الذى به دراسات عليا فى الصومال ، يحصل الطالب فى نهاية دراسته على الشهادة الثانوية العلمية ، التى تعادل الـ G. C. E. اى الثقافة العامة فى جامعة لندن ..

عدد طلبة الثانوى كان سبعة طلبة فقط عام ١٩٥٣ ، اما اليوم فقد اصبحوا ١٩١ طالبا و ٩ طالبات يتلقون العلم معا ..

ان هذه المدرسة الثانوية العالية التى يقضى فيها الطالب ٤ سنوات بعد حصوله على الشهادة المتوسطة التى تعادل الاعدادية ، هى نواة لجامعة المستقبل فى الصومال .. ان عدد طلبتها ١٩١ و ٩ طالبات يتلقين العلم معا على نفس المقاعد ..

منح دراسية

والى جانب التعليم فى البلاد ..

تتخاطف الدول الكبرى ابناء الصومال وتغريهم بمنح دراسية مجانية لتكملة علومهم فى معاهدها العليا . وتشترك فى هذه العملية كل من : امريكا ، وانجلترا وايطاليا ، وفرنسا والجمهورية العربية المتحدة وروسيا ، حتى وصل عدد الطلبة الصوماليين الذين يتلقون علومهم فى الخارج الى نحو ٦٠٠ طالب !

ادع لهم .

ان المشكلة الكبرى فى الصومال هى ان اهل البلاد يحبون التعليم .. ولكن كيف السبيل الى تعليمهم ؟ هنا تكمن العقدة المستعصية التى يحاول المسئولون فى الصومال ان يجدوا لها حلا ..

وادع لهم معى .. ■■

حارة العفاريت

قصة بقلم
الدكتور حسين مؤنس

■ كنت فى تلك الايام معلما فى مدرسة ابتدائية.

كنت واحدا من هذه الالوف التى تمر اعمارها وكانها ظلال تتلاشى ، كنت واحدا من اولئك الجنود المجهولين الذين يعيشون عمرهم كله بين الطباشير والكراسات والامتحانات واجراس الدخول والخروج ، تمر الاجيال بين ايديهم وكانها جحافل جيش الحياة ، ثم تتفرق بافرادها سبل العيش ، ولا يعودون يذكرون المعلم الذى شقى معهم الا كما يذكر الانسان حلما بعيدا طاف بنومه ذات ليلة شتاء طويل ..

كنت واحدا من اولئك الذين رثاهم شوقى بقوله : كاد المعلم ان يكون رسولا ، وكان اولى به ان يقول : كاد المعلم ان يكون قتيلا ..

لا يهمك ان تعرف اسمى ، فهو ـ على الحقيقة ـ ليس اسم علم ، بل مجرد رقم ، رقم فى واحد من هذه التلال من الاضابير الساجية فى غرف مظلمة تزحف الرطوبة على جدرانها فى قبو وزارة المدرسين، التربية والتعليم اقصد ، ولو شاء لك القدر ان تدخل ذلك القبو لتبحث فيه عن شىء لتصورت نفسك وكانك واحد من اولئك الاثريين الذين يفضون اختام القرون ليقلقوا راحة الفراعين الذين استسلموا لسكون الابد منذ آلاف السنين ..

كنت اعمل اذ ذاك فى مدرسة ابتدائية فى القاهرة بعد خمس سنوات من العمل فى مدارس الارياف ، من دشنا الى ابى المطامير . واحبوا مكافاتى فنقلونى الى القاهرة ، فكانهم نقلونى من طابق من طوابق جهنم الى طابق آخر منها . كنت اشكو الملل والضياع ، فوجدت نفسى اشكو الفقر والافلاس منذ اليوم الثالث من كل شهر ، وماذا تبلغ ـ اعزك الله ! ـ سبعة عشر جنيها وبضعة مليمات فى عاصمة كبرى لا يتنفس الناس فيها الا باجر ؟ ولم يتحسن حالى الا عندما هدانى الله الى حجرتين صغيرتين فى دار كبيرة كانها خان كبير من تلك التى يحدثنا عنها ابن بطوطة فى رحلاته فى

زقاق يتفرع عن حارة متفرعة عن حارة تصب فى شارع محمد على قرب باب الخلق .

واستميحك العذر اذا ضربت صفحا عن اسم الزقاق ، فان للحياء حدودا ، وقد زال الزقاق اليوم وزالت الحارة الجوانية كذلك ، وحل محلهما شارع حديث جميل تقوم على جانبيه العمائر ، اكتسحتهما هذه القاهرة الناهضة النامية كما تكتسح السيول الركام المتجمعة فى بطون الوديان .

كانت الغرفتان جناحا مستقلا تابعا لهذا الربع الرهيب الذى يشبه فناؤه محطة سكة حديد لا يسكن الصخب فيه الا ساعات معدودة من الليل ، فقد كانت تسكن الربع اسرة واحدة هى اشبه بالقبيلة ذات العشائر والبطون والافخاذ ، اجداد وجدات وآباء وامهات وبنون وبنات يحتاجون الى نسّابة ماهر لكى يرسم شجرة نسبهم الزكية .

وكان يقوم على راس هذه القبيلة شيخ مهيب طويل عريض يملك وكالة كبيرة من الحمزاوى يبيع فيها كل شىء من الصوف الانجليزى والسكروتة اليابانية ، الى الزنجيل واللفات والزيت والصابون والدخان والسجائر الامريكية : دكاكين بعضها الى جوار بعض ، يقوم بالعمل فيها الآباء والابناء والحفدة والاتباع . وفى مدخل الوكالة ، فى دكان الى اليمين يجلس الحاج قاسم خلف مكتب صغير اظن انه الوحيد من نوعه فى التاريخ ، فهو اشبه بطبلية مستطيلة ، ادراجه مخصصة للنقود من كل فئة ، من الورقات ذات المآذن الخضراء الى الملاليم الحمراء ، والحاج يفتح الادراج ويقفل ، يقبض ويدفع ، يحاسب ويراقب ، وعينه كعين الصقر ترى كل شىء . وهو فى اثناء ذلك يتحدث

الى نفر من اصحابه وعملائه ، يصغى اليهم بنصف اذن ، ويتحدث اليهم بنصف لسان ، لان عقله كله منصرف الى الداخلين والخارجين ، والى هذه الادراج التي لا يزال يفتحها ويقفلها من الصباح الى المساء ..

وكان الحاج قاسم قد اذن لي سكنى ذلك الجناح مقابل جنيه في الشهر ، واشترط عليّ ان اعطى « درسين ثلاثة للاولاده» ، ففوجئت عقب استقراري في البيت بان اولئك الاولاد نحو ثلاثين من كل عمر ، بنين وبنات ، وان التدريس لهم يقتضى « ثلاثين او اربعين » ساعة في اليوم ، فعرضت عليه الامر ، او بتعبير آخر عرضت عليه الاستقالة من السكنى في القصر المنيف ، ولكنه رفض الاستقالة ، كأنه رئيس حكومة يرفض استقالة كبير وزرائه ويكلفه بالبقاء في الكرسي حتى يستطيع تأليف وزارة اخرى ، وبقيت في سكنى ، ومرت الايام ، وصرفنا النظر عن امر الدروس .

ومع الايام اعتدت ضجيج هذا البيت حتى اصبح وكأنه لون من الوان التسلية . كان لي مكتب متواضع يقوم الى جوار النافذة ووجهه الى الحائط كأنه مذنب وكنت اجلس اليه ووجهي الى الحائط كأنني مذنب ايضا ، والى يميني كوم هائل من الكراسات ، ويدى تمتد في حركة آلية فتأخذ كراسا وتفتحه ، ويمضى القلم الاحمر يصحح من تلقاء نفسه ، وذهني مشغول بمائة مشكلة ومشكلة ، ولكن التصحيح مستمر ، والخطوط والدوائر الحمراء ترتسم تحت الاخطاء وحولها ، ثم يوضع الرقم تحيط به دائرة حمراء يذيلها امضائي الكريم ، ثم ينتقل الكراس الى اليسار ، وتمتد اليد فتأتي بالذى يليه ، هكذا ساعات متوالية ، وكلما تعب ظهري نظرت فاذا صف الكراسات كما هو لا ينقص ، او يخيل اليّ ذلك ، فقد كانت كثيرة جدا ، وما اخذت واحدا منها الا ذكرت قول الله تعالى : «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » .

وكانت تسليتي اذا ثقل عليّ هذا العذاب ، ان انهض الى النافذة فانظر الى هذا الستركُ الطويل الذى يجرى في الفناء في برنامج لا ينتهى ، وقد كنت احاذر النظر من النافذة اول الامر مراعاة لقواعد الستر والحياء ، ولكنى اصبحت مع الزمن فردا من افراد القبيلة ، واطمأنوا لي جميعا ، رجالا ونساء ، وكان الحاج قاسم يوصيهم بالعطف

« طفل حديث الولادة .. وضعه اولاد الحرام على عتبة بيتنا .. مصيبة وحلت بنا ! »

علىَّ ، ويجد فى ذلك لونا من الوان البر بالمساكين. وكان يأنس الىَّ ويثق فىَّ ، وما من مرة عاد من عمله ورأى النور فى نافذتى الا دخل عندى وجلس على الاريكة الوحيدة عندى وقال : ما هى الاخبار يا استاذ ؟ .. اخبار الجرائد يقصد ، فقد كان اختصاصى ، فى نظام دولته الواسع ، قراءة الصحف وتقديم ملخص لما اقرأ كل مساء ، وتأتيه القهوة فى غرفتى ، وينعس وانا اتحدث ، ثم يفيق ويكمل شرب القهوة ، وينهض وهو يقول : جرائد هذه الايام لا تستحق ثمنها .. انها لا تنشر اخبارا ..

وكان القدر يتيح لى فرصة الراحة من ضجيج الربع مرة على الاقل فى العام ، فاقضى بضعة ايام فى سكون وسلام ..

ذلك انه كانت للحاج قاسم ابنة متزوجة فى دمنهور ، وكانت هذه الكريمة العزيزة تلد مرة كل عام بانتظام تام كأنها ساعة ، ولم تخالف هذه القاعدة الا مرة واحدة ، فقد ولدت فى عام واحد مرتين ، مرة فى اوله ، ومرة فى آخره ، فسعدنا بالراحة مرتين ..

وكانت اذا جاء خبر ولادتها انتقلت نساء الاسرة واطفالها جميعا الى دمنهور : رتل من السيارات يصطف بطول الحارة الكبيرة ، اوله يطل على شارع محمد على وآخره عند اول الحارة الصغيرة ، ثم يخرج الحريم الهائل،كل واحدةتجر وراءها قطعا من الغلمان والبنات ، وقد حملت هى قفة وبقجة ، وحمل كل من المحروسين والمحروسات قفة وبقجة ، ويقوم سائقو التكسيات بعملية رص « تستيف » و « شحن » حتى تمتلا السيارات وترتفع فرقها القفف واللفات ، ويشتد الضجيج كأنه ركب حجاج صادر الى الاراضى المقدسة ، وترتفع الزغاريد ، وتتحرك السيارات ، ويخيم سكون وسلام ...

وفى مرة من هذه ، بدأت هذه القصة . كان البيت كله قد سكن ولم يبق فيه ـ سواى ـ الا الحاج قاسم وثلاثة من اولاده ، اولهم خليفته وولى عهده سليمان ، وكان رجلا فحلا منبسط الطول والعرض كأنه قارة ، عمله الاصيل فى هذه الدنيا هو ان ينام ، وقد اتقن النوم الى درجة جعلت منه فنانا بحق فى هذا الباب ، فهو ينام مضطجعا وجالسا وواقفا وسائرا ، وينام فى البيت وفى الوكالة وفى المقهى ، ولو ان هناك مباراة دولية فى النعاس لفاز بكأسها دون منازع ..

واما الاثنان الآخران فصهران من اصهار الحاج. وكلاهما ضعيف نحيل مسكين ، كأنهما اسيران وقعا فى يد هذه القبيلة ، فزوجتهما اثنتين من اقل نساء الدنيا حظا من الجمال ، واوفرهن حظا من الشحم واللحم ، فهما تزنان معا شيئا يقرب من نصف طن ، وهذا ـ فيما اتصور ـ من اكبر اسباب الهزال المفرط للزوجين التعيسين ...

وبقيت معنا كذلك امرأة واحدة ، هى ام رجب الخادم الوحيدة لهذا الجيش العرمرم : امرأة ودعت الستين منذ سنوات ، ولكنها قوية عفية تستطيع الثبات لأهل البيت جميعا ، وكانت اذا غضبت نزعت المنديل الذى تعصب به رأسها واندفعت بوابل من مختار الشتائم المركبة درجات بعضها فوق بعض ، فيملأ الخوف القلوب ويسكن من حولها كل شىء . وكانت رغم عنفها هذا ذات قلب طيب رءوف ، وربما اكون محابيا فى هذا الحكم ، فقد كانت تعطف على وترفق بحالى ، وتعنى بجناحى وتحمينى ايضا من العدوان .

قضينا يومين او ثلاثة فى هذا السلام ..

وفى فجر اليوم الثالث او الرابع ـ لست اذكر بالضبط ـ اتانا القدر بما بدد من نفوسنا كل امل فى السلام ..

فقد ارقت قبيل الفجر ، فنهضت التمس القلة على النافذة المطلة على الفناء ، وراعنى اننى لم اسمع غطيط ولى العهد سليمان ، وكان اشبه بنقيق عشر من هذه الضفادع الكبيرة التى تملأ الغيطان ، ووقع فى نفسى انه لابد ان يكون قد مات ، فمن المحال ان اتصور انه مستيقظ فى هذه الساعة ، وجعلت اصغى ، فخيل لى اننى اسمع صراخ طفل صغير يبكى وينتحب ، وصوت ام رجب يهدهده ويحاول ان يسكته ، وسمعت حول ذلك لغطا وهمسا ، فزاد سمعى ارهافا ، وتبينت بالفعل ان هناك طفلا يبكى ، وان اصحابنا هناك ايقاظ ، وان بصيصا من النور يتراءى من غرفة داخلية ، واقداما تسعى معجلة تروح وتجىء ...

وافرغت فى جوفى من القلة ما اطقت ، ثم سرت الى فراشى والتعجب يوقظنى والتعب يثقل بى ، واستلقيت فى فراشى ، واظننى لم اغف الا دقائق ،

ثم ايقظني طرق على الباب ، وصوت ام رجب يقول:

ــ افتح يا استاذ ، الحاج يطلبك حالا ...

ونهضت مسرعا ، وفتحت الباب ، فرايت لام رجب وجها حفت فيه بشاعة الدنيا كلها ، ومضت تقول :

ــ اللهم احفظنا يا رب ... استر يا رب .. اللهم اجعله خيرا ..

ووقع فى ظنى ان سليمان لابد قد مات ، او هو فى الطريق الى الموت ، فقلت :

ــ خيرا ان شاء الله .. ماذا حدث .. تكلمى..

واندفعت تقول :

ــ الحق يا استاذ .. مصيبة وحلت بنا .. الشر بعيد ، اللهم احفظنا .. وصرخت ، اذ نفد صبرى :

ــ ماذا حدث يا ولية .. ما الحكاية ؟

ــ ابن حرام يا سيدى .. ابن حرام .. طفل وليد يا كبدى ، وضعه اولاد الحرام على عتبتنا ..

ــ طفل ؟ وهل ينقصنا اطفال ؟ومن الذى وضعه؟

ــ اسرع يا استاذ .. ان الحاج يكاد يصعق من الغيظ .. اسرع ..

وتركتنى وهرولت ، واسرعت فدخلت فيما تيسر من ثيابى ، ومضيت الحق بها ، وصعدت السلم ، وترامى الىّ صوت الطفل يعلو ويتهدج شان ابن ساعات قلائل ، ودلفت الى القاعة الوسطى ، فاذا بالحاج قاسم واقفا وسطها ينظر الى الباب كانما كان ينتظرنى ، ولم اطمئن ابدا لما قرات فى عينيه ، ولولا انه رآنى لأسرعت عائدا ، ولكنه ابتدرنى قائلا فى صوت كله تهديد ووعيد :

ــ هكذا يا استاذ ؟ نحن الذين آويناك ورعيناك، وحسبنا انك ابن ناس طيبين ؟ ..

واثارت هذه الكلمات غيظى ، وكدت ارد عليه بما هو اسوأ منها ، لولا اننى قرات شيئا يشبه الموت فى عينيه ، ونظرت فاذا سليمان ينظر الىّ هو الآخر نظرات كانها بارود ، فاستعذت بالله وطامنت من غضبى وقلت :

ــ ايه الحكاية يا حاج .. ماذا حدث ؟

وقال سليمان :

ــ تسأل ماذا حدث ؟

ثم ضرب كفا بكف ، وقال وهو يضحك ضحكا كله سم :

ــ عجب والله عجب .. ! يقتل القتيل ويمشى فى جنازته ! كنت اقول دائما ان هذا « الخواجة » سيأتينا بمصيبة ..

وخيل الىّ ان بصيصا من الفهم نفذ الى ذهنى، ورايت ان خير ما افعله هو ان اصمت حتى افهم تماما ، فسرت على مهل ، وجلست على الاريكة ونظرت الى الحاج ، وظللت واجما ، فصاح بى :

ــ وتجلس ايضا ..

فنهضت واقفا ، وقد ملأنى الرعب ، ثم تمالكت نفسى وقلت :

ــ وماذا اعمل يا حاج ، وانتم لا تقولون شيئا ، اننى لا افهم عم تتحدثون ..

فاقترب منى وقال :

ــ شوف يا استاذ .. هذا البيت بيت شرف ، لم يحدث فى بيتنا شىء مثل هذا .

ــ مثل ماذا ؟ ..

فصاح سليمان :

ــ يتصنع البلاهة .. يريد ان يخدعنا ! ولكننى اعرف لؤم هذا الصنف من الافندية ..

فصاح به ابوه :

ــ خفض صوتك .. الليل له آذان ، نريد ان نكتم هذه الفضيحة ونعرفها قبل ان يطلع النهار..

ثم نظر الى ، وتغيرت نظراته ، فلانت ، ورقت ، كانما بدا له ان يأخذنى بالرفق ، وقال :

ــ اسمع يا استاذ .. اجلس .. اجلس ارجوك، لقد ناديناك لنستر عليك ..

وفى هذه اللحظة اندفع الطفل يبكى ، واسرعت به أم رجب الى غرفة داخلية ، واظن انها اخذته بين يديها ، ومضت تهدهده وتسكته ، وسكن صوته شيئا فشيئا ، وعاد الحاج يقول :

ــ خذ سيجارة يا استاذ .. خذ وهدىء نفسك، نريد ان نتحدث فى هدوء ..

وجلس الى جانبى ، وزاد فى ظرفه فاشعل لى السيجارة ، ثم قال :

ــ اننى اعرف انك موظف صغير ، والحكومة لا ترحم امثالك ، ومثل هذه الفضيحة اذا بلغت المدرسة قطعوا عيشك ...

وتركته يسترسل فى هذا اللغو ، ومضيت ادخن فى هدوء ، ثم فرغ من كلامه ، وانتظر لحظة ، وهو ينظر الىّ ، ثم قال وقد عيل صبره :

ــ تكلم يا استاذ ... قل شيئا .. !

ـ ماذا اقول ؟ انني لا افهم شيئا ..

وصاح سليمان :

ـ اصفعه على وجهه ينطق ... ! انه يتصنع اللؤم . .

ووجدت انني لابد ان اوقف هذا الثور عند حده ، ولم اشك في انه سيقدم على الاعتداء عليَّ اذا لم اهاجمه بدوري ، فقلت وانا انظر اليه بعيون كلها تهديد :

ـ شوف يا عم سليمان ، اقسم بالله العظيم لو لم تسكت عني لهويت عليك بما يقع في يدي .. انني لا اعرفك ولا كلام لي معك ..

ونهضت واقفا وقد ملأني الغيظ ، وعلا صوتي ، فقال الحاج :

ـ خفض صوتك يا استاذ ، نحن في ليل والناس نيام ، دع سليمان يقول ما يريد ، انت تعرف انه دموي ..

ـ حتى انتظر حتى يصفعني ؟

ـ انه لن يفعل .. هدىء اعصابك واجلس .. انت تقدر موقفنا ، ان شرف بيتنا في الميزان ..

فتمالكت نفسي ، وجلست وقلت :

ـ لو تفهموني ما الذي حدث لاستطعنا ان نتكلم في هدوء :

وبدا لي ان تهديدي فعل فعله ، فقد هدأ سليمان ، واكتفى بالانصات الى ما يجري بيني وبين ابيه ، اما الصهران الهزيلان ، فقد لذ لهما المشهد ، فمضيا يتابعان تطوره كأنهما متفرجان في مباراة ملاكمة .. وقال الحاج :

ـ المسألة اننا وجدنا هذا الطفل على عتبة بيتنا . واحد من الناس تركه ومضى ، وافاقت ام رجب على صراخه ، فمضت واتت به .. هذا ما حدث ..

ـ وما دخلي انا في ذلك ؟

ـ يا استاذ ، انت رجل كلك فهم ، خمسون سنة وانا رب هذه الاسرة ، ولم يحدث هذا الا بعد ان سكنت انت عندنا ، والمسائل تفهم بالعقل .

ـ تريد ان تقول ـ مثلا ـ انني مسئول عن هذا الطفل ... ؟

ـ كدت تفهم .. اريد ان اقول ان هذا الطفل اتانا بسببك .. لابد انك تعرف ذلك .. انني في سن ابيك ، ولا ضير في ان تقول لي الحقيقة ، واقسم بسيدنا الحسين لاكتمن عليك واعينك على الخروج من المأزق ..

ـ يا حاج قاسم .. انني لا افهم لماذا تريد ان تلصق هذا الطفل بي ؟ انك تطالبني بالهدوء والصراحة ، وانا اطالبك بالهدوء والتروي .. ما الذي يجعلك تظن ان لي بهذا المسكين صلة ؟ هل لاحظتم عليَّ خلال السنتين اللتين اقمتهما معكم انني رجل يمكن ان يفعل شيئا مثل هذا ؟

ـ ولكنك الاعزب الوحيد الذي يعيش هنا ..

ـ وهل الاعازب فقط هم الذين ينجبون اطفالا ؟ هذه المسألة كما تهمك تهمني ، فاذا كنت قد ناديتني لكي تلصق بي تهمة لا يد لي فيها ، فدعني امضي وانا اعرف كيف ادافع عن نفسي .. اما اذا كنت قد استقدمتني لنجد حلا للموضوع فانا رهن اشارتك ...

ـ يا استاذ .. مهما قلنا فان احدا لا يصدق ان المسئول عن هذا الطفل يمكن ان يكون خارج هذا البيت ، ونحن اناس ذوو اصل وبيتنا مليء بالبنات ..

ـ من قال لك ان الناس لا تصدق ان المسئول عن هذا الطفل لا يمكن ان يكون الا منا ؟ ان مجرد وجود الطفل على عتبتنا يؤكد الا صلة لنا به .. ان ام هذا الطفل لا يمكن الا ان تكون بعيدأ جدا عن هنا .. هذه الشقية ولدته ولفته ومضت تضرب في الحواري حتى اذا وجدت ركنا هادئا وضعته وفرت ..

ـ هذا يقوله اهل العقل .. ولكن اهل حارتنا انت تعرفهم وتعرف السنتهم وحسدهم لنا ، وانا مستعد لان اعطيك من جنيه الى الف اذا تعاونت معنا في ذلك .. ان لي بنات كثيرات .. وانت رجل اعزب ..

ـ فهمت .. تريدون ان تحموا انفسكم من السنة السوء ، وتخربوا بيتي .. هل يرضيك هذا يا حاج .. ؟

ـ لن نخرب بيتك لا سمح الله .. ولكنك رجل متعلم وتفهم ، وتستطيع ان تتخلص من ذلك الحرج بايسر منا ، ثم لا اسرة لك ..

ـ ماذا تعني ؟ هل تراني مقطوعا من شجرة لا اهل لي ولا ناس ؟ ام حسبت ان احساسي بالشرف يقل عن احساسك ؟ ..

فافاق سليمان وقال :

ـ اعطه الفين .. انه هو المسئول ، ولا يريد الا ان تزيد له المبلغ ..

واهملت كلامه كأننى لم اسمعه ، وقلت للحاج :

ـ اسمع يا حاج .. انك رجل ذكى مجرب ، ولكن هناك اشياء كثيرة لا تعرفها .. هذا الطفل انسان مثلى ومثلك ، وما دمنا عثرنا عليه فنحن مسئولون عنه امام القانون ، وواجبنا الآن ان نبلغ البوليس . البوليس لن يحقق معنا ، سيدلى كل منا بمعلوماته ، ويحال الطفل الى احد الملاجىء وينتهى الامر ...

ـ والسنة الناس ؟

ـ ذلك متوقف عليكم . اذا اقفل كل منا فمه لم يدر بالموضوع احد ، ورجال البوليس حريصون على اعراض الناس ، ونستطيع ان نرجوهم ان يحافظوا على سمعتنا ...

ـ ولكننى لا استطيع ان ادع هذا الطفل تحت سقفى ، ماذا افعل اذا طلع النهار وعرف الناس بالخبر ؟

فقال سليمان وقد ابرقت اساريره بفكرة خيرة :

ـ عندى حل .. تأخذه ام رجب ، وتمضى به الى النيل وتلقيه فيه !

وهببت مذعورا وقلت :

ـ هذا لا يمكن ان يحدث .. ولو حدث لكنت اول المبلغين ... هذه جريمة قتل ..

ـ فقال سليمان متعجبا :

ـ جريمة قتل ؟ طفل لا يساوى شيئا وجدناه على الباب ..

ـ انه انسان مثلك يا سيد سليمان ..

ـ انه ليس مثلى .. انه ابن حرام ..

ـ ليس هناك طفل ابن احرام .. ابوه هو ابن الحرام .. فقال الحاج :

ـ هذا ليس وقت فلسفة يا استاذ .. ماذا نعمل ؟

ـ لنكتب الآن ورقة نذكر فيها ما حدث بالصدق، ونوقع عليها جميعا ، ثم اتركوا لى الطفل وانا مسئول ..

وقد حدانى الى قول ذلك خوفى من سليمان ، وما كنت اشك فى انه سيقتل الطفل اذا انا تركته بين ايديهم . وكتبنا الورقة ووقعوا عليها ، وطلبت اليهم ان يتركوا لى ام رجب ، فوافقوا ، وعدت الى غرفتى والورقة فى جيبى ، وام رجب خلفى بالطفل المسكين ، وكان الله قد انزل عليه السكينة فهدأ ، ونام بين ذراعيها ، وهى جالسة على الارض وقد اسندت رأسها الى الاريكة ، وكان ضوء النهار قد بدأ يتسرب الى الغرفة ، وعلى هذا الضوء رأيت وجه الغلام الجميل . كان مستوسنا كأنه ملاك ، وخيل الى ان وجهه الطاهر يشكو الىّ فى صمته ما فعلته به الدنيا واهلها ، وهو لم يفتح عينيه على نورها بعد ..

ولم يكد النهار يمتع حتى اسرعت ابحث عن صيدلية ، واستفسرت من صاحبها عن غذاء الأطفال وخير ما ينصح به من البان ، وعدت احمل حملا من علب اللبن وجهازا للتعقيم وكتيبا اعطانيه الصيدلى عن تغذية الرضعاء ، ومضيت اقرأ حتى فهمت ما ينبغى عمله ، وشرحت لأم رجب ما ينبغى ان تفعل ، وجريت مرة اخرى اشترى لفائف وعصائب وقطنا وآنية ، وصنعنا للطفل مهدا من سفط ، واطمأننت عليه ، ثم مضيت الى البوليس، وابلغت الأمر ، وسلمتهم الورقة التى تفصل امر العثور على هذا المسكين ، وانتقل معي شرطى الى البيت وعاين الطفل ، ومضى معى الى مكتب الصحة حيث سجلنا الغلام ، وسميناه رجبا ، حسب رغبة ام رجب ، واستكتبونى الف ورقة خاصة بالوصاية على الطفل حتى يبت أمره ..

ولم اتبين قدر الحماقة التى ارتكبتها الا فى الليل ، عندما جلست الى مكتبى بين صفى الكراسات ، ومن خلفى ام رجب تروح بالطفل وتجيء ، وقد تعلقت به منذ اللحظة الأولى ، فقد كانت المسكينة قد فقدت الابن الوحيد الذى رزقت به قبل ثلاثين سنة ، ووجدت فى رجب الثانى عوضا عن رجب المرحوم ...

وجعلت اتأمل المشهد وانا اهز رأسى عجبا .. انا الذى لم يشقنى شيء مثل الأطفال حتى كرهت الزواج نفورا منهم .. اجد نفسى الآن ابا لطفل لم الده ، ومسئولا عنه وعن مصيره ! ومن عجب انه كان اذا فتح عينيه ورآنى وهو بعد ابن يومين هش كأنه يبتسم ، وشعرت وانا انظر الى هذا الوجه الصغير ان تلك الابتسامة الوليدة خير من الدنيا وما فيها ، ورق قلبى له ولكل الأطفال ، وللمرة الأولى فى حياتى نهضت الى الكراريس اصححها فى شغف ولذة .

ومرت أيـام ...

وفي ذات يوم خرجت من درسي ومضيت الى غرفة المدرسين ، فقال لي الفراش ان رجلا يريد ان يتحدث الي ، واقبل الرجل ، فقال لي انه سائق سيارة أحد الأثرياء ، وان هـذا الثرى ينتظرني في السيارة قرب باب المدرسة ..

ومضيت ، فوجدت رجلا مهيبا أبيض الشعر وسيم الوجه ، نظر الي لحظة ، ثم سألني عما اذا كنت استطيع المضي معه ، ولم تكن لدى دروس الى بعد الظهر ، فاخذت مكاني الى جانبه ، وانطلقت بنا السيارة ..

وصلنا الى دار انيقة في مصر الجديدة ، واستقر بنا المجلس في بهو جميل كل ما فيه يتحدث عن نعمة ، وطلب الرجل قهوة وقدم لي سيجارة وانشا يقول :

ــ اريد ان احدثك في امر الطفل الذى عندك . لا تدهش اذا علمت انني اعرف تفاصيل حكايته . هذا الطفل ابن لخادمة عندنا . فتاة بلهاء مسكينة اتينا بها من الريف ، فسطا عليهـا ذئب وكان ما تعرف . ولم يدر أحد بذلك حتى ولدت في غرفة بعيدة في الحديقة ، ولم تدر ما تفعل . ارادت ان تلقى بنفسها في النيل ، فاخذت الطفل ومضت به ، لا يدرى أحد ما الذى وصل بها الى حيكم . قالت انها ارادت أن تترك الطفل على باب سيدنا الحسين قبل أن تموت . لا بد انها ضلت الطريق وخافت أن يطلع النهار فتركته في الموضع الذى كلت فيه قواها . على عتبتكم لحسن الحظ . عادت الى هنا بعد يومين ، عادت محمومة لتموت . قصت ذلك كله على زوج البستاني قبل أن تسلم روحها الى بارئها ...

ثم سكت لحظة وعاد يقول :

ــ انني اشعر انني مسئول عما جرى لهـذه المسكينة . ابوها رجل من رجالي المخلصين ، وقد ائتمنني عليها . كان ينبغي ان ارعاها باكثر مما فعلت . هكذا شاءت ارادة الله . لم نقص على ابيها شيئا مما حدث ، تسلمها ودفنها ، واستعوض الله . اما انا فلم استرح بعد ذلك ابدا . ارسلت من يبحث عن مصير الطفل في حيث قالت المسكينة قبل أن تموت وسألت في القسم ... وانتهينا اليك

... انني اشكر لك ما فعلت ، واحب ان اريحك من عناء ذلك الغلام ...

فاحسست وكانه يريد أن ينتزع مني ابني ، وهكذا كنت اشعر نحو رجب ، فقلت للرجل :

ــ سيدى أرجو أن تعذرني اذا اعتذرت عـن اجابة مطلبك . أنت لا تتصور تعلقي بهذا الغلام ... لقد أصبح قطعة مني ، وهو اليوم عزائي في الحياة ، لا اتصور الحياة بدونه ...

ومضى الحديث بيننا طويلا ، واخيرا قال الرجل في لهجة رجاء شديد :

ــ اذا لم آخذ هذا الغلام عشت بقية أيامي منغصا . انني اعيش وحدى في هذا البيت ، ليس لي الا ابنة وحيدة ، كان لي ابن مات من سنوات ، وهذا الغلام يعزيني عنه ، ارجو الا تخيب رجائي ... انني أسألك باسم الرحمة التي عطفتك على رجب أن تتنازل لي عنه ...

ولم أستطع ...

وبعد لأى ، اتفقنا على أن يظل الولد ربيبي على أن ينتقل الى قصر ذلك الثرى . وبالفعل انتقل وانتقلت معه ام رجب ... واصبحت ازور هذا البيت يوميا تقريبا ، افرغ من دروسي فاجد السيارة في انتظارى لاذهب لارى رجبا العزيز ..

لا أطيل عليك ...

مضت على هذه الحكاية اثنتا عشرة سـنة ، ورجب الآن في السنة الثانية الثانوية ، واما انا فاظن انك تتوقع ما أتاني ببركة رجب ... احبني السيد الثرى ووجد أن يوفر علي مشقة المجيء كل يوم ، ولم يكن هناك حل الا بأن نعيش معا تحت سقف واحد ، فتزوجت ابنته الوحيدة وانتقلت من حال الى حال ...

وأنا اكتب لك هذه السطور من غرفتي المشرقة في ذلك القصر البديع ، واتطلع الى الحديقة وزهورها وأعود بالذكرى الى أيام حارة العفاريت ، وهي في رأيي الطف عفاريت يمكن أن اتصورها ...

والآن استأذنك في أن أختم هذا الحديث ، فهذا صوت رجب عائدا من المدرسة ، انه يسابق ابني على السلم شأنهما كل يوم ، وكل منهما يحب أن يكون أول داخل علي .. ■■

حسين مؤنس

نقد كتاب الشهر

الجذور التاريخية للشعوبية

للدكتور عبد العزيز الدوري

بقلم الدكتور محمود السمرة

■ ان صدور كتابين في موضوع الشعوبية خلال عام واحد له دلالته في الحياة العربية المعاصرة: فقد صدرت في الصيف الماضي دراسة طيبة للصراع بين العرب والشعوبيين، من خلال حياة بطل من ابطال العرب هو يزيد بن مزيد الشيباني قائد جيوش هارون الرشيد، وهذه الدراسة بقلم الدكتور عبد الجبار الجومرد، وقد سبق ان قدمناها في عدد ماض من أعداد «العربي» في هذا الباب. أما هذه الدراسة التي تقدمها اليوم فهي تتناول جذور الشعوبية منذ نشأتها وتطورها عبر التاريخ الاسلامي، وهي بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري. والدكتور الدوري غني عن التعريف، فقد قدمته مؤلفاته القيمة الى قرائه. ومن اشهر مؤلفات الدكتور الدوري: العصر العباسي الاول، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ... الخ. وقد ساهم الدكتور الدوري، وما زال يساهم، في تحرير الطبعة الجديدة من «دائرة المعارف الاسلامية»، وابرز مقالاته فيها ما كتبه عن بغداد. وهذا الانتاج يجعل للدكتور الدوري مقاما خاصا بين المؤرخين المشتغلين بتاريخ العرب والمسلمين.

هذا الكتاب

يذكر الدكتور الدروى في مقدمته أن «حاضر الامة نتاج سيرها التاريخي، وبداية طريقها الى المستقبل. ولذا فلا انقطاع في التاريخ، ولا ظاهرة تبدو فيه دون جذور وتمهيد ... لكل هذا نريد القاء نظرة علمية نقدية على جذور الشعوبية في المجتمع العربي. ولا حاجة بنا لوصف الشعوبية المعاصرة، بل يكفينا أن نفهم الجذور فهما عاما سريعا يرسم الخطوط، ويكشف الخيوط. وكلنا

ثقة بأن الروح العلمية خير سبيل لفهم الذات ولمعرفة النفس ، ومن عرف نفسه وعى تجربته ، وادرك طريقه » .

ومثل هذا القول قاله الدكتور الجومرد فى كتابه « يزيد بن مزيد الشيبانى » ، وهذا يعنى ان هذه الدراسة عند كليهما وسيلة لغاية ، هى الاستفادة من التاريخ لفهم حاضر الامة العربية ، وكثيرا ما يلجأ الكتاب الى استغلال التاريخ على هذه الصورة ، فهم يعَمّون حين يكون التصريح مؤذيا . ويخيل لي ان كلا من المؤلفين فى سبيل اعداد دراسة عن الصراع بين العرب والشعوبية فى تاريخنا الحديث ، لنشرها عندما تصبح الظروف موانية .

وهذا الكتاب يتميز بدقة علمية ، فليس هناك من رأى مستنتج الا وله سند من التاريخ ، وفيه ايضا من المادة التاريخية والآراء أكثر مما يوحى به عدد صفحاته ، ولكن هذا التركيز جعل فائدة القارىء غير المختص منه محدودة ، اذ يشير المؤلف احيانا الى احداث تاريخية او حركات فكرية واجتماعية لا تتضح معانيها الا للمثقف المهتم بالتاريخ .

والدكتور الدورى بطريقته هذه ، انما يسلك سبيل المؤرخ المختص : من حسن استعمال للمصادر ، ودقة فى الاستنتاج وتركيز فى العرض . وانا شخصيا كنت اود لو ان الدكتور الدورى زاد الامر تفصيلا ، بدلا من اكتفائه بالاشارة الى المصادر التى يستطيع القارىء الراغب فى الاستزادة الرجوع اليها ، وذلك لتتم الفائدة من مثل هذا الموضوع الهام .

والدكتور الدورى يرد بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية فى العصر العباسى الى اصول شعوبية ، وهذه وجهة نظر لها من التاريخ ما يسندها ، ولكن يخيل لى ان بعض هذه الحركات الفكرية يمكن ربطه بالتطور العقلى والاجتماعى للمجتمع العربى والاسلامى ، ولا ضرورة لربطه بالشعوبية .

ويبدو لى ان هناك بعض التداخل فى فصول الكتاب مما ترك مجالا لشىء من التكرار . اما التكرار فلعله مقصود ، وذلك للتأكيد على افكار معينة . واما التداخل فلعل سببه ـ كما يخيل لى ـ ان الكتاب قد كتب فصولا متفرقة متباعدة الزمن ، ثم ضمت الى بعضها دون ان ينظر فيها الدكتور الدورى ككل متكامل .

والكتاب يبدأ بالتحدث عن بذور الحركة الشعوبية ، ثم عن البيئة العامة للشعوبية ، وبداياتها ، وتطورها ، ورجالها ، ومخططها الفكرى ... وسنقدم هنا عرضا عاما لهذه الحركة .

بدايات الشعوبية فى العصر الاموى

ان المنطقة التى نشطت فيها الشعوبية نشاطا خاصا هى العراق وايران والاندلس . ولعل السبب فى نشاطها هذا هو ان الاسلام قد قضى فى هذه البلاد على حضارات كانت قائمة ، فعز على شعوب هذه المناطق خضوعها للعرب «وارتفعت اصوات تدعو الى نبذ التراث العربى والاستهانة بالثقافة العربية الاسلامية » .

وقد بدأت هذه الحركة الشعوبية فى العصر الاموى متسترة بستار اسلامى ، فقد دعت الى مساواة الموالى بالعرب ، واستندت فى دعوتها على القرآن الكريم والسنة . وقد ساعد الشعوبيين فى دعوتهم هذه ان بعض الاحزاب السياسية العربية قد نادت بوجوب تحقيق المساواة التى جاء بها الاسلام ، كالخوارج مثلا . وقد استغل الشعوبيون هذه الحركة اكبر استغلال . ومثل هذه المطالبة تبدو معقولة لوكانت بعيدة عن الهوى ، ولكن الدكتور الدورى يبين بجلاء ان هذه الدعوة الى المساواة لم تكن الا ستارا يخفى وراءه كراهية للعرب ، كما يورد الشواهد التى تدحض مزاعم القائلين بانعدام المساواة ، فاذا وردت قصص تخالف هذا فانها انما وردت « لتسجل حالات تجلب الانتباه لشذوذها عن المألوف ، لذا لا يمكن اعتبارها ممثلة للوضع . وعلينا ان ننتبه لهذه الظاهرة فى مصادرنا ، فنعرف القريب الذى يذكر لقرابته ، ولا ننسى انه الشاذ » ، وهذا المطلب من الدكتور الدورى عسير عند التطبيق ، ولا يقوى عليه الا المؤرخ الكفء المختص .

اسماعيل بن يسار

ومن اوائل من كشفوا عن شعوبيتهم فى العصر الاموى الشاعر اسماعيل بن يسار ، رغم محاولته

التستر ، وتقربه من العرب ، اذ نراه حتى في هذه الفترة من التاريخ العربي الاسلامي ، حيث كانت النشوة بالعنفوان العربي تملأ النفوس ، يتجرأ فيقول :

رب خـال متـوج لي وعـم
ماجـد مجتـدى كريم النصـاب
انمـا سـمى الفـوارس بالفر
س مضـاهاة رفعـة الانسـاب
فاتركى الفخـر ، يا امام ، علينا
واتركى الجور ، وانطقى بالصواب
واسالى ، ان جهلت ، عنا وعنكم
كيف كنا في سـالف الاحقـاب
اذ نربـى بناتنـا ، وتدسـو
ن سـفاها بناتكم في التراب !!

مخضرمو الشعوبيين

وهناك فئة من الشعوبيين ظهـرت في أواخـر العصر الاموى ، وشهدت انتصـار العباسيين ، وكانت تتهم بالزندقة والتهتك والخلاعة . وقـد عملت هذه الفئة على تشويه التراث العربي ، والعقيدة الاسلامية ، عن طريق الوضع . ومـن اشهر رجالات هذه الفئة : حماد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان .

هل كان ابن المقفع شعوبيا زنديقا ؟

ويرى الدكتـور الدورى ان ابن المقفـع كان شعوبيا زنديقا ، ولكنـه كان اكثـر من سـابقيه تسترا ، واعمق غورا . ويورد امثلة على شعوبيته. وهذا الراى هو الشائع عن ابن المقفع . وقـد تناولت اقلام الكتاب المحدثين ابن المقفع بالدراسة والتحليل ، فايد كثير منهم هذا القول ، الا ان ثلاثة من كتابنا يردون عنه هذه التهمة ويتحمسون له وهم : بطرس البستاني في كتابه « ادباء العرب في الاعصر العباسية » . ومحمد كرد على في كتابه « امير البيان » الجزء الاول ، والدكتـور صفـاء خلوصي في مقال له عنه في هذه المجلة .

يقول بطرس البستاني : « اذا شئت ان تلتمس زندقة ابن المقفع في ما خلف من آثار ، فانما انت تتعب على غير طائل ، لان آثاره الباقية ليس فيها الا كل ما يتلاءم مع الاسلام ، ولا ينافي احكامه . »

ويقول محمد كرد على : « ولقد قرانا كلام ابن المقفع وتدبرناه ، فما رأينا له كلمة واحدة تشعر بزندقته .. وما نظن ان من اتهموا ابن المقفع بدينه، الا من الفقهاء المرائين .. وليس ابن المقفع اول من رمى بالالحاد فتاريخ الفكر الاسلامي يذكر اخبار من وقع اتهامهم بهذه التهمة من نوابغ الامة ، على حين كانوا اعظم انصار الدين ، كالجاحظ .. اما راى ابن المقفع في العرب ، فهو لا يقل عن راى اعظم المتعصبين لهم من ابنائهم كالجاحظ » .

ويقول الدكتور صفاء خلوصي : « وعندى ان الرجل كان صادقا في اعجابه بالعرب وحبه لهم ، وآية ذلك انه كان اكثر ولاء في قرارة نفسه للدولة الاموية التي تعصبت للعرب منه للدولة العباسية التـي فتحت مجال العمـل امام الشـعوبية والشعوبيين » .

هذا راى آخر في ابن المقفع وزندقته ، نثبته هنا لا لنبرىء ساحته ، بل لنبين ان للقضية وجها آخر يمكن اثباته بالرجوع الى النصوص ايضا .

والقطع في مثل هذه الحالات يكاد يكون عسيرا ، الا بعد استقصاء مضن ، والدكتور الدورى خير من يستطيع القيام بذلك .

الشعوبية في العصر العباسي

وعندما زالت الخلافة الاموية ، جاء العباسيون ينادون بالتسوية بين العرب والموالي ، وقد بلغ من تطبيقهم لهذه القاعدة ان اصبح الحكم ثنائيا فهناك وزير من الموالي الى جانب الخليفة العربي.

وفتحوا الباب امـام الموالي لدخـول الجيش النظامي . ولكن هذا كله لم يرض الشعوبيين ، وبهذا تنهار حجتهم التي استتروا خلفها زمنا .

وقد شهد العصر العباسي الوانا من الشعوبيين : فهناك العامة وهم جل هذه الفئة ، وهناك دهاقين الفرس من امثال آل برمك ، وبني سهل ، وطاهر ابن الحسين ، والافشين ، وهناك الحركات الدينية الايرانية كالخرمية ، والمانوية ، والزرادشتية وغيرها . وهناك الشعوبيون من الادباء والكتاب . وهَمّ هذه الفئات جميعا هـو الدعـوة الى ازالة السلطان العربي ، واحياء مجد ايران ، ومحاربة الاسلام ، والعودة الى المجوسية .

وقد انتشرت هذه الحركات الشعوبية في ايران في المناطق التي تكثر فيها الجماعات غير المسلمة ، وهي مناطق واقعة على الاطراف مثل خراسان واذربيجان وما وراء النهر . « ومن الاكيد ان المتدينين وقفوا بعيدا عن الشعوبية . »

مخطط الشعوبية الفكري

ركز الشعوبيون هجومهم ، باديء ذي بدء ، على العرب قبل الاسلام ، فهاجموهم في اسلوب حياتهم، وفصاحتهم ، واساليب قتالهم ، وانسابهم ، وعلاقاتهم الاجتماعية ، وكرمهم ، ومروءتهم ، ومقاييسهم الخلقية . وقد يظن المرء انهم تعففوا عن تهجمهم على العرب في ظل الاسلام تقديرا منهم لدورهم الحضاري فيه ، ولكن الصحيح ان سكوتهم هذا انما كان خوفا من سطوة السلطان والمتدينين. ولكن التستر لم يطل ، فامتد هجومهم الى فترات التاريخ الاسلامي ، وشوهوا هذا التاريخ . وقد فصل الدكتور الدوري هذا الدور الذي لعبوه في كتابة « مقدمة في تاريخ صدر الاسلام » .

واقدم ما بين ايدينا من نصوص تصور حملات الشعوبيين على العرب ، قصائد شعرية ، ثم يأتي النثر ليكمل الصورة ، والمجال فيه اوسع . وقد بدأ الشعراء الشعوبيون بالتفاخر بالانساب والامجاد الفارسية كما نرى في شعر اسماعيل بن يسار وبشار ومهيار الديلمي .

ثم اخذوا يهاجمون العرب وينادون باعادة الملك اليهم ، وكل هذا في شعر هو التحدي بعينه .

والشواهد على هذا كثيرة جدا ، ونورد مثلا منها ما قاله احد شعرائهم أمام الصاحب بن عباد :

فلست بتارك ايوان كسرى
لتوضح ، او لحومل ، فالدخول
وضب في الفلا ساع ، وذئب
بها يعوى ، وليث وسط غيل

★ ★ ★

وافاض كتابهم في تهجمهم على العرب فوصفوهم بالهمجية والتخلف ، وذهبوا الى ابعد من هذا عندما حاولوا ان ينفوا صفة الامة عن العرب « فلم يدخلوهم ضمن الشعوب ، كما ان اطلاقهم للفظة (الشعوبية) على انفسهم يشعر بأنهم قصروا مفهوم الشعوب على انفسهم ، واما العرب في زعمهم فقبائل متفرقة متنازعة ، والقبيلة قرينة البداوة ... في حين ان الشعوب ترتبط بالحضارة وفسروا الآية الكريمة : (يا أيها الناس انا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. الآية) بهذا المعنى » . وهذا القول للدكتور الدوري معتمد على ما جاء في ابن قتيبة : يقول ابن قتيبة : « وبلغني ان رجلا من العجم احتج بقول الله تعالى : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى .. الآية » وقال : « الشعوب من العجم والقبائل من العرب ، والمقدم افضل من المؤخر . وقد كنت ارى اهل التسوية يحتجون بذلك . »

وهاجم الشعوبيون الانساب العربية ، لاعتزاز العرب بها ، وادعوا انها انساب منحولة ، وانتحلوا للعجم انسابا وهمية يفخرون بها . وهاجموا الشعر العربي والفصاحة العربية ، وقابلية العرب للخطابة ، وهو هجوم على العرب في امور عزيزة عليهم ، وزادوا على ذلك انهم شوهوا هذا التراث العربي فدلسوا فيه ، وشككوا في قيمته واصالته ، وعبثو بالروايات ، كما ندوا باساليب العرب في الخطابة من استعمال العصا وغيرها ، وذلك ليظهروهم بمظهر البدو الاجلاف .

ولم تسلم اللغة العربية نفسها من هجومهم ، لانها تغلبت على لغتهم الام وقضت عليها ، يوم ان اصبحت لغة الثقافة والسياسة .

ولم يكتف الشعوبيون بهذا ، بل راحوا يحاولون تفسيخ القيم الخلقية العربية الاسلامية « وانت تجد في كتاب الاغاني قصصا غريبة عن تحللهم الخلقي والديني ، وعن دورهم في افساد الاخلاق.» ولجأوا الى الوضع في الحديث لبيان فضل العجم، وكان من الطبيعي ان يرد العرب عليهم بالاسلوب نفسه .

رد الفعل العربي

امام هذا التحدي الصارخ هب العرب للذود عن تراثهم وقيمهم ، فنشطوا في العناية بجمع الشعر فكان من ذلك مفضليات الضبي ، وحماسة ابي تمام ، وحماسة البحتري . واكدوا على الاتصال الثقافي عند العرب ليبرزوا الاستمرار والوحدة في الثقافة العربية ، وذلك عن طريق جمع

الاثار الادبية العربية قبل الاسلام ، وهذا الاتجاه واضح فى آثار الجاحظ وابن قتيبة خاصة . وعنى العرب بتاريخهم ، وتناولوه بجد ، فانتجوا فيه المؤلفات الكثيرة القيمة ، وذلك لابراز الدور الضخم الذى قام به العرب فى الحضارة الانسانية قبل الاسلام وبعده ، وأبرز مثال على ذلك كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » للاصمعى وكتاب « فتوح البلدان » للبلاذرى . وهذا المؤلف نفسه كتب ايضا « انساب الاشراف » للرد على الشعوبيين .

ووضع الجاحظ كتاب « العصا » دفاعا عن الخطابة العربية ، ورد على الشعوبيين فى انكارهم وحدة العرب ، والف « البخلاء » فى الرد عليهم عندما حاولوا تشويه معنى الكرم العربى ، وليثبت ان البخل متأصل فى نفوس الشعوبيين .

هذا طرف من رد الفعل العربى ، اردنا منه الاشارة الى السبيل الذى سلكه .

★ ★ ★

وينتهى كتاب الدكتور الدورى بنظرة شاملة الى الموضوع ويختتمه بعبارات تبين غايته من تاليفه : « وكثير من صفحات الماضى تبدو حية بتجارب الحاضر ، كما ان تجارب الحاضر تتجلى اتجاهاتها بدراسة الماضى . فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » . ■■

محمود السمرة

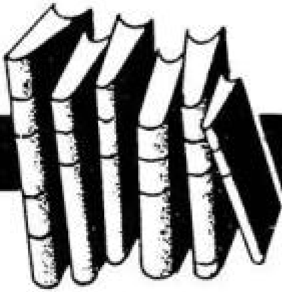

من الكتب التى وصلتنا

حين فقدنا الرضا

لجون شتاينبك ـ دار الطليعة ـ بيروت

● موضوع هذه الرواية : « لا خلق للمال ، تلك هى الفلسفة التى آمن بها « ايتان » موظف الحانوت الفقير بعد ان راودته شهوة عنيفة بالاثراء ليرفع ثانية من شان عائلته التى كانت يوما غنية ، فانتهى الأمر بهذا الحفيد الى ان يغدو اجيرا فى حانوت . ولقد حمل « ايتان » شعاره بعناد فى سراديب اللاخلقية ، فانتهت به شهوته الى حيث يريد ، ولكن على حساب تلك الندوب التى شوهته نفسيا ، وجعلته ذئبا من ذئاب المال » .

وجوه المدينة

للدكتور سابا شبر . الكويت .

● كتاب جديد فى بابه فى المكتبة العربية ، يبدو فيه عقل المهندس ، وذوق الفنان ، « وهناك مثل صينى يقول : ان الصورة تساوى الف كلمة . ولهذا السبب نقدم هنا ما يزيد عن ٣٠٠ صورة كروكية رسمت بالحبر على الورق الابيض لتبرز اشكال المدينة ، وخصائصها ، وفن العمران فيها . وقد استوحيت هذه الصورة من عدة اماكن فى العالم . »

الشعر : كيف نفهمه ونتذوقه

لاليزابيث درو ـ ترجمة الدكتور محمود الشوش ـ نشر مؤسسة فرنكلين ـ مكتبة منيمنا ـ بيروت

● قد يستمتع الانسان بالشعر دون ان يقرأ كتبا عنه الا أن تذوقه عادة ما يكون غريزيا كالباعث على كتابته ، غير أن المقدرة الطبيعية كالنباتات الطبيعية ، تحتاج تشذيبا بالدراسة ، وهذه الرعاية والتشذيب لضروب المقدرة الطبيعية هى مهمة النقد ، وهذا هو موضوع هذا الكتاب .

اشتراكية الاسلام

للدكتور مصطفى السباعى ـ مطبعة جامعة دمشق

● « ان اشتراكية الاسلام لو طبقت فى مجتمعنا

لاستفاد منها جميع المواطنين من مسلمين ومسيحيين، لأنها وضعت ليستفيد منها كل مواطن ، فليس الاخذ بها انتصارا لدين على دين . انها ثروة تشريعية رائعة لو اشرفت على تطبيقها عقول مرنة نيرة » .

المبارزة

لانطون تشيخوف ــ ترجمة عوض شعبان
دار الثقافة ــ بيروت

● رواية للكاتب الشهير يصور لنا فيها اناسا على قسط وافر من الثقافة والذكاء ولكنهم نقيضو بعضهم بعضا.

مارون النقاش

اختيار وتقديم الدكتور محمد يوسف نجم
دار الثقافة ــ بيروت

● هذا هو الكتاب الأول من سلسلة المسرح العربي ، وفيه دراسة لحياة مارون النقاش ومسرحه ، ونشاطه المسرحي . وبعد هذا نجد النص الكامل لمسرحيات : البخيل ــ ابو الحسن المغفل ، السليط الحسود .

المفصل في تاريخ القدس

لعارف العارف ــ مكتبة الأندلس ــ القدس

● كتاب قيم ضخم في ثمانية ابواب هي :

القدس في العهود الغابرة ، الفتح الاسلامي ، الحروب الصليبية ، القدس في عهد المماليك ، القدس في عهد الأتراك العثمانيين ، الاحتلال البريطاني ، القدس كما رأيتها في مطلع عام ١٩٤٧ ، الأماكن المقدسة .

وحي الشاطىء

لمصطفى درويش الدباغ ــ نابلس

● مجموعة مقالات ادبية ، نقدية ، اجتماعية ، فكاهية .

الخيط الحق

لجيمس ستيوارت ــ ترجمة فاطمة محجوب
مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين

● في هذا الكتاب يسرد المؤلف حياته في قصة طريفة كلها مرتبطة بالتعليم ، حيث تولى كثيرا من المناصب الدراسية . والمدقق الباحث في طيات القصة يلمس كيف يدعو المؤلف الى تطبيق مواد الدراسة تطبيقا عمليا في المجتمع المحلي .

كتاب النوادر

لأبي مسحل الأعرابي ، جزءان ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

● المؤلف هو محمد عبد الوهاب بن حريش ، وابو مسحل لقب له ، وهو اعرابي من بني ربيعة ومنازلهم في نجد . حضر من البادية مع ابيه ، ودخل بغداد واتصل هناك بالحسن بن سهل وزير الخليفة المأمون وكان أكثر اشتغال ابي مسحل باللغة والنحو ، وكان كوفي المذهب ، ولم يؤلف غير كتابين لم يصل لنا منهما غير هذا الكتاب وهو في اللغة ، والمادة اللغوية الواردة فيه تمثل لغة البادية في الجاهلية وصدر الاسلام في الفاظها وعباراتها واقسامها واساليبها تمثيلا جيدا .

والكتاب بمجوعة اثبت واوسع نص لغوي وصل الينا عن المرحلة الأولى لجمع اللغة وتدوينها في بدء ازدهار الحضارة العربية ، في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث من الهجرة .

حملة لويس التاسع على مصر

للدكتور محمد مصطفى زيادة ــ القاهرة

● دراسة علمية دقيقة في سبعة فصول هي : مصر ومملكة بيت المقدس ، نشأة مدينة المنصورة ، الهدنة بين المسلمين والصليبيين ، لويس التاسع واستيلاؤه على دمياط ، معركة المنصورة ، هزيمة لويس التاسع وأسره ، جلاء الصليبيين عن دمياط.

الخبز مع الكرامة

للدكتور يوسف عبد الله صائغ
دار الطليعة ــ بيروت

● « هذا الكتاب هو أول محاولة شاملة لتحديد أهداف ثورة التحرير ، وتعيين محتواها الاقتصادي الاجتماعي ، ولتصحيح هيكل المجتمع العربي المنشود : المجتمع المنتج ، العادل ، المتميز بالانسان الحر .

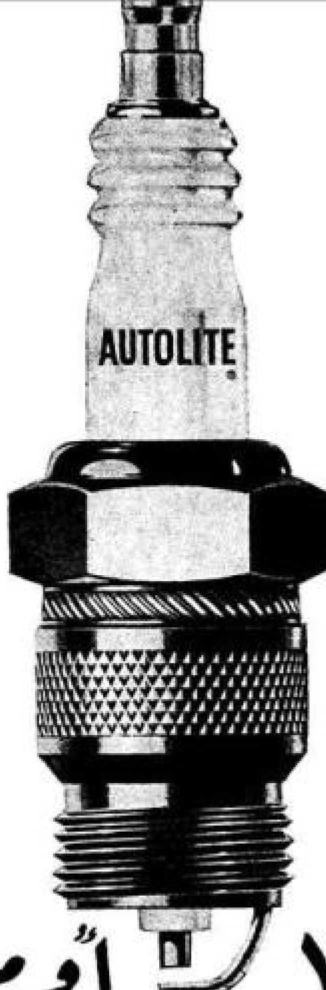
AUTOLITE

حضرات السادة
المهندسين المعماريين والبنائين

تقدم لكم المستر جوفيير ــ المبعوث الفني لشركتكم « وليمز ووليمز » . ومهمته هي تقديم المعونة اليكم هنا في الخليج مباشرة .

ان كل عمل تؤديه وليمز ووليمز ــ صغيرا كان ام كبيرا ــ هو باشراف المستر اى . ار . سي جوفيير شخصيا او باشراف وكلائنا فهم خبراء . يعلمون كل شيء عن منتجات البناء وليمز ووليمز ــ ولديهم معرفة تامة بالاوضاع المحلية كلها . اختاروا وليمز ووليمز تحصلوا على المشورة والخدمة والخلاص من القلق .

مركز بلدية الكويت الجديد

ان هذا البناء الرائع يتكون من مبنى رئيسي بأربعة طوابق وجناحين بثلاثة طوابق . لقد وقع الاختيار على وليمز ووليمز انودايزد الومنيوم ولزبان لجميع الواجهات الرئيسية .

المهندس المعماري ــ سامي عبد الباقي

المقاولون ــ عثمان احمد عثمان وشركاه القاهرة .

بعض الأعمال الاخرى التي قامت بها وليمز ووليمز في الشرق الأوسط المتحف الجديد في بغداد محطة توليد القوى في البصرة ، تنمية ميناء العقبة في الاردن ، مراكز الضواحي في الكويت ، محطة الكويت لتوليد القوى في الكويت ، محطة دبي لتوليد القوى في دبي ، مستشفى الولادة في بغداد ، محطة الأملاح والكلورين في الكويت ، مكاتب بابكو في البحرين ، محطة المطافيء المركزية في الكويت .

للحصول على التفاصيل الوافية يرجى الاتصال بالمستر اى . ار . سي جوفيير ص.ب ٦٠٩ الكويت .

WILLIAMS & WILLIAMS

الوكلاء

في الكويت : محمد عبد الرحمن البحر وشركاه ص.ب ٦٠٩ الكويت

البحرين : الشركة الافريقية والشرقية (الشرق الادنى) المحدودة ــ ص.ب ٩٤ البحرين

قطر : المانع وشركاه ص.ب ٤٩ دوحة ــ قطر

العراق : الشركة الافريقية ــ العراق المحدودة ص.ب ١٧ بغداد

وليمز ووليمز تهيء لكم منتجات البناء البريطانية مع الخدمة اللازمة .

وليمز ووليمز تصنع جدران ولزبان الواقية شبابيك الومنيوم وفولاذية ، الاشغال المعدنية المعمارية ، حواجز ضد الشمس ، انشاءات مقوسة ومنتجات أخرى كثيرة للبناء .

وليمز ووليمز من تشستر بانكلترا تعمل في جميع انحاء العالم .

قصة داود فى كتب التفسير والحديث

● أحييكم اكرم تحية ، واشكر لكم جهودكم فى النهوض بالعربى لتؤدى رسالتها السامية فى نشر الثقافة العربية والمعرفة الانسانية ، وفى توثيق عرى الود بين الكويت وبين الناطقين بالضاد .

وبعد فقد اطلعت على مسابقة العدد الرابع والأربعين من مجلتكم الزهراء فوجدت ان السؤال الأول منها يتحدث عن « نبى آتاه الله الملك ، ولكنه عصى به ثم غوى اذ اغتصب زوجة قائد جيشه ثم قتله » . وتلك واقعة تتنافى مع المقررات العلمية الصحيحة ، ومع ما ينبغي لنبي من أنبياء الله من التوقير والاحترام ، فضلا عن قدحها فى عصمته ، ووصفه بما تأباه طباع السوقة وتنفر منه الآداب العامة . واغلب ظني أن واضع هذا السؤال قد اعتمد على الاسرائيليات التى تهدف الى تصوير الاسلام وأنبياء الله فى صورة ينفر منها الذوق ويمجها الطبع ويرفضها العقل ، ويأباها الدين .

لهذا أرجو التكرم بتصحيح الوضع ، ومراعاة الدقة فيما ينشر فى المجلة حتى لا تهبط عن المستوى الذى نرجو لها .

محمد محمد الدهان
وكيل المعهد الديني
بالمحلة الكبرى

ـ اكتفينا بهذه الرسالة الموجزة ، عن عشرات الرسائل التى تلقيناها فى موضوعها ومعناها ، ومن بينها رسالة من سماحة المفتى العام بالاردن ، وأخريات من بعض رجال الدين او التعليم الدينى ، لكنها من الطول بحيث لا يتسع المقام لنشرها . ونحن اذ نشكر لفضيلة وكيل المعهد الدينى بالمحلة الكبرى تحيته ، نحب أن يطمئن ويطمئن معه الذين كتبوا الينا بذل ما كتب الى ان مجلة « العربى » اشد ما تكون حرصا على

خادم من الجن ؟

● ماذا تقولون فى رجل يدعى انه يستخدم عفريتا من الجن ، يأتيه بكل ما يطلب ؟ وما قولكم فى انني شاهدته عدة مرات يأتى بحلوى طرية وفاكهة وبرتقال من المكلا ، بعد ان يأخذ من طالبها ما يوازى ثمنها ، كى يضعه فى مكانها ! ؟

حضرموت — سالم بن على العطاس

ـ سمعنا قصصا من هذا القبيل عن الشيخ طنطاوى جوهرى احد علماء الازهر السابقين ، وعن الشيخ سليم الطهطاوى الذى تداولت القصور المصرية فى اوائل هذا القرن قصصه ونوادره .. ولكن لم نرها باعيننا ، ولن نصدق ما لم نره .

ثم لماذا يتخصص عفريت صاحبك هذا فى سرقة الحلوى والفاكهة فقط ؟ ! ولماذا لا يستخدمه المسيطر عليه فى استحضار قنبلة ذرية ، مثلا ، او حتى غير ذرية ، نقذفها على اسرائيل ؟

المسألة فى رأينا لا تعدو اخفاء بعض الفاكهة وقطع الحلوى فى مكان ما من ثيابه ، ثم اظهارها بعملية « خفة يد » على نحو ما يفعل الحواة ..

ازمة ثقة

● تتلخص مشكلتي في انني شاب قروي ، في العشرين من عمري ، موظف براتب جيد ، ولي قريبة جميلة جدا ، يرغب اهلي في ان يزوجوني اياها ، وانا معجب بجمالها ، ولكن اصدقائي ينصحون لي بالرفض ، لانها ، ككل فتيات قريتنا والقرى المجاورة ، امية ، لا تقرا ولا تكتب ، ويقولون ان جهلها هذا سيؤثر على حياتنا في المجتمع وعلى مستقبل اطفالنا ، وطريقة معاشرتنا لاصدقائي ذوى الزوجات المتعلمات .

ولست اكتمكم انى ارغب في الزواج من متعلمة ، ولكن اين اجدها ، واذا وجدتها فلا اكتمكم كذلك انى قليل الثقة في الزوجات المتمدينات ، نتيجة لاقامتي الطويلة في المدن ، وما سمعته او قرأته من خيانات بعض هؤلاء الزوجات مما جعلني لا اثق بفتاة متمدينة ، ولو قدر لي ان اتزوج بواحدة من هذا القبيل فسيظل الشك يساورني طيلة حياتي ، رغم انني اثق ثقة تامة في الفتاة القروية ، فضلا عن يسرة الزواج بها وقلة تكاليفه ، ونفقات المعيشة معها فبماذا تنصحون ؟

ثابت

عمان ــ الاردن

ــ من غير شك انك لو تزوجت بفتاة متعلمة ، او متمدينة كما تقول ، فلن تسعد معها ، بل ستظل تشك في كل حركاتها وسكناتها ، لا لانها غير جديرة بالثقة ، ولا لان كل متمدينة خائنة لزوجها ، بل لان هذا الظن الظالم الخاطىء قد خلق في ذهنك ازمة ثقة .. ولن تجدى اية محاولة في ازالته .

خير لك ان تتزوج من قريبتك الجميلة ــ المامونة ــ القليلة التكاليف ... وتستطيع بعد ذلك ان تعلمها القراءة والكتابة في اوقات الفراغ .

مراعاة الدقة ، والدقة التامة ، في كل ما تنشر ، وانها لن تهبط عن مستواها هذا الرفيع .

ومع ان قصة داود ، النبي الذى عناه سؤال المسابقة ، واردة في التوراة بالتفصيل ، الا اننا لم نعتمد لا على التوراة ، ولا على الاسرائيليات كما يظن الذين ينكرونها او يستنكرونها . وانما كان اعتمادنا على ما روى عن كبار الصحابة وائمة المفسرين ورواة الحديث في صدر الاسلام .

روى الطبرى ، شيخ المفسرين وامامهم ، عن « ابن عباس » من عدة طرق ، ثم عن « انس بن مالك » عن رسول الله (ص) في تفسير ما جاء عن داود في سورة«ص» ، ما خلاصته انه كان لداود تسع وتسعون امراة ، وانه راى ذات يوم من كوة محرابه امراة جميلة تغتسل ، فاعجب بها ، وارسل في طلبها ولما عرف انها زوجة اوريا الذى كان غائبا فيالحرب ، امر بان يقدم بين يدى التابوت ويتصدر الصفوف كي يهلك ، فلما قتل تزوج امراته ، وعندئذ بعث الله اليه ملكين يختصمان ، ففطن الى ما وقع فيه ، فاستغفر ربه ، وخر راكعا واناب ، وظل يبكي وهو ساجد اربعين يوما ، لا يرفع راسه الا لحاجة ، حتى نبت العشب من دموع عينيه . (الطبرى ج ٢٣ ص ٨٣ وما بعدها) .

وجاء من جاء من المفسرين بعد الطبرى فنقلوا عنه القصة ، ومنهم من انكرها او شكك في صحتها ، وعلى راس هؤلاء « الفخر الرازى » الذى راح يدافع عن داود وعن عصمة الأنبياء دفاعا يبدو تهافته في انه ختمة بقوله : « وحتى اذا كانت الواقعة قد وقعت على الصورة التى اوردهـا المفسرون ، فانه ينبغي الا تذكر باكثر مما ذكرت في كتاب الله ، لانه تعالى لم يشا أن يزيد ، كي يستر على داود » !

وفات الفخر الرازى ان في هذا القول اعترافا بصحة الواقعة ، ولكنه ينصح بالتستر على داود .. وفاته أيضا ان في انكاره للواقعة طعنا صريحا في ابن عباس وانس بن مالك وهما من تعرف من الصحابة قربا الى الرسول ، وتفقها في الدين ، ورواية للحديث !

اما القول بعصمة الأنبياء فلم يرد به نص صريح في القرآن . ولم يكن داود وحده الذى فُتِنَ . فمن قبله أخرج آدم من الجنة ووصفه الله بالغواية والعصيان بقوله «وعصي آدم ربه فغوى» ،

وكذلك فتن موسى عندما « استغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فوكزه موسى فقضي عليه ، قال هذا من عمل الشيطان » . وفي أماكن عدة من القرآن غير ذلك كثير عن يونس وسليمان وغيرهما ممن فتن من الأنبياء .

من كل ما تقدم يكون الاعتراض على ما تضمنته مسابقة العربى ، غير ذى موضوع .

دمشق

● هل صحيح ان دمشق بنيت في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، وان الذى بناها هو « دمشاق بن حام » فسميت باسمه ؟

ماجد شدود
بانياس اللاذقية

ـ اختلف المؤرخون في عمر دمشق ، كما اختلفوا في اسم بانيها او بنائها . فمنهم من يقول انها ترجع الى خمسة آلاف عام ، ومنهم من يقول انها اقدم من ذلك ، وان آدم اهبط من الجنة الى جوارها ! وان فيها اقيم اول جدار بعد طوفان نوح ، وان ابراهيم ولد بعد بنائها بخمس سنين .. ولعل اغرب ما قيل في تقدير عمرها ما ذكره ياقوت الحموى صاحب « معجم البلدان » من انها « بنيت على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس واربعين سنة ، من جملة الدهر الذى يقولون انه سبعة آلاف سنة »!

واختلفوا كذلك في اسم بانيها . وفي اصل تسميتها . قال بعضهم بناها دمشاق بن حام بن نوح ، فسميت باسمه ، وقال آخرون بل بناها احد ابناء آرام بن سام بن نوح ، ومنهم من زعم انه جيرون بن سعد بن عاد بن آرام بن سام ، ومن زعم انه عوض بن بكر بن آرام بن سام .

ومهما يكن من امر فالذى لا شك فيه انها كانت عاصمة الآراميين الذين يقال انهم اول من سكنوها .

المساجد الكبيرة .. والصغيرة

● بينما انا اقرأ كتاب « الايام » للدكتور طه حسين استوقفتني العبارة الآتية :

« وكان يكره الصلاة في المسجد الجامع ، لانه كان يكره الامام ومن اليه من العلماء ، ويؤثر الصلاة في مسجد صغير لا قيمة له ولا مكانة »

فهل يفهم من ذلك ان هناك فرقا بين المساجد ، وان هناك جوامع ذات قيمة ومكانة ، واخرى لا قيمة لها ولا مكانة ؟

رمضان بيرى
بالطب الوقائي ببنغازى

ـ المساجد كلها بيوت الله ، لا فرق فيها بين كبير وصغير ، الا ان المسجد الجامع ، وهو الذى تقام فيه الجمعة ، افضل من المساجد والزوايا التى لا تقام فيها الجمعة .. ولعل هذا ما قصد اليه الدكتور طه حسين . اما ان فهم القارىء ان الجوامع ذات القيمة والمكانة هى التى تتميز بالبناء الفخم والسجاد الفاخر والثريات الثمينة وما اليها من المظاهر الدنيوية فهذا فهم خاطىء .

طفلى « مربوح »

● منذ عامين رزقت طفلى الاول ، وقد ظل هذا الطفل منذ ولادته حتى أتم الشهر الخامس وهو يصرخ صراخا متواصلا رغم كل الوصفات الطبية التى لجأت اليها . وقد اخبرنى كثير من السيدات اللاتى اعرفهن يومئذ انه « مربوح » ، وان الاطفال « المربوحين » لا يكفون عن الصراخ الا بعد الشهر الخامس ، وان كنت قد عزوت ذلك الى كثرة ما تناولت من الحليب أثناء الحمل . وانا الآن حامل مرة اخرى ، ولا استطيع الاستغناء عن شرب الحليب شأن كل حامل ، ولكنى اخشى ان يجيء الطفل الجديد « مربوحا » فيعذبنى كما عذبنى اخوه .

هل استطيع الاستعاضة عن الحليب بمأكولات اخرى تقوم مقامه في تغذيتى وتغذية الجنين ، وتضمن في نفس الوقت الا يجيء هو الآخر « مربوحا » ؟

سميرة
زحلة لبنان

ـ لم نفهم ماذا تقصدين بكلمة « مربوح » ؟ ان كنت تقصدين وجود غازات كثيرة في بطنه ، فتلك علاجها ميسور عند الاطباء ، لا بالوصفات البلدية .. واما ان كنت تقصدين ما يزعم بعض العوام عن « ريح الجن » فتلك خرافات يجب ان لا تصدقيها ابدا

على اى حال عجلى بعرض نفسك على طبيب مختص ، او تقدمى الى احد مراكز رعاية الطفل والامومة ، لتضمنى رعاية طبية مستمرة ، طوال مدة الحمل وبعد الولادة ، فلا يأتى طفلك الثانى « مربوحا » كما تقولين !

ردود سريعة

● السيد عوني ادريس : القامشلي ـ سوريا

ـ نشرنا بالعدد السابع عشر دراسة وافية عن

أب أحمق .. وولد حائر

● أنا شاب في العشرين من عمري ، طالب بالمدرسة الثانوية الزراعية بحلب ، لي اربع اخوات ، واخ طفل عمره اربع سنوات . ورغم ان والدي فقير لا يملك الا بيتا نعيش فيه وقليلا من الارض البعل لا تغنى شيئا ، ولا يزيد دخله عن أربع ليرات يوميا ، اذا اشتغل معظم ايام السنة ، فانه تراوده فكرة الزواج باخرى غير أمي التي ما تزال في الخامسة والثلاثين ، فضلا عما تتصف به من جمال الخَلق والخُلق ، وهما من اجل ذلك في شجار مستمر ، وقد نصحه الكثيرون من الاهل والاصدقاء بالكف عن هذا التفكير . ولكنه مصر على ان يتزوج من امراة تعرف بها اخيرا من غير بلدتنا . وانا احب امي لدرجة العبادة ، ولا احب ان تنغص عليها عيشتها امراة غريبة . ولو تم هذا الزواج فسألقن تلك الدخيلة التي تريد ان تسرق والدي منا درسا لن تنساه ،وعندها ساصطدم مع والدي وانا افضل الموت على هذاالاصطدام.

ان هذا الجحيم الذى نعيش فيه ، وتلك العواصف المستمرة التي يثيرها اصرار ابي على الزواج تكاد تصرفني عن دراستي ، خصوصا وان والدي كالصخرة الصماء لا يريد ان ينتصح بذوي العقل والرأي السديد . فماذا اصنع ؟ ! انى اكاد اجن !

قاره ـ سوريا ـ م.ش.ح

ـ عليك ان تقف موقف الحياد ، وتترك اقناع والدك بعدم الزواج للخيرين من اهل قريتك . فاذا ما ركب راسه وتزوج فثق ان زواجه لن يعمر طويلا ، فستكشف الزوجة الجديدة عجزه عن الانفاق على بيتين ، واعالة زوجتين ، فضلا عن من عنده من البنين والبنات، باربع ليرات !

كما ان والدتك تستطيع ان تستصدر ضده حكما بالنفقة الشرعية لها ولاطفالها الصغار ، وعندها سيزداد احساسه بالعجز المادي ، ويتبين انه اجرم في حقكم وفي حق نفسه ، فيضطر للتخلص من الزوجة الجديدة ويعود الى والدتك نادما .

اما انت فركز كل همك في دراستك حتى تتخرج ، وتلتحق بعمل تستطيع عن طريقه ان تسعد والدتك التي تحبها . وحذار ان تجاهرا الزوجة الجديدة بالعداء ، لان ذلك سيجعل والدك يقف في صفها ، ويزداد ـ من قبيل العناد ـ تمسكا بها وحرصا على بقائها ، فتزداد الامور تعقيدا على تعقيد .

« امرىء القيس » للاستاذ محمد فريد ابو حديد . حبذا لو رجعتم اليها .

● **السيد محمد الحوراني** : دبلوم تربية ــ درعا المحطة ــ سوريا

ـ شكرا ـ لكن « العربي » لا تنشر محاضرات سبق القاؤها ، مهما كان موضوعها هاما .

● **عبد الفتاح ابراهيم** : أريحا ــ الاردن

ـ يمكن ازالة الغشاوة التي على عينك بعملية جراحية وبعدها تستطيع ان ترى ان كانت العين سليمة .

● **باسط** : تونس

ـ ممرضتك كانت تجاملك اثناء مرضك ـ ولعلها كانت تتسلى .. فاذا كانت قد هجرتك فخيرا فعلت كي تتفرغ لدراستك ايها الطالب النجيب !

● **محمد عيسى الزير** ــ السعودية

ـ من قال ان الشبان في السعودية لا يتزوجون الا من كانت لهم بهن صلة او صداقة ؟ ولماذا تريد ان تغضب والدتك وانت تقول انك حريص على رضاها ؟

● **معروف محمد** : مصلحة المياه ــ فاس ــ المغرب

ـ تقدم لخطبة فتاتك من ذلك الثرى الذى يتولى تربيتها ، فان رفض هو او زوجته فتصرف بعد ذلك على ضوء عواطف الفتاة .

● **نصره عبد الله سالم** : عجلون ــ الاردن

ـ زميلتك لم تقرا قصتك في « العربي » ، لانها لم تنشر .

الألسن الألكمالَة

قصة بقلم : الدكتورة انعام مسالمة

■ فركت المراة كفيها ، وارتفع هدير شفتيها المحمومتين يائسا ضعيفا ، ملؤه الالم والخوف .. بينما تقلصت وجوه المحيطين بالجثة المسجاة ، والدم ينسكب منهـا بغزارة . وفجـاة ارتفعت اصوات اقدام آتية ، ودخل غرفة الاسعاف طبيب عملاق ، على وجهه تبدت علامات الجمود ، وقصد الى حيث الجثة واخذت يده المكسوة بالقفازات تزيح عنها الدثار الابيض المنسدل فوق الجسـد الساكن .. فاستقبلت الاعين كومة مـن الامعـاء الدافقة ، ووجها اختلطت فيه صفرة الموت ببياض العينين المفتوحتين .. لاتعرفان ذعرا ولا خوفا .. كان فمها ايضا مفتوحا ، بلا كلمات ولا همسـات ، ولاول مرة بدا الفم الجميل يرسم انفتاحة بلا معنى .. وببلاهة ... توقفت حركة الطبيب قليلا ، ثم ردت يده أثواب القتيلة على جسدها ، وامر بحملها الى غرفة العمليات .

دمية خلقت لتحيا ، لم تنتهى ، ولكن عهدهـا بالحياة كان عهد البؤساء ... كان من المفروض ان تشرق براعمها تحت شمس الوجود وفى مكان ما من العالم ... ولكن ايامها انتهت بلا ازهار ولا اشراق .. بلا تفتح ولا عبير ... انتهت وكانها لم تبدأ ... لن يفتقدها احد بعد سنوات .. ولن يتذكر قصتها الا نفر من العجائز يزرن المقابر فى المواسم .. وسيخيم صمت عميق ، كصمت الابدية .. بينما الزمن ماض فى دورته ، لا يتوقف ولا يستريح !

كانت سمراء امتزج فيها العناب بالورد ، فخرج جسدها يتفتق عن اعطاف زنبقية ، كاضمومة من رياحين تقذف العطر حيثما داعبتها نسائم الروض ... وحول روض الحسن هذا كانت شخصية فيها بعض الصلابة تحمى ازهار الروض وزنابقه وريحانه .. صلابة حلوة تحفظ العطـر والياسمين بعيدا عن أعين الفراش المتطلع من خلف السياج.. حيث ينساب الجدول الفواح ملء العين ، تاركا لهـا خلفه حريقاً فى الحناجر المبحوحة ، ودهشة فى العيون المرتقبة .

وكان الشباب يتساءلون كلما ابصروا الروض قائلين : اين هو آدم الذى منحته قلبها .. ؟ اين هو ساكن الفردوس الذي سيشاركها عشها .. ؟ ولم يجد احدهم جوابا لسؤاله ... وكانت هناك حلقة ما ضائعة ، لا يعرفها شباب القرية ، حلقة مفقودة حاولوا العثور عليها ولكن دون جدوى ..

الى ان كان يوم ربيعى انعقدت فيه حلقـات الشباب يسمرون ، وكان بينهم شاب بأحاديثـه يتندرون. قال احدهمساخرا منهذا الذى يتندرون باحاديثه : اسمع يا هذا ، سابوح لك بسر امام الشباب . اجابه الشاب الذى هـو ابن وجيـه القرية : هات يا صاح سرك ..

قال الاول : حسناء ، انها ما زالت تنتظرك ، استتقدم لخطبتها ؟! فقد رفضتنا جميعا من اجل عينيك . ولعب الغرور بعقـل الشـاب ، الذى يعرف ان حسناء لا يمكن ان تهواه . فابتسم قائلا : غدا ، غدا ، وان غدا لناظره قريب .

فابتسم آخر وقال : واذا رفضتك ؟

قال ابن الوجيه : لن تفعل ...

واستمرأ الكذب فاضاف هامسا : فقلبها وقلبى منصهران فى بوتقة الحب منذ امد طويل ! شهق الجميع ، للكذبة التى اطلقها ابن الوجيه المغرور ، فهم يعرفونه ويعرفون تفاهته ، كما يعـرفون ان « حسناء » لا يمكن ان يستهويها امثاله .

ورد عليه احدهم : صهرتك جهنم يا ملعون ! لو سمعتك فى هذيانك ، لضربتك بحذائها .

اضاف آخر : بل لاشبعتك بصقا . فهى تخشى على كعب حذائها من راسك .

احس ابن الوجيه بانزلاقه الى بئر الكذب .. ولكنه خشى ان يتراجع ، فقال : انها تتمنى ان

اخطبها منذ امد .. ولطالما الححت على بذلك ..

ـ لماذا لم تتقدم لها حتى الان .. !

قال آخر ساخر ! انه يتدلل .. الم اقل لكم انه يتدلل .. فالدلال رجولة ..

غمز احدهم الباقين وقال : اذن حدثنا يا سندباد الغرام عن مغامراتك في بحور « حسناء » !

رفع الفتى الاحمق حاجبه وزم شفتيه وقال : ليس ذلك من الرجولة ! ...

وارتفعت الاصوات بالضحك من حوله ، وصاح صوت : خشي من كعب حذائها فايفقد رجولته ..

وقال آخر متقمصا هيئة من يدافع عن ابن الوجيه : الا يكفي انه حدثكم عن حبه .. دعوا له هذه الاشياء الصغيرة .. صاح صوت من خلفه : « ولكننا نريد هذه الاشياء الصغيرة برهانا ياصديق » ...

وساد صمت عميق ... قطعه احدهم مقترحا : اخطبها اذن ... اخطبها ودعنا نرى ... وصاحوا جميعا .. صحيح .. ، اخطبها وتوكل ... وفي امسية اليوم التالي انطلق موكب من دار الوجيه الى دار والد « حسناء » يريد ان يخطبها لابن الوجيه .

قال والد « حسناء » : لا مانع يا حمد بك ، اذا قبلت الفتاة .

قال احمد بك الوجيه : انها لن ترفض .

قال والد حسناء : حسنا ، ارجو ذلك . ولكن الامر متروك لها على كل حال ، فهذه حياتها ، وانا لن اجبرها فهي عاقلة الى درجة تسمح لها اختيار زوجها .

قال الوجيه : ولكننا لم نتعود ذلك ، كيف تختار الفتاة ؟ الكلمة لك يا صديقي .

قال والد حسناء : لن اجبرها على كل حال . وقال في نفسه كيف اعطي « حسناء » لهذا التافه السخيف الاحمق .. ولهذا لن احرج عندما اسوق على لسانها الرفض .

ولكن الوجيه تحمس وانطلقت عبارته عن حماسة : ولكنني متاكد ان حسناء لن ترفض .

ابني قال لي انهما متفقان ... ودحرج لسان الوجيه صاحبه الى بئر لا يعرف لها قرار : اذ

ـ اخرس يا مخادعة : لا اريد ان اسمع صوتك ولا ارى وجهك حتى تذهبي لداره .. افهمت ؟

صرح بذلك امام الوفد ... ! وحاول ان يرجع عما قال اذ بان الكدر على محيا والد العروس الذى ما لبث ان تقنع بابتسامة باردة . وقال له : اذن فنحن متفقان .

وحمد له الوفد تعقله وصمتوا ...

قال الوجيه : لنقرأ الفاتحة .

قال والد حسناء : حسنا ...

قال الوجيه : ولندفع المهر

قال والد حسناء : لا ارى فى الامر عجلة .

ـ ولكننا فى عجلة من الامر ، الا يكفى الشباب هذا التشرد الطويل .. سندفع المهر حالا ...

ـ كما تريد ...

واضاف لنفسه طالما ان حسناء قد اختارت هذا المعتوه فلتتحمل نتائج اختيارها .

وقرأ الحضور الفاتحة ، ودفعوا المهر ، وانصرفوا

بقى والد حسناء وحيدا بعد ان تفرق الوفد وهو يفكر بابنته التى خدعه تعقلها ، حتى ظنها فوق مستوى الكثيرات من اترابها ، كيف علقت بهذا الاحمق ، وكيف ان احمد بك قد وجه اليه هذه الاهانة القاتلة امام الحضور اذ قال ان ابنته والاحمق متفقان ؟.....

وغرق صاحبنا فى دوامة من الالم والحيرة ، والخزى من تصرف ابنته والحنق عليها ...

ولما جاءت حسناء وامها عنده قال لابنته وعيناه محمومتان وصوته متهدج : واخيرا مبروك يا حسناء لقد اجتمع شملك بمن تحبين .

ـ ماذا تقول يا والدى ؟

ـ لاتصطنعي الدهشة ، فقد كنت اتمنى ان امزق اربا ، وعلى ابشع صورة من ان يقال لى ما قاله احمد بك امام الناس الحاضرين .

ـ عن اى شىء تتكلم يا والدى ؟

ـ اخرسى يا مخادعة ، لقد خدعت بك طوال هذه السنة لتختارى اخيرا معتوها .. احمق .. يا ضياع الثقة يا أم حسناء ....

ـ اى معتوه هذا الذى تعنيه ؟

ـ اى معتوه .. ؟ المعتوه الذى اتفقت معه .. حبيبك المعتوه .

ـ حبيبى انا ؟ اقسم لك ...

ـ اخرسى يا مخادعة : لا اريد ان اسمع صوتك ولا ارى وجهك حتى تذهبى لداره .. افهمت ؟

وخرج من الغرفة والغيظ يتدفق من كل جوارحه .

وصمتت الام .. حاولت حسناء ان تشرح لامها ، ولكن الام كانت كانت لاهيمة عن سماعها بالتفكير فى موقف زوجها ، فلحقت به وهى تفرك كفا بكف وتردد ما قاله : « يا ضياع الثقة يا مجنونة » .. وخلفت وراءها ابنتها غارقة فى بحر من الدموع . فى كل مناسبة ، كانت « حسناء » تحاول الشرح لابيها او لامها .. ولكنها لم تستطع ... هددت بالانتحار ... فقال ابوها : ليتها تفعل !

وجاء يوم الفرح ... واختفت حسناء فى غرفتها فظنوها تعد نفسها للذهاب الى دار العريس وحان الموعد وتجمهرت النسوة حول امها .. ولما طال غياب حسناء قامت الام تجرجر اذيالها الى غرفة ابنتها . فقرعت بابها .. باب غرفة العروس ... لم يجب ام حسناء الا الصمت . فاعادت المحاولة مرة تلو الاخرى ... ولكن عبثا لم يأتها جواب ، فاوجست خيفة من ان تكون ابنتها قد نفذت تهديدها وانتحرت ! وخلع الباب .. وتدفق السيل العرم الى داخل المخدع ... ولم يعثر لحسناء على أثر .. وانتشر الخبر ، كالنار اذ تنتشر فى الحطب : فرت العروس ... هربت اختفت .. ولكن اين ؟ ... ومع من ؟ تساءلوا جميعا من يهمه امر حسناء ، ومن لا يهمه من امر حسناء شىء ...

وتطلع الشباب ليبحثوا عن العريس ، اين الحب الذى زعم قيامه بينه وبين حسناء ؟ وتساءل والد حسناء مع المتسائلين عن صدق ما قاله احمد بك ليلة جاء يخطب ود ابنته . اين التفاهم ؟ اين الحب ؟ واين ؟ ؟!!

وجاءت الاخبار بعد قليل ، بأن حسناء فى دار مختار الضيعة المجاورة .. حسناء لجأت الى دار المختار مع شاب غير خطيبها .. ولاكت السنة الجائعين حوادث ملفقة وافعالا مزورة كثيرة . وقال وقيل .. حتى ان الالسن نفخت احشاء حسناء ووضعت فيها جنينا !!

ياللالسنة القذرة ! لقد حاصرت حسناء ، دون ان تدرى حسناء من امرها شيئا ... وذهب شقيق حسناء ليرى ان كانت اخته مصرة على الفرار من خطيبها لتتزوج هذا الذى فرت معه . وقالت حسناء هذه حياتى ، لن تزوجونى بالاحمق ، من اجل كبريائكم الفارغة ، وكلمتكم الظالمة .. واستل

شفيق حسناء خنجرا ورصعه في بطنها بمثل السهولة التي ترفعها لتغرز وردة في زر سترتك او صدر محبوبتك !

تدفقت الامعاء ، واختلطت بالدماء ، وسالت الى الخارج تعلن عن الجريمة .. وحملت «حسناء» الى الطبيب ، ورفع الغطاء ليكشف عن وجه ابيض وعينين مفتوحتين ببلاهة ، عينين لا ذعر فيهما ولا خوف .. وتوقفت حركة الطبيب قليلا لتعلن عن ان حياة « حسناء » قد انتهت ! وردت اثوابها عليها ، حملوها جثة مسجاة على نقالة الى غرفة العمليات وهناك ، وبعد التشريح ، قال الطبيب عذراء .. انها ما زالت بكرا .. ! تطلع ابوها حوله وكأنه يبحث عن الالسن التي لاكت عرض ابنته ، عن الالسن التي مزقت احشاءها ووضعت فيه جنينا !! ونكس الجميع رؤوسهم وخرجوا .. وظل طيفها متعلقا فوق الرؤوس .. ولم يبق الا والد حسناء وحيدا .. وخيل اليه انه في قاعة محكمة احتشدت فيها الالسن ... ولكل لسان اكثر من فرع حاد وعلى جانبيه نمت اشواك اكالة ، وابنه داخل قفص الاتهام ، والنائب العام يرفع عقيرته مطالبا باعدامه شنقا ..

تطالع الوالد الى النائب العام وتساءل : سيدى لماذا تحكمون على ابني بالموت ؟ الانه قتل اخته ؟ حقا ، ان القاتل يستحق القتل ، ولكن يا سيدي لماذا لا تحكمون على الالسن ، الالسن الاكالة التي لاكت شرفنا بينما كان شرفنا مصونا .. حاكموهم يا سيدى .. حاكموا اهل الضيعة جميعا .. كلهم يا سيدى قد شرعوا السنتهم الاكالة لينالوا من لحم ابنتي نيئا .. الا يستحق هؤلاء الشنق يا سيدى ..

علا شهيق الوالد ، وتقاطرت دموعه ، وجاء من سحبه من قاعة المستشفى الى مكان آخر .. تم فيه الالسن رسالتها ، دون ان ترعوى .. ■■

انعام مسالمة
درعا

ساعات
فافر - لوبا
فخر الصناعة السويسرية
ترضي جميع
الأذواق
• مختلف الأنواع
• نسائي ورجالي
• تعمل في كل الأجواء
الوكلاء العامون
العراق عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد
البحرين يوسف احمد الساعي وشركاه
شارع باريت ص.ب ٢١٨
FAVRE - LEUBA
علامة الثقة
الكويت محمد عبد الله الشهاب
شارع عبد الله السالم (الشارع الجديد سابقاً)
ص.ب ٢٣٨ - تلفون ٢٣٢٢
فرع : شارع فهد السالم تلفون ٥٣٤١

مسابقة العربي (بقية)

وهو القائل :

اهز بالشعر اقواما ذوي وسن
في الجهل لو ضربوا بالسيف ماشعروا
عليّ نحت القوافي عن مقاطعها
وما عليّ اذا لم تفهم البقر !

فمن هو ؟

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على هذه الصفحة . ويكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي ـ العدد ٤٦ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٢ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي : الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .. الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .. (٨) جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة « العربي » : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي

قسيمة المسابقة (كوبون) ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان : ....
....
....

بريد القراء
بقية المنشور على صفحة ٦

ابن خلدون
سبق برتراند رسل

● جاء في مقال للدكتور زكي نجيب محمود بالعدد ٤٤ من مجلتكم القراء عن الفيلسوف المعاصر « برتراند رسل » انه يرى ان النظام الاجتماعي كثيرا ما يكون مؤامرة كبرى على حرية الافراد ، ويقول في برهنته على ذلك « حتم محتوم على الناشىء الجديد ان ينصب مع غيره في قالب واحد الا فهو الشاذ الذي يستحق أن يوضع موضع السخرية » ... الخ .

واحب ان اشير هنا الى ان الفضل في هذه النظرية يعود الى العرب ، وقد سبق « رسل » في ذلك واضع علم الاجتماع العربي « ابن خلدون » بحوالي ستة قرون من الزمن حين قال : « ان من ادرك اباه او اكثر اهل بيته يلبسون الحرير والديباج ، ويتحلون بالذهب في السلاح والمركب ، ويتحجبون عن الناس في المجالس والصلوات ، فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس . اذ العوائد حينئذ تمنعه وتقبح عليه لمرتكبه . ولو فعل لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد وخشي عليه عائدة ذلك عاقبة السلطان » ...

وهذا واضح كل الوضوح في ان الفرد لا يستطيع ان يسلك ويتصرف الا بما يفرضه عليه المجتمع من عرف وتقاليد وهذا بالطبع مؤامرة كبرى على حرية الأفراد ويسمى بالقصر أو القهر الاجتماعي .

ارجو نشر ذلك لاظهار فضل المؤرخ والاجتماعي العربي ابن خلدون الذي كان له الفضل في وضع اسس علم الاجتماع والعمران البشري قبل ستة قرون من الزمن ، وله الفضل في وضع أسس الاجتماع في قرننا المتحضر .

محمد علي شاهين
عمان ــ الاردن

هاروت وماروت

● لقد قرأت كثيرا الاستفسارات والاسئلة حول كنه هاروت وماروت ولكني وبعد ان قرأت ما شرح عنهما فان ما لهما من خبر هو كالآتي :

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى « وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » وقد اشتقت هاتان الكلمتان من كلمتين في اللغة الافغانية فكلمة هاروت ماخوذة من كلمة هاروتات Huarvatat وكلمة ماروت ماخوذة من كلمة امرتات Ameretat ، وتستعملان في اللغة الافغانية على انهما من اسماء اشهر السنة ولكن بلفظين مختلفين هما (خرداد) و (مرداد) .

اما ما قيل عن (يغوث) و (يعوق) اللذين ورد ذكرهما في القرآن بقوله تعالى « ولا يغوث ويعوق ونسرا » واللذين كانا موجودين في مجمع آلهة العرب قبل الاسلام فهما الهيكلان الماردان المنحوتان في جوف الجبل في باميان شمالي العاصمة الافغانية « كابول » والذي يبلغ طول احدهما ٥٣ مترا وقد ذكرهما ياقوت الحموي في معجم البلدان ب (سرخ بد) و (خنج بد) .

ولا يزال هذان الهيكلان قائمين في باميان يشاهد روعتهما وضخامتهما كل زائر .

وليد سالم صقر

كلية الحسين ـ عمان ـ الاردن

مهاجر يسأل عن أهله

● ان ما تتمتع به مجلتكم الزاهرة من رواج منقطع النظير في الوطن العربي ، شجعني على ان ابعث اليكم بهذه الرسالة

فقد قدمت بي عائلتي من الوطن الليبي حوالي عام ١٩٤١ واستقرت بقرية تدعى الصماصيه من معتمدية مكثر بالجمهورية التونسية . وبعد قليل تركني ابي مع امه المكفوفة البصر وعاد الى ليبيا

لبعض شؤونه وكان عمرى اذ ذاك دون العام ، ولكنه لم يعد ، كما ان جدتي ماتت فكفلتني اسرة كريمة في « مكثر » ، ولما كبرت عرفت ان ابي يدعى مبروك بن سعيد ، ولكني لم اعرف من اي قرية هو ولا الى اي قبيلة ينتمي .

ارجو ان تنشروا قصتي لعلها تقع في يد أحد اهل الخير في ليبيا فيدلني على اسرتي ويرشدني الى جذوري مشكورا عندي وعند الله .

خليفة بن المبروك بن سعيد
نهج بوشناق ١ مكرد تونس

طفلة لا تتكلم !

● منذ بضعة اشهر وقعت طفلة لنا في السابعة من عمرها ، من شرفة في الطابق الثاني ، دون ان تصاب باي كسر او رض ، لكنها توقفت منذ تلك اللحظة عن الكلام نهائيا . وقد عرضناها على بعض الاطباء في الرياض فلم يتمكنوا من علاجها ، مع العلم انها احيانا تتمتم وهي نائمة بكلام غير مفهوم

هل هناك امل في شفائها ؟

الرياض
غازي بن محفوظ الكندي

ـ لابد من عرضها على طبيب مختص في جراحة المخ او الاعصاب

الشاعر ابو سلمى

● من هو شاعر النكبة الذي يوقع قصائده باسم « ابو سلمى » ؟

الوفره — عبد العزيز مصطفى

ـ ابو سلمى هو الشاعر عبد الكريم الكرمي

العربي

٤٧
جماد اول ١٣٨٢
اكتوبر
(تشرين اول) ١٩٦٢

مع هذا العدد

هدية ثمينة

العربي الصغير

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

عجل رضيع
ويد حانية
ومزرعة للابقار
في صحراء الكويت

الثمن

	١١٠	فلوس
العربي	٢	روبية
سعودية	٢	ريال
اليمن	٣٫٥	شلن
العراق	١٠٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الاردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج٠ع٠م٠:	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	فرنك
المغرب	٢٠٠	فرنك

تثائب الأب ، فتثائب الابن
ومن شابه أباه فما ظلم !

عزيزي القارىء

● كتب السيد محمد بيهى الحاجبى من الجديدة بالمغرب ، يعتب على ((العربى)) انها زادت من المساحة المخصصة من صفحاتها للاعلانات ، ويسأل : كيف يمكن التوفيق بين هذه الزيادة وبين قولنا غير مرة ان ((العربى)) تصدر لا لكي تحقق كسبا ماديا ، ولكن لتكون هدية الكويت الى كل قارىء عربى .

ومما لا خلاف عليه انه لولا الاعلانات ما عاشت جريدة أو مجلة ، مهما بلغ من ثرائها ، ولا امكن أن تباع بالثمن الذى تباع به لقرائها .. ومع ذلك فنحـن فى ((العربى)) لا نتقيد بهذا المبدأ ، لأننا ، كما قلنا ، لا نريد أن نحقق من اصدارها كسبا .. وحسب القارىء أن يعود الى اعدادها الأخيرة ، ليرى أن منها ما زدناه ست عشرة صفحة ، ومنها ما زدناه ثمانى صفحات ، مع أن الزيادة فى الاعلانات لم تتجاوز فى أىٍ منها نصف هذا القدر من الصفحات ، وذلك لكي يشعر القارىء بان هـذه الزيادة لم تكـن ، ولن تكون أبدا ، على حسابه .

((المحـرر))

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

تربية وعلم نفس :

طب وعلوم :

فلسـفة :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● اما العجل ، فدنمركي الاب والام ، ولكنه ولد في الكويت .. واما الخفرة التي هو فيهـا فاحـدى معجزات العصر الجديد في الكويت التي استطاعت ان تجعل من تلك البقعة من الصحراء القاحلة جنة خضراء ، اقامت عليها مزرعة للابقار على احسن الاسس الحديثة (اقرا الاستطلاع على صفحة ١١٦ وما بعدها)

فلك :

شعر .. وشعراء :

ركن المراة :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس • مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٣٫٥ شـلن • العراق ١٢٠ فلسا • سـورية ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش ج٠ع٠م ١٠ قروش • ليبيا ١٥ قرشا • تونس ٢٠٠ فرنك •

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة راسا بين المشترك والموزع •

ابو ذر ... وعثمان

● طالعتنا مجلة « العربي » الغراء في عددها رقم ٤٥ بمقال عنوانه « ابو ذر الغفاري » للدكتور وليد قمحاوي تعرض فيه كاتبه لبعض القضايا الهامة مثل قضية المال الذي ارسله سيدنا عثمان الى سيدنا ابي ذر رضي الله عنهما، ومثل قضية نفي الأول الثاني الى الربذة .. الى غير ذلك من القضايا التي تتصل بالموضوع .

اما المال الذي ارسله الخليفة الى ابي ذر فانه انما ارسله اليه لكي يجربه ويختبره في صدق دعوته لا ليخدعه ، لان الخدعة ــ كما هو معلوم ومفهوم ــ انما يلجأ اليها صغار النفوس ضعاف الهمم، لا أصحاب النفوس الكبيرة والقلوب العامرة بالايمان والتقوى من أمثال عثمان بن عفان.

واما نفي عثمان لابي ذر الى الربذة فانه لا أساس له من الصحة ، لان عثمان انما خير ابا ذر بين امرين : اما ان يقيم بالمدينة شريطة أن يلتزم جانب الصمت ، ويكف عن حركته التي تعمل عملها في النفوس والقلوب ، فتسبب اثارة الفتن والفوضى ، واشاعة القلاقل والاضطرابات ، او يمضي الى اي مكان شاء ، فاختار ابو ذر الربذة مقاما له وسكنا ... فقد جاء في كتاب (التمهيد) للامام أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني ما نصه : (واما تعلقهم بأنه نفى ابا ذر الى الربذة) فباطل ، لان ابا ذر اختار الخروج اليها لما خيره عثمان وكره المقام في المدينة ، فلا عتب على عثمان . ولو صح انه ابعده عن المدينة، لم يكن بذلك مأثوما ، فأبوذر كان يطعن على عثمان وعلى امرائه ويقول انهم قد استأثروا بالمال ، وعلوا البنيان ، وركبوا المراكب ، وكان هذا عنده منكرا ، وكان أبدا يقول اذا دخل على خلفائه : « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .. هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » . ويغرق في مجاهرتهم بأغلظ القول ، وليس له فعل هذا ، فانكر عليه ذلك عثمان وقال له : « اما ان تقيم وتكف عما يثير الفتنة او تبعد الى حيث لا يسمع منك ولا ينكر فعلك » .

وبعد ، فليسمح لي الاستاذ ان أقول له ، من باب الذكرى بأن بعض مؤلفي كتب التاريخ ، كالمستشرقين ومن لف لفهم من اعداء الدين ، انما املى عليهم التعصب والهوى عندما راحوا يؤلفون ويكتبون عن كبار رجال الاسلام الذين لعبوا ادوارا هامة على مسرح الحياة ، لذا ينبغي الا نأخذ كل ما يرد في كتبهم ومؤلفاتهم كقضية مسلمة لا تقبل الشك والجدل ، بل يجب أن نرجع الى المصادر المعتبرة الموثوق بها والمعول عليها حتى يجيء نقدنا نزيها وحكمنا عادلا .

ابو صالح ــ البحرين ــ المحرق

« العربي » : مهلا ابا صالح ! ، فانت تقول ان المال الذي ارسله عثمان الى أبي ذر انما كان « لكي يجربه ويختبره في صدق دعوته » ..فالواقعة اذن صحيحة ، وكل ما تأخذه على الكاتب قوله ان ما فعله عثمان كان خدعة !

اما ما تنفيه استنادا الى حجتك « الباقلاني »من أن عثمان نفى ابا ذر ، فهلا عدت الى قراءة ما قلته في رسالتك من ان عثمان خير ابا ذر بين أن يقيم في المدينة بشرط أن يلتزم الصمت ويكف عن الحركة ــ وهو ما يسمونه بلغة السياسة في عصرنا الحاضر « تحديد الاقامة » ــ او ان يمضي الى اي مكان شاء .. ثم قل لنا بربك ماذا تسمي هذا ان كانت تسميته بالنفي لا تعجبك !

ان هذه الوقائع وأمثالها ثابتة في كل كتب تاريخ الاسلام التي وضعها علماء مسلمون ثقات ، من غير المستشرقين واعداء الدين . وحسبك أن تقرأ عن « الفتنة الكبرى » وما يدرس عنها في الجامعات الاسلامية لتعرف ان عهد عثمان (رض) كان اول نكسة اصيب بها الاسلام ، وانحرفت بحركته التقدمية عن اهدافها .

نريد معهدا للبترول العربي على مستوى جامعي

● ان ثروة العالم العربي الضخمة من البترول تحتم عليه انشاء معهد فني عال لشؤون النفط جملة وتفصيلا .

وعندما اقول ، بانشاء معهد للبترول العربي فاني لا اعني مركز تدريب كما في السويس مثلا ، وانما ادعو لانشاء اكبر معهد هندسي في الشرق على مستوى جامعي . معهد على غرار M. I. T. الامريكي ، ولكن على مستوى يلائم ظروفنا وحاجتنا ، بحيث تكون الموضوعات التي تدرس فيه هندسية تطبيقية بصفة عامة ، مع التوكيد والتركيز على هندسة البترول بصفة خاصة ، بحيث تتناول الصناعات البتروكيماوية ، كما تتناول مختلف شؤون البترول ، تاريخا وتنقيبا واستخراجا وتصفية ونقلا وتسويقا ، بالاضافة الى الغاز الطبيعي الذى يذهب معظمه هباء حتى الآن ...

والاسباب التي تدعو لانشاء هذا المعهد كثيرة . اهمها مسئوليتنا البترولية الضخمة باعتبار ان الاحتياط الاكيد في باطن الارض من الزيت الخام في الشرق الاوسط يعادل ٢/٣ مجموع احتياطي العالم كله ، اذ حوالي ٢٦٠٠٠ مليون طن ، وان المستخرج من الزيت في هذه المنطقة يفوق ربع المستخرج من العالم كله ، والمصدر من بترول الشرق الاوسط يفوق نصف المصدر من العالم كله ، وكل الدلائل تشير الى ان نصيب الشرق الاوسط من الزيت سيظل في زيادة مستمرة بعشرات السنين القادمة .

اضف الى ذلك ان الشركات المنتجة للبترول تحاول ايهامنا ان هذه الصناعة فوق مستوانا ، ومما يساعد على ذلك الوهم عدم وجود معهد هندسي بترولي ١٠٠٪ على مستوى جامعي في العالم العربي كله ، مع اننا على أبواب ثورة صناعية . وسواء شئنا ام ابينا فاننا سنواجه مع الزمن الحقيقة المرة : التصنيع .. او الفناء !

لقد علمتنا حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، بين ما علمتنا ، قيمة بترولنا لاوروبا . وليس من الحكمة في شيء ان نستمر في تصدير البترول للخارج في شكله الخام ، بل يجب ان نعمل على تصنيعه في بلادنا بتصفيته اولا ثم ببيع منتجاته الوقودية للخارج ، ثم بالتوسع في صناعة البتروكيمائيات التي احدثت ثورة في صناعة البترول في السنوات الاخيرة .. وبالطبع فان تصنيع البترول على هذه الصورة يحتاج الى جيش من المهندسين والفنيين وهؤلاء لا بد لهم من معهد عال يتخرجون فيه على مستوى جامعي .

وقد تعرض في هذا الصدد طائفة من الاسئلة اهمها التساؤل عن مستقبل مثل هذا المعهد على ضوء ما ينتظر من مزاحمة الطاقة الذرية للبترول. وفي راي ان لهذه الطاقة مصاعبها كغلاء تكاليفها الاولية وحاجتها لوقت طويل حتى تصبح رخيصة، وحتى حينئذ ستبقى للبترول قيمته ومكانته . فاختراع الطائرة لم يلغ السيارة ولا القطار ، ولذلك يمكن القول بان الشرق الاوسط سيظل للمائة سنة المقبلة اكبر مخزن ومصدر للطاقة في شكل بترول ، للعالم اجمع .

وحتى لو فرضنا ان البترول سيصبح مصدرا ثانويا للطاقة ، فبامكاننا حينئذ تطوير هذا المعهد حتى يتلاءم مع الوضع الناتج بدون أن يخسر مكانته كمعهد هندسي من طراز رفيع ، يخرج لنا مهندسين في مختلف فروع الهندسة اللازمة للتصنيع .

والسؤال التالي في الاهمية هو أين ننشيء هذا المعهد ، ومن أين نأتي بالمال اللازم له ؟

وانا ارشح لانشائه احدى منطقتين : اولاهما منطقة الخليج العربي ، والثانية الشمال الافريقي، ليكون قرب حقول الزيت مما يتيح لطلابه مشاهدة العمليات المختلفة عن كثب .. واما المال اللازم فياتي من ثلاثة مصادر : الدول المنتجة للنفط ، كل بما يتناسب وانتاجها ، ومن شركات النفط في المنطقة ، ومن الهبات الجماعية او الفردية .

ونظرا لان المعهد سيكون ملكا للعالم العربي كله ، وليس لبلد معين ، فان مجلس الامناء ، وكذلك الاساتذة والطلاب ، يجب أن يكونوا من مختلف بلاد العالم العربي .

وبعد ، فهذه هي الخطوط العريضة للمشروع. اما شروط الالتحاق بالمعهد ، واما المواد التي تدرس فيه ونظام التخرج الذى يسير عليه ، فتلك كلها اشياء اتركها لوقتها .

(البقية على صفحة ١٥٨)

فى هذه الأيام تفتح المدارس والجامعات

التعليم ؟

بقلم رئيس التحرير

■ انتهى الشهر التاسع ، سبتمبر ، وجاء من ورائه الشهر العاشر ، اكتوبر . فى هذه الفترة تبدأ ابواب المدارس تتفتح ، وتتفتح النوافذ ، ويزيل الفراشون عنها ، وعن مقاعد يجلس عليها التلاميذ ، التراب ، التراب الذى هبط اليها ، ورسب وتجمع عليها اشهر الصيف الثلاثة ، لم يأبه له احد ، لانه لم يكن فى المكان انسان . وحيثما اختفى الانسان ، من مكان ، والى أن يعود ، يترك الأمر للطبيعة تفعل بالزمان والمكان ما تريد .

استعداد للروتين

والبيوت : حتى يوجد طفل أو طفلة وصبي أو صبية ، أو شاب أو شابة ، تهتز ، وتتحرك بدخول الشهر التاسع والعاشر ، وتستعد للروتين ، الذى انقطع بانقطاع المدارس فى الشهر السادس ، ليعود ، ويعود الاستيقاظ الباكر ، والافطار الباكر ، وعناية الأم خاصة بأن يلحق بنوها وبناتها بأبواب مدارسهم ومدارسهن قبل ان تدق الأجراس فيها .

الجموع الزاحفة ، من طلبة وتلاميذ

والاعداد الزاحفة ، فى ذلك السبت الأول ، عند افتتاح المدارس ، تذكر بزحف الجيش . انها الآلاف مؤلفة تخرج فى ذلك اليوم ، هدفها مكان التجميع ... المدارس .

واللباس جديد ما امكن . والمحفظة جديدة ، فمحافظ هذه الأيام تستهلك فى عام . والقلم ، سلاح العمل ، قد استوثق كلٌ من جدَّته ان كان لا بد من تجديد ، أو على الأقل من حسن أدائه . وقد ملأه بالحبر مألوفه ، استعدادا لصبه على الورق ، كلمات مما يقول الأستاذ ، فى ذلك اليوم المشهود ، مسموعات ، مفهومات ، ضائعة لا شك من بعد فهم

ارستقراطية الياقات البيضاء أفسحت طريقها لديمقراطية الياقات والجلابيب الزرقاء

من القارب ذى المجداف إلى الباخرة ذات المداخن ثم يرمى الشاب بنفسه فى بحر الحياة المتلاطم

وسماع لولا حبسها بهذا الحبر اسطرا على اوراق .. بدعةً الانسان الأولى فى التسجيل والترقيم . ويعود الطالب ينظر اليها ، اسطرا سوداء محبورة ، فكأنما هي كلماتٌ يقولها الأستاذ من جديد .. نعم . نعم ، هذا صوته ، وهذه معانيه . تأدتْ كلها كاملة ، وصاحب الصوت وصاحب المعنى قد ذهب ، لعله الآن نائم ، او لعله طاعم ، أو لعله فارق فلن يعود .

أفمنْ اجل هذا كانت كتابة ما نقول ، وقراءة ما تكتب ، هى اول ما يتعلم الطفل فى مدرسة ، بحسبان القراءة والكتابة اداةَ التعليم المزدوجة الواحدة التى بدونها لا يمكن ان تنطلق دراسة او تعمَّ معرفة ؟

ستون عاما الى الوراء

واعود الى نحو ستين عاما الى الوراء ، الى اوائل هذا القرن ، والى مثل هذا اليوم الأول من الشهر العاشر ، فاقول ما اشبه اليوم بالبارحة .

كنا اطفالا . والذهاب الى المدرسة ، جديدا ، أو من جديد ، كان خبرة في حياة الطفل عجيبة . ويدخل المدرسة على استحياء . فان كانت وجوهٌ كان قد عرفها ، فهو يستعيد معرفتها . وان تكن وجوه جديدة فهو يأخذ يدور حولها ، وحده ، يتلمس فيها الرغبة فى الصحبة واللعب ، وليتخذ منها صحبة قد تتصل سنين .

وينتهى الدورالابتدائى ويأتى الثانوى ، ويبدأ الطفل ، الذى كان طفلا ثم نما ، يبدأ نفس تلك التجربة الأولى : مدرسةً جديدة ، وصحابا جُدُداً ، يسير بينهم يتعرف الوجوه ، يأتلف منها ما يأتلف ، ويختلف ما يختلف ، وهو من بعد ذلك باديءٌ فترةً جديدة من حياته . فترة تتم فيها يفاعته والبلوغ ، ويعانى فيها من آلام النمو ما يعانى .

وادتْ بنا المرحلة الثانوية الى المرحلة الثالثة ، الى التعليم العالى ، الى الشباب الناضج والرجولة المكتملة .

حلقات ثلاث ، ثم يرمى الطالب النامى بجسمه فى خِضمِّ الحياة

حلقاتٌ ثلاث ، متصلة ، تألف منها الثلث الأول من الحياة ، ثلث التحضير والتجهيز . وجاء بعدها دور الدخول الى الحياة .

وهي هكذا الى اليوم : ثلاث مراحل ، مرحلةً القارب الصغير ، ثم السفينة ذات القلاع الكثيرة الكبيرة ، ثم الباخرة العظيمة . وكلها سفن تدريب . ثم يرمى الشاب ، من بعد تدريب ، بنفسه الى الماء ، الى بحر الحياة المتلاطم ، يجرِّب الموج ، كم يصمد له هو ، وكم يصمد الموج .

واختلف البحران

واختلف البحران .

بحر للحياة كان فى اوائل هذا القرن.

وبحر للحياة صار بعد انتصاف هذا القرن .

فى اوائل هذا القرن : حياة هادئة ومطالبُ اقل

فى اوائل هذا القرن كانت الحياة التى نشأنا فيها اهدأ ، ومطالبها اقل ، وآمالها لم تكن بالآمال الطويلة الفادحة.

كان مورد الحياة كله تقريبا من الارض ، يزرعها الزارع ، فيأكل منها كلُ طاعم وكل كاس . وكانت مدنيّة ولكن فى حدود موارد هذه الارض .

ولم يكن فى البلد صناعة . لم يكن بها صناعات من تلك الصناعات الجبارة التى تصم آذان الزوار فيها العجلات الدوارة . كان فيها نسيج ، ولكن باليد . وحرَم الاستعمارُ النسيج المكنى التجارى على البلاد . كانت صناعات البلد صغيرة ، وكانت اشبه بالورش منها بالبيوتات الكبيرة .

من اجل هذا كان تجهيز التلاميذ للدخول فى الحياة تجهيزاً يسيرا .

وكان الزراع أمين ، والصناع أمين

اما الزراعة فلم تكن تحتاج الى تعليم . وكانت مشغلةَ البلد الاولى ، فشاعت فى البلد الأمية .

والصناع ، كانوا يبدأون صبية عند « المعلّم » وهم عنده يتعلمون البرادة ، او الخراطة ، أو النجارة او السباكة .

وهم يخرجون آخر الامر ، كالزراع ، أميين . وانما انا اتحدث عن الغالب الأغلب .

... وبعد المرحلة الثانوية تأتى المرحلة الثالثة : التعليم

ارستقراطية الياقات البيضاء

وتمثلت ارستقراطية البلد فى مدارسها ، تلك لم تكن ، اخذا بمجموعها الاكبر ، تحضّر لبرادة او خراطة او نجارة . كانت تحضر لوظائف الحكومة . كانت تحضر للجلوس الى المكاتب . كانت تحضر لمن نسميهم فى العرف الحديث بذوى الياقات البيضاء .

كان فى البلد العتيق حكمٌ ، وكانت مدنية بدرجة ما . وكانت حكومة تقوم للمجتمع بخدمات لا بد منها : طُرُقٌ . سكك حديد . تلغرافات . تلفونات . شرطة . قضاة . مدارس . تعليم ومعلمون . وزارات . وظائف . جيش. الى آخر ما هناك من بداءة الحكم التى لا حاجة بنا الى تعدادها .

الجامعى والعالى .. الشباب الناهض الرجولة المكتملة

والامم اشد حاجة الى هؤلاء وهى فى عهود نشأتها الاولى ، وان تكن امة قديمة نامت طويلا ، ففى عهود يقظتها الاولى .

اما من بعد توسّع ، وتمدّد ، ودخول العلم اليها بالتزريع والتصنيع، وبانقلاب نظراتها الى الحياة ، والى اهل هذه الحياة ، وبدخول معانى الديمقراطية الى افهامهم والمساواة ، بعد كل هذا يصبح لون التعليم وبرامجه التي كانت تخرّج اصحاب الياقات البيضاء غير كافية للكثرة الكبرى من سائر الخلق ، التى منها تتألف الشعوب هذه الايام ، وليس مالها ان تمسك بقلم امام مكتب ، ولا بطباشيرة امام سبّورة ، ولا ان تلبس الوشاح الأخضر لتجلس به فى ظل القانون فوق منصّة عالية .

وتغير شكل المجتمع على السنين

وتغير شكل المجتمع المصرى على السنين .

واقول المصرى ، لأنى انما اتحدث عن المجتمع المصرى . عن المجتمع العربى ، الذى أنا به ادرى ، وبالقول فيه اجدر . وفوق ذلك ، لأن التجربة التى جرت فى المجتمع المصرى هى جارية او سوف تجرى اشباه لها فى المجتمعات العربية . والتجربة ، اى تجربة ، تتضمن الخطأ والصواب . وقصة التجربة ينتفع السامع بالذى يكون بها من صواب ، ويرجى أن يتجنب اخطاءها .

اعود فأقول ، تغير شكل هذا المجتمع على السنين ، وكان لا بد أن يتغير . تغير بانماط للعيش جاءت من وراء البحار ، وانماط للفكر ، ومبادىء للعيش ، ومعان تتصل بحقوق الانسان فوق هذه الأرض ، حلّت فى وادى النيل ، فنقضت كلما كان يجرى فيه .

فعلت الكتب ، وفعلت الصحف ، وفعل اللاسلكي والسلكي يأتى من أركان

وانصرف التعليم كله تقريبا ، الى تنشئة رجال لهذه الخدمات . الى تنشئة ذوى الياقات البيضاء او اشباههم

وقال مستشار المعارف الاجنبى ، فى حكومة هذا الشعب ، قولته المشهورة المذكورة : « انما نحن ننشىء المدارس لتخرّج موظفين للحكومة » ، فان كان للبلاد هدف آخر فليس للحكومة به شأن

البلاد فى حاجة الى ذوى الياقات البيضاء

ولست انكر ان الامم تكون دائما فى حاجة الى نسبة معتدلة من اصحاب الياقات البيضاء ، لتقوم بالتدريس ، وبالتطبيب ، وبالتعمير ، وبالحل والربط وسائر الادارات المدنية للبلاد .

أكثر من ٧٠٪ فلاحون ، أميون ، يحملون الفؤوس ، ويمسكون المحراث ، ويغوصون بأرجلهم وأيديهم فى الطين

الدنيا الأربعة ، وفعلت ما تحمل الأقلام من صور وكلام ، وفعلت حوادث الأمم وما فيها من عبر ، فعلت كلها فى الأجيال الناشئة الشيء الكثير .

ولكن واقع الحياة كان أفعل

ولكن لم يكن اوقع اثرا فى هذه الأجيال من واقع الحياة نفسها .
شعبٌ مقسم الى ثلاث فئات :

١ ــ أكثر من ٧٠٪ فلاحون ، أميون ، يحملون الفؤوس ويمسكون بالمحراث ، ويغوصون بأصابعهم فى الطين .

٣ ــ تليهم كثرة من عمال شبه أميين تدير أيديهم المخارط وتنحت بالأزاميل .

٣ ــ تليهم قلة محترمة تحمل الاقلام وتجرى بها فى القراطيس .

اما الفئة الاولى فكان حظها من الحياة القناعة ، ومع القناعة أدنى درجات العيش .

واما الفئة الثانية فقد كانت تلى الاولى قناعة وسوء عيش .

واستقلت الفئة الثالثة بالخير غير الكبير ولا الكثير .

كان هذا من عشر وعشر وعشر من السنين .

وكان طبيعيا ان كل جيل يأتى يطلب الطريق الى الياقة البيضاء . انه زيادة

وبدأت الصناعة بالمعنى الاوربى الحديث تنشأ فى البلاد . وكان رائدها الاول طلعت حرب ، وكان ميدانها الاول صناعة الغزل والنسيج .

فى الطعام . وزيادة فى احترام . وساعده على ذلك ان الطريق السلطانى للتعليم ، وكدت اقول الطريق الأوحد ، كان هو الطريق الذى يوصل الى الياقة البيضاء، لا الى الجلباب الازرق ، جلباب الفلاح ، ولا الى الياقة الزرقاء ، ياقة الصانع لم يكن فى التعليم طريق يوصل الى الجلباب الازرق ، الى الزراعة ، واستغلال الارض ، على مستوى الفلاح، فالح الارض ، ودالق عرَقه فى ترابها .

ولم يكن فى التعليم طريق ذو بال ، يوصل الى الياقة الزرقاء ، الى الصناعة، على المستوى الذى تمسك فيه اليد بالمبرد ، وتغدو وتروح بالمنشار .

وازدحم الطريق السلطانى بسالكيه ، من ابتدائى ، الى ثانوى ، الى عال . وتمضى السنون ، فتقل الحاجة الى خريجيه،خريجى هذا الطريق السلطانى. ولا يعود يوجد فى وظائف الياقات البيضاء فضل . وكانت البطالة . وكان ان تبيّن خطأ سلوك هذا الطريق سالكوه

وصبّروهم بأن الثقافة تطلب لذاتها .

والأمعدة فارغة تصرخ بأن الرزق أول .

وكثير سقط فى الطريق

ولم يكن كلُّ سالكٍ لهذا الطريق السلطانى ، الطريق المؤدى الى الياقة البيضاء ، متأهلا له .. جسما وعقلا ، وكفاية . فكثر الساقطون فى الطريق .

وهم من بعد سقوط لم تستطع ان تمتصهم الحقول فيكونوا زرّاعا ، ولا ان تمتصهم المصانع ، فيكونوا صنّاعا . ولو انى تعقبت هؤلاء من بعد سقوط لتكشفت لى مآسٍ كثيرة .

طلعت حرب والصناعة الحديثة

وكانت الصناعة بالمعنى الاوروبى الحديث ، قد بدات تنشأ فى البلاد . وكان رائدها الاول طلعت حرب ، روى الله ثراه ، وبارك ذكراه .

مبالغة كبرى

ثم كانت المبالغة الكبرى .

قيل للجامعيين عليكم بالمواد العلمية ، من هندسية ، وجيولوجية ، وكيماوية ، فميادين الصناعات ومواردها قد فتحت لكم ابوابها ، واتسعت لكم رحابها .

وهذا حق ، ولكنه بعض الحق .

لقد خفى على القائلين والسامعين معا ، انه كذلك من الحق ان الصناعة لا تستوعب من الفنيين المؤهلين الا القليل ، وان اكثر اهلها من العمال والصنائعيين ، اولئك الذين لا يبالون الزيت ان يجرى فى اكفهم ، ولا الدخان ان يدخل انوفهم ، ولا الترس الكبير الثقيل تحمله اكتافهم .

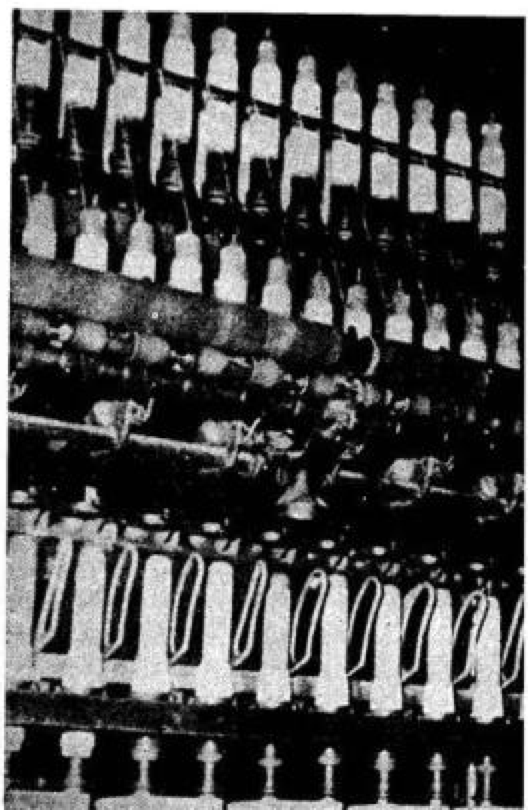

تصحيح الاخطاء

اخيرا ، واخيرا جدا ، جرى التعليم على ما كان وجب ان يجرى عليه من قديم .

مدارس فتحت للتدريب على الصناعات فى كل الدرجات ، وكل المستويات . بعد الابتدائى يستطيع الطالب ان يتحول الى التعليم الصناعى ، وبعد الثانوى ، واثناء الثانوى هو يستطيع ان يتحول . وحتى بعد الجامعى واثناء الجامعى .

سُدت بذلك حاجة الصناعة كما يجب ان تسد ، وبالشباب المثقف صناعيا على درجات ، الذى هو فيما يطلب من حرفة ماهر كاف. وبذلك تجنبنا ان نسد الثقب المربع بالسداد المستدير. تجنبا ان نضع من كان تهيأ لبلوغ الياقة البيضاء ، ولم يكد ان يصل ، فى مكان ما كان يجب ان يوضع فيه الا من تهيأ من صغره للبس الياقة الزرقاء .

ونتيجة اخرى كانت خيرا وبركة على الشبان . اعنى اولئك الذين كانوا يسقطون فى الطريق السلطانى ، طريق الثانوية والجامعة ، فلا يجدون حيث سقطوا الا الضياع . هؤلاء وجدوا مأواهم فى مدارس الصناعات على شتى مراتبها .

كم للثقافة وكم للرزق

وكأني بقائل يقول : ولكن كان من نتيجة ذلك نقص فى ثقافة .

وبذلك نعود الى الجدل التربوى القديم : كم للثقافة وكم للرزق ؟

ان التربية لابد ان تكفل حاجات المجتمع . والمجتمع يتغير ، وتتغير حاجاته ، فلا بد من ان تتغير معه اهداف التربية ومبادؤها ، والكفاية التى تعطيها للشباب لتوائم بين حاجات المجتمع وحاجات الشباب فى مستقبله .

وهذا العصر عصر العلم ، وعصر التكنية الصناعية .. تلك التى تلد الصناعة كبيرة عارمة . وحاجات المجتمع فى تقدمه اليوم حاجات لا تسدها الا الصناعة . ويكفى ان تذكر الاقمشة بلايين من الامتار ، من انواع مائة ، وان تذكر الفولاذ ، عماد هذه المدنية ، وهو الوف مؤلفة من الاطنان ، وان تذكر العقاقير ، وهى مئات ومئات تعوّدت ان تصح عليها الاجسام ، وان تذكر المواصلات ، فى ارض وبحر وهواء، يكفى ان تذكر هذا القليل من ذاك الكثير حتى تدرك موضع الصناعة من حياة هذه الايام .

والصناعيون هم من نربى ليقوموا بهذه الاعمال والاحمال .

ونربيهم مراتب ، وفقا لمراتب هذه الصناعة ، ومراتبهم ، مراتب المخلوق الانسان من حيث القدرة والفهم عامة والحصافة .

ونعجّل لنجعلهم اسبق الى الرزق منهم الى الثقافة كاملة . وبالثقافة هنا اعنى ثقافة ذوى الياقات البيضاء . ثقافة الطريق السلطانى المزدحم الذى يؤدى الى الثانويات والجامعات .

وهم ، الى جانب التعليم الحرفى والمهنى ، اعطوا من هذه الثقافة العامة بمقدار . تعلموا على الاقل كيف يكونون مواطنين نافعين صالحين .

ولا يَصلح المواطنَ مثلُ رزق كافٍ .

ولقد سرنى ان لقيت ابن بستانى كان يعمل فى بيتى ، تخرّج من مدرسة للحرف الصناعية متوسطة . واختص فى الخراطة . قلت اين تعمل ؟ قال فى المصنع الفلانى . قلت : كم تأخذ ؟ قال كذا جنيها ، اول اجر . وذكر لى من الجنيهات فوق ماياخذ المهندس الجامعى عند تخرجه . ونظرته فى ملابسه فلم يكد يختلف عن ملابس ذاك شيئا . انه فى البذلة الزرقاء وهو امام المخرطة ،

ولكن مع الياقة البيضاء فى البيت والشارع والاسواق .

الانسان عقل ويدان

واستدرك واسأل : من قال ان الحرفة لاتثقيف فيها ولا تثقف . ان الحرفة عقل يفكر ويد تعمل . وان يكن عقل الانسان ميزه عن سائر الحيوان ، فكذلك ميزته اليدان . واليدان التى تدق بالقواديم — وحتى دق المسمار فى الخشب صنعة — هى هى التى تنحت من الصخر التماثيل ، وهى التى تجرى بالريشات على الورق والقماش فتكون من ذلك الصور الرائعة ، وهى التى تجرى بالاوتار على الاوتار فتكون من ذلك الانغام ، وتؤلف بينها فتكون الموسيقى . ونسمى كل ذلك فنا .

وجعلنا من الفنون الرفيع ، وجعلنا منها الوضيع .

وهل فن ادق من فن ساعة ، وهل كالساعات ، دقة ورقة وحِذقا ، فى السوق بضاعة .

والزراعة

لقد قسمت الشعوب ، اجمالا ، الى اصحاب ياقات بيضاء ، وياقات زرقاء ، ورجال تفلح الارض .

وقد تحدثت عن القسمين الاولين فأكثرت .

وبقى الحديث عن اهل الفلاحة والزراعة .

وهذا حديث يطول، له فرصةاخرى.

ولكن يكفى ان اقول ان الثقافة الزراعية ، فى البلد الذى عنه احكى ، لم تشع بالقدر الكافى .

ان الثقافة الزراعية ، على مستوى الرجل الواغل فى الوحل بقدميه ، يعوقها تشتت الزراع . ويعوقها كذلك أنها ثقافة لابد من دخول العلم الحديث اليها ليفهم ، ولابد فيها من عدسات المجاهر لتقنع .

واخيرا جرى التعليم على ما كان يجب ان يجرى عليه من قديم وفتحت المدارس للتدريب على مختلف الصناعات ، فى كل الدرجات

عود على بدء

اعود الى ما بدات به هذا الحديث من ذكر تلك الالوف المؤلفة التى تسعى اليوم الى مدارسها ، فى الشهر التاسع والعاشر ، لتبدأ جديدا ، او تستأنف قديما . أعود لاقول ان طالب اليوم اهنأ بعمله من طالب الامس ، ذلك لاتساع رقعة العمل للعاملين . وليس كاتساع رقعة العمل للرزق ، سبيلا الى توسيع رقعة الامل .

وهو امل من حظ كل قطر عربى ، يعمل للغد القريب الكثير ، ولكن يعمل للغد البعيد الاكثر . وينظر ما صنع ويصنع الآخرون ، وينتفع بصحيح التجارب ، ويتجنب ما كشفت عنه من اخطاء .

والله الموفق ■■

احمد زكى

مدريد

عاصمة أسبانيا التى بناها المسلمون

بقلم : الدكتور محمود على مكى
وكيل معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

اوربا والحضارة العربية

■ درج كثير من الباحثين الاوروبيين خلال القرنين الماضيين على ألا يتحدثوا عن العرب الا واعتبروهم شعبا متنقلا يألف الرحلة ويكره الاستقرار ، حتى الحضارة العربية قدرهـا الكثيرون منهم بهذا الميزان الذى تتحكم فيه العنصرية والتعصب ، فغمطوها بذلك ما أسلفته لدى الحضارة البشرية من حقوق واسدته من منن .

والانصاف يقتضى من المؤرخ الذى يشعر بتبعة التاريخ ان يعترف بان الشعب العربى منذ انطلاقته الجبارة ، بفضل رسالة الاسلام ، قد عرف كيف يمتد فى رقعة واسعة من الارض ، ولم يكن هذا الامتداد يدين بقوة السلاح بقدر ما كان يدين لتلك القوة الروحية التى امدته بها الديانة الجديدة ، ثم لما كان يكمن فيه من حيوية تتميز بها الشعوب الصاعدة . ومن هنا ولدت الحضارة العربية الرائعة التى لم تر بأسا فى تمثل الحضارات التى اتصلت بها مُخرجةً من ذلك كله نتاجا يحمل طابعها المميز وشخصيتها الخلاقة .

العرب فى الاندلس

ولعل أوضح مثل على ذلك هو اسبانيا حيث ارتفع علَم الحضارة العربية قرابة الف سنة ، فان العرب حينما ضموا هذه البلاد الى الوطن العربى لم يهدفوا فيها الى اقامة حكم عسكرى يطول به الزمن أو يقصر ، ولو انه كان كذلك لما استطاع نحو ثلاثة آلاف من الجنود الذين دخل بهم طارق بن زياد وموسى بن نصير أن يفتحوا هذا القطر الفسيح ويستقروا فيه على الرغم من ارادة شعبه ، ولذا فانه لا يمكن تفسير ذلك الا بان الشعب الاسبانى لم ير فى قدوم العرب الا ايذانا بحياة جديدة كانت تقع منه موقع الرضا والقبول . لم يكن الأمر الا امتدادا طبيعيا للامة العربية التى فى تلك البلاد جذورا راسخة باقية لم يقتلعها حتى الآن تداول الدول وتعاقب العصور .

اللغة مرآة الحياة

ونحن نعلم أن اللغة هى مرآة الحياة البشرية ، ولو أننا تأملنا الوف الألفاظ العربية التى استقرت فى اللغة الاسبانية واصبحت جزءا لا يتجزأ منها لوجدنا أكثرها متعلقا برسوم الحضارة واوضاعها مما يستخدم فى مجالات النشاط الحيوى : نرى ذلك فى الزراعة والرى وألوان المهن والصناعات والفنون والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى غير ذلك مما يطول بنا الأمر لو عمدنا لتفصيله وكل هذا دليل على ان الأثر الذى خلفه العرب فى اسبانيا اعمق بكثير مما يبدو لأول وهلة ، فهو لم يترك ميدانا من ميادين الحياة الا وسمه بطابع خالد على توالى العصور .

وقد كان من ابرز تلك الآثار فى اسبانيا ان كثيرا من مدنها وقراها ما زالت تحمل أسماءها العربية الى اليوم ، نرى ذلك فى وادى الحجارة ، وقلعة ايوب ، ومدينة سالم ، والمرية ، والجزيرة الخضراء ومئات غيرها لا يتسع المجال هنا لذكرها ، ويكفى ان نقول انه ليست هناك فى اسبانيا كلها منطقة لا تحفل بمثل هذه الاسماء حتى فى أقصى الشمال حيث لم يقدَّر للحكم العربى استقرار طويل .

منشىء مدريد هو محمد بن عبد الرحمن

ولنضرب على ذلك مثلا بعاصمة اسبانيا نفسها مدريد ، التي تحتفل في هذه السنة بالذكرى المئوية الرابعة لاتخاذها عاصمة لهذه البلاد ، فان كثيرا من الناس لا يكادون يعرفون أن هذه المدينة عربية النشأة وانها تدين بوجودها نفسه الى الأمير العربي الأندلسي الذى اضطلع بمئونة تأسيسها .

اما هذا الأمير فانه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموى الذى ولي حكم الأندلس بين سنتي ٢٣٨ و ٢٧٣ هـ . (٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) وكان من أعظم امراء الأندلس وأكثرهم اهتماما بتأمين حدود الدولة الاسلامية من غارات جيرانه من نصارى شمال اسبانيا ، وكان هذا هو ما حمله على بناء عدد من الثغور والقلاع من جملتها مدريد ، ويقول في ذلك المؤرخ القرطبي ابن حيان من نص جديد ننشره اليوم لأول مرة :

« ولمحمد في سلطانه الآثار الجميلة ، والآيات الجزيلة ، والفتوح العظيمة،والعناية التامة بمصالح المسلمين ، والاهتمام بثغورهم ، والحفظ لفروجهم ، والضبط لأطرافهم ، والتوجيه لمصالحهم ، وهو أمر ببنيان حصن « أستيرش » لغلال مدينة سالم ، وهو منها بين الجوف والغرب ، وهو الذى بنى لأهل طليطلة حصن « طلمنكه » وحصن «مجريط» وحصن « بنه فراطه » .

وقد نمت « مجريط » في ظل الحكم العربي نموا سريعا،فاصبحت من أهم المراكز الدفاعية عن حدود الأندلس في الشمال ، وسرعان ما انتقل لسكناها كثير من المجاهدين المرابطين والعباد والنساك والعلماء حتى أصبحت كما يقول الجغرافي ابن عبد المنعم الحميرى « مدينة شريفة » . وأما حصنها فانه كان على حد تعبير هذا المؤلف «من الحصون الجليلة » .

ونحن نعلم أن الحكم الاسلامي قدر له أن يمتد الى كثير من بلاد اوروبا في عصور مختلفة ، ففي اسبانيا وصقلية وجنوب ايطاليا وجزيرتي قبرص وكريت وجدت دول عربية مسلمة حكم بعضها قرونا طويلة ، وفي جنوب فرنسا وبعض مناطق سويسرا استقرت جاليات اسلامية خلال العصور الوسطى ، كما وصل الاسلام الى بلاد البلقان في شرق اوروبا ووسطها على ايام قوةالدولةالعثمانية، غير أنه ليس هناك ـ فيما نعلم ـ عاصمة أوربية تدين بفضل بنائها الى العرب الا مدريد .

آراء حول أصل اسم مدريد

ولكن من أين أتى هذا الاسم الذى أطلقه العرب على تلك المدينة التي قدّر لها بعد ذلك بنحو خمسة قرون أن تصبح عاصمة لاسبانيا ؟

القصر الملكي أو قصر الشرق في مدريد ، وهو الذى كان يقوم في موضعه قصر الحاكم العربي لمجريط العربية

ظلت هذه المسألة مثار جدل طويل بين المؤرخين وفقهاء اللغة الاسبان طوال القرون الماضية دون أن يصلوا فيها الى نتيجة مرضية ، واذا كان بعضهم قد تنبه الى أن المدينة تدين للعرب بفضل ظهورها على مسرح التاريخ فانهم لم يهتدوا الى اى تأويل عربى لاسم « مجريط » ، وهكذا انعقد اجماعهم على أن العرب اخذوه عن احدى الأمم التى تعاقبت على حكم اسبانيا قبل دخولهم فى سنة ٩١ هـ (٧١١ م) ، غير انهم اختلفوا حول اى هـذه الأمم كانت صاحبة ذلك الاسم ومصدره : فقال بعضهم انه ايبيرى مغرق فى القدم ، وقال آخرون انه افريقى الأصل ، وزعمت طائفة ثالثة انه يرجع الى عهد الحكم الرومانى لما يلوح عليه من أنه يمت الى اللغة اللاتينية ، واجتهد آخرون فى الربط بينه وبين بعض اللهجات الجرمانية القديمة لكى يثبتوا انه اسم أطلقه القوطيون الذين حكموا اسبانيا حتى انهى الفتح العربى حكم دولتهم ، الى غير ذلك من فروض لم يثبتها أى تحقيق علمى مقبول .

نظرية جديدة لمستشرق اسبانى

ظل الباحثون الأوربيون فى هذا التخبط حتى طلع المستشرق الاسبانى الجليل الاستاذ خايـه أوليفر اسين على الناس بنظرية جديدة عجيبة جعلها محور كتابه الذى سماه «تاريخ اسم مدريد» .

وتتلخص هذه النظرية فى أن اسم « مدريـد » خليط من العربية واللاتينية الدارجة ، وانه فى الواقع رمز او صورة مصغرة لتاريخ هذه المدينة وجغرافيتها منذ انشأها العرب حتى اليوم .

وذلك أن هذه المدينة لم تكن قبل فتح العرب لاسبانيا الا قرية بالغة الصغر لا تكاد تستحق الالتفات ولم يكن يقطنها الا عدد قليل من الرعاة ، وكانت هذه القرية تقع على نهير صغير جف الآن ، وان كان مجراه اليابس الذى يقطعه الآن شارع شقوبيه Calle de Segovia يدل على ماضيه ، اذ ان الذى يتامله فى الوقت الحاضر يرى انه أشبه ما يكون بواد عميق يحفه تلان مرتفعان . ووجود هذا النهير حقيقة تشهد بها الكتب التاريخية التى تتحدث عن مدريد فى العصور الوسطى ، اذ انهـا تذكر أن الحمامات العربية التى انشئت على عهد المسلمين كانت تستقى منه حتى بعد فتح المسيحيين لمجريط سنة ٤٧٦ هـ . (١٠٨٣ م) ثم أهملت هذه الحمامات خلال القرن الثالث عشر الميلادى حتى اضطلعت بأمرها فى القرن التالى سيدة مسلمة كانت تسمى « شمسا » فدبت الحياة فى تلـك الحمامات من جديد .

مدريد قبل الفتح العربى

وقد اشرنا الى أن مدريد كانت قبل الحكـم العربى ضئيلة القيمة ، ولم تكن فى موقع جغراق صالح حتى لبناء قلعة أو حصن عسكرى متواضع ، ولهذا فانه لم يكن لها من الحياة الا بقدر ما يسمح به هذا الجدول الصغير الذى كان يستقى منه الرعاة الرحّل ، وكان الاسم الشائع الذى يطلق على أمثال تلك النهيرات فى سائر انحاء شبه الجزيرة هو « النهر الأم » (باللاتينية الدارجة Matriz وهى كلمة مشتقة من لفظ Mater التى تعنى الأم باللاتينية الفصيحة) ، اذ كان هو المصدر الوحيد لحياة من يعيش على ضفافه من السكان .

ومن هنا ولد اسم « مجريط » Magerit اللاتينى ، ولكن هذا لم يكن الا الشطر الاول من تاريخه ، اما الشطر الآخر والاهم فهو الذى يقدمه لنا تاريخ المدينة الاسلامى ، وذلك ان الحيـاة دبت فى مجريط فجأة بعد أن بناها الأمير محمد وجعلها من اهم قلاع مدينة طليطلة،وبعد ان توافدت عليها افواج من الناس لتعمير البلد الجديد ،وهكذا اصبح النهر الذى يشق مجريط عاجزا عن أن يفى بحياة السكان الجدد .

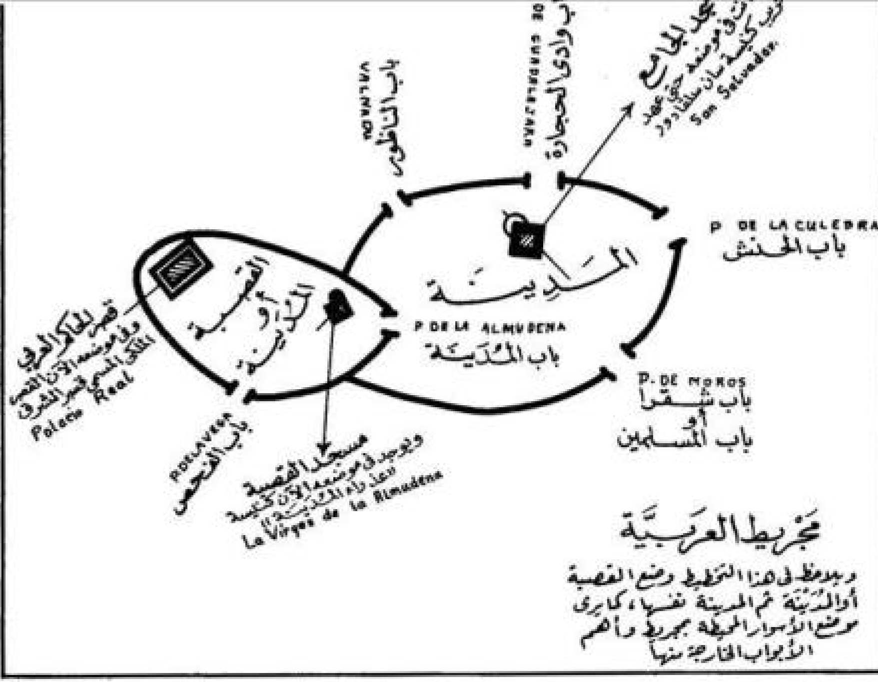

من الماء كل شيء حي

ولسنا في حاجة الى بيان أن الماء هو قوام الحياة، ولهذا فانه لم يكن هناك بد من ايجاد حل لمشكلة الماء في مجريط العربية ، فكيف يتدبر المسلمون هذا الأمر ؟

يكشف لنا المستشرق الاسباني اوليفر أسين هنا عن صفحة مجيدة مشرفة من تاريخ الحضارة العربية ، فهو يقول ان العرب عرفوا كيف يوصلون الماء الى المدينة التي بنوها بطريقة مبتكرة أصيلة في اسبانيا وان كانت تستمد أصولها من الشرق العربي ، وذلك ان مشكلة ندرةالماء كثيرا ما واجهت المسلمين في المشرق ووفقوا الى حلها بنفس‌الصورة التي طبقوها من بعد على مجريط ، رأينا ذلك من قبل في ايران ، وفي الصحراء الكبرى ، وفي شمال افريقية ، ولنستمع الى ما يقول في وصف هـذه المشكلة بايران وفي طرق التغلب عليها المستشرق السويسري ادم متز في كتابه عن « الحضـارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » (ترجمـة الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة) :

↓ كنيسة « عذراء المدينة » (بضم الميم وفتح الدال – أي تصغير كلمة المدينة) ، وكان يقوم في موضعها منذ ألف سنة جامع المدينة او القصبة ، وهي قلعة مجريط المسورة المحصنة .

« وكانت الاقاليم الواقعة شرقي فارس البعيدة عن مجاري المياه الكبرى تروى بطريقة مبتكرة متقنة الصنع : لم يكن في هذه الاقاليم الا نهيرات وجداول صغيرة تنحدر من المرتفعات بعد سقوط الامطار ،فلم يكن بد من جمع هذا الماء ، والماء المستخرج من الارض ، الى آخر نقطة ، ثم يستعمل النظام المعروف اليوم بنظام « كارس » ، وذلك بأن تعمل في جوف الأرض قنوات معقودة عليها قناطر ، وقد بلغ طول احدى هذه القنوات اليوم خمسين كيلومترا، وكان بمدينة قم قنطرة من هذا النوع ، وكانت نيسابور خاصة مشهورة بقنواتها التي تجرى تحت الارض حتى ينزل الانسان اليها على مراق ربما يبلغ عددها السبعين وهي تسقى ضياع البلد وتدور في محلاتها وتمد اهلها بماء للشرب نظيف بارد في فصل الصيف .

« وكان هذا التنظيم يحتاج الى مهارة كبيرة ، فكان لا بد للقائمين به ان يعالجوا الطبقات الارضية التي يجرى عليها الماء في المواضع التي يجدون فيها ارضا لا يخترقها الماء ، كما كان لا بد لهم من ان يجعلوا لهذه الطبقات ميلا يساعد الماء على سرعة الجريان عند ازدياده ، وكان يستعمل من الآلات المائية الدولاب والدالية والغرافة والزرنوق والناعورة والمنجنون » .

« مجريط » جمع « مجرى »

اما هذه القنوات التي كانت تجرى تحت الأرض فقد كان العرب يطلقون على الواحد منها لفظ « المجرى » . غير أن الشعب الاندلسي كان يتكلم في الحقيقة مزيجا من اللغة العربية واللاتينية الدارجة ، وهو أمر لا نحتاج في اثباته الى ايراد ما يشهد بصحته ، فقد الفت في ذلك ابحاث كثيرة اوضحت انه أمر مقطوع به مفروغ منه ، حتى اكثر الناس تضلعا في اللغة العربية وعلما بها كان يجرى على السنتهم ذلك المزيج من اللغتين . ولهذا لم يكن من الغريب أن يضيف المسلمون الاندلسيون الى كلمة « مجرى » المذكورة مقطعا يفيد الجمع في اللاتينية وهو « يط » (باللاتينية الدارجة Etum) ، وترى مثل ذلك في كلمات كثيرة تدل على المواضع في مختلف انحاء شبه جزيرة ايبريا على عهد الحكم الاسلامي . ومن ذلك المزيج تالف اسم « مجريط » الذي كان من التوافق الغريب انه يقارب الاسم اللاتيني الذي أطلقه سكان ذلك المكان قبل العهد الاسلامي من قبل والذي اخذوه عن كلمة Matriz التي تعني « النهر الأم » .

« قنطرة شقوبية » ، وعلى امتدادها يوجد شارع طويل يحمل هذا الاسم ويشق مدريد القديمة ، وكان يجرى في موضع هذا الشارع على عهد العرب نهير صغير كان يمد الحمامات العربية القريبة بالماء .

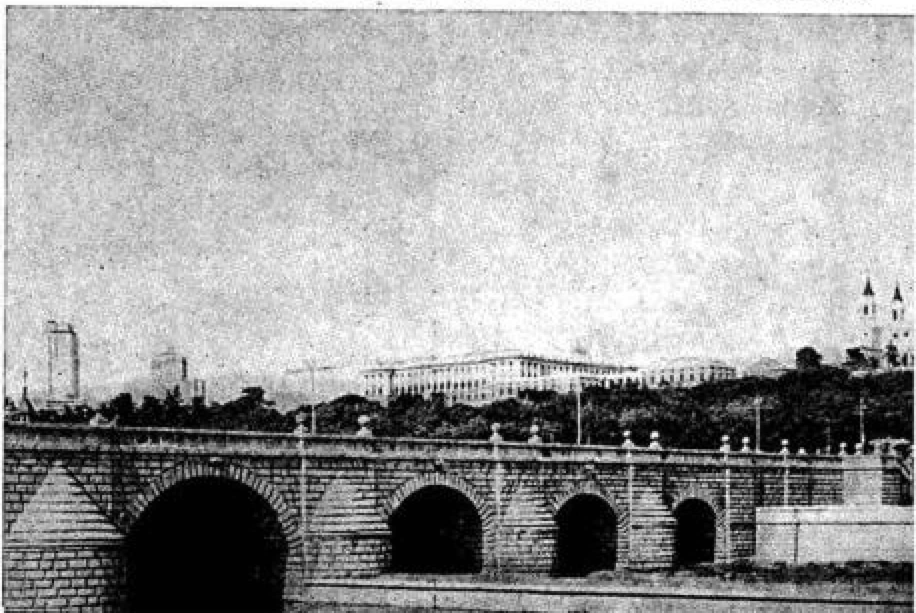

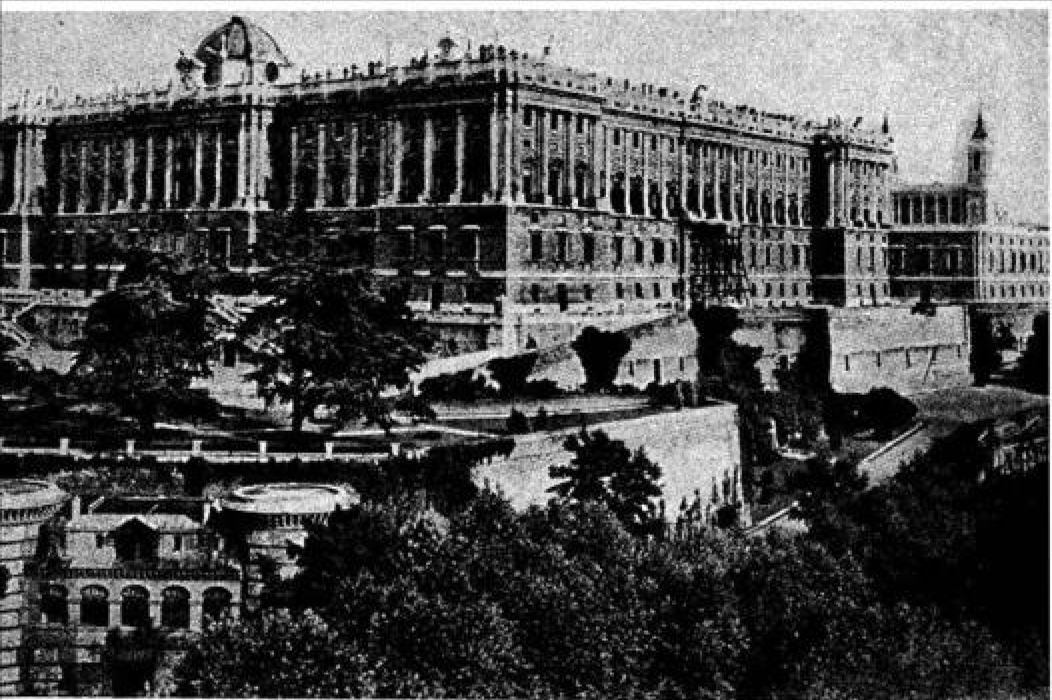

منظر آخر خلفى للقصر الملكى ، وهو يطل من هذه الناحية على ما يعرف الآن باسم «مرج العربى» ، وكان على أيام العرب واحداً من المروج الواسعة التى تحيط بمجريط وتمدها بما تحتاج اليه من فواكه ومزروعات .

نظام المواصلات المائية فى مدريد منقول عن مدن الشرق

وقد عمد المسلمون بالفعل الى بحث طبقات الأرض فى المنطقة حتى اهتدوا الى أن الماء يجرى تحت سطح ارضها بوفرة ، ومن ثم بدأوا العمل فى حفر عدة آبار فيها على أعماق بعيدة ، ثم التوصيل بين تلك الآبار بقنوات تبنى من القرميد وكانت تلك القنوات من الكبر بحيث يسع قطرها رجلا يستطيع السير فيها من ناحية الى أخرى ، وكانت تلك القنوات تؤدى الى مستودعات للماء موزعة فى كل منطقة من مناطق المدينة وفقا لحاجات منازلها ، أما ايصال الماء الى المنازل فانه كان يتم عن طريق النواعير ، وهى مثل السواقى فى مصر تتألف من تروس مستديرة تدور عليها مجموعات من القواديس (وقد بقيت كلمتا الناعورة Noria والقادوس Arcaduz العربيتان فى اللغة الاسبانية حتى اليوم)» وقد كان هذا النظام نفسه هو الذى اتبع فى نيسابور ووصفه اليعقوبى والمقدسى فى كتابيهما الجغرافيين ، وكذلك طبق فى مرو ، وفى اليمن والحجاز حيث كان يطلق عليه اسم الكظامة ، وقد وصفها لنا الأصمعى نقلا عن « أهل العلم بالحجاز » فقال انها « آبار متناسقة تحفر ويباعد ما بينها ثم يخرق ما بين كل بئرين بقناة تؤدى الماء من الاولى الى التى تليها تحت الأرض» فتجتمع مياهها جارية ثم تخرج عند منتهاها فتسيح على وجه الأرض . وقد نقل العرب ذلك النظام الى تونس وجنوب الجزائر ، وكانوا يطلقون عليه هناك لفظ « الفقارة » . واكتشفت نماذج منه فى واحة سدراته (على بعد ٨٠٠ كم الى جنوب مدينة الجزائر)» كذلك طبق فى مدينتى مراكش وتافيلالت بالمغرب الأقصى ، وكان يطلق عليه هناك لفظ « الخطارة » . ويبدو أن الذى قام على تنفيذه فى مدينة مراكش كان مهندسا اندلسيا اسمه عبد الله ابن يونس ، ولعله طبق فى تلك العاصمة المغربية ما شاهده وعاينه فى مجريط .

وقد ظلت مدريد تستقى الماء بتلك الطريقة التى ابتكرها العرب حتى منتصف القرن الماضى حينما

استخدم نظام جديد يقوم على أساس تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب عبر قنوات تستمد من المياه المتجمعة في خزانات ومستودعات منشأة على سفوح جبال وادي الرملة المجاورة. غير أن تلك القنوات الأولى ما زالت قائمة تشق بطن الارض تحت شوارع مدريد ومنازلها شاهدة على هذه اليد الكريمة التي أسداها العرب الى عاصمة اسبانيا ...

الى ذلك النظام العبقري الذي ابتكره العرب يعود الفضل في ازدهار مدريد ونموها حتى أصبحت تحتل مكان الصدارة بين مدن اسبانيا ، وليس هناك شك في أنه لولا ذلك النظام لما عدت مدريد أن تكون احدى المدن الثانوية المتوسطة التي لا تكاد تتميز بشيء .

وصف لمجريط في أيام العرب

وقد عرف الآن الموضع الذي قامت فيه مجريط العربية وقلعتها الحصينة التي اشاد بها المؤرخون ، وكذلك موضع الأسوار التي كانت تحيط بها . وكانت تنقسم الى قسمين كبيرين : الاول القصبة أو المُدَيْنَة « تصغير المدينة » كما كان يطلق عليها ، وهي موضع القلعة المحصنة التي كانت تضم الحامية والعدد العسكرية . وكان قصر الحاكم العربي لمجريط يحتل الطرف الشمالي للقصبة ، وقد أصبح من المؤكد الآن انه على أساس ذلك القصر وفي نفس موضعه يقوم الآن القصر الملكي الكبير أو «قصر الشرق» Palocio de Oriente الذي يستقبل فيه رئيس الدولة الاسبانية في الوقت الحاضر سفراء الدول الأجنبية حينما يقدمون اليه أوراق اعتمادهم . وفي الطرف الجنوبي الشرقي من القصبة توجد الآن كنيسة قديمة تسمى بالاسبانية كنيسة « عذراء المدينة La Virgen de la Almudena ومن المحقق أن « مسجد المُدَيْنَة أو القصبة » كان يوجد في نفس هذا الموضع من مجريط العربية . أما المدينة نفسها فكانت تمتد الى الجنوب والشرق من القصبة ، وكانت تحيط بها اسوار بقيت الآن بعض اجزائها ، وقد عرف الآن ان مجريط العربية كان لها اربعة ابواب ، أولها : « باب الناظور (؟) (بالاسبانية Valnadu) ، ثم باب وادي الحجارة ، وباب الحنش ويخرج منه الى بلنسيه وشرق الأندلس ، وأخيرا باب شقرا الذي يؤدي الى الطريق الى طليطلة ، وقد تغير هذا الاسم بعد ذلك ، وأطلق على هذا الباب اسم « باب المسلمين Pucrta de Moros » ، وكان ذلك اشارة الى حي كان يقطنه المسلمون الموريسكيون في مدريد حتى اوائل القرن السابع عشر . وكان لمجريط العربية مسجد جامع كبير اقيمت على أساسه بعد ذلك كنيسة « سان سلفادور » على مقربة من باب وادي الحجارة .

حفائر في مجريط العربية !

منذ نحو ثلاث سنوات طلع عالم اسباني من المتخصصين في ابحاث ما قبل التاريخ على الناس باكتشاف هائل في احدى الضواحي القريبة من مدريد ، فقد عثر هناك في بعض ما قام به من حفريات على هيكل متحجر لحيوان بالغ الضخامة من جنس « الماموث » الذي يقال انه جد الفيل الحالي ، وقد اهتم بذلك الكشف علماء الدنيا المتخصصون في تلك الابحاث ، وما زالوا يستقصون امر ذلك الحيوان الغريب .

ولكن ... أليس من الطريف ان هذا الخبر الذي ارتجت له المجامع العلمية في الدنيا انما وصل اليها متأخرا نحو الف سنة ؟

اذا كان احد في شك من ذلك فليتأمل ما يقصه علينا الجغرافي العربي ابن عبد المنعم الحميري في كتابه « صفة جزيرة الاندلس » نقلا عن المؤرخ القرطبي ابن حيان :

« يقول المؤلف الاندلسي ان العرب حينما قاموا بحفر خندق يحيط بأسوار مجريط عثروا على رمة هائلة الحجم كان طولها يقدر باحدى وخمسين ذراعا ، ويقول ان تجويف جمجمة هذه الرمة كان يسع ثمانية ارباع من الغلال ، وقد اهتم قاضي مجريط بهذا الخبر فاسرع الى مكان ذلك الكشف ومعه من يرضى شهادتهم من الشهود العدول ، فعاينه وسجل الخبر وطير به الى الامير او الخليفة بقرطبة !

ما اقرب الحاضر الى الماضي ؟ ... وما اشبه الليلة بالبارحة ؟ ■■

محمود علي مكي

مسابقة العربي

٥ أسئلة

وجوائز ١٠٠ دينار

١ ـ حفل تاريخ الطب بأسماء طائفة من رواد هذا العلم الأوائل أمثال بقراط وجالينوس وغيرهما . ويذكر المؤرخون ان اول طبيب سجل التاريخ اسمه كان مصريا ..
فمن هو هذا الطبيب ؟ وفي أي قرن عاش ؟

٢ ـ تقدم الطيران في العصر الحديث تقدما جعل منه الوسيلة الأولى للانتقال أيام السلم ، فضلا عن الدور الخطير الذي يلعبه في الحروب .. وللطيران تاريخ عظيم سجل عدة محاولات بطولية جرت آخرها عام ١٩٢٧ عندما قام طيار شاب بعبور المحيط الأطلسي لأول مرة ، فكان عمله مفاجأة اهتزت لها الدنيا وتنداك .
فمن هو هذا الطيار ؟ والى أي بلد ينتمي ؟

٣ ـ خلفت لنا القرون الغابرة فيما خلفت ، عددا من المعابد التاريخية ما يزال بعضها يضم مجموعة هائلة من التماثيل المحكمة الصنع والنقوش الرائعة التي تدل على ما بلغه الفن في تلك العصور السحيقة ، مثل معبد « جوبيتر » « والاكروبول » و « ابو سنبل » و « كاجاراو » .
فاين موقع كل واحد من هذه المعابد الاربعة ؟

٤ ـ في الوطن العربي ثلاثة أنهار كبرى تستمد مياهها من منابع غير عربية .. اذكر أسماء هذه الأنهار الثلاثة ، والأماكن التي تنبع منها خارج الوطن العربي .

٥ ـ ما هي أسماء الامارات العربية السبع ، الواقعة على الساحل الأخضر ؟ واين يقع هذا الساحل ؟

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦٢ . ويكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي ـ العدد ٤٧ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٢ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي : **الجائزة الأولى** : ٣٠ دينارا .. **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا .. **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .. (٨) جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة « العربي » :
صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي .

طرائف عربيّة

اعرابى والجهاد

● قيل لأعرابى : ما لك لا تجاهد ؟

قال : والله اني لأبغض الموت على فراشى ، فكيف ان اسعى اليه راكضا !

الجروح قصاص

● اتت "جارية" ابا ضمضم فقالت : ان هذا قبلني .

قال لها : قبليه فان الله يقول : والجروح قصاص !

مستحيل اجتماعهما

● سأل خليل مطران امام العبد ، لم لم تتزوج ؟

فأجاب :

يا خليلى ، وانت خير خليل   لا تلم راهبا بغير دليل

أنا ليل ، وكل حسناء شمس   واجتماعى بها من المستحيل

امراة تدعى النبوة

● قيل ان امراة ادعت النبوة ايام المتوكل ، فأحضرت اليه ، فقال لها : انت نبية ؟

فقالت نعم !

قال : اتؤمنين بمحمد ؟ !

قالت : نعم .

قال : فانه صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا نبى بعدى .

قالت : نعم ، ولكنه لم يقل لا نبية بعدى !!

من يشترى

● كان ابراهيم بن هرمة منهوما فى الخمر ، ولما وفد على ابى جعفر المنصور ، ومدحه ، استحسن شعره ، ووصله ، وقال له : سل حاجتك .

قال : تكتب لى الى عامل المدينة ان لا يحدّنى اذا اتى بى سكران .

فقال ابو جعفر : هذا حد من

لا أرى عليك سرور الفهم

● قال بعض الحكماء لتلميذه ، وقد ضرب الموسيقى : افهمت ؟
قال : نعم .
قال : بل لم تفهم ، لانى لا ارى عليك سرور الفهم !

من رقيق شعر العرب

● قال ابو بكر بن دريد : سالت عبد الرحمن يوما فقلت له : ان رايت ان تنشدنى من ارق ما سمعته من عمك من اشعار العرب ! فضحك وقال : والله لقد سالت عمى عن ذلك فقال : يا بنى ، وما تصنع برقيق اشعارهم ؟ فوالله انه ليفرح القلوب ، ويحث على الصبابة ، ثم انشدنى :

لعمرى لئن كنتم على النأْيِ والغنى ... بِكُمْ مِثْلُ ما بى إنَّكم لَصَدِيقُ
فما ذقتُ طعمَ النومِ منذ هجرتُكُم ... ولا ساغ لي بين الجوانح ريقُ
إذا زفراتُ الحب صَعَّدْنَ في الحشا ... كَرَرْنَ فلم يُعْلَمْ لَهُنَّ طريقُ

الاعشى عند كسرى

● سمع كسرى الأعشى يتغنى بهذا البيت :

ارقت ، وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم ولا بي تعشُّقُ

فقال كسرى : ما يقول هذا العربى؟
قالوا يتغنى
قال : بماذا ؟
قالوا : زعم انه سهر من غير مرض ولا عشق .
قال : اذا فهو لص ..

الحديث المعاد

● قال ابن السماك لجاريته : كيف ترين ما أعظ الناس به ؟
قالت : هو حسن ، الا انك تكرره.
قال : انما اكرره ليفهمه من لم يكن فهمه .
قالت : الى ان يفهمه البطىء يثقل على سمع الذكى .

مائة بثمانين

حدود الله تعالى لا يجوز ان اعطله .
قال : فاحتل لى يا امير المؤمنين .
فكتب الى عامل المدينة « من اتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة ، واجلد ابن هرمة ثمانين » .
فكان الشرط يمرون به مطروحا فى سكك المدينة فيقولون : من يشترى مائة بثمانين !

نتيجة مسابقة العدد الخامس والاربعين

اجابات من ٢٣ دولة ..
خارج الوطن العربى !

■ ضربت هذه المسابقة رقما قياسيا جديدا ، لا فى عدد الاجابات فقط ، بل وفى عدد البلاد التى وردت منها هذه الاجابات !

فبالاضافة الى تلك الآلاف المؤلفة التى تلقيناها من عشرين قطرا من أقطار الوطن العربى الكبير ، جاءتنا بضع مئات الاجابات من ٢٣ دولة خارج الوطن العربي ، ما بين أوربية وامريكية ، وآسيوية وافريقية .. وها هو ذا بيان تلك البلاد بترتيب الحروف الابجدية :

من الوطن العربى : الاردن . البحرين . تونس . الجمهورية العربية المتحدة . حضرموت . دبي . السعودية . السودان . سورية . الشارقة . عدن . عمان . غزة . قطر . الكويت . لبنان . ليبيا . مسقط . المغرب . اليمن .

من خارج الوطن العربي : المانيا . انجلترا اندونيسيا . ايران . ايرلندا . ايطاليا . باكستان . البرازيل . تركيا . الحبشة . الدنمرك . السنغال . السويد . شيلي . الصومال . غانا . فرنسا . الملايو . النمسا . نيجريا . الهند . الولايات المتحدة الامريكية . اليابان .

وقد استوقفت انظار لجنة التحكيم اجابتان بعث باحداهما السيد شريف الديسى بالمانيا ، وبالثانية السيد حسنين مهدى محمد حماد بمعهد الغرفة التجارية بالقاهرة ، وهذه قد استغرقت سبع صفحات « فولسكاب » ، بينما استغرقت الاولى تسع صفحات ، عرض فيها كاتبها لمشكلة تحويل « **نهر الاردن** » وقال ان سمعة الجامعة العربية رهن بهذا التحويل ، ثم تطرق الى كفاح « **غاندى** » زعيم المقاومة السلبية، فالى تاريخ بناء « **الاهرامات** » ، فالزعيم النازى « **هتلر** » ، واخيرا الى « **بغداد** » عاصمة العباسيين ومدينة الاساطير ــ وهذه كلها هى التى ترمز اليها أسئلة المسابقة ــ وكان عرضه اقرب الى التحليل منه الى التأريخ ..

وبالرغم من ان الاجابات التى جاءت من خارج الوطن العربى لا تعد شيئا مذكورا بالقياس الى ذلك الفيض الزاخر من اجابات قرائنا القدامى فى الوطن العربى الكبير ، الا انه تقديرا لاولئك الاخوة الذين يحرصون على قراءة «العربى» فى غربتهم، سواء اكانت فى طلب العلم او طلب الرزق ، رأت لجنة التحكيم أن تتقدم الى هؤلاء الاخوة الاعزاء بتحية تشعرهم باننا معهم بقلوبنا فى غربتهم ، فتقصر الاقتراع على الجوائز هذه المرة ، وهذه المرة فقط ، على الاجابات الواردة من خارج الوطن العربي ، وهي واثقة من ان هذا الاجراء لن يعترض عليه معترض ، بل هو على العكس سيقع من نفوس الجميع موقع الرضا والاستحسان ..

وفى ظل هذه الثقة اجريت عملية القرعة بين الاجابات الواردة من خارج الوطن العربي وحدها ، فكانت النتيجة ما يلي :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا : **فاز بها السيد/شريف الديسي** : المانيا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا : **فاز بها السيد/حسن الشريف** ــ الطالب بكلية الهندسة ــ « لييج » ــ بلجيكا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير : **فاز بها السيد/تيسير عمارى** ــ الطالب بكلية الطب والجراحة بجامعة بادوفا ــ ايطاليا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

(البقية على صفحة ١٦٢)

حاجة علماء النفس إلى..

الدراسات الفلسفية

بقلم

الدكتور مصطفى سويف

■ من الحقائق التاريخية التي ينبغي الا تغيب عن بال المهتمين بالدراسات النفسية في منطقة الشرق العربي ان هذه الدراسات بصورتها العلمية الحقة حديثة النشأة في مجتمعاتنا العربية . فهي لم تبدأ الا في السنوات القليلة السابقة على الحرب العالمية الثانية ، مع انها بدأت في اوروبا منذ العقد الرابع من القرن التاسع عشر عندما بدأ فيبر E. H. Weber في ألمانيا سلسلة تجاربه المشهورة التي كان يظن انها تنتمي الى علم وظائف الاعضاء مع انه كان يفتتح بها تاريخ علم النفس العلمي على وجهه الصحيح .

هذه الحقيقة التاريخية لا تزال تؤكد نفسها من خلال المظاهر المتعددة لحركة الدراسات النفسية في بلادنا في الوقت الحاضر . وربما كان من ابرز هذه المظاهر قلة عدد المتخصصين العرب في هذه الدراسات .. فقد ورد في الدليل الدولي لعلماء النفس المنشور في هولندة سنة ١٩٥٨ ان عدد العلماء في مصر ٢٣ عالما ، وفي سوريا ٦ علماء وفي العراق عالم واحد .

فاذا فرضنا مع التفاؤل الشديد أن هذه الاعداد زادت الى الضعف منذ سنة النشر حتى الآن ، فالعدد الاجمالي في المنطقة العربية لا يزيد على ٦٠ عالما . وللقارىء أن يقارن بين هذه الاعداد وبين عدد اعضاء جمعية علم النفس الاميركية الذي يزيد على ١٥ الف عضو ، وبين اعضاء جمعية علم النفس البريطانية الذي يزيد على ثلاثة آلاف عضو . يضاف الى ذلك ضآلة فرص التخصص امام النشىء من شباب الجامعات ، وخلو المكتبة العربية من دورية واحدة متخصصة في علم النفس.

على اننا في هذا المقال ـ وهو ذو هدف محدود ـ لا يعنينا من التذكير بهذه الحقيقة سوى التنبيه الى شيء واحد : هو اننا الآن ما دمنا في بداية الطريق على هذا النحو فان كل خطوة نقوم بها في سبيل ارساء قواعد هذا العلم في بلادنا سيكون لها خطر كبير في تحديد الصورة التي سوف يتشكل بها في المستقبل . فاذا اقمناه على اسس قويمة تجمع في اتزان مرهف بين النظرة الفلسفية الشاملة من ناحية ، وبين

القدرة على اجراء التجارب واستخدام ادوات الملاحظة وطرق التحليل الاحصائى الدقيقة من ناحية اخرى ، ففى ذلك الخير كل الخير . اما اذا لم نستطع تحقيق هذا الاتزان فالنتيجة كما كان يقول كورت لفين K. Lewin اما نظريات جوفاء او تجارب عمياء .

على هذا الأساس راينا ان نقدم هذا البحث ، محاولة منا للاسهام فى بيان حاجة علماء النفس الى التمكن من الدراسات الفلسفية راجين أن نتبعه ببحث آخر فى المستقبل القريب يتناول ضرورة التمكن من اجراء التجارب واتقان طرق تحليلها .

خطوات التفكير الفلسفى

ربما كانت افضل الطرق الى استشفاف طبيعة الفلسفة أن نعرض للمحاولات الفلسفية الكبرى لنستخلص ما بينها من عناصر مشتركة . فاذا فعلنا ذلك عرضت لنا العناصر الرئيسية التالية :

(أ) تبدأ اية محاولة فلسفية باثارة مشكلة ، وغالبا ما تكون هذه المشكلة ذات اهمية واضحة تفرض نفسها على الذهن (مثل طبيعة الكون ، طبيعة المعرفة ، والصلة بين المعرفة وموضوعها .. الخ ..) .

(ب) وتتخذ الاجابة شكل بناء عقلى ، قوامه مجموعة من التصورات المجردة او المفاهيم ، تدل عليها الفاظ مستمدة من لغة الحياة اليومية لكنها تخضع لقيود تكسبها درجة عالية من الدقة والاتساق المنطقى ويكون هذا البنا محاولة مركزة لتلخيص الخصائص الرئيسية للوجود بوجه عام (كما عند افلاطون) او لجزء منه (كما عند سبينوزا فى نظريته فى الاهواء) ولما بين هذه الخصائص من علاقات .

(ج) وفى اثناء اقامة هذا البناء يعمد الفيلسوف الى أن يعرض عرضا نقديا للمحاولات البنائية التى اقامها فلاسفة آخرون من قبل . وهنا يستشف القارىء فى كل محاولة فلسفية حضور تاريخ الفلسفة فى ذهن الفيلسوف وتبدو محاولته عندئذ كأنها رد على اخطاء تاريخ الفكر الفلسفى كله .

هذه هي العناصر الرئيسية التى تكشف عن نفسها من خلال المحاولات الفلسفية الكبرى . فهى عناصر متوافرة فيها جميعا ، (وربما لحظ القارىء انها اقرب الى الشكل والمنهج منها الى المضمون والنتائج) .

خطوات التفكير العلمى

ان مهمتنا تمتد بعد ذلك الى محاولة الكشف عن الخطوات الرئيسية التى يتبعها الباحث فى علم النفس ، وما قد يوجد بينها وبين عناصر الفكر الفلسفى من تناظر ، وما عساه ان يوحى به هذا التناظر من توجيهات الى هذا الباحث واقرانه ممن يشغلهم أن يحققوا لانفسهم اكبر قدر من خصوبة الفكر وشمول النظر .

ربما استطاع بعض القراء ان يقوموا بجولة فى عدد من الدوريات العلمية المخصصة لبحوث علم النفس ليطلعوا بانفسهم على نماذج تلك البحوث ، عندئذ سيجدونها تنطوى على عدد من الخطوات الرئيسية بعضها لا يكاد يختلف عن الخطوات التى اسلفنا ذكرها فيما يتعلق بالفكر الفلسفى ، مثل البدء باثارة مشكلة معينة (أوحي بها الى ذهن الباحث من خلال مشاهداته فى الحياة عامة ، او من خلال اطلاعاته على بحوث العلماء السابقين عليه) ثم اقتراح حل لهذه المشكلة يعتمد على عدد من الفروض والاستنتاجات ، فاذا استطاع البحث ان يتحقق من صحتها اردف بمناقشة نقدية لمحاولات الباحثين السابقين .

على ان هناك خطوات أخرى يتميز بها عدد كبير من البحوث السيكولوجية لا نظير لها فى المحاولات الفلسفية ، ونعنى بهذه الخطوات كل ما يتعلق بالتحقيق التجريبى للفروض ، مثل تصميم التجارب واعداد الادوات الملائمة للمشاهدة وتحديد عينات المشاهدة المطلوبة وانتخاب اصلح الطرق لتحليل النتائج .. الى آخر هذه الاجراءات . غير ان هذا النوع من الخطوات ليس محور بحثنا فى هذا المقال فمن الخير ارجاء الحديث عنه الى الوقت الملائم .

محور الحديث فى هذا المقال هو النوع الأول

من الخطوات ، أو ما يمكن تسميته (مع التجاوز عن بعض الخطأ في هذه التسمية) بالخطوات النظرية في البحث العلمي ، وما تكشف عنه هذه الخطوات من تشابه مع عناصر الفكر الفلسفي .

التشابه بين الفكر الفلسفي والعلمي

فالبداية في الفكر الفلسفي وفي البحث السيكولوجي (والعلمي بوجه عام) واحدة ، هي الشعور بوجود مشكلة تحتاج الى حل ، وقبول مواجهة هذه المشكلة بحثا عن الحل الذي يذهب عنها صفة الاثارة للذهن .

وجزء هام كذلك من الطريق الذي يسلكه كل الملائم واحد في الفكر الفلسفي والعلمي على السواء ، هذا جزء يتمثل في الاستعانة بمجموعة من التصورات أو المفاهيم قليلة العدد التي تربط (في المستوى الذهني) بين عدد كبير من الظواهر (أو الوقائع) وترتبط فيما بينها من خلال بناء عقلي على درجة معينة من الاتساق .

وجزء هام كذلك من الطريق الذي يسلكه كل من الفيلسوف والعالم لا فرق في ذلك بينهما يتمثل في نقد كل منهما لمحاولات من سبقوه في معالجة المشكلة ببيان ما يشوب حلولهم من اخطاء أو تناقضات ، أو ما يفرض حدودا معينة على قيمة هذه الحلول لا تستطيع أن تتعداها .

ماذا يفيد العلم من الفلسفة

على هذا النحو يبدو التشابه أو التناظر بين تفكير الفلاسفة كما نطلع عليه في مؤلفاتهم وبين بحوث علماء النفس المحدثين .

غير أن المهمة التي نتصدى لها في هذا المقال لا يكفي فيها الكشف عن التشابه أو التناظر بين هذين الطرفين ، انما هي تتجاوز ذلك الى بيان ما يمكن أن يفيده عالم النفس من الاطلاع على جهود الفكر الفلسفي .

التمييز بين الأوزان النسبية للمشكلات

كثيرا ما يعاب على الفلسفة أنها تثير المشكلات الضخمة ثم تعجز عن الوصول الى حلول تلقى موافقة جميع المختصين أو معظمهم . ومع ذلك فهي لا تفتأ تثير جديدا من هذه المشكلات كأنما رسالتها الرئيسية اثارة الأذهان والنفوس جميعا أشد ما تكون الاثارة .

غير أن ما يعاب على الفلسفة هو بالضبط أحد مزاياها التي ينبغي لعلماء النفس أن يفيدوا منها، والتي افاد منها البعض فعلا . ان الدراسات التجريبية الحديثة في طبيعة التفكير الا بداعي توضح حقيقة هامة في هذا الصدد ، مؤداها ان الافراد يتفاوتون فيما بينهم في حساسية كل منهم لما ينطوي عليه موقف معين من مشكلات سواء من حيث عدد هذه المشكلات ومن حيث دلالتها ، فاذا افترضنا مثلا اننا واجهنا عشرة أشخاص بموقف واحد (وليكن قصة تدور حول حديث معين ويشترك فيها عدد من الشخصيات) وطلبنا اليهم ان يدون كل منهم (على انفراد) ما تثيره هذه القصة في ذهنه من أسئلة واستفسارات لكانت النتيجة عشر مجموعات من الأسئلة والاستفسارات يندر أن توجد بينها مجموعتان متطابقتان تماما من حيث المقدار أو من حيث القيمة والمضمون . هذا التفاوت الذي يكشف عن نفسه في هذا الموقف المبسط وفي غيره من مواقف الحياة التي تفوقه أو تقل عنه تعقدا ، يكشف عن نفسه كذلك في نشاط علماء النفس بصورة تكون لها اهمية خاصة في التفرقة بين عالم وآخر من حيث ثروة كل عالم من المشكلات المتعلقة بميدانه .

هذا التفاوت اذا حاولنا ان نبحث في مصدره المباشر تبين لنا ان هناك مصادر متعددة ، لكن وراء جزء هام من هذه المصادر المتعددة مصدر رئيسي ، هو مدى ما لقيه كل باحث في خلال تنشئته (سواء عندما كان أمره بيد غيره ، أم عندما تولى أمر نفسه) من مران وتشجيع على اثارة اكبر عدد من المشكلات العقلية ، وعلى الوقوف عند بعضها مما يبدو ذا قيمة واضحة بالنسبة للميدان . وهنا تفرض دروس الفلسفة نفسها كمجال بالغ الأهمية في اتاحة هذا المران في أعلى صوره .

ان الآفة الخطيرة التي تتهدد جهود علماء النفس المخلصين لمنهج البحث العلمي التجريبي ليست في قلة المشكلات التي تلح على اذهانهم ، أو بعبارة أخرى ليست في انخفاض حساسيتهم لما تنطوي عليه مواقف الحياة من مشكلات سيكولوجية ، بل

في استواء حساسيتهم باهمية مشكلات السلوك جميعا دون تمييز فيما بينها .

مشكلات خصبة .. واخرى عادية

وهنا لا بد من توضيح الأمور بما يتفق ومستوى الموضوع الذي نناقشه . فمما لا جدال فيه ان جميع مشكلات السلوك جديرة بان تبحث بحثا علميا ، وليست هناك مشكلة ـ اشرف من مشكلة (والا نكصنا على اعقابنا الى ما يماثل مستوى التفكير في العصور الوسطى) ، كما ان صغر حجم المشكلة التي يتعرض لها الباحث (في علم النفس وفي اي علم من العلوم الاخرى فيما نظن) شرط يزيد من احتمال قدرته على معالجتها . الا ان هذا كله شيء والوقوع في التفاهة شيء آخر .

ان عالم النفس البصير بأمور ميدانه يدرك ان بعض مشكلات السلوك (دون البعض) تبدو وكان لها قدرة اشعاعية بالنسبة لجوانب الميدان المختلفة ، فحلولها لا تلبث ان تؤدي الى حل عدد كبير من مشكلات اخرى كانت مستغلقة على الاذهان ، او على الاقل تساعد على القاء الاضواء على هذه الاخيرة . هذا النوع الخصب من المشكلات يمكن تسميته بالمشكلات الاساسية او المركزية في الميدان ، كما يمكننا ان نتصور سائر المشكلات تنتظم على اساس القرب من المركز أو من المحيط .

يشهد الباحث البصير هذا المشهد التنظيمي للميدان فيهديه ذلك الى شيء من الحكمة في انتقاء المشكلات التي يرتضي لنفسه أن يبذل في سبيل حلها جهودا مضنية ، ويشعر نحوها بالاطمئنان الى ان هـذه الجهود وان اتصلت لسنوات متعددة فلن تنتهي به الى ما يشبه الندم على انه اضاع العمر مشغولا بمسالة أو مسالتين فحسب . ففي هذه المسالة او هاتين المسالتين تكمن المفاتيح لعشرات من المسائل الاخرى ، (والامر بعد ذلك لا يحتاج الا الى عنصر الوقت بمعناه الآلي اللازم لتنفيذ برنامج واضح المعالم من التجارب المتعددة) .

واذا فان جوهر الحكمة التي تعلق بها هـذا الباحث يتلخص في انتقائه مشكلاته على اساس اقترابها من مركز الميدان لا من محيطه ، الى جانب شروط اخرى لا بد له من مراعاتها . كان تتوافر لدى الباحث الأدوات العملية وغير العملية اللازمة لبحث هذه المشكلة ، وأن يتوافر لديه العلم بالطرق الفنية (الاحصائية وغيرها) اللازمةلتحليل البيانات المتجمعة لديه عن المشكلة .

يبدو من ذلك اذا ان مجرد الحساسية لوجود المشكلات لا تكفي لكي يتاح للباحث أن يحيا أخصب حياة علمية ممكنة ، بل لا بد له من أن تكون هذه الحساسية مميزة ، تتيح له أن يشعر بالفروق بين اوزان المشكلات المختلفة بالنسبة للميدان في مجمله ، لكي يوجه خطاه نحو ارجح هذه المشكلات وزنا . وعلى هذا النحو استطاع عدد من ائمة البحث في ميدان علم النفس أن يميزوا بين مشكلات فرعية ومشكلات أساسية ، وربما قضوا بعض الوقت في مستهل حياتهم العلمية فيما يشبه التخبط قبل أن يهتدوا الى مشكلاتهم الأساسية ، لكنهم عندما اهتدوا اليها استطاعوا من خلالها ان يقترحوا الحلول لعشرات المشكلات الجديدة في الميدان .

((كلارك هل)) .. ((وآيزنك))

ومن أوضح الأمثلة على هذا الطراز من الباحثين كلارك هل الامريكي : (١٨٨٤ ـ ١٩٥٢) ، الذي اشتغل في بدء حياته بمشكلة الجرافولوجيا او سيكولوجية الخطوط . ثم تركها الى الاشتغال بمشكلة التنويم الصناعي والايحاء ، ثم استقر على الاشتغال بمشكلة التعلم قرابة الخمس عشرة سنة الاخيرة من حياته (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) ، فاستطاع أن يوحي من خلال معالجته اياها بحلول لمشكلات فرعية لا تكاد تقع تحت حصر .

ومن اوضح الأمثلة كذلك ايزنك احد اساتذة علم النفس في جامعة لندن في الوقت الحاضر ، فقد اشتغل في فترة من حياته المبكرة ببعض دراسات التقييم الجمالي ، واشتغل في فترة اخرى بمشكلة الجرافولوجيا ، ثم استقر على الاشتغال بمشكلة الابعاد الاساسية للشخصيةوذلك منذ سنة ١٩٤٧ . ومن خلال هذه المشكلة الأخيرة استطاع أن يضع برنامجا لعدد كبير من التجارب ويقترح عددا كبيرا من الحلول الخصبة .

وهناك غير هذين المثالين امثلة اخرى لباحثين آخرين في ميادين علم النفس العام والاجتماعي والحيواني والفيزيولوجي .. الخ .. استطاعوا

ان يميزوا بين أوزان المشكلات المختلفة ، واختاروا ان يكرسوا معظم جهودهم للمشكلات الاساسية . ومع اننا لا نستطيع ان ندعى أن هذه الحساسية المميزة كانت تنطوى لدى جميع من مارسوها على موازنة عقلية واضحة منذ البداية (أى منذ قيامهم باول بحث يدور حول المشكلة الأساسية التى استقروا عليها) بين ما عساهم يستقرون عليه وما عساهم يؤجلون النظر فيه او ينحونه جانبا ، مع ذلك فاغلب الظن أن هذه الحساسية يمكن الارتفاع بها الى مستوى الوظيفة العقلية التى يمارسها صاحبها عن قصد وتنبه منذ فترة مبكرة نسبيا من حياته العلمية ، مما يزيد من خصوبة هذه الحياة ويوفر على صاحبها بعض تخبطاته الأولى .

تدريب الحساسية .. بالفلسفة

وليس افضل من اعتياد الاطلاع على دروس الفلسفة يرتاده الباحث لتدريب حساسيه على هذا النحو . ان الولع الذى يديه الفلاسفة بمعالجة أمهات المشاكل (مثل طبيعة الكون ، وطبيعة المعرفة ، ومصير الانسان ، والصلة بين القيم المتباينة .. الخ) وقدرتهم الفائقة على القصة مباشرة الى الجوهر دون العرض ، هذا هو العنصر الفعال فى تعويد ذهن القارىء على الاحساس بالوزن النسبى للمشكلة التى يعالجها ، وعلى ازدياد التعلق بها كلما ازداد ثقلها .

ومن الجدير بالذكر أن المثالين اللذين ذكرناهما؛ كلارك هل ، وايزنك هما من افضل الأمثلة على صحة القضية التى نعرضها . فكلاهما من أكبر علماء النفس المحدثين ، ومن أشدهم استمساكا بالمنهج التجريبى ، وكلاهما افاد فائدة واضحة صريحة من الاطلاع على المؤلفات الفلسفية ، فاما كلارك هل فالمعروف عنه انه اهتم بهذا الاطلاع الفلسفى بصورة خاصة منذ عام ١٩٣٠ عندما دعى لالقاء بضع محاضرات فى هارفارد حول قياس الاستعدادات ، فقد التقى عندئذ بالفيلسوف الامريكى لويس C. I. Lewis وتناقش معه فى موضوع تكوين المفاهيم أو التصورات العقلية المجردة ، ثم حفزته هذه المناقشة الى قراءة « المبادىء الرياضية » للفيلسوفين هوايتهد وبرتراند رسل ، وهنا يقول ارنست هيلجارد ان هذه المناقشة وهذه المطالعة رفعت من مستوى بصيرة هل ففتحت عينيه على نوع النظرية التى ينشد صياغتها . وفعلا فى سنة ١٩٣٥ نشر أول تخطيط لهذه النظرية . هذا عن (هل) .

واما عن ايزنك فيكفى الاطلاع على اى كتاب من كتبه ، وخاصة الكتب التى نشرها فى فترة مبكرة من حياته مثل كتاب «الدراسة العلمية للشخصية» لكي يدرك القارىء أن هذا العالم على صلة واضحة بتاريخ الفلسفة وانه افاد من هذه الصلة فائدة لا يمكن اغفالها عند التاريخ لاهتماماته المنهجية بوجه خاص .

وتاريخ علم النفس غنى بأسماء أخرى لامعة ، اعتمد أصحابها فى جهودهم العلمية – الى حد ما – على اطلاعهم الفلسفى ، وجاء اعتمادهم هذا فى أوضح صوره فى نوع المسائل التى شغلت اذهانهم واستأثرت بمعظم جهودهم . ولا نظن احدا من المشتغلين بعلم النفس الحديث يستطيع ان ينسى فى هذا الصدد اسم فخنر G. T. Fechner وتجاربه التى اجراها فى منتصف القرن الماضى ولا اسم وليم جيمس ودراساته التى نشرها فى مستهل هذا القرن .

القدرة على الربط النظرى المتسق

على ان فائدة دروس الفلسفة لا تنحصر فى تدريب الحساسية المميزة لدى الباحثين على التوجه نحو المشكلات الأساسية دون التوزع بين المشكلات « الفرعية » ، بل تمتد الى تدريب قدراتهم العقلية على معالجة هذه المشكلات .

اما كيف يكون ذلك فيتضح لنا اذا ما تتبعنا حركة ذهن الفيلسوف وهو يقيم دعائم احدى نظرياته ، ثم قارنا بين البناء العقلى الذى يقيمه وبين اى بناء نظرى يقيمه الباحث السيكولوجى وهو يقدم لاحدى تجاربه او يعلق عليها .

فقد ذكرنا من قبل أن سمة هامة مشتركة بين حركتى العقل لدى الفيلسوف والعالم على السواء انما تتمثل فى محاولة كل منهما ان يبنى صورة ذهنية للموضوع الذى يشغله ، وان هذه الصورة تنطوى من ناحية على وصف دقيق لخصائص أجزاء الموضوع ، كما تنطوى من ناحية اخرى على تحديد للعلاقة بين هذه الأجزاء بعضها البعض . اما عناصر هذه الصورة فهى تصورات عقلية

(أو مفاهيم) علـى درجات متفاوتة مـن حيث التجريد والتركيب .

هذا هو الجانب المشترك بين عمليتى التفكير عند الفلاسفة والعلماء . .

ومع ان هناك بعض الاختلافات بين خصائص الابنية التصورية الفلسفية وبين خصائص ابنية العلم فثمة اوجه شبه لا يمكن التقليل من شانها وهى التى يهمنا ان نركز عليها الاضواء فى هذا الموضوع .

وهذه الأوجه الثلاثة :

احدها الوظيفة الرئيسية التى تقوم بها هـذه الابنية فى العلم أو فى الفلسفة ، وهى الربط أو التنظيم ، الربط بين عدد كبير من الجزئيات تحت مفهوم واحد كمفهوم المادة والمثال والمشاركة فى فلسفة افلاطون ، وكالاستجابة والانطواء والتشبع والمجال فى الدراسات السيكولوجية الحديثة . هذه المصطلحات جميعا أجزاء لا تتجزأ فى ابنية تصورية، وكل مصطلح منها اداة يربط الذهن بوساطتها بين عدد كبير من جزئيات الطبيعة أو من جزئيات السلوك . على أن هذا الربط الذى لا يكاد يزيد عن عملية تصنيف لظواهر الكون تحت عناوين محددة لا يلبث ان يمهد السبيل امام الفيلسوف والعالم على السواء الى ربط آخر فى مستوى اعلى ، وهـو الربط بين هـذه المجموعات من الظواهـر الموضـوعة تحت هـذه العناوين المختلفة وذلك بالتوصل الى ما نسميه بالقوانين او النظـرية ، وهى الهيكل الاسـاسى لنظام العلاقات القائمة بين هذه المجموعات .

هذا هو أحد أوجه الشبه الثلاثة ، وربما كان اهمها جميعا .

الأساس العقلى

اما الوجه الثانى فهو الأساس العقلى الذى تعتمد عليه وظيفة الربط هذه . والاساس هنا هو عملية التعميم التى يقوم بها العقل استنادا الى عمليتين آخرين هما التجريد وادراك وجه الشبه .

هذه العمليات جميعا هى الجذور السيكلوجية التى يعتمد عليها كل الفلاسـفة وعلماء النفس عندما يقيمون دعائم نظرياتهم . بل اننا جميعا نعتمد عليها (لا فرق فى ذلك بين المشتغلين بالمعرفة وغير المشتغلين بها) فى أثناء حياتنا اليومية ، ومنذ طفولتنا المبكرة ، وخاصة منذ تعلمنا لغة الالفاظ . كل ما فى الامر أن الفلاسفة والعلماء يمارسون عمليات التجريد وادراك الشبه والتعميم بصورة فيها كثير من التنبه والتزام الاتساق المنطقى .

وهذا نفسه يسلمنا الى الوجه الثالث من أوجه الشبه ، اعنى هذا الحديث عن الاتساق المنطقى . فالابنية التصورية التى تقام داخل نطاق العلم والفلسفة تمتاز بدرجة عالية من الاتساق المنطقى او الخلو من التناقض مع مقدماتها ، فى حين أن الابنية التى يقيمها الناس فى حياتهم اليوميـة اويتقبلوها كثيرا ما تكون مليئة بالتناقضات .

هذه خلاصة أوجه الشبه الثلاث بين نظريات العلم ونظريات الفلسفة وهى أوضح ما تكون بين نظريات علم النفس بوجه خاص وبين النظريات الفلسفية . ذلك أن نظريات علم النفس لا تزال تستمد مفاهيمها من لغة الحياة اليومية (مع فرض بعض القيود التى تبدو فى التعريفات الواردة فى قواميس علم النفس) ، وبالتالى فان وظيفة الربط بين مسميات كثيرة ، وعملية التعميم التى تقوم عليها هذه الوظيفة وشرط الاتساق المنطقى الذى ينبغى أن يتوافر فيها ، هذه العناصر جميعا تكشف عن نفسها فى نظريات علم النفس أكثر مما تكشف عن نفسها فى نظريات العلوم التى وصلت الى مستوى أعلى من التقدم (كالعلوم الطبيعية حيث الاستعانة بالرموز أكثر بكثير من الاستعانة بالفاظ مستمدة من لغة الحياة اليومية) وهى تكشف عن نفسها بصورة شديدة الشبه بالصورة التى تبدو بها فى نظريات الفلسفة ولكن على نطـاق اضيق غالبا .

هنا ومن أجل هذه العناصر التى لا يستغنى عنها اى بناء نظـرى جاد ، ولان هـذه العناصر تتوافر بصورة متضخمة فى النظريات الفلسفية ، ولان لغة الحياة اليومية (التى لا يزال علماء النفس يستمدون منها مفاهيمهم) تغرى بالوقوف عند مستوى الابنية النظرية الضيقة ، وتغرى كذلك بالوقوف فى التناقض ، أو على الاقل لا تقسر الذهن على التزام قدر كبير من الاتساق المنطقى من أجل ذلك كله كان من الخير للباحثين فى علم النفس أن يدعموا أواصر الصلة بينهم وبين المؤلفات الفلسفية .

التجارب العلمية .. والتفكير الفلسفي

صحيح ان جو التفكير في المجردات البعيدة جدا عن الوقائع الجزئية ، وفي التعميمات البالغة الاتساع ، وهو الجو الذي يملأ معظم عالم الفلسفة يثير شيئا من الضيق بل ومن النفور عند الكثيرين ممن اعتادوا جو التجارب العلمية المليئة بالتفاصيل ، الا ان هذا الضيق والنفور وان كان يحفظ عليهم اعتيادهم واتقانهم اسلوب التفكير المفصل ، وهو شيء ضروري للبحث العلمي ، فانه يضيع عليهم فرصة المران على أسلوب التفكير الشامل او الرابط ، مع أن هذا الأسلوب أيضا شيء ضروري للبحث العلمي وخاصة اذا أريد بهذا البحث ان يكون فتحا من الفتوحات الرئيسية في تاريخ العلم .

وربما كان من الخير في هذا المقام ان يذكر علماء النفس أن زملاءهم من كبار العلماء الذين كرسوا جهودهم للعمل في ميادين العلوم الاكثر تقدما من علم النفس ، كانوا على بينة من اهمية اسلوب التفكير الذي يسعى نحو الشمول ويصر على الاتساق المنطقي .

فقد كتب بفريدج W. I. B. Beveridge وهو استاذ الباثولوجيا الحيوانية في كمبردج يتحدث عن حب النظام والارتباط المنطقي بين الوقائع كدافع هام الى السعي وراء التعميمات لا سيما في دراسات الطبيعة والرياضة .

وكتب اينشتين في تقديمه لكتاب ماكس بلانك بعنوان « اين يقصد العلم » يتحدث عن استشعار النظام وراء المظاهر على أساس أنه هو الذي يهدي الى الكشف عن القوانين الجزئية .

وفي محاضرة لماكس بورن M. Born القاها في اجتماع الجمعية الادبية والفلسفية بمانشستر عام ١٩٥٠ قال ان من بين الطرق التي لابد لعالم الطبيعة من الاعتماد عليها الربط بين القوانين التجريبية المختلفة في نظريات متماسكة ترضى شعورنا بالتناسق والجمال المنطقي .

وكذلك كان هو جلنجز جاكسون يقول ان لدينا كثيرا من الوقائع ، لكننا نحتاج الى تنظيمها في معرفة اكثر شمولا . اننا نحتاج الى تعميمات وفروض . وكان داروين يقول ان العلم يتمثل في تجميع الوقائع بصورة تسمح بان نستمد منها قوانين أو استنتاجات عامة .

هذه امثلة قليلة ، لكن دلالتها واضحة ـ فيما توجه الاذهان اليه . ومع انها لا توجه الاذهان مباشرة الى الاطلاع الفلسفي ، فانها توجهها الى العناية بتنمية اسلوب التفكير المنطقي الشامل او الرابط ، وليس ثمة أفضل من دروس الفلسفة مجالا لهذه التنمية ، لان الفلسفة لا تفتأ تحاول ان تقيم اشد الابنية النظرية شمولا واتساقا .

الاهتمام بتاريخ العلم

وثمة فائدة ثالثة يمكن أن تعود على علماء النفس نتيجة اطلاعهم الفلسفي ، ذلك هو الاحساس بتاريخ علمهم وبقيمة هذا التاريخ . اما كيف يجنون هذه الفائدة فذلك انما يكون غالبا على سبيل النقل غير المقصود ، النقل الناتج عن اعتياد ادراك الامور على نحو معين .

ان قارىء الفلسفة يدرك منذ الوهلة الاولى ان تاريخ الفلسفة جزء حيّ في الفكر الفلسفي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة فليس ثمة فيلسوف الا وهو يعيش تاريخ الفلسفة ، بمعنى ان أجزاء تاريخ الفلسفة تكون حاضرة في ذهنه تكشف عن نفسها من خلال كل فكرة يقومها ، اذ يقدمها غالبا في جو من المقارنة الصريحة او الضمنية بينها وبين نظائرها في فلسفات السابقين عليه . وهكذا نعتاد ان نرى الافكار الجديدة جذورها ضاربة في التاريخ الى ما يبعد عن السطح الحديث بقرون عديدة . ومن هنا تعتاد عقولنا أن ترى الامور على هذا النحو دائما . فاذا انتقلنا الى ميدان علم النفس الذي نهتم به انتقلت معنا هذه العادة العقلية وشعرنا بالحاجة الملحة الى أن نتبين الجذور التاريخية لمفاهيمنا ونظرياتنا .

ان معظم المشتغلين بالدراسات التجريبية في علم النفس يغريهم ايمانهم بقيمة المشاهدة ، وانشغالهم باتقان تكنيك التجربة ، يغريهم بالانصراف عن هذا التعمق ، بدعوى ان التجربة هي صاحبة القول الفصل . بل ان بعضهم لا يكاد يخطر لهم ببال ان يتتبعوا تطور المشكلة والمفاهيم والادوات التي يتناولونها على مر تاريخ علم النفس، واقصى ما يفعلونه هو أن يتتبعوا موضوعهم لخمس سنوات او عشر سنوات قبل بدئهم البحوث

الخاصة التى تشغلهم . ومع ان التجربة فعلا هى صاحبة القول الفصل ، ومع ان الاهتمام باتقان جوانبها التكتيكية مسالة بالغة الاهمية فى البحث العلمى بوجه عام لا فى بحوث علم النفس فحسب ، مع ذلك فينبغى الا يغيب عن اذهاننا ان التجربة نفسها تنفيذ لحظة ذهنية ، والخطة قد تطور فى عقل صاحبها عدة تطورات قبل ان يقدم على صياغتها فى تجربة ، وهذا التطور يمكن التحكم فى بعض خطواته واتجاهاته وليس افضل من العلم بتاريخ المعالجات السابقة لموضوعنا وسيلة لكى يصبح هذا التحكم رشيدا .

اسئلة لابد من الاجابة عنها

ان تاريخ العلم هو تاريخ المحاولات الناجحة والمحاولات الفاشلة ، وكثيرا ما تتيح المسافة الفاصلة بيننا وبين الحدث التاريخى فرصة طيبة للاطلاع على الاسباب التى ادت اليه . وليس افضل لشحذ بصيرة الباحث من ان يطلع على الاسباب (العلمية وغير العلمية) التى ادت الى نجاح اسلوب معين فى التفكير وفشل اسلوب آخر او نجاح طراز معين من المفاهيم وفشل طراز آخر ، او نجاح طريقة معينة فى التجريب وفشل طريقة اخرى . لماذا فشل اسلوب التفكير الذى تبناه لوبون فى ان يقيم دعائم علم النفس الاجتماعى ، فى حين نجح اسلوب موده W. Moede لاقامة هذا العلم ؟ ولماذا جاءت محاولة مودة مبتورة فى حين لقيت محاولة البورت نجاحا متصلا مع انها متتلمذة على محاولة موده ؟ ولماذا فشل مفهوم الغريزة كما قدمه مكدوجل فى حين نجح مفهوم الاتجاه Attitude كما قدمه البورت وترستون ؟ ولماذا فشلت طريقة قياس الذكاء عن طريق تحديد زمن الرجع ، فى حين نجحت طريقة بينيه فى قياس الذكاء ، وفاقتها نجاحا طريقة وكسلر ؟ هذا النوع من الاسئلة والتمكن من معرفة الاجابات الحقيقية عليها مسالة واضحة الاهمية فى زيادة الباحث حكمة وقدرة على توجيه خطاه فى النظر والتجريب على السواء .

وتاريخ العلم كذلك هو تاريخ محاولات عدد من رجال هذا العلم الاتصال بعلوم اخرى يطلبون لديها الفائدة عن طريق ادراك نوع من المماثلة بين مجال دراستهم ومجالات هذه العلوم الاخرى ، ثم دفع هذه المماثلة بضع خطوات فى طريق معين . على هذا النحو حاول علم النفس الاجتماعى الاتصال بدراسات الطب العقلى فى اواخر القرن التاسع عشر لينقل عنها مفاهيم الايحاء والمؤثرات اللاشعورية فى السلوك ، كما حاول الاتصال بالدراسات البيولوجية اوائل هذا القرن لينقل عنها مفهوم الغريزة وما يترتب عليه . كذلك حاولت فروع اخرى فى علم النفس الاتصال بالفيزيولوجيا والانثروبولوجيا ودراسات الطبيعة وكانت هذه الاتصالات موفقة احيانا وغير موفقة احيانا اخرى .

وعلم النفس لا يقف فى هذا الموضوع موقفا شاذا ، فاخبار الاتصال بين العلوم المختلفة وما ترتب على ذلك احيانا من نتائج لا يمكن اغفالها تملأ كتب تاريخ العلم . ومن هنا نفهم قول بفردج ان العلماء الذين توصلوا الى ابتكارات هامة كانوا غالبا من ذوى الاهتمامات الواسعة او ممن تعلقوا بدراسة موضوعات جديدة غير الموضوعات التى لقوا معظم مرانهم فيها . ومن هنا نفهم كذلك قول الدكتور تيلر E. L. Taylor فى دراسة له حول البحوث البيطرية فى انجلترا ان الافكار الجديدة غالبا ماتنبع من رصيد متنوع من الذكريات والخبرات اكثر مما تنبع عن رصيد متجانس ، والمثال الكلاسيكى فى هذا الصدد هو مقال مالثوس فى السكان وما اوحى به الى ذهن داروين قبل ظهور « اصل الانواع » بفترة غير يسيرة .

هذا النوع من المعلومات التاريخية واضح الاهمية فى توجيه اذهان الباحثين ، فهو ، اذا احسن استخدامه ، احد الطرق المؤدية الى زيادة قدرة العقل على الابتكار . لكن الالتفات اليه يحتاج اولا الى التنبه لقيمة الاطلاع فى تاريخ العلم . والى الشعور بان هذا التاريخ جزء حى فى جسم العلم النامى .

وثمة منافذ اخرى ينفذ منها تاريخ العلم الى عقول المشتغلين بالتجريب فيه فينضجها ويخصبها . منها ان تتجمع فى ذهن الباحث صورة متصلة الحلقات للتطورات الجزئية التى طرات على مفهوم معين وهو ينتقل من باحث لآخر ، ومن تجمع هذه الحلقات لا يلبث ان يتكشف المشهد عن اتجاه معين ينتظم هذه التطورات . او تتجمع فى ذهن الباحث صورة للتغيرات التى طرات على نظرية بعينها ، او على طريقة معينة للمشاهدة

او القياس . وتكشف هذه الصورة أيضا عن اتجاه بعينه ينتظم هذه التغيرات مما يزيد من قدرة الباحث على اختيار خطوته القادمة اختيارا متبصرا بنوع مساهمتها فى التيار العام .

قد يلزم التذكير هنا بمثال او مثالين . خذ مفهوم الجماعة فى علم النفس الاجتماعى ، والمشهد التاريخى لتطوره منذ اواخر القرن التاسع عشر يمضى على هذا النحو : من الجماعة هكذا الى التفرقة بين جماعة اولية وجماعة ثانوية ، ثم الى التفرقة داخل الجماعة الاولية بين جماعة العمل معا وجماعة المواجهة ، ثم الى التفرقة داخل جماعة المواجهة بين جماعة مغلقة ثابتة وجماعة مفتوحة مؤقتة . ومن الواضح أن هذا النحو من التطور يكشف عن اتجاه معين هو الاتجاه من التجانس الى التغاير . ومثال آخر ، المشهد التاريخى لتطور قياس الذكاء ، من مقياس بينيه الذى يتناول الذكاء الاجمالى ، الى مقياس وكسلر الذى أمكننا بوساطته التفرقة بين وظيفتين متباينتين فى الذكاء وتقديرهما ، الى المقاييس العاملية التى تمكننا الآن من التفرقة بين عدد كبير نسبيا من الوظائف المتباينة داخل الذكاء والتقدير الكلى لكل منها . هذا النحو من التطور يكشف كذلك عن اتجاه بعينه وليس مجرد مجموعة من التغيرات المتلاحقة .

لكن الدراسة وحدها لاتكفى

خلاصة القول اذا أن معرفة عالم النفس بتاريخ العلم الذى يشتغل به طريق هام فى سبيل سيطرته على خطوات تفكيره وحسن توجيهها ، وذلك لما يكتسبه هذا العالم من حكمة ، نتيجة الاطلاع على الاسباب التى أدت الى نجاح بعض المحاولات (النظرية والتجريبية) وفشل البعض الآخر ، والاطلاع على مواطن الاتصال وطرق هذا الاتصال بين علمه وبين علوم أخرى وما ترتب على ذلك أحيانا من نتائج بالغة القدر ، ونتيجة لتمكنه من تكوين مشهد عقلى متصل للتطور الذى طرأ على المفاهيم والنظريات وطرق المشاهدة والقياس فى علمه .

هذه هى النتائج التى يجنيها العالم من المعرفة بتاريخ علمه . لكن المهم هو الالتفات الى تحصيل هذه المعرفة . وهو ما يحتاج الى تكوين عادات ذهنية لا سبيل الى اكتسابها الا بمداومة الاطلاع على المؤلفات الفلسفية . وكان من الممكن الوقوف عند مستوى التوصية بدراسة تاريخ العلم ، لولا ان دراسة تاريخ العلم وحدها لا تؤدى الغرض المقصود هنا ، ذلك انها قد تتحول الى دراسة أكوام من الوقائع التاريخية المتتالية ، اما اذا اكتسب الذهن مرانا فى ميدان الفلسفة فانه يستطيع ان يربط بين هذه الوقائع ويستشف اتساق التيارات القائمة وراءها .

على هذا النحو تبدو دراسة الفلسفة والالفة بأسلوب التفكير الفلسفى مسألة بالغة الاهمية بالنسبة للمشتغلين بعلم النفس بوجه خاص . ومع ذلك فأهميتها واضحة ايضا بالنسبة للمشتغلين بالعلم فى أى فرع من فروعه ، الا أننا نركز الاضواء فى هذا المقال على علم النفس لانه الميدان الذى نشعر بشىء من الثقة فى انفسنا عندما نتحدث عنه أكثر مما نشعر بالثقة عندما نتحدث عن غيره من الميادين ، ولان علم النفس لا يزال يستمد مفاهيمه من لغة الحياة اليومية ولا يزال يصوغ معظم قوانينه فى حدود هذه اللغة ، وهذا يضعه فى موضع خاص اذا قورن بمجموعة من الدراسات الطبيعية التى قطعت شوطا كبيرا فى استخدام الرموز والاعتماد على المعادلات الرياضية .

ان الالفة بالتفكير الفلسفى لازمة لعلماء النفس لتنمية نوع من الحساسية المميزة لديهم تعينهم على انتخاب المشكلات الاساسية فى الميدان قبل المسائل الفرعية ولتنمية قدرتهم على اقامة الابنية النظرية التى تمتاز بالشمول والاتساق المنطقى معا ، وكذلك لتنمية الحس التاريخى لديهم .

هذه بعض الاعتبارات التى ينبغى أن تحفز علماء النفس الى الاهتمام بالدراسات الفلسفية وتكتسب هذه الاعتبارات مزيدا من الاهمية اذا نحن تنبهنا الى اننا فى منطقة الشرق العربى لما نزل فى مرحلة وضع التقاليد الفكرية التى يقوم عليها هذا العلم فى بلادنا . فاذا وفقنا فى اقامة هذه التقاليد على قاعدة تجمع فى اتزان مرهف بين حاجات النظر وحاجات التجريب استطعنا ان نامل فى مستقبل مرموق لهذا العلم فى أرضنا . ■■

مصطفى سويف

التمثال المحطم

حطمت جماهير المتظاهرين التمثال الذى يرمز للاحتلال فى مدينة الجزائر ، صباح الاستقلال ..

للشاعر : سليمان العيسى

كانَ كِذْبَه
تملأُ الأفقَ سواداً كغمامَهْ
أَنْشَبَتْ مِخْلَبَها في الشمس ،
فالشمسُ دَمُ ..
وحِرابٌ ، وتلالٌ من جُثَثْ ..
كانَ عنوانَ حَدَثْ
زَوَّرَ التاريخَ فيه مجرمُ
شكَّ في عينِ الضحى ،
في الشمسِ حَرْبَه
ومضى يُعْلِنُ ميلادَ غمامَهْ
رَقَّعَ الأفقَ ، ولَفَّ البرَّ والبحرَ بها
ولكيْ تَثْبُتَ في الأرضِ أقامَهْ
غُصَّةً في جَنْبِها
حَجَراً صُلْباً .. لكي تَثْبُتَ كِذْبَه
حِقْبَةً عَبْرَ الليالي السودِ ،

في أعقابِ حِقْبَةْ . . .
هَشَّمُوه . .
ومعَ الليلِ الذي ولَّى إلى غيرِ مَعَادْ
حَطَّمُوه . .
وعلى أنقاضِهِ فلْتَبدأِ العُرْسَ البِلادْ .
كانَ كِذْبَةْ . .
ضخمةً كالليلِ ؛ بالنيرانِ ،
بالموتِ ، بمحوى مُتْبَتَهْ . .
أعرَفُ الناسِ بها مَنْ نَحتَهْ
هَشَّمُوه . .
مزِّقُوا عنْ جبهةِ الشمسِ غمامَهْ
أشبعتْ أرضي دَمَارا
وأعيدوني نَهَارا
عربيّاً فوق أرضي أُسْكِرُ المجدَ كَرَامَهْ
وفداءً ومَحَبَّهْ . .
كانَ كِذْبَهْ . .
لم يُغَطِّ الشمسَ . .
لم يَمْسَحُ الضُّحَى
تزْوِيرُ حِقْبَةْ . .

حلب : سليمان العيسى

اليهودية والصهيونية

● يشن زعماء اسرائيل ـ وعلى رأسهم بن‌غوريون ـ حملة ارهاب كاسحة على الشعب اليهودى فى المنطقة المحتلة زاعمين ان اية معركةمقبلة يكتب فيها النصر للعرب سيكون معناها القضاء على الجنس اليهودى قضاء مبرما ،واستئصال شأفته من الوجود على نحو ما فعل هتلر باليهود فى العهد النازي .

ان الهدف من حملة التخويف هذه واضح تماما : فبن غوريون يريد استغلال (الرعب) الذى يبثه فى قلوب اليهود لحشدهم وراءه فيآية معركة قد يشنها هو فى المستقبل القريب او البعيد ضد الدول العربية .

عن جريدة « المنار » ـ القدس

القيادة الجديدة

● اننا فى اشد الحاجة الى قيادة عقائدية ثقافية تتوفر فيها شروط الايمان ، والاخلاص ، والعفة ، والنزاهة ، والتدبير ، والصرامة، والزهد، والايثار ، ونكران الذات ، والوعى الصادق ، والعقل العلمى المنهجى . واذا كانت الصين قد استطاعت ان تخلق من شعب دوخه الافيون ، وانهكه الفقر ، واعترته عوامل الانحطاط ، وتسلط عليه الاستعمار والاقطاع والظلم ـ اذا استطاعت ان تخلق منه قيادة مكونة من امثال سن يات سن، وماوتسى تونج وامثالهما ، فان الشعب المغربى لتوفر على امكانيات وخامات تستطيع ان تمدنا ـ لو توفرت بعض الشروط ـ بقيادة من طراز رفيع لا توفر اسباب السعادة لشعبها فحسب ، وانما تساهم فى اسعاد البشرية بحظ كبير .

عن مجلة « دعوة الحق » ـ الرباط

دور الثورة الجزائرية في بناء الوحدة العربية

● حملت الثورة الجزائرية منذ انطلاقها أهم المبادىء والخطوط العامة للثورة العربية ، فقد نادت بوحدة الامة العربية على اساس من الحرية ، والمساهمة الشعبية ، ومحاربة الاستعمار فى كل اشكاله ، والقضاء على الاقطاع الذى هو فى نفس الوقت مظهر من أقسى مظاهر التخلف والانحطاط .

غير أن المساهمة الايجابية الكبرى للثورة الجزائرية ، هى أنها كانت ثورة شعبية بكل معنى الكلمة . ثورة تخوضها جماهير الشعب الواسعة فى ايمان راسخ ، ووعى ناضج ، ونظام محكم ، وصمود ثابت متين . وقد ادى طول الكفاح الشعبى ، وما اتصف به من حدة وضراوة ، ومن شمول واتساع ، الى تغيير جذرى فى كل ميادين الحياة . لقد انصهر الشعب فى نار الثورة ، وولد ولادة جديدة ، وقطع فى سبع سنوات من الكفاح الثورى مراحل لا يمكن قطعها فى عشرات من السنين . أصبح الشعب يتطلع الى التحرر الانسانى الكلى الشامل ، وينزع الى الغايات البعيدة التى تكون فى مستوى نضاله ، وآلامه ، وتضحياته .

عن جريدة « المجاهد »

ندوات للنقد الاكاديمى

● قارن بين هؤلاء العلماء .. وهؤلاء الادعياء !!

فى اوربا وامريكا لا يمكن ان يتصدى لبحث المشكلات الفنية غير الاكاديميين المتخصصين فى الفنون ، بينما عندنا اى واحد يتكلم فى الفن ، وكل واحد يتكلم فى الفن ، وكأن الشرط الوحيد للكلام عن الفن هو عدم الاختصاص ..

من واجب الهيئات الفنية ، والاجهزة الفنية ، مثل الاذاعة والتليفزيون ومجلس الفنون ان تعقد ندوات جادة لمعالجة هذه المشكلة .. ان الهيئات الفنية تعقد احيانا ندوات ولا نسمع فيها غير كلام عائم .. والتليفزيون ليس فيه الآن ندوات نقدية .. وفى الاذاعة اكثر من برنامج لنقد الانتاج الفنى ، ولكن معظم المناقشات فى هذه البرامج سطحية .. ومجلس الفنون لم نسمع اطلاقا انه فكر فى اقامة اية ندوة فنية .. وهكذا

اننا فى حاجة الى ندوات اكاديمية فى مستوى الندوات التى تعقدها الاجهزة الفنية فى الخارج .. ان اذاعة لندن مثلا تقدم سلسلة من المناقشات الفنية التى يشترك فيها اودن وسيريل كونولى وكريستوفر ايشروود وغيرهم من المتخصصين فى الادب والفن والنقد ، ولهذا يمتلئون الوعى الفنى بما يثيرونه من مشكلات حيوية ، وما يقدمونه من آراء مفيدة .. انهم مثلا خلال الشهور الثلاثة الماضية تناولوا عشرات النظريات حول علاقة الفن بالعلم وبالادب وبالدراما ، بينما نحن لا نزال نجهل ابسط العلاقات الفنية ، ونغرق فقط فى العلاقات الشخصية .. والنتيجة ان فنونهم تزداد قيمة وفنوننا تزداد تفاهة .

صحيح ان الاكاديميين فى الخارج يجدون فى انتاج فنانيهم مجالا للنقد العلمى ، وهذا المجال لا نكاد نجده عندنا لان انتاجنا الفنى غير قائم على اسس علمية ، ولكن كيف نصل الى المرحلة العلمية فى الفنون اذا كان الذين يناقشون الفنانين ينافسونهم فى مستواهم الارتجالى ؟ !

عن جريدة « الاخبار » ــ القاهرة

أعمار الناس

بقلم: الدكتور احمد زكي

اذا اردت ان تستخلص شيئا من طبيعة الناس ، وان تكشف عن شيء من مخاوفهم وآمالهم ، فما عليك الا ان تنصت الى كلامهم ، الكلام العادى ، الذى يردّون به على الفعلة الطيبة ، او الفعلة غير الطيبة ، فتجد أثناء ذلك الكثير من الجدير بالعلم والمعرفة .

مثالُ ذلك انك تفعل الصنيع لفرد من الناس ، من سوادهم ، ويريد ان يشكر ، فماذا يقول لك ؟ انه يقول :

ــ ربنا يخليك . او هو يقول :

ــ ربنا يخليك لنا . وفى هذا زيادة فى المعنى ظاهرة . او هو يقول بلغة ابسط :

باسمه فلا يفعل . وعوضا عن هذا هو يضمّن حديثه قوله : طالَ عمرك . ويَطول الحديث ، ويحس المتكلم بحاجة الى التجمّل ، فيعود الى قوله : طال عمرك . وهذه عادة فى الجزيرة العربية شائعة .

وعبد العزيز بن سعود كان يُدعَى ، فيقال له : يا طويلَ العمر . وكل من تنبّه وسما عند العرب فهو طويل العمر .

وهى والله عندى خير من : يا صاحب الرفعة ، وياصاحب الفخامة ، ويا صاحب المعالى . ذلك لان هذه الاخيرة معناها توكيد حقيقة واقعة . وفى اكثر الاحيان

ــ ربنا يطوّل عمرك

وعنده ان هذه هى غاية ما يمكن ان يهديه اليك من دعاء .

يا طويل العمر

وفى مجالس الكبراء والامراء ، كما فى مجالس السواد ، يحتل الدعاء بالعمر مكانة متميزة .

فى هذه المجالس يخاطب الرجل الصغيرُ الرجلَ الكبير ، ويريد ان يدعوه

لا تكون واقعة . اما يا طويل العمر فلم تخرج عن ان تكون دعاء . وهى دعاء الى الله ان يمد فى عمر هذا او ذاك . والله قد يفعل او لا يفعل .

المهم فى كل هذا ان اطالة العمر هى خير ما يُهدَى من الامل ، من انسان لانسان .

حب الحياة بعض طبائع الاحياء

وليس العمر وحب اطالته من صنع احد انها الطبيعة ، جملت من قوانين

الاحياء ان يحب كلُ حي حياته ، ويحبُ طولها ، ويحب اضطرادها ، حتى والرياح تجرى بما لا تشتهى السفن .
الحياة مصنوعة ، ومصنوع فيها حبها ، ومصنوعٌ فيها كل وسائل الدفاع عن تعطيلها او افنائها . وذلك فى انسان . او فى حيوان ، او حتى فى نبات . فاذا غلبت الاجسام ، فى آخر الامر ، على امرها ، فما ذلك رغبة منها فى ختم اعمالها ، ولكنها اطاعة لقانون اكبر من قوانين الطبيعة يقضى بان الحياة

هذا شيخ بلغ التسعين ، يرى ان العمر الطبيعى للانسان يمتد فوق المائة ، فهو مُبقٍ على لباس العمل والجهاد

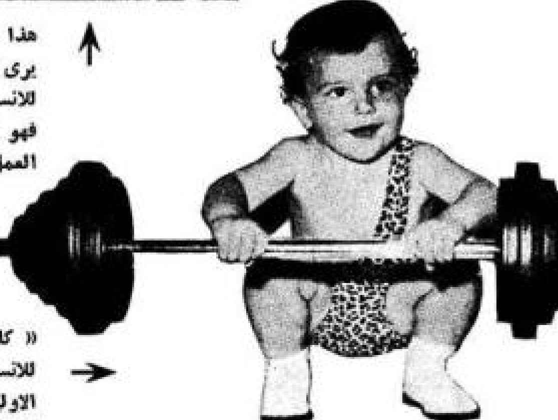

« كان خطر الموت يتراءى للانسان فى سنوات طفولته الاولى ،ثم تحول الطب الى العناية بالطفولةوامراضها» وهذا الطفل من اطفال اليوم سليم ، يريد ان يسبق زمانه ليتزود بأسباب العافية

لابد ان يكون لها طول معلوم ، او يكون عرضٌ مرقوم ، وتكون لها نهاية ، حتى تنطوى ، وحتى تحل حياة جديدة محل حياة قديمة باذن الله .

الناس تنبت كما ينبت الشجر

سطح هذه الارض ينبت النبات والشجر ، وهو ينبت الحيوان كما ينبت الشجر ، وينبت مع الحيوان الانسان . وهى حيوانات خالدة ما امكن خلود ، فى الاجناس ، لا فى الافراد . وكما يَحصد القمح اذا استوى ، فكذلك يَحصد الناس . وكما يقوم قمح فى الارض جديد ، فكذلك تقوم فى الارض اجيال من الناس جديدة ، ومن الحيوان ، وحتى من الحشر .

لابد من اخلاء الارض

وظنى ان الطبيعة ، وهى تأمر بأمر الله ، جعلت فى سجلاتها الاولى ، تلك التى تسجلها على صفحات الجينات والكروموسومات ، فى كتب الخلق الاولى ، التى هى الجرائيم التى ينشأ منها الخلق ، ويتكرر ، جعلت فى هذا السجلات ، غيرَ المخططات التى يكون عليها المخلوق الجديد ، عمرا ، فى حدوده فقط يمكن ان يطول به العيش .
ان القمح فى أشهر

وان الذرة تنضج فى اشهر
وان القصب ...
وان الحِمّص ...
وعليه بعد ذلك ان يخلى الارض لبذور جديدة ، تأتى بمحاصيل جديدة.
وكذلك الرجل والمراة ، فى البويضة الملقحة الاولى ، كتب خالقُ الخلق الى اى سنة جاز ان تطول لهما الحياة .
وكذلكَ فعل فى القرد
وكذلك فعل فى البقر والخيل
وكذلك فعل فى الفار والسلحفاة
لكلٍّ مدىً فى العيش ، فى حدوده يكون النمو ، ويكون البلوغ ، وتكون الشيخوخة ، ثم يكون اخلاء المكان للاجيال القادمة ، لتعيش مثل هذا العيش ، فى مثل هذه الحدود .

مبالغات فى الاعمار

وقالوا ان من الناس من عاش الفعام
وقالوا ان من الفيلة ما عاش مئات الاعوام
وقالوا فى السلحفاة ...
وقالوا فى النسور ....
اقاويل كثيرة تعوزها الدقة الكثيرة . وحب الناس للمبالغة الكثيرة ، فى ازمان قديمة ، كان فيها لا يكاد يؤخذ احدٌ برقم يقوله ، او رقم يكتبه ، ما ساير آمال الناس وطموحهم فى الحياة .

ناس عاشوا ١٥٠ عام ؟!

وسمعنا بناس عاشوا ١٥٠ عاما ، وفوق ذلك سنين . ولم يثبت شيء من ذلك .

ان هذه الاخبار جاءت من امم لم يكن فيها سجلات للميلاد ، هى من القدَم ، او هى من الدقة ، بحيث لا يداخل الفاحص فيها ريبة .

ان فحوص الاعمار فى الامم الحديثة ، ذات السجلات الوثيقة ، دلت على ان اقصى الاعمار الانسانية يصل الى ما بين ١١٥ و ١٢٠ عاما

والظاهر ان هذا هو الحد الذى رات قوانين الخلق ان تقف عنده . وهو راى يسجل ساعة الميلاد ، كلَّ ميلاد . وندع الخوارق جانبا .

وفيلة عاشت ٥٠٠ عام ؟!

وقالوا ان الفيلة تعيش مائتى عام . وقيل ان من الفيلة : ما عاش ٥٠٠ عام . ولسنا ندرى من اين جاءتهم هذه الاعمار .

ان الحيوانات برّيّة ومستأنسة . اما البرية فهى فى بريتها لا راعي عندها يحسب عليها ما تقضى هناك من سنين . والحيوانات البرية تستهدف لأسباب الفناء اكثر مما تستهدف له الحيوانات التى استأنست ، واتخذت حدائق الحيوانات مساكن لها . والحيوانات البرية على الشيخوخة اعجز عن دفاع عن حياة ، واضعف عن منافسة الشباب منها فى الطعام وفى الحصول على المأوى الامين .

والمستأنس من الفيلة عُرف عنه ما عاش ٧٥ عاما ، وهذا هو الفيل الهندى. اما الفيل الافريقى فيعيش ما بين ٤٠ الى ٥٠ عاما .

والسلحفاة ؟

وقالوا ان من السلاحف ما عاش ٥٠٠ عام .

والسلحفاة الشهيرة ، سلحفاة ماريون ، اخذوها من جزائر سيشل الى جزيرة مورتيوس ، بالمحيط الهندى عام ١٧٦٦ . وفى عام ١٩١٨ كانت من الشيخوخة بحيث اصابها العمى . وبسبب عماها وقعت فى بئر وماتت . وكان عمرها عند ذلك ١٦٠ عاما على الارجح . لا ٥٠٠ عام .

اقصى الاعمار

ان الاعمار القصوى لا يصل اليها انسان او حيوان ، الا ما ندر . وحديثنا هذا السابق كان عن اقصى العمر ..

ان اسباب الفناء منتشرة على سطح الارض . واحيانا تأتى من تحت هذا

مدى الأعمار عند الحيوانات

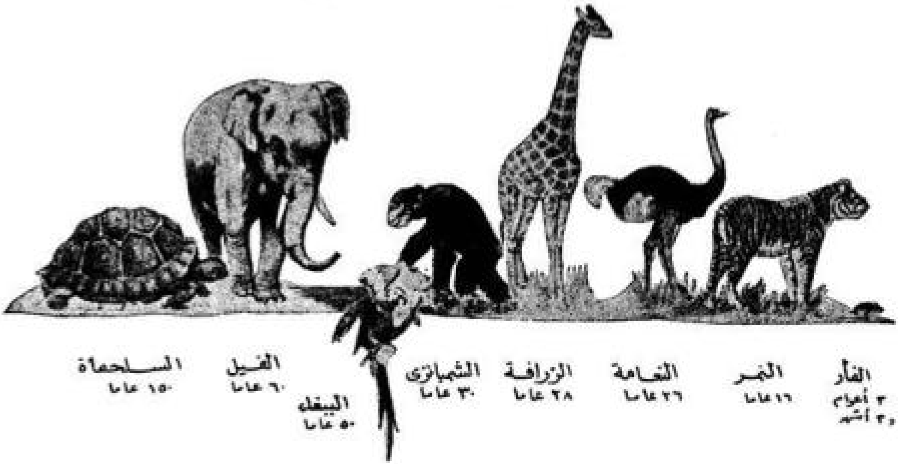

السطح ، هزات في الارض ، او حممًا متدفقة منها ، واحيانا تأتى من فوق هذا السطح من السماء ، حتى بامتناع المطر .

ولكن اقوى هذه الأشياء ، عوامل فناء ، تلك التى تأتي من الاحياء للاحياء.

ان كل جسم صحيح سليم عند الولادة حظه عظيم فى بلوغ الغاية من سنوات العيش ، لولا ما يصيبه فى الحياة من امراض تضعف الجسم وتقصر العمر .

لولا هذه الأمراض ، ولولا أحداث الحياة الأخرى المهلكة ، كالقحط ، وحتى كالسقوط فى الطريق ، لولا هذا لجاز من وُلدوا فى سنة معينة ان يتهيأوا جميعا لترك هذه الحياة فى سنة واحدة او سنوات متقاربة ، شيوخا فاتوا المائة وكادوا ان يصلوا الى ال ١١٥ وال ١٢٠ عاما .

متوسط الأعمار

ان فى الأعمار ، مقادير عليا ، هى اقصاها ، فى انسان ، وفى حيوان . والى جانب الأعمار القصوى يوجد فى المجتمع الواحد شيء يعرف بمتوسط الأعمار . ذلك انه الى جانب الشيخ الذى يموت فى الثمانين والتسعين طفل يموت فى سنته او سنواته الاولى ، وشبان تقصف اعمارهم وزهرة الشباب يانعة .

فمتوسط الاعمار وسط بين هذه المقادير العليا ، وتلك الدنيا . أو هو العمر ، الذى هو ، اخذا بالمتوسط ، ينتظر ان يبلغه رجل فى شعب ما ، او فى جماعة ما .

ومعنى هذا بالطبع ان متوسط الأعمار يتغير من شعب لشعب ، ومن جماعة فى شعب لجماعة ، وذلك بسبب مقدار العناية القائمة على مراعاة الصحة ، ومعالجة الأمراض فى تلك الجماعة او ذلك الشعب . فاذا كان متوسط الأعمار فى شعب ٥٠ عاما ، ومات رجل فى هذا الشعب وسنه ستون عاما ، وجب عليه ان يحمد الله لهذه الزيادة فى العمر ، اذ معنى هذا انه لم يتعرض لنفس القسط من اسباب التهلكة التى يتعرض اليه افراد الشعب فى جملتهم ، فى متوسطهم . اما اذا هو مات فى سن الأربعين أو الثلاثين ، فمعنى هذا انه سيء الحظ فقد تعرض لأكثر من نصيبه ، نصيب متوسط الناس من اسباب الهلاك .

او انه كان له من اسباب الهلاك ، الكامنة فى اصوله ، تلك المنحدرة من آبائه واجداده ، اكثر مما للناس أو اقل .

شركات التامين ومتوسط الأعمار

والحكومات تحرص على معرفة متوسط الأعمار عند كل احصاء

للسكان عام . ولكن ليس كحرص شركات التأمين على هذه المعرفة . ان لهذه الشركات احصائيين متخصصين ، يدورون فى ملايين الأرقام ويدورون ، من عدد احياء ، لكل سن ، الى عدد أموات ، لكل سن ، ويبثون عيونهم فى الأمراض ، وفى حوادث البيوت والطرق ، يعدّون ويحسبون ، حسابات متطاولة ، تخرج لهم آخر الأمر بالرجل ، الذى سنّه كذا ، وصفته كذا وكذا وكذا ، كم يُرجَى له ان يعيش .

او بلفظ آخر كم يرجى له ان يموت .

وتقدر له الشركات عمره المرتجَى ، الى جانب ما تقدر للأمة فى مجموعها عمرها المرتجى ، الى جانب ما تقدر للفئات من كل الحرف والمهن ، ومن اصحاب الصحة والعاهات ، عمرهم المرتجَى .

وتقدرها جميعا وفقا للتموسط . اذ ليس احد فى الدنيا يستطيع ان يأتي لشخص واحد ، لا سيما ان كان فى تلك الساعة سليما معافى ، ولو ظاهرا ، فيقدّر له متى يموت ، او كم يعيش .

المتوسطات دائما هي الحاكمة . والمتوسطات تختلف بين الرجال والنساء ، حتى فى الأمة الواحدة .

واذا حدث ان رجلا أمّن على حياته ، وقدّرت له شركة التأمين عمرا يموت فيه ، وفقا للمتوسط ، هو خمسون عاما ، ثم اذا به لا يموت الا وسنه ستون عاما ، فقد كسبت الشركة .

ان من صالح شركات التأمين ان تتحسّن وسائل الصحة من بعد سنة يجرون فيها احصاءاتهم عن شعب بذاته أو فئة بذاتها ، او مدينة .

كادت الأعمار أن تتضاعف فى قرن من الزمان

ان العلم ، ونتائج العلم ، من تطبيقية، وهندسية ، وصناعية ، وزراعية ، وحيوية ، وطبية ، الى سائر ما هنالك ، هذه كلها كان لها افضال على الانسان فى مرافق حياته جميعا .

المعبد اليونانى الشهير ، بارتينون ، بأثينا . كان متوسط الاعمار فى اليونان فى ذلك العهد نحو ٣٥ عاما

وتتجمع هذه الفضائل المنثورة فى شتى هذه الفروع ، فتتمركز عند صحة الانسان ، وتسهيل عيشه ، وتمهيدا سبله فى الحياة .

وهذه جميعا معناها زيادة فى عمر يرتجَى أن يعيشه الانسان ، الانسانُ فى تلك الأمم المتقدمة التى كان للعلم فيها هذه الجولات ، وحقق فيها ما كان له من ارهاصات .

فى انجلترا

مثال ذلك انجلترا :

متوسط الأعمار ما بين عام ١٨٣٨ و ١٨٤٤ كان ١٩ر٤٠ عاما .
وصار متوسط الأعمار فيها فى عام ١٩٣٧ صار ١٨ و ٦٠ عاما .

وهو اليوم قارب السبعين .
ومتوسط الأعمار فى الولايات المتحدة عام ١٩٠٠ كان ٤٨ عاما ، وهو فى عام ١٩٣٩ — ١٩٤١ صار ٣ و ٦٣ عاما .
وهو اليوم قارب السبعين .

وآسف اذ ليس عندي مراجع اخرى احصل منها على متوسطات اخرى لأمم اخرى . ولكن فى هذه دلالة على الأرقام كم تزيد ، وفى اي الشعوب هي تزيد .

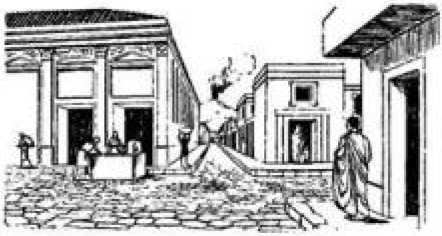

مدينة رومانية قديمة

كان متوسط الاعمار فى روما القديمة نحو ٣٢ عاما رغم تقدمها فى العمائر

الموت يزيد فى الطفولة وكذا فى الشيخوخة

ان خطر الموت يتراءى للانسان في سنوات طفولته الأولى .

وهو يتراءى كذلك فى الشيخوخة عندما تستهلك الحياة الجسم فلا تبقى فيه الا رمقا .

الطب ينصرف لوقاية الطفولة من الموت

اما الطفولة فقد انصرف الطب الى رقابتها ووقايتها ودرس الأمراض تودى بها ، ونجح فى ذلك نجاحا عظيما ، هو العامل الأكبر فى ارتفاع متوسط الأعمار فى الأمم المتقدمة والأمم النامية على السواء .

والشيخوخة استفادت الى حد

اما الشيخوخة فلم يصرف الطب بعد الكثير من همه اليها . ان للشيخوخة امراضا تقتل تتصل على الأخص بالقلب والدورة الدموية ما بها من شرايين تتصلب حتى تصبح هشة . وتتصل بالكليتين وما تفرزان او لا تفرزان من الدم من سموم لابد من طردها من الجسم حتى يصح . ومع ان الطب لم يبذل كل ما وسعه فى الماضي فى امراض الشيخوخة بمثل ما بذل للطفولة ، الا ان ما بذله كان كافيا لزيادة اعداد الشيوخ فى الأمم المتقدمة .

فلو أننا اتخذنا الولايات المتحدة ، بلد الاحصاء ، مثلا ، لوجدنا أن نسبة الأشياخ فيها ممن هم فوق الخامسة والستين كانت : ـ

٦ر٢ فى المائة من مجموع السكان وذلك فى عام ١٨٥٠ .

٨ر٦ فى المائة من مجموع السكان وذلك فى عام ١٩٤٠ .

١٠ فى المائة من مجموع السكان وذلك فى عام ١٩٦٠ .

١٣ فى المائة من مجموع السكان ستكون فى عام ٢٠٠٠ .

اشياخ اليوم غير اشياخ الأمس

واشياخ اليوم غير أشياخ الأمس ، فيهم الصحة ، وفيهم القوة ، وفيهم الفكر والحياة . ومنهم من قاربوا السبعين او زادوا عليها (**مكملان . خرشوف . ديجول**) ، ومنهم من زادوا حتى على الثمانين (**اديناور**) ، ومع هذا فهم يحملون من تبعات الأمم ما تنوء به الظهور .

وليس هذا وقفا على القادة والزعماء . ففى الأمم المتقدمة يقوم الآن الرأى ، تحت ضغط الحاجة الى اهل الدراية والفن والعلم ، وقلتهم ، الى ان لا يكون العمر معيارا لاعتزال الأعمال ، حيث يكون العمل تجنيدا . ولكن يتصل المعيار بالصحة ، وقدرة العقل وصحة الحكم بصرف النظر عن اعداد السنين .

وهذا يوافق قولنا ان الانسان ، في سجل حياته ، وفى مقدراته ، وفى مخططات تكوينه الأولى المرقومة فى بذور خلقه الأولى ، قد قدر له ان يعيش فوق المائة عام .

هذا اذا ما خطط الناس لحياتهم لتكون خالية مما يعوق الحياة دون أن تبلغ غايتها المرجوة ، ١٠٠ أو ١١٥ أو ١٢٠ عاما ، خالية من الجهود المرهقة ، خالية من المنغصات القاتلة ، خالية من الفقر ومن الخوف ، ومن الأمراض ما امكن لانسان ان يخلص منها . ■■

احمد زكى

مالك بن الريب التميمي : يرثى نفسه !

■ نشا فى بادية البصرة نشاة غيره من الشعراء الصعاليك الذين اشتهروا بالتمرد على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى عصرهم ، فلجاوا الى الغزو والفتك وقطع الطريق ليحققوا لانفسهم ولاخوانهم المستضعفين حياة كريمة ، وليثاروا فى الوقت نفسه من المجتمع الذى ظلمهم . فلما عُيِّن سعيد بن عثمان ابن عفان واليا على خراسان من قِبَل معاوية ، دعا مالكا الى صحبته بعد أن اخذ عليه عهدا بالتوبة ، فصحبه ، وفيماهم فى الطريق اناخوا بعض الوقت للقيلولة ، فلما هموا بالرحيل اراد مالك ان يلبس خفه فاذا بداخله افعى لدغته لدغة احسَّ بعدها بالموت الذى لا شك فيه ، فراح يرثى نفسه بقصيدة من اروع ما حفل به التراث العربى من شعر القدماء والمحدثين على السواء .

ومن طريف ما نذكره هنا انه لما قتل « سير جون مور » عام ١٨٠٩ فى حرب اسبانيا ضد نابليون ، رثاه احدالشعراء الانجليز بقصيدة وصف فيها مصرعه ، وكيف حفر له جنوده قبره باطراف الاسنة ، وهو ما سبقه اليه مالك بن الريب باكثر من الف سنة بقوله فى احد ابيات قصيدته الخالدة :

وخطا بأطراف الأسنة مضجعي ... وردا على عينيّ فضل ردائيا !

وفيما يلى ما يتسع المقام لنشره من هذه القصيدة :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضى أزجي القلاص ١ النواجيا
فليت الغضى ٢ لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى ، لو دنا الغضى ، ... مزار ، ولكن الغضى ليس دانيا
دعاني الهوى من أهل ودي وصحبتي ... بذي الطبسين فالتفت ورائيا
ألم ترني بعت الضلالة بالهدى ... وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا
فلله دري يوم أترك طائعا ... بنيّ بأعلى الرقمتين وماليا
ودر كبيري اللذين كلاهما ... عليّ شفيق ناصح قد نهانيا
ودر الظباء السانحات عشية ... يخبرن أني هالك من ورائيا
ولما تراءت عند مرو منيتي ... وخل بها جسمي وحانت وفاتيا
تفقدت من يبكي عليّ فلم أجد ... سوى السيف والرمح الرديني ٣ باكيا
وأشقر خنذيذ ٤ يجر عنانه ... إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
ولكن بأطراف السمينة ٥ نسوة ... عزيز عليهن العشية ما بيا
صريع على أيدي الرجال بقفرة ... يسوون قبري حيث حم قضائيا
أقول لأصحابي ارفعوني لأنني ... يقر لعيني أن سهيل بدا ليا
فياصاحبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية ، إني مقيم لياليا

أقيمَا عليَّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ ... ولا تعجلاني ، قد تبيَّنَ ما بِيَا

وقُوما إذا ما استُلَّ روحي وهيِّئا ... لِيَ السِّدْرَ والأكفانَ ثم ابكِيا لِيا

وخُطّا بأطرافِ الأسنَّةِ مضجعي ... ورُدّا على عينيَّ فضلَ ردائِيا

ولا تحسداني ــ باركَ الله فيكما ــ ... منَ الأرضِ ذاتِ العرْضِ أن تُوسِعا ليا

خُذاني فجُرّاني ببُردِي إليكُما ... فقد كنتُ قبلَ اليومِ صعبًا قياديا

وقد كنتُ عطّافاً إذا الخيلُ أدبرتْ ... سريعاً إلى الهيْجا ، إلى مَن دعانيا

وقد كنتُ محموداً لدى الزّادِ والقِرَى ... وعَنْ شتْمِيَ ابنَ العمِّ والجارَ وانيا

وقد كنتُ صبّارا على القِرْنِ في الوغَى ... ثقيلاً على الأعداءِ عضباً لسانِيا

وقُوما على بِئْرِ الشُّبَيْكِ ٦ وأسْمِعا ... بِها الوَحْشَ والبِيضَ الحِسانَ الرّوانيا

بأنكُما خلَّفْتُماني بقفْرةٍ ... تهِيلُ عليَّ الريحُ فيها السّوافِيا

ولا تنْسَيا عهدي خليليَّ بعْدَما ... تقطَّعُ أوصالي وتَبلَى عِظاميا

يقولونَ : « لاتَبعَدْ » ! ٧ وهم يدفنونني ... وأينَ مكانُ البعد إلاّ مكانِيا

غداةَ غدٍ ، يالَهْفَ نفسي على غدٍ ... إذا أدلَجوا عنّي وخُلِّفْتُ ثاوِيا

وأصبحَ مالي من طريفٍ وتالدٍ ... لغيري ، وكانَ المالُ بالأمسِ ماليا

أقلّبُ طرْفي فوق رَحلي فلا أرَى ... بِه من عُيونِ المؤنِساتِ مُراعِيا

وبالرّمْلِ منّا نِسوةٌ لو شهِدْنَني ... بَكَيْنَ وفدَّيْنَ الطّبيبَ المُداوِيا

فمِنهُنَّ أمّي وابنتاها وخالَتي ... وباكيةٌ أخرى تهيجُ البواكِيا

تقولُ ابنتي لمّا رأتْ وشْكَ رحلتي ... سِفارُكَ هذا تارِكي لا أبالِيا

فياليْتَ شعري هل بكتْ أمُّ مالكٍ ٨ ... كما كُنْتُ لو قالُوا نعيُّكَ باكِيا

إذا متُّ فاعتادِي القُبورَ فسلِّمي ... على الرّيمِ أُسقيتِ الغمامَ الغَوادِيا

ترَى جدَثاً قد جرّتِ الرّيحُ فوقَه ... غُبارًا كلَوْنِ القسطلانيّ ٩ هابِيا

رَهينةَ أحجارٍ وتُربٍ تضمّنتْ ... قرارَتُها منّي العِظامَ البَوالِيا

---

(١) القلاص : الاناث الشابة من الابل الطويلة القوائم .

(٢) الغضى : شجر وخشبه صلب وجمره يبقى زمنا لاينطفى .

(٣) الرديني : نسبة الى ردينه هي امراة كانت تقوم الرماح ثم أصبح اسمها علماً لها .

(٤) واشقر خنذيذ : اى فرس اشقر صلب طويل .

(٥) « السمينة » و (٦) « الشبيك » اسما مكانين .

(٧) لا تبْعَدْ : عبارة كان من عادة العرب ان يقولوها عند دفن الميت .

(٨) أم مالك : زوجته .

(٩) القسطلاني : نسبة الى قسطلان وهو غبار الحرب .

أسماء النجوم عربية

وكل ما فعله الغربيون أنهم حرّفوا بعضها !

■ اذا اراد العربى ان يظهر يوما بمظهر الاجانب الغربيين ، واحب ان يطلق الناس عليه لقب « افرنجى » او « مودرن » ، فمن السهل عليه جدا ان يفعل ذلك . فما دام الكثير منا لا يختلف عن الغربيين فى الملبس ، فما عليه اذن الا ان يغير أثناء الحديث بعض الحروف التى تتميز بها اللغة العربية، الى حروف اخف منها ، او ان يحول بعض الحركات القصيرة بمدها اكثر مما تحتمل ، فتصبح الحركة حرف علة : كان يقول عن الطائر «التاير» وعن المئزر «ميزار» وعن رجُل « ريجل » ، وهكذا !

موقف كهذا حدث معى ، وسيحدث مع كل المبتدئين فى دراسة علم الفلك ومواقع النجوم . فيجدون الكتب والخرائط امامهم باللغات الغربية، وياخذون بدراسة مجموعاتها باسمائها الموجودة امامهم بالاحرف الغربية ، وسيلفظونها بالطبع حسب ما يقرؤونها ، وهم لا يعرفون فى البداية انها اسماء عربية خالصة .

اسماء عربية .. محرفة !

فالغالبية العظمى من اسماء النجوم وضعها

بقلم الدكتور عبد الرحيم بدر

العرب ، غير قسم ضئيل منها احتفظ بالاسماء اللاتينية او الاغريقية ، او استطاع العلماء الفلكيون الغربيون أن يسترجعوا هذه الاسماء ، بعد ان اخذوا علمهم كله عن العرب . ومثال على ذلك : الشعرى اليمانية Sirius والعيوق Capella والسماك (او الرامح) Arcturus والنسر الواقع Vega وقلب العقرب Antares .. على اية حال ، فهذه قليلة جدا بالنسبة الى بقية النجوم التى تملأ القبة الفلكية . وهذه لا تزال نجد حتى يومنا هــذا أن علم الفلك الحديث يستعمل اسماءها العربية ، ونجد بعض الخرائط والكتب الفلكية تضع معنى الكلمة العربية بجوارها بين قوسين .

وفى دراستنا لهذه الاسماء ، ندرك ان العرب كانوا على المام بعيد المدى بمواقع النجوم والمجموعات الفلكية . فالاسماء لم توضع اعتباطا، وانما وضعت لتدل على ماهية النجم فى المجموعة التى هو عضو فيها .

ابعاد النجوم بعضها عن بعض

وقبل أن نضرب امثلة فلكية على ذلك ، علينا ان نعرف ان النجوم الموجودة فى القبة الفلكيـــة ثابتة بالنسبة لبعضها البعض ، لا تتحرك مـــن مواقعها ، او على الاقل ، هذا هو ما نستطيع أن ندركه بنظرنا المجـــرد او بواسطة التلسكوب فى مدى حياة الانسان ومدى حياة بضعة اجيـــال من بنى الانسان . وبالاضافة الى ذلك فاننا نرى ان النجوم تتفاوت عن بعضها البعض فى مقـــدار لمعانها وكمية الضوء التى تصلنا منها . فمنهـــا ما هو شديد التوهج واللمعان ، ومنها ما لا تكاد تراه العين الا بعد جهد جهيد ، ومنها ما هو بين ذلك ، ومنها ايضا ما لا تستطيع العين المجردة ان تراه ، ولا تتم رؤيته الا عن طريق التلسكوب .

وهذه النجوم ، على اختلاف لمعانها والوانها ، تتجمع فى بقاع معينة من السماء اكثر مما تفعل فى بقاع اخرى . وهى بتجمع كل بضعة نجوم منها ترسم لنا شكلا هندسيا يظل ثابتا امام أعيننا ، وقد كان كذلك امام اعين اجدادنا . وقد استدل الاقدمون ـ البابليون والاغريق ثم العرب ـ على ان هذه الاشكال تمثل اشياء معينة ، قـــد تكون حيوانات او اشخاصـــا او اسماكا أو ادوات ، فسموا كل شكل باسم الشىء الذى يدل عليه .

عقـــرب ومخلبان وذنب وزباني

ونضرب مثلا على ذلك مجموعة العقرب . فانك اذا وقفت فى احدى ليالي الصيف ، موليا ظهرك للشمال . ناظرا الى الجنوب ، فسوف تـــرى مجموعة تعلو عن الافق قليلا ولها شكل كالتالي :

وسوف يلفت انتباهك ذلك الشبه القريب بين

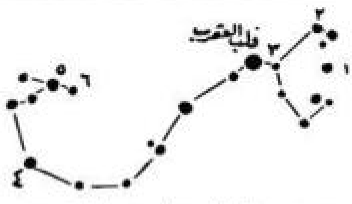

« مجموعة العقرب أو برج العقرب »

العقرب وبين هذه المجموعة ، فلها مخلبان وذنب طويل ملتو وزباني .

قلب العقرب : اكبر نجم قطره ٤٠٠ مليون ميـــل

وسوف ترى نجما كبيرا جدا ما وراء المخلبين ذا لون أحمر اسمه « قلب العقرب » ، وهو احد النجوم القليلة التى فقدت الاســـم العربى فى الفلك الحديث فاصبح اسمه Antares ومعناه منافس المريخ . وهذا النجم من اشد النجـــوم احمرارا فى السماء ، وهو اكبر نجـــم معروف لدينا ، فقطره أربعمائة مليون ميل (بالمقارنة الى قطر الشمس الذى يبلغ اقل من مليون ميل) ، ويبعد عنا ثلاثمئة وستين (٣٦٠) سنة ضوئية .

اما بقية نجوم العقرب فتحمل أسماءها العربية، فالنيـــاط (٣ فى الشكل) Alniyat بجوار قلب العقرب ، والجبة (١) Dschubba والجبهة (٢) Jabbah موجودان فى مقدمتهـــا ، وقد تكون اولاهما الصبتة .

اما سارقاس (٤) Sargas فقـــد تعنى السارقة . والشولة (٥) Shaula ولسعة (٦) Lesuth ففي طرف الذنب .

البروج الاثنا عشر

وهذه المجموعة تعرف ايضا ببرج العقرب عند من يؤمنون بالتنجيم ويصدقون أقوال المنجمين . فهى واحدة من اثنتى عشرة مجموعة تقـــع على المستوى الذى يسير فيـــه القمـــر والكواكب والشمس ، ويقول المنجمون بان مرور الكواكب فى هذه الابراج لها اثر على مقدرات الانسان .

على اية حال ، فان برج العقرب لا يظهر لنا الا فى اشهر الصيف ، وقد لا يجلب انتبـــاه الناظر الى السماء .

الدب الاكبر

ولكن هنـــاك مجموعة هي أول ما يلفت انتباه الانسان اذا ما رفع بصره فى ليلة مظلمة ، أو حتى فى الليالى التى يطلع فيها القمر ، وهذه المجموعة تسمى الدب الاكبر .

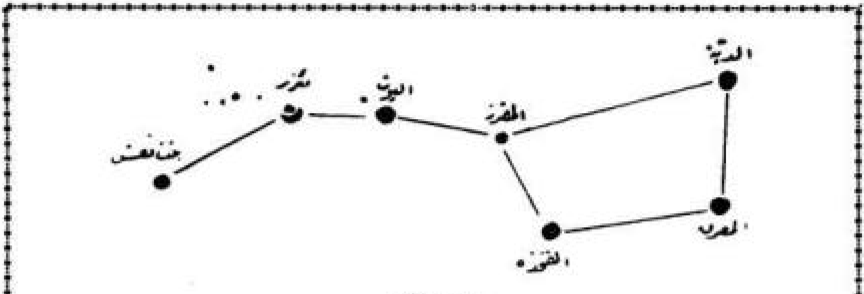

الدب الاكبر

ومع ان هذه المجموعة بعيدة الشبه عن الدب ، الا ان شدة لمعان نجومها تجعلها واضحة جدا . ونجد ان العرب قد اعطوها اسماء تتفق مع الشكل الذى تصوره . فاصبحت اسماؤها الحالية فى علم الفلك الحديث كما يلى : الدبة Dubhe والمرق Merak والفخذة او الفخذ Phecda or Phad والمقرز Megrez واليوث Alioth (وقد تكون الليث اى صفحة العنق) ثم المئزر Mizar وفى النهاية اى فى طرف الذنب نجم اسمه بنت نعش او القائد Benetnasch or Alkaid

نجم يتالف من ٤ نجوم !

ومما هو جدير بالذكر هنا ان المئزر نجم ثنائى ، ويمكن رؤية ذلك بالتلسكوبات الصغيرة حتى تلك التى تكبر خمسين مرة فقط . فهو فى الواقع نجمان يدوران حول مركز مشترك ، ويبعدان عن بعضهما البعض مقدار بعد الارض عن الشمس ثلاثمائة وخمسين مرة . وقد دل التحليل الطيفى ايضا على ان كل نجم منهما مكون من نجمين يدوران حول بعضهما بشكل لولبى . وعلى ذلك ، فالمئزر هو فى الواقع اربعة نجوم،ولكن التلسكوبات مهما كبرت فانها لا تستطيع ان تميز كل نجم على حدة ، وانما ترى كل اثنين معا وكانهما نجم واحد، وذلك للبعد الشاسع الذى يفصلها عنا . فالمئزر يبعد ٩٠ سنة ضوئية .

وبالقرب من المئزر يوجد نجم صغير اسمه الفر Alcor ويقول اطلس (جد النجوم بالانجليزية) ان معنى الكلمة هو « البرهان » باللغة العربية ، فقد كان القدماء يتخذون منه برهانا على صحة بصر من يستطيع رؤيته .

النجم القطبى

وما دمنا فى هذه الناحية من السماء ، فلا بأس ان يعرف القارىء بعض النجوم الشهيرة الموجودة فيها ، والتى سمع عنها او قرأ فى الشعر العربى اسماءها .

واذا حاولت ان ترسم خطا يبتدىء من « المعرق » الى « الدبة » ، وتمده على استقامته بمقدار خمسة امثال المسافة بين هذين النجمين فانك ستجد نجما لامعا هو النجم القطبى

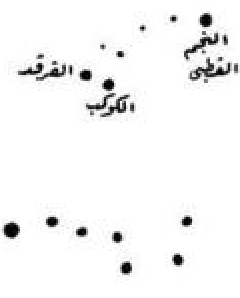

الدب الاكبر والدب الاصغر

الفرقدان

واذا امعنت النظر تجد انه جزء من مجموعة اخرى من النجوم ، لها شكل يشبه شكل الدب

الاكبر شبها كبيرا ، ولهذا تسمى الدب الاصغر . وهذا الدب فى اتجاه معاكس للدب الاكبر ، اى ان راس احدهما فى اتجاه ذنب الاخر . والنجم القطبى هو طرف الذنب فى الدب الاصغر اما النجم الموجود فى راس الدب الاصغر فاسمه « الفرقد » Pherkad والنجم اللامع الاخر المجاور له اسمه « الكوكب » Kochab وعندما تسمع فى الشعر العربى كلمة « الفرقدين » فالشاعر يعنى الفرقد والكوكب .

على اية حال ، فنجوم الدب الاصغر غير الثلاثة الآنفة الذكر ، هى قليلة اللمعان ولا ترى بوضوح الا فى الليالى المظلمة الصافية .

الحاوى .. والحية

واذا اردنا ان نضرب مثلا آخر على ما تهدف اليه ، فمن المناسب أن نختار مجموعة يسهل على

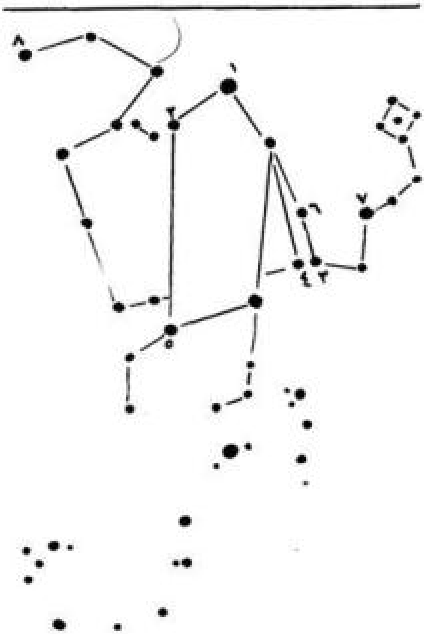

« مجموعة العقرب ومجموعة الحاوى والحية »

القارىء معرفتها . وما دمنا قد عرفنا مجموعة العقرب ، فلنذكر اذن مجموعة «الحاوى والحية» فهاتان فوق العقرب مباشرة واكتشافهما غير صعب الآن على القارىء .

مجموعة العقرب ومجموعة الحاوى والحية

ونستطيع ان نتصور من الشكل هيئة شخص او شبه شخص يمسك بيده افعى تتلوى . والنجم الموجود فى رأسه اسمه راس الحاج (رقم (١) فى الشكل) Ras Alhague اما كتفه فيتكون من نجم اسمه الكلب (٢) Cheleb وله يدان اليد الامامية (٣) Yed Prior واليد الخلفية (٤) Yed Posterior اما النجم رقم (٥) الذى يمثل اعلى فخذة الايمن فاسمه « السابق » Sabik وفى الساعد الامامية نجم اسمه « المرفق » (٦) Marfik اما فى الحية فاكثر نجمين لامعين فيها هما (٧) « عنق الحية »Unuk Al Hay« والية » (٨)Alya

ويقول احد الاطالس الانجليزية ان الاخيرة معناها ذنب الافعى فى اللغة العربية .

مهما يكن من امر ، فالنجوم باستثناء البضعة القليلة التى مر ذكرها ، ليس لها اسماء اخرى غير اسمائها العربية حتى فى علم الفلك الحديث . اما النجوم الضعيفة جدا ، والبعيدة جدا ، التى لم يضع لها العرب اسماء والتى اخذت تكشفها التلسكوبات فى العصور الحديثة ، فلم يعد علم الفلك الحديث يضع لها اسماء جديدة ، وانما اصبح يرمز الى كل نجم برموز وارقام ضمن المجموعة التى يقع فيها .

وليس لنا فى النهاية الا ان ننظر بين الامل الى استعادة مجدنا العلمى ، والاقتداء بما خطه لنا الاسلاف ■■

عبد الرحيم بدر

المراهقة

أخطر فترات العمر

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ علم النفس بجامعة دمشق

■ كتب الى صديق لم اره منذ اكثر من عشرين عاما يقول : « لى ولد فى الرابعة عشرة من عمره ، وقد لاحظت انه تغير تغيرا عظيما عما كان عليه قبل سنتين ؛ وانى لاقف حائرا امام الكثير من تصرفاته ومواقفه ، كما اراني فى كثير من الاحيان عاجزا عن التفاهم معه بله مساعدته او ارشاده ... »

ثم يختم كتابه بقوله « ... فهل لك ان تعينني على فهمه وارشاده ... »

ولما كنت اعلم ان مشكلة هذا الاب هى مشكلة كل اب وام لهما ابناء وبنات فى هذا العمر فقد رايت ان انشر على الناس جوابى على كتاب صديقى آنف الذكر .

اول المراهقة ونهايتها

قلت : « ابنك يا صديقى يمر بمرحلة تعتبر اخطر مراحل الحياة ويسميها علماء النفس بالمراهقة . واذا كان صعبا علىّ ان احدد لك زمن المراهقة بالضبط

نقلة جسدية ،
عاطفية ،
عقلية ، اجتماعية

فترة تتوثق فيها الصداقات
وتتألف من المراهقين العصابات ،
وتشتد فيها أحلام اليقظة
وعبادة الأبطال والبطلات

فانى استطيع ان احدد بدايتها ببداية بلوغ الفتى مبلغ الرجال ، والفتاة مبلغ النساء ، كما استطيع تحديد نهايتها بما يسمى مطلع الشباب .

ومن حقك عليّ ان تعلم ان زمن البلوغ نفسه غير محدد فهو يختلف من فرد الى فرد ــ فى المحيط نفسه ــ كما يختلف من بيئة الى بيئة ، ومن شعب الى شعب ، ومن مناخ الى مناخ ، ومن عائلة الى اخرى .

وهكذا فقد يحدث البلوغ فى البلاد الحارة كالهند مثلا ، وعند الفتيات فى سن تقارب التاسعة وقد يحدث فى البلاد الباردة مثل فنلندا فى سنة تجاوز السابعة عشرة .

هذا ، ويحدث البلوغ عند الفتاة عادة وبصورة عامة فى سن تسبق حدوثه عند الفتى بما يتراوح بين السنة والسنتين .

وتستطيع ان تقول بأن هذه الحادثة التى تعتبر فاتحة المراهقة تحدث فى بلادنا العربية فى سن تتراوح بين الحادية عشرة والثانية عشرة بالنسبة للفتيات وبين الثانية عشرة والثالثة عشرة عند الفتيان . مع اخذ الفروق الفردية والعائلية والمناخية بعين الاعتبار .

اما نهاية فترة المراهقة فهى نهاية العقد الثانى من العمر عند بعض علماء النفس ، ولكن بعضهم يرفعها قليلا ، وبعضهم الآخر يهبط بها شيئا ما ،وتتفق جمهرتهم على انها محصورة فى سن التعليمين الاعدادى والثانوى ، اى فيما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة .

على انى احب لك ان تعلم ان بعض الناس يبقون مراهقين فى تفكيرهم ومواقفهم وتصرفاتهم ولو بلغوا الستين ، وبعضهم الآخر يبكر بالنضج وان كان فى سن المراهقين .

المراهقة انتقال جسدى وعاطفى وعقلى واجتماعى

ولعل اهم ما يجب ان تعرفه عن المراهقة انها بداية انتقال الطفل ــ فتى او فتاة ــ من الطفولة الى الشباب ، الى الرجولة او الانوثة ، وهى بالضبط انتقال جسدى وعاطفى وعقلى واجتماعى.

المراهقة ليست مفاجئة

ولست احب لك ان تظن ــ كما ظن بعض علماء النفس ــ ان هذا الانتقال مفاجىء ، وانه بالتالى اضاعة للاتزان النفسى .. كلا .. فالطبيعة لا تؤمن بالقفز ، وانما تؤمن بالتطور والتدرج ، ولكننا نحن البشر نعجز احيانا عن ملاحظة التطور المتدرج فى النمو ، فنقول بوجود الازمات والقفزات

والثغرات وما الى ذلك من المفاهيم التى كانت شائعة ومقبولة من قبل ولم تعد كذلك .

ثم انى لا أحب لك ان تحسب ـ كما يحسب بعض المربين ، بل بعض علماء النفس ـ ان وصف المراهقة بالازمة امر لا غنى عنه ، وانها لذلك تتصف بما تتصف به الازمات من اضطراب وضيق واختلال . والواقع هو ان المراهقة فترة يتضح فيها النمو اتضاحا كبيرا ، ولكن النمو نفسه لم يتوقف قط ، ذلك بان من صفات المخلوق الحى ان ينمو والا فانه يموت ، فابن التاسعة ينمو ويكبر وكذلك ابن العاشرة والحادية عشرة ، ومثلهم ابن الثانية عشرة الذى يبلغ مبلغ الرجال ، ولكن الفرق كل الفرق بين النمو قبل البلوغ وبعده هو نسبة التسارع الكبيرة بعد البلوغ مما يظهر هذا البلوغ بمظهر القفزة او الازمة سواء فى الجسد او العقل او العاطفة او العلاقات الاجتماعية .

المراهقة مرحلة تجتاز بسلام

وانى لأحب لك بعد ذلك ان تعلم ان جمهرة الاطفال ـ فتيانا وفتيات ـ تمر فترة المراهقة بسلام وتصل مرحلة الشباب متمتعة بالهدوء النفسى والاتزان العقلى .

بيد ان هذا لا يمنعنى من التأكيد بأن فهم المربى ـ ابا او اما او معلما ـ لفترة المراهقة وخصائصها وخطورتها عون كبير له على مساعدة الفتى او الفتاة على اجتياز هذه الفترة بأمن اكبر وسلام اضمن .

جسد المراهق

اما عن جسد المراهق فلست أجدنى بحاجة لأن اصف لك ما يطرأ على الفتى من غلظ الصوت، ونمو الشعر فى اماكن معينة من جسده ، وزيادة وزنه وطوله ، كما لا ارى لزوما لوصف ما يطرأ على الفتاة من طول وزيادة وزن وبروز صدر وما الى ذلك من علامات الانوثة .

وانما الذى يهمنى ان اذكر به هو ان الفتاة بحكم بلوغها قبل الفتى تسبقه فى الطول والوزن ، ولكنه لا يلبث ان يلحق بها بل ويزيدها قليلا . كما يهمنى ان اشير الى قيمة حادثة البلوغ ـ بلوغ الفتى مبلغ الرجال وبلوغ الفتاة مبلغ النساء ـ فى فترة المراهقة وعلاقة هذه الحادثة بالتوازن الفردى عند الفرد .

ولو سألتنى تعريفا للبلوغ لقلت لك انه التطور الجسدى الذى يجعل الفتى قادرا على ان يولد والفتاة قادرة على ان تحمل . ولو سألتنى عن سبب البلوغ ، لقلت لك انه نمو الجسد ، ولا سيما الغدد الجنسية . بيد ان عمل الغدد الجنسية مرتبط بعمل بقية الغدد الصم ، تلك الاعضاء التى لا تعادل اهميتها فى الحياة الجسدية والنفسية الا اهمية القشرة الدماغية .

ومن هنا كان هاما جدا بالنسبة للصبى المقبل على البلوغ ان يعلم شيئا عما سوف يحدث له عما قريب ، وبالتالى كان واجب الاب او الام شرح مسألة البلوغ للصبية بحيث لا تفاجأ بها .

وايا ما كان فارجو ان تتأكد ان نشاط الغدد الجنسية عامل من اهم عوامل البلوغ . وان التوازن الفردى شرط من شروط مرور فترة المراهقة بامن وسلام .

وحين اشير الى اهمية نشاط الغدد الجنسية فى النمو الجسدى فانى لا احب ان اقلل من اهمية نشاطها هذا فى النمو العاطفى والعقلى والاجتماعى، بل على العكس من ذلك ، اريد ان اقرر ان الجسد وعاء النفس وشرط وجودها وان هذا النشاط الجنسى الطارىء مصحوب عادة بنشاط عقلى وعاطفى واجتماعى لابد للمربى من ان ينتبه اليه .

ولست انسى هنا ان اشير الى ان التربية الجنسية لا تظهر اهميتها فى وقت من الاوقات مثلها فى هذا الوقت بالذات . ذلك بأن الطفل حتى الآن كانت دوافعه الجنسية غافية راكدة ، وبالرغم مما يقوله فرويد واشياعه من علماء النفس التحليليين عن وجود الغريزة الجنسية عند الوليد الحديث والطفل الصغير ، فاننى اعتقد ان المسألة الجنسية لا تكون ذات خطر حقيقى قبل البلوغ وان التربية الجنسية لا تتعاظم اهميتها فى اى وقت اكثر من تعاظمها فى الفترة قبيل البلوغ .

والنضوج الجنسى عند المراهق كثيرا ما يدفعه الى الاستمناء الذى تقلقه نتائجه مما قد يسبب

له اضطرابات نفسية قد تكون خطيرة النتائج فيما يتلو من حياته ، اما المراهقة فان النضوج الجنسي يكون سببا فى اظهارها ذات اهتمام متزايد بذاتها ومظهرها ، وزيادة فى احلام اليقظة عندها ، وانتباه مهتم بالجنس الآخر . وفى كل الاحوال يظهر عند المراهق والمراهقة ميل متزايد للعناية بمظهرهما الخارجي .

التغيرات العاطفية

واما عن التغيرات العاطفية التى تحدث للمراهق فاحب اولا ان اؤكد لك انه لم يقم دليل على ان المراهقة فترة غير سعيدة بالنسبة لاكثرية المراهقين، بل ان التقارير العلمية تدل على العكس. ثم احب ان اؤكد لك - برغم ذلك - ان ثمة اتفاقا عاما بين العلماء على ان عدم الاستقرار صفة شائعة بين المراهقين ويتناول عدم الاستقرار هذا ، الانفعالات والاهتمامات . وفعاليات المراهق لا تكون على شكل جهد مستمر دائم بقدر ما تكون دفعات مؤقتة ، ودفعات متقطعة . اما حال المراهق عاطفيا فيتراوح بين غاية الانبساط وزيادة الانقباض ، وقد يتلو احلام العظمة فى المستقبل تفكير فى الهرب من البيت او حتى الانتحار .

وفى كل الاحوال يتزايد اثناء المراهقة الشعور بالذات ، والاهتمام بما يجرى فى النفس وما يحدث للجسد - من تضخم الاعضاء او تغيرها - ولا شك ان اهم اسباب هذا الشعور هو نضوج الدوافع والاهتمامات الجنسية . ويتزايد ايضا الاهتمام بالتدين والميل الى التجمع فى جماعات أو عصابات. اما بالنسبة للفتاة فقد يتزايد شعورها بالانقباض وميلها الى زميلة من نفس جنسها . واما بالنسبة للفتى فيتزايد اهتمامه بالجنس الآخر كما يتزايد ميله الى الانقباض وقد يفكر فى الانتحار بالرغم من حلمه بالعظمة والتفوق فى المستقبل .

ومن خصائص المراهق - فتى او فتاة - ظنه بأن ما يجرى له خاص به لا يجرى لغيره ممن هم فى عمره ، وهو لهذا يحتفظ بمشاعره سرا له . وكثيرا ما يحسب المراهق انه غير مرغوب فيه وقد يتكون عنده شعور بالنقص وعقدة قصور . وكل هذا مردود الى تضخم شعوره بذاته .

العلاقات الاجتماعية

اما عن العلاقات الاجتماعية فيجب ان تعلم ان الصداقات الفردية التى تحدث فى مطلع المراهقة كثيرا ما تشتمل على رباط عاطفى عميق لا يتوفر فى الصداقات التى تتم فيما بعد ، فمن المناظر المألوفة ان ترى فتاتين مراهقتين تتأبط احداهما ذراع الاخرى متمشيتين ومصرتين على ان تجلسا جنبا الى جنب ما امكن . وعلى كل فالصداقة الصحيحة صفة مميزة للمراهقة المتأخرة . وفى دراسة اجراها العلماء على مذكرات المراهقين لوحظ ان أبناء الرابعة عشرة والخامسة عشرة يشيرون الى اصدقائهم فى مذكراتهم فى صدد ذكر اعمالهم ، اما فيما بين السادسة عشرة والثامنة عشرة فهم يكثرون من الاشارة الى اللحظات العاطفية.

وفى هذه السن يؤلف المراهقون الفرق والعصابات ، الخيرة منها والشريرة ، ويكون لهذه العصابات وتلك الفرق صفات تنظيمات الراشدين بشكل اوضح مما يكون لتجمعات الاطفال قبل سن المراهقة .

وفى دراسة اجريت على ١٤٠٠ فتاة تتراوح اعمارهن بين الحادية عشرة والسابعة عشرة وجد ان الثالثة عشرة هى السن التى يبلغ فيها انضمام الفتيات الى الجمعيات ذروته .

وقد وجد عالم درس اهتمامات المراهقين السياسية فى فينا انه حتى سن السادسة عشرة تكون (الرغبة فى الانضمام الى منظمة ما) اكثر اهمية فى الانتساب الى الجماعات السياسية من الاهتمام بالسياسة نفسها .

ثم ان الميل الى عبادة الابطال Hero - worship والانقياد الى زعيم يدعم فى هذا السن تعلق المراهق بجماعته او عصابته او ناديه او الذى يضم فردا يمكن ان يعتبره المراهق زعيما او بطلا .

وفى هذه الفترة من العمر تتجلى الروح الجماعية اكثر من تجليها فى اى وقت مضى ، ولذلك كان من الاهمية بمكان استغلال هذه الروح فى التنظيمات الاجتماعية والرياضية والكشفية والادبية والعلمية النافعة بدلا من تركها للجنوح والانحراف .

العلاقات بالجنس الآخر

اما فيما يخص العلاقات بين الفتى والفتاة فمن المعلوم ان الفترة التي تسبق المراهقة تتميز بميل كل من الجنسين الى الافتراق عن الجنس الآخر وعدم مشاركته في العابه ، ويبقى هـذا الميـل واضحا حتى مطلع المراهقة الذي يتميز كذلك بابتعاد كل من الجنسين عن الآخر ، بل وقد يصل الحال الى شيء من العداء وذلك على اعتبار ان الفتيان يرون ان الفتيات انعم مما يجب ، وان البنات يرين أن الفتيان خشنون . وفيما بعد يبدأ شيء مـن التنافس بين الجنسـين في الظهـور ، ويتجلى هذا التنافس اكثر ما يتجلى في المدارس التي يكون فيهـا التعليم مختلطـا ، حيث تطمـع الفتيات في مساواة الفتيان في الرياضيات وحيث يضيق الفتيان بتفوق الفتيات عليهم في اللغات .

وفيما بعد ذلك يبدأ الانجـذاب الى الجنس الآخر بالظهور كما يظهر الحياء والتغزل . وفي هذا العمر قد تقع الفتاة اسيرة حب احد معلميها اذا كانت تدرس في مدرسة مختلطة ، كما قد يقع الفتى في حب امراة تزيده عمرا ـ وان كان هذا اقل حدوثا في حالة الفتى منه في حالة الفتاة .

واذا امتنع الاختلاط على الفتاة فان عاطفتها قد تتحول الى احدى بنات جنسها ممن هن في عمرها او يكبرنها وهو امر شائع في مدارس البنات وقد دلت الدراسات العلمية لهذه الظاهرة على انها تسبب الكثير من عدم الارتياح للفتاة .

وقد يحدث الامر نفسه ـ ولكن على مقياس اضيق ـ للفتيان ، وهو امـر يزيد شـيوعه في المدارس الداخلية عنه في المدارس النهارية . ويجزم علماء النفس بأن المرور بمرحلة الميل الى الجنس نفسه شائع بين الفتيان بمقدار يفوق ما يتصوره بعض المربين ، ولكنه غالبا ما يكون ميلا بريئا وان كان يعكر السـلام النفسي للمراهـق ويؤرق ضميره .

وتقوم الدلائل على ان سـماع المراهـق عـن الانجذاب الى نفس الجنس يساعد انتشار هذا الميل ، وانه حين ينتشر الامر في مدرسة ما فان السبب يكون الايحاء .

وقد دلت الدراسات العلمية على ان انتشار الميل الى الجنس ذاته اقل في مدارس التعليم المختلط منه في مدارس الجنس الواحد .

ومهما يكن من امر فاننا نعتمد في كل ما تقدم قوله على دراسات غربية ، اما في بلادنا العربية فان مثل هذه الدراسات مفتقدة ولذلك فاننـا اذ نذكر هذه الدراسـات نقصر نتائجها علـى المحيطات التي اجريت فيها ، ونترك الحكم على ما يجري في مجتمعاتنا العربية الى الدراسـات العلمية التي نرجو ان تتوفر في القريب العاجل لتميز طريقنا في عملياتنا التربوية .

احداث اخـرى

وفي هذه المرحلة من العمر تقوم مشكلة اختيار المهنة ومشكلات الجنوح ومشكلة ميل المراهـق الى التحرر من سلطة الاهل . وفي بعض الحالات تساور المراهق شكوك دينية ويبدأ بالبحث عـن حقيقة الله والعمل على تكوين فلسفة خاصة به وتبني مثل عليا ذاتية لا تكون ـ في الاعم الأغلب ـ بعيدة عن الشائع في محيطه .

وفي هذا العمر ايضا تظهر مطامح المراهق (فتى او فتاة) واحلام اليقظة عنده . ان الفتى ينجذب الى الخدمات التي يؤديها الى البلاد الزعمـاء السياسيون والمخترعون والعلماء والاطباء ، امـا الفتاة فتجذبها الخـدمات الانسانية ومسـاعدة الآخرين ولا سـيما مسـاعدة الاهـل عامة والام خاصة ، وفي هذا كله دليل على ظهور الميول الغيرية عند المراهق وامتزاجها بميله الى توكيد ذاته .

على ان هذه الميول الى الرفعة والتقدم والخدمة العامة كثيرا ما ترضيها احلام اليقظـة فينـدفع المراهق الى الخيال بدلا من الاندفاع الى العمل الحقيقي المثمر . واذا كان سويا بل ومفيدا ان يكون لدى كل مراهق مقدار من احلام اليقظة ، فانه من غير السوي ان يستغرق المراهق في احلامه استغراقا يصرفه عن الحياة الواقعية او يدفع به في مسالك خطرة ، حتى ليقول بورت (Burt) ان جميع المراهقين الجانحين تقريبا هم ممن اعتادوا الانغماس في احلام اليقظة .

المراهق وأبواه

وفيما يخص موقف المراهق من ابويه يجب ان تذكر ان اعتماد الطفل على اهله يجب ان يخف بتقدمه فى العمر حتى يبلغ الشباب . ويجمع علماء النفس على ان عدم ميل المراهق الى الانعتاق من رقابة اهله علامة سيئة يجب على المربى الانتباه اليها .

وهنا يجب ان نفرق بين الخضوع الأعمى للوالدين وبين حب الوالدين واحترامهما . ان المراهق بالرغم من ميله الى الاستقلال فى آرائه الاجتماعية والدينية والسياسية وفى اختيار اصدقائه فان حبه لوالديه واحترامه لهما يتزايد لا سيما اذا اثبتا أن لهما من حسن الفهم وسلامة التقدير ما يبرر هذا التزايد ويعين عليه .

والواقع ان زيادة تحرر المراهق تزيل — فى بعض الاحيان على الاقل — اسباب الاحتكاك بين المراهق واهله وبذلك تزيد انعطافه اليهم . ثم ان تزايد ادراك الطفل خلال فترة المراهقة ونمو ذكائه يساعدانه على فهم ان اوامر والديه ونواهيهما انما تستهدف خيره ومصلحته .

على انه من غير النادر فى هذا العمر ان يحصل احتكاك بين المراهق واحد والديه وبديهى ان الاناة والصبر وحسن التفهم من جانب الوالدين هى الدواء الناجع فى هذه الحالة .

ومما يجدر ذكره هنا ان العلاقات السيئة بين الابوين سبب هام من اسباب السلوك السيء لدى اطفالهما . وايا ما كان ، فان مجالات الاحتكاك بين المراهق واهله كثيرا ما تدور حول « المصروف اليومى » او موعد الرجوع الى البيت او الثياب (بالنسبة للمراهقة على الاقل) او غير ذلك من المواضيع التى تتكفل حكمة الوالدين بمواجهتها على الشكل المناسب .

بيد انه لابد من تذكيرك بان كل ما قلته لا يعنى الخضوع لجميع رغبات المراهق وتلبية كل مطالبيه وتحريره من كل رقابة وتوجيه ، بل على العكس فانى اريدك ان تعلم ان المراهق يحترم الوالد الشديد فى غير عنف ، المتسامح من غير ضعف ، المتفهم من غير تعنت ، المرشد دون الحاح .

ذكاء المراهق وعقله

وفى مطلع هذا العمر يتزايد ذكاء الطفل وتاخذ قدراته العقلية بالنمو والتكامل وبصورة خاصة تتجلى عنده القدرة على التجديد والحكم والمحاكمة وهو فى الامور التى لا تحتاج الى خبرة وتجريب قد يبزء من حوله من الراشدين . هذا ويذهب بعض علماء النفس الى القول بان نمو الذكاء يبلغ نهايته فى نهاية هذه الفترة مما بحثته مفصلا فى مقالى عن الذكاء المنشور فى عدد سابق من هذه المجلة .

وبتزايد ذكاء المراهق تتزايد اهتماماته العقلية ، وتبدو ميوله التى لم تتح لها فرصة الظهور فيما سبق من عمره . على ان ميول المراهق العقلية تكون فى بداية الامر غير ثابتة ولا مستقرة شأنها فى ذلك شان حالاته العاطفية وانفعالاته وهكذا فقد تجد المراهق منصبا على دراسة او هواية علمية ولكنه لا يلبث ان يتركها الى سواها وبصورة فجائية .

ولعلك سائلى فى هذا الصدد عما يتوجب عليك فعله : هل تسمح له بتجربة مختلف الهوايات حتى يستقر من نفسه على واحدة منها ؟ أم تشجعه على الثبات على الهواية التى بدأ بها ليستمر فيها ويتقدم ؟ ! وجوابى انه من الخير للمراهق ان تترك له فرصة التجريب والمحاولة وانه من الخطل قسره على الاستمرار فيما لم يعد يحب ، كما ان هذا التجريب عملية مفيدة له بحد ذاتها .

ماذا يقرأ المراهق

هذا ويتزايد اهتمام المراهق بالقراءة اذا كان من بيئة مثقفة تتوفر فيها فرص القراءة من مثل وجود جريدة او مجلة او مكتبة فى البيت . ولقد تساءل العلماء عما يحب المراهقون ان يقرأوا ؟ ومرة اخرى احب قبل الاجابة على هذا السؤال

ان اشير الى ان الدراسات التى نعتمد عليها فى هذا الصدد اجريت فى المحيطات الغربية اما فى محيطاتنا العربية فما زلنا مفتقرين الى دراسات علمية دقيقة فى هذا الموضوع . ثم لابد من ملاحظة اخرى فى هذا الخصوص وهى ان الجواب على هذا السؤال يتوقف الى حد كبير على البيئة التى تجرى فيها الدراسة ذلك بان ما يحب قراءته ابناء ذوى المهن الرفيعة مثلا يختلف بالضرورة عما يحب ان يقراه ابناء العمال ، وما يحب قراءته الطالب فى المدرسة الثانوية يختلف عما يحب قراءته العامل المراهق ـ هذا ان قرا ـ .

وتصديقا لما قلت اذكر لك بأن دراسة اجراها (جوردان Jordan) دلت على ان ٢٥٪ من البنات اللواتى تتراوح اعمارهن بين ١٤ ـ ١٦ سنة يحببن قراءة قصص المغامرات ، فى حين دلت دراسة اخرى اجراها العالمان (تيرمان Terman) و (ليما Lima) ان بنات الرابعة عشرة لا يقرأن قصص المغامرات الا لماما . والسبب فى الاختلاف بين النتائج التى حصل عليها الفريقان هو انهما اجريا دراستيهما فى محيطين مختلفين .

ولقد دلت دراسات اجريت فى انكلترا على ان المراهقين اميل الى قراءة الجرائد والمجلات المصورة منهم الى قراءة المجلات والجرائد الادبية او العلمية او الجدية . واثبتت هذه الدراسات ان معظم المراهقين لا يقراون المقال الافتتاحى او المقالات السياسية او المقالات الهامة ، وانما يقراون (فى حالة الفتيان) : اخبار الحروب والكاريكاتور والقصص المصورة واخبار الرياضة والسينما والنكات . اما البنات فيقرأن القصص المصورة واخبار السينما والكاريكاتور والاعلانات والنكات واخبار الحرب ورسائل القراء .

كما دلت الدراسات على ان اخبار الجرائم والفضائح والمغامرات جذابة بالنسبة للمراهقين من الجنسين .

ولعلك سائلى عن الطريقة ـ التى تستطيع بواسطتها زيادة قراءة طفلك . وجوابى انى لا ارى ان تقلق كثيرا لاهتمام طفلك باخبار المغامرات وقصص الحب ، ان هذا الاهتمام أمر طبيعى سوى. ولعلك تحسن صنعا لو انك اقترحت على طفلك كتبا من هذا النوع ولكنها من سوية ادبية رفيعة منتقاة ، ثم انك تحسن صنعا لو عنيت بما تدخله الى بيتك من جرائد ومجلات وكتب وحرصت على ان تكون مكتبة المدرسة التى يرتادها طفلك من النوع الفنى بالكتب الرفيعة التى تتفقمع اهوائه.

قدرة المراهق العقلية

هذا واريدك ان تعلم ان قدرة طفلك العقلية وقابلياته الخاصة لا تنمو فى سن مبكرة كما ينمو ذكاؤه العام ، وانها لا تتجلى اثناء الطفولة . اما فى بداية المراهقة فان اهمية القدرة العقلية الخاصة،على شتى انواعها،تاخذ بالتزايد . ويقول (بورت Burt) انه حتى فى الثانية او الثالثة عشرة فان اهمية الذكاء العام تزيد ثلاث مرات على اهمية القدرة الكلامية ومرتين على اهمية القدرة الرياضية واربع مرات على اهمية القدرة العملية.

ولكن هذه القدرات الخاصة لا تلبث ان تتجلى بتقدم المراهق فى العمر . وباعتبار ميل الانسان طبيعيا الى الاهتمام بما يحسن فان تجلى القدرات الخاصة فى اواخر هذه الفترة يدفع المراهق فى طريق التخصص .

ثم انى اريدك ان تعلم أن المراهق يبدأ فى تفهم فائدة المواضيع المدرسية ويميل اليها على أساس من هذه الفائدة والنفع . ولقد دلت دراسة قام بها العالم الانكليزى (فالانتاين Valentine) على ان الفتيان المراهقين ابناء الثلاث عشرة يفضلون الدروس حسب الترتيب التالى :

العمل اليدوى ـ العلوم ـ الفنون ـ الرياضيات ـ الرياضة البدنية ـ التاريخ ـ الانشاء ـ الجغرافيا ـ القراءة ـ الأدب ـ الشعر والاستظهار ـ حفظ الصحة ـ الموسيقى والغناء ـ الخط ـ الاملاء .

كما وجد أن البنات المراهقات من نفس السن يفضلن الدروس وفق الترتيب التالى :

شغل الابرة ـ الرياضة ـ الموسيقى والغناء ـ

التدبير المنزلي – الفنون والعمل اليدوي – القراءة – الرياضيات – حفظ الصحة – الانشاء – الأدب – دراسة الطبيعة – الشعر والمحفوظات – التاريخ – الجغرافيا – الخط – الاملاء .

ولا يفوتني أن اشير الى اتفاق علماء النفس على ان تقدير الجمال ، جمال الطبيعة ، وجمال الفنون المرئية والموسيقى والشعر ، يتزايد خلال المراهقة، ذلك بان نمو الذكاء خلال هذه الفترة يتسبب في مثل هذا التقدير ويعتبر واحدا من أسبابه ، كما ان النضوج الجنسي وما يرافقه من عواطف يساعد على هذا التقدير الجمالي ولا سيما فيما يخص الجسد البشري ، وهو مرفوق بعد ذلك باهتمام المراهق والمراهقة بحسن مظهرهما .

تربية المراهق

وبعد هذا الذي قدمت من تعريف بمناحي المراهقة ونمو المراهق جسدا وعقلا وعاطفة وفي المجتمع ، لعلك سائلي عن تربية المراهق ، ولعل السؤال الأول الذي يخطر ببالك هو : هل أناقش المراهقة مع ابني المراهق ؟ أم هل أترك الأمر دون مناقشة معتمدا على الظروف والعمر ؟ أم هل أتركه للمعلم والمدرسة تنهض بهذا العبء عني ؟ واذا ناقشت بنفسي فالى أي مدى أستطيع مساعدته عن طريق اخباري اياه بان تذبذب عواطفه بين نهاية الانبساط ونهاية الانقباض أو أن تفكيره في الانتحار انما هي مظاهر عابرة من مظاهر المراهقة ؟

لقد اقترح الكثيرون من علماء النفس والتربية اجراء مثل هذه المحادثات والمناقشات مع المراهقين واعتبروها دعامة دعائم تربية الأجيال الصاعدة . ويبدو انه مفيد للمراهق أن تخبره بانهسيتعرض لهذه الأزمات العاطفية المتذبذبة ، وانه ليس وحيدا في ميله الى الهرب من البيت أو ارتكاب الانتحار . ويقول العالم النفسي (فالنتاين) أن التقارير المتجمعة لديه تدل على أن الكثيرين من المراهقين يشعرون بعظم الكآبة لاعتقادهم أن ما يعتمل في دخائلهم امر خاص بهم ولا يقع لسواهم.

بيد انه من غير المرغوب فيه أن تقول للمراهق بان المثالية التي يشعر بها والاندفاع الى جلائل الأعمال انما هي عوارض عابرة من عوارض المراهقة، بل ان من واجبك أن تقويها فيه وتحثه على التمسك بها .

وثمة أمر واحد على الأقل أرى أن من واجبك بصفتك أبا ، كما أن من واجب الأم حيال فتاتها والمعلم ازاء طلابه والمعلمة تجاه طالباتها ، أن تتحدثوا به للمراهق ،الا وهو الحقائق البسيطة الدقيقة الواضحة للنمو الجنسي . ان الغالبية العظمى من المراهقين والمراهقات في بلادنا – بل وفي بعض البلاد المتقدمةعلينا – تواجه ازمة البلوغ وهي لا تعرف عنها شيئا . ولقد اجمع علماء النفس التحليليون على أن الكثير من المخاوف والهواجس والآلام والانحرافات النفسية عند المراهقين والراشدين ترَدّ الى جهل هؤلاء المراهقين أو أولئك الراشدين – حين كانوا مراهقين – بحقائق النمو الجنسي مما سبب لهم كل هذه الاضطرابات. وكثيرا ما كان العلاج بكشف السبب وايضاح الحقائق .

ويقترح الأستاذ (فالنتاين) أن تخبر الأم أو صديقة كبيرة السن أو قريبة ، الفتاةَ المراهقة بان ما تشعر به من ميل الى معلمتها أو رفيقتها الاكبر منها سنا انما هو شعور مؤقت يجب أن لا يسبب لها اي قلق .

بيد أن الأستاذ (فالنتاين) ينبه الى أنالكثيرين من المراهقين والمراهقات يعتبرون أن خبرتهم أمر شخصي لا يبوحون به لأحد ولا يحبون أن يناقشوه مع أحد . ولكن هذا طبعا يجب أن لا يمنع الوالد والوالدة أو المعلم والمعلمة من تشجيع المراهق أو المراهقة على التحدث في شؤونهما الخاصة مع الوالدين أو المعلم .

وبعد

فتلك هي يا صديقي بعض المعلومات عن المراهقة وبعض النصائح العملية التي اعتقدت أنها قد تفيدك في التعامل مع ابنك المراهق أرجو أن ترى فيها عونا لك في مهمتك الأبوية والله أرجو أن يقر عينك . ■■

فاخر عاقل

لست أهوى الحياة.. يا رب بعده!

لست أهوى الحياة يا ربِّ بعدهْ كيف أبقى حيا وقلبي عندهْ
شطَّ عني فبات عمري جحيما أقطع الوقت تنهُّدةً إثر نهده
ليس في الكون ما يغيِّر عهدي ورجائي أن لا يغيِّر عهدَه
لرضاه كرَّستُ كل جهودي وهو نحو الهجران كرَّس جهده
إن سعدي معلَّق برضاه أسأل الله أن يخلِّد سعده
أنا عبد لله، هل يغضب الله إذا كنت في المحبة عبدَه

★★★

كيف ينسى زنداً توسَّده، إني توسدتُ ليلة العمر زَنْده
كم وكم وردةٍ زرعتُ بخديه. وحق الإله ما خنتُ ورده
كم ليال طوقته بذراعي وكم ليلة تظلَّلْتُ جَعْده

★★★

إن وجدي به يقصِّر عنه وجدُ «قيس» ولو يضاعِف وجدَه
إنْ كساني بُردا من الحزن نمنمتُ لهمن وفائي المحصَّن بُرده
جاوز الحد في تجنِّيه، لا أملكُ شيئا إذا تجاوز حدَّه

محمد حيدر

ابراهيم طوقان

شِعْره صُورة لِكفاح وَطنه

نَدَّدَ بالحزبيَّة البَغيضَة فَما اسْتَمَعَ إلَيْهِ أَحَد

بقلم : خليل ابراهيم نعمة

■ هو ابراهيم عبد الفتاح طوقان ، شاعر فلسطين بلا منازع ـ يوم كان للعرب فلسطين ـ وعلم من اعلام الشعر والادب ، وبركان ثائر من الوطنية،وينبوع ثرّ من الحب والتضحية لوطنه .

كان رحمه الله قوى الملاحظة ، حاضر البديهة متوقد الشعور ، أبيّ النفس ، ذا طبيعة مرحة لعوب ، تتفجر شاعريته اللطيفة للملابسات الوطنية ، والانعطافات الوجدانية ، والنزعات الانسانية.

مولده ونشأته

ولد فى مدينة نابلس عام ١٩٠٥ وتلقى تعليمه الابتدائى فى المدارس المحلية على ايدى بعض المدرسين الذين تخرجوا فى الأزهر وتأثروا بالحركة الشعرية والادبية التى كان يرفع لواءها شوقى وحافظ ومطران والبارودى من ادباء القرن العشرين، ففتحوا ذهنه على ابواب جديدة من الأساليب الانشائية واشاعوا له روح الشعر والادب الحديث.

فى المدرسة

وفى سن الرابعة عشرة انتقل ابراهيم الى مدرسة المطران بالقدس حيث كان اخوه احمد قد سبقه اليها بسنوات ، وعن طريقه تعرف بالمرحوم نخلة زريق ، استاذ اللغة العربية فيها ، الذى كان متأثرا الى حد بعيد باليازجيين ، وواسع الاطلاع على الآداب الاسلامية .

بدأ ابراهيم يقول الشعر فى هذه الفترة بعد ان تلقى اصول العروض على يد اخيه احمد ، وفى مجموعة اشعاره التى نظمها خلال عاميه الأخيرين فى مدرسة المطران نلمس توقد الشاعرية الكامنة فيه ، ونتقرّى روح الوطنية القوية . وفى عام ١٩٢٣ نشر ابراهيم لأول مرة احدى قصائده فى الصحف المحلية .

فى الجامعة

وفى هذا العام انهى تحصيله الثانوى وانتقل الى رحاب الجامعة الاميركية ببيروت حيث تعرف فيها الى صديق اخيه الطالب سعيد تقى الدين ،

فاخذا يوجهانه ويصقلان مواهبه . وفي عامه الثانى نظم قصيدته المشهورة (ملائكة الرحمة) فلاقت ترحيبا قويا ، وتناقلتها الصحف واثنت عليها .

احتضنت ابراهيم داخل الجامعة وخارجها بيئة شعرية ادبية راقية . ففي الجامعة التقى بالرعيل الاول من الأدباء الناشئين ، حافظ جميل (ابو النواس) وعمر فروخ (صريع الغوانى) ووجيه البارودى (ديك الجن) . وفي خارجها كان ابراهيم يتردد على مجالس الأدب العالى والشعر الرفيع التى كان يديرها آنذاك المرحوم الشيخ أمين تقى الدين ،والمرحوم الاستاذ جبر ضومط ، والشاعر بشارة الخورى (الاخطل الصغير) ، وكانت هذه المجالس تفتح لابراهيم صدرها وتوليه اهتمامها ، فنمت مواهبه ، وهذبت شعره ، وفجرت ينبوع نفسه العميق ، فاخذ يرسل الشعر الرقيق والاغاريد الثائرة حتى اطلقت عليه صحف بيروت لقب (شاعر الجامعة) .

ورغم ان المرض اقعده خلال اعوامه الثلاثة الأولى ، الا انه لم ينقطع عن نظم الشعر ، وظل محافظا على نشاطه وحدبه على دروسه حتى تخرج من الجامعة ونال شهادتها عام ١٩٢٩ .

بدأ معلما فى اللغة العربية

بدأ الشاعر حياته العملية معلما للغة العربية ــ رغم انفه ــ فقد كان يميل الى مهنة الصحافة ، ولكنه نزل عند رغبة اهله ومعارفه لخدمة بلده ، اذ كانت مدرسة النجاح بنابلس بحاجة الى معلم للغة العربية ، فعمل فيها باخلاص المواطن المؤمن برسالته ، حيث حبب الشعر والادب لطلابه ، حتى انه لم ينقطع عن النظم رغم شواغله وضعف بنيته . وفى عام ١٩٢٩ كانت الاحوال مضطربة بفلسطين ، فاخذ يرسل شعره الوطنى المتفجر ثورة ضد المستعمرين يمجد فيه الأبطال والشهداء الذين خرّوا فى ساحات الجهاد .

فى الجامعة مدرسا

وفى عام ١٩٣١ عرضت عليه ادارة الجامعة الاميركية التعليم فى القسم العربى فيها ، فانتقل اليها ودرس فيها عامين نظم خلالهما اروع قصائده التصويرية . وفى اثناء اقامته تعرف بالدكتور المستشرق لويس نيكل فعملا معا على تصحيح كتاب « الزهرة » لأبى داود الاصفهانى .

وفى نهاية العام الثانى استقال من عمله وعاد الى فلسطين ليزاول التعليم فى المدرسة الرشيدية بالقدس وفى أواخر عام ١٩٣٢ وقع فريسة المرض فانقطع عن التدريس ولزم الفراش .

فى الاذاعة

وفى عام ١٩٣٦ عين مديرا للقسم العربى فى اذاعة القدس ، فعمل على النهوض بمستواها الادبى والفنى ، وكرس ما استطاع من برامجها للتوجيه القومى والوطنى ، ومضى فى تحقيق اهدافه رغم الرقابة المشددة من المستعمر المشرف على الشؤون العليا للاذاعة ، ورغم الدعاية المضللة من اليهود الذين جاءوا تحت حماية المستعمرين لاغتصاب فلسطين ، فاقيل من عمله فى اول اكتوبر عام ١٩٤٠.

مرض الموت

فرحل الى العراق ليعمل معلما فى وزارة المعارف .

ولكنه سرعان ما افترسته العلة والسقم فعاد الى القدس مستشفيا فلم يلبث ان انتقل الى رحمة ربه فى المستشفى الفرنسى مساء الجمعة ، الثانى من شهر آيار عام ١٩٤١ .

شعره

يمتاز شعر ابراهيم بالرقة والسلاسة والقوة والصدق ، فهو صورة حية لنفسه على حقيقتها ، ومرآة صادقة لكل ما يدور فى خلده ويجيش فى صدره من نوازع وخلَجات ، فكان يصور جميع هذه الانفعالات الداخلية تصويرا بارعا باسلوب واضح قوى معبر ، لا تكلف فيه ولا صنعة ، يعينه على ذلك علمه الغزير بفنون الكلام واسلوبه ، فكان ان حلق فى اجواء شاعرية عالية ، وطرق مختلف الأبواب الشعرية باسلوب رقيق متين ، حلو النغمات ، جميل الصور والانعكاسات ، فاطرب سمّاعه واعجب قرّاءه .

ويمكننا تقسيم شعر ابراهيم الى اربعة اقسام : الغزليات ، الموضوعيات ، الوطنيات ، والمراثى . وتعتبر المراثى جزءا من الوطنيات لأنه كان يتخذها وسيلة للتطرق الى الاحداث الجليلة القائمة .

الغـزليات

ظل قلب ابراهيم،لفترة من الزمن،خاليا من المرأة وكان اصدقاؤه في الجامعة يَعجبون لذلك ويقولون له على سبيل المزاح : « انت شاعر ، ولكن بلا شعور . اين وحي المرأة في شعرك ؟ ! » فكان ان سعى وراء الحب ، فمس شغاف قلبه مسا ساحريا رقيقا ، فاخذ ينظم الشعر الغزلي الرفيع في كل حسن يجتليه او غادة يراها ، فارهف هذا الحب حسه ، واشعل روحه ، وسما بشاعريته الى سماء الشعر الصادق الذي ينبثق من ذات النفس ، وينبعث من اعماق الروح ، فابدع في باب الغزل ابداعا عاليا ، وذاع شعره بين معلميه واصدقائه في الجامعة .. واننا لنلمس شعوره المتوثب وعاطفته الحاضرة ، وتغلغله في اغوار الأداء اللفظي والنفس في الابيات التالية من قصيدة (في المكتبة) حيث يصف فتاة طالبة فيقول :

وغـــريرةٍ في المكتبـــه
بجمالهـــا متنقّبـــهْ
أبصرتهـــا عنـــد الصبا
ح الغض تشبـــه كوكبَه
جلســت لتقــرأ أو لتكــ
تب ما المعلّـمُ رتّبَـــه
فـدنوت أسترق الخُطــى
حتّى جلستُ بمقْـــربه
وحبستُ حـــتّى لا أرى
أنفاســـيَ المتلهّبـــه
ونهيـــت قلـبي عن خفـو
ق فاضـــح ، فتجنّبــه
راقبتُهـــا فشهـــدت أن
الله أجـــزلَ في الهِبـه
حمـــل الثرى منهـا على
نـــور اليدين وقلّبـــه

وسقـــاه في الفــــردوس مخـ
تـــوم الرحيـق وركّبَـــه
فاذا بهـــا ملَكٌ تـــنز
ل للقـــلوب المُتعَبـــه
يا ليـت حظّ كتابهـــا
لضـــلوعي المتعـذّبـــه

ولما عاد الشاعر عام ١٩٣١ الى الجامعة مدرسا ، عاد الجمال يحرك قلبه ، فاوحى اليه بارق الشعر واجزله ، فارسل زفراته الحارة ، وصوّر صراعه الداخلي والخارجي ، ولكنه ظل متهيبا وجلا ، وذلك راجع الى البيئة المحافظة التي درج عليها ، فكان ان استبد به الشوق والحنين ، واضناه الصد والدلال ، رغم صفحه وتسامحه ، فافقده الحبيب الهاجر فؤاده والاماني والهدى ، وابقى له هواه وسقمه والحنين المؤبد ، وقد صور هذه الحيرة في صورة الحبيب النائم فقال :

ما كنت أرغب أن أسمّي قاسيـا
فأنفّـــر الأحلامَ عن عينيهـــا
والشوق يدفعـني إلى إيقاظهـا
ويَدِي تحاذر أن تُمَـــد إليها
وكأنمـا شعَرَ الرقـادُ بنعمـة
فأقامَ غيرَ مُفارق جفنيهـــا
ويل لقلبي كيف لم يفتـكْ به
مرأى تقلبهـــا على جنبيهـــا
أرنو بلهفة عاشق ، لم يبـــق من
صـــبر لديَّ ، وقد حنوتُ عليها
فيصدّني أدبي فأبعُـــد هيبة
وأود لـــو أحنـو على قدميهـا
فالنفس بـين تهيب مما تـرى
وتلهُّب ، فاحترتُ في أمريها
ولعـل أشواقي بلغن بي المدى
فوقعـت لا أصحـو على شفتيها

ولا يفوتنا أن نذكر انه كانت لابراهيم مساجلات غزلية مع صديقيه الشاعرين جلال زريق وابىسلمى (عبد الكريم الكرمى) وقد نشر اكثرها فى صحف فلسطين فكانت طبقا شهيا للادباء الناشئين والطلاب المتذوقين .

الموضوعيات

تمتاز موضوعياته بعمق الفكرة ودقة التصوير ، وقد حلق فيها الى آفاق الشعر العالى ، وسجل فى قصائده أنبل العواطف الانسانية ، كما سجل اروع صور البطولة الحية الناطقة لابناء وطنه ، موشحا اياها بنغمات وصور مبتكرة تضعه فى مصاف الشعراء المصورين الكبار .. فانظر الى قصيدة (الشهيد) كيف يصور بدقة وروعة ما يثور فى نفسه من عواطف وتضحية مثالية ، لا طمعا بصيت او مجد ، وانما هو عنصر الفداء وجوهر الكرم ، صيغت منهما تلك النفس الابية ، فهان عندها الموت فى سبيل الله والوطن :

عبس الخطبُ فابتسَمْ
وطغى الهول فاقتحَمْ
رابطَ الجأش والنهى
ثابت القلب والقدم
لم يبال الأذى ولم
يَثْنه طارئُ الألم
نفسه طوعُ همَّة
وجمتْ دونها الهمم
تلتقي في مزاجها
بالأعاصير والحُمَم
تجمع الهائج الخضـ
ـمَ إلى الراسخ الأشم
وهي من عنصر الفدا
ء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة
لفْحها حرزُ الأمم

سار في منْهَج العلا
يطرق الخُلد منزلا
لا يبالى ، مكبَّلا
ناله أم مجدَّلا
فهو رهنٌ بما عزم
ربما غاله الردى
وهو بالسجن مرتهَنْ
لم يشيَّع بدمعة
من حبيب ولا سَكن
ربما أدرج التّرا
ب سليبا من الكفن
لستَ تدرى بطاحُها
غيَّبته أم القُنن
لا تقلْ أين جسمه
واسمه في فم الزمن
إنه كوكب الهدى
لاح في غيهب المحَن
أرسل النور في العيو
ن فما تعرف الوَسَن
ورمى النار في القلو
ب فما تعرف الضغَن
أى وجه تهلَّلا
يَرِد الموت مُقبلا
صعَّد الروحَ مُرسلا
لحنَه يَنشد العلا
أنا لله والوطن

وهنالك جانب هام من موضوعياته اشتهر فيه الشاعر ، ذلك هو التهكم اللاذع وخفة الروح والتفاؤل التى كان يشيعها فى قصائده رغم علله واسقامه وحرمانه من نعمة العافية ، وخير مثال

لذلك قصيدته المشهورة (الشاعر المعلم) التى عارض فيها قصيدة احمد شوقى ، وقد صاغها فى قالب فكاهى عذب ، وصور فيها ما يكابده ، من مشقة وجهد وعناء فى حمل الرسالة وتادية الامانة:

(شوقي) يقول — وما درى بمصيبتي
(قمْ للمعلم وفّه التبجيلا)
اقعد ، فديتك ، هل يكونُ مبجّلا
من كان للنشء الصغار خليلا
ويكاد (يفلقني) الأمير بقوله
(كاد المعلّم أن يكون رسولا)
لو جرب التعليم (شوقي) ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غُمّةً وكآبة
مرأى (الدفاتر) بُكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صُلّحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو ان في (التصليح) نفعا يُرتجى
وأبيك ، لم أكُ بالعيون بخيلا
لكن أصلّح غلطة نحويّةً
مثلا ، وأتخذ (الكتاب) دليلا
مستشهدا بالغر من آياته
أو (بالحديث) مفصّلا تفصيلا
وأغوص في الشعر القديم فأنتقي
ما ليس ملتبسا ولا مبذولا
وأكاد أبعث (سيبويه) من البلى
وذويه من أهل القرون الأولى
فأرى (حمارا) بعد ذلك كله
رفع المضاف إليه والمفعولا
لا تعجبوا إن صحت يوما صيحة
ووقعتُ ما بين (البنوك) قتيلا
يا من يريد الإنتحار ، وجدتُه
إن المعلم لا يعيش طويلا !

الوطنيات

تميزت قصائده الوطنية بالصدق والقوة والحرارة ، وقد وقفها على تسجيل آلام فلسطين وآمالها خلال الانتداب البريطانى كما لم يسجله شاعر فلسطينى من قبل . وما كان ابراهيم ليفوز بلقب شاعر فلسطين لو لم يسجل قضية بلاده فى شعره القوى الذى يمتاز بطابعه الخاص ، ولو لم تنعكس فى شعره أصدق صورة لهذا الوطن فى ذلك العهد المظلم . لقد كان شعره الوطنى بركانا يقذف الحمم ويرسل اللهب،فلا بكاء ولا استخذاء، وانما صرخات مدوية تحفز الهمم وتثير الشعور بالقوة والاباء . وقد خلد الشاعر ثورة فلسطين وشهداءها فى أولى مراحل الجهاد الدموى عام ١٩٢٩ عندما أعدم المستعمرون الشهداء الثلاثة فؤاد حجازى ، محمد جمجوم ، وعطا الزير ، فقال يمجد بطولة كل منهم :

قسما بروح (فؤاد) تصعد من جوانحه زكيه
تأتي السماء حفيّةً فتحلّ جنّتها العليّه
ما نال مرتبة الخلود بغير تضحية رضيه
عاشت نفوس في سبيل بلادها ذهبت ضحيه

● ● ●

قسما بروح (محمد) تلقى الردى حلوَ الورود
قسما بأمّك عند موتك وهى تهتف بالنشيد
وترى العزاء عن ابنها في صيته الحسن البعيد
ما نال من خدمَ البلادَ أجلّ من أجر الشهيد

● ● ●

قسما بروحك يا (عطاء) وجنّة الملك القدير
وصغارك الأشبال تبكي الليث بالدمع الغزير
ما أنقذ الوطن المفدى غيرُ صبّار جسور

وكان الشاعر يرقب عن كثب كل ما يدور فى وطنه من أحداث ، فكان ينبه اليها بقلمه ولسانه ويدعو قومه الى نزع رداء الخمول لمجابهة الخطر

التفاهم ، فقد حذر من هجرة اليهود ، ووعد بلفور، وثار على بائعي الاراضي والسماسرة الذين انتشروا بكثرة سعيا وراء مطامعهم الرخيصة ، فصور لقومه الخطر الجسيم الذي ينتظرهم اذا هم تهاونوا في المحافظة عليها ، ولكن الداء استشرى بسبب الضمائر الرخيصة والاسعار الخيالية المغرية التي كان يلوح بها الصهاينة فقال محذرا :

أعداؤنا ، منذُ أن كانوا ، (صيارفةٌ)
ونحن ، منذ هبطنا الأرض، (زُرّاعُ)
لمْ تَعْكسوا آية الخلاّق، بل رجعت
إلى اليهود بكم قُربَى وأطباعُ
يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة
ولا تعلمت أن الخصم خَدّاعُ
لقد جنيت على الأحفاد ، والهَفي
وهم عبيد ، وخُدّام ، وأتباع
وغرّكَ الذهب اللماعُ تُحرزه
إن السراب كما تدريه لمّاع
فكّرْ بموتاك في أرض نشأت بها
واتْركْ لقبرك أرضا طولها باعُ

وكان رحمه الله شعلة من وطنية وحب وتضحية لوطنه ، ولا يسكت عن رأى فيه مصلحة لأمته ، فكان يجاهر بذلك ، مساندا الحق دون ارضاء لهذا او مجاملة لذاك ، همه الوحيد خدمة وطنه الذى وقف حياته لأجله . لذا كان لا يتوانى عن توجيه نقده اللاذع فى ذلك الظرف العصيب الى حكومة الانتداب كلما رأى اعوجاجا ضد مصلحة وطنه . فانظر كيف يخاطبهم ، وقد تحققت نبوءته :

قد شَهِدنا لعهدكم (بالعداله)
وختمنا لجندكم بالبساله !
وعرفنا بكم صديقا وفيا
كيف ننسى انتدابه واحتلاله !
وخجلنا من (لطفكم) يوم قلتم :
وعدُ بلفورَ نافذٌ لا محاله !
كل (أفضالكم) على الرأس والعين
وليست في حاجة لدلالة !
ولئن ساء حالنا فكفانا
أنكم عندنا بأحسن حاله ! !
غير أن الطريق طالت علينا
وعليكم . . . فما لنا والإطاله ؟!
أجلاءٌ عن البلاد تريدو
ن فنجلو ، أم محقنا والإزاله؟!

ولشدما كانت تروعه الحزبية البغيضة التى اضطرم وقودها فى البلاد ، فنتج عن صراعها تفكك الأمة واعاقتها عن ركب التقدم والازدهار ، فحمل عليها وندد بها ، وصرخ فى مثفرمى آتونها ان استعيذوا واتحدوا ، ودعا العرب الى التفاهم ونبذ الاحقاد وضم الصفوف لليوم الفاصل المرتقب، ولكنهم استرسلوا فى غيهم حتى كان الذى كان .

المراثي

اما مراثيه ، وان تكن قيلت فى مناسبات خاصة ، الا انه اتخذ منها تهرّة" يتطرق منها الى القول فى قضية فلسطين وفى أحوالها المنكودة التى ابتليت بها . واذا قرانا مراثيه نجدها ـ الا اقلها ـ شعرا وطنيا سياسيا لافحا يدعو فيها الى تنابذ الشقاق، وتنسيق الجهود ، وتآلف القلوب لرد الظلم والظالمين بعيدا عن الشكوى . فاقرأ كيف يبدأ برثاء المرحوم موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العليا التى كانت توجه الحركة الوطنية بفلسطين ، ثم يتطرق الى بني قومه :

وجه القضية من جهادك مُشرقُ
وعلى جهادك من وقارك رونقُ
لله قلبك في الكهولة أنه
ترك الشبيبة في حياءٍ تُطرق
قلب وراء الشيب متقِد الصبا
كالجمر تحت رماده يتحرق

أقدمت حتى ظل يَعجب واجما
جيشٌ من الأيام حولك مُحدق
تلك الثمانون التي وفّيتها
في نصفها عذر لمن لا يَلحق
لكن سبقت بها ، فما لمقصِّر
سببٌ لمعذرة به يتعلّق
عُمِّرتها كالدوح ظاهرُ عوده
صُلبٌ وما ينفكُّ غضًّا يورق
وطني أخاف عليك قوما أصبحوا
يتساءلون: مَن الزعيمُ الأليق ؟ !
لا تفتحوا باب الشقاق فإنه
بابٌ على سُود العواقب مغلَق
والله لا يرجى الخلاص وأمركم
فوضى ، وشمل العاملين ممزّق
أين الصفوف تنسقت فكأنما
هي حائط دون الهوان وخندق
أين القلوب تآلفت فتدافعت
تغشى اللهيب وكل قلب فيلَق
أين الأكف تصافحت وتساجلت
تبني وتصنع للخلاص وتُنفق
أما الزعامة فالحوادث أمهـا
تُعطى على قدر الفداء وتُرزق
يا ابن البلاد وأنت سيد أرضها
وسمائها ، إني عليك لمشفق
انظر لعيشك هل يسرك أنه
وردٌ يَغيض وهجرةٌ تتدفق
ماذا يرد الظلم عنك ، أحسرة
أم زفرة ، أم عبرة تترقرق ؟
أم بثُّك الشكوى تظن بيانها
سحرا ، وحُجّتُها الضحى يتألّق !
لا تلجأنّ إذا ظُلمت لمنطق
فهناك أضيع ما يكون المنطقُ

ولم ينس ابراهيم ان يشير الى مرضه وسقمه ولكن بروح الصبر والايمان والتفاؤل ، فلا شكوى ولا تشاؤم ، ورغم ان ربه ابتلاه بالحرمان من نعمة العافية ، فقد كان شديد الايمان به ، لا يغفل عن شكر نعمه والتسبيح بحمده ، وطالما تمنى طيب الكرى والصفاء قبل ان يذوى عوده وتصوّح وروده :

يلذ لي يا عين أن تسهدي
وتشتري الصفوَ بطيب الكرى
لي رقدة طويلة في غد
لله ما أعمقها في الثرى
ألم ترىْ طير الصبا في يدي
أخشى ، مع الغفلة ، أن ينفرا
طال جناحاه وقد يهتدي
إلى أعالي دوحه مُبْكرا
أرى الثلاثين ستعدو بيَه
مُغيرةً أفراسها في اقترابْ
وبعد عشرٍ يلتوي عُوديَه
وينضِبُ الزيت ويخبُو الشهابْ

وصدق حسه ، وداهمته المنية وهو فى سن السادسة والثلاثين ، ولما يتم الاربعين ، فانطوى العلم الخفاق ، والمشعل الوهاج ، وسكت اللحن الطروب ، وتوقف الفؤاد النابض واستحال الى رماد ، وهو بعد غض الاهاب ، جديد الشباب ، ويحق لنا ان نقول فيه كما قيل فى ابى تمام : « لقد قضى ولم يستمتع بخاطره » . ■■

خليل ابراهيم نعمه
عمان

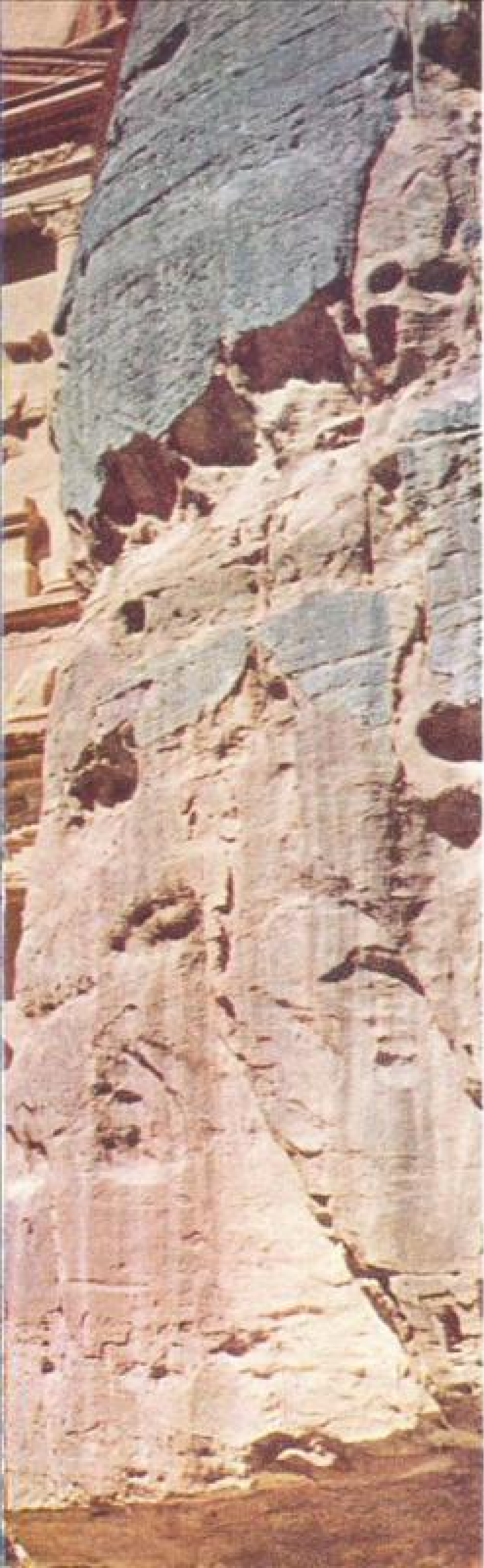

« الخزنة » اجمل آثار البتراء على الاطلاق .

اعرف وطنك أيها العربى

البَتْراء

• مدينة منحوتة فى الصخر
عمرها نصف عمر الزمان

أعجوبة فنية رائعة
• أبدعتها يد الطبيعة والانسان

!

• • •

قام بهذا الاستطلاع

سليم بسيسو

وصوره
((اوسكار))

■ كانت الشمس تميل الى المغيب حين اشرفنا على واد تغطي اشجار الفاكهة قاعه وسفوح الجبال المطلة عليه ... ووقفت بنا السيارة عند نبع ماء يعرف ب « عين موسى » وهو النبع الذى يسيل ماؤه فى ذلك الوادى ، فيحوّل اراضيه الى جنات تجرى من تحتها الانهار . ويقال ان هذا المكان هو الذى استسقى فيه موسى عليه السلام لقومه ، فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .

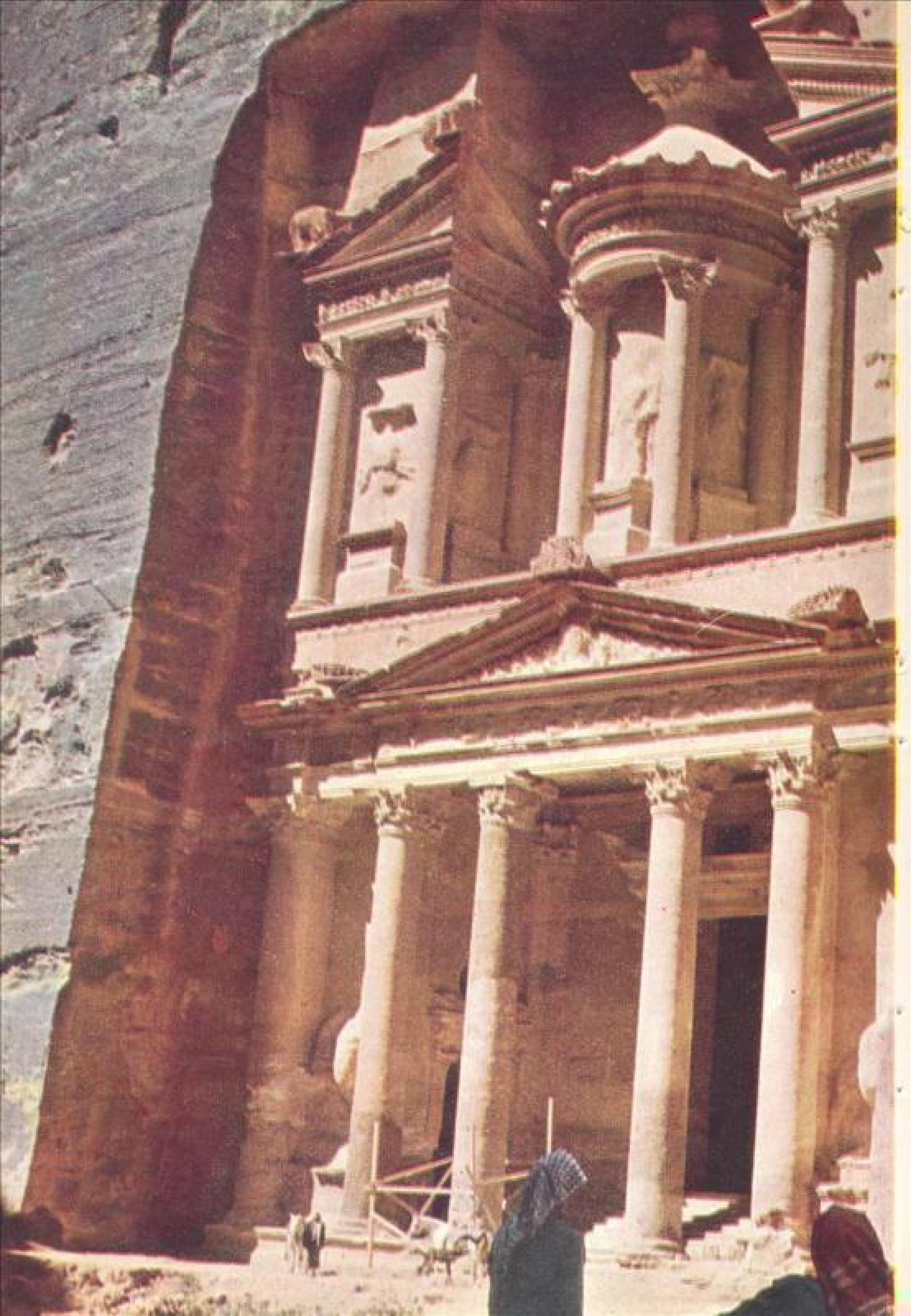

جاء فى القرآن الكريم : « واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم » (سورة البقرة) و « واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل اناس مشربهم » (سورة الاعراف) .

وقد اوردت التوراة ذكر هذه الحادثة فى سفر الخروج ـ الاصحاح السابع عشر .

ووردنا النبع ، وبعد ان اغتسلنا وشربنا عدنا الى السيارة وواصلنا السير فى اتجاه بلدة وادى موسى ..

كرم عربى موروث

وما ان سارت بنا السيارة بضعة امتار .. وقبل ان تتضاعف سرعتها رأينا جماعة من المدرسين ملتفين حول رجل يلبس ملابس الاعراب وقد تمنطق بمسدس .. فطرحنا عليهم السلام.. وردوا التحية باحسن منها .. واقتربوا من السيارة التى تسير ببطء ليتعرفوا علينا ..

عرفناهم بانفسنا ، كما تقضى قواعد السلوك ، وهممنا باستئناف الرحلة ولكن الرجل ذا الملابس العربية اخترق النطاق الذى ضربه المدرسون حولنا وامسك بايدينا محاولا جهده لاخراجنا من السيارة .. بالحاح واصرار .. خيل الينا ان فيهما شيئا من العنف .. وراح لسانه يقسم ايمانا لا حصر لها بأننا ضيوفه ولا بد من قضاء الليل عنده ..

وهمس الينا المدرسون ان الداعى ليس الا شيخ العرب الشيخ سعد بن سعد .. الرجل .. الشهم الكريم المعروف فى المنطقة بطولها وعرضها .. والذى لا يدع عابر طريق دون ان يدعوه الى ضيافته .. خصوصا اذا كان الوقت مساء لأن من عادة العرب ان لا يتركوا الغرباء يمرون مر الكرام حينما تغرب الشمس .

لم يكن هنالك من مفر من الرضوخ للتقاليد العربية الموروثة .. ونحن عرب نتمسك بعادات الضيافة والكرم ، وهي مدعاة فخر واعتزاز لأنها جزء لا يتجزأ من تاريخنا وتراثنا .

كرم ليس له حدود

ما ان حان وقت العشاء حتى مدت الاسمطة

> « آتنى باعجوبة كهذه ، انك لن تجدها الا فى الشرق : مدينة حمراء وردية عمرها نصف عمر الزمان » !
>
> **الشاعر دين بيرجيون**

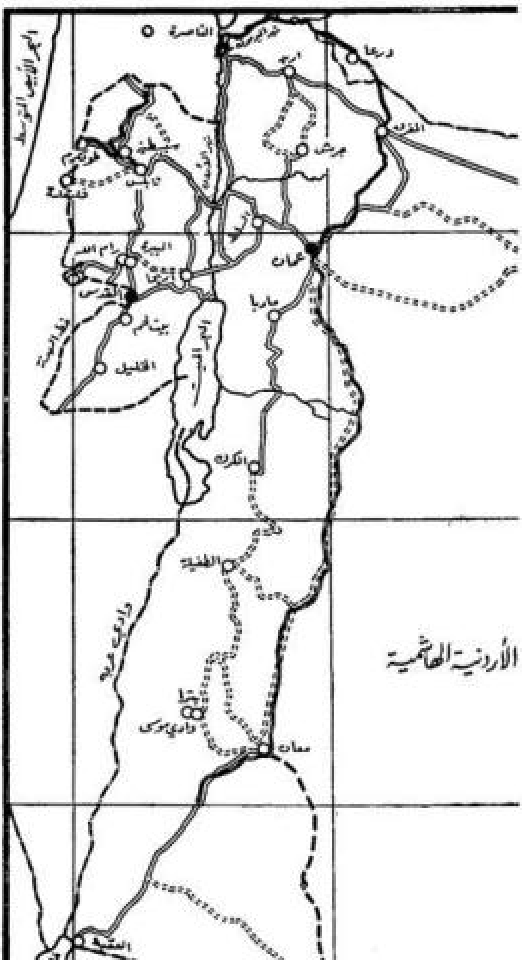

خريطة المملكة الاردنية الهاشمية يظهر فيها موقع البتراء وبلدة وادى موسى .

منظر عام لبلدة وادى موسى التى تقوم فى وادى موسى الخصيب بين التلال الجرداء

التى كدست اللحوم عليها اكواما .. وتربع حولها عليه القوم فى تلك الناحية وبعض السائحين الاجانب .. ولما انتهينا من الطعام وانفض الجمع اخذ المضيف يهيىء لنا الفراش .. وغطى كل واحد منا بثلاثة لحف او اربعة .. هذا علاوة على ما وصلت اليه يداه من بطانيات .. امعانا واسترسالا فى اكرام الضيف .. مع اننا كنا فى اوائل الصيف حسب مناخ تلك الربوع ..

بتنا تلك الليلة وصحونا مع فجر اليوم التالى على صوت اقداح الشاى وفناجين القهوة التى كان سعد بن سعد يعدها بنفسه .. مع انه متزوج من ثلاث نساء . ولكن اصول الضيافة تقضى بأن يقوم رب البيت بعمل كل ما يلزم للضيف العزيز .

عادة" عربية قديمة عمرها مئات بل الاف السنين ما زالت مرعية فى المناطق النائية والقرى الصغيرة .. البعيدة عن المدن الكبيرة والحضارة العصرية .. التى تفككت فيها الروابط الوثيقة وتلاشت فيها العادات الاصلية . .

الى وادى موسى البلدة

استقلينا السيارة .. وما هي الا بضع دقائق حتى كنا فى وسط بلدة وادى موسى فى محل سعد التجارى وهو عبارة عن بناء قديم مظلم مفتاح بابه فى حجم المدفع الرشاش ، وفى زاوية معتمة منه كان يقبع جهاز هاتف (تلفون) من الطراز القديم ، هو الهاتف الوحيد فى القرية ولما استفسرنا عن السبب علمنا ان ابنه البكر محمد هو مدير وكالة البريد التى تشغل ذلك الحيز من الدكان .. ومحمد هو مدير وكاتب ومحاسب وفراش وكالة البريد هذه التى تقوم بجميع الخدمات البريدية ما عدا الحوالات المالية .

تصورت اننا نعيش فى عصر يعود الى الوراء ثلاثة قرون .. هو عمر بلدة وادى موسى الحالية .. التى هي عبارة عن «ناحية» ـ حسب التنظيم الادارى ـ فى لواء معان . والموظف الادارى الاول فى وادى موسى يعرف بمدير الناحية .. وفى وادى موسى مخفر للشرطة ، خصص قسم منه لنزول

عند هذه اللافتة ينتهي الطريق المعبد القادم من بلدة وادى موسى .. وهنا يمتطي السائحون الجياد للوصول الى البتراء

احدى جماعات السياح الذين يفدون الى البتراء من مختلف أقطار العالم، تسير وسط آثار المدينة الخالدة .

ممر ضيق بين «الخزنة» والبتراء الحقيقية ، وفيه ترى الكهوف منحوتة فى سفح احدى الهضاب الصخرية .

« السيق » .. وهو ممر ضيق ينفذ بين هضاب صخرية تكاد جوانبها يطبق بعضها على بعض ..
ويتسع الممر في بعض اجزائه حتى يصل عرضه الى ستة امتار .. ويضيق في اجزاء اخرى بحيث لا يسمح
للحصان بالدوران حول نفسه .. وفي « السيق » يشعر الانسان انه يسير في طريق معتم ليس له نهاية .

السياح مقابل اجر زهيد ، وفى الوادى كذلك مدرسة اعدادية للبنين تضم مائتي طالب وكذلك مدرسة للبنات عدد طالباتها ٢٥ .

الخيول العربية الأصيلة

ان أهم ما تشتهر به وادى موسى ـ وانا استرسل فى الكتابة عن هذه البلدة لأنها المدخل لمدينة البتراء الأثرية ـ هو الخيول العربية الأصيلة . وبحسب تقدير أهل البلدة فان عدد رؤوس الخيل فيها يزيد عن مائتين وخمسين بالرغم من صغرها وضآلة عدد سكانها ـ فهم لا يتجاوزون الخمسة الاف عددا ، يقابلهم مثل هذا العدد من البدو الذين يعيشون فى خيام من شعر الابل والماعز فى اطراف الناحية .

وفى وادى موسى تقاليد وعادات تتصل بالخيل الغاية منها هي المحافظة على أصلها وتملكها .. لان تملك الخيل دليل على العز والجاه والقوة .

هذه العادات لها قوة العقد المكتوب والقانون الملزم . فمثلا : اذا باع شخص فرسا اصيلة

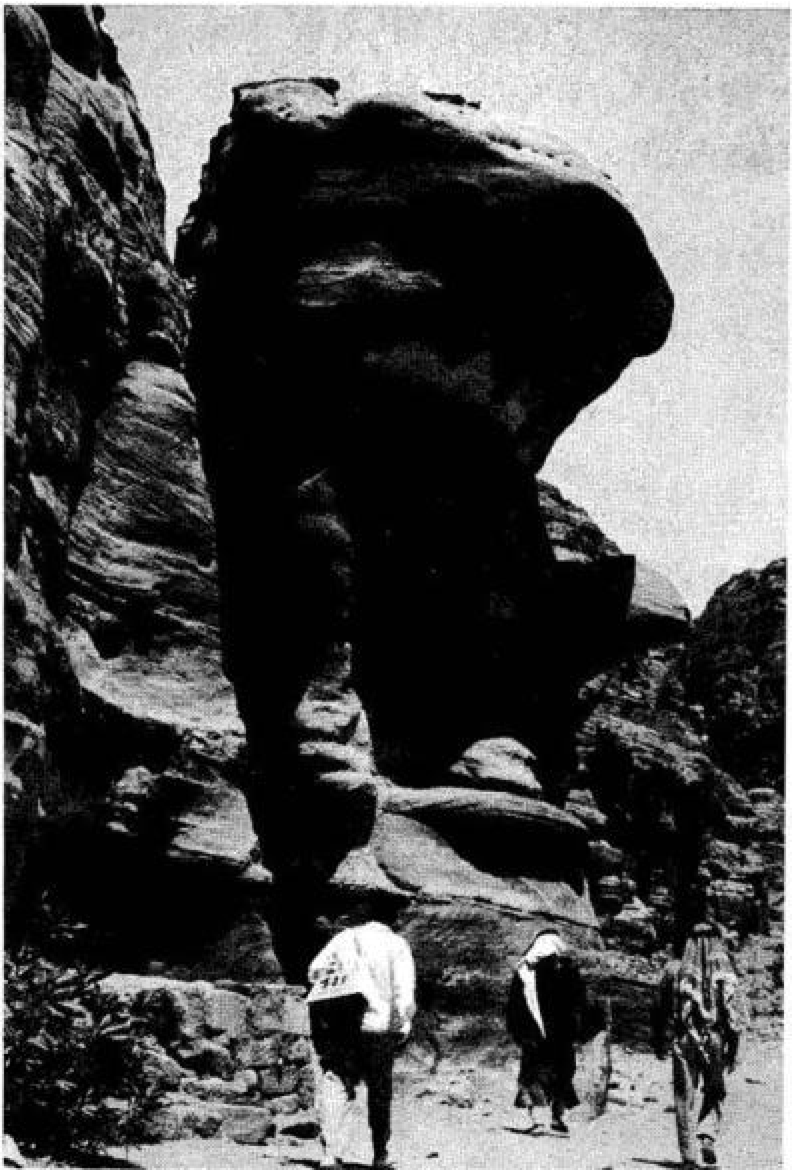

الطريق الى الدير ، وهو طريق وعر ترتفع فى جانب منه الصخور الشاهقة وينخفض فى الجانب الآخر واد سحيق ، كما انتشرت على طوله شجيرات برية زهورها بلون صخر البتراء الاحمر الوردى .

المسرح المنحوت أيضا فى الصخر والذى يتسع لألفي شخص تقريبا. وفى مؤخرة الصورة ترى واجهات قبور قديمة كأنها عيون مفتحة ... وقد أزيل جزء منها عند نحت المسرح فى عهد لاحق .

(والثمن يقارب الستين دينارا) فله منها مهرتان متتاليتان . واذا رغب المشترى فى العدول عن الشراء واراد ارجاع الفرسة المشتراه الى صاحبها البائع .. وكانت الفرسة اثناء وجودها عنده قد ولدت له مهرة ، فعليه والحالة هذه ان يعطى البائع المهرة التى تكون قد وُلدت له اثناء وجود الفرسة الأم عنده .. وذلك محافظة على قاعدة اعطاء البائع مهرتين .

وتزرع بلدة وادى موسى القمح والشعير والبقول كما تشتهر ببساتين العنب والتفاح والرمان . ويعيش اهلها على تجارة المواد الغذائية والاقمشة. ويؤجر اهلها خيولهم الى السائحين الذين يزورون البتراء مقابل ٨٠٠ فلس للاجنبى و ٥٠٠ فلس للعربي مهما كانت جنسيته . ويراعى فى تأجير الافراس « الدور » ، فان تخلفت فرس عن دورها يضيع عليها وتنتظر حتى يأتيها الدور من جديد تفاديا لوقوع مشاكل وخلافات .

ولفظ وادي موسى يطلق على واد بهذا الاسم يضم خمسة اودية هي : وادى موسى ــ وادى جلثواخ ــ وادى الصَّدر ــ وادى المَثَر ــ ووادى الزرابة .

واخترقنا بلدة وادى موسى بواسطة طريق معبد الى ان وصلنا آخر نقطة تنتهي عندها تلك الطريق .. وكانت الخيل تنتظرنا فنزلنا من السيارة وامتطينا الجياد فى اتجاه البتراء التى تبعد ثلاثة كيلومترات عن تلك النقطة .

لمحة تاريخية عن البتراء

سارت بنا الخيل فى طريق ترابى انتشر فيه الحصى .. وكان أول ما لفت انظارنا هيكل لبناء كبير عرفنا انه لفندق سياحي تقوم الحكومة ببنائه مكان مركز قديم للجمرك .. وما ان ابتعدنا عن منطقة العمران .. وتوغلنا داخل البرية المقفرة الموحشة .. حتى خيم صمت رهيب لا يتخلله سوى وقع حوافر الخيل على الحصى .. محدثا أصواتا رتيبة .. وعلى تلك الانغام سرح بنا الخيال عبر عصور التاريخ منذ عرف الانسان تلك المنطقة حتى الساعة التى نحن فيها .

ليس ما تراه قوس قزح ، وانما هو سقف احد الكهوف المنقورة في الصخر الملوّن .. وقد اتخذ احد الاعراب هذا الكهف مأوى له ، ويبيع فيه السجاير والحلوى والمرطبات .

الى اسفل واجهة قبور نبطية منحوتة في الصخر الرخامي الابيض المعرّق باللون الازرق المائل الى السواد كالظلال .

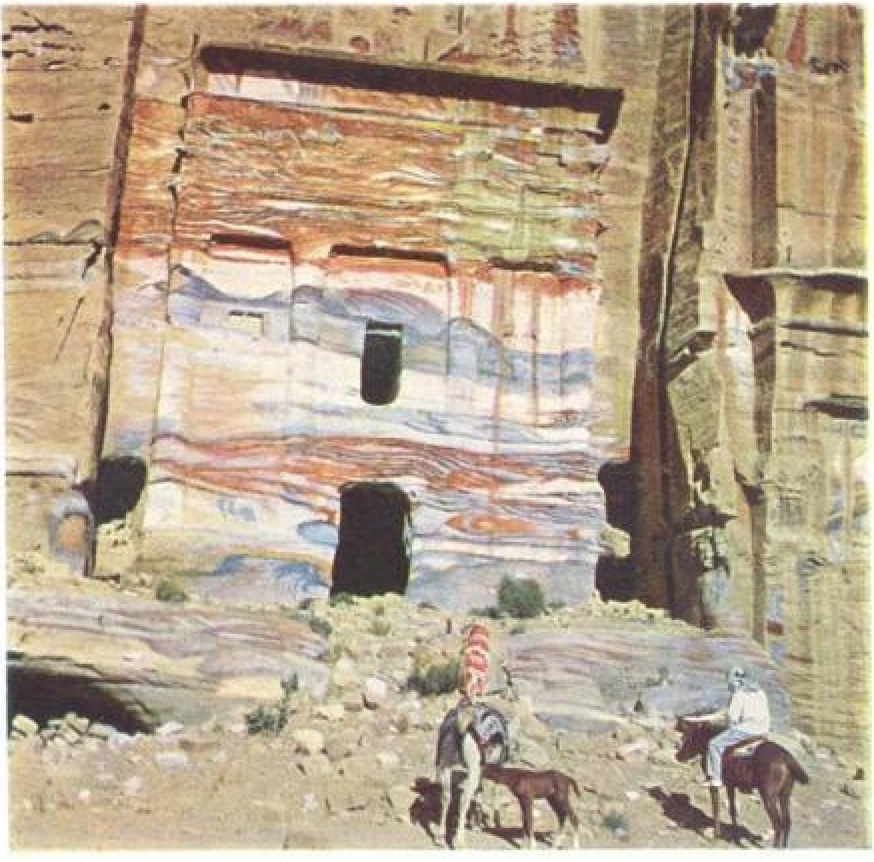

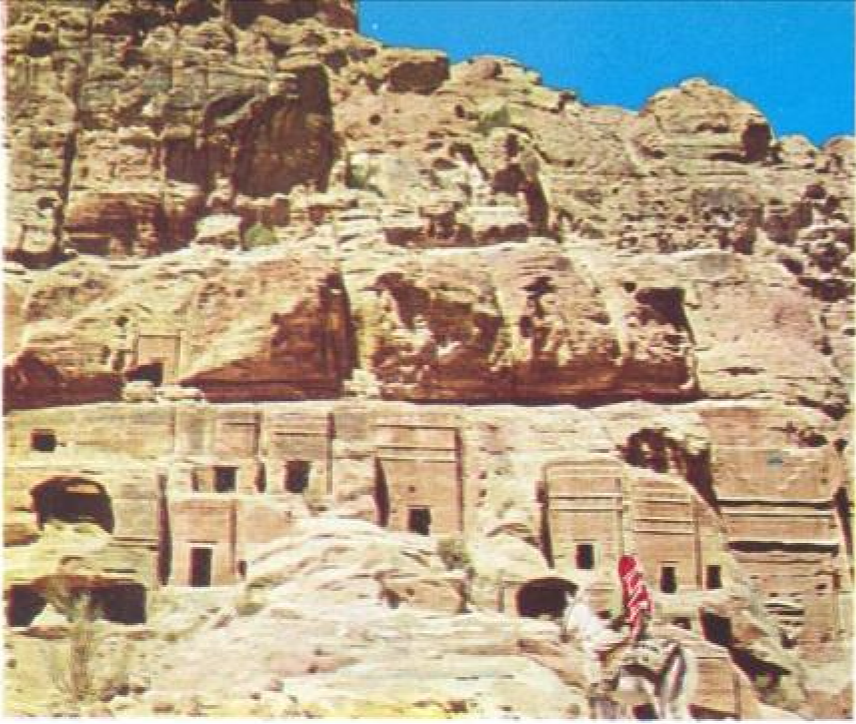

مجموعة من الكهوف المنحوتة فى الصخر ، كان الانباط يتخذونها بيوتا يسكنون فيها ، او قبورا يدفنون فيها موتاهم .

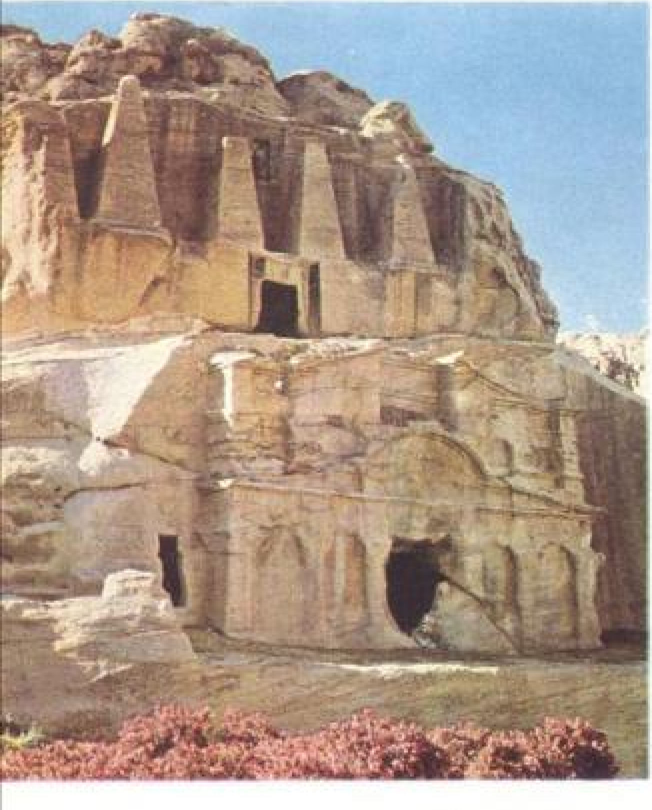

الى اليسار نماذج اخرى من الكهوف المنحوتة فى الصخر ، وترى الاعمدة تزين واجهاتها .

علمتنا كتب التاريخ ان بتراء كانت عاصمة مملكة ادوم التي كانت تعرف عند العبرانيين باسم «سعير» . وكان اسمها القديم «سالع او سلاع» ، وهو لفظ عبري معناه الحجر . وورد ذكرها في سفر الملوك الثاني من العهد القديم حين قال : « هو اَمَصْيَا قَتَلَ من اَدومَ في وادي المِلْح عشرة الاف واخذ سَالِعَ بالحرب » .

وقد سبق الادوميين الحوريون ـ سكان الكهوف القدماء ـ في سكنى تلك البقعة ويقال ان هؤلاء هم ابناء سعير . ثم جاء الادوميون وغلبوهم على امرهم واقاموا مكانهم في زمن لا يعرف اوله لقدم عهده .

ونشر الادوميون ملكهم حتى امتد من الجنوب الشرقي من فلسطين حتى رأس خليج العقبة ، وشرقا حتى بادية الشام. وقد ساعدهم نَبُوخَذْنَصَّر ، ملك بابل ، على توسيع رقعة مملكتهم الى حدود مصر وشواطىء البحر المتوسط .

وبينما الادوميون ينشرون سلطانهم غربا داهمهم الانباط من الشرق ، واوغلوا في مملكة ادوم حتى ملكوها جميعا ، وزالت تلك الدولة واندمج اهلها بالفاتحين من الانباط وصاروا امة واحدة . وكان ذلك قبل القرن الرابع قبل الميلاد . وظلت دولة الانباط قائمة الى اوائل القرن الثاني بعد الميلاد حينما دخلت البلاد في حوزة الرومان سنة ١٠٦ ميلادية .

ولما صارت بتراء الى الانباط ، وعرفها اليونان، اسموها « بتراء » Petra وهو لفظ يوناني معناه الصخر ، واطلقوا على الاقليم لفظ Arabia Patraea اي بلاد العرب الصخرية نسبة الى عاصمتها .

والواقع ان تاريخ البتراء انما هو تاريخ الانباط فيها ، فهم الذين صنعوا ، ونحتوا صخورها ، وشادوا معابدها والقصور .

اصل الأنباط .. وهل هم عرب ؟

يذهب بعض المؤرخين مذهب اهل التوراة ويقول ان الانباط من نسل نبايوط بن اسماعيل ويذهب البعض الآخر الى انهم اقوام من اهل العراق . ويقول معجم المنجد : النبط : قوم من العجم كانوا ينزلون بين العراقين وذهب غيرهم الى ان اصلهم من جبل شمر في اواسط بلاد العرب نزلوا بلاد ما بين النهرين لخصبها حتى اخرجهم الآشوريون او الماديون . وهناك من يقول انهم جاءوا من شواطىء خليج العرب . اما المستشرق الفرنسي كوسان دي برسفال فيرى انهم عراقيون اتى بهم نبوخذ نصر في القرن السادس ق . م وانزلهم في بتراء .

ويدلل المؤرخون على انهم عرب بالادلة الآتية :

اولا: قول من عرفهم من مؤرخي اليونان ، فانهم حيثما ذكروهم ، سموهم عربا .

ثانيا : ان اسماء ملوكهم عربية كالحارث وعبادة ومالك وجميلة ، كما ان اللسان الذي كانوا يتفاهمون به هو اللسان العربي مع ان كتابتهم كانت بالآرامية .. التي تشبه اللغة الفصحى في ايامنا . ومن القلم النبطي ـ الذي هو من الكتابة الآرامية ـ انحدرت مباشرة الابجدية العربية كما يستدل من دراسة نص النمارة الذي يعود الى عام ٣٢٨ ميلادية ووجد في شرقي حوران.

انتقال الأنباط من مرحلة الرعي الى الزراعة والتجارة

والانباط في اول عهدهم كانوا بدوا رحلا يعيشون في خيام على الرعي ولكنهم تحولوا الى الزراعة وعملوا في التجارة ، اي انتقلوا من مرحلة التنقل الى مرحلة الاستقرار واصبحوا في القرن الثاني ق . م مجتمعا منظما جدا لان بلادهم ، رغم قلة مواردها ، كانت حسنة الموقع بالنسبة لتجارة القوافل ، فمدينتهم البتراء كانت هي الوحيدة بين الشام والحجاز التي توجد فيها مياه غزيرة ، وكانت الى جانب ذلك محصنة ، وكانت تسيطر سيطرة كاملة على الطرق المؤدية الى مرفا غزة غربا الى بُصرَى ودمشق شمالا والى ايْلَه على البحر الاحمر ، والى الخليج العربي عبر الصحراء .

واحسن من وصف آداب النبطيين واخلاقهم دِيُودُورس الصقلي المتوفى في القرن الاول ق.م اذقال : « ان الانباط يعيشون في البادية الجرداء التي لا انهر فيها ولا سيول ولا ينابيع . ومن امهات قوانينهم منع زراعة الحبوب او استثمار الاشجار وتحريم الخمر او بناء المنازل . ويعاقبون من يخالف ذلك بالقتل مع التشديد في العمل بهذه القوانين . ورجال النبطيين لا يزيد عددهم على عشرة آلاف رجل ، وهم اغنى القبائل ، (قبائل المنطقة طبعا) وثروتهم من الاتجار بالاطياب والمر

« عين موسى » التى تسقي الناس وتروي المزروعات والتى يقال انها تفجرت حينما ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه كي يسقى قومه .

وغيرها من العطريات التى يحملونها من اليمن وغيرها الى مصر وشواطىء البحر المتوسط . ولم تكن تمر تجارة فى ايامهم بين الشرق والغرب الا على يدهم . ويحملون الى مصر على الخصوص القار (من البحر الميت) لاجل التحنيط . وهم ضنينون بحريتهم ، فاذا داهمهم عدو يخافون بطشه فروا الى الصحراء وهى امنع حصن لهم ، لانها خالية من الماء فلا يدخلها سواهم الا مات عطشا . اما هم فيشربون من صهاريج سرية مربعة الشكل منقورة فى الصخر تحت الارض يخزنون الما فيها ، ولها فوهات ظاهرها ضيق ، وباطنها واسع ، اتساع احدها ثلاثون مترا مربعا ، فيملأونها بمياه المطر ، ويحكمون سدها بحيث يخفى مكانها على غير العارف . ولهم على فوهاتها علامات ترشدهم اليها لا يعرفها سواهم » .

زوال دولة الأنباط

بعد ان اتسعت الدولة وتحضر الانباط ذهبت عنهم خشونة البداوة وانغمسوا فى الترف . فلما صارت الدولة الرومانية الى الامبراطور تراجان جرد عليهم حملة لم يستطيعوا الوقوف امامها فهزمهم سنة ١٠٦ م ولم تقم لهم منذ ذلك الحين قائمة .

وهكذا اصبحت بلاد الانباط جزءا من الولاية العربية الرومانية ، ثم اعتنقت المسيحية فى القرن الثالث الميلادى ، وصارت اسلامية فى القرن السابع والقرون التالية .

واستولى بلدوين الاول على مدينة البتراء ، اخذا اياها من المسلمين اثناء الحروب الصليبية حتى كان انتصار صلاح الدين الايوبى فى عام ١١٨٩ فعادت اسلامية .. ولكنها بقيت مهملة منسية واختفت من مجرى حوادث التاريخ البشرى واصبح موقعها غير معروف ، منذ ذلك الحين حتى كشفت آثارها للعالم عام ١٨١٢ على يد المكتشف السويسرى بيركهارت Burckhardt

البتراء كما رأيناها

كانت هذه هى الخواطر التاريخية التى مرت صورها واشباحها امامنا والخيل تسير فى تلك الطرق المتعرجة .. لقد خلفنا وراءنا طريقا ينحدر من تلال وادى موسى انتشرت حوله البساتين الخضراء المتسقة لنرى انفسنا قد

الشارع الرئيسي في البتراء ، وما زالت بعض اجزائه مبلطة ، وعلى جانبيه كانت تقوم المتاجر والحمامات وتلتقي جماعات التجار .

مخيم نزال ... وهو فندق اقيم بين اطلال المدينة الاثرية بالقرب من قصر فرعون .. وقد اعدت الخيام لايواء ٥٠ نزيلا بينما يأوي في المبنى الحجري ٢٠ نزيلا .

الدير ... اضخم آثار البتراء حجما .. وربما كان معبدا لا قبرا .. ويبلغ ارتفاعه ٥٠ مترا تقريبا . ويستطيع الدليل ان يصعد الى اعلى نقطة فيه عن طريق المسالك الوعرة فى دقائق قليلة .

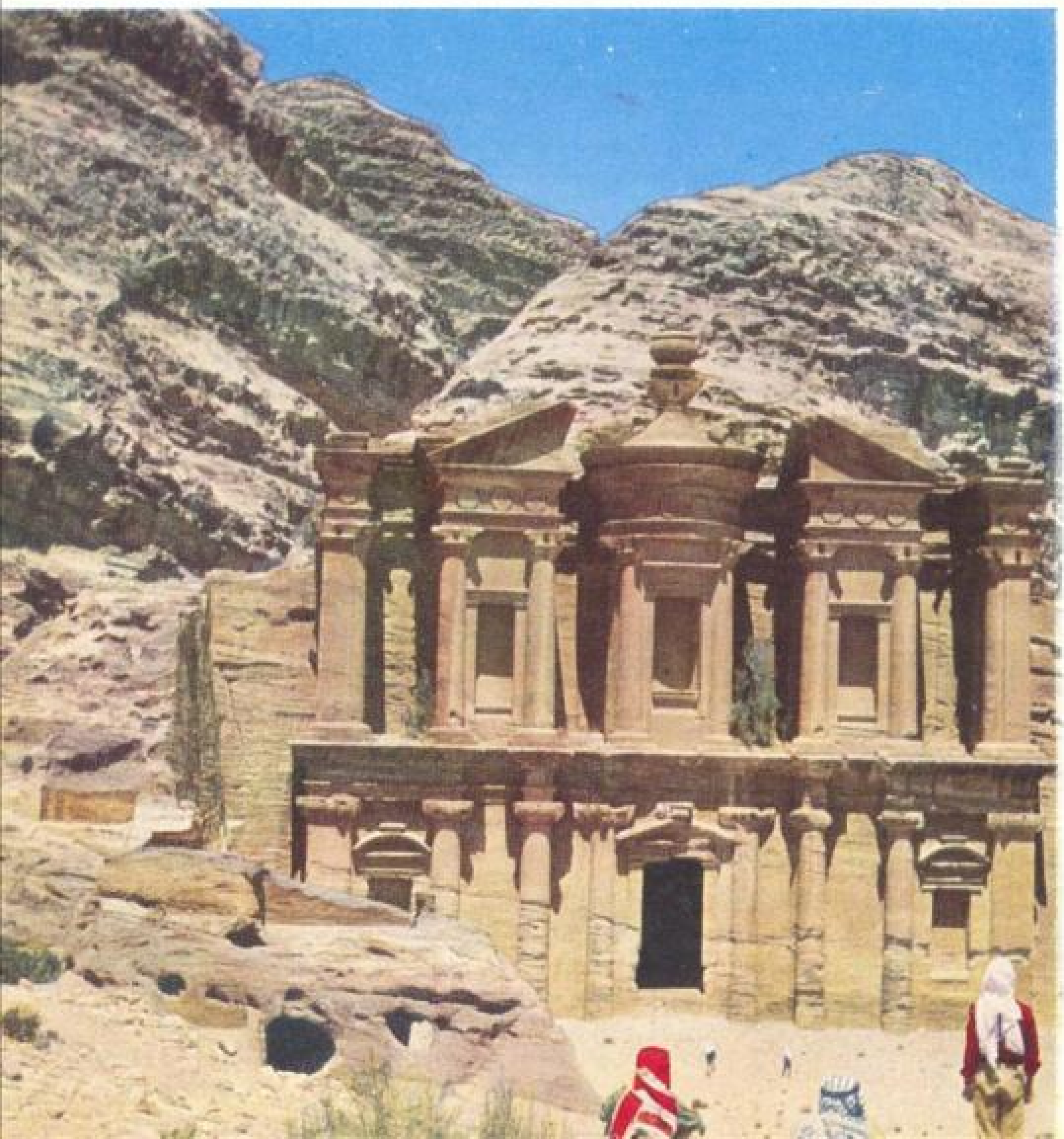

انتقلنا الى بقعة قفراء عند أسفل الوادى. وتتعرج الطريق بين تلال صخرية تشبه القباب نقرت فى بعضها كهوف ومغاور وأخذ الوادى الذى كنـا نسير فيه يضيق تدريجيا بينما تزداد التلال على جانبي الطريق ارتفاعـا الى ان نصل الى ممر يسميه أهل الناحية السيق .

ما هو السِّيق ؟

هو ممر ضيق ينفذ من بين هضاب صخريـة شاهقة وينعطف باتجاه قاع واد جاف ، ويتوغل هذا المعبر فى قلب الجبل ، ولا يزيد عرضه فى بعض اجزائه على ستة امتار ، كما انه فى بعضها الآخر لا يكفى لاستدارة حصان حول نفسه .. وارتفاعه قد يصل الى مائـة متر ولكن جزئى الصخر يبدوان متشابكين حتى ان بصيصـا من النور لا يمكن رؤيته .. مما يجعل الانسان يشعر ان جوانب هذه الهضاب الصخرية تكاد تطبق عليه .

وقد يكون ياقوت الحموى عنى هـذا الممر الضيق حينما قال ان « سلع » حصن" بوادى موسى عليه السلام ، بقرب بيت المقدس . لان السلع لغة معناه شق فى الجبل . قال ابو زياد : الاسلاع طرق فى الجبال يسمى الواحد منهـا سلعا .

أخذنا نسير فى هذا الممر الضيق الموحش المعتم الا فى بعض أجزائـه .. كأننا نسير الى عالم مجهول .. الى اللانهاية .. لقد سرنا فيه نصف ساعة ولكننا تصورنا اننا مكثنا فيـه دهـرا .. وكأننا من أهل الكهف .. مع ان طوله لا يتجاوز الألفى متر .

تذكرت فى تلك اللحظة ما قاله رجـل نبطى للقائد ديمتريوس السلوقى وهو يحاصر مدينـة البتراء : « اذا ابيتم الا اطالة الحصار فلا تنالون غير التعب والفشل لانكم لن تجدوا سبيلا الينـا ونحن فى هذا الحصن المنيع » ، وانسحاب ذلك القائد لتأكده من امتناعها عليه .. مما يدل على حنكة عسكرية .. لأن نفرا قليلا من الجنـد يرابطون فى السيق يستطيعون أن يصدوا جيشا بكامله عن دخول مدينة البتراء الجميلة .

ويلاحظ المار فى السيق بقايا قناة حفرت فى الصخر على جانب هذا الشق. وكانت هذه القناة تجر المياه من عيون الماء فى وادى موسى على بعد ٦ كيلومترات الى سكان البتراء . كما يلاحظ ان أصوات الأعراب الذين يعبرونه بدوابهم .. كانت كأنها تخرج من بئر مهجورة لأن الانسان لا يستطيع ان يرى امامه أكثر من امتار قليلة وكأن الطريق قد سدت فى وجهه .

الخزنة

بعد الخروج من السيق وجدنا انفسنا فجأة وجها لوجه امام واجهة ضخمة غاية فى الروعـة والجمال منحوتة فى صخر وردى اللون فى ساحة مكشوفة .. كأنما الجبال ارادت أن تبتعد عنها قليلا لتترك للشمس المجال لأن تلقى عليها أشعتها لتعكس واجهتها ذلك اللون الاحمر الوردى الساحر الذى يأخذ الألباب ... انها آية من آيات فن النحت والروعة والجمال من حيث الهندسة وزهو الالوان ... بل هى أجمـل آثار البتراء على الاطلاق .

والخزنة ليست خزنة .. كمـا يدل مفهوم التسمية ـ بل هى عبارة عن معبد حفر فى الصخر او مدفن لأحد ملوك الأنباط . وتقول المراجـع التاريخية ان الحارث الثالث ، بينما كان يصد الرومان باليد الواحدة كان يفتح بالأخرى الباب على مصراعيه للتيارات اليونانية الرومانية .. وقد أتى بالصناع السوريين الى عاصمته وادخلوا معهم نماذج هلنستية ، وربما نحت هؤلاء الصناع الواجهة الجميلة لما يسمى اليوم بالخزنة وكانت بالاصل قد نحتت لتكون مدفنا له .

والخزنة من الداخل عبارة عن قاعة طولها ١٥ مترا وعرضها ١٢ مترا وارتفاعها ١٠ امتار وفى صدر القاعة حجرة ابعادها ٤ × ٣ ١/٢ امتار وفى كل جانب من جانبيها حجرة تشبه الزنزانة طولها أربعة امتار وعرضها متر وثلاثة أرباع المتر .

وتصعد الى الخزنة بواسطة سلم من الصخـر المنحوت مكون من ٨ درجات . وفى عتبة الباب الرئيسى نقرت حفرة على شكل « طاس » قـد يستدل منـه انه المكان الذى كانت تذبح فيه الأضاحى لتسيل دماؤهـا الى ذلك التجويف الكروى ومنه تسيل بواسطة قناة .

وأمام الواجهة انتصبت خمسة أعمدة ضخمة من الحجر الوردى المنحوت من صخر ذلك الجبل، ارتفاع كل عمود منها عشرة امتار ، ومحيطه اربعة امتار ونصف . ولا يقل وزن كل تاج من التيجان التى تعلو رؤوس الأعمدة عن أربعة أطنان .

بقايا قوس النصر او «البوابة» التى تؤدى الى المكان يضم المباني العامة القديمة فى البتراء كالحمامات والسوق

وواجهة الصخرة التى نحتت فيها الخزنة محمية من الرياح والامطار ولهذا بقيت الخزنة فى حالة ممتازة من الحفظ ، على عكس الآثار الاخرى التى تعرضت لعوامل التعرية وتاثرت من العوامل الجوية بسبب سرعة تاثرها من ضربات العواصف الرملية لانها نحتت فى صخر رملى طرى .

وتوجد فى اعلى واجهة الخزنة آثار لطلقات نارية كانت قد سددت اليها بغية تحطيمها للعثور على الكنز الذى كان اهل تلك المنطقة يظنون انه محفوظ فيها .

المسرح

نترك الخزنة على يسارنا وندخل من جديد ممرا ضيقا حفر عند مدخله داخل الصخرة قبر كبير .. وهذا الممر الضيق يشبه السيق وقد حفر فى كلا جانبيه كهوف فى الصخر . وبعد مسير مسافة قصيرة نصل الى المسرح .. الذى يرجع انه بنى فى زمن الرومان .. ويلاحظ ان بعض القبور قد شطرت شطرين اثناء نحت المسرح مما جعل حجراتها الداخلية مفتوحة كالعيون السوداء .

ومقابل المسرح كهف منحوت فى الصخر منذ مئات السنين تستطيع أن تشترى منه السجاير والشيكولاتة والمرطبات .

البتراء الحقيقية

بعد ذلك تنحسر التلال لتفسح المجال امام منبسط من الارض طوله ميل ، وعرضه ثلاثة ارباع الميل ، يشقه شارع رئيسى جميل مبلط بالحجارة يسير بمحاذاة مجرى جدول ماء جاف.. وعلى سفوح هذه التلال ومنحدراتها التى تطل على ذلك المنبسط من الأرض كانت تقوم المدينة الحقيقية ببيوتها ومعابدها وقصورها وحماماتها ومقابرها .. كلها منحوتة فى الصخر .

هذه هى عاصمة الانباط العظيمة .. نفس الوصف الذى ذكره سترابو وهو : « انها مدينة صخرية قائمة فى مستوى من الأرض تحيط به

الصخور كالسور المنيع وليس وراءها غير الرمال المحرقة » .

هذه هي المدينة التي اخذت اسمها في مختلف العصور واللغات من اسم الصخر الذي نحتت منه . لقد اسمتها التوراة « سالع » ، واسمها في القديم سلع ، وهو لفظ عبري معناه الصخر .

وقد اسماها اليونان بترا .. وبترا لفظ يوناني معناه أيضا الصخر كما قدمنا .

واسماها العرب بعد الاسلام « الرقيم » وهو تعريف لأحد اسمائها اليونانية Arak . والرقيم هو الصخر وقد ورد في القرآن الكريم : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » (سورة الكهف) . وقال الاصطخري في وصفها : « الرقيم مدينة بقرب البلقاء ، وهي صغيرة منحوتة بيوتها وجدرانها في صخر كأنها حجر واحد » .

وهناك موقع باسم « البتراء » عثر بعض المعاصرين على ذكر له في سياق غزوة النبي لبني حيان وهو بقرب المدينة وبينه وبين بتراء الانباط خمسمائة ميل .

ان طراوة الحجارة الرملية ونعومتها الشديدة حالت دون القيام باعمال فنية دقيقة ولهذا قام النحاتون في العهدين النبطي والروماني باتباع طراز يلائم الصخر وقد قاموا بذلك بمهارة وحذق ونحتوا تلك المعابد والقبور الضخمة التي لا تتضاءل ، مهما صغر حجمها ، أمام الصخور الكبيرة التي نحتت فيها .

ومن هذا المكان المكشوف ـ وهو موقع المدينة ـ تتشعب الأودية في كل اتجاه .. وعلى جوانب هذه الأودية تنتشر القبور والكهوف من كل حجم .. ومن وقت لآخر ترى درجات تلتف صعودا حول منحنيات سفوح الجبال لتوصل الى أعاليها .. حيث نحتت المعابد واماكن تقديم القرابين .

وابرز ما تشاهده وانت في هذه المنطقة تقليد لقصر روماني مؤلف من ثلاثة طوابق وتعرف باسم مقابر القصر ، ويعتقد ان ملوك بترا كانوا يدفنون فيه .

بعد ذلك تمر فوق شارع مبلط انتشرت على جانبيه انقاض المركز التجاري ومكان السوق حيث يمكن للمرء ان يتخيل اللغط والضوضاء التي كانت تحدث يوميا في هذه الاماكن الخربة الآن حينما كان التجار من جميع اطراف الشرق الأدنى يتجمعون هناك . وهناك أيضا بقايا الحمامات العامة .. وفي نهاية الشارع يقف قوس النصر وبعد ذلك تطل على قصر فرعون أو قصر البنت كما يسميه اهل تلك البلاد وهو معبد يرجع عهده الى القرن الأول الميلادي .

مخيم نزّال

لقد انتهى بنا المطاف عند مخيم نزّال ـ ونزّال عائلة اردنية اشتهرت في نصف القرن الأخير بصناعة الفنادق في عاصمة الأردن ومصايفه ومشاتيه واماكنه الأثرية .

ومخيم نزال هذا عبارة عن مبنى لفندق يتسع لعشرين نزيلا وقد نقلت مواد بنائه وتجهيزاته واثاثه على الدواب ، ونصبت في ساحته خيام تسع لخمسين نزيلا آخرين . وهو في الواقع واحة وسط صحراء يلاقي فيه النزيل الفراش المريح والطعام الشهي والشراب المنعش . ان اجرة المبيت والطعام في الليلة الواحدة ثلاثة دنانير ونصف . اما من يكتفي بتناول الطعام فعليه أن يدفع في الوجبة الواحدة تسعمائة فلس . رقم قد يبدو عاليا جدا لوجبة عادية .. ولكنه يبدو ضئيلا زهيدا اذا عرف أن كل شيء ينقل الى ذلك المكان بواسطة الدواب .

وربطنا خيولنا في ظل أشجار باسقة أمام

مدير ناحية وادي موسى (الى اليمين) يتكيء على الوسائد بينما الضيف الشيخ سعد بن سعد يدخن النارجيلة

جلس الضيوف على الارض حول « المناسف » المملوءة بآكلة عربية عبارة عن خبز رقيق تعلوه كومة من الارز مكللة بقطع اللحم الكبيرة ويصب فوقها لبن معقود بالسمن البلدى وتؤكل باليد اليمنى دون استعمال الملاعق او الشوك .

المخيم ، واسترحنا قليلا لنستانف السير بعد دقائق مشيا فى وادى « ابو علّقة » المنبطح أمام المخيم ، وسرنا فى اتجاه شمالى فى محاذاة وادى الدير .. الى الدير .. الذى يأتى فى المرتبة الثانية بعد الخزنة من حيث الاهمية والحفظ والروعة .

الطريق الى الدير

كان أول ما لفت نظرنـــا ونحن نسلك طريق الدير وجود مركز لرعاية الامومة والطفولة يشغل كهفا منحوتا فى الجبل عند أسفل الطريق .. وادركنا أن الانسان .. حتى فى عصر الصواريخ العابرة للقارات وغزو الفضــاء .. لا بد وأن يستسلم للأمر الواقع .. فهذه أمريكا .. الدولة العظمى عسكريا وصناعيا وعلميا تسهم فى اقامة مركز لرعاية الأمومة فى نفس الكهف الذى كانت تسكنه عائلة من الحوريين أو الادوميين أو الأنباط قبل ثلاثة آلاف سنة .

واصلنـــا السير يتقدمنا علي سالم الشرور صاحب الراحلة « الفرس » الذى يعيش خمسة أشهر من السنة على تأجير راحلته ، اما فى الاشهر السبعة الباقية فانه يعمل فى الأرض مزارعـا . ويرافقنـــا كذلك على مُعَمَّر موظف الآثار الذى وضع خبرته ومعرفته تحت تصرفنا .. وبدأنـــا نصعد الطريق الذى يلتف صعودا حول الجبل .

الطريق جميل .. ابدعت الطبيعة فى خلقه ، فمن على اليمين أخدود سحيق فى بطنه مجرى واد ، والى اليسار جدار من الصخر يتفاوت ارتفاعا هنا وهناك .. والشجيرات البرية ذات الزهور الوردية تكلل سفوح تلك الهضاب وقممها ويحار المرء هل اكتسبت هذه الزهور الوانها من الصخر أم أن العكس هو الصحيح ؟

مضت ثلاثون دقيقة ونحن نسير صعدا وانفاسنا تكاد تتقطع .. وقلوبنا تخفق بشدة تعبا وخوفا لأننا كنا على شفا جرف هار .. زلة قدم ويكون مصيرنا المحتوم فى أسفل الهوة السحيقة .

جلسنا قليلا فى ظل صخرة نجفف عرقنا ومددنا أيدينا نفتت الصخر .. فاذا الطبقة السطحية منه تتفتت بسهولة وتكشف لنا عن طبقة تحتها تحتوى على طبقات افقيـــة من كل لون .. فى انسجام وتوافق بديعين . ولا اظن ان الطبيعة قد سخت على اى صخـر فى العالم بمثل هـذه الالوان .. التى تفوق الوان قوس قزح عددا وجمالا .

قمنا متراخين .. ولكن الرغبة فى رؤية الدير وضعت فينا قوة واحتمالا .. مما مكننا مـــن الوصول فى اقل من الوقت المحدد .

الدير

وصلنا الى قمة الجبل أو كدنا .. وانتهت الطريق .. وانفرجت عن أرض سهلية ، صغيرة المساحة ، فى طرفها المقابل لنا مغارة فتحت فاها كأنها حيوان خرافى ينتظر القادم الى تلك البقعة النائية لابتلاعه لانتهاكه عزلة المكان وحصانتــه فخاب أملنا لظننا أنها الدير فتوجهنا نحوها على غير اكتراث أو اهتمام... وتلفتنا وراءنا نستعرض الطريق الوعر الشاق الذى قطعناه فى الجــزء الأكبر مـــن الساعة لنصل الى كهف رأينا مثله العشرات .. بل المئات ! وقع بصرنا على بنــاء ضخم منحوت فى الصخر فى ظهر قمة ذلك الجبل .. فراعنــا المنظر .. وزال كل ما بنا من تعب وجهد وجلسنا عند مدخل الكهف فى مجرى هواء بارد نمعن النظر فى ذلك البناء الشامخ .. انه الدير ! بنــاء ضخم يدل على عبقرية الانسان ومثابرته وجهوده الجبارة المضنية .. الى جانب سخاء الطبيعة التى أضفت على الصخر وسخت عليه بتلك الألوان الزاهية .

ان هذه الاوصاف ليس فيها شىء من الخيال.. أو من الذاكرة .. انها الانطباعات والمشاهدات التى كنت ادونها فى الحال .

كانت النواحى الفنية للتصوير تقتضى الانتظار ساعة من الزمن حتى تزول الظلال من بين زوايا واجهة الدير وتكشف الشمس عن كل الخبايــا والخطوط والزوايا الفنية فى تلك الواجهة .

و « الدير » يشبه « الخزنة » من حيث طراز النحت ولكن بشكل مبسط ويبلغ ارتفاعــه ٥٠ خطوة (والخطوة تتراوح بين ياردة ومتر) وعرضه من الخارج ٥٠ خطوة .. ويبلغ سمك الصخر الذى ازيل من امام واجهته ٥٠ خطوة . مقاييس وابعــاد تدل على دقة متناهيــة فى الهندسة والحساب . أما الاعمدة التى تقف فى الواجهــة فنصف محيط والواحد منهـا ١٤ قدما وسمك جدار المدخل متران . اما من الداخل فالقاعــة الرئيسية مستطيلة الشكل اطوالها ١٣ × ١٢ مترا وفى صدر القاعة منصة « مذبح ؟ » يصعــد اليهــا من الجانبين بواسطة ٥ درجات من كل جانب ومساحتها ٤ر٥ × ٢ر٥ متر .

مقهى فى كهف وكراس من حجارة

لم يكن الكهف الذى جلسنا ننتظر فيه ميــل الشمس سوى مقهى متواضع يشغله احد الاعراب بدون أجر طبعا ويبيع فيــــه المرطبات والقهوة والشاى ومقاعده عبارة عن حجارة .. فاما ان تجلس عليها أو ترتمى على الرمال وتتوسد تلك المقاعد . جلسة تتناسب تماما مع الجو المحيط بها . وزجاجة المرطبات تباع فى ذلك المقهى بسعر يتراوح ما بين ١٠٠ فلس (مليم) و ٢٠٠ فلس حسب كرم الزبون وقدرته على الدفع . أمــا قدح الشاى الصغير جــدا فيباع بـ ٣٠ فلسا وكذلك فنجان القهوة التركية .

قد تظن ان هذه الاسعار فاحشة ! ولكن رويدك قليلا . ان صاحب هذا المقهى يحمل صفيحة الماء على كتفيه ـ لا على الدواب ـ ويصعد بها ذلك الطريق الوعر الشاق .. ليسقيك الشاى والقهوة .. وقطرات من الماء تقدم مجانا .. انه يتحمل كل ذلك مقابل لقمة العيش الصعبة المنال ..

ولا يتخذ صاحب المقهى مقهاه مكانا للنوم .. بل ينضم كل مساء الى عائلته التى تسكن كهفا آخر فى مدينة البتراء الحقيقية تاركا كل شىء فى مكانه .. حتى الفلوس .. دون ان يغلق بابا أو درجا لأنه لا يوجد هناك باب أو درج ليغلقه .

يحدثنا صاحب المقهى ويقول ان من ٣٠ الى ١٠٠ سائح يصلون يوميا الى الدير خلال الموسم السياحى الذى يبدأ مع بداية السنة تدريجيــا وينتهى كذلك تدريجيا فى أوائل حزيران «يونيه». ويصل عدد السواح الذروة خلال شهرى مارس وابريل (آذار ونيسان) .

وطوال فصلى الصيف والخريف يشتد الحر فى تلك المنطقة بشكل لا يطاق .

وجبل الدير يشرف من جهة الغرب على وادى عربة على عمق ٤٠٠٠ قدم وتمكن منه رؤية جبال فلسطين وصحراء سيناء اذا كان الجــو صحوا والسماء صافية .

عدنا من نفس الطريق الذى آتينا منه الى ان وصلنا مرابط الخيل .. فامتطينا جيادنا مــرة ثانية ورجعنا سالكين فى رجوعنا ذات الطريق .. الذى مررنا به صباحا .

كنا فى كل خطوة تخطوها الخيل نبتعد رويدا رويدا عن ذلك المكان المقفر الموحش المنعزل الذى

لم يزعج صمته وسكونه أزيز المحركات أو بوق السيارة .. ولم تمر من فوق رماله وحصاه عجلات .

لا شيء يربط بين تلك الجبال الوردية الضخمة بكهوفها المنحوتة فى الصخر منذ آلاف السنين والمدينة المعاصرة . وهذه المعابد والقبور والبيوت والشوارع والاقواس والمسارح والافنية لا تطلب من المدنية والحضارة الحديثة الا ان تقدرها حق قدرها ... كاحدى عجائب الدنيا العظيمة التى ابتدعتها الطبيعة وايدى الانسان .

مدينة فريدة من نوعها فى العالم كله ... لقد صدق الشاعر بيرجيون حينما تحدى ان يأتيه احد بمثلها ... وقد وصفها فى شعره بانها ازلية .. وصافية .. وجميلة .. ووحيدة .. وكان قد اخذ بسحر الوانها المتعددة .. وسرها وجمالها .

اكتشاف البتراء المدينة المنسية الضائعة

ضاعت جميع المعلومات عنهذه المدينة العجيبة بالنسبة الى العالم منذ انتهاء الحروب الصليبية وظلت فى عالم الضياع والنسيان الى ان كشف عنها النقابالمكتشف السويسرى الشاب بيركهارت عام ١٨١٢ أى قبل مائة وخمسين عاما أثناء قيامه برحلة استكشافية محفوفة بالاخطار والمغامرات من دمشق الى القاهرة .

لما وصل بيركهارت الجزء الجنوبى من الاردن بدأ يسمع القصص والروايات من الاولاد عن وجود خرائب غريبة مخيفة وراء الجبال الحصينة .. وكان هؤلاء الاولاد يخشون اطلاعه عليها خوفا من تدخل اجنبى فى أسلوب حياتهم ومعيشتهم .

ولازالة الشكوك تظاهر بيركهارت بانه نذر ذبيحة قربانا لهارون (اخيموسى) Harun او Aron الذى يقع قبره فى الطرف الآخر من الوادى .. وهكذا استطاع أن يرى البتراء فى طريقه الى القبر ... وروى ما رآه للعالم .

قال بيركهارتان الباحثينفى المستقبل سيجدون آثار وادى موسى تقف فى نفس المرتبة التى هى لاغرب بقايا الفن القديم .. ومن المؤكد ان مدينة استطاعت أن تخصص آثارا مثل هذه تخليدا لملوكها لا بد وأنها كانت على جانب كبير من الثراء والقوة . لقد حفظت تلك الآثار على مر السنين.. وكأنها عمارة انتهى الصانعون الماهرون من تشطيباتها ولمساتها الاخيرة منذ لحظات ..

سائحون من كل مكان

وصلنا نهاية المطاف وترجلنا عن الخيل لنستقل السيارة ونتوجه الى عمان على بعد ثلاثمائة كيلو متر شمالا مارين بمدينة معان على مسافة خمسين كيلو مترا من المدينة الخالدة .

ما ان استرخيت فى السيارة حتى تذكرت ما قاله لى أوسكار فوهلر السائح النمساوى الذى كنت قد قابلته فى الليلة السابقة . قال أوسكار : انه ظل يحلم بزيارة البتراء طوال سنتين ونصف .. منذ تزوج.. لقد وعد زوجته بان يقضيا شهر العسل فى أغرب مدينة فى العالم .. بين اطلال المدينة التى كان الشراب فيها يدار بكؤوس من ذهب فى الحفلات الملكية .. وكلما اتى الشارب على ما فى الكاس .. قدم له الساقى الشراب فى كأس ذهبية جديدة.. بشرط ان لا يزيد ما يشربه المدعو على احد عشر كأسا ... ويستطرد أوسكار قائلا : ها هو الحلم قد تحقق .. واحضر انا وزوجتى بسيارتنا الخاصة الصغيرة من شارع لاينزر بفيينا لنقضى اياما حالمة سعيدة فى هذه المدينة الاسطورة .

تذكرت ايضا السائحة الافرنسية التى جاءت من بلاد السين .. ورأت اللوفر وفر ساى وصعدت برج ايفل .. جاءت لتلبس الكوفية الحمراء والعقال الاسود وتمشى فى الشوارع التى مشت فيها الملكة زوجة الحارث الرابع وهي فى نفس الوقت أخته .

تذكرت فيمن تذكرت المصور السينمائى الدانمركى وزوجته مصورة المناظر الساكنة .. وقد حضرا لالتقاط الصور والافلام السينمائية لحساب احدى شركات السياحة والسفر فى الدنيمارك .

عشرات هم الذين رأيناهم فى خلال الساعات الاربع والعشرين التى قضيناها هناك .. رجال ونساء مسنون وأطفال .. من اوروبا وامريكا .. وقارات غيرهما .. كل هؤلاء أتوا ليروا اعجوبة العجائب البتراء المدينة المنحوتة فى الصخر الاحمر الوردى .. ■■

بحر "ميت" فى اقصى الأرض !

● انه بحر اكتشفته بعثة امريكية حديثة ، عند القطب المنجمد الجنوبى ، به من الملح احد عشر مثلا مما فى البحار . وماؤه لا يتجمد ابدا .

زيت البترول يزيد فى انتاج المحاصيل

● انها طبقة من زيت البترول رقيقة ، مخلوطة فى مستحلب مع الماء ، ترش فوق الارض ، لا سيما فى الاراضى ذات الجفاف ، فيكون من نتيجة ذلك زيادة المحصول الى ان يبلغ ١١١٪ مما كان . حدث هذا فى تجارب ، فى زراعة الجزر ، والشماميات ، والبصل ، والقطن ، والبنجر ، والذرة الحلوة ، وكثير غير هذه من الخضراوات .

والتجارب التى اجريت فى اوروبا ، وامريكا الجنوبية ، وشمال افريقيا ، وفى الولايات المتحدة كلها عززت هذه النتائج .

ويعزى السبب فى هذا الى عاملين . اولهما ان الزيت يقلل من تبخر الماء من الارض فيحفظه عليها . وثانيهما ان الزيت يمتص من حرارة الشمس فيجعل الارض ادفا ، وهذا يعين على النمو . والنمو كذلك يكون اسرع ، واذن فالمحصول يكون أبدر .

ويمكن الجمع بين رش الارض بمستحلب الزيت ، وما تحتاجه الأرض من مبيدات للحشر ، فيضاف هذا الى هذا مرة واحدة ، ويرش الخليط .

الماء والصابون خير من كل شيء

● يوجد فى الأسواق اشياء للزينة كثيرة ، والكثير منها لتنظيف الجلد ، وجلد الوجه خاصة . ويقول بعض العلماء انه لا شيء ينفع لتنظيف الجلد وتطهيره كالماء والصابون ، فالصابون مع الماء يزيل الشحم ويحمل البكتير الذى يجد سبيله الى جلد الوجه وفيه يرقد .

الروس وعلم البلورات

● علم البلورات فرع من فروع العلم خطير . يبحث فى بلورات الاجسام ، كيف تتكون ، وكيف تنمو ، وكيف تترتب الذرات فيها . وهو علم يخدم علوما شتى ، منها علم طبقات الأرض ، وعلم الفزياء ، ويتصل بعلم الأشعة السينية اتصالا وثيقا .

فهذا العلم ، وجدوا ان اكبر معهد له فى الدنيا ، هو معهد علم البلورات Crystallography الذى بموسكو بروسيا .

هكذا سيكون السير في مركبة الفضاء

فى مركبة الفضاء سوف يكون فراغ ، ويكون الركاب مزودين ، كلٌ وحده ، بجهاز يعطيهم الهواء للتنفس . والجاذبية هناك سوف تكون صفرا ، لا عالية ولا واطئة ، والجسم هناك لا مقلوب ولا غير مقلوب، وليس هناك معنى لفوق ولا لتحت . ويكون الراكب غير مستقر على حال : ريشة فى الهباء . وإذن كيف يكون المشى ؟

وفكروا وابتدعوا ؟

ومن هذه الابتداعات ما تراه فى الصورة . فتاة لبست حذاء بنعله آلاف من الخطاطيف غاية فى الصغر ، دخلت كلها وسادة فى السقف بها آلاف من الأبازيم غاية فى الصغر كذلك . واشتبكت الأبازيم بالخطاطيف وارتبطت ، واستطاعت أن تحمل وزن هذه الفتاة . انها تستطيع أن تحتمل وزن ٤٣ كيلوجرام .

وهذه الصورة تمثل التجربة وهى على الأرض ، وللفتاة وزن . وغير ذلك بالطبع عندما تكون الفتاة فى مركبة الفضاء ، والوزن صفر . ان هذا الحذاء ، على مثل تلك الوسادة الملصوقة جيدا بأرض المركبة ، يربط الفتاة بأرضها . فاذا سارت انتزعت نعلا من بعد نعل . ونقول بأرض المركبة تجوزا . ففى الفضاء سيكون ما قد نسميه ارض المركبة على سطح هذه الأرض ، ارضا أو سقفا . انه لا معنى للأرض والسقف وغير ذلك من جهات ، والثقل الذى كان يربط الناس بالأرض غير موجود .

كيف اسقط الروس الجاسوس الامريكي ؟

● منذ سنتين اسقط الروس الطيار الأمريكى باور Power ، بطائرته U 2 وهو يتجسس فوق الأراضى الروسية كما قيل . وكان لهذا الحدث دوى فى العالم كبير . واستبعد الناس ان يكون الروس اسقطوه حقا وهو على هذا الارتفاع الهائل . واليوم يقول خبراء فى كندا ان الروس اسقطوه فعلا ، على هذا العلو ، بواسطة جهاز يسمى ناتار Natter ، ابتدعه المانى . وهو شىء بطىء ثم ينفجر . وقبل انفجاره ينزل عنه راكبه بمظلة تنزل به الى الأرض . وهو ينطلق الى الأعالى بسرعة اولية كبيرة ، ١١٠٠ متر فى الدقيقة . وهو اذ ينفجر على علو ١٢٠٠٠ متر يصل اثر الصدمة التى يحدثها الى ٣٠ كيلومترا حول نقطة الانفجار .

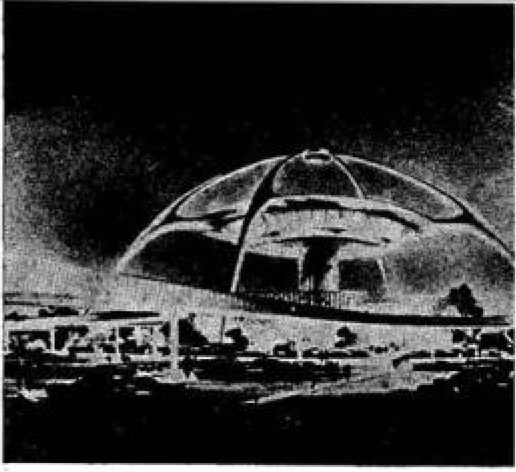

مطار عصر الفضاء

● هذه صورته. وهى لمطار مدينة لوس انجلس، وبها هولى وود ، وقد كاد ان يتم بناؤه . وهو بناء يوحى لك انه قد هم بالطيران . منحنيات من الفولاذ هائلة ، ومن الخراسانة يعلوها غطاء كطبق الفنجان المقلوب . وبالمطار الواسع كل ما يحتاج المسافر ، الذاهب والحاضر .

ولونه ابيض لأن البناء كله تغطى باللدين (البلاستيك) المعروف بالفينيل Vinyl، وتغطى كله فتحسب انه انما نحت نحتا من حجر واحد . وهذا اللدين يحميه من تأثير الجو مهما تقلب .

هل يصبح القمر مكانا لراحة الانسان ؟

● أخذ الناس يتحدثون عن القمر ، وعن الرحلة الى القمر ، وأخذ العلماء والأطباء يجارونهم فيما يزعمون وما يتخيلون . وينتهى أحد العلماء بأن يقول أن أسابيع يقضيها الانسان على سطح القمر خير من اضعاف لها يقضيها في مصايف الأرض ، جباله وبحاره .

والسبب الأكبر فى ذلك الجاذبية التى على سطح القمر ، فهى جزء صغير من جاذبية الأرض ، واذن يكون منها لقلوب المصطافين هناك راحة .

وتسأل كيف كان هذا ؟ والجواب ان بجسم الانسان المتوسط من الدم نحو ٨ التار ، وزنها بسبب جاذبية الأرض يبلغ نحو ٨ كيلوجرامات . والقلب مضخة تضخ كل هذا الثقل ليدور فى الجسم ، ثم هو الى القلب يعود .

والقلب ، على سطح القمر ، سيضخ هذه اللترات الثمانية ، ولكنها تكون أخف اضعاف المرات على سطح القمر منها على سطح الأرض .

على كل حال لن يتم الوصول الى القمر قبل عام ٢٠٠٠م .

توتر الأعصاب .. ينتج البنات !

● هذه نظرية جديدة يقول بها عالم الأحياء الأمريكي سنيدر Snyder . انه يربط بين حالة الزوج العصبية وما ينتج من ذكر أو انثى .

كان سنيدر فى الحرب العالمية طيارا يقود النفاثات ، وفى هذه الأثناء جاء بطفلتين . ثم ترك الطيران الى الحياة المدنية ، وفى هذه الأثناء جاء بثلاثة أطفال ذكور . وخطر له ان يسأل اصدقاءه ممن كانوا معه اثناء الحرب . فعلم انه من بين ٢٩ طفلا جاءوا لهؤلاء ، وهم طيارون نفاثيون ، كان ٢٧ من الاناث .

ويفسر العالم الأمريكى هذه النتائج بأن توتر الأعصاب بسبب المهنة كان له أثره فى الهرمونات الجنسية ، وان هذا الأثر انعكس على الكرموسومات التى بالحيوانات المنوية ، وكانت النتيجة انتاج البنات .

واليوم يقوم سنيدر باجراء تجارب على الحيوانات يكشف بها عن أثر التوتر العصبي فى انتاجها الذكور والاناث .

كم يحتمل الانسان من الحر ؟

● هذا الرجل فى لباس منفوخ بالهواء . وهذا الهواء يسخن ليكشف الباحثون كم يستطيع الرجل أن يحتمل من الحرارة ، وكم ساعة . والتجربة تجرى تحت اشراف مجلس البحوث الطبية بلندن .. ويراد منها ان يعرف الباحثون كذلك ، ان كانت خبرة الجندى المرسل الى المناطق الحارة ، فى مثل هذا اللباس الساخن ، ساعات ، تأقلمه ، فيصبح من بعد ذلك أكثر احتمالا لما قد يتعرض له من حرارة فى تلك المناطق .

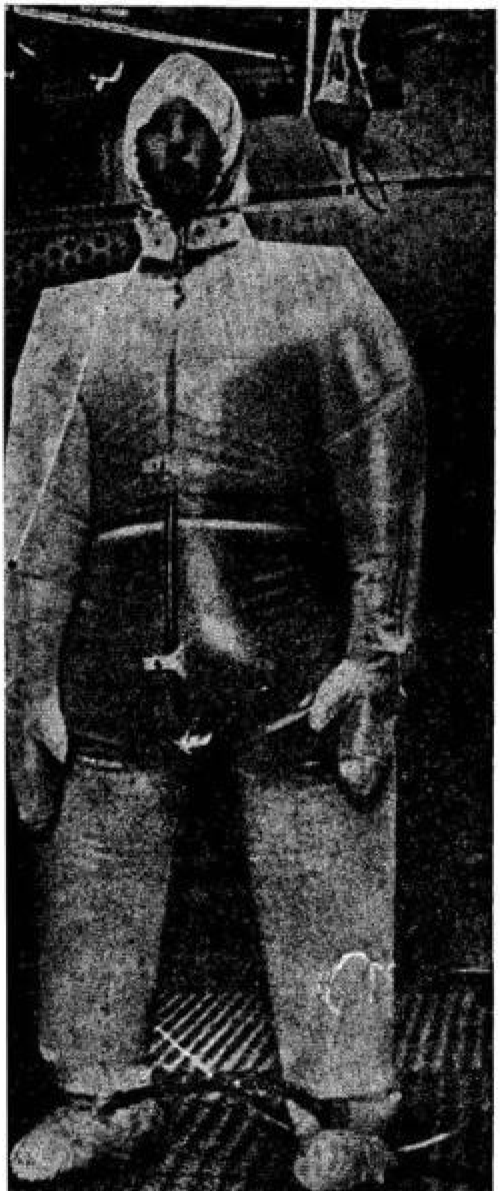

المرضات فى أزمة !

● ليس التمريض بالصناعة السهلة . ومن متاعبها ما تلقاه المرضات أحيانا من مرضى من الرجال متعبين عنيدين ، وتدخل رءوسهم معان للحب لا موضع لها . وهم أقوياء . فتجد المرضة أحيانا نفسها من هؤلاء فى ورطة .

ولقد تراءى لمستشفى نيوورك Newwark بنيوجرسى أن يدرّب عددا من المرضات على الرياضة اليابانية المعروفة بالجوجستو . فهن ، من بعد تدريب ٦ أسابيع ، يستطعن ان يلقين بأقوى رجل على الأرض . ويخصص هؤلاء للمرضى من الرجال المتعبين .

وهكذا يدخل الجنس الى المستشفيات ، فيضيف الى امراضها مرضا ، يعالج بالدقّ على الأرض .

ساعات العمل

● كان متوسط ما يعمله العامل من ساعات في الاسبوع في الولايات المتحدة في عام ١٩٠٠ : ٥٦ ساعة ، اي تسع ساعات وثلث في كل يوم من ستة ايام العمل عدا يوم الأحد . اما متوسط ما يعمله الآن من الساعات فهو ٣٩ ساعة ، اى ست ساعات ونصف في ستة ايام العمل الاسبوعي .

ومعنى هذا الصحة للكثيرين ، والتفرغ لأشياء اخرى هامة وشئون .

كيف تعالج الخصومات ، بين الافراد والامم على السواء

● بحوث اجراها علماء النفس ، في مخيم للشباب .

من هذه البحوث بحث عمد فيه الباحثون الى خلق اوضاع بين طائفتين من الشباب ، وهم لا يدرون ، اثارت بينهما النقاش الشديد ، والكلام الجارح ، والكراهة غاية الكراهة .

ثم خلق الباحثون ازمة ، كأزمة تعلقت بالعربة التي تحمل الى المخيم الطعام . لقد انكسرت في الطريق وتعطلت . وانقطع بالطبع عن المخيم الطعام . وامام هذا الخطر ، في البرية البعيدة ، نهضت الطائفتان الى اصلاح الحال بالجهد الشديد ... والتعاون .

وفي اثناء هذا الجهد المشترك اختفت الكراهة ، واختفى الكلام الجارح ، وحل محلهما اللطف والأدب .

وعند هؤلاء الباحثين النفسيين انه لن يمحو الخصومة بين الامريكان والروس ، الا خطر عالمي ، يدفعهما الى التعاون في دفعه . وعندهم ان تعاون افراد الامتين في حقل واحد ، كحقل علمي ، او حقل فضائي ، او حقل صحي ، يقرب بينهما ، ويزيل ما في قلوبهما من عداوة .

قماش ، ولكن لا يحترق

● انه في الصورة ، وقد سلط عليه لهب من البوري شديد الحرارة . ومع هذا هو لم يحترق ولم يسخ .

مصنع بمدينة سانت بول بالولايات المتحدة . وسموه Pluton وله بالطبع فوائد في الصناعات كثيرة اخصها عزل الحرارة ، واحتمال الشديد منها ، وحماية الاشياء التي به تتغطى .

وقد بلغوا به درجة ١٠٠٠ فهرنهيتية ، ولم يسخ والسبب في هذا انه لم يصنع من مادة عضوية . لا من قطن ، ولا من صوف ، ولا من نيل ، ولا من شيء اصله حي .

ان عنصر الكربون لا يدخل في تركيبه ، لهذا هو لا يحترق . وهو لهذا رديء التوصيل للحرارة وللكهرباء على السواء .

طبيب الأسرة

الطعام ، كم يستغرق من المائدة الى بيت الخلاء

ـ اذا انا اكلت غذائي في الساعةالثانية من بعد الظهر ، فكم يبقى الطعام في معدتي ،وكم في امعائي . وهل صحيحانه قد يبقى اياما . وكيف يعرفون ذلك ؟

● هذا يختلف اختلافا كبيرا بين الناس ، وبين الاعمار ، وبين الصحة والمرض ، وبين ذي الاعصاب الهادئة والمضطربة .

ولكن في العادة تفرغ المعدة من اكثر طعامها في ٣ ساعات ، ومع هذا قد تبقى فيها بقية قليلة تستمر ٥ ساعات او ست . ويمر الطعام من بعد المعدة في الاثنى عشري ثم في الامعاء الدقاق ، وهو يصل الى آخر هذه الامعاء ويتهيأ لدخول الامعاء الغلاظ بعد ٤ ساعات او اربع ساعات ونصف من تناول الطعام . ثم هو يصل الى الامعاء الغلاظ ويملأثلثها الاخير والمستقيم ويتهيأ للخروج وذلك بعد نحو ١٢ الى ١٥ ساعة من تناول الغذاء .

وصحيح ما تقول من انه في بعض الناس قد تبقى بقية من الطعام في الامعاء اياما . اما كيف يعرفون هذا ، فالأمر بسيط . يطعمون الرجل طعاما من سويق مثلا ، ويخلطونه بمادة لا تنفذ فيها اشعة س، فهي تظهر معتمة عندما تسلط عليها هذه الاشعة . والواقع هي مادة كبريتات الباريوم . ثم تراقب القناة الهضمية من حين لحين وتسجل اوقات مرور الطعام بها الى ان تصل الى المستقيم .

زوجي في بوله دم

ـ زوجي اخذ يبول البول مخلوطا بدم . فهل هذا شيء خطير جدا ؟ وأي الاطباء المختصون بهذه الحالة ؟

● الطبيب الذي تريدين هو طبيب المسالك البولية ، فهو وحده الذي يستطيع ان يكشف عن سر هذا الدم ، من اين ياتي ، فهو قد ياتي من المثانة ، او هو ياتي من الحالب الذي يجري فيه البول من المثانة الى الخارج ، او هو ياتي من الكلية التي تقطر البول من الدم لتصبه عن طريق الحالب الى المثانة .

ثم بعد ذلك ، على الطبيب المختص ان يكشف سبب هذا الدم ، هل سببه عدوى ، ام سببه حصوة ، او سببه جرح وقع . كل هذه يكشفها الطبيب المختص، فاطلبيه .

أمي جاءتها حصوة فى الصفراء

ـ امي جاءتها حصوة فى الصفراء ، انتهت بعملية جراحية لاستخراجها ، فكيف تكونت هذه الحصوة وما اسبابها ؟

● لشرح الحصوة لا بد من معرفة الحويصلة الصفراوية، وعلاقتها بالجسم والهضم . ان الحوصلة الصفراوية كيس موجود تحت الكبد مباشرة ، وطوله نحو ٤ انشات او بوصات او عقدات ، وعرضه فى اوسعه نحو انش ونصف . وهذا الكيس يتصل بانبوب يتصل بانبوبة الكبد حيث يصنعان معا الانبوبة الصفراوية العامة التى تصب فى المعى الاثنى عشرى .

ونقول تصب . فما الذى تصبه هذه الحويصلة الصفراوية ؟

ان الحوصلة مخزن تتجمع فيه الصفراء ، الى ان يخرج الطعام من المعدة ويتهيأ للهضم فى الامعاء ، وعندئذ تخرج الصفراء عن طريق الانابيب التى ذكرنا وتنصب مع الطعام لتهضمه ، وهى على الأخص لهضم المواد الدهنية التى فى الطعام .

ولكن يحدث أن تصاب هذه الحوصلة بالتهاب ، يأتيها غالبا من مكروبات تدخل اليها من القناة الهضمية .

وقد يحدث مع هذا الالتهاب ، ومع تكراره ، ان تترسب الصبغة التى بالصفراء للذى اصابها هناك من ركود . وينفصل منها رمل يعرف بالرمل الصفراوى ، ينضم بعضه الى بعض فتكون الحصوة الصفراوية .

وهذه قد تكبر فتسد القناة الموصلة الى المعى الاثنى عشرى ، الذى هو بعض القناة الهضمية وهو يقع بين المعدة والامعاء الدقاق . وبانسداد هذه القناة يصاب الشخص بألم من العن الآلام التى عرفها الانسان ، ذلك المغص الصفراوى .

واذ تمتنع الصفراء من الوصول الى الامعاء يتعطل هضم المواد الدهنية . وعدا ذلك فالصفراء التى لا تجد لها منصرفا الى الامعاء ، تجد لها منصرفا الى الدم فتجرى فيه ليصطبغ الجلد بها فيصبح أصفر ، ويظهر كذلك فى الوجه .

وهذه الحصوة لا تذوب . وعندئذ قد تحتم الجراحة لازالتها . وكثيرا ما يزال الكيس الصفراوى كله فى هذه الجراحة ، واذن لا يكون هناك مخزن تختزن فيه الصفراء ، وانما تصنعها الكبد وتصبها على الفور فى القناة الهضمية .

وهذا هو الذى احسبه جرى فى حالة والدتك .

ابنتى لا تحب اللحم

ـ لي بنت عمرها ٧ سنوات ، وهي ترفض أكل اللحم والبيض والجبنة وحتى السمك . وبقي لها على هذا الحال ٣ سنوات . وهذه بالطبع كلها مصادر للبروتين الذى هو أحد العناصر الثلاثة الواجبة فى التغذية ، مع الدهن والسكريات ، كما قرأت فى العربى . وكل ما تستطيع تناوله من هذه الأطعمة المذكورة لا يزيد على قطعة صغيرة من البيض او اللحم . الا اللبن ، فهى تحبه حبا شديدا ، حتى لتشرب الرطل منه . والغريب من بعد كل هذا ان صحتها جيدة .

● بالطبع صحتها لا بد أن تكون جيدة . انها تعاف مصادر البروتين التى ذكرت ،ومع هذا هي لا تعافها بالمرة . انها تأخذ قضمة من هذا وقضمة من ذلك كما تقولين . ولكنها فى مقابل ذلك

عادتي مضطربة

ـ عادتي الشهرية مضطربة ، واريد ان اتزوج ، واني اتساءل هل مع هذا الاضطراب استطيع انجاب الاطفال .

● انت مصيبة فى سؤالك هذا ، وفى خشيتك هذه . لأنك ان لم تفعلى فى هذا الامر شيئا فقد تجدى نفسك غير قابلة لانتاج الاطفال ، او قد تحدث اشياء ، هى الآن غير منظورة ، وجب كشفها ومعالجتها قبل ذلك .

اذا اضطربت العادة الشهرية دلّ ذلك على غلط فى مكان ما . وقد تكون له اسباب كثيرة : كيس فى المبيض ، خلل فى الوظائف الهرمونية ، عدوى فى الرحم ، عدوى مزمنة ، وحتى مرض القلب . وكل هذه امور قابلة للعلاج . فاذا هى عولجت لم يكن بينك وبين الحمل عائق .

تشرب رطل لبن . ان رطل اللبن به وحده نحو ٢٠ جراما من البروتينات . والخبز الذى تأكله به بروتين . وسائر ما تأكل لا يخلو من البروتين . فلو انك حسبت ما تأكل من بروتين لبلغت الى نحو الستين جراما التى تحتاجها البنية .

ودليل ذلك انها بصحة جيدة .

ولدى مصاب بالصرع

ـ انا وزوجتي كلانا فوق الثلاثين وتحت الاربعين . وقد انجبنا ولدا عمره الآن ١٤ شهرا . وعند بلوغ الشهر السادس من عمره ، بدات تجيئه نوبات من الصرع . وهو الآن متخلف فى الذكاء ، ويقول لى الطبيب انه عندما يكبر سوف يدخل الى بيت للتمريض العقلى ليقضى فيه بقية حياته . والمسالة التى تجابهنى انا وزوجتي اليوم ، هى ماذا يحدث لطفل ننجبه جديدا . ايكون مثل سابقه ؟

● اولا يجب أن تعرف ان الصرع لا يسبب التخلف العقلى ، وان المخ قد يعتريه خلل وهو يتخلق فى الرحم ، او عند الولادة او بعدها ، فيكون منه صرع ، ويكون منه تخلف ذهني . وهما شيئان منفصلان . والخلل الذى يصيب المخ فيحدث هذا بعضه وراثى ، ولكن اكثره يأتي اعتباطا . ولكى تتأكد من ان طفلا آخر لن يجيئك بمثل هذه العاهة يجب فحص حال ابنك هذا للتعرف على نوع الخلل تماما . ومع هذا ، فهذا ليس دائما فى الامكان ، امكانا لايداخله بعض الشك . والاحصاء يدل عامة على ان هذه العاهة لا يتوارثها ، فى الكثير ، الابناء عن الآباء .

على كل حال راجع طبيبا مختصا فى امراض الاطفال ، فقد يعين فى طمأنتك وطمأنة زوجتك . وارجو لكما الصبر والخير .

مِنْ مذكرات رَجُل لاقيمَة لَه

بقلم : سعيد حورانية

إنهم الآن ينتظرونني في المقهى .. لتذهب ساعات النوم اللعينة هذه الى الجحيم .. النوم !! النوم !! يالهذا الموت اللذيذ الذى يطاردني كل يوم . سبعة سباتي ، آس كبا .. شو بتشربو يا شباب ؟ وصوت مائع يغرق المقهى المتوتر في ضجيج لا معنى له ، وشفاه تصيح : سكّر الراديو .. العمى .

اصابعي ترتجف ، لو حدثت المعجزة ، وجاءتني الخمسة الديناري حفرا بين هذه الورقات الاربع ، اذن لنزل قلبي الى موضعه ، ولاسرعت الى اللوح لأسجل ربحي ولأمسح الآخرين ، أمسحهم مسحا واستمتع بمرأى وجوههم الصفراء وهم يتمتمون بحقد :

ـ حظ فظيع .. اذهب الى الروليت اشرف لك .

اين انت ايتها الشيباء المدماة الحلوة ؟ .. ها انذا اسحب ايضا .. وايضا .. وايضا .. اين ؟ .. يا اجمل من خد متورد لحسناء .. الخمسة الديناري . اهرب !! اهرب . امامك متسع من الوقت قبل ان تنفرج شفتان لترفع الرهان: فيشة .. دق يا قلبي .. اثنتان .. ثلاث .. تك .. تك .. تك .. أربع .. ست .. عشر . بم بم بم ، اليدان ترتجفان ، وانت تنظر الى الشفتين وتكاد تتوسل : على مهلك ، ورقنا ميت ، يأتي كله مزدوجا دون ان تركب ورقة على اخرى ، صدق المثل : مثل ورق الشدة (ورق اللعب) كل ورقة شكل .. دقيقة يا شباب ساذهب لابصق على حظي الاسود .. قه قه قه .. ساذهب لابول على كلب جوير ، ولكن الشفتين تنفرجان :

ـ صولد !! (كلمة يقولها المقامر عندما يراهن على كل ما هو امامه) .

وتصفر الوجوه .. شو بتشربوا يا شباب ؟ عندنا قهوة .. شاى .. زهورات .. كازوز .. ليمون .. تمر هندى *. كسما .. نومي .. والصولد معلق فوق الراس كسيف ديموقليس ، والعينان اللتان يفصلهما عن الشفتين المرتجفتين عشرة سنتيمترات يحتلها انف قبيح ، تتأملان الثلاثة بتشف وانتصار ، وهم مكبون على اوراقهم يحسبون ويطرحون ويجمعون ..

ـ ليش الصولد . والله مثلي مثلك انقصني ورقة .

ولكن العينين تظلان ثابتتين وينفرج تحتهما الفحيح :

ـ قلت صولد وبس اللي بدو يجي .. يشرّف .

العمى في سما هذه الضجة ، والصوت المائع لا يزال يدوى :

أتسالك ازاى اتسالك

وانا قلبي معـاك

يا هاجرني ارحم شوية

وترتخي الأيدى بخزى .. لا • . اربح .. اربح .. صحتان ..

حياة كلاب ، حياة لصوص . كل يوم أنظر الى البارودة الستة مليمتر المعلقة فوق رأسي .. طلقة واحدة على الزناد بابهام القدم اليمنى على الصدغ الأيسر وتنتهى المشكلة . الموت لـذيـذ كالنوم ، ولكن لنفرض أن الرصاصة الصغيرة لم تقتل ، لنفترض انها دخلت الأعصاب الشبكية أو ما لا أعرف ، واعدمتك البصر ، ونجوت لتحمل عكازا فوق حملك الحياة ؟ هل باستطاعة الانسان ان يضرب طلقتين مرة واحدة ؟ هل يستطيع تحمل الضربة الأولى ثم يدير الرأس على الصدغ الأيمن والبارودة على الابهام الأيسر ليجرب حركة اخرى ؟

يا استاذ .. وجهك أصفر كالأموات .. انت قلت لنا البارحة ان اسم انّ منصوب.. ويتهالك الأستاذ على المنبر .. لو ان الخمسة الديناري اللعينة انت حفرا بين السبري؟ اذن لمسحتهم مسحا .. انت يا ولد .. العب جاء دورك .. عفوا عني اكتب الدرس خمس مرات .. نعم أنت فى آخر الصف .. العب .. اعني اكتب جيدا . ووجه أبى الغاضب وعينا أختى المخضلتان بالاشفاق تدوران وتكبران وتكبران وتكبران .. حي على الصلاة .• حي على الفلاح ، والخمسة الديناري تكبر وتكبر وتكبر ويصبح كل رقم فيها كقلعة حلب .. ويدان تهزانني لاستفيق من النوم ، والعرق يغرق بدني اغراقا .

يالـه من كابوس روتيني .. أحـلام مجنون ونظرت الى وجه أختى الذى لا يزال به أثر من نــوم .

ــ الساعة ثمانية الا ربـع .. تأخرت عـن المدرسة .

قمت بتكاسل وانا اجرى حسابا سريعا كانت نتيجته انني لم أنم سوى ساعتين ونصف . نظرت الى المرآة ، من يصدق ان هذا الوجه وجه انسان ؟ وجه اعبس كنود ، لحيته لم تحلق منذ أيام لضيق الوقت ، وجه مومياء ، تنتظر ضوء الشمس ونقى الهواء لتتفتت . لبست القميص الأبيض النظيف على رقبة لم تغسل منذ اسبوعين لضيق الوقت ايضا ، وتنهدت أختى ونظرت الـى يديهـــا المسلوختين من الغسيل ، ولكنها لم تتكلم : كانت الثورة على لساني ويدى ووجهى المظلم كلـه قالت :

ــ هيأت لك لقمتين .

اجبت بجفـاء

ــ ما فى وقت !!

واشعلت سيجارة انساب دخانها فى حلقى وكاد يتوقف •

استقبلت نسم الصباح خارجـا بسرعة . الساعة الثامنة الا خمس دقائق ، والمـدير لا يرحم ، والطلاب بدأوا يلاحظون الغرابة في وجهي وتصرفاتي وأقوالي .

كانت البنيات الصغيرات ذاهبات الـى مدارسهن . شرائطهـن البيض المعقودات خلف شعورهن الناعمة كفراشات مضطربة ، وملابسهن السود وكتبهن اللاتى يتابطنها ويضعنها فوق القلب ، تذكرني بعالم ذى ثلج ابيض .. ودمعت عيناى .. لا شك ان قرصة البرد هي السبب ، وليس هناك عامل آخر .

وعند باب المدرسة ، فى الساعة الثامنة تماما ،

رأيت المدير . كانت نظرته جارحة كالصقر ، نظر الى لحيتي الرهيبة السوداء ، والى هندامي ، واحمرار عيني واصفرار وجهي نظرة متفحص ثم مزور ، وكلف نفسه بأن رد بتمتمة ما من بين شفتيه على تحيتي الوجلة . وفي الصف كانت تنتظرني مئة عين مدققة ، تعودت على صوتي الخشن الذي أحرقه الدخان ، وخرشه السهر ، وعلى عيني الداميتين *. عيني سكير ومقامر ، وعلى الغضب السريع والغلط والتناقض .. ولكنهم مع ذلك كانوا يحبونني من أعماقهم ، ماذا أقدم لكم يا أصدقائي الصغار ، قلبي ؟ يا له من بخل أن يقدم الانسان شيئا لا يفخر به ، كيف أقدم لكم قلب عبد ، عبد لأوراق تحملها الأيدي المرتجفة بتعبد . أنا أشعر الآن انه ليس هناك في هذا الجسم الذي قدر علي أن أتحرك به شيء أصيل : الأيدي لحمل الورق ، والقلب للانتظار ، انتظار أول غبش يضرب صفحة السماء لأسرع الى المقهى ، والعقل للتفكير الممض في طريقة لاستجلاب المال لألعب وأخسر ، لم تبق الخسارة والربح الشيء الأساسي الذي يثير اهتمامي .. المهم أن أمسك الورق .. أن ألامسه ، وأن ترتجف يدي بحمله .. أن ألعنه .. أن أعبده .

لم يكن ضيقي بالدروس ليقل بحال عن ضيق الطلاب ، كنا جميعا ننتظر الجرس كما ينتظر السجناء فسحة المساء ليخرجوا الى الهواء الطلق ويتنفسوا شيئا من هواء الانسان الحر ..

ـ ولك يا حسن بدون كلام .

وهويت بيدي على الخد الضامر الشاحب وحدقت فيَّ أذكى عينين في الصف مدهوشتين مؤنبتين ، وقال حسن بهدوء :

ـ لست أنا الذي تكلم ..

وبدا انه يبذل جهدا كي لا يبكي .

ـ لقد كنت مريضا .. وجئت خاصة .

وسكت وأكمل آخر .

ـ لقد جاء خاصة ليحضر درسك ..

ودق الجرس المنقذ وخرجت كالمخمور الى البيت .. لقد جئت خاصة .. لقد جئت خاصة ، وبعد خمس دقائق فقط كنت انام بدون طعام .. رقاد الظهر هوالوحيد الذي يريحني ، اذ يكون التعب قد بلغ بي حدا يمنع عني الأحلام .. أنام كالخشبة ثلاث ساعات وعندما يأتي المساء أحس كأن يدا سحرية تهزني من النوم ، لقد حان الوقت ، واستفاق اله الورق الخفاشي ، وجاءت ساعة القدر التي لا مفر منها .

لا أعلم لماذا خطر لي في ذلك اليوم أن احلق ذقني وأن ارتب شعري . وخرجت من البيت وانا اكثر ثقة من أي وقت مضى ، بأي شيء ؟ هذا ما لم افكر فيه وما لا ادري ما معناه .

وعند باب القهوة اصابتني الحمى مرقواحدة ، اخذت ارتجف ، وخفق قلبي فشعرت به كعجوز مشرف . وملأت أنفي الرائحة المألوفة التي هي مزيج من رائحة الخمر والقهوة وانفاس التنباك ودخان السجائر والناس المنتنين . وسرت كأنني منوم فدخلت الى طاولتنا المفضلة ، ورأيت اثنين من الشلة ينتظران وعيونهما معلقتان بالباب دون ان يحركا شفاهما بكلمة :

ـ مرحبا

ـ مرحبا

كم أكره وجوههم *. لقد تعرفت فيها على وجهي الصباحي .

كان الورق على الطاولة يأكل حبة قلوبنا .

وضربت كفي صارخا :

ـ أبو احمد .. اوقية لحم شقف بدون دهن ، وصحن حمص . وبطحة عرق شلهوب واكثر من السرفيس .

ـ امرك .

الوقت ثمين .. الورق على الطاولة صامت كأبي الهول ، وصاحبنا الرابع لم يأت بعد ، وتململنا ، ونظر بعضنا الى بعض . ربع ساعة ، نصف ساعة ، ووصل اضطرابنا نهايته ، انتبهت اكثر من اي وقت مضى الى الضجيج . كان بجانبنا رجل يحلف بالطلاق انه لم يسرق الجوكر ، وآخرون يعربدون ويرافقون الراديو وصوته المتميع ، وهناك في الزاوية جلس شباب يتحدثون في السياسة *. السياسة ؟ هه .. لقد تم انقطاعنا عن العالم ، والمقهى هو عالمنا الفريد والهنا هو الورق العظيم .

وفي غرف جانبية كان الصمت يسترعي الانتباه!! ان آخرتنا هناك !! في هذه الغرف الجانبية ، حيث لا يخرج المقامرون الكبار منها على الاطلاق ، وحيث تبدأ الفيشة بخمس ليرات فلا يخرج الواحد الا رابحا او خاسرا مئات الليرات ... وارتجفت .. أكان ذلك ذعرا من الهاوية ؟ لقد جئت خاصة لأحضر درسك .. شربت الكاس حتى نهايته ، ونظرت الى الورق ، وبدأ وجدي يصل قمته ، اين الرابع ؟ لا بد من رابع ، كنت

اتمنى ان ياتى اى رجل ، مضى الزمن الذى كنت انتقى فيه من يقامر معى . أصبح كل من يمسك الورق مصفرا مرتجفا ، صالحا لان يجلس معنا ولو كان غشاشا او ساقطا او سكيرا او ذا سمعة سيئة معروفة ، المهم ان نلعب ونلعب ونلعب حتى ينطفىء العالم .

ـ بتسمحوا يا شباب .

ـ اتفضل .

لعلى الوحيد الذى اهتم بالوجه . لقد كان قهرمانيا تجاوز الستين ، ورمقنا خادم القهوة ، ورفع حاجبيه استياء واستنكارا كانه يقول : ولو .. الى هنا وصلنا ؟ ولكننا لم نبال ، لقد جاء الرابع .. وانه ليستحق الشكر على هذا التفضل.

وكالعادة كان حظى سيئا ، وكنت ازجي اللعنات للورق والحظ والدنيا ، واتفوه بكلمات ابعد ما تكون عن معلم اطفال .. واستمرت خسارتى .. والغريب صامت عابس يربح ويربح بهدوء ، وتمخط ثم بصق على الارض من بين اسنانه الدرداء .

وقمت لاغسل يدى .. كانت انفاسى تتقطع ، ونظرت الى وجهى فى المرآة ، كان محتقنا بائسا كوجه شهيد . وقفزت الى ذهنى كلمات عجوز سائلة عند باب المقهى ، قالت لى ذات يوم وانا خارج فى الصباح من المقهى :

ـ يا اسفا على شبابك .

شبابى .. حياتى .. امى .. ابى .. اختى .. التلاميذ . لقد جئت خاصة لاحضر درسك .. الوطن .. العالم .. كل هذه اشياء لم يعد لها فى ذهنى اى معنى او دلالة .. يجب ان استمر فى الورق والسكر حتى يصبح لحياتى معنى . ركضت الى الحديقة وحيدا اترنح واخذت ابكى بشقاء عظيم .

وعدت محطما الى المذبح .. وجلست وامسكت بالورق .. وجاءنى الآس منذ اول توزيع ، ثم الملك ، ثم الملكة ، ثم الولد ، ثم العشرة : ورق فى غاية القوة ، لا ادرى لماذا افرح .. واخذت افكر .. ما الفرق بين هذا الورق والورق السيىء الذى كان ياتينى ؟ لا شىء .. واستمر التوزيع واستمر صعود الورق .

اخذت ازيد بارقام كبيرة دون اية حماسة ، وانسحب رفيقاى ، وبقى الغريب بوجهه العابس وبصقاته المتكررة يلحقنى وفجاة قال :

صولد .

وقف الورق فى يدى ، وعلت وجهى رفيقى امارات الدهشة بعد ان نظرا الى ورقى .. لا يمكن ان يتغلب على هذا الورق الا اعلى ورق فى السلم ، وهو ما لا يجتمع عند اللاعب الا مرة كل سنة .

قلت بحقد واحتقار :

ـ ماذا تحمل ؟ اهرب احسن لك .. عندى اعلى ورق يمكن تصوره .

ولكنه اجاب :

صولد .

فى مثل هذه الحالات لا بد للاعب اذا كان يحترم نفسه من اللحاق ولو كان متاكدا من الخسارة مائة فى المائة ، والا فما ادرى ماذا يسمونه .. وكان هذا الدور يدعى فى عالم القمار (حكم الورق) واذا لم ينزل اللاعب عند هذا الحكم الشيطانى يخسر سمعته .. نظرت الى الوجه الغريب امامى والى الورق الرائع بين يدى وهو ينظر الىّ برهبة وحزم . الحق يا جبان .. الحق يا عبد .. والضجة تكبر ووجهى يحتقن اكثر فاكثر .. الله يخلى شبابك .. لقد كنت مريضا وجئت خاصة لاجلك .. لقد اعطيتك هذه الاوراق لتلحق .. الحق يا صفر ، وانزلت يدى وقلت بهدوء :

ـ باس .. انسحب .

انفجرت دهشة محتقرة فى عيون ست ، وساد صمت مربك قطعه الغريب هذه المرة ببصقة منكرة مشمئزة ، وادار صديقاى وجهيهما لكى لا تلتقى عيوننا ، وتهالكت على المقعد ، وانا اشعر بحرية لا حدود لها .. وانطفا العالم حولى وخفتت الضجة ثم قمت .

ـ بخاطركم .

ولم يرد احد .

وخرجت من باب المقهى وانا احس اننى خفيف كليف ، كان العالم ضحكة كبيرة سوداء وتمثلت لى الف صورة .. فراشات البنيات عند الصباح ، وجوه الطلبة ، اعتذر لك من قلبى يا حسن .. ابى امى اختى .. كانوا كلهم يبتسمون . حتى المدير كان يبتسم ، وعند الباب رأيت الشحاذة العجوز . نظرت اليها ثم اخرجت كل ما بقى معى واعطيتها اياه .

قالت من اعماقها :

ـ روح الله يخلى شبابك .

فانحنيت حتى الارض لاول انسان حر ، رايته فى عالمى الجديد . ■■

سعيد حورانية

النعمان بن مقرّن

● الصحابى الذى كان على ميمنة ابى بكر الصديق يوم طمع المرتدون فى غزو المدينة .. فانتصر

● والذى ولاه عمر امارة الجيش ، فطوى دولة الفرس ، وهزم يَزْدَجِرْد والفَيْرزان

بقلم : ابراهيم أدهم الشهيد

■ هو احد اولئك الفرر الاخيار ، الذين انساحوا فى فجر الاسلام شرقا وشمالا وغربا كالبرق الخاطف ، وانبعثت صيحتهم كالرعد بجلجل فى الآفاق ، فصعقت امم وطويت رايات ، وساروا برسالتهم الانسانية الى منتهى الخف والحافر ، ورفعوها عالية على كل سهل،يوم لم تكن بين العرب فتنة ولم تكن فرقة : بل امة واحدة ، ودعوة واحدة ، وامر واحد، ورجال شم مؤمنون ، رهبان بالليل فرسان بالنهار ، قد ضربوا اروع الأمثال فى انكار الذات ، وصدق الجهاد وتنزيهه عن عرض الدنيا، وجمعوا تصديقا بالقدر واخذا بالحزم والقوة ، وآمنوا بأنهم انما يقاتلون لخير الانسانية بأعمالهم وبالنصر الذى وعدوا به ، لا بكثرة عدد ولا بفضل جلد ، وبأنهم خير الناس للناس .

وكان الصحابي الجليل النعمان بن عمرو بن مقرن المزنى رضى الله عنه ، من أوس مزينة ، ومزينة احدى قبائل الرباب من مضر . قال دغفل الشيباني : كانوا فى الجاهلية أهل منعة وفى الاسلام اهل دعة . منهم زهير بن ابى سلمى وكعب بن زهير . ولقد ثبتت مزينة على اسلامها يوم ارتدت القبائل .

ومقرّن من قولهم قرنت البعيرين: اذا لزّ احدهما بالآخر . واخوته الستة صحابيون مثله وليس فى الصحابة سبعة أخوة سواهم . قال ابن مسعود . ان للايمان بيوتا وللنفاق بيوتا ، وان من بيوت الايمان بيت ابن مقرن .

أسلم ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى رجب سنة خمس فى اربعمائة راكب من مزينة وكانوا أول من وفد من مضر . وقيل كان أول من وفد من مزينة خزاعى بن عبد نهم سادن الصنم « نهم » . وسواء أكان الوفد الاول هذا ام ذاك ،

فان النبي صلى الله عليه وسلم جعل لهم الهجرة في دارهم . ومن ذلك عدّ النعمان مهاجرا هو واخوته .

شهد الاحزاب ، وهي أول مشاهدة ، لم شهد بيعة الرضوان ، وكان معه لواء قومه يوم الفتح في أصح الروايات . وذكره ابن حزم فيمن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث .

وكان كبير الحظوة عند الخليفتين أبي بكر وعمر ، موصوفا لديهما بالنجدة والبأس وبالرأي والنجار ،فكانا يدخرانه لكل يوم عصيب : جرده أبو بكر لقتال الردة ، وجرده عمر لحروب العراق.

أول الفتح

لما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته بعث اسامة على أهل المدينة ومن حولهم ثم قبض وخلت المدينة من وجوه المسلمين وحدهم ، ارتدت القبائل وانحازت الأنصار ، واشرأب النفاق بالمدينة، وقام المسلمون مقاما كادوا يهلكون فيه « ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها » وطمع

المرتدون بغزو المدينة لقلة من فيها ، ثم طرقوها غارة مع الليل ، فخرج فى اثرهم ابو بكر فى تعبيته وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، فالتقى بهم مع الفجر فاقتتلوا اعجاز الليل ، ووضع النعمان فيهم السيف ، فجذ عروقهم ، وتفرق المنهزمون طرائق. ودعي انتصاره هذا « أول الفتح » . وهو بحق كان أول الفتح ، فقد فل حد المرتدين وكان بداية لسلسلة انتصارات عليهم ، وعاد الاسلام عزيزا بعد ان كاد يعود غريبا كما بدأ .

ولما عاد بعث اسامة الى المدينة ، وعقد ابو بكر لقتال الردة ألويته لامرائه الاحد عشر ، لم يكن النعمان أحد أولئك الأمراء . ولعل الخليفة احتفظ به للدفاع عن المدينة .

الا ان اسم النعمان لم يكد يختفى الا ليظهر فى حروب العراق من القادسية الى نهاوند . وفى هذه المرحلة الحاسمة فى تاريخ العرب والاسلام ، يقف الفرس أمام فاتح ذمر لا يقف له شيء ، قد ملك الرأى ومرس الحرب ، وتتحطم جموعهم على صفاته التى لا ترام .

أمير وبشير

سرح عمر سعدا فى وجوه الناس وسرواتهم لحرب العـــراق ، وتحلبت جموع يزدجرد الى القادسية كقطع الليل ، وكتب سعد الى عمر : « انا بمنحاة دنيا عريضة دونها بأس شديد » فكتب اليه عمر : « لا يكربنك ما يأتيك عنهم وما يأتونك به ، واستعن بالله ، وابعث اليه رجـــالا من اهل المنظرة والرأى والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم » . فاختار سعد عشرة ممن عليهم نجار ومهابة ولهم آراء واجتهاد وجلد ، منهم النعمان بن مقرن والأشعث بن قيس والمغيرة ابن شعبة ، وجعل عليهم النعمان ، وارسلهم الى المدائن دعاة ليزدجرد . فدخلوها « عليهم المقطعات والبرود ، وفى أيديهم سياط دقاق ، وخيلهـــم العروات تخبط ويوعد بعضها بعضا وكلها صهال». قال بعض من سبى من الفرس وحضر هذا اليوم : « وثاب الناس ، ينظرون اليهم ويسوؤهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم ، فلم ار عشرة يعدلون فى الهيئة بالف غيرهم » .

فلما دخلوا على يزدجرد طار به الرعب ووقع ، وتطير منهم ، وقال فى نفسه : ذهب القــوم بمفاتيح ملكنا ! ولكنه جمع اليه اشتات نفسه وبادرهـم الشـدة ـ وكـان سيء الادب ، فقال لهم : « ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه انى مرسل اليكم رستم حتى يدفنكم ويدفنه فى خندق القادسية ، ثم اورده بلادكم حتى يشغلكم فى انفسكم باشد مما نابكم من سابور » !

فاجابه النعمان : « ان اللــه رحمنا فارســل الينا رسولا ، فعرفنا فضل ما جاء به على الــذى كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم امرنا بمن يلينا من الأمم فندعوهم الى الانصاف . فنحن ندعوكم الى ديننا ، فان ابيتم فالجزية فان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المناجزة » .

ولما فصل الوفد من عنده عبأ الفريقان للقتال ، ثم كانت الحرب فاصطلت جيش يزدجرد وامتلا بجثثهم خندق القادسية ونهرها ، وكتب سعد الى عمر : « انما هى سربة قد ادركناها والارض بين ايدينا » !! وكان الذى قدم على عمر بشيرا بالفتح النعمان فى رواية .

جباية الخراج

وبعد فتح المدائن ولى عمر أو سعد النعمان جباية الخراج مما سقت دجلة، وهو كورة «كسكر» وتابع سعد قتال الفرس بحلوان ، وكان يزدجرد يفر امامه كالوعل المجفل من بلد الى بلد ، وكان النعمان يتململ أسفا لما يفوته من الجهاد ، فكتب الى عمر : « أنشدك الله لما عزلتنى عن كسكــر وبعثتنى الى جيش من جيوش المسلمين .

الا ان عمر بعد فتح حلوان لم يأذن للمسلمين بمتابعة القتال .

فتوح الأهواز وفارس وأسر الهرمزان

ولكن يزدجرد انتهز هذه الهدنة ، وظن كــل خرق يرقع ، فضم اطرافه وجمع كيده وعقــد للهرمزان على الأهواز وفارس ، وزوده بجيش لجب .

فكتب عمر الى سعد ـ وقيل الى عمار ـ أن وجه الى الاهواز جندا كثيفا من اهل الكوفةواجعل عليهم النعمان بن مقرّن ، وعجل . وكتب الى ابى

موسى ليوجه اليها جيشا من اهل البصرة .فسبق النعمان فى اهل الكوفة ، فعبر دجلة وجاز الى الاهواز على البغال ، وترك ردءا بسوق الاهواز ثم سار الى الهرمزان ، فواقعه « بأربك » فهزمه واخلها ، ثم أخذ « ايذج » ثم واقعه « برامهرمز » فهزمه ولحق « بتستر » حيث أوعبت امدادات فارس والجبال ، فمال اليها النعمان ثم اناخ عليها واحكم الحصار . ووصل الى تستر جند البصرة ، ثم امدهم عمر بأبى موسى ، واستمر الحصار اشهرا زاحفوهم فيها ثمانين زحفا . ثم تدب كل من النعمان وابى موسى رجالا دخلوا المدينة من سرب وقتلوا حراس بابها ، ودخلها المسلمون واعتصم الهرمزان وعظماء مرازبته بقلعتها حتى استسلموا وسيقوا الى عمر .

وبعد فتح « تستر » توجه النعمان وابو سبرة ابن ابى رهم الى « السوس » التى لاذ بها الفلال وحاصراها . وقبل سقوطها جاء كتاب عمر يصرف النعمان الى نهاوند،فضيق عليها وعلى«جنديسابور» الحصار قبل مضيه حتى سقطتا . واقام « بماه » حتى وافاه اهل الكوفة فنهد بهم الى نهاوند .

يزدجرد يستعد ويجمع اكبر جيش لقتال العرب

لما سقطت المدائن رأى يزدجرد مدنه وقلاعه تتساقط امام العرب كورق الخريف ، ورأى هام جيوشه تنتثر على الارض كقشر بيض النعام ، ورأى هؤلاء الذين كان كسرى يسميهم اهل البؤس والشقاء وكان يسمى ملكهم « سكان شاه » قد استباحوا ايوان كسرى ، ووطئوا بيضة ملكه ، وبعثوا بسواريه ومنطقته الى عمر ، فالبسها عمر سراقة بن مالك — وهو الذى جاء فى الأثر أن ابليس كان يتصور صورته — وقال له : ارفع يديك الى السماء وقل : الحمد لله الذى سلبها كسرى بن هرمز والبسها سراقة الأعرابى !

فاكل الغيظ كبد يزدجرد ، وانشط عقدة عقله وراح يعمل ليرد الشمس عن مغربها فارسل فى اقطار قومه حاشرين يستجيش ويستصرخ ،فاجفلوا اليه من كل مكان ، واجتمع لديه منهم اكبر جيش حشده لقتال العرب ، ثم اقبلوا يتتابعون ردافى الى نهاوند كموج البحر الغاضب ، يحملون — فى رواية — رايتهم (الدرفش كابيان) — وهى راية « كابى » بطلهم التاريخى ، وكانوا يتيمنون بها ولا يخرجونها الا فى حروب عظيمة تنشر على راس الملك او من يقوم مقامه — مصممين على انزال الضربة القاضية بالعرب .

عمر يولى النعمان امارة الجيش

وبلغت عمر اخبار هذه الجموع فقلق لها اشد القلق ، وهم أن يسيّر العرب للقاء الفرس من اقصى الاطراف ومن ادناها وان يسير هو بنفسه ، فقالوا له : نذكرك الله يا امير المؤمنين ان لا تسير بنفسك الى حلبة العجم ، فانك ان أصبت لم يكن للمسلمين نظام . ولكن ابعث الجيوش .

فقال : « اذا والله لأولين الحرب رجلا ليكونن غدا لأسنة القوم جزرا — استئصالا — : النعمان ابن مقرن المزنى » فقالوا جميعا : هو لها .

وندب له اهل الكوفة واهل البصرة ، وبعث اليه بالمهاجرين والانصار من المدينة وبابنه عبد الله وبالسائب بن الاقرع ، فقال له : الحق بهذا الجيش فكن فيهم ، فان فتح الله على المسلمين فاقسم عليهم فياهم . وان هذا الجيش أصيب فاذهب فى سواد الارض لا أراك ولا تراني ، فبطن الارض خير من ظهرها » .

وكتب الى النعمان — وكان محاصرا السوس مع ابى سبرة — أن سر بأمر الله وبنصره بمن معك من المسلمين الى نهاوند « ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم .. » !

فلما توافى الى النعمان جيشه سار الى نهاوند، واقام ردءا (بمرج القلعة) وحامية في تخوم فارس واصبهان ليقطع الامدادات عن نهاوند ، ثم بث عيونه وقدم طلائعه فى ارض العدو فعلموا له علم القوم ورجعوا اليه باخبارهم . فعبأ ونادى بالرحيل حتى انتهى الى « اسفيذبان » على ثلاثة فراسخ من نهاوند ، والفرس وقوف على تعبيتهم قريبا من لهب — صدع عميق بين جبلين — وعليهم مردان شاه بن هرمز أو الفيرزان ، وقد توافى اليهم من أمرائهم واعلامهم من لم يكونوا دون من حضر القادسية .

فحط النعمان أثقاله ، وبنى اشراف الكوفة فسطاطه ، وضرب الجيش بجرانه .

وهنا على سفوح جبل « البرز » قابل العرب جيشا يزيد على ستة أضعافهم ، ودارت بينهم معركة من أشد المعارك هولا . ولم يسمع السامعون بوقعة قط كانت أشد منها » .

القعقاع ينشب القتال ، والنعمان يعهد الى جيشه

فلما رأى الفرس أن العرب قد اقبلت انجحروا فى خنادقهم ولبثوا اياما لا يخرجون منها . والعرب على يقين بالنصر وصدورهم تتسعر تلهفا الى القتال ، والمطاولة عليهم أشد من التحصن على العدو . فرووا فى امر يستخرجونهم به من الخنادق ويستجرونهم عنها ، واحكموه . فأمر النعمان القعقاع بن عمر ـ وكان على المجردة ـ فذهب فأنشب القتال «وحمشهم اغضبهم» فاستحمشوا، وخرجوا من خنادقهم . فلما كان الزوال ـ وهو الوقت الذى كان النعمان ينتظره ـ تحرك « على برذون احوى قريب من الارض » وعليه قلنسوة وقباء أبيض ، فسار فى الناس وجعل يقف على كل راية ويقول :

« لقد علمتم ما أعزكم الله من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، ولقد أنجز لكم هوادى ، وما وعدكم وصدوره وانما بقيت اعجازه وأكارعه ، والله منجز وعده ومتبع ذلك أوله . واذكروا ما مضى اذ كنتم اذلة وما استقبلتم من هذا الامر وانتم أعزة فانتم اليوم عباد الله حقا واولياؤه .. » !

الا وانى اذا امضيت امرى من اهل المواقف « هازٌ لكم الراية ثلاثا ، فان هززتها اول مرة فليشد كل منكم حزام فرسه ، وليتسلم شكته ، فاذا هززتها الثانية فصوبوا رماحكم وهزوا سيوفكم، فاذا هززتها الثالثة فكبروا واحملوا ، فانى حامل « فان اصبت فعلى الجيش ـ حذيفة بن اليمان ، ولا يلو احد على وامضوا فى زحفكم » اللهم أعز دينك وانصر عبادك ـ « واجعل النعمان أول شهيد اليوم » .

فتح الفتوح

ولما قضى امره الى أهل المواقف رجع الى موقفه، ووقف العرب كأنهم خرس،يتلمظون تلمظ الحيات فلما هز رايته الهزة الثالثة كبروا وحملوا كالاعصار الحاصب، ورايته تنقض انقضاض العقاب، وقباؤه الابيض يخطف خطف البرق . والتقت الجبال بالجبال ، وانعقد الغبار سحابا سد بين السماء والارض ، وقصف الحديد على الحديد بالرعد ، فثبت جبل وتزلزل جبل . واستحر من القتل فى العدو ومن الزوال الى الاعتام ، ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس والدواب فيه ، واصيب فرسان من فرسان المسلمين فى الزلق ، وزلق فرس النعمان فى الدماء « فهوى عنه فصرع واكرمه الله بالشهادة التى ابتغاها ، ومضى الزحف بقيادة حذيفة ، وانكشف الفرس مخلفين وراءهم فلولهم بين قتيل وجريح ، والعرب فى اثرهم ، ومن أفلت اعتصم بقرية « دزيزيد » حتى استسلم وصعد الفيرزان جبلا فتبعه القعقاع حتى ادركه فقتله . وسقطت نهاوند .

ولما عاد المسلمون الى النعمان وجدوه وبه رمق، فبشروه بالفتح فقال : « الحمد لله . اكتبوا بذلك الى عمر » ومات . رحمه الله .

وهكذا اختتم حياته الحافلة بالبطولة الرائعة والعمل الصالح بوقعة نهاوند التى قررت مصير آسيا ذلك الحين ، وسماها العرب فتح الفتوح .

وهكذا مضى الى ربه علم من أكرم أعلام العرب والمسلمين مقاما ، ومن أسماهم عملا وأصدقهم جهادا . جاهد لنصر الانسانية لا لينتصر على الانسانية، وبذل نفسه ثمنا للجهاد لا لينال المجد ثمنا من الجهاد . رحمه الله ورضى عنه .

■■

ابراهيم أدهم الشهيد

خوف الطفل من المدرسة : مرض

● عزيزتي الام الشابة :

هذه الايام ايام دخول المدارس

كامل وشوقي وفاطمة ،كلهم استعدوا لدخول المدارس . وبعضهم يدخل لاول مرة ، ودخول المدارس لاول مرة ليس سهلا على كل الاطفال . ان من الاطفال من يخالف المدرسة ، يذهب اليها هكذا وحيدا ، ثم يترك هناك وحده . واحسب ان فاطمة الصغيرة اصابها ذلك الخوف .

تهيبت الخروج الى المدرسة ، وحاولت انت ان تخرجيها اليها ، مرة بالرجاء ، ومرة بالتحذير ، فلم ينفع فيها رجاء ولا تحذير .

ولعلك حاولت ان تستعيني ببنت الجارة ، خديجة . انها اكبر منها سنا . وهي في المدرسة منذ العام الماضي ، فهي متعودة عليها .

ولقد ناديت خديجة لتأخذ فاطمة معها ، وظلت فاطمة ترفض . وتحاول خديجة ما تحاول ولكن بدون فائدة . واخيرا خشيت خديجة ان تصل الى المدرسة القريبة متأخرة ، فاستأذنت وخرجت .

ونظرت انت الى فاطمة ، ونظرت فاطمة اليك ، نظرات عتاب ، لا تنفع . عندئذ طلبت الى فاطمة ان تخلع لباس المدرسة وتشاركك في اعمال البيت .

وعندئذ ملأ البشر وجه فاطمة . زال عنها الكابوس ، كابوس المدرسة .

ان كثيرا من الناس عندما ترى ما وقع من فاطمة لا يلبثون ان يقولوا ان فاطمة كانت في حاجة الى يد اقوى من يد امها واقسى ، ترغمها على الذهاب الى المدرسة ارغاما . وبعد الارغام ستتعود هي المدرسة وينحل المعضل .

ولكن الذين عانوا من هذا الامر ما عانت بعض الامهات يشكون كل الشك في ان تنفع طريقة الغصب هذه .

ان هذا الخوف مرض

ان الذي اصاب ابنتك فاطمة ليس مجرد كراهة عادية للمدرسة . انه مرض نفسي يصيب القلة من الصغار ، تبينوه حديثا وأسموه «بالخوف من المدرسة» . وهو كالخوف من الماء عند المكلوبين ، وكالخوف من المكان المغلق ، وكالخوف من العلو

فى احدى رياض الاطفال بالكويت ، فى قاعة الطعام ، وقد جلس كل طفل فى مكانه وامامه وجبة الافطار ، بينما المشرفات يطفن بهم لارشادهم وتلبية طلباتهم ..

يعرف ذلك نظار المدارس وناظراتها ، وضباطها ، واطباؤها . ولا سيما هيئات مكاتب ارشاد الطفولة فى الامم المتقدمة ، بمن فيهن من اطباء نفسانيين . وليس امر هذا المرض بالشىء الهين .

فى مؤتمر التربويين

لو كان هينا لما اشتغل به مؤتمر من التربويين واطباء الصحة النفسية وعلماء النفس ، واشتغلوا به يومين كاملين عند اجتماعهم بانجلترا فى ابريل من عام ١٩٥٩ . واشترك فيه أكثر من ٤٥٠ باحثا واتفق الجميع ، من بعد دراسة اعراض ودراسة نتائج ، على أن الخوف من المدرسة غير الهرب من المدرسة ، فالهارب من المدرسة أو الهاربة عادة ما يكون أو تكون من بيت منزعج لا استقرار فيه بين اهله . وهو عادة بيت فى الطبقات الدنيا من المجتمع والطبقات الأقل ذكاء . أما الخوف من المدرسة فأغلب ما يكون فى أطفال من عائلات مستقرة سعيدة هانئة . والطفلة او الطفل من هؤلاء الأخيرين ، الذى يندمج فى المدرسة من بعد ذلك ، يحافظ على حضوره ، ويظهر سبقا فى ذكاء .

الخوف لا يقتصر على سن معينة

والخوف من المدرسة لا يقتصر على السن الصغيرة ، ولا على الاناث دون الذكور ، فهو شائع فى الجميع . وهو سهل علاجه والسن صغيرة ، صعب والسن كبيرة .

وقد جاء فى تقرير مركز لهداية الطفولة ان نسبة الذين اشتفوا من الخوف ، وذهبوا الى المدرسة بانتظام من بعد علاج ، بلغ ٨٥ فى المائة ، وذلك دون سن الحادية عشرة . ولكن هبطت النسبة

الى ٣٦ في المائة في الأعمار التي هي فوق الحادية عشرة .

أسباب الخوف

وبحث النفسانيون أسباب هـذا الخوف فردوه الى أشياء كثيرة .

ومما ردوه اليه تعلّق البنت بأمها تعلقا زائدا ، وارتباطها بها في البيت ارتباطا جسدٍ بجسد . فهي آمنة ما رات امنها ، وما سمعت صوتها ، ويزول عنها الأمن عند امتناع ذلك . وسواء كان هـذا الامتناع بسبب ذهاب الى المدرسة أو غير ذلك .

انه الخوف من الفراق .

وهم ردّوا هذا الخوف الى عاصفة تهب في البيت حتى في البيت الذى هو عادة هادىء . نزاع علني بين الأب والأم يشعر الطفل من بعده انه غير آمن .

وقد يكون سببه موت احد في البيت وجثوم الحزن على جوّه .

وقد يكون سببه وليد جديد ، يحس الطفل انه حل محله ، فهو لا يريد أن يخلي محله لغيره .

واسباب نفسية كثيرة اخرى . كلها لا بد من كشفها حتى يمكن علاجها .

ولا فائدة من ارسال طفل ، بلغت به كراهة المدرسة حد المرض ، الى المدرسة ليتعلم . انه يكون في ضيق نفسي يأبى عليه التعلم .

قد يكون الآباء في حاجة الى علاج

وكثيرا ما رأى المعالجون ان العيب ليس في الطفل ، ولكن في آبائه . ان حياة يحياها الآباء والأمهات هي الجديرة بالتعديل . وانه مهما وقع بين الأب والأم ، من مِحَنٍ ، لا بد من ستره . ان الأطفال ، على صغرهم ، يحسون همْسَ القلوب ، ويضطربون لها ، وبها .

فحذار ايتها الأمهات .

فالتي تحدثكم أمٌ وصفت لكم بعض الذى كان لبنتها . ■■

عائشة . د .

القانون لم يردعهن

● **تطور اعتياد الرجل على استخدام المراة لمستحضرات التجميل حتى انه ليرتعد من رؤية زوجته اذا جلست امامه على مائدة الفطور ان لم تكن تضع على وجهها المساحيق . ومع ذلك ففي عام ١٧٧٠ كانت مساحيق الوجه تدعو الى الاشمئزاز ، حتى ان مشروع قانون خاص قدم الـى البرلمان البريطاني لمنع النساء من هذا العمل الذى يتصف بقلة الحياء .**

وفيما يلي جزء من القانون المذكور :

« جميع النساء ، من اية طبقة او مهنة او درجة كانت ، اللواتي يلجأن الى الغش والخداع والتضليل من اجل الزواج ، باى من رعايا صاحب الجلالة ، بواسطة العطور والأصبغة والمساحيق والأسنان الصناعية والشعر المستعار ومشدات الخصر والأطواق والأحذية ذات الكعب العالي والأرداف المكسوة بالوسائد ، ستوقع عليهن العقوبة المقررة في القانون السارى المفعول لجريمة السحر والشعوذة وما شابهها من الجنح ... كما يعتبر الزواج عند ثبوت التهمة ، باطلا » .

سعيد العاص

بقلم : سليمان موسى

■ ولد سعيد العاص سنة ١٨٨٩ فى مدينة حماة وترعرع على ضفاف نهر العاصى . وهو من أسرة شهاب الحموية ولكنه عرف باسم العاص فقط . تلقى تعليمه الابتدائي فى حماه ، ثم انتقل الى دمشق حيث تلقى الدراسة الرشدية والاعدادية العسكرية . وقد واصل تعليمه فى الكلية الحربية باستانبول فتخرج منها برتبة ملازم عام ١٩٠٧ ، وفى السنة التالية انتسب الى مدرسة الأركان حيث تجلت مواهبه ، ولكنه لم يتم الدراسة فيها اذ اخرج عام ١٩١٠ لأسباب سياسية تتعلق بالحركة العربية الناشئة يومذاك .

على انه لم ينفصل من الخدمة العسكرية ، بل عين فى كتيبة الرماة ، وسافر مع فرقته الى البانيا لمقاتلة العصابات الألبانية .

وفى العام التالى اشترك فى المعارك التى نشبت مع حكومة الجبل الأسود فى يوغسلافيا .

ثم وقع اسيرا فى أيدى اليونانيين قريبا من سلانيك ، ولكنه لم يلبث أن فر من الأسر وعاد للاشتراك فى معارك البلقان .

وعندما زحف الجيش العثمانى على (أدرنة) عين قائدا لمنطقة حدود (طرنجة) ، ثم عين عام ١٩١٣ مأمورا للمهمات الحربية فى دمشق .

ينتسب الى جماعة عزيز على المصرى

وكانت الحركة العربية قد بدأت تنمو بين الشبان والمتنورين ، فانتسب سعيد الى حزب العهد العسكرى الذى أنشاه سرا عزيز على المصرى ، وبدا يكتب المقالات وينشرها فى الصحف بتوقيع مستعار .

يحكم عليه بالاعدام

وبعد اعتقال عزيز علي المصرى أخذ الضباط العرب يفكرون جديا بالانتقاض على الدولة فى سوريا فاشترك سعيد مع ياسين الهاشمى بالعمل لتحقيق تلك الفكرة ، ولم تلبث أنباء نشاطه حتى بلغت مسامع رجال السلطة فاعتقل فى ميدان القتال ونقل للمثول أمام الديوان العرفى (وهى المحكمة العسكرية التى شكلها أحمد جمال باشا فى عاليه بلبنان لمحاكمة أحرار العرب وزعمائهم) . وكانت تهمته الانتساب للجمعيات العربية الداعية للاستقلال . وحكمت عليه المحكمة بالاعدام ، ثم استبدل الاعدام بالسجن ، فقضى فى السجون سنة ونصف السنة وبعدها نفى الى الاناضول ، وبقى فى المنفى حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى .

يشترك فى الحركات الثورية

التحق سعيد العاص بالحكومة العربية المستقلة التى أنشئت فى سوريا عام ١٩١٨ وتولى عدة مناصب عسكرية ، فمن الشعبة الثالثة بدائرة

حمل بندقيته على كتفه ، وانتقل بها من معركة الى معركة ، سنين طوالا يحارب المستعمرين ويرفع لواء الحرية فى البلاد العربية . ومع الجهاد كانت العيشة الضنك ، وفقدان الأحبة . ثم استشهد اخيرا ، بعد أن اخطاه الموت مرارا كثيرة .

الشورى الحربية الى منطقة الزبداني الى مفتشية التجنيد العامة . وقد اشترك فى حوادث بعلبك ضد الفرنسيين . وبعد معركة ميسلون وخروج الملك فيصل ـ اشتبك مع الفرنسيين فى منطقة اللاذقية وكبدهم خسائر الى أن نفد عتاده ، ثم انضم الى ثورة الشيخ صالح العلي وساهم فى معاركها الأخيرة .

يفر من الفرنسيين وينزح الى الاردن

اقام العاص فى مدينة حماة متنكرا بعد انتهاء الحركات الثورية ، ولكن السلطة الفرنسية ظلت تتعقبه ثم بثت عليه العيون والأرصاد حتى تمكنت من القبض عليه وهو يحاول الالتحاق بثورة ابراهيم هنانو ، وبعد أن قضى شهرين فى السجن تمكن من الفرار الى شرقى الأردن عام ١٩٢١ .

كانت الأردن تتمتع يومذاك بالاستقلال التام فى شؤونها الداخلية ، لذلك نزح اليها عدد كبير من الأحرار السوريين وتولوا أرفع المناصب فيها ، نذكر منهم رشيد طليع الذى تولى رئاسة الحكومة واحمد مريود وفؤاد سليم وغيرهم . والتحق العاص بالجيش العربى فى الأردن برتبة رئيس وتنقل فى عدة مناصب عسكرية . وعندما هاجم السعوديون الحجاز عام ١٩٢٤ تطوع للقتال فى صفوف الجيش الحجازى وعين قائدا للواء النصر وقائدا لخطوط الدفاع فى ميناء جدة ، وثبت فى هذه الخطوط تسعة أشهر أمام قوات متفوقة . ثم صدر له الأمر أن يتولى القيادة فى معان والعقبة ـ وكانت تابعة للحجاز ـ الا انه لم ينصع للأمر وعاد الى عمان للالتحاق بالثورة السورية بعد أن بلغته أنباء اندلاعها .

فى الثورة السورية

بادر سعيد العاص بعد عودته من الحجاز للسفر الى جبل الدروز فى خريف ١٩٢٥ ، ومعه فؤاد سليم وزكى الدروبى واشترك بمعركة رساس ، ثم اقنع هو وفؤاد سليم القائد العام للثورة سلطان الأطرش بضرورة توسيع نطاق الثورة فى أنحاء سوريا الأخرى ، واشترك بالهجوم على دوما ، وخاض معارك المليحة ويلدا وبابيلا وجوبر وحمورة فى غوطة دمشق . وفى معركة حمورة قال انه عرف أشد مواقفه رهبة فى الثورة اذ اصطدم مع الجنود وجها لوجه فى أزقة القرية ، وكان وحيدا لا تزيد المسافة بينه وبينهم على خمسة أمتار . وتعطلت بندقيته فجأة فاستعان بالمسدس دون أن تخونه شجاعته ورباطة جأشه ، وفى موقفه هذا ذكر بيت الشعر القائل :

وحيد من الخلان في كل موقف
اذا عظم المطلوب قلَّ المساعد

وعلق على ذلك بقوله : ومطلوبي هو تحرير وطني ، ولم يبق لي من مساعد سوى مشطين من العتاد .

وفي منتصف كانون الاول عينه سلطان الأطرش قائدا لحملة حمص وحماه ، فسار الى الشمال ، وقام مع مجاهدي النبك وحمص بتخريب جسر العاروض . ومن هنا تخذ لقب (قائد المنطقة الشمالية في حروب سوريا المقدسة) .

وكان يوقع به رسائله ومنشوراته . ثم عاد الى الغوطة واشترك بمعارك الميدان وجوبر ولكنه لم يلبث ان اعتزم العودة ثانية الى الشمال ، وكتب في ذلك قائلا : « سئمت البقاء في الغوطة وكثرة التجول فيها ، وضاقت بي الارض ذرعا من عدم انتظام الأمور بسبب كثرة الرؤساء وتباين الآراء وعدم الاستمرار على خطط الأعمال الحربية » .

عاد العاص الى الشمال متعاونا مع القائد فوزي القاوقجي ، وذلك في أوائل آذار ١٩٢٦ ، وكان العاص على رأس مفرزة من المجاهدين هي (عصابة ابن الوليد) وقد انضمت اليه أعداد كبيرة من الثوار ، من اهل القرى التي مر بها . وفي منطقة النبك اشتبك مع قوات الجنرال مارتي في معركة عيون العلق حيث أبدى بسالة نادرة ، وتمثل اثناء المعركة بقول عباس بن مرداس :

اشد على الكتيبة لا أبالي
احتفي كان فيها أم سواها

وبعد أن دافع عن النبك دفاعا عنيدا كاد يقع في الأسر بسببه ، وابدى براعة عسكرية في الانسحاب برجاله من تطويق الحملات الفرنسية ـ عاد الى الغوطة مرة اخرى وساهم في بعض معاركها وفي الهجوم على مدينة دمشق .

ونشبت الخلافات من جديد بين زعماء الثوار في الغوطة ، فغادرها العاص في نيسان قاصدا الانحاء الشمالية . ولم تلبث نيران الثورة حتى اشتعلت في (اكروم) وهي مجموعة قرى سكانها من الشيعة وتتمتع بموقع طبيعي ممتاز لاتصالها بجبال عكار والعلويين . وقد صحب العاص في رحلته هذه ثلاثة وعشرون مجاهدا ثم انضم اليه عدد من مجاهدي حمص وحماه فاخذوا يشنون الغارات على مخافر الفرنسيين . وفي آيار جهز الفرنسيون قوات كبيرة للقضاء على نشاط الثوار في اكروم وزحفوا عليها من ثلاث جهات، فبادر المجاهدون الى منازلتهم في وادي فيسان والحقوا بهم الهزيمة .

ثم انتقل العاص الى الضنية وعكار قريبا من طرابلس حيث اشتعلت الثورة على الفرنسيين ، وساهم مع الأهلين في مصادمة الاعداء والايقاع بهم . وقال في صدد الحديث عن تلك المعارك « اشتد بنا الجوع والعطش ولكن الحرب انستنا كل شيء لان ازيز الرصاص كان كنغمات الأوتار الصادرة من ريشة العازف على العود » . وتحدث عن دور المرأة واشاد بشجاعتها فقال : « انى من المعجبين بشجاعة الجنس اللطيف ، ويا حبذا لو كانت نساء المدن تعشق الحرية كما تعشقها بنات الجرود ، وتقلع بنات الحواضر عن تقليد الاجنبي في الزي والمظاهر ، فتشترك المرأة مع الرجل في تحرير البلاد كما فعلت الصحابيات في عهد الاسلام » .

ثم استطاع الفرنسيون أن يوقعوا بين الأهلين ويزرعوا بذور الشقاق ، فاضطر العاص للانسحاب والعودة الى الغوطة ، بعد أن علم ان مؤامرة تحاك للقبض عليه وتسليمه للفرنسيين . وقال عن أبناء الضنية انهم من خيرة الشجعان « وهم من الذين اقدموا على التضحية الكبرى باسم الحرية والاستقلال ، وقد سطروا بجهادهم صفحات ستبقى خالدة مدى الدهر » .

وفي صيف ١٩٢٦ شن الفرنسيون هجوما عاما على قوات الثورة مستعينين بانواع الأسلحة الفتاكة، فتمكنوا من احتلال جبل الدروز ، معقل الثورة الاول ، واضطر زعماء المجاهدين للنزوح الى واحة الأزرق في شرقي الاردن . وعاد سعيد من الغوطة الى الأزرق ومنها الى عمان ، ولكن لم يطل مقامه هناك اذ تمكن هو والأمير عز الدين الجزائري من تجهيز حملة صغيرة بمعاونة اللجان الوطنية العاملة للقضية السورية ، ولم يلبثا ان عادا الى الغوطة في آيار ١٩٢٧ لتجديد حركات الثورة . وفي الغوطة اشتبك المجاهدون مع قوات الاستعمار في معارك دامية أعظمها هولا معركة (زور بالا) التي أظهر فيها المجاهدون بطولة خارقة . ولكن تفوق

الفرنسيين بعددهم واعتدتهم لم يلبث أن فعل فعله ، اذ ان تلك الفئة الباسلة التى لم يكن عدد رجالها يزيد على المئة ـ استطاعت أن تقارع الالاف من قوات العدو حتى فنى اكثر رجالها وجرح عدد منهم ولم يبق لدى البقية من العتاد ما يمكنهم من مواصلة الكفاح .

وانقسم المجاهدون الباقون الى قسمين ، اما الأمير الجزائرى فقد استشهد فى معركة (عين الصاحب) ، وأما العاص فقد تمكن من الانسحاب والعودة الى عمان . وكان ممن حكمت عليهم المحاكم العسكرية الفرنسية بالاعدام غيابيا ، واستثنته من مراسيم العفو التى ظلت تصدرها تباعا حتى وافاه الاجل . وقد جرح مرتين خلال جهاده فى الثورة السورية .

فى فلسطين

قضى العاص فى عمان بضع سنوات بعد أن اقفرت ميادين الجهاد فى سوريا ، واخذ يعنى بتربية ابنته سعاد ، ويكتب عن الثورة السورية . وبقى العاص ينتظر فرصة جديدة للمساهمة فى شرف الجهاد الوطنى ، حتى كان عام ١٩٣٦ عندما قام عرب فلسطين بثورتهم الكبرى . وقد جرت اتصالات بينه وبين زعماء الثورة ـ اختار على اثرها ان يقود المجاهدين فى منطقة القدس والخليل .

وفى أوائل أيلول ١٩٣٦ غادر العاص عمان الى فلسطين حيث انضم اليه هناك شهيد القسطل عبد القادر الحسينى . واخذا يعملان على تجنيد المجاهدين حتى اجتمع لهما ما لا يقل عن ٢٥٥ ثائرا . وبادر العاص فاتخذ جبال حلحول ـ بين الخليل وبيت لحم ـ مركزا لحركاته ، وقرر الاشتباك مع الانجليز فى رابعة النهار لرفع معنويات السكان والايقاع بالعدو .

بدات المعركة يوم ٢٤ أيلول عندما اغلق المجاهدون الطريق الرئيسية واشتبكوا مع احدى القوافل العسكرية ، فصرعوا عددا من الجنود ، ولم تلبث النجدات الانجليزية حتى اخذت تتوارد الى مكان المعركة ، وتصدى فريق آخر من المجاهدين للقوات القادمة لنجدة القافلة ، وطالت المعركة وحمى وطيسها حتى اليوم الثانى اذ انسحب المجاهدون الى الجبال ، بعد انجاء الانجليز بطائراتهم وحشدوا قوى عسكرية لا قبل للثوار بها .

استشهاده فى معركة الخضر بفلسطين

كان الانجليز يجابهون عددا كبيرا من الثوار فى جبال نابلس الوعرة . لذلك قرروا أن يتفادوا القتال على جبهتين ، وأن يبداوا بالقضاء على الثوار فى منطقة القدس ـ الخليل ، لقلة عدد الثوار من جهة ولسهولة العمليات الحربية فيها أكثر من منطقة نابلس ـ لهذا بادروا لتجهيز حملة مؤلفة من ثلاثة آلاف جندى تساندهم الطائرات والاسلحة الحديثة الفتاكة . واخذوا يقومون بعملية تطويق واسعة استمرت حوالى عشرة أيام ، اضطر المجاهدون ـ ولم يكن عددهم يزيد على ١٢٠ ثائرا ـ خلالها الى التراجع رويدا رويدا فى الجبال وعندما أيقن القائد العاص من خطورة الموقف ، طلب من رفاقه الانسحاب والتسلل عبر طوق الحصار المضروب عليهم ، وتحقق الانسحاب فعلا لاكثر المجاهدين اذ كان معظمهم من أبناء القرى المجاورة فلم يبق مع القائد سوى ٢٥ مجاهدا ابوا أن يفارقوا قائدهم وتبايعوا معه على القتال حتى النفس الأخير .

وفى صباح يوم ٦ تشرين الاول ١٩٣٦ اشتبك الثائرون فى جبال الخضر مع الحملة الانجليزية فى معركة ضارية استمرت بضع ساعات حتى نفدت ذخائر المجاهدين فالتحموا مع الجنود بالسلاح الابيض . وتكاثر الجند على القائد البطل فخر صريعا بقذائفهم وجرح مساعده عبدالقادر الحسينى على مقربة منه .

وهكذا حقق العاص امنيته الشريفة ، فقضى فى ساحة الجهاد بين قصف القنابل وازيز الرصاص وبلل بدمه الطاهر تربة سوريا المقدسة التى عشقها واحبها وجاهد فى سبيلها منذ فجر شبابه : فى الآستانة وبعلبك وجبل الدروز وغوطة دمشق وجبال العلويين وحماة ثم الخليل فى سوريا الجنوبية . ولحقت روحه بأرواح اخوانه : احمد مريود وفؤاد سليم ، وعز الدين الجزائرى ، واخوانهم الكثيرين ممن رفعوا اعلام الحرية فى وجه الغزاة الاجانب وقاتلوا فى سبيل وطنهم حتى الموت .

حياته الخاصة

تزوج سعيد العاص عندما كان ضابطا فى الجيش العربى الأردني من سيدة شركسية، ولكنهلم يستمتع بالحياة الزوجية الا خلال فترات قصيرة متقطعة ، اذ غادر الاردن الى جدة عام ١٩٢٥ ، ثم عاد الى الحجاز ، ولم يلبث أن قصد سوريا للاشتراك فى ثورتها الكبرى ، وعندما انتهت الثورة وعاد الى عمان وجد أن زوجته قد صارت فى عداد الموتى .

يرثى زوجته

كان يحب زوجته حبا جما كما نرى فى كتاباته ، وقد رثاها فى الحلقة الرابعة من مؤلفاته عن الثورة السورية . ومما قاله فيها : « شهيدة البؤس ، رفيقة آلامى ، فريسة الأمراض ، ومصائب الجهاد ، عقيلتى أم سعاد . هذه البائسة الراقدة الآن فى سفح جبل عمان الشرقى فى رقدة الخلود بعد ان قبّلت طفلتها سعاد آخر قبلات الحنو . فهى بلا ريب شهيدة جهاد استمر أعواما ، وكان مفعمـــا بالالام ، حتى ذَبُلت عن عمر لا يتجاوز العقد الثانى من مراحل هذه الحياة القاسية ، وقد هاجم الداء جسمها النحيل عندما كنت أهاجم جيوش المستعمرين

ولم تجد من يداويها لضيق ذات اليد ، فذبل غصن حياتها ..»

وأحب ابنته سعاد حبا جمًا

نفهم من كتاباته أن الرجل كان عاطفيا رقيـق القلب رغم حياة الجندية والجهاد التى عاشهـــا ، وقد انتقل حب زوجته الى طفلته سعاد حتى انه كان يوقع بعض رسائله خلال الثورة باسم(ابوسعاد) وترك لها عدة صور فى كتبه عن الثورة . ومن المحزن ان سعاد فجعت بابيها وهى فى العاشرة من عمـرها فكفلها اخوالها حتى بلغت مبلغ النساء فتزوجت شابا شركسيا من أقارب أمها ، الا ان الموت عاجلها وهى بعد فى ربيع الشباب دون أن تنجب أولادا فلحقت بامها وابيها رحمهم الله .

عاش على الجهاد فى فقر شديد

عاش سعيد العاص حياة قاسية بعيدا من اهله وذويه فى حماة ، وقد حدثنى بعض من عرفه انه كان يحيا حياة ضنك ومسغبة فى الفترة التى مرت بين انتهاء الثورة السورية عام ١٩٢٧ واستشهاده عام ١٩٣٦ وخلال هذه الفترة اشتغل بكتابة سلسلة من المؤلفات بعنوان (صفحة من الأيام الحمراء) طبع منها :

١ ـ استشهاد الامير عز الدين الجزائرى ـ ١٩٢٨

٢ ـ الحركات الحربية بعد التطويق ـ ١٩٢٩

٣ ـ التطويق وحركات الفنية ـ ١٩٣٠

٤ ـ استشهاد البطل احمد مريود ـ ١٩٣١

٥ ـ حروب الغوطة والاقليم ـ ١٩٣٥

وقد حاول أن يبيع نسخ هذه الحلقات ليستعين بها فى عيشه ، وشكا فى الحلقة الأخيرة من أن اكثر من ألف نسخة ارسلت الى المهاجر والاقطار العربية، ولكن لم يصله ثمنها ولا أعيدت النسخ اليه . ولابد أنه ترك مذكرات كثيرة لأنه كان رجلا مستنير الذهن يهتم بتدوين معلوماته وآرائه ، ولكنى لم أستطع العثور على شىء منها . وقد قدم كتابه الأخيـر (باسم سورية المقدسة) وذكر انه رهن منزل طفلته لكى يتمكن من طبع الحلقة الخامسة (حرصا على ذكريات بطولة شهدائنا) .

حدثنى من عرفه انه كان شديد الاعتزاز بنفسه ، يسير دائما مرفوع الرأس منتصب القامة ، لم يحدث ان سأل صديقا أن يمد له يد العون ولو بات على الطوى ، ولكن أصدقاءه كانوا يعينونه على شؤون حياته دون أن يجرحوا كبرياءه ، وكان يعرف حقيقة الخدمات التى أداها لبلاده ، ويقول لخلصائه ان أمته التى تهمله اليوم لا بد أن تكرم ذكراه فيما بعد .

وصفه لمغادرة بيته وزوجته

نرى فى كتاباته حبه للطبيعة ووصفه لمناظرهـــا البديعة ، وكثيرا ما يستشهد بالمقطوعات الشعرية الحماسية . ومن أقواله المؤثرة وصفه لمغادرته منزله يوم التحاقه بالثورة السورية : « وانصرفت لمعانقة معشوقتى . ومن شريكة حياتى فى البيت الى شريكة حياتى فى الجهاد . وعانقت بندقيتى كما يعانق العاشق محبوبته ، وودعت ام البنين وداع البطولة،

قبر الشهيد

دفن سعيد العاص فى مقبرة قرية الخضر بين الخليـل وبيت لحـم . ومرّت الاعوام فكاد قبره يعفّى عليه ويندثر . ومرّ احدهم ذات يوم بذلك الموقع واحبّ ان يزور قبر الشهيد ، فأثار ذلك لواعجه ووجّه بعدها نداء الى جماعة من ذوى الخير فى الاردن يدعوهـم الى التبـرع لاقامة ضريح يليـق بالمجاهد . ولبى المواطنون النداء وتسابق عـدد منهم الى التبـرع ، وبوشر بعدها باقامة بناء فوق القبر . وهذا أقل ما يمكن ان تفعله الامة من اجل مجاهد ظل يحمل سلاحه من معركة الى معركة . حتى بلل تربة الوطن بدمه الزكى .

وداع رجل يعتقد أن هذه الحياة ان هى الا تماثيل وظلال لا يبقى فيها سوى العمل الصالح والذكر الحسن والاسم الخالد » . وكثيرا ما ورد فى كتاباته القول انه ورفاقه كانوا يناضلون عن « تراث الجدود وعن الوطن المقدس ، وعن شرف الأمة الســورية العربية » .

قال فى الثورة السورية

وقال يدافع عن الثورة السورية بعد أن حـاول الاستعمار وصمها وتشويه وجهها النبيل : «وقفت سوريّا حوالى عامين تمثل تجدّد الحياة فـي الشرق . وقفت مثخنة الجراح ، عاليةً الصوت ، شامخة الأنف ، طموحة الى الحياة تشتريها بالموت، وتنادى أبناءها لتحطيم قيود الاستعمار وازهـاق دعوى الغرب بسلاح الحق .

« ليست الثورة السورية لهبة من هشيم ، ولا عاصفة فى طبق ماء ، بل هى كوامن احقاد فى الصدور لم يطق ابناء جلق احتمالها فانفجرت وتطاير شررها، فكان كل سورى ثائرا ، وكانت سوريا تزغرد للثائرين وتنثر على رؤوسهم الازهار » .

« ليست الثورة السورية شهوة شذّاذ مـن السّوقة والرعاع ، ولا هى طيش زمرة من الدهماء ، بل هى قوة حقيقية مثلت الأمانى السورية باندماج شبان من جميع الطبقات فيها . وقد حاول الفاصيون باضاليلهم أن يصموا ثوارنا الاشاوس ، كما حاولوا أن يصموا من قبل جورج واشنطن محرر اميركا من الاستعمار » .

ووصف مسيره نحو الشمال

ووصف مسيره نحو الشمال قال : « بدأنا ننحدر من جبل ونتسلق جبلا آخر ، ودام بنا المسير طيلة النهار . والله يعلم ما عانينا فى هذه الطريق وكلها جبال شاهقة وأودية سحيقة . وكنا تارة نقتات بالنباتات البرية ، وقد أنهك السير قوى الاخوان ، لاننا سرنا ٥؛ ساعة دون انقطاع حتى ورمت ارجل الاخوان من الوجى اذ كان معظمهم ينتعل اديـم الأرض ، فطلبت لهم ماء مالحا وأوصيتهمان يغطسوا ارجلهم فيه حتى يخف الألم الذى اعتراهم » .

رثى « عادلا » بما صح أن يرثى به نفسه

ولا أجد ما اختتم به هذا المقال عن سعيد العاص خيرا من أن أنقل عباراته التى رثى بها عادل نكد ، اذ تصدق عليه كانما أحب ان يرثى نفسه قبل استشهاده :

« لم يخض غمار الحرب باسم حزب او غيره ، بل خاضها باسم تحرير وطنه . فهو ابن سوريا البار . وقد أضاعت سوريا باستشهاده بطلا من ابطال حريتها الأبرار . وانى اعزى امتى بفقده ، وأذرف الدمع السخين على مرقده الطاهر » .

■■

سليمان موسى
عمان ــ الاردن

دردشة

العمل فى جبهتين

● **قال احدهم** لكليمنصو ان جنرالا متقدما فى السن تزوج امراة جميلة تصغره بكثير .

فقال كليمنصو : حسن .. انه منذ الآن سيضطر الى العمل فى جبهتين وفى وقت واحد ..

أمثال يابانية

● تب قبل موتك بيوم ، ولما كنت لا تعرف متى تموت ، فكن تائبا على الدوام .

● اذا لم يكن للسارق فرصة للسرقة ظن نفسه شريفا .

● متى تقدم الشيوخ فى السن وجب عليهم ان يطيعوا اولادهم !!

ملابس تنقل من سان فرنسيسكو لتغسل فى الصين

● كان عمال احد المناجم القريبة من سان فرنسيسكو فى امريكا يشكون من ان اجور غسل الملابس فى المدينة مرتفعة جدا ، اذ ان اجر غسل القميص دولاران ، والسروال القصير دولار و٨٥ سنتا ، اما اذا كان السروال تحت الركبة فاجرته دولار و ٩٥ سنتا ، وزوج الشرابات ٧٥ سنتا ، مع ٣٥ سنتا اضافية عن كل ثقب يتم اصلاحه .

وامام هذه التكاليف الباهظة اخذ عمال المنجم يفكرون فى طريقة اخرى لغسل ملابسهم ، الى ان اكتشفوا ان شحن ملابسهم الوسخة الى الصين لغسلها هناك اقل كلفة .

واصبحت الباخرة « لانس فريمونت » تسير بانتظام بين سان فرنسيسكو والصين تحمل الملابس القذرة فى ذهابها ، والملابس النظيفة فى عودتها .

.. ولكن خدمة الغسيل هذه لم يقدر لها ان تستمر اذ غرقت الباخرة المذكورة فى المحيط الهادى وهى عائدة ، وعليها حمولة من الغسيل النظيف .

التافه والعظيم

● النسمة التى تطفىء الشمعة هى نفسها تذكى النار ، وكذلك الفراق ، يقتل الحب التافه ، ويحيى الحب العظيم .

(لاروشفوكو)

قلوب النساء

● قلوب النساء مثل رمال البحر ، لا ترى عليها فى الغداة اثرا مما تكتبه بالامس .

السهل والصعب

● كان الكاتب الامريكى ستيفان ليكوك يحاضر فى بعض المؤلفين الشبان ، فسألوه : كيف تكتب مقالاتك الفكاهية ؟

فأجاب : كل ما يجب عمله هو ان يحس الواحد ، ثم يكتب ما يحس به .

وقال الشبان : اهذا كل مافى الامر ؟

فرد عليهم : انه كما ترون سهل ، ولكن الصعب هو الاحساس !

أطفال كبار

● ضاقت « لادى استور » وهى اول سيدة اشتركت فى مجلس العموم البريطانى ، بالاعضاء الذين كانوا كثيرا ما يجتمعون عليها ويتكتلون ضدها ، ومرة قالت فى تهكم لاذع : اننى اعرف شؤون الاطفال معرفة تامة .

فقال بعضهم : طبعا لان لك اطفالا ..

فقالت : بل لانى اقابل ستمائة طفل كل يوم !

شر لا بد منه

● سئل برنارد شو عن رأيه فى تشرشل فقال :

ــ هو بالنسبة لبريطانيا كالزوجة للرجل ، شر لابد منه !!

مخلوق عجيب

● المرأة مخلوق عجيب غامض .. تزعم انها تريد فروا ثمينا ليقيها البرد فى الشتاء ، بينما هى تخرج بجوارب من الحرير الخفيف الشفاف ، وحذاء مكشوف !

(هنرى ليتل)

التخلص من الغضب

● ان الوسيلة للشفاء من سوء الطباع والغضب بسيطة ، وهى ان تنظر الى وجهك فى المرآة اثناء الغضب .

(جاكمان)

قارىء لا يسمع

● ذهب احد الضباط الانكليز لتفتيش الجنود فى المعسكر ، فوجد جنديين ، احدهما يقرأ رسالة ، والثانى واضعا يديه على اذنى الجندى الذى يقرأ ، فسألهما الضابط : ماذا تفعلان ؟ فقال الذى يقرأ :

ــ اننى اقرأ له رسالة وردت اليه من خطيبته ، وهو لا يحسن القراءة ..

وسأل الثانى : وانت لماذا تضع يديك على اذنيه ؟

فاجاب : لكى لا يسمع قراءة الرسالة !

قصة نجاح باهر ..

مزرعة للأبقار ..

سمعتم ، ولا شك ، بالتطور الشامل الذى تمر به دولة الكويت فى جميع مجالاتها واوضاعها .. ولكن هل سمعتم بمزرعة الابقار التى ظهرت فوق رمال أرضها الصحراوية القاحلة الساخنة ! ؟

..فوق رمال الصحراء

■ ان طموح الانسان يتجاوز ، فى بعض الاحيان ، دوافع الكسب ويتجه صوب التحدى ..

تحدى الطبيعة ...

تحدى العرف والتقاليد ..

تحدى الآراء الكلاسيكية القديمة ...

والا فبماذا تعللون ما قام به ثلاثة من الشباب الكويتى احسوا بانعدام الثروة الحيوانية فى بلادهم ، فاتجهوا الى الدانمرك ، ونقلوا من مزارعها الخضراء ، مئات الابقار .. اركبوها الطائرات والسفن ، ونقلوها رأسا الى الكويت الصحراوية !!

قالوا لهم .. فردوا عليهم ..

قالوا لهم : واين العشب الذى ستعيش عليه ؟!

اجابوا : احضرناه معنا من امريكا على شكل كسب مخلوط بالبروتين والشعير والذرة والتبن ، ان بها غير الغذاء ، فيتامينات تعوض الحيوانات عن الخضرة التى تفتقدها فى بلادنا .. ولن يستمر هذا طويلا فسوف نزرع لهم البرسيم بكميات كبيرة ، ونغرس لهم الاشجار لتظللهم .. ونحيل الصحراء الصفراء الى مزرعة كبيرة خضراء .. وزرعوا الارض برسيما .. وكانت النتائج مذهلة اذ ان الانتاج بلغ اعلى نسبة فى العالم .. فالهكتار فى الكويت ينتج ١٩٠ طنا من البرسيم سنويا بينما فى كالفورنيا لا يزيد انتاج الهكتار عن ١٦٠ طنا .. واراضى كاليفورنيا من اغنى الاراضى واخصبها .. وفى اوروبا يتراوح الانتاج بين ٣٠ ـ ٤٠ طنا .

قالوا لهم : ومن اين لكم الماء ؟ !

ردوا : سننشىء خطا للانابيب يجلب لنا المياه من منطقة الصليبية المجاورة بمعدل ٤٠٠ الف جالون يوميا ..

قالوا : وحرارة الجو التى تصل الى ٥٠ درجة مئوية ، ماذا ستفعلون بها ؟

اجابوا : بسيطة .. سنجعل الحظائر كلها مكيفة الهواء بحيث لا تزيد درجة الحرارة بداخلها عن ٢٥ درجة مئوية !!

عنابر الماشية مكيفة الهواء وترى جهازين منها غطيا بالقماش حتى لاتتسرب اليهما الاتربة

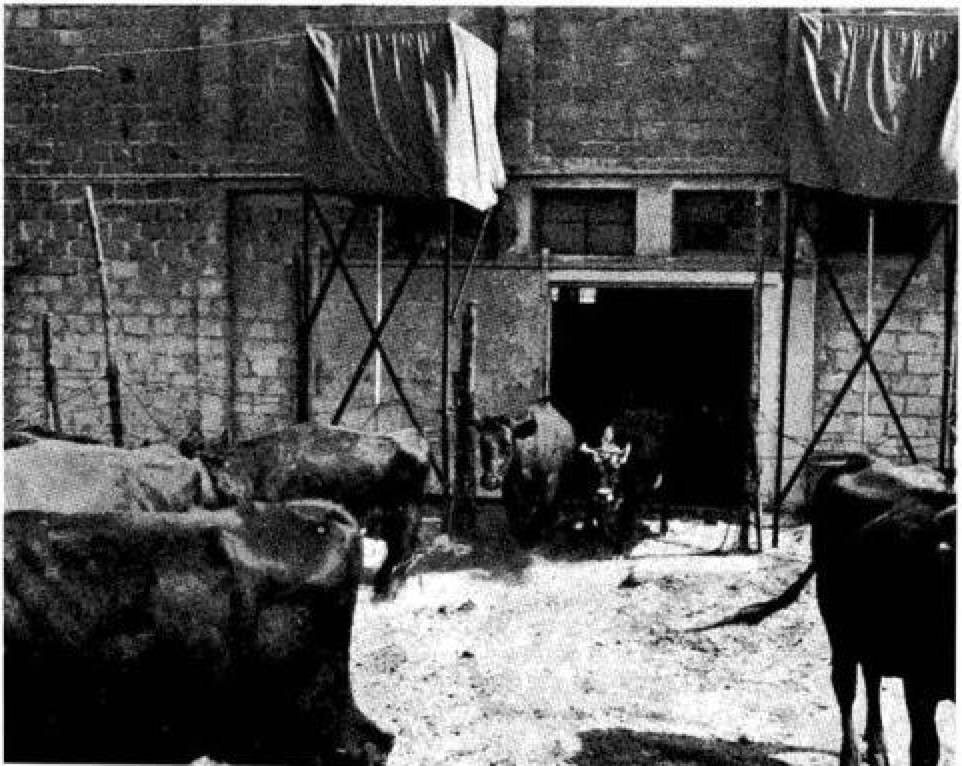

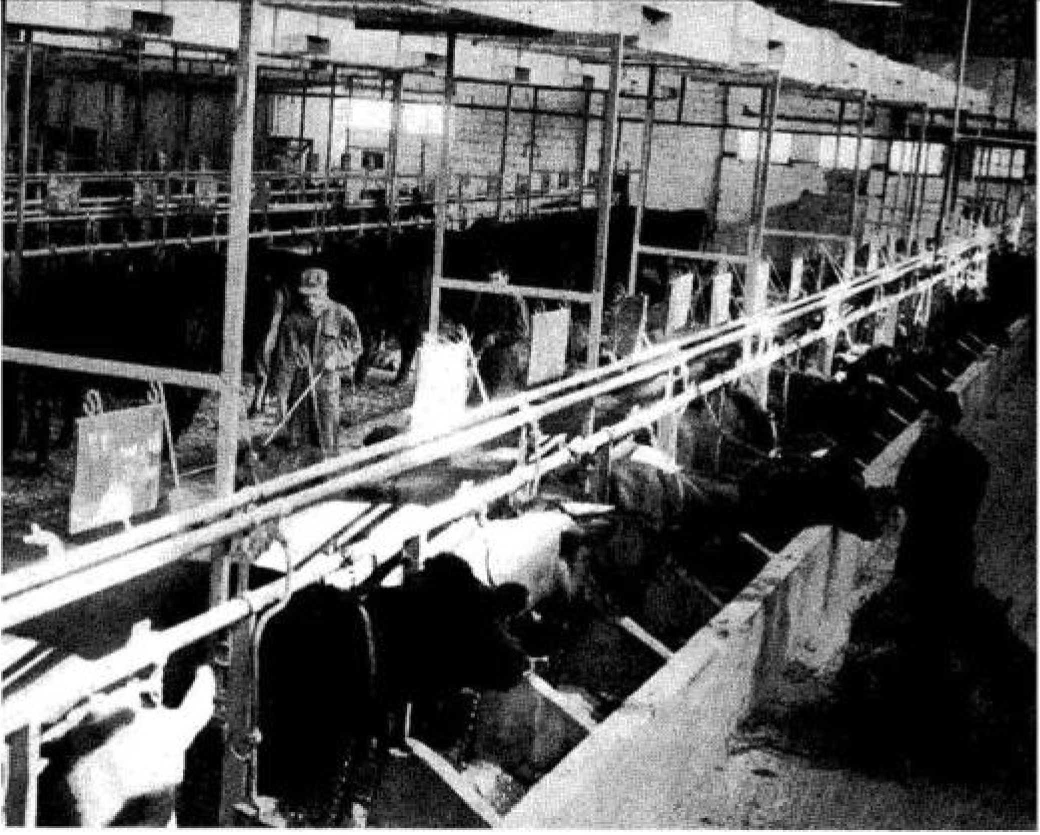

٢٥٠ بقرة وصلت من الدانمرك وهولندا ، وتعيش الآن فى الكويت فى حظائر مكيفة الهواء بحيث لا تتعدى درجة الحرارة ٢٥ مئوية .

مباريات !!

كان الشبان الثلاثة يعيشون وكأنهم فى ملعب تنس او كرة قدم ! عشرات الاسئلة تنهال عليهم ، وعشرات المتاعب الجديدة غير المتوقعة تظهر لهم ، فيتلقونها ويعالجونها قبل ان يردوها ثانية ..

حليب بودرة !

ان كوب اللبن الطازج ، الذى يشربه الناس ، كل صباح ، فى كل مكان ، فى كل البلاد .. هذا الكوب الابيض المليء بالفيتامينات ، حُرِم منه اهل الكويت .. كما حرموا من الجبن الطازج المستخرج منه ..

حاول التجار الكويتيون ان يستوردوه ، فجاءهم الحليب على شكل مسحوق ناعم يجب اذابته فى الماء ليصبح لبنا .. اما الجبن المصنوع من اللبن الطازج فقد قيل لهم : « ممنوع تصديره ، لان الموجود يكفى بالكاد حاجة اهل البلاد .. »

واتجه التجار الكويتيون الى الاجبان الاجنبية الجافة فاستوردوها من اليونان ورومانيا وهولندا والدانمرك وانجلترا ، وانعدم الجبن الطازج من البلاد ..

لماذا ؟ !

ولكن اذا كانت الثرو الحيوانية فى معظم البلاد العربية لا تفى بالتصدير فما ذنب اهل الكويت ؟. ان هذا النقص لا يمكن ان يشكل جوابا على تساؤلهم الدائم : « لماذا نحن فقط ؟ ! »

نعم .. لماذا نحرم ويحرم مرضانا ، ويحرم طلبتنا .. واطفالنا .. من هذا اللبن الطازج ؟!

كانت اذا هى الشرارة التى انارت الطريق

تنشئة العجول وتدريبها !: ما يكاد العجل يولد حتى يؤخذ بعيداً عن امه احتفاظا بلبنها ، ويتولى مجموعة

هذا عجل حديث الولادة ، والمشرف يضع طرف اصبعه في فم العجل يعلمه الرضاعة ..

من العمال المدربين ، مهمة اطعام هذه العجول التى لا يقـدم لها الا اللبن فى اسـطال بيضـاء نظيفـة

الإبقار تشرب من الماء الذي يأتيها بالانابيب من الآبار الجوفية القريبة .

امام الشبان الثلاثة الذين عرضوا فكرتهم على حكومة الكويت فباركتها ومنحتهم قطعة ارض صحراوية ، خارج العاصمة ، ليبنوا عليها مزرعتهم

بالطائرات .. والسفن !

وفي نفس الساعة التي انتهى فيها بناء اول حظيرة في المزرعة هبطت في مطار الكويت اربع طائرات خاصة ، تحمل كل منها ركابا غريبين عجيبين ..

لم يستقبلوهم بالسلالم العادية ، بل وضعوا لهم الواحا كبيرة من الخشب تصل بين باب الطائرة وارض المطار . .

وفتح الباب واطل منه رأس بني اسمر كبير ، رفع خياشيمه الى اعلى متشمما جو بلاده الجديدة

تعبئة زجاجات اللبن تلقائيا
دون أن تلمسه يد ..

.. وكانت عملية انزال الضيوف من الطائرات مربكة لعمال المطار الذين لم يتعودوا على استقبال هذا النوع من الركاب ، الذين يبلغ وزن الواحد ٩٠٠ كيلوجرام تقريبا !!

وبداخل كل طائرة كانت هناك سبع بقرات ، وضعت مكان مقاعد الركاب التي نزعت من مكانها قبل السفر . وكانت جميعها « معشرة » ، لم يبق على موعد وضعها سوى بضعة ايام ..

مصاريف النقل = ثمن البقرة

وفي نفس الوقت رست على الرصيف الكبير في ميناء الشويخ ، باخرة دانمركية خاصة ، انزلت حمولة مشابهة لحمولة الطائرات ، بعد رحلة استغرقت شهرا كاملا ، من الدانمرك الى الكويت

ان مصاريف نقل وشحن كل بقرة الى الكويت ، تعادل ثمنها الذى اشتريت به من بلادها ..

٨ مواليد في الطريق

وفتحت المزرعة ابوابها لتستقبل الفوج الاول من الابقار وعدده ١٢٠ بقرة ، وثمانية عجول . سبعة ولدوا على ظهر الباخرة في الطريق ، وواحد ولد في مطار بيروت نفسه !

ولم تمض بضعة ايام على وجود الابقار في المزرعة ، حتى ارتفعت اصوات اول دفعة من العجول التي ولدت في الكويت ..

وما يكاد العجل يولد ، حتى ينقل بعيدا عن امه ليتركها تتفرغ لادرار اللبن .. ويتولى العناية بالمواليد الجدد عمال مختصون يطعمونها يوميا اللبن الصافي ، ويساعدونها على السير وعلى النوم .

وبعد عشرة اسابيع تباع الذكور من هذه العجول ، التي تربت على الحليب فقط ، الى القصابين المحليين ، الذين يذبحونها ويبيعون لحمها للاهالي ..

تدريب العجول الصغيرة على السير ، يتم بعد ولادتها بيوم واحد فقط !

شجرة العائلة

وتباع الذكور لان ثمانية منها كافية لجميع ابقار المزرعة ، التى اصبح عددها ٣٥٠ بقرة ، وقد طلبت المزرعة توريد ١٥٠ بقرة اخرى من احسن السلالات وبذا سيصبح المجموع ٥٠٠ بقرة كلها من السلالات العريقة التى لها فى بلادها الدانمرك سجلات خاصة معروفة مدون فيها اسم « الوالد » و « الوالدة » ومقدار الانتاج اليومى من اللبن الحليب !

واكبر كمية سجلتها بقرة فى الكويت بلغت ٧٦ رطلا (الرطل = ٤٥٣ جراما) ومتوسط انتاج كل بقرة فى المزرعة يصل الى ٤٠ رطلا يوميا .. وتحفظ المزرعة سجلا به معلومات وافية عن كل بقرة .. من حيث السلالة وكمية الحليب التى تدرها وتأقلمها بجو الكويت .

امس .. واليوم

ان الابقار الاولى التى وصلت للكويت منذ عامين عاشت فى ظروف اصعب من التى تعيش فيها ابقار اليوم .. فانابيب المياه لم تكن قد اوصلت بعد للمزرعة . وكان الماء يأتى على ظهر السيارات .. ولم يكن هناك شجرة واحدة خضراء

تمتاز سلالات ابقار الكويت بضخامة جسمها ، وكثرة ادرارها اللبن المحتوى على نسبة عالية من الدسم . وفى الصورة العليا بقرة استطاعت ان تدر ٧٦ رطلا من اللبن فى اليوم الواحد .. وتتم عملية الحلب بواسطة الآلات الحديثة ، التى تنقل اللبن تلقائيا من البقرة الى انابيب رفيعة تصب فى اوانى البسترة الكبيرة ،

حيث يسخن اللبن الى درجة ٦٢ر٨ يخفض بعدها الى درجة ٤ مئوية وهذه العملية ، من التسخين الى التبريد السريع كافية لقتل الكامن من الجراثيم والميكروبات في اللبن .

بينما اصبحت المنطقة كلها اليوم خضراء يانعة بها الاشجار والخضروات .

حلب بالكهرباء

وكان حلب البقرة يتم في اوان مكشوفة .. اما اليوم فيتم الحلب بأحدث الاجهزة الكهربائية التى تتولى الحلب ونقل اللبن تلقائيا ، دون ان تلمسه يد ، في الانابيب الى اوعية « البسترة » الكبيرة حيث يسخن الى درجة ٦٢٫٨ ويخفض بعدها بسرعة الى درجة ٤ وهذه العملية كافية لقتل الجراثيم .

وتبلغ نسبة الدسم في هذا الحليب ٤٫٥٪ وهي نسبة عالية ممتازة . بينما يتراوح معدل الدسم في الاقطار الاوروبية ما بين ٢٫٢٪ ـ ٣٫٥٪ فقط .. وتجرى يوميا ثلاث عمليات حلب وبسترة يوزع بعدها الحليب مباشرة على المستشفيات والمدارس كما توزع كمية قليلة على المحلات لبيعها للاهالي .. وتتم البسترة بعد نصف ساعة على الاكثر من الحلب .. بعكس الحال في اوروبا اذ تتم البسترة بعد ٢٤ ـ ٣٦ ساعة نظرا للوقت الذي تحتاجه عملية جمع الحليب من المزارع ونقلها الى مكان البسترة .. وكلما تأخرت بسترة الحليب ، فقد من عناصره الغذائية نسبة اكبر . ولهذا يعتبر انتاج هذه المزرعة من الحليب افضل من حليب اوروبا من حيث القوة الغذائية .

وهكذا اصبح اهل الكويت يحصلون على اللبن الكامل الطازج ، بعد ثماني ساعات فقط من حلبه وذلك لقصر مسافات التوزيع .

رقابة .. وتحاليل

وتخضع الابقار وحليبها الى رقابة صحية دقيقة . اذ يمر الطبيب البيطرى مرتين في الاسبوع للكشف على الابقار ، كما يتم تحليل اللبن في المعمل الصغير بالمزرعة بحثا عن البكتير المرضى .

وترسل ، كل اسبوعين ، كمية من حليب بقر

مجموعة من زجاجات اللبن المبستر في طريقها الى الثلاجة الكبيرة للحفظ حتى يأتي دورها في التوزيع ..

يقوم طبيب بيطرى من وزارة الصحة العامة الكويتية بالكشف على ابقار المزرعة مرتين فى الاسبوع . وفى المعمل الصغير بالمزرعة تجرى عملية فحص مقدار الدسم فى لبن كل بقرة .. وترى هنا (الى اليمين) الخبير الزراعى فى المزرعة يقوم بفحص كمية من هذه الالبان .

الى اسفل : عملية غسيل وتعقيم الزجاجات قبل تعبئتها بالحليب . وتتم العملية بواسطة اجهزة ميكانيكية ، تمر بداخلها الزجاجة فتغسل وتعقم وتخرج من الطرف الآخر استعدادا لتعبئتها .

بعد انتهاء عملية « البسترة » تخزن زجاجات اللبن فى برادات خاصة درجة حرارتها ٤ مئوية ، استعدادا لتسويقها فى الحال ، ولا توجد اية كمية من الحليب مخزونة ، لان الاقبال اكثر من الانتاج .

هدف المدرسة تعليم التفكير أولا

● ان قصة الكاتب الشهير جورج أورويل المعروفة باسم « ١٩٨٤ » تعتبر من روائع الأدب الحديث . وهي من خيرة ما كتب فى نقد كبت الحريات ، والمجتمعات التى تسيطر عليها الآلة .

وقد وقف منذ ايام طبيب اسنان ليقرأ صفحتين من هذا الكتاب امام عمدة مدرسة فى برنستن ، ثم ليطالب عمدة المدرسة بمنع استعمال هذا الكتاب فى المدرسة ، بحجة انه لا اخلاقي . وقد وافق عمدة المدرسة على راى طبيب الأسنان .

ان مثل هذا التصرف غاية فى الغرابة . ترى كم واحدا من اولئك الأعضاء قد قرأ هذا الكتاب ؟ لا احد ــ كما اعتقد .

ان اي كتاب يمكن ان يلقى المصير نفسه اذا اقتصر فيه على قراءة فقرات معينة ، والكتاب المقدس يأتى اولا .

ان كتاب جورج أورويل يعلم الناس ان يفكروا ، والمدرسة التى لا تعلم طلابها التفكير ، مدرسة فاشلة .

عن جريدة **« ميلووكي جرنال »**

حرية الكلام فى المجتمع الديمقراطي

● ان اول شرط من شروط المجتمع الديمقراطي، هو أن يتمتع المواطن بحرية الكلام ، والتعبير عن رايه ، ومع هذا فان هذه الحرية يجب أن لا تكون مطلقة ، غير مشروطة ، وقد نص على هذا القانون نفسه حين قال : « ان أى شخص فى اى مكان عام ، أو اجتماع عام ، يستعمل كلمات التحقير ، وعبارات التهديد بقصد اثارة الشغب ، والاخلال بالأمن ، يعتبر مذنبا . »

وقد حدث مثل هــــذا الاستفزاز ، والاخلال بالأمن ، فى الاجتماع الذى عقد فى ميدان الطرف الأغر بلندن ، حيث وقف الخطباء يمجدون النازية. ونحن نعرف ان كثيرين من المواطنين قد نكبوا فى الحرب بسبب النازية : فهناك امراة فقدت زوجها، واطفال ، هم الآن شباب ، تربوا فى اليتم ، وأم فقدت وحيدها ... وامام هذا الاستفزاز وما تلاه من اضطراب ، وجدت وزارة الداخلية نفسها مضطرة الى اعتقال عدد من المحرضين الرئيسين ، وفرض غرامة عليهم .

وقد احتج بعض أعضاء مجلس العموم على تصرف وزارة الداخلية ، فوقف وزير الداخلية أمام المجلس مدافعا عن هذا الاجراء الذى اتخذه .

ونحن نرجو أن يكون المجلس قد اقتنع بشرعية هذا الاجراء ، خاصة وان وزارة الداخلية بهذا العمل انما تطبق القانون .

جريدة المانشستر غارديان

بريطانيا والسوق الاوروبية

● لقد دابت هذه الصحيفة على مساندة مستر مكميلان ايمانا منها بأنه لن يزج ببريطانيا فى السوق الاوروبية المشتركة مضحيا بذلك بالكومنولث .

ولكن يبدو لنا ان مستر مكميلان ليس السياسي الذى آمنا به .. فهو قد تجاهل نصائح المخلصين من رؤساء دول الكومنولث الذين بينوا له ان انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية المشتركة لا يعني فقط اضعاف الصلة بين بريطانيا ودول الكومنولث ، بل يعني تحطيمها تحطيما تاما .

ولقد حذره المخلصون ايضا من ان انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية المشتركة سيحرم المواطنين من التمتع الذي ينعمون به الآن ، وهو رخص المواد الغذائية التى تشتريها من دول الكومنولث . وانضمام بريطانيا الى السوق الأوروبية المشتركة سيؤدى حتما الى ارتفاع اثمان المواد الغذائية نتيجة لخطة التنسيق الاقتصادى مع دول السوق المشتركة .

والغريب أن ينتهج مستر مكميلان سياسته الحالية ، فى الوقت الذى زادت فيه تجارتنا مع دول الكومنولث اضعافا مضاعفة ، عن تجارتنا مع دول السوق الأوروبية .

ان سياسة مستر مكميلان غير الحكيمة فى هذا الميدان ، تجعلنا نعلن ان ثقتنا به اولا كانت ثقة فى غير محلها . كما تجعلنا نعلن صراحة اننا ضد حكومة مكميلان التى تنتهج مثل هذه السياسة الخرقاء .

جريدة « الصندى اكسبريس » لندن

خرافة استعمار

● ان استسلام « غي موليه » في ١٩٥٦/٢/٦ ، وكذلك طغيان «لاكوست» وتعسفه الدموى فى حكم الجزائر ، ماتماوحدثا الا بسبب مادعي : « باستحالة » قسر المستوطنين على الخضوع ! ...وتحت شعار تلك «الاستحالة» المزعومة تكاتف الفاشستيون وانصار ديجول فى صنع حركة ١٣ آيار !.. وكذلك باسمها الأسطورى ، وبوحي من سرابها الخداع،القى ديجول خلال صيف ١٩٥٨ كل خطبه المعروفة .. ثم تردد وداور وراوغ حوالى اربع سنوات ، مطيلاً بهذا امد الحرب ، ومسبباً اندلاع حركات التمردوتكوين منظمة الجيش السرى .

ان تأخير اعلان استقلال الجزائرسنوات وسنوات ، لم يكن قط ضرورة تحتمها تطورات الأمور ، كما يزعم بعض المعلقين السياسيين فى هذه الايام . ان تأجيل اعلان هذا الاستقلال ماكان يجب ان يتأخر حتى تزهقَ ارواح مئات الألوف من الضحايا ، وتبدد آلاف المليارات من الفرنكات ، وتتكوّن عصابات الارهاب والقتل . ثم كانت النتيجة ان هجرت جموع الأوروبيين ارض الجزائر الى الأبد عائدة الى بلادها الأصلية ..حيث تؤرقها هناك ذكريات حمامات الدماء ! ..

« جيل مارتينيه »

فى مجلة « فرانس أوبسرفاتور »

كتاب الشهر

جورج برنارد شو

صنو شكسبير في عبقرية ونقيضه في شذوذه

بقلم الدكتور محمود السمرة

■ لعل جورج برنارد شو هو اكبر كاتب مسرحي ظهر في دنيا الادب ، منذ وفاة شكسبير ، وهو عبقرية فذة متعددة جوانب النبوغ : فهو ناقد موسيقي ، وناقد ادبي ، وناقد فني ، هز مفاهيم عصره واكسب الوسط الادبي والفني حياة جديدة . وهو مصلح اجتماعي استطاع ان يضع الاسس التي استقرت عليها الاشتراكية البريطانية. وهو فوق هذا عبقري بشخصيته الجذابة : فما حل في مجتمع الا وتحلق الحفل حوله يستمعون الى حديثه الممتع ، وما فاه بتعليق فكه الا وتناقلته الصحف والاذاعات ، وما وقف خطيبا الا سحر المستمعين ، وتمنى اي خطيب ان يكون هذا الخطيب . ومع هذا فان هذا العبقري الفذ ، كانت له شطحات من الشذوذ ايضا ، ولكن هذا الشذوذ جزء من طبيعة شو التي صيرته على ما هو عليه .

ولقد كتب الكثير عن شو ، ومن أشهر من كتب عنه فرانك هاريس (١٩٣١) ، وتشسترتون (١٩٠٩) و « جود Joad » (١٩٤٩) ، و « ايريك بنتلي» (١٩٥٠) ، وهسكيث بيرسون (١٩٤٩ ، ١٩٥١ ، ١٩٦١) وهذا الكتاب هو الذي نقدمه ، وقد طبع عدة مرات ، وفي كل مرة كان يضيف اليه المؤلف ما حصل عليه من معلومات جديدة . وهناك كتاب ايضا بقلم شو نفسه بعنوان Sixteen Self-Sketches وقد صدر قبل وفاته بسنة واحدة .

ولعل كتاب هسكيث بيرسون هو امتع ما كتب عن شو ، والمؤلف من مواليد عام ١٨٨٧ ، وقد بدأ حياته ممثلا مسرحيا ، ثم اشتهر ككاتب تراجم، يستطيع ان يكسب شخصياته حياة ، وهو ذو اسلوب جذاب مغر بالقراءة . ومن المشاهير الذين كتب عنهم : سدني سميث ، وهزليت ، وجيلبرت وسليفان ، وتوم بين ، وكونان دويل ، واوسكار وايلد ، وديكنز ، وديزرائيلي ...

وكتاب بيرسون عن شو يتميز بالصفات التي عرفت بها دراساته ، ولكنه رغم ميزاته يعوزه التنظيم ، فهو أشبه بفصول عن جوانب مختلفة من حياة شو ، كلها ممتع جذاب ، ولكنها غير مترابطة . وهذا الكتاب مادة طيبة مفيدة لمن يريد ان يدرس جورج برنارد شو .

طفولة شو

في السادس والعشرين من تموز من عام ١٨٥٦ ، وفي دبلن ، ولد جورج برنارد شو من ابوين مختلفي الطباع : والد يستطيع ان يضحك وسط اعنف المآسي ، ووالدة دائمة الوجوم ، خصبة الخيال ، عاشقة للموسيقى . وقد ورث من الاب مرحه،ومن الام خيالها الخصب وحبها للموسيقى. واشتغل والده بتجارة القمح ، وكان في دكانه يوم ان جاءه النبأ بأن تجارته افلست ، فما كان منه الا ان ادار وجهه الى الحائط ، واغرق في الضحك. وعاش برنارد شو ليكون صورة من هذا الوالد .

ونشأ برنارد شو ، مع شقيقتيه اللتين تكبرانه ، في بيت ترك لهم فيه الوالدان الحرية المطلقة يفعلون ما يريدون ، دون رقيب او محاسب ، « فنشأت حر التفكير قبل ان اعرف كيف افكر » . ويبدو ان الام لم تكن لتشغل نفسها بأمر ابنائها ، فكانت تتركهم للخدم ، فاذا حدث واخذته معها في زيارة كان ذلك حدثا سعيدا.

وقد كره شو الكنائس منذ صغره حتى انه دعاها « بيت الشيطان » : « كنت في طفولتي ضحية عادة وحشية تفرض على الاطفال الصغار ان يجلسوا دون حراك في زاوية رطبة مظلمة من الكنيسة ، صباح كل احد ، فتتجمد اطرافهم .. فكان أول ما فعلته عندما ملكت حريتي ، ان ابتعدت عن الكنائس . »

لهسكيث بيرسون

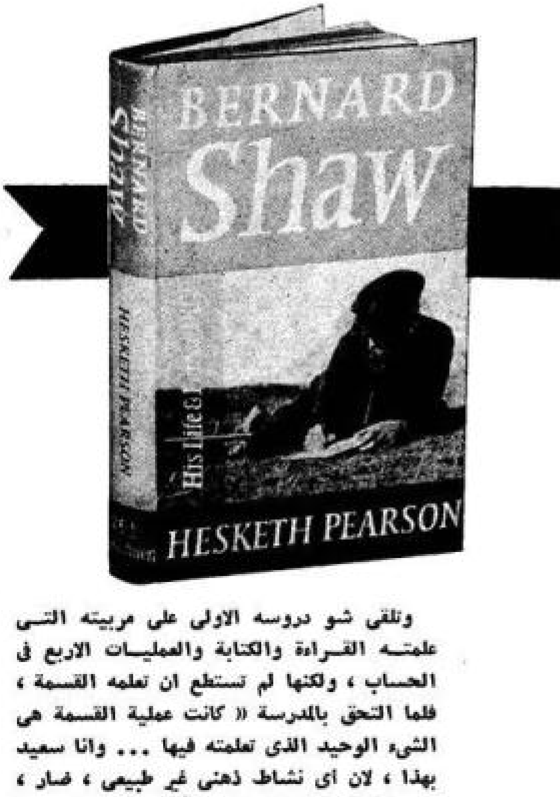

وتلقى شو دروسه الاولى على مربيته التى علمته القراءة والكتابة والعمليات الاربع فى الحساب ، ولكنها لم تستطع ان تعلمه القسمة ، فلما التحق بالمدرسة « كانت عملية القسمة هى الشيء الوحيد الذى تعلمته فيها ... وانا سعيد بهذا ، لان اى نشاط ذهنى غير طبيعى ، ضار ، ومن الخطأ ان نحاول تعليم الطفل اشياء لا يحبها .. والمدرسة هى اخر مكان يمكن ان يتعلم فيه المرء لانها اشبه بسجن .. وقد وجدت ان من قضوا زمنا طويلا فى التعلم يعرفون اقل من غيرهم!!» وقد بلغ من كراهية شو لنظم التعليم فى زمنه ان رفض ان توضع اجزاء من مسرحيته «القديسة جان» لتعلم فى المدارس ، وقال : « اننى لاصب لعنتى الابدية على راس كل من تسول له نفسه ان يجعل من كتبى نصوصا تدرس فى المدارس ، يكرهنى الطلاب من اجلها كما يكرهون شكسبير . اننى لم اكتب مسرحياتى لتكون ادوات تعذيب للطلاب . »

ولم يكن شو تلميذا بليدا حتى كره المدرسة هذه الكراهية ، بل العكس هو الصحيح : فقد قرأ « روبنصون كروزو » وهو ابن ست سنوات ، وكان منكبا على قراءة المجلدات ودراسة شكسبير بينما كان اترابه ما يزالون يتعثرون فى القراءة البسيطة .

وقد كان شو منذ طفولته ، والفكاهة جزء من حياته : كان يسلى زملاءه فى الصف بتمثيل مناظر هزلية من حياته البيتية ، ومن روايات شكسبير ، والالياذة ، والاوديسة .

وتربى شو على حب الموسيقى منذ صغره ، فكان يستطيع ان يصفر الحان سوناتات موزارت وبيتهوفن . وعشق الاوبرا لدرجة الجنون ، ولما كبر عشق المسرح .

هكذا كانت طفولة شو .

وفى عام ١٨٧٢ وجدت الام نفسها عاجزة عن الاستمرار فى الحياة مع زوج هو نقيضها فى المزاج، فأخذت ابنتيها معها ، ورحلت الى لندن لتعمل مدرسة للموسيقى . وهناك لم تلبث احدى الفتاتين ان توفيت بذات الرئة ، وعاشت الاخت الاخرى تحلم بان تكون مغنية من مغنيات الاوبرا ، ولكنها لم تحقق هذا الحلم حتى يوم وفاتها عام ١٩٢٠ .

ستة جنيهات فى تسع سنوات

وبقى جورج مع والده ليجد نفسه مضطرا للعمل ، وهو ما زال ابن ثلاثة عشر عاما : فعمل كاتبا فى مؤسسة تتاجر بالاراضى ، وارتقى حتى اصبح صراف المؤسسة ، وكان اثناء ذلك يكتب بعض المقالات فى الصحف ، ولكنه لم يكن يطرب لهذا لانه كان يحس منذ هذه السن المبكرة انه اديب موهوب ، وانه سيكون له شان فى عالم الكتابة .

وفجأة وجد شو دبلن تضيق عليه ، وعمله يكاد يخنقه ، فقرر عام ١٨٧٦ السفر الى لندن ، مركز الحياة الفكرية فى بريطانيا . وترك ايرلندة غير آسف ، وعبر عن كراهيته لها ، ولم يعد لها الا بعد ثلاثين سنة لزيارة خاطفة . وانكب فى لندن على الكتابة ، ولكن الصحف قلما كانت تنشر له شيئا ، حتى انه لم يكسب من قلمه خلال تسع سنوات سوى ستة جنيهات. وقد كانت هذه تسع سنوات من الفقر المدقع فى حياة شو : اضطر

خلالها الى ان يكتفى ببذلة واحدة حتى استحالت خرقا ، ويقطع شوارع لندن بحذاء ممزق . ولقد قضى اكثر هذه السنوات يتأمل التحف الفنية فى المتاحف ، ويطالع فى قاعة المطالعة بالمتحف البريطانى . وما رآه احد فى هذه الفترة الا وظنه مجنونا ، او على الاقل معتوها . وامتنع شو عن اكل اللحم ، واصبح نباتيا ، لان اكل اللحم وحشية لا تغتفر . وبعد عام ١٨٨٥ أخذ يكسب من قلمه ما يكفل له حياة مريحة ، فاخذ يظهر بعدها بمظهر لائق .

واستهوته تجمعات الخطباء فى هايد بارك ، فشارك فيها ، وجذبته قاعات المحاضرات فلم يبتعد عنها ، وانخرط فى اجوائها ، وهو فى كل هذا يعد نفسه ليكون الخطيب المفوه الذى صار اليه .

شو والجمعية الفابية

وشغف بالآراء الاشتراكية التى كانت تغلى بها بريطانيا ، واقبل على قراءة « راس المال » لكارل ماركس فى ترجمته الفرنسية ، لانه لم يكن قد ترجم الى الانجليزية بعد : « لقد سمعت الاشتراكيين يقولون انه لا يحق لاى امرىء ان يتحدث فى الاشتراكية الا بعد ان يقرأ كارل ماركس ، فهرعت الى المتحف البريطانى لاقراه ، فكان اطلاعى عليه نقطة تحول فى حياتى : لقد ادركت خطأ نظريات ماركس التجريدية ، ولكن هذه النظريات ـ على خطاها ـ فتحت عينى على حقائق الوجود ، وجعلتنى صاحب رسالة فى الحياة » . وكان شو لم يعد السادسة والعشرين من العمر .

والواقع ان شو لم يكن مغاليا فى وصفه لما تركه « راس المال » فى نفسه من اثر : فقد جعله اشتراكيا عميق الايمان بالاشتراكية ، واحاله الى كاتب ثائر . ومن نقد شو لنظريات ماركس ساهم فى خلق اشتراكية متميزة هى الاشتراكية البريطانية المعروفة بـ « الفابية » . ومنذ ان آمن شو بالاشتراكية ، كما فهمها ، كرس جهده للدعوة لها ، وبقى لمدة اثنتى عشرة سنة يحاضر فيها بمعدل ثلاث مرات فى الاسبوع . وقد ابتدا محاضراته على منصة فى هايد بارك ، ثم انتقل الى قاعات المحاضرات الفسيحة ، عندما اخذ الناس يحتشدون بأعداد ضخمة لسماعه . وقد بلغ من فصاحته وقوة حجته وتاثيره على المستمعين ان قال رجل من الخطباء والمفكرين البارزين « ان المرء ليحسّ بتفاهته عندما يسمع شو يتحدث » .

وما هى هذه الجمعية الفابية التى كان شو لسانها الطلق ، وداعيتها الذى لا يكل ؟

فى عام ١٨٨٤ وقع فى يد شو كتيب بعنوان « لماذا الكثرة فقيرة ؟ » وهى نشرة صادرة باسم « الجمعية الفابية » ، فاعجبه ، وانضم الى هذه الجمعية ، وبعد ثمانية اشهر اصبح عضوا فى اللجنة التنفيذية ، وكان عصب هذه الجمعية هو «بلاند Bland »وزوجته الذكية الجميلة « ايديث نسبت Edith Nesbit » ، ثم برز اربعة كانوا هم أركان الجمعية الفابية : شو ، ووبب ، واوليفيير ، وجريهام ولاس . وانضم اليهم ، بتاثير من شو ، وليم موريس ، و « انى بيسانت Annie Besant » ، اشهر خطيبة فى عصرها فى كل القارة الاوروبية .

وقد اخذت هذه الجمعية اسمها من «فابيوس» القائد الرومانى ، الذى انتصر ، بسياسته المتانية، على هانيبال ، ويعنى اسمها انها جمعية تؤمن بالعمل البطىء المنظم الذى يقود الى النصر . وهذا هو اساس اختلافها مع الماركسية التى تؤمن بالثورة والعنف .

ومع ان الجمعية الفابية احرزت كثيرا من النجاح ، الا ان اعضاءها كانوا دوما قلة : فقد بدات بأربعين عضوا ، ولم تزد عن الالفين الا قليلا. وهذه الاشتراكية الفابية هى التى قام عليها « حزب العمال البريطانى » . وقد طلبت الجمعية من شو ان يرشح نفسه للانتخابات البرلمانية فرفض قائلا : « اننى لافضل ان اكون من قواد الجمعية الفابية على ان اكون عضوا فى كورس البرلمان » .

وقد بلغ من حماس شو لاشتراكيته ان قال : « اننى افضل ان اقضى يومين او ثلاثة كل اسبوع احاضر واناقش فى الاشتراكية ، على ان اذهب للرقص او الشرب أو حتى لموعد غرام » وهذا القول يكشف لنا عن حقيقة شعور شو نحو المراة : فالمراة فى حياته شىء ثانوى ، وان كانت فى كتاباته شيئا هاما ، وهى تجذبه اليها بذكائها وسحرها

فيعشقها بخياله لابجسده . ويرى شو ان العملية الجنسية تحط من كرامة الانسان ، ولذا فانها يجب ان تتم في الظلام ، ومن الخير الا يعرف الاطفال آباءهم ! وخير الحب عنده ما تم عن بعد ، عن طريق الرسائل !

المرأة في حياة شو

ومع هذا فقد كان لشو غراميات عدة ، وعاشقات كثيرات ، فقد كان ذا تأثير بالغ في النساء : واول هذا الغرام ، غرام اليانور ابنة كارل ماركس به . ومن هؤلاء العاشقات العديدات ايضا الخطيبة المفوهة ، والمرأة الجذابة (انى بيسانت) ، التي قادها غرامها به الى ان تنضم الى الجمعية الفابية . ومنهن (اديث نيسبت) ، الكاتبة الشاعرة ، وزوجة هوبرت بلاند ، من مؤسسي الجمعية الفابية . وقد عبرت عن حبها العميق له في شعرها . اما شو فقد علق على حبه لها قائلا : « ان من الطبيعي ان تكون علاقة الانسان طيبة بزوجات اصدقائه ، والعاقل من لا يترك لشؤون الجنس اثرا في هذه العلاقة » . والواقع ان شو كان يمثل ادوارا غرامية بريئة مع عاشقاته ليستمد من هذه العلاقة مواد لمسرحياته ، وقد اعترف شو نفسه بهذا .

ومن الشهيرات اللواتي وقعن في غرامه ، الممثلة (فلورنس فار) التي قامت بأدوار البطولة في بعض مسرحياته ، وهي امرأة ذكية ، باهرة الجمال ، وقد تعدت علاقتهما حدود الصداقة البريئة الى الاتصال الجنسي « ولكن الجنس اساس واه لاقامة صداقة دائمة » .

ووقعت في غرامه من بعيد ، الراقصة الشهيرة ايزادورا دنكان ولما التقت به لاول مرة في حفلة هجمت عليه ، واحتضنته قائلة : « تعال اليّ . لقد احببتك طيلة حياتي ! » واشتد بها الوجد حتى انها قالت مرة له : « ما رأيك في ان نتزوج ، فننجب اكمل طفل في العالم ، لانك تملك احسن عقل ، واملك انا اجمل جسد ! » فأجابها شو : « اخشى ان ينعكس الامر ! » .

ثم كانت هناك الممثلة «الين تيرى Ellen Terry» اشهر من وقفت على المسرح في عصرها ، ولكن هذه العلاقة بقيت قائمة على الصداقة والاحترام . وقد رأى فيها شو عبقرية فذة تستطيع ان تقوم بأدوار بطلات مسرحياته فتحسن الاداء ، ولكنها كانت تضيع عبقريتها في تمثيل مسرحيات شكسبير ، التي لم يكن يرى شو فيها سوى شعر جميل .

شو وشكسبير

ولعل جورج برنارد شو هاجم شكسبير لسببين: أولهما : انه أراد أن يوجه الأنظار اليه ، وان كان شو نفسه ينكر هذا القول انكارا قاطعا.وثانيهما : انه اراد أن يبرز ابسن Ibsen ، وهو المعجب به ، بعد ان رأى مسرحيات شكسبير تغطي على كل ما عداها . وموقف شو من شكسبير ، له نظير في كل جيل : فالشبان عادة يكفرون بآلهة آبائهم ويحاولون ان يخلقوا آلهة جديدة . لقد كفر شو بشكسبير ليخلق ابسن ، فجاء جيل بعد شو ليكفر بابسن وليؤله شو نفسه .

لقد هاجم تولستوى ، من قبل ، شكسبير ، وحكم عليه بالفشل ، لانه لم يستطع في مسرحياته ان يجيب على التساؤل الأبدى : « لماذا نحن نحيا ؟ » وهو نقد واه من اساسه ، لان هذه ليست مهمة الكاتب المسرحي ، بل مهمة الفيلسوف . ولم يكن نقد شو لشكسبير اكثر معقولية من نقد تولستوى : فقد خلط شو بين شكسبير وأبطاله ، فنسب ما يجرى على ألسنتهم على انها آراء شكسبير نفسه . والغريب ان الاتهام نفسه وجه الى شو ، فدافع عن نفسه بانه يجرى على السنة شخصياته ما يناسبها من آراء ! واذا كان لشكسبير من عيب ، فانه لم يفهم الحياة كما فهمها شو ، وليس من المفروض فيه ان يفهمها كما فهمها شو . وعيب شو البارز في علاقاته بالناس ، وفي فنه أيضا ، هو : انه لم يكن يستطيع ان يتصور امكانية صواب وجهة نظر غيره ، كما انه في مسرحياته لم يكن يحسن سوى تصوير الأنماط التي يحب من الأبطال والبطلات .

وبماذا تختلف مسرحيات شو عن مسرحيات شكسبير ، وعن المسرحيات الشائعة زمنه ؟ لقد اراد شو ان يبين في مسرحياته أثر الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية في شخصياته ، بينما عرض شكسبير في مسرحياته العواطف الانسانية العامة : من حب وتضحية ، وطموح وخيانة ، ونبل وخسة .. كان شو يؤمن بانه

صاحب رسالة ، وادبه هو اداته في التبشير بها ، اما شكسبير فلم يكن كذلك في رايه . وقد كان كتاب المسرح المعاصرون لشو يؤمنون ، كما آمن شكسبير ، بالمسرحية المكتوبة على نظام معروف : فهي قصة تكتمل عقدتها في نهاية الفصل الثاني ، وتنحل هذه العقدة في الفصلين الثالث والرابع . اما شو فقد راى في هذا المسرح صنعة تبعده عن الحياة .

« كنديدا » ومسرحيات أخرى

وقد اثبت شو نجاحه كمسرحي مجدد في « بيوت الارامل Widowers' Houses » ، ثم ظهرت له « مسرحيات غير سارة Plays Unpleasant » و « مسرحيات سارة Plays Pleasant » .

اما اول مسرحية وطدت اقدامه واشهرته فهي « كنديدا Candida » : كان على موعد مع المخرج والممثلين ليقراها عليهم ، ولما دخل اخذ يخرج من جيوبه كراريس صغيرة الحجوم متنوعة الاشكال ، فكأنه حـاو يريد ان يبهر النظارة بمهارته . ثم علق قائلا : « انى لاراكم مندهشين مما ترون ، ولعلكم تعذرونني اذا علمتم انني اكتب مسرحياتي في الباصات ، وفي القطارات » . وهذا القول من شو يفسر لنا لماذا نحس في مسرحياته الاولى وكأن شخصياتها تصرخ باعلى صوتها ، ولا تتحدث حديثا هادئا .

ونجحت « كنديدا » نجاحا كبيرا على المسرح ، مما اضطر شو الى أن يقف في النظارة خطيبا ، ويقول : « اهنئكم لانكم اثبتم باعجابكم بكنديدا بانكم متقدمون تسع عشرة سنة عن زمنكم ! » وهو في قوله هذا انما يشير الى قول تشارلس ويندهام له ، عندما قراها عليه قبل ست سنوات : « ان هذه المسرحية متقدمة عن زمنها خمسا وعشرين سنة » .

وعلى الرغم من نجاح شو ككاتب مسرحي في بريطانيا الا ان نجاحه في امريكا هو الذى حرره اقتصاديا ، فقد نجحت لـه رواية « حوارى الشيطان The Devil's Disciple » التي مثلت في نيويورك عام ١٨٩٧ ، ودرت عليه ثلاثة آلاف جنيه . هنا وجد شو ان الفرصة قد حانت ليطلق الى الابد وظيفته كناقد .

غرام فزواج

وفي صيف عام ١٨٩٦ مرت بشو تجربة لم يكن ينتظرها ، فقد وقع في هوى الآنسة شارلوت بين تاونسهند Charlotte Payne - Townshend وهي فتاة ايرلندية ، بالغة الثراء ، ذكية ، وذات خلق . وقد تجمع حولها الطامعون ، ولكنها ردتهم جميعا ، ثم التقت بالسيدة « ويب » فضمتها الى الجمعية الفابية . وكان من عادة السيدة (ويب) وزوجها ان يقضيا الصيف في بيت ريفي خارج لندن ، ويشاركهما فيه عضوان بارزان من الجمعية الفابية هما جورج برنارد شو وجريهام ولاس ، وغيرهما : فيقضون الصباح في نقاش حول الاشتراكية، وبعد الظهر يقضون الساعات في ركوب الدراجات والمشي ، رياضتهم المفضلة . وهنا ، في هذا البيت الريفي ، التقى شو بشارلوت ، ويبدو انهما قد وقعا في غرام بعضهما بعضا بعد التقائهما بقليل ، ومن هذا البيت الريفي كتب شو الى صديقته الين تيرى يقول : « ٢٨ آب ... انضمت الينا مليونيرة ايرلندية ، وقد احببتها ، احببتها هي لا ملايينها ! » ، وهنا كان شو يقضي كثيرا من الوقت يتريض مع هذه الفتاة التى علقهـا وفي المساء يقرأ للجماعة ، بعد العشاء ، فصولا من مسرحياته .

وتفرق شمل الجماعة ، وعادوا الى لندن ، واصبحت شارلوت لا تكاد تفارق شو ، واصبح يقضي اكثر وقته في شقتها ، فيملي عليها مقالاته ، وتعنى به في حالات المرض والتعب .

وفي آذار ١٨٩٨ قامت شارلوت ، برفقة ويب وزوجته ، برحلة حول العالم ، وما وصلت روما حتى وافاهم خبر من جريهام ولاس ينبئهم ان شو مريض مرضا خطيرا ، وليس هناك من يعنى به ، فاستقلت شارلوت القطار حالا ، عائدة الى لندن « لاجده يعيش في غرفة صغيرة ، قـذرة ، غير مرتبـة : اكداس من الورق والكتب والاقلام والصحف ، مختلطة بالسكاكين والشوك والملاعق والصحون والزبدة والقهوة والشاى ، اما النافذة فيحتفظ بها مفتوحة صيفا وشتاء ، ولهذا كان كل ما في الغرفة مغطى بطبقة سميكة من الدخان » ... وقد وجدته شارلوت بالغ النحول والاعياء ، والسبب دُمّل في قدمه نتج عن لبسه لحذاء ضيق مشدود السيور .

ولم يكن مثل هذا الجو صالحا لمريض في حاجة الى عناية كبيرة ، ومكـان صحي ، فنقلته الـى شقتها . وامام هذا الوضع الحرج لم يجد شو بدا من المبادرة الى اعلان زواجهما : « لاننا شعرنا باننا لم نعد نطيق الابتعاد عن بعضنا بعضا » .

وفي صباح يوم أول حزيران ۱۸۹۸ ، توجها الى مكتب الزواج ، ومعهما صديقان شاهدان احدهما جريهام ولاس « وقد ظنني موظف المكتب الشحات الذى يرافق مواكب الاعراس دوما ، طامعا في ان يجود عليه الناس في مثل هذه المناسبة ، وقد كان الموظف معذورا في ظنه هذا ، فقد كانت ملابسي اشبه بالخرق البالية !! » ويصف شو بروحـه الفكهة شهر العسل فيقول : « لقد نعمت زوجتي بشهر عسل رائع .. فقد بدات بتطبيب قدمي ، ولما بدات بالتحسن ، سقطت من فوق الدرج الى اسفله فكسرت ذراعي اليسرى ، فكان عليها ان تعنى بقدمي ويدي ! » .

وبعد شفائه سافرا الى جزيرة وايت ، للنقاهة، وهناك كان يعمل في مسرحيته الجديدة « قيصر وكليوباطرة » واراد ان يحتفل بشفائه ، فركب الدراجة ، ولكنه سقط عنها وكسرت ركبته « فكان الالم الذى احسست به اضعاف ما قاسيته في مرضي السابق » .

اصراره على نباتيته

ونصحه الاطباء بالعودة الى اكل اللحم لكى يقوى جسمه ، ولكنه رفض ذلك قائلا : « ان حياتي تبعث على الحزن والاسى ، لانها مشروطة باكل اللحم . وتلتف حولي زوجتي واصدقائي يرجونني ان آكل هذه الشريحة من اللحم او تلك ، ولكني اوثر الموت على هذا العمل الوحشي ، ووصيتي ان يشيع جنازتي بعد موتي ، لا زوجتي واصدقائي ، بل قطعان البقر والغنم ، والاوز ، وكل ذي لحم ياكله الانسان ، عـلى ان تلبس جميعهـا ياقات بيضاء تكريما لهذا الحيوان الذى آثر ان يموت على ان ياكل اخوته الحيوانات الاخرى !! » .

شو الكاتب المسرحي الناجح

وشفي شو من امراضه اخيرا ، واتم مسرحية « قيصر وكليو بطرة » ، فنجحت على المسرح نجاحا باهرا ، وكان لها تاثير كبير في الاوساط الادبية ، وعلى الاتجاهات الادبية في عصره ، فقد بدا الكتاب يحذون حذوه : ان يعالجوا الموضوعات التاريخية بطريقة فكهة . اما شخصية قيصر الحقيقية فان شو لم يحسن تصويرها ، لانه لم يفهمها ، عـلى عكس شكسبير .

وهنا لابد من كلمة عن طريقة شو في كتـابة مسرحياته : فهو لا يضع خطة المسرحية مقدما ابدا، ولكن تكون في ذهنه فكرتها فقط ، ثم يبدا بالكتابة دون ان يدرى ما سيكتب في الصفحة التالية . انه يؤمن بالالهام الآني « ولكني لا اسمح للمسرحية ان تظهر الا بعد ان اكون قـد بذلت فيهـا كل جهدى ، وجعلتها خفيفة على النفس ، سـهلة الفهم . ثم يشاهدها النظارة ويضحكون ثلاث ساعات ، ويكافؤونني على ذلك بان يديروا ظهورهم ويقولوا : « انها ليست مسرحية !! » .

ولا يترك شو المسرحية للممثلين والمخرج يفعلون بها ما يريدون ، بل يجتمع بهم ، ويقراها عليهم بطريقة تمثيلية تبرز كل دور ، وباتقان لا يقـوى عليه حتى ممثل الدور نفسه . وبعد هذا يحضر بروفات المسرحية : فيرشد الممثلين ، ويوجههم . ويشترك في تصميم المناظر ، واخراج المسرحية .

ولمع شو ككاتب عبقرى من كتاب المسرح بعـد مسرحيته «جزيرة جون بول الاخرى John Bull's Other Island » فحضرها آرثر بلفور ، رئيس الوزراء ، اربع مرات ودعا اليها اسكويث من زعماء المعارضة . وفي ۱۱ آذار ۱۹۰٥ حضرها الملك ادورد السابع الذى ضحك من اعماقه حتى انه كسر الكرسى الذى كان يجلس عليه !! وتلت هـذه المسرحية « الانسان والانسان الكامل » ، فثبتت شهرته ، واصبح شو معبود الطبقة المثقفة من رجال ونساء ، وترك فيهم آثارا تتضاءل امامهـا آثار ويلز ، وتشسترتون ، وبلوك ، وجولسورثي ، وبنيت ، وغيرهم . لقد احبت طبقة الشباب المثقف شو لجرأته على التقاليـد ، واحتقـاره للمعايير الخلقية الموروثة ، ومناصرته للمضطهدين، وقدرته على بعث المرح في النفوس ، وسخريته من الناس اللابسين لباس التزمت والوقار .

ثم ظهرت لشو : الميجر بربارة Major Barbara

وفيها يعالج مشكلة الفقر ، وبعدها « معضلة الطبيب The Doctor's Dilemma » ، وفيها يتناول مظاهر من حياة مشاهير الاطباء في زمانه ، وهي من اكثر مسرحياته مرحا . وهناك قصة طريفة متصلة بهذه المسرحية : التقى شو في حفلة بمكتشف القطب الشمالي ، نانسن ، وكان شو في هذه الفترة قد بدأ يزعجه صداع عنيف ، يلم به مرة كل شهر ، وليوم كامل ، وبقي ملازما له حتى سن السبعين . ولم يستطع الاطباء علاجه .

قال شو لنانسن : هل اكتشفت علاجا للصداع؟ فاجابه نانسن بالنفي ، وباستغراب . فقال له شو : « عجيب امرك ، لقد قضيت حياتك تحاول اكتشاف القطب الشمالي ، الذي لا يهم امره احدا من الناس ، ولا تكلف نفسك اكتشاف علاج يشفي من الصداع ، وهو ما يشكو منه كل الناس!! » وبعد هذا الحوار نبتت في ذهن شو فكرة مسرحيته « معضلة الطبيب » .

وظهرت له « بيجماليون » وعرضت في لندن بنجاح باهر ، حتى انه كسب منها مبلغ ثلاثة عشر الف جنيه .

النبي محمد في مسرحيات شو

ومن روائع جورج برنارد شو مسرحية « القديسة جان دارك Saint Joan » ، ووراء كتابتها قصة : كان شو طيلة حياته معجبا بالنبي محمد ، ويرى في حياته ورسالته تجسيدا للبطولة كما يفهمها . واراد شو عام ١٩١٣ ان يكتب عنه مسرحية ، ولكن الحكومة البريطانية منعته من ذلك لان هذا سيثير عليها ثائرة السفير التركي ، حيث ان الدين الاسلامي يحرم تمثيل شخصية الرسول على المسرح ، كما ان مثل هذه المسرحية ستثير عليها رعاياها المسلمين . وهكذا ترك شو فكرة هذه المسرحية ، وان كان قد انطق شخصيات مسرحياته التالية بكثير من التعليقات التي تشير الى حياة النبي الكريم : فالشيخ في « العودة الى متوشالح Back To Methuselah » يقول عن النبي « انه عميق الحكمة ... » ، ويظهر لفترة قصيرة في مسرحية « مغامرات الفتاة السوداء The Adventures of the Black Girl » ، واذا كان شو قد ترك كتابة المسرحية التي كان يود ان يكتبها عن النبي ، فانه لم يترك الموضوع ، فكانت مسرحيته « القديسة جان » ، وفيها ايضا اشارات كثيرة الى النبي .

وفي ٢٦ آذار ١٩٢٤ مثلت « القديسة جان » في لندن ، ثم في نيويورك ، ورغم طولها فانها نجحت نجاحا يكفي في وصفه ان تقول انها اكثر مسرحية درت على شو دخلا . وقد جعلت « القديسة جان» لمؤلفها مقاما خاصا بحيث اصبح كل شيء يصدر عن قلمه بعد هذا مقدسا، لا يجرؤ النقاد على تناوله، وكل كلمة او نكتة تروى عنه تتناقلها صحف العالم في كل مكان . وعرضت عليه بلاده القاب النبل فرفضها قائلا : « ان اسمي وحده اشهر من كل الالقاب ! والالقاب انما تمنح عادة للمغمورين ممن ادوا خدمات لبلادهم ، لكي يعرفهم الناس ، وانا لست من المغمورين ! » .

شو والامريكان

ومثلت مسرحياته في الولايات المتحدة الامريكية فنجحت نجاحا كبيرا ، در عليه من المال ما جعله من الاثرياء الكبار . وقد طلب اليه مخرج مسرحياته في امريكا ان يحضر الى امريكا لحضور حفلة افتتاح « قيصر وكليو بطرة » ، فاجابه : « لو قيض لي ان اذهب الى امريكا ، فان الشعب الامريكي سيحبني وسيتعلق بي ، لدرجة ان يمنعني من الخروج ويصر على انتخابي رئيسا للجمهورية ، وهذا ما لا اريد ، والموت عندي خير منه !! » .

وعرض عليه ان يقوم بالقاء سلسلة محاضرات في امريكا مقابل ثلاثة آلاف جنيه عن كل محاضرة ، فرفض ايضا ! وكان جوابه : « وما الذي يغري انسانا يعيش في لندن بالذهاب الى امريكا ؟ ! .. انني لا احب ان ارى تمثال الحرية .. لانني انا وانا سيد الساخرين ، لم تبلغ بي السخرية حد ان افكر بمثل هذا التمثال ! » .

ويروى عنه انه عندما قابل هيلين كيلر في لندن، قال لها : « ليت كل الامريكان يصبحون عميا ، صما ، بكما ، اذا كانوا سيصبحون مثلك !! » وكانت المرة الوحيدة التي زار فيها امريكا عام ١٩٣٣ ، فاستقبل استقبالا حارا ، فكان تعليقه : « عجبا لهؤلاء الامريكان ! لقد قلت عنهم انهم

مجموعة من الفلاحين ، وان ٩٩٪ منهم حمقى ، ومع هذا فانهم يحبونني ، ويعجبون بي !! » .

يرفض جائزة نوبل

وعام ١٩٢٥ منح جائزة نوبل للآداب ، فرفضها ، وجاء في رفضه قوله : « ان هذه الجائزة هي حزام النجاة يلقى للمرء بعد ان يكون قد وصل الى بر السلامة » . ولما ذاع نبأ رفضه للجائزة وصلته آلاف الرسائل يطلب اصحابها منه ان يمدهم بالعون المادي ، ما دام بمثل هذا الثراء ، بحيث يرفض جائزة نوبل . ولشو تعليق ذائع مشهور عن جائزة نوبل ، فقد قال : « انني استطيع ان اغتفر لالفرد نوبل خطيئة اختراعه للديناميت ، اما جائزة نوبل فلا تصدر الا عن شيطان رجيم لبس ثياب انسان !! » .

يطوف حول العالم

وفي كانون الاول ١٩٣٢ قام شو تحت الحاح زوجته برحلة حول العالم ، ولم يكن قبل هذا التاريخ قد قام سوى بزيارات قصيرة الى شاطىء البحر المتوسط في طرفه الاوروبي ، والى بعض البلدان الاوروبية . وكان شو يكره السفر ، ولا يرى انه يوسع الافق ، كما هو شائع « والدليل على هذا ان محمدا ، والمسيح ، وبوذا ، وشكسبير، وبيتهوفن ، ورمبراند ، لم يتركوا اوطانهم ليجوبوا انحاء العالم !! » .

وساله احد اصدقائه بعد عودته : اي شيء اثر في نفسك في البلاد التي زرتها ؟ فاجاب : لم يؤثر في نفسي اي شيء ، فالبلاد كلها نسخ من بعضها ! ولما ساله : وهل هناك من شخص معين اثر فيك في رحلتك ؟ اجاب : لا . انهم كلهم بشر !

وفاة زوجته

وبابتداء سنة ١٩٤١ شغل شو بمرض زوجته والعناية بها ، واشتد بها المرض حتى اخذت تهذي ، وفي صباح احد ايام عام ١٩٤٣ دقت الممرضة عليه باب غرفته في الصباح الباكر لتخبره بوفاة زوجته . وهكذا ذهبت شارلوت دون ان تعقب لشو نسلا ، لانها كانت تخشى الحمل . وقد كانت في حياتها صديقة صدوقة للورنس ، الرحالة والسياسي المغامر .

ثم غربت الشمس

وكان شو نفسه يحس بآلام شديدة ، فقد ضعف جسده ، ومع هذا فان عقله لم يكف عن التفكير ، وقلمه لم يتوقف عن الكتابة . ومن مشاريعه الهامة في اخريات حياته رصده مبلغا كبيرا من المال في وصيته لوضع ابجدية جديدة للغة الانجليزية ، تكون وافية بالغرض ، فان استحال هذا خلال عشرين سنة من وفاته فان المبلغ عندها يذهب الى المصالح العامة .

وشهد عام ١٩٤٧ تحطما عاما في صحة شو : فاصبح بالغ الهزال ، ضعيف السمع ، لا يتنقل بدون الاستناد الى عكاز « فانا متعب انتظر الموت ، وليس في نيتي عمل شيء جديد » .

ولكنه على الرغم من هذا لم ينقطع عن الكتابة ولم يفارقه مرحه وسخريته ، وكانت الاذاعات والصحف ، تنقل اخباره في حينها . وانصبت عليه الثروة دون حساب حتى ان ضريبة الدخل التي دفعها لعام ١٩٥٠ بلغت مائةواربعين الف جنيه.

وعندما بلغ شو الرابعة والتسعين احتفل مسرح الفنون بهذه المناسبة بتقديم مسرحيته « بيت الاحزان Heartbreak House » . وفي احدى امسيات شهر ايلول كان يقلم بعض الاشجار ، فزلقت رجله وسقط فانكسر حوضه . ونقلوه الى المستشفى في حالة سيئة ، وتوافد الزوار عليه ، ولما سالوه عن حاله اجاب : « انني اريد ان اموت ، ولكن هذه الحيوية الدافقة في جسدي لا تتركني احقق ذلك » .

وفي الرابع من تشرين الاول نقل شو الى بيته ، ويوم الحادي والثلاثين من الشهر قال باصرار ، وهو يشد على مخارج الكلمات : « يجب ان اموت » ، وكانت هذه آخر كلمات فاه بها ، فقد اصيب بعدها بغيبوبة ، وفي الساعة الخامسة الا دقيقة واحدة من صباح الثاني من تشرين الثاني ١٩٥٠ ، نام الكاتب العبقري ، وصنو شكسبير ، نومته الابدية . ■■

محمود السمرة

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

الدورة الدموية : بين العرب والانجليز

● يقطع الانجليز بأن مكتشف الدورة الدموية هو « وليام هارفي » مؤلف « رسالة فى علم التشريح حول حركة القلب والدم فى الحيوانات » سنة ١٦٢٨ . ولكن زملاءهم الأسبان يعارضونهم فى هذا الادعاء ويعزون هذا الاكتشاف الذى قلب علوم الطب رأسا على عقب الى علماء أسبانيين وذلك بحوالى ٥٠ سنة قبل مجيء « هارفي » الى الحياة ، وهم يذكرون فى هذا الصدد Miguel Servet (١٦١١ — ١٦٦٣) كمكتشف « للدورة الدموية الصغرى » ، وكذلك Francisco Reina كمكتشف « للدورة الدموية الكبرى » .

على انى قرأت أخيرا فى مقال تحت عنوان : « كيف أسهم المسلمون فى الحضارة الانسانية » ما يلي : (... وقد بيَّن ابن النفيس السورى المتوفي فى منتصف عام ١٢٨٩ الدورة الدموية بدقة قبل أن يكتشفها الأطباء الغربيون الذين يعزى اليهم هذا الاكتشاف المهم ...) .

فهل لكم أن تدلونا عمن هو المكتشف الحقيقى للدورة الدموية ؟

علي أمنوح — الحسيمة المغرب

— ابن النفيس ، علي بن حزم القرشي ، كبير أطباء مصر فى مستهل القرن الثالث عشر ، هو أول من كشف الدورة الدموية الصغرى ، وأول من دحض نظرية جالينوس التى كانت سائدة حتى ذلك العهد ، وقال ان الدم لا يمكن أن ينتقل من البطين الأيمن الى الأيسر مباشرة ، خلال الحاجز الفاصل بينهما ، والذى ليس له منافذ ، وانما يسير من البطين الأيمن الى الرئة ، ومن الرئة الى البطين الأيسر ، ذلك ما عرف باسم الدورة الدموية الصغرى .

اما سرفيتو وكوليو وغيرهما فقد أبدا ما ذهب اليه ابن النفيس ، وذلك فى القرن السادس عشر ، فهو قد سبقهما بأكثر من مائتين وخمسين سنة .

وأما وليم هارفي فقد جاء بعد ابن النفيس بأكثر من ٤٠٠ سنة ، وقام بتجاربه على ضوء أبحاث ابن النفيس ومن تلاه ، وانتهى الى كشف الدورة الدموية الكبرى ، وهي خروج الدم من القلب بواسطة الشرايين الى جميع أجزاء الجسم وعودته اليه عن طريق الأوردة .

مع الله فى السماء

● لي رغبة شديدة فى الاطلاع على كتاب « مع الله فى السماء » للدكتور أحمد زكي ، وقد سألت عنه فى معظم مكتبات القاهرة فما وجدته . أرجو الافادة من أين أستطيع الحصول عليه !

يوسف عبد الرحمن موسى
كلية الاقتصاد : الخرطوم

● اطلعت على نسخة من الكتاب القيم « مع الله فى السماء » فأعجبنى كثيرا ، ولكنى بحثت عنه فى جميع مكتبات الكويت ، وارسلت استفسر عنه فى مكتبات بيروت فلم أجده .. ارجو اعلامي عن المكتبة المختصة بتوزيعه ، أو ارسال نسخة منه واعلامى بالثمن ، وشكرا .

طارق محمد الخليفي — الكويت

— نفدت جميع نسخ الطبعات السابقة من هذا الكتاب . وقد انجزت مؤسسة « دار الهلال » بالقاهرة ملتزمة نشره طبعة جديدة ، لعلها الآن فى الأسواق ..

كذب المنجمون .. ولو صدقوا !

● كان لي صديق من الصحفيين ، هو الآن في جوار ربه ، كان معروفا لدى الوزراء والعظماء بأنه يتنبأ لهم عن طريق التنجيم وقراءة الكف ، بما سوف يقع لهم في مستقبل الايام ، حتى انه كان يستطيع أن يحدد موعد سقوط وزارة او تولي وزارة ! ولا زلت اذكر انى قصدت اليه مرة مع احد ابناء الباشوات ، قبل ان تلغى الرتب ، ليكشف له عن موعد وفاة والده الثرى البخيل ، لانه كان يستعجل هذه الوفاة كي يرث أمواله التى كان محروما منها ، وأخيرا حدد له تاريخا معينا قال ان حياته سوف تتغير فيه تغييرا جذريا ، فاطمأن الابن الى انه هو التاريخ الذى سيموت والده فيه .. فلما قابلته وحدى بعد ذلك بأيام اخبرني ان الابن نفسه هو الذى سيموت في هذا التاريخ وليس أبوه ! وقد تحققت نبوءته بالفعل !!

المهم هو ان هذا الصحفي تنبأ لي ، بعد ان قرأ كفى ، بأنني سأتزوج مرتين ولكني لن انجب اطفالا .. وقد تعرفت اخيرا بفتاة فاضلة ، ومتعلمة ، وعلى قسط وافر من الجمال .. ونكاد نكون متفاهمين على الزواج ، ولكنها كلما سألتني متى اتقدم لخطبتها ، تذكرت نبوءة صديقى الراحل ، وتصورت مدى خيبة الأمل التى ستنتاب هذه المسكينة عندما تكتشف اني خدعتها اذ تزوجتها وانا أعلم انى عقيم ! وانا في حيرة من امرى لا أعرف كيف أتصرف ..

القاهرة رأفت

ـ شر ما يصاب به الانسان الجري وراء المجهول .. والذين يؤمنون بقدرة المنجمين والعرافين وقارئي الكف على كشف حجب الغيب ، ومعرفة ما سيقع لهم في المستقبل قوم ضعاف الايمان من ناحية، وضعاف العزيمة من ناحية اخرى، لا يقدرون على مواجهة الحياة..

فلماذا تشغل نفسك بهذه الترهات ؟ . ولماذا تسمح لنبوءة رجل لم يستطع ان يتنبأ بما سيقع له هو نفسه ، بأن تستعبدك مدى الحياة ؟! اليس خيرا من ذلك ان تعرض نفسك على طبيب مختص ، فان كان بك داء عملت على التخلص منه بالعلاج ؟

ثم من ادراك انها ستكون تعيسة لو لم ترزق اطفالا منك اذا كانت تحبك ؟! بل لماذا لا تروي لها هذه الخرافة في معرض حديث عابر لترى وقعها في نفسها ، ثم تقرر على ضوء هذا الواقع ما تشاء ؟!

ذات الخمار الاسود !

● من هو الشاعر الذى نظم البيت الآتى ، وفي اية مناسبة نظمه ، وما هي بقية الأبيات التى تليه ؟

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلت بزاهد متعبد ؟

أسد الله شرارة

ـ حدث الاصمعي قال : قدم عراقي بطائفة من خُمُر (جمع خِمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها) الى المدينة ، فباعها كلها الا السود منها فقد كسدت عليه ، فشكا الى الدّارمي ، وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد ، فعمد الدارمي الى ثياب نسكه فالقاها عنه ، وعاد الى مثل شأنه الاول ، وقال شعرا ودفعه الى صديق له من المغنين فغنى به ، والابيات هي :

قل للمليحة في الخمار الاسود
ماذا فعلتِ بزاهدٍ متعبدِ
قد كان شمّر للصلاة ثيابه
حتى خطرتِ له بباب المسجد
ردى عليه صلاته وصيامه
لا تقتليه بحقّ دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة ، ولم تبق مليحة الا اشترت خمارا اسود ، بعد ان كن يلبسن الخمر الملونة ، وباع التاجر ما كان معه بالسعر الذى اراده . (انتهت رواية الاصمعي) .

والدارمي هو ابو محمد عبد الله التميمي ، ولد في سمرقند عام ٧٩٨ وطلب الحديث في خراسان والشام والعراق ومصر والحجاز . من تلاميذه مسلم وابو داود والترمذى والنسائي من ائمة الحديث .

منهج فى « البحث العلمي » .. جديد !

● طالعنا العدد الخامس والاربعين من مجلة « العربي » الغراء وهو يحمل معه نسمات لافحة فى طيات اجابة فى باب « أنت تسأل ونحن نجيب » ردا على سؤال عن الحديث الشريف « أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » ! سؤال قيم كنا نود ان يتولى الاجابة عليه « استاذ مختص » ! لان الاجابة التى تنشر فى مجلة « كالعربي » فى مكانتها وسعة انتشارها وثقة القراء بها يجب ان تكون « اجابة علمية مركزة » لا مجرد كلام قائم على الظن والترجيح .

فقد شكك الكاتب فى هذا الحديث الشريف ورجح انه موضوع مدسوس ، رغم وروده فى « صحيح البخارى » أو غيره من كتب الحديث ، ولعله قد نقل هذا الزعم عن بعض المستشرقين الذين لا نطمئن الى طريقتهم العلمية أمثال « الاب لامانس » و « كرزويل » وغيرهما .

وانى لأعجب كل العجب لقول الكاتب « ولعله قد آن الأوان ليفكر المسؤولون عن الاسلام فى تنقية كتب التفسير والحديث من أمثال هذه الترهات التى تسيء الى الاسلام . وأنا نقول له ان كتب الحديث منقاة ، وان « صحيح البخارى » هو كما قال الحافظ الذهبي « أجل كتب الاسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى » .

أما حكم التصوير فى الاسلام ، فلا شك ان التصوير الفوتوغرافى لم يكن معروفا فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، ولكن الشيء المعروف من التصوير هو النحت والرسم اليدوى . والاحاديث الشريفة التى وردت عن التصوير وهى كثيرة (اوردها صاحب هذه الرسالة فى أكثر من خمس صفحات لا يتسع هذا الباب لنشرها) تتناول هذين النوعين من التصوير اذا تعرضا لرسم الحيوان والانسان ، باجماع الامة الاسلامية وعلمائها قديما وحديثا .

فاذا طبقنا القاعدة الاصولية « العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص السبب » اقتضى ذلك ان نحكم بحرمة التصوير الفوتوغرافي ، **الا ان نأبي اطلاق اسم التصوير على التصوير الفوتوغرافي** ، أخذا من ألفاظ الاحاديث الشريفة ، وهي تدل دلالة واضحة على عمل يدوى كالنحت او الرسم اليدوى . والذى يقوم بالتصوير الفوتوغرافى لا يقدم فى مضمار الرسم شيئا سوى ضغط زر آلة التصوير ، والآلة هى التى تقوم بتثبيت الظل على الفيلم الموجود فى الآلة ، وبذلك يكون التصوير الفوتوغرافي فى غير محرم . وهذا ما نؤيده كل التأييد ، ويقول به أكثر العلماء فى الوقت الحاضر .

حلب — محمد القلعجي
مدرس التربية الاسلامية
وليسانسية فى التشريع الاسلامي

ـ كم نود لو يعود الاستاذ الى ما قلناه فى ردنامن انه « ولو سلمنا بأن الحديث صحيح ، فلا يكون له فى رأينا الا تفسير واحد هو انه ليسالمقصود به المصورين الفوتوغرافيين ، وانما المقصود به أولئك الذين كانوا ينحتون الأصنام لعبادتها فى الجاهلية وأيام الوثنية الاولى ، مما جاء الاسلام لمحوه والقضاء عليه » . ثم يقارنبين هذا الذى قلنا وبين ما انتهى اليه من « ان التصوير المخصوص بنهي الرسول الكريم هوالنحت والرسم اليدوى ، للانسان والحيوان ، اما التصوير الفوتوغراف فغير محرم » ... ثم ليقل لنا ـ وهو « الاستاذ المختص » ـ هل تراه قد جاء فى « بحثه العلمي المركز » بشيء جديد ؟! الا أن يكون قوله اننا اذا طبقنا القاعدة الاصولية اقتضى ان نحكم بحرمة التصوير الفوتوغراف ، أما اذا لم نطلق عليه اسم التصوير ، فبذلك يكون غير محرم !!

فهل معنى ذلك اننا اذا جئنا بزجاجة خمرمثلا ، فمحونا عنها اسم الخمر ، وسميناها باسم آخر ، كأن نقول « شراب منعش مفرح للقلب فاتحللشهية » ، انتفى عندئذ حرمتها ، وتصبح فى ظل هذه النظرية العلمية الجديدة ، شرابا طهورا ، وحلالا زلالا ؟!

الآن .. اكتشف انها جاهلة ؟!

● انا شاب في السادسة والعشرين من العمر ، أعمل مدرسا في احدى المدارس الحكومية في الاردن . تعرفت على فتاة فكانت تظهر لي انها تحبني وتخلص لي ، مع اني لم أشعر نحوها بحب . ولكني أخذت أشفق عليها . ونظرا لرغبة أهلي في زواجي ، فقد خطبتها وتزوجتها . وانتقلت الى بيت أهلي الذين هللوا لزواجي . ولكن البيت الهادى تحول الى جحيم لا يطاق ، لأسباب تافهة ، وكثيرا ما تكون هي المخطئة .

انجبت الولد الاول ، فحمدنا الله ، وقلنا ربما تغيرت تصرفاتها ، ولكن عبثا ، فقلت ربما كان أهلي يكرهونها ، وأخذتها معي الى مركز عملي ، ولكني وجدتها تكذب ، وتنم ، مهملة لشؤون البيت ، لا تستطيع تربية الاطفال . أضف الى ذلك انها امية لا تقرأ ولا تكتب .
لم أستطع الصبر على تفاهاتها ، فأعدتها الى أهلي وكنت أوصيهم بها خيرا . ولكن تفاهاتها أخذت تزداد ، مما اضطرني لاسكانها في بيت بعيد عن بيت أهلي ، بأمل ان تتغير تصرفاتها خصوصا وقد اصبحت أما لثلاثة اطفال ، رابعهم في أحشائها . ولكن تصرفاتها لم تتغير . والاطفال يكرهونها لانها لا تحسن تربيتهم . فأنا وأطفالي نعيش في دوامة من المشاكل ، وان استمراري على هذا المنوال من الحياة لا بد ناقل الشقاء والتعاسة الى اطفالي الابرياء .

لهذا كله وبعد هذا الصبر المرير ، والشقاء الدائم قررت طلاق زوجتي عل الله يهديني الى سبيل يكون فيه الخير لي ولاطفالي ، الذين سيشقون نتيجة جهل أمهم .

اعطوني ــ وفقكم الله ــ رأيكم الصائب السديد في هذه المشكلة ولكم الشكر ،

الرمثا ــ الاردن　　　　سليم ....

ــ انك تغالط نفسك عندما تزعم انك تزوجت امرأتك بدافع الشفقة عليها .. لقد تزوجتها تحت تأثير الغريزة التى كانت تعصف بك وقتذاك ، فاعمتك عن أن تدرس اخلاق شريكة العمر دراسة كافية ، فلم تتبين انها امية ــ وأنت المدرس ــ الا بعد أن شبعت ، واصبحت أبا لثلاثة اطفال او أربعة ، واصبحت تنظر اليها بعين السخط حتى لتزعم ان الاطفال يكرهونها لأنها لا تحسن تربيتهم ، مع انهم ــ فيما يبدو ــ في سن لا تسمح بتسلل الكراهية ــ ولمن ؟ لأمهم ــ الى قلوبهم البريئة .. فضلا عن انهم لا يفقهون معنى التربية ، ولا يميزون بين الحسن منها والقبيح !!

كن واقعيا .. واعترف بانك انت المسؤول أولا وأخيرا عن كل ما تشكو منه ــ ويزيد من مسؤوليتك انك لم تحاول ــ كمدرس ــ ان تصلح من شأنها او تصحح أخطاءها ، ولو باعتبارها واحدة من تلاميذك ، لا زوجتك وأم أطفالك . ولئن طلقتها فستكون انت الجاني على هؤلاء الاولاد ، لا هي .. ففكر مائة مرة قبل ان تقدم على هذه الحماقة ..

« شيكات » تنتظر اصحابها

يرجى من الاستاذين عبد الكريم الاشتر بمعهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، وعادل شريف ٣ ــ شارع عسكر ــ الدقي بالقاهرة الاتصال بالبنك الأهلى التجارى السعودى بالقاهرة لتسلم مكافآتيهما عن قصتيهما المنشورتين بالعددين ٤٢ ، ٤٤ من مجلة « العربي » .

كما يرجى من السيد نصر محمود نصر ظهيرات بكلية آداب عين شمس بالقاهرة الاتصال بالبنك المذكور لتسلم قيمة جائزته في مسابقة العدد ٤١ .

ونحيط السادة عبد القادر عبد الرحمن المسلاتى بالمركز الدولي للاحصاء ص.ب . ٢٤٤٤ بيروت ، وسالم بن سليمان ــ العذيبة ــ عمان ، ومراد فتح الله عضو البعثة الليبية للطيران باليونان ان الشيكات التى ارسلت اليهم بقيمة جوائزهم في مسابقة الاعداد ٣٩ و ٤٠ ، ٤٢ قد ردت لعدم وجودهم في العناوين المذكورة ، فعليهم اخطارنا بعناوينهم الصحيحة او نضطر لالغاء هذه الشيكات .

الزواج ليس للمجاملة .. ولا لرد الجميل !

● منذ عامين تعرضت لمرض خطير ، اعيا الكثيرين من الأطباء ، حتى ساقت لي الأقدار طبيبا شابا كان على يديه شفائي ، ونجاني من خطر محقق ، وربما من موت لا شك فيه .. ولست أحب أن اطيل عليكم . فانا اليوم مخطوبة لهذا الطبيب الذي لم يسعني أن ارفض يده عندما تقدم يطلبنى ، لاني أعرف اني مدينة له بحياتي .. لكني فيما بيني وبين نفسي ، لا أشعر نحوه بما ينبغي ان تشعر به الفتاة لخطيبها أو المرأة لزوجها من حب . وكلما خلوت الى نفسي فكرت فيما سوف أشعر به من تعاسة وشقاء عندما اجد نفسي زوجة لانسان لا احبه ، واخشى أن يجعلني هذا الشعور نفسه عاجزة عن اسعاده ، مع انني مدينة له بالحياة !

ترى هل اجد لديكم نصيحة تنقذني من هذه الحيرة ؟ سوزى .... بيروت

ـ تخطئين اكبر الخطأ اذا ظننت انك بقبولك الزواج من هذا الطبيب انما تعملين على اسعاده وتردين اليه الجميل ! انك بهذا تسيئين الى الرجل الذي احسن اليك وانقذ حياتك كما تقولين . ولن يكون فى مقدورك أن تسعديه قط ، بل الذي لا شك فيه انك ستقلبين حياته جحيما لا يطاق ، طالما انك لا تشعرين نحوه بما يجبأن تشعر به الزوجة نحو زوجها من حب خالص ، لا حب اجبارى تبذله رغم انفها ، لانها مدينة لزوجها ولو حتى بالحياة !

فاذا كنت واثقة من شعورك نحوه ، فلا تتواني فى فسخ خطبته ! .

كوني صريحة معه .. افهميه انك تكنين له اجمل عواطف الشكر والاعتراف بالجميل ، ولكنك لن تكوني قادرة على اسعاده بما يوازي جميله وما يستحق ، وانك لهذا تطلبين اليه ان يحلك من وعدك .

صارحيه بانك تعرفين انه سيتالم ، وسيصاب بخيبة امل ما كان يتوقعها ، ولكنك تعرفين ايضا ان المه لن يطول ، وانه مهما يطل فسيكون اخف وطأة من ان يتزوج فتاة لا تشعر نحوه بشيء من الحب .. وان كانت مستعدة لان تضحي بقلبها لتدفع له ثمن ما اسدى اليها من معروف ..

الغناء ليس حراما .. وهذه هى الاسانيد !

● قرات قولكم ، فى معرض الرد على سؤال للسيد راضي علي المرهون ، انه « لا يفتى بتحريم الغناء او الموسيقى الا متزمت او جهول » . فساءنى هذا الجواب اساءة لا مزيد عليها ، فانتم وان كنتم مرجعا فى الصحافة او الادب ، لا نعتبركم مرجعا للفتاوى الدينية ، فضلا عن ان هذه الاجابة تعد تحديا للفتاوى التى جاء بها العلماء فى كتبهم سابقا ولاحقا . فالى اى شيء استندتم الى ما افتيتم به ؟ وهل فى كتاب الله وسنة رسوله وهما أساس الاسلام الحنيف ما يثبت أحلية الغناء واباحته ؟ ام انكم تعملون بقول ابى ماضي « الحق ما اتفق السواد عليه » ؟

ان حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ، وليس للتطور والحضارة دخل فى تحليل او تحريم .

ابو زكي المرهون
ام الحمام ـ السعودية

ـ اما انه ليس للتطور دخل فى التحليل والتحريم ، فذلك ما ينقضه تطور الشرائع السماوية نفسها ، ويؤكده القرآن الكريم ، بدليل ان السيد المسيح كان من رسالته ان يُحِلَّ لبنى اسرائيل بعض ما كان محرما عليهم ، كما انه حرم عليهم بعض ما كان موسى قد اباحه لهم ، وخاصة فى شؤون الزواج والطلاق .. وكذلك فعل الاسلام .. فلماذا اذن كان هذا التحليل او التحريم ان لم يكن تمشيا مع سنة التطور ومقتضيات روح العصر ؟

ونعود الى موضوعنا الاصيل .. وصحيح اننا لسنا مرجعا فى الشؤون الدينية ولا حجة فنفتى

فيها بالتحليل والتحريم ، ولكننا لا نفتي برأينا ، وحسبنا ان نورد لك من الادلة القاطعة على عدم تحريم الغناء والموسيقى ما يأتي :

١ ـ عندما هاجر الرسول الكريم الى المدينة استقبلة أهلها بالزينات ، وخرج النساء والجوارى الى الطرق ، وصعدن على السطوح وهن يغنين الانشودة الخالدة التى ما نظن مسلما ، كبيرا كان او صغيرا ، عالما كان او جاهلا ، الا ويحفظها ويترنم بها ، حتى فى هذا العصر الحديث والتى مطلعها :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

٢ ـ على الرغم من ان النبى صلى الله عليه وسلم ابطل كثيرا من تقاليد الجاهلية وعاداتها ، الا انه ابقى على الاحتفال بالزفاف ، بل لقد دعا اليه فقال : « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت » يريد بالدف الموسيقى وبالصوت الغناء .. وروى ابن حنبل بسند صحيح انه (صلعم) قال : « اعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف » !

٣ ـ من الروايات المتواترة ان الرسول احتفل بزواجه من خديجة ، ثم بزواج علي من فاطمة ، بالافراح والغناء والرقص ، وفى زواج علي غنى كل من عمرو بن أمية وحمزة بن يتيم ..

وفى جميع كتب السيرة ان السيدة عائشة زوجت يتيمة كانت تربيها ، ورافقتها الى بيت عريسها يوم زفافها ، فلما عادت سألها الرسول : « أهديتم الفتاة الى بعلها ؟ » فقالت : « نعم » ، قال : « أبعثتم معها من يغني ؟ » فقالت : « لا » ، قال : او ما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل ؟ الا بعثتم معها من يقول :

اتيناكم اتيناكم   فحيونا نحييكم
ولو لا الذهب الاحمر لم تحلل بواديكم
ولو لا الحبة السمراء لم تسمن عذاريكم

٤ ـ حدث الجمالي قال : رأيت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فى منزل بين مكة والمدينة ، قد القي له مصلى فاستلقى عليه ، ووضع احدى رجليه وهو يتغنى ، فقلت : « سبحان الله يا ابا اسحق ، اتفعل مثل هذا وانت محْرِم ؟ » قال : « يا ابن اخي ، وهل تسمعني اقول هُجْرًا ؟ » أى فاحشا من القول .

٥ ـ حدث ابراهيم بن سعيد الزهرى قال : قال لي الرشيد : « من بالمدينة يحرم الغناء ؟ » قلت : « من اتْبَعَه الله خزيته » . قال : «بلغني ان مالك بن انس يحرمه ؟» قلت : « يا امير المؤمنين .. او لمالك ان يحرم ويحلل ؟ والله ما كان ذلك لابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم الا بوحي من الله .. فمن جعل هذا لمالك ؟! ان ابى سمع مالكا فى عرس يتغنى :

سليمى ازمعت بينا   فاين تظنها ، اينا ؟!

وبعد ، فلعل فى هذه الاسانيد ـ وعندنا غيرها كثير ـ الغناء كل الغناء ، فى نقض قول القائلين بتحريم الموسيقى والغناء ..

الحظ ... وجوائز المسابقة !

● أولا دعني أقدم الى أسرة تحرير « العربي » شكرى الجزيل واعتراف الذى سبق أن قدمته كما قدمه ملايين القراء مرارا وسأظل اقدمه فى المستقبل ، بجهودكم الحميدة التى تبذلونها لاعداد واخراج هذه الدرة الثمينة مجلة « العربي » التى أصبحت فى مصاف المجلات العالمية . والتى أرجو ويرجو كل قارىء عربي ان تبقى فى تقدم مستمر بفضل جهود العاملين المخلصين لرفع مستوى الادب العربى وخدمة العرب أجمعين .

وارجو أن تسمحوا لي بكلمة عتب بريئة ونقد بناء حول نظام توزيع الجوائز ، أو ما تسمونه بالاقتراع بين المشتركين فى المسابقة والذى هو بعيد كل البعد عن الحظ الا لفئة قليلة . وقد سبق وبعثت اليكم مرتين بهذا الخصوص على أثر ردكم على الاخت القارئة تغريد خالد بالعدد ٢٩ بأنكم تقومون باختيار عدد من رسائل كل قطر ، ومن ثم يجرى السحب على الرسائل المختارة . وهذه الطريقة خطأ من حيث المبدأ لانها تخدم فئة على حساب الاخرى حيث يرد من بعض الاقطار خمس رسائل أو عشر أو خمسون مثلا،بينما يرد من قطر آخر ألف رسالة أو يزيد . وهنا يظهر لكم بطلان فائدة هذه الطريقة اذ أين النسبة المئوية بين القطرين ؟ هل يجوز أن نختار من بين العشر رسائل ثلاثا لنضعها فى صندوق الحظ مقابل ثلاث من بين الف رسالة ؟ ان ما لمسته من عملية توزيع الجوائز طيلة السنوات الاربع التى قاربت على الانتهاء هو انكم تقومون بترشية الاقطار باختيار فائز واحد من كل قطر .. وهناك طريقة اخرى غير محمودة وهي عطفكم الزائد ومحاباتكم لبعض قراء أجانب ممن يجيدون اللغة العربية . وقد ظهر ذلك واضحا على صفحات

المجلة حيث اقتسم الدنيا حول رسائل « اريك كريستيان » الدنمركي والسبب لانه يتكلم العربية ... انا لا اكره ذلك بل أرغب كما يرغب كل عربي مخلص أن تصبح لغتنا عالمية تتحدث بها مختلف الامم .. وقد كنت أحد القراء الذين حيوه ورحبوا به كأجنبي يجيد لغة العرب .. ولكن لا يجوز أن تجاملوه كما جاملتم أيضا قارئة دنمركية اخرى بتخصيص جائزة لكل منهما من اول رسالة أو الثانية ... لماذا ؟ لانهم يجيدون لغة العرب وأعربوا عن رغبتهم في جوائز تذكارية في حالة الفوز ! ما هذه المجاملة الواضحة ! وهل كل هذا حظ ؟ لقد أرسلت شخصيا حوالي ٣٢ اجابة صحيحة حتى الآن ، وبعض الأحيان كنت أرسل كوبونين أو ثلاثة في آن واحد . ولم يحالفني ما حالف أريك كريستيان وزميلته الأخرى . كما أرسلت بعض الاقتراحات وبعض الاسئلة لباب « أنت تسأل ونحن نجيب » ولم يرد على أي منها .. لذلك اعود واقترح احدى الطريقتين التاليتين لتوزيع الجوائز وهي كما يلي :

١ ـ أن تخصص نسبة مئوية قدرها ٥٪ أي يختار من بين كل مئة رسالة خمس رسائل لتدخل السحب النهائي حيث يكون لكل عشرين رسالة واحدة تدخل السحب النهائي والقطر الذي يرد منه أقل من عشرين رسالة تدمج رسائله مع قطر آخر لتكون النسبة معقولة .

٢ ـ أن ترقم الاجابات الصحيحة بأرقام متسلسلة ويجرى السحب على هذه الارقام بطريقة أوتوماتيكية على عجلات السحب المعروفة. ويقوم بادارة كل عجل شخص أمام لجنة مكونة من رئيس التحرير وأعضاء في أسرة التحرير ومندوب من طرف الحكومة .

واعتقد ان هذه الطريقة الثانية اعدل من الاولى وان كان بها بعض التعب .

مع قبول تحياتي .

جميل احمد ابو كبير
الرصيفة ـ الاردن

« العربي » : **الطريقة التي يجرى عليها الاقتراع على الجوائز بين أصحاب الاجابات الصحيحة هي في رأينا خير طريقة لهذا الاقتراع خصوصا بعد ان ادخلنا عليها من التعديل ما يجعلها اقرب ما تكون الى اقتراحك الاول .**

أما اقتراح استخدام عجلات السحب الاوتوماتيكية ، فيظهر انه قد فاتك اننا بصدد مسابقة ، ولسنا بصدد يا نصيب .

وكونك ارسلت ٣٢ اجابة ولم يحالفك الحظ الذي حالف اريك كريستيان ، فثق ان الذنب في ذلك ليس ذنبنا ، لان الحظ لا يخضع لتوجيهنا ولا دخل لنا في ارادته !

ردود سريعة

● **سيدة من الشارقة .**

ـ ان زواجك المبكر ، وعدم وجود مدرسة مسائية للنساء في بلدكم ، لا يحولان دون اكمال دراستك .. اتفقي مع احدى المدرسات عندكم على اعطائك دروسا خصوصية ، وستكون النتيجة مرضية ما دامت عندك هذه الرغبة وذلك التحمس للاستزادة من التعليم .

● **الآنسة عائشة ..** شارع القاهرة ـ الكويت

ـ أنت مخطئة .. وقد رأيت النتيجة التي وصلت اليها .. يجب أن تصارحي والدتك فورا بما تورطت فيه ، ولا تخفي عنها شيئا فهي وحدها القادرة على أن تجد لك مخرجا .

أما غسل الشعر بالمياه الصليبية فيحسن أن يكون بالشامبو بدلا من الصابون .

● **رحمة . م .** عبد الله : الكويت .

ـ الاخوة من الرضاع لا تستلزم أن يكون كل من الطفلين قد رضع من أم الآخر .. وفي غير هذا المكان تعريف للاخوة من الرضاعة وأحكامها .

● **الطالبة ناجية ..** طرابلس الغرب .

ـ اذا لم يكن قد وجد في أوربا من يشغله عنك فأراد أن يتخلص من وعده لك ، فلا بد أن واشيا أو حسودا قد سعى بينكما بالوقيعة والدس . وما دامت أسرتاكما تباركان عهدكما فلماذا لا تستعينين باحدى شقيقاته أو قريباته على استجلاء أسباب تغيره المفاجيء !

● **كوليت . ك . فتاة الفيحاء .**

ـ ليس من الحكمة أن تؤثري شابا لا مهنة له ، على آخر ذي مركز مرموق ، خصوصا وان الاول غير جاد في خطبته .

هذا هو حكم الشرع فى من تزوج اخته من الرضاعة

● نشرنا فى العدد الخامس والاربعين من « العربي » سؤالا لاحد القراء عن قريب له تزوج بفتاة احلامه ، ورزق منها طفلين ، ثم اكتشف اخيرا انها اخته من الرضاعة : ايطلقها وهي الآن ام طفليه ؟ وماذا يكون مصير الطفلين ، ولأى من والديهما ينتسبان ؟

وقد عرضنا هذه المشكلة ، وسألنا رأى رجال الدين فيها ، فجاءتنا عدة ردود ، من بينها رد من الاستاذ عبد المتعال سيف النصر المدرس بالمعهد الديني بشبين الكوم ، وآخر من السيد ابراهيم سليمان ، الاقصر ، وثالث من الاستاذ عبد القادر المسيبي المحامى بحلب ، وهذه هي اوفى الردود واقواها اسنادا ، ولذا آثرنا تلخيص ما فيها من احكام .

١ ــ يتحقق التحريم برضعة واحدة ، ولو مصة واحدة ، عند ابي حنيفة واصحابه ، ومالك ، والثورى ، متمسكين بمطلق الرضاع ، قل هذا الرضاع او كثر .

٢ ــ اعتبر الامامان الشافعي واحمد الحد الادنى ليتحقق التحريم خمس رضعات متفرقات ، لحديث عائشة : « كان فيما انزل الله عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات » . ويقول القرطبي ان وصفها بالمعلومات انما هو للتحرز مما يتوهم او يشك فى وصوله الى الجوف ، فاذا كن غير معلومات لم تحرم .. وقد ذهب الى اعتبار الخمس غير عائشة : ابن مسعود وعبد الله بن الزبير وغيرهما .

وهذا هو ما يجرى به العمل وتأخذ به قوانين الاحوال الشخصية فى معظم البلدان لانه اعدل الاقوال وارفق بالناس .

٣ ــ اما الامامية فلا يتحقق التحريم عندهم الا اذا رضع الطفل من المرأة يوما وليلة ، أو خمس عشرة رضعة كاملة لا يفصل بينها رضعة امرأة اخرى .

٤ ــ الاخت من الرضاعة هي (١) التى ارضعتها امك بلبان ابيك ، سواء ارضعتها معك او ولدت قبلك او بعدك . (٢) والاخت من الاب دون الام وهى التى ارضعتها زوجة أبيك ، (٣) والاخت من الام دون الاب وهي التى ارضعتها امك بلبان رجل غير ابيك .

٥ ــ مصير الزواج : اذا ثبتت خمس رضعات متفرقات فيعتبر الزواج غير صحيح ، ولكنه لا يحتاج الى طلاق بل يجب على الرجل اعتزال المرأة متى ثبت عنده كونها اخته من الرضاعة ، وان قاربها بعد ذلك كان هذا زنا ، اما ما سبق فهو فى عرف الفقهاء من وطء الشبهة ويسقط معه الحد . ولكن تترتب عليه العدة ، كعدة الطلاق او الموت .

اما الولدان فانهما ينسبان الى والديهما شرعا ، ويعاملان معاملة الاولاد الشرعيين ، فينفق عليهما الوالد ، وتحتضنهما الام حتى تنتهي مدة الحضانة الشرعية ، ثم يرجعان الى والدهما لانه وليهما الطبيعي . وهما يرثان الاب كما يرثان الام ، بينما لا يتوارث الزوجان المفارقان . والله اعلم .

● **محمد مصطفى مكارم** : القوصية ــ شارع سيزوستريس مصر الجديدة .

ــ تستطيع الرجوع الى المراجع الآتية :

نفح الطيب للمقرى . تاريخ فتح الاندلس لابن القوطية . قصة العرب فى اسبانيا لستانلى لين بول ترجمة على الجارم . أخبار فى فتح الاندلس ــ لافوانتي . فجر الاندلس للدكتور حسين مؤنس . دولة الاسلام فى الاندلس للاستاذ محمد عبد الله عنان . صقر قريش للاستاذ علي ادهم .

● **محمد صالح نجار** : الباب ، محافظة حلب .

ــ اذا كان الشعر من نظمك ، فانه يبشر بخير كثير . ولكن يحسن الا تتجه الى الادب والشعر الا بعد أن تفرغ من الدراسة الجامعية . ■■

ما أسهل القتل !..

قصة بقلم : روكس بن زائد العزيزي

■ قال محدثي : « كانت الساعة الحادية عشرة ليلا ، واذا بالحارس يقرع الباب بعنف . فتحت الباب واذا بالرجل يرتجف ، ويتوافع علي متوسلا ان اعيره مسدسي ! .. قلت :

ـ ما تصنع بالمسدس ؟

ـ ادافع به عن نفسي ، لاني اخشى القتل .

هذا ما اجابني به الحارس !

ابتسمت وقلت : « اتظن القتل سهلا الى هذا الحد ؟ » .

اجاب الرجل باضطراب عميق :

القتل ، واي شيء اسهل من القتل يا سيدي ؟ والى اى شيء يحتاج القتل ؟ ساعة غفلة ، حماقة لحظة ، كافية للقتل . اسمع لاخبرك قصتي : كنت في السابعة عشرة من عمري يوم احببت ابنة عم لي في مثل عمري كنت اراها فاشعر بان قلبي يضطرب في حنايا ضلوعي ووجهي يحمر ، ولساني يتلعثم ، وكانت تغيب فلا ارى الا خيالها ، ولا افكر الا فيها كانما الدنيا كلها قد تقمصت في شخصها ، او كانما هي نفسها قد اصبحت الدنيا باسرها .

اراها في خيالي باسمة فافرح وابتسم ، واتوهم ان الدنيا كلها سهلها وجبلها قد ابتسمت لي . واتخيل انها عبست ، فاشعر بان الدنيا كلها قد تجهمت ، وعبست في وجهي . احاول ان ابعد خيالها عن فكري بالنوم ، فلا انام الا اذا تصورت ان اناملي تداعب شعرها الذي يكاد يلامس الأرض بجدايله السود . كل مكان وقفت فيه اجده حبيبا الى نفسي عالقا بقلبي ، احببت كل شيء احبتّه ، من اجلها ، وكرهت كل الذي كرهت ، وكنت اتخيل انها لو كرهتني لكرهت نفسي ، لعلمي انها لو فعلت ذلك لسلبت حياتي كل معنى من معانيها !..

يوم كنت امر في الحي واراها اشعر بان نساء الحي قد اضمحل وجودهن ، كانهن غُصّن في قبور ، وطمس وجودهن ، وكانها قد انتصبت تمثالا من الفتنة والجمال يسبي ما بين الأرض والسماء فلا ابصر سواها ولا اشعر بوجود غيرها .

اذا غابت فكرت في كيفية لقائها ، وفيما يجب على ان اصنع ، وما يجب ان اقول ، فاذا حضرت جف الكلام على شفتي ، وغاب عني كل فكر ، ونسيت كل كلام ، ولم اعد اسمع سوى دقات قلبي ، ولا احس الا باندفاع الدم في كل خلية من خلايا جسمي بعنف ، وباحتقان في وجنتي . واذا غابت لمت نفسي على اني "انسيت كل ما قدّرت" اني اريد ان اقول لها ، وابوح به عند لقائها . استغفر الله يا اخي ! ان كل ما وصفت لك لم يكن سوى عرض مما كنت احس به نحو تلك الفتاة . اذ لم يكن من جمال الا جمالها في رايي ، وقد كنت اتوهم ان لا حياة لي بدونها ، وان الدنيا لا تستحق ان توجد لولاها ، وان الحياة لا تستحق ان تعاش اذا خلت منها ، وكنت اشعر يوم القاها اني اعظم من كل الرجال ، واسعد من كل بني ادم . ويوم كانت تضع يدها في يدي كنت احس بنشوة دونها نشوة المدمنين على الخمر اذا شربوا . لذا حرصت على ذاك الرسيس الذى يكاد يحرق شغاف قلبي . ورايت انه الموت والحياة ، وانه السعادة والشقاء ، وانه الضحك والبكاء ! ...

كان هذا موقفي من الحياة ومن نفسي ، وفي احد الايام سمعت فتاتي تقول انه يجب عليّ ان اسعى للحصول على المال الذى يرضي شحّ والدها ونهمه . فصح عزمي على ان انخرط في سلك الجندية ، وقد فعلت . لقد اقسمت لها ان لا اعود الى قريتي الا ومعي المال الكافي لمطاليب ابيها . وعرف الناس قاصيهم ودانيهم قصتنا . ومضت الايام ودقائقها تحرق قلبي ، وتحول دمي رمادا في عروقي شوقا اليها . لكني كنت استعذب كل عذاب ، لانه السبيل الى الحصول عليها . وتحولت مخلوقا غريبا . فترت على نفسي في

وقفزت من النافذة المفتوحة ، أشد ضراوة من الوحش ، والبندقية في يد والشبرية في الأخرى !

النفقة ، وعبدت في حياتي صنمين : فتاتي تلك ، والمال ، لانه السبيل اليها .

ثلاث سنوات مرت وانا اجمع رواتبي الى ان اصبحت اعد من الاثرياء بالنسبة الى مفهوم الثروة في قريتي .

وفي عطلة عيد من الاعياد مررت بالمدينة ، فاشتريت جهاز العرس للتي احبها ، وركبت مع الراكبين في السيارة ، وكنت اشعر ببطء سيرها . ولعلك تضحك اذا قلت لك ان نفسي راودتني مرارا ان اترك السيارة التي تعطلت عطلا بسيطا طارئا ، واقطع المسافة سيرا على قدمي . وفجاة تنبهت ان عملي حماقة .

وصلت الى قريتي في حدود الساعة الثانية بعد الظهر ، وكانت النساء قد عدن وقد استقين الماء من الآبار . منهن من حملت قربتها على ظهرها ، ومنهن من حملتها على حمار لها . وكان كثير من النساء ينسجن بسطهن المزخرفة المرقومة ، وهن يتحدثن احاديث مختلفة ، تتناول كل موضوع في القرية . وكان هنالك جماعات من النساء يغزلن منطلقات على سجيتهن بلا تحفظ ، وقد كشفن

عن سيقانهن تسهيلا لحركة المغازل . وعشاب المزروعات عادوا باحمال العشب لمواشيهم ، والرجال قد تبطحوا كلهم على الأرض يلعبون الالعاب التي الفتها ومارستها في طفولتي . لكن ، لشد ما كانت دهشتي يوم سمعت بعض العجائز وانا مار يذكر اسم امي بحزن مشفوع بالتنهد ، والشبان يستقبلونني بابتسامات مثقلة بالهزء والسخرية ، على نقيض ما كان القوم يستقبلون المتجندين القائبين من أبناء قريتي . سخطت يا سيدي ، وثار الدم في عروقي ، ولمح احد رفاقي القدامى الثوب الذي أحضرته للعروس ، فابتسم قائلا : « فصّلْ الثوب والبسه أشرف لك ! » .

أسرعت الى الدار فرأيت رعاة يوردون اغنامهم ارسالا ، فهزوا رؤوسهم يوم رأوني . أدركت حالا ان امرا يخصني قد حدث . فدخلت الدار ، وقبلت يد امي بلهفة وقبلتني بحنان الأم التي تعيش من أجل ابنها ، وبلّ دمعها خدي . لقد قالت لي أن يوم موت والدي ، كان أخف وقعا على قلبها من اليوم الذي فجعوني فيه بالتي أحبها .

لم أتكلم بعد ذلك لأن الكلام جمّد في حنجرتي، خلعت ثيابي ولبست ميدْوقة امي ذلك الثوب الذي تلبسه القرويات والبدويات عند العمل واقسمت بالله أن لا اخلعها الا بعد أن انحر الذي انتزع حبيبتي مني ، أو اقطع كبده برصاصة من بندقيتي . كان هذا القسم على مسمع من امي . كم بكت وتوسلت أن أنسى الفتاة وأنسى الرجل الذي تزوجها ، لأنه أب لثلاث بنات صغيرات ولطفل صغير . توسلتْ اليّ أن أنسى عمي المجرم الاساسي في القضية ، لكن كيف أنسى او اتناسى ، وقد وصفت لك موقفي وحبي ! ..

حقا يا سيدي اني انا نفسي لم أكن لأتصور أن القتل سهل جدا . سمعت غريمي يطلب من جار له مسدسا عارية ، لأنه يشعر بأن حياته في خطر . استعار المسدس وحشاه بالطلقات وانا أرى ، وانصرف الى داره القروية المؤلفة من ثلاث قناطر ، يحيط بها حوش واسع تزيد مساحته على الدنم . فيه فرسه الصقلاوية ، وابقاره وغنمه ، وجمل وحمار . وبين مذاود البقر انطويت بمدرقة أمي ، وعباءة والدي السوداء . وكانت بارودتي الانكليزية القصيرة محشوة بالعيارات النارية ، وشبريتي (١) الهوشانية الدقيقة الى جنبي . ورأيت غريمي يضع المسدس تحت وسادته ، وكان اقاربه قد بكروا في السهرة عنده ، لانه لم يمض على زواجه سوى خمس ليال هي ليالي الحشمة في ديارنا .

سمعته يطلب من العروس أن تضع شايا للزوار ، ورأيتها تصنعه ، وتقدمه لهم بعد ان وضعت السكر عليه راسا . ولشدة دهشتي سمعت غريمي ينادي العروس باسمها طالبا منها ان تضع سكرا على الشاي . فضحك الجميع وقالوا : « السكر زائد عن المقدار اللازم » . فصاح قائلا : « لا تهزأوا بي ! ان الشاي مر كالعلقم » . فضحكوا منه ثانية وقالوا : « أنت تريد أن تسقينا دبسا ، أو تقتلنا بالحلو » ، فسمعته يقول : « العلقم أخف مرارة من هذا الشاي » .

حقا لقد كنت في معركة مع نفسي ، كنت أرجف وانا ارى حركاتهم ! .. التي احبها تصنع الشاي لهذا الكهل ، ويضمها هي وغريمي منزل واحد !.. هل نسيتْ كل ما كان بيننا ؟ انا لا أصدق ذلك ! لقد قالت لي امي انهم أرغموها ، لكن لماذا لا تثور على التقاليد ، لماذا لا تثور على ارادة ابيها ، ان البدويات أفضل منها . اولئك عرفن طعم الحرية فلا تتزوج احداهن الا برضاها ، اما القروية فتباع احيانا كما تباع الدابة ، يا للعار ! ..

لقد خطر ببالي أن أوزع رصاصات بندقيتي على كل من في الدار ، وخطر ببالي ان تكون الرصاصة الأولى في قلب التي أحببتها ، اذ أن أعصابي لم تعد تحتمل هذه التجربة القاسية ، وكاد اصبعي يضغط زناد البندقية ، لكني شعرت بأن يدي قد تجمدت في اللحظة الأخيرة ، لأن كل أحاديث الحب التي دارت بيننا مرت في مخيلتي في طرفة عين . خشيت أن يراني أحد فتفسد خطتي وفي كل لحظة كنت اشعر بأني ازداد تصميما على الانتقام ، وكنت اعد الثواني لأتمكن من اطفاء نار الحقد والانتقام التي تتأجج في صدري .

شرب القوم الشاي ، وخرجوا من البيت من غير أن يشعر احد منهم بوجودي ، فقد كان انطوائي في القمة محكما. وتبعتهم العروس حبيبتي الراضية بالعبودية لاغلاق باب الحوش ، ولما عادت تريد اغلاق باب الدار ، سألها غريمي هل

(١) الشبرية : خنجر صغير

قيدت الفرس ؟ قالت بل نسيت ، فطلب منها أن تقيد الفرس ، وعند مرورها لامس ثوبها جسمي فاحسست باني اريد أن انقض عليها ، لكنى شعرت بان حقدى يطغى على كل عاطفة ، وشعرت بأن عزتي ورجولتي قد أذلتا اشنع اذلال ! ..

لم أعد انسانا ، لقد كنت في تلك اللحظة وحشا ، واشد ضراوة من الوحش ! .. فما ان قيدت الفرس ، ودخلت الدار ، واغلقت الباب ، وآوت الى فراشها ، حتى قفزت من النافذة المفتوحة ، وعلى ضوء السراج الخافت قلت لغريمي : « انطح من دون روحك . اى دافع عن نفسك فانا لا اريد أن اغدر بك غدرا » .

لقد كان في استطاعة الرجل أن يمزق قلبي ، لكنه لم يفعل ، لانه لم يصدق أن القتل سهل بهذا المقدار ، ولعله لم يصدق ان فتى مثلي يقدم على أن يدمر حياة التي احبها ، ويحكم باليتم على ثلاث بنات وطفل . لعله لم يصدق ذلك . فالتفت اليّ بهدوء مشوب بشيء غير قليل من الذعر . صورة ما زالت تطاردني وتصعقني . وقال ونبرات صوته تكاد تختنق ، ولعله كان خائفا من نفسه أكثر من خوفه مني . أجل لقد خاطبني قائلا : « خف من الله لا تقتلني وتقتل نفسك ، وتيتم أطفالي ، دونك هذا الصندوق فان فيه ثلثمائة ليرة عثمانية ذهبا ، خذها حلالا لك ، ويشهد الله اني لن اذكرها لأحد ، فانا غني كما ترى ، وانت في حاجة الى المال ، فخذ هذا المال ، وتزوج من تريد ، واشفق على شبابك ، وعلى هذه الفتاة التي أحببتها في أحد الأيام . اشفق على هؤلاء الصغار اليتامى فلا تجعلهم لطماء بقتلي ! أنا أعلم اني اعتديت عليك ، وأجرمت بحقك ، واعلم أن الناس تشاءموا يوم زواجنا ، لان العروس سقطت عن الفرس مرتين ، لأنها مرغمة ، فلا تصدق تشاؤمهم بقتلي !

لقد رأيت العروس تهب من فراشها مستغيثة صارخة ، بحقي عليك ارحم الرجل ! ..

لعل المسكينة كانت تعتقد انه بقي لها مكانة في قلبي تحول بيني وبين الانتقام . لعلها توهمت اني لن انفذ تهديدي . ما علمت ان استغاثتها وسقوطها مغمى عليها قد اسقطا البندقية من يدي وزادا في ثورة انتقامي الجنونية . أجل بحركة جنونية لا أذكرها ، كانت شبريتي قد غاصت في نحر الرجل تقد صدره ، وتمزق قلبه ، وعلا هتافي المبحوح الحاقد مختلطا بعويل الصغيرات والطفل الصغير : « غسلت عاري ، وخلعت ثوب الخزية الذى البستني اياه باخذك التى أحبها ! » .

وحملت الفتاة على كتفي ، ووضعتها في بيت خالي ليعتنوا بها ، وسلمت نفسي لأول مخفر لقيته .

لقد أخذت كلمات الرجل الأخيرة ترن في اذني ، وصرخات الفتاة التي أحببتها واستغاثاتها تمزق كبدي ، واطياف الجريمة تلاحقني ، وتحرمني النوم ، وادركت لأول مرة في حياتي أن كل ما توهمته من حبي لتلك الفتاة لم يكن سوى انانية طاغية فضحها اغتيالي للرجل الذى تزوجها ، ورضيت بأن تقطع الحياة معه خضوعا لارادة والد غاشم ، فدمرت حياتها . وقضيت عليها بأن تطوى حياتها عانسا فاقدة كل أمل ، لان أحدا لا يجرؤ على الدنو منها بعد اليوم . وانا لا أصلح أن أكون زوجا لها بعد أن أصبحت مجرما اثيما !..

قضيت في السجن سنوات كان عذاب ضميري فيها أعنف من عذاب السجن على كل ما لقيت في السجن من اهانة واذلال ! .. لقد خرجت من السجن بالعفو العام .

والآن قبل أن اقرع بابكم كانت ضبع هائلة قد وقفت فوق رأسي ، وكادت تفترسني ، وليتها فعلت ! ..... لكنى نجوت باعجوبة ليطول في الحياة عذابي ، انصرفت الضبع عني بعد أن استروحتني مرارا .

وانا الآن اخاف أن يمر بي أحد البدو ويطمع في هذه الارزاق التي أتولى حراستها !

أجل أخاف أن يمر بي أحد قطاع الطرق فيقتلني ، لأن القتل كما قلت لك يا سيدى من أسهل الأمور ، وهو لا يحتاج الى أكثر من لحظة حماقة ، وتصميم أرعن ، وعدم تقدير للمسئولية ، وقليل من الحقد وحب الامتلاك ! ...

فاذا رأيتني الآن شبحا ، أعيش بلا ارادة وبلا هدف ، فلا تلمني ، لأني فقدت انسانيتي من اليوم الذى صَمَمْتُ فيه اذني عن توسلات امي . والفتاة التي توهمت اني أحبها ، والرجل الذى قضيت على بناته وابنه أن يعيشوا لطماء .

ان عزائي الأوحد في أوقيانوس عذابي هذا ، ان الله يعذبني في هذه الحياة تكفيرا عن جريمتي التي لا تطهرها توبة ، ولا تغسلها الدموع ! ..

■■

روكس بن زائد العزيزي
عمان — الاردن

أسهل طريق !

● سأل طبيب احد الطلاب السؤال التالى : ماذا يجب ان تفعل حتى تذهب الى الجنة ؟

فاجاب الطالب : يجب ان اموت .

فقال الطبيب : هذا صحيح ولكن ماذا يجب ان تفعل قبل ان تموت ؟

الطالب : يجب انامرض اولا .. وان تعالجنى !

أولا .. !

● كانت المدرسة تحدث الأطفال عن النعيم الذى فى الجنة وبعد فترة سألت الأطفال من منهم يريد أن يذهب الى الجنة فرفعوا كلهم ايديهم ما عدا واحدا .

فسألته المدرسة : الا تريد ان تذهب الى الجنة؟

فاجابها : نعم أريد .. ولكن امي اخبرتني ان اذهب الى البيت رأسا بعد المدرسة .

★★★

ذكريات مؤلمة !

الزوجة : فى كل مرة ترى فتاة جميلة تنسى انك متزوج .

الزوج : على العكس .. اذ اننى لا اتذكر ذلك الا حينما ارى فتاة جميلة .

بعد الأوان !

الزوج : اتدرين يا عزيزتى ، لقد فكرت مليا فى النقاش الذى دار بيننا امس ، واظن اننى يجب ان اوافق على رايك .

الزوجة : وما فائدة ذلك الآن .. لقد غيرت رايي .

★★★

الزمن يحل المشاكل !

● تقول اسطورة هندية ان ملكا حكم على رجل بالموت . ولكن الرجل قال انه يستطيع ان يعلم حصان الملك المفضل الطيران فى خلال سنة . فمنحه الملك مهلة سنة ينفذ بها الحكم فى نهايتها اذا لم يتمكن الحصان من الطيران .

وسئل الرجل ما الذى حدا به الى ان يقطع على نفسه هذا العهد المتهور . فاجاب : فى خلال سنة قد يموت الملك ، او قد اموت انا ، او قد يموت الحصان !

تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك

ذكاء قاض !

● طلب من الشاهد ان يخبر المحكمة ما رآه فى الحادث .

فقال الشاهد : لا شىء غير العدم ، كما يقول شكسبير !

فقال القاضى : لا تبال بما يقول شكسبير .. فاذا كان يعرف شيئا عن هذه القضية فان المحكمة ستدعوه للشهادة !

***

اقل نفقة !

● كان رجل مريض يحتضر .. وزاره صديقان له وجلسا حول سريره وراحا يبحثان الترتيبات اللازمة للجنازة . فقال احدهما : اظن ان عربة نقل الموتى وسيارة واحدة تكفيان . فقال الآخر : بل اعتقد ان عربة نقل الموتى وحدها كافية .

فقال الاول : يمكننا ان نقتصد اكثر فنستغنى عن العربة ونحمل التابوت على الاكتاف .

وعندئذ هب المحتضر من رقاده وقال : اسمعا .. ناولانى بنطلونى .. لقد قررت ان اذهب الى المقبرة مشيا على الاقدام .

منطق طفلة !

الطفلة : امنى ان تكون معى نقود كثيرة تكفى لشراء فيل .

الام : وماذا تريدين ان تفعلى بالفيل ؟

الطفلة : بماذا ؟

الام : بالفيل ؟

الطفلة : من قال لك اننى اريد ان اشترى فيلا .. اننى فقط اريد النقود !

***

خيبة أمل !

● قرر شاب الا يتزوج الا فتاة كاملة .. وظل يبحث عن هذه الفتاة الكاملة عشرين سنة حتى عثر عليها . لقد كانت كاملة من جميع النواحى .. ولذا غمرته سعادة لا حد لها .. ولكنه لم يكد يطلب يدها حتى اعتذرت له بانها هى الاخرى تبحث عن « الرجل الكامل » !

نفس الأعراض !

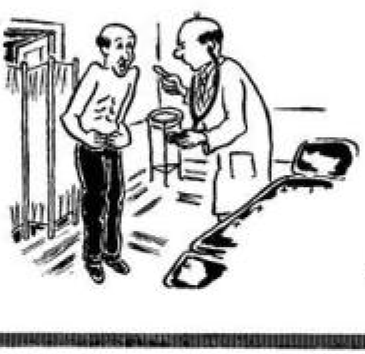

الطبيب : هل تحصل بقع حول عينيك ؟

المريض : نعم .

الطبيب : وهل تصاب مرارا بصداع ؟

المريض : نعم .

الطبيب : وهل تشعر بألم فى ظهرك ؟

المريض : نعم .

الطبيب : وانا كذلك .. اشعر بنفس الاعراض ولكنى لا اعرف ما هو هذا المرض !

ساعات
وست اند
هى الأولى فى
اناقتها
متانتها
دقتها
WEST END WATCH Co
W
EVERBRIGHT
علامة الضمان
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف البهبهاني
ساحة الصفاة ـ الكويت ـ هاتف ٢٧٧٠ ـ ص.ب ٣٣٤

بطاريات مكسيل

التي صنعت خصيصا للمناطق الحارة وصالحة لجميع
أنواع راديوات الترانزستور وغيرها

MAXELL

الوكيل العام بالكويت

مخزن التجهيزات ش.ت.ك

شارع عبد الله السالم - الجديد سابقا - ص.ب ١١٥٤ - تلفون ٢٣٣٦ / ٢٣٤٨

شركة العمر

للهندسة الميكانيكية

كويت - الخليج العربي تلفون ٤٦٦٩

ص.ب ٣٩٢ - برقيا: عمركو - سجل تجاري ٢٧

تعرض

سيارات جيب أوستن

ذات الشهرة العالمية

إذا أردت القوة والمتانة والاقتصاد

عليك باقتناء هذه السيارة

أسعارها معتدلة - جميع قطع الغيار متوفرة

صيانة وخدمة في ورش الشركة بمنطقة الدسمة الصناعية

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٦

للحقيقة والتاريخ :

شمشون الجبار ...
والشيخ ابو العزم

● طالعت الاستطلاع الممتع الذى نشرته مجلة « العربى » القراء بالعدد الخامس والاربعين عن مدينة غزة ، ونحن اذ نشكر لمجلتنا الحبيبة عنايتها بهذه المدينة العربية المكافحة ، نرجو أن توافينا باستطلاعات أخرى عن باقي مدن فلسطيننا العزيزة .

وبهذه المناسبة أود أن أصحح للسيد رجاء مكاوى احد الذين اشتركوا فى هذا الاستطلاع ما كتبه عن مقام ولي الله الشيخ محمد شمس الدين أبي العزم ، فقال ان شمشون الجبار يرقد فى قبر حقير تسال عن اسم صاحبه فيقولون لك انه قبر ولي الله الشيخ أبي العزم ، ذلك لأن أحد الأفاكين وضع فوقه عمامة وقال انه مقام . لأحد أولياء الله الصالحين ، الى آخر تلك المعلومات الخاطئة التى يظهر ان الكاتب نقلها عن أوهام بعض العامة ، والتى يبدو منها انكار وجود شخصية اسلامية بهذا الاسم ، مع ان الشيخ محمد شمس الدين أبا العزم من كبار الصالحين ومن المع الشخصيات الاسلامية فى تاريخ غزة التى جاء اليها من المغرب فى نهاية القرن التاسع الهجرى وامضى فيها بقية حياته ، وقد عاصر الملك الاشرف قايتباى الذى كان يجله ويحترمه كثيرا وقد بنى له زاوية لتكون مقرا له وليأوى اليها القادمون من مصر والمغرب لزيارة بيت المقدس ، وحينما توفاه الله دفن بجانب زاويته واقيم على قبره القبة الموجودة حتى الآن .

اما الزاوية فقد بقيت قائمة حتى أواخر العهد العثماني حيث هدمت بقنابل الحلفاء في الحرب العالمية الأولى حينما ضرب الانكليز مدينة غزة بالقنابل كما يعلم ذلك المتقدمون بالسن من أهالي هذه المدينة الكريمة .

والكتب والمصادر التاريخية التى جاء ذكر الشيخ محمد شمس الدين فيها كثيرة عديدة ، اذكر منها رحلة ابن غانم الدمياطي وهي مخطوط قديم وصاحبها كان معاصرا لسيدى أبي العزم ، وكتاب « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » وقد تكلم عن ابى العزم عندما تعرض لترجمة حياة الشيخ احمد المحدث الشهير بالموقت فذكر انه من ذرية ابي العزم وانه ولد في غزة ثم انتقل الى بيت المقدس وتقلد فيها منصب الافتاء وكان من أبرز فضلائها وعلمائها ، وقد توفى ودفن فيها في سنة ١١٧١ ، وهو الذى ذكره الاستاذ مصطفى الدباغ في الصفحة ٧٤ من المجلة حينما تكلم عن مشاهير الرجال الذين انجبتهم غزة .

اما شمشون الجبار الذى مضى على وفاته آلاف السنين فان الشائع بين ذوى المعرفة من اهالي المدينة ان مدفنه في مقبرة بني ميس المندرسة ، المقام عليها الآن مدرسة هاشم بن عبد مناف ، وهي تقع امام قبر الشيخ محمد شمس الدين ابي العزم ، ويفصل بينهما الشارع العام في الوقت الحاضر ، والظاهر ان سبب الخطا الذى وقع فيه البعض بنسبة قبر الشيخ ابي العزم الى شمشون الجبار هو اندراس مقبرة بني ميس وضياع معالمها بفعل الزمن ، وبناء المدرسة المذكورة عليها في العهد العثماني حيث كانت تسمى في ذلك العهد بالمدرسة الرشدية ، ولان لقب ابى العزم الذى اطلق على الشيخ محمد شمس الدين لفضله وكراماته يوحي بالقوة التى اشتهر بها شمشون الجبار .

صبحي الموقت

عضو محكمة الاستئناف الشرعية ـ عمان

العربي

العدد ٤٨
جماد آخر ١٣٨٢
نوفمبر
(تشرين ثاني) ١٩٦٢

في هذا العدد

هدية ثمينة
+
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

عربية من صيدا ترتدي زيا وطنيا يعود الى قرن من الزمان

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
ج العربي	٢	روبية
…دية	٢	ريال
…من	٢ر٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا

أم وابنتها على مائدة الشاى .. أترى البنت تقلد
أمها فى جلستها .. أم أنهما تتداولان ؟!!

عزيزي القارىء

● استمعْ الى هذه ، وافطنْ ، وظن خيرا .

لقيته ، بالأمس القريب ، ومن بعد حين . ورآني ممسكا بيدى أوراقا ، واقرأ وأمعن قراءة ، ووجهي يفيض بشرا ، وفى قلبى فرحٌ واضطراب .

فعاد يسالنى سؤاله القديم بعربية سقيمة تخرج من لسان غير عربى : اهذا كشف حساب جديد ؟

قلت : كيف عرفت ؟

قال : فكم رصيد العرب اليوم ؟

قلت : زاد وفاض .

قال : بالأمس انخفض حتى كاد أن يكون دينا .

قلت : كل رصيد ، عن عمل ينبض بالحياة ، يعلو وينخفض ، وسبيله سبيل الحياة نفسها ، ارتفاع وانخفاض ... نِجادٌ ووِهاد . والعروبة لا تبالى ان تخسر فى يوم صفقة او صفقتين ، لتكسب فى يوم آخر ، أو ايام أُخَر ، صفقات .

فعاد يسال : وكم صفقة كسبت العروبة هذا العام ؟

قلت : بل سلنى كم صفقة كسبت العروبة فى تلك العشرة السالفة من الأعوام . بل فى تلك الخمسين الماضية من السنين . فهذا هو كشف الحساب الصادق الذى يدلك كيف يدور بالعروبة الزمان . سلنى اين كنا ، والى اى شىء بعد نصف قرن صرنا ، واذن الى أى شىء نحن فى غد صائرون . ان عمرى وعمرك بالسنين ، وعمر العروبة بالقرون .

قال : فباى شىء أنصح أمّتى ؟

قلت : انصحها وانصح اضرابا لها واشباها ، بان تكفَّ عن العرب يدَها فكفى بالتاريخ الذى مضى ، وهو مرُّ المذاق ، حاجزا حائلا بين قلوب وقلوب . قل لها ، ولأضراب لها واشباه ، انه ما من يد انسان تستطيع أن تمنع شمس يومٍ طالع من طلوع .

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

عروبة :

فلسفة :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● كثير من الازياء الوطنية التي عرفتها البلاد العربية آخذة في الاختفاء ، لتحل محلها الملابس الحديثة التي تكاد تكون اليوم عالمية . وهذه فتاة من صيدا ترتدي زياً من الازياء عرفته جداتها قبل قرن من الزمان . ولم تعد هـذه الأزيـاء تظهر الا في الاحتفالات الشعبية والمناسبات الخاصة .

شعر وشعراء :

ركن المرأة :

قصص :

كتـب :

متنوعـات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شـلن . العراق ١٢٠ فلسا . سـورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

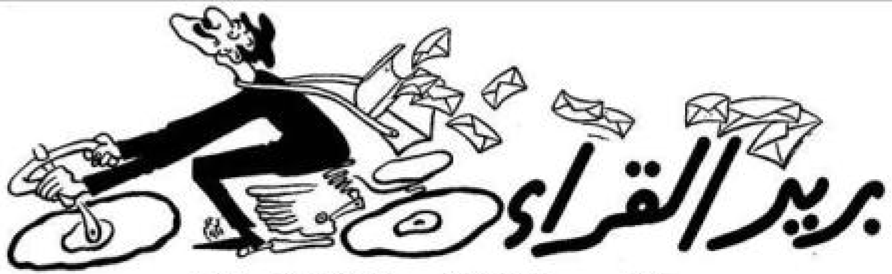

والشعوبية الاندلسية لماذا ننساها

● تحية « للعربى » .. القراء وبعد : قرات نقد الدكتور محمود السمرة لكتاب الشهر « الجذور التاريخية للشعوبية .. » فعجبت لان الدكتور عبد العزيز الدورى مؤلف الكتاب لم يتطرق للشعوبية الاندلسية .. مع العلم انها اثرت تأثيرا كبيرا فى الحياة الاجتماعية والادبية هناك..

ولما لها من طابع خاص يختلف عن شعوبية المشرق .. وفى هذا يقول جولد تسيهر Gold Zieher « اما الميل الحقيقى الى الشعوبية فقد اخذ طابعه الكامل فى محيط المولدين ، ويمتاز هذا الميل فى اسبانيا بحرصه على ان ينسجم مع العقيدة الاسلامية ، على حين نجد شعوبية المشرق على النقيض من ذلك ، اذ نرى ممثلى الشعوبية فيه من الملاحدة والزنادقة فى اكثر الأمر » .

ومن اقطاب شعوبية الاندلس محمد بن سليمان المعافرى ، وكان شديد العصبية للمولدين ،ومنهم ابو محمد عبد الله بن الحسن المتوفى سنة ٣٣٥هـ وكان معروفا بشدة تعصبه للعجم ، ومحاولته الغض من شان العرب .

والنزعة الشعوبية الاندلسية اعلنت بشكل انتاج أدبى ، بعد أن انقسمت الدولة الى دويلات صغيرة .. تناهب الحكم فيها صقالبة ومولدون .. ومن الذين كتبوا فى الشعوبية « ابو عامر بن غرسية » الذى حاول اثبات فضل العجم على العرب .. برسالة وجهها الى الشاعر « ابو جعفر ابن الخزاز » . ومنهم من يقول كابن خلكان انه وجهها الى ابى عبد الله بن الحداد وزير المعتصم ابن صمادح ملك المرّية : وفى هذه الرسالة وازن ابن غرسية بين المميزات الطبيعية والخصال الخلقية بين عنصرى العرب والعجم ، فتفخَّر ببياض العجم على سمرة العرب . ثم هو يقابل بين حياة العرب القدامى بين الابل والشاة ،وحياة الاكاسرة والقياصرة فى ظل السيوف والرماح .

والجدير بالذكر انه كان لهذه الرسالة ردود كثيرة من الكتاب والفقهاء العرب فى الأندلس .. خلال سنين طوال .. وصلنا منها اربع رسائل :

١ ــ رسالة فى الرد عليها لأبى يحيى بن مسعدة

نحن وبعض القـراء

● كنت أقرأ فى العدد ٤٦ من مجلة «العربى» ، فطالعتني فى بريد القراء هذا العنوان : « الصحافة والاذاعة والتلفزيون .. والاخلاق !! » ، فقرأته وامعنت النظر فيه ثم ما لبثت ان ارتبت فى اسم كاتبه واني لأعلم حق العلم ان هذا المقال ليس « لحسين فرج عبد القادر » من الزرقاء ، الاردن ، فقد قرأته منذ عام فى مجلة « حضارة الاسلام » ــ العدد الاول ــ السنة الثانية (صفحات ١٠٤ ــ ١٠٦) .

ورغم تقديرى للسيد حسين فرج على نزعته الاخلاقية وغيرته على مصلحة اخوانه الشباب ، الا اني الومه على انتحاله لانتاج الآخرين .

ولست ادرى هل ادارة مجلة « العربي » وضعت هذا الاسم مصطنعا أم انها على فطرتها الكريمة ، ولئن كانت قد وضعته وهى على يقين من انها علمت انه نثر فانها أحق ان تلوم نفسها دون أن تلوم مجلة من المجلات اللبنانية التى اقتبست مقالة منها .... واستنكرت عليها صنيعها ووجهت لها نقدا بعنوان « نحن وبعض الزميلات » .

زكريا عبده الشيخ

حلب ــ سوريا

« العربي » : ما كنا نحب للسيد حسين عبد القادر ان يقف هذا الموقف المتهم ، ويعرض نفسه لألسنة القراء .

وما كنا لنحب أيضا للسيد زكريا عبده الشيخ، ان يتهم « العربي » فى غير وجه حق ، فيتهم هو بدوره بعدم الاتزان ، وسوء الظن فى غير محله .

الحرمان الجنسي هو أصل الداء

● تحية مخلصة وبعد : قرأت كلمة السيد حسين فرج عبد القادر في بريد العدد السابق من « العربي » وقد كنت معه بقلبي وعاطفتي . ولكن العاطفة وحدها لا تنفع في تقويم الاعوجاج الخلقي الذي نشكو منه في مجتمعنا العربي ، وانما الذي ينفع في نظري هو ان نشخص الداء ونصف الدواء .

ولو سئلت عن رأيي لشخصت الداء بأنه السعار الناجم عن الحرمان الجنسي الذي يقاسيه جيل الشباب ، هذا الحرمان المشفوع بالاضطهاد مما يؤدي الى فوضى السلوك الاجتماعي والتناقض بين ما يقول المرء ويفعل . ومجرد اثارة المشكلة في الصحف لا ينفع أيضا ، كما ان اعلان حرب لا هوادة فيها على مرضى النفوس رأى فيه من القسوة ما يهول .

ان الطبيب الجراح يعمل مبضعه في العلة وهو اشفق ما يكون على مصير المريض بين يديه . واذا كانت العلة تزول بزوال السبب ، واذا كان السبب هو الحرمان ، فالعلاج عندي هو هدم الجدار الحاجز بين الرجل المستوحي والمرأة الملهمة في المجتمع العربي ، والمبادرة الى اختلاط محتشم يلتقي فيه كل قيس بليلاه وكل جميل ببثيناه ، ويصطفيها وينقلها الى عشه ، عش الزوجية ، ذلك خير الف مرة من ان نجيع ذئاب الجنس المسعورة لتنطلق غصبا على كل جسد وكل عرض . ولان يتقمص الحب بجانبيه الروحي والمادي معا في صورة فتاة لفتى او فتى لفتاة خير الف مرة من ان تتقد السلوك الجنسي لدى الشباب ونقرّع المحروم عندما يتلهف على تجربة من اى نوع في ظلال الشيطان « راجع مقال الدكتور احمد زكي في العدد ٤١ » .

ان المرأة لدى الرجل والرجل لدى المرأة في حاضر مجتمعنا خيالان لا يهبطان الى واقع الحياة العملي . والواقع اصغر بكثير من الخيال ، واقل خطرا على من يركبه حتى ولو حسبنا حساب الضحايا الناجمة عن الاختلاط المقترح .

أما قضية الأدب المكشوف في الصحافة والاذاعة فما هي في نظري الا عبارة عن مراهقة جيل عربي ، جيل بأسره يقلد جيلا من الاوروبيين تعوزه المراهقة ليحرك بها كوامن الجنس الغربي الهامد همودا اضحى يهدد الحرث والنسل هناك . ولسوف ينضج الجيل العربي اذا منحناه الثقة بالنفس لأنه ما زال يحمل بذرة الحياة ليعبر عن اصالته مقابل الدماء المستوردة من الغرب . ولا ضير من التحفظ بأن يسار بنهر الحياة في المجتمع العربي على ارضية جانباها الخلق والفضيلة العريقان في تاريخ امتنا .

قدري مايو ــ حلب

.. الذي كان شيخا جليلا في حضرة ملوك المغرب، وتعد رسالته أكبر الردود وأحفلها .

٢ ــ ورسالة ثانية لمجهول وعنوانها في الاصل « رسالة ثانية في الرد على ابن غرسية » . ومن المحتمل ان تكون هناك رسالة ثانية لابي يحيى بن مسعدة كما يقول عبد السلام هارون محقق الرسائل .

٣ ــ ورسالة ثالثة لابي جعفر احمد بن الدودين البلنتسي ، وكان هذا معاصرا لابن بسام صاحب الذخيرة .

٤ ــ ورسالة رابعة لأبي الطيب بن من الله القروي ، وهو الفقيه الأديب ابو الطيب عبد المنعم ابن من الله القروى « وقيل القيرواني » .. وعنوانها في كتاب البلوى « الف باء » وكشف الظنون : « حديقة البلاغة ، ودوحة البراعة ، المورقة افنانها ، المثمرة اغصانها بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الاسلامية ، والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للامم الأعجمية » .

وهناك ردود كثيرة حفظ التاريخ اسمها ولم

(البقية على صفحة ١٤٤)

هذه الآراء لتعويق ...
النهضة الحاضرة
وهي وبال على العرب والمسلمين جميعا

بقلم رئيس التحرير

■ منذ غير بعيد زارت جماعة «النادي العربي وندوة العلماء» ، بمدينة لكناو بالهند ، الكويت ومدن الخليج .

ولكناو ، مركز اسلامي خطير بمقدار ما يكون للاسلام اليوم فى الهند من خطر .

واسرة الندوى هناك اسرة شهيرة مذكورة كريمة،عاهلها السيد ابو الحسن علي الندوى ، وهو الشيخ المؤلف المعروف بكتاباته فى العربية والاسلام فى حيثما كان عرب وكان مسلمون . وقد كان السيد ابو الحسن الندوى ، رغم انه نيف على الثمانين ، على راس الجماعة التى زارت الكويت والخليج .

وعادت الجماعة الى الهند ، فكتب السيد محمد الرابع الندوى كلمة يعلق بها على هذه الزيارة فيقول :

« استغرقت زيارتنا ثلاثة اسابيع كاملة ، قضينا معظمها فى الكويت ، اغنى البلدان فى تلك المنطقة ، واستطعنا فى هذه الفترة ان نطلع على نواح مختلفة من الحياة السائدة فى المنطقة . فاول شيء استخلصناه من هذه الزيارة هو ان الشعوب القاطنة فى تلك الناحية من الشرق ، وفى مقدمتها الشعب الكويتي ، فى انسياق شديد نحو الحياة الغربية وغرام شديد بالاقبال عليها ، والاعتناق لمذهب الغرب فى الحياة واتجاهه الفكرى ، وكل هذا على حساب الثقافة الشرقية وافكار الشرق وروحانياته » .

ويستمر يكتب فيقول :

« والشرق مبعث الحضارات ، ومولد الديانات ، ومركز الروحانية والاشراق، وذلك هو الذى يميز الشرق عن الغرب. اما الغرب فهو خلو من كل ذلك » .

كلام كتبه السيد الندوى ، هو مثل من الافكار الشائعة فى نفر غير قليل من العرب والمسلمين فى شتى انحاء الارض . وهى افكار لو انها شاعت ، لعوقت النهضة العربية الحاضرة ، والنهضة الاسلامية ، تعويقا كثيرا ، وكانت وبالا على العرب والمسلمين جميعا، ماديتهم والروحانية .

بلبلة فى الفكر كبيرة

مشكلة من مشاكل الشرق ، تلك التى

حتى في الجامعة الأزهرية ، غزا الزي الغربي الزي الشرقي .

فيها بلبلة فى الفكر كبيرة : موقف المدنية الشرقية من المدنية الغربية . لا يكاد يقول أحد بالمدنية الغربية حتى يقوم له لسان ولسان يعارض ، فى هذا الاتجاه نحو المدنية الغربية . واغلب هؤلاء المعارضين ممن لم يعيشوا فى الغرب ، فهم لا يعلمون عن هذه المدنية الا بالسماع . واغلب الظن انهم لا يعرفون لغة غربية ، بها يقراون عن الغرب ، فيعرفون منه ما لم يكونوا قد عرفوا . وتسالهم عن كنه المدنية الشرقية ، وكنه المدنية الغربية ، فلا تسمع منهم شافيا . واول ما يذكرون لك ، كفارق بين المدنيتين ، نظرة كليهما الى المادة بحسبانها هدفا من اهداف العيش ، وبمعنى آخر افتقار الغرب الى النظرات الروحانية .

رجال الطليعة فى الامم الاسلامية والعربية اليوم

واهل الشرق فى دولهم طبقات ، طبقة متعلمة متنوّرة سابقة تحمل تبعات تلك الامم فى حكم ، وفى شرطة ، وفى قضاء ، وفى تعليم ينتهي الى جامعة بها الاساتذة، من رجال هندسة ، الى رجال طب ، الى رجال فن صناعي ، الى رجال اقتصاد ... كل هؤلاء تفحص انت احوالهم فتجدهم ، احسوا بذلك ام لم يحسوا ، قد اقتبسوا من المدنية الغربية اكثر مظاهرها . لباسهم غربي . مساكنهم غربية . واترك الطعام لأنه اتفه الاشياء التى تؤثر فى تقدير المدنية ، اى مدنية .

والتبعات غربية ، والنظم

والتبعات التى يعالجونها غربية . نظام الشرطة غربي . قواعد المرور فى الطرقات ، من احمر الالوان واخضرها ، غربي . ونظام النيابة غربى . القضاء والقوانين استمدادات غربية . وتتعمى على القاضي بعض الأحكام فلا يلبث ان يستوضحها من مراجع فرنسية وانجليزية .

وبرامج التعليم غربية

والتعليم كله غربى ، فى ابتدائي

وثانوى وجامعي . والكتب التى بأيدى الطلبة ، مؤلفة نعم ، ولكنها والحق يقال ، مقتبسات غربية . ومَن شكَّ فليراجع المؤلفين . وكروية الأرض ، تلك التى تفنى من أجل تدريسها مدرّس فى بلاد عربية معروفة ، هذه الكروية غربية . وكل العلوم ، من فزياء، وكيمياء ، ونبات ، وحيوان ، وطبقات أرض ، علوم غربية وهى لا تزال تدرّس فى كثير من بلاد الشرق بلغات الغرب . وينتهى طالب الجامعة من جامعة ويطلب المزيد ، فلا يجد الا المراجع الغربية . عندهم خزائن العلم ، فى الغرب ، وليست هى فى الشرق .

واقسام المعارف التى يسمونها بالانسانية ، من جغرافية ، وتاريخ ، وعلوم اجتماعية وانسانية ، كل برامجها من الغرب . والذى يؤلف فيها انما يقتبس .

الاستعمار بث كراهة الغرب فى قلوب أهل الشرق . وسوف نظل نكره حتى لا يكون استعمار على الأرض . ولكن مدنية الغرب شيء آخر ، شيء انساني ، لا بد من أن نتزود منه وبه .

خلطٌ فى المنطق غريب

وكأني بقائل يقول لي : ان ابن الهيثم كان فزيائيا رياضيا بارعا . وابن خلدون سنّ علم الاجتماع ، وان .. وان ..

وانا بالطبع أقر بهذا ، وقد كتبت فى مآثر العرب القديمة والاسلام الكثير ، ولكن هذا موضوع غير الذى أنا فيه . للعرب مآثر . وللهند مآثر . وللاغريق مآثر . ولقدماء المصريين والسومريين والبابليين . ولكن لم يقل احد ان هذه المآثر تنفع اليوم ، لا كيفا ولا كما ، لتكون اساسا لبرامج التعليم . معارف الدنيا تطورت ، وتضخمت ، وكثرت الف الف ضعف عما كانت . وصار الغرب اليوم وارث كل هذه الثروة المتراكمة على القرون ، ومنها القليل الذى صنعه القدماء ، ونزل الينا مع الزمان الى هذا العصر الحديث ، الذى بدأ منذ قرون ثلاثة او اربعة . ومنها الكثير الأكثر ، بل الغامر الذى فَنِىَ فى مَوْجه ذلك القليل الذى صنعه القدماء . ذلك الكثير الذى صنعه فى هذه القرون الحديثة الاخيرة الانجليز والفرنسيون ، والايطاليون والألمان ، تضاف اليهم من بعد ذلك الولايات المتحدة ثم الروس .

اعتراض عجيب

وكأني بمعترض يقول : هذا تمجيد للامم الاستعمارية ؟!

فأقول لا ، وانما هو تمجيد للحقيقة التاريخية .

وسؤالك هذا يا سيدى، واعتراضك، يدل على خلط قديم عند غير القليل من أهل الشرق ، بين الفكرة والفكرة . بين فكرتين لا صلة بينهما أبدا .

البحترى

أقول : البحترى شاعر رقيق ..

فتقول لي : انه شاعر قذر الثياب ، قذر الجسم .

فأقول لك هذا حق ، وذاك حق ،

حتى الافريقيون ، وهؤلاء زعماؤهم ، صاروا كأهل الغرب ، مظهرا ، ومخبرا .. وثقافة

ولكنك تحاول أن تتخذ من قذارة ثيابه هدما لرقة شعره والفكرتان مختلفتان. فأنا لم أرد أن امجد الرجل كله ، وانما اردت ان امجد شعره وما خلّفه من ذاك ذخرا لي ولك ولكل من يستمتع بقراءة شعره الرصين المتين الرقيق ، الذى يحاكي نسمات الريح الباردة ، رقة ، في الجو الصائف .

واينشتين

واقول لك ان اينشتين اكبر عالم رياضي فيزيائي اخرجه القرن العشرون.

فتقول لى : انه يهودى ، وانت بذلك تمجّد اليهود ..

فأقول لك : انما احكي عن علم الرجل. ولو انه فعل ما فعل الآخرون من قومه ، ثم تحدثتُ عن هذه الناحية من حياته ، لدمغته بالذى ندمغ بمثله الآخرين .

خلطٌ بين الفكرة والفكرة ، شائع ، يغتفر لمن لم يصب فى الحياة علما وفكرا ، ولكنه لا يغتفر عند العلماء المفكرين .

ومرافق الحياة الاخرى

واعود أنظر فى مرافق الحياة الاخرى لأتبين أيها الشرقي وأيها الغربي ، فماذا أجد ، وما يجد القارىء من بديهيات الامور ؟!

الزراعة غربية

الزراعة . الزراعة عرفتها كل المدنيات فهي قديمة قدم الدهر . عرفتُ الحرث ، وعرفت البذر وعرفت السقى وعرفت الحصاد ، ولكنها لم تعرف ، من تطور هذه الاشياء كلها ، ذلك الطور الذى لبسته فى الحديث من هذه الايام .. الحرث بالآلات . انتقاء البذور وسائر الاستنباطات . السقى وتدبير الماء بالسدود والرافعات . وكلها شئون هندسية تعتمد ، لا على قوة العضل ، ولكن على قوة البخار والزيت. قوة الآلات . وآلات كلها غربية . والسد العالي سد غربي ، غربى الفكرة ، غربى التصميم . غربى التنفيذ، الفكر الروسى والخبرة الروسية من ورائه ، ومن هؤلاء نتعلم فنّاً ، ونتعلم خبرة ، ونرجو ان نساوى من سبقونا فنا وخبرة ونزيد . والايام معنا .

الصناعة غربية

والصناعة . هل انا فى حاجة الى أن اقول ان كل الذى فيها غربي . آلةً ، وفكرةً ، ونظاما .

البخار قوة غربية .
الكهرباء قوة غربية .
الذرّة قوة غربية .

ومجتمعٌ صناعى انسانى ، خالف ما

عرف القدماء من سائر المجتمعات ، لـه صـوره ، وله مشاكله ، وعَرَف كيف ينتظم صفا واحـدا ، حتى لا تسحقه الآلـة ولا يسحقه أصحابها . ودخلت اليه أفكار فى معانى الحقوق والواجبات غربيةٌ ، لحما ودما ، لم يكن يعـرفها القدماء قط ، لأن مجتمعات صناعية بهذه القوة ، وبهذه الكثرة ، لم يكن قط لها فيما عرفنا من الزمان وجود .

والاقتصاد والمال والتجارة

والاقتصاد ، والسياسات المالية ، والاساليب التجارية ، كلها نظم غربية ، واساليب غربية . وانا لا اتحدث عـن الدكاكين التى تنشأ فى بعض الشـوارع والازقة . ولكن عـن البيوتات الكبيرة حيث يجرى التعامل بالملايين ، وتحمـل البضائع ، لا على قافلة من جمال ، ولكن فى السفن مئات وألوفاً ، تمخر بحـار العالم ، تحمل السفينة منها الالوف من الاطنان. الاقتصاد غربى ، ونظرياته ، وقد تختلف اختلافا عظيما ، نظـريات غربيـة ، والذين يقومون بتدبيرهـا فى الشرق ، وتطبيقها ، عقول شرقية ، نمت وترعرعت فى معاهد الغرب ، لم يبق لها من شرقيتها آخر الأمر الا الذكاء الشرقى، والا العاطفة الشرقية الكريمة التى تعمل على دفع الشرق فى هـذا المضمار حتى يكون اولا فى السـابقين .

وهل اذكـر ..

وهل اذكر السيارات ..

وهل اذكر الطائرات والنفاثات ، وما تفوق سرعةَ الصوت منها ..

وهـل اذكـر التلغراف والتلفـون واللاسلكي .

وهل اذكر الاذاعة والتلفاز ..

وهل أذكر السينما والمسرح ..

كل هذه الاشياء ، ومئات غيرها ،

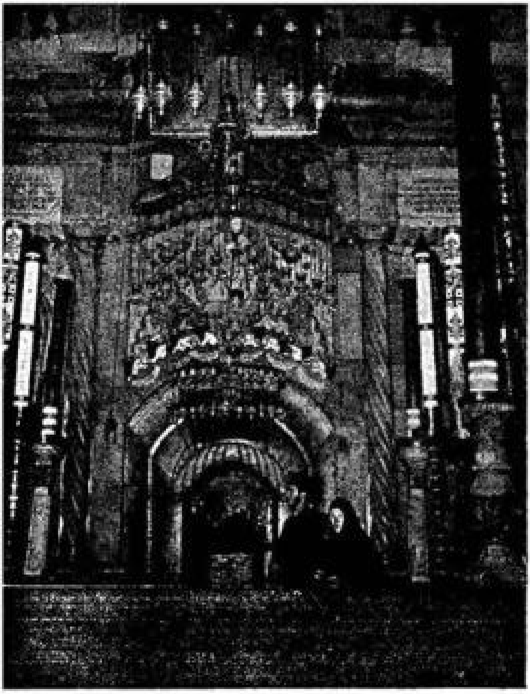

دخلت حياة الناس ، فى شرق وفى غرب . وهى كلها مدنية غربية .

وخادعٌ نفسـه من يظن انه لا يعيش ، بأكثره الأكثر، فى مدنية غربية . وخادعٌ الناس من يذيع فيهم ان المدنية الغربية ليست منا، ولسنا منها، وانها كلها شر.

والمادية والروحانية ؟

والمادية والروحانية ..

موضوع يذكر دائما كلما ذكر الغرب والشرق ..

ما عرفت الحياة الا مادة أولا ، ثم ...

وما عرفت الحياة أبـدا الا مـادة ، أولا ، ثم ينظر الانسان فى فراغـه الى الروح .

وجسـم الانسان ، تحفـةَ الخلقِ

الكبرى ، والمصدر الاكبر عندى للايمان بالله ، مادة .

والطعام اول ، وهو مادة . والملبس، وهو مادة ، لحفظ مادة هي جسم الانسان . والمسكن ، لوقائه . ويعتل الانسان وهو اعتلال مادة ، ويصح ، وذلك صحة مادة .

والارزاق عراك بين الناس مذ كان آدم . والقتال كان ، فى شرق وغرب ، قتالا على المادة .

ومات الرسول الكريم ، وارتد من العرب من ارتد ، لا يريدون دفع الزكاة، حرصا على المال ، والمال مادة .

والى اليوم لا يزكي من المسلمين الا من ندر ، وذلك حرصا على المال ، والمال مادة ، فأين الروحانية الشرقية فيهم .

والسخاء فى شرق وغرب

ومن اهل الشرق نفر يسخو بالمال .

ولكن كذلك من اهل الغرب من يسخو بالمال .

والذين يقولون عن أهل الغرب ، اهل المدنية الحاضرة ، انهم لا يسخون ، قوم يجهلون ، ما عرفوا لغة ، ولا قراوا لهذه الامم صحفا ، ولا تابعوا لها اخبارا. وهم لم تطأ لهم ارض هذه الامم قدم .

والسخاء فى هذه الامم ، اكثر ، والسخاء فيهم منظم . ولعل كثرته من كثرة مالهم . وهو على كل حال سخاء منهم وفيهم .

والمستشفيات يقوم كثيرها على التبرعات . وكذا الجامعات .

وفرضوا صنع الخير فرضا

وعرفوا ان صنع الخير لا يمكن ان يعتمد على التبرعات وحدها ، فجعلوا من عماده الضرائب ، يشترك فيها ، فيشترك فى صنع الخير ، كل قادر .

وبذلك عم الخير المرضى .

وبذلك عم الخير الارامل واليتامى .

وبذلك عم الخير الشيخوخة. فجعلوا لها المساكن ، والراتب المعين .

اعن روحانية كان هذا ، ام عن ماذا ؟

وابحث فى الشرق ، حاضره ، لا الذى كان اوجب ان يكون ، عن اشياء كهذه ، فكم تجد ؟ وانت لن تجد الكافى ، وسوف تأخذ فى تعداد المعاذير .

وهم فى كنائسهم ، كما نحن فى مساجدنا

ام ان الروحانية لا تتجلى الا فى مساجد ومعابد ؟

فان يكن هذا ، فخبرتي تدلني على ان كنائس الغرب ليست اقل امتلاء من مساجد الشرق ، ولا ثقة بالله ، على اي

صورة كانت ، أكثر اليوم شيوعا فى الشرق منها فى الغرب .

خلط في المنطق جديد

وتقول انهم لا يوحدون ، وانما هم يثلثون .

واجيب على الفور ان هذا خارج عن الموضوع . هو خلط كذلك الخلط الفكرى الذى ضربت له الامثال .

انما انا اتحدث عن روحية تحِسّ بهيمنة، يجعل الانسان السماءَ مصدرها ترفيعا لها ، هى فوق كل هيمنة فوق هذه الارض ، اليها يُرَدُّ مَناطُ الاشياء والاحياء جميعا ، توحى للمرء بالذلة ، الذلة الواحدة التى يستسيغها شَمَمُ

ورجال عرب محاربون ، غريب ما يلبسون وما يحملون ، وما سوف يطلقون .

الناس ، وتوحى اليه بالفناء المرتقب حتى لا يَنسَى ، وتجعل فيه شيئا من الزهد يلطِّف مما جبل عليه فى الحياة من حرب وتليّن من عريكته فى معاملة الناس. قال رسول الله : الدين المعاملة.

بهذا المعنى اجد فى المسجد روحية .

وبهذا المعنى أجد فى الكنيسة روحية، وفى الكنيس .

وبهذا المعنى اجد الروحية فى معابد الهند والصين .

الروحية ليست احتكارا

انه الانسان ، لا يمكن أن يفرغ ، بحكم طبعه ، لحاجات هذه الحياة وحدها ، وينسى ما بعدها . وهو اشد عناية بالبَعْد كلما اقترب من الحافة ، حافة الحياة . انه يريد أن يعرف كيف يكون السقوط ، وعلى اية حال .

وحظ الامم عندى من الروحية ، ماضيها والحاضر ، حظ سواء .

ليست الروحية باحتكار ، فالذين يقولون بأن الغرب لا روحية فيه ، وأن الشرق هو وحده الروحى ، قوم ينقصهم علم ، حتى بشرقهم ، وتنقصهم الروحية، لأن هذه الدعوى انما تكون عن انانية . والانانية ليست من الروحية فى شىء .

ولقد ارى الروحانية عند الكثير كلمةً اخرى مرادفةً للفقر ، أو هى عندهم الجلوس على الحصير ، والتوضؤ من ابريق من فخار ، والشرب من زير . وعندهم ان « لا تنس نصيبك من الدنيا » قولٌ غير مذكور .

الاستعمار أصل الكراهة

واعود فأقول ان الغرب ، فعل باستعماره الشرق ما فعل ، فبثّ بذلك

نساء عربيات ، هل تفرق بينهن ، زيا ، وسلاحا ، وبين نساء غربيات ؟!

فى أنفسنا الكره والبغضاء . وهذا كله حق .

ويجب أن تظل البغضاء فى أنفسنا ، حتى يُمحَى الاستعمار ، بكل صوره ، من سطح الارض . وقد كاد . كاد بوعي امم الشرق ، وبقوة اهل الشرق . ولكن هل يقوَى الشرق الا بالأخذ من الغرب ، بالأخذ بتلك الشئون « المادية والفكرية » التى بها علينا تفوّق .

حق .. وحق

ولكن من الحق كذلك ان امما سبقت ، ظهرت على سطح هذه الارض ، لم تكن اكثر تعففا من الأمم الغربية فى حاضرها .

وهل كان التاريخ الا اعتداء امم على امم . وهل كان فى الامبراطوريات التى كانت الا الاستعمار والا الاستخذاء .

روح تلك العصور القديمة التى كانت ، لا ادمغها بشىء ، بحسبانها فترة طويلة كان لا بد من المرور بها فى تقدم الانسان .

وكذلك من الحق ان الغرب جاء للانسانية بالطريف المعجب . واننا عنه نأخذ ، وانه يجب أن تعبّ من تلك الموارد عبّاً ، لا لصالح الغرب ، ولكن لصالح الشرق ، وصلاح المشرق والمغرب لا بد منه لصلاح الانسان واستقرار السلام على هذه الارض . ونفعل هذا لنحقق رجاء الله فينا :

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الارض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك . قال انى اعلم ما لا تعلمون » ■■

احمد زكي

مياه الروضتين

بحيرة جوفية من الماء العذب مساحتها ٥٠ كيلومترا مربعا

- تزود الكويت لأول مرة بالمياه العذبة من أرض الوطن
- وتخفض تكاليف انتاج المياه الى الثلث
- وتنتج ما بين ٥ و ٧ ملايين جالون من الماء يوميا

■ كان موقع الكويت الجغرافي ، الى ما قبل اكتشاف النفط ، هو الذى يتحكم فى تطورها وتقدمها . فهي البوابة الطبيعية فى الشمال الشرقى من جزيرة العرب ، كما انها واقعة فى الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربى . وفضلا عن هذا وذاك فان موقع عاصمتها الكويت مثالي كميناء لنقل البضائع القادمة الى اعالي الخليج فى طريقها الى ايران والعراق .

وتجدر الاشارة الى أن شركة الهند الشرقية كانت تدير « بريدا صحراويا » بين الهند واوروبا عن طريق الكويت وحلب قبل حفر قناة السويس سنة ١٨٦٩ .

وتصف كتب الجغرافيا الكويت بانها صحراء لا ماء فيها ، وان كوب ماء الشرب يجلب اليها بمشقة وعناء بالغين بواسطة المراكب من شط العرب على بعد مائة ميل تقريبا . وترسو هذه المراكب المستخدمة « كناقلات » للماء بالقرب من البرك المبطنة بالأسمنت ، وتفرغ فيها حمولتها من الماء ... ومن ثم ينقل هذا الماء بواسطة القرب المصنوعة من جلد الماعز أو بواسطة صفائح الكيروسين الفارغة على ظهور الدواب من باب الى باب بسعر آنتين (حوالى ١٠ فلوس أو قرش واحد) للجالون . والى القارىء وصفا لما كان عليه توزيع الماء قبل خمسين سنة كما ورد فى كتاب « أيامي ولياليّ فى بلاد العرب» للدكتورة اليانور كالفرلى . » :

« واتجه نحونا صبى يقود حمارا أبيض اللون عليه بقع حمراء من الحناء ، وحول رسنه طوق

من الخرز الأزرق لطرد العين الشريرة ، وتدلت حول رقبته الاجراس ، ومددت على ظهره قرب من الجلد تسيل منها نقط الماء . وأخذ الصبي يقرع أحد الأبواب بعصا يحملها في يده وهو ينادي: « ماء .. ماء .. » ويفتح الباب الكبير من الداخل ويدخل الصبي وحماره ساحة البيت ويفرغ الماء في الحِبّ (الجرة الكبيرة) المصنوع من الفخار الكائن في ساحة الدار لتشرب منه العائلة » .

وما كان ينقل من ماء بهذه الطريقة لم يكن يزيد على مائة الف جالون يوميا .. وعلاوة على ذلك فان وصول الماء لم يكن منتظما . والماء غير نقي . اضف الى ذلك ارتفاع ثمنه لارتفاع تكاليف نقله وتوزيعه .

البحر اسخى من البر

ان المياه التي كانت تجود بها الآبار كانت مالحة لا تصلح للشرب .. ولكن الطبيعة لم تكن قاسية

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية يقص الشريط ايذانا بافتتاح المشروع ، ويبدو حوله الوزراء وكبار المدعوين ، وخلفه وزير الكهرباء والماء وهو الذي قامت وزارته بالمشروع .

خريطة الكويت ، وقد ظهرت في شمالها منطقة الروضتين داخل المستطيل ، حيث حدثت المعجزة واكتشف الماء العذب بكميات وفيرة .. وترى على الخريطة خطا منقطا يبين الطريق من مدينة الكويت الى منطقة الروضتين

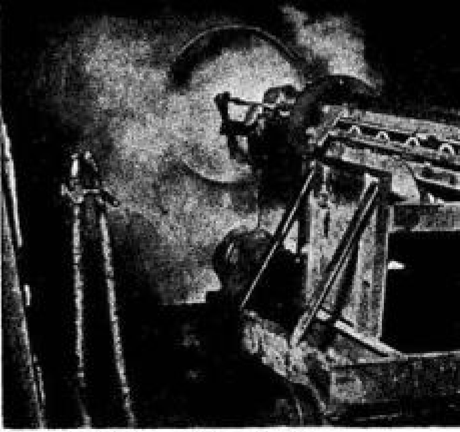

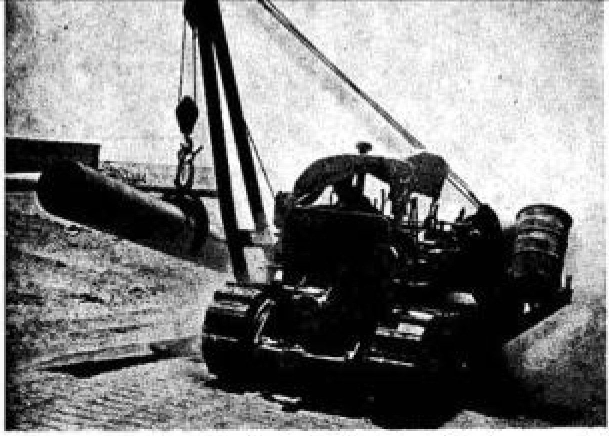

مرحلة تغليف الأنابيب الفولاذية من الداخل وقد استوردت لهذا الغرض مكائن خاصة ..

جرار ركبت عليه رافعة تحمل انبوبا ضخما من الفولاذ لتضمه في مكان تمديد خط الأنابيب .

الى حد الحرمان المطلق .. فمعدل سقوط المطر في فصل الشتاء كان يتراوح بين ٥و٦ بوصات سنويا ، وعلى هذا الاساس فقد تم بناء البيوت بحيث توجه مياه الامطار الساقطة على أسطحتها الى خزانات مصنوعة تحت الارض في فناء المنازل هي آبار لجمع مياه المطر . اما المطر الذي كان يسقط خارج المدن والقرى فقد كان يوفر المرعى لقطعان الأغنام والماعز .

ازاء هذه الظروف .. خرج الكويتيون الى البحر يقتحمونه .. يصيدون سمكه ولآلئه .. ويمتطون بمراكبهم ، التي هي من صنع أيديهم ، امواجه العالية . وارتادوا اقطارا بعيدة في آسيا وشرقي افريقيا ، للتجارة ، ومهروا فيها ... وهكذا اعتاضوا عن جدب الأرض وقحطها بالبحر وهو كريم جواد .

اكتشاف النفط

واكتشف النفط .. وأنتج بكميات تجارية .. وقال الخبراء ان الكويت تقبع على بحيرة من النفط وقدروا ما بباطن الأرض من نفط بربع ما عُرف ان الكرة الأرضية تحتويه من هذا الذهب الاسود الذي هو عصب الآلة .. بل عصب الحياة في عصر الآلة . وصدرت الكويت النفط ، وكان ترتيبها بين الدول المصدرة الرابعة في العالم كله .. وافاء الله على الكويت من نعمائه .. وازدهرت البلاد وتقدمت وأسست المدارس والمستشفيات .. وشقت الشوارع .. وأصبح في الامكان عمل كل شيء لكي تصبح الكويت بلدا نموذجيا .. ولكن مشكلة الماء استعصت على كل حل ... اذ كلما حفرت بئر بحثا عن ماء ، تدفق الماء المالح الذي يعرف هنا . بالمياه الصلبيبة .. وهكذا بقي عنصر من عناصر الحياة الأربعة : الماء والهواء والنار والتراب غير متوفر .. ذلك هو الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي .

تلفتت الكويت يمينا وشمالا تبحث عن الماء تطفىء به ظمأها وتروى به زرعها فلم تجد الا جفافا .

الكويت تتجه للبحر تقطر ماءه

واتجهت الكويت مرة اخرى صوب البحر .. وقطرت ماءه الأجاج منذ عشر سنوات ، واحالته الى ماء عذب وشراب طهور .. واستوردت آلات التقطير الضخمة الواحدة تلو الأخرى حتى أصبح لديها أكبر وحدة لتقطير الماء في العالم يزيد انتاجها على ستة ملايين جالون يوميا .

اختفت تلك الصورة التي رسمتها الدكتورة اليانور كالفرلي عام ١٩١١ .. والتي رسمتها مرة أخرى عام ١٩٤٦ زهرا فريث في كتابها «الكويت كانت موطني» .. وحلت محلها الخزانات الكبيرة التي تقوم على أبراج فولاذية،وسيارات الصهريج التي تنقل الماء وترفعه بواسطة المضخات الى الخزانات الموضوعة فوق البيوت .

الكويت تشرب من جوف تربة الوطن

ولعبت الصدفة دورها . كان ذلك في شهر مايو

عامـلان فتيـان يقومـان بلحم
الانابيب الحديدية بواسطة الاكسجين

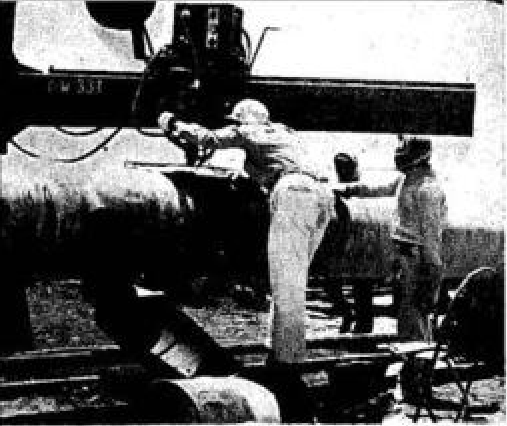

مرحلة لحام وصلتين من الانابيب الفولاذية
طول كل منهما ٤٠ قدما تمهيدا لنقلهما وتركيبهما

(آيار) ١٩٦٠ حينما كانت دائرة الكهرباء والماء والغاز تقوم بالتزاماتها تجاه متعهد طريق البصرة بحفر الآبار في منطقة الروضتين لتزويده بالماء . ولوحظ أن ماء احدى الآبار التى حفرتها الدائرة كانت عذبة .

ان خبر اكتشاف بئر نفط انتاجها ستة آلاف برميل او أكثر في اليوم يظهر في الجريدة الرسمية او الصحف المحلية على صورة خبر عادى بعنوان صغير .. شانه في ذلك شان اى حدث عادى من تلك التى تحدث كل يوم ..

اما اكتشاف بئر ماء عذب فامر لم يحدث في تاريخ الكويت الا هذه المرة .. وظهر الخبر في اليوم التالي بشكل بارز .. والناس في الكويت تحدثوا عنه أكثر مما تحدثوا عن القمر الصناعى الاول .. اول خطوة خطاها الانسان في مجال الفضاء .

وخوفا من ان يكون ما حدث سرابا ظنه الظمآن ماء استمرت عملية الضخ من هذه البئر اكثر من عشرة اسابيع وبشكل متواصل .. وبمعدل ربع مليون جالون يوميا .. ولم ترتفع نسبة الملوحة .. كما لم ينخفض مستوى الماء في البئر المذكورة.

ان القول ان الكويت قطعة كبيرة من الاسفنج مشبعة بالنفط .. ولا شيء غير النفط زعم لا اساس له من الصحة ، وقد أكدت الحقائق بطلانه، فها هو الماء العذب يتفجر من باطنها .

استخدمت في حفر آبار مياه الروضتين أجهزة الحفر الضخمة وهذه احداها أثناء عملية الحفر .

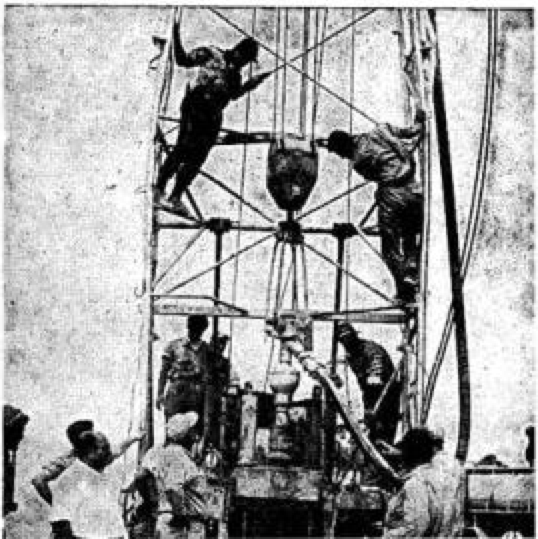

سقف خزان المياه الضخم الذي يتسع لـ ٧٫٥ مليون جالون من الماء العذب أثناء انشائه .

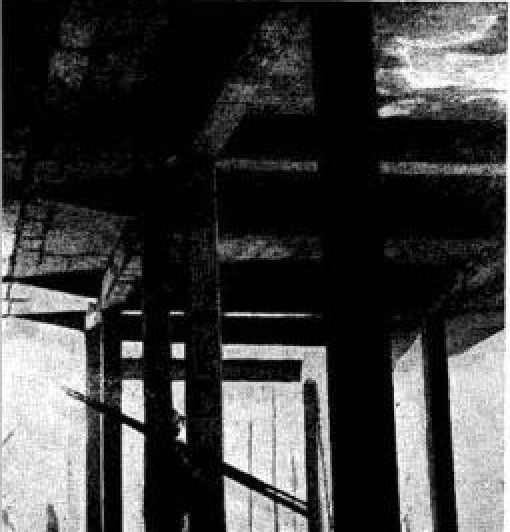

وزارة الكهرباء والماء تعمل بسرعة

شجع هـذا الحدث التاريخي الهام وزارة الكهرباء والماء والغاز على العمل بسرعة فاتفقت مع الخبراء العالميين « بارسونز » لاجـراء دراسة تفصيلية وتنقيب شامل لمنطقة الروضتين ـ التي سمي مشروع المياه باسمها ـ وكان ذلك في شهر اكتوبر ١٩٦٠ . وقدم هؤلاء الخبـراء تقريرهم بعد خمسة أشهر أو على وجه التحديد في شهر مارس (آذار) ١٩٦١ وفيه حددوا حجم الخزان الطبيعي في المنطقة وكمية المياه المخزونة والكمية التي يمكن استغلالها منه .

ووضعت الوزارة تقديرات تكاليف المشروع ووافقت الحكومة في شهر مايو من نفس السنة على تلك التقديرات وطرحت مواصفات المشروع في مناقصة عالمية . وكان المقدر ان ينتهي العمل في ايصال المياه الى الكويت في منتصف شـهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٢ .

يوم ١٩ سبتمبر (ايلول) يوم الماء

ان يوم الاربعاء ١٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ يوم مشهود في تاريخ الكويت اذ فيه وصلت المياه العذبة الى الكويت العاصمة من أرض الكويت نفسها .. وقبل الموعد المقدر لذلك بثلاثة اشهر .

وقد اقيم في ذلك اليوم احتفال كبير تحت رعاية نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية ممثلا عن صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح امير دولة الكويت المعظم ، وقد افتتح سعادة نائب رئيس مجلس الوزراء مشروع الروضتين وسط عاصفة من التصفيق والهتاف .

وفي الكلمة التي ألقاها وزير الكهرباء والماء في حفل افتتاح مشروع الروضتين أعلن عن ظهور امكانيات أخرى كبيرة لمياه عذبة .

تفاصيل فنية عن المشروع

يبلغ طول خط انابيب المياه من موقع الآبار الى الكويت ٨٨ كيلومترا . منها ٥٣ كيلو مترا من الروضتين الى المطلاع ، وسعة الانابيب في هـذا الجزء ٢٤ بوصة .ومن المطلاع الى الكويت ٣٥ كيلو مترا ، وسعة الانابيب ٢٦ بوصة . وقد دفنت الانابيب على عمق ٣ اقدام تحت سـطح الأرض .

والانابيب حديدية وهي مغلفة من الداخـل والخارج بمادة خاصة لحمايتها من التآكل والصدأ .

وقد بلغ مجموع ما حفر من آبار ٦٥ بئرا تجريبية اختيرت من بينها اثنتا عشرة بئرا منتجة ، طاقة كل منها حوالي نصف مليون جالون يوميا .

وتضخ المياه من الآبار المنتجة الى خط أنابيب طوله سبعة كيلو مترات يصب في خزان رئيسي من الاسمنت المسلح يتسع لسبعة ملايين ونصـف مليون جالون .

وقد اقيمت في موقع الضخ محطة لتوليد القوة

منظر للمضخة المركبة على البئر رقم ٨ وهي احدى الآبار الانتاجية التجريبية التي اعتمدت عليها الوزارة في معرفة كميات المياه المخزونة في الروضتين .

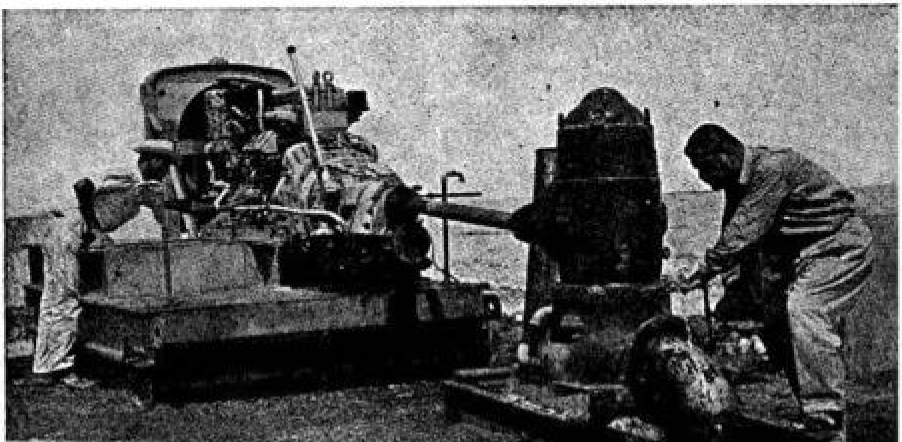

وزير الارشاد والانباء ووزير العدل يستمعان الى وكيل وزارة الكهرباء والماء المساعد يشرح لهما التفاصيل الخاصة باعادة ضخ مياه الأمطار الى الخزان الطبيعي في باطن الأرض ..

احدى الآبار التجريبية في حقل أم العيش وقد وقف بعض الوزراء ورئيس المجلس التأسيسي يشاهدون الماء يتدفق منها ..

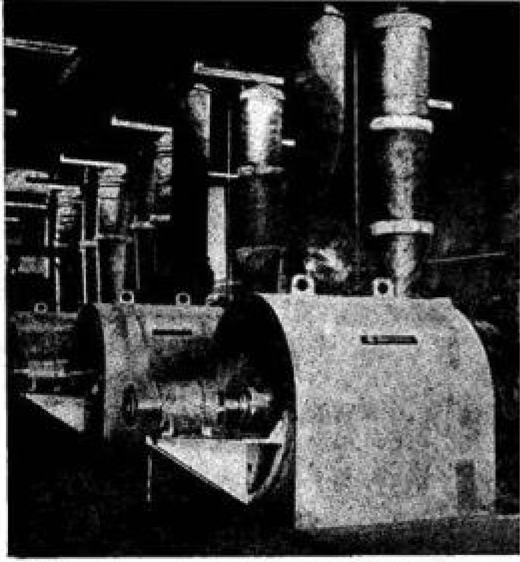

المولدات التربينية التي تقوم بتوليد الطاقة الكهربائية وقوة كل منهـا ٤٠٠ كيلو واط .

الكهربائية ، وهى قسمان : قسم لضخ الميـاه من الخزانات الى المطلاع ، وهى مكونة من ثلاثة تربينات غازية قوة كل منها ٩٠٠ حصان .واربعة تربينات غازية قوة كل منها ٤٥٠ كيلو واط . وهذه التربينات لتوليد القوة الكهربائية اللازمة لضخ المياه من الآبار للخزان الرئيسى وللاستعمال المحلى فى منطقة الروضتين .

وتضخ المياه من الروضتين للمطلاع . اما من المطلاع فانها تسيل فى الانابيب الى الكـويت بالانسياب الجاذبى .

معلومات عامة

يقع حقل مياه الروضتين غربى حقل نفـط منطقة الروضتين ، ويحده من الشرق طـريق البصرة . ومنتصف الحقل يقع علـى بعد ٥٦ كيلومترا من الجهرة للشمال و١٨ كيلومترا جنوب الحدود العراقية .

وتبلغ مساحة الحقل حوالى ٥٠ كيلو مترا مربعا وهو مستطيل الشكل طوله من الشـمال الى الجنوب ١٢ كيلومترا تقريبا وعرضه مـن الشرق الى الغرب يتراوح بين ٤ ــ ٥ كيلومترات. وهو عبارة عن منخفض من الأرض يصلح لان يكون خزانا طبيعيا ضخما . وتقول الدراسـات الجيولوجية ان المياه قد تجمعت فيه عبـر القرون منذ آلاف السنين .

ويبلغ ارتفاع أخفض نقطة فى سطح الحقل ١١٤ قدما عن مستوى سطح البحر . والحقل يغذى من عدة اودية خارج منطقة الروضتين ، بالاضافة الى ما يتجمع من ماء المطر فى الحقل نفسه .

وهناك ثلاث طبقات تحتوى على المياه العذبة اما الطبقة العليا فسمكها من ٣٠ الى ٦٠ قدما وتوجد على عمق ٩٠ قدما من سطح الارض ، عند منتصف الحقل . والطبقة الوسطى وسمكها من ١٠ الى ١٥ قدما . اما الطبقة السفلى فسمكها يتراوح ما بين ٢٠ و ٧٠ قدما . والطبقة العليـا هى الطبقة الرئيسية نظرا لعذوبة الماء فيها . وهذه الطبقات جميعا محاطة من معظم جهاتها بمياه غير عذبة . وعلى ذلك فان الامر يتطلب دقة بالغة فى ضخ المياه من الحقل .

اما عن كمية الأملاح فانها تختلف فى بئر عـن الاخرى ، غير أن نسبة الأملاح بعد تجميع المياه فى الخزان الرئيسى ستكون حوالى ٦٠٠ جـزء لكل مليون جزء .

وللاستفادة من مياه الأمطار فان التصـاميم ستوضع لجمع أكبر كمية ممكنة من مياه الأمطار وادخالها للخزان الطبيعى الذى هو عبارة عـن المنخفض الواسع الذى يتألف منه حقل ميـاه الروضتين .

وما دمنا فى معرض الحديث عن الأرقام فلا بد من ذكر تكاليف المشروع .. فهو قد تكلف ثلاثة ملايين دينار ، ويزوّد الكويت بخمسة ملايين جالون من المياه العذبة كل يوم ، ويمكن زيادة هـذه الكمية الى سبعة ملايين جالون اذا ما دعت الحاجة الى ذلك .

وتكاليف انتاج وضخ هذه المياه اقل من ثلث تكاليف تقطير ماء البحر . واذا عرفنا أن انتاج الف جالون بواسطة مقطرات ماء البحر هو دولار واحد و٥٦ سنتا أى ٧٥٥ فلسا ، فان تكاليف انتاج وضخ الف جالون من مياه مشروع الروضـتين العذبة هو فى حدود نصف دولار اى ١٧٨ فلسا .

وقد ذكر وكيل وزارة الكهرباء والماء المساعد فى كلمته التى القاها يوم الاحتفال بافتتاح المشروع ان المياه العذبة سيبدأ بايصالها الى بيـوت المواطنين بالانابيب خلال سنتين ، كما اقترح أن يسمى اليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر(ايلول) « يوم الماء » ، ويحتفل به فى كل عام . ■■

نتيجة مسابقة العدد ٤٦

أكثر من نصف المشتركين يخطئون في «البحتري»

● كانت نتيجة مسابقة « ٥ شعراء »المنشورة فى العـدد ٤٦ مخالفة لنتائج المسابقات السابقة من العربي .

فقـد تجاوزت نسبة الاجابات غير الصحيحة فى هذه المسابقة جميع النسب السابقة ، حتى انه لم ينجح أحـد من المشتركين من خارج البلاد العربية في معرفـة الاجابة الصحيحة . وكانت العقدة فى معرفة قائل البيتين الأخيرين من المسابقة ، وهو البحتري .

والحل الصحيح للمسابقة هو :

١ ـ امرؤ القيس
٢ ـ طرفة بن العبد
٣ ـ كعب بن زهير
٤ ـ عمر بن أبى ربيعة
٥ ـ البحترى

وقد تم الاقتراع السرى بين الاجابات الصحيحة فكانت النتيجة فوز الأسماء الآتية بمبلغ المائة دينـار :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا : فـاز بهـا **السيد/محمد الحاج عمارة** ـ مدرسة وادى سيدنا الثانوية ـ أم درمان ـ السودان .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا : فازت بها **الآنسة ثناء محمد عبد الجواد** ـ ١٤ شارع القمح بشارع السـد بالسـيدة زينب ـ القاهرة ـ الجمهورية العربية المتحدة .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير : فاز بهـا **السـيد / علي بن الصادق الزرافى** ـ نهج التوت رقم ٦ مكـرر ـ شـارع بالفى ـ الجمهورية التونسية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ السيد/ياسين الحموى ـ ١٤ شارع القادسية بناية السيد حسن التركماني ـ باب السباع ـ حمص ـ الجمهورية العربية السورية .

٢ ـ الآنسة حورية دوحي ديب عساف ـ مدرسة رابعة العدوية ـ الكويت

٣ ـ السيد/سامى أحمد المرزوقى ـ محـلات محمد على المرزوقى واخوانه ـ شـارع نصيف ـ المملكة العربية السعودية

٤ ـ السـيد / علوى السيد حسن المختـار ـ ص . ب ١٤٥ ـ المنامة ـ البحرين .

٥ ـ السيد/ابراهيم عبد الله باوزير ـ ص. ب ٩٤ ـ المكلا ـ حضرموت

٦ ـ السيد/سعيد حسين خليفة ـ محـلات جبرى وهلال شارع عين السلطان ـ اريحا ـ الاردن

٧ ـ الآنسة ليلى فهمى شراب ـ خان يونس ـ قطاع غزة ـ فلسطين

٨ ـ السيد/محمـد محمد البكوشى ـ ذليطى ـ طرابلس ـ ليبيا .

وسترسل هذه الجوائز الى مستحقيها ■■

مسابقة العربي

هؤلاء العازفون

هل تعرف على أي الآلات يعزفون

جوائز ١٠٠ دينار

■ هذه مسابقة سهلة ، لا تطلب منك الرجوع الى شيء من كتب التاريخ او الجغرافيا أو الأدب او الشعر ... انها لا تتطلب أكثر من ان تنظر الى هذه الرسوم التي تمثل اشخاصا يعزف كل منهم على آلة موسيقية معروفة حذفناها من الرسم، بينما تركنا العازف في الوضع الذي كان عليه وهو يعزف ... فاذا استطعت ان تكتب اسماء هذه الآلات الموسيقية المحذوفة بحسب ترتيب ارقامها ، فقد يسعدك الحظ وتفوز باحدى الجوائز .

شروط المسابقة

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على الصفحة ١٤٨ .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي ـ العدد ٤٨ » .

آخر موعد للاجابة

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الأولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان :
مجلة « العربي » ـ صندوق البريد ٧٤٨
بالكويت ، الخليج العربي .

١
٥
٤
٦
٩
٨

سيكولوجية الجنون

- المركبات النفسية شعورية ولاشعورية .
- الكبت صراع بين عقد نفسية .
- "الأسقاط" اتهام الغير بالذي هو فينا .
- الاضطرابات العقلية وانفصام الشخصية .

بقلم : سليمان أبو غوش

■ لعل من غير الممكن أن نشرح مختلف الاعراض للاضطرابات العقلية ، فهي كثيرة ومتشعبة . غير انه لا بأس من أن نركز اهتمامنا علـى بعض الاعراض التي يراها زائر اى مستشفى للامراض العقلية .

ونحن فى بحثنا هذا لا نتطرق الى أولئك الذين ولدوا بطاقة عقلية محدودة ، وطاقتهم العقلية لم تتم النمو الطبيعي ، وانما يشمل بحثنا اولئك الذين لديهم ضعف عقلي مكتسب ، اى الذين كانت لديهم طاقات عقلية عادية ثم ، لسبب ما ، بدأت مناشطهم العقلية تفقد الانسجام والترابط.

للاضطراب العقلي ٣ ظواهر

واهم ظواهر الاضطراب العقلي عند هؤلاء :

١ ـ الهيجـان .
٢ ـ الغم والكآبة .
٣ ـ الجمود وفقدان الحس .

فالهيجان عند المرضى العقليين لا يختلف عن الهيجان عند الأصحاء من حيث المظهر . والغضب كما يقول المثل جنون مؤقت . غير ان الهيجان عند المرضى ينقصه السبب الواضح ، وفى انه لا ينسجم مع واقع المريض وظروفهالخارجية . فتجد المريض فى حركة دائمة نحو هدف سريعا ما يتركه ويتجه نحو هدف آخر بدون غاية ظاهرة لنا . وانتقاله من موضوع الى آخر بغير علاقة بين الموضوعين . يكون مرحا الى اقصى درجات المرح،ثم ينقلب بدون سبب أو بسبب تافه الى غضب وهياج عظيمين .

والكآبة أو الغم عندهم هي بعكس الهيجـان تماما . فالمريض بطيء الحركة ، ويفكر بصعوبة ، وهو دائما حزين كئيب شاك .

والحالة الثالثة وهى التبلد والجمود ، يكون المريض فيها ليس بالمتهيج ولا بالحزين . يجلس فى زاوية من زوايا المستشفى بوجه ليس فيه اى تعبير ، لا يهمه اى شيء يجرى حوله ولا يشعر بـه .

الهلوسة والوهم وتسلط الفكرة

وبالاضافة الى هذا الحالات الثلاث فهنـاك

ظواهر أخرى كالهلوسة والوهم وتسلط الفكرة .

فالهلوسة احساس كاذب . كأن يرى المريض اشياء او يسمع أصواتا لا وجود لها في الواقع .

والوهم ليس احساسا كاذبا بل اعتقادات كاذبة كاعتقاد المريض بانه مليونير أو مخترع كبير ، وكاعتقاد بعض المرضى بأن هناك مؤامرة تحاك ضدهم لقتلهم او ايقاع الأذى بهم .

وتسلط الفكرة ليس وهما ، فالوهم ايمان بفكرة خاطئة اما تلسط الفكرة فالمريض يكون على وعي تام بعدم وجود ما يبرر الفكرة ولكنه لا يستطيع التخلص منهـا . فنرى بعض الناس تتسلط عليهم فكرة أنهم مصابون بالسرطان أو بالسل مثلا . ومع أن جميع الفحوص والأعراض والدلائل المقنعة تشير الى عدم وجود ذلك الا أن الفكرة تتسلط على صاحبها دائما . وهو على الرغم من عدم الايمان بها لا يستطيع دفعها .

العلة في الموضوع لا في الطاقات العقلية

ان المظهر العام لهذه الظواهر هو عدم التمييز ، وكل ما يستطيع المشاهد ان يستخلصه من حالة اى مريض عقلي هو ان عقل المريض قد فقد القدرة على التفكير اطلاقا .

ولكن دراسة اعمق لهذه الحالات تثبت حقائق تخالف هذا الرأى .

فالتعقل عند كثير من المرضى كثيرا ما يكون في حالة جيدة الا في الذى يبـدر منه من تصرف مريض . فالمريض الذى يعتقد انه امبراطور قد يكون قادرا على حل مشكلة حسابية دقيقة يعجز عنها كثير من العقلاء . وقد يقوم في المستشفى بعمل يحتاج الى تمييز واضح .

وعلى هذا فالعلة للاضطرابات العقلية تكمن في مادة الموضوع لا في قوى التمييز العقلية عامة . والمشاهد العادى يحكم على المريض بعدم التمييز لانه ، اى المشاهد ، لا يستطيع أن يرى سلسلة العمليات العقلية التى ادت الى هذه النتيجة ، بل يرى النتيجة فقط ، تلك النتيجة التى تظهر وكأنها ظاهرة منعزلة عن كل تعليل منطقي . ولكن ما يظهر من تصرفات المريض ما هو الا تعبير غير مباشر لعمليات عقلية لا تظهر للمشاهدين من الخارج .

المركبـات

لنفرض ان زيدا من الناس لديه هواية تصوير، فمما لا شك فيه أن وجود هذه الهواية عنده يؤثر في سلوكه وسيل شعوره . فالمناظر التيلاتثير بعض الناس ستلفت انتباهه وتثير فيه الرغبة لالتقاط صورة لها . واذا وقع نظره على اى مقالة في جريدة أو مجلة تبحث في فن التصوير شعر بدافع لقراءتها . واذا جمعته جلسة مع بعض الأصدقاء فقد يتحين الفرص ليدير دفة الحديث الى موضوع التصوير .

من هنا نرى ان الهواية كانت سببا في اتجاه صاحبنا التفكيرى . واذا أردنا ان نحلل طبيعة الهواية تحليلا علميا ، نجد انها جهاز مكون من آراء مرتبطة مصحوبة بصبغة عاطفية قويـــة واستعداد للقيام بعمل معين ذى صبغة معينة .

هذا الجهاز ذو الصبغة العاطفية يمكننا ان نسميه مركبا . وفي هذا المثال نستطيع ان نسميه « مركب التصوير » أو « المركب الفوتوغراف » .

وهذا الشاب الذى احب حديثا . فأى فكرة لها علاقة بمن يحب تطفو على شعوره . وأى اشارة قد تكون مرتبطة من قريب أو بعيد بمن يحب تثير فيه الانتباه . وجميع طاقاته الفكرية مجندة لحياكة شبكة من الافكار متركزة بفتاة الأحلام . والعالم الذى حوله ما هو الا اطار لهذا الحب . فلنسمه اذن « مركب الحب » .

تأثير المركبات

فالمركبات اذن اسباب تقرر سلوكنا وتسيطر على شعورنا وحواسنا . وهي بالنسبة الىالسلوك كالطاقة بالنسبة الى علم الفيزيقيا .

والمركبات ليست دائما نشيطة ، ولكنها تصبح كذلك اذا وجدت المثيرات المناسبة ، وهذه المثيرات قد تكون خارجية وقـد تكون داخلية ، بفضل عمليات دقيقة تجرى في العقل .

والمركبات قد تكون من جميع الأصناف ، ومجاميع الافكار قد تكون من جميع الأصناف ، وما يصحب هذا أو ذاك قد يكون سارا وقد يكون مؤلما ، غير ان المركبات المصحوبة بعواطف قويـة يكون تأثيرها على الشعور شديدا وظهورهـا واضحا . وهي عندما تدخل الى الشعور تقوى من الحجج والبراهين ما ينسجم معها . وأما ما يخالفها فيكبت وينكمش .

ان صيغة الحديث وطريقة التفكيراثناءتأثيراحدى المركبات على شعورنا تختلف عن صيغة الحديث وطريقة التفكير المنطقى . ففى التفكير المنطقـى

تكون كل خطوة نتيجة للخطوة السابقة لهـا ، والبراهين تقدر ويحكم عليها بدون تحيز ، وتؤخذ بعين الاعتبار كل نقطة لها علاقة في البحث سواء أكانت لنا أو علينا .

ولا شك ان تفكيرا منطقيا خالصا أصيلا نادر نسبيا في حياتنا اليومية العـادية ، وفي أغلب الأحوال تتأثر بتحيز مركباتنا .

خذ مثلا أى سياسي تابع لحزب معين في أى بلد ، وناقشه في رأى حزبه في أى قضية ، تجد ان جميع حججه وافكاره تشمل سلسلة من الآراء تتجه اتجاها معينا في التفكير ، ويمكن أن نسمي هذا التحيز (بالمركب الحزبي) . وهذا المركب يدفعه بغير شعور منه غالبا الى اتخاذ ميول معينة مستقلة كل الاستقلال عن ذكائه أو شخصيته أو مؤهلاته . وستجد هذا المركب الحزبي يقوى عنده الحجج والبراهين التي تثبت وجهة نظر حزبه ، وفي نفس الوقت يعمل هذا المركب على منعه من تفهم وتقدير قوة البراهين التي تخالف وجهـة نظره ، وهو على غير وعي بتأثير المركب على آرائه يظن ، مخلصا ، ان البراهين التي يتقدم بها انما كانت نتيجة لمنطق سليم .

ولا نستطيع أن نتهم هذا السياسي ، اذا لم يقبل المنطق عند مخالفته لرأيـه ، بأن جهـازه المنطقي غير سليم ، ومع ذلك فان العمليات العقلية له ، بهذه النقطة بالذات ، غير منطقية ، بمعنى انها لا تتفق وقوانين المنطق ، أى ان كل خطوة من خطواته التفكيرية لم تكن نتيجة منطقية للخطوة السابقة . وما ذلك الا لأن المركب السياسي محاط بدائرة مُغلقة لا تسمح للمنطق بالوصول اليها .

ونفهم من هذا انه من غير المجدي مناقشة من يقف وراء مناقشته مركبٌ" ما ، لأننا نكون قد ناقشنا ظاهر المركب ولم نناقش المركب الدافع لهذه المناقشة . فالدائرة المغلقة المحيطة بالمركب تمنع وصول المنطـق الى داخلها ، والنتيجـة الوحيدة التي نحصل عليها في هذه الحالة هي اثارة المركب لخلق حجج وهمية جديدة . وحتى لو تمكنتَ من تفنيد جميع حجج صاحبك حتى تظاهرَ بالموافقة معك فسيرجع صاحبك هذا الى رأيه بمجرد مفارقتك اياه :

المركب اللاشعوري

لنرجع الى مثالنا الأول عن هاوي التصوير . اننا لو سألناه لماذا يتصرف هذا التصرف في سلوكه وحديثه وافكاره ، لأجابنا بكل بساطة انه هاوٍ للتصوير ، ويلذ له التحدث عن هوايته ، فهو ، على وعي منه ، يعرف الدافع الى سلوكه وتصرفاته .

ولكن هذا الشعور وذلك الوعي بوجود المركب او المركبات في النفس ليس موجودا في جميـع الاحوال . فقد يؤثر المركب في شعور الفرد وسلوكه دون ان يكون الفرد عالما به ، كما جاء في مثالنا عن السياسي .

الكبت صراع بين مركّبات

لنفرض ان المركب ، لسبب ما ، كان ذا طبيعة لا تنسجم مع مجموع مركبات العقل . أو ربما كان ذا طبيعة مؤلمة للغاية ، او ربما كان من النوع الذي يقودنا لان نسلك سلوكا لا تقبله مركبات اخرى عندنا كالعادات والتقاليد والأخلاق . في مثل هذه الاحوال يقوم صراع بين هـذا المركب والمركبات غير المنسجمة معه . وهنا ينقسم العقل على نفسه .

ولشرح هذا نرجع الى مثال العاشق . لنفرض ان حبيبته كانت امراة متزوجة من رجل آخر . هنا ينشأ مركبان مختلفان في الاتجاه . أحدهما يتجه نحو محبته للمراة والتعلق بها والعمل على امتلاكهـا . والثاني يتجه نحو مراعاة النظـم الاخلاقية والخوف من العواقب .

في هذه الحالة لا يمكن التوفيق بين المركبين ، ويحدث الصراع ، وتظهر النتيجة على شكل شعور بالقلق والتوتر وعدم الاستقرار .

ولما كان من غير الممكن استمرار حالة التوتر هذه بلا نهاية . ولما كان من غير الممكن حلها بشكل يرضي المركبين ، مركب الحب ومركب الأخلاق ، فلا بد من احدى هذه النتائج الثلاث :

١ ـ اما ان ينتصر مركب الأخلاق ويكبّت مركب الحب .

٢ ـ واما أن ينتصر مركب الحب ويكبت مركب الأخلاق ، ويصبح المرء في هذه الحالة مستهترا .

٣ ـ واما أن يكبت الصراع ، فلا ينتصر أحد المركبين على الآخر . وكبت الصراع معناه الا يشعر أحد المركبين بوجود الصراع ونتيجة ذلك نشاط كل من المركبين في ميدانه دون السماح له بالاتصال بالآخر . فيبقى المحب على اتصاله الآثم بمحبوبته ، بينما تبقى اخلاقه ومثله في النواحي الأخرى قوية سامية . ويصبح كل من المركبين

ضمن دائرة مغلقة بالنسبة للآخر بحيث لا يتأثر احدهما بمنطق الآخر ، ويصبح المرء فى هذه الحالة يمارس الحب المحرم دون شعور بتأنيب الضمير ، وتبقى تصرفاته الأخلاقية « منفصلا عنها الحب » خالية من الشعور بأن فى تصرفات المركب الآخر ما يشينها .

وفهم هذه الحالة الثالثة ، حالة كبت الصراع، لا حالة كبت احد المركبين المتصارعين ، يفسر لنا كثيرا من تصرفات بعض الناس التى تبدو غير معقولة ، يفسر لنا سلوك التاجر الذى تختلف مقاييس مبادئه فى التجارة عن مقاييس مبادئه فى حياته الخاصة . ويفسر لنا تصرفات اولئك الناس الذين تختلف مبادئهم وعقائدهم عن تصرفاتهم . ويفسر لنا احتفاظنا ببعض الآراء والتقاليد وبعض المعتقدات التى امتصصناها منذ الطفولة مهما اثبتت الوقائع بطلانها وعدم صلاحيتها . وليس فى كل ذلك ما يسبب لنا صداعا نفسيا ، اذ ان تلك الآراء والتقاليد غير الصحيحة محاطة بدائرة مغلقة تمنع وصول المنطق اليها ، وبهذا فهى لاتقف وجها لوجه أمام المقنع من الحقائق .

كبت أحد المركبين المتصارعين

لقد كان كبت الصراع احدى الحالات الثلاث التى نتوقعها عند قيام صراع بين مركبين . غير أن هذه الحالة ، وهى عـــزل المركبين المتناقضين والسماح لكل منهما بالعمل مستقلا لا تتيسر في كل وقت . فقد يكون أحد المركبين المتصارعين من القوة بحيث لا يفيد معه مجرد تجاهل أسباب الصراع . وقد يكون العقل حساسا بحيث لا يقنعه التبرير . فتكون النتيجة عندئذ كبت أحـــد المركبين وترك الثانى ليمارس نشاطه حرا .

ولكن كبت هذا المركب واخفاءه فى أعماق العقل الباطن لا يعني انه اختفى من حياتنا نهائيا . ان كل ما عملناه هو سجنه فى مكان لا يستطيع فيه ان يمارس نشاطه بشكل عادي . ولكنه فى الحقيقة لا يعدم وسيلة للوصول الى الشعور بشكل مقنع وبطريقة ملتوية .

وكثيرا ما تعبر المركبات المكبوتة عن نفسهـــا رمزيا . فالمرأة العانس قد تشبع غريزة الأمومة فيها بالعناية الفائقة فى تربية القطط أو الكلاب أو الدجاج .

والرغبة فى تفخيم المرء لنفســه تصطدم عــادة بالتقاليد والقوانين الاجتماعية ، ولذلك فكثيرا ما نلجأ الى الرموز للتعبير عنها كطريقة المشي أو الملابس او الحذلقة فى الحديث أو ادعاء العلم . ولا شك ان الاهتمام المبالغفيه بالمظاهر والشكليات من الأمور المألوفة المعبرة عن شعور خفى بالنقص.

الاســقاط

والاسقاط تعبير فني للدلالة على رد فعل العقل لمركب مكبوت غير مرغوب فيه ، بأن ينسب الى شخص آخر سواء أكان هذا الآخر حقيقيا أو وهميا .

ان العيب أو النقص قد يؤلف مركبا يتعارض مع شخصية المرء . ووجود هذا العيب قد يؤدى الى صراع مع النفس وتبكيت للضمير . وتفاديا لهذا الصراع تعكس العيوب على أشخاص آخرين. ان لوم الجيران على أخطاء نحن نرتكبها أسهل من تبكيت الضمير أو الاعتراف بالخطأ . ودائما أبـداً الآخرون هـم الذين يخطئون . الآخرون هم الذين يكرهوننا ويعملون ضدنا . ليس فينا عيوب ولكن العيوب دائما فى الآخرين .

أحلام اليقظة

النتيجة الطبيعية لنشاط أى مركب هى حدوث عمل . فالمركب طاقة تدفع سلسلة من النشاط تهدف الى الوصول الى اشباع الغاية من وجود المركب .

وهكذا يعبر المركب عن نفسه بالوصول الى هدفه .

فلابراز شخصيتنا واكتساب احتـرام الناس مثلا يكون نشاط المركب ، فى حالته الطبيعية ، متمثلا فى السعي والعمل الجاد للحصول على مركز يكسبنا احترام الغير .

وعند الفشل فى الوصول الى الهدف عن هذا الطريق الطبيعي نلجأ الى أحلام اليقظة .

اننا عن طريق أحلام اليقظة لا نستطيع اشـباع المركبات عندنا فى عالم الحقيقة ، ونكتفي بالتخيلات والصور الفكرية للنجاح مما يعطى مركباتنا بعض الاشباع التخيلي .

وجميع الأصحاء يشتركون فى هذه الظاهرة مع شعورهم بأنها احلام يقظة وليس لها اى علاقة بالواقع .

ان السليم يكون أثناء « السرحان » فى أحلام اليقظة قد انفصل فكريا عما هو محيط به ، الا ان هذا الانفصال جزئى وغير كامل ومؤقت .

الاضطرابات العقلية

فهمنا مما سبق ما يلي :

١ ـ ان نشاط العقل السليم قد يتأثر الى حد كبير بالمركبات .

٢ ـ ان الانسان لا يعي دائما الاسباب الحقيقية لسلوكه .

٣ ـ قد يظهر تأثير المركب بشكل غير مباشر .

٤ ـ قد نعتقد ان تصرفاتنا ناتجة عن أسباب بينما لا تكون هذه الاسباب ، في الواقع ، سوى مبررات .

٥ ـ قد تجد المركبات لها متنفسا في أحلام اليقظة .

فاذا كان كل ذلك يجري في العقول السليمة ، فلماذا لا نفترض وجود أجهزة مماثلة ذات طبيعة مماثلة مسؤولة عن الاعراض التي نشاهدها عند المصابين بالاضطرابات العقلية ؟

بقي مفهوم سيكولوجي واحد ، اذا تفهمناه اكتملت الحلقة وسهل علينا أن نتفهم أحوال المرضى وسلوكهم، وهذا المفهوم الاخير هو الانفصال.

الانفصال

اذا تأملنا في انفسنا ، وأردنا أن نرى ما يجري في عقولنا في لحظة من لحظات الشعور أو الوعي ، نجد أن هناك سيلا من الفكر يجرى نحو هدف معين . وهذا السيل لا يظهر كأجزاء متفرقة كل جزء يسير مستقلا عن الآخر ، بل يظهر كوحدة تامة تهدف الى غاية واحدة .

فانا الآن وأنا أكتب هذا الموضوع ، فميدان شعوري مكون من احساسات وفكر تهدف الى غاية واحدة وهي معالجة هذا الموضوع الذي أكتبه . قد يخطر ببالي بعد لحظات موعد قريب يجب الاستعداد له ، فعندها تنسحب مؤقتا الأفكار والآراء التي تشغلني وتحل محلها الفكرة الأخرى المزاحمة . ومع أن الفكرتين قد تتناوبان احتلال ميدان الشعور الا انه ليس هناك انقطاع في سيل الفكر والشعور الجاري . وحتى لو تغلبت الفكرة المزاحمة على الفكرة أو الافكار الاولى فالسيل الشعوري لاينقطع بل يصبغ بصبغة الفكرة الثانية.

ولنفرض أيضا أن موسيقيا بارعا يجلس ليعزف على آلته الموسيقية . فقد يستطيع أثناء عزفه أن يشغل نفسه بأفكار معقدة مختلفة دون أن يؤثر ذلك كثيرا في جودة عزفه . ان عقله في هذه الحالة لا يمثل ميدانا شعوريا منسجما . بل يقوم في نفس الوقت بعملين عقليين مختلفين كل منهما في حاجة الى صرف جزء من طاقته الفكرية ، مع الملاحظة بان احد العملين وهو « العزف » يجرى بشكل شبه أوتوماتيكي نظرا لمهارة العازف .

وهناك امثلة كثيرة من هذا النوع حيث يقوم العقل السليم بنشاطين مختلفي الاتجاه في آن واحد، الا ان هذه الحالة مؤقتة في الأمثلة جميعها ، وهي دائما خاضعة للارادة ، وشعورنا كوحدة على علم بذلك ، وباستطاعتنا ان نتحكم بها ونرجع انفسنا لتشغلها في موضوعنا الرئيسي الاول أو نهمله اهمالا كاملا ونشغل بغيره .

الانفصال في حالة المرض

ولكن هذه المقدرة في التحكم على اتجاه التفكير معدومة في عقول المرضى . وكأن عقل المريض انقسم نشاطه العقلي الى أجزاء مستقلة ، يعمل كل جزء بغير وعي من الجزء الآخر ، ولا يخضع أي جزء منفصل مستقل لمراقبة شخصية المريض العامة . وقد يشعر المريض احيانا بذلك الجزء المنفصل وبنشاطه الا انه يشعر به كجزء خارجي عنه غريب عن شخصيته وكأنه فرض نفسه على الشعور فرضا .

خذ مثلا المريض الذي يسمع دائما أصواتا غريبة تهدده بالعقاب لخطيئة ارتكبها . نحن نعلم أن هذه الأصوات لا تمثل في الواقع أي حقيقة في العالم الخارجي للمريض . ونحن نعلم انها تخيلات ، وانها موجودة في عقل المريض فقط . وهي جزء من عقله انفصل عن جهاز الشعور العام ولذا يشعر المريض بأنها أصوات من الخارج .

ومفهوم الانفصال يساعدنا على فهم الحالة العقلية للمريض بالوهم أو الاعتقاد الكاذب . قد يرى صاحب العقل السليم ، أثناء أحلام اليقظة ، أو يتخيل أنه زعيم أو مليونير مثلا ، الا ان السليم هذا يشعر انها أحلام يقظة اذ ان الشعور العام المنسجم ما زال هو المسيطر على جميع المناشط العقلية ولو كانت تخيلية ترفيهية .

اما في حالة المريض فينفصل هذا الحلم ، حلم اليقظة ، كنشاط عقلي ويعمل مستقلا عن مجموعة مناشط العقل المنسجمة ، وعلى هذا فمن غير المجدي اقناع المريض الذي يعتقد انه امبراطور بانه مخطيء .

يكون المريض على علم ووعي تام باسمه وباسم عائلته وتاريخها ، ولكن علمه بشخصيته الحقيقية،

واعتقاده بانه امبراطور ، هما جهازان شعوريان يعملان مستقلين كل منهما في دائرة مغلقة تمنع وصول منطق احدهما الى الآخر . ربما اعتقد المريض انه قادر على كل شيء ، وانه يحكم العالم بأسره ، ولكن ذلك لا يمنعه من أن يتقدم اليك راجيا السماح له بالخروج من المستشفى او طالبا منك سيجارة . وهذا اللغز ينكشف لنا عندما نعلم ان حالة المريض العقلية مصابة بالانفصال الشعوري . فمناشطه العقلية تعمل كل منها على حدة مستقلة استقلالا تاما عما يجري في المناشط الاخرى. ان المناشط العقلية عند فقدها الانسجام تصبح كفرقة موسيقية يعزف كل موسيقي على آلته لحنا مغايرا للآخر ، لو اخذنا كل عازف بآلته كوحدة مستقلة فقد نرى عزفه صحيحا ، ولكن الفرقة الكاملة في حالة عدم انسجام العازفين وعدم توحيد هدف عزفهم تكون مجموعة انغامهم مزعجة مؤلمة .

وانفصال جهاز مناشط احلام اليقظة العقلية تفسر لنا حالة المريض الذي يفقد كل رغبة في الحياة الواقعية ، فلا طموح ولا رغبات ولا ادنى بذل للقيام بأدنى مجهود . يجلس كل يوم في نفس المكان في المستشفى ، منطويا على نفسه بوجه ليس فيه أي تعبير ، يستمع الى اسوأ الأخبار كما يستمع الى أحسنها بدون اى اكتراث . قد يظن من يراه أن عقله قد فقد كل نشاط . الا ان الدراسة العميقة اثبتت ان عمليات العقل عنده لم تفقد قوتها او نشاطها. الا انها عن طريق الانفصال تحولت الى الداخل وليس لها اى منفذ يتصل بالخارج . لقد تحول العالم عنده الى عالم خاص من « احلام اليقظة » منفصلا عن كل ما عداه . وجميع الحقائق الواقعية في خارج نفسه لا معنى لها ولا لون .

ولو أردنا أن نحلل جميع مظاهر الاضطرابات العقلية لوجدنا أنها لا تخرج عن طبيعة المناشط العقلية التي تجري في العقول السليمة ، غير ان المناشط العقلية في العقل السليم منسجمة كل الانسجام فلو حدث نشاط مغاير غير منسجم في العقل، السليم ، وهو يحدث كثيرا ، انما تكون الشخصية العامة على وعي بهذا النشاط المغاير وتكون دائما مسيطرة عليه .

أما في العقول المريضة فالنشاط المغاير غير المنسجم انما يعمل مستقلا غير خاضع لسلطة الشخصية العامة .

لا تخش التشابه

واحب ان انبه هنا الى انه يجب ان لا تخشى تشابه الصفات بين مناشط العقل السليم ومناشط العقل غير السليم . فهناك مقاييس نستطيع ان نفرق بها بينهما .

١ ــ الفرق بينهما بالدرجة لا بالنوع .

فالذي ينسب فشله في العمل الى سوء الادوات التي يستعملها أو الى سوء معاملة رئيسه له نعتبره عاديا سليم العقل .

اما الذي يدعي بانه ضحية مقاومة عصابة سرية تعمل على اضطهاده فنعتبره مريضا« بوهم الاضطهاد »ونحوله الى المستشفى .

في الحالتين كان الادعاء غير صحيح . والمثير السيكولوجي للحالتين واحد وهو التبرير أو اسقاط اللوم والعيب على الآخرين . غير أندرجة الاثارة في الحالة الثانية اعمق .

٢ ــ لعل أهم مميز للعقليتين ، السليمة والمريضة ، هو السلوك . فسلوك العقل المريض يكون غالبا غير اجتماعي . ونقصد بالسلوك غير الاجتماعي مستوياته الثلاثة : اتهام الخارج ،اتهام النفس ، والحياد السلبي . وحالة اتهام الخارج المتطرفة قد تؤدي الى خطر الايذاء بالغير ،وحالة الاتهام الداخلي أو اتهام النفس قد تؤدي الى الايذاء بالنفس ، والحياد السلبي او عدم الاهتمام بما يجري في المجتمع قد يؤدي الى عدم التمكن من المساهمة بقسط من نشاط المجتمع . فيعيش المريض ضمن نفسه ولا يهمه ما يجري حوله بقليل أو كثير .

٣ ــ لقد أشرنا الى ان الوهم المرضيهو الاعتقاد الكاذب . ولكن العقول السليمة كثيرا ما تحمل اعتقادات كاذبة . فقد يؤمن بعضنا بخرافات لا صحة لها مثلا ، غير أنه قد يوجد من يشاركنا في هذا الاعتقاد . ثم ان الحقائق لا تعارضها بشكل صارخ . أما الاعتقادات الكاذبة في عقل المريض فلا يوجد لها دعم في المجتمع وليس لها وجود الا في عقل صاحبها .

فلا يستطيع مثلا أن يعتقد الفقير ذو العقل السليم بانه مليونير لعدم دعم الحقائق المحيطة به لهذا الاعتقاد ، ولكن هذا الاعتقاد يمكن حدوثه لدى أصحاب العقول غير السليمة . ■■

سليمان ابوغوش

الفلسفة

ماذا نقصد بالفلسفة الاسلامية؟

للفلسفة الاسلامية رسالة محددة توجهها ، لا الى المسلمين وحدهم بل الى الانسانية بأسرها ، الا وهي رسالة الفهم والتعاطف وحث الانسان على البحث عن حل لالغاز الكون ، ودعوته الى تعميق معرفته لذاته ، بحيث يدع لضميره أمر تدبير سلوكه ، ويستشعر في جوانية ثقة في الله وثقة في نفسه .

وعندئذ يستطيع أن يمارس حرية ارادته ممارسة تامة ، فيمضي في الحياة مطمئن النفس ، متفتح الوعى ، مبتهج القلب .

■ نعني بها مذاهب النظر العقلي فى الله وفى الانسان وفى الكون ، تلك المذاهب التى شيدها الفلاسفة المسلمون فى العصر الوسيط ، امثال الفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، والرازى ، والفلاسفة المسلمون فى العصر الحاضر ، امثال الافغاني ، ومحمد عبده ، وسيد امير على ، ومحمد اقبال ، ومصطفى عبد الرازق .

ولكن الباحثين اختلفوا فى امر الفلسفة الاسلامية منذ ظهور الدراسات الاستشراقية : اختلفوا فى اسمها ، كما اختلفوا فى وجودها . فمن المستشرقين من راوا ان الأ ولى ان يطلق عليها اسم الفلسفة « العربية » لان رجالها كتبوا آثارهم باللغة العربية التى كانت لغة الثقافة فى العالم الاسلامي الشرقي . ومنهم من راوا انها ليست عربية ، لان جمهرة اهلها لم يكونوا عربا ، وانها فى نظرهم احق بأن تضاف الى الاسلام ، لان له فيها اثرا ظاهرا ، ولانها نشأت فى بلاد اسلامية وعاشت فى كنف الاسلام .

ولم يقتصر الخلاف على اسم الفلسفة الاسلامية ، بل تعداه الى انكار وجودها : فمن الباحثين الغربيين من نازع فى ان يكون للفلسفة الاسلامية وجود مستقل ، وزعم انها اشبه بأن تكون خليطا من آراء القدماء ، تعددت منابعها وانعدم الاتساق بين مواردها . ومنهم من ذهب الى ان فلاسفة الاسلام انما استقوا فكرهم من الفلسفة اليونانية التى كانت شائعة بين المسيحيين من اهل سورية والوثنيين من اهل حران ، واضافوا اليها عناصر اقتبسوها من الهند وفارس . ومنهم اخيرا من حكم على الفلسفة الاسلامية اجمالا بانها انما جاءت شرحا مشوها لمذهب ارسطو والافلاطونيين المحدثين .

الفلسفة المسيحية

اما نحن فلا يبدو لنا بدعا فى تاريخ الفسفة ان يثور الجدل حول هذه المسالة . فالفلسفة المسيحية هي ايضا كانت ولا تزال محل نزاع بين الباحثين . ولقد عقدت « الجمعية الفرنسية

الاسلامية اصالتها ورسالتها

بقلم : الدكتور عثمان أمين

الفلسفية » قبيل الحرب الاخيرة جلسة جعلت موضوع المناقشة فيها « اهنالك فلسفة مسيحية ؟ » وقد كنت من شهود هذه الجلسة ، فبدا لي آنذاك ان مؤرخي الفكر الفلسفي المسيحي قد انقسموا فريقين : احدهما يذهب مذهب الاستاذ « رهييه » القائل بانه لا يوجد شيء يمكن ان يسمى على الحقيقة باسم الفلسفة المسيحية . والثاني يذهب مذهب الاستاذ « جيلسون » فيما حاول ان يثبته من وجود مذهب محدد متميز فى الفلسفة المسيحية ، ابان العصر الوسيط .

مفارقات

فاذا رجعنا الى الفلسفة الاسلامية وجب ان لا تغيب عن بالنا مسالة لها خطرها ، وهي ان اغلب كتاب الغرب ممن كتبوا عن الفلسفة الاسلامية قد عجزوا عن ان يتبينوا اصالتها واتجاهاتها: فمن جهة وجدنا المستشرقين وان كان قد تيسر لهم ان يقراوا اللغة العربية التى كتبت بها الفلسفة الاسلامية الا انهم عجزوا عن ان يحققوا لانفسهم فكرة واضحة عن تلك الفلسفة . ولعل هذا العجز راجع فى الغالب الى قصور فى ثقافتهم الفلسفية . ومن جهة اخرى وجدنا المتخصصين منهم فى تاريخ الفلسفة على الرغم من كفايتهم فى المجال الفلسفي، يكشفون عن عجزهم حين يواجهون الفلسفة الاسلامية : وذلك ناتج فى الغالب عن جهلهم باللغة العربية .

فى هذه الظروف العجيبة التى تدعو الى الاسف الشديد ، يتعين علينا ان لا نسلم براي من آراء المدرستين الغربيتين قبل تمحيصه تمحيصا كافيا بعناية الباحثين المسلمين المتمكنين من التاريخ العام للفلسفة تمكنهم من اللغة العربية.

وما من شك فى ان الباحثين الذين ينتمون الى هذه المدرسة هم وحدهم القادرون على ان يذهبوا الى المنابع الأولى للفلسفة عموما والثقافة الاسلامية خصوصا . وقد حان الوقت لأن ينهض العلماء المسلمون المتخصصون بتصحيح الأخطاء التى تورط فيها غير المسلمين ، عندما تناولوا عقائد المسلمين ومذاهبهم .

ولكن مما يؤسف له كذلك ان نجد ان محمد اقبال ـ وهو فيلسوف اسلامي معاصر ـ يكتب فى شبابه عن « نمو الميتافيزيقا فى بلاد فارس» فيردد بعض آراء المستشرقين الغربيين وينكر على الفلسفة الاسلامية اصالتها . وليس من شك فى ان محمد اقبال لو كان قد اتيح

له ان يعيد نشر كتابه القديم في ضوء معارفه الجديدة لاختلف تقديره لجهود الفلاسفة الاسلاميين اختلافا كبيرا .

الفلسفتان اليونانية والاسلامية

واذا نظرنا في الدعاوى المختلفة عن الفلسفة الاسلامية بدا لنا في وضوح ان وقوف الباحثين الغربيين هذا الموقف العدائي مرجعه اما الى الجهل ، واما الى التحيز ، واما الى الأمرين معا . واخشى ان يكون الدافع الى بعض تلك الاقوال شيئا من قبيل التعصب الذميم الذي ينحرف بصاحبه عن سبيل الحيدة والانصاف . ولما كنا لا نكاد نجد شيئا فلسفيا فيما قالوه الا ادعاءهم بأن الفلسفة الاسلامية انما هي شرح مشوه لمذاهب ارسطو والافلاطونيين المحدثين ، فاني اود ان اتناول هذه المسألة في شيء من البيان .

ولكي نكون منصفين ينبغي ان نعترف بأن الفلسفة الاسلامية تحتوى على عناصر هامة من الفكر اليوناني ، وان الفلسفة اليونانية ضرورية جدا لفهم الفلسفة العربية . بل نقول ان الفلسفة العربية ـ وشأنها كشأن الفلسفتين المسيحية واليهودية ـ **لا تتصور بدون الفلسفة** اليونانية : فلا مراء في ان ارسطو وافلاطون وافلوطين والرواقيين كانوا المعلمين الحقيقيين للفكر الانساني على مدى العصور ، وكل كشف لأثر من آثارهم وكل ترجمة لشيء من مؤلفاتهم كان عند اهل العصور الوسطى من مسلمين ومسيحيين ويهود بمثابة كشف لعالم جديد . لقد طبق موسى بن ميمون الفلسفة الأرسطية على اليهودية ، كما طبقها توماس الأكويني على المسيحية . وما دامت هذه التطبيقات اليهودية والمسيحية قد نظر الغرب اليها على انها انظار فلسفية يعتد بها ، فلست ارى وجها لانكار مثل هذا التجديد بالنسبة لفلاسفة المسلمين . واذن فلا ضير علينا من ان نعترف صراحة بأن الفلسفة الاسلامية تفترض اولا هضم الفلسفة اليونانية ، ولكننا نود ان نقرر مع ذلك ان الفلسفة الاسلامية او العربية شيء ، ومجرد الهضم والتمثيل للفلسفة اليونانية شيء آخر . وشأن الفلسفة الاسلامية في هذا الصدد كشأن غيرها من الفلسفات: ان المذاهب الفلسفية الكبرى في العصور الحديثة متأثرة الى حد بعيد بالفلسفة اليونانية ، واثر الفلسفة اليونانية ظاهر للعيان في مذاهب بيكون ، وديكارت ، واسبينوزا ، وليبنتز، وهيجل ، ولكن من ذا الذي ينكر ما في مذاهب هؤلاء الفلاسفة من اصالة ؟ واذن فكيف ساغ للبعض ان يتوهموا ان عقلا كعقل الفارابي وابن سينا وابن رشد كان عقلا جديبا لم ينتج في الفلسفة شيئا طريفا ، وانه لم يكن الا مقلدا لليونان ؟

اصالة الفلسفة الاسلامية

ولقد اصاب « سيد امير علي » ، حين قال بأن الغرض الاكبر الذي كان ينشده فلاسفة المسلمين هو ان « يزودوا العالم بنظرية تامة عن وحدة الكون ترضي الذهن كما ترضي الدين ، ولذلك حاولوا ان يوفقوا بين الجانب الأخلاقي والروحي للعلم وبين جانبه الفلسفي » . واول مشاركة مهمة واصيلة قام بها الفلاسفة المسلمون هي مذهبهم في « التوحيد » و « التنزيه » . فالاسلام في جوهره اقرار لله بالفرد والوحدانية والهيمنة على الكون والدين الاسلامي لا يعرف الا مرتبتين من مراتب الوجود فوق الانسان : مرتبة

الالوهية وهي مرتبة الله تعالى ، ومرتبة النبوة التي يهبها الله من يشاء من عباده. وفيما عدا هاتين المرتبتين يستطيع الانسان ان يبلغ درجات الكمال على حسب طاقته ، دون ان يعوقه اى عائق الا عجز اعماله وقصور نظراته . والناس، فى تعاليم هذا الدين ، لا يحق لهم ان يعبدوا الا الله وحده ، ولا ان يستعينوا احدا سواه : لأن طلب العون من احد غير الله يعد وقوعا فى اثم الشرك بالله ، وهو الاعتقاد بأن لله شركاء فى ملكه وحكمه ، وفى ذلك دعوة الى الوثنية التى كانت سائدة قبل ظهور الاسلام . ولا حاجة الى القول بأن هذه العقيدة التى آمن بها جميع الفلاسفة المسلمين،من الفارابى وابن سينا الى محمد عبده ومصطفى عبد الرازق ، مستوحاة من القرآن الكريم والحديث الشريف .

والمشاركة الثانية لفلاسفة الاسلام هي محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين : لأنهم قد اعتقدوا على العموم بأن الدين والفلسفة فى المسائل الاساسية متناصران ، واى تعارض بينهما لا يكون تعارضا حقيقيا ، وانما يكون نتيجة سوء فهم لكل منهما . وقد بين ابن رشد فى كتاب « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال »ان الاسلام يشجع المسلم على النظر العقلي ويدعوه الى التأمل الفلسفي ، وان القرآن يحث على طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة .ويرى الفيلسوف ان للفلسفة والدين هدفا واحدا هو توجيه نشاط الانسان الى بلوغ الكمال : فالاسلام دين يخاطب العقل والضمير على السواء .

والنظرية الاسلامية فى « النبوة » من اوفر الانظار الفلسفية اصالة . وقد بسط الفارابي هذه النظرية فى كتابه « آراء اهل المدينة الفاضلة » . وتفرقته بين « النبي » و « الفيلسوف » سنجدها بنص عباراتها تقريبا ـ بعد عصره بسبعة قرون فى «الرسالة اللاهوتية السياسية» للفيلسوف اليهودى « اسبينوزا » .

ويرى الفارابي ان الناس يختلفون باختلاف ملكاتهم وقواهم النفسية : فمنهم اهل الفطر النافذة الذين يصلون الى الحقيقة بأنفسهم ، ومنهم من تقصر فطرهم عن بلوغها . وقليلون قد وهبوا مواهب ممتازة يستطيعون بها ان يدركوا المسائل المختلفة ادراكا صحيحا ، وان يكشفوا الحقائق التى تؤيدها الفلسفة والدين جميعا .

وحسبنا ، لكي نتبين مكانة الفلسفة الاسلامية ، ان نشير الى اهم نظرياتها .

١ ـ ذهب فلاسفة الاسلام الى ان المادة ازلية ومخلوقة معا . فقولنا ان العالم محدث ، اى بدأ فى زمان معين ، قول على سبيل المجاز : لأن الله باعتباره علة اولى هو صانع المادة والعالم . ولكنه تعالى خلق المادة والعالم بفيض من فيوضاته الازلية : اذ لا يمكن ان يقع صنع الله فى زمان . وانما نسبة الله الى صنعه كنسبة العلة الى معلومها ، والعلة غير منفصلة عن المعلول . ومن قال بحدوث العالم فكأنه قال ان الله قد بدأ خلق العالم بمشيئته ، فى زمان ما ولغرض ما : ومعنى هذا ان الله كان ينقصه شيء قبل انفاذ مشيئته وتحقيق قصده . وهذا ما يجب ان ينزه الله عنه ، لأن الله هو الكمال المطلق ، وقد تعالى عن مشابهة المخلوقين .

٢ ـ وذهبوا الى ان علم الله محيط بالكائنات ، اى بالأشياء العامة ، وبعبارة اخرى ان علم الله لا يتعلق بالجزئيات اى بالأشياء الفردية العرضية ، وانما يحيط بالنواميس الكلية والقوانين العامة

للكون لأنه لو كان الله يعلم الجزئيات والأعراض الفردية لحدث تغير زماني في عمله ، ولاقتضى ذلك تغيرا في ذاته والله منزه عن كل تغير .

٣ ـ وقالوا بنظرية الفيض الافلاطونية وخلاصتها عندهم انه لما كان الله واحدا وعقلا محضا ، فلا يمكن ان يصدر عنه الا عقل واحد . وصدور ذلك العقل عن الله شبيه بصدور الشعاع عن الشمس. وعن الله صدر العقل الأول ، وعن العقل الأول صدر العقل الثاني ، وهكذا الى العقل العاشر ، او العقل الفعال الذى صدرت عنه المادة . وهو ادنى العقول العشرة ، وهو المشرف على العالم الأرضى وحلقة الوصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة . ولما كان العقل الانساني ، اى النفس الناطقة ، ملكة « منفعلة » اى مستعدة لقبول أى نوع من الكمال ،فهذا العقل المنفعل فى الانسان يصبح بالتامل والدرس وتزكية النفس اهلا لان يتصل بالعقل الفعال . فاذا وصلت النفس الانسانية الى ذلك الكمال بلغت السعادة والغبطة الحقة ، مهما يكن الدين الذى اعتنقته ومهما يكن سبيلها فى عبادة الله . وما ورد فى الدين عن الجنة والنار وما اشبه ذلك ليس الا مجازات واستعارات لثواب وعقاب روحيين . والثواب والعقاب الروحيان يتوقفان على مقدار ما يبلغه الانسان من درجات الكمال فى هذه الدنيا .

موقف متميز

تلك بعض المسائل المشهورة التى وقف منها الفلاسفة المسلمون موقفا يخالف موقف أصحاب الفرق الاسلامية كما يخالف فى بعض نواحيه موقف الفلاسفة اليونان ، والمشائين منهم على الخصوص .

اما مخالفتهم للمتكلمين المسلمين فبينة واضحة : لان المتكلمين أرادوا أن يثبتوا بالحجج المنطقية التي ادلى بها الفلاسفة ان العالم محدث لا قديم ، وان المادة مخلوقة وليست ازلية ، وكانت غايتهم من ذلك ان يثبتوا وجود اله خالق واحد منزه عن الجسمية . ثم ان المتكلمين لم يكن يعنيهم الا نصرة العقائد الدينية ، ولكن بأسلحة الفلاسفة انفسهم .

وأما مخالفتهم للفلاسفة اليونانيين فواضحة كذلك : فان اكبر ما شغل فلاسفة المسلمين ، مهما يكن موقفهم من الاسلام ، هو تلك « الثنائية » الناشئة من مذهب ارسطو والتى يتقابل فيها الله والمادة الازلية، وتلك الثنائية ما كان بمقدورهم ان يقبلوها كما هي دون ان يخرجوا علنا من زمرة المسلمين . وكلما شعر فلاسفة الاسلام بأن ارسطو قد ترك هذه المسائل غامضة مضطربة ،دون ان يقطع فيها براي ، زادت جهودهم لتكميلها وايضاحها وسد ما بها من نقص، واضعين نصب اعينهم ان يصونوا نظريتهم فى وحدانية الله وتنزهه عن ملابسة المادة ، حريصين فى الوقت نفسه على أن لا يقعوا فى هوة مذهب « وحدة الوجود » الذى لا يفرق بين الله والعالم . وقد وجد من فلاسفة المسلمين امثال ابن باجة وابن رشد من ألفوا الرسائل الخاصة فى امكان « الاتصال » (اى اتصال الانسان بالعقل المفارق) . وشغلت تلك المشكلة بال الفلاسفة المسلمين اكثر مما عنى بها فلاسفة اليونان .

واذن فمن الاسراف الزعم بأن الفلسفة العربية انما هي شرح مشوه لفلسفة ارسطو والافلاطونيين المحدثين والواقع ان فلاسفة الاسلام اذا كانوا فى سعيهم للوصول الى الحقيقة قد تابعوا ارسطو حينا فانهم قد انصرفوا عنه أحيانا ، واتجهوا الى غيره من فلاسفة اليونان

كأفلاطون وأفلوطين والرواقيين . ولم يقنع المسلمون بنقل الفلسفة اليونانية كما هي ، بل طبعوها بطابع خاص ،ونفثوا فيها من روحهم ، وجعلوها تستجيب لمطالب عصرهم .

ونستطيع اذن ان نقول مطمئنين ان الفلسفة في العالم الاسلامي القديم لم تكن محصورة لا في مذهب ارسطو وحده ،ولا في مذاهب اليونان وحدها ، بل صاغت لنفسها مذهبا ضافيا لا يخلو من طرافة، وهي كما قال احد المستشرقين المنصفين « توشك ان تكون تقلبت في كل الأطوار التي مرت بها الفلسفة في العالم الغربي . وكلما ازداد تقصينا لآثار الفلاسفة المسلمين زاد شعورنا بان تلك الآثار لم تكن مجرد شروح وتعليقات ، ولكنها كانت بنتائجها واغراضها عملا يمثل مرحلة اساسية وحاسمة في طريق البحث عن الحقيقة » .

رسالة جوانية

ان فلاسفة الاسلام قد وجهوا عنايتهم لهذه المسألة الكبرى: أيكون المرء انسانا ام لا يكون ؟ بمعنى أو ينبغي ان نبذل الجهد لكي نبلغ مثلا اعلى من الكمال ، ام ان نكتفي بأن نعيش على مستوى الحيوان ؟ ولكنهم اعتقدوا محقين بان هذا السؤال لا يمكن ان يجاب عليه اجابة ملائمة عن طريق الذهن الانساني وحده فمهما نبلغ من تثقيف الأذهان ومعرفة الأشياء يجب علينا في كل لحظة من حياتنا ان نختار ، ولا بد ان نراهن على وجودنا كله فان الحياة ــ كما لاحظ « ديكارت» ــ لا تحتمل ابطاء . والفلاسفة المسلمون قد آمنوا مخلصين . كما آمن « بسكال» من بعدهم ، بأن كل شيء ، حتى في العلم وتطبيقاته ، انما يتحدد في صميمه بالموقف الانساني ، وبعبارة اخرى كل شيء يعتمد على نقاء القلوب وخلوص القصد،وبدون هذين الأمرين او الشرطين « الجوانيين » قد نرى مدينتنا المادية وقد تردت في هوة الهمجية . والأمر بعد، كما قال الغزالي : « العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون » .

ويلوح ان المثل الأعلى الذي سعت اليه الفلسفة الاسلامية سعيا حثيثا هو تحقيق ما يمكن ان نسميه « نضج الانسان » . ونعني به ذلك التطور الروحي الذي تمارسه النفوس الصافية في حياتها ، فتشعر حينئذ انها متآزرة كل التآزر ، لا مع أهل الوطن الواحد فحسب بل مع جميع افراد الانسانية ، بصرف النظر عن اختلافهم في الأديان واللغات والأوطان ولقد راى فلاسفة المسلمين ، وفقا لما رآه الرواقيون اليونان ، ان جميع الفضلاء هم مواطنون في عالم واحد ، او هم جميعا من « اهل المدينة الفاضلة » كما قال الفارابي .

ولا ريب ان عالمنا الحاضر احوج ما يكون الى هداية اولئك المفكرين الذين وصلوا الى ذلك النضج الروحي،فتحرروا بتفكيرهم وشعورهم تحررا تاما من قيود الزمان وسدود المكان .

وجملة القول ان للفلسفة الاسلامية رسالة محددة توجهها ، لا الى المسلمين وحدهم بل الى الانسانية بأسرها ، الا وهي رسالة الفهم والتعاطف وحث الانسان على البحث عن حل لالغاز الكون، ودعوته الى تعميق معرفته لذاته ، بحيث يدع لضميره امر تدبير سلوكه،ويستشعر في جوانيه ثقة في الله وثقة في نفسه .

وعندئذ يستطيع ان يمارس حرية ارادته ممارسة تامة ، فيمضي في الحياة مطمئن النفس ، متفتح الوعي ، مبتهج القلب . ■■

عثمان امين

مثلنا الاعلى فى الادب

● اذكر ان احد كبار الكتاب الفرنسيين ، كان ينصح ويوجه تلميذا من تلاميذه الادباء ، فيقول لـه :

« عليك حين تريد أن تكتب أن تبحث عـن الجديد . عليك أن تطيل النظر ، وتمعن التدقيق فى كل شيء ، كي تاتـي بالجـديد فى صورك وتشابيهك » .. وكان يقول له : « كل شيء يمكن أن نجد فيه جديدا ، حـين نبحث عن زاويـة لـم يرها غيرنا من الكتاب .. والمهم فقط أن نهتدى الى هذه الزاوية وان نحسن ابرازهـا وتصويرها » .

عندما نقرأ لامثال هؤلاء الكتاب والادباء فانما نكون قد حاولنا ان نرقى بادبنا ونسمو به لا ان نقف فى آخر الصف ، ونقنع بالقليل القليل من الاطلاع الادبي والمعرفة الفكرية ، والاديب الفاشل هو ذاك الذى لا يقرأ بعمق وتذوق وفهم ، وهو أيضا ذاك الذى لا يحسن انتقاء مطالعاته ولا يدقق فى اختيارها .

علينا ان نبحث عن مثل أعلى لنا فى الشعـر والنثر والقصة .. ولا مانع ، بل من الافضل أن يكون لنا اكثر من مثل أعلى نعجب بـه كـل الاعجاب ، ونتذوقه كل التذوق ، ونحـاول مـا استطعنا أن نسمو بنتاجنا الفكرى الى الحد أو الى بعض الحد الذى بلغه مثلنا الاعلى ... واذا ما فعلنا ذلك ، اذا ما آمنا بهذه الفكرة كل الايمان واعتنقناها حق الاعتناق ، من يدرى فقد يأتي يوم يظهر من صفوف المؤمنين بها ، من يصح أن يكون مثلا أعلى للآخرين ، وقدوة للكتاب والشـعراء والقاصين .

لنبحث عن مثل عليا فى الادب والقصة ، ولنرتفع او نحاول الارتفاع بادبنا الى المستوى العالمى ... ولنؤمـن بان الطموح أول الطريق الـى النجاح ...

من جريدة « الأيـام » ــ دمشق

مات من الجوع !!

● لا ادرى كم هو عدد الذين شعروا بالالم والخجل وتوبيخ الضمير عندما قراوا ذلك الخبر !

ما أكثر ما سمعت عن الضمانات الاجتماعية ضد الفقر والبطالة والعوز !

أصابنى امس شيء من الذهول عندما قرات هذا الخبر المفجع..وقرأت أخبار المآدب والحفلات التى تقام كل يوم ويصاب أصحابها بالتخمة !!

انها سابقة خطيرة وأخطر منها أن يقراها المواطن ويمر بها كان شيئا لم يكن !

ان كلمات العدالة الاجتماعية .. والديمقراطية .. والانسانية .. والمساواة والاخاء .. الى آخر ما هناك من الفاظ براقة تلاشت امس مع صيحات وانات الجوع تتصاعد مع روح ذاك الذى مات من الجوع وهو يشكو الى ربه ظلم الانسان لأخيه الانسان !!

عن جريدة « لسـان الحال » ــ بيروت

زدتموهـــا !

● فلما تخلو صحيفة محلية فى انبائها العامة او فى عمود المجتمع او المحليات من اخبار روتينية يومية تسجل لبعض الموظفــين ، ولا سيما من كبارهم ، جميع تحركاتهم وافوالهـم ولو كانت عادية جدا ، وتافهة جدا .

والقارىء .. ماذا يهمه مثلا لو ان مديــر الدائرة الفلانية او وكيله ، أو مساعده ، قــام بزيارة مكتب تابع له فى المناطق أو القاطعات كشىء عادى تفترضه طبيعة العمل الرسمي فى الزيارة والتفتيش وقبض العلاوة مع المياومات ؟؟

لم يبق على بعض هؤلاء الا أن ينشروا تنقلاتهم من البيت الى المكتب ، وموعـد الافطار ووقت الرقاد ..وبعضهم هذا قد ياخذ على خاطره ، أو يحرد ، اذا اوعز لمراسل محلي بنشر خبر عن شخصه الكريم فلم يفعل المراسل ، أو ان قلم التحرير اهمل النشر كاعلان مجانى مفروض يوميا.

وقد يتساءل بعضهم عن المسؤولية المشتركة بين الذين يستمرئون مطالعة اخبارهم يوما بعد يوم مهما تكن المناسبة والحديث وبين اصحاب الصحف الذين ينشرون ــ على مضض وخجل ــ هذه الاخبار اليومية أو الدورية كشىء تقليدى لا مبرر له .

والذى نخشاه أن ياتى يوم لا مناص معه من الاشارة الى ان الموظف الفلانى قد عطس ، أو شرب أو استحم ، ليبادر القراء تجاوبا مع الخبر، فيقولوا : رحمكم الله ، وهنيئا ، ونعيما ، فليس فى الدنيا أى غريب انما الغريب أن لا تجـد غريبا !!

عن جريدة « المنار » ــ القدس

مشاكل لا تجد حلا

● عشرات المشاكل تجتاح العالم الآن .. تبدأ من أقصى الشرق الى اقصى الغرب ، ولم تجد حلا حتى الآن رغم عشرات بل مئات المؤتمرات التى عقدت لحلها ..

كل هذه المشاكل ما زالت بدون حل ، رغـم مضي ١٦ عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية .. لماذا ؟ .. لان الـدول الكبرى هى التى تتنازعها ، وترفض تدخل الدول التى تريد اقرار السلام .

ان هذا العالم يعيش على فوهة بركان ... ولا تشعر بالأمن والاستقرار بعد الا الدول المحايدة التى تسعى لمنع تفاقم هذه المشاكل بعد أن تعذر عليها حلها .. ان هناك شعوبا لا تعرف مصيرها لانها انقسمت على بعضها وانحاز كل شطر منها الى دولة كبرى .

عن جريدة « الجمهورية » ــ القاهرة

فلسطين بعد الجزائر

● لا شــك ان تسوية القضية الجـزائرية ستمهد الطريق الى حل قضية فلسطين ذلك ان العرب سيوحدون جهودهم ونشاطهم حول هـذا البلد الذى شرد أهله منذ أكثر من ثلاثة عشر عـاما .

ولن تحـل قضية فلسطين ما لم يحــذو الفلسطينيون حذو الجزائريين المناضلين فى انتزاع حقهم السليب ...

هذه هى الطريق الصحيحة لانتزاع حقنــا السليب فى فلسطين الحبيبة ، وغير هذا الحل بعيد المنال فى الوقت الحاضر على الأقل نظـرا للخلافات المزمنة بين بعض الحكام العرب .

حتى ولو لم تكن هنالك خلافات فان تحرير فلسطين على الصعيد العسكرى الرسمي يعنى اعلان الحرب رسميا .. وهذه الخطوة مستبعدة أيضا .

نحن أدرى باليهود ، أدرى بقوتهم اذا ما بدأت أعمال العنف ضدهم .. بطريقة منظمة يتولاهـا فلسطينيون يعرفون كل منحنى وواد ومغارة فى بلدهم .

فلسطين بعد الجزائر .. أجل وموعد الثأر بات قريبا .

عن جريدة « الكفاح » ــ بيروت

مع اخواننا

وراء المحيط

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ وراء أمواه المحيط الأطلسى حتى ساحل المحيط الهادى تعيش جماعات زاهرة من أخواننا العرب .. ألوف من رجال ذوى عزم وعزة عربية ، شقت طريقها الى النجاح فى عالم مضطرب مخوف ، واقامت للعروبة صروحا فى كل بلد فى أمريكا اللاتينية ، من حدود المكسيك الشمالية الى جزيرة النار قرب القطب الجنوبى . ومن ريو دى جانيرو على ساحل الأطلسى الى براتيكيا وجوايا كيل وسانت ياجو دى شيلى على ساحل المحيط الهادى . وكانت حياتهم سلسلة من قصص بطولة مجيدة ، وحكايات جهاد وعزم على النجاح اقرب الى الأساطير ..

اولئك هم اخوانك الأعزة الذين تسميهم بالمغتربين وما هم بمغتربين ، والعربى لا يشعر أنه غريب فى أى مكان على الارض، لأن عزيمته وذكاءه وخصال المروءة المتأصلة فى نفسه ، تجعل من كل أوطان الارض أوطانا له ..

بانشو .. فحل الفحول !

الطريق طويل ، والوقت صيف ..

السيارة العتيقة تمضى بنا لاهثة فى بطاح موحشة كأنها عجوز اثقلتها السنون والهموم . كلما بلغت مصعدا تهدج صوتها وحشرجت انفاسها ، فخمدت حركتها رويدا رويدا ، ثم توقفت كأنها سفينة جنحت على الصخور ..

لم يكن لنا مفر فى كل مرة من ان نهبط الى الارض وندفعها الى امام ، كأننا نقوم بعملية تنفس صناعى لغريق ! انصافا لها اقرر انها كانت تشعر بالخجل من مسلكها معنا . كانت تبذل اقصى وسعها حتى لا تخيب رجاءنا فيها . ما دفعناها مرة الا اجتهدت فى جمع بقايا قواها الواهنة ودبت فيها الحياة ، فانطلقت تجرى ونحن نلاحقها وقد تشبث كل منا بما تيسر له من اطرافها ، ولا نزال نجاهد حتى تستقر فيها بعضنا فوق بعض ، والسائق المكسيكى يقهقه ملء رئتيه ويقول:

ــ قلت لكم انها تداعبكم .. بغلة اصيلة والله .. احسن سيارة صنعتها امريكا .. اربعون سنة وهى تجرى فى هذه الصحارى .. ماذا تريدون ؟ اساليهم والله يا بانشوكيتا .. حبيبتى بانشوكيتا

ثم يمضى مقهقها مصفقا بيده ، تاركا دفة السيارة للمقادير ، ونحن نرجوه ان يمسكها حتى لا تجنح بنا الى الهاوية . كانت اصواتنا ونحن نستعطفه تزيده طربا فيسرف فى القهقهة والتصفيق ويلتفت الى خلف ويقول : وانا ؟ اليس لى أولاد؟ أتدرون كم ولد لدى منهم ؟ تسعة ! تسعة ذكور ! « ثم يضرب صدره بيده كأنه طرزان ويقول : بوركت يا بانشو .. يا فحل الفحول ! » ..

صورة لا تغادر ذهنى ابدا ..

جنود مصريون يحاربون فى المكسيك

كنا قد تركنا « فيرا كروث » على الساحل الغربى للمكسيك واتجهنا نحو شبه جزيرة يوكاتان.

○ النشاط والصبر واستقامة الخلق والمروءة العربية، جعلت من بعض اخواننا المهاجرين اصحاب ملايين.

○ ثروة الجالية الحمصية في "ساو باولو" تزيد على ثروة اهل حمص نفسها اضعافاً مضاعفة.

○ شاعر مهجري يقول ساخراً: لن ننسى فضل الانجليز والامريكان .. اخذوا منا الزيت، واعطونا اليهود !!

كنت قد سمعت وانا فى مدينة المكسيك ان سلائل المصريين يعيشون فى بلد صغير مجاور لماردة عاصمة شبه الجزيرة . احسست انه لا بد لى ـ وقد وصلت هذا البلد البعيد ـ ان اقرا السلام على بقية حفنة مسكينة من اهل بلدى . هذه الفرقة من جنود مصر التى اهداها الخديوى المضيع اسماعيل الى صنوه فى الغرور والخديعة ،نابليون الثالث ، لكى تشترك فى غزو المكسيك وتتويج قريبه الارشيدوق مكسمليان وزوجته كارلوتا النمسوية ملكين على ذلك البلد . وذهبت الفرقة ورجالها لا يدرون لماذا يذهبون ، وقد انهزم مكسمليان واعدمه المكسيكيون فى ١٩ يونيو سنة ١٨٦٧ ، وتفرق من بقى من جنوده .

والمصريون ؟ ماذا فعل الله بهم فى هذا الجحيم الذى سيقوا اليه ؟

قتل بعضهم فى المعارك الاولى ، وانضم بعضهم الى قوات الزعيم المكسيكى خوارث واصبحوا من كبار جنوده ، واستطاع بعضهم العودة الى مصر بعد مخاطرات واهوال ، وتفرقت البقية جماعات صغيرة اندرجت فى غمار الناس ،ومضت قطعة منهم ـ يقال انها بلغت العشرين رجلا ـ واستقرت فى بلدة بويبكو ، مركز الثورة المكسيكية، ثم سارت مرة اخرى،فدخلت شبه جزيرة يوكاتان، وانتهى بها المطاف فى قرية قريبة من ماردة يوكاتان تسمى كامبيتشى، وهناك هبط عليها ستار النسيان

كنا فى الطريق اليهم لنرى ماذا فعل بهم عالم النسيان .

ولفظت السيارة آخر انفاسها !

ووصلنا بعد شق النفس ، الى بلدة على شاطىء خليج المكسيك تسمى كواتزاكوالكوس ، على نحو ١٢٠ كيلومترا من كامبيتشى . هناك توقفت باتشوكيتا ـ احسن سيارة صنعتها امريكا ـ عن المسير نهائيا فى ذلك المكان النائى قررت ان تفارق الحياة ورفضت رفضا باتا ان تعود الى دنيا لم تر فيها الا الشقاء ، وتركناها وصاحبنا بانشو يدور حولها ويربت رفرفها بيديه كانه لا يصدق ان تلك العزيزة من الممكن ان ينزل بها هادم اللذات ومفرق الجماعات .

مضينا الى الفندق الوحيد هناك : جراند اوتيل بلازا .. فندق صغير متواضع ذكرنا بفندق دار السلام فى حى الحسين فى القاهرة مع فارق كبير : انه على شاطىء البحر . من الغرفة المتواضعة يسرح البصر الى ما لا نهاية مع مياه خليج المكسيك ، وتهب نسمات عذاب تنسينا الام

الطريق ومتاعب باتشوكيتا وضحكات بانشو ..
وسالت صاحبة الفندق البدينة :
ـ اليس عندكم حمام ؟
فضحكت ضحكا عاليا اهتز له تل الشحم واللحم الذى تحمل اوزاره ، وقالت :
ـ حمام ؟ كيف تسال عن حمام وامامك البحر كله ؟ اما يكفيك هذا المحيط لتغسل جسدك الضئيل ؟ حقا ان الجرينجوس جميعا مجانين !
وكلمة جرينجو تقال فى الاسبانية للغريب ، وهى اذا قيلت فى اسبانيا كان لها طعم مهين ، اما فى امريكا الجنوبية فهى لفظ تدليل ، واذا ارادوا مداعبتك نادوك بتصغيرها : جرينجيتو ..
ومضيت الى البحر كما قالت ، واسترحت فى مائه ، ثم خرجت فجلست على كرسى قبالة الماء ، واستوسنت ـ احسب ـ ساعة من زمان ..

ذهبت أبحث عن عرب من مصر فتلقانى عربى من « بيت جالا » !

وافقت على صوت يناديني :
ـ جرينجيتو .. سنيوريتو .. !
ونظرت ، فاذا خادم الفندق بورفيريو ومعه رجل أسمر طويل القامة ، أشيب الشعر قد ملأ وجهه الابتسام
وقال الأشيب :
ـ الرجال من مصر ؟
وظللت واجما . فاجانى هذا الصوت العربى يخاطبنى على آلاف الأميال من بلاد العروبة . ولم يمهلنى الرجل ، فاسرع يعانقنى فى شوق الشقيق للشقيق ، ثم قال وصوته يتهدج :
ـ والله ما أصدق ! رجل من مصر هنا ؟ من انت يا اخى ومن اين اتيت ؟ واى مصادفة سعيدة حملتك الى هذا المنفى الذى نحن فيه ؟
فذكرت له اسمى وسبب مجيئى ، فمضى يقول:
ـ يا الف اهلين وسهلين .. لى ساعة ابحث عنك . انبانى بوصولك بورفيريو هذا ، فتركت مصنعى واسرعت اليك ، والله ما تنام فى فندق ، ولك بيت هنا .. يا عيب الشوم ! بنت عمى والأولاد ينتظرونك فى البيت .. فقد نقلنا حقائبك الى هناك ..
ـ ولكن معى نفر من أصحابى ، ولا يليق أن أتركهم ..
ـ نقلناهم الى البيت أيضا .. البيت كبير يسع مصر كلها ..

ومضيت معه . عندما مررنا بالفندق وجدنا سيارة تنتظرنا . سيارة امريكية فاخرة ذات اجنحة وذيول . لم يسكت لسان الرجل لحظة .. كانت اسئلته تتوالى كالمطر عن العرب وبلاد العرب وفلسطين ومأساة فلسطين . لم يكن ينتظر حتى أجيب . كان شوقه الى الكلام الى عربى ، اشد من شوقه الى سماع الاجابات !

« المنسف » العربى .. فى أمريكا !

دخلنا بيتا هو أقرب الى القصر .. شىء عظيم حوله حديقة اعظم. أصحابنا المكسيكيون خصصوا لهم جناحا فى الحديقة ، اما انا فانزلونى غرفة فسيحة تروق النفس، واجتمع حولى ابناء الرجل وزوجه ومضى الحديث بنا ساعة بعد ساعة ، حتى حان موعد العشاء . قدموا لنا المنسف اللذيذ . آخر مرة اكلته فيها كانت فى عمان على اثنى عشر الف كيلومتر .
وجلست مع الرجل فى الحديقة بعد العشاء .. من المنزل ترامت الى اذنى أغنية سيد درويش: زورونى كل سنة مرة ، حرام تنسونى بالمرة ، حرام ..
كان ذلك كله أشبه بالحلم . كان الدمع ينهل من عينى كلما تردد فى أذنى لحن سيد درويش . اتيت أبحث عن عرب من مصر ، فتلقانى عربى من « بيت جالا » من فلسطين .
هذا النغم الحزين الذى تردد فى اذنى مرة بعد مرة بدا لى وكأنه صوت عتاب : عتاب أرض فلسطين ارض المأساة ، وعتاب ابنها ، هذا المهاجر الباسل ، اقتحم البحار والفيافى ، واقام لنفسه صرحا فى وطن بعيد .
انه ليس مهاجرا ولكنه فاتح .. واحد من الوف البواسل من اخواننا الذين غادروا الأرض والأهل واقتحموا المحيطات ، وأوسعوا لأنفسهم مكانا فى عالم كله طارئون ومهاجرون ..
لم نتم ليلتنا تلك . لا هو سكت عن الكلام ولا انا كففت عن الاصغاء . أسمعنى اسطوانات أخرى هى عنده اعز شىء ، أغاني أذكر أنها ماتت فى بلادنا منذ ثلاثين سنة ، ولا زالت حية هناك على شاطىء خليج المكسيك :
« يا نواعم يا تفاح   يا حاجة حلوة كويسة
واللى بتبيعك بيضة وحلوة وست النسا
او : أبوها راضى   وأنا راضى
ومالك أنت   بقى ومالنا يا قاضى

وبيت شاعرنا احمد شوقى يغنيه الشيخ سيد الصفتى :

صونى جمالك اننا بشر
من التراب ، وهذا الحسن نورانى

قصة كفاح .. وملايين !

قص على الرجل قصته . قصة جديرة بأن تكتب فى كتاب . هاجر الى الولايات المتحدة وعمل فى نيويورك وشيكاجو ونيو أورليانز وجمع مالا كثيرا ، ثم انتقل الى المكسيك ، وهناك انشأ المصانع واصبح من اغنى اغنياء الضاحية . خمسون سنة فى كفاح ونضال اصبح بعدها صاحب ملايين ، ولكن قلبه لا يزال مقيما مع اخوانه فى الوطن العربى الكبير ..

وقص على قصة اخواننا المصريين : نزلوا الى جوار كمبيتشى وانشأوا قرية صغيرة اطلقوا عليها اسم « مصر » ، كانت فى الاطالس القديمة تسمى « افريكانوا » ، أى الافريقى ، اتخذوا نساء من الهنديات ، ثم اندرجوا فى غمار قبيلة يوكاتان الكبيرة . كانت الايام عسيرة والفوضى ضاربة اطنابها . فى الحروب بين هذه القبيلة وحكومة المكسيك ، مات زعماؤهم . البقية لا يعرف لهم اثر . قرية افريكانو اصبحت اليوم حيا من بلدة كمبيتشى .

من حين لحين تعثر هناك على القاب ربما كانت مصرية : اسال (العسال ؟) بروم (برهوم ؟) كيسى (القيسى ؟) مامو (محمود ؟) واصحابها شبان يعملون فى التجارة والملاحة، يقولون لك انهم مصريون ، ولكنك تحاول عبثا أن تعثر على الحلقات الضائعة من تاريخهم الطويل ..

واحد منهم يدرس الآداب فى جامعة ماردة . لم استطع لقاءه لانه كان فى مدينة المكسيك وانا أبحث عنه على بعد ٨٠٠ كيلومتر .

ان لقائى مع صاحبنا البجالى ، وقصة حياته، صورة تتكرر اذا ذهبت تبحث عن اخواننا الذين اكرمهم الله فى العالم الجديد ، فلست تجد واحدا منهم الا ووراء نجاحه قصة طويلة حافلة بالمتاعب والصبر ، ومنهم من افلس المرة والمرتين ، وكان عليه أن يبدأ من جديد . ومنهم من اضطر الى أن يتنقل فى العالم الجديد من شبه جزيرة برادور الى سهول بتاجونيا فى جنوبى الارجنتين ووسطها قبل أن يستطيع جمع الالف دولار الأولى . ومنهم من تاجر فى الفول السودانى لينتقل بعد ذلك الى تجارة الفراء. ومنهم من اضطر الى العمل مصارعا فى سيرك ليقيم أوده ريثما ينفتح امامه الطريق . ومعظمهم وصلوا الى المهاجر لا يملكون الا قروشا وكان عليهم أن يعملوا بائعين متجولين أو «كشاشة» كما يقولون ، قبل أن يروا من الايام ابتسامة القبول .

ولكنهم جميعا يشتركون فى خصال رئيسية هى رأس مالهم الاكبر ، وأساس ما اشتهروا به فى كل مكان من سمعة طيبة واحترام عظيم : الصبر والعزيمة والنشاط وارادة النجاح واستقامة الخلق والمروءة العربية المعروفة . خصال تجدها عندهم جميعا ، أغنياء ا وفقراء أو أوساط . فلا ترى واحدا منهم الا توسمت فيه كرم النفس ، وسلامة الخلق ومروءة الرجال . ومهما اختلفت مواطنهم الاولى فهم فى نظر اهل العالم الجديد أبناء شعب واحد تميزه هذه الصفات .

ولقد نزلت مرة فى فندق فى مدينة بافالو فى شمال الولايات المتحدة ، واردت العبور الى كندا للفرجة على شلالات نياجارا ، وكان فى الفندق طاه عربى اسمه « راضى » .. ولكنهم يسمونه هناك « روى » .. فذهب معى الى الحدود ، وهناك تبينت اننى تركت جواز سفرى فى الفندق ،وكان ينبغى أن احمله معى ، فتقدم راضى يشرح الامر لضابط الحدود ، فلم ينتظر الضابط حتى يفرغ من كلامه ، وانما قال لى : تفضل يا سيدى ما دام روى قد ضمنك » !

والذين خانتهم الايام !

ومن الخطأ أن نحسب أن كل من هاجر من العرب الى العالم الجديد قد أثرى وجمع الألوف فان هؤلاء هم القلة ، والباقى ـ وهم العصب الحقيقى للجاليات ـ أوساط أصحاب دكاكين صغيرة أو وكالات الات أو منسوجات ومصنوعات أخرى،وغالبيتهم أصحاب متاجر اقمشة صغيرة تتجمع عادة فى شارع واحد أو شوارع متجاورة ، وقد أصبحت ـ بحكم التجربة ـ أعرف متجر العربى من اسمه ، فلها أسماء تقليدية مثل «كابريتيوسا» و « ادورابيل » و « ريفاتيمينتو » و « باتريا » و« روزا » وما الى ذلك .

وكثيرون أيضا هم الذين ماتوا أثناء الكفاح ولم تصل الينا أخبارهم، هؤلاء هم الضحايا الذين

دفعوا ثمن نجاح الاخرين ، والكفاح امام كل مغترب طريق طويل خشن حافل بالمآسي والآلام ، ومعظم اولئك الهلكي كانوا ممن استقروا في نواح قاسية شحيحة لا تبعث على الامل ، ففي شمال الارجنتين بطاح موحشة تعرف بالشاكو ، نزلها الكثير من فقراء المهاجرين واشتغلوا بالبيع للهنود :يشترون شيئا من قماش وخرز وغزل وصابون وحلوى وما الى ذلك مما قل ثمنه وثقل حمله ،ويخرجون وحدهم يحملون بضاعتهم على ظهورهم او على عربة يد او على حمار ، ويوغلون في الجبال والشعاب يبيعون ويشترون ، ثم وقعت ثورة للهنود في هذه النواحي حوالي سنة ١٨٨٠ ،قتل فيها من اولئك المساكين من قتل ، ثم ارسلت الحكومة الارجنتينية فرقا من الجيش لتطرد الهنود خارج حدودها وتلقى بهم في باراجواى ، وهلك نفر آخر من العرب اثناء القتال ولم تنج الا بقية هربت مع من هرب من الهنود عبر الحدود.

وقد قص على قصة اولئك المساكين تاجر عربي ممن نجوا من هذه الهلكة يقيم اليوم في توكومان في شمال الارجنتين، وقد هلك له فيها اخوان وابن شاب كان قد جاوز العشرين ربيعا .

الهجرة كانت على موجات

وقد تمت هجرة العرب الى العالم الجديد على صورة موجات كبيرة يتخللها تيار صغير متصل ، ولا زال مستمرا الى اليوم . وقد كانت الدفعة الاولى نتيجة لسياسة الدولة العثمانية حيال العرب خلال النصف الثاني من القرن الماضي ، وشجعتها الدول الغربية على اعتبار ان ذلك التهجير جزء من سياستها العامة في التدخل في شئوننا ، فقد زعمت أنها تتدخل لحماية الاقليات وفتح سبل الحياة امام المضطهدين من افرادها .

ذلك أن ضعف الدولة العثمانية وصل بها الى درجة من الهوان بعد حرب القرم جعلتها تحت رحمة انجلترا وفرنسا اللتين زعمتا انهما تحميانها من روسيا ، واسرف السلاطين في الخضوع لهاتين الدولتين حتى بدا بوضوح ان امبراطورية آل عثمان حماية فرنسية انجليزية بالفعل ، وشعرت شعوب الدولة بالهوان الذى وصلت اليه حكومة الآستانة ، فبدات تتحرك طالبة التخلص من ذلك السلطان الاجنبي المهين ، وكانت البلاد العربية من اكثر شعوب الدولة قلقا وثورة ورغبة في الانتصاف من هذا الظلم ، وسادت الشام ومصر على الخصوص روح من التذمر وارتفعت الاصوات تطالب بالاستقلال عن الدولة وخلع نير الاتراك .

واجتهد ممثلو انجلترا وفرنسا في الاستفادة من حالة القلق هذه ، فاوعزوا الى جماعات من الارض في الاناضول بالقيام على الاتراك ، ووقعت حوادث مؤسفة ، وظهرت الحركة الذذاك ، وكانها فتنة بين المسلمين والنصارى ، وامتدت الفتنة الى نواحي الشام، ولجا الاتراك الى العنف في القضاء عليها ، وصدرت من حكامهم اعمال من العنف والاضطهاد ، فارتحلت جماعات من نصارى الشام نحو جبل لبنان تحتمي في شعابه ، واخذ نفر منهم في الهجرة الى العالم الجديد ، وكان ذلك سنة ١٨٦٠ .

جماعات قليلة .. واخرى كبيرة

وكانت هذه الجماعات المهاجرة الاولى قليلة العدد ، وكانت هجرتها في الغالب الى الولايات المتحدة ، وقد تفرقت في نواحيها واستقرت في بلادها دون أن تؤلف جاليات ، ولكنها فتحت الطريق على اى حال .

اما اول الموجات الحقيقية فكانت بعد سنة ١٨٩٠ ، فقد بدات جماعات كبيرة تهاجر الى العالم الجديد ، ولم يقتصر الأمر تلك المرة على الولايات المتحدة ، بل اتجهت جماعات المهاجرين الى البرازيل والارجنتين ، وبدات الجاليات تتكون ، وكانت غالبية هذه الموجة الاولى من المسيحيين .

وفي اثناء الحرب الكبرى الاولى بدات موجة ثانية ، معظم افرادها من المسلمين هذه المرة ، وقد دفعها الى الهجرة هذه المرة استبداد الاتراك العثمانيين ايضا ، لانهم اتجهوا الى تجنيد عرب الشام بالقوة وارسالهم للموت في جبهات القتال، ولم يجد الكثيرون من العرب رغبة في الاشتراك في الحرب دفاعا عن هذه الدولة التى قاسى العرب على ايديها الكثير من الويلات ، وفضلوا الهجرة ، وكان معظم الاتجاه نحو امريكا الجنوبية ، الأرجنتين ، والمكسيك بصورة خاصة . ومن هذين البلدين انتشروا في بلاد امريكا اللاتينية الاخرى. فدخلت جماعات منهم شيلى وبوليفيا وباراجواى وبيرو والاكوادور .

وبعد تلك الحرب العالمية الاولى ، وفيما بعد سنة ١٩٢٠ على الخصوص هاجرت جماعات اخرى

فى موجة ثالثة ، شجعتها على الهجرة هذه المرة اخبار توفيق السابقين الى الهجرة للعالم الجديد من ابناء عمومتهم ، وكانت غالبية المهاجرين هذه المرة من أهل فلسطين ، ما بين مسيحيين ومسلمين.

واتصل التيار بعد ذلك الى قيام الحرب العالمية الثانية ، فتوقف او تراخى ، وفى أيامنا هذه يهاجر الى هناك نفر من شباب فلسطين ، معظمهم من أبناء اللاجئين ، ومعظم هجرتهم الى البلاد التى لا زالت أبوابها مفتحة للمهاجرين مثل جمهوريات امريكا الوسطى ، هندوراس بصفة خاصة ، ثم كولومبيا فى امريكا الجنوبية .

ولما كانت الكتلة الكبيرة من المهاجرين قد تركت بلادها أيام الحكم العثمانى ، فقد كان افرادها يخرجون بأوراق مرور (ليسيه باسيه) تركية ، ولهذا فقد كان العرب يسمون فى أمريكا اللاتينية بالاتراك « توركوس » وقد يصغرون اللفظ فيقال « توركيتوس » ، واحدة « توركيتو » .

ومن آثار الحكم التركى على أولئك المهاجرين الأول انهم حملوا معهم الأحقاد التى كان رجال الدولة يبذرونها بين افراد الوطن الواحد ،ونشأت جالياتهم أول الأمر منفصلة بعضها من بعض على أساس الدين ، فهؤلاء موارنة واولئك ارثوذكسيون او مسلمون من اهل السنة او شيعة او دروز ، وقد تلاشى هذا الشعور اليوم، وتقاربت الجاليات وامتزج افرادها بعضهم ببعض ، ولم يعودوا يسمون اتراكا بل عربا ، وقد امتدت اليهم روح النهضة العربية المعاصرة فملأت نفوسهم حمية وعزة ، وزاد احترام الناس لهم وتقديرهم اياهم ، ولم يؤثر فى الحالة المعنوية لاولئك الاخوة شيء مثل انتصار العروبة فى مصر على الاعتداء الثلاثى الغادر سنة ١٩٥٦ — ١٩٥٧ .

هاجروا الى عالم المخاوف والقلاقل

ولم تسعد الهجرة العربية الى امريكا اللاتينية بما سعدت به أختها الى أمريكا الشمالية من نزول نفر من مهاجرة الادباء بها فى الجيل الاول ،وقيامهم بحركة ادبية مهجرية كتلك التى انشأت الرابطة القلمية فى نيويورك سنة ١٩٢٠ ، لم ينزل امريكا الجنوبية مع موجات الهجرة الاولى ادباء من طراز جبران خليل جبران او ايليا ابى ماضى او ميخائيل نعيمة او نسيب عريضة او رشيد أيوب . ربما يكون قد نزلها اديب او شاعر ذو ملكة مبدعة ولم تعنه البيئة على الظهور والانتاج فمضى الى بارئه دون أن تتفتح زهور مواهبه من يدرى ؟ لقد كانت بلاد تلك القارة أيام نزلها أولئك المهاجرون الاول مجاهل مترامية وبطاحا مخوفة تعمرها قبائل الهنود وبقايا جماعات المهاجرين الاسبان من ابنـاء القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وكانت المدن حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر مراكز تجمع مختلطة مضطربة يسكنها أصحاب الدولة والجند الذين يقيمون سلطانهم ، والقسس والرهبان الذين كانوا يفدون الوفا كل سنة ليقوموا بالتبشير وليحولوا تلك القارة العذراء الى قارة مسيحية ، ثم الوف بعد الوف من المهاجرين والمغامرين وطلاب الرزق والمال من اى سبيل ، ومدن مثل بوينس ايريس وسان باولو وريو دى جانيرو وبرانكيا وجواياكيل ولبما وغيرها كانت الى مطلع القرن الماضى مناطق محفوفة بالمخاطر من كل نوع ، حتى لقد كانت فى معظمها أسواق قائمة للرقيق بنوعيه: الأسود لخدمة الحقول والمزارع ، والأبيض للمهاجرين الذين استقروا ثم لم يجدوا نساء ، فكان تجار الرقيق يخطفون النساء من سواحل اوروبا وموانيها ويبيعونهن هناك لمن يريد ، أما فقراء المهاجرين فكانوا يقنعون بنساء الهنود ، ومعظم من ترى من اهل الأسواق والأرياف فى نواحى امريكا الجنوبية يرجعون الى اصول هندية من ناحية الأمهات ، بل ان الزنوج الذين اتى بهم الى بلاد البحر الكاريبى والبرازيل اتخذوا نساء من الهنديات أيضا ، ومن هنا جاءت النسبة الكبيرة من الهجناء « المخلطين » الذين يسمون هناك بالمتيثوس الذين يكونون غالبية السكان فى ذلك العالم اللاتينى الافريقى الهندى .

فى ذلك العالم المضطرب خلال النصف الثانى من القرن الماضى لم يكن من الممكن أن يجد الاديب بيئة مناسبة لحياته وانتاجه كتلك التى وجدها ادباء المهجر فى نيويورك وسنستاتى فظهر انتاجهم وجاد وتكاملت له خصائص جعلت منه مدرسة عظيمة لها مكانها فى تاريخ أدبنا العربى . انما كان اقصى جهد الأديب العربى فى أمريكا الجنوبية ان ينشىء جريدة للجالية فى بلده ، ولا زالت هذه الجرائد والمجلات تصدر الى اليوم .

وظهر من بينهم كتاب وشعراء وصحفيون

ولكن الظروف العامة فى امريكا اللاتينية تحسنت من سنة ١٩٢٠ فصاعدا ، فقد استقرت

الحكومــات بعض الشيء وانقضى عصر الثورات والفوضى السياسية ، ولم يعد من الممكن ان ينهض رجل ويجمع حوله طائفة من المقاتلين وينفرد بجزء من البلاد ويحكمه مستقلا عن العاصمة كما كان يحدث كثيرا فى المكسيك وفنزويلا وكولومبيا وبيرو بل فى الارجنتين ، نعم ان السلطان الجديد قام بتاييد الولايات المتحدة ولخدمة اغراضهـا ، ولكنه اقر الامور فى كل ناحية تقريبا ، لان الزعماء العسكريين الذين كانت الولايات المتحدة تختارهم وتؤيدهم حتى يصلوا الى الحكم ، ثم تطلق لهم العنان فيفتكوا بخصومهم السياسيين ، أولئك الزعماء كانوا رغم جهل الكثيرين منهم وقسوتهم البالغة مع خصومهم السياسين ، يحرصون اشد الحرص على ضبط الامن وتيسير الامان للتجار والصناع واموالهم ، لان ذلك كان اهم ما يشغل بال الولايات المتحدة . ولهذا فقد نمت الثروات وتكونت رؤوس الاموال خلال هـذه الاربعين سنة الماضية،وافاد العرب من ذلك مغنما، فكلهم تجار ، وتحسنت أحوالهم ، ووجدوا المجال المناسب لنشاطهم ولملكاتهم ، فظهر من بينهم اصحاب الملايين ومن دونهم من اصحاب رؤوس الاموال ، وانتقل الكثيرون منهم الى الصناعة ، فانشاوا المصانع الكبرى فى كل ناحية تقريبا ، وتجمع الناجحون من أهل كل جالية وانشاوا ناديا ، وفى بعض الاحيان تجد فى البلد الواحد اكثر من ناد : واحد للبنانيين وآخر للفلسطينيين وثالث للسوريين ، وفى احيان اخرى تجد النوادى بحسب العقيدة، فناد للموارنة وناد للارثوذكسيين وناد للسنة وناد للشيعة وآخر للدروز . وفى ناحية واحدة وجدت ناديا للاغنياء فقط ، ففى بوجوتا عاصمة كولومبيا تجمع الموسرون من اللبنانيين وانشاوا لانفسهم ناديا رصدوا له مئات الالوف من الدولارات ، وقصروا العضوية على من يسهم فى الانشاء بمبلغ طائل ، وعندما وصلت بوجوتا فى خريف ١٩٥٦ وجدت ابناءنا شباب المهاجرين الفلسطينيين منكرين لهذا التصرف أشد الانكار ، فاستعنت برجل من خيرة افـراد الجالية السورية هناك ، المرحوم توفيق قرنفلى وبابنه الاستاذ ادواردو قرنفلى وصديق له هـو الاستاذ الفونسو ملتوك ، وهما من كبار رجال المحاماة والسياسة هناك ، وكلاهما أستاذ جامعى، وانشانا لاولئك الشبان ناديا . ومن الاريحيـة العربية التى تروع النفس انني عندما أردت اداء اجر الفندق عند الرحيل وجدت أولئك الشبان الذين يشقى الواحد منهم ليجمع قرشا عـلى قرش قد دفعوا عنى الأجر وهو كبير ، فاخـذت مبلغه وقدمته مساهمة لناديهم ، والفقير فى كل مكان للفقير .

الجالية الحمصية .. فى سان باولو

وفى هـذه النوادى قـام نشـاط أدبى فكرى محمود ، ووجد أدباء المهاجر اللاتينية المجال فى الصحف والمجلات التى انشئت فى بلادهم ، ولم تظهر هذه الحركة فى صورة اروع مما ظهرت فيه فى سان باولو ثانية مدن البرازيل ، فقد استقر فى ذلك البلد نفر من الحمصيين تآزروا وتعاونوا وخدمتهم ملكاتهم ، فاذا بجاليتهم هنـاك تصبح من اقوى الجاليات فى البلد ومن اعظم جاليات العرب فى ارض المهاجر ، ويقال ان عدد الحمصيين فى سان باولو اكثر من عددهم فى حمص نفسهـا ، وربما كان ذلك مبالغة ، ولكن الذى لا مبالغة فيه هو ثروة الحمصيين فى سان باولو تزيد على ثروة مدينة حمص بمراحل ، وهؤلاء الاخوة البررة لا ينسون بلدهم حمص ، فانشاوا فيها المـدارس والمستشفيات والملاجىء ، وناديهم ــ نادى حمص ــ فى سان باولو افخـم نوادى العـرب فى أمريكا اللاتينية ، وربما كان النادى اللبنانى فى ريو دى جانيرو اوسع منه واحدث ، ولكن نادى حمص مدرسة أدبية كبرى ومركز اشعاع ثقافى عظيم ، وقد كان لى شرف الاسهام فى الاحتفال الـذى اقاموه لذكرى مرور أربعين سنة على انشائه فى ١٩ مايو سنة ١٩٦٠ .

شاعر مهجرى يتهكم !

وفى ذلك اليوم أتيح لى أن القى أكبر شـاعر مهجرى يعيش فى العالم الجديد اليوم ، وهو الياس فرحات ، الشاعر المبدع الساخر الطائر الصيت فى بلاد العروبة جميعا ، وديوان شعره مطبوع متداول ، وهو فيلسوف يسمو فى شعره الى آفاق الفطاحل من شعراء العربية ، ولا انسى بيتا له انشدنى اياه فى مطار سان باولو ، قـال يسخر من الانجليز والامريكيين :

كيف أنساهم أنسى فضلهم ؟
أخذوا الزيت واعطونا اليهودا ..
والزيت هو البترول .

وفى سان باولو اليوم مسجد اسلامى عظيم ، انشاه المؤتمر الاسلامى ، وقد شهدت حفل افتتاحه وصليت مع اخوانى أول جمعة صليت فيه .

عندما يصبح « عبد الله » « أتالا » ..

ويدهش الزائر لبلاد أمريكا الجنوبية اذ يجد ان الغالبية العظمى من افراد الجاليات «مسلمين ونصارى ، قد أخذوا اسماء اسبانية ، أو حرفوا أسماءهم والقابهم بحيث أخذت صورة عربية ، وقد اضطرت أجيالهم الأولى لذلك اضطرارا ، لان السلطات هنالك لا تعترف الا بالأسماء الاسبانية الكنسية التقليدية ، حتى الانجليز والالمان والفرنسيين لم يجدوا مفرا من تحوير اسمائهم لتأخذ صورة اسبانية ، فادوارد أصبح ادواردو وكارل أصبح كارلوس ، ورينيه أصبح ريغانو ، ولكن الأسماء العربية لا تقبل هذا التحوير ، ولا مفر من احد أمرين ، اما اتخاذ اسم اسبانى بدل العربى ، أو ترجمة الاسم من العربية اذا كان ممكنا ، واليك بضعة امثلة :

توفيق : تيوفيل . يوسف: خوسيه . اسكندر: اليخاندرو. عيسى: سلفادور . عبد ربه : امادور. سعيد : فيليكس . حنا : خوان . بشر : مانويل . جورج : خورخى . عزيز : امادو .

وكان ذلك عاما بالنسبة لأهل الجيل الأول من المهاجرين ، فيندر ان تلقى رجلا ممن جاوز الستين هنالك الا وجدت اسمه قد أصابه هذا التحريف ، ولكن أهل الأجيال الأحدث استمسك الكثير منهم باسمائهم العربية، فتجد اغلب الكهول ممن تتراوح أعمارهم بين الخامسة والاربعين والخامسة والخمسين يحملون أسماء سعيد ونجيب وسليم وسليمان وابراهيم وما اليها .

غير انه اذا كان قد أمكن الاحتفاظ بالأسماء العربية كما هى ، فان الالقاب لا زالت الى الآن ضحية تحريف شديد ، وانت تجهد نفسك لتصل الى حقيقة لقب مثل « مشلى » حتى يقال لك انه مصلح ، وكذلك الحال فى « أتالا » عبد الله ، و « جيا » جحا و « ريما » الريماوى و « نيمى » نعمة وما الى ذلك .

ولم يحيرنى اسم كما حيرنى اسم مواطن عربى جاوز السبعين من عمره يعرفه كل ابناء عمنا فى سانتياجو عاصمة شيلى ، فقد كانوا ينادونه « دوق اليجريا » ولم اسمع فى حياتى باسبانى يسمى بهذا الاسم اللطيف ، حتى تبينت انه ترجمة لاسمه العربى الأصلى : فرح ! والترجمة صحيحة الى حد ما ، ولكنها تقع من النفس موضع النكتة !

ابناؤهم عرب القلوب وان كانت السنتهم غير معربة

والكثيرون منا يتخوفون على مصير عروبة الجيل الجديد من ابناء العرب فى أرض المهجر ، بل هناك من يزعمون انهم لم يعودوا عربا ! وليس ابعد عن الصواب من مثل هذا الخوف . صحيح ان قليلين جدا من افراده يعرفون العربية . وصحيح أيضا انهم ، وقد ولدوا فى جمهوريات أمريكا اللاتينية ، وتربوا فيها ، فقد نشأوا ارجنتينيين أو شيليين او كولومبيين أو برازيليين، وتخرجوا فى جامعات بلادهم واصبحوا مهندسين ومحامين واطباء ورجال مال وسياسة منصرفين بنشاطهم كله الى أوطانهم الجديدة ، ولكن القومية عندهم لم تتوقف أبدا على اللغة او ميدان الحياة، انما هى احساس ، وهؤلاء الشباب الذين يجدون لذاتهم يفخرون باصولهم الانجليزية أو الايرلندية او الاسبانية أو الالمانية ، يحرصون أيضا على ان يفخروا باصولهم العربية ، ومن حسن طالعهم انهم دخلوا مداخل الشباب والرجولة فى عصر نهضة العرب الراهنة وارتفاع مكانهم ومقامهم فى الدنيا ، فبينما كان اجدادهم يتكلمون العربية ويسميهم الناس أتراكا ، اذا بهم لا يتكلمون العربية ولكن الناس يسمونهم عربا ، ويرون فيهم ممثلين لشعب ناهض مجيد ، وهم لهذا أشد عروبة من أولئك الأجداد ، قلوبهم تخفق على وقع أحداث الوطن العربى الأكبر ، وآمالهم تلتقى مع آمال اخوانهم فى بلاد العروبة . بل هم فى كثير من الأحيان ينعون على آبائهم الانصراف الكامل لشئون التجارة والمال ، وينشئون جمعيات عربية الروح والاسماء ، ومن كان فى شك من هذا فليذكر النادى الاسلامى فى بوينس ايرس ، وجمعية « الجامعة العربية » فى عاصمة المكسيك ، وكلاهما حصن من حصون العروبة . ■■

حسين مؤنس

طرائف عربيّة

جحا وشيخ البلد

● تخاصم جحا مع شيخ البلد .

فلما توفي الشيخ قيل لجحا : تعال واقرأ له التلقين .

فقال : انه مخاصمي ، ولا يسمع كلامي ، فهاتوا له شخصا آخر !!

النظر الى الثقلاء

● قيل لسليمان الأعمش : مم عمشت عيناك ؟

فقال : من النظر الى الثقلاء!

قينة وشاعر

● قال أبو العيناء : ذكرت لبعض القيان فعشقتني واحدة على السماع ، فلما رأتني استقبحتني ، فقلت :

وشاطرة لما رأتني تنكرت ... وقالت : قبيح ، أحول ، ماله جسم

فان تنكري مني أحولا لا ، فانني ... أديب ، أريب ، لا عييٌ ، ولا فدْم

ذكاء اياس

● دخل اياس بن معاوية الشام وهو غلام صغير ، فقدم خصما له الى بعض القضاة ، وكان الخصم شيخا ، فصال عليه اياس بالكلام .

فقال له القاضي : خفض عليك فانه شيخ كبير .

قال : الحق اكبر منه .

قال : اسكت !

قال : فمن ينطق بحجتي ؟!

قال : ما أراك تقول حقا .

قال : لا اله الا الله !

فدخل القاضي على عبد الملك فاخبره ، فقال له : اقض حاجته الساعة ، واخرجه من الشام لا يفسد أهلها !

الفرار من

● قال احمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحاق الكندى كنت يوما عند العباس بن خالد ، وكان ممن حبب الله اليه أن يتحدث ، فاخذ يحدثني ، وينتقل من حديث الى حديث ، وكنا في صحن له ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا الى موضع آخر ، حتى صار الظل فيئا . فلما اكثر واضجر ، ومللت حسن الأدب في حسن الاستماع ، وذكرت قول

الجبـــان والشجاع

● موت الجبان فى حياته ، وحياة الشجاع فى موته ، فموتوا لتعيشوا ، فوالله ما عاش ذليل ولا مات كريم .

(المنفلوطـي)

عروة بن اذينة

● روى مصعب بن عبد الله الزبيرى عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزبيرى قال : كان عروة ابن اذينة نازلا فى دار ابى بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه :

ان التـــى زعمـت فـؤادك ملهـــا ... خلقـت هــواك كمــا خلقت هوى لها
فيك التى زعمت بهــا وكلاكمــا ... ابـدى لصاحبه الصبابة كلهـــا
ولعمرهـــا لو كـان حبـك فوقها ... يوما وقـــد ضحيت اذن لاظلهـــا
فاذا وجدت لهـــا وساوس سلوة ... شفع الضمير الى الفـؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيـم فصاغهـــا ... بلباقـة فادقهـــا واجلهـــــا
لما عرضت مسلما لـي حاجة ... أخشى صعوبتهـــا وأرجـو ذلهـا
منعت تحيتهـــا فقلت لصاحبي : ... ما كــان اكثرهـــا لنـا واقلهــا
فدنا وقـــال : لعلهـــا معذورة ... فى بعض رقبتهـــا ، فقلت : لعلهـــا

زهد عمر بن عبد العزيز

● امر عمر بن عبد العزيز رجلان يشترى لـه كساء بثمانية دراهم ، فاشتراه له فأتاه به فوضع يده عليـه وقــال : ما الينه ، واعجبه ! فضحـك الرجل الذى اشتراه لما سمع .

فقال له عمر : اني لاحسبك احمق، اتضحك من غير شيء ؟

قال : ما ذاك بي ، ولكنك أمرتني قبل ولايتك ان اشترى لك مطرف خز ، فاشتريت لك مطرفا بثمانمائة درهم،فوضعت يدك عليه ، فقلت : ما اخشنه ! وانت اليوم تستليـن كسـاء بثمانية دراهم ، فعجبت من ذلك ، واضحكني .

فقال عمر : ما أحسب رجلا يبتاع كساء بثمانمائة درهـم يخاف اللـه عز وجل !

الحديث المملول

الأوزاعي ان حسن الاســتماع قـوة للمحدث ، قلت له : اذا كنت وانا اسمع قد عييت مما لا كلفة علي فيه ، فكيف اراك وانت المتكلم ؟ فقــال : ان الكلام يحلل الفضول اللزجـــة الغليظة ، التى تعرض فى اللهـوات ، واصل اللسان ، ومنابت الأســنان . فوثبت وقلت : لا اراني معك اليوم الا وانت تتفرغ بي ؛ فاجتهد فى ان اجلس فلم افعل .

للشاعر حسن السوسي
بنغازي — ليبيا

شيبةٌ لاحت برأسي   منعت جنبي قرارهْ
أفعمت قلبي أشجا   ناً ويأساً ومرارهْ
عرفوها : لتولّي   زهرة العمر إشارهْ
انما الشيبة في الرأ   س هشيمٌ وشرارهْ

★★★

هكذا قلنا فقالوا   إن للشيب اعتبارهْ
هو للحكمة والحنكة   والعقل « أمارهْ »
فدفعنا : إنه ، مهما   يكنْ ، أصلُ الخسارهْ
رُبَّ ذي ستّين تلقى   فيه طيشاً وغرارهْ
وأخي عشرين تلقى   فيه حلماً ومهارهْ
إنّ من ظنّ بأن الشيب   مقياسُ الجدارهْ
مُخطئٌ ، أحسبه ، في   سرّه ، يلعنُ « كثارهْ »

★★★

أنا إنسانٌ له قلبٌ   أذابته الحرارهْ
شاعرٌ ... قد جعل الصبوة   بالحسن شعارهْ
تستبيه المقلة الحوْ   راءُ ان أبدت إشارهْ
واعتدالُ الغصنِ لمّا   يُظهرُ الغصنُ ثمارهْ

والشِّفاهُ السُّمرُ قد أوْ دَعَها النَّحلُ ادِّخارَهْ
والمُحيَّا فيهِ إشرا قٌ وزهوٌ وطَهارَهْ

★★★

هكذا كنتُ ولمَّا ينشرِ الشَّيبُ نِثارَهْ
أبصِرُ اليأسَ رجاءً وأرى القفرَ عِمارَهْ
وأرى في الزَّهرةِ الفيْحاءِ دكّانَ عِطارَهْ
وأرى في النجمةِ الزَّهراءِ أفلاكاً مُدارَهْ
وأرى في بسمةِ الحسْناءِ دُنيا مستنارَهْ
وأرى إذْ أبصِرُ العُنقودَ، كأساً وعصارَهْ

★★★

وصحوْنا بعدَ سُكْرٍ قد مضى إلاّ خُمارَهْ
فإذا الغابِرُ حُلْمٌ أكثرُ القلبِ ادِّكارَهْ
وإذا المُقبِلُ غيْبٌ دونه قامتْ سِتارَهْ
وإذا الحاضرُ أشجا نٌ ويأسٌ ومَرارَهْ
وإذا بالزَّهرةِ الفيْحاءِ شِلْوٌ في قَذارَهْ
وإذا بالبسْمةِ الحُلوةِ دُنيا من دَعارَهْ
وإذا العنقودُ قد جَفَّ وما استوفى اخضِرارَهْ

★★★

هكذا صِرْتُ وقد ألبسَنِي الشَّيبُ وقارَهْ
لا أرى شيئاً جميلاً فيه حُسنٌ ونَضارَهْ
فكأنّي أُبصِرُ الدُّنيا بعيْنٍ مُستعارَهْ

الحصان

بقلم: الدكتور أحمد زكي

■ كنت اعبث فى أوراق لي قديمة ، وكتب عتيقة . ووقعتُ من ذلك على كتاب للصبية . كتابٍ به من الاقاصيص الالمانية والأساطير شيءٌ كثير .

ووقعت منه على اقصوصة ، هي ضُمِّنت كتابا للصبية ان شئت ، ولكن كاتبها هو الكاتب الالمانى الكبير الشهير ليسنج Lessing . وهو ولد فى القرن الثامن عشر ، عام ١٧٢٩ ، ومات فيه قبيل الثورة الفرنسية عام ١٧٨١ . وهى اقصوصة لا تتصل بالثورة الفرنسية ، ولا بالسياسة ولا بالحروب قط . انما هى تتصل بذلك الحيوان الشهير الذى يعيش بيننا ، ونسميه الحصان . ونستصغر هذا الاسم له فنسمّيه الجَواد . واحيانا نسميه بالفرس . فالذكر منه فرس ، والأنثى منه فرس كذلك . وقد نقول فرسة .

واقصوصة هذا الكاتب الالمانى الشهير تتصل بالحصان من حيث الخلق ، واشكال الخلق وحظوظه ومقدراته .

واختصارا هي هذه :

القصـــة

شكا الحصان خلقته الى رب الارباب ، زَيُوس (على عادة الاساطير اليونانية) . قال وهو يقترب من عرش الرب :

ــ يا خالق الانسان والحيوان ، ان الناس تقول ان الخيل من اجمل الحيوانات التى زيّنتَ انت بها الدنيا . وانا أومن بالذى يقولون . ومع هذا هل وقف بك التحسين ، يارب الارباب ، عند هذا . اليس لنا عندك ، نحن معشر الخيل ، احسنُ مما صنعت ؟

فقال الربُّ :

ــ وماذا تريد ان اصنعه بك لتزيد حسنا ؟

قال الحصان :

ــ لعلي اكون اسرع فى الجرى لو ان سيقانى طالتْ وانفتلت . ولعلَّ صدرا اوسع وارحب يزيد فى قوتى .

ولعل رقبتى ان طالت فلن تعدم جمالا . لم انك قضيت عليَّ فى قديم حكمتك بان احمل الرجال ، فما عليك الا ان تصنع من ظهرى برذعة تليق بالاكرمين من بني الناس .

فقال رب الارباب :

ــ اذن فصبرا . لحظة واحدة ، تنال بعدها ما تريد .

وما نطق الرب ، بكلمة كُنْ ، حتى كان ما اراد . وبغتة وقف امام عرش الرب مخلوق غريب الخلق عجيب :

انه الجمل .

فما وقع بصر الحصان على هذا المخلوق الجديد حتى اخذ يرتعد خوفا وهلعا مما راى . عندئذ صاح به الرب :

ــ هاهنا سيقان عالية مفتولة . ها هنا رقبة طويلة . هاهنا صدر اوسع . هاهنا ظهر اعلى وأرفع . فهل تريد يا حصان ان ابدّل من خلقك لتكون كهذا .

ولم يستطع الحصان جوابا . وانما ظل يرتعد .

فقال له رب الارباب :

اذن فاذهب . هذه المرة لتعليمك ولتفطينك ،

• هو للانسان معوان وزينة
• هل تنقرض الخيل فلا يجدها الأحفاد إلا في السرك وحدائق الحيوان؟
• الحصان والحمار أبناء أعمام

فلا عقاب عليك . ولكن اذكرْها ، ولا تعد اليها . وارْضَ بما قسم لك الله .

والقى الرب نظرة الى الجمل . أما الحصان فما كاد يلقى عليه بنظرة اخرى حتى عاد جسمه يهتز

قصة تحزن لها الاباعر

قصة يفرح لها قبيل الخيل جميعا ، كما يحزن لها كل بعير . ولكن يقلل من حزن الاباعر والضالعين معهم ،ان الجمال والقبح فيما يراه الانسان من جمال وقبح فى هذه الدنيا ، انما هو من صنع نفسه . انه جمال من صنع الانسان . انه جمال اشكال والوان . واجمل من جمال الشكل ، واكثر دواما ، جمال الحقيقة .

والحقائق التى تكمن وراء الجمل تضع الجمال فى المرتبة الاولى من الجمال . لمَ علتْ ساقه ؟ لم تلحّم خفه ؟ لمَ انشق مشفره ؟ لم كان سَنامه ؟

كل هذه حقائق وراءها من اسرار الخلق شيء عجيب ... جميل .

همّنا اليوم الحديث عن الخيل

ليس من همنا اليوم الحديث عن الاباعر ، ولكن من همنا الحديث عن الخيل .

ان اسم العرب ، عند سكان الارض ، يقترن دائما بالصحراء ، وبالجمل ، ذلك الذى اسموه سَفين الصحراء . ولكنه يقترن كذلك بالخيول العربية الاصيلة . وان يكن العرب قد نزحوا قديما وحديثا الى انحاء من الدنيا غير قليلة ، فقد نزح الدم العربى ،مُمَثّلا فى هذه الخيول العربية ، الى كل بقاع الارض .

وميادين السباق ، فى مواصم الغرب، لا تأخذ أنت العربىّ مجلسك فيها ، بين الالاف المؤلفة من الناس ، وتمر أمامك افراسُ السباق لتنظر اليها ، حتى تذكر من اشكالها ، ومن جميل خطوها ، ومن دقة سيقانها ، وضمور أجسامها ، تلك

عندئذ صاح رب الارباب : « هاهنا سيقان عالية مفتولة . هاهنا رقبة طويلة ... »

الآباء العربية القديمة التى منها انحدرت ، تلك التى يقول فيها المتنبى :

اعزُ مكانٍ فى الدُنا ظهر سابح
وخيرُ جليس فى الزمان كتاب

والسابح عنده هى الفرس التى تسير بك فكانما تجرى بك لسلاستها فى ماء .

صناعة التنسيل

ولقد ضرب اهل الغرب مثلا للعلم ، والفن ، كيف يطبق صناعةً على الاشياء، فيجعل منها أشياء خيرا عشرات المرات مما كانت .

وكما فعلوا فى الاشياء فعلوا فى الاحياء

هكذا فعل اهل الغرب فى الفرس العربى . ان الفرس العربى الذى نسلوه اليوم ، يفوق الفرس العربى الخام ، فى السرعة ، مع الصبر ، مرات عديدة . وتلك صناعة . وكاد هذا الفرس من بعد صناعة ان تبلغ قيمته مقدار ثقله وزنا .

الفرسان الشهيران : محمودُ وبهرام

قرات منذ أيام فى تاريخ أغا خان ، الشيخ الراحل ، انه اضطر ، أثناء الحرب العالمية الثانية الى ان يبيع اثنين من أحسن خيله ، « محمود » و « بهرام » . وقدّر لهما الخبراء ثمنا تراوح بين ١٧٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ جنيه !! انها بعض احصنة كانت عنده منسّبة ، قضى فى تنسيلها من عروق عربية صافية ، فى الريف الانجليزى ، ٢٠ عاما ، من عام ١٩٢١ ، الى ان قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ . وبعضها نال قصب السبق فى سباق « الدربى » Derby العظيم ثلاث مرات متتالية . وقيل له فى ذلك الثمن العالى ، فقال انا انما ابيع سلالة صافية من دم انحدر من فرس نابه الى فرس اكثر نباهة ، وسوف ينحدر .

قرات هذا وجال فى خاطرى : لو ان الانسان يُستنسل هكذا، اذن لانتج العباقرة من كل صنف.

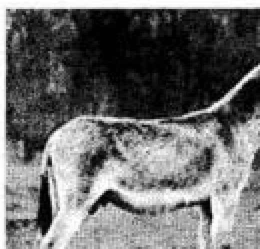

→

الحمار : خادم للانسان على مر الدهور مطيع

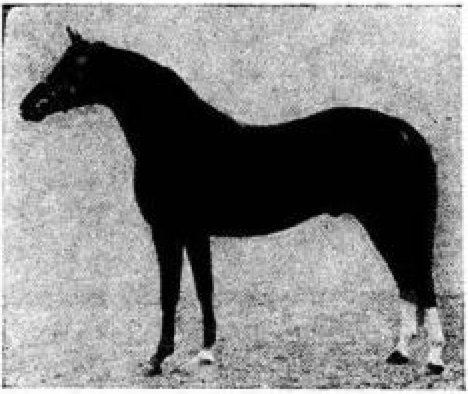

من انسال الخيل جميعا ، نجد الجواد العربى لا يزال اقدمها ، واجملها . وهو الجواد الذى كان له أكبر الأثر وأوسعه فى تحسين اكثر انسال الدنيا من الخيل ..

العبقرية صنوف

وقلتُ العباقرة من كل صنف ، لان العبقرية اصناف . انها عبقرية فى صفة من صفات جسم ، او عبقرية فى صفة من صفات عقل ، او نفس .

ولقد اوضح علماء الوراثة ان الوراثة لا تعود الى « الدم » كما قال الاغاخان ، وكما يقول الناس ، فى احاديث جرت بها عادة الكلام عبر القرون ، وتسبق الى كل لسان ، حتى لسان العلماء ممن هم فى هذا الشان اولون .

ان الوراثة تعود ، كما قلنا كثيرا فيما نكتب هنا ، الى الكروموسومات ، وما بها من جينات ، هى اصول الخلق التى توجد فى بويضة المراة ، والحيوان المنوى للرجل . ويلتحمان فيكون منهما الانسان ، ومعه المخطط الذى سوف ينشا عليه .

وفى التنسيل ، من جيل من الحيوان لجيل ، يجرى الاختيار الذى به تتقدم الأنسال . تتقدم فى صفة واحدة او صفات مترابطة ، ترتبط بصفة عامة هى فى حصان السباق خفة الجسم وضمور البطن وقوة القوائم ، تلك التى يؤدى مجموعها فى الحلبة الى الوصول الى الغاية قبل الآخرين .

وتنسيل الخيل للسباق غير تنسيلهم للجرّ الخفيف . وغير تنسيلهم للجر الثقيل .

الحصان والحمار من اصل واحد

والحق ان الخيل فى مجموعها الان قد تصنّفت . هى قد تصنفت منذ اجيال طوال ، منذ عشرات الالوف من السنين .

ولو اننا ذهبنا فى الاصول بعيدا لجمعنا بين الحصان والحمار فى آباء عتيقة واحدة . ولا تعجب من ان الحمار والحصان ابناء اعمام . انهما افترقا فى الخلق حتى كاد ان ينقطع ما بينهما ، ولكنه لم يكد . ودليل ذلك ان الحصان يتصل بالأتان (الحمارة) فتلد البغال . وحتى الحمار قد يتطلع الى مراتب اعلى ، فيتصل بفرسة ، وقد تلد ، ولو انه يندر حدوث هذا .

أن من الدلائل على وحدة الجنس امكانَ حدوث التوالد بين طائفتين من الحيوان . ولقد كان هذا من الادلة القاطعة على وحدة البشر ، فما من رجل ، باى بقعة من الارض ، يتصل بامراة ، باية بقعة من الارض اخرى ، على اختلاف شكل ، واختلاف لون ، الا اولدها غلاما أو غلامة .

وانت لا تستطيع ان تجمع على مثل هذا فرسا وناقة ، ولا نمرا ولبوة . وذلك لاختلاف الجنس .

الخيل والحمير اذن كانت جنسا واحدا ثم افترقت . بهذا يحدثنا العلماء

والخيل ، كبنى الناس ، صنوف متباينة

والخيل جنس ، قد تفرغ الى صنوف ، كما يتفرغ الجنس الواحد ، وفقا للارض التى وقع عليها او التى رحل اليها ، ووفقا للمناخ ، ووفقا لما عودها الانسان من عادات تتصل بحاجات الانسان نفسه ، حاجات عيشه، واهداف هذا العيش .

الخيل اتخذت اولَ الامر طعاما

واتخذ الانسان الخيل ، اول اتخاذ ، من اجل لحومها . والى اليوم هى تؤكل . تجدها فى اسواق باريس واسواق لندن وعواصم الغرب خاصة. وهكذا انا وجدتها ، ووجدت لها هناك عقب الحرب العالمية الماضية دكاكين جزارة خاصة ، وقف الجمهور امامها ينتظر كلٌ دوره فى الشراء .

الافراس الخفيفة

ومن الافراس الخفيف . والفرس الخفيف صنوف . منه الذى يصلح للجرى السريع فللسباق ، فهو طويل السيقان . ومنه الذى يصلح لرعاة الابقار .

ومنه الذى يصلح للبولو ، ووجب ان يكون حيوانا اصفر ، ليس الاندفاع اول صفاته ، ولكنه يقدر على السير الباغت ، والتوقف الباغت ، والالتواء السريع عن اى من جانبيه . واختصارا هو كما وصفه امرؤ القيس.

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معا
كجلمودِ صخرٍ حطّه السيلُ من علِ

والمرجح ان كل هذه الاصناف الخفيفة ، التى هذه صفاتها ، انحدرت

بالكشف عن الحفريات فى الارض ، عن بقايا احصنة فى عصور جيولوجية شتى ، ومن بعد دراسة ، خرج الانسان بعلم كثير عن تطور الحصان منذ نشاته الأولى على مدى ٥٥ مليون عام .

وهو بدأ صغيرا ، لا أكبر من كلب ، وكانت له فى قدمه اربع اصابع . ومضت ملايين السنين فزاد جرما . وبما انه عاش فى سهول مُعشبة مكشوفة ، تحيطه الاعداء ، فقد نما معه الجرىُ السريع عادة ، يجريه على أصابع ثلاث ، ثم اثنتين ، ثم واحدة .

وهو الآن يجري على ظفر هذه الاصبع . انه الحافر . والى جانب الحافر توجد عظمات نائتة صغيرة تدل على الاصابع التي انقرضت .

الحصان الثقيل شير ـ وهو اضخم الاحصنة الثقيلة . ويربى فى اقاليم انجلترا الوسطى، ويتميز بوجود خصل من الشعر عند سيقانه.

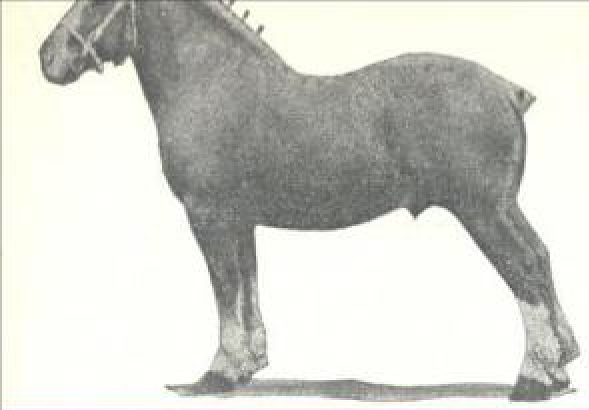

الحصان البلجيكي الثقيل منسل من اباء اوروبية، وله قوة فى الشد عظيمة. وهو الذى ركب اباءه فرسان القرون الوسطى بما على اجسامهم من دروع ثقيلة .

اول الامر عن الفرس العربى . حتى الاغريق والرومان ، وقد تركوا من خيولهم تماثيل قائمة بيننا الى اليوم ، نجد نحن فيما خلفوا من ذلك اشباها كثيرة للفرس العربى الاصيل ، لا سيما فيما يتصل بالراس وعلو الجبهة وانضمام الجسم .

ومن الافراس الخفيفة صنوف عديدة اخرى نسلوها وفقا لما يريدون منها من خدمات

الخيول الثقيلة العظيمة

والخيول الثقيلة تتميز قطعا عن الخيول الخفيفة فى اصولها . وهى خيول غريبة الحجم فى نظر الشرقى ، وقد ادهشتنا عندما رايناها قديما فى اوروبا اول مرة .

واصلها فى اوروبا ، وعلى الاخص ارض هولندا وبلجيكا والشمال من فرنسا . وهى هى الخيول التى كان يركبها فرسان اوروبا فى القرون المتوسطة ، وعليهم الدروع الفولاذية الثقيلة ، وركبها الصليبيون فى غزو الشرق ولم يكن للشرق بها علم .

واخترع البارود فصارت هذه الخيول الثقيلة لا تنفع فى الحروب ، فأحيلت الى المزارع تعمل للجر ، ولجر الثقيل من الاحمال خاصة . وتفننوا فى تنسيلها ، فعادت تنقسم هى الاخرى صنوفاً اخرى . منها الشيَر Shires والسّفلك Suffolks ، والبرشرون Percherons وكلها اسماء افرنجية لان النسائل افرنجية وموطنها اوروبا .

قوة عشرين ومائة حصان ...

واستخدام الخيول فى جر الاثقال يذكرنا باتخاذ الحصان وحدة لتقدير القوى ، حتى فى عصر المكنات . فنحن الى اليوم نقول ان هذه السيارة قوتها عشرة احصنة ، وتلك قوتها عشرون حصانا . ونقول هذه المكنة قوتها اربعون حصانا ، وتلك مائة

والدقة العلمية تقلب علينا هنا ، وتحملنا على التنبيه الى ان استخدام لفظ « القوة » هنا استخدام خاطىء . فهى « القدرة » لا القوة .

ولكن ما علينا من هذه الدقة .

ان من فخر الحصان اعتراف الانسان بنفعه له ، وذلك باتخاذ قدرته وحدة لقدرة الطاقات جميعا ، ورحم الله جيمس وط James Watt ، المخترع الاسكتلندى (١٧٣٦ ـ ١٨١٩ م) الشهير المعروف بتنشئة الآلة البخارية ، الذى تحمل اسمه الوحدة الكهربائية التى تذكرها حين تقول ان هذا المصباح قدرته ٦٠ وطا او مائة او مائتان. رحمه الله اذ هو الرجل الذى اتخذ من قدرة الحصان مقياسا للقدرات جميعا : جاء بحصان من معمل البيرة الذى كان بجواره . ولبثت بكرة (انظر الشكل) . واجرى على البكرة خيطا ، اجرى نصفه افقيا حتى ربطه بهذا الحصان ، واجرى نصفه الآخر عموديا يهبط الى اسفل ، وقد حمل ثقلا مقداره ....١٠٠ رطل . وامر الحصان ان يمشى . ومشى الحصان ورفع الثقل ، رفعه ٣٢ قدما فى الدقيقة الواحدة . قال وط عندئذ :

حصان قزم من
احصنة شتلاند

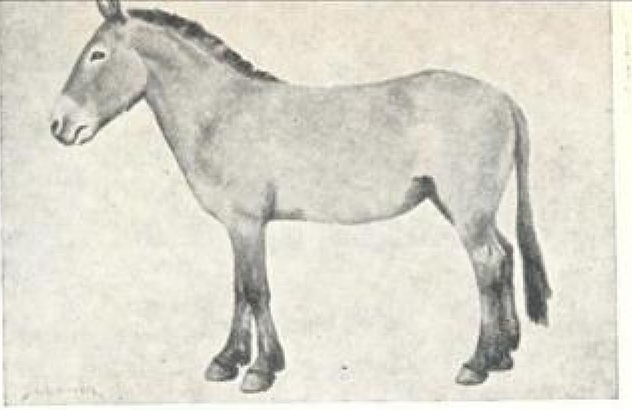

الحصان البري ، فى منغوليا ، تتمثل فيه
الآباء الاولى للخيل قبل تانيسها ..

فلتكن هذه هي الوحدة التي تقاس بها القدرة . اى قدرة ، لانسان ، لحيوان ، لآلة . واتخذ معاصروه هذا الحصان ، بهذه المقدرة ، وحدة . واتخذه من جاء من بعدهم من اجيال

ولست انكر ان هذه القدرة هي فوق قدرة الاحصنة فى مجموعها . ذلك ان وط اختار حصانا قويا اقوى من العادة . ولكن هذا لا يضر . ان الاتفاق على انها الوحدة هو ما يكسبها القوة ، وهو الذى اعطى قبيل الخيل الفخر ، واعطى الانسان الاحساس بنعمة الله التى انعم عليه بها ، تلك نعمة الخيل .

الخيول الصغيرة ، الاقزام

وهناك خيول صغيرة اشبه بالمهارى ، وما هى بها . انها صغيرة تشبه المهر صغرا ولكن المهر يكبر ، ولكن هذا هو غاية نمائها . كما تجد فى الرجال الاقزام تماما . غير ان القزامة ليست فى هذه الخيول بعاهة .

والفرس الصغير من هذا الصنف يعرف بالانجليزية باسم بونى Pony ، وهو كذلك بالفرنسية Poney . ولا اعرف له اسما عربيا ، ولعل هذا لان العرب لم تعرفه . وموطن هذه الافراس الغرب وهى صنوف تسعة أشهرها صنفان متميزان .

اقزام شتلاند Shetland Ponies

اقزام ويلز Welsh Ponies

اما اقزام شتلاند فيبلغ ارتفاعها نحو متر وعشرين سنتمترا ، ووزنها نحو ٢٢٥ كيلوجراما ، واصلها من جزائر شتلاند ، وهى فى الشمال من اسكتلندة . وهى جزائر بها البرد والقحط . ولعل هذا كان اصلا سبب وقوف نمو هذه الافراس عند احجامها تلك .

وهى على كل حال لا تصلح للسباق ، ولا لحمل الاثقال . ولكن لحمل الاطفال فى الملاعب وحدائق الحيوانات .

حصان « وط » ، وقد رفع ١٠٠٠ ... رطل مسافة ٣٣ قدما فى الدقيقة .
وقد اتخذت هذه القدرة وحدة تقاس بها قدرة المكنات ..

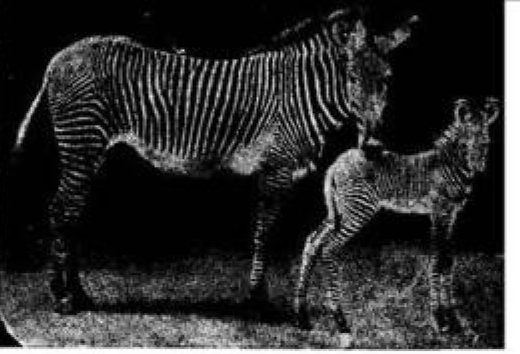

الزبرا : او الحمار المخطط . وهو للحصان نسيب . وموطنه افريقية . وهو لم يستانس ابدا ليخدم الانسان ..

ومثل اقزام شتلاند اقزام ويلز . انها اكثر ارتفاعا واثقل . فارتفاعها يبلغ مترا ونصفا، وثقلها قد يبلغ ٣٥٠ك.جم.
من اجل هذا هي اشد ، وهي للصبية الكبار ركوبة ذلول .

ولكنها في مناجم الفحم ببلاد ويلز (ببريطانيا) تستخدم لجر الاثقال في هذه المناجم تحت الارض . انها تجر عربات الفحم محملة ، من حيث يستعدنون الفحم ، الى حيث يرفع الى الارض .

ولهذه الافراس اتعس حظ . فهي قد لا ترى النور ابدا . منها ما ينزل الى المنجم صغيرا ، ثم يكبر فلا يسهل اخراجه ، فيظل حيث هو حتى يأتيه الاجل .

خبر قرأته

اذكر اني ، منذ شهرين او ثلاثة ، قرات خبرا ، عن قرية في ويلز ، بها مناجم للفحم . وتعطلت مناجمها لسبب ما ، وطال التعطل ، فأخرجوا اقزامها من الخيل الى سطح الارض . وظلت ترعى في حقولها اياما طالت . ثم بدات المناجم تعمل ، وحان للاقزام ان تعود . فحدث ان احد هذه الخيول ابى العودة . وبلاحقونه فيفرّ . ويمسكون به ، حتى اذا بلغوا به مدخل المنجم اهتاج ، وعنّف، وفرّ. واخيرا لم يجدوا للموقف حلا الا ان اطلقوا عليه الرصاص فمات .

والسبب ؟ انه جُن !!

هكذا يحكم الناس

عندهم ان طلب الحرية ، يطلبه ابن آدم ، عقل

اما طلب الحرية ، يطلبه حصانٌ قزمٌ ، فجنون

الدنيا تضيق بالخيل

انا لو عدنا بالخيل ، بضعة قرون من التاريخ الى الوراء ، لوجدنا ان الدنيا كانت ، لمعشر الخيل ، كلها زين . ولوجدنا الانسان يعطي الخيل اكبر عناية . ذلك لانها كانت حاملته في الحرب ، مسرعة به عند هجوم ، مسرعة به اذا تأزمت الحال وكان لابد له من هروب . وترتفع به الى قمم الجبال . وتهبط به الى الحضيض من الوديان . وان كان ماء في الطريق مرقت فيه ، وقد تسبح .

والخيل كانت على السلم خادمة الانسان ، تعمل في حقل ، وتحمل الاثقال في طريق ، وكانت بعض زينة الانسان .

ثم تغيرت الدنيا ، فتغيرت الحال بالخيل . في الحقل حلتْ محلّ الخيل الجرّارات ، تمهّد الارض وتحرث ، وتبذر وتحصد . وفي الطريق قامت السيارات مقام العربات التي تجرها الخيل . السيارات تنقل الناس . والسيارات تنقل البضائع . واقتصر عمل الخيل على الجر القريب المتقطع . وذلك في الامم المتقدمة . اما الامم المتخلفة فقد احتفظت بالخيل تقيم به فقرها ، وتعطيها من فقرها . وفي الحروب صارت الخيل هدفا سهلا ، ولهذا استبعدت وحلت محلها الدبابات .

ان المدنية الحديثة ترمي بالخيل وراء حدودها . ولو اطّرد الحال ، اذن لجاء اعقابٌ لنا بعد عشرة اجيال ، يسألون عن الخيل ، فيقال لهم : تجدونها في السِّرك ، او في حدائق الحيوانات . . او في ميادين السباق . هذا ان كان الانسان عندئذ لا يزال يلهو بسباق الخيل . ■■

احمد زكي

الشاعر الطارد

بقلم : الدكتور حسين نصار

■ انهـا ظاهرة لفتت الأنظار قديما ،ولا زالت تجذبهـا اليها . وهي ظاهرة ما زالت تثير العجب والاعجاب . ولستادرى اهي وليـدة البيئة العربية ، ام الحياة العربية ، أم الدم العربي ، فتكونظاهرة عربية خالصة ، ام هى وليـدة الحياة البدوية اين كانت ومتى كانت ،فتعم اذن العرب وغيرهم .

تلك ظاهـرة الصـلة بـين العربيوالشعر . فمنذ أقـدم العصور التي نعرفها والى أحـدث الأزمان وهمـاصديقان لا يفترقان . فما من عربى الا الشعر فى عقله الواعى او الباطن ، وما منمجلس عربى الا الشعر دائرة على السنة اصحابه .

وكان العربى لا يستطيع ان يتصـور رجلا من الأعـلام لا يقدر على قـول الشعر . يروى لنا الرواة ان النعمان ابن بشـير الانصـارى خرج فى حداثته فى ركب من قومـه قاصـدين الشـام ، فنزلوا بأرض من الأردن تسمى « حفير » يسكنها بنو القين ، فأهدت لهم امرأة منهم تسمى ليلى هدية ، فبينا القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء ، اذ قال أحدهم : « يا نعمـان ، هل قلت شعرا ؟ » قال : « لا والله ما قلت . فقال شيخ من قوم النعمان » : لم تقل شعرا قط ؟ ! » قال « لا » فبدر قائلا: « فأقسم عليك لتربطن الى هذه الـرحة ، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم او تقول شعرا» . فقال النعمان وهو مقيد يذكر ليلى والأماكن التى مروا بها :

يـا خليلى ودعـا دار ليلى
ليس مثلى يحل دار الهـوان

ان قينيـة تحل محبـا
وحفـيرا فجنتـى ترفـلان

لا توانيك في المغيب اذا ما
حال من دونها فروع فنان
ان ليلى ـ ولو كلفت بليلى ـ
عاقها عنك عائق غير ... وان

حتى آدم وابناؤه كانوا شعراء !

هذا كان شأن العربى مع الأحياء من قومه الذين يستطيع ان يقوم اعوجاجهم ـ فى نظره ـ ويهديهم الصراط السوى ، ويرغمهم على المشاركة فى قول الشعر . اما شأنه مع غير الأحياء من قومه بل من غير قومه ممن ارتبط بهم بصلات وثيقة ، فكان أعجب. اذ لم يستطع ان يتصورهم عاجزين عن الشعر ، فنظم هو الشعر ، ونسبه اليهم . فجاءنا شعر كثير منحول مروى على السنة اعلام العرب القدماء ، بل على السنة آدم وابنائه الاقدمين . واعجب من ذلك ان يتصور العربى الجن فى شبه الجزيرة العربية تعيش حياة على النمط العربى ، فلا تنسى الشعر ، وتشارك فيه مشاركة طيبة .

كل هذا جعل القدماء من الدارسين خاصة يؤمنون بأن الأمة العربية كلها شاعرة ، وان كل عربى شاعر بطبعه وسليقته يكفى أن يصرف همه الى الشعر فاذا هو ينساق اليه انسياقا .

وطبيعى الا يستطيع الرواة والمؤرخون والدارسون متابعة هذا الخضم المترامى الأطراف من الشعراء ، فتتركز انظارهم على جماعة ، وتمر سريعا على جماعة ، ولا ترى من جماعة الا اسماءهم ، وتفلت منهم جماعة بل جماعات .

هلال بن الأسعر

ومن الذين كاد يطوى الاهمال ذكرهم الشاعر الذى اتحدث عنه اليوم ، اذ لم يعن به سوى ابى الفرج الاصفهانى صاحب كتاب الأغانى ، فعقد له فصلا من كتابه ، أورد فيه أكثر ما نعرفه من اخباره .

كان « هلال بن الأسعر » من بنى مازن من قبيلة تميم . وعاش فى البادية فى العهد الأموى ، ويظن أبو الفرج انه ادرك الدولة العباسية أيضا .

ونظم الشعر ، دون فيه أخبار حياته ، ومدح من احب ، ورثى من فقد ، وعاتب من لام ، وهدد من ابغض ، فكان سجل حياته .

وسخت الطبيعة على هلال ، فمنحته بسطة فى الجسد . فكان ماردا عظيم البناء ، مديد القامة ، يهول من يراه طولا وعرضا ، حتى قال عنه ابو عمرو بن العلاء : « رايت هلالا بن اسعر ميتا ولم اره حيا ، فما رايت احدا على سريره اطول منه » !

كان ياكل ما يكفي وليمة !

وكان لهذا الجسد الضخم حاجاته من الغذاء الوفير ، فأكثر هلال من الأكل ، فاشتهر بين معاصريه بذلك ، حتى قال عنه ابو عمرو : «كان اكثر الناس اكلا» . وشأن من يشتهر بين الناس بأمر من الامور ، حملوا عنه القصص والأخبار ، الحقة والباطلة ، وما كان حقا فزيد عليه حتى صار بالباطل اشبه . وكل له طرافته .

قال خالد بن كلثوم : « كان هلال بن بن الأسعر يرد مع الأبل فيأكل ما وجد عند أهله ثم يرجع الى ابله ولا يتزود طعاما ولا شرابا حتى يرجع يوم ورودها، لا يذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابا». فالوجبة الواحدة تكفيه من عظمها أربعة ايام أو خمسة !

وقال الأصمعي عن شيخ من قبيلة هلال : « اتانا هلال بن اسعر المازني فأكل جميع ما في بيتنا . فبعثنا الى الجيران نقترض الخبز » . فلما راى الخبز قد اختلف عليه قال : « كأنكم ارسلتم الى الجيران . اعندكم سويق ؟ قلنا : « نعم » . فجئناه بجراب طويل فيه سويق وببرنية نبيذ . فصب السويق كله وصب عليه النبيذ ، حتى اتى على السويق والنبيذ كله » .

وقال المدائني : « مر هلال بن اسعر على رجل من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رطبا في زواريق . فجلس على زورق صغير منها ، وقد وضع الرطب مغطى فيه . فقال لصاحب الرطب : « يا ابن عم ، أآكل من رطبك هذا ؟ قال : « نعم » . قال : « مايكفيني ؟ » قال : « ما يكفيك » . فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل الى ان اكتفى ثم قام فانصرف . فكشف الرجل الزورق فاذا هو مملوء نوى ، قد اكل هلال رطبه والقى النوى فيه » .

جزور وعشر جفان من الثريد !

وقال الأهوازي عن احد شبان قبيلة هلال : « أولم عليّ أبي لما تزوجت . فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور . فكان اول من جاءنا هلال بن اسعر المازني . فقدمنا اليه جفنة فأكلها ثم اخرى ثم اخرى حتى اتى على العشر . ثم استسقى فاتى بقربة من نبيذ . فوضع طرفها في شدقه ففرغها في جوفه . ثم قام فخرج . فاستأنفنا عمل الطعام » .

فكل راو ، وكل فرد من قبيلة الرجل ، وكل عالم ، يسهم في الأمر ليبين فضله على غيره ، فيأتي بما هو اطرف مما يورده غيره من الأخبار ، وما يتضمن مبالغة اعظم .

ولم يشتهر هلال بكثرة الأكل وحدها بل عرف ايضا بالقوة والبأس . فدار حوله من الاخبار التى تشهد بذلك مثل ما دار حوله عن الطعام . وقال عنه ابو عمرو : « كان فارسا شجاعا شديد البأس والبطش .. اعظم الناس غناء في حرب » .

كانت له قوة شيطان !

قيل انه مر يوما بقوم من بني بكر ابن وائل ، وقد نال منه الجوع والعطش والتعب اذ كان يبحث عن ابل ضلت له . فلما راى فتيانهم هلالا استهولوا قامته ، وقام رجلان منهم اليه ، فقال له احدهما : « هل لك في الصراع ؟ » فقال له هلال : « انا الى غير ذلك أحوج » . قال : « ما هو ؟ » قال : « الى لبن وماء ، فاني لغب ظمآن » . قال : « ما انت بذائق من ذلك شيئا حتى تعطينا عهدا لتجيبنا الى الصراع اذا ارحت ورويت » . فقال لهما هلال : « اني لكما ضيف ، والضيف لا يصارع رب منزله ، وأنتم مكتفون من ذلك بما اقول لكم : اعمدوا الى اشد فحل في ابلكم شدة وهيبة وصولة ، والى اشد رجل منكم ذراعا ، فان لم اقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم ، فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير ، فان لم افعل ذلك فقد صرعتموني . وان فعلته عرفتم ان صراع احدكم ايسر من ذلك » . فأومأوا الى فحل من ابلهم هائج صائل . فأتاه هلال ومعه نفر من اولئك القوم وشيخ لهم . فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره

فضغطها ضغطة ردد الفحل منها صوته فى حنجرته ورغا حتى استخذى . ثم قال : « ليعطني من اجبتم يده حتى اولجها فى فم هذا الفحل » فقال الشيخ: « يا قوم ، تنكبوا عن هذا الشيطان ، والله ما سمعت ان هذا الفحل جرجر بصوته منذ بزل قبل اليوم . لا تعرضوا لهذا الشيطان » ، فاستجابوا لصيحة الشيخ وابوا ان يعطوه أيديهم . ثم جعلوا يتبعونه وينظرون الى خطوه ويعجبون من طول اعضائه حتى غاب عنهم .

يصرع كل رجلين معا !

وكان هلال ذا نجدة يسرع الى عون الضعيف والمحتاج ، فيبذل له من قوته. قيل أن قمير بن سعد جاء الى بني بكر ليجمع زكاة أموالهم . فوجد رجلا منهم اخفى بعض ما استحق عليه فأخذه ليحبسه . فوثب قومه وحالوا بينه وبين قمير ، بل كادوا يفتكون بقمير . فأخذ هذا يطلب العون ، وكان هلال مارا بالقوم فى ذلك الوقت . فأسرع الى عونه ، ووثب على البكريين وجعل ــ كما يقول الرواة ــ يأخذ الرجلين منهم فيمسك بهما ، ويضرب براسيهما معا ، فيخران صريعين . واستمر فى القتال حتى جاء اعوان قمير ، فقهروا البكريين وأنهوا المعركة . وقال هلال يفتخر :

دعاني قمير دعوة فاجبته
فاى امرء فى الحرب حين دعاني !
وما زلت مذ شدت يميني حجزتى
احارب او فى ظل حرب ترانى

وكان هلال يحب أن تنتشر أخبار قوته وتتردد فى أرجاء البادية والحضر ، فكان ينظم الشعر يسجل فيه مفاخره ، كما راينا ، وكان يرغم من يتغلب عليه من خصومه على اذاعة أخباره ، ليتغنى بها الرواة .

ذكر ان هلال بن الأسعر كان فى ابل له عند الظهيرة فى يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة ، وقد عمد الى عصاه فأقامها وطرح عليها كساءه ثم ادخل راسه تحته من الشمس . فبينا هو كذلك ، اذ مر به رجلان من اشد رجال ذلك الزمان بطشا . وكانا مقبلين من البحرين معهما انواط من تمر عاصمتها «هَجَر» المشهور . ولما انتهيا الى الابل ظنا هلالا احد العبيد ، ولم يكونا يعرفانه عينا بل سماعا . فناديا : « يا راعى ، اعندك شراب تسقينا ؟ » فرد عليهما هلال دون أن يتحرك : « عليكما الناقة التىصفتها كذا فىموضع كذا فأنيخاها ، فان عليها وعاءين من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما » . فقال احدهما : « انهض ويحك يا غلام ، فأتنا بذلك اللبن » فقال : « ان تك لكما حاجة فأتياها » فشتمه احدهما فرد عليههلال فدنا منه واهوى عليه ضربا بسوط فى يده ، وهلال لا زال مضطجعا . فتناول هلال يده فاجتذبه اليه فأوقعه والقى به تحت فخذه . ثم ضغطه ضغطة فصاح بصاحبه : «ويحك ، اغثنى ، قد قتلنى!» فدنا الآخر منه . فتناوله هلال ايضا فاجتذبه ورمى به تحت فخذه الأخرى. ثم اخذ برقبتيهما فجعل يصك راسيهما بعضا ببعض ، وهما لا يستطيعان ان يمتنعا منه . فقال أحدهما « كن هلالا ، ولا نبالى ما صنعت ! » فقال لهما : « انا والله هلال .. ولا والله تفلتان منى حتى تعطيانى عهدا وميثاقا لتأتيان المربد ــ سوق البصرة ــ ثم لتناديان بأعلى صوتكما بما كان منى ومنكما » .

فماهداه واعطياه نوطا من التمر الذى معهما ، ووفيا له بالعهد .

استجارة .. وقتل .. وهرب !

واخيرا اوقعت قوة هلال به فى مازق ارغمه على مغادرة موطنه،والتشرد بعيدا عنه ، بل كاد يكلفه حياته . فقد كان صديقا لرجل من بنى جلان يسمى عبيد ابن حرى . فوقعت بينهما ملاحاة فتسرع الجلانى ، وضرب هلالا وخمشه وشجه . ولكن هلالا حلم عنه ، وذهب الى قومه يعاتبهم ويطلب اليهم ان ياخذوا له بحقه . فاذا بهم كصاحبهم ، اذ تهددوه وطردوه . فخرج من عندهم وهو يقول :«عسى ان يكون لهذا جزاء!» .

ومضى زمن فنسى الناس الأمر ، وان كان لا زال نارا تتقد فى احشاء صاحبه. ثم اتى عبيد الى الوقبى ، من الأماكن المجاورة لموطن قوم هلال . فذكر ما كان بينهما واوجست نفسه خيفة وراى ان يحتاط لنفسه . فسأل عن اعز اهل الموضع . فقيل له : معاذ بن جعدة ، من بنى رزام بن مازن . فأتاه فوجده غائبا. فعقد عبيد طرف ثيابه الى جنب طنب بيت معاذ ، وكان ذلك عند العرب علامة الاستجارة وطلب العون والحماية . ثم خرج عبيد ليستقى ، فوافق قدوم هلال بابله للشرب . فلما رآه هلال ــ دون ان يعلم باستجارته بمعاذ من اقاربه ــ بحث عن شىء يضربه به فلم يجد ، فانتزع محور الساقية وضربه على راسه ، فسقط صريعا، واذا بالناس يتصايحون: « قتل هلال بن الأسعر جار معاذ بن جعدة» فلما سمع هلال صياحهم ،خاف بنى عمه الرزاميين واتى راحلته فهرب عليها .

وفى آخر النهار جاء معاذ بن جعدة واخوته ، وهم تسعة ، ومعهم صهرهم عبد الله بن مالك . فسمعوا الصياح على الجلانى ، وهو صريع لم يمت بعد . فسألوا فأخبروا بما كان . فركب العشرة ــ وكانوا أمثال الجبال فى شدة خلقهم مع نجدتهم . وركب معهم عشرة غلمان أشد خلقة منهم ، لا يقع لأحد منهم سهم فى غير الموضع الذى سدده له . فتبعوا هلالا بقية نهارهم وليلهم .

فلما أصبح هلال ظن أنه قد ابعد ونجا فأبطأ فى سيره . ولكنهم دابوا على قص اثره ، وكان اثره لا يخفى على احد لعظم قدمه ، فلحقوه . فناداهم عندما رآهم : « يا بنى جعدة ، انشدكم الله ان اكون قتلت رجلا غريبا بترة تقتلوننى وانا ابن عمكم » . وكان يظن ان الجلانى قد مات . فقال معاذ : « والله لو أيقنا انه مات ما اخرنا عنك القتل من ساعتنا، ولكنا تركناه ولم يمت . ولسنا نحب قتلك الا ان تمتنع منا ! » .

فقاتلهم وامتنع منهم فقال معاذ لأصحابه : « لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيف ، وارموه بالحجارة واضربوه بالعصى حتى تأخذوه . ففعلوا ذلك ، فما قدروا على اخذه حتى كسروا من احدى يديه ثلاث اصابع ، ومن الأخرى اصبعين ، ودقوا ضلعين من اضلاعه ، واكثروا الشجاج فى راسه . فوضعوا فى رجليه القيود ثم جاءوا به الى الوقبى، فدفعوه الى بنى جلان . وقالوا لهم : « انطلقوا به الى بلادكم ولا تحدثوا فى امره شيئا حتى تنظروا ما يصنع بصاحبكم . فان مات فاقتلوه . وان حيى فاعلمونا حتى نحمل اليكم دية جراح صاحبكم » . فقال الجلانيون : « وفت ذمتكم يا بنى جعدة ، وجزاكم الله افضل ما يجزى خيار الجيران . انا

تخوف أن ينزعه منا قومكم ان خلّيتم عنا وعنهم وهو فى أيدينا » . فقال لهم معاذ : « فانى احمله معكم واشيعكم حتى تردوا بلادكم » . ففعلوا ذلك . وقال هلال يعاتبهم :

بنى مازن ، لا تطردونى فاننى
اخوكم وان جرّت جرائرَها يدى
ولا تلجئوا اكباد بكر بن وائـل
بترك اخيكم كالخليع المطـرّد
ولا تجعلوا حفظى بظهر وتحفظوا
بعيدا بيفضاء يروح ويغتـدى
فان القريب حيث كان قريبكم
وكيف بقطع الكف من سائر اليد؟
وان البعيد ان دنا فهو جاركم
وان شطّ عنكم فهو اُبعد اُبعد
وانى وان اُوجدتمونى لحافظ
لكم حفظ راض عنكم غير موجَد
سيحمى حِمىً عيرُ نفى وان كنت غائبا
اغرّ اذا ما ريع لم يتبلـد
وتعلم بكرٌ انكم – حيث كنتم
وكنت من الارض القريبة محتدى
وانى ثقيل حيث كنت على العدى
وانى وان اُوجدتُ ليس باوحد
وانهم لما ارادوا هضـيمتى
مشوا بجميع القلب عضب مهند
حسام متى يعزم على الامر يأته
ولم يتوقف للعواقب فى غـد

اخته تحتال لانقاذه !

ولم يأبه بنو عمه من رزام لهذا العتاب الاليم ، المستعطف فى عزة وكبرياء ، وحملوه مع بنى جلان . وركبت اخته معه وجعلت تأتيه بالمغرة فيشربها ويخرجها مع افرازاته . وظنوا به جراحا داخلية تسبب له هذا الافراز . ولما بلغ الركب ادنى بلاد بكر بن وائل ، انفصل معاذ ورفاقه وعادوا تاركين هلالا فى ايدى خصومه . ولكن هذا داب على تظاهره بالعلة والاسهال ، فكان يخرج بالليل المرة بعد الأخرى .

ثم ثقل عبيد وخاف هلال ان يموت فى ليله أو صباحه . فخرج هلال مقيدا الى الخلاء كعادته كل ليلة لقضاء حاجته، وكانت ليلة غاب قمرها واشتد ظلامها . فوضع كساءه على عصاه واعتمد على قيوده – وكان قد استعاد قوته – فحطمها . ثم طار على رجليه متنكبا الطرق الممهدة ومخترقا المسالك التى لا يطمع فيها ، حتى انتهى الى رجل من اقاربه فحمله على ناقة له . واجتاز بلاد قيس بن عيلان واستمر فى سيره حتى انتهى الى اليمن ، فأقام بها زمانا .

دَيْسَم يحمل عنه الدية !

لم يطب المقام لهلال باليمن ، فاخذ يرسل الى بنى مازن الشعر شاكيا وعاتبا ومستعطفا . فنهضوا الى ابناء عمهم من رزام وقالوا لهم : « انكم قد أسأتم بابن عمكم وجزتم الحد فى الطلب بدم جاركم . فنحن نحمل لكم ما أردتم » . فحمل دَيْسَمُ بن المنهال الدية التى طلبها معاذ، وهى ثلاث مئة بعير . وأذنوا لهلال بالعودة فقال يمدح ديسما .

تداركَ ديْسَمٌ حسبا ومجـدا
رِزَاما بعد ما انشقّت عصـاها
همُ حملوا البَنِين والحقوهـا ..
باهليهـا وكان لهم سَنـاها

وصور هلال فى قصيدة اخرى مدح بها ديسما أيضا منظر القوم وهم يتفاوضون ويدفعون الدية فقال :

ان ابن كابيةَ المرزأ ديسَـما
وارى الزناد بعيد ضـوء النار
من كان يحمل ما تحمّل ديسـمٌ
من حالم فيقم وامٍ خـوار

عنّيت بنو عمرو بحمـــل هنالك
فيها العِشار متالي الابكــار
حتى تلافاها كريم ســـابق
بالخيـر حلَّ منازل الاخيـار
حتى اذا وردت جميعـا أرزَمت
جِلان بعـد تشمّس ونفــار

وطال العمر بهلال بن الأسعر، ووهنت قواه . فعاش عالة على المغيرة بن قنبر . ثم مات المغيرة فرثاه :

الا ليت المغيرة كان حيـــا
وافنى قبلـه النـاس الفنـاء
ليبك عـلى المغيـرة كلُّ خيـل
اذا افنى عراكها اللقـــاء
وبيك على المغيرة كل جيش
تمـور لدى معـاركه الدمـاء
وبيك عـلى المغيـرة كـل كلّ
فقيـر كان ينعشـه العطـاء
لقـد وارى جـديد الارض منه
خصالا عقـد عصمتها الوفـاء
فصبرا للنوائب ان المُـت
اذا ما ضـاق بالحدث الفضاء
هـزبر تنجلي الغمرات عنه
نقيُّ العرض همتـه العـلاء
اذا شـهد الكريهة خاض منها
بحـورا لا تكدرهـا الدلاء
جسـور لا يروّع عنـد روع
ولا يثنـي عـزيمته اتقـاء
حليـم في مشـاهدة اذا مـا
حبا الحلماء احلقها المــراء
فان تكـن المنيـة اقصدته
وحم عليه بالتلـف القضـاء
فقـد اودى بـه كـرم وخيـر
وعود بالفضــائل وابتــداء

وتوالت الأحداث على الرجل القوى الذى فقد قوته ، الى أن شمله المــوت برحمته . فصار حديثا فى الأفواه، ومثلا فى القصص ، ومركزا تدور حوله الأخبار والأسمار .

بيتان من الشعر

ولولا بيتان قالهما هلال لغفل عنــه التاريخ ، ولم يذكر له اسما ولم يـورد له خبرا . فقد أعجب ابراهيم الموصلى بقوله :

ياربع سلمى لقد هيجت لى طربا
زدت الفؤاد على علاته وصـــبا
ربـع تبـدل ممن كان يسـكنه
عفر الظبـاء وظلمانا به عصـبا

فغنى فيهما أمام الرشيد . فطـرب واستعاده مرارا . فقال له ابراهيم : « يا أمير المؤمنين ، كيف لو سمعته من عبدك مخارق ! فانه أخذه عني ، وهـو يفضل فيه الخلق جميعا ويفضلنى » فأمر باحضار مخارق ، فأحضر ، فطلب منه غناء الشعر فغناه . فبكى وقـال : « سل حاجتك » . فقال مخـــارق : « تعتقنى يا أمـير المؤمنين وتشرفنى بولائك ، أعتقك الله من النار » . قال : « أنت حر لوجه الله ، أعد الصوت » . فأعاده . فبكى وقال :« سل حاجتك » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، ضيعة تقيمنى غلتها » . فقال : « قد أمرت لك بها . أعد الصوت » فأعاده . فبكى وقال : « سل حاجتك » . فقال : « حاجتى يا أمير المؤمنين ان يطيل الله بقــاءك ، ويديم عزك ، ويجعلنى من كل ســوء فداك » . وكان مخارق اذا غنى هـذا الشعر يقول : « أنا مولى هذا الصوت». وهلال بن الأسعر أحق منه بهذا القول. فان مخارقا كسب به حريته وغناه ، ولكن هلالا كسب به حياته وخلوده ، لانه الشعر الذى جعل أبا الفرج يكتب عنه ، ولم يفعل ذلك غيره . ■■

حسين نصار
القاهرة

دردشة

الذكريات السعيدة

● قليل من الناس من اتقن فن جمع الذكريات الطيبة ، فهم يجمعون الخزف القديم ، والصور الفاخرة والكتب النادرة ـ وهي جميعا جميلة تسر العين والقلب ، ولكن ما اسرع ما يمشي العطب فيها .

ولكن الذكريات السعيدة ذخائر لا تبلى ، وليس فى وسع احد ان يسلبنا اياها .

(ايزابيل روز)

نابليون والنساء

● سألت احدى السيدات نابليون عن احب النساء اليه ، **فقال** : زوجتى .

فقالت : ومن هى التى تعجب بها اكثر من غيرها ؟

فقال : البارعة فى تدبير المنزل .

قالت : ومن هى السيدة الاولى فى نظرك ؟

فقال : التى انجبت اكبر عدد من الاطفال .

الصالحات

● البيوت بدون النساء الصالحات ، قبور .

(بلزاك)

دعاية غير مقصودة

● القى اسقف شيكاغو خطابا ندد فيه بفرقة الممثلة « سارة برنار » التى كانت تزور امريكا فى ذلك الحين ، وبعد ايام وصلته هذه الرسالة من سارة برنار :

« سيدي .. لقد اعتدت عند حضورى الى مدينتكم ان اصرف ..٤ دولار فى سبيل الدعاية ، وبما انك قمت بهذه الدعاية فانى أبعث اليك بمائتي دولار لتوزيعها على الفقراء ! » .

نصيحة الاطفال

● خير طريقة لنصح اطفالك هى ان تعرف ماذا يريدون ان يفعلوا ، ثم تنصحهم بعد ذلك بفعله .

الماضى والمستقبل

● طلب برنارد شو الى سيدة ان تراقصه ، فاعتذرت ، ولما سألها السبب قالت :

ــ اننى لا ارقص الا مع الرجل الذى له مستقبل !

فابتسم وسكت .. فعادت تسأله :

ــ ولماذا تريد ان ترقص معى بالذات؟!

اجابها : لانى احب ان ارقص مع امراة لها ماض !

حقيقة المرأة

● تتانق المراة من اجل امراة اخرى .. وتتزوج لان غيرهـا سبقتهـا الى الزواج .. وتعنى بمنزلها لتبدو نظيفة امام زائراتهـا .. ولولا هـذا لكان للمراة شان آخر !

(جول كورى)

الحرية أو الموت

● هل الحياة عزيزة وجميلة الى درجة ان يشتريها بعض الناس بالاغلال والعبودية ؟ لست اعرف ماذا يختـار الآخرون ولكني اقـول : اعطوني الحـرية او اعطونى الموت .

(باتريك هنرى)

فى الخلوة

● خـير مقياس لخلـق الرجـل ، هو الاشـياء التى يفعلها فى خلوته ، اذا وثق انه لن يطلع على سره احد .

(ماكولى)

فلسفة جدتى !

● لجدتى فلسفتها فى الحياة ، فهى تقول : « انه ليسرنى ان اكون فى مأزق حرج ، اذ يسرنى ان ارى كيف اخرج منه ! »

(مسز ب . ستيفنز)

الرجل المهذب

● من سمات الرجل المهذب قدرته على ان يتعظ بتجارب غيره لا بتجاربه هو وحـده .

(ستيفان زفايج)

عمل بشرى وعمل ملائكي

● اذا احببت لتصبح محبوبا فهذا عمل بشرى ، أما اذا احببت لأجل الحب ، فهذا عمل ملائكي .

(لامارتين)

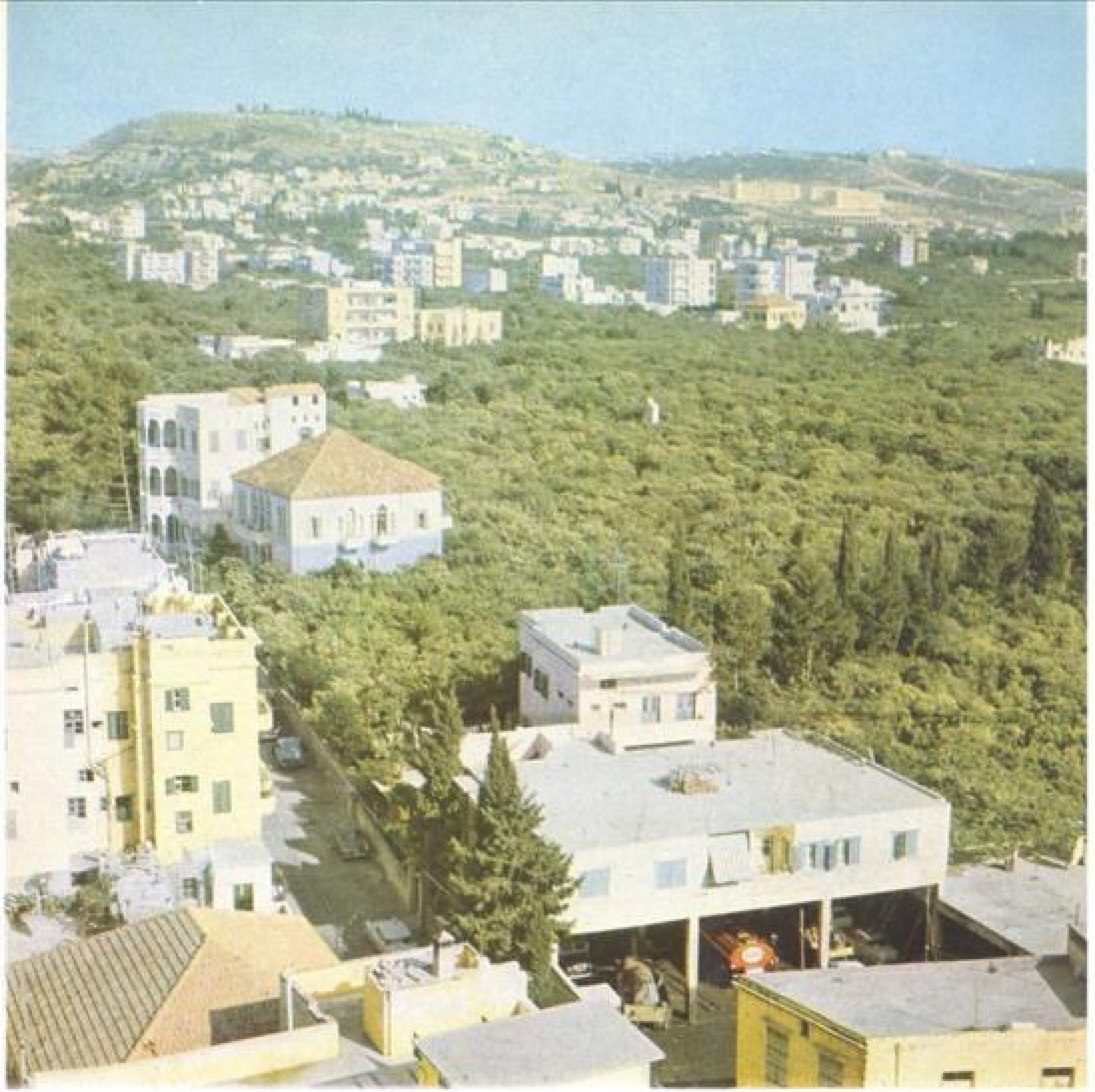

اعرف وطنك أيها العربي

صيدا

سيدة البحار
وسيدة الدنيا

آثرت الانتحار حرقاً ... على الاستسلام ..!

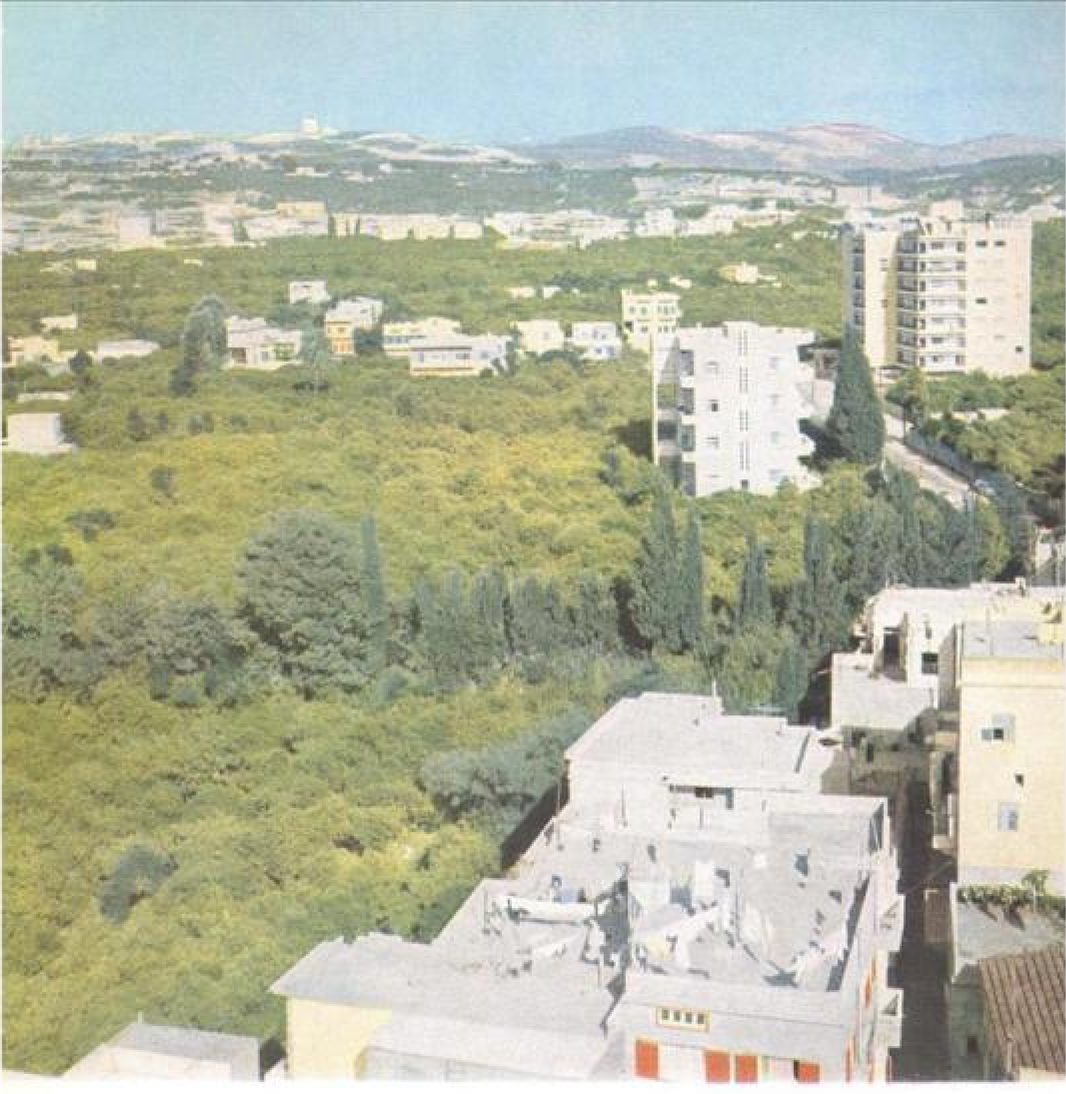

منظر عام لأحياء صيدا الحديثة التي أخذت مبانيها تمتد وسط بساتين الفاكهة .. وفي الصورة حي «عين الحلوة» وشيمة «الميه وميه»

قام بهذا الاستطلاع

سليم بسيسو

وصوره

« أوسكار »

■ الى الجنوب من بيروت .. عاصمة لبنان .. وعلى مسافة ٤٥ كيلومترا تتربع مدينة صيدا .. وكأنها عذراء أسندت ظهرها الى سلسلة جبال لبنان الشامخة .. وتحت قدميها يرقد البحر الابيض المتوسط .. بمياهه الزرقاء الجميلة .. وأمواجه التي تتكسر عند أقدام سيدة البحار وتغسلها ..

ويخترق الطريق الى صيدا قرى وضياع الدامور والجيه والرميله ويمر من فوق نهر الاولي .. ويتلوى الطريق .. ومع التوائه تلتف

حوله مياه البحر تحتضنه .. وتمتد الى يمين الطريق المعبدة المعدة للسيارات سكة حديد هي امتداد لسكة حديد قطار اكسبريس الشرق السريع الذى يخرج من اواسط أوروبا لينتهي فى القاهرة .. ولكن الدمل الذى داهم جسم الأمة العربية السليم ، والذى اسمه « اسرائيل » ، اوقف مؤقتا سير هذا الخط ما بين صور في لبنان وغزة فى فسطين .. وسيعود الى سابق عهده باذن الله حينما يشفى جسم البلاد العربية ويعافى من هذا الدمل الخبيث .

وتعبر طريق السيارات بساتين الفواكه والخضر .. ويبدو ان كل رقعة قد اختصت بزراعة نوع منها ، فهذه مزروعة بالموز .. وتلك بالنخيل .. واخرى بالبرتقال .. وهكذا .

وفى صيدا تنتهى أمواج البحر ذليلة عند شاطىء رملي أصفر .. تنعكس عليه أشعة الشمس فترسل بريقا .. كأنه صادر عن حجارة من الماس فتتت وبعثرت على الأرض كيفما اتفق .. وهي نفس الرمال التى جعلت الزجاج الذى كانت تصنعه صيدا ، سكبا لا نفخا ، أفخر صناعة من نوعها قبل الاف السنين .. وهو السبب نفسه الذى جعل « أشيل » يختار كأسا من صناعة صيدا ليهديها الى « بتروكلوس » أسرع عدائي العالم .. كما ذكر هوميروس .

هذه هي صيدا .. التى راحت فى سبات عميق قرونا عديدة .. واخذت الآن تتثاءب وتفيق .. لتسترد شيئا من تاريخها القديم ومجدها التليد !

صيدا فى التاريخ

قامت فى لبنان منذ أقدم الأزمنة حتى العهد الرومانى مجموعة من المدن الدول ، انتشرت على طول الساحل .. وكانت كل مدينة منها ذات سيادة ومنافسة مع غيرها من المدن التى لايفصلها عنها فاصل جغرافى.وكان محور تاريخ الفينيقيين يدور حول اربع مدن لمعت اسماؤها على صفحات الألياذة وخلدت ذكرها أسفار التوارة ومن بين هذه المدن .. مدينة صيدا .

وتاريخ صيدا انما هو فى الواقع تاريخ الفينيقيين بحضارتهم الراقية وتجارتهم الواسعة وأسطولهم القوى .. وهو كذلك تاريخ المصريين فى عهد الفراعنة وفتوحاتهم ، وتاريخ الآشوريين والفرس وحروبهم ، وتاريخ اليونان وحضارتهم ، وكذا الرومان والعرب والصليبيين والمماليك والعثمانيين والفرنسيين .. تاريخ طويل عريض .. كل حقبة منه تحتاج الى أسفار لتدوينها .

ومن نافلة القول ان الحديث عن « صيدا » هذه الأيام دون ذكر هذا التاريخ انما هو اغفال لفترة من تاريخ الانسانية كلها .. لا صيدا وحدها .

الفينيقيون

اطلق الاغريق اسم « فينيقي » على جماعة الكنعانيين الذين كانوا يتجرون معهم . ولفظ فينيقية لفظ اغريقي ، أصله Phoinix ومعناه ارجوان ، لانتشار صناعة الأرجوان في الساحل اللبنانى حيث كانت تقطن تلك الجماعة من الكنعانيين . وتقول الأسطورة الاغريقية ان هيلانة الطروادية كانت تتمشى على شاطىء البحر مع كلبها لتروح عن نفسها عناء الأسر فلحظت ان فم الكلب الذى كان يعالج صدفه تغير لونه الى لون أرجوانى غامق فسرت بهذا اللون واعجبت به مما جعلها تقرر أن لا تقبل الزواج الا بمن يهديها ثوبا مصبوغا بالأرجوان .

وجذر « فينيق » فى اللغات السامية معناه التنعم والترف .. وقد يكون اسم « الفينيقيين » سامي الأصل لأنهم كانوا أصحاب غنى وترف .

ويذكر هيرودتس ان الفينيقيين يعتبرون مناطق الخليج العربى موطنهم الاول ... وقد زار « نيارخوس » أمير البحر عند الاسكندر الأكبر مدينة تقع على شاطىء الجزيرة العربية الشرقى تسمى صيدا .

شرع الفينيقيون يجذفون بقواربهم الصغيرة فى محاذاة الشاطىء لبيع السمك والخزف والزجاج واصبحوا ملاحين ماهرين فانشاوا طرقا بحرية تجارية عبر البحر الابيض المتوسط .. وظلوا يحتكرون التجارة البحرية بدون منازع او منافس .. واصبحوا مستعمرين وانشاوا المستعمرات التى كانوا يبيعون عليها بضائعهم وسلعهم وينقلون اليها افكارهم وحضارتهم ، فى قبرص ورودس وكريت ومالطة وصقلية وسردينيه ومرسيليا واسبانيا ، ووصلوا الجزر البريطانية وشواطىء البلطيق .. وهكذا أصبح الفينيقيون أمهر ملاحي العالم فى

مسرح عائم صنع خصيصا أثناء مهرجانات الربيع فى صيدا لتؤدى عليه فرق الفولكلور أغانيها ورقصاتها الشعبية مساهمة منها فى احتفالات صيدا بالربيع .

ذلك الوقت وسادة تجارته . وقد انصفهم واحد من اعظم المؤرخين الحديثين هو تيودور مومسن Theodor Mommsen حين قال : « انهم » في اعتقادى ، لجديرون بالخلود جنبا الى جنب مع الشعب الأغريقي واللاتيني » .

اصبحت صيدا فى الفترة التى نحن بصددها .. قبل ثلاثة الاف سنة من الآن .. سيدة البحار .. وكان البحر الأبيض بحيرة فينيقية .. قبل أن يؤول فيما بعد بحرا اغريقيا او بحرا رومانيا .

ويقول الشاعر الاغريقي هوميروس « ان تجارة الأقمشة والنحاس والرقيق هي من احتكار مدينة صيدا » ومدح الفنانين الصيدائيين عندما اشار فى الالياذة الى « الثياب المطرزة صنع الصيداتيات » .

ولما شاء « هاكوبا » ان يختار لأثينيه أجمل ثوب ملكي فى العالم ، اختار ذلك الثوب من صنع عذارى صيدا .

ومما جعل صيدا ميناء بحريا ممتازا ومركزا تجاريا مزدهرا موقعها الطبيعى على الشاطىء ، فانها كانت تقوم وراء رأس داخل فى البحر ، فى جهته الشمالية مجموعة من الجزر الصغيرة تصد الأمواج .

وصيدا أقدم عهدا من جارتها صور وتعتبر أما لها . جاء فى سفر اشعياء (٢٣ : ١٢) « لاتعودين تفتخرين أيضا أيتها المنهتكة العذراء -يعنى صور- بنت صيدون » .

وقد كانت رئاسة المدن الفينيقية والسيادة البحرية من نصيب صيدا أولا فمارست هذه الرئاسة على جنوب لبنان بما فى ذلك صور .

ومما يدل على أن صيدا كانت أقدم عهدا من صور ان هوميروس الشاعر اليوناني وكتاب العهد القديم كانوا يسمون الفينيقين صيدانيين .. وأشار اليها يشوع بن نون بعبارة « صيدون العظيمة » .

أحرق الفلسطينيون مدينة صيدا ودمروا اسطولها حوالى ١١٧٠ ق. م.

وكان الفاتح المصرى العظيم ، نابليون الفراعنة، تحوطمس الثالث — من الأسرة الثامنة عشرة —

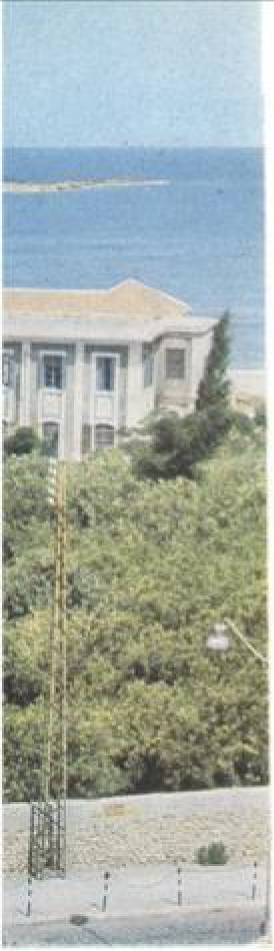

الطريق الى صيدا من بيروت .. ويبدو البحر الى اليمين وسفوح سلسلة جبال لبنان الى اليسار .. وهذه الطريق تسير بمحاذاة خط سكة الحديد .

ساحة النجمة .. اهم ميدان واحدثه في صيدا وقد انتشرت في جميع نواحيه المباني والمحلات التجارية الحديثة .

« السراى القديمة » وتبدو وراءها في الافق الجزيرة الصخرية الصغيرة التي يسميها اهالي صيدا «الزيره» وهي تحريف للفظ « جزيرة » ويظهر فيها « فنار » صيدا .

أقيمت هذه اللافتة عند مدخل المدينة من جهة الشمال لترحب بالزائرين أثناء مهرجان الربيع
فى مايو ١٩٦٢ ، وصيدا هى حقا مدينة الربيع .

جانب من المركز التجاري في صيدا وأمامه اصطفت عربات الحنطور في موقف خصص لها لا تنافسها فيه السيارات .

قد اكتسح أعالي جزيرة العرب وسوريا وفلسطين وفينيقية في القرن السادس عشر قبل الميلاد .

الآشوريون غزوا فينيقية

لما استولى الآشوريون على بابل وضعوا مخططا يرمي الى الوصول الى البحر الابيض المتوسط للسيطرة على الطرق التجارية المؤدية الى هذا البحر . وقد زحف تغلات فلاصر الأول بجيشه للوصول الى شواطىء المتوسط سنة ١٠٩٤ ق.م. وقد دفعت له صيدا الجزية .

أما آشور ناصر بال الثانى (٨٨٣ ــ ٨٥٩ق.م) فقد استولى على شمال سوريا ولبنان .ويتباهى في نقش على هيكل عاصمته يقول فيه : « لقد استوليت على معظم جبال لبنان .. وبلغت البحر العظيم وغسلت الدماء عن أسلحتي فيه . وقد دفع أهالي صور وصيدا الجزية .. ذهبا وفضة وثيابا كتانية زاهية الالوان وقرودا كبيرة .. تقبلت منهم الجزية وارتموا على قدمي يقبلونهما » .

اعترفت صيدا بالسيادة الآشورية .. ونصب الآشوريون الملك اتو بعل الصيداوي ملكا على فينيقية لأنه كان مواليا لهم ، عوضا عن الملك الصوري حامي مدينة صور البحرية ابلو ــ ايلى (ومعنى اسمه الهي هو الله) .

استولى سنحاريب (٧٠٥ ــ ٦٨١ ق.م) على صيدا ولكنها استعادت قوتها ونشاطها ولم يمض ربع قرن حتى جاءها أسرحدون غازيا وضربها عام ٦٧٥ ق. م وقد هدم بيوتها الى اساساتها وكذلك فعل بسورها الذى القى بحجارته الى البحر . وقد هرب ملكها عبد ملقارت الى عرض البحر ولكن اسرحدون تبعه واصطاده كما يصطاد سمكة وقطع رأسه .. وهكذا خربت صيدا تخريبا شاملا كاملا ..

صيدا عاصمة ايالة فارسية

قسم داريوس الأول (٥٢١ ــ ٤٨٥ ق. م) مملكته الى ٢٠ ايالة وجعل صيدا عاصمة الايالة الخامسة التى كانت تشمل لبنان وسوريةوفلسطين وقبرص . وبنى الفرس قصرا فخما في صيدا كمقر لحاكم الايالة ومضافة للملك الفارسى وانشأوا حديقة ملوكية فيها .

وقد ساعد الفينيقيون الفرس مساعدة كبيرة في حروبهم فلولاهم لما استطاع قمبيز أن يحتل مصر عام ٥٢٥ ق. م .. وكان ملك صيدا بمثابة امير البحر الأول لاساطيل الفينيقيين كما ساعدوا الفرس في حربهم مع اليونان عدوهم البحرى اللدود .

ثار الصيداويون ضد الحكم الفارسي الممثل في ملكه ارتحشستا وقطع أهالي صيدا أشجارالحديقة الملوكية وأحرقوا التبن المخزون للخيل الفارسية وأسرع ارتحشستا من بابل على رأس جيش قوامه ٢٠٠ الف رجل و٣٠ الف فارس وجهز ٣٠٠مركب حربى و٥٠٠ مركب تجارى وتوجه نحو صيدا .. فأوجس ملكها تنس خيفة وأراد تسليم المدينة .

صيدا تسالم ولكنها لا تستسلم

خرج ٥٠٠ من وجهاء صيدا يحملون في أيديهم

كهنة الاله اشمون (اله الشفاء) والالهه عشتروت .. وكانت تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي .

فى ظل الحكم الروماني

فقدت فينيقية كيانها المستقل بعد أن ضم القائد الرومانى بومبى سورية وفلسطين ولبنان الى الامبراطورية الرومانية .. وبقى لصيدا ما كانت تتمتع به من امتيازات .. وخاطب يوليوس قيصر ملوكها بلقب حاكم أو قاض Magistrate ولما أصبح مارك انطونى امبراطورا على الامبراطورية الرومانية الشرقية احترم امتيازات صيدا وصور، واستثناهما من الاقطاعية التى أقطعها كليوباترة وتضم البقاع ومدن الساحل .

فى فجر المسيحية

أتى المسيح «نواحى صيدا وصور» وقد عرج بولس الرسول على صيدا وهو راجع الى رومة .. وفى أوائل القرن الرابع الميلادى اصبحت صيدا مقرا اسقفيا .. وظلت المدن الساحلية خارج مناطق الفتوحات العربية لأنها كانت تتلقى الامدادات الرومانية عن طريق البحر .

فى ظل الاسلام

سقطت صيدا فى يد معاوية ويزيد . وجاء معاوية بعد تأسيس الدولة الأموية بجاليات من الفرس واسكنها فى صيدا لصد غزوات أساطيل الروم . وظلت صيدا فى ظل الحكم الاسلامى أربعة قرون ونصفا وقد وصفها أحسن وصف فى تلك الحقبة ناصر خسرو الفارسى الأصل اذ قال : ان سورها المحكم البناء له ٤ أبواب وان أسواق صيدا مزينة تزيينا رائعا حتى ليخيل للزائر بان المدينة تستعد لاستقبال السلطان ، وكذلك بساتين صيدا انشئت حسب هندسة جميلة كأنما انشئت خصيصا لتكون حديقة لسلطان .

الصليبيون

هكذا وجد الصليبيون صيدا حينما استولى عليها اسطولهم المؤلف من ستين سفينة عام

أغصان الزيتون لملاقاة أرتحششتا ولكنه قتلهم .. فصمم أهل المدينة على الموت .. واحرقوا جميع مراكبهم فى الميناء لئلا تحدث أحد الأهالى نفسه بالهرب بحرا .. ودخلوا بيوتهم واقفلوا أبوابهم واستسلموا للموت حرقا .. وقد هلك فى هذا الحريق الهائل اربعون الفا .. وسبى من بقى منهم على قيد الحياة الى بابل .. وهكذا تحولت صيدا الى كومة من رماد عام ٣٥٠ ق. م وبزوال صيدا .. زالت صور من الوجود بعد فترة قصيرة .. ودب الخوف والهلع فى قلوب أهل المدن الفينيقية الأخرى فاستسلمت .

اليونان تهزم الفرس

هزمت جيوش الاسكندر الفرس واستطاع أن يستولى على سورية والساحل اللبنانى دون مقاومة تذكر من جانب صيدا المدينة التى تخربت ولم تكن قد استعادت قوتها وأعادت تعمير حصونها .. وقدم اسكندر التاج الى احد أبناء العائلة المالكة .. وبعد قرن من الزمن عادت صيدا الى احتلال مركز رئيسى فى هذه المنطقة لثالث مرة فى تاريخها وملك عليها بعض رؤساء

طالبتان من صيدا يمناهما زحلاوية والدها موظف فى صيدا ويسراهما صيداوية .. تؤديان حركة بارعة فى الرقص الاسبانى .. كجزء من النشاط المدرسى .

طالبات فى المسكن النموذجى الذى تهيؤه « الكلية الانجيلية الوطنية للبنات » لطالباتها الداخليات ولكل ٩ طالبات سكن مستقل يقمن فيه بانفسهن بجميع الواجبات المنزلية من تنظيف وغسيل وكى وطهو وذلك لاعدادهن عمليا لتحمل مسؤوليات البيت فى المستقبل .

أينما سرت في مدن لبنان وقراها تشاهد رقصة الدبكة .. الرقصة الشعبية اللبنانية وفي الصورة طالبات « يرقصن الدبكة » بأسلوب فني أصيل .

ثلاثة أزياء مختلفة من الأزياء الشعبية التي كانت سائدة في محافظة الجنوب قبل مائة سنة .

.١١١ بعد حصار دام ٤٧ يوما ودفعت صيدا الجزيةومقدارها ٢٠ الف دينار للصليبيين .

اقام الصليبيون الحصون والقلاع على طول الساحل لتامين العمليات البحرية والمراقبة ، وقد بنوا قلعة صيدا على انقاض قلعة قديمة .

صلاح الدين يسترد صيدا

انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين (٢ يولية ١١٨٧) واباد جيشهم المؤلف من ٢٠ الف مقاتل .. ومن كتبت له النجاة واستطاع الفرار انهزم الى صور لموقعها الحصين ولحق بهم صلاح الدين .. ولكنه فضل ان يستولي على صيدا التي استسلمت وفر حاكمها الافرنجي الى قلعة الشقيف التي استسلمت حاميتها وقوامها فرسان الهيكل عام ١١٩٠ .

عاد اليها الافرنج (١١٩٧) واستردها المسلمون ودمروها وأعاد الافرنج بناءها (١٢٢٨) ورجعت الى المسلمين (١٢٤٩) واسترجعها الملك لويس (١٢٥٣) ونهبها المغول (١٢٦٠) واخيرا استقرت في حوزة المسلمين عام ١٢٩١ على يدي الملك اشرف الذي هدمها حتى أساساتها .

صيدا تزدهر من جديد

اخذت صيدا تستعيد شيئا من حيويتها ونشاطها في عهد الأمير فخر الدين المعني أمير الدروز في القرن السابع عشر بعد أن استعاد هذا الامير سنجق صيدا الذي كان تحت ولاية ابيه الأمير قرقماز ، من السلطان أحمد الأول العثماني . وأعادت المدينة علاقاتها التجارية مع الغربواصبحت صيدا سنة ١٦١٦ مركزا لقنصلية فرنسية شملت صلاحيتها بيروت وصور وعكا وحيفا ويافا . وقد وضع الامير فخر الدين الخان الفخم الذي كان قد بناه تحت تصرف القنصلية التجار والمرسلين الافرنسيين .. وكانت صيدا مستودعا للبضائع في لبنان وميناء لدمشق وكانت تجارتها تقدر بمليوني ليرة افرنسية ذهبية سنويا .. وكانت تدخل ميناءها عشرون سفينة من مرسيليا سنويا . وكانت بيروت تابعة لصيدا في تلك الفترة . ولما ردم ميناؤها الشمالي لمنع السفن التركية من الدخول وطرد احمد الجزار والي عكا التجار الفرنسيين عام ١٧٩١ بدأ نجمها في الافول وفي سنة ١٨٤٠ فقدت صيدا العظيمة عظمتها واصبحت بيروت زعيمة المدن اللبنانية .

صيدا في يومنا هذا

بعد ان تقطع نهر الاولي تترامى أمامك وعلى مرمى البصر البساتين النضرة بظلها الوارف ونسيمها العليل .. تقوم في أرجائها المباني الحديثة الجميلة كانها القلاع أو المنائر في وسط محيط من المروج الخضراء .. لقد اقيمت تلك الأبنية في المكان الذي ضرب فيه الصليبيون خيامهم وتعرضوا فيها للسع الحيات السامة .

والى يمين هذا البحر من المروج الخضراء تقوم المدينة الحالية لتفصل بين البحر الحقيقي الازرق وهذه البساتين .

عند مدخل المدينة الشمالي تقف لتسأل : ما اسم هذا الحي ؟ فيقال لك : انه حي القملة ! فتصدم من الاجابة لأن حيا جميلا حديثا كهذا لا يتصور ان يكون اسمه « القملة » الحشرة البغيضة .

اسماء غريبة لأحياء صيدا

واصلنا السير ، والدهشة آخذة منا كل مأخذ، مخترقين الشارع الرئيسي الجديد الذي اطلق عليه اسم « رياض الصلح » والذي امتدت على جانبيه الأبنية الحديثة ، من محلات تجارية ومساكن ، ونصبت فيه اقواس النصر ، واقيمت في كل شبر منه معالم الزينة .. ان المدينة تحتفل « بمهرجان الربيع » .. ومن حق صيدا مدينة الزهور والفواكه والخضر أن تحتفل بالربيع .. وان تقيم له مهرجانا يمتد شهرا وبعض الشهر .

بعد ان تقطع الشارع الرئيسي الذي يشطر المدينة شطرين وعند مسافة أربعة كيلو مترات تصل الى الحد الجنوبي لها او مدخلها من ناحية الجنوب وتسأل كذلك عن اسم الحي فيقال لك : ان اسمه البرغوث . والغريب في الامر أنه لا يوجد في صيدا قمل أو براغيث .. كل ما نعرفه أن في بساتينها افاعي بعضها سام .. فمن هو الذي

عدد من المباني التى اعدت لتكون « مساكن شعبية » اقيمت فى « عين الحلوة » شرقي سكة الحديد لينتقل اليها من الحي القديم من هدمت بيوتهم أو هي في طريقها الى الدم .

اطلق هذه الأسماء البغيضة المقوتة على اجمل حين فى المدينة التى كانت اغلى من أن تقدم هدية لكليوباترة ؟

ورحنا نستفسر .. لنجد جوابا سريعا .. وعثرنا على ضالتنا .

قيل لنا ان الافرنسيين حينما جاءوا المدينة ووصلوا نهر الاولى الذى يحد صيدا شمالا وجدوا ماءه أبيض اللون .. ومن صفات الماء انه بلا لون .. وسبب ابيضاض لون ماء النهر انه يمر بمناطق حجرها كلسى .. ولما كان الماء اشبه بالحليب منه بالماء شبهوه بالحليب فقالوا بالفرنسية Commelait اى مثل الحليب واصبحت « كوم ليه » اللفظة الفرنسية بعد تحريفها « قملة » بالعربية .

ولما وصل الفرنسيون الى الناحية الجنوبية المقابلة من المدينة وجدوا جدولا يسيل فيه الماء اثناء الصيف شحيحا .. نقطة نقطة ، وقالوا ان ماء هذا الجدول يسيل Fargoutte اى نقطة نقطة .. وحرفت « بارجوت » اللفظة الفرنسية الى « برغوث » العربية التى تعنى شيئا آخر مختلفا كليا .

الى محافظة الجنوب

بعد هذه النظرة الخاطفة الى المدينة توجهنا لمقابلة الرجل المسؤول الأول فى الجنوب .. هو المحافظ الأستاذ غالب الترك . ولاحظنا أن محافظة الجنوب قد اتخذت مقرا لها فى احدى العمارات الخاصة وتشغل جزءا منها لا كلها .. ولا يميزها عن غيرها من المباني العادية سوى اللافتة التى كتب عليها محافظة الجنوب والعلم اللبنانى يرفرف عليها .

دخلنا على المحافظ فوجدنا مكتبه الفسيح قد اكتظ بالمراجعين واصحاب المصالح . ورحب بنا واجلسنا بقرب مكتبه واستاذن دقائق كى يحل مشاكل المراجعين . فاشعلنا سيجارة لقتل الوقت وقبل ان نطفئها كان المحافظ قد عاد .. بعد ان حل المشاكل المعروضة عليه : لقد امر بتحديد تصنيف وترخيص موتور للماء يركب على بئر ارتوازية .. وانتهى من تدبير العدد الكافى من سيارات النقل لفرش الملعب البلدى بطبقة من التراب سمكها ١٥ سم على أن يتم ذلك بعد الساعة الثامنة مساء .. وقبل الثامنة من صباح اليوم التالى .. ولا تقل كمية التراب اللازم عن حمولة مائة سيارة .. وانهى بعض الترتيبات الخاصة باحتفالات مهرجانات الربيع فى صيدا .. تم كل هذا فى اقل من ربع ساعة بما فى ذلك الوقت اللازم لوداع المراجعين حتى باب مكتبه .

واكون قد ارتكبت اجحافا بحق الرجل ان لم اقل انه شعلة من نشاط لا يتقيد بالروتين

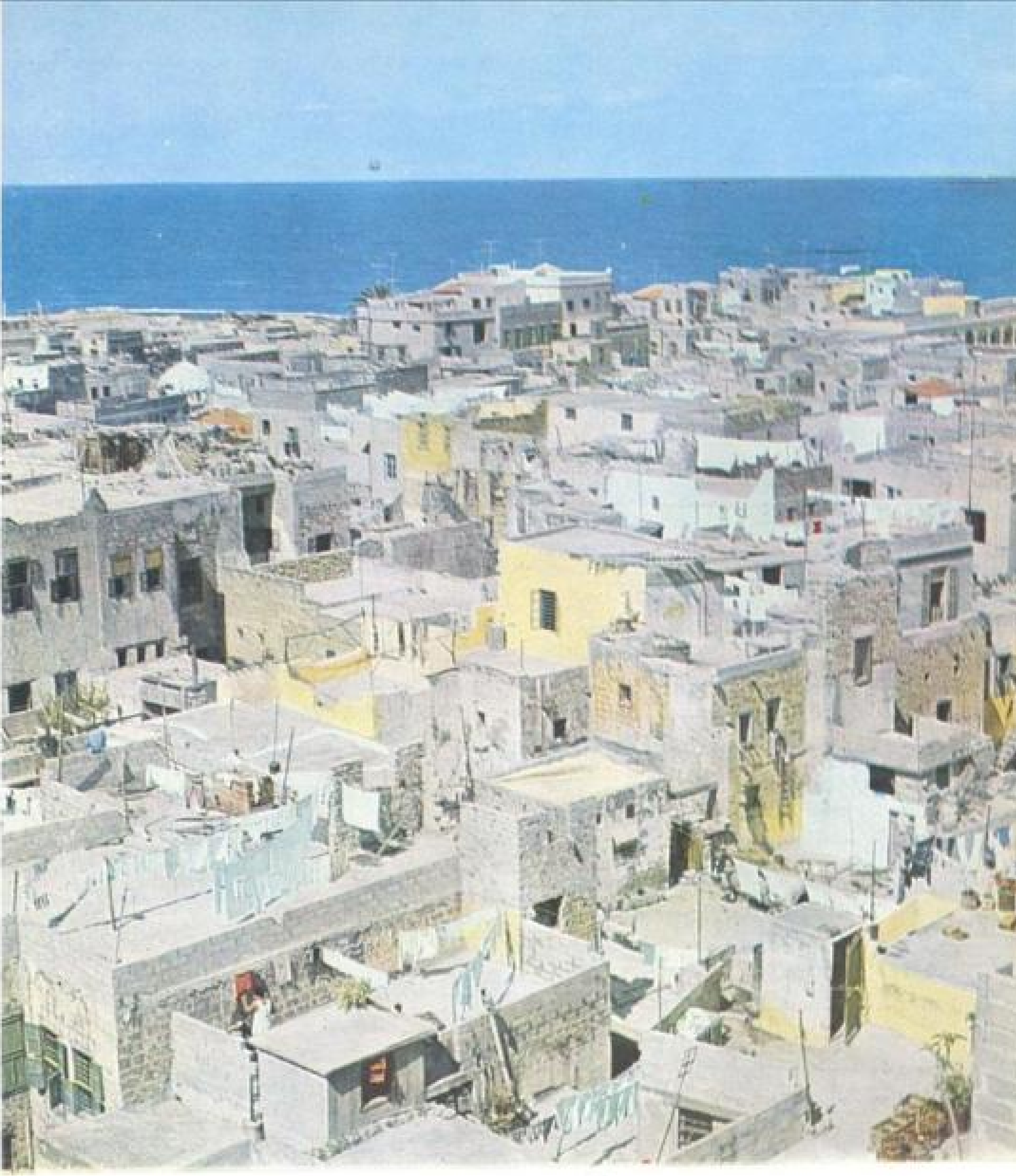

صورة لصيدا القديمة التقطت من على سطح بناية عالية قرب قلعة لويس التاسع

والتشكيلات التى من شأنها عرقلة الأمور لا تيسيرها وتنظيمها . خصوصا وأن المسؤولية الملقاة على عاتقه جسيمة .. فالجنوب ، او لبنان الجنوبى محافظة .. مساحتها حوالى ثلاثة الاف كيلومتر مربع وفيه ما يزيد على اربعمائة وخمسين بلدة وقرية ومزرعة ، وسكانه يزيدون على ثلث المليون ، منهم اربعون الفا يسكنون صيدا ، بما فيهم ١٥ الف لاجىء فلسطينى . وهو مكون من سبعة اقضية .

ومما يضاعف من عبء المسؤولية ان الجنوب يشكو من آفات المجتمع الثلاث : الفقر والجهل

وترى اسطحة الحي متقاربة وتبدو وكأنها متماسكة ومتداخلة في بعضها بعضـــا

والمرض .. وهو فوق ذلك يشكو من العطش ومن عدم وجود طرق مواصلات معبدة .. وواجب المحافظ ، كما يرسمه هو نفسه ، اصلاح أخطاء الماضي .. تلك الاخطاء التي وقعت قبل عهد الاستقلال ..

يقول المثل: «وهل يصلح العطار ما افسد الدهر!؟» وأقول : « يصلح الاحرار ما أفسده الاستعمار » متى توفرت العزيمة الصادقة .. والارادة القوية.

هناك مائتا قرية في الجنوب ليس فيها مـاء .. بل يجمع أهلها ماء المطر حينما تجود السماء به

.. ومتى نفذ هذا المخزون من الماء فان سعيهم ينصرف الى العثور على قطرة الماء يبلون بهـا ريقهم ويطهون طعامهم ويغسلون ملابسهم .

وقد حدث اثناء وجودنا في صيدا أن سد بعض أهالي قرية « روم » منافذ الطرق امام دورية من الدرك احتجاجا على عدم وجود الماء واشتبك الاهالي مع الـدرك فاطلـق المسؤول النار على الأهالي ـ دفاعا عن النفس كما فهمت ـ فقتل واحدا وجرح ثلاثة .

هذه الحادثة ليست الاولى .. وهي ليست الأخيرة ايضا .. ما دام الاهالي ينقصهم اهم عنصر من عناصر الحياة .. الا وهو الماء ..

اما عن النور فليس هناك سوى سبع من بين ٥٢ بلدة وقرية تعرف الكهـرباء بعد غروب الشمس اما الـ ٤٥ بلدة وقرية الباقية فانها تستنير بقنديل الغاز او سراج الزيت . وتبلغ الطاقة الكهربائية الموفرة لمحافظة الجنوب جزءا من خمسين من الطاقة الموفرة لبيروت الـتي تستهلك مليون كيلوواط ساعة يوميا .

وبينما لا نجد من الأطبـاء الخصوصـيين والحكوميين في الجنوب اكثر من ٧٥ طبيبا نجد في مدينة بيروت وحدها ٩٠٠ طبيب اى اثنى عشر ضعفا .

جولة في المدينة

استأذنا من المحافظ وشكرناه على المقابلة وعلى انتداب مندوب وزارة الأنباء بالجنوب لمرافقتنا . والمثل يقول الرفيق قبـل الطريق .. وقد كان الأستاذ عبد المولى الصلح خير رفيق .

كان لا بد لنا من ان نعرف كل شيء عن المدينة .. عن الحـالة الاجتماعية .. والتعليميـة والصناعيـة .. والزراعية .. والصحية والاقتصادية .. الخ .. رحلة طويلة حول المدينة تبدأ بخطوه .. وخطونا الخطوة الأولى في اتجاه دائرة الشؤون الاجتماعية .

الجمعيات الخيرية

قابلنا مساعدةمدير الشؤونالاجتماعية السيدة هيفاء المجذوب ويقع مكتبها في بناء يضم ايضـا مديرية التربية في الجنوب . وترددت في بادىء الامر في اعطائنا المعلومات اللازمة ، والسيدات على ما يبدو اكثر حرصا في التمسك بحرفية الانظمة والتعليمات دون روحها ، وعرفنا أن في صيدا سبع جمعيات خيرية هي : (١) جمعية متخرجي الفنون (٢) جمعية الأدب والثقافة (٣) جمعية التعاون الريفي العربي (٤) جمعية الأنصـار (٥) جمعية التعليم المسيحي (٦) هيئة المقاومة الشعبية و (٧) جمعية المؤاساة والخـدمات الاجتماعية ، وهي الجمعية التي لها اكبر نشاط وسنتحدث عن نشاطها فيما بعد .

اما جمعية متخرجي الفنون فهدفها تامـين قيام رابطة بين جميع خريجي المدرسة الاميركانية للبنين ، ومساعدة طلاب المدرسة العاجزين عن دفع رسوم الدراسة .

وهدف جمعية الأدب والثقافة يدل عليه اسمها وهو نشر الأدب والثقافة عن طريق مكتبة الجمعية المزودة بمختلف الكتب .

وثالث هذه الجمعيات نشاطها ايجاد تعاون بين الزراع في الانتاج والتسويق .

وهدف جمعية الأنصار مماثل لهدف جمعية الأدب والثقافة وهو نشر الادب والثقافة .

وهدف جمعية التعليم المسيحي تامين التعليم الابتدائي لأبناء الطائفة .

وأما أهداف هيئة المقاومة الشـعبية فهي مستوحاة من أهداف المقاومة الشعبيـة التي انبثقت ابان الثـورة التي نشبت في لبـنان عام ١٩٥٨ .

جمعية المؤاساة والخدمات الاجتماعية

تأسست سنة ١٩٥٦ ، ومقرها في شارع «الست نفيسة » . ونشاطها صحي واجتماعي :

اما عن نشاطها الصحي : فان الجمعية تدير مستوصفا مجانيا وتشمل اعمال هذا المستوصف معاينة المرضى الفقـراء وعددهم يزيد على ٥٠ مريضا أسبوعيا وأسست صـيدلية باشراف

صيدلي قانوني لصرف العلاج اللازم للمرضى المعوزين مجانا أو بثمن زهيد لا يزيد على نصف ثمن العلاج للقادرين على الدفع .

وتوزع الجمعية الحليب على الأطفال الفقراء من سن يوم الى ١٢ شهرا بمعدل علبة حليب للطفل اسبوعيا ويساهم أهل الطفل بنصف الثمن وتتحمل الجمعية الباقي وعدد الأطفال الذين تشملهم هذه المساعدة ٧٠ طفلا وتعمل الجمعية على تأمين الفحوص والتحاليل الطبية .

أما نشاطها الاجتماعي : فيستهدف أمرين : (١) التوجيه الاجتماعي و (٢) تنشيط العمل اليدوي .

انبثقت عن الجمعية لجنة من سيدات وانسات صيدا مهمتها زيارة الأمهات في بيوتهن لتوجيههن وارشادهن توجيها صحيا واجتماعيا وحل مشاكلهن ومساعدة الاطفال في الالتحاق بالمدارس وتزويدهم بالكتب المدرسية ودفع الرسوم اللازمة لهم .

فتحت الجمعية فرعا للخياطة والتطريز تحت اشراف خياطة مختصة لتعليم بعض الفتيات مهنة تمكنهن من كسب الرزق ورفع مستواهن المعيشي .

المؤسسات

وفي صيدا ثلاث مؤسسات اجتماعية هي :

١ ـ دار اليتيم العربي : تضم الايتام والحالات الاجتماعية وفيها حوالي ١٥٠ ولدا ، وتقدم لهم العلم والطعام والملبس وتقوم على تبرعات المحسنين وتتقاضى معونة مالية من وزارة الشؤون بمعدل ١١٠ قروش عن كل ولد يوميا .

٢ ـ دار رعاية اليتيم : وتقبل الأيتام من الذكور والاناث وبها قسم داخلي وتتلقى مساعدة من وزارة الشؤون كدار اليتيم العربي .

٣ ـ ميتم مار يوسف : للفتيات المسيحيات من الايتام والحالات الاجتماعية يتعلمن الدروس والخياطة والتطريز .

المرأة الصيداوية

والمرأة في صيدا تتمتع بجميع الحقوق الاجتماعية وقد رفعت الحجاب منذ زمن وهي تعمل في جميع دواوين الحكومة والمؤسسات والشركات والمتاجر .. وهي مثقفة وعلى الأخص فتاة الجيل الصاعد .

التعليم في صيدا

وصف سترابو الصيداويين بأنهم : «فلاسفة في علمي الفلك والحساب» وقال ان المدن الفينيقية في عصره كانت تعد أعظم موطن للمعرفة ، ويذكر مثلا لذلك بوئس Boethus الصيداوي الذي درس معه فلسفة ارسطو واخيه ديودوتس Diodutus الذي كان حسب قوله « فيلسوفا مشهورا » .

وممن نسب الى صيدا ابو الحسن محمد بن احمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الغساني الذي رحل في طلب الحديث الى مصر والعراق والجزيرة العربية وفارس وسمع فاكثر وجمع لنفسه معجما لشيوخه . يقول ياقوت : بلغني ان مولد ابن جميع سنة ٣٠٥ هـ وكان من الأعيان والثقات ومات بصيدا في رجب سنة ٤٠٢ هـ .. وكان يقال له الصيداني أو الصيداوي .

ومن ابناء صيدا العلماء في القرن التاسع عشر يوسف الاسير (١٨١٥ ـ ١٨٨٩) الذي ولد في صيدا وتلقى دروسه في الأزهر الشريف وتولى منصب نائب عام في لبنان واستاذ اللغة العربية في دار المعلمين باسطنبول واصدر مجلة « ثمرات الفنون » عام ١٨٧٥ وشرح المجلة وعلق عليها .. ودرس في الجامعة الأميركية واسهم مع بطرس البستاني وناصيف اليازجي في مساعدة المرسلين الأمريكان في ترجمة التوراة الى العربية .

هؤلاء هم بعض مشاهير علماء صيدا القدامى .. ومن محدثيهم المرحوم الشيخ احمد عارف الزين ـ الذى توفي في أكتوبر ١٩٦٠ ـ صاحب مجلة « العرفان » شيخة مجلات لبنان كما كانت « المقتطف » ليعقوب صروف شيخة مجلات مصر و « المقتبس » لمحمد كرد على شيخة مجلات سوريا .. وكان رائدا من رواد الصحافة والأدب والجهاد الوطني .

بعد هذه المقدمة عن مشاهير علماء صيدا نتلفت حولنا لنرى ما في المدينة الآن من مدارس .

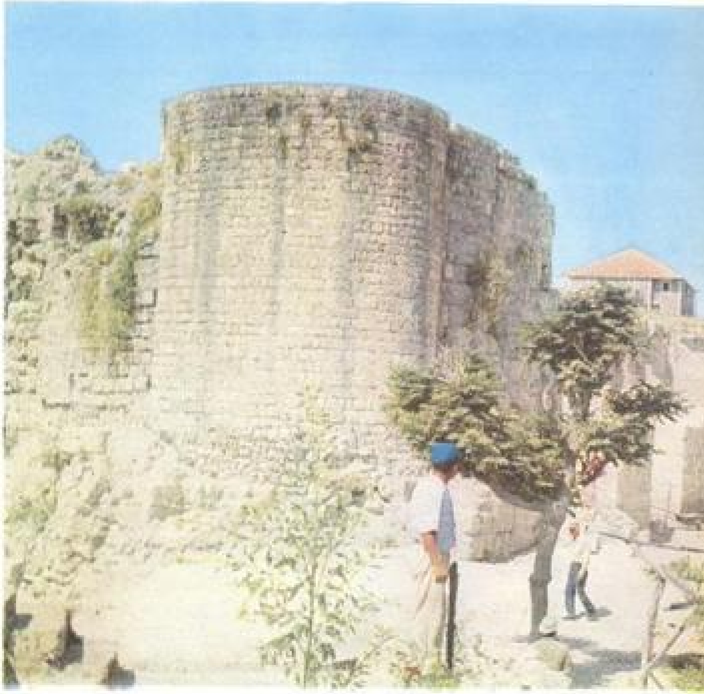

قلعة لويس التاسع أو القلعة البرية في صيدا .

الى اسفل : أصبح ميناء سيدة البحار مأوى لعدد ضئيل من قوارب الصيد التي تبدو في الصورة راسية قرب قلعة البحر ..

الى اليسار: فوق القلعة البرية يقبع هذان المدفعان ويستعمل واحد منهما في رمضان ويعرف « بمدفع رمضان » ويبدو حي صيدا في الصورة وهو يقع في الجهة الشرقية من المدينة.

من هذا الشارع الذي يضيق حيناً ويتسع حيناً آخر تصل الى ميناء صيدا ... وقد سمي ميناء تجاوزاً لانه مرسى لقوارب الصيد والمراكب التي لا تزيد حمولتها عن ٥٠٠ طن ..

قد سمعت قبلا أن لبنان فيه من أنواع المدارس قدر ما فيه من أصناف الخضر .. وقد أخذت هذا القول مأخذ الهزل والمبالغة ولكني عندما عرفت اعداد وأنواع المدارس في صيدا .. أيقنت أن ذلك القول صحيح .

فللحكومة احدى عشرة مدرسة للبنين : واحدة للمعلمين وواحدة ثانوية وواحدة تكميلية وسبع ابتدائية وواحدة مهنية .

ولها سبع مدارس للبنات : واحـــدة ثانوية وواحدة تكميلية وخمس ابتدائية ومجموع الطلاب والطالبات في الابتدائي الحكومي ٢٨٢٠ ومجموعهم في الثانوي ٣٠٠ وجهاز المدرسين يتألف من (١٣٠) مدرسا و (٦٢) مدرسة .

أما المدارس الأهلية فغالبيتها ـ سواء للبنين أم للبنات ـ تأسست من قبل جماعات دينية أو ارساليات وأسماؤها تدل عليها .

ومن مدارس البنين الاهلية: الكلية الانجيلية الوطنية للصبيان وتضم ٦٥٠ طالبا ، وهي ثانوية كاملة . وكلية المقاصد الاسلامية للبنين وهي كذلك ثانوية كاملة (٦٣٩ طالبا) ومدرسة فيصل الأول (المقاصد) وهي ابتدائية (٣٥٠) طالبا ودار اليتيم العربي ومدرسة راهبات فرنسية ، والمدرسة الأسقفية للروم الكاثوليك والاتحاد الاسرائيلي (٨٤) .

وتشمل مدارس البنات الأهلية : كلية المقاصد الاسلامية للبنات وهي ثانوية كاملة وتضم ٤٠٠ طالبة بالقسمين الخارجي والداخلي ، والكليـــة الانجيلية الوطنية للبنات (امريكية) وتضم ٥٠٠ طالبة ومدرسة راهبات سان جوزيف (بريفيـه) وأخرى (تكميلية) وميتم مار يوسف وروضـة الفقير ومدرسة جاكوبيان الارمنية ، وعائشـــة أم المؤمنين وفاطمة الزهراء (مقاصد) .. وهذه المدارس جميعها تضم حوالي خمسة آلاف طالب وطالبة .

التنظيم النقابي

لكل حرفة من الحرف نقابة مهنية في صـيدا .. وتبلغ هذه في مجموعها تسع نقابات يضمها شبه اتحاد وتشمل عمـــال التجـارة والأفران والنجارين والقصابين وعمال المقاهي والمطاعـــم والفنادق وعمال وعاملات الخياطة ومســتخدمي الكهرباء وصيادي الاسماك وعمال المطابع .

قابلنا نقيب صيادي الأسماك السيد اسماعيل النقيب وحدثنا عن أهداف نقابة الصيادين ومنها تخفيف المشقات عنهم. ان الصيادين كانوا يخرجون لصيد السمك في منتصف الليل ويعودون حوالي الساعة الثامنة صباحا فيبيعون صـــيدهم من السمك وبعد ذلك ينقلون الماء على أكتافهـــم بالصفائح ويغسلون الشباك وينشرونها ويتناولون طعامهم ويعودون الى الشباك لاصلاح ما تمزق منها حتى غروب الشمس . عملت لهم النقابة «السبيلا» لغســل الشباك ... وهيأت منطقـة مناسـبة لرسو زوارقهم .. واشتروا الزوارق التي تسير بواسطة الموتور بكفالة النقابة .. وتساعد النقابة أعضاءها اذا مرضوا فتقدم لهم العلاج كما تقدم لهم مساعدات مالية عندما يبلغون سن الشيخوخة .

الصيد .. كمورد للرزق

من الصناعات التي راجت على الشـــاطيء الفينيقي صيد السمك . واسم مدينة صـــيدا يرد الى جذر سامي مشترك يفيد « الصيد » . فقد كانت المراعي فقيرة واستعاض أهـالي صيدا القدماء بالبحر عن المراعي والبحر كريم بانـواع السمك الآتية : السلطان ابراهيم ، السردين جربيدي ، لكز صخري ، لكز رملي ، مليفا ، بلاميدا .

وفي صيدا الآن مائتان وخمسون صيادا كل واحد منهم يعول أسرة وتقلص أسطولها التجاري الضخم الى أسطول صغير من زوارق الصيد عدده ١٢٠ زورقا منها ٤٠ تسير بالشراع و٨٠ بالموتورات .

وصيد السمك له مواسم ، وهو يزدهر صيفا ويصل وزن الصيد اليومي ٢٠ طنا أما في الشتاء فقد لا يتعدى في بعض الأحيان نصف الطن . وما تستهلكه صيدا من السمك لا يزيد علـــى ١٥٪ والباقي يشحن الى بيروت .

ميناء صيدا مرسى زوارق وليس بميناء

يقع ميناء صيدا ـ اذا جاز لنا أن نسميه ميناء ـ الى الجهة الغربية من قلعة البحر وهو عبارة عن مرسى ترسو فيه زوارق الصيد والمراكب التى لا تزيد حمولتها على ٥٠٠ طن .. تنقل الى المدينة البطيخ من الجمهورية العربية المتحدة وتشحن الى غزة البضائع كما تشحن الموز الى قبرص .

وقد كان لهذا الميناء فى بداية القرن الحالى أهمية لا بأس بها وقد ورد فى كتاب «تاريخ صيدا» للمرحوم الشيخ احمد عارف الزين بيان رسمى عن حركة الملاحة فى صيدا سنة ١٩٠٧ ويقول البيان : ان البواخر التى دخلت الميناء فى ذلك العام كما يلى : ١٤ انجليزية ٣ مسكوفية ١٢٧ عثمانية ١ نمساوية ١ ايطالية ، ٨٨٠ مركبا شراعيا .

قلعة البحر

قلعة البحر فى صيدا أروع القلاع الصليبية بناها بلدوين الانكليزى على جزيرة صغيرة لا تبعد عن الشاطىء أكثر من ٧٥ مترا سنة ١٢٢٧ فوق انقاض قلاع رومانية وفينيقية وقد رممها فيما بعد لويس التاسع ملك فرنسا بعد ربع قرن من الزمان ورممها بعد ذلك المماليك وأصلحها الأمير فخر الدين المعنى فى القرن السابع عشر وأضاف اليها أقساما جديدة منها المسجد الذى تظهر قبته فى أعلى القلعة .

صيدا القديمة

كومة من الحجارة رصت فوق وجنب بعضها لتغطى مساحة من الارض ممتدة من قلعة البحر الى قلعة القديس لويس أو القلعة البرية .. وترك تحت القناطر والعقود المتشابكة فراغ تتلوى فيه السراديب .. والأزقة والدروب المظلمة .. وكذلك الكهوف أو الغرف التى يعيش فيها ما لا يقل عن خمسة عشر الف صيداوى .

انها بلدة كاملة باسواقها وازقتها وحتى مدارسها .. ستجد النجار وصانع الأحذية .. والى جانبه الخباز والحداد .. لا يدخلها النور الا بصيصا منه .. من فرجات فى الأسواق المسقوفة .. والا ما يجلبه لها التيار الكهربائى من بيروت .

وترى بعض أبواب المساكن لا ترتفع الى أعلى من نصف قامة الانسان فيضطر أن ينحنى على شكل زاوية قائمة كى يدخلها .. ولولا هياكل بشرية تراها تتحرك فى تلك السراديب والأقبية كأنها الأشباح لظن المرء نفسه يدخل مقبرة مهجورة .. هجرها حتى الموتى الذين دفنوا فيها لوحشة المكان ورهبته .

وما تلبث هذه الأزقة حتى تنفرج عن ساحات صغيرة ـ فى أماكن قليلة ـ لا تزيد تلك الساحات عن نصف مساحة ملعب للتنس ومنها ساحة باب السرايا وساحة ضهر المير ، لتعود وتضيق بحيث لا تتسع لسيارة صغيرة أو حتى للحنطور الذى ما زال مستعملا هنا .

ويرجع تاريخ هذا الحى القديم الى عهد المماليك والفاطميين كما يعود قسم كبير منه الى عهد الامير فخر الدين المعنى .

ويجرى الآن نقل بعض السكان من هذا الحى القديم الى المبانى الشعبية التى تبنيها الحكومة فى عين الحلوة شرقى سكة الحديد .

وبداخل الحى القديم يوجد خان الفرنج الذى بناه الأمير فخر الدين ووضعه تحت تصرف القنصلية والتجار والمرسلين الافرنسيين ويشغله الآن مركز لتوزيع الحليب تشرف عليه « الاونروا» وميتم تابع لراهبات القديس يوسف .

وخرجنا الى أطراف الحى القديم الذى تداخلت بيوته فى السور القديم لنجد أنفسنا أمام القلعة البرية أو قلعة القديس لويس ، وهى انقاض لولا بعض الحجارة التى ما زالت متماسكة بعضها بالبعض الآخر وتجرى دائرة الآثار التنقيب عن الآثار فى هذه القلعة الآن .

أعلى نقطة فى صيدا

كان « ابو كايد » صاحب السيارة التى نستخدمها فى تنقلاتنا ينتظرنا فى المقهى الصغير

منظر لجزء من حي البرغوث من فوق القلعة البرية وتبدو فى مقدمة الصورة مقبرة الشيعة فى صيدا ، وجدر استنادية لمنع انهيار التربة على منطقة الحفريات فى قلعة لويس التاسع ، ويبدو طرف منطقة الحفريات فى أسفل الصورة ..

طالبات من كلية المقاصد الاسلامية وقد افترشن رمال الشاطىء أثناء درس في الرسم ..

تشتهر صيدا بصناعة الحلويات وهذا محل لبيع الحلويات ، وقد تكدست فوق الموائد بأصنافها الشهية ..

مدخل معتم هو بالنسبة للخارج من الحى القديم منفذ الى الشمس الساطعة وبالنسبة للداخل لصيدا القديمة مدخل للظلمة والانقاض والرطوبة

واحد من الازقة العديدة داخل صيدا القديمة وتكاد تكون كلها متشابهة فى كل شيء حتى بسكانها .

عند سفح القلعة .. وهلل وجهه مستبشرا حينما رآنا خارجين سالمين ولم نرح ضحية تحت انقاض البيوت المتهرئة المتداعية .. قلنا له مسرعين .. خذنا الى أعلى نقطة فى المدينة .. الى جامع الحاج على الزعترى .. ووقفت السيارة عند سور الجامع .. وصعدنا المئذنة درجة درجة .. الى ان عددنا مائة وخمساً وتسعين درجة .. وهناك قرانا الفاتحة .. واستنشقنا نسيم البحر واريج الزهور .. ومتعنا انظارنا بجمال البساتين التى تشبه البساط السندسى الاخضر نثرت عليه كرات ذهبية صفراء .. هى حبات البرتقـــال والليمون .

الميـه وميـه

من على المئذنة رأينا « ضيعة » صغيرة عـلى جبل فى شرقى المدينة وتكاد تكون ملاصقة لهـا ، وعرفنا أن اسمها« الميه وميه » واستجلينا غموض التسمية فحدثنا محدثنا قائلا : هناك روايتـان لتسميتها : الاولى تقول انه عثر فيها على موميات كثيرة ولصعوبة لفظ مومياء ومومياء : قالوا : ميه وميه . اما الرواية الثانية فتقول ان المنطقة كانت خاضعة لسيطرة الدروز وراح هؤلاء يعدون القرى والضياع التابعة لهم فعدوا منها مائة .. ومائة وتسعا وتسعين .. ولما وصلوا هـذه الضيعة « وكانت المائتين » عدوها وقالوا ميه وميه بدلا من مائتين كما لو سألت أحدهم عن الوقت فيرد عليك الساعة عشرةوعشرة.رواية قابلة للتصديق.

صناعات صيدا ومزروعاتها

تزرع صيدا الفواكه وعلى الأخص الاكى دنيا والحمضيات كما يزرع الخضار بانواعه . وقامت الى جانب الزراعة صناعة بسيطة ترتبط بالزراعة كعصر الزيتون وماء الزهر وصناعة صـناديق الحمضيات وتوضيب الفاكهـة والحلويات .. واصبحت بعض الصناعات تعرف باسم أصحابها فالسنيورة مثلا أصبحت علما لصناعة الحلويات .. وكذلك البرتقال « الزعترى » وتشتهر صيدا

زقاق ضيق فى الحي القديم وفى نهايته باب لا يصل ارتفاعه الى كتف الرجل وحجبت عنه الأقواس والعقود أشعة الشمس .

زقاق ضيق آخر داخل صيدا القديمة وقد تساقطت قصارة جدران بيوته ونخر السوس خشب ابوابه وتآكلت أنابيب المياه والكهرباء فيه.

كذلك بصناعة الاثاث الخشبى وال « استيل » وقوارب وشباك الصيد .

ماذا قالوا فى تسمية « صيدا »

قيل فى تسميتها انها سميت « صيدون » وما زال هذا هو اسمها بالانكليزية idon . نسبة الى صيدون بن صدفاه بن كنعان بن نوح عليه السلام . جاء فى سفر التكوين « ١٠ : ١٥ » « وكنعان ولد صيدون بكره وحثا » . ويعزز هذه التسمية هشام عن أبيه .

وقلنا سابقا ان الاسم يرد الى جذر سامى مشترك ، يفيد « الصيد » .

وقال النضر : الصيداء : الأرض التى تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الارض .

وقال أبو منصور : الصيداء : حجر ابيض يعمل منه البرام جمع برمة .

والبرام لغة معناها القدور من الحجر وهناك قرية اسمها « البرامية » تشرف على صيدا وتشتهر بصناعة القدور الفخارية .. وهذا دليل على ارتباط التسمية .

وكلمة صيداء : تعنى أيضا الماء المعروف بصداء الذى يضرب به المثل فى الطيب فيقال : ماء ولا كصداء .. وقال المبرد وهو صيداء وانشد :

يحاول من أحواض صيداء مشربا

وبحوران موضع يقال له أيضا صيداء ولذلك قال النابغة الذبيانى :

وقبر بصيداء التى عند حارب

واخيرا .. فمهما كان اصل تسميتها .. ومهما كان مدلول اسمها .. فان صيدا ستظل خالدة بتاريخها العريق على مر العصور وعلمائها الافاضل ومفكريها الاحرار وشهدائها الابرار - ومنهم الشهيد توفيق البساط ، شهيد ٦ مايو « ايار » . ■■

سينما ..
ولكن بالنهار !!

● هكذا يقول الخبراء ، ان هذا ممكن . فالأفلام الى اليوم لا ترى صورها الا فى الظلام . ولكنهم يقولون ان شاشة جديدة ، تتألف من مئات من العدسات الصغيرة ، سوف تجعل الرؤية بالنهار ممكنة .

لعل وعسى ..

الحياة تعود بعد دفن دام ١٨٠ مليون عام

يجب أن أبدأ فاقول انها ليست حياة انسان أو حيوان ، وانما هى حياة لبعض تلك الكائنات الحية الصغرى التى تعرف بالبكتير . وقصة ذلك قصة ممتعة :

خطر للدكتور دمبرو وسكى Dombrowski ذات يوم أن ينظر بالمجهر فى قطرات من الماء جاءت من حمامات طبية مقامة فى مدينة نوهيم Nauheim بالمانيا . ولما رآها أخذه العجب ، اذ وجد بها بكتيرا . ومع البكتير وجد حبوب لقاح لنبات . وبعث بها الى المختصين فى تاريخ الاشياء القديمة والبقايا الجيولوجية ، وبعد دراسة وافية خرجوا بان عمرها بضع ملايين من السنين . وفيما يختص بحبوب اللقاح فقد خرجوا انها حبوب نباتات انقرضت منذ العصر الثلاثى الجيولوجى .

وسأل الدكتور عن مصدر هذه المياه المحملة بالملح ، فدله الجيولوجيون على مصدرها ، فكان يبعد عن مختبره نحو ٦٠ كيلو مترا . كان ركيزة للملح قديمة . ملح متبلور . وعندئذ خطر للعالم أن هذا الملح لا بد حجز البكتير مغلقا بين بلوراته الوف الالوف من الاعوام ، حتى جاءه الماء ، فرد هذه الكائنات الى الحياة .

وليدل على صدق نظريته اخذ كتلة من هذا الملح ، وفى مختبره عرضها طويلا للاشعة فوق البنفسجية ليقتل كل ما فيها من حياة ، ثم هو عرضها لحرارة البورى . ثم هو زرعها كما يزرع البكتير فى الأصحن ، ففى ٨٦ تجربة من ١٨٠ ، خرج من العينة ببكتير حى كذلك البكتير الذى يوجد فى البحر المالح .

لم يكتف بهذا . فارسل الى جامعة منتريول Montreal بكندا يطلب عينة من ملح أرضى بها كانوا قدروا عمره فكان ٣٢٠ مليون سنة .

وصنع بهذا الملح ما صنعه بملح المانيا ، فخرج بنفس النتيجة : من كل ٢٠ تجربة خرجت ٨ ببكتير حى .

وهو لم يقف عند هذا . انه الآن يطلب عينات من ملح حجرى يقدر عمره بنحو ٧٥٠ مليون عام !!

ان هذا البكتير ، الذى هو فى الملح ، لا بد مات بالمعنى الذى نفهمه اليوم من موت الأحياء ، فكيف عادت اليه الحياة ، أم أن للموت والحياة معنى غير ما نعرف .

وليست هذه القصة من مصدر غير ذى بال . انها من مصدر خطير . انها من مجلة المانيا الكبرى الشهيرة لعلم البكتير . انها من Zentralblatt Fur Bakteriologie.

انوف الكلاب

● حاسة الشم عند الانسان ضعيفة ، وهى قوية جدا عند بعض الحيوانات ، ولعل هذا لأنها أحوج اليها من الانسان .

وقد قدروا شم الكلاب ، فخرجوا على ان انوفهم أحس لبعض الروائح من أنف الانسان .....١ مرة . ومعنى هذا ان الانسان اذا احتاج للاحساس برائحة الى مقدار منها أدنى ، احتاج الكلب الى جزء من .....١ فقط من هذا المقدار ليحس بالرائحة .

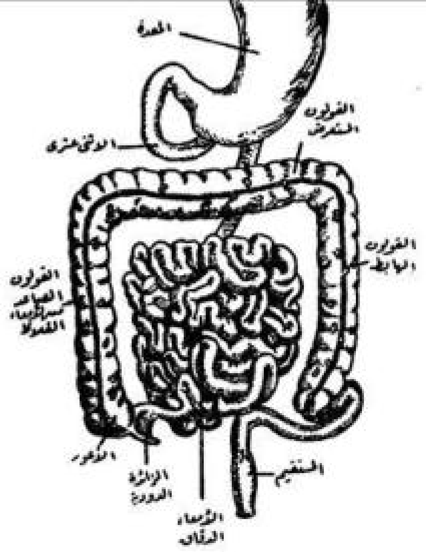

علاج جديد للقرحة في الاثنى عشرى

● انه علاج بالتثليج .

يدخلون الى المعدة بالونا ، يصلونه عن طريق الفم الى خارج الجسم بانابيب ، ويجرون فى هذه الأنابيب الماءَ باردا الى داخل البالون . ويزداد الماء برودة حتى تتجمد عصارات المعدة فتتوقف عن انفراز . ان هذه الافرازات المعدية هى التى تسيء الى القرحة ، وهى التى كذلك تسبب الالم . وتبقى المعدة هكذا مثلجةً ساعة وساعتين . ويتكرَّر هذا ، ويعين القرحة على أن تلتحم .

والغريب ان المريض بعد تمام التثليج واخراج البالون يأكل بشهية ، ويأكل كل شيء . ولا يُمنَع عنه شيء الاالكحول واشربته ، والاشربة المنبهة كالقهوة والشاى .

اهتدى الى طريق العلاج الجديدة هذه فرقة من البحاث ، بمدرسة الطب بجامعة مينا بوليس Minneapolis

لن تكون لفرنسا سفن ذرية

● هكذا قررت حكومة فرنسا ، ان لاتبنى فرنسا سفنا تسيِّرها قوة الذرة. اما سبب هذا القرار فالنفقة الباهظة اللازمة لبناء هذه السفن .. وعندها ان الأمم التى بنتها طلبتْ بذلك الدعاية والمجد ، وان الدعاية والمجد لا يساويان مثل هذه النفقات .ثم الربح الناتج ؟ ان هذه السفن لا يمكنها ان تنافس السفن التى تجرى بالفحم والزيت .

ومع هذا فالوكالة الأوروبية للطاقة النووية سوف تبنى سفينة ذرية ، هى الأولى لأوروبا ، وستجعلها لبحوث علم المحيطات . والمهمُّ انها سوف تبنَى فى الميناء الفرنسى هافر Havre ، واذن سوف تجد فرنسا فرصتها العلمية والتكنية لممارسة شؤون الذرة فى دفع السفن فى البحار .

قراءة الكف .. ولكن !

● قامت جامعة طولان فى نيو أورليانز ، بدرس ٢٠٠٠ كف ، وما بها من خطوط . وخرجت بنتائج من الدراسات جدِّية . منها ان بعض هذه الخطوط له علاقة بصفات ورائية فى صاحب الكف . وكذلك يدل تخطيط فى الكف خاصٌ على أسواء فى البصر وادواء فى القلب ، ونوعٍ من تخلف الذكاء فى الرأس . وهذه الخطوط التى تشير الى ما ذكرنا ليست هى خطوط الكفوف العادية التقليدية المعروفة ، ولكن خطوط أخرى غاية فى الدقة لا تكاد ترى .

نيجيريا ، أكبر البلاد سكانا فى أفريقيا تطلب التصنيع هدفا لطيبات الحياة

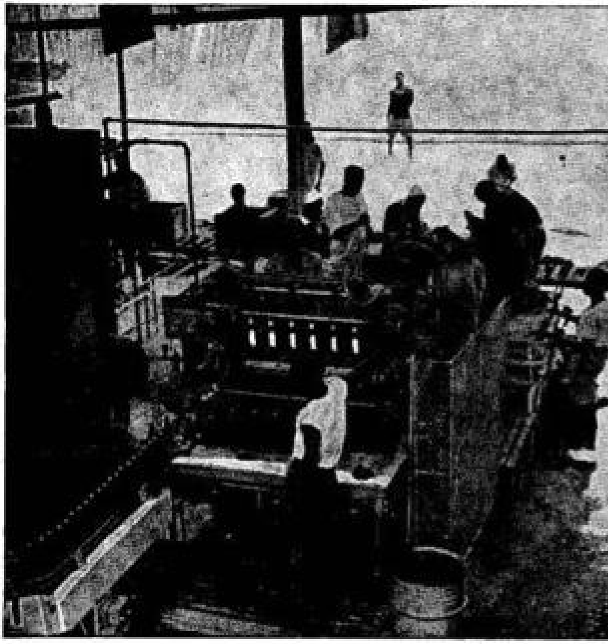

اغلب الصناعات الموجودة فى نيجريا ، خفيفة ، مثل صناعة المياه الغازية ..

● نيجريا هى اكبر البلاد الافريقية سكانه فعدد سكانها ٣٥ مليون نسمة . وبها موارد معدنية كثيرة . ولكن متوسط دخل الفرد فى المتوسط لا يزيد على ٢٧ جنيها استرلينيا فى العام ، وهو من اخفض المستويات المعيشية فى الدنيا . واقتصادهـا زراعى يكاد يكون خالصا . ولكن البلاد تسعى الى التصنيع معتمدة على ما بها من خامات .

فيها الفحـم ،

وفيها زيت ، فقـد كشفت البحوث التى جرت هناك عن ١٢ منطقة مـن المناطق التى تحمل الزيت . وهى مناطق لم تستغل بعد ، ومع هذا فهى تصدر من الزيت فى العام مـا ثمنه ٢ مليون جنيه استرلينى .

وفيها الحديد ، ويقدر مخزونه فى الارض الآن بما يقرب من ٣٠ الى ٤٠ مليون طن ، نسبة الحديد فيها تتراوح بين ٤٢ و ٥٠ فى المائة ، وهى نسبة مرضية . وهدف الحكومة اليوم ان تقيم حيث يوجد خام الحديد صناعة للحديد والفولاذ .

كم نأكل من حديد ؟

● ان الحديد لازم للجسم ، لا شك فى هذا . ان الدم يدخل فى تركيبه الحديد ، فمحصول الجسم من الحديد لا بد يتجدد .

والحديد يدخل الى الجسم عن طريق ما يأكل الانسان من أطعمة . ان الحديد يدخل فى بعض مركبات هذه الأطعمة ، ولكنه لا يُمتص كله . وقابلية هذا الحديد للامتصاص تختلف باختلاف الطعام الذى هو فيه . ان السبانخ يوجد به نحو ٥٦ ملي جرام فى المائة جرام من السبانخ الجاف ، ولكن من هذا المقدار لا يمتص الجسم غير خمسه . ومن الأطعمة التى هى مصادر للحديد ، غذاءً للجسم ، نذكر الكبد واللحوم والبيض والفواكه المجففة ، وكذا البقدونس .

وقد جاء فى الأخبار العلمية أن ما يقبل الامتصاص من الحديد الموجود فى الأطعمة العادية يبلغ فى مجموعه نحو عُشره .

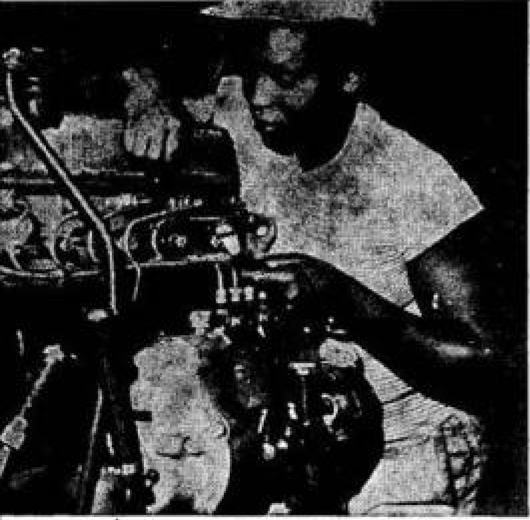

التصنيع ! التصنيع ! : صرخة التصنيع سمعت أصداؤها فى كل قطر ، حسبانا بأنها اقصر طريق الى الهروب من الفقر . وهذه صورة من غانا ، بأفريقيا الغربية ، تريك امرأة غانية تتدرب لتكون ميكانيكية ماهرة .

وفيها الخشب،فالمناطق التى فيها الشجر الذى يصنع منه الخشب تبلغ ٨ فى المائة من مساحة البلاد .

وزراعتها اغلبها زراعة محاصيل حقول ، كالذرة بانواعها ، والأرز والفول ، وهى تمثل ٦٢ فى المائة من انتاج البلاد . والمعروف عن افريقيا ، لا سيما الغربية ، انها لا تنتج المحاصيل ، ولكن تنتج الموز والكوكا والنخيل بغية زيته . وتنتج نيجيريا هذه الأشياء أيضا ولكن فى حدود ١٠ فى المائة من انتاجها .

والزارع يزرع أساسا لنفسه هو ، ليأكل ولتأكل اسرته .

وحكومة نيجيريا المستقلة تبذل اليوم جهدها لتجذب الراسمالات الاجنبية اليها ، وكذلك الفن الصناعى الأجنبى ، لتتصنع فى اقصر وقت ممكن . فعندها ان التصنيع لا بد منه لرفع مستوى المعيشة فى البلاد . ان الزراعة نافعة جدا بالطبع ، ولكنها لا تكفى . وانتاجها الصناعى اليوم لا يزيد على ٢ فى المائة من انتاجها العام .

وهى تغرى المال الأجنبى ، فى أوربا والولايات المتحدة ، بالدخول الى البلاد ، بشيئين : بان نيجيريا موضعها من افريقيا الغربية موضع ممتاز ، فهى فى الأوسط منها ، وبان نيجيريا سوق عظيمة بمساحة اراضيها ، وبعدد سكانها .

وقد ابتدعت نيجيريا ابتداعات أخرى لتجذب هذا المال .

التصنيع ! التصنيع !

انه هدف كل امة متخلفة ، لها فى الحياة الطيبة آمال .

الذكاء .. هل هو كيمياء

● من الهرمونات هرمون أسمه سيروتونين Serotonin وهو من الهرمونات الموجودة فى مخ الانسان والحيوان .

وقد أجرى الدكتور وولى Wooley ، وهو كيماوى حيوى بمعهد رُكفلر ، اجرى تجارب على الفئران خرج منها على انه كلما زاد مقدار هذا الهرمون فى امخاخ هذه الفئران ، زاد ذكاؤها ، واهتدت بسرعة الى الخروج من الحوائل التى اقامها الباحثون فى صناديقها لتحصل من بعدها على طعام . أما اذا قل هذا الهرمون فى امخاخ هذه الفئران قل ذكاؤها ، وصار خروجها واهتداؤها الى الطعام أصعب .

والذى أغرى الدكتور وولى بالقيام بهذه الأبحاث هو ما سبق ان عُرف فى الطب ، منذ سنين ، انه يمكن انتاج خلل فى عقول بعض الناس بتغيير مقدار هذا الهرمون فى امخاخهم .

ان هذه التجارب يتخذها الكثير من العلماء للخروج بالنتيجة الخطيرة : ان امراض العقول امراض كيماوية . واذن ، فتصحيحها يكون عن طريق الكيماويات .

مائة عام فى الزراعة

● اصدرت وزارة الزراعة الأمريكية كتابا سمته « بعد ١٠٠ عام » ، وهو كتاب يصف الخطوات التى تقدمت بها الزراعة ، والثمرات التى جنيت ، فى بحر مائة عام ، بدات فى عام ١٨٦٢ بالمرسوم الذى انشأ به الرئيس ابراهام لنكلن اول وزارة للزراعة .

ومن الطرائف التى احتواها الكتاب نذكر ما يلى :

قبل مائة عام كان المزارع الأمريكي يخرج من الفدان الواحد ٨٠ بوشلاً (البوشل ـ ٨ جالونات كيلا) من البطاطس ، ومنذ عام ١٩٤٠ هو يخرج من الفدان ٣٠٠ بوشل .

ولو قسمنا الارض المزروعة منذ ١٠٠ عام على سكان الولايات المتحدة لخص الفرد ٦٠ فدانا . ولو فعلنا ذلك اليوم لخص الفرد من السكان ١٥ فدانا فقط . ومع هذا فالمزارع الواحد منذ قرن كان عليه ان ينتج الطعام لخمسة افراد . اما اليوم فهو ينتج الطعام والكساء . بما يكفى ستة وعشرين شخصا . انتاج لا شك عظيم .

وفى التعليم الزراعى انشات المدارس الزراعية فى ولاية من بعد ولاية ، وانشئت معاهد البحوث الزراعية .

ويقدر ان من الذين تخرجوا من الجامعات عام ١٩٦٢ ، خمسهم حضر هذه المعاهد والكليات . ومن درجات الدكتوراة التى منحت فى جامعات الولايات ، منح اربعون فى المائة منها فى الزراعة ، منحتها كليات الزراعة وجامعاتها .

مزيد من الصواريخ ..

● **الصاروخ اطلس : هو لا شك اكبر واقوى وانفع وانجح صاروخ الى اليوم صنعته الولايات المتحدة . وهو يرسل القذائف عبر المحيطات . وقوته الدافعة تبلغ ٣٦٠٠٠٠ رطل . وتجد فى الصورة الخزانة التى تمتلىء بالوقود ، وهو بالطبع بعض الصاروخ ، لهذا لزم أن تكون خفيفة للغاية ، وهى مصنوعة من الفولاذ الذى لا يصدأ ، ولكنه من الرقة بحيث انه يجب ان يظل مضغوطا دائما ، فارغا ، او ملآن . وهو يملأ بالاف من الارطال ، من البترول ومن الاكسجين السائل ، ومن فوقهما ، فى الحيز الذى يمتلىء ، غاز الهليوم حتى يظل جسم الخزانة مضغوطا ، فيبقى على شكله لا يتحول .**

والصاروخ اطلس ، له فائدتان : فائدة حربية اذ يقذف بالقنابل الذرية على الاعداء من قارة الى قارة ، على مدى بعيد . وفائدة اخرى انه يقذف بالاقمار الصناعية الى الفضاء .

والولايات المتحدة قائمة اليوم فى صناعة صواريخ اقوى ، ترتفع بقوة دفعها الى فوق المليون من الارطال ، وبهذا تلحق بالروس .

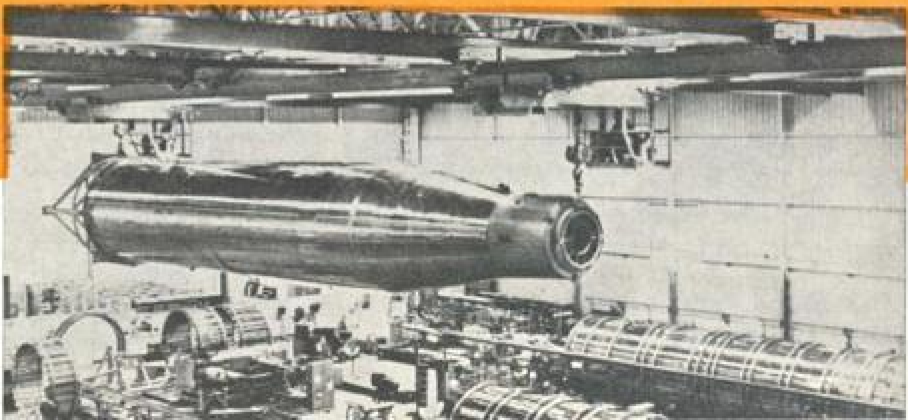

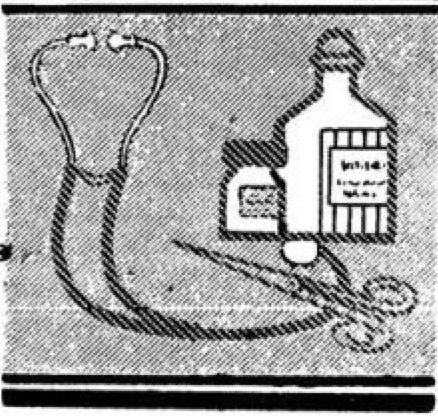

طبيب الأسرة

لي أخ أصيب بالسل

– لي اخ أصيب بالسل ، وقد قضى تحت العلاج ما يقرب من ثمانية اشهر. وقد قيل لي انه في المرضى بالسل كثيراما يتغلب المكروب على العقاقير ، فيؤخر الشفاء . فهل هذا صحيح ؟

● ان العقاقير الكيماوية المستخدمة فى علاج السل ناجحة جدا ، اذا ما تعاون المريض وطبيبه فى علاج المرض ، وتعاونا باخلاص ، وباستمرار ، ولمدة تكفي لزوال المرض . وهذه المدة قد تكون عاما كاملا ، وقد تكون عامين . اما ما تذكر من تغلب المكروب على العقاقير فهذا فى الواقع نتيجة تحصن المكروب من العقاقير ، ويحدث هذا على الأرجح اذا لم يكن العلاج متصلا ، أو اذا تناول المريض من العلاج شيئا واحدا واغفل سائره .

ان العقاقير التى تعطى لمغالبة السل ، عقاقير كبرى ثلاثة ، لها فى الشفاء أثر فعال . وهذه هي : الاستربتوميسين Streptomycin ، وحامض البارا امينو ساليسيليك Para - Amino - Salicylic Acid وهيدرا زيد حامض الأيسونيكوتينك . ومكروب السل ، أعنى بشلته ، قد تتحصن من احد هذه الثلاثة ، أو من اكثر من واحد منها .

والطب اليوم جاد فى استنباط عقاقير كيماوية جديدة ، ذلك لأن كثيرا من الناس لا سيما فى الشرق ، يحملون مكروبات للسل متحصنة من أحد العقاقير الثلاثة الكبرى التي ذكرنا .

السن المصنوعة والمخلوعة ، هل تثبتان فى الفك اذا وضعتا فيه ؟

– قال لى صديق انه الآن قد امكن وضع اسنان مكان الأسنان المخلوعة فى الفم ، وان هذه الأسنان الموضوعة تثبت فى عظم الفك ، وترتبط باللثة كارتباط الاسنان الطبيعية ، فهل هذا صحيح ؟

● لا ، ليس بصحيح ابدا . فالسن المصنوعة من عظم أو لدين ، اذا وضعت فى الفم مكان سن طبيعية لا ترتبط بالعظم ولا باللثة ابدا . ان الحياة تعوزها .

ولكن هناك حالات يمكن فيها ان ترد السن الطبيعية التى فقدت مكانها من الفم ، من جراء ضربة أو صدمة ، الى مكانها . انها سن طبيعية توضع فى مكانها الطبيعى ، فقد تلتحم وتعود الى حالتها الطبيعية الأولى .

القرحة
هل تكشفها الأشعة دائما ؟

ـ اشتبه طبيبي في وجود قرحة في معدتي . ثم اعطيت وجبة الباريوم المعتادة وصوروا معدتي بالأشعة ، فلم يظهر للقرحة صورة . فهل معنى هذا انه ليس عندي قرحة ، ام ان الاشعة لا تكشف ، دائما وجود القرحة ؟

● جملتك الأخيرة هي الصحيحة ، ان الأشعة قد تعجز عن كشف القرحة . انها تكشف عن القرحة اذا أزمنت ، ويسهل كشفها اذا هي وقعت من المعدة في حيث يتقوس جدارها . وهذا هو الموضع الذي فيه غالبا تتكون القرح . اما القرحة التي تتكون في جدار المعدة الى خلف ، فيصعب اداركها . ولو ان لهذه طرقاً خاصة قد تكشف بها .

كذلك القرحات الصغيرة لا تكشفها الأشعة . ان الأشعة تكشف الفجوة التي تصنعها القرحة ، وتكشفها ، لا في مواجهة القرحة ، ولكن بأخذ صورتها من جانب . وكثيرا ما عجزت الأشعة عن الكشف ، واستنتج الأطباء من اعراض المريض وجود قرحة . ولما اجريت الجراحة كشفت عن القرحة او القرح التي كانت خبيئة .

أنا قصير

ـ أنا سني ٤٥ عاما ، وقد تقدمت لعمل ، اشترطوا في القبول له أن يكون لي طول مخصوص . وانا اقصر من هذا الطول بنصف انش فقط ، فهل من طريقة لزيادة طولي ؟

● لا أظن ان هناك للجسم بعد تمامه طريقة يمكن بها زيادة طوله . ولكن عند كثير من الناس الذين هم في مثل سنك انحناءة قليلة في سلسلة الظهر ، وتقويم هذه الانحناءة يمكن ان يكسبك النصف بوصة الناقصة . وتقويمها يكون بالقيام بتمرينات رياضية يومية يَمطُ فيها الانسان جسمه مطا ، يعرفها خبراء الرياضة . ثم بعد ذلك حاول ان يكون الكشف الطبي لهذا العمل في الصباح ، لان اكثر الناس اطول في الصباح بنحو نصف بوصة منهم في المساء . وعليك في مساء اليوم الذي تذهب في صباحه الى الكشف الطبي ان تنام نوما طويلا هادئا ، وان تشرب في الصباح الكثير من السوائل ، وسبب ذلك ان فقرات الظهر تميل الى الانكباس في أواخر النهار ، وكلما قل ما في الجسم من الماء .

ان القصر والطول مما يرث الانسان من أبويه وأجداده ، والذي يرث الانسان من مثل هذاصعب تلافيه .

البعوض ، وكيف يُتَّقى

ـ نعيش في مكان يكثر فيه البعوض، لا سيما في الليل ، وسمعنا ان هناك عقاقير له طاردة ..

● هذه العقاقير لا تطارد البعوض الا اذا هو اقترب منها . واذن لا توجد طريقة الا تغطية جلد الجسم كله بمحلول من هذه العقاقير لحمايته من البعوض ، فهو عند ذلك ينفر من الجلد كلما اقترب منه ليلسع .

وهذه بالطبع ليست بالطريقة العملية الممكنة ، أن يغطي الانسان بهذا العقار كل ما تعرى من الجسم .

ولكن يمكن تغطية ما يستطيع الانسان من جسمه بغطاء من ملابس ، خفيفة او ثقيلة . ويغطيها من الرقبة الى القدمين .

الحبل السرى

ـ اسمع عند بعض الولادات ان الحبل السري يوجد عند الولادة ملفوفا حول رقبة الوليد ، فكيف يحدث هذا ، وهل فى ذلك من خطر ؟

● ان الحبل السرى هو الأنبوبة التى تصل الجنين بأمه ، عن طريق « الخلاص » ، وعن طريقه يتغذى الطفل الى ان تحين ولادته .

والطفل يتحرك فى الرحم ، وهي حركة مفيدة . وليس شيء يمكن ان تصنعه الأم لوقف هذه الحركة . وفى بعض حالات الولادة يوجد الحبل السرى ملفوفا حول رقبة الطفل ، ولكن مرة واحدة ، ولا يحدث هذا ضررا مطلقا . اما اذا هو التف ٣ مرات فهنا موضع الخطر .

ثم يبقى بعد ذلك من الجسم الشيء الأقل ، الوجه ، واليدان ، والرجلان ، فهذه يمكن معالجتها بغسول طارد للبعوض .

بقي النوم . ولا وسيلة الا الكلة ، كلة الناموس ، الناموسية ، على شرط ان تكون ثقوبها من الصغر بحيث لا تأذن للبعوض أن ينفذ منها .

كابوس

ـ ... وكلما نمت حلمت احلاما فظيعة . حلمت بان السقف سوف يقع عليّ . واهرب منه فيزيد منى اقترابا . يتكرد هذا الحلم كل ليلة حتى اصبحت اخاف الذهاب الى الفراش خوفا من تلك الاحلام . انا فى الثلاثين من عمرى ، ومستريحة كل الراحة مع زوجى ، وعندى طفلتان ، وصحتى على ما يرام .. ؟

● ان امثال هذه الاحلام المتشابهة المتكررة المخيفة جديرة بالفحص . ولكن فى خطابك الطويل لم تذكرى الكثير من التفاصيل ، تفاصيل حياتك التى منها قد يخرج الدارس بأسباب لأمثال هذه الكوابيس .

لابد اولا من اختبار صحتك ، فان لم يجد الدكتور المختبر فيها علة ، فلن يبقى بعد ذلك الا استيضاح طبيب صحى ، تفضين اليه بتفاصيل حياتك ، وبعلاقتك مع اقاربك ، واقارب زوجك ، وغيرهم ممن تلتقين فى الحياة ، وبالذى قد تشعرين نحو هؤلاء من حب أو كره ، او اطمئنان او خوف . ففى هذه العلاقات لا شك سوف تجدين أسباب احلامك المخيفة .

ان احلام المنام انعكاس لحالات تكون فى اليقظة .

ثم جملتك ، انك اصبحت تخشين الذهاب الى الفراش ليلا ؟ ابحثى فى اعماق نفسك ، فلعلك تخشين الحمل وانت لا تعين ذلك .

زواج، رسمناه، وخططنا ... ونجحنا

■ سيداتي
ولا أقول سادتي ، لأني رجل ، زوج ، وأريد أن أتحدث الى النساء خاصة ، الى اللاتي كن زوجات ولا زلن حديثات، أو اللاتي سيصبحن كذلك .
انها تجربتي أنا الخاصة في الزواج ، نجحت الى حد كبير بمعونة ظروف مؤاتية ، وظروف اخرى غير مؤاتية، كان لي فيها، ولزوجتي، نظرات خاصة وتدبير.

قصة بدات بغم !

بدات قصتي انا وليلى ، قصة واحدة متشابهة. كانت مخطوبة قبل أن ألقاها ، وقامت هي بفسخ خطبتها خوفا من زواج لا تحمد نتائجه . وكدت انا ان اقع فيما وقعت هي في مثله .

وتعارفنا في منزل أصحاب ، هم لها أصحاب كما هم لي . كانت منفعلة ، مضطربة ، نقصت وزنا كثيرا بسبب ما كان أصابها من ازعاج . وكأنما كان في حزنها هذا اغراء لي بها . والاحزان كثيرا ما تغري كما تغري الافراح تماما .

لقاء ومصارحة

والتقينا بعد ذلك . وعلمت من أمرها ما علمت. وعلمت من أمري . ولم يطل بنا اللقاء طويلا . تحدثنا عن الزواج ، ورضيت ان تحمل اسمي ، وان تعيش تحت سقفي ليصبح سقفها هي ايضا ، وان تشاركني حظي ، حظ الحياة ، حلوه ومره ، وذلك على شريطة : تلك أن تكون لنا قبل الزواج فرصة مصارحة . أسال وتسال ، ويجيب كلٌ صاحبه بصدق ، وذلك احتياطا من خطأ قد نقع فيه بإتمام عقد لا يكون من ورائه السعادة التي نرجو .

وبدأنا البحث ، يستجلي بعضنا بعضا . وانتهينا آخر الامر ، وتزوجنا . وحمدناه زواجا ، بدأ غير رومنتيقي مائة في المائة ، ولكنه انتهى بأحسن ما يكون بين زوجين متصارحين من وفاق .

وجوه شبه ووجوه خلاف

كان بيننا وجوه شبه كثيرة .
ولكن كان بيننا وجوه اختلاف كثيرة
وسوف احدثكن عن وجوه الشبه أولا ، كيف عالجناها . أو كيف تركناها من غير علاج ، فهذه كالريح التي تهب مع السفينة في نفس الاتجاه

فتعينها على السير . وسوف احدثكن عن وجوه الاختلاف وكيف عالجناها . وكانت جديرة بالمعالجة .

شبه فى العشرة

فاول شيء اننا تقابلنا فى منزل جماعة ، بدعوة منهم ، فهم لكلينا اصدقاء . وهذا اول دليل على الشبه فى العشرة ، عشرة الناس ، الذى كان فينا .

شبه فى النشأة

ثم كان كلانا من طبقة واحدة ، هي التى يسمونها بالطبقة المتوسطة ، نفس الدين طبعا ، نفس التعليم ، نفس التربية فى الاسرة المتعددة الابناء والبنات .

ونشا كلانا على أن يفكر كثيرا بنفسه ، ولنفسه. وكنت اكبرها ببضع سنوات .

لم نكن نطمع فى ثراء ، ولم نعبأ بمجتمع

ووجدنا اننا كلينا نجتمع على محبة اشياء اكثر مما نختلف .

لم يكن منا من يتمنى الثراء . كنا نريد بيتا مريحا فى حدود قدرتنا . فان جاءنا اطفال ، فبها . وان لم يجئنا اطفال ، فبها . ولم يعبأ اى منا بشيء اسمه المجتمع الراقى ، ولا بالذى يجرى فيه من سخافات . وكره كلانا « الكتشينة » لعبة الورق ، والاجتماع عليها . ورأينا الرقص مسخرة من مساخر العصر ، وضياع وقت . واحب كلانا المشي ، واحب السباحة . والتنس كانت لعبة فى الهواء الطلق مفضلة .

واحب كلانا الكتب والمجلات ، والتمثيل والسينما . وقرانا ، واختلفنا فى الراى بالمقدار الذى يجعل النقاش متعة.فهذه كانت وجوه الاتفاق.

اما وجوه الاختلاف فقد هدهدناها حتى لانَ عودُها ولم تعد تؤذى .

هي حامية ، وانا بارد

مثال ذلك ان ليلى كانت حامية المزاج ، تنظر الى الاحكام بسرعة ، وتتاثر بالحوادث بسرعة وكنت عكس ذلك . كنت ذا مزاج بطيء . يتحرك، نعم ، ولكن بعد تحركها . وربما بعد تحركها بزمن طويل .

انا احكي القصة لاصدقائي على مهل . اما ليلى فتحكي قصتها وكانها راكبة فرس سباق تريد به أن تبلغ الغاية ! واحكي القصة فى بطء لاني ارى ان فى ذلك احياء لفضول السامع . وتضيق هي ببطئي فتاخذ القصة من لساني ، وفى لمحة مذهلة مدوخة تبلغ بها النهاية !

واتفقنا على حل هذا المشكل . انا احكي قصتى وفق ما أريد ، وهى تحكى قصتها بالسرعة التى تريد ولا يتدخل احد فى شان احد .

تقول انه شيء هين ؟

كل أسباب الخلافات بين الأزواج اكثرها هذا الهين . ولكنه يفعل اذا تراكم فعل القنبلة ، يطيح بالبيوت والازواج فىابهام منالاسباب غريب.

حسنا بالفكاهة اختلف

وكان لنا حس بالفكاهة . والحس بالفكاهة شيء فى الحياة عظيم. ولكن اختلفنا بعض الشيء. هي تحس بالفكاهة الصريحة ، وانا اودها خفية ، فيها الكثير من التلميح . هي فكاهتها فكاهة الملوك،اما فكاهتى فكانت فكاهةالفلاسفة والحكماء.

ومع الزمن استطاعت ان تقدر تقديرى للفكاهة، واستطعت ان اقدر تقديرها .

والفكاهة بيننا ، ارتاد مصادرها ، وترتاد هي مصادرها ، صارت كالطعام ، لا بد من قسط منه فى النهار ، وفى الليل ، وفى كل وقت . ان الفكاهة تدغدغ العقل وتريح القلب . وما اشقى بيتا لا فكاهة فيه .

يهمنى أمر المال ، ولكنه لا يهمها

ثم وجه من وجوه الاختلاف آخر .

انا يهمنى أمر المال والنفقة ، وليلى لا تبالي بشيء من ذلك . عملي تحسن ، والرزق زاد ، ولكنى كثيرا ما كنت أضيق كلما قعدت احسب واعد ، وانتهى الى ان الرزق كان وجب أن يزيد فوق ما زاد فى السنوات هذه الماضية . اما ليلى فهي لا تبالي كثيرا . هي دائما متاكدة اننا لن

نجوع أبدا ، وهذا هو حد الغنى والفقر عندها . ولا أستطيع ان اقول انها لا تدرك قيمة الفلوس. انها استمرت تعمل مدرسة سنة ونصفا بعد زواجنا . وعرفت كيف تكتسب النقود ، وباي جهد . ولكن هكذا كانت فلسفتها .

واختلفت نظراتنا الى الناس

واختلاف آخر : نظرتنا الى الناس .

انا أومن بالناس . أرى في وجوههم الخير فاومن به ، ويكفيني هذا ، أما ليلى فهي دائما تحذر الناس، لا سيما ضاحكي السن والضاحكات. ويذهب بينها وبينهم الحذر ، ولكن ببطء شديد . وقد وجدت أنها في هذا الامر أصدق نظرة مني . فكثير ممن عرفت من الناس انتهيت بوضعهم في القائمة السوداء في درج مكتبي .

واختلفنا في حفظ المواعيد

ليلى عندها الساعة الثامنة هي الساعة الثامنة، وليست الثامنة وخمس دقائق . اما هي عندي فقد تمتد الى الثامنة والنصف . حسٌ بالزمن عجيب . وتصرخ واصرخ . واخيرا انتهينا باني احاول ما استطعت أن استعد لموعد ما بالتحضير له قبل حضوره بوقت كثير .

هي حالمة وأنا غير حالم

وليلى يذهب بها الخيال بعيدا . وتعبر عن معانيها تعبير الحالم . مبالغات تحمل سامعها الى السماء . «هذا أعجب شيء رآه انسان في حياته». « فكرة كهذه تقتل الولائد في الارحام » .

واقول لها يا سيدتي كيف تحكمين على كل انسان ان هذا أعجب شيء عنده وانت لم تتحدثي الى كل انسان . ثم ان هذه الفكرة تقتل الولائد في ارحامها ، فالمعروف ان الولائد في الارحام لا تستطيع ان تفكر .

هي تبالغ ، وأنا اقيس الفاظي لتطول بقدر ما أريدها أن تحمل من المعاني . على كل حال تطامنت مبالغاتها بعد زواج ١٢ عاما ، وصرت انا اكثر جودة بالالفاظ على ما اريد من معان .

وامتلاك بيت

وبدأت زواجي وعندي فكرة عجيبة ، ان لا أثقل نفسي ، وأثقل زواجي ، وأثقل حياتي بان ارتبط بملك شيء من الاشياء . ان أملك بيتا كان في نظري ثقلة وعرقلة . وان أملك سيارة تبعة ومسؤولية . حتى أثاث البيت قام في خاطري انه يكفينا ما يملأ سيارة صغيرة واحدة .

افكار !؟

وتتطور الأيام فاذا بنا نملك بيتا ، واذا به قد امتلأ أثاثا . ولا زلنا ندفع اقساط البيت ، ولكني وليلى نحس بالطمانينة كلما دفعنا قسطا ، ذلك لاننا نحس بانه قسط تامين حياتنا بامتلاك بيت . السقف ، السقف ، أولا ، ثم اسأل بعد ذلك عن الطعام .

مسألة الحموات

ومن الاشياء التي كنا درسناها قبل الزواج معا ووعيناها مسألة الحموات . لم يكن لي حمو رجل ولم يكن لها . كان لي أم وكانت لها أم . واعتزمنا اعتزاما قاطعا أن لا يتدخل أحد في شئوننا ، وان تكونا بعيدتين عنا . والحماتان كذلك كانتا أشد تحمسا لهذا الرأي : العيش المنفصل والود من بعيد .

وتتطور الامور . نحن الآن نعيش نحن الاربعة معا ، على أتم ود ، واحسن وفاق . كان لا بد من اجتماع وكانت أمي وكانت امها من أحسن مخلوقات الدنيا . وقام كل منا ، الاربعة ، بتبعته في البيت ، وعرف حدوده . وكانت صحبة . والنكات التي تطلق على الحموات ليس لها في بيتنا معنى ولا هي تستساغ . ليس في بيتنا حموات ، ولكن في بيتنا صديقات متعاونات .

والاطفال ؟

حرمناهم . هذا قدر من الله . وتعودنا أن نخضع للاقدار عندما تكون حاسمة ، وعندما لا يكون في الثورة عليها أدنى نفع . امن أجل امتناع الاولاد نشقى ؟ بالطبع لا . ان في مواقف العيش احيانا مواقف ليس أسعد للانسان فيها من التسليم بالقضاء .

فهذه قصتي ، أنا وليلى

قصة غير عادية ؟

ما أظن . أن تكون غير عادية ذلك لأن زواجنا كان زواجا مع حساب وتقدير . انه حب مع الأرقام . انه حب تسنده الارقام . والحب الذي تسنده الارقام يسنده التدبير والتخطيط ، هو وحده الحب الجدير بالدوام . ■■

زوج ليلى

ابن الرومي

يصف «وحيد» المغنية

يا خليليّ ! تيمتني « وحيدُ » ففؤادي بها مُعَنَّى عميدُ
غادةٌ زانها من الغصن قدٌّ ومن الظّبي مقلتان وجيدُ
وزهاها من فرعها ومن الخدّ ينْ ذاك السوادُ والتوريدُ
وغرير بحسنها قال : صفها قلت : أمران بيّنٌ وشديدُ
يسهل القولُ أنها أحسنُ الأشياءِ طراً ويصعب التحديدُ
تتجلّى للناظرين اليها فشقيٌّ بحسنها وسعيدُ
ظبيةٌ تسكن القلوب وترعاها وقُمْريّةٌ لها تغريدُ
تتغنّى كأنها لا تغنّى من سكون الأوصال وهي تُجيدُ
لا تراها هناك تجحظ عينٌ لك منها ، ولا يَدِرُّ وريدُ
مَدَّ في شأوِ صوتها نفَسٌ كافٍ كأنفاس عاشقيها مَديدُ
وأرقّ الدلالُ والغنج منه وبراه الشجا فكاد يبيدُ
فتراه يموتُ طوراً ويحيا مُستَلَذٌّ بسيطُهُ والنشيدُ
عيبها أنها إذا غنَّتِ الأحرارَ ظَلّوا وهم لديها عبيدُ
حُسْنُها في العيونِ حسنٌ جديدٌ فلها في القلوبِ حُبٌّ جديدُ

جعفر أبو التمن

• كان ثالث ثلاثة في قيادة الحركة الثورية في العراق قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها .

• نذر نفسه للجهاد وحرض على مقاومة الاستعمار بوعي وجرأة وتضحية

بقلم : قدرى قلعجى

■ كانت ريح الخريف تهب على بغداد فى تلك الامسية الحزينة وكانها مثقلة بالدموع ، وأوراق الشجر تساقط وكانها قلوب تعبث بها أيدى القدر فتقتلها وتذروها ، والعتمة تحتضن المدينة العريقة وكانها أم تحنو على طفل جريح ، وانفاس دجلة تنعقد فى السماء الرمادية وكانها تنهدات ذلك الشعب الذى فجع فى زعيمه وقائده وابيه ..

رجل آمن بالشعب فآمن الشعب به ، وانكر ذاته فى سبيل وطنه فكان هذا الانكار اعظم تاكيد لها ، واذا هو رمز لهذا الوطن واب لذلك الشعب ، فهو بهما قوى وهو بهما كثير ، تنصب قوتهما فى دمه وتتركز فى شخصه ، وتنعكس آلامهما وآمالهما فى وجدانه الملتهب وضميره الحي .

ذلك هو الرجل الذى فقده العراق ، فى تلك الامسية الحزينة من اماسي تشرين : « جعفر ابو التمّن » .. مجاهد نذر نفسه للجهاد ، فاستغرق الجهاد عمره كله ، ولم يهن عندما هان الضعفاء ، ولم يخن عندما خان الجبناء ، ولم يتاجر ببلاده مثلما فعل الوصوليون والانتهازيون ، وظل خصما عنيدا للاستعمار حتى الايام الاخيرة من حياته

المثيرة ، وهي الايام التي تشوهت فيها القيم الرفيعة، وباتت محاربة الاستعمار تسمى لدى بعض المتزعمين سلبية هدامة ، وانسياقا خطرا مع تيار الجماهير ! . . .

الجد .. والحفيد

ولد فى اسرة كريمة ذات ماض حافل بالامجاد ، ونشا فى بيت جده الحاج داود المجاهد العربى الشهير ، وكانت الحركة الوطنية فى البلاد العربية تقتصر فى ظل الحكم العثماني على المطالبة بنظام دستورى يحد من طغيان عبد الحميد ، واصلاحات اولية تضع حدا للفوضى

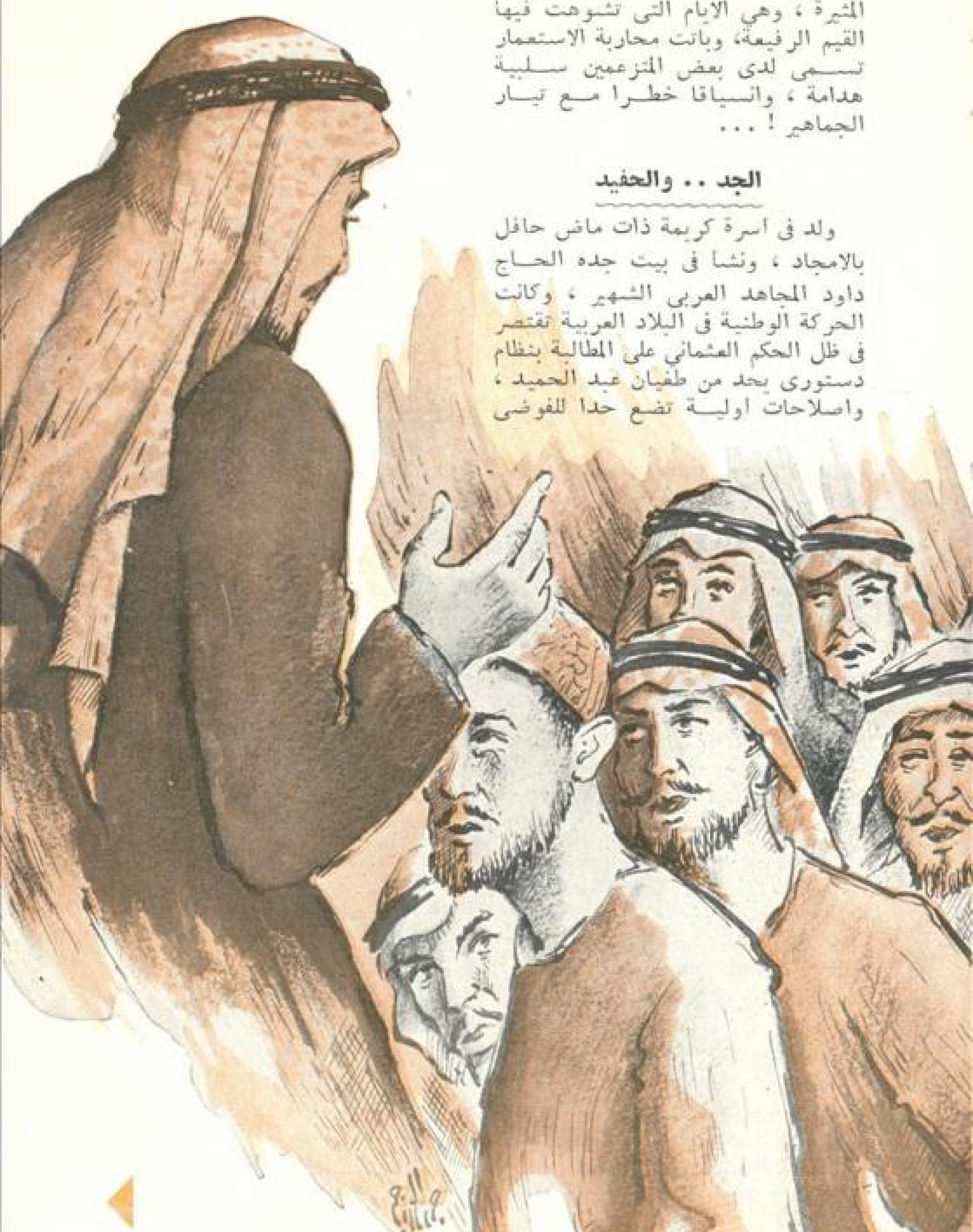

السائدة فى الدولـة ، واحياء العناصر التى تتألف منها القومية العربية ، والتى تحاول السياسة التركية ابادتها والقضاء عليها، وفى طليعتها اللغة العربية والتراث العربى . فكان من مساعى جعفر الشاب فى هذا السبيل ، العمل مع جماعة من اخوانه على تأسيس المدرسة الجعفرية سنة ١٩٠٨ وهي السنة التى أعلن فيها الدستور العثمانى .

من الدستور الى الاستقلال

وقد ايقظ هذا الدستور آمال العرب وحفز شبابهم للطموح الى مطلب اوسع، فاخـذوا يتنادون الى جمـع شملهم وتوحيد كلمتهم ، والعمل على اقامة حكم لا مركزى فى الدولة العثمانية ، يتمتع فيه العرب بشىء من الاستقلال الذاتي . وكان جعفر ابو التمن فى مقدمة هـؤلاء الشـبان الطامحين العاملين ، الداعين الى بعث عربي جديد . .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ كانت البلاد العربية تتعرض لخطرين، خطر الاستعمار التركي الجاثم على صدرها منذ مئات السنين ، وخطر الاستعمار الاوروبي الذى اخذ يتوغل فى افريقيا الشمالية ويطمع فى الاستيلاء على بقية الاقطار العربية ، وكان شباب العرب فى حيرة من أمرهم ، فمنهم من جعل يقاوم الاستعمار العثماني ويستعين عليـه بأوروبا التى تدعـى الانتصـار لحريات الشعوب ، ومنهم من جعـل يقـاوم الاسـتعمار الاوروبي منتصرا للدولة العثمانية عليه ، وكان الحـاج داود ابو التمّن من هذا الفريق الذى تناسي مظالم الاتراك ودعا الى مقـاومة الغزاة الاجانب ، فالتفت حوله جمـاعة مـن المجاهدين ، وكان حفيده جعفـر مساعده الايمن ، وصلة الوصل بـين هـذه الجماعة المجاهدة والسـلطات التركية . .

وهكذا ، استقبل جعفـر ابو التمن الاحتلال الانجليزي منـذ البدء بالكفاح الدامي ، ولم يعلق اى امل فى الاستقلال والحرية على دول الحلفاء التى اغرقت العرب طـوال الحـرب العالمية الاولى بالوعود والعهود . . حتى اذا ما اخلفت هـذه الدول وعدها ، وكشفت الايام عن مطامعها الاستعمارية السـافرة، وجد الكثيرون انه كان على حق ، والتف حوله الكثيرون مؤيدين مناصرين .

الرحيل الى ايران

غير ان حكومة الاحتلال كانت لا تزال تحاول التمويه والتضليل ، وقد عمدت الى انشاء مجالس بلدية لاعطاء حكمهـا مظهرا وطنيا ، وان كانت صلاحيات هذا المجلس لا تتعدى الاقتراح والاستشارة، وكان راى الحاكم العسكرى هو وحـده الراى النافذ . وكان جعفـر ابو التمن عضوا فى مجلس بلدية بغداد ، فاخـذ يقاوم هذا المشروع الذى يوهم الشعب بأن ممثليه هـم الـذين يحكمـون ، وليس لهم من الحكم فى الواقع الا مظهره واسمه ، وعرفت السلطة فيه منذ ذلك الحين خصما عنيدا لا يؤخذ بالمظاهـر ولا ينفع فيه وعيد او تهديد ، فاضطرته الى مغادرة العراق ، فرحل سنة ١٩١٩ الى ايران .

وشرعت سـلطة الاحتلال تدرس الاوضاع الاجتماعية السائدة فى العراق وتعمل على الاستفادة مـن تناقضاتها الكثيرة ، القائمة على الفوارق الشاسعة بين أبناء الطوائف المختلفة ، وبين المدينة والقرية ، وبـين الجماعـات المتحضرة والعشائر البدوية التى لا تدرك للوطنية من معنى الا المعنى المشوه القـائم على محاربة «الكفار» ، واطمأنت السلطة الى ان هذه التناقضات كفيلة، اذا أحسنت استغلالها ، بتوطيد سلطانها فى البلاد. . لاعتقادها بأن من العسير ، ان لم يكن من المستحيل ، توحيد هـذا المجتمـع الممزق المبعثـر فى حركـة وطنيـة متماسكة .

فترة عاصفة فى العراق

والحق ان هذه المهمة كانت عسيرة جدا ولكنها لم تكن مستحيلة كما كانت تتوهم سلطة الاحتلال ، اذ ما لبثت ان وجدت نفسها امام ثورة وطنية أنتظمت البلاد من اقصاها الى اقصاها . . وحارت السلطة فى تفسير هذا الامر ، وفى معرفة مصدره ، وفى تعيين القيادة التى تنظمه بفكر ثاقب وتوجهه بيد من حديد . . فهل هى صادرة عن علماء الدين فى مساجد بغداد والنجف والكاظمية وكربلاء ؟ أم عن الزعماء السياسيين المشتتين والمبعدين؟. وأين مركز اشعاعها وتوجيهها ، أفى بغداد أم فى دمشق ؟ . وما هو اثر جعفر ابو التمن فى ذلك كله ، وما هي يده فيها ؟ .

يبطىء سير الزمن فى عهود الركود والجمود، حتى لتنقضي الاعوام والحقب، على شعب من الشعوب ، وهو ساكن هاجع ، كأنه منعزل عن موكب البشرية لا يشاركها فى رقيها المطرد وتقدمها المستمر ، وكأن المشاعر الوطنية والاجتماعية الحافزة على التقدم والرقى قد همدت وانطفأت ، فما عادت تلهم قلما أو تشعل نورا أو تضرم نارا فى الصدور . .

ويسرع سير الزمن فى عهود الانقلاب والتحول ، وهي منعطفات الطريق التى يسلكها التاريخ فى تطوره الواثب ، حتى لكأن كل يوم من الايام التى يعيشها شعب ثائر ، حقبة طويلة من الدهر ، تتحطم فيها اغلال كادت العهود السالفة توهم بأنها اغلال ابدية ، وتتحقق على يد الشعب معجزات ما كان يتحدث بها الظن او يطمح اليها الخيال . . .

وكذلك كانت تلك الفترة العاصفة من تاريخ العراق . فان كل يوم من ايامها كان يسجل خطوة جديدة يخطوها شعب عربي عريق قضى مئات السنين وهو يرزح تحت نير الاستعمار ، وما كاد يفتح عينيه للنور حتى شهد استعمارا جديدا عاتيا يحاول قمع نهضته الفتية واغتصاب حقه فى الحياة . . وكانت كل خطوة من هذه الخطوات المجيدة الواثبة تسجل آية جديدة من آيات الوطنية والكرامة والاقدام . .

جعفر يعود من جديد

عاد جعفر ابو التمن الى العراق فى أواخر السنة التى غادره فيها تحت ضغط السلطة المحتلة، فوجد ان الحركة الوطنية قد نمت نموا كبيرا خلال الشهور القليلة التى قضاها فى ايران ، وتألفت فى البلاد جمعية سرية باسم « حرس الاستقلال » تعمل على توحيد الصفوف وايقاظ الضمائر وتهيئة الثورة على الاستعمار ، فانضم جعفر اليها ، ونذر جهده كله للدعوة الى مبادئها والعمل على تحقيق اهدافها ، وتغلغل فى أوساط الشعب ، محرضا على مقاومة الاستعمار بوعي وجرأة وتضحية . .

وكان الوطنيون يعقدون المجالس الشعبية للتداول فى شؤون البلاد وتوجيه ابنائها وتوحيد كلمتها ، وكانت هذه المجالس تعقد أول الامر تحت ستار الموالد والاعراس والمآتم ، ثم غدت تعقد للمناقشة فى الشؤون الوطنية وحسب ، وقد اشترك جعفر ابو التمن فيها جميعا، وعندما قرر الوطنيون فى مجلس منها عقد فى دار حمدى باشا بابان بتاريخ ١٠ شعبان الاتصال بالشيخ محمد تقي الشيرازي كبير مجتهدى الشيعة يومذاك، للتفاهم معه على اهداف الحركة الوطنية ، وطلب تأييده لها ومساعدته اياها ، لم يجد المجتمعون خيرا من جعفر ابو التمن ينتدبونه لهذا الفرض ، لما يمتاز به من قوة الشخصية وحسن التفهم لحاجات الشعب، ولما له من نفوذ شخصي لدى السيد الشيرازي قوامه الثقة التى يتمتع بها فى جميع الأوساط . وقد حقق جعفر الآمال المعقودة عليه ، وادى المهمة التى نيطت به احسن اداء . .

جعفر كان ثالث ثلاثة

ويمكن القول ان جعفر ابو التمن كان يلي يوسف السويدي والسيد محمد الصدر في قيادة تلك الحركة الثورية ، ولكنه كان ابعد اثرا منهما ، لاتصاله المباشر بالشعب العراقي ، ولأنه آمن منذ البدء بأن الحركة الوطنية لا تبلغ هدفها ولا تكون حركة تقدمية ذات أثر فعال ، الا بقدر ما تعتمد على جماهير الشعب وتستوحي حاجاتها ، وتفسح لها في مجال العمل الواعي المنظم لتحقيق مطالب البلاد بأسرها ..

واستمر النضال على اشده حتى منتصف سنة ١٩٢٠ ، حين انقلب الى ثورة مسلحة في انحاء شتى من العراق. فقررت السلطة اعتقال قادة الحركة الوطنية أو نفيهم ، وداهمت في ١٢ آب ١٩٢٠ دار جعفر ابو التمن لهذا الغرض كما داهمت دور غيره من الزعماء المناضلين ، ولكنه استطاع الهرب الى كربلاء فالنجف ليشترك مع جماعات الثائرين فيمقاومة الاستعمار بالسلاح..

الاحتلال يبطش بالثائرين

وتستمر الثورة الدامية حتى الشتاء وتقبل سنة ١٩٢١ لتشهد بطش السلطة المحتلة بجماعات الثائرين بطشا مروعا ادى الى تشتت قواها الشعبية المحدودة امام قوة الجيش المنظم ، فهرب كثير من قادة الثورة ولجأ جعفر ابو التمن الى الحجاز مع من لجأ اليه من الثائرين .

جعفر يعتذر لفيصل

وراحت الحكومة البريطانية تفكر في طريقة تنقذ بها سمعتها لدى العرب ، بعد ان اخلفت بالوعود التي قطعتها لهم، فبدا لها أن تؤلف حكومات وطنية في البلاد التي دخلت تحت انتدابها ، ورات ان وجود الامير فيصل على راس الحكومة العراقية كفيل بتهدئة الثورة فيها ، وتطمين البلاد على مستقبلها ، واراد الامير فيصل ان يستصحب معه في رحلته الى العراق جعفر ابو التمن وغيره من العراقين اللاجئين الى الحجاز، وكان جعفر يحب الملك فيصل ويجل اباه ، ولكنه اعتذر عن تلبية هذه الدعوة وقال للامير كلمة لهجت بها الالسن وقتا طويلا ، لقد قال له بمرارة :

ارجو ان تعفيني من ان اكون زفافة هذا العرس ! ..

وسخر بعض السياسيين من قول جعفر وراوا في قعوده عن مرافقة الأمير انتحارا سياسيا ، ولكن جعفر رحب بهذا الانتحار ، وبقي في الحجاز ، حتى ادى فريضة الحج ، ثم رحل الى العراق فاذا به يستقبل استقبالا شعبيا حافلا في البصرة وبغداد ..

وتعود الحركة الوطنية بعد ذلك الى احتدامها ، وتعود المجالس الشعبية الى سابق نشاطها ، ويضع الوطنيون وفي مقدمتهم جعفر ابو التمن بيانا بمطالب البلاد ، ويعلنون انهم سيقاومون جلالة الملك فيصل اذا لم تتحقق مطالبهم ..

يقبل الوزارة .. ثم يستقيل

ومع هذا فقد كان الملك فيصل لا يفتأ يقرب جعفر ابو التمن منه ، يدفعه الى ذلك عاملان ، فهو يحب جعفر من ناحية ويقدره ، وهو يعرف من ناحية ثانية ان وجود جعفر في الحكومة يعزز ثقة الناس بها .. وهكذا استطاع اقناعه بأن يتولى وزارة التجارة في الحكومة الكيلانية ..

وكان الانكليز يريدون ربط العراق بمعاهدة تضمن مصالحهم وامتيازاتهم ، والعراقيون يطالبون بالاستقلال التام ، وقد تعاظم الصراع بين هذين المطلبين المتناقضين حتى انتقل الى اعضاء الوزارة انفسهم . ومن البديهي ان جعفر ابو التمن كان على راس المعارضين من اعضاء الوزارة ، وقد انتهى الأمر باستقالته منها في ٢٦ حزيران سنة ١٩٢٢ بعد جلسات عنيفة عقدها مجلس الوزراء ، معلنا ان الشعب يرفض المعاهدة ولا يرضى عن استقلاله بديلا ..

وكانت ظروف الملك فيصل بعد تتويجه تضطره الى اعلان قبوله مبدأ الارتباط مع انكلترا بمعاهدة تضمن مصالح البلدين ، ولكن قيل انه كان يعتمد على قادة الشعب وفي مقدمتهم جعفر ابو التمن في مقاومة بنود هذه المعاهدة او تعديلها ، حتى قال الانكليز ان جعفر عينا فيصل ، وفهمي المدرس ومهدي البصير رئتاه ! ..

وبدأ الانكليز يضغطون على الملك قائلين اما انه لا يريد قمع الحركة الوطنية المعارضة ، او انه لا يستطيع ذلك ، وبدأوا يتحدثون بخلعه او يهددون بذلك .. لا سيما وان وزارة النقيب ما لبثت ان استقالت لعدم انسجامها مع الملك ، وكانت استقالتها هزيمة لأنصار المعاهدة .

الصحف البريطانية تهاجم سياسة بريطانيا

ولكن حدث يومذاك ما قوى الحركة الوطنية في العراق ، اذ كان لانتصار القوى الديمقراطية في انكلترا صداه في حياتها السياسية ، وهو صدى مشجع وان كان قد اقتصر على ميدان الكتابة والخطابة ولم يتعد الى ميدان العمل ..

فقد اخذت الصحف الديموقراطية في انكلترا تحمل على سياسة الجور الاستعماري في العراق وتدعو الى الجلاء عنه ، فكان لذلك أثره البعيد ، في نفوس الوطنيين العراقيين ، وكان هؤلاء يتكتلون في حزبين كبيرين : « حزب النهضة » و « الجمعية الوطنية » التي عرفت فيما بعد باسم « الحزب الوطني » ، وكان جعفر ابو التمن من قادة هذا الحزب .. فاجتمع اركان الحزبين ووضعوا بيانا مشتركا طالبوا فيه بالقضاء على النفوذ البريطاني وتأليف حكومة تتمتع بثقة الشعب وتأجيل مفاوضات المعاهدة الى ان يجتمع المجلس التأسيسي ، ثم عينوا يوم ٢٣ آب موعدا لمظاهرة وطنية كبرى يبسطون فيها مطالبهم هذه ، وكان هذا اليوم هو يوم تتويج الملك فيصل ، فلما جاء المندوب السامي الى السراي وجد الجماهير الغفيرة محتشدة في الشوارع ، وسمع الخطباء يندون بالمطامع الانكليزية ، فاشتد غضبه وقرر ان يضع حدا لهذه « السخافات » كما قال عنهما في الأندية السياسية ..

جعفر يساق الى المنفي

واتفق ان الملك فيصل اصيب في ذلك اليوم نفسه بالتهاب الزائدة ، وأجريت له عملية الزمته الفراش اياما عدة ، فانتهز المندوب السامي هذه الفرصة وتعلل باضطراب الأمن للتدخل المباشر في شؤون البلاد ، وعمد لفوره الى حل الحزبين الوطنيين اللذين لم يمض على تأسيسهما سوى اسابيع ثلاثة ، واصدر امرا بنفي جعفر ابو التمن ونفر من اصحابه الى هنجام، وبنفي زعماء آخرين خارج العراق ..

وعمدت سلطة الاحتلال بعد ذلك الى اساليب جديدة في الحكم ، وقمع الحركة الوطنية وتخدير الوعي ، وربط مصالحها الاستعمارية بمصالح بعض السياسيين العراقيين الفردية ، ونجحت من ثم في وقف نمو الحركة الوطنية وقتا غير يسير صدقت خلاله المعاهدة،والاتفاقات التي تشمل جميع نواحي الحياة العراقية وامتيازات النفط ..

وقد جرى ذلك كله باسم الحكم الوطني ، وكان جعفر ابو التمن بعد عودته من المنفي لا يفتأ يقاوم هذا الحكم ويأبى الاشتراك فيه ، حتى سمي « السلبي » . وكان رحمه الله يقول في ذلك : « اخذ زملائي من رجال الثورة يندون بموقفي المعارض لهذه السياسة » ، ويقولون : « حصلنا على كل ما نريد ، فليتل لنا جعفر اكثر مما حصلناه » ثم يجيب : « حقا .. لقد حصلوا على كل ما يريدون ، ولكن الوطن في نظري لم يحصل على شيء » . ■■

قدري قلعجي

مرآة الرأى الغربى

امرأة وراء رجل

● عندما اكتشف كولمبوس امريكاكان يعيش فيها رجال يقضون النهار بطوله فى الصيد ، بينما كانت النساء يقمن بالأعمال الاخرى . ولم يكن أولئك الناس يدفعون ضرائب ، وبالاختصار فانهم كانوا متوحشين ، فى نظرنا ، وأسميناهم الهنود الحمر ، وبحجة تمدينهم ، واستصلاح أرضهم ، قضينا عليهم ، وسلبناهم وطنهم .

وقد احتجنا الى ٤٦٧ سنة لكي ننقل البلاد الى حالة التمدن والتحضر كما نتصورها . ولكن يبدو لنا أننا آخذون فى العودة ثانية الى حالة الهمجية التي وجدنا عليها أولئك الهنود الحمر : فالتقارير تدل على انه يوجد الآن مليون زوجة يَعِلْنَ أزواجهن ، حتى كان عذر احد الأزواج فى عدم تسديد دين مستحق عليه : « ان زوجتى قد فصلت من عملها، وبهذا فقدت وسيلتي الوحيدة للكسب »!!

نيويورك هيرالد تريبيون

ما زلنا نقود العالم

● ان الديمقراطية فى بلادنا (بريطانيا) تبدو فى حرية التعبير عن الراى ، وحرية عقد الاجتماعات ، وحرية اختيارنا لحكومتنا – واهم من هذا كله حرية التصويت ضد الحكومة ، فنستطيع ان نسقطها ان فشلت فى مهمتها . ونحن هنا ، فى هذه الجزر، نبدو للغرباء ، وكأننا شعب بليد ، فقد حتى الشعور والاحساس ، واصبح لا يهمه شىء ، حتى المحافظة على الحياة الديمقراطية.

ولكن الدارس لمجتمعنا يستطيع ان يدرك ان هذا المظهر خداع ، وان ما يبدو للناظر تبلدا هو فى واقعه اتزان ، واخذ للأمور بترو، مع تصميم على المحافظة على كل المكاسب الديمقراطية التى نلناها عبر تاريخنا الطويل .

لقد فقدنا قيادة العالم سياسيا ، ولكننا سنبقى دوما قادة لكل العالم فى أسلوب حياتنا ، ونظمنا . وليست هذه القيادة بالأمر الذى يستهان به .

لسلى سميث

فى جريدة « الفارديان »

تحيا المانيا ! ...

● كلما مر الزمن رسخت فكرة الوحدة الاوروبية اكثر فاكثر فى اذهان امم هذه القارة . ولكن العقبة الوحيدة الحقيقية فى نظرنا هى : المانيا . انها المانيا عام ١٨٧٠ و ١٩١٤ المانيا النازية ! المانيا التى تخيف وترعب! المانيا المتسلطة بقوتها فى النهاية ! المانيا المقطعة الأوصال انها ولا شك تحلم بالثار ! المانيا .. التى تستطيع،عندما تريد،جرنا الى مغامرات جديدة .

ومع ذلك ، فلا وجود لأوروبا الموحدة بدون المانيا ، لأن هذه الاخيرة قطعة حية من قلبها النابض .

وبما انه لا يمكن اقصاؤها بعيدا ، فعلى الأقل بامكاننا مجافاتها . بيد ان هذه المجافاة ايضا ستتيح للولايات المتحدة الاميركية فرصة التزعم على اوروبا ، بينما سيكون التقارب بيننا (فرنسا) وبين المانيا عائقا دون فرض امريكا لسلطتها على أوروبا .

وهذاما دعاالجنرال ديجول الىالذهاب بنفسه لالمانيا ، وجعله يهتف هناك عاليا: « تحيا المانيا ! .. » مع علمه التام بأن هتافه هذا سيؤذى الكثيرين ، ولكن لم يكن له بد من ابداء اية قسوة يراها ضرورية من اجلتنفيذ خطته السياسية المرسومة .

« مجلة فرانس اوبسرفاتور»
باريس

مصلحة المواطنين أولا ...

● ان تضارب الآراء فى العلاقة بين سرطان الرئة والتدخين، ودخان المصانع، جعل وزارة الصحة فى بلادنا (الولايات المتحدة الأمريكية) تقرر تاليف لجنة من اثنى عشر عالما لتدرس دراسة عميقة مستوفية هذه القضية ، وستبدأ اللجنة عملها فى مطلع العام القادم ، وينتظر أن تستغرق مهمتها ستة اشهر .

وسيكون تقرير هذه اللجنة اكثر اهمية من كل التقارير السابقة ، لأنه صادر عن لجنة علمية محايدة تقوم بعملها بتكليف رسمى ، وتسندها كل الهيئات الطبية فى البلاد ، كما تسندها ايضا جميع الهيئاتوالمؤسسات الأخرى بما فى ذلك مؤسسات صنع السجاير والطباق .

انا نحيى هذه الخطوة الجريئة ، وستكون تحيتنا أكثر حرارة عندما نرى الحكومة تضع ما سيجىء فى تقرير هذه اللجنة موضع التنفيذ ، جاعلة نصب عينيها مصلحة المواطنين اولا .

« فيلادلفيا بولتين »

المؤرخ العربي
صاحب "مروج الذهب"

سمّاه المستشرقون
"هيرودوت العرب"

المسعودي

بقلم : الدكتور نبيه عاقل

كلية الآداب ـ جامعة دمشق

■ من ميزات المؤلفات التاريخية التي دونتها اقلام المؤرخين العرب ، الذين عاشوا وكتبوا في العصر العباسي الثاني وما تلاه ، اتجاهها نحو المنهج العلمي وميلها الى الدقة التي تتطلبها كتب التاريخ بشكل عام . ويمثل هذا الاتجاه الجديد في التاليف التاريخي ثلاثة هم : الطبري والمسعودي ومسكويه . وفي مقال سابق عقدناه للحديث عن الطبري وتاليفه وطريقته في البحث اشرنا الى بعض الصفات والخصائص التي ميزت مؤلفه المشهور « تاريخ الامم والملوك » وصرنا الى القول بأن هذه الخصائص لا تنطبق على هذا المؤلف وحده ، بل لها ما يشابهها في المؤلفات التاريخية الاخرى التي دونت فيما بعد ، والتي نهج فيها اصحابها نهج الطبري في اكثر الاحيان .

وفي مقالنا اليوم عن ثاني هؤلاء الثلاثة ، المسعودي ، سنجد ان المسعودي المؤرخ يسير على نهج الطبري في بعض الامور ، فهو مثلا يؤرخ حسب السنين لا حسب الموضوع ، ويذكر اكثر من رواية في الموضوع الواحد ، ويستقي مواده من اقوال من سبقوه من المؤرخين بعد ان يتحرّى الصدق فيما يجمع . ولكنه يغاير منحى سلفه في امور كثيرة اخرى لظروف فرضتها بيئته وثقافته وعصره وغير ذلك . وقبل ان نبسط القول في خصائص مؤلفاته ونهجه في البحث ، لنعش معه حياته كما تصورها لنا المعلومات القليلة التي نراها مبعثرة في ثنايا بعض كتب التراجم والاخبار .

مولد المسعودي

المسعودي ، واسمه الكامل ابو الحسن علي ابن الحسين ، لا تبدأ قصة حياته بسنة مولد ومكان ولادة . بل يكتنف الغموض سنة مولده ، وفي المصادر اكثر من رواية حول مكان ولادته . فابن

النديم صاحب الفهرست مثلا يذكر انه من اهل المغرب ، فى حين ان غيره من كتاب التراجم كالذهبى وياقوت الرومى وابن شاكر وغيرهم يجمعون على انه من مواليد بغداد ، وانه من نسل الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود . ويؤيد هذا الزعم ما يذكره المسعودى نفسه فى كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، حيث يعدد اوصاف الاقاليم المختلفة فيقول : « وأوسط الاقاليم الاقليم الذى وُلدنا به ، وان كانت الأيام انآت بيننا وبينه ، وساحقت مسافتنا عنه ، وولدت فى قلوبنا الحنين اليه ، اذ كان وطننا ومسقطنا ، وهو اقليم بابل ، وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره عظيما » وهكذا يمكننا ان نقول فى تحديدنا لمكان ولادته انه ابصر النور فى بغداد ، مسقط راسه ومستقر آله وذويه من نسل صاحب رسول الله عبد الله بن مسعود . اما زمان ولادته فتهمله المصادر التى بين ايدينا ولا تتعرض له بذكر ، وهذا امر طبيعى ، لأن احدا لم يكن يتوقع له الشهرة وذيوع الصيت حين وُلد ، ولكنه حين نبغ واحتل بين رجال عصره مكانا مرموقا سُلطت الانوار عليه وتناقلت اسمه الألسن ، فحرّص رجال التراجم على تدوين سنة وفاته . والمصادر ، الا بعضها القليل ، تجمع على ان وفاته كانت فى العام ٣٤٦ للهجرة ، كما ان فى بعضها ما يدل على انه دخل الحياة العامة واخذ يجول الاقطار طلبا للعلم والمعرفة فى مطلع القرن الرابع للهجرة . وهذا وان كان لا يرشد الى سنة مولده الحقيقية فانه يسمح لنا بالاعتقاد بأنه ولد فى أخريات القرن الثالث الهجرى ، وانه لم يَعْلُ له ذكر ، الا منذ مطلع القرن الرابع ، ولذا فهو يعد من مؤرخى هذا القرن الاخير .

اسفار المسعودى

وقد احب المسعودى الاسفار منذ شبابه ، فسافر سنة ٣٠٥ الى اصطخر فى فارس وزار فى السنة التى تلت بعض مناطق الهند وسيلان وبلاد سيمور ، وانضم الى فريق من التجار فى رحلة فى بحر الصين وعبر البحر الاحمر وزار مدغشقر كما زار زنجبار وعمان . وحوالى سنة ٣١٤ نجده يجوب بحر الخزر (بحر قزوين) ومناطقه وينتقل بعدها لزيارة طبريا وفلسطين . وقد قام فى سنة ٣٣٢ بزيارة لانطاكية . وبعض مدن الحدود السورية . واستغرقت زيارته لهذه المناطق مدة سنتين اقام أثناءها فى بعض مدن الثغور الشامية والبصرة ، حتى كان العام ٣٣٤ فتوجه الى دمشق وأمضى فيها بعض الوقت . وانتقل منها الى مصر ليعيش متنقلا بينها وبين سوريا حتى آخر حياته . وقد توفى سنة ٣٤٦ وهو مقيم فى الفسطاط بمصر .

هيرودوت العرب

وقد دفع المسعودى للقيام بهذه الرحلات الطويلة المتتالية حبه للعلم ورغبته فى طلبه والاستزادة منه . فهو بهذا يشبه المقدسي والبيرونى . وقد أتاحت له هذه الأسفار ان يغتنى بمعارفه الجغرافية والتاريخية والاجتماعية وان يتعرف على لغات وعادات وتقاليد واخلاق وسياسات الامم المختلفة التى زارها . وهو فى جمعه بين المعرفة الجغرافية الواسعة بنتيجة الرحلات ، والاسفار ، وشغفه بالحقيقة التاريخية والأخبار بوجه عام ، يلتقى بهيرودوت ابى التاريخ عند اليونان ، فكلاهما رحالة زار البلاد وجاب الاقطار ، وكلاهما جمع اخبار الأمم التى زارها . وكلاهما مزج بين التاريخ والجغرافية فى مؤلفاته . وقد دعاهذابحق المستشرق فون كريمر Von Kramer ان يشير الى المسعودى فى كتابه « تاريخ الثقافة فى الشرق » باسم هيرودوت العرب .

ينقل ولا ينقد

ياخذ البعض على المسعودى انه لم يكن يتمتع دوما بالروح العلمية العميقة ، وانه كان فى بعض الاحيان سطحيا يقبل الخرافات والاساطير ويسردها فى كتبه كما تصل اليه دونما تمحيص او نقد . ولكن المستشرق سيديو Sedillot لايعتبر هذا عيبا فى المسعودى بل يرجعه الى روح حب الاطلاع النامية عنده فيقول : « ولانخشى التكذيب اذا قلنا انه لم يظهر بين العرب مؤرخ بلغ من الفضل الشامل ما بلغه المسعودى ، واذا كنا نراه محتاجا الى روح النقد احيانا فلنتذكر ان حب الاطلاع الشديد فيه حفزه الى زيارة الاماكن التى اراد الوقوف على تاريخها فكان يساق الى نقل قصص ذات اصل مشكوك فيه » .

المسعودى موسوعى

والمسعودى موسوعي لا يؤمن بالموضوع الواحد ولا يقنعه الاختصاص الضيق فيما يكتب . واذا كان لهذا النهج مساوئه فهو لا يخلو من محاسن تدل على سعة أفق المؤلف وشمول نظراته وتعدد

جوانب ثقافته . ويحدثنا هو عن تنوع الموضوعات التي يضمها المؤلف الواحد من مؤلفاته فيقول في الباب الذي يذكر فيه جوامع اغراض كتابه المسمى « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ما يلي ، مما يستدل منه على تشميله هذا الكتاب ابحاثا في التاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد والاخلاق والادب واخبار الملوك وسياستهم وغير ذلك . يقول المسعودي : « اما بعد اننا صنفنا كتابنا في اخبار الزمان ، وقدمنا القول فيه في هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها واغوارها ، وجبالها وانهارها ، وبدائع معادنها ... ثم اتبعنا ذلك باخبار الملوك الغابرة والأمم الدائرة .. ثم اتبعناه بكتابنا الأوسط في الاخبار على التاريخ ومن درج في السنين الماضية ... ونعتذر عن تقصير ان كان ، ونتنصل من اغفال، او عرض لما قد شاب خواطرنا ، وغمر قلوبنا ، من تقاذف الاسفار وقطع القفار ، تارة على متن البحر ، وتارة على ظهر البر ، مستعلمين بدائع الامم بالمشاهدة ، عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة ، فتارة باقصى خراسان ، وتارة باواسط ارمينيا ، واذربيجان ، وطورا بالعراق ، وطورا بالشام .. نسري في الآفاق سري الشمس في الاشراق . كما قال بعضهم :

تيمّم اقطار البلاد فتارة
لدى شرقها الأقصى وطورا الى الغرب
سُرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى
الى افق ناء يقصّر بالركب

وفاوضنا اصناف الملوك على تغاير اخلاقهم وتباين هممهم ، وتباعد دارهم .. » .

وهكذا يصنف لنا الموضوعات التي تطرق الى بحثها في كتابه ، وينقلنا معه في اسفاره ، واصفا متاعبه في رحلاته ، واطلاعه الواسع على ما الف من قبله ، ومعددا بعضا مما دبّج قلمه من مؤلفات في التاريخ والجغرافيا وغيرها . وهو كغيره من المؤرخين العرب لا يتبع نظاما موحدا في عرض مادته. ونراه في كثير من الأحيان يخرج عن جادة الموضوع الأصلي ليذكر اشياء لا تمت الى ما يبحث بصلة او نسب . ولكنه يهتم ببحث جميع الأشياء التي يعتبرها المتعلم في عصره أساسية ، لذلك جاءت مؤلفاته جامعة لكثير من المعلومات المتشعبة المتفرعة. وهو يلتفت بشكل خاص الى الأمور الاجتماعية ، والدينية ، والعلمية التي تميز بها العرب قبل اسلامهم ، ويقارن بينهم وبين العجم وغيرهم من الأمم ، محاولا اظهار فضل العرب وتقدمهم .فتراه عند ذكر سير الملوك والخلفاء يستقصي ادق اخبارهم الخاصة فيدخل بيوتهم ويعيش معهم في مجالسهم ويصف ملامحهم وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس مما لا تجده عند غيره . وقل الأمر نفسه عن اهتمامه بما كانت عليه أمة العرب من معتقدات دينية ، وايمان بآلهة وأوثان ، وزجر للطير وسوانحه وبوارحه ، والكهانة والعرافة ، حتى يصل الى علومهم ومجالس انسهم وقيانهم وآلات طربهم التي ضاع اغلبها ولم يصل الينا منها الا القليل .

تصانيف المسعودي

ومن تصانيفه : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ، التنبيه والاشراف ، أخبار الخوارج ، ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور ، الرسائل ، الاستذكار بما مر في سالف الأعصار ، أخبار الأمم من العرب والعجم، خزائن الملوك وسر العالمين ، المقالات في أصول الديانات ، البيان في أسماء الأئمة ، المسائل والعلل في المذاهب والملل ، الابانة عن أصول الديانة ، سر الحياة ، الاستبصار في الامامة ، والسياحة المدنية في السياسة والاجتماع . ويبدو ان اوسع كتبه كان كتابه « اخبار الزمان ومن اباده الحدثان » . وهو كتاب في التاريخ العام والجغرافيا بدأ في تأليفه سنة ٣٣٢ هـ ٩٤٣ م . وقد بلغ عدد اجزاء هذا الكتاب ثلاثين مجلدا عرض فيها المسعودي الحوادث حتى سنة تأليفه . وقد ضاعت أجزاء هذا الكتاب كلها ولم يبق منها الا مجلد واحد اشتراه المستشرق فون كريمر من مكتبة في حلب وحفظه في مكتبة فيينا . ويذكر السائح الانكليزي بوركهارت Burckhardt في كتابه «رحلات في بلاد النوبة» ان شيخا قاهريا قص عليه في مطلع القرن التاسع عشر للميلاد انه رأى اكثر من عشرين مجلدا من هذا الكتاب ، في ملازم من اربع ورقات في مكتبة جامع اياصوفيا بالقسطنطينية . ويبحث المسعودي في هذا الكتاب تاريخ العالم وجغرافية ديارالحرب (اي بلاد غير المسلمين) ، كما يبحث ايضا في الأساطير التي تتحدث عن تاريخ مصر القديم . وقد نقل جزءا مما كتبه في هذا الكتاب في كتابه « الكتاب الأوسط » الذي لم يبق منه ايضا الا مجلد واحد محفوظ في مكتبة البودليان Bodleian Library في اوكسفورد .

وقد اختصر المسعودي المعلومات التي اوردها

فى هذين الكتابين (كتاب اخبار الزمان ، والكتاب الأوسط) ، وجمعها فى كتابه المسمى « مروج الذهب» الذى انتهى من تأليفه سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، واعاد النظر به سنة ٩٤٥هـ /٩٥٦م ، اى قبل وفاته بقليل . ويمكننا ان نقسم المادة الموجودة فى هذا الكتاب الى قسمين : القسم الأول، ويصف فيه الخليقة وقصص الأنبياء والبحار والأرضين . وما فيهما من العجائب شارحا اثناء ذلك تواريخ الأمم القديمة من فرس وسريان ويونان وروما وفرنجة وعرب قدماء ، باحثا مذاهبهم واوابدهم واطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة عندهم وغيرها . أما القسم الثانى فيختص بتاريخ العرب منذ قيام الرسالة الاسلامية حتى أوائل خلافة الخليفة العباسى المطيع لله . الذى توفى سنة ٣٦٣ للهجرة اى بعد وفاة المؤلف بسبعة عشر عاما . ويظهر مما جاء فى مقدمة هذا الكتاب انه اعتمد فى تأليفه على عشرات من الكتب التاريخية وغيرها كانت موجودة فى ايامه ولم يصلنا منها الا القليل كتاريخ الطبرى وفتوح البلدان للبلاذرى وغيرهما . وقد عرف المهتمون بتاريخ العرب والاسلام من غير العرب لهذا الكتاب اهميته البالغة فحرصوا على ترجمته الى اللغات الاجنبية . وقد نقله المستشرق باربيه دومينار Barbier de Ménard الى اللغة الفرنسية وطبع فى باريس بين سنتى ١٨٦١ ـ ١٨٧٧ فى تسع مجلدات ، كما نقله الى الانكليزية الأستاذ سبرنجر Springer وطبع الجزء الأول منه فى لندن سنة ١٨٤١ ، والطبعة الانجليزية غير كاملة . وللكتاب عدة طبعات عربية اقدمها طبعة بولاق سنة ١٨٦٧ ، ولكن أفضلها هى الطبعة المحتوية على مجلدين يضمان اربعة اجزاء والتى اشرف عليها وحققها الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد .

كتاب التنبيه والاشراف

وللمسعودى كتاب مطبوع آخر هو كتاب «التنبيه والاشراف » الذى ألفه قبل وفاته بقليل وهو على حد تعبير المؤلف نفسه مقدمة لكتبه وتكملة لها . وهذا الكتاب عظيم الاهمية لانه يحوى كل ما حصله المؤلف من الاخبار بعد أن كتب « مروج الذهب » الكتابة الأولى ، وهى التى وصلت الينا ، وقبل أن يعيد النظر به كما ذكرنا آنفا . وهو كتاب جغرافى اودع المؤلف فيه لما من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها وتراكيبها ، واقسام الأزمنة والفصول السنوية ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها وتأثير النواحى والآفاق على السكان والعروض والأطوال والاقاليم السبعة والأنهار ومصابها . كما يذكر فى هذا الكتاب الأمم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها كما يذكر ملوك الفرس والروم واخبارهم واخبار الأنبياء وسيرة الخلفاء حتى سنة ٣٤٥ للهجرة . وميزة هذا الكتاب انه يحوى الكثير من المعلومات الجديدة التى لم يضمنها المسعودى مؤلفاته الأخرى . وقد طبع النص العربى الكامل لهذا الكتاب المستشرق دو خويه De Goje فى سلسلة « مكتبة جغرافى العرب » وذلك فى مدينة ليدن عام ١٨٩٤ ، وقد ترجم النص العربى هذا الى الفرنسية المستشرق كارا دوفو Carra de Vouk ونشره ضمن منشورات الجمعية الآسيوية ـ مجموعة الكتب الشرقية ـ وذلك فى باريس عام ١٨٩٧ .

واذا كان لحرص المستشرقين والمهتمين بتاريخ العرب والاسلام على ترجمة كتب المسعودى الى اللغات الاجنبية وطبعها ونشرها من دلالة فهى تقديرهم البالغ لآثار هذا المؤلف وحرصهم على الافادة منها ، ويلخص فازيليف Vaseliev فى كتابه « العرب والروم » اعجاب المؤلفين الغربيين بكتب مؤرخنا المسعودى بقوله : « وكتب المسعودى مما يقرؤه المسلمون والاوروبيون على السواء فيجدونه ممتعا طليا وذلك راجع الى تنوع الاخبار التى يسوقها المؤلف والى قدرته على جعل سرده حيا فى كتبه » .

علم من أعلام أمتنا

وبعد فهذه هى لمحات من قصة حياة وتآليف علم من أعلام أمتنا تفصلنا عنه سنون تزيد على الالف ، احله علماء الغرب مكانا رفيعا من قلوبهم واحاطوه بما يستحق من احترام وتقدير ، فهل ترانا نحن عرب هذا العصر جديرين بحمل مشعل الفكر والحقيقة الذى سلمه لنا الأجداد متقدا وهاجا حتى نصل ما انقطع ونبنى ما كاد أن يتداعى ويدخل فى غياهب النسيان !! ان أمانة الأجداد ، ومنهم المسعودى ، تهيب بنا الى مضاعفة الجهد حتى نلحق بركب كنا قادته وكاد اليوم أن يفوتنا . ■■

نبيه عاقل

اليقظة

بقلم : أندريه موروا

■ قالت مدام بلانشيت ، والسيارة منطلقة بسرعة على الطريق المتاخمة للحشائش التى قصت حديثا :

« حسنا » .. انهم على الأقل يبقون حقولهم فى حالة جيدة !

وما هى الا لحظات حتى توقفت السيارة امام القلعة الصغيرة التى كتب على بابها بحروف من ذهب على طراز قديم من حيث التصميم الكلمات الآتية :

كلية ساكرى
مدرسة تكميلية

واستطردت مدام بلانشيت : « يجب أن أقول ان المكان يبدو مناسبا للغاية » ..

وتمتمت ايزوبل : « سوف نرى .. » التى لم تكد تتم السادسة عشرة من العمر، والتى تتمتع بليونة القطة الرشيقة المتيقظة :

أعطت مدام بلانشيت اسمها وطلبت مقابلة الناظرة . واقتيدت الزائرتان الى مكتب تنافر فيه من أول وهلة الأثاث العصرى المصنوع من البلاستيك والمعدن ، مع الأثاث القديم من طراز لويس الثالث عشر . ولكن لما وصلت الناظرة ، وهى سيدة فى ريعان الصبا ، ترتدى ثوبا فى غاية الاناقة ، بدا الأثاث فجأة متناسقا ومناسبا جدا .

وبدأت مدام بلانشيت الحديث قائلة : « انى أحضرت لك ايزوبل . لقد بكرنا يوما عن الموعد ولكن زوجى - ولا بد أنك قد قرأت ذلك فى الصحف - قد نقل الى طوكيو ، وسنسافر هذا المساء بالطائرة » .

« مسكينة ابنتنا ايزوبل .. ان تعليمها حتى الآن قد تغير كثيرا ، ولكن ما عسى المرء أن يفعل ؟ ابنة سفير فى هذه الاوقات المضطربة . اذ فى اللحظة التى بدأت تسير فيها سيرا حسنا فى الكلية الأمريكية ، وجدنا من الافضل احضارها الى هنا حيث تستطيع أن تستقر فعلا » .

فقالت الناظرة : « حقا .. ولدينا عدة فتيات امريكيات وفتاتان أو ثلاث من أمريكا الجنوبية .. وأنا واثقة من أن ايزوبل ستلحق برفيقاتها بسهولة . ان مدرساتنا ممتازات ، والطالبات عندنا يقضين وقتا طيبا فى ركوب الخيل ولعب التنس والاستماع الى الموسيقى والرقص والتمثيل .. حتى الحفلات الراقصة نقيمها من وقت لآخر !

« كذلك ننظم كل اسبوع أمسية فى باريس للفتيات اللواتى يرغبن فى ذلك . والكوميدى فرانسيز رائعة للواتى يدرسن كورنيل ، وراسين ، وموليير ، وجميع الكتاب الكلاسيكيين . هل تحبين المسرح يا آنسة ؟ » .

فأجابت ايزوبل باقتضاب : « نعم » .

واستدركت الأم قائلة : « ان ابنتى قليلة الكلام .. ان رأسها ملىء بأشياء كثيرة . ولكنها تحتفظ بأفكارها لنفسها .. انها حالة نوعا ما » .

ركزت اهتمامها .. ليتك تستطيعين أن تعملى منها شيئا ما » .

وتنهدت ايزوبل . فقد كانت تكره ان يكون الحديث عنها . وقد بدأت أمها تثير اعصابها . وكانت تردد فى نفسها : « انها لا تكف عن أن تجعل الناس يَبْرَمون دائما بثرثرتها وتهورها وعدم تبصرها . الحمد لله انها مضطرة للذهاب على عجل لمقابلة والدي فى المطار .. انها - على الأقل - لا تقدر أن تبقى هنا طول الليل .

وبينما هى تفكر فى هذا ، كانت أمها تتحدث مع الناظرة عن الأقساط والامتحانات والملابس، وكانت مدام بلانشيت تقول للناظرة : « نعم .. عند ايزوبل فستان للسهرة وعدة فساتين كوكتيل .. لباس ركوب الخيل ؟ لماذا ؟ .. لا .. اننا لم نحضر لباس ركوب لأنها ترتدى عادة بنطلونا وبلوفر ، اما اذا كان النظام يقضى بذلك فيمكنك شراء لباس ركوب لها وقيدى ثمنه على الحساب . افعلى ما ترين مناسبا » .

فقالت الناظرة : « يبدو أن هذا هو كل ما نريد بحثه .. لا تقلقى .. ان ايزوبل ستكون فى أيد أمينة » .

حانت ساعة الافتراق .. وكانت مدام بلانشيت تود لو أطالت مدة المقابلة لتظهر شيئا من عواطفها وتزود ابنتها ببعض نصائح الأمومة الحبيسة .

فقالت الناظرة : « ستكون مع ايزوبل رفيقة فى غرفتها ، ولكن بما انها جاءت الى المدرسة قبل الموعد بيوم فان البنات الأخريات لم تصل واحدة منهن بعد . أرجو ان لا تكترثى لكونك وحيدة هذه الليلة يا آنسة ؟ » .

فردت ايزوبل : « أبدا ... » .

« باستطاعتك أن تذهبى الى المكتبة ... لدينا بعض الكتب القيمة جدا كما يوجد هناك حاكى « فنغراف » . هل تحبين الموسيقى ؟ » .

فأجابت عنها مدام بلانشيت قائلة : «انها ليست مغرمة جدا بالموسيقى ، ولكنها كجميع الفتيات المصريات تصرّ على عمل واجباتها البيتية وهى تستمع الى الموسيقى ، وبامكانها أن تتقدم أكثر لو

ولكن ايزوبل ارادت أن تخفي مشاعرها فقالت لامها بما يشبه عدم الاكتراث : « مع السلامة يا أمي .. بلغي حبي لوالدي » .

فقالت مدام بلانشيت : « لا تنسى أن تكتبي كل أسبوع » .

ـ سأحاول ذلك .

ما ان غادرت مدام بلانشيت المدرسة حتى قدمت الناظرة ايزوبل الى الآنسة بيرنز ، مدرسة اللغة الانجليزية . فاصطحبت المدرسة ايزوبل في جولة الى فصول المدرسة وقاعة الالعاب الرياضية وحجرات الموسيقى وبركة السباحة والملاعب والنهر . وحينما عادتا الى المنزل زارتا قاعة الطعام وغرفة الرقص والحجرات الخاصةبالبنات .

كانت ايزوبل ، كما ذكرت والدتها قبلا ، قليلة الكلام ، فلم تخرج اجوبتها عن « نعم » أو « لا » أو « ربما » .

وكان وراء الآنسة بيرنز عمل كثير تقوم به في الليلة السابقة على ابتداء الفصل الدراسي ، فالتفتت الى ايزوبل وقالت : « امامك ثلاث ساعات حتى يحين موعد العشاء فماذا تريدين أن تفعلي ؟ »

ـ هل استطيع أن ابقى في المكتبة ؟

ـ طبعا .. سآخذك الى هناك .

وفي المكتبة عاد الى ايزوبل صفاؤها وانحلت عقدة لسانها . وبعد أن القت على الكتب نظرة فاحصة قالت : « لا بأس بها .. ستند هال ، وبلزاك ، وهمنجواي » ! . وما أن سمعت الآنسة بيرنز حتى قالت في شيء من الكبرياء : « انظري هناك .. ديكنز ، وهاردي ، وفيرجينيا ، وولف » .

وسارت ايزوبل الى حيث كانت تقف الآنسة بيرنز .. نعم .. لقد كانوا جميعا كتابها المفضلين: دوفن دي موربيه وا. ج . كرونن ، واليزابيث جودج .. وفجاة تساءلت : « ولكن ماذا يوجد هناك ؟ » واشارت الى صندوق اسود من الصفيح ملقى على أرض المكتبة .

« ليس شيئا مهما .. لقد عثرت امينة المكتبة ، على هذا الصندوق المليء بالأوراق القديمة في احدى زوايا الغرفة العلوية المظلمة قبل انتهاء الفصل الدراسي الماضي .. وهي تصر على قراءتها، ولكن لديها أعمالا اخرى كثيرة جدا .

لم تكد الآنسة بيرنز تخرج من المكتبة حتىامتدت يد ايزوبل الى الحاكي ، ووضعت عليه بعض الاسطوانات ، وادارته ، وراحت تستمع الى الموسيقى الهادئة بعد أن استقرت علىالارضبجانب الصندوق وراحت تتمعن في محتوياته : صور مدرسية قديمة أكل الدهر عليها وشرب ، وبرامج الحفلات المدرسية وبطاقات الرقص (التي ما زال قلم الرصاص مربوطا بها) وبرامج الكوميدي فرانسيز ، ومن بينها رواية لموليير .

وما هذا الشيء السمين ؟ انها مفكرة قديمة مربوطة بشريط ارجواني اللون ينتهي بابزيم معدني .. فتحت ايزوبل المفكرة .. كان الخط صغيرا ونظيفا وسهل القراءة ... وكانت الصفحة الاولى تحمل العنوان التالي : « مفكرة اميلي جالازي ـ الصف السادس ـ بدأت كتابتهافي٢ اكتوبر١٩٠١ » .

لم تكن الفقرات الاولى مثيرة : « لم استطع النوم طوال الليل .. لقد كرهت فراق البيت .. ما هذه الوجوه الغريبة ! » . ويلي ذلك وصف موجز للناظر المسيو غادرون .. الذي كان من السهل جدا أن يدرك المرء منه ما يريد بابتسامة .. أما زوجته فقد كانت متعجرفة ، تحافظ على التمسك بالأنظمة .

قلبت ايزوبل عدة صفحات .. وبعد ذلك ، على حين غرة ، بدأت القراءة من جديد ولكن باهتمام !

١٥ اكتوبر ١٩٠١ :

« بعث المسيو غادرون اليوم في طلبي ليقول لي انني سأشترك في غرفتي مع احدى البنات الجديدات واسمها جيزيل دي كلير..انني مسرورة اذ ان رفيقتي هذه بارعة الجمال . وفي الحال بدانا نتحدث أنا ورفيقتي عن الشعر والموسيقى والملحن المفضل لديها هو شوبان . احس بأننا سنصبح صديقتين حميمتين .

في هذه اللحظة بالذات تقوم جيزيل بتفريغ حقائبها . واعتقد ان والديها اللذين يعيشان في نورماندي قد فقدا الجزء الاكبر من ثروتهما وتتولى جدتها دفع اقساطها المدرسية .

٢٠ اكتوبر :

مما يدعو الى الدهشة ، السرعة التي تنمو فيها صداقتنا . فقبل اسبوع واحد لم اكن اعرف عن جيزيل شيئا . أما اليوم فهي أعز صديقاتي حتى اصبحت أحبها اكثر من حبي للموسيقى .. وهي أفضل من يركب الخيل وأحسن من يسبح ويجدف. ليس ذلك فحسب بل ان الاب اودونوفان ، راعي الكنيسة الصغيرة ، متأثر أيضا وبشكل واضح من حماسها وغيرتها للاشياء التي تكرس نفسها لها .

صحيح انهما اكتشفتا فى بعضهما اهتماما مبدلا بالكاتبتين « برونتى » ، وكلتاهما رومنطيقية . وقال الأب اودونوفان قبل أيام باستغراب : « الآنسة دى كلير ؟ انها اكتشفت كنه جسدون الصمت الذى يعلمه القمر لشجرات البلوط السامقة ! » .

ويحمر وجه فرتونيو الاستاذ الشاب خريج السوربون الذى يدرسنا اللغة الفرنسية والمسرح الانجليزى فى كل مرة تنظر جيزيل اليه . ما أسهل الضحك على الرجال !

٣٠ اكتوبر :

لما كانت جيزيل الاولى وأنا الثانية فى درس التاريخ فقد أخذنا المسيو غادرون لمشاهدة رواية فى الكوميدى فرانسيز ونقلتنا حافلة المدرسة حتى قرية جارش ، ومن هناك استقللنا القطار . أما مدام غادرون فقد كانت ـ شكرا لله ـ مشغولة جدا فلم ترافقنا .

وقد احضر لنا المسيو غادرون أثناء الاستراحة برنامجا للرواية وبعض المرطبات ، وكان بعض الطلبة الضباط الشبان من أكاديمية سان سير العسكرية ، بزيهم العسكرى وقبعاتهم المزينة بالريش ، ينظرون الينا باهتمام زائد وقد شعرنا بالكبرياء والأهمية .

٣ نوفمبر :

صباح غامض سوداوى والضباب يكتنف الحديقة . التحضيرات تجرى على قدم وساق للاحتفال « بيوم المؤسسين » . لقد دعا آل غادرون عددا كبيرا من الشخصيات البارزة فى المدينة ، وكان يسمح لكل فتاة بدعوة ضيف واحد هو ، بصورة عامة ، أخ أو ابن عم ، حتى يتوفر عدد كاف من الرفقاء للحفلة الراقصة التى تقام بعد تمثيل الرواية التى تقدمها المدرسة ، وهى من تأليف موليير ، ونشترك جيزيل وأنا فيها .

كان القمر فى الليلة الماضية بدرا . وخرجنا أنا وجيزيل الى الحديقة مع أن نظام المدرسة يقضى بأن لا تخرج الفتيات بعد الساعة العاشرة ليلا ولكننا اكتشفنا بابا سريا يوصل الى الحديقة .

٢٠ نوفمبر :

هذا هو اليوم العظيم . بينما كنت أهبط السلالم رأيت ضابطا شابا وسيم الشكل يرتدى بدلة زرقاء فى لون السماء ذا رموش طويلة وشاربين انيقين .. وشعرت باضطراب شديد .

ضحك الضابط وقال : « دعينى أقدم نفسى .. أنا فابيان دى رونسيريه ابن أخ مدام غادرون .. لقد تلطفت عمتى فدعتنى لمشاهدة الرواية والحفلة الراقصة هذا المساء » ..

نظر كل واحد منا فى عينى الآخر لمدة نصف دقيقة .. لقد كان ذلك مثيرا حقا .

٢١ نوفمبر :

الساعة الرابعة صباحا . احس بارهاق شديد .. ولكن لا جدوى من محاولة النوم .. اننى قلقة على جيزيل .. ماذا سيجرى لها ؟ ذهبنا سويا بعد العشاء لتبديل ملابسنا بالملابس التى يتطلبها دورانا فى الرواية .

العربات تسير صاعدة فى الطريق المؤدى الى المدرسة .. وعدد الضيوف يزداد أكثر فأكثر .. بدأ قلبى يخفق .. احس بخوف ورهبة من المسرح . ولكن بمجرد أن أزيح الستار عاد الى هدوئى ولم أتلعثم بسطر واحد .

كان الضابط الشاب الوسيم يجلس بجوار عمته فى الصف الامامى ولم يرفع عينيه ولو للحظة واحدة عن جيزيل .

وبعد انتهاء الرواية تقبلت الممثلات التهانى وبدأ الرقص . لم يكن عدد الشبان فى الواقع كافيا لمراقصة الفتيات وبدأنا نحس بشىء من التوتر والعصبية ورحنا نتساءل عما اذا كنا سوف نستطيع أن نملأ بطاقات الرقص بالراقصين .

كانت جيزيل محظوظة .. ذهب اليها الضابط فابيان رأسا وحجز أكثر من نصف رقصاتها .. وقبلت ذلك بابتسامة .. ولكنها تركت رقصة فالس واحدة لفرتونيو الاستاذ الشاب خريج السوربون ..

وكنت أنا أيضا محظوظة لان دبلوماسيا شابا من أمريكا الجنوبية اختارنى من بين جميع الفتيات وطلب مراقصتى كل الرقصات . وباختصار فاننى لم أر جيزيل وسط هذا الزحام . ولما انتصف الليل هبت عاصفة راعدة لم ينتبه لها الموجودون كثيرا فى حينها لان الاوركسترا طغت بصوتها على كل شىء تقريبا ما عدا قصف الرعد المدوى .

اعلنت مدام غادرون وقف الرقص فى الثانية صباحا وقالت لنا ان وقت النوم قد حان . ورحت ابحث عن جيزيل فى كل مكان ، ولما لم اجدها صعدت الى غرفتنا يساورنى شىء من القلق وانشغال البال .

وصلت جيزيل بعد عشر دقائق لاهثة متقطعة الأنفاس والقت بنفسها بين ذراعى ، فسألتها عما

حدث واجابت : « انني شرعت في مغامرة هائلة.. اكبر مغامرة في حياتي » .

« مغامرة ؟ اي نوع من المغامرة هذه ؟ » .

« النوع الوحيد من المغامرات الذي يهم .. مغامرة عاطفية . هل رأيت فابيان وهو يأخذني الى الحديقة ؟ » .

« لا .. لم اره . لماذا خرجت الى الحديقة في هذا الطقس ؟ » .

« كان الجو حارا في قاعة الرقص .. ولهذا تسللنا من الباب الجانبي » .

« لقد أخبرني فابيان انه كان حتى هذا المساء يقع في حب كل فتاة جميلة يقابلها .. دون أن تكون له بأية واحدة منهن علاقة جدية ، وقال لي : انك تعرفين الجنود . وقال انه حين رآني تغير كل شيء بالنسبة له وانه يدرك انني ضرورية له وهو يحبني .. بأعمق ما في هذه الكلمة من معان » .

حاولت أن اهدىء من حماسها واندفاعها وقلت لها : « ان الرجال جميعا يقولون نفس الشيء».. ولكنها ردت على بقولها : « هذا غير صحيح .. وعلاوة على ذلك فأنت لا تقدرين أن تتصوري الطريقة التي قال بها عباراته . ليس ما يقوله الرجل هو المهم انما المهم هو الطريقة التي يقوله بها . حسنا في تلك اللحظة بالذات هبت العاصفة فصاح بي : « ثوب الرقص .. ان ثوبك الانيق سيتلف » واتفق أن كنا واقفين بجانب البيت الزجاجي فدفعني الى داخله . « اتذكرين المقعد الحجري تحت شجرة النخيل ؟ جلسنا هناك ولف ذراعه حول خصري وحاول أن يقبلني .لا .. لا تلقي على المواعظ والمحاضرات .. انه يريد أن يتزوجني .. لقد قال لي انه سيخبر والديه ورئيسه الكولونيل » .

« وما علاقة الكولونيل بهذا » ؟

« لا أدري .. ولكن هذا هو النظام في الجيش . بقينا في البيت الزجاجي الى أن هدأت العاصفة.. وهذا هو سبب تأخري .. لم يذهب فابيان حتى الآن الى غرفته .. لانني وعدته بأن أنزل لمقابلته .. نريد أن نظل نتحدث طوال الليل » .

فقلت لها : « انك مجنونة .. الا تدركين ما سيحدث اذا رآكما احد » .

« ادرك ذلك تمام الادراك .. ولكنني مستعدة لتحمل جميع النتائج .. اننا نحب بعضنا ووعد بأن يتزوجني .. ولا يهمني أي شيء آخر » .

لقد مضى على ذهابها أكثر من ساعة .

٢١ نوفمبر :

لم تعد جيزيل قبل الخامسة من هذا الصباح . لقد ظهر عليها التعب كما بدت عليها السعادة . سألتها وأنا ما زلت شبه نائمة :

« الم تفعلي .. الم تفعلي أمرا خاطئا ؟ »

فأجابتني .. لا تكوني حمقاء .. كلا بالطبع ! ..ولم أجرؤ على الاسترسال في الأسئلة .

طلبت جيزيل مني بعد الغداء أن ارافقها الى البيت الزجاجي لتريني بالضبط المكان الذي تحولت فيه حياتها فجأة . فسألتها : « ماذا تريدين ان تفعلي الآن » ؟

« انه سيحدث والديه بالموضوع وسيكتب الى ..ان والده جنرال»وسأنتظر أخباره بفارغ الصبر. وبما أننا سنتزوج فلم أعد احس بالملل والضجر».

ارجو أن تكون جيزيل على صواب .

١٠ ديسمبر :

الثلج يتساقط .. والحديقة بيضاء .. لم تتسلم جيزيل أية رسالة من فابيان وبدأت علامات القلق والاضطراب تظهر عليها .

كان فابيان قد أعطاها عنوانه وأخذت تكتب اليه كل يوم رسالة . فلماذا لا يرد عليها ؟ هل من المحتمل أن تكون الناظرة هي التي تقطع الطريق على رسائله ؟

كانت تخشى في بعض الاحيان أن يكون فابيان قد أصيب بحادث أو أن تكون فرقته قد نقلت الى خارج البلاد .

١١ ديسمبر :

تبدو جيزيل ، التي لم تتلق حتى الآن أي نبأ، في منتهى الشقاء والكآبة . ومما يثير الدهشة والعجب ان لا تكون المدرسات قد لاحظن ذلك . قد يكون هذا حقيقيا لأن الكلية بأجمعها مشغولة بوضع برنامج احتفال كرنفال الجليد . من المفروض ان نقوم أنا وزميلتي جيزيل برقصة على الجليد والسؤال هو : هل ستكون جيزيل موجودة ؟ أنا لست متأكدة فبالامس وبعد أن أطفئت الانوار قالت لي سرا بأنها مصممة على الذهاب الى باريس لرؤية فابيان وأضافت : وتستطيع أن نتزوج في الحال .

اعطى لنا ، جيزيل وانا ، تصريح لقضاء امسية فى الكوميدى فرانسيز . سأذهب انا بالطبع لمشاهدة الرواية ، اما هى فسوف تذهب لرؤية فتاها .

١٣ ديسمبر :

افكارى مبلبلة للغاية .. وأكاد لا أعرف ماذا افعل . افترقنا ليلة امس عند محطة سان لازار بعيد الساعة السابعة بقليل .. افترقنا لأذهب انا الى المسرح ولتذهب هى الى فابيان . ولما التقينا عند منتصف الليل فى نفس المحطة .. كان هذا هو ما قالته لى :

« حينما وصلت الى العنوان الذى أعطانى اياه افادنى البواب بأنه يسكن فى الدور الخامس .. وحينما قرعت جرس الشقة رد على فابيان نفسه ولكنه فوجىء لرؤيتى بغتة حتى ليخيل لأى انسان انه لم يكن قد رآنى من قبل اطلاقا . وسألنى : « بحق السماء .. ماذا تفعلين هنا ؟ » واستفسرت منه عما اذا كان قد تسلم خطاباتى وكان رده : « نعم تسلمتها .. ولكن لماذا جئت ؟ » وقادنى الى ردهة صغيرة وهو يكاد يجرنى جرا وحذرنى قائلا : « لا تتكلمى بصوت عال . اننى احتفل ببعض أصدقائى .. ولا حاجة بهم لأن يعرفوا انك هنا » .

« أخبرته بأننى على أتم استعداد للزواج منه حتى بدون موافقة والديه ولكنه قال : « كفى عن هذا الهراء انك قاصر » .

« صاح أصدقاء فابيان ينادونه فتركنى وذهب اليهم وبعد همس استمر طويلا سمعت أحدهم يقول بصوت مرتفع: «ماذا ؟ هل تعنى تلك الصغيرة من المدرسة التكميلية ؟ حسنا يا فابيان اننا سنتركك .

« وانفجر الجميع بالضحك .. واستطعت من خلال الباب المفتوح نصف فتحة أن أرى خمسة من الضباط الشبان يغادرون الشقة بسرعة .

« دعانى فابيان الى غرفة الجلوس .. وبدا قلقا ومضطربا وجادا .. ولم يقبلنى ولو قبلة واحدة او يكلمنى كلمة رقيقة .

« ظل يقول : « نعم .. أنا اعرف .. ولكن الحفلة الراقصة هى السبب ، وكذلك شبابك وجمالك . عليك أن تفهمى ، يا حبيبتى جيزيل ، ان الحياة ليست كما تتصورينها .. أنت فتاة صغيرة وبريئة وما زلت طالبة فى المدرسة .... يجب أن تعودى الى عمتى » . قال هذا بسرعة كمن يريد التخلص منى .

« رأيت على المائدة كومة من الرسائل التى لم تفض . انها رسائلى التى بعثت بها اليه وسألته عنها فكان جوابه : « جيزيل .. حبيبتى ، يجب ان تخرجى ، لأننى انتظر اشخاصا فى الساعة السابعة والنصف تماما وينبغى أن لا يروك هنا !..

« من الذين تنتظرهم ؟ امرأة ؟ .. هل تحبها ؟» لا .. لا احبها أو على الأقل لا أحبها حتى الآن .. ولكننى فى الواقع لا أعرف » .

« وبينما أنا اهم بالخروج قرع جرس الباب ثلاث مرات متقطعة . كانت بالباب ممثلة شابة ، ما ان فتح الباب حتى قالت : يا صغيرى فابيان .. .. لا أستطيع أن أمكث معك سوى لحظة .. لأننى امثل فى مسرح اوديون » .

« شعرت كم أنا غبية ! ولحسن الحظ لم ترنى تلك الممثلة حينما ادخلها فابيان الشقة لأننى تراجعت فى اللحظة المناسبة الى الردهة الصغيرة وبقيت فيها وسط الظلام طوال الدقائق القليلة التالية التى كان فابيان والممثلة يتحادثان أثناءها. وقد طلبت منه أن يحضر لرؤيتها أثناء التمرين .

« حالما غادرت الممثلة جاء فابيان ليأخذنى من مخبئى واعتذر قائلا : لا تغضبى يا جيزيل .. لم اكن اتخيل حضورك الى هنا ! وحاول أن يمسك يدى . واظن انه كان يفكر بى على اننى الثانية بعد الممثلة .

« لقد جرحت احساسى وعواطفى جرحا عميقا .. وخاب أملى فتخلصت منه وأمسكت محبرة وقذفته بها فى رأسه .. ولا بد انها أصابته فى جبهته لأن الدم نزف منها بغزارة .. وكان الغضب ما زال ينتابنى فصفقت الباب بقوة وهبطت السلالم الى الشارع » .

سألت جيزيل : « وماذا انت فاعلة الآن ؟ اننى لا اقصد أن أوجه لك اللوم .. ولكن افرضى انك قتلته ؟

شحب لون جيزيل وأجابت : « سأنتظر . متى تظنين ستكتشف الشرطة الجريمة ؟

يا لها من ليلة !!

قضينا ، جيزيل وأنا ، معظم النهار ، ونحن نطل من النافذة مترقبين وصول الشرطة ، وتمكنا من الحصول على صحيفة لنرى ان كان قد نشر

شيء عن الجريمة ، ولكنها كانت خالية من أي خبر . واعتقد أن الشرطة لم تكتشف الجريمة بعد .

١٥ ديسمبر :

لم يردنا أي نبأ حتى الآن. غدا هو موعد كرنفال الجليد .

١٦ ديسمبر :

الجو جميل ورائع ونصبت أعمدة ترفرف عليها الاعلام الملونة حول البحيرة . وكان وسط البحيرة منطقة خطرة للتزحلق . لقد حذرونا من أن الجليد في ذلك الجزء من البحيرة ليس سميكا وتقرر أن تجرى الاستعراضات على امتداد جوانب البحيرة حيث يكفي سمك الجليد لحمل مائة زوج من المتزحلقين الذين يقدمون الاستعراضات ورقصات الفالس .

قمنا ، جيزيل وأنا ، بأداء دورنا وقفلنا راجعتين ويدي ممسكة بيدها ، وعلى حين غرة صاحت جيزيل : « هل تربنه ؟ » .

« من هو ؟ »

« انه هو !! بجانب مدام غادرون ! »

نعم .. كان فابيان سليما معافى وقد عصبت جبهته برباط . فقلت لها : « انك ـ على الاقل ـ لم تقتليه » .

ولكن جيزيل كانت في ثورة من الحنق والهياج فأفلتت من يدي واندفعت مسرعة في الاتجاه المعاكس وهي تصيح : « ليذهب الى الشيطان .. انني لن أسمح له بأن يضحك على مرة ثانية » .

وقعت الاحداث التالية بسرعة خاطفة حتى انني لم اكن ساعتها ادرى ما يحدث . لقد تهشم الجليد وسقطت جيزيل في الماء المثلج .

أسرعت نحوها بأقصى ما يمكن وحاولت اخراجها من الماء ولكنها كانت تقاوم وتصرخ قائلة : «اتركيني لوحدى .. ماذا يهم لوغرقت » . وتحطم الجليد من تحتى فسقطت أنا ايضا .

جاء ميدو ـ سائق عربة المدرسة ـ وأنقذنا من الغرق مستعينا بسلم أحضره من فرقة الاطفائية ولم أصب أنا نتيجة لهذه المخاطرة بأى ضرر .. أما جيزيل فقد اضطرت الى لزوم الفراش وكانت دائما تقول لمدام غادرون انها تريد أن تموت .

حضر فابيان لرؤيتي وكان في حالة يرثى لها ، وقال انه يحب جيزيل .. وانه يحبها فعلا هذه المرة .. فصعدت معه الى غرفة جيزيل .. وما دخلنا عليها رفع فابيان ذراعيه متوسلا طالبا المغفرة . ولم تلبث جيزيل أن اسندت رأسها على كتفيه وهي تنتحب وتقول : « احبك » .. وبدآ يتكلمان همسا .. ولما خرج فابيان وأصبحنا لوحدنا قلت لجيزيل : « هل أنت متأكدة من انك تتصرفين تصرفا صحيحا ؟ لقد خدلك فابيان مرة .. ومن السهل جدا أن يخدلك مرة أخرى » وكان جوابها : « هل تظنين انني لا أعرف ذلك ؟ ولكن ما الفرق ؟ انه كما هو على حقيقته وطبيعته .. ولو لم يكن كذلك ربما لم أكن أحببته » .

آمل حقا أن يكونا سعيدين » .

★★★

ـ مرحبا ايزوبل .. ماذا تفعلين على الأرض ؟»

صعدت ايزوبل نظرها فرأت ، كما لو كانت في حلم ، الناظرة في ثوبها الأنيق وبرفقتها ضابط شاب بلباسه الرسمي . كانت رموش عينيه طويلة .. وبدا وسيما .

قالت ايزوبل مستعجبة : « يا الهي .. فابيان دي رونسيريه ! » .

فضحكت الناظرة وقالت : « لا .. انه جاك سالفي ابن اخ لزوجي ، وهو هنا في اجازة من افريقيا . وحينما عرف أن الفصل المدرسي لن يبدأ قبل يوم غد فقد جاء ليراني .. ولكن كيف سمعت عن فابيان دي رونسيريه ؟ لقد هرب خفية مع فتاة من هذه المدرسة قبل أن تولدي بزمن بعيد » .

ـ لقد كنت اقرأ عنهما من هذه المفكرة القديمة « هل تعرفين ما حدث لهما فيما بعد ؟ أعني .. هل كانا سعيدين في حياتهما ؟ » »

ـ كانا سعيدين جدا كما اعتقد وكانت ابنتهما طالبة هنا .

والتفتت الناظرة الى الضابط الشاب والإبتسامة تعلو شفتيها : « هيا بنا نتناول العشاء سويا .. ما رأيك يا ايزوبل ؟ » .

القت ايزوبل بالمفكرة ذات الغلاف الجلدى داخل الصندوق ونهضت من مكانها ورمقت الضابط الوسيم بنظرة اعجاب .. وابتسمت ابتسامة سرور ! ■■

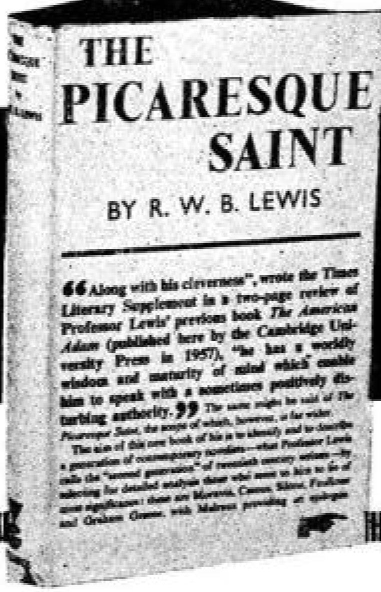

نقد كتاب الشهر

البرتومورافيا للويس

سيّد القصّة الايطالية الحديثة

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ فى ايطاليا اليوم جيلان من القصصيين :أولئك الذين عاشوا تحت ظل النظام الفاشي ، ثم الكتاب الشباب الذين ادركوا الحلم تحت النظام الجديد . واشتهر كتاب الفريق الاول موارفيا ، وسيلوني ، واليوفيتوريني ، وسيزاربافيس ، وفيتاليانو براتكاتي ، وكارلو ليفي ، وماريو سولداتي . .

اما أشهر كاتبين بين الشباب فهما ايتالو كلفينو Italo Calvino وجيورجيو بساني Giorgio Bassani

والادباء الايطاليون الشباب ، أدباء ما بعد الحرب العالمية الثانية ، الذين ما زالوا يحاولون اثبات وجودهم ، وتثبيت اقدامهم ، متأثرون بالادب الامريكي وخاصة بهمنغواى وشتاينبك وفوكنر ودوس باسوس Dos Passos ، ولكن هذا التأثر لم يأت عن طريق الاتصال المباشر بالادب الامريكي ، بل عن طريق فيتوريني Vittorini الذى هو بدوره متأثر بالادب الامريكي . ويقول مورافيا انه كان مرة حكما فى مسابقة للقصة عقدتها احدى المجلات الايطالية ، فلاحظ ان اكثر من خمسين بالمئة من المشتركين كانوا من الكتاب الشباب ، وانهم جميعا متأثرون بفيتوريني .

وقد تأثر مورافيا بدوستويفسكي وجيمس جويس ، وهما فى رأيه خير كاتبين للقصة : اما من الاول فقد اقتبس فن بناء القصة ، وأما من الثاني فقد تعلم تداخل الزمن بالاحداث . وقد اعترف مورافيا نفسه بهذا ، فراع قوله النقاد ، ولكنه ازال عجبهم بتحديده للجانب الذى تأثر به من كل منهما . واستفاد مورافيا من منزوني Monzoni (١٧٨٥ – ١٨٧٢) الكاتب القصصي والشاعر الايطالي .

ومن الكتاب الانجليز الذين يعجب بهم مورافيا : شكسبير ، وجون دون Donne (وقد حاول ترجمة بعض قصائده) وتوماس هاردى ، وجوزيف كونراد . وهو معجب من الادباء الفرنسيين بفولتير، وديدرو ، وستندال ، وبلزاك ، وموباسان ، ورمبو ، وبودلير .

ومورافيا كاتب واقعي مغرق فى واقعيته يصور الاحداث والشخصيات بكاميرا مكبرة ، تلتقط

صورا تفوق الحجم الطبيعي . ولا ينفي هـذه الواقعية عن مورافيا قول مورافيا نفسه : « انا لا اعرف ان لي مذهبا ، فانا اكتب لاسلي نفسي ، واعبر عن افكاري ، ولامتـع القراء بمشاركتهم فيها .ولكل انسان في هذه الحياة طريقته الخاصة في التعبير عن ذاته ، وطريقتي انا هي الكتابة » .

واسلوب مورافيا واضح حي ، ولكنه لا يرتفع ، لانه ليس في قصصه مرتفعات ، فهي خالية مـن التوتر .

وقد صدرت عن مورافيا دراسات محدودة من اهمها دراسة الدو بلاديني Aldo Paladini التي صدرت في ميلانو عـام ١٩٥٤ ، ومن احـدث هذه الدراسات واكثرها قيمة كتاب لويس هذا الذي نقدمه والمسمى « القـديس الوغـد The Picaresque Saint » (١٩٦٠) ، والمؤلف هو استاذ الادب الانجليزي في جامعـة رتجرز Rutgers

وكتاب لويس يتناول بالدراسة خمسة مـن كبار الأدباء المعاصرين هم : البرتو مورافيا ، والبير كامو ، واجناتسيو سيلوني ، ووليم فوكنـر ، وجريهام جرين . وسنقصر مناقشتنا هنا علـى الفصل الذى كتبه لويس عن البرتو مورافيا . ونقد لويس ميتافيزيقى فيـه النظريات اكثر من المعنى الملموس ، ولذا فاننا سنقدم اولا عرضـا لاتجاهات مورافيا ، كما نفهمه ، ثم نناقش لويس في بعض آرائه ، ونختم الحديث بعرض لآخر قصة لمورافيا وهي « السأم » وهو ما لم يفعله لويس لصدور هذه القصة بعد صدور كتابه .

صبي مورافيا

ولد مورافيا في روما في الثامن والعشرين من تشرين الثاني من عام ١٩٠٧ ، وهو في رأى اكثر النقاد سيد كتاب القصة الحديثة في ايطاليا وهو يرأس تحرير مجلة Nuovi Argomenti

ولم ينل مورافيا من التعليم المدرسي حظـا كبيرا ، فقد ترك المدرسة في المراحل الاولى مـن الدراسة الثانوية ، وكان مرضه هـو السبب المباشر لحرمانه من التعليم ، فقد كان في طفولته مريضا بسل العظام ، فقضى من حياته ، بين سن التاسعة والسابعة عشرة ، مدة خمس سنوات طريح الفراش،ولم يشف من مرضه الا عام ١٩٢٤ .

وقد ترك المرض آثاره في انتاجه ، ومن خير قصصه المستمدة من تجربته هذه قصته « شتاء صبي مريض Sick Boy's Winter » (١٩٣٠) . ولقد ظن بعض النقاد ان الصبي جيرولامو في هذه القصة ليس الا مورافيا نفسه ، ولكن مورافيا انكر هذا ، واكد ان شخصيته الحقيقية لا وجود لها بين ابطال قصصه ، وان كانت تلك القصص مستمدة من تجاربه ومشاهداته ، ويضيف مورافيا قائلا : « ان روح الكاتب القصصي هـي التى تتغلب دائما ، فلو اراد ان يكتب وصفا حقيقيا لجانب من حياته لما استطاع ، لان خياله سرعان ما يبدأ في خلق الاحداث والاجواء والشخصيات ».

الانتاج الاول

وكان اول انتاج لمورافيا هو « زمن اللامبالاة Time of Indifference » ، وهي قصة بدا كتابتها عام ١٩٢٥ ، ونشرت عام ١٩٢٩ ، وقد كتب اكثر اجزائها في سريره حيث كان طريح الفراش . ولقيت هذه القصة عند ظهورها نجاحا كبيرا لم يحظ بمثله اى اثر ادبي في الأدب الايطالي الحديث في الخمسين سنة الأخيرة ، بما في ذلك جميع انتاج مورافيا نفسه ، ولم يكن مورافيا قد تجاوز الحادية والعشرين . وقد استقبل النقـاد هذا الشاب استقبالا حماسيا منقطع النظيـر ، وكتبوا عن هذه القصة المراجعات الطويلة التـى كانت تبلغ احيانا الصفحة الكاملة والصفحتين من الصحف والمجلات الادبية .

وتبدو في هذه القصة براعة مورافيا في خلـق الشخصيات ، ويقول مورافيا : « ان مهمة الكاتب القصصي هي ان يخلق الشخصيات ، لا ان ينتقد اوضاعا معينة » ، وذلك في رده على النقاد الذين قالوا ان قصته نقد للقيمالبورجوازية في ايطاليا ، ويضيف مورافيا قائلا : « قد تكون قصتى كما يقولون ، ولكني لم اقصد الى هذا النقـد الاجتماعي قصدا » .

مورافيا والفاشية

وقد كان مورافيا طيلة حياته عدوا للفاشيـة منذ عام ١٩٢٩ حتى سقوطها بانتهاء الحرب العالمية الثانية .

وقد لقى مورافيا العنت من رجال الرقابـة الذين كان جلهم من معلمي المـدارس الثانوية

والكتاب الفاشلين ، الذين لم يكونوا اكفاء بحيث يستطيعون الحكم على الانتاج الادبي ، وكثيرا ما كان الواحد منهم يلجأ الى رفع المخطوطة الى من هو فوقه تجنبا للوقوع في الخطأ: فقصة « حفلة تنكرية » مثلا أحالها كل مرؤوس الى رئيسه حتى وصلت الى وزير الثقافة فاحالها بدوره الى موسوليني نفسه!واجازها موسوليني فنشرت ، ولكن الاوامر لم تلبث أن صدرت بجمعها من الاسواق !

وقد كانت وزارة الثقافة في العهد الفاشي تحارب مورافيا حتى في عيشه فتمنع الصحف من ذكر اسمه ، كما تمنعها من نشر انتاجه ، فكان يضطر الى نشر مقالاته تحت اسم مستعار هو Pseudo كما كان ينشر قصصه تحت اسم آخر هو« البرتو مورافيا » وهو تحريف بسيط لاسمه الحقيقي الذى هو (البرتوبينكلرى ــ مورافيا Pincherle — Moravia

وعندما احتل الالمان روما عام ١٩٤٣ اضطر الى الهرب جنوبا والاختفاء في الجبال بالقرب من كاسينو،وبقى في مخباه هذا مدة تقرب من السنة، ومعه زوجته الكاتبة القصصية ايلزا مورانتي ، يعيشان مع الفلاحين حياة ضنك وجوع ، الى أن احتل الحلفاء ايطاليا .

انتاج خصب

ولا شك أن أخصب فترة في حياة مورافيا بدأت بعد عام ١٩٤٤ ، اى بعد القضاء على النظام الفاشي ، ففيها كتب « امراة من روما » (١٩٤٧) وهي من اشهر قصصه ، وقد بدأ بكتابتها في أول تشرين الثاني عام ١٩٤٥ لتكون قصة قصيرة تنشر في الصفحة الأدبية من الصحف الايطالية ، يصور فيها العلاقة بين ابنة وامها ومجتمعهما الفاسد ، ولكنه وجد الموضوع يستهويه ، فيقبل عليه مدة أربعة شهور ليكون بعد هذا القصة المعروفة . وقد كانت هذه القصة من وحي امراة قابلها في روما مرة واحدة فقط ، وذلك قبل هذا التاريخ بعشر سنوات . انها ليست قصة حياتها ، بل انها كانت الشرارة التي أوحت له بها .

وصدرت له « لوكا » (١٩٤٨) و« اجوستينو» (١٩٤٨) وقد جمعتا في كتاب واحد بعنوان « المراهقان » و « الحب الزوجي » (١٩٤٩) و « الموالي The Conformist (١٩٥٠) ، و « شبح عند الظهيرة » (١٩٥٤) و « امراتان » (١٩٥٨) ، « السأم » (١٩٦٢) .

وتقف مجموعة مورافيا « اقاصيص رومانية Raconte Romani » متفردة في بابها بين انتاجه: ففيها حاول مورافيا أن يصور حياة الطبقة الفقيرة في فترة ما بعد الحرب الثانية ، وما فيها من بؤس وجوع وتفنن ، مستعملا لغة قريبة جدا من لغة هذه الطبقة ، مستعينا على نقل الجو باستعمال بعض التعابير والكلمات العامية .

مورافيا يكتب للمسرح

وقد كتب مورافيا للمسرح مسرحية « حفلة تنكرية The Fancy Dress Party وهي تختلف اختلافا كبيرا عن قصته المعروفة بهذا الاسم ، وان كان الموضوع واحدا . كما احيلت قصته « زمن اللامبالاة » الى مسرحية ايضا .

ومورافيا من المعجبين بمشاهير الكتاب المسرحيين منذ صغره وخاصة شكسبير وموليير ، ولوب دى فيجا Lope deVega وكلدرون Calderon

وعنده ايضا ان التراجيديا هي قمة الفنون الأدبية ، وينعى انعدامها في الأدب الحديث ،ولهذا فان يوجين اونيل ، وبرنارد شو ، وبيراند لو ، وابسن ، كتاب مسرح فاشلون ، في رأيه ، لانهم لم يكتبوا مسرحيات تراجيدية . ونحن نخالف مورافيا في رأيه هذا فاسباب ضعف التراجيديا أو زوالها عميقة ، ومن أهمها أن الشعر هو لغة التراجيديا ، بينما لغة المسرحية الحديثة هي لغة الحديث العادى.وقد اقبل كتاب المسرح المحدثون على هذه المسرحية لقربها من حياة الشعب ، ونفروا من التراجيديا لأن الشعر بدا لهم لغة مصطنعة في مثل هذه المواقف . وقد حاول تي . اس . اليوت أن يتخطى هذه العقبة بان كتب مسرحيات بلغة شعرية قريبة جدا من لغة الرجل العادى ، كما هو باد في«جريمة قتل في الكتدرائية» و« حفلة الكوكتيل » .

طريقته في الكتابة

ومورافيا لا يحتفظ بمذكرات ابدا ، وقد قال انه لم يحتفظ طيلة حياته باي نوع من المذكرات تعينه في كتابة قصصه. وهو لا يكتب الا في الصباح من التاسعة حتى الثانية عشرة « ولا أعرف مسبقا

ما ساكتب،ولكني ابدا بالكتابة فاذا بالشخصيات والاحداث تمر مخيلتي ، وتنثال على قلمي .. انني اومن بالوحي ، ولكني لا اجلس كل صباح انتظر اقباله ، بل اسعى اليه » .

وهو لا يكتب ابدا في غير هذا الوقت من الصباح، واذا فرغ من الكتابة ترك التفكير فيها حتى صباح اليوم التالي .

ولا يبعث مورافيا بقصته الى الناشر الا بعد ان يعيد النظر فيها مرات ، فقد اعاد كتابة « امراة من روما » ثلاث مرات مثلا ، كما اعاد كتابة قصة له وهي « السأم » اربع مرات ، وهي في اصلها الاول نحو الف صفحة، ولكنها في صورتها النهائية لا تزيد عن اربعمائة .

موضوع واحد لا يتغير

ومورافيا يعالج في جميع قصصه موضوعا واحدا لا يتغير ، وقد اعترف بهذا مورافيا نفسه فقال : « ان كل كاتب يكتب القصة نفسها المرة تلو المرة » ، وهذا امر طبيعي لان لكل انسان مفهومه الخاص للحياة ، ولكنه يعرض هذا المفهوم من زوايا مختلفة .

ولو نظرنا في انتاج كبار الكتاب لتيقنا من هذا : تولستوى ، تشيخوف ، دوستويفسكي ، بلزاك ، ستندال ، توماس مان ، همنغواي ... ، فلكل واحد منهم محور تدور حوله كتاباته : فهو نضال الانسان الفرد لتاكيد شخصيته ضد العقلية الاقطاعية عند ستندال ، وهو تمزق النفس الانسانية بين الخير والشر عند دوستويفسكي ، وهو الجنس بوصفه الحقيقة الاولى في الحياة عند البرتو مورافيا .. الخ . ان كل كاتب من هؤلاء الاعلام يتطور في اطار الوحدة ، وهي وحدة تجعلنا نميز كل كاتب عن غيره ، وهي وحدة تطبعه بطابعه الذى ينفرد به .

والموضوع الذى تدور حوله قصص مورافيا هو العلاقة الجنسية بين الرجل والمراة ، ويقول مورافيا في تبرير اتجاهه فيهذا السبيل ان العلاقة بين الانسان واخيه الانسان تكاد تكون مقطوعة في هذا العصر الصناعي، الذى شوه الحياة الانسانية نفسها ، ولا تعود هذه العلاقة الى طبيعتها الانسانية الا عند الالتقاء الجنسي ، فهو بهذا يدفع البشر نحو التحابب والتفاهم بدفعهم الى احضان بعضهم بعضا . والاحساس بالهوة التي تفصل الانسان عن اخيه الانسان هو ما شغل ادباء الغرب من الجيل الثاني ، جيل مورافيا ، ولكن بينما نرى مورافيا يلح على العلاقة الجنسية كوسيلة لحل المعضلة ، نرى البير كامو يجد الحل في التقارب الفكرى ، ويراه سيلوني في التقارب السياسى ، ويراه جريهام جرين في الدين .

وليس الجنس هو موضوع قصص مورافيافقط، بل ان اى موضوع يتناوله في قصصه ، سواء كان سياسيا او اقتصاديا ... الخ ، لا بد من ان يتحول الى موضوع جنسي .

والحاح مورافيا على الجنس هو رد فعل للنظام الفاشي الذى جعل الانسان وسيلة لغاية ، فجاء مورافيا هنا ليؤكد باصرار على ان الانسان غاية في حد ذاته .

واذا كان للجنس المقام الاول عند مورافيا ، فان المال ياتي في المقام الثاني ، وهو عنده يرد لتجسيم اهمية الجنس ايضا ، ولا يقصد لذاته : فبطلة احدى قصصه امراة تريد ان تبيع عقارا فتقابل الراغبين في الشراء ، وتحاول اغراءهم جنسيا ليقعوا في شباكها فيدفعوا مبلغا اكثر ، وهي عندما تشعر انها قبضت المبلغ الذى تريد ، تشعر بلذة جنسية فائقة . ويصور لنا مورافيا في « امراة في روما » ايضا اللذة التي شعرت بها ادريانا بعد ان قبضت مالا من احد زبائنها ، والنشوة ذاتها نجدها في قصة « الضابط الانجليزى » (١٩٤٦).

وتبلغ واقعية مورافيا ذروتها في«زمن اللامبالاة» حيث نجد الابن يراقب رجل الاعمال ليو يتنقل في علاقاته الجنسية بين الام والابنة ، فيحاول الابن ان يثور لكرامته ، ولكنه يسكت عندما يتصور ان من الممكن ان يحصل على بعض المال من شقيقته ، التي يجود عليها عشيقها بالمال .

ويبدو مورافيا في قصصه مولعا بزج متلصص ، يشاهد من مخباه اثنين وهما في حالة اتصال جنسي ، ولعله لجا الى هذه الطريقة ليستطيع الافاضة في الوصف ، كما هو الحال في «الموالي» و « الحب الزوجى » و « شبح عند الظهيرة » وغيرها . ويرى مورافيا ان هدفه هنا بعيد عن الاثارة الجنسية ، وانه انما يهدف الى تصوير حالة الانسان وهو في موقف هو سر وجوده .

جو قصص مورافيا

وجو قصص مورافيا جو قاتم اسود حزين ،

لا ينيره بصيص من أمل ، فهذا هو واقع الحياة التى يصورها ، والتى يحياها أبناء وطنه ، فكأنه يريد أن يقول لنا هذه هى الحياة التى نحياها ، ولا حيلة لنا فيها . ومهما اتصف أبطاله بعيوب الا اننا لا نملك انفسنا عن ان نحس معهم، ونحبهم فى أكثر الحالات : فادريانا مثلا بطلة « امرأة من روما » فتاة جميلة ، من الطبقة الفقيرة ، بعيدة عن الشر ، وليس فيها ميل الى الرذيلة ، ولكن واقعها يدفعها من مجرد كونها « موديل » تقف أمام الرسامين الى ان تصبح فتاة رصيف ترتمى فى احضان الكثيرين .. اننا رغم هذا نحس اننا لا نكرها ولا نلومها ، بل نعطف عليها ، لأنها طيبة ، وكأن مورافيا يقول لنا : ان حب الحياة أقوى من الفضيلة ، وان الجوع كافر .

أبطال مورافيا وبطلاته

ويرى لويس أن الشخصيات النسائية فى قصص مورافيا محببة الى النفس، وليس كذلك أبطاله . وفى رأينا ان هذا الرأى بعيد عن الواقع ، وخاصة اذا تذكرنا الصبى ميشيل فى « زمن اللامبالاة » ، وأجوستينو فى قصته المعروفة بهذا الاسم ، فهما من أحب أبطال القصص الى النفس . وزيادة على هذا فان بعض بطلات مورافيا متحذلقات ،فكأنهن مورافيانفسه يتحدث ، مما يجعلهن ثقيلات على النفس . وهذا عيب بارز فى مورافيا . وعيب آخر هو انه يضخمالأمور احيانا لدرجة الاستحالة ولعل الوقوف عند قصته « امرأتان » يستطيع أن يوضح ما نرمى اليه .

يصور لنا مورافيا فى قصته « امرأتان » ما قاسته أرملة بقال وابنتها من ويلات بعد انتهاء الحرب الثانية ، حيث اضطرتا الى هجر روما بسبب قلة الطعام ، والرحيل الى القرية ،مسقط رأس الأم ، لتعيشا بين الفلاحين حياة بؤس قاتل . ويفيض لويس فى بيان قدرة مورافيا على تصوير ويلات الحرب على لسان الأرملة الثرثارة.

ويبدو لى أن القصة مملة لأنها كلها بكاءونحيب وشكوى لا تنقطع ، تتدفق بلا توقف على لسان الأم ، وعلى مدى ٣٥٠ صفحة ، حتى أن القارىء لا يستطيع أن يكتم ضيقه وتبرمه بها .

ونجد مورافيا أحيانا يجعل لتوافه الأمور وزنا، فنجد الأم مثلا تقول : « ان مصيبتنا الكبرى هى أننا لا نجد الملح » ، فهل انعدام الملح مأساة الى هذه الدرجة ؟! حقا ان الطعام بلا ملح لا طعم له ، ولكنه خير من لا شىء ، وكثيرون من الناس يعيشون على طعام خال من الملح .

وأمر آخر نأخذه على مورافيا فى هذه القصة ، ونحن نقف عندها هذه الوقفة لكثرة اهتمام النقاد بها ، هو وصفه لاغتصاب الفتاة « روزيتا » فى الكنيسة ، فهو وصف دقيق ، يفوق فى دقته الواقع ، وهو وصف خال من الحنان والعطف على الفتاة المسكينة . ويخطر لنا ان نقارن هذه القصة بما كتبه الكاتبان الايطاليان الشابان ايتالو كلفينو Italo Calvino وجيورجيو بسانى Giorgio Bassani من تصوير لويلات الحرب ، فنراهما يتفوقان على مورافيا .

آخر قصة لمورافيا

وقصة « السأم » La Noia (ترجمت الى الانجليزية بعنوان The Empty Canvas, 1962) هى آخر قصص مورافيا ، وهى فى رأى نيقولا خياروموتنه Chiaromonte أكمل انتاج لمورافيا فنيا . وبطل هذه القصة من رجال الفكر، شأن أكثر أبطال قصصه .

وحالة السأم التى تصورها هذه القصة مرادفة لحالة اللامبالاة التى صورها فى قصته الأولى «الزمن اللامبالاة » ، فهى قصة شاب من الطبقة الثرية من الرسامين التجريديين عاجز عن ان يشارك عصره اهتماماته : فالأمور التى تفرح ، وتحزن ، لا تثير فيه أية عاطفة ، وخلف انعدام الاحساس هذا تكمن رنة من الحزن والأسى يزيد فى مرارتها ان أسبابها غير معروفة .

والواقع أن كلمة « السأم » العربية، ومرادفتها الكلمة الايطالية ، لا تصوران تماما المعنى الذى قصد اليه مورافيا ، فالسأم حالة عاطفية سلبية ، وما يعنيه مورافيا هو انعدام الاحساس كليا ، سواء بالفرح أو الحزن .

ويحاول هذا الشاب أن يتغلب على حالة السأم هذه بالاقبال على الرسم ، ولكننا نراه فجأة ينهال على لوحته تمزيقا بسكين ، ويبرر عمله هذا بقوله : « حقا لقد فشلت فى الرسم ،فشلت فى أن أرسم الشىء الذى يعبر عن حقيقة احساسى، ولو أردت أن أرسم ما يعجب الناس لكان هذا سهلا .. ولكنى لا أستطيع ان أخدع نفسى ! » . وتقوم بين الشاب ، دينو ، وهو راوى القصة

ايضا ، وبين فتاة تدعى سيسيليا علاقة جنسية في محاولة يائسة منه للتخلص من سأمه ، وهنا يملأ مورافيا القصة بوصف دقيق لما يكون بينهما، وهو وصف ليس فيه اثارة ، بل فيه برود متناه، فكأنه استاذ تشريح معنى حتى بالتفاصيل الدقيقة ويفشل دينو ثانية في انقاذ نفسه من سأمه ، وفشله في كلتا الحالتين اثبات لعجزه عن اقامة صلة بينه وبين العالم الخارجي . ويقرر الشاب العودة الى حالة السأم السابقة ، ولكنه يكتشف فجاة أن لحبيبته حبيبا آخر ، فتتملكه الغيرة ، وتنتهي القصة لتقول لنا : انه لا شيء ينقذنا من حالة السأم التي نحياها كالجنس ، فهو الذي يعيدنا الى امنا الطبيعة .

ولا شك عندي أن القصة ناجحة في رسم الحالة التي ارادها المؤلف،وفي رسم الشخصيات ،ولكنها لا تبدو مقنعة ابدا ، ولا نملك انفسنا عند قراءتها عن التساؤل : اذا كان هذا الشاب الارستقراطي الثرى الذي يعيش عصرنا يعاني من هذا المرض النفسي ، وهو عندنا مرض ، فلماذا لم يحاول أن يستشير طبيبا نفسيا ، وينشد عنده العلاج؟! نحن نعرف أن مثل هذا الحل سيسد على المؤلف الطريق الى تطوير بناء القصة فنيا ، ولكن القصة يجب أيضا أن تكون مصورة لحالة معقولة لتكون ابعد اثرا . وأمر آخر هو أن المؤلف لم يستطع أن يقنعنا كيف أن الجنس هو المنتصر ، وهل الجنس ، كما هو في هذه القصة دليل على أنه الحل لعزلة الانسان المعاصر ؟ انها هنا عملية آلية، باردة ، خالية من دفقات الروح .

★ ★ ★

ان مورافيا هو ابن بيئته وعصره ، استقبلت عيناه النور ليجد ان انسان القرن العشرين يعيش في قلب عزلة عميقة ، بعد أن تقطعت كافة الروابط التي كانت تربطه بالعالم من جراء عنف الأحداث التاريخية والاجتماعية والفكرية . وقد دفع هذا الوضع الانسان المثقف ورجل الفكر الى أحد موقفين : اما أن يلهو ويهرب من الواقع ، واما أن يفهمه ويسعى للتغلب عليه . وقد كان مورافيا من الصنف الثاني الذي نجد في كتاباته الانطواء القلق على الذات يعلوه انطلاق نحو التقارب الانساني ، ولكنه تقارب في مستوياته الدنيا . وهذا السبيل الذي سلكه مورافيا للتغلب علىأزمة انسان العصر يتضاءل أمام سبيل البير كامو في مستوياته الفكرية العليا ، وأمام اجناتسيو سيلوني صاحب « خبز وخمر » و « فونتمارا » . ■■

محمود السمره

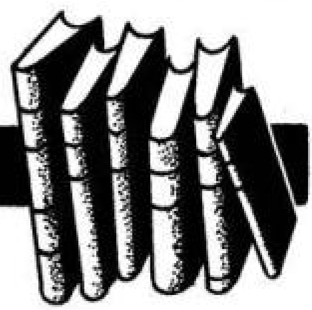

من الكتب التي وصلتنا

محاضرات الموسم الثقافي

(١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) الجزء الثالث

وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق

● من هذه المحاضرات : مع العروبة ـ رحلة الى الجنوب الشرقي من آسيا ، للدكتور احمد السمان . البترول العربي والاحتكارات العالمية ، للدكتور صلاح عمر باشا . حول الفضية العمالية ، للدكتور فؤاد دهمان . مشكلات الحقوق الحديثة في الشرق العربي ، للدكتور محسن شيشكلي ...

أساطير مكسيكية

للدكتور انور حاتم ـ مكتبة اطلس بدمشق

● « ان هذه الأساطير المكسيكية التي نقلناها الى العربية من بين الوف اخر ، هي شفافة كالزجاج يرى من ورائها نفسية الشعب المكسيكي وانفعالاته أمام الحادث ، وأساليب تفكيره وادراكه للأمور ، وتقديره لتطورات الزمن » .

الحنين واللقاء في شعر المهجر

لفريد جحا ـ حلب

● كتاب في قسمين : الحنين في الشعر المهجري ، والشعراء يلقون الوطن . وقدم للكتاب جورج صيدح ، الأديب المهجري .

أضواء جديدة على الفكر الاقتصادي

لجون كينيث جالبريث

ترجمة : الدكتور خليل حسن خليل

دار المعرفة ـ مؤسسة فرنكلين بالقاهرة

● كتاب يرسم فيه مؤلفه الدائرة الصحيحة لبعض الأحكام الأساسية في علم الاقتصاد، كما يتناول أيضا القضايا الاقتصادية الأساسية التي تشغل بال المثقفين بصفة عامة ، مثل المساواة ، والضمان الاقتصادي ، والاحتكار ، ومعنى الانتاج. وقد عالج المؤلف هذه القضايا بطريقة واضحة سهلة ممتعة .

موعد مع الشدائد

لكينيث روبرتس ، ترجمة أمينة السعيد

مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية

● قصة من أروع الأعمال الأدبية العالمية ، وقد ترجمت الى أشهر لغات العالم ، وعلق عليها النقاد ، واخرجت في السينما . والقصة صراع بين فنان والمتاعب ، تحداه القدر ، ولكنه عرف كيف يتغلب عليه وينتصر .

مقدمة في النحو

لخلف الأحمر ـ تحقيق عزالدين التنوخي

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● « ان هذه المقدمة النحوية ليس لها اخت في خزائن الأرض تساعد على التثبت من صحة نسبتها لخلف الأحمر ، أو تعين على تحريرها وتقويمها ... غير انه وان فاتنا السند الصاعد الى المصنف ، لم يفتنا النظر الى المتن ، فان لغته على الظن الغالب هي لغة عصر خلف الأحمر وسيبويه والخليل ... وستظل هذه المقدمة لخلف الأحمر حتى يأذن الله بظهور أخت لها في مدافن مجاميع الخزائن لاثبات نسب هذه المقدمة »

ظاهرتان في حياة ابي الطيب

لعبد الرحمن الطيب الأنصاري ـ القاهرة

● دراسة لظاهرتين فيحياة المتنبي اختلف حولها الدارسون . وهما : نسب المتنبي ، وتنبؤه .

المسألة الفلسفية

للدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

منشورات عويدات ـ بيروت

● ما الغاية من الفلسفة ؟ وما قيمتها ؟ وما مبرر وجودها في هذه الآونة التي بات العلم فيها يقرر مصير الأفراد والجماعات ؟ هذا هو موضوع هذا الكتاب .

مسلم بن الوليد (صريع الغواني)

لفؤاد حنا ترزي ـ دار الكتاب ـ بيروت

● دراسة لمسلم بن الوليد على نهج علمي ـ وهو أحد شعراء العراق في النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة ، « وواحد من الشعراء القدامى الذين حاولوا ان يوائموا بين الشعر والحياة ويجعلوا من نتاجهم صدى لمشاعرهم وصورة لعصرهم » .

رواد الاستراتيجية الحديثة

الجزء الثالث ـ لادوارد ميد ايرل

ترجمة الأمير الآى محمد عبد الفتاح ابراهيم ـ

مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية

● ان كلا من موضوعات هذه الدراسة ، درسه خبير من الاخصائيين . من الموضوعات : بروز شخصية السياسيين المدنيين . النظرية الالمانية للحرب الشاملة . النظريات السوفيتية للحرب. عقيدة الدفاع .

العوامل النفسية في الأمراض الجسدية

للدكتور عبد الله عبد الدائم

مطبعة جامعة دمشق

● محاضرة ألقيت بجامعة دمشق تتناول العناصر التالية : الدراسات التي ساعدت على نشأة نزعة الطب النفسي الجسدي ، ولادة نزعة الطب النفسي الجسدي ، العوامل الانفعالية في الأمراض ، قرحة المعدة والطب النفسي الجسدي ، الحوادث اللاشعورية والمرض .

الحريق

لنور الدين بوجدرة ـ تونس

● قصة من وحي الثورة الجزائرية .

نجمـة

لكاتب ياسين ــ ترجمة ملك أبيض العيسى
دار الاتحاد ــ بيروت

● رواية جزائرية كتبها شاب جزائري ينتمي الى قبيلة عربية قديمة .

تاريخ النقود العراقية

لعباس العزاوي ــ بغداد

● دراسة لتاريخ النقود العراقية لما بعـد العهود العباسية من سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م ــ ١٣٣٥ هـ/١٩١٧ م ، وتحتوى هذه الدراسة على عرض الجانب التاريخي ، وعلى تحقيقات سياسية ومالية وادارية واجتماعية .

الطاقة الانسانية

لأحمد حسين ــ مطبعة مصر

● كتاب فى عشرة فصول ، وتذييل . فيه : هل الانسان اليوم احسن حالا منه بالأمس ؟ هـذا الكون : أهو من صنع الانسان ؟ الانسان ، مم تكون ؟ وكيف تكون ؟ الارادة الانسانية . الايمان . بعض تطبيقات لقوة الايمان ...

صفحة ذكرى

لعدنان مردم ــ دار المعارف بالقاهرة

● ديوان شعر : من قصائده : بردى ، دمشق ، بيت المقدس ، القمر ، الراقصة العارية ، بحيرة بولونيا ، سر ابي الهول ، مصارع الثيران ، النجم الهاوى ...

محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية

لفتحى الابيارى ــ القاهرة

● فى هذا الكتاب : القصة والأدب العربى ، محمود تيمور ومولد الأقصوصة العربية ، تيمور والأقصوصة ...

نجـوم لا تحصى

لفاضل السباعى ــ حلب

● صور من كفاح الانسان فى نزوعه الى الحياة الأفضل . أهداه المؤلف الى .. الصادقين مع ذواتهم قبل أن يكونوا صادقين مع الآخرين .
من قصصه : نجوم لا تحصى ، لم تطرف العين ، حادث فى قصر السـعادة ، الأماني الحائرة ، كبرياؤك يسلم لي ...

اخـي الانسان

لعيسى الناعورى ــ دار الرائد ــ حلب

● مجموعة شعرية لطيفة ، وهذه هي المجموعة الثانية للشاعر ، اما الاولى فقد كانت بعنوان « أناشيدى » . وهى مجموعة « معطرة بشـعور الانسانية المتسامى ، مضمخة بأريج فواح مـن المحبة المطلقة والسلام التآخى » .

الصداقة والاحتفاظ بالأصدقاء

لوليم متنجر ــ ترجمة سامي ناشد
مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية

● كتاب يشرح فيه مؤلفه معنى الصداقة ، ويحللها ، الى عناصرها ، ويبين نشأتها ونموها .

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

الطلاق فى هذه الحالة واجب

● تزوجته منذ سنتين ، وكنت اظننى احبه قبل أن نتزوج . ولكنى ما لبثت أن تبينت انى كنت مخطئة ، وانى انسانة تعيسة ، بل لعلى أتعس خلق الله على الاطلاق .

فقد علمت أولا أن زوجى كان قد أصيب قبل زواجنا ببضع سنوات بنوبة عقلية ووضع تحت العلاج والرقابة فترة من الزمن حتى شفى ، فلما تقدم لزواجى لم يكن يبدو عليه شىء من آثار تلك النوبة التى لم اعرف من امرها شيئا .

والثانية هى أننا ، بالرغم من مرور سنتين على زواجنا نعيش وكأننا أخ واخته . وما زلت عذراء! وقد جاهدت طوال هذه الفترة لأكبت ثورتى ، ولكن الكيل قد طفح ، ولم يعد فى كأس الصبر بقية .. فلما صارحته بأنى أرغب فى أن يكون لنا طفل اقترح علىّ أن نتبنى طفلا من احد الملاجىء ، وفاته انى انما اريد أن أكون أمًّا ككل النساء ! ديننا لا يبيح الطلاق ، كما أنه يحسن معاملتى الى حد انى أرثى له فى كثير من الأحيان .. ولكن انا .. الست انسانة من لحم ودم ؟! فماذا اصنع ؟

المعذبة (س)

بيروت

ــ اذا كان قد اقدم على زواجك وهو يعلم انه عاجز عن أن يكون زوجا صالحا ، فقد خدعك ، ومهما يكن من حسن معاملته لك ، لا يستحق الرثاء .

الذى نعرفه أن الكنيسة ـ اذا كنتما مسيحيين ـ تبيح الطلاق لمن كان فى مثل حالكما ، فاستشيرى أحد رجال الدين أو القانون المتخصصين فى الأحوال الشخصية .

التصوير مرة اخرى

● أما بعد ، فأثناء قراءتى لكتاب «حياة محمد» للمستشرق الانجليزى وشنجتون ارفنج ، المترجَم من قبل الدكتور على حسنى الخربوطلى ، ورد فى صفحة ٧٠ الآتى :

« نهى محمد عن جميع الصور التى تمثل الكائنات الحية ، وقال ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه مثل هذه الصور ، وان كل من يصور مثل هذه الصور سيطلب منه يوم القيامة « فى اليوم الآخر » أن يبعث الروح فى هذه الصور فان عجز عوقب عقابا شديدا » .

وسؤالى هل هذا صحيح أم فرية من افتراءات المستشرقين وما أكثرها ؟

عبد الله فهد النفيسى

الكويت

ــ فى مثل هذا الباب من العددين الاخيرين ، جواب مفصل لما تسأل عنه ، وحكم التصوير فى الاسلام ، والمقصود مما ورد فى أحاديث الرسول الكريم فيه .

نبي أضاعه قومه

● ورد في كتاب الحيوان للجاحظ تحت عنوان « نار الحرتين » ذكر خالد بن سنان « وهو نبي بعثه الله ليخبت أوار نار الحرتين » ، وذلك حسب زعم الكتاب . وقد اورد كذلك العبارة الآتية مما جعلني اتشكك في حقيقة الأمر وهي : « وقد قدمت ابنته على النبي صلى الله عليه وسلم ، فبسط لها رداءه وقال : هذه ابنة نبي ضيّعه قومه » . واستطرد الكتاب فقال : قال : وسمعت (اي ابنة خالد بن سنان) سورة قل هو الله احد فقالت : « قد كان أبي يتلو هذه السورة » . فنرجو افادتنا مشكورين عن صحيح ما ورد أو خطأه ولكم من الله أجزل الثواب .

محمد عبد الله العطية

الكويت

ـ ظهر في الفترة ما بين السيد المسيح وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأنبياء ، تدعوهم كتب التاريخ « أنبياء الفترة » ، ومن بين من جاء ذكرهم في هذه الكتب « خالد بن سنان ابن غيث العبسى » ، المعروف بنبي بني عبس ، وتنسب اليه بعضُ الكتب قصة عن العنقاء ،دعا عليها فانقطع نسلها .

والقصة التي أوردها الجاحظ في كتاب « الحيوان » واردة كذلك في بعض كتب الحديث .

وفي كتاب « مروج الذهب » للمسعودي المؤرخ المعروف فصل طويل عن هذا الموضوع تستطيع ان ترجع اليه ان شئت .

حذار أن تيأسي !

مثل تضربه سيدة

● أنا سيدة في الثلاثين من عمري ، متزوجة من رجل يكبرني بخمسة وعشرين عاما .. أمي .. عصبي المزاج مريض . وقد توفي والداي منذ طفولتي وبهذا حرمت من التعليم منذ صغري ، ولكني حرصا على مستقبلي فقد صممت على التعليم . وقد حققت هذه الأمنية ، فبعد أن كنت لا أعرف كيف أكتب اسمي أصبحت الآن اقرأ واكتب كأي شخص مثقف ، فقد درست حتى الاعدادية ، ولكني رسبت فيها ثلاث مرات .. فكدت أيأس . فهل استمر حتى أحصل على هذه الشهادة وأعيد السنة أم أكتفي بهذا القدر من التعليم ، مع العلم بأن لي رغبة شديدة في تكميل تعليمي .. وشيء آخر مهم جعلني اتمسك بالتعليم هو اني لم ارزق بأي طفل منذ زواجي حتى الآن .

ب . ع . ف

فلسطين

ـ ان قصتك هذه جديرة بأن تكون مثلا تحتذيه الكثيرات ممن كانت ظروفهن كظروفك ، فهي قصة كفاح مشرقة تدعو الى الفخر وتستحق كل تقدير .. ولكن حذار أن تتراجعي أو يتسرب اليأس الى قلبك بعد أن قطعت من الشوط أصعب مراحله . وما دامت رغبتك في التعليم كما وصفت ، فحرام عليك أن تتوقفي عن اكماله . خصوصا ان ظروفك العائلية تحتم عليك أن تستمري في الدراسة فقد تحتاجين الى سلاح العلم في المستقبل القريب او البعيد .. والله معك .

اتقى الله يا امرأة !

● أنا شاب في العشرين ، أعمل في احدى امارات الخليج من أجل لقمة العيش .. أما هي فزوجة احد التجار الكبار في تلك الامارة . مضى على زواجها منه ثلاث سنوات ، ورزقت منه خلالها طفلين . وقد تعرفت بها بحكم صلتي بزوجها الذي يتغيب في الخارج كثيرا لأعماله التجارية ، تاركا لها ما تشاء من المال والخدم والحشم . وكانت تدعوني لزيارتها وتغدق عليّ الهدايا بسخاء فأتقبلها شاكرا اذ كنت أعتبرها عمتي أو خالتي . لكنها ذات مرة صارحتني بحبها الجارف لي وقالت انني فتى احلامها ، فنبهتها بلطف الى انني لا أستطيع ان ابادلها هذا الحب الآثم الذي تريده ، وهي زوجة وأم ، ورجوتها أن تحكم عقلها ، فلم تنتصح ، ولما تمادت في غوايتها هددتها بابلاغ زوجها فسخرت من سذاجتي ، وقالت انه لن يصدقك ، فاضطررت الى أن ارد لها هداياها ، وابدلت مسكني لاتخلص من مطاردتها ، ولكن خدمها عرفوا مكاني واخذوني اليها ، فهددتني بأني ان لم أستجب لها فستعمل على ترحيلي، وانا أعرف انها قادرة على ذلك لنفوذ أسرتها وزوجها .

انا الآن بين نارين : ان أصر على موقفي وعندها لن تتورع من العمل على قطع عيشي ، وانا أعول اخوتي الصغار بعد وفاة والدي ، أو أن استجيب لها فأغضب الله والشرف والضمير .. فبماذا تنصحون لي ان أفعل ؟

ليتكم توجهون اليها كلمة تعيدها الى صوابها ، فهي من قراء « العربي » ، لعلها تبتعد عن طريقي .

الحائر : ن . ح .

ـ نشرنا رسالتك بعد ان حذفنا منها تفاصيل محاولات هذه الزوجة الآثمة لاغوائك . كما اغفلنا ذكر اسمك اسم البلدة التي انت فيها حتى لا ينكشف أمرها لزوجها وأهلها ، فتسوء عاقبتها وعاقبتك . فلعلها اذ تقرأ هذه الرسالة تثوب الى رشدها ، وتحفظ أمانة زوجها ، وتتقي الله في مستقبلك ومستقبل اخوتك الصغار ..

اما أنت فابتعد عنها ما استطعت ، وتمسك بموقفك النبيل والله يعصمك منها ويقيك شر كيدها ، ان كيدهن عظيم .. فان لم تفلح فاترك هذه البلدة الى غيرها ، والله يرزقك حيثما تكون .

حقوق التاليف والملكية الادبية

● لدى كتاب للكاتب الايطالي K. G. Roden باللغة الايطالية ألف عام ١٩١٢ عن تاريخ بعض قبائل افريقيا الشرقية . ولرغبتي الشديدة في معرفة ذلك التاريخ اعتزمت ترجمته الى اللغة العربية ، فأرجو اعلامي عن الآتي : ـ

١ ـ ما هي الشروط الأساسية التي أطلبها من مؤلفه لترجمته على نفقتي الخاصة .

٢ ـ في حالة ما اذا كان مؤلف الكتاب المذكور موجودا أو غير موجود ، ما هي الاجراءات التي تتخذ في سبيل ذلك ؟

عثمان محمود محمد
جدة ـ المملكة العربية السعودية

ـ اذا كان بين البلدين اللذين يتبعهما المؤلف والمترجم معاهدات أو اتفاقيات ثقافية أو فنيه تشمل تنظيم حق « الملكية الفنية » ، فلا بد من استئذان المؤلف قبل الترجمة ، فان لم يكن على قيد الحياة فلا به من استئذان ورثته ، والا « فقد » تتعرض لما يترتب على « الملكية الفنية » من حقوق والتزامات . اما انك تريد أن تشترط عليه شروطا .. فلماذا ؟!

ردود سريعة

● **عبد الرحمن حسين تهلك** : دبي ـ الخليج العربي .

ـ البعثات الدراسية في الكويت موفدة من قبل حكوماتها . ولن يقبل طلبك الا اذا تلقته معارف الكويت من جهة رسمية .

● **رافت محمد ابراهيم** : القدس

ـ محاولة تغيير عنصري البنسلين بحيث يقضي على الدمامل ، ما تزال قيد الاختبار .

● **الانسة كافية جواد رمضان** : الكويت

ـ الدواء الذي تسألين عنه موجود في صيدليات القاهرة وبيروت ، وهو مستورد من انجلترا .

● **آنسة س** : الكويت .

ـ قاطعي صديقتك هذه نهائيا ، ما دامت تريد أن تكون قنطرة لاخيها الثعلب .. واستريحي منهما معا !

● **م . م . م** : سوريا .

ـ زوجة عمك امرأة عابثة ، مستهترة .. فكيف سمحت لنفسك وأنت الشاب الجامعي المثقف ان تجاريها في عبثها واستهتارها ؟

انتهز فرصة اهمالها لك ـ ربما لانشغالها بغيرك ـ وانسها وتحرر من غوايتها .

● **ادريس الادريسي** : الرباط .

ـ في هذا العدد مقال لرئيس التحرير عن الأعمار ، فيه جواب ما تسأل عنه .. فاقرأه .

● **عبد المؤمن عبد الرحمن مرزا** .

ـ في الامتحانات الجامعية تتفاوت درجات الناجحين من جيد الى جيد جدا الى امتياز ، الى مرتبة الشرف ، لتفاوت اجاباتهم . واذا كنا لا نستطيع تطبيق هذا النظام في المسابقات فلا اقل من أن تشير الى اجابات المتفوقين تمييزا لها .

● **ابو امجد** : الرياض .

ـ اعقد زواجك على ابنة عمك ، ودعها في بيت أهلها حتى تتم دراستك الجامعية ، ولا تدعها تفلت من يدك ما دمتما متفاهمين ، خاصة وهي متعلمة ، وأنت تقول ان المتعلمات عندكم أندر من الماء في الصحراء .

● **الحائر س . ع** : نابلس .

ـ العروس القادمة من جزر كناري أفضل ، خصوصا وقد استدعاها والدك ليزفها اليك . ومع ذلك حكم قلبك وعقلك .

● **سامي عارف عبود** : دير عامص لبنان

ـ أداء الفرائض الدينية لا يتنافى مع المدنية ولا يدعو للسخرية . وما دام شركاؤك في الغرفة يتضايقون من صلاتك ، فابحث لك عن سكن آخر .

● **ط . ب** : دائرة البرق والبريد بالرياض .

ـ خطك ليس رديئا . وعلى كل حال تستطيع تحسينه بالاستعانة بكراسات تحسين الخطوط .

● **محمد احمد البقشي** : الهفوف .

ـ امض في طريقك ، والله يعينك ، ويوفقك .

● **الآنسة أمل قطان** : حلب .

زكي يوسف خضر ـ الزرقاء

ـ الأدوية التي تزيد الوزن كثيرة لكن يجب استشارة الطبيب أولا .

● **الآنسة سلوى** : القاهرة .

ـ عودي الى استعمال زيت جوز الهند ، ويحسن ان تلفي شعرك بعد تصفيفه بمنديل أو « ايشارب » حريري .

● **سكر ...** : السودان .

ـ « البنقو » مخدر قتال كغيره من المخدرات .. ولن يحول دون فتكه بك ما تتناوله من الفيتامينات ولا ما تمارسه من رياضة .

● **اسحق محمد الشريف** : الخليل . اكرم مهاني : العقبة .

ـ لم ننس مدينة الخليل وشهداءها ، ولا العقبة والخطوط الأمامية . وكل آت قريب .

● **محمد شديد السيد** : حدائق الأهرام ـ بالجيزة .

ـ استشر اخصائيا في جراحة العظام .

● ا . ع . هـ : حلب .

ـ اعرض عمك على طبيب نفسانى . أما الأحجبة والتعاويذ فلا تجدى .

● ع . ب : دمشق .

ـ أتمم دراستك ، ولا تدع هذه المضايقات العائلية تقف في طريقك المرسوم .

● مرسيل حميدون :

ـ لا موجب للخوف ، ولا داعى لعملية جراحية .

● قارئة من الدوحة : قطر

ـ ضرب الأطفال في مثل سن ابنك طريقة لاتجدى في التربية ، بل في الغالب تكون ذات أثر عكسى . اذ ماذا يفهم طفل عمره سنة وسبعة أشهر مما تودين أن تنهيه عنه ؟!

انصرافك انت ووالده الى الطفلة الجديدة واختصاصها بعطفكما واهتمامكما ، هو الآخر تصرف خاطىء ، يكفى لثورته المستمرة .

● وداد محمد القاعود ـ الطالبة بثانوية البنات بالخليل ـ الاردن

ـ للطب كليات خاصة ، وللالتحاق بهذه الكليات شروط متى توفرت لديك كان من السهل أن تلتحقى بها . وهذه الشروط تختلف باختلاف البلاد التى كليات الطب فيها .

● الآنسة فرات السيد محرم : كلية الآداب ـ القاهرة

ـ التعارف بين الجنسين ، عن طريق « ركن التعارف » الذى تنشره بعض المجلات ، ضرره اكبر من نفعه ، وشره أكثر من خيره ، فلا تنخدعى بما يأتيك عن طريقه .

● المدرسة المعذبة مريم ... : البلقاء ـ الاردن:

ـ الا تخجلين، وأنت المدرّسة ، من أن تشغلى بحبك طالبا أصغر منك سنا ، وأقل تجربة ، فاذا انصرف عنك الى دراسته ، طاردتيه في غير حياء ، وقطعت عليه الطريق ؟!

● الآنسة هيام شعبان : قصر الامير نايف بن عبد العزيز ـ الرياض

عبد الحسين جمعة : السالمية ـ الكويت

ـ ما ينشر في « العربى » عن « الدراسة بالمراسلة » ، و « الانسان الكامل » ، اعلان ، لا علاقة لهذه المجلة به ، وعنوان المؤسسة تجدانه في ذيل الاعلان .

● الآنسة طيبة أحمد :

ـ ليس من تقاليد هذه المجلة الافضاء باسم « فتاة الغلاف » لاحد من القراء أو القارئات .

● ص. م. هـ :

ـ لكل مسابقة من مسابقات العربى كوبونها الخاص ، واستعمال كوبون قديم موجب لاستبعاد الاجابة .

● م. ز. ك : حلب

ـ اصطبر لحكم ربك حتى تنتهى من دراستك، وحذار أن تفكر في الانتحار ، فتخسر الدنيا والآخرة .

● محمد داويخى : دمشق

ـ لم يصل الطب بعد الى تركيب عين سليمة مكان عين ولدت صاحبتها وهى فارغة .

● ع.ح.ع.المسبك العربى ـ الرياض :

ـ اذا كان الزواج يعوقك عن مواصلة الدراسة، فيحسن أن ترجئه لان الدراسة أولى وانفع ، وأنت ما تزال يافعا .

● عبد الحميد قريع : المحرس ـ صفاقس ـ الجمهورية التونسية :

ـ ليس من اليسير الحصول على الاعداد الماضية من « العربى »وخاصة في المغرب العربى.

● هيثم فرحان : الدرباسية ـ سوريا :

ـ لا شأن لهذه المجلة بما ينشر عن هواية المراسلة وجمع الطوابع .

مصمّم للالتقاط الواضح في كل مكان

موديل TR - 911 : ان الأبحاث الدقيقة والتقدم في الفن الهندسي لشركة " سوني " تتبلور في موديل TR - 911 الفاخر .
ان TR - 911 هو ترانزستور نقال مزود بمكبر للصوت RF وطريقة I.F.T. ذات الحساسية الكبرى المضاعفة لإلتقاط المحطات ، وهو ذو موجتين متوسطة وقصيرة . هذه هي المميزات الفريدة للفن الالكتروني والتي يمتاز بها راديو فخم للغاية .
TR - 729 موديل نقال ذو موجتين قصيرة ومتوسطة مجهز بسبعة ترانزستور ويعمل على اربعة بطاريات صغيرة . انه الراديو المفضل للرحلات الى البحر والجبال والتمتع في المنزل . مجهز بمكبر للصوت PM ليقدم لك صوتاً نقياً واضحاً وجميلاً .

مصيرجثة

قصة بقلم : عبد الجبار الفقيه

■ « آه ، ما أقسى غريزة حب السيطرة والتسلط ! ويا ويل الناس منها اذا ما صاحبتها الانانية وحب الذات !

« لست أدري كم قاسى الناس من هذه الغرائز المجنونة ، ولا ما تنطوي عليه جوانحهم من نقمة عليها ولكن الذي أعلمه وأدريه هو انني بسببها اقاسي من الهم والغم والنكد ما لا يطاق !

من أعماق الزمن وفجر الانسانية ، وغرائز التسلط والسيطرة وحب الذات تدفع البشرية الى اتون الحروب آنا ، والى الثورات الحمراء آنا ، فتحصد ارواح الملايين بلا رحمة ، وتقضى على الحضارات الزاهرة في غير وعي .. ولكنى مع ذلك لا ادرى من هو اول عبقرى تمكنت منه هذه الغرائز وملكت عليه عقله ، فلم يكتف بالسيطرة في حياته ، بل راح يفكر في شيء يسيطر به - بعد موته - على الاحياء ويتخذ منهم عبيدا أرقاء ، يؤمرون فيطيعون ، فكانت تلك الفلتة الذهنية ، التي يسمونها « الوصية » والتي أحاطتها البشرية فيما بعد ، وخلال تاريخها الطويل ، بهالات من القدسية والاحترام ، مكنت لها في اعماق النفوس ، تتقبلها في ذل محبب ، وخضوع مستطاب .. مع انني - رغم ضحالة ثقافتي - لا أرى في الوصية الا نوعا من الاستعباد والاسترقاق والتسلط ، يسيطر بواسطتها الاموات وهم أموات ، على الاحياء ، وهم أحياء ، أشداء اقوياء ! .

« أنا أفهم أن يتصرف الانسان في ماله كيفما شاء له هواه ، في حياته او بعد الممات ، لكن الذي لا أفهمه هو ان يسيطر ميت على الاحياء ، فيكلفهم ما لا يطيقون، ويلقي على عاتقهم بمسئوليات هم عنها عاجزون ، وأعباء لم يترك لهم ما يعينهم على القيام بها وما تتطلبه من نفقات جسام ! »

« فماذا نسمي هذا ؟ ولماذا نرضخ له ولا نتمرد عليه ؟ »

« الا ليرحمك الله يا أبي ويسامحك ويغفر لك ! »

وما أن وصل « اقبال » - وهذا هو اسمه - بتفكيره الى هذا الحد وهو جالس خلف النول الذي يعمل عليه في ذلك السرداب الرطب ، بين عشرات العمال من أمثاله ، في مدينة السجاجيد ، تبريز ، حتى صحا لنفسه وراح يسالها : كيف سمحت لهذه الافكار السوداء الثائرة ان تتسلل الى عقله ؟ وكيف يتحدث عن وصية والده الراحل بهذه الروح المتمردة ؟!

وصية والده !

أجل تلك الوصية الملعونة التي ما يكاد يذكرها حتى يعتريه الذهول وتركبه الهموم وتنتابه سود الافكار ، وتتملكه ثورة عارمة !

مسكين أنت يا اقبال ! فلست ابن ملك ، ولا اقطاعي ، ولا حتى تاجر كبير ! انما أنت ابن رجل عادي ، صحبه الفقر من المهد الى اللحد ! أنت ابن الحاج جلال الدين .. ذلك الرجل الطيب الذي عاش حياته تقيا نقيا طاهرا ورعا ، يحب الناس ويحبه الناس ، ومع ذلك لم يعرف طعم العيش الرغد ، ولم يؤت بسطة من الرزق ، بل قضى نحبه بعد عمره المديد وهو ما يزال أجيرا عند أحد أصحاب السراديب الرطبة ، بانوالها ودواليبها ، يعقد الصوف وينسج السجاجيد ، كما يفعل ابنه اليوم منذ كان في الحادية عشرة ، أي منذ ربع قرن من الزمان !

ان اقبالا لايزال يذكر تلك الامسية الحزينة منذ ثمانية عشر عاما ، وقد دعاه والده وهو على

فراش الموت ، وطلب منه ان يدني رأسه من راسه ، واخذ يتحدث اليه بهدوء المؤمن الراحل عن هذه الدنيا ، بصوته الندى العذب الحنون :

ـ انت يا بني يا اقبال فتى ماهر حاذق ، موفق في صنعتك ، وها انت ذا تنال اجرا على عملك ، يوازى أجر امهر العمال واحذقهم في صناعة السجاد من المعمرين الكبار ، ولك فيه مستقبل ، وزيادة في الاجر مضمونة ، وها انت ذا ترى أزواج شقيقاتك الأربع ، لم يرزقوا مهارتك وحذقك، فاجورهم متدنية ، وشقيقاتك مع أولادهن في ضنك من العيش قاس مرير ، وقد جمعت في حياتي بالحرص الشديد ، ثروة تقارب الخمسين دينارا ، ولذا اوصيك يا بني ان توزعها عليهن بالتساوى ، وانا واثق بك وبشبابك وبمهارتك ، فلك مستقبل أفضل من مستقبل اصهارك ، فاعمل واقتصد حتى تتزوج ـ واحسن الاختيار ـ وبعد ذلك وصيتي لك يا بنى ، ان تنقل رفاتى الى العتبات المقدسة في النجف الاشرف ، لتدفن هناك في جوار الامام الاعظم عليه السلام .

ثم لفظ الحاج جلال الدين انفاسه الاخيرة ..

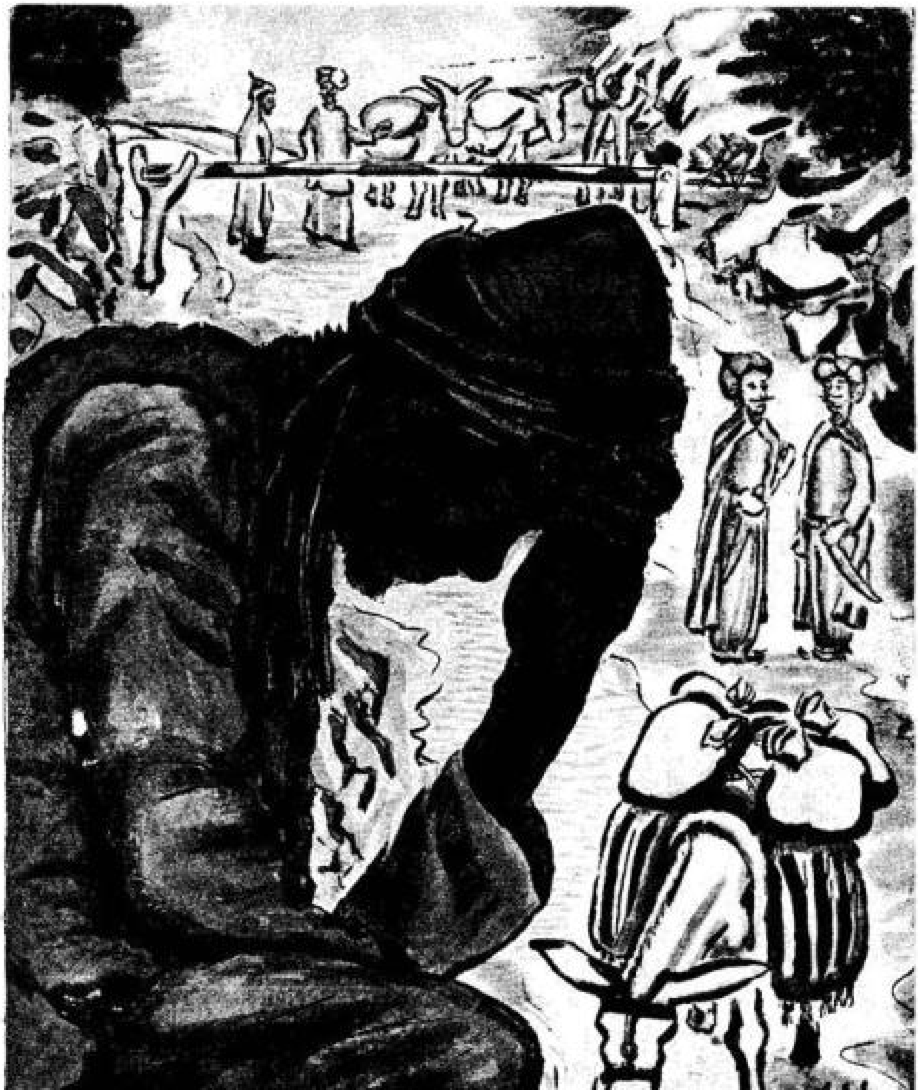

وبعد مضي أيام العزاء عمد اقبال الى الخمسين دينارا ـ وهي مبلغ جسيم بالنسبة الى امثاله ـ فوزعها على شقيقاته ، ولم يحتفظ لنفسه منها بشيء ، وهو راض عن نفسه كل الرضى لانه نفذ الشق الاول من وصية والده .

ومضت بضع سنين على اقبال وهو يجد فى عمله ، ويغلو فى حرصه واقتصاده ، حتى جمع من المال ما استطاع به ان يبني باحدى الفتيات ، ثم اخذ يحلم باتمام وصية والده فى ان ينقل رفاته الى العتبات المقدسة .. ولكن . واأسفاه ! فقد رزق بامراة ولود ، تعطيه كل عام وليدا ، فكثروا ، وكبر همهم ، واصبح فى صراع شديد مع العمل ، ليملأ تلك الافواه بالطعام ، فهي دائما مفتوحة كمناقير افراخ الطير ! .

وعسر عيشه وثقل عليه العبء ، فهو بين ساخط فى اكثر الاوقات ، وبين راض فى قليلها عن حاله . ومنذ أعوام ، وهو يعزم ان يتم وصية والده ، فيبدأ عامه بجد ونشاط ، ليوفر من المال ما يساعده على ذلك ، ولكن لا يأتي آخر العام حتى لا يجد فى جيبه شيئا من المال ، ابيضه او اصفره ،

واخذ يثور شيئا فشيئا ، على تلك الوصية ! افلا يكفى أباه ان زار العتبات المقدسة ؟ او ليست الارض كلها طهورا ؟ فما يضير أباه أن يدفن فى اية بقعة منها ؟

واحيانا تهدأ ثورته ، ويرى لزاما عليه تنفيذها ، وخصوصا وقد رأى غيره من الناس ينفذون مثل هذه الوصية ، وينقلون رفات آبائهم الى النجف الاشرف ..

وليصل بنفسه الى شيء من الهدوء ، والتخلص من هذا القلق ، وهذه الثورات النفسية التى تعتاده ، صمم على ان يجد، عامه هذا ، ويبخل على نفسه وعلى عياله بعض الشيء ، لينهي امر هذه الوصية .. واشتد تقتيره على عياله ، وكانت زوجه ودودا ، فاعانته على ذلك ، ولما انقضى العام احصى دراهمه ، فوجد فيها الكفاية لمصاريف الرحلة ، وشراء دابة يستعين بها على ذلك ، فاشترى حمارا ، وعمد الى قبر ابيه ، واستخرج رمته وهي عظام بالية ، فجمعها وضمها الى متاعه .

وعشية سفره ، اجتمع اليه أصدقاؤه فى داره يودعونه ، ودار الحديث بينهم حول غايته من السفر ، وكل يثني عليه لحرصه على الوفاء بوصية والده ، واثناء الحديث شكا بعضهم من تلك الضريبة ، وقدرها ليرة ذهبية عثمانية ، تتقاضاها دائرة المكوس عن كل رمة ، واستنكروا كيف تجيز الحكومة العثمانية لنفسها تلك الضريبة على الرمم !

وبهت اقبال، فهو لم يحسب حساب تلك الليرة الذهبية مطلقا ! ولما انصرف أصدقاؤه أخذ يفكر فى امره ، فتوفير ليرة عثمانية يحتاج الى عام كامل ، وهو لا يستطيع ان يجد هذا المبلغ عند من يأنس من الرفاق ، ثم انه قد أعلن عزمه على السفر وودعه الاصدقاء .. أضف الى هذا انه أخرج رمة والده من القبر ، فلا بد اذا من السفر .. ولكن أين الليرة الذهبية ؟

وأخذت افكار ثائرة ، لعلها عند بعضهم سوداء ، تعيث بعقله سخطا على الوصية وعلى ..... استغفر الله ، فهو والده وحبيبه ، صحبه ثمانية عشر عاما صحبة رضية هنية .

وبينما هو فى غمرته هذه ، اذ خطرت له خاطرة، اشمأز منها بادىء الامر ، ولكنها اخذت تلح عليه بعنف وقوة ، فبدأ يستسيغها قليلا قليلا ، فهو لن يجد له منفذا من حيرته الا فيها .. واخيرا حزم أمره عليها ، فعمد الى الطاحونة الصغيرة ، التى يطحنون عليها فى دارهم قمحهم وشعيرهم ، وادارها بيد ، واخذ يلقمها بالاخرى عظام أبيه ، وينعم الطحن ، حتى خرجت اشبه ما تكون بطحين القمح ، ووضعها فى كيس صغير من القماش الابيض ..

وفى الغداة بدأ سفره . وبعد أيام اشرفت عليه جبال هارومان العالية السامقة ، تكسو سفوحها

أشجار الرمان ، وتكلل هاماتها السحب ، فمنها سيهبط الى أرض العراق ، ثم لاحت له راية المخفر العثماني على الحدود ، واخذت اللحظة الحاسمة تقترب ، ولما وصله ، أقبل عليه رجال المكوس ، يفتشونه ويسالونه ، فاخبرهم انه ذاهب لزيارة العتبات المقدسة ، وليس معه الا زوادة يستعين بها في سفره ، فساله أحدهم عما في الكيس الصغير فاخبره بانه قليل من الطحين تزود به ، فطلب اليه آخر الامر أن يفتحه ، ففعل فوجدوا فيه طحينا كما قال ، ثم اخذوا يسالونه عما في بعض الصرر الاخرى ، فوضعها جانبا ، وراح يفتحها لهم ، ولما انتهى التفتيش ، عمد الى الكيس الصغير ليعيده الى مكانه ، فما راعه الا ان الحمار قد التهم جميع ما فيه ، الا بقايا بيضاء تحيط بفمه ! .. فجن جنونه ، واخذ يصيح : « ابي .. ابي .. !! » وهجم على الحمار يضربه بكل ما تقع عليه يداه ، بقسوة ووحشية ، وكان مما وقعت عليه يداه حجر صلد ، ضرب به رأس الحمار فكانت القاضية ! .

ودهش رجال المخفر من أمره ، الى ان فطن احدهم الى حيلته التي عمد اليها ليتخلص من دفع الليرة الذهبية ، ولكن لم يسعهم الا ان يواسوه في مصيبته .. وعمد اقبال الى الارض يحفر فيها ، واعانه رجال المخفر ، ثم دفن الحمار ، وولى عائدا وهو يقول : « انها الوصية ! وانه الفقر ! » .

وبعد ان غاب عن الاعين عمد أحد الخبثاء الى نُصُبٍ فاقامه على القبر ، هناك في اعالي جبال هاورمان ، وكتب عليه « هنا يرقد رجل في جوف حمار ! » . ■■

عبد الجبار الفقيه

اضحك

هل من مزيد ؟

● كان الخاطب خجولا جدا ، وفي احدى الليالي احضر الي خطيبته باقة من الزهور ، فطوقته بذراعيها وقبلته .. فقفز من مكانه في اتجاه الباب ليخرج . فرجته ان لا يفعل لانها لم تكن تقصد مضايقته .

فقال لها : انني لست متضايقا بل اريد ان اذهب لاحضر مزيدا من الزهور .

عارفة !

● جرت المحادثة الاتية بين زوجين بعد زواجهما بايام :

الزوج : الآن يا عزيزتي استطيع ان اقول لك عن عيوبك .

الزوجة : انني اعرف ان لي عيوبا ، وهي ذاتها التي حالت بيني وبين الزواج بشخص افضل منك .

الرد خالص !

● كتب مجند الى خطيبته يقول :

اننا نقوم بمناورات هذه الايام ، وفي الليلة الماضية نمت في سيارة النقل ، بين انيز ، وادنا ، واستمتعت بالدفء والراحة .

ولم تكن خطيبته تعرف ان انيز وادنا قريتان ، بل ظنتهما امراتين ، فكتبت اليه بعد ايام تقول :

انني سانام هذه الليلة مع جورج . لقد تزوجنا امس . تحياتي الى انيز وادنا !

★★★

منتهى الذكاء

● كان السائح يتحدث مع كاتب فندق «ركس»

فقال الكاتب للسائح : اليك هذا اللغز : ولدت امي طفلا هو ليس اخي او اختي فمن يكون ؟

فقال السائح : لا اعرف .

فقال الكاتب : انه انا .

فعاد السائح الى بلاده وراح يروي اللغز الى اصدقائه قائلا : ولدت امي طفلا هو ليس اخي او اختي فمن يكون ؟ هل عجزتم عن حل اللغز ؟

فاجاب الاصدقاء : نعم .

فقال السائح : انه كاتب فندق « ركس » .

تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك !

نفس المالك !

الدليل:
هذه القلعة ظلت قائمة ثلاثمائة سنة .. لم يتغير فيها شيء ، ولم يصلح أو يبدل فيها شيء .

الزائر :
لا بد ان مالكها هو نفس مالك العمارة التي نسكنها !

أيهما الخائف ؟!

● كان لدى وكيل النيابة قضية احد شهودها طفل فى التاسعة من عمره .. وكان وكيل النيابة قلقا حول ما يمكن ان يحدث ، فانتحى بالطفل جانبا ، واخذ يتحدث معه قبل المحاكمة . قال له : « كل شيء سيكون على ما يرام .. احتفظ بهدوئك .. واشرح .. خذ الامور ببساطة وانت تجيب على الاسئلة .. لا تخف .. ولا تنزعج من اى شيء .. هل انت خائف ؟

فقال الطفل : لا .. ولكنك انت الخائف .

***

مولـد أمـة !

البحار الأول : يقولون ان زوجة صديقنا جون قد ولدت ثلاثة توائم بعد قراءة قصة «الفرسان الثلاثة » .

البحار الثاني : يا الهي ... أن زوجتي حينما ابحرنا كانت تقرأ كتاب « مولد أمة » !

كيف تبدأ الحروب ؟

الابن : كيف تبدأ الحروب يا امي ؟

الأم : لنفرض ان نرويجيا اقتحم السفارة الاسبانية وانزل علمها .. حينئذ تثور ازمة وربما حرب .

الأب : لا اظن ان نرويجيا يفكر فى هذا .

الأم : ولكن كيف عرفت ذلك .

الأب : طبعا لانها فكرة سخيفة .

الأم : فكرة من هي السخيفة ؟

الأب : فكرتك انت بالطبع . ماذا يمكن ان تكون غير ذلك .

الأم : اقسم بالله لاقيمن الدنيا واقعدها .

الابن : كفى يا والدىّ .. لقد عرفت الآن كيف تبدا الحروب !

أيـام زمـان !

● سأل الشاب أباه فى عتاب قائلا : انك وغيرك من كبار السن تتحدثون دائما عن ايام زمان .. لم يكن لديكم فى ذلك الوقت تلفاز او سيارة كبيرة وبيت عصرى جميل تتوفر فيه احدث لوازم التسلية .. لم يكن لديكم من مستلزمات الحياة العصرية شيء .. فما هو السر فى حبكم لايام زمان وذكرها دائما ؟

فقال الاب بحسرة : « لقد كان لدينا الشباب فى ذلك الحين » .

بقية المنشور على صفحة ٦

تصل الينا بعد وهي :

١ ـ رد الفقيه ابى مروان عبد الملك بن محمد الأوسى .

٢ ـ رد الكاتب ذى الوزارتين ابى عبد الله محمد بن ابى الخصال الغافقى المتوفى ٥٤٠ هـ . سمىّ رسالته « خطف البارق وقذف المارق » فى الرد على ابن غرسية الفاسق فى تفضيله العجم على العرب ، وقرعه النبع بالقَرَب » .

٣ ـ رد ابى محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي وكان فقيها هو وابنه وابن ابنه.

٤ ـ رد عبد الحق بن خلف بن مفرج ..

وهكذا نجد ان الشعوبية الاندلسية .. شغلت قسما كبيرا من التاريخ.. وشغلت الأدباء والفقهاء مئات السنين فى محاربتها حربا لا هوادة فيها .. وجدير بنا ان نذكرها .. ونسبر غورها .. لنلم بالاسس التى قامت عليها الشعوبية .. فنعرف طريقنا ونحدد موقفنا منها .. اليس الدكتور الدوري يقول : « كما ان تجارب الحاضر تتجلى اتجاهاتها بدراسة الماضى » .. لهذا رأيت من واجبي أن اخط هذه العجالة ليطلع عليها قراء « العربي » القراء .

والله الموفق ..

فهمي قطب الدين نجار
قسم الفلسفة ـ جامعة دمشق
دير الزور ـ ج. ع. س

نعم .. الفصحى عنوان وحدتنا

● شكرا للاستاذ البزاز على مقاله البارع في العدد ٤٦ من « العربي » ، في دحض افتراءات انصار العامية ، وشكرا لهذه المجلة التي نصبت من نفسها منبرا للدفاع الحق عن لغة العرب ، رمز وحدتهم الحقيقي ، والكشف عن تلك النوايا الخبيثة التي يتستر وراءها عداء الامة ، من وراء دعوتهم الى اهمال الفصحى ، وما في هذه الدعوة من استهتار بمقدسات العرب التي يعتزون بها ، ونسخ لماضيهم الفكري الخصب ولغتهم القذرة .

ان المجامع اللغوية وادباء العرب ومن اليهم ، مدعوون الى المحافظة على هذا التراث الخالد حفاظهم على اعز ما يملكون ، لئلا يتهمهم التاريخ بأنهم الجيل الذي اضاع اللغة ، واستهتر في الذود عن حياضها .

ان اهتمام المستشرقين باللهجات العامية المختلفة ، وابرازهم اهمية ما يسمونه بالادب الشعبي ، وضرورة درسه والاهتمام به ، كل اولئك خطة من خططهم المرسومة للعمل على تفتيت اللغة ، وقصرها على أن تكون لغة رسمية ، من حيث يظن سائر المثقفين انهم يحسنون للغة صنعا .

اني اعجب ان تهتم الجهات الثقافية المختلفة بتخصيص كراس للادب الشعبي ، بل سمه الادب العامي ، في الجامعات ، وتدريسه والتاليف فيه ، في الوقت الذي لا يستكمل فيه درس ادبنا الحي ، فكم من الفحول لا زالت آثارهم في الركام ، لم يسمع بهم الا المختصون بتقصي هذه الآثار !

الا رفقا بالبقية الباقية من الأمجاد العربية ، وليتق هؤلاء الدعاةالله في لغتهم وامتهم .

عمر اسعد ـ دمشق

ملاحظتـــان على مقـــال

● اشكر لكم جهودكم الصادقة في النهوض بمجلة « العربي » الغراء ، فهي بحق سجل الثقافة الانسانية الرفيعة وبعد :

لي ملاحظتان على بعض ما جاء بعدد سبتمبر

سنة ١٩٦٢ من مجلة « العربي » اجملهما فيما ياتي :

١ ـ جاء في المقال الرائع الذي كتبه الاستاذ عبد الرحمن البزاز تحت عنوان « الفصحى عنوان وحدتنا » بعض أبيات للمرحوم حافظ ابراهيم من قصيدته المعنونة « العربية تنعى حظها بين أهلها » منهـا :

سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى
لعاب الافاعي في مسيل فرات

وقد لاحظت ان الاستاذ البزاز قد ضبط كلمة « لوثة » بفتح اللام ، فرجعت في الحال الى ديوان حافظ ابراهيم الجزء الأول الطبعة الثانيـة ، صفحة ٢٥٥ ، فوجدتها « لوثة » مضبوطة بضم اللام ، ومشروحة بالهامش بمعنى عدم الابانة ، وللتأكد من ذلك رجعت الى بعض المعاجم كالمصباح المنير والمنجد والقاموس المحيط فوجدت الآتي :

اللَوثة : « بفتح اللام » : الحماقة .

اللُوثة : « بضم اللام » : الحبسة في اللسان ـ مس جنون ... الخ .

ولم يدفعني الى ذلك التحقيق الا غيرتي على لغتنا القومية وخاصة ان المقال نفسه دفاع عن اللغة العربية الفصحى .

٢ ـ لقد ذكر الاستاذ البزاز في نفس المقـال عن المرحوم أحمد شوقي انه : « .... يصـح اعتباره ، بعد المتنبي ، أعظم شعراء العربية في كافة العصور » وكنت أحب الا يتورط الاستاذ البزاز ـ بالرغم مما نعرف فيه من دقة ـ في مثل هذه الاحكام التي تلقى جزافا دون مراعاة الدقة والتريث . فمن ذا الذي يقول ان شوقي ـ رحمه الله ـ أعظم من ابن الرومي مثلا ، ومن ذا الذي يقول ان شوقي ـ رحمه الله ـ اعظم من ابي العلاء . ان اثبات هذه القضية النقدية يحتاج الى البرهان والحجة والدليل .

سعيد احمد البطوني

مدرس العلوم بمدرسة منوف الثانوية

ج ٠ ع ٠ م

« العربي » : جاء في لسان العرب « اللَوْثة واللُوثة الحمق والاسترخاء والضعف » فاللفظان بمعنيين سواء .

قسيمة المسابقة (كوبون) ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

التعريف بكتاب « العربي »

● معذرة اذا ما وصلتكم هذه التهنئة مبكرة عن موعدها ، فقد ابى عليّ حبي « للعربي » الا ان اكون أول المهنئين باقترابها من عامها الخامس. وما اظنني الا معبرا عن رأى عشرات الآلاف من القراء اذ أدعو الله أن يمد في عمرنا وعمرها حتى نحتفل بعامها الخمسين ان شاء الله ..

ولا أحب أن تمر هذه الفرصة دون أن أعود الى اقتراح لي قديم ، عن ضرورة التعريف بكتاب « العربي » . بنشر نبذة موجزة عن كل منهم ، لاننا وان كنا هنا في مصر نعرف الكثير عن طه حسين والعقاد وتيمور وزكي نجيب محمود وعثمان أمين وأبى زهرة وغيرهم ممن نقرأ لهم في «العربي» الا ان كثيرين منا لا يعرفون مثلا عن الاساتذة ساطع الحصري وفاخر عاقل وبديع حقي وصفاء خلوصي وصلاح الدين المنجد وغيرهم ممن نقرأ لهم ولا تتجاوز معلوماتنا عنهم انهم من كتاب « العربي » .

وما يقال عن القارىء المصري بالنسبة لكتاب « العربي » من غير المصريين ، يقال عن القارىء في كل قطر عربي بالنسبة للكتاب من غير بلده . وقد يكون لجهلنا هذا ما يبرره . ولكن ما دامت « العربي » تنشر لهؤلاء المفكرين الافذاذ انتاجهم الأدبي والعلمي ، فماذا عليها لو انها عملت على ان تقدمهم لمن لا يعرفهم من قرائها ، حتى لا تكون هناك عزلة بين الكاتب والقارىء ، بل حتى تكون الصلة الروحية بينهما امتن واقوى .

فيصل عبد الحليم شهوان

المعيد بقسم الطبيعة النووية ـ القاهرة

دعايتنا في تركيا

● تسيطر الدعاية الصهيونية على أكثر المرافق في تركيا ، وخاصة الصحافة ، حتى ان أغلبية الشعب التركي متشبعة مقتنعة بكل ما تبثه تلك الدعاية ـ وحتى لترى الأسواق المحلية مليئة بالبضائع الاسرائيلية ، وترى أيضا تبادل البعثات والرحلات بين تركيا واسرائيل ، مع هذا لا نجد دولة من دول الجامعة العربية تقوم بجزء من هذه الدعاية لصالح الامة العربية ولمواجهة تغلغل الصهيونية ، مع اني شعرت اثناء اقامتي في استامبول باستعداد الفرد التركي لفهم قضايانا لو اتيحت له الفرصة ، وان الشعب التركي يتقبل وجهة النظر العربية لو انه وجد من يعرضها عليه ، ويبصره بحقائق الامور .

فاين دعايتنا في هذا المجال ؟ ، اني لآمل أن تقوم الجامعة العربية بشيء من هذا ولتثبت وجودها في مسألة حساسة كهذه .

عبد الرزاق جرار

جامعة استانبول

ليس شخصية اسطورية !

● نشرتهم في العدد ٤٦ من مجلتكم الغراء مقالا للسيدة سنية قراعة عن « الشاهنامة » وفيه الفقرة التالية :

« ويأبى خيال مؤرخي العرب بعد هذا كله وبعد أربعة آلاف عام من حياة رستم ومغامراته وحروبه الا ان يَبعث هذا الفارسَ مرة اخرى اثناء حروب الفتح الاسلامي ، لترى حتى في الكتب التي تدرس في المدارس ان رستم القائد الفارسي الشهير وقف في الميدان أمام سعد بن أبي وقاص في موقعة نهاوند » .

ولي ملاحظتان على هذه الفقرة :

أولا : ان سعدا ورستم التقيا في القادسية وليس في نهاوند ، الأول يقود جيوش العرب المسلمين والثاني يقود جيوش الفرس ، هذا باجماع المؤرخين ، وفي المعركة قتل رستم الفارسي بيد هلال بن علقمة او القعقاع بن عمرو . وذلك في أول حزيران سنة ٦٣٧ للميلاد .

اما معركة نهاوند فهي بين العرب المسلمين بقيادة

العربي

١٣٨٢
ـمبر
ل) ١٩٦٢

العدد
ثمينة
الصغير

وائز
١٢
سنويا

بورسعيد

الثمن

١١٠	فلوس
٢	روبية
٢	ريال
٣ر٥	شلن
١٢٠	قلسا
١٠٠	قرش
١٠٠	فلس
١٠٠	قرش
١٠	قروش
١٠	قروش
١٥	قرشا
٢٠٠	فرنك
٢٠٠	فرنك

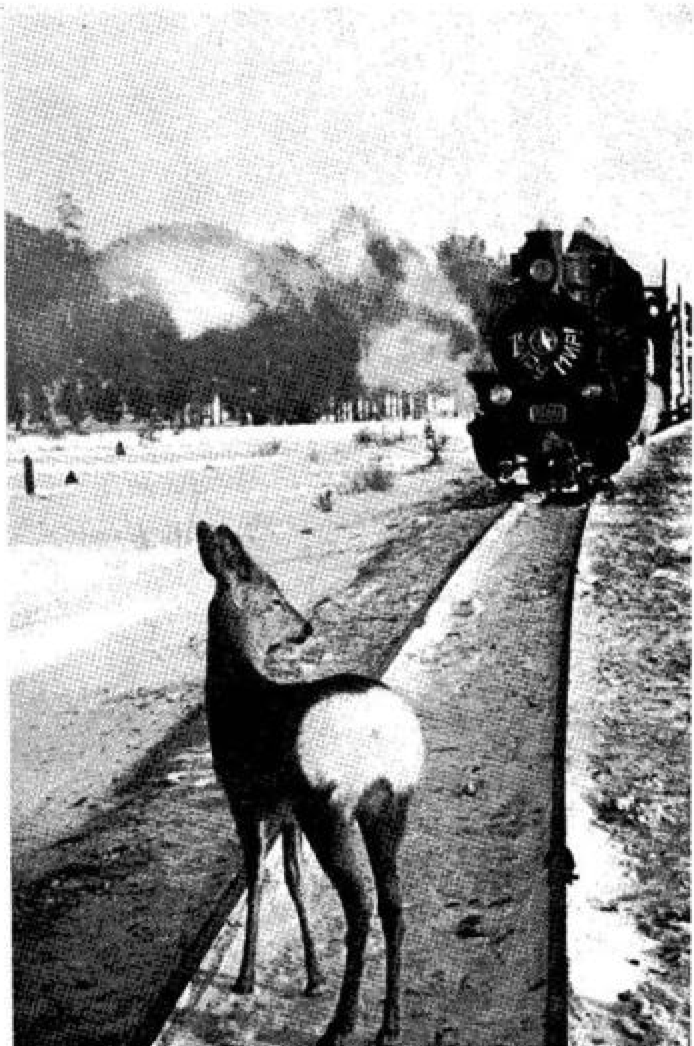

غزال أمام القطار .. أتراه يتحـدى أم
أنه غافـل عما يتهـدده من أخطـار ؟

عزيزي القارىء :

- هذا آخر عدد « للعربى » لعام ١٩٦٢ . والعدد التالى لأول يناير ١٩٦٣ ، سيكون كما عوّدناك ، عددا ممتازا يتميّز بما دَرَجنا على تقديمه للقراء فى مطلع كل عام .

- وفى هذا العدد الحاضر باب جديد ، هو « ركن الذرة » ، بدأناه بأن وصفنا فى ايجاز ما تؤديه الذرة من خدمات لعلم التاريخ وعلم الآثار ، واذن فلسائر علوم الثقافة عامة ، وهى تكشف للانسان أحداثا وقعت على هذه الارض حتى قبل ظهور الانسان ، ومن بعد أن كان .

- وفى العدد القادم باب آخر جـــديد ان شاء الله ، هو « ركن الفضاء » . ان هذا العصر عصر الذرة وعصر الفضاء ، وما كان يمكن أن يخلو منهما « العربى » ، ولكن كل شىء مرهون بأوان .

المحــرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات :

دين :

عروبة :

ركن الذرة :

تاريخ :

تربية وعلم نفس :

طب وعلوم :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● تشارك الفتاة العربية الحديثة فى النشاط الرياضى ايمانا منهـا بان العقل السليم فى الجسم السليم ، وهذه عربية من بورسعيد فازت ببطولة التنس فيها .

ومما يذكر أن ببورسعيد عدة نواد رياضية أشهرها : استاد بورسعيد ، ثم مجموعة من النوادي البحرية مقامة على شاطىء القناة من ناحية بورفؤاد ، ويمارس فيها الاعضاء رياضة الانزلاق على الماء ، والتجديف ، وقيادة المراكب الشراعية .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

معرفة الواقع خير وأنفع

● كنت في شوق شديد لصدور العدد السابع والأربعين من مجلة « العربي » الغراء – مثله مثل كل عدد تصدره هذه المجلة المحببة ..

امسكت العدد ، ورحت التهم صفحاته ، وأتلذذ بموضوعاته ، ولا أبالغ اذا قلت انني سكرت لكل كلمة فيه .. وبقي الشوق يدفعني شديدا الى الاطلاع ، حتى وصلت الى المقال الذي يتحدث فيه السيد خليل ابراهيم نعمة عن الشاعر ابراهيم طوقان .. وكم كان أسفي بالغا لقوله في أول المقال « هو ابراهيم عبد الفتاح طوقان ، شاعر فلسطين بلا منازع – يوم كان للعرب فلسطين » .

لقد شعرت بيد ثقيلة تهوى على رأسي .. فأيقظتني من سكري ..

يا لها من فاجعة .. أين راحت فلسطين يا حضرة السيد خليل ابراهيم نعمة .. أكانت للعرب .. وأصبحت لغيرهم ؟!

أضاعت فلسطين اليوم ؟ الا تعلم أن هذا بمثابة اعتراف لاسرائيل بحقوق فلسطين . تلك الدولة الغاشمة ؟

لقد جمدت فلم أعد أقوى على قراءة كلمة واحدة .. كتبت هذا والقلم يرتعش ، ولا يدرى ماذا يقول في هذا الاعتراف .. يا للفاجعة !! يا للمصيبة !! يا للهول !! .. انها فلسطين .. فلسطيننا .. بالأمس واليوم وغدا والى الأبد .. وكيف تقول يوم كان للعرب فلسطين .. أليست لهم حتى الآن ؟ أتنكر حق العرب فيها يا حضرة الأستاذ ؟

ابن فلسطين

محمد عبد الله البيتاوى – نابلس

« العربي » : ليس في قول السيد خليل ابراهيم نعمة ، وهو فلسطيني ، «يوم كان للعرب فلسطين» اهدار لحق العرب في فلسطين . انه يصف الواقع الحاضر . فلسطين اليوم ، للعرب ، أم للصهاينة ؟ للصهاينة طبعا . أما الغد .. فللعرب ان شاء الله. أما هذا الترنح العاطفي فلا يغني عن الواقع

تصويب خطأ في مقال «سعيد العاص»

● كتب الأخ سليمان موسى مقالا عن حياة عمي الشهيد سعيد العاص ، والد زوجتي المرحومة سعاد بعنوان « أبطال من بلادنا » في العدد (٤٧) من « العربي » . ولي على هذا المقال تعليق : فالأستاذ سليمان يقول عن زوجتي سعاد «فتزوجت شابا شركسيا من اقارب امها الا ان الموت عاجلها وهي في ربيع الشباب دون أن تنجب اولادا ... فلحقت بامها وابيها رحمهم الله» . والواقع ان المرحومة سعاد لم تتزوج شابا شركسيا ، بل تزوجت شابا أردنيا من أصل تركي اسمه « نجم الدين الترك » ، وقد عاجلها الموت وهي في ربيع الشباب ، كما قال الأخ ، ولكن بعد ان انجبت ولدا وبنتا هما سعيد ، وقد سمي سعيدا تيمنا بجده العظيم وعمره الآن سبعة عشر عاما ، وعفاف وعمرها تسعة عشر عاما ، وقد تزوجت منذ عام ونصف وانجبت طفلة .

فللبطل سعيد العاص احفاد لا يزالون على قيد الحياة .

نجم الدين الترك

الأردن – عمان

أسئلة القراء .. أين هي من حاضرنا ؟

● اعتقد اني لست بحاجة لأن اطرى مجلة « العربي » بالمديح . فهذا أمر قد تكفل به من سبقوني بالكتابة اليكم . ولكنني اضطررت للكتابة اليكم هذه المرة لما لاحظته مؤخرا في معالجتكم موضوعات ـ ردا على أسئلة بعض القراء ـ بات من المؤكد سخفها .. مثل : هل الغناء حلال أم حرام ؟ وهل التصوير حلال أم حرام ؟ وهل المنجمون صادقون ؟ .. الخ .. أسئلة ان دلت على شيء فانما تدل على ان عنكبوت الجهل لا تزال تنسج خيوطها الواهية في افئدة بعض الناس .

فبينما شباب بعض الدول يدور حول الأرض نجد بعضا من شبابنا لا يزال يدور في حلقة المناقشات البيزنطية في المسائل التافهة السابقة الذكر .

ولهذا فانني التمس من مشرفي مجلتنا الغراء عدم الالتفات الى مثل تلك الأسئلة حفاظا على مستواها الرفيع .

جاسم محمد السلامة
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة

« العربي » : **نحرص احيانا على الاجابة على بعض هذه الأسئلة ، لانها مع الأسف تحتل موضعا كبيرا من رؤوس جانب غير صغير من الشعب العربي . حقيقة مرة ولكنها لا تنكر . ونجيب كذلك لنكشف عن حال بعض العقول التى هى بعض واقع حياتنا .**

شيئا . ان فلسطين لو كانت اليوم للعرب ، فلِمَ اذن كل هذه المعارك القائمة حولها ، ولو كلاما ؟! دعونا من العواطف التي لا تعرف غير صبغ الوجوه ولطم الصدور عند الفواجع ، وغير ليّ الكلام البريء واستخراج معانٍ ليست فيه ، هدفها استدرار الدموع .

توضيح بشأن الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية

● قرأت في العدد (٤٦) من مجلتكم المحبوبة « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » بقلم مدير عام الصندوق الأستاذ عبد العزيز البحر ، وكم كان اعجابي شديدا لهذه الخطوة المباركة التي خطتها دولة الكويت الفتية في سبيل تدعيم الاقتصاد العربي . وان هذا العمل لينبيء بمستقبل زاهر لها . وقد كنت أيضا معجبا بما ورد في المجلة من بعض نصوص نظام هذا الصندوق الا انني قد قرأت في القسم الأخير من المقال آنف الذكر ان الصندوق قد أقرض السودان قرضا لمدة سبع سنوات بربح قدره ٤٪ في الوقت الذي اقرض فيه الصندوق المملكة الأردنية الهاشمية ثلاثة قروض منها قرض لمشروع مياه نهر اليرموك لمدة (٢٠) سنة ، وآخر لتمويل المشاريع الصناعية الصغيرة ، وكلاهما بفائدة قدرها ٣٪ . وهنا أقف لأسالكم :

لماذا يقرض الصندوق السودان بفائدة ٤٪ بينما يقرض الأردن بفائدة ٣٪ ؟ وهل هناك مادة في النظام تجيز ذلك ؟ ولماذا وضعت هذه المادة ؟ وقبل أن آتى الى نهاية رسالتي أرجو افادتي أيضا هل يمكن لي الحصول على نسخة من أنظمة الصندوق ؟ وبأى طريقة ؟

ناصر علي كدسه
وزارة المالية ـ الرياض

« العربي » : نرد على السيد ناصر علي كدسه فنقول :

١ ـ لم يعط القرض للسودان لمدة سبع سنوات ، بل لمدة خمس عشرة سنة ، وهذا الكلام واضح في المقال . اما مدة السبع السنوات فهذه هي التي سيستغرقها المشروع السوداني لتطوير سكك الحديد في السودان .

٢ ـ لم يعط للأردن ثلاثة قروض بل قرض

(البقية على صفحة ١٥٢)

لابد للإنسان في حياته من قواعد ومبادئ وعقائد

بقلم رئيس التحرير

■ وقفت ساعة عند مفترق طريق ، فى عاصمة كبرى ، أتأمل . ألف رجل غادٍ وألف رجل رائح . ألف امرأة غادية وألف رائحة . من كل الأسنان ، ومن كل الأشكال ، تحسبهم فريقا واحدا لسيرهم فى الطريق الواحد والاتجاه الواحد ، وهم مختلفون أشد الاختلاف ، مختلفون وِجهة ، ومختلفون غاية . ومقدار اختلافهم انما هو بمقدار اعدادهم . فلو انك اطلعت على ما يدور فى هذه الرؤوس الألف ، المتجددة فى الطريق كل دقيقة ، لاطلعت فى هذه الدقيقة الواحدة على الف فكر مختلف يدور فى هذه الرؤوس .

اقول : وتحسَبُ الغاية واحدة ، وما هي بواحدة . يدلك على هذا متابعة هؤلاء الماشين والماشيات . انهم لا بد متفرقون ومتفرقات . هذا يختفى فى الطريق الأيمن القريب ، وذاك فى الأيمن الذى بعده ، وذاك فى الأيسر ، وهذا يقف عند هذا الدكان الدانى ، وذاك عند ذاك النائى . وهذا يبلغ موقف سيارة عامة فيقف ينتظرها ، وهذا يرى سيارة تكسيَّة فيناديها .

غايات ألف بمقدار هذه الرؤوس الألف ، تسيِّر هذه الأرجل الألف والألفين .

الأجسام تسير والفكر الذى فى الراس هو الحاكم ، فهو المسيِّر ، وهو المدبِّر . وهو الذى يقول للرِّجلين قفا ، او يقول امهلا او اسرعا .

ان الذى يسيِّر الانسان فى الحياة هو اخفى شيء فى الانسان : ذلك الفكر . والفكر هو الذى يصنع الغايات ، أماكنَ منظورةً محسوسة ، او اهدافا لا هى محسوسة ولا ملموسة .

الفكر فكران

والفكر فكران .

فكر فى التوافه والصغائر ، وفكر فى العظائم من الأمور .

المدارس والجامعات
تخرّج العالم الناجح ،
والأديب الفحل ،
والمهندس البارع
ولكنها لا تخرج الانسان الكامل

لو صفا الناس فكرةً ،
وامتلأت قلوبهم عزما ،
ولم تخش الأنفس الموت ،
لضاع معنى البطولة فى الناس ،
فكلهم عند ذلك أبطال

ولا فائدة من قواعدَ وعقائد لا تحميها السواعد

توافه الأفكار

اما التوافه. فأنا احس بالجوع فأفكر فى ان آكل . او انا تركت بذلة تصنع عند خياط ، فأنا اذهب اليه لاقتضيها منه . او انا اعمل صرافا فى بنك فأنزل الى البنك فى الساعة الثامنة لاكون عند عملي فى ساعة فتح ابوابه .

والتوافه التى من هذا النوع كثيرة عديدة . واسميتها بالتوافه ، لا لقلة خطرها ، ولكن لأن الراس لا يبذل فى الوصول اليها جهدا كبيرا . وكثير منها صار فكرا مكررا . صار عادة ، صار عملا تلقائيا . وظهر نفعه مرة فجاز مرارا .

وهذه الأفكار التوافه هى اكثر ما يملأ رؤوس الناس ، وعنها تصدر اكثر اعمال الناس فى الحياة ، فى الأصباح والأمساء.

عظائم الأفكار

ولكن وراء هذه الأفكار التوافه،الأفكار الأخطر والأعظم ، تلك الآراء الأولى التى عنها تصدر الآراء التوافه الثانية . ان الصلة بين صغائر الآراء وعظائمها كالصلة بين التفصيل والتعميم .الآراء «التوافه»

طريقٌ فى عاصمة كبرى ،
الفٌ رائح ، والفٌ غاد

تنتج عن عظيم الراى وبعد ان يثبت تكونه ويكتمل .

عندما يصبح الراى عقيدة

يخطر ببالى راى بأن افعل كذا ،فاقوم افعله ، ثم أنساه . ولكن هذا الراى العابر المنسى انما نشأ عن راى غير عابر ولا منسى ، حل فى نفسى محلا اثبت واوسع وارفع ، هو موضع العقائد من الناس . والعقائد ما سميت عقائد الا لأنها انعقدت، والشيء اذا انعقد ثبت على الأيام والسنين، فاذا اريد حله تطلب ذلك جهدا عظيما .

مثـــل

أسير فى الطريق فالقى رجلا سائلا ، فتدور فى راسى فكرة عابرة ، ان اعطي هذا السائل شيئا . وافعل . ولكن هذه الفكرة العابرة صدرت عن راى عندى ثابت يتصل بمعنى « عون الانسان للانسان » . وهو معنى ثابت عندى . هو عقيدة . ويأتينى بعد ايام رجل يسأل عونا فى مسألة لا تتصل بالمال ، فافكر واقضى بأن أسعى له فيها . وتعبر وانساها . ولكنها انما صدرت عن ذلك الراى الأول ، الأعم ، الأثبت ، ذلك المعنى الذى وقر عندى ، والذى يتصل بضرورة « عون الانسان للانسان » .

العقائد اخطر شيء فى الانسان الحيّ

هذه الآراء العامة ، الكبيرة ، العظيمة، الثابتة ، او العقائد كما أسميتها ، هى اخطر شيء فى الانسان الحيّ ، لأنه عنها تصدر الآراء الأخرى « التوافه » وما يصحبها من أعمال ، تلك التى لا يكون لها معنى فى ذاتها الا بالرجوع الى مصادرها الأولى ، الى العقائد التى عنها تصدر الأفعال والأقوال .

المجتمع المدنى يفرض على أهله عقائد مشتركة

وهنا أعود فأقف تلك الوقفة التى بدأت بها هذه الكلمة ، اقف عند مفترق ذلك الطريق ، فى تلك العاصمة الكبيرة ، لأقدّر كم عند هؤلاء الألوف من المارة من آراء عظيمة مشتركة ، تلك التى عنها تصدر هذه الآلاف من الأفكار التوافه التى تسيّر هذه الآلاف من الناس ، فى هذا الطريق ، الى آلاف الغايات . كم عند هؤلاء الزاحمين الطريق، حتى كادوا ان يسدوه ، من عقائد مشتركة واحدة .

انهم فى مجتمع مدنى فرض عليهم بحكم التعليم ، وبحكم المراس ، وبحكم الضرورات القائمة، آراء مشتركة واحدة تشملهم جميعا تقريبا ، الخروج عليها شذوذ ، أنه خروج عن المجتمع وشذوذ منه .

من ذلك احترام الشرطة ، وطاعة رجل البوليس فى ظواهر الأشياء التى تتصل بالنظام . ومن ذلك اخلاء الطريق ليمر غيرى ، اذا انا زحمته بأشيائى ، لأن

المجتمع المدنى يفرض احترام الشرطة .

الطريق ، فى المجتمع المدنى ، لى ولغيرى .

ومن ذلك حرصى على ما يمتلك الناس ، فانا ارى فى الطريق ما اصبو اليه مما يملك غيرى ، ولكن لا تميل نفسى الى أخذه اغتصابا ، لأن هذا بعض النظام الذى عودتنى اياه المدنية التى نشأت فيها ، ووقر فى نفسى .. ووقر فى نفسى كذلك انى لو رايت لصا يسرق لصحت وراءه وصاح الناس .

آراء كثيرة ثابتة فى رؤوس الناس لا يكاد ان يكون لأحد فضل ظاهر فيها ، ولا تبعة واعية فى ارسائها فى هذه الرؤوس .

فتلك هى الآراء الثابتة ، العقائد الفكرية القائمة الدائمة ، التى كادت ان تكون فى حياة الرجل المدنى طبعا . وهى هى التى تبث الانسجام وتنشر السلام فى المجتمع المدنى . فاذا هى اختلت ذهب أمن المجتمع ، وحلت محله الفوضى بمقدار ما اختل من نظامه .

وعقائد لا تعم الناس

ولكن هناك ايضا آراء ثابتة ، عقائد فكرية اخرى قائمة دائمة ، لا تتصل بحياة كل الناس بمقدار ما تتصل بحياة الفرد وتفاعله هو مع الحياة ، او هى تتصل بحياة طائفة او طوائف فى المجتمع . وهى عقائد قد لا تنسجم تماما ، ولا دائما مع حاجات المجتمع فى عمومه .

امثال

رجل فقير لم تسعده الحياة ، وينظر ، فيجد من نظم الأمم نظاما آخر ، يعتقد ، خطأ او صوابا ، انه قارب النجاة لما هو فيه من بحر متلاطم ، فيصبح يؤمن بالشيوعية نظاما .

ورجل غنى ، اسعدته الحياة ، فيجد من نظم الأمم نظاما ما هو اقرب النظم الى دوام رفهه ، فيصبح يؤمن بالراسمالية نظاما .

ورجل ثالث ، تزوج امراة لعوبا ، ذاق منها الأمرين ، وانتهى بأن ارتأى ان تكبّل النساء بكل قيد يمكن ان يصاغ لهن فى الأرض .

ورابع نشأ فى اسرة ، فى ظل اب وام عاشا فى نكد طوال الحياة ، وعنف الأب على الأم بسبب وبلا سبب يذكر ، وبحكم السيطرة التى فرضها الرجل على المراة من قديم الزمن . وتعست الأم على مرأى من ابنائها الصغار وبناتها . فخرج ذلك الابن وقد تأصلت فى نفسه كراهة هذا الظلم فنشأ يعتقد ان يُرفع عن المراة كل قيد ، وان يُعطى لها من الحرية تماما بالقدر الذى يعطى للرجل . وقد يزيد فيرى ان يعطى للنساء اكثر من هذا تعويضا لهن عن ظلامات عديدة سلفت ، طواها الزمان ، ولم يطو المرء من ذكراها .

وخامس نشأ فى بيت ورع وتقوى ، تدرب فيه صغيرا على الطاعة والتسليم . وكبر فلم يجد فى عيشه ما يختصم مع ما تعود من طاعة وتسليم . بل وجد فى ذلك الراحة ووجد فيه السعادة . وحاول غير هذا الطريق فوجد فيه عجز الفكر الانسانى ، ووجد الشقاء فعاد يحتمى بالذى نشأ عليه من ايمان جميل .

وسادس نشأ كما نشأ « لوثر » فى مثل ذلك البيت ، وعلى مثل ذلك الايمان . ثم راى من رجال هذا الايمان ما جعله يخرج عن هذا الطريق ، فكانت البروتستانتية . ولكن ليس كل رجل يثور يطلب كما طلب « لوثر » التعديل . ان الكراهة قد ذهبت ببعض الرجال ، فى غضبات لهم كبرى ، الى تمنى

مارتن لوثر ، انشق على الكنيسة ، عندما اختلف رايا ، وكوّن البروتستنتية . وهذا هو يعلق احتجاجه على الحائط .

حرق البناء كله ، بما فيه ومن فيه. فكان من ذلك الملحدون . وهم قوم شقوا فى أنفسهم ، وشقى بهم الناس .

عقائد لا تنتظم الناس كلهم

ومع المثل الخامس والسادس ،سابع وثامن ، وعاشر وعشرون .

عقائد لم ينتظم فيها الناس جميعا عقدا واحدا ، لأنها ليست من تلك المبادىء الفكرية الأولى التى يفرضها النظام المدني فى المدينة الحديثة فتوحد بين الناس أجمالا ، ولكن مما تتنشأ فى حياة الناس بممارسة العيش . وهى عقائد ، ان تضاربت ، وجب ان يفوز بعضها بالكثرة من الناس من اجل سلام العيش واطمئنانه ، وعلى القلة أن تتبع. فمن المسلم به فى الحياة المدنية كذلك أن القلة تتبع الكثرة ، ما انطلق الفكر ، واعتاد الناس على الحرية، وعلى الاخلاص وحسن النية ، تبادل الآراء .

العقائد تصنع الأمم

تلك الآراء الثابتة جميعا ، مما ينتظم الناس فيه أو لا ينتظمون جميعا ، تلك التى رفعتها الى منزلة العقائد ، من خلقية واجتماعية وسياسية ودينية ومن اقتصادية ، هى التى تصنع الأمم ، وهى التى تحركها فتتقدم بها ، أو لا تحركها فتتعفن فى مكانها ، والعفن طريق الموت.

وهى عقائد تبحث عن صانعها ، أو صوانعها ، فى الأمم ، فيشتتك البحث ، وتحيرك المصادر ، لأنها مصادر دفينة فى أطواء العيش .

ولكن هناك مصدران كبيران . جهازان عظيمان ، يمهدان لصنع هذه الآراء فى الناس : جهاز التربية والوراقة .

أما جهاز التربية فأعنى به المدارس بشتى درجاتها وأنواعها ، ومنها الجامعات . وهى جميعا للعمر وهو فى طراوته .

أما الوراقة فأعنى بها الصحافة والتأليف ، وهما للعمر عند اشتداده وانطلاقه .

جهاز التربية

اما جهاز التربية ـ وأنا اتحدث عن الأمة العربية خاصة، واتحدث على العموم فلا أخص بلدا بالذات بما أقول ، ولا استثنى بلدا بالذات مما اقول ، ولو ان كلا الأمرين جاز ا ـ جهاز التربية فى عمومه لا يجارى الزمان ، ولا يقضى حاجة الرجل المدنى من تزود من عقائد ، تحل براسه وقلبه ، فتجعل منه رجلا حضريا، متقدم الحضارة . والحضارة موضعها الأول الراس والقلب ، ثم يأتى بعد ذلك ما هو خارج الراس من ملبوس من الثياب، ومسكون من منازل، ومطروق من طرقات. لهذا جاز ان يكون رجل فى كوخ أكثر حظا من حضارة ، من رجل يلبس الخز الثمين ويسكن القصر المنيف .

ان المدارس تعطى الكتابة والقراءة والحساب والجبر والهندسة والجغرافيا والتاريخ واللغة والعلوم الطبيعية والحيوية وما الى ذلك من معروف المواد ومشهورها، ولكن ليس من هذه المواد ما

المدارس تجعل من أبناء الأمة عالما ماهرا . أو مهندسا بارعا، ولكن لاتجعل انسانا كاملا.

بصنع العقائد ، تلك التى تصنع الرجال الجديرين بمواضعهم من العيش ، ولا النساء ، حتى تلك المواد ، كاللغة وكالتاريخ التى تنفتح فيها منافذ تطل على ما كان يصنع الانسان فى قديم الزمان وحديثه ، وتجعل من نهضات الأفراد والأمم مثلا تقتدى ، هذه المواد ليس بين مدرسيها ذوو الألسنة التى تستطيع أن تنطق بمنطق كاف ، ولا القلوب التى تستطيع أن تغمر الأسماع بفيض من قلوبها دافىء . وحتى هذا لا يكفى. فتواريخ اللغات وتواريخ الأحداث الماضية والأوضاع لا تمس الحياة فى أوضاعها الحاضرة مسا كافيا .

الايمان بالله رأس العقائد

وقد يقال وأين الدين وأين تعليمه .

وهنا لا بد أن أسرع فأقول انى بالعقائد لا أعنى العقائد الدينية خاصة . فالايمان بالله وبأنبيائه شىء مفروغ منه، والايمان بالله رأس العقائد جميعها ، وأنا فارض وجوده . ولكنى فارض كذلك أنه بحالته الحاضرة واجماله الحاضر لايغنى شيئا ، فأكثر المسيئين الى الأمة العربية اليوم ، اما بالتخلف فى انفسهم ، واما بتثقيل العروبة بالذى يثقل بعربتها،واما بالعمل الايجابى الذى يدفع بالعربة العامة الى الوراء دفعا،هؤلاء القوم اكثر دعواهم انهم يؤمنون بالله وبرسله ، وفيهم حتى من جعل من هذا الايمان بضاعة يزج بها فى الأسواق زجا يتصيد بها البلهاء والأغرار .

الايمان بالله أصل لا شك فيه .

والأديان فى أصولها تطلب الخير فى عمومه. ولكن جاء من بعد الرسل ، فى كل الأديان قوم من البشر فسروا واطنبوا تفسيرا ، ولكن لزمانهم هم لا لزماننا . والمدنية الحاضرة جاءت بصور من العيش كثيرة جديدة ، وأوضاع جديدة . ومشاكل جديدة ، تحتاج ملاقاتها الى أن يكون فى رأس كل انسان مدنى مجموعة من القوانين ـ من العقائد ـ من اجتماعية

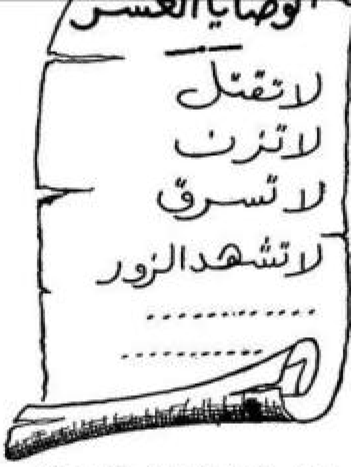

وصايا أصيلة ، ولكنها مجملة ، وكل عصر يحتاج الى تفصيل يوائمه .

واقتصادية وسياسية وخلقية وانسانية ـ تكون جاهزة دائما ، يعرض عليها فى اللحظة المفاجئة كل عابر عارض من الآراء، فتقضى فيه على الفور بما يؤدى الى خير الفرد والى خير الجماعة، والى الاحتفاظ بالكرامة الانسانية ، رفيعة عالية ، وعلى الأخص تلك الآراء العارضة التى لاتحتمل عند العرض الا النقض السريع البديهى الحاسم .

ظلم يقع ، ينفر منه الناس ، المدنيون، كلهم على الفور .

رأس يقطع بلا جرم ، ينفر منه الناس ، المدنيون ، كلهم على الفور .

ترويج للجهل ، وكبت للعلم ، شىء ينفر منه الناس المدنيون ، كلهم على الفور .

الحكم والنفاذ معا

والعقائد التى أريد أن تبثها المدارس فى الرؤوس ليست عقائد تصدر الأحكام فقط على الأشياء كما تصدرها المحاكم ، ولكنها عقائد تجمع بين الحكم والتنفيذ . عقائد تحكم ، فتثبت أو ترفض ، وتهيج ، وتقوم لتحقق بسواعدها رفضها والاثبات .

فأين هذا من مدارسنا .

فى أى فصل ، وبأى صف، وبأى سنة، وبأى مدرسة أو جامعة ، توجد تلك

الخمائر الفكرية الأولى التي هي محركات العيش في الأمم وضمان سير الشعوب في سبيل الخير .

ان المدارس والمعاهد قد تجعل من ابنائنا أهل لغة عارفين ، أو اطباء مهرة أو مهندسين أو حتى حذاق قوانين . ولكنها لا تجعل منهم ، عامدة ومخططة، رجالا مدنيين متحضرين ، تلك الحضارة الفكرية التي مركزها الراس والقلب ، وخفيرها الساعد ، وعند صاحبها انها تفتدى،اذا احتاج الأمر،بالدم الصبيب.

والصحافة

وكما في الدراسة ومعاهدها ، فكذلك في الصحافة، ولا اخص بلدا بالذى اقول، ولكنى اتحدث حديثا عاما ، وجاز ان استثنى ، ولكنى لا أفعل .

ان الصحافة العربية تقدمت تقدما هائلا في العقود الثلاثةأو الأربعة الماضية. وهى لم تتقدم فحسب ، بل سبقت . سبق الكثير منها من حيث الفن الصحفي. فالصحيفة اول شأن من شئونها الخبر. ومن الصحافة العربية ما بز الصحافة

الصحافة تقدمت تقدما هائلا ، ولكنها لم تنشىء ، في عمومها ، المواطن العربى الكامل .

الأجنبية. ولكن كذلك من بعض مدارسنا وحتى من جامعاتنا ، ما ضاهى الغرب ، وأحيانا بز .

ولكن هل تنشىء الصحافة العربية ، في عمومها ، المواطن العربى الصالح ؟ . هل هى تستطيع أن تضع في رؤوس النشء تلك الآراء الثابتة الصالحة التي ترد اليها المسائل الطارئة والمشاكل العابرة لتقضي فيها بالقبول أو الرفض ؟ ثم هل تستطيع ان تضع في قلوبهم تلك العزائم التي تثور لتحمي قبولا أو رفضا؟ وهل يمكن أن يقال هذا في الصحف كلها ، أو حتى في اكثرها . او حتى في القلة غير القليلة منها .

والتاليف

ان التاليف ، وقد ذكرته اخيرا ، هو احق فيما انا ذاكره ، بأن كان يذكر اولا . لأن الكتب بما يكون لمؤلفيها من وقت أوسع ، ومن حرية لا يحدها منها برنامج مدرسة ، او خشية اصطدام بسياسة صحيفة ، هى المجال الأوسع لعرض الآراء ، واستنباط العقائد ، والتشريع والتقنين للحياة .

وانك لتقرأ الكتاب العربي المؤلف اليوم ــ والحكم من الأكثرية الكبرى ــ فلا تكاد تنتهي من قراءة صفحته الأولى، حتى تعلم ما سوف يكون في آخر صفحاته . المواضيع لا تعالج دراسة ، ولكنها تعالج دعاية. ان المنطق هو سبيل العقيدة في أى أمر كان ما كان . وعلى المنطق تبنى المبادىء الصالحة. والمنطق بارد . وقد تزيد من حرارته فيدفأ . ولكنه اذا غلا لم يكن منطقا قط ، فاذا دخل الى راس أحرقه. ان المنطق هادىء ساكن ، حتى يكاد ان يكون صمتا . وهكذا الفكر ، صامت . وقد يرتفع صوت المنطق، ولكنه لا يبلغ مبلغ الصراخ ابدا .

والمنطق يعالج بالدراسة موضوعا ، فيتناول فيه جانبه الابيض الذى انت

حياة بلا خطة ، كسفينة بلا دَفّة .

تحبه ، وجانبه الأسود الذى أنت تكرهه، ولا يبالى كراهة أو حبا. فاذا هو اقتصر على الجانب الذى تحب فقد انحرف ، وأصبح مَلقا. وعلى الملق تبنى الدعايات.

وقد يكون انحراف المؤلف عن غير ملق . قد يكون عن خوف حتى ممن يكتب لهم . ان من الجماهير جماهير محافظة ، ومنها الجمهور المحافظ الذى يريد أن يحتفظ حتى بذَلّه . ومنه الذى الف الخطأ ، الذى زينوه فى عينه صوابا ، فهو لا يريد عنه بديلا . ومن الكُتّاب من يكتب ليقرأ الناس ، وليبيع فيهم ، فهو من أجل هذا يمالىء ويداهن، ويلاطف ، فى بيئات من الفكر عصية متحجرة ، لا يذهب بتحجرها الا قنبلة .

وانا اكره القنابل الفكرية ، وأحب بديلا منها المنطق، لا البارد المثلوج ،ولكن الدافىء ، الذى يدخل ، بقوة اقناعه ، غصبا ، الى عقول وقلوب .

حياة بلا خطة ، كسفينة بلا دفة

لقد صح عند الناس اليوم ، ان حياة الامة ، اى امة ، فى حاجة الى تخطيط ، ولكن كذلك حياة الفرد فى حاجة الى تخطيط . لا بد من قواعد فى راسه ثابتة، وفى قلبه ، تهديه السبيل . ان حياة بلا هدف ، كسفينة بغير سكّان ، بغير دفة. تهب الريح عليها من كل صوبٍ فترمى بها المرامى . والحياة فى اضطرابها ، قد لا تأذن للفرد الواحد بأن يكون له هدف واحد . وقد يتراءى له وهو بسبيل العيش أهداف وتتراءى مسالك ، لا بد لسلوكها من التخطيط لها بالرجوع دائما الى ما براسه من قواعد سنها ،والى ما بقلبه من نوازع وأحاسيس اصطفاها ، تأتلف وكرامة الانسان الفانى . فان بلغ من ذلك غاية ، فالحمد لله . وان هو قصّر عن بلوغ غاية ، حتى ان هو سقط دونها ، فقد شفَى نفسه انه سعى ، وانه دبر مخلصا، وانه طلب ، « وليس عليه أن تتم المطالب » .

ويتحدثون عن الأبطال ، وما الأبطال الا رجال ونساء ذوو عقائد ثابتة ، تقع فى نفوسهم مواقع الايمان من القلوب ، وذوو سواعد تحمى هذا الايمان ، ولا تبالى فى سبيل ذلك الموت ، الذى هو غاية كل حى. والناس جميعا يستطيعون أن يمحوا من الأرض معنى البطولة ،ذلك المعنى النادر ، بأن يكونوا كلهم ابطالا : بعقائد ثابتة فى رؤوسهم ، وعزائم قاطعة فى سواعدهم ، يمشون الى الغايات ، شريفةً مقنعةً ، وهم يترنمون فى قول الشاعر العربى فى بداوته الأولى :

ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافعى
عَمدتُ الى الأمر الذى كان احزما

فلستُ بمبتاعٍ حياةً بذلّة
ولا مُرتَقٍ ،من خشيةِالموت،سُلّما

■■

احمد زكي

أقوم

اللغة الفصحى المشتركة

بقلم : عبد الرحمن البزاز

■ لكل امة واحدة لغة مشتركة واحدة . وحين تتعدد اللغات فى اية جماعة بشرية تصبح تلك الجماعة ، بالضرورة ، وحسب طبيعة الأشياء ، امما متعددة بتعدد لغاتها . وقد تكون تلك الجماعة مع ذلك شعبا واحدا على الرغم من تعدد لغاتها . كالشعب السويسرى ، وكالشعب البلجيكى . ولكن الشعب ليس مرادفا للأمة فى كل الأحوال . اذ فى الأمة من الانسجام الروحى، والتجاوب النفسى ، والانصهار الاجتماعى ، والاشتراك الثقافى ، ما لا نظير له فى الشعب الواحد الا ان يكون ذلك الشعب ، فى الوقت ذاته ، امة واحدة . ان الميزة الاساسية للشعب الواحد كونه جزءا من دولة واحدة ، او على الأدق ، انه والوطن والحكومة المقوّمات الثلاث الاساسية لكل دولة . ان الشعب يخضع لسلطان دولته ، ويحتمى بظلها ، وينتسب اليها . فالعلاقة الأساسية بين الشعب والدولة علاقة قانونية ، او على الأصح ان مصطلح « الشعب » مصطلح سياسى ، حين يكون «للأمة» معنى حضارى اجتماعى . وقد توجد الأمة منفصلة عن الدولة، ولكن لا وجود للشعب الا بوصفه جزءا من الدولة ذاتها . والضابط الأساسى لصيرورة الجماعة امة ، امة واحدة بالمعنى الدقيق ، هو ان يكون لها ــ أولا وقبل كل شىء ــ لغة مشتركة واحدة .

اللغة المشتركة

ولا بد للغة المشتركة الواحدة ــ كما يقول الثقاة من علماء المحدَثين ــ من خصائص عامة اهمها اولا :

ان تكون تلك اللغة ثابتة الاركان ، مستقرة الدعائم ، قد توطد امرها على قواعد ونظم لا تسمح لها بالتغيير او التطور الا فى بعض الأحيان ، وبعد اجيال من الاستعمال .

ثانيا : ان لا يستطيع السامع ان يحكم على القطر او المنطقة التى ينتمى اليها المتكلم بها .

ومعنى هذا ، بعبارة اخرى ، ان لهذه اللغة المشتركة من الاستقرار ، وسعة الانتشار ، ووضوح المخارج ، وانسجامها ، ما يجعلها حقا لغة الجميع، لغة مشتركة بينهم دونما تمايز أو تغاير يُعتدّ به .

ويمكننا ، بالنسبة للناطقين بالضاد ، ان نمثل اليوم لهذه اللغة الواحدة المشتركة بلغة بعض الاذاعات العربية حين تلتزم الفصحى . فانت قد تستمع الى مذيع الاخبار من تونس ، فى المغرب العربى ، أو من الكويت ، المشرق العربى ، أو من القدس ، من قلب الوطن العربى ، فلا تكاد تتبين مصدر البث وذلك ، لا بسبب التشابه فى اللغة فى جملتها حسب ، ولكن لوحدة المخارج ، وتناسق النبرات الصوتية ، أو وحدة الأداء فى النطق ، وطرق الالقاء الى حد بعيد ، بحيث يعسر على

يريدون إحياء اللهجات والدارج

سُبُل الوَحْدة وأخلدها

الاذن المجردة أن تميز بين مذيع ومذيع . وقد كان بالامكان أن نقول مثل هذا القول على اذاعـــات بغداد ودمشق والقاهرة ، لولا عدم تمييز مخارج بعض الحروف من قبل معظم مذيعي بغداد ،وخاصة بين حرفي الضاد والظاء ، ولولا الامالة في بعض النبرات الصوتية مع المغالاة في تعطيش الجيم من قبل مذيعي دمشق ، ولولا الجيم غير المتعطشة التي يلتزم بها معظم مذيعي القاهرة . وهكذا يستطيع السامع بسهولة أن يميز بين المذيـــع « البغدادي » ، والمذيع « الدمشقي » ، والمذيع « القاهري » ، وبذلك تفتقر هذه « اللهجات » جميعا الى عنصر اساسي من العناصر التي تقتضيها « اللغة الواحدة المشتركة » وأعني به عدم معرفة البيئة المحلية التي ينتسب اليها المتكلم بها .

ماذا يقول المدافعون عن اللهجات ؟

وقد يقول قائل : ثم ماذا ؟ لتبق لهجة العراقي عراقية ، ولتبقَ لهجة السوري سورية ، ولتبق لهجة المصري مصرية ، ولتبق لهجة كل قطر عربي على حالتها الراهنة ... ان ذلك أمر طبيعي ، ومن غير المعقول ان نطالب بتوحيد اللهجات ... الم تنقسم اللغة العربية منذ أقدم العصور الى لهجات عديدة ؟ أو لم تختلف القبائل العـــربية في النطق ومخارج الحروف ، وأسماء المسمّيات ، وقواعد النحو والاعراب أحيانا ، مما طفحت بذكره كتب اللغة والنحو والأدب ؟ وقد يضيف الى ذلك قوله : « أوَلم تختلف لهجات أبناء الاقـاليم المختلفة في البلاد الأوروبية ؟ الم تختلف لهجة أهالي شمال فرنسا مثلا عن لهجة أهل الجنوب أو لهجات الجنوب اختلافا بينا ؟ وهل الفرق بين لهجة البروسيين الالمان والبافاريين الالمان بسيط ؟! وقد يسترسل في قوله فيضيف الى ما تقدم : ان

فلِمَ لا نخطط للغتنا؟

في التباين جمالا ، ومن الخير ترك الناس على سجاياهم وما ألفوا ، دون الزامهم بصيغة واحدة للنطق ، ان كان هناك ثمة سبيل الى مثل هذا الالزام » .

وقد ينبري آخرون ، يظاهرون هذا الرأي ، فيقولون : ان علم الاصوات الحديث في دراسة اللغات دراسة صوتية قد دلّ دلالة قاطعة على اختلاف اصوات كل شخص عن شخص وشخص ، وان كانوا من افراد أسرة واحدة ، من بلد واحد

من اللغات لغاية في أنفسهم..

فكيف ينتظر التساوى او التماثل بين ابناء الاقاليم المتباعدة التى ورثت حضارات مختلفة ، وتأثرت بقبائل متعددة ، وتحدرت عن أصول متباينة ، وتعرضت الى مؤثرات طبيعية وجغرافيةواجتماعية شتى »، وامتزجت باقوام واجناس متضاربة ،وكان من المحتوم وفاقا لطبيعة الأشياء ـ ان تؤثر على تلك البيئات تأثيرات عديدة فتؤدى الى التباين والاختلاف .

وقد يقول غيرهم، مؤيدين هذا الرأى ومنتصرين له ، ان اللهجات المختلفة سبقت اللهجة الواحدة، واللغات العامية المتعددة أعرق فى وجودها من الفصحى الواحدة ، وان القرون العديدة لم تستطع أن تقضى على هذه اللهجات أو تلك اللغات المحلية العامية،فكيف السبيل اليه اليوم؟!

اقوال تمثل بعض الحق لا الحق كله

وانى لأعلم هذا كله ، واعلم انه فى جوهره يمثل بعض الحق ، وليس الحق كله . ولست أريد أن ادخل فى جدل طويل فى تفنيد ما تشابه من هذه الآراء ولكنى مع ذلك اود ان اعرض الامر ببساطة على هذه الشاكلة .

اليس فى استطاعتنا اليوم ان تشيع « لغة عربية مشتركة واحدة » بين ابناء الأمة العربية كلهم ، وقد تيسر لنا من وسائل الاعلام الاعلانية والنشر والبث والعرض والتعليم والتثقيف ، ما لم يكن يحلم به من قبل أجدادنا وما لم يخطر على بال احدهم ، أو أن يكون فى حسبانه قط ؟

او ليس من واجبنا أن نعمل على هذا لنقضى على بعض أوجه الفرقة والخلافات الموروثة،وخاصة فى مثل المرحلة التى تمر بها امتنا ؟

او لم يكفنا منعوامل التباين ما نقاسى اليوم منه فعلا لنحاول ان نؤيد فروقا أخرى باستطاعتنا ـ اذا أردنا مخلصين ، وعزمنا صادقين ـ القضاء عليها ؟؟

ان الخلافات فى النطق ، والاستمساك باللهجات المتباينة ، والحرص على اللغات العامية الدارجة، تظهرنا مختلفين ، وتزيد من عوامل الفرقة بيننا ، حين تقتضينا ضرورات الحياة ، ومتطلبات القومية الحقة ، ان نسعى للانصهار فى البوتقة العامة ما وسعنا السعى ، وأن نجدَّ فى هذا المضمار ما وجدنا الى الجد سبيلا .

يقول أحد الأساتذة الفضلاء : « وليس أبعث على نفور العربى من أخيه العربى أن يسمعه ينطق الكلام نطقا يخالف نطقه . فاذا تم لنا التقريب بين نواحى النطق فى الامم العربية فقد تم لنا كل شىء » (١)

ومع اعتراضنا على تعبير « الامم العربية » ، اذ العرب امة واحدة ، نعتقد بصواب هذا الرأى. ونعتقد فوق ذلك ، ان من بعض أسباب الجفوة التى نحسها اليوم بين بعض الاقاليم والاقطار العربية استمساك كل بلهجته ، وخصائصها المحلية ، دون محاولة جدية للانصهار الكامل فى بوتقة العروبة الشاملة . ان هذا العامل النفسى يحسن بنا أن لا نغفله حين نريد أن نعالج قضايانا الاساسية معالجة موضوعية انتقادية انشائية ، وحين نريد ان نحقق معانى الانبعاث الجديد الكامل لامتنا العربية كلها .

وحين يصدر فريق من المستمسكين بلهجاتهم الخاصة ، ولغاتهم الدارجة ، عن ايثار للسهل المانوس ، وخضوع للكسل الذهنى ـ كما اشرنا الى هذا فى مقال سابق ـ فهناك من دون شكفريق آخر ، او فرقاء آخرون ، يحرصون على اللهجات المحلية ، أو اللغات الدارجة ، لاسباب اعمق من ذلك وأبعد منها غورا ..

يتمسكون باللهجات لاثبات الذات فى حدود وطنية ضيقة

وبالاضافة الى الأسباب التى كنا قد المعنا اليها من قبل ، فهناك عامل آخر حرى بمزيد من التوضيح والابانة . هناك مثلا من يستمسك باللهجات المحلية ، او اللغات الدارجة ، كوسيلة لاثبات الذات المتميزة . انها مظهر من مظاهر « الوطنية المحدودة » او الوطنية الضيقة التى تؤثر الاقليم الخاص ، او الوطن الصغير على الوطن الكبير والقومية الشاملة . فهو يريد هذا الوطن الذى الفه ان يبقى وحدة متميزة من كل الوجوه. وحين عسر على هذا الوطن الحِفاظ على لغة خاصة به ، فلا اقل من ان يستمسك بلهجة خاصة ، او بلغة دارجة يتميز بها . وهو يتمنى فى اعماق نفسه ، لو استحالت تلك اللهجة ، أو تلك اللغة الدارجة، الى لغة خاصة كما استحالت لهجة الطليان ، او لهجة الاسبان ، او لهجة البرتغاليين ، الى اللغات الإيطالية والاسبانية

(١) أنظر ص ٢٦ من كتاب «فى اللهجات العربية»تأليف الدكتور ابراهيم أنيس ، الطبعة الثانية .

والبرتغالية تباعا ، على الرغم من الأصل اللاتيني الواحد المشترك بين تلك اللغات جميعا .

دعوة الى العامية ترجع الى أعراق سياسية اقليمية

يقول الأستاذ محمود تيمور في صفحة (٩٢) من كتابه « مشكلات اللغة العربية » :

« وفي معتقدي أن أسرار الدعوة الى اتخاذ العامية في التعبير الكتابي كانت ترجع أكثر ما ترجع الى أعراق سياسية قومية ، فان هذه الدعوة بزغت مع فكرة تقويم الشخصية المصرية المحدودة بحدود الوطن الجغرافي . ورافقت نماء الدولة المصرية المستقلة بكيانها في العالم السياسي ، فكان من عناصر هذا الاستقلال أن تصبح اللغة القومية ذات سيادة وسلطان ، وما برحت تلك الدعوة تراود أحلام جماعة من الكتاب والأدباء والعلماء ، وفق الملابسات والأحوال ، حينا تبدو وحينا تختفي ، فاذا ترددت اليوم أصداؤها ، فما ذلك الا رجْع طبيعي من ايحاء العهد الوطني الجديد ، ذلك العهد الذي يستعلي فيه الروح القومي الى أبعد مدى ، ويستكمل مشخصاته على أوسع نطاق » .

ولقد شخص هذا الكاتب الكبير ، والعالم اللغوي الفاضل ، الداء تشخيصا حسنا . وليس لنا من ملاحظات على فحوى كلامه غير التنبيه الى أنه استعمل كلمة « قومية » والنسبة اليها « قومي » بمعنى القومية المحلية أو ما نسميه اليوم « بالوطنية الضيقة » ، وليست القومية العربية بالمعنى الواسع الذي تعنيه اليوم حينما نتكلم عن القومية والروح القومي . ولا شك عندي أن قسطا كبيرا ممن يؤثرون اليوم العامية ، ويشيعون بآدابها ، ويلتزمونها في بعض الفنون ، وخاصة التمثيليات ، والقصص ، والأقاصيص ، والروايات السينمائية ، وغير السينمائية ، يصدرون في الحقيقة عن اقليمية ضيقة عميقة الأغوار في نفوسهم ، وان كانوا يحاولون أحيانا تغطيتها باسم الفن ، أو باسم التطور الطبيعي ، أو باسم التجديد والابداع ، أو بأي اسم آخر من أسماء عديدة يبتكرونها حينا بعد حين .

وقد توضح العبارات التالية من مقدمة الدكتور جبور عبد النور لكتابه المعنون « دراسة في الشعر العامي اللبناني » هذا المعنى ، وهو يدافع عن أصحاب الأزجال المعاصرة في لبنان فيقول : « ان ناظميها ليسوا الآن الأميين المحرومين من الثقافة العامة ، بل هم شعراء ملهمون ، ثم هم في بعض الأحيان طلبة جامعيون يذكي نفوسهم حبهُ لهجتهم العامية والاهتمام برفعها الى درجة الكمال كي تكون مهيأة كاللغة الفصحى للتعبير عن شعورهم وعن آرائهم » . ثم هو ينتهي في خاتمة كتابه بهذه العبارة : « ان هذه العاطفة المتأججة على أرض الوطن في الوقت الذي تتوزع فيه الاتجاهات المتعارضة حياة لبنان السياسية لن تتأخر طويلا قبل أن تشد بعض شعراء الزجل الى بعض في معسكر الانعزاليين في وجه أمواج العروبة الطاغية على الجمهورية اللبنانية الفتية .» (٢)

اذن انها الانعزالية والاقليمية الضيقة التي تحاول أن تتجمع في معسكر واحد لتقاوم أمواج العروبة الطاغية ..

دعوة الى العامية بناؤها على التهويل من صعوبة الفصحى

وهناك عوامل أخرى تدفع للاشادة بالعامية، وتحاول التهويل من صعوبة الفصحى ،والاغراق في التحدث عن مشكلاتها ، والاسهاب في البحث عن تخلفها وعجزها عن القيام بما تتطلبه الحياة العصرية ، والعلم الحديث ، ولعل أبرزها الحرص على الابتعاد باللغة المعاصرة عن لغة التراث العربي الخالد ،والابتعاد خاصة عن لغة القرآن وأسلوبه . وقد تنم هذه الفقرات الآتية في جملتها عن هذه الروح .

« ... ، ولكن ، وهذا مما يؤسف له ، لم يعتبر لغويو العرب اللهجات ، ولم ينظروا الى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية حية نامية متطورة ، بل اقتصرت جهودهم على درس وتدوين لهجة معينة في الزمان والمكان وحرصوا على ضبط أحكامها وقواعدها لكي لا يجد التغيير اليها سبيلا » (٣)

« فنحن نباهي مثلا أن للشيء الواحد عندنا

---

(٢) أنظر ص ١٠٤ ، ١٠٥ من كتاب « القومية الفصحى » تأليف الدكتور عمر فروخ .

(٣) أنظر ص ٣٢ من كتاب « محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها » القاها الدكتور أنيس فريحة على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية .

اسماء عديدة ، وللفعل الواحد افعالا عـديدة ، ولكن غيرنا يرى في ذلك اسرافا . والمفردات تهوم وتموت ويحل محلها مفردات اخرى » (٤) .

« وقد يقال لنا اخيرا ان الفارق بين لهجـة ولغة هو ان اللهجة تقهقر وانحطاط لغوي من لغة فصحى . وقد وقع في مثل هذا الوهم لغـويو العرب قديما وحديثا . فانهم ينظرون الى العامية على أنها انحطاط وتقهقر ، ولكن أثبتت دراسـة اللهجات ، وبطريقة لا يتسرب اليها الشك ، ان اللهجة قد لا تكون تقهقرا ولا انحطاطا لغويا بـل تطورا لغويا فرضتـه النواميس الطبيعية التي تتحكم بمصير كل لغة » .(٥) ..

« ونحن على يقين ان العرب الاحياء يقراون الفصحى على غير ما كان يقراها الفصحاء في العصر الأموي . اما من جهة التكلم فظاهر ان لسـاننا العربي اليوم غير لسان العرب في الأمس البعيد(٦) .

« ولا يسعنا في هذا المقام تعداد الفروقات البينة بين صرف العامية ونحوها وبين صرف الفصحى ونحوها . انما نريد ان نؤكد ان صرف العامية ونحوها يمثلان تطورا نحو الاسهل . فانتصـار العربية المحلية على عدد قليـل من الضمائر ، وتصريف الفعل ، واستعمال اسمى الفاعل والمفعول ، وصوغ المجهول ، واهمال حروف كثيرة والاستعاضة عنها بعدد أقل ، وغيرها كثير ، جميع هذه في نظرنا تمثل تطورا طبيعيا في اللغة يتمشى مع حاجـات الحياة » (٧) .

« واعتبر مثلا عدد الكلمات فانه في الزمن الذي كان الناس فيه يتلهون ببهلوانيات اللغة كان للاسد اسماء لا يحصرني عددها ، وللناقة اسماء عديدة ، وكان للسيف أسماء يصل عددها الى المئـات .. وكلمة بسيطة مثل « الرز » ، هذا الطعـام الذي نراه كل يوم على مائدة من موائد الطعـام ، له في القاموس اشكال عديدة .. اما في العاميـة فللأسد كلمة واحدة ، وللسيف كلمة واحدة ، وللعسل كلمة واحدة ، واتقت العامية اسهـل الألفاظ للرز والحمد لله على هذه النعم » (٨) .

المترادفات في العامية كما في الفصحى

وقد يكون من المفيد أن نقف هنيهة عند هذه النقطة الأخيرة بالذات لنسأل الاستاذ الفاضل عن أية عامية هذه التي انتقت للرز اسهل الالفاظ كما يقول ، ولعامية العراق لفظ للرز هو «التِمّن» الذي لا شك ان الأستاذ قد سمعها حين اقامته الطويلة في العراق . ثم هل تنطق عامة الجزائر أو عامة سكان الخليج العربي لهذا اللفظ مع عامة لبنان ؟ وهل من الحق ان اللغة العامية قد جعلت للأسد كلمة واحدة وكلمة سبع وليث وخميس وابو خميس شائعة جدا في عامية العراق وفي لغات عامية عديدة أخرى ؟

الترادف في الفصحى ليس بهلوانية ولكنه فروق في المعاني

وثمة نقطة اخرى يعجب الانسان حين يرى أن استاذا له ما للدكتور أنيس فريحة من معرفة باللغة العربية يقول متهكما ان تعدد اسماء الأسد والسيف والناقة .. الخ ، جـاء بسبب تلهي الناس ببهلوانيـات اللغـة ، وهـو يعلم أن أسباب الترادفات في اللغة العربية أعمق من هذا بكثير ، وأن هناك من علماء اللغة (كابن فارس ، وأبي على الفارسي وغيرهما) من أنكر المترادفات أصـلا ، واعتبرها ألفاظا جديدة لها معان تختلف في قليل أو كثير بعضها عن بعض ، أو أنها صفات لموصوفات ، ولكن شيوعها جعلها تبدو للناظـر غير المتبحر كالمترادفات ، على حين أن لكل صفة دلالتها الخاصة . وكان الامام «الرازي» يرى وجوب تحديد الترادف بعدم التباين في المعنى وبعدم الاتباع . فليس من المترادف عنده « السيف والصارم » لان في الصارم زيادة في المعنى ليست موجودة في لفظ السـيف . ان جهل بعضنا بهذه الفروق الدقيقة يجب أن لا يكون سببا للتجني على لغتنا العربية ، واعتبار

---

(٤) أنظر ص ٣٤ من المصدر ذاته . (٥) أنظر ص ٤١ من المصدر ذاته .

(٦) أنظر ص ٤٧ من المصدر ذاته . والغريب ان الأستاذ الفاضل قد ناقض نفسه بشكل واضح اذ يقول في ص ١٦ من كتابه «نحو عربية ميسرة» : « فها قد مر على الحياة العربية ما يقرب من ١٥٠٠ سنة ولغتهم لم يطرأ عليها تغيير ما ولا تبديل ما . عربية اليوم هي عربية امرىء القيس وجرير وناصيف اليازجي . ان الحياة تسير سيرهـا الحثيث ، والعربية اليوم في حالتهـا الحاضرة تحاول أن تماشي الزمن ، ولكن سيرها بطيء » ..

(٧) أنظر ص ٥٨ من المصدر ذاته .

(٨) أنظر ص ٦٠ من المصدر ذاته .

الاهتمام بها ، وبمفرداتها ، وخصائصها (بهلوانية يتلهى بها) .

مثل للترادف اللغوى ، ينم عن جمال وافتنان

ودعونا نفكر مليا بعمق واخلاص فى مدى الفقر المدقع الذى ستصاب به لغتنا العربية ، والعجز المشين الذى ستقاسى منه ، لو انها جعلت لكل مسمى اسما واحدا لا غير ، (كما يطلب الاستاذ فريحة) وابقت (القلب) مثلا هذا اللفظ وحده دون سواه . افكان من الممكن لشوقى مثلا ان يقول فى «زحلة» ماقال من شعر رقيق يسير مع الطبع ويثير فى اذن المنصت اجمل الاحاسيس وأعذبها . ولننظر الى هذه الابيات من تلك القصيدة الرائعة :

شيّعتُ أحــلامى بقلبٍ باكِى
ولَمَمتُ من طُرُقِ الملاحِ شِباكى
وبجــانبى واهٍ كأن خفوقــه
لمــا تلفتَت جَهْشَــةُ المتباكــى
ويحَ ابن جَنْبِى كلُّ غــاية لــذة
بعــد الشــبابِ عزيزةُ الادراك
لــم تبــق منــا يا فــؤاد بقيةٌ
لفتــوة او فضــلة لعِــراك
ووجــدت فى كنــه الجوانح نشوة
من طِيب فيك ومن سُلاف لَمَاك

ترى افكان يكون فى مقدور « امير الشعراء » ان يعبر مثل هذا التعبير الرائع الاخاذ لو التزم بكلمة « قلب » دون سواها . وكم أسعفته اللغة العربية بسبب سعة قاموسها ، وكثرة مفرداتها ، واصول تركيبها . فكان القلب قلبا فى البيت الاول ، واشار اليه بلفظ « واه » فى البيت الثانى ، وكنى عنه « بابن جنبه » فى البيت الثالث ، وسماه «فؤادا» « فى البيت الرابع » والمع اليه بلفظ « الجوانح » فى البيت الخامس ، وكان باستطاعته أن يستقى من معين هذه اللغة فيستعمل الفاظا اخــرى كالجنان ، والوجدان ، وغيرهما .

ترى علام نحرص على حرمان الشعر العربى (وهو الذى يلتزم الوزن والقافية فى آن واحد) من المترادفات التى تساعد الشاعر على تخير اللفظ المناسب المطاوع للوزن ، والمتسق مع القافية ، والمتناسب عموما مع جرس القصيد .

مترادفات فى عامية لبنان

ثم من قال ان العامية قد تركت الترادفات بصورة مطلقة ؟ ولن استشهد بعامية العراق ، أو عامية مصر ، ولكنى سأستشهد بعامية لبنان التى تحدث الأستاذ فريحة عنها ، ولن أذكر المترادفات التى يقول ان العامة لا تستعملها بل يستعملها مثقفو لبنان حين يتكلمون باللغة الدارجة ، ولكنى ساذكر هنا الفاظا مترادفة وردت فى رسائل « شمونة » من الجزء الذى استشهد به المؤلف نفسه واتخذه انموذجا لأدب اللغة العامية اللبنانية مما نشر فى « صفحة ٧٩ »وما بعدها من كتابه المعنون محاضرات فى اللهجات واسلوب دراستها . الذى اشرت اليه من قبل فى هذا المقال . فلقد وردت كلمات (مليحة ، حلوة) ، (حظ،ونصيب)، (ناطرة ، ومنتظرة) ، (اشعر ، بفكر ، بحس) كما وردت مترادفات عديدة أخرى فى هذه الصفحات المعدودة مما يدل دلالة قاطعة على أن شان العامية فى الترادف كشان الفصحى ، وان الفرق بينهما بالدرجة لا بالنوع ، كما يقولون .

مترادفات فى الانجليزية والفرنسية

واكثر من هذا دعونا نتساءل : أمن الحق أن اللغات الغربية التى يشيد الاستاذ بها كثيرا كالانجليزية والفرنسية خلوة من المترادفات ؟!فعلام اذن هذا التجنى ؟ وماذا يراد بهذه المحاولة التى التى تصور ميزات اللغة العربية وفضائلهــا نقائص وعيوبا ، وعلام هذا الهزء باللغة العربية وهذه السخرية بها بسبب وجود المترادفات ؟!

اقتراح باسقاط الاعراب والكتابة بالأحرف اللاتينية !!

وما دمنا قد اسهبنا فى الاقتباس من كتاب الأستاذ الدكتور فريحة ، واطلنا القول بعض الشىء فى مناقشته ، فقد تقتضينا طبيعة هذا الموضوع ان نشير هنا الى كتابه الآخر ، الأحدث والأوسع من كتابه السابق ، وهو المعنون : « نحو عربية ميسرة » .

وقد توصل فيه الى لزوم الاعتراف بلهجــة موحدة محلية لتكون اللغة العربية المشتركة . وهذا يتطلب فى رأيه : « ان نسقط الاعراب من هذه اللغة أصلا ، وأن نكتبها بالحرف اللاتينى لعجز الحرف العربى عن أداء متطلبات اللغــة الحديثة ، وأن تضبط أحكام هذه اللغة الصرفية والنحوية والصوتية من جديد ، وأن تصبح هذه

اللغة لغة الحديث والكتابة ، وان يكون لها ادب خاص بها هو الأدب الذى نعده ادبنا الحديث . . » .

وعلى الرغم من انه سمى هذه اللغة التى اقترحها ، والحف فى وجوب العمل على ايجادها ، « اللغة العربية الفصحى الميسرة المبسطة كما يسرتها الحياة » ، فان من الواضح من روح الكتاب وفحواه ، ان الذى كان يدعو اليه ـ وان لم يجرؤ على التصريح به تصريحا كاملا ـ هو اقامة العامية التى يشيد بها محل الفصحى . فهو يقول فى (ص ١١٧) ، من كتابه المشار اليه : « ولذا سنحاول فى هذا الفصل ان نثبت اولا ان العامية لغة للفهم والافهام ، والتعبير عن دواخل النفس» . فالمطلوب اذن لغة عامية طيعة صالحة للتعبير عن دواخل النفس . وواضح ، عن طريق مفهوم المخالفة ، كما يقول رجال القانون ، ان اللغة العربية الفصحى لغة عصية غير صالحة للتعبير عن دواخل النفس !!

عوامل للهدم ، تعمل فى الخفاء ، غير لغوية

وكم كنت اود من الأعماق ان لا تكون العبارات التالية المقتبسة من ص ١٦٧ من كتاب (حاضر اللغة العربية فى بلاد الشام) ـ « محاضرة القاها الاستاذ سعيد الافغاني عميد كلية الآداب بجامعة دمشق » على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية فى معهد الدراسات العربية العالية لسنة ١٩٦١/١٩٦٢ حقا !

« ... من مباءات هذه الدعوة خلية فى الجامعة الأمريكية تعلن وتسر ، وتلف وتدور ، تدعى التيسير والدراسة الخالصة وتبسيط القواعد ، فاذا قرأت هذه المحاولات عرفت ان الغرض ليس دراسة اللهجات وانما العمل على ترسيخها وتوسيع الشقة بينها هى انفسها ، ثم بينها وبين اللغة الفصحى ، وان تبسيط القواعد ليس المقصود ، ولكن بلبلتها ثم هدمها لتبنى على شكل النحو الفرنسى » .

كم كنت اتمنى ان لا تكون هذه الملاحظات الصارمة صادقة ، ولكن من المؤسف حقا ان لا يجد من ينظر بعمق الى هذه الدعوات سبيلا غير تصديق ما حوته ، والتسليم بوجود عوامل خفية تدفع هؤلاء الأساتذة والباحثين الى اعلان ما يعلنون ، وتهويل مشكلات اللغة العربية ، والمبالغة من جهة اخرى باللغات العامية وخصائصها وفضائلها . .

ما السبيل للحفاظ على اللغة المشتركة

وبعد ، فقد آن لنا ان نعود لمعالجة هذا السؤال الخطير : ما هو السبيل للحفاظ على هذه اللغة الواحدة المشتركة ؟ وما هى الوسائل التى لا بد لنا من اصطناعها للوصول الى الغاية المنشودة باسرع وقت مستطاع ؟

واول السبل ـ بعد تقدير هذه المسالة حق قدرها ، وايفائها نصيبها الموفور من العناية ـ هو وضع الخطة المحكمة . ومعنى ذلك رسم مناهج السير ثم الالتزام الدقيق الصارم بتلك المناهج والمخططات .

خططنا لكل شيء ، فلم لا نخطط للغة

وقد يعترض معترض على هذا الطراز من التفكير من حيث الاساس ، وقد يشكك فى جدواه آخرون ، وقد يرى فريق ثالث ان اللغة جزء من الحياة ، وانها ستشق طريقها بنفسها دونما تدخل او تخطيط . وقد يبدو هذا القول الاخير ـ لاول وهلة ـ سليما يصح الركون اليه . ولكن دعونا نفكر مليا ، وعلى ضوء من واقع حياتنا التى نحياها فى كل الميادين ، ونتساءل : أمن الجائز ان نترك الامر طليقا دون قيد او تخطيط؟ امن المعقول والمنطق ان نترك هذه القضية الحيوية على رسلها دون توجيه فى عصر صار فيه كل شيء موجها ؟ فلقد قبلنا الديمقراطية الموجهة اساسا للحكم ، ورضينا الاقتصاد المخطط وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية ، والتزمنا بالتعليم المنهجى اسلوبا لثقافتنا ، وقد انشانا وزارة للثقافة والارشاد القومى لتومىء للطريق الذى نريد جماهير شعبنا ان تسير فيه . ـ ولم يكن لنا بد من هذا كله . افيجوز مع ذلك ان نترك اللغة ، وهى اهم مظاهر حياتنا ، واجل الروابط التى تجمع بيننا ، على هذا الوضع المضطرب المشتت ، خاصة ونحن نعلم يقينا عمق التيارات المعاكسة والقوى الفعالة التى تعمل ضدنا فى كل ناحية ، وبكل وسيلة تيسرت لديها ؟!

ان اصحاب « التسيب اللغوى » ـ فى احسن تقدير ـ كاصحاب « التسيب الاقتصادى » و « السياسى » لن تقودنا آراؤهم الى غير الاضمحلال والفوضى . فلا بد اذن من التخطيط فى اللغة ، كما صار التخطيط لازما فى السياسة والاقتصاد والثقافة وكل شؤوننا العامة الأخرى .

أول التخطيط : ايماننا بأن وحدة اللغة هي عنوان وحدتنا

وبداية البداية ـ ونحن نعالج التخطيط في اللغة ـ ان نؤمن باوليات نعدها «الدستور الثابت» « والميثاق القومي » الذى لا نحيد عنه ، و«المعيار الدقيق» الذى تعيش به ، أو عليه ، الجزئيات كلها .

واول هذه الأوليات ، او ان شئت أول مواد هذا الدستور ، هو ايماننا بان لغتنا الواحدة المشتركة هي عنوان وحدتنا الخالد ، وأن الحفاظ على هذه اللغة الواحدة هو اقوم سبيل واخلده لتحقيق وحدة امتنا . ان التفريط في هذه «اللغة الواحدة المشتركة » تناقض فظيع مع اوليات ما يتطلبه كوننا امة عربية واحدة .

ثانيا : ايمان بأن اللهجات خروج على الوحدة

ثانيا : ان انقسام هذه اللغة الواحدة الى لهجات مهما كانت الأسباب التاريخية والاجتماعية فيما مضى ـ يجب ان نعده اليوم شذوذا وخروجا على اساس الوحدة . فكما كان انقسامنا سياسيا نتيجة ظروف مفروضة لم نكن قد رضينا بها مختارين ، كذلك يجب ان يكون شعورنا تجاه اللهجات واللغات المحلية الدارجة . « ان الاصل وحدتنا » ، والرجوع الى الاصل هدف يجب ان نسعى اليه كل سعى .

ثالثا : جعل مناهجنا الدراسية أساسها الفصحى

ثالثا : يجب ان نصوغ مناهجنا الدراسية ، وخططنا العلمية ، واساليبنا التربوية ، وكل وجوه نشاطنا الثقافي والفني ، على أساس من هذه الحقيقة الثابتة والقائلة بان الفصحى هي الاصل ، وان اللهجة الدارجة هي الاستثناء . والقاعدة الأصولية التي يجب أن لا نغفل عنها أو نحيد ، هي انه يجب أن لا يصار الاستثناء الا عند الضرورة القصوى ، « وان الضرورة تقدر بقدرها » ولذا صار من المحتم علينا ان لا نستعمل اللغة الدارجة في أى أمر من امورنا الا حيث تكون لذلك مبررات قوية جدا لا سبيل لنكرانها .

رابعا : تعدد اللهجات في القطر او المدينة قرين الجهل والظلام والانعزال

رابعا : ان انقسام لغتنا الواحدة الى لهجات ، وتعدد اللغات الدارجة في اقطار الوطن العربي ، بل تعددها في القطر الواحد ، وفي المدينة الواحدة احيانا ، هو قرين « الجهل والظلام والانعزال » وعيب ، أى عيب ، ان نرضى بذلك في عصر « العلم والنور والاتصال » . ان كفاحنا ضد الأمية ، وضد الجهالة عامة ، يجب ان يقترن بكفاح ضد اللغات الدارجة . ان أول مظهر للثقافة الحقة ان تقوم على اساس من لغة قومية واحدة ، وليس من المعقول ان نعدد لغاتنا بتعدد اللهجات ، فنشيع عاملا من عوامل الفرقة فرضته عصور الظلام .

ثم ان الاتصال الحقيقي او المجازى القائم على الالتقاء الفكرى عن طريق المؤلفات والصحافة والاذاعة والتلفاز يجب ان يذكرنا دائما باننا لم نعد نخاطب جماعة محصورة او بيئة ضيقة . اننا نكتب (او نخطب او نتحدث) الى جمهور كبير لا يجمع بينه جامع اقوى من هذه اللغة الواحدة المشتركة . فلنخاطبه بها ، وبها وحدها .

خامسا : الكف عن اعطاء الصدارة لأى لغة دارجة

خامسا : ان اية محاولة لتفضيل لهجة على لهجة ، او العمل على اعطاء صدارة للغة دارجة في أى بلد عربى على غيرها سيثير شعورا معاكسا في الأقطار الاخرى . وسيحاول كل فريق ان يثبت لهجته ، أو لغته العامية . وهذا ما يجب ان نتفاداه . ولن نخسر كثيرا حين ننظر الى هذه اللغات العامية او اللهجات الدارجة جميعا على اعتبارها خروجا على « الوحدة الجامعة المشتركة » التي ننتسب كلنا اليها ، ونعتز بادبها ، ونخلد بها فنوننا ، وجميع انتاج قرائحنا . ان الكثرة العددية لا قيمة كبيرة لها في هذا الشان ، لاننا نعالج مبادىء عامة .

ان كل اللغات الدراجة يجب ان نعدها انحرافا عن الأصل الواحد الذى يجب ان نعمل بكل وسيلة ميسرة لدينا بالعودة اليه والالتزام به .

سادسا : دراسة اللهجات بقصد تقريبها من الفصحى

سادسا : على انه ليس في هذا كله ما يمنع قيام الجهات المختصة « كالمجامع اللغوية وبعض الهيئات ذات الاختصاص » من دراسة اللهجات واللغات الدارجة دراسة علمية موضوعية ، لا بقصد

تثبيتها ، وتخليد آدابها ـ كما يحرص فريق من المستشرقين ومن جرى مجراهم وتأثر بدعوتهم ـ بل بقصد معرفة الطريق القويم الذى يقربها من الفصحى ، ويقضي آخر الأمر عليها . ان المغالاة فى تثمين ما فى بعض هذه اللغات الدارجة من ازجال وبعض فنون الآداب الشعبية الأخرى ، والتوجع الشديد عليها ، والعمل على تثبيتها ، يسيء الى « القومية العربية الفصحى » ابلغ اساءة ، ويعمل على عرقلة دعوتها للوحدة والانسجام . ان ما فى لغتنا الفصحى من تراث ادبي يجب ان يملأ قلوبنا ونفوسنا باعتباره هو ـ وهو وحده ـ ادبنا القومي ، وتراثنا الخالد الذى نعتز به ، ونحرص على الحفاظ عليه ، ونروم توريثه الى الأجيال القادمة من بعدنا .

وقد يكون فى هذا تفريط فى بعض مالا يحسن التفريط به . ولكنا فى هذا الصدد يحسن بنا ان نتذكر ما قاله « رينان » من انه لا بد للأمة لكيما تتوحد أن تنسى جزءا من تاريخها . فلننس هذه الجزء من آدابنا الشعبية ، ولنضحه ، ما دام ذلك بعض ما يتطلبه الحفاظ على وحدة لغتنا ، ووحدة ادبنا ، ووحدة تراثنا الجامع بيننا . وان كان لنا ثمة جهد موفور فلنصرفه فى سبيل احياء تراثنا الذى لم يزل مغمورا ، والكشف عن كنوزنا الأدبية والفنية والحضارية عامة التي لم تزل مطمورة . انه لترف ذهني ان نبذل الوقت والجهد والمال فىدراسة الأزجال والادب الشعبي فى كل قطر ، وفى كل بلدة ، وفى كل قرية حين تبقى ذخائرنا الخالدة العظيمة منسية مجهولة مغمورة ...

سابعا : كل تصرف فى اللغة يجب أن يكون برضاء الجميع

سابعا وأخيرا : وليس آخرا ، يحسن بنا ان نتذكر ان هذه اللغة الواحدة ، هي لغة مشتركة . واللغة المشتركة ، ككل شيء مشترك شائع غير قابل للقسمة ، يجب ان يستعمل بما لا يخل بطبيعة مثل هذا الاشتراك . انها ملك عام ، ان صح هذا التعبير،وليس لشريك بمفرده أن يتصرف فيهتصرفا مطلقا يفسد طبيعته ، وليس لفريق من الشركاء ان يحوروه ويبدلوه دون رضا الشركاء عامة ودون رعاية لمصالحهم الأساسية ، والا لجاز للمشتركينفى سفينة ، وهي فى عرض البحر ، ان يقتسموها ، وان يقول كل من الشركاء : « هذا مكاني اصنع به ما شئت » ... فيهلك ويهلكون ..

وفوق هذا ، ليست هذه اللغة الواحدة مشتركة بين الاحياء من ابناء الأمة العربية وحدهم، انها تراثهم المشترك الذى ورثوه عن اجيال عديدة سابقة ، وهو فوق ذلك الذخيرة التي يريدون توريثها للاجيال القادمة . فالذين يتكلمون عن لغتهم فيقولون : « لي لغتي ولكم لغتكم » ، غير عابئين بمعنىالاشتراك،وغير مدركين لما تفرضه طبيعة هذا « الشيوع » من واجبات ، يحاولون في الحقيقة ان يستأثروا بثروة عامة الى حد تبديدها والاطاحة بها . انهم على افضل تقدير انانيون يفكرون بالحق ـ حتى الحق المزعوم ـ ولا يذكرون الواجب القطعي الثبوت. او انهم سفهاء يهدرون المال الثمين المشترك ويبددونه .

ليس فى شيء من كل هذا مانع من من تطور اللغة

ان الواجب يقتضينا الحفاظ على هذه اللغة الواحدة المشتركة نقية ، حية ، موفية بمتطلبات الحياة . وليس فى هذا ما يمنع التطور والنمو والتجديد . ولكنه « تطور » فى اطار ، و « نمو » مع التشذيب حتى تؤتي شجرة اللغة ثمارها يانعة كل حين ، و « تجديد » يحفظ للغة ـ وهي كائن ما فى ذلك ادنى شك ـ شبابا متواصلا لا يفسدها ولا يشوه حقيقتها ، ولا يقعدها عن بلوغ ما تطمح به لغة كل امة حية فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

وكم كنت أود أن يتاح لى المجال فأسهب القول ـ فى اطار هذه الكليات العامة التى حاولت صوغها كمباديء الدستور ـ فى تبيان ما يجب على المشرفين على شئون الاذاعة والنشر والارشاد القيام به . وما يحسن بالمجامع اللغوية والهيئات الأدبية أن تنهض له ، وما هو قمين بالجامعات والمعاهد ومراكز الثقافة ان تعمل بجد عليه ، وما حرى بالمثقفين المؤمنين الصدع بدعوته ، ولكنى أشعر أن المقال قد طال ، وأن ذلك كله جدير بأن يعالج فى موضوع خاص ليستوفى البحث من جميع أطرافه ، ويلم به من كل جوانبه ، وهو ما ارجو ان أوفق فى انجازه فى وقت قريب . ■■

عبد الرحمن البزاز

مِنْ رَوائع الشِّعر القَديم

فارقته حبيبته فاشتد به الحنين اليها ، وحاول ان يَتَصَبَّر فعز عليه الصبر والسلوان، فهو ابدا فى شوق دائم اليها لا يخبو : فحُبُّها ثابت فى القلب ثبوتَ الاصابع فى راحة اليد .

حُبٌّ علَى البُعد مرير

تمنيتَ أن تلقَى (لُبينَاكَ) (١) والمُنَى ... تُعاصيك أحيانا وحينا تُطاوعُ

وما من حبيبٍ وامقٍ لحبيبه ... ولا ذِى هوى إلا له الدهرُ فاجعُ

فلا تبكِيَنْ في إثرِ شيْءٍ ندامةً ... إذا نزعتْهُ من يديك النوازع

فليس لأمرٍ حاولَ اللهُ جمعَه ... مُشتٌ (٢) ، ولا ما فرَّق اللهُ جامع

فيا قلبُ صبرا واعترافا لما ترى ... ويا حبَّها قعْ بالذى أنت واقع

ولولا رجاءُ القلب أن تعطِف (٣) النوَى ... لما حملتْه بينهن الأضالع

له وَجَبَات إثرَ لُبنَى كأنها ... شقائق برق في السماء لوامع

نهارِى نهارُ الناس حتّى إذا دجا ... لي الليلُ هزَّتني إليك المضاجع

أقضِّي نهارِى بالحديث وبالمُنَى ... ويَجمعني بالليل والهمِّ جامعُ

وقد نشأتْ في القلب منكم مودةٌ ... كما نشأتْ في الراحتين الأصابع

إذا نحن أنفدْنا (٤) البكاءَ عشيَّةً ... فموعدنا قرْنٌ من الشمس طالع !

(قيس بن ذريح)

---

(١) لبينى مصغر لبنى

(٢) مُشتٌ اى مفرِّق

(٣) أن يميل البعد ويعود بها

(٤) انفدنا اى استنفدنا الدموع وفرغت من اعيننا

١٠ كتب .. و ١٠ كتّاب .. و ١٠٠ دينار

■ فى هذه الصفحة عمودان : فى الأول اسماء عشرة كتب ، وفى الثاني اسماء عشرة كتّاب عرب من الغابرين والمعاصرين هم مؤلفو هذه الكتب ، ولكننا نثرنا اسماءهم على غير ترتيب . فهل تستطيع أن تدل على مؤلف كل كتاب من هـذه الكتب ؟

اكتب اسم الكتاب واسم مؤلفه بجانبه ، ثم ارسل الحل الينا .

١ ـ معجم البلدان	الغـزالى
٢ ـ نحن والتاريخ	ابن عبد ربه
٣ ـ طوق الحمامة	ابن حـزم
٤ ـ مع الله فى السماء	ياقوت الحموى
٥ ـ المعذبون فى الارض	المقـرى
٦ ـ المنقذ من الضلال	طه حسين
٧ ـ يزيد بن مزيد الشيباني	زكى مبارك
٨ ـ نفح الطيب	عبد الجبار الجومرد
٩ ـ العقد الفريد	احمد زكى
١٠ـ ليلى المريضة فى العراق	قسطنطين زريق

شروط المسـابقة

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٧ .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى ـ العدد ٤٩ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يناير (كانون ثانى) ١٩٦٣ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجـائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

نتيجة مسابقة العدد ٤٧

بلاد ليس منها اجابات صحيحة !

■ كانت نتيجة مسابقة العدد السابع والأربعين فى المعلومات العامة على غير ما كنا نتوقع ، فقد كان عدد من أجاب من المشتركين اجابة صحيحة عن كل الأسئلة محدودا ، مع أن أكثر الأسئلة كان عن اشياء سبق أن كتب عنها فى « العربى » . وقد كانت هناك بلاد لم يجب أحد منها اجابة صحيحة كاملة عن الأسئلة . .

والحل الصحيح للمسابقة هو :

١ ـ أول طبيب سجل التاريخ اسمه كان مصريا ، واسمه امحوتب ، وقد عاش حوالى عام ٢٩٠٠ ق.م.

٢ ـ اول طيار عبر المحيط الاطلسى هو لندبرج ، عام ١٩٢٧ ، وكانت سنه ٢٥ عاما . وقد طار وحده من نيويورك الى باريس دون توقف .

٣ ـ المعابد التاريخية التى خلفتها لنا القرون الغابرة :

آ ـ معبد جوبيتر : واقدم معبد لهذا الاله موجود على تل الكابيتول بروما . وهناك معبد رائع لهذا الاله فى بعلبك بلبنان .

ب ـ معبد الأكروبول : فى بلاد اليونان بالقرب من أثينا الحاضرة .

جـ ـ معبد ابو سنبل : فى النوبة بمصر .

د ـ معبد كاجاراو : فى الهند .

٤ ـ الأنهار الكبرى الموجودة فى العالم العربى ، وتستمد مياهها من منابع غير عربية هى :

النيل : ينبع من البحيرات الاستوائية فى اوغندة ، ومن بحيرة تانا بالحبشة .

الدجلة: ينبع من تركيا شرقى جبال طوروس.

الفرات : ينبع من ارمينية ويجرى فى جبال طوروس .

٥ ـ الامارات العربية السبع الواقعة على الساحل الاخضر هى :

الشارقة ـ دبى ـ ابو ظبى ـ عجمان ـ أم القيوين ـ رأس الخيمة ـ الفجيرة . وهى واقعة على ساحل عمان فى الخليج العربى .

وعند فرز الاجابات الصحيحة تجاوزنا عن بعض الأخطاء البسيطة التى بدا لنا انه يمكن التجاوز عنها ، ثم اجرينا الاقتراع السرى بين هذه الاجابات الصحيحة فكانت النتيجة فوز الاسماء الآتية بمبلغ المائة دينار :

الجائزة الاولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها السيد **علي سليمان ابو الروس** خان يونس ـ قطاع غزة .

الجائزة الثانية : وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها السيد **محمود محمد ابو حطب** ـ بيروت ـ لبنان.

الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها السيد **سعد احمد محمد السعد** ـ الكويت .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **السيد محمد عبد الوهاب ابراهيم** ـ اللاذقية ج. ع. س .

٢ ـ **السيد عبد العزيز محمد حجازى** ـ الظهران المملكة العربية السعودية .

٣ ـ **الآنسة آسية بربير** ـ جبلة ج. ع. س.

٤ ـ **السيد محجوب احمد محمد سعد** ـ ام درمان ـ السودان .

٥ ـ **السيد فيصل سعيد عبد الله الصالح** ـ المنامة ـ البحرين .

٦ ـ **الآنسة نوال محمد الحجاوي** ـ اربد ـ الأردن .

٧ ـ **الآنسة ايمي داوخ** ـ النما .

٨ ـ **السيد حسين مهدى محمد حماد** ـ القاهرة ج. ع. م.

وسترسل هذه الجوائز الى مستحقيها ■■

عودة أبو تايه
فاتح العقبة

كان بدويًا غازيًا ،
فلما قامت الثورة العربية ،
أبت عروبته ، وأبت نجدته ،
وأبى شممه ، إلا أن
يكون أولاً فيها .

بقلم : سليمان موسى

■ تقوم مضارب قبيلة الحويطات في الجزء الجنوبي من شرقي الاردن حول بلدة معان وفي ارض الشراة . والحويطات مجموعة قبائل عربية عريقة يعتقد بعض الباحثين في انساب القبائل ان بعضها يعود في اصله الى الانباط العرب الذين انشأوا دولة عظيمة في القرنين الاول ق . م . والاول ب . م . وكانت عاصمتهم البتراء .

كانت هذه القبيلة خلال العهد العثماني تعيش كغيرها من قبائل البادية على تربية المواشي والجمال والاعتناء بالخيول الاصيلة وشن الغزوات . اما الزراعة فقد كان البدو في ذلك الحين يحتقرون من يعمل فيها .

★ ★ ★

ولد عودة حوالي عام ١٨٧٠ ، وقد اشتهر منذ شبابه الباكر بالشجاعة والفروسية . وكانت بداية شهرته انه قام بشن الغارات على قبيلة الشرارات فكسب غنائم كثيرة منها . وسرعان ما أعاد الشرارات الغارة على الحويطات وطوقوا مضاربهم مدة سبعة عشر يوما . واخيرا تمكن عودة من دحرهم والانتصار عليهم في معركة حامية الوطيس سقط فيها حوالي ٢٠٠ قتيل من الطرفين .

وفي تلك الاثناء نشب نزاع داخلي في عشيرة « سنجارة » احدى عشائر « شمر » وكان من نتائجه ان طرد غضبان بن رمال شيخ العشيرة ، فاخذ يتجول بين القبائل مستنجدا لاسترجاع مركزه .. فلم ينجده احد . واخيرا قصد عودة فانجده واغار على « شمر » وارغمها على ان يعود الشيخ

الى منصبه .. ثم تزوج غضبان ابنة عودة ليظل محتفظا بصداقته .. وبذلك اتسعت شهرة عودة وذاع صيته فى الجزيرة .

كانت زعامة الحويطات فى مستهل القـــرن العشرين بيد عرار بن جازى ، ولكن شهرة عودة وشجاعته آثارت الحسد والغيرة فى نفوس الجازى فنازعوه وقاتلوه . ثم اختلف عودة والمصيبحين احدى عشائر الحويطات واقتتل الفريقان اقتتالا عنيفا.وكانت النتيجة انكسار عودة وهروبه الى ابن شعلان شيخ مشايخ الرولة مستنجدا ، وصدف ان ابن شعلان غزا فى ذلك الحين عربان بن رشيد « أمير حايل » فى الجوف ، فشد عودة أزره .. وتلقاء هذه المساعدة اغار ابن شعلان على الجازى ومعه عودة ، فقتل فى المعركة التى التحم فيهـا الفريقان الشيخ « عبطان بن جازى » و « عناد » ابن عودة الاكبر . ومنذ ذلك الحين اخذ عودة والتوايهة يقيمون الى الشرق من معان على سيف

الصحراء .. بينما اخذ الجازى يقيمون الـى الغرب من معان .

أثرى الحويطات من الغزوات العديدة التـى شنوها ، فأثار ذلك عداء «بني‌صخر» فاغاروا عليهم عام ١٩١٠ وقهروهم واضطروهم للتقهقر الى جبل الطبيق . ولكن عودة لم يلبث ان جمع جموعه ورد الغارة على بني صخر فدحرهم وظل يلاحق فلولهم حتى « حسبان » فى البلقاء .

لم تبق خصومات عودة مقتصرة علـى قبائل البادية ، بل شملت رجال الدولة العثمانية . ذلك ان بعض الجنود حاولوا اقتياده مخفورا الى معان بحجة تقصيره فى دفع الضرائب المستحقـة عليه ـ ولما أبى عودة الامتثال رمـاه جنديـان بالرصاص فاخطآه ورد عليهما ببندقية فارداهما قتيلين ، وفر بقية الجنود .

وهكذا غدت البوادى الفسيحة ميدانا لغزوات عودة التى كانت تبيحها تقاليد البادية . وحدث مرة انه أغار برجاله على جهات حلب ثم عطف صوب العراق فقطع الفرات وبعد ان كسب غنائم جمة قفل راجعا الى شرقي الأردن . وقد زادت هذه الغزوات من شهرته حتى غدت تضرب بـه الأمثال .

★★★

ان اعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ أتاح لعودة ان يرتفـع بأعماله مـن مستوى الفارس البدوى الى مستوى البطل القومي ، ذلك لأن البلاد العربية اخذت تنفض عنها سبات القرون المظلمة ، وبدأت تباشير الوعي الوطنى تتغلغل فى نفوس المتنورين من أبنائها . واتجهت نوايا القادة نحو القيام بالانتفاضة فى سوريا والحجاز ، ولكن مجازر الأتراك فى سوريا وتدابيرهم القاسية القت العبء كله على الحجاز .

أعلن الشريف حسين الثورة العربية فى حزيران ١٩١٦ ، وفى الشهر الأول من العام التالى استولى جيش فيصل على ثغر « الوجـه » فى شمالـي الحجاز . ومن « الوجه » بادر فيصل فارسل الرسائل وبعث الرسل الى شيوخ القبائل الضاربة فى البادية السورية يدعوهم فيها الى الانضواء تحت راية الثورة والعمل مع القائمين بها على دفـع الحـركات الحربية الى اطراف الأردن وسوريا .

كان عودة ابو تايه احد الزعماء العرب الذين

ارسل فيصل يدعوهم للاسهام فى الثورة ونـزع النير التركي . وبينما تقاعس الاخرون او فضلوا الانتظار حتى تتبين الكفة الراجحة ـ نرى أن عودة لم يتردد مطلقا بل بادر فى اوائل شهر نيسان ١٩١٧ من مضاربه فى وادى السرحان يغذ السير عبر الصحراء حتى بلغ معسكر فيصل فى الوجه .

ان مجيء عودة فتح الباب على مصراعيه للعمل الحربي فى سوريا ، فالثورة بحاجة الى قاعدة محلية تنطلق منها . واعلن عودة انه يضع نفسه ورجاله تحت تصرف الثورة وقال انه اذا توافر المال والسلاح فان ممكنات النجاح كبيرة جدا . واعرب فيصل عن رغبته فى أن تبدأ العمليات باحتلال ثغر العقبة لاتخاذها قاعدة تنطلق منهـا الهجمات العربية بعـد ذلك . ومن المعلوم ان الثورة العربية قامت على أساس التحالف مع بريطانيا التى كانت تسيطر على البحر الأحمر سيطرة تامة . لذلك كان احتلال العقبة وانشاء قاعدة عسكرية فيها تتلقى الامدادات بواسطـة البحر ـ هو المطلب الاول والأهم .

وبدأ الاستعداد للحملة . وفى اليوم التاسع من آذار غادرت الوجه قافلة صغيرة يقودها الشريف ناصر أبو سيف ممثلا لفيصل بن الحسين ، ومعه عودة أبو تايه ونسيب البكرى و٣٥ متطوعا من العقيلات . ورافق الكابتن لورنس رجال هـذه الحملة بصفته خبيرا فى استعمال المتفجرات .

انطلق رجال الحملة من الوجه باتجاه الشمال الشرقي فعبروا خط سكة الحديد ومروا بسـهل الحول ووادى فجر وسهل البسيطة حتى بلغوا عرفجة فى وادى السرحان ثم العيساوية . ومـن هناك مضى عوده الى صديقه نورى الشعلان فقدم له هدية ثمينة من فيصل وحصل على وعد منه بان لا يقف موقف العداء من الحركات المقبلة . وبعد ذلك اخذ يجند المتطوعين حتى اجتمع لديه منهم اكثر من خمسمائة مقاتل . وعندما أتم عودة استعداداته سار برجاله الى جراجر « وهي التى استقى خالد بن الوليد ورجاله منها أثناء مسيره من العراق الى اليرموك » ومنها غربا الى باير فاستقوا من مياه آبارها . وعلموا هناك ان الاتراك خربوا آبار الماء فى « الجفر » مرحلتهم التالية فعمدوا الى الخديعة حيث بعث عودة ابن أخيه (زعل) شمالا على راس مفرزة من الفرسان . وقامت هذه المفرزة باجـراء التخريبات فى خط السكة الى الشمال من محطة الزرقاء . ثم عادت مسرعة الى باير .

وغادرت الحملة باير يوم ٢٨ حزيران فبلغت الجفر واستقت من آباره ثم سارت غربا فعبرت خط سـكة الحديد الى الجنوب من معان . واصطدمت بعد ذلك بكتيبة احتياط تركية فى موقع « ابو اللسن » وفى هذا الصدام تبـدت شجاعة عودة فى اجلى مظاهرها ، اذ وزع رجاله ليلا حول مواقع الكتيبة . وفى الصباح الباكر بدأ يهاجم الاتراك من التلال المشرفة بينما كان أولئك يعسكرون فى الوادى حول عين الماء . ورد الترك على الهجوم بمدافع الميدان ... ولكـن القذائف كانت تقع على الصخور وراء ظهـور العرب . واستمر القتال حتى العصر عندما شن عودة هجوما مزدوجا على الاعداء بخيالته وهجانته، ولم يستطع الترك ان يصمدوا امام هذه الهجمة الصادقة فاضطربت صفوفهم واخذوا يحاولون الفرار ، وسرعان ما انجلت المعركة عن مقتل ٣٠٠ وأسر ١٦٠ من الترك . ولم يفز بالنجاة الا الذين استطاعوا الفرار على ظهور الخيول او البغال . أما العرب فلم يخسروا سوى قتيلين اثنين . ولم يصب عودة باى أذى رغم انه قاد الهجوم على راس رجاله . وقتلت فرسه التى كان يمتطيها واخترقت ثيابه ست رصاصات .

بعد هذه المعركة الظافرة ، سارت الحملة نحو العقبة ، واثناء سيرها انضمت اليها مجموعات عديدة من رجال القبائل النازلة فى تلك الانحاء حتى تضاعف عدد رجالها . وكانت تسد الطريق الى العقبة حاميات خمسة مواقع تركية . فعمد العرب الى مباغتتها والاستيلاء عليها واحدا بعد آخـر .

وفى اليوم السادس من تموز دخل عودة ثغـر العقبة ، فحقق بذلك ما عجز عنه الانجليز الذين قصفوا العقبة بمدافع بوارجهم الحربية اكثر من مرة وانزلوا جنودهم فيها ، ثم اضطروا للانسحاب تحت ضغط النار التى كان يصبها عليهم الترك من الجبال الوعرة المشرفة على الشاطىء .

وبهذا النصر المبين امتدت الثورة الى سوريا الطبيعية وتغلغلت عملياتها العسكرية الى قلب الجبهة التركية فى منطقة كان الاتراك يعتبرونها امنع من عقاب الجو . ومن الطبيعي أن نعزو

الفضل في كل هذا لعودة أبي تايه . فلولا جهوده الشخصية لما تمكن جيش الثورة من الوصول الى منطقة معان بهذه السرعة دون ان يتكبد خسائر تذكر . وكانت حصيلة هذه الحملة ٧٠٠ أسير ، ومثلهم من القتلى ـ عدا الاسلحة التي غنمها العرب واخذوا يستعملونها في المعارك المقبلة .

وكان لهذا الانتصار اثر بالغ في نفس الجنرال اللنبي قائد الجيش البريطاني الزاحف من مصر الى فلسطين ، اذ اخذ هو وغيره من القادة البريطانيين ينظرون الى الثورة العربية بمزيد من الجد والتقدير . وبدأوا ـ منذ ذلك الحين ـ يزودون جنودها بمقادير افضل من الاسلحة والتجهيزات العسكرية .

شكل عودة من رجاله حاميات تمركزت في المخافر والقلاع التركية التي تم الاستيلاء عليها ، ولم يكن لدى الاتراك قوات كافية في معان للقيام بهجوم معاكس فجمعوا عددا كبيرا من الاهلين وحاولوا ان يزحفوا بهم للهجوم على عودة ، ولكن هؤلاء فطنوا لما يراد منهم فقالوا انهم لا يستطيعون مقاتلة ابناء عمومتهم ثم تفرقوا .

وقام عودة ورجاله بالمرابطة في تلك المواقع اكثر من اربعين يوما ، حتى انتقلت في النصف الاخير من شهر آب كتيبة نظامية عربية من الوجه الى العقبة بقيادة جعفر العسكري . ولم يلبث جيش فيصل ان انتقل كله الى منطقة العقبة واخذ يشن الهجمات على المواقع التركية في منطقة معان .

وعندما ايقن الترك انهم لا يملكون القوة العسكرية الكافية لاسترداد المواقع التي خسروها أرسلوا الى عودة وفدا من شيوخ معان والطفيلة يعرضون عليه الأموال الطائلة والمناصب الرفيعة اذا انحاز اليهم . ولكن عودة رفض العرض قائلا : انه يساهم في الثورة لاعتقاده بان القائمين بها على حق وبانها تهدف لخير قومه وبلاده . وقال ايضا انه ما دام قد اقسم يمين الولاء للثورة ، فليس من شيمته ـ كعربي ـ ان يبدل ولاءه وان يتنكر لعهد قطعه على نفسه .

ساهم عودة بعد ذلك مساهمة فعالة في المعارك التي خاضها جيش الثورة الشمالي واشترك مباشرة في العمليات الهجومية على معان والطفيلة ومحطة الجردونة ، وكذلك في الهجوم الكبير الذي شنه الجيش العربي بالتعاون مع الجيش البريطاني في أيلول ١٩١٨ . والذي ادى الى هزيمة الترك وخروجهم من سوريا .

وتبدت عقيدته القومية عندما اعتدى الفرنسيون على استقلال سوريا ودخلوا دمشق عام ١٩٢٠ ، فقد رفع قائمقام معان العلم الفرنسي على دار الحكومة بعد صدور الأمر اليه من حكومة دمشق المتعاونة مع الفرنسيين ، ولكن عودة نزع العلم الفرنسي وأعاد العلم العربي الى موضعه مرة اخرى والقى بالقائمقام في السجن. بل ان عودة منح نفسه سلطات استثنائية فاحتل دار الحكومة وجعلها مسكنا له ومستودعا لذخائره ، ثم أبرق الى الملك حسين يطلب منه ايفاد احد انجاله لحشد المجاهدين ومقاتلة الفرنسيين .

وفي عام ١٩٢١ ، قاد عودة المظاهرات الصاخبة التي سارت في عمان احتجاجا على اعتقال الانجليز في فلسطين المجاهد السوري ابراهيم هنانو بعد ان كان ضيفا على الاردن . واتخذت الحكومة اجراءات شديدة في اعقاب المظاهرات ، ولكن عودة عاد الى معان وبقي فيها يمتنع عن القدوم الى عمان ، وانشأ لنفسه منزلا على هيئة القلاع الى الشرق من معان ، واستنجد به ابن شعلان في حربه مع ابن الرشيد أمير شمر فقاد قوة من رجاله سار على رأسها الى الجوف واشترك في القتال الى جانب صديقه الشعلان .

لم تكن الحكومة الأردنية راضية عن تصرفات عودة ، لذلك اغتنمت سفر الأمير عبد الله الى لندن في خريف سنة ١٩٢٢ ، فدعته لزيارة عمان ، ولفرط اعتداده بنفسه لبى الدعوة ، وعند وصوله الى عمان القى رجال الشرطة القبض عليه ونقلوه الى سجن السلط ، ولكنه تمكن من الفرار ليلا ولم تستطع قوات الحكومة القاء القبض عليه رغم صدور الأمر بجلبه « حيا او ميتا » وتقديم مكافأة مالية لمن يسهل أمر القبض عليه . اما هو فقد قطع الصحراء الى بغداد وبقي في ضيافة الملك فيصل حتى اوائل سنة ١٩٢٤ عندما صدر الأمر بالعفو عنه فعاد .

لم يعش عودة طويلا بعد ذلك ، فقد وافاه الأجل يوم ٢٢ تموز ١٩٢٤ بداء السرطان ، وقد دفن في عمان . ولم يكن قد تجاوز الخامسة والخمسين .

ووصف المطران سلمان في كتابه (خمسة اعوام في شرقي الاردن) عودة بانه اقوى زعماء الحويطات

واغناهم وأوسعهم ملكا ، وقال ان عدد رجاله سبعة الاف والمسلحون ...) ولهم سطوة ودولة .

وحدثني احد شيوخ معان ان عودة حل ضيفا عليهم اثناء قيام الحكومة العثمانية بتعقبه وبحثها عنه . ولم يلبث رجال الحكومة ان علموا بوجوده فطوقوا المنزل بقصد القاء القبض عليه عند خروجه . وجاء صاحب البيت يحذر عودة من الخطر ويعرض عليه أن ينسل ليلا من باب خلفي ، ولكن عودة لم يكترث واصر على البقاء حتى تناول طعام الافطار بعد شروق الشمس وغادر المنزل على فرسه من الطريق الرئيسية ، فلم يجرؤ احد من الجنود على اعتراض سبيله .

وقد ابّنه محمد الشريقي في جريدة « الشرق العربي » فوصفه بانه كان « شجاعا في القول والعمل ، ذكي الفؤاد ، فصيح اللسان ، طويل القامة ، واسع العينين ، حاد النظر ، وكان نموذجا للبطولة العربية الفطرية ، وكثيرا ما استنكر الغزو ، غير انه كان يقول : ان عودة لا يستذل .. انه زعيم الحويطات ، وفاتح العقبة ، وصاحب الشهرة الواسعة في بادية الشام والعراق » .

ولكن ابلغ ما قيل في وصف عودة ورد في مقالة نشرها الكبتن لورنس عام ١٩١٧ في « النشرة العربية » التي كانت تصدرها دوائر الاستخبارات البريطانية في القاهرة :

« ان زعيم التوايهة هو عودة الذي لا مثيل له ، وهو في الخمسين من عمره تقريبا ، ولكن قامته الطويلة ما تزال منتصبة كالرمح . انه ضامر البدن ، قوي ، خفيف الحركة ، له نشاط الشباب . اما وجهه الشاحب المتجعد فوجه بدوي خالص البداوة : جبهة عريضة واطئة وانف حاد مرتفع الانف ، وعينان رماديتان ، وفم كبير ، وذقن مدببة وشاربان . وهو كريم لا يجارى حتى الحق به كرمه الفقر واستنفد مغانم مئة غزوة ناجحة . لقد تزوج ٢٨ امرأة وجرح ٢٢ مرة . وبفضل زعامته صار التوايهة اكفأ قوة محاربة في غرب الجزيرة العربية . وقد بلغ في غزواته حلب والبصرة والطائف ووادي الدواسر » .

« يمكن أن نعتبر عودة رجلا سريع الغضب ، شديد المراس . ولكنه مع ذلك صبور واسع الصدر ، يتقبل النصح والنقد والتجريح ــ او يتجاهلها ــ بابتسامة لا ينضب معينها . ولن تجد شيئا في العالم يمكن أن يزحزحه عن موقف اتخذه لنفسه . وهو يرى الحياة من خلال بطولاتها ، ويغني لنفسه بصوت ضخم لا يخلو من العمق والجمال ــ عندما لا يجد من يصغي لقصصه واشعاره . وعندما يتحدث عن نفسه فانه يذكرها بالضمير المفرد الغائب . وبالرغم عن صراحته فانه متواضع ، طيب القلب ، مستقيم ، أمين ، عاطفي ، بسيط ، يحبه اصدقاؤه ، رغم ما يكابدون منه » .

ووصفه لورنس في موضع آخر .. فقال : « ان عودة فسيفساء ذات رونق كيشوتي ، وعندما يموت فان العصور الوسطى للصحراء تكون قد بلغت نهايتها » .

وروى لويل توماس ان ٢٥ رجلا يستطيعون أن يصطفوا دفعة واحدة حول « منسف » عودة . وذكر لعودة ذات يوم ان بلاده تخلو من الجمال.. فاجابه عودة بانه يقدم له عشرين ناقة من نياقه العمانية البيضاء ، واضطر لورنس عندئذ الى استعمال اساليبه البلاغية كلها حتى استطاع ان يقنع عودة باستحالة قبول هذه الهدية . وشبهه توماس هذا : بروبين هود المشهور في تاريخ الانجليز القديم .

مما يؤسف له ان لورنس اخذ يذيع في أوروبا بعد انتهاء الحرب انه هو الذي وضع الخطط لفتح العقبة وقام بتنفيذها .. وصدق الناس هناك هذه الاقوال . والحقيقة ان الفضل في ذلك يعود الى عودة ابي تايه .. فهو الذي قام بأعباء القتال ورمى بنفسه ورجاله في أتون المعارك . وما اشبه الحملة التي قادها من الوجه حتى العقبة بحملات المجاهدين الاوائل الذين عرفتهم جزيرة العرب في فجر الاسلام . بل ان لورنس افترى على عودة انه راسل الترك بقصد خيانة الثورة . والواقع يدحض هذا اطلاقا . وبالرغم عن أن عودة لم يكن مثقفا يفهم القومية العربية ونظرياتها التي نعرفها اليوم ــ الا انه كان رجلا شريفا مخلصا لبلاده لا يتذبذب ولا يبدل مواقفه ولا يتأرجح بين بين .. ولا شك انه يأتي في الطليعة بين قادة الثورة العربية ومجاهديها ، اولئك الذين ظلوا ثلاثة اعوام في مواجهة الموت من أجل وحدة بلادهم واستقلالها ، ثم كان جزاؤهم من حلفائهم جزاء سنمار . ■■

سليمان موسى
عمان ــ الأردن

صيد سمك التونة

تونس تنتزع مصائدها من إيطاليا وأسبانيا

بقلم : سليم زبال

البحر الأبيض بالنسبة لأكثرنا ، هو بحر الهدوء والجمال والراحة والاستجمام .

ولكن هذا البحر الجميل له وجهان : وجه مَرِح ضاحك يتجه نحو السياح . ووجه جادّ صارم ، محفوف بالمتاعب والأخطار ، يتجه صوب الصيادين ونضالهم اليومي الشاق الذى شهدنا نموذجا منه ، على بعد كيلومترات قليلة من شاطىء سيدى داود ، على أرض تونس الخضراء .

لقد طارت بعثة « العربى » الى هناك لتنقل لك صورة من الصراع الوحشي الدموى القاسي ، الذى تكاد تتحول خلاله زُرقة مياه البحر الى حمرة قانية ، لكثرة ما يسيل من دماء الضحايا !

احتفالات وزغاريد

تبدأ القصة ببطاقة أنيقة على ورق أبيض مصقول مذهب الأطراف مكتوب عليها :

« بأمر من فخامة رئيس الجمهورية التونسية يتشرف مدير التشريفات بدعوتكم لحضور صيد سمك التنّ بسيدى داود يوم ١٧ يونيو ١٩٦٢ ».

وبين سطور هذه الدعوة تكمن الأهمية الزائدة

التي يوليها المسئولون لهذا الصيد ، الذى تسبقه الاحتفالات والمآدب فى انحـاء سيدى داود ، ويحضرهـا رئيس الجمهورية ، والوزراء والسلك الدبلوماسى وابناء الشعب ، وترتفع الزغاريد والهتافات ، ويرقص الرجال والنساء فرحـا وغبطة . لان ابتداء موسم الصيد معناه ابتداء الانتعاش ..

تنْ .. تون .. تونة !!

وقبل الحديث عن طريقة صيد « التونة » ـ التى هى من اكثر انواع السمك دسامة ـ لابد من التحدث عن التونة نفسها ، التى يسميهـا البعض : تن او تون او تونة . وهذا الاختلاف راجع الى اصل الكلمة اليونانى ومعناه الاندفاع ، والقفز بعنف ، والحركة الدائمة .

سمكة طولها خمسة امتار !

تتجمع أسماك التونة ، المشتتة ، فى المحيط الأطلسى شمالا ، فى مجموعات كبيرة هائلة ، لتقوم برحلة طويلة توصلها للبحار الحارة ، كالبحـر المتوسط فى جنوب اوروبا ، وكذا فى آسيا وافريقيا وامريكا ، لتضع بيضها هناك .

وسمك التونة على انواع واحجام مختلفة : منها التونة البيضاء ، وطولها نحو المتر ووزنها ٣٠ كيلو جراما ، والتونة الحمراء ويصل طولها الى مترين وثلاثة امتار ، ووزنها من ٣٠٠ الى ٦٠٠ كيلو جرام .

واكبر سمكة صيدت من هذا النوع كانت على ساحل جزيرة سردينيا وطولها خمسة امتار !!

وضخامة هذه السمكة تبدو فى جسمها المستدير الممتلىء الذى ينساب ليصبح نحيفا عندما يقترب من الذيل الكبير القوى الذى هو سلاحها الدفاعي الوحيد !

اما شكل السمكة نفسها فوجهها حاد ،وفمها واسع ، وظهرها اسود يميل الى اللونين الاخضر والازرق ، والجزء السفلي فضي اللون ، والزعانف سوداء فى الغالب .

استقبال .. وتوديع

وتسلك هذه الأسماك فى رحلاتها الطويلة طرقا تقليدية قديمة لم تبدلها منذ مئات السنين .. وهذه الطرق معروفة تمام المعرفة .. فمثلا فى شهرى مايو ويونيو تمر مجموعات كبيرة من هذه الاسماك فى مضيق جبل طارق ، وما تكاد تدخل البحر الأبيض المتوسط حتى تنقسم الى قسمين : قسم يتجه الى اليسار صوب ساحل أوروبا ، وآخر يتجه الى اليمين بمحاذاة ساحل افريقيا .

وفى الخريف تسلك هذه المجموعات طريقاعكسياء مما يجعل الصيادين يبدلون من اتجاه شباكهم : مرة يستقبلون الأسماك .. ومرة يودعونها !

ولكن كثيرا ما تسلك مجموعات اخرى طـرقا جديدة مختلفة مما يجعل مواسم الصيد شحيحة غير منتظمة ..

العالم كان فقد شهيته للتونة يوما !

ويرجع تاريخ صيد « التونة » الى العصور الأولى القديمة . وقد عثر الاثريون على رسوم لهذه السمكة محفورة على قطع البرنْز الاثرية

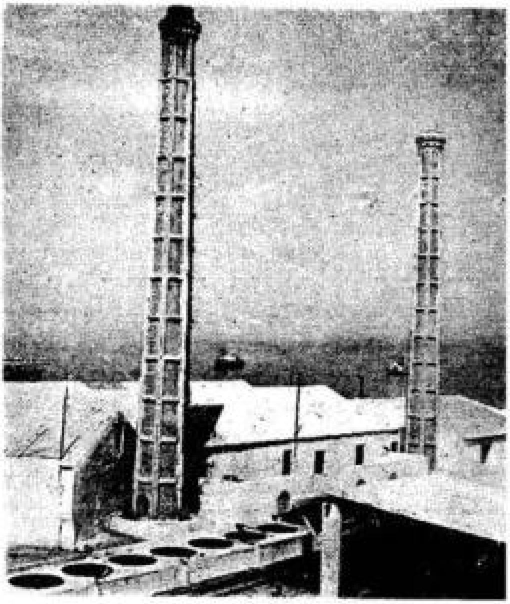

مصنع سيدى داود ، على الساحل الشمالى لتونس ، وفيه يتم قص وغسل وتعقيم السمك قبل تعليبه .

ما تكاد السمكة تصل الى مصنع سيدى داود حتى يقطع رأسها ويفتح بطنها لاستخراج البويضات ثم تعلق فى حامل قبل تقطيع جسمها .

من العهود القرطاجنية والرومانية ، والبيزنطية والاسبانية القديمة .

وكانت التونة هى الطبق الأشهى المقدس الذى يقدمه اليونانيون لآلهتهم ، كما كانت التونة هى اللون الأساسى المفضل فى أفراح وأعياد قرطاجنة القديمة .

ومن الطريف ان العالم قد أعرض عن أكل سمك التونة فى القرون الوسطى ، ولم يعد الصيادون يصطادونها . ولكن هذه « المقاطعة » لم تستمر طويلا اذ سرعان ما عادت الشهية الى الناس ، فى أوائل القرن السابع عشر ، وعاد معها صيد سمك التونة الى سيرته الأولى !

البحر يصبح مضيقا !

ويعتبر حوض البحر الأبيض المتوسط من أهم مناطق صيد سمك التونة ، وخاصة قرب جزيرتى سردينيا وصقلية ، وسواحل تونس ، حيث يتحول البحر الأبيض فى هذه النقطة الى مضيق لا يزيد طوله على ١٣٨ كيلومترا .

شهر لنصب الشباك

وعند هذا المضيق ينصب الصيادون التونسيون مصائدهم على بعد أميال قليلة من الشاطىء .

ومع شروق شمس الصباح ركبنا السفينة من مرسى سيدى داود ـ ميناء صغير شمال تونس ـ قاصدين المَصْيدة الكبيرة ، ويسمونها مدراج Madrague وهى كلمة فرنسية مشتقة من العربية . وهناك كانت سفن الصيد متناثرة وحولها تطفو قطع ضخمة من الفلين (قدم مكعب تقريبا) تحمل شباك الصيد الطويلة التى تقبع تحت الماء .

ويستغرق نصب هذه الشباك ، التى يصل مجموع أطوالها نحو الف متر ، مدة شهر كامل ، يبدأ فى أوائل ابريل من كل عام . وفى أوائل شهر مايو توضع شبكتان كبيرتان ، بهما حبال من الفولاذ ، على جانبي المكان ، فتكونان بمثابة حائطين كبيرين ، طول كل منهما ..٤ متر،وتقسّم المساحة التى بينهما الى عدة حجرات تسمى حجرات « الاستقبال » ، توصل كلها الى « غرفة » أخيرة يسمونها « كوربو » أو غرفة الموت . فعلى عمق ١٠٠ قدم ينزلون شبكة ضخمة تقبع مستوية فى قاع البحر تنتظر « تشريف » أسماك التونة الكبيرة ..

وهذا « البناء » الضخم ، المختفي تحت الماء هو من القوة بحيث يتحمل الرياح ، وتيارات البحر ، واندفاع الأسماك الضخمة .

« أبو سيف » يُهرّب التونة !

وعند منتصف شهر مايو من كل عام ، تبدأ أسراب السردين ، و « المكرو » تظهر عند سواحل تونس . وهذه الأسماك هي بمثابة «التشريفاتى» الذى يسبق جحافل أسماك التونة . وهذه الجحافل تبدأ فى الظهور ومعها حيتان الدرفيل

على هذه الصفحة صورتان تمثلان « الكوربو » أو « غرفة الموت » . وتبدأ العملية بانزال شبكة صيد كبيرة (الصورة اليمنى) الى عمق ١٠٠ قدم تحت الماء ، في الجزء الخلفي الأخير من المصيدة الكبيرة المختفية تحت الماء. وعندما تدخل الأسماك الى هذا المكان ويسمى « غرفة الموت » تبدأ سواعد البحارة في رفع الشبكة الى سطح الماء. وكثيرا مايتجمع على ظهور المراكب المحيطة بالشبكة السواح الأجانب الذين أتوا لرؤية عملية قتل سمك التونة (الصورة السفلى) .

الى اعلى : يتجمع فى شبكة الصيد « بغرفة الموت » نحو ٥٠ سمكة كبيرة كل مرة ، يعمل الصيادون على سحبها بالخطاطيف الحادة ، بعد ضربها بالحراب ، الى قاع قواربهم حيث تلفظ انفاسها الأخيرة ، ويتفجر دمها الأحمر . ويصل وزن سمكة التونة الواحدة من ٣٠٠ كيلوجرام الى ٦٠٠ كيلوجرام . وتعتبر « التونة » التى تمر بجوار سواحل تونس من اجود الأنواع فى العالم . ومما يذكر أن ثمة اعشار الكمية التى تصاد تصدر الى الخارج لجلب العملة الصعبة للبلاد . بينما يتناول اهل البلد انواعا اخرى من التونة يستوردونها من البلدان الأخرى .

السوداء تدفعها نحو المصيدة الرهيبة دفعا ، بعكس ما يفعله « أبو سيف » ، وهو سمك ذو فك قاطع طويل ، يرافق فصائل التونة فى بعض الأحيان ويسبب خسائر فادحة لشباك الصيد اذ يقطعها ويفتح لنفسه ولأسماك التونة الضخمة المستكينة مهربا .

ويستغل الصيادون خوف سمك التونة من أقل صوت فيعملون على اطلاق النفير وضرب الطبل ، فتفزع وتهرب نحو فتحة المصيدة ، وهم عندئذ يواصلون دفعها من حجرة الى أخرى حتى تصل الى « الكوربو » أو « حجرة الموت » .

فى حجرة الموت

وتبدو « الكوربو » وكأنها حوض كبير تتحرك فيه حيتان التونة بعصبية ظاهرة وكأنها تشعر بأن حدثا خطيرا سيقع لها .

وتصطف حول « غرفة الموت » مراكب الصيد ، وفوقها بحارتها يتطلعون بجشع زائد الى الأسماك المحصورة ، وينتظرون اشارة « الريس » لرفع الشبكة القابعة على عمق ١٠٠ قدم تحت هذه الأسماك المسكينة .

نوبات جنونية !

ويسود المصيدة صمت رهيب ، تقطعه صفارة طويلة من « الريس » ، تبدأ بعدها سواعد ١٣٠ بحارا فى رفع الشبكة الهائلة ، التى ترتفع بكل بطء لما تحمله من صيد ثقيل ..

وعندما تصل هذه الشبكة الى مستوى الماء تظهر أجسام أسماك التونة بوضوح .. وشيئا فشيئا يضيق المكان بها ، وتحاول هذه الأسماك الوديعة المحتبسة الحركة كما كانت تفعل فى المحيط الذى اعتادته فلا تجد لذلك سبيلا ، وتعتريها نوبات جنونية مخيفة يتصادم فيها بعضها مع بعض ، وتضرب صفحة الماء بذيلها الكبير فيتطاير الماء فى كل اتجاه ..

ويغتنم الصيادون فرصة الجزع الذى يسود الأسماك ، فينقضون عليها بالحراب يطعنونها بها ، ثم هم بخطاطيف حادة يسحبونها الى قواربهم .

وتخرج من الأفواه صرخات الانتصار ، وتتعالى جلبة التحريض والتشجيع فى شبه هستيريا يقفز خلالها الصيادون مع البحارة الى وسط الشبكة نفسها بين الأسماك الهالعة وبيدهم الحراب اللامعة ، يغرسونها فى جوف الأسماك مرة .. من بعد مرة .

استعراض لا يجدى !

وتحس الأسماك المسكينة بقرب نهايتها ، فتبدأ بمحاولة أخيرة يائسة ، تقفز خلالها فى الهواء قفزات هائلة لا تؤدى بها ، مع الأسف ، الا الى قاع القوارب فتنزل الى جوار الأسماك القتيلة .. وسرعان ما ينقض عليها كل بحار فى قاربه ويطعنها فتعجز عن الحركة ويتفجر دمها الأحمر .. وتتحرك زعانفها .. ويهتز ذيلها .. وينفتح فمها الواسع .. وتتحجر عيناها فى نظرة يائسة ، قبل أن تستكين نهائيا ..

مجزرة وليست مصيدة !

وفى الوقت نفسه تأخذ الصيادين نشوة" عارمة من منظر الدماء وكثرة الضحايا فتزداد ضرباتهم

المنشار الآلى الذى يقطع جسم السمكة الكبيرة الى قطع صغيرة فى دقائق معدودة .

بعد ان يتقطع جسم سمكة التونة الى أجزاء صغيرة ، تلقى داخل قزانات بها ماء مغلى حيث تترك فترة قليلة يتحول خلالها لون اللحم من الأحمر الى لون بنى قاتم .

سرعة وقوة .ويصبح الصيد مجزرة حقيقية :

رؤوس تتحرك بعنف .. وسواعد مصبوغة بالدماء ترتفع لتهبط بحرابها القاتلة .. وخطاطيف تتشابك وتتقارع .. وأعين جشعة تبحث عن صيد مسكين ..

وتنتهى المعركة ، بفوز الخطاطيف والحراب على الزعانف والذيول ..

وهكذا الحياة آكلٌ ومأكول ، مشاهد تذكرنا بمصارعات الثيران .

ويرفع الرجال الشبكة الكبيرة الفارغة وينزلونها فى الماء مرتين لغسلها من آثار الدماء والمعركة .. قبل انزالها ثانية الى القاع انتظارا لصيد جديد .

استغلال كل جزء !

وترتفع فى الجو جلبة المراكب وهي تتسابق فى طريقها ، بحمولتها الثمينة الى الشاطىء ... وهناك تنقل الأسماك بالرافعات الى المقصب لوزنها أولا ، ثم تعليقها من ذيلها فى صف طويل استعدادا لسلخها قبل البدء بعملية التقطيع والتعقيم والتعليب .

وتتم هذه العمليات دون اضاعة اى جزء من السمكة :

فالرأس يفصل عن الجسم ، ويجفف ويطحن لاستعماله فوسفاتا لتسميد الأرض ..

والبطن يفتح ويستخرج منه القلب والكبد والكلى لتصديرها كما هى .. وبيض السمكة ، وهو ما نسميه بالبطارخ ، يباع بأسعار خيالية بعد تجفيفه وتمليحه .

وأما جسم السمكة او لحمها فينقل الى المخارط الكهربائية لتقطيعه الى أجزاء صغيرة ،

بمجرد انتهاء الصيد تنقل الأسماك الى الشاطىء حيث توزن وتعلق من ذيلها ، وطول السمكة العادية متران ، لاحظ ارتفاع الرجل الواقف بين الأسماك .

الى أسفل : بجوار الاسماك الكبيرة التى تصاد تتجمع داخل الشبكة مئات الأسماك الصغيرة التى تجمع باليد ولا تضرب بالحراب . ثم تنقل الى مصنع لتعليبها كالأسماك الكبيرة .

هذه هي نهاية أسماك التونة الكبيرة « الغبية » التى لا تريد أن تحيد عن طرقاتها التى تسلكها فى هجراتها منذ قديم الزمان ، لقد أصبحت هذه الطرق معروفة جيدا للصيادين الذين ينتظرونها بشباكهم الفولاذية الكبيرة. ان رأس السمكة يجفف ثم يطحن لتحويله الى سماد للأرض .

الى اليسار : بعد وضع أجزاء السمكة فى علب صغيرة تغطى بزيت الزيتون النقى ثم تغلق أوتوماتيكيا.

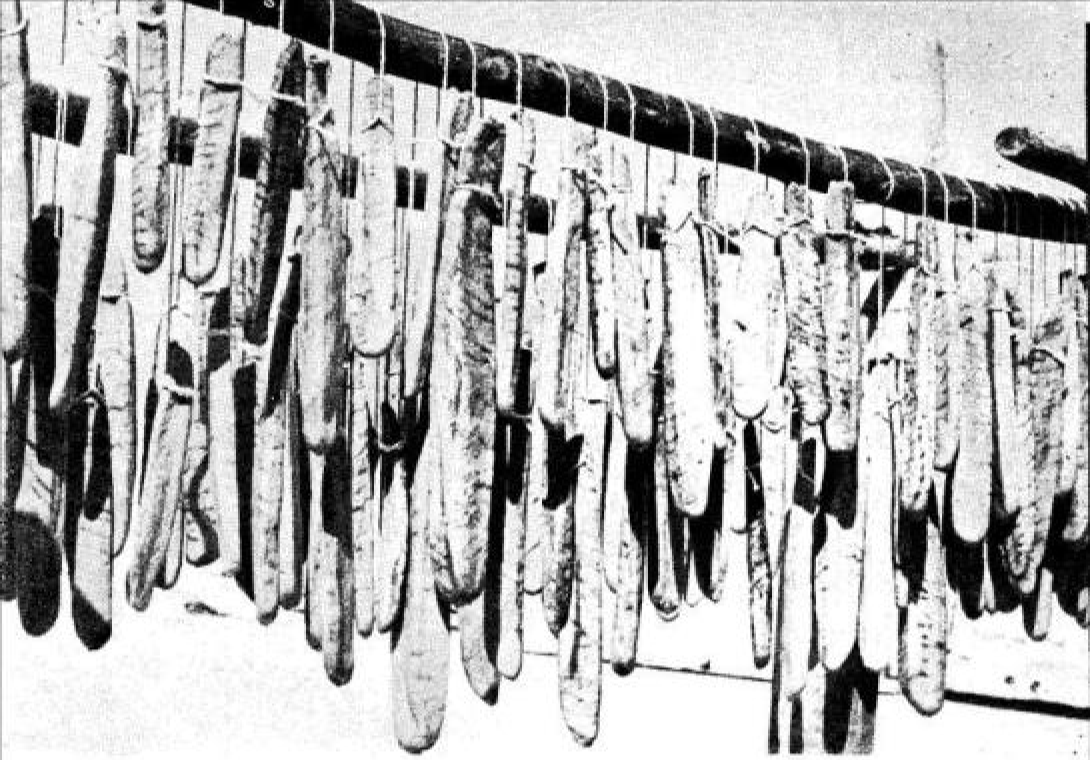

بيض التونة ، أو ما نسميه « البطارخ » ، ويستخرج من جوف كل سمكة بيضة أو بيضتان تملح وتوضع تحت ضغط مدة يومين لاستخراج الماء منها ، وبعدها تعلق في الهواء تحت الشمس مدة يومين آخرين حتى تجف تماما .. وتوجد مرحلة ثالثة تستعمل في تونس اذ يطبخ البيض ويضاف له عود القرنفل والرند وشوش الورد ، والطماطم ويوضع في « مرطبان » معقم ويعرض للبيع .

توضع على حامل خشبي وتلقى في الماء المغلي لتطبخ ، وعندما تنضج تنقل الى داخل المصنع لتبدأ الفتيات في تعليبها داخل علب ذات أحجام متفاوتة : من ربع رطل الى ٥ كيلوجرام .

أجود الأنواع

ويصل سعر الكيلو من تونة سيدي داود الى دينار ونصف ، وهذا السعر مرتفع عن أسعار تونة البرتغال والمغرب ، التي هي أقل جوْدة من أسماك التونة التي تمر بجوار شاطىء تونس ، والتي تعتبر من أجود الأنواع في العالم .

معارك مع المتسللين

ولا يكاد يمضي أسبوع من موسم الصيد الا وتشتبك السفينة المسماة « أفعى البحار » (وهي سفينة من خفر السواحل التونسي) في معركة مع مراكب الصيادين الايطاليين الذين يتسللون الى المياه الاقليمية التونسية بقصد الصيد غير المشروع .

وتعود « أفعى البحار » بالسفن الايطالية « الأسيرة » الى مرسى سيد داود حيث تحتجز ، ولا يفرج عنها أو عن بحارتها الا بعد دفع دية من المال .

ان الصيادين الايطاليين والأسبان هم الذين كانوا يقومون بعملية الصيد في المياه التونسية قبل الاستقلال . أما اليوم فقد أخذ الصياد التونسي مكانه ، وأصبح هو المسئول عن جني ثروة بلاده ، بمعونة حكومته .. ■■

سليم زبال

منع الحمل لتحديد النسل جائز شرعاً

ما كان الشرع إلا مواتياً للظرف الاجتماعى ، مسايراً لعوامل الزمن دافعاً للتمدن ..

بقلم : زهدى يكن

رئيس محكمة النقض والابرام ـ استاذ القانون المدنى فى الجامعة اللبنانية ـ بيروت

■ كتب المعلق « بيترفالد » فى صحيفة « هانوفربرس » الالمانية مقالا بعنوان « نعمة الأولاد تصبح خطرا فى مصر » ، عالج فيه مشكلة تضاعف السكان فى الجمهورية العربية المتحدة الذين هم اليوم ٢٧ مليون نسمة ، وقد كانوا ثلث هذا المقدار منذ مائة عام ، وهو قدر ان عددالسكان سوف يتضاعف عام ١٩٩٠.

ولهذا قامت الدعوة الى تحديد النسل فى الجمهورية العربية المتحدة ، وكانت هذه المعضلة من أهم مشاغل الادارة العربية للتغلب على الزيادة المطردة فى

السكان والتى من شأنها ايجاد ارتباك فى تأمين الأفراد ، وتأمين دخل لهم يعينهم على قسوة الحياة .

والواقع ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة ارادت أن تتدارك الأمر قبل استفحاله ، فقد عجلت فطلبت الى احدى الشركات الخاصة الألمانية انتاج عقارها الخاص بمنع الحمل لاستخدامه فى مجال واسع فى بلادها .

غير ان من الناس من خشى أن يكون اتخاذ مثل هذا التدبير فيه اثارة لنقمة علماء الشرع الذين ينظر بعضهم الى قضية « منع الحمل » نظرة خاصة ،فهم لا يتورطون بتاتا فى المعضلة الاجتماعية لمشكلة تعداد السكان وما ينشأ عنها من الارتباك للدولة فى تأمين عمل لعدد وفير تعجز مرافقها الادارية والاقتصادية والتجارية عن استيعابه ، وبالأخص فالجمهورية العربية المتحدة لا تزال في المرحلة الأولى من مراحل التصنيع .

والعلماء لا يزالون حتى الساعة يجهدون انفسهم لايجاد جواب قاطع فى أمر تحديد النسل وبالتالى منع الحمل ، وهم فى جدل الى الآن ، لم يعطوا رأيا حازما فى الموضوع . ولعلهم لا يريدون ان يدخلوا فى مناقشة لها من الخطورة فى نظرهم قبل أن يتبلور الموقف ويعد منع الحمل ضرورة اجتماعية ، وعندها يفتون بأن الضرورات تبيح المحظورات ، أو انها تقدَّر بقدْرها فلا يجيزون منع الحمل اطلاقا وانما فى نطاق محدد يتناسب مع قدرة رب العائلة ودخله السنوى .

ولا يزال السؤال باقيا بلا جواب : هل ينظر الى تحديد النسل نظرة تحريم أو نظرة اباحة ؟

نرى ان يكون الجواب واسعا يحيط اطراف الموضوع على ضوء أقوال السادة الفقهاء المعترف بفضلهم ، وعلى ضوء ما ورد فى كتب الحديث المعتبرة ، فاننا اذا فعلنا ذلك انفتحت أمامنا نوافذ من النور تضيء لنا الطريق المستقيم فيتلقى كل منا الحل بما يرتضيه المشترع الاكبر دون غموض أو ابهام .

ففى الحديث عن جابر قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل » .

وهذا الحديث متفق عليه .

ولمسلم : « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغه ذلك فلم ينهنا » .

وعن جابر ايضا ، ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ان لى جارية هى خادمتنا وسانيتنا فى النخل، وانا اطوف عليها ، واكره أن تحمل ، فقال : اعزلْ عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدِّر لها » .

ان هذا الحديث رواه أحمد فى مسنده، ومسلم ، وابو داود .

ومثل ذلك ما رواه ابو سعيد من أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن العزل ، فقال : « ما عليكم أن تفعلوا فان الله عز وجل قد كتب ما هو خالق الى يوم القيامة » .

وهذا الحديث الذى رواه ابو سعيد اخرجه ايضا الترمذى والنسائى ، وهو متفق عليه . وقال الحافظ : « رجاله ثقات » .

ومن احاديث هذا الباب عن أنس عند احمد ، والبزار وابن حبان وصححه ، ان رجلا سأل عن العزل فقال النبى

صلى الله عليه وسلم : « لو ان الماء الذى يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا » .

ولهذا الحديث شاهدان فى الكبير للطبرانى عن ابن عباس ، وفى الأوسط عن ابن مسعود .

وقد وردت عدة طرق تصرح باطلاع الرسول الأعظم على ذلك .

فمسلم اخرج من حديث جابر قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم ولم ينهنا » .

وقد قدمنا فى الحديث عن جابر ، ان النبى صلى الله عليه وسلم اذن للرجل بالعزل ، وقال الرسول الأكبر : « اعزل عنها ان شئت » .

هذا كله من جهة الأحاديث المروية المتفق على صحتها ، وصحة اسنادها ، وعلى الثقة برجالها .

وأما حكم السلف فى العزل ، فحكى فى الفتح عن ابن عبد البر انه قال : « لا خلاف بين العلماء انهلا يعزل عن الزوجة الحرة الا باذنها » .

وعند الشافعية يجوز العزل عن الحرة بغير اذنها .

والرخصة فى العزل رويت عن الامام على ، وابن عباس ، والحسن بن على ، ومالك والشافعى ، وابى حنيفة .

وأما ما ورد بأن العزل من قبيل الواد الخفى ، فقد ضعفه البعض ، ومنهم من ادعى فسخه لعدم معرفة التاريخ ، وقد حذف هذه الزيادة أهل السنن الأربع .

يستفاد من كل ذلك ان العزل ، هو من قبيل منع الحمل لتحديد النسل ، وردت الآثار بجوازه كما وردت اقوال السلف بصحته بالاضافة الى اقوال الائمة الأربعة بالترخيص فيه .

نعم قد وردت بعض الآثار بأن العزل يشترط فيه رضاء الزوجة .

ولا يخفى ان رضاء الزوجة واخذ موافقتها دليل على الجواز لا الحظر ، لأن المنع لو كان واقعا لما جاز اخذ رضاء الزوجة به ولكان محظورا أصلا .

والذى رايته بالتتبع والاستقراء ان تحديد النسل خوفا من كثرة العيال ، وضيق العيش ، ومرض الزوجة وعدم تحملها ، وعناء الزوج وعدم تحمله اعباء الزوجية الكبرى ، كل ذلك من انواع الضرورة ، وما كان الشرع فى يوم الا مواتيا للظرف الاجتماعى، ومقدرا للحياة الاجتماعية ، فلا يجوز أن نقف دون مسايرة عوامل الزمن والمحن مع وجود الرخصة الشرعية .

وعلى افتراض أن هناك خلافا بين العلماء في الحظر والاباحة فان لأولياء الأمر ان يرجحوا الراى الذى فيه مسايرة النفع الاجتماعى العام فيقرروا التحديد للحاجة الماسة .

وعلى كل ، فقد رايت اثناء تجوالى فى الأقطار العربية ان مشكلة تحديد النسل هى من اكبر المشاكل الاجتماعية التى تواجه الحكام ، ولعلنا فيما أوردناه بالقدر الذى اتسع له المقام، جئنا بما فيه شفاء وغناء لاتخاذ التدبير المعقول ، والله من وراء القصد . ■■

زهدى يكن

الذَّرَّة تحصى على المخلوقات

الذرة تؤرخ:

فرعون مصر، متى حكم؟

حمورابي، ملك بابل متى مَلَك؟

شجرة شمطاء حيه، كم ألفاً من السنين عاشت؟

« قطعة اثرية : خشبة" من سقف ، فحمة" من موقد ، عظمة" من انسان ، يعطيها عالم الآثار لعالم الذرة، فيدخل بها الى مختبره ، ليعود بعد حين ليقول له : فى اى السنين هي صنعت، او عاشت ، وفى اى القرون ، منذ الف عام ، او آلاف الأعوام » ..

نعم . فكانما هذه الاحياء جميعا ، من حيوان او انسان او نبات ، ساعة تموت ، وحتى الجمادات ، وهي لا تحيا ولا تموت ، تحمل فى ذراتها ساعات ، تبدا مليئة" باشتداد زَنبركها ، ثم تأخذ تفرغ ببطء على الزمان . حتى اذا جاءها عالم الذرة بعد الف من السنين والف ، بحث زَنبركها المشدود ، وقدَّر كم هو ارتخى ، وكم به الساعة فرغت" . ومن هذا التقدير يخرج بحساب كم قضت هذه الساعة وهى تفرغ ، وكم من سنين ، بل كم من قرون .

زيارة فى مختبر الذرة

حضر الأستاذ عالم الآثار ، الى الأستاذ عالم الذرة فى مختبره ، وفى يده حقيبة ، ففتحها ، واخرج منها قطعة من خشب .

استاذ الذرة : هذه هي العيِّنة ؟

استاذ الآثار : نعم هي ، قد حصلنا عليها . .

استاذ الذرة : لا تخبرني ، فتفسد عليَّ الأمر فيها . .

استاذ الآثار : وهذه عينة اخرى تختلف عن تلك الأخرى . .

استاذ الذرة : اتركهما جميعا معي ، وساخبرك عند الفراغ من تقدير اعمارهما .

من الفحم كل شيء حيّ

« من الماء كل شيء حيّ » .

وهذا حق . فالماء يدخل ، بعنصريه (الأدروجين والاكسجين) فى تراكيب كل حي .

ولكن كذلك يدخل عنصر آخر ، ذلك الكربون . وما الكربون الا الفحم نقياً غاية النقاء . والنباتات تستمد كربونها

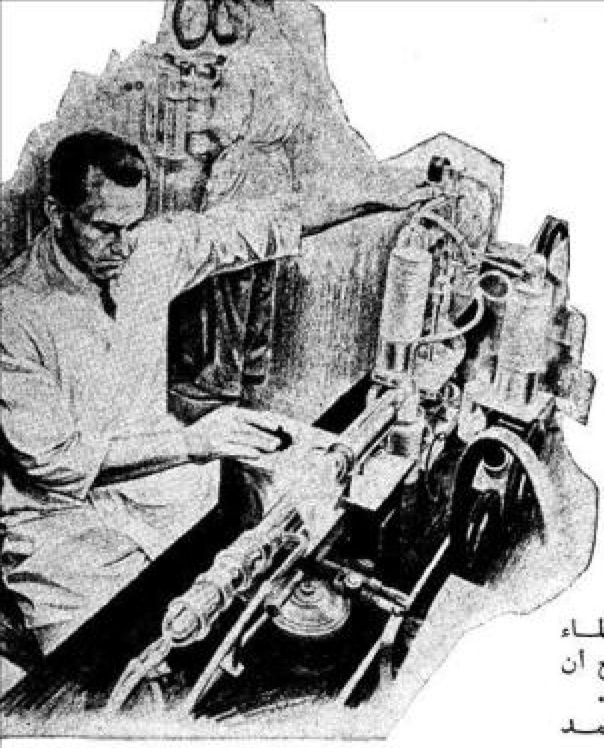

أعمارها ..

(فحمها) من اكسيده الذى يوجد خِلقةً فى الجو ، على صورة يسميها الكيماويون ثانى اكسيد الكربون . ولكن ما عليك من هذه التسمية ومن أسبابها . انه اكسيد فحم وكفى .

ومن أجل هذا اذا احترق الخشب مثلا ، ولم يتم احتراقه ، تفحّم ، وظهر كربونه الأسود . لقد صحّ بالطبع أن نقول : « من الماء كل شيء حي » . ولكن كذلك صح أن نقول : « ومن الفحم كل شيء حي » .

للشجر اذن مصدران : انه يستمد ماءه من تربة الأرض ، وهو يستمد كربونه اى فحمه من هواء الجو .

بقلم الدكتور أحمد زكى

عينة الخشب الأولى بين ايدى العلماء

دفع أستاذ الذرة بعينة الخشب الأولى ، التي ناوله اياها أستاذ الآثار ، الى أعوانه فى المختبر ، فكان أولُ شيء اجروه عليها عمليات كيماوية استخرجوا بها كربونا (فحماً نقيا) من هذه العينة .

وهم قد علموا ان هذا الكربون ، ككل كربون يستخرج من نباتٍ حيٍّ (وحتى الكربون الذى يوجد على صورة اكسيد الكربون فى الهواء) ، صنفان :

صنف ، ليس به نشاط اشعاعيّ ، فهو خامل .

وصنف ناشط ، يخرج منه الاشعاع ، نبضات .

وانتَ تسلّط الكربون على كشّافات مخصوصة ، فتكشف عن هذه النبضات كشفا ، وتجعلك تسمعها دَقّةً من بعد دقة . او هي تتحول الى حركة فى عقرب يدلُّ عليها ، أو الى جهاز للعدّ فيعدها . ويسمى الكشاف هذا « بعدّاد جيجر » ، نسبة الى مخترعه . واذا أنت جئت بكربون به اشعاعٌ كثير ، دق العدّاد دقاتٍ كثيرة ، واذا أنت جئت بكربون به اشعاعٌ قليل ، دق العدّاد عددا من الدقات قليلا .

وسلّط العلماء مقدارا من الكربون الذى استخرجوه من العينة الخشبية الأولى ، على عدّاد من عدادات جيجر ، فاخذ العداد يدق . وعدّوا دقاته ، فكانت (١٠٠٠) دقة أو نبضة في الساعة ، تخرج من كل جرام واحد من الكربون .

واعادوا التجربة على مقدار آخر من نفس العينة ، فآخر ، وعدّوا الدقات ، فكانت كلها ... ١٠٠٠ دقة أو نحو ذلك تقريبا ، لكل جرام واحد منها .

ونظر بعض العلماء الى بعض ، وفى

أعينهم ريبة ، وعلى شفاههم ابتسامة .

ان هذه الدقات الألف ، تخرج من الجرام الواحد ، انما تكون لخشب حديث ، اقتطع هذا العام ، أو العام الأسبق او الأسبق (فالسنين القليلة لا تضعف الاشعاع كثيرا) ، وليست هي لخشب من مخلفات الآثار عتيق .

أستاذ الآثار اذن قد دسّ عليهم هذه الدسيسة من الخشب ، ولا بد انه راح وهو يضحك ملء فيه .

عينة الخشب الثانية بين أيدي العلماء

وقاموا الى العينة الثانية يصنعون بها ما صنعوا بالاولى . وعدّوا الدقات ، للجرام الواحد من الكربون ، فكان متوسط الاعداد ٥٠٠ دقة . وكان معنى هذا عندهم أن الكربون الذى بهذه العينة من الخشب ، وهو اقتطع من شجرته من عهد بعيد ، ظل هذه السنوات كلها يفقد من اشعاعه ، نبضا ، حتى فقد نصف اشعاعه .

نزلت الدقات من الف دقة فى الساعة ، وهى الدقات التى تخرج من الكربون يؤتى به من الخشب الحديث ، الى ٥٠٠ ، وهى نصف الألف .

ولكنهم علموا من تجارب عديدة أخرى سابقة ، وما صحبها من حساب ، أن الكربون الناشط المشع ، يفقد نصف اشعاعه بعد ٥٥٦٨ سنة !

العدّاد الالكترونى الذى يعد نبضات الاشعاع الذرّى . وبه ٣ عينات يؤرخ لها عدّاً فى الوقت الواحد . وهو محصن دون الاشعاعات الهوجاء التى تصله من الخارج لا سيما الاشعاعات الكونية .

اذن فهذه العينة الأثرية الثانية من الخشب عمرها ٥٥٦٨ سنة !

وكان العام عام ١٩٤٧ ميلادية . فعينة الخشب الأثرية هذه كانت اقتطعت من شجرتها قبل الميلاد بنحو ٥٥٦٨ ـ ١٩٤٧ = ٣٦٢١ عاما .

أستاذ الآثار يعود

وجاء أستاذ الآثار الى المختبر الذرّى .

نعم ، نعم ، انه جعل العينة الأولى من خشب حديث عمدا ، واراد ان يقول هذا لأستاذ الذرة عندما جاء بالعينة ، فقاطعه أستاذ الذرّة ، ولم يأذن له باستكمال الحديث ، اما العينة الثانية فقد وُجدتْ حقّاً فى مقبرة لأحد قدماء المصريين ، تحقق عند علماء الآثار انه عاش حول هذا التاريخ من الزمان ، حول القرن الثامن والثلاثين والقرن الأربعين قبل الميلاد .

مثل يضرب

هذا مثل ضربته ، قدّمته للايضاح . لم يقع بالضبط بهذه التفاصيل ، ولكن وقعت أصوله ، ووقعت أشباه أرقامه .

الأستاذ كاشف الأعمار

والأستاذ كاشف أعمار الآثار ، باستخدام الكربون ذى الاشعاع ، انما هو الأستاذ ليبي Libby بجامعة شيكاجو ، قام بالذى قام ، من بعد الحرب العالمية الثانية ، ونال من اجله جائزة نوبل لعام ١٩٦٠ .

وهو بدأ بتحقيق أعمار أشياء من مخلّفات الانسان فى التاريخ مأثورة ، معروفٌ أعمارها . ومن بعدها أخذ يحقق أشياء لا تعرف لها على التحقيق أعمار .

قال لعلماء الآثار ، وعلماء الانسان ، وعلماء تاريخ الارض وطبقاتها ، الكبار منهم والثقاة :

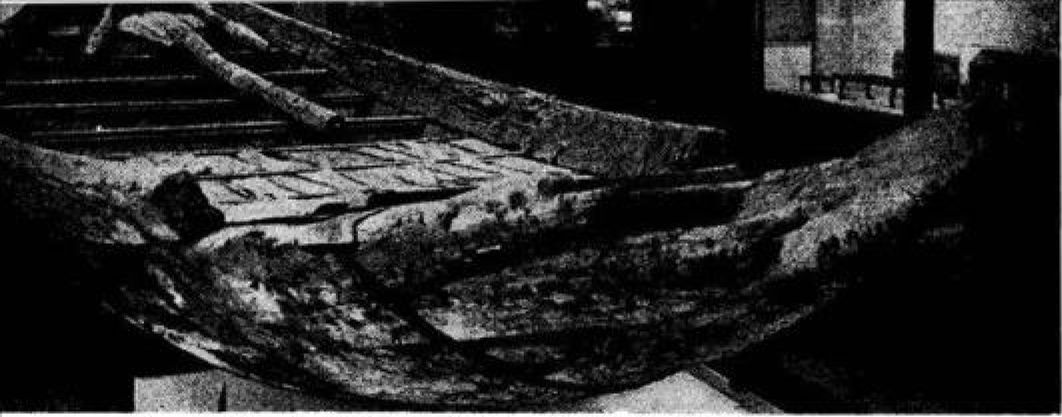

هذه السفينة ، وطولها ٣٢ قدما ، كشف عنها المنقبون في الرمال الى جانب هرم فرعون مصر سيزُستريس بدهشور ، والمقدر انها حملت رفات الفرعون عبر الماء حول عام ٨٥٠ قبل الميلاد . وأرخ الكربون المشع لقطعة خشب اقتطعت من هذه السفينة فاختلف التقدير الاشعاعي عن تقدير رجال الآثار بنحو ١٨٠ سنة فقط . والسفينة موجودة في متحف التاريخ الطبيعي بشيكاجو .

« هيَّا أعطُونا عيناتٍ مما عندكم . أشياءً عتيقةً مما خلّفها الزمان العتيق ، مما لها عندكم تاريخ معروف ، ولو بالتقريب ، ودعوني أحرقها في معملي ، واستخرج فحمها واعد مافيه من اشعاع ، اقدّر كم فني من اشعاعه ، وكم استغرق فناؤه من سنين . واذن أعد على هذه الأشياء سنينها ، من سنةٍ كانت حية الى يومنا هذا . واقرن هذه الأعمار بأعمار انتم وجدتموها ، ثم نرى ما سوف يكون » .

وعرف علماء الآثار وعلماء الانسان والأرض ما سوف يعني هذا لعلومهم هم لو صحّ ما هدف اليه الأستاذ ليبي .

ولم يمض وقت حتى جاءته العينات متلاحقة من كل جهة : قطعةٌ من خشب قاربٍ كان لبعض القدماء ، او هي من تابوت لأحد الفراعنة ، او هي فحمة من خشب تفحم ، بقية من مواقد قديمة لجماعة من الناس عاشوا فيما قبل التاريخ المكتوب . او قطعة من لحم من جثة لانسان او شبه انسان ، حفظها الزمان . او لعلها من عظم لانسان قديم ، او هي بعرة لبهيم . او هي حبة قمح . او هي طَلَع من زهرة دُفنت طويلا في قاع بحيرة . تعددت العينات واختلفت . وجمعها كلّها عهدٌ من الدهر قديم .

وقام الأستاذ وأعوانه يعملون ليلا ونهارا ، يدفعهم الفضول العلمي الشديد الى الكشف عن نتائج تؤكد الأعمار التي سبق ان عرفها الأثريون عن هذه الأشياء ، ان كانوا عرفوا أعمارها ، او هي تنكرها .

وأخذ العلماء في بقاع الأرض يترقبون . وأخذوا يتسمعون .

قارب أحد الفراعنة

وكان من أوائل الأشياء التي قدّر الأستاذ ليبي أعمارها بطريقته الذرية هذه ، قارب لأحد فراعنة مصر . انه سيزستريس الثالث ، ملك مصر . وهو قارب من خشب استخدم في جنازة هذا الملك عندما حملوا جسمه عبرَ الماء الى الحياة الآخرة .

واقتطعوا للتجربة التي تكون في المختبر قطعة من خشب هذا القارب ، فهو محفوظ بمتحف التاريخ الطبيعي بمدينة شيكاجو ، بالولايات المتحدة . وأخرج الأستاذ كربونها ، وعدَّ من نبضاته ما عد .

وخرج بأن خشب هذا القارب اقتطع من شجرته منذ نحو ٣٦٢١ عاما .

وكان تقدير علماء الآثار ان هذا الملك عاش منذ نحو ٣٨٠٠ عام .

وقدر الأستاذ ليبي ، فيما قدره عمر قطعة من خشب السرو ، اقتطعت من مقبرة لفرعون مصري آخر ، هو سنفرو ، وعمر قطعة من خشب الصنوبر أخذت من أرضية قصر عتيق سوريّ حثّي ، وعمر قطعة من كفن من العصر البطليموسي بمصر .

وكانت نتائجه مرضية جميعا .

التابوت المزيّف

وضحك الأستاذ ليبى كثيرا عندما جاءوه بقطعة من خشب من غطاء تابوت مصرى قديم محفوظ بمتحف شهير ، وقيل له ان عمره يبلغ ٢٣٠٠ عام . وقدّر الأستاذ عمره بالذرة فلم يسجل العدّاد الالكترونى الا ما يقابل ما دون المائة من السنين . وأعاد التجربة ، وعادت النتيجة نفسها .

انه غطاء لتابوت مزيف . ان الذين زيفوه صنعوه من خشب حديث ، ومهروا فى اظهاره بالمظهر القديم حتى جاز على خبراء الآثار فانخدعوا . وعادوا يفحصونه ، وعندئذ وجدوا به أدلة الزيف .

اشجار لها اعمار : آلاف من السنين

وزاد فى توكيد صحة تقدير الأعمار بواسطة الذرة ، تقديرها لأعمار الاشجار .

ان الاشجار على ما هو معروف تبنى جذعها كل عام ، فيزداد ثخانة ويزداد قطره اتساعا . وما ذلك الا لانه يبنى كل عام ثوبا من الأنسجة الحية دائريا اسطوانيا يغشى الثوب الذى كان ارتداه فى العام الذى سبق . وتمضى المائة من الاعوام فالمئات ، وتموت هذه الأنسجة فى قلب الجذع ، وتستحيل خشبا ، والشجرة حيّة . ولكن اذا قطع الجذعُ بالعرض ، كشف الجذع عن مقطع تظهر فيه كل هذه الاثواب السنوية ، حلقاتٍ ، يقل يكبر قطرها ثم يكبر كلما بلغنا ظاهر الشجر ، اى اطراف هذا المقطع العرضى ، تلك الأطراف التى لا تزال خضراء ، حية ، ما دامت فى الشجرة حياة .

فهذه الحلقات تعدها فتجدها تماما بعدد السنين التى عاشتها الشجرة . وقد يدقّ سمك هذه الحلقات ويرق ، فيحتاج الانسان لعدّها ، الى مجهر .

وطريقة تقدير الاعمار هذه لا ريب فيها .

وقام الأستاذ ليبى بتقدير اعمار لبعض هذه الاشجار .

وتقاربت النتائج تقاربا عجيبا .

ومن هذه الأشجار ما كان بدأ حياته قبل الميلاد المسيحى .

وحمورابى : متى عاش، وفى اى وقت حكم

ليس من يجهل ملك بابل ، حمورابى ، واضعَ أول قانون سجّله التاريخ . ان المعروف عند المؤرخين انه عاش قبل المسيح بالفى عام ، على التقريب .

ولتقدير ذلك عن طريق الذرة اقتُطعت قطع من عرق خشب كان فى سقف معروفٍ انه احترق فى عهد ملك سبق حمورابى بنحو ٢٥٠ عاما .

وقدر الأستاذ ليبى عمر قطعة من فحم هذا السقف فكان ١٩٩٣ عاما قبل الميلاد ، وهذا رقم فيه خطأ محتمل (وكل تجربة بها مقدار من الخطأ) لا يزيد على ١٠٦ من الأعوام .

فعرق الخشب اقصى عمر له هو

بعد كتابة هذا المقال جاءت الأخبار بأن فرقا من العلماء انجليزية وامريكية وسويدية أثبتت واتفقت على أن الكربون المشع يفقد نصف اشعاعه ، لا فى ٥٥٦٨ سنة كما قال الأستاذ ليبي ، ولكن فى ٥٧٣٠ سنة . ولهذا وجب اضافة ٣٪ على ما سبق أخرجه العلماء فى تجاربهم من تواريخ ..

صندل كشف عنه المنقبون فى الولايات المتحدة بولاية أرجون . وأرّخته الذرّة فوقع من التاريخ فى العصر الحجرى ، فدل هذا على ان الانسان بأمريكا ، فى ذلك العصر ، كان قد اهتدى الى طريقة النسج حتى قبل ان يستقر على الزراعة فى الأرض . والصندل مصنوع من لحاء نوع من الشجر الأمريكى معروف .

٢٠٩٩ عاما قبل الميلاد . وأقل عمر له هو ١٨٨٧ عاما تضاف اليه او تطرح منه .

وأمريكا ، متى ظهر فيها الانسان

لقد اكتشف كريستوفر كولمبس امريكا فى ختام القرن الخامس عشر . وهو وجد بها الهنود الحمر، فهم سابقوه اليها .

ولكن بكم سنة سبقوا ، او سبق غيرهم من قبيل الناس .

وتأتي الذرة تحكي عنهم .

تأتي تمتحن بعض ما تخلف من بقايا الانسان فى شتى بقاع امريكا .

فبقايا بلغ عمرها ٦٧٠٠ عام قبل الميلاد .

وبقايا بلغ عمرها ٧٠٠٠ عام قبل الميلاد .

وبقايا بلغ عمرها ٨٠٠٠ عام قبل الميلاد .

وبقايا بلغ عمرها ١٠٠٠٠ عام قبل الميلاد .

هذا مجمل من القول
وراءه صورة من صور العلم رائعة

فهذا مجمل من القول يثير عند القارىء المتطلع الى التفصيل من بعد اجمال ، عدة أسئلة يطلب الجواب عنها . من ذلك:

ما كنه هذا الكربون ذى الاشعاع ؟

وكيف يختلف عن الكربون غير المشع ؟

ومن أين يأتى هذا الكربونَ اشعاعهُ ؟

ومتى يضيع منه الاشعاع ولم وكيف؟

والى اى شىء هو صائر من بعد ضياع اشعاعه ؟

الذرات واختلافها

كان مألوف الفكر ، قبل قرنين من الزمان ، يقضى بان ذرات العناصر (الاكسجين ، الازوت ، النحاس ، الحديد .. الى سائر العناصر) انما هى وحدات من المادة لا علاقة بينها ابدا . فذرة الاكسجين لا تشبه ذرة النحاس فى شىء قط ، ولا تشبه ذرةُ الحديد ذرة الازوت . وان هذه الذرات ثابتة البناء ، فلا تتحول ذرة اكسجين الى ذرة ازوت ، ولا ذرة ازوت الى ذرة كربون ، ولا ذرة رصاص الى ذرة من ذهب . والذين طلبوا ذلك فى قديم الزمان عددناهم مخلوطين فى عقولهم ، يريدون اللحاق بما لا يُلحَق .

ويجرى الزمان ، وتُعرف الذرات ، ذرات العناصر جميعها ، ويعرف تكوينها على الرغم مما بلغته من الصغر . انها بلغت من الصغر حدا لا تدركها فيه أكبر المجاهر . اننا لو صففنا ذرات من الادروجين ، مثلا ، صفا واحدا ، طوله ملئى مترٍ واحد ، لاشتمل على ١٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ذرة .

وانتهت بحوث الذرة اخيرا ، بان ذرات العناصر جميعا تتألف ، كما تتألف الثمرة ، من نواة ، يحيط بها غلاف .

اما الغلاف ، فى الذرة ، فيتألف من دقائق (جُسَيمات) من الكهرباء ، هى حبّات الكهرباء الاولى التى منها تتألف ، وتسمّها الكترونات ، ومفردها الكترون . وأما النواة فتتألف عموما من نوعين من الدقائق ، بروتونٍ به شحنة كهربائية مُوجبة ، ونترونٍ ولا شحنة فيه ، لا موجبة ولا سالبة ، فهو متعادل . والدقيقتان تتساويان كتلة .. تتساويان وزنا .

والذرات،من ذرات اكسجين ، الى ذرات ازوت، الى رصاص ، الى حديد .. الى سائر العناصر ، انما تختلف باختلاف عدد ما بنواتها من بروتونات ، وبما يدور حول هذه النواة من الكترونات ، تدور كما تدور الارض والزُهرة والمريخ وسائر الكواكب حول الشمس .. لولا صغر هذه المتناهى ،وكبر هذه المتناهى .

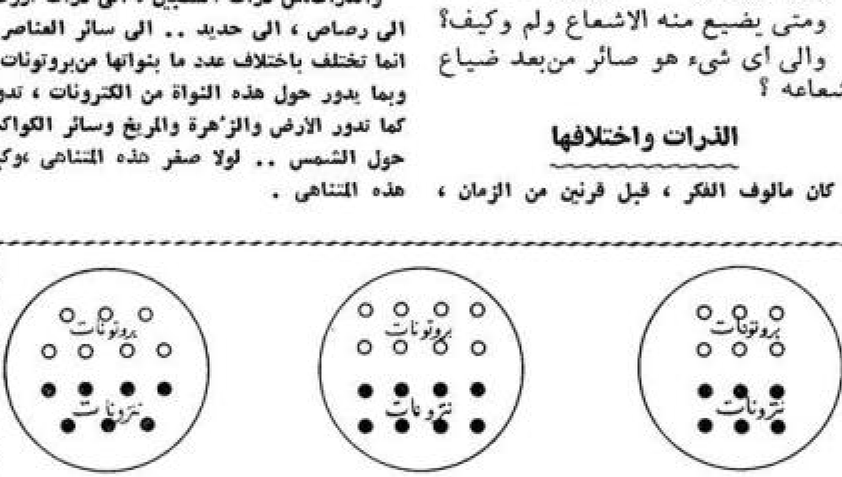

نواة ذرة الكربون (١٢) — نواة ذرة الأكسجين (١٦) — نواة ذرة الأزوت (١٤)

الهواء الجوى

والذى يهمنا فى كلمتنا هذه ، من كل هذه العناصر ، انما هى عناصر الهواء . والذى يعنينا من عناصر الهواء الآن انما هما عنصران ، الأزوت والكربون . أما الأزوت (النتروجين) ، فيوجد فى الهواء ، مع الأكسجين ، فى صورة عنصر فرد غير متحد . أما الكربون فيوجد فى الهواء فى صورة مركب يعرف عند الكيماويين بحامض الكربونيك أو ثانى أكسيد الكربون .

والذى يهمنا من الأزوت هذا ،

والذى يهمنا من الكربون هذا ،

ما بنواتهما من بروتونات ونترونات .

ذرة الأزوت بها ٧ بروتونات +٧ نترونات . فوزنه الذرى ١٤ .

وذرة الكربون بها ٦ بروتونات +٦ نترونات . فوزنه الذرى ١٢ .

ترى من ذلك انه من السهل تحويل ذرة الأزوت الى ذرة كربون ، أو تحويل ذرة كربون الى ذرة أزوت ، وذلك باضافة بروتون ونترون الى ذرة الكربون ليصير أزوتا عاديا ، أو بطرح بروتون ونترون من ذرة الأزوت ليصير كربونا عاديا .

عند أطراف الجو العليا

هذه العملية ، تحويل الأزوت الى كربون مشع ، تحدث فى هواء الجو ، فى أعالى الجو .

ان الكرة الأرضية تمطرها من علٍ أشعة قوية تأتى من الكون تعرف بالأشعة الكونية . (ليس هذا أوان التحدث عنها) .

ومن بين هذا المطر الاشعاعي وابل من النترونات.

فهذا الوابل من النترونات يصيب ذرات الأزوت فى أعالى الهواء الجوى ، فيدخل فى نواة كل ذرة يصيبها من ذرات الأزوت نترونا جديدا ، فيجعل من نتروناتها ثمانية نترونات بدل سبعة ، ولكن الذرة تريد ان تحتفظ بوزنها ، فمن أجل ذلك هى تطرد بروتونا من بروتوناتها السبعة .

والنتيجة ذرة جديدة عجيبة ، وزنها كوزن ذرة الأزوت (٦ بروتونات + ٨ نترونات) ، فلها وزن ذرة الأزوت الذرى الذى هو ١٤ ، ولكن شحنتها الكهربائية تتمثل فى ٦ بروتونات فقط ، كذرة الكربون تماما .

والشحنة الكهربائية هى التى تتمثل فيها الاتحادات الكيماوية . وهى الصفة التى تعطى الذرة خواصها الكيماوية .

لهذا سمينا هذا المخلوق الجديد ، الذى ليس هو بذرة أزوت ، ولا بذرة كربون ، بكربون رقم١٤ .

سميناه كربونا لانه شحنته الكهربائية كشحنة الكربون ، فتفاعلاته الكيماوية كتفاعل الكربون . على الرغم من ان نواته ، من حيث الثقل ، كمثل نواة ذرة الأزوت .

مخلوق جديد شاذ

هذه الذرة الجديدة ، هذا المخلوق الجديد ، مخلوق شاذ ، يريد أن يعدل من تركيب نواته ، من ذات نفسه ، ليعود الى سابق خلقته ، الى ذرة الأزوت ، كما كان سواها الله فى الهواء الجوى اول مرة .

ولكن كيف يصنع هذا ؟ كيف تصنع الذرة هذا ؟

ان بها ٦ بروتونات + ٨ نترونات .

وهى تريد ٧ بروتونات + ٧ نترونات لتعود الى أصلها ، الى أزوت .

ويحدث هذا بطريقة تلقائية عجيبة : يتحول نترون الى بروتون ! وبذلك يتصحح عدد البروتونات ، وكذلك عدد النترونات .

ولكن، ينبعث من هذا التحول ،ومعه، الكترون واحد . ان تحول النترون

كشف العرب فى كهف عين فشخة بفلسطين عن نسخة اثرية لكتاب النبي أشعيا من العهد القديم . وهى قراطيس مهلهلة من القدم سبقت المعروف من المخطوطات العبرية بنحو ٩٠٠ عام . وقد أرخوا بالذرة لقماش التيل الذى لفت به هذه القراطيس فوقع تاريخها فى السنوات الأولى من العصر المسيحي ..

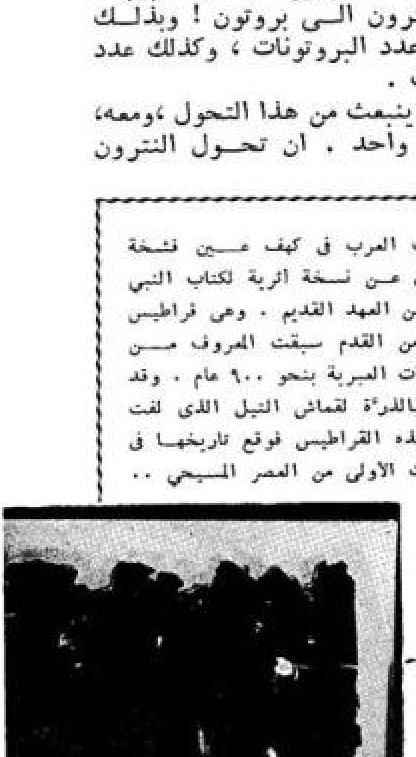

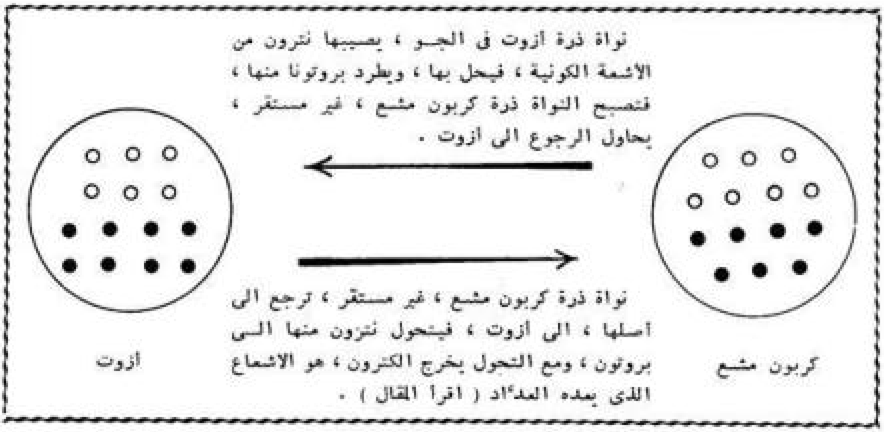

الواحد الى بروتون واحد يقتضى انبعاث الكترون واحد فى هذا التحول .

هذا هو الاشعاع

ان هذا الالكترون هو الاشعاع .

هو هذا الذى يحصيه عداد «جيجر»، ونسمعنا اياه الف نبضة أو ٥٠٠ نبضة، أو ما بين هذا وذاك من نبضات ، فى الساعة .

انها فى الواقع دقائق كهربائية (الكترونات) تخرج لتصحح من بعد خروجها الأوضاع ، ليعود الكربون ١٤ (الذى جاء من أزوت الجو بفعل الأشعة الكونية) الى أصله ، الأزوت العادى .

الكربون المشع فى نباتنا وحيواننا وفى أجسامنا وفى غدائنا وعشائنا وافطارنا

عمليتان فى هذه الحياة ، توجدان دائما جنبا الى جنب : عملية خَلْق ، الى جانبها عملية افناء. وهى هكذا فى ما وصفنا مما يحدث من ايجاد ذرة ذات اشعاع ، ثم افناء الاشعاع فى هذه الذرة .

الأشعة الكونية تمطر هواءنا ، جو الأرض ، فى أعاليه ، بالنترونات ، فتخلق من ازوته ،كربونا مشعا . ويختلط هذا بالجو فى شتى طبقاته ، حتى ينتشر فيه بالسوية . وفى نفس الوقت تجرى عملية تلقائية ، عكس هذه ، وهى عودة الكربون المشع الى ازوت ، واشعاعه الالكترونات .

ومقدار الخلق يقع بمقدار الافناء ، تماما .

فتظل نسبة الكربون المشع فى الجو ثابتة ، أعنى نسبته الى الكربون العادى غير المشع .

وفى الأحياء جميعا

وهى هى نفسها نسبة الكربون المشع. فى جميع الأحياء ، الى غير المشع .

لان الأحياء جميعا تظل تتبادل مع الهواء كربونا ما ظلت حية . النبات يأخذ من هواء الجو كربونه ليصنع منه ، ومن ماء الأرض وبعض عناصرها ، جسمه . وهو يتنفس ، وهى عملية يرد فيها النبات الى الجو بعض ما أخذ من كربونه .أخذ وعطاء ، من الكربون بنوعيه : مشع وغير مشع .

فالنسبة بين النوعين فى النبات الحى هى كما هى فى هواء الجو .

والحيوانات تأكل النباتات لتصنع منها أجسامها ، وهى تحرق هذا الطعام ، ثم هى تتنفس فترد الى الجو بعض كربونه . فهو اذن تبادل بين الحيوان والنبات ، وبين هواء الجو ، يجعل نسبة الكربون المشع الى غير المشع ، فى الكائن الحى ، هى كنسبته فى الهواء ، ما ظل نبات حيا وما ظل حيوان أو انسان .

واذا ماتت الأحياء ..

فاذا ماتت الأحياء ، من حيوان أو نبات ، فهى قد تنحل كل الانحلال سريعا، وتعود الى الهواء ، اكسيد كربون ، به الكربون المشع وغير المشع على السواء .

ولكن بعض يبقى : شجرة تموت ، ويبقى خشبها سنين وقرونا . ماشية تموت ويبقى شعرها وحافرها الأجيال الطوال وبهما كربونهما . انسان يموت ويبقى جلد منه أو يبقى عظم .

لقد انقطع ما بين هذه الأحياء وبين هواء الجو من يوم أن ماتت . وهى من

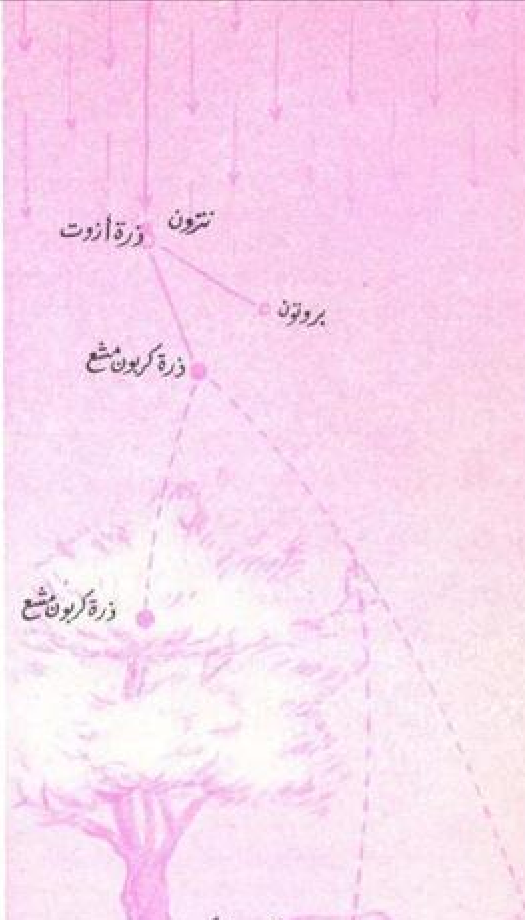

نترونات من الاشعة الكونية فى أعلى الجو ، تهاجم نواة ذرات الازوت فى الهواء ، فتصنع منها ذرة كربون مشع ، ويخرج مع هذا التحول بروتون . ثم تدخل ذرات الكربون المشع فى تركيب النبات على الارض ، وفى الشجر والثمر ، ويأكلها الانسان فيدخل الكربون المشع فى تركيبه : ولكن الكربون فى جسم كل حيّ هو فى تبادل مستمر مع الجو ، بالتنفس والتحلل . فنسبة الكربون المشع فى الاحياء كنسبته فى الهواء ، وهي ثابتة . فاذا مات الحي ، من نبات أو حيوان ، امتنع تزوده بالكربون المشع ، واخذ ما به من اشعاع يضمحل . وتقوم العدادات الالكترونية بحساب كم فقد من اشعاعه من يوم مات . واذن فكم مائة وكم ألفا من السنين قضاها ميتا . على هذا النحو تؤرخ الذرّة المخلفات والآثار (راجع النصوص فى المقال) ..

يوم ان ماتت لا تتزوّد بكربون مشع من الهواء جديد . وهى ماتت وبها حصيلة من الكربون المشع معلومة معروفة ، هى هى التى بالهواء الجوى . وهى ثابتة على الزمان . ويأخذ هذا الاشعاع فى هذه المخلفات يفنى عاما بعد عام ، وقرنا بعد قرن .

فهذه المخلفات هى التى يهدف العلماء الى تعيين اعمارها . انهم يقيسون كم ضاع من اشعاعها . وعندهم مقدار ما يضيع من اشعاع فى زمن معلوم .. من اشعاع لعنصر الكربون كان مصدره ما كان . واذن هم يحسبون كم من الزمن ظل هذا المخلف الأثرى ، من نبات كان ، او حيوان ، ظل يفقد من اشعاعه . واذن كم من زمن ظل وهو فاقد حياته . واذن فمتى عاش ؟

قال الأستاذ لينى ، ان كل ذرة من اثر ، كان يوما ما حيا ، تحمل شهادة بميلادها .

واقول : ان كل ذرة من اثر ، كان يوما حيا ، تحمل شهادة بسنة وفاتها .

كم فى الكربون ، من كربون مشع ؟

حسب الأستاذ ليبى كم فى الهواء الجوى ، كم فى كربونه (وهو على صورة ثانى اكسيد الكربون كما قدمنا) من كربون غير مشع ، ومن كربون مشع .

وخرج من الحساب على انه يوجد ، مع كل ذرة واحدة من الكربون المشع ، مليون مليون ذرة من الكربون العادى المستقر ، غير المشع .

وعلى هذه النسبة يوجد الكربون فى كل كائن حى ، ما ظل حيا يتبادل مع الهواء الجوى كربونه .

وحسب فوجد ان كل ما فى هذه الكرة الأرضية وحولها من الكربون المشع لا يزيد على ٧٩ طنا !!

كم يستغرق الكربون المشع من الزمن ليفقد اشعاعه ؟

سبق ان قلنا ان الكربون المشع ، فى كتلة ما من الكربون ، يفقد نصف اشعاعه فى ٥٥٦٨ عام . فلو ان بها اليوم ٨٠ الف مليون ذرة كربون مشعة ، لتفقئ منها بعد ٥٥٦٨ عام ٤٠ الف مليون ذرة كربون لتصير ذرات من ازوت . ومن بعد فوات ٥٥٦٨ عام اخرى يتفقع من هذه بعضها لتصير ذرات من ازوت ، اى ٢٠ الف مليون ذرة من الكربون المشع . وهلم جرا ..

وتعد الذرات بالملايين ، وليس هذا بغريب ، اذا علمنا ان الجرام الواحد من الادروجين مثلا ، وهو اخف الذرات ، به نحو ستمائة الف مليون مليون مليون ذرة ، وان الجرام من الكربون وهو ذرة اثقل من ذرة الادروجين ١٢ مرة ، به نحو خمسين الف مليون مليون مليون ذرة .

ومن غريب أمر هذا التحول ، من ذرات كربون مشع ، الى ذرات ازوت عادى غير ذى اشعاع ، انه لا يتأثر بحرارة أو برودة ، او ارتفاع فى الجو او انخفاض ، أو زيادة فى ضغط او نقص فيه . انه ثابت، يجرى على السنين ، وعلى رغم القرون.

تقدم كبير فى تاريخ الأشياء

انه ، منذ بدات هذه البحوث من بعد الحرب العالمية الثانية ، الى هذه الأعوام الحاضرة، تقدم علم التاريخ هذا ، بواسطة الكربون ذى الاشعاع ، تقدما كبيرا . وكثرت مختبراته حتى زادت اليوم على الأربعين . وفى انجلترا اذكر على الاقل ثلاثة مختبرات قائمة بهذا الامر فيها .

وكان المؤرخ العلمى فى اول الأمر يحتاج الى مقدار كبير من الفحم يستخرجه من الأثر المطلوب عمره ، يصل الى بضعة عشرات من الجرامات . اما اليوم وقد تحسنت الأجهزة ، وزادت دقة ، فقد امكن الاكتفاء بمقادير من الفحم قليلة قد لا تزيد على جزء من مائة من الجرام الواحد .

وبدأ التاريخ باستحضار الفحم الصلب الأسود من عيناته . ولكن اكثر المعامل اليوم تستخرجه من مخلفات على صورة غاز ، ثانى اكسيد الكربون او غير ثانى اكسيد الكربون ، ثم هى تنقيه فى أنابيبه دون أن يمس الهواء . وهى تدخله من بعد ذلك الى عدادات الكترونية ، اشبه بعدادات «جيجر» ، لتمد فيه النبضات . وبها اداة خاصة تحصى هذه النبضات احصاء ، فلا يقف عندها العالم ، كل الوقت، يتسمّع لها او ينظر الى آثارها.

وزادت اجهزة الرصد هذه ـ هذه العدادات ـ حساسية ، فصارت تحس بمقدار من النبض اقل كثيرا مما كانت تحس به اولا . اقل بنحو ٢٠٠٠ مرة. ومعنى هذا أنها استطاعت أن ترصد ذرات الكربون من هذه المخلفات حتى القديم الأقدم منها ، الذى ضعف اشعاعه بمرور الزمن ضعفا شديدا . واغلب المختبرات اليوم تستطيع ان تؤرخ الى نحو ٣٥٠٠٠ سنة أو ٤٥٠٠٠ سنة مضت . ولكن منها ما استطاع ان يؤرخ الى ٧٠٠٠٠ سنة مضت .

ومن بعد الكربون ، تقوم ذرات اخرى تؤرخ

ولا يقف التاريخ بالذرة الى هذه الالوف من السنين ، الى ٤٥٠٠٠ او الى ٧٠٠٠٠ . يعجز الكربون فتقوم بدلا منه ذرات من عناصر اخرى ، تؤرخ بطريقة شبيهة بطريقته .

فعنصر البوتسيوم مثلا ، يتحول على القرون ، وهو يؤرخ لمليون عام .

فبالكربون والبوتسيوم ، يشبر بهما العلماء كل المدة من الزمان التى عاشها فوق هذه الارض الانسان . ■■

احمد زكى

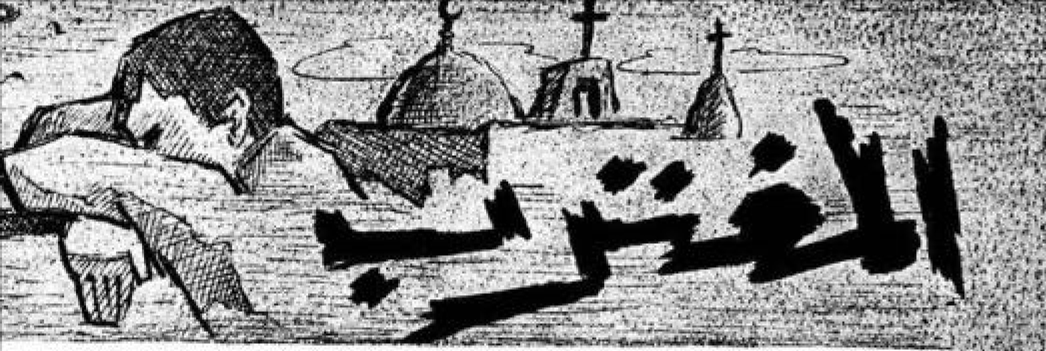

المغترب

صوتُ البلاد بمسمعي   صوتٌ أبحُّ : ألا ارجعِ
كفُّ التلاقي لم تزل   ممدودةٌ لمودِّعِ
والابتسامُ لعائد   مازال خلف المدْمعِ
والنظرةُ الحيرى تَطُوْ   فُ على الجهات الأربعِ
فبكلِّ أُفْقٍ عالقٌ   أملُ الأب المتوجِّعِ
كم مدَّ لِلُقْيا يدا   ومشى ولكن لا يَعِي
نادى بصوت خافت   وقَضَى ولما نسمعِ
وأمامَ كلِّ كنيسةٍ   أو جامعٍ أو مَرْكَعِ
أمّ جئتْ تتلو الصلا   ةَ بحُرقة وتخشُّعِ
وبكتْ كأن وحيدها   يأتي ببحر الأدمعِ

***

جُرح البلادِ بمن نأوا   جُرحٌ غزيرُ المنبعِ
وقفتْ على أطلالهم   ولَهَى تدلّ بأصبعِ
ليتَ الوفاءَ يُعيدهم   لخليِّ ذاك الموضعِ

***

صوتُ البلاد بمَسمعي   رغمَ الفضاءِ الأوسعِ
مهما بعدتُ وطِلْتُ عهـ   ـدا لم تَزل في أضلعي
أسعى النهارَ مجاهدا   فكأنها تسعى معي
وإذا أويتُ لمضجعي   ألفيتُها في مضجعي
كم بتُّ ملْءَ الليل في   نجوى المُحبِّ المولَعِ

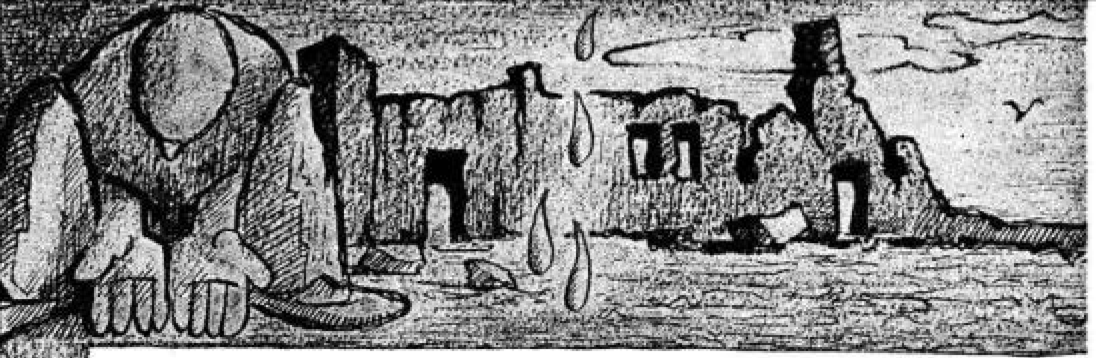

وحَبِيت ماضيَّ الحبيـ ب بلـذة المتمتـع

★★★

وطني هجرتُ ربوعه حباً بتلك الأربع
وحملت آلام الغريـ ب بعـزة وترفُّـع
وفتحتُ أبواب الغد الـ مجهول أسبقُ مَطمعي
ونشرته في الخافقيـ ن مع الشذا المتضوع
وطني لأجلك ما عملـ تُ وما أقولُ وأدّعي
كم شدتُ باسمكَ ملجأً وفتحت كفَّ مـوزع
ونشرت آيات النبو غ على الجبين الأنصع
زودتني بلمي وفيـ ـه هُتاف ماض .... أروع
فمشيتُ أستبق الزما ن إلى المكان الأرفع

★★★

أنكرتُ ما حولي وما جمعتْ يداي وما معي
والشوق ملءُ جوارحي ولواعجي لم تهجع
والذكريات بخاطري وإلى هناك تطلّعي
دَيْن علينا أن نعو د على عصا المتسكع
فلنتنزع يوم الإيا ب من الزمان المُسرع
ما لـذة الدنيا سوى يوم اللقاء المزمَع

جان زلاقط

سنتياغو تشيلي

طرائف عربية

حكمة من اردشير

● قيل لاردشير : ايها الملك الرفيع الذى حلب العصور ، وجرب الدهور ، اى الكنوز اعظم قدرا ؟ **قال** : العلم الذى خف محمله ، فثقلت مفارقته ، وكثرت مرافقته ، وخفي مكانه ، فأمن من السرقة عليه ، فهو فى الملا جمال ، وفى الوحدة انيس ، ويراس به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك .

قيل له : فالمال ؟ **قال** : ليس كذلك .محمله ثقيل ، والهم به طويل ، ان كنت فى ملأ شغلك الفكر فيه ، وان كنت فى خلوة اتعبتك حراسته .

رثاء المنصور

● لما دُفن المنصور وقف الربيع على قبره فقال : رحمك الله يا امير المؤمنين ، وغفر لك فقد كان لك حمىً من العقل لا يطئ به الجهل ، وكنت ترى باطن الامر بمرآة من الرأى ، كما ترى ظاهره .

يغفر الله لأهل الجمال

● خرج ابو حازم يوما للحج ، واخذ يرمى الجمار ، فاذا هو بامرأة ليس على وجهها قناع قد فتنت الناس بحسن وجهها ، وألهتهم بجمالها ، فقال لها : يا هذه انك بمكان حرام ، وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم ، فاتقى الله واستترى ، فان الله عز وجلّ يقول فى كتابه العزيز (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) .

فقالت : انى من اللاتي قيل فيهن :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها
وأرخت على المتنين برداً مُهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبةً
ولكن ليقتلن البرىء المغفَّلا

والشعر للحارث بن خالد المخزومى .

فقال ابو حازم لأصحابه : تعالوا ندعُ الله لهذه الصورة الحسنة ان لا يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل ابو حازم يدعو واصحابه يؤمنون . فبلغ ذلك الشعبى فقال: ما ارقكم يا أهل الحجاز، واظرفكم ! اما والله لو كان من قرّى العراق لقال : اعزبى عليك لعنة الله !

(بخيل ..

● قال الجاحظ: استلف زبيدة بن حميد الصيرفي ، من بقال كان على باب داره درهمين واربع حبات شعير، فلما قضاه بعد ستة اشهر ، قضاه درهمين وثلاث حبات شعير . فاغتاظ البقال ، وقال : سبحان الله ! انت رب مائة الف دينار ، وانا بقال لا املك مائة فلس ، وانما أعيش بكدى وباستفضال الحبة والحبتين ،

ابتعد عن هؤلاء

● «لا تتهافت على اللئيم فتتهم فى مروءتك .. ولا على الغنى فتتهم فى عفتك .. ولا على الجاهل فتتهم فى فطنتك».

(احمد شوقى)

أشعب يتنازل عن تسع خصال !!

● روى عن اشعب انه قال له بعض اخوانه لو صرت الي العشية نتفرج ؟
قال : اخاف أن يجيء ثقيل . قلت : ليس معنا ثالث .
فمضي معي ، فلما وصلنا الظهر ، ودعوت بالطعام ، فاذا بداق يدق الباب.
قال : ترى ان قد صرنا الى ما نكره .
قلت له : انه صديق وفيه عشر خصال ، ان كرهت واحدة منهن لم آذن له.
قال : هات .
قلت : اولها انه لا ياكل ولا يشرب .
قال : التسع لك ، قل له يدخل !

بعد نظر

● قيل لجحا : لماذا اذا طلب منك انسان شيئا لا تعطيه اياه الا فى اليوم التالى ؟
فقال : افعل ذلك ليعرف قدر ما اعطيه !

طرفة من الجاحظ

● **قال الجاحظ :** مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نباح الكلاب ، فوقفت انظر اليه ، واذا بصبى قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه ، فقلت : عرفنى خبره .
فقال : هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج ، وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن انه صوت الكلب فيخرج فأمسكه !!

بخيل !!)

سلفتك درهمين واربع حبات شعير فقضيتنى بعد ستة اشهر درهمين وثلاث حبات شعير !!

فقال زبيدة : يا مجنون ، اسلفتني فى الصيف فقضيتك فى الشتاء ، وثلاث شعيرات شتوية ندية ، تزن اربع شعيرات يابسة صيفية . وما اشك ان معك فضلا !!

عريب فى مجلس الخليفة

● دخل ابن هشام ـ وكان من زمرة المغنين ـ على الخليفة المعتز ، وعريب تغني فى مجلسه . فقال الخليفة له :
ـ غن يا ابن هشام .
فأجابه بانه ترك الغناء منذ قتل الخليفة المتوكل .
فقالت له عريب :
ـ قد والله أحسنت حيث تبت ، فان غناءك كان قليل المعنى ، لامتقنا ، ولا صحيحا ، ولا طربا !
فضحك كل من كان فى مجلس الخليفة المعتز .

فلاسفة معاصرون

سانتيانا

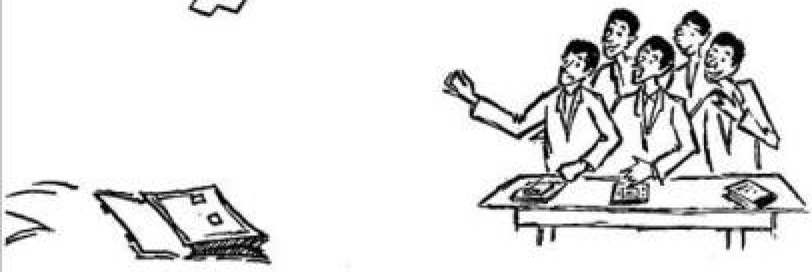

كره التدريس ، وهرب من تلاميذه

بقلم : الدكتور زكى نجيب محمود

■ ولد جورج سانتيانا فى اسبانيا من ابوين اسبانيين ، وُلد وحيدا لوالده ، لكنه اخ لأخوة ثلاثة من امــه ، وهى اسبانية كانت تزوجت زوجهــا الأول الامريكي وانجبت له هؤلاء الأطــفال الثلاثة ، ووعدته قبل موته ان تنشئهم فى وطنه امريكا ، وارادت أن تبر بوعدها ، فأخذتهم ومعهم وليــدها الجديد من زوجها الثانى الاسبانى ، وذهبت الى امريكا حيث نشــأ فيلسوفنا وتربى ودرس فى جامعة هرفرد Harvard ، ثم اشتغل بتدريس الفلسفة فيها حتى بلغ منصب الأســتاذية ، لكنه غادرها عائدا الى أوروبا ليقضى فيها بقية عمره .

تاثره بابيه صغيرا

كان الناشىء الاسبانى الصغير قد تاثر بابيــه فى اسبانيا اعمق الاثر قبل ان يعبر المحيط مع امه الى امريكا ، ذلك ان الوالد كان يصطحب ابنــه الصغير فى تنزهاته ، ويحاول ان يبذر فيه بذور الأفكار الرئيسية التى كان يعتقد فى صــوابها ، فبذر فيه كراهية للتفكير التاملى الشاطح ، وحبا للتفكير القائم على الوقائع المباشرة ، كما بث فيه ـ فى نفس الوقت ـ حبا للشعر وتشككا فى العقائد التى يولدها الخوف من المجهول ثم تنزل من عقول الجاهلين كانها الحق اليقين .

حب الدراسة الجادة والعزلة الهادئة

فما ان ذهب ناشئنا الى امريكا وبدأ حيــاته الدراسية ، حتى بدت منه بوادر النبوغ وامارات التفرد بخصائص تميزه من بقية الزملاء ، فهو ـ على خلاف هؤلاء الزملاء ـ يحب الدراســة الجادة فى العزلة الهادئة ، ولا يطمئن نفسا اذا ما وجد نفسه فى حشد من الناس ، حتى تعرض بسبب هذا الشذوذ لسخرية الزملاء الذين لا يرضيهم الا ان يكون الكل ســواء ، لكن كان لفيلسوفنا الناشىء من حدة اللسان وغضبة الثائر ما كفل له الوقاية من لذعات الساخرين .

موقفه من دينه

فلما فرغ سانتيانا من دراسته الثانوية ودخل الجامعة ـ جامعة هرفرد ـ وجد الفرصة سانحة لاشباع رغبتيه معا : رغبته فى الدراسة الجادة ، ورغبته فى العزلة ، وكان حتى ذلك الحين يعانى صراعا فى نفسه عن الموقف الذى يقفه ازاء الايمان بالدين : أيتنكر له ويتشكك فيه كما اوصاه ابواه؟ أم يفىء الى ظله الوارف المُريح ؟ ولبث كـذلك

الوجود عنده وجودان : وجود بالفكر ووجود بالفعل

حتى فرغ من الدراسة الجامعية ، وعندئذ حدد لنفسه موقفا صريحا ، ولم يعد ــ كما كان من قبل على حد تعبيره هو ــ « واقفا من الكنيسة عند بابها » لا يدخلها ولا يغادرها ، انه الآن فقط استقر قراره : نعم ان الايمان الدينى ــ كما قال له ابواه ــ من وهم الخيال ، ولكنه خالف أبويه حين قال لنفسه : وماذا يعيب وهم الخيال؟ ان خلق الخيال البديع أمر لا مندوحة لنا عنه ، ما دمنا لا نخلطه بامور الواقع فنظنه منها ، لا بل ان امنيته اصبحت واضحة المعالم أمام عينيه ، وهى ان يكف عن الشطح فيما هو فوق الطبيعة ، وان يكف عن الغوص فى جلبة الحياة الواقعة ، ليلوذ بعزلة يستطيع فيها ان يبدع بخياله صورا يعيش معها وفيها ، وفى تلك الصور التى خلقها وابدعها جوانب فلسفته واركانها .

أستاذ بالجامعة

لم يكد سانتيانا يظفر بالدكتوراه فى الفلسفة من جامعة هرفرد ــ وكان من بين أساتذته هناك وليم جيمس William Jame وجوزيا رويس حتى عين بالجامعة نفسها محاضرا لمدة تسع سنوات ، فاستاذا مساعدا لمدة تسع سنوات أخر، فاستاذا لكرسى الفلسفة بالجامعة بعد موت استاذه جوزيا رويس ، ولبث يشغل منصب الأستاذية حتى غادر هرفرد سنة ١٩١٢ ، وكان عندئذ قد أوشك على الخمسين .

لم يكن فيلسوفنا سعيدا ابان مقامه بهرفرد ، فلئن أحب الدراسة لذاتها ، فقد كره التدريس ، فتراه فى القصة الوحيدة التى كتبها يقول عن بطلها انه اضطر الى مهنة التدريس لانه لم يجد صنعة أخرى يشتغل بها ، ويقول احد اشخاص القصة : « انه ينبغى للناس اما ان يتولوا تعليم انفسهم بانفسهم ، أو ان يظلوا جاهلين ، والكثرة الغالبة منهم تفضل البديل الثانى » .. وهكذا نظر سانتيانا الى تدريسه بالجامعة نظرته الى الواجب الكريه الذى لم يكن له منه بد ليعيش أولا ، وليدخر ما يعينه فيما بعد على حياة العزلة، وفى ذلك يقول : « الحق انى كنت دائما على غير طبيعتى فى التدريس وفى المجتمع، ففى كليهما كنت افتعل ما اقول افتعالا » .. ولما كان فيلسوفنا وحيدا لم يتزوج قط ، وعاش حياة زهد لا ترف فيها ولا اسراف ، فقد استطاع ان يدخر ما يمكنه من الفرار من مهنته وهو لم يزل فى سن صغيرة نسبيا ، ذلك فضلا عما اخذ يأتيه من أرباح من كتبه المنشورة .

مؤلفاته الفلسفية الهامة

ويروى أنه ذات يوم ، بينما كان فى غرفة المحاضرة يلقى درسه على طلابه حانت منه التفاتة خلال النافذة الى الخارج ، فنظر الى طلابه وقال: « اننى على موعد مع الربيع » ــ وخرج من قاعة الدرس بخطوات سريعة ولم يعد بعدها أبدا ــ سافر الى أوروبا حيث أقام حينا فى اكسفورد (وكان ذلك ابان الحرب العالمية الاولى) وحينا آخر وأخيرا فى روما ، وبين الحينين اخذ يتنقل هنا وهناك فى ربوع أوروبا ، وخلال فترات عزلته الطويلة أخرج مؤلفاته الفلسفية الهامة التى منها يتكون مذهبه ، فقبل مغادرته لامريكا كان قد أصدر كتاب « الاحساس بالجمال The Sense of Beauty » عام ١٨٩٦ (وهو مترجم الى العربية) وكتاب « حياة العقل The Life of Reason » فى خمسة أجزاء عام ١٩٠٥ ، وبعد مغادرته لامريكا أصدر مؤلفه العظيم « عالم الوجود Realms of Being » ــ ومات جورج سانتيانا فى سبتمبر عام ١٩٥٢ ، وكان عندئذ قد بلغ من العمر تسعة وثمانين عاما .

وعى الانسان بشىء دليل على وجوده

فلسفة سانتيانا فلسفة طبيعية تفسر الطبيعة

بنفسها ، فهو يذهب ـ كما يذهب الفلاسفة الواقعيون ـ الى أن وعي الانسان بشيء ما من اشياء العالم الواقع دليل على وجود ذلك الشيء كما هو في ذاته خارج الذات الواعية له ، فمعرفة الانسان للشيء الذي يدركه هو صورة تمثل ذلك الشيء تمثيلا صحيحا ، على أن الانسان اذ يتصل بالأشياء ليدركها ، فانما يتصل بها اتصالا مباشرا لا تكون فيه حلقة وسطى بين الذات العارفة والشيء المعروف ، فاذا كنت ـ مثلا ـ ادرك هذا القلم في يدي وهذه الورقة امامي ، فلا بد أن يكون القلم والورقة موجودين وجودا حقيقيا لا يجوز الشك فيه .

فاذا سأل سائل ـ كما يسأل الفلاسفة ـ : ومن ذا ادراك حين تعي مجموعة من الصفات مجتمعة ، كلون القلم وشكله وصلابته،بين اصابعك، ان هذه الصفات انما اجتمعت في شيء خارجي له وجود مفارق لوجود افكارك الكائنة في ذهنك أنت؟ أليس كل ما تعرفه معرفة مباشرة هو خبرتك أنت التي هي في دخيلة نفسك ؟ فما الذي يسوغ لك أن تجاوز هذه الخبرة الداخلية المباشرة لتزعم ان شيئا خارجيا يقابلها ؟ أقول انه اذا سأل سائل سؤالا كهذا ، أجاب سانتيانا بما أسماه «الايمان الحيواني » أو ان شئت فقل « الايمان الفطري» ـ ففي كيان الانسان الفطري مثل هذا الايمان الذي يؤمن به أن معرفته الداخلية صورة من عالم خارجي موجود وجودا حقيقيا ، على اختلاف ما بين الجانبين : فالجانب الداخلي وعي وعقل والجانب الخارجي مادة .

قد تقوم في الذهن اشياء لا وجود لها

وقد يعود السائل المعترض فيسأل : هل كل ما في الذهن من افكار يقابله وجود حقيقي في العالم الخارجي ؟ الا يكون في رأس الانسان احيانا افكار ذهنية صرف ، لا يقابلها في الخارج اشياء ؟وهنا يجيب سانتيانا : نعم ان أمثال هذه الحالات التي تكون فيها الأفكار بغير مقابل خارجي لا شك في قيامها ، ولكن ليس فينا من لا يفرق بين هاتين الحالتين : حالة الفكرة التي يقابلها في الخارج شيء عيني ، وحالة الفكرة التي لا يقابلها شيء ، ولولا الايمان الفطري الذي ذكرناه ، لما استطاع الانسان أن يفرق بين هاتين الحالتين عندما تكون الفكرتان داخل الرأس على حد سواء . أما بفضل هذا الايمان الفطري فتراثا نفرق بين وجودين : وجود عيني يقابل الافكار ذوات المسميات الخارجية، ووجود فكري لمدلولات الافكار الأخرى التي نعرف أن ليس لها مسميات خارجية .

الوجدان : فكري وفعلي

والفرق الجوهري بين الوجودين : الفكري من جهة والفعلي من جهة اخرى ، هو نفسه الفرق بين ما كان ارسطو قد أسماه بالوجودبالقوة والوجود بالفعل ، فالأول وجود بالامكان فقط ، مستعد لان يخرج الىالفعلاذا ما توافرت الظروف المواتية ، والثاني وجود متعين متجسد في أشياء واقعة ، وواضح أن الموجودات الممكنة أكثر عددا من الموجودات الفعلية ، لأن تصور العقل للممكنات لا نهاية له ولا حدود ، وأما الموجودات الفعلية فمقيدة بالواقع الكائن المتحقق ، فكل موجود فعلي كان من قبل موجودا ممكنا ، ثم تحقق ، ولكن كل موجود ممكن سيلتمس سبيله الى التحقق الفعلي، ومعنى ذلك أن العالم في صورته الواقعة ليس هو العالم الوحيد الذي كان يمكن أن يكون ، بل هناك عوالم اخرى لا نهاية لعددها ، يمكن أن نتصور قيامها ، وما العالم الفعلي الا واحد من تلك الممكنات ، امتاز من دونها بكونه قد خرج من الامكان الى الواقع المتحقق .

أشياء ممكنة وأشياء متحققة

هناك اذن عالمان : عالم الممكنات وعالم الأشياء المتحققة ، وهذا العالم الثاني مسبوق دائما بالعالم الأول ، اذ محال على شيء أن يتحققوجوده في العالم المادي الا اذا كان قبل ذلك فكرة في عالم ما هو ممكن ، حتى اذا ما برز الى الوجود الفعلي حفنة من بحر الممكنات الزاخر ، كان لنا بذلك ما نسميه « بالحق » ـ فما « الحق » الا الممكن الذي تحقق ظهوره بالفعل ، ولكننا قلنا انه كان يمكن لغيره من الممكنات أن يظهر بدل هذا الذي ظهر فعلا واصبح « حقا » ، واذن « فالحق » أمر عرضي لا تحتمه الضرورة العقلية المنطقية ، واعني بذلك انه لم يكن هناك ما يحتم أن يظهر هذا الذي ظهر دون سواه ، أي أن ما نصفه بانه « الحق » كان يجوز الا يحدث حدوثا فعليا ، وعندئذ كان غيره هو الذي سيوصف بأنه « الحق » .

ونترك طائفة الممكنات التي تحققت في وجود فعلي لنسأل : وماذا عن بقية الممكنات التي لم

تحقق ؟ انها هى التى يطلق عليها سانتيانا اسم « عالم الروح » ، لأنه هو العالم الذى يلوذ به الانسان اذا لم يعجبه العالم المتحقق الواقـع ، فقد يضيق الانسان صدرا بهذا الذى حوله مـن اشياء ونظم ، فاين يكون ماواه الا أن يلوذ بعالم يصوره بخياله ليعيش فيه ؟ لكن من أين لـه العناصر التى ينشىء بها عالمه ، الخيالى هـذا ، اذا لم تكن لديه ذخيرة الممكنات التى لم تتحقق فى هذا الواقع الكريه الى نفسه ؟ ان الانسان ليبنى لنفسه من هذه العناصر مثله الاعلى الذى ـ فى رأيه ـ لو تحقق لكان أجمل وافضل من هذا العالم الفعلى الذى نعيش فيه ، وما ذلك المثـل الاعلى المتخيل الا «عالم الروح» .

العالم الشعرى والعالم الدينى

وواضح أن قيمة هذا العالم الأمثل ـ الذى يصوره الخيال ـ هى فى مجرد تخيله ، لا فى تطبيقه على الواقع ، ولو طبق ونفذ لانقلب « حقا » واقعا، ولم يعد « مثلا أعلى » ، ولأصبح نثرا بعد أن كان شعرا ، وما ذاك العالم المثالى المتخيل الا العالم الذى يلوذ به الانسان من وطأة الواقع ، وقوامه ما يرسمه الانسان لنفسه من شعر ودين ، فماذا يصنع الشاعر سوى أن يصور لنفسه جمـالا أصفى وأنقى من أى جمال تصادفه عيناه على هذه الأرض ؟ ولذلك تراه يضفى على الأشياء ألوانا من عنده لتبدو على غير ما هى عليه فى حقيقتهـا الواقعة ، فالشفق رقائق من ذهب ، وجدول الماء فضة مذابة ، والأرض المزروعة بساط من سندس .. ثم ماذا يصنع الدين سوى أن يصور عـالما خيِّرا فيه من الخير ما هو أعظم وأسمى من كل خير فى هذه الدنيا الواقعة؟ فبالشعر يلوذ الانسان بجمال يخلقه خلقا ليعوض له نقص الواقـع وبالدين يلوذ الانسان بخير يتمناه ليغنيه عن شر الواقع المشهود ، لكن لا ينبغى لهذا الانسـان الشاعر المتدين ان ينسى أن شعره ودينه هما من عالم الممكنات لا من عالم الواقع ، هما من المثل العليا المنشودة لا من دنيا الحقيقة القائمة ، هما من «عالم الروح» لا من « عالم الحق » ، ولذلك فستظل هذه المثل العليا من جمال ومن خير رموزا نهتدى بهديها ، لا أشياء نداولها ونعالجها فى حياتنا اليومية، نعم ان فى هذه المثل العليا غذاء لنفوسنا، وخصبا لحياتنا ، لكننا اذا زعمنا انها « حقائق » واقعة فعندئذ نحط من شأنها ، ونتزل بها من عالم المثل الاعلى الى عالم الواقع الأرضى ، وعنـدئذ ايضا يصبح امرها خرافة وتخريفا بعد أن كان هدى ونورا .

الخير والجمال من بعض عالم الروح

الجمال والخير قيمتان منتزعتان من « عـالم الروح » ـ عالم الممكنات ـ وأما الحق فقيمة ثالثة تتعلق بما هو موجود وجودا حقيقيا ، فلماذا نتطلب من الخير والجمال أن يغيرا من طبيعتيهما ليصبحا من أمور الواقع ؟ كأنما يراد لهما ان ينقلبا « حقا » بعد أن كانا « خيرا » و« جمالا »؟! على أن الخير والجمال ان تشابها فى أن كليهما من عالم الممكنات لا من عالم الواقع ، فانهمـا يعودان فيختلفان فيما بينهما اختلافا بعيدا ، فمدار الحكم الخلقى هو ما ينجم عن الفضيلة من نتائج مرغوب فيها ، على حين أن الحكم الجمالى لا يستهدف غاية سوى النشوة المباشرة .

الخلط بـين الجمال والخير

ولهذا الاختلاف بين الخير والجمال ، كان من غير الجائز أن نخلط بينهما خلطا يجعلنا نتطلب من الجميل أن يكون كذلك خيِّرا ، أو من الخيِّر أن يكون كذلك جميلا ، وما اكثر ما نرى الفنان ـ وهو الذى يصور الجمال ـ على خلاف مـع الأخلاقىّ ، فترى هذا ينقد ذاك قائلا ان فنه لا يؤدى الى الفضيلة ، فيرد الفنان بحق قـائلا ان فنه لا شأن له بمعايير الاخلاق ، فللجمال قيمة وللخير قيمة ، والقيمتان مختلفتان فيما بينهما ، كما انهما فى جانب معا يختلفان عن قيمة الحـق فى جانب آخر ـ وكذلك قل فى الخلاف الذى ينشأ من الخلط بين قيمتى الحق والخير ، فادراك الحق هو من شأن العلم والعلماء ، لأنهم يصورون الواقع كما يقع ، لكن ما أكثر ما نسمع الاخلاقيين ينقدون العلماء ، قائلين ان علمهم مناف للفضيلة أحيانا ، وذلك حين يرون نتائج العلم مؤدية الى دمار ، وهنا يجيب العالم ـ بحق ـ قائلا ان علمه لا شأن له بالفضيلة وهكذا ترى كيف ينبغى لنا ان نفرق تفرقة واضحة بين القيم الثلاث ، ولعـل هذه التفرقة ان تكون من أهم مهام الفيلسوف .

■■

زكى نجيب محمود
أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

واجب شعوب العالم فى هذه اللحظة الحرجة

أصبحت الدنيا قرية صغيرة !

اذا شبت النيران فى كوخ صغير فى نهاية القرية،ستحترق باقى الاكواخ فى آخر القرية ! ونيران القرية تحرق عشرات البيوت ، والرماد الذرى سيحرق الملايين !

فلقد حطمت الطاقة الذرية الحواجز والحدود واختصرت المسافات !

واذا فقد خروشوف أو كنيدى أعصابه ستقع الكارثة ، وتتحول الدنيا الى خرائب ، والبيوت الى مقابر ، وتزول كل مظاهر المدنية والعمران ،وتنتشر الامراض ، وتتعارك الالوف على كسرة الخبز ، لان الاشعاع الذرى سيقتل البشر ، ويقتل محاصيل اليوم ، ويسمم حبوب الغد !

وليس معنى هذا اننى فقدت تفاؤلى القديم !

ما زلت متفائلا !

ما زلت اومن ان فى استطاعة شعوب الدنيا منع وقوع الكارثة !

ولا يجوز أن نترك الشعب الروسى والشعب الأمريكى وحدهما يحاولان اطفاء شرارة الحرب الذرية !

يجب أن تتحرك كل شعوب الدنيا ! ولا يجوز أن نكتفى بالحكومات والصحف والاذاعات ! يجب أن يتحرك كل فرد فى الشعب ! النساء والرجال والأطفال ! فلا قيمة للرأى العام المتفرج !

يجب أن يشعر خروشوف وكنيدى بغضبة شعوب الدنيا على سياسة اللعب بعيدان الكبريت!

يجب أن نهز أعصاب قادة العالم ببرقيات الاحتجاج وخطابات اللوم من كل شخص فى الدنيا يعرف كيف يكتب اسمه !

فنحن أصحاب هذه الدنيا التى يحاولون تدميرها !

فلنحاول أن نحافظ عليها قبل فوات الأوان !

يجب ان تصرخ الشعوب ! يجب أن يصرخ كل فرد فيها فى وجه اللاعبين بالنار !

يجب أن نذكر حكام الدول الكبرى أنهم لا يحرقون بلادهم وحدها .. وانما يحرقون البشرية كلها وكل الجمال الذى خلقه الله أو صنعه الانسان !

امسك قلمك واكتب رأيك فورا .. فان الكارثة تسابق الزمن !

عن جريدة « الأخبار » ـ القاهرة

العالم

ليس باستطاعة أحد أن يتحمل امام التاريخ مسؤولية وضع العالم على شفير الهاوية ، ولو كان هذا الشخص هو رئيس الولايات المتحدة نفسها ، أو رئيس اية دولة مهما عظم شانها وتزايدت قوتها .

لو سلمنا جدلا بان كوبا أصبحت قاعدة للقذائف والصواريخ السوفيانية الهجومية القادرة على التوجه الى اى هدف فى امريكا الشمالية والجنوبية، فان الجواب البسيط الذى يعطيه العالم على هذا الكلام هو أن الولايات المتحدة لها قواعد عسكرية ضخمة فى أربعة أطراف الأرض محيطة بالاتحاد السوفياتى وتستطيع كذلك ان توجه ضرباتها الى اى هدف فى داخل روسيا .

هذا مع العلم أن الولايات المتحدة هى صاحبة

أزمة جديدة ..

● مرة اخرى تتعرض حكومة كنيدى لاختبار جديد .

فقد ذكرت الانباء ان طالبة زنجية فى الحادية والعشرين من عمرها قدمت طلبا الى جامعة ميسيسيبى لمتابعة تحصيل علومها فيها ..

وبالرغم من ان ادارة الجامعة لم تبت بالقضية، واكتفت بالقول أن ادارة الجامعة عاكفة على دراسة الطلب الا انه من المؤكد ان الادارة ستوافق على الطلب تمشيا مع سياسة الحزم ضد التمييز العنصرى التى انتهجتها حكومة الرئيس كنيدى .

ولا شك ان قبول الطالب الزنجي جيمس ميرديث فى الجامعة المذكورة سيفسح المجال امام الكثيرين من الطلاب الزنوج للالتحاق بالجامعة .

وهذه تعتبر سابقة خطيرة فى تاريخ هذه الولاية .. ذلك لانه كان محظورا على الزنوج الالتحاق بجامعة ميسيسيبى وتلقى الدروس جنبا الى جنب مع الطلاب البيض ..

وقد كان معمولا بهذا الحظر منذ اكثر من ١٥٠ عاما ..

ان الطلب الذى قدمته الطالبة الزنجية سيثير اضطرابات جديدة وربما اشتباكات مع القوات الفيدرالية الاميركية ..

ولكن مهما تكن النتائج فان القوات الفيدرالية التى اخذت على عاتقها وضع حد للتمييز العنصرى ستمضى فى تنفيذ الاوامر المعطاة لها بحذافيرها ..

ترى اما آن الاوان لان يفهم الشعب الاميركى ـ لاحكومته ـ ان عهد التمييز قد ولى غير رجعة ؟

اما ان لهؤلاء الذين شوهوا سمعة اميركا فى الخارج ، أن يرعووا عن غيهم ومواقفهم الخرقاء من مواطنين لهم ؟!

ان ليل هذه الفئات الرجعية قد افل ..

عن جريدة « الكفاح » ـ بيروت

البشرية .. والتجارب النووية

● مما يضاعف من سخطنا على استئناف التجارب النووية هو ان العلم ـ الذى تقترف باسمه هذه الجريمة والذى يضم صوته للساخطين ـ قد حل بالمقاييس أخطار هذه التجارب بعد ان ظهرت علاماتها فى المحيط الهادى نتيجة للتجارب السابقة ، واصبح الخطر يشمل الكرة الارضية كاملة والبشرية قاطبة .

ان الكبار يعمدون ، فى كل آن وحين الى استفزاز الشعوب واستضعاف ثلثى الانسانية بل الانسانية كلها ـ ومن ضمنها الشعوب التى تعمر بلاد هؤلاء « الكبار » ، ولم يجدوا لهم رادعا ، ولا حتى فى ضمائر ساستهم .

الا ان هذه الشعوب المستضعفة لن تتردد فى رفع صوتها متحدة لاستنكار جرائمهم وللتشهير بهذه المواقف المبنية على التحدى الجماعى .

وانا نستصرخ الضمير الانسانى كى تقوم حركة فعالة تجد الحل لمنع هؤلاء من مواصلة سباقهم نحو الكارثة ، هذه الكارثة التى لا يرتضيها اى انسان مهما يكن شعوره الانسانى ضعيفا متضائلا!

عن جريدة « العمل » ـ تونس

يستنكر

مشاريع الاحلاف العسكرية الهجومية والدفاعية ابتداء بحلف شمال الاطلسى ، مرورا بالمعاهدة المركزية ، وانتهاء بحلف جنوب شرق آسيا .

اذا كان وجود قاعدة عسكرية فى كوبا امرا يضايق الولايات المتحدة ، فان وجود القواعد العسكرية الأميركية فى جميع أنحاء الارض يضايق الشعوب قاطبة ويثير هلعها وقلقها ونقمتها .

عن جريدة « الأنوار »

العربى : فات الأنوار أن تذكر ، الى جانب القواعد الامريكية التى أقامتها فى تركيا ، وهي جارة الروس كما كوبا جارة الولايات ، فاتها أن تذكر قواعد الصواريخ الاثنتى عشرة التي هي جادة فى اقامتها باسرائيل ، لتزويدها قدرة على عدوان من بعد عدوانها القديم الشهير .

ممنوع التجول

فى البلد الشهيد ، الذى أصبح أهله لاجئين

بقلم : أسمى طوبى

■ هل سمعت المذيع وهو يذيع نشرة اخبار ما ، فيقول فيما يقول : ... وفرض نظام منع التجول من الساعة كذا حتى الساعة كذا ... او حتى اشعار آخر .. ؟

قد تكون سمعتها ولم تعرها الكثير من الاهتمام .. تصورتها قصاصا للناس ، ونعم أن قصاص الكبار شيء عسير .. وتصورتها حجزا لحرية الفرد ، والتحكم بحرية الفرد شيء عسير ايضا .. ولكنك على كل حال لن تتصورها كما هي بالفعل ذلك لأنك لم تعشها .

ولقد كنا نحن أهل البلد المقدس الذى وقف يجاهد ثلاثين عاما والناس من حوله لا يعرفون عن جهاده الا القليل .. كان من نصيبنا أن نذوق « ممنوع التجول » هذه .. ثم « وفتش الجند المدينة » ... « وفرضت غرامة على المدينة » .

كان من نصيبنا ان نذوق كل هذه وامثالها تكرارا كلما تظاهرنا وثرنا لكى لا نفتقد موطننا الغالى .

وسأحاول اليوم — يا قارئي الكريم — ان احدثك عن : « ممنوع التجول » لا حديث الشاعر الذى يشطح به الخيال .. ولا حديث الكاتب الذى يزوّق ويزخرف ويضع للصورة البسيطة اطارا فخما يزيدها روعة .. بل حديث من عاش التجربة بكل دقائقها وخفاياها .

كانت هي داخل المنزل عندما دوى « زمّور الخطر » .. وما هي الا دقائق حتى سمعت مكبر الصوت يمر على سيارة متجولة يهدر بكلمتي « ممنوع التجول » ثم عاد المذيع يحدد المنع بقوله بعد نصف ساعة من الآن : وحتى اشعار آخر ..

وبدت المدينة وكأن القيامة قد قامت الساعة فيها .. هذا جزار الحيّ يقفل محله ثم يهرول وهو يحمل فخذا من لحم خاروف كأنما يود ان يؤمّن قوت عياله او كأنما يود أن يبيع لجيرانه فى البناية فيضمن شيئا من الربح ولا يتلف اللحم فى الدكان .

وهذا بائع خضار يحاول أن يحمل هو واجيره بعض الخضار الى المنزل لأنها سريعة التلف ومن يدرى اذا كان المنع سيطول الى الغد او اكثر .

وهذه سيارات المدارس تركض هنا وهناك لتوصل الأولاد الى منازلهم بعد أن اقفلت المدارس ابوابها بسرعة ... هذا بينما راح المشاة الذين يذهبون الى المدارس على اقدامهم يركضون لاهثين الى منازلهم ..

كل هذا والرجال يقفلون متاجرهم بسرعة

ويركضون مشاة أو في السيارات أيضا الى المنازل ..

وكانت الدقائق تمر وربة المنزل تطل من النافذة واجفة القلب ، حتى اذا ما رات الزوج والاولاد قادمين اسرعت الى الباب تفتحه ثم تقفله خلفهم ، وقد هدا خفقان قلبها نوعا ما .

ومرت الدقائق المعينة واقفلت البيوت كالسجون على من فيها .. وبدت المدينة خالية خاوية لا تسمع في شوارعها خطوة الا اذا كانت خطوات هِرّ مشرّد .. فقد كانت حتى الحيوانات تفهم ان في الجو شيئا ما فتسرع الى المنازل خلف اصحابها .

وابتدا توتر الأعصاب .. هل يدخل الجند المنازل للتفتيش ؟ هل تطلق رصاصة على قريب او صديق تأخر في الشارع فيصرع ؟ .. وهل .. وهل .

وتحاول الأسرة أن تهدىء اعصابها فيتمدد رب المنزل على مقعد في الداخل بعد أن تقفل النوافذ ، ولو صيفا .. ويصيح رب المنزل بالزوجة والصغار قائلا .. حذار من الاطلال من نافذة .. ذلك لان رصاصة طائشة من جندى يود أن يثبت كيانه .. أو من جندى يصور له دماغه المحموم شبحا يسير في الطريق .. قد تصيب من يطل برأسه من النافذة .. أما الشرفة فالأوامر العسكرية تشملها حتما ..

ومرت ساعة وساعة لا يقطع سكونها الا طلقة رصاص بين آونة واخرى .. وبغتة سمعت الأسرة وقع خطوات في الشارع وهمهمة كأنها الصلاة او الدعاء ، وأسرع الزوج الى النافذة يحاول ان يرى هؤلاء المجترئين على القانون فاذا هنالك نعش يمر على اكتاف اربعة من الرجال ، وامامه رجل دين يتوسع الخطى ، يهمهم بصوت خفيض وبجانبه رجلان آخران كأنهما هما كل اهل الميت وما من مشيع آخر غيرهما .

وتصورت الزوجة اهل هذا الفقيد .. الاهل الحزانى .. يموت عزيزهم في مثل هذا اليوم فيتصلون بالسلطة لابلاغها الخبر فتسمح لاربعة أشخاص فقط فيحملون النعش ، ولرجل دين يرافقه في رحلته الأخيرة .. ويتوسل الأهل ليسمح لاثنين على الأقل منهم لأنهم يعرفون المكان الذى سيدفن فيه الفقيد من بين آلاف الأماكن فتسمح .. ويعطى الترخيص خطيا ، يحدد الساعة المسموح بها والعدد المسموح به فيحمل الرجال

الاذن الخطي ليبرزوه عند الاقتضاء ..وهكذا يسير الموكب الحزين راكضا ليؤدي المهمة ثم يعود خلال الموعد المعين لا بعده ..

وتصورت هي الأسرة الباكية وحدها .. لا صديق يؤاسي ولا قريب يخفف .. وكانما هذا التصور قد حملها على لوم هذا الراحل القاسي الفؤاد الذي لم يختر أن يموت الا في يوم « ممنوع التجول » فيترك في صدور الأهل غصة فوق غصة .

وتوارى الموكب الحزين وعاد الى الشارع صمته الكئيب ..وتذكرت هي بغتة ان شيئا ما ينقصها لاعداد طعام الغداء ، فالتفتت تسأل الزوج هل احضر ما أوصته به .

وصاح الزوج بعصبية خلقها الظرف الثائر قائلا : وهل ترك لي الوقت الكافي لافعل .. ؟

وتحول الهم في صدرها الى كلمات في فمها فقالت متمتمة ! .. لست ادرى هل يكفي خبزنا لليوم بطوله ..

وفكرت بالغد وهل ستستطيع اذا ما دبرت طعام الأسرة اليوم أن تدبره غدا أيضا .. ؟

وسرح تفكيرها الى مئات العائلات الفقيرة التي تعيش على خبز يومها .. هذا اذا ما اشتغل رب الأسرة وحصل على ذلك الخبز .. ان كل عامل في المدينة انما يقبض أجر يومه في المساء فيشترى اثناء عودته الى المنزل طعام غده ..اذن ما الذي سيحدث لهذه العائلات السجينة في اعشاشها في المدينة القديمة ... والرجال في المنازل لا يعملون .. ؟ وكيف يؤمن خبز الاطفال .. ؟

وكانت زميلات لها يحملن على أكتافهن مسئولية كبرى .. كن قد نزلن الى ميدان الجهاد مختارات نشيطات .. وكان الرجال كلما نسفت قرية او حل بالمدينة مصاب أهبن بالنساء أن يتقدمن الصفوف ، ذلك أن الدولة المستعمرة كانت حرصا منها على السمعة العطرة تتساهل نوعا ما مع السيدات ..

وفكرت هي ساعتئذ كما كانت تفكر منذ اعوام .. منذ أن فتحت عينيها على ثورات وضحايا وسجون وأيتام .. كانت تفكر في تلك الساعة بالأعشاش .. أو البيوت المظلمة داخل المدينة القديمة ..

كانت المدينة قد عاشت مئات الاعوام داخل سور لا تتعداه حتى اذا ما هدم قسم من السور وسمح للناس ان يقيموا الابنية خارج المدينة كانت هنالك عكاء الجديدة المستلقية على شاطىء المتوسط كانها تحكم والنيران في جوفها .. بينما ظلت هناك عكاء القديمة داخل الاسوار ، وفيها من الاحياء ما يشبه الأعشاش ومن الازقة المظلمة ما لا تراه الشمس .

وفي هذه الأحياء والأزقة سرح تفكيرها .. واتصلت بزميلات لهـا ثم مضت هي تتوارى بأسوار الحديقة الخارجية .. وخطوة خطوة .. وبحذر وانحناءات حتى وصلت باب المخبز المجاور للمنزل .

كان احمد خباز الحي يسكن المدينة القديمةمع امه الشيخة .. ولكنه اذا ما دوى زمور الخطر بغتة اقفل باب المخبز عليه من الداخل ونام هناك .

وقرعت باب المخبز قرعا خفيفا ثم همست باسمها ففتح احمد الباب واقفله خلفها .. وبعد دقائق كانت سلال أربع من الخبز الطازج معدة للمسير .. تحملها نسوة أربع نذرن انفسهن للخير وللجهاد في سبيل وطن مهدد ، يحملن السلال ويخرجن بها متحديات رصاص الجند بينما عاد احمد فاقفل باب المخبز خلفهن لا يفتحه لمخلوق .

وسرن .. مئة متر او تزيد قليلا فاذا بجندى ينتصب أمامهن ويصيح قف .. ووقفن ومضى الجندى يرطن ويزمجر .. كيف تكسرن القانون ؟ كيف تخرجن الى الشارع ساعة ممنوع التجول..؟

وتكلمت احداهن قالت : « هذه ارغفة من الخبز للاحياء الفقيرة .. » ثم اضافت بجراة : «ايوافقكم ان يموت الاطفال جوعا في المنازل ؟ »

ولم تكمل .. لان الجندى .. وكانما مست الجملة الاخيرة الوتر الحساس في نفسه .. تناول احدى السلال وكشفها ثم راح يجس ما فيها ويقلبه .. وبعد فترة قال : « حسنا اثنتان منكما تكفيان » واخرج ورقة من جيبه كتب عليها اذنا لاثنتين بالتجول ثلاث ساعات .

وحملت النسوة الاثنتان السلال الأربع ومضتا .. وفي أول عكاء القديمة وضعتا حملهما

لتستريحا .. واستندتا على باب مراب مقفل ، وراحتا تتحدثان ، فما راعهما الا قرع خفيف على الباب من الداخل ..

وتمالكت احداهن وهمست وهي تكاد تصيح رعبا من هنا ؟

وأجابها الذى نقر على الباب هامسا بدوره : ... أنا قروى جئت المدينة اليوم ومعي سلتا بيض ولكني عندما دوى الزمئور تركتهما حيث كنت وأسرعت لاختبيء لان الجند يطاردون اول ما يطاردون ابناء القرية .

قالت احداهن : .. الا تباركت القرية فمنها تخرج البطولات دائما .. ثم اضافت .. حاول ان ترفع باب المراب قليلا دون ان تحدث صوتا وساناولك بعض الارغفة ..

ورفع القروى الباب وتناول الارغفة ولم يشكر ، فلم يكن من حاجة لشكر .. لقد تبدت في تلك الساعة رابطة الوطن .. رابطة الجهاد .. على أروع ما تكون الرابطة ..

وحملنا السلال الاربع ثانية وسارتا حتى دخلتا دهليزا مظلما أو يكاد .. وفي آخر الدهليز كانت غرفة .. وكان مواء صغار يتعالى كانه مواء قطط جائعة ..

وقابلتهما الأم قائلة .. لقد كان لدى بضعة رؤوس من البطاطا سلقتها لهم فلم تكفهم .. ثم اردفت باسى .. وحتى لو رفع حظر التجول الليلة ومضى والدهم الى عمله غدا فانه لن يقبض أجره الا مساء ..

وتكدست الارغفة الطازجة امام الصغار فتخاطفوها بينما كانت الأم تبتسم والأب يجلس على حصير في زاوية الغرفة وقد أسند راسه بكفه .

وفي زقاق آخر كانت ماساة تفتت الأكباد .. الطفل المحموم يهذى كانما هو مشرف على الموت .. والأم تريد طبيبا ، انما من اين وكيف .. انها لا تبالي رصاص الجند فيما لو اصابتها رصاصة ، ولكن ماذا يحل بصغارها وكيف تتركهم وهم يتمسكون باذيال ثوبها يرتجفون خوفا من البقاء وحدهم .

وانطلقت السيدتان الى أقرب طبيب وعادتا به يحمل بعض العلاج وقد شرحتا له الموقف .

وفي زقاق آخر قابلهما وجه مضطرب متقلص العضلات يهمس .. سمعت طلقة رصاص فهل عرفتما لماذا ؟ ومن اصيب ؟ .. ان اخي خارج المنزل منذ الصباح واخشى ان يكون قد استهدف لرصاص الجند .

وظلتا بين ماساة وماساة حتى افرغتا السلال الاربع وعادتا كل الى منزلها .

ممنوع التجول عدة مرات في الشهر ، ولتعطل المدارس وتشلّ الأعمال وينقطع الرزق .

لتتلف صناديق الخضار والفاكهة المعباة في القرية لتورد الى المدينة .. ولم لا .. أليس تحطيم اقتصاديات البلاد للقضاء على معنويات أبنائها وارغامهم على البيع وحملهم من ثم على الخضوع للسلطة هو جزء من الخطة المرسومة .

ممنوع التجول ثلاثة أيام يسمح خلالها بساعة كل يوم .. وتراكضوا ايها الناس لتشتروا الطعام والشراب والعلاج بعد الحصول على الطبيب ان أمكن خلال هذه الساعة الواحدة .

ممنوع التجول وسينقطع الماء عن المدينة ثلاثة أيام اذا لم تسلّم الثائر الذى أطلق الرصاص على فلان .. كأنما تسليم فدائي أمر يعقل أن تفعله مدينة كل من فيها فدائي ثائر ..

ممنوع التجول .. ثم وهل أحدثك عن « وفتش الجند المدينة .. أو .. وفرضت غرامة على المدينة » .. لا اظن المجال يتسع لذلك . يكفى أنك مررت مرورا عابرا بكلمتين ناعمتين اخترعهما دماغ جهنمي .. تجربة لعل أول من قاساها البلد المقدس .. واقل ما قاساه البلد الشهيد قبل أن يصبح أهله لاجئين .

■■

أسمى طوبي

جنوح الأحداث

يجتاح العالم

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ علم النفس بجامعة دمشق

■ في سن تتراوح بين الثانية عشرة والرابعة عشرة عادة ، يودع الطفل ، فتى او فتاة ، طفولته ليستقبل فترة من عمره تسمى بالمراهقة توصله الى ما يدعى بالشباب .

ومع اطلالة المراهقة تطل مشاكل ومصاعب قد يجتازها الحدث بأمن وسلام فيبدأ شبابه بداية طيبة خيّرة ليستقبل حياة طيبة خيرة ، وقد يعجز عن اجتيازها الاجتياز الملائم فيسمي جانحا .

وقد يستطيع المجتمع اتقاء الجنوح ، او مداراته على الاقل ، وقد يعجز عن ذلك فيتطور الجنوح الى اجرام وينقلب الحدث الجانح الى مجرم كبير .

الهروب من المدرسة

قد يتذمر الطفل – دون العاشرة من عمره – من المدرسة ، ولكنه قلما يهرب منها . اما بعد العاشرة فكثيرون من الاطفال يهربون من المدرسة . واذا صح أن الهروب من المدرسة يتجلى عند الفتيان اكثر منه عند الفتيات ، فانه صحيح ايضا ان الكثيرات من الفتيات يهربن من المدرسة ايضا .

ويزداد الهروب من المدرسة مع التقدم في العمر حتى يبلغ اشده عند الفتيان في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ، وعند الفتيات في الخامسة عشرة .

والهروب من المدرسة صفة ملازمة للمراهقة ، وهي عرض من أعراض سلوك المراهقين ، ذلك بأن المراهقين يظهرون نزعة واضحة للخروج على السلطة والمراقبة . وبقطع النظر عما قد يكون في المدرسة من تقصير او سوء تعليم او اسباب منفرة ، فان نزعة المراهق للخروج على السلطة ، والانفلات من المراقبة ، مسؤولة الى حد كبير عن هربه من المدرسة .

أكبر أسبابه : الفقر وخيبة الأمل ، والفرص غير المتكافئة فى العيش والعمل

يبدأ بالهرب من المدرسة والتمرد على البيت ثم تأليف العصابات للاجرام فى المجتمع

التمرُّد فى البيت

والمراهق والمراهقة يميلان فى البيت الى التمرد على سلطة الآباء والأمهات ، ويميل الفتى خاصة الى البقاء خارج المنزل مدة أطول مما اعتاد او مما يسمح له . وكثيرون من المراهقين يتوقون الى ترك المدرسة والبحث عن عمل يؤمن لهم حريتهم .

ويظهر المراهقون ـ فتيانا وفتيات ـ فى كلامهم وتصرفاتهم شعورهم بالقدرة على العناية بأنفسهم والاستغناء عن الآخرين ويعبرون عن سرورهم البالغ بذلك .

ومن دلائل نزوع المراهقين الى الهرب من بيوتهم ومدارسهم ميلهم الى الابتعاد عن البيت والمدرسة مسافات بعيدة واوقات مديدة ولا سيما مساء . حتى ليقال عنهم انهم يذهبون الى البيت حين لا يجدون مكانا آخر يذهبون اليه .

وانه لمن حسن الحظ أن تكون الفتاة العربية ـ بصورة عامة ـ بريئة من مثل هذا الميل ، ولكن فتيات المجتمعات الاخرى مصابات به حقا وصدقا .

الجنوح والأعمار

ان الهروب من المدرسة والبيت يهيئان للطفل فرصة لأنواع من السلوك الذى يسيء الى المجتمع ، منها السرقة ، والاعتداء على الناس ، والانحراف الجنسى والبغاء ، وتأليف العصابات وغير ذلك من التصرفات التى لا يقرها المجتمع ويعاقب عليها القانون .

واذا كان من الصعب أن نعين عمرا محددا يصل فيه الجنوح أقصاه ، فاننا نستطيع ان نقول بشيء من الاطمئنان العلمي أن العمر الذى يتراوح بين الثانية عشرة والثامنة عشرة هو العمر الذى يكون فيه الجنوح على اشده . ومعنى ذلك أن السلوك غير الاجتماعى يكثر انتشاره عند الأحداث خلال الزمن الذى يمرون فيه من بعد عهد الطفولة الى اول عهد الشباب ، تلك الفترة من العمر التى تسمى بالمراهقة ، والتى تعتبر اخطر فترات الحياة بالنسبة للنمو الاجتماعى عند الانسان .

وجدير بالذكر أن الجرائم الخطيرة قلما تحدث فى هذا العمر ، ولكنها تحصل ـ عادة ـ فى العقد الثالث .

هذا ، ويعتقد علماء الاجتماع ان المجرمين المعاصرين تصغر اسنانهم عن ذى قبل ، وانه تبعا لذلك اصبحت مشكلة النمو الاجتماعى من اهم مشاكل المدرسة الحديثة .

الجنوح يجتاح العالم

وليس بخاف أن العالم اليوم تجتاحه عصابات الشباب التى تسمى انفسها بأسماء مختلفة ، فى البلاد المختلفة، ولكنها تتصف جميعا بصفات واحدة ، واهمها الخروج على القانون والأعراف والتقاليد وتهديد الناس فى ممتلكاتهم واعراضهم وحرياتهم . ان أمثال هذه العصابات تملأ شوارع نيويورك ، ولندن ، وباريس ، وستوكهولم ، وسواها من عواصم العالم . واذا كانت هذه العصابات ما تزال ضئيلة الشان فى دمشق وبغداد وعمان ، فانها آخذة بالنمو الخطر فى عاصمة كبيرة كالقاهرة وهى لذلك كله ظاهرة جديرة بالدرس والاهتمام والوقاية والمعالجة .

دراسات فى الجنوح

ولقد اجريت فى الولايات المتحدة دراسة تناولت ٥٠٩ من المجرمين ، واهتمت بالعمر الذى اقترف فيه أول جنوح ، وتم أول اعتقال ، والاعداد والنسب المئوية لهؤلاء المجرمين والجانحين ، فوجد ان اعمار الجنوح تتراوح بين ١١ ــ ١٨ سنة فى حالة الصبيان ، وأن معظم عمليات الاعتقال تجرى فى هذه الأعمار ايضا ، وان كان الاعتقال يحدث ـ طبعا ـ فى وقت متأخر عن الجنوح .

ولقد ثبت من هذه الدراسة أن الجنوح صفة الأحداث ، وان الاجرام (والفرق بين الجنوح والاجرام فرق درجة فقط) صفة الشباب . كما ثبت من هذه الدراسة وسواها أن ربع الذين يساقون الى المحاكم من المجرمين فى اميركا لم يصلوا العشرين وان نصفهم لم يصلوا الخامسة والعشرين وثلاثة ارباعهم لم يبلغوا الثلاثين . ومعنى ذلك واضح لا لبس فيه وهو ان الجريمة تظهر عند الشباب وان الجنوح يبدو فى فجر الحياة .

ولقد دلت الدراسات أيضا على أن الفتيان الجانحين اكثر عددا من الفتيات الجانحات وان الرجال المجرمين يزيدون على النساء المجرمات ، واظهرت الاحصاءات ان اللواتى يلقى عليهن القبض ويحكمن بأحكام مختلفة من الجانحات والمجرمات لا تزيد نسبتهن على ١/٢ من مجموع الجانحين والمجرمين .

ما هى اسباب الجنوح ؟

اسباب الجنوح كثيرة منها الفقر

والمرض والتثبيط والمشاكل العاطفية والتناقضات الاجتماعية والمقاييس الاخلاقية الدنيئة والمشاكل البيتية وغير ذلك .

الفقــر

لعل الفقر راس اسباب الجنوح واهم دوافعه ، ذلك بأن الفقر يعنى الحرمان وعدم تحقيق الرغبات ، كما انه يعنى انعدام اسباب التربية والتوجيه . وهو بعد ، سبب المرض والجهل وعدم التمسك بأهداب الأخلاق الفاضلة ، وهو مظهر التناقضات الاجتماعية والمشاكل البيتية ، والخلاصة فانه منبع الانحراف وعلة الجنوح واهم اسباب الجريمة . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كاد الفقر ان يكون كفرا » .

وليس معنى الذى قلنا أن الفقر سبب وحيد ، او انه السبب الأهم دوما ،ولكن معناه أن الفقر يسبب التثبيط .Frustration ويمنع من تحقيق الرغبات ، ويحول دون قضاء الحاجات فيدفع الى الكذب والسرقة والجنوح .

وهو ايضا يسبب المرض لنقص الغذاء وانعدام الشروط الصحية وافتقاد الدواء ، والمريض اقرب الى الجنوح من الصحيح .

ثم ان الفقر من أهم اسباب الجهل والاعراض عن المعرفة ، والجهل علة من علل الجنوح .

كما أن الفقر معناه ــ فى كثير من الأحيان ــ دناءة البيئة وانحطاط المقاييس الأخلاقية وعدم التمسك بأهداب الفضيلة ــ بسبب من الحاجة والعوز ــ وهو بذلك داع من دواعى الشذوذ .

وأخيرا، فالفقر سبب كبير من اسباب خروج الأم من البيت بحثا عن العمل ، وهو سبب من أسباب انصراف الأب الى الكحول والمخدرات ، وهو كذلك من اهم اسباب الشقاق العائلى . وكل هذه من اسباب جنوح الأحداث من الابناء وانحرافاتهم .

وهذا هو السبب فى قولنا بأن الفقر راس اسباب الجنوح ، على أن هذا لايعنى قط ان الفقير جانح وأن الغنى معصوم ، ففى الفقراء اصحاب الأخلاق الفاضلة وذوو السلوك الذى لا تشوبه شائبة . وفى الأغنياء والمترفين من يجنحون مع ان حاجاتهم المادية مقضية ومطاليبهم الظاهرة ملباة .

المشاكل الاجتماعية

ويتصل بالفقر مشاكل من نوع البطالة وتشغيل الاحداث واوقات الفراغ وما اليها من امور تكون سببا فى الانحراف والجنوح ، فالبطالة مثلا ، بطالة الشاب او بطالة الحدث ، سبب هام من اسباب الخروج على المجتمع والانغماس فى الشذوذ والانحراف عن جادة الاخلاق . وبطالة الاب وما يتلوها من فقر وتعوّد على السكر وتعاطي المخدرات وغير ذلك تسبب جنوح الاولاد واستهتارهم بالقيم الاخلاقية .

ثم ان عدم تنفيذ التعليم الالزامى ، وعدم توفير وسائل التربية والتعليم للاطفال الذين هم فى سن التعليم ، وعدم شغل اوقات فراغ الطلاب بأمور ومناشط نافعة تكون جميعها مدعاة للجنوح والفساد .

وتشغيل الاحداث والنساء ــ لانخفاض اجورهم ــ ومنع العمل عن الشباب والراشدين ــ لارتفاع اجورهم

نسبيا ــ سبب آخر من أسباب الجريمة والجنوح .

ان هذه التناقضات الاجتماعية وسواها وما تجره من نتائج اقتصادية واجتماعية وثقافية مسؤولة عن كثير من الشذوذ والخروج على القانون .

التثبيط

ومن اسباب الجنوح التثبيط Frustration والمقصود بالتثبيط هو خيبة الامل لعدم القدرة على تحقيق الرغبات او قضاء الحاجات . فالطفل الذى يرى غيره من الاطفال يستعملون النظارات السود ويرغب فى الحصول على واحدة منها ولا يستطيع قد يسرق نظارة جاره . والحدث الذى يرى رفاقه ينفقون عن سعة ويعجز هو عن مجاراتهم قد يميل الى السرقة او الانحراف ليحصل على الدراهم التى يريد .

وللتثبيط كما هو واضح علاقة بالفقر، بيد ان الفقر ليس مسببه الوحيد ، فبخل الوالدين او جفاف عاطفتهما او وجود زوجة أب او غير ذلك من الأسباب قد يكون مسؤولا عن التثبيط .

المشاكل البيتية والمشاكل العاطفية

والعائلة المتفككة ، والبيت الذى يسوده خصام الوالدين ، والابوان القاسيان ، ووجود زوجة للاب غير الام ــ المتوفاة او المطلقة ، والاب المهمل لعائلته ، والام التى تخرج لزياراتها تاركة اطفالها للشوارع ، والوالد السكير او متعاطى المخدرات ، والام المشاكسة الحرُون ، كلها اسباب ممكنة لجنوح الاولاد والاحداث .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان البيت الجيد الذى يسوده عطف الاب وحنان الام ويقوم فيه التفاهم بينهما قادر على ان يعوّض الطفل عن كثير من الفقر والحرمان وقمين بأن يجنّبه العديد من المزالق الخطرة . كما اننا لا نبالغ حين نقول ان وراء كل جنوح بيتاً فاسدا او عائلة متفككة او اماً مطلقة او زوجة اب قاسية او حنانا مفتقدا .

وجدير بالاب والام ان يعلما ان الابوة والامومة مسؤولية كبيرة وان الحب والتعاطف قادران على فعل المعجزات فى التوجيه الحسن والتربية الصحيحة .

على اننا نعيذ بالقارىء الكريم ان يخلط بين المحبة والافساد ، بين الحنان والدلال . وقديما قيل « ان الفضيلة وسط بين رذيلتين » .

المقاييس الاخلاقية الدنيئة

وما يلحق بالمشاكل البيتية المبادىء الاخلاقية الدنيئة التى يدين بها بعض الناس ، والمفاهيم الاجتماعية الفاسدة التى تؤمن بها بعض البيوت .

ان فتاة تفتح عينيها على أم تستهين بالقيم الأخلاقية جديرة بأن تحذو حذوها، وان فتى يرى ان أباه يجيز السرقة ويهش لها قمين بأن ينسج على منوال ابيه ، وان مجتمعا يقبل ان تسوده شريعة الغاب ، يفترس القوى الضعيف ويعتدى فيه القادر على حق العاجز ، ولا يبرُّ فيه الغنىُّ الفقيرَ ، ولا يتراحم فيه الناس ويتوادون ولا يؤمنون بعدل وحق وخير ، نقول ان مجتمعا كهذا محكوم على الكثير من ابنائه بالشذوذ والجنوح .

الوقاية والعلاج

تلك هى أهم أسباب الجنوح فما علاجه ؟ :

ان من واجبنا ان نذكر بأنه فى الادواء الاجتماعية ــ كما فى العلل الجسدية ــ درهم وقاية خير من قنطار علاج .

لقد آن لمجتمعنا العربي ان يؤمن بالعدالة الاجتماعية ، وان يؤمن لأبنائه ـ ايّاً كانوا ـ حياة لائقة بالكرامة البشرية جديرة بأمة تريد ان تنهض وتحب ان تأخذ بأسباب القوة والمنعة .

ولقد آن لامتنا ان تتخلص من العوز والمرض والجهل ، ذلك الثالوث المخيف الذي ينخر في جسمها وينهك قواها . ان حق العمل وحق الطبابة وحق التعلم حقوق مقدسة للفرد يجب توفيرها للانسان العربي .

ولقد آن لمسؤولينا ان يؤمنوا بالديمقراطية الحقة التي لا تفرّق بين المواطنين على اساس من محتد او طبقة او ظروف ، بل تهيىء للجميع فرصا متساوية للتقدم والعيش الرغيد .

ولقد حان الوقت لكي يفهم آباؤنا وامهاتنا ومعلمونا واجباتهم بوصفهم مربين ، ينشّئون النفوس ، ويصوغون الارواح ، ويقرّرون المصائر ويدفعون الى الصراط المستقيم او قرارة الجحيم .

ولقد حق علينا ان ننظّم حياتنا العائلية ، وان يدرك الآباء واجباتهم ، والامهات مسؤولياتهن ازاء اجيالنا الصاعدة التي يتوقف عليها مصيرنا ، وان يدركوا ان الابوة والامومة مهمة مقدسة عليها واجبات ولها تبعات .

ولقد ازف الوقت الذي تفهم فيه سلطاتنا التربوية ان التربية لا تقتصر على المدرسة فقط ، وان التخييم والكشفية والرحلات والنوادي والجمعيات ـ الرياضية والادبية والعلمية والفنية وسواها ـ وسائل تربوية تقي الشباب من الزلل وتعصم الاحداث من الخطأ .

ولقد اصبح لزاما على المسؤولين في وزارات التربية والتعليم والثقافة والشؤون الاجتماعية ان يقدّروا التوجيه التربوي ، والرعاية النفسية ، والارشاد الاجتماعي حقّ قدرها ، وان يولوها من عنايتهم واهتمامهم ما هي به جديرة .

تلك هي وسائل الوقاية واسباب العلاج معا . وما اصلاحيات الاحداث والعيادات التربوية والنفسية وطرائق الارشاد الاجتماعي سوى اشكال من اشكال مواجهة المجتمع الواعي لمشاكله الخطيرة . وهي تقوم على الاسس التي بيّنا ، والمفاهيم التي اوضحنا ، وان كان لها طرقها الفنية في العمل ووسائلها الخاصة في المعالجة مما لا يدخل في نطاق حديثنا هذا .

اما بعد :

فان الجنوح عرض مرضي يصيب المجتمعات السليمة ، واذا كان من طبيعة الجسد ان يمرض احيانا فان من طبيعة المجتمعات ان ينحرف بعض افرادها وان يجنح بعض احداثها وان يجرم بعض شبابها .

ومن الحق علينا ان نسجل هنا ان الجنوح ليس وقفا على المجتمعات المتاخرة او الآخذة بالنهوض ، ولكنه واضح صريح في المجتمعات المتقدمة ، بل انه في بعضها اوضح واصرح .

ولكن من واجبنا بعد ذلك ان نشير الى ان المجتمعات المتحضرة تفعل الكثير من اجل مواجهة الجنوح ، وقاية وعلاجا ، وان من واجبنا وقد اخذنا بحضارتها وتعرضنا للاصابة بامراضها ان نفيد من خبرتها ونستفيد من تجاربها ونستعير المفيد من طرائقها .

ومن واجبنا بعد ذلك ان نقرر ان المجتمعات التي آمنت بالديمقراطية الحقة والعدالة الاجتماعية الصحيحة قد خفّفت الجنوح بمقدار كبير ، وقلّلت الاجرام الى حد بعيد . فلنفد من تجاربها ولنعمل على تجنيب مجتمعنا العربي الكثير من المآسي التي تردى فيها غيره من المجتمعات لا سيما وان الخطر قد اخذ يذر قرنه وتقرع اجراسه . ولنتكاتف جميعا في بناء مجتمع عربي افضل . ■■

فاخر عاقل

« المعدية » ، او المركب البخاري الذي يعبر القناة كل خمس دقائق بين بورسعيد وبور فؤاد ، يحمل الناس والسيارات والبضائع ..

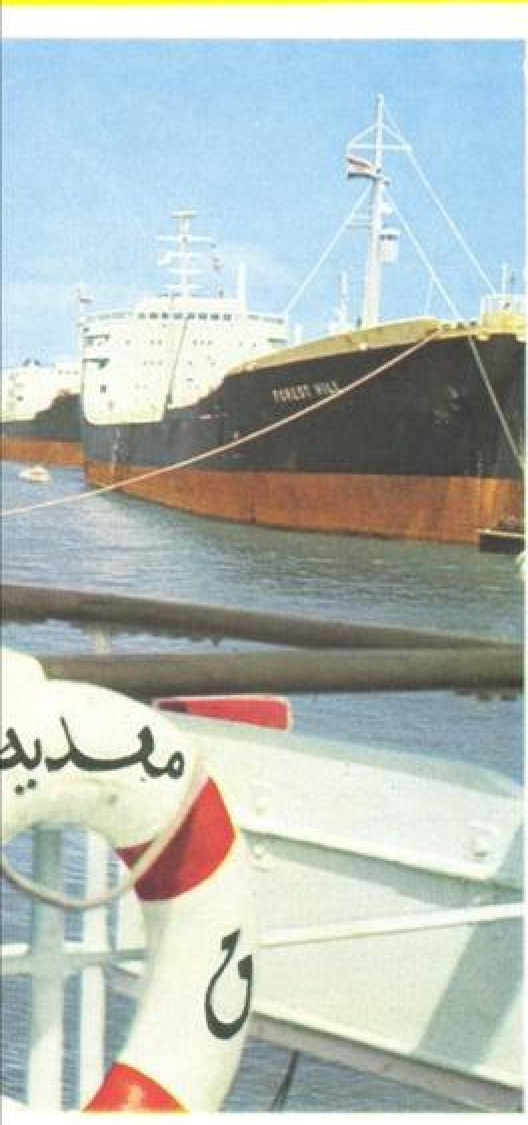

اعرف وطنك

أيها العربي

بورسعيد

عمرها ١٠٣ سنوات ، واسمها في سجل الخلود

كتب هذا الاستطلاع

محمد بدر الدين خليل

وصوره

« أوسكار »

● في مثل هذا الموسم ، من عام ١٩٥٦ ، اعتدى الغرب اعتداءه الصارخ المشهور ، على بلاد العرب ، ممثلا في الحملة على بورسعيد . وكانت مؤامرة صهيونية فرنسية بريطانية ، ابتدأت باعتداء اسرائيل ، ذيل المتآمرين ، على

الحدود المصرية . وعجب الناس لهذه الجراة تجيء من هذا الذيل الاصفر الاحقر . وادرك الثقاة انه لا بد ان يكون لهذا الذيل من جسم اضخم واكبر . وما هي الا يومان حتى جاءت الاساطيل تصب نيرانها على الميناء العربي الهادىء

الوقور الصغير . مؤامرة محكمة : اسرائيل تبدا لتجر الجيش العربي الى الحدود في اقصى الشرق من سينا . ثم يجيء رجال الامتين ، العظيمتين ! الديمقراطيتين ! الحرتين ! الغربيتين ليحتلوا القنال في لمحة ، ويقطعوا على

الجيش العربى خط الرجعة .

وتبين الحيلة . وتصمد بورسعيد ، وتتعبأ الجهود للدفاع عن البلاد ، ويتكتل العرب على نحو لم يتكتلوا على مثله أبدا . وتنقطع للبترول أنابيب ، وتشجب بين الشرق والغرب صلات ، وتقوم فى كل بلد عربي مظاهرات صارخات غاضبات ، لو كان الغزو غزو بلادها ، ما كانت أعلى صوتا ، ولا أكثر ألما ، ولا أشد تحفزا ، ولا أملأ صدرا بكراهة .

وانتصرت بورسعيد ، وانتصرت مصر ، وانتصر العرب ، وانتصر الأحرار فى أركان الدنيا الأربع .

وبهذا الانتصار اندحر الاستعمار ، اندحارا رجونا أن يكون له آخر اندحار .. ولم يكد ..

فما بورسعيد هذه ؟ ما هذا البلد الصغير الكبير ؟ ماذا كان له فى قديم الزمان ، وماذا كان له فى حديث الزمان ، وكيف صار من بعد تلك المعركة التى وضعت اسمه على لسان كل انسان .

ترى جواب هذا كله فى هذا الاستطلاع الذى قام به « العربى » بمناسبة هذا الشهر ، شهر المحنة الكبرى ، محنة مصر أولا ، ومحنة العرب أولا وآخرا .

المحرر

■ يصفها أهلها بأنها « الوجه الباسم الجميل ، الذى تطل به الجمهورية العربية المتحدة على سفن أهل الأرض التى تمر بقناة السويس » ...

وتصفها الكتب والمراجع بأنها نقطة اتصال الشرق بالغرب ..

ويقول التاريخ الحديث انها احدى مدن خمس فى العالم كله ، استطاعت أن تسجل اسمها فى سجل الخلود ، بما أبدته من بطولة أسطورية فى مقاومة العدوان فى نصف القرن الأخير .. فقد تعرضت عام ١٩٥٦ لغزو دولتين كبيرتين ، أشاعت قذائف طائراتهما وسفنهما فيها من التخريب والتدمير ما يماثل ما تعرضت له قبلها ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ كل من لندن وبرلين ووارسو وستالينجراد .

هذه « معدية » تتسع لحوالى ٣٠٠ راكب و٧ سيارات . والطريف أن هذه « المعدية » تعتبر همزة الوصل بين قارتى أفريقيا وآسيا .. فمن الناحية الجغرافية تقع بورسعيد فى أفريقيا بينما تقع بورفؤاد فى آسيا ..

الترتيب الزمني للعدوان الثلاثي

اكتوبر

٢٩	● اسرائيل تسقط قواتها من الجو فى سينا .
٣٠	● الساعة ٣٠ر١٨ الانذار البريطاني ــ الفرنسي الى مصر .
	● الساعة ١٥ر٢٢ مصر ترفض الانذار وتعلن التعبئة العامة .
٣١	● الساعة ٣٠ر٦ تنتهى مدة الانذار البريطاني ــ الفرنسى .
	● الساعة ٣٠ر٩ تبدأ الطائرات البريطانية والفرنسية القاء قنابلها على مصر .

نوفمبر

٢	● الساعة ٠٠ر١٢ يتم انسحاب القوات المصرية الى غرب القناة .
	● الرئيس يخطب فى الأزهر الشريف ويقول .. سنقاتل سنقاتل .
	● الاتحاد الدولي للعمال العرب يأمر بتخريب القواعد العسكرية البريطانية .
٣	● دمشق والقدس تقومان بالاذاعة بدلا من صوت العرب الذى أسكت .
	● تنسف انابيب البترول فى سوريا .
٥	● الساعة ٠٠ر٧ ينزل المعتدون رجالهم بالمظلات فى بورسعيد .
	● مساء . الانذار الروسي الى بريطانيا وفرنسا .
	● الدول العربية والدول الصديقة تحشد المتطوعين استعدادا للسفر فورا متى طلبت مصر .
٦	● مع الفجر بدأ نزول القوات المعتدية الى شاطىء بورسعيد .
٧	● الساعة ٠٠ر٢ صباحا أصدر مجلس الأمن امرا بايقاف اطلاق النيران .

ديسمبر

٢٢	● الانسحاب النهائي للقوات المعتدية من بورسعيد .

هذه هى « بورسعيد » ... مدينة من اظرف مدن العالم واخفها روحا وظلا .. حديثة ، ولكن كثيرا من البيانات المطلة على الميناء فيها ، تسرح بالخيال الى اجواء أواخر القرن التاسع عشر .. وتمتاز شوارعها بالسعة ، والاستقامة والتعامد ، فهى تمتد متقاطعة من الشمال ــ اى من ساحل البحر الأبيض المتوسط ــ الى الجنوب ، ومن الشرق ــ اى من ضفة القناة ــ الى الغرب .. لا تعاريج فيها ولا التواءات ، وتحف بمعظمها الاشجار الوارفة .. كما تتوسطها مساحات تزرع بالحشائش والزهور ، هى بمثابة الرئات لهذه الشوارع ..

وفوق هذا كله ، فان الموقع الجغرافى لبورسعيد، يجعلها ذات جو ممتاز بالنسبة للطقس العام فى الجمهورية العربية المتحدة .. فهى اشبه بجزيرة

احدى ناقلات البترول تمر أمام « الجونة » وهى المكان الذى ترابط فيه السفن الكبيرة التى تمكث أكثر من يوم أمام مدخل القنال الكبير .

شارع السلطان الحسين ، وفيه المحلات التجارية التى يقصدها السواح لشراء الهدايا التذكارية والتحف ، وتقف أمامه البواخر قبل عبور القناة .

ميدان الشهداء ويبدو فيه مبنى المحافظة والبلدية وخلفهما الكبائن وشاطىء البحر والى يسار الصورة تبدو المسلة التى تتوسط ميدان الشهداء ومما يذكر أن تحت قاعدة المسلة المصنوعة من حجر الجرانيت متحفا مقاما تحت الأرض ، به بعض آثار وصور من معركة بورسعيد .

عند هذه النقطة الواسعة من القنال تقف البواخر وسفن الصيد ، وقد وضعت ادارة الجمارك الأسلاك التى يبدو جزء منها الى يمين الصورة ، لتفصل بورسعيد عن رصيف القنال .

تحف بها القناة شرقا ، والبحر الأبيض المتوسط شمالا ، وبحيرة المنزلة غربا بجنوب .. وهذه المساحات المائية الشاسعة تلطف جوها في كافة شهور السنة ، وتصد عنها الأتربة وزوابع الخماسين التي تعاني منها بلاد الجمهورية .. لذلك فان بورسعيد ليست مجرد مصيف ، بل انها تصلح لطلاب الاستجمام والترويح في كافة الفصول ..

كانت على موعد مع التاريخ

و« بورسعيد » من أحدث مدن الجمهورية العربية المتحدة .. فهي « صغيرة السن » ، اذ ان مائة عام ـ أو مائة وثلاثة ان شئت الدقة ـ ليست بمرحلة تذكر في أعمار المدن ، وفي سجل الزمن ..

ومع ذلك ، فانها كانت على موعد مع التاريخ منذ أن وجدت .. فقد ولدت مع أول معْوَل غاص في الارض ليحفر قناة السويس، في ٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩ ..

وسطر الزمن على جبينها خطوطا من الأسى والشقاء منذ مولدها .. اذ شهدت المأساة الانسانية الاليمة التي صاحبت حفر القناة .. مأساة السخرة وامتهان الكرامة البشرية ، واستنزاف موارد البلاد .. ثم كُتب عليها أن تكونّ معقلا من معاقل قوات الاستعمار فترة من الزمن ، ووكرا للنفوذ الأجنبي ، حتى انها كانت ـ الى ما قبل سنة ١٩٥٢ ـ تنقسم الى ثلاثة أحياء: « حي الافرنج » ، وكان مخصصا للاجانب ، مأثورا بالعناية والرعاية .. « وحي العرب » ، وكان للسكان الوطنيين ذوي الميسرة وابناء الطبقة المتوسطة وكان دون سابقه نصيبا من الرعاية .. ثم حي « المناخين » الذي كان محروما من كل عناية ، لانه كان حي الفقراء والعمال .. فكانت مساكنه أكواخا خشبية ، وبنايات متواضعة ..

على أن شقاء الاستغلال والاستعباد لم يحولا دون أن تنمو المدينة وتترعرع ، وتكشف عن حسن ضاف ، وجاذبية مفرطة ..

ثلاثة أحداث في حياتها

ثلاثة أحداث لمعت في حياة « بورسعيد » على حداثتها ..

الحدث الأول ، تمثل في ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. فقد كان قيام هذه الثورة ايذانا بانقلاب في حياة المدينة، وبعد أن كانت السيادة والأفضلية للاجنبي ، أصبح المواطن العربي على قدم المساواة معه .. وكانت أبرز مظاهر هذه المساواة في المجال الاجتماعي ، اذ امتدت الرعاية الطبية والخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية الى حي «العرب» وحي « المناخين » .. وفي المجال الاقتصادي ، اذ بدأت المدينة تتطلع الى موارد اقتصادية غير موردها كميناء ومرفق على القناة فحسب ، وهو الوضع

كان هذا الفندق أحد معالم بورسعيد الهامة كانت أهميته في أن كل هذه المساحة لم تكن مبنية بالطوب أو الخشب أو الأسمنت ، بل من الحديد ! كان اسمه في بورسعيد (البيت الحديد) . وكان أشهر فندق في البلد . وعدا عليه الزمن ، فأهمل .. ثم هدم منذ بضعة شهور ، وبيع الحديد الذي فيه بمبلغ كبير . لم يستعمل المعول في هدمه .. كانوا يستخدمون (المفك) أحيانا .. والنار احيانا .. كان أول وآخر (بيت حديد) ربما في المنطقة العربية كلها ..

فى الصيف .. مئات المظلات تنشر كل يوم على طول بلاج بورسعيد (٣ كيلو مترات) . وتبدو خلف المظلات (الشاليهات) الخشبية التى أعدها مجلس بلدى بورسعيد خصيصا لأهالى البلد . ان اهم ميزة فى بلاج بورسعيد أنه متدرج .. اذ يجد الأطفال فيه مكانا ضحلا قليل الماء يستطيعون أن يلعبوا فيه ويعودوا دون خوف .

وبلاج بورسعيد يعتبر من احسن بلاجات الجمهورية وأكثرها صلاحية للاستحمام . ويبلغ طول بلاج بورسعيد الصالح للمصيف حوالى ١٢ كيلو مترا ويمتد من شاطىء قناة السويس شرقا حتى كوبرى الجميل غربا .. ولكن المنطقة المستعملة فعلا لا تزيد على ثلاثة كيلومترات هى المنطقة الممتدة أمام مبانى البلد بحذاء البحر ..

الذى كانت تفرضه عليها شركة قناة السويس العالمية فى الماضى .. ومن ثم دبت فيها بوادر نهضة صناعية وزراعية ..

ويكفى للدلالة على هذه النهضة العمرانية المستحدثة ، أن الحكومة انشأت للطبقة العاملة التى كانت تعيش فى أكواخ حى « المناخين » - ٥٥٦٣ مسكنا صحيا لائقا تتراوح القيمة الايجارية لها بين جنيه وربع الجنيه ، وبين ثلاثة جنيهات ونصف فى الشهر .. وهى قيمة تقل عن ربع ما تؤجر به المساكن هناك .. كما انشئت حوالى ٢٩٠ بناية تعاونية لسكنى الموظفين محدودى الدخل .. كل هذا فيما بين سنتى ١٩٥٣ و ١٩٦٠ .. برغم الاضطرابات التى احدثتها فترة العدوان فى سنة ١٩٥٦ .

سجلت اسمها فى سجل البطولة

أما الحدث الثانى ، فكان فى ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ .. اذ اختار القدر « بورسعيد » لتكون البقعة التى يرحل منها آخر جندى انجليزى من قوات الاحتلال ، بعد أن جثمت هذه القوات على صدر البلاد ٧٤ سنة ..

ثم كان الحدث الثالث فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦، عندما احتلت القوات الفرنسية والبريطانية بورسعيد فى العدوان الثلاثى ، ردا على تأميم قناة السويس ، ولما ينقض على رحيل آخر جندى بريطانى عنها ١٤٥ يوما .

ولقد سبقت هذا العدوان غارات جوية أشاعت الدمار فى كثير من أرجاء المدينة . ولكن هذا لم

كان حي المناخ من أقدم أحياء بورسعيد ، فهدمته قنابل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، ثم أزيلت أنقاضه وأقيمت مكانها مدينة سكنية من المساكن الشعبية .

الى اسفل : منظر من الجو لحي الافرنج ، وهو الحي الموازي لمدخل قناة السويس من ناحية بورسعيد

ممنوع دخول الرجال : حديقة خاصة بالاطفال والسيدات فى قلب (حى الافرنج) ببورسعيد . كانت قبل ذلك ناديا رياضيا خاصا بالاجانب .. ثم ازيلت الاسوار والملاعب وزرعت الاشجار والحشائش وتركت ليتمتع بها اطفال وسيدات بورسعيد ..

انشأت بلدية بورسعيد مبانى للمصطافين على أحدث طراز تحتوى كل شقة على غرفتين وصالة . المبانى جميلة .. وملونة وكل سكن مستقل بذاته . وفى وسط هذه الفيلات الصغيرة ، مبنى كبير ذو اربعة طوابق . وقد نجحت بورسعيد ـ بفضل هذه المشروعات ـ فى اجتذاب عدد ضخم من المصطافين (حوالى ٢٠ الفا فى العام الماضى)وتفضل العائلات بلاج بورسعيد على بلاج الاسكندرية ، لانه اكثر هدوءا واقل روادا .

يوهن من روح المدينة ، التى أبت أن تكـون منفذا للمحتل ، وهى التى شيعته عند رحيله ، فاستبسلت ايما استبسال ، وناضلت انبل نضال ـ حتى اجتلت المعتدين وسجلت اسمها فى سجل الخلود ، واتخذت لنفسها مكانا فى نفس الصف الذى تقف فيه مدن باسلة تكبرها بمئات السنين.

وهكذا كتبت « بورسعيد » لنفسها تاريخـا حافلا مجيدا ، وعمرها دون القرن بثلاث سنوات.

أصول متغلغلة فى التاريخ

على أن حداثة سن «بورسعيد» لم تمنع من أن تكون لها جذور متغلغلةفى اعماق التاريخ. فقد قدر لها أن يكون موقعها فى الطرف الشمالى الشرقى لمصر الفرعونية القديمة .. فى المنطقة التى عرفها التاريخ باسم « بيلوز » ، وكان يجرى فى غربها وجنوبها فرع من فروع النيل يسمىالفرعالبيلوزى .. وعلى مرور الأجيال وتعاقب القرون ،عدت رمال الصحراء على هذا الفرع ، وخلفت منه بعض البحيرات الداخلية الصغيرة ..

وفى عهد البطالسـة والرومان ، تطـورت « بيلوز » الى « الفرما » ، التى تحولت ـ فى عهد الفتح العربى ـ الى مركز من أهم مراكز الدفـاع عن حدود مصر الشرقية .. ولكن اجتذاب فرع النيل ، وتغلب الصحراء ورمالها ، لم يلبثا أن أوديا بقيمة « الفرما » ..

وصبرت المنطقة على غدر الظروف ، حتى شاء القدر لمشروع قناة السويس أن يلقى طريقـه الى النور ، ليصل البحر الاحمر ـ عند مدينة السويس ـ بالبحر الأبيض المتوسط، حيثأنشئت مدينة « بورسعيد » .. أو « مينا سعيد » .فقد كانسعيد باشا آنذاكواليا علىمصر(١٨٢٢-١٨٦٣)» وهو ابن محمد على والى مصر . وسعيد هـو الذى منح الدبلوماسى الفرنسى ، الفيكونت « فرديناند ديلسبس Delesseps » امتياز حفر القناة .

وأقيمت المدينة على شبه جزيرة رملية على الضفة الغربية لمدخل القناة ، تفصل بحيرة المنزلة عن البحر الابيض المتوسط على بعد ٢٨ كيلومترا من أطلال «الفرما» .. وعمَّرها فى البدايةحوالى الفى نسمة من العمال الذين اجتلبوا ليُسخروا فى حفر القناة ، ومن الصيادين الذين توافدوا ليعيشوا على ما يصيدونه من اسماك البحيـرة والبحر ، فيبيعونه رخيصا للعمال .

وسارت أعمال الحفر والانشاء بطيئة .. ولولا أن العنصر البشرى الذى قدم الى بورسعيد كان قويا ونشيطا وصبورا ، ما أمكن التغلب علـى الصعاب والعقبات ..

ميناء يدخله ضعف ما يدخل نيويورك من سـفن

ومع التقدم فى المشروع ، أخذت المدينة تحبو فى مدارج التوسع .. فبالأتربة والرمال المتخلفـة من حفر القناة ، رُدمت مساحة من بحيرة المنزلة، كما أن تيارات البحر الأبيض المتوسط اعتادتأن

مطار الجميل : المطار الوحيد فى بورسعيد يقع على بعد ثمانية كيلو مترات من البلدة . ويستقبل طائرات ذات محركين ـ على الأكثر ـ وفى الصيف تهبط به طائرة كل يوم من القاهرة . ثم تغادره الى الاسكندرية . وفى الشتاء ينخفض عـدد الرحلات الى ثلاث مرات فى الأسبوع . وتقطـع الطائرة المسافة من القاهرة الى بورسعيد فى ٤٠ دقيقة بينمـا يقطعهـا القطار والأتوبيس فى ٤ ساعات . ولتشجيع السفر بالطائرات ، حدد ثمن التذكرة بثمن تذكرة الدرجة الأولى فى القطار .

شارع الحميدي فى بورسعيد ، هو أهم شارع تجارى فى البلد ، وبه أكبر سوق لتجارة الخضار والفاكهة ويمتد من شارع محمد علي (الذي يفصل حي العرب من حي الافرنج) حتى شارع الأمين (الذى يفصل حي العرب من حي المناخ القديم الذى صار الآن مساكن شعبية بعد أن هدم فى حرب السويس .

تحمل ـ فى كل عام ـ كميات من طمى النيل،تلقيها على شاطىء بورسعيد ، فتكوّن طبقة جديدة من اليابسة ، يقدر عرضها بثمانية أمتار سنويا ..

واتسعت خطى التقدم والنمو ، عقب اكتمال مشروع القناة ، وجريان الحركة فيها .. فقد أصبح مرور السفن مصدر رزق كبير للمدينة .. رزق من الركاب الذين يهبطون اليها أثناء تزود سفنهم بالوقود، وانتظار هذه السفن دورها للعبور .. ورزق من جراء تموين السفن ، فقد أصبحت بورسعيد من اهم مراكز التموين لها .. ورزق من حركة التصدير والاستيراد ، والشحن والتفريغ.. فقد اتسعت الحركة التجارية ، حتى قدّر لبورسعيد ان تنافس الاسكندرية وتهدد مكانتها التاريخية بوصفها الميناء الأول للبلاد ..

وليس عجيبا أن عدد السفن التى تدخلها يوميا قد بلغ ٥٤ سفينة .. ضعف ما يدخل ميناء نيويورك فى اليوم . وزحفت اطراف المدينة غربا وجنوبا وشمالا .. ثم زحفت شرقا ، عقب الحرب العالمية الأولى ، اذ أنشئت على الضفة الشرقية لمدخل القناة ـ أى فى مواجهة بورسعيد ـ بلدة صغيرة ، هى « بور فؤاد » أو مينا فؤاد ، وقد كانت فى بادىء الأمر مقرا للاجانب من رجال شركة القناة العالمية ، ولترسانة اصلاح السفن .. حتى اذا تم تاميم القناة ، زالت امتيازات الأجانب وفتحت « بور فؤاد » أبوابها للزحف العمرانى والاسكانى ، وأصبحت فى مكانها الطبيعي ..ضاحية من ضواحي «بورسعيد» ، تربط بينها وبين المدينة سفن تسير بانتظام دقيق لنقل الاهالى والمركبات ، لقاء أجر زهيد ، لا يتجاوز خمسة مليمات عن الذهاب والاياب .

من ٢٠٠٠ الى ٢٥٠،٠٠٠ نسمة

ونظرة سريعة على البيانات الاحصائية تعطينا فكرة عن سرعة نمو « بورسعيد » .. المدينة التى بدأت فى سنة ١٨٥٩ ـ بالفى نسمة ، فاصبح عدد سكانها ـ فى سنة ١٩٤٧ حوالى ١٥٧،٠٠٠ نسمة .. واخذوا يزدادون بمعدل ٤٪ سنويا حتى أربوا اليوم على ربع مليون ..

وكانت المساحة العمرانية للمدينة قبيل العدوان ١٩٥٦ حوالى ٨٠٠ فدان ـ أى ٣،٣٦٠،٠٠٠ متر مربع ـ كان مخصصا للسكنى منها حوالى سبعة

على هاتين الصفحتين ثلاث صور تبين بعض مراحل التصنيع فى بورسعيد .. فقد أنشىء فيها أول مصنع لشباك الصيد فى الشرق وينتج ٦٠٠ طن سنويا ، وسيتحول فيما بعد من استعمال خيوط القطن الى خيوط النايلون ، كما أنشىء مصنع آخر لانتاج الخيوط الصوفية (التريكو) ينتج ١٥٠٠ كيلو جرام يوميا ، وملحق به مصنع للنسيج ينتج ٥٠٠ متر يوميا من صوف الملابس ، ومصنع (للتريكو) ينتج ١٠٠ الف (بلوفر) سنويا ، ويقوم بأكثر العمل فى هذه المصانع فتيات عاملات من بورسعيد ، ولهن أزياؤهن الخاصة ، والى جانب هذه المصانع أقيم مصنع لتجميد الجمبرى ومصنع لتعبئة البرتقال واعداده للتصدير .

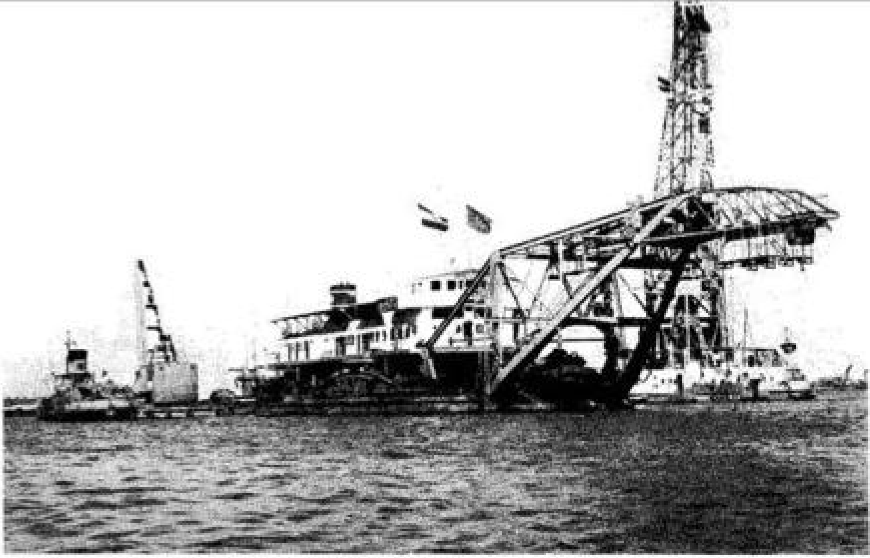

كان فى وسط القناة عند مدخل بورسعيد مجموعة من الجزر مقام عليها منشآت لشركات بحرية . والعمل جار الآن لازالة هذه الجزر نهائيا لتوسيع ميناء بورسعيد .

وهذه اضخم « كراكة » فى هيئة القناة (٢٦ يوليو) تعمل فى ازالة هذه الجزر . وبجوارها اكبر ونش عائم (عملاق) .. ان ستة من الجزر يجب أن تختفى من ميناء بورسعيد قبل نهاية الصيف القادم .

المانها ، بينما خصص الثمن الباقى للمرافق العامة..من شوارع ومتنزهات وساحات مزروعة تتخلل الطرقات . وبورسعيد من اكثر مدن الجمهورية العربية المتحدة نصيبا من هذه الساحات ..

وعلى هذا الأساس ، كانت كثافة السكان فى المدينة ٢٧٠ نسمة للفدان الواحد فى المتوسط .. وهى نسبة عالية جدا ، اذا عرفنا أن الحد الأعلى لكثافة السكان فى المدن يجب الا يتجاوز ٢٠٠نسمة للفدان .. ولما كانت الكثافة فى « حى الافرنج » تقل ـ فى الواقع ـ عن ١٨٠ نسمة للفدان ، فانها كانت تتجاوز ٢٨٠ فى « حى العرب » . وبالتالى ٣٠٠ فى حى « المناخين » ..

لذلك كانت المدينة فى حاجة سريعة الى عناية السلطات . فلما بدات حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى اعداد المشروعات التخطيطية والاسكانية لمدن الجمهورية ، على أساس التوسع العمرانى المرتقب فى سنة ٢٠٠٠ ، أولت «بورسعيد» نصيبا وافرا من عنايتها .. وكان فى مقدمة المشروعات التى انتهت اليها ـ فى سنة ١٩٥٥ ـ ازالة انكد أحياء بورسعيد حظا ، وهو حى « المناخين » ، واعادة انشائه على احدث النظم ..

رب ضارة نافعة

واذا كان العدوان الغاشم قد عرقل البدء فى هذه المشروعات فترة ، آلا انه كان « ضارة نافعة » اذ هدم الشطر الأكبر من حى « المناخين » ،فخدم غرضين : أولهما ازالة المساكن القديمة ، وثانيهما التعجيل بتنفيذ المشروع .... فما أن انجابت القوات الغاشمة عن المدينة حتى نشطت حركة التعمير وأقبل الشباب افواجا ، متطوعا من كافة ارجاء البلاد للاشتراك فيها .. فاقيم ٢٢٠٠مسكن شعبى ـ منها ١٥٠٠ تقريبا فى حى المناخين وحده وشقت الشوارع ، وصممت المرافق العامة على احدث الطرق .. كما خصصت مساحة قدرها ٦٠٠,٠٠٠ متر تقريبا للراغبين فى اقامة مساكن خاصة بشروط ميسرة .. وردم حوالى مليون متر مربع من بحيرة المنزلة ـ جنوبى المدينة ـ لاعادة انشاء ميناء للملاحة الداخلية مع ارجاء الدلتا ، تقوم على جانبيه صناعات صغيرة ، كاصلاح السفن الشراعية .

وتدل حركة التعمير فى بورسعيد ـ كما هى فى كافة ارجاء البلاد ـ على ازدياد العناية بذوى الدخل المحدود والطبقة العاملة .. ففى الفترةبين سنتى ١٩٦٠ ـ وهى بداية تنفيذ نظام الحكم المحلى ـ و ١٩٦٢ ، انشئت ٢١٨٠ مسكنا شعبيا

الحوض العائم « عيد النصر » انه ثانى حوض عائم فى العالم من حيث الضخامة . يستخدم فى اصلاح السفن الكبيرة (حمولة ٥٠ الف طن) . وكانت هذه السفن تصلح فى اوروبا أو جنوب افريقيا . وتكلف اكثر من ٥ر١ مليون جنيه سنويا . وأمام الحوض تبدو الترسانة البحرية ، حيث تصنع السفن الكبيرة لاول مرة فى الجمهورية . لقد تم فى هذه الترسانة بناء أول سفينة وهى « قناة السويس » وبدأت رحلاتها فعلا . ويجرى العمل الآن فى بناء سفينتين من الحجم نفسه .

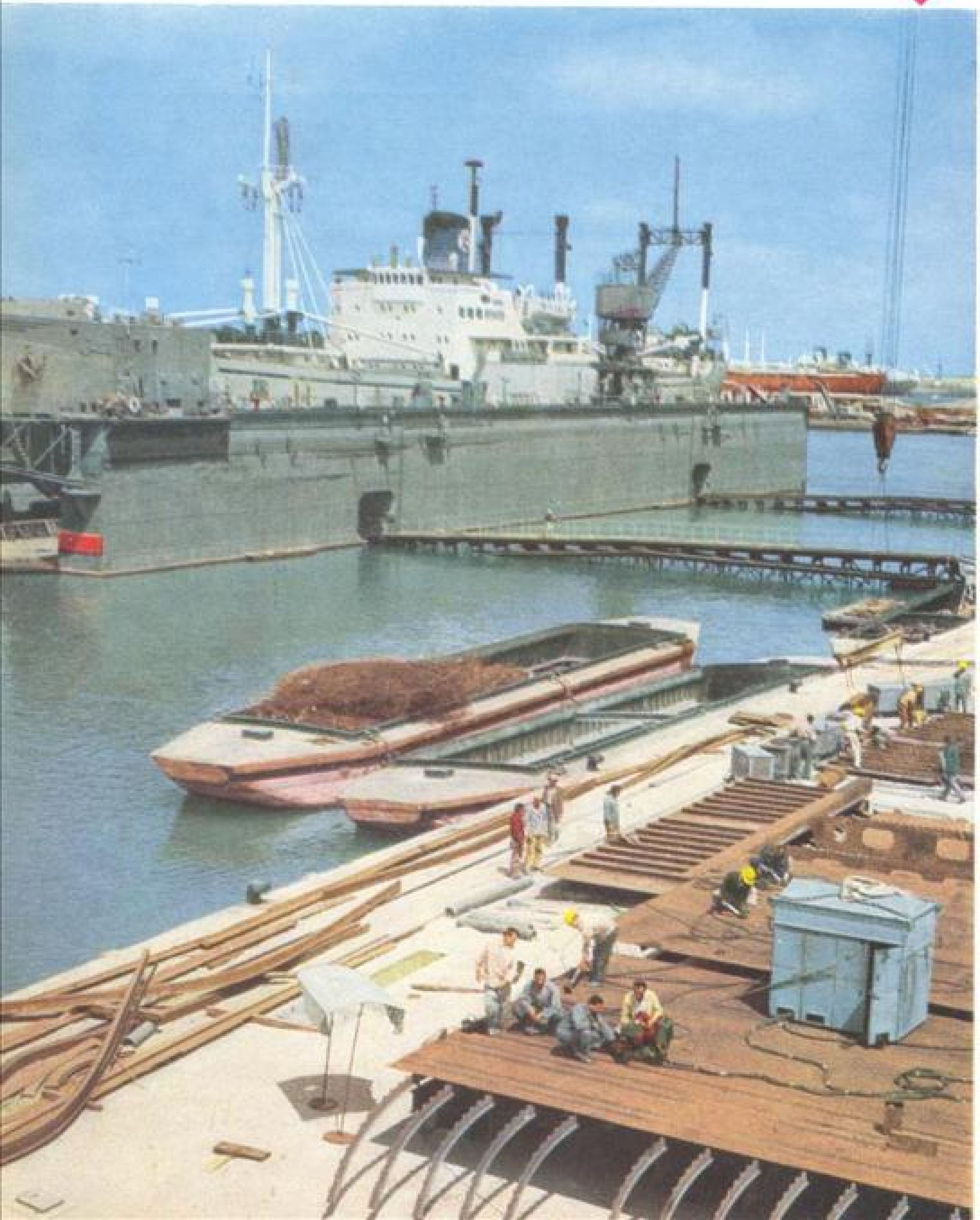

أخرى . وتقضى خطة الاسكان بانشاء ١٠٠٠ مسكن سنويا ، كما ضوعفت العناية بالمرافق العامة ـ من اضاءة ونقل وما اليهما ـ مرات ، وفقا لخطة السنوات الخمس ، التى بدأت مع بداية الحكم المحلى ..

فى التعليم والعلاج والخدمات الاجتماعية

وهذا التقدم السريع لايقتصر على التعمير وحده، بل يمتد فى كافة الميادين الأخرى . فقد بلغ عدد المدارس التى انشئت خلال السنوات العشر الأخيرة ـ ٢٨ مدرسة ابتدائية ، تضم حوالى ٢٣٠٠٠ تلميذ وتلميذة .. ومدرستين اعداديتين تستوعبان ٣٧٠٠ تلميذ وتلميذة ، الى جانب المدارس التى كانت موجودة من قبل .. وبهذا اصبحت بورسعيد أولى مدن الجمهورية العربية المتحدة فى التعليم ، فان مدارس المرحلة الاولى فيها تستوعب جميع أبناء هذه المرحلة فى المدينة، ويبقى بعد ذلك حوالى ١٤ فى المائة من مقاعدها تخصص لاستقبال من يفد اليها من المناطق الأخرى.

وفى الخدمات العلاجية اصبحت مستشفياتها تتسع لأكبر عدد من المرضى ، بحيث ان بها سريرا مقابل كل ٢٠٠ من سكانها ، وهى نسبة تكاد تعادل النسبة الموجودة فى سويسرا .. فضلا عن وجود مركز لنقل الدم ، ومعمل «باتولوجى اكلينيكى» ، كما انشىء مجلس للخدمات الاجتماعية يقوم ببحث الحالات الاجتماعية للمرضى المترددين على المستشفيات ، وتقديم المساعدات لمن يحتاجون اليها منهم والى أسرهم ..

ولقد بلغت الخدمات الاجتماعية فى بورسعيد مستوى يكاد يبز ما فى المدن الكبرى .. ومن أمثلة هذه الخدمات وجود مراكز مهنية لتدريب الأرامل والمطلقات على أعمال تكفل لهن الرزق الشريف ، ولتدريب العاجزين على بعض الحرف،بل ان فيها مركزا تدريبيا مهنيا لتهيئة أفراد الأسرة التى تحتاج لمساعدات ، وتعرف ميول كل فرد من أفرادها ، لتعليمه مهنة يتكسب منها ، وبذلك تستطيع الأسرة أن تتعاون على أن تعول ذاتها ، وتستغنى عن تلقى المساعدات .

نحو الاكتفاء الاقتصادى

كل هذه الجهود ما كانت لتثمر بدون التخطيط الاقتصادى السليم .. ويشرح السيد عماد الدين رشدى محافظ المدينة ، هذا التخطيط بقوله : « اذا كانت الحرب والحصار الاقتصادى قد نبتها البلاد ـ فى مجموعها ـ الى ضرورة تحقيق الكفاية الذاتية ،فان العدوان قد نبه بورسعيد الى وجوب تنمية مواردها .. وقد تم استصلاح ٥٠٠ فدان من الارض المالحة فى جنوب المدينة لزراعتها خضَرا ، حتى تتوافر أصناف الخضر بعد أن كنا نعتمد فى الحصول عليها على مناطق أخرى ،فتصل الينا وقد أضيفت الى ثمنها نفقات النقل وأرباح الوسطاء، فضلا عما تفقده من نضارتها فى الطريق».

وتتسع هذه المساحة لحوالى ٢٠٠ أسرة تتولى زراعتها على اسس تعاونية .. على أن هذا لن يكون كل حظ بورسعيد من الزراعة ، فقد تقرر أن تشترك بورسعيد مع المحافظات المحيطة بها فى مشروع كبير ، يتكلف ١٥ مليونا من الجنيهات ، ويرمى الى تجفيف ٣٠٠٠٠٠ فدان من بحيرة المنزلة.

والى جانب ما سيترتب على هذا المشروع من زيادة موارد « بورسعيد » من الخضر ، ومن ايجاد اعمال لأكبر عدد من الايدى العاملة ، فانه سيمكنها من التوسع فى تربية المواشى والدواجن وما يتبع ذلك من توفر اللحوم والالبان والبيض،لا للاستهلاك المحلى فحسب،بل لتموين السفن العابرة بالأغذية، ولامداد الاسواق الداخلية فى الجمهورية العربية المتحدة ..

صيد السمك من الصناعات الرئيسية

ولقد كان صيد السمك من أولى الصناعات التى رافقت « بورسعيد » منذ مولدها .. بيد أنها كانت صناعة مرتجلة ، لا تنظّمُ تنسّق جهود العاملين فيها وتحفظ حقوقهم ، ولا مرّفأ أمينا يصون سفنهم من غدر البحر ..

وفى عيد النصر الخامس ـ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦١ ـ افتتح ميناء الصيد الذى أنشىء عند ملتقى القناة بالبحر الابيض المتوسط ، ذلك الذى جُهز بأرصفة تصد عادية الأمواج عن أسطول الصيد الذى يمتلكه الأهالى والذى يزيد على ٣٠٠ سفينة صيد ، بين شراعية وذات محركات آلية .

ولكن الامر لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد جهز الميناء بالبرادات (الثلاجات) لحفظ الأسماك ، وبمصنع ثلج للغرض ذاته .. كما انشئت محطة وقود لتموين أسطول الصيد المذكور، وانشيء حوض لاصلاح السفن عند رسوها ..

وقد استدعى خبراء عالميون لدراسة الثروة السمكية ، وانشئت جمعيات تعاونية زيادة فى تنظيم هذه الصناعة .. ويقدر عدد ما فى المياه المحيطة ببور سعيد من أصناف السمك بثلاثين صنفا ، يصاد منها نحو ٦٫٥ مليون كيلوجرام سنويا ..

التصنيع يسرى فى مدينة بورسعيد

والى جانب هذه الموارد ، دبت فى «بورسعيد» خلال السنوات الخمس الأخيرة ، بوادر حركة تصنيع تتسع باطراد دائب ..

وكان من الطبيعي أن يكون للبيئة أثر كبير فى توجيه الصناعات التى تقوم فيها . لذلك لم يكن عجيبا أن أول مصنع اقيم فيها، كان مصنعا لحفظ « الرِّبيان » أو « الجمبرى » بالتجميد ، وتعبئته .. فان توفر المواد الفسفورية فى « الرِّبيان » المصرى ، فتح له أسواق أوربا وامريكا .. حتى أن هذا المصنع يصدر اليها ما قيمته ١٠٠٠٠٠ دولار فى العام ..

وازاء ما لقيته منتجاته من رواج ، أقيم – فى سنة ١٩٥٩ – مصنع آخر ، امتاز عن سابقه بانه يتولى فى الفترات التى يقل فيها « الربيان » ، حفظ أنواع السمك والخضر وعصير الموالح بطريقة التجميد أيضا ..

وفى بورسعيد ثلاثة مصانع حديثة ، تعتبر الاولى من نوعها فى الشرق الأوسط .. واولها مصنع الاقمشة الثقيلة ، الذى جهز بأحدث انوال النسج الأوتوماتيكية لانتاج الخيام والمظلات وقلوع المراكب ، ومعدات الشواطيء والرحلات.. وبالرغم من أن عمره لم يتجاوز السنوات الثلاث، فانه يمد عددا من الجيوش العربية بحاجاتها من انتاجه ..

اما ثانى هذه المصانع فهو مصنع الشباك الذى

يمارس الأهالى فى استاد بورسعيد ١٢ لعبة رياضية من أهمها لعبة الشيش . ويبلغ عدد المشتركين فى هذا النادي حوالي ٢٢ ألف بورسعيدى ■

وفى الصيف يستقبل حمام السباحة حوالي ٥٠٠ سباح كل يوم .

ينتج شباك صيد السمك والطيور ، والشباك التى تستخدمها الجيوش للتمويه على العدو (الكاموفلاج)، وشباك الستائر ، والشباك المستعملة فى الالعاب الرياضية وما اليها ..

وثالث هذه المصانع مصنع تجفيف البصل .. فان « بورسعيد » من أهم الموانيء لتصدير هذا المحصول .. وكانت رقابة الصادرات كثيرا ما تمنع شحن بعض الكميات المعدة للتصدير، لوجود بعض عيوب تجارية بها .. وبدلا من أن تتلف هذه الكميات أو يتكبد المصدر نفقات لاستعادتها من بورسعيد ، انشيء هذا المصنع منذ ثمانية أعوام لتجفيف البصل وتغليفه على شكل شرائح أو بعد طحنه ..

وقد لقى انتاج هذا المصنع رواجا فى كثير من الدول الأوروبية وفى استراليا ، وتضاعف انتاجه فى خلال السنوات الاربع الاخيرة فأصبح ٦٤٨ طنا فى سنة ١٩٦١ ، وكان ٢٩٠ فقط فى سنة ١٩٥٧ .. واذا عرفنا أن البصل المجفف خفيف

درس فى الكيمياء فى ثانوية البنات ببورسعيد ، وتعتبر هذه المدرسة من احسن مدارس البنات فى الجمهورية نظاما .

اهم ناد رياضى فى بورسعيد هو (استاد بورسعيد) ويضم ١٥ ملعبا وصالة . ويتسع الملعب الرئيسى لـ ٢٥ الف شخص وتقام فيه المباريات الكبرى والحفلات العامة . وبه صالة مقفلة تتسع لخمسة آلاف وهى اكبر صالة مغلقة فى الجمهورية العربية .

فى ثانوية بنات بورسعيد ، حضرنا تجربتين جديدتين تجربهما المدرسة لأول مرة ، تجربة « **يوم أولياء الامور** » يتولى فيه أولياء أمور الطالبات ادارة المدرسة عمليا حتى ترتبط المدرسة بالبيت ، ويتولى فيه أولياء الأمور شرح دروس أخرى ـ غير المقررة ـ هذا مدير مطافىء بورسعيد يشرح درسا فى الحرائق لفصل من البنات ، و« يوم للطالبات » تتولى فيه التلميذات المشاركة فى ادارة المدرسة وفى التدريس أيضا ، البنت تشرح الدرس بينما يجلس المدرس بعيدا .. لمجرد المراقبة .

الوزن استطعنا ان ندرك أن حجم هذه الكمية يفوق اضعاف المنتظر من وزنها .

مجرد نواة لحركة مطردة النمو

وفى بورسعيد ـ عدا ذلك ـ مصنع للمنسوجات الصوفية وخيوط الغزل (التريكو) كما أن بها مصنعا للملح ، وآخر لتعبئة الموالح وتغليفها بالشمع على أحدث الأساليب ، وقد بلغ من نجاحه ان استطاع منافسة منتجات اسرائيل فى بعض الأسواق .

وليست هذه المصانع سوى نواة لحركة تصنيع واسعة ، يؤازرها كثير من مراكز التدريب المهنى وتسير الى جوارها جمعيات تعاونية صناعية لانتاج الملابس ، والاحذية ، والأدوات المعدنية ، والفستالات الكهربائية والخلاطات .

بورسعيد .. مصيف ومشتى ومنتجع

على أن الموارد السياحية من أهم عناصر التخطيط الصناعى .. واذا كانت بورسعيد تفيد من الركاب العابرين القناة ، فقد آن لها أن تكون فى حد ذاتها مقصدا للسياح .. من داخل الجمهورية ومن خارجها على السواء .

وبالنسبة للسياحة الداخلية ، تعتبر « بورسعيد » من ابدع المصايف وأرقاها ، حتى ليقصدها فى أشهر الصيف فى كل عام ، ما لا يقل عن ١٥٠,٠٠٠ مصطاف .. ويمتاز مصيف بورسعيد ـ الذى يتسع باطراد ويمتد على طول ساحل البحر الابيض المتوسط ـ بنظام لم يسبقه اليه مصيف عربى آخر .. ويتمثل هذا النظام فى مساكن شاطئية مؤثثة بأحدث الأثاث المريح . وقد انشأت السلطات المحلية منها حتى الآن حوالى ٥٧٠ ، يتألف بعضها من غرفتين وبهو ، والبعض الآخر من ٣ غرف وبهو ، بحيث يستطيع المصطاف ان يقيم على الشاطىء بدلا من أن ينزل فى فندق أو مسكن فى المدينة ، أو يستأجر كوخا على الشاطىء .

وقد انشىء بِصقّ الشاطىء مسرح صيفى يتسع لأكثر من ١٠٠٠ متفرج ، فضلاً عن عدد من الكازينات وحلقة للانزلاق ..

ومع أن موسم الصيف يدر على « بورسعيد » دخلا كبيرا ، ويحدث فى المدينة حركة تجارية عارمة .. الا ان امكانيات المدينة وجوها الممتاز يجعلانها مشتى بديعا ، ومنتجعا للاستجمام فى فصول الخريف والشتاء والربيع كذلك .. ولاستغلال هذه الميزات وضعت خطط لاجتذاب السياح الأجانب من رواد المشاتى ، فتقرر اقامة فندق كبير ومدينة للملاهى على أحدث طراز فى العالم ، الى جانب انشاء مطاعم تقدم الوجبات القومية لمختلف الجنسيات ، ومتحف حضارى .

ولاستغلال المساكن الشاطئية فى غير فصل الصيف ، ابتدعت الحكومة المحلية للمدينة نظاما ستبدأ فى تنفيذه قريبا .. وتتيح بمقتضاه لهواة الرحلات فى العطلات الاسبوعية أن ينزلوا فى تلك المساكن دون مقابل ، باعتبار أن ما ينفقونه على مأكلهم ومشربهم ولهوهم سيؤلف دخلا اضافيا للمدينة .

خمس قنوات فى ٤٠٠٠ سنة

ولن يكتمل الحديث عن بورسعيد ما لم نلم بقناة السويس المامة سريعة ..

١٧٣ كيلو مترا طولها ، ولكنها توفر على السفن الساعية بين الشرق والغرب ٤٠٪ من المسافة التى كانت تضطر الى قطعها للدوران حول القارة الافريقية .

وترجع فكرة انشاء قناة تربط بين البحرين الابيض والاحمر ، عبر برزخ السويس ، الى حوالى أربعة آلاف سنة مضت .. وكان « سنوسرت الثالث » أول من حقق المشروع ، فانشأ أول قناة .. وقيل ان « سيتى الأول » هو صاحب المشروع فى سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد ، ولكن القناة ردمت على مر القرون ، حتى أعاد الفرس شقها أثناء احتلالهم البلاد .. وردمت مرة ثانية ، فأعادها بطليموس الثانى ، ثم تراجان أيام الفتح الرومانى ، ثم العرب بعد الفتح الاسلامى .. والغالب أن القناة كانت تربط النيل بالبحر الأحمر ، اذ كان

الكنافة .. فى الحي الشعبي أو (حي العرب) ، كما يسمونه فى بورسعيد . وفى هذا الحي عشرات من المحلات المتخصصة فى (الكنافة) والقطايف ، ويزيد عدد هذه المحلات فى شهر رمضان ..

الاعتقاد السائد أن مستوى مياه البحر الاحمر يرتفع عن مستوى مياه البحر الأبيض المتوسط بدرجة لاتمكن من شق قناة تربطهما..وبهذا الرأى اقنع علماء الحملة الفرنسية نابليون حين راود خاطره المشروع ..

وفى أواسط القرن التاسع عشر ، استطاع « فردينان ديلسبس » ان يقنع الوالى سعيد باشا بأن يمنحه امتياز انشاء قناة تربط بين البحرين .. وسرعان ما انشأ الشركة العالمية لقناةالسويس الملاحية فى سنة ١٨٥٤ .. وفى سنة ١٨٥٦ بدئت أعمال الحفر.. وفى نوفمبر ١٨٦٩ افتتحت القناة.

واخذت حركة العبور تنمو وتزداد بسرعة كبيرة .. ففى سنة ١٨٨٠ كان عدد السفن المارة بها ٢٠٢٤ سفينة حمولتها ٣ ملايين من الاطنان.. وقد ارتفع عدد السفن حتى بلغ ــ فى سنة ١٩٤٨ــ ٨٦٨٦ سفينة حمولتها ٥٥ مليونا من الأطنان . وازداد معدل النمو بعد ذلك فارتفع عدد السفن ــ فى سنة ١٩٥٥ ــ الى ١٤٦٦٦ سفينة تقرب حمولتها من ٠٠٠ر٠٠٠ر١١٥ طن .. ومن المتوقع أن يربو عدد السفن المارة فى القناة خلال العام الحالى ١٩٦٢ على ٢٠٠٠٠ سفينة .

بعد تأميم القناة

ولقد كان تأميم القناة ــ فى سنة ١٩٥٦ ــ بداية عهد جديد لها . اذ حرصت الادارة العربية على تحسين المرفق وتوسيعه وتعميقه ، فاصبح القطاع المائى للقناة ١٨٥٠ مترا مربعا بزيادة ٦٠٠ عما كان عليه ، وباتت تستقبل السفن الضخمة التى يبلغ غاطسها ٤٥ قدما وتتراوح حمولتها بين ٦٥٠٠٠ و ٧٠٠٠٠ طن .

هذا الى جانب ازدواج مجرى القناة لتستطيع السفن القادمة من الشرق والقادمة من الغرب أن تسير معا ، بدلا من ان تنتظر القادمة من أحد الاتجاهين مرور القادمة من الاتجاه الآخر ..

ولقد زودت القناة بحوض عائم ضخم ــ فى ميناء بورسعيد ــ لاصلاح السفن ، الى جانب حوض عائم قديم و « ترسانة » للغرض ذاته ، كانا موجودين من قبل . كما اقيم مركز تدريب مهنى وانشئت محطة للبحوث الهيدروليكية والتجارب على ميكانيكية التربة ، وازيلت جزيرتان من عرض القناة فى بورسعيد لانشاء أرصفة جديدة ... ويجرى العمل فى تنفيذ نظام للسيطرة على الحركة فى القناة وموانيها باستخدام التليفزيون والرادار.

هذه هى بورسعيد .. مدينة النصر

وبعد ..

لقد قمنا بجولات .. جولة فى مدينة بورسعيد .. وجولة فى تاريخها .. وجولة فيما يعد لها من مستقبل ..

انها مدينة الغد .. المدينة التى يحلو للمرء أن يزورها صيفا وخريفا وشتاء وربيعا ، ليجد فيها شتى المتع : روعة الجو .. وجمال الطبيعة .. وحسن المنشآت .. وحركة ونشاطا دائبين ، وتطورا لا ينقطع ..وفوق هذا وذاك ، نفحات من بطولة لا يزال العالم بأسره يتحدث عنها .

■■

ميناء خاص بمراكب الصيد ، ان بورسعيد تخرج من المياه المحيطة بها حوالى ٢٨ نوعا من الأسماك وتبلغ كمية الصيد سنويا حوالى ٥١٩ر٦٣٧٧ر٦ كيلو جراما، وأهم سمك في بورسعيد هو البلطى.

في الشوارع القريبة من الميناء فتح أهالى بورسعيد محلات كثيرة لبيع التحف والمنتجات الشرقية، وليس لهذه المحلات مواعيد للفتح أو الاغلاق ، انما مواعيدها هو نفس مواعيد وصول البواخر . قد تفتح المخازن أبوابها في الثالثة صباحا لاستقبال ركاب البواخر لمدة ساعتين ثم تغلقها الى اليوم التالى.

تعدد الأزواج ..

بلاد تبيح للمرأة الواحدة أن تحصل على أكثر من زوج !

■ هناك ، فوق ظهر هذه الارض ،نظام للزواج غريب جدا ، غريب عن مفاهيمنا للزواج والأخلاق ، وبموجبه يسمح للرجل بالزواج من امراة واحدة فقط ، ولكنه يبيح لهذه المراة أن تتخذ لنفسها غير زوجها هذا عدة من أزواج آخرين . وهو نظام قليل الانتشار في الأرض، وتمارسه بعض الجماعات الانسانية في افريقيا ، وفي جنوب الهند وفي سيبيريا، وبعض طوائف الأسكيمو في الأسكا .

اسباب هذا النظام كثرة الرجال

ويوجد هذا النظام عادة حيث يكون عدد الرجال أكثر من عدد النساء .. ولهذه الكثرة اسبابها. وقد يكون السبب كثرة الوفيات بين البنات في سن الطفولة، او لان النساء اسرع تأثرا من الرجال ببعض الأمراض القاتلة التي تنتشر في منطقة من المناطق . وعادة وأد البنات عند الولادة ، كما في الهند ، كانت عاملا قويا ادى الى نقص كبير في عدد النساء . ومهما يكن السبب في كثرة النساء عن الرجال ، فان الفرض الذي يخدمه هذا النظام هو توزيع العدد الأكثر من النساء على العدد الأقل من الرجال بالعدل والقسطاس .

وتعدد الأزواج هو ايضا على اشكال منوعة في الأجزاء المختلفة من العالم . ففي بعض الحالات يجوز أن تختار النساء رجالا من عائلات مختلفة ، وقد يكون للزوج الأول رأى في اختيار الأزواج الذين يلونه .

الا ان اكثر الأشكال شيوعا هو تعدد الأزواج الأخوة ، وهو زواج امراة من عدة أخوة او ذكور من العائلة نفسها ، وهذا الزواج شائع في جبال الهملايا بالتبت ، حيث تتوفر عدة ظروف تجر الى هذا النظام .. فالرجال تزيد على النساء عددا في اغلب الأمكنة . والأرض القابلة للحرث والزرع محدودة ، ولا بد من زيادة المحاصيل الزراعية الضئيلة وذلك عن طريق رعى الماشية في الجبال المرتفعة أثناء الصيف وصيد الحيوانات من الأماكن النائية .. ومعظم هذه المهن يحتاج الى اسفار شاقة بعيدة يترتب عليها أن يقضي الرجال عدة اشهر من السنة بعيدين عن بيوتهم ، فبعض يغيب وبعض يبقى .. كذلك الاراضي والممتلكات التي يستطيع الرجل أن يجمعها لا تكفي، اذا ما قسمت بين عدة ابناء ، لاعالة اسرة . ولمواجهة هذه الظروف يختار عدة اخوة زوجة واحدة ليتركز الارث المتجمع في نتاج هذه المراة الواحدة .

وبسبب ندرة النساء ، وتأكدهن من وجود عروض كثيرة للزواج ، فانهن يشعرن بحرية تامة لرفض الزوج الذي لا يروق لهن ولو كان اخا لزوج لهن سبق .

توزع المسئوليات

وتعيش الأسرة في منزل مشترك،وتتم الترتيبات الخاصة بتوزيع المسؤوليات والواجبات وديا بين الأزواج : فقد يتولى احد الازواج مهمة حرث الحقول، ويعمل الثاني في قيادة قافلة الى بلاد بعيدة ، ويقوم الثالث على رعى الماشية في المناطق الجبلية . اما اموال العائلة فلا تقسم

بينهم بل هي ملك لهم على الشيوع ،لكل واحد منهم نصيب مساو لنصيب الآخر .

والزوجة التي لها عدة ازواج تستفيد من هذا النظام : فعندها عدة أشخاص يكسبون لقمة العيش لها ولاولادها ، ويحمونها ، كذلك يعطيها هذا النظام مركزا مرموقا فصوتها مساو لصوت ازواجها في جميع القرارات التي تؤثر على العائلة كوحدة .

اسئلة تنتظر اجوبة

ولكن هذه الأمور كلها ليست الا اعتبارات سطحية ، ويبقى الشيء الهام الذي يثير العجب .

الا تأكل الغيرة قلوب الأزواج ؟

وكيف توزع الامتيازات والحقوق الزوجية فيما بينهم ؟

ومن منهم يدعي ابوة الأطفال ؟

ثم ما تأثير هذا النظام على المرأة نفسها ؟ هل يرفعها الى مرتبة الأمومة ، اى تسلط الأم على اسرة ، ام ينزلها الى درك اسفل ويعتبرها عاهرة بحكم العادات او القانون ؟

وجوابا على هذه الأسئلة يقول احد الباحثين :

انه لم يلاحظ بين العائلات التي زارها ، وعقد معها صداقات في بلاد التبت ، اى دليل على وجود الغيرة . والعلاقة بين الأزواج ليست علاقة منافسة ، انما هي علاقة تعاون. وموقف المراة اشبه بموقف الأم غير المنحازة التي تحافظ على استقرار السلام في عائلتها ، وليس موقف عاهرة تبيع الهوى الى عشاقها وطالبي هواها .

ويستطرد هذا الباحث فيقول : ان الحقوق الزوجية تقوم على اساس اتفاق ودي بين الأخوة والأزواج . ولكن هناك ، ولا شك ، حالات تظهر فيها المراة تفضيلا ظاهرا لأحد ازواجها على الآخرين ، الا انها حالات نادرة . وشعور الأخوة ، فيما بينهم ، شعور ودى متين . أما اذا كان الأزواج من عائلات مختلفة ، فقد يكون من الضروري وضع برنامج شبه رسمي لتنظيم جميع هذه الروابط .

اما مسالة ابوة الأطفال ، فقد جرت العادة في بعض المناطق على أن تكون ابوة جميع الأطفال لأكبر الأزواج سنا أو لأولهم . وفي مجتمعات اخرى ينسب الأطفال الى الآباء حسب ترتيب ظهورهم على مسرح حياة الأم ، وبمقتضى هذا الترتيب يصبح الزوج الأول أو الأكبر ابا اعتباريا للطفل الأول ، وهكذا . والواقع ان كل طفل يعتبر جميع ازواج امه آباء له .

ويبدو أن الأطفال هم اكثر المستفيدين من هذا النظام اذ بوجود ابوين أو أكثر للأطفال توفر لهم العناية والحماية ، كما يلاقون من امهم كل عطف وحنو واهتمام ورعاية .

وهناك سؤال آخر ، وهو : ما شعور النساء انفسهن ؟ والاجابة على هذا السؤال اكثر صعوبة . ولكن الدلائل تشير الى ان البيوت التي تضم هذه العائلات يسودها الهدوء والصفو والوفاق ، كما ان الزوجات راضيات بنصيبهن . ولكن هناك حالات تبدو فيها الزوجات ساخطات على هذا النظام، ولعل مما يثير الدهشة فعلا ان ازواج هؤلاء النساء ، هم انفسهم اشد المتحمسين لهذا النظام ، ويدافعون عنه بقوة .

ولا شك انه سيأتي يوم تزحف فيه المدنية والحضارة الى هذه المناطق النائية ، فتصبح بهذا أكثر ارتباطا ببقية العالم ، وعندها سيتلاشى هذا النظام تدريجيا ، الى أن ينقرض كليا . . والى ان يحين ذلك الوقت فانه سيظل قائما في هذه المناطق الصغيرة المنعزلة المبعثرة في ارجاء الكرة الأرضية ، يخدم الأغراض العملية المختلفة التي من أجلها نشأ .

ولله في خلقه شئون ! ■■

أنا نجاة..
تزوجت محمودًا
يكبرني بـ ٢٠ عامًا
هل سعدت به زوجًا؟

■ جاءتني فاطمة مضطربة . انها يائسة . انها تطلب معونتي .

ــ فى اى شيء يا فاطمة ؟

ــ فى امر عمر . تعلمين انه رجل طيب ، مستقيم ، حسن السمعة بين الناس . وتعلمين انى لقيته اول ما لقيته فى منزلكم انتم . وفى هذا ضمان كثير شجعنى على الحديث معه . والتقينا عند اصدقاء ، فلم أر اكثر ادبا منه ، ولا اكثر تجملا ، ولا لباقة .

وخطرت بباله فكرة الزواج ، وبالطبع خطرت لى فكرة الزواج منه قبل أن تخطر له ، وهذا طبيعى فى المراة ، فهى تريد دائما ان تحقق وجودها بالقيام بوظيفتها فى هذه الحياة .

واطلعت ابى وامى على الأمر ، ولكنهما اهتاجا لهذا الخاطر يخطر ببالى ، ان اتزوج من رجل يكبرنى بنحو عشرين عاما .

سألت فاطمة : وماذا تريدين ان اصنع؟

قالت فاطمة : تتحدثين الى ابى وامى ، فراى مثلك عندهم راجح .

وسالت فاطمة : اتحبينه ؟

قالت: الحب كله ، وآنس اليه كرجل ، واطمئن الى جانبه . وكنت احسب ان والدى يرضيان لى زوجا مثل هذا ، استقر مكانته فى المجتمع ، وصار له مركز فيه ، وفى عالم الأعمال شأن ، واصبح عنده من المال الكفاية ، ونبدأ حياتنا من غير ذلك القلق الذى يبدأ به الشبان الصغار البادئون حياتهم الزوجية : بيت مستقر ونفقة مضمونة وحياة مأمونة.

قلت : من اجل هذا تريدينه زوجا ؟

قالت:ومن اجل حبي اياه ،واطمئناني الى صحبته،والى مجلسه، والى حديثه. من اجل هذا اريد منك ان تتحدثي الى والديّ . تذكرين لهما انك انت خَبَرتِ مثلَ هذه الخبرة التي اطلب . تزوجتِ زوجا يكبرك كثيرا ، مثل محمود ، ومع هذا فانت سعيدة هانئة بالحياة ،حمدت التجربة ، وانا جديرة بأن احمد مثلها . ان والديّ يثقان بك كل الثقة . ان امي تقول لي انك خسرت بهذا الزواج الشيء الكثير . وانا لا اصدق .

قلت : دعيني الليلة افكر .

قالت : تفكرين ! في اي شيء تفكرين ؟ الست سعيدة مع محمود ؟ أم انا مخطئة في زعمي . الا تحبينه ؟

قلت : نعـــم أحبه . ولكن مسألة النصيحة ليست بهذه السهولة التي تريدين .

ليلة في تفكير

وقضيت الليلة أفكر . قضيتها أجمع التاريخ كله منذ كنت في اول الشباب من عمري . فلمٌ من الأحداث طويـل ، فيه الراحة والضيق يتناوبان ، والربح والخسارة يتعاقبان. أنا وزوجي العظيم نجدّف في بحر هذه الحيـــاة ، أنا في العشرين وهو قارب الاربعين أو بلغها ، نريد أن نبلغ بها غاية . وبلغنا والحمد لله ، وسعدنا بأنفسنا، وسعدنا باطفالنا.

ومع هذا اجلس، وادقق في الحساب، واجمع الأرقام واطرح ، فأجد انه كان في الأمر خسارة هنا ، وخسارة هناك .

ان فاطمة ذكرت انها بزواجهـــا من عمر ستتخلص من قلق الحاجة الأول ، في بناء البيت ، ذلك الذي يكون مشغلة الشاب والشابة ، وقد انعقد قرانهما ، ودارا يبحثان عن تأثيث ، ويتجاذبان في ذلك الأحاديث ، ويتبـادلان الافكار ، ويحسان في بناء هذا البيت بجهد شاق لذيذ ، فيه متعة الصانع اذا صنع ، ومتعة الخالق الفنان اذا خلَق . وهي تجربة يذكرها الشبان دائما عندما تبعد بهم السنون عن تلك السنين البادئة الأولى، فيجدان في ذكرها والتحدث بها ، لذة ليس كمثلها لذة .

فهذا افتقدته أنا بزواجي من محمود، الرجل المكتمل الذي كسب في غيبتي ، فلم ار منه كاسبا ، ولكني رأيت منه كسبا ، لم اشترك في تحصيله .

كذلك سنوات الكد الأولى التي يعيشها الفتى والفتاة عندما يقترنان ، ويأتيهمـا الأطفال ، ويضطران الى زيادة الاقتصاد في النفقة ، والى المحاسبة في كل درهم يصرف ، والى موضع صرفه . تجـربة في التدبير الفتيّ اللذيذ افتقدتها كذلك.

فهذان شيئان لا شك ستفقدهمـا فاطمة اذا صممت على الزواج من عمر.

وشيء آخر لعله اخطر .

عندما بنينا أنا ومحمود بيتا ، أو على الأصح عندما دخلت بيته وهو تام البناء، واستقررنا ، وكان لا بد لنا من اهل ومن اصدقاء ، ظهر فارق السن ظهورا بيّنا. اصدقائي ، من اهلي وغير أهلي ، صغار، واصدقاؤه ، من أهله وغير أهله ،كبار. كنت أشعر بأنه في غير بيئته بين الأعمار الصغيرة ، وكنت لا شك أحس بالوحدة بين الأعمار الكبيرة .

وبالطبع يسّرت السنون حل هـــذه العقدة . كلما كبرت،نضجت ،وتأقلمت. والسنين سريعة الانضاج. أو لعلي أراني اليوم ، ومن بعد ١٥ عاما ، أسير الى هذا التأقلم ، والى الالفة التي بها انظر الى الوراء البعيد ، فأجد البعيد قريبا .

ومعضلة أخرى تتصل بالأطفال .

ان الأطفال تحب اللعب . وهي أسعد ما تكون باللعب مـع أبيها . ومحمـــود يبذل ـ أطال الله عمره ـ كل جهـــده في اللعب مع ابني وعمره ٨ ســنوات وابنتي وعمرها ٦ سنوات. وأقول يبذل جهده . فهو لا يبذله سليقة . ومحمود

كاد اليوم ان يبلغ الستين . وانا لم اكد ابلغ الأربعين . وعلي محمود ان يعيش الى السبعين فما فوق ليعين ابناءه على تخطي مرحلة المراهقة الشاقة . وهي شاقة على الأبوين مجتمعين ، فكيف على الأم وحدها ، اذا ذهب الأب وبقيت هي . ثم انا . انا اذا ذهب زوجي الحبيب وجب عليّ ان اواجه الحياة، بعد الأربعين ارملة قد يمتد ترملها الى عشرين او ثلاثين عاما . ووحدة فى الشيخوخة هي شر ما يلقى الانسان من وحدة . ان الزوجة الشابة تحتاج الى زوجها لا سيما وجمرة الحياة مشبوبة ، ولكنها أشد حاجة اليه والى عطفه عندما تنطفىء هذه الجمرة فتكاد تصبح رمادا .

هذا عن نفسى ، انا الزوجة الشابة .

فكيف عن زوجى ، ذلك الزوج الكريم الذى عركته السنون .

لقد خيّل اليّ احيانا انه كثيرا ما ودّ صحبةً امتع من صحبتي ، وانضج ، واكثر بالحياة خبرة ، واعمق فكرا .

ولقد خيل اليّ احيانا انه ربما ضاق بتأجج شبابى، وكثرة نشاطى ، واصطحابى اياه هنا وهناك ، لا لشيء الا ان الشباب حياة ، وان الشباب حركة . ولكم خيل اليّ انه كثيرا ما ودّ السكون فى البيت فى امسية هادئة لا جلبة فيها ولا زئاط .

لم يظهر منه شيء من ضجر ، لأنه احبنى حبا جما . ولأنه كان كريما . ولكن كم من الرجال من يمتد بهم الكرم الى هذا الحدّ .

ان فاطمة اذا سألتنى فى الغد السؤال العتيد ، لو اني عدتُ الى الشباب ، هل ارضى باعادة التجربة وزواج محمود ، اذن لقلت نعم، اتزوجه . ومع هذا ينبت فى قلبى رجاء صغير صامت : **وودت لو كان محمود اصغر سنا .** ■■

نجـــاة

الكويت

مياهها، تربتها، والأجواء

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

مدير جامعة الكويت

■ تقع الكويت في الشمال الغربي للخليج العربي ، الذى يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، بين هضبة ايران شرقا ، وهضبة بلاد العرب غربا ، بين خطى عرض ٢٤ ، ٣٠ شمالا، وخطى طول ٤٧ ، ٥٧ شرقا . وتبلغ مساحته نحو مائة الف ميل مربع تقريبا ، وبلغ اقصى اتساع له ١٨٠ ميلا، كما يبلغ طول ساحله نحو ستمائة ميل.

سواحل الخليج

والسواحل الغربية للخليج ، ذات سهول منبسطة ، تكتنفها بعض التلال ، واكثرها قاحل لقلة الماء ، واخصبها واحات الاحساء ، والبحرين، وبعض اجزاء ساحل عمان ، وتكثر فيها الشعاب المرجانية والجزر الصغيرة . اما السواحل الشرقية ، فانها تشمل سهول العراق الجنوبية ، حيث يجري شط العرب ـ ملتقى دجلة والفرات ـ وحيث تكثر الرواسب التى يلفظها شط العرب .

والمعتقد أن شبه جزيرة العرب ، كانت فى الاحقاب الجيولوجية الغابرة مطيرة ، غنية بالنباتات والاعشاب ، ولقد كانت ظروف المناخ مما يسمح بنشوء الحياة والحضارة ، وثمة آثار وحفريات تؤيد هذا الراي .

حدود الكويت

فالكويت ، جزء من الوطن العربى ، يقع فى اقصى شرقيه ، فى هذا الركن الشمالى الغربى من الخليج العربى ، يحدها شمالا العراق ، وجنوبا وغربا المملكة العربية السعودية . أما شرقها فهو الخليج العربى نفسه وانها لتمتد طولا من الشمال الى الجنوب مسافة قد تصل فى اقصاها الى مائتين وعشرين من الكيلومترات . أما عرضها الذى يمتد من الشرق الى الغرب فقد يبلغ المائة والخمسين من الكيلومترات ، فكأنها نصف دائرة من أرض الصحراء ، وكأنها نافذة الصحراء الى البحر .

من الآثار التى تدل على وجود حضارة قديمة فى جزيرة فيلكة ،

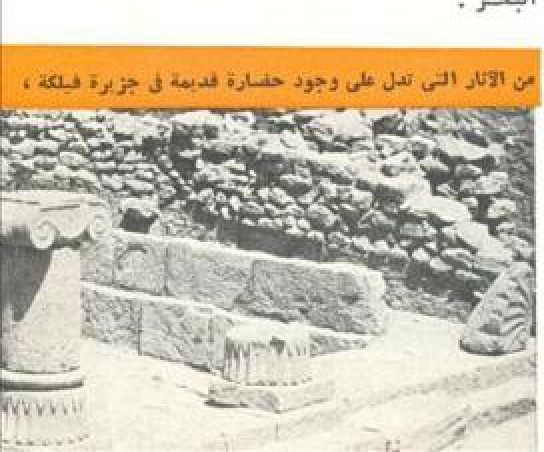

نحو اثنى عشر ميلا ، ولمياهه اكبر الأثر في جعل الكويت ميناء صالحا ، وحيث تربض جزيرة فيلكا ، أهم جزر الخليج ، بها الماء والنبات والسكان .

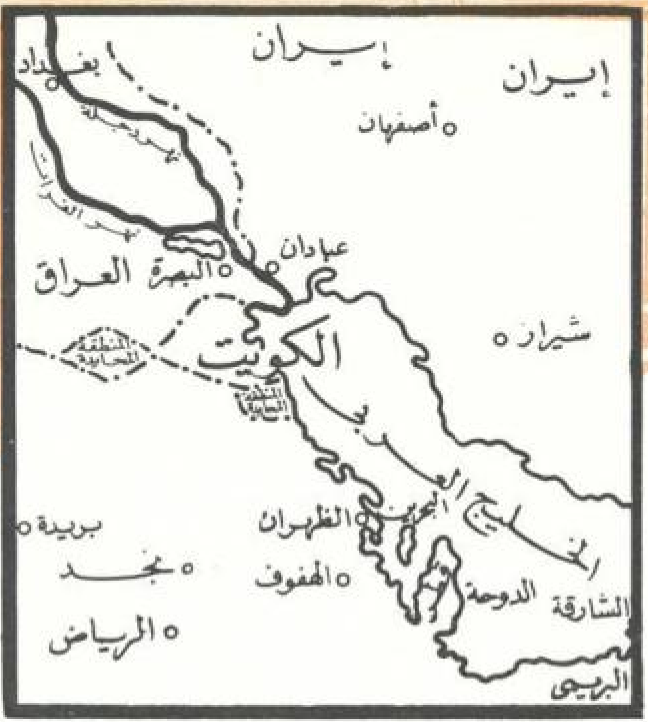

سهول الكويت وتلالها وأوديتها

وفي الجزء الجنوبي الغربي من الكويت ، يوجد سهل متسع يعرف « بالدبدبة » تنمو به كثير من النباتات والأعشاب . وثمة سهول وتلال كثيرة يجتازها عدد غير قليل من المجاري والاودية ، منها وادي « ذي الرمة » عند ملتقى الحدود الكويتية والعراقية ، ووادي الباطن ، وهو من أشهر أودية « ذي الرمة » . وان مياه الأمطار لتتجمع في هذه الأودية ، ومنها ما يتسرب ليتجمع في آبار غير بعيدة من سطح الأرض . وبالماء نسبة قليلة من الأملاح ، قد ترتفع في بعض الفصول . وفي هذه الأودية ينمو كثير من الأعشاب الحولية ، وبعض النباتات المعمرة .

جو الكويت

وتعتبر الكويت جزءا من النطاق الصحراوي الذي يمتد فيما بين الخليج العربي والمحيط الاطلسي ، والذي يحزم الكرة الارضية في هذا الجانب منها ، وانها لتمتد بين خطي عرض ٢٨ ، ٣٠ شمالا . وللصحراء أثرها الذي لا يجحد على مناخ الكويت ، رغم اشراف الخليج عليها ، وما ذلك الا لأن الصحراء العريضة تمتد حولها من

أرض الكويت وبحرها

اما مساحة الكويت فانها تبلغ نحو ستة عشر الفا من الكيلومترات المربعة ، ارضها رملية حصوية . على أن الرمال السافية التي تذروها الرياح في الحين بعد الآخر ، انما تغطي طبقة من الصخور الرملية والجيرية . وحركة المد والجزر واضحة شديدة الوضوح ، وخاصة في « الجون » الذي يمتد شمالي مدينة الكويت على شكل هلال ، ويبلغ اتساع هذا الجون عند مدخله

بالكويت ، هذا الأثر القديم ، وهو لهيكل يوناني عتيق .

الشمال والغرب والجنوب ، فجوها قاري اغلب الامر ، حار جاف في الصيف ، تسمو درجة الحرارة الى نحو الخمسين مئوية ، الا انها تهبط بالليل الى ما دون العشرين ، وانه لبارد ممطر في الشتاء حيث تسمو درجة الحرارة الى خمس عشرة نهارا وتهبط الى الصفر في الليل .

رطوبة الكويت

اما الرطوبة فانها عالية نسبيا ، وخاصة في المنطقة المحاذية لسيف الخليج ، وانها لتزيد عن المعدل ابتداء من شهر سبتمبر بعد هبوطها في اشهر الربيع والصيف . والرطوبة النسبية قليلة نوعا في اشهر الربيع والصيف . عالية نوعا في اشهر الخريف والشتاء .

الامطار

اما المطر ، فتتراوح كميته السنوية بين اربع وخمس بوصات ، والمطر شتوي ، وكثيرا ما تهطل بعض الأمطار في ابريل ومايو ، وقد تكون مصحوبة بعواصف ثلجية او بَرَدية ، حيث يتساقط الثلج او البرد بكميات كبيرة ، ولكن لمدة وجيزة لا تتجاوز بضع دقائق في اغلب الاحيان، وتعتبر سنة ١٩٥٤ على غير مثال بالنسبة لكمية المطر ، حيث هطل فيها نحو ثلاث عشرة بوصة ، وليس بين ايدينا تسجيلات رصدية طويلة المدى ، حتى يمكن منها معرفة امكان تكرار هذه الذروة ، ففي بعض الجهات تتكرر مثل هذه الذروة على فترات منتظمة كل ثماني او عشر سنوات ، فالجزء الساحلي من الكويت شبه صحراوي ، اما البعيد عن الساحل فهو صحراوي بلا شك .

نباتات الكويت جفافية وملحية

واغلب نباتات الكويت جفافي ، يحتمل قسوة ظروف الحياة ، وكثير منها ملحي ، حيث ترتفع نسبة الملوحة الى درجة لا تطيقها الا النباتات الملحية ، التي تنتشر هنا وهناك في الاراضي الملحية السبخة .وبعض هذه النباتات أعشاب وحشائش، وبعضها شجيرات معمرة ، والقليل منها اشجار صغيرة ، وهذه الصور هي التي تميز الاراضي الصحراوية بصفة عامة . وفي الربيع تكثر الحوليات بعد هطول الأمطار في الشتاء ، وتعتبر امطار الخريف ، التي تهطل في اكتوبر او نوفمبر، من أهم الأمطار ذات الأثر الكبير على حياة النبت والكساء الخضري ، ان هطلت في وقت كان الجو فيه ما يزال معتدلا وما زالتدرجة الحرارة ملائمة للنمو والانبات ، لم يدهم البذور بعدُ برد الشتاء وزمهريره ، فتنبت البذور ، وتورق البادرات ، وتظهر الافراخ الصغيرة ، وتكتسي الصحراء بحلة خضراء جميلة ، وتزداد كثافة النبت بصفة عامة ، وما ان يحل الصيف الحار ، حتى تختفي هذه الحوليات ، ويبدو النبت مبعثرا .

الزراعة بالكويت

اما الزراعة ، فانها محدودة في الكويت ، ان هي الا مساحات قليلة بالقرب من بعض القرى كالجهرة والفنطاس . واهم ما يزرع البرسيم والخضراوات ، عدا النخيل المنتشر هنا وهناك في

الأمطار تهطل بكميات كبيرة على الكويت ، حتى أنها وصلت الى نحو ١٢ بوصة عام ١٩٥٤

قرية الجهرة .. أو الواحة الخضراء التي تزرع فيها الخضراوات وأشجار النخيل ..

تينك القريتين ، فكأنهما واحتان وسط الصحراء ، وتعتمد الزراعة في مثل هذه القرى على مياه الآبار ، وان بها لنسبة من الاملاح تجعلها غير عذبة تماما .

وقد كان لانشاء محطات التقطير أكبر الأثر على الحياة النباتية في الكويت فشجرت الشوارع والطرقات ، وزرعت الحدائق والبساتين ، وتعتبر محطة تقطير المياه في الكويت اضخم محطة من نوعها في العالم ، اذ انها تقطر نحو ستة ملايين جالون من الماء في اليوم الواحد .

ماء بالروضتين

وقد اكتشفت حديثا آبار مياه جديدة في « الروضتين » يقدر ما يمكن ان تغله من ماء بنحو خمسة ملايين جالون في اليوم الواحد ، ويمكن أن تستمر في انتاج الماء العذب على هذه الصورة مدة خمسة عشر عاما . وما تزال بحوث التنقيب عن الماء تجرى في ارض الكويت بهمة لا تعرف الكلال . ولعل الخبراء ان يوفقوا الى وجود مصادر جديدة للمياه العذبة ، التي يكون لها أكبر الأثر على الحياة في الكويت ، فتزيد من ازدهار الحياة النباتية والعمرانية فيها .

المناخ

لا شك ان للمناخ اثره الكبير على حياة النبات، ولذلك كان لا بد من مراجعة تسجيلات ارصاده المختلفة من حرارة ورطوبة ومطر .. وما اليها خلال السنوات الماضية ، حتى يمكن تبين اثر هذه العوامل المناخية المختلفة على حياة النبات . وقد امدنا مشكورا قسم الارصاد الجوية بوزارة الاشغال بالمعدلات الشهرية لهذه العوامل ابتداء من سنة ١٩٥٢ بالنسبة لبعضها ، ومن سنة ١٩٥٤ بالنسبة لبعضها الآخر ، وفيما يلي عرض عام لهذه العوامل : ـ

الحرارة

كانت اعلى درجة حرارة في سنة ١٩٥٤ هي ٥٠٫٦°م ، وقد سجلت في شهري يونية ويولية ، ثم هبطت قليلا في اغسطس وسبتمبر الى ٤٨٫٤°م

ان اكتشاف آبار المياه الجديدة في الروضتين سيكون له

اما ادنى درجة فكانت الصفر ، وقد سجلت في يناير من تلك السنة ، وكان متوسط الدرجات القصوى نحو ٤٥°م في يولية واغسطس ، اما في سنة ١٩٥٥ فقد كانت اقصى درجة ٤٥°م ، وقد سجلت في شهر يولية ، وكانت اقصى درجة في شهري يونية واغسطس غير بعيدة عن هذا الرقم ، اما ادنى درجة فكانت ٨ر٣°م ، وقد سجلت في يناير وكانت درجة حرارة التربة على عمق قدم واحدة هي ٣٧°م ، وادناها ١٢ر٣°م . واعلى درجة عند عمق أربع اقدام ٢٤°م ، وادنى درجة ٢٠ر٥°م ، وقد سجلت العليا في يولية والدنيا في يناير من تلك السنة .

وفي سنة ١٩٥٦ ، كانت اعلى درجة حرارة ٤٨ر٤°م ومتوسط القصوى ٤٥°م ، وكان ذلك في شهري يولية واغسطس ، وادنى درجة هي الصفر ، ومتوسط الدنيا «٥» درجات وقد سجلت في يناير . اما درجات حرارة التربة على عمق قدم واربع اقدام فتشبه تقريبا الدرجات التي سجلت للسنة السابقة ، وكذلك الحال في السنوات التالية ، فانها لا تكاد تختلف الا قليلا ، وفي الحدود المبينة في السنوات المذكورة .

وفي سنة ١٩٦١ ، كانت اقصى درجة حرارة ٤٧ر٧°م ، وادنى درجة حرارة ٤ر٧°م ، على حين أن متوسط القصوى ٤٤ر٨°م في اغسطس ومتوسط الدنيا ١٠ر١°م في يناير من تلك السنة . وكانت اقصى درجة حرارة للتربة على عمق قدم واحدة هي ٣٧ر٤°م واقل درجة عند هذا العمق هي ١٥ر٢ م° . اما عند عمق أربع اقدام فــان اقصى درجة ٣٣ر٧°م وادناها ١٨°م .

الرطوبة النسبية

لقد كانت اقصى درجة رطوبة نسبية في سنة ١٩٥٤ هي ٩٧٪ واقلها صفرا ، واقصى متوسط هو ٨٧ ٪ وكان ذلك في شهري يناير وديسمبر ، كما ان ادنى متوسط هو ١٥ ٪ وكان في يوليه واغسطس وتعتبر الشهور يناير وفبراير ومارس، واكتوبر ونوفمبر وديسمبر رطبة ان كان متوسط درجة الرطوبة فيها جميعا يزيد على ٧٠٪ في متوسطاتها العليا ، ويقرب من ٥٠٪ في متوسطاتها الدنيا . اما الشهور ابريل ـ سبتمبر فتعتبر جافة نسبيا ان كانت المتوسطات القصوى لدرجة الرطوبة حوالي ٥٥ ٪ والدنيا حوالي ٢٠ ٪. وفي سنة ١٩٥٥ سجلت اعلى درجة رطوبة وكانت ١٠٠ ٪ وادناها ١ ٪ واقصى متوسط ٩٥ ٪ في يناير ، واقل متوسط ١٠ ، ١٦ ٪ في يونيه ويولية .

ولم تختلف الحال كثيرا في السنوات التالية ، فمتوسط الدرجات القصوى للرطوبة في سنة ١٩٥٦ ، حوالي ٨٥ ٪ في يناير والدنيا ١٣٪ ، ١٢ ٪ ، ١١ ٪ ، في يولية واغسطس وسبتمبر على التوالي . وكذلك الحال في السنوات ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٩٦٠ ، وفي سنة ١٩٦١ كانت اعلى درجة رطوبة ٩٨ واقلها ١ ٪ واعلى متوسط ٨٤ ٪ في يناير وديسمبر ، واقل متوسط ١١٪ ، ١١ ٪ ، ١٠ ٪ ، في شهور مايو ويونيه واغسطس وتدل ارصاد الشهور الاولى من سنة ١٩٦٢ على نفس معدلات الرطوبة النسبية لمثل هذه الشهور من السنوات السابقة .

كمية المطر السنوية

كانت كمية المطر السنوية في سنة ١٩٥٢ هي ١٢٢ر٩ مم . وكان شهر ابريل من تلك السنة ، اكثر شهورها مطرا ، حيث هطل فيه ٦٦ مم ، اما شهور مايو ويونية ويولية واغسطس واكتوبر فلم يسقط فيها مطر اطلاقا . وفي سنة ١٩٥٣ ارتفعت

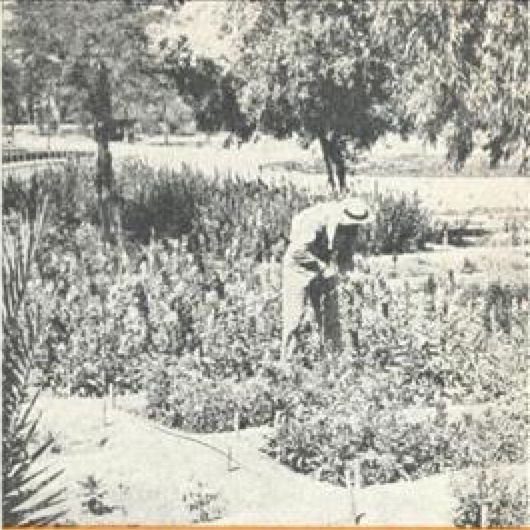

تأثير كبير لزيادة مساحة رقعة الارض المزروعة فى الكويت

كمية المطر السنوية الى ١٥٣ر٦ مم ، وكان شهر مارس اكثر شهور تلك السنة مطرا ، حيث هطل فيه ٥١ر٨ مم ، وكانت شهور مايو ، يونية ، يولية ، اغسطس ، سبتمبر ، عديمة الامطار . وتعتبر سنة ١٩٥٤ سنة غير عادية بالنسبة لكمية المطر السنوية ، حيث هطل فيها ٢٣٦ مم منهـا ١٢٩ر٥ مم فى مارس ، ١٤١ر٧ مم فى نوفمبر ، أما الشهور مايو الى سبتمبر فانها عديمة الامطـار كذلك .

وفى سنة ١٩٥٥ ، عادت كمية المطر السنوية الى ما دون المعدل ، حيث سقط نحو ٧٣ر٣ مم ، منها ٤٤ر٨ مم فى شهر ديسمبر ، ثم ارتفع المعدل فى السنوات التالية الى ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٠١ ، ١٠٠ مم فى السنوات ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، على التوالى ، وفى سنـة ١٩٦٠ هبطت كمية المطر السنوية الى ما دون المعدل بكثير ، اذ لم تجاوز ٢٨ر٦ مم فقط ، نزل منها ١١ر٣ فى شهر نوفمبر من تلك السنة . ثم ارتفع المعدل مـرة أخرى الى ١٩٥ر٨ مم فى ١٩٦١ منها ٦٦ر٣ مم فى شهر نوفمبر من تلك السنة .

ويعتبـر شهـرا نوفمبر وديسمبر أكثر شهور السنة مطرا ، حيث كان متوسط ما سقط فيهما من أمطار خلال السنوات العشر المذكورة (١٩٥٢ ـ ١٩٦١) هو ٣٤ر٤ مم ، ٢٤ر١ مم على التوالى . ويليهما شهر مارس حيث بلغ هـذا المتوسط ٢٧ر٧ مم ، ويليه يناير وفبراير حيث المتوسط ١٣ر٥ مم ، وتعتبر الشهور مايـو الى اكتوبر عديمة الامطار ، الا أن تسقط كميات ضئيلة فى مايو أو سبتمبر أو اكتوبر فى بعض السنين .

ويلاحظ ان نسبة كبيرة من المطر ، تسقط فى نوفمبر ، حيث درجة الحرارة ما تزال معتدلة ، تساعد البذور على الانبات ، كما تساعد الافرخ النباتية على النمو والايراق ، فهذا المطر الخريفى له أكبر الأثر على ازدهـار الحياة النباتية فى الكويت .

الرياح والعواصف الرملية والثلجية

تهب رياح مختلفة السرعة، متباينة الاتجاه ، على مدار السنة ، وكثيرا ما تكـون غربيـة وشمالية غربية ، او شرقية ، وجنوبية شرقية ، وكثيرا ما تصل فى أقصى سرعتها الى ٣٠ أو ٤٥ميلا فى الساعة فى ابريل ومايو خاصة الا انها فى معظم أيام السنة تتراوح سرعتها فيما دون الثلاثين من الاميال فى الساعة وكثيرا ما لا تجاوز العشرة او العشرين من الاميال ، الا انها كثيرا ما تثير غبارا ورمالا كثيفـة تحجب الرؤية (طوظ) وخاصـة عندما تجاوز سرعتها الاربعين من الاميال فى الساعة، ولهذه الرياح المحملة بالاتربة والرمال اثرها على النباتات الصغيرة والاعشاب ، فهى قد تطمرها او تقتلها ، فضلا عما تسببه من ذوى ويبس نتيجة لزيادة سرعة النتح او قفل الثغور ، كما انهـا تسقط الاشجار الصغيرة وتقتلها .

كما أن العواصف الثلجية والبرديـة ليست نادرة الحدوث ، ولها هى الأخرى أثرها فى حياة النبات رغم أنها قد لا تستمر أغلب الأمـر الى دقائق معدودات .

متوسط سطوع الشمس

أيام الكويت صاحية مشمسة ، وأيامها القائمة قليلة معدودة ، وتسطع الشمس طوال النهار تقريبا ويبلغ أقصى سطوعها نحو ثلاث عشرة ساعة فى أشهر الصيف بمتوسط يزيد على عشر ساعات ، ويهبط هذا المتوسط الى ثمانى أو سبع ساعات فى أشهر الشتاء .

موارد الماء

قبل ان نتحدث عن موارد الماء العذب ، وهي التي تهمنا في هذه الدراسة ، يجدر بنا أن نلم ولو المامة قصيرة بماء البحر في الخليج العربي ، الذي يشرف على الكويت من الشرق ، والذي يستقطر ماؤه للشرب ، كما يستعمل في تبريد الآلات والماكينات ، ولا شك ان جانبا كبيرا منه يتسرب الى ارض الكويت ، فيحيل بعض تربتها ملحية ، لا تنبت الا النباتات الملحية ، كما يتسرب الى ماء الآبار ، فيجعل بها قدرا من الاملاح يحيلها غير مستساغة الى حد ما .

الاكسجين وثاني أكسيد الكربون وتساعد زيادة الملوحة في فعالية هذه المواد على الفلزات ، مما ينبغي ان يقاوم بطريقة او اخرى ، كما يحقن ماء البحر في الأنابيب بمقدار من الكلور ، ليمنع نمو وتكاثر المحار في الأنابيب كي لا يقفلها ، كما ان تبخر ماء البحر من الانابيب يساعد على ترسب طبقات من كربونات الكلسيوم وايدروكسيد المنجنيز ، وكذا كبريتات الكلسيوم ، وكلها معوقات لتدفق الماء في الأجهزة والأنابيب ، ولذا ينبغي العمل على تلافي هذا الترسب . وتحت هذا الكلام جدول يبين المقارنة بين أملاح الخليج والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي :

امـــــــــلاح	الخليج العربى	البحر المتوسط	المحيط الاطلسى	
ثانى كربونات الكلسيوم	٢٢١	١٠٩	١٨٦	جزءا بالمليون
كبريتات الكلسيوم	١و٤٠٧	١و٤٤٥	١و٢٤٠	
كبريتات المغنيسيوم	٢و٥٤٧	٢و٥٥٠	١و٩٤٠	
كلوريد المغنيسيوم	٣و٨١٢	٣و٧٣٠	٣و٢٦٠	
كلوريد الصوديوم	٣١و٨٨١	٣١و٤٠٠	٢٥و٧٠٠	
المجموع	٣٩و٨٦٨	٣٩و٢٣٤	٣٢و٣٢٦	
الرقم الايدروجينى	٨و١	٧و٨	٧و٦	

يعتبر ماء الخليج ، اذا قورن بغيره من ماء في البحر المتوسط او المحيط الأطلسي ، يعتبر أكثر ملوحة ، ولعله في ذلك أكثر شبها بماء البحر الاحمر ، بل ان درجة ملوحته لتختلف من موسم لآخر ، وانها لتبلغ اقصاها في نوفمبر وديسمبر او يناير ، على حين تبلغ ادناها في ابريل ومايو او يونية من كل عام ، ويبدو ذلك واضحا في التحليلات التي اجريت منذ سنة ١٩٥٦ ، ويعزى هذا التخفيف في الملوحة الى فيضان شط العرب في ذلك الوقت من السنة ، وانه ليصب في الخليج كما هو معروف ، وان الكويت لغير بعيدة عن هذا الاثر .

وطبيعي ان هذا التباين في الملوحة مع اختلاف درجة الحرارة ، يؤثر على كثافة الماء ، ففي شهور الشتاء تزداد كثافة الماء تبعا لزيادة الملوحة التي تبلغ عندئذ اقصاها ، ولدرجة الحرارة التي تبلغ عند ذلك ادناها .

وماء البحر اكال نظرا لوفرة بكتريا الكبريت فيه ، وهي التي تختزل الكبريتات ، مطلقة

وظاهر أن ماء البحر في الخليج العربي اكثر ملوحة، وانه لذلك اكثر قلوية .

ميـــاه الآبار

لقد حفرت آبار كثيرة في جهات متفرقة من الكويت ، وقد وجد الماء في آبار « العبدلية » ، و « البرقان » ، و « القوع » و « الصليبية » و « الروضتين » وغيرها ، وهو بالطبع ماء ارضي يوجد على اعماق مختلفة ، انه ماء المطر ، رشح الى هذه الاعماق وتجمع فوق طبقات صخرية على ان بالماء نسبة من الأملاح يتوقف مقدارها على نوع الصخر الذي تجمع الماء فوقه : ونوع التربة التي نفذ الماء خلالها ، وتزداد هذه النسبة في الآبار القريبة من البحر .

وتتبدى اهمية مياه هذه الآبار ، في انها تخلط بالماء المقطر للشرب ، كما انها تستعمل احيانا كما هي في ري الاشجار والحدائق ، وانها لتستعمل كذلك في عمليات التبريد وغيرها في محطات البترول ، وهناك زيادة ملحوظة في نسبة الازوتات من ١٦ الى١٧ جزءا بالمليون ، وفي الكلوريدات من

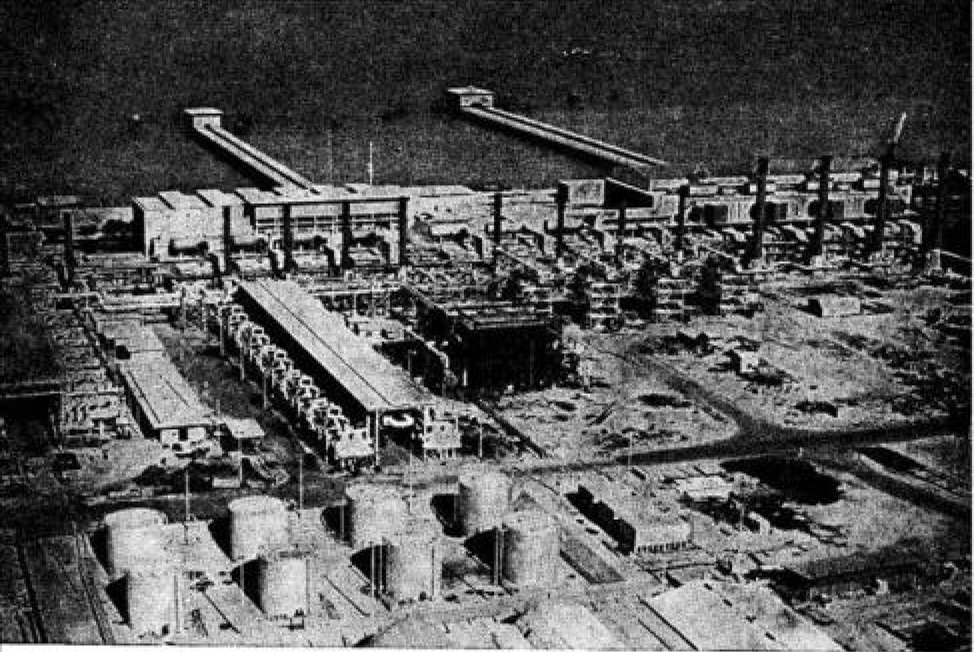

محطة تقطير المياه فى الكويت . وتعتبر اضخم محطة فى العالم ..

١٫٠٦ الى ١٫٣١٧ جزءا بالمليون ، وقد لوحظ هذا الاتجاه فى الزيادة من سنة الى اخرى فى مدى احدى عشرة سنة ، وهى تعزى الى اصل عضوى ، وهناك حد لا ينبغى أن تتعداه الزيادة فى الأزوتات فى المياه التى تستعمل للشرب ، والا كانت ضارة بشاربيها ، وخاصة من الأطفال ، ففي انجلترا لا تزيد هذه النسبة عن ٢٠ بالمليون ، وفى امريكا اقصاها ١٠ بالمليون ، اما فى الكويت فقد افتى الاطباء بانها لا ينبغى ان تعلو على ٥ر٧ بالمليون ، نظرا لان الناس فى الكويت يشربون كميات كبيرة من الماء بالنسبة لحرارة الجو . ومن شان هذا التوجيه الصحي ، ان يحد من كمية مياه الآبار التى تخلط بالماء المقطر لتستعمل للشرب ، ومن حسن الحظ أن مياه الصليبية ، وهى التى تخلط بالماء المقطر فى الكويت ، خالية من الازوتات اما مياه آبار الأحمدى ، فتحتوى على ٧٨ جزءا بالمليون من الازوتات على حين أن ماء الشرب هناك لا ينبغى ان تتعدى نسبة الأزوتات فيه ٦ر٩ بالمليون .

على ان مياه الآبار تحتوى الى جانب الأزوتات والكلوريدات ، علـى الفلوريد ، والمغنسيوم ، والكبريتات ، وكلوريد المغنيسيوم ، ومن شان وجود هذه الاملاح ، أن تحد هي الاخرى من نسبة ماء الآبار الذى يضاف الى الماء المقطر .

وتعطى آبار العبدلية نحو خمسة ملايين جالون يوميا ، يستعمل ٩٠٪ منها فى اغراض الزراعة وهنا تكون زيادة الأزوتات مزية من مزاياه،اذ كانت هذه هي الصورة المفضلة لدى النباتات ، فضلا عن انها تحوى نحو ٢٠ جزءا بالمليون من البوتاسيوم ، وهو أيضا من العناصر الأساسية فى غذاء النبات ، وبذلك يكون استعمال هذا الماء المسمد طبيعيا ميزة كبرى ، فقد يغنى عن استعمال الأسمدة الكيمائية.

وتستعمل مياه الآبار كذلك فى اغراض كثيرة ، بعد ان تكلور ، وتضاف اليها الشبه وكبريتات النحاس وتهوى ، ويضاف اليها كربونات الصوديوم ، وغيرها من مواد تزيد فى صلاحيتها ، وتمنع ما قد يكون من آثار ضارة ، لبعض محتوياتها . ومياه الآبار اكالة كذلك ، نظرا لوجود البكتريا مختزلة الكبريتات وثانى أكسيد الكبريت الذائب .

وفيما يلى نتيجة تحليل مياه بعض آبار الكويت :

	العبدلية	البرقان	الصليبية	بئر ٧٦ شمال الكويت
ثاني كربونات الكلسيوم	١٦٧	١٨٤	٢١٢	١١٨
كبريتات الكلسيوم	١٫٤٠٢	١٫٩٦٠	١٫٤٢٨	١٫٠٢٩
كلوريد الكلسيوم	ـــ	٢٣٩	ـــ	ـــ
كبريتات المغنسيوم	١٨٩	ـــ	٥٩١	٥٤٠
كلوريد المغنسيوم	٤٦٣	١٫١١٢	٢٢٣	ـــ
كبريتات الصوديوم	ـــ	ـــ	ـــ	١٤٣
كلوريد الصوديوم	١٫٤٥٦	٣٫٦٢٥	١٫٣٠٣	٧٨٤
ازوتات الصوديوم	٦١	ـــ	ـــ	١٦
سليكات الصوديوم	٤٢	٣٣	٥١	٢٨
	٣٫٧٨٠	٧٫٢٥٣	٣٫٨٠٨	٢٫٦٦٨
فلوريد	١٫٧	١٫٧	ـــ	ـــ
الرقم الايدروجيني	٧٫٤٣	٧٫٠٧	٧٫٦٣	٧٫٩٨

وتمثل هذه الأرقام نتائج تحليل عدة عينات من كل بئر ، ومن آبار مختلفة من كل منطقة .

أما البئر العذبة الاميرية رقم ٨ ، فان مجموع الاملاح الذائبة بها نحو ٦٠٠ جزء بالمليون ، والكلوريدات ٧٥ ، والازوتات ١٧ بالمليون ، وتدل نتائج تحليل مياه العبدلية فى الشهور المختلفة على زيادة نسبة الاملاح فى اشهر الشتاء ، وقلتها فى ابريل كما تقدم القول ، فقد كانت هذه النسبة ٣٫٦١٧ بالمليون فى ابريل ، و ٣٫٧٢١ فى يولية ، ٣٫٧٨١ فى نوفمبر ، ٣٫٩٩٧ فى ديسمبر كما دل تقدير الازوتات فى آبار العبدلية فى سنة ١٩٦١ على تراوح كمية الازوتات بين ١٢ ، ٨٩ ، وعلى عدم وجودها فى آبار البرقان والصليبية ، وبنسبة ١٢ بالمليون في آبار غرب الكويت ، ١٧ بالمليون فى البئر العذبة الاميرية .

وقد دلت التحاليل كذلك على ضآلة محتوى الاكسجين والحديد فى هذه الآبار ، وعلى عدم وجود غاز كبريتيد الايدروجين بها .

هذه هى صور الماء الذى تسقى منه نباتات الكويت ، بالاضافة بطبيعة الحال الى ماء المطر ، الذى ينزل بالمقادير التى ذكرنا ، والى الرطوبة النسبية التى تعلو الى ١٠٠٪ فيتكاثف بخار الماء طلاً على سطح الأرض والنبات ، يستفيد منه الاخير على نحو من الانحاء .

التربة

يكون الرمل نسبة كبيرة من تربة الكويت ، على حين يكون القرين والطين نسبة ضئيلة منها ، ويكاد حظهما منهما ان يكون متساويا ، فاراضى الكويت رملية ، وتغطى بالحصباء فى بعض جهاتها ، وتتفاوت نسب حجوم حبيبات الرمل فى السيف عنها فى الاودية والكثبان ، وان السليكون لاكبر مكوناتها ، وفيما يلى نسب تقريبية للمكونات حسب تحليلات قسم البحوث بوزارة الاشغال .

	رمل الكثيب	رمل الوادى	رمل السيف
سليكون	٨١٪	٩٠٪	٧٠٪
اكسيد الكلسيوم	٧ ٪	١ ٪	١٠٪
كربونات الكلسيوم	١٠٪	١٫٥٪	١٨٪
اكسيد الالومنيوم	ـــ	٥٫٥٪	ـــ

وتوجد نسب ضئيلة من أكاسيد الحديد والمغنسيوم والكبريت ، وكبريتات الكلسيوم ، والكلور ، تتفاوت في الرمال المختلفة ، وانها لتكون الجزء الباقي من هذه المكونات .

وتتميز مثل هذه التربة الرملية الصحراوية عادة بانخفاض قدرتها على تبادل الكاتيونات حيث محتواها الطيني والدبالي قليل .

ومع أن تربة لها مثل هذا القوام الرملي ، كان ينبغي أن يكون صرفها ممتازا ، فان وجود طبقة صماء غير منفذة ، مما يمنع رشح الماء الملحي ، وبالتالي يجعل منسوب الماء الارضي قريبا من سطح الارض وتتملح الارض اى تزيد نسبة الاملاح بها ، خاصة وان الجو حار والبخر شديد ، فضلا عن ان ماء الصليبية الذى يستعمل في الري به نسبة عالية نوما ما من الاملاح ، كما أن وجود مثل هذه الطبقة يؤثر على تعمق الجذور في التربة ، بل يوقفه .

والطبقة الصماء رملية كذلك ، ولكن محتواها من كربونات المغنسيوم والكلسيوم عال ، ومما يساعد على تماسكها وجود أيدروكسيد المغنسيوم وكبريتات الكلسيوم وأكاسيد الالومنيوم والحديد، ولعل قلوية التربة وقلوية ماء الرى، وزيادة الاملاح نتيجة للبخر وسوء الصرف وتجمع كربونات وايدروكسيدات الكلسيوم والمغنسيوم ، انما هى عوامل تكوين هذه الطبقة المتماسكة غير المنفذة . فوجود هذه الطبقة ، وتجمع الاملاح ، واستعمال ماء الصليبية في الرى ، مما يؤثر تأثيرا ضارا على نمو النباتات ، وما تنتجه من محاصيل ، ولذلك فان كثيرا من النباتات تبدى عليها أعراض مرضية وشحوب يخضورى ، نتيجة سوء التغذية والتسمم لسوء الصرف وتجمع الاملاح .

على أن ملوحة التربة ، تختلف ، حسب الموقع ، وقوام التربة وتركيبها ومستوى الماء الارضى ، وهى قليلة في الاراضى المرتفعة ، كثيرة في الاراضى المنخفضة ، وخاصة بالقرب من البحر ، كما أن كمية الدبال قليلة .

ويمكن القول بصفة عامة ، ان أراضى الكويت مصابة بوجود هذه الطبقة الصماء غير المنفذة على أبعاد متفاوتة من سطح الارض .

ومن الاهمية بمكان بالنسبة لمستقبل الكويت الزراعى ، أن تعالج هذه الطبقة ، وان يكون بحث هذه المشكلة ، ومحاولة ايجاد حل لها ، من أولى المسائل التى ينبغي أن تعنى الدولة بها ، وان تعبأ الجهود العلمية لحلها ، ولعل تعميق المصارف ، وتقريبها من بعضها البعض ، وتقليل مساحات الاحواض المنزرعة ، وزيادة السماد البلدى ، والعمل على زيادة نسبة الماء العذب في ماء الرى ، مما يقلل من الآثار الضارة للطبقة الصماء على النبات ، ولعل جهود المسئولين ان تتجه الى علاج هذه المشكلة علاجا جذريا ، حتى يمكن زيادة الرقعة المنزرعة التى توفر لسكان الكويت احتياجاتهم من محاصيل وغلات وفاكهة وخضراوات .

وليس كثيرا ان تنشىء الكويت معهدا خاصا لبحوث الاراضى ، تحشد له نفرا كريما من علماء التربة من كل رجا من أرجاء العالم ، يعملون دائبين ، باحثين ، محللين ، مجربين ، على الطبيعة ، وفى ارض الكويت نفسها ، وفى البيئة الكويتية ذاتها ، وما اشك في ان العلم سيجد يوما ما حلا لهذه المشكلة ، ولعل جامعة الكويت أن تجعل في تخطيطها انشاء مثل هذا المعهد ، علّ رجاله أن يوفقوا في حل مشكلة التربة وماء الرى في الكويت ، مما يزيد في رخاء شعب الكويت ، ولا يجعل اعتماده على البترول وحده وانما يضيف اليه مصدرا آخر من مصادر الرخاء هو الزراعة .

وانه لفخر لدولة الكويت الناهضة أن تعمل على حل هذه المشكلة ، وان تنشىء هذا المعهد اسهاما منها في حلها ، فتمليح الارض ، ليس مشكلة خاصة بالكويت وحدها ، وانما هي فيما نعلم عامة في كثير من أراضى العراق ، والهند وغيرهما من البلدان ، ولا شك ان تضافر جهود العلماء في هذه البلاد ، بتبادل المعلومات ، وعقد المؤتمرات ،واجراء البحوث ، سيعجل بايجاد حل لها ، يكون فيه نفع قطان هذه البلاد جميعا . ■■

عبد الحليم منتصر

دردشة

أسد .. وكلب !

● **قال احدهم لهوميروس : اهجني لافتخر بهجائك ، اذا لم اكن أهلا لمديحك .**
فقال له : لست فاعلا .
قال : اذن سامضي الى رؤساء اليونان فاشعرهم بنكولك !
فقال هوميروس : بلغنا ان كلبا حاول قتال أسد بجزيرة قبرص ، فامتنع عليه الأسد انفة منه . فقال الكلب : سامضي فأشعر السباع بضعفك . قال له الأسد : لأن تعيرني السباع بالنكول عن مبارزتك ، احب الى من أن الوث شاربي بدمك !

مغفــلان

● هناك صنفان من المغفلين : الذى يقول : هذا شيء قديم فهو لذلك جميل . وذاك الذى يقول : هذا شيء جديد ، فهو لذلك أجمل . **(دكتور اليج)**

عقاب الكاذب

● **ليس عقاب الكاذب فى ان احدا لا يصدقه ، ان عقابه الحقيقي فى ان يصبح عاجزا عن أن يصدق نفسه .**
(برنارد شو)

٥٠٠٠ رسالة غرام !

● **مما** يعرف عن تشايكوفسكي انه ارسل ما ينوف على خمسة آلاف رسالة الى الارملة الثرية التى كان يحبها ، وتدعى ناديجا فون ميك .. ولم تكن العلاقة تزيد على كونها عواطف مبثوثة على الورق لأنهما لم يتقابلا الا مرة واحدة طوال حياتهما .

عدد لغات العالم

● يقدر اللغويون أن هناك ٣٠٠٠ لغة مستعملة فى العالم اليوم ، بما فيها اللهجات الرئيسية ، ولا تدخل ضمن هذا الرقم مئات اللغات المشتقة التى لا تعرفها سوى جماعات من القبائل المعزولة فى آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية . وبناء على ما جاء فى تقرير للجمعية الجغرافية الوطنية فان اللغة الصينية يتكلمها اكبر عدد من الناس ، بينما اللغة الانجليزية هى اكثر اللغات انتشارا .

حرب فى جبهتين

● **يجب** على الرجل ، لكي يحتفظ بفضيلته ، ان يقاوم شهواته وحدها ، اما المرأة فيجب عليها ان تقاوم شهواتها وتقاوم الرجل معا !

عند الحاجة !!

● **اصبح الطلاق شائعا جدا فى هذه الأيام فى امريكا ، حتى أن احدهم اقترح ان تصدر وثيقة عقد الزواج ومعها قسيمة طلاق يمكن فصلها عنها واستعمالها عند الحاجة !**

وجهــات نظر

* **الطريقة** الوحيدة لعلاج الاغراء هو أن تخضع له .
* **المرأة** تريد ان تكون جزءا من مستقبل الرجل ، والرجل يريد أن يكون جزءا من ماضيها .
* **ان** تسلية الأطفال هذه الايام تكلف أكثر مما كان يتكلفه تعليم آبائهم .
* **يظن** الرجل العادي انه يستطيع فى سن العشرين ان ينقذ العالم ، ويتمنى وهو فى الثلاثين لو يستطيع ان ينقذ جزءا من ماهيته .
* **الرجل** الذى لا يخطىء ابدا هو الرجل الذى لا يعمل شيئا .
* **الرجل** الذى يذعن ويستسلم حينما يكون على خطأ رجل عاقل حكيم ، أما الرجل الذى يذعن ويستسلم حينما يكون على صواب فرجل .. متزوج !!
* **رب العائلة** هو الشخص الذى توجد عنده عدة أفواه صغيرة يطعمها ، وفم كبير يصغى اليه .

منطق الناس عجيب

● **قبض** الاسكندر على أحد لصوص البحر ، ولما سأله بأى حق يسرق مال غيره ، اجابه :
ــ انا اسرقه بسفينة صغيرة فيدعوني الناس لصا ، أما انت فتسرقه بأسطول كبير وتسمى فاتحا ؟!

الموت .. والحياة !

● **كان ارسطو يقول:** ان الموت والحياة سواء !
فقال له احدهم : ما دام الأمر كذلك .. فلم لا تقتل نفسك ؟!
فاجاب : قلت انهما متساويان ، ولم أفضل الموت على الحياة !

★★★

فى لحظة الاحتضار

* اسدلوا الستار ، فالمأساة انتهت .

(رابليه)

* **اني** انتقل من تاج قابل للفساد ، الى تاج لا يفسد .

(شارل الأول)

السجن .. أو الزواج ؟!

● صدم شاب بسيارته فتاة،ولما عوفيت من اصابتها خيرته بين السجن أو الزواج منها ، فآثر الزواج .
ولما قرأ برنارد شو الخبر علق عليه بقوله :
ــ لو عممنا هذه القاعدة .. لقل طيش اصحاب السيارات من الشباب والعزاب !!

الأخت المفقودة

قصة قصيرة للكاتبة الامريكية

دروثي م . جونسون

■ كان بيتنا يعج بالنساء اللواتي طفن هن جهن ومرجهن على عمي « تشارلي » واربكني في بعض الاحايين .وكنا انا والعم تشارلي الرجلين الوحيدين في المكان، وكنت في التاسعة من عمري يومئذ حينما قدمت الى البيت امراة اخرى ــ العمة « بيسى » التي كانت تعيش مع الهنود الحمر .

وعندما روت لي امي قصتها لم استطع ان اصدقها ، وكان المتوحشون قد قتلوا ابي منذ سنتين عندما كان ضابطا في فرقة السوارى ، فكرهت الهنود الحمر ، وكنت اتطلع الى اليوم الذى استطيع فيه ان امحوهم من الوجود عندما اكبر ولكنني عندما كبرت لم يعودوا مصدرا لاى تهديد .

سألت مستفسرا : ولكن لماذا كانت العمة بيسى تعيش مع الاعداء ؟

فقالت امي : لقد اسروها عندما كانت فتاة صغيرة اصغر منك الآن بثلاث سنوات وها هي ذي الآن تعود الى البيت .

فقلت في نفسي لقد آن لها ان تعود الى البيت . وقلت ذلك لامي جهارا وأنا أعاهدها قائلا : « ان هم ظفروا بي في يوم من الايام فلن امكث معهم طويلا » . فطوقتني أمي بذراعيها قائلة : « لا تقل كلاما كهذا . انهم لن يظفروا بك . لن يظفروا بك ابدا » .

كنت انا الصلة الحقيقية الوحيدة التي تربط امي بعائلة زوجها الراحل ، ولم تكن امي سعيدة مع هؤلاء النسوة المسيطرات : عماتي «مرغريت» و « حنة » و « سابينا » ولكنها لم ترغب ان تعود ادراجها الى شرق الولايات من حيث اتت . وقد كان عمي تشارلي يدير شؤون المخزن التجارى الذى تمتلكه العمات ، وهو لم يكن في الواقع من اعضاء الاسرة ، لانه لم يكن الا زوج العمة مرغريت، ان الرجل الذى كان يمت اليهن بصلة الرحم هو أبي ، وكان أصغرهم سنا . فانا الآن اذن هو الشخص الوحيد الذى يمت بصلة الرحم هذه اليهن ، وستؤول ملكية المخزن الي في يوم من الايام ، وامي كانت مرابطة اذن لكي تصون ارثي .

لم تكن عين اية اخت من الاخوات الثلاث قد وقعت على العمة بيسى في يوم من الايام ، فقد كان اختطفها الهنود الحمر قبل ان يولدن ، بيد ان العمة « مارى » تعرفها ، فالعمة مارى تكبرها بسنتين ، ولكنها الآن تعيش على بعد الف ميل ، ولم تكن تتمتع بصحة جيدة .

لم يكن للفتاة الصغيرة ، التي غدت فيما بعد اسطورة من الاساطير ، اية صورة فوتوغرافية ولا غرو فالعائلة عندما استقر بها المقام في هذه الربوع كان عليها ان تكد وتكدح من اجل طعام الاطفال وكسائهم كدحا كفيلا ان ينسيها التقاط الصور لهؤلاء الاطفال .

وحتى بعد قدوم ضباط الجيش الى بيتنا مرات عديدة ، وبعد ورود عدة رسائل عن تحرير العمة بيسى من اسر المتوحشين ، مضى وقت طويل قبل ان تأتي هي . وقد حذر « الماجور هاريس » الذى اتخذ الترتيبات النهائية ــ حذر عماتي من انهن سيجابهن بعض المشكلات ، ومن ان العمة بيسى قد لا يقر قرارها في الحياة العائلية .

لم يكن هذا الا تحديا للعمة مرغريت التي كانت ترحب بالتحديات فقد رفعت عقيرتها تقول : انها من دمنا ولحمنا ولابد طبعا من عودتها الينا . يا لاختي المسكينة الحبيبة بيسى تنتزع من احضان بيتها انتزاعا منذ اربعين سنة ... » .

كان الماجور مخلصا في قوله ، ولكن كانت تعوزه

اللباقة ، فقد اصر قائلا : لقد امضت طيلة هذه المدة مع المتوحشين ، ولم تكن الا فتاة صغيرة عندما اختطفوها . انني لم أرها شخصيا ، ولكن من المعقول ان نفترض انها ستكون مثل اية امرأة هندية حمراء »

وهبت العمة مرغريت بجلالها واقفة دلالة على انتهاء المقابلة وقالت بلهجة منغمة :

« ماجور هاريس . لا استطيع ان اسمح لاى شخص ان ينتقد اختى العزيزة . انها ستقطن فى بيتى . واذا لم استلم اشعارا رسميا بانها قادمة فى خلال شهر ساضطر الى اتخاذ الاجراءات اللازمة » .

وجاءت العمة بيسى قبل انقضاء الشهر .

وانهمكت العمات المقيمات انهماكا بطوليا فى اعداد العدة لاستقبالها ، فكن يرحن ويغدين فى ارجاء البيت كنسا ومسحا وصقلا ونقلتنى من غرفتى الى غرفة امى — امى التى ما فتئت منذ زمن طويل تتوسل اليهن ان يفعلن ذلك لاننى كنت اصاب بالكوابيس اثناء الليل . فاعدت غرفتى القديمة لعمتى بيسى فغدت مجهزة بوسائل الراحة الصغيرة الكثيرة : من الفوط المزركشة الجديدة هنا وهناك ، الى دبابيس الشعر ، الى مغسلة وابريق منسجمين ، الى اجود انواع المناشف ، الى فستانى نوم جديدين .

وتقدمت حنة باقتراح تقول : « ربما ينبغى ان

... وفتحت العمة مرغريت الباب على مصراعيه عندما رأتهما قادمين ، ومدت ذراعيها نحوهما ..

يكون لدينا بعض الفساتين الجاهزة فنحن لا ندرى ماذا يتزن معها . »

فقالت مرغريت : « ولا نحن ندرى مقاسها كذلك . وسيكون لديها متسع من الوقت للذهاب الى المتزن بعد ان تستقر وتستريح يوما او يومين تستطيع بعدهما ان تبتاع ما يحلو لها » .

وكانت سيدات المدينة يأتين للزيارة بعد ظهر كل يوم تقريبا والاستعدادات قائمةعلىقدم وساق. فوعدتهن مرغريت بدعوتهن الى شايها حالما تثوب بيسى الى رشدها من محنتها .

وحذرت مرغريت اخواتها القلقات قائلة : «والآن يا بنات ، علينا أن لا نمطرها بالاسئلة اول الامر ، لابد لها ان تستريح فترة من الزمن فقد مرت بتجربة رهيبة . » وانخفض صوت مرغريت عند الكلمتين الاخيرتين ..

حقا لقد مرت بيسى بتجربة رهيبة ، ولكنها لم تكن التجربة التى تبادرت الى اذهان الاخوات . فالتجربة التى كانت تعانى مرارتها عندما وصلت كان مردها انتزاعها من قومها الهنود الحمر وتسليمها الى ايد غريبة عنها . انها اذن لم تحرر من الاسر بل انها وقعت الآن اسيرة .

جاءت العمة بيسى مع الماجور هاريس ومترجم من ابوين ، احمر وابيض ، ذى شعر فاحم مدهون يتدلى حتى كتفيه ، يرتدى بزة نصفها بزة جيش، والنصف الثانى للزى البدائى . وفتحت العمة مرغريت الباب على مصراعيه عندما رأتهما قادمين ، واندفعت صوب الخارجوفى اذيالها اختاها ، بينما كنت انا وامى نرقب من الشباك . كانت ذراعا مرغريت ممدودتين ، ولكنها عندما رأت المراة عن كثب سقط ذراعاها وماتت فيها صيحة الفرح .

لم تكمش العمة بيسى ، التى كانت هندية حمراء طيلة اربعين عاما ، ولكنها توقفت عن السير ووقفت مبهوتة لا حول لها ولا طول بين آسريها .

كثيرا ما كانت الاخوات يدعونها فتاة صغيرة عندما يأتين على ذكرها لا لانهن رأينها فى يوم من الايام ، بل لانها كانت اسطورة من الاساطير ــ الطفلة الاسيرة ، وكن يقلن انها ذات شعر اشقر متموج جميل وعينين زرقاوين واسعتين ــ كانت طفلة من عالم الجنيات ، ملاكا صغيرا شاحب الشعر يسير على قدمين راقصتين .

ولكن « بيسى » التى عادت كانت امراة تقدم بها السن ، تدب على خف هندى ، وترتدى ثوبا داكنا لا يمت الى جسمها المترهل باية صلة ، يمتد شعرها البنى الى اسفل اذنيها فقط . وقد بدأ ينمو من جديد لانها عندما اخذت من الهنود الحمر قصت شعرها قصيرا .

ثابت مرغريت الى رشدها ، وبدلا من ان تطوق بذراعيها هذه المراة الصامتة الثقيلة ، اكتفت بان ربتت على ذراعيها باكية وهى تقول : « يا بيسى العزيزة المسكينة انا اختك مرغريت ، وهاتان هما اختانا حنة وسابينا . اننا نرجو ان لا تكونى منهوكة القوى بعد رحلتك . »

كانت مرغريت كلها لطفا ورقة لانها كانت على ثقة لا يتطرق اليها الشك من ان هذه المراة من افراد العائلة حقا ، ولانها كانت تعتقد ــ والعمة مرغريت باستطاعتها ان تعتقد اى شيء ــ ان كل ما كانت بيسى تحتاج اليه هو ان تغفو اغفاءة لطيفة وتغسل وجهها ثم لا تلبث ان ينطلق لسانها ثرثرة بعدئذ شان اية واحدةمنهن .

كانت العمات الاخريات كثيرات الحركة حادات اللسان ، ولكن هذه العمة كانت تتحرك كما لو كانت احزانها عبئا ثقيلا ينيخ بكلكله على كتفيها المحدودبين ، وعندما تكلمت باقتضاب جوابا عن كلام المترجم لم نفهم حرفا واحدا مما قالت .

غضت العمة مرغريت الطرف عن هذه الصفات المميزة واقتادت الحفل الى الصالة الامامية ، حتى المترجم عندما فهمت ان لا مناص من ذلك . ولو لم تكن فى عجلة من امرها للتحدث الى اختها المفقودة العائدة لاشتبكت فى عراك مع الماجور بسبب المترجم . فقد قال الماجور هاريس . « لن يكون فى وسعك ان تحادثيها الا بحضور المترجم ، لا بسبب اية انظمة او قوانين ، بل لانها نسيت الانكليزية » .

وحدجت العمة مرغريت المترجم بنظرة عابسة وسمحت له بالدخول ، وقالت لبيسى ملاطفة : « تفضلى يا عزيزتى » ، فتمتم المترجم وجلست العمة الهندية بحذر على كرسى كأنه مدبب مثل الابر لانها امضت معظم حياتها مع قوم يعتقدون الارض هى المريحة .

كانت الزيارة فى الصالة سريعة ، اذ كانت بيسى قد تلقت تعليماتها قبل مجيئها ، ولكن الماجور هاريس افضى ببعض التحذيرات الى العائلة

وتجاهل انتفاضة الفزع التى انتابت مرغريت عندما قال : « من ناحية فنية اختكم لا تزال اسيرة هندية وسيعهد اليكم بحراستها ، ولا يسمح لها بالتجول الا فى الباحة المسيَّجة ، ولا يجوز ان تغادرها الا باذن رسمى . يا مسز رالى قد يكون هذا عبئا ثقيلا عليكم ولكنها احيطت علما بكل هذه التفصيلات ، وابدت استعدادها لمراعاة كل هذه القيود ، ولا اعتقد انها ستسبب لكم اى ازعاج ببقائها عندكم . »

وتردد الماجور هاريس متذكرا انه جندى شجاع عندما اضاف قوله : « ولوكنت اعتقد خلاف هذا لما احضرتها »

كانت سحب معركة صغيرة حادة تتلبد فى الجو ولكن العمة مرغريت آثرت ان تغض الطرف عن التحدى لانها لم تستطع ان تغض الطرف ايضا عن الحقيقة الماثلة وهى ان بيسى لم تكن كما كانت قد توقعت هى ومرغريت .

لا شك ان بيسى كانت تدرك ان هذه هى عائلتها البيضاء المفقودة ، ولكن لم يكن يبدو عليها الاهتمام . وكان الحزن الشديد والوحشة قد اخذا منها كل ماخذ . ولم‌تسال‌الا سؤالا واحدا « ما .... رى ؟ » فكادت العمة مرغريت ان تبكى فرحا وقالت : « اختنا مارى تعيش بعيدا عن هنا وهى مريضة ولكنها ستاتى حالما تقوى على ذلك . يا لاختى العزيزة مارى » .

وتقل المترجم ذلك فلم يكن عند بيسى مزيد تقوله وكانت تلك الكلمة الوحيدة المفهومة التى تفوهت بها طوال مقامها بين ظهرانينا ـ اسم اختها الكبرى الذى لا تزال تذكره .

وعندما اخذت العمات بيسى الى غرفتها وهن يثرثرن سالت احداهن : « ولكن اين امتعتها ؟ »

لم يكن لدى بيسى اية امتعة او حقائب ، لم يكن معها شىء سوى الملابس التى كان تقف فيها ، وبينما كانت الاخوات منهمكات فى احضار مشط وما الى ذلك من الاشياء كانت هى تقف كانها تمثال منحن ، صامتة ترقب الامور . كان هذا هو سجنها . حسنا . انها ستحتمله .

واقترحت العمة حنة قائلة : « ربما استطعنا غدا ان ناخذها الى المخزن ونرى ماذا تريد » .

فقالت العمة مرغريت وهى مستغرقة فى تفكير عميق : « لا داعى للتعجل » . فقد بدات تتكون فى نفسها فكرة ـ ان هذه الاخت ستكون مشكلة . ولكننى لا اعتقد ان العمة مرغريت فقدت فى يوم من الايام الامل بان بيسى ستصبح يوما ما واحدة منهن لا تختلف عنهن فى شىء ، وانها ستضع حدا لصمتها العنيد وتبدا تروى احداث حياتها بين المتوحشين لافراد العائلة حول مائدة الشاى .

واخيرا عودت عمتى الهندية الحمراء نفسها على الجلوس على كرسى فى غرفتها ، وقلما كانت تغادرها مما اثلج صدر اخواتها ، الا انها كانت تؤثر ان تقف ساعة اثر ساعة تتطلع من النافذة التى كانت مفتوحة الى ارتفاع يبلغ القدم الواحدة فقط رغم جميع محاولات العم شارلى لزحزحتها الى ارتفاع اعلى ، وكانت تلبس دوما خفها الهندى لانها لم تستطع ابدا ان تلبس الحذاء الذى جلب لها من المخزن كما لوكانت تحتفظ بهذا الحذاء كانه كنز ثمين .

ولم تاخذها العمات طبعا الى السوق ابدا على اية حال ، وفصلن لها فستانين . وعندما طلبن اليها بالاشارات والايضاحات المتهمرة ان تغير ملابسها فعلت ذلك .

وعندما اكتشفت انا انها تشاهد فى العادة واقفة عند الشباك تنظر عبر الارض المنبسطة الى الجبال الزرقاء ، صرت العب فى الساحة لكى يتسنى لى ان احدق اليها ، ولم تبتسم ابدا كما ينبغى للعمة ان تفعل ، ولكنها كانت ترمقنى بنظرها مستغرقة فى تفكير عميق كانها تضعنى فى كفة ميزان . وتمكنت ان استرعى انتباهها بالقيام ببعض الالعاب البهلوانية كالمشى على يدى مما كان له قيمة كبيرة عندى لسبب لا ادريه .

لم تكن تغير تعبيرات وجهها كثيرا . ولكننى رايتها مرتين تقطب تعبيرا عن استيائها : مرة عندما صفعتنى احدى العمات ، وكنت استحق الصفعة. ولكن الهنود الحمر لا يعاقبون اطفالهم بالضرب . واعتقد ان العمة بيسى ذهلت عندما رات البيض يضربون اطفالهم . وكانت المرة الثانية عندما رددت على احدهم مجيبا بوقاحة الصبى الصغير المدلل ، وكان التقطيب فى هذه المرة موجها الىّ .

وتناوبت الاخوات زيارتها مدة نصف ساعة كل يوم ولم تكن بيسى تتناول‌طعامها معنا على المائدة ـ ولم تفعل ذلك بعد ان جربت الوقعة الاولى والاخيرة .

وعندما حان دور امي لزيارتها الاولى احتجت قائلة « اخشى ان انفجر بالبكاء امامها » . ولكن العمة مرغريت اصرت .

كنت قابعا في البهو عندما دخلت امي ، وسمعت بيسي تقول شيئا ثم تعيد قوله بلهجة الامر الى ان ادركت امي حدسا وتخمينا ما تريد ، فنادتني وطوقتني بذراعيها وانا واقف الى جانب كرسيها ، فهزت العمة بيسي رأسها وحسب .

ثم قالت امي : « انها تحبك ، وكذلك انا . ثم قبلتني » .

فقلت متذمرا : « انى لا احبها ، انها غريبة الاطوار . »

قالت امي : انها سيدة كبيرة حزينة ، كان لها ولد في ما مضى كما تعلم » .

« وماذا حدث له ؟ »

« صار شابا فاصبح محاربا ، واعتقد انهـا كانت مزهوة به ، أما الآن فالجيش يودعه أحد السجون في مكان ما . انه نصف هندى ، وكان رجلا خطيرا . »

لقد كان حقا رجلا خطيرا ، ذا انفة ، زعيمـا ، طيرا من الجوارح قص الجيشجناحيهبعد محاولات استمرت سنين مريرة .

وعلى اية حال كان يجمع امي والعمة الهندية امر مشترك واحد : ان لكلتيهما ابنا ، اما العمات الاخريات فلا ولد لهن .

وفي يوم من الايام قامت الدنيا وقعدت عندما ارادوا ان يلتقطوا للعمة بيسي صورة فوتوغرافية ، فان العمات اللواتي كن يحاولن محاولات عنيدة ان يجعلنها عضوا من الاسرة اردن ايضا ان يكون لها صورة توضع في « البوم » العائلة ، كما ان الحكومة ايضـا كانت تريد صـورة بسبب من الاسباب ، ربما لان احدهم تبين له ان امرا ذا اهمية تاريخية قد حدث باسترداد الطفلة الاسيرة.

اوفد الماجور هاربس ضابا شابا مع المترجم ذى الشعر المدهون لبحث الموضوع في الصـالة (وكانت مرغريت بعد نظرها المقيم قد فرشت منشفة نظيفة على احد الكراسى وحرصت ان يجلس المترجم هناك) . ولـم تتكلم بيسى في الاجتماع الا نزرا يسيرا ولم نفهم مما قالته الا ما كان ينقله المترجم النصف الهندى .

كلا . لم تكن تريد ان تلتقط لها صورة . كلا

« ولكن ابنك التقطت له صورة ، فهل تريدين ان تريها ؟ » فاثاروا كوامن نفسها بهذا العرض واومات موافقة .

« واذا سمحنا لك برؤية صورته فهل ترضين ان تلتقط لك صورة ؟ »

فاومات برأسها والشك يساورها ثم اخـذت تساوم مطالبة بأكثر مما عرض عليها :

« اذا اعطيتموني صورة ابنى فانى اسمح لكم بالتقاط صورة لي »

« كلا فلن نسمح لك الا بالنظر اليها ، يجب ان نحتفظ بصورته فانها لنا ، فهـزت كتفيهـا وتكلمت فقال المترجـم : « انهـا لا تريد ان تنظر فحسب . فاما ان تحتفظ بالصورة والا فلا » .

وانتفضت امي ، وهي التـي ادركت مـا لم تستطع العمات ادراكه ، فقالت : « اما الصورة والا فلا . وربحت بيسي . ولعلهم تعمدوا لها ان تربح ، فسمح لها ان تحتفظ بصورة ابنها ،وكانت صورة التقطت بُعيد وقوعه في الأسر وان كان من العسير عليك ان تتبين ذلك فقد كان شامخ الهامة، عيناه محملقتان تشع منهما جراة تخلو من الازدراء. شعره الطويل مصفف بعناية ـ شعر فاحم مضفر في جهة ويميل الى التموج في الجهة الثانية التى يتدلى منها مرسلا ، ويداه تمسكان بالغليون كانه صولجان ملكي .

وقد تركت صورة الاسير المحارب غير المقهور اثرها في نفسي ، فقد اخذت اكبح جماح عواطفي ولساني عندما اتذكره ، وان انمي في نفسي التحفظ وضبط النفس كلما تقدم بي العمر ، وان احملق بجراة تخلو من الازدراء في وجوه الناس الذين يضايقونني او يسيئون الي . انني لم اره في حياتي ولكنني كنت فخورا به في صمت ـ رأس النسر ، ابن عمتي الهندى ، الاحمر .

كانت بيسي تضع صورته على خزانتها عندما لا تكون ممسكة بها بيديها ، وقد ذهبت الى مرسم التصوير مثل طفل صامت وديع في عربة مع العمة مرغريت صبيحة احد الايام في وقت مبكر يكون عدد المحملقين المتطفلين في الشارع فيه قليلا .

ان صورة بيسي تخلو من الشمم وتدعو للرثاء ، فهي تطل منها ووجها خلو من كل تعبير ، فليس

ثمة اى انفعال او تحد ، وليس ثمة الا وجه امراة يتقدم بها العمر ذات شعر قصير مقصوص ، وليس ثمة الا التجلد والصبر .

ووضعت العمات نسخة فى البوم العائلة ، ولكنهن كن يدّبّرن حثيثا من اقصى غاية جهدهن. فقد غدت العمة الهندية شبحا صلدا فى البيت لا تنوم باى عمل لانه لم يكن لديها عمل تقوم به ، فيداها المخشوشنتان لابد كانتا بارعتين فى اعمال الزوجة الهندية الحمراء ، وفى تقطيع اللحوم ، وتنظيف الجلود ودباغتها ، وفي نصب الخيمة الهندية ، وزركشة اثواب الاحتفالات بالخرز . ولكن مهاراتها هذه لم تكن ذات نفع ، ولا حاجة بالبيت المتمدين اليها . وحتى عندما اعطتها امى قماشا وخيوطا وابرا لم تخطها بل احتفظت بها على مقربة من صورة ابنها .

كانت تأكل فى غرفتها ، وتنام على الارض ، وتقف عند النافذة تتطلع منها فحسب . ولكن لا يمكن ان يدوم هذا طويلا . وان كان لابد له ان يدوم على الاقل الى ان تتعافى عمتى المريضة مارى وتقوى على السفر ، العمة مارى التى كانت اختها الكبرى والاخت الوحيدة التى عرفتها عندما كانتا طفلتين .

واخذت زيارات الاخوات للعمة بيسى تقل تدريجا وتتخذ طابع اداء الواجب حتى غدت روتينا من الممكن تحمله . وآلت مرغريت على نفسها ان تحاول حمل بيسى على الكلام . فهى تعتقد اعتقادا جازما ان اختها التعسة العنيدة لا تحتاج الا الى تشجيع من شخص قوى الارادة فكانت مرغريت تخاطبها كما تخاطب طفلا عندما تقتحم عليها غرفتها وتقول :

« ها انت ذى تقفين لا تفعلين شيئا الا التحديق يا عزيزتى . قولى لي ما الذى ترينه هناك ؟ هل ترقبين الطيور ؟ لماذا لا تحاولين الخياطة ؟ او تخرجين للتنزه فى الساحة ؟ الا تريدين أن تخرجي لنزهة لطيفة قصيرة ؟ » وكانت بيسى تصغى وترمش بعينيها .

ان تعجز امراة هندية عن التحدث بلسان متمدين ، امر فى وسع مرغريت ان تفهمه ، اما اختها فانها ليست بالهندية ، لان بيسى بيضاء ، وعلى هذا ينبغى ان تتحدث باللغة التى تتكلم بها اخواتها ـ اللغة التى لم تطرق سمعها منذ طفولتها الأولى .

اما حنه فكانت تتحدث الى بيسي ولكن من دواعي سرورها أن لا تتلقى منها اية اجابة وان لا يقاطعها احد ، وكانت تعكف على تطريزها عندما يحين دور جلوسها الى بيسي وتأخذ تسرد عليها متاعبها بسيل من الكلام لا ينضب له معين ، وبيسي واقفة عند النافذة تحدق الى البعيد طوال الوقت .

اما سابينا التى لم تكن متاعبها تقل عن غيرها ـ متاعب مصدرها فى معظمه من مرغريت وحنه ـ فقد كانت تدخل كالشهيدة تقبض على الكتاب المقدس بيديها لم تقرأ منه بصوت مسموع حتى تأتى على وقتها المحدد لها ، وكانت تصطحب معها ساعة حائط صغيرة حتى لا يدخلها السام وتحاول التلاعب او الغش .

اما العمة مارى فقد قدمت بعد عدة اسابيع شاحبة مرتجفة منهوكة القوى من مرضها ورحلتها الطويلة الشاقة ، وحاولت الاخوات ان يدخلن المترجم ولكنهن لم يفعلن (وصعب هذا الفشل على العمة مرغريت) وبعد ان استراحت العمة مارى اطلعوها على كل شيء حتى يخففن من هول الصدمة حين تقع عيناها على بيسي .

لقد رايتهما معا . رايت هاتين المرأتين : توجهت مرغريت صوب باب غرفة المراة الهندية واوضحت بكلام كثير من كانت القادمة فى محاولة لا طائل تحتها وان تكن جريئة ، ثم انتحت جانبا واذا بالعمة مارى هناك ووجهها الأبيض المتجمد متوهج وذراعاها ممدودتان : « بيسي ! اختي بيسي ! ».

وبعد تردد واحد قصير اندفعت بيسي الى ذراعها فقبلت مارى خدها الملفوح الملوح . وتكلمت بيسى قائلة : « ما رى ما رى ». ووقفت والدموع تنهمر من عينيها على وجهها وفمها يختلج ، وكان هذا كافيا لتروى قصة آلامها وخوفها وكذلك قصة فرحها وانتصارها ، فهاهي ذى اخيرا تلك الأخت التى تستطيع بحق أن تسمع القصة كلها وتفهمها .

ولكن الكلمة الانكليزية الوحيدة التى كانت بيسى تتذكرها كانت « مارى » ولم تأبه لتعلم كلمات غيرها واستدارت صوب الخزانة وتناولت

صورة ابنها بيديها المخشوشنتين في مهابة واجلال ورفعتها لكي تراها اختها. كانت عيناها تتوسلان.
نظرت ماري الى وجه ابن اختهـــا ، نصف الهندي ، بهدوئه ونبله وتوحشه ونطقت حقا حين قالت :

« ويحي ، اليس وسيما ؟ » وامالت راسها يمنة ويسرة وقالت : « ولد جميل يــا اختي ، لا بد انك فخورة به يا عزيزتي » .

ادركت بيسي معنى اللهجـــة وان لم تفهم الكلمات . لقد كانت لهجة تنم عن الاعجاب اذن ـ وحظى ابنها برضى الاخت التى يهمها امرها . ونظرت بيسي الى الصورة واومات براسها تمتم ثم اعادتها الى الخزانة .

لـــم تحاول العمة ماري ان تستنطق بيسي ، فقد دابت على مجالستها ساعات طويلة كل يوم ، وبيسي تتكلم ولكـــن ليس بالانكليزية ، وكانت ايديهما متشابكة وهمـــا تجلسان في محاولة ، تواسي فيها الواحدة منهما الاخرى ، بينما الطفلة الأسيرة التى هرمت واصبحت جدة تروى ما حصل لها في اربعين عاما . هذا ما قالته العمة ماري عن كلام بيسي ، ولكنها لم تفقه كلمة واحدة منه وما كان بها حاجة الى ذلك .

قالت العمة ماري ! « لديها متسع من الوقت لتعلم الانكليزية من جديد ، واعتقد انها تفهم اكثر مما تستطيع التعبير . فقد طلبت منها ان تاتي وتسكن معي ، فاومات براسها . اننا سنكرس بقية حياتنا لتعليمها الانكليزية ، ولكنها الآن لا تستطيع الانتظار لتروى حكايتها وحكاية ابنها » .

« هل انت واثقة يا عزيزتي ماري ان عليك ان تتحملي مسئولية ايوائها » . قالت العمة مرغريت هذا الكلام من قبيل الواجب وهي لا شك ترتعد من قمة راسها الى اخمص قدميها فرقا من ان تغير ماري رايها بعد ان اصبح الخلاص قاب قوسين او ادنى . « اعتقد جازمة انها ستكون اسعد حالا معك مع اننا بذلنا قصارى جهدنا » .

لا شك ان مرغريت وبقية الاخوات يكن اسعد حالا لو تكون بيسي في مكان آخر . وكذلك الحال مع حكومة الولايات المتحدة كما دل على ذلك تطور الامـــور .

جاء الماجور هاريس مع المترجم ليبحث بعض التفصيلات ، وقالا لبيسي ان في وسعها ان شاءت ان تعيش مع ماري على بعد الف ميل ، فكانت بيسي في اثناء ذلك صبورة وراضية ومقبولة تماما وتحدثت الى المترجم اكثر من اية مرة مضت ، فاجابها باسهاب ثم شرح للآخرين انها ارادت ان تعرف كيف تسافر هي وماري الى هـــذه البلاد النائية وقال انه يعسر عليها ان تدرك مدى المسافة التى ستقطعانها .

وعلمنا فيما بعد ان المترجم وبيسي تحادثا في امور اكثر بكثير من ذلك ، ففـــي صبيحة اليوم التالي عندما حملت سابينا طعام الافطار الى غرفة بيسي سمعنا صرخة فزع ، كانت سابينا حاملة الصينية وتردد قائلة : لقد خرجت من النافذة ! لقد خرجت من النافذة !

وكان ذلك صحيحـــا فالنافذة التي استعصى فتحها الى اكثر من مســـافة قـــدم واحدة كانت مفتوحة الى اقصى ارتفاع ، وصورة ابن بيسي كانت قد اختفت من الخزانة ، ولم يفقد اى شيء آخر سوى بيسي والفستان الداكن الذى لبسته في اليوم الســابق .

لم يتناول العم تشارلي طعام افطاره ذلــك الصباح فقد قفز علـــى صهوة حصانه انصياعا لأوامر مرغريت المرعـــدة وتوجـــه صوب مكتب البرقيات .

وقبل ان يصل الماجور هاريس هناك مع نصف دستة من الفرسان كان الكشافة المدنيون قـــد خرجوا بحثا عن المراة الضائعة . وكانوا قصاصى اثر بارعين طالما توقفت حياتهم على براعتهم في قراءة معنى حجر مقلوب او عود مكسور او ورقة شجر مرضوضة ، فاكتشفوا ان بيسي توجهت شمالا . فاقتفوا اثرها عشرة اميال ، ثم فقدوه ، لان بيسي لم تكن تقل عنهم براعة . وكثيرا ما كانت حياتها هي ايضا تتوقف على عدم ترك اى حجر او عود او ورقة تنم عن اثر مسيرها . وكانت تسير اول الامر مسرعة وعندما يحين الوقت الذى يحتم عليها اتخاذ مواطن الحيطة والحذر كانت تحيد عن مقتفيها الذين تعرف انهم قادمون .

اخذ الحزن من الاخوات كل ماخذ ـ او قل

من العمة ماري على الأقل ـ واحنى رؤوسهن الخزى مما اقدمت عليه بيسى ، فاسدلت الستائر واخفضت الاصوات فى البيت . ففى السابق كنا موضع عطف ورثاء مبعثه حمق بيسى المحزن الذى جعل الهنود الحمر منها امراة متوحشة ، اما الآن فقد كنا خونة لأننا اتحنا لها مجال الافلات منا .

ودابت العمة ماري على القول : « أواه ... لماذا هربت ؟ كنت اظن انها ستكون قريرة العين معى » . وقالت الأخريات : « عسى أن تكرهوا شيئا ... » .

واعلنت العمة ماري على الملا : « لقد عادت الى من هم على شاكلتها » .

هـذا ما كن يعتقدنه بحق ، وكذلك الماجور هاريس .

واخبرتنى أمي عن سبب هروبها قائلة : « هل تذكر صورة ابنها الزعيم الهندى الاحمر التى كانت بحوزتها ؟ لقد هرب من سجنه . وتلقت القلعة النبأ فساد الاعتقاد ان بيسي قد تكون متوجهة صوب مخبئه . وهم من أجل ذلك جادون فى البحث عنها ، وهم يظنون انها علمت بنبأ هروبه من المترجم عندما اتى الى هنا قبل أن يعلموا هم به . وهل غير المترجم وسيلة تعلم بها ذلك » ؟

ذرعوا الجبال جنوبا بحثا عن رأس النسر ، وعن بيسي ، فلم يعثروا لهما على اثر ، ولم تصل أيديهم اليه الا بعد سنة بعيدا فى الشمال ولم يستطيعوا أن يأسروه حينئذ فقد سقط فى ميدان المعركة وهو يحارب .

وعندما بلغت سن الرشد تسلمت زمام العمل فى مخزن العائلة واخذت كراهيتي لادارة المخازن تزداد فى نفسى يوما اثر يوم حتى أصبح لى مطلق الحرية فى بيعه فبعته وانصرفت الى تربية المواشى . وفى يوم من الأيام ، عندما كنت ممتطيا صهوة جوادى ، أطارد الوعول الضالة ، عثرت على ما اعتقد انه العمة بيسي . وكان برفقتى راعي بقر يعمل لحسابى والا ما كنت لأخبر احدا .

عثرنا على عظام ملوحة ، على مقربة من نبع ماء، وهذه العظام البشرية التى فاجاتنا بوجودها كان يكتنفها غموض استطعت معه أن احس بالموت يلسع قفاي .

قال رفيقى الممتطى جواده مختمتا : « لعله احد الباحثين عن الذهب » . وكنت انا اعتقد ذلك ايضا ، لولا انى عثرت على مزق لنسيج ، لعله من فستان داكن محترم ، وراء جذع شجرة مقطوعة ، ملفوفا فيه شيء ربما كان فى يوم من الايام صورة فوتوغرافية .

كان رفيقى شابا قد سمع قصة الطفلة الأسيرة، فداب على روايتها لي دوما . واذا بالقصة في السنوات الأخيرة تكتسب تفصيلا ادهشنى ، فقد عادت العمة بيسي مرة ثانية فتاة فاتنة شقراء فى هذه الأسطورة التى سمعها ، ولكنها فتاة حزينة جدا وصامتة جدا : حسنا . لقد كانت حقا حزينة وصامتة .

حاولت أن ادفع مزق النسيج خلف جذع الشجرة ولكنه بادرنى بالقول:«ليس هذا قميصا. انه فستان . لم يكن هذا أحد الباحثين عن الذهب انه امراة ، وتوقف هنيهة ثم قال باجلال ورهبة : اراهنك انها عمتك الهندية » .

قطبت وقلت : هراء . من الممكن أن تكون اي شخص آخر .

فنال منه الغضب وقال : لو كانت عمتى لدفنتها فى مقبرة العائلة .

فقلت : لا ، وهززت راسى .

تركنا العظام هناك فى الوادى حيث ثوت اكثر من اربعين عاما ، ان كانت للعمة بيسي . وانها لكذلك على ما اظن ، ولكنني لن أجعلها أسيرة من جديد . انها فى البوم العائلة ، ولا حاجة بها الى الدفن فى مقبرة العائلة .

ان كان حدسي وتخمينى عن سبب هروبها خاطئا فلن يستطيع احد أن يدلل عليه : أن عمتى لم تكن تزمع أن تلتحق بابنها فى مكمنه ، فقد هربت فى الاتجاه المعاكس لاتجاه مكمنه ، لكي تضلل الباحثين عنه .

أما ماذا حدث لها فى الوادى فلا يهمنى ولايهم احدا ، انما المهم أن العمة بيسي أنجزت ما عقدت العزم عليه : فلم تكن حياتها هي التى يهمها امرها ولكن حياته هو . لقد اشترت له سنة أخرى . ■■

ترجمة
أمين فارس ملحس
الأردن

السينما لا تؤذى العين

● هكـــذا يقول استاذ طب العيون ، الاستاذ موريس كبْلان Morris Kaplan ، بجامعـة كولورادو . وكذلك التلفاز ، فهو لا يؤذى العيون . وعنـده انهما على النقيض تمرين للعين مفيد .

تجارب خطيرة هامة لخلق أعصاب معدنية !

● سبق ان ذكرنا محاولة الروس احـلال اعصاب من معدن محل اعصاب الجسم التالفة . وزيادة فى التفصيل نقول : ان الاستاذ بوريس اجنف Boris Ognef والدكتور ولادمير جودف Wladmir Goudov يعتقدان ان فى الامكان ، فى القريب ، احلال عصب من معدن محل عصب العين ، وأعصاب اخرى في الجسم .

ان تجاربهما فى ازديـــاد ، وهمـــا سينشران ما وجـــدا مـن ذلك : سيصفـــان ما صنعا بالكلاب ، اذ احـلا المعـدن محـــل العصب في أعصاب الأوتار الصوتية لكلب ،وصوّت الكلب ونبح كما كان يفعل ، ولم تتغير نغمات النباح . كذلك هما احلا عصب النسا فى كلب آخر ، كان ينط ويقفز من بعد ذلك كما كان يفعل أولا .

وهذه الأسلاك المعدنية تتخذ من معـــدن البلاتين او من التنتال ، وهى رفيعة جدا بحيث لا تكاد تراها عدسة الجيب .

واغرب مـــن ذلك ان الروس فى سبيلهم الى صنع الخلية العصبية Neurones ، وذلك من المعدن . قام بذلك جماعة من العلماء فى فلنا Vilna بلتوانيا ، وركبوا خلية معدنيـــة تولد نبضات كالتى تصنعها الخلية الطبيعية فى الجسم الحى.

هل يمكن إنزال الكواكب إلى الأرض

● هذا راى ابداه العالم الصينى الكبير ، الدكتور سو . شو . هوانج Su-Cgu Huag بأمريكا . انه يقول انه فى الامكان ان يَرشق الانسان ، لا كوكبا من الكواكب المعروفة التى تدور حول الشمس، ولكن كوَيكبا من الكويكبات الصغيرة التى يدور اغلبهـا حول الشمس ايضا ، ما بين كوكب المريخ وكوكب المشترى ، وان يرشقهـا بصاروخ ، ثم هو يأمر الصاروخ من الأرض بالانطلاق ، بحيث يخـرج الكويكب عن مداره ويتجه الى الأرض.

والغرض ؟

معرفة من اى شيء هو مصنوع . وهذا امر خطير فى كشف تراكيب الكون.

وهل يهز نزول هذا الكويكب الأرض؟

لا . فهذه الكويكبات فيها الصغير ، وفيها الكبير .اكبرها قطره ٤٨٠ ميلا.

سرطان المخ
يعالج بالذرة ..

● تصيب الاورام الخبيثة المخ ، ثم لا يكون هناك علاج محتمل الا ان تفتح الجمجمة ويقتطع من المخ الجزء المصاب منه . ولكن تبقى عند حواف القطع بقايا قليلة من خلايا سرطانية لا تلبث أن تصبح مصادر لسرطانات جديدة ، واذن لا بد من القضاء عليها من بعد الجراحة . ويقضى عليها بتسليط شعاع من النيوترونات الناتجة من انحلال نواة الذرة على هذه البقايا من الخلايا السرطانية .

وفى الصورة تجد القائم على هذا العلاج ينظر من خلال نافذة يراقب التجربة فى الحجرة المجاورة ، وبها المريض وحده ، وقد سلط على مخه شعاع يأتى من نافذة بسقف حجرته ، من مفاعل ذرى فى الحجرة التى فوق .

ولزيادة التفصيل تقول ان المريض يحقن بحقنة بها العنصر المعروف ، عنصر البورون . فهذا العنصر يجرى فى الدم ولكنه لا يستقر فى خلايا الانسجة السليمة ، بل يتركز مركبه فى الخلايا السرطانية وحدها . فاذا هو تلقى الشعاع النيوتروني ، انحل البورون واعطى اشعة من الأشعة المعروفة بالفا . وهذه الأشعة الألفوية بها من القوة ٤و٢ مليون فلت الكتروني ، فهي جديرة بقتل الخلايا السرطانية . ولكن هذه الأشعة الألفية مسارها عن انبعاثها قصير لا يتعدى جزءا من ٤ ملايين من البوصة (الانش) ، واذن فاثرها القاتل لا يتعدى الخلايا السرطانية التى تركز فيها البورون الى خلايا المخ الحية .

وفيها ذو المائة ميل قطرا . وللعلماء أن يختاروا . ويختاروا بالطبع الكويكب المناسب ، قطرا ، وبعدا .

ولكن عالما آخر ، أكثر عنفا ، هو الخبير الأمريكي دنبروج كول Danbridge Cole يرى أن يختار من هذه الكويكبات كوكبا بحجم الروس مثلا ، ثم هو ينزله عليهم ليقضى على تلك البلاد بأسرها !!

أحلام ؟!

الطبخ بلا نـار !!

● كل يوم للعلم عجيبة ، وعجيبة اليوم ان اللحم والخضار وسائر الأطعمة يمكن طبخها بلا نار . وانما هي تضغط ضغطا هائلا ، فتخرج من تحت الضغط مطبوخة باردة .

والمِضغطة التي يجرى فيها الطبخ مصنوعة بحيث تنتج من الضغط ما بين ٦٠٠٠ و ١٠٠٠٠ ضغط ، من ضغط الهواء الجوى ، الذى هو نحو كيلوجرام على السنتي متر المربع .

قام باعلان هذا في اكديمية العلوم القومية بوشنجطن الاستاذ الدكتور ويلارد لبى Willard Libby ، أستاذ الكيمياء ، وحائز جائزة نوبل لعام ١٩٦١ .

وباستخدام ضغط دون العشرة الآلاف من الضغوط الجوية أمكن طبخ البطاطس والجزر ، على البارد ، وذلك في ساعة واحدة . اما اللحم والبيض فاستغرق طبخه عشر دقائق فقط .

والطّعم ؟

كان طعم هـذه المطبوخات كطعم المطبوخات العادية تماما .

وأجريت تجارب على مواد كالمطاط واللدائن ، فانفجرت عندما بلغ الضغط ٢٠٠٠٠ ضغط جوى ، وانحلت الـى عناصرهـا وبعض المركبات البسـيطة نتيجة تحطمها .

ويقدر الأستاذ لبي انه ، عند ضغط ١٠٠٠٠٠ ضغط جوى تتحول اكثر العناصر والمركبات الى معادن (فلزات) . وتتحول عند ذلك المركبات الى مركبات اخرى ، في جزء من ألف من الثانية فما دون ذلك ، الى مركبات اخرى مغايرة لها ، وذلك بعد خروجها من الدور المعدنى (الفلزى) .

بين الروس والأمريكان

● أن بحوث الذرة تعتمد على أجهزة تعجّل من سرعة حبات النواة الذرية مثل النترون والبروتون ، تعجيـلا كبـيرا ، ينتهي باصطدام هـذه القذائف السريعة بالذرات فتغتتها ، ويدرّس الفتات .

وقد اتفقت أمريكا وروسيا في مشروع اقامة جهاز « معجّل » هائل تصنعه الدولتان معا . ويقام هـذا الجهاز بالنمسـا . أما كلفته فتبلغ نحـو ٣٥٠ مليـون جنيـه استرليني . أما قـوته فمخيفة . انهـا تبلـغ ما بين ٣٠٠ الى ١٠٠٠ مليون فلط الكترونى .

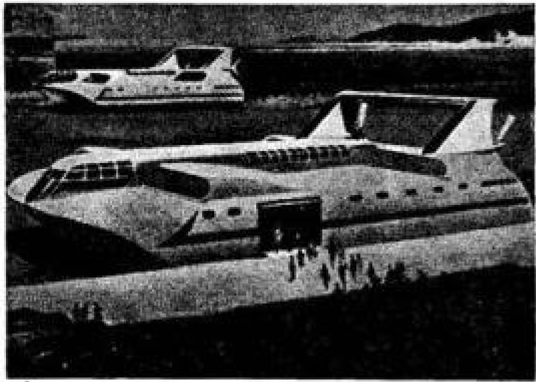

الحوامة تزداد اهميتها ..

● انها السيارة التي تسير فـوق الارض ، ولكـن لا على عجل ، وانما على طبقة من الهواء هي تصنعها (راجـع « العربى » العدد التاسع) ويسميهـا الانجليز هوفر كرفت Hover Craft ، وترجمتها بالحوامة اقرب شيء .

فهذه الحوامة تزداد اهميتها وتتقدم صناعتها عاما بعد عـام . لا سيما في انجلترا وامريكا . يغيرون شكلهـا ، ويحسنون تصميمها ويزيدون حجمهـا . والمقدّر ان تظهر بين الناس حول عـام ١٩٦٥ . وهذه صورة ايضاحية لحوامة امريكية ، تسير على ماء البحيرات ، وتراها وقد هدف اليها ركابها استعدادا للرحيل.

أقمار للرصد الجوى

● هكذا ارسل العلماء اقمارهم الصناعية حول الارض . ارسلها الروس وأرسلها الامريكان. فلما نجحوا جميعا فى ارسالهـا ، نظروا فى فوائدها . فوائدها فى السلم ، فكان من أول هذه الفوائد الرصد . أقمار تدور حول الارض فترسم ما دونها من حركة سحب ، وسرعة رياح . وهى تلف الارض فى ساعة وبعض ساعة ، فتأتى من الرسومات ، فى الأجواء الأرضية التى تمر بها ، بالصور الكثيرة .

وبهذه الصور تتغذى مراكز للارصاد الجوية ، يكون فيها التحليل ، والتدبير ، والتنبؤ بما يكون من جو فى اى بقعة من بقاع الأرض .

ولكن برنامج كهذا لا بد أن يتعاون فيه سكان الأرض . وان يتعاون أولا تلك الامم التى عندها هذه التوابع ، هذه الاقمار : أمريكا وروسيا .

وقد التقى العلماء الروس بالعلماء الأمريكان ، وخططوا معا واتفقوا .

ان العلماء دائما يتفقون . يرون الشىء الواحد من الزاوية العلمية الواحدة .

ومن بعد اتفاق لا بد من عرض على الساسة .

فهل يعقل الساسة، أم تقوم دون ذلك عقبات.

ان الرصد عامل للسلام ، وللنفع العام . فلعلهم مهتدون .

انسان الغابة هل ينقرض ؟

● من أشبه القردة بالانسان ، القردة التى تسمى أورانج ــ أتانج، وهو اسم من مالاى ، معناه « انسان الغابة » .

ولهذه القردة مشكلة ،هى مشكلة الكثير من الحيوانات البرية التى أخذت تتناقص كلما غزا الانسان أرضا من أراضيها ، أو خلع الاشجار من غاباتها .

والذى أحيا هذا الموضوع اليوم ما نبهت اليه السيدة « هرسن » ، زوجة مدير متحف سرَواك ، فى الشمال الغربى من جزيرة بورنيو فى الجنوب الشرقى من آسيا .

تقول السيدة « هرسن » أن عدد هذه القردة الرائعة الخلق قد قل ، فى جزيرتى بورنيو وسومطرة ، اللتين هما موطن هذه القردة فى العالم ، قد قل حتى صار ما بين الفين الى ثلاثة آلاف . وذلك عدد الوحشى منها . أما الأليف الذى يسكن حدائق الحيوانات فى العالم فلا يزيد عدده عن ٢٤٨ قردا .

مذنب خرج على عادة سائر المذنبات

● ان المذنبات التى تسير فى المجموعة الشمسية ، تدور حول الشمس فى اتجاه هو عكس ما تدور به عقارب الساعة . وقد اكتشفوا حديثا مذنبا اسمه سكى Seki يدور حول الشمس فى عكس هذا الاتجاه الغالب ، اى يدور كما تدور عقارب الساعة . لا بد فى كل شىء من استثناء .

الادروجين السائل وقود للصواريخ

● الغازان الشهيران فى حياتنا هما الاكسجين والازوت ، وهما الاصل فيما يتالف منه هواؤنا من غازات . والاكسجين ناخذه من الهواء انفاسا . والماء تجرى فيه تيارات كهربائية فيتحول اذ يتحلل الى غازين : الاكسجين والادروجين . وكل هذه معلومات بدائية يعرفها كل من مر بالتعليم الثانوى . وهذه الغازات يمكن بالضغط والتبريد تحويلها الى سوائل . واصعبها اسالة غاز الادروجين ، غاز الماء . وفى أوائل هذا القرن كانت اسالة الأدروجين شيئا عجيبا ، اذ بينا يسيل الماء وهو بخار عند درجة مائة ، ويتجمد الماء ، عند درجة صفر مئوية ، اذا بالأدروجين لا يسيل الا عند درجة ٢٥٢ تحت الصفر! اما اليوم فسائل الأدروجين يصنع بالأطنان . انه وقود للصواريخ، ممزوجا بالاكسجين ، قوى جدا . وفى الصورة صهريج على عجل ، صنع خصيصا ليملأ بسائل الأدروجين ويظل فيه السائل على درجته الواطئة .

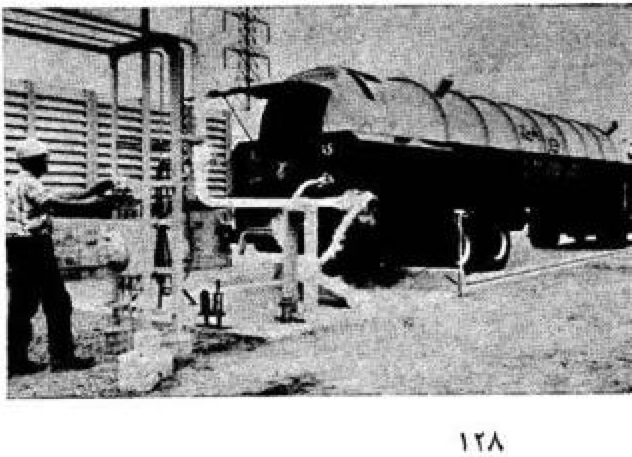

طبيب الأُسرَة

الامعاء عندما تلتهب

ـ يأتيني اسهال ، يأتى بعده امساك ، والامساك اطول . وقد قال لي الطبيب ان الذى عندى التهاب فى القولون ، فهل تتكرمون بزيادة ايضاح لهذا المرض ؟

● بالجسم امعاء وامعاء . اما الأولى فرفيعة وتسمى بالامعاء الدقاق ، ويخرج اليها الطعام من المعدة عن طريق الأنبوب المعروف بالأثنى عشري . وفى الامعاء الدقاق يحدث الهضم . ثم تدخل الأطعمة الى امعاء اغلظ ، تعرف بالامعاء الغلاظ . تبدأ فى يمين الجسم بالصعود ، ثم تسير أفقيا الى يسار الجسم ، ثم تنثني الى أسفل الى المستقيم فالاست . وتسمى هذه الأجزاء الثلاثة من الامعاء الغلاظ بالقولونات ، القولون Colon الصاعد ، والقولون المستعرض ، والقولون النازل ، اى الى المستقيم فالخروج من الجسم .

وهذا الالتهاب الذى نذكر صنوف : أشهرها وأكثرها حدوثا الالتهاب المخاطى . انه التهاب الطبقة المخاطية ، طبقة الامعاء الغلاظ الداخلة ، والقليل المتوسط من هذا الالتهاب يسبب لصاحبه سوء ارتياح فى البطن يستمر ساعات يصحبه اسهال . وبين هذه النوبات يميل المريض الى الامساك . وقد يشتد هذا الصنف من المرض حتى يخرج مع البراز مقدار كبير من المخاط . ولكن لا يصحبه ابدا دم . وعلاج هذا ، الراحة والطمأنينة والطعام الخاص ، مع الامتناع عن المسهلات .

اما النوع الثاني : من التهاب القولون : فهو النوع الذى تصحبه القروح ، وهو مرض أكثر خطورة . وهو يدوم طويلا ، وعلاجه اعسر . ونوباته يصحبها الم في البطن كبير ، واسهال مع دم ، ونقصان فى وزن الجسم . وهو مرض يصح ثم يعود . وعلاجه عند الطبيب .

اظافر رجلى اصفرت

ـ منذ سنتين اخذت اظافر رجلى فى الاصفرار من اطرافها ، وهى قد زاد سمكها ، والطبقة التحتانية من هذه الاطراف تتفتت عند القص كالتراب . فهل من طريقة لاصلاح هذا الحال ؟

● الظاهر ان الذى تصف نتيجة لعدوى اصابت اصابع رجلك من تلك الكائنات الحية الصغيرة المعروفة بالفطر . وهو فطر مرضى لا شك فى

هذا . وهي عدوى معروفة عند كثير من الناس ، وهي ثقيلة ورذيلة وتعكر المزاج ، ولكنها ليست مرعبة . ويستطيع طبيب الجلد ان يكحت ظفرك ويأخذ منه عينة للفحص ، ثم النظر تحت المكرسكوب ، وابتداع علاج لذلك . الا انى آسف ان اقول ان التجربة دلت على ان هذا السوء لا يلبث من بعد علاج ان يعود . على كل حال اعرض نفسك على طبيب للجلد وانظر ماذا يقول .

ورم فى الرحم

ـ انا امراة عمري ٤٠ سنة ، وعندي ورم متليف فى الرحم ، وقد نصحوني للتخلص منه باجراء جراحة ولكن قال لي آخرون ان امثال هذه الاورام فى الخبيثة تضيع ببلوغي سن الياس ؟

● ان هذه الأورام تتخذ أشكالا عدة ، وقد تتألف من ألياف ، او انسجة عضلية او غددية . وقد تتألف من هذه الثلاثة جميعها . وهذه الأورام Fibroids تحدث فى كل سن ، ولكنها فى الأغلب تحدث قرب بلوغ المرأة سن اليأس . وهي أورام تختلف حجما ، ما بين حجم البلية التي يلعب بها الأطفال ، ورأس الطفل . واذا هي نشأت داخل الرحم دل عليها غالبا نزيف دموي قد يشتد . واذا هي نشأت ناحية سطح الرحم الخارجي كان أول علاماتها تضخم ظاهر ، قد يظن الناظر اليه انه الحمل قد وقع .

والجراحة الباكرة هي أحسن علاج . فاذا تعذرت الجراحة لجأ الأطباء الى الأشعة السينية وطرائق اخرى تخفف منها فى حالات خاصة .

ومن النساء من قد سمعن من صديقاتهن ان هذه الأورام تصغر كلما اقول ان التجربة دلت على ان هذا السوء تلاشي ، وهذا قد يحصل ، ولكن فى فترة الانتظار قد يحدث ما لا يحمد . ومما لا يحمد أن يتحول الورم غير الخبيث الى ورم خبيث ، الى سرطان .

الدوالى ؟

ـ اصابني تضخم الاوردة برجليالاثنتين ، واجرى لي الجراحون عمليتين لازالتهما . فهل يمكن اعادة هذهالجراحة مرة اخرى على الرجل الواحدة او الرجلين . انا لا ازالشابة ، عمري خمس وعشرون . ثم ما اسباب تضخم هذه الأوردة ، وهلهي تقع فى مواضع من الجسم اخرى ؟

● ان الداء الذى تصفين هو المعروف بالعربية بالدوالى Varicose veins ، وهو داء تتغير فيه الأوردة تغيرا ، فتمدد تمددا دائما ، وتتطاول وتتلوى . واوردة الجسم كلها يمكن ان تتمدد هكذا ، ولكن الأغلب ان توجد هذه الأوردة المتمددة في الأرجل وفى المستقيم ، وكذلك في الحبل المنوى .

اما سبب التمدد فضعف جوهرى فى حائط الأوردة . وبالأوردة صمامات تمنع الدم الجاري فيها أن يرتدالىالوراء . فهذه الصمامات فى هذا المرض تكون قليلة العدد ، صغيرة الحجم غير كافية فى أداء عملها . اما السبب الأول المباشر فازدياد الضغط الدموى فى الأوردة ، سببه مرض فى القلب أو فى الرئة أو فى الكبد ، يكون من جرائه زيادة الضغط الوريدى . ومن الأسباب رحم به ولد . ومن الأسباب استخدام روابط ترفع الجوارب ضيقة تخنق الرجل فيتعثر فيها الدم . ومن الأسباب الوقوف الطويل والمشي الطويل .

وهذه الدوالى ترى فى الرجل عند بدء تكوينها ، وتلمس . ويشعر صاحبها

السمك ، طازج ومحفوظ

ـ انا فى جهة من الصحراء لا نحصل فيها على الطعام الا فى الصفيح . وانا احب من هذه الأطعمه السمك المحفوظ فى العلب ، بغير زيت . ولا اقصد السردين وما اشبه . ولكن قيل لي ان السمك الطازج اكثر تغذية ؟

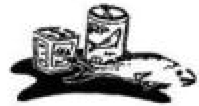

● التغذيتان لا يكاد يوجد فرق بينهما . ومادة السمك الأصيلة من البروتين،الذى هو مادة اللحم عامة. ونعم ان بالسمك أصولا أخرى كالفيتامينات ، وهذه يضيع منها بعضها فى التعليب . ولكن كذلك هي تضيع عند الطبخ .

كل السمك معلبا ، وغير معلب . في بدو وفى حضر ، واحمد الله .

بالكثير من الالم ، وبثقل فى الوزن وفي الأطراف بعد وقفة أو مشية طويلة . ويخف الألم عندما يرفع المريض رجليه وهو قاعد أو راقد .

والعلاج : يختلف . فمنه عمل اى شيء يخفف الضغط على الرجل . ومنه عدم الوقوف والمشي الطويل . ومنه رباط من مطاط يلف على الرجل ، يلبس عند الخروج من الفراش صباحا ، وينزع عند النوم مساء . ولكن اذا جد الجد حقن الطبيب الأوردة المريضة بمادة تجبن الدم الذى فيها وتحول الوريد الى حبل متليف . او يقوم الجراح في الحالة القصوى باستئصال الأوردة . والجراحة هنا اختصاص .

٦٩ طفلا ، والأم واحدة

ـ نسمع ان من النساء من ولدت أعدادا كبيرة من الأولاد ، أعدادا تكاد تكون خيالية . فارجو معرفة الصحيح من الزائف مما نسمع فى هذا الصدد ؟

● ان الجسم الانسانى ، جسم الأنثى السليم ، على استعداد نظريا لأن ينتج مرة واحدة فى السنة ، وذلك من سن ١٥ الى سن ٤٥ . ولكن يراعى ان الخصوبة ما بين سن ١٥ الى سن ١٨ تضعف . وكذلك هى تضعف بين سن الأربعين وسن الخامسة والأربعين . كل هذا بصفة عامة .

ولكن يجب أن لا ننسى ان المراة فى النتاج السنوى الواحد قد تنتج التوأمين والتوائم ٣ و ٤ و ٥، وهذا يزيد فى منتوجها فى العمر كله .

والسجلات تدل على ان أكثر النساء انتاجا ، كانت امراة روسية ماتت عام ١٨٧٢ . وهى انتجت التوأمين ، والثلاثة والأربعة . وبلغ عدد من انجبتهم فى حياتها ٦٩ طفلا .

النشوق ، هل يؤذى ؟

ـ هل النشوق ، يتعاطاه المرء استنشاقا ، يضر بالانف ؟

● النشوق مادة جافة أساسها طحين الطباق اى الدخان . وهى مادة تهيج الاغشية المبطنة للأنف تهييجا شبيها بتهيجها فى امراض الحساسية . ومعنى هذا أن مقدار التأثر داخل الأنف بالنشوق يتوقف على حساسية الرجل ، فهو اما لا يتأثر به ابدا ، او هو يحس فى انفه بتصلب . وكذلك يَرشح الانف .

« لورنس والعرب »
و
« رسائل إلى لورنس »

بقلم

الدكتور محمود السمره

■ أترى سيبقى تى. اى. لورنس ذلك اللغز المحير مهما كتب عنه الدارسون ؟

ان لورنس هو أكثر شخصية ، من شخصيات الحرب العالمية الأولى ، تناولتها أقلام الكتاب ، وهو دون شك أكثر هذه الشخصيات رومانطيكية . والكتب الغربية التى تناولته كثيرة ، وقد سبق أن عرضنا لها فى مقال سابق فى « العربى ». والذى يدعونا الى معاودة تناوله مرة ثانية ظهور كتابين جديدين جديرين بأن يفحصا ، فلعل فيهما الجديد الذى يبدد الغموض الذى ما زال يغلف شخصية لورنس : واحد هذين الكتابين هو « لورنس والعرب ـ وجهة نظر عربية » للاستاذ سليمان موسى (١٩٦٢) وثانيهما هو : « رسائل الى تى . اى. لورنس » (١٩٦٢) (١) .

وجهة نظر عربية

وكتاب الاستاذ موسى منفرد بين الكتب التى تناولت لورنس ، فلأول مرة نجد من يدرس لورنس من وجهة نظر عربية ، وهو لا نظير له فى اللغة العربية ، فى موضوعه ، اذ لم يسبق أن كتب عن لورنس مؤلف مستقل . وهو الى هذا يتميز بالاستقصاء والجد فى البحث .

والمحور الذى يدور حوله هذا الكتاب هو اثبات خطأ الكتاب الغربيين الذين ظنوا أن لورنس هو صانع الثورة العربية ، وأنه هو الذى قاد العرب حتى دخل بهم دمشق فاتحا ، ثم التأكيد على أن الثورة العربية كانت عربية روحا ودما ، وأن العرب هم الذين وجهوها ، وأن لورنس لم يكن سوى ضابط من الضباط . وطريقته فى اثبات هذا هى اثبات كذب لورنس ، ولهذا تراه يتتبع لورنس فى «أعمدة الحكمة السبعة» ، ويبين ما فى أقواله من تناقض وكذب . ولقد وفق الاستاذ موسى فى هذا الى حد كبير ، وان كان الدنجتون Aldington قد قام باستقصاء مماثل من قبل ، فأثبت بإسهاب أن تناقض من كتبوا عن لورنس فى رواية الحادثة الواحدة مرده الى لورنس نفسه ، فهو الذى زودهم بها . وأثبت الدنجتون أيضا أن ما شاع قبل وفاة لورنس من أنه كان على وشك السفر الى ألمانيا للاجتماع بهتلر ، لم يكن له أساس من الصحة ، وأن القصة كلها من اختراع لورنس . (توفى الدنجتون هذا العام بمدينة بوسط فرنسا عن ٧٠ عاما) .

ان القول أن لورنس كان يكذب صحيح دون

(١) Letters to T. E. Lawrance, edited by A. W. Lawrence .

شك ، ولكنه كان يلفق احيانا قصصا تحط من قدره ولا ترفعه ، عن قصد ، فلم يكن يكذب دوما ليرفع من قدر نفسه . واما القول أن « اعمدة الحكمة السبعة » ليس الا مجموعة من الاكاذيب ، فهذه مقالاة لا يقرها منصف .

ويتميز كتاب الأستاذ سليمان موسى ، عن كل ما كُتب عن لورنس ، باستعمال المؤلف للمصادر العربية ، ثم باتصاله بالرجال الأحياء ممن عرفوا لورنس ولعبوا دورا فى الثورة العربية .

لورنس والعرب

وقد حاول المؤلف فى هذه الدراسة أن يجيب عن سؤال يقفز الى الذهن كلما تصدى دارس لتناول لورنس ، وهو : هل كان لورنس مخلصا للعرب ؟ وجوابه : هو أنه كان انجليزيا قلبا وقالبا ، ولم تكن تهمه مصلحة العرب الا بقدر ما تحققه من مصلحة لبلاده . وقد أثبت هذا باقوال للورنس نفسه تدينه ، وبتصرفاته بعد الحرب العالمية الأولى ، وبشهادة رجالات العرب الذين عملوا الى جانبه : فمن اقوال لورنس التى تدينه ما جاء فى مقالة « تطور ثورة » ، وهى احدى مقالات كتابه « مجموعة مقالات شرقية » ، (١٩٣٩) : « ... اننى اكثر ما اكون فخرا أن الدم الانجليزى لم يسفك فى المعارك الثلاثين التى خضتها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوى فى نظرى موت انجليزى واحد » !! وقال أيضا : « .. لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادى أن مساعدتهم كانت ضرورية لانتصارنا القليل الثمن فى الشرق ، ولاعتقادى أن كسبنا للحرب مع الحنث بوعودنا افضل من عدم الانتصار .. »

وتصرفات لورنس بعد انتهاء الحرب تدينه أيضا ، فقد علق على مؤتمر القاهرة (١٩٢١) الذى عقده تشرشل وشارك فيه لورنس نفسه « بأن التسوية التى وضعها تشرشل والتى شاركتُ فيها تفى بصورة مشرفة بجميع الوعود التى قطعناها للعرب ، فيما يتعلق بالمناطق التى تخص بريطانيا !! » وهذه التسوية التى يعبر عن سروره البالغ بها تقر تقطيع أوصال الوطن العربى ، وانتزاع جزء منه من اهله وتسليمه لأناس غرباء ! وهذا عمل لا يمكن أن يرضى عنه صديق للعرب ، مخلص لهم .

ومن العرب الذين عملوا فى الحركة العربية وعرفوا لورنس مَن شكّ فى صدق نياته نحو العرب ، ومنهم السياسى العربى عونى عبدالهادى الذى كان سكرتيرا للأمير فيصل ، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذى نشر عنه سلسلة مقالات فى مجلة « المقتطف » فكان مما قاله فيه : « ولو سألت مائة ممن جاهدوا فى الثورة العربية ورأوا لورنس فى ميدان الحرب وفى ساحة السلم لقال تسعة وتسعون منهم انه غير مخلص الا لأمته . » (المقتطف ـ يناير ١٩٣١ صفحة ٢٧٦) .

لورنس والصهيونية

وذهب آخرون الى القول أن لورنس لم يكن فقط غير مخلص للعرب ، بل كان مؤيدا للصهيونية ، ويستشهد المؤلف هنا بمقتطفات من رسالة خاصة كتبها عونى عبد الهادى جاء فيها « ... على أنه كان انجليزيا أولا وقبل كل شىء ، وكان دائما يسعى

لخدمة المصالح البريطانية . والحقيقة انه في هذا المجال كان يتبع سياستين متناقضتين : احداهما كانت في الميل للعرب ـ عندما يشعر أن الانجليز بحاجة للعرب ـ والاخرى كانت دون شك سياسة الميل مع اليهود والصهيونية .. »

ويستشهد الاستاذ سليمان موسى أيضا بما ورد في كتاب وايزمن « التجربة والخطأ » ، حيث يدعي وايزمن أن لورنس ساعد الصهيونية مساعدات جلّى .

هل هذه حجج قاطعة ؟

والذي نحب أن نقوله في هذه القضية هو ان من وسائل اليهود في الدعاية لقضيتهم هي أن يدعوا ان شخصيات مرموقة قد قدمت لهم العون وعطفت على حركتهم . كما أن الاعتماد على مصدر واحد دليل اتهام ناقص يعوزه الاثبات القاطع .

والذي لا شك فيه أن الباحث يستطيع أن يرد على كل ما جاء في هذه الحجج بحجج مناقضة لها ، وهي بمجموعها صورة لشخصية لورنس البالغة التعقيد والتناقض .

ملاحظات عابرة

وفي رأينا انه لا ينقص من قيمة هذا الكتاب ان نشير الى ان البحث العلمي الموضوعي يحتاج الى أسلوب بعيد عن الخطابة ، ومحاولة التأثير العاطفي . ومن أسس البحث العلمي ايضا تجنب الاحكام القاطعة دون دليل ، وتجنب الكلمات القاسية مهما كانت المبررات ، ثم التواضع وعدم اصدار الاحكام من عل . يقول المؤلف : «والحقيقة ان الذي يقرا كتاب ناتنج Nutting يصاب بخيبة امل لكثرة ما فيه من الاخطاء (اين هي ؟) مما يدل على انه كتبه بسرعة ولم يبذل جهدا لتمحيص الحقائق (الدليل ؟) . وكنا ننتظر أن يكون ناتنج اوسع أفقا من سواه (لماذا ؟ وما دليلنا انه ليس واسع الافق ؟) ... » (صفحة ٢٨٤). ويقول عند تحدثه عن مسرحية « روس » لراتيغان : « وفكرة هذه المسرحية من السخف بحيث لا يوجد اى مبرر لمناقشتها ! (صفحة ٢٨٤) . ويقول أيضا : « ... ويبلغ من مغالاة ـ او جهل ـ بعض المؤلفين الغربيين انهم اعتبروه (يعني كتاب «اعمدة الحكمة السبعة») تاريخ الثورة ، ولكنه في الواقع تاريخ لورنس في الثورة » !! ... الخ .

وقد وقفت في صفحة ٢٤٨ عند قول الأستاذ سليمان موسى«اللورد كرزون ذو الآراء الاستعمارية القديمة » ، ولكن اللورد كرزون جدير بتقديرنا نحن العرب ، فهو الذي وقف زمنا ضد اعطاء اليهود وعد بلفور ، ولم يستطع اليهود الحصول على ذاك الوعد الا بعد خروجه من الوزارة . وقد عبر اليهود عن كراهيتهم له بكتب عنه تجرّحه ، كان آخرها كتاب عنه بقلم « ليونارد موزلي » .

واخيرا لا بد من وقفة عند بعض الاسماء الافرنجية الواردة في الكتاب : فالعالم الاثري اسمه «هوجارث» وهو في الكتاب كله «هوجارت». و « الينبي » ، لماذا يكتب هكذا « اللنبي » ، وان جرى الكتاب العرب على كتابته على هذه الصورة؟ ان الحرف المكرر بالعربية تدل عليه الشدة ،وليس تكرار الحرف ، اضف الى هذا ان تكرار الحرف في الكلمة الانجليزية Allenby ليس له اية دلالة لفظية ، فهو لا ينطق فيها مشددا ..

رسائل الى تي . أي . لورنس

وفي كتاب « رسائل الى تي . اي . لورنس » حاول شقيق لورنس الذي هو استاذ في جامعة اكسفورد ، ان يرد على الناقدين . وهذه المجموعة من الرسائل أرسلها سبعة وثلاثون من اعلام الادب والفن والسياسة للورنس ، وكلها تعبر عن حب وتقدير عميقين ، وصداقة وطيدة ، ودعوة ملحة له أن يأتي لقضاء بضعة ايام ، ومن هؤلاء الاعلام : برنارد شو ، وتشرشل ،وبلنت Blunt وجرترود بل ، وبلفور ، وجوزيف كونراد ،ونويل كوارد Noel Coward، واي. ام. فورستر Forster ،وروبرت بريدجز Bridges وروبرت جريفز Graves والرحالة الشهير دوتي Daughty ، واتش . جي . ويلز ، واللورد ترينكارد Trenchard وازراباوند Ezra Pound، وكبلنج Kipling ....

صفة هذه الرسائل

والذى نلاحظه فى هذه الرسائل هو انها كتبت كلها بعد الحرب العالمية الاولى،باستثناء رسالتين: واحدة من الرحالة دوتى ، والثانية من فليكـــر Flecker وهذا يعنى ان هذه الرسائل لا تلقى ضوءا جديدا على اهم فترة فى حياة لورنس وهى دوره فى الحرب مع العرب ، هذا الدور الذى لولاه لما اشتهر لورنس هذه الشهرة . والامر الثانى الذى نلاحظه على هذه الرسائل هو أن الكثرة الساحقة منها تدور حول موضوعات ادبية فهناك اكثر من ثلاثين رسالة تتناول كتاب «اعمدة الحكمة السبعة » ، واكثر من اثنتى عشرة رسالة عن كتابه « دار سك النقود The Mint » والأمر الثالث فى هذه الرسائل هو انها كلها من رجال سوى رسالتين : احداهما من جرترود بل والثانية من والدته .. فهل فى هذه الظاهرة ما يؤكد رأى القائلين بشذوذه الجنسى ؟!

وكنا نود لو ان ردود لورنس على هذه الرسائل، أو رسائله التى اوحت بهذه الردود ، نشرت ايضا، لتكون الصورة اكمل . وهذا الكتاب يكمل كتابا نشر من قبل هو « مختارات من رسائل تى. اى . لورنس » (٢) ، فهما اذا قرئا معا خرج المـــرء بصورة اوضح عن لورنس ، وهو يَكْمُلُ كتابا آخر بعنوان « لورنس بقلم أصدقائه » (٣) .نشر بعد مصرع لورنس ، وهذا ليس الا كلمات رثاء ، لا تفيد الباحث كثيرا .

خطا تاريخى

وفى هذا الكتاب خطا تاريخى لا بد من الاشـــارة اليه ، فقد جاء فى ملاحظة لبروفسور لورنس ناشر هذه الرسائل بان سير مارك سايكس Sykes قد مات منتحرا ، والمشهور الثابت انه قد مات بمرض الانفلونزا .

الجديد فى هذه الرسائل

والجديد الذى تضيفه هذه الرسائل هو انهـا تثبت بالدليل القاطع ان لورنس لم يكن الانسان التافه ، كما حاول ان يصوره بعض الكتاب ، اذ ليس من المعقول أن يصل انسان تافه الى درجة ان يكون صديقا لامثال هؤلاء المشاهير . والامـــر الثانى الذى تثبته هذه الرسائل هو ان لورنس كان مخلصا لاصدقائه، فموقفه من الرحالة الشهير دوتى موقف نبيل : فبينما كان الرحالة العجوز مؤلف « رحلات فى الصحراء العربية » يقبع فى بلدة « ايستبورن » على الساحل الجنوبي من انجلترة ، فقيرا بائسا منسيا ، نرى لورنس يهب لنصرته ، فيسعى لدى المسؤولين ليخصصوا له مرتبا ، ويتصل بالمتحف البريطاني ليبيعه بعض مخطوطاته، ويعقد صفقات مربحة مع دور النشر لاعادة نشر كتبه .

مسابقة طريفة

ولعل من الطريف ان نشير هنا انه على أثـر صدور هذا الكتاب ، عقدت جريدة « الاوبزرفر » الانجليزية الشهيرة مسابقة حول : ماذا كان يمكن ان يفعل لورنس لو لم يمت عام ١٩٣٥ ؟ ، وقد جاء فى جواب من فاز بالجائزة الأولى انه كان سيعين مندوبا ساميا لفلسطين ، ثم يقتله اليهود فى القدس قبل ان ينهى كتابه الجديد « خيانتنـــا للعرب » !!

★★★

هذا هو لورنس ، لغز محير يستعصى علـــى التحديد، تتارجحه بين العبقرية والجنون . ومهما اختلفنا فى تفسير بعض جوانب حياته ، فاننا لا نختلف فى أن ولاءه كان اولا لبلاده ، وانه كان شجاعا جلدا ، وانه كان قادرا على اكتساب صداقة وثقة الرجال البارزين ، وهو فوق هـذا كان مولعا بالكذب دون ان يشعر بالحرج ! ■■

محمود السمرة

(٢) The Selected Letters of T. E. Lawrence edited by David Garnett - 1938 , reprinted 1952 - .

(٣) T. E. Lawrence by his Friends , edited by A. w. Lawrence - 1937 - .

من الكتب التي وصلتنا

الاسلام الصراط المستقيم

باشراف مورغان ـ ترجمة محمود عبد الله يعقوب ـ بغـداد

● كتاب يجمع بين دفتيه دراسات عميقة كتبها احد عشر عالما من اساطين العلماء في مختلف ارجاء العالم الاسلامي : من مصر الى الصين . كل منهم كتب في اختصاصه وبلغته ، ثم ترجم جميع ما كتبوه الى اللغة الانجليزية ، فبدا وحدة متكاملة.

محافظة اللاذقية

لجبرائيل سـعادة

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● كتاب في ستة اقسام هي : تاريخ محافظة اللاذقية وأماكنها الاثرية ، الجغرافيا الطبيعية ، الجغرافيا البشرية والسياسية ، الحيـــاة الاقتصادية ، الحيـــاة الثقافية ، السياحة والاصطياف .

الحرية وماساة التعبير لدى كتاب الجزائـر

لمالك حـداد

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● محاضرتان للكاتب الجزائري الشهير القاهما بدعوة من وزارة الثقافة بدمشق . وفي الكتاب النص الفرنسي للمحاضرتين مع ترجمتهما العربية.

رابندرانات طاغور في ذكراه المئوية

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● في هذا الكتيب : تحية لطـاغور ، طـاغور المعلم ، طاغور الفيلسوف ، طـاغور الشاعر ، طاغور الفنان والمسرحي ...

قصة الجـلاء عن سورية

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● كتاب في ثلاثة اقسام : لمحة تاريخية ، سورية سنة ١٩٤٥ ، ملحق الوثائق .

قصة الارض في سوريا

لمنير الشريف

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● « لقد كتبت هذا الكتاب عن قصة الارض في سورية ، واوضحت فيه عهد اليونان والرومانه وعهد العرب الزاهر ، وما فعلوه من الخـير والعدالة ، وعهود الشعوبيين والفرنسيين الذين جروا على البلاد كل انواع الرزايا » .

اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة

لعفيف بهنسي

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● « عرض شامل للنظريات والمدارس الفنية الحديثة منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى اليوم مـع دراسة موضحة لحياة واسلوب مشاهـير الفنانين التشكيليين في العالم » .

توبـــاز

لمارسيل بانيول

تعريب الدكتور ابراهيم الكيلاني

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● مسرحية هزلية ذات اربعة فصول للكاتب الفرنسي . وموضوع المسرحية هو اظهار تائـه المجتمع في الناس الشرفاء وانحدارهم الى مهاوي الرذيلة والفساد ، وذلك عندما تتوفر اسباب هذا السقوط .

الثوار مروا ببيتنا

لعادل أبوشنب

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● مجموعة اقاصيص ، منها : الثوار مـروا بيتنا ، اشياء ليس لها ثمن ، حشد من العيون ، دمشق القمة ... دمشق السفح ، ابتسامة صغيرة حزينـة ...

وداعا يا ظلي

لماري ستولز ـ ترجمة فؤاد موباني

المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر ـ بيروت

● قصة في ثلاثـة فصـول .

روضـة الـورد

لسعدي الشيرازي

تعريب محمد الفراتي

وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ بدمشق

● لقـد ضمن سـعدي « روضـة الورد ـ كلستان » حكايات طريفة ، ومفارقات ، وملحا شيقة ، وحكما ، وافكارا سديدة ، واشعارا فارسية وعربية ، فكان هذا الكتاب في فائدته وطلاوة سرده ، وغنى معانيه ، وحلاوة الفاظه ، روضة ممرعة بهية حافلة باشتات الزهر . وقد اصاب هذا الكتاب شهرة ادبية كبيرة بعد ان ترجم الى جل لغات العالم ، تؤهله لان يوضع مع اجمل ما انتجه الفكر الانساني ، وترجمة هذا الكتاب الى العربية عمل جليل ، ومجهود ضخم .

والكتاب بعد هذا مطبوع طبعا انيقا يعد مفخرة لفن الطباعة العربية .

تاريخ الضرائب العراقية

لعباس العزاوي ـ بغداد

● دراسة لتاريخ الضرائب العراقية من صدر الاسلام الى آخر العهد العثماني ، تتناول ضرائب الأموال التجارية ، وضرائب المنتوجات المحلية .

تاريخ العالم ـ الجزء الثالث

وليم لانجر

أشرف على الترجمة الدكتور مصطفى زيادة

نشر مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية

● هذا الجزء يحتوى على المرحلة الزمنية المعروفة باسم العصور الوسطى المتاخرة ، في الغرب والشرق ، وهى مرحلة متداخلة الحوادث بعضها في بعض ، وتبتدىء هنا باوروبا الغربية في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد ، وتنتهى بانتهاء العصور الوسطى .

وجهـا الحيـاة

لالبير كامو ـ ترجمة سامي الجندي

دار الطليعة ـ بيروت

● يضم هـذا الكتاب بعضا مـن مقالات كامو الرائعة ، ثم بعضا من قصصه القصيرة التى كان مستواه الفنى فيها ، كافضل ما بلغه الكاتب من مستوى .

الملكة الكادحة

لقاسم النطاط ـ القاهرة

● قصة عراقية ذات احداث عجيبة .

زمـن الرعب

لانعام الجندى ـ دار الطليعة ـ بيروت

● رواية تعالج الأسباب العميقة التى تدفـع بجيلنا الى البعد عن الاهتمام الجدى بمصير امته .

السـلطان

لبرتراند رسل ـ ترجمة خيرى حماد

دار الطليعة ـ بيروت

● مؤلف هذا الكتاب غنى عن التعريف . وهذا الكتاب دراسة علمية وفلسفية عن السلطان، بمعناه الذى يجمـع بين القوة والجبروت ، والميل الى التحكم والسيطرة .

التلميـذ والدرس

لمالك حداد ـ ترجمة الدكتور سـامى الجندى

دار الطليعة ـ بيروت

● المؤلف هو احـد اعلام الكتاب العـرب في الجزائر ، وهذه الرواية كسائر كتابات مالك حداد، تدور حول قضية الجزائر التى لم ينقطع يوما عن التفكير فيها . وهى صورة تنضح بالمأساة ، وتنضح بالتجربة العميقة .

ضريبة التركات والمواريث

لعبد الرزاق الجزار ـ بغداد

● شروح وتعليقات ونصوص قانونية .

الاسلام والسياسة

للشيخ محمد حسن آل ياسين ،

مطبعة المـعارف ، بغـــداد

● كتاب صغير في فصلين ، يدور حول المعانى الاثرية والقانونية للسياسة .

نهـر الرمـاد

لخليل حاوى ـ دار الطليعة ـ بيروت

● طبعة ثالثة من هذا الديوان الذى فيـه : البحار والدرويش ، ليالى بيروت ، دعوى قديمة ، نعش السكارى ، جحيم بارد ، الجروح السود ، في جوف الحوت ...

لماذا نحن هنا ؟!

■ نحن محاربون فى الجيش الأمريكى ، نذرنا أنفسنا للدفاع عن بلادنا ، ولكننا الآن نعسكر فى المانيا ، ذلك لأن حكومتنا أفهمتنا انه بجانب استعدادنا للدفاع عن بلادنا ، فاننا يجب أيضا أن ندافع عن المبادىء التى نؤمن بها ، وهذه المبادىء تقضى علينا ان نكون مستعدين لتقديم أرواحنا فداء لبرلين ، وفرموزا ، ولاوس .. الخ .

ونحن ، كجنود فى الجيش الأمريكى نعسكر فى المانيا ، علينا واجب آخر أيضا ، ذلك هو اقامة صداقة بين شعبنا والشعب الالمانى ، وفى سبيل هذا الهدف علينا ان نحتمل دون تذمر ، الشتائم التى يطلقها علينا الأفراد الالمان اينما سرنا ، قائلين لنا : « عودوا الى بلادكم ، أيها الأمريكان ! »

نحن مستعدون لتحمل كل هذا لو كان الأمر مقصورا على الأفراد العاديين ، ولكنا قرأنا مؤخرا أن كبار رجال السياسة والمال فى برلين ، ناقشوا الوضع الحالى فى برلين ، وهم متحلقون حول المائدة يرشفون قهوتهم ، فقرروا أن الرئيس كنيدى رئيسنا ، يقول كثيرا ، ولا يعمل شيئا ..! وما دام الرئيس كنيدى هكذا ، فالأمريكان جميعهم على غراره ، فى نظرهم ، يتكلمون ولا يفعلون ، شأن الجبناء .

امام كل هذا لا يسعنا الا أن نوجه الى رئيسنا ، والى قائدنا ، السؤال التالى : خبرونا لماذا نحن هنا ؟ أليس من الأفضل لنا ، ان كان لنا كرامة ، أن نعود لبلادنا ؟! »

(تواقيع) : عن مجلة « نيوز ويك »

الكتب الجنسية : هل تفسد الاخلاق ؟

● كان موضوع الجنس فى الأدب من الموضوعات التى ناقشها مؤتمر الأدباء فى أدنبرة ، وقد أكد المتحدثون أن ذكر العلاقات الجنسية فى الكتب لا يضر اى قارىء ، كما تحدوا أن يأتيهم أحد بانسان يستطيع أن يثبت ان كتابا جنسيا معينا قد أفسد انسانا معينا . ولم يعترض أحد من المستمعين ، فكأن القضية مسلم بها .

واذا استعملنا هذا المنطق نفسه ، فاننا نقول : ليس هناك أيضا أى انسان يستطيع أن يثبت فى المحكمة أن كتابا معينا قد أصلح انسانا معينا .

وهذا المنطق فى نظرنا خطأ ، فكوننا لا نستطيع أن نثبت وقوع الافساد لا يعنى عدم وقوعه . هناك كثيرون قد أصلحتهم قراءة الكتاب المقدس ، ولكن اذا أردنا أن نثبت ذلك فى المحكمة كان ذلك عسيرا .. لماذا اذن لا نقر بأن الكتب الجنسية الفاضحة تفسد ، وان صعب علينا اثبات ذلك ؟!

جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون »

الفوضى ... والاستقرار

● ها هى ذى فرنسا تعود لطبيعتها ، فتقع فريسة للصراع الداخلى مما اضطر الجنرال الى حل الجمعية الوطنية . وقد قال احد المعلقين السياسيين : ان فرنسا ستعيش خلال هذه المدة حتى يوم الانتخابات القادمة ، وهى بلا حكومة تستطيع أن تضبط امورها ، وستكون الفوضى هى طابع هذه الفترة .

والشعب البريطانى يعز عليه ان تقع حليفته فى هذا المأزق ، ويتمنى لها الاستقرار والتقدم . ولكن هذا الوضع القائم فى فرنسا ، يمكن أن يفتح عيوننا على شيء نحاول احيانا ان نتجاهله : فهناك ناقدون لنظام الحكم فى بريطانيا ، يطالبون بان نتطلع الى أوروبا لتطويره ، ويدعون أن ذاك النوع من الحكم السائد فى أوروبا أكثر تقدما من نظام الحكم عندنا . لهؤلاء الناقدين نقول : أما زلتم عند رأيكم ؟ وهل حدث فى بريطانيا شيء شبيه بالذى يحدث فى فرنسا وغيرها من دول أوروبا ؟ وهل يتمتع اى مواطن فى أوروبا بالحقوق التى يتمتع بها المواطن البريطانى ؟

أسئلة نوردها ونعرف أن الأجوبة عنها واضحة، ولكنا نريد أن تكون واضحة ايضا لأولئك الناقدين.

جريدة « الصندى اكسبريس »

تحية للبابا يوحنا

● شهد شهر اكتوبر (تشرين الاول) الماضى الاحتفال بالعام الرابع لانتخاب الكردينال رونكالى ، بابا ، باسم البابا يوحنا الثالث والعشرين . وليس المهم هو الاحتفال بمرور هذه السنوات على انتخاب الكردينال رونكالى ، ولكن المهم هو ما ينطوى عليه انتخابه من معان .

ان هذا البابا الذى هو الآن فى سن الثمانين قد فعل ما لم يفعله أحد قبله من البابوات : فقد اجتمع بأسقف كنتربرى وتفاهما ، وأقدم ، خلافا لكل التقاليد ، على الفداء مع بستانيه ، وذهب وزار سجون روما .. وفوق كل هذا كان أول بابا ينزل من عليائه الكهنوتى فيسافر بالقطار ، كما يسافر الناس العاديون .

نحن لا نشك أن هناك ، بين رجال الدين ، من اذا خلوا الى انفسهم أخذوا ينتقدون تصرف البابا . والذى نود أن نقوله لهؤلاء هو : ليت نفحة من توقد ذهن البابا يوحنا الثالث والعشرين تصيبكم ، اذن لوجدت ارشاداتكم ونصائحكم اناسا يستمعون اليها ويؤمنون بها !

لقد أدرك البابا يوحنا الثالث والعشرون بفطنته أنه يعيش فى زمن متطور ، وأن أى انسان لا يتطور يتحجر ويندثر .. حتى رجال الدين يجب أن يتطوروا .. ولقد ضرب المثل بنفسه ، وبقى للآخرين أن يعوا هذا المثل .

جريدة « الغارديان »

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

خاطئة .. تتفلسف

● معذرة اذا صارحتكم سلفا ، انني لا اتوقع من وراء الكتابة اليكم خيرا ! اعرف أنكم رغم ما يبدو فى بعض كتاباتكم من تحرر وجراة ، ما تزالون ـ فى مثل مشكلتى على الاقل ـ عبيدا لما تسمونه العرف والتقاليد والأخلاق الفاضلة .. ومع ذلك قلت لنفسى ماذا يمنع ان أجرب ؟ !

انا شابة فى الثانية والعشرين ، باعنى أهلى بيع السلع ، لثرى عجوز ، دفع لابى مهرا ضخما سدد به ديونه ، واستعان بالباقى على أن يكمل اخوتى تعليمهم ، فتخرجوا ، واصبح منهم الطبيب والمهندس ، والضابط الطيار .. ومع انه قد مضى على زواجى اربع سنوات ، لم ارزق اطفالا .. وكيف ارزق اطفالا وانا ما زلت أذكر تلك الليلة الليلاء التى زففت فيها الى زوجى الذى له أحفاد فى مثل سنى.

ومنذ تلك اللحظة أصبحت أشغل وظيفة المرضة .. ومن سوء الحظ اننى كنت أجيد التمريض .. ومرت الايام والشهور كئيبة ثقيلة لا أثر فيها للحياة .. أفتراني اجرم اذا انا أقدمت على الخطيئة ، لاقضى حق الجسد والشباب والجمال ؟!

ستقول « نعم » ولا شك ! وستتحدث طبعا عن الفضيلة والشرف والأخلاق والمجتمع .. ولست أدرى لماذا لا تثور الفضيلة ويثور الشرف عندما يرتكب الخطيئة رجل ، لا امرأة ؟ ولماذا تحرمون علينا ما تحللونه لانفسكم يا معشر الرجال ؟ فكم من رجل ، متزوج او اعزب ، وله خليلة بل خليلات ، ومع ذلك لا يثور ضمير المجتمع يوما على واحد منهم ، كما يثور على المراة ، ولو مرة واحدة ؟!

بودى ، قبل أن تقطع برأى فى مشكلتى ، أو تحكم باداننى ، لو أنك قرأت « بوكاشيو » ، فى كتابه « ديكاميرون » ، وبالذات قصته التى عنوانها « الحب لا يعترف بالاجازات » .. ثم قل لى بعد ذلك ، ألست معذورة اذا ما رددت قول الخيام :

الكويت .. الأمم المتحدة .. الهلال الخصيب

● ١ ـ متى تأسست الاذاعة الكويتية ؟
٢ ـ ومتى صدر أول طابع كويتى ؟
٣ ـ وكم دولة فى الأمم المتحدة ؟
٤ ـ وما معنى « الهلال الخصيب » ؟

عبد العزيز بن محمد الشاهين ـ الاحساء

« العربى » : ١ ـ تأسست الاذاعة الكويتية عام ١٩٥١ .

٢ ـ صدر اول طابع كويتى فى ١٩٥٨/٢/١ .

٣ ـ عدد دول هيئة الامم المتحدة هو ١١٠ حتى هذا التاريخ الذى نجيب فيه على سؤالك .

٤ ـ « الهلال الخصيب » اسم لمجموعة الدول المتجمعة على شكل هلال مفتوح امام البحر الأبيض المتوسط ، وتشمل البلاد التالية :فلسطين ولبنان وسوريا والاردن والعراق .

وقد سميت « بالهلال » لأنها تكون شكل هلال ، ووصفت « بالخصيب » لخصوبة أرضها .

« الكرامة » .. كما يفهمهابعض الأزواج !!

● انا سيدة مثقفة ، متزوجة من ٤ سنوات ، موظفة ، وزوجي موظف كذلك ، ليس لنا اولاد . كانت عندنا خادمة انتهزت فرصة غيابي عن البيت ، فسرقت معظم ثيابي وهربت . وكان من عادة زوجي ان يخرج كل مساء الى المقهى ليجلس مع اصدقائه . فلما هربت الخادمة ولم نعثر على اخرى امينة ، كنت اقوم بأعمال البيت كلها عقب عودتي من عملي . ولما طلبت اليه ان يساعدني ولو بغسل الصحون في المطبخ وتلميع الأثاث ، قال ان ذلك من عمل الزوجة وليس من عمل الزوج ،واصر على الا يغير من عادته في الخروج الى اصدقائه كل مساء ولو مرة واحدة .

حدث ذات مرة ان كان على ان اعود امي المريضة حيث لبثت عندها الى ساعة متأخرة وعدت متعبة مرهقة الاعصاب ، فكان هو جالسا يستمع الى الراديو ، بينما الصحون في المطبخ كما تركناها بعد الغداء ، فاضطررت لغسلها وتنظيف المطبخ ، ولم انته الا عند منتصف الليل ، وهو يستمع ويرى ، وكأنه غير موجود .

علما باني اتكفل بكل مصروفاتي الخاصة ، بما في ذلك ثمن ثيابي ، وادفع له فضلا عن ذلك جانبا من نفقات البيت كل شهر !

الا ترون ان هذه انانية من جانب زوجي المحترم الذي يزعم انه ليس من الكرامة في شيء ان يقوم الزوج بغسل الصحون او مسح البلاط !!

ولعل لديكم لهذه الأنانية علاج ؟

المدرسة : ف . مقبل

حدائق شبرا ـ القاهرة

« العربي » : نعم .. هي انانية لا شك فيها .. ولكن من حسن الحظ ان علاجها في يدك ..

عليك اولا ان تقطعي عنه ما كنت تدفعينه عادة من نفقات البيت ما دام هو يتحدث عن كرامته كزوج ، فاسأليه في هدوء : وهل من الكرامة ان تمد يدك كل شهر الى زوجتك ، لتاخذ من راتبها ما يساعدك على نفقات بيتك التي انت مسؤول عنها وحدك ، فضلا عن مسؤوليتك عن نفقات زوجتك نفسها ، شرعا وقانونا ؟!

اما انه يأنف من غسل الصحون ومسح البلاط ، رغم مشاركة زوجته له في تكاليف الحياة ، فكبرياء لا محل لها قط .. وحسبه ان يعرف ان « هربرت موريسون » احد وزراء الخارجية البريطانيين اللامعين ، لم يأنف ان يدون في مذكراته السياسية انه كان يطهو الطعام في بيته ايام الآحاد ، ويعد المائدة ، ويغسل الصحون،كي يريح زوجته يوما في الاسبوع، رغم انها لم تكن تساهم معه في نفقات البيت كما تفعلين !!

يا رب : هل يرضيك هذا الظما
والماء من حولي يجري زلال !!

« زوجة عذراء »

س. ك ـ بيروت

« العربي » صدقيني انني لا اتصور ـ ولك مثل هذه الآراء الجريئة الصارخة ـ كيف قبلت ان تتزوجي من هذا الشيخ الفاني ، ولا كيف سمحت لأهلك ان يبيعوك له بالمال ! ستقولين انك ضحيت بنفسك وبشبابك لتنقذي اباك واخوتك من هاوية الفقر والديون . وهذا حسن وجميل. وتضحيتك هذه اشبه شيء بالهبة ، والهبة في نظر القانون لا يجوز الرجوع فيها . فلماذا تريدين ان تشوهي جمال هذه التضحية بالخيانة ؟!

لن احدثك عن الشرف والفضيلة والاخلاق ما دمت لا تؤمنين بها ، ولكني اقول لك ان فلسفتك هذه فلسفة آثمة ، وتأثرك بقصص بوكاشيو وشعر الخيام سيقودك حتما الى الاندفاع في طريق الخطيئة التي لا يبررها قط ما تعانينه من حرمان.

وليس لك عندي الا رأي واحد : أن تسارعي

الى الخلاص من هذا الزواج بالطلاق ، وستجدين لك الف سند من الشرع ومن القانون .

وليكن ما انفقه هذا الزوج الاخرق في زواجك من أموال ، كفارة له عن جريمته بالزواج بمن هي في سن احفاده ، وهو يعلم انه غير صالح للزواج.

طوفان نوح

● في أي عصر حدث طوفان نوح ؟ وفي أي مكان حدث ؟ وكم من الزمن استغرق ؟ وأين يقع « الجودي » الذي ورد في القرآن أن سفينة نوح استوت عليه ؟

م. عبد الرزاق ـ طرابلس الغرب

« العربي » : اختلف المؤرخون في تحديد زمان حدوث الطوفان ، كما اختلفوا في تحديد مكانه . فمن قائل انه حدث في « الوادي الوسيط » مكان البحر الابيض المتوسط الحالي ، في فترة تتراوح بين عشرة آلاف وخمسة وعشرين الف سنة من الآن ، أي في العصور الحجرية الاولى للانسان . ومن قائل انه حدث بسبب فيضان نهري دجلة والفرات . ومنهم من زعم انه حدث بسبب هبوط قارة « الاتلنتيد » القديمة وظهور المحيط الاطلسي مكانها . منذ حوالي عشرة آلاف من السنين ، مع أن علماء الجيولوجيا أثبتوا خطأ هذا الرأي ، لأن ابحاثهم دلتهم على ان المحيط الاطلسي ظهر في مكانه قبل هذا التاريخ بملايين السنين ، قبل ظهور الانسان نفسه !

وفي التوراة اقوال متناقضة عن مدة هذا الطوفان. فبينما يقول احدها انه لبث أربعين يوما ، يقول غيره أنه لبث مائة وخمسين يوما ، وثالث انه لبث سبعة اشهر او اكثر ، وعندها استقرت السفينة على جبال « ارارات » في ارمينيا .

وهكذا ، ترى أن علماء تاريخ الارض لم يتفقوا في تحديد زمان الطوفان أو مكانه ، أو المدة التي استغرقها .

بايرون وراسبوتين

● كنت اقرأ فى كتاب عن بيرون فذكر الكاتب أن الشاعر تزوج اخته وانجبا أولادا ، فراعنى أن يصدر مثل هذا العمل الشائن عن شاعر عبقرى مثله . وانا ما زلت شاكا فى أنه فعلا قد اقترف مثل هذا الاثم وأريد منكم تبديد شكوكى . وهل كان لبيرون زوجة شرعية ؟ وماذا كان موقـــف الكنيســة الانجليزية من زواجه من أخته ان كان قد تزوجها فعلا ؟

٢ ــ راسبوتين الشخصية الروسية الساحرة التى ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هل هو شخصية حقيقية أم خيالية؟ وكيف قتل ؟

محمود عباس

صافيتا ــ الجمهورية العربية السورية

« العربى » : لم يتزوج بيرون الشاعر الانجليزى اخته زواجا بالمعنى المعروف بل كانت له بهـــا علاقات « جنسية » ولا تذكر المراجع انها انجبت منه سفاحا نتيجة لهذه العلاقة غير المشروعة .

وأخته هذه ليست شقيقة بل هى اخت لأب ، وتدعى اوغستا .

ولقد تزوج بيرون من آن ايزابيلا (انابيلا) ميلبانك . وطلقها بعد سنة واحدة من الزواج لانها اتهمته ، من ضمن اشياء أخرى ، بقيام علاقات غرامية بينه وبين أخته .. وكانت هذه العلاقة فضيحة ليست لها سابقة من نوعها .

اما موقف الكنيسة البريطانيـــة فيتلخص فى رفضها السماح بدفنه فى الكنيسة الشهيرة بلندن « ويستمنستر ابى » . وكان بيرون توفى فى اليونان ورغب فى أن يدفن هناك ، ولكن اهله نقلوا جثمانه الى انجلترا . وكان للفضائح والأعمال الشائنة المخزية فى حياة بيرون ما جعل أسقف ويستمنستر يمنع حتى وضع تمثال لبيرون فى وستمنستر ابى .

٢ ــ أما راسبوتين ، فشخصية حقيقية ، واسمه جريجورى ايفيموفتش راسبوتين . ولد سنـــة ١٨٧١ وتوفى سنة ١٩١٦ .

وهو راهب روسى كان ابن فلاح فقير ...وكان

منحرف السلوك ولذلك سمي راسبوتين ومعناها « فاسق وداعر » . ولم يكن راسبوتين هـذا متعلما فقد كان حتى آخر أيام حياته لا يستطيع الكتابة جيدا .

وقد لبث في قريته حتى بلغ سن الثالثة والثلاثين، وتزوج وعمره « ٢٤ » سنة من فتاة قروية ورزق بابنتين وولد .

ثم غادر قريته وكرس نفسه لممارسة الطقـوس الدينية ، واعلن للناس انه ملهم ويوحى اليه من عند الله . وقد بشر بالعقيدة التالية : « اخطيء كي تحصل على الغفران » . وكان يقول : « عن طريقي فقط يمكنكم ان تاملوا في الخلاص ، والطريق الى ذلك ان تتحدوا معي روحا وجسدا ، فالفضيلة التي تخرج مني هي منبع النور ، وهي التي تحطم الخطيئة » .

وكان راسبوتين يتمتع بقوة مغناطيسية خـارقة .. وبسببها فتحت له ابواب منازل النبلاء والاثرياء، وحتى ابواب القصر الامبراطورى فتحت امامه ووقع تحت تاثيره الامبراطور والامبراطورة ، وكانت له علاقات غرامية مع وصيفات القصر ، ومـع الامبراطورة نفسها. واصبح بهذه الطريقة ذا نفوذ قوى مما جعل جماعة من أصحاب المكانة الاجتماعية تقرر القضاء عليه .

دعت هذه الجماعة ، وهم من الامراء والنبلاء ، راسبوتين الى العشاء في قصر احدهم ، وهو الامير يوسوبوف ، في ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٦ ودسوا له جرعة قوية من السم في النبيذ ولكن لم يصلوا الى النتيجة المرجوة ، لان السم لم يكن له مفعول ، ولهذا اطلقوا عليه النار فقتل .

وبعد موته ، كانت الامبراطورة تزور قبره كل ليلة ، كما امرت ببناء كنيسة عند المكان الذى دفنت فيه جثته . ■■

قيود ..

قصة بقلم : محمود سيف الدين الايراني

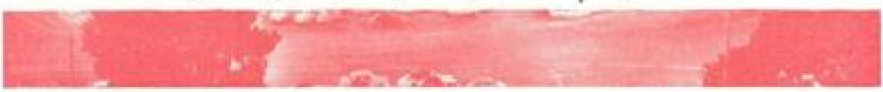

■ ليس من السهل عليك أن تعبر «الكونكورد» اعني ميدان الكونكورد بباريس ، ليلا . كلا ليس هذا بسهل ابدا ... تبدو لك المسلة المصرية من بعيد طويلة .. عالية جدا .. ورشيقة ، وهيفاء مغرية ، وتناديك : تقدم ... اعبره ... هكذا اومات الي ذات ليلة .. ولكن ماذا كنت سافعل بالضباب .. الضباب الكثير ، المتكاثف ، اللزج ؟ الأنوار لا تستطيع النفاذ منه الا بحذر .. وبحذر جعلت اخطو .. وكانت نافورة ماء هنا .. ونافورة هناك .. والمكان فسيح .. واحسست بالضياع .. هل استغيث ؟ الا تقف هذه السيارات الملعونة ، المنطلقة ... الا تقف لحظة واحدة لكي اعبر الميدان ، ثم اتجه من الناحية الأخرى المأمونة الى المسلة .. التى تناديني ؟ ان الماء لا ينطلق من تلك النافورات الكبيرة ، يكفي أن يهطل المطر في الشتاء .. واية حاجة الى ماء النوافير ؟

في هذه الليلة ضحيت بالكثير . لم أذهب الى « الشانزليزيه » ، فقد كنت بدات اكره انواره الباهرة ، وواجهات متاجره الخلابة ، والفتيات اللواتى يعبن فيها .. كرهت ابتساماتهن المصنوعة ... ما احذقهن ... هكذا تفتر لك الواحدة منهن عن ابتسامة متقنة ... هل تستطيع أن تدرك كيف تكون الابتسامة المتقنة ؟ ليست تعني شيئا .. ليست لك على التحديد . ابتسامة للجميع ، كالأسعار الأخرى المحددة للجميع في محلات الاسعار الموحدة .. فيها الف صنف وصنف .. والف فتاة .. والف ابتسامة .. كلها متماثلة تلك الابتسامات .. متقنة الى حد الاعجاب .. مصنوعة بدهاء ، بدقة ، ببراعة متناهية ، وعلى الايام يشمئز منها بدنك .. ولكنك مع ذلك قلما تستطيع ان تفلت منها .. شباك مطروحة للصيد .. وويلك اذا وقعت في تلك الشباك .. ان « المادلين » نفسها لن تنجيك .. ولم أذهب كذلك الى « مونمارتر » .. لقد الفت تلك الحانة في ذلك الشارع الضيق المؤدى الى « الفولي برجير » .. لماذا كنت أتردد عليها ؟ قل لي انت لماذا ؟ فانا لا أدرى تماما . راقصات « الفولي برجير » لم يكن هن السبب على الاطلاق ... ولا حتى تلك المراة التى تدور بين الزبائن وعلى خصرها مئزر أبيض مخرم الأطراف ، توزع ابتساماتها على الجميع بنفس المقدار ... ونفس الطريقة ... ونفس الأسلوب ... وحتى اذا تثنت كان ذلك مباحا أيضا .. وموزعا بدقة حسابية مضبوطة ... آه ... انه اذن صاحب تلك الحانة ... اجل لقد أصبح صديقي ليلة ان قلت له : « انت خبيث .. وماكر .. » وقد ضحك هو طويلا .. كان يقهقه ،

وصلعته كانت تبرق تحت الانوار ... وانفه المستطيل يرتعد ... ووجهه المتقع يزداد شحوبا ... واجابني من وراء المشرب : « انت ظريف يا سيدى ... ظريف جدا » .. ومد لي يده بكاس .. وابى ان يتقاضى ثمنهـا .. واصبح صديقي .. ومازلت اتساءل : لماذا ؟ هل ادرك انني فضحته وكشفت عريه ؟ انا اراهن انه لم يجد احدا ـ قبلي ـ قال له تلك الكلمات .. ربما كان يتحرق ان يسمعها طيلة سنوات .. لم تستطع يد ان تمتد الى قناعه وتنزعه .. هكـذا .. ببساطة .. ثم يقال له : انت خبيث .. وماكر ... كان يدير امور الحانة بانصاف العبارات ، واحيانا بنظرة . وتلك الفتاة ذات المئزر الأبيض ... كانت تلوع القلوب .. ولكنه ، هو ، كان لا ينفك يهينها بكلمات مختارة ، مبطنة ، مهذبة فى الظاهر ، ولكنها وقحة .. تعرّى الفتاة .. امام العيون .. واحيانا كان يهينها باشارة من يده .. اشارة لئيمة ، خفية ، فيحمر خداها ، وتكاد تتعثر ، وتقول له دائما كالواجمة : « امرك يا سيدى .. » وكنت احس انها مكبلة .. وعبدة رق له .. كان يتكلم الفرنسية بطلاقة ، ويتكلم الاسبانية بطلاقة ، وكان يبتسم دائما .. لم اره يغضب ، وكان يبيع السجائر كذلك ، سجائر « الفولواز » و « الجيتان » و « الرويال » من صندوق زجاجي عند طرف المشرب : « خـذ يا سيدى .. خذ لك علبة جيتان .. كل من فى باريس يدخنها .. لا تريد ؟ .. تفضل السجائر الملكية .. آه .. ما اجمل ذوقك ! » . ومع ذلك فقد وجدتُ الجراة الكافية لكي اقول له : « انت خبيث وماكر .. » . والذنب ذنب نبيذه .. لولا ذلك الرحيق الشيطانى لما جرؤت ! لقد منحني صداقة كاملة . ولكني كنت حـذرا .. كانت صداقته تبدو لي مفرضة ، كأنها تتربص بي . كان يريدنى أن أسكت ، أن أكتم ما فى صدرى . يكفي أن اعلم ، أنا وحدى ، انه خبيث وماكر .. حتى تلك البنيّة اللطيفة قدّمها لي ببساطة : « لماذا لا تعتنين بالسيد .. انه سيد لطيف .. » . وكان هذا امرا لها . وظلت تعتنى بي بعد ذلك .. حتى مللت .. و .. وعبرت الساحة ، ساحة الكونكورد ، الى الطرف الآخر .. ولم البّ نداء المسلة .. تركتها فى العراء .. تنصب عليهـا الاضواء ، ويضربها المطر ، وتتلفع بالضباب المتكاثف اللزج .. وبدا لي اني نجوت ... ورحت انفض ثيابى مما هو عالق بها من آثار تلك الحانة .. ذرات لا تراها عين احد .. انما احس انا ، انها موجودة .. وعالقة بي .. لا تريد ان تفارقني البتة ... لقـد نكره بعض الأشياء ... وبعض الأشخاص .. ومع ذلك تظل آثار خفية ، من كل ذلك ، عالقة بنا .. لا تزول ابدا .. وهي وحدها تعيدنا الى اولئك الأشخاص .. والى تلك الأماكن ... فتعقد أواصرها بنا من جديد ... لا فكاك ابدا .. لا فكاك .. لا ابرح مكبلا .. مَنْ منكم لا تكبله القيود ولا يعضُّ حديدُها فى لحم بدنه ؟ دعوني اضحك طويلا .. احقا تحسبون انكم أحرار؟ يا للعبيد المساكين .. يا للأرقاء ! حتى اشدكم ذكاء لن يسعه أن يتحرر .. وليس هذا الذكي باحسن حالا من الآخرين .. ولكنه يستطيع ان يلمح مهزلته ومهزلتكم بعين نفاذة وقحة ، ويستطيع ان يضحك ملء شدقيه .. يضحك من عُريكم .. لأنه فى الواقع يعرّيكم بنظرة مضيئة من عـين زئبقية ، رجراجة ماكرة ، ويرى ما تحرصون على اخفائه .. واكثر من هذا ، انه يفضح كبرياءكم الكاذبة .. كلكم قرود .. هل قالها لكم «نيتشة» ذات يوم ؟! ولذلك فانا اكره نيتشة .. واكـره الفلسفات كلها .. ولا احب ان يكون الرجـل الاصلع صديقي .. كان يكفي أن اقول له انـه خبيث وماكر لكي ينهار .. انا واثق انه حاقد عليَّ .. الى حـد البغض والمقت .. وليست ابتسامته الصفراء فى وجهي الا مخلبا يريد ان يمزقنى .. ويوم دفع فتاته فى احضانى كان يريد ان يدمرني .. ومرة اخرى فللتُ سلاحـه .. وكسرت مخلبه .. وأعدتها اليه .. اعدتها الى رقها وعبوديتها .. أعدتها لكي يهينها دائما .. ويمتهنها .. ويذل جمالها ويعرّيها امام العيون.. فليعمل فيهـا مخلبه الضارى .. اما انا .. فهيهات .. ولماذا ترى كان يجب ان البي نـداء المسلة .. انه نداء عميق .. نداء بعيد .. فى الزمن الضائع .. حملته من صحرائها ، من دنيا مجهدة ، كانت تتوسل بالفن تفترزه من الصخر وتقيم منه ملوكا وآلهة ومعابد ، ولقد خلُد الفن، بـل خلدت الوسيلة ، وذهبت الغايـة ! ورحت اسير . كنت بمأمن . كان الارتياح قد بدا يتسلل الى نفسي ... غير ان راسي ظل مثقلا .. اؤكد لكم اني لم اكن قد شربت قطرة واحدة ، بعد ، فى تلك الأمسية . كنت قد اعددت نفسي لتلك الدعوة ، كنت اريد ان ابدو متزنا ، موفـود

الكرامة ، بين الناس لا أعرفهم . وكنت متشبثا بقناعي .. لا اسمح لاحد أن يمد يده اليه .. ولماذا أكون سافرا بين مقنعين : ابتسامة مؤدبة.. ابتسامة خفيفة .. متعالية .. وضعتها على شفتي ، وفوق ملامح وجهي .. وخطوت الى الفندق . ليس بينه وبين « مكسيم » الا ان تنعطف قليلا الى اليمين .. وتلقاني فتيان الفندق ، وانحنوا امامي .. وكانت عيناي تضحكان ساخرتين .. هؤلاء الفتيان قد اعدوا انفسهم مثلي ، ووضعوا اقنعتهم .. اراهن ان الواحد منهم يقف قبالة المرآة ساعة وهو يجهد نفسه لكي يجيد هذه الابتسامات الخاوية .. ويحسن كيف ينحني .. ويكون في خدمتك ، وهو يلعنك في سره .. وفي المصعد طلع معي احدهم .. كان يخشى ان يمسني كانني شيء مقدس .. ونظرت الى وجهي في مرآة المصعد .. كانت ابتسامتي المتعالية موضوعة باحكام فوق وجهي .. وكانت الفراشة السوداء الكبيرة تزين عنقي ، وتحتها قميص ابيض نظيف الى حد التقزز .. ولمحت الفتى المتأدب .. كان كل شيء فيه يتلألأ : شعره الأشقر المشوط جيدا ، وعيناه الزرقاوان ، وملابسه الحمراء الداكنة المقصبة .. وكدت ارخي يدي فوق كتفه واقول له « ما جدوى هذا كله ؟ » .. ولكن ما عساه سيظن ؟ انه الآن امام سيده . وشعرت بالاستعلاء فعلا ان يكون هذا الفتى في خدمتي .. ووقف المصعد ، وسمعته يقول كمن يصلي : « تفضل يا سيدي » واخرجت قطعة فضية اليه .. فتعاظم انحناؤه وتمتمت شفتاه : « سيدي الكريم .. تفضل .. » وفي الردهة اخذوا معطفي بعناية وهمس عميق : « سيدي .. تفضل .. » .

وسرت خطوات كمن يحلم .. ووجدت فتى آخر نحيلا ، مديد القامة ، في ملابسه السوداء ، وياقته تسطع .. وسألني بقداسة عن اسمي ثم اعتدل وصاح به عاليا .. ودخلت القاعة ، ولمحت سعادة السفير يرحب بي بابتسامة مرسومة بعناية ، وامرأته الى جانبه ، وكان هو قميئا ، بدينا ، وفوق صدره أوسمة تبرق ، وزوجته الكهلة بدت متعبة .. كانت واثقة ان هذا كله عبث .. وان دورها شاق .. وابتسمت هي الاخرى .. ليتها لم تفعل ! ماذا قلت في تلك اللحظة ؟! أؤكد لكم ان المجاملات احيانا أثقل في النفس من الحجارة الصلدة .. ولاول وهلة شعرت اني غريب .. وانتابني احساس بالضياع .. وخيل الي انني لا ازال اكافح لكي اعبر الكونكورد .. وانني هالك لا محالة ..

وتركت السفير وامرأته لكي يستقبلا غيري من الوافدين ..

اذا ذهبت الى باريس وزرت فندق « كريون » فانك ستدرك حينئذ انهم لم يكسوا جدران القاعات بكل تلك المرايا عبثا .. ولم يكسوها قطيفة حمراء .. واهدابا ذهبية مفتلة عبثا .. ولم يضعوا في الأركان تماثيل النساء العاريات عبثا .. انها كلها شراك منصوبة لتغتالك .. المرايا كلها نصبت هكذا لكي تقدم لك عرى النساء كما تقدم الفاكهة الشهية فوق اطباق من فضة .. ومرة اخرى احسست بالضياع ، فهل استغيث ؟ ورآني ذلك الرجل العجوز .. كنت اهرع اليه في مقهى صغير في شارع « لاموت بكيه » لكي نتحدث فترة اذ يهزني الشوق الى لغتي .. وتهلل من بعيد ، وتناول كأسا ودلف بها اليّ وهو يقول :

ـ أى ريح ملعونة أتت بك هنا ؟

وقهقه ضاحكا وبانت نواجذه النخرة وتقلص انفه من طرفيه . واجبته :

ـ يا رجل .. يا عجوز السوء .. اتدرى انك غدوت مَسخا جميلا ؟

فقال :

ـ تلك والله حكمة .. فيها من الذكاء بقدر ما فيها من الغباء ..

وعاد يضحك .. ثم سعل بشدة وقال :

ـ خذ .. خذ .. خذ .. اشرب .. ام تحسب نفسك في معبد !

وتركني ومضى يقتلع خطاه .. وشربت .. واشرأبت اليّ احداهن : امرأة متصابية ، أعجب ما فيها انها اذا ضحكت انحرف فمها الى اليسار .. واحسست بالضيق .. وبادلتها ابتسامة بلهاء .. وهززت لها رأسي وقلت : « الجو دافيء .. اليس كذلك .. ؟ وتشبثت بالقشة التي القيتها .. وجاهدت ان تطفو .. وذعرت وادرت ظهري بسرعة وقلت :

ـ شلة أصدقاء .. هناك .. لم ارهم منذ طويل .. وداعا ..

وقالت هي مشدوهة :

ـ الا تتمهل ؟!

ولكني مضيت اخوض بين الأكتاف العارية

والنحور المزدانة بالآلئ والرجال لابسي حلل السهرة .. ما أعجب المرأة اذا سكرت والكأس في يدها .. أنها لا تعود تثرثر .. وانما هي تتهالك .. وتستجدي .. وكنّ كلهن في هذه الليلة يستجدين ما لا سبيل اليه .. وشيئا فشيئا احسست بالطنين يملأ اذنيّ الاثنتين .. وقلت في نفسي : ذلك فعل الخمر .. وازداد الطنين وتعالى ، وتخللته قهقهات ناعمة في أول الأمر .. ثم غدت وقحة بلا تحرج .. انه فعل الخمر بلا ريب .. في كل هذه الرؤوس .. الكل يضحك ويقهقه ، كلهم يتحدثون معا .. ولا يكاد يصغي الواحد للآخر .. ويفرغون في بطونهم كؤوسا مترعة .. ويأكلون المشتهيات في صحون وأطباق سخية . وقالت لي احداهن :

ـ أيها الأمير الشرقي .. ألا تقف ؟

ووقفت ورحت أتأمل شعرها الأحمر مبهوتا .. وقهقهت هي طويلا .. بجرأة نادرة .. ووجدتني أنفض برؤوس أصابعي بقايا ذرات لا تزال عالقة بي من حانة مونمارتر ، وقلت :

ـ رحماك .. يا سيدتي ..

قالت :

ـ لماذا أنت ضائع هنا ..

واحسست ان الأرض تميد بي وقلت :

ـ لست غريبا على كل حال ..

قالت :

ـ ولكنك وحدك .. وتحمل هذا الشعر الأسود المجعد .. وهذه السحنة الشرقية السمراء .. أقول لك الحق عيناك جمرتان .. ألا تحب أن أكون معك أيها الأمير ..

وعادت تغرق في الضحك ، وتتخلع ، ثم تأبطت ذراعي .. وسارت بي الى صديقات لها ، واحسستُ كأنها حملت لهن احدى عجائب الدنيا .. ورأيتهن يضحكن جميعا ، ويترنحن ، وتهتز بين أيديهن الكؤوس .. وعادت هي تضحك ، وتضع خدها فوق ساعدي وتتمسح به .. هكذا كانت قطتنا « مِشْمِشة » تفعل . كانت تتمسح بي اذ كنت صبيا يافعا . وقلت لها وأنا أمسح لها شعرها الأحمر براحة يدي : « يا قطتي الجميلة .. » وتراخت ، وخيل اليّ ان سحابة من دموع تترقرق في مآقيها .. وذعرت .. أتراها ستتشبث بي ؟ ستمسك بالقشة الواهية لكي لا تغرق ؟ وتطلعت حولي فشاهدتُ « مارلو » عند ركن القاعة ، وانسحبتُ .. دون ان اعتذر..

وكنت انتفض .. انه الحقد الذي غذتني به « مارلو » . ماكرهت مخلوقا قط كرهي اياها .. انها جميلة الى حد الذهول .

عبثا كنت أبحث عن عيب يشين ذلك الجمال ... هل رأيت الشعر الأسود كيف يكون حين يستدير حول وجه ناصع البياض ، دقيق الملامح ؟ يوم عرفتها أدركت ان الأصابع الفنانة التي نحتت هذا الجسد كانت تعبد كل قطعة وطية فيه . وكانت مارلو تلقي اليّ بفتات من عطفها وسخريتها ، وكانت تقول :

ـ أيها الشرقي ، يا ذا الشعر الأجعد ، لستَ الطراز الذي احبه من الرجال .

وتبتسم ، وتهز كتفيها ثم تعود تقول :

ـ ومع ذلك دعنا نتحدث ..

وكنت أعلم انها تتلقى أصول التمثيل في معهد كبير ، وذات يوم كانت تتأبط مسرحيات « دي موسيه » فسألتها :

ـ بماذا تحلم الصبايا ؟

وقالت هي :

ـ هذه هي التمثيلية ، انها لدى موسيه .

وقرأت اسمها : « بماذا تحلم الصبايا » وقلت متبرما :

ـ أعلم ذلك . ولكني أسألك بماذا تحلم الصبايا ؟

وأجابت ببرود ؛

ـ انهن لا يحلمن بواحد مثلك على كل حال ..

وقلت في سريرتي : « لابد ان انتقم ... » .

ولقد حانت فرصتي هذه الليلة ، وخطوت وأنا أترنح من الحقد ... ولما دنوت رأتني فشهقت وغمغمت : « أنت هنا » . ولم اجب وانما رحت احدق فيها ، وأدق في صدرها مسامير حقدي .. وخيل اليّ انها ارتاعت.. وقدمتني بوجل الى الرجل الذي كان معها ، فانحنيت قليلا ، وتراءى لي انه ، هو الآخر ، يريد ان يفر .. ولم يخب ظني فقد استأذن بأدب ولوى قدمه ومضى في الزحام ، وقلت لها وأنا أومىء اليه :

ـ كان يبغي النجاة !

ولكنها لم تصفعني ، وانما ضربت صدري بقبضتها وقالت :

ـ لا تكن وقحا ..

وتأبطت ذراعي ، وملت على أذنها ونحن نسير الى المشرب وهمست :

ـ بماذا تحلم الصبايا ؟

وتطلعت الي بعينين ذابلتين وهمست :

ـ تابط ذراعي جيدا والا سقطت !

وساندتها وعدت اقول :

ـ شد ما اشتهي أن تسقطي !

قالت بحقد :

ـ لن تكون انت سبب سقوطي ..

وضغطت على ذراعها بقوة وقلت :

ـ اقسم انه لن ينجيك شيء !

واترعت لهـا الكاس ، وكانت تشرب بنهم ، وتتضاحك ، واقبلت امـراة صديقي العجـوز ، لا تزال فيها بقايا تشتهى ، وكنت قد غدوت وقحا تماما ، وقلت لها وهي تمر :

ـ اين رميت به ؟

فقالت وهي تترنح :

ـ ما اظرفك ! انه هناك .. في ذلك الركن .. لا يكاد يفيق ..

وتطلعت الى حيث اشارت : كان جالسا والكاس في يده ، يهوم مطاطيء الراس ..

وقالت هي :

ـ الا تصحبني قليلا ؟

قلـت :

ـ وهذه الصبية ؟

ومضت كانها تتسكع ... والتفت الى مارلو وسمعتها تقول وهي تومىء الى السيدة :

ـ الجوع يفرى احشاءها !

فقلت :

ـ وانت كبرياؤك تاكل قلبك !

وهمت أن تصفعني ولكنها تخاذلت . لقد لعبت الخمر براسها .. وتأدى الي صوتها الواهن :

ـ سابصق في وجهك ...

ثم انحدرت دموعها ، واخرجت منديلا صغيرا مخرما وراحت تمسح عينيها ، ومددت ذراعي وقلت :

ـ نذهب الآن :

وسارت معي . ومن جديد تلقانا فتيان الفندق بأرديتهم المزركشة ، وكانوا ينحنون امامنا انحناء عميقا .. وتركنا وراءنا سعادة السفير البدين وهو يتثاءب ، وزوجته المتعبة ، والمدعوين والمدعوات ، وضوضاءهم وعريهم وسحب الدخان والقهقهات ، ورائحة الخمر ... وخرجنا الى الهواء الطلق ..

وكان لا بد أن نعبر الكونكورد حيث لا ينفك المطر يهطل .. ليس سهلا أن تعبر الكونكورد ليلا ، وأن تخترق الضباب ، وتتجاهل نداء المسلة الهيفاء..

وقالت مارلو :

ـ الى اين ؟

قلت :

وخرجنا الى الهواء الطلق ..
وكان لابد أن نعبر الكونكورد

أريد أن تشاهديها .. اعني ان تجلسي فيها وهناك حسناء لها مئزر ابيض ، وابتسامة متقنة جدا ، ورجل اصلع يبيع الفولواز لزبائنه ويصب لهم رحيق الشيطان في يواقيت من جهنم .. ويبتسم بخبث ومكر ..

واصبحت مارلو طوع بناني . احسست أنها تلوذ بي .. وتتمسح بذراعي .. كما كانت تفعل قطتي وانا صبي يافع .. وأصابني غثيان ، ثم تعاظم حقدي ، ورحت امسح لها شعرها واقول : « يا قطتي الشرسة .. سأقتلع يوما اظفارك الجارحة ... » . وكانت تغمغم وتزداد التصاقا بي وفي حانة مونمارتر أجلستها الى جانبي ، وطلبت خمرا ، واقبلت الفتاة ذات المئزر الابيض وعلى شفتيها ابتسامتها المصنوعة ، وقالت وهي تتخلع :

ـ مع صيد هذه الليلة !

قلت :

ـ بل معي الشيطان ..

قالت :

ـ ولكن لا تطمع ان اعود اليك .

وسمعت الرجل الأصلع يقول من بعيد :

ـ اعتني بصديقي يا ايفيت ..

وقلت صائحا :

ـ انها تعلم أني لم اعد بحاجة الى عنايتها اطلاقا ..

وقهقهت ايفيت حتى كادت تستلقي على قفاها .. وكانت ضحكتها تدل على ان عبوديتها للأصلع اصبحت أعمق مما كنت اتصور .. وكانت نظراته ، هو ، من بعيد تتوسل اليَّ أن لا اكشف قناعه ... ان لا أعريه .. وابتسمت له ، وأومأت برأسي كأني اقول : « اطمئن . لن افعل هذا ... » . وارتاح وفرك يديه ، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة فبانت نواجذه الصفر .. وكان الأسبان ، من حولي ، يتحدثون .. حديثهم صياح دائم يختلط بضحكهم ، ومعهم نساء بدينات يخفين مخالبهن تحت المساحيق الثقيلة والضحكات الوقحة ... وتقدم مني شاب يشبع جوع معدته بصور فاجرة يبيعها فاقصيته بسرعة ... وأحسست اني سأتقيأ ، وزعقت بملء شدقيَّ :

ـ اعطه يا فرنسوا خبزا وكبدا مهروسة وكأسا من الجعة ... وسادفع أنا الثمن ..

وطأطأ الشاب رأسه ، واستدار الى المشرب ، وطفق يلتهم شطائره ويشرب الجعة وقد دسَّ صوره البائسة في جيبه ونسي أن يشكرني .. وربتُّ على خد مارلو وامسكت بذقنها بين اصبعي .. وشعرت انها هشة متهالكة ، لو اطبقت باصبعي على ذقنها لحطمته ! وقلت لها وهي تهوم :

ـ بماذا تحلم الصبايا ؟

قالت :

ـ سأنام ... ولن أحلم بك ..

وجعلت اضحك ضحكا كثيرا ، عريضا ، مخبولا ، ورأيت عيون الرجال الأسبان تحدق بي .. والتفت الى النساء البدينات وايقنت انهن يدارين الفضيحة بتصنع الظرف ... وبدا لي القرد الأصلع وراء المشرب وقد لفه الضباب وابتسامته الظافرة تتراقص فوق شفتيه ... وخيل الي انه يتحفز ، ولن يلبث أن يخرج مخلبه الضاري ليطعنني به ... وكنت لا ازال أضحك واقهقه غير مكترث بالارض التي تميد تحت قدمي ، والاشداق المفغورة التي يتداخل بعضها في بعض ... والوجوه القاتمة المهتزة ... وذات المئزر التي تترنح ... وجهاز الراديو الذي يعوي ... ولا أدري كيف نهضت وسرت وحدي وخرجت خفيفا كأنني محمول على أكف لا أراها .. واتجهت الى فوهة قطار المترو ورحت انحدر الى الاعماق ... وسمعت صوت امرأة يطن في أذني :

ـ لا تحدق بي هكذا .. أيها الوغد ..

وعندئذ تبينتها تماما .. ولم تفارقني وقاحتي فقلت لها وأنا أغرق في الضحك :

ـ لم أكن أدري انك ملكة جمال .. أيتها الشمطاء ..

وهبطت بقية الدرجات وتركتها ورائي تنبح .. واقبل القطار فركبته وانا واثق انه سيمر بخمس محطات .. وفي السادسة سأغادره الى حي « لاموت بيكيه » .. ولم يكن في العربة غير امرأة عجوز .. ورجل جعل من نفسه تمثالا .. وتحركت شفتاي .. وخيل الي اني فتحت فمي قائلا :

ـ ولماذا هذا الوقار كله ؟ نح قناعك ... فما عادت الاقنعة تفيد شيئا .. بعد الواحدة صباحا ..

ولكن الرجل ظل جامدا ، مغرقا في صمته .. وهمست للعجوز وانا ابتلع ريقي :

ـ لو كنت تدرين .. انها لا تزال هناك ..

واذا استفاقت فلن تجدنى معها .. أوصيت الأصلع أن يعتنى بها .. وقد هز راسه فاهما ما أريد .. وقبل أن أغادر حانته تماما التفت اليه وكررت القول : اعتن بها جيدا .. لا تحاول أن تخفى مخلبك .. سدده الى صدرها بمهارة أيها الخبيث .. وقد هز لى راسه بضع مرات .. الا تعتقدين انه سيعتنى بها جيدا .. ذلك القرد الأصلع ..

ولم تجب العجوز بكلمة واحدة ، وتركتنى أغادر القطار بهدوء .. ولم يكن فى المحطة أحد غير عاملة التذاكر فى مقصورتها تقتل الوقت بشغل الصوف ، وتلقى الناس وكأنها لا تحس بوجودهم .. وكان الاشمئزاز قد ملأ صدرى .. ومررت بعاملة التذاكر ولوحت لها بيدى وقلت كمن يتقيأ:

ـ انها هناك .. تركتها لعناية العجوز الأصلع .. صاحب المخلب الضارى ..

ومضيت أصعد سلم الخروج بسرعة فائقة وأنا أنفض برؤوس أصابعى شيئا لا تراه العيون ولا ينفك عالقا بى .. ولن يفارقنى .. لن أتحرر منه أبدا .. أو تحسبون حقا أنكم أحرار ؟ غاية ما فى الأمر أنكم لا ترون قيودكم المطبقة على لحمكم السمين .. واذا حدث وفتحتم عيونكم المجهدة عليها سارعتم الى « السين » وألقيتم بجثثكم فى أعماقه .. ان قيدى الثقيل تركته فى حانة القرد الأصلع .. وغدا عندما أصحو ساجده يكبلنى بقوة فى مقهى «جان بارت» تحت فندقى تماما ، وستهمس مارلو بسخرية بالغة : « لن تحلم الصبايا بواحد مثلك على كل حال .. » أؤكد لكم أننى ساطبق بقبضتى هاتين على رقبتها ذات يوم .. وسيضحك القرد الأصلع ملء شدقيه ، وسينزع مخلبه من صدرى ، ويروح ينظفه بعناية تامة .. ثم يخفيه بحذر وريبة .. ويعود يرمى ذات المئزر الأبيض بكلماته الجارحة ، ويعريها أمام العيون بنذالة .. ولكن ثقوا انى لن أكون الا آخر من يطعم « السين » من جثته .. وداعا..

■■

محمود سيف الدين الايرانى

بقية المنشور على صفحة ٦

واحد لثلاثة مشاريع قيمته ٧٫٥ مليون دينار كويتي ، واعطي للسودان قرض بمبلغ ٧ ملايين دينار كويتي .

٣ ــ تحدد الفائدة لكل مشروع على حدة حسب طبيعة المشروع الاقتصادية وحسب امكانيات الصندوق المالية . وقد حددت الفائدة بالنسبة لمشروع اليرموك بـ ٣٪ لمدة عشرين سنة لما له من اهمية استراتيجية وضرورة قومية ، لعلاقته بالمؤامرات الاسرائيلية ضد نهر الأردن . اما بقية المشاريع الاردنية فقد خصصت الفائدة لما هو معروف منها بـ ٤٪ . اما المشاريع الباقية فتحكمها اتفاقات لاحقة .

٤ ــ ليس من اختصاص النظام الاساسى تحديد نسبة الفائدة على القروض ، لان هذا مربوط بالتطورات الاقتصادية للبلاد العربية ، وبامكانيات الصندوق المالية ، كما ان هذه سياسة تحدد كل فترات متقاربة ، بينما النظام الاساسى هو الدستور الذى يشكل الاطار العام .

٥ ــ ستصلك نسخة من نظام الصندوق قريبا ان شاء الله ، فقد كتبنا بذلك للسيد مدير عام الصندوق .

الفصحى والعامية ايضا

● تمر بورقة من اوراق الخريف فتطؤها بقدمك دون أن تشعر بجمالها ، ويأتى رسام مبدع فيتناول ريشته والوانه ليجعل من هذا المنظر الذى لا يستلفت الأنظار لوحة فنية ، يشعر المرء لدى رؤيتها بجمال الخريف بل يكاد يشعر بجوه المتقلب حتى ولو كان الحر او البرد يلف الدنيا . وكذلك الحال مع الأديب الذى يعطينا لا بالريشة والالوان بل بالكلمات صورا ولوحات ، لا للمناظر الطبيعية فحسب ، بل للمشاعر والاحاسيس . واللغة هى وسيلة التفاهم بين البشر وهى الهبة الربانية للتعبير عما يجول فى الأذهان ، وهى الصورة الصادقة التى تعكس مستوى تفكير الامة اذ يمكننا دراسة سير الامة صعودا أو انحطاطا من دراسة أدبها .

واللغة العربية هى عنوان وحدتنا وهى ايضا الاطار القوى المتين الذى يحوى تراث ماضينا وكنوز ادبنا ، واذا عرفنا ان لا مستقبل بلا ماض فان كل متآمر على الفصحى يعد متآمرا على الوحدة العربية وعلى تراثنا الادبى الذى نعتز به .

ولقد سررت أيما سرور بعد ان طالعت على صفحات « العربى » تلك اللفتة المباركة من الأستاذ عبد الرحمن البزاز ، وان كنت آسى بعض الشىء لان الخوض فى هذا الموضوع جاء متأخرا بعد ان استفحل الخطر بعض الشىء ، وكان يجب ان تكون هذه الدعوة منذ أن بدات

مجلات المراهقين تزحم المجلات الادبية ، ومنذ ان اصبحت الكتابة تجارة للتكسب ، وبضاعة مغشوشة يخلط فيها الكثير من السم بقليل من الدسم . وهذا القول لا ينطبق على الصحف فقط بل على السينما والتلفاز . وما دام الحشيش والافيون يُمنع لانه يسمم الجسم ، فبالاحرى كذلك منع استغلال وسائل تثقيف الشعب هذا الاستغلال البشع وبهذا المستوى الركيك بدل الاخذ بيد الشعب الى علم .

واللغة العربية ليست معقدة تعقيد اللغة الالمانية مثلا ، ولكننا نجد الفصحى هنا هي لغة الصحف والمجلات والاذاعة والتلفاز ، وذلك لان مفكرى الالمان قد حكموا على اللهجات العامية ، وهى كثرة ، بالاعدام . وحصروها فى نطاق ضيق ، وهى فى طريق الاندثار . وماذا يحدث عندنا لو اهتم كل أبناء قطر عربى بلهجتهم وجعلوها لغتهم ، اذا لنشأت عندنا عدة لغات ، وهذه الكارثة يجب تجنبها بأى ثمن اذ ان ذلك كان هدف المستعمرين منذ زمن بعيد ، والادلة على ذلك كثيرة ، والجزائر أبلغ دليل ساطع على ذلك ، وكم أتألم عندما يقول لي أحد الالمان ان لا فائدة من تعلم اللغة العربية اذ على المرء ان يتعلم المصرية اذا سافر الى مصر والمراكشية اذا سافر للمغرب ..... وهكذا .

أحمد قاسم

آخن — ألمانيا الغربية

فهرس « العربى » ... أين هو ؟

● لقد شارفت مجلتنا المحبوبة على اتمام عامها الرابع ، وهي لا زالت تسير من حسن الى أحسن ، وبها نفتخر ، وبما فيها نتمتع ، واليها نعود فى كثير من الاحايين ، فهناك استطلاع .. أو مقال .. او ... لقد قرأته فى « العربى » ، ولكن فى اى الاعداد ؟ لقد خانتنى الذاكرة ! اذن لا بد من تفتيش جميع الاعداد حتى نصل الى بغيتنا ، فياحبذا وقد طلبتم من القراء تقديم اقتراحاتهم ، أن تأخذوا باقتراحى باصدار فهرس لمقالات المجلة

المحبوبة ، ويكون هذا الفهرس مع آخر عدد من السنة الرابعة فيحوى جميع المقالات مع الاشارة الى الاعداد والصفحات تسهيلا على القراء للرجوع الى أى مقال يريدون او أى استطلاع يبتغون .. اما ترتيب الفهرس فجميل أن يكون كترتيب فهرس أى عدد ففيه المتعة والكفاية .. أما الفهارس المقبلة فلو كان فهرس لكل عام واحد لكان فى ذلك الخير ، وبعدها لو جمعت كل بضعة أعوام فى فهرس واحد لكان ذلك خيرا أيضا ، وليس المقصود من الاقتراح وكيفيته الحصر وانما تنفيذ الفكـــرة بالشكل المناسب المحقق للغاية المنشودة .

محمد عبد الرحيم سمان
وزارة التربية والتعليم ـ الكويت

« العربى » : سبق ان وعدنا باصدار هـذا الفهرس ، ولكن ظروفا معينة حالت دون اصداره فى موعده ، وسنفعل ذلك قريبا ان شاء اللـه ، وعلى الوجه الذى يرضى القراء ، ويفى بالحاجة .

النمر ... والببر

● جاء فى ص ٤٣ من العدد ٤٧ من مجلـة « العربى » الصادر فى جمادى الاولى سنة ١٣٨٢ بعنوان : (مدى الأعمار عند الحيوانات) صـورة حيوان تحته كتبت كلمة « النمر » ـ والصـورة هى صورة « البَبْر » أو «الأسد الهندى» وهو خلاف النمر بداهة ، فالنمر ارقط وفى ذلك يقول الشنفرى :

ولى دونكم أهلون سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وارقطُ زُهْلولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَلُ

يعنى الذئب والنمر والضبع .

وأما «الببر» الذى ورد رسمه فى المجلة ، فهو مخطط وليس بارقط ـ والوهم بين النمر الارقط « المنقط » والببر المخطط يقع فيه كثير من الناس ـ ومجلة « العربى » مشكورة اذا تفضلت بنشر هذا لازالة الوهم .

عبد السلام محمد النجار
روضة خيرى باشا ـ دسونس ـ بحيرة

بترا .. والبتراء

● لقد طالعت فى « العربى » العـدد ٤٧ استطلاعكم عن «البتراء» وصادف فى الوقت نفسه أن كنت أقرا فى مجلة « الدبور » الأسبوعية قصة مسلسلة تدور حوادثها فى المدينة المذكورة ،ويقولون فى تعريفها: « ومن الخطأ أن يقال لبترا «البتراء»، لأن البتراء هذه تجاور المدينة ، يثرب ، وبينها وبين بترا زهاء خمسمائة ميل ، فما رايكم ؟

محمد ابو زكى
الجامعة اللبنانية كلية العلوم ـ بيروت

« العربى » توضيح هذا موجود فى صفحة ٨٣ و ٨٤ من العدد (٤٧) من « العربى » .

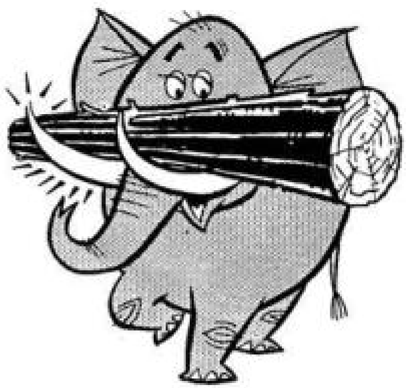

تصحيح خطا مطبعي

● ورد في مقال « اسماء النجوم عربية (ص٠ه العدد السابع والاربعون) ما يلي :

« والبوث .Alioth « وقد تكون الليث » اى صفحة العنق) ...

والواقع اننى قصدت الليت التى هى صفحة العنق فى اللغة العربية ، لا الليث التى تعنى الاسد . قال الشاعر :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

اذكر لكم هذا فى حالة ما اذا تقدم احد الناقدين لكى يصحح كلمة اليوث ، ويقول لنا انها الليث ، اى الاسد . انها بهذا المعنى لا تعطى ماهية النجم المقصود فى المجموعة ، فلا معنى لان يكون هناك نجم اسمه ليث فى مجموعة الدب الاكبر .

الدكتور عبد الرحيم بدر ـ اريحا

من شعر القراء :

الصغير الأسود

« حكمت محكمة (روديسيا) بضرب فتى أبيض اربع عصى لانه قتل طفلا زنجيا » .

اختـاه ، يا امُّ الصغيـر الاسودِ
البيضُ قد اخذوا بثارك . . زغْردى !

ان الـذى صـرع الصغيـر بطلقـة
ضـربوه اربعةً بكفـةِ السيـد

ارايتِ ، يا اختـاه ، اىّ عـدالة
نالتك فى عصـر الرقىّ الامجـد

ارايت حـكم البيض جلّ جلالهم
المالكين لكل ما ملكتْ يـدى ؟

ارايت ، يا اختاه ، كيف ترفقوا
فرمـوا صغيرك بالرصـاص المُحْصد ؟

لـم يركلوه ، ولم يسوموه الاذى ..
كابيـه محترقـا بنـار الموقـد

شاءوا له الموت السريع ترفقا
فلتفرحي زنجيتي ولتسعدي !

يا اخت ، هل جئت النعيم بارضهم ؟
ان جئت ارض البيض صلي واسجدي

البيض آلهة لارضك فاضرعي
ان يلمسوا خديك بالقدم الندي

يا اخت ، لون البيض من ألق الضحى
لكنْ لونك انت لونُ الأسود

الليل لونك ، والحلاكة وصفه
لا تفزعي اهل المسرة وابعدي

يا رب قد سويتني وخلقتني
واخترتَ لي لوني فلم اتمرد

يا رب ، يا رب العبيد انزلْ لنا
صبحا نحطم فيه ليل المفسد

يا رب ، لون البيض يشعل ثورتي
البيض ، كل البيض ، هذا المعتدي

ولدي الصغيرَ ، غداً سافرس زهرة
من فوق قبرك،فانتظر – ولدي – غدي

هو من دمي – لا من دماهم – لا تخف
انا لن الطخ بالقذارة معبدي

محمود جبر – القاهرة

العربي

عدد ممتاز

العدد ٣٨ | رجب ١٣٨١ | يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢

مع هذا العدد
هدية ثمينة
+
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

تونسية بزيها الوطني

الثمن

الكويت	[illegible]	فلوس
الخليج العربي	١	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٣ر٠	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قروش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قروش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	فرنك
المغرب	٢٠٠	فرنك

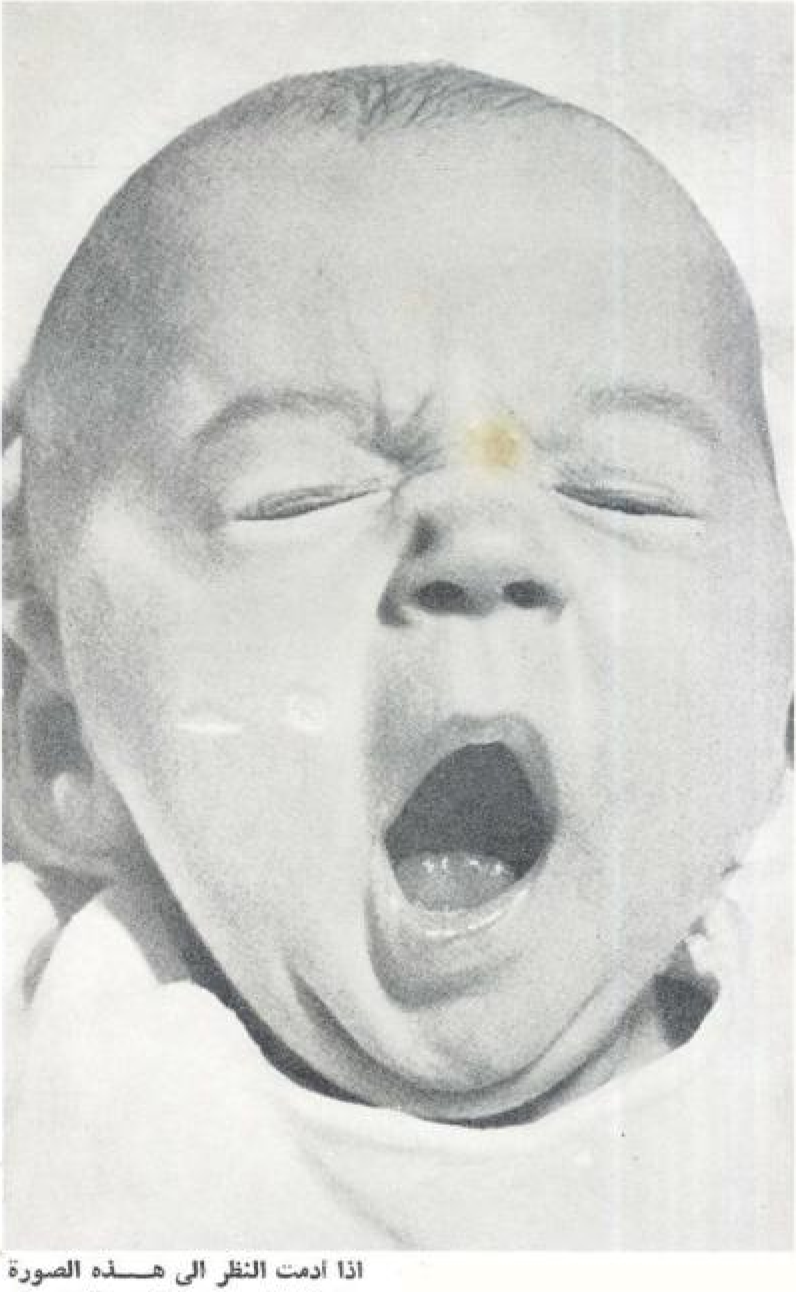

اذا أدمت النظر الى هــذه الصورة
٣٠ ثانية ثـم لم تتثاوب فانت بطل

عزيزى القارىء

■ هذه ذكرى ميلاد « العربى » ، وقد اتم فى حياته ثلاثة اعوام كاملــة ..

فكل عام وانتم مع « العربى » بخير وعافية ..

■ وهذا عدد ممتاز :

❊ تميز بكثرة موضوعاته مع تنوعهــا وقد زدناه انواعا

❊ وتميز بوصل موضوعاته بالحياة العملية ، فكل ما تقرا فيه نافع فى حياتك ، ان شاء الله

❊ وتميز باستطلاعاته ، وزيادة عــدد صفحات الالوان فيه ، فهى فقد بلغت ٣٢ صفحة

■ ونحــن نطلب من قرائنا زيادة فى معاونة ، وذلك بارسال آرائهم فى ما تكتب ، ونقده ، واستيضاح غامضه . ثم أن يسالونا عما قد ينبهم عليهم فى حياتهم ، فنجيب .

المحــرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

طب وعلوم :

فن حياة :

اجتماع :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها دائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت

والدائرة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٥١٨١ ـ تلغرافيا « العربى »

العنوان ببيروت : ص . ب ٤٦٧٩ ـ العنوان بالقاهرة : ص . ب ٢٧٢

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

تمتاز الملابس الوطنية فى تونس ، بالوانها الزاهية وبالأشرطة الذهبية التى تحليها .. وتعمل مصلحة السياحة التونسية على تخليد هذه الأزياء الجميلة ، التى كادت تنقرض ، فعمدت الى تكوين مجموعة كبيرة منها ، وفى هذه الصورة تبدو آنسة من مصلحة السياحة التونسية مرتدية أحد هذه الأزياء الجميلة (أنظر المقال ابتداء من صفحة ٦٨)

لغات وآداب :

فنون :

شعر وشعراء :

ركن المرأة :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج٠ع٠م ١٠ قروش . ليبيا ١٥ قرشا . تونس ٢٠٠ فرنك .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

السيدة سكينة مرة اخرى : تعقيب على تصويب !

● فى العدد السادس والثلاثين من مجلتنـــــا الرفيعة « العربى » القراء ـ نشرتم تعقيبا وتصويبا للسيد « رجا سمرين » على مقالى « سكينة بنت الحسين » ، قال فيه أن سيدنا « على بن ابى طالب » هو الذى خطب « الرباب » لابنه الحسين من أبيها امرىء القيس بن عدى .. وخطب لنفسه احدى بنات الرجل ، ولابنه الحسن الابنة الثالثة !!

وهذا أمر لا دخل له فى بحثى ، لأنى انما تكلمت عن « سكينة » واردت أن أعرف القارىء بشخصية أمها ـ دون أن أهتم بمن خطبها للحسين ، فضلا عن أن ورود قصة هذه الخطبة الثلاثية فى بعض المصادر دون بعض ، لا يفرض على الناس كافة قبولها وتصديقها .

أما تعقيب السيد المصوِّب على عدم التأكد من صحة الاسم الحقيقى لسكينة بنت الحسين ـ وهو امنة .. وعدم تأكده هو بنفسه من هذا الاســـم الذى حار بين « أمينة ، وآمنة ، واميمة ، وأمية » ـ فأمر لا يفرض علىَّ كباحثة أن اقف من هذه الأسماء كلها موقف الحيرة والتشكك .. بل يعطينى الحق فى أن أتخير الاسم الأقرب معنى من هذه الأسماء ، وهو «آمنة» ، وتغليبه على الأسماء كلها .. فآمنة أم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واطلاق اسمها على بنت سبط رسول الله ، هو الأرجح .

واما قول السيد « المصوِّب » من أن تسمية سكينة بهذا الاسم لم تغلب عليها لكثرة استغراقها وسكونها فى التعبد ـ كما ذكرت فى مقالى ـ وانما لأنها كانت ظريفة مزّاحة حاضرة النكتة سريعـــة البديهة ـ ففضلا عن كونه أمرا يأباه الذوق وترفضه الغيرة على بنات الحسين سبط رسول الله ، فان ما ذكرته هو الأقرب وهو الأصوب ، ويكفى أن من قال فيها هذا القول هو أبوها الامام الحسين أعلم الناس بها .

واخيرا .. ألا يرى معى السيد الباحث المعقب أن محاولة فرضه أن زيد بن عمر طلق سكينة لعبثها به أمر يمجه الذوق ؟! اذ كيف تعبث ابنة الامام الحسين بزوج لها ؟ ولماذا لا يكون زيد قد طلقها بناء على أمر سليمان بن عبد الملك الأموى ـ الذى سار أهله ودولتهم على معاداة على وأبنائه والانتقاص من قيمتهم ومحاولة النيل منهم على المنابر فى أقدس وأجل المناسبات !!

والله يوفقنا جميعا الى طريق الحق والخيـر والصواب .

سنية قراعة

أول مجلة نسائية فى الجزيرة العربية

● لمناسبة المقال الذى نشرتموه بالعدد الخامس والثلاثين عن « الصحافة النسائية العربية » ، أود أن الفت نظركم الى أنكم نسيتم أول مجلة نسائية عربية فى عدن خاصة والجزيرة العربية عامة ، وهى مجلة « فتاة شمسان » ، وتقوم بتحريرهـا السيدة العربية العصامية « ماهية نجيب » احدى السيدات المدنيات اللاتى يكافحن فى سبيل تحرير المرأة المدنية واثبات حقها فى الحياة وفى التعليم العالى والتوظف ، فضلا عن اعطائها حقوقهـــا السياسية . وقد أحدثت الحملات التى تشنهـا هذه المجلة لتحرير المرأة المدنية دويا شديدا فى أوساط الرجال ، والذين لا يزالون يفرضون على نسائهم الحجاب حتى الآن !

نبيهة محمد عثمان

كليب ـ عدن

« العربى » : المجلة التى تتحدثين عنها عمرها سنتان . والمقال الذى نشرناه خاص بالصحافة النسائية العربية من عام ١٨٩٠ الى عام ١٩٢٠ .

هذه الشعارات .. والخطب والمقالات

هل يمكن تحويلها الى قنابل ورشاشات ؟!

● ان نجاح الثورة الجزائرية . اذا كان سيحقق الحرية لشعب جدير بان تنحني له الهامات وتتغنى ببطولته الركبان ، فان فشل هذه الثورة ـ لا قدر الله ـ هو بالنسبة لنا نحن العرب ، وصمة عار لا تمحى ، ولعنة ستظل تلاحقنا على مر الزمان ..

واذا كانت الظروف لا تسمح بمشاركة شعب الجزائر فى كفاحه البطولى بالارواح والدماء، فلا اقل من أن نحمل عنه عبء تمويل ثورته الخالدة ، وذلك اضعف الايمان ...

وانه لمن دواعي الأسف حقا اننا نسخو على ثورة الجزائر بالشعارات والخطب والمقالات، اكثر بكثير من سخائنا بالأموال والتبرعات !

لماذا لا تقوم الجامعة العربية بتنظيم حملة شاملة لجمع التبرعات لثورة الجزائر ؟!

ولماذا لا تتخذ هذه التبرعات صورة نظامية أو رسمية ، بدلا من صورتها الحاضرة الارتجالية ؟!

لماذا لا تفرض لها اتاوة تافهة ، بنسبة ١ الى ٥ فى المائة ، من أجور السفر ، والفنادق والبريد ، ودور السينما والملاهي والمقاهي والمطاعم والاجور والمرتبات ؟!

ان هذه الاتاوة لو حصلت بمتوسط فلس واحد عن كل مواطن عربي ـ وهذا هو أتفه معدل يتصوره العقل ـ لبلغت فى مجموعها بضع عشرات الملايين من الدنانير ، تشد أزر الشعب الجزائرى البطل ، فى كفاحه ضد فرنسا الباغية التى نسيت ، أو تناست ، أن جيشها « الباسل ! » لم يقو على الصمود فى وجه هتلر اكثر من اسبوع واحد ، رفعت بعده يديها ، وركعت على ركبتيها ، فجاءت اليوم تحرق النساء الجزائريات ـ لا الالمانيات ! ـ وتسحلهن فى الشوارع والطرقات ، وكأنها تريد أن تثبت للعالم أنها ـ بحق ـ بلد الأمجاد والبطولات !!

« عربي »

ابو حيان .. وابو الفرج

● اطلعت على ما كتبه الأستاذ « ابو الوليد » فى العدد السادس والثلاثين بعنوان « ابو حيان » .. وابو الفرج . وارجو أن الفت انتباه الأخ الكريم الى أن المصادر التى بين أيدينا لم تتفق على البلد التى ولد فيها ابو حيان . فبعضهم يقول انه ولد فى شيراز،وبعضهم يقول فى نيسابور. فمن اين لهم أن يعلموا تاريخ ولادته على التحقيق، مع انه لا يعلم شيء عن طفولته ؟

وكذلك اختلفوا فى تاريخ وفاته . فالاستاذ الزركلي فى الاعلام يقول ، كما يقول سركيس فى « معجم المطبوعات » انه توفى فى حدود سنة..) هـ. ويقول السيوطى فى « بغية الوعاة » انه توفى فى حدود سنة ٣٨٠ هجرية . وهناك رواية تقول انه مات وهو مستتر من الوزير المهلبي خوفا منه لانه كان يطلبه . فاذا صحت هذه الرواية الاخيرة يكون كل ما جاء عن تاريخ وفاة ابى حيان يحتاج الى اعادة النظر .. فكيف توصف رواية المستشرق « ميتز » والأب « توتل » التى تقول انه توفى سنة ٤١٤ هـ ، انها هي الصحيحة ؟

اما تغافلى عن ذكر كتابه « العوامل والشوامل » فلم يكن مقصودا لانى لم أطلع على الكتاب ، ولم يذكر فى المصادر التى اطلعت عليها . ولم ادّعِ انى ذكرت كل مؤلفات ابى حيان ، أو انى احطت بجميع اخباره فى تلك الكلمة القصيرة .

اما تاريخ ميلاد أبى الفرج ووفاته ، فقد جاء فى كتاب الاعلام ما يلي : ٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ. (٨٩٧ ـ ٩٦٧ م) وقال فى تعليقه على الترجمة : وفى مجلة « الالواح » ـ بيروت ـ العدد ٨ من السنة الأولى بحث يرجح أن وفاته كانت سنة ٣٦٢ هـ فاى التواريخ اصح ؟ ..

(البقية على صفحة ١٤٢)

ثلاث سنوات ..

بقلم رئيس التحرير

■ الزمان يدرّج، وهو دائم الدرّجان. وهو كالنهر العظيم الجارى ، قد تحسّ له عرضا ، ولا تدرى له طولا ، فهو يطول من الوراء الى الأزل ، وهو يطول من الأمام الى الأبد .

ومن فوق مائه السفائنُ والناس ، تحسبها جامدة ، وهى مع التيار تجرى، يحملها حملا ، حيث لا هى تدرى ولا هو يدرى ..

وحظُّ الناس من الزمان الأعمار .

ثلاث سنوات ، فى أحداث غريبة

وحظ « العربى » من عمره ثلاث سنوات ، اتمها فى أحداث من الوطن العربى غريبة عجيبة ، مثيرة . وثار مع كل حدث ، واهتزّ وارتج ، ولكن لم تظهر عليه ثورةٌ أو هزة او رجة . لقد لبس امام هذه الحوادث وجه التمثال وهو من حجر ، لا تبين فيه فرحة أو ترحة ، او يبين غضبٌ أو رضىً ، الا ان تكون نكبةٌ تتصل بالجذور ، عندئذ فتفقد الصبر ، وللصبر غاية ، فقال فى غير مبالاة !

لا تحزّب ولا تحيّز

كل هذا وفاءٌ بخطة اختطها «العربى» منذ ساعةَ كان ، أن يكون على الحياد بين كل الدول العربية . وحكّام العرب، فلا يميل ولا يتحزّب ، ولا يتحيّز الى شخص بذاته ، او فئة عربية بذاتها ، لانه للجميع يطرق بابهم ، ويستقرُّ فى بيوتهم ، ويجالس شيوخهم وكهولهم ، رجالَ اليوم ، ويحادث بَنيهم وبناتهم ، رجالَ الغد ونساءَه ، وتجنى من كل ذلك ، العروبة الحاضرة ، وعلى الأخص القادمة ، الثمرَ الكثير . الثمر الذى لا يتصل بحدث واحد بذاته، ولكن بالأحداث العربية جميعا ، ولا يتصل بمزاج حاضر بذاته ، ولكن بالأمزجة العامة الدائمة جميعا ، تلك التى تصنع العيش ، اليوم، ولكنها تصنعه أكثر فى الغد البعيد والقريب .

خطة اتفقت مع طبيعة « العربى »

خطةٌ حياد اختارها ، اتفقتْ مع طبيعته . فهو مجلة شهرية ، وما كان لمجلة شهرية أن تكون مجلة خبرية . ان الحوادث تسبق فلا يطلع « العربى » الا وقد باخ امرها وهان شانها . وان الحوادث تتلاحق وقد اكتمل « العربى » ولم يعد فى وسع عجلات المطابع ان تدور عكسا الى الوراء .

ايماننا : فى حياتنا مثيرة .!

ايمان بالله
وبأن لا تحيز ولا تحزب
وبالفكر الحر
وبسيادة الشعب
وبالفرص تعطى للناس واحدة
وبأنصبة على قدر العمل غير واحدة
وبزكاة من عقول
وزكاة من قلوب
وبالعروبة : ولها فى نظام حياتنا
ثبات القانون الطبيعى
فى نظم الكون ، رغم كل اختلاف

وهى خطة اتفقت مع وضع الدولة التى تخرج « العربى »

وهى خطة حياد اختارها ، اتفقت مع وضع الدولة التى تخرجه وتنتجه ، الكويت ، فهى دولة نشأت من الأرومة العربية فى الصميم . فهى للعرب ، كل العرب . ترى وتسمع وتعى ، وتحب طبعا بمقدار ما يحب الحى ، وتكره ايضا بمقدار ما يكره . وتحب الخير بمقداره، وتكره الشر بمقداره ، لا شك فى هـذا . ولكنها لا تنحاز . لأنها تؤمن أن الانحياز كالبترول يصب على النار فلا يكون منه الا اشتداد ضرام ، وزيادة فى تقطع ارحام .

لا سلبية وانما ايجاب

و«العربى» ان ابى أن ينحاز ، وطلب الحياد بين الدول العربية فهو لا يطلب الحياد فى عقيدة .

« ... والعدالة الاجتماعية تبدأ باتاحة الفرصة الواحدة لكل ابناء الشعوب : فرصة التعلم فرصة التدرب ... » . وهـذه صورة من الصين ، لرجال لم يعطوا فرصة التعلم والتثقف والتدرب ، يجرون العربة كما تجر الحمير . والحمير تجر على أرجل أربع ، وهؤلاء يجـرون على رجلين .

ان « العربى » له فى العقائد عهودٌ ومواثيق ، وهو فيها مُوجب لا يطلب السلب الحيادى ابدا .

ايمان بالله

ان « العربى » يؤمن بالله ، ومن بعد الايمان بالله يدع للناس عقائدهم فى أمر تمثله وتخيله وتصوره ، وعنده هو لا شك مثاله وخياله وتصوره .

الفكر الحر

و « العربى » يؤمن ، فى أمته الواحدة ، بالفكر الحر اساسا لكل تقدم . والفكر الحر على الخطأ خير من المقيد ، ولو شاءت المصادفة أن يكون فى قليل من الاحيان صوابا . لأن حرية الفكر الدائمة من شأنها تصحيح الرأى الخاطىء ، وليس هكذا الفكر المقيد .

سيادة الشعوب

و « العربى » يؤمن بسيادة الشعوب ، وبأن عهدا انقسم فيه الشعب الواحد الى قلة فيها كل الخير ، وكل الرأى ، وكثرة فيها البرُّ القليل والرأى القطير ، عهدٌ اخذ يتقلص الى الوراء . وان عهدا قد دخل على أهل الأرض جميعا ، تتحمل فيه التبعات كلُّ الاكتاف ، ويتوزَّع فيه الخير على كل الرؤوس .

العدالة الاجتماعية

و « العربى » يؤمن بالعدالة الاجتماعية .
ان جاءت طوعا ، فبها .
وان جاءت قسرا ، فبها .
والمهم النتيجة التى تأتى عن طوع أو عن قسر .

و « العربى » يستوحى معناه فى العدالة من دين الغالبية العربية ، وهو الاسلام ، ومن دين اقليته العربية ، وهو المسيحية . ومن سائر الاديان . ومن آراء ذوى الآراء الحديثة ، ومن روح هذا الزمان .

فرص واحدة

والعدالة الاجتماعية تبدأ باتاحة الفرص ، اتاحة واحدة ، لكل أبناء الشعوب العربية . الفرصة فى مجال الثقافة والتعالم . والفرصة فى مجال الاقتصاد للتدرُّب على الأعمال ، ثم ايجاد هذه الأعمال : وايجاد الرزق الحلال عن طريقها .

والله انزل الناس منازل مختلفة ، فى جسم ، فى عقل ، فى قلب ، وفى كفايات العقول والقلوب . ويختلفون عند التعلم درجات . ويختلفون عند التدرُّب على الأعمال درجات ، فيختلفون أرزاقا ،

«.... ومن بعد الجو الصالح يصبح العمل هو كل شيء في تعيين انصبة الناس من الحياة الكريمة ....» . وهذه صورة من الصين ايضا ، لاسرة بها العيش الرخي ، فالاب والام من مهرة العمال ، وهما ينتجان ، وبقدر ما ينتجان يكسبان . أعطيت لهما فرص التعلم والتدرب ، فانتهزاها فرصا غالية .

ويختلفون انصبة حياة . ولا حيلة لاحد في هذا ، الا الرحمة .

زكاة العقول ، وزكاة القلوب

والرحمة قد تفرض على القادرين فرضا .

والرحمة اذا انت وقفت عندها ، فتبينتها ، وفحصتها ، فما اوشك ان تجدها تتضمن حقوقا على القادرين . فقدرة القادر ليست دائما من كسب الانسان . انها منحة الطبيعة . انها منحة الله .

قدرة الجسم منحة .

وقدرة العقل منحة .

وقدرة القلب منحة .

ولكل منحة زكاة .

ان المال ليس وحده الذي تزكيه الزكاة .

فكل ما منح الله تجب عليه ، في حسباني ، الزكاة ، وبمقدار ما منح .

مستويان للعيش ، ادنى واعلى ، وراءهما الزراية بكرامة الانسان

وكل هذا في سبيل ايجاد مستوى العيش ، ادنى ، لا يهبط الى ان يزرى بكرامة الانسان .

ولكن كذلك في سبيل ايجاد مستوى للعيش ، اعلى ، لا يرتفع في السخف الى ان يزرى بكرامة الانسان .

انهما مستويان للعيش ، مختلفان حتما ، ما اختلف الناس في ذكاء وحيلة ، ولكنهما يتقاربان ما تساوت فرص الحياة ، والتحضير لها ، عند الناس .

اذابة الفوارق

واسمعهم يتحدثون عن اذابة الفوارق ، فارتاب .

واسمعهم يتحدثون عن اذابتها بين الطبقات ، فاهش واؤمن .

ذلك ان الفوارق لا يمكن أن تذوب بين الوف من الناس والوف . لا يمكن ان تزول بين افراد . ان الطبيعة ، وان سنة الخلق التي فطر الله الناس عليها ، تقول بالفروق بين الأفراد ، بسبب فروق في كفايات وهبات .

اما اذابتها بين الطبقات ، فتفرض

الى مثقفين . زالت الفروق مع اختلاف المهنة : استاذ جامعة وطباخ مطعم .

معان لا جديد فيها

معان ليس فيها جديد على القارىء العربى المتصل بزمانه .

وهى معان ليس فيها جديد على الدنيا الحاضرة . يقول بهذا اهل اليسار ، واهل اليمين ، ومَن بينهما ، وان اختلفوا فى وسائل ذلك . والوسيلة الى الغاية قد تكون فى خطورة الغاية قدرا . وتقدير الوسائل لا يكون الا بعد تجربة وامتحان .

ولستُ أفصّل ، فادخل بذلك فيما اختلف فيه الناس .

العمل ! العمل !

ونحن فى الوصول الى هذه الغاية او تلك ، قد تنقص من هنا ، لنزيد هناك ، ولكن تبقى الحصيلة واحدة لا تزيد ولا تنقص .

ومن هنا جاءت خطورة العمل والانتاج .

العمل يحتاج الى الجو الصالح . الجو الاجتماعى الصالح . الجو الذى يفتح الأبواب المغلقة ، ويعطى المواطنين جميعا شعورا ببحبوحة فى الحياة واحدة ، بها النسائم منعشة طرية . ومن بعد الجو الصالح يصبح العمل هو كل شيء فى تعيين أنصبة الشعوب من الحياة الكريمة ، من طعام ، من شراب ، من لباس ، من سكن ، من حدائق ورياض ، من فكر ، من علم وفن ، من متع الحياة جميعا . عمل النجار والحداد ، عمل الصانع والتاجر ، عمل المهندس والطبيب . عمل العالم والأديب . عمل المثال والفنان . عمل الموسيقار والمغنى، عمل كانس الشارع ورب الايوان ولو كان ايوان كسرى .

« ... وانتظم العربُ جميعا ، من الخليج الى المحيط ، غضب صارخ ... » .

وهذه هى صورة فتيات الكويت وقد خرجن فى مظاهرة صارخة ، ينعيّن على الفرنسيين فعلتهم فى عرب الجزائر . وهذه اول مرة خرجن فيها على الغضب ، سافرات ، وذلك فى نوفمبر عام ١٩٦١ .

الحياة قد تذيبها .

ان الذى يجعل الناس طبقات ، الفقرُ .

والذى يجعل الناس طبقات،الجهلُ .

فأغنِ الناس بالعلم والعمل ، تختف فروقٌ بين الطبقات .

الفروق ليست فروق مهنة

والفروق بين الطبقات ليست فروق حرفة او مهنة ، او صنعة كانت ماكانت. انى اذكر انى جلست الى طباخ فى مطعم ، بضاحية من ضواحى فيينا ، بالنمسا . وتحدثت اليه حديثى الى خريج جامعة. وجرى الحديث بيننا سهلا ، فلما علمت انه طباخ المطعم ، جاء يتناول طعامه على مستوى الزبائن ، لم يقع هذا عندى غريبا . رجل مثقف جاء ينضم فى غذائه

ان تحضير الجو الصالح للعمل شيء خطير . ولكنه وحده لا يكفي . انه كاحتفاء العالم الباحث بسطح البحر ، والذى به من امواج،ثم هو ينسى اعماقه .

وما فى اعماق العيش غير العمل ، دعامة الحياة الكبرى . العمل الشامل . العمل الكامل . عمل الرجال والنساء على السواء . حتى الصبية والصبيان ، دروسهم فى مدارسهم عمل . العمل الذى يجب ان يكون لكل حي نصيب فيه، فهو حق من حقوق الحياة الأولى . العمل الذى هو شرف هذا العيش ، فى هذا العصر ، وقد كان من بعض شرف العيش ، فى سابق الزمان ، التعطّل على الترف واستباحة الحرمات .

هذا حديث اليوم

فهذا ما يتحدث العرب اليوم فيه .

وهذا ما اجمعوا عليه ، ثم اختلفوا فى الطريق اليه .

واعود فاقول ، اذا كان الى الله ، حقيقة الكون الكبرى ، اكثر من طريق يوصل اليه ، فقد يكون كذلك ، فى مسالك الحياة اكثر من مسلك يوصل الى الغاية الواحدة .

ان العرب اجمعوا على الغاية .

فلندعهم يتحسس كل طريقه الى تلك الغاية التى لا غاية سواها .

ومن الطرقات ما يهدى . ومن الطرقات ما يطول ويقصر. ومن الطرقات ما يضل طريقا . وقد يطلب السالك الهدى ، وقد يطلب الضلال .

العروبة بعيدة عن كل اختلاف

ولكن لن يؤذن ابدا لاختلاف على طريق ، كان راينا الفردى فيه ماكان ، ان يعكر للعروبة صفوا . العروبة فى منجى من كل هذا ، ويجب ان تظل فى منجى من كل هذا . العروبة حبل النجاة لكل العرب ، من افلته حبلها غرق .

والعروبة قد يخفى معالمها ضباب مؤقت من خلاف .

ثم تاتى الأزمات فتظهر معالم العروبة واضحة جلية .

وقع هذا فى البعيد والقريب، مرات ، وسحب الخلاف قائمة كثيفة تحجب الشمس ان تبين . ووقع اخيرا لما اراد الفرنسيون ، اهل المدنية العارمة ! قتل من هم فى سجونهم من الزعماء الجزائريين . لم يحفلوا بشيء اسمه العدل ، ولا بشيء اسمه اللياقة او الذوق ، ولبسوها وحشية بشعة لم يسمع بها من قبل ناس ولا زمان . استيقظت العروبة رغم الخلاف من سباتها ، وانتظم العرب جميعا ، من خليجهم الى المحيط ، غضب صارخ ، هو صرخة العروبة التى ظن الناس انها لن تصرخ من بعد ذلك الخلاف ابدا .

اختلفوا ايها الناس ما شئتم ، فالعروبة باقية .

وتفرقوا ما اردتم ، فصرخة الذئاب حولكم ، كفيلة بان تضمكم ، اذرعا حول اكتاف .

ان العروبة حقيقة سياسية اصيلة .

ان العروبة حقيقة اجتماعية واقعة .

والعروبة حقيقة تاريخية عريقة .

والعروبة لسان واحد ، واسلوب عيش واحد ، وآمال واحدة .

والعروبة لها فى نظام العيش ، فى شرقنا هذا ، موضع القانون الطبيعى فى نظم الحياة ، ثبوتا ومتانة . فليضرب اعداء العروبة باسنانهم فيها ، فعندئذ سوف تتحطم الاسنان ، وتبقى العروبة، وهى من فولاذ ، لم يصبها خدش او اذى . ■■

احمد زكى

هكذا تخيل فنان
من الهند صورة
سفر السيد المسيح
مع أسرته الى مصر
هربا من بطش
هيرودس ..

السيد المسيح كما يصوّره

يصدر هذا العدد من « العربي » في موعد يحتفل فيه المسيحيون بعيد الميلاد .. المسيحيون الغربيون في ٢٥ ديسمبر ، والمسيحيون الشرقيون في ٧ يناير .. ويشارك مسلمو العرب مسيحييهم في هذا العيد ، عيد ميلاد السيد المسيح « رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم » .. فالى العرب جميعا تهنئة العربي بهذا العيد ، أعاده الله على العالم كله «وبالناس المحبة وعلى الأرض السلام».

لوحة من نيجريا تزخر بفن الزخرفة هناك .
المسيح جاء المجوس من الشرق وقدموا له

أما فنانو اليابان فقد تخيلوا المسيح
والعذراء وحتى الملائكة كلهم يابانيين ...

صورة أخرى لهرب المسيح وأسرته الى مصر كما يتخيلها الزنوج .. فالمسيح هنا يبدو زنجيا أسود ، وكذلك العذراء ويوسف النجار .

فنانون من مختلف الأمم

وعلى هاتين الصفحتين صور من حياة السيد المسيح صورها فنانون من مختلف الامم والأجناس، اطرف ما فيها ان كل امة اختصت لنفسها بعيسى ، فصورته كاحد اطفالها ، اسود ان كان فيهم سواد، ابيض ان كان فيهم بياض ، مائل الجفن ضيقه ان كان في الأجفان ميل وضيق .. ولعل في هذا معنى اخفى ، ذلك هو حب الامتزاج بالله وزيادة في القربى .

المسيح في المزود عند اليابانيين .. ان المزود في اليابان يختلف عنه في فلسطين

... تمثل ما جاء في الانجيل من انه بعد ولادة
...يا رمزية من ذهب ولبان ومر ..

الرجـل الفَرْد

تتناوشه الذئاب من كل جانب :

الأنانية . الطمع . الجشع . الاعتداء .

ان الرجل الفرد فى حاجة الى الأصدقاء .

من أجل هذا

كانت المجتمعـات

اجتمعت على الحب ، وعلى العدل،وعلى التعاون ، وعلى السلم .

وكذا الشعوب

لا سيما الشعوب العربية

فى حاجة الى التكتل والتعاون

دفعا للشر وجلبا للخير

فى ظل الله ، على المحبة والولاء

علم دولة الكويت الجديد

تحية ((العربى))

لصاحب السمو امير دولة الكويت

الشيخ عبد الله السالم الصباح

بمناسبة رفع علم الكويت الجديد

فى عهد الاستقلال المجيد

نرجو الله ان يتم نعمته على الكويت العزيز

وسائر اقطار الوطن العربى

انه سميع مجيب

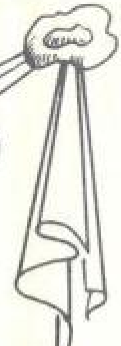

فيلسوف يوقظ أمة

• إذا أردت أن لا يسحقك الناس بأقدامهم فلا تذكرهم بدود الارض فى تواضعك المشوب بالذلة

■ ذلك هو الفيلسوف الالمانى «فشته» Fichte (١٧٦٢ – ١٨١٤)، انه طراز ممتاز من الفلاسفة، استطاع ان يدرك وظيفة الفكر فى الوجود، وان يقدم لأمته فلسفة حية ايقظتها من سباتها، واعادت اليها ثقتها بذاتها .

راى «فشته» بعينيه هزيمة بلاده فى ميدان القتال، واحس فى نفسه امتهان وطنه تحت وطأة الاحتلال الفرنسى، فلم يستسلم لحكم الاجنبى الغاصب، ولم يعتكف فى صومعة التأمل المجرد، بل استمع الى هاتف الواجب، ونهض من فوره يدق ناقوس الخطر، ويدعو أمته الى الكفاح والعمل . وكان اول ما صمم عليه هذا الفيلسوف ان يتولى بنفسه قيادة المعركة، وان يحدد بنفسه مكانها وزمانها ايضا . اما المكان ففى قاعة من قاعات جامعة برلين .. واما الزمان ففى شتاء سنتى ١٨٠٧، ١٨٠٨ .

بين الفكر والسيف

انتصر نابليون على الجيوش البروسية فى موقعة «ينا» Jena سنة ١٨٠٦، واحتلت جنوده برلين . وحز فى نفس الفيلسوف ان يرى بلاده المقسمة وقد ديست كرامتها، وضيع استقلالها، فأراد أن يخلصها من نير السيطرة الاجنبية، وان يكفل لها مكانا مرموقا فى محفل الأمم الحية، وان يجعلها فكرة ضرورية للحضارة الانسانية .

هذه هى الغاية التى ارادها «فشته» وراى ان يحققها عن طريق الفلسفة . والفلسفة عنده انما هى اداة لابلاغ رسالته الى أمته والى الانسانية كلها . وقد كتب الفيلسوف الشاب الى خطيبته فى سنة ١٧٩٠ يقول :

« اننى لا اريد أن احبس نفسى فى الفكر، بل احب ان اعمل ايضا .. لقد قلت انى لو كنت رئيسا للوزارة فى بلاط احد الملوك، لما شعرت بالسعادة الحقيقية . فعبرت بقولك هذا عن اعمق ما فى نفسى من شعور واقتناع: لأن السعادة لا توجد فى اى مكان على الارض، لا عند رئيس الوزراء ولا عند قس القرية .. لا سعادة الا وراء القبر . وكل شىء فى هذه الدنيا صغير الى حد لا يمكن ان يوصف . ولكن السعادة ليست الشىء

بقلم : الدكتور عثمان أمين

استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

الذى أنا باحث عنه ، ما دمت اعلم انى لن اجدها أبدا . ليس عندى الا هوى واحد ، وحاجة واحدة، وعاطفة واحدة ملكت علىّ نفسى : ان اعمل ، وان اعمل دائما لغيرى . وكلما زاد عملى زاد اعتقادى بانى سعيد . وربما كان هذا ايضا وهما من الاوهام ، ولكنه يقينا مستند الى حقيقة » .

من هذا نرى كيف كان « فشته » فيلسوف،وفيلسوفا على المعنى الصحيح: انه فيلسوف ، الفكر والعمل عنده شىء واحد ، ورجل ارتفعت ارادته الى مستوى عقله ، فنتج عن هذا الاتساق النادر فى شخصيته ، نشاط روحى عملى نفاذ، وطاقة اخلاقية حيوية جبارة، استطاعت ان تحول المثل العليا البعيدة وقائع يومية قريبة .

لمن النصر آخر الأمر ؟

برلين . نوفمبر سنة ١٨٠٧

ويا لها من ذكريات ! عساكر الاحتلال الفرنسى تجوب الشوارع والميادين . والناس فى منازلهم يسمعون وقع أقدام الجنود من بعيد ، ولا يستطيعون أن يتكلموا الا همسا : فقد بث نابليون عيونه فى كل مكان . كلمة واحدة قالها بائع كتب فى مدينة « نورمبرج » أدت الى رميه بالرصاص ! اما « فشته » ، ذلك الفيلسوف التائه فى بيداء الفكر ، الغارق فى بحر نظرية العلم ، فلا قيمة له ولا خطر منه فى نظر نابليون ! ولذلك سمحوا له ، بغير اكتراث ، ان يلقى سلسلة من المحاضرات عنوانها : نداء الى الأمة الالمانية . وما من شك فى أن الامبراطور اخطأ فى تقديره لقيمة الفلسفة خطأ اليما سيندم عليه بعد ذلك بسنتين ، اذ يصارح « لوى دو فونتان » — احد كبار رجال الجامعة — بانه ، فى آخر الأمر ، الفكر دائما منتصر على السيف .

نعم اخطأ القائد الفرنسى حين استهان بنداء الفيلسوف الالمانى ، فسيرى الناس أن فكرة القومية الالمانية ، وقد انطلقت فى العالم لأول مرة من فم هذا الفيلسوف الملهم ، ستبعث اصداء مجلجلة فى آفاق واسعة لم تحسب لها فرنسا حسابا ، وستلهب كلماته بجذوتها المشبوبة أمته عن بكرة أبيها ، فتبعث فيها وعيا جديدا، ووجدانا فريدا ، وأملا رشيدا .

نداءات الفيلسوف

ماذا يقول « فشته » فى نداءاته تلك ؟

يقول الفيلسوف لبنى وطنه ما خلاصته : —

« لقد انتهت الحرب والقينا السلاح . ولكن تبقى علينا معركة أخرى ينبغى أن نخوضها بلا توان ، وهى معركة المبادىء والاخلاق . انها مهمة لا نستطيع أداءها من الخارج ، أى بوسائل صناعية آلية ، بل من الداخل ، أى باصلاح عميق وصهر تام لطاقاتنا الحيوية : تلك سبيل التربية القومية ، التى تهدف الى خلق جيل قوى ورجال أحرار حقا يبتغون عظائم الأمور ، ويضحون بأنفسهم فى سبيلها .. وهذه التربية الجديدة ، الالمان وحدهم مندوبون الى تحقيقها : فان الأمة التى أنجبت « لوثر » و « كانت » «وبستالوزى» خليقة أن تتولى مهمة تربية الانسان الكامل وتربية الدولة الكاملة » .

لقد كان استاذه الفيلسوف «كنت» يدعو الفرد الى الحرص على كرامته فيقول :

« اذا أردت أن لا يسحقك الناس باقدامهم ، فلا تذكرهم بدود الأرض فى تواضعك المشوب بالذلة والهوان » .

وفشته أيضا يوجه الحديث ، ولكن الى الالمان فيقول :

« اذا اردتم أن تكونوا ناسا يستحقون هذا الاسم حقا ، فيجب اولا ان تكونوا مواطنين . واذا اردتم ان لا تهلك المانيا ، فاجعلوها اولا امة تحترم نفسها ، وتحمل جميع الامم على احترامها . انكم تعلمون علم اليقين ما أنتم عليه الآن من ذل وهوان. امّا ما قد يؤول اليه امركم اذا لم تعقدوا العزم على أن تغيروا ما بانفسكم ، فما أظنكم تستطيعون ان تتخيلوه .. »

المانيا المثالية

ويرسم « فشته » فى ندائه صورتين للمواطن الالمانى : الالمانى « الواقعى » أى كما هو فى الواقع ، والالمانى « المثالى » أى كما ينبغى أن يكون . ومن هنا نراه يوجه شديد اللوم والتقريع الى ما فى الالمانيين الواقعيين من انانية ومادية وحب للتقليد، بينما يصوغ قلائد المديح لالمانيا الحقيقية، المانيا الخالدة ، ويقول :

« ان الالمان هم الشعب الحقيقى ، والجنس الصحيح ، والطراز الأصيل للانسان ، اذا قلت « الالمانى » فكانك قلت « الانسانية » كلها . انهم اصح الامم مزاجا ، واوفرهم نشاطا. امة لغتها كذاتها على الدوام نابضة بالحياة ، ماضية الى الأمام . شعرها وفنها وفلسفتها تزدهر بلا انقطاع فى مبتدعات ومبتكرات . امة تمنح حياة جديدة لما تقتبسه من الأمم الاخرى ، لان الحياة فيها مستمدة مباشرة من الله الذى صورها وقومها احسن تقويم . فالعمل على بعثها واحيائها هو فى الوقت نفسه خير ضمان لتقدم الانسانية فى مستقبلها » .

الشعب الجوانى

ولكن حين يقول «فشته» ان الشعب الالمانى هو « الشعب الاصيل »،لا يعنى بذلك أن يقرر ان هذا الشعب متقدم على غيره تقدما تاريخيا ، انما يريد أن يقول انه لما كان شعبا « جوانيا » ـ على حد تعبير « كنت » ـ « خالصا » من كل مزيج خارجي،فليس متولدا من الحضارة أو من التاريخ ، بل هو أشبه بمسلّمة من مسلّمات العقل ، ومبدأ من مبادىء الميتافيزيقا . فكأنه يقول ان الالمان هم الشعب « المطلق » ، الشعب الموجود فى ذاته ، أو « الشعب » وكفى !

ذلك ان جميع الشعوب البشرية لا تشارك على السواء فى الروح الكلية ، وليست كلها على سواء فى القدرة على تلقى وعود الحياة الأبدية :

« من الشعوب من يبددون هذه الطاقات الروحية الأصيلة ، لانهم عبيد ركود عضال ، وضحية « قطعية » مخدّرة ، يجرون وراء سراب مبادى خداع . وهؤلاء لا يحيون فى الحقيقة الا حياة مستعارة ، حياة منقولة مبذولة ، حياة انفصلت عن المنابع الأصيلة ، فاضحوا أشبه بـ « ملحق للانسانية » . ومن الشعوب من لا يملكون هذه القوة الخلاقة ، ولكنهم يستطيعون ان يتبينوها حيثما تجلت ، وسيكونون مستعدين للمعاونة فى انتصار القضية العادلة . واخيرا هنالك الشعب « المختار » الذى حافظ خلال التاريخ كله على اتصاله بالمنابع الأصيلة للانسانية ، والذى هو الأمين على وعود الحياة الأبدية » .

ويمضى الفيلسوف فى ندائه فيقول :

« لقد حانت الساعة لأن تقوم فلسفة قد سرى فى كيانها التدبّر والتفكير ، فتقدم لهذه الأمة المرآة التى تتبين فيها نفسها بمعرفة نيّرة وتستطيع فى الوقت نفسه أن تعى وعيا واضحا الرسالة التى لم تكن تدركها الا فى غموض ، وان تكن العناية قد ندبتها لأدائها . أن نداء واضحا يوجه اليوم اليها ، مهيبا بها أن تعمل ، فى حرية وصحو وهدوء ، على تكميل نفسها طبقا للمعنى الذى ارتسم فى ذهنها ، وعلى أن تقفل الاسوار التى تفصلها عن غيرها . ويتم ذلك الانفصال وفقا للمبدأ التالى :

« جميع من يؤمنون بالحقيقة الروحية ،وبحرية تلك الحياة الروحية . وجميع من يؤمنون بتقدم

ابدى فى الروحية عن طريق الثقافة والحرية ،كائنة ما كانت بلادهم ولغاتهم ، هم من جنسنا ، وهم جزء من شعبنا ، أو سينتمون اليه عاجلا أو آجلا. وجميع من يعتقدون بوجود موقوف أو بالتاخر أو بالمصادفة ، أو حتى من يضعون فى تدبير العالم طبيعة جامدة لا روح فيها ، مهما تكن بلادهم ولغاتهم ، ليسوا بالمان ، بل هم أجانب ، هم غرباء عنا ، ويجب أن نؤمل أن ينفصلوا عن شعبنا انفصالا تاما » .

مثالية فى تحديد القومية

ظاهر من كلام الفيلسوف ان تحديده للقومية الألمانية ليس تحديدا ماديا بالوطن والجنس واللغة ، بل هو تحديد مثالي روحي أخلاقي ، يقوم على نقاء المبدأ الأصيل للانسانية . وقد يحلو لفشته ان يضرب عن الماضي والحاضر صفحا ، وهو يتحدث وكأنه أصبح يرى ذلك الشعب الذى كان يعالج آلام النزع ، وقد بدلته الفكرة شعبا جديدا يحيا حياة الخلود . ان فشته يصف المستقبل ، وهو بهذا يمهد له ويعمل على ايجاده . وهو يقول :

« ان الأمر كله مرجعه الينا : نستطيع ان نكون آخر المتخلفين من شعب حقير تزدريه الشعوب القادمة . ونستطيع أيضا ان نكون أول من انجبهم شعب جديد يجعله الخلف بداية يؤرخ بها نجاته ».

واذا كان « فشته » شديد الاقتناع بأن الأفكار تقود الأفراد والشعوب، فذلك على شرط ان تنتقل الأفكار من الذهن البشرى لتسرى فى كيان الانسان ، وتتصل أوثق اتصال بالعواطف ، فتكون عادات ومعتقدات . ولم يهمل الفيلسوف شيئا لاثارة الاهتمام عند كل من يريدون تحقيق هذا المثل الأعلى . ولذلك نراه يبدأ بمخاطبة الشباب ، لأنهم أقرب الناس الى أن يفهموا المعانى الرفيعة ، وأن يتحمسوا للمثل العليا ، فيقول لهم :

« فليفكر الشبان فى خلق شعب أفضل ، وليضفوا على وجودهم شعرا ، متى جعلوا هذا الهدف الرفيع نصب أعينهم ، وبذلك يلاقون منابع الشباب الخالد . فاذا تقدمت بهم السن ، ووهن العظم منهم ، لم تذهب عنهم نضارة أرواحهم وصلابة أخلاقهم » .

وكما يخاطب « فشته » الشبان والناشئين ، لا ينسى ان يخاطب الرجال الناضجين . وهو يوجه اليهم اللوم ، « لأنهم اذ آثروا مصالحهم الخاصة على خير المجموع قد مهدوا بأنفسهم لقيام الحالة الراهنة » . « ولو ان هزيمة جديدة حلت بألمانيا لما أمكن اقالتها من عثرتها ، ولما كان هنالك سبيل للاصلاح. فليفكر العقلاء الناضجون فى كهولتهم : لا يزال فى امكانهم أن يجعلوها كهولة كريمة ، اذا التفتوا فى حياتهم الى الجوانب الروحية » .

اما المفكرون والأدباء والكتاب فقد استحقوا لوم الوطن ، اذ انصرفوا الى الفكر الخالص واهملوا شئون العالم الحاضر ، ونسوا ان يربطوا الحقيقة الخالدة بالواقع الراهن .

لن تغلبوهم بقوة السلاح بل بقوة الروح

ويتجه « فشته » الى جميع طبقات الأمة ، منهيبا بها أن تحقق بقدر ما فى وسعها الاصلاحات التى يقترحها . وهو لا يدعوها بلسانه هو وحده ، بل بلسان أجدادهم الذين كافحوا الامبراطورية الرومانية ، والذين حاربوا من أجل الحرية الدينية . ويدعوهم أيضا بلسان أبنائهم وأحفادهم الذين يطمحون الى ان يروا مواكب الأجيال الوطنية ماضية فى سبيل المجد والفخار . وهو يقول في خاتمة نداءاته :

« هاهى ذى مواكب اسلافكم تناديكم أيضا . فاذكروا ان اصواتهم قد اختلطت بصوتى . انها اصوات اولئك المحاربين البواسل الذين حفظوا الذمار ، فاشتروا بدمائهم استقلال بلادهم عن سيطرة الرومان ، ونالوا بجهادهم حرية تلك الجبال والسهول والأنهار التى تركتموها انتم غنيمة للغاصبين . ان هؤلاء الأجداد ينادونكم صائحين : قوموا مقامنا ، وسلموا للخلف ذكرانا كريمة ناصعة ، كما تلقيتموها منا ، وكما اعتززتم بها . لا يزال الناس ، أيها الأحفاد ، يقدرون جهادنا ويرونه جهدا شريفا عظيما حكيما ، ولا يزالون يرون فينا قوما أوفياء مخلصين ، اختارتهم العناية الالهية

لتحقيق مقاصدها العامة في تدبير الحوادث الكونية . فان هلك شعبنا معكم انقلب شرفنا خزيا ، وصارت حكمتنا جنونا . ولو كان مقدرا على المانيا ان تنضم الى الامبراطورية ، « امبراطورية نابليون » ، لكان اندماجها في الامبراطورية الرومانية القديمة افضل من سقوطها امام خليفتها الجديدة . اننا قاومنا الغاصبين وتغلبنا عليهم . اما انتم ، وقد شتتوا اليوم شملكم ، فلن تغلبوهم بقوة السلاح ، وانما تستطيعون الصمود امامهم بقـوة الروح . لقـد "القيت" على كواهلكم مهمـة جديدة ، ان تقيموا ملكوت العقل والروح ، وان تقضوا على سلطان القوة الغشوم . فان فعلتم هـذا كنتم جديرين بشرف الانتساب الينا . هـذا نداء اسلافكم الاقدمين » .

وبهذه الاصوات اختلطت ايضا اصوات اجدادكم المتاخرين الذين سقطوا في المعركة المقدسة ابتغاء الحرية الدينية . انهم يهيبون بكم قائلين : انقذوا شرفنا ايضا ، اننـا لم نتبين أسباب كفاحنا في وضوح ، وانما عقدنا العزم على ان لا ندع لأى قوة خارجية ان تفرض علينا عقيدة دينية ، ولكننا كنا في الوقت نفسه مسوقين بباعث ارفع ظل مستورا عنـا دائما : هـــذا الباعث في مقدوركم الآن ان تستشفوه اذا كان لكم نظر ثاقب في عالم الروح . اعملوا على تجنب ذلك الخلط المبهم بين النزوات المادية والمطامح الروحية ، فالروح وحدها ، خالصة من شوائب المادة ، هي التي ينبغي ان تتولى تدبير المصالح الانسانية . لقد أردنا ان نهيىء لهذه الروح ان تزدهر في حرية وان ترتفع الى وجود مستقل . ومن أجل هذا ارقنا دماءنا ، فعليكم انتم ان تجعلوا لهذه التضحيات معناها ومبرراتها . والسبيل الى ذلك ان تتبوأ الروح بينكم مقام الشرف والرياسة . وهذه النتيجة هي نهاية التطور الذى مرت بـه امتنا : فان تقاعدنا عن تحقيقها أصبحت جميـع معارفنا السابقة مظاهرات صاخبة ، واضحوكات عابثة ، وأصبحت حرية الفكر والضمير عندنا كلمة لا معنى لها . واكبر الظن ان الفكر والضمير لن يكون لهما وجود .

« وان خلفكم من الأجيال القادمة يهيبون بكم كذلك قائلين : انكم تفاخرون باجدادكم ، وتعتزون بانتسابكم الى جنسهم الكريم . فحذار اذن من أن تنقطع سلسلة الانساب عندكم . واعملوا لكى يحق لنا نحن ايضا ان نفاخر بكم ، وحتى يتيسر لنا بوساطتكم ان نكون اعضاء بررة في هذه النخبة المجيدة ، ولا تجعلونا نتوارى خجلا من انتمائنا الى قوم برابرة عبيد منحطين ، ولا تضطرونا الى اخفاء أصلنا أو تغيير اسمائنا خوفا من ان ينبذنا الناس أو ان يطأونا باقدامهم دون مبالاة » .

سيرتكم في التاريخ

ويتابع فشته حثه اياهم فيقول :

كما يكون خلفكم ، ستكون سيرتكم في التاريخ : شريفة اذا شهد لكم الخلف بانكم عشتم شرفاء ، وحقيرة اذا لم تقوموا على تربية جيل قوى يخلفكم ، وتركتم الغاصب يكتب تاريخكم . فلم يشـهد التاريخ فاتحا أظهر ميلا الى انصاف المغلوبين ، بل كلما امعن في اذلالهم ضمن سيطرته عليهم . ومن يدرى فلعل كثيرا من الأمم الخالية قد خلفت من جميل الأعمال ورائع النظم وكرم الأخلاق ما كان مصيره النسيان ، لأن الأجيال اللاحقة من ابنائها قد استسلمت للغاصب ، وتركته يكتب لها تاريخها ويتحدث عنها بما يلائم اغراضه .

الوعي العالي للانسان

تلك خلاصة النداءات التى وجهها الفيلسوف الى أمته . ولقد رددت المانيا كلها ما قاله فيلسوفها ، وانطلقت في طول البلاد وعرضها نغمة جديدة ، وانبعثت فجأة تلك « القومية » الالمانية التى ستغير ملامح البلاد الاخلاقية والسياسية ، وستلقى في الدنيا بمطالب لم يكن للناس عهد بها من قبل ، وستبعث المانيا على ان تخوض « حرب التحرير » سنتى ١٨١٣ ، ١٨١٤ و « حرب الوحدة » من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٧١ . وسيشهد الناس في القرن التاسع عشر من مؤرخي الالمان وفلاسفتهم وادبائهم ، بل من فنانيهم وعلمائهم ، من يبذلون غاية جهدهم ليحققوا المهمة المقدسة التى بداها الفيلسوف ، وليودعوا في نفوس مواطنيهم مادة مشتركة من الاعتقادات والمطامع والآمال ، وليحددوا الفكرة الالمانية ، تلك الفكرة التى لخصها بيان « فشته » في قوله :

« اننا الشعب المختار ، شعب المستقبل . اننا الوعي العالي للانسانية » .

فلسفة الوحدة الالمانية

ذهب بعض الكتاب المعاصرين الى ان نظرية « فشته » تحتوى على جراثيم فكرة « الشعوبية » او فكرة « الجامعة الجرمانية » او مطالب الغزو الاستعمارى الألمانى ، على نحو ما عهدناها عند « غليوم » و « هتلر » فى القرن العشرين . وذهب كاتب فرنسى الى ان « النازية نبات سام ، جذوره ممتدة الى فشته » .

من الممكن ان يقال ان هذا التفخيم للغة الألمانية ، وهذا التمجيد للشعب الالمانى هو اصل فكرة « الجامعة الجرمانية » . ومن الممكن ، بل من المؤكد ان الدعاة الى هذه الجامعة قد استخدموا صفحات من « فشته » فى ندائه الى الأمة الألمانية . ولكن الانصاف يقتضينا ان نقرر ان فكرة الجامعة الجرمانية هذه لم تخطر ابدا على بال الفيلسوف : كانت المانيا قد كبلت بالقيود ، وعرضت للمحو من خريطة اوروبا ، وانهارت قوى الشعب المعنوية ، واوشك الغاصب الأجنبى ان يكتم أنفاسها الأخيرة . افلم يكن ذلك كله كافيا ليهز نفسا نبيلة طاهرة ، فتاخذ على عاتقها أن تلهب مشاعر الأمة ، وان تجعل منها مثلا أعلى للانسانية ، وان ترنو ببصرها وفكرها الى مستقبل لها ازهر واسمى ؟

لا جامعة جرمانية

ان خطب « فشته » انما تتحدث عن امة مثالية ، ولغة مثالية وتربية مثالية . وهذا هو ما قاله « فشته » نفسه : فهو يضع هذه الاشياء ، كما قلنا ، لا على انها موجودة فى الواقع ، بل على انها ينبغى ان توجد ، اذا أريد انقاذ الأمة الألمانية من الهلاك ، والحيلولة دون محوها من عداد الأمم المستقلة .

والذى يؤكد هذا اكثر من اى دليل آخر ، وان «فشته» كان ابعد الناس عمّا يسمى بالجامعة الجرمانية ، نداؤه الثالث عشر الذى هو بمثابة الذروة التى تنتهى اليها النداءات السابقة . ولا يوجد استنكار للجامعة الجرمانية اقوى وابلغ مما ورد فى اقوال فشته نفسه فى هذا النداء . فهو يقول ان الحدود الحقيقية للدول هى حدودها الداخلية . وهذه الحدود الداخلية هى التى تخلق الحدود الخارجية .

« وان امة متميزة لا يمكن ان تبتلع امة اخرى تختلف عنها اصلا ولغة دون ان تعرض للخطر تقدمها ولغتها وثقافتها . فالالمان يؤلفون اذن ، بفضل لغتهم وعقليتهم شعبا متميزا عن الشعوب المجاورة . وهم ايضا ميالون بطبعهم الى الاستكفاء بانفسهم ، وعدم التدخل فى شئون غيرهم من جيرانهم » .

فمقصد الفيلسوف أن يبعث «المانيا الحقيقية » لا « المانيا الكبرى » ، كما يقال اليوم . واذن فهذا النداء الثالث عشر يستنكر فيه الفيلسوف بصراحة كل سياسة «جرمانية» او خطة استعمارية . وكل ما ظهر بعد ذلك من نزعات الغزو والتوسع فى المانيا المعاصرة صوره فشته على انه شىء مخالف للعقل ، منكر بغيض .

واذا صح ان الافكار تقود العالم ، فان فشته هو خالق الوحدة الالمانية . ولو ان زعماء المانيا التزموا الطريق الذى رسمه الفيلسوف ، لظلت بلادهم «نقية» قوية ، ولما اصابها ما اصابها ، نتيجة لسياسة التوسع الاستعمارى ، التى عانت منها الانسانية ما عانت ، وما لا تزال تعانى .

المواطن والانسان

وبعد فهذا النداء الذى وجهه «فشته» الى الأمة الألمانية يستحق أن ينال اكبر عناية من أهل الوعى جميعا فى كل امة . فليس من شك فى أنه لا غناء عنه للمربين الذين ينشدون أن يبثوا فى الشبيبة روحا جديدة ، وللسياسيين الذين يريدون لأمتهم ان تكون أشد بأسا واوفر عزة ، وان تصون استقلالها اللازم لتقدمها السلمى الانسانى .

عثمان امين

مسابقة العربي

الجوائز ١٠٠ دينار

١٠ تواريخ .. غيرت وجه التاريخ!

■ اخترنا لهذه المسابقة عشرين حدثا تاريخياهاما ، سواء أكانت حروبا عالمية ، أم ثورات محلية أم كشوفا علمية ، أم محاولات دولية لاقرار السلام في العالم . بعضها قديم ، وبعضها حديث . ولكنها تشترك جميعا في انها غيرت وجه التاريخ أو ساهمت في تغييره بنصيب . وليس عليك لكي تكون احد الذين يجرى بينهم الاقتراع على الجوائز المقررة للمسابقة ومجموعها مائة دينار ، الا أن تذكر تواريخ عشرة من هذه الاحداث فقط ، فتكتب أمام كل حدث التاريخ الذى وقع فيه ، باليوم ، والشهر ، والعام.

وفي ما يلي الاحداث العشرون بحسب ترتيب وقوعها :

١ ـ اعلان استقلال امريكا
٢ ـ الثورة الفرنسية
٣ ـ اعلان الحرب العالمية الاولى
٤ ـ وعد بلفور بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين
٥ ـ الثورة الروسية الشيوعية
٦ ـ اعلان الهدنة عقب الحرب العالمية الاولى
٧ ـ أول اجتماع عقدته عصبة الأمم
٨ ـ اعلان الحرب العالمية الثانية
٩ ـ أول اجتماع للأمم المتحدة
١٠ ـ تأسيس الجامعة العربية
١١ ـ القاء أول قنبلة ذرية على هيروشيما
١٢ ـ بدء حرب فلسطين
١٣ ـ انتهاء الحرب العالمية الثانية
١٤ ـ قيام الثورة المصرية الأخيرة
١٥ ـ بدء نشوب الثورة الجزائرية
١٦ ـ تأميم قناة السويس
١٧ ـ العدوان الثلاثي على بورسعيد
١٨ ـ عقد أول اجتماع لمؤتمر باندونج
١٩ ـ قيام الثورة العراقية
٢٠ ـ اطلاق أول رجل الى الفضاء : جاجارين

شروط المسابقة

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٤ .
٢ ـ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي ـ العدد ٣٨ » .

آخر موعد للاجابة

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر فبراير (شباط) ١٩٦٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..
الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..
الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..
وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

الفنان

- إنه فى عرف الناس مخلوق غريب شاذ
- وهو فى رأى افلاطون خلية هدامة للمجتمع
- ولكنه فى واقعه صاحب رسالة إنسانية سامية لا تتغير بتغير اللسان والألوان

بقلم :
الدكتور زكى نجيب محمود

■ ماذا يوحي الى الناس قولك عن فلان انه فنان ؟ انه يوحي اليهم أول ما يوحي انه مختلف عن سائر القطيع ، فله معاييره التى يخرج بها على مالوف المعايير ، وليست قيم الناس فى تقدير الأشياء هى قيمه ، فكأنما هو يعيش فى عالم غير عالمهم ، ويكابد من الخبرات النفسية غير الذى يكابدون . بل انه ، حتى فى غرابته تلك ، لا يستقر على حال واحدة من الشذوذ ، فهو فى كل يوم شاذ على صورة من الصور ، وعنده تلتقى المتناقضات ، فالخير والشر يلتقيان على قلمه ان كان كاتبا ، أو على فرجونته أو على ازميله ان كان مصورا أو مثالا . فهل يفرق الفنان فى تصويره بين الملائكة والشياطين ؟ هل يفرق بين الحكيم والأبله ؟ فالله والشيطان قد يجتمعان فى قصيدة واحدة كما نرى فى « الفردوس المفقود » لملتون ، وفى « ترجمة شيطان » للعقاد . ولا عجب ان ترى الفنان — فى كثير من الأحيان — عصي الانقياد للقانون السائد وللأوضاع القائمة — حتى ابسطها ، فلا ثياب الناس تعجبه ، فيلبس على هواه ، ولا المجاملات المعروفة تستهويه . فاما ان يغفر له الناس شذوذه ويقولون انه « فنان » فاتركوه ، واما ان يحاسبوه الحساب العسير فيطردوه من مجتمعهم كما فعل شيخ الفلاسفة افلاطون فى « جمهوريته » التى اقامها بخياله العاقل الوثاب .

لا موضع للفنان فى جمهورية افلاطون

رسم افلاطون للدولة مثلا أعلى من وجهة نظره ، فجعل الناس طبقات على أساس قدراتهم ، ثم جعل لكل انسان عمله الذى يتفق وطبيعته التى

فطر عليها ، وأم الشرور كلها ـ عنده ـ أن يحاول رجل من فئة أن يؤدى مهمة رجل من فئة أخرى ، فالفضيلة الكبرى التى لا فضيلة بعدها هى أن يرضى الانسان بموضعه الذى حددته له طبيعته ، وهو بهذا الرضى يحقق وجوده باعتباره انسانا ، ويحقق وجوده باعتباره مواطنا يعيش مع الناس فى مجتمع واحد ، وهما وجودان قلما يجتمعان الا فى ظل السياسة التى رسمها أفلاطون ، لأنك ـ فى الأنظمة السياسية الأخرى ـ اذا أصررت على فرديتك الانسانية ، وأردت التعبير عن طبيعتك الخاصة تعبيرا حرا ، خرجت بذلك حتما على التجانس الذى أرادته القوانين الاجتماعية بما فيها من عرف وتقليد ، واذا انضويت مع الناس فى طرائق عيشهم ، ضحيت حتما بفرديتك المستقلة . لكن الوجودين يلتئمان فى الجمهورية الافلاطونية على زعم صاحبها ، فأين يوضع الفنان فى مجتمع كهذا يجعل تجانس أبناء الطبقة الواحدة مبدأه الأول ، والفنان ـ كما رأينا ـ شرود بطبعه جموح لا ينساق فى قالب يقد له ولا يطمئن لقيد يحدد له خطاه ؟

لا عجب ان لم يكن للفنان موضع فى مجتمع كهذا ، ولقد طرده أفلاطون طردا ، وهاجمه أعنف الهجوم : فالفنان بفنه يخاطب من الانسان حواسه كالبصر والسمع ، ولا يخاطب عقله ، والحواس هى من الانسان جانبه الأدنى ، والعقل هو جانبه الأعلى . فأين الرسام ـ مثلا ـ الذى يخاطب برسومه عين الرائي ، من عالم الرياضة الذى يخاطب بمعادلاته عقل المفكر ؟ والفنان فوق هذا ـ أو بسبب هذا ـ مضطر أن يقف عند ظواهر الأشياء ، فلا تهمه حقيقة الشيء فى ذاته ، بقدر ما يهمه المظهر البادى على سطحها . أاذا رسم رسام فردا من الناس ، رسم جوهره العقلى أم تراه يرسم جسدا ؟ والفنان فوق ذلك كله خلية هدامة للبناء الاجتماعى ، وذلك بالنسبة الينا الآن هو بيت القصيد .

الفنان ـ عند أفلاطون وعند كل من يريد للمجتمع تجانسا فى افراده ـ خلية هدامة للبناء الاجتماعى ، لأنه كائن حر بطبعه ، يؤلف المسرحية مثلا فلا يضيره أن يلبس وشاح الملك أو مرقعة المهرج . انه على استعداد أن يكون ذا شرف شريف مع هذا البطل ، وصاحب خسة خسيسة مع هذا النذل . واختصارا فان الفواصل بين الحق والباطل تنمحى أمام بصره ـ فيما يقول أفلاطون ايضا ـ واذن فلا مناص من طرده من حظيرة المجتمع اذا أريد للمجتمع بقاء سليم ، وحسبنا من المعارف علم" وأخلاق ، فبالعلم نعرف الحق فى ذاته ، وبالأخلاق نسلك سلوك الفضيلة . والى هذا الحد البعيد أخضع أفلاطون الفن للسياسة ولم يخضع السياسة للفن ، فالأولوية عنده لسلامة البناء السياسى ، واللعنة لكل ما نراه يتعارض مع سلامة ذلك البناء .

الفنان عقبة فى سبيل تجانس الناس

فالفن فى رأى هذا الفيلسوف عميق الأثر فى حياة الناس ، ولو لم يكن كذلك لما حفل به ولأغضى عنه . وأثره العميق انما هو فى تكوينه لعادات شعورية خاصة ، فاذا جاءت تلك العادات متفقة مع ما يريده صاحب السلطان كان خيرا ، والا فالويل لصاحب السلطان اذا اعتاد الناس عن طريق الفن استجابات شعورية لا ترضيه . والنزاع فى هذه الحالة محتوم بين الحاكم والمحكوم . ولعل هذا هو بعينه ما يجعل الحكومات الحديثة ـ حينما يهمها أن يتجانس الناس ـ حريصة على أن تكون مقاليد الفن فى يدها ، وقد تجزل العطاء للفنان ، تهيىء له من طيبات العيش ما يشتهى ، حتى ينصاع الفن للسياسة فى مجراها فيخلق فى الناس استجابات شعورية تصون البناء الاجتماعى ولا تهدمه .

كل ذلك جميل ما دام الأمر مقصورا على بلد واحد وأمة واحدة ، فلنفرض ـ جدلا ـ ان لا غضاضة على الفرد داخل بلده وفى حدود أمته أن يتجانس مع بقية الأفراد ، وان واجب الفنان هو أن يؤكد هذا التجانس ، فيصوغ بفنه مثلا عليا هى التى من شأنها أن تبقى على النظام الاجتماعى والسياسى القائم . ولكن ما هو الحال والعالم بلدان وأمم ؟ احدى اثنتين : فاما أن تظل البلدان والأمم على تناحر وخلاف ، وعندئذ فليضرب كل فنان فى بلده على الوتر الذى تريده أمته ، أو أن تسعى الى ازالة عوامل الشحناء ليكون بين الناس فى مختلف أصقاع الأرض اخاء ، وعندئذ لا بد للفنان من رسالة أخرى ، فماذا عساها أن تكون ؟

تكون تلك الرسالة حين يجاوز الفنان حدوده الأقليمية ليخاطب الحقيقة الانسانية فى صميمها . والحقيقة الانسانية واحدة مهما اختلفت ألوان

الجلود ، وطرز الثياب ، والوان الطعام ، وانماط الروابـط والصلات . فبخيلُ الجاحظ كبخيل موليير ، صورة انسانية لا تقيدها قيود اللغة التى رُسمت بها ولا الاوضاع الاجتماعية التى نشأت فى ظلها . وقيس" هو روميو ، وروميو هو قيس . كما ان ليلى وجولييت أختان فى المصير . فاقرا فيـما ان شئت او اقرأ روميو ، فالحالة الوجدانية فى كلتا الحالتين واحدة .

وللامـام الغزالى اعترافات وللقديس اوغسطين اعترافات ، وكلا المتصوفَيْن يصدقان القول كيف أوشكا على ضلال ثم أراد لهمـا الله الهداية واليقين ، فاقرا هذا او اقرأ ذاك تجدك ازاء روح انسانى لا يغير من حقيقته أن ينطق بلسان عربى او لسان غير عربى ، فالانسان هو الانسان فى سعادته وفى شقائه ، فى لهوه وفى جده ، فى جوعه وفى امتلائه ، فى رضاه وفى سخطه ، وانما تتغير القشور دون اللباب .

افلاطون لم يفهم رسالة الفنان

ونتناول الموضوع من زاوية أخرى لتتضح رسالة الفنان فى عصرنا الذى تخاصمت فيه الشعوب ، وذلك ان ننظر الى طبيعة الفن فى اعماقها ، فنراها هى نفسها طبيعة اللعب . فالتلقائية فى اللعب هى نفسها التلقائية فى الفن . والتنفيس الذى يكون فى الفن ، والتنزه عن الغرض فى اللعب ، هو نفسه التنزه عن الغرض فى الفن . واهم من هذا كله ، التعبير عن الكيان الانسانى فى مجموعه – لا هذا العضو وحده او ذاك العضو وحده – هو فى اللعب وفى الفن على حـد سـواء ، فلنت لا تدرى وانت تلعب ابالحواس تلعب ام بالعقل ، لانك تلعب بكل ملكاتك فى آن واحد . وكذلك فى الفن اذ تشخص ببصرك الى صورة أوتصغى بسمعك الى نغـم . وهاهنا الغلطة التى أضلت أفلاطون عن الصواب حين ظن الفن منوطا بالجانب الحسى الظاهر دون اللباب العقلى الباطـن ، وراح يرتب عـلى ذلك النتائج ، وهاهنا أيضا نضع أصابعنا على أهم نقطة نريد ابرازها لتتبين لنا رسالة الفنان .

ففى حياتنا العملية من تجارة وصناعة وزراعة ، بل فى حياتنا العلمية ذاتها ، قد تنشق حياةالانسان شطرين : فاما هو صاحب فكر أو صاحب عمـل بدنى ، وانها لتفرقة" رسخت" فى الأذهان طوال العصور ، حتى لاوشكت أن تبدو للناس وكأنمـا هى البداهة التى لا تحتمل الجدل . ففريق هم أهل الفكر ، وفريق هم أهل العمل . وكان للاولين – فى الاعم الأغلب – السيطرة والسيادة عـلى الآخرين . وفى مثل هذه القسمة ينشط من الانسان جانب ويخمد جانب ، فان كان من الفريق الأول نشط فكره وخمد جسده ، وان كان من الفريق الثانى نشط جسده وخمد عقله . فمتى وأيـن وكيف تنزاح هذه الحواجز التى تشق الطبيعـة الواحدة نصفين ؟ تكون فى ميدان اللعب ، سواء كان اللاعبون أطفالا أو راشدين ، فعندئذ يصبح الفرد فردا متكاملا والانسان انسانا واحدا متحدا ، لان فى ميدان اللعب تخرج جميع القوى الى الفاعلية النشيطة . فالادراك بالحواس ، والادراك بالعقل ، والرغبات والانفعالات وشتى عناصر الطبيعة البشرية تعمل كلها فى تناغم لا نشاز فيه . وما يصدق على اللعب يصدق كذلك على الفن ، ففى مجال الفنون يجد الانسان نفسه كائنا متكاملا بكـل مقوماته ، غير منشطر ولا منقسم ، فلو استحال على الناس وهم فى ميدان العمل اليومى أن يتفاهموا لاختلاف أوجه نشاطهم الفكرى والبدنى – وكيف تريد أن يتفاهم مثلا عالم رياضى وهو فى معادلاته المجردة مع نجار أو حداد أو فلاح يده على القادوم أو على المطرقة أو على المحراث ؟ – أقول انه اذا استحال التفاهم عندئذ ، فما أيسر التفاهم بينهم جميعا وهـم فى دولة الفن ، فالحكايـة تروى أو القصيدة تنشد أو الموسيقى تعزف كفيلة أن تجمع الابصار والأسماع جميعا على ملتقى واحد .

الفن ملتقى النشوة الفنية على اختلافها

ومثل هذا يقـال كلما ارغمت أوضاع الحياة الناس أن يختلفوا فيما يمس الجانب العملى من الحياة ، فيجىء الفن مؤلفا لما اختلف ، وموحدا لما تشتت ، اذا ما أطلق الفن على طبيعته يؤدى رسالته الحقة ، التى تخاطب طبيعة الانسان فى صميمها كما يخاطبها اللعب . فاذا رأينا السياسة قد مزقت الناس قوميات متعارضة ، ثم اذا رأينا العلم قد انصرف فى طبقاته العليا الى ما يخدم السياسة فى أغراضها بما يزودها بـه من أدوات الفتك والدمار والتهديد والتخويف ، فأين يكون الأمل الا فى ميدان الفن فيتآخى فى رحابه الانسان والانسان ؟ وذلك لا يتحقق – بالطبع – الا اذا

افلت الفنان من قبضة الدولة الواحدة ، فلا يجعل ادبه تبشيرا بما تريده تلك الدولة ، انما يوجه ادبه الى « الانسان » ، وعندئذ يكون الفن « اجتماعيا » لا بالمعنى الذى يخدم به هذه الجماعة دون تلك ، بل بالمعنى الذى يخدم به المجتمع الانسانى باعتباره أسرة واحدة . ولقد يطن هذا القول فى الأسماع طنين الشطحات النظرية التى تغض انصارها عن الواقع الملموس ، كأنما نقول شيئا غريبا لم تألفه فى كل فن رفيع منذ صار الانسان فنانا ! فمن ذا يخاطب شيكسبير بمسرحياته ؟ ومن ذا يخاطب سيرفانتيز بقصة دون كيشوت ؟ بل من ذا تخاطب حكايات الف ليلة وليلة ؟ لمن بنيت المساجد والمعابد والكاتدرائيات عندما افتن بناتها بكل ما وسعهم من فنون البناء ؟ كل هؤلاء قد كتبوا وقد انشدوا وقد شيدوا وفى اذهانهم الطبيعة الفنية على أسمى صورها ، فجاءت آثارهم « للانسان » من اى بلد جاء وبأى مذهب دان وبأى لسان تكلم .

ولقد أرادت طبيعة الفن أن تمعن فى رسالتها — التى هى مخاطبة الانسان من حيث هو انسان على الاطلاق — فجعلت من خصائص الفن أن يكون قابلا لاختلاف التأويل دون أن يفقد ذرة من قيمته ، لا بل انه كلما تباينت ضروب التأويل باختلاف الثقافات ازداد الفن قيمة وارتفع مقاما ، فكل اثر فنى هو حمال اوجه ، ولمن شاء ان يفهمه كيفما شاء ، ونقطة الملتقى هى النشوة الفنية الخالصة ، التى تشبه نشوة اللاعب بلعبته على اختلاف اللعبة وطرائق أدائها ، على أن هذا الاختلاف فى التأويل نفسه دليل على أن وراءه « حقيقة » انسانية يحاول المؤولون أن يصلوا اليها .

الفن فردية ، ثمراتها للمجتمع كله

وهذه النقطة الأخيرة بالغة الخطورة فى موضوعنا ، فلسنا ممن يقول ان حرية الفنان تجيز له أن يعبث بمادته الفنية كيف شاء ، فيجرى اللفظ أو اللون او النغم كما تريد له نزواته ، بل لا بد فى كل فن من الالتزام ، واشد التزام هو التزام « الحق » كما يعثر عليه فى دخيلة نفسه ، فليس فنا ما ليس يلجم صاحبه دون الشطح الذى لا يعرف الحدود والقيود ، والا لكان كل حالم فنانا . فلئن كان الفنان بمثابة من يحلم لبنى جنسه من البشر ، الا انه حلم منضبط بالقواعد والقوالب والمبادىء انضباطا يقيده فى حدود « الحق » الذى يريد الفنان أن يبثه فى فنه . وانك لتميز الفن الاصيل من الفن الرخيص بمثل هذا المعيار : أتحس وأنت بازاء القطعة الفنية كأنما أنت ناعس يتلقى اوهاما لا توقظه ، أم تحس كأنما شىء يحرك فيك قواك الروحية لتلتمس الحقيقة الكامنة وراء اللفظ او اللون أو النغم ؟ فهل تستطيع — مثلا — أن تقرأ المتنبى وأنت غافل ؟ أم تراك يقظان الروح عند قراءته حتى توشك ان تكون أنت هو المتنبى عندئذ فى اعتزازه بنفسه وكبريائه ؟

لقد كان للفن قديما ووسيطا وحديثا رسالة اجتماعية ، وما يزال . وليس بمستغرب أن تجد متاحف الفن فى كل عواصم العالم كالعنوان من الكتاب ، لأنه لا حضارة بغير فن ، ثم لا حضارة بغير اشتراك الافراد فى نشاط تتسق اطرافه على اختلافها فى الظاهر . ولم تكن وظيفة الفن الاجتماعية موضع شك وسؤال الا منذ الحركة الرومانسية فى أوائل القرن الماضى ، فعندئذ راح الناس يسألون — وما زالوا على سؤالهم — أجعل الفن شيئا فرديا خاصا بصاحبه وحده ، أم يكون للناس أجمعين ؟ أما قبل ذلك فلم يتردد احد فى ان الفن للمجتمع كله ، فما كان الشاعر ينشد لنفسه ولكنه ينشد للناس . وما كان المثال أو الرسام او الموسيقى ينحت التماثيل أو يرسم الصور او يعزف الموسيقى ليكون ذلك بمثابة النجوى بينه وبين نفسه ، بل كان كل ذلك للناس اجمعين . فلما أخذنا التردد اخيرا فى مهمة الفن ، وجدت من يدعو الى أن يكون الفن حديثا من الفنان لنفسه وليستمتع به من الناس من شاء ، وليسخط عليه من شاء . ولعل ما قد حدا بأصحاب هذه الدعوة الى مثل هذا التطرف ، ما قد رأوه محيطا بهم من نظم سياسية تسحق الفرد سحقا ، فقالوا ليكن الفن ملجأ الفرد الذى يأوى اليه مطمئنا آمنا .

والدعوة التى ندعو اليها فى رسالة الفن ماذا تكون ، انما تحقق الفردية العزيزة على أصحابها ، كما تحقق فى الوقت نفسه اشتراك الناس فى فاعلية واحدة ، وهى أن يتجه الفنان الى حقيقة الانسان فى آماله وآلامه وخواطره ومشاعره ، ليلتقى فى محرابه كل انسان . ■■

زكى نجيب محمود

نتيجة مسابقة العدد السادس والثلاثين

ضابط بقوات الأمن العربية يفوز بالجائزة الأولى

■ كان الاقبال على مسابقة العدد السادس والثلاثين (خمس نساء خالدات) أشد مما كان متوقعا ، فضلا عن أن أكثر من ٩٠٪ من الذين اشتركوا فيها ، على مستوى من الثقافة رفيع .

وقد فاز بالجائزة الاولى ضابط بقوات الامن التابعة للجامعة العربية والتى ترابط الآن في الكويت هو الملازم أول ابراهيم على مطالعة بالقوة الاردنية . وفاز بالجائزة الثانية خبير ضرائب ومحاسب قانونى هو الاستاذ عبد المقصود حشاد بالقاهرة ، كما فاز بالجائزة الثالثة طالب عربى في جامعة ليدز بانجلترا .

وفاز الجنس الناعم بثلاث جوائز فازت بها الآنسات : البندرى عبد العزيز السديرى بالمملكة العربية السعودية ، وغادة السيدة وهى طالبة اردنية تدرس الطب فى جامعة بادوفا بايطاليا ، ونوال محمد البنا المدرسة بمدرسة ام المؤمنين بالدوحة ـ قطر ..

وكان بين الفائزين مفتش بوزارة المعارف السعودية بالرياض ، والشاعر امين سلمان قميحة بالنبطية ، لبنان ، الذى أجاب عن المسابقة شعرا بأبيات استهلها بقوله :

قرأت مجلة « العربى » فيها
رموز نشرها فوح الزهور
لخمس نسوة خلدن مجدا
تألق ساطعا مر الدهور

وختمها بقوله :

وللعظماء فى التاريخ سفر
وذكر قد تضمخ بالعطور

اما النساء الخمس اللواتى كن موضوع المسابقة فهن على التوالى : كليوبترة ، مدام كورى ، زنوبياء ، شجرة الدر ، هيلين كلر .

وفيما يلي أسماء الذين اسفرت القرعة عن فوزهم :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **الملازم اول ابراهيم على مطالعة** ، الوحدة رقم ٢٦ بقوات الأمن العربية (القوة الاردنية) ص.ب ١٢٨٦ ـ الكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **الاستاذ عبد المقصود حشاد** خبير ضرائب ومحاسب قانونى ـ ٣٦ (أ) شارع السكاكينى بالقاهرة (ج. ع. م) .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها الطالب العربى : **عبد العزيز عبد القادر السيد حسين** بجامعة ليدز ـ انجلترا .

٨ جوائز مجموعها اربعون دينارا ، لكل منها خمسة دنانير فاز بها السادة :

١ ـ **الاستاذ محمد محمد احمد الوزير** ، المفتش بالتعليم الثانوى بوزارة المعارف بالرياض ـ المملكة العربية السعودية .

٢ ـ **السيد غانم منصور القائم** : معمل الصباح ص. ب ٢٢٥ الكويت .

٣ ـ **الآنسة غادة السيدة** : الطالبة الاردنية بجامعة الطب فى بادوفا بايطاليا .

٤ ـ **السيد امين سلمان قميحة** : النبطية ـ لبنان .

٥ ـ **الآنسة البندرى عبد العزيز السديرى** : القريات ـ السعودية .

٦ ـ **السيد فاروق عبد الرحمن احمد عيسى** : كلية الاقتصاد جامعة الخرطوم ـ الخرطوم ـ السودان .

٧ ـ **الآنسة نوال محمد البنا** ـ مدرسة أم المؤمنين ، دائرة المعارف : الدوحة ـ قطر .

٨ ـ **السيد فؤاد عبده** : ص.ب ٧٢١ الكويت

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

اعتدنا ان ننشر فى العربى كل حديث من الشعر طريف . ثم بدا لنا أن فى الشعر غير الحديث طرائف ، من الخسران العظيم أن تبقى مذخورة فى بطون الكتب لا ترى النور . ويجتليها الشيوخ والكهول ، ولكنها بعدت عن الجيل الشاب الحديث بعدا كبيرا .

فهذه بعض تلك الطرائف القديمة ، نزجيها الى الشباب خاصة ، وسيجدون فيها المعنى الرقيق ، والخبرة الانسانية العميقة،وشجون الحياة ومجونها . فهذا هو الأدب ، تتمثل فيه عواطف بنى الناس عارية . ومن القديم ، الحديث الذى لا يبلى ابدا على الزمان .

مِنْ رَوائعِ الشِّعْر

هذا شاعر ، يتقبل على حبيبته ما امتنعت ، وقام حولها حرس من أهلها يحميها، يقطر الموت من ظباهم والسيوف . ثم تغير الحال . حاطت بها أطماع الطامعين . صارت روضة سهلة الأكناف ، قريبة الثمرات لقطافها . اذن فهو يتحول عنها : وداعا ! ليس لى اليكم من عودة .

قال موفق الدين الأربيلى :

رُبَّ دَارٍ بالغضا ، طال بَــلاهــا ... عكف الركْب عليهـــا فبكاها(١)

دَرَسَتْ ، إلاّ بقايــا أسطــر ... سمح الدهر بها ، ثم عفاهــــا

كان لى فيها زمانٌ ، وانقضـــى ... فسقـــى زمانى . وسقاهــــا

قلَّ لجيران ، مواثيقهـــــــم ... كلما أحــكمتُهـــا ، رثَّتْ قواها(٢)

كنت مشغوفا بــكم إذ كُنـــتم ... شجراً لا يَبلغ الطيرُ ذُراهــــا

لا تبيتُ الليلَ ، إلاحولهـــــا ... حرسٌ ، ترشح بالموت ظُبــاهـــا

وإذا مُدَّت إلى أغصــــــانها ... كفُّ جانٍ ، قُطعتْ ،دونجناها(٣)

فتراخى الأمر .. حتى أصبحت ... هَمَلاً ، يطمع فيهـا من يراهــا

لا يــرانى اللهُ أرعـــى روضةً ... سهلة الأكناف ، من شاء رعاها (٤)

تُخصب الدنيا فلا أطرُقُهـــــا ... رائدا ، إلا إذا عزَّ حِماهَـــــا

وإذا ماطمـــعٌ أغـرى بــكم ... عَرَضَ اليأس لنفسى فثنـــاهـا

فَصَباباتُ الهوى أولهــا ... طمعُ النفس ، وهذا منتهـاهـا

لا تظنـــوا لى إليكم رجعـةٌ ... كشف التجريبُ عن عينى عمـاها

---

(١) الغضا شجر من الأثل ، خشبه صلب ، وجمره لا ينطفىء سريعا ، وهو من اجود الوقود عند العرب . وأهل الغضا هم سكان نجد . والركب مجموعة من ركبان الابل والخيل .

(٢) المواثيق ، العهود . ورثت بليت .

(٣) الجنى ما يجنيه الرجل من ثمر الشجر .

(٤) أكناف المكان أرجاؤه ونواحيه . وسهلة الأكناف اى ان الدخول اليها سهل .

وقال الصِّمَّة (١) القُشَيْرى (٢) :

حننتَ إلى رَيَّا ، ونفسُكَ باعدَتْ ... مَزارك من رَيّا ، وشعباكما معا
فما حسنٌ أن تأتى الأمر طائعا ... وتَجزعَ أن داعى الصَّبابة(٣) أسمعا
قِفا ودِّعا نجدا ، ومن حلّ بالحِمَى (٤) ... وقلَّ لنجد عندنا أن يُودَّعا
بنفسى تلك الأرضُ ، ما أطيبَ الرُّبا ... وما أحسنَ المُصطافَ والمتربَّعا (٥)
وليستْ عَشيّاتُ الحِمَى برواجع ... عليك ، ولكن خلِّ عينيك تدمعا (٦)
ولما رأيتُ «البِشْرَ» أعرض دوننا ... وحالت بناتُ الشوق يَحْنِنَّ نُزَّعا (٧)
بكت عينِى اليسرى ، فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحلم ، أسبلتا معا (٨)
تلفتُّ نحو الحىّ حتى وجدتُنى ... وَجِعتُ من الإصغاء ، لِيتاً وأخدَعا (٩)
وأذكُرُ أيام الحِمَى ، ثم أنثنى ... على كبدى ، من خشيةٍ أن تَصدَّعا

---

(١) الصمة فى اللغة الأسد أو ذكر الحية أو الشجاع ، وهى هنا علَم .
(٢) قُشَيْر قبيلة تتفرع من بنى عامر ، انضموا الى الاسلام فى أوله ، واشتركوا فى حروب الشام والعراق .
(٣) الصبابة الشوق والولع الشديد فى الحب ، يقول حننت الى ريّا وانت الذى اخترت أن تبعد عنها ، ثم يأتيك الشوق فتجزع .
(٤) الحمى ما يحمى ويدافع الناس عنه ، وهو هنا المكان الذى استقرت فيه العشيرة .
(٥) الربى جمع ربوة ، يقول أفدى هذه الارض بنفسى ويقول ما أحسن صيفها وربيعها .
(٦) عشيات الحمى هى الامساء الذى كان يقضيها فى السمر مع أصدقائه أو تنسم أخبار محبوبته .
(٧) البشر اسم جبل ، لما حال الجبل بينه هو وصحبه ، وبين نجد ، بدأت نوازع الشوق تستيقظ فى قلبه .
(٨) الجهل هنا ضد الحلم .
(٩) الليت جانب العنق ، والأخدعان عرقان فى جانب العنق ، وقد توجع بسببها لطول تلفته الى الوراء .

الحياة معركة

يلبس الناس فيها وجوهاً كاذبة إمعاناً في الخداع..

■ لقد عرف الناس ان الانسان جسم ونفس .

اما الجسم فهذا الذى نلمسه من لحم وعظم ، ونحسُّ ثقله على الأرض،ويخفّ بنا اطفالا وصبية ، ويثقل بنا كهولا وشيوخا . ان الجسم هو الذى يتراءى منا فيراه غيرنا ، تراه عيونهم ، وتلمسه اذا شاءوا ، ايديهم ، وتصطدم به عن عمد ، وغير عمد ، اجسامهم .

اما النفس فهى هذا الشيء الخاق فى داخل هذا الجسم ، نلمسه فينا بغير لمس ، ونحس به فينا بغير حس ، وعلى اسلوب غير ما نلمس ونحسُّ به الاشياء. انه اسلوب امسُّ واحسُّ واكثر ائتلافا وقربى .

والنفس ــ وقال قوم انها الروح ــ هذه النفس قد خفيت حتى لقد انكرها بعض الناس . انكروها بفكرهم . وغفلوا عن ان الفكر انما هو بعض النفس التى تنكر ان للنفس وجودا .

انا نفسي

وتسأل احد هؤلاء المنكرين سؤالا : من فعل كذا وكذا ؟

فيقول : انا .

فتسأل : هل انت فعلته حقا ؟

فلا يلبث ان يقول لك مؤكدا : نعم فعلته أو صنعته او رأيته ، انا نفسي .

انا = نفس + جسم

والحق ان الجسم ، هذا الظاهر ، وان النفس ، هذه الباطنة الخافية ، يكوّنان معا مفهوم اللفظ « انا » ومفهوم اللفظ « انت » . ومفهوم انتم وانتن ، وهم وهن ، وسائر الضمائر والأعلام .

والجسم والنفس لا يمكن ان يفترقا ما دامت حياة . لا يحيا الانسان بالجسم وحده ، ولا يحيا الانسان بالنفس وحدها . لا بد من تعاون بينهما.

اتذكرُ حكاية الأعمى والمقعد ؟ .

هذا الأعمى حمل المقعد على كتفيه، ودار به فى المدينة ، يسعيان . رجلا الأعمى حملتا وسارتا ودارتا . انهما الجسم . وعينا المقعد رأتا وفكّرتا ، ودبّرتا للاثنين سبيل العيش . انهما النفس .

خفاء

ونحن من الحياة فى معارك . كلٌ لكلٍ عدو مُحتمَل ، وكلٌ لكلٍ صديق محتمل . فكل لكل على حرب يكون ، او سلام يكون ، او حياد وقلة مبالاة فلا حرب ولا سلام .

وحتى الصديق ، فى معترك الحياة الهائلة الدائمة،لا يدرى كم تدوم صداقته.

من اجل كل هذا خَفِيَ فكر الانسان عن الانسان . وخفي تخطيطه ، وخفي تدبيره ، وخفي حبه وكرهه ، وخفيت نواياه جميعا ، لانها لو انكشفت لادّتْ الى حرب فى الناس سافرة .

كان لا بد من اخفاء كل هذا . . .

فجُعِل لكل ذلك موضع يَختفى فيه،

نكان هذا الجزء الخافي مني ومنك : نفسك ونفسي .

فنفسك تحمل كل آرائك وكل افكارك ، وكل ما تكره وتحب ، وكل ما تنوى ان تفعل وان لا تفعل ، وتحمل أنت كل هذا في خفاء ، كالشيء تحمله في الليل البهيم ، فلا ارى انا منه شيئا . وكذا انا افعل ، احمل كل افكاري ونواياي في خفاء ، كخفاء الليل البهيم بل اشد خفاء ، فلا تدري انت منه شيئا .

وانا أطلعك منه على ما احسب انك ترضاه ، وأخفي عنك مالا ترضى . وانت تطلعني من ذلك على ما تحسب انى ارضاه ، وتخفى ما تحسب انى لست عنه ارضى .

والزوجان على المحبة ، وعلى الثقة المتبادلة ، يطلع بعضهما بعضا على بعض ما تحوى نفساهما . ولكن مع كل هذه الالفة ، ومع كل هذه الثقة ، تبقى فى كل نفس بقية تأبى ان ترى النور .

النفس اذن ، هي ذلك النصف الخافي مني ومنك . واتحدث اليك فقد ترى من هذا الخافي بعض اشيائه ، وتتحدث الي ، فقد ترى من نفسي الخافية بعض اشيائها .

تضليل

ومع هذا فانا قد أتحدث اليك فترى من نفسي الخافية شيئا هو عكس ما فيها . ذلك لأن الحديث قادر على تضليل . ابغضك ، واتحدث لأربك المحبة . واريد ان اسير شرقا ، واحدثك لتفهم مني اني اريد ان اسير غربا . وكذا انت تفعل معي . انها معارك الحياة . والحرب خدعة . وقد أضلك لأكسب من ذلك خيرا وتكسب . وتضللني لتكسب من ذلك خيرا واكسب . فليس كل خداع الأنفس شرا ، وليس كل كذب . لهذا عدّوا من بعض الكذب ، الكذب الأبيض .

الوجه أكبر خادع

وليس بالحديث فقط تتخادع النفوس . ان الوجه أكبر خدّاع ، لأنه مرآة النفس . وهو المجال الذى تجول فيه النفس وتصول ، وتلعب على الصمت لعبا ، يصدق احيانا ، ويكذب احيانا . فان كذَب ، كان اشد من الحديث فعلا واثرا .

يقول الرجل للمرأة « احبك » ، فيظهر على وجهه احمرار الايمان ، وفى عينيه بريق الصبابة والوله . وما به ايمان ، وما بقلبه وله . وانما هو الخداع . سيطرت النفس على قسمات الوجه ، فجعلت من الجسم مطية الى غايتها .

سيطرة النفس على عضلات الوجه والأطراف

انها سيطرة النفس على الجسم .

واكرر لأبرز هذا المعنى .

ان النفس تسيطر على عضلات الوجه ، وعضلات الأطراف جميعا ، وعلى عضلة اللسان والكلام وما اليها .

والنفس تتخذ من كل هذه مطايا . وهي تحمل تعابير تؤدى برائيها الى فهم معان هي بعض المعاني التي تختفي في هذه النفس ، وهي تريد ابرازها للناس . او هي معان لا توجد بالنفس ابدا ، ولكن النفس ، تضع بارادتها في هذه العضلات اشكالا توهم رائيها بأنها معان موجودة بالنفس فعلا ، وما هي هناك .

انت تنجح ، واتيك اهنئك فرحا ، وتظهر على وجهى سمات الفرح ، وما بقلبي غير الترح ، والأسف والأسى على تنجحك هذا في الحياة .

وينجح الابن ، ويأتي الأب الى ابنه مهنئا ، بمثل ذلك الوجه ، وعليه مثل هذه السمات ، ويكون صادقا . فالفرح في قلبه موجود أصيل ، لا زيف فيه ولا خداع .

سيطرة النفس على بعض جهاز الجسم ، جعلها

تلعب به ، صادقة وكاذبة .

ومن هذه السيطرة ما يصنع الممثلون على خشبة المسرح ، للناظرين . تضحك اجسامهم واجسامهن ، وما بأنفسهم وانفسهن ضحك . وتحزن وجوههم ووجوههن وتبكى عيونهم ، وعيونهن ، وما بانفسهم وانفسهن حزن او بكاء .

وللجسم سيطرة تعجز النفس عن دفعها

ولكن للجسم كذلك سيطرة على النفس ، تعجز الانفس عن دفعها .

ان النفس تنفعل انفعالا صادقا ، فى غضب ، او فى خوف ، وتظهر آثار ذلك فى الجسم ، ولا تجد النفس القدرة على دفع هذه الآثار . ذلك لأن هذه الآثار ليست من عمل الجهاز العصبى الارادى الواعى . لهذا لا يؤثر فيه وعى النفس ولا ارادتها .

ومن امثال ذلك المجرم عندما يقف امام القضاء . انه قد ينكر جرمه ، وقد يلعب بعضلات وجهه لتظهر بها نفسه غير ما أخفت . ولكنها لا تستطيع ان تغير آثار انفعالها، تلك الآثار الخافية التى تتولد فى الجسم كتلك التى تتصل بالأنفاس ، وبضربات القلب ، وبارتفاع الضغط الدموى . وكذا بجفاف الريق فى الفم ، لانها كلها يحكم فيها جهاز عصبى لا يتحكم فيه الوعى ولا تتحكم فيه الارادة ولا النفس .

الأرز لا يبلعه البالع على جفاف حلق

عرف ذلك اهل الصين من قديم .

فكانوا اذا جمعوا من الرجال من يرتابون فيهم ، اجلسوهم ، ثم جاءوهم بقدر من الأرز الجاف ليأكلوه . فالذى يأكل ويبلع منه سهلا ، برىء . والذى يصعب على الرز اجتياز حلقه الى جوفه ، فمجرم . ذلك ان المجرم فى مثل هذا الموقف يكون فى نفسه من الرعب ما يؤثر فى جسمه ، فيجف ريقه .

« كاشف الاجرام »

ومن مثل هذا ، فى العصر الحديث ، « كاشف الاجرام » .

رجال يجيئون بهم ، واحدا من بعد واحد ، فيهم متهم بسرقة او قتل او جريمة كبيرة كائنة ما كانت .

فهؤلاء يضعون على اجسامهم اجهزة تسجل ضغوط دمائهم ، واختلافها ، وتسجل ضربات قلوبهم عندما تزيد وتنقص ، ومقدار تنفسهم ، وعدد الانفاس ، وتقيس مقدار الكهرباء فى جلودهم .

وكل هذه آثار جثمانية لانفعالات نفسية لا حيلة للنفس الى دفعها .

ويلقى على الفرد منهم السؤال من بعد السؤال .

ــ ما لون اللبن ؟

ــ كم رجلا للحصان ؟

ــ وكم قمرا للارض ؟

وبين هذه الأسئلة التافهة يقحم المحقق سؤالا ضخما يتصل بالجريمة .

ــ هل قتلت فى الساعة كذا فلانا بدق راسه بآلة حادة ؟

وتسجل الآلات اثر انفعال نفسه فى الجسم .

انه الى اليوم لا تأخذ المحاكم بحكم هذه الآلات ، ولكنها تدخل ضمن بعض الشواهد المرجحة للتبرئة او التجريم .

وجهان لشىء واحد

فهذه قصة الجزء الأخفى منك: نفسك .

وصلة هذا الجزء الأخفى بالجزء الاظهر منك : جسمك .

وجهان لشىء واحد .

متلازمان .

متعاونان .

متخابثان .

يخوضان معا معركة الحياة . يريدانها معركة نظيفة عادلة . فتتكشف لهما عن اشياء ، بعضها قذر وظلم . ويعجزان عن متابعة المعركة ، فيلجآن الى الخداع متعاونين ، جسما ونفسا . وتحكم على الناس فتقول : ان اكثرهم خيرا ، اقلهم خداعا ونفاقا .

احمد زكى

الأعياد الدينية فى الحضارة اليونانية : حينما كانت أثينا فى أوج قوتها وعظمتها كان موكب بان أثينا اهم اعيادها ويحتفل به مرة كل اربع سنوات لاحضار كسوة الى الالهه من نسيج نساء وفتيات اثينا ..

المؤرخ الكبير «توينبى» يصف :

حضارات للإنسان تمت واكتملت..

وحضارات تحجرت ، وأخرى ماتت يوم ولدت

بقلم : علي أدهم

المعرفة التاريخية لون هام من الوان المعرفة الانسانية ، وذلك لان المعرفة المستوعبة لاي شيء من الأشياء تقتضي معرفة تاريخية ، واذا لم يصدق هذا عن سائر الأشياء فانه يصدق على الاقل على الانسان بوجه خاص ، وسبب ذلك ان الانسان اكثر المخلوقات تعقيدا وتنوعا ، واعظمها مواهب ومكلات . ولا يكفي أن نعرف تاريخ الانسان فى مظاهره الخارجية واحداثه المتقلبة على عينيه ،

بل لا بد لنا من محاولة تعرف القوانين الكامنة وراء الحوادث . وقد بذلت الانسانية جهودا ضخمة لمعرفة تاريخ المجتمع الانساني ، ومتابعة حركات تقدمه ، وتبيّن معناه ، وشرائطه ، وبطبيعة الحال اختلفت فى ذلك الآراء ، وتعارضت النظريات فى تفسير التاريخ ، ودراسة الحضارات الانسانية المختلفة .

أشهر مفسري التاريخ

وقد اشتهر فى النصف الأول من هذا القرن الحالي طائفة من المفكرين بمذاهبهم فى تفسير التاريخ ، ودراسة الحضارات والثقافات ، مثل الفريد كروبر ونــورثروب والبيرت شــوايزر وبردیایف ، ولكن أوسعهم شهرة ، وأبلغهم تأثيرا ، وأغزرهم انتاجا فى هذا الصدد ، ثلاثة مفكرين ، وهم اشبنجلر Spengler الألماني مؤلف كتاب « أفول الغرب » ، وأرنولد توينبي Toynbee البريطاني مؤلف كتاب « دراسة التاريخ » ، وبيتريم سوركين الروسي الأصل واستاذ علم الاجتماع فى جامعة هارفرد وصاحب عدة مؤلفات فى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ .

الحضارة الاسلامية

استكملت نموها ولا تزال على قيد الحياة

توينبي : تاريخ حياته

وتوينبي ، الذي اريد أن اقصر الحديث عليه اليوم ، ولد فى لندن سنة ١٨٨٩ ، ودرس في ونشستر ، وفى كلية باليول بجامعة اكسفورد حيث تلقى دروسه فى الأدب اليوناني والأدب اللاتيني ، وامضى سنة فى المدرسة الاركيولوجية البريطانية فى أثينا ، وعاد فى سنة ١٩١٢ الى باليول رفيقا ومدرسا ، وظل يدرس التاريخ القديم حتى سنة ١٩١٥ ، حين التحق فيها بخدمة الحكومة ، وعمل بادارة المخابرات السياسية فى القسم الخاص بالشؤون التركية فى وزارة الخارجية . وعمل بعد ذلك فى مؤتمر الصلح الذى عقد بباريس . ومن سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢٤ كان أستاذا للدراسات اليونانية والبيزنطية الحديثة فى كلية الملك بجامعة لندن . وقضى سنة من هذه الفترة متنقلا فى بلاد اليونان مراسلا حربيا لجريدة المانشستر جارديان. وشغل منصب مدير الدراسات فى المعهد الملكي للشؤون الدولية ابتداء من سنة ١٩٢٥ . ومن سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٦ وقف جهوده كلها على خدمة الحكومة بوصفه مديرا لادارة البحوث فى وزارة الخارجية البريطانية . وقد ذهب غير مرة الى الولايات المتحدة لالقاء محاضرات فى جامعاتها وفى خلال نهوضه بأعباء هذه الأعمال وتقلبه في تلك المناصب أتم كتابه الجليل فى أحد عشر مجلدا ، وقد ألحق بها فى هذا العام المجلد الثاني عشر الذى اعاد فيه النظر فى آرائه ونظرياته على ضوء الكشوف الأركيولوجية الحديثة ، وناقش المآخذ التى أخذها عليه فريق من النقاد ، وتولى بنفسه تصحيح بعض الأخطاء التي تورط فيها والمبالغات التى دُفع اليها .

١٢ مجلدا تختصر فى مجلدين

ولما كانت قراءة مجلداته الضخمة الحافلة بالمعلومات غير ميسورة للكثيرين فقد قام المستر سمرفيل باختصارها فى مجلدين ، وأقر الأستاذ توينبي هذا المختصر .

ومجال الدراسة التاريخية عند توينبي ليس وصف الأحداث المنفردة الفذة المتقاربة فى الزمان والمكان ، ولا تاريخ الدول والجماعات السياسية ، ولا تاريخ الانسانية باعتبارها وحدة متكاملة ، وانما مجالها عنده كما يقول :

« ان الميادين الصالحة للدراسة التاريخية هي

المجتمعات التي لها امتداد في الزمان والمكان أعظم من الدول القومية ودول المدن أو أي جماعات سياسية أخرى . والمجتمعات لا الدول هي « الذرات الاجتماعية » التي على دارسي التاريخ أن يتناولوها » .

وعند توينبي أن « الحضارة هي الموضوع المناسب للدراسة التاريخية ، لأنها تمتاز بخصائص دينية وسمات سياسية وإقليمية . وهو يدخل في حدود دراسته كل الحضارات المعروفة ، ويخص منها بالذكر ثلاثين حضارة ، ومن هذه الحضارات احدى وعشرون حضارة اكتمل نموها واستوفت مدى حياتها ، وخمس حضارات وقف نموها قبل أن تصل الى النضج ، وأربع حضارات ولدت ميتة .

حضارات لا تزال على قيد الحياة

وسبع حضارات من الحضارات التي استكملت نموها لا تزال على قيد الحياة ، وهي الحضارة الهندية ، والحضارة الاسلامية ، وحضارة الشرق الأقصى (وتشمل حضارتي الصين واليابان) ؛ والحضارة الروسية (وهي عنده متفرعة من الحضارة البيزانطية أو الحضارة الأرثوذكسية المسيحية) والحضارة الغربية .

حضارات بائدة

ومن الحضارات البائدة الحضارة المصرية القديمة ، والحضارة السومرية ، والحضارة المكسيكية ، والحضارة السريانية ، والحضارة الحيثية ، والحضارة البابلية ، والحضارة الايرانية، والحضارة الهيلينية .

حضارات توقف نموها

والحضارات الخمس التي توقف نموها هي الحضارة البولينيزية ، وحضارة الاسكيمو وحضارة الأتراك العثمانيين ، وحضارة اسبارطة وحضارة القبائل الرحل .

ويعرض توينبي لمشكلة أصل الحضارة ونشأتها ، ولماذا تصاب بعض الجماعات بالجمود ويقف تقدمها في المراحل الأولى من وجودها مثل الكثير من الجماعات البدائية فلا يتيسر لها انشاء حضارة . في حين ان جماعات أخرى تبلغ مستوى الحضارة وتستوفي شرائطها .

الحضارة الناجحة : اقلية من الناس خالقه ، وبيئته متحدية

ويعلل توينبي هذا بأن نشوء الحضارة ليس مرده عامل السلالة أو البيئة الجغرافية ، وإنما يرجع ذلك الى توفر شرطين أساسيين وهما أولا وجود اقلية خالقة في جماعة من الجماعات الانسانية . وثانيا وجود بيئة ليست مواتية كل المواتاة ولا معادية مسرفة في العداء . والجماعات التي توفر لها هذان الشرطان أمكنها أن تنتقل من المرحلة البدائية الى مرحلة الحضارة . والجماعات التي لم يتوفر لها ذلك ظلت في مرتبة دون مرتبة الحضارة . والعملية التي يتم بها وجود الحضارة مع توفر هذين الشرطين هي ذلك التجاوب بين التحدي والرد عليه . فالبيئة من الطراز الذي وصفته تتحدى المجتمع ، والمجتمع يستعين بالأقلية الخالقة الناشطة على دفع هذا التحدي والتغلب عليه . ويتبع هذا التحدي تحد آخر جديد يتلوه رد عليه ناجح . وهكذا تستمر عملية التحدي والرد عليه بغير انقطاع ، فليس هناك مهادنة ولا راحة . والمجتمع في حركة دائبة ، وتقدم مستمر . وهذه الحركة التي لا تهدأ قمينة بنقله عاجلا أو آجلا الى مرتبة الحضارة . وقد عرض توينبي لحياة الاحدى والعشرين حضارة التي أحصاها فوجدها جميعها ولدت ونمت في مثل الظروف والأحوال التي وصفها .

لماذا تنمو حضارات وتكتمل وأخرى تولد ميتة ؟

والمشكلة الثانية التي واجهها توينبي هي مشكلة لماذا استطاعت حضارات أن تستكمل نموها وتبلغ شأوها ، وحضارات أخرى ولدت ميتة ، مثل حضارة الغرب الأقصى المسيحية ، وحضارة الشرق الأقصى المسيحية والحضارة الاسكندنافية والحضارة السريانية ، وحضارات ثلاثة توقف نموها في مراحله الأولى في حين أن الحضارات التي بقيت استطاعت مقاومة التحدي والتنقل في مراحل التقدم ؟

ويرى توينبي ان الاجابة على هذا السؤال متوقفة على معنى النمو وعلاماته ، وفي رأيه ان نمو الحضارة ليس نتيجة للامتداد الجغرافي للمجتمع . وإذا كان للامتداد الجغرافي للمجتمع معنى فهو انه

معارك حقيقية في مسرح الكليسيوم: كان الكليسيوم ـ ذلك البناء الضخم ـ يقوم على أرض منخفضة تشغلها بركة ماء في حدائق الطاغية نيرون. وقد ابتكر يوليوس قيصر، قبل مقتله بسنتين، طريقة للاحتفال بانتصاراته، بأن يملأ مسرح الكليسيوم ـ حيث كانت تقام المصارعات وتقتل ألوف الحيوانات المتوحشة ـ بالماء، وتحضر السفن وعليها بحارتها وجنودها ويتحاربون إلى أن يقضي بعضهم على بعض أمام جمهور المتفرجين من سكان روما. وكان المدرج يتسع لجلوس ٥٠ ألف متفرج. وقد كان آخر احتفال في عام ٢٤٨ ميلادي بمناسبة مرور ألف سنة على تأسيس مدينة روما.

الاستقبالات الملكية في الحضارة الفرعونية : في قاعة العرش جلس رمسيس الثاني (الكبير) ، الذي حكم من ١٢٩٨ الى ١٢٣٢ قبل الميلاد ، يستقبل وفداً من الآسيويين على رأسه مبعوث من ملك الحيثيين الذي عقد معه معاهدة سلام . والى يمين فرعون يقف ابنه الأكبر آمون ، بينما اصطف أفراد الحرس الملكي ، وبعض رجال الحاشية ، حول منصة العرش ، وربض الأسد المدلل عند درج المنصة .

قرين التخلف والتفكك وليس لازمة من لوازم النمو . ونمو الحضارة كذلك لا يعتمد على التقدم الفني الصناعي (التكنولوجي) وزيادة سيطرة الانسان على البيئة المادية ، فليس هناك علاقة اكيدة بين التقدم الفني الصناعي وتقدم الحضارة ، وانما تقدم الحضارة رهن بتقدم قدرتها على التحكم في مصيرها والتعبير عن نفسها وتنامي قيمها . وتمتاز الحضارة النامية بالوحدة ، ويكون المجتمع فيها مكونا من قلة خالقة ممتازة تتبعها الاكثرية ، وتتشبه بها وتحذو حذوها في حرية وانطلاق لايمانها بتفوقها واستحقاقها للقيادة والاستيلاء على اعنة الامور . وهذه الاكثرية مكونة من البروليتاريا الداخلية للمجتمع ومن البروليتاريا الخارجية وهم الهمج البرابرة المجاورون . وفي مثل هذا المجتمع لا تبدو حدود فاصلة بين الطبقات ولا تقاتل ولا نزاع بين أفراده ، فهو مجتمع متماسك تسوده روح التوافق والانسجام ، ولكل حضارة نامية امكانيات تكشف عنها وتجلوها ، وتختلف هذه الامكانيات باختلاف الحضارات ، فالحضارة الهيلينية كانت تغلب على امكانياتها الصفة الجمالية ، والحضارة الغربية تمتاز امكانياتها بالصفة العلمية الآلية ، ومن ثم تمثل حركة نمو الحضارات تقدما في تماسك الحضارة وقدرتها على تقرير مصيرها وتنوعا في نمو الحضارات المختلفة .

وهذا هو تحليل توينبي لمشكلة نمو الحضارة .

لماذا تتفكك الحضارات من بعد نمو واستكمال

والمشكلة الثالثة التي عرض لها توينبي وحاول تعليلها وردها الى أسبابها هي مشكلة كيف تتصدع الحضارة وتتفكك روابطها وتنحل ولِمَ يحدث ذلك ؟ والفرق الجوهري عند توينبي بين عملية نمو الحضارة وعملية تفككها هو ان الحضارة في ابان نموها يلازمها التوفيق في الرد على التحدي المتوالي الذي ما ينفك يتوالى عليها وينوشها ، واما في دور التفكك فانها تخفق ويخونها التوفيق في دفع التحدي والثبات لضرباته المتواترة . وهي تبذل جهدها في استجماع قوتها لرد غارته ودفع اذاه ، ولكنها تعجز عن ذلك ، ويظل التحدي قائما دون أن يلقى ردا عليه . وفي مرحلة النمو تختلف أنواع التحدي كما تختلف ضروب الرد عليه . واما في دور التفكك فقد تختلف محاولات الرد عليه ، ولكنه يظل قائما لان الحضارة لا تقوى على ازالته .

ومن راى توينبي ان الحضارة تهلك بطريق الانتحار لا بطريق القتل ، وانه يمكن تلخيص طبيعة انهيار الحضارات في ثلاث مسائل ، الأولى هي اخفاق القوة الخلاقة في الاقلية التي تنزل من المجتمع منزلة الرأس من الجسد ، والمسألة الثانية تسرب الشك الى نفوس الاكثرية الغالبة في قدرة الاقلية المتزعمة وامساكها عن التشبه بها والضرب على قالبها ، وينشأ عن ذلك فقدان الوحدة الاجتماعية وهو السبب الثالث .

انحطاط الحضارات يجري في مراحل ثلاث

ويمر دور الانحطاط بثلاث مراحل ، وهي مرحلة التصدع الذي يصيب الحضارة ، ومرحلة تفكك روابطها والمرحلة الأخيرة هي مرحلة الانحلال ، وقد يطول الأمد بين هذه المراحل ، وربما بلغ القرون أو استغرق الاف السنين .

فمثلا الحضارة المصرية القديمة أصيبت بالتصدع في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، ولكن لم تهو الى درك الانحلال الا في القرن الخامس الميلادي . وقد ظلت في حالة حياة متحجرة قرابة الفي سنة ، وهي فترة الانتقال من التصدع الى الانحلال .

وحضارة الشرق الاقصى في الصين ظلت بعد تصدعها في القرن التاسع الميلادي في حالة متحجرة الى العصر الحديث .

وفي الحضارة الهيلينية والحضارة السومرية كانت المدة التي تفرق بين مراحل التدهور تتردد بين ثمانمائة عام والف عام ، وحالة المجتمع الانساني في هذه الناحية تشبه جذع الشجرة المتحجر ، وقد يستمر عشرات القرون والاف السنين .

والحضارة الغربية في رأى توينبي قد ظهرت عليها علامات التصدع وأعراض التفكك ، ولكنه

لا يقطع باقتراب زوالها ، ويفسح الأمل لحدوث المعجزة التى تجنبها هاوية السقوط ، وتجدد حياتها ، وتمد فى عمرها . وايمان توينبي الصادق بالديانة المسيحية هو الذى يبقى فى نفسه على هذا الأمل ، والمسيحية فى رأيه عنصر هام من عناصر تكوين الحضارة الغربية ، وهذا العنصر السامي العظيم قد يمهد لها سبيل النجاة .

وتوينبي يخالف اشبنجلر الذى يقول بمذهب الجبر فى حياة الحضارات ، ففناء الحضارة عند اشبنجلر حتم لا بد منه ، وقضاء لا معقب لحكمه . ولكن توينبي يترك باب الأمل مفتوحا عن طريقة أخذه بمذهب حرية الارادة .

عندما تخلد الحضارات الى الراحة والسلامة

والحضارة فى عهد اقبالها وريعان شبابها تنجح فى اجابتها على التحدى المتوالى ، ولكن فى عهد ضعفها ونكوصها تعجز عن ذلك ، وذلك لان انتصاراتها السابقة تغريها بالاخلاد الى الراحة وطلب الأمن والسلامة ، وتجعلها ترى القيم النسبية قيما مطلقة وتفقد جاذبيتها التى كانت تستميل بها نفوس الاكثرية ، وتحمل افرادها على الاعجاب بها واكبارها والايمان بقيمها وتقاليدها . ويضطر ذلك الأقلية المتزعمة الى سلوك سبيل القهر والارغام لاخضاع المتمردين عليها فى الداخل ، ورد غارة المغيرين عليها من الخارج . وفى خلال هذه المحاولة تعمل على ايجاد الدولة العامة كما حدث فى تاريخ الدولة الرومانية وذلك لتطفىء جمرة الثائرين بها وتحمي ذاتها ، ويضطرها ذلك الى التورط فى حروب متوالية وسن القوانين الصارمة ، وتخيب بها هذا التصرف الى الانحلال والسقوط .

ويعمل السواد الأعظم الذى نزع عن ولائه للاقلية على ايجاد ما أسماه توينبي « الكنيسة العامة » ويضرب مثلا لذلك المسيحية والبوذية ، وفى الوقت الذى تعاني فيه الحضارة المدبرة سكرات الموت تكون هذه الكنيسة العامة بمثابة جسر أو اساس لحضارة جديدة تتلوح بشائرها .

وتحاول الاكثرية الخارجية حينذاك ، أن تنظم صفوفها وتشرع فى مهاجمة الحضارة التى آفل نجمها فيتداعى بناؤها وتعجل الصدمات المتوالية من الداخل والخارج بالقضاء عليها ، ويظهر فى اثناء هذه الفترة أنواع مختلفة من « المخلصين » أو « المنقذين » ويعم الشعور بالخطيئة ويهبط مستوى الفنون والآداب ومستوى الفكر بوجه عام وتظهر التفاهة فى الانتاج الأدبي والفني وتبدو مظاهر التخلف فى الفلسفة واللغة والأخلاق والنظم والعادات والتقاليد ومختلف مظاهر الحياة وسمات المجتمع .

تحجر الحضارات

وتذهب جهود المخلصين عبثا ما لم يتدارك الحضارة لون من الوان التجلى وتحدث المعجزة ، وفى بعض حالات الحضارات يكون أهون ما يحدث للحضارة بديلا من السقوط والزوال هو التحجر أو « الحياة فى الموت » على حد تعبير توينبي . ويمكن أن يستمر ذلك قرونا أو الاف السنين ، ولكن الانحلال النهائى يجيء فى الخاتمة كالقضاء المبرم ، وطريق النجاة الوحيد هو طريق «التجلى» ، أو نقل هدف الحضارة وقيمها الى ملكوت الله المتسامي على الحواس . على ان هذا التجلى قد لا ينقذ الحضارة ، ولكنه مهما يكن من أمره فانه يصنع البذور التى تؤدى الى ظهور حضارة جديدة متولدة من الحضارة القديمة ومنتسبة اليها ، وهى تكون بذلك خطوة الى الامام فى الحركة الأبدية الدائبة لرفع مستوى الانسان الى الانسان الأعلى ، والانتقال من « مدينة الانسان » الى « مدينة الله » باعتبار ذلك أقصى ما تنتهي اليه الحضارة واسمى ما يبلغه الانسان .

الحضارة الاسمى ، للانسان الأعلى

ويمكن أن نلمح وراء استقراء توينبي لأحوال الحضارات المختلفة الفكرة الرئيسية التى يرمى اليها ، وهى أن توالى الحضارات المختلفة السمات، والمطردة الايقاع ، يكشف عن خصب الواقع وعظيم غناه ، ويمكن الانسان من الانتقال من مرحلة ما دون الانسان وما دون الحضارة الى مرحلة الانسان الحق والحضارة الحقة،ثم يمهد له السبيل الى مرتبة أعلى، وهى مرتبة الحضارة الأسمى والانسان الأعلى ، ويتحقق بذلك ما يسمى فى عرف رجال الدين « مملكة الله » .

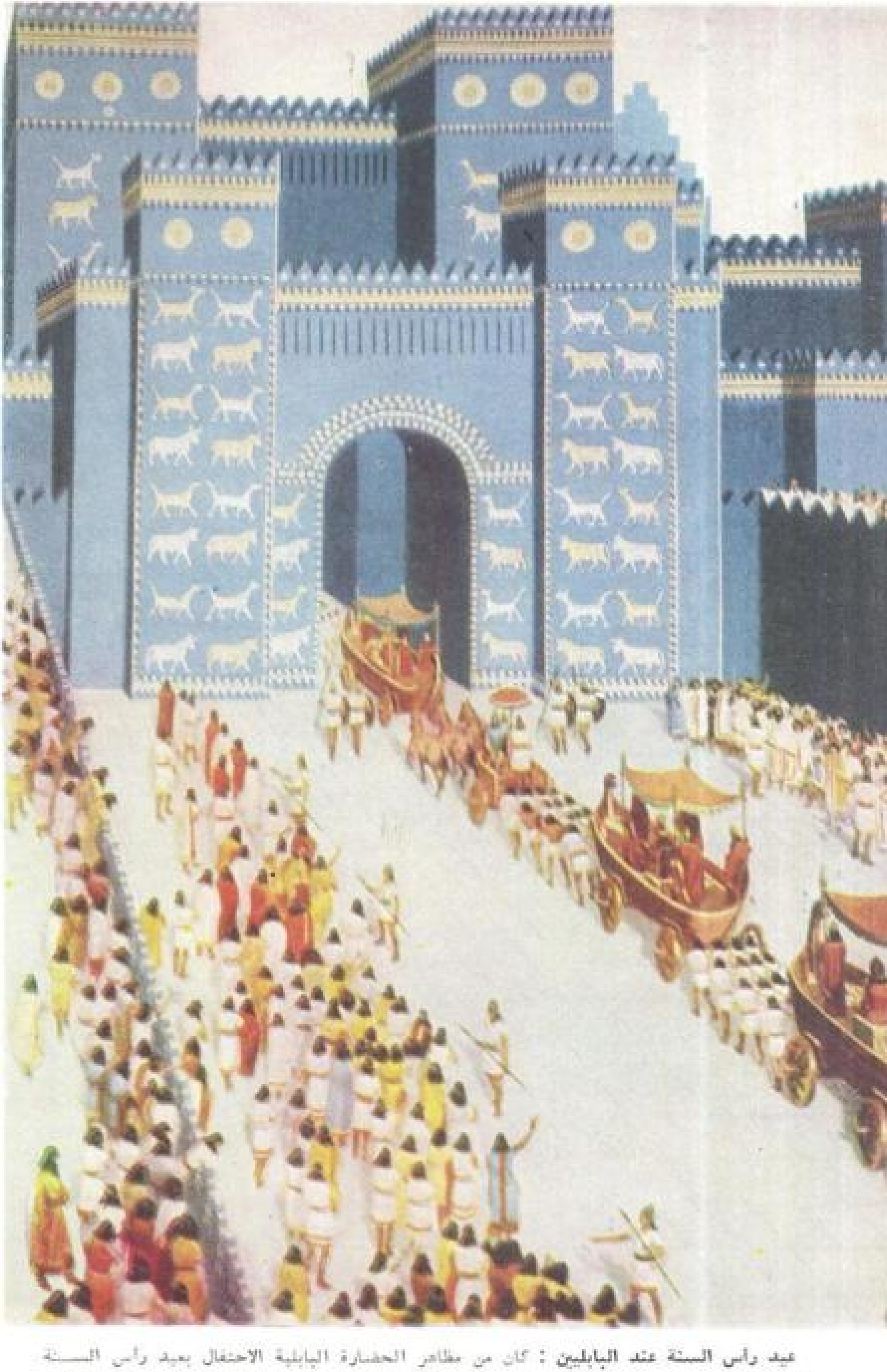

عيد رأس السنة عند البابليين : كان من مظاهر الحضارة البابلية الاحتفال بعيد رأس السنة احتفالا كبيرا يستمر بضعة أيام تقام فيه المهرجانات التى تطوف الشوارع والطرقات ، فى عربات مزدانة ، على نغمات الموسيقى والأهازيج . وهذا أحد تلك المواكب يمر تحت بوابة عشتروت الهة الحب والجمال .

تاريخ البشر يسير في حلقات دائرة ، ولكن ...

وبين لنا ذلك ان توينبي يوفق توفيقا بارعا بين فكــرة الحركة الدائرة التي تبدو في حياة الحضارات وفكرة التقدم التي تتخلل الحركة الدائرة للحضارات أو التي تساعد على تحقيقها حركة الحضارات الدائراة ، والاعتقاد المطلق بان تاريخ البشر يسير في حلقات دائرة يبعث على اليأس ويثير الحزن ، كما ان الايمان بفكرة التقدم يبعث على الأمل. وتوينبي يتفق مع اشبنجلر في اتجاهات عـدة ، ولكــن اشبنجلر يقيم رأيه في الحضارات على فكــرة الحركة الدائرة ، وليس لفكرة التقدم أثر في فلسفته التاريخية ، ومن ثم نرى ان فلسفة توينبي أبعث على الأمل في البشرية ، وأحسن ظنا بمستقبلها ومصيرها .

بلاغة أسلوب وســعة خيال

وهذا مجمل شديد الايجاز يوضح الخطوط الرئيسية البارزة لفلسفة توينبي التاريخية . وقد بين اتجاه تفكيره ، ولكنه لا يوضح بحال بلاغة أسلوبه ، وعلو بيانه ، وسعة خيالــه ، ولمعان مشاهداته ، وغزارة معلوماته التي أذهلت حتى النقاد المعادين لمذهبه والخــارجين على آرائــه ونظرياته . وهو يدعم النتائج التي وصل اليها ببراهين مفصلة يمده بها اطلاعه الواسع ومنطقه الآسر . ولا توحي اليك كتابته انه اخضع حقائق التاريخ للقالب الذي سبق أن تصوره ، وأرغمها على قبول نظرياته . وهو مع ذلك لا يخفى على قارئه انه يتبع مبادىء لفلسفــة معينة . وهــو يوافق المفكر الألماني دلتاي في ان منهج الدراسات الانسانية ــ ومنها التاريخ ــ يلزم ان يختلف عن منهج العلوم الطبيعية ، وهو من بادىء الأمر يعارض محاولة تفسير التاريخ تفسيرا ماديا محضا .

نقاد توينبي

وحينما ظهر كتاب اشبنجلر عن أفول الغرب في أعقاب الحرب الكبرى الأولى قوبل بحماسة شديدة ، ولقي رواجا قليل النظير ، لا عهد بمثله للكتب الفلسفية التي تطالب القارىء بأعمال الفكر وبذل الجهد ، ولكن حينما هدأت فورة الحماسة ، وجاء دور الفكر الناقد ، وقع النقاد في كتابه على اخطاء وعيوب ومبالغات أشاروا اليها وأحصوها على المؤلف . وحينما أخذت تتوالــى المجلدات الضخمة الحافلة من كتاب توينبي لم يكن جمهور القراء مستعدا لان يؤخذ على غرة من بادىء الأمر ، ولذلك وجه الى آراء توينبي الكثير من النقد ، سواء من ناحية المؤرخين المحترفين ، أو من ناحية المفكرين المتخصصين في علم الاجتماع وفلسفــة التاريخ . وأضرب مثلا للمؤرخين الخلّص ما كتبه عنه المؤرخ البلجيكي بيتر جيل في كتابه «مناقشات مع المؤرخين» . وأقدم مثلا لفلاسفة علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ما كتبه عنه بيتريم سوركن في كتابه عن الفلسفات الاجتماعية .

ونقاد توينبي بوجه عام فريقان ، فريق يرى انه قال في كتابه عن دراسة التاريخ أكثر ممـا يلزم ، وفريق آخر يناقض ذلك ويرى انه قال أقل مما يلزم . ولعل أخطر ما أخذ عليه انه لم يحدد معنى الحضارة تحديدا واضحا ، ولم يبين بما فيه الكفاية كيف وفق بين المظاهر الجبرية البادية خلال عرضه لتاريخ الحضارات التي تناولهــا ، وبين ايمانه الصريح بحرية الارادة . ولو انه جاء بمذهب واضح في هذا الصدد لما عدم من النقاد من ينتشي عليه انه جاء بمذهب فلسفي واضع العالــم ، وفرض مفاهيمه علــى حوادث التاريخ الانساني ، وهي التهمة التي توجه عادة الى أكثر مذاهب فلسفة التاريخ . وربما كان من الصعب تنفيذ هذه التهمة .

مؤرخ مدقق وعالم محقق

وتطالعنا مــن خــلال بحوث توينبي شخصية المؤرخ المدقق وشخصية العالم المحقق وشخصية الفيلسوف الملهم الموفق . وقد رأى قراء العالم العربي لونا من الوان امانة هذا الرجل الفكرية ، واستقامة خلقه ، في موقفه العادل المشرف من قضية فلسطين واشارته الى الخطر الذي يهــدد سلامة العالم وأمنه من الاعراض ومواجهة مشكلتها والعمل على تسويتها التسوية الكفيلة برد الحقوق المغتصبة الى أهلها واعادة فلسطين الى أصحابها المشردين . ■■

علي أدهم

تزييف التاريخ القومى للشعوب

● ان انتاج الافلام التاريخية فى الغرب أصبح يوازى من حيث العدد افلام رعاة البقر ، مع انها افلام لا علاقة لهـا بالحقائق العلمية الدقيقةللتاريخ ، وانما تحتوى على مظهر تاريخى ومضمون خرافى خيالى ، يجعـل التاريخ تاريخ اشخاص وسلالات واسر حاكمة ويربط الحوادث التاريخية باهواء محظيات القصور وخليلات الحكام ، امـا الجماهير فتظهر كمجموعات خلفية (كومبارس) تبدو باشكال غبية مزرية .

وان أخطر هذه الأفلام بالنسبة الينا ما يتعرض عـلى الخصوص لتاريخ العـرب والحضارات الشرقية : مثـال ذلك فيلم تعرض لحياة صلاح الدين الأيوبي ، فجرد هذه الشخصية المجيدة من سائر الصفات البطولية التاريخية ، واظهرهـا « كبدوى » يصرخ مثل (طرزان) ويركب الحصان ويخطف النساء (كراعي البقر) ويغازل بوقاحة ، ويحب الأميرة الشقراء الأجنبية التى هى أجمل ، ومفضلة على بنات العرب . وفيلم آخر عن تاريخ مصر القديمة ينسب بناء وتصميم الاهرامات الى مهندس انكليزى قيل انه كان بين الأسرى ، وفيلم آخر عن موسى ، صَوّرَ العبريين كأصل للمدنية فى الشرق ومعلمي العرب ورواد النشاط الحضارى القديم فى فلسطين .

ان مثل هذه الافلام تهدف الى تجريد الشعوب الشرقية من امجادها التاريخية ومفاخرها التقليدية وتحطيم ثقتها بكفاحها التاريخى ودورها الحضارى القديم ، والايحاء لها بأنها شعوب (لقيطة) كانت منذ الأزل على هامش الأحداث العظمى .. أما المستعمرون فهم فى زعم هذه الأفلام رسل المدنية منذ الأزل !!

مجلة « دعوة الحق » ـ الرباط

مفاهيم الشرف والانسانية ..

ان بقاء اسرائيل فى فلسطين ، واعطاء العرب المشردين تعويضا او ثمنا لوطنهم المغتصب ، ان هذا لا يمكن ان يعتبر تسوية شريفة انسانية الا اذا اصبح من حق كل مجرم ان يطالب بتسوية من هذا النوع ، فلا يرد ارضا اغتصبها ، ولا يغادر بيتا استولى عليه ، ولا يناله عقاب على جريمة اقترفها ، ما دام هناك تعويض شريف وثمن انساني !

جريدة الانوار اللبنانية

الشعر الجديد

● ان الشكل أمر حيوى فى الشعر — بل وفى كل فن آخر — لان مراعاة الشكل تقتضى ان اختار له مادة ذات صلابة وعناد ، حتى يكون «للصياغة» معنى ومغزى . لماذا ينحت المثال تمثاله من المرمر او الجرانيت ولا ينحته من الطين أو من الخزف ؟ الجواب هو انه بمقدار صلابة المادة التى يتناولها الفنان تكون مهارته الفنية فى تطويعها والامساك بزمامها . عظمة الشعر الجاهلى هى فى صلابة مادته ، وحتى حين يبدو اللفظ منسابا فى سلاسة ، فالبراعة تكون فى سيطرة الشاعر على مادة متزلقة رواغة ، فسيطرة الفنان على مادة فنه — اذ هو يصوغ تلك المادة فى شكلها الذى اختاره لها — شرط لا ارى منه بدا ، وقد يقال بعد ذلك — دون ان يتغير الشرط — ان براعة الفنان هى فى أن يخفى جهده المبذول فى فرض تلك السيطرة على مادته المشكلة .. فهل يدعى شاعر من « الجدد » ان فى مادته اللفظية مثل هذا العناد الذى يقتضيه المغالبة والتغلب ؟ كلا ، فالبناء من قش ، فقل ما شئت فى محتـواه ، لكن تهافت البناء يقضى بحرمانه من الدخول فى دولة الفن الخالد .

الدكتور زكي نجيب محمود

فى مجلة « المجلة » — القاهرة

تجارة الكتب

● لا شك أن أمير الشعراء شوقى حين قال بيته المشهور :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا

لم يخطر بباله انه سيكون فى مهنة التعليم —كما فى أى مهنة أخرى — اناس هم ابعد ما يكونون عن صفات الرسل ، وانهم سيتخذون من هذه المهنة النبيلة وسيلة للاثراء ولو على حساب المهنة .

وهنا فى هذا البلد فئة من هؤلاء يكونون «شركة محدودة الاسهم » لتاليف الكتب المدرسية وبيعها على الوزارة وعلى الطلاب .

وتجارة الكتب المدرسية — ان لم تكن تعلم يا رعاك الله — تجارة رابحة جدا من جميع الوجوه . فهى أولا — اى الشركة — ليست مسجلة فى اية دائرة حكومية ، وبالتالى لا تظنها تدفع فلسا واحدا من الضريبة لخزينة الدولة !

والكتب التى تنتجها الشركة المذكورة هى من أرخص انواع الورق والسبب فى ذلك يعود الى نظرية بسيطة جدا فى علم « الاحتكار » وهى ان الكتاب المصنوع من ورق الصحف يذوب من لمس الانامل الناعمة ، مما يضطر التلميذ الى شراء نسختين منه أو ثلاثا فى العام الواحد ، وبالتالى تزيد فى أرباح الشركة المذكورة .

يا وزارة المعارف . هذا الاستغلال حرام . وانت أدرى منا بمكمن الداء ، فمتى تضربين الضربة التى تمحو هذه الوصمة عن جبين « الرسل » ؟

ها نحن فى الانتظار .

جريدة « المنار » — القدس

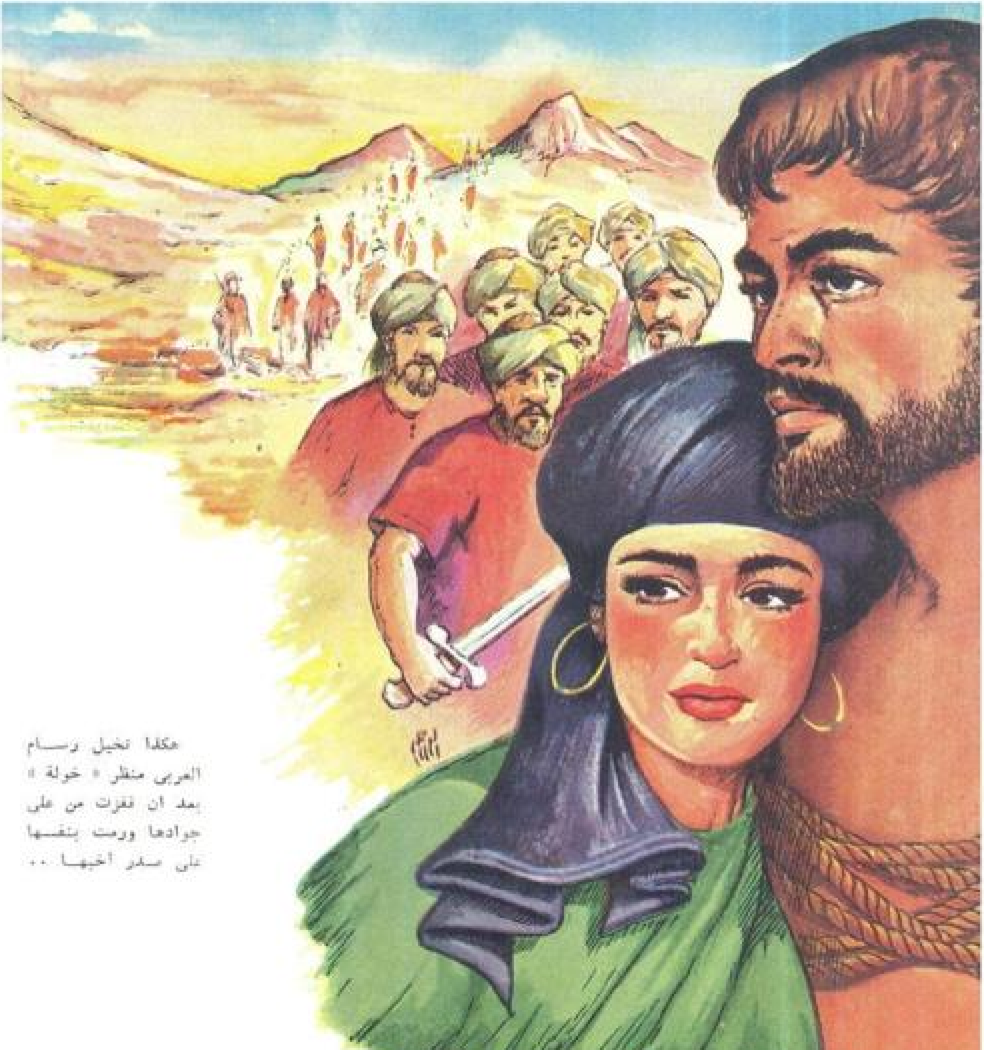

هكذا تخيل رسام العربي منظر « خولة » بعد ان قفزت من على جوادها ورمت بنفسها على صدر أخيها ..

خَوْلَة بنت الأَزْوَر

مسلمات خالدات

بقلم سنية قراعة

دوّت صيحتهم الظافرة وهم يرددون في حماسة مشبوبة وإيمان بالله عميق :

الله أكبر .. الله أكبر !!

واهتزت جوانب الأرض خاشعة لسماع صوت الحق ، وانصتت الدنيا في ذهول الى هذه الفئة القليلة التي خرجت من البقعة الجرداء ، التي عاشوا فيها معزولين زمانا ، ليسودوا ، ويتملكوا ، وينشروا دينا لله جديدا في الأرض .

والتف المخلصون حول راية أبي بكر الصديق ، فسدد بهم الضربات الى أهل الردة .. ثم أنفذ الجيوش الى فارس ، والى الروم ..

وسار أبو عبيدة من نصر الى نصر . وحالف التوفيقُ سعد بن أبي وقاص ، وسار النصر في ركاب خالد بن الوليد ، في الوقت الذي كان فيه عمرو بن العاص يدوخ الأمم ويحير الجيوش !..

واتجهت الأنظار آخر الأمر الى الشام والأرض التي بارك الله حولها ، وسرعان ما ارتدت أمام الاعصار فلول جيوش « هرقل » تتلمس النجاة من الموت .

ودوى نفير الجهاد ، وتعالى دويه .. وخرج الرجال في إثر الرجال من شتى القبائل والبطون .. وراحت البقية الباقية تستعد لتلبية الدعوة لتحمل العبء عن العائدين ، وتقوم بنصيبها في الجهاد ..

ضِرارُ بنُ الأَزْوَر

وكان « ضرار بن الأزور » في جملة المنتظرين ، بل انه كان من أشدهم شوقا الى معاودة الكفاح اذ طابت له حياة الميدان ، وهو من خيرة فرسان المسلمين الذين عرفتهم ميادين فارس .. وكانت له مع الدارعين هناك مواقع ومواقف تناقلتها الألسن في اعجاب ، وسارت بها الركبان ..

وانه ليستعد للخروج في حملة جديدة كان أبو بكر يُعدُّها لتكون مددا للفاتحين الظافرين،ولتضع أسس حياة جديدة تعلو فيها منارة الدين الحنيف .

خَوْلة ابنة الأزور

وفي حماسة قدسية راح الفارس ضِرار يحدث أخته « خولة » عن أمانيه .. وعن خططه التي أعدّها لتحطيم الروم والقضاء على فوارسهم ، أولئك الذين سمع عنهم وعن مغامراتهم ومقدرتهم في الحرب الشيء الكثير ..

وأنصتت خولةُ الى شقيقها ذاهلةً مأخوذة، اذ كانت بدورها تحلق في هذا الأفق ، وتتمنى أن يكون لها فيه نصيب ..

ولقد كانت « خولة » فتاة فتانة حلوة ،تزخر بالجمال والشباب والحيوية ، وفي دمائها العربية حب النجدة والاستهانة بالمخاطر والأهوال..وكانت بارعة في ركوب الخيل وحمل السلاح ..

خَولةُ تحدث أخاها في الخروج معه الى القتال

وانها لتنصت الى أخيها وهو يحدثها أجمل حديث وأشهاه .. وتحمست نفسها للجهاد وكرهت أن تكون قعيدة الدار لا عمل لها الا الثرثرة مع العجائز في تافه الأمور ، في حين يعمل أخوها لغده، فيخرج للقتال دونها .

وأسرّت اليه برغبتها،فرحب بها في صمت،ولكنه

صارحها بخوفه الشديد عليها مما تجره الحرب على مغاوير الرجال ، فكيف بالنساء .. ولكن « خولة » لم تنصت الى أخيها .. قالت له فى ايمان قوى :

ـ لئن كانت الحرب قد كتبت عليكم معاشر الرجال ، فان الله لم يكره لنا الجهاد ، بل فرضه علينا كما فرضه عليكم سواء بسواء .. أخرج أنت الى كرك وفرك .. ولأخرج معك لأقوم فى الحرب بنصيبى ، نصيب المرأة .. سأحمل لكم الزاد والماء .. سأضمد الجرحى وأواسى المصابين .. وسأشعرك بانى الى جانبك أحفزك الى المغامرة وادفع بك الى النصر دفعا ..

واطال ضرار النظر الى وجه أخته الذى تهلل بنور عجيب !! فمال على جبينها ليطبع عليه قبلة اعجابه وحنانه.. ثم يقول فى صوت كهمس النسيم فى براعم الزهر :

ـ أنت غضة الاهاب رقيقة العود يا خولة !! والحياة هناك قاسية شديدة .. وان كيانك لاضعف من أن يحتمل هزات الحرب ومفاجآتها ! .. لقد بعنا أرواحنا نحن الرجال ، ولكن ..

فقاطعته بقولها :

ـ ونحن !! أليس من حقنا أن نشارككم ونتعاون معكم .. أليس لنا حق فى شراء الحمد !! خذنى أو فانى سأخرج وحدى !!

وضم ضرار أخته الى صدره فى حنان وهو يتمتم فى نبرة عميقة :

ـ اعدى نفسك يا خولة !! وكونى جديرة بحمل مشعل الجهاد فى سبيل الله .. والله معنا ..

ومرت بالاخوين فترة صمت طويلة نسيا خلالها الدنيا وما فيها ..

ضرار وخولة يخرجان الى القتال

وبعث الخليفة بمدد جديد الى جيوش المسلمين .. وكان فيهم « ضرار » تصحبه أخته « خولة ».. وما أن وطئت قدماها الارض المقدسة حتى احست بروحها تنطلق نحو السماء . فجعلت تتمتم فى مناجاة حلوة :

ـ اللهم ان هذه أرضك ، فلا تمكن الذين ينكرون انك الواحد من أن يطؤوها وفيها رسولك الكريم .. اللهم فاجعلها لنا ، واقر بفتحها اعيننا .. اللهم ، ان كنت كتبت على الشهادة فاجعل هذه التربة الطاهرة مثواى .

خولة تاخذ مكانها فى الصفوف

واخذت خولة مكانها فى الصفوف .. واسعدها ان كان لها شرف القيام بخدمة المجاهدين ، بين كثيرات من بنات جنسها اللائى خرجن وراء الجيش ليرتشفن ابة النصر ، ويتنعمن بحياة الكفاح فى سبيل الله ..

تعودت خولة أن ترقب المعارك فى هدوء الخبيرة المجربة ، فلم يرهبها تراجع ، ولا ذهب بلبها تقدم .. كانت ثابتة الجنان قوية القلب ، تقدر الهزيمة ، قبل أن تقدر النصر .. وانها لكثيرة الحركة دائبة التنقل .. تسرع الى الظامىء ، وتعرف مكان من يحتضر ، وتحمل المؤونة والسلاح الى من هو فى حاجة اليهما ..

خولة تقع أسيرة فى أيدي الروم

وشهدت خولة موقعة « صحورا » ، واكتوت بلظاها .. وشاء لها الحظ السيىء أن تقع مع كثيرات من زميلاتها المجاهدات فى اسر الروم ، ووضعن تحت الحراسة حتى تنجلى الموقعة .. فيلتفت الأعداء الى السبايا والأسيرات ويكون لهم معهن شان الظافرين !!.

ونظرت خولة حواليها فى ثورة مكبوتة ، وقد ضاقت بها الدنيا ، وكرهت أن يكون الوقوع فى اسر الروم بداية جهادها !!

وتمردت روحها التى ما الفت غير الحرية ولا احبت الا الانطلاق حيث تشاء .. وكرهت الاستسلام الى اوهام الوحدة وخيالاتها البغيضة ، ولم تحتمل تصور تلك الساعات القادمة حيث يهدا النقع الثائر ـ ويعود اليهن هؤلاء العلوج !!

وجرى بخولة تفكيرها الى غير الاستسلام والخنوع .. كانت تعرف أنها ليست الا أنثى عاجزة ، مع صاحبات لها عاجزات ، لا حول لهن ولا قوة .. وكانت تعرف أيضا ان التسليم بالأمر الواقع معناه انها ، ومن معها من العربيات المسلمات

سيكن سبايا للروم يحملن العار حيثما حللن !! ويَصِمْنَ جبين المجاهدين بوصمة أبدية تعجز عن محوها الدماء !!

واستعرضت « خولة » الأمر من شتى وجوهه ، فهان لديها الموت ، وآثرته على أن تكون لعلج من هؤلاء !!

خولة تدبر أمرا

وجمعت خولة حواليها صويحباتها الأسيرات .. وصارحتهن بما دار بخاطرها ، فأسعدها ان وجدت لديهن جميعا اصداء ما دار في خلدها .. واذا بصوتها يرتفع محموما لتقول لهن :

ـ يا بنات حِمْيَر وبقيّة تُبّع !! أترضين لأنفسكن عُلوجَ الروم !! ويكون أولادكن عبيدا لهم !! ووجدت خولة سندها ومشجعها في صاحبتها « عفراء الحميرية » التي راحت بدورها تثير الخواطر وتمهد للمغامرة التي أرادتها خولة ..

وكانت الموقعة الحاسمة ما زالت دائرة الرحى بمبعدة منهن ، وكانت صرخات الرجال تصل الى مسامعهن فتلهب قلوبهن ..

وسنحت الفرصة لتنفيذ الخطة .. فقد ذهب أكثر المحاربين من الروم الى ميدان المعركة .. وضعفت الحراسة المفروضة عليهن .. وأوحى اليها الجو المحيط بها ضرورة القيام بعمل حاسم وسريع ، واذا بصوتها الهادىء يجلجل في صويحباتها :

ـ يا بنات العم !! ان الربح لموانية ، وان فرصة الخلاص لتبدو لنا ،فهيّا فقد حان وقت العمل.ان الموت اشرف من فضيحة تلحق بنا الى آخر الزمن .. علينا أن نحملها حملة صادقة تذهل العدو ، فننجو ، أو نموت في سبيل الله ؟! خذن اعمدة الخيام والأوتاد في أيديكن .. ولنحمل على هؤلاء الحراس .. ولا ينفك بعضنا عن بعض ولنتماسك فلا تكون بيننا ثلمة .. فهيّا يا حرائر العرب اشدُدْن معي !! والله معنا ..

والهبت خولة قلوب النسوة ، فاقتلعن الأعمدة والأوتاد .. واندفعن في قوة وعنف نحو حرّاسهن فراعهم هجوم الأسيرات ،وأُسقِطَ في أيديهم ، وكانوا قلة .. ففروا أمام بسالة النساء المندفعات وراء خولة بنت الأزور ، تشق بهن طريق الخلاص .

وعادت الفتاة الباسلة ورفاقها الى معسكر رجالهن وقد تخلصن جميعا من الأسر ، ومحون عن انفسهن عاره !!

وهزّ خلاصهن الرجال ، فارتفعت الحناجر مرددة في ايمان :

الله اكبر !! الله اكبر !!

وتخاذل الروم واضطربت صفوفهم ، وفروا الى حصن جديد من حصونهم المديدة ، وجرى في اثرهم الفرسانُ المغاوير .

ضرار يقع في الأسر

وجمعت بين ضرار وأخته خولة لحظةٌ هدنة وسلام .. وانصت اليها سعيدا وهي تحدثه عما كان من أمرها .. وتؤكد له ان المرأة العربية تستطيع أن تصنع الخوارق وتفعل ما يذهل !! وامن ضرار باخته .. وأمّن على قولها ..

وعاد ضرار الى مكانه في الصفوف الأولى .. وبقيت خولة في مكانها بين النساء ..

ودارت الرحى من جديد .. وسمعت « خولة » وهي في مكانها ان ضرارا في المقدمة .. وانه استطاع أن يطيح من الروم بفوارس لا عدد لهم ، وانه افلح في توجيه ضربة رهيبة الى ابن قائد الحامية أردته قتيلا ..

وهتفت سعيدةً مَزْهُوّة ، وعلا صوتها الصادح بأهزوجة تحيّي بها شقيقها ضرارا الباسل .. وبقيت مكانها تنتظر مزيدا من الأخبار ..

وجاءها النبأ بأن ضرار قد وقع في أسر الروم !!

ومادت الأرض تحت قدميها .. وأسودت الدنيا في عينيها .. وهانت عليها الحياة .. ووجدت الفتاة الجريئة نفسها تنسل من صفوف النساء في خفة وحذر !!

فارس ملثم يظهر في الميدان

ورأى المسلمون عجبا وهم يصاولون الروم . رأوا فارسا لم يروه من قبل في صفوفهم وقد

اندفع كالصاعقة يمرق فى صفوف العدو فتتمزق وترتد الرجال امام ضرباته !!

ونظر خالد بن الوليد الى الميدان .. وقد راعه امر ذلك الفارس الغريب الحديد الكيان ، الذى لا يبين من وجهه الا حدقتاه ، وقد بدا فى ثيابه السود وحـــزامه الأخضر ، وكأنه الفضاء الذى حـم ..

وهتف خالد :

ـ ليت شعرى ، من يكون هذا الفارس ؟!

وشد المسلمون وراء ذى الثياب السود الذى حمل على عساكر الروم فزعزعهم !!

قال رافع بن عميرة لبعض من سألوه عن ذلك الشهم الجرىء :

ـ لا بد انه خالد بن الوليد !!

ولكن خالدا ما لبث ان اشرف عليهم ، فثارت دهشة رافع واقبل على قائده يسأله عمن يكون ذلك الفارس الذى أنزل الرعب فى قلوب الأعداء ؟ فاذا خالد بدوره يقول :

ـ وانا والله لأشد منكم عجبا ، !!

وصاح رافع فى دهشة :

ـ أنظر أيها الأمير لقد نفذ فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا .. ولا يبالى موتا .

واطال القائد الظافر النظر الى الميدان ، وتبدت له بوارق النصر ، فاذا هو يصيح :

ـ « معاشر الرجال !! احملوا باجمعكم وراء هذا الفارس » !!

واطلق الرجال الأعنة وخالـد أمامهم .. فاذا الفارس وكأنه قطعة من نار والخيل فى أثره .. وكلما أدركته جيوش الروم الوى عليهم وردهم على أعقابهم خاسرين .

أيها الفارس ، اكشف عن لثامك !

ووصل الفارس الغامض أخيرا حيث كان خالد .. وقد تخضب بالدم رداؤه .. وصاح فيه خالد :

ـ لله درك من فارس . أبليت أحسن البلاء فى سبيل الله .. اكشف عن لثامك ، لنعرف من تكون !

ولم يحسر الفارس لثامه ، وانصرف دون أن يقول كلمة ، وسار فى تؤدة أثارت فضول خالد ، فسأله فى لهفة :

ـ ويحك !! لقد شغلت قلوب الناس . فقل لنا من أنت .. ؟!

ووقف الفارس فى مكانه بثوبه الأسود .. وظل على صمته ، ولثامه على وجهـه .. واذا بخالد يهيب به أن يتكلم ..

وتكلم الفارس أخيرا وتراجع خالد امام نبـرة الصوت الناعمـة !! واستمع الى صاحبته وهـى تقول :

ـ لقد اعرضت عنك يا أمير حياء منك !! فاغفرلى صمتى واصرارى على السكوت !!

وسأل خالد محدثته فى دهشة :

ـ من أنت اذا ؟!

ـ أنا خولة بنت الأزور !! وقد كنت مع النساء فسمعت باسر اخى ضرار ، فركبت ! .. وتأمل خالد محدثته مليا واكبر فيها جرأتها وحبها لأخيها .. واذا به يقول لها :

ـ سنحمل والله عليهم مرة ثانية ، وسنصل الى حيث ضرار ..

رحى المعركة تدور من جديد

ودارت رحى المعركة من جديد .. وخاضتهـا خولة بنفس الجرأة التى اذهلت الجميع .. حتى تخاذلت قوى العدو ، ففر من فر ، والقى السلاح من آثر التسليم .. وتجلت آية النصر سامقة عالية .. ولكن دون ان يتحقق أملهم فى العثور على ضرار !!

وانقضى اليوم .. واقبـل الليل .. وهـدأت الجلبة ورجع كل من الفريقين الى خيامه .. الا خولة فقـد راحت تجوس خـلال الميدان باحثة منقبة ، سائلة كل من تراه عن أخيها دون أن تظفر بجواب !!

واوت الى مخدعها باكية حزينة وهى تتمتم فى تحسر ولوعة :

ـ يا ابـن أمى ، ليت شعرى فى اى بيداء طرحوك ، وباى سنان طعنوك . أختك لك الفداء !!

وعلا نشيجها حتى سمعهـا المحاربون ، فبكوا لها .. وهز نشيجها قلب خالد بن الوليد ، حتى لقد فكر فى معاودة القتال من جديد ليرد الى خولة اخاها الأسير !!

أسرى من الـروم

ووقعت فى أسر المسلمين فرقة من الروم ، ألقت السلاح وطالبت بالأمـان عجـزا عن استمرار فى حرب ، فاحضرهم الجند الى خالد فسألهم عن ضرار ، ووصفه لهم ..

وقال ضابط من الأسرى :

ــ لعل الأمير يقصد ذلك الشاب عارى الجسد ، الذى قتل منـا من قتـل ، ثم فَجَع قائدنا فى ولده .. لئن كان هو فانه حى لم يمت ، انه أسير قائدنا ، وقـد اصدر امره بأن يذهبوا به الى حِمْص وجعل حراسته مائة فارس !! ..

فافلتت من فـم « خولة » صرخة فرحة .. وارادت أن تتكلم ، فاسكتها خالد ، وارتفع صوته مناديـا :

ــ يا رافع بن عميرة !!

وجاء الرجل على عجل تلبية لنداء أميرة ، فقال لـه :

ــ انك لخبير بمسالك هذه البلاد ودروبها .. وانك ولا شك تعرف اى طريق سلكه القوم بضرار ، كما انك قادر على أن تسبقهم .. فخذ معك مائة فارس والحقوا بالروم حيث وصلوا .. ثم عد ومعك ضرار بن الازور !!

وارتمت خولة على قدمى قائدها متوسلة وجعلت تقول :

ــ واسمح لى أن اذهب معهم !! انك رجـل يا خالد !! وانك لمستطيع أن تتصور مدى لهفتى على ضرار !! فمر بذهابى مع القوم .. انى أستطيع أن أخوض غمارها ..

واطرق خالد طويلا .. ثم أذن لخولة أن تخرج مع رافع ورجاله ، على أن تسير بمبعدة منهم ، اتقاء للمخاطر ، ومبالغة فى تجنبها ويلات الطريق .

وخرج رافع بن عميرة مع رجاله المائة ، ووراءهم كانت تسير خولة فى كامل سلاحها ..

ووصـل المسلمون الى « سلمية » مجتازيـن دروبا مجهولة .. وسألوا القوم عن مائة جندى من الروم فى صحبتهم أسير عربى .. فاكدوا لهم انهم لم يمروا بعد بهذا المكان ..

وفرح رافـع ، واكد لخولة أن الأسير العزيز سيـأتى بعد سـاعات ، وان عليهـا ان تصبر وعلى رجاله أن يراقبوا الطريق .

وأشرف الروم اخيرا على « سلمية » .. كانوا مائة فى كامل السلاح ، وبينهم ضرار !!

وحمل الرجال على الأعداء .. وبرز الفارس الغامض من جديد فى ثيابه السود ومنطقته الخضراء وراح سيفه يطيح بالـرؤوس ويلقـى الرعب فى القلوب .. حتى انجلت الموقعة اخيرا عن فرار من بقى حيا من الروم ..

خولة تلقى بنفسها على أخيها

ووقف ضرار ينظر حواليه فى دهشة واعجاب بالفارس الذى استطاع أن يفعل ما لا يكاد ان يقوى عليه الفرسان من الرجال !! وقبل أن يفيق من دهشته كان الفارس المجهول يقفز عن جواده ويرمى بنفسه بين ذراعيه ..

وصاح ضرار فى ذهول .

ــ خولة !! هذه انت ؟!

ــ أجل .. يا ضرار ! ..

ــ ويل لى كدت أقضى عليك بالموت ! ..

ــ وهل للحياة بعدك قيمـة يا ضرار ؟ لكانى بالقدر قد أراد خروجى لحكمة ارادها .. مـن يدرى !! .. قد تكون هى هذه !!

ــ لا .. بل لتجعل مـن خولة بنت الازور ، فارسة لا يشق لها غبار ، ورمزا خالدا للبطولة بين العربيات المسلمات الخالدات .. ■■

سنية قراعة

طرائف عربية

غرف القصور !

● **قال رجل من العرب :**
ــ رأيت البارحة فى منامى ، كأنى دخلت الجنة ، فرأيت جميع ما فيها من القصور ، **فقلت :** لمن هذه ؟

فقيل : للعرب .

فقال رجـــل عنده من الموالي : أصعدت الغرف ؟

قال : لا .

قال : فتلك لنا . . !

المـال

● **روى عن عيسى عليه السلام انه**
قال : فى المال ثلاث خصال .

قالوا : ما هن ؟

قال : يكسبه من غير حله .

قالوا : فان كسبه من حله .

قال : يضعه فى غير حقه .

قالوا : فان وضعه فى حقه .

قال : يشغله عن عبادة ربه !!

غنـى

● قيل لابى حازم رضى الله عنه:ما مالك ؟

قال : شيئان : الرضـــا من اللهوالغنى عن الناس ..

وقيل له : انك لمسكين !

فقال : كيف اكون مسكينا ومولاىله ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ؟!

الأحنف بن قيس

● سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقـال : **راس الأشياء ،** فيه قوامها ، وبه تمامها ، وهـو سراج ما بطـن ، وملاك ما علن ، وسائس الجد ، وزينة كل احد ، لا تستقيم الحياة الا به،ولا تدور الأمور الا عليه.

● ولما خطب زياد خطبته المشهورة قام الأحنف بن قيس **فقال :** الفرس بشده ، والسيف بحده ، والمـرء بجده ، وقد بلغ بك جدك ما ارى ، وانما الثناء بعد البلاء ، فانا لا نثنى حتى نبلو .

حــب:

● قال هشام بن عبد الملك يوما لزيد بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن ابى طالب وكان شجاعا زاهدا :

بلغنى انك طـامع الى الخلافـة ولست اهلا لها لأنك ابن امة .

فقال له زيد :

ــ لقد كان اسماعيل بن ابراهيم

طول العمر

قال الاصمعي : رايت اعرابيا قد اتت له مئة وعشرون سنة فقلت له : « ما أطول عمرك ؟ »

فقال : تركت الحسد فبقيت .

معاوية يقول الشعر

كان معاوية قد ترك قول الشعر فى آخر عمره ، فنظر يوما الى جارية فى داره ذات خلق رائع فتصبته ، فانشا يقول :

سئمتُ غوايتي فأرحتُ حلمي ... وفيَّ على تحمّلي اعتراضُ
على أني أجيب اذا دعتني ... ذواتُ الدل والحَدَقُ المراضُ

جارية تبذ ابناء الخلفاء

وصفت لعبد الملك بن مروان جارية لرجل من الانصار ذات أدب وجمال ، فساومه ابتياعها فامتنع وامتنعت وقالت : لا احتاج الى الخلافة ولم ارغب فى الخليفة ، والذى انا فى ملكه احب الىّ من الارض ومن فيها . فبلغ ذلك عبد الملك فاغراه بها ، فاضعف الثمن لصاحبها وأخذها قسرا ، فما اعجب بشيء اعجابه بها ، فلما وصلت اليه وصارت فى يديه أمرها بلزوم مجلسه ، والقيام على رأسه ، فبينما هى عنده ومعه ابناه الوليد وسليمان ، وقد أخلاهما للمذاكرة ، اقبل عليهما فقال :

ـ اى بيت قالته العرب أشجع؟ فقال الوليد قول عنترة :

اذ يتقون بي الأسنة لم أخِم
عنها ولكني تضايق مقدمي

فقال سليمان بل قوله :

واذا المنية فى المواطن كلها
فالموت مني سائق الاجال

فقالت الجارية : بل بيت يقوله كعب بن مالك :

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا
قدما ونلحقها اذا لم تلحق

فقال عبد الملك أحسنت ، وما نرى شيئا فى الاحسان اليك أبلغ من ردك الى اهلك . فاجمل كسوتها ، وأحسن صلتها ، وردها الى اهلها .

...ياة ذل؟

عليهما السلام ابن امة . وكان أخوه اسحق ابن حرة ، فأخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم .

فقال له هشام :

ـ قم فما اسد جوابك !

فقال زيد :

ـ اذن لا ترانى الا حيث تكره !

فلما خرج من دار الملك قال : ما احب احد الحياة الا ذل !

من الجرثومة

الدكتور أحمد زكى يكتب عن : قصة الخلق

من قطرة متجانسة من هلام تخلق الريش واللحم والعظام

من علم الفرخ أن ميعاد خروجه إلى دنياه حضر فاتجه بمنقاره إلى قشرة البيضة فنقر ؟

■ ان البيضة الملقحة،بيضة الدجاج ، تبدأ بجرثومة اتخذت لها موضعا من البيضة فوق صفارها . وهذه الجرثومة شيء قليل غاية في القلة لا يكاد يرى . قرص رقيق قطره نحو من ٣ مليمترات، به كل أسرار الخلق الذى سوف يكون .

فمن هذا القرص تبدأ الحياة .

ويأخذ الفرخ ينتشأ من هذا القرص الضئيل وينمو .

زاد الجرثومة

ولكن كل نام لا بد له من غذاء .

وغذاء هـذا النمو صفار البيض نفسه .

ان هذه الجرثومة الصغيرة ، قد زودتها الطبيعة بزاد هو هذا الصفار ، وهو يكفيها ٢١ يوما ، منه تتغذى ، ومنه تصنع العظم ، وتتشكل حتى تكون فرخا كاملا ، في أسابيع ثلاثة .

وينتشأ الفرخ على درجات متصلة

وهذا التشكل يحصل على درجات متتابعة متصلة متداخلة ، بحيث لايكون لدرجة منها حد نقول له هـذا أول ، وحد نقول له هذا آخر .

وهذا التشكل لا يحصل الا على الدفء ، يأتي من الدجاجة الأم ، او يأتي اصطناعا في المفارخ التى يوضع فيها البيض ليدفأ .

اليومان الاولان من حياة الجنين

ويمضى نصف اليوم الأول لا يتبين فيه الناظر الى الجرثومة ان شيئا حدث فيها .

لم يظهر بعد ذلك خط على ظاهر الجرثومة .

الدجاجة ترقد فوق البيضة

إلى الفَرْخ ..؟

١ اليوم الأول : الجرثومة الحية ، أصل الفرخ ، قد حطت على صفار البيض ، قرصا صغيرا قليلا من هلام.

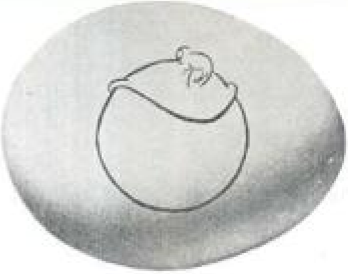

٢ اليوم الثاني : الصفار غذاء الجرثومة لتنمو . وهذا كيس يمتد من الجرثومة حول هذا الصفار يريد أن يضمه اليها .

٣ زادت الجرثومة تشكلا . وامتد الكيس حتى كاد يحتوي الصفار كله .

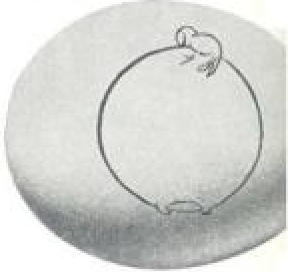

٤ يتم الكيس الالتفاف حول الصفار كله .

٥ بعد ١٢ يوما : الصفار داخل الكيس ، وقد اتصل بمعدة الفرخ ، ليدخل الى الفرخ عن طريق المعدة.

٦ بعد ١٩ يوما : يستمر الصفار يدخل الى المعدة ويزداد الفرخ تشكلا .

٧ بعد ٢٠ يوما : يزداد دخول الصفار الى المعدة ويصغر الكيس الذي يضمه

٨ بعد ٢١ يوما : كل الصفار دخل المعدة.

٩ الفرخ الآن يأخذ بنقر قشرة البيض الرقيقة ، فيخرج منها

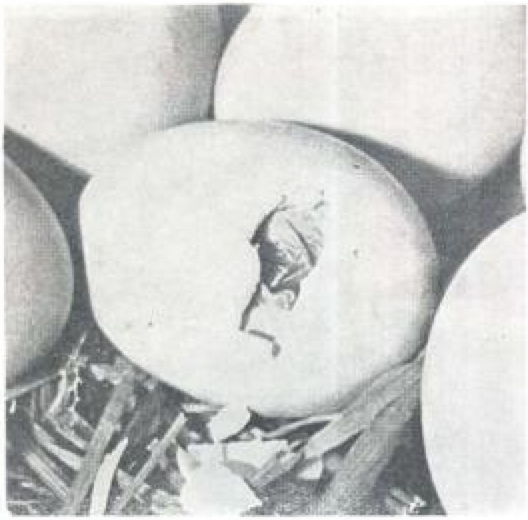

١٠ يستغرق الفرخ ست ساعات ليخرج من القشرة وهو ينقر القشرة بضع ثوان ، ثم يستريح دقائق .

١١ الفرخ ينقر البيضة في خط واحد يلف البيضة لفا .

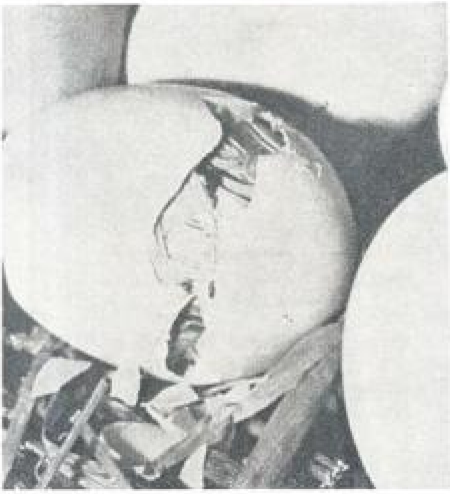

يظهر بعده خط آخر ينتهي بثنية لها شكل الهلال . فهذه الثنية هي التي تصير فيما بعد رأس الفرخ . وهي لا تلبث أن تبرز وترتفع عن مستوى الجرثومة . ثم يأخذ جذع الفرخ ينتشأ على اتصال بهذا الرأس وعلى امتداده .

وبعد ٢٨ ساعة يظهر في الجنين وعاءان دمويان كبيران يربطان بين الجنين والصفار الذي هو خارجه . وبعد نصف يوم يظهر قلب يضخ دما أحمر يجري من الجنين الى الصفار ، ومن الصفار يعود الى الجنين ، في شبكة من الأوعية الدموية متواصلة .

وفي الرأس ، الكبير نسبيا ، يتشكل المخ ، وتظهر مخائل العينين وثقوب الخياشيم .

وفي الجذع تظهر الكليتان والكبد وبعض الجهاز الهضمي ، والفروع الصغيرة التي ستكون أطرافا فيما بعد .

في اليوم الثالث والرابع

وفي اليوم الثالث يأخذ الذيل يخرج عن المستوى الجرثومي ، كما خرج الرأس ، وبذلك يصبح الجنين شيئا مكورا بعد أن كان منفرطحا .

ولا يمضي اليوم الرابع حتى يتراءى الجنين ، ذلك الذي بدأ شيئا من هلام متجانس المادة والتركيب ، يتراءى لناظره ، تحت المنظار ، بداية لشيء حي ما ، اذا لم يكن لفرخ .

وهو على هذه الحال لا يزال صغير الحجم . نحو ٦ مليمترات طولا ، لا أكثر .

وهو لم يحتج لبلوغ هذا الحجم الصغير الى غذاء كثير .

اعداد الصفار ليكون طعاما سائغا للجنين

وفي هذه الأثناء كان الطعام يُعَدّ للزحفة التالية الكبرى لتشكل الجنين .

في هذه الأثناء كان غشاء الجرثومة الخارجي يمتد حول صفار البيضة ، ثم يمتد ، كيسا كبيرا ، غايته احتواء هذا الصفار كله ، وهو يحتويه في أقل من أسبوع .

وتظهر ، حتى في اليوم الأول ، على هذا الكيس الذي احتوى الصفار ، أوعية دموية كما سبق أن ذكرنا ، تجرى من الجرثومة النامية الى جدار الكيس ، ومن

جدار الكيس الى الجرثومة النامية . واذ استقرت الدورة الدموية هكذا ، يأخذ جدار هذا الكيس يفرز خمائر من شأنها أن تفعل في مادة الصفار فتهضمها هضما، حتى اذا حل اليوم الخامس من حياة الجنين كان الصفار ، وهو هلامي المزاج، قد تحول الى محلول خفيف المزاج كالماء، ينتقل عن طريق الدورة الدموية الى الجنين النامي ليزيده نموا . فهو من هذا الغذاء يصنع الاعضاء .

ان هذا الكيس الهاضم قام للجنين مقام المعدة التي لم تكن تكونت بعد .

الاطراف والعينان والريش

عندئذ تصبح اطراف الفرخ اكثر ظهورا واستبانة ، وتتشكل فيظهر فيها ما يشبه الارجل ، وما يشبه الاصابع .

والعينان ، وكانتا كرتين جوفاوين يخرجان من المخ، يملؤهما جهاز الابصار، ويشف ما فوقهما من غطاء استعدادا للنظر .

والاحشاء تتكون وتزداد ظهورا .

والمادة التي مآلها أن تصير عظما تأخذ في التصلب لتصبح عظاما تقيم الجسم فيصبح بها اكثر تماسكا واشد عودا .

وفي الجلد تظهر قنيبات صغيرة يتنبثث الريش منها .

وهكذا يستمر النمو الى غايته المرسومة .

الفرخ يتهيا للخروج

ويبلغ الفرخ يومه الحادي والعشرين، وهو في قشرة البيضة حبيس ، فيأخذ يتهيا للخروج .

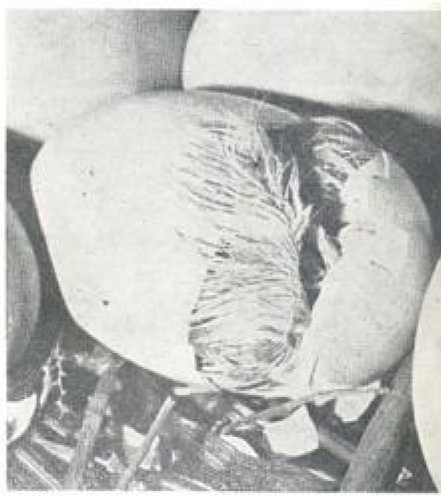

١٢ نرى الفرخ هنا مستلقيا على ظهره ، وهو سوف يدفع برأسه ليكسر القشرة نصفين ليخرج

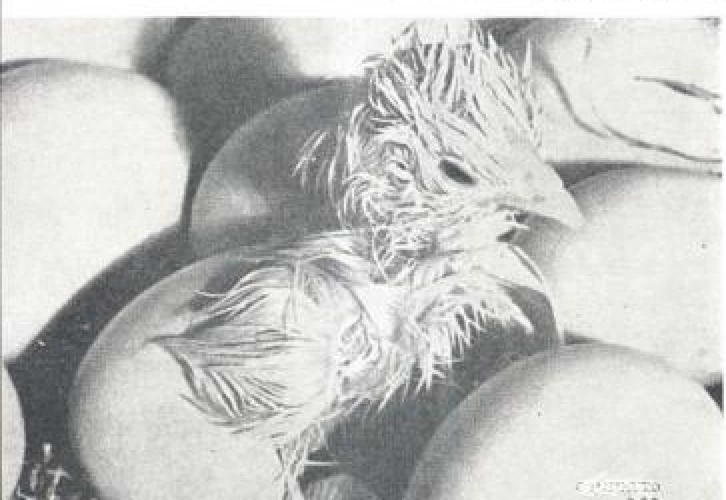

١٣ نرى الفرخ هنا واقفا على رجلين ضعيفتين وهو بعد ساعة ميلاده بمرحلتين قويتين ، وعندئذ تنصرف عنه الدجاجة الام تنتظر خروج أخواته .

انه الآن مستعد لملاقاة الدنيا . قلبه يدق . دورته الدموية تجرى . وانفاسه تتأهب . ومعدته بها آخر مقدار للصفار . وارجله . . جناحاه . . كل شيء متهيىء لتجرى الحياة .

وينقر الفرخ قشرة البيضة ليخرج

وكأنما قد علم الفرخ ان هذا هو آخر المطاف فى هذا البيت الحبيس ، وان وراء ذلك دنيا هو لابد داخلها ليبدأ حياة جديدة حرة عجيبة .

فيأخذ ينقر القشرة الرقيقة .

ليت شعرى من علّمه النقر ؟

وهو ينقر القشرة ثوانى ، ثم يستريح . انه اتصل بهواء ، بحرا عارما من غاز يعطى الحياة . وقد كان يتنسّمه تنسّما من ثقوب القشرة قبل خروجه منها بقليل . انه الآن يجرب هذا الهواء ملء صدره ، اخذا وردا .

مجهود كبير يبذله هذا الفرخ الصغير . لهذا وجب عليه أن يستريح بعد كل نقرتين او ثلاث .

وهو لا ينقر البيضة هكذا اعتباطا . انه يدور بنقره حولها فى طريق هو اشبه شيء بمحيط دائرة ليكون الخروج ايسر .

فمن علّمه ان هذا ايسر طريق للخروج وانظمه ؟ واقل الاساليب جهدا ؟

ان هذا هو الاسلوب نفسه الذى يتبعه الانسان عند قلى البيض . يدق البيضة فى اوسطها ليشقها نصفين .

ويستمر الفرخ ينقر ويستريح . ويتم نقرا بعد ست ساعات .

ويخرج الفرخ براسه اولا . ثم بسائر جسمه . ثم يستقر على قدمين لم تعرفا ما المشى قط .

اول نظرة الى الدنيا

ويأخذ ينظر الى دنياه اول نظرة .

ليت شعرى هل يفهم ، وكم ؟

ليت شعرى هل يعى ، وكم ؟

على كل حال هو ليس عليه تبعة ، انْ فهم أو لم يفهم ، وان وَعىَ او لم يع .

انه لم يصنع نفسه ، وانما هو صُنِع .

وهو لم يركّب لنفسه هذا التركيب الجثمانى المعقّد ، وانما رُكّب له .

وهذه العين التى يرى بها ، معارةٌ له .

ومعارٌ قلبه . ومعارةٌ معدته ، ومعارةٌ كبده .

الفرخ ، كالانسان ، ارادة محدودة

ان الفرخ عند تمامه ، ليس الا ارادةً محدودةً رُكّبتْ هذه الاعضاء جميعا ، كما يركب السائق سيارته وهو لا يفهم من تركيبها شيئا ، وهو يحسب انه يحركها وفقا لكل هواه ، والواقع انها هى تحركه وفقا لاكثر هواها . هى تحد من ارادته .

بل ان الجسم يصنع ارادة الفرخ . وكذا الاجسام جميعا تصنع ارادة الافراد . حتى الانسان منا فى جسمه آمر مأمور ، فى علاقة بل علاقات يشوبها الغموض اى غموض .

غموض يشمل الخلق كله

ان الغموض يشمل الخلق كله ، من اول ما تتلقح البذرة الاولى ، الى ان تتخلق وتتشكل وتكون شيئا حيا فردا ، قائما بذاته ، الى ان يجرى الحىُّ حياته ، ويترك الأنسالَ من بعده ، ثم يمضى الى غاية يفنى عندها . ثم تقوم الانسال من بعده تجرى الحياة فى دورات متعاقبة يخلد فيها الجنس وان مات الفرد .

ولكن ، هل صح ان الاصل واحد ؟! غموض !

خلايا تعرف مواضعها ووظيفتها

وهذه الخلايا تعرف كيف تصطف معا ، وفى اى صف هى تقوم وعلى اى زاوية .

وعلى اختلاف الاشكال تختلف الوظائف وكل يعرف وظيفته . فهذه تعصر سائلا هاضما ، وهذه تصنع دما ، وهذه تقوم تمسك بالجسم كى لا يميل امساكا . وظائف الف .

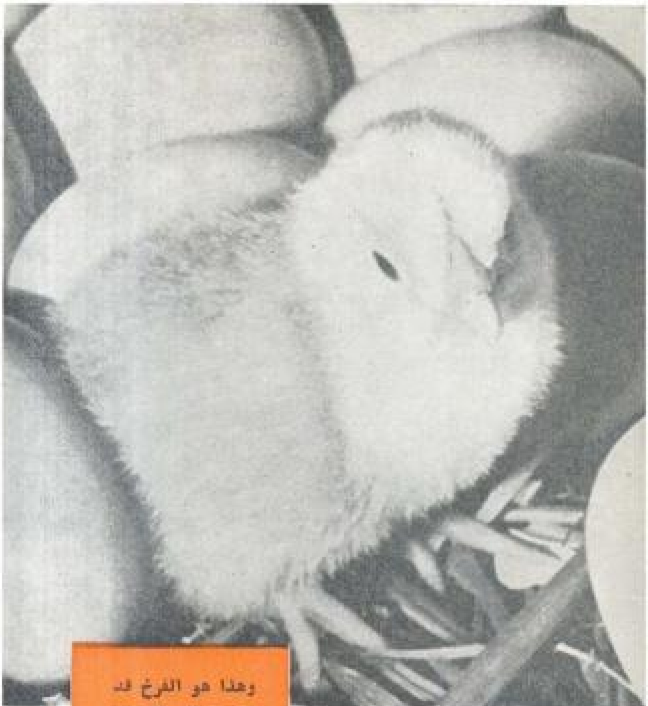

وهذا هو الفرخ قد خرج الى الوجود خلقا سويا . لقد استغرق جفاف جسمه ساعتين .

غموض اولا . .

وغموض آخرا .

هذه الجرثومة الملقحة الاولى ماذا بها حتى تتنشأ هذا التنشىء العجيب .

انك تنظر اليها ، الى هذه الجرثومة الاولى التى لا تكاد ترى ، تنظر اليها بالمجهر فلا تجد الا خلايا متشابهات اشكالا ، لا فرق بين خلية واختها فى هذه الالوف العديدة .

ولكنها ، اذ تبدأ تنمو ، وتصنع الجديد من الخلايا ، تصنعها مختلفات اعدادا واشكالا ، فهذا لظاهر ، وهذا لباطن ، وهذه خلية لقلب ، وهذه خلية لكبد ، وهذه خلية للحم ، وهذه خلية لعظم . وهذه خلية لمخ ، وهذه خلية لنخاع ، الى ما هنالك من صنوف من الخلايا متعددات مختلفات انعدم بينها التشابه كله تقريبا ، مع ان الاصل واحد .

والغريب ان التجارب دلت على انك تقتطع من هذه الجرثومة ، فى اول تنشئتها ، بعضها ، فلا يؤثر هذا فى نموها وفى اكتماله .

ولكنك تقتطع منها من بعد ان تأخذ سبيلها فى التنشىء ، فتختلف النتيجة . لقد اخذت الخلايا تتخصص ، فانت تقتطع متخصصا ، لعله سوف يكون عينا ، او لعله سوف يكون قدما .

فرخ ذو عين واحدة

وتجارب شهيرة اجراها عالم نمساوى ، جاءته من جرائها جائزة نوبل تسعى الى بابه . تجارب دلت على أن اقتطاع جزء من الجرثومة فى أول التنشىء ينتج غير

ما ينتجه الاقتطاع من بعد تقدم في التنشىء ولو يسيرا .

واختار لتجاربه الحيوانات البرمائية، كالضفدع واشباهها . واختار ان يجرى تجاربه في الجرثومة وهي في دور تشكلها حين تظهر فيها مخائل مواقع العين .

وبابرتين في يده ، ومنظار مكبر ، اقتطع من منطقة يحسب ان عينا تقوم فيها ، اقتطع اقل من نصف مليمتر . قطعة لا تختلف شكلا ومظهرا عن سائر ما في الجرثومة من خلايا . ومضت الجرثومة في تنشئتها ، فخرج منها فرخ لا عين له في ذلك الجانب الذى اقتطعت منه تلك القطعة الصغيرة .

انه اذن اقتطعها بعد ان كانت تهيأت كل خلاياها لتكون عينا . وباقتطاعها نقص جسم الفرخ عينا .

وفرخ فيه عين ، ولكن لا ترى

وتجربة اخرى اجراها :

اقتطع مثل هذه القطعة من جرثومة، في مثل هذا الدور ، وادخلها في جسم جرثومة اخرى ، بدات تتشكل،وتشكلت القطعة المقتطعة مع هذه الجرثومةالثانية، وصارت عينا . الا انها عين لا ترى ، لانه لم يكن بينها وبين مخ هذا الفرخ الجديد صلة .

واجرى العلماء امثال هذه التجارب ، في غير العين ، والنتيجة واحدة .

خلايا الجنين في اول الامر سواسية

وظن العلماء من ذلك انّ لعل الخلايا وجدت في الجرثومة من اول الامر متخصصة في صنع هذا العضو او ذاك .

ونفى الاستاذ النمساوى، الذى ذكرنا، هذا الزعم بتجربة اخرى .

جاء للجرثومة وهي في دور من التنشىء سابق على ذلك الدور الذى تظهر فيه مخائل العين .

ومن نفس الموضع اقتطع قطعة صغيرة . ولكن ما بقى نما نموا كاملا بالعينين سليمتين معا ، وسائر الاعضاء .

واخذ هذه القطعة المقتطعة ، وادخلها جسم جرثومة اخرى في اول نشاتها ، فاندمجت معها ، واختلطت بها كبعض خلاياها ، وشاركتها فيما تشارك فيه للنمو الكامل .

الخلايا اذن لا تاخذ علما ، بكيف تتشكل ، ولا لاى غاية ، الا عند بلوغ دور في النمو خاص . اما عند البدء فهى خلايا سواء !!

ذهب اذن زعم القدماء هباء . كانوا يقولون انالجرثومة مخلوق صغير جاهز الاعضاء به القلب والراس والعين والانف والمعدة والامعاء . فما على هذه الاعضاء الا ان تزيد حجما ، وتزيد جرما ، وتزيد نماء .

وقلتُ « الخلايا اذن لا تاخذ علما ، بكيف تتشكل» . وصحّ منّى ذلك قولا . فالعلم لا يُعطى دائما عن طريق لسان ينطق ويامر،واذن تسمع وتفهم وتطيع .

ونقول « تاخذ علما » ، ونعنى ما نقول . ان العلم لا تكون وسيلته دائما هي علم الانسان : لسان ينطق ويامر ، واذنٌ تسمع وتفهم وتطيع .

ان الخلايا تؤمر وتطيع ، واختفى الصوت الآمر الغامض من ورائها ، لا يدل عليه الا ما يظهر عند هذه الخلايا من سمع وطاعة .

عجزت الافهام ، فاكثر الصفاء عندها عكَرٌ ، واكثر ما يتضح لديها غموضٌ وخفاء . ■■

احمد زكى

عربيات في سوريا أديبات

بقلم
سامي الكيالي

■ .. في الفترة التي مرت قبل الحرب العالمية الأولى ، أي منذ منتصف القرن التاسع عشر الى بداية القرن العشرين ـ لم يكن للأدب النسائي في سورية أي أثر يمكن أن يكون مادة لمن يريد أن يؤرخ هذه الظاهرة الأدبية في حياتنا الفكرية .

ولم يعرف بين اللواتي اشتغلن بالأدب سوى الشاعرة الحلبية «مريانا مراش» ، ثم كان للعوامل الثقافية أثرها في تطور المرأة التي أقبلت على معاهد العلم بشوق ونهم ، وما هي الا سنوات حتى برزت المرأة المتعلمة زهرة عبقة في حياة المجتمع ـ من مدارس التعلم الابتدائي الى الثانوي الى الجامعي بشتى فروعه ، وكان ثمرة ذلك نهضة نسائية مرموقة .

قدمت هذه التوطئة لأشير الى غير واحدة ممن ساهمن في الحركة الأدبية وتجاوبن مع المجتمع المتطور في شتى ظروفه وملابساته .

مريانا مراش

فأول امرأة سورية عرفت في عالم الأدب هي السيدة مَرْيانا مَرّاش .

ولدت في حلب ، وهي من بيت عريق عرف باهتمامه بالأدب .

كان أبوها فتح الله مراش رجلا فاضلا عني بالمطالعة واقتناء الكتاب ، ولديه مكتبة نفيسة . وقد كتب في موضوعات مختلفة لم تطبع ، كما كان أخواها عبد الله وفرنسيس من أركان النهضة الأدبية في القرن التاسع عشر ، كتبا ودرسا وأصدرا عدة كتب ، وقد سارت مريانا على غرار أخويها .

درست العربية على أخيها فرانسيس ، والافرنسية في مدرسة راهبات مار يوسف .

مريانا مراش

وحذقت الصرف والنحو والعروض على ابيها . كما درست الموسيقى فكانت من أبرع العازفات على البيان .

وما كادت ثقافتها الادبية تكتمل حتى اخذت تكتب في الصحف والمجلات ـ كتبت في جريدة « لسان الحال » وفي مجلة « الجنان » مقالات تنقد فيها عادات بنات عصرها وتحضهن على التزين بالعلم والتحلي بالأدب . كما أخذت تنقد التقعر في أساليب الكتّاب وتدعوهم بها ، وتدعو بنات جنسها الى معالجة الكتابة الى تحسين الانشاء وتنويع الموضوعات والتفنن وترغيبهن فيها .

وقد سافرت الى اوروبا واطلعت على أخلاق الاوروبيين وعاداتهم عن قرب فاستفادت منهم، كما يقول قسطاكي الحمصي ، كثيرا ، ثم عادت الى وطنها تبث بين بنات جنسها روح التمدن الحديث والاخلاق الصحيحة .

ومذ ظهرت مواهبها وعرفت بميلها للأدب وقرضها للشعر أصبح بيتها ندوة يجتمع عندها الأدباء . فكان صالونها الذى ضم رزق الله حسون وجبرائيل الدلال ، وكامل الغزى، وقسطاكي الحمصي وغيرهم وغيرهم من الاعلام، اول صالون أدبي في الشرق العربي . كانوا يقرأون ما نظموه ويبحثون ما كتبوه ويتطارحون الشعر ، ويستمعون الى شعرها والى عذب صوتها وينعمون بجمال مغناها ، وكانت على جانب عظيم من الظلابة والملاحة .

نظمت عدة قصائد ومقطوعات في أغراض شتى ، وجمعت اشعارها في ديوان صغير بعنوان « بنت فكر » :

وقد مدحت بعض رجال الدولة ، وبعض رجال السلك القنصلي الذين كانوا يترددون على صالونها .

ونتجاوز شعر المديح لنشير الى شعرها العاطفي الذى يصور بعض نزعاتها وأحاسيسها. فقد كانت جياشة العاطفة ، وكانت ترسم نبضات قلبها بشعر رقيق .

فمن شعرها تشطيرها مقطوعة « للعاشقين بأحكام الغرام رضا » :

« للعاشقين بأحكام الغرام رضا »   يمشون صرعى به لم يأنفوا المرضا
لا يسمعون لعذل العاذلين لهم   « فلا تكن يا فتى للجهل معترضا »
« روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا »   ذاك الذمام وقد ظنوا الهوى عرضا
جاروا وما عدلوا في الحب اذ تركوا   « عهد الوفي الذى للعهد مانقضا »
« قف واستمع سيرة الصب الذى قتلوا »   وكان يزعم ان الموت قد فرضا
أصابه سهم لحظ لم يبال به   « فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا »
« رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا »   فما ابتغى بدلا منهم ولا عوضا
تقطع القلب منه بانتظار عسى   « فسام صبرا فاعيا نيله فقضى »

ولها عدة مقطوعات من الشعر الوجدى ينم عن احساس عميق وشعور متقد ، كما أن لها مقطوعات تدل على انها عاشت تجارب الحياة بعقل كبير وفؤاد بصير ..

ورثاؤها لأخيها فرنسيس مراش ، وهو الشاعر الأديب والعالم الطبيب الذى فقد بصره وهو شاب وكتب عدة كتب في الأدب والاجتماع ، وكان أسبق من شبلي شميل وسلامة موسى واسماعيل مظهر في تفسير مذهب النشوء والارتقاء ـ أقول ان رثاءها لأخيها قطعة جمر من كبد محروقة .

عاشت مريانا مراش حياتها فى جو من النغم والألم ، من الموسيقى والأدب .

عاشت مع الأدباء والشعراء ورجال الفن ،قرأت ما كتبه أدباء الافرنسيس وأدباء العرب فتكوّنت عندها ثقافة جمعت بين القديم والحديث .

كانت تأنس الى هذه الأجواء التى تغمرها أنغام الموسيقى ونفحات الأدب .

وكانت كما يقول أحد معاصريها : رقيقة الشمائل ، عذبة المنطق ، طيبة العشرة ، تميل الى المزاح ، وقد تمكن منها الداء العصبى فى آخر سنى حياتها حتى كانت تتمنى الموت كل ساعة . .

اى كانت حياتها شبيهة بحياة مي أديبة العرب ، مع فارق الزمان فى ملابسات حياة العصر .

وخلاصة القول : كانت مريانا مراش لزمنها من الشاعرات المشهورات ، فاذا ذكرت عائشة التيمورية فى مصر ، ووردة اليازجى ووردة الترك فى لبنان ، ذكرت مريانا مراش فى سورية .

مارى عجمى

رافقت الحركة الأدبية مدة طويلة ، وكانت أديبة وشاعرة ، ذات أسلوب رصين وشعر جزل .

وكانت ذات اهتمام بقضية المرأة وبالنهضة النسائية فى الشام .

وقد تولت التدريس فتخرج على يديها كثيرات ، وكان بيتها ملتقى أدباء دمشق ، والى هذا أشارت السيدة وداد سكاكيني بقولها :

« ومنذ ربع قرن كان مجلس الأديبة مارى عجمى يحتفى بشعراء دمشق وأدبائها ، وفى هذا المجلس كان يدور الحوار ويطول النقاش حول مشاكل النقد والأدب ، ولم يكن الحديث جافا عنيفا ، لأن الآنسة مارى كانت تطبع مجلسها بطابع النكتة التى هى أبدا على طرف لسانها » .

من شعرها تروى بعض ذكريات الصبا فى قصيدة تنيف على الخمسين بيتا :

مَنْ لأيام لنا سلفت ... وربيع القلب لو يُشترى
يوم كان الظل يجمعنا ... لا نوى نشكو ولا قدرا
يوم كنا السَّيلَ هرولةً ... والنسيمَ الطَّلقَ حينَ سَرَى
وأنا في ودّ سامعها ... لو تغنيها له الدَّهرا

نغرس الأزهار في سَحَرٍ ثم نجني طيبها عَصْرا
برياض العيش وارفةً وجراح القلب ما تَبْرا
نسلكُ الحبَّ مرتجَلا وأحاديثَ الهوى جَهْرا
وأفانينُ منوَّعةٌ وجنونٌ يزدري الكِبْرا
وقلوبٌ ملؤها نغم ورفيفٌ: يا لها ذكرا ! !
روعة فاضت منابعها دون أن ندري لها عُذْرا

ولو جمع ما نشرته في مجلتها من نثر وشعر لجاء الضمامة تمثل الأدب النسائي في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى مباشرة وقبلها ببضع سنوات .

وداد سكاكيني

كتبت المقال الأدبي وعالجت القصة فوفقت فيهما أحسن توفيق .

تتابع تطور الحركة الفكرية في مصر والشام باهتمام بالغ .

ولها عدة دراسات عن السوريين المتمصرين الذين لعبوا دورا في حياة الفكر والأدب .

اصدرت عدة كتب في أغراض مختلفة ، من كتبها « مرايا الناس » و « أمهات المؤمنين » و« اخوات الشهداء » ، و « أروى بنت الخطوب » و « انصاف المرأة » ، وهذا الكتاب رسائل ومقالات تدافع فيها عن بنات جنسها دفاعا حارا ، وكتاب « بين النيل والنخيل » ، وهو صور واقاصيص مصرية منتزعة من صميم المجتمع المصري . وقد المعت في مقدمة هذا الكتاب الى البواعث التي دفعتها الى تأليفه أو رسم صوره فقالت :

« لقد عرفتُ مصر بتاريخها الضخم المحجل عليها مطارف المجد من أزمانها التي عزت بالآثار ، ونحتت خلودها في الاحجار ، وتشوفتُ بالخيال الى مباسمها الباقية على الأيام ، بنيلها ونخيلها ، بأهرامها ومعالمها ، حتى جئتُ الكنانة وهي في عزة العروبة وترَف الزعامة ، فقرت عيناي بمباهجها ومفاتنها . وانطبع في الفؤاد وجهها الأغر . وحين طال مقامي بها ، والمامي بأهلها ، تمرّست بخصائصها ومعايشها ، وعرفت ريفها وصعيدها ، ففتنتني طبيعتها ، وخلبتني معاهدها » .

الى أن قالت :

« وكان الأدب صدى النفس وصورة الحس، فاهتز القلم ولا طاقة لي بكبت مرامه ، وماج الشعور فما استطعت أن أصرفه عن الطور لأخفف مما زحم نظري كل يوم ووقع عليه

احساسي ، فاذا مصر دواتي واليراعة أداتي ،ومن فاته الرسم بالالوان ، كفاه التصوير بالبيان .. » .

ثم مضت بهذا الأسلوب المشرق تصف حياةمصر في شتى صورها ، ترف الأغنياء وبؤس الفقراء .. ومن الزار الى القمار ... الى« بركة السيدة » الى « مصابيح رمضان » الى « شم النسيم » . الى « فيلسوف بولاق » الى غير ذلك من الصور .

وقد صدر لها عدة كتب أخرى وهي ما تزال تغذي الصحف والمجلات بفيض أدبها وطريف قصصها .

فلك طرزي

بدأت حياتها الأدبية بنشاط ملموس ثم خمد هذا النشاط .

كتبت وحاضرت في الأدب والقومية ،وترجمت بعض المسرحيات عن أكابر كتاب فرنسا ، وأصدرت كتابا واحدا بعنوان«آرائي ومشاعري» .

وهي ثورية الروح ، في أدبها هذه النزعة الحرة التي تريد للشعب العربي أن يتحرر من القيود والسلاسل ، من قيود المعاهدات وسلاسل التقاليد البالية .

تكاد تكون أول أديبة دمشقية خرجت على التقاليد فسفرت ، أو ـ والاصح ـ انها لم تضع الحجاب على وجهها قط في فترة كان السفور فيها ـ ولا يزال في عقيدة البعض الما واي الم!

تقرأ أكثر مما تكتب ، ولو مارست الكتابة لكان لنا من أدبها ثروة ضخمة لا تقل عما تركته « مي » من أدب .

اجتذبها الأدب الافرنسي فعبّت منه كثيراً،ثم احتّت أدباء الروس فقرات لهم بلذة واعجاب . وكان للأدبين أثرهما في تكوين ثقافتها الأدبية وتلوين آرائها السياسية !! .

سافرت الى اوروبا أكثر من مرة ، وجذبتها اضواء باريس فكان لمتاحفها ومسارحها وفنونها ومن اتصلت بهم من أدبائها المعاصرين الذين قرأت لهم ونعمت بفيض أدبهم ولا سيما الأديب الوجودي «سارتر» ـ كان لكل ذلك أثره في نفسها البرّمة من تقاليد محيطها . وكأنما قد لقيت « ذاتها » في باريس بعد أن لمست حياة الانطلاق في دنيا الغرب !

يسود أدبها روح التشاؤم ، بالرغم من طراوة اسلوبها . فمن رسالة لها الى « مي » قولها بعد مقدمة طويلة :

« وعندما تخطيت الحداثة ودنوت من روض الشباب اليافع قلت للناس : حدثوني عن «مي» ان الحديث ليطيب لي الآن سماعه . حدثوني عنها فان شيئا خفيا يشعرني بأن شبها بيني وبينها قائم.وان لحنا من السماء يقعد بي الى حيث استوحت الحانها واستلهمت موسيقى روحها » .

« هذه النفس يا مي : الظماى الى مثلها الأعلى ، التواقة الى ادراك المجهول ،

قد عرفتك وعرفت أمثالك من عظام العباقرة ،يوم عرفت ذاتها وقادها الألم الى مقرها » .

« وهـذا القلب يا مي ، الذى يكشف الحُجُب عن ضلوعه حِكَماً لمعت في أديم السماء نجمة،ليخطط بمداده الأرجواني القاني كل همسة من الهمسات التى تتمتم بهـا النسائم ، قد سمع صيحة قلبك واصغى الى نغماته يوم أسمعني صيحته ، واودع في قاع نفسى نغماته وأناته » .

« لقد قال الناس يا مي : جُنَّت أديبة العرب الكبرى ، فلم يعد يرجى منها أمل ! فقلت : هذه العبقرية قد بلغت أوجا لا تطاوله ابصار البشر فحسبوا جنونا ما هو ظاهرة من ظواهر النبوغ ، اذ عجزوا عن ادراك كنهه » .

ان في أدب فلك طرزى نفحات من أدب مي ،وكل ما نرجوه بعد أن آثرت العزلة وعدم نشر شيء مما تخطه يراعتها أن تعود الى الكتابة لئلا يحرم الأدب من نفحاتها العبقة .

ألفة الأدلبي

أديبة بارعة الوصف ، دقيقة الملاحظة تستمد عناصر قصصها من حياة المجتمع السورى ، تصف الحياة القديمة بمختلف صورها ، وتجيد وصف مظاهر الحياة الحديثة وصفا يدنيه من الواقع .

بدأت كتابة القصة بعد أن اكتملت ثقافتها الأدبية ، وهى دائبة المطالعة ، ومطالعة أحدث ما تقذفه المطابع العربية من كتب مؤلفة او مترجمة .

وقد وصف الاستاذ محمود تيمور فنها القصصي بقوله :

« بناء أقاصيصها يقوم على دعائم من استجابة الكاتبة للحياة من حولها ، فهي لا تضرب في مسارح الخيال ، فتسوى لنا صورا من جانب السماء عليها أصباغ من قوس قزح ، لا تكاد تلمع حتى تخبو،بل انها تصطنع الخيال اداة طيعة تهبط بها الى الحياة على ظهر الأرض . فتتخذ من الاخيلة ما يتخذ الطاهي من التوابل والافاويه مطيبًا بها ألوان الطعام ، وهى تطيب بهذه الاخيلة ما تشهد من أحداث الناس ، وما تستجيب له نفسها من شئون المجتمع ومرائيه » .

وهناك غيرهن

هذا ، وليست الحركة الأدبية النسائية قاصرة على من ذكرت بل يوجد كثيرات يكتبن في الصحف ويذعن في الراديو ، ويحاضرن في الندوات وينظمن الشعر ، ولأدبهن هذا الطابع الموجه الذى يصور حياتنا ويدرس مشاكلنا ويستمد عناصره من أحدث نظريات علمي النفس والاجتماع ، ولكن واحدة من هؤلاء لم تنشر أثرا من آثارها ليتاح لى الالماع الى أدبها. وارجو أن التقى قريبا مع الشاعرتين الموهوبتين الدكتورة طلعة الرفاعي وعزيزة هارون ، ففى شعرهما الوجدى والقومى مجال واسع للدرس والبحث .

سامي الكيالي

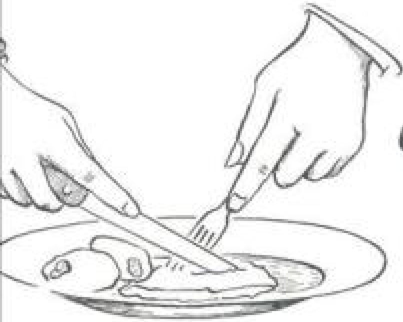

آدابُ السُلوك

«هذا باب جديد فتحناه استجابة لرغبات الكثيرين ، وليس عليك ان كان لديك ما تحب أن تسأل عنه من آداب السلوك ــ الاتيكيت ــ لا سيما ما يتصل بالحياة الجارية ، الا أن تبعث الينا باسئلتك ، لنجيبك عليها »

● ماذا يعنى الناس بآداب السلوك ؟

ــ السلوك هو تخلق الانسان فى طرقات هذه الحياة ، وفى المنزل ، وفى المسجد ، وفى النادى ، وفى المقاهى ان يكن الرجل ذا مقهى . واختصارا : هو كل ما يصنع الانسان،لا بينه وبين نفسه، ولكن بينه وبين الناس . فلو عاش الانسان وحده فردا ، لما احتاج الى شىء يعرف بآداب السلوك .

● هل من امثلة ؟

ــ نعم . يلقى الرجلُ الرجلَ فى الريف المنفرد ، أو فى الصحراء ، فمن آداب السلوك ان يقرأه السلام . وفى المدينة يطرق الرجل باب بيتك ، وقد ضل الطريق ، فيسألك ، فمن آداب السلوك ان تدله . ومن آداب السلوك ان تدعوه الى الدخول فلعل به تعبا ، أو لعل به ظمأ .

● هل لآداب السلوك قواعدمعروفة؟

ــ لآداب السلوك قواعد متعارفة بين الناس . وهى ليست كالقوانين ، يعمل الانسان بها ، فاذا لم يفعل فقد خرج عنها وقد حلّ عليه العقاب . لا.ليست آداب السلوك هكذا . فآداب السلوك واسعة المجال ، واسعة الاختيار . فيها قواعد عامة ، وللموقف الواحد المتغير أكثر من تصرف ، والذوق هو الحكم فى هذا ، من بعد ما تعارف عليه الناس .

● هل تختلف آداب السلوك من امة الى أمة ؟

ــ بالطبع هى تختلف بين امة وأمة ، وتختلف حتى فى البيئات المختلفة فى الأمة الواحدة . اما اختلافها بين امة وأمة فمثله رفع القبعة فى أوروبا للسيدة عند السلام . وليس فى الشرق قبعة ترفع. اما اختلافها فى البيئات المختلفة فى الأمة الواحدة فمثلها اختلاف تحية المرأة فى بيئة تسفر فيها النساء وبيئة لاتسفر فيها النساء . فالمرأة فى الحالة الاخيرة لا تقرأ السلام ابدا فى الطريق .

● وهل آداب السلوك تبقى واحدة على الزمن ، أم هى تتغير بتغير الزمان ؟

ــ بالطبع تتغير بتغير الزمان . خذ مثلا لذلك العرب ، وآداب المائدة . الشعوب العربية . من بادية ومتحضرة ، كانت تأكل الطعام بأصابعها . وكانت الدنيا كلها تفعل ذلك .ثم اخترعت الشوكة، واتخذت السكين والملعقة أدوات على المائدة ثابتة . وتحوّل أهل الغرب اليها ، وبقى الشرق ، بعضٌ تحول وبعضٌ ثبت على ماضيه . ولكن هذا الثابت على ماضيه اخذ فى التحول بالتدرج ، ومع الزمان.

● هل لآداب السلوك منطق يبررها؟

ــ اظن انه كان لكل ادب فى السلوك ، اول الأمر ، منطق يبرره . فالناس انما بداوا هذا السلوك لحاجة . وقد يكون المنطق لأدب ما لا يزال باقيا . وقد يكون اختفى تحت اثقال العادات وصار عليك ان تحفر عنه حتى تجده .

● هل يجوز الشذوذ عن آداب الجماعات ؟

ــ نعم يجوز عند من يقدر عليه ، ومن يؤهله مقامه من علم او حكمة أن يخرج على اجماع الناس بسبب تغير فى اسلوب الحياة ، يجعل من سلوك خاص سببا فى الضرر لا فى المنفعة . وبهذه الطريقة تتكون فى الناس اساليب فى السلوك جديدة بدل الأساليب القديمة .

■■

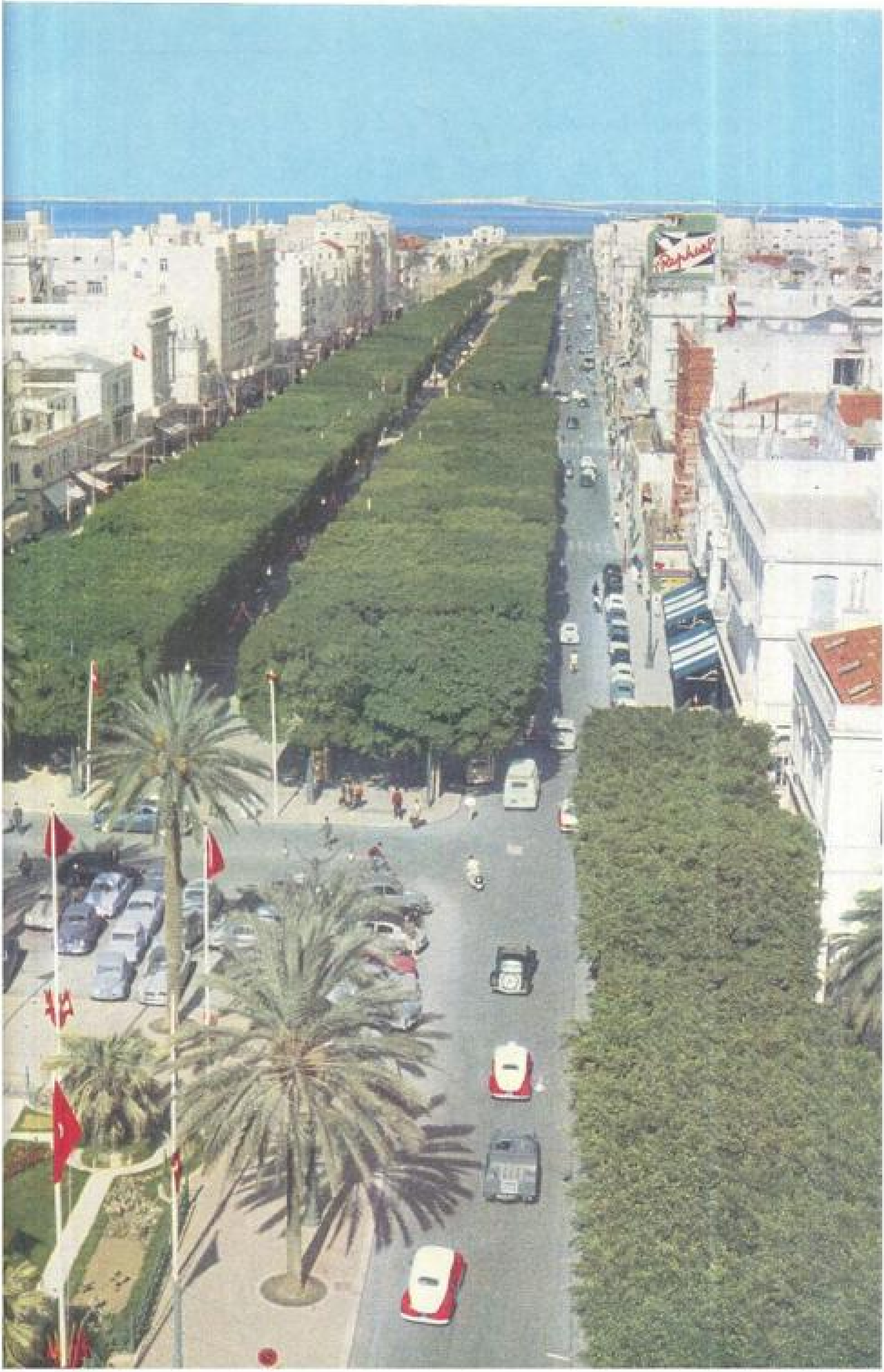

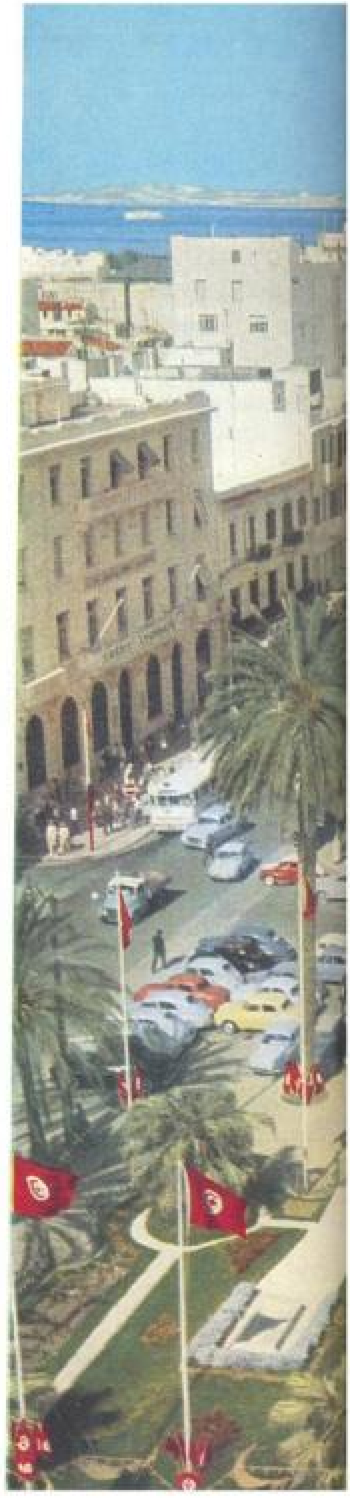

اعرف وطنك أيها العربي

تونس

العاصمة

- المدينة التي بنيت بمخلفات قرطاجنة المرمرية والرخامية .
- المدينة التي تجمع بين "الشانزليزيه" "والبلفدير" وجامعة الزيتونة .

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره
« اوسكار »

الى اليمين : هل تصدق انه في مكان هذا الشارع الكبير الجميل كان يقوم مستنقع للمياه الراكدة ! انه الشارع الرئيسي في تونس العاصمة ، ويمتد مسافة ميل واحد ، يبدأ من باب البحر بالمدينة القديمة ، حتى ميناء تونس . وكان هذا الشارع يحمل اسم « جول فيري »رئيس الوزراء الفرنسي الذي احتلت تونس في عهده عام ١٨٨١ ، ثم استبدل باسم الحبيب بورقيبة بعد الاستقلال عام ١٩٥٦ ، كما استبدل باسم ساحة المقيم العام ـ الساحة الامامية في الصورة ـ اسم ساحة الاستقلال

■ على مقربة من جبل مشوه الشكل في ضواحي تونس العاصمة ، يمر اطول طريق للسيارات في الوطن العربي ..

انه الطريق الذي يربط تونس بالقاهرة ، الواقعة على بعد ثلاثة الاف ميل من هذا الجبل الذي طالما شهد المعارك ، وأحس بوقع حوافر الخيل ، وهدير سلاسل الدبابات ، من ايام هانيبال القرطاجني ، وعاليسة الكاهنة البربرية ، وعقبة العربي ، وبربروس التركي ، وشارل الخامس الاسباني ، وروميل الألماني ، حتى باتون الامريكي ..

ان مئات الأحجار التي تشهدها متناثرة هنا وهناك عند هذا الجبل ، ما هي في الواقع الا شواهد قبور العرب الذين اشتركوا مع عقبة بن نافع في فتح تونس عام ٤٩ هـ ، والذين يرقدون تحت هذا الجبل العجيب ، الذي ما زالت القصص والأساطير تدور حول كنوز وثروات خيالية ، اخفاها فيه أهل قرطاجنة ، منذ ثلاثة الاف سنة ، قبل سقوط مدينتهم في أيدي الرومان ..

أبواب من رخام !

ان انهيار هذه المدينة العظيمة ، مدينة قرطاجنة ، في القرن الثاني قبل الميلاد كفل لأهل مدينة تونس الأوائل حاجاتهم من الأحجار والمرمر والعمد والتيجان الجاهزة ، لتعمير بلدتهم التي لم تكن في ذاك الوقت الا قرية صغيرة يقطنها جماعة من صيادي الاسماك .

وفي ذلك يقول المؤرخ البكري : « دور مدينة تونس كلها رخام بديع ، لها لوحان قائمان وثالث بعرض مكان العتبة » .

خمس موجات

لقد سطر التاريخ في تونس ، سجلا طويلا ممتعا يمكن اجماله على شكل خمس موجات متتابعة :

الموجة الأولى : جاءت من الشرق مع الفينيقيين بناة قرطاجنة .

الموجة الثانية : بعد ان دمر الرومان قرطاجنة جاء أهل القسطنطينية البيزنطيون واستولوا على البلاد ..

تونس القديمة بمنازلها المتلاصقة ، يتوسطها جامع « سيدي محرز » ، الذي يتبرك به البحارة

المرجة الثالثة : جاءت من الشرق مع الفتح الاسلامي ..

المرجة الرابعة : جاءت مع الأتراك الذين حكموا البلاد ثلاثة قرون .

المرجة الخامسة : جاءت من الشمال مع الاحتلال الفرنسي للبلاد عام ١٨٨١ .

محاولات الاستعمار الفرنسي للقضاء على عروبة تونس

لقد تركت هذه الموجات المتعاقبة من الاحتلال الأجنبي آثارا كبيرة في أهل البلاد ، ولكن أكثرها تأثيرا بعد الفتح الاسلامي ، كان الاحتلال الفرنسي.

لقد قضت فرنسا ٧٥ سنة في تونس عملت خلالها كل ما في وسعها « لاستعمار العقول » بجانب استعمار البلاد . وكان الاستعمار يسعى الى « فرنسة » المجتمع التونسي في جميع مظاهر حياته ونشاطه ، حتى اصبحت تونس العاصمة ولغتها الرسمية اليوم هي الفرنسية ، بالرغم من ان دستور البلاد ينص صراحة على أن اللغة الرسمية هي : العربية ..

ان هذه الظاهرة هي احدى المشكلات الكبرى في تونس .. وقد شكلت الحكومة الوطنية ـ بعد الاستقلال مباشرة ـ لجانا من الاختصاصيين ، وضعت برنامجا مخططا لاصلاح هذه الحالة الشاذة في البلاد .. وعلى ضوء هذا المخطط بدأ تعريب لغة الدواوين ، فاصبحت كل الدوائر القضائية اليوم عربية اللسان في جميع ما يكتب وما يقال ، ونفس الشيء يقال عن مصالح البريد والبرق والهاتف .. كما تم تعريب الدراسة في السنتين الاولى والثانية من المدارس التحضيرية والابتدائية.

والمنتظر أن تنتهي عملية التعريب في الدواوين والتعليم خلال البرنامج المرسوم للعشرة الأعوام القادمة .

مدينتان في العاصمة

بجوار أحد الأبواب الأثرية وقفنا نرقب العمال وهم يزيلون بمعاولهم أحجار السور القديم الذى كان يخنق نصف مدينة تونس

فهذه المدينة تنقسم الى قسمين متصلين ،

.. تونس الحديثة : منازل مرتفعة وطرق فسيحة تؤدى الى الميناء الذى يبدو جزء منه في أعلى الصورة

كانت المقابر الاسلامية والمسيحية واليهودية ، تتوسط شوارع العاصمة التونسية وعماراتها ،فعمدت البلدية الى نقلها خارج المدينة ، وأقامت الحدائق العامة مكانها ، كما هو ظاهر في الصورة اليسرى ، التي كانت مقبرة يهودية ، وتم كذلك نقل الكثير من المقابر الاسلامية حتى تزداد نسبة المناطق الخضراء التي هي بمثابة رئة للمدينة المكتظة .. والاحصائيات الحالية تشير الى أن كل ساكن في العاصمة التونسية يخصه متر واحد من المسطحات الخضراء ، بينما تقول الاحصائيات العلمية ، ان كل ساكن يلزمه ٢٠ مترا من هذه المسطحات !!

تزخر تونس بالمباني الحديثة الضخمة المتشابكة ، التي اكتظت بها المنطقة الضيقة الممتدة بين المدينة القديمة وشاطىء البحيرة وترى ذلك في الصورتين العليا واليسرى ..

هذا الشارع الجميل في العاصمة التونسية كان يحمل اسم « جامبيتا » أحد رجال السياسة الاستعمارية الفرنسية .. أما اليوم ، وتمشيا مع سياسة تعريب الأسماء ، فقد أصبح يحمل اسم شارع محمد الخامس .

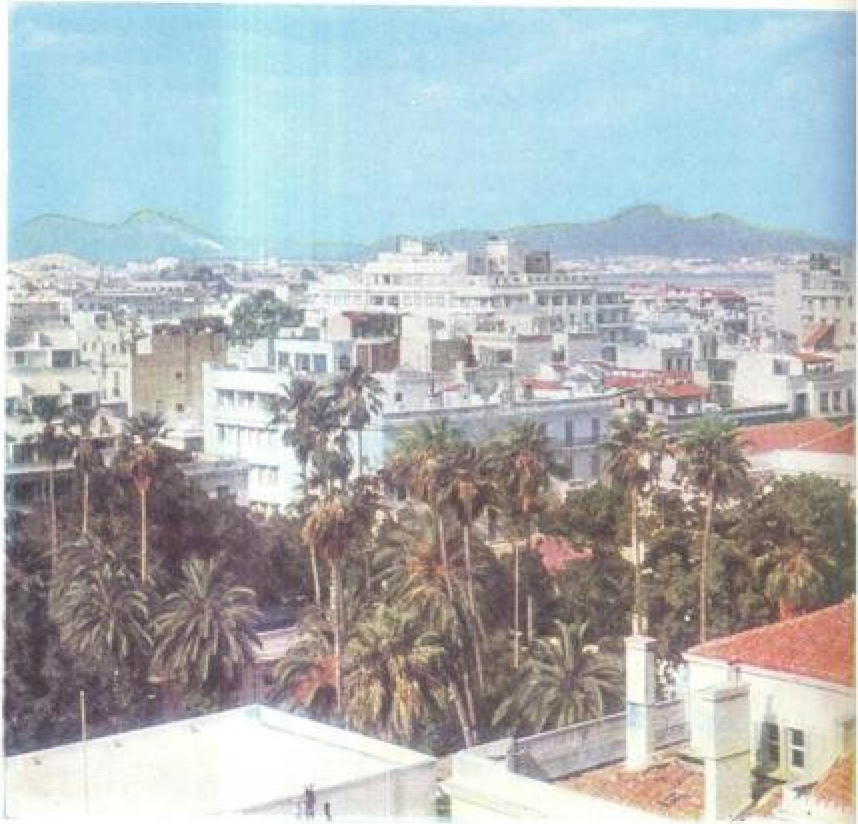

مثلها في ذلك مثل باقي مدن الشمال الافريقي ، القسم الاول يعتبر من اثار القرون الخوالي ، والقسم الثاني أوروبي حديث ..

بين بحيرتين

واعجب شيء في العاصمة هو موقعها الجغرافي ، فهي تقع على برزخ جبلي لا يزيد عرضه عن ميلين، يفصل بين بحيرتين ، هما في الواقع مستنقعان كبيران للمياه . اولهما الغربي ويسمى « سبخة السيجومى » ، وهو لا يتصل بالبحر ، وفيه تتجمع مياه الأمطار فتغطي مساحة كبيرة من الأرض

وتجرى اليوم مسابقة عالمية بين المهندسين الدوليين لتجفيف هذا المستنقع ، وبناء الفي مسكن عليه .

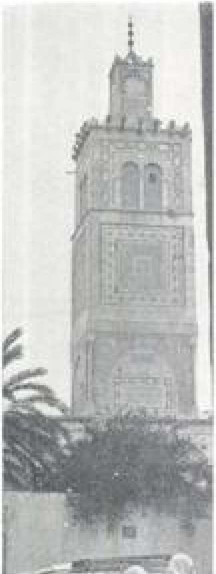

تشتهر تونس : بالكثير من مساجدها ، وتختلف اشكال مآذنها باختلاف عصور بنائها . فالعربي منها مئذنته مربعة وتسمى صومعة . (الصورة اليمنى) والتركى منها مثمن الضلوع (الصورة اليسرى) .

اما البحيرة الثانية فهي بحيرة تونس ، التي سنظرت على مياهها الساكنة ، المتصلة بالبحر الابيض ، اعجب قصة انشاء ميناء بحرى .

ايصال البحر الى الخط !!

فقد كانت هذه البحيرة لضحالتها لا تسمح بمرور السفن ، فاقترح الفرنسيون مشروعاً لانشاء ميناء في المياه الخارجية العميقة المقابلة لمدينة قرطاجنة الاثرية التي تبعد عشرة كيلو مترات عن العاصمة . وفعلا وضعت الرسوم والمشاريع ، ولكن الخط الحديدي الضيق الوحيد الموصل من تونس الى قرطاجنة ، كان في ذلك الوقت ـ عام ١٨٧٠ ـ ملكا لشركة بريطانية ، عرضته للبيع في المزاد ، ففاز به الايطاليون لمدة ٩٩ عاما ..

وعندما أحس الفرنسيون بعجزهم عن مد ، أو تملك خط حديدى الى قرطاجنة على البحر ، عدلوا عن مشروعهم ، وقرروا ايصال البحر نفسه الى مبدأ الخط .. !!

فبداوا عام ١٨٩٣ عمليةحفر قناة رفيعةتوسط مياه بحيرة تونس ، طولها ستة اميال وعمقها سبعة امتار ونصف ، تربط بين ميناء تونس الخارجي ، المسمى حلق الواد ، وبين ارصفة الميناء الجديد الذى اقاموه ملاصقاً لمدينة تونس ..

وهكذا اصبح لهذه المدينة ميناءان : واحد خارجي عميق ، وآخر داخلي للسفن المتوسطة .

واثناء الحرب العالمية الثانية دمر الميناءان المذكوران وأعيد بناؤهما ليكونا معا ما يسمى اليوم ميناء تونس ، اكبر موانىء الجمهورية التونسية وأكثرها حركة . اذ تبلغ قدرته على الشحن والتفريغ اكثر من مليوني متر مكعب .

شحنات آدمية من وراء البحار

وعلى ارصفة هذا الميناء كانت السفن تنزل يوميا شحنات آدمية جاءت من وراء البحار .. من مالطة ذات الصخور القاحلة .. ومن ايطاليا هربا من الفاشية .. ومن فرنسا طمعا في سنابل القمح الذهبية وعناقيد العنب النبيذية ، المنتشرة في الحقول حول مدينة تونس ، التى كانت ، حتى ذلك الوقت حبيسة داخل اسوارها القديمة ، ولكن

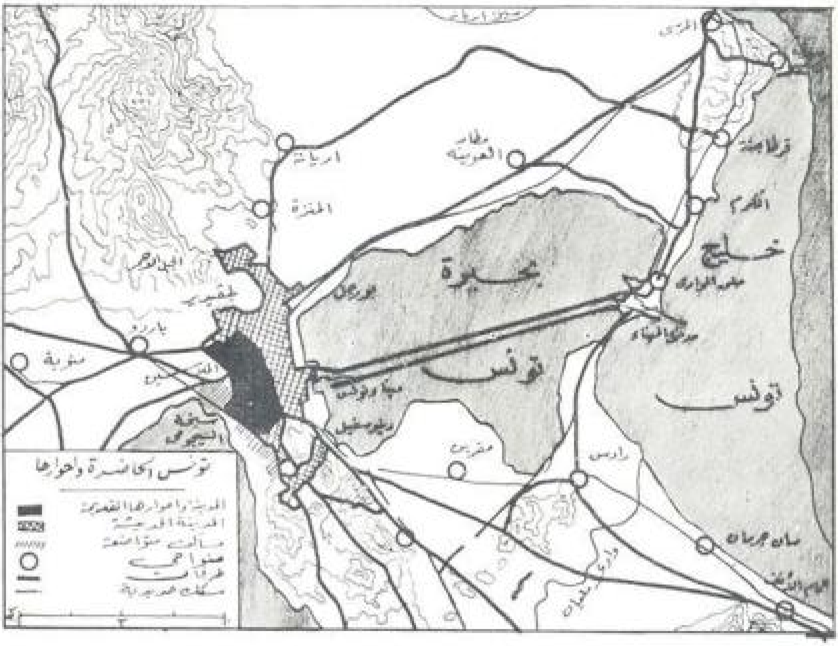

خريطة تونس العاصمة ، وبها المدينة القديمة (سوداء) والمدينة الحديثة (مربعات) وبحيرة تونس وخليجها وضواحيها كما هو موضح بالخريطة نفسها

مالبث الاوربيون ان اقتحموا هذه الاسوار وبدأوا يبنون منازلهم خارجها ، حيثما اتفق . وفي عام ١٨٨٤ وضعت السلطات المستعمرة تخطيطا للحي الأوروبي الجديد ولكن رغم ذلك ظلت المباني تقام بسرعة ، متجهة ناحية البحيرة ضاربة بآراء المهندسين والفنيين عرض الحائط !

وكان الشارع الرئيسي ، الذي يخترق هذه المدينة الجديدة ، يحمل اسم « جول فيري » ـ رئيس وزراء فرنسا الذي احتلت تونس في عهده ـ وكان هناك تمثال ضخم لهذا الرجل أقاموه في ساحة المقيم العام ، ووضعوا معه تمثالين لطفلين : تونسي وفرنسي يطالعان في كتاب ، كانوا يظنون أن تجمد صفحاته سوف يوقف الزمن ، ولكن ريح الحرية ما لبثت ان عصفت بهذا التمثال وباسم صاحبه من هذا الشارع الذي يحمل اليوم اسم شارع بورقيبة (انظر الصورة صفحة) .

السفساري .. والمشموم !

ان قلب تونس النابض يقع في هذا الشارع الذي لا يزيد طوله عن الميل : بنوك ، وفنادق ، وشركات الطيران ، والأوبرا ، ودور السينما والمقاهي التي تزخر بروادها من الجنسين يجلسون في الأمسيات لمشاهدة خليط عجيب من الألوان والسحنات المختلفة جاءت من كل مكان . واظهر ما في هذا الخليط النساء لابسات « السفساري » الأبيض الوطني ، الذي يشبه الملاية السورية في تغطيته لكامل جسم المرأة ، ويشبه العباءة العراقية في احاطته بدائرة الوجه ، ولكن المرأة التونسية تعمد الى رفع سبابتها وابهامها وتطوى بهما حافة السفساري فتخفي بذلك فمها وأنفها ، بينما تظل العينان ظاهرتين .. انها ما زالت تخجل من اظهار وجهها سافرا سفورا كاملا ..

ان هذا السفساري يسير في طريق الزوال ،

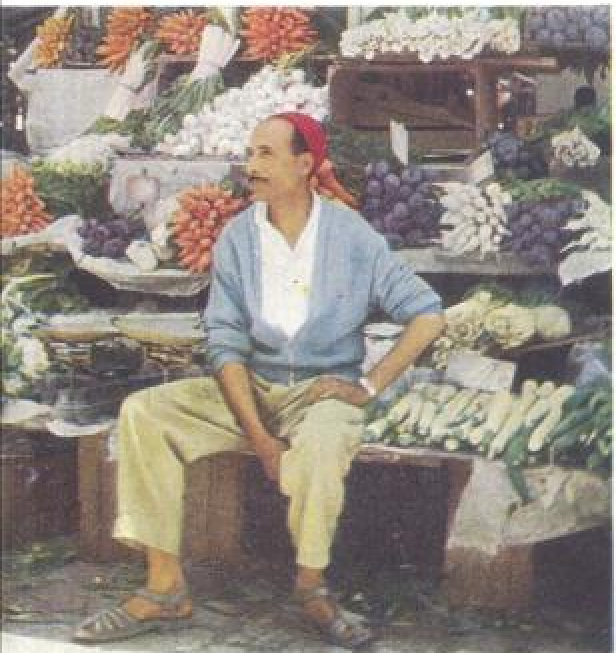

(الى اليسار) قبل استقلال تونس كانت الأعمال التجارية كلها فى أيدى الاجانب . أما الآن فقد اقتحم التاجر التونسى المجال التجارى ونجح فى ميدان الاستيراد والتصدير ، بعد أن كان يقتصر على الاتجار فى السلع المحلية البسيطة.

بالرغم من تيار الحضارة الجارف ، ما تزال فى تونس – كما فى بقية أجزاء الوطن العربى – أغلبية ساحقة تحتفظ بزيها الوطنى ، كما نرى فى الصورة السفلى اذ يرتدى الأول من اليسار ما يسمى « القربولة » ويرتدى الثانى الجبة ، والثالث عامل يضع على رأسه الشاشية ..

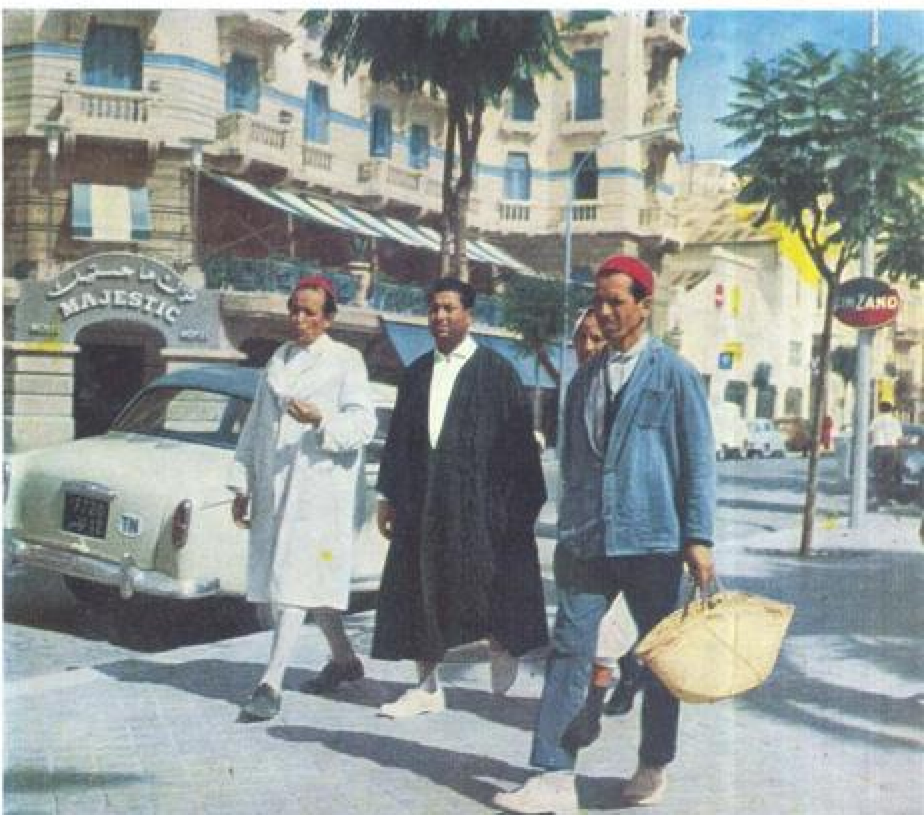

لم يكن للتعليم العالى فى تونس، وخاصة الفنى والصناعى ، نصيب يذكر قبل الاستقلال . فالمدارس العليا فى البلاد لم تكن تضم أكثر من ٣٦٢ طالبا تونسيا فقط ، بينما كانت جامعات فرنسا تضم ٥٠٠ طالب تونسى فى أروقتها ، أما اليوم فقد ضمت المدارس العليابعضهاالى بعض، لتكون نواة للجامعة التونسية واصبح مجموع عدد طلبتها ٢٤٩٥ طالبا منهم ٣٠٠ طالب فى جامعة الزيتونة . وفى الصورة اليمنى أحد طلبة العلوم يؤدى امتحانه فى الفيزياء النووية أمام جهاز لتعيين ومعرفة شدة العناصر المشعة ، وفى الصورة السفلى مجموعة من طالبات وطلبة كلية العلوم فى المعمل ..

فالجدات هن اللواتي يرتدينه اليوم .. بينما ترتدي الشابات أحدث الأزياء وأجملها ،ويرسلن شعورهن حتى ليختلط عليك الأمر فلا تدري هل هذه التي تراها تونسية .. ام ايطالية .. ام فرنسية ؟

من الحنطور الى التاكسي !

ان الحياة والحركة في هذا الشارع ، جعلتهم يشبهونه بشارع « الشانزليزيه » في باريس ! ففيه خمسة ممرات يسير عليها المترجلون المتنزهون وممران للسيارات . وقد أزيلت من وسطه قضبان الترام الذي كان يخترقه ، ليحل محله « الترولي باص » .. وعند تقاطع الطرق يقف جندي المرور بملابسه الرمادية وقفازه الابيض ، ينظم الحركة والسير لمئات السيارات الصغيرة التي تتميز بها العاصمة..حتى سيارات الأجرة الحمراء والبيضاء لا تتسع لأكثر من ثلاثة ركاب ويسمونها (بيبي تاكسي) اي التاكسي الطفل ! .. وقد حلت هذه التكسيات مكان عربات الحنطور التي اوقف استعمالها .

ان سائقي التاكسي اليوم هم أصحاب عربات « الحنطور » بالأمس ، الذين قامت لهم جمعيات تعاونية دربتهم على قيادة الـ ٨٥٠ تاكسياً التي تجوب العاصمة وشوارعها ذات الأسماء الفرنسية الغريبة ، فهذا شارع تيودور روستان ، وذاك شارع الماريشال جالينيه ، وذاك شارع ديجول ، ولامارتين ، وبلزاك ، وباستور ، والان سفري !!

حتى الأحياء والضواحي تحمل أسماء مونفلري، وسان لوسى ، ولافاييت ، وجان دارك ،والبلفيدير، وسان هنري ، وفرانس فيل ..

وتعمل البلدية على تعريب هذه الأسماء وقد انتهت فعلا من تبديل أكثر من خمسمائة لافتة .. وكانت الخطة ترمي الى تغيير جميع أسماء الشوارع مرة واحدة ،الا ان البلبلة التي حدثت بين الجمهور، اثر التغيير السريع الشامل في الأسماء ، جعلت المسئولين يتمهلون حتى يتعود الناس الأسماء الجديدة !!

تلال الحناء .. والشمع

وفي نهاية هذا الشارع الرئيسي يقع باب « البحر » احد الابواب الثلاثة المؤدية الى تونس القديمة المتميزة بطرقاتها الضيقة التي لا تتسع لمرور السيارات ، مما يسمح للمترجلين بالسير الوئيد ، والتوقف عند كل دكان للفرجة ولاختيار أحسن البضائع ، رغم انه يخيل للمرء بأن هذه المحلات الصغيرة المتلاصقة تبيع كلها نفس السلع !!

فتلال الحناء ، والشمع كاليد ذات الأصابع الخمس لدفع « العين » ، وسلال العرايس المكسوة بالحرير الملون ، ورائحة العطر ، والشاي المخلوط بالنعناع ، كل هذا تحت أسواق مسقوفة ، وعلى ارض حجرية ، يعطي منظرا واحدا متشابها ..

أين المصنوعات القديمة

وما زال احفاد المهاجرين الاندلسيين الذين نزحوا الى تونس منذ قرون ، يتاجرون في نفس الأسواق ، وبنفس العطور والحراير والعاديات التي كان يتاجر بها أجدادهم .. ولكن نظرة الى داخل المحلات تجعلك تتساءل : ما الذي حدث للصناعات التي اشتهرت بها تونس ؟

فالبضائع الاوروبية قد اغرقت الاسواق التونسية بالحرير الصناعي ، والمنسوجات القطنية، والعطور .. حتى الشاشية (لباس الراس الوطني) أصبح صوفه يرد من تشيكوسلوفاكيا .. والبلغة الصفراء القديمة حل محلها الحذاء الحديث ..

الى اليسار : ثلاث صور من العاصمة . الصورة العليا لسبخة السيجوي وتجري الاستعدادات لتجفيفها وبناء الفي مسكن مكانها ، والصورة الوسطى لبعض المنازل السكنية التي أقيمت مكان الأكواخ والعشش في حي المنزّه ؛ قرب الجبل الأحمر شمال العاصمة . أما الصورة السفلى فهي لميناء تونس الذي يصدر منه سنويا ؛ مليون وثلثمائة الف طن من منتجات البلاد مثل النبيذ،والفاكهة،والخضر والزيت، والفوسفات ..

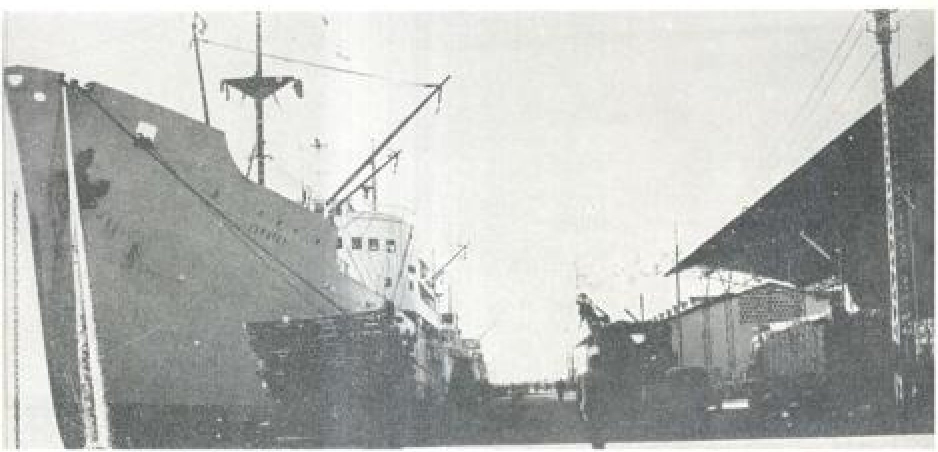

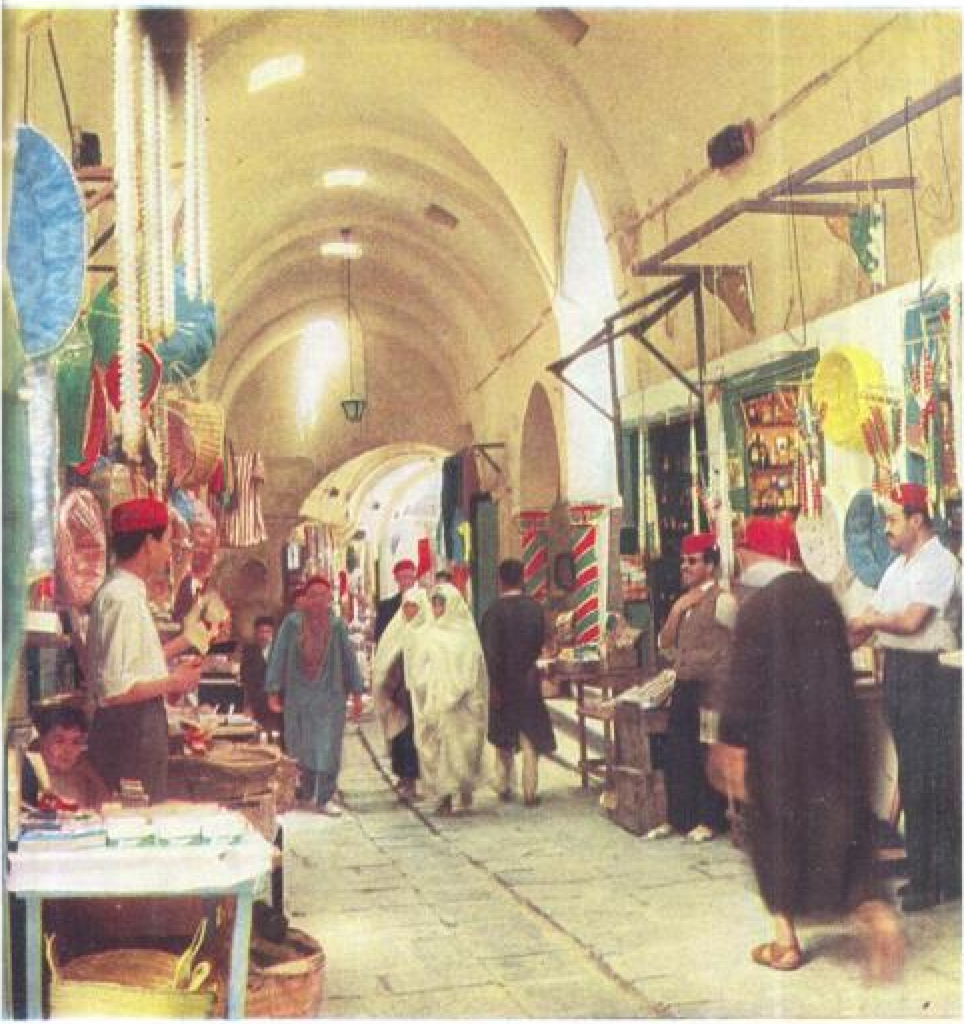

ما زالت أسواق تونس تحتل نفس أماكنها القديمة التى كانت فيها منذ القرن الثالث عشر : الطرقات لم يطرأ عليها تجديد فالأرض ما زالت مكسوة بالاحجار والسقف جدد وطلى باللون الأبيض **(الصورة العليا)** ، أما الصانع التونسى فقد تغير ، ونزل الشباب المثقف الى الميدان الصناعى ، وفى الصورة اليمنى احد خريجى مدرسة الفنون الجميلة ، وهو يقوم بنقش النحاس وزخرفته بشكل جميل ، يبرز جمال الفن الأندلسى القديم **(الصورة اليمنى)** .

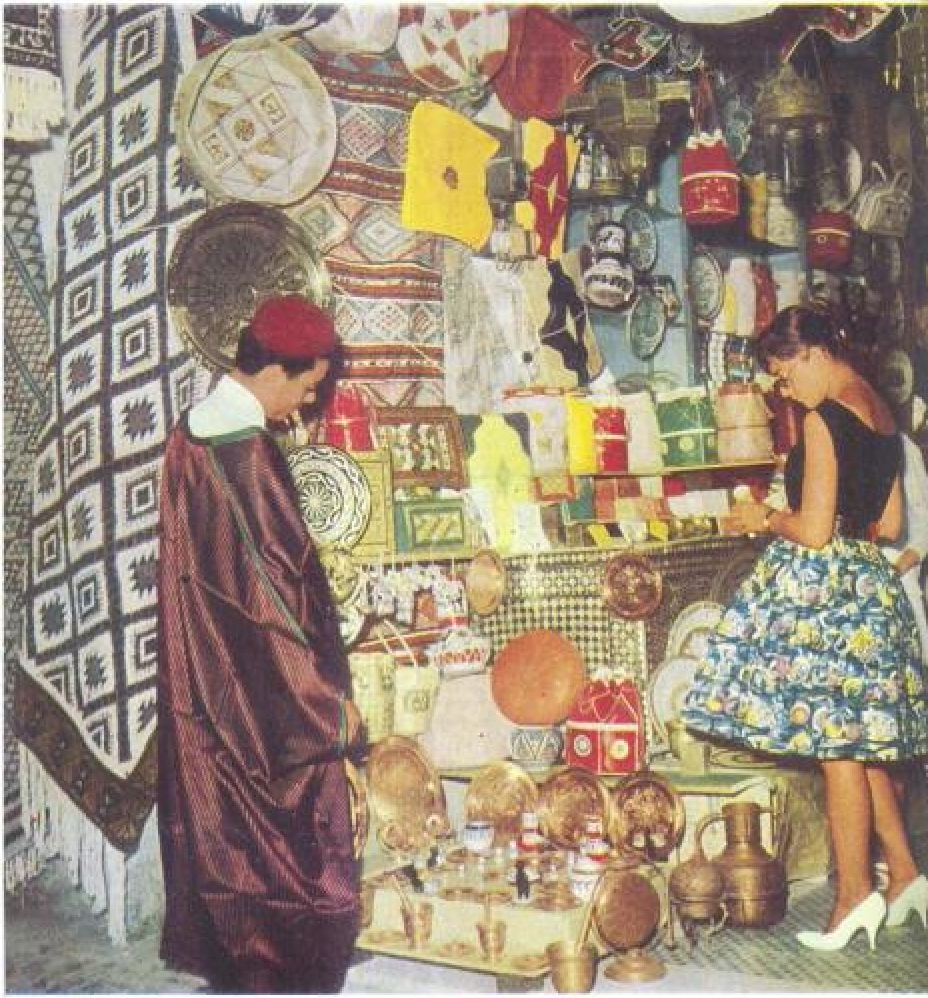

تزدحم تونس بمعالمها التاريخية العديدة التي تجلب اليها السياح من مختلف البلاد، والهدف الاول لهؤلاء السياح النزول الى الأسواق بالمدينة القديمة لشراء مختلف المصنوعات المحلية من جلدية وفخارية ونحاسية وحريرية **(الصورة العليا)** . كما يجد السائح متعة كبيرة في التطلع الى صانع الشاشية الصوفية الحمراء وهو يصنع هذا اللباس الوطني للرأس بنفس الطريقة الاولية التي كان يستعملها أجداده ، الذين هاجروا من الأندلس الى تونس . **(الصورة اليسرى)** ..

و « الكادرون » والأوزرة والكشتابية تركت مكانها للجاكيت والبنطلون ..

وعلى أرفف دكان العطور تختلط زجاجات ماء العطر ، وماء القرنفل ، وماء الورد ، والبخور الجاوي والعنبر ، والشماري (نوع من البخور) بزجاجات العطور الفرنسية مثل سكارليت وبورجوا ، وفورميل ، وسوار دي باري .

ولكن بالرغم من تفوق المنتجات الحديثة ، ما زالت المصانع اليدوية تعمل وتنتج .

وما زال « الشاشوية » يصنعون الشاشية بنفس الطريقة التي كان يتبعها اجدادهم منذ عشرة قرون ..

وما زال سوق « البلاغجية » ينتج « البُلْغ » الحمراء والصفراء من جلد الماعز والأغنام ..

وما زال الصّياغ يصيغون الحِلقان والخلاخيل الفضية ..

وما زال الصباغون يصبغون الجلود داخل باب الجزيرة ..

وما زال الباعة يعلقون على ابواب محلاتهم البضائع المحلية : كالفخار المزخرف المستورد من نابل وهي مدينة بالقرب من العاصمة. والزرابي (السجاد) من القيروان ، والنسيج الملون من جربه وقفصه ..

الشعراء وأبواب تونس

لقد تغنى الشعراء قديما بجمال هذه المدينة وبمعروضاتها وأبوابها الثلاثة : باب البحر ، وباب الخضرة وباب سعدون فقال احدهم :

يا نسمة باكرًا من باب سعدون
جاءت اليّ على شوقٍ تُحييني

في حين لم ير آخرون في تونس اي ايناس فكتب احدهم يقول :

لعمرك ما ألفيت تونس كاسمها
ولكنني ألفيتها وهي توحش

وكأن كتابة الدولة للاشغال (وزارة الاشغال) تشارك الشاعر الأخير رأيه ، فقد قررت البدء في عملية تجميل واسعة لتغيير وجه هذه المدينة القديمة ذات الشوارع الضيقة الرطبة ، التي تركت على حالتها دون أي اصلاح مدة ٧٥ عاما ..

الرقص التونسي

يهتم المعهد الرشيدي ، الذي تأسس في العاصمة عام ١٩٣٣ ، باحياء الفن التونسي الأصيل من غناء ورقص ، وتنقيته من الشوائب التي علقت به ، وتشترك مصلحة السياحة مع هذا المعهد ، فتدعو السياح لمشاهدة مختلف الفنون الشعبية ، ومن بينها الرقص البدوي الصميم ، الذي تقدمه الراقصتان زينة وعزيزة ، بالملابس الحريرية الحمراء والخلخال الفضي ، على النغمات التي يؤديها ثلاثة من الموسيقيين ، يرتدون الجبب الزرقاء ، والشاشيات الحمراء ، والنعال البيض ... ينفخ أحدهم في القربة ويدق الآخران الطبل ، والراقصة تهتز راقصة لكل دقة ، ثم تضع على رأسها قصعة من الفخار (الصورة اليسرى) وتقوم بحركات تمثل الحياة المنزلية العادية : من طحن وغزل وما اليها .. بينما يتناول السياح الشاي المخلوط بالنعناع والحلويات .

لقد اتخذ قرار بشق طريق واسع فسيح يخترق وسط المدينة ، من غربها الى شرقها ، واقامت المباني العصرية المرتفعة على جانبيه ... مباني يدخلها الضوء .. والشمس .. والصحة ..

نابولى ، وهونج كونج ، وبغداد !

ويشبهون تونس بكثير من مدن العالم .فبعضهم يشبهها بنابولى لأن خليجها وبحيرتها مثل خليج نابولى ، وبركان فيزوف الثائر يقابله جبل « ذى القرنين » الهادىء ، الذى وضعت فى أعلاه الأجهزة والآلات لالتقاط وتقوية موجات الارسال التلفزيونى المنبثة من ايطاليا !

ويشبهها آخرون بهونج كونج لمبانيها المتناثرة على الهضاب والتلال ..

ويشبهها غيرهم ببغداد ، لأن أكواخ النازحين اليها كانت تحيط بها احاطة العشش ببغداد ..

ان مشكلة الارتحال الى العاصمة مشكلة قديمة

.. وقد عالجت الحكومة هذه المشكلة فنجحت الى حد كبير .. فضاحية الجبل الأحمر التى كانت مركزا للاكواخ ولمستنقع كبير ينشر الأوبئة ، أصبحت اليوم ضاحية راقية بها ١٨٠ منزلا حديثا تتخللها الشوارع الفسيحة ، وتحتوى على كل المرافق العامة : من كهرباء وماء ومجار ..

ولم تقف الجهود عند هذا الحى بل تعدته الى مختلف الأحياء ، فازيل ١٦٦٨ كوخا من «الريانة» و ٨٠٠ كوخا من « حى الكرم » ، كما أزيلت الاكواخ التى كان يسكنها اكثر من ستة آلاف نازح فى حى « بورجل » و« مقرين » ..

والخطة التى اتبعت فى هذه العملية كانت ترحيل أكبر عدد من النازحين الى موطنهم الأصلى، وبناء مساكن شعبية للذين تهدم أكواخهم ..

شعب شاب

ان كثرة هؤلاء النازحين ، من جنوب الجمهورية

السفارى الأبيض وشموع الأفراح ، عند بائع العطور فى المدينة القديمة

تزخر تونس بالمكتبات العامة والخاصة ، العامرة بالكتب والمخطوطات القديمة

خليط عجيب من الأزياء والأجناس يسير في شوارع تونس العاصمة: الشاشية والقبعة .. وبجوارهما السفارى والتايور والفستان ..

التونسية الى العاصمة قد قفزت بعدد سكان المدينة من ٢١٩٫٥٧٨ نسمة عام ١٩٣٦ الى اكثر من ٦٠٠ الف نسمة عام ١٩٦١ .

وهناك عامل آخر في هذه الزيادة ، هو نسبة المواليد الهائلة بين التونسيين ، اذ تقول الاحصاءات ان متوسط الولادات يتراوح بين ٤٠٠ و ٤٥٠ ولادة لكل ١٠ الاف نسمة . ولو قارنا هذا الرقم بمثله في انجلترا حيث لا يزيد المواليد عن ١٦٠ لكل ١٠ الاف ، أو في ايطاليا حيث يرتفع الى ١٨٠ ، مقابل ٢٠٠ في فرنسا ، لأدركنا ان تونس تضرب رقما قياسيا في زيادة النسل !!

واذا لاحظنا أن نسبة الوفيات مرتفعة بين الكبار ، لادركنا أن الشعب التونسي شعب شاب ، حتى انهم يقولون لك : ان نصف التونسيين لايزيد عمرهم عن ١٥ سنة !!

الماء على بعد ١٧٥ كيلو مترا

اما من أين تشرب تونس ، فهذه كانت مشكلة قديمة ، لأن موقع العاصمة بعيد عن الأنهار .. وقديما كان الاهالي يجمعون مياه الامطار داخل صهاريج للشرب والغسل . وفي عهد الرومان اقاموا حنايا (قناطر) رفيعة مرتفعة من الحجر (انظر الصورة صفحة ٩٠) تمتد مسافة ٧٠ ميلا من آبار المياه في منطقة زغوان حتى قرطاجنة .. وظل السلاطين والخلفاء والدايات والبايات يرممون هذه الحنايا ويجلبون بها الماء للعاصمة ..

اما اليوم فقد استغني عن هذه الحنايا التي أصبحت آثرا يزار في الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد ، واستعيض عنها بأنابيب تحت الارض للشرب ، وأخرى فوق الأرض للري ..

والانبوب الرئيسي الذي يغذي المدينة يمتد مسافة ١٧٥ كيلومترا حتى سد بني مطير . اما

تكثر القباب والعقود الأثرية وتونس
القديمة ، والبوابات التي كانت في
السور لم يبق منها سوى ثلاث
البوابة الأولى هي باب
الخضراء **(الصورة العليا)** التي يفصل
بين المدينة القديمة ، والأحياء الجديدة
على الشارع وأرباط ذات الهواء العليل
والورود الشذية ، وهي في الواقع
بابان متقابلان يؤدي أحدهما إلى حي
باب البحر والآخر إلى حي سوقة
داخل المدينة القديمة والبوابة الثانية
(الصورة اليسرى) تسمى باب البحر
وتؤدي إلى الأحياء الجديدة ، التي
زحفت على بحيرة تونس **(الصورة
اليسرى)** ، والبوابة الثالثة هي باب
سعدون **(الصورة السفلى إلى اليسار)**
وهي في الواقع ثلاثة أبواب ، وتؤدي إلى
ناحية باردو حيث المتحف الشهير
ومجلس الأمة ، وكانت هذه الناحية
مقرا للدول خلال العهد الحفصي
والتركي والحسيني أما الصورة اليمنى
فباب معقود على رأس زقاق .

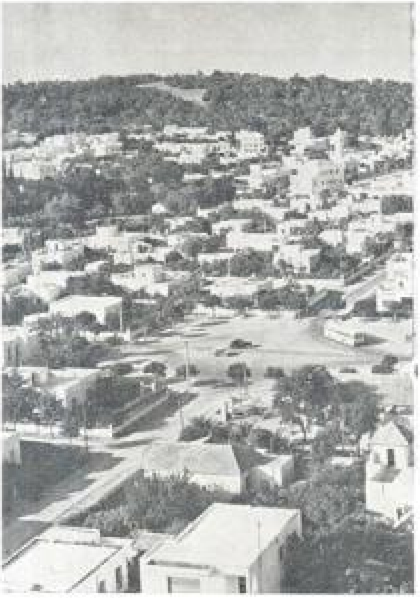

حي منزان : ! قرانها عليها حديقة عامة

الانبوبان الباقيان فيمتد احدهما حتى سد الوادى الكبير والآخر حتى زغوان .. انهم يجلبون سنويا الى العاصمة ٢١ مليون متر مكعب من ماء الشرب والغسل ..

والمياه المتجمعة وراء هذه السدود تأتي من هطول الامطار .. وعندما تتوقف الأمطار تصاب البلاد باضرار فادحة في مختلف أوجه حياتها ، مثلما حدث في أوائل العام الماضي . فقد تسببت قلة الأمطار بنقص ثروة البلاد الحيوانية وانخفاض عدد رؤوس الماشية فيها الى ٢١٠٠٠٠٠ رأس بعد ان كان عددها في عام ١٩٦٠ اربعة ملايين رأس !..

وقد ادى هذا النقص الى ارتفاع أسعار اللحوم

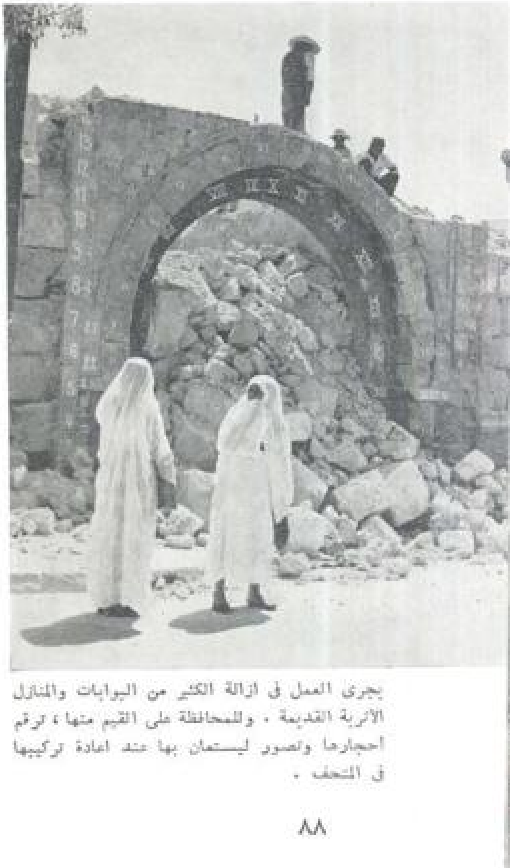

يجري العمل في ازالة الكثير من البوابات والمنازل الأثرية القديمة . وللمحافظة على القيم منها ، ترقم احجارها وتصور ليستعان بها عند اعادة تركيبها في المتحف .

ارتفاعا خياليا ، فأصبح ثمن الكيلو الواحد دينارا كاملا مما استوجب تدخل الحكومة واستيراد ثلاثة الاف طن من اللحوم مع وقف ذبح الماشية المحلية.

« الكسكسي » و « الكاس كروت » !

وتستهلك العاصمة ٢٠٠ طن من اللحوم يوميا.

وهذا الولع باللحوم يعود الى المأكولات الشعبية التي تتطلب اللحوم وفي طليعتها « الكسكسي » ، وهو اكلة وطنية قديمة ، تتكون من دقيق القمح ، المحصول الرئيسي للبلاد ، حيث يؤخذ ويلت بحركة يدوية دائبة مع الماء والملح ، ويمر بالمناخل درجة فدرجة بحسب دقة الحبات . ثم يجفف في الشمس ويدخر لمؤونة العام .

اما طهية فيتم باستعمال البخار فقط ، بينما يكون المرق وما يحتويه من لحم وخضر معدا جاهزا ، وعندما ينضج « الكسكسي » يصب عليه المرق فيمتصه ثم توضع عليه الخضر واللحوم والحمص والزبيب ..

ل سابقا) أجمل أحياء العاصمة وأكثر هدوءا ، وفى طرفه تمتد ربوة عالية
سى متنزه « البلفيدير »Bélvédère ، ومعناها المنظر الجميل ..

وهذه هى الأكلة المفضلة للتونسيين الذى يقول عنها شاعرهم :

أحسن ما فى بيتنــا يلتمسْ
من الطعامِ المستطابِ الكسكسْ

وقد دخلت للبلاد أصناف غريبة فى المأكولات أكثرها انتشارا « الكاس كروت »

وتنطق بلفظها الأجنبى ، وترجمته الوجبــة الخاطفة : وتتكون من خليط لعدة أنواع : سمك التونة والزيتون والجزر واللفت المكبوســين ، والزيت والفلفل الحار ..

استقلال الاقتصاد

ان تكاليف الحياة والأسعار فى تونس مرتفعة ، والعملة المتداولة هى الدينار التونسى ، الذى أخذ مكان الفرنك الفرنسى .

ان مولد الدينار التونسى فى عام ١٩٥٨ كان بمثابة الحجر الأساسى للاقتصاد التونسى المستقل، اذ انه انفصل عن النقد الفرنسى وارتبط بالذهب الخالص ، فاصبحت قيمة الدينار جرامين وبعض مليجرامات من الذهب .

باهى .. زوز .. اخزر !!

وتنقسم لغة الكلام فى تونس الى لهجات محلية لا تفهم خارج البلاد وهذه أمثلة لبعض الكلمات المستعملة ومعناها :

باهى = نعم

بَرْشَة } كثير
ياسر }

أخزر = انظر

زوز = اثنين وكذلك تستعمل بمعنى ادخل

بَرْتَلة = قيمة

سُورية = القميص

كَرْهبَة = سيارة

الدَرْج = ٥ دقائق .

والكلام يخرج بسرعة غريبة من أفواه ابنــاء البلد ، وخاصة عندما ينفعلون ويحتدون !

كما انهم يستعملون المذكر فى مخاطبة المؤنث بينما يستعملون كلمة أنتِ المؤنثة فى مخاطبة

لا يكاد يخلو شارع في تونس العاصمة من بائع للزهور ، يبيع وروده ورياحينه التي يجلبها من قرية الحمّامات ، على بعد ٦٠ كيلو مترا من العاصمة ..

الى أسفل : الحنايا القديمة (القناطر) التي كانت تحمل المياه الى العاصمة ، لقد استعيض عنها الآن بشبكة أنابيب بعضها تحت الارض لنقل مياه الشرب ، وبعضها فوق الارض لنقل مياه الري كما ترى في الصورة السفلى الى اليسار .

المذكر !! ويضيفون كلمة انثى في آخر كلماتهم الكنش . تقدينيش ..

والجدير بالذكر أن اللغة العامية تختلط فيها مفردات عديدة استعارتها من اللغات واللهجات البربرية والتركية والايطالية والفرنسية !

شعب مسالم

والشعب التونسي شعب مسالم يكره العنف ، حتى انه لم يزد عدد الذين اعدموا في الخمس السنوات الماضية عن ٢٦ شخصا في انحاء الجمهورية كلها ..

وكانت في تونس محاكم فرنسية واخرى تونسية، ومنذ شهر يوليو عام ١٩٥٧ الغيت المحاكم الفرنسية ، واصبح الجميع يخضعون للقوانين التونسية المقتبسة من القوانين المصرية مع مراعاة الاحكام الاسلامية ، والعادات المحلية ..

سبحان مغير الأحوال

ان تونس اليوم بعد الاستقلال تعيش أياما تختلف عن ايام بعد الاحتلال ، فالمراكب التي كانت تأتي بالطامعين اصبحت تذهب بالمستعمرين ! ففي صبيحة يوم الاربعاء من كل اسبوع ، ترحل من ميناء تونس باخرة كبيرة محملة بالعائلات الايطالية في طريقها الى ايطاليا . ان هجرة الأوروبيين من البلاد في ازدياد مستمر ..

لقد كانت تونس عربية اسما ، كانت ملتقى هجرة أهل أوروبا ، الذين كانوا يتعاركون على خيراتها .. وكان جو المدينة يتميز بطابعي الوقاحة والاذلال .. وكان الفرنسي المتغطرس لا يتحدث عن العربي الا بعبارة Sale Arabe اي العربي القذر ... وكان العربي مسكينا يشعر بالذل والهوان والظلم والجور .

وكان الشعور بالمرارة والعجز يكاد يجعل من هذا الكابوس شيئا أبديا ، ولكن هذا الشعب الوديع ، الذي ضحى بمائة الف من أبنائه في الحرب العالمية

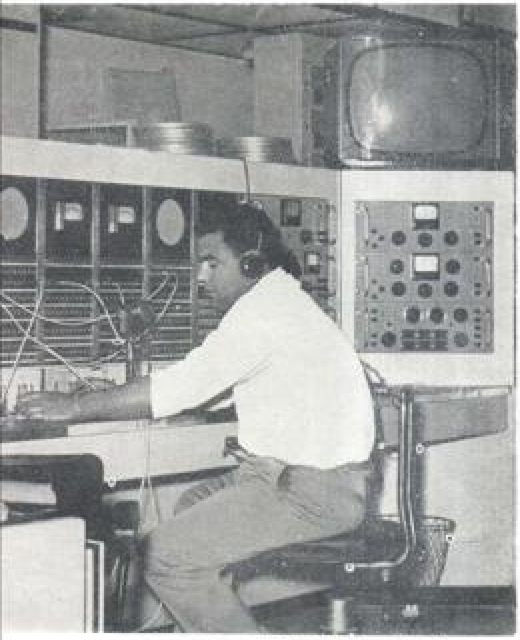

في خلال الاسابيع القليلة القادمة ، سيصبح في الامكان الاستماع الى اذاعة تونس في كل مكان ، بعد ان تم تقوية المحطة وتزويدها بأحدث المعدات . اما التلفزيون فليس له محطة في البلاد،انما تلتقط موجات التلفزيون الايطالي ثم يعاد بثها،فيشاهدها الجمهور التونسي واضحة ..

الثانية ، هب كتلة واحدة ليكافح ويحصل على استقلاله عام ١٩٥٦ .

وفي وسط ميدان الاستقلال أنزل العلم الفرنسي المثلث الالوان وارتفع العلم التونسي بهلاله الاحمر .. وارتسمت ابتسامة الحرية على الشفاه ..

وبدأت تونس عهدا جديدا ، هو عهد البناء والتشييد ..

ان تونس التي ظلت لقمة سائغة للفاتحين والمستعمرين قرونا طوالا ، قد استيقظت من نومها لتسير مع أخواتها العربيات في ركب التحرر والاستقلال .

للاستطلاع لا شك بقية عن أوجه النشاط الاخرى في هذه العاصمة المجيدة يأتي موعدها ان شاء الله . ■■

سليم زبال

دردشة

بحكم العادة

● خرج فقير هندي من مستشفى مدراس مؤخرا وامره الاطباء بان يتقيد بنظام معين للطعام هو حليب الماعز ، ذلك ان احشاءه قد اصبحت كلها ثقوبا بسبب ابتلاعه المسامير وامواس الحلاقة .

وهذا الفقير الهندى ، كغيره من فقراء الهنود ، يكسب عيشه من الاستعراضات التى يقيمها ويبتلع فيها اشياء حادة ، وهو يستعيد معظم هذه الاشياء الحادة بأن يبتلع عدة ياردات من القماش المطلي بالصمغ ويمسك بطرفه ويشده خارج جوفه فيخرج وقد علق به ما ابتلع من اشياء .

ولكن نسبة الاشياء التى يستخرجها بهذه الطريقة ليست عالية جدا ، اذ عثر الاطباء اثناء اجراء العملية الجراحية الاخيرة له على ٢٥ مطواة ومفتاحين ودستة من امواس الحلاقة ، فى ركن من معدته .

وبعد شفائه من العملية اقام هذا الفقير الهندى استعراضا مجانيا لاطباء وممرضات المستشفى ابتلع فيه مطواة .

وجهات نظر

● ينفق الرجل مبالغ طائلة قبل أن ينتهى من دراسته فى كلية الطب ويصبح طبيبا . ولكن هل يجب ان يسترد جميع هذه المبالغ من اول مريض ؟

● الرجل العادى روميو فى نظر نفسه ، وبطل فى نظر المراة قبل ان تتزوجه ، وابله فى نظرها بعد زواجها منه .

● انفق اجازتك فى بيتك لترعى حديقتك . وسيعرف اصدقاؤك عندئذ اى نوع من الاشخاص انت .. سيعرفون انك عاقل وفنان ومحب للبيت ومفلس .

● النساء فئتان : فئة تستطيع ان تحصل على الرجل الذى تحبه ، وفئة اخرى تستطيع أن تحب اى رجل تحصل عليه .

● يقال انك اذا اصبت بزكام ، ولم تهتم به ، فانه سيبقى اربعة عشر يوما ثم يزول ، اما اذا راجعت الطبيب ، ووصف لك دواء فانه سيزول بعد أسبوعين تماما .

● لا شيء يغيظ أكثر من زوجة تستطيع أن تطبخ ، ولكنها لا تفعل . وأكثر منها اغاظة المراة التى لا تستطيع ان تطبخ ولكنها تفعل ذلك .

على قبر صحفي !

● قال الصحفي الأمريكي الشهير ولتر وينشيل :

« اذا مت فاكتبوا على قبري: هنا يرقد وينشيل فى القذارة التى أحبها كثيرا ! » .

من أجل الحب

● فى ٢٥ ابريل (نيسان) من عام ١٢٢٧ م قطع فارس من فرسان القرون الوسطى اسمه اولرتش سهل لومبارديا بايطاليا والنمسا وبوهيميا فى رحلة شاقة من أجل ان يثبت للفتاة الارستقراطية التى يهواها مدى حبه لها . وبعد انتهاء الرحلة اخذ هذا الفارس يتباهى بانه حطم ٣٦٧ رمحا فى منازلات مع فرسان وقفوا فى طريقه .

ولكن شيئا من هذا لم يحرك او يؤثر فى السيدة التى كان يحبها ، ولذلك فقد قطع اصبعه ووضعه على قطعة قماش من المخمل وارسله اليها كهدية . وقد اثرت فيها هذه الهدية ، فعرضت عليه وظيفة متواضعة فى اسطبل الخيول فى قصرها !!

تعريفات

رجل الأعمال الناجح : هو الذى يفى بوعوده دوما ، ولا يقطع على نفسه اى وعد ابدا .

المرأة الجميلة : بركة للروح .. وجنة للعين .. ولعنة للجيب .

الثقيل : شخص يتحدث حين تريده أن يصمت .

الطبيب النفسانى : رجل ليس بحاجة الى القلق ، ما دام الناس الآخرون يقلقون .

قالوا في المرأة

● السر الوحيد الذى تستطيع المرأة أن تحتفظ به هو عمرها .

(فولتير)

● هنا ترقد زوجتى ... فدعها ترقد ها هنا انها الآن فى راحة وكذا انا .

(جون درايدن)

● لا يوجد شيء أسوأ من المرأة الشريرة ، ولم يخلق شيء افضل من المرأة الفاضلة .

(يوربيدس)

● ان بديهة المرأة هى التى تجعلها تعتقد انها على حق سواء أكانت صائبة أم مخطئة .

(ماليو سميث)

● كانت الدنيا حزينة ، والحديقة موحشة ، وتنهد الرجل الناسك حزنا الى أن ابتسمت المرأة .

(كامب بل)

● مهما بلغت المرأة المتزوجة من السعادة الا انها تسر دائما حينما تكتشف ان هناك رجلا لطيفا يتمنى لو لم تكن متزوجة .

(هـ . ل . فيكن)

عدالة

● أثناء الحكم الاسبانى فى كوبا فرّقت قساوة قلب احد العمد بين قلبين عاشقين . فقد قام العمدة باعتقال الفتاة ، ونقلها الى بيته ، واحتفظ بها فيه ، بعد اغلاق ابوابه بالمفتاح .

وجن جنون الشاب العاشق الكئيب وذهب يتظلم الى الحاكم الذى أكد له ان العدل سيأخذ مجراه ، وان المياه ستعود الى مجاريها .

وفى الحال امر بتزويج الفتاة من العمدة .. ثم قيد العمدة الى الحديقة العامة واطلقت النار عليه بتهمة الخيانة .

وعاد الحاكم فزوج الفتاة من حبيبها ، بعد ان ورثت كل اموال العمدة الطائلة .

القط الصغير .. والوردة الحمراء

للكاتب الأمريكي : أو . هنرى

■ هذه قصة مليونير أب ، وثروة لم تجد صاحبها ، وأولاد ضائعين فى حديقة عامة ..

اما المليونير فهو صاحبنا الشاب « هوارد بيلكنز » أثرى بفضل حسن اختياره الارض التى أنبتته ، والفرسة التى أطلعته من بين تلافيفها ، ونعنى بها جميعا « مصنع بيلكنز للجمة » : منهل المال الذى لا ينضب !

ومؤخرا ، مات بيلكنز العجوز بسبب سوء الهضم ، بينما تسبب الافراط فى الهضم فى موت السيدة بيلكنز العجوز ، بعد زوجها بمدة وجيزة. وبقى صاحبنا بيلكنز الشاب ، مع ملايينه الاربعة من الدولارات، يقابل الحياة بمرح وجراة وغطرسة لا غلوّ فيها ، تستبد به فكرة ثابتة مفادها أن بامكان المال ، والمال وحده ، شراء أى شىء تقدمه هذه الدنيا ، يشجعه على المضى فى هذا التخيل ما تحدر اليه من أساطير الملوك القدامى وحياتهم المسرفة فى البذخ والمتعة والسيطرة ايما اسراف ..

ولكن الفار وقع أخيرا فى الفخ الذى نصبه له القدر .. فلقد وجد قلبه محبوسا فى قفص من حديد ، وقد فتنته قطعة من « جبنة » تعرف باسم آخر هو « الآنسة اليس فان در رويسلنج ».

وكان آل رويسلنج هؤلاء لا يزالون يقطنون الحى الذى لم يكن فيما مضى يتميز بشىء .. حى « جرامرسى » .. ولكنه الآن منطقة مشهورة بشوارعها وحديقتها « جرامرسى بارك » التى كانت عائلة « الرويسلنج » أول من تمتع بحيازة مفاتيحها فى غابر الأزمان .

ولا تنتظروا منى وصفا لاليس فان در رويسلنج، وحسبكم أن تستحضروا فى أذهانكم صورة لفتاة ممن تحبون وتهوون ، ثم عدلوا شكل الأنف قليلا، واجعلوا الصوت أكثر عذوبة ، واضفوا على سلوكها أرفع آيات الكياسة واللياقة ، وبذلك يستقيم لديكم انموذج من الانوثة والجمال ، نادر الوجود عزيز المنال .. وحينئذ تصلون الى رسم تخطيطى تقريبى لاليس الجميلة .

كان لعائلة اليس منزل من الآجر المتداعى ، وسائس يدعى جوزيف يرتدى ثوبا حائل اللون ، وحصان هرم بلغ من الشيخوخة حدا باتت حوافره معه أصابع متطاولة .. وصار مجرد تحدره من أسرة الحافريات الفخر الوحيد له .

وكانت هذه العائلة « فان در رويسلنج » هى التى اشترت عام ١٦٤٩ كل الأراضى الواسعة الشاسعة المحيطة بتمثال الحرية فى نيويورك .. الاراضى التى قايضتها مع رجل من الهنود الحمر لقاء بعض المنسوجات المزركشة ، وزوج من الابواب الحمراء لا يزال يقوم حتى الآن كمدخل لاحد بيوت حى هارلم فى نيويورك !

لكم أكبرت فى ذلك الهندى بعد نظره وحسن ذوقه !

وانا لم أورد كل هذه البيانات لاقناعكم بأن « الرويسلنج » هم من أولئك الارستقراطيين الفقراء الذين ينظرون من عل الى من يملكون المال .. أوه ! عفوا ، لم أقصد هذا ، بل عنيت من لا يملكون سوى المال !

وفى احدى الأمسيات سعى « بلكنز » الشاب الى ذلك البيت العتيق المبنى بالآجر الاحمر فى حى « جرامرسى » ووجه لاليس فان در رويسلنج ما يعتقده طلبا ليدها .. فما كان من اليس الا ان رفضته هو وماله ، باباء وشمم واستعلاء !

وكأى قائد فى حالة مماثلة ، استجمع بلكنز كل قواه وهو ينوّه بكل ما يمكن لماله أن يوفره من فوائد ، وامتيازات . الا ان هذا عجل باقفال كل

باب البحث ،وجعل اليس تقف من الامر ببرود دونه صقيع القطب الشمالى المتجمد خلال شتاء كامل!!

وقابل بلكنز هذا الصمود فى الصد بروح رياضية عالية .. اذ ليس من السهل الازدراء بمليونير « كبير » كما لو كان مجرد عامل بسيط فى شركة مساهمة .. ها ها ! .. ثم انبرى يقول لاليس وهو يلمس باطراف اصابعه وردة حمراء متألقة مغروزة فى شعرها الجميل :

اذا وجدت نفسك فى يوم من الايام مستعدة لمراجعة رأيك بشأن مطلبى ، فابعثى الىّ بوردة كهذه ..

فقالت له :

حسنا جدا ، ولكن لو بدر منى ذلك يوما ، فسيكون معناه أن كلينا قد تعلم شيئا جديدا عن قوة المال الشرائية ! لقد جار عليك التدليل كثيرا يا صديقى ، ولا اعتقد ان بامكانى الزواج منك . وغدا صباحا سارد اليك الهدايا التى منحتنيها ..

فقال بلكنز متعجبا :

ــ الهدايا ؟؟ ولكنى لم اهدك شيئا طيلة عمرى ويسرنى جدا أن احظى بمعرفة ذلك الرجـــل المحظوظ الذى قد تقبلين منه هدية فى يوم مـن الايام .. انت التى لم تدعينى أرسل لك اية ازهار أو حلوى أو حتى مجرد روزنامة فنية .. !

وأجابت اليس ، وعلى ثغرها طيف ابتسامة :

ــ انك نسيت ولا شك .. فلقد كان ذلك منذ زمن بعيد ، حينما كانت عائلتانا متجاورتين ،وكنت أنت فى السابعة من العمر ، وانا أجر ورائى لعبتى فى الزقاق . جئتنى يومها بقط صغير من قماش مخملى داكن ، له عينان براقتان من خرز ، ورأس متحرك ، وكان محشوا بالملبّس . قلت لى حينذاك انك اشتريته بخمسمائة .. ولكم يؤسفنى الا استطيع ردّ الملبس ، لانى ــ بسبب قلة ادراكى وانا بنت ثلاث سنوات ــ قد التهمته كله . بيد أن ما يعزينى أن القط الصغير لا يزال لدى حتى الآن ، والليلة ، سالفه بعناية ، ثم ارسله اليك فى الغد .

ولم يكن خافيا ابدا أن وراء هذه العبارات الرقيقة قرارا حاسما برفض بلكنز وثروته . لذا

ووجه بلكنز الى اليس ما يعتقده طلبا ابديا .. فما كان منها الا أن رفضته هو وماله ، باباء وشمم واستعلاء

لم يسع هذا الأخير الا أن يغادر البيت العتيق المتداعى هو وملابيته !

وفى طريق عودته ، اجتاز حى « ماديسون » ، وكانت الساعة حينذاك تقارب الثامنة مساء ، والهواء شديد البرودة رغم أن الصقيع لم يكن قد اشتد بعد . وكان الحى الصغير بجوه القاتم أشبه بقاعة كبرى باردة لا سقف لها ، ذات اربعة جدران مكونة من المنازل العالية المنقطة بآلاف الأضواء الصغيرة . أما الميدان فلم يكن يضم سوى بضعة متنزهين متقوقعين كالقفف فوق المقاعد المتناثرة على الجوانب هنا وهناك .

وفجأة ، ابصر بلكنز شابا يجلس هناك بخيلاء ، بدون سترة ، مرتديا قميصا أبيض يتألق تحت ضوء الطريق .. فكان بزيّه هذا كالمقبل على مقالية حر صيف خانق . وكانت تلتصق به حسناء ، تغطى كتفيها بسترته ، وتشع من سيماها معالم سعادة فياضة ، مشرقة بالاحلام الذهبية والطمأنينة العذبة . فكانا بهذا المشهد أشبه بلوحة فنية حية ، لقصة الأولاد الضائعين فى الغابة ، لاينقصها سوى طيور ابى الحنّ بزغبها الغزير .

وكثيرا ما تكون المآزق الحرجة التى يظن «خلفاء» المال أن بامكانهم تخفيف وطأتها بسرعة ، مصدر نشوة عارمة لهم . .

لذا ، جلس بلكنز فوق المقعد الى جانب ذلك الشاب ، والقى على جاره نظرة فاحصة «فحزر ـ وهذا ما لا تصل النساء اليه فى الغالب ، مع الأسف ـ انه ورفيقته انما ينتميان الى نفس الطبقة الاجتماعية .

وبعد لحظات ، مال بلكنز الى الشاب ووجه الكلام اليه ، فأجابه ببشاشة ولطف ، اقتصر الحديث فى البداية على المواضيع العادية العابرة، ولكنه سرعان ما تركز بعد ذلك على بعض المسائل الشخصية الشائكة . وقد عرف بلكنز كيف يطرق الموضوع بلطف ولباقة ! ولما وصل بهما المطاف الى النقطة الحساسة ، استدار الشاب الى جليسه قائلا بصوت رقيق لا تكلف فيه ، ونفس الابتسامة البريئة تعلو شفتيه :

ـ لا تظنن انى لا أقدر كرمك يا صاح . ولكن تأكد من اننى لم اتعود قط قبول اى شىء من شخص غريب . وبالرغم من يقينى بصفاء نواياك التى احمدها لك ، فليست لدىّ اية رغبة فى استدانة المال من اى انسان .. انظر .. اننى «ماركوس كلايتون » ـ ولا شك فى أنك سمعت بآل كلايتون من مقاطعة « رونوك » فى ولاية فرجينيا . وهذه الفتاة هى الآنسة « ايفا بدفورد » .. وأنا متأكد من أنك تعلم من هم آل بدفورد .. ولها من العمر ١٧ سنة ، خطفتها من بين أهلها بقصد الزواج .. ونحن راغبان فى مشاهدة نيويورك . ولقد وصلنا ههنا عصر اليوم ، ولكن احد اللصوص نشل منى حافظة نقودى بينما كنا فى الزورق النهرى ، ولم يبق معى سوى ثلاث مئة من فئة العملة الصغيرة . وفى صباح الغد سأحاول أن أجد لى عملا .. أى عمل .. ثم نتزوج !

فقال بلكنز بصوت منخفض ودود :

ـ ولكن قل لى بربك ، هل ستبقى الآنسة طوال الليل ، فى العراء ، تحت رحمة برد قارس كهذا ؟! أما فيما يتعلق بالفنادق و ...

فقاطعه الشاب قائلا بابتسامة أعرض من سابقتها :

ـ لقد أخبرتك بانه لم يتبقّ لدى سوى ثلاثمائة من العملة الصغيرة ، وأضيف أنه ـ حتى لو كان لدىّ الف أو الفان ـ يتحتم علينا ، على كل حال ، الانتظار ههنا حتى صباح الغد . اننى لممتن لك كثيرا ، الا اننى لا استطيع قبول أى دولار منك. ثم ان الآنسة بدفورد وأنا متعودان على العيش فى الهواء الطلق ، ولن يضيرنا فى كثير أو قليل هبوب نسمة باردة علينا . سأسعى غدا للعثور على عمل .. أى عمل . ولا يزال معنا الآن كيس صغير من الحلوى والشوكولاته سيكون عونا لنا على تمضية الليلة ..

وهنا قال المليونير ، ونبرات الرجاء فى صوته :

ـ اصغ الىّ : ان اسمى «بلكنز» ، وأنا أساوى بضعة ملايين من الدولارات . وفى الظروف العادية يتوفر فى جيوبى بشكل ثابت مبلغ من المال يتراوح بين الثمانمائة والتسعمائة دولار عدا ونقدا . أفلا تراك مخطئا ومتجنيا كثيرا فى اصرارك على عدم قبول ولو جزء يسير من ذلك المبلغ لتؤمن قضاء ليلة مريحة لك ولرفيقتك ؟

فأجاب كلايتون الشاب :

ـ هذا ممكن يا سيدى .. الا اننى اعتدت منذ طفولتى على النظر الى الأمور من زاوية مختلفة . وعلى جميع الأحوال فاننى مقدر فيك أريحيتك وشهامتك أعمق تقدير .

فقال المليونير وهو ينهض :

ـ .. اذن .. فليس لى سوى أن اودعكما ،

متمنيا لكما ليلة هانئة سعيدة .

وهكذا ، وفى مرتين متتابعتين فى يوم واحد ، ردت عرض أموال بلكتز بلا ادنى اكتراث! .. والذين ردوه اناس بسطاء ، لم تترك دولاراته فى نفوسهم اي اثر او انفعال ، كانها مجرد حلى زائفة ! وبالرغم من انه كان يؤمن دائما بقوتها الشرائية غيرالمحدودة .

وابتعد بلكتز بسرعة . ثم توقف فجأة .. وكر عائدا الى مقعد العاشقين الوادعين . ثم رفع قبعته وعاد الى الكلام ، بينما الفتاة تتأمله بنفس الاهتمام الحار الذى كانت توليه للانوار والتماثيل وناطحات السحاب الماثلة من بعيد !

ـ يا سيد ـ هيه ! ـ رونوك ، انى اكبر فيك استة .. استغناءك عن الآخرين ، واستقلالك وعنادك .. عنادك الغبي .. الى درجة لم يعد يوسعى عندها الا أن استصرخ حميتك وروح النجدة فيك .. ولكنى لم أتمكن بعد من استساغة مبدأ الابقاء على امرأة فى عراء ليل بارد كهذا الا لشيء الا احتراما لعصبية قومية مندثرة تعشش فى نفوسكم يا أهل الجنوب ! هذا حسن .. ولكن ، لى صديقة ، وهى سيدة أعرفها منذ صغرى ، تسكن على بعد خطوات من هنا مع أهلها : مع اخواتها وعماتها وخالاتها وكافة « الضمانات » الماثلة اللازمة . وانى لمتأكد من أن هذه السيدة ستكون سعيدة جدا بتأجير غرـ .. عفوا ، اعنى انها ستكون سعيدة جدا بقبول الآنسة بدفورد فى ضيافتها لهذه الليلة .. فهلا خففت من غلوائك يا سيد رونوك .. يا رونوك فرجينيا .. الى الحد الذى ..

وحينئذ نهض كلاينتون رونوك ومد له يده قائلا:

ـ شكرا لك أيها الصديق . ان الآنسة بدفورد ستكون بالفعل سعيدة بقبول ضيافة السيدة التى تتحدث عنها .

قال هذا ، ثم قدم بلكتز الى الآنسة بدفورد باحترامات بروتوكولية ، بينما حدجته الفتاة بنظرة حنو وارتياح مغمغمة بصوت عذب :

ـ ما أجمل هذه الأمسية يا سيد بلكتز !اليس كذلك ؟

وقادهما بلكتز الى البيت العتيق المتداعى ذى الآجر الاحمر ، حيث يعيش آل « فان در روبسلتج » . وهناك بعث ببطاقته الى اليس التى لم تلبث أن هرعت قلقة دهشة . ثم أدخل الضيفان الى غرفة الاستقبال ، بينما بقى بلكتز مع اليس فى البهو ليخبرها بقصته معهما .

قالت اليس :

ـ سأستضيفهما عندى طبعا . وخصوصا لانهما من الجنوب .. وفتيات الجنوب يتحلين عادة بأصالة النسب وعراقة المنبت . سنكرم وفادتها ، ونقدم لها غرفة خاصة . أما فيما يتعلق بالسيد كلاينتون ، فانك ستهتم به على ما أظن ؟

فأجاب بلكتز

ـ انا ؟ أوه ! بالتأكيد ، سأهتم به فعلا !! اذ انى باعتبارى مواطنا نيويوركيا ، وبالتالى مالكا لجزء صغير جدا من الحدائق العامة ، فانى سأهيىء له النزول فى ضيافة ميدان ماديسون هذه الليلة ، حيث سيقبع فوق أحد المقاعد حتى صباح الغد .. اذ من العبث مجادلته ، فهو غريب الاطوار . ثم انى لسعيد باهتمامك بأمر تلك الشابة الصغيرة يا اليس،وأرجو أن تصدقيني حينما أخبرك بأن هؤلاء الاولاد الضائعين فى الغابة. قد خفضوا قيم مالى ـ اى قيمة « وول ستريت » وبنك بريطانيا ـ الى مستوى الخرائب الدارسة!..

وقادت الآنسة اليس ضيفتها الآنسة بدفورد الى الطابق الاول حيث سترتاح هذه الليلة .ثم نزلت بعد برهة قصيرة ودفعت بين يدى بلكتز بلعبة صغيرة من الورق المقوى ذات شكل مستطيل قائلة :

ـ انها هديتك يا بلكتز .. وها انا أردها اليك .

فغمغم بلكتز مطلقا زفرة يأس :

ـ آه : لقد تذكرت .. انها القط الصغير ..

ثم انطلق خارجا لا يلوى على شيء ..

وفى غرفة نومه فض بلكتز العلبة التى سلمتها له اليس ، وأخرج منها القط المخملى الصغير الذى خلا باطنه منذ زمن بعيد جدا من اللبس ، وفقد احدى عينيه الخرزيتين .

ونظر بلكتز الى القط بأسى وشجن محدثا نفسه:

ـ بعد كل هذا .. بت اعتقد ان المال وحده لا يجدى !

.. وفجأة أطلق صيحة دهشة وفرح عظيمة !

لقد لمح بين بقايا قطه المخملى الصغير الذى كان قد بدأ بمزقه بتمهل ولا مبالاة : لمح وردة حمراء ندية .. عابقة بالشذى .. متألقة الخدود .. تنضح بالوعود ! ..

ترجمة : عصام عسيران

هوس الرفاهية مرض هذا العصر !

الرفاهية : كسل ومتعة ، وتجاهل للأخلاق والقيم الروحية

الرفاهية أخذ بلا عطاء

وحرية متحللة من المسئولية

الرفاهية معول هدام للحضارة وخطر أكيد على الانسانية

■ يشهد العالم اليوم موجة عارمة فى التكنية المتطورة النامية لم يعرف لها مثيلا من قبل . وقد طغت هذه الموجة على الحياة الاجتماعية بشكل جارف ، وسيطرت على معظم مرافق الحياة فضلا عن آمال المستقبل ، بحيث انه غدا من العسير عدم ملاحظة تأثيرها فى المفاهيم وسائر العوامل النفسية فى حياة المجتمع الانسانى .

والواقع انه ازاء هذا التطور المادى ، لا بد لنا من التساؤل عن نوع التطور الروحي الذى يرافقه ، وعن مداه فى حياة الانسان . فمقومات الحياة الاجتماعية مترابطة بحكم تفاعلها الدائم ، وليس غريبا ان يتولد عن هذا التفاعل تبادل وتناوب فى التأثير بين الأشياء والأفكار ، ومن ثم تطور عميق سوى او شاذ فى النفس الانسانية .

الحضارة الحديثة

خلاصة جميع الحضارات

مما لا شك فيه ان الحضارة هى نتاج التجربة الحية للقيم الروحية ، وهى بما تتضمن من مؤسسات وثقافات ومظاهر مادية ، تقدم صورة عينية معبرة للقيم الروحية وتفاعلها مع الفكر الانسانى . فاندفاع الانسان المتجرد فى طلب الحقيقة والخير والجمال والمحبة ، هو الأساس والمصدر الحقيقى لكل عمل او مجهود فكرى او اخلاقى او فنى او انسانى . ومن مجموع هذه المجهودات تكونت عناصر الحضارات ، ومن مدى تفاعلها مع عقليات الشعوب المنتجة لها تحددت سماتها وصفاتها المميزة عبر التاريخ . وقد عمل الزمن وظروف الحياة الاجتماعية المعاصرة ، واخصها وسائل النقل والاتصال ، على التقاء جميع

.. يعشق الأمريكان الرفاهية ويسعون اليها كحقيقة واقعة ..

بقلم محمد وهبى

الحضارات ، وصهرها فى حضارة شاملة واحدة هى ما ندعوه اليوم بالحضارة الحديثة .

الانسان المتحضر بين الرفاهية والقيم الروحية

وقد أصبح معروفا ان الطابع الرئيسى لحضارة اليوم هو العلم ، وعن العلم نشأ التقدم التكنلتى المتمثل فى الآلة والطب ونحوهما . غير أن هذا التقدم التكنلتى الذى كانت القيم الروحية مصدره الأول ، يسير اليوم بالانسان فى اتجاه منفصل عن هذه القيم ، ويكاد يتعارض معها فى بعض الأحوال . وهذا هو الوضع الدقيق الذى يجتازه الانسان المتحضر فى هذه الأيام .

فمن الملاحظ اليوم بصورة عامة ان التطور التقدم التكنلتى متجه الى تيسير بلوغ أهداف الكشف العلمى ، وتامين حفظ حياة الانسان ورفاهيته . على انه من الواضح ان رفاهية الانسان تستاثر باقصى الاهتمام ، وتشكل الهدف الاهم فى مسير هذا التطور ، حتى ان النشاط العلمى ، الذى هو بطبيعته متجرد من الغرض ، غدا يعمل وكأنه ملتزم بالسعى الى أغراض معينة ، هى أغراض الرفاهية للانسان .

اما تأثير التقدم التكنلتى على الناس فكان عظيما ، فقد اذاقهم ألوانا من الراحة وحلاوة العيش ، بحيث جعلهم يكلفون بنتاجه ، ويجدون فى طلبه ، ويعتبرون الحصول عليه غاية السعى المعيشى .

ولم يكن التقدم التكنلتى وحيدا فى أحداث هذا الأثر ، وانما رافقته عوامل هامة أخرى . فهناك السياسة العالمية ونزاعاتها وحروبها الطاحنة ، وخطر أسلحتها المبيدة التى جعلت كثيرا من الناس يكفرون بالقيم الروحية ، ويسعون الى تامين العيش والمتع الآنية ، وهناك الأحوال الاقتصادية المضطربة والتفاوت الاجتماعى وما نشأ عنها من رخاء وترف عند بعض الفئات ، الى جانب قلق عميق فى نفوس بعضها الآخر .

لقد تضافرت هذه العوامل وغيرها على تحويل غايات العيش فى نظر البشر ، والانحراف بمثلهم العليا . وتكفل التقدم التكنلتى ، بنوع خاص ، بزيادة مطالب الحياة المتجهة الى تحقيق الرفاهية والترف ، بحيث حدث نوع من الاستقطاب للرغائب الانسانية فى هذه المطالب . وهكذا تشكل لدى الانسان المعاصر مثل أعلى جديد ، يتركز فى الرفاهية .

الرفاهية : متعة .. وكسل !

ولكى يكون تعبيرنا دقيقا وشاملا ، نود هنا ان نحدد الرفاهية بمعناها العميق والواسع ، أى المتصل بتوفير الجهد ، أو بذل الجهد الأقل فى مجال

اى نشاط حيوى ، مع استقطاب كل الوان النشاط فى متعــــة الحــــواس . فهــى كمــا تــرى صــنو الكســـل مــع فــارق وجــود نشــاط ما هادف الى المتعة . ومن المسلم به ان الرفاهية هى من الغايات الحميدة والمرغوب فيها فى حياة الانســان ، بل هى من الضرورات الحيوية ، ولكن مانعنيه هنا هو هذا الهوس الهستيرى فى السعى اليها ، وهــذا الاستقطاب فى النشاط الذى ، من اجلهــا ، يتجــاهل أو يدوس فى القالب الأسس القويمة للفكر والأخلاق .

وبوسعنا أن نلمس امتداد آثار هوس الرفاهية الى أى مظهر من مظاهر الحضارة ، سواء منهــا العمل أو البحث العلمي أو الدرس الادبى أو الأثر الفنى ونحو ذلك . وبالفعل ، هذا ما تطالعنا به اليوم الموسيقى الراقصة والغناء الخفيف ،وكذلك الأدب الضحــل فى الكتب الرائجة ، فضلا عــن اســتفحال أهمية الأدب الصحفى على حــساب الأدب الجزل الصميم . وكذلك قل فى وجود ادب يسمى بالأدب النسائى من قبيل الترف العقلى ، وفى رواج الأدب الاباحى . بل ان ابلغ شاهد على هــذه الظاهرة تحريف بعض الفلسفات باتجاه الاباحية ، ورواجها علىصورتها المشوهةوفىالأوساط الشعبية بشــكل منقطــع النظير ، كما جــرى للفلسفة الوجودية . ولا حاجة بنا هنا الى ذكر كيفية تغلغل هذه الظاهرة فى ثنايا الحياة الاجتماعية اليومية بشتى اشكالها ، فهى تبلورت فى الأذهان كمثل اعلى قوى التأثير .

هوس الرفاهيــة : مرض العصر !

ان هوس الرفاهية هو مرض العصر الذى نعيش فيه . والنفس الانسانية التى تعانى هذا المرض الأخلاقى ، تشهد اليوم الوانا من الصراع بينه وبين القيم الروحية .

والواقع ان هذه الظاهرة تتعارض مع جميع القيم الانسانية . وقد قلنا انهــا تمثل مرضا ، لأنها فى الحقيقة ليست حالة عادية سوية كما قد يتبادر الى الذهن ، فالانســان لــم يخلــق ليوفر جهده ولا يعمل ، بدليل انه متمتع بقوة وقدرة عــلى العمل ، ولا يعقل أن يمنح شيئا لكـــى لا يستعمله ، هذا كما ان التراث الحضارى الذى ورثه الانســان ويعيش فى ظله متمتعا بمزاياه ، يفرض عليه عقليا واخلاقيا أن لا يظل عالة عليه ، بــل يستأنف رسالته ويعمل باخلاص فى خدمته وتنميته وتطويره .

معول هدم لبنيان الحضارة

ثم ان هذه الظاهرة تتعارض بنوع خاص مــع فكرتى الواجب والتضحية . انها تقوم على الأخذ دون العطاء ، على الحرية المتحللة من المسؤولية ، اى على فوضى النزوات النفسية والاجتماعية . ولذا ، فهى معول لهدم بنيان الحضارة . بل ان

. . وهناك فئة الشعوب التى كانت و...
الى التخلص من عقدة النقص ، وا...

هذه الظاهرة قد تعدت اليوم هذا المعنى الى ما هو اخطر منه . فقد اخذت فى الطغيان على معانى الكرامــة والشرف والانسانية ، اذ غدا كل شىء رخيصا فى سبيل اغراضها . ومثل هذا الاعتبار بشكله السافر هو جديد فى تاريخ الانسانية ، لأن هـــذه القيم الروحية كانت دائما فى الماضى الدوافع لعمل الانسان ، أو عــلى الأقل الذرائع والمبررات له .

لقــد عرف التاريخ موجات كثيرة من تيـــار الرفاهية ، ولكن الرفاهية فى تلك الموجات تختلف

اختلافا عميقـــا عن رفاهية اليوم . فقد كانت الرفاهية تنحصر في طبقات صغيرة معينة ، كما كانت موجاتها تظهر في فترات معينة موقوتة من تاريخ الامة ، ولكنها لم تكن تنتشر باطراد وتؤثر في المثل العليا للناس على نطاق واسع وبشكل جذري ، كشانها اليوم .

الكفاح من أجل الرفاهية !

وليس من العسير ان نلمس اليوم لدى الغالبية العظمى من الناس في العالم فكرة الرفاهية كمطلب

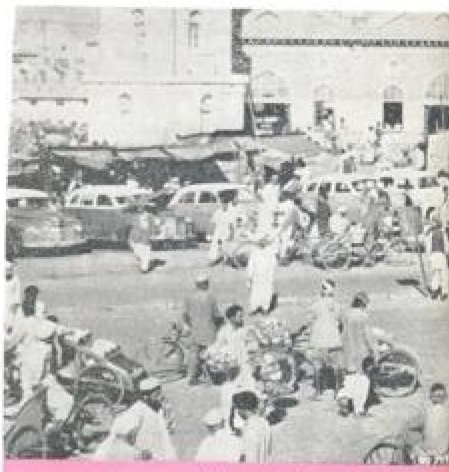

...ت الاستعمار .. وهذه تسعى اليوم
...قة بالنفس ، بعد تحررها السياسي

اساسي وكمثل اعلى في الحياة ، ومدى تأثيرها العميق والجارف في تفكير الواحد منهم وفي عمله ، ومن ثم تحديدهـــا لموقفه من المبادىء الأخلاقية المتعارف عليها . لقد تفاقمت أهميتها حتى كادت تطغى على فكرة البقاء الأساسية عند البشر ، بحيث ان غريزة « الكفاح من أجل البقاء » ، قد تحول معناها بوجه عام الى معنى « الكفاح من أجل البقاء والرفاهية » . أما الضحية لهذا التطور الأخلاقي الشاذ فكانت القيم الروحية ، لأن مثله الأعلى الرئيسي يتطلب تجاهلها والتضحية بها في اغلب الاحيان .

ان الرفاهية كمثل أعلى هي مرض العصر بكل معنى الكلمة . ونستطيع القول ان تاريخ الانسانية المعاصر يمثل الصراع بين القيم الروحية وهـذا المرض . فمواقف الأفراد والشعوب المتباينة بإزاء هذا الوضع ، تحدد اليوم ظهور هـــذا الصراع واشكاله ومدى حدته .. ونحن اذا اتخذنا هذا النظر المكسي ، نجــد ان المظاهر المختلفة لهذا الصراع ترينا الفوارق بين الأفراد أو الشعوب ، والصفات العميقة لكل منها .

مرض شعوب .. كما هو مرض افراد

فاذا نظرنا الى شعوب العالم اليوم على ضوء هذا الصراع ، نجد انها بصورة عامة تنقسم الى قسمين : شعوب ذات تاريخ وماض حضاري ، هي الشعوب الأوروبية والآسيوية ، وشعوب محدثة في تاريخها او ذات مخطط جديد مادي في عملها ، وهي من ثم مفتقرة الى الماضي الحضاري كامريكاوروسيا.

اما القسم الأول فيشمل ثلاث فئات من الشعوب: أولاها شعوب حافظت على استدامة فعل الماضي الحضاري ، واحتفظت بمتانة الخلق ، فكان من نتيجة ذلك تغلبها على أزمات وصعاب كبيرة ، ونجاحها في جميع الميادين الحضارية . ونستطيع ان نتخذ الشعب الألماني مثالا لهذه الفئة .

والفئة الثانية تمثل شعوبا تغلب عليها مرض العصر ، فتنكرت لتاريخها الحضاري ، وانساقت مع فوضى العبث في معظم مجالات الحياة من أدب وفن وسياسة واقتصاد ، فكان الفشل والاضطراب وضحالة الفكر في هذه المجالات النتائج الطبيعية لتفسخها الأخلاقي . ولعل الشعب الفرنسي يعطينا مثالا واضحا لهذه الفئة .

الشعب العربي ومرض العصر

وهناك فئة الشعوب التي كانت واقعة تحت نير الاستعمار كالعرب . فهـذه الفئة الثالثة تتميز بعقـــدة نقص خاصة نشات بتأثير التحكم الاستعماري ، وقد ادت هذه العقدة الى تكون الشعور بعــدم الثقة بالنفس لتولي المهـــام والمسؤوليات الكبرى في مسير التطور الانساني ، الى جانب لون من الغرور وروح الطفرة في التصور والعمل . لقد ساعدت هذه العقدة النفسية الى حد كبير على تركيز رواسب الرجعية والتأخر ،

واضعاف تأثير الماضي الحضاري وقيمه الروحية في النفوس ، ومن ثم على تغليب مرض العصر عليها .

ومن العسير اصلاح الحالة الخلقية عند هذه الشعوب قبل انقاذها من عقدة النقص هذه ، وعودتها الى الثقة بالنفس دون غرور أو طفرة لاغية . وهذا ما بدأنا نشهده اليوم فعلا عند العرب بعد تحررهم السياسي ولو بشكله الجزئي ، فضلا عن ان ظهور القيادة المثال ، التي تعمل بحكمة واخلاص ، وتحقق الانتصار والتقدم ، عامل قوي التأثير في المجالين النفسي والأخلاقي على السواء . لانه يخلق الثقة بالنفس ، ويعمل على ازالة رواسب الماضي الفاسدة ، واعادة الاعتبار للقيم الروحية في النفوس ، وتغليبها على ما قد يعترض تأثيرها من مفاهيم أخرى .

هوس امريكي .. روسي !

اما الشعوب المحدثة التاريخ والمفتقرة الى الماضي الحضاري ، فمن اليسير ملاحظة سيطرة مرض العصر عليها . فهوس الرفاهية في أمريكا هو اليوم موضوع حديث العالم ، والرجل الأمريكي لا يخرج في تفكيره وأخلاقه عن نطاق مفهوم المنفعة المادية ، وما نشأ عنه لديه من تعزيز كبير للانانية والتفاني في طلب الرفاهية ، واحترام فكرة القوة والأمر الواقع بازاء تجاهل قيمة الحق والقيم الروحية الأخرى .

وفي هذا المجال الأخير يلتقي مع الرجل الأمريكي الرجل الروسي الذي يعيش اليوم عهدا جديدا قوامه المادية المطلقة التي تتجاهل قيمة الانسان ، وتنكر سائر القيم الروحية . واذا كان مرض العصر يحقق هذا اللقاء ، فعلى صورة ان الرجل الأمريكي يعشق الرفاهية ويسعى اليها كحقيقة واقعة ، بينما هي بالنسبة الى الرجل الروسي مجرد سراب . على أن النتيجة واحدة ، فهما كلاهما يعتبران القيم الروحية غير ذات موضوع ، ويحتمان بذلك تغلب مرض العصر عليها .

خطر أكيد على الانسانية

تلك هي الصورة التي تبدو بها شعوب العالم اليوم بوجه عام ، نتيجة لصراع القيم الروحية مع مرض العصر . واذا تأملناها قليلا ، نجد انها لا تدعو الى تفاؤل بانتصار القيم الروحية ، اذ ان هناك عاملا قويا يحول دون ذلك ، وهو القوة المادية في مجال السياسة الدولية . والقوة تفرض في معظم الأحيان اعتباراتها وقيمها سواء بالطريق المباشر او بالطريق غير المباشر .

اما القوة في المجال الدولي اليوم فتكاد تكون محصورة بين يدي أمتين اثنتين هما أمريكا وروسيا . وهاتان الأمتان تفتقران كما رأينا الى ماض حضاري أصيل ، ولذا فان صراعهما أو اتفاقهما أو ما قد يسفر عنه الصراع من سيطرة الواحدة على الأخرى، كل ذلك يحدث أثرا قويا في نفوس سائر الأمم ، ويشكل خطرا أكيدا على القيم الانسانية .

بصيص من أمل

من هنا كان ظهور قوة ثالثة في العالم أمرا ذا فائدة عظيمة بالنسبة للتراث الروحي ، على ان تكون هذه القوة متمثلة في قوى مجموعة من الأمم المتمتعة بالقوة الروحية ، بحيث تسخر قواها المادية لنصرة الحق والخير والجمال والمحبة ، وتحدد سلوكها الدولي بالحياد المعزز للكرامة الانسانية ، وبالعمل الايجابي من دفاع عن الحق وقيام بأدوار الوساطة وفضح العدوان ومساعدة حركات التحرر ونحو ذلك . بل ان مجرد قيام مثل هذه القوة يبعث الثقة في نفوس الشعوب ، ويسجل انتصارا عميقا للقيم الروحية .

على ان هذا ليس الا وسيلة من شتى الوسائل التي ينبغي اللجوء اليها لمعالجة الوضع الأخلاقي الراهن في العالم . اذ لا مفر من الاعتراف بان التطور الروحي الذي رافق التطور المادي المتمثل في تفاقم شان التقنية ، كان تطورا شاذا ، بحيث ادى الى مرض اجتماعي أخلاقي عميق ، سيكون بعيد الأثر بحكم سير عجلة التطور العلمي بخطى سريعة . فمن الضرورة بمكان أن تأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار ، وتسهم في تقديم العلاج ، اذا كنا نود الحفاظ على الأسس الحقيقية للحضارة ورقي الانسان . ■■

بيروت　　　　محمد وهبي

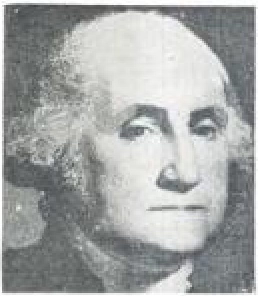

هذا القائد الكبير

هذه كانت هزيمته الكبرى

■ كان شابا ، طويل القامة فارعا ، وعليه بذلة حمراء زرقاء ، زاهية الوانها ، هي بذلة الكولونيل في جيش صاحبة الجلالة الامبراطورية البريطانية بالولايات المتحدة .

وجاء متعبا أشد التعب .

وكان يقصد الى بيت صديقه « ب . روبنسن » ، على شاطىء نهر هدسن .

وبلغ باب البيت ، فنفض عن عباءته الحربية ما كان تجمع عليها من ثلوج .

ودق الباب . وأذن له بالدخول . وتلقاه في حجرة الاستقبال روبنسن وزوجته « سوزانا » . وجاءت اخت الزوجة ، واسمها « ماري فيليبس » ، فقدموا الضيف الطارق اليها . فاستقام الضيف على الفور ، وكان طوله فوق الستة الأقدام ، ثم انحنى انحناءة كبيرة ، وانتعش بلقائه هذه الفتاة انتعاشا ظاهرا . كانت ذات أنوثة فاتنة .

ولم يمض زمن طويل حتى كان الضابط الشاب يحكي لهذه الفتاة ما كان من وقائع بينه وبين الفرنسيين ، وبينه وبين الهنود الحمر . وكذلك عن قلقه عندما رفض الجنود البريطانيون اطاعة اوامر صدرت من كولونيل من الميليشيا .

وبدأت النار بالمدفأة تخبو . فقام الضابط الشاب يلقمها خشبا . وعندئذ فقط اكتشف أن روبنسن وزوجته سوزانا لم يكونا في الحجرة . لقد غادراها في شيء من اللباقة لما أخذ الحديث يتدفأ بين الفتى والفتاة .

وبغتة ، وتحت تأثير سحر الفتاة ، اخذ الضابط يتحدث عن أمور نفسه . عن بيته في فرجينيا . وفي شيء من الحرج أفضى للفتاة بانه في الواقع لا يستمتع بالجندية ، وانه يفضل ان يكون ذا مزرعة تنتج التبغ . وأفضى اليها كذلك في الحديث عن نفسه ، ان به غضبا يثور في غير كبير سبب ، وانه يحاول دائما أن يضبط غضبه . وأفضى اليها بما يعتريه من خمود نفس واسترخاء مزاج . وافضى اليها بميله الى تعزل الناس ، وان من وراء ذلك كبرياء نفس شموس .

واخذ برد الفجر يتسلل الى الحجرة ، وعندها ساد الصمت ، وغرق الضابط الشاب في فكر عميق . لقد أحس بنهاية ساعات ما ود لها ان تنتهي . ثم اخذ يتكلم في شيء من التردد والتلعثم كثير . قال : « يا آنسة فيليبس » ..

ثم سكت . ثم عاد يقول :

ـ « يا آنسة فيلبس ... ياماري . ان عندي سؤالا لا بد أني سائلك اياه ولو وصمني هذا السؤال بالسخف لديك . اني حضرت الى هذا البيت وأنا في غاية التعب وضياع الأمل . ولكن لطفك وذكاءك وفتنتك ، أي مارية ... لكأننا نعرف بعضنا بعضا منذ سنين طويلة . فهل ترضين يامارية فتشرفيني بأن تكوني زوجة لي ؟

عندئذ خفضت مارية من نظراتها ، وقالت :

ـ آسف يا كولونيل . ان مطلبك هذا يشرفني كثيرا ، ولكن سبق أن اجبت اليه غيرك !

وما أن سمع الضابط الشاب هذا ، حتى وقف في تؤدة شديدة ، وانحنى ، ثم قال لصاحبته في صوت خافت :

ـ بارك الله فيك . ثم ارجو أن تبلغي شكري لاختك وزوجها على اعطائي فرصة لقائك هذا . واني لن انساك أو انسى هذه الأمسية يامارية .

وضرب الضابط بطرف عباءته حول كتفيه العريضتين ، وتوجه ناحية الباب .

وبهذا لقي جورج واشنجطن ، اول رئيس للولايات المتحدة الامريكية ، أول هزيمة وقعت له في حياته . ■■

ذكر أم أنثى ؟

أسئلة اربعة كثيرا ما جاءتنا من قراء نساء :

الأول : اذا طلب الزوج ، بنتا ، وطلبت الزوجة ، ابنا ، وظلت الزوجة تأتي ببنات دائما ، فمن منهما يكون المسئول عن هذا ؟ وهل يجوز أن يهدد الزوج زوجته بالطلاق لأنها لا تنتج الا بناتا ؟

الثاني : هل يمكن بسبب الانطباعات التي تنطبع بها الزوجة أثناء الحمل ، عن طريق حواسها الخمس ، وما يصحب ذلك من نزعات ودوافع ، ان تغيّر من جنس المولود ، ولدا أو أنثى ؟

الثالث : هل يمكن بأي وسيلة أخرى الحصول على الولد لمن يشاء ، وعلى البنت لمن يشاء ؟

الرابع : هل يمكن تعيين نوع المولود ، ولد هو او انثى ، قبل ولادته ؟

الاجابات

١ ــ من المسئول عن الاتيان ببنات ؟

انه الرجل ، مسئول عن نوع المولود ، ذكر هو او انثى . ان الحيوان المنوي للذكر شكله مثل فرخ السمك ، له رأس ضخمة وذيل طويل . وهو غاية في الصغر . وبهذه الرأس أجسام مستطيلة تسمى بالصبغيات لأنها تتلون بالاصباغ الخاصة بها . والافرنج يسمونها كروموسومات .

والرجل ، عندما يُمني ، يعطي من الحيوانات المنوية الملايين . ولكنها صنفان ، صنف يعطي الذكر ، وصنف يعطي الأنثى، لاختلاف في كروموسوم بأحد الصنفين عن الآخر .

والمرأة تضع بيضتها الواحدة ، وهي محايدة ، فلا هي تعطي الذكور خاصة ، ولا الاناث خاصة (أنظر ذلك مفصلا على صفحة ٤٤ من العربي رقم ٢٣ الصادر في أكتوبر ١٩٦٠)فالذي يسبق من أحد الصنفين يحدّد نوع الوليد ، ذكر" هو ام انثى .

وبيضة الأم تقبل حكم الحيوان المنوي الذي يغزوها .

فهي غير مسئولة عن نتيجة الاخصاب ، ولدا يكون أو بنتا ، وانما المسئول الرجل .

ونعلم أن كثيرا من الرجال ، يأخذون بتعنيف النساء على ما يأتين من بنات . وان صح التعنيف فقد وجب أن يكون من النساء الى أزواجهن . وان صح التهديد بالطلاق فقد وجب ان يكون التهديد من النساء للرجال .

واقول « ان صح التعنيف » . ذلك لأنه لن يصح ابدا . فالرجل يعطي المرأة الذكور ،ويعطيها الاناث ، ولا حيلة له فيما يعطي ، ولا ارادة له فيما يعطي أو يمنع .

فالتلاوم في هذا الأمر جهل بعمليات الحياة شنيع .

٢ ــ هل تغير الزوجة بانطباعاتها اثناء الحمل من جنس المولود ، ذكر هو ام انثى ؟

الجواب الصريح الحاسم : بالطبع لا .

ذلك ان جنس المولود يتحدد بمجرد التلقيح . بيضة الزوجة تتقبل من حيوانات الرجل ، امّا ذلك الحيوان المنوي الذي ينتج الذكر ، وامّا ذلك الحيوان المنوي الآخر الذي ينتج الانثى . واذ وقع ذلك لا يمكن تغييره ، انه الحكم الذي لا ينفع فيه استئناف ولا نقض ولا ابرام .

٣ ــ هل يمكن باي وسيلة الحصول على الولد لمن يشاء ، وعلى الانثى ؟

الى الآن لا يمكن الحصول على ذكر او انثى حسب الطلب . ولكن ليس شيء في غد على العلم بعزيز . قد يستطيع الانسان في المستقبل البعيد او القريب انتاج الذكر او الانثى .

وبشائر ذلك ، ان يكن ذلك مما يدخل في معنى البشرى ، انه قد امكن في الحيوانات المنوية،بمني الأرنب الذكر ، أن تفصل الحيوانات التي تنتج الذكور ، عن الحيوانات التي تنتج الاناث ، وذلك بوسائل كهربائية . ولزيادة الدقة نقول : ان النصفين اللذين انقسم المني اليهما فيهذه التجارب، نصف كان الغالب فيه عدد الحيوانات المنوية التي تنتج الذكور ، والنصف الآخر غلبت فيه الحيوانات المنوية التي تنتج الاناث .

فبزيادة الفصل قد يزداد النوعين تفاصلا .

واذن يصبح ، بتلقيح المرأة الصناعي ، انتاج الأولاد او انتاج البنات ممكنا .

هذا في الأرانب .

ومن الارانب للانسان خطوة قريبة .

ولكن هل تكون خطوة نافعة ؟

هذا سؤال يفسح للتفكير مجالا واسعا .

٤ ــ هل يمكن كشف نوع الوليد وهو لا يزال في بطن امه ؟

نعم يمكن ، بامتحان عينة من السائل الذي يحوط بالوليد وهو لا يزال في رحم امه ، ذلك السائل الذي يُعرف بالسائل الامنيوني ، وهو السائل الذي يخرج من المرأة مع الوليد عند الولادة .

فهذا السائل به خلايا عائمة ، مصدرها الوليد الذي يحوط به ، وهي تختلف ان جاءت من وليد ذكر ، عنها ان جاءت من وليد انثى .

ويظهر هذا الاختلاف عند صبْغ تلك الخلايا تحت المجهر .

ان تلوّن نواة الخلية بالصبغ يختلف اختلافا بينا . ومن هذا الاختلاف يُدرَك نوع الجنين .

بقي الحصول على عينة من هذا السائل الامنيوني ، كيف يكون ؟

وللحصول على عينة من هذا السائل طريق محفوف بالمخاطر . فقد ينتج بسبب محاولة ذلك دخول العدوى الى الرحم . وقد ينتج عنه حفز الرحم الى التقبّض فخروج الوليد من الرحم قبل الأوان .

فالى ان توجد الطريقة المأمونة للحصول على عينة من هذا السائل يظل امر معرفة نوع الوليد قبل الولادة ممكنا ، ولكن من دون ذلك اخطار .

خلايا الذكور وخلايا الاناث بها فروق عجيبة

ولقد نزيد فنقول اتماما للفائدة ان العلم كشف عن فروق بين خلايا تاتي من الذكور عامة ، واخرى تاتي من الاناث ، لا في الرحم وحده ، ولكن كذلك في الوليد بعد خروجه من الرحم واجراء الحياة .

صبغوا بعض الخلايا ، ولكل خلية نواة ، ولكل نواة صورة من بعد الصبغ . ووجدوا فروقا بين الصور الصبغية لنوايا هذه الخلايا . وبالبحث والاستقصاء كشفوا ان سبب ذلك : ان بعضها جاء من ذكور ، وبعضها الآخر جاء من اناث .

وجاءوا بخلايا من ذكور واناث ، واخفوها على القائمين بالصبغ تحت المجهر . وصنّف القائمون بالصبغ هذه الخلايا ، بناء على الصور التي وجدوها للنوايات ، فوجدوها صنفين . وروجعت أصول هذه الخلايا، ووجد المراجعون أن التصنيف صحيح لا شك فيه .

وهذا كشف، لو تأملناه خطير .

فروق ما بين الاناث والذكور ، اصيلة .

جائزة نوبل للسلام

● ان منح جائزة نوبل للسلام الى المستر (البرت لوثولى) جاء فى وقت اخذ فيه رجل السلام يناهض مبدأ عدم اللجوء الى العنف ـ ذلك المبدأ الذى استند اليه فى زعامته للمؤتمر الوطنى الافريقى ، ومن اجله منح هذه الجائزة العالمية . والواقع ان أى مجتمع يعتمد فى وجوده على العنف والبطش والاكراه يصعب عليه أن يقنع ضحاياه بالاستمرار فى ايمانهم بجدوى الدفاع عن انفسهم بالوسائل السلمية .

ومنح هذه الجائزة الى المستر لوثولى يعيد الى الذاكرة قصة كارل فون اوسيتزكي الذي استمر يؤمن بالمقاومة السلبية ـ كلوثولى ـ الى يوم وفاته فى معسكر اعتقال نازى . ومن أجل هذا منح هذه الجائزة . لقد تحطمت النازية فى النهاية بواسطة العنف الذى اثارته هى نفسها .

ونحن نرجو ان تستطيع قوى الخير والعقل ـ التى يمثلها المستر لوثولى احسن تمثيل ـ أن تتفادى كارثة مشابهة فى جنوب افريقيا .

جريدة « الاوبزرفر » ـ لندن

الأفلام ذات الرائحة

● لا نريد من جانبنا ان نقلل من حماسة اولئك الذين يهدفون الى الواقعية فى اعمالهم، ولكن رأسنا تلف وتدور من الطريقة التى سلكها رجال صناعة السينما ، منذ عهد الافلام الصامتة الاولى ، محاولين تخطى العقبات الكأداء للوصول الى هذا الهدف : فبعد ان ادخل الصوت على البصر بدأ البحث عن مؤثرات الابعاد الثلاثة . وفى اوائل هذا العام اضيفت حاسة اللمس ، وذلك عن طريق صدمات كهربائية يتم ايصالها للمتفرجين بواسطة مقاعد السينما فى فيلم اخرج حديثا .

اما الآن وقد ادخلت الروائح الى الافلام فلم تبق الا الحاسة الاخيرة ، الا وهى حاسة الذوق . والذوق هو ما كان ينادى به الكثيرون من النقاد دائما وابدا . وما أحوج رجال السينما الى كثير من الذوق !

جريدة « كريستيان سينس مونيتور » : الولايات المتحدة الامريكية

لِمَ يتظاهرون ؟؟

● عشرات الالوف من الجزائريين يتظاهرون فى شوارع باريس احتجاجا على ما يلاقونه من قمع وتعسف متزايدين . ولا يجر عليهم هذا سوى قمع فوق قمع من قبل السلطات . .

اننا نقول جديا للرأى العام الفرنسى ولبعض المسؤولين فى حكومتنا ممن لا يؤمنون بسياسة العنف ، بانه لو تركت الأمور على حالتها الحاضرة ، فقد يتأخر كثيرا اجراء المفاوضات واحلال السلام ويتصدع بناؤهما ، مع ما يجر ذلك على الموقف السياسى الداخلى فى فرنسا من نتائج لم تكن فى الحسبان . وعلى الذين يعتقدون اليوم بضرورة السلام ـ حتى ولو كانوا بالأمس من دعاة الحرب ـ ان يعلموا بأن اضطهاد الجزائريين فى فرنسا قد بات تصرفا أحمق ، يعرقل بل يشل ما يعتبر من صميم سياسة الدولة الرسمية .

ان اولئك المتظاهرين ليسوا فى الواقع سوى الذين تدعو الدولة الى واجب التفاهم معهم . ومن جهتنا نحن ، فاننا نعتقد بأن وجودهم فى فرنسا سيكون فى المستقبل ضمانة لبقاء القسم الأكبر من السكان الأوروبيين فى الجزائر . ومن الخير لمستقبل البلدين ان يعمل فى فرنسا جزائريون كما يعمل فى الجزائر فرنسيون .

وسينبرى البعض للقول : ولكن ، ليس على الجزائريين الا ان يبداوا : فاذا ارادوا ان يعاملوا بالحسنى ، فليكفوا عن الارهاب والتخريب !!

واننا لنجيبهم : بأن فئة تجابَه بالشدة والضراوة اللتين يلقاهما الجزائريون فى فرنسا لن تكون بحال من الأحوال هى البادئة بالهدنة ! .

جريدة ـ فرانس اوبسرفاتور ـ باريس

اعتقاد خاطىء

● ان من الفروض السائدة بين بعض العلماء أن من غير الممكن ان تفهم شيئا عن العلم ما لم تلج فيه ، وهذا قول يشبه الى حد كبير القول بانه من غير الممكن ان تعرف شيئا عن الحوت ما لم تكن النبي يونس ، والحقيقة انك تستطيع ان تدرك ماهية الحيتان دون ان تبتلعك .

الدوس هسلي
فى جريدة «اصنداى تايمس»

موضة الابراج تنتشر

● تنوى ادارة البريد فى لندن بناء دار لها جديدة ، تقيم فيها برجا طويلا يبلغ ٥٦٣ قدما أى نحوا من ١٧٠ مترا. وستجعل فيه ، عند ارتفاع ٥٠٠ قدم ، مطعما عاما ، يشهد فيه الناس معالم المدينة .

دواء يشفى الذبحة ، ولكن يشيب الشعر

● انه عقار اكتشفوه ، يرمزون اليه بالاحرف .Mer/29 ، واسمه Triparanol وما علينا من هذا . المهم ان هذا . العقار يعوق الجسم عن تكوين المادة التى اسمها كول ستيرول Cholesterol والتى اشتهرت فى هذه السنين الاخيرة بانها سبب الذبحة الصدرية ، اذ تترسب بداخل الشريان التاجى الذى يغذى القلب بالدم ، فيضيق الشريان أو ينسد . فتحدث الذبحة الصدرية التى يموت منها الناس بتوقف القلب .

وهذا الكول ستيرول يوجد طبيعيا فى الدم .

وقد جربوا هذا العقار فوجدوا انه يهبط بمقدار الكول ستيرول فى الدم حقا ، وان الذبحة الصدرية تتزايل حقا تحت تأثير هذا العقار .

ولكن كيف يفعل العقار لبلوغ هذه النتيجة ؟

لا يعرف ذلك الى الآن احد . هل هو يصل الى نتيجته هذه بتوسيع الشريان الذى ضاق ؟ هل هو ينزل بمقدار الكول ستيرول الذى سد الشريان المصاب ؟

وشىء عجيب آخر : كان من اثر هذا العقار فى بعض الناس انه يبيض شعورهم .

جهاز جديد
يسجل الأنفاس والنبضات في جسم الانسان

● انه جهاز يعلق باذن المريض ، عندما يشتد عليه المرض ، او يكون فى اثناء جراحة تجرى له . وهو يسجل عدد الانفاس فى الدقيقة ، وعدد نبضات القلب ، وضغط الدم . فاذا زاد شىء من ذلك عن الحد ، او نقص دونه ، دق جرس للانذار فى الجهاز ، فتنبه الطبيب او من يقوم على المريض من الممرضات .

والجهاز الكترونى ، وبه خلية ضوئية كهربائية .

ينزعون العضو من

● هذا ما جرى فى معهد الجروح وتقويم الاعضاء فى موسكو . جاء الاستاذ لابتشنسكى بكلبة ، اجرى لها عملية ، كسر فيها رجلها الخلفية فى الاوسط ، فانكسر العظم وانفتح الجلد ، تماما كما يحدث فى حوادث الطريق .

وهو بعد ذلك بساعتين اجرى عملية اعادة الرجل الى ما كانت عليه قبل الكسر . وعادت الرجل الى ما كانت عليه تماما .

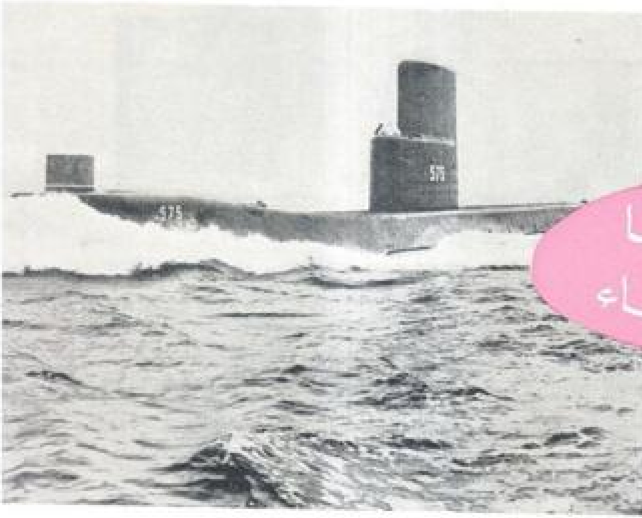

٦٠ يوماً تحت الماء

● قصة الغواصات قصة بدات منذ نحو ٣٤٠ عاما ، حين صنع رجل هولندى اول غواصة ، هو سيرها فى نهر التاميز بانجلترا على بعد ١٢ الى ١٥ قدما تحت سطح الماء . اما القوة المحركة لها فكانت من اذرع رجال فيها ، يحركون بها مجاذيف تفعل فى الماء كالعادة ، ولكنها تخرج من ثقوب من جوانب الغواصة يمنع الماء عندها من الدخول جيوب" من الجلد محكمة . كان هذا عام ١٦٢٠ م .

وتوالت محاولات شتى لصنع الغواصات ، كثير منها لم يفلح . حتى تقدمت المحركات وابتدع الطربيد ، وتبين نفع الغواصات فى الحرب . ان رغبة الانسان فى الدمار ، او ان شئت فى الدفاع عن ان يدمره الغير" ، تحفزه دائما الى بذل جهود لا يبذلها فى اهداف الحياة السلمية . وهكذا كان شأنه فى ابتداع الغواصات وتحسينها . ومن آخر ما ابتدع الانسان تلك الغواصة التى تراها فى الصورة ، ومحركها ذرى ، وقامت بتجربة فظلت تجوب البحار وهى تحت الماء ستين يوما ، قطعت فيها ٤٥٠٠١ ميل بحرى ، لم تظهر على وجه الماء فيها مرة واحدة .

والميل البحرى عبارة عن ٢٠٢٧ ياردة ، بينما الميل الارضى ١٧٦٠ ياردة .

وهذه الغواصة امريكية . والروس يدعون ان عندهم اسطول من الغواصات كبير ، تمتاز وحداته بالسرعة ، وتستطيع ان تتحكم فى منافذ المرور فى البحار .

...جسم ثم يثبتونه !

وحفزه هذا النجاح الى اجراء عملية فى كلب ، لا بكسر رجله هذه المرة ، ولكن بنزع عضو من اعضائه . وكان مما نزع ، كلية الكلب . وحفظ الكلية المنزوعة فى جهاز خاص مدة ٢٤ ساعة . ثم اعاد الكلية الى صاحبها . ونجحت العملية ، وعادت الكلية تعمل عملها فى جسم الكلب حتى كأنها لم تخرج قط من جسمها ثم تعود .

نيازك ام قنابل

● دل الاحصاء على ان النيازك الكبيرة تهبط من السماء على الارض نحو مرة كل سبع سنوات ونصف ، وانها تزن اطنانا . وهى تتراءى فى السماء كما تتراءى القنابل التى تحملها الصواريخ عبر القارات . تتراءى هكذا او شبيها من هذا ، للقائمين على الرادار يشيرون به الهواء بحثا عن الصواريخ وما تحمل ، سواء كان فى الولايات المتحدة او روسيا .

والخشية ان يشتبه الامر على هؤلاء القائمين على الرادار ، لهذا صدرت الاوامر خصيصا لهم بان يتحققوا من ان عابر السماء راس حرب ذرى حقا ، وليس نيزكا .

أنباء الطب والعلم والاختراع

كلما شاخ المرء ، زاد تعثره وسقوطه

● وبحثوا في أسباب ذلك ، فوجدوا أن الخلايا التي هي في المخيخ ، تلك التي تحكم اتزان الجسم، تصغر وتضمر كلما زاد الانسان عمرا . ومن هذا يقل تحكمه بجسمه ، فيتعدد سقوطه .

والسقوط ، والجسم شيخ هش ، يحدث في الجسم ارتضاضا وتكسرا كثيرا ما يفضي الى الموت .

وقد عدوا السقوط ثالث أسباب الموت في الشيخوخة ، يجيء بعد السرطان وامراض القلب .

فاذا رأيت شيخا يحمل عكازا ، فاعلم انه به انما يحاذر ان يسقط .

قال البحتري يرثي حالٌ أهله وقومه وعشيرته :

واري شُمَيْلا للفناء وبارعا	يتأوَّدان ومن يَعثُر يَكبُر
ركبا القنا من بعد ما حملا القنا	في جحفل متكاثر في جحفل

هل لأرضنا هذه توابع غير قمرنا المعروف ؟

● يقول الدكتور كوردبلفسكي ، بمرصد كراكاو ، نعم للارض غير القمر المعروف تابعان اثنان .. قمران آخران .

وهما ليسا من صخر وحجر كقمرنا المعروف . ليسا من مادة جامدة ، ولكن كرتان من غاز وتراب . ولهما نفس فلك القمر ، ويدوران معه حول الأرض .

والظن ان هذا التراب الذى امتزج بالغاز فكونهما ، تراب من دقائق نيازك غاية في الصغر .. ولقد أمضى الدكتور البولوني عشر سنوات في البحث عنهما ، بمنظاره ، ولم يهتد الى تصويرهما الا في الأشهر الاولى في عام ١٩٦١ ، وذلك في ٦ مارس وفي ٦ أبريل .. وقد مضت تلك القرون المتطاولة ولم يدرك الناس وجودهما . كان لا بد بالطبع من التلسكوب . ولكن حتى مع التلسكوبات العظيمة تعذر الاهتداء اليهما ، دعك من تصويرهما .

والسبب في ذلك ضعف النور الذى ينعكس منهما . ويزيد في عجز الانسان عن ادراك النور القليل المنعكس منهما ضوء الشمس بالنهار ، ونور النجوم بالليل . والقمر نفسه يغطي على نورهما . انها أوضاع قليلة جدا تتخذها أمثال هذه الاجرام بالسماء يستطيع معها الناظر ، على الأرض ، أن يراها . أوضاع نادرة جدا .

ومن هذه الأوضاع ما وقع للدكتور المذكور حين صور هذين التابعين ، وهما ، على ضعف نورهما ، اقوى ما يكونان ظهورا واستبانة .

هكذا يصنع الروس الذهب

● ان كثيرا من الاخبار تشير الى احتمال ان الروس يعملون لهذه الغاية ، وذلك بتحويل المعادن الثقيلة الى ذهب .

ومما يرجح احتمال هذا الأمر ان الروس عندهم معهد يعرف بمعهد تخليق المعادن الثقيلة .

والكيماويون حولوا الكثير من العناصر الى غيرها . والماس من العناصر التى لها قيمة كبرى . وهو كربون . هو فحم خالص . وترتُّبُ ذراته بشكل خاص أعطاه ذلك

ريش النعام .. سيد الرياش !

● الطير يصنع ريشه لنفسه ، للدفء والحركة . ثم يأتي الانسان يأخذه منه استلابا .. والانسان يستخدم ريش الدجاج ، والرخيص السائر من الطير ، بعد تعقيمه ، في حشو الوسادات .

اما ريش النعام ، سيد الرياش ، فيستخدمه الانسان للزينة .. وفي دولة جنوب افريقيا مَرابٍ للنعام ، يتخذون منها الريش تجارة .. واكبر مركز لتربية النعام يوجد هناك في مدينة اودشون ، وبها ما بين ٣٠ الى ٤٠ الفا من النعام .. وفي الصورة يحصدون الريش من نعامة . وهو حصيد يتجدد كل ٩ اشهر ..

البريق وتلك الشفافية وقوة تكسير الضوء وخروجه بعد تكسير ملتمعا .

فهل ينجح الروس في خلق ذهب من معدن ثقيل آخر ، كما افلح الكيماويون في تخليق الماس ؟

ان العنصر الثقيل المقصود بالتحويل هنا هو معدن التنجستون . وهو يستخدم في صنع اسلاك المصابيح الكهربائية ، تلك التي توجد في زجاجات تلك المصابيح ، ويمر بها التيار فتتوهج وتنير .

والمعروف انه بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٤٠ قام عالمان فرنسيان بتحويل التنجستون ، وهو متحد مع العنصر المسمى بورون(اى مركب من التنجستون وعنصر البروم) حولاهما الى ذهب . وانت لو جمعت ما في العنصرين ، التنجستون والبورون ، من دقائق في نواتهما ، نوات ذراتهما ، لحصلت على نفس العدد من ذلك الذى يوجد في نواة ذرة الذهب .

وهما حصلا على ذلك برفع درجة ترمومتر التنجستون الى درجة من الحرارة عالية جدا ، ثم امراه بخليط الذرات العادية الناتجة كهرباء .

والذى حصلا عليه من الذهب شيء قليل جدا لا يرى الا بالمجهر . ولكنه ذهب لا شك فيه .

كان هذا منذ ٢٠ سنة . وطرا على هذا الفن في هذه الحقبة من الزمان تقدم جعل امر هذا التحويل اكثر امكانا ، واكثر محصولا .

ولكن ...

دون ذلك عقبات . ذلك ان التنجستون والبورون من المعادن الغالية الثمن . والتجارب القائمة لا يمكن ان تكون ذات ثمرة الا بعد سنوات . والثمرة معناها ان حصيلة العملية تزيد على نفقاتها .

ويقال ان هدف الروس من ذلك ان يبطلوا قيمة ما في خزائن الأمم من ذهب . ويرد على هذا بأن الذهب معيار للقيم . وهو ليس بالمعيار الحق . انه اصطلاح . والناس تستطيع ان تغير اصطلاحاتها .

أنباء الطب والعلم والاختراع

احزمة تقي سائق السيارة شر الصدمات

● ان اصطدام السيارات كثيرا ما يصيب السائقين والركاب بجروح بالغة ورضات وكسور كثيرا ما تؤدى الى الموت . ان السيارة عند الاصطدام تقف فجاة . تنعدم سرعتها ، ولكن لا تنعدم سرعة السائق ولا الراكب . والنتيجة انهما يحملان عن مقاعدهما حملا ، وتتقدم الراس فتتكسر الجمجمة باصطدامها بزجاج السيارة او حديدها.

وقد ابتدعت مصانع السيارات احزمة تربط السائق والراكب الى نقاط فى السيارة ثابتة ، تبقيه ما امكن حيث هو من مقعده ، فلا تتشجب له جمجمة ولا ينكسر ضلع .

والسائق أحوج لهذه الأحزمة من الراكب ، لانه اكثر تعرضا للخطر . وكذا الراكب الذى الى جانبه. والراكب فى المقعد الخلفى اقل تعرضا للخطر من الاثنين . وهذه الأحزمة تحتمل شد ٦٠٠٠ رطل .

لا بد من نور كاف

● الشمس نعمة كبرى . هى الحياة ، واصل الحركة ، وام النور الاكبر . ولكنها مع الأسف تغيب عنا نصف الحياة . ونحن نستغل الظلام الذى يحدث بغيابها فى النوم ولكنا لا ننام نصف الحياة . اننا ننام فى العادة ثلث اليوم ، اى فى المتوسط ثلثي الليل . ويبقى ثلث الليل ننفقه فى العمل ، فى غيبة الشمس ، وعلى ما نصنع من نور .

ولا يمكننا ان نستعيض عن ضوء الشمس الا بضياء مثله . انها الشموع قديما ، وانها مصابيح الزيت جاءت من بعد ذلك . وهى اليوم ، فى كل أمة نالت من المدنية حظا ، الكهرباء .

والحجرة يكون فى اوسطها ، عند السقف عادة مصباح . فهذا للنور العام فى الحجرة . ولكنه لا يكفي قاعدا قارئا ، او جالسا الى مكتب او مائدة كاتبا او راسما ، او معالجا شيئا ان كان الشخص من هواة الهندسة واحباب المكنات .

لا بد لهؤلاء من نور كاف .

ويقدرون لهذا المصباح الذى يكفي نوره قوة مائة وط ، ان كان من تلك المصابيح الى تقعد على مائدة او مكتب .

ويقدرون لهذا المصباح ١٥٠ وطا ان كان من المصابيح التى يحملها عمود تستقر قاعدته على الأرض ، وينقل من مكان الى مكان .

ان الاقتصاد فى النور خطأ كبير .

تذكر دائما ان النور ارخص من بصر العين .

طبيب الأسرة

اضطراب قلب

● قلبي سليم لا شك فيـه ، ولكني عندما أثور ، أو أفاجأ بشيء باغت ، أو يصيبني خوف شديد طارىء ، احس بأن قلبي قـد اضطرب واختل نظامه .

ـ لا خشية عليك من هذا الاضطراب الطارىء عند الاهتياج . ولطمأنينتك اقول ان القلب لـه جهاز عصبي مختص به وحده ، وهو يضـبط حركاته في الصحة والمرض على السواء . والقلب يدق بسبب حافز يأتيه من موضع معين في النسيج العصبي . وهذا الحافز يضبط ضربات القلب حتى تكون في المتوسط ٧٢ ضربة في الدقيقة .

ولكن يحدث كل حين وحين أن موضعا آخـر في العضلة القلبية ، يبدأ حافزا يحمل القلب على ان يضرب ضربة جديدة فيحس صاحب القلب بأن القلب فوّت ضربة ، او لعله زاد ضربة ، او لعلها ضربة سبقت موعدها .

فهذا هو الذى تحسينه فيما تصفين .

وهذه الضربات لا يعلم الطب الى اليوم اسبابها.

ولكن ما دام طبيبك طمأنك على سلامة قلبـك ، فلا تبالي بهذه الضربات .

الشيخوخة

● سمعت أن هناك علمـا يسمى علم الشيخوخة ، فهل هذا صحيح ؟ وفي اى شيء يبحث ؟

ـ اما ان هناك علما يعرف بعلم الشيخوخة فهذا صحيح ، وغرابته انه لا يذكر في العربية اما الغرب فيسميه Gerontology .

اما في أى شيء يبحث ، فهو بالطبع يبحث في

نحيفة الجسم

● انا رفيعة الجسم جـدا ، ويصفني الناس باني عصعوصة . وهذا محرج جدا لى ، فهل هناك طريقة لزيادة جسمي ؟

ـ من الغريب أن نقص الجسم الزائد أيسر من زيادة الجسم الناقص . أعنى ان نقص الوزن كثيرا ما يكون أسهل من زيادته .

كل ما أنصح به أن تزاولي الرياضة والحركات الرياضية التى تحرك الحياة في الجسم فتحـرك أسباب النمو فيه .

كذلك أنصح بالطبع ، بزيادة الطعـام وباللبن خاصة .

اما « العصعصة » فليست كلها شر . ان الرفيع الجسم ، والرفيعة ، لا تصيبهما في الحياة كثير من الامراض التى تصيب السمان .

الشيخوخة . يبحث الظواهر المتصلة بها ، واعراضها ، وأمراضها ، وعلاجها .

وقلت علاج الشيخوخة ، وما عنيت ذلك تماماً، لأن الشيخوخة ظاهرة تتصل بالزمن . وكما انك لا تستطيع أن ترد عجلة الزمن الى الوراء ، فكذلك انت لا تستطيع أن ترد الشيخوخة الى الشباب . ولكن العلم يبحث في تخفيف أعراضها .

وهو يستطيع أن يؤخر ورودها ، ولكن قبل ان ترد بالفعل . ووقت هذه المحاولة يكون والعمر في اوسطه ، ونشاط الحياة في قمته ، وذلك بالتحذير من الغلو والافراط الذى يصحب الصحة الوافرة ، ويحجب نظرَ الموفور الصحة عن عاقبة الغلو والافراط .

وهو يبصر الكهول بحالة الاجسام في الكهولة ، وما يطرأ على الاعضاء من هبوط يجعلها غير قادرة في يومها أن تقوم بما كانت تقوم به في أمسها .

وللشيخوخة أمراض خاصة بها ، فعلم الشيخوخة يدرسها خاصة ، ويبتدع لها الحلول قبل حلولها ، ويتدارك الأزمات .

ولعلم الشيخوخة ايضا صلة بعلم السكان والاسكان ، وبالعلوم الاجتماعية والنفسية .

وقد كان من الممكن ان نوجز في اول الأمر فنقول ان علم الشيخوخة هو علم وظائف الاعضاء ، وعلم الأمراض ، اى علم الطب الانساني، ولكن فيالفترات الأخيرة منأعمار الناس .

وهو بهذا المعنى شائع في كتب الطب العادية شيوع أمراض الأطفال فيها .

هذا يتصل باوائل الأعمار ، وذاك باواخرها .

سر المريض ، هل يُفشَى

● صديق لى ، يرى انالطبيب يجب عليه أن يفشى سر المرض الى المريض ، اذا كان المرض خطرا وقد يؤدى الى الموت ، وانا ارى ان افشاء حالة المريض في هذه الحال خطأ كبير ، بل قوة قد تؤدي بالمريض الى الموت السريع فماذا ترون في ذلك ؟

ـ في هذه المسائل يتوقف الأمر علىظروف كثيرة، فالمريض قد يكون في وضع لو علم فيه انه راحل لأدى واجبات تعين الأسرة من بعده على احتمال غيابه وذهابه من بينهم . والاخفاء في هذه الحالة ضرر محقق اذا كان الموت محققا حتما . كحالة السرطانات لا سيما الباطنة .

ومع هذا فالشفاء عادة يتوقف على عدة أشياء ، منها صدق تشخيص المرض ، ومنها فعل الدواء في الجسم ، ومنها استعداد الجسم للنهوض من الكبوة ، ومنها الحالة النفسية للمريض .

وافشاء سر المرض الخطر قد يذهب بقدرة المريض على المقاومة ، وفي الاستسلام واليأس تتدهور نفسية المريض ، وهذا يعجل بالنهاية السيئة ، في حين أن كثيرا من الامراض الخطرة يرجى دائما فيها نسبة معينة للشفاء .

فالمسألة كما تراها مسالة ليست يسيرة ،والحكم فيها لا يخلو من عثرات .

فان كان لا بد من حكم فكتمان السرّ أولى .

على أن الرجل المثقف يدرك دائما درجة احتمال الشفاء اذا أخبره الطبيب بدائه .

زيت كبد الحوت

● نصحني الطبيب بأن اعطى ابنتي زيت كبد السمك ليقويها . واذكر ما عانيت من هذا الزيت في صغرى ، فتأخذني الرحمة بابنتي ان تعاني في صغرها مثل تجربتي . وعلى كل حال ما قيمة هذا الزيت حتى يتحمل الانسان مذاقه الكريه ؟

ـ ان الزيت الذى تعنين هو زيت مأخوذ من كبد السمك المعروف بالقدّ ، واسمه بالانجليزية Cod وهو يجفف ويرسل الى الشرق الاوسط مفتوحا مجففا ، ثم هو ينقع في الماء ، ثم يغلى بالماء لينضج .

وقد عرف في بعض بلاد الوطن العربي بسمك « البكلا » .

اما قيمته فاكثرها في انه به نسبة كبيرة من الفيتامين المرموز اليه بحرف « ا » .

ولا بأس على ابنتك منه ، ذلك ان الصيادلة عندهم اليوم مستحضرات لها نفس الفائدة التي بهذا الزيت ، وليس لها طعمه الكريه .

فعليك بها .

تشقق الشفة

● شفتاى تتشققان . وقد عالجتهما بتعاطى الكثير من فيتامين جـ C ، وبدهنهما بالمراهم ، حتى وبتركهما بدون استخدام احمر الشفاه . وكل هذا بلا فائدة . فهل عندكم راى ؟

— ان تشقق الشفاه سببه التعرض للشمس والبرد والريح ، وكل هذه تزيل الرطوبة التى بالشفاه ، فاذا جفت وتحركت ، تشققت .

وعلاج ذلك يكون بدهن الشفتين باللانولين او البارافين الطرى ، وكلاهما عند الصيدلى . وبشفيان عادة بعد أيام .

اما فيتامين جـ الذى تتعاطينه فما علمنا بعد ان له آثرا فى علاج تشقق الشفاه .

دمامل تذهب وتعود

● انى مصاب بالدمامل، تخرج فى أنحاء جسمى ، وتعالج ، وتشفى بصعوبة ، ثم هى تعود . فما اسباب هذه الدمامل وما علاجها؟

— الذى تشكو منه على ما يظهر من وصفك المنفصل هو « الداء الدملى » . والدمامل التى تخرج فى جسمك مصدرها بكتير يعرف بالاستافيلوكوكس Staphylococus .

او بالبذور العثبية ، ويحمله التراب الى الاجسام، فيلصق بالغشيةالجسمويتمو عليها فيصبح مرضا. ومن آثاره تكوين مقادير كثيرة من المدة تظهر على صورة دمامل .

وقد استخدمت فى معالجة هذا الداء المبيدات الحيوية ، ولا سيما البنسلين . ولكن اظهرت الخبرة ان لهذا البكتير مقاومة ازدادت على السنين. واخذ البنسلين يضعف علاجا .

وحاول الكيماويون اصلاح الحال بتغيير تركيب جزىء البنسلين ، بحيث يبقى من التركيب الأصل ، وتتغير فروعه .

وبدلوا هذه الفروع ، واحلوا بها مجموعات من الذرات غير التى كانت ، فعادت الى البنسلين الطارىء قوته .

وهذا البنسلين الجديد دخل دور التجريب والاختبار .

بقى سؤال علمى صرف : كيف استطاع هذا البكتير أن يقاوم المبيد الحيوى؟ ؟

انه لا يقاومه بالضرب أو الصفع او تسديد اللكمات .

انه يقاوم فعلا كيماويا مبيدا بفعل كيماوى مبيد . ان البكتير يصنع مادة تسمى محللة البنسلين Penicillenase ، وهى تحلل البنسلين وتتلفه .

هكذا الطبيعة كرّ وفرّ .

وهى تصنع ، أو تصنع لأحيائها الاصغر الأدق ، عندما ينذرها الموت والتهلكة ، من المواد الدافعة ما لا يستطيع الانسان ان يصنعه هكذا سريعا .

ولا احسب أن البكتير يصنع هذا الدفاع وهو يفهم . ولكن وراء البكتير ، يكمن فى خفاء ، ما يفهم او من يفهم .

أمور دقت عن الفكر لا سبيل الا التسليم بها .

الكحول ومقاومة الجسم

● من الناس من ينصح عند الاصابة بالبرد بشرب جرعات كبيرة من الأشربة الكحولية كالويسكى والكنياك . ويوجد آخرون يحذرون من شربها زاعمين انها تقلل مقاومة الجسم . فاى الرايين الصحيح ؟

— المفهوم عموما أن الاشربة الكحولية تضعف مقاومة الجسم عند العدوى اذا ما داوم الشارب على شربها . وكذلك ليس من الثابت أن جرعات من الأشربة الكحولية التى ذكرت ، ومن امثالها تمنع من عدوى الانفلونزة او تعمل على شفائها اذا هى وقعت .

ولكن من المسلم به انه عند الاصابة بالبرد ، وارتفاع درجة الحرارة ، فان التجاء المريض الى الفراش فى هذه الحالة ثم اعطاءه جرعة قوية من شراب كحولى يعرّقه ، أمرٌ لا شك نافع .

الخدمات البريدية:

١٨ طابعاً

■ للبريد في حياة الناس اهمية لا تنكر ، لأنه يشكل وسيلة هامة من وسائل ترابط البشر في جميع الاقطار ، حتى أصبح وجود بريد منظم في كل بقعة من بقاع العالم شيئاً تمليه ضروريات الحياة واحتياجاتها .

ويرجع تاريخ الخدمات البريدية الى الايام الاولى للامبراطوريات العظمى في الشرق حينما كانت السيطرة على منطقة واسعة تعتمد على تنظيم اتصال سريع ومستمر بجميع ارجاء المنطقة . والمثل على ذلك تلك الخدمات البريدية التي انتشرت في امبراطورية الفرس في عهد خلفاء الملك كورش . كذلك وصلت الخدمات البريدية في عهد الامبراطورية الرومانية الى درجة عالية من الكمال، ولكن هذه الخدمات اختفت وزالت ، كما اختفت الخدمات الادارية الأخرى فترة طويلة من الزمن اثر انهيار الامبراطورية الرومانية الغربية .

البريد عند العرب

ولما فتح العرب بلاد الروم والفرس في صدر الاسلام، واتسعت فتوحاتهم ايام بني امية حتى اوغلوا في اوربا بعد استيلائهم على اندلس واجتازوا جبال البرانز ودخلوا فرنسا حتى

الكويت

جديدًا في عهد الاستقلال

وصلوا نهر الرون ، وامتدت حدود الدولة الاسلامية شرقا حتى بلغت الهند وزادت مساحتها على ضعفي مساحة أوربا وبلغ عدد ولاياتها ٤٨ ولاية ، اقتضى هذا التوسع قيام بريد تنقل بواسطته أخبار الجند وأحوال الولايات المختلفة الى الخليفة .

ولم يكن للبريد في ذلك الوقت نفس المعنى الذى له الآن . اذ كان صاحب البريد أشبه برئيس البوليس السرى ، أو هو بعبارة أخرى عين الخليفة الباصرة وأذنه السامعة،فكان أشبه بقلم المخابرات ، ولهذا لم يكن الخلفاء يولون البريد الا من كان موضع ثقتهم .

كان معاوية بن ابى سفيان أول من استخدم البريد من الخلفاء المسلمين بينه وبين ولاته وكان غرضه سرعة ايصال الأخبار بينه وبين عماله في مصر والعراق وفارس ، وبواسطته تنقل أخبار الجند أو أحوال المال وغير ذلك من أمور الدولة الى الخليفة . واذا قطع العامل أو الوالي البريد عن الخليفة فان ذلك يعنى التمرد أو الانفصال .

في العصر العباسى

ولما جاء العباسيون اعتنوا بالبريد عناية كبيرة . وكان ابو جعفر المنصور يقول : « ما احوجنى ان يكون على بابى اربعة نفر لا يكون على بابى أعف منهم ، وهم اركان الدولة ولا يصلح الملك الا بهم. اما احدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى . والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية » ثم عض المنصور على أصبعه السبابة ثلاث مرات وهو يقول في كل مرة : « آه ! آه ! آه » . قيل : « ماهو يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة » .

وكان اتصال صاحب البريد بالخليفة اتصالا مباشرا ، فلا يطلع أحدا على خبر يجيء به قبل انهائه الى الخليفة الذى له وحده حق اشاعته او كتمانه .

يفرغ البريد الوارد ويرتب حسب قياسات الأظرف ويختم آليا بتاريخ الورود . وهؤلاء موظفون يقومون بترتيب الرسائل تمهيدا لختمها

العرب .. والشفرة !

وكان يحدث أن يلجأ الملوك أو الأمراء الى استعمال ما يعرف اليوم بالشفرة أو اللغز ، حتى ولو كان الكتاب بخط صاحب البريد نفسه ، اذ كان يكره على كتابته بالرغم منه ، على نحو ما فعل أبو مسلم الخراساني لما دعاه المنصور ، وخاف أبو مسلم عاقبة الدعوة فاستخلف ابا نصر مالك ابن الهيثم على عسكره في خراسان وقال له : « اقم حتى يأتيك كتابى ، فان أتاك مختوما بنصف خاتم

فانا ختمته وان اتاك بالخاتم كله فلم اختمه » . وكان ما كان من قتل ابى مسلم . وكتب المنصور الى ابى نصر على لسان ابى مسلم يأمره بان يقدم، وختم الكتاب بخاتم ابى مسلم،فلما رأى الخاتم تاما علم ان ابا مسلم لم يكتبه .

وكان من ضمن واجبات صاحب البريد حفظ الطرق وصيانتها من القطاع والسراق وانسلال الجواسيس ، وكانت ترد اليه كتب اصحاب الثغور وولاة الأطراف ، وهو يوصلها ، ويختار من الطرق اخصرها ومن المراكب اسرعها .

٩٣٠ سكة و ٤ ملايين درهم

كانت طرق البريد تخرج من مركز الخلافة وتتشعب الى اطراف الدولة وتنقسم كل طريق الى محطات فيها افراس أو هجن يستبدل فيها عمال البريد افراسهم او هجنهم باخرى مستريحة التماسا للسرعة ، وكان الغالب فى العرب استخدام الجمال لأن معظم اجزاء بلادهم صحراوية .. والجمل هو سفينة الصحراء .

وقد بلغ عدد سكك البريد فى ابان الدولة العباسية ٩٣٠ سكة كما بلغت نفقات الدواب واثمانها وارزاق رجالها ١٥٩١٠٠ دينار فى السنة وعلى عهد بني أمية كان ينفق على البريد من الخراج ٤ ملايين درهم سنويا اى حوالى ضعفي ما ينفق فى زمن العباسيين .

كانت قافلة البريد تتألف من دابة فأكثر وقد تصل الى خمسين دابة . وتختلف سرعة البريد باختلاف الطرق ونوع المراكب : بين أن تكون ابلا او خيلا . وكانوا يعلقون فى اعناق الدواب جلاجل او سلاسل اذا تحركت سمعت لها قرقعة وكانت البرد ترسل أيضا على السفن فى البحار .

سعاة البريد القدامى

ومن طرق ايصال البريد ارساله مع السعاة ، وهم رجال خفاف تعودوا الجرى والصبر على السير ثلاث مراحل فى مرحلة واحدة.وكان معز الدولة هو اول من أنشأ السعاة . واشتهر فى أيامه ساعيان اسمهما فضل ومرعوش اذ كان الواحد منهما يسير فى اليوم ١٤٠ ميلا .

صندوق كبير لايداع البريد على مختلف انواعه ، ولوحة كتبت عليها قائمة بأسماء المدن التى يتم ارسال البريد اليها ، وآخر موعد لايداع الرسائل التى سترسل فى التاريخ الظاهر على اللوحة

عملية انزال البريد الجوي الوارد برسم الكويت من الطائرة

حمام الزاجل والمناظر

كان العرب أكثر عناية من سواهم بحمام الزاجل الذي يستخدم في نقل الرسائل . وكانت المخابرات متواصلة بين الاسكندرونة وبغداد بواسطة حمام يسمونه حمام حلب . وكانت لحمام الزاجل ابراج في قلعة القاهرة على عهد الأيوبيين . كما كانت بكل مركز في سائر النواحي ابراج لأسراب الحمام الزاجل .

وقد استخدمت المناظر والمنائر التي كانت تبنى على المرتفعات كوسيلة من وسائل المخابرة عن طريق الاشارات ، وذلك باطلاق الدخان نهارا أو اشعال النار ليلا فينتقل الخبر من منظرة الى منظرة حتى يبلغ المكان المطلوب في وقت قصير . وقد استخدم الحجاج بن يوسف المناظر ، وأقامها بينه وبين قزوين . اما في أيام الحصار وانقطاع السبل فكانت الرسائل تكتب على السهام وترمى الى المكان المراد ارسال الخبر اليه .

وكان البريد يوضع في خرائط ، وهي اجربة او أكياس من جلد وتختم بختم المرسل وتحمل الى المرسل اليه فيفض ختمها بيده او بيد من يتولى ذلك عنه .

البريد في اوروبا

كانت الجامعات ونقابات التجار هي التي تنشىء الخدمات البريدية وتتحمل اعباءها في العصور المتوسطة . وبرزت المراسلات الخاصة في عهد النهضة . ويمكن أن يعزى انتشار التراسل والخدمات البريدية الى ثلاثة بواعث متميزة هي : الرغبة في ضمان رقابة رسمية خاصة على البريد الدولي ، والبحث عن موارد اضافية للدخل ، وأخيرا الرغبة في تقديم خدمة بريدية فعالة .

وفي عام ١٥٩١ أصدرت الملكة اليصابات الأولى بلاغا جاء فيه : يمنع نقل الرسائل من « البلدان الواقعة فيما وراء البحار » الا بواسطة رسل مفوضين رسميا من قبل مدير البريد . وكان هذا التدبير مقصودا به القضاء على مكاتب البريد الخاصة التي كان يديرها التجار الأجانب في مدينة لندن وقد وسع جيمس الاول هذا المنع عام ١٦٠٩

توزن اكياس البريد الصادر والوارد بدقة للتحقق من صحة الوزن المثبت على البطاقة المرفقة بالبريد الوارد ولارفاق بطاقة بوزن البريد الصادر

جانب من صناديق البريد الخاصة في مكتب ساحة الصفاة ويبلغ مجموع صناديق البريد في الكويت اربعة الاف صندوق

اربعة عشر طابعا من مختلف الفئات
مسؤولية البريد كاملة في أول فبراير

بحيث شمل البريد الداخلي وكان الباعث على ذلك هو العمل على زيادة الايرادات العامة للدولة .

اتحاد البريد العالمي

اتخذت الولايات المتحدة الأميركية الخطوة الأولى نحو اصلاح البريد الدولى ، اذ اقترحت عام ١٨٠٢ عقد مؤتمر ينظر فى تحسين وتبسيط العلاقات البريدية الدولية . وقد عقد ذلك المؤتمر فى باريس سنة ١٨٦٢ وأقر قانونا من ٣١ مادة قصد منها ان تكون أساسا للاتفاقات الدولية . ولكن لم يطرأ اى تقدم فى هذا الشان بسبب نشوب الحرب الأهلية الأميركية وقيام الحرب بين فرنسا والمانيا . وقام ألمانى يدعى « هنريش فون ستيفان » باعداد مشروع لاتحاد بريدى عالمي يقوم ، من ناحية ، على مقررات المؤتمر الاول ، ومن ناحية أخرى على خبرة ألمانيا ، تلك الخبرة التى اكتسبتها من الاتحاد البريدىالذي سبق ان كونته ، وكان يضم بروسيا والنمسا وجميع الولايات الالمانية الأخرى .

وبايعاز من المانيا دعت سويسرا الى عقد مؤتمر فى مدينة برن للنظر فى اقتراح تكوين اتحاد بريدى عام . وقد حضرت مؤتمر برن الذى انعقد فى شهر سبتمبر ١٨٧٤ اثنتان وعشرون دولة تضم ممثلين عن جميع دول اوروبا والولايات المتحدة ومصر . وكانت نتيجة ذلك المؤتمر ان انبثق اول ميثاق بريدى عالمي بقي منذ ١٨٧٥ ــ مع بعض التعديلات الطفيفة ــ الأساس للخدمة البريدية العالمية .

الكويت تصبح « عصبة أمم » !

وتبرز أهمية البريد فى الكويت بصفة خاصة ، نظرا لموقعها الجغرافى . فهى تقع فى الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربى ، فى شبه عزلة ، لأن الصحارى الشاسعة تفصلها عن جاراتها. كما ان سكان الكويت قسمان : الكويتيون ، وهم يشكلوننصف السكان ، وعددهمحوالى مائة وستين الفا . وغير الكويتيين وهم يشكلون النصف الآخر . وقد وفد هذا العدد الضخم من غير الكويتيين الى هذه الدولة من كل حدب وصوب ، على موجات كبيرة متلاحقة ، خلال السنوات العشر الماضية على اثر اكتشاف النفط وتدفق الثروة .. وهؤلاء الوافدون تربطهم ببلادهم واهلهم الذين خلفوهم وراءهم فيها روابط قربى ونسب ، ومصاهرة وصداقة ، ولا سبيل الى الترابط بين هؤلاء واولئك ومعرفة أحوالهم الا بالتراسل .

وكان لا بد من قيام مراسلات تجارية مع كافة اقطار العالم نتيجة للازدهار والانتعاش الاقتصادى ونمو التجارة طفرة واحدة لجلب البضائع على اختلاف أنواعها وأشكالها الى هذه الامارة من شتى انحاء العالم .. ومن هنا برزت أهمية البريد فى الكويت .

اصدرتها الكويت حينما تسلمت
١٩٥٩ وهى بالعملة القديمة الهندية .

مسؤولية البريد

ومن المعروف ان الخدمات البريدية فى أى بلد من البلدان تقوم بها وتكون مسئولة عنها ادارة بريد معترف بها دوليا.وقد مرت مسئولية هذه الخدمات فى الكويت بمراحل عديدة وأسندتها حكومة الكويت الى السلطة البريطانية فى الهند ثم فى الخليج العربى .

ثم تولت الكويت مسئوليتها كاملة

وقد تسلمت الكويت مسؤولية الخدمات

● البريد فى الكويت

البريدية الداخلية اعتبارا من اول شباط (فبراير) ١٩٥٨ وفى الأول من شباط (فبراير) فى العام التالى (١٩٥٩) تسلمت مسؤولية الخدمات البريدية الخارجية وأصبحت مسؤولة دوليا عن كافة الخدمات البريدية وانضمت الى عضوية اتحاد البريد العالمى اعتبارا من ١٦ شباط ١٩٦٠. كما انضمت الى عضوية الاتحاد البريدى العربى اعتبارا من ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٦١ . وقد اصدرت الكويت طوابع خاصة بها تتألف الآن من (١٨) طابعا من مختلف الفئات بالعملة الكويتية الجديدة .

ولما كانت حكومة الكويت تؤمن بالتخصص لضمان حسن سير ادارتها فقد اوفدت فى عام ١٩٥٧ ثلاثة شبان الى انجلترا للتخصص فى أعمال البريد ... وكان رائد الحكومة من ذلك تحقيق اهداف رئيسية ثلاثة هى : الاتقان والسرعة والامانة فى العمل ، متوخية من ذلك خدمة الجمهور وتسهيل أعماله البريدية .

كما قامت الحكومة ببناء دار خاصة للبريد على الطراز الحديث وضاعفت عدد الموظفين من خمسين موظفا عام ١٩٥٧ الى سبعة اضعاف عددهم فى هذا العام . وكان عدد مكاتب وفروع البريد حتى عام ١٩٥٨ لا يزيد عن الخمسة، اما الآن فقد أصبح فى الكويت اثنا عشر مكتبا وفرعا كما زاد عدد صناديق البريد فى خلال ثلاث سنوات من ١٠٠٠ الى اربعة الاف صندوق .

وعلاوة على هذا وضعت الدائرة صناديق لايداع الرسائل فى المناطق الرئيسية الهامة والبعيدة عن مكاتب البريد . ويجرى جمع الرسائل من هذه الصناديق فى مواعيد مبينة على كل منها . وتتراوح فترات الجمع بين نصف ساعة فى المكاتب الرئيسية وثلاث مرات كل يوم فى مناطق الضواحى .

ارقام تتكلم

ونظرة الى الاحصائيات التالية للمراسلات الصادرة عن الكويت والواردة اليها تجعلنا نلمس مدى أهمية البريد فى هذه الدولة ، والضرورة التى استدعت توسع هذه الدائرة :

بعد أن يتم انزال البريد الوارد من الطائرة تنقله سيارات دائرة البريد الى قسم البريد الوارد ، وهاهي الاكياس تنزل من السيارة وتوضع فوق عربة تدفع باليد الى داخل القسم

البريد الصادر :

انواع الرسائل	المعدل السنوى
مراسلات عادية سطحية	١٠٠٢٦٠
مراسلات عادية جوية	٥٦٨٦٩٨٠
مراسلات مسجلة	٤٧٦٢٢٧
طرود سطحية	٦٤٤٨
طرود جوية	١٠٨٨٤

البريد الوارد :

انواع الرسائل	المعدل السنوى
مراسلات عادية سطحية	٥٤٧٠٤٠
مراسلات عادية جوية	٥١٢١٣٦٠
طرود سطحية	٣٢٩٤٠
طرود جوية	١٩٨٤٨

وعلاوة على ما تقدم فان دائرة البريد تقوم بخدمات التحاويل النقدية على شكل حوالات نقدية أو اذون بريدية الى أكثر بلاد العالم كما تقبل البرقيات فى بعض مكاتب البريد ، وكذلك التأمين على الرسائل والطرود الموجهة الى بعض البلاد .

تحديد الأجور البريدية

يجرى تحديد الأجور البريدية بالنسبة للتكاليف المحلية يضاف اليها ما تدفعه دائرة البريد الى شركات الطيران حسب الوزن والمسافة بين الكويت ومختلف بلدان المورد . وتتوخى الدائرة تغطية ما امكن تغطيته من هذه التكاليف ومع ذلك فهى لا تدخر جهدا فى بحث امكانية تخفيض هذه الأجور

البريد الصادر

تستوف الأجور المقررة على المراسلات العادية الصادرة ؛السطحية منها والجوية؛وتودع فى صناديق ايداع البريد . وتقوم دائرة البريد بجمع المراسلات من جميع هذه الصناديق ثلاث مرات يوميا وتنقلها بسياراتها الى المكتب الرئيسي حيث يجرى ختمها بواسطة مكنة خاصة تختم ١٥٠٠ رسالة فى الدقيقة بخاتم يحمل التاريخ كما يجرى التحقق من صحة الطوابع وقيمتها .

أما المراسلات الصادرة المسجلة فتسلم الى مكتب البريد ويصدر بها وصل ويحفظ بها قيد فى جميع مراحلها .

يقوم مكتب التصدير بتنظيم ارساليات سطحية وجوية تحتوى على المراسلات العادية والمسجلة والطرود الى مختلف بلدان العالم وتساق الارساليات السطحية بموجب جداول خاصة بطريق البحر أو البر الى جهات الارسال بموجب جداول خاصة .

البريد الوارد

يتسلم مكتب الورود ارساليات سطحية صادرة

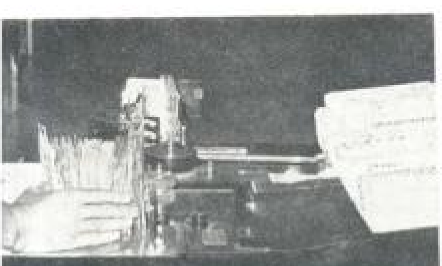

ختم الرسائل بواسطة المكنة التى تختم ١٥٠٠ رسالة فى الدقيقة بخاتم يحمل التاريخ

عن مختلف بلدان العالم برسم الكويت . وترد هذه الارساليات اما برا أو بحرا . كما يقوم المكتب المذكور باستلام ارساليات جوية صادرة برسم الكويت عن مختلف بلدان العالم . وترد هذه الارساليات بواسطة الطائرات . وتجرى عملية استلام جميع هذه الارساليات السطحية والجوية بموجب جداول خاصة . ويعمل هذا المكتب على تصريف جميع المراسلات الواردة وتسليمها الى اصحابها فى أسرع وقت ممكن . وقد تحتوى هذه الارساليات على مراسلات ناقصة الأجرة فيجرى تحصيل الغرامة المفروضة عليها قبل تسليمها الى أصحابها .

اما الطرود الواردة فتحول حال وصولها الى قسم الطرود حيث يجرى تدقيقها وتنظيم جداول خاصة بها ، ومن ثم ترسل اشعارات الى اصحابها ليعملوا على تسلمها بعد اجراء التخليص الجمركى عليها حسب الاصول .

ويجرى فرز البريد الوارد ويختم ظهر الغلافات بختم التاريخ آليا ان كانت تنطبق على الرسائل المواصفات ، والا باليد ، ومن ثم توزع على مناطق سعاة البريد . اما الرسائل التى لاصحابها صناديق بريد فانها تودع فى تلك الصناديق . والرسائل التى ليس لأصحابها صناديق بريد يحملها اليهم الموزعون . ويلاقى هؤلاء الموزعون صعوبات جمة بالنسبة للرسائل التى لا تحمل عنوانا واضحا كاملا .. واذا استحال العثور على الشخص المرسلة اليه الرسالة تعاد الى مرسلها ان كان عنوانه ظاهرا على غلاف الرسالة والا فانها تهمل .

وتحرص دائرة البريد غاية الحرص على خدمة الجمهور والتعاون معه ضمن المصلحة العامة ، ولذلك فهى تقبل الشكاوى وتتخذ جميع الاجراءات لتلافى الاخطاء ، كما انها تقبل كافة الاستعلامات التى تتعلق بمختلف أعمال البريد ، وتتابع هذه الاستعلامات مع الادارات الأخرى فى الخارج بموجب أحكام اتفاقية البريد العالمية حتى تصل الى نتيجة ايجابية .

ثقة واطمئنان

ولا بد من أن أذكر ملاحظة أبداها السيد مدير دائرة البريد ، وهى ضرورة تعاون الجمهور مع

واجهة من الرفوف مقسمة الى « خانات » تحمل أسماء المدن الكبيرة التى ينقل اليها أو عن طريقها البريد الى جهة الارسال ومن ثم يجمع البريد فى كل خانة على شكل رزمة تربط ربطا محكما ..

الدائرة تعاونا وثيقا والتقيد بنصائحها وارشاداتها وثقته بالبريد . وذلك لأن الاحتياطات والاجراءات التى تؤمن ايصال المراسلات الى المرسل اليه سواء أكانت عادية أو مسجلة ، متوفرة . ويقول المدير أيضا ان الجمهور فى البلدان المتقدمة لا يلجأ الى تسجيل الرسائل الا فى حالات استثنائية جدا كما لو احتوت الرسالة على شيك أو حوالة مالية لأن عملية التسجيل من شأنها تأخير تسليم الرسالة وهى علاوة على ذلك تتطلب عمليات مكتبية اضافية تأخذ جزءا من أوقات الموظفين .. الأمر الذى يمكن الاستغناء عنه . ومن يطلع على المراحل التى تمر بها الرسالة يطمئن الى هذا القول كل الاطمئنان .

ان توزيع البريد فى الكويت يتم بسرعة قد تعتبر قياسية . ولدى رسائل وصلت من لبنان ولندن فى خلال ٢٤ ساعة من وقت ايداعها البريد .. وان دل هذا على شىء فانما يدل على السرعة والاخلاص والاتقان فى العمل . ■■

سليم بسيسو

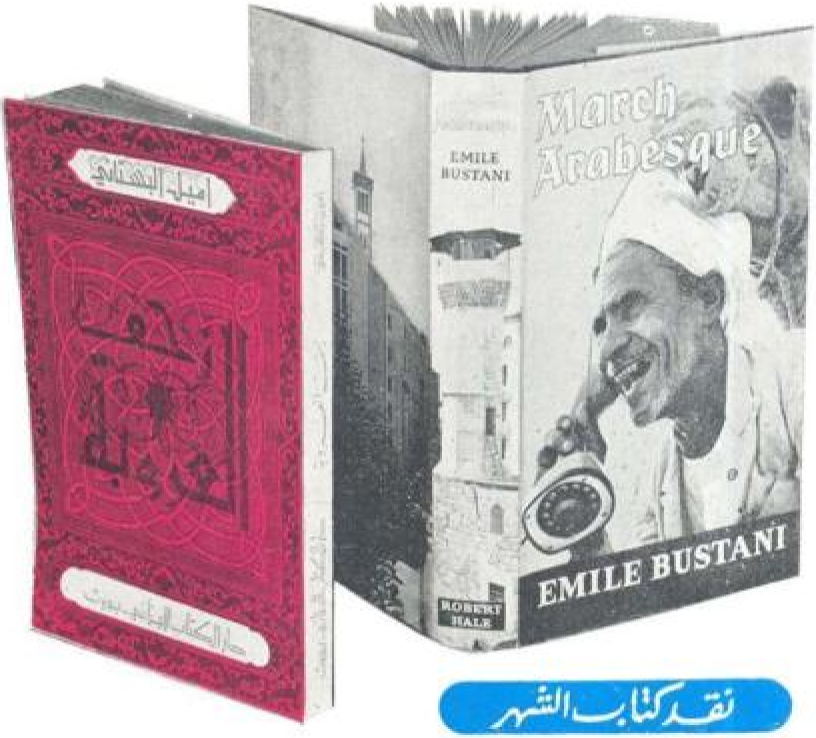

نقد كتاب الشهر

زحف العروبة لأميل البستانى

بقلم : الدكتور محمود السمره

▣ فى عام ١٩٥٧ وفى مكتبة بلندن وقع فى يدى كتاب للسياسى الصهيونى (ابا ايبان) عن العرب والصهاينة ، فدهشت للمودة التى يبديها نحو العرب ، وعن استعداد اليهود دوما للتفاهم معهم ؛ وعن الروابط التاريخيـة التى تربطهـم بهـم . فضحكت لهذه المغالطات ، وانا العربى الذى عاصر الأحداث ، ولكن ترى كم من قراء هـذا الكتـاب الاجانب يستطيع ان يدرك ما فيه من مغالطة ؟ لا شك انهم قلة ، هذا ان وجدوا . ومع هذا يؤلف الكتاب دعاية فعالة للصهيونية ، لأن الكاتب أدرك عقلية من يكتب لهم . وان كان هو وقومه يبيتون فى انفسهم امورا اخرى مغايرة لهذا الادعاء الباطل .

والذى احب ان استخلصه من هذا المثل هو ان من يدعو لقضية لا بد ان يضع فى ذهنه اولا الناس الذين يخاطبهم ويريد ان يقنعهم بوجهة نظره ، ولا تكفى عدالة القضية وحدها لاستمالة الأنصار .

ويبدو لي ان الاستاذ اميل البستانى فى كتابه الجديد هـذا ، الذى صـدر بالأنجليزية أولاً ثم بالعربية ، يقف الموقف نفسه : أنه يدعو لقضية يؤمن بها ، ويريد من الغرب (انجلترا ثم أمريكا) أن يدركها ، حتى يقوم بين العالم العربى والغرب تقارب يرى فيه الاستاذ البستانى نفعا للطرفين . ترى اى طريق سلك المؤلف ،

وهل نجح في عرضه لوجهة النظر العربية؟ هذا هو ما سنبينه .

والاستاذ البستاني غني عن التعريف : فهو اقتصادي كبير تنتشر فروع شركته في كل ارجاء الوطن العربي وتتجاوزها ، وهو سياسي نشيط ، وهو مؤخرا مؤلف داعية لما يؤمن به ، بعد ان كان قبلا يكتفي بالمحاضرات . وهو بعد هذا ، في رأيي جريء وصريح ، يرفع صوته عاليا بما يؤمن . والآراء في مؤلف هذا الكتاب متضاربة اشد التضارب ، وانا أوثر ان يكون موقفي منه موقف من قال : « احكموا على ما قيل لا على من قال » .

والكتاب في ثلاثة اقسام : العرب بالأمس . والعرب اليوم . والعرب غدا . وسأتناوله بالترتيب الذي أراده المؤلف ، واقفا عند الآراء التي تبدو لي ان الكتاب انما وضع من اجلها .

العرب بالأمس

نجد في هذا القسم استعراضا سريعا لتاريخ العرب منذ عصر ماقبل الاسلام حتى قيام حلف بغداد، ثم تقوضه في صيف ١٩٥٨ ، وظني ان غرض المؤلف من هذا القسم افهام الغرب ان للعرب ماضيا حافلا وانهم اسهموا في اغناء التراث الانساني ، فهم ليسوا الشعب « المتأخر » الذي يظنون . ولا شك ان مثل هذه اللمحة مفيدة في كتاب يخاطب القارىء الغربي ، ولكني اشك في فائدتها للقارىء العربي ، كما اشك في ان يحقق الكتاب غرضا في ترجمته العربية ، وهو الذي كتب لفئة معينة من غير العرب، وان كان فيه أجزاء في القسم الثاني والثالث ، وهما لب الكتاب ، تستحق ان يناقشها العربي المهتم بمصير امته ، لأنها تمس حاضره ومستقبله . وحتى هذه الاجزاء التي اشير اليها كان يستحسن ان تعرض عرضا جديدا يتلاءم مع المفاهيم العربية والعقلية العربية المستنيرة الجادة .

ومع هذا ففي القسم الاول محاسن تذكر ، منها عروبة بادية بين السطور ، واعتزاز بماضي هذه الامة ، وتعليلات معقولة لبعض مظاهر الحياة الاسلامية التي يأخذها الغرب على العرب ، وصراحة في بيان اخطاء الساسة العرب في الماضي ، نكبرها لانها من رجل له في كل بلد عربي مصالح كثيرة . ومنها ايضا نظره الى القومية العربية نظرة علمية وربطها بالقوميات التي نشأت في اوروبا في القرن التاسع عشر ، لا ردها الى أصول قديمة،كما يحاول ان يفعل بعض الكتاب . لقد كانت تلك عروبة ، ولم تكن قومية عربية .

وعندما يصل الكاتب الى تاريخنا الحديث مع الغرب يبذل جهدا طيبا في بيان ما اقترف الغرب من آثام نحو العرب ، وكيف ان تاريخه معنا تميز بالخداع حينا وبالبطش حينا آخر . وفي الصفحة (٧٢) من الترجمة العربية حادث خطير ، ان صح : فالمؤلف يروي ان صالح جبر حدثه ان بيفن اسر اليه ان بريطانيا مستعدة للتخلي عن الانتداب على فلسطين لتترك للعراق ان يفعل ما يريد بشأنها ، ولكن العراقيين لم يعرفوا بذلك ، وتوصل الى معرفة هذا الاتفاق الصهاينة بطريقة ما ، فاوعزوا ليهود العراق ان يتظاهروا تحت ستار القومية العربية ضد معاهدة بورتسموث التي وقعت في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٨ ، وكان اليهود العراقيون هم الذين يقودون المظاهرات !

وبجانب هذا نجد في الفصل الاول امورا تاريخية تسترعي انتباه القارىء : فالقول ان دخول مطبعة الغزاة الفرنسيين بقيادة نابليون الى مصر كان فاتحة الانبعاث العربي ، قد يكون مبالغا فيه لان تلك المطبعة كانت صغيرة ولا تصلح الا لطباعة المنشورات ، اما الذي احدث هذا الانبعاث فهو ضعف تركيا مما جعل محمد علي يستقل بشؤون مصر ويفتح ابوابها على اوروبا المتقدمة ليأخذ منها ويستفيد من صناعتها وحضارتها ، وضعف تركيا ايضا هو الذي مكن الدول الغربية من فتح مدارسها التبشيرية في بلاد الشام وبهذا فتحت عيون النشء على حضارة وفكر جديدين .

وفي الفصل الذي يتحدث فيه الاستاذ البستاني عن بذور القومية العربية لم يحاول ان يوضح ان القومية في مصر كانت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين اسلامية مصرية ضد بريطانيا المستعمرة ، وانها كانت في الوقت نفسه تحس بمودة ووشيجة تشدها الى الخلافة الاسلامية في استانبول . اما في بلاد الشام فقد كانت قومية عربية لأنها كانت موجهة ضد الدولة العثمانية المتحكمة في البلاد العربية تسلبها خيراتها ، وتنظر الى شعبها من عَلٍ . لقد كان الاتجاهان في مصر وبلاد الشام مختلفين ، لأن الظروف كانت تقتضي مثل هذا الاختلاف .

واشتعلت نار الحرب العالمية الاولى ، وقامت الثورة العربية في شهر حزيران (يونيو)١٩١٦ ، وكان من اثرها ان « تجمد نحو من ثلاثين الف جندي تركي على طول سكة الحديد من عمّان الى

المدينة المنورة .. وكان من تأثير بسالتهم (العرب) ان وقف مفعول الدعاية الالمانية فى الاقطار الاسلامية ...» ولكنّ هناك سبب أعمق من هذا ، هو الذى جعل بريطانيا حريصة على قيام العرب بثورة تناصرها : لقد كانت لها مستعمرات اسلامية مترامية ، وكان كثير من جنودها من المسلمين ، وبخاصة من الهند ، وكان الانجليز يخشون ان يتأثر رعاياهم المسلمون بنداء الجهاد الذى وجهه الخليفة العثمانى ، كما كانوا يخشون ان تضطرهم ظروف الحرب الى دخول الاماكن المقدسة فى الحجاز ، مما كان سيوقعهم فى اشكال مع رعاياهم المسلمين . لهذا السبب ايضا كان يهم بريطانيا ان تكون الحجاز بجانبها فى الحرب .

وعقدت اثناء الحرب بين بريطانيا والعرب معاهدات . وتاريخ ما بعد الحرب معروف مشهور وكله مخاز للغرب ، تُوّجت بتسليم فلسطين .

وفى هذا القسم ايضا آراء يقف المرء عندها متاملا ، ولكنا نتجاوزها لاننا نعتبرها امورا ثانوية : كالقول بان « الجامعة الامريكية ببيروت هى المركز الرئيسى للتعلم فى الدنيا العربية » . نحن لا نبخس الجامعة الامريكية حقها ، ولكنا نسأل الاستاذ البستانى : ترى كم طالبا تخرّج هذه الجامعةفى العام فى اى ميدان ؟ وهل يبلغ عدد خريجيها فى اى فرع أكثر من ١/٢ خريجى جامعة القاهرة مثلا وقد بلغ عدد طلبتها الأربعين الفا ؟! ومع هذا فنحن مستعدون للتسليم بقول الأستاذ البستانى ، اذا كان هـذا القول سيغري الأمريكان بأن يدفعوا للجامعة المعونة التى طلبها لها منهم .

وفى الصفحة (٣٥) من النسخة العربية(المقابلة للصفحة « ٢٧ » من النسخة الانجليزية) خطا بدا لى انه خطا تاريخى حيث يقول : « فقد فتحت خلال حكم ابراهيم مدارس البعثات الامريكية والفرنسية فى المشرق ، اذ أسس الأمريكان عام ١٨٦٦ الكلية السورية الانجيلية (البروتستانتية) التى اصبحت ، فيما بعد ، جامعة بيروت الامريكية الشهيرة ... » لان حكم ابراهيم باشا فى بلاد الشام انتهى عام ١٨٤١ . وبالرجوع الى النسخة الانجليزية وجدنا ان الخلل فى الترجمة ، ولو استبدلنا (اذ) بحرف العطف (و) لاستقام المعنى.

وما دمنا بصدد الترجمة ، فما الداعى عند ذكر ابن سينا فى النسخة العربية فى صفحة (٢٦) الى وضع اسمه بين قوسين كما يلفظه الاجانب « آفيسينا » ، وهو الطبيب والفيلسوف العربى الشهير ! ثم ما هى « ادنبورغ » هذه فى صفحة (١١٠) ؟ لعلها « ادنبرة » فى اسكتلنده ، وهى هكذا فى النسخة الانجليزية ، ولكن اللبس وقع لانها تكتب باللغة الانجليزية على صورة وتلفظ على صورة اخرى ! واستعمال الكلمة الانجليزية ، وجمعها جمع مؤنث سالم فى « الطانكات » (ص ٨٠ وغيرها) هل له من مبرر ، وقد اصطلحنا على ان نترجمها بكلمة « الدبابات » ؟! وما الحكمة فى كتابة « برّتــه » هكذا فى صفحة ٧٢ و ٩٤ وغيرهما !

العـرب اليوم

ويبدا الفصل الثانى باعتراف واقعى لطيف وهو ان « من المشكوك فيه ان يكون ثمة كتاب تناول شؤون الحياة الجارية فى العالم العربى دون ان تتخطاه الاحداث قبل نشره » وهذا القول صحيح ، وانا اميل الى الاعتقاد بانه لو اتيح للاستاذ البستانى ان ينظر فى كتابه لطبعة ثانية لغيّر بعض ما ورد فيه من آراء على ضوء ما استجد من احداث ، وهو ان فعل ذلك فى طبعته الثانية ، فسيفعله ايضا فى طبعة تالية .

والفكرة التى يقوم عليها هذا القسم هى التاكيد على ان العرب امة واحدة وانهم لا بد متحدون فى المستقبل على شكل ما من اشكال الاتحاد ، ولهذا فان من مصلحة الغرب ان يتفاهم مع هذه الامة التى له فى بلادها مصالح لا يمكن تجاهلها ، ويستحث الغرب للاسراع فى تصفية مشاكله مع العالم العربى قبل فوات الأوان ، ومعاملته باحترام وعلى قدم المساواة . « ترى هل تقف اليوم بريطانيا مستعدة لايلاء العرب ذلك الاحترام ... ؟ هل تتقبل بريطانيا العرب على انهم كائنات انسانية لهم كرامتهم واستحقاقهم ، أم تستمر فى نبذهم باعتبارهم شعبا ذليلا بفطرته .... »

اليس هـذا استجداء للاحترام والتقدير ؟ ومتى كان الاحترام يوهب ؟ ان العرب ، ككل فرد فى هذه الدنيا ، لا يستطيعون ان ينالوا احترام احد الا اذا فرضوا هم احترامهم على الامم . ان الاحترام ، كالاستقلال ، يؤخذ ولا يعطى.

والاستاذ البستانى يؤمن ان العرب مستعدون للتفاهم مع الغرب اذا خطا الغرب خطوة نحو هذا التفاهم .

وانا اومن ان السياسة مصالح لا

عواطف ، كالاستاذ البستانى ، ولكنى اشك فى امكانية قيام تقارب على نطاق واسع بين العرب والغرب ، لان تاريخا اسود يقف حائلا حاجزا بيننا وبينه يجعلنا لا نثق به ، ولان الغرب نفسه واقع تحت سيطرة مؤثرات تجذبه بعيدا عن النظر الى القضايا العربية نظرة موضوعية .

وعلى كل حال فان المؤلف يرى ان التفاهم بين العرب والغرب ممكن اذا تعاون الغرب مع العرب على حل المشاكل المعلقة بينهما وهى : فلسطين ، والجزائر ، وعمان ومحميات عدن . .

وحديث المؤلف عن فلسطين واسرائيل جدير بالتامل ، فهو يرى ان كل عربى يؤمن ان «اسرائيل» لا تزال فلسطين ، وفلسطين لا بد عائدة الى الوطن الام والى اهلها . وهذا قول صحيح . وهو يرى ان صرخات العرب الداعية الى القضاء على اسرائيل يجب الا يحملها الغرب على محمل الجد . ولعل المؤلف اراد من هذا ان يكسب لدعوته انصارا بمثل هذا القول ، وشبيه بهذا تاكيده على ان العرب لا يكرهون اليهود كعنصر ، ولكنهم يقاومون الصهيونية الغاصبة . وحل قضية فلسطين ، فى رايه ، من واجب الامم المتحدة وهو يقترح لاستتباب الامن فى المنطقة : « انشاء حزام امن يبلغ عرضه مائتى ياردة على طول حدود اسرائيل مع الاقطار العربية ، ومثل هذه المنطقة المؤلفة من مائة ياردة فى كل من جانبي الحدود لا بد ان تدار من قبل قوات الامم المتحدة وان تصبح فى الواقع ارضا للامم المتحدة ... »

هل يعنى هذا القول اعترافا بالواقع وان هذا هو الحل لقضية فلسطين ؟

اما فى الجزائر فيرى انّ تضغط الولايات المتحدة الامريكية على فرنسا لحل المشكلة ، اذا أراد الغرب تفاهما مع العرب ، وامريكا قادرة على المساهمة فى حل المشكلة لقيادتها للعالم الغربى .

ويقترح لحل قضية عمان ومحميات عدن ان تتباحث بريطانيا مع الجامعة العربية للاتفاق على حل ، وخير حل فى رايه هو ان تعقد الجامعة العربية وبريطانيا اتفاقا « تتوليان بموجبه وصاية مشتركة على الاراضى العربية من عدن الى المحميات الساحلية ، خلال مدة يمكن ان تبلغ عشر سنوات مثلا ، تضمنا من بعدها الاستقلال التام لاهالي تلك البلاد .... » (ص ٢٢٤) .

فاذا امكن التفاهم على هذه المشاكل المتعلقة ، امكن ، فى راى المؤلف ، التفاهم على الامور الاخرى.

العـرب غداً

بعد ان بيّن الاستاذ البستانى للغرب ان تفاهمه مع العرب فى صالحه ، ورسم طريقا لهذا التفاهم ، استمر فى القسم الثالث فى تاكيده على ضرورة هذا التفاهم ، موضحا للغرب ما سيجنى من وراء هذا من فوائد ، وما سيجنى منه العرب ايضا . وهو يرى ان مشكلة العالم العربى الاولى هى البون الشاسع بين من يملكون ومن لا يملكون ، مما يجعل المنطقة ارضا صالحة لانتشار الشيوعية ، وان كان يعود ليؤكد ان العرب لهم من دينهم ما يجعلهم ينفرون منها . ترى ألم تكن روسيا متدينة اشد التدين عندما قامت فيها الثورة البلشفية ؟ ! ويرى ان على الغرب ان يساهم فى تطوير المنطقة اقتصاديا بالاشتراك مع دول النفط الغنية ، وان يخلع من ذهنه ان بالامكان فى هذه الايام جعل المنطقة العربية مسرح نفوذ غربى بالاكراه والعنف .

وقد وضع الاستاذ البستانى منذ زمن مشروعا اقتصاديا للانماء فى العالم العربى تشترك فيه الدول المنتجة للنفط والشركات المستغلة له ، وقد تبنت الحكومة اللبنانية هذا المشروع ودرس فى مؤتمر البترول العربى الاول فى القاهرة سنة ١٩٥٩ ، وبحث ايضا فى لجنة خبراء النفط للجامعة العربية التى عقدت فى جدة ،كما بحث فى المجلس الاقتصادى الاعلى للجامعة العربية فى القاهرة فى آذار (مارس) ١٩٦٠ . ويرى المؤلف ان هذا المشروع ، لو نفذ ، فانه سيقرب بين العرب والغرب من جهة،وسيساعد على تقارب العرب وتوحيدهم من جهة اخرى .

وهذا المشروع الذى سبق للمؤلف ان عرض له فى كتابه « شكوك وديناميت » ، ينص على توظيف ٥٪ من ارباح النفط السنوية فى العالم العربى ، قبل توزيعها ودفع الضرائب ، بفائدة ٢٫٥٪ . « وهذه الخمسة فى المائة من ارباح النفط تكوّن فى المعدل مبلغا يقارب الخمسين مليونا من الجنيهات الاسترلينية . وسيكون للاقطار العربية حرية الافتراض لمشاريع الانماء المصادق عليها .... » ونجد نص المشروع كاملا فى آخر الكتاب . .

هذا هو كتاب الاستاذ البستانى ، وهو كتاب جدير بالنظر الجاد ، سواء اوافقنا على جل ما جاء فيه ام رفضناه كله . ■■

محمود السمرة

بوران

قصة بقلم

الفة الادلبي

■ قال كبير الوزراء وهو يتحدث الى قهرمانة قصره العجوز :

ــ اسمعي ياهذه . سأكِلُ اليك من أهمّني امره ، وعهدي بك الدرايةُ والفطنة .

اجابت القهرمانة : أنا عنـــد حسن ظنك بي يامولاي .

قال : يسوءني جدا أن تسترق ابنتي السمعَ الى كل ما يدور في مجلسي هـــذا من أغان وأحاديث ، ولقد خُيّل اليَّ البارحةَ أني سمعتها وهي تضحك من وراء الستور عندما روى أحـد الظرفاء نكتة فاحشة ، ما أحب لها سماعها ، ولكم نهيتها فلم تنثنه ولم ترْعَوِ . وقد لا يخلـــو مجلسي من حديث أمثال هؤلاء الظرفاء ، أو ممـا يقوله شعراء ماجنون ، أو جوار خليعات ، مما أربا بها أن تسمعه .

قالت القهرمانة : ليطمئن مولاى بالا ، فوالله ما حوت بغداد فتاة تضاهي سيدتي ابنتك في رجاحة العقل ، وسموّ الخلق ، وان كانت تهوى سماع ما يدور في مجلسك هذا فما ذاك الا لولعها بالأدب والشعر ، وشغفها بالألحان والغناء .

قال الوزير : مهما يكن الأمر ، لقد قررت اسكانها في قصر قريب مني ، يُطلُّ من جهة على ذلك الزقاق الضيق الذى يؤدى الى دار الخلافة ، ويشرف من جهة أخرى على دجلة ، وانَّ لَفيه بستانا صغيرا ستجد فيه سلوتها انْ ضاقت بها حجرات القصر ، ولتأخذْ معها ما شاءت من قصرى هذا من التحف والألطاف والنفائس ، ولتصطحبْ

(بريشة احمد الوردجي)

معها من شاءت من الجواري والقيان والعبيد . وقد أمرت القيّمَ على صندوقي أن يَصرف لها ماشاءت من المال . فكوني أنت حارسها الأمين ، وزيّني لها هذا الأمر . وهيّئيه لها بحكمتك ، وقولي لها انى ما أردت بذلك الا الخير والراحة لها . فانت تعلمين انها حبيبة اليَّ ، عزيزة عليَّ . وساعرّج

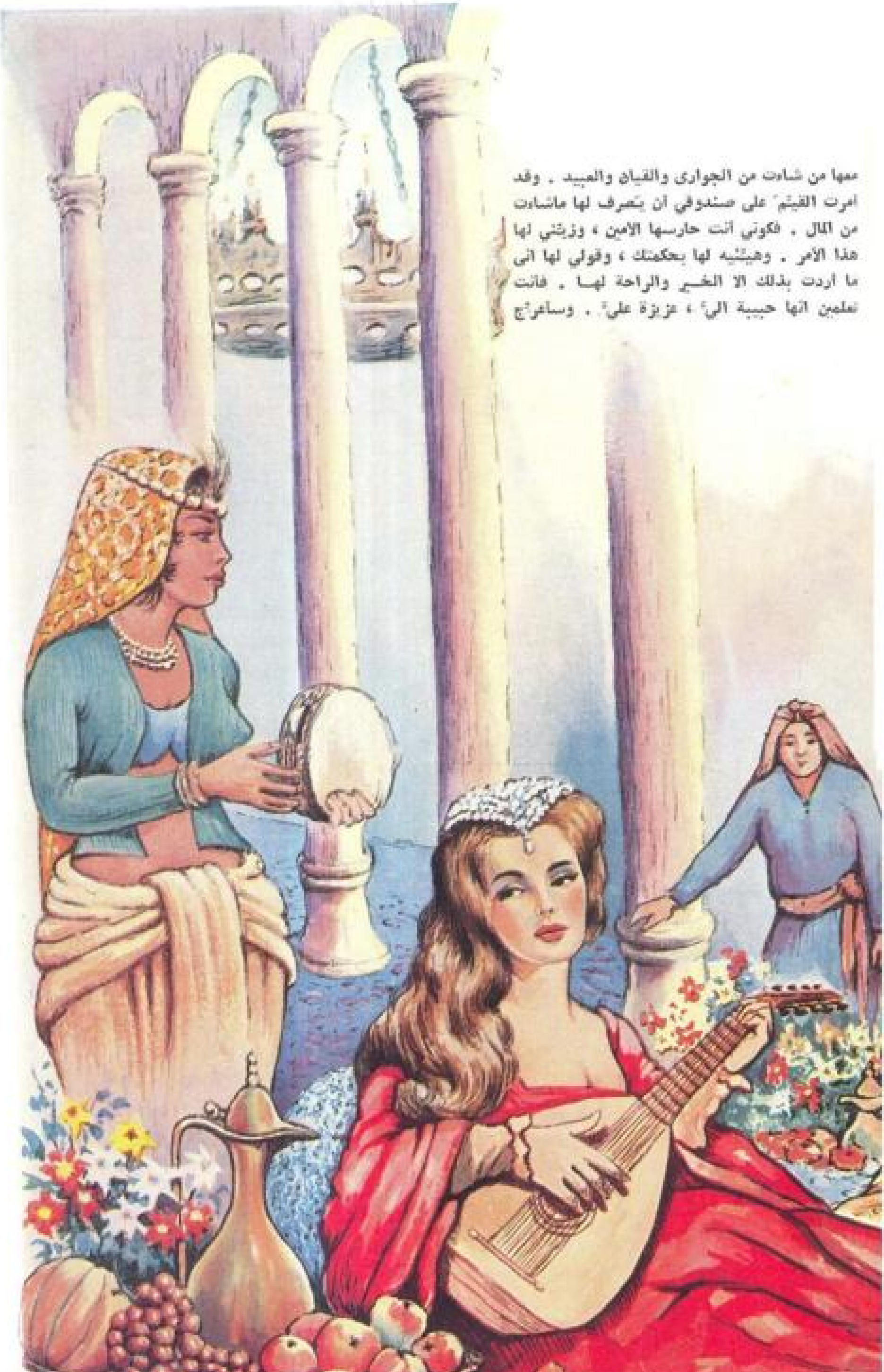

على بيتها كلما غدوتُ الى دار الخلافة .

قالت القهرمانة : ليطبْ مولاى نفسا ، وليعتمد عليّ فيما وكّلْ اليّ .

حاولت العجوز كثيرا لتجعل الصبية راضية عن مسكنها الجديد ، وجهدت في سبيل ذلك ما وُسعها الجهد ، فلم تفلح ، فليس من شيء يعدل في نظر الصبيّة مجلسَ أبيها الذى كانت تنتظر موعده متلهّفة لسماع الشعر يرويه ناظموه ، وللألحان يغنّيها واضعوها ، وللنكات يتندر بها مؤلفوها او ناقلوها ، حتى لكأنها ، وقد حُرمتْ من ذلك كله ، قد أخرجت من جنات النعيم .

قالت القهرمانة ذات صباح ، وقد رأت ان السأم والملل قد بدأ ينالان من صبيّتها :

ـ ما رأيك في نزهة على ضفاف دجلة تروّحين عن نفسك بعض الشيء برؤية الزهر والنهر .

قالت الصبية : اني لمدركة ما يدور في نفسك يا خالة ، فانت ما برحت تودين أن تهيئي لي ما اجد فيه العزاء عما فاتني في قصر أبي . ولكن ثقي انك سوف لن تبلغي ما تريدين أبدا .

فحوقلت العجوز واسترجعت ، ثم فكّرت وامعنت في التفكير وعادت تقول :

ـ اسمعي يابنيتي جعلني الله فداءك : لقد ارقتُ بالأمس أرقا شديدا حتى كاد يمضي الهزيع الاخير من الليل . ولقد سمعت جلبة وضجة في هذا الزقاق الضيق ، فنظرت من الشرفة فرايت بعض الناس يمرّون وعليهم سيماء الخير والنعمة ، فقلت في نفسي لا شك أنهم من ندمان الخليفة ارادوا اختصار الطريق فمروا من هنا . وخطر لي أمرٌ لعله يروق لك .

قالت : هاتِ ماعندك .

قالت العجوز : ما علينا لو أتينا بزنبيل كبير ففرشناه بالديباج والدمقس ، ثم ربطناه باربعة حبال ثخينة ، فاذا كان الهزيع الأخير من الليل ادليْناه من الشرفة ، وأنا ضامنة لك انه لو رآه أحد هؤلاء الظرفاء أو الندماء ، لقعد فيه فرفعناه الينا ، وفيهم من تحلمين برؤيته في مجلس أبيك ، فاذا أعجبنا به سامرناه حتى الصباح ، ثم أخذنا عليه العهود والمواثيق ليكتم أمرنا ، وان لم تُعجَب به ضحكنا منه وأخلينا سبيله .

فانفرجت أسارير الصبية وقالت للعجوز :

ـ يا لها من حيلة تفتق عنها ذكاؤك الفارط .

ولكن أما من خطر علينا ؟؟

قالت العجوز : انا أكفيك كل خطر .

وما كان آخرُ الليل حتى كان الزنبيل المفروش بالديباج قد تدلّى من الشرفة وقد شُدّتْ اليه اربعة حبال ، وقد وقفت أربع جوارٍ يرقبنه من عل . وكان الخليفة قد استدعى في تلك الليلة احد ندمائه المغنين ، ثم عرض للخليفة ما جعله ينصرف عنه لبعض شأنه ، فجلس ينتظر حتى انقضى النصف الاول من الليل ، فآثر الانصراف الى داره ، وسلك الزقاق ، فاذا هو يرى زنبيلا معلقا بأربعة حبال ، وقد شدت الى الشرفة ، فقال في نفسه :

ان لهذا لسببا ، وان له سرا . . .

وأقام مدة يتروى ويفكر ثم قال : واللـــه لاتجاسرن ، ولاجلس فيه كائنا ماكان . . .

ولما جلس في الزنبيل أحس به يرتفع ، حتى انتهى الى الشرفة واذا بأربع جوار يقلن له :

ـ انزلْ على الرحْب والسعة .

فنــزل ، فــاذا دار نظيفة حسنة التنظيم والترتيب ، ثم أدخل مجلسا فيه من ضروب التحف ، وصنوف النفائس وما لم ير مثله الا في دار الخلافة ، فتملكته الحيرة والدهشة . واذا هو يشعر بجلبة وضجة ، ويرى ستورا ترتفع في ناحية من نواحي المجلس ، ووصائف يتسابقن ، في أيدي بعضهن الشمع ، وبعضهن المجامر يبخرن منها العود والند ، تتوسطهن صبيّةٌ كأنها تمثال من عاج ، تتهادى بينهن كالقمر بين النجوم بقدّ يزْرى على الغصون . فلم يتمالك عند رؤيتها أن ينهض . فقالت :

ـ مرحبا بك من زائر أني وليست تلك عادته .

ورفعتْ مجلسَه عن الموضع الذى كان فيه ، واخذت ترحب به ، وتجامله . ثم سألته عن بلده ، وصناعته ، ومن أى الناس هو . فأحب أن يضللها فقال : انه من بغداد ، وهو تاجر ومن أمثاء الناس وأوساطهم . ثم سألته عن روايته للشعر ومعرفته باخبار العرب فقال لها :

ـ جُعلت فداك ! ان للداخل دهشة . وبي انقباض . ولكن تبتدئين أنت ، فالشعر يأتي بالمذاكرة .

قالت : لعمرى لقد صدقتَ . وراحت تروى له قصائد من عيون الشعر وتحدثه بأحلى النوادر

واعجبها فدلته ذلك على انها اديبة ذواقة . الى ان قالت له : ارجو ان يكون قد ذهب بعض ماكان بك من الحَصْر والانقباض والحشمة . فهات ما عندك :

فراح بدوره ينشدها أروع ما حفظ من الشعر ، وأحسن ما عنده من النوادر والقصص وهي مصغية اليه ، مستحسنة لكل ما يأتي به ، الى أن قالت :

ـ ما توهمتُ ابدا أن في عوام التجار ، وابناء السّوقة واحدا مثلك . فان ما سمعته منك لمما يُتحدث به عند خليفة أو امير .

فقال امعانا في تضليلها : جعلت فداك ، ان لي صديقا ينادم احد الأمراء . وهو حسن المعرفة ، كثير الحفظ ، فاذا تخلف عن صاحبه ذهبتُ اليه ، فلربما اخبرني من هذه الأحاديث شيئا فحفظته .

قالت : يجب ان يكون هذا . فلعمري لقد حفظت فاحسنت الحفظ . ثم قالت : ياجارية هات ما عندك .

ـ فقدّم اليهما أفخر الطعام والشراب وأحسن آنية ، فاصابا منه ما شاءا . ولما انتهيا منه قالت :

ـ انى اراك كاملا ، وانك في الرجال لفاضل ، وانك لوضيء الوجه ، مليح الشكل ، بارع الأدب ، وما ينقصك الا شيء واحد .

فقال : وما هو يا سيدتي دفع الله الاسواء عنك ؟؟

قالت : لو كنت تحرِّك بعض الأوتار ، وتترنم ببعض الأشعار .

فخاف انْ عنى أن يفتضح أمره ، فقال :

ـ والله قديما اشتهيته .. وطالما كَلِفتُ به وحرصت عليه فلم أُرزَقه ؟! . وكلما تقدمت في طلبه كنت فيه ابعد !! حتى اعرضتُ عنه . وان في قلبي من ذلك لحرقة ، واني لمستهتر به مائل اليه .. وما اكره ان اسمع في مجلسي هذا من جيده شيئا لتكمل ليلتي ، ويطيب عيشي ..

قالت : كانك قد عرّضتَ بنا .

قال : لا والله ما هو تعريض وما هو الا تصريح.

فقالت : يا جارية « العود . فما أن جسّته حتى ظن أن الدار قد سارت بمن فيها . ثم أخذت تغني بعض الحانه وتقول له : كم ابدع فلان بهذا اللحن ! ... وتسمي اسمه .

فيقول لها : أو هكذا أوتي فلان من الحذق ؟..

فتقول : نعم واكثر من ذلك .

وما زالا على حالهما هذه حتى لاح الفجر . فجاءت العجوز وقالت : اى بنية ! ان الوقت قد حضر . فاذا شئت فانهضي ، فلما سمعت مقالها نهضت فقالت : عزمتَ ؟

فقال : اي والله .

قالت : تصحبك السلامة . عليك أن تستر ما كنا فيه ، فان المجالس بالأمانة .

فأجاب : جعلت فداك!. أو احتاج الى وصية؟!..

ثم ودعها وودعته . وفتح له باب في ناحية من الدار الى طريق مختصرة وبادر الى بيته .

وظل بعدها ثلاث ليال يوافيها الى مجلسهما هذا ، ويتخلف موعده مع الخليفة معرضا نفسه لغضبه وقصاصه . وفي الليلة الثالثة قالت له عندما رأته :

ـ اضيفنا ؟؟ ..

قال : نعم ...

قالت مازحة : أو جعلتَها دارَ مُقام ؟ .

قال : جعلت فداك ! حق الضيافة ثلاثة ايام ، فاذا عدتُ بعدها فانت في حل من دمي ...

قالت : والله لقد أتيت بحجة .

ثم جلسا وأخذا فيما كانا فيه من الانشاد والحديث والغناء الى أن حان الوقت ، وجاءت العجوز . فقال لها وهو منصرف : أتاذنين في ذكر شيء خطر ببالي ؟

قالت : قل ما بدا لك .

قال : انى اراك ممن يُعجَب بالغناء والأناشيد اشد العجب . ولي ابن عم هو أحسن مني وجها ، واظرف قدا ، واكثر ادبا واغزر معرفة . وأنا تلميذ من تلاميذه ، وحسنة من حسناته ، فاذا سمحتِ أتيتك به غدا .

قالت : طفيليّ ومقترح ... اما كفاك ان سمحنا لك بثلاث ليال حتى طمعت ان تعود ومعك آخر .

فقال لها : جعلت فداك ! ذكرته لتكوني انت المحكمة ، فاذا اذنت واردت ، والا فلا اذكره .

فقالت : اذا كان ابن عمك على ما وصفت فأتنا به غدا .

فقال : سمعا وطاعة .

ثم ودعها وانصرف الى منزله . وما كاد يستقر به المقام حتى فاجأه رسل الخليفة ومعهم الجند ليجيروه بحالته تلك الى دار الخلافة . فاذا الخليفة جالس على كرسي وسط الدار مغتاظا

حَرِدًا . فلما رآه قال له :

ـ **اخروجا عن الطاعة ، واخلافا للوعد ؟! ..**

فقال : **لا والله يا امير المؤمنين . انه كانت لى قصة احتاج فيها الى الخلوة .**

فأومأ الخليفة الى من كان واقفا ، فتنحوا ، فقال له :

ـ **كان من خبرى كذا وكذا ... والله لا يمكننى يا امير المؤمنين أن اصف لك من اى احوالها اعجب ؟ امن جمالها ؟ . أم من ذكائها ؟ أم من حسن ادبها ؟ أم من جودة ضبطها للغريب ؟ أم من اقتدارها على النحو،ومعرفتها بأوزان الشعر؟ أم من ضبطها للألحان وحسن ضربها على الأوتار ؟**

ولما وصل الى هنا قاطعه الخليفة، **ويحك يا هذا! .. كيف لى بمشاهدة ما شاهدت ؟! ...**

فقال : **والله قد فكرت فى قصتها ، وعلمت انك ستطالبنى بذلك ، فاحتلت للأمر وذكرت لها أن لى ابن عم ، وأسهبت فى تعداد فضائله ومقدرته على الغناء حتى اذنت بمجالسته ، وسنصير اليها اذا شئت .**

ومضى النهار . فلما أن مضى من الليل هداة جعل الخليفة يقول :

ـ **أما حان الميعاد ؟ ..** وكان القلق باديا عليه، الى أن جاء الوقت وسارا اليها .

وقال المغنى للخليفة وهما فى طريقهما اليها : **يجب أن تظهر برئ بحضرتها واكرامى ، وتطرح نخوة الخلافة ، وتجبّر الملك . بل كن وكأنك تبع لى .**

والخليفة يقول **نعم .. او احتاج ان توصينى؟..**

ثم قال : **ويحك ياهـــذا ! فـاذا قالت لى : غنّ . فما أنا صانع ؟ ...**

فضحك المغنى وقال : **عندما نصل الى غنائك ساكفيكه انا .**

ولما وصلا الى الزقاق الضيق رأيا زنبيلـــين معلقين . فقعد كل واحد فى زنبيل . ثم صارا الى الشرفة ، وانتهيا الى المجلس . **فأخذ الخليفة** يتأمل الفرش ، والدار، والزى ، ويتعجب كثيرا ، ولما اقبلت الصبية بين جواريها بُهت من حسنها ،

فقالت : **حيا الله ضيفنا ، وابن عمه . ولكن ما انصفت ابن عمك ، حيث أجلسته دونك فهو جديد ، وأنت صرت من أهل البيت .**

فنهض الخليفة حتى صار فى صدر المجلس .

ثم أقبلت عليه تؤانسه ، وتناشده الشعر ، وتمازحه وهو يأخذ معها فى كل فن ، ويفحمها . ثم قالت للمغنى : **ان ابن عمك فوق ما وصفت .. وهل هو من عوام التجار ايضا ؟**

قال : **نعم ، نحن لا نعرف الا التجارة .**

قالت : **وانكما لغريبان فيها .**

ولما أحضر الشراب . قالت للمغنى : **موعدك .**

قال : **انه لفاعل ، ولكن حتى نسمع شيئا .**

فأخذت العود وغنت بعض الحانه . وأخذ الخليفة فى الشراب ، ولما نال منه كفايته ، التفت الى المغنى ونظر اليه كما ينظر الأسد الى فريسته ثم قال له : **غننى لحنك الفلانى .**

فقال : **لبيك يا امير المؤمنين .**

فعرفت انه الخليفة فما ارتبكت ، ولا اضطربت ، بل انكفأت بأدب وجلست خلــــف كِلّة كانت مضروبة هناك .

ثم قال الخليفة للمغنى : **سل من ربة الدار ؟**

فسأل العجوز فعرف أنها للوزير الكبير : وأن الصبية ابنته . ولما لاح الفجر عادا الى دار الخلافة . وقال الخليفة للمغنى : **اكتم هذا الأمر ولا تتفوه به أبدا .**

ولما كان الصباح،وحضر الوزير الى دار الخلافة، بادره الخليفة قائلا : **ألك بنت ؟**

قال : **نعم يا مولاى .**

فقال : **انى أخطبها اليك .**

قال الوزير وهو يكاد يطير فرحا : **هى جاريتك يا مولاى .**

فقال : **وقد أمهرتها ثلاثين الف دينار .. فاذا صار المال اليك فاحملها الينا .**

لقد كان هذا الخليفة العتيد هو المأمون .

وكانت الصبية الساحرة هى بوران بنت الوزير الخطير الحسن بن سهل وهى التى أصبحت فيما بعد زوج المأمون ومن أحب نسائه اليه .

أما صاحبنا المغنى فاسحاق بن ابراهيم الموصلى الذى طبّقت شهرته الآفاق فى تلك الأحقـــاب والذى نقل عنه أنه قال :

ـ رأيت كثيرا من الناس ، من الأشراف والأمراء، والأدباء ، فلم أر رجلا يعدل المأمون ، ولا امرأة تفى ببوران .

■■

الفة الأدلبي ـ دمشق

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

طفل فى كل عام !

● قرأت مقال « للطبيعة ميزان » فشجعنى على أن ألجأ إليكم لترشدونى الى طريقة لمنع الحمل ، إذ أن زوجتى تلد كل عام طفلا حتى أرهقها الحمل المتتابع بقدر ما أرهقنى ما يتطلبه ذلك من نفقات . فما العمل ؟

هـ . ا . م

« العربى » : **ستنشر فى عدد قادم بحثا فى الحد من النسل عن طريق المرأة ، ثم نتبعه بآخر فى الحد منه عن طريق الرجل .**

ما هى الماسونية ؟

● كثيرا ما نقرأ فى الصحف أخبارا عن « الماسونية » و « البنائين الأحرار » وطقوسهم وأسرارهم ومراتب زعمائهم كالأستاذ الأعظم وكاتم السر الأعظم وغيرهما ، ونقرأ بين أسماء معتنقيها أسماء بعض ذوى النفوذ من مختلف الأديان . فما هى الماسونية ؟ أهى حركة اجتماعية أم سياسية أم ثقافية ؟!

آنسة ثريا

اجدال — المغرب

« العربى » : **الكلام عن تاريخ الماسونية لا يتسع له هذا الباب ، وحسبنا أن نقول أن ماسونية اليوم غيرها عندما بدأت فى العصر الوسيط مثلا ، كحركة دينية هدفها بناء الكاتدرائيات والكنائس ، ولكنها سواء فى ذلك الماسونية الانجلوسكسونية أو الماسونية الفرنسية اللاتينية ، تطورت تطورا حدا بالكنيسة الكاثوليكية وبابواتها ، وكذا الكنيسة اللوثرية الامريكية ، وبعض الكنائس الارثوذكسية ، الى حرمان كل من اعتنق الماسونية او انتمى اليها.**

« البتروكيماويات »

● نسمع اليوم عن ما يسمونه بالبتروكيماويات .. فماذا يقصدون بهذه التسمية ؟

رفيق الشال

« العربى » : **هى اسم أنتجه المزاج الغربى فى ألسنة من لم يتدربوا التدريب الكافى فى استعمال ألسنتهم العربية . فهذه الكلمة هى ترجمة Petrochemicals وهى المواد الكيماوية التى تجد خاماتها الأولى فى زيت البترول ومنتجاته ، وذلك مثل المطاط الكيماوى وبعض اللدائن والأسمدة .**

واللسان العربى يترجمها فى بساطة فيقول : الكيمائيات البترولية . ولكن لا ؟! لا بد من الابهام والاعجام والفخامة والابهة التى يظن البعض أن تسبغها اللغة الأعجمية على مفاهيم العرب البسيطة . ويحسبون هذا نحتا ، وما هو من النحت فى شىء .

وهذه الكلمة تذكرنا بالكلمة السخيفة التى تسمى الشئون المتعلقة بالقارتين الافريقية والآسيوية « الشئون الافرواسيوية » . وقد عدلت عن هذه التسمية أغلب الصحف ، فتقول اليوم « الشئون الافريقية الآسيوية » .

انها ألسنة خلقها الله مستقيمة ، ولكنهم يريدون لها اعوجاجا .

الاختزال العربى

● **هل توجد معاهد تعطى دروسا فى الاختزال باللغة العربية كما هو الحال فى معاهد الاختزال الأجنبية ؟ وأين توجد ؟**

« **العربى** » فى القاهرة ، كما فى بيروت ، معاهد عدة لتدريس الاختزال باللغة العربية .

طلقها ... أيها المضروب !

● انا شاب في العشرين من عمري ، تزوجت منذ سنتين ، ورزقت ولدا عمره سنة . لم يمض على زواجي سوى شهر وبعض شهر حتى اصبحت حياتي جحيما لا يطاق . فالشتم والسب عند زوجتي شيء عادي ، واذا رفعت يدي عليها بدأت هي بالضرب ! لا تهتم بي ولا بولدها ، تعمل كل شيء حسب رأيها ، واذا كلمتها اجابت : «اعمل حسب ما يعجبني فافعل ما تريد » ! هددتها بالطلاق فأجابت : « بدل الزوج ستين زوج ولا يهمني ، طلقني ـ طلقني» .

انني لا انام الليل وأعيش في دوامة من التفكير بسببها ، اكرهها وكأنها خنزير يطاردني مما يجعلني أفكر في الانتحار ! هل عندكم ما تشيرون به علي لانقاذي من هذه المأساة ؟!

المعذب ـ البحرين

« العربي » : **يا رجل !! كيف ترضى لنفسك أن تعيش مع زوجة تضربك ؟! ثم ما دمت تكرهها ، وما دامت لا يهمها أن تطلقها ، فما الذي يقعد بك عن الطلاق ؟! اللهم الا اذا كنت تؤثر أن تنتحر !!**

ترجمة الأخبار العلمية

● قرأت خبرا علميا في « العربي » ، وبعد اسبوعين قرأت خبرا علميا بنفس المعنى في مجلة اخرى ، فكيف يحصل ذلك ؟

ثم انه يخيل لي أن الأخبار العلمية مترجمة .

وعندي كتاب خرج منذ عام ١٩٥٩ به أخبار علمية طريفة ، فهل يمكنني أن ابعث ببعضها اليكم لتنشروها ؟

أ . س
القاهرة

« العربي » : **اما ان تقرأ الخبر العلمي وغير العلمي في مجلتين أو أكثر فشيء طبيعي ، لأن كل خبر له مصدر في بقعة من بقاع الأرض ، وهو ينطلق لتنشره كل الصحف والمجلات تبعا لنوعها وتخصصها في الأخبار . فنبلة للروس ذات عشرات الملايين من الأطنان قوة ، ينطلق خبرها الروسي فتنشر ذلك « العربي » وغير « العربي » ، وربما زادت « العربي » تفصيلا لتخصصها .**

اما أن الأخبار العلمية مترجمة ، فلا شك في هذا . وكل الأخبار العالمية ، من علمية وسياسية واقتصادية ، وهي تأتي من بلاد عدة لها لغات عدة ، تترجم الى لغة المجلة التي تنشرها ، عربية كانت او اسبانية أو بلغارية .

اما ان ترسل الينا اخبارا من كتاب نشر عام ١٩٥٩ ، فتلك ليست بالأخبار . فالأخبار كالخبز تؤكل طازجا ، فاذا مضى على الخبر اسبوع او شهر لم يصبح خبرا .

المستشرقون ... والدروز

● من هم الدروز ؟ وما هي ديانتهم ؟

محمد فرج علي
الزرقاء ـ الاردن

عبد الرحمن حمدان
الكويت

● نعرف أن الدروز عرب ، لكني قرأت عنهم بحثا للمستشرق « سلفستر ساسي » زعم فيه أنهم ينحدرون من أصل فرنسي ، ومن سلالة دوقات Dues Dreux الذين سكنوا لبنان أثناء الحروب الصليبية .. فهل هذا صحيح ؟

فاضل شريف ـ القاهرة

« العربي » : **تخبط المستشرقون في أصل الدروز ، فمنهم من زعم انهم من اصل عجمي ،ومنهم من أرجعهم الى الجنس الهندي ، ومنهم من نسبهم الى الحثيين ، ومنهم من قال انهم سلالة الغال سكان فرنسا القدماء .**

وتلك كلها مزاعم واهية ، وخلط لا يستند الى أساس من الحقيقة أو التاريخ . فالدروز عرب لا شك في عروبتهم ، تشهد بذلك نقاوة لغتهم العربية ، كما يشهد به أن فيهم بطونا وافخاذا معروفة الانساب الى قبائل عربية لا شك في عروبتها ، مثل « لخم » و« طي » و« تميم » وغيرها .

والدرزية ليست ديناً وانما هي مذهب . والدروز هم احدى الفرق الاسلامية المنبثقة عن الشيعة .

أعصاب مرهفة

● انا فتاة في التاسعة عشرة من عمري ، أشكو من قلة النوم في النهار بتاتا ، وفي الليل لا أستطيع أن أنام حتى يسود الهدوء جميع أنحاء المنزل ، لأن أقل حركة أسمعها مهما كانت توقظني وتسلمني الى القلق والأرق ..

ساعة معصمي اتضايق من دقتها اذا كانت يدي فوق جبهتي ، وكذلك ساعة الحائط مع نعومة دقتها ! هل من علاج لهذه الحالة ؟

سميرة ـ ص . بيروت ـ لبنان

« العربي » : **مثل هذا الاحساس المرهف ، والاعصاب المرهفة ، لا بد لعلاجها من طبيب متخصص .. والى أن تعثري على هذا الطبيب يمكنك أن تستعيني على الارق بتناول حبة Sonery او غيره من الأقراص المنومة ..**

لكن خير من هذا وذاك : الرياضة .. رياضة المشي .. لعب التنس .. كرة السلة .. البنج بونج .. ثم الرياضة المنزلية : « شغل البيت » ..

ان هذه الرياضات تستنفذ من الطاقة ما يساعد على استرخاء الاعصاب ويخفف من توترها ، ويطرد الافكار التي تسبب الأرق والقلق ، وخاصة تلك التي تنشأ عن الشعور بالوحدة .

اخطار صعود الجبل

● كنت في بلد جبلي يرتاده الناس ليصعدوا جباله . وحذرني القوم هناك من صعوده ، فما هي الأضرار التي تصيب الانسان من صعود الجبل؟

احمد صادق

« العربي » : **طلوع الجبال عمل يحتاج الى المران الكثير . ولكن أخطرها في صعود الجبل انما هو فقدان صاعده أنفاسه . ان الهواء على الأرض البسيطة يحتوى على نحو خمسه من الاكسجين ، الغاز التنفس الأول والواحد . وتنخفض هذه الكمية بالصعود حتى انها عند قمة افرست ، في الهند ، وهو أعلى جبل في العالم ، لا تزيد عن ثلث هذا المقدار . ونقص الاكسجين في الهواء يؤثر في المخ ويصيب الانسان بما يشبه السكر من الخمر . وهو عندئذ يفقد القدرة على الحكم والبت ، واستبانة الأخطار . ويفقد كذلك اتزانه والانسجام بين حركاته .**

الغسل الشرعي

● **هل يصح أن تستحم المرأة بعد الاتصال الجنسي ولا تغسل الا جسمها ، وتقرأ الشهادة على رأسها اكتفاء ببلّه بقليل من الماء ؟! وما رأي الشرع ، حيث اني أصلي ، كما اني اذا غسلت شعري كثيرا يصبح منظره قبيحا ؟**

الرجاء الرد سريعا ولكم جزيل الشكر .

ن . م . د

« العربي » : مسح الرأس ببعضه أو كله ، دون غسله جائز في الوضوء ، لقوله تعالى : « وامسحوا برؤوسكم » . أما الغسل فلا بد فيه من أن يصب الماء على الرأس صبا . وهناك من يحتم تخليل الشعر بالاصابع اثناء صب الماء عليه. وهذا كله الا في حالة واحدة ، هي حالة خشية الضرر أو أن يكون بالرأس اذى .

ويمكن علاج قبح منظر الشعر باستعمال « الشامبو » في غسله ، أو بدهنه بالبريانتين او ما يماثله .

عجائب الدنيا

● ما هي عجائب الدنيا السبع ؟

عبد العزيز سلطان الماجد
الصحة العامة ـ الكويت

« العربي » : **عجائب الدنيا السبع ، كما كانت في عرف الأقدمين ، هي : اهرامات الفراعنة بالجيزة (ج.ع.م) . حدائق سميراميس المعلقة : بابل . تمثال زيوس : اوليمبيا . معبد ارتيميس :افسوس بآسيا الصغرى . ضريح هاليكارناس : آسيا الصغرى . تمثال ابولو : رودس . منارة الاسكندرية : ج.ع.م.**

ولم يبق من هذه العجائب قائما حتى اليوم غير اهرامات الجيزة ، فهي وحدها التي استطاعت ان تقاوم مرور الاف السنين .

المظلات الجوية

● كم ثمن المظلة الجوية التي يسقط بها الطائرون آمنين الى الأرض . وهل يمكن شراؤها ؟

احمد العبد الله

« العربي » : **سألنا في ذلك امريكا كان من**

لا بد للحب من ثمن

● أنا شاب في مقتبل العمر ، موظف باحدى المصالح الحكومية براتب لا بأس به ، خطب لي ابي منذ عامين فتاة من احدى القرى المجاورة لمقر وظيفتي ، واشترط أهلها معه أن اقيم معهم ، وتم الزواج ، وكان زواجا سعيدا ، فهي تحبني وانا احبها ، ولكن الشيء الذي يضايقني اصرارها واهلها على الاقامة معهم مما يكلفني مشقة الانتقال ونفقاته ، فلما فاتحتها في الانتقال الى المدينة التي اعمل بها ثارت وثاروا ، وبدأت معاملتهم لي تتغير ، حتى وصل الأمر الى السب والشتم . فتركتها وأقمت مع والدي بالمدينة ، وبعد خمسة أشهر ندم ابوها ليقنعني بالعودة ، وفعلا عدت . وحاولت اقناعها من جديد بالاقامة في المدينة ، ولكن عبثا . ووالدي رجل كبير السن ، محتاج الى مساعدتي . وانا حائر بين واجبي نحوه وبين حبي لها وحسن معاملتها لي ، فضلا عن نفقات السفر اليومية التي ترهقني ، حتى فكرت في طلاقها بسبب تحريض أهلها لها على عصياني . فبماذا تنصحون ؟

ع. ى. خ
السعودية

« العربي » : **ما دمت تحبها وتحبك ، وما دام أهلها يحسنون معاملتك ، فلا بد من التضحية من جانبك . وما دام أبوك قد قبل ان تقيم معهم ، كشرط للزواج ، فلا بد من التزام هذا الشرط ، والتضحية من جانبه .**

حاول أن تتفاهم معها على التوفيق بين الرغبتين ، بان تقتصدا من نفقاتكما ما تساعد به والدك ، ولو بشيء من التقتير المعقول ، الى أن تتمكن من اقناعها بالانتقال الى مقر عملك .

رجال الطيران فقال : ان عهده بهذه المظلات منذ سنتين ان الحكومة الامريكية كانت تدفع في الواحدة منها ٢٧٥ دولارا (نحو ١٢٤ جنيها استرلينيا) وهذه للطيار في القوات الجوية . ويمكن اى مدني ان يشترى مظلة طيبة تفي بشروط الصناعة في حدود مبلغ (٢٢٥) دولارا (نحو ٨٠ جنيهـــا استرلينيا).وزاد صاحبنا فقال : ان هذه المظلات لا تصنع اليوم من الحرير وانما تصنع من النيلون ، فهو امتن وارخص .

دراستك اولا ايها العاشق !

● انا شاب في العشرين من عمري وطالب ثانوي، احببت فتاة منذ سنتين وهي تحبني أيضـــا ، وللاسف لم نتقابل منذ سنة ونصف. ويقول من يذهب عندها من اهلي انها دائما تذكرني وتقـــول انها ستظل لي وحدي . وقد رفضت كثيرين طلبوا يدها ، وانا لا ازال اكتم حبها في قلبي .

والمشكلة هي كيف نتقابل مرة اخرى واراها ؟ اخطفها ؟ وهذا ما لا يرضاه ربنا ! ام ماذا افعل ؟

ع . ى . ح – حولي

« **العربي** » : عليك أولا أن تتم دراستك .. وما دامت هي تحبك وتقول انها ستكون لك وحدك ، فلماذا تتعجل ؟! أما اختطافها فعبث أطفال وجريمة يعاقب عليها القانون !

انت ما زلت صغيرا

● انني طالب في السنة الثانية الثانوية ،عمري خمسة عشر عاما ، تعرفت على فتاة تكبرني بحوالي ثلاث سنوات . هي شقيقة صديق لأخي الكبير ، فتعلقت بها ، حتى انني فكرت بالزواج منها . لكن مشكلتي انها أنهت دراستها وهي على وشك الزواج . فماذا أفعل لكي أتزوجها دون أن أجرح كرامتي أو كرامتها ؟

م. م. ع – نابلس

« العربي » : **ما دمت لا تزال طالبا بينما هي أتمت دراستها ، وما دامت تكبرك بثلاث سنوات ، وعلى وشك الزواج ، فلماذا تضيع وقتك في التفكير فيها ؟! دعها تتزوج غيرك فانت ما تزال صغيرا ! .**

(البقية على صفحة ١٤٠)

السّيجارة الاميركيّة الخفيفة
ذاتِ الفِلتر والنكهة الكامِلة

ڤايسروي

انت تسأل ونحن نجيب

بقية المنشور على صفحة ١٣٧

الرئاسة بالانتخاب

● من هو رئيس الامم المتحدة ؟ ومن الذى يعينه ؟ ومن اى الدول يختار ؟

كامل داود زرندج
الدوحة — قطر

« العربى » : ليس للامم المتحدة رئيس معين ، وانما تختار الجمعية العامة رئيسها فى كل دورة بطريق الانتخاب ، دون تقيد بان يكون الرئيس المنتخب من دولة بذاتها .

القنابل المسيلة للدموع

● كثيرا ما أسمع فى نشرات الاخبار عن القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين .

فما هى هذه القنابل ؟ وهل تحدث اضرارا ؟ وهل يقتصر استعمالها على تفريق المظاهرات فحسب ، أم انها تستعمل كذلك للحروب ؟

جاسم محمد الدريهم
الفروانية — الكويت

العربى : القنابل المسيلة للدموع هى قنابل اذا انفجرت فانتشرت المادة التى بها فى الجو ، أعمت الأعين بالذى تطلقه فيها من دموع . وهى كذلك تستخدم فى الحرب ، وفى السلم فى تفرقة المتظاهرين . والغازات المسيلة للدموع التى استخدمت فى الحرب العالمية كانت فى الواقع سوائل من مواد كيماوية هى « البروم اسيتون » Byomacetone و « البنزيل برميد » Benzyl Bromip .

مطبوعات المجمع اللغوى

● كثيرا ما نسمع عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعن المفردات التى اقرها فى مختلف العلوم والفنون . وقد بحثت فى المكتبات التى عندنا عن الكتب التى أصدرها المجمع فلم اعثر منها على شىء ، وبعثت الى كثير من دور النشر فى بعض الدول العربية فلم أصل الى شىء كذلك .

ارجو ان تفيدونى كيف استطيع الحصول على ما ظهر حتى الآن من مطبوعات هذا المجمع ؟

مصطفى السبكى
المهدية — المغرب الاقصى

« العربى » اكتب الى سكرتيرية المجمع لتوافيك ببيان منشورات المجمع ومطبوعاته . وعنوان المجمع هو ٢٦ شارع مراد بالجيزة ج.ع.م.

ردود خاصة :

● **الآنسة وفاء عبد الحكيم**

ـ كونك في السابعة عشرة من عمرك لا يمنع من مواصلتك الدراسة . لكن ما دمت لم تتجاوزي السادسة الابتدائية وأنت في هذه السن ، فوالدك محق في حجزك عن المدرسة . وهناك حل وسط يحقق رغبتك في مواصلة الدراسة ، ويقضي على مخاوف والدك واعتراضاته .. ذلك أن تستأنفي دراستك في المنزل باشراف بعض المعلمات .

ـ لا بد من أن تعرضي نفسك على طبيب متخصص في الأمراض العصبية والروماتزمية .

ـ اما صديقتك فيحسن أن تستشير طبيبا متخصصا في أمراض النساء .

● **توفيق موسى ابو الحسن : الاسكندرية :**

لا داعي للحيرة ، فالحالة التي صادفتك ليست شاذة . ولكي يطمئن قلبك استشر طبيبا متخصصا .

● **المعذب ش. ع : رام الله :**

ـ انت الذي وضعت نفسك في الجحيم ! فما دامت قد رفضت بدلا لأنها تحب شابا آخر ، فمن العبث أن تظل متعلقا بها .

اما ان هذا الشاب متزوج ، وانه سلبها عفافها فتلك مسألة تخصها هي ، وتدخلك فيها تطفل وفضول .

م. سعيد : طرابلس :

ـ للضعف الجنسي أدوية عديدة ، يصفها الأطباء الاخصائيون ، بعد الفحص والتحليل لا بالمراسلة .

بقية المنشور على صفحة ٦

واغلب الظن أن هذه التواريخ تقريبية ، ومن الصعب الجزم باحدها . والله اعلم .

ابراهيم قطان
عمان

ما تشابهت الآثار ، ولكن « المنصف » لم ينصف !

● جاء فى تعقيب الاستاذ محمد المنصف بعنوان « تشابهت عليه الآثار » على ما ذكرته ونشر فى ص ١٤٧ من العدد ٣٢ من مجلة « العربى » تصحيحا لبعض ما جاء فى مقال للاستاذ احمد راقب الحصايرى ، أن بحث الأستاذ الحصايرى سليم ، وان صور الاطلال هى بعينها صور اطلال المدينة المثلثة محور البحث .

وبالرجوع الى مقال الأستاذ الحصايرى نرى أن الصور التى أشرت اليها فى تعقيبى مكتوب عنها بجوار مدينة بنغازى وانها لمعبد أبولو ـ اذا فالأستاذ الحصايرى يقرر أن الآثار بجوار مدينة بنغازى التى تبعد عن المدينة المثلثة « طرابلس » اكثر من الف كيلو متر (١٠٣١ كيلو مترا بالضبط) ـ وتعقيبى كان على كلمة « بجوار » فذكرت أن هذه الآثار تبعد عن مدينة بنغازى بمسافة ٢١٨ كيلو ـ فقول الاستاذ « المنصف بانها من آثار المدينة المثلثة ليس من «الانصاف» فى شىء .

ولو أن الأستاذ الحصايرى لم يذكر عنها أنها معبد ابولو لما كان هناك شك فى ذلك . فالآثار كما يبدو من صورها فى واد تعلوه جبال تكسوها اشجار ، وهذا هو وصف آثار معبد أبولو فى مدينة شحات بالجبل الاخضر . والتى يقول عنها صاحب قصيدة الجبل الاخضر :ـ

اذا وافيت « شحاتا » وكانت
سرينة فى القديم من الأوان
ترى جبلين بينهما بقايا
من الرومان توغل فى الزمان
وقد غطاهما شجر كثيف
له أرج تضوع فى المكان

فلا يمكن باى حال أن تتشابه آثار شحات التى فى الوادى ، بآثار مدينة لبدة التى تقع شرق طرابلس على مسافة ١٢٠ كيلو مترا ، أو صبراطة التى تقع غرب طرابلس على مسافة ٦٨ كيلو مترا ، فكلتا المدينتين على ساحل البحر ، وفى سهول فسيح لا تحيط به الجبال .

عبد السلام محمد النجار
ج ٠٣ ٠٤ م

زنوبيا .. وكاشيوس لونجينوس

● في العدد ٣٦ من مجلة « العربي » جاء في مقال الدكتور محمود زايد عن «زنوبيا ملكة تدمر» ما يلي : (واجتذبت الى قصرها طائفة من اعلام الفكر في عصرها ، بينهم الفيلسوف كاشيوس لونجينوس الذي مات عام ٢٧٣ ق.م والذي قربته وجعلته مستشارا لها) .

فكيف نوفق بين هذا التاريخ وبين حكم زنوبيا الذي بدأ في أواخر القرن الثالث بعد الميلاد ؟

عبد الوهاب محمد احمد
الكويت

● ... والمعروف أن زنوبيا قد عاشت في القرن الثالث الميلادي كما جاء في المقال نفسه أيضا ، ومن هنا يتبادر الى الاذهان ان هناك تناقضا ما بين التاريخين ، ويقيني أن الدكتور محمود زايد كان يقصد أن الفيلسوف كاشيوس مات عام ٢٧٣ بعد الميلاد لا قبله ، والا ارجع الملكة زنوبيا الى الوراء عن عصرها بستة قرون !

ارجو تصويب ذلك ولكم الشكر .

عبد الرحمن عبد الله ابراهيم
القاهرة ــ كلية الآداب

« العربي » : لونجينوس مات سنة ٢٧٣م، والخطأ مطبعي ليس الا ..

« حيزان .. لا « خيران »

● « ... وقد جاء في مقال الدكتور محمود زايد أن أولاد زنوبيا ثلاثة : وهب اللات ، وتيم الله ، وخيران » واحب ان اشير الى انه جاء في كتاب « دراسات في التاريخ القديم للوطن العربي الكبير » ان الابن الأصغر هو « حيزان » وليس « خيران » ، ولذا لزم التنبيه . »

عبد الرحمن ابراهيم حسن
مدرسة المبرز الثانوية ــ السعودية

قسيمة المسابقة (كوبون) ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

أدب القـوة

● ... أود أن أعرب عن اعجابي بمقال الأخت أسمى طوبى ، عن « أدب القوة » ، وأؤيدها في كل كلمة كتبتها عن انتشار القصص المبتذلة والكتب الرخيصة التي لا تعود على الناشئة بأدنى فائدة ، بل بالعكس تؤدي الى اثارة الغرائز وانحرافها .

اني أهيب بالكتاب والمسئولين في كل شبر من بلادنا العربية .. ان يحملوا على صغار الكتاب وأجرائهم الذين جعلوا الكتابة وسيلة للارتزاق وافساد الشباب .. ويحاولوا منعهم من ذلك بشتى الطرق ، حتى يساعدوا في انشاء جيل واع ، سليم، يحتمل المسئولية التي ستلقى على كاهله في المستقبل القريب .

آنسة فاطمة الصافي

شارع الزعفران ـ عدن

نحو مجتمع عربي أفضل

● .. واذا كنا نؤمن بانه لا يمكن خلق مجتمع عربي أفضل الا اذا تحررت المرأة العربية من قيود الرجعية وأغلال التقاليد ، الا انه يجب الا ننسى ان تحرير المرأة ليس مجرد نداءات وصرخات ، انما هو عمل مضن ، في طريق شائك طويل ، يتطلب الكثير من التضحية ، حتى تتحرر الافكار وتتخلص النفوس من رواسب الماضي والرجعية الهدامة التي لا تعجبها الدعوة الى التحرر ، وتحاول أن تحكم عليها بالاعدام !

فالى متى لا تكف هذه الالسنة عن المهاجمة والنقد والتحدي .. ومتى يفهم المجتمع الواعي حقيقة رسالة المرأة ويحميها من حملات المغرضين واقلام النقاد ؟

بدرية بشرى عدلان

ثانوية البنات ـ بأم درمان

سننتصر

« الى أخى العربى : الشاعر أبو سلمى »

اخى لئن طال السرى
وغاب عنا القمر
وادلج الليل بنا
ونام عنا السمر
والدمع من اماقنا
من الأسى ينهمر
سيطلع الفجر غدا
وفى غد ننتصر
فما نسينا اهلنا
ولا عرانا الضجر

★★★

دنا اللقاء يا اخى
فى أرضنا سنسمر
والفجر لاح ضوؤه
فى افقنا ينتشر
بركاننا مؤجج
وفى غد ينفجر
وتبسم الدنيا لنا
بامل ينتظر
والقدر يغدو مونقا
ويستطاب الثمر
والعرب فى جموعها
عن ساقها تشمر
من الحجاز والخليـ
ـج والمحيط نفروا
كل القوى لوثبة
يهود منها تعثر

★★★

اخى ، اخى ، ديارنا
وارضنا ستطهر
ويسعد الأهل بها
وروضها سيزهر
لا تبتئس فغدنا
دان الينا ينظر
سنلتقى فى ارضنا
وربعنا يزدهر
سنلتقى ، سنلتقى
وفى غد ننتصر

مصطفى طيب الأسماء
مدرس بوزارة المعارف السودانية

باكية

■ خلّي الدموعَ الغــوالِي في مآقيها ... فمِن حقوقِ اللآلي أن تصونيها !

وخبّـــئيها ، فما عزّتْ نظائرهــا ... من الفرائد إلاّ في تواريهــــــا !

وأمسكيها ، فكمْ في البذْلِ من تلَفٍ ... وخلّةُ الجود كم أودتْ بأهليها !

وإنّ للدمع – لـــو تدرين منزلــةً ... من الإبـــاء أرى ألاّ تُذلّيهـــا

وإن للحسنِ مخمـــوراً بصفْتـــه ... مـــكانةً تتســامى في تعاليهـــا

راعي بحقّ الوفا يا « مي » عزّتهـــا ... فالنُبلُ يا « مي » يقضي أن تراعيها

والحسنُ كالشّمس ، إن هيضت قوادمه ... هوًى ، فما أوسع تشفّيها وتشويها !

والشامتون ، وقـــاكِ الله ألسُنَهم ... مثلُ الأفاعي يُغـالى في توقّيها

فكفكفي الدمع ، فالأيامُ باســـمةٌ ... والعينُ تُحسد ما شعّ السنى فيها !

يا « مي » . والعُمْرُ فينانُ الرؤى خَضِلٌ ... والحب نُعمى ، وفضل الله يُبقيها

ما بالُ جوّكِ مربدّ الأديم ، وما ... عمّرا سماءكِ حتى غام صافيها ؟

وما لنفسكِ حيرى لا تريمُ أسًى ... كنا كلِ الحيّ ريعت في أمانيها ؟ !

والقلبُ في غمرةِ الأشجان مرتهنٌ ... أسوانُ ، ليس يرى في الأنس ترفيها ؟

وما لعينيكِ غشّى الدمعُ سحرَهما ... ككُوّة النّور غطّاها مغطّيها ؟ !

وكنتِ كالرّوض في إبّان نضرته ... جمّ الرؤى ، مونقَ الأفواف ، حاليها ؟

فما عدا اليوم حتى جف زاهره — وميعة العمر في أسنى مجاليها ؟
تبكين ؟ لا كان ما أبكاكِ يا أملي — ولا شجاكِ من الأيام شاجيها !

***

لكِ الصبا مُستحيرُ الحسنِ ساحرُهُ — لكِ الوضاءةُ تسبي لبَّ رائيها
لكِ الرزانةُ في قولٍ وفي عملٍ — لكِ الحصافةُ في أوفى معانيها
وأنتِ في جنّة فيحاء يخفرُها — قلبي . وروحي غداةَ البين تحميها
دنيا من الرونقِ المعبود ، ما بَصُرتْ — عينٌ بأبهى جمالاً من مرائيها !
وأنتِ فيها خيالات مجنّحة — تأنّستْ فتعالى الله باريها !
تباركَ الله ما أندى نوافلَه — على فؤادي ، وما أسنى تجلّيها !
مَن أطلعَ الصبحَ في عينيكِ منبلجاً — وجسّمَ النورَ قدّاً ينثني تيها
ومن أمدّكِ بي صفواً ترنّقه — هذي الدموعُ ، فكفي من تماديها
عيناكِ نافذتا حبٍّ أقدّسه — والنافذاتُ السواجي لا تغشّيها
تأصلَ السّجْو في طبعي وفي خُلقي — حتى عبدتُ من الألحاظ ساجيها ■■

جورج سلستي

حافظ على صحتك

اغسل الفواكه قبل أكلها

شركة نفط الكويت المحدودة

متاعب الجلد تذهب سريعاً

ان النقاط التي قد تظهر في الوجه تشوه اجمل وجه ولكن غسول D. D. D. يذهب سريعا بمتاعب الجلد هذه ، ويعطي البشرة لونا معجبا ومظهرا للصحة دائما . ووجهك يلين عند اللمس وينعم ، وكل هذا بسبب استخدام هذا الغسول المطهر ، غسول D. D. D. والجراثيم التي تعيش وتمرع في مسام الجلد يقتلها هذا الغسول D. D. D. بفعله القوي .

فلكل ما يظهر على وجهك من بقع تشوهه ، استخدم :

D. D. D. PRESCRIPTION

وتحصل عليها من كل تاجر تعتمده

شركة العمر للهندسة الميكانيكية

كويت - الخليج العربي - تلفون ٤٦٦٩
ص . ب ٣٩٢ - برقيا : عمركو تجاري ٢٧

وكلاء وموزعون وحيدون لسيارات ساب السويدية

- سيارات جيب أوستن
- مكائن ضخ "بوكستون"
- تراكتورات "ديفد براون"
- موتورات ديزل
- سيارات لوري "مان"
- قطع غيار لجميع انواع السيارات
- مكائن "لستر" البحرية
- جميع انواع المخارط والمواد الصناعية
- موازين عامة وخاصة لخدمة شركات الطيران

ورش ميكانيكية لمختلف انواع الخراطة وتركيب المعادن وتجديد الموتورات والإشارات الميكانيكية - تبريد مركزي

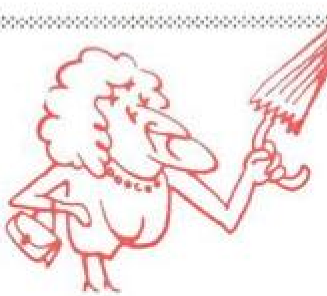

الشارع العتيق

● ركبت امرأة عجوز الحافلة ، وطلبت من السائق أن يُنزلها عند الشارع العتيق .وخشيت ان يفوتها الشارع فاخذت تذكّره . واخيرا نبهته حتى لا يفوت الشارع ، فغمزت جنبه بكعب شمسيتها ، وسألته : اهذا هو الشارع العتيق ؟ فقال لها السائق ساخرا : لا يا سيدتي .. ان هذا احد اضلاعي لا الشارع العتيق !

اضحك تضحك الدنيا معك

دقة بدقة !

● دق التلفون في الساعة الثالثة صباحا . وقام الرجل متعثرا متجها نحو التلفون وفي قلبه خوف . فاذا الجار يصيح فيه ويقول مهدّدا : اذا لم تُسكت كلبك هذا عن النباح طول الليل فسابلغ الشرطة . ووضع الرجل السماعة : وعاد الى فراشه لينام . ولم يردّ على الجار بكلمة .

وفي الليلة التالية ، في الساعة الثالثة صباحا ، ذهب الرجل الى تلفونه ، ودق رقم الجار . ولما جاء الجار في تلك الساعة الباكرة، قال له الرجل في غاية الهدوء :

ـ معذرة .. فقد نسيت امس عندما حدثتني عن نباح كلبي طول الليل ـ نسيت ان اخبرك انه ليس عندي كلاب قط !

ثم اقفل السماعة .

باسم مستعار

● لقيت امرأة ، ممن اغتنى في الحرب ازواجهن، فتاة تعرفت" بها حديثا.وأرادت ان تباهي بقدرها. فقالت للفتاة :

لقد زرت انجلترا وترحلت في أرجائها باسم مستعار . ورحلت الى فرنسا وزرتها باسم مستعار . والرفييرا زرتها باسم مستعار . وحتى ايطاليا زرتها باسم مستعار . ولم يعرف احد ممن لقيت من انا !

فسألتها الفتاة وقد ضجرت : ولكن من أنت ؟

الشيوعي المتحمس

● كان عند أحد الأثرياء طباخ يتحمس للشيوعية تحمسا شديدا ، وفي الأمساء يحضر اجتماعات الشيوعيين ويستمع الى خطبائهم . حدث ان تنبه السيد الثري الى ان خادمه لم يعد يذهب الى سماع الخطب ، فحدثه في ذلك . فقال الطباخ معتذرا : انه حدث في آخر اجتماع ان قسّم الخطيب البلاد على ما فيها من سكان فناب الفرد الواحد منهم الفان من الفرنكات .

فقال السيد : وماذا في هذا ؟

قال الطباخ : اني عددتُ ما عندي من الفرنكات فوجدتها ...٥ فرنك !!

الجندي .. الجنرال !!

● **الجاويش** : اسمع يا جون : انك لا بد ان تترك الخمر والا بقيت جنديا طول عمرك . انك ان تركت الشرب فقد تترقى الى رتبة جاويش .

الجندي : وما حاجتي الى ان اكون جاويشا . انى يا سيدي ، في الشرب « جنرال » !

ست بيت

● **أصرت الفتاة على ان تهيء الشاي وتقدمه للضيوف بدلا من أمها** . ولما تأخرت في احضاره بدأ القلق يساور امها ، فذهبت لاستعجالها وسألتها : لماذا استغرقت كل هذا الوقت في اعداد الشاي ، فأجابت الفتاة : **لانني لم اجد مصفاة الشاي .**

فقالت لها الأم : ولكن هذا هو الشاي نظيفا ومصفى جيدا . فماذا فعلت ؟

فردت الفتاة في الحال . لقد صفيته بمضرب الذباب !

.. ابك تبك وحدك ..

ذكاء طفل

● **دخلت الممرضة جناح الأطفال ورأت طفلا يلعب بوجهه بشكل مخيف . فصاحت به : لا تفعل ذلك ابدا والا فوجهك سيبقى قبيحا حتى وأنت كبير.**

فسأل الطفل ببراءة : هل كنت أنت تلعبين وجهك حينما كنت طفلة ؟

علاج .. جيبي

■ **ذهب مريض الى طبيب نفساني وبعد الفحص سأل الطبيب عن اجره فطلب الطبيب ٢٥ دينارا فاستغرب المريض وقال : لماذا تتقاضى ٢٥ دينارا في الوقت الذي لا يتقاضى غيرك أكثر من ١٠ دنانير.**

فرد عليه الطبيب : **ان هذا جزء من العلاج .. انني اريد أن اعودك على أن لا تعلق أهمية كبيرة على الاشياء المادية .**

احلام

● **قال رجل لصاحبه : ان زوجتي تظل تحلم بالليل انها تزوجت مليونيرا ..**

فرد صاحبه قائلا : انت أسعد مني يا عزيزي .. فزوجتي تحلم ذلك بالنهار .

المحامية والشاهدة

● كانت المحامية تستجوب الشاهدة في المحكمة :

المحامية : كم سنك ؟

الشاهدة : مثل سنك تقريبا !

عند الشخير

● اخذ يشخر ، فضجت من ذلك زوجته ، وايقظته **وقالت :**

ـ انت تشخر بشدة. ولو انك أغلقت فمك لقل الضجيج !

الزوج : وكذلك لو فعلت أنت .

سلسلة التراث العربي

التي تصدرها دائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت

تصدر اليوم الكتاب السابع:

الجزء الثالث من كتاب

العِبَر

في خَبَرِ مَن غَبَر

لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي

تحقيق

فؤاد سيد
أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية

توزيع: الشركة العربية للتوزيع بيروت لبنان

لِمَ الآلام والأوجاع ... ؟
عش سعيداً بدون ألم !
بتناول
اسبيرين
باير
BAYER
لفركوزن - المانيا
الاسبيرين ضد الصداع وأوجاع الأسنان والعضلات والأعصاب.
وضد الآلام الشهرية والروماتيزم وعرق النساء. يزيل الحرارة
والأنفلونزا ، وينشّط أجهزة الجسم عند التعب وتوتر الأعصاب .
إن الاسبيرين الذي يحمل علامة باير هو إنتاج ألماني أصيل

ساعات
فافر - لوبا
فخر الصناعة السويسرية
ترضي جميع
الأذواق
مختلف الأنواع نسائي ورجالي
تعمل في كل الأجواء
الوكلاء العامون
العراق عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد
البحرين يوسف احمد الساعي وشركاه
شارع باريت ص.ب ٢١٨
الكويت محمد عبد الله الشهاب
شارع عبد الله السالم (الشارع الجديد سابقا)
ص.ب ٢٣٨ - تلفون ٢٣٢٢

LIGNA
كراسي
ليچنا
من الخشب المعكوف
هي الوحيدة رمز الضمانة
لأمهر صانعي الكراسي في
المصانع التي اصبحت خبرتها
حوالي مائة سنة
المصدر
LIGNA
FOREIGN TRADE CORPORATION
41 VODICKOVA, PRAHA 1, CZECHOSLOVAKIA